بو كتاب

٤٧٤ ورقه

الجزء الاول من كتاب الكاشف لحقايق

غوامض التنزيل وعيون الاقاويل من وجوه التأويل تصنيف

الشيخ الفقيد الامام العلامة شيخ العرب والعجم

فريد وقته ووحيد عصره فخر خوارزم

ابي القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري

قدس الله روحه ونور ضريحه ورضوان الله

عليه ورحمته وبركاته آمين اللهم

آمين

744

ان التفاسير في الدنيا بلا عدد وليس فيها لعمري مثل كشاف

ان كنت تبتغي الهدى فالزم قراءته فالجهل كالداء والكشاف كالشافي

وقال بعضهم في الكشاف

تروق العين من زهر اللباب تأمل ما حواه تجد رياضا

من العثرات بدهرك في اماب جليس لا يمل فانت منه

محمد [redacted] اسمع لف وستين واربع مائة يوسف كريمة بنت احمد

بن محمد المروزي وهي التي تروي صحيح البخاري بمكة والى انتهى علم

الاسناد الصحيح الى رجالنا او لو قيد ذكر الامر في كتابه الكامل

الحمد لله سمعت من الكشاف تفسير الزهراوين وقطعة من سورة النساء مع ما تعلق به من

حاشيتي الشريف والسعد من شيخي سيدنا القاضي العلامة المحقق جمال الاسلام علي بن

يحيى البرطي اعاد الله من بركته وسمعت الاكثر من تفسير سورة النساء من الكشاف الى خاتمة

الكتاب من شيخنا القاضي العلامة شرف الدين الحسين بن محمد المغربي رحمه الله وانتهى السماع

في شهر [redacted] من شهر بالجامع الكبير من صنعاء اليمن المحروسة [redacted] ونسخة

شيخي سيدي وجدي ابرهيم بن محمد بن عبد الله بن الهادي الوزير بن ابرهيم بن علي بن محمد

المرتضى قدس الله ارواحهم كتبه الفقير الى الله علي بن محمد بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن احمد بن ابرهيم

عفا الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر واعن يا كريم

الحمد لله الذي انزل القرآن كلاما مؤلفا منظما ونزله بحسب المصالح منجما وجعله بالتحميد مفتتحا وبالاستعاذة مختتما واوحاه على قسمين متشابها ومحكما وفصله سورا وسوره آيات وميز بينهن بفصول وغايات وما هي الا صفات مبتدئ مبتدع وسمات منشئ مخترع فسبحان من استأثر بالاولية والقدم ووسم كل شيء سواه بالحدوث عن العدم انشأه كتابا ساطعا تبيانه قاطعا برهانه وحيا ناطقا ببينات وحجج قرآنا عربيا غير ذي عوج مفتاحا للمنافع الدينية والدنيوية مصدقا لما بين يديه من الكتب السماوية معجزا باقيا دون كل معجز على وجه كل زمان دائرا من بين سائر الكتب على كل لسان في كل مكان افحم به من طولب بمعارضته من العرب العرباء وابكم به من تحدى به من مصاقع الخطباء فلم يتصد للاتيان بما يوازيه او يدانيه واحد من فصحائهم ولم ينهض لمقدار اقصر سورة منه ناهض من بلغائهم على انهم كانوا اكثر من حصى البطحاء واوفر عددا من رمال الدهناء ولم ينبض منهم عرق العصبية مع اشتهارهم بالافراط في المضادة والمضارة والقائهم الشراشر على المعازة والمعارة ولقائهم دون المناضلة عن احسابهم الخطط وركوبهم في كل ما يرومونه الشطط ان اتاهم احد بمفخرة اتوه بمفاخر وان رماهم بمأثرة رموه بمآثر وقد جرد لهم الحجة اولا والسيف آخرا فلم يعارضوا الا السيف وحده على ان السيف القاضب مخراق لاعب ان لم تمض الحجة حده فما اعرضوا عن معارضة الحجة الا لعلمهم بان البحر قد زخر فطم على الكواكب وان الشمس قد اشرقت فطمست نور الكواكب والصلوة على من اوحي اليه حبيب الله ابي القاسم **محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم** ذي اللواء المرفوع في بني لؤي والفرع المنيف في عبد مناف بن قصي المثبت بالعصمة المؤيد بالحكمة الباتج الغرة الواضح التحجيل النبي الامي المكتوب في التوراة والانجيل وعلى آله الاطهار وخلفائه من الاختان والاصهار وعلى جميع المهاجرين والانصار

اعلم ان متن كل علم وعمود كل صناعة طبقات العلماء فيه متدانية واقدام الصناع فيه متقاربة او متساوية ان سبق العالم العالم لم يسبقه الا بخطا يسيرة او تقدم الصانع الصانع لم يتقدمه الا بمسافة قصيرة وانما الذي تباينت فيه الرتب وتحاكت فيه الركب ووقع فيه الاستباق والتناضل وعظم فيه التفاوت والتفاضل حتى انتهى الامر الى امد من الوهم متباعد وترقى الى ان عد الف بواحد ما في العلوم والصناعات من محاسن النكت والفقر ومن لطائف معان يدق فيها مباحث الفكر ومن غوامض اسرار محتجبة وراء استار لا يكشف عنها من الخاصة الا اوحدهم واخصهم والا واسطتهم وفصهم وعامتهم عماة عن ادراك حقائقها باحداقهم عناة في يد التقليد لا يمن عليهم بجز نواصيهم واطلاقهم ثم ان املأ العلوم بما يغمر القرائح وانهضها بما يبهر الالباب القوارح من غرائب نكت يلطف مسلكها ومستودعات اسرار يدق سلكها علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه واجالة النظر فيه كل ذي علم كما ذكر الجاحظ في كتاب نظم القرآن فالفقيه وان برز على الاقران في علم الفتاوي والاحكام والمتكلم وان بز اهل الدنيا في صناعة الكلام وحافظ القصص والاخبار وان كان من ابن القرية احفظ والواعظ وان كان من الحسن البصري اوعظ والنحوي وان كان انحى من سيبويه واللغوي وان علك اللغات بقوة لحييه لا يتصدى منهم احد لسلوك تلك الطرائق ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق الا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن وهما علم المعاني وعلم البيان وتمهل في ارتيادهما آونة وتعب في التنقير عنهما ازمنة وبعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة الله وحرص على استيضاح معجزة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد ان يكون آخذا من سائر العلوم بحظ جامعا بين امرين تحقيق وحفظ كثير المطالعات طويل المراجعات قد رجع زمانا ورجع اليه ورد ورد عليه فارسا في علم الاعراب مقدما في حملة الكتاب وكان مع ذلك مسترسل الطبيعة منقادها مشتعل القريحة وقادها يقظان النفس دراكا للمحة وان لطف شأنها منتبها على الرمزة وان خفي مكانها لا كزا جاسيا ولا غليظا جافيا متصرفا ذا دربة باساليب النظم والنثر مرتاضا غير ريض بتلقيح بنات الفكر قد علم كيف يرتب الكلام ويؤلف وكيف ينظم ويرصف طالما دفع الى مضايقه ووقع في مداحضه ومزالقه ولقد رأيت اخواننا في الدين من افاضل الفئة الناجية العدلية الجامعين بين علم العربية والاصول الدينية كلما رجعوا الي في تفسير آية فابرزت لهم بعض الحقائق من الحجب افاضوا في الاستحسان والتعجب واستطيروا شوقا الى مصنف يضم اطرافا من ذلك حتى اجتمعوا الي مقترحين ان املي عليهم الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل فاستعفيت فابوا الا المراجعة والاستشفاع بعظماء الدين وعلماء العدل والتوحيد والذي حداني على الاستعفاء على علمي انهم طلبوا ما الاجابة اليه علي واجبة لان الخوض فيه كفرض العين ما ارى عليه الزمان من رثاثة احواله وركاكة رجاله وتقاصر هممهم عن ادنى عدد هذا العلم فضلا عن ان تترقى الى الكلام المؤسس على علمي المعاني والبيان فامليت عليهم مسألة في الفواتح وطائفة من الكلام في حقائق سورة البقرة وكان كلاما مبسوطا كثير السؤال والجواب طويل الذيول والاذناب وانما حاولت به التنبيه على غزارة نكت هذا العلم وان يكون لهم منارا ينتحونه ومثالا يحتذونه فلما صمم العزم على معاودة جوار الله والاناخة بحرم الله فتوجهت تلقاء مكة وجدت في مجتازي بكل بلد من فيه مسكة من اهلها وقليل ما هم عطشى الاكباد الى العثور على ذلك

المملى

المملى متطلعين الى ايناسه حراصا على اقتباسه فهز ما رأيت من عطفي وحرك الساكن من نشاطي فلما حططت الرحل بمكة اذا انا بالشعبة السنية من الدوحة الحسنية الامير الشريف الامام شرف آل رسول الله ابي الحسن علي بن حمزة بن وهاس ادام الله مجده وهو النكتة والشامة في بني الحسن مع كثرة محاسنهم وجموم مناقبهم اعطش الناس كبدا والهبهم حشا واوفاهم رغبة حتى ذكر انه كان يحدث نفسه في مدة غيبتي عن الحجاز مع تزاحم ما هو فيه من المشاغل بقطع الفيافي وطي المهامه والوفادة علينا بخوارزم ليتوصل الى اصابة هذا الغرض فقلت قد ضاقت علي المستقالة وعييت به العلل ورأيتني قد اخذت مني السن وتقعقع الشن وناهزت العشر التي سمتها العرب دقاقة الرقاب فاخذت في طريقة اخصر من الاولى مع ضمان التكثير من الفوائد والفحص عن السرائر ووفق الله وسدد ففرغ منه في مدة مقدار مدة خلافة ابي بكر الصديق رضي الله عنه وكان يقدر تمامه في اكثر من ثلاثين سنة وما هي الا آية من آيات هذا البيت المحرم وبركة افيضت علي من بركات هذا الحرم المعظم اسأل الله ان يجعل ما تعبت فيه منه سببا ينجيني ونورا على الصراط يسعى بين يدي وبيميني ونعم المسؤول

سورة فاتحة الكتاب

مكية وقيل مكية ومدنية لانها نزلت بمكة مرة وبالمدينة اخرى وتسمى ام القرآن لاشتمالها على المعاني التي في القرآن من الثناء على الله بما هو اهله ومن التعبد بالامر والنهي ومن الوعد والوعيد وسورة الكنز والوافية لذلك وسورة الحمد والمثاني لانها تثنى في كل ركعة وسورة الصلوة لانها تكون فاضلة او مجزية بقراءتها فيها وسورة الشفاء والشافية وهي سبع آيات بالاتفاق الا ان منهم من عد انعمت عليهم دون التسمية ومنهم من مذهبه على العكس

بسم الله الرحمن الرحيم قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها على ان التسمية ليست بآية من الفاتحة ولا من غيرها من السور وانما كتبت للفصل والتبرك بالابتداء بها كما بدئ بذكرها في كل امر ذي بال وهو مذهب ابي حنيفة رضي الله عنه ومن تابعه ولذلك لا يجهر بها عندهم في الصلوة وقراء مكة والكوفة وفقهاؤها على انها آية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه الشافعي رضي الله عنه واصحابه ولذلك يجهرون بها وقالوا قد اثبتها السلف في المصحف مع توصيتهم بتجريد القرآن ولذلك لم يثبتوا آمين فلولا انها من القرآن لما اثبتوها وعن ابن عباس رضي الله عنهما من تركها فقد ترك مائة واربع عشرة آية من كتاب الله تعالى **فان قلت** بم تعلقت الباء **قلت** بمحذوف تقديره بسم الله اقرأ او اتلو لان الذي يتلو التسمية مقروء كما ان المسافر اذا حل او ارتحل فقال بسم الله والبركات كان المعنى بسم الله احل وبسم الله ارتحل وكذلك الذابح وكل فاعل يبدأ في فعله ببسم الله كان مضمرا ما جعل التسمية مبدأ له ونظيره في حذف متعلق الجار قوله عز وجل في تسع آيات الى فرعون وقومه اي اذهب في تسع آيات وكذلك قول العرب في الدعاء للمعرس بالرفاء والبنين وقول الاعرابي باليمن والبركة بمعنى اعرست او نكحت ومنه قوله فقلت الى الطعام فقال منهم فريق نحسد الانس الطعاما **فان قلت** لم قدرت المحذوف متأخرا **قلت** لان الاهم من الفعل والمتعلق به هو المتعلق به لانهم كانوا يبدؤون باسماء آلهتهم فيقولون باسم اللات وباسم العزى فوجب ان يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله تعالى بالابتداء وذلك بتقديمه وتأخير الفعل كما فعل في قوله اياك نعبد حيث صرح بتقديم الاسم ارادة للاختصاص والدليل عليه قوله تعالى بسم الله مجراها ومرساها **فان قلت** فقد قال اقرأ باسم ربك فقدم الفعل **قلت** هناك تقديم الفعل اوقع لانها اول سورة نزلت فكان الامر بالقراءة اهم **فان قلت** ما معنى تعلق اسم الله بالقراءة **قلت** فيه وجهان احدهما ان يتعلق بها تعلق القلم بالكتبة في قولك كتبت بالقلم على معنى ان المؤمن لما اعتقد ان فعله لا يجيء معتدا به في الشرع واقعا على السنة حتى يصدر بذكر اسم الله تعالى لقوله عليه الصلوة والسلام كل امر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو ابتر والا كان فعلا كلا فعل جعل فعله مفعولا باسم الله تعالى كما يفعل الكتب بالقلم والثاني ان يتعلق بها تعلق الدهن بالانبات في قوله تعالى تنبت بالدهن على معنى متبركا باسم الله اقرأ وكذلك قول الداعي للمعرس بالرفاء والبنين معناه اعرست ملتبسا بالرفاء والبنين وهذا الوجه اعرب واحسن **فان قلت** فكيف قال الله تعالى متبركا باسم الله اقرأ **قلت** هذا مقول على السنة العباد كما يقول الرجل الشعر على لسان غيره وكذلك قوله الحمد لله رب العالمين الى آخره وكثير من القرآن على هذا المنهاج ومعناه تعليم عباده كيف يتبركون باسمه وكيف يحمدونه ويمجدونه ويعظمونه **فان قلت** من حق حروف المعاني التي جاءت على حرف واحد ان تبنى على الفتحة التي هي اخت السكون نحو كاف التشبيه ولام الابتداء وواو العطف وفائه وغير ذلك فما بال لام الاضافة وبائها بنيا على الكسر **قلت** اما اللام فللفصل بينها وبين لام الابتداء واما الباء فلكونها لازمة للحرفية والجر والاسم احد الاسماء العشرة التي بنوا اوائلها على السكون فاذا نطقوا بها مبتدئين زادوا همزة لئلا يقع ابتداؤهم بالساكن اذ كان دأبهم ان يبتدؤوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن لسلامة لغتهم من كل لكنة وبشاعة ولوضعها على غاية من الاحكام والرصانة واذا وقعت في الدرج لم تفتقر الى زيادة شيء ومنهم من لم يزدها واستغنى عنها بتحريك الساكن فقال سم وسم قال باسم الذي في كل سورة سمه وهو من الاسماء المحذوفة الاعجاز كيد ودم واصله سمو بدليل تصريفه كاسماء وسمي وسميت واشتقاقه من السمو لان التسمية تنويه بالمسمى واشادة بذكره ومنه قيل للقب النبز من النبز بمعنى النبر وهو رفع الصوت والنبز قشر النخلة الاعلى **فان قلت** فلم حذفت الالف في الخط واثبتت في قوله باسم ربك **قلت** قد اتبعوا في حذفها حكم الدرج دون الابتداء الذي عليه وضع الخط لكثرة الاستعمال وقالوا طولت الباء تعويضا من طرح الالف وعن عمر بن عبد العزيز انه قال لكاتبه طول الباء واظهر السينات ودور الميم **والله** اصله الاله قال معاذ الاله ان تكون كظبية ونظيره الناس اصله الاناس قال ان المنايا يطلعن على الاناس الآمنينا فحذفت الهمزة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك قيل في النداء يا الله بالقطع كما يقال يا اله والاله من اسماء الاجناس كالرجل والفرس اسم يقع على كل معبود بحق

او باطل ثم غلب على المعبود بحق كما ان النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا وكذلك السنة على عام القحط والبيت على الكعبة والكتاب على كتاب سيبويه واما الله بحذف الهمزة فمختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره ومن هذا الاسم اشتق تأله واله واستاله كما قيل استنوق واستحجر من الناقة والحجر **فان قلت** اسم هو ام صفة **قلت** بل اسم غير صفة الا تراك تصفه ولا تصف به لا تقول شيء اله كما لا تقول شيء رجل وتقول اله واحد صمد كما تقول رجل كريم خير وايضا فان صفاته تعالى لا بد لها من موصوف تجري عليه فلو جعلتها كلها صفات بقيت غير جارية على اسم موصوف بها وهذا محال **فان قلت** هل لهذا الاسم اشتقاق **قلت** معنى الاشتقاق ان ينتظم الصيغتين فصاعدا معنى واحد وصيغة هذا الاسم وصيغة قولهم اله اذا تحير ومن اخواته دله وعله ينتظمها معنى التحير والدهشة وذلك ان الاوهام تتحير في معرفة المعبود وتدهش الفطن ولذلك كثر الضلال وفشا الباطل وقل النظر الصحيح **فان قلت** هل تفخم لامه **قلت** نعم وقد ذكر الزجاج ان تفخيمها سنة وعلى ذلك العرب كلهم واطباقهم عليه دليل انهم ورثوه كابرا عن كابر **والرحمن** فعلان من رحم كغضبان وسكران من غضب وسكر وكذلك الرحيم فعيل منه كمريض وسقيم من مرض وسقم وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك قالوا رحمن الدنيا والاخرة ورحيم الدنيا ويقولون ان الزيادة في البناء لزيادة المعنى وقال الزجاج في الغضبان هو الممتلي غضبا ومما طن على اذني من ملح العرب انهم يسمون مركبا من مراكبهم بالشقدف وهو مركب خفيف ليس في ثقل محامل العراق فقلت في طريق الطائف لرجل منهم ما اسم هذا المحمل اردت المحمل العراقي فقال اليس ذلك اسمه الشقدف قلت بلى فقال هذا اسمه الشقنداف فزاد في بناء الاسم لزيادة المسمى وهو من الصفات الغالبة كالدبران والعيوق والصعق لم يستعمل في غير اسم الله عز وجل كما ان الله من الاسماء الغالبة واما قول بني حنيفة في مسيلمة رحمن اليمامة وقول شاعرهم وانت غيث الورى لا زلت رحمانا فباب من تعنتهم في كفرهم **فان قلت** كيف تقول الله رحمن اتصرفه ام لا **قلت** اقيسه على اخواته من بابه اعني عطشان وغرثان وسكران فلا اصرفه **فان قلت** قد شرط في امتناع صرف فعلان ان يكون فعلان فعلى واختصاصه بالله يحظر ان يكون فعلان فعلى فلم تمنعه الصرف **قلت** كما حظر ذلك ان يكون له مؤنث على فعلى كعطشى فقد حظر ان يكون له مؤنث على فعلانة كندمانة فاذن لا عبرة بامتناع التانيث للاختصاص العارض فوجب الرجوع الى الاصل قبل الاختصاص وهو القياس على نظائره **فان قلت** ما معنى وصف الله بالرحمة ومعناها العطف والحنو ومنها الرحم لانعطافها على ما فيها **قلت** هو مجاز عن انعامه على عباده لان الملك اذا عطف على رعيته ورق لهم اصابهم بمعروفه وانعامه كما انه اذا ادركته الفظاظة والقسوة عنف بهم ومنعهم خيره ومعروفه **فان قلت** فلم قدم ما هو ابلغ من الوصفين على ما هو دونه والقياس الترقي من الادنى الى الاعلى كقولهم فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض **قلت** لما قال الرحمن فتناول جلائل النعم وعظائمها واصولها اردفه الرحيم كالتتمة والرديف ليتناول ما دق منها وما لطف

الحمد لله الحمد والمدح اخوان وهو الثناء والنداء على الجميل من نعمة وغيرها تقول حمدت الرجل على انعامه وحمدته على حسبه وشجاعته واما الشكر فعلى النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان والجوارح قال

افادتكم النعماء مني ثلاثة ... يدي ولساني والضمير المحجبا

والحمد باللسان وحده فهو احدى شعب الشكر ومنه قوله صلى الله عليه وعلى اله وسلم الحمد راس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده وانما جعله راس الشكر لان ذكر النعمة باللسان والثناء على موليها اشيع لها وادل على مكانها من الاعتقاد وآداب الجوارح لخفاء عمل القلب وما في عمل الجوارح من الاحتمال بخلاف عمل اللسان وهو النطق الذي يفصح عن كل خفي ويجلي كل مشتبه والحمد نقيضه الذم والشكر نقيضه الكفران وارتفاع الحمد بالابتداء وخبره الظرف الذي هو لله واصله النصب الذي هو قراءة بعضهم باضمار فعله على انه من المصادر التي ينصبها العرب بافعال مضمرة في معنى الاخبار كقولهم شكرا وكفرا وعجبا وما اشبه ذلك ومنها سبحانك ومعاذ الله تنزلها منزلة افعالها ويسدون بها مسدها ولذلك لا يستعملونها معها ويجعلون استعمالها كالشريعة المنسوخة والعدول بها عن النصب الى الرفع على الابتداء للدلالة على ثبات المعنى واستقراره ومنه قوله تعالى قالوا سلاما قال سلام رفع السلام الثاني للدلالة على ان ابراهيم عليه السلام حياهم بتحية احسن من تحيتهم لان الرفع دال على معنى ثبات السلام لهم دون تجدده وحدوثه والمعنى نحمد الله حمدا ولذلك قيل اياك نعبد واياك نستعين لانه بيان لحمدهم له كانه قيل كيف تحمدون فقيل اياك نعبد **فان قلت** ما معنى التعريف فيه **قلت** هو نحو التعريف في ارسلها العراك وهو تعريف الجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد من ان الحمد ما هو والعراك ما هو من بين اجناس الافعال والاستغراق الذي يتوهمه كثير من الناس وهم منهم وقرا الحسن البصري رحمه الله بكسر الدال لاتباعها اللام وقرا ابراهيم بن ابي عبلة الحمد لله بضم اللام لاتباعها الدال والذي جسرهما على ذلك والاتباع انما يكون في كلمة واحدة كقولهم منحدر الجبل ومغيرة تنزل الكلمتين منزلة كلمة واحدة لكثرة استعمالهما مقترنتين واشف القراءتين قراءة ابراهيم حيث جعل الحركة البنائية تابعة للاعرابية التي هي اقوى بخلاف قراءة الحسن رب العالمين الرب المالك ومنه قول صفوان لابي سفيان لان يربني رجل من قريش احب الي من ان يربني رجل من هوازن تقول ربه يربه فهو رب كما تقول نم عليه ينم فهو نم ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل ولم يطلقوا الرب الا في الله وحده وهو في غيره على التقييد بالاضافة كقولهم رب الدار ورب الناقة وقوله تعالى ارجع الى ربك انه ربي احسن مثواي وقرا زيد بن علي رضي الله عنه رب العالمين بالنصب على المدح وقيل بما دل عليه الحمد لله كانه قيل نحمد الله رب العالمين العالم اسم لذوي العلم من الملائكة والثقلين وقيل كل ما علم به الخالق من الاجسام والاعراض **فان قلت** لم جمع **قلت** ليشمل كل جنس مما سمي به **فان قلت**

هو

فهو اسم غير صفة وانما تجمع بالواو والنون صفات العقلاء وما في حكمها من الاعلام **قلت** ساغ ذلك لمعنى الوصفية فيه وهي الدلالة على معنى العلم الرحمن الرحيم مالك يوم الدين قرئ ملك يوم الدين ومالك وملك بتخفيف اللام وقرا ابو حنيفة رضي الله عنه ملك يوم الدين بلفظ الفعل ونصب اليوم وقرا ابو هريرة مالك بالنصب وقرا غيره ملك وهو نصب على المدح ومنهم من قرا مالك بالرفع وملك هو الاختيار لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله لمن الملك اليوم ولقوله ملك الناس ولان الملك يعم والملك يخص ويوم الدين يوم الجزاء ومنه قولهم كما تدين تدان وبيت الحماسة ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا **فان قلت** ما هذه الاضافة **قلت** هي اضافة اسم الفاعل الى الظرف على طريق الاتساع مجرى مجرى المفعول به كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار والمعنى على الظرفية ومعناه مالك الامر كله في يوم الدين كقوله تعالى لمن الملك اليوم **فان قلت** فاضافة اسم الفاعل اضافة غير حقيقية ولا تكون معطية معنى التعريف فكيف ساغ وقوعه صفة للمعرفة **قلت** انما تكون غير حقيقية اذا اريد باسم الفاعل الحال او الاستقبال فكان في تقدير الانفصال كقولك مالك الساعة او غدا فاما اذا قصد معنى الماضي كقولك هو مالك عبده امس او زمان مستمر كقولك زيد مالك العبيد كانت الاضافة حقيقية كقولك مولى العبيد وهذا هو المعنى في مالك يوم الدين ويجوز ان يكون المعنى ملك الامور يوم الدين كقوله تعالى ونادى اصحاب الاعراف والدليل عليه قراءة ابي حنيفة رضي الله عنه ملك يوم الدين وهذه الاوصاف التي اجريت على الله سبحانه من كونه ربا مالكا للعالمين لا يخرج منه شيء من ملكوته وربوبيته ومن كونه منعما بالنعم كلها الظاهرة والباطنة والجلائل والدقائق ومن كونه مالكا للامر كله في العاقبة يوم الثواب والعقاب بعد الدلالة على اختصاص الحمد به وانه به حقيق في قوله الحمد لله دليل على ان من كانت هذه صفاته لم يكن احد احق منه بالحمد والثناء عليه بما هو اهله اياك نعبد واياك نستعين ايا ضمير منفصل للمنصوب واللواحق التي تلحقه من الكاف والهاء والياء في قوله اياك واياه واياي لبيان الخطاب والغيبة والتكلم لا محل لها من الاعراب كما لا محل للكاف في ارايتك وليست باسماء مضمرة وهو مذهب الاخفش وعليه المحققون واما ما حكاه الخليل عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب فشيء شاذ لا يعول عليه وتقديم المفعول لقصد الاختصاص كقوله تعالى قل افغير الله تامروني اعبد قل اغير الله ابغي ربا والمعنى نخصك بالعبادة ونخصك بطلب المعونة وقرئ اياك بتخفيف الياء واياك بفتح الهمزة والتشديد وهياك بقلب الهمزة هاء قال طفيل الغنوي فهياك والامر الذي ان تراحبت موارده ضاقت عليك مصادره والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه ثوب ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة وقوة النسج ولذلك لم تستعمل الا في الخضوع لله تعالى لانه مولى اعظم النعم فكان حقيقا باقصى غاية الخضوع **فان قلت** لم عدل عن لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب **قلت** هذا يسمى الالتفات في علم البيان قد يكون من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقوله الله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات في ثلاثة ابيات

تطاول ليلك بالاثمد ... ونام الخلي ولم ترقد
وبات وباتت له ليلة ... كليلة ذي العائر الارمد
وذلك من نبإ جاءني ... وخبرته عن ابي الاسود

وذلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه ولان الكلام اذا نقل من اسلوب الى اسلوب كان ذلك احسن تطرية لنشاط السامع وايقاظا للاصغاء اليه من اجرائه على اسلوب واحد وقد تختص مواقعه بفوائد ومما اختص به هذا الموضع انه لما ذكر الحقيق بالحمد واجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشان حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل اياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة لا نعبد غيرك ولا نستعينه ليكون الخطاب ادل على ان العبادة له لذلك التميز الذي لا تحق العبادة الا به **فان قلت** لم قرنت الاستعانة بالعبادة **قلت** ليجمع بين ما يتقرب به العباد الى ربهم وبين ما يطلبونه ويحتاجون اليه من جهته **فان قلت** فلم قدمت العبادة على الاستعانة **قلت** لان تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة احسن وقيل لما نسب المتكلم العبادة الى نفسه اوهم ذلك تبجحا واعتدادا منه بما يصدر عنه فعقبه بقوله واياك نستعين ليدل على ان العبادة ايضا مما لا يتم ولا يستتب له الا بلطف منه وعون وتوفيق والاحسن ان تراد الاستعانة به وبتوفيقه على اداء العبادة ويكون قوله اهدنا بيانا للمطلوب من المعونة كانه قيل كيف اعينكم فقالوا اهدنا الصراط المستقيم وانما كان احسن لتلاؤم الكلام واخذ بعضه بحجزة بعض وقرا ابن حبيش نستعين بكسر النون اهدنا الصراط المستقيم هدى اصله ان يتعدى باللام او بالى كقوله تعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم وانك لتهدي الى صراط مستقيم فعومل معاملة اختار في قوله تعالى واختار موسى قومه ومعنى طلب الهداية وهم مهتدون طلب زيادة الهداية بمنح الالطاف كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وعن علي وابي رضي الله عنهما اهدنا ثبتنا وصيغة الامر والدعاء واحدة لان كل واحد منهما طلب وانما يتفاوتان في الرتبة وقرا عبد الله ارشدنا الصراط الجادة من سرط الشيء اذا ابتلعه لانه يسترط السابلة اذا سلكوه كما سمي لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا لاجل الطاء كقولك مصيطر في مسيطر وقد تشم الصاد صوت الزاي وقرئ بهن جميعا وفصاحهن اخلاص الصاد وهي لغة قريش وهي الثابتة في الامام ويجمع سرطا نحو كتاب وكتب ويذكر ويؤنث كالطريق والسبيل والمراد به طريق الحق وهو ملة الاسلام صراط الذين انعمت عليهم بدل من الصراط المستقيم وهو في حكم تكرير العامل كانه قيل اهدنا الصراط المستقيم اهدنا صراط الذين انعمت عليهم كما قال الذين استضعفوا لمن امن منهم **فان قلت** ما فائدة البدل وهلا قيل اهدنا صراط الذين انعمت عليهم **قلت** فائدته التوكيد لما فيه من التثنية والتكرير والاشعار بان الطريق المستقيم بيانه وتفسيره صراط المسلمين ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على ابلغ وجه واكده كما تقول هل ادلك على اكرم الناس وافضلهم فلان فيكون ذلك ابلغ في وصفه بالكرم والفضل من قولك هل ادلك على فلان الاكرم الافضل لانك ثنيت ذكره مجملا اولا ومفصلا ثانيا

٥٥٥٥ واوقعت ولانا بمنيرا وايضا خالا للاكرم الافضل فجعلته علما في الكرم والفضل وكانك قلت مررت برجل جامعا
للخصلتين فعليه ❁ فلان فهو المشخص المعين لاجتماعهما فيه غير مدافع ولا منازع الذين انعمت عليهم هم المؤمنون واطلق الانعام
ليشمل كل انعام لان من انعم الله عليه بنعمة الاسلام لم تبق نعمة الا اصابته واشتملت عليه وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم اصحاب
موسى قبل ان يغيروا وقيل هم الانبياء وقرئ ابن مسعود صراط من انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين
غير المغضوب عليهم بدل من الذين انعمت عليهم على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله والضلال او صفة على معنى انهم
جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الايمان وبين السلامة من غضب الله والضلال **فان قلت** كيف صح ان يقع غير صفة للمعرفة
وهو لا يتعرف وان اضيف الى المعارف **قلت** الذين انعمت عليهم لا توقيت فيه فهو كقوله ۝ ولقد امر على اللئيم يسبني ۝ ولان
المغضوب عليهم والضالين خلاف المنعم عليهم فليس في غير اذن الابهام الذي يابى عليه ان يتعرف وقرئ بالنصب على الحال وهي قراءة
رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم وعمر بن الخطاب رضي الله عنه ورويت عن ابن كثير وذو الحال الضمير في عليهم والعامل انعمت
وقيل المغضوب عليهم هم اليهود لقوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه والضالون هم النصارى لقوله قد ضلوا من قبل **فان قلت**
ما معنى غضب الله **قلت** هو ارادة الانتقام من العصاة وانزال العقوبة بهم وان يفعل بهم ما يفعله الملك اذا غضب على من تحت
يده نعوذ بالله من غضبه ونسأله رضاه ورحمته **فان قلت** لم دخلت لا في ولا الضالين **قلت** لما في غير من معنى النفي
كانه قيل لا المغضوب عليهم ولا الضالين وتقول انا زيدا غير ضارب مع امتناع قولك انا زيدا مثل ضارب لانه بمنزلة قولك انا زيدا لا ضارب
وعن عمر وعلي رضي الله عنهما انهما قرآ وغير الضالين وقرأ ايوب السختياني ولا الضألين بالهمزة كما قرأ عمرو بن عبيد ولا جأن
وهذه لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين ومنها ما حكاه ابو زيد من قولهم شأبة ودأبة امين صوت سمي به الفعل الذي هو
استجب كما ان رويد وحيهل وهلم اصوات سميت بها الافعال التي هي امهل واسرع واقبل وعن ابن عباس رضي الله عنهما سألت رسول الله
صلى الله عليه وعلى اله وسلم عن معنى امين فقال افعل وفيه لغتان مد الفه وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال امينا وقال امين فزاد الله
ما بيننا بعدا وعن النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم لقنني جبريل امين عند فراغي من قراءة فاتحة الكتاب وقال انه كالختم على الكتاب وليس
من القران بدليل انه لم يثبت في المصاحف وعن الحسن لا يقولها الامام لانه الداعي وعن ابي حنيفة رضي الله عنه مثله والمشهور عنه وعن اصحابه
انه يخفيها وروى الاخفاء عبد الله بن مغفل وانس عن رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم وعن الشافعي رضي الله عنه يجهر بها وعن وائل بن حجر
ان النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم كان اذا قرأ ولا الضالين قال امين ورفع بها صوته عن رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم انه قال لابي بن
كعب الا اخبرك بسورة لم ينزل مثلها في التوراة والانجيل والفرقان قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع
المثاني والقران العظيم الذي اوتيته وعن حذيفة بن اليمان ان النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب
حتما مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع بذلك العذاب اربعين سنة

سورة البقرة مدنية وهي مائتان وسبع وثمانون اية

بسم الله الرحمن الرحيم الم ذلك الكتاب لا ريب فيه

اعلم ان الالفاظ التي يتهجى بها اسماء مسمياتها الحروف المبسوطة التي منها ركبت الكلم فقولك ضاد اسم
سمي به ضه من ضرب اذا تهجيته وكذلك را با اسمان لقولك ره به وقد روعيت في هذه التسمية لطيفة وهي ان المسميات لما
كانت الفاظا كاساميها وهي حروف وحدان والاسامي عدد حروفها مرتق الى الثلاثة اتجه لهم طريق الى ان يدلوا في التسمية على
المسمى فلم يغفلوها وجعلوا المسمى صدر كل اسم منها كما ترى الا الالف فانهم استعاروا الهمزة مكان مسماها لانه لا يكون
الا ساكنا ومما يضاهيها في ايداع اللفظ دلالة على المعنى التهليل والحولقة والحيعلة والبسملة وحكمها ما لم تلها العوامل ان تكون ساكنة
الاعجاز موقوفة كاسماء الاعداد فيقال الف لام ميم كما تقول واحد اثنان ثلاثة فاذا وليتها العوامل ادركها الاعراب كقولك هذه
الف وكتبت الفا ونظرت الى الالف وهكذا كل اسم عمدت الى تأدية ذاته فحسب قبل ان يحدث فيه بدخول العوامل شيء من
تأثيراتها فحقك ان تلفظ به موقوفا الا ترى انك اذا اردت ان تلقي على الحاسب اجناسا مختلفة ليرفع حسابها كيف تصنع وكيف
تلفظ بها اغفالا من سمة الاعراب فتقول دار غلام جارية ثوب بساط ولو اعربت ركبت شططا **فان قلت** لم قضيت لهذه
الالفاظ بالاسمية وهلا زعمت انها حروف كما وقع في عبارات المتقدمين **قلت** قد استوضحت بالبرهان النير انها اسماء
غير حروف فعلمت ان قولهم خليق بان يصرف الى المسامحة وقد وجدناهم متسامحين في تسمية كثير من الاسماء التي لا
تقدح اشكال في اسميتها كالظروف وغيرها بالحروف مستعملين الحرف في معنى الكلمة وذلك ان قولك الف دلالته على اوسط
حروف قال وقام دلالة فرس على الحيوان المخصوص لا فصل فيما يرجع الى التسمية بين الدلالتين الا ترى ان الحرف ما دل على معنى في غيره
وهذا كما ترى دال على معنى في نفسه ولانها متصرف فيها بالامالة كقولك با تا وبالتفخيم كقولك باها وبالتعريف والتنكير
والجمع والتصغير والوصف والاسناد اليه والاضافة وجميع ما للاسماء المتصرفة ثم اني عثرت من جانب الخليل على نص في ذلك
قال سيبويه قال الخليل يوما وسأل اصحابه كيف تقولون اذا اردتم ان تلفظوا بالكاف التي في لك والباء التي في ضرب فقيل نقول

باكاف

باكاف فقال انما جئتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف وقال اقول كه وبه وذكر ابو علي في كتاب الحجة في يس وامالة يا انهم قالوا يا
زيد في النداء فاما لو اوان كان حرفا فقال واذا كانوا قد اماوا لا امالة من الحروف من اجل الياء فلان يميلوا الاسم الذي هو يس
اجدر الا ترى ان هذه الحروف اسماء لما يلفظ بها **فان قلت** من اي قبيل هي من الاسماء امعربة ام مبنية **قلت** بل هي اسماء معربة
وانما سكنت سكون زيد وعمرو وغيرهما من الاسماء حيث لا يمسها اعراب لفقد مقتضيه وموجبه والدليل على ان سكونها وقف
وليس ببناء انها لو بنيت لحذي بها حذو كيف واين وهؤلاء ولم يقل صاد قاف نون مجموعا فيها بين الساكنين **فان قلت**
فلم لفظ المتهجي بما اخره الف منها مقصورا فلما اعرب مد فقال هذه باء وتاء وهاء وذلك يخيل ان وزانها وزان قولك لا مقصورة
فاذا جعلتها اسما مددت فقلت كتبت لاء **قلت** هذا التخيل يضمحل بما لخصته من الدليل والسبب في ان قصرت متهجاة ومدت حين
مسها الاعراب ان حال التهجي خليقة بالاخف الاوجز واستعمالها فيه اكثر **فان قلت** قد تبين انها اسماء حروف المعجم وانها
من قبيل المعربة وان سكون اعجازها عند الهجاء لاجل الوقف فما وجه وقوعها على هذه الصورة فواتح للسور **قلت** فيه اوجه
احدها وعليه اطباق الاكثر انها اسماء السور وقد ترجم صاحب الكتاب الباب الذي كسره على ذكرها في حد ما لا ينصرف
باب اسماء السور وهي في ذلك على ضربين احدهما ما لا يتأتى فيه اعراب نحو كهيعص والمر **والثاني** ما يتأتى فيه الاعراب وهو
اما ان يكون اسما فردا كصاد وقاف ونون او اسماء عدة مجموعها على زنة مفرد كحم وطس ويس فانها موازنة لقابيل وهابيل
وكذلك طسم يتأتى فيها ان تفتح نونها وتصير ميم مضمومة الى طاسين فيجعلا اسما واحدا كدارابجرد **فالنوع الاول**
محكي ليس الا واما النوع الثاني فسائغ فيه الامران الاعراب والحكاية قال قاتل محمد بن طلحة السجاد وهو شريح بن
اوفى العبسي يذكرني حاميم والرمح شاجر فهلا تلا حاميم قبل التقدم فاعرب حاميم ومنعها الصرف وهكذا كل ما اعرب من
اخواتها لاجتماع سببي منع الصرف فيها وهما العلمية والتأنيث والحكاية ان تجيء بالقول بعد نقله على استبقاء صورته الاولى
كقولك دعني من تمرتان وبدأت بالحمد لله وقرأت سورة انزلناها وقال وجدنا في كتاب بني تميم احق الخيل بالركض المعار
وقال ذو الرمة سمعت الناس ينتجعون غيثا فقلت لصيدح انتجعي بلالا وقال الاخر تنادوا بالرحيل غدا وفي
ترحالهم نفسي وروي منصوبا ومجرورا او يقول اهل الحجاز في استعلام من يقول رأيت زيدا من زيدا وقال سيبويه سمعت
من العرب لا من اين يا فتى **فان قلت** فما وجه قراءة من قرأ صاد وقاف ونون مفتوحات **قلت** الوجه ان يقال ذاك
نصب وليس بفتح وانما لم يصحبه التنوين لامتناع الصرف على ما ذكرت وانتصابها بفعل مضمر نحو اذكر وقد اجاز سيبويه
مثل ذلك في حاميم وطاسين وياسين لو قرئ به وحكى ابو سعيد السيرافي ان بعضهم قرأ ياسين وجوز ان يقال حركت لالتقاء
الساكنين كما قرأ من قرأ ولا الضالين **فان قلت** هلا زعمت انها مقسم بها وانها نصبت نصب قولهم نعم الله لافعلن
اي والله لافعلن على حذف الجار واعمال فعل القسم وقال ذو الرمة الا رب من قلبي له الله ناصح وقال الاخر فذاك امانة الله الثريد
قلت ان القران والقلم بعد هذه الفواتح محلوف بهما فلو زعمت ذلك لجمعت بين قسمين على مقسم واحد وقد استكرهوا ذلك
قال الخليل في قوله عز وجل والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى الواوان الاخريان ليستا بمنزلة الاولى
ولكنهما الواوان اللتان تضمان الاسماء الى الاسماء في قولك مررت بزيد وعمرو والاولى بمنزلة الباء والتاء قال سيبويه قلت للخليل
فلم لا تكون الاخريان بمنزلة الاولى فقال انما اقسم بهذه الاشياء على شيء ولو كان انقضى قسمه بالاول على شيء لجاز ان يستعمل كلاما
آخر فيكون كقولك بالله لافعلن بالله لاخرجن اليوم ولا تقوى ان تقول وحقك وحق زيد لافعلن والواو الاخيرة واو قسم لا يجوز
الا مستكرها قال وتقول وحياتي ثم حياتك لافعلن فثم ههنا بمنزلة الواو وهذا والاستبدال فيما نحن بصدده الى ان يجعل الواو
للعطف لمخالفة الثاني الاول في الاعراب **فان قلت** فقدرها مجرورة باضمار الباء القسمية لا بحذفها فقد جاء عنهم الله لافعلن مجرورا
ونظيره قولهم لاه ابوك غير انها فتحت في موضع الجر لكونها غير مصروفة واجعل الواو للعطف لمخالفة الثاني الاول
والاعراب تتبعه لكن المصير الى نحو ما اشرت اليه **قلت** هذا ما سعد عن الصواب وبعضه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما
انه قال اقسم الله بهذه الحروف **فان قلت** فما وجه قراءة بعضهم صاد وقاف بالكسر **قلت** ما ذكرت من التحريك لالتقاء الساكنين
والذي يبسط من عذر المحرك ان الوقف لما استمر بهذه الاسامي شاكلت لذلك ما اجتمع في اخره ساكنان من المبنيات فعوملت تارة
معاملة الان واخرى معاملة هؤلاء **فان قلت** هل تسوغ في المحكية مثل ما سوغت في المعربة من ارادة معنى القسم
قلت لا عليك في ذلك وان تقدر حرف القسم مضمرا في نحو قوله عز وجل حم والكتاب المبين كانه قيل اقسم بهذه السورة
والكتاب المبين انا جعلناه واما قوله عليه الصلاة والسلام حم لا ينصرون فيصلح ان يقضى له بالجر والنصب جميعا على حذف الجار
واضماره **فان قلت** فما معنى تسمية السور بهذه الالفاظ خاصة **قلت** كان المعنى في ذلك الاشعار بان الفرقان
ليس الا كلما عربية معروفة التركيب من مسميات هذه الالفاظ كما قال عز من قائل قرآنا عربيا **فان قلت** فما بالها
مكتوبة في المصحف على صور الحروف انفسها لا على صور اساميها **قلت** لان الكلم لما كانت مركبة من ذوات الحروف
واستمرت العادة متى تهجيت ومتى قيل للكاتب اكتب كيت وكيت ان تلفظ بالاسماء وتقع في الكتابة الحروف انفسها

على تلك المشاكلة المألوفة في كتابة هذه الفواتح وأيضاً فإن شهرة أمرها وإقامة ألسن الأسود والأحمر لها وأن اللافظ بها غير متهجاة لا يحلى بطائل منها وأن بعضها مفرداً لا يخطر ببال غير ما هو عليه من مورده أمنت وقوع اللبس فيها وقد اتفقت في خط المصحف أشياء خارجة عن القياس قال عبد الله بن درستويه في كتابه المترجم بكتاب الكتاب المتمم في الخط والهجاء خطان لا يقاسان خط المصحف لأنه سنة وخط العروض لأنه تثبت فيه ما أثبته اللفظ وتسقط عنه ما أسقطه **والوجه الثاني** أن تكون ورود هذه الأسماء هكذا مسرودة على نمط التعديد كالإيقاظ وقرع العصا لمن تحدى بالقرآن وبغرابة نظمه كالتحريك للنظر في أن هذا المتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن آخرهم كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم ليؤديهم النظر إلى أن يستيقنوا أن لم تتساقط مقدرتهم دونه ولم تظهر معجزتهم عن أن يأتوا بمثله بعد المراجعات المتطاولة وهم أمراء الكلام وزعماء الحوار وهم الحراص على التساجل واقتضاب الخطب المتهالكون على الافتنان في القصيد والرجز ولم يبلغ من الجزالة وحسن النظم المبالغ التي بزت بلاغة كل ناطق وشقت غبار كل سابق ولم يتجاوز الحد الخارج من قوى الفصحاء ولم يقع وراء مطامح أعين البصراء إلا لأنه ليس بكلام البشر وأنه كلام خالق القوى والقدر وهذا القول من القوة والخلاقة بالقبول بمنزلة لناصره على الأول أن يقول إن القرآن إنما نزل بلسان العرب مصبوباً في أساليبهم واستعمالاتهم والعرب لم يتجاوزوا ما سموا به مجموع اسمين ولم يسم أحد منهم بمجموع ثلاثة أسماء وأربعة وخمسة والقول بأنها أسماء السور حقيقة يخرج إلى ما ليس في لغة العرب ويؤدي أيضاً إلى صيرورة الاسم والمسمى واحداً **فإن اعترضت** عليه بأنه قول مقول على وجه وأنه لا سبيل إلى رده أجابك بأنه لا محمل له سوى ما ذهب إليه وأن نظيره قول الناس فلان يروي قفا نبك وعفت الديار ويقول الرجل لصاحبه ما قرأت فيقول الحمد لله وبراءة من الله ورسوله ويوصيكم الله في أولادكم والله نور السموات والأرض وليست هذه الجمل بأسامي هذه القصائد وهذه السور وإنما تعني رواية القصيدة التي ذاك استهلالها وتلاوة السورة التي تلك فاتحتها فلما جرى الكلام على أسلوب من نصب التسمية واستعير منها ما يستفاد من التسمية قالوا ذلك على سبيل المجاز دون الحقيقة وللمجيب عن الاعتراض على الوجه الأول أن يقول التسمية بثلاثة أسماء مستنكرة لعمري وخروج عن كلام العرب ولكن إذا جعلت اسماً واحداً على طريقة حضرموت فأما غير مركبة منثورة نثر أسماء العدد فلا استنكار فيها لأنها من باب التسمية بما حقه أن يحكى حكاية كما سموا بتأبط شراً وبرق نحره وشاب قرناها وكما لو سمي بزيد منطلق أو بيت شعر وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وبين التسمية بطائفة من أسماء حروف المعجم دلالة قاطعة على صحة ذلك **وأما** تسمية السور كلها بفاتحتها فليست بتصيير الاسم والمسمى واحداً لأنها تسمية مؤلف بمفرد والمؤلف غير المفرد ألا ترى أنهم جعلوا اسم الحرف مؤلفاً والمسمى مفرداً **والوجه الثالث** أن ترد السور مصدرة بذلك ليكون أول ما يقرع الأسماع مستقلاً بوجه من الإغراب وتقدمة من دلائل الإعجاز وذلك أن النطق بالحروف أنفسها كانت العرب فيه مستوية الأقدام الأميون منهم وأهل الكتاب بخلاف النطق بأسامي الحروف فإنه كان مختصاً بمن خط وقرأ وخالط أهل الكتاب وتعلم منهم وكان مستغرباً مستبعداً من الأمي التكلم بها استبعاد الخط والتلاوة كما قال الله عز وجل وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون فكان حكم النطق بذلك مع اشتهار أنه لم يكن ممن اقتبس شيئاً من أهله حكم الأقاصيص المذكورة في القرآن التي لم تكن قريش ومن دان بدينها في شيء من الإحاطة بها في أن ذلك حاصل له من جهة الوحي وشاهد بصحة نبوته وبمنزلة أن يتكلم بالرطانة من غير أن يسمعها من أحد **واعلم** أنك إذا تأملت ما أورده الله عز سلطانه في الفواتح من هذه الأسماء وجدتها نصف أسامي حروف المعجم أربعة عشر سواء وهي الألف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم ثم إذا نظرت في هذه الأربعة عشر وجدتها مشتملة على أنصاف أجناس الحروف وبيان ذلك أن فيها من المهموسة نصفها الصاد والكاف والهاء والسين والحاء ومن المجهورة نصفها الألف واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف والياء والنون ومن المطبقة نصفها الصاد والطاء ومن المنفتحة نصفها الألف واللام والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون ومن المستعلية نصفها القاف والصاد والطاء ومن المنخفضة نصفها الألف واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون ومن حروف القلقلة نصفها القاف والطاء ثم إذا استقريت الكلم وتراكيبها رأيت الحروف التي ألغى الله ذكرها من هذه الأجناس المعدودة مكثورة بالمذكورة منها فسبحان الذي دقت في كل شيء حكمته وقد علمت أن معظم الشيء وجله ينزل منزلة كله وهو المطابق للطائف التنزيل واختصاراته فكأن الله عز اسمه عدد على العرب الألفاظ التي منها تراكيب كلامهم إشارة إلى ما ذكرت من التبكيت لهم وإلزام الحجة إياهم ومما يدل على أنه تعمد بالذكر من حروف المعجم أكثرها وقوعاً في تراكيب الكلم أن الألف واللام لما تكاثر وقوعهما فيها جاءتا في معظم هذه الفواتح مكررتين وهي فواتح سورة البقرة وآل عمران والروم والعنكبوت ولقمان والسجدة والأعراف والرعد ويونس وإبراهيم وهود ويوسف والحجر **فإن قلت** فهلا عددت بأجمعها في أول القرآن وما لها جاءت مفرقة على السور **قلت** لأن إعادة التنبيه على أن المتحدى به مؤلف منها لا غير وتجديده في غير موضع واحد أوصل إلى الغرض وأقر له في الأسماع **فإن قلت** فهلا جاءت على وتيرة واحدة ولم اختلفت أعداد حروفها فوردت ص وق ون على حرف وطه وطس ويس وحم على حرفين والم والر وطسم على ثلاثة أحرف والمص والمر على أربعة أحرف وكهيعص وحم عسق على خمسة أحرف **قلت** هذا على عادة افتنانهم في أساليب الكلام وتصرفهم فيه على طرق شتى ومذاهب وكما أن أبنية كلماتهم على حرف فصاعداً إلى خمسة أحرف لم تتجاوز ذلك

ذلك

سلك بهذه الفواتح ذلك المسلك **فإن قلت** فما وجه اختصاص كل سورة بالفاتحة التي اختصت بها **قلت** إذا كان الغرض هو التنبيه والمبادئ كلها في تأدية هذا الغرض سواء لا مفاضلة كان تطلب وجه الاختصاص ساقطاً كما إذا سمى الرجل بعض أولاده زيداً والآخر عمراً لم يقل له لم خصصت ولدك هذا بزيد وذاك بعمرو لأن الغرض هو التمييز وهو حاصل أية سلك ولذلك لا يقال لم سمي هذا الجنس بالرجل وذاك بالفرس ولم قيل للاعتماد الضرب وللانتصاب القيام ولنقيضه القعود **فإن قلت** ما لهم عدوا بعض هذه الفواتح آية دون بعض **قلت** هذا علم توقيفي لا مجال للقياس فيه كمعرفة السور أما الم فآية حيث وقعت من السور المفتتحة بها وهي ست وكذلك المص آية والمر لم تعد آية والر ليست بآية في سورها الخمس وطسم آية في سورتيها وطه ويس آيتان وطس ليست بآية وحم آية في سورها كلها وحم عسق آيتان وكهيعص آية واحدة وص وق ون ثلاثتها لم تعد آية هذا مذهب الكوفيين ومن عداهم لم يعدوا شيئاً منها آية **فإن قلت** فكيف عد ما هو في حكم كلمة واحدة آية **قلت** كما عد الرحمن وحده ومدهامتان وحدها آيتين على طريق التوقيف **فإن قلت** ما حكمها في باب الوقف **قلت** يوقف على جميعها وقف التمام إذا حملت على معنى مستقل غير محتاج إلى ما بعده وذلك إذا لم تجعل أسماء للسورة ونعق بها كما ينعق بالأصوات أو جعلت وحدها أخبار ابتداء محذوف كقوله عز قائلاً الم الله أي هذه الم ثم ابتدأ فقال الله لا إله إلا هو **فإن قلت** هل لهذه الفواتح محل من الإعراب **قلت** يحتمل الأوجه الثلاثة أما الرفع فعلى الابتداء وأما النصب والجر فلما مر من صحة القسم بها وكونها بمنزلة الله والله على اللغتين ومن لم يجعلها أسماء للسور لم يتصور أن يكون لها محل في مذهبه كما لا محل للجمل المبتدأة وللمفردات المعددة **فإن قلت** لم صحت الإشارة بذلك إلى ما ليس ببعيد **قلت** وقعت الإشارة إلى الم بعد ما سبق التكلم به وتقضى والمتقضي في حكم المتباعد وهذا في كل كلام يحدث الرجل بحديث ثم يقول وذلك ما لا شك فيه ويحسب الحاسب ثم يقول فذلك كذا وكذا وقال الله تعالى لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك وقال ذلكما مما علمني ربي ولأنه لما وصل من المرسل إلى المرسل إليه وقع في حد البعد كما تقول لصاحبك وقد أعطيته شيئاً احتفظ بذلك وقيل معناه ذلك الكتاب الذي وعدوا به **فإن قلت** لم ذكر اسم الإشارة والمشار إليه مؤنث وهو السورة **قلت** لا أخلو من أن أجعل الكتاب خبره أو صفته فإن جعلته خبره كان ذلك في معناه ومسماه مسماه فجاز إجراء حكمه عليه في التذكير كما أجري عليه في التأنيث في قولهم من كانت أمك وإن جعلته صفته فإنما أشير به إلى الكتاب صريحاً لأن اسم الإشارة مشار به إلى الجنس الواقع صفة له تقول هند ذلك الإنسان أو ذلك الشخص فعل كذا وقال الذبياني ۞ نبئت نعماً على الهجران عاتبة ۞ سقياً ورعياً لذاك العاتب الزاري ۞ **فإن قلت** أخبرني عن تأليف ذلك الكتاب مع الم **قلت** إن جعلت الم اسماً للسورة ففي التأليف وجوه أن يكون الم مبتدأ وذلك مبتدأ ثانياً والكتاب خبره والجملة خبر المبتدأ الأول ومعناه أن ذلك هو الكتاب الكامل كأن ما عداه من الكتب ناقص وأنه الذي يستأهل أن يسمى كتاباً كما تقول هو الرجل أي الكامل في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات الخصال وكما قال ۞ هم القوم كل القوم يا أم خالد ۞ وأن يكون الكتاب صفة ومعناه هو ذلك الكتاب الموعود وأن يكون الم خبر مبتدأ محذوف أي هذه الم ويكون ذلك خبراً ثانياً أو بدلاً على أن الكتاب صفة وأن يكون هذه الم جملة وذلك الكتاب جملة أخرى وإن جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدأ خبره الكتاب أي ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل أو الكتاب صفته والخبر ما بعده أو قدر مبتدأ محذوف أي هو يعني المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب وقرأ عبد الله الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه وتأليف هذا ظاهر **والريب** مصدر رابني إذا حصل فيك الريبة وحقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها ومنه ما روى الحسن بن علي رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الشك ريبة والصدق طمأنينة أي فإن كون الأمر مشكوكاً فيه مما تقلق له النفس ولا تستقر وكونه صحيحاً صادقاً مما تطمئن له وتسكن ومنه ريب الزمان وهو ما يقلق النفوس ويشخص بالقلوب من نوائبه ومنه أنه عليه الصلاة والسلام مر بظبي حاقف فقال لا يريبه أحد بشيء **فإن قلت** كيف نفي الريب على سبيل الاستغراق وكم من مرتاب فيه **قلت** ما نفي أن أحداً لا يرتاب فيه وإنما المنفي كونه متعلقاً للريب ومظنة له لأنه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب أن يقع فيه ألا ترى إلى قوله وإن كنتم في ريب مما نزلنا فأتوا بسورة من مثله فما أبعد وجود الريب منهم وإنما عرفهم الطريق إلى مزيل الريب وهو أن يحزروا أنفسهم ويروزوا قواهم في البلاغة هل تتم للمعارضة أم تتضاءل دونها فيتحققوا عند عجزهم أن ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة **فإن قلت** فهلا قدم الظرف على الريب كما قدم على الغول في قوله تعالى لا فيها غول **قلت** لأن القصد في إيلاء الريب حرف النفي نفي الريب عنه وإثبات أنه حق وصدق لا باطل وكذب كما كان المشركون يدعونه ولو أولي الظرف لقصد إلى ما يبعد عن المراد وهو أن كتاباً آخر فيه الريب لا فيه كما قصد في قوله لا فيها غول تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا بأنها لا تغتال العقول كما تغتالها هي كأنه قيل ليس فيها ما في غيرها من هذا العيب والنقيصة وقرأ أبو الشعثاء لا ريب فيه بالرفع والفرق بينها وبين المشهورة أن المشهورة توجب الاستغراق وهذه تجوزه والوقف على فيه هو المشهور وعن نافع وعاصم أنهما وقفا على لا ريب ولا بد للواقف من أن ينوي خبراً ونظيره قوله تعالى قالوا لا ضير وقول العرب لا بأس وهي كثيرة في لسان أهل الحجاز والتقدير لا ريب فيه فيه هدى **هدى للمتقين** الهدى مصدر على فعل كالسرى والبكى وهو الدلالة الموصلة إلى البغية بدليل وقوع الضلالة في مقابلتها قال الله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقال الله تعالى لعلى هدى أو في ضلال مبين ويقال مهدي في موضع المدح كمهتد ولأن اهتدى مطاوع هدى ولن يكون المطاوع في خلاف معنى أصله ألا ترى إلى نحو غمه فاغتم وكسره فانكسر وأشباه ذلك **فإن قلت** فلم قيل هدى للمتقين والمتقون مهتدون **قلت** هو كقولك

للعزيز المكرم اعزك الله واكرمك طلب الزيادة على ما هو ثابت فيه واستدامته كقولك اهدنا الصراط المستقيم ووجه اخو هوانه تسماهم عند مشارفتهم لاكتساب لباس التقوى متقين كقول رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم من قتل قتيلا فله سلبه وعن ابن عباس رضي الله عنهما اذا اراد احدكم الحج فليعجل فانه يمرض المريض وتضل الضالة وتكون الحاجة فسمى المشارف للقتل والمرض والضلال قتيلا ومريضا وضالة ومنه قوله تعالى ولا يلدوا الا فاجرا كفارا اي صائرا الى الكفر والفجور **فان قلت** فهلا قيل هدى للضالين **قلت** لان الضالين فريقان فريق علم بقاؤهم على الضلالة وهم المطبوع على قلوبهم وفريق علم ان مصيرهم الى الهدى فلا يكون هدى للفريق الباقين على الضلالة فبقي ان يكون هدى لهؤلاء فلو جيء بالعبارة المفصحة عن ذلك لقيل هدى للصائرين الى الهدى بعد الضلال فاختصر الكلام باجرائه على الطريقة التي ذكرنا فقيل هدى للمتقين وايضا فقد جعل ذلك سلما الى تصدير السورة التي هي اولى الزهراوين وسنام القران واول المثاني بذكر اولياء الله والمرتضين من عباده والمتقي في اللغة اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة **ومنه** فرس واق وهذه الدابة تقي من وجاها اذا اصابها ضلع من غلظ الارض ورقة الحافر فهو يقي حافره ان يصيبه ادنى شيء يؤلمه وهو في الشريعة الذي يقي نفسه تعاطي ما يستحق به العقوبة من فعل او ترك **واختلف** في الصغائر فقيل الصحيح انه لا يتناولها لانها تقع مكفرة عن مجتنب الكبائر وقيل يطلق على الرجل اسم المؤمن لظاهر الحال والمتقي لا يطلق الا عن خبرة كما لا يجوز اطلاق اسم العدل الا على المختبر ومحل هدى للمتقين الرفع لانه خبر مبتدا محذوف او خبر مع لا ريب فيه لذلك او مبتدا اذا جعل الظرف المقدم خبرا عنه ويجوز ان ينتصب على الحال والعامل فيه معنى الاشارة او الظرف والذي هو ارسخ عرقا في البلاغة ان يضرب عن هذه المحال صفحا وان يقال ان قوله الم جملة برأسها او طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها وذلك الكتاب جملة ثانية ولا ريب فيه ثالثة وهدى للمتقين رابعة وقد اصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق وذلك لمجيئها متاخية اخذا بعضها بعنق بعض والثانية متحدة بالاولى معتنقة لها وهلم جرا الى الثالثة والرابعة **بيان ذلك** انه نبه اولا على انه الكلام المتحدى به ثم اشير اليه بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة التحدي وشدا من اعضاده ثم نفى عنه ان يتشبث به طرف من الريب فكان شهادة وتسجيلا بكماله لانه لا كمال اكمل مما للحق واليقين ولا نقص انقص مما للباطل والشبهة وقيل لبعض العلماء فيم لذتك فقال في حجة تتبختر اتضاحا وفي شبهة تتضاءل افتضاحا ثم اخبر عنه بانه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله وحقا لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم لم تخل واحدة من الاربع بعد ان رتبت هذا الترتيب الانيق ونظمت هذا النظم السري من نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى الغرض بالطف وجه وارشقه وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة وفي الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف وفي الرابعة الحذف ووضع المصدر الذي هو هدى موضع الوصف الذي هو هاد وايراده منكرا والايجاز في ذكر المتقين زادنا الله اطلاعا على اسرار كلامه وتبيينا لنكت تنزيله ووفقنا للعمل بما فيه **الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون ○** الذين اما موصول بالمتقين على انه صفة مجرورة او مدح منصوب او مرفوع بتقدير اعني الذين يؤمنون او هم الذين يؤمنون واما منقطع عن المتقين مرفوع على الابتداء مخبر عنه باولئك على هدى فاذا كان موصولا كان الوقف على المتقين حسنا غير تام واذا كان منقطعا كان وقفا تاما **فان قلت** ما هذه الصفة اواردة بيانا وكشفا للمتقين ام مسرودة مع المتقين تفيد غير ما افادته ام جاءت على سبيل المدح والثناء كصفات الله تعالى الجارية عليه تمجيدا **قلت** يحتمل ان ترد على طريق البيان والكشف لاشتمالها على ما اسست عليه حال المتقين من فعل الحسنات وترك السيئات **اما** الفعل فقد انطوى تحت ذكر الايمان الذي هو اساس الحسنات ومنصبها وذكر الصلوة والصدقة لان هاتين **اما** العبادات البدنية والمالية وهما العيار على غيرهما الم تر كيف سمى رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم الصلوة عماد الدين وجعل الفاصل بين الاسلام والكفر ترك الصلوة وسمى الزكوة قنطرة الاسلام وقال تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة فلما كانتا بهذه المثابة كان من شانهما استجرار سائر العبادات واستتباعها ومن ثم اختصر الكلام اختصارا ... من عد الطاعات بذكر ما هو كالعنوان لها والذي اذا وجد لم تتوقف اخواته ان تقترن به مع ما في ذلك من الافصاح عن فضل ... **واما** الترك فكفى به ... الا ترى الى قوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ويحتمل ان لا تكون بيانا للمتقين وتكون صفة برأسها دالة على فعل الطاعات ويراد بالمتقين الذين يجتنبون المعاصي ويحتمل ان تكون مدحا للموصوفين بالتقوى وتخصيصا للايمان بالغيب واقامة الصلوة وايتاء الزكوة بالذكر اظهارا لانافتها على سائر ما يدخل تحت حقيقة هذا الاسم من الحسنات والايمان افعال من الامن يقال امنته وامنته غيري ثم يقال امنه اذا صدقه وحقيقته امنه التكذيب والمخالفة **واما** تعديته بالباء فلتضمينه معنى اقر واعترف **واما** ما حكى ابو زيد عن العرب ما امنت ان اجد صحابة اي ما وثقت فحقيقته صرت ذا امن به اي ذا سكون وطمانينة وكلا الوجهين حسن في قوله يؤمنون بالغيب اي يعترفون به او يثقون بانه حق ويجوز ان لا يكون بالغيب صلة للايمان وان يكون في موضع الحال اي يؤمنون غائبين عن المؤمن به وحقيقته ملتبسين بالغيب كقوله الذين يخشون ربهم بالغيب ليعلم اني لم اخنه بالغيب ويعضده ما روي ان اصحاب عبد الله ذكروا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم وايمانهم فقال ابن مسعود ان امر محمد كان بينا لمن راه والذي لا اله غيره ما امن مؤمن افضل من ايمان بغيب ثم قرا هذه الاية **فان قلت** فما المراد بالغيب ان جعلته صلة وان جعلته حالا **قلت**

ان جعلته

ان جعلته صلة كان بمعنى الغائب اما تسمية بالمصدر من قولك غاب الشيء غيبا كما سمي الشاهد بالشهادة قال الله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الارض غيبا وعن الحسن شمس سرت الا برحتي دارب غيوبا كلاها تريد بالغيب الخمصة التي تكون في موضع الكلية اذا تطلب البادية اسحت **واما** ان يكون فعيلا مخففا كما قيل قيل واصله قيل والمراد به الخفي الذي لا ينفذ فيه ابتداء الا علم اللطيف الخبير وانما نعلم منه نحن ما اعلمناه او نصب لنا دليلا عليه ولهذا لا يجوز ان يطلق فيقال فلان يعلم الغيب وذلك نحو الصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها والبعث والنشور والحساب والوعد والوعيد وغير ذلك وان جعلته حالا كان بمعنى الغيبة **فان قلت** ما الايمان الصحيح **قلت** ان يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه ويصدقه بعمله فمن اخل بالاعتقاد وان شهد وعمل فهو منافق ومن اخل بالشهادة فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو فاسق ومعنى اقامة الصلوة تعديل اركانها وحفظها من ان يقع زيغ في فرائضها وسننها وادابها من اقام العود اذا قومه وعدله او الدوام عليها والمحافظة كما قال عز وعلا الذين هم على صلوتهم دائمون والذين هم على صلواتهم يحافظون من قامت السوق اذا نفقت واقامها قال اقامت غزالة سوق الضراب لاهل العراقين حولا قميطا لانها اذا حوفظ عليها كانت كالشيء النافق الذي تتوجه اليه الرغبات ويتنافس فيه المحصلون واذا عطلت واضيعت كانت كالشيء الكاسد الذي لا يرغب فيه او التجلد والتشمر لادائها والا يكون في مؤديها فتور ولا توان من قولهم قام بالامر وقامت الحرب على ساقها وفي ضده قعد عن الامر وتقاعد عنه اذا تقاعس وتثبط او اداؤها فعبر عن الاداء بالاقامة لان القيام بعض اركانها كما عبر عنه بالقنوت والقنوت القيام وبالركوع وبالسجود وقالوا سبح اذا صلى لوجود التسبيح فيها فلولا انه كان من المسبحين والصلوة فعلة من صلى كالزكوة من زكى وكتبها بالواو على لفظ المفخم وحقيقة صلى حرك الصلوين لان المصلي يفعل ذلك في ركوعه وسجوده ونظيره كفر اليهودي اذا طاطا راسه وانحنى عند تعظيم صاحبه لانه ينثني على الكاذتين وهما الكافرتان وقيل للداعي مصل تشبيها له في تخشعه بالراكع والساجد واسناد الرزق الى نفسه للاعلام بانهم ينفقون الحلال الطلق الذي يستاهل ان يضاف الى الله ويسمى رزقا منه وادخل من التبعيضية صيانة وكفا عن الاسراف والتبذير المنهي عنه وقدم مفعول الفعل دلالة على كونه اهم وان يخصوا بعض المال الحلال بالتصدق به وجائز ان يراد به الزكوة المفروضة لاقترانه باخت الزكوة وشقيقتها وهي الصلوة وان يراد هي وغيرها من النفقات في سبيل الخير لمجيئه مطلقا يصلح ان يتناول كل منفق وانفق الشيء وانفده اخوان وعن يعقوب نفق الشيء ونفد واحد وكل ما جاء مما فاؤه نون وعينه فاء فدال على معنى الخروج والذهاب ونحو ذلك اذا تاملت **والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون** **فان قلت** والذين يؤمنون اهم غير الاولين ام هم الاولون وانما وسط العاطف كما يوسط بين الصفات كقولك هو الشجاع والجواد وفي قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالايب **قلت** يحتمل ان يراد بهؤلاء مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه من الذين امنوا فاشتمل ايمانهم على كل وحي انزل من عند الله وايقنوا بالاخرة ايقانا زال معه ما كانوا عليه من انه لا يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودات واختلافهم في نعيم الجنة افمن جنس نعيم الدنيا ام غيره واختلافهم في دوامه وانقطاعه فقال بعضهم يجري حالهم في التلذذ بالمطاعم والمشارب والمناكح على حسب مجراها في الدنيا ودفعه اخرون فزعموا ان ذلك انما احتيج اليه في هذه الدار من اجل نماء الاجسام ولمكان التوالد والتناسل واهل الجنة مستغنون عنه فلا يتلذذون الا بالنسيم والارواح العبقة والسماع اللذيذ والفرح والسرور واختلافهم في الانقطاع والدوام وان يكون المعطوف غير المعطوف عليه ويحتمل ان يراد وصف الاولين ووسط العاطف على معنى انهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه **فان قلت** فاذا اريد بهؤلاء غير اولئك فهل يدخلون في جملة المتقين ام لا **قلت** ان عطفتهم على الذين يؤمنون بالغيب دخلوا وكانت صفة التقوى مشتملة على الفريقين من مؤمني اهل الكتاب وغيرهم وان عطفتهم على المتقين لم يدخلوا وكانه قيل هدى للمتقين وهدى للذين يؤمنون بما انزل اليك **فان قلت** قوله بما انزل اليك ان عني به القران باسره والشريعة عن اخرها فلم يكن ذلك منزلا وقت ايمانهم فكيف قيل انزل بلفظ المضي وان اريد به المقدار الذي سبق انزاله وقت ايمانهم فهو ايمان ببعض المنزل واشتمال الايمان على الجميع سالفه ومترقبه واجب **قلت** المراد المنزل كله وانما عبر عنه بلفظ المضي وان كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد كما يغلب المتكلم على المخاطب والمخاطب على الغائب فيقال انا وانت فعلنا وانت وزيد تفعلان ولانه اذا كان بعضه نازلا وبعضه منتظر النزول جعل كان كله قد نزل وانتهى نزوله ويدل عليه قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى ولم يسمعوا جميع الكتاب ولا كان كله منزلا ولكن سبيله سبيل ما ذكرنا ونظيره قولك كل ما خطب به فلان فهو فصيح وما تكلم بشيء الا وهو نادر ولا تريد بهذا الماضي منه فحسب دون الاتي لكونه معقودا بعضه ببعض مربوطا اتيه بماضيه وقرا يزيد بن قطيب بما انزل اليك وما انزل من قبلك على لفظ ما سمي فاعله وفي تقديم الاخرة وبناء يوقنون على هم تعريض باهل الكتاب وبما كانوا عليه من اثبات امر الاخرة على خلاف حقيقته وان قولهم ليس بصادر عن ايقان وان اليقين ما عليه من امن بما انزل اليك وما انزل من قبلك والايقان اتقان العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه والاخرة تانيث الاخر الذي هو نقيض الاول وهي صفة الدار بدليل قوله تعالى تلك الدار الاخرة وهي من الصفات الغالبة وكذلك الدنيا وعن

نافع انه خففها بان حذف الهمزة والقى حركتها على اللام كقوله دابة الارض وقرا ابو حيوة النخعي يوقنون بجعل الضمة
في جار الواو كانها فيه فقلبها واوا كما قيل وجوه ووقتت ونحوه لحب المؤقدان الي موسى وجعدة اذ اضاءهما الوقود ۝ أولئك
على هدى من ربهم الجملة في محل الرفع ان كان الذين يؤمنون بالغيب مبتدأ والا فلا محل لها ونظم الكلام على الوجهين انك اذا نويت
الابتداء بالذين يؤمنون بالغيب فقد ذهبت به مذهب الاستئناف وذلك انه لما قيل هدى للمتقين واختص المتقون بان اهل
الكتاب لهم هدى اتجه لسائل ان يسأل فيقول ما بال المتقين مخصوصين بذلك فوقع قوله الذين يؤمنون بالغيب الى ساقته
كانه جواب لهذا السؤال المقدر وجيء بصفة المتقين المنطوية تحتها خصائصهم التي استوجبوا بها من الله ان يلطف بهم ويفعل
بهم ما لا يفعل بمن ليسوا على صفتهم اي الذين هؤلاء عقائدهم واعمالهم احقاء بان يهديهم الله ويعطيهم الفلاح ونظيره قولك
احب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم الانصار الذين قارعوا دونه وكشفوا الكرب عن وجهه اولئك اهل المحبة وان جعلته
تابعا للمتقين وقع الاستئناف على اولئك كانه قيل ما للمستقلين بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى فاجيب بان اولئك الموصوفين
غير مستبعد ان يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا واعلم ان هذا النوع من الاستئناف يجيء تارة باعادة من
استؤنف عنه الحديث كقولك احسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان وتارة باعادة صفته كقولك احسنت الى زيد صديقك
القديم اهل لذلك منك فيكون الاستئناف باعادة الصفة احسن وابلغ لانطوائها على بيان الموجب وتلخيصه فان قلت
هل يجوز ان يجري الموصول الاول على المتقين وان يرتفع الثاني على الابتداء واولئك خبره قلت نعم على ان يجعل اختصاصهم
بالهدى والفلاح تعريضا باهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بنبوة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهم ظانون انهم على الهدى
وطامعون انهم ينالون الفلاح عند الله وفي اسم الاشارة الذي هو اولئك ايذان بان ما يرد عقيبه فالمذكورون قبله
اهل لاكتسابه من اجل الخصال التي عددت لهم كما قال حاتم ۝ ولله صعلوك ۝ ثم عدد له خصالا فاضلة ثم عقب تعديدها
بقوله ۝ فذلك ان يهلك فحسنى ثناؤه ۝ وان عاش لم يقعد ضعيفا مذمما ۝ ومعنى الاستعلاء في قوله على هدى مثل لتمكنهم
من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه ونحوه هو على الحق وعلى الباطل
وقد صرحوا بذلك في قولهم جعل الغواية مركبا وامتطى الجهل واقتعد غارب الهوى ومعنى هدى من ربهم اي منحوه
من عنده واوتوه من قبله وهو اللطف والتوفيق الذي اعتضدوا به على اعمال الخير والترقي الى الافضل فالافضل
ونكر هدى ليفيد ضربا مبهما لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره كانه قيل على اي هدى كما تقول لو ابصرت فلانا لابصرت رجلا
وقال الهذلي ۝ فلا وابي الطير المربة بالضحى ۝ على خالد لقد وقعت على لحم ۝ والنون في من ربهم ادغمت بغنة وبغير
غنة فالكسائي وحمزة ويزيد وورش في رواية والهاشمي عن ابن كثير لم يغنوها وقد اغنها الباقون الا ابا عمرو فقد
روي عنه فيها روايتان وأولئك هم المفلحون ۝ وفي تكرير اولئك تنبيه على انهم كما ثبتت لهم الاثرة بالهدى
فهي ثابتة لهم بالفلاح فجعلت كل واحدة من الاثرتين في تمييزهم بها عن غيرهم بالمثابة التي لو انفردت كفت مميزة على حيالها
فان قلت لم جاء مع العطف وما الفرق بينه وبين قوله اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون قلت قد اختلف
الخبران هاهنا فلذلك دخل العاطف بخلاف الخبرين ثمة فانهما متفقان لان التسجيل عليهم بالغفلة وتشبيههم بالبهائم
شيء واحد فكانت الجملة الثانية مقررة لما في الاولى فهي من العطف بمعزل وهم فصل وفائدته الدلالة على ان الوارد بعده خبر لا صفة
والتوكيد وايجاب ان فائدة المسند ثابتة للمسند اليه دون غيره او هو مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك ومعنى
التعريف في المفلحون الدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم يفلحون في الآخرة كما اذا بلغك ان انسانا قد تاب من
اهل بلدك فاستخبرت من هو فقيل زيد التائب اي هو الذي اخبرت بتوبته او على انهم الذين ان حصلت صفة المفلحين وتحققوا
ما هم وتصوروا بصورتهم الحقيقية فهم هم لا يعدون تلك الحقيقة كما تقول لصاحبك هل عرفت الاسد وما جبل عليه من
فرط الاقدام ان زيدا هو هو فانظر كيف كرر الله عز وجل التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد على طرق شتى وهي ذكر
اسم الاشارة وتكريره وتعريف المفلحين وتوسيط الفصل بينه وبين اولئك ليبصرك مراتبهم ويرغبك في طلب ما طلبوا
وينشطك لتقديم ما قدموا ويثبطك عن الطمع الفارغ والرجاء الكاذب والتمني على الله ما لا تقتضيه حكمته ولم تسبق
به كلمته اللهم زينا بلباس التقوى واحشرنا في زمرة من صدرت بذكرهم سورة البقرة والمفلح الفائز بالبغية كانه الذي
انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه والمفلج بالجيم مثله ومنه قولهم للمطلقة استفلحي بامرك بالحاء والجيم والتركيب
دال على معنى الشق والفتح وكذلك اخواته في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى ۝ إن الذين كفروا سواء عليهم ءأنذرتهم
أم لم تنذرهم لا يؤمنون ۝ لما قدم ذكر اوليائه وخالصة عباده بصفاتهم التي اهلتهم لاصابة الزلفى عنده وبين ان
الكتاب هدى ولطف لهم خاصة قفى على اثره بذكر اضدادهم وهم العتاة المردة من الكفار الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا
يجدي عليهم اللطف وسواء عليهم وجود الكتاب وعدمه وانذار الرسول وسكوته فان قلت لم قطعت قصة الكفار
عن قصة المؤمنين ولم تعطف كنحو قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم وغيره من الآي الكثيرة قلت ليس وزان

هاتين القصتين وزان ما ذكرت لان الاولى فيما نحن فيه مسوقة لذكر الكتاب وانه هدى للمتقين وسيقت الثانية لان
الكفار من صفتهم كيت وكيت فبين الجملتين تباين في الغرض والاسلوب وهما على حد لا مجال فيه للعاطف فان قلت
هذا اذا زعمت ان الذين يؤمنون جار على المتقين فاما اذا ابتدأته وبنيت الكلام لصفة المؤمنين ثم عقبته بكلام آخر
في صفة اضدادهم كان مثل تلك الآي المتلوة قلت قد مر لي ان الكلام المبتدأ عقيب المتقين سبيله الاستئناف وانه
مبني على تقدير سؤال فذلك ادراج له في حكم المتقين وتابع له في المعنى وان كان مبتدأ في اللفظ فهو في الحقيقة كالجاري
عليه والتعريف في الذين كفروا يجوز ان يكون للعهد وان يراد بهم ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة
واضرابهم وان يكون للجنس متناولا كل من صمم على كفره تصميما لا يرعوي بعده وغيرهم ودل على
تناوله للمصرين الحديث عنهم باستواء الانذار وتركه عليهم وسواء اسم بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر
ومنه قوله تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم في اربعة ايام سواء للسائلين بمعنى مستوية وارتفاعه على انه خبر لان
وءأنذرتهم ام لم تنذرهم في موضع المرتفع به على الفاعلية كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه كما تقول
ان زيدا مختصم اخوه وابن عمه او يكون ءأنذرتهم ام لم تنذرهم في موضع الابتداء وسواء خبرا مقدما بمعنى سواء عليهم انذارك
وعدمه والجملة خبر لان فان قلت الفعل ابدا خبر لا مخبر عنه فكيف صح الاخبار عنه في هذا الكلام قلت هو من
جنس الكلام المهجور فيه جانب اللفظ الى جانب المعنى وقد وجدنا العرب يميلون في مواضع من كلامهم مع المعاني ميلا
بينا من ذلك قولهم لا تأكل السمك وتشرب اللبن معناه لا يكن منك اكل السمك وشرب اللبن وان كان ظاهر اللفظ على
ما لا يصح من عطف الاسم على الفعل والهمزة وام مجردتان لمعنى الاستواء وقد انسلخ عنهما معنى الاستفهام راسا قال سيبويه
جرى هذا على حرف الاستفهام كما جرى على حرف النداء قولك اللهم اغفر لنا ايتها العصابة يعني ان هذا جرى على صورة الاستفهام
ولا استفهام كما ان ذلك جرى على صورة النداء ولا نداء ومعنى الاستواء استواؤهما في علم المستفهم عنهما لانه قد علم ان احد
الامرين كائن اما الانذار واما عدمه ولكن لا بعينه وكلاهما معلوم بعلم غير معين وقرئ ءأنذرتهم بتحقيق الهمزتين
والتخفيف اعرب واكثر وبتخفيف الثانية بين بين وبتوسيط الالف بينهما محققتين وبتوسيطها والثانية بين بين وبحذف حرف
الاستفهام وبحذفه والقاء حركته على الساكن قبله كما قرئ قد افلح فان قلت فما تقول فيمن يقلب الثانية الفا قلت
هو لاحن خارج عن كلام العرب خروجين احدهما الاقدام على جمع الساكنين على غير حده وحده ان يكون الاول حرف
لين والآخر حرفا مدغما نحو قوله الضالين وخويصة والثاني اخطاء طريق التخفيف لان طريق تخفيف الهمزة المتحركة
المفتوح ما قبلها ان تخرج بين بين فاما القلب الفا فهو تخفيف الهمزة الساكنة المفتوح ما قبلها كهمزة راس والانذار
التخويف من عقاب الله بالزجر عن المعاصي فان قلت ما موقع لا يؤمنون قلت اما ان تكون جملة مؤكدة للجملة قبلها او خبرا لان
والجملة قبلها اعتراض ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم ۝ الختم والكتم
اخوان لان في الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه كتما له وتغطية لئلا يتوصل اليه ولا يطلع عليه والغشاوة الغطاء فعالة
من غشاه اذا غطاه وهذا البناء لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة فان قلت ما معنى الختم على القلوب والاسماع وتغشية
الابصار قلت لا ختم ولا تغشية ثم على الحقيقة وانما هو من باب المجاز ويحتمل ان يكون من كلا نوعيه وهما الاستعارة والتمثيل
اما الاستعارة فان تجعل قلوبهم لان الحق لا ينفذ فيها ولا يخلص الى ضمائرها من قبل اعراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله
واعتقاده واسماعهم لانها تمجه وتنبو عن الاصغاء اليه وتعاف استماعه كانها مستوثق منها بالختم وابصارهم لانها
لا تجتلي آيات الله المعروضة ودلائله المنصوبة كما تجتليها اعين المعتبرين المستبصرين كانما غطي عليها وحجبت وحيل بينها
وبين الادراك واما التمثيل فان تمثل حيث لم يستنفعوا بها في الاغراض الدينية التي كلفوها وخلقوا من اجلها باشياء ضرب
حجاب اي منع بينها وبين الاستنفاع بها بالختم والتغطية وقد جعل بعض المازنيين الحبسة في اللسان والعي ختما عليه فقال ۝
ختم الاله على لسان عذافر ۝ ختما فليس على الكلام بقادر ۝ واذا اراد النطق خلت لسانه ۝ لحما يحركه لصقر نافر ۝
فان قلت لم اسند الختم الى الله تعالى واسناده اليه يدل على المنع من قبول الحق والتوصل اليه بطرقه وهو قبيح والله يتعالى عن
فعل القبيح علوا كبيرا لعلمه بقبحه وعلمه بغناه عنه وقد نص على تنزيه ذاته بقوله وما انا بظلام للعبيد وما ظلمناهم
ولكن كانوا هم الظالمين ان الله لا يامر بالفحشاء ونظائر ذلك مما نطق به التنزيل قلت القصد الى صفة القلوب بانها كالمختوم
عليها واما اسناد الختم الى الله عز وجل فلينبه على ان هذه الصفة في فرط تمكنها وثبات قدمها كالشيء الخلقي غير العرضي
الا ترى الى قولهم فلان مجبول على كذا ومفطور عليه يريدون انه بليغ في الثبات عليه وكيف يتخيل ما خيل اليك وقد وردت
الآية ناعية على الكفار شناعة صفتهم وسماجة حالهم ونيط بذلك الوعيد بعذاب عظيم ويجوز ان تضرب الجملة كما هي وهي ختم الله على
قلوبهم مثلا كقولهم سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا اطال الغيبة وليس للوادي ولا للعنقاء
عمل في هلاكه ولا في طول غيبته وانما هو تمثيل مثلت حاله في هلاكه بحال من سال به الوادي وفي طول غيبته بحال من طارت به

الغتفا فكذلك مثلت حال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافي عن الحق بحال قلوب ختم الله عليها نحو قلوب الاغتام التي هي في خلوها عن الفطن كقلوب البهائم او بحال قلوب البهائم انفسها او بحال قلوب مقدر ختم الله عليها حتى لا تعي شيا ولا تفقه وليس له عز وجل فعل في تجافيها عن الحق ونبوها عن قبوله وهو متعال عن ذلك ويجوز ان تستعار الاسناد في نفسه من غير الله لله فيكون الختم مسندا الى اسم الله على سبيل المجاز وهو لغيره حقيقة تفسير هذا ان للفعل ملابسات شتى يلابس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والمسبب له فاسناده الى الفاعل حقيقة وقد يسند الى هذه الاشيا على طريق المجاز المسمى استعارة وذلك لمضاهاتها الفاعل في ملابسة الفعل كما يضاهي الرجل الاسد في جراته فيستعار له اسمه فيقال في المفعول به عيشة راضية وماء دافق وفي عكسه سيل مفعم وفي المصدر شعر شاعر وذيل ذائل وفي الزمان نهاره صائم وليله قائم وفي المكان طريق سائر ونهر جار واهل مكة يقولون صلى المقام وفي المسبب بنى الامير المدينة وناقة ضبوث وحلوب وقال ● اذا رد عافي القدر من يستعيرها ● فالشيطان هو الخاتم في الحقيقة او الكافر الا ان الله سبحانه وتعالى لما كان هو الذي اقدره ومكنه اسند الختم اليه كما يسند الفعل الى المسبب **ووجه رابع** وهو انهم لما كانوا على القطع والبت ممن لا يؤمن ولا تغني عنه الايات والنذر ولا تجري عليهم الالطاف المحصلة ولا المقربة ان اعطوها لم يبق بعد استحكام العلم بانه لا طريق الى ان يؤمنوا طوعا واختيارا طريق الى ايمانهم الا القسر والالجاء واذا لم يبق طريق الا ان يقسرهم الله ويلجئهم ثم لم يقسرهم ولم يلجئهم لئلا ينقض الغرض في التكليف عبر عن ترك القسر والالجاء بالختم اشعارا بانهم الذين ترامى امرهم في التصميم على الكفر والاصرار عليه الى حد لا يتناهون عنه الا بالقسر والالجاء وهي الغاية القصوى في وصف لجاجهم في الغي واستشرائهم في الضلال والبغي **ووجه خامس** وهو ان يكون ذلك حكاية لما كان الكفرة يقولونه تهكما بهم من قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ونظيره في الحكاية والتهكم قوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينة **فان قلت** اللفظ يحتمل ان تكون الاسماع داخلة في حكم الختم وفي حكم التغشية فعلى ايهما يعول **قلت** على دخولها في حكم الختم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولوقفهم على سمعهم دون قلوبهم **فان قلت** اي فائدة في تكرير الجار في قوله وعلى سمعهم **قلت** لو لم يكرر لكان انتظاما للقلوب والاسماع في تعدية واحدة وحين استجد للاسماع تعدية على حدة كان ادل على شدة الختم في الموضعين ووحد السمع كما وحد البطن في قوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا يفعلون ذلك اذا امن اللبس فاذا لم يؤمن كقولك فرسهم وثوبهم وانت تريد الجمع رفضوه ولك ان تقول السمع مصدر في اصله والمصادر لا تجمع فلمح الاصل يدل عليه جمع الاذن في قوله وفي اذاننا وقر وان تقدر مضافا محذوفا اي وعلى حواس سمعهم وقرا ابن ابي عبلة وعلى اسماعهم **فان قلت** هل منع ابي عمرو والكسائي من امالة ابصارهم ما فيه من حرف الاستعلاء وهو الصاد **قلت** لان الرا المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير كان فيها كسرتين وذلك اعون شي على الامالة وان يمال له ما لا يمال والبصر نور العين وهو ما يبصر به الرائي ويدرك المرئيات كما ان البصيرة نور القلب وهو ما به يستبصر ويتامل وكانهما جوهران لطيفان خلقهما الله فيهما التين للابصار والاستبصار وقرئ غشاوة بالكسر والنصب وغشاوة بالضم وغشاوة بالفتح والنصب وغشوة بالكسر والرفع وغشوة بالفتح والرفع والنصب وعشاوة بالعين غير المعجمة والرفع من العشا والعذاب مثل النكال بناء ومعنى تقول اعذب عن الشي اذا امسك عنه كما تقول نكل عنه ومنه العذب لانه يقمع العطش ويردعه خلاف الملح فانه يزيده ويدل عليه تسميتهم اياه نقاخا لانه ينقخ العطش اي يكسره وفراتا لانه يرفته على القلب ثم اتسع فيه فسمي كل الم فادح وان لم يكن نكالا اي عقابا يرتدع به الجاني عن المعاودة والفرق بين العظيم والكبير ان العظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكان العظيم فوق الكبير كما ان الحقير دون الصغير ويستعملان في الجثث والاحداث جميعا تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته او خطره ومعنى التنكير ان على ابصارهم نوعا من الاغطية غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامي عن ايات الله ولهم من بين الالام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله اللهم اجرنا من عذابك ولا تبلنا بسخطك يا واسع المغفرة

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ● افتتح سبحانه بذكر الذين اخلصوا دينهم لله وواطات فيه قلوبهم السنتهم ووافق سرهم علنهم وفعلهم قولهم ثم ثنى بالذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا قلوبا والسنة ثم ثلث بالذين امنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم وابطنوا خلاف ما اظهروا وهم الذين قال فيهم مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وسماهم المنافقين وكانوا اخبث الكفرة وابغضهم اليه وامقتهم عنده لانهم خلطوا بالكفر تمويها وتدليسا وبالشرك استهزاء وخداعا ولذلك انزل فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ووصف حال الذين كفروا في ايتين وحال الذين نافقوا في ثلاث عشرة اية نعى عليهم فيها خبثهم ومكرهم وفضحهم وسفههم واستجهلهم واستهزا بهم وتهكم بفعلهم وسجل بطغيانهم وعمههم ودعاهم صما بكما عميا وضرب لهم الامثال الشنيعة وقصة المنافقين عن اخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة واصل ناس اناس حذفت همزته تخفيفا كما قيل لوقة في الوقة وحذفها مع لام التعريف كاللازم لا يكاد يقال الاناس ويشهد لاصله انسان واناسي وانس وسموا لظهورهم وانهم يؤنسون اي يبصرون كما سمي الجن جنا لاجتنانهم

ولذلك سموا بشرا ووزن ناس فعال لان الزنة على الاصول الا ترى الى قولك وزن قه افعل وليس معك الا العين وحدها وهو من اسماء الجمع كرخال واما نويس فمن المصغر الاتي على خلاف مكبره كانيسيان ورويجل ولام التعريف فيه للجنس ويجوز ان تكون للعهد والاشارة الى الذين كفروا المار ذكرهم كانه قيل ومن هؤلاء من يقول وهم عبد الله بن ابي واصحابه ومن كان في حالهم من اهل التصميم على النفاق ونظير موقعه موقع القوم في قولك نزلت ببني فلان فلم يقروني والقوم لئام ومن في من يقول موصوفة كانه قيل ومن الناس ناس يقولون كذا كقوله من المؤمنين رجال ان جعلت اللام للجنس وان جعلتها للعهد فموصولة كقوله ومنهم الذين يؤذون النبي **فان قلت** كيف يجعلون بعض اولئك والمنافقون غير المختوم على قلوبهم **قلت** الكفر جمع الفريقين معا وصيرهم جنسا واحدا وكون المنافقين نوعا من نوعي هذا الجنس مغايرا للنوع الاخر بزيادة زادوها على الكفر الجامع بينهما من الخديعة والاستهزاء لا يخرجهم من ان يكونوا بعضا من الجنس فان الاجناس انما تنوعت لمغايرات وقعت بين بعضها وبعض وتلك المغايرات انما تاتي بالنوعية ولا تابى الدخول تحت الجنسية **فان قلت** لم اختص بالذكر الايمان بالله والايمان باليوم الاخر **قلت** اختصاصهما بالذكر كشف عن افراطهم في الخبث وتماديهم في الدعارة لان القوم كانوا يهودا وايمان اليهود بالله ليس بايمان لقولهم عزير ابن الله وكذلك ايمانهم باليوم الاخر لانهم يعتقدونه على خلاف صفته فكان قولهم امنا بالله وباليوم الاخر خبثا مضاعفا وكفرا موجها لان قولهم هذا لو صدر عنهم لا على وجه النفاق وعقيدتهم عقيدتهم فهو كفر لا ايمان فاذا قالوه على وجه النفاق خديعة للمسلمين واستهزاء بهم واروهم انهم مثلهم في الايمان الحقيقي كان خبثا الى خبث وكفرا الى كفر وايضا فقد اوهموا في هذا المقال انهم اختاروا الايمان من جانبيه واكتنفوه من قطريه واحاطوا باوله واخره وفي تكرير الباء انهم ادعوا كل واحد من الايمانين على صفة الصحة والاستحكام **فان قلت** كيف طابق قوله وما هم بمؤمنين قولهم امنا بالله وباليوم الاخر والاول في ذكر شان الفعل لا الفاعل والثاني في ذكر شان الفاعل لا الفعل **قلت** القصد الى انكار ما ادعوه ونفيه فسلك في ذلك طريق ادى الى الغرض المطلوب وفيه من التوكيد والمبالغة ما ليس في غيره وهو اخراج ذواتهم وانفسهم من ان تكون طائفة من طوائف المؤمنين لما علم من حالهم المنافية لحال الداخلين في الايمان واذا شهد عليهم بانهم في انفسهم على هذه الصفة فقد انطوى تحت الشهادة عليهم بذلك نفي ما انتحلوا اثباته لانفسهم على سبيل القطع والبت ونحوه قوله تعالى يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها هو ابلغ من قولك وما يخرجون منها **فان قلت** فلم جاء الايمان مطلقا في الثاني وهو مقيد في الاول **قلت** يحتمل ان يراد التقييد ويترك لدلالة المذكور عليه وان يراد بالاطلاق انهم ليسوا من الايمان في شي قط لا من الايمان بالله وباليوم الاخر ولا من الايمان بغيرهما **فان قلت** ما المراد باليوم الاخر **قلت** يجوز ان يراد به الوقت الذي لا حد له وهو الابد الدائم الذي لا ينقطع لتاخره عن الاوقات المنقضية وان يراد الوقت المحدود من النشور الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه اخر الاوقات المحدودة الذي لا حد للوقت بعده

يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ

والخدع ان يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه من قولهم ضب خادع وخدع اذا امر الحارش يده على باب جحره اوهمه اقباله عليه ثم خرج من باب اخر **فان قلت** كيف ذلك ومخادعة الله والمؤمنين لا تصح لان العالم الذي لا تخفى عليه خافية لا يخدع والحكيم الذي لا يفعل القبيح لا يخدع والمؤمنون وان جاز ان يخدعوا لم يجز ان يخدعوا الا ترى الى قوله ● واستمطروا من قريش كل منخدع ● وقول ذي الرمة ● ان الحليم وذا الاسلام يختلب ● **قلت** فيه وجوه احدها ان يقال كانت صورة صنيعهم مع الله حيث يتظاهرون بالايمان وهم كافرون صورة صنيع الخادعين وصورة صنيع الله معهم حيث امر باجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده في عداد شرار الكفرة واهل الدرك الاسفل من النار صورة صنيع الخادع وكذلك صورة صنيع المؤمنين معهم حيث امتثلوا امر الله فيهم فاجروا احكامه عليهم **والثاني** ان يكون ذلك ترجمة عن معتقدهم وظنهم ان الله ممن يصح خداعه لان من كان ادعاؤه الايمان بالله نفاقا لم يكن عارفا بالله ولا بصفاته ولا ان لذاته تعلقا بكل معلوم ولا انه غني عن فعل القبائح فلم يبعد من مثله تجويز ان يكون الله في زعمه مخدوعا ومصابا بالمكروه من وجه خفي وتجويز ان يدلس على عباده ويخدعهم **والثالث** ان يذكر الله تعالى والمراد الرسول لانه خليفته في ارضه والناطق عنه باوامره ونواهيه مع عباده كما يقال قال الملك كذا ورسم كذا وانما القائل والراسم وزيره او بعض خاصته الذين قولهم قوله ورسمهم رسمه مصداقه قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله **والرابع** ان يكون من قولهم اعجبني زيد وكرمه فيكون المعنى يخادعون الذين امنوا بالله وفائدة هذه الطريقة قوة الاختصاص ولما كان المؤمنون من الله بمكان سلك بهم ذلك المسلك ومثله والله ورسوله احق ان يرضوه وكذلك ان الذين يؤذون الله ورسوله ونظيره في كلامهم علمت زيدا فاضلا الغرض فيه ذكر احاطة العلم بفضل زيد لا بنفسه لانه كان معلوما له قديما كانه قيل علمت فضل زيد ولكن ذكر زيد توطية وتمهيد لذكر فضله **فان قلت** هل للاقتصار بخادعت على واحد وجه صحيح **قلت** وجهه ان يقال عني به فعلت الا انه اخرج في زنة فاعلت

لان الزنة في اصلها للمغالبة والمباراة والفعل متى غولب فيه فاعله جاء ابلغ واحكم منه اذا زاوله وحده من غير مغالب ولا مبار لزيادة قوة الداعي اليه ويعضده قراءة من قرأ يخدعون الله والذين امنوا وهم ابو حيوة ويخادعون بيان ليقولون ويجوز ان يكون مستأنفا كانه قيل ولم يدعون الايمان كاذبين وما رفقهم في ذلك فقيل يخادعون فان قلت هل كانوا يخادعون قلت كانوا يخادعون عن اغراض لهم ومقاصد منها متاركتهم واعفاؤهم عن المحاربة وعما يطرقون به من سواهم من الكفار ومنها اصطناعهم بما يصطنعون به المومنين من اكرامهم والاحسان اليهم واعطائهم الحظوظ من المغانم ونحو ذلك من الفوائد ومنها اطلاعهم لاختلاطهم بهم على الاسرار التي كانوا حراصا على اذاعتها الى منابذيهم فان قلت فلو اظهر عليهم حتى لا يصلوا الى هذه الاغراض بخداعهم عنها قلت لم يظهر عليهم لما احاط به علما من المصالح التي لو اظهر عليهم لانعكست مفاسد واستبقاء اليهود وذريته ومتاركتهم وما هم عليه من اغوال المنافقين وبلسهم النفاق اشد من ذلك ولكن السبب فيه ما علمه تعالى من المصلحة فان قلت ما المراد بقوله وما يخادعون الا انفسهم قلت يجوز ان يراد وما يعاملون تلك المعاملة المشبهة بمعاملة المخادعين الا انفسهم لان ضررها يلحقهم ومكرها يحيق بهم كما تقول فلان يضار فلانا وما يضار الا نفسه اي دائرة الضرار راجعة اليه وغير متخطية اياه وان يراد حقيقة المخادعة اي وهم في ذلك يخدعون انفسهم حيث يمنونها الاباطيل ويكذبونها فيما يحدثونها به وانفسهم بمنيهم ويحدثونهم بالاماني وان يراد وما يخدعون فجيء به على لفظ يفاعلون للمبالغة وقرئ وما يخدعون ويخدعون من خدع ويخدعون بفتح اليا بمعنى يختدعون ويخدعون ويخادعون على لفظ ما لم يسم فاعله والنفس ذات الشيء وحقيقته تقال عندي كذا نفسا ثم قيل للقلب نفس لان النفس به الا ترى الى قولهم المرء باصغريه وكذلك بمعنى الروح وللدم نفس لان قوامها به والماء نفس لفرط حاجتها اليه قال الله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي وحقيقته نفس الرجل بمعنى عينه اضيفت نفسه كقولهم ضربت

الرجل وقولهم فلان يؤامر نفسيه اذا تردد في الامر واتجه له رأيان وداعيان لا يدري على ايهما يعرج كانهم ارادوا داعي النفس وهاجسي النفس فسموهما نفسين اما لصدورهما عن النفس واما لان الداعيين لما كانا كالمشيرين عليه والامرين له شبهوهما بذاتين فسموهما نفسين والمراد بالانفس هاهنا ذواتهم والمعنى بمخادعتهم ذواتهم ان الخداع لاصق بهم لا يعدوهم الى غيرهم ولا يتخطاهم الى من سواهم ويجوز ان يراد قلوبهم ودواعيهم وارائهم والشعور علم الشيء علم حس من الشعار ومشاعر الانسان حواسه والمعنى ان لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس وهم لتمادي غفلتهم كالذي لا حس له واستعمال في قلوبهم مرض واستعمال المرض في القلب يجوز ان يكون حقيقة ومجازا فالحقيقة ان يراد الالم كما تقول في جوفه مرض والمجاز ان يستعار لبعض اعراض القلب كسوء الاعتقاد والغل والحسد والميل الى المعاصي والعزم عليها واستشعار الهوى والجبن والضعف وغير ذلك مما هو فساد وآفة شبيهة بالمرض كما استعيرت الصحة والسلامة في نقائض ذلك والمراد به هاهنا ما في قلوبهم من سوء الاعتقاد والكفر او من الغل والحسد والبغضاء لان صدورهم كانت تغلي على رسول الله والمومنين غلا وحنقا ويبغضونهم البغضاء التي وصفها الله تعالى في قوله قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر ويتحرقون عليهم حسدا ان تمسسكم حسنة تسؤهم وناهيك بما كان من ابن ابي وقول سعد بن عبادة لرسول الله اعف عنه يا رسول الله واصفح فوالله لقد اعطاك الله الذي اعطاك ولقد اصطلح اهل هذه البحيرة ان يعصبوه بالعصابة فلما رد الله ذلك بالحق الذي اعطاكه شرق بذلك او يراد ما تداخل قلوبهم من الضعف والجبن والخور لان قلوبهم كانت قوية اما لقوة طمعهم فيما كانوا يحدثون به ان ريح الاسلام تهب حينا ثم تسكن ولواءه يخفق اياما ثم يقر فضعفت حين ملكها اليأس عند انزال الله على رسوله النصر واظهار دين الحق على الدين كله واما لجرأتهم وجسارتهم في الحروب فضعفت جبنا وخورا حين قذف الله في قلوبهم الرعب وشاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله لهم بالملائكة قال رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر فزادهم الله مرضا ومعنى زيادة الله اياهم مرضا انه كلما انزل على رسوله الوحي فسمعوه كفروا به فازدادوا كفرا الى كفرهم فكان الله هو الذي زادهم ما ازدادوه اسنادا للفعل الى المسبب له كما اسنده الى السورة في قوله فزادتهم رجسا لكونها سببا او كلما زاد الله رسوله نصرة وبسطا في البلاد ونقصا من اطراف الارض ازدادوا حسدا وغلا وبغضا وازدادت قلوبهم ضعفا وقلة طمع فيما عقدوا به رجاءهم وجبنا وخورا ويحتمل ان يراد بزيادة المرض الطبع وقرأ ابو عمرو في رواية الاصمعي مرض ومرضا بسكون الراء ولهم عذاب اليم يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع ووصف العذاب به نحو قوله تحية بينهم ضرب وجيع وهذا على طريقة قولهم جد جده والالم في الحقيقة للمولم كما ان الجد للجاد والمراد بكذبهم قولهم امنا بالله وباليوم الاخر وفيه رمز الى قبح الكذب وسماجته وتخييل ان العذاب الاليم لاحق بهم من اجل كذبهم ونحوه قوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا والقوم كفرة وانما خصت الخطيئات استعظاما لها وتنفيرا عن ارتكابها والكذب الاخبار بالشيء على خلاف ما هو وهو قبيح واما ما يروى عن ابراهيم صلوات الله عليه انه كذب ثلاث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما كانت صورته صورة الكذب سمي به وعن ابي بكر رضي الله عنه وروي مرفوعا اياكم والكذب فانه مجانب الايمان وقرئ يكذبون

من كذبه الذي هو نقيض صدقه ومن كذب الذي هو مبالغة في كذب كما بولغ في صدق فقيل صدق ونظيرهما بان الشيء وبين وقلص الثوب وقلص او بمعنى الكثرة كقولك موتت البهائم وبركت الابل او من قولهم كذب الوحشي اذا جرى شوطا ثم وقف لينظر ما وراءه لان المنافق متوقف متردد في امره ولذلك قيل له مذبذب وقال عليه السلام مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة واذا قيل لهم معطوف على يكذبون ويجوز ان يعطف على يقول لانك لو قلت ومن الناس من اذا قيل لهم لا تفسدوا وكان صحيحا والاول اوجه لا تفسدوا في الارض والفساد خروج الشيء عن حال استقامته وكونه منتفعا به ونقيضه الصلاح وهو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة والفساد في الارض هيج الحروب والفتن لان في ذلك فساد ما في الارض وانتفاء الاستقامة عن احوال الناس والزروع والمنافع الدينية والدنيوية قال الله تعالى واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل ومنه قيل لحرب كانت بين طيئ حرب الفساد وكان فساد المنافقين في الارض انهم كانوا يمالئون الكفار على المسلمين بافشاء اسرارهم اليهم واغرائهم عليهم وذلك مما يؤدي الى هيج الفتن بينهم فلما كان ذلك من صنيعهم مؤديا الى الفساد قيل لهم لا تفسدوا كما تقول للرجل لا تقتل نفسك بيدك ولا تلق نفسك في النار اذا اقدم على ما هذه عاقبته قالوا انما نحن مصلحون وانما لقصر الحكم على شيء كقولك انما ينطلق زيد ولقصر الشيء على حكم كقولك انما زيد كاتب ومعنى انما نحن مصلحون ان صفة المصلحين خلصت لهم وتمحضت من غير شائبة قادح فيها من وجه من وجوه الفساد الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون

والا مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي لاعطاء معنى التنبيه على تحقق ما بعدها والاستفهام اذا دخل على النفي افاد تحقيقا كقوله اليس ذلك بقادر ولكونها في هذا المنصب من التحقيق لا تكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم واختها التي هي اما من مقدمات اليمين وطلائعها قال اما والذي لا يعلم الغيب غيره ويحيي العظام البيض وهي رميم اما والذي ابكى واضحك والذي امات واحيا والذي امره الامر ورد الله ما ادعوه من الانتظام في جملة المصلحين ابلغ رد وادله على سخط والمبالغة فيه من جهة الاستئناف وما في كلتا الكلمتين الا وان من التأكيد وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وقوله لا يشعرون انهم في النصيحة من وجهين احدهما تقبيح ما كانوا عليه لبعده من الصواب وجره الى الفساد والفتنة والثاني تبصيرهم الطريق الاسد من اتباع ذوي الاحلام ودخولهم في عدادهم فكان من جوابهم ان سفهوهم لفرط سفههم وجهلوهم لتمادي جهلهم وفي ذلك تسلية للعالم مما يلقى من الجهلة فان قلت كيف صح ان يسند قيل الى لا تفسدوا وامنوا واسناد الفعل الى الحرف مما لا يصح قلت الذي لا يصح هو اسناد الفعل الى معنى الفعل وهذا اسناد له الى لفظه كانه قيل واذا قيل لهم هذا القول وهذا الكلام فهو نحو قولك الف ضرب من ثلاثة احرف ومنه زعموا مطية الكذب واذا قيل لهم امنوا كما امن الناس وما في كما يجوز ان تكون كافة مثلها في ربما ومصدرية مثلها في بما رحبت واللام في الناس للعهد اي كما امن رسول الله ومن معه وهم ناس معهودون او عبد الله بن سلام واشياعه لانهم من جلدتهم وابناء جنسهم اي كما امن اصحابكم واخوانكم او للجنس اي كما امن الكاملون في الانسانية او جعل المومنون كانهم الناس على الحقيقة ومن عداهم كالبهائم في فقد التمييز بين الحق والباطل قالوا انومن كما امن السفهاء الا انهم هم السفهاء والاستفهام في انومن في معنى الانكار واللام في السفهاء مشار بها الى الناس كما تقول لصاحبك ان زيدا قد سعى بك فتقول او قد فعل السفيه ويجوز ان تكون للجنس وينطوي تحته الجاري ذكرهم على زعمهم واعتقادهم لانهم عندهم اعرق الناس في السفه فان قلت لم سفهوهم واشركوا عقولهم وهم العقلاء المراجيح قلت لانهم لجهلهم واخلالهم بالنظر وانصاف انفسهم اعتقدوا ان ما هم فيه هو الحق وان ما عداه باطل ومن ركب متن الباطل كان سفيها ولانهم كانوا في رياسة وسطة في قومهم ويسار وكان اكثر المومنين فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال وخباب فدعوهم سفهاء تحقيرا لشأنهم او ارادوا عبد الله بن سلام واشياعه ومفارقتهم دينهم وما غاظهم من اسلامهم وفت في اعضادهم قالوا ذلك على سبيل التجلد توقيا من الشماتة بهم مع علمهم انهم من السفه بمعزل والسفه سخافة العقل وخفة الحلم ولكن لا يعلمون فان قلت لم فصلت هذه الاية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون قلت لان امر الديانة والوقوف على ان المومنين على الحق وهم على الباطل يحتاج الى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة واما النفاق وما فيه من البغي المودي الى الفتنة والفساد في الارض فامر دنيوي مبني على العادات معلوم عند الناس خصوصا عند العرب في جاهليتهم وما كان قائما بينهم من التغاور والتناحر والتحارب فهو كالمحسوس المشاهد ولانه قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر العلم معه احسن طباقا له هذه الاية بخلاف ما سيقت له اول قصة المنافقين فليس بتكرير لانَّ تلك في بيان مذهبهم والترجمة عن نفاقهم وهذه في بيان ما كانوا يعملون عليه مع المومنين من التكذيب لهم والاستهزاء بهم ولقائهم بوجوه المصادقين وايهامهم انهم معهم فاذا فارقوهم الى شطارهم صدقوهم ما في قلوبهم وروي ان عبد الله بن ابي واصحابه خرجوا

ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم فأخذ بيد أبي بكر فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الإسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله ثم أخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم أخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله [illegible] فقال علي يا عبد الله اتق الله ولا تنافق فإن المنافقين شر خليقة الله فقال له عبد الله مهلا أبا الحسن أني تقول هذا والله إن إيماننا كإيمانكم ثم افترقوا فقال عبد الله لأصحابه كيف رأيتموني فعلت فأثنوا عليه خيرا ونقال لقيته ولاقيته إذا استقبلته قريبا منه وهو جاري ملاقي ومراوقي وقرأ أبو حنيفة رحمة الله عليه وإذا لاقوا **وإذا خلوا إلى شياطينهم** وخلوت بفلان وإليه إذا انفردت معه ويجوز أن يكون من خلا بمعنى مضى وخلاك ذم أي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية ومن خلوت به إذا سخرت منه وهو من قولك خلا فلان بعرض فلان يعبث به ومعناه إذا أنهوا السخرية بالمؤمنين إلى شياطينهم وحدثوهم بها كما تقول أحمد إليك فلانا وأذمه إليك وشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم وقد جعل سيبويه نون الشيطان في موضع من كتابه أصلية وفي آخر زائدة والدليل على أصالتها قولهم تشيطن واشتقاقه من شطن إذا بعد لبعده من الصلاح والخير ومن شاط إذا بطل إذا جعلت نونه زائدة ومن أسمائه الباطل **إنا معكم** إنا مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم **فإن قلت** لم كانت مخاطبتهم المؤمنين بالجملة الفعلية وشياطينهم بالاسمية محققة بإن **قلت** ليس ما خاطبوا به المؤمنين جديرا بأقوى الكلامين وأوكدهما لأنهم في ادعاء حدوث الإيمان منهم ونشئه من قبلهم لا في ادعاء أنهم أوحديون في الإيمان غير مشقوق فيه غبارهم وذلك إما لأن أنفسهم لا تساعدهم عليه إذ ليس لهم من عقائدهم باعث ومحرك وهكذا كل قول لم يصدر عن أريحية وصدق رغبة واعتقاد وإما لأنه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ التوكيد والمبالغة وكيف يقولونه ويطمعون في رواجه وهم بين ظهراني المهاجرين والأنصار الذين مثلهم في التوراة والإنجيل ألا ترى إلى حكاية قول المؤمنين ربنا إننا آمنا وأما مخاطبة إخوانهم فهم فيما أخبروا به عن أنفسهم من الثبات على اليهودية والقرار على اعتقاد الكفر والبعد من أن يزلوا عنه على صدق رغبة ووفور نشاط وارتياح للتكلم به وما قالوه من ذلك فهو رائج عنهم متقبل منهم وكان مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد **فإن قلت** أنى تعلق قوله **إنما نحن مستهزئون** بقوله إنا معكم **قلت** هو توكيد له لأن قوله إنا معكم معناه الثبات على اليهودية وقوله إنما نحن مستهزئون رد للإسلام ودفع له منهم لأن المستهزئ بالشيء المستخف به منكر له ودافع لكونه معتدا به ودفع نقيض الشيء تأكيد لثباته أو بدل منه لأن من حقر الإسلام فقد عظم الكفر أو استئناف كأنهم اعترضوا عليهم حين قالوا لهم إنا معكم فقالوا فما بالكم إن صح أنكم معنا توافقون أهل الإسلام فقالوا إنما نحن مستهزئون والاستهزاء السخرية والاستخفاف وأصل الباب الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزأ يهزأ مات على المكان عن بعض العرب مشيت فلغبت فظننت لأهزأن على مكاني وناقته تهزأ به أي تسرع وتخف **الله يستهزئ بهم** **فإن قلت** لا يجوز الاستهزاء على الله تعالى لأنه متعال عن القبيح والسخرية من باب العيب والجهل ألا ترى إلى قوله قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين فما معنى استهزائه بهم **قلت** معناه إنزال الهوان والحقارة بهم لأن المستهزئ غرضه الذي يرومه هو طلب الخفة والزراية ممن يهزأ به وإدخال الهوان والحقارة عليه والاشتقاق كما ذكرنا شاهد لذلك وقد كثر التهكم في كلام الله تعالى بالكفرة والمراد به تحقير شأنهم وازدراء أمرهم والدلالة على أن مذاهبهم حقيقة بأن يسخر منها الساخرون ويضحك الضاحكون ويجوز أن يراد به ما مر في يخادعون من أنه يجري عليهم أحكام المسلمين في الظاهر وهو مبطن بادخار ما يراد بهم من العذاب وقيل سمي جزاء الاستهزاء باسمه كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم **فإن قلت** كيف ابتدئ قوله الله يستهزئ بهم ولم يعطف على الكلام قبله **قلت** هو استئناف في غاية الجزالة والفخامة وفيه أن الله عز وجل هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الأبلغ الذي ليس استهزاؤهم إليه باستهزاء ولا يؤبه له في مقابلته لما ينزل بهم من النكال ويحل بهم من الهوان والذل وفيه أن الله هو الذي يتولى الاستهزاء بهم انتقاما للمؤمنين ولا يحوج المؤمنين أن يعارضوهم باستهزاء مثله **فإن قلت** فهلا قيل الله مستهزئ بهم ليكون طبقا لقوله إنما نحن مستهزئون **قلت** لأن يستهزئ يفيد حدوث الاستهزاء وتجدده وقتا بعد وقت وهكذا كانت نكايات الله فيهم وقارعة وبلاياه النازلة بهم أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين وما كانوا يخلون في أكثر أوقاتهم من تهتك أستار وتكشف أسرار ونزول في شأنهم واستشعار حذر من أن ينزل فيهم يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا إن الله مخرج ما تحذرون **ويمدهم في طغيانهم** من مد الجيش وأمده إذا زاده وألحق به ما يقويه ويكثره وكذلك مد الدواة وأمدها زادها ما يصلحها ومددت السراج والأرض إذا استصلحتهما بالزيت والسماد ومده الشيطان في الغي وأمده إذا واصله بالوساوس حتى يتلاحق غيه ويزداد انهماكا فيه **فإن قلت** لم

زعم

زعمت أنه من المدد دون المد في العمر والإملاء والإمهال **قلت** كفاك دليلا على أنه من المدد دون المد قراءة ابن كثير وابن محيصن ويمدهم وقراءة نافع وإخوانهم يمدونهم على أن الذي بمعنى أمهله إنما هو مد له مع اللام كأملى له **فإن قلت** كيف جاز أن يوليهم الله مددا في الطغيان وهو فعل الشياطين ألا ترى إلى قوله وإخوانهم يمدونهم في الغي **قلت** أما أنه يحتمل لما منعهم الله ألطافه التي يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم وإصرارهم عليه بقيت قلوبهم يتزايد الرين والظلمة فيها تزايد الانشراح والنور في قلوب المؤمنين فسمي ذلك التزايد مددا وأسند إلى الله لأنه مسبب عن فعله بهم بسبب كفرهم وأما على منع القسر والإلجاء وأما على أن يسند فعل الشيطان إلى الله لأنه بتمكينه وإقداره والتخلية بينه وبين إغواء عباده **فإن قلت** فما حملهم على تفسير المد في الطغيان بالإمهال وموضوع اللغة كما ذكرت لا يطاوع عليه **قلت** استجرهم إلى ذلك خوف الإقدام على أن يسندوا إلى الله ما أسندوا إلى الشياطين ولكن المعنى الصحيح ما طابقه اللفظ وشهد بصحته وإلا كان منه بمنزلة الأروى من النعام ومن حق مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز أن يتعاهد في مذاهبه بقاء النظم على حسنه والبلاغة على كمالها وما وقع به التحدي سليما من القادح فإذا لم يتعاهد أوضاع اللغة فهو من تعاهد النظم والبلاغة على مراحل ويعضد ما قلناه قول الحسن في تفسيره في ضلالتهم يتمادون وإن هؤلاء من أهل الطبع والطغيان الغلو في الكفر ومجاوزة الحد في العتو وقرأ زيد بن علي رضي الله عنه في طغيانهم بالكسر وهما لغتان كلقيان ولقيان وغنيان وغنيان **فإن قلت** أي نكتة في إضافته إليهم **قلت** فيها أن الطغيان والتمادي في الضلالة مما اقترفته أنفسهم واجترحته أيديهم وأن الله بريء منه ردا لاعتقاد الكفرة القائلين لو شاء الله ما أشركنا ونفيا لوهم من عسى يتوهم عند إسناد المد إلى ذاته لو لم يضف الطغيان إليهم أن الطغيان فعله فلما أسند المد إليه على الطريق الذي ذكرنا أضاف الطغيان إليهم ليميط الشبهة ويقلعها ويدفع في صدر من يلحد في صفاته ومصداق ذلك أنه حين أسند المد إلى الشياطين أطلق الغي ولم يقيده بالإضافة في قوله وإخوانهم يمدونهم في الغي **يعمهون** والعمه مثل العمى إلا أن العمى عام في البصر والرأي والعمه في الرأي خاصة وهو التحير والتردد لا يدري أين يتوجه ومنه قوله أعمى الهدى بالجاهلين العمه أي الذين لا رأي لهم ولا دراية بالطرق وسلكوا أرضا عمهاء لا منار بها **أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى** ومعنى اشتروا الضلالة بالهدى استبدلوها به واختاروها عليه واستعير للإصابة على سبيل الاستعارة لأن الاشتراء فيه إعطاء بدل وأخذ آخر ومنه
أخذت بالجمة رأسا أزعرا
وبالثنايا الواضحات الدردرا
وبالطويل العمر عمرا جيذرا
كما اشترى المسلم إذ تنصرا
وعن وهب قال الله تعالى فيما يعيب به بني إسرائيل تفقهون لغير الدين وتعلمون لغير العمل وتبتاعون الدنيا بعمل الآخرة **فإن قلت** كيف اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى **قلت** جعلوا لتمكنهم منه وإعراضه لهم كأنه في أيديهم فإذا تركوه إلى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوها به ولأن الدين القيم هو فطرة الله التي فطر الناس عليها فكل من ضل فهو مستبدل خلاف الفطرة والضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتداء يقال ضل منزله وضل دريص نفقه فاستعير للذهاب عن الصواب في الدين **فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين** والربح الفضل على رأس المال ولذلك سمي الشف من قولك أشف بعضه على بعض إذا فضله ولهذا على هذا شف والتجارة صناعة التاجر وهو الذي يبيع ويشتري للربح وناقة تاجرة كأنها من حسنها وسمنها تبيع نفسها وقرأ ابن أبي عبلة تجاراتهم **فإن قلت** كيف أسند الخسران إلى التجارة وهو لأصحابها **قلت** هو من الإسناد المجازي وهو أن يسند الفعل إلى شيء يتلبس بالذي هو في الحقيقة له كما تلبست التجارة بالمشترين **فإن قلت** هل يصح ربح عبدك وخسرت جاريتك على الإسناد المجازي **قلت** نعم إذا دلت الحال وكذلك الشرط في صحة رأيت أسدا وأنت تريد المقدام إن لم تقم حال دالة لم يصح **فإن قلت** هب أن شراء الضلالة بالهدى وقع مجازا في معنى الاستبدال فما معنى ذكر الربح والتجارة كأن ثم مبايعة على الحقيقة **قلت** هذا من الصنعة البديعة التي تبلغ بالمجاز الذروة العليا وهو أن تساق كلمة مساق المجاز ثم تقفى بأشكال لها وأخوات إذا تلاحقن لم تر كلاما أحسن منه ديباجة وأكثر ماء ورونقا وهو المجاز المرشح وذلك نحو قول العرب في البليد كأن أذني قلبه خطلا وإن جعلوه كالحمار ثم رشحوا ذلك روما لتحقيق البلادة فادعوا له الأذنين وادعوا لهما الخطل ليمثلوا البلادة تمثيلا يلحقها ببلادة الحمار مشاهدة معاينة ونحوه
ولما رأيت النسر عز ابن داية
وعشش في وكريه جاش له صدري
لما شبه الشيب بالنسر والشعر الفاحم بالغراب أتبعه ذكر التعشيش والوكر ونحوه قول بعض فتاك العرب في أمه
فما أم الردين وإن أدلت
بعالمة بأخلاق الكرام
إذا الشيطان قصع في قفاها
تنفقناه بالحبل التؤام
أي إذا دخل الشيطان في قفاها استخرجناه من نافقائه بالحبل المثنى المحكم يريد إذا حردت وأساءت الخلق اجتهدنا في إزالة غضبها وإماطة ما يسوء من خلقها استعار التقصيع أولا ثم ضم إليه التنفق ثم الحبل التؤام فكذلك لما ذكر سبحانه الشراء أتبعه ما يشاكله ويواخيه وما يكمل ويتم بانضمامه إليه تمثيلا لخسارهم وتصويرا لحقيقته **فإن قلت** فما معنى قوله فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين **قلت** معناه أن الذي يطلبه التجار في متصرفاتهم شيئان سلامة رأس المال والربح وهؤلاء قد أضاعوا الطلبتين معا لأن رأس ما

لهم

كان هو الهدى فلم يبق لهم مع الضلالة وحين لم يبق في ايديهم الا الضلالة لم يوصفوا باصابة الربح وان ظفروا بما ظفروا به من
الاغراض الدنيوية لان الضال خاسر دامر ولانه لا يقال لمن لم يسلم له راس ماله قد ربح وما كانوا مهتدين لطرق التجارة
كما يكون التجار المتصرفون العالمون بما يربح فيه ويخسر مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها
بضرب المثل زيادة في الكشف وتتميما للبيان ولضرب العرب الامثال واستحضار العلما المثل والنظاير شان ليس بالخفي في
ابراز خبيات المعاني ورفع الاستار عن الحقايق حتى تريك المتخيل في صورة المحقق والمتوهم في معرض المتيقن والغايب كانه
مشاهد وفيه تبكيت للخصم الالد وقمع لسورة الجامح الابي ولامر ما اكثر الله في كتابه المبين وفي ساير كتبه امثاله
وفشت في كلام رسول الله صلى الله عليه وكلام الانبيا والحكما قال الله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون
ومن سور الانجيل سورة الامثال والمثل في اصل كلامهم بمعنى المثل وهو النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه
ثم قيل للقول الساير الممثل مضربه بمورده مثل ولم يضربوا مثلا ولا راوه اهلا للتسيير ولا جديرا بالتداول والقبول الا قولا
فيه غرابة من بعض الوجوه ومن ثم حوفظ عليه وحمي من التغيير **فان قلت** ما معنى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا وما مثل
المنافقين ومثل الذي استوقد نارا حتى شبه احد المثلين بصاحبه **قلت** قد استعير المثل استعارة الاسد للمقدام للحال او الصفة
او القصة اذا كان لها شان وفيها غرابة كانه قيل حالهم العجيبة الشان كحال الذي استوقد نارا وكذلك قوله مثل الجنة التي
وعد المتقون اي وفيما قصصنا عليك من العجايب قصة الجنة العجيبة ثم اخذ في بيان عجايبها ولله المثل الاعلى اي الوصف الذي له
شان من العظمة والجلالة مثلهم في التورية اي صفتهم وشانهم المتعجب منه ولما في المثل من معنى الغرابة قالوا فلان مثلة في الخير
والشر فاشتقوا منه صفة للعجيب الشان **فان قلت** كيف مثلت الجماعة بالواحد **قلت** وضع الذي موضع الذين كقوله وخضتم
كالذي خاضوا والذي سوغ وضع الذي موضع الذين ولم يجز وضع القايم موضع القايمين ولا نحوه من الصفات امران احدهما ان الذي
لكونه وصلة الى وصف كل معرفة بجملة وتكاثر وقوعه في كلامهم ولكونه مستطالا بصلته حقيق بالتخفيف ولذلك نهكوه
بالحذف فحذفوا ياءه ثم كسرته ثم اقتصروا به على اللام وحدها في اسما الفاعلين والمفعولين **والثاني** ان جمعه ليس بمنزلة جمع
غيره بالواو والنون انما ذاك علامة لزيادة الدلالة الا ترى ان ساير الموصولات لفظ الجمع والواحد فيهن واحد او قصد جنس
المستوقدين او اريد الجمع او الفوج الذي استوقد نارا على ان المنافقين وذواتهم لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه
الجماعة بالواحد انما شبهت قصتهم بقصة المستوقد ونحوه قوله مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا
وقوله ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت ووقود النار سطوعها وارتفاع لهبها ومن اخواته وقل في الجبل اذا صعد وعلا
والنار جوهر لطيف مضي حار محرق والنور ضوؤها وضوء كل نير وهو نقيض الظلمة واشتقاقها من نار ينور اذا نفر لان فيها
حركة واضطرابا والنور مشتق منها فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ والاضاءة فرط الانارة ومصداق ذلك قوله هو
الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهي في الاية متعدية ويحتمل ان تكون غير متعدية مسندة الى ما حوله والتانيث للحمل على المعنى
لان ما حول المستوقد اماكن واشيا ويعضده قراءة ابن ابي عبلة فلما اضات وفيه وجه اخر وهو ان يستتر في الفعل ضمير النار ويجعل
اشراق ضوء النار حوله بمنزلة اشراق النار نفسها على ان ما مزيدة او موصولة في معنى الامكنة وحوله نصب على الظرف وتاليفه
للدوران والاطافة وقيل للعام حول لانه يدور **فان قلت** اين جواب لما **قلت** فيه وجهان **احدهما** ان جوابه ذهب الله بنورهم
والثاني انه محذوف كما حذف في قوله فلما ذهبوا به وانما جاز حذفه لاستطالة الكلام مع امن الالباس للدال عليه وكان
الحذف اولى من الاثبات لما فيه من الوجازة مع الاعراب عن الصفة التي حصل عليها المستوقد بما هو ابلغ من اللفظ في ادا المعنى كانه
قيل فلما اضاءت ما حوله خمدت فبقوا خابطين في ظلام متحيرين متحسرين على فوت الضوء خايبين بعد الكدح في احيا النار **فان
قلت** فاذا قدر الجواب محذوفا فبم يتعلق ذهب الله بنورهم **قلت** يكون كلاما مستانفا كانهم لما شبهت حالهم بحال
المستوقد الذي طفيت ناره اعترض سايل فقال ما بالهم قد اشبهت حالهم حال هذا المستوقد فقيل له ذهب الله بنورهم او يكون بدلا
من جملة التمثيل على سبيل البيان **فان قلت** قد رجع الضمير في هذا الوجه الى المنافقين فما مرجعه في الوجه الاول **قلت**
مرجعه الذي استوقد لانه في معنى الجمع واما جمعه هذا الضمير وتوحيده في حوله فللحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى اخرى **فان قلت**
فما معنى اسناد الفعل الى الله تعالى في قوله ذهب الله بنورهم **قلت** اذا طفيت النار بسبب سماوي ريح او مطر فقد اطفاها الله
وذهب بنور المستوقد ووجه اخر وهو ان يكون المستوقد في هذا الوجه مستوقد نار لا يرضاها الله ثم اما ان تكون نارا مجازية
كنار الفتنة والعداوة للاسلام وتلك النار متقاصرة مدة اشتعالها قليلة البقا الا ترى الى قوله كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها
الله واما نارا حقيقية اوقدها الغواة ليتوصلوا بالاستضاءة بها الى بعض المعاصي ويهتدوا بها في طرق العبث فاطفاها الله وخيب
امانيهم **فان قلت** كيف صح في النار المجازية ان توصف باضاءة ما حول المستوقد **قلت** هو خارج على طريقة المجاز المرشح
فاحسن تدبره **فان قلت** هلا قيل ذهب الله بضوئهم لقوله فلما اضاءت **قلت** ذكر النور ابلغ لان الضوء فيه دلالة على الزيادة
فلو قيل ذهب الله بضوئهم لاوهم الذهاب بالزيادة وبقا ما يسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم راسا وطمسه اصلا الا ترى كيف

ذكر عقيبه

ذكر عقيبه وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ والظلمة عبارة عن عدم النور وانطماسه وكيف جمعها وكيف نكرها وكيف اتبعها
ما يدل على انها ظلمة مبهمة لا يتراءى فيها شبحان وهو قوله لَا يُبْصِرُونَ **فان قلت** فلم وصفت بالاضاءة **قلت** هذا على
مذهب قولهم للباطل صولة ثم يضمحل ولريح الضلالة عصفة ثم تخفت ونار العرفج مثل لنزوة كل طماح والفرق بين
اذهبه وذهب به ان معنى اذهبه ازاله وجعله ذاهبا ويقال ذهب به اذا استصحبه ومضى به معه وذهب السلطان بماله اخذه
فلما ذهبوا به اذا لذهب كل اله بما خلق ومنه ذهبت به الخيلاء والمعنى اخذ الله نورهم وامسكه وما يمسك الله فلا
مرسل له فهو ابلغ من الاذهاب وقرا اليماني اذهب الله نورهم وترك بمعنى طرح وخلى اذا علق بواحد كقولهم تركه ترك
ظبي ظله فاذا علق بشيين كان مضمنا معنى صير فجرى مجرى افعال القلوب كقول عنترة فتركته جزر السباع ينشنه
ومنه قوله وتركهم في ظلمات واصله هم في ظلمات ثم دخل ترك فنصب الجزئين والظلمة عدم النور وقيل عرض ينافي النور
واشتقاقها من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك وشغلك لانها تسد البصر وتمنع الرؤية وقرا الحسن ظلمات
بسكون اللام وقرا اليماني في ظلمة على التوحيد والمفعول الساقط من لا يبصرون من قبيل المتروك المطرح الذي لا يلتفت
الى اخطاره بالبال لا من قبيل المقدر المنوي كان الفعل غير متعد اصلا نحو يعمهون في قوله ويذرهم في طغيانهم يعمهون
فان قلت فيم شبهت حالهم بحال المستوقد **قلت** في انهم غب الاضاءة خبطوا في ظلمة وتورطوا في حيرة **فان قلت**
واين الاضاءة في حال المنافق وهل هو ابدا الا حاير خابط في ظلما الكفر **قلت** المراد ما استضاوا به قليلا من الانتفاع بالكلمة المجراة
على السنتهم ووراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق التي ترمي بهم الى ظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد ويجوز ان
شبه بذهاب الله بنور المستوقد اطلاع الله على اسرارهم وما افتضحوا به بين المؤمنين واتسموا به من سمة النفاق والاوجه
ان يراد به الطبع لقوله صم بكم عمي وفي الاية تفسير اخر وهو انهم لما وصفوا بانهم اشتروا الضلالة بالهدى عقب ذلك بهذا
التمثيل ليمثل هداهم الذي باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد والضلالة التي اشتروها وطبع بها على قلوبهم بذهاب الله
بنورهم وتركه اياهم في الظلمات وتنكير النار للتعظيم صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ كانت حواسهم سليمة ولكن
لما سدوا عن الاصاخة الى الحق مسامعهم وابوا ان ينطقوا به السنتهم وان ينظروا ويتبصروا بعيونهم جعلوا كانما
ايفت مشاعرهم وانتقضت بناها التي بنيت عليها للاحساس والادراك كقوله ۝ صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به ۝
وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا ۝ اصم عما ساءه سميع ۝ اصم عن الشي الذي لا اريده ۝ واسمع خلق الله حين اريد ۝
فاصممت عمرا واعميته ۝ عن الجود والفخر يوم الفخار ۝ **فان قلت** كيف طريقته عند علما البيان **قلت** طريقته
قولهم هم ليوث للشجعان وبحور للاسخيا الا ان هذا في الصفات وذاك في الاسما وقد جاءت الاستعارة في الاسما والصفات
والافعال جميعا تقول رايت ليوثا ولقيت صما عن الخير ودجا الاسلام واضاء الحق **فان قلت** هل يسمى ما في الاية استعارة
قلت مختلف فيه والمحققون على تسميته تشبيها بليغا لا استعارة لان المستعار له مذكور وهم المنافقون والاستعارة انما
تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له ويجعل الكلام خلوا عنه صالحا لان يراد به المنقول عنه والمنقول اليه لولا دلالة الحال
او فحوى الكلام كقول زهير ۝ لدى اسد شاكي السلاح مقذف ۝ له لبد اظفاره لم تقلم ۝ ومن ثم ترى المفلقين
السحرة منهم كانهم يتناسون التشبيه ويضربون عن توهمه صفحا قال ابو تمام ۝ ويصعد حتى يظن الجهول ۝ بان له
حاجة في السماء ۝ ولبعضهم ۝ لا تحسبوا ان في سرباله رجلا ۝ ففيه غيث وليث مسبل مشبل ۝ وليس لقايل
ان يقول طوى ذكرهم عن الجملة بحذف المبتدا فاتسلق بذلك الى تسميته استعارة لانه في حكم المنطوق به نظيره قول
من يخاطب الحجاج ۝ اسد علي وفي الحروب نعامة ۝ فتخاء تنفر من صفير الصافر ۝ ومعنى لا يرجعون انهم لا يعودون
الى الهدى بعد ان باعوه او عن الضلالة بعد ان اشتروها تسجيلا عليهم بالطبع او اراد انهم بمنزلة المتحيرين الذين بقوا جامدين
في مكانهم لا يبرحون ولا يدرون ايتقدمون ام يتاخرون وكيف يرجعون الى حيث ابتدوا منه ۝ أَوْ كَصَيِّبٍ
مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ
ثنى الله سبحانه في شانهم بتمثيل اخر ليكون كشفا لحالهم بعد كشف وايضاحا غب ايضاح وكما يجب على البليغ في مظان
الاجمال والايجاز ان يجمل ويوجز فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل والاشباع ان يفصل ويشبع انشد الجاحظ ۝
يرمون بالخطب الطوال وتارة ۝ وحي الملاحظ خيفة الرقبا ۝ ومما ثنى من التمثيل في التنزيل قوله تعالى وما يستوي الاعمى
والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحيا ولا الاموات ۝ الا ترى الى ذي الرمة كيف
صنع في قصيدته ۝ اذاك ام نمش بالوشي اكرعه ۝ اذاك ام خاضب بالسي مرتعه ۝ **فان قلت** قد شبه المنافق في
التمثيل الاول بالمستوقد نارا واظهاره الايمان بالاضاءة وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار فماذا شبه في التمثيل الثاني بالصيب
وبالظلمات وبالرعد والبرق وبالصواعق **قلت** لقايل ان يقول شبه دين الاسلام بالصيب لان القلوب تحيى به حياة الارض
بالمطر وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وما يصيب الكفرة من الافزاع

والبلايا والفتن من جهة اهل الاسلام بالصواعق والمعنى او كمثل ذوي صيب والمراد كمثل قوم اخذتهم السماء على هذه
الصفة فلقوا منها ما لقوا **فان قلت** هذا تشبيه اشيا باشيا فاين ذكر المشبهات وهلا صرح كما في قوله وما
يستوي الاعمى والبصير والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء وفي قول امرئ القيس ﴿كان قلوب الطير رطبا
ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي﴾ **قلت** كما جاء ذلك صريحا فقد جاء مطويا ذكره على سنن الاستعارة
كقوله تعالى وما يستوي البحران هذا عذب فرات سايغ شرابه وهذا ملح اجاج ضرب الله مثلا رجلا فيه شركا
متشاكسون ورجلا سلما لرجل والصحيح الذي عليه علما البيان لا يتخطونه ان التمثيلين جميعا من جملة التمثيلات
المركبة دون المفرقة لا تتكلف لواحد واحد شي يقدر شبهه به وهو القول الفحل والمذهب الجزل بيانه ان العرب
تاخذ اشيا فرادى معزولا بعضها من بعض لم ياخذ هذا بحجزة ذاك فتشبهها بنظايرها كما فعل امرؤ القيس
وجا في القران وتشبه كيفية حاصلة من مجموع اشيا قد تضامت وتلاصقت حتى عادت شيا واحدا باخرى مثلها
كقوله تعالى مثل الذين حملوا التورية الاية الغرض تشبيه حال اليهود في جهلها بما معها من التورية واياتها الباهرة
بحال الحمار في جهله ما يحمل من اسفار الحكمة وتساوي الحالتين عنده من حمل اسفار الحكمة وحمل ما سواها من الاوقار
لا يشعر من ذلك الا بما يمر بدفيه من الكد والتعب وكقوله تعالى واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كما انزلناه من السما فاختلط
به نبات الارض المراد قلة بقا زهرة الدنيا كقلة بقا الخضر فاما ان يراد تشبيه الافراد غير منوط بعضها ببعض
ومصيرة شيا واحدا فلا وكذلك لما وصف وقوع المنافقين في ضلالتهم وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة
شبهت حيرتهم وشدة الامر عليهم بما يكابد من طفئت ناره بعد ايقادها في ظلمة الليل وكذلك من اخذته السما
في الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق **فان قلت** الذي كنت تقدره في المفرد من التشبيه من
حذف المضاف وهو قولك او كمثل ذوي صيب هل تقدر مثله في المركب منه **قلت** لولا طلب الراجع في قوله يجعلون
اصابعهم في اذانهم من الصواعق لكنت مستغنيا عن تقديره لاني اراعي الكيفية المنتزعة من مجموع الكلام فلا علي اولي
حرف التشبيه مفرد يتاتى التشبيه به ام لم يله الا ترى الى قوله انما مثل الحيوة الدنيا الاية كيف ولي الكاف وليس الغرض
تشبيه الدنيا بالما ولا بمفرد اخر يتمحل لتقديره ومما هو بين في هذا قول لبيد ﴿وما الناس الا كالديار واهلها بها يوم
حلوها وغدوا بلاقع﴾ لم يشبه الناس بالديار وانما شبه وجودهم في الدنيا وسرعة زوالهم وفنايهم بحلول اهل الديار
فيها ووشك نهوضهم عنها وتركها خلا خاوية **فان قلت** اي التمثيلين ابلغ **قلت** الثاني لانه ادل على فرط الحيرة
وشدة الامر وفظاعته ولذلك اخر وهم يتدرجون في نحو هذا من الاهون الى الاغلظ **فان قلت** لم عطف احد
المثلين على الاخر بحرف الشك **قلت** او في اصلها لتساوي شيين فصاعدا في الشك ثم اتسع فيها فاستعيرت للتساوي في
غير الشك وذلك قولك جالس الحسن او ابن سيرين تريد انهما سيان في استصواب ان تجالسا ومنه قوله تعالى ولا تطع
منهم اثما او كفورا اي الاثم والكفور متساويان في وجوب عصيانهما فكذلك قوله او كصيب معناه ان كيفية
قصة المنافقين مشبهة لكيفيتي هاتين القصتين وانهما سوا في استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل فبايتهما مثلتها
فانت مصيب وان مثلتها بهما جميعا فكذلك **والصيب** المطر الذي يصوب اي ينزل ويقع ويقال للسحاب صيب ايضا
قال الشماخ ﴿واسحم دان صادق الرعد صيب﴾ وتنكير صيب لانه اريد نوع من المطر شديد هايل كما نكرت
النار في التمثيل الاول وقرئ كصايب والصيب ابلغ والسما هذه المظلة وعن الحسن انها موج مكفوف **فان**
قلت قوله من السما ما الفايدة في ذكره والصيب لا يكون الا من السما **قلت** الفايدة فيه انه جا بالسما معرفة فنفى ان يتصوب
من سما اي من افق واحد من بين ساير الافاق لان كل افق من افاقها سما كما ان كل طبقة من الطباق سما في قوله تعالى واوحى في
كل سما امرها والدليل عليه قوله ﴿ومن بعد ارض بيننا وسما﴾ والمعنى انه غمام مطبق اخذ باافاق السما وكما جا بصيب
وفيه مبالغات من جهة التركيب والبنا والتنكير امد ذلك بان جعله مطبقا وفيه ان السحاب من السما ينحدر
ومنها ياخذ ماه لا كزعم من يزعم انه ياخذ من البحر ويؤيده قوله تعالى وينزل عليكم من السما من جبال فيها من برد **فان**
قلت ما الذي يرتفع به ظلمات **قلت** بالظرف على الاتفاق لاعتماده على موصوف والرعد الصوت الذي يسمع من السحاب كان
اجرام السحاب تضطرب وتنتقض اذا حدتها الريح فتصوت عند ذلك من الارتعاد **والبرق** الذي يلمع من السحاب
من برق الشي بريقا اذا لمع **فان قلت** قد جعل الصيب مكانا للظلمات فلا يخلو ان يراد به السحاب او المطر فايهما اريد
فما ظلماته **قلت** اما ظلمات السحاب فاذا كان اسحم مطبقا فظلمتا سحمته وتطبيقه مضمومة اليهما ظلمة الليل
واما ظلمات المطر فظلمة تكاثفه وانتساجه بتتابع القطر وظلمة اظلال غمامه مع ظلمة الليل **فان قلت**
كيف يكون المطر مكانا للبرق والرعد وانما مكانهما السحاب **قلت** اذا كانا في اعلاه ومصبه وملتبسين في الجملة به
فهما فيه الا تراك تقول فلان في البلد وما هو منه الا في حيز يشغله جرمه **فان قلت** هلا جمع الرعد والبرق اخذا

الافراد

بالابلغ

بالابلغ كقول البحتري ﴿يا عارضا متلفعا ببروده يختال بين بروقه ورعوده﴾ وكما قيل ظلمات قلت فيه وجهان
احدهما ان يراد العينان ولكنهما لما كانا مصدرين في الاصل يقال رعدت السما رعدا وبرقت برقا روعي حكم اصلهما
بان ترك جمعهما وان اريد معنى الجمع والثاني ان يراد الحدثان كانه قيل وارعاد وابراق وانما جات هذه الاشيا منكرات لان المراد
انواع منها كانه قيل فيه ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف وجاز رجوع الضمير في يجعلون الى اصحاب الصيب مع كونه محذوفا
قايما مقامه الصيب كما قال او هم قايلون لان المحذوف باق معناه وان سقط لفظه الا ترى الى حسان كيف عول على بقا معناه
في قوله ﴿يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل﴾ حيث ذكر يصفق لان المعنى ما بردى ولا محل لقوله
يجعلون لكونه مستانفا لانه لما ذكر الرعد والبرق على ما يؤذن بالشدة والهول فكان قايلا قال فكيف حالهم مع مثل
ذلك الرعد فقيل يجعلون اصابعهم في اذانهم ثم قال فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق فقيل يكاد البرق يخطف ابصارهم
فان قلت رؤوس الاصابع هو الذي يجعل في الاذن فهلا قيل اناملهم **قلت** هذا من الاتساعات في اللغة التي لا
يكاد الحاصر يحصرها كقوله فاغسلوا وجوهكم وايديكم فاقطعوا ايديهما اراد البعض الذي هو الى المرفق والذي
هو الى الرسغ وايضا ففي ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الانامل **فان قلت** فالاصبع التي تسد بها الاذن خاصة
فلم ذكر الاسم العام دون الخاص **قلت** لان السبابة فعالة من السب فكان اجتنابها اولى باداب القران الا ترى انهم قد
استبشعوها فكنوا عنها بالمسبحة والسباحة والمهللة والدعاءة **فان قلت** فهلا ذكر بعض هذه الكنايات
قلت هي الفاظ مستحدثة لم يتعارفها الناس في ذلك العهد وانما احدثوها بعد وقوله تعالى من الصواعق متعلق بيجعلون
اي من اجل الصواعق يجعلون اصابعهم في اذانهم كقولك سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد تنقض معها شقة من
نار قالوا تنقدح من السحاب اذا اصطكت اجرامه وهي نار لطيفة حديدة لا تمر بشي الا اتت عليه الا انها مع حدتها سريعة الخمود
يحكى انها سقطت على نخلة فاحرقت نحو النصف ثم طفيت ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته فصعق اي مات اما بشدة الصوت
او بالاحراق ومنه قوله تعالى وخر موسى صعقا وقرا الحسن من الصواقع وليس بقلب للصواعق لان كلا البنايين سوا في التصرف
واذا استويا كان كل واحد بنا على حياله الا تراك تقول صقعه على راسه وصقع الديك وخطيب مصقع مجهر بخطبته ونظيره
جبذ في جذب ليس بقلبه لاستوايهما في التصرف وبناوها اما ان تكون صفة لقصفة الرعد او للرعد والتا للمبالغة كما في الراوية
او مصدرا كالكاذبة والعافية وقرا ابن ابي ليلى حذار الموت وانتصب على انه مفعول له كقوله واغفر عورا الكريم
والموت فساد بنية الحيوان وقيل عرض لا يصح معه احساس معاقب للحيوة **والله محيط بالكافرين** واحاطة الله
بالكافرين مجاز والمعنى انهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط به حقيقة وهذه الجملة اعتراض **ويكاد**
البرق يخطف ابصارهم والخطف الاخذ بسرعة وقرا مجاهد يخطف بكسر الطا والفتح افصح واعلا وعن ابن مسعود يختطف وعن
الحسن يخطف بفتح اليا والخا واصله يختطف وعنه يخطف بكسرهما على اتباع اليا الخا وعن زيد بن علي يخطف من خطف وعن ابي
ويتخطف من قوله ويتخطف الناس من حولهم **كلما اضا لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا** استيناف ثالث كانه جواب لمن
يقول كيف يصنعون في تارتي خفوق البرق وخفيته وهذا تمثيل لشدة الامر على المنافقين بشدته على اصحاب الصيب وما هم فيه من غاية
التحير والجهل بما ياتون وما يذرون اذا صادفوا من البرق خفقة مع خوف ان يخطف ابصارهم انتهزوا تلك الخفقة فرصة فخطوا
خطوات يسيرة فاذا خفي وفتر لمعانه بقوا واقفين متقيدين عن الحركة **ولو شا الله لذهب بسمعهم وابصارهم** ولو شا الله
لزاد في قصيف الرعد فاصمهم او في ضو البرق فاعماهم واضا اما متعد بمعنى كلما نور لهم ممشى ومسلكا اخذوه والمفعول محذوف
واما غير متعد بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وملقى ضويه ويعضده قراة ابن ابي عبلة كلما ضا لهم والمشي جنس الحركة
المخصوصة فاذا اشتد فهو سعي فاذا ازداد فهو عدو **فان قلت** كيف قيل مع الاضاة كلما ومع الاظلام اذا **قلت** لانهم
حراص على وجود ما همهم به معقود من امكان المشي وتاتيه فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها وليس كذلك التوقف والتحبس
واظلم يحتمل ان يكون غير متعد وهو الظاهر وان يكون متعديا منقولا من ظلم الليل ويشهد له قراة يزيد بن قطيب اظلم على ما لم
يسم فاعله وجا في شعر حبيب بن اوس ﴿هما اظلما حالي ثمت اجليا ظلاميهما عن وجه امرد اشيب﴾ وهو وان كان محدثا
لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علما العربية فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه الا ترى الى قول العلما الدليل عليه بيت الحماسة
فيقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته واتقانه ومعنى قاموا وقفوا وثبتوا في مكانهم ومنه قامت السوق اذا ركدت وقام الما جمد
ومفعول شا محذوف لان الجواب يدل عليه والمعنى ولو شا الله ان يذهب بسمعهم وابصارهم لذهب بها ولقد تكاثر هذا الحذف في شا
واراد لا يكادون يبرزون المفعول الا في الشي المستغرب كنحو قوله ﴿فلو شيت ان ابكي دما لبكيته﴾ وقوله تعالى
لو اردنا ان نتخذ لهوا ولو اراد الله ان يتخذ ولدا واراد ولو شا الله لذهب بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق وقرا
ابن ابي عبلة لاذهب باسماعهم بزيادة البا كقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة **ان الله على كل شي قدير** والشي
ما صح ان يعلم ويخبر عنه قال سيبويه في ساقة الباب المترجم بباب مجاري اواخر الكلم من العربية وانما يخرج التانيث من التذكير

وفا

الرسغ موصل الكف في الذراع والقدم في الساق

وهو ابو تمام

الا ترى ان الشيء يقع على كل ما اخبر عنه من قبل ان يعلم اذكر هو ام انثى والشيء مذكر وهو اعم العام كما ان الله اخص الخاص يجري على الجسم والعرض والقديم والحديث تقول شيء لا كالاشياء اي معلوم لا كسائر المعلومات وعلى المعدوم والمحال **فان قلت** كيف قيل على كل شيء قدير وفي الاشياء ما لا تعلق به للقادر كالمستحيل وفعل قادر اخر **قلت** مشروط في حد القادر ان لا يكون الفعل مستحيلا فالمستحيل مستثنى في نفسه عند ذكر القادر على الاشياء كلها فكانه قيل على كل شيء مستقيم قدير ونظيره فلان امير على الناس اي على من وراءه ولم تدخل فيهم نفسه وان كان من جملة الناس واما الفعل بين قادرين فمختلف فيه **فان قلت** مما اشتقاق القدير **قلت** من التقدير لانه يوقع فعله على مقدار قوته واستطاعته وما يتميز به عن العاجز لما عدد الله تعالى فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم واحوالهم ومصارف امورهم وما اختصت به كل فرقة مما يسعدها ويشقيها ويحظيها عند الله ويرديها اقبل عليهم بالخطاب وهو من الالتفات المذكور عند قوله اياك نعبد واياك نستعين وهو فن من الكلام جزل فيه هز وتحريك من السامع كما انك قلت لصاحبك حاكيا عن ثالث لكما ان فلانا من قصته كيت وكيت فقصصت عليه ما فرط منه ثم عدلت بخطابك الى الثالث فقلت يا فلان من حقك ان تلزم الطريقة الحميدة في مجاري امورك وتستوي على جادة السداد في مصادرك ومواردك نبهته بالتفاتك نحوه فضل تنبيه واستدعيت اصغاءه الى ارشادك زيادة استدعاء واوجدته بالانتقال من الغيبة الى المواجهة هازا من طبعه ما لا يجده اذا استمررت على لفظ الغيبة وهكذا الافتنان في الحديث والخروج فيه من صنف الى صنف يستفتح الآذان للاستماع ويستهش الانفس للقبول وبلغنا باسناد صحيح عن ابراهيم عن علقمة ان كل شيء نزل فيه يا ايها الناس فهو مكي ويا ايها الذين امنوا فهو مدني فقوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم خطاب لمشركي مكة ويا حرف وضع في اصله لنداء البعيد صوت يهتف به الرجل بمن يناديه واما نداء القريب فله اي والهمزة ثم استعمل في مناداة من سها وغفل وان قرب تنزيلا له منزلة من بعد فاذا نودي به القريب المفاطن فذلك للتاكيد المؤذن بان الخطاب الذي يتلوه معتنى به جدا **فان قلت** فما بال الداعي يقول في جؤاره يا رب ويا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد واسمع به وابصر **قلت** هو استقصار منه لنفسه واستبعاد لها من مظان الزلفى وما يقربه الى رضوان الله ومنازل المقربين هضما لنفسه واقرارا عليها بالتفريط في جنب الله مع فرط التهالك على استجابة دعوته والاذن لندائه وابتهاله واي وصلة الى نداء ما فيه الالف واللام كما ان ذو والذي وصلتان الى الوصف باسماء الاجناس ووصف المعارف بالجمل وهو اسم مبهم يفتقر الى ما يوضحه ويزيل ابهامه فلا بد ان يردفه اسم جنس او ما يجري مجراه يتصف به حتى يصح المقصود بالنداء فالذي يعمل فيه حرف النداء هو اي والاسم التابع له صفته كقولك يا زيد الظريف الا ان ايا لا يستقل بنفسه استقلال زيد فلم ينفك من الصفة وفي هذا التدرج من الابهام الى التوضيح ضرب من التاكيد والتشديد وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها لفائدتين معاضدة حرف النداء ومكانفته بتاكيد معناه ووقوعها عوضا مما يستحقه اي من الاضافة **فان قلت** لم كثر في كتاب الله النداء على هذه الطريقة ما لم يكثر في غيره **قلت** لاستقلاله باوجه من التاكيد واسباب من المبالغة لان كل ما نادى الله له عباده من اوامره ونواهيه وعظاته وزواجره ووعده ووعيده واقتصاص اخبار الامم الدارجة عليهم وغير ذلك مما انطق به كتابه امور عظام وخطوب جسام ومعان عليهم ان يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم اليها وهم عنها غافلون فاقتضت الحال ان ينادوا بالآكد الابلغ **فان قلت** لا يخلو الامر بالعبادة من ان يكون متوجها الى المؤمنين والكافرين جميعا او الى كفار مكة خاصة على ما روي عن علقمة والحسن فالمؤمنون عابدون ربهم فكيف امروا بما هم ملتبسون به وهل هو الا كقول القائل فلو اني فعلت كنت كمن ساله ~~قلت المراد بعبادة المؤمنين~~ واما الكفار فلا يعرفون الله ولا يقرون به فكيف يعبدونه **قلت** المراد بعبادة المؤمنين ازديادهم منها واقبالهم وثباتهم عليها واما عبادة الكفار فمشروط فيها ما لا بد لها منه وهو الاقرار كما اشترط على المامور بالصلاة شرائطها من الوضوء والنية وغيرهما وما لا بد للفعل منه فهو مندرج تحت الامر به وان لم يذكر حيث لم يفعل الا به وكان من لوازمه على ان مشركي مكة كانوا يعرفون الله ويعترفون به ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله **فان قلت** فقد جعلت قوله اعبدوا متناولا شيئين معا الامر بالعبادة والامر بازديادها **قلت** الازدياد من العبادة عبادة وليس شيئا اخر **فان قلت** ربكم ما المراد به **قلت** كان المشركون معتقدين ربوبيتين ربوبية الله وربوبية الهتهم فان خصوا بالخطاب فالمراد به اسم يشترك فيه رب السموات والارض والالهة التي كانوا يسمونها اربابا وكان قوله الذي خلقكم صفة موضحة مميزة وان كان الخطاب للفرق جميعا فالمراد به ربكم على الحقيقة والذي خلقكم صفة جرت عليه على طريق المدح والتعظيم ولا يمتنع هذا الوجه في خطاب الكفرة خاصة الا ان الاول اوضح واصح والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء وخلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس وقرا ابو عمرو خلقكم بالادغام وقرا ابو السميفع وخلق من قبلكم وقرا زيد بن علي والذين من قبلكم وهي قراءة مشكلة ووجهها على اشكالها ان يقال اقحم الموصول الثاني

يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون

بين الاول

بين الاول وصلته تاكيدا كما اقحم جرير في قوله يا تيم تيم عدي لا ابا لكم تيما الثاني بين الاول وما اضيف اليه وكاقحامهم لام الاضافة بين المضاف والمضاف اليه في لا ابا لك ولعل للترجي او الاشفاق تقول لعل زيدا يكرمني ولعله يهينني وقال الله تعالى لعله يتذكر او يخشى لعل الساعة قريب الا ترى الى قوله الذين امنوا مشفقون منها وقد جاءت على سبيل الاطماع في مواضع من القرآن ولكن لانه اطماع من كريم رحيم اذا اطمع فعل ما يطمع فيه لا محالة لجري اطماعه مجرى وعده المحتوم وفاؤه به وقال من قال ان لعل بمعنى كي ولعل لا تكون بمعنى كي ولكن الحقيقة ما القيت اليك وايضا فمن ديدن الملوك وما عليه اوضاع امرهم ورسومهم ان يقتصروا في مواعيدهم التي يوطنون انفسهم على انجازها على ان يقولوا عسى ولعل ونحوهما من الكلمات او يخيلوا اخالة او يظفر منهم بالرمزة او الابتسامة او النظرة الحلوة فاذا عثر على شيء من ذلك منهم لم يبق للطالب ما عندهم شك في النجاح والفوز بالمطلوب فعلى مثله ورد كلام مالك الملوك ذي العز والكبرياء او يجيء على طريق الاطماع دون التحقيق لئلا يتكل العباد كقوله يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم **فان قلت** فلعل التي في الاية ما معناها وما موقعها **قلت** ليست مما ذكرناه في شيء لان قوله خلقكم لعلكم تتقون لا يجوز ان يحمل على رجاء الله تقواهم لان الرجاء لا يجوز على عالم الغيب والشهادة وحمله على ان يخلقهم راجين للتقوى ليس بسديد ايضا ولكن لعل واقعة في الاية موقع المجاز لا الحقيقة لان الله عز وجل خلق عباده ليتعبدهم بالتكليف وركب فيهم العقول والشهوات وازاح عنهم العلة في اقدارهم وتمكينهم وهداهم النجدين ووضع في ايديهم زمام الاختيار واراد منهم الخير والتقوى فهم في صورة المرجو منهم ان يتقوا لترجح امرهم وهم مختارون بين الطاعة والعصيان كما ترجحت حال المرتجي بين ان يفعل وان لا يفعل ومصداقه قوله عز وجل ليبلوكم ايكم احسن عملا وانما يبلو ويختبر من تخفى عليه العواقب ولكن شبه بالاختبار بناء امرهم على الاختيار **فان قلت** كما خلق المخاطبين لعلهم يتقون فكذلك خلق الذين من قبلهم لذلك فلم قصره عليهم دون من قبلهم **قلت** لم يقصره عليهم ولكن غلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا **فان قلت** فهلا قيل تعبدون لاجل اعبدوا او اتقوا لمكان تتقون ليتجاوب طرفا النظم **قلت** ليست التقوى غير العبادة حتى يؤدي ذلك الى تنافر النظم وانما التقوى قصارى امر العابد ومنتهى جهده فاذا قال اعبدوا ربكم الذي خلقكم للاستيلاء على اقصى غايات العبادة كان ابعث على العبادة واشد الزاما لها واثبت لها في النفوس ونحوه ان تقول لعبدك احمل خريطة الكتب فما ملكتك يميني الا لجر الاثقال ولو قلت لحمل خرائط الكتب لم يقع من نفسه ذلك الموقع الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون قدم سبحانه من موجبات عبادته وملزمات حق الشكر له خلقهم احياء قادرين اولا لانه سابقة اصول النعم ومقدمتها والسبب في التمكن من العبادة والشكر وغيرهما ثم خلق الارض التي هي مكانهم ومستقرهم الذي لا بد لهم منه وهي بمنزلة عرصة المسكن ومتقلبه ومفترشه ثم خلق السماء التي هي كالقبة المضروبة والخيمة المطنبة على هذا القرار ثم ما سواه عز وجل من شبه عقد النكاح بين المقلة والمظلة بانزال الماء منها عليها والاخراج به من بطنها اشباه النسل المنتج من الحيوان من الوان الثمار رزقا لبني ادم ليكون لهم ذلك معتبرا ومتسلقا الى النظر المؤدي الى التوحيد والاعتراف ونعمة يتعرفونها فيقابلونها بلازم الشكر ويتفكرون في خلق انفسهم وخلق ما فوقهم وتحتهم وان شيئا من هذه المخلوقات كلها لا يقدر على ايجاد شيء منها فيتيقنوا عند ذلك ان لا بد لها من خالق ليس كمثلها حتى لا يجعلوا المخلوقات له اندادا وهم يعلمون انها لا تقدر على نحو ما هو عليه قادر والموصول مع صلته اما ان يكون في محل النصب وصفا كالذي خلقكم او على المدح والتعظيم واما ان يكون رفعا على الابتداء وفيه ما في النصب من المدح والتعظيم وقرا يزيد الشامي بساطا وقرا طلحة مهادا ومعنى جعلها فراشا وبساطا ومهادا للناس انهم يقعدون عليها وينامون ويتقلبون كما يتقلب احدهم على فراشه وبساطه ومهاده **فان قلت** هل فيه دليل على ان الارض مسطحة وليست بكرية **قلت** ليس فيه الا ان الناس يفترشونها كما يفعلون بالمفارش وسواء كانت على شكل السطح او شكل الكرة فالافتراش غير مستنكر ولا مدفوع لعظم حجمها واتساع جرمها وتباعد اطرافها واذا كان متسهلا في الجبل وهو وتد من اوتاد الارض فهو في الارض ذات الطول والعرض اسهل والبناء مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء او طرافا وابنية العرب اخبيتهم ومنه بنى على امراته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا **فان قلت** ما معنى قوله اخراج الثمرات بالماء وانما خرجت بقدرته ومشيئته **قلت** المعنى انه جعل الماء سببا في خروجها ومادة لها كماء الفحل في خلق الولد وهو قادر على ان ينشئ الاجناس كلها بلا اسباب ولا مواد كما انشا نفوس الاسباب والمواد ولكن له في انشاء الاشياء مدرجا لها من حال الى حال وناقلا من مرتبة الى مرتبة حكما ودواعي يجدد فيها لملائكته والنظار بعيون الاستبصار من عباده عبرا وافكارا صالحة وزيادة طمانينة وسكون الى عظيم قدرته وغرائب حكمته ليس ذلك في انشائها بغتة من غير تدريج وترتيب ومن في من الثمرات للتبعيض بشهادة قوله فاخرجنا به من كل الثمرات وقوله فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ولان المنكرين اعني ماء ورزقا يكتنفانه وقد قصد بتنكيرهما معنى البعضية فكانه قيل وانزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهذا هو

المطابق لصحة المعنى لانه لم ينزل من السما الما كله ولا اخرج بالمطر جميع الثمرات ولا جعل الرزق كله في الثمرات ويجوز ان يكون
كقولك انفقت من الدراهم الفا فان قلت فبم انتصب رزقا قلت ان كانت من للتبعيض كان انتصابه بانه مفعول له وان
كانت مبينة كان مفعولا لاخرج فان قلت فالثمر المخرج بما السما كثير جم فلم قيل الثمرات دون الثمر والثمار قلت فيه
وجهان احدهما ان يقصد بالثمرات جماعة الثمرة التي في قولك فلان ادركت ثمرة بستانه تريد ثماره ونظيره قولهم
كلمة الحويدرة لقصيدته وقولهم للقرية المدرة وانما هي مدر متلاحق والثاني ان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض
لالتقائها في الجمعية كقوله كم تركوا من جنات وثلاثة قروء ويعضد الوجه الاول قراءة محمد بن السميفع من الثمرة
على التوحيد ولكم صفة جارية على الرزق ان اريد به العين وان جعل اسما للمعنى فهو مفعول به كانه قيل رزقا
اياكم فان قلت بم تعلق فلا تجعلوا قلت فيه ثلثة اوجه ان يتعلق بالامر اي اعبدوا ربكم فلا تجعلوا لله اندادا لان
اصل العبادة واساسها التوحيد وان لا يجعل لله ند ولا شريك او بلعل على ان ينتصب تجعلوا انتصاب فاطلع في قوله لعلي ابلغ
الاسباب اسباب السموات والارض فاطلع الى اله موسى في رواية حفص عن عاصم اي خلقكم لكي تتقوا وتخافوا عقابه ولا تشبهوه
بخلقه او بالذي جعل لكم اذا رفعته على الابتدا اي هو الذي حفظكم بهذه الايات العظيمة والدلايل النيرة الشاهدة بالوحدانية
فلا تجعلوا له شركا والند المثل ولا يقال الا للمثل المخالف المناوي قال جرير ❊ اتيما تجعلون الي ندا ❊ وما تيم لذي حسب
نديد ❊ وناددت الرجل خالفته ونافرته من ند ندودا اذا نفر ومعنى قولهم ليس لله ند ولا ضد نفي ما يسد مسده ونفي ما ينافيه
فان قلت كانوا يسمون اصنامهم باسمه ويعظمونها بما يعظم به من القرب وما كانوا يزعمون انها تخالف الله وتناويه
قلت لما تقربوا اليها وعظموها وسموها الهة اشبهت حالهم حال من يعتقد انها الهة مثله قادرة على مخالفته ومضادته فقيل
لهم ذلك على سبيل التهكم وكما تهكم بهم بلفظ الند شنع عليهم واستفظع شانهم بان جعلوا اندادا كثيرة لمن لا يصح
ان يكون له ند قط وفي ذلك قال زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق دين قومه ❊ اربا واحدا ام الف رب ❊ ادين اذا تقسمت
الامور ❊ وقرا محمد بن السميفع فلا تجعلوا لله ندا فان قلت ما معنى وانتم تعلمون قلت معناه وحالكم وصفتكم انكم
من صحة تمييزكم بين الصحيح والفاسد والمعرفة بدقايق الامور وغوامض الاحوال والاصابة في التدابير والدها والفطنة
بمنزلة لا يدفعون عنه وهكذا كانت العرب خصوصا ساكنوا الحرم من قريش وكنانة لا يصطلى بنارهم في استحكام المعرفة بالامور
وحسن الاحاطة بها ومفعول تعلمون متروك كانه قيل وانتم من اهل العلم والمعرفة والتوبيخ فيه اكد اي انتم العارفون
المميزون ثم ان ما انتم عليه في امر ديانتكم من جعل الاصنام لله اندادا هو غاية الجهل ونهاية سخافة العقل ويجوز ان يقدر وانتم
تعلمون انه لا يماثل وانتم تعلمون ما بينها وبينه من التفاوت او وانتم تعلمون انها لا تفعل مثل افعاله كقوله هل من شركايكم
من يفعل من ذلكم من شي وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ
مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ لما احتج عليهم بما يثبت الوحدانية ويحققها ويبطل الاشراك ويهدمه وعلم الطريق
الى اثبات ذلك وتصحيحه وعرفهم ان من اشرك فقد كابر عقله وغطى على ما انعم عليه من معرفته وتمييزه عطف على ذلك ما هو
الحجة على اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وما يدحض الشبهة في كون القران معجزة واراهم كيف يتعرفون اهو من عند
الله كما يدعي ام هو من عند نفسه كما يدعون بارشادهم الى ان يحزروا انفسهم ويذوقوا طباعهم وهم ابنا جنسه
واهل جلدته فان قلت لم قيل مما نزلنا على لفظ التنزيل دون الانزال قلت لان المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم
وهو من مجازه لمكان التحدي وذلك انهم كانوا يقولون لو كان هذا من عند الله مخالفا لما يكون من عند الناس لم ينزل هكذا
نجوما سورة بعد سورة وايات غب ايات على حسب النوازل وكفا الحوادث وعلى سنن ما نرى عليه اهل الخطابة والشعر
من وجود ما يوجد منهم مفرقا حينا فحينا وشيا فشيا حسب ما يعن لهم من الاحوال المتجددة والحاجات السانحة لا يلقي الناظم
ديوان شعره دفعة ولا يرمي الناثر بمجموع خطبه او رسايله ضربة فلو انزله الله لانزله خلاف هذه العادة جملة واحدة
قال الله تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة واحدة فقيل ان ارتبتم في هذا الذي وقع انزاله هكذا على مهل
وتدريج فهاتوا انتم نوبة واحدة من نوبه وهلموا نجما فردا من نجومه سورة من اصغر السور او ايات شتى مفتريات
وهذه غاية التبكيت ومنتهى ازاحة العلل وقرى على عبادنا يريد رسول الله وامته والسورة الطايفة من القران المترجمة
التي اقلها ثلاث ايات وواوها ان كانت اصلا فاما ان سميت بسورة المدينة وهي حايطها لانها طايفة من القران محدودة محوزة
على حيالها كالبلد المسور او لانها محتوية على فنون من العلم واجناس من الفوايد كاحتوا سورة المدينة على ما فيها واما ان سميت
بالسورة التي هي الرتبة قال النابغة ❊ الم تر ان الله اعطاك سورة ❊ ترى كل ملك دونها يتذبذب ❊ لان السور بمنزلة المنازل والمراتب
التي يترقى فيها القاري وهي ايضا في انفسها مترتبة طوال واوساط وقصار او لرفعة شانها وجلالة
محلها في الدين وان جعلت واوها منقلبة عن همزة فلانها قطعة وطايفة من القران كالسورة التي هي البقية من الشي والفضلة
منه فان قلت ما فايدة تفصيل القران وتقطيعه سورا قلت ليست الفايدة في ذلك واحدة ولامر ما انزل الله التوراة والانجيل

خصوصا

والزبور وساير ما اوحاه على انبيايه على هذا المنهاج مسورة مترجمة السور وبوب المصنفون في كل فن من كتبهم ابوابا
موشحة الصدور بالتراجم من فوايدها ان الجنس اذا انطوت تحته انواع واشتمل على اصناف كان احسن وانبل وافخم من ان يكون
بيانا واحدا ومنها ان القاري اذا ختم سورة او بابا من الكتاب ثم اخذ في اخر كان انشط له واهز لعطفه وابعث على الدرس
والتحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله ومثله المسافر اذا علم انه قطع ميلا او طوى فرسخا او انتهى الى راس بريد نفس
ذلك منه ونشطه للسير ومن ثم جزا القرا القران اسباعا واجزا وعشورا واخماسا ومنها ان الحافظ اذا حذق السورة
اعتقد انه اخذ من كتاب الله طايفة مستقلة بنفسها لها فاتحة وخاتمة فيعظم عنده ما حفظه ويجل في نفسه ويغتبط به ومنه
حديث انس رضي الله عنه كان الرجل اذا قرا البقرة وال عمران جد فينا ومن ثمة كانت القراة في الصلوة بسورة تامة افضل
ومنها ان التفصيل بسبب تلاحق الاشكال والنظاير وملايمة بعضها لبعض وبذلك تتلاحظ المعاني ويتجاوب النظم الى غير ذلك
من الفوايد والمنافع من مثله متعلق بسورة صفة لها اي بسورة كاينة من مثله والضمير لما نزلنا او لعبدنا ويجوز ان يتعلق
بقوله فاتوا والضمير للعبد فان قلت وما مثله حتى ياتوا بسورة من ذلك المثل قلت معناه فاتوا بسورة مما هو على صفته
في البيان الغريب وعلو الطبقة في حسن النظم او فاتوا ممن هو على حاله من كونه بشرا عربيا او اميا لم يقرا الكتب ولم ياخذ
من العلما ولا قصد الى مثل ونظير هنالك ولكنه نحو قول القبعثري للحجاج وقد قال له لاحملنك على الادهم مثل الامير
حمل على الادهم والاشهب اراد من كان على صفة الامير من السلطان والقدرة وبسطة اليد ولم يقصد احدا يجعله مثلا
للحجاج ورد الضمير الى المنزل اوجه لقوله تعالى فاتوا بسورة مثله فاتوا بعشر سور مثله على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون
بمثله ولان القران جدير بسلامة الترتيب والوقوع على اصح الاساليب والكلام مع رد الضمير الى المنزل احسن ترتيبا
وذلك ان الحديث في المنزل لا في المنزل عليه وهو مسوق اليه ومربوط به فحقه ان لا ينفك عنه برد الضمير الى غيره الا ترى
ان المعنى وان ارتبتم في ان القران منزل من عند الله فهاتوا انتم نبذا مما يماثله ويجانسه وقضية الترتيب لو كان الضمير
مردودا الى رسول الله صلى الله عليه ان يقال وان ارتبتم في ان محمدا منزل عليه فهاتوا قرانا من مثله ولانهم اذا خوطبوا جميعا
وهم الجم الغفير بان ياتوا بطايفة يسيرة من جنس ما اتى به واحد منهم كان ابلغ في التحدي من ان يقال لهم ليات واحد اخر بنحو
ما اتى به هذا الواحد ولان هذا التفسير هو الملايم لقوله وادعوا شهداكم والشهدا جمع شهيد بمعنى الحاضر او القايم
بالشهادة ومعنى دون ادنى مكان من الشي ومنه الشي الدون وهو الدني الحقير ودون الكتب اذا جمعها لان جمع الاشيا
ادنا بعضها من بعض وتقليل المسافة بينها يقال هذا دون ذاك اذا كان احط منه قليلا ودونك هذا اصله خذه من دونك
اي من ادنى مكان منك فاختصر واستعير للتفاوت في الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو في الشرف والعلم ومنه قول
من قال لعدوه وقد راه بالثنا عليه انا دون هذا وفوق ما في نفسك واتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد وتخطي
حكم الى حكم قال الله تعالى لا يتخذ المومنون الكافرين اوليا من دون المومنين اي لا يتجاوزون ولاية المومنين الى ولاية
الكافرين وقال امية ❊ يا نفس ما لك دون الله من واق ❊ اي اذا تجاوزت وقاية الله ولم تنالك لم يقك غيره ومن دون
متعلق بادعوا او بشهداكم فان علقته بشهداكم فمعناه ادعوا الذين اتخذتموهم الهة من دون الله وزعمتم انهم
يشهدون لكم يوم القيمة انكم على الحق او ادعوا الذين يشهدون لكم بين يدي الله من قول الاعشى يصف ناقة ❊
تريك القذى من دونها وهي دونه ❊ اي تريك القذى قدامها وهي قدام القذى لرقتها وصفايها وفي امرهم
ان يستظهروا بالجماد الذي لا ينطق في معارضة القران المعجز بفصاحته غاية التهكم بهم وادعوا شهداكم من دون
الله اي من دون اوليايه ومن غير المومنين ليشهدوا لكم انكم اتيتم بمثله وهذا من المساهلة وارخا العنان والاشعار
بان شهداهم وهم مدارة القوم الذين هم وجوه المشاهد وفرسان المقاولة والمناقلة تابى عليهم الطباع وتجمح بهم
الانسانية والانفة ان يرضوا لانفسهم الشهادة بصحة الفاسد البين عندهم فساده واستقامة المحال الجلي في عقولهم
احالته وتعلقه بادعوا في هذا الوجه جايز وان علقته بادعوا فمعناه ادعوا من دون الله شهداكم يعني لا تستشهدوا
بالله ولا تقولوا الله يشهد ان ما ندعيه حق كما يقوله العاجز عن اقامة البينة على صحة دعواه وادعوا الشهدا من الناس الذين
شهادتهم بينة تصحح بها الدعاوي عند الحكام وهذا تعجيز لهم وبيان لانقطاعهم وانخذالهم وان الحجة قد بهرتهم
ولم تبق لهم متشبثا غير قولهم الله يشهد انا صادقون وقولهم هذا تسجيل منهم على انفسهم بتناهي العجز وسقوط
القدرة وعن بعض العرب انه سيل عن نسبه فقال قرشي والحمد لله فقيل له قولك الحمد لله في هذا المقام ريبة او ادعوا من
دون الله شهداكم يعني ان الله شاهدكم لانه اقرب اليكم من حبل الوريد وهو بينكم وبين اعناقكم واخلكم والجن والانس
شاهدكم فادعوا كل من يشهدكم واستظهروا به من الجن والانس الا الله تعالى فانه القادر وحده على ان ياتي بمثله دون
كل شاهد من شهدايكم فهو في معنى قوله قل لين اجتمعت الانس والجن الاية فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ
الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ لما ارشدهم الى الجهة التي منها يتعرفون امر النبي صلى الله عليه

وما جاءتني بغتة واعلا حقيقته وشرع وامتياز حقه من باطله فان لم يعارضوه ولم يتسهل لكم ما تبغون وبان لكم انه معجوز عنه فقد صرح الحق عن محضه ووجب التصديق فآمنوا وخافوا العذاب المعد لمن كذب وفيه دليلان على اثبات النبوة صحة كون المتحدى به معجزا والاخبار بانهم لن يفعلوا وهو غيب لا يعلمه الا الله **فان قلت** انتفاء اتيانهم بالسورة واجب فهلا جيء باذا الذي للوجوب دون ان التي للشك **قلت** فيه وجهان احدهما ان يساق القول معهم على حسب حسبانهم وطمعهم وان العجز عن المعارضة كان قبل التامل كالمشكوك فيه لديهم لاتكالهم على فصاحتهم واقتدارهم على الكلام **والثاني** ان يتهكم بهم كما يقول الموصوف بالقوة الواثق من نفسه بالغلبة على من يقاويه ان غلبتك لم ابق عليك وهو يعلم انه غالبه ويتيقنه تهكما به **فان قلت** لم عبر عن الاتيان بالفعل واي فائدة في تركه اليه **قلت** لانه فعل من الافعال يقول اتيت فلانا فيقال لك نعم ما فعلت والفائدة فيه انه جار مجرى الكناية التي تعطيك اختصارا ووجازة تغنيك عن طول المكنى عنه الا ترى ان الرجل يقول ضربت زيدا في موضع كذا على صفة كذا وشتمته ونكلت به ويعد كيفيات وافعالا فتقول له بئس ما فعلت ولو ذكرت ما انبته عنه لطال عليك وكذلك لو لم يعدل عن لفظ الاتيان الى لفظ الفعل لاستطيل ان يقال فان لم تاتوا بسورة من مثله ولن تاتوا بسورة من مثله **فان قلت** ولن تفعلوا ما محلها **قلت** لا محل لها لانها جملة اعتراضية **فان قلت** ما حقيقة لن في باب النفي **قلت** لا ولن اختان في نفي المستقبل الا ان في لن توكيدا وتشديدا تقول لصاحبك لا اقيم غدا فان انكر عليك قلت لن اقيم غدا كما تفعل في انا مقيم واني مقيم وهي عند الخليل في احدى الروايتين عنه اصلها لا ان وعند الفراء لا ابدلت الفها نونا وعند سيبويه واحدى الروايتين عن الخليل حرف مقتضب لتاكيد نفي المستقبل **فان قلت** من اين لك انه اخبار بالغيب على ما هو به حتى يكون معجزة **قلت** لانهم لو عارضوه بشيء لم يمتنع ان يتواصفه الناس ويتناقلوه اذ خفاء مثله فيما عليه مبنى العادة محال لا سيما والطاعنون فيه اكثر عددا من الذابين عنه فحين لم ينقل علم انه اخبار بالغيب على ما هو به فكان معجزة **فان قلت** ما معنى اشتراطه في اتقاء النار انتفاء اتيانهم بسورة من مثله **قلت** انهم اذا لم ياتوا بها وتبين عجزهم عن المعارضة صح عندهم صدق رسول الله واذا صح عندهم صدقه ثم لزموا العناد ولم ينقادوا ولم يشايعوا استوجبوا العقاب بالنار فقيل لهم ان استبنتم العجز فاتركوا العناد فوضع فاتقوا النار موضعه لان اتقاء النار لصيقه وضميمه ترك العناد من حيث انه من نتائجه لان من اتقى النار ترك المعاندة ونظيره ان يقول الملك لحشمه ان اردتم الكرامة عندي فاحذروا سخطي يريد فاطيعوني واتبعوا امري وافعلوا ما هو نتيجة حذر السخط وهو من باب الكناية التي هي شعبة من شعب البلاغة وفائدته الايجاز الذي هو من حلية القرآن وتهويل شان العناد بانابة اتقاء النار منابه واتباعه في صورته مشيعا ذلك بتهويل صفة النار وتفظيع امرها والوقود ما ترفع به النار واما المصدر فمضموم وقد جاء فيه الفتح قال سيبويه وسمعنا من العرب من يقول وقدت النار وقودا عاليا ثم قال والوقود اكثر والوقود الحطب وقرا عيسى بن عمر الهمداني بالضم تسمية بالمصدر كما يقال فلان فخر قومه وزين بلده ويجوز ان يكون مثل قولك حياة المصباح السليط اي ليست حياته الا به فكان نفس السليط حياته **فان قلت** صلة الذي والتي يجب ان تكون قصة معلومة للمخاطب فكيف علم اولئك ان نار الآخرة توقد بالناس والحجارة **قلت** لا يمتنع ان يتقدم لهم بذلك سماع من اهل الكتاب او سمعوه من رسول الله او سمعوا قبل هذه الآية قوله تعالى في سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة **فان قلت** فلم جاءت النار الموصوفة بهذه الجملة منكرة في سورة التحريم وهاهنا معرفة **قلت** تلك الآية نزلت بمكة فعرفوا منها نارا موصوفة بهذه الصفة ثم نزلت هذه بالمدينة مشارا بها الى ما عرفوه اولا **فان قلت** ما معنى قوله وقودها الناس والحجارة **قلت** معناه انها نار ممتازة عن غيرها من النيران بانها لا تتقد الا بالناس والحجارة وبان غيرها ان اريد احراق الناس بها او احماء الحجارة اوقدت اولا بوقود ثم طرح فيها ما يراد احراقه او احماؤه وتلك اعاذنا الله منها برحمته الواسعة توقد بنفس ما يحرق ويحمى بالنار وبانها لافراط حرها وشدة ذكائها اذا اتصل بها نار اشتعلت وان نقع لهبها **فان قلت** انار الجحيم كلها موقدة بالناس والحجارة ام هي نيران شتى منها نار بهذه الصفة **قلت** بل هي نيران شتى منها نار توقد بالناس والحجارة يدل على ذلك تنكيرها في قوله قوا انفسكم واهليكم نارا فانذرتكم نارا تلظى ولعل لكفار الجن وشياطينهم نارا وقودها الشياطين كما ان لكفرة الانس نارا وقودها هم جزاء لكل جنس بما يشاكله من العذاب **فان قلت** لم قرن الناس بالحجارة وجعلت الحجارة معهم وقودا **قلت** لانهم قرنوا بها انفسهم في الدنيا حيث نحتوها اصناما وجعلوها لله اندادا وعبدوها من دونه قال الله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وهذه الآية مفسرة لما نحن فيه فقوله انكم وما تعبدون من دون الله في معنى الناس والحجارة وحصب جهنم في معنى وقودها ولما اعتقد الكفار في حجارتهم المعبودة من دون الله انها الشفعاء والشهداء الذين يستشفعون بهم ويستدفعون المضار عن انفسهم بمكانهم جعلها الله عذابهم فقرنهم بها محماة في نار جهنم ابلاغا في ايلامهم واغراقا في تحسيرهم ونحوه ما يفعله بالكافرين الذين جعلوا ذهبهم وفضتهم عدة وذخيرة فشحوا بها ومنعوها من

الحقوق

الحقوق حيث يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم وقيل هي حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وذهاب عما هو المعنى الصحيح الواقع المشهود له بمعاني التنزيل اعدت هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرا عبد الله اعتدت من العتاد بمعنى العدة

وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجري من تحتها الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل واتوا به متشابها ولهم فيها ازواج مطهرة وهم فيها خالدون

من عادته عز وجل في كتابه ان يذكر الترغيب مع الترهيب ويشفع البشارة بالانذار ارادة التنشيط لاكتساب ما يزلف والتثبيط عن اقتراف ما يتلف فلما ذكر الكفار واعمالهم واوعدهم بالعقاب قفاه ببشارة عباده الذين جمعوا بين التصديق والاعمال الصالحة من فعل الطاعات وترك المعاصي وحموها من الاحباط بالكفر والكبائر بالثواب **فان قلت** من المامور بقوله بشر **قلت** يجوز ان يكون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وان يكون كل احد كما قال عليه السلام بشر المشائين الى المساجد في الظلم بالنور التام يوم القيامة لم يامر بذلك واحدا بعينه وانما كل احد مامور به وهذا الوجه احسن واجزل لانه يؤذن بان الامر لعظمه وفخامة شانه محقوق بان يبشر به كل من قدر على البشارة به **فان قلت** علام عطف هذا الامر ولم يسبق امر ولا نهي يصح عطفه عليه **قلت** ليس الذي اعتمد بالعطف هو الامر حتى يطلب له مشاكل من امر او نهي يعطف عليه انما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين فهي معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين كما تقول زيد يعاقب بالقيد والارهاق وبشر عمرا بالعفو والاطلاق ولك ان تقول هو معطوف على قوله فاتقوا كما تقول يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر يا فلان بني اسد باحساني اليهم وفي قراءة زيد بن علي رضي الله عنه وبشر على لفظ المبني للمفعول عطفا على اعدت والبشارة الاخبار بما يظهر سرور المخبر به ومن ثم قال العلماء اذا قال لعبيده ايكم بشرني بقدوم فلان فهو حر فبشروه فرادى عتق اولهم لانه هو الذي اظهر سروره بخبره دون الباقين ولو قال مكان بشرني اخبرني عتقوا جميعا لانهم جميعا اخبروه ومنه البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح ما ظهر من اوائل ضوئه واما فبشرهم بعذاب اليم فمن العكس في الكلام الذي يقصد به الاستهزاء الزائد في غيظ المستهزا به وتالمه واغتمامه كما يقول الرجل لعدوه ابشر بقتل ذريتك ونهب مالك ومنه قوله ◌ فاعتبوا بالصيلم ◌ والصالحة نحو الحسنة في جريها مجرى الاسم قال الحطيئة ◌ كيف الهجاء وما تنفك صالحة ◌ من آل لام بظهر الغيب تاتيني ◌ والصالحات كل ما استقام من الاعمال بدليل العقل والكتاب والسنة واللام للجنس **فان قلت** اي فرق بين لام الجنس داخلة على المفرد وبينها داخلة على المجموع **قلت** اذا دخلت على المفرد كان صالحا لان يراد به الجنس الى ان يحاط به وان يراد به بعضه الى الواحد منه واذا دخلت على المجموع صلح ان يراد به جميع الجنس وان يراد به بعضه لا الى الواحد منه لان وزانه في تناول الجمعية في الجنس وزان المفرد في تناول الجنسية والجمعية في جمل الجنس لا في وحدانه **فان قلت** ما المراد بهذا المجموع مع اللام **قلت** الجملة من الاعمال الصحيحة المستقيمة في الدين على حسب حال المؤمن في مواجب التكليف والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه قال زهير ◌ تسقي جنة سحقا ◌ اي نخلا طوالا والتركيب دائر على معنى الستر وكانها لتكاثفها وتظليلها سميت بالجنة التي هي المرة من مصدر جنه اذا ستره كانها سترة واحدة لفرط التفافها وسميت دار الثواب جنة لما فيها من الجنان **فان قلت** الجنة مخلوقة ام لا **قلت** قد اختلف في ذلك والذي يقول انها مخلوقة يستشهد بسكنى آدم وحواء الجنة ومجيئها في القرآن على نهج الاسماء الغالبة اللاحقة بالاعلام كالنبي والرسول والكتاب ونحوها **فان قلت** ما معنى جمع الجنة وتنكيرها **قلت** الجنة اسم لدار الثواب كلها وهي مشتملة على جنان كثيرة مرتبة مراتب على حسب استحقاقات العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان **فان قلت** اما يشترط في استحقاق الثواب بالايمان والعمل الصالح ان لا يحبطهما المكلف بالكفر والاقدام على الكبائر وان لا يندم على ما اوجده من فعل الطاعة وترك المعصية فهلا شرط ذلك **قلت** لما جعل الثواب مستحقا بالايمان والعمل الصالح والبشارة مختصة بمن يتولاهما وركز في المعقولات ان الاحسان انما يستحق فاعله عليه المثوبة والثناء اذا لم يتعقبه بما يفسده ويذهب بحسنه وانه لا يبقى مع وجود مفسده احسانا واعلم بقوله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم وهو اكرم الناس عليه واعزهم لئن اشركت ليحبطن عملك وقال للمؤمنين ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم كان اشتراط حفظهما من الاحباط والندم كالداخل تحت الذكر **فان قلت** كيف صورة جري الانهار من تحتها **قلت** كما ترى الاشجار النابتة على شواطئ الانهار الجارية وعن مسروق ان انهار الجنة تجري في غير اخدود وانزه البساتين واكرمها منظرا ما كانت اشجاره مظللة والانهار في خلالها مطردة ولولا ان الماء الجاري من النعمة العظمى واللذة الكبرى وان الجنان والرياض وان كانت آنق شيء واحسنه لا تروق النواظر ولا تبهج الانفس ولا تجلب الاريحية والنشاط حتى يجري فيها الماء والا كان الانس الاعظم فائتا والسرور الاوفر مفقودا وكانت كتماثيل لا ارواح فيها وصور لا حياة لها لما جاء الله تعالى بذكر الجنات مشفوعا بذكر الانهار الجارية

الصيلم الداهية

من تحتها مستويين على قرار واحد كالشيئين لا بد لأحدهما من صاحبه ولما قدمه على سائر نعوتها والنهر المجرى الواسع
فوق الجدول ودون البحر يقال لبردى نهر دمشق وللنيل نهر مصر واللغة العالية نهَر بفتح الهاء ومدار التركيب
على السعة وإسناد الجري إلى الأنهار من الإسناد المجازي كقولهم بنو فلان يطؤهم الطريق وصيد عليه يومان فإن
قلت لم نكرت الجنات وعرفت الأنهار قلت أما تنكير الجنات فقد ذكر وأما تعريف الأنهار فأن يراد الجنس كما تقول
لفلان بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب وألوان الفواكه تشير إلى الأجناس التي في علم المخاطب أو يراد أنهارها فعوض
التعريف باللام من تعريف الإضافة كقوله واشتعل الرأس شيبا أو يشار باللام إلى الأنهار المذكورة في قوله فيها أنهار من ماء
غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار الآية وقوله كلما رزقوا لا يخلو من أن يكون صفة ثانية لجنات أو خبر مبتدأ
محذوف أو جملة مستأنفة لأنه لما قيل إن لهم جنات لم يخل خلد السامع أن يقع فيه أثمار تلك الجنات أشباه ثمار جنات الدنيا
أم أجناس أخر لا تشابه هذه الأجناس فقيل إن ثمارها أشباه ثمار جنات الدنيا أي أجناسها أجناسها وإن تفاوتت
إلى غاية لا يعلمها إلا الله فإن قلت ما موقع من ثمرة قلت هو كقولك كلما أكلت من بستانك من الرمان شيئا
حمدتك فموقع من ثمرة موقع قولك من الرمان كأنه قيل كلما رزقوا من الجنات من أي ثمرة كانت من تفاحها أو رمانها
أو عنبها أو غير ذلك رزقا قالوا ذلك فمن الأولى والثانية كلتاهما لابتداء الغاية لأن الرزق قد ابتدئ من الجنات
والرزق من الجنات قد ابتدئ من ثمرة وتنزيله تنزيل أن تقول رزقني فلان فيقال لك من أين فتقول من بستانه فيقال من أي ثمرة
رزقك من بستانه فتقول من الرمان وتحريره أن رزقوا جعل مطلقا مبتدأ من ضمير الجنات ثم جعل مقيدا بالابتداء من
ضمير الجنات مبتدأ من ثمرة وليس المراد بالثمرة التفاحة الواحدة أو الرمانة الفذة على هذا التفسير وإنما المراد النوع من أنواع
الثمار ووجه آخر وهو أن يكون من ثمرة بيانا على منهاج قولك رأيت منك أسدا تريد أنت أسد وعلى هذا يصح أن يراد
بالثمرة النوع من الثمار والجناة الواحدة فإن قلت كيف قيل هذا الذي رزقنا من قبل وكيف تكون ذات الحاضر عندهم
في الجنة هي ذات الذي رزقوه في الدنيا قلت معناه هذا مثل الذي رزقناه من قبل وشبهه بدليل قوله وأتوا به متشابها
وهذا كقولك أبو يوسف أبو حنيفة تريد أنه لاستحكام الشبه كأن ذاته ذاته فإن قلت إلام يرجع الضمير في قوله
وأتوا به قلت إلى المرزوق في الدنيا والآخرة جميعا لأن قوله هذا الذي رزقنا من قبل انطوى تحته ذكر ما رزقوه في الدارين
ونظيره قوله تعالى إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما أي بجنسي الغني والفقير لدلالة قوله غنيا أو فقيرا على الجنسين
ولو رجع الضمير إلى المتكلم به لقيل أولى به على التوحيد فإن قلت لأي غرض يتشابه ثمر الدنيا وثمر الجنة وما بال ثمر الجنة
لم يكن أجناسا أخر قلت لأن الإنسان بالمألوف آنس وإلى المعهود أميل وإذا رأى ما لم يألفه نفر عنه طبعه وعافته نفسه
ولأنه إذا ظفر بشيء من جنس ما سلف له به عهد وتقدم له معه ألف ورأى فيه مزية ظاهرة وفضيلة بينة وتفاوتا بينه وبين
ما عهد بليغا أفرط ابتهاجه واغتباطه وطال استعجابه واستغرابه وتبين كنه النعمة فيه وتحقق مقدار الغبطة
به ولو كان جنسا لم يعهد وإن كان فائقا حسب أن ذلك الجنس لا يكون إلا كذلك فلا يتبين موقع النعمة حق التبين فحين أبصروا
الرمانة من رمان الدنيا ومبلغها في الحجم وأن الكبرى لا تفضل عن حد البطيخة الصغيرة ثم يبصرون رمانة الجنة
تشبع السكن والنبقة من نبق الدنيا في حجم الفلكة ثم يرون نبق الجنة كقلال هجر كما رأوا ظل الشجرة من شجر
الدنيا وقدر امتداده ثم يرون الشجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعه كان ذلك أبين للفضل
للمزية وأجلب للسرور وأزيد في التعجب من أن يفاجئوا ذلك الرمان وذلك النبق من غير عهد سابق بجنسهما وترديدهم هذا القول ونطقهم
به عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهي الأمر وتمادي الحال في ظهور المزية وتمام الفضيلة وعلى أن ذلك التفاوت العظيم
هو الذي يستملي تعجبهم ويستدعي تبجحهم في كل أوان عن مسروق نخل الجنة نضيد من أصلها إلى فرعها وثمرها أمثال
القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها أخرى وأنهارها تجري في غير أخدود والعنقود اثنا عشر ذراعا ويجوز أن يرجع الضمير في وأتوا به
إلى الرزق كما أن هذا إشارة إليه ويكون المعنى أن ما يرزقونه من ثمرات الجنة يأتيهم متجانسا في نفسه كما يحكى عن الحسن
يؤتى أحدهم بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بالأخرى فيقول هذا الذي أتينا به من قبل فيقول الملك كل فاللون واحد
والطعم مختلف وعنه عليه السلام والذي نفس محمد بيده إن الرجل من أهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي بواصلة إلى فيه
حتى يبدل الله مكانها مثلها فإذا أبصروها والهيئة هيئة الأولى قالوا ذلك والتفسير الأول هو هو فإن قلت كيف موقع قوله وأتوا به
متشابها من نظم الكلام قلت هو كقولك فلان أحسن بفلان ونعم ما فعل ورأى من الرأي كذا وكان صوابا ومنه
قوله تعالى وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون وما أشبه ذلك من الجمل التي تساق في الكلام معترضة للتقرير
والمراد بتطهير الأزواج أن طهرن مما يختص بالنساء من الحيض والاستحاضة وما لا يختص بهن من الأقذار والأدناس ويجوز
لمجيئه مطلقا أن يدخل تحته الطهر من دنس الطباع وطبع الأخلاق الذي عليه نساء الدنيا مما يكتسبن بأنفسهن ومما يأخذنه
من أعراق السوء والمناصب الرديئة والمناشئ المفسدة ومن سائر عيوبهن ومثالبهن وخبثهن وكيدهن فإن قلت

الصفحه

فهلا جاءت مجموعة كالموصوف قلت هما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلن وهن فاعلات وفواعل والنساء فعلت وهي فاعلة ومنه
بيت الحماسة ☆ وإذا العذارى بالدخان تقنعت ☆ واستعجلت نصب القدور فملت ☆ والمعنى وجماعة أزواج مطهرة وقرأ زيد
بن علي رضي الله عنه مطهرات وقرأ عبيد بن عمير مطهرة بمعنى متطهرة وفي كلام بعض العرب ما أحوجني إلى بيت الله فأطهر به
إطهرة أي فأتطهر به تطهرة فإن قلت هلا قيل طاهرة قلت في مطهرة فخامة لصفتهن ليست في طاهرة وهي الإشعار بأن مطهرا
طهرهن وليس ذلك إلا الله عز وجل المريد بعباده الصالحين أن يخولهم كل مزية فيما أعد لهم والخلد الثبات الدائم والبقاء
اللازم الذي لا ينقطع قال الله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون وقال امرؤ القيس ☆ ألا انعم صباحا
أيها الطلل البالي ☆ وهل ينعمن من كان في العصر الخالي ☆ وهل ينعمن إلا سعيد مخلد ☆ قليل الهموم ما يبيت بأوجال ☆
شبه هذه الآية لبيان أن ما استنكره الجهلة والسفهاء وأهل العناد والمراء من الكفار واستغربوه من أن تكون المحقرات
من الأشياء مضروبا بها المثل ليس بموضع للاستنكار والاستغراب من قبل أن التمثيل إنما يصار إليه لما فيه من كشف المعنى ورفع
الحجاب عن الغرض المطلوب وإدناء المتوهم من المشاهد فإن كان المتمثل له عظيما كان المتمثل به مثله وإن كان حقيرا كان المتمثل
كذلك فليس العظم والحقارة في المضروب به المثل إذن إلا أمرا تستدعيه حال المتمثل له وتستجره إلى نفسها فيعمل الضارب
للمثل على حسب تلك القضية ألا ترى إلى الحق لما كان واضحا جليا أبلج كيف تمثل له بالضياء والنور وإلى الباطل لما كان بضد صفته
كيف تمثل له بالظلمة ولما كانت حال الآلهة التي جعلها الكفار أندادا لله لا حال أحقر منها وأقل ولذلك جعل بيت العنكبوت
مثلها في الضعف والوهن وجعلت أقل من الذباب وأخس قدرا وضربت لها البعوضة فالذي دونها مثلا لم يستنكر ولم يستبدع
ولم يقل للمتمثل استحي من تمثيلها بالبعوضة لأنه مصيب في تمثيله محق في قوله سائق للمثل على قضية مضربه محتذ على مثال ما
يحتكمه ويستدعيه ولبيان أن المؤمنين الذين عادتهم الإنصاف والعمل على العدل والتسوية والنظر في الأمور بناظر العقل
إذا سمعوا بمثل هذا التمثيل علموا أنه الحق الذي لا تمر الشبهة بساحته والصواب الذي لا يرتع الخطأ حوله وأن الكفار الذين غلبهم
الجهل على عقولهم وغصبهم على بصائرهم فلا يتفطنون ولا يلقون أذهانهم أو عرفوا أنه الحق إلا أن حب الرياسة وهوى
الإلف والعادة لا يخليهم أن ينصفوا فإذا سمعوه عاندوا وكابروا وقضوا عليه بالبطلان وقابلوه بالإنكار وأن ذلك سبب
زيادة هدى المؤمنين وانهماك الفاسقين في غيهم وضلالهم والعجب منهم كيف أنكروا ذلك وما زال الناس يضربون الأمثال
بالبهائم والطيور وأحناش الأرض والحشرات والهوام وهذه أمثال العرب بين أيديهم مسيرة في حواضرهم وبواديهم
قد تمثلوا فيها بأحقر الأشياء فقالوا أجمع من ذرة وأجرأ من الذباب وأسمع من قراد وأصرد من جرادة وأضعف من فراشة وآكل
من السوس وقالوا في البعوضة أضعف من بعوضة وأعز من مخ البعوض وكلفتني مخ البعوض ولقد ضربت الأمثال في الإنجيل
بالأشياء المحقرة كالزوان والنخالة وحبة الخردل والحصاة والأرضة والدود والزنابير والتمثيل بهذه الأشياء وبأحقر منها
مما لا تغبى استقامته وصحته على من به أدنى مسكة ولكن ديدن المحجوج المبهوت الذي لا يبقى له متمسك بدليل ولا متشبث
بأمارة ولا إقناع أن يرمي لفرط الحيرة والعجز عن إعمال الحيلة بدفع الواضح وإنكار المستقيم وقتادة لما ذكر الله الذباب والعنكبوت
في كتابه وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فأنزل الله هذه الآية والحياء تغير
وانكسار يعتري الإنسان من تخوف ما يعاب به ويذم واشتقاقه من الحياة يقال حيي الرجل كما يقال نسي وخشي وشظي الفرس
إذا اعتلت هذه الأعضاء جعل الحيي لما يعتريه من الانكسار والتغير منتكس القوة منتقص الحياة كما قالوا فلان هلك حياء
من كذا ومات حياء ورأيت الهلاك في وجهه من شدة الحياء وذاب حياء وجمد في مكانه خجلا فإن قلت كيف جاز وصف القديم
سبحانه به ولا يجوز عليه التغير والخوف والذم وذلك في حديث سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله حيي كريم
يستحيي إذا رفع العبد إليه يديه أن يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا قلت هو جار على سبيل التمثيل مثل تركه تخييب العبد وأنه
لا يرد يديه صفرا من عطائه لكرمه بترك من يترك رد المحتاج إليه حياء منه وكذلك قوله إن الله لا يستحيي أي لا يترك ضرب المثل
بالبعوضة ترك من يستحيي أن يتمثل بها لحقارتها ويجوز أن تقع هذه العبارة في كلام الكفرة فقالوا أما يستحيي رب محمد أن يضرب
مثلا بالذباب والعنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة وإطباق الجواب على السؤال وهو فن من كلامهم بديع وطراز عجيب منه قول أبي تمام
من مبلغ أفناء يعرب كلها ☆ أني بنيت الجار قبل المنزل ☆ وشهد رجل عند شريح فقال إنك لسبط الشهادة فقال الرجل إنها لم
تجعد عني فقال لله بلادك وقبل شهادته فالذي سوغ بناء الجار وتجعيد الشهادة هو مراعاة المشاكلة ولولا بناء الدار لم يصح بناء الجار
وسبوطة الشهادة لامتنع تجعيدها ولله در أمر التنزيل وإحاطته بفنون البلاغة وشعبها لا تكاد تستغرب منها فنا إلا عثرت عليه فيه
على أقوم مناهجه وأسد مدارجه وقد استعير الحياء فيما لا يصح فيه ☆ إذا ما استحين الماء يعرض نفسه ☆ كرعن بسبت في إناء من
وقرئ يستحي بياء واحدة وفيه لغتان التعدي بالجار والتعدي بنفسه يقولون استحييت منه واستحييته
وهما محتملتان هنا وضرب المثل اعتماله وصنعه من ضرب اللبن وضرب الخاتم وفي الحديث اضطرب رسول الله خاتما من ذهب وما
هذه إبهامية وهي التي إذا اقترنت باسم نكرة أبهمته إبهاما وزادته شياعا وعموما كقولك أعطني كتابا تريد أي كتاب كان أو

مثله للتاكيد كالتي في قوله فبما نقضهم ميثاقهم كأنه قيل لا يستحيي أن يضرب مثلا حقا أو البتة هذا إذا نصبت بعوضة فإن
رفعتها فهي موصولة صلتها الجملة لأن التقدير هو بعوضة فحذف صدر الجملة كما حذف في تماما على الذي أحسن ووجه آخر
حسن جيد وهو أن تكون التي فيها معنى الاستفهام لما استنكفوا من تمثيل الله عز وجل لأصنامهم بالمحقرات قال إن الله لا يستحيي
أن يضرب مثلا للأنداد ما شاء من الأشياء المحقرة مثلا بله البعوضة فما فوقها كما يقال فلان لا يبالي بما وهب ما دينار ودينارات
والمعنى أن الله يمثل للأنداد وحقارة شأنها بما لا شيء أصغر منه وأقل كما لو تمثل بالجزء الذي لا يتجزأ أو بما لا يدرك لتناهيه
في صغره إلا هو وحده للطفه أو بالمعدوم كما تقول العرب فلان أقل من لا شيء في العدد ولقد ألم به قوله تعالى إن الله يعلم ما يدعون
من دونه من شيء وهذه القراءة تعزى إلى رؤبة بن العجاج وهو أمضغ العرب للشيح والقيصوم المشهود له بالفصاحة وكانوا
يشبهون به الحسن وما أظنه ذهب في هذه القراءة إلا إلى هذا الوجه وهو المطابق لفصاحته وانتصب بعوضة بأنها عطف بيان
لمثلا أو مفعول ليضرب ومثلا حال عن النكرة مقدمة عليه أو انتصبا مفعولين فجرى يضرب مجرى جعل واشتقاق البعوض من
البعض وهو القطع كالبضع والعضب يقال بعضه البعوض وأنشد ۞ لنعم البيت بيت أبي دثار ۞ إذا ما خاف بعض القوم بعضا
ومنه بعض الشيء لأنه قطعة منه والبعوض في أصله صفة على فعول كالقطوع فغلبت وكذلك الخموش فما فوقها
فيه معنيان أحدهما فما تجاوزها وزاد عليها في المعنى الذي ضربت فيه مثلا وهو القلة والحقارة نحو قولك لمن يقول فلان أسفل الناس
وأنذلهم هو فوق ذلك تريد هو أبلغ وأعرق فيما وصف به من السفالة والنذالة والثاني فما زاد عليها في الحجم كأنه قصد بذلك
رد ما استنكروه من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت لأنهما أكبر من البعوضة كما تقول لصاحبك وقد ذكر من عرفته يشح
بالدرهم إنه يبخل بالدرهم والدرهمين هو لا يبالي أن يبخل بدرهم فما فوقه يريد بما فوقه ما يبخل فيه والدرهم والدرهمان
أعز من الدرهم والدرهمين ونحوه في الاحتمالين ما سمعناه في صحيح مسلم عن إبراهيم عن الأسود قال دخل شباب
من قريش على عائشة وهي بمنى وهم يضحكون فقالت ما يضحككم فقالوا فلان خر على طنب فسطاط فكادت عنقه أو عينه أن
تذهب فقالت لا تضحكوا فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا كتبت له بها
درجة ومحيت عنه بها خطيئة يحتمل فما عدا الشوكة وتجاوزها في القلة وهو نحو نخبة النملة في قوله عليه السلام في قوله ما
أصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة وهي عضتها ويحتمل ما هو أشد من الشوكة وأوجع كالخرور
فإن قلت كيف يضرب المثل بما دون البعوضة وهي النهاية في الصغر قلت ليس كذلك فإن جناح
البعوضة أصغر منها بدرجات وقد ضربه رسول الله مثلا للدنيا وفي خلق الله حيوان أصغر منها ومن جناحها ربما
رأيت في تضاعيف الكتب العتيقة دويبة لا يكاد يجليها للبصر الحاد إلا تحركها فإذا سكنت فالسكون يواريها ثم إذا لوحت
لها بيدك حادت عنها وتجنبت مضرتها فسبحان من يدرك صورة تلك وأعضاءها الظاهرة والباطنة وتفاصيل خلقتها ومبصرها
ومصيرها ولعل في خلقه ما هو أصغر منها وأصغر سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم
ومما لا يعلمون وأنشدت لبعضهم ۞ يا من يرى مد البعوض جناحها ۞ في ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى عروق نياطها في نحرها ۞ والمخ في تلك العظام النحل ۞ اغفر لعبد تاب من فرطاته ۞ ما كان منه في الزمان الأول ۞
وأما حرف فيه معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء وفائدته في الكلام أن يعطيه فضل توكيد تقول زيد ذاهب فإذا قصدت توكيده
وأنه لا محالة ذاهب وأنه بصدد الذهاب قلت أما زيد فذاهب ولذلك قال سيبويه في تفسيره مهما يكن من شيء فزيد ذاهب وهذا التفسير مدل بفائدتين بيان كونه توكيدا و
أنه في معنى الشرط ففي إيراد الجملتين مصدرتين به وإن لم يقل فالذين آمنوا يعلمون والذين كفروا يقولون إحماد عظيم لأمر المؤمنين
واعتداد بعلمهم أنه الحق ونعي على الكافرين إغفالهم حظهم وعنادهم ورميهم بالكلمة الحمقاء والحق الثابت الذي لا يسوغ
إنكاره يقال حق الأمر إذا ثبت ووجب وحقت كلمة ربك وثوب محقق محكم النسج وماذا فيه وجهان أن تكون ذا اسما موصولا
بمعنى الذي وأن تكون ذا مركبة مع ما مجعولين اسما واحدا فيكون كلمة واحدة فهو على الوجه الأول مرفوع
المحل على الابتداء وخبره ذا مع صلته وعلى الثاني منصوب المحل في حكم ما وحده لو قلت ما أراد الله والأصوب في جوابه أن يجيء
على الأول مرفوعا وعلى الثاني منصوبا ليطابق الجواب السؤال وقد جوزوا عكس ذلك كما تقول في جواب من قال ما رأيت خير
أي المرئي خير وما الذي رأيت خيرا أي رأيت خيرا وقرئ قوله تعالى ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو بالرفع والنصب
والإرادة نقيض الكراهة وهي مصدر أردت الشيء إذا طلبته نفسك ومال إليه قلبك وفي حدود المتكلمين الإرادة
معنى يوجب للحي حالا لأجلها يقع منه الفعل على وجه دون وجه وقد اختلفوا في إرادة الله فبعضهم على أن للباري مثل صفة المريد
منا التي هي القصد وهو أمر زائد على كونه عالما غير ساه وبعضهم على أن معنى إرادته لأفعاله أنه فعلها وهو غير ساه ولا مكره
ومعنى إرادته لأفعال غيره أنه أمر بها والضمير في أنه الحق للمثل أو لأن يضرب وفي قولهم ماذا أراد الله بهذا استرذال واستحقار
كما قالت عائشة في عبد الله بن عمرو بن العاص يا عجبا لابن عمرو هذا ومثلا نصب على التمييز كقولك لمن أجاب بجواب غث ماذا أردت
بهذا جوابا ولمن حمل سلاحا رديا كيف تنتفع بهذا سلاحا أو على الحال كقوله هذه ناقة الله لكم آية وقوله يضل به كثيرا

ويهدي

ويهدي به كثيرا جار مجرى التفسير والبيان للجملتين المصدرتين بأما وأن فريق العالمين بأنه الحق وفريق الجاهلين المستهزئين به
كلاهما موصوف بالكثرة وأن العلم بكونه حقا من باب الهدى الذي ازداد به المؤمنون نورا إلى نورهم وأن الجهل بحسن مورده من
باب الضلالة التي زادت الجهلة خبطا في ظلماتهم فإن قلت لم وصف المهديون بالكثرة والقلة صفتهم وقليل من عبادي الشكور
وقليل ما هم الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة وجدت الناس أخبر تقله قلت أهل الهدى كثير في أنفسهم وحين يوصفون
بالقلة إنما يوصفون بها بالقياس إلى أهل الضلال وأيضا فإن القليل من المهديين كثير في الحقيقة وإن قلوا في الصورة فسموا ذهابا إلى الحقيقة
كثيرا ۞ إن الكرام كثير في البلاد وإن ۞ قلوا كما غيرهم قل وإن كثروا ۞ وإسناد الإضلال إلى الله تعالى إسناد الفعل
إلى السبب لأنه لما ضرب المثل فضل به قوم واهتدى به قوم تسبب لضلالهم وهداهم وعن مالك بن دينار رحمه الله أنه دخل على
محبوس قد أخذ بمال عليه وقيد فقال يا أبا يحيى أما ترى ما نحن فيه من القيود فرفع مالك رأسه فرأى سلة فقال لمن هذه السلة
فقال لي فأمر بها تنزل فإذا دجاج وأخبصة فقال مالك هذه التي وضعت القيود على رجلك وقرأ زيد بن علي رضي الله عنه يضل
به كثير وكذلك وما يضل به إلا الفاسقون والفسق الخروج عن القصد قال رؤبة ۞ فواسقا عن قصدها جوائرا ۞
والفاسق في الشريعة الخارج عن أمر الله بارتكاب الكبيرة وهو النازل بين المنزلتين أي بين منزلة المؤمن والكافر وقالوا إن أول
من حد له هذا الحد أبو حذيفة واصل بن عطاء رضي الله عنه وعن أشياعه وكونه بين بين أن حكمه حكم المؤمن في أنه يناكح ويوارث
هب ويغسل ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين وهو كالكافر في الذم واللعن والبراءة منه واعتقاد عداوته وأن لا تقبل له شهادة ومذهب
مالك بن أنس والزيدية أن الصلاة لا تجزي خلفه ويقال للخلعاء من الكفرة الفسقة وقد جاء الاستعمالان في كتاب الله تعالى بئس
الاسم الفسوق بعد الإيمان يريد اللمز والتنابز إن المنافقين هم الفاسقون الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه
ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون ۝ النقض الفسخ وفك التركيب فإن
قلت من أين ساغ استعمال النقض في إبطال العهد قلت من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من ثبات
الوصلة بين المتعاهدين ومنه قول ابن التيهان في بيعة العقبة يا رسول الله إن بيننا وبين القوم حبالا ونحن قاطعوها فنخشى إن
أعزك الله وأظهرك أن ترجع إلى قومك وهذا من أسرار البلاغة ولطائفها أن يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار ثم يرمزوا
جت إليه بذكر شيء من روادفه فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه ونحوه قولك شجاع يفترس أقرانه وعالم يغترف منه الناس وإذا تزوج
امرأة فاستوثق بها لم يقل هذا إلا وقد نبهت على الشجاع والعالم بأنهما أسد وبحر وعلى المرأة بأنها فراش والعهد الموثق وعهد إليه
في كذا إذا وصاه به ووثقه عليه واستعهد منه إذا اشترط عليه واستوثق منه والمراد بهؤلاء الناقضين لعهد الله أحبار اليهود
المتعنتون أو منافقوهم أو الكفار جميعا فإن قلت فما المراد بعهد الله قلت ما ركز في عقولهم من الحجة على التوحيد كأنه
أمر وصاهم به ووثقه عليهم وهو معنى قوله وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم أو أخذ الميثاق عليهم بأنهم إذا بعث
إليهم رسول يصدقه الله بمعجزاته صدقوه واتبعوه ولم يكتموا ذكره فيما تقدمه من الكتب المنزلة عليهم كقوله وأوفوا بعهدي
أوف بعهدكم وقوله في الإنجيل لعيسى صلوات الله عليه سأنزل عليك كتابا فيه نبأ بني إسرائيل وما أريته إياهم من الآيات وما أنعم
عليهم وما نقضوا عليهم من ميثاقهم النبي وانقوا به وما صنعوا من عهد إليهم وحتى ضيعته للذين قالوا ميثاق الله وأوفوا بعهده
وبصرته إياهم وكيف أنذر لسانه ونعته بالذي عدروا ونقضوا ميثاقه ولم يوفوا بعهده لبني اليهود وقالوا إن عيسى ما فعلوا بأبيهم
هم محمد صلى الله عليه وعلى آله من التحريف والجحود وكفروا به كما كفروا به وقيل هو الله أخذ العهد عليهم أن لا يسفكوا دما
ولا يبغي بعضهم على بعض ولا يقطعوا أرحامهم وقيل عهد الله إلى خلقه ثلاثة عهود العهد الأول الذي أخذه على جميع ذرية
ب آدم عليه السلام الإقرار بربوبيته وهو قوله وإذ أخذ ربك من بني آدم وعهد خص به النبيين أن يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين
ولا يتفرقوا فيه وهو قوله وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم وعهد خص به العلماء وهو قوله وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب
لتبيننه للناس ولا تكتمونه والضمير في ميثاقه للعهد وهو ما وثقوا به عهد الله من قبوله وإلزامه أنفسهم ويجوز أن يكون
بمعنى توثقته كما أن الميعاد والميلاد بمعنى الوعد والولادة ويجوز أن يرجع الضمير إلى الله أي من بعد توثيقه عليهم أو من
بعد ما وثق به عهده من آياته وكتبه وإنذار رسله ومعنى قطعهم ما أمر الله به أن يوصل قطعهم الأرحام وموالاة المؤمنين قطعهم
وقيل قطعهم ما بين الأنبياء من الوصلة والاتحاد والاجتماع على الحق في إيمانهم ببعض وكفرهم ببعض فإن قلت ما الأمر
طلب الفعل ممن هو دونك وبعثه عليه وبه سمي الأمر الذي هو واحد الأمور لأن الداعي الذي يبعث عليه من يتولاه بأمر به
فقيل له أمر تسمية للمفعول به بالمصدر كأنه مأمور به كما قيل له شأن والشأن الطلب والقصد يقال شأنت شأنه أي قصدت
قصده هم الخاسرون لأنهم استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل والفساد بالصلاح وعقابها بثوابها كيف تكفرون بالله
وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون ۝ معنى الهمزة التي في كيف مثله في قولك أتكفرون
بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعو إلى الإيمان وهو الإنكار والتعجب ونظيره قولك أتطير بغير جناح فإن
قلت قولك أتطير بغير جناح إنكار للطيران لأنه مستحيل بغير جناح وأما الكفر فغير مستحيل مع ما ذكر من الإماتة والإحياء

شبههم

قلت قد اخرج في صورة المستخبر ما قوي من الصارف عن الكفر والداعي الى الايمان فان قلت قد تبين امر الهمزة انها لانكار الفعل والايذان باستحالته او لقوة الصارف عنه فما تقول في كيف حيث كان انكارا للحال التي يقع عليها كفرهم قلت حال الشي تابعة لذاته فاذا امتنع ثبوت الذات تبعه امتناع ثبوت الحال فكان انكار حال الكفر لانها تتبع ذات الكفر ورديفها انكارا لذات الكفر وثباتها على طريق الكناية وذلك اقوى لانكار الكفر وابلغ وتحريره انه اذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها وقد علم ان كل موجود لا ينفك من حال وصفة عند وجوده ومحال ان يوجد بغير صفة من الصفات كان انكارا لوجوده على الطريق البرهاني والواو في قوله وكنتم امواتا للحال فان قلت فكيف صح ان يكون حالا وهو ماض ولا يقال جئت وقام الامير ولكن وقد قام الا ان يضمر قد قلت لم تدخل الواو على كنتم امواتا وحده ولكن على جملة قوله وكنتم امواتا الى ترجعون كانه قيل كيف تكفرون بالله وقصتكم هذه وحالكم انكم كنتم امواتا نطفا في اصلاب ابائكم فجعلكم احيا ثم يميتكم بعد هذه الحيوة ثم يحييكم بعد الموت ثم يحاسبكم فان قلت بعض القصة ماض وبعضها مستقبل والماضي والمستقبل كلاهما لا يصح ان يقع حالا حتى يكون فعلا حاضرا وقت وجود ما هو حال عنه فما الحاضر الذي وقع حالا قلت هو العلم بالقصة كانه قيل كيف تكفرون وانتم عالمون بهذه القصة فما وجه صحته قلت قد ذكرنا ان معنى الاستفهام في كيف الانكار وان انكار الحال متضمن لانكار الذات على سبيل الكناية فكانه قيل ما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان قلت ان اتصل علمهم بانهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم فلم يتصل بالاحيا الثاني والرجوع قلت قد تمكنوا من العلم بهما بالدلايل الموصلة اليه فكان ذلك بمنزلة حصول العلم وكثير منهم علموا ثم عاندوا والاموات جمع ميت كالاقوال جمع قيل فان قلت كيف قيل لهم اموات في حال كونهم جمادا وانما يقال ميت فيما تصح فيه الحيوة من البنى قلت بل يقال ذلك لعادم الحيوة كقوله بلدة ميتا واية لهم الارض الميتة اموات غير احيا ويجوز ان يكون استعارة لاجتماعهما في ان لا روح ولا احساس فان قلت ما المراد بالاحيا الثاني قلت يجوز ان يراد به الاحيا في القبر وبالرجوع النشور وان يراد به النشور وبالرجوع المصير الى الجزا فان قلت لم كان العطف الاول بالفا والاعقاب بثم قلت لان الاحيا الاول قد تعقب الموت بغير تراخ واما الموت فقد تراخى عن الاحيا والاحيا الثاني كذلك متراخ عن الموت ان اريد به النشور تراخيا ظاهرا وان اريد به احيا القبر فمنه يكتسب العلم بتراخيه والرجوع الى الجزا ايضا متراخ عن النشور فان قلت من اين اتصل انكار اجتماع الكفر مع القصة التي ذكرها الا انها مشتملة على ايات بينات تصرفهم عن الكفر ام على نعم جسام حقها ان تشكر ولا تكفر قلت تحتمل الامرين جميعا لان ما عدده ايات وهي مع كونها ايات من اعظم النعم هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السما فسواهن سبع سموات لكم لاجلكم ولانتفاعكم به في دنياكم ودينكم اما الانتفاع الدنيوي فظاهر واما الانتفاع الديني فالنظر فيه وما فيه من عجايب الصنع الدال على القادر الحكيم وما فيه من التذكير بالاخرة وثوابها وعقابها لاشتماله على اسباب الانس واللذة من فنون المطاعم والمشارب والفواكه والمناكح والمراكب والمناظر الحسنة البهية وعلى اسباب الوحشة والمشقة من انواع المكاره كالنيران والصواعق والسباع والاحناش والسموم والغموم والمخاوف وقد استدل بقوله خلق لكم على ان الاشيا التي يصح ان ينتفع بها ولم تجر مجرى المحظورات في العقل خلقت في الاصل مباحة مطلقا لكل احد ان يتناولها ويستنفع بها فان قلت هل لقول من زعم ان المعنى خلق لكم الارض وما فيها وجه صحة قلت ان اراد بالارض الجهات السفلية دون الغبرا كما تذكر السما وتريد الجهات العلوية جاز ذلك فان الغبرا وما فيها واقعة في الجهات السفلية وجميعا نصب على الحال من الموصول الثاني والاستوا الاعتدال والاستقامة يقال استوى العود وغيره اذا قام واعتدل ثم قيل استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شي ومنه استعير قوله ثم استوى الى السما اي قصد اليها بارادته ومشيته بعد خلق ما في الارض من غير ان يريد فيما بين ذلك خلق شي اخر والمراد بالسما جهات العلو كانه قيل ثم استوى الى فوق والضمير في فسواهن ضمير مبهم وسبع سموات تفسيره كقولهم ربه رجلا وقيل الضمير راجع الى السما والسما في معنى الجنس وقيل جمع سماة والوجه العربي هو الاول ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن وتقويمه واخلاؤه من العوج والفطور او اتمام خلقهن وهو بكل شي عليم فمن ثم خلقهن خلقا مستويا محكما من غير تفاوت مع خلق ما في الارض على حسب حاجات اهلها ومنافعهم ومصالحهم فان قلت ما فسرت به معنى الاستوا الى السما يناقضه ثم لاعطايه معنى التراخي والمهلة قلت ثم هاهنا لما بين الخلقين من التفاوت وفضل خلق السموات على خلق الارض لا للتراخي في الوقت كقوله ثم كان من الذين امنوا على انه لو كان لمعنى التراخي في الوقت لم يلزم ما اعترض به لان المعنى انه حين قصد الى السما لم يعد ذلك دحاها قلت لا لان جرم الارض تقدم خلقه خلق السما واما دحوها فمتاخر وعن الحسن خلق الله الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض فذلك قوله كانتا رتقا وهو الالتزاق واذ قال ربك للملايكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدما ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون واذ نصب باضمار اذكر ويجوز ان ينتصب بقالوا والملايكة جمع ملاك على الاصل كالشمايل في جمع شمال والحاق التا لتانيث

الجمع

الجمع وجاعل من جعل الذي له مفعولان دخل على المبتدا والخبر وهما قوله في الارض خليفة فكانا مفعوليه ومعناه مصير في الارض خليفة والخليفة من يخلف غيره والمعنى خليفة منكم لانهم كانوا سكان الارض فخلفهم فيها ادم وذريته فان قلت فهلا قيل خلايف او خلفا قلت اريد بالخليفة ادم واستغني بذكره عن ذكر بنيه كما تستغني بذكر ابي القبيلة في قولك مضر وهاشم او اريد من يخلفكم او خلفا يخلفكم فوحد لذلك وقرئ خليقة بالقاف ويجوز ان يريد خليفة مني لان ادم كان خليفة الله في ارضه وكذلك كل نبي انا جعلناك خليفة في الارض فان قلت لاي غرض اخبرهم بذلك قلت ليسالوا ذلك السوال ويجابوا بما اجيبوا به فيعرفوا حكمته في استخلافهم قبل كونهم صيانة لهم عن اعتراض الشبهة في وقت استخلافهم وقيل ليعلم عباده المشاورة في امورهم قبل ان يقدموا عليها وعرضها على ثقاتهم ونصحايهم وان كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنيا عن المشاورة تعجب من ان يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية وهو الحكيم الذي لا يفعل الا الخير ولا يريد الا الخير فان قلت من اين عرفوا ذلك حتى تعجبوا منه وانما هو غيب قلت عرفوه باخبار من الله او من جهة اللوح او ثبت عليهم ان الملايكة وحدهم هم الخلق المعصومون وكل خلق سواهم ليسوا على صفتهم او قاسوا احد الثقلين على الاخر حيث اسكنوا الارض فافسدوا فيها قبل سكنى الملايكة وقرئ ويسفك بضم الفا ويسفك من اسفك ويسفك والواو في ونحن للحال كما تقول اتحسن الى فلان وانا احق منه بالاحسان والتسبيح تبعيد الله من السوء وكذلك تقديسه من سبح في الارض والما وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد وبحمدك في موضع الحال اي نسبح حامدين لك وملتبسين بحمدك لانه لولا انعامك علينا بالتوفيق واللطف لم نتمكن من عبادتك اعلم ما لا تعلمون اي اعلم من المصالح في ذلك ما هو خفي عليكم فان قلت هلا بين لهم تلك المصالح قلت كفى العباد ان يعلموا ان افعال الله كلها حسنة وحكمة وان خفي عليهم وجه الحسن والحكمة على انه قد بين لهم بعض ذلك فيما اتبعه من قوله وعلم ادم الاسما كلها ثم عرضهم على الملايكة فقال انبوني باسما هولا ان كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم قال يا ادم انبيهم باسمايهم فلما انباهم باسمايهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون واشتقاقهم ادم من الادمة ومن اديم الارض نحو اشتقاقهم يعقوب من العقب وادريس من الدرس وابليس من الابلاس وما ادم الا اسم عجمي واقرب امره ان يكون على فاعل كازر وعابر وعاتر وشالخ وفالغ واشباه ذلك الاسما كلها اي اسما المسميات فحذف المضاف اليه لكونه معلوما مدلولا عليه بذكر الاسما لان الاسم لا بد له من مسمى وعوض منه اللام كقوله واشتعل الراس فان قلت هلا زعمت انه حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واصله وعلم ادم مسميات الاسما قلت لان التعليم وجب تعليقه بالاسما لا بالمسميات لقوله انبوني باسما هولا انبيهم باسمايهم فلما انباهم باسمايهم فكما علق الانبا بالاسما لا بالمسميات ولم يقل انبوني بهولا وانبيهم بهم وجب تعليق التعليم بها فان قلت فما معنى تعليمه اسما المسميات قلت اراد الاجناس التي خلقها وعلمه ان هذا اسمه فرس وهذا اسمه بعير وهذا اسمه كذا وعلمه احوالها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية وقد علم عجزهم عن الانبا على سبيل التبكيت ان كنتم صادقين يعني في زعمكم اني استخلف في الارض مفسدين سفاكين للدما ارادة للرد عليهم وان فيمن استخلفته من الفوايد العلمية التي هي اصول الفوايد كلها ما تستاهلون لاجله ان تستخلفوا فاراهم بذلك وبين لهم بعض ما اجمل من ذكر المصالح في استخلافهم في قوله اني اعلم ما لا تعلمون وقوله الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض استحضار لقوله لهم اني اعلم ما لا تعلمون الا انه جا به على وجه ابسط من ذلك واشرح وقرئ وعلم ادم على البنا للمفعول وقرا عبد الله عرضهن وقرئ ابي عرضها والمعنى عرض مسمياتهن او مسمياتها لان العرض لا يصح في الاسما وقرئ انبيهم بقلب الهمزة يا وانبهم بحذفها والها مكسورة فيهما واذ قلنا للملايكة اسجدوا لادم السجود لله على سبيل العبادة ولغيره على وجه التكرمة كما سجدت الملايكة لادم وابو يوسف واخوته له ويجوز ان تختلف الاحوال والاوقات فيه وقرا ابو جعفر للملايكة اسجدوا بضم التا للاتباع ولا يجوز استهلاك الحركة الاعرابية بحركة الاتباع الا في لغة ضعيفة كقولهم الحمد لله الا ابليس استثنا متصل لانه كان جنيا واحدا بين اظهر الالوف من الملايكة مغمورا بهم فغلبوا عليه في قوله فسجدوا ثم استثني منهم استثنا واحد منهم ويجوز ان يجعل منقطعا ابى امتنع مما امر به واستكبر عنه وكان من الكافرين من جنس كفرة الجن وشياطينهم فلذلك ابى واستكبر كقوله كان من الجن ففسق عن امر ربه وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شيتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين السكنى من السكون لانها نوع من اللبث والاستقرار وانت تاكيد للمستكن في اسكن ليصح العطف عليه ورغدا وصف للمصدر اي اكلا رغدا واسعا رافها وحيث للمكان المبهم اي اي مكان من الجنة شيتما اطلق لهما الاكل من الجنة على وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلة حين لم يحظر عليهما بعض الاكل ولا بعض المواضع الجامعة للماكولات في الجنة حتى لا يبقى لهما عذر في التناول من شجرة واحدة من بين اشجارها الفايتة للحصر وكانت الشجرة فيما قيل الحنطة او الكرمة او التينة وقرئ ولا تقربا بكسر التا وهذي والشجرة بكسر الشين والشيرة بكسر الشين واليا وعن ابي عمرو انه كرهها وقال يقرا بها برابر مكة وسودانها من الظالمين من الذين ظلموا انفسهم بمعصية الله فتكونا جزم عطف على تقربا او نصب جواب للنهي فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما الضمير في عنها

للشجرة اي حملهما الشيطان على الزلة بسببها وتحقيقه فاصدر الشيطان زلتهما عنها وعن هذه مثلها في قوله وما فعلته
عن امري وقوله يؤفك عنه من افك او فازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما عنها وابعدهما كما تقول زل عني من بيته وذلك
ذاك اذا ذهب عنك وزل من الشهر كذا وقرئ فازالهما فاخرجهما مما كانا فيه من النعيم والكرامة او من الجنة ان كان الضمير
للشجرة في عنها وقرئ عبد الله فوسوس لهما الشيطان عنها وهذا دليل على ان الضمير للشجرة لان المعنى صدر تلك الوسوسة عنها
فان قلت كيف توصل الى ازلالهما ووسوسته لهما بعد ما قيل له اخرج منها فانك رجيم قلت يجوز ان يمنع دخولها على جهة
التقريب والتكرمة كدخول الملائكة ولا يمنع ان يدخل على جهة الوسوسة ابتلاء لآدم وحواء وقيل كان يدنو من السماء فيكلمهما
وقيل قام عند الباب فنادى وروي انه اراد الدخول فمنعته الخزنة فدخل في فم الحية حتى دخلت به وهم لا يشعرون وقلنا
اهبطوا بعضكم لبعض عدو قيل اهبطوا خطاب لآدم وحواء وابليس وقيل والحية والصحيح انه لآدم وحواء والمراد
هما وذريتهما لانهما لما كانا اصل الانس ومتشعبهم جعلا كانهما الانس كلهم والدليل عليه قوله قال اهبطا منها جميعا بعضكم
لبعض عدو ويدل على ذلك قوله فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار
هم فيها خالدون وما هو الا حكم يعم الناس كلهم ومعنى بعضكم لبعض عدو ما عليه الناس من التعادي والتباغي وتضليل
بعضهم لبعض والهبوط النزول الى الارض ولكم في الارض مستقر موضع استقرار او استقرار ومتاع وتمتع بالعيش الى حين
يريد الى يوم القيامة وقيل الى الموت فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم معنى تلقي الكلمات استقبالها
بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرئ بنصب آدم ورفع الكلمات على انها استقبلته بان بلغته واتصلت به فان
قلت ما هن قلت قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الاية وعن ابن مسعود ان احب الكلام الى الله ما قاله ابونا حين اقترف الخطيئة سبحانك
اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس قال يا
رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال يا رب الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال يا رب الم
تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم واكتفى بذكر توبة آدم دون توبة حواء لانها كانت تبعا له
كما طوي ذكرها في قوله فالا ربنا ظلمنا انفسنا فتاب عليه فرجع عليه بالرحمة والقبول قلنا اهبطوا منها جميعا فاما
ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون فان قلت لم كرر قلنا اهبطوا قلت للتاكيد ولما نيط به من زيادة قوله فاما ياتينكم مني هدى فان قلت
ما جواب الشرط الاول قلت الشرط الثاني مع جوابه كقولك ان جئتني فان قدرت احسنت اليك والمعنى فاما ياتينكم مني
هدى برسول ابعثه اليكم وكتاب انزله عليكم بدليل قوله والذين كفروا وكذبوا باياتنا في مقابلة قوله فمن تبع هداي فان
قلت لم جيء بكلمة الشك واتيان الهدى كائن لا محالة لوجوبه قلت للايذان بان الايمان بالله والتوحيد واجب لما ركب فيهم من
العقول ونصب لهم من الادلة ومكنهم من النظر والاستدلال فان قلت الخطيئة التي اهبط بها آدم ان كانت كبيرة فالكبيرة
لا تجوز على الانبياء وان كانت صغيرة فلم جرى عليه ما جرى بسببها من نزع اللباس والاخراج من الجنة والاهباط من السماء كما
فعل بابليس ونسبته الى الغي والعصيان ونسيان العهد وعدم العزيمة والحاجة الى التوبة قلت ما كانت الا صغيرة مغمورة
باعمال قلبه من الاخلاص والافكار الصالحة التي هي اجل الاعمال واعظم الطاعات وانما جرى عليه ما جرى تعظيما للخطيئة وتفظيعا
لشانها وتهويلا ليكون ذلك لطفا له ولذريته في اجتناب الخطايا واتقاء المآثم والتنبيه على انه اخرج من الجنة بخطيئة واحدة فكيف
يدخلها ذو خطايا جمة وقرئ فمن تبع هدى على لغة هذيل ولا خوف بالفتح يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم
واوفوا بعهدي اسرائيل هو يعقوب عليه السلام لقب له ومعناه في لسانهم صفوة الله وقيل عبد الله وهو بزنة ابراهيم
واسمعيل غير منصرف مثلهما لوجود العلمية والعجمة وقرئ اسرال واسرائل وذكرهم النعمة ان لا يخلوا بشكرها وبعتدوا
بها ويستعظموها ويطيعوا مانحها واراد بها ما انعم به على ابائهم مما عدد عليهم من الانجاء من فرعون وعذابه ومن الغرق ومن
العفو عن اتخاذ العجل والتوبة عليهم وغير ذلك وما انعم به عليهم من ادراك زمن محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم المبشر به في
التوراة والانجيل والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد جميعا يقال اوفيت بعهدي اي بما عاهدت عليه كقوله ومن اوفى بعهده
من الله واوفيت بعهدك اي بما عاهدتك عليه ومعنى اوفوا بعهدي واوفوا بما عاهدتموني عليه من الايمان بي والطاعة لي كقوله
ومن اوفى بما عاهد عليه الله ومنهم من عاهد الله رجال صدقوا ما عاهدوا الله اوف بعهدكم بما عاهدتكم عليه من حسن
الثواب على حسناتكم واياي فارهبون فلا تنقضوا عهدي وهو من قولك زيدا رهبته وهو اوكد في افادة الاختصاص
من اياك نعبد وقرئ اوف بالتشديد اي ابالغ في الوفاء بعهدكم كقوله من جاء بالحسنة فله خير منها ويجوز ان يريد بقوله واوفوا
بعهدي ما عاهدوا عليه ووعدوه من الايمان بنبي الرحمة والكتاب المعجز ويدل عليه قوله وآمنوا بما انزلت مصدقا لما
معكم ولا تكونوا اول كافر به اول من كفر به او اول فريق او فوج كافر به او ولا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك
كسانا حلة اي كل واحد منا وهذا تعريض بانه كان يجب ان تكونوا اول من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته ولانهم كانوا المبشرين

بزمان من اوحي اليه والمستفتحين على الذين كفروا به وكانوا يعدون اتباعه اول الناس كلهم فلما بعث كان امرهم على العكس كقوله
لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينة الى قوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم
البينة فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ويجوز ان يراد ولا تكونوا مثل اول كافر به يعني من اشرك به من اهل مكة اي ولا تكونوا وانتم تعرفونه
مذكورا في التوراة موصوفا مثل من لم يعرفه وهو مشرك لا كتاب له وقيل الضمير في به لما معكم لانهم اذا كفروا بما يصدقه فقد
كفروا به ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا واياي فاتقون والاشتراء استعارة للاستبدال كقوله اشتروا الضلالة بالهدى وقوله
كما اشترى المسلم اذ تنصرا وقوله فاني شريت الحلم بعدك بالجهل يعني لا تستبدلوا باياتي ثمنا قليلا والا فالثمن هو المشترى به والثمن
القليل الرياسة التي كانت لهم في قومهم خافوا عليها الفوات لو اصبحوا اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فاستبدلوها وهي
بدل قليل ومتاع يسير باياة الله وبالحق الذي كل كثير اليه قليل وكل كبير اليه حقير فما بال القليل الحقير وقيل كانت عامتهم
يعطون احبارهم من زروعهم وثمارهم ويهدون اليهم الهدايا ويرشونهم الرشى على تحريفهم الكلم وتسهيلهم لهم ما صعب
عليهم من الشرائع وكان ملوكهم يدرون عليهم الاموال ليكتموا او يحرفوا ولا تلبسوا الحق بالباطل الباء التي في الباطل ان كانت
صلة مثلها في قولك لبست الشيء بالشيء وخلطته به كان المعنى ولا تكتبوا في التوراة ما ليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل
الذي كتبتم حتى لا يميز بين حقها وباطلكم وان كانت باء الاستعانة كالتي في قولك كتبت بالقلم كان المعنى ولا تجعلوا
الحق ملتبسا مشتبها بباطلكم الذي تكتبونه وتكتموا الحق جزم داخل تحت حكم النهي بمعنى ولا تكتموا او منصوب
باضمار ان والواو بمعنى الجمع اي ولا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمان الحق كقولك لا تاكل السمك وتشرب اللبن فان
قلت لبسهم وكتمانهم ليسا بفعلين متميزين حتى ينهوا عن الجمع بينهما لانهم اذا لبسوا الحق بالباطل فقد كتموا الحق قلت
بل هما متميزان لان لبس الحق بالباطل ما ذكرنا من كتبتهم في التوراة ما ليس منها وكتمانهم الحق ان يقولوا لا نجد في التوراة
صفة محمد او حكم كذا او يمحوا ذلك او يكتبوه على خلاف ما هو عليه وفي مصحف عبد الله وتكتمون بمعنى كاتمين وانتم تعلمون
في حال علمكم انكم لابسون كاتمون وهو اقبح لهم لان الجهل بالقبيح ربما عذر راكبه واقيموا الصلوة واتوا الزكوة
يعني صلوة المسلمين وزكوتهم واركعوا مع الراكعين منهم لان اليهود لا ركوع في صلاتهم وقيل الركوع الخضوع والانقياد
لما يلزمهم في دين الله ويجوز ان يراد بالركوع الصلوة كما يعبر عنها بالسجود وان يكون امرا بان يصلى مع المصلين يعني في
الجماعة كانه قيل واقيموا الصلوة وصلوها مع المصلين لا منفردين اتامرون الناس بالبر الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجب من
حالهم والبر سعة الخير والمعروف ومنه البر لسعته ويتناول كل خير ومنه قولهم صدقت وبررت وكان الاحبار يامرون
من نصحوه في السر من اقاربهم وغيرهم باتباع محمد ولا يتبعونه وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون واذا اتوا بصدقات
ليفرقوها خانوا فيها وعن محمد بن واسع بلغني ان ناسا من اهل الجنة اطلعوا على ناس من اهل النار فقالوا لهم قد كنتم تامروننا باشياء
عملناها فدخلنا الجنة قالوا كنا نامركم بها ونخالف الى غيرها وتنسون انفسكم وتتركونها من البر كالمنسيات وانتم
تتلون الكتاب تبكيت مثل قوله وانتم تعلمون يعني تتلون التوراة وفيها نعت محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم او فيها الوعيد على
الخيانة وترك البر ومخالفة القول العمل افلا تعقلون توبيخ عظيم بمعنى افلا تفطنون لقبح ما اقدمتم عليه حتى يصدكم
استقباحه عن ارتكابه وكانكم في ذلك مسلوبو العقول لان العقول تاباه وتدفعه ونحوه اف لكم ولما تعبدون
من دون الله افلا تعقلون واستعينوا على حوائجكم الى الله بالصبر والصلوة اي بالجمع بينهما وان تصلوا صابرين
على تكاليف الصلوة محتملين لمشاقها وما يجب فيها من اخلاص القلب وحفظ النيات ودفع الوساوس ومراعاة الاداب والاحتراس
من المكاره مع الخشية والخشوع واستحضار العلم بانه انتصاب بين يدي جبار السموات ليسال فك الرقاب عن سخطه وعذابه
ومنه قوله تعالى وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها او واستعينوا على البلايا والنوائب بالصبر عليها والالتجاء الى الصلوة عند
وقوعها وكان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلوة وعن ابن عباس انه نعي اليه اخوه قثم
وهو في سفر فاسترجع وتنحى عن الطريق وصلى ركعتين اطال فيهما الجلوس ثم قام يمشي الى راحلته وهو يقول واستعينوا
بالصبر والصلوة وقيل الصبر الصوم لانه حبس عن المفطرات ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر ويجوز ان يراد بالصلوة الدعاء
وان يستعان على البلايا بالصبر والالتجاء الى الدعاء والابتهال الى الله في دفعه وانها الضمير للصلوة او للاستعانة ويجوز ان يكون
لجميع الامور التي امر بها بنو اسرائيل ونهوا عنها من قوله اذكروا نعمتي الى واستعينوا لكبيرة لشاقة ثقيلة من قولك كبر
على هذا الامر كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الا على الخاشعين الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون
فان قلت ما لها لم تثقل على الخاشعين والخشوع في نفسه مما يثقل قلت لانهم يتوقعون ما ادخر للصابرين على متاعبها فتهون
عليهم الا ترى الى قوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم اي يتوقعون لقاء ثوابه ونيل ما عنده ويطمعون فيه وفي مصحف عبد الله
يعلمون ومعناه يعلمون انه لا بد من لقاء الجزاء فيعملون على حسب ذلك ولذلك فسر يظنون بيتيقنون واما من لم يوقن بالجزاء
ولم يرج الثواب كانت عليه مشقة خالصة فثقلت عليه كالمنافقين والمرائين باعمالهم ومثاله من وعد على بعض الاعمال

والصانع اجيره اذا بنى على مقدار عمله فتراه يزداد برغبة ونشاط وانشراح صدر ومضاحكة لحاضريه كأنه يستلذ مزاولته خلاف حال عامل يتسخره بعض الظلمة ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جعلت قرة عيني في الصلوة وكان يقول يا بلال روحنا والخشوع الاخبات والتطامن ومنه الخشعة للرملة المطمئنة واما الخضوع فاللين والانقياد ومنه خضعت بقولها اذا لينته **يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين** واني فضلتكم نصب عطف على نعمتي اي اذكروا نعمتي وتفضيلي على العالمين على الجم الغفير من الناس كقوله باركنا فيها للعالمين يقال رأيت عالما من الناس يراد الكثرة **واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل** يوما يريد يوم القيمة لا تجزي لا تقضي عنها شيئا من الحقوق ومنه الحديث في جذعة بن نيار تجزي عنك ولا تجزي عن احد بعدك وشيئا مفعول به ويجوز ان يكون في موضع مصدر اي قليلا من الجزاء كقوله ولا يظلمون شيئا ومن قرأ ولا تجزئ من اجزأ عنه اذا اغنى عنه فلا يكون في قراءته الا بمعنى شيئا من الاجزاء وقرأ ابو السرار الغنوي لا تجزي نسمة عن نسمة شيئا وهذه الجملة منصوبة المحل صفة ليوما **فان قلت** فاين العائد منها الى الموصوف **قلت** هو محذوف تقديره لا تجزي فيه ونحوه ما انشد ابو علي: تروحي اجدر ان تقيلي اي اجدر ان تقيلي فيه ومنهم من ينزل فيقول اتسع فيه فاجري مجرى المفعول به فحذف الجار ثم حذف الضمير كما حذف من قوله او مال اصابوا ومعنى التنكير ان نفسا من الانفس لا تجزي عن نفس منها شيئا من الاشياء وهو الاقناط الكلي القطاع للمطامع وكذلك قوله ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اي فدية لانها معادلة للمفدي ومنه الحديث لا يقبل منه صرف ولا عدل اي توبة ولا فدية وقرأ قتادة ولا يقبل منها شفاعة على بناء الفعل للفاعل وهو الله عز وجل ونصب الشفاعة وقيل كانت اليهود تزعم ان اباءهم الانبياء يشفعون لهم فأويسوا **فان قلت** هل فيه دليل على ان الشفاعة لا تقبل للعصاة **قلت** نعم لانه نفى ان تقضي نفس عن نفس حقا اخلت به من فعل او ترك ثم نفى ان يقبل منها شفاعة شفيع فعلم انها لا تقبل للعصاة **فان قلت** الضمير في لا يقبل منها الى اي النفسين يرجع **قلت** الى الثانية العاصية غير المجزي عنها وهي التي لا يقبل منها عدل ومعنى لا يقبل منها شفاعة ان جاءت بشفاعة شفيع لم يقبل منها ويجوز ان يرجع الى النفس الاولى على انها لو شفعت لها لم يقبل شفاعتها كما لا تجزي عنها شيئا ولو اعطت عدلا لم يؤخذ منها **ولا هم ينصرون** **واذ نجيناكم من آل فرعون** اصل آل اهل ولذلك يصغر باهيل فابدلت هاؤه الفا وخص استعماله باولي الخطر والشأن كالملوك واشباههم ولا يقال آل الاسكاف والحجام وفرعون علم لمن ملك العمالقة كقيصر لمن ملك الروم وكسرى لملك الفرس ولعتو الفراعنة اشتقوا تفرعن فلان اذا عتا وتجبر وفي ملح بعضهم قد جاءه الموسى الكلوم فزاد في افضى تفرعنه وفرط عرامه وقرئ انجيناكم ونجيتكم **يسومونكم** من سامه خسفا اذا اولاه ظلما قال عمرو بن كلثوم: اذا ما الملك سام الناس خسفا ابينا ان نقر الخسف فينا واصله من سام السلعة اذا طلبها كأنه بمعنى يبغونكم **سوء العذاب** ويريدونكم عليه والسوء مصدر السيئ يقال اعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما ومعنى سوء العذاب والعذاب كله سيء اشده وافظعه كأنه قبحه بالاضافة الى سائره **يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم** بيان لقوله يسومونكم ولذلك ترك العاطف كقوله يضاهون قول الذين كفروا وقرأ الزهري يذبحون بالتخفيف كقولك قطعت الثياب وقطعتها وقرأ عبد الله يقتلون وانما فعلوا بهم ذلك لان الكهنة انذروا فرعون بانه يولد مولود يكون على يده هلاكه كما انذر نمرود فلم يغن عنهما اجتهادهما في التحفظ وكان ما شاء الله **وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم** والبلاء المحنة ان اشير بذلكم الى صنيع فرعون والنعمة ان اشير به الى الانجاء **واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم واغرقنا آل فرعون** فرقنا فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم وقرئ فرقنا بمعنى فصلنا يقال فرق بين الشيئين وفرق بين الاشياء لان المسالك كانت اثني عشر على عدد الاسباط **فان قلت** ما معنى بكم **قلت** فيه اوجه ان يراد انهم كانوا يسلكونه ويتفرق الماء عند سلوكهم فكانما فرق بهم كما يفرق بين الشيئين بما يوسط بينهما وان يراد فرقناه بسببكم وبسبب انجائكم وان يكون في موضع الحال بمعنى فرقناه ملتبسا بكم كقوله: تدوس بنا الجماجم والتريبا اي تدوسها ونحن راكبوها وروي ان بني اسرائيل قالوا لموسى اين اصحابنا لا نراهم قال سيروا فانهم على طريق مثل طريقكم قالوا لا نرضى حتى نراهم فقال اللهم اعني على اخلاقهم السيئة فاوحى اليه ان قل بعصاك هكذا فقال بها على الحيطان فصارت فيها كوى فتراءوا وتسامعوا كلامهم **وانتم تنظرون** الى ذلك وتشاهدونه لا تشكون فيه **واذ واعدنا موسى اربعين ليلة ثم اتخذتم العجل** لما دخل بنو اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون اليه وعد الله موسى ان ينزل عليه التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وقيل اربعين ليلة لان الشهور غررها بالليالي وقرئ واعدنا لان الله تعالى وعده الوحي ووعد هو المجيء للميقات الى الطور **من بعده** من بعد مضيه الى الطور **وانتم ظالمون** باشراككم **ثم عفونا عنكم** حين تبتم **من بعد ذلك** من بعد ارتكابكم الامر العظيم وهو اتخاذكم العجل **لعلكم تشكرون** ارادة ان تشكروا النعمة في العفو عنكم **واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون** الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق والباطل يعني التوراة كقولك رأيت الغيث والليث تريد الرجل الجامع بين الجود والجراءة ونحوه قوله ولقد آتينا موسى وهرون

الفرقان

الفرقان وضياء وذكرى يعني الكتاب الجامع بين كونه فرقانا وضياء وذكرى او التوراة والبرهان الفارق بين الكفر والايمان من العصا واليد وغيرهما من الآيات او الشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل الفرقان انفراق البحر وقيل النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان يريد به يوم بدر **واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم** حمل قوله فاقتلوا انفسكم على الظاهر وهو البخع وقيل معناه قتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتلوا العبدة وروي ان الرجل كان يبصر ولده ووالده وجاره وقريبه فلم يمكنهم المضي لامر الله فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون تحتها وامروا ان يحتبوا بافنية بيوتهم ويأخذ الذين لم يعبدوا العجل سيوفهم وقيل لهم اصبروا فلعن الله من مد طرفه او حل حبوته او اتقى بيد او رجل فيقولون آمين فقتلوهم الى المساء حتى دعا موسى وهرون وقالا يا رب هلكت بنو اسرائيل البقية البقية فكشفت السحابة ونزلت التوبة فسقطت الشفار من ايديهم وكانت القتلى سبعين الفا **فان قلت** ما الفرق بين الفاءات **قلت** الاولى للتسبيب لا غير لان الظلم سبب التوبة والثانية للتعقيب لان المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا انفسكم من قبل ان الله تعالى جعل توبتهم قتل انفسهم ويجوز ان يكون القتل تمام توبتهم فيكون المعنى فتوبوا فاتبعوا التوبة القتل تتمة لتوبتكم والثالثة متعلقة بمحذوف ولا يخلو اما ان ينتظم في قول موسى لهم فيتعلق بشرط محذوف كأنه قال فان فعلتم فقد تاب عليكم واما ان يكون خطابا من الله لهم على طريقة الالتفات فيكون التقدير ففعلتم ما امركم به موسى فتاب عليكم بارئكم **فان قلت** من اين اختص هذا الموضع بذكر البارئ **قلت** البارئ هو الذي خلق الخلق بريئا من التفاوت ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ومتميزا بعضه من بعض بالاشكال المختلفة والصور المتباينة فكان فيه تقريع بما كان منهم من ترك عبادة العالم الحكيم الذي برأهم بلطف حكمته على الاشكال المختلفة ابرياء من التفاوت والتنافر الى عبادة البقر التي هي مثل في الغباوة والبلادة في امثال العرب ابلد من ثور حتى عرضوا انفسهم لسخط الله ونزول امره بان يفك ما ركبه من خلقهم وينثر ما نظم من صورهم واشكالهم حين لم يشكروا النعمة في ذلك وغمطوها بعبادة من لا يقدر على شيء منها **واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة** قيل القائلون السبعون الذين صعقوا وقيل قاله عشرة آلاف منهم **جهرة** عيانا وهي مصدر من قولك جهر بالقراءة وبالدعاء كأن الذي يرى بالعين جاهر بالرؤية والذي يرى بالقلب مخافت بها وانتصابها على المصدر لانها نوع من الرؤية فنصبت بفعلها كما نصب القرفصاء بفعل الجلوس او على الحال بمعنى ذوي جهرة وقرئ جهرة بفتح الهاء وهي اما مصدر كالغلبة واما جمع جاهر وفي هذا الكلام دليل على ان موسى عليه السلام رادهم القول وعرفهم ان رؤية ما لا يجوز عليه ان يكون في جهة محال وان من استجاز الرؤية على الله تعالى فقد جعله من جملة الاجسام او الاعراض فرادوه بعد بيان الحجة ووضوح البرهان ولجوا فكانوا في الكفر كعبدة العجل فسلط الله عليهم الصعقة كما سلط على اولئك القتل تسوية بين الكفرين ودلالة على عظمهما بعظم المحنة **فاخذتكم الصاعقة** والصاعقة ما صعقهم اي اماتهم قيل نار وقعت من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة جاءت من السماء وقيل ارسل الله جنودا سمعوا بحسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وموسى عليه السلام لم يمت ولكن غشي عليه بدليل قوله فلما افاق والظاهر انه اصابهم ما ينظرون اليه لقوله **وانتم تنظرون** وقرأ علي رضي الله عنه فاخذتكم الصعقة **ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون** نعمة البعث بعد الموت او نعمة الله بعد ما كفرتموها اذ رأيتم بأس الله في رميكم بالصاعقة واذاقتكم الموت **وظللنا عليكم الغمام وانزلنا عليكم المن والسلوى** وجعلنا الغمام يظلكم وذلك في التيه سخر الله لهم السحاب يسير بسيرهم يظلهم من الشمس وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى وينزل عليهم المن وهو الترنجبين مثل الثلج من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لكل انسان صاع ويبعث الله عليهم الجنوب فتحشر عليهم السلوى وهي السماني فيذبح الرجل منها ما يكفيه كلوا على ارادة القول **كلوا من طيبات ما رزقناكم** على ارادة القول **وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون** يعني فظلموا بان كفروا هذه النعمة وما ظلمونا فاختصر الكلام بحذفه لدلالة وما ظلمونا عليه **واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا** القرية بيت المقدس وقيل اريحا من قرى الشام امروا بدخولها بعد التيه والباب باب القرية وقيل هو باب القبة التي كانوا يصلون اليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى عليه السلام امروا بالسجود عند الانتهاء الى الباب شكرا لله وتواضعا وقيل السجود ان ينحنوا ويتطامنوا داخلين ليكون دخولهم بخشوع واخبات وقيل طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤسهم فلم يخفضوها ودخلوا متزحفين على اوراكهم **وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم** حطة فعلة من الحط كالجلسة والركبة وهي خبر مبتدأ محذوف اي مسألتنا حطة او امرك حطة والاصل النصب بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة وانما رفعت لتعطي معنى الثبات كقوله: صبر جميل فكلانا مبتلى والاصل صبرا علي اصبر صبرا وقرأ ابن ابي عبلة بالنصب على الاصل وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط في هذه القرية ونستقر فيها **فان قلت** هل يجوز ان تنصب حطة في قراءة من نصبها بقولوا على معنى قولوا هذه الكلمة **قلت** لا يبعد والاجود

ان نصب باضمار فعلها وسبب حذف ذلك المضمر نفولوا وقرئ يغفر لكم على البناء للمفعول بالياء والتاء وسنزيد المحسنين
اي من كان محسنا منكم كانت تلك الكلمة سببا في زيادة ثوابه ومن كان مسيئا كانت له توبة ومغفرة فبدل الذين ظلموا
قولا غير الذي قيل لهم اي وضعوا مكان حطة قولا غيرها مع انهم امروا بقول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه الى قول
ليس معناه معنى ما امروا به ولم يمتثلوا امر الله وليس الغرض انهم امروا بلفظ بعينه وهو لفظ الحطة فجاؤوا بلفظ اخر لانهم لو جاؤوا
بلفظ اخر مستقل بمعنى ما امروا به لم يؤاخذوا به كما لو قالوا مكان حطة نستغفرك ونتوب اليك او اللهم اعف عنا وما
اشبه ذلك وقيل قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا اي حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم
وعدولا عن طلب ما عند الله الى طلب ما يشتهون من اغراض الدنيا فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون
وفي تكرير الذين ظلموا زيادة في تقبيح امرهم وايذان بان انزال الرجز عليهم لظلمهم وقد جاء في سورة الاعراف فارسلنا
عليهم على الاضمار والرجز العذاب وقرئ بضم الراء وروي انه مات منهم في ساعة بالطاعون اربعة وعشرون الفا وقيل
سبعون الفا واذ استسقى موسى لقومه لما عطشوا في التيه فقلنا اضرب بعصاك الحجر
واللام اما للعهد والاشارة الى حجر معلوم فقد روي انه حجر طوري حمله معه وكان حجرا مربعا له اربعة اوجه كانت
تنبع من كل وجه ثلاث اعين لكل سبط عين تسيل في جدول الى السبط الذي امر ان يسقيهم وكانوا ستمائة الف وسعة
المعسكر اثنا عشر ميلا او قيل اهبطه ادم من الجنة فتوارثوه حتى وقع الى شعيب فدفعه اليه مع العصا وقيل هو الحجر الذي
وضع عليه ثوبه حين اغتسل اذ رموه بالادرة ففر به فقال له جبريل عليه السلام يقول الله تعالى ارفع هذا الحجر فان فيه قدرة ولك
فيه معجزة فحمله في مخلاته واما للجنس اي اضرب الشيء الذي يقال له الحجر وعن الحسن لم يامره ان يضرب حجرا بعينه قال وهذا اظهر
في الحجة وابين في القدرة وروي انهم قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض ليست فيها حجارة فحمل حجرا في مخلاته فحيث ما نزلوا القاه وقيل
كان يضربه بعصاه فينفجر ويضربه بها فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى اليه لا تقرع الحجارة وكلمها
تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان من رخام وكان ذراعا في ذراع وقيل مثل راس الانسان وقيل كان من اس الجنة طوله
عشرة اذرع على طول موسى وله شعبتان تتقدان في الظلمة وكان يحمل على حمار فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا الفاء متعلقة
بمحذوف اي فضرب فانفجرت او فان ضربت فقد انفجرت كما ذكر في قوله فتاب عليكم وهي على هذا فصيحة لا تقع الا في كلام
بليغ وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان قد علم كل اناس مشربهم عينهم التي يشربون منها كلوا واشربوا
على ارادة القول من رزق الله يريد به ما رزقهم من الطعام وهو المن والسلوى ومن الماء العيون وقيل الماء ينبت منه الزرع فهو رزق
يؤكل منه ويشرب ولا تعثوا في الارض مفسدين والعثي اشد الفساد فقيل لهم لا تمادوا في الفساد في حال فسادكم
لانهم كانوا متمادين فيه واذ قلتم يا موسى لن نصبر كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم فاجتووا ما كانوا عليه من النعمة
وطلبت انفسهم الشقاء على طعام واحد ارادوا ما رزقوا في التيه من المن والسلوى فان قلت هما طعامان فما لهم قالوا على
طعام واحد قلت ارادوا بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدل ولو كان على مائدة الرجل الوان عدة يداوم عليها كل يوم لا يبدلها قيل لا
ياكل فلان الا طعاما واحدا يراد بالوحدة نفي التبدل والاختلاف ويجوز ان يريدوا انهما ضرب واحد لانهما معا من طعام اهل
التلذذ والتترف ونحن قوم فلاحة اهل زراعات فما نريد الا ما الفناه وضرينا به من الاشياء المتفاوتة كالحبوب والبقول ونحو
ذلك ومعنى يخرج لنا يظهر لنا ويوجد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها
وبصلها ومعنى يخرج لنا يظهر ويوجد والبقل ما انبتته الارض من الخضر والمراد به اطايب البقول التي ياكلها الناس كالنعناع
والكرفس والكراث واشباهها وقرئ وقثائها بالضم والفوم الحنطة ومنه فوموا لنا اي اخبزوا وقيل الثوم ويدل عليه
قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وثومها وهو للعدس والبصل اوفق قال اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير الذي
هو اقرب منزلة وادون مقدارا والدنو والقرب يعبر بهما عن قلة المقدار فيقال هو داني المحل وقريب المنزلة كما يعبر بالبعد
عن عكس ذلك فيقال بعيد المحل وبعيد الهمة يريدون الرفعة والعلو وقرا زهير الفرقبي ادنا بالهمزة من الدناءة اهبطوا
مصرا فان لكم ما سألتم وقرئ اهبطوا بالضم اي انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج وبلاد
التيه ما بين بيت المقدس الى قنسرين وهي اثنا عشر فرسخا في ثمانية فراسخ ويحتمل ان يريد العلم وانما صرفه مع اجتماع السببين
فيه وهما التعريف والتانيث لسكون وسطه كقوله نوحا ولوطا وفيهما العجمة والتعريف وان اريد به البلد فما فيه الا سبب
واحد وان اريد مصرا من الامصار وفي مصحف عبد الله وقراءة الاعمش اهبطوا مصر بغير تنوين كقوله ادخلوا مصر وقيل
هو مصرايم فعرب وضربت عليهم الذلة والمسكنة جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم فهم فيها كما يكون في القبة
من ضربت عليه او الصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه واليهود صاغرون اذلاء اهل
مسكنة وجدة اما على الحقيقة واما لتصاغرهم وتفاقرهم خيفة ان تضاعف الجزية عليهم وباءوا بغضب من الله من
قولك باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به لمساواته له ومكافاته اي صاروا احقاء بغضبه ذلك بانهم كانوا يكفرون

بايات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك اشارة الى ما تقدم من ضرب الذلة والمسكنة والخلافة بالغضب اي ذلك بسبب
كفرهم وقتلهم الانبياء وقد قتلت اليهود لعنوا شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم فان قلت قتل الانبياء لا يكون الا بغير
الحق فما فائدة ذكره قلت انه بغير الحق عندهم لانهم لم يقتلوا ولا افسدوا في الارض فيقتلوا وانما نصحوهم ودعوهم الى ما
ينفعهم فقتلوهم فلو سئلوا وانصفوا من انفسهم لم يذكروا وجها يستحقون به القتل عندهم وقرئ علي رضي الله عنه ويقتلون
بالتشديد ذلك تكرار للاشارة بما عصوا وكانوا يعتدون بسبب ارتكابهم انواع المعاصي واعتدائهم حدود الله في كل
شيء مع كفرهم بايات الله وقتلهم الانبياء وقيل هو اعتداؤهم في السبت ويجوز ان يشار بذلك الى الكفر وقتل الانبياء على معنى ان
ذلك بسبب عصيانهم واعتدائهم لانهم انهمكوا فيهما وغلوا حتى قست قلوبهم فجسروا على جحود الايات وقتل الانبياء او ذلك الكفر
والقتل مع ما عصوا ان الذين امنوا بالسنتهم من غير مواطاة القلوب وهم المنافقون والذين هادوا والذين تهودوا يقال هاد
يهود وتهود اذا دخل في اليهودية وهو هائد والجمع هود والنصارى وهو جمع نصران يقال رجل نصران وامراة نصرانة
قال نصرانة لم تحنف والياء في نصراني للمبالغة كالتي في احمري سموا بذلك لانهم نصروا المسيح والصابئين وهم من
صبا اذا خرج من الدين وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة من امن بالله واليوم الاخر من امن من
هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل في ملة الاسلام دخولا اصليا وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم
يحزنون فلهم اجرهم الذي يستوجبونه بايمانهم وعملهم فان قلت ما محل من امن قلت الرفع ان جعلته مبتدا خبره
فلهم اجرهم والنصب ان جعلته بدلا من اسم ان والمعطوف عليه فخبر ان في الوجه الاول الجملة كما هي وفي الثاني فلهم والفاء لتضمن من
معنى الشرط واذ اخذنا ميثاقكم بالعمل على ما في التوراة ورفعنا فوقكم الطور حتى قبلتم واعطيتم الميثاق وذلك ان موسى عليه
الصلوة والسلام جاءهم بالالواح فراوا ما فيها من الاصار والتكاليف الشاقة فكبرت عليهم وابوا قبولها فامر جبريل عليه السلام
فقلع الطور من اصله ورفعه فظلله فوقهم وقال لهم موسى ان قبلتم والا القي عليكم حتى قبلوا خذوا على ارادة القول ما اتيناكم
من الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه واحفظوا ما في الكتاب وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه لعلكم تتقون
رجاء منكم ان تكونوا متقين او قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا ثم توليتم من بعد ذلك ثم اعرضتم عن الميثاق والوفاء به فلولا
فضل الله عليكم ورحمته بتوفيقكم للتوبة لكنتم من الخاسرين لخسرتم وقرئ خذوا ما اتيتكم وتذكروا واذكروا
ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت وان ناسا منهم اعتدوا فيه
اي جاوزوا ما حد لهم فيه من التجرد للعبادة وتعظيمه واشتغلوا بالصيد وذلك ان الله ابتلاهم فما كان حوت في البحر الا
اخرج خرطومه يوم السبت فاذا مضى تفرقت كما قال تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تاتيهم كذلك نبلوهم
فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا اليها الجداول فكانت الحيتان تدخلها فيصطادونها يوم الاحد فذلك الحبس في الحياض واعتداؤهم
فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين خبران اي كونوا جامعين بين القردية والخسوء وهو الصغار والطرد فجعلناها يعني
المسخة نكالا عبرة تنكل من اعتبر بها اي تمنعه ومنه النكل القيد لما بين يديها لما قبلها وما خلفها وما بعدها من الامم والقرون
لان مسختهم ذكرت في كتب الاولين فاعتبروا بها واعتبر بها من بلغتهم من الاخرين او اريد بما بين يديها ما بحضرتها من القرى
والامم وقيل نكالا عقوبة منكلة لما بين يديها لما تقدمها من ذنوبهم وما تاخر منها وموعظة للمتقين الذين نهوهم عن
الاعتداء من صالحي قومهم او لكل متق سمعها واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة كان في بني اسرائيل شيخ موسر
فقتل ابنه بنو اخيه ليرثوه وطرحوه على باب مدينة ثم جاؤوا يطالبون بديته فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى
فيخبرهم بقاتله قالوا اتتخذنا هزوا اتجعلنا مكان هزؤ او اهل هزؤ او مهزوا بنا او الهزؤ نفسه لفرط الاستهزاء
قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين لان الهزؤ في مثل هذا من باب الجهل والسفه وقرئ هزؤا بضمتين وهزوا بسكون الزاي كقوله
ولك كفؤا وكفؤا وقرا حفص هزوا بالضمتين والواو وكذلك كفوا والعباد والبلاد من واد واحد قالوا ادع لنا ربك
يبين لنا وفي قراءة عبد الله سل لنا ربك ما هي سؤال عن حالها وصفتها وذلك انهم تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى فسالوا
عن صفة تلك البقرة العجيبة الشان الخارجة عما عليه البقر قال انه يقول انها بقرة لا فارض والفارض المسنة وقد فرضت فهي
فارض قال خفاف بن ندبة لعمري لقد اعطيت ضيفك فارضا تساق اليه ما تقوم على رجل وكانها سميت فارضا لانها فرضت
سنها اي قطعتها وبلغت اخرها ولا بكر والبكر الفتية عوان بين ذلك والعوان النصف قال نواعم بين ابكار وعون
وقد عونت فان قلت بين يقتضي شيئين فصاعدا فمن اين جاز دخوله على ذلك قلت لانه في معنى شيئين حيث وقع مشارا به الى
ما ذكر من الفارض والبكر فان قلت كيف جاز ان يشار به الى مؤنثين وانما هو للاشارة الى واحد مذكر قلت جاز ذلك
على تاويل ما ذكر وما تقدم من الاختصار كما جعلوا افعل نائبا عن افعال جمة تذكر قبله تقول للرجل نعم ما فعلت وقد ذكر
لك افعالا كثيرة وقصة طويلة كما تقول ما احسن ذلك وقد يجري الضمير مجرى اسم الاشارة في هذا قال ابو عبيدة قلت لرؤبة
في قوله فيها خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق ان اردت الخطوط فقل كانها وان اردت السواد والبلق

فعل كما هما فعال ان دكان ذاك وتلك والذى حسن منه ان اسما الاشارة تثنيتها وجمعها ليست على الحقيقة وكذلك
الموصولات ولذلك جا الذي بمعنى الجمع **فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ** اي ما تؤمرونه بمعنى ما تؤمرون به من قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به
او امركم بمعنى مأموركم تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الامير **قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ**
صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا الفقوع اشد ما يكون من الصفرة وانصعه يقال في التوكيد اصفر فاقع ووارس كما يقال اسود حالك
وحانك وابيض يقق ولهق واحمر قانى وذريحي واخضر ناضر ومدهام واورق خطباني وارمك رداني **فان قلت**
فاقع هنا وقع خبرا عن اللون فلم يقع توكيدا لصفراء **قلت** لم يقع خبرا عن اللون انما وقع توكيدا لصفراء الا انه ارتفع اللون
به ارتفاع الفاعل واللون من سببها وملتبس بها فلم يكن فرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها **فان قلت** فهلا قيل
صفراء فاقعة واي فائدة في ذكر اللون **قلت** الفائدة فيه التوكيد لان اللون اسم للهيئة وهي الصفرة فكانه قيل شديد الصفرة
صفرتها فهو من قولك جد جده وجنونك مجنون وعن وهب اذا نظرت اليها خيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها
تَسُرُّ النَّاظِرِينَ والسرور لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه وعن علي عليه السلام من لبس نعلا صفرا قل همه لقوله تعالى تسر الناظرين
وعن الحسن البصري صفراء فاقع لونها سوداء شديدة السواد ولعله مستعار من صفة الابل لان سوادها تعلوه صفرة وبه فسر قوله تعالى
جمالات صفر وقال الاعشى ● تلك خيلي منه وتلك ركابي ● هن صفر اولادها كالزبيب ● **قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ** مرة ثانية
بنية بتكرير السؤال عن حالها وصفتها واستكشاف زائد ليزدادوا بيانا لوصفها عن النبي صلى الله عليه وسلم لو اعترضوا ادنى بقرة
فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم والاستقصاء شوم وعن بعض الخلفاء انه كتب الى عامله بان يذهب الى قوم
فيقطع اشجارهم ويهدم دورهم فكتب اليهم بايهما ابدا فقال ان قلت لك تقطع الشجر سالتني باي نوع منها ابدا وعن عمر بن عبد
العزيز اذا امرتك ان تعطي فلانا شاة سالتني اضأن ام ماعز فان بينت لك قلت اذكر ام انثى فان اخبرتك قلت اسود ام بيضا
فاذا امرتك بشي فلا تراجعني وفي الحديث اعظم الناس جرما من سال عن شي لم يحرم فحرم من اجل مسالته **إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ**
عَلَيْنَا اي ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا ايها نذبح وقرئ تشابه بمعنى تتشابه بطرح التا وادغامها
في الشين وتشابهت ومتشابهة ومتشابه وقرئ محمد ذو الشامة ان الباقر يشابه بالياء والتشديد جا في الحديث لو لم يستثنوا لما
بينت لهم اخر الابد اي لو لم يقولوا ان شا الله والمعنى انا لمهتدون الى البقرة المراد ذبحها او الى ما خفي علينا من امر القاتل **قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ**
إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ لا ذلول صفة لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول يعنى لم تذلل للكراب واثارة الارض ولا
هي من النواضح التي يسنى عليها لسقي الحروث ولا الاولى للنفي والثانية مزيدة لتوكيد الاولى لان المعنى لا ذلول تثير وتسقي على ان
الفعلين صفتان لذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرا ابو عبد الرحمن السلمي لا ذلول بمعنى لا ذلول هناك اي حيث هي وهو نفي
لذلها ولان توصف به فيقال هي ذلول ونحوه قولك مررت بقوم لا بخيل ولا جبان اي فيهم او حيث هم وقرئ تسقي بضم التاء من
اسقى **مُسَلَّمَةٌ** سلمها الله من العيوب او معفاة من العمل سلمها اهلها منه كقوله ● او معبر الظهر ينبي عن وليته ● ما حج ربه في
الدنيا ولا اعتمرا ● او مخلصة اللون من سلم له كذا اذا خلص له لم يشب صفرتها شي من الالوان **لَا شِيَةَ فِيهَا** لا لمعة في نقبتها
من لون اخر سوى الصفرة فهي صفراء كلها حتى قرنها وظلفها وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا اخر
ومنه ثور موشي القوائم **قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ** اي بحقيقة وصف البقرة وما بقي اشكال في امرها **فَذَبَحُوهَا** اي فحصلوا البقرة
الجامعة لهذه الاوصاف كلها فذبحوها وقوله **وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ** ● استثقال لاستقصائهم واستبطاء لهم وانهم لتطويلهم
المفرط وكثرة استكشافهم ما كادوا يذبحونها وما كادت تنتهي سوالاتهم وما كاد ينقطع خيط اسهابهم فيها وتعمقهم
وقيل وما كادوا يذبحونها لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضيحة في ظهور القاتل وروى انه كان في بني اسرائيل شيخ صالح له عجلة فاتى بها
الغيضة وقال اللهم اني استودعكها لابني حتى يكبر وكان برا بوالديه فشبت وكانت من احسن البقر واسمنه فساوموها اليتيم
وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة اربعين سنة
فان قلت كانت البقرة التي تناولها الامر بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بلون وصفات فذبحوا المخصوصة فما
فعل الامر الاول **قلت** رجع منسوخا لانتقال الحكم الى البقرة المخصوصة والنسخ قبل الفعل جائز على ان الخطاب كان لابهامه
متناولا لهذه البقرة الموصوفة كما تناول غيرها ولو وقع الذبح عليها بحكم الخطاب قبل التخصيص لكان امتثالا فكذلك
اذا وقع بعد التخصيص **وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا** خوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم **فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا** فاختلفتم في شانها لان المتخاصمين
يدرا بعضهم بعضا اي يدفعه ويزحمه او تدافعتم بمعنى طرح قتلها بعضكم على بعض فدفع المطروح عليه الطارح او لان الطرح
في نفسه دفع او دفع بعضكم بعضا عن البراءة واتهمه **وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ** ● مظهر لا محالة ما كتمتم من امر
القتل لا يتركه مكتوما **فان قلت** كيف اعمل مخرج وهو في معنى المضي **قلت** قد حكى ما كان مستقبلا في وقت التدارئ كما
حكى الحاضر في قوله كلبهم باسط ذراعيه بالوصيد وهذه الجملة اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وهما ادارأتم و **فَقُلْنَا**
والضمير في **اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا** اما ان يرجع الى النفس والتذكير على تاويل الشخص والانسان واما الى القتيل لما دل عليه من قوله ما كنتم

تكتمون

تكتمون **بِبَعْضِهَا** ببعض كان واختلف في البعض الذي ضرب به فقيل لسانها وقيل فخذها اليمنى وقيل عجزها وقيل العظم الذي يلي
الغضروف وهو اصل الاذن وقيل الاذن وقيل البضعة بين الكتفين والمعنى فضربوه فحيي فحذف ذلك لدلالة قوله **كَذَلِكَ**
يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وروى انهم لما ضربوه قام باذن الله واوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان وفلان لابني عمه ثم سقط ميتا فاخذا
وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك كذلك يحيي الله الموتى اما ان يكون خطابا للذين حضروا حيوة القتيل وقلنا لهم كذلك
يحيي الله الموتى يوم القيامة **وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ** ودلائله على انه قادر على كل شي **لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** ● تعملون على قضية عقولكم وان من قدر
على احيا نفس واحدة قدر على احيا الانفس كلها لعدم الاختصاص حتى لا تنكروا البعث واما ان يكون خطابا للمنكرين في زمن
رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم **فان قلت** هلا احيا ابتداء ولم تشرط في احيائه ذبح البقرة وضربه ببعضها **قلت**
في الاسباب والشروط حكم وفوائد وانما شرط ذلك لما في ذبح البقرة من التقرب واداء التكليف واكتساب الثواب والاشعار
بحسن تقديم القربة على الطلب وما في التشديد عليهم من اللطف لهم ولآخرين في ترك التشديد والمسارعة الى امتثال اوامر الله
وارتسامها على الفور من غير تفتيش وتكثير سوال ونفع اليتيم والدلالة على بركة البر بالوالدين والشفقة على الاولاد وتجهيل الهازي
بما لا يعلم كنهه ولا يطلع على حقيقته من كلام الحكماء وبيان ان من حق المتقرب الى ربه ان يتنوق في اختيار ما يتقرب به
وان تكون قربته من احسن الاشياء واجلها واغلاها ثمنا كما يروى عن عمر
رضي الله عنه انه ضحى بنجيبة بثلاثمائة دينار وان الزيادة في الخطاب نسخ له وان النسخ قبل الفعل جائز وان لم يجز قبل وقت
الفعل وامكانه لادائه الى البداء وليعلم بما امر به من مس الميت بالميت وحصول الحيوة عقيبه ان المؤثر هو المسبب لا الاسباب
لان الموتين الحاصلين في الجسمين لا يعقل ان يتولد منهما حيوة **فان قلت** فما للقصة لم تقص على ترتيبها وكان حقها ان يقدم
ذكر القتيل والضرب ببعض البقرة على الامر بذبحها وان يقال واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة واضربوه ببعضها **قلت**
كلما قص من قصص بني اسرائيل انما قص تعديدا لما وجد منهم من الجنايات وتقريعا لهم عليها ولما جدد فيهم من الآيات العظام وهاتان قصتان
كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع وان كانتا متصلتين متحدتين فالاولى لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة الى الامتثال
وما يتبع ذلك والثانية للتقريع على قتل النفس المحرمة وما تبعه من الآية العظيمة وانما قدمت قصة الامر بذبح البقرة على ذكر
القتيل لانه لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة ولذهب الغرض في تثنية التقريع ولقد روعيت نكتة بعد ما استوفيت
الثانية استئنافا وقصة برأسها ان وصلت بالاولى دلالة على اتحادهما بضمير البقرة لا باسمها الصريح في قوله اضربوه ببعضها حتى تبين
انهما قصتان فيما يرجع الى التقريع وتثنيته باخراج الثانية مخرج الاستئناف مع تاخيرها وانها قصة واحدة بالضمير الراجع الى البقرة
ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ معنى ثم قست استبعاد القسوة من بعد ما ذكر مما يوجب لين القلوب ورقتها ونحوه ثم انتم
تمترون وصفة القلوب بالقسوة والغلظ مثل لنبوها عن الاعتبار وان المواعظ لا تؤثر فيها وذلك اشارة الى احياء القتيل او الى جميع
ما تقدم من الآيات المعدودة **فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ** فهي في قسوتها مثل الحجارة **أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً** منها واشد معطوف على الكاف اما على معنى
او مثل اشد قسوة فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده قراءة الاعمش بنصب الدال عطفا على الحجارة واما على او هي
اشد قسوة والمعنى من عرف حالها شبهها بالحجارة او بجوهر اقسى منها وهو الحديد مثلا او من عرفها شبهها بالحجارة او قال
هي اقسى منها **فان قلت** لم قيل اشد قسوة وفعل القسوة مما يخرج منه افعل التفضيل وفعل التعجب **قلت** لكونه ابين وادل
على فرط القسوة ووجه اخر وهو ان لا يقصد معنى الاقسى ولكن قصد وصف القسوة بالشدة كانه قيل اشتدت قسوة
الحجارة وقلوبهم اشد قسوة وقرئ قساوة وترك ضمير المفضل عليه لعدم الالتباس كقولك زيد كريم وعمرو اكرم وقوله
وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ بيان لفضل قلوبهم على الحجارة في شدة القسوة وتقرير لقوله او اشد قسوة وقرئ وان بالتخفيف
وهي ان المخففة من الثقيلة التي يلزمها اللام الفارقة ومنها قوله تعالى وان كل لما جميع والتفجر التفتح بالسعة والكثرة وقرئ
ما ينفجر بالنون **وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ** يتشقق يتشقق اي ينشق انشقاقا بالطول او بالعرض فينبع منه الماء ايضا **وَإِنَّ مِنْهَا**
لَمَا يَهْبِطُ يتردى من اعلى الجبل وقرئ بضم الباء **مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ** والخشية مجاز عن انقيادها لامر الله وانها لا تمتنع على ما يريد فيها وقلوب
هؤلاء لا تنقاد ولا تفعل ما امرت به **وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** ● وقرئ يعملون بالياء والتاء وهو وعيد **أَفَتَطْمَعُونَ** الخطاب
لرسول الله والمؤمنين **أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ** ان يحدثوا الايمان لاجل دعوتكم ويستجيبوا لكم كقوله فآمن له لوط يعني اليهود
وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ طائفة فيمن سلف منهم **يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ** وهو ما يتلونه من التوراة **ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ** كما حرفوا صفة محمد صلى
الله عليه وسلم وآية الرجم وقيل كان قوم من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور وما امر به
ونهي عنه ثم قالوا سمعنا الله يقول في آخره ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فلا باس وقرئ كلم
مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ من بعد ما فهموه وضبطوه بعقولهم ولم يبق لهم شبهة في صحته **وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ● انهم كاذبون
مفترون والمعنى ان كفر هؤلاء وحرفوا فلهم سابقة في ذلك **وَإِذَا لَقُوا** يعني اليهود **الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا** قال منافقوهم **آمَنَّا** بانكم
على الحق وان محمدا هو الرسول المبشر به **وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ** الذين لم ينافقوا الى الذين نافقوا **قَالُوا** عاتبين عليهم **أَتُحَدِّثُونَهُمْ**

بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التوراة من صفة محمد او قال المنافقون لاعقابهم يرونهم التصلب في دينهم اتحدثونهم بما فتح الله
عليكم انكارا عليهم ان يفتحوا عليهم شيا في كتابهم فينافقون المومنين وينافقون اليهود ليحاجوكم به عند ربكم افلا
تعقلون ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم به وقولهم هو في كتابكم هكذا محاجة عند الله الا تراك
تقول هو في كتاب الله هكذا وهو عند الله هكذا بمعنى واحد اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ومن ذلك
اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان ومنهم اميون لا يحسنون الكتب فيطالعوا التوراة ويتحققوا ما فيها لا يعلمون الكتاب
التوراة الا اماني وان هم الا يظنون الا ما هم عليه من امانيهم وان الله يعفو عنهم ولا يواخذهم بخطاياهم وان اباءهم الانبيا
يشفعون لهم وما يمنيهم احبارهم من ان النار لا تمسهم الا اياما معدودة وقيل الا اكاذيب مختلقة سمعوها من علمائهم فيقبلوها
على التقليد قال اعرابي لابن داب في شيء حدث به اهذا شيء رويته ام تمنيته اي اختلقته وقيل الا ما يقرؤن من قوله تمنى كتاب الله
اول ليله وآخره لاقى حمام المقادر والاشتقاق من منى اذا قدر لان المتمني يقدر في نفسه ويحزر ما يتمناه وكذلك المختلق والقاري يقدر ان كلمة كذا
بعد كذا والا اماني من الاستثنا المنقطع وقرى اماني بالتخفيف ذكر العلماء الذين عاندوا والحريف مع العلم والاستمعان ثم العوام
الذين قلدوهم ونبه على انهم في الضلال سوا لان العالم عليه ان يعمل بعلمه وعلى العامي ان لا يرضى بالتقليد والظن وهو متمكن من العلم
فويل للذين يكتبون الكتاب المحرف بايديهم تاكيد وهو من مجاز التاكيد كما تقول لمن ينكر معرفة ما كتبه يا هذا كتبته
بيمينك هذه ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون وقالوا
لن تمسنا النار الا اياما معدودة اربعين يوما عدد ايام عبادة العجل وعن مجاهد كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة الاف سنة وانما نعذب
مكان كل الف سنة يوما قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده فلن يخلف الله متعلق بمحذوف تقديره ان اتخذتم عند الله
عهدا فلن يخلف الله عهده ام تقولون على الله ما لا تعلمون وام اما متصلة معادلة بمعنى اي الامرين كائن على سبيل التقرير لان
العلم واقع بكون احدهما ويجوز ان تكون منقطعة بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فاولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون والذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون بلى اثبات لما بعد حرف النفي وهو قوله
لن تمسنا النار اي بلى تمسكم ابدا بدليل قوله هم فيها خالدون من كسب سيئة من السيئات يعني كبيرة من الكبائر واحاطت به
خطيئته تلك واستولت عليه كما يحيط العدو ولم تنقض عنها بالتوبة وقرى خطاياه وخطيئاته وقيل الاحاطة كان ذنبه
اغلب من طاعته وسال رجل الحسن عن الخطيئة فقال سبحان الله الا اراك ذا لحية وما تدري ما الخطيئة انظر في المصحف فكل
اية نهى الله عنها واخبرك انه من عمل بها ادخله النار فهي الخطيئة المحيطة واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا
الله وبالوالدين احسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا واقيموا الصلوة واتوا الزكوة
لا تعبدون اخبار في معنى النهي كما تقول تذهب الى فلان تقول له كذا تريد الامر وهو ابلغ من صريح الامر والنهي لانه كانه سورع
الى الامتثال والانتها وهو يخبر عنه وتنصره قراة عبد الله وابي لا تعبدوا ولا بد من ارادة القول ويدل عليه وقولوا وقوله وبالوالدين
احسانا اما ان يقدر وتحسنون بالوالدين او واحسنوا وقيل هو جواب قوله اخذنا ميثاق بني اسرائيل اجرا له مجرى القسم كانه قيل
واذ اقسمنا عليهم لا تعبدون وقيل معناه ان لا تعبدوا فلما حذفت ان رفع كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى ويدل
عليه قراة عبد الله ان لا تعبدوا ويحتمل ان لا تعبدوا ان تكون ان فيه مفسرة وان تكون ان مع الفعل بدلا عن الميثاق كانه قيل
اخذنا ميثاق بني اسرائيل توحيدهم وقرى بالياء حكاية لما خوطبوا به وبالتا لانهم غيب حسنا قولا هو حسن في نفسه لافراط حسنه
وقرى حسنا وحسنى على المصدر كبشرى ثم توليتم على طريقة الالتفات اي توليتم عن الميثاق ورفضتموه الا قليلا منكم قيل
هم الذين اسلموا منهم وانتم معرضون وانتم قوم عادتكم الاعراض عن المواثيق والتولية واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون
دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم لا يفعل ذلك بعضكم ببعض جعل غير الرجل نفسه اذا اتصل به اصلا او دينا
وقيل اذا قتل غيره فكانما قتل نفسه لانه يقتص منه ثم اقررتم بالميثاق واعترفتم على انفسكم بلزومه وانتم تشهدون عليها
كقولك فلان مقر على نفسه بكذا شاهد عليها وقيل وانتم تشهدون اليوم يا معشر اليهود على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق
ثم انتم هولاء استبعاد لما ارتكبه بعد الميثاق والاقرار به والشهادة عليه والمعنى ثم انتم
بعد ذلك هولا المشاهدون يعني انكم قوم اخرون غير اولئك المقرين تنزيلا لتغير الصفة منزلة تغير الذات كما تقول
رجعت بغير الوجه الذي خرجت به وقوله تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم
والعدوان وان ياتوكم اسارى لقوله ثم انتم هولاء وقيل هولاء موصول بمعنى الذي وقرى تظاهرون بحذف التاء وادغامها
وتتظاهرون بالباتها وتظهرون بمعنى تتظهرون اي تتعاونون عليهم وان ياتوكم اسارى تفادوهم وقرى تفدوهم وتفدوهم
وهم واسرى واسارى وهو محرم عليكم اخراجهم الهو ضمير الشان ويجوز ان يكون مبهما تفسيره اخراجهم افتومنون
ببعض الكتاب وتكفرون ببعض اي بالفداء والقتال والاجلاء وذلك ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج فكان
كل فريق يقاتل مع حلفائه واذا غلبوا خربوا ديارهم واخرجوهم واذا اسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه فعيرتهم العرب

وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكنا نستحيي ان نذل حلفاءنا فما جزاء من
يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا والخزي قيل بني قريظة واسرهم واجلاء بني النضير وقيل الجزية وانما رد من
فعل منهم ذلك ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون وانما رد من فعل منهم ذلك الى اشد
العذاب لان عصيانه اشد وقرى يردون ويعملون بالياء والتاء اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب
ولا هم ينصرون فلا يخفف عنهم عذاب الدنيا بنقصان الجزية ولا ينصرهم احد بالدفع عنهم وكذلك عذاب الاخرة
ولقد اتينا موسى الكتاب التوراة اتاه اياها جملة واحدة وقفينا من بعده بالرسل يقال قفاه اذا اتبعه وقفاه به اذا
اتبعه من القفا كقولك ذنبه من الذنب وقفاه به اتبعه اياه يعني وارسلنا على اثره الكثير من الرسل كقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى
وهم يوشع واشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا وارميا وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم
واتينا عيسى ابن مريم البينات وقيل عيسى بالسريانية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وقيل المريم بالعربية من النسا كالزير من الرجال
وبه فسر قول روبه قلت لزير لم تصله مريمه ووزن مريم عند النحويين مفعل لان فعيلا بفتح الفا لم يثبت في الابنية
كما ثبت نحو عثير وعليب البينات المعجزات الواضحات والحجج كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات وقرى وايدناه
ومنه ايد بالحمر اذا قواه يقال الحمد لله الذي ايدني بعد ضعف واوجدني بعد فقر بروح القدس افكلما جاءكم رسول
بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون بالروح المقدسة كما تقول حاتم الجود ورجل
صدق ووصفها بالقدس كما قال وروح منه فوصفه بالاختصاص والتقريب للكرامة وقيل لانه لم تضمه الاصلاب ولا
الارحام الطوامث وقيل جبريل وقيل الانجيل كما قال في القران روحا من امرنا وقيل باسم الله الاعظم الذي كان يحيي الموتى
بذكره والمعنى ولقد اتينا يا بني اسرائيل انبياءكم ما اتيناهم افكلما جاءكم رسول منهم بالحق استكبرتم عن الايمان فوسط بين الفا
وما تعلقت به همزة التوبيخ والتعجب من شانهم ويجوز ان يريد ولقد اتيناهم ما اتيناهم ففعلتم ما فعلتم ثم وبخهم على
الفا العاطفة المقدر فان قلت هلا قيل وفريقا قتلتم قلت هو على وجهين ان يراد الحال الماضية لان الامر فظيع فاريد استحضاره
في النفوس وتصويره في القلوب وان يراد وفريقا تقتلونهم بعد لانكم حول قتل محمد لولا اني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم
له الشاة وقال عليه الصلوة والسلام عند موته ما زالت اكلة خيبر تعاودني فهذا اوان قطعت ابهري وقالوا قلوبنا
غلف بل لعنهم الله بكفرهم غلف جمع اغلف اي هي خلقة وجبلة مغشاة باغطية لا يتوصل اليها ما جاء به محمد ولا تفقهه
مستعار من الاغلف الذي لم يختن كقولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه ثم رد الله ان تكون قلوبهم كذلك لانها خلقت
على الفطرة والتمكن من قبول الحق بان الله لعنهم وخذلهم بسبب كفرهم فهم الذين غلفوا قلوبهم بما احدثوا من الكفر الزائغ عن
الفطرة وتسببوا بذلك لمنع الالطاف التي تكون للمتوقع ايمانهم وللمومنين فقليلا ما يومنون فايمانا قليلا يومنون وما مزيدة
وهو ايمانهم ببعض الكتاب ويجوز ان تكون القلة بمعنى العدم وقيل غلف تخفيف غلف جمع غلاف اي قلوبنا اوعية للعلم ونحن
مستغنون بما عندنا عن غيره وروي عن ابي عمرو قلوبنا غلف بضمتين ولما جاءهم كتاب من عند الله هو القران مصدق لما
معهم من كتابهم لا يخالفه وقرى مصدقا على الحال فان قلت كيف جاز نصبها عن النكرة قلت اذا وصف النكرة تخصص
فصح انتصاب الحال عنه وقد وصف كتاب بقوله من عند الله وجواب لما محذوف وهو نحو كذبوا به واستهانوا بمجيئه وما
اشبه ذلك وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا يستنصرون على المشركين اذا قاتلوهم قالوا اللهم انصرنا بالنبي
المبعوث في اخر الزمان الذي نجد نعته وصفته في التوراة ويقولون لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق
ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم قد قرب
اوانه والسين للمبالغة اي يسالون انفسهم الفتح عليهم كالسين في استعجب واستسخر او يسال بعضهم بعضا ان يفتح
عليهم فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به بغيا وحسدا وحرصا على الرياسة فلعنة الله على الكافرين اي عليهم
وضعا للظاهر موضع المضمر للدلالة على ان اللعنة لحقتهم لكفرهم واللام للعهد ويجوز ان تكون للجنس ويدخلوا فيه دخولا
اوليا بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغيا ما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس بمعنى بئس شيئا اشتروا
به انفسهم والمخصوص بالذم ان يكفروا واشتروا بمعنى باعوا بغيا وحسدا وطلبا لما ليس لهم وهو علة اشتروا ان ينزل
الله من فضله على من يشاء من عباده لان ينزل او على ان ينزل اي حسدوه على ان ينزل الله من فضله الذي هو الوحي على من يشاء من عباده وتقتضي حكمته ارساله فباءوا بغضب
على غضب فصاروا احقاء بغضب مترادف لانهم كفروا بنبي الحق وبغوا عليه وقيل كفروا بمحمد بعد عيسى وقيل بعد قولهم
عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك من انواع كفرهم وللكافرين عذاب مهين واذا قيل لهم امنوا بما انزل
الله مطلق في ما انزل الله من كل كتاب قالوا نومن بما انزل علينا مقيد بالتوراة ويكفرون بما وراءه اي قالوا ذلك والحال انهم
يكفرون بما وراء التوراة وهو الحق مصدقا لما معهم منها غير مخالف له وفيه رد لمقالتهم لانهم اذا كفروا بما يوافق التوراة فقد
كفروا بها ثم قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مومنين ثم اعترض عليهم بقتلهم الانبياء مع ادعائهم الايمان بالتوراة

والتوراة لا تسوغ قتل الانبياء ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون يجوز ان تكون حالا اي عبدتم العجل وانتم واضعون العبادة غير موضعها وان تكون اعتراضا بمعنى وانتم قوم عادتكم الظلم وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة وكرر ذكر رفع الطور لما نيط به من زيادة ليست مع الاول مع ما فيه من التوكيد واسمعوا ما امرتم به في التوراة قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك فان قلت كيف طابق قوله جوابهم قلت طابقه من حيث انه قال لهم اسمعوا وليكن سماعكم سماع تقبل وطاعة فقالوا سمعنا ولكن لا سماع طاعة وأشربوا في قلوبهم العجل اي تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الثوب الصبغ وقوله في قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما ياكلون في بطونهم نارا بكفرهم بسبب كفرهم قل بئسما يأمركم به ايمانكم بالتوراة لانه ليس في التوراة عبادة العجل واضافة الامر الى ايمانهم تهكم كما قال قوم شعيب أصلواتك تأمرك وكذلك اضافة الايمان اليهم وقوله إن كنتم مؤمنين تشكيك في ايمانهم وقدح في صحة دعواهم له قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس خالصة نصب على الحال من الدار الآخرة والمراد الجنة اي سالمة لكم خاصة بكم ليس لاحد سواكم فيها حق يعني ان صح قولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا والناس للجنس وقيل للعهد وهم المسلمون فتمنوا الموت إن كنتم صادقين لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاق اليها وتمنى سرعة الوصول الى النعيم والتخلص من الدار ذات الشوائب كما روي عن المبشرين بالجنة ما روي كان علي رضي الله عنه يطوف بين الصفين في غلالة فقال له ابنه الحسن ما هذا بزي المحاربين فقال يا بني لا يبالي ابوك على الموت سقط ام عليه سقط الموت وعن حذيفة انه كان يتمنى الموت فلما احتضر قال حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم يعني على التمني وقال عمار بصفين الآن الاقي الاحبة محمدا وحزبه وكان كل واحد من العشرة يحب الموت ويحن اليه وعن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الارض يهودي ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم بما اسلفوا من موجبات النار من الكفر بمحمد وما جاء به وتحريف كتاب الله وسائر انواع الكفر والعصيان وقوله ولن يتمنوه ابدا من المعجزات لانه اخبار بالغيب وكان كما اخبر به كقوله ولن تفعلوا فان قلت ما ادراك انهم لم يتمنوا قلت لانهم لو تمنوا لنقل ذلك كما نقل سائر الحوادث ولكان ناقلوه من اهل الكتاب وغيرهم من اولي المطاعن في الاسلام اكثر من الذر وليس منهم احد نقل ذلك فان قلت التمني من اعمال القلوب وهو سر لا يطلع عليه احد فمن اين علمت انهم لم يتمنوا قلت ليس التمني من اعمال القلوب انما هو قول الانسان بلسانه ليت لي كذا فاذا قاله قالوا تمنى وليت كلمة التمني ومحال ان يقع التحدي بما في الضمائر والقلوب ولو كان التمني بالقلوب وتمنوا لقالوا قد تمنينا الموت في قلوبنا ولم ينقل انهم قالوا ذلك فان قلت لم يقولوه لانهم علموا انهم لا يصدقون قلت كم حكي عنهم من اشياء قاولوا بها المسلمين من الافتراء على الله وتحريف كتابه وغير ذلك مما علموا انهم غير مصدقين فيه وما لا محمل له الا الكذب البحت ولم يبالوا فكيف يمتنعون من ان يقولوا ان التمني من افعال القلوب وقد فعلناه مع احتمال ان يكونوا صادقين في قولهم واخبارهم عن ضمائرهم وكان الرجل يخبر عن نفسه بالايمان فيصدق مع احتمال ان يكون كاذبا لانه امر خاف لا سبيل الى الاطلاع عليه والله عليم بالظالمين تهديد لهم ولتجدنهم احرص الناس على حياة وهو من وجد بمعنى علم المتعدي الى مفعولين في قولهم وجدت زيدا ذا الحفاظ ومفعولاه هم احرص فان قلت لم قال على حياة بالتنكير قلت لانه اراد حياة مخصوصة وهي الحياة المتطاولة ولذلك كانت القراءة بها اوقع من قراءة ابي على الحياة ومن الذين اشركوا يود احدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر والله بصير بما يعملون ومن الذين اشركوا محمول على المعنى لان معنى احرص الناس احرص من الناس فان قلت الم يدخل الذين اشركوا تحت الناس قلت بلى ولكنهم افردوا بالذكر لان حرصهم شديد ويجوز ان يراد واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة احرص الناس عليه وفيه توبيخ عظيم لان الذين اشركوا لا يؤمنون بعاقبة وما يعرفون الا الحياة الدنيا فحرصهم عليها لا يستبعد لانها جنتهم فاذا زاد عليهم في الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقا باعظم التوبيخ فان قلت لم زاد حرصهم على حرص المشركين قلت لانهم علموا لعلمهم بحالهم انهم صائرون الى النار لا محالة والمشركون لا يعلمون ذلك وقيل اراد بالذين اشركوا المجوس لانهم كانوا يقولون لملوكهم عش الف نيروز والف مهرجان وعن ابن عباس هو قول الاعاجم زي هزار سال وقيل ومن الذين اشركوا كلام مبتدأ اي ومنهم ناس يود احدهم وهو حذف الموصوف كقوله وما منا الا له مقام معلوم والذين اشركوا على هذا مشار به الى اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله والضمير في وما هو لاحدهم وان يعمر فاعل بمزحزحه اي وما احدهم بمن يزحزحه من النار تعميره وقيل الضمير لما دل عليه يعمر من مصدره وان يعمر بدل منه ويجوز ان يكون هو مبهما وان يعمر موضحه والزحزحة التبعيد والانحاء فان قلت يود احدهم ما موقعه قلت هو بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستئناف فان قلت كيف اتصل لو يعمر بيود احدهم قلت هو حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني وكان القياس لو اعمر الا انه جرى على لفظ الغيبة لقوله يود احدهم كقولك حلف بالله ليفعلن روي ان عبد الله بن صوريا من احبار فدك حاج رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وسأله عمن يهبط عليه بالوحي فقال جبريل فقال ذاك عدونا ولو كان غيره لآمنا بك وقد عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم

امره بهلاككم فانه لا يسلطكم عليه وان لم يكن اياه فعلى اي حق تقتلونه وقيل امره الله ان يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا وروي انه كان لعمر رضي الله عنه ارض باعلى المدينة وكان ممره على مدارس اليهود وكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد احببناك وانا لنطمع فيك فقال والله ما اجيئكم لحبكم ولا اسألكم لاني شاك في ديني وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة في امر محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم وارى آثاره في كتابكم ثم سألهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وهو صاحب كل خسف وعذاب وان ميكائيل يجيء بالخصب والسلام فقال لهم وما منزلتهما من الله قالوا اقرب منزلة جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو لجبريل فقال عمر لئن كانا كما تقولون فما هما بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما كان عدوا للآخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لقد وافقك ربك يا عمر فقال عمر لقد رأيتني في دين الله بعد ذلك اصلب من الحجر وقرئ جبرئيل بوزن قفشليل وجبرئل بحذف الياء وجبرئل بحذف الهمزة وجبريل بوزن قنديل وجبرال بلام شديدة وجبرائيل بوزن جبراعيل وجبرائل بوزن جبراعل ومنع الصرف للتعريف والعجمة وقيل معناه عبد الله والضمير في نزله للقرآن ونحو هذا الاضمار اعني اضمار ما لم يسبق ذكره فيه فخامة لشأن صاحبه حيث يجعل لفرط شهرته كانه يدل على نفسه ويكتفي عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته على قلبك اي حفظه اياك وفهمكه باذن الله بتيسيره وتسهيله فان قلت كان حق الكلام ان يقال على قلبي قلت جاءت على حكاية كلام الله كما تكلم به كانه قيل قل ما تكلمت به من قولي من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك فان قلت كيف استقام قوله فانه نزله جزاء للشرط قلت فيه وجهان احدهما انه ان عادى جبريل احد من اهل الكتاب فلا وجه لمعاداته حيث نزل كتابا مصدقا للكتب بين يديه فلو انصفوا لاحبوه وشكروا له صنيعه في انزاله ما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم والثاني ان عاداه احد فالسبب في عداوته انه نزله عليك الكتاب مصدقا لكتابهم وموافقا له وهم كارهون للقرآن ولموافقته لكتابهم ولذلك كانوا يحرفونه ويجحدون موافقته له كقولك ان عاداك فلان فقد آذيته واسأت اليه من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال افرد الملكان بالذكر لفضلهما كانهما من جنس آخر وهو مما ذكر ان التغاير في الوصف ينزل منزلة التغاير في الذات وقرئ ميكال بوزن قنطار وميكائيل كميكاعيل وميكائل كميكاعل وميكئل كميكعل وميكئيل كميكعيل قال ابن جني العرب اذا نطقت بالاعجمي خلطت فيه فان الله عدو للكافرين اراد عدو لهم فجاء بالظاهر ليدل على ان الله انما عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة كفر واذا كانت عداوة الانبياء كفرا فما بال الملائكة وهم اشرف والمعنى من عاداهم عاداه الله وعاقبه اشد العقاب ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون الا المتمردون من الكفرة وعن الحسن اذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على اعظم ذلك النوع من كفر وغيره وعن ابن عباس قال ابن صوريا لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك لها فنزلت واللام في الفاسقين للجنس والاحسن ان يكون اشارة الى اهل الكتاب أوكلما الواو للعطف على محذوف معناه اكفروا بالآيات البينات وكلما عاهدوا عهدا وقرأ ابو السمال بسكون الواو على ان الفاسقون بمعنى الذين فسقوا فكانه قيل وما يكفر بها الا الذين فسقوا او نقضوا عهد الله مرارا كثيرة وقرئ عوهدوا وعهدوا واليهود موسومون بالغدر ونقض العهود وكم اخذ الله الميثاق منهم ومن آبائهم فنقضوا وكم عاهدوا رسول الله فلم يفوا الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة والنبذ الرمي بالذمام ورفضه وقرئ عهدوا نبذه فريق منهم وقال فريق منهم لان منهم من لم ينقض بل اكثرهم لا يؤمنون بالتوراة وليسوا من الدين في شيء فلا يعدون نقض المواثيق ذنبا ولا يبالون ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون كتاب الله يعني التوراة لانهم بكفرهم برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم المصدق لما معهم كافرون بها نابذون لها وقيل كتاب الله القرآن نبذوه بعد ما لزمهم تلقيه بالقبول كانهم لا يعلمون انه كتاب الله لا يداخلهم فيه شك يعني ان علمهم بذلك رصين ولكنهم كابروا وعاندوا ونبذوه وراء ظهورهم مثل لتركهم واعراضهم عنه مثل ما يرمى به وراء الظهر استغناء عنه وقلة التفات اليه وعن الشعبي هو بين ايديهم يقرؤونه ولكنهم نبذوا العمل به وعن سفيان ادرجوه في الديباج والحرير وحلوه بالذهب ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه واتبعوا اي نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تتلوا الشياطين يعني اتبعوا كتب السحر والشعوذة التي كانت تقرؤها على ملك سليمان اي على عهد ملكه وفي زمانه وذلك ان الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم يضمون الى ما سمعوا اكاذيب يلفقونها ويلقونها الى الكهنة وقد دونوها في كتب يقرؤونها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في زمن سليمان عليه السلام حتى قالوا ان الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم لسليمان ملكه الا بهذا العلم وبه تسخر الجن والانس والريح التي تجري بامره وما كفر سليمان تكذيب للشياطين ودفع لما بهتت به سليمان من اعتقاد السحر والعمل به وسماه كفرا ولكن الشياطين هم الذين كفروا باستعمال السحر وتدوينه يعلمون الناس السحر يقصدون به اغواءهم واضلالهم وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت عطف على السحر اي ويعلمونهم ما انزل على الملكين وقيل هو عطف على ما تتلوا

اي واتبعوا ما انزل على الملكين هاروت وماروت عطف بيان للملكين علمان لهما والذي انزل عليهما هو علم السحر ابتلاء من الله للناس من تعلمه منهم
وعمل به كان كافرا ومن تجنبه او تعلمه لا ليعمل به ولكن ليتوقاه ولئلا يغتر به كان مؤمنا عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه كما ابتلي
قوم طالوت بالنهر فمن شرب منه فليس مني وقرأ الحسن على الملكين بكسر اللام على ان المنزل عليهما علم السحر كانا ملكين ببابل
وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا وما يعلم الملكان احدا حتى ينبهاه وينصحاه ويقولا له إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ اي ابتلاء واختبار من الله فَلَا
تَكْفُرْ فلا تتعلم معتقدا انه حق فتكفر فَيَتَعَلَّمُونَ الضمير لما دل عليه من احد اي فيتعلم الناس مِنْهُمَا من الملكين مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ
بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ اي علم السحر الذي يكون سببا في التفريق بين الزوجين من حيلة وتمويه كالنفث في العقد ونحو ذلك مما
يحدث الله عنده الفرك والنشوز والخلاف ابتلاء منه لا ان السحر له اثر في نفسه بدليل قوله وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا
بِإِذْنِ اللَّهِ لانه ربما احدث الله عنده فعلا من افعاله وربما لم يحدث وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ لانهم يقصدون
به الشر وفيه ان اجتنابه اصلح كتعليم الفلسفة التي لا يؤمن ان تجر الى الغواية وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ ولقد علم هؤلاء اليهود
ان من اشتراه اي استبدل ما تتلوا الشياطين على كتاب الله مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ من نصيب وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ
اي باعوها وقرأ الحسن الشياطون وعن بعض العرب بستان فلان حوله بساتون وقد ذكر وجهه فيما بعد في سورة الشعراء
وقرأ الزهري هاروت وماروت بالرفع على هما هاروت وماروت وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف ولو كانا
من الهرت والمرت وهو الكسر كما زعم بعضهم لانصرفا وقرأ طلحة وما يعلمان من اعلم وقرئ بين المرء بضم الميم وكسرها
مع الهمزة والمر بالتشديد على تقدير التخفيف والوقف كقولهم فرج واجراء الوصل مجرى الوقف وقرأ الاعمش وما هم
بضاري بطرح النون والاضافة الى احد والفصل بينهما بالظرف فَإِنْ قُلْتَ كيف يضاف الى احد وهو مجرور بمن قُلْتُ
جعل الجار جزءا من المجرور فَإِنْ قُلْتَ كيف اثبت لهم العلم اولا في قوله ولقد علموا على سبيل التوكيد القسمي ثم نفاه
عنهم في قوله لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ قُلْتُ معناه لو كانوا يعملون بعلمهم جعلهم حين لم يعملوا به كانهم منسلخون عنه وَلَوْ أَنَّهُمْ
آمَنُوا وَاتَّقَوْا ولو انهم آمنوا برسول الله والقرآن واتقوا الله فتركوا ما هم عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين لَمَثُوبَةٌ
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ وقرئ لمثوبة كمشورة ومشورة لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ان ثواب الله خير مما هم فيه وقد علموا لكنه جهلهم
لترك العمل بالعلم فَإِنْ قُلْتَ كيف اوثرت الجملة الاسمية على الفعلية في جواب لو قُلْتُ لما في ذلك من الدلالة على ثبات المثوبة
واستقرارها كما عدل عن النصب الى الرفع في سلام عليكم لذلك فَإِنْ قُلْتَ فهلا قيل لمثوبة الله خير قُلْتُ
لان المعنى لشيء من الثواب خير لهم ويجوز ان يكون قوله ولو انهم آمنوا تمنيا لايمانهم على سبيل المجاز عن ارادة الله ايمانهم واختيارهم
له كانه قيل وليتهم آمنوا ثم ابتدئ لمثوبة من عند الله خير يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا كان المسلمون
يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا القى عليهم شيئا من العلم راعنا يا رسول الله اي راقبنا وانتظرنا وتأن بنا حتى نفهمه
ونحفظه وكانت لليهود كلمة يتسابون بها عبرانية او سريانية وهي راعينا فلما سمعوا بقول المؤمنين راعنا افترصوه وخاطبوا
به الرسول صلى الله عليه وسلم وهم يعنون به تلك المسبة فنهي المؤمنون عنها وامروا بما هو في معناها وهو انظرنا من نظره
اذا انتظره وقرأ ابي انظرنا من النظرة اي امهلنا حتى نحفظ وقرأ عبد الله بن مسعود راعونا على انهم كانوا يخاطبونه بلفظ
الجمع للتوقير وقرأ الحسن راعنا بالتنوين من الرعن وهو الهوج اي لا تقولوا قولا راعنا منسوبا الى الرعن بمعنى رعنيا كدارع
ولابن لانه لما اشبه قولهم راعنا وكان سببا في السب اتصف بالرعن وَاسْمَعُوا واحسنوا سماع ما يكلمكم به رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويلقي عليكم من المسائل بآذان واعية واذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة وطلب المراعاة او واسمعوا
سماع قبول وطاعة ولا يكن سماعكم مثل سماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا او واسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا ترجعوا الى
ما نهيتم عنه تأكيدا عليهم ترك تلك الكلمة وروي ان سعد بن معاذ سمعها منهم فقال يا اعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده
لان سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاضربن عنقه فقالوا اولستم تقولونها فنزلت وَلِلْكَافِرِينَ
ولليهود الذين تهاونوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وشتموه عَذَابٌ أَلِيمٌ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ من الاولى للبيان لان الذين كفروا جنس
تحته نوعان اهل الكتاب والمشركون كقوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين والثانية مزيدة لاستغراق الخير والثالثة
لابتداء الغاية والخير الوحي وكذلك الرحمة كقوله أهم يقسمون رحمة ربك والمعنى انهم يرون انفسهم احق بالوحي فيحسدونكم
وما يحبون ان ينزل عليكم شيء من الوحي والله يختص بالنبوة من يشاء ولا يشاء الا ما تقتضيه الحكمة وَاللَّهُ ذُو
الْفَضْلِ الْعَظِيمِ اشعار بان ايتاء النبوة من الفضل العظيم كقوله ان فضله كان عليك كبيرا مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا
نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا روي انهم طعنوا في النسخ فقالوا الا ترون الى محمد يأمر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه
ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا فنزلت وقرئ ما ننسخ بضم النون من انسخ اي ننسخها وقرئ ننسها وننسيها بالتشديد وننسها
وننسأها على خطاب الرسول وقرأ عبد الله ما ننسك من آية او ننسخها وقرأ حذيفة ما ننسخ من آية او ننسكها ونسخ الآية ازالتها

بابدال اخرى مكانها وانساخها الامر بنسخها وهو ان يأمر جبريل بان يجعلها منسوخة بالاعلام بنسخها ونسؤها تأخيرها واذهابها لا الى
بدل وانساؤها ان يذهب بحفظها عن القلوب والمعنى ان كل آية يذهب بها على ما توجبه المصلحة من ازالة لفظها وحكمها معا او من ازالة
احدهما الى بدل او غير بدل نَأْتِ بآية خير منها للعباد اي بآية العمل بها اكثر للثواب او مثلها في ذلك أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ فهو يملك اموركم ويدبرها ويجريها على حسب ما يصلحكم وهو اعلم بما يتعبدكم
به من ناسخ او منسوخ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ لما بين لهم انه مالك امورهم ومدبرها على حسب
مصالحهم من نسخ الآيات وغيره وقررهم على ذلك بقوله الم تعلم اراد ان يوصيهم بالثقة به فيما هو اصلح لهم مما يتعبدهم به وينزل عليهم
وان لا يقترحوا على رسولهم ما اقترحه آباء اليهود على موسى من الاشياء التي كانت عاقبتها وبالا عليهم كقولهم اجعل لنا الها ارنا الله جهرة
وغير ذلك وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ ومن ترك الثقة بالآيات المنزلة وشك فيها واقترح غيرها فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ وَدَّ كَثِيرٌ
مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ روي ان فنحاص بن
عازوراء وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة احد الم تروا ما اصابكم ولو كنتم على الحق ما
هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وافضل ونحن اهدى منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فاني قد
عاهدت ان لا اكفر بمحمد ما عشت فقالت اليهود اما هذا فقد صبأ وقال حذيفة واما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا
وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبراه فقال اصبتما خيرا
وافلحتما فنزلت فَإِنْ قُلْتَ بم يتعلق قوله من عند انفسهم قُلْتُ فيه وجهان احدهما ان يتعلق بود على معنى انهم تمنوا
ان ترتدوا عن دينكم وتمنيهم ذلك من عند انفسهم ومن قبل شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لانهم ودوا ذلك من بعد ما
تبين لهم انكم على الحق فكيف يكون تمنيهم من قبل الحق واما ان يتعلق بحسدا اي حسدا متبالغا منبعثا من اصل نفوسهم فَاعْفُوا
وَاصْفَحُوا فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح عما يكون منهم من الجهل والعداوة حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ الذي هو قتال بني قريظة واجلاء
بني النضير واذلالهم باخذ الجزية عليهم إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فهو يقدر على الانتقام منهم وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا
تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ من حسنة صلاة او صدقة او غيرهما تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ تجدوا ثوابه عند الله إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
عالم لا يضيع عنده عمل عامل وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى الضمير في وقالوا لاهل الكتاب من اليهود والنصارى
والمعنى وقالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصارى فلف بين القولين ثقة بان
السامع يرد الى كل فريق قوله وامنا من الالباس لما علم من التعادي بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما لصاحبه ونحوه وقالوا كونوا هودا او نصارى فَإِنْ قُلْتَ كيف قيل كان
هودا على توحيد الاسم وجمع الخبر قُلْتُ حمل الاسم على لفظ من والخبر على معناه كقراءة الحسن الا من هو صال الجحيم وقوله فان له نار
جهنم خالدين فيها وقرأ ابي بن كعب الا من كان يهوديا او نصرانيا فَإِنْ قُلْتَ لم قيل تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ وقولهم لن يدخل الجنة امنية
واحدة قُلْتُ اشير بها الى الاماني المذكورة وهي امنيتهم ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وامنيتهم ان يردوهم كفارا
وامنيتهم ان لا يدخل الجنة غيرهم اي تلك الاماني الباطلة امانيهم وقوله قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ متصل بقولهم لن يدخل الجنة
الا من كان هودا او نصارى وتلك امانيهم اعتراض والامنية افعولة من التمني مثل الاضحوكة والاعجوبة هاتوا برهانكم هلموا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ في دعواكم وهذا اهدم شيء
لمذهب المقلدين وان كل قول لا دليل عليه فهو باطل غير ثابت وهات صوت بمنزلة ها في معنى احضر بَلَى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم
الجنة مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ من اخلص نفسه له لا يشرك به غيره وَهُوَ مُحْسِنٌ في عمله فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
فله اجره الذي يستوجبه فَإِنْ قُلْتَ من اسلم وجهه كيف موقعه قُلْتُ يجوز ان يكون بلى ردا لقولهم ثم يقع من اسلم كلاما
مبتدأ ويكون من متضمنا لمعنى الشرط وجوابه فله اجره وان يكون من اسلم فاعلا لفعل محذوف اي بلى يدخلها من اسلم ويكون قوله
فله اجره كلاما معطوفا على يدخلها من اسلم وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ
على شيء يصح ويعتد به وهذه مبالغة عظيمة لان المحال والمعدوم يقع عليهما اسم الشيء واذا نفي اطلاق الشيء عليه فقد بولغ في ترك
الاعتداد به الى ما ليس بعده وهذا كقولهم اقل من لا شيء وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ الواو للحال والكتاب للجنس اي قالوا ذلك
حالهم انهم من اهل العلم والتلاوة للكتب وحق من حمل التوراة او الانجيل او غيرهما من كتب الله وآمن به الا يكفر بالباقي
لان كل واحد من الكتابين مصدق للثاني شاهد بصحته وكذلك كتب الله جميعا متواردة على تصديق بعضها بعضا كَذَلِكَ
اي مثل ذلك الذي سمعت به على ذلك المنهاج قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ قال الجهلة الذين لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة
الاصنام والمعطلة ونحوهم قالوا لكل اهل دين ليسوا على شيء وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم في سلك من
لا يعلم وروي ان وفد نجران لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاهم احبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم فقالت
اليهود ما انتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى لهم نحوه وكفروا بموسى وبالتوراة فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ فالله يحكم بين اليهود والنصارى يوم القيامة بما يقسم لكل فريق منهم من العقاب الذي استحقه

وعن الحسن حكم الله سبهم ان تكذيبهم وسيخلهم النار ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه ان يذكر ثاني مفعولي منع
لانك تقول منعته كذا ومثله وما منعنا ان نرسل وما منع الناس ان يؤمنوا ويجوز ان يحذف حرف الجر مع ان ولك ان تنصبه
مفعولا له بمعنى منعها كراهة ان يذكر وهو حكم عام لجنس مساجد الله وان مانعها من ذكر الله مفرط في الظلم والسبب فيه ان
النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس الاذى ويمنعون الناس ان يصلوا فيه وان الروم غزوا اهله وخربوه واحرقوا التوراة
وقتلوا وسبوا وقيل منع المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخلوا المسجد الحرام عام الحديبية فان قلت
فكيف قيل مساجد وانما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد وهو بيت المقدس او المسجد الحرام قلت لا باس ان يجيء الحكم عاما
وان كان السبب خاصا كما تقول لمن اذى صالحا واحدا ومن اظلم ممن اذى الصالحين وكما قال الله تعالى ويل لكل همزة لمزة والمنزول فيه
الاخنس بن شريق وسعى في خرابها بانقطاع الذكر او بتخريب البنيان وينبغي ان يراد بمن منع العموم كما اريد بمساجد الله ولا
يراد الذين منعوا باعيانهم من اولئك النصارى والمشركين اولئك المانعون ما كان لهم ان يدخلوها اي ما كان ينبغي
لهم ان يدخلوا مساجد الله الا خائفين على حال التهيب وارتعاد الفرائص من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يستولوا
عليها ويمنعوا المؤمنين منها والمعنى ما كان الحق والواجب الا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم وقيل ما كان لهم في حكم الله
يعني ان الله قد حكم وكتب في اللوح انه ينصر المؤمنين ويقويهم حتى لا يدخلوها الا خائفين وروي انه لا يدخل بيت المقدس احد من
النصارى الا متنكرا مسارقة وقال قتادة لا يوجد نصراني في بيت المقدس الا انهك ضربا وابلغ اليه في العقوبة وقيل نادى
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا يحجن بعد هذا العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريانا وقرى عبد الله الا خيفا وهو مثل صيم
وقد اختلف الفقهاء في دخول الكافر المسجد الحرام فجوزه ح ولم يجوزه مالك وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره وقيل معناه النهي عن
تمكينهم من الدخول والتخلية بينهم وبينه كقوله وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم
خزي قتل وسبي او ذلة بضرب الجزية وقيل فتح مدائنهم قسطنطينية ورومية وعمورية ولله المشرق والمغرب اي بلاد
المشرق والمغرب والارض كلها لله هو مالكها ومتوليها فاينما تولوا ففي اي مكان فعلتم التولية يعني تولية وجوهكم
شطر القبلة بدليل قوله فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره فثم وجه الله اي جهته
التي امر بها ورضيها والمعنى انكم اذا منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او في بيت المقدس فقد جعلت لكم الارض مسجدا فصلوا في اي
بقعة شئتم من بقاعها وافعلوا التولية فيها فان التولية ممكنة في كل مكان لا يختص امكانها في مسجد دون مسجد ولا في
مكان دون مكان ان الله واسع واسع الرحمة يريد التوسعة على عباده والتيسير عليهم عليم بمصالحهم وعن ابن عمر نزلت
في صلاة المسافر على الراحلة اينما توجهت وعن عطاء عميت القبلة على قوم فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاهم فعذروا
وقيل معناه فاينما تولوا للدعاء والذكر ولم يرد الصلاة وقرى الحسن فاينما تولوا بفتح التاء من التولي يريد فاينما توجهوا القبلة
وقالوا اتخذ الله ولدا وقرى بغير واو يريد الذين قالوا المسيح ابن الله وعزير ابن الله والملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له عن ذلك وتبعيد
بل له ما في السماوات والارض هو خالقه ومالكه ومن جملته الملائكة وعزير والمسيح كل له قانتون منقادون لا يمتنع
شيء منهم على تكوينه وتقديره ومشيئته ومن كان بهذه الصفة لم يجانس ومن حق الولد ان يكون من جنس الوالد والتنوين في كل
عوض من المضاف اليه اي كل من في السماوات والارض ويجوز ان يراد كل من جعلوه لله ولدا له قانتون مطيعون عابدون مقرون
بالربوبية منكرون لما اضافوا اليهم فان قلت كيف جاء بما الذي لغير اولي العلم مع قوله قانتون قلت هو كقوله سبحان
ما سخركن لنا وكانه جاء بما دون من تحقيرا لهم وتصغيرا لشانهم كقوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا بديع السماوات والارض
يقال بدع الشيء فهو بديع كقولك برع الرجل فهو بريع وبديع السماوات والارض من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها اي
بديع سماواته وارضه وقيل البديع بمعنى المبدع كما ان السميع في قول عمرو امن ريحانة الداعي السميع بمعنى المسمع وفيه نظر
واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون من كان التامة اي احدث وهذا مجاز من الكلام وتمثيل ولا قول ثم كالقول في
قوله قالتا اتينا طائعين والمعنى ان ما قضاه من الامور واراد كونه فانما يتكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع
ولا توقف كالمامور المطيع الذي يؤمر فيمتثل لا يتوقف ولا يمتنع ولا يكون منه الاباء اكد بهذا استبعاد الولادة لان من كان بهذه
الصفة من القدرة كانت حاله مباينة لاحوال الاجسام في توالدها وقرى بديع السماوات مجرورا على انه بدل من الضمير في له وقرى
المنصوب بالنصب على المدح وقال الذين لا يعلمون وقال الجهلة من المشركين وقيل من اهل الكتاب ونفى عنهم العلم لانهم لم يعملوا
به لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة وكلم موسى استكبارا منهم وعتوا او تاتينا آية جحودا لان يكون
ما اتاهم من آيات الله آيات واستهانة بها كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم اي قلوب هؤلاء ومن قبلهم
في العمى كقوله اتواصوا به قد بينا الآيات لقوم يوقنون لقوم ينصفون فيوقنون انها آيات يجب الاعتراف بها والاذعان لها
والاكتفاء بها عن غيرها انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا لان تبشر وتنذر لا لتجبر على الايمان وهذه تسلية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وتسرية عنه لانه كان يغتم ويضيق صدره لاصرارهم وتصميمهم على الكفر ولا تسأل ولا نسألك عن اصحاب الجحيم

ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت وبلغت جهدك في دعوتهم كقوله فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب وقرى ولا تسأل على النهي روي انه
قال عليه الصلاة والسلام ليت شعري ما فعل ابواي فنهي عن السؤال عن احوال الكفرة والاهتمام باعداء الله وقيل معناه تعظيم ما وقع
فيه الكفار من العذاب كما تقول كيف فلان سائلا عن الواقع في بلية فيقال لك لا تسأل عنه ووجه التعظيم ان المستخبر يجزع ان يجري
على لسانه ما هو فيه لفظاعته فلا تسأله ولا تكلفه ما يضجره او انت يا مستخبر لا تقدر على استماع خبره لايحاشه السامع واضجاره فلا
تسأل وتعضد القراءة الاولى قراءة عبد الله ولن تسأل وقراءة ابي وما تسأل ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع
ملتهم كانهم قالوا لن نرضى عنك وان ابلغت في طلب رضانا حتى تتبع ملتنا اقناطا منهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن دخولهم
في الاسلام فحكى الله تعالى كلامهم ولذلك قال قل ان هدى الله هو الهدى على طريقة اجابتهم عن قولهم يعني ان هدى الله الذي هو
الاسلام هو الهدى بالحق والذي يصح ان يسمى هدى وهو الهدى كله ليس وراءه هدى وما تدعون الى اتباعه ما هو بهدى انما هو
هوى الا ترى الى قوله ولئن اتبعت اهواءهم اي اقوالهم التي هي اهواء وبدع بعد الذي جاءك من العلم اي من الدين المعلوم صحته
بالبراهين الصحيحة ما لك من الله من ولي ولا نصير الذين آتيناهم الكتاب هم مؤمنو اهل الكتاب يتلونه حق تلاوته
لا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم اولئك يؤمنون به بكتابهم دون المحرفين ومن
يكفر به من المحرفين فاولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الضلالة بالهدى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم
واني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم
ينصرون واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات اختبره باوامر ونواه واختبار الله عبده مجاز عن تمكينه من اختيار احد الامرين
ما يريد الله وما يشتهيه العبد كانه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك وقرى ابو حنيفة رضي الله عنه وهي قراءة ابن
عباس ابراهيم ربه رفع ابراهيم ونصب ربه والمعنى انه دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه اليهن ام لا فان قلت الفاعل في
القراءة المشهورة يلي الفعل في التقدير فتعلق الضمير به اضمار قبل الذكر قلت الاضمار قبل الذكر ان يقال ابتلى ربه ابراهيم فاما ابتلى ابراهيم
ربه وابتلى ربه ابراهيم فليس واحد منهما باضمار قبل الذكر اما الاول فقد ذكر فيه صاحب الضمير قبل الضمير ذكرا ظاهرا واما الثاني
فابراهيم فيه مقدم في المعنى وليس كذلك ابتلى ربه ابراهيم فان الضمير فيه قد تقدم لفظا ومعنى فلا سبيل الى صحته والمستكن في
فاتمهن لابراهيم بمعنى فقام بهن حق القيام واداهن احسن التادية من غير تفريط وتوان ونحوه وابراهيم الذي وفى
وفي الاخرى لله تعالى بمعنى فاعطاه ما طلبه لم ينقص منه شيئا ويعضده ما روي عن مقاتل انه فسر الكلمات بما سال ابراهيم ربه في قوله
رب اجعل هذا البلد آمنا واجعلنا مسلمين لك وابعث فيهم رسولا ربنا تقبل منا فان قلت ما العامل في اذ قلت اما مضمر
نحو واذكر اذ ابتلى او واذ ابتلاه كان كيت وكيت واما قال اني جاعلك فان قلت ما موقع قال قلت هو على الاول استئناف كانه
قيل فماذا قال له ربه حين اتم الكلمات فقيل قال اني جاعلك للناس اماما وعلى الثاني جملة معطوفة على ما قبلها ويجوز ان يكون بيانا
لقوله ابتلى وتفسيرا له فيراد بالكلمات ما ذكره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام قبل ذلك في قوله اذ قال له
ربه اسلم وقيل في الكلمات هي خمس في الراس الفرق وقص الشارب والسواك والمضمضة والاستنشاق وخمس في البدن الختان
والاستحداد والاستنجاء وتقليم الاظفار ونتف الابط وقيل ابتلاه بثلاثين خصلة من شرائع الاسلام عشر في براءة التائبون العابدون
وعشر في الاحزاب المسلمين والمسلمات وعشر في المؤمنون وسأل سائل الى قوله والذين هم على صلواتهم يحافظون وقيل هي مناسك
الحج كالطواف والسعي والرمي والاحرام والتعريف وغيرهن وقيل ابتلاه بالكواكب والقمر والشمس والختان وذبح ابنه والنار
والهجرة والامام اسم من يؤتم به على زنة الاله كالازار لما يؤتزر به اي يأتمون بك في دينهم قال ومن ذريتي عطف على
الكاف كانه قال وجاعل بعض ذريتي كما يقال لك سأكرمك فتقول وزيدا قال لا ينال عهدي الظالمين وقرى الظالمون
اي من كان ظالما من ذريتك لا يناله استخلافي وعهدي اليه بالامامة وانما ينال من كان عادلا بريا من الظلم وقالوا في هذا دليل على ان الفاسق
لا يصلح للامامة وكيف يصلح لها من لا يجوز حكمه وشهادته ولا تجب طاعته ولا يقبل خبره ولا يقدم للصلاة وكان ابو حنيفة رضي الله عنه
يفتي سرا بوجوب نصرة زيد بن علي رضوان الله عليه وحمل المال اليه والخروج معه على اللص المتغلب المتسمى بالامام والخليفة كالدوانقي
واشباهه وقالت له امراة اشرت على ابني بالخروج مع ابراهيم ومحمد ابني عبد الله بن الحسن حتى قتل فقال ليتني مكان ابنك وكان
يقول في المنصور واشياعه لو ارادوا بناء مسجد وارادوني على عد آجره لما فعلت وعن ابن عيينة لا يكون الظالم اماما قط وكيف يجوز
نصب الظالم للامامة والامام انما هو لكف الظلمة فاذا نصب من كان ظالما في نفسه فقد جاء المثل السائر من استرعى الذئب ظلم واذ
جعلنا البيت والبيت اسم غالب للكعبة كالنجم للثريا مثابة للناس مباءة ومرجعا للحجاج والعمار يتفرقون عنه ثم يثوبون اليه
اعيان الذين يزورونه او امثالهم وامنا وموضع امن كقوله حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم ولان الجاني ياوي اليه فلا يتعرض
له حتى يخرج وقرى مثابات لانه مثابة لكل من الناس لا يختص به واحد منهم سواء العاكف فيه والباد واتخذوا من مقام ابراهيم
مصلى على ارادة القول اي وقلنا اتخذوا منه موضع صلاة تصلون فيه وهو على وجه الاختيار والاستحباب دون الوجوب وعن النبي
صلى الله عليه وسلم انه اخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابراهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى [illegible] فلا نؤثره لفضله بالصلاة فيه تبركا به وتيمنا

موطى قدم ابرهيم عليه الصلاة والسلام فقال له او مزيد لك فلم تغب الشمس حتى نزلت وعن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه
وعلى آله وسلم استلم الحجر ورمل ثلاثة اشواط ومشى اربعة حتى فرغ عمد الى مقام ابرهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام
ابرهيم مصلى وقيل مصلى مدعى ومقام ابرهيم الحجر الذي فيه اثر قدميه والموضع الذي كان فيه الحجر حين وضع عليه قدميه وهو
الموضع الذي يسمى مقام ابرهيم وعن عمر رضي الله عنه انه سأل المطلب بن ابي وداعة هل تدري اين كان موضعه الاول قال نعم فأراه موضعه
اليوم وعن عطا مقام ابرهيم عرفة والمزدلفة والجمار لانه قام في هذه المواضع ودعا فيها وعن النخعي الحرم كله مقام ابرهيم وقرئ
واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس من مكان ابرهيم الذي وسم به لاهتمامه به واسكان ذريته عنده قبلة يصلون
اليها **وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل** امرناهما **ان طهرا بيتي للطائفين** بان طهراه اي طهراه من الاوثان والانجاس
وطواف الجنب والحائض والخبائث كلها او اخلصاه لهولاء لئلا يغشاه غيرهم **والعاكفين والركع السجود** المجاورين الذين عكفوا
عنده اي اقاموا لا يبرحون او المعتكفين ويجوز ان يريد بالعاكفين الواقفين يعني القائمين في الصلاة كما قال للطائفين والقائمين
والركع السجود والمعنى للطائفين والمصلين لان القيام والركوع والسجود هيئات المصلي **واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا بلدا
امنا** اي اجعل هذا البلد او هذا المكان بلدا امنا ذا امن كقوله عيشة راضية او امنا فيه كقولك ليل نائم **وارزق اهله من
الثمرات من امن منهم بالله واليوم الاخر** ومن امن منهم بدل من اهله يعني وارزق المؤمنين من اهله خاصة **قال ومن كفر
فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير** ومن كفر عطف على من امن كما عطف ومن ذريتي على الكاف في جاعلك
فان قلت لم خص ابرهيم صلوات الله عليه المؤمنين حتى رد عليه **قلت** قاس الرزق على الامامة فعرف الفرق بينهما لان الاستخلاف
استرعا يختص بمن ينصح للمرعي وابعد الناس عن النصيحة الظالم بخلاف الرزق فانه قد يكون استدراجا للمرزوق والزاما للحجة له
والمعنى وارزق من كفر فامتعه ويجوز ان يكون ومن كفر مبتدأ متضمنا معنى الشرط وقوله فامتعه جوابا اي ومن كفر فانا امتعه ثم
اضطره فالزه الى عذاب النار لز المضطر الذي لا يملك الامتناع مما اضطر اليه وقرئ فنمتعه قليلا ثم نضطره وقرى يحيى بن
وثاب فاضطره بكسر الهمزة وقرأ ابن عباس فامتعه قليلا ثم اضطره على لفظ الامر والمراد ابرهيم دعا ربه به **فان قلت**
فكيف تقدير الكلام على هذه القراءة **قلت** في قال ضمير ابرهيم اي قال ابرهيم بعد مسألته اختصاص المؤمنين بالرزق ومن كفر فامتعه
قليلا ثم اضطره وقرى بن محيصن فاطّره بادغام الضاد في الطاء كما قالوا اطّجع وهي لغة مرذولة لان الضاد من الحروف الخمسة
التي يدغم فيها ما يجاورها ولا تدغم هي فيما يجاورها وهي حروف ضم شفر **واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل**
يرفع حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس والاصل لما فوقه وهي صفة غالبة ومعناها الثابتة ومنه قعدك الله اي
اسأل الله ان يقعدك اي يثبتك ورفع الاساس البنا عليها لانها اذا بني عليها نقلت عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع وتطاولت بعد
التقاصر ويجوز ان يكون المراد بها سافات البنا لان كل ساف قاعدة للذي يبنى عليه ويوضع فوقه ومعنى رفع القواعد رفعها بالبنا لانه
اذا وضع سافا فوق ساف فقد رفع السافات ويجوز ان يكون المعنى واذ يرفع ابرهيم ما قعد من البيت اي استوطأ يعني جعل هيئته القاعدة
المستوطئة مرتفعة عالية بالبنا وروي انه كان مؤسسا قبل ابرهيم فبنى على الاساس وروي ان الله سبحانه انزل البيت ياقوتة من يواقيت
الجنة له بابان من زمرد شرقي وغربي وقال لادم عليه السلام اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشي فتوجه ادم من
ارض الهند اليه ماشيا وتلقته الملائكة فقالوا بر حجك يا ادم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وحج ادم اربعين حجة
من ارض الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك الى ان رفعه الله ايام الطوفان الى السماء الرابعة فهو البيت المعمور ثم ان الله امر
ابرهيم ببنائه وعرفه جبريل مكانه وقيل بعث الله سحابة اظلته ونودي ان ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل بناه من
خمسة اجبل طور سينا وطور زيتا ولبنان والجودي واسسه من حرا وجاءه جبريل بالحجر الاسود من السماء وقيل تمخض ابو قبيس
فانشق عنه وقد خبي فيه ايام الطوفان وكان ياقوتة بيضا من الجنة فلما لمسته الحيض في الجاهلية اسود وقيل كان ابرهيم يبني
وكان اسمعيل يناوله الحجارة **ربنا تقبل منا** اي يقولان ربنا وهذا الفعل في محل النصب على الحال وقد اظهره عبد الله في
قراءته ومعناه يرفعانها قائلين ربنا **انك انت السميع** لدعائنا **العليم** بضمائرنا ونياتنا **فان قلت** هلا قيل قواعد البيت واي
فرق بين العبارتين **قلت** في ابهام القواعد وتبيينها بعد الابهام ما ليس في اضافتها لما في الايضاح بعد الابهام من تفخيم
لشان المبين **ربنا واجعلنا مسلمين لك** مخلصين لك اوجهنا من قوله اسلم وجهه لله او مستسلمين يقال اسلم له واستسلم
اذا خضع واذعن والمعنى زدنا اخلاصا واذعانا لك وقرئ على الجمع كانهما ارادا انفسهما وهاجر او اجريا التثنية على حكم الجمع
لانها منه **ومن ذريتنا** واجعل من ذريتنا **امة مسلمة لك** ومن للتبعيض او للتبيين كقوله وعد الله الذين امنوا منكم
فان قلت لم خصا ذريتهما بالدعا **قلت** لانهم احق بالشفقة والنصيحة قوا انفسكم واهليكم نارا ولان اولاد الانبيا اذا
صلحوا صلح بهم غيرهم وشايعوهم على الخير الا ترى ان المتقدمين من العلما والكبرا اذا كانوا على السداد كيف يتسببون لسداد
من وراءهم وقيل اراد بالامة امة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم **وارنا مناسكنا** منقول من رأى بمعنى ابصر او عرف ولذلك
لم يتجاوز مفعولين اي وبصرنا متعبداتنا في الحج او وعرفناها وقيل مذابحنا وقرئ وارنا بسكون الرا قياسا على فخذ في

فخذ وقد استرذلت لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها فاسقاطها اجحاف وقرى ابو عمرو باشمام الكسرة
وقرى عبد الله وارهم مناسكهم **وتب علينا** ما فرط منا من الصغائر او استتابا لذريتهما **انك انت التواب الرحيم**
ربنا وابعث فيهم في الامة المسلمة **رسولا منهم** من انفسهم وروي انه قيل له قد استجيب لك وهو في اخر الزمان فبعث الله
فيهم محمدا صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال عليه الصلوة والسلام انا دعوة ابي ابرهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي **يتلو عليهم اياتك**
يقرأ عليهم ويبلغهم ما توحي اليه من دلائل وحدانيتك وصدق انبيائك **ويعلمهم الكتاب** القران **والحكمة** الشريعة
وبيان الاحكام **ويزكيهم** ويطهرهم من الشرك وسائر الارجاس كقوله ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث **انك
انت العزيز الحكيم ومن يرغب عن ملة ابرهيم الا من سفه نفسه** ومن يرغب انكار واستبعاد لان يكون في العقلاء من
يرغب عن الحق الواضح الذي هو ملة ابرهيم ومن سفه في محل الرفع على البدل من الضمير في يرغب وصح البدل لان من يرغب
غير موجب كقولك هل جاءك احد الا زيد سفه نفسه امتهنها واستخف بها واصل السفه الخفة ومنه زمام سفيه وقيل
انتصاب النفس على التمييز نحو غبن رايه والم راسه ويجوز ان يكون في شذوذ تعريف المميز نحو قوله ولا بفزارة الشعر الرقابا اجب الظهر
ليس له سنام وقيل معناه سفه في نفسه فحذف الجار كقولهم زيد ظني مقيم اي في ظني والوجه هو الاول وكفى شاهدا له
ما جاء في الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وذلك انه اذا رغب عما لا يرغب عنه عاقل قط فقد بالغ في اذالة نفسه
وتعجيزها حيث خالف بها كل نفس عاقلة **ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين** بيان لخطا راي من
رغب عن ملته لان من جمع الكرامة عند الله في الدارين بان كان صفوته وخيرته في الدنيا وكان مشهودا له بالاستقامة على الخير في الاخرة
لم يكن احد اولى بالرغبة في طريقته منه **اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين** ظرف لاصطفيناه اي اخترناه في ذلك الوقت
او انتصب باضمار اذكر كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح الذي لا يرغب عن ملة
مثله ومعنى قال له اسلم اخطر بباله النظر في الدلائل المؤدية الى المعرفة والاسلام فقال اسلمت اي فنظر وعرف وقيل اسلم اي اذعن واطع
وروي ان عبد الله بن سلام دعى ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله قال في التوراة اني باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه
احمد فمن امن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر ان يسلم فنزلت **ووصى بها ابرهيم بنيه**
وقرى واوصى وهي في مصاحف اهل الحجاز والشام والضمير في بها لقوله اسلمت لرب العالمين على تاويل الكلمة والجملة ونحوه رجوع الضمير
في قوله وجعلها كلمة باقية الى قوله انني برآء مما تعبدون الا الذي فطرني وقوله كلمة باقية دليل على ان التانيث على تاويل الكلمة **ويعقوب**
عطف على ابرهيم داخل في حكمه والمعنى ووصى بها يعقوب بنيه ايضا وقرى ويعقوب بالنصب عطفا على بنيه ومعناه ووصى بها
ابرهيم بنيه ونافلته يعقوب **يا بني ان الله اصطفى لكم الدين** على اضمار القول عند البصريين وعند الكوفيين يتعلق بوصى لانه
في معنى القول ونحوه قول القائل رجلان من ضبة اخبرانا انا رأينا رجلا عريانا بكسر الهمزة فهو بتقدير القول عندنا وعندهم
يتعلق بفعل الاخبار وفي قراءة ابي وابن مسعود ان يا بني ان الله اصطفى لكم الدين اعطاكم الدين الذي هو صفوة الاديان وهو دين الاسلام ووفقكم
للاخذ به **فلا تموتن الا وانتم مسلمون** معناه فلا يكن موتكم الا على كونكم ثابتين على الاسلام فالنهي في الحقيقة عن كونهم
على خلاف حال الاسلام اذا ماتوا كقولك لا تصل الا وانت خاشع فلا تنهاه عن الصلوة ولكن عن ترك الخشوع في حال صلاته **فان
قلت** فاي نكتة في ادخال حرف النهي على الصلوة وليس بمنهي عنها **قلت** النكتة فيه اظهار ان الصلوة التي لا خشوع فيها كلا صلوة
كانه قال انهاك عنها اذا لم تصلها على هذه الحالة الا ترى الى قوله عليه الصلوة والسلام لا صلوة لجار المسجد الا في المسجد فكانه كالتصريح
بقولك لجار المسجد لا تصل الا في المسجد وكذلك المعنى في الاية اظهار ان موتهم لا على الثبات على الاسلام موت لا خير فيه وانه ليس
بموت السعدا وان من حق هذا الموت ان لا يحل فيهم وتقول في الامر ايضا مت وانت شهيد وليس مرادك الامر بالموت ولكن بالكون
على صفة الشهدا اذا مات وانما امرته بالموت اعتدادا منك بميتته واظهارا لفضلها على غيرها وانها حقيقة بان يحث عليها **ام كنتم
شهدا اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله ابائك ابرهيم واسمعيل
واسحق** ام هي ام المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والشهدا جمع شهيد بمعنى الحاضر اي ما كنتم حاضرين يعقوب عليه السلام
اذ حضره الموت اي حين احتضر والخطاب للمؤمنين عام بمعنى ما شاهدتم ذلك وانما حصل لكم العلم به من طريق الوحي وقيل الخطاب
لليهود لانهم كانوا يقولون ما مات نبي الا على اليهودية الا انهم لو شهدوه وسمعوا ما قاله لبنيه وما قالوه لظهر لهم حرصه على
ملة الاسلام ولما ادعوا عليه اليهودية فالاية منافية لقولهم فكيف يقال لهم ام كنتم شهدا ولكن الوجه ان تكون ام متصلة على ان
يقدر قبلها محذوف كانه قيل اتدعون على الانبيا اليهودية ام كنتم شهدا اذ حضر يعقوب الموت يعني ان اوائلكم من بني اسرائيل
كانوا مشاهدين له اذ اراد بنيه على التوحيد وملة الاسلام وقد علمتم ذلك فما لكم تدعون على الانبيا ما هم منه برآء وقرى
حضر بكسر الضاد وهي لغة ما تعبدون اي شيء تعبدونه وما عام في كل شيء واذا علم فرق بما ومن وكفاك دليلا قول العلما
من لما يعقل ولو قيل من تعبدون لم يعم الا اولي العلم وحدهم ويجوز ان يقال ما تعبدون سوال عن صفة المعبود كما تقول ما زيد تريد به
افقيه ام طبيب ام غير ذلك من الصفات وابرهيم واسمعيل واسحق عطف بيان لابائك وجعل اسمعيل وهو عمه من جملة ابائه لان

العم اب والخالة ام لانخراطهما في سلك واحد وهو الاخوة لا تفاوت بينهما ومنه قوله عليه الصلاة والسلام عم الرجل صنو ابيه اي لا
تفاوت بين صنوي النخلة وقال في العباس هذا بقية آبائي وقال ردوا علي ابي فاني اخشى ان تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود
وقرئ اله ابيك وفيه وجهان ان يكون واحدا وابرهيم وحده عطف بيان له وان يكون جمعا بالواو
والنون قال وفدّيننا بالابينا الها واحدا بدل من اله آبائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة او على الاختصاص اي نريد باله آبائك
الها واحدا ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او من مفعوله لرجوع الهاء اليه في له ويجوز ان تكون جملة معطوفة على نعبد
وان تكون جملة اعتراضية موكدة اي ومن حالنا انا مسلمون مخلصون التوحيد او مذعنون تلك امة قد خلت لها ما كسبت
ولكم ما كسبتم تلك اشارة الى الامة المذكورة التي هي ابرهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون والمعنى ان احدا لا تنفعه كسب
غيره متقدما كان او متأخرا فكما ان اولئك لا تنفعهم الا ما اكتسبوا فكذلك انتم لا تنفعكم الا ما اكتسبتم وذلك انهم افتخروا
باوائلهم ونحوه قول رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم يا بني هاشم لا يأتيني الناس باعمالهم وتأتوني بانسابكم ولا تسألون عما كانوا
يعملون ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تنفعكم حسناتهم وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا قل بل ملة ابرهيم
حنيفا بل ملة ابرهيم اي بل تكون ملة ابرهيم اي اهل ملته كقول عدي بن حاتم اني من دين يريد من اهل دين وقيل بل نتبع ملة ابرهيم
وقرئ ملة ابرهيم بالرفع اي ملته ملتنا او امرنا ملته او نحن ملته بمعنى اهل ملته وحنيفا حال من المضاف اليه كقولك رأيت
وجه هند قائمة والحنيف المائل عن كل دين باطل الى دين الحق والحنف الميل في القدمين وتحنف اذا مال وانشد ولكنا خلقنا اذ خلقنا
حنيفا ديننا عن كل دين وما كان من المشركين تعريض باهل الكتاب وغيرهم لان كلا منهم يدعي اتباع ملة ابرهيم وهو على
الشرك قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى
وما اوتي النبيون من ربهم قولوا خطابا للمؤمنين ويجوز ان يكون للكافرين اي قولوا لتكونوا على الحق والا فانتم على الباطل وكذلك
قوله بل ملة ابرهيم يجوز ان يكون على بل اتبعوا انتم ملة ابرهيم او كونوا اهل ملته والسبط الحافد وكان الحسن والحسين رضي الله عنهما
سبطي رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم والاسباط حفدة يعقوب ذراري ابنائه الاثني عشر لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون
لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى واحد في معنى الجماعة ولذلك صح دخول بين عليه فان آمنوا بمثل ما
آمنتم به فقد اهتدوا فمن باب التبكيت لان دين الحق واحد لا مثل له وهو دين الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن
يقبل منه فلا يوجد اذا دين آخر يماثل دين الاسلام في كونه حقا حتى ان آمنوا بذلك الدين المماثل له كانوا مهتدين فقيل فان آمنوا بكلمة
الشك على سبيل الفرض والتقدير اي فان حصلوا دينا آخر مثل دينكم مساويا له في الصحة والسداد فقد اهتدوا وفيه ان دينهم الذي هم
عليه وكل دين سواه مغاير له غير مماثل لانه حق وهدى وما سواه باطل وضلال ونحو هذا قولك للرجل الذي تشير عليه هذا هو الراي
الصواب فان كان عندك راي اصوب منه فاعمل به وقد علمت ان لا اصوب من رايك ولكنك تريد تبكيت صاحبك وتوقيفه على ان ما رايت
لا راي وراءه ويجوز ان لا تكون الباء صلة وتكون باء الاستعانة كقولك كتبت بالقلم وعملت بالقدوم اي فان دخلوا في الايمان بشهادة
مثل شهادتكم التي آمنتم بها وقرأ ابن عباس وابن مسعود بما آمنتم به وقرأ ابي بالذي آمنتم به وان تولوا فانما هم في شقاق وان تولوا عما
تقولون لهم ولم ينصفوا فما هم الا في شقاق اي في مناواة ومعاندة لا غير وليسوا من طلب الحق في شيء او فان تولوا عن الشهادة والدخول في
الايمان بها فسيكفيكهم الله ضمان من الله لاظهار رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم عليهم وقد انجز وعده بقتل قريظة وسبيهم
واجلاء بني النضير ومعنى السين ان ذلك كائن لا محالة وان تأخر الى حين وهو السميع العليم وعيد لهم اي يسمع ما ينطقون به ويعلم ما
يضمرون من الحسد والغل وهو معاقبهم عليه او وعد لرسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم اي يسمع ما تدعو به ويعلم نيتك وما تريده من اظهار
دين الله وهو مستجيب لك وموصلك الى مرادك صبغة الله مصدر موكد منتصب عن قوله آمنا بالله كما انتصب وعد الله عما تقدمه
وهي فعلة من صبغ كالجلسة من جلس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ والمعنى تطهير الله لان الايمان يطهر النفوس والاصل فيه ان النصارى
كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم فاذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قال الآن صار نصرانيا
حقا فامر المسلمون بان يقولوا لهم قولوا آمنا بالله وصبغنا الله بالايمان صبغة لا مثل صبغتنا وطهرنا به تطهيرا لا مثل تطهيرنا او
يقول المسلمون صبغنا الله بالايمان صبغته ولم نصبغ صبغتكم وانما جيء بلفظ الصبغة على طريقة المشاكلة كما تقول لمن يغرس
الاشجار اغرس كما يغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرام ومن احسن من الله صبغة يعني انه يصبغ عباده بالايمان ويطهرهم
به من اوضار الكفر فلا صبغة احسن من صبغته وقوله ونحن له عابدون عطف على آمنا بالله وهذا العطف يرد قول من زعم ان صبغة الله
بدل من ملة ابرهيم او نصب على الاغراء بمعنى عليكم صبغة الله لما فيه من فك النظم واخراج الكلام عن التئامه واتساقه وانتصابها
على انها مصدر موكد هو الذي ذكره سيبويه والقول ما قالت حذام قل اتحاجوننا في الله وقرأ زيد بن ثابت اتحاجونا بادغام النون
والمعنى اتجادلوننا في شأن الله واصطفائه النبي من العرب دونكم وتقولون لو انزل الله على احد لانزل علينا وترونكم احق بالنبوة منا
وهو ربنا وربكم نشترك جميعا في انا عباده وهو ربنا وهو يصيب برحمته وكرامته من يشاء من عباده فوضى في ذلك لا يختص
به عجمي دون عربي اذا كان اهلا للكرامة لنا اعمالنا ولكم اعمالكم يعني ان العمل هو اساس الامر وبه العبرة وكما ان لكم

اعمالا

اعمالا نعتبر بها الله في اعطاء الكرامة ومنعها فكذلك لنا اعمال ونحن له مخلصون فجاءنا ما هو سبب الكرامة اي نحن له
موحدون نخلصه الايمان فلا تستبعدوا ان يؤهل اهل اخلاصه لكرامته بالنبوة وكانوا يقولون نحن احق بان تكون النبوة فينا
لانا اهل كتاب والعرب عبدة اوثان ام تقولون ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى فيمن
قرأ بالتاء ان تكون ام معادلة للهمزة في اتحاجوننا بمعنى اي الامرين تأتون المحاجة في حكم الله ام ادعاء اليهودية والنصرانية على الانبياء
والمراد بالاستفهام عنهما انكارهما معا وان تكون منقطعة بمعنى بل اتقولون والهمزة للانكار ايضا وفيمن قرأ بالياء لا تكون الا منقطعة
قل ءانتم اعلم ام الله يعني ان الله شهد لهم بملة الاسلام في قوله ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما ومن
اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله اي كتم شهادة الله التي عنده انه شهد بها وهي شهادته لابرهيم بالحنيفية ويحتمل معنيين
احدهما ان اهل الكتاب لا احد اظلم منهم لانهم كتموا هذه الشهادة وهم عالمون بها والثاني انا لو كتمنا هذه الشهادة لم
يكن احد اظلم منا فلا نكتمها وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد بالنبوة في كتبهم وسائر شهاداته ومن في قوله شهادة من الله مثلها
في قولك هذه شهادة مني لفلان اذا شهدت له ومثله براءة من الله ورسوله وما الله بغافل عما تعملون تلك امة قد خلت
لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون سيقول السفهاء من الناس الخفاف الاحلام وهم
اليهود لكراهتهم التوجه الى الكعبة وانهم لا يرون النسخ وقيل المنافقون لحرصهم على الطعن والاستهزاء وقيل المشركون
قالوا رغب عن قبلة آبائه ثم رجع اليها والله ليرجعن الى دينهم فان قلت اي فائدة في الاخبار بقولهم قبل وقوعه قلت
فائدته ان مفاجأة المكروه اشد والعلم به قبل وقوعه ابعد من الاضطراب اذا وقع لما يتقدمه من توطين النفس وان الجواب العتيد
قبل الحاجة اليه اقطع للخصم واردّ لشغبه وقبل الرمي يراش السهم ما ولاهم ما صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها وهي
بيت المقدس قل لله المشرق والمغرب اي بلاد المشرق والمغرب والارض كلها يهدي من يشاء من اهلها الى صراط مستقيم وهو
ما توجبه الحكمة والمصلحة من توجيههم تارة الى بيت المقدس واخرى الى الكعبة وكذلك جعلناكم ومثل ذلك الجعل العجيب
جعلناكم امة وسطا خيارا وهي صفة بالاسم الذي هو وسط الشيء ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ونحو قوله
عليه الصلاة والسلام انطوا الثبجة يريد الوسيطة بين السمينة والعجفاء وصفا بالثبج وهو وسط الظهر الا انه الحق التاء مراعاة
لحق الوصف وقيل للخيار وسط لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والاعوار والاوساط محمية محوطة ومنه قول الطائي
كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت بها الحوادث حتى اصبحت طرفا وقيل اكتريت بمكة جملا اعرابيا للحج فقال اعطني
من سطاتهنه اراد من خيار الدنانير او عدولا لان الوسط عدل بين الاطراف ليس الى بعضها اقرب من بعض لتكونوا شهداء على الناس
ويكون الرسول عليكم شهيدا روي ان الامم يوم القيامة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالب الله الانبياء بالبينة على انهم قد بلغوا
وهو اعلم فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وعلى اله وسلم فيشهدون فتقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله في كتابه
الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وعلى اله وسلم فيسأل عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله
فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فان قلت هلا قيل لكم شهيدا وشهادته لهم قلت لما كان
الشهيد كالرقيب والمهيمن على المشهود له جيء بكلمة الاستعلاء ومنه قوله تعالى والله على كل شيء شهيد كنت انت الرقيب عليهم
وانت على كل شيء شهيد وقيل لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يصح الا بشهادة العدول الاخيار ويكون الرسول شهيدا عليكم
يزكيكم ويعلم بعدالتكم فان قلت لم اخرت صلة الشهادة اولا وقدمت آخرا قلت لان الغرض في الاول اثبات شهادتهم
على الامم وفي الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن
ينقلب على عقبيه التي كنت عليها ليست بصفة للقبلة انما هي ثاني مفعولي جعل يريد وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة
لان رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم كان يصلي بمكة الى الكعبة ثم امر بالصلاة الى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تألفا لليهود
ثم حول الى الكعبة فيقول وما جعلنا القبلة التي تحب ان تستقبلها الجهة التي كنت عليها اولا بمكة يعني وما رددناك اليها الا امتحانا
للناس وابتلاء لنعلم الثابت على الاسلام الصادق فيه ممن هو على حرف ينكص على عقبيه لقلقه فيرتد كقوله وما جعلنا عدتهم
الا فتنة للذين كفروا الآية ويجوز ان يكون بيانا للحكمة في جعل بيت المقدس قبلته يعني ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وان
استقبالك بيت المقدس كان امرا عارضا لغرض وانما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها قبل وقتك هذا وهي بيت المقدس لنمتحن الناس
وننظر من يتبع الرسول منهم ومن لا يتبعه وينفر عنه وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة
بينه وبينه فان قلت كيف قال لنعلم ولم يزل عالما بذلك قلت معناه لنعلمه علما يتعلق به الجزاء وهو ان يعلمه موجودا حاصلا ونحوه
ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وقيل ليعلم رسول الله والمؤمنون وانما اسند علمهم الى ذاته لانهم خواصه واهل
الزلفى عنده وقيل معناه لنميز التابع من الناكص كما قال ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز لان العلم به يقع
التمييز وان كانت لكبيرة هي ان المخففة التي تلزمها اللام الفارقة والضمير في كانت لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت
عليها من الردة او التحويلة او الجعلة ويجوز ان يكون للقبلة لكبيرة لثقيلة شاقة الا على الذين هدى الله الا على الثابتين الصادقين في

واتباع الرسول الذين لطف الله بهم وكانوا اهلا للطفه وما كان الله ليضيع ايمانكم اي ثباتكم على الايمان وانكم لم تزلوا ولم
ترتابوا بل شكر صنيعكم واعد لكم الثواب العظيم ويجوز ان يراد وما كان الله ليترك تحويلكم لعلمه ان تركه مفسدة واضاعة
لايمانكم وقيل من كان صلى الى بيت المقدس قبل التحويل فصلاته غير ضائعة عن ابن عباس لما وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
الى الكعبة قالوا كيف بمن مات يا رسول الله قبل التحويل من اخواننا فنزلت ان الله بالناس لرءوف رحيم لا يضيع اجورهم ولا يترك
ما يصلحهم وحكي عن الحجاج انه قال للحسن ما رايك في ابي تراب فقرا الا على الذين هدى الله ثم قال فعلي منهم وهو ابن عم رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم وختنه على ابنته واقرب الناس اليه واحبهم اليه وقرئ الا ليعلم على البناء للمفعول ومعنى العلم المعرفة ويجوز
ان تكون من متضمنة لمعنى الاستفهام معلقا عنها العلم كقولك علمت ازيد في الدار ام عمرو وقرا ابن ابي اسحق على عقبيه بسكون القاف
وقرا اليزيدي لكبيرة بالرفع ووجهها ان تكون مزيدة كما في قوله وجيران لنا كانوا كرام والاصل وان هي لكبيرة كقولك
ان زيد لمنطلق ثم وان كانت لكبيرة وقرئ ليضيع بالتشديد قد نرى ربما نرى ومعناه كثرة الرؤية كقوله قد اترك القرن
مصفرا انامله تقلب وجهك في السماء تردد وجهك وتصرف نظرك في جهة السماء وكان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم
يتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابرهيم وادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم ولمخالفة
اليهود فكان يراعي نزول جبريل والوحي بالتحويل فلنولينك قبلة فلنعطينك ولنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا
اذا جعلته واليا له او فلنجعلنك تلي سمتها دون سمت بيت المقدس ترضاها تحبها وتميل اليها لاغراضك الصحيحة التي اضمرتها
ووافقت مشيئة الله وحكمته فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره شطر المسجد الحرام
نحوه قال واطعن بالقوم شطر الملوك وقرا ابي تلقاء المسجد الحرام وعن البراء بن عازب قدم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم المدينة فصلى
نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة وقيل كان ذلك في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله
صلى الله عليه وعلى آله وسلم في مسجد بني سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين من صلاة الظهر فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان
النساء والنساء مكان الرجال فسمي المسجد مسجد القبلتين وشطر المسجد نصب على الظرف اي اجعل تولية الوجه تلقاء المسجد اي في جهته وسمته
لان استقبال عين القبلة فيه حرج عظيم على البعيد وذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليل على ان الواجب مراعاة الجهة دون العين
وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربك اي التحويل الى الكعبة هو الحق لانه كان في بشارة انبيائهم برسول الله صلى الله
عليه وعلى آله وسلم انه يصلي الى القبلتين وما الله بغافل عما يعملون وقرئ بالياء والتاء ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية
ما تبعوا قبلتك ما تبعوا جواب القسم المحذوف وسد مسد جواب الشرط بكل آية برهان قاطع ان التوجه الى الكعبة هو الحق ما تبعوا
قبلتك لان تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيلها بايراد الحجة انما هو عن مكابرة وعناد مع علمهم بما في كتبهم من نعتك انك على الحق وما
انت بتابع قبلتهم حسم لاطماعهم اذ كانوا ماجوا في ذلك وقالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون صاحبنا الذي ننتظره
وطمعوا في رجوعه الى قبلتهم وقرئ بتابع قبلتهم على الاضافة وما بعضهم بتابع قبلة بعض يعني انهم مع اتفاقهم على مخالفتك
مختلفون في شان القبلة لا يرجى اتفاقهم كما لا ترجى موافقتهم لك وذلك ان اليهود تستقبل بيت المقدس والنصارى مطلع الشمس
اخبر عز وعلا عن تصلب كل حزب فيما هو فيه وثباته عليه فالمحق منهم لا يزول عن مذهبه لتمسكه بالبرهان والمبطل لا يقلع عن باطله
لشدة شكيمته في عناده ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين وقوله ولئن اتبعت اهواءهم بعد
الافصاح عن حقيقة حالهم المعلومة عنده في قوله وما انت بتابع قبلتهم كلام وارد على سبيل الفرض والتقدير بمعنى ولئن اتبعتهم
مثلا بعد وضوح البرهان والاحاطة بحقيقة الامر انك اذا لمن الظالمين المرتكبين الظلم الفاحش وفي ذلك لطف للسامعين وزيادة
تحذير واستفظاع لحال من يترك الدليل بعد انارته ويتبع الهوى وتهييج والهاب للثبات على الحق فان قلت كيف قال وما
انت بتابع قبلتهم ولهم قبلتان لليهود قبلة وللنصارى قبلة قلت كلتا القبلتين باطلة مخالفة لقبلة الحق فكانتا بحكم الاتحاد في البطلان
قبلة واحدة الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه يعرفون رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم معرفة جلية يميزون بينه وبين غيره بالوصف
المعين المشخص كما يعرفون ابناءهم لا يشتبه عليهم ابناؤهم وابناء غيرهم وعن عمر رضي الله عنه انه سال عبد الله بن سلام عن رسول
الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت فقبل
عمر راسه وجاز الاضمار وان لم يسبق له ذكر لان الكلام يدل عليه ولا يلتبس على السامع ومثل هذا الاضمار فيه تفخيم واشعار بانه
لشهرته وكونه علما معلوما بغير اعلام وقيل الضمير للعلم او القرآن او تحويل القبلة وقوله كما يعرفون ابناءهم يشهد للاول وينصره
الحديث عن عبد الله بن سلام فان قلت لم اختص الابناء قلت لان الذكور اشهر واعرف وهم لصحبة الآباء الزم وبقلوبهم الصق وان
فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون وان فريقا منهم استثناء لمن آمن منهم او لجهالهم الذين قال فيهم ومنهم اميون
لا يعلمون الكتاب الحق من ربك يحتمل ان يكون الحق خبر مبتدا محذوف اي هو الحق ومن ربك خبرا بعد خبر وفيه وجهان
ان تكون اللام للعهد والاشارة الى الحق الذي عليه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم او الى الحق الذي في قوله ليكتمون الحق اي هذا
الذي يكتمونه هو الحق من ربك وان تكون للجنس على معنى الحق من الله لا من غيره يعني ان الحق ما ثبت انه من الله كالذي انت عليه وما لم

يثبت انه

يثبت انه من الله كالذي عليه اهل الكتاب فهو الباطل فان قلت اذا جعلت الحق خبر مبتدا فما محل من ربك قلت يجوز ان يكون
خبرا بعد خبر وان يكون حالا وقرا علي عليه السلام الحق من ربك على الابدال من الاول اي يكتمون الحق الحق من ربك فلا تكونن
من الممترين الشاكين في كتمانهم الحق مع علمهم او في انه من ربك ولكل من اهل الاديان المختلفة وجهة قبلة وفي قراءة ابي ولكل
قبلة هو موليها هو موليها وجهه فحذف احد المفعولين وقيل هو لله تعالى اي الله موليها اياه وقرئ ولكل وجهة على الاضافة
والمعنى وكل وجهة الله موليها فزيدت اللام لتقدم المفعول كقولك لزيد ضربت ولزيد ابوه ضاربه وقرا ابن عامر هو مولاها
اي هو مولى تلك الجهة قد وليها والمعنى لكل امة قبلة تتوجه اليها منكم ومن غيركم فاستبقوا الخيرات فاستبقوا اليها
غيركم من امر القبلة وغيره ومعنى آخر وهو ان يراد ولكل منكم يا امة محمد وجهة اي جهة يصلي اليها جنوبية او شمالية او
شرقية او غربية فاستبقوا الخيرات اينما تكونوا يات بكم الله جميعا للجزاء من موافق ومخالف لا تعجزونه ويجوز ان يكون
المعنى فاستبقوا الفاضلات من الجهات وهي الجهات المسامتة للكعبة وان اختلفت اينما تكونوا من الجهات المختلفة يات بكم
الله جميعا يجمعكم ويجعل صلواتكم كانها الى جهة واحدة وكانكم تصلون حاضري المسجد الحرام ان الله على كل شيء قدير
ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه وان هذا المامور به للحق من ربك وما الله
بغافل عما تعملون وقرئ يعملون بالتاء والياء ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا
وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة وهذا التكرير لتاكيد امر القبلة وتشديده لان النسخ من مظان الفتنة
والشبهة وتسويل الشيطان والحاجة الى الفصل بينه وبين البداء فكرر عليهم ليثبتوا ويعزموا ويجدوا ولانه نيط بكل واحد
ما لم ينط بالآخر فاختلفت فوائدها الا الذين ظلموا منهم استثناء من الناس ومعناه لئلا تكون حجة لاحد من اليهود الا للمعاندين منهم
القائلين ما ترك قبلتنا الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة الانبياء فان قلت اي حجة
تكون للمنصفين منهم لو لم يحول حتى احترز من تلك الحجة ولم يبال بحجة المعاندين قلت كانوا يقولون ما له لا يحول الى قبلة ابيه ابرهيم كما هو
مذكور في نعته في التوراة فان قلت كيف اطلق اسم الحجة على قول المعاندين قلت لانهم يسوقونه سياق الحجة ويجوز ان
يكون المعنى لئلا يكون للعرب عليكم حجة واعتراض في ترككم التوجه الى الكعبة التي هي قبلة ابرهيم واسمعيل ابي العرب
الا الذين ظلموا منهم وهم اهل مكة حين يقولون بدا له فرجع الى قبلة آبائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وقرا زيد بن علي رضي الله عنه
الا الذين ظلموا منهم على ان الا للتنبيه ووقف على حجة ثم استانف منبها فلا تخشوهم فلا تخافوا مطاعنهم في قبلتكم فانهم لا
يضرونكم واخشوني فلا تخالفوا امري وما رايته مصلحة لكم ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون ومتعلق اللام
محذوف ومعناه ولاتمامي النعمة عليكم وارادتي اهتداءكم امرتكم بذلك او يعطف على علة مقدرة كانه قيل واخشوني لاوفقكم
ولاتم نعمتي عليكم وقيل هو معطوف على لئلا يكون وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن علي رضي الله عنه تمام النعمة الموت على الاسلام كما
ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا
تعلمون كما ارسلنا اما ان يتعلق بما قبله اي ولاتم نعمتي عليكم في الآخرة بالثواب كما اتممتها عليكم في الدنيا بارسال
الرسول واما بما بعده اي كما ذكرتكم بارسال الرسول فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب واشكروا لي ما انعمت به عليكم
ولا تكفرون ولا تجحدوا نعمائي يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلوة ان الله مع الصابرين ولا تقولوا لمن يقتل
في سبيل الله اموات بل احياء هم اموات بل احياء ولكن لا تشعرون كيف حالهم في حياتهم وعن الحسن ان الشهداء احياء عند الله
تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ارواح آل فرعون غدوة وعشية فيصل اليهم الوجع
وعن مجاهد يرزقون ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا فيها وقالوا يجوز ان يجمع الله من اجزاء الشهيد جملة فيحييها ويوصل اليها النعيم
وان كانت في حجم الذرة وقيل نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر ولنبلونكم ولنصيبنكم بذلك اصابة تشبه فعل المختبر
لاحوالكم هل تصبرون وتثبتون على ما انتم عليه من الطاعة وتسلمون لامر الله وحكمه ام لا بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال
والانفس والثمرات بشيء قليل من كل واحد من هذه البلايا وطرف منه وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا
لله وانا اليه راجعون وبشر الصابرين المسترجعين عند البلاء لان الاسترجاع تسليم واذعان وعن النبي صلى الله عليه وعلى آله
من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه وروي انه طفئ سراج رسول الله صلى الله
عليه وعلى آله وسلم فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل امصيبة هي قال نعم كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وانما قلل في قوله بشيء
ليؤذن ان كل بلاء اصاب الانسان وان جل ففوقه ما يقل اليه وليخفف عليهم ويريهم ان رحمته معهم في كل حال لا تزايلهم وانما وعدهم
ذلك قبل كونه ليوطنوا عليه نفوسهم ونقص عطف على شيء او على الخوف بمعنى وشيء من نقص الاموال والخطاب في وبشر لرسول
الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم او لكل من يتاتى منه البشارة وعن الشافعي رضي الله عنه الخوف خوف الله والجوع صيام شهر رمضان والنقص
من الاموال الزكوات والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم انه اذا مات ولد
العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي

ويقولون جميع ذلك واسترجع فقال الله ابوا العبد بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ
والصلاة الحنو والتعطف فوضعت موضع الرافة وجمع بينها وبين الرحمة كقوله تعالى رافة ورحمة رؤوف رحيم والمعنى
عليهم رافة بعد رافة ورحمة اي رحمة وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ لطريق الصواب حيث استرجعوا وسلموا لامر الله إِنَّ
الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ
شَاكِرٌ عَلِيمٌ الصفا والمروة علمان للجبلين كالصمان والمقطم والشعائر جمع شعيرة اي من اعلام مناسكه ومتعبداته والحج
القصد والاعتمار الزيارة فغلبا على قصد البيت وزيارته للنسكين المعروفين وهما في المعاني كالنجم والبيت في الاعيان
واصل يطوف يتطوف فادغم وقرئ ان يطوف من طاف فان قلت كيف قيل انهما من شعائر الله ثم قيل لا جناح عليه ان
يطوف بهما قلت كان على الصفا اساف وعلى المروة نائلة وهما صنمان يروى انهما كانا رجلا وامراة زنيا في الكعبة فمسخا
حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون الله وكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام
وكسرت الاوثان كره المسلمون الطواف بينهما لاجل فعل الجاهلية والا يكون عليهم جناح في ذلك فرفع عنهم الجناح
واختلف في السعي فمن قائل هو تطوع بدليل رفع الجناح وما فيه من التخيير بين الفعل والترك كقوله فلا جناح عليهما ان
يتراجعا وغير ذلك ولقوله فمن تطوع خيرا فهو خير له ويروى ذلك عن انس وابن الزبير وتنصره قراءة ابن مسعود
فلا جناح عليه الا يطوف بهما وعن ابي حنيفة رضي الله عنه انه واجب وليس بركن وعلى تاركه دم وعند الاولين لا شيء عليه
وعند مالك والشافعي رضي الله عنهما هو ركن لقوله صلى الله عليه وعلى اله وسلم اسعوا فان الله كتب عليكم السعي وقرئ ومن
يطوع بمعنى ومن تطوع فادغم وفي قراءة عبد الله ومن يتطوع بخير إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ من احبار اليهود مَا أَنزَلْنَا في التوراة
مِنَ الْبَيِّنَاتِ من الايات الشاهدة على امر محمد صلى الله عليه وعلى اله وسلم وَالْهُدَىٰ والهداية بوصفه الى اتباعه والايمان به مِن بَعْدِ
مَا بَيَّنَّاهُ ولخصناه لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ في التوراة لم ندع فيه موضع اشكال ولا اشتباه على احد منهم فعمدوا الى ذلك المبين الملخص
فكتموه أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ الذين يتاتى منهم اللعن عليهم وهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين
إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا ما افسدوا من احوالهم وتداركوا ما فرط منهم وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ
الرَّحِيمُ وبينوا ما بينه الله في كتابهم فكتموه او بينوا ما احدثوه من توبتهم ليمحوا سمة الكفر عنهم ويعرفوا بضد ما كانوا
يعرفون به ويقتدي بهم غيرهم من المفسدين إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ
وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ يعني الذين ماتوا من هؤلاء الكاتمين ولم يتوبوا ذكر لعنتهم احياء ثم لعنتهم امواتا وقرئ الحسن والملائكة
والناس اجمعون بالرفع عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في التقدير كقولك عجبت من ضرب زيد وعمرو تريد من ان ضرب زيد وعمرو
كانه قيل اولئك عليهم ان لعنهم الله والملائكة فان قلت ما معنى قوله والناس اجمعين وفي الناس المسلم والكافر قلت
اراد بالناس من يعتد بلعنه وهم المؤمنون وقيل يوم القيامة يلعن بعضهم بعضا خَالِدِينَ فِيهَا في اللعنة وقيل في النار الا انها
اضمرت تفخيما لشانها وتهويلا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ من الانظار اي لا يمهلون ولا يؤجلون او لا ينظرون
لعذر يعتذرون او لا ينظر اليهم نظرة رحمة وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ اله واحد فرد في الالهية لا شريك له فيها ولا
يصح ان يسمى غيره الها لا اله الا هو تقرير للوحدانية بنفي غيره واثباته الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ المولي لجميع النعم اصولها وفروعها ولا شيء
سواه بهذه الصفة فان كل ما سواه اما نعمة واما منعم عليه وقيل كان للمشركين حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما فلما
سمعوا بهذه الاية تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فات باية نعرف بها صدقك فنزلت إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ واعتقابهما لان كل واحد منهما يعقب الاخر كقوله جعل الليل والنهار خلفة وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي
فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ بالذي ينفعهم مما تحمل فيها او ينفع الناس وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ
مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ فان قلت وبث فيها عطف على م ادام احيا قلت الظاهر انه عطف على انزل داخل تحت
حكم الصلة لان قوله فاحيى به الارض عطف على انزل فاتصل به وصارا جميعا كالشيء الواحد فكانه قيل وما انزل في الارض
من ماء وبث فيها من كل دابة ويجوز عطفه على احيا على معنى فاحيا بالمطر الارض وبث فيها من كل دابة لانهم ينمون بالخصب
ويعيشون بالحيا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ في مهابها قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا وفي احوالها حارة وباردة وعاصفة ولينة وعقما
ولواقح وقيل تارة بالرحمة وتارة بالعذاب وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ سخر للرياح تقلبه في الجو بمشيئة الله يمطر حيث
شاء لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون لانها دلائل على عظيم القدرة وباهر الحكمة وعن النبي
صلى الله عليه وعلى اله وسلم ويل لمن قرا هذه الاية فمج بها اي لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها وقرئ والفلك بضمتين وتصريف الريح على
الافراد وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا امثالا من الاصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا يتبعونهم ويطيعونهم وينزلون
على اوامرهم ونواهيهم واستشهد لقوله اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وراوا العذاب ومعنى يُحِبُّونَهُم يعظمونهم ويخضعون
لهم تعظيم المحبوب كَحُبِّ اللَّهِ كتعظيم الله والخضوع له اي كما يحب الله على انه مصدر من المبني للمفعول وانما استغنى عن ذكر

من يحبه

من يحبه لانه غير ملتبس وقيل يحبونهم كحبهم الله اي يسوون بينه وبينهم في محبتهم لانهم كانوا يقرون بالله ويتقربون اليه فاذا ركبوا
في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ لانهم لا يعدلون عنه الى غيره بخلاف المشركين فانهم يعدلون عن
انداده اليهم الى الله عند الشدائد فيفزعون اليه ويخضعون له ويجعلونهم وسائط بينهم وبينه فيقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله
ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره او ياكلونه كما اكلت باهلة الهها من حيس عام المجاعة وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا
إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ الذين ظلموا اشارة الى متخذي الانداد ولو تعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم
العظيم بشركهم ان القدرة لله على كل شيء من العقاب والثواب دون انداده ويعلمون شدة عقابه للظالمين اذا عاينوا العذاب يوم القيامة
لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة ووقوع العلم بظلمهم وضلالهم فحذف الجواب كما في قوله ولو ترى اذ وقفوا
وقولهم لو رايت فلانا والسياط تاخذه وقرئ ولو ترى على خطاب الرسول او كل مخاطب اي ولو ترى ذلك لرايت امرا عظيما وقرئ اذ يرون
على البناء للمفعول واذ في المستقبل كقوله ونادى اصحاب الجنة إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا بدل من اذ يرون العذاب اي تبرا
المتبوعون وهم الرؤساء من الاتباع وقرئ مجاهد الاول على البناء للفاعل والثاني على البناء للمفعول اي تبرا الاتباع من الرؤساء وَتَقَطَّعَتْ
بِهِمُ الْأَسْبَابُ عطف على تبرا والاسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد ومن الانساب والمحاب والاتباع والاستتباع كقوله
لقد تقطع بينكم وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا لو في معنى التمني ولذلك اجيب بالفاء الذي يجاب
به التمني كانه قيل ليت لنا كرة فنتبرا منهم كَذَٰلِكَ مثل ذلك الاراء الفظيع يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ اي ندامات
وحسرات ثالث مفاعيل ارى ومعناه ان اعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون الا الحسرات مكان اعمالهم وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ
النَّارِ هم بمنزلته في قوله هم يفرشون اللبد في كل طمرة في دلالته على قوة امرهم فيما اسند اليهم لا على الاختصاص يَا أَيُّهَا النَّاسُ
كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا مفعول كلوا او حال مما في الارض طَيِّبًا طاهرا من كل شبهة وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فتدخلوا في حرام
او شبهة او تحريم حلال او تحليل حرام ومن للتبعيض لان كل ما في الارض ليس بماكول وقرئ خطوات بضمتين وخطوات بضمة
وسكون وخطؤات بضمتين وهمزة جعلت الضمة على الطاء كانها على الواو وخطوات بفتحتين وخطوات بفتحة وسكون والخطوة
المرة الواحدة من الخطو والخطوة ما بين قدمي الخاطي وهما كالغرفة والغرفة والقبضة والقبضة يقال اتبع خطواته ووطئ على
عقبه اذا اقتدى به واستن بسنته إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ظاهر العداوة لا خفاء به إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بيان لوجوب الانتهاء عن اتباعه
وظهور عداوته اي لا يامركم بخير قط انما يامركم بِالسُّوءِ بالقبيح وَالْفَحْشَاءِ وما يتجاوز الحد في القبح من العظائم وقيل السوء
ما لا حد فيه والفحشاء ما يجب فيه الحد وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ وهو قولكم هذا حلال وهذا حرام بغير علم ويدخل
فيه كل ما يضاف الى الله مما لا يجوز عليه فان قلت كيف كان الشيطان امرا مع قوله ليس لك عليهم سلطان قلت شبه
تزيينه وبعثه على الشر بامر الامر كما تقول امرتني نفسي بكذا وتحته رمز الى انكم منه بمنزلة المامورين لطاعتكم له وقبولكم
وساوسه ولذلك قال ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام ولامرنهم فليغيرن خلق الله وقال الله تعالى ان النفس لامارة بالسوء لما
كان الانسان بطبعها فيعطيها ما اشتهت وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا لهم الضمير للناس
وعدل بالخطاب عنهم على طريقة الالتفات للنداء على ضلالهم لانه لا ضال اضل من المقلد كانه يقول للعقلاء انظروا الى هؤلاء الحمقاء اذا
يقولون وقيل هم المشركون وقيل هم طائفة من اليهود دعاهم رسول الله الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا فانهم كانوا
خيرا منا واعلم والفينا بمعنى وجدنا بدليل قوله بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ الواو للحال والهمزة بمعنى الرد والتعجب
معناه ايتبعونهم ولو كان اباؤهم لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ للصواب وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا لا بد من مضاف محذوف تقديره
ومثل داعي الذين كفروا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً او ومثل الذين كفروا كبهائم الذي ينعق والمعنى ومثل
داعيهم الى الايمان في انهم لا يسمعون من الدعاء الا جرس النغمة ودوي الصوت من غير القاء اذهان ولا استبصار كمثل الناعق
بالبهائم التي لا تسمع الا دعاء الناعق ونداءه الذي هو تصويت بها وزجر لها ولا تفقه شيئا اخر ولا تعي كما يفهم العقلاء ويعون
ويجوز ان يراد بما لا يسمع الاصم الاصلخ الذي لا يسمع من كلام الرافع صوته بكلامه الا النداء والتصويت لا غير من غير فهم للحروف
وقيل معناه ومثلهم في اتباعهم اباءهم وتقليدهم لهم كمثل البهائم التي لا تسمع الا ظاهر الصوت ولا تفهم ما تحته فكذلك
هؤلاء يتبعونهم على ظاهر حالهم ولا يفقهون اهم على حق ام باطل وقيل معناه ومثلهم في دعائهم الاصنام كمثل الناعق بما لا يسمع الا انه
قوله الا دعاء ونداء لا يساعد عليه لان الاصنام لا تسمع شيئا والنعيق التصويت يقال نعق المؤذن ونعق الراعي بالضان قال الاخطل
فانعق بضانك يا جرير فانما منتك نفسك في الخلاء ضلالا واما نعق الغراب فبالغين المعجمة صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ
هم صم وهو رفع على الذم يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ من مستلذاته لان كل ما رزقه الله لا يكون الا حلالا
وَاشْكُرُوا لِلَّهِ الذي رزقكموها إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ان صح انكم تختصونه بالعبادة وتقرون انه مولى النعم وعن
النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم يقول الله اني والجن والانس في نبا عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ
الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ قرئ حرم

على البناء للفاعل وحُرِّم على البناء للمفعول وحَرُمَ بوزن كرُم أُهِلَّ به لغير الله أي رفع به الصوت للصنم وذلك في قول الجاهلية باسم اللات والعزى غير باغ على مضطر آخر بالاستيثار عليه ولا عادٍ سدّ الجوعة فإن قلت في الميتات ما يحل وهو السمك والجراد قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أحلت لي ميتتان ودمان قلت قصد ما يتفاهمه الناس ويتعارفونه في العادة ألا ترى أن القائل إذا قال أكل فلان ميتة لم يسبق الوهم إلى السمك والجراد كما لو قال أكل دمًا لم يسبق إلى الكبد والطحال ولاعتبار العادة والتعارف قالوا من حلف لا يأكل لحمًا فأكل سمكًا لم يحنث وإن أكل لحمًا في الحقيقة قال الله تعالى لتأكلوا منه لحمًا طريًا وشبهوه بمن حلف لا يركب دابة فركب كافرًا لم يحنث وإن سماه الله دابة في قوله إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فإن قلت فما له ذكر لحم الخنزير دون شحمه قلت لأن الشحم داخل في ذكر اللحم لكونه تابعًا له وصفة فيه بدليل قولهم لحم سمين يريدون أنه شحيم إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنًا قليلًا أولئك ما يأكلون في بطونهم ملء بطونهم يقال أكل فلان في بطنه وأكل في بعض بطنه إلا النار لأنه إذا أكل ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكأنه أكل النار ومنه قولهم أكل فلان الدم إذا أكل الدية التي هي بدل منه قال أكلت دمًا إن لم أرعك بضرة وقال يأكلن كل ليلة إكافًا أراد ثمن الإكاف فسماه إكافًا لتلبسه به لكونه ثمنًا له ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم تعريض بحرمانهم حال أهل الجنة في تكرمة الله إياهم بكلامه وتزكيتهم بالثناء عليهم وقيل نفي الكلام عبارة عن غضبه عليهم كمن غضب على صاحبه فصرمه وقطع كلامه وقيل لا يكلمهم بما يحبون ولكن بنحو قوله اخسئوا فيها ولا تكلمون ولهم عذاب أليم أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار تعجب من حالهم في التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم كما تقول لمن يتعرض لما يوجب غضب السلطان ما أصبرك على القيد والسجن تريد أنه لا يتعرض لذلك إلا من هو شديد الصبر على العذاب وقيل فما أصبرهم فأي شيء صبّرهم يقال أصبره على كذا وصبّره بمعنى وهذا أصل معنى فعل التعجب والذي روي عن الكسائي أنه قال قال لي قاضي اليمن بمكة اختصم إليّ رجلان من العرب فحلف أحدهما على حق صاحبه فقال له ما أصبرك على الله فمعناه ما أصبرك على عذاب الله ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق أي ذلك العذاب بسبب أن الله نزل ما نزل من الكتب بالحق وإن الذين اختلفوا في الكتاب في كتب الله فقالوا في بعضها حق وفي بعضها باطل وهم أهل الكتاب لفي شقاق بعيد لفي خلاف بعيد عن الحق والكتاب للجنس أو كفرهم ذلك بسبب أن الله نزل القرآن بالحق كما يعلمون وإن الذين اختلفوا فيه من المشركين فقال بعضهم سحر وقال بعضهم شعر وبعضهم أساطير لفي شقاق بعيد يعني أن أولئك لو لم يختلفوا ولم يشاقوا لما جسر هؤلاء أن يكفروا ليس البر اسم للخير ولكل فعل مرضي أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال الخطاب لأهل الكتاب لأن اليهود تصلي قبل المغرب إلى بيت المقدس والنصارى قبل المشرق وذلك أنهم أكثروا الخوض في أمر القبلة حين حوّل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الكعبة وزعم كل واحد من الفريقين أن البر التوجه إلى قبلته فرد عليهم وقيل ليس البر فيما أنتم عليه فإنه منسوخ خارج من البر ولكن البر ما نبينه وقيل كثر خوض المسلمين وأهل الكتاب في أمر القبلة فقيل ليس البر العظيم الذي يجب أن تذهلوا بشأنه عن سائر صنوف البر أمر القبلة ولكن البر الذي يجب الاهتمام به وصرف الهمة إليه بر من آمن وقام بهذه الأعمال وقرئ ليس البرَّ بالنصب على أنه خبر مقدم وقرأ عبد الله بأن تولوا على إدخال الباء على الخبر للتأكيد كقولك ليس المنطلق بزيد ولكن البر من آمن بالله على تأويل حذف المضاف أي بر من آمن أو بتأويل البر بمعنى ذي البر أو كما قالت فإنما هي إقبال وإدبار وعن المبرد لو كنت ممن يقرأ القرآن لقرأت ولكن البَرّ بفتح الباء وقرئ ولكنّ البارّ وقرأ ابن عامر ونافع ولكنْ البرُّ بالتخفيف والكتاب جنس كتب الله أو القرآن على حبه مع حب المال والشح به كما قال ابن مسعود رضي الله عنه أن تؤتيه وأنت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقيل على حب الله وقيل على حب الإيتاء يريد أن يعطيه وهو طيب النفس بإعطائه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلوة وآتى الزكوة وقدم ذوي القربى لأنهم أحق قال عليه الصلاة والسلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذي رحمك اثنتان لأنها صدقة وصلة وقال أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح وأطلق ذوي القربى واليتامى والمراد الفقراء منهم لعدم الالتباس والمسكين الدائم السكون إلى الناس لأنه لا شيء له كالمسكير للدائم السكر وابن السبيل المسافر المنقطع وجعل ابنًا للسبيل لملازمته له كما يقال للص القاطع ابن الطريق وقيل هو الضيف لأن السبيل يرعف به والسائلين المستطعمين قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم للسائل حق وإن جاء على ظهر فرسه وفي الرقاب وفي معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل في ابتياع الرقاب وإعتاقها وقيل في فك الأسارى فإن قلت قد ذكر إيتاء المال في هذه الوجوه ثم قفاه بإيتاء الزكوة فهل دل ذلك على أن في المال حقًا سوى الزكوة قلت يحتمل أن يكون ذلك وعن الشعبي أن في المال حقًا سوى الزكوة وتلا هذه الآية ويحتمل أن ذلك بيان مصارف الزكوة أو يكون حثًا على نوافل الصدقات والمبار وفي الحديث نسخت الزكوة كل صدقة يعني وجوبها وروي ليس في المال حق سوى الزكوة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا عطف على من آمن وأخرج والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس منصوبًا على الاختصاص والمدح إظهارًا لفضل الصبر في الشدائد ومواطن القتال على سائر الأعمال وقرئ والصابرون وقرئ والموفين والصابرين والبأساء الفقر والشدة والضراء المرض والزمانة أولئك الذين

تمامه بتعدد مهوى القرط طيبة النشر

صدر ترتع ما غفلت حتى إذا ادكرت

الكاسح الذي يطوي كشحه على العداوة ...

صدقوا كانوا صادقين جادين في الدين وأولئك هم المتقون يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى عن عمر بن عبد العزيز والحسن البصري وعطاء وعكرمة وهو مذهب مالك والشافعي أن الحر لا يقتل بالعبد والذكر لا يقتل بالأنثى أخذًا بهذه الآية ويقولون هي مفسرة لما أبهم في قوله النفس بالنفس ولأن تلك واردة لحكاية ما كتب في التوراة على أهلها وهذه خوطب بها المسلمون وكتب عليهم ما فيها وعن سعيد بن المسيب والشعبي والنخعي وقتادة والثوري وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم أنها منسوخة بقوله النفس بالنفس والقصاص ثابت بين الحر والعبد والذكر والأنثى ويستدلون بقوله عليه الصلاة والسلام المسلمون تتكافأ دماؤهم وبأن التفاضل غير معتبر في الأنفس بدليل أن جماعة لو قتلوا واحدًا قتلوا به وروي أنه كان بين حيين من أحياء العرب دماء في الجاهلية وكان لأحدهما طول على الآخر فأقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالأنثى والاثنين بالواحد فتحاكموا إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حين جاء الله بالإسلام فنزلت وأمرهم أن يتباووا فمن عفي له من أخيه شيء معناه فمن عفي له من جهة أخيه شيء من العفو على أنه كقولك سير بزيد بعض السير وطائفة من السير ولا يصح أن يكون شيء في معنى المفعول به لأن عفا لا يتعدى إلى مفعول به إلا بواسطة وأخوه هو ولي المقتول وقيل له أخوه لأنه لابسه من قبل أنه ولي الدم ومطالبه به كما تقول للرجل قل لصاحبك كذا لمن بينه وبينه أدنى ملابسة أو ذكره بلفظ الأخوة ليعطف أحدهما على صاحبه بذكر ما هو ثابت بينهما من الجنسية والإسلام فإن قلت إن عفا يتعدى بعن لا باللام فما وجه قوله فمن عفي له قلت يتعدى بعن إلى الجاني وإلى الذنب فيقال عفوت عن فلان وعن ذنبه قال الله تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فإذا تعدى إلى الذنب قيل عفوت لفلان عما جنى كما تقول غفرت له ذنبه وتجاوزت له عنه وعلى هذا ما في الآية كأنه قيل فمن عفي له عن جنايته فاستغني عن ذكر الجناية فإن قلت هلا فسرت عفي بترك حتى يكون شيء في معنى المفعول به قلت لأن عفا الشيء بمعنى تركه ليس بثبت ولكن أعفاه ومنه قوله عليه الصلاة والسلام وأعفوا اللحى فإن قلت فقد ثبت قولهم عفا أثره إذا محاه وأزاله فهلا جعلت معناه فمن محي له من أخيه شيء قلت عبارة قلقة في مكانها والعفو في باب الجنايات عبارة متداولة مشهورة في الكتاب والسنة واستعمال الناس فلا يعدل عنها إلى أخرى قلقة نابية عن مكانها وترى كثيرًا ممن يتعاطى هذا العلم يجترئ إذا أعضل عليه تخريج وجه للمشكل من كلام الله تعالى على اختراع لغة وادعاء على العرب ما لا تعرفه وهذه جرأة يستعاذ بالله منها فإن قلت لم قيل شيء من العفو قلت للإشعار بأنه إذا عفي له طرف من العفو وبعض منه بأن يعفى عن بعض الدم أو عفا عنه بعض الورثة تم العفو وسقط القصاص ولم تجب إلا الدية فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان فليكن اتباع أو فالأمر اتباع وهذه توصية للمعفو عنه والعافي جميعًا يعني فليتبع الولي القاتل بالمعروف بأن لا يعنف به ولا يطالبه إلا مطالبة جميلة وليؤد إليه القاتل بدل الدم أداء بإحسان بأن لا يمطله ولا يبخسه ذلك الحكم المذكور من العفو والدية تخفيف من ربكم ورحمة لأن أهل التوراة كتب عليهم القصاص البتة وحرم العفو وأخذ الدية وعلى أهل الإنجيل العفو وحرم القصاص والدية وخيرت هذه الأمة بين الثلاث القصاص والدية والعفو توسعة عليهم وتيسيرًا فمن اعتدى بعد ذلك التخفيف فتجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل أو القتل بعد أخذ الدية فقد كان الولي في الجاهلية يؤمن القاتل بقبوله الدية ثم يظفر به فيقتله فله عذاب أليم نوع من العذاب شديد الألم في الآخرة وعن قتادة العذاب الأليم أن يقتل لا محالة ولا يقبل منه دية لقوله عليه الصلاة والسلام لا أعافي أحدًا قتل بعد أخذه الدية ولكم في القصاص حيوة يا أولي الألباب كلام فصيح لما فيه من الغرابة وهو أن القصاص قتل وتفويت للحيوة وقد جعل مكانًا وظرفًا للحيوة ومن إصابة محز البلاغة بتعريف القصاص وتنكير الحيوة لأن المعنى ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حيوة عظيمة وذلك أنهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة وكم قتل مهلهل بأخيه كليب حتى كاد يفني بكر بن وائل وكان يقتل بالمقتول غير قاتله فتثور الفتنة ويقع بينهم التناحر فلما جاء الإسلام بشرع القصاص كانت فيه حيوة أي حيوة أو نوع من الحيوة وهي الحيوة الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل لأنه إذا هم بالقتل فعلم أنه يقتص منه فارتدع سلم صاحبه من القتل وسلم هو من القود فكان القصاص سبب حيوة نفسين وقرأ أبو الجوزاء ولكم في القصص حيوة أي فيما قص عليكم من حكم القتل والقصاص وقيل القصص القرآن أي لكم في القرآن حيوة للقلوب كقوله روحًا من أمرنا ويحيى من حي عن بينة لعلكم تتقون أي أريتكم ما في القصاص من استبقاء الأرواح وحفظ النفوس لعلكم تتقون تعملون عمل أهل التقوى في المحافظة على القصاص والحكم به وهو خطاب له فضل اختصاص بالأئمة كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرًا الوصية للوالدين والأقربين إذا حضر أحدكم الموت إذا دنا منه وظهرت أماراته خيرًا مالًا كثيرًا عن عائشة رضي الله عنها أن رجلًا أراد الوصية وله عيال وأربعمائة دينار فقالت ما أرى فيه فضلًا وأراد آخر أن يوصي فسألته كم مالك فقال ثلاثة آلاف قالت كم عيالك قال أربعة قالت إنما قال الله إن ترك خيرًا وهذا شيء يسير فاتركه لعيالك وعن علي رضي الله عنه أن مولى له أراد أن يوصي وله سبعمائة درهم فمنعه وقال قال الله تعالى إن ترك خيرًا والخير هو المال وليس لك مال والوصية فاعل كتب وذكر فعلها للفاصل ولأنها بمعنى أن يوصي ولذلك

ذكر الراجع في قوله فمن بدله بعد ما سمعه والوصية للوارث كانت في بدء الاسلام فنسخت بآية المواريث وبقوله عليه الصلاة
والسلام ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث وبتلقي الامة اياه بالقبول حتى لحق بالمتواتر وان كان من الآحاد لانهم
لا يتلقون بالقبول الا الثبت الذي صحت روايته وقيل لم تنسخ والوارث يجمع بين الوصية والميراث بحكم الآيتين وقيل ما هي
بمخالفة لآية المواريث ومعناها كتب عليكم ما اوصى به الله من توريث الوالدين والاقربين من قوله تعالى يوصيكم الله في
اولادكم او كتب على المحتضر ان يوصي للوالدين والاقربين بتوفير ما اوصى به الله لهم عليهم وان لا ينقص من انصبائهم **بالمعروف**
بالعدل وهو ان لا يوصي للغني ويدع الفقير ولا يتجاوز الثلث **حقا** مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا **على المتقين فمن بدله**
فمن غير الايصاء عن وجهه ان كان موافقا للشرع من الاوصياء والشهود **بعد ما سمعه** وتحققه **فانما اثمه على الذين يبدلونه**
فما اثم الايصاء المغير او التبديل الا على مبدليه دون غيرهم من الموصي والموصى له لانهما بريئان من الحيف **ان الله سميع
عليم** وعيد للمبدل **فمن خاف من موص** فمن توقع وعلم وهذا في كلامهم شائع يقولون اخاف ان يرسل السماء يريدون
التوقع والظن الجاري مجرى العلم **جنفا** ميلا عن الحق بالخطأ في الوصية **او اثما** او تعمدا للحيف **فاصلح بينهم** بين الموصى لهم
وهم الوالدان والاقربون باجرائهم على طريق الشرع **فلا اثم عليه** حينئذ لان تبديله تبديل باطل الى حق ذكر من يبدل
بالباطل ثم بين تبديل الحق ليعلم ان كل تبديل لا يؤثم **ان الله غفور رحيم يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام
كما كتب على الذين من قبلكم** على الانبياء والامم من لدن آدم الى عهدكم قال علي عليه السلام اولهم آدم يعني ان الصوم
عبادة قديمة اصلية ما اخلى الله امة من افتراضها عليهم لم يفرضها عليكم وحدكم **لعلكم تتقون اياما معدودات**
لعلكم تتقون بالمحافظة عليها وتعظيمها لاصالتها وقدمها او لعلكم تتقون المعاصي لان الصائم اظلف لنفسه واردع لها من
مواقعة السوء قال عليه الصلاة والسلام فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء او لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين لان الصوم
شعارهم وقيل معناه انه كصومهم في عدد الايام وهو شهر رمضان كتب على اهل الانجيل فاصابهم موتان فزادوا عشرا
قبله وعشرا بعده فجعلوه خمسين يوما وقيل كان وقوعه في البرد الشديد والحر الشديد فشق عليهم في اسفارهم ومعايشهم
فجعلوه بين الشتاء والربيع وزادوا عشرين يوما كفارة لتحويله عن وقته وقيل الايام المعدودات عاشوراء وثلثة ايام في كل شهر
كتب على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم صيامها حين هاجر ثم نسخت بشهر رمضان وقيل كتب عليكم كما كتب عليهم ان
يتقوا المفطرات بعد ان يصلوا العشاء وبعد ان يناموا ثم نسخ ذلك بقوله احل لكم ليلة الصيام الآية ومعنى معدودات موقتات
بعدد معلوم او قلائل كقوله دراهم معدودة واصله ان المال القليل يقدر بالعدد ويتحكر فيه والكثير يهال هيلا ويحثى
حثيا وانتصاب اياما بالصيام كقولك نويت الخروج يوم الجمعة **فمن كان منكم مريضا او على سفر** او راكب سفر **فعدة**
فعليه عدة وقرئ بالنصب بمعنى فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل مكتوب عليهما ان يفطرا ويصوما عدة **من ايام اخر**
واختلف في المرض المبيح للافطار فمن قائل كل مرض لان الله لم يخص مرضا دون مرض كما لم يخص سفرا دون سفر فكما ان لكل
مسافر ان يفطر فكذلك كل مريض وعن ابن سيرين انه دخل عليه في رمضان وهو يأكل فاعتل بوجع اصبعه وسئل مالك
عن الرجل يصيبه الرمد الشديد او الصداع المضر وليس به مرض يضجعه فقال انه في سعة من الافطار وقائل هو المرض الذي
يعسر معه الصوم ويزيد فيه لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر وعن الشافعي لا يفطر حتى يجهده الجهد غير المحتمل واختلف ايضا في
القضاء فعامة العلماء على التخيير وعن ابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ان الله لم يرخص لكم في فطره وهو يريد ان يشق عليكم
في قضائه ان شئت فواتر وان شئت ففرق وعن علي وابن عمر والشعبي وغيرهم انه يقضى كما فات متتابعا وفي قراءة ابي فعدة من
ايام اخر متتابعات **فان قلت** كيف قيل فعدة على التنكير ولم يقل فعدتها اي فعدة الايام المعدودات **قلت** لما
قيل فعدة والعدة بمعنى المعدود فأمر بان يصوم اياما معدودة مكانها علم انه لا يؤتى بغير عدة ما فاغنى ذلك عن التعريف
بالاضافة **وعلى الذين يطيقونه** وعلى المطيقين للصيام الذين لا عذر لهم ان افطروا **فدية طعام مساكين** نصف صاع
من بر او صاع من غيره عند اهل العراق وعند اهل الحجاز مد وكان ذلك في بدء الاسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم
فرخص لهم في الافطار والفدية وقرأ ابن عباس يطوقونه تفعيل من الطوق اما بمعنى الطاقة او القلادة اي يكلفونه او يقلدونه
ويقال لهم صوموا وعنه يتطوقونه بمعنى يتكلفونه او يتقلدونه ويطوقونه بادغام التاء في الطاء ويطيقونه ويطيقونه
بمعنى يتطيقونه واصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه والمعنى يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم الشيوخ والعجائز وحكم هؤلاء
الافطار والفدية وهو على هذا الوجه ثابت غير منسوخ ويجوز ان يكون هذا معنى يطيقونه اي يصومونه جهدهم وطاقتهم
ومبلغ وسعهم **فمن تطوع خيرا** فزاد على مقدار الفدية **فهو خير له** فالتطوع او الخير خير له وقرئ فمن يطوع بمعنى
يتطوع **وان تصوموا** ايها المطيقون او المطوقون وتحملتم على انفسكم وجهدتم طاقتكم **خير لكم** من الفدية وتطوع
الخير ويجوز ان ينتظم في الخطاب المريض والمسافر ايضا وفي قراءة ابي والصيام خير لكم **ان كنتم تعلمون شهر
رمضان** الرمضان مصدر رمض اذا احترق من الرمضاء فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والالف

والنون

والنون كما قيل ابن داية للغراب باضافة الابن الى داية البعير لكثرة وقوعه عليها اذا دبرت **فان قلت** لم سمي شهر رمضان
قلت الصوم فيه عبادة قديمة فكانهم سموه بذلك لارتماضهم فيه من حر الجوع ومقاساة شدته كما سموه ناتقا لانه كان ينتقهم
اي يزعجهم اضجارا بشدته عليهم وقيل لما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التي وقعت فيها فوافق هذا
الشهر ايام رمض الحر **فان قلت** فاذا كانت التسمية واقعة مع المضاف والمضاف اليه جميعا فما وجه ما جاء في الاحاديث من
نحو قوله عليه الصلاة والسلام من صام رمضان ايمانا واحتسابا من ادرك رمضان فلم يغفر له **قلت** هو من باب الحذف لامن
الالباس كما قال بما اعيا النطاسي حذيما اراد ابن حذيم وارتفاعه على انه مبتدأ خبره **الذي انزل فيه القرآن** او على انه
بدل من الصيام في قوله كتب عليكم الصيام او على انه خبر مبتدأ محذوف وقرئ بالنصب على صوموا شهر رمضان او على الابدال
من اياما معدودات او على انه مفعول وان تصوموا ومعنى انزل فيه القرآن ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك في ليلة القدر وقيل انزل
فيه القرآن جملة الى سماء الدنيا ثم نزل الى الارض نجوما وقيل انزل في شأنه القرآن وهو قوله كتب عليكم الصيام كما تقول انزل في
عمر كذا وفي علي كذا وعن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التوراة لست مضين
والانجيل لثلاث عشرة والقرآن لاربع وعشرين **هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان** نصب على الحال اي انزل
وهو هداية للناس الى الحق وهو آيات واضحات مكشوفات مما يهدي الى الحق ويفرق بين الحق والباطل **فان قلت** ما معنى
قوله وبينات من الهدى بعد قوله هدى للناس **قلت** ذكر اولا انه هدى ثم ذكر انه بينات من جملة ما هدى به الله وفرق به
بين الحق والباطل من وحيه وكتبه السماوية الهادية الفارقة بين الهدى والضلال **فمن شهد منكم الشهر فليصمه**
فمن كان شاهدا اي حاضرا مقيما غير مسافر في الشهر فليصم فيه ولا يفطر والشهر منصوب على الظرف وكذلك الهاء
في فليصمه ولا يكون مفعولا به كقولك شهدت الجمعة لان المقيم والمسافر كلاهما شاهدان للشهر **ومن كان مريضا
او على سفر فعدة من ايام اخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** يريد الله ان ييسر عليكم ولا يعسر وقد
نفى عنكم الحرج في الدين وامركم بالحنيفية السمحة التي لا اصر فيها ومن جملة ذلك ما رخص لكم فيه من اباحة الفطر
على المريض والمسافر حتى زعم ان من صامهما فعليه الاعادة وقرئ اليسر والعسر بضمتين الفعل المعلل محذوف مدلول عليه
بما سبق تقديره ولتكملوا العدة **ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون** شرع ذلك يعني جملة ما ذكر من امر
الشاهد بصوم الشهر وامر المرخص له بمراعاة عدة ما افطر فيه ومن الترخيص في اباحة الفطر فقوله لتكملوا علة الامر بمراعاة
العدة ولتكبروا علة ما علم من لطيف المسلك الذي لا يكاد يهتدي الى تبيينه الا النقاب المحدث من علماء البيان وانما عدي فعل التكبير بحرف الاستعلاء
لكونه مضمنا معنى الحمد كانه قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم ولعلكم تشكرون وارادة ان تشكروا وقرئ ولتكملوا
بالتشديد **فان قلت** هل يصح ان يكون ولتكملوا معطوفا على علة مقدرة كانه قيل لتعلموا ما تعملون ولتكملوا العدة او على اليسر
كانه قيل يريد الله بكم اليسر ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا **قلت** لا يبعد ذلك والاول اوجه **فان قلت**
ما المراد بالتكبير **قلت** تعظيم الله تعالى والثناء عليه وقيل هو تكبير يوم الفطر وقيل هو التكبير عند الاهلال **واذا سألك عبادي
عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان** فاني قريب تمثيل لحاله في سهولة اجابته لمن دعاه وسرعة انجاحه حاجة من سأله
بحال من قرب مكانه فاذا دعي اسرعت تلبيته ونحوه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وقوله عليه الصلاة والسلام هو بينكم وبين
اعناق رواحلكم وروي ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت
فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون فليستجيبوا لي اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اني اجيبهم اذا دعوني لحوائجهم
وقرئ يرشدون ويرشدون بفتح الشين وكسرها **احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم** كان الرجل اذا امسى
حل له الاكل والشرب والجماع الى ان يصلي العشاء الآخرة او يرقد فاذا صلاها او رقد ولم يفطر حرم عليه الطعام والشراب
والنساء الى القابلة ثم ان عمر رضي الله عنه واقع اهله بعد صلاة العشاء الآخرة فلما اغتسل اخذ يبكي ويلوم نفسه فاتى النبي صلى الله
عليه وعلى آله وسلم وقال يا رسول الله اني اعتذر الى الله واليك من نفسي هذه الخاطئة واخبره بما فعل فقال عليه الصلاة والسلام ما كنت
جديرا بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بما كانوا صنعوا بعد العشاء فنزلت وقرئ احل لكم ليلة الصيام الرفث اي احل الله
وقرأ عبد الله الرفوث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه كلفظ النيك وقد ارفث الرجل وعن ابن عباس انه انشد وهو محرم
وهن يمشين بنا هميسا ان تصدق الطير ننك لميسا فقيل له ارفثت فقال انما الرفث ما كان عند النساء وقال الله تعالى
فلا رفث ولا فسوق فكنى به عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من شيء من ذلك **فان قلت** لم كنى عنه هاهنا بلفظ الرفث الدال على معنى
القبح بخلاف قوله وقد افضى بعضكم الى بعض فلما تغشاها باشروهن او لامستم النساء دخلتم بهن فأتوا حرثكم من قبل ان
تمسوهن فما استمتعتم به منهن ولا تقربوهن **قلت** استهجانا لما وجد منهم قبل الاباحة كما سماه اختيانا لانفسهم **فان قلت** لم عدي
الرفث بالى **قلت** لتضمينه معنى الافضاء **هن لباس لكم وانتم لباس لهن** لما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل
كل واحد منهما على صاحبه في عناقه شبه باللباس المشتمل عليه قال الجعدي اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه

فإن قلت ما موقع قوله هن لباس لكم قلت هو استئناف كالبيان لسبب الإحلال وهو أنه إذا كانت بينكم وبينهن مثل
هذه المخالطة والملابسة قل صبركم عنهن وصعب عليكم اجتنابهن فلذلك رخص لكم في مباشرتهن علم الله أنكم كنتم
تختانون أنفسكم تظلمونها وتنقصونها حظها من الخير والاختيان من الخيانة كالاكتساب من الكسب فيه زيادة وشدة
فتاب عليكم وعفا عنكم حين تبتم مما ارتكبتم من المحظور فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما
قسم الله لكم وأثبت في اللوح من الولد بالمباشرة أي لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء ما وضع الله له النكاح
من التناسل وقيل هو نهي عن العزل لأنه في الحرائر وقيل وابتغوا المحل الذي كتبه الله لكم وحلله دون ما لم يكتب لكم من
المحل المحرم وعن قتادة وابتغوا ما كتب الله لكم من الإباحة بعد الحظر وقرأ ابن عباس واتبعوا وقرأ الأعمش وأتوا وقيل معناه
واطلبوا ليلة القدر وما كتب الله لكم من الثواب إن أصبتموها وقمتموها وهو قريب من بدع التفاسير وكلوا واشربوا
حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود الخيط الأبيض أول ما يبدو من الفجر المعترض في الأفق كالخيط الممدود والخيط
الأسود ما يمتد معه من غبش الليل شبها بخيطين أبيض وأسود قال أبو داود • فلما أضاءت لنا سدفة ولاح من الصبح
خيط أنارا • وقوله من الفجر بيان للخيط الأبيض واكتفي به عن بيان الخيط الأسود لأن بيان أحدهما بيان للثاني ويجوز أن
تكون من للتبعيض لأنه بعض الفجر وأوله فإن قلت أهذا من باب الاستعارة أم من باب التشبيه قلت قوله من الفجر
أخرجه من باب الاستعارة كما أن قولك رأيت أسدا مجاز فإذا زدت من فلان رجع تشبيها فإن قلت فلم زيد من
الفجر حتى كان تشبيها وهلا اقتصر به على الاستعارة التي هي أبلغ من التشبيه وأدخل في الفصاحة قلت لأن من شرط المستعار
أن يدل عليه الحال أو الكلام ولو لم يذكر من الفجر لم يعلم أن الخيطين مستعاران فزيد من الفجر فكان تشبيها بليغا وخرج من
أن يكون استعارة فإن قلت كيف التبس على عدي بن حاتم مع هذا البيان حتى قال عمدت إلى عقالين أبيض وأسود فجعلتهما
تحت وسادي فكنت أقوم من الليل أنظر إليهما فلا يتبين لي الأبيض من الأسود فلما أصبحت غدوت إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم
فأخبرته فضحك وقال إن كان وسادك لعريضا وروي إنك لعريض القفا إنما ذاك بياض النهار وسواد الليل قلت غفل عن
البيان ولذلك عرض رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قفاه لأنه مما يستدل به على بلاهة الرجل وقلة فطنته وأنشدتني
بعض البدويات لبدوي • عريض القفا ميزانه في شماله • قد انحص من لقط القرنفل شاربه • فإن قلت فما تقول فيما روي عن
سهل بن سعد الساعدي أنها نزلت ولم ينزل من الفجر فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجليه الخيط الأبيض والخيط
الأسود فلا يزال يأكل ويشرب حتى يتبينا له فنزل بعد ذلك من الفجر فعلموا أنما عنى بذلك الليل والنهار وكيف جاز تأخير
البيان وهو يشبه العبث حيث لا يفهم منه المراد إذ ليس باستعارة لفقد الدلالة ولا بتشبيه قبل ذكر الفجر فلا يفهم منه
إذا إلا الحقيقة وهي غير مرادة قلت أما من لا يجوز تأخير البيان وهو أكثر الفقهاء والمتكلمين وهو مذهب أبي علي وأبي هاشم
فلا يصح عندهم هذا الحديث وأما من يجوز فيقول ليس بعبث لأن المخاطب يستفيد منه وجوب الخطاب ويعزم على فعله إذا
استوضح المراد به ثم أتموا الصيام إلى الليل قالوا فيه دليل على جواز النية بالنهار في صوم رمضان وعلى جواز تأخير
الغسل إلى الفجر وعلى نفي صوم الوصال ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف أن يحبس
نفسه في المسجد يتعبد فيه والمراد بالمباشرة الجماع لما تقدم من قوله أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم فالآن
باشروهن وقيل معناه ولا تلامسوهن بشهوة والجماع يفسد الاعتكاف وكذلك إذا أنزل وقبل أو لمس وعن قتادة كان
الرجل إذا اعتكف خرج فباشر امرأته ثم رجع إلى المسجد فنهاهم الله عن ذلك وقالوا فيه دليل على أن الاعتكاف لا يكون
إلا في مسجد وأنه لا يختص به مسجد دون مسجد وقيل لا يجوز إلا في مسجد نبي وهو أحد المساجد الثلاثة وقيل في مسجد جامع
والعامة على أنه في مسجد جماعة وقرأ مجاهد في المسجد تلك الأحكام التي ذكرت حدود الله فلا تقربوها فإن قلت كيف قيل
فلا تقربوها مع قوله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله قلت من كان في طاعة الله والعمل بشرائعه فهو متصرف في حيز الحق فنهي
أن يتعداه لأن من تعداه وقع في حيز الباطل ثم بولغ في ذلك فنهي أن يقرب الحد الذي هو الحاجز بين حيزي الحق والباطل لئلا يداني الباطل
وأن يكون في الواسطة متباعدا عن الطرف فضلا أن يتخطاه كما قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إن لكل ملك حمى وحمى الله محارمه
فمن رتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه فالرتع حول الحمى وقربان حيزه واحد ويجوز أن يريد بحدود الله محارمه ومناهيه خصوصا
لقوله ولا تباشروهن وهي حدود لا تقرب كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون • ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل
وتدلوا بها إلى الحكام ولا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل بالوجه الذي لم يبحه الله ولم يشرعه ولا تدلوا بها ولا تلقوا أمرها
والحكومة فيها إلى الحكام لتأكلوا بالتحاكم فريقا طائفة من أموال الناس بالإثم بشهادة الزور أو باليمين الكاذبة أو بالصلح مع
العلم بأن المقضي له ظالم وعن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال للخصمين إنما أنا بشر مثلكم وأنتم تختصمون إلي ولعل بعضكم ألحن
بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذن منه شيئا فإنما أقضي له قطعة من نار فبكيا
وقال كل واحد منهما حقي لصاحبي فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه وقيل وتدلوا بها

وتلقوا بعضها إلى حكام السوء على وجه الرشوة وتدلوا مجزوم داخل في حكم النهي أو منصوب بإضمار أن كقوله وتكتموا الحق وأنتم
تعلمون أنكم على الباطل وارتكاب المعصية مع العلم بقبحها أقبح وصاحبه أحق بالتوبيخ • يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت
للناس والحج روي أن معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الأنصاري قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى
يمتلئ ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا لا يكون على حالة واحدة فنزلت مواقيت معالم يوقت بها الناس مزارعهم ومتاجرهم
ومحال ديونهم وصومهم وفطرهم وعدد نسائهم وأيام حيضهن ومدد حملهن وغير ذلك ومعالم للحج يعرف بها وقته وليس
البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى كان ناس من الأنصار إذا أحرموا لم يدخل أحد منهم حائطا ولا دارا
ولا فسطاطا من باب فإن كان من أهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته منه يدخل ويخرج أو يتخذ سلما يصعد فيه وإن كان من أهل الوبر
خرج من خلف الخباء فقيل لهم ليس البر بتحرجكم من دخول الباب ولكن البر من اتقى ما حرم الله فإن قلت ما وجه اتصاله بما قبله
قلت كأنه قيل لهم عند سؤالهم عن الأهلة وعن الحكمة في نقصانها وتمامها معلوم أن كل ما يفعله الله عز وجل لا يكون إلا حكمة
بالغة ومصلحة لعباده فدعوا السؤال عنه وانظروا في واحدة تفعلونها أنتم مما ليس من البر في شيء وأنتم تحسبونها برا ويجوز أن
يجري ذلك على طريق الاستطراد لما ذكر أنها مواقيت للحج لأنه كان من أفعالهم في الحج ويحتمل أن يكون هذا تمثيلا لتعكيسهم
في سؤالهم وأن مثلهم فيه كمثل من يترك باب البيت ويدخله من ظهره والمعنى ليس البر وما ينبغي أن تكونوا عليه بأن تعكسوا
في مسائلكم ولكن البر بر من اتقى ذلك وتجنبه ولم يجسر على مثله ثم قال وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم
تفلحون • أي وباشروا الأمور من وجوهها التي يجب أن تباشر عليها ولا تعكسوا والمراد وجوب توطين النفوس وربط القلوب
على أن جميع أفعال الله حكمة وصواب من غير اختلاج شبهة ولا اعتراض شك في ذلك حتى لا يسأل عنه لما في السؤال من الاتهام
بمقارفة الشك لا يسأل عما يفعل وهم يسألون • وقاتلوا في سبيل الله المقاتلة في سبيل الله هو الجهاد لإعلاء كلمة الله وإعزاز الدين
الذين يقاتلونكم الذين يناجزونكم القتال دون المحاجزين وعلى هذا يكون منسوخا بقوله وقاتلوا المشركين كافة وعن
الربيع بن أنس هي أول آية نزلت في القتال بالمدينة فكان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقاتل من قاتل ويكف عن من كف أو الذين
يناصبونكم القتال دون من ليس من أهل المناصبة من الشيوخ والصبيان والرهبان والنساء أو الكفرة كلهم لأنهم جميعا مضادون
للمسلمين قاصدون لمقاتلتهم فهم في حكم المقاتلة قاتلوا أو لم يقاتلوا وقيل لما صد المشركون رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عام
الحديبية وصالحوه على أن يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة أيام فرجع لعمرة القضاء خاف المسلمون ألا تفي لهم قريش ويصدوهم
ويقاتلوهم في الحرم وفي الشهر الحرام وكرهوا ذلك نزلت وأطلق لهم قتال الذين يقاتلونهم منهم في الحرم في الشهر الحرام
ورفع عنهم الجناح في ذلك ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين • بابتداء القتال أو بقتال من نهيتم عن قتاله من النساء والشيوخ
والصبيان والذين بينكم وبينهم عهد أو بالمثلة أو بالمفاجأة من غير دعوة واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث وجدتموهم
في حل أو حرم والثقف وجود على وجه الأخذ والغلبة ومنه رجل ثقف سريع الأخذ لأقرانه • قال فإما تثقفوني فاقتلوني
فمن أثقف فليس إلى خلود • وأخرجوهم من حيث أخرجوكم أي من مكة وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم
بمن لم يسلم منهم يوم الفتح والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم
فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين • أي المحنة والبلاء الذي ينزل بالإنسان يتعذب به أشد عليه من القتل وقيل لبعض
الحكماء ما أشد من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت جعل الإخراج من الوطن من الفتن والمحن التي يتمنى عندها الموت ومنه
قول القائل لقتل بحد السيف أهون موقعا • على النفس من قتل بحد فراق • وقيل الفتنة عذاب الآخرة ذوقوا فتنتكم
وقيل الشرك أعظم من القتل في الحرم وذلك أنهم كانوا يستعظمون القتل في الحرم ويعيبون به المسلمين فقيل والشرك
الذي هم عليه أشد وأعظم مما يستعظمونه ويجوز أن يراد وفتنتهم إياكم بصدكم عن المسجد الحرام أشد من قتلكم إياهم
في الحرم أو من قتلهم إياكم إن قتلوكم فلا تبالوا بقتالهم وقرئ ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فإن قتلوكم جعل وقوع
القتل في بعضهم كوقوعه فيهم يقال قتلنا بنو فلان وقال فإن تقتلونا نقتلكم • فإن انتهوا عن الشرك والقتال كقوله
إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فإن الله غفور رحيم وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة أي شرك ويكون الدين لله خالصا
ليس للشيطان فيه نصيب فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين • فلا تعدوا على المنتهين لأن مقاتلة المنتهين عدوان
وظلم فوضع قوله إلا على الظالمين موضع على المنتهين أو فلا تظلموا إلا الظالمين غير المنتهين سمي جزاء الظالمين ظلما للمشاكلة
كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه أو أريد أنكم إن تعرضتم لهم بعد الانتهاء كنتم ظالمين فيسلط عليكم من يعدو عليكم
الشهر الحرام بالشهر الحرام قاتلهم المشركون عام الحديبية في الشهر الحرام وهو ذو القعدة فقيل لهم عند خروجهم
لعمرة القضاء وكراهتهم القتال وذلك في ذي القعدة الشهر الحرام بالشهر الحرام أي هذا الشهر بذلك الشهر وهتكه بهتكه
يعني تهتكون حرمته عليهم كما هتكوا حرمته عليكم والحرمات قصاص أي وكل حرمة يجري فيها القصاص من هتك
حرمة أي حرمة كانت اقتص منه بأن تهتك له حرمة فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم نحو ذلك ولا تبالوا وأكد

ذلك بقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله في حال كونكم منتصرين ممن
اعتدى عليكم فلا تعتدوا إلى ما لا يحل لكم واعلموا أن الله مع المتقين وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم
إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين الباء في بأيديكم مزيدة مثلها في أعطى بيده للمنقاد والمعنى ولا تقبضوا
التهلكة أيديكم أي لا تجعلوها آخذة بأيديكم مالكة لكم وقيل بأيديكم بأنفسكم وقيل تقديره ولا تلقوا أنفسكم
بأيديكم كما يقال أهلك فلان نفسه بيده إذا تسبب لهلاكها والمعنى النهي عن ترك الإنفاق في سبيل الله لأنه سبب الهلاك
أو عن الإسراف في النفقة حتى يفقر نفسه ويضيع عياله أو عن الاستقبال أو الإخطار بالنفس أو عن ترك الغزو الذي
هو تقوية للعدو وروي أن رجلا من المهاجرين حمل على صف العدو فصاح به الناس ألقى بيده إلى التهلكة فقال أبو أيوب
الأنصاري نحن أعلم بهذه الآية وإنما نزلت فينا صحبنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فنصرناه وشهدنا معه المشاهد
وآثرناه على أهالينا وأموالنا وأولادنا فلما فشا الإسلام وكثر أهله ووضعت الحرب أوزارها رجعنا إلى أهالينا وأموالنا
وأولادنا نصلحها ونقيم فيها فكانت التهلكة الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد وحكى أبو علي في الحلبيات عن أبي عبيدة التهلكة
والهلاك والهلك واحد قال فدل هذا من قول أبي عبيدة على أن التهلكة مصدر ومثله ما ذكر سيبويه من قولهم التضرة
والتسرة ونحوها في الأعيان التنضبة والتتفلة ويجوز أن يقال أصلها التهلكة كالتجربة والتبصرة ونحوهما على أنها مصدر
من هلّك فأبدلت من الكسرة ضمة كما جاء الجوار في الجوار وأتموا الحج والعمرة لله ائتوا بهما تامين كاملين بمناسكهما
وشرائطهما لوجه الله من غير توان ولا نقصان يقع منكم فيهما قال تمام الحج أن تقف المطايا على خرقا واضعة اللثام
جعل الوقوف عليها كبعض مناسك الحج الذي لا يتم إلا به وقيل إتمامهما أن تحرم بهما من دويرة أهلك روي ذلك عن علي
عليه السلام وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم وقيل أن تفرد لكل واحد منهما سفرا كما قال محمد حجة كوفية وعمرة
كوفية أفضل وقيل أن تكون النفقة حلالا وقيل أن تخلصوهما للعبادة ولا تشوبوهما بشيء من التجارة والأغراض الدنيوية
فإن قلت هل فيه دليل على وجوب العمرة قلت ما هو إلا أمر بإتمامهما ولا دليل في ذلك على كونهما واجبين أو
تطوعين فقد يؤمر بإتمام الواجب والتطوع جميعا إلا أن تقول الأمر بإتمامهما أمر بأدائهما بدليل قراءة من قرأ وأقيموا الحج والعمرة
لله والأمر للوجوب في أصله إلا أن يدل دليل على خلاف الوجوب كما دل في قوله فاصطادوا فانتشروا ونحو ذلك فيقال لك
فقد دل الدليل على نفي الوجوب وهو ما روي أنه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج قال لا ولكن أن تعتمر خير لك وعنه
الحج جهاد والعمرة تطوع فإن قلت فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال إن العمرة لقرينة الحج وعن عمر رضي الله عنه
أن رجلا قال له إني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي أهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك وقد نظمت مع الحج في
الأمر بالإتمام فكانت واجبة مثل الحج قلت كونها قرينة للحج أن القارن يقرن بينهما وأنهما يقترنان في الذكر فيقال حج فلان
واعتمر والحجاج والعمار ولأنها الحج الأصغر ولا دليل في ذلك على كونها قرينة له في الوجوب وأما حديث عمر فقد فسر الرجل
كونهما مكتوبين عليه بقوله أهللت بهما وإذا أهل بالعمرة وجبت عليه كما إذا كبر بالتطوع من الصلوات والدليل الذي ذكرنا
أخرج العمرة من صفة الوجوب فبقي الحج وحده فيهما فهما بمنزلة قولك صم شهر رمضان وستة من شوال في أنك تأمره بفرض
وتطوع وقرأ علي وابن مسعود والشعبي والعمرة لله بالرفع كأنهم قصدوا بذلك إخراجها عن حكم الحج وهو الوجوب فإن
أحصرتم يقال أحصر فلان إذا منعه أمر من خوف أو مرض أو عجز قال الله تعالى الذين أحصروا في سبيل الله وقال ابن ميادة
وما هجر ليلى أن تكون تباعدت عليك ولا أن أحصرتك شغول وحصر إذا حبسه عدو عن المضي وسجن ومنه قيل
للمحبس الحصير لأنه محبوس هذا هو الأكثر وهما بمعنى المنع في كل شيء مثل صده وأصده وكذلك قال الفراء وأبو عمرو الشيباني
وعليه قول أبي حنيفة رضي الله عنه كل منع عنده من عدو كان أو مرض أو غيرهما معتبر في إثبات حكم الإحصار وعند مالك
والشافعي رضي الله عنهما منع العدو وحده وعن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من كسر أو عرج فقد حل وعليه الحج من قابل فما
استيسر من الهدي فما تيسر منه يقال يسر الأمر واستيسر كما يقال صعب واستصعب والهدي جمع هدية كما يقال في جدية
السرج جدي وقرئ من الهدي بالتشديد جمع هدية كمطية ومطي يعني فإن منعتم من المضي إلى البيت وأنتم محرمون بحج أو عمرة
فعليكم إذا أردتم التحلل ما استيسر من الهدي من بعير أو بقرة أو شاة فإن قلت أين ومتى ينحر هدي المحصر قلت
إن كان حاجا فبالحرم متى شاء عند أبي حنيفة رضي الله عنه يبعث به ويجعل للمبعوث على يده يوم أمارة وإن كان معتمرا فبالحرم
في كل وقت عندهم جميعا وعندهما في أيام النحر ثم استيسر رفع بالابتداء أي فعليه ما استيسر أو نصب على فاهدوا ما استيسر
ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله الخطاب للمحصرين أي لا تحلوا حتى تعلموا أن الهدي الذي بعثتموه إلى الحرم
بلغ محله أي مكانه الذي يجب نحره فيه ومحل الدين وقت وجوب قضائه وهو ظاهر على مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه فإن
قلت إن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم نحر هديه حيث أحصر قلت كان محصره طرف الحديبية الذي إلى أسفل مكة وهو
من الحرم وعن الزهري أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم نحر هديه في الحرم وقال الواقدي الحديبية هي طرف الحرم على تسعة

اميال من مكة

أميال من مكة فمن كان منكم مريضا فمن كان به مرض يحوجه إلى الحلق أو به أذى من رأسه وهو القمل والجراحة ففدية
من صيام أو صدقة أو نسك وهو شاة وعن كعب بن عجرة أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال له لعلك آذاك هوامك قال نعم يا رسول الله
قال احلق وانسك شاة أو صم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين وكان كعب يقول في نزلت هذه الآية وروي أنه مر
به وقد قرح رأسه فقال كفى بهذا أذى وأمره أن يحلق ويطعم أو يصوم والنسك مصدر وقيل جمع نسيكة وقرأ الحسن
أو نسك بالتخفيف فإذا أمنتم الإحصار يعني فإذا لم تحصروا وكنتم في حال أمن وسعة فمن تمتع أي استمتع بالعمرة إلى الحج
واستمتاعه بالعمرة إلى وقت الحج انتفاعه بالتقرب بها إلى الله قبل الانتفاع بتقربه بالحج وقيل إذا حل من عمرته انتفع باستباحة ما كان
محرما عليه إلى أن يحرم بالحج فما استيسر من الهدي هو هدي المتعة وهو نسك عند أبي حنيفة رضي الله عنه ويأكل منه
وعند الشافعي رضي الله عنه يجري مجرى الجنايات ولا يأكل منه ويذبحه يوم النحر عندنا وعنده يجوز ذبحه إذا أحرم بحجته
فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فمن لم يجد الهدي فعليه صيام ثلاثة أيام في الحج أي في وقته وهو أشهره ما بين الإحرامين
إحرام العمرة وإحرام الحج وهو مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه والأفضل أن يصوم يوم التروية وعرفة ويوما قبلهما وإن
مضى هذا الوقت لم يجزه إلا الدم وعند الشافعي رضي الله عنه لا يصام إلا بعد الإحرام بالحج تمسكا بظاهر قوله في الحج وسبعة
إذا رجعتم يعني إذا نفرتم وفرغتم من أفعال الحج عند أبي حنيفة وعند الشافعي هو الرجوع إلى أهاليهم وقرأ ابن أبي عبلة وسبعة
بالنصب عطفا على محل ثلاثة أيام كأنه قيل فصيام ثلاثة أيام كقوله أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيما تلك عشرة فإن قلت ما فائدة الفذلكة
قلت الواو قد تجيء للإباحة في نحو قولك جالس الحسن وابن سيرين ألا ترى أنه لو جالسهما جميعا أو واحدا منهما كان ممتثلا ففذلكت
نفيا لتوهم الإباحة وأيضا ففائدة الفذلكة في كل حساب أن يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا ليحاط به من جهتين فيتأكد
العلم وفي أمثال العرب علمان خير من علم وكذلك كاملة تأكيد آخر وفيه زيادة توصية بصيامها وأن لا يتهاون بها
ولا ينقص من عددها كما تقول للرجل إذا كان لك اهتمام بأمر تأمره به وكان منك بمنزل الله الله لا تقصر وقيل كاملة في وقوعها
بدلا من الهدي وفي قراءة أبي فصيام ثلاثة أيام متتابعات ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام ذلك إشارة إلى التمتع
عند أبي حنيفة وأصحابه لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام عندهم ومن تمتع منهم أو قرن كان عليه دم وهو دم جناية لا يأكل
منه وأما القارن والمتمتع من أهل الآفاق فدمهما دم نسك يأكلان منه وعند الشافعي إشارة إلى الحكم الذي هو وجوب الهدي أو
الصيام ولم يوجب عليهم شيئا وحاضروا المسجد الحرام أهل المواقيت فمن دونها إلى مكة عند أبي حنيفة وعند الشافعي أهل الحرم
ومن كان من الحرم على مسافة لا تقصر فيها الصلاة واتقوا الله في المحافظة على حدوده وما أمركم به ونهاكم عنه في الحج وغيره
واعلموا أن الله شديد العقاب لمن خالف ليكون علمكم بشدة عقابه لطفا لكم في التقوى الحج أشهر معلومات أي
وقت الحج أشهر كقولك البرد شهران والأشهر المعلومات شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة عند أبي حنيفة وعند الشافعي
تسع ذي الحجة وليلة يوم النحر وعند مالك ذو الحجة كله فإن قلت ما فائدة توقيت الحج بهذه الأشهر قلت فائدته
أن شيئا من أفعال الحج لا يصح إلا فيها والإحرام بالحج لا ينعقد أيضا عند الشافعي في غيرها وعند أبي حنيفة رضي الله عنه ينعقد إلا أنه
مكروه فإن قلت فكيف كان الشهران وبعض الثالث أشهرا قلت اسم الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل قوله تعالى
فقد صغت قلوبكما فلا سؤال فيه إذا وإنما كان يكون موضعا للسؤال لو قيل ثلاثة أشهر معلومات وقيل نزل بعض الشهر منزلة
كله كما يقال رأيتك سنة كذا أو على عهد فلان ولعل العهد عشرون سنة أو أكثر وإنما رآه في ساعة منها فإن قلت
فما وجه مذهب مالك وهو مروي عن عروة بن الزبير قلت قالوا وجهه أن العمرة غير مستحبة فيها عند عمر وابن عمر فكأنها مخلصة
للحج لا مجال فيها للعمرة وعن عمر أنه كان يخفق الناس بالدرة وينهاهم عن الاعتمار فيهن وعن ابن عمر أنه قال لرجل إن أطعتني انتظرت
حتى إذا أهللت المحرم خرجت إلى ذات عرق فأهللت منها بعمرة وقالوا لعل من مذهب عروة جواز تأخير طواف الزيارة إلى آخر الشهر
معلومات معروفات عند الناس لا يشكل عليهم وفيه أن الشرع لم يأت على خلاف ما عرفوه وإنما جاء مقررا له فمن فرض
فيهن الحج فمن ألزمه نفسه بالتلبية أو بتقليد الهدي وسوقه عند أبي حنيفة وعند الشافعي بالنية فلا رفث ولا جماع لأنه
يفسده أو فلا فحش من الكلام ولا فسوق ولا خروج عن حدود الشريعة وقيل هو السباب والتنابز بالألقاب ولا جدال في
الحج ولا مراء مع الرفقاء والخدم والمكارين وإنما أمر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب في كل حال لأنه مع الحج أسمج كلبس الحرير في
الصلاة والتطريب في قراءة القرآن والمراد بالنفي وجوب انتفائها وأنها حقيقة بأن لا تكون وقرئ المنفيات الثلاث بالنصب
والرفع وقرأ أبو عمرو وابن كثير الأولين بالرفع والآخر بالنصب لأنهما حملا الأولين على معنى النهي كأنه قيل فلا يكونن رفث ولا فسوق
والثالث على معنى الإخبار بانتفاء الجدال كأنه قيل ولا شك ولا خلاف في الحج وذلك أن قريشا كانت تخالف سائر العرب
فتقف بالمشعر الحرام وسائر العرب يقفون بعرفة وكانوا يقدمون الحج سنة ويؤخرونه سنة وهو النسيء فرد إلى وقت واحد ٤٢
ورد الوقوف إلى عرفة فأخبر الله تعالى أنه قد ارتفع الخلاف في الحج واستدل على أن المنهي عنه هو الرفث والفسوق دون الجدال
بقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج كهيئة يوم ولدته أمه وأن لم يذكر الجدال وما تفعلوا من خير يعلمه الله

حث على الخير عقيب النهي عن الشر وان يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والاخلاق
الجميلة او جعل فعل الخير عبارة عن ضبط انفسهم حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه وينصره قوله وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى اي اجعلوا
زادكم الى الآخرة اتقاء القبائح فان خير الزاد اتقاؤها وقيل كان اهل اليمن لا يتزودون ويقولون نحن نحج بيت الله أفلا يطعمنا فيكونون كلا
على الناس فنزلت فيهم ومعناه وتزودوا واتقوا الاستطعام وابرام الناس والتثقيل عليهم فان خير الزاد التقوى وَاتَّقُونِ وخافوا
عقابي يَا أُولِي الْأَلْبَابِ يعني ان قضية اللب تقوى الله ومن لم يتقه من الالباء فكانه لا لب له لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ
رَبِّكُمْ عطاء منه وتفضلا وهو النفع والربح بالتجارة وكان ناس من العرب يتأثمون ان يتجروا ايام الحج واذا دخل العشر كفوا
عن البيع والشراء فلم تقم لهم سوق ويسمون من يخرج بالتجارة الداج ويقولون هؤلاء الداج وليسوا بالحاج وقيل كانت عكاظ
ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يتجرون فيها في ايام الموسم وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا فرفع عنهم
الجناح في ذلك وابيح لهم وانما يباح ما لم يشغل عن العبادة وعن ابن عمر ان رجلا قال له انا قوم نكرى في هذا الوجه وان قوما يزعمون
انه لا حج لنا فقال سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عما سألت عنه فلم يرد عليه حتى نزل ليس عليكم جناح فدعا به وقال انتم
حجاج وعن عمر رضي الله عنه انه قيل له هل كنتم تكرهون التجارة في الحج فقال وهل كانت معايشنا الا من التجارة في الحج وقرأ ابن
عباس رضي الله عنهما فضلا من ربكم في مواسم الحج ان تبتغوا وان تبتغوا فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ دفعتم بكثرة وهو من
افاضة الماء وهو صبه بكثرة واصله افضتم انفسكم فترك ذكر المفعول كما ترك في دفعوا من موضع كذا وصبوا
وفي حديث ابي بكر رضي الله عنه صب في دقران وهو جحر يعني الجنة وقال افاضوا في الحديث وهضبوا فيه وعرفات
علم للموقف سمي بجمع كاذرعات **فان قلت** هلا منعت الصرف وفيها السببان التعريف والتأنيث **قلت** لا يخلو
التأنيث اما ان يكون بالتاء التي في لفظها واما بتاء مقدرة كما في سعاد فالتي في لفظها ليست للتأنيث وانما هي مع الالف التي قبلها علامة
جمع المؤنث ولا يصح تقدير التاء فيها لان هذه التاء لاختصاصها بجمع المؤنث مانعة من تقديرها كما لا تقدر تاء التأنيث في بنت التي
التاء التي هي بدل من الواو لاختصاصها بالمؤنث كتاء التأنيث فابت تقديرها وقالوا سميت بذلك لانها وصفت لابرهيم عليه السلام
فلما ابصرها عرفها وقيل ان جبريل حين كان يدور به في المشاعر اراه اياها فقال قد عرفت وقيل التقى فيها آدم وحواء فتعارفا
وقيل لان الناس يتعارفون فيها والله اعلم بحقيقة ذلك وهي من الاسماء المرتجلة لان العرفة لا تعرف في اسماء الاجناس الا ان تكون
جمع عارف وقيل فيه دليل على وجوب الوقوف بعرفة لان الافاضة لا تكون الا بعده وعن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم الحج عرفة
فمن ادرك عرفة فقد ادرك الحج فَاذْكُرُوا اللَّهَ بالتلبية والتهليل والتكبير والدعوات والثناء وقيل بصلاة المغرب والعشاء
عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ والمشعر الحرام قزح وهو الجبل الذي يقف عليه الامام وعليه الميقدة وقيل المشعر الحرام ما بين جبلي المزدلفة
من مأزمي عرفة الى وادي محسر وليس المأزمان ولا وادي محسر من المشعر الحرام والصحيح انه الجبل لما روى جابر ان النبي صلى الله عليه
وعلى آله وسلم لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر
وقوله عند المشعر الحرام معناه مما يلي المشعر الحرام قريبا منه وذلك للفضل كالقرب من جبل الرحمة والا فالمزدلفة
كلها موقف الا وادي محسر او جعلت اعقاب المزدلفة لكونها في حكم المشعر ومتصلة به عند المشعر والمشعر المعلم لانه معلم
للعبادة ووصف بالحرام لحرمته وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه نظر الى الناس ليلة جمع فقال لقد ادركت الناس هذه الليلة لا
ينامون وقيل سميت المزدلفة وجمعا لان آدم اجتمع فيها مع حواء رضي الله عنهما وازدلف اليها اي دنا منها وعن قتادة لانه يجمع فيها
بين الصلاتين ويجوز ان يقال وصفت بفعل اهلها لانهم يزدلفون الى الله اي يتقربون بالوقوف فيها وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ
ما مصدرية او كافة والمعنى اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة واذكروه كما علمكم كيف تذكرونه لا تعدلوا
عنه وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ من قبل الهدى لَمِنَ الضَّالِّينَ الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه وان هي المخففة من الثقيلة
واللام هي الفارقة ثُمَّ أَفِيضُوا ثم لتكن افاضتكم مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ولا تكن من المزدلفة وذلك لما كان عليه الحمس
من الترفع على الناس والتعالي عليهم وتعظمهم عن ان يساووهم في الموقف وقولهم نحن اهل الله وقطان حرمه فلا نخرج منه
فيقفون بجمع وسائر الناس بعرفات **فان قلت** فكيف موقع ثم **قلت** نحو موقعها في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الى
غير كريم تأتي بثم لتفاوت ما بين الاحسان الى الكريم والاحسان الى غيره وبعد ما بينهما فكذلك حين امرهم بالذكر عند
الافاضة من عرفات قال ثم افيضوا لتفاوت ما بين الافاضتين وان احداهما صواب والثانية خطأ وقيل ثم افيضوا من حيث افاض
الناس وهي الحمس اي من المزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفات وقرئ من حيث افاض الناس بكسر السين اي الناسي وهو آدم
من قوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي يعني ان الافاضة من عرفات شرع قديم فلا تخالفوا عنه وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ من
مخالفتكم في الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فاذا فرغتم من عباداتكم
الحجية ونفرتم فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ فاكثروا ذكر الله وبالغوا فيه كما تفعلون في ذكر آبائكم
ومفاخرهم وايامهم وكانوا اذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل فيعددون فضائل آبائهم ويذكرون

محاسن آبائهم أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا في موضع جر عطف على ما اضيف اليه الذكر في قوله كذكركم كما تقول كذكر قريش آباءهم او قوم اشد
منهم ذكرا او في موضع نصب عطف على آباءكم بمعنى او اشد ذكرا من آبائكم على ان ذكرا من فعل المذكور فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ معناه اكثروا
ذكر الله ودعاءه فان الناس من بين مقل لا يطلب بذكر الله الا اعراض الدنيا ومكثر يطلب خير الدارين فكونوا من المكثرين رَبَّنَا
آتِنَا فِي الدُّنْيَا اجعل ايتاءنا اي اعطاءنا في الدنيا خاصة وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ اي من طلب خلاق وهو النصيب او ما لهذا الداعي
في الآخرة من نصيب لان همه مقصور على الدنيا وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ
والحسنات ما هو طلبة الصالحين في الدنيا من الصحة والكفاف والتوفيق في الخير وطلبتهم في الآخرة من الثواب وعن علي رضي
الله عنه الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب النار امرأة السوء أُولَئِكَ الداعون بالحسنتين لَهُمْ نَصِيبٌ
مِمَّا كَسَبُوا اي نصيب من جنس ما كسبوا من الاعمال الحسنة وهو الثواب الذي هو المنافع الحسنة او من اجل ما كسبوا كقوله مما
خطيئاتهم اغرقوا او لهم نصيب مما دعوا به نعطيهم منه ما يستوجبونه بحسب مصالحهم في الدنيا واستحقاقهم في الآخرة وسمي الدعاء
كسبا لانه من الاعمال والاعمال موصوفة بالكسب بما كسبت ايديكم ويجوز ان يكون اولئك للفريقين وان لكل فريق نصيبا
من جنس ما كسبوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب العباد فبادروا اكثار الذكر وطلب الآخرة او
وصف نفسه بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم وكثرة اعمالهم ليدل على كمال قدرته ووجوب الحذر منه روي انه
يحاسب الخلق في قدر حلب شاة وروي في مقدار فواق ناقة وروي في مقدار لمحة وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ
الايام المعدودات ايام التشريق وذكر الله فيها التكبير في ادبار الصلوات وعند الجمار وعن عمر رضي الله عنه انه كان
يكبر في فسطاطه بمنى فيكبر من حوله حتى يكبر الناس في الطريق وفي الطواف فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ
فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ فمن تعجل في النفر او استعجل النفر وتعجل واستعجل يجيئان مطاوعين بمعنى عجل يقال تعجل في الامر واستعجل ومتعديين
يقال تعجل الذهاب واستعجله والمطاوعة اوفق لقوله ومن تأخر كما هي كذلك في قوله قد يدرك المتأني بعض حاجته
وقد يكون مع المستعجل الزلل لاجل المتأني في يومين بعد يوم النحر يوم القر وهو الذي يسميه اهل مكة يوم الرؤوس واليوم
بعده ينفر اذا فرغ من رمي الجمار كما يفعل الناس اليوم وهو مذهب الشافعي ويروى عن قتادة وعند ابي حنيفة واصحابه ينفر قبل طلوع الفجر
ومن تأخر حتى رمى في اليوم الثالث والرمي في اليوم الثالث يجوز تقديمه على الزوال عند ابي حنيفة وعند الشافعي لا يجوز
فان قلت كيف قال فلا اثم عليه عند التعجيل والتأخر جميعا **قلت** دلالة على ان التعجيل والتأخر مخير فيهما كأنه قيل فتعجلوا
او تأخروا **فان قلت** اليس التأخر بافضل **قلت** بلى ويجوز ان يقع التخيير بين الفاضل والافضل كما خير المسافر بين الصوم والافطار
وان كان الصوم افضل وقيل ان اهل الجاهلية كانوا فريقين منهم من جعل المتعجل آثما ومنهم من جعل المتأخر آثما فورد القرآن
بنفي المأثم عنهما جميعا لِمَنِ اتَّقَى اي ذلك التخيير ونفي الاثم عن المتعجل والمتأخر لاجل الحاج المتقي لئلا يتخالج في قلبه شيء منهما فيحسب ان
احدهما يرهق صاحبه آثام في الاقدام عليه لان ذا التقوى حذر متحرز من كل ما يريبه ولانه هو الحاج على الحقيقة عند الله ثم قال
وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ليجازيكم ويجوز ان يراد ذلك الذي مر ذكره من احكام الحج وغيره لمن اتقى لانه هو
المنتفع به دون من سواه كقوله ذلك خير للذين يريدون وجه الله وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ اي يروقك ويعظم في
قلبك ومنه الشيء العجيب الذي يعظم في النفس وهو الاخنس بن شريق كان رجلا حلو المنطق اذا لقي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم
الان له القول وادعى انه يحبه وانه مسلم وقال يعلم الله اني صادق وقيل هو عام في المنافقين كانت تحلولي السنتهم وقلوبهم امر
من الصبر **فان قلت** بم يتعلق قوله فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا **قلت** بالقول اي يعجبك ما يقوله في معنى الدنيا لان ادعاءه المحبة بالباطل
يطلب به حظا من حظوظ الدنيا ولا يريد به الآخرة كما تراد بالايمان الحقيقي والمحبة الصادقة للرسول فكلامه اذا في الدنيا
لا في الآخرة ويجوز ان يتعلق بيعجبك اي قوله حلو فصيح في الدنيا فهو يعجبك ولا يعجبك في الآخرة لما يرهقه في الموقف من الحبسة
واللكنة او لانه لا يؤذن له في الكلام فلا يتكلم حتى يعجبك كلامه وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ اي يحلف ويقول الله شاهد
على ما في قلبي من محبتك ومن الاسلام وقرئ ويشهد الله وفي مصحف ابي ويستشهد الله وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وهو شديد
الجدال والعداوة للمسلمين وقيل كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا واهلك مواشيهم واحرق زروعهم والخصام المخاصمة واضافة
الالد بمعنى في كقولهم ثبت الغدر او جعل الخصام الد على المبالغة وقيل الخصام جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى وهو اشد
الخصوم خصومة وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ واذا تولى عنك
وذهب بعد الانة القول واحلاء المنطق سعى في الارض ليفسد فيها كما فعل بثقيف وقيل واذا تولى واذا كان واليا فعل ما
يفعله ولاة السوء من الفساد في الارض باهلاك الحرث والنسل وقيل يظهر الظلم حتى يمنع الله بشؤم ظلمه القطر فيهلك
الحرث والنسل وقرئ ويهلك الحرث والنسل على ان الفعل للحرث والنسل والرفع للعطف على سعى وقرأ الحسن بفتح اللام
وهي لغة نحو ابى يأبى وروي عنه ويهلك على البناء للمفعول وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ
وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ اخذته العزة بالاثم من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه اي حملته النخوة التي فيه وحمية الجاهلية

على الإثم الذي نهي عنه والزمته ارتكابه وأن لا يخلي عنه ضرارا ولجاجا أو على رد قول الواعظ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله يبيعها أي يبذلها في الجهاد وقيل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل وقيل نزلت في صهيب بن سنان أراده المشركون على ترك الإسلام وقتلوا نفرا كانوا معه فقال لهم أنا شيخ كبير إن كنت معكم لم أنفعكم وإن كنت عليكم لم أضركم فخلوني وما أنا عليه وخذوا مالي فقبلوا منه ماله وأتى المدينة والله رؤوف بالعباد ● حيث كلفهم الجهاد فعرضهم لثواب الشهداء يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم بكسر السين وفتحها وقرأ الأعمش بفتح السين واللام وهو الاستسلام والطاعة أي استسلموا لله وأطيعوه كافة لا يخرج منكم أحد يده عن طاعته وقيل هو الإسلام والخطاب لأهل الكتاب لأنهم آمنوا بنبيهم وكتابهم أو للمنافقين لأنهم آمنوا بألسنتهم ويجوز أن يكون كافة حالا من السلم لأنها تؤنث كالحرب قال ●

السلم تأخذ منها ما رضيت به ● والحرب يكفيك من أنفاسها جرع ●

على أن المؤمنين أمروا بأن يدخلوا في الطاعات كلها وأن لا يدخلوا في طاعة دون طاعة أو في شعب الإسلام وشرائعه كلها وأن لا يخلوا بشيء منها وعن عبد الله بن سلام أنه استأذن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يقيم على السبت وأن يقرأ من التوراة في صلاته من الليل وكافة من الكف كأنهم كفوا عن أن يخرج منهم أحد باجتماعهم ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ● فإن زللتم عن الدخول في السلم من بعد ما جاءتكم البينات أي الحجج والشواهد على أن ما دعيتم إلى الدخول فيه هو الحق فاعلموا أن الله عزيز غالب لا يعجزه الانتقام منكم حكيم لا ينتقم إلا بحق وروي أن قارئا قرأ غفور رحيم فسمعه أعرابي فأنكره ولم يقرأ القرآن وقال إن كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لأنه إغراء عليه وقرأ أبو السمال زللتم بكسر اللام وهما لغتان نحو ضللت وضللت هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله إتيان الله إتيان أمره وبأسه كقوله أو يأتي أمر ربك فجاءهم بأسنا ويجوز أن يكون المأتي به محذوفا بمعنى أن يأتيهم الله ببأسه أو بنقمته للدلالة عليه بقوله فإن الله عزيز في ظلل من الغمام جمع ظلة وهي ما أظلك وقرئ ظلال وهي جمع ظلة كقلة وقلال أو جمع ظل وقرئ والملائكة بالرفع كقوله هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة وبالجر عطفا على ظلل أو على الغمام فإن قلت لم يأتيهم العذاب في الغمام قلت لأن الغمام مظنة الرحمة فإذا نزل منه العذاب كان الأمر أفظع وأهول لأن الشر إذا جاء من حيث لا يحتسب كان أغم كما أن الخير إذا جاء من حيث لا يحتسب كان أسر فكيف إذا جاء الشر من حيث يحتسب الخير ولذلك كانت الصاعقة من العذاب المستفظع لمجيئها من حيث يتوقع الغيث ومن ثمة اشتد على المتفكرين في كتاب الله قوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وقضي الأمر وأتم أمر إهلاكهم وتدميرهم وفرغ منه وقرأ معاذ بن جبل رضي الله عنه وقضاء الأمر على المصدر المرفوع عطفا على الملائكة وإلى الله ترجع الأمور ● وقرئ ترجع وترجع على البناء للفاعل والمفعول بالتأنيث والتذكير سل بني إسرائيل أمر للرسول أو لكل أحد وهذا السؤال سؤال تقريع كما يسأل الكفرة يوم القيامة كم آتيناهم من آية بينة على أيدي أنبيائهم وهي معجزاتهم ومن آية في الكتب شاهدة على صحة دين الإسلام ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب ● ونعمة الله آياته وهي أجل نعمة من الله لأنها أسباب الهدى والنجاة من الضلالة وتبديلهم إياها أن الله أظهرها لتكون أسباب هداهم فجعلوها أسباب ضلالتهم كقوله فزادتهم رجسا إلى رجسهم أو حرفوا آيات الكتب الدالة على دين محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم فإن قلت كم استفهامية أو خبرية قلت يحتمل الأمرين ومعنى الاستفهام فيها للتقرير فإن قلت ما معنى من بعد ما جاءته قلت معناه من بعد ما تمكن من معرفتها أو عرفها كقوله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه لأنه إذا لم يتمكن من معرفتها أو لم يعرفها فكأنها غائبة عنه وقرئ ومن يبدل بالتخفيف زين للذين كفروا الحياة الدنيا المزين هو الشيطان زين لهم الدنيا وحسنها في أعينهم بوساوسه وحببها إليهم فلا يريدون غيرها ويجوز أن يكون الله قد زينها لهم بأن خذلهم حتى استحسنوها وأحبوها أو جعل إمهال المزين تزيينا ويدل عليه قراءة من قرأ زين للذين كفروا الحياة الدنيا على البناء للفاعل ويسخرون من الذين آمنوا كان الكفرة يسخرون من المؤمنين الذين لا حظ لهم من الدنيا كابن مسعود وعمار وصهيب وغيرهم أي لا يريدون غيرها وهم يسخرون ممن لا حظ له فيها أو ممن يطلب غيرها والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة لأنهم في عليين من السماء وهم في سجين من الأرض أو حالهم عالية لحالهم لأنهم في كرامة وهم في هوان أو هم عالون عليهم متطاولون يضحكون منهم كما تطاولوا من هؤلاء في الدنيا ويرون الفضل لهم عليهم فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون والله يرزق من يشاء بغير حساب ● بغير تقدير يعني أنه يوسع على من توجب الحكمة التوسعة عليه كما وسع على قارون وغيره فهذه التوسعة عليكم من جهة الله لما فيها من الحكمة وهو استدراجكم بالنعمة ولو كانت كرامة لكان أولياؤه المؤمنون أحق بها منكم فإن قلت لم قال من الذين آمنوا ثم قال والذين اتقوا قلت ليريك أنه لا يسعد عنده إلا المؤمن المتقي وليكون بعثا للمؤمنين على التقوى إذا سمعوا ذلك كان الناس أمة واحدة متفقين على دين الإسلام فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ● يريد فاختلفوا فبعث الله وإنما حذف لدلالة قوله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه عليه وفي قراءة عبد الله كان الناس أمة واحدة فاختلفوا فبعث الله والدليل عليه قوله عز وعلا وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا عليهم والأول الوجه فإن قلت متى كان الناس أمة واحدة متفقين على الحق قلت

عن ابن عباس أنه كان بين آدم وبين نوح عشرة قرون على شريعة من الحق فاختلفوا وقيل هم نوح ومن كان معه في السفينة وأنزل معهم الكتاب يريد الجنس أو مع كل واحد منهم كتابه بالحق ليحكم الله أو الكتاب أو النبي المنزل عليه بين الناس فيما اختلفوا فيه في الحق ودين الإسلام الذي اختلفوا فيه بعد الاتفاق وما اختلف فيه في الحق إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات إلا الذين أوتوا الكتاب المنزل لإزالة الاختلاف أي ازدادوا في الاختلاف لما أنزل عليهم الكتاب وجعلوا نزول الكتاب سببا في شدة الاختلاف واستحكامه بغيا بينهم حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا وقلة إنصاف منهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ● ومن الحق بيان لما اختلفوا فيه أي فهدى الله الذين آمنوا للحق الذي اختلف فيه من اختلف أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها للتقرير وإنكار الحسبان واستبعاده لما ذكر ما كانت عليه الأمم من الاختلاف على النبيين بعد مجيء البينات تشجيعا لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم والمؤمنين على الثبات والصبر مع الذين اختلفوا عليه من المشركين وأهل الكتاب وإنكارهم لآياته وعداوتهم له قال لهم على طريقة الالتفات التي هي أبلغ أم حسبتم ولما فيها معنى التوقع وهي في النفي نظيرة قد في الإثبات والمعنى أن إتيان ذلك متوقع منتظر مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء حالهم التي هي مثل في الشدة ومستهم بيان للمثل وهو استئناف كأن قائلا قال كيف كان ذلك المثل فقيل مستهم البأساء وزلزلوا وأزعجوا إزعاجا شديدا شبيها بالزلزلة بما أصابهم من الأهوال والأفزاع حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه إلى الغاية التي قال الرسول ومن معه فيها متى نصر الله أي بلغ بهم الضجر ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك ومعناه طلب النصر وتمنيه واستطالة زمان الشدة وفي هذه الغاية دليل على تناهي الأمر في الشدة وتماديه في العظم لأن الرسل لا يقادر قدر ثباتهم واصطبارهم وضبطهم لأنفسهم فإذا لم يبق لهم صبر حتى ضجوا كان ذلك الغاية في الشدة التي لا مطمح وراءها ألا إن نصر الله قريب ● على إرادة القول يعني فقيل لهم ذلك إجابة لهم إلى طلبتهم من عاجل النصر وقرئ حتى يقول بالنصب على إضمار أن ومعنى الاستقبال لأن أن علم له وبالرفع على أنه في معنى الحال كقولك شربت الإبل حتى يجيء البعير يجر بطنه إلا أنها حال ماضية محكية يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم ● فإن قلت كيف طابق الجواب السؤال في قوله قل ما أنفقتم من خير بيان ما ينفقونه وهو كل خير وبني الكلام على ما هو أهم وهو بيان المصرف لأن النفقة لا يعتد بها إلا أن تقع موقعها ● إن الصنيعة لا تكون صنيعة ● حتى يصاب بها طريق المصنع ● وعن ابن عباس أنه جاء عمرو بن الجموح وهو شيخ هم وله مال عظيم فقال ماذا ننفق من أموالنا وأين نضعها فنزلت وعن السدي هي منسوخة بفرض الزكاة وعن الحسن هي في التطوع كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم وهو كره لكم من الكراهة وعسى أن تكرهوا شيئا إما أن يكون بمعنى الكراهة على وضع المصدر موضع الوصف مبالغة كقولها فإنما هي إقبال وإدبار كأنه في نفسه كراهة لفرط كراهتهم له وإما أن يكون فعلا بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز أي وهو مكروه لكم وقرأ السلمي بالفتح على أن يكون بمعنى المضموم كالضعف والضعف ويجوز أن يكون بمعنى الإكراه على سبيل المجاز كأنهم أكرهوا عليه لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم ومنه قوله تعالى حملته أمه كرها ووضعته كرها وعسى أن تكرهوا شيئا جميع ما كلفوه فإن النفوس تكرهه وتنفر عنه وتحب خلافه والله يعلم ما يصلح لكم وما هو خير لكم وأنتم لا تعلمون ● ذلك يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل بعث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عبد الله بن جحش على سرية في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيها عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلاثة معه فقتلوه وأسروا اثنين واستاقوا العير وفيها من تجارة الطائف وكان ذلك أول يوم من رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس إلى معايشهم فوقف رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم العير وعظم ذلك على أصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم العير والأسارى وعن ابن عباس لما نزلت أخذ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم الغنيمة والمعنى يسألك الكفار أو المسلمون عن القتال في الشهر الحرام وقتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وفي قراءة عبد الله عن قتال فيه على تكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم وقرأ عكرمة قتل فيه قل قتل فيه كبير أي إثم كبير وعن عطاء أنه سئل عن القتال في الشهر الحرام فحلف بالله ما يحل للناس أن يغزوا في الحرم ولا في الشهر الحرام إلا أن يقاتلوا فيه وما نسخت وأكثر الأقاويل على أنها منسوخة بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وصد عن سبيل الله مبتدأ وأكبر خبره يعني وكبائر قريش من صدهم عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وكفرهم بالله وإخراج أهل المسجد الحرام وهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم والمؤمنون أكبر عند الله والفتنة الإخراج أو الشرك والمسجد الحرام عطف على سبيل الله ولا يجوز أن يعطف على الهاء في به ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا إخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين وأنهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم

عن دينهم وحتى معناها التعليل كقولك فلان يعبد الله حتى يدخل الجنة اي يقاتلونكم كي يردوكم وان استطاعوا
استبعاد لاستطاعتهم كقول الرجل لعدوه ان ظفرت بي فلا تبق علي وهو واثق بانه لا يظفر به ومن يرتدد منكم
ومن يرجع عن دينه الى دينهم ويطاوعهم على رده اليه فيمت وهو كافر فيمت على الردة فاولئك حبطت اعمالهم
في الدنيا والآخرة واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لما يفوتهم باحداث الردة مما للمسلمين في الدنيا من
ثمرات الاسلام وباستدامتها والموت عليها من ثواب الآخرة وبها احتج الشافعي على ان الردة لا تحبط الاعمال حتى يموت عليها
وعند ابي حنيفة انها تحبطها وان رجع مسلما ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله روي ان عبد الله
بن جحش واصحابه حين قتلوا الحضرمي ظن قوم انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر فنزلت اولئك يرجون رحمة الله
والله غفور رحيم عن قتادة هؤلاء خيار هذه الامة ثم جعلهم الله اهل رجاء كما تسمعون وانه من رجا طلب ومن
خاف هرب نزلت في الخمر اربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا وكان المسلمون يشربونها
وهي لهم حلال ثم ان عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة قالوا يا رسول الله افتنا في الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة للمال
فنزلت قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا وسكروا
فام بعضهم فقرأ قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان
بن مالك قوما فيهم سعد بن ابي وقاص فلما سكروا افتخروا وتناشدوا وانشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه
انصاري بلحي بعير فشجه موضحة فشكا الى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت
انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب وعن علي رضي الله عنه لو وقعت قطرة في بئر فبنيت
مكانها منارة لم اؤذن عليها ولو وقعت في بحر ثم جف ونبت فيه الكلأ لم ارعه وعن ابن عمر لو ادخلت اصبعي فيه لم تتبعني
وهذا هو الايمان حقا وهم الذين اتقوا الله حق تقاته والخمر ما غلى واشتد وقذف بالزبد من عصير العنب وهو حرام وكذلك
نقيع الزبيب والتمر الذي لم يطبخ فان طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم غلى واشتد ذهب خبثه ونصيب الشيطان وحل شربه ما دون
السكر اذا لم يقصد بشربه اللهو والطرب عند ابي حنيفة وعن بعض اصحابه لان اروي منه احب الي من ان اروى من
واحب هو حرام ولان اخر من السماء فانقطع قطعا احب الي من ان اتناول منه قطرة وعند اكثر الفقهاء هو حرام كالخمر وكذلك
كل ما اسكر من كل شراب وسميت خمرا لتغطيتها العقل والتمييز كما سميت سكرا لانها تسكرهما اي تحجزهما وكانها سميت
بالمصدر من خمره خمرا اذا ستره للمبالغة والميسر القمار مصدر من يسر كالموعد والمرجع من فعلهما يقال يسرته اذا قمرته
واشتقاقه من اليسر لانه اخذ مال الرجل بيسر وسهولة من غير كد ولا تعب او من اليسار لانه سلب يساره وعن ابن عباس كان
الرجل في الجاهلية يخاطر على اهله وماله قال ● اقول لهم بالشعب اذ ييسرونني ● الم تعلموا اني ابن فارس زهدم ●
اي يفعلون بي ما يفعل الياسرون بالميسور فان قلت كيف صفة الميسر قلت كانت لهم عشرة اقداح وهي الازلام
والاقلام الفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل واحد منها نصيب
معلوم من جزور ينحرونها ويجزئونها عشرة اجزاء وقيل ثمانية وعشرين الا لثلاثة وهي المنيح والسفيح والوغد ولبعضهم
شعر ● لي في الدنيا سهام ● ليس فيهن ربيح ● واساميهن وغد ● وسفيح ومنيح ● للفذ سهم وللتوأم سهمان وللرقيب ثلاثة
وللحلس اربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها في الربابة وهي خريطة ويضعونها على يدي عدل ثم
يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل قدحا منها فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء اخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح ومن خرج
له قدح مما لا نصيب له لم ياخذ شيئا وغرم ثمن الجزور كله وكانوا يدفعون تلك الانصباء الى الفقراء ولا ياكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون
من لم يدخل فيه ويسمونه البرم وفي حكم الميسر انواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما وعن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم
اياكم وهاتين الكعبتين المشؤومتين فانهما من ميسر العجم وعن علي رضي الله عنه ان النرد والشطرنج من الميسر وعن ابن سيرين
كل شيء فيه خطر فهو من الميسر والمعنى يسألونك عما في تعاطيهما بدليل قوله فيهما اثم كبير واثمهما وعقاب الاثم في تعاطيهما اكبر
من نفعهما وهو الالتذاذ بشرب الخمر والقمار والطرب فيهما والتوصل بهما الى مصادقات الفتيان ومعاشراتهم والنيل من مطاعمهم
ومشاربهم واعطياتهم وسلب الاموال بالقمار والافتخار على الابرام وقرئ اثم كثير بالثاء وفي قراءة ابي واثمهما اقرب ومعنى
الكثرة ان اصحاب الشرب والقمار يقترفون فيهما الآثام من وجوه كثيرة ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك
يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون العفو نقيض الجهد وهو ان ينفق ما لا يبلغ انفاقه منه الجهد واستفراغ الوسع قال
خذي العفو مني تستديمي مودتي ● ولا تنطقي في سورتي حين اغضب ● ويقال للارض السهلة العفو وقرئ بالرفع والنصب
وعن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ان رجلا اتاه ببيضة من ذهب اصابها في بعض المغازي فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه
رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فاتاه من الجانب الايمن فقال مثله فاعرض عنه ثم اتاه من الجانب الايسر فاعرض عنه فقال هاتها مغضبا
فاخذها فخذفه بها خذفا لو اصابه لشجه او عقره ثم قال يجيء احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن

يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس

الخذف بالحصى والخذف بالعصا

ظهر غنى

ظهر غنى في الدنيا والآخرة اما ان يتعلق بتتفكرون فيكون المعنى لعلكم تتفكرون فيما يتعلق بالدارين فتاخذون بما هو
اصلح لكم كما بينت لكم ان العفو اصلح من الجهد في النفقة او تتفكرون في الدارين فتؤثرون ابقاهما واكثرهما منافع ويجوز
ان يكون اشارة الى قوله وانهما اكبر من نفعهما لتتفكروا في عقاب الاثم في الآخرة والنفع في الدنيا حتى لا تختاروا النفع
العاجل على النجاة من العقاب العظيم واما ان يتعلق بيبين على معنى يبين لكم الآيات في امر الدارين وفيما يتعلق بهما لعلكم
تتفكرون ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير لما نزلت ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى
وتحاموهم وتركوا مخالطتهم والقيام باموالهم والاهتمام بمصالحهم فشق ذلك عليهم وكاد يوقعهم في الحرج فقيل اصلاح
لهم خير اي مداخلتهم على وجه الاصلاح لهم ولاموالهم خير من مجانبتهم وان تخالطوهم وتعاشروهم ولم تجانبوهم
فاخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان يخالط اخاه وقد حملت المخالطة على المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح
اي لا يخفى على الله من داخلهم بافساد واصلاح فيجازيه على حسب مداخلته فاحذروه ولا تتحروا غير الاصلاح ولو
شاء الله لاعنتكم لحملكم على العنت وهو المشقة واحرجكم فلم يطلق لكم مداخلتهم وقراطيا ووسع في اصلاح
اليهم ومعناه ايضا الصلاح اليهم وقرئ لاعنتكم بطرح الهمزة والقاء حركتها على اللام وكذلك فلا اثم عليه ان
الله عزيز حكيم غالب يقدر على ان يعنت عباده ويحرجهم ولكنه حكيم لا يكلفهم الا ما تتسع فيه طاقتهم
ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا
ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم ولا تنكحوا وقرئ بضم التاء اي لا تتزوجوهن ولا تزوجوهن والمشركات
الحربيات والاية ثابتة وقيل المشركات الحربيات والكتابيات جميعا لان اهل الكتاب من اهل الشرك لقوله تعالى وقالت اليهود
عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون وهي منسوخة بقوله والمحصنات من الذين اوتوا
الكتاب من قبلكم وسورة المائدة كلها ثابتة لم ينسخ منها شيء قط وهو قول ابن عباس والاوزاعي وروي ان رسول الله صلى الله
عليه وعلى آله وسلم بعث مرثد بن ابي مرثد الغنوي الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين وكان يهوى امرأة في الجاهلية اسمها
عناق فاتته وقالت الا تخلو فقال ويحك ان الاسلام حال بيننا فقالت فهل لك ان تتزوج بي قال نعم ولكن ارجع الى رسول الله
فاستامره ولامة مؤمنة ولامرأة مؤمنة حرة كانت او مملوكة وكذلك ولعبد لان الناس كلهم عبيد الله واماؤه ولو
اعجبتكم ولو كان الحال ان المشركة تعجبكم وتحبونها فان المؤمنة خير منها مع ذلك اولئك اشارة الى المشركات والمشركين
يدعون الى النار اي يدعون الى الكفر فحقهم ان لا يوالوا ولا يصاهروا ولا يكون بينهم وبين المؤمنين الا المناصبة والقتال
والله يدعو الى الجنة يعني واولياء الله وهم المؤمنون يدعون الى الجنة والمغفرة وما يوصل اليهما فهم الذين تجب
موالاتهم ومصاهرتهم وان يؤثروا على غيرهم باذنه بتيسير الله وتوفيقه للعمل الذي يستحق به الجنة والمغفرة وقرأ
الحسن والمغفرة باذنه بالرفع اي والمغفرة حاصلة بتيسيره ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون ويسألونك
عن المحيض المحيض مصدر يقال حاضت محيضا كقولك جاء مجيئا وبات مبيتا قل هو اذى اي الحيض شيء يستقذر ويؤذي
من يقربه نفرة منه وكراهة له فاعتزلوا النساء في المحيض فاجتنبوهن يعني فاجتنبوا مجامعتهن روي ان اهل الجاهلية
كانوا اذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجالسوها على فرش ولم يساكنوها في بيت كفعل اليهود والمجوس
فلما نزلت اخذ المسلمون بظاهر اعتزالهن فاخرجوهن من بيوتهم فقال ناس من الاعراب يا رسول الله البرد شديد والثياب
قليلة فان آثرناهن بالثياب هلك سائر اهل البيت وان استاثرنا بها هلكت الحيض فقال عليه الصلاة والسلام انما امرتم
ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وقيل ان النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون
بالحيض واليهود كانوا يعتزلونهن في كل شيء فامر الله بالاقتصاد بين الامرين وبين الفقهاء خلاف في الاعتزال فابو حنيفة وابو
يوسف يوجبان اعتزال ما اشتمل عليه الازار ومحمد بن الحسن لا يوجب الا اعتزال الفرج وروى محمد حديث عائشة ان عبد الله
بن عمر سالها هل يباشر الرجل امرأته وهي حائض فقالت تشد ازارها على سفلتها ثم يباشرها ان شاء وما روى زيد بن اسلم ان
رجلا سأل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما يحل لي من امرأتي وهي حائض قال لتشد عليها ازارها ثم شانك باعلاها ثم قال وهذا
قول ابي حنيفة وقد جاء ما هو ارخص من هذا عن عائشة انها قالت يجتنب شعار الدم وله ما سوى ذلك ولا تقربوهن حتى يطهرن
وقرئ يطهرن بالتشديد اي يتطهرن بدليل قوله فاذا تطهرن وقرأ عبد الله حتى يتطهرن ويطهرن بالتخفيف والتطهر
الاغتسال والطهر انقطاع دم الحيض وكلتا القراءتين مما يجب العمل به فذهب ابو حنيفة الى ان له ان يقربها في اكثر الحيض بعد
انقطاع الدم وان لم تغتسل وفي اقل الحيض لا يقربها حتى تغتسل او يمضي عليها وقت صلاة وذهب الشافعي الى انه لا يقربها
حتى تطهر وتتطهر فتجمع بين الامرين وهو قول واضح ويعضده قوله فاذا تطهرن فاتوهن من حيث امركم الله اي
من الماتى الذي امركم الله به وحلله لكم وهو القبل ان الله يحب التوابين مما عسى يندر منهم من ارتكاب ما نهوا عنه من
ذلك ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش وان الله يحب التوابين الذين يطهرون انفسهم بطهرة التوبة من كل ذنب ويحب

المتطهرين من جميع الاقذار كمجامعة الحائض والطاهر قبل الغسل واتيان ما ليس بمباح وغير ذلك **نساؤكم حرث لكم** مواضع حرث
لكم وهذا مجاز شبههن بالمحارث تشبيها لما يلقى في ارحامهن من النطف التي منها النسل بالبذور وقوله **فأتوا حرثكم انى شئتم**
تمثيل اي فأتوهن كما تأتون اراضيكم التي تريدون ان تحرثوها من اي جهة شئتم لا تحظر عليكم جهة دون جهة والمعنى جامعوهن
من اي شق اردتم بعد ان يكون المأتى واحدا وهو موضع الحرث وقوله هو اذى فاعتزلوا النساء من حيث امركم الله فأتوا حرثكم انى شئتم
من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة وهذه واشباهها في كلام الله آداب حسنة على المؤمنين ان يتعلموها ويتأدبوا بها ويتكلفوا
مثلها في محاوراتهم ومكاتباتهم وروي ان اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته وهي مجبية من دبرها في قبلها كان ولدها احول فذكر
ذلك لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال كذبت اليهود ونزلت **وقدموا لانفسكم** ما يجب تقديمه من الاعمال الصالحة وما هو خلاف
ما نهيتم عنه وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطء **واتقوا الله** فلا تجترئوا على المناهي **واعلموا انكم ملاقوه** فتزودوا
ما لا تفتضحون به **وبشر المؤمنين** المستوجبين للمدح والتعظيم بترك القبائح وفعل الحسنات **فان قلت** ما موقع قوله
نساؤكم حرث لكم مما قبله **قلت** موقعه موقع البيان والتوضيح لقوله فأتوهن من حيث امركم الله يعني ان المأتى الذي امركم
الله به هو مكان الحرث ترجمة له وتفسيرا او ازالة للشبهة ودلالة على ان الغرض الاصلي في الاتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة
فلا تأتوهن الا من المأتى الذي يتعلق به هذا الغرض **فان قلت** ما بال يسألونك جاء بغير واو ثلاث مرات ثم مع الواو ثلاثا
قلت كان سؤالهم عن تلك الحوادث الاول وقع في احوال متفرقة فلم يؤت بحرف العطف لان كل واحد من السؤالات سؤال مبتدأ
وسألوا عن الحوادث الاخر في وقت واحد فجيء بحرف الجمع لذلك كأنه قيل يجمعون لك بين السؤال عن الخمر والميسر والسؤال عن
الانفاق والسؤال عن كذا وعن كذا **ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع
عليم** العرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة وهي اسم ما تعرضه دون الشيء من عرض العود على الاناء فيعترض دونه ويصير
حاجزا ومانعا منه تقول فلان عرضة دون الخير والعرضة ايضا المعرض للامر قال … فلا تجعلوني عرضة للوائم ومعنى الاية
على الاول ان الرجل كان يحلف على بعض الخيرات من صلة رحم او اصلاح ذات بين او احسان الى احد او عبادة ثم يقول اخاف الله ان
احنث في يميني فيترك البر ارادة البر في يمينه فقيل لهم لا تجعلوا الله عرضة لايمانكم اي حاجزا لما حلفتم عليه وسمي المحلوف عليه يمينا
لتلبسه باليمين كما قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم لعبد الله بن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير وكفر
عن يمينك اي على شيء مما يحلف عليه وقوله ان تبروا وتتقوا وتصلحوا عطف بيان لايمانكم اي للامور المحلوف عليها التي هي البر والتقوى
والاصلاح بين الناس **فان قلت** بم تعلقت اللام في لايمانكم **قلت** بالفعل اي ولا تجعلوا الله لايمانكم برزخا وحجازا
ويجوز ان يتعلق بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض بمعنى ولا تجعلوه شيئا يعترض البر من اعترضني كذا ويجوز ان تكون اللام
للتعليل ويتعلق ان تبروا بالفعل او بالعرضة اي ولا تجعلوا الله لاجل ايمانكم به عرضة لان تبروا ومعناها على الاخرى ولا تجعلوا الله
معرضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم من انزل فيه ولا تطع كل حلاف مهين باشنع المذام وجعل الحلاف مقدمتها
وان تبروا علة للنهي اي ارادة ان تبروا وتتقوا وتصلحوا لان الحلاف مجترئ على الله غير معظم له فلا يكون برا متقيا ولا يثق به الناس
فلا يدخلونه في وساطاتهم واصلاح ذات بينهم **لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم**
اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولذلك قيل لما لا يعتد به في الدية من اولاد الابل لغو واللغو من اليمين الساقط
الذي لا يعتد به في الايمان وهو الذي لا عقد معه والدليل عليه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان بما كسبت قلوبكم واختلف
فيها فعند ابي حنيفة واصحابه هو ان يحلف على الشيء يظنه على ما حلف عليه ثم يظهر خلافه وعند الشافعي هو قول العرب
لا والله بلى والله مما يؤكدون به كلامهم ولا يخطر ببالهم الحلف وقيل لواحد منهم سمعتك اليوم تحلف في المسجد الحرام لانكر
ذلك ولعله قال لا والله الف مرة وفيه معنيان احدهما لا يؤاخذكم اي لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه احدكم بالظن ولكن
يعاقبكم بما كسبت قلوبكم اي اقترفته من اثم القصد الى الكذب في اليمين وهو ان يحلف على ما يعلم انه خلاف ما يقوله وهي اليمين
الغموس والثاني لا يؤاخذكم اي لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين الذي لا قصد معه ولكن يلزمكم الكفارة بما كسبت قلوبكم
اي بما نوت قلوبكم وقصدت من الايمان ولم يكن كسب اللسان وحده **والله غفور حليم** حيث لم يؤاخذكم باللغو في ايمانكم
للذين يؤلون من نسائهم تربص اربعة اشهر قرأ عبد الله آلوا من نسائهم وقرأ ابن عباس يقسمون من نسائهم **فان قلت**
كيف عدي بمن وهو معدى بعلى **قلت** قد ضمن في هذا القسم المخصوص معنى البعد فكأنه قيل يبعدون من نسائهم مولين او مقسمين
ويجوز ان يراد لهم من نسائهم تربص اربعة اشهر كقولك لي منك كذا والايلاء من المرأة ان يقول والله لا اقربك اربعة اشهر فصاعدا
على التقييد بالاشهر او لا اقربك على الاطلاق ولا يكون فيما دون اربعة اشهر الا ما يحكى عن ابراهيم النخعي وحكم ذلك انه اذا فاء اليها في
المدة بالوطء ان امكنه او بالقول ان عجز صح الفيء وحنث القادر ولزمته كفارة اليمين ولا كفارة على العاجز وان مضت الاربعة بانت
بتطليقة عند ابي حنيفة وعند الشافعي لا يصح الايلاء الا في اكثر من اربعة اشهر ثم يوقف المولي فاما ان يفيء واما ان يطلق وان ابى طلق عليه الحاكم
ومعنى **فان فاؤا** فان فاؤا في الاشهر بدليل قراءة عبد الله فان فاؤا فيهن **فان الله غفور رحيم** يغفر للمؤمنين ما عسى يقدمون

عليه

عليه من طلب ضرار النساء بالايلاء وهو الغالب وان كان يجوز ان يكون على رضا منهن اشفاقا منهن على الولد من الغيل او لبعض الاسباب لاجل
الفيئة التي هي مثل التوبة **وان عزموا الطلاق** فتربصوا الى مضي المدة **فان الله سميع عليم** وعيد على اصرارهم وتركهم الفيئة
وعلى قول الشافعي معناه فان فاؤا وان عزموا بعد مضي المدة **فان قلت** كيف موقع الفاء اذا كانت الفيئة قبل انتهاء مدة التربص
قلت موقع صحيح لان قوله فان فاؤا وان عزموا تفصيل لقوله للذين يؤلون من نسائهم والتفصيل يعقب المفصل كما تقول انا
نزيلكم هذا الشهر فان احمدتكم اقمت عندكم الى آخره والا لم اقم الا ريثما اتحول **فان قلت** ما تقول في قوله فان الله
سميع عليم وعزمهم الطلاق مما يعلم ولا يسمع **قلت** الغالب ان العازم للطلاق وترك الفيئة والضرار لا يخلو من مقاولة ودمدمة
ولا بد له من ان يحدث نفسه ويناجيها بذلك وذلك حديث لا يسمعه الا الله كما يسمع وسوسة الشيطان **والمطلقات يتربصن
بانفسهن ثلاثة قروء** اراد المدخول بهن من ذوات الاقراء **فان قلت** كيف جازت ارادتهن خاصة واللفظ يقتضي العموم **قلت** بل اللفظ
مطلق في تناول الجنس صالح لكله وبعضه فجاء في احد ما يصلح له كالاسم المشترك **فان قلت** فما معنى الاخبار عنهن بالتربص
قلت هو خبر في معنى الامر واصل الكلام وليتربص المطلقات واخراج الامر في صورة الخبر تأكيد للامر واشعار بانه مما يجب ان
يتلقى بالمسارعة الى امتثاله فكأنهن امتثلن الامر بالتربص فهو يخبر عنه موجودا ونحوه قولهم في الدعاء رحمك الله اخرج في صورة
الخبر ثقة بالاستجابة كأنما وجدت الرحمة فهو يخبر عنها وبناؤه على المبتدأ مما زاده ايضا فضل تأكيد ولو قيل ويتربص المطلقات
لم يكن بتلك الوكادة **فان قلت** هلا قيل يتربصن ثلاثة قروء كما قيل تربص اربعة اشهر وما معنى ذكر الانفس **قلت** في ذكر الانفس
تهييج لهن على التربص وزيادة بعث لان فيه ما يستنكفن منه فيحملهن على ان يتربصن وذلك ان انفس النساء طوامح الى الرجال فامرن
ان يقمعن انفسهن ويغلبنها على الطموح ويجبرنها على التربص والقروء جمع قرء وهو الحيض بدليل قوله عليه الصلاة والسلام دعي
الصلاة ايام اقرائك وقوله طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان ولم يقل طهران وقوله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم
ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر فاقام الاشهر مقام الحيض دون الاطهار ولان الغرض الاصلي في العدة استبراء الرحم والحيض هو
الذي تستبرأ به الارحام دون الطهر ولذلك كان الاستبراء من الامة بالحيضة ويقال اقرأت المرأة اذا حاضت وامرأة مقرئ وقال
ابو عمرو بن العلاء دفع فلان جاريته الى فلانة تقرئها اي تمسكها عندها حتى تحيض للاستبراء **فان قلت** فما تقول في قوله تعالى فطلقوهن
لعدتهن والطلاق الشرعي انما هو في الطهر **قلت** معناه مستقبلات لعدتهن كما تقول لثلاث بقين من الشهر تريد مستقبلا
لثلاث وعدتهن الحيض الثلاث **فان قلت** فما تقول في قول الاعشى … لما ضاع فيها من قروء نسائكا **قلت** اراد لما ضاع فيها
من عدة نسائك لشهرة القرء عندهم في الاعتداد به اي من مدة عدتهن عن اهله كل عام لاقتحامه في الحروب والغارات وانه يؤثر على نسائه
ومن يكن العدة صانعه لا يضاجعهن فيها واراد من اوقات نسائك فان القرء والقارئ جاءا في معنى الوقت ولم يرد لا حيضا ولا طهرا **فان
قلت** فعلام انتصب ثلاثة قروء **قلت** كقولك المحتكر تربص الغلاء اي يتربصن مضي ثلاثة قروء او على انه ظرف اي يتربصن مدة ثلاثة
قروء **فان قلت** لم جاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التي هي الاقراء **قلت** يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من الجمعين مكان
الآخر لاشتراكهما في الجمعية الا ترى الى قوله بانفسهن وما هي الا نفوس كثيرة ولعل القروء كانت اكثر استعمالا في جمع قرء من الاقراء فاوثر عليه
تنزيلا للقليل الاستعمال منزلة المهمل فيكون مثل قولهم ثلاثة شسوع وقرأ الزهري ثلاثة قرو بغير همز **ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق
الله في ارحامهن** من الولد او من دم الحيض وذلك اذا ارادت المرأة فراق زوجها فكتمت حملها لئلا ينتظر بطلاقها ان تضع ولئلا
يشفق على الولد فيترك تسريحها او كتمت حيضها وقالت وهي حائض قد طهرت استعجالا للطلاق ويجوز ان يراد اللاتي يبغين اسقاط ما
في بطونهن من الاجنة فلا يعترفن به ويجحدنه لذلك فجعل كتمان ما في ارحامهن كناية عن اسقاطه **ان كن يؤمن بالله واليوم
الآخر** تعظيم لفعلهن وان من آمن بالله وبعقابه لا يجترئ على مثله من العظائم **وبعولتهن احق بردهن** والبعول جمع بعل والتاء لاحقة
لتأنيث الجمع كما في الحزونة والسهولة ويجوز ان يراد بالبعولة المصدر من قولك بعل حسن البعولة يعني واهل بعولتهن احق بردهن
وفي قراءة ابي بردتهن **في ذلك** اي في مدة ذلك التربص **فان قلت** كيف جعلوا احق بالرجعة كأن للنساء حقا فيها **قلت**
المعنى ان الرجل ان اراد الرجعة وابتها المرأة وجب ايثار قوله على قولها وكان هو احق منها لا ان لها حقا في الرجعة **ان ارادوا** بالرجعة
اصلاحا لما بينهم وبينهن واحسانا اليهن ولم يريدوا مضارتهن **ولهن مثل الذي عليهن** ويجب لهن من الحق على الرجال مثل الذي يجب
لهم عليهن **بالمعروف** بالوجه الذي لا ينكر في الشرع وعادات الناس فلا يكلفنهم ما ليس لهن ولا يكلفونهن ما ليس لهم ولا يعنف
احد الزوجين صاحبه والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب الواجب في كونه حسنة لا في جنس الفعل فلا يجب عليه اذا غسلت ثيابه او خبزت له ان
يفعل نحو ذلك ولكن يقابله بما يليق بالرجال **وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم** درجة زيادة في الحق وفضيلة
قيل المرأة تنال من اللذة مثل ما ينال الرجل وله الفضيلة بقيامه عليها وانفاقه في مصالحها **الطلاق مرتان** بمعنى التطليق كالسلام
بمعنى التسليم اي التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والارسال دفعة واحدة ولم يرد بالمرتين التثنية
ولكن التكرير كقوله ثم ارجع البصر كرتين اي كرة بعد كرة لا كرتين اثنتين ونحو ذلك من التثاني التي يراد بها التكرير
قولهم لبيك وسعديك وحنانيك وهذاذيك ودواليك وقوله **فامساك بمعروف او تسريح باحسان** تخيير لهم بعد ان

علمهم كيف يطلقون بين ان يمسكوا النساء بحسن العشرة والقيام بمواجبهن وبين ان يسرحوهن السراح الجميل الذي علمهم وقيل معناه
الطلاق الرجعي مرتان لانه لا رجعة بعد الثلاث فامساك بمعروف اي برجعة او تسريح باحسان بان لا يراجعوهن حتى
تبين بالعدة او بان لا يراجعها مراجعة يريد بها تطويل العدة عليها وضرارها وقيل بان يطلقها الثالثة في الطهر الثالث وروي
ان سائلا سال رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم اين الثالثة فقال عليه الصلاة والسلام او تسريح باحسان وعند ابي حنيفة
واصحابه الجمع بين الطلقتين والثلاث بدعة والسنة ان لا يوقع عليها الا واحدة في طهر لم يجامعها فيه لما روي في حديث ابن عمر
ان رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم قال له انما السنة ان تستقبل الطهر استقبالا فتطلقها لكل قرء تطليقة وعند الشافعي لا باس
بارسال الثلاث لحديث العجلاني الذي لاعن امرأته فطلقها ثلثا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم فلم ينكر عليه
ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيئا روي ان جميلة بنت عبد الله بن ابي كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه
وهو يحبها فاتت رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم فقالت يا رسول الله لا انا ولا ثابت لا يجمع راسي وراسه شيء والله ما اعيب
عليه في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرايته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم
سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت وكان قد اصدقها حديقة فاختلعت منه بها وهو اول خلع كان في الاسلام
فان قلت لمن الخطاب في قوله ولا يحل لكم ان تاخذوا ان قلت للازواج لم يطابقه قوله فان خفتم الا يقيما حدود الله
وان قلت للائمة والحكام فهؤلاء ليسوا باخذين منهن ولا بمؤتيهن **قلت** يجوز الامران جميعا ان يكون اول الخطاب للازواج واخره
للائمة والحكام ونحو ذلك غير عزيز في القران وغيره وان يكون الخطاب كله للائمة والحكام لانهم الذين يامرون بالاخذ والايتاء
عند الترافع اليهم فكانهم الاخذون والمؤتون مما اتيتموهن مما اعطيتموهن من الصدقات **الا ان يخافا الا يقيما حدود الله**
فان خفتم الا يقيما حدود الله الا ان يخاف الزوجان ترك اقامة حدود الله فيما يلزمهما من مواجب الزوجية لما يحدث من
نشوز المرأة وسوء خلقها **فلا جناح عليهما** فلا جناح على الرجل فيما اخذ ولا عليها فيما اعطت **فيما افتدت به تلك حدود
الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون** فيما افتدت به نفسها واختلعت به من
بذل ما اوتيت من المهر والخلع بالزيادة على المهر مكروه وهو جائز في الحكم وروي ان امرأة نشزت على زوجها فرفعت الى عمر رضي
الله عنه فاباتها في بيت الزبل ثلاث ليال ثم دعاها فقال كيف وجدت مبيتك قالت ما بت منذ كنت عنده اقر لعيني منهن فقال للزوج
اخلعها ولو بقرطها قال قتادة يعني بمالها كله هذا اذا كان النشوز منها فان كان منه كره له ان ياخذ منها شيئا وقرئ الا ان يخافا على البناء
للمفعول وابدال ان لا يقيما من الف الضمير وهو من بدل الاشتمال كقولك خيف زيد تركه اقامة حدود الله ونحوه واسروا النجوى
الذين ظلموا ويعضده قراءة عبد الله الا ان تخافوا وفي قراءة ابي الا ان يظنا ويجوز ان يكون الخوف بمعنى الظن يقولون اخاف
ان يكون كذا وافرق ان يكون يريدون اظن **فان طلقها** الطلاق المذكور الموصوف بالتكرار في قوله الطلاق مرتان واستوفى نصابه
او فان طلقها مرة ثالثة بعد المرتين **فلا تحل له من بعد** من بعد ذلك التطليق **حتى تنكح زوجا غيره** حتى تتزوج غيره والنكاح
يسند الى المرأة كما يسند الى الرجل كما التزوج ويقال فلانة ناكح في بني فلان وقد تعلق من اقتصر على العقد في التحليل بظاهره
وهو سعيد بن المسيب والذي عليه الجمهور انه لا بد من الاصابة لما روي عن عائشة رضي الله عنها ان امرأة رفاعة جاءت
الى النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم فقالت ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وان ما معه مثل هدبة الثوب فقال لها
رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم اتريدين ان ترجعي الى رفاعة لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك وروي انها لبثت ما شاء الله
ثم رجعت فقالت انه قد كان مسني فقال لها كذبت في قولك الاول فلن اصدقك في الاخر فلبثت حتى قبض رسول الله صلى
الله عليه وعلى اله وسلم فاتت ابا بكر رضي الله عنه فقالت ارجع الى زوجي الاول فقال قد عهدت رسول الله عليه وعلى اله وسلم حين
قال لك ما قال فلا ترجعي اليه فلما قبض ابو بكر قالت مثله لعمر فقال ان اتيتني بعد مرتك هذه لارجمنك فمنعها **فان قلت**
فما تقول في النكاح المعقود بشرط التحليل **قلت** ذهب سفيان والاوزاعي وابو عبيد ومالك وغيرهم الى انه غير جائز وهو
جائز عند ابي حنيفة مع الكراهة وعنه انهما ان اضمرا التحليل ولم يصرحا به فلا كراهة وعن النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم انه لعن المحلل
والمحلل له وعن عمر رضي الله عنه لا اوتى بمحلل ولا محلل له الا رجمتهما وعن عثمان رضي الله عنه لا الا نكاح رغبة غير مدالسة **فان طلقها**
الزوج الثاني **فلا جناح عليهما ان يتراجعا** ان يرجع كل واحد منهما الى صاحبه بالزواج **ان ظنا ان يقيما حدود الله وتلك
حدود الله يبينها لقوم يعلمون** ان كان في ظنهما انهما يقيمان حقوق الزوجية ولم يقل ان علما انهما يقيمان لان اليقين مغيب
عنهما لا يعلمه الا الله ومن فسر الظن ههنا بالعلم فقد وهم من طريق اللفظ والمعنى لانك لا تقول علمت ان يقوم زيد ولكن علمت انه
يقوم ولان الانسان لا يعلم ما في الغد وانما يظن ظنا **واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن** اي اخر عدتهن وشارفن منتهاها
والاجل يقع على المدة كلها وعلى اخرها يقال لعمر الانسان اجل وللموت الذي ينتهي به اجل وكذلك الغاية والامد يقول النحويون
من لابتداء الغاية والى لانتهاء الغاية وقال كل حي مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى امده ويتسع في البلوغ ايضا فيقال بلغ البلد
اذا شارفه وداناه ويقال قد وصل ولم يصل وانما شارف ولانه قد علم ان الامساك بعد تقضي الاجل لا وجه له لانها بعد تقضيه

صدر

غير

غير زوجها وفي غير عدة منه فلا سبيل له عليها **فامسكوهن بمعروف** واما ان يراجعها من غير طلب ضرار بالمراجعة **او سرحوهن
بمعروف** واما ان يخليها حتى تنقضي عدتها وتبين من غير ضرار **ولا تمسكوهن ضرارا** كان الرجل يطلق المرأة ويتركها حتى يقرب انقضاء عدتها ثم يراجعها لا عن حاجة ولكن ليطول العدة عليها فهو الامساك ضرارا **لتعتدوا** لتظلموهن وقيل لتلجئوهن الى الافتداء **ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه** بتعريضها لعقاب الله **ولا تتخذوا ايات الله هزوا**
اي جدوا في الاخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها والا فقد اتخذتموها هزوا ولعبا ويقال لمن لم يجد في الامر انما انت لاعب
وهازئ ويقال كن يهوديا والا فلا تلعب بالتوراة وقيل كان الرجل يطلق ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعبا وعن النبي
صلى الله عليه وعلى اله وسلم ثلاث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والرجعة **واذكروا نعمة الله عليكم** بالاسلام وبنبوة
محمد عليه الصلاة والسلام **وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة** من القران والسنة وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها
يعظكم به بما انزل عليكم **واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم** **واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن** اما ان يخاطب به الازواج
الذين يعضلون نساءهم بعد انقضاء العدة ظلما وقسرا ولحمية الجاهلية لا يتركونهن يتزوجن من شئن من الازواج والمعنى **ان ينكحن
ازواجهن** الذين يرغبن فيهم ويصلحون لهن واما ان يخاطب به الاولياء في عضلهن ان يرجعن الى ازواجهن روي انها نزلت في معقل بن
يسار حين عضل اخته ان ترجع الى الزوج الاول وقيل في جابر بن عبد الله حين عضل بنت عم له والوجه ان يكون خطابا للناس اي
لا يوجد فيما بينكم عضل لانه اذا وجد بينهم وهم راضون كانوا في حكم العاضلين والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة
اذا نشب بيضها فلم يخرج وانشد لابن هرمة: وان قصائدي لك فاصطنعني ... عقائل قد عضلن عن النكاح ... وبلوغ الاجل
على الحقيقة وعن الشافعي رضي الله عنه دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين **اذا تراضوا** اذا تراضى الخطاب والنساء **بينهم
بالمعروف** بما يحسن في الدين والمروءة من الشرائط وقيل بمهر المثل ومن مذهب ابي حنيفة انها اذا زوجت نفسها باقل من مهر مثلها
فللاولياء ان يعترضوا **ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الاخر ذلكم ازكى لكم واطهر** **فان قلت**
لم الخطاب في قوله ذلك يوعظ به **قلت** يجوز ان يكون لرسول الله ولكل احد ونحوه ذلكم خير لكم واطهر ازكى لكم
واطهر من ادناس الاثام وقيل ازكى واطهر افضل واطيب **والله يعلم** ما في ذلك من الزكاء والطهر **وانتم لا تعلمون** وانتم لا
تعلمونه او والله يعلم ما تستصلحون به من الاحكام والشرائع وانتم تجهلونه **والوالدات يرضعن اولادهن حولين** يرضعن
مثل يتربصن في انه خبر في معنى الامر المؤكد **كاملين** توكيد كقوله تلك عشرة كاملة لانه مما يتسامح فيه فتقول اقمت عند فلان
حولين ولم تستكملهما **لمن اراد ان يتم الرضاعة** وقرا ابن عباس رضي الله عنهما ان يكمل الرضاعة **فان قلت** كيف اتصل قوله لمن
اراد بما قبله **قلت** هو بيان لمن توجه اليه الحكم كقوله تعالى هيت لك بيان للمهيت به اي هذا الحكم لمن اراد اتمام الرضاعة
وعن قتادة حولين كاملين ثم انزل الله اليسر والتخفيف فقال لمن اراد ان يتم الرضاعة اراد انه يجوز النقصان وعن الحسن ليس ذلك
بوقت لا ينقص منه بعد ان يكون في الفطام ضرر وقيل اللام متعلقة بيرضعن كما تقول ارضعت فلانة لفلان ولده اي يرضعن
حولين لمن اراد ان يتم الرضاعة من الاباء لان الاب يجب عليه ارضاع الولد دون الام وعليه ان يتخذ له ظئرا الا اذا تطوعت الام بارضاعه
وهي مندوبة الى ذلك ولا تجبر عليه ولا يجوز استئجار الام عند ابي حنيفة ما دامت زوجة او معتدة من نكاح وعند الشافعي
يجوز فاذا انقضت عدتها جاز بالاتفاق **فان قلت** فما بال الوالدات مامورات بان يرضعن اولادهن **قلت** اما ان يكون
امرا على وجه الندب واما على وجه الوجوب اذا لم يقبل الصبي الا ثدي امه او لم توجد له ظئر او كان الاب عاجزا عن الاستئجار
وقيل اراد الوالدات المطلقات وايجاب النفقة والكسوة لاجل الرضاع **وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف
لا تكلف نفس الا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده** وعلى الذي يولد له وهو الوالد وله في محل الرفع على
الفاعلية نحو عليهم في غير المغضوب عليهم **فان قلت** لم قيل المولود له دون الوالد **قلت** ليعلم ان الوالدات انما ولدن لهم الاولاد
للاباء ولذلك ينسبون اليهم لا الى الامهات وانشد للمامون بن الرشيد: فانما امهات الناس اوعية ... مستودعات وللاباء ابناء
فكان عليهم ان يرزقوهن ويكسوهن اذا ارضعن ولدهم كالاظآر الا تراه ذكره باسم الوالد حيث لم يكن هذا المعنى وهو قوله
واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا بالمعروف تفسيره ما يعقبه وهو ان لا يكلف واحد منهما ما ليس
في وسعه ولا يتضارا وقرئ لا تكلف بفتح التاء ولا نكلف بالنون وقرئ لا تضار بالرفع على الاخبار وهو يحتمل البناء للفاعل والمفعول
وان يكون الاصل تضارر بكسر الراء او تضارر بفتحها وقرئ لا تضار بالفتح اكثر القراء وقرا الحسن بالكسر على النهي وهو محتمل للبناءين
ايضا ويبين ذلك انه قرئ لا تضارر ولا تضارر بالجزم وفتح الراء الاولى وكسرها وقرا ابو جعفر لا تضار بالسكون مع التشديد
على نية الوقف وعن الاعرج لا تضار بالسكون والتخفيف من ضاره يضيره ونوى الوقف كما نواه ابو جعفر واختلس الضمة فظنه الراوي
سكونا وعن كاتب عمر بن الخطاب لا تضرر والمعنى لا تضار والدة زوجها بسبب ولدها وهو ان تعنف به وتطلب منه ما ليس بعدل من
الرزق والكسوة وان تشغل قلبه بالتفريط في شان الولد وان تقول بعد ما الفها الصبي اطلب له ظئرا وما اشبه ذلك ولا يضار مولود له
امراته بسبب ولده بان يمنعها شيئا مما وجب عليه من رزقها وكسوتها ولا ياخذه منها وهي تريد ارضاعه ولا يكرهها على الارضاع
وكذلك اذا كان مبنيا للمفعول فهو نهي عن ان يلحق بها الضرار من قبل الزوج وعن ان يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد ويجوز

ان تكون مضارة بمعنى تضرر وان تكون الباء من صلته اي لا تضر والدة بولدها فلا تسيء غذاءه وتعهده ولا تفرط فيما ينبغي له ولا تدفعه
الى الاب بعد ما الفها ولا يضر الوالد به بان ينتزعه من يدها او يقصر في حقها فتقصر هي في حق الولد فان قلت كيف قيل بولدها
وبولده قلت لما نهيت المراة عن المضارة اضيف اليها الولد استعطافا لها وانه ليس باجنبي منها فمن حقها ان تشفق عليه وكذلك الوالد
وعلى الوارث مثل ذلك عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تفسير للمعروف معترض بين المعطوف
والمعطوف عليه فكان المعنى وعلى وارث المولود له مثل ما وجب عليه من الرزق والكسوة اي ان مات المولود له لزم من يرثه ان
يقوم مقامه في ان يرزقها ويكسوها بالشريطة التي ذكرت من المعروف وتجنب الضرار وقيل هو وارث الصبي الذي لو مات الصبي
ورثه واختلفوا فعند ابن ابي ليلى كل من ورثه وعند ابي حنيفة من كان ذا رحم محرم منه وعند الشافعي لا نفقة فيما عدا الولد وقيل
من ورثه من عصبته مثل الجد والاخ وابن الاخ والعم وابن العم وقيل المراد وارث الاب وهو الصبي نفسه انه ان مات ابوه وورثه
وجبت عليه اجرة رضاعه في ماله ان كان له مال فان لم يكن له مال اجبرت الام على ارضاعه وقيل على الوارث على الباقي من الابوين
من قوله واجعله الوارث منا فان ارادا فصالا صادرا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما زائدا على الحولين او ناقصا وهذه توسعة
بعد التحديد وقيل هو في غاية الحولين لا يتجاوز وانما اعتبر تراضيهما في الفصال وتشاورهما اما الاب فلا كلام فيه واما الام فلانها
احق بالتربية وهي اعلم بحال الصبي وقرئ فان ارادا وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم فلا جناح عليكم استرضع
منقول من ارضع يقال ارضعت المراة الصبي واسترضعتها الصبي فتعديه الى مفعولين كما تقول انجح الحاجة واستنجحته
الحاجة والمعنى ان تسترضعوا المراضع اولادكم فحذف احد المفعولين للاستغناء عنه كما تقول استنجحت الحاجة ولا تذكر من
استنجحته وكذلك حكم كل مفعولين لم يكن احدهما عبارة عن الاول اذا سلمتم الى المراضع ما آتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله
تعالى اذا قمتم الى الصلاة وقرئ ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله ومنه قوله تعالى انه كان وعده ماتيا اي مفعولا وروى
شيبان عن عاصم ما اوتيتم اي ما آتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة ونحوه وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وليس التسليم
بشرط للجواز والصحة وانما هو ندب الى الاولى ويجوز ان يكون بعثا على ان يكون الشيء الذي تعطاه المرضع من اهنأ ما يكون لتكون
طيبة النفس راضية فيعود ذلك اصلاحا لشان الصبي واحتياطا في امره فامرنا بايتائه ناجزا يدا بيد كانه قيل اذا اديتم اليهن
يدا بيد ما اعطيتموهن بالمعروف متعلق بسلمتم امروا ان يكونوا عند تسليم الاجرة مستبشري الوجوه ناطقين بالقول
الجميل مطيبين لانفس المراضع بما امكن حتى يؤمن تفريطهن بقطع معاذيرهن واتقوا الله واعلموا ان الله بما تعملون بصير
والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا على حذف مضاف اي وازواج الذين يتوفون منكم يتربصن وقيل معناه يتربصن
بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح الياء اي يستوفون آجالهم وهي قراءة علي رضي الله عنه والذي
يحكى ان ابا الاسود الدؤلي كان يمشي خلف جنازة فقال له رجل من المتوفي بكسر الفاء فقال الله وكان احد الاسباب الباعثة لعلي
رضي الله عنه على ان امره بان يضع كتابا في النحو تناقضه هذه القراءة يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا يعتددن
هذه المدة وهي اربعة اشهر وعشرة ايام وقيل عشرا ذهابا الى الليالي والايام داخلة معها ولا تراهم قط يستعملون التذكير
فيه ذاهبين الى الايام تقول صمت عشرا ولو ذكرت خرجت من كلامهم ومن البين فيه قوله تعالى ان لبثتم الا عشرا ان لبثتم
الا يوما فاذا بلغن اجلهن فاذا انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الائمة وجماعة المسلمين فيما فعلن في انفسهن من
التعريض للخطاب بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره الشرع والمعنى انهن لو فعلن ما هو منكر كان على الائمة ان يكفوهن
وان فرطوا كان عليهم الجناح والله بما تعملون خبير ● ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء فيما عرضتم به
هو ان يقول لها انك لجميلة او صالحة او نافقة ومن غرضي ان اتزوج وعسى الله ان ييسر لي امراة صالحة ونحو ذلك من الكلام
الموهم انه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح فلا يقول اني اريد ان انكحك او اتزوجك او اخطبك
وروى ابن المبارك عن عبد الرحمن بن سليمان عن خالته قال دخل علي ابو جعفر محمد بن علي وانا في عدتي فقال قد علمت قرابتي من
رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم وحق جدي علي وقدمي في الاسلام فقلت غفر الله لك اتخطبني في عدتي وانت يؤخذ عنك فقال او
قد فعلت انما اخبرتك بقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم وموضعي قد دخل رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم على ام
سلمة وكانت عند ابن عمها ابي سلمة فتوفي عنها فلم يزل يذكر لها منزلته من الله وهو متحامل على يده حتى اثر الحصير في يده من
شدة تحامله عليها فما كانت تلك خطبة فان قلت اي فرق بين الكناية والتعريض قلت الكناية ان تذكر الشيء بغير لفظه
الموضوع له والتعريض ان تذكر شيئا تدل به على شيء لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج اليه جئتك لاسلم عليك ولانظر الى وجهك
الكريم ولذلك قالوا اروح بتسليم واغدوا بمثله ● وحسبك بالتسليم مني تقاضيا ● وكانه امالة الكلام الى عرض يدل على
الغرض ويسمى التلويح لانه يلوح منه ما يريده او اكننتم في انفسكم او سترتم واضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بالسنتكم
لا معرضين ولا مصرحين علم الله انكم ستذكرونهن لا محالة ولا تنفكون عن النطق برغبتكم فيهن ولا تصبرون عنه
وفيه طرف من التوبيخ كقوله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فان قلت اين المستدرك بقوله ولكن لا تواعدوهن

سرا قلت هو محذوف لدلالة ستذكرونهن عليه تقديره علم الله انكم ستذكرونهن فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا والسر
وقع كناية عن النكاح الذي هو الوطء لانه مما يسر قال الاعشى ● ولا تقربن جارة ان سرها ● عليك حرام فانكحن او تابدا ● ثم
عبر به عن النكاح الذي هو العقد لانه سبب فيه كما فعل بالنكاح الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا
فان قلت بم يتعلق حرف الاستثناء قلت بلا تواعدوهن اي لا تواعدوهن مواعدة قط الا مواعدة معروفة غير منكرة
او لا تواعدوهن الا بان تقولوا اي لا تواعدوهن الا بالتعريض ولا يجوز ان يكون استثناء منقطعا من سرا لادائه الى قولك لا تواعدوهن
الا التعريض وقيل معناه لا تواعدوهن جماعا وهو ان تقول لها ان نكحتك كان كيت وكيت يريد ما يجري بينهما تحت اللحاف الا ان
تقولوا قولا معروفا يعني من غير رفث ولا افحاش في الكلام وقيل لا تواعدوهن سرا اي في السر على ان المواعدة في السر عبارة عن
المواعدة بما يستهجن لان مسارتهن في الغالب بما يستحى من المجاهرة به وعن ابن عباس الا ان تقولوا قولا معروفا هو ان تتواثقا ان لا
ولا تعزموا عقدة النكاح من عزم الامر وعزم عليه وذكر العزم مبالغة في النهي عن عقد النكاح في العدة لان العزم
على الفعل يتقدمه فاذا نهي عنه كان عن الفعل انهى ومعناه ولا تعزموا عقد عقدة النكاح وقيل معناه ولا تقطعوا عقدة النكاح
وحقيقة العزم القطع بدليل قوله عليه الصلاة والسلام لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروي لمن لم يبيت الصيام حتى يبلغ
الكتاب اجله يعني ما كتب وفرض من العدة واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم من العزم على ما لا يجوز فاحذروه ولا
تعزموا عليه واعلموا ان الله غفور حليم لا يعاجلكم بالعقوبة لا جناح عليكم لا تبعة عليكم من ايجاب مهر ان
طلقتم النساء ما لم تمسوهن ما لم تجامعوهن او تفرضوا لهن فريضة الا ان تفرضوا لهن فريضة او حتى تفرضوا وفرض
الفريضة تسمية المهر وذلك ان المطلقة غير المدخول بها ان سمي لها مهر فلها نصف المسمى وان لم يسم لها فليس لها نصف مهر المثل
ولكن المتعة والدليل على ان الجناح تبعة المهر قوله وان طلقتموهن الى قوله فنصف ما فرضتم فقوله فنصف ما فرضتم اثبات للجناح
المنفي ههنا ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره والمتعة درع وملحفة وخمار على حسب الحال عند ابي حنيفة الا ان يكون
مهر مثلها اقل من ذلك فلها الاقل من نصف مهر المثل ومن المتعة ولا ينقص من خمسة دراهم لان اقل المهر عشرة دراهم فلا ينقص
من نصفها والموسع الذي له سعة والمقتر الضيق الحال وقدره مقداره الذي يطيقه لان ما يطيقه هو الذي يختص به وقرئ بفتح الدال
والقدر لغتان وعن النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم انه قال لرجل من الانصار تزوج امراة ولم يسم لها مهرا ثم طلقها قبل ان يمسها
امتعتها قال لم يكن عندي شيء قال متعها بقلنسوتك وعند اصحابنا رحمهم الله لا تجب المتعة الا لهذه وحدها وتستحب لسائر
المطلقات ولا تجب متاعا تاكيد لمتعوهن بمعنى تمتيعا بالمعروف بالوجه الذي يحسن في الشرع والمروءة حقا صفة لمتاعا
اي متاعا واجبا عليهم او حق ذلك حقا على المحسنين ● على الذين يحسنون الى المطلقات بالتمتيع وسماهم قبل الفعل محسنين كما
قال عليه الصلاة والسلام من قتل قتيلا فله سلبه وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف
ما فرضتم الا ان يعفون او يعفو الذي بيده عقدة النكاح وان تعفوا اقرب للتقوى الا ان يعفون يريد المطلقات
فان قلت اي فرق بين قولك الرجال يعفون والنساء يعفون قلت الواو في الاول ضميرهم والنون علم الرفع والواو في الثاني لام الفعل
والنون ضميرهن والفعل مبني لا اثر في لفظه للعامل وهو في محل النصب ويعفو عطف على محله والذي بيده عقدة النكاح الولي يعني
الا ان يعفون المطلقات عن ازواجهن فلا يطالبنهم بنصف المهر وتقول المراة ما راني ولا خدمته ولا استمتع بي فكيف اخذ منه
شيئا او يعفو الولي الذي يلي عقد نكاحهن وهو مذهب الشافعي وقيل هو الزوج وعفوه ان يسوق اليها المهر كاملا وهو مذهب
ابي حنيفة والاول ظاهر الصحة وتسمية الزيادة على الحق عفوا فيها نظر الا ان يقال كان الغالب عندهم ان يسوق اليها المهر
عند التزوج فاذا طلقها استحق ان يطالبها بنصف ما ساق اليها فاذا ترك المطالبة فقد عفا عنها او سماه عفوا على طريق المشاكلة
وعن جبير بن مطعم انه تزوج امراة وطلقها قبل ان يدخل بها فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو وعنه انه دخل على سعد بن
ابي وقاص فعرض عليه بنتا له فتزوجها فلما خرج طلقها وبعث اليها بالصداق كاملا فقيل له لم تزوجتها قال عرضها علي فكرهت
رده قيل فلم بعثت اليها بالصداق قال فاين الفضل ولا تنسوا الفضل بينكم ان الله بما تعملون بصير ● والفضل التفضل
اي ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض ولا تستقصوا وقرا الحسن او يعفو الذي بسكون الواو واسكان الواو
والياء في موضع النصب تشبيه لهما بالالف لانهما اختاها وقرا ابو نهيك وان يعفوا بالياء وقرئ ولا تنسوا الفضل بكسر الواو
حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى اي الوسطى بين الصلوات او الفضلى من قولهم للافضل الاوسط وانما افردت
وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل وهي صلاة العصر وعن النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم انه قال يوم الاحزاب شغلونا
عن صلاة الوسطى صلاة العصر ملا الله بيوتهم نارا وقال عليه الصلاة والسلام انها الصلاة التي شغل عنها سليمان بن داود
حتى توارت بالحجاب وعن حفصة انها قالت لمن كتب لها المصحف اذا بلغت هذه الاية فلا تكتبها حتى املها عليك كما سمعت رسول الله
صلى الله عليه وعلى اله وسلم يقراها فاملت عليه والصلاة الوسطى صلاة العصر وروي عن عائشة وابن عباس والصلاة الوسطى
وصلاة العصر بالواو فعلى هذه القراءة يكون التخصيص لصلاة بين احديهما الصلاة الوسطى اما الظهر واما الفجر واما المغرب

في اختلاف الروايات فيها والثانية العصر وقيل فضلها لما في وقتها من اشتغال الناس بتجاراتهم ومعايشهم وعن عمر هي صلوة الظهر
لانها في وسط النهار وكان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يصليها بالهاجرة ولم تكن صلاة اشد على اصحابه منها وعن مجاهد هي الفجر
لانها بين صلاتي النهار والليل وعن قبيصة بن ذويب هي المغرب لانها وتر النهار ولا تنقص في السفر من ثلاث وقرأ عبد الله وعلى
الصلوة الوسطى وقرأت عائشة والصلوة الوسطى بالنصب على المدح والاختصاص وقرأ نافع الوسطى وقوموا لله في الصلاة قانتين
ذاكرين لله في قيامكم والقنوت ان تذكر الله قائما وعن عكرمة كانوا يتكلمون في الصلاة فنهوا وعن مجاهد هو الركود وكف الايدي
والبصر وروى انهم كانوا اذا قام احدهم الى الصلاة هاب الرحمن ان يمد بصره او يلتفت او يقلب الحصى او يحدث نفسه بشيء من امور
الدنيا فان خفتم فان كان بكم خوف من عدو او غيره فرجالا فصلوا راجلين وهو جمع راجل كقائم وقيام ورجل يقال رجل رجل
ورجل اى راجل وقرئ فرجالا بضم الراء ورجالا بالتشديد ورجلا وعند ابي حنيفة لا يصلون في حال المشي والمسايفة ما لم يمكن الوقوف
وعند الشافعي يصلون في كل حال او ركبانا والراكب يومي ويسقط عنه التوجه الى القبلة فاذا امنتم فاذا زال خوفكم
فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون من صلاة الامن او فاذا امنتم فاشكروا الله على الامن واذكروه بالعبادة
كما احسن اليكم بما علمكم من الشرائع وكيف تصلون في حال الخوف وفي حال الامن والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية
لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج بغير اخراج فيمن قرا وصية بالرفع ووصية الذين يتوفون او حكم الذين يتوفون وصية
لازواجهم او والذين يتوفون اهل وصية لازواجهم وفيمن قرأ بالنصب والذين يتوفون يوصون وصية كقولك انما انت سير
البريد باضمار تسير او الزم الذين يتوفون وصية ويدل عليه قراءة عبد الله كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول
مكان قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول وقرأ ابي متاع لازواجهم متاعا وروي عنه
فمتاع لازواجهم ومتاعا نصب بالوصية الا اذا اضمرت يوصون فانه نصب بالفعل وعلى قراءة ابي متاعا نصب بمتاع لانه في معنى التمتيع
كقولك الحمد لله حمد الشاكرين واعجبني ضرب لك ضربا شديدا وغير اخراج مصدر موكد كقولك هذا القول غير ما تقول او
بدل من متاعا او حال من الازواج اي غير مخرجات والمعنى ان حق الذين يتوفون عن ازواجهم ان يوصوا قبل ان يحتضروا بان تمتع
ازواجهم بعدهم حولا كاملا اي ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهن وكان ذلك في اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله
اربعة اشهر وعشرا وقيل نسخ ما زاد منه على هذا المقدار ونسخت النفقة بالارث الذي هو الربع او الثمن واختلف في السكنى
فعند ابي حنيفة واصحابه لا سكنى لهن فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن من التزين والتعرض للخطاب من
معروف مما ليس بمنكر شرعا فان قلت كيف نسخت الآية المقدمة المتاخرة قلت قد تكون الآية متقدمة في التلاوة وهي
متاخرة في التنزيل كقوله تعالى سيقول السفهاء مع قوله قد نرى تقلب وجهك في السماء والله عزيز حكيم وللمطلقات متاع
بالمعروف عم المطلقات بايجاب المتعة لهن بعد ما اوجبها لواحدة منهن وهي المطلقة غير المدخول بها وقال حقا على المتقين كما قال
ثمة حقا على المحسنين وعن سعيد بن جبير وابي العالية والزهري انها واجبة لكل مطلقة وقيل قد تناول التمتيع الواجب والمستحب
جميعا وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم
وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم الم تر تقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب واخبار الاولين وتعجيب
من شانهم ويجوز ان يخاطب به من لم ير ولم يسمع لان هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى التعجب روي ان اهل داوردان قرية قبل
واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا انه لا مفر من حكم الله وقضائه وقيل
مر عليهم حزقيل بعد زمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فلوى شدقه واصابعه تعجبا مما راى فاوحي اليه
ناد فيهم ان قوموا باذن الله فنادى فنظر اليهم قياما يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وقيل هم قوم من بني اسرائيل دعاهم
ملكهم الى الجهاد فهربوا حذرا من الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم وهم الوف فيه دليل على الالوف الكثيرة واختلف
في ذلك فقيل عشرة وقيل ثلاثون وقيل سبعون ومن بدع التفاسير الوف متالفون جمع آلف كقاعد وقعود فان قلت
ما معنى قوله فقال لهم الله موتوا قلت معناه فاماتهم وانما جيء به على هذه العبارة للدلالة على انهم ماتوا ميتة رجل واحد بامر
الله ومشيئته وتلك ميتة خارجة عن العادة كانهم امروا بشيء فامتثلوه امتثالا من غير اباء ولا توقف كقوله انما امره اذا اراد شيئا
ان يقول له كن فيكون وهذا تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وان الموت اذا لم يكن منه بد فكلا ينفع منه مفر فاولى ان
يكون في سبيل الله ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون لذو فضل على الناس حيث بصرهم ما يعتبرون
به ويستبصرون كما بصر اولئك وكما يبصركم باقتصاص خبرهم او لذو فضل على الناس حيث احيا اولئك ليعتبروا فيفوزوا ولو
شاء لتركهم موتى الى يوم البعث والدليل على انه ساق هذه القصة بعثا على الجهاد ما اتبعه من الامر بالقتال في سبيل الله وقاتلوا
في سبيل الله واعلموا ان الله سميع عليم سميع لما يقوله المتخلفون والسابقون عليم بما يضمرونه وهو من وراء الجزاء من ذا الذي يقرض
الله قرضا حسنا اقراض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه والقرض الحسن اما المجاهدة في سبيل الله واما النفقة في سبيل الله
فيضاعفه له اضعافا كثيرة قيل الواحد بسبعمائة وعن السدي كثيرة لا يعلم كنهها الا الله والله يقبض ويبسط يوسع

على عباده ويقتر فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم لا يبدلكم الضيقة بالسعة واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم الم
تر الى الملا من بني اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبي لهم هو يوشع او شمعون او اشمويل ابعث لنا ملكا نقاتل
في سبيل الله انهض للقتال معنا اميرا نصدر في تدبير الحرب عن رايه وننتهي الى امره طلبوا من نبيهم نحو ما كان يفعل رسول
الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من التامير على الجيوش التي كان يجهزها ومن امرهم بطاعته وامتثال اوامره وروي انه امر
الناس اذا سافروا ان يجعلوا احدهم اميرا عليهم نقاتل قرئ بالنون والجزم على الجواب وبالنون والرفع على انه حال اي ابعثه لنا
مقدرين القتال او استئناف كانه قال لهم ما تصنعون بالملك فقالوا نقاتل وقرئ يقاتل بالياء والجزم على الجواب وبالرفع على
انه صفة لملكا قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال خبر عسيتم الا تقاتلوا والشرط فاصل بينهما والمعنى هل
قاربتم الا تقاتلوا يعني هل الامر كما اتوقعه انكم لا تقاتلون اراد ان يقول عسيتم الا تقاتلوا بمعنى اتوقع جبنكم عن القتال
فادخل هل مستفهما عما هو متوقع عنده ومظنون واراد بالاستفهام التقرير وتثبيت ان المتوقع كائن وانه صائب في توقعه
كقوله تعالى هل اتى على الانسان معناه التقرير وقرئ عسيتم بكسر السين وهي ضعيفة قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل
الله واي داع لنا الى ترك القتال واي غرض لنا فيه وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا وذلك ان قوم جالوت كانوا يسكنون
ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فاسروا من ابناء ملوكهم اربعمائة واربعين فلما كتب عليهم القتال تولوا الا
قليلا منهم قيل كان القليل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر على عدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم
نفوسهم في القعود عن القتال وترك الجهاد وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا طالوت اسم اعجمي
كجالوت وداود وانما امتنع من الصرف لتعريفه وعجمته وزعموا انه من الطول لما وصف به من البسطة في الجسم ووزنه
ان كان من الطول فعلوت اصله طولوت الا ان امتناع صرفه يدفع ان يكون منه الا ان يقال هو اسم عبراني وافق عربيا كما
وافق حنطا حنطة وبشماها لاها رحمانا رحيما بسم الله الرحمن الرحيم فهو من الطول كما لو كان عربيا وكان احد سببيه العجمة
لكونه عبرانيا قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال اي كيف ومن اين وهو انكار
لتملكه عليهم واستبعاد له فان قلت ما الفرق بين الواوين في ونحن احق ولم يؤت قلت الاولى للحال والثانية لعطف الجملة
على الجملة الواقعة حالا قد انتظمتهما معا في حكم واو الحال والمعنى كيف يتملك علينا والحال انه لا يستحق التملك لوجود من هو احق بالملك
وانه فقير ولا بد للملك من مال يعتضد به وانما قالوا ذلك لان النبوة كانت في سبط لاوي بن يعقوب والملك في سبط يهوذا ولم يكن
طالوت من احد السبطين ولانه كان رجلا سقاء او دباغا فقيرا وروي ان نبيهم دعا الله حين طلبوا منه ملكا فاتي بعصا يقاس بها
من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم يريد ان الله هو الذي
اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض على حكم الله ثم ذكر مصلحتين انفع مما ذكروا من النسب والمال وهما العلم
المبسوط والجسامة والظاهر ان المراد بالعلم المعرفة بما طلبوه لاجله من امر الحرب ويجوز ان يكون عالما بالديانات وبغيرها
وقيل قد اوحي اليه ونبئ وذلك ان الملك لا بد ان يكون من اهل العلم فان الجاهل مزدرى غير منتفع به وان يكون جسيما يملأ العين جهارة
لانه اعظم في النفوس واهيب في القلوب والبسطة السعة والامتداد وروي ان الرجل القائم كان يمد يده فينال راسه والله
يؤتي ملكه من يشاء اي الملك له غير منازع فيه فهو يؤتيه من يشاء من يستصلحه للملك والله واسع عليم واسع الفضل والعطاء
يوسع على من ليس له سعة من المال ويغنيه بعد الفقر وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان ياتيكم التابوت فيه سكينة
من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين التابوت
صندوق التوراة وكان موسى عليه الصلاة والسلام اذا قاتل قدمه فكانت تسكن نفوس بني اسرائيل ولا يفرون والسكينة السكون
والطمانينة وقيل هي صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها راس كراس الهر وذنب كذنبه وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو
العدو وهم يمضون معه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن علي رضي الله عنه كان لها وجه كوجه الانسان وفيها
ريح هفافة والبقية رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وشيء من التوراة وكان رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملائكة
وهم ينظرون فكان ذلك آية لاصطفاء الله طالوت وقيل كان مع موسى ومع انبياء بني اسرائيل بعده يستفتحون به فلما غيرت
بنو اسرائيل غلبهم عليه الكفار فكان في ارض جالوت فلما اراد الله ان يملك طالوت اصابهم ببلاء حتى هلكت خمس مداين
فقالوا هذا بسبب التابوت بين اظهرنا فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة الى طالوت وقيل كان من خشب الشمشار مموها
بالذهب نحوا من ثلاثة اذرع في ذراعين وقرأ ابي وزيد بن ثابت التابوه بالهاء وهي لغة الانصار فان قلت ما وزن التابوت
قلت لا يخلو من ان يكون فعلوتا او فاعولا فلا يكون فاعولا لقلته نحو سلس وقلق ولانه تركيب غير معروف فلا يجوز ترك
المعروف اليه فهو اذن فعلوت من التوب وهو الرجوع لانه ظرف توضع فيه الاشياء وتودعه فلا يزال يرجع اليه ما يخرج
منه وصاحبه يرجع اليه فيما يحتاج اليه من مودعاته واما من قرأ بالهاء فهو فاعول عنده الا فيمن جعل هاءه بدلا من التاء لاجتماعهما
في الهمس وانهما من حروف الزيادة ولذلك ابدلت من تاء التانيث وقرأ ابو السمال سكينة بفتح السين والتشديد وهو غريب

وقرئ تحمله بالياء فان قلت من آل موسى وآل هرون قلت الانبياء من بني يعقوب بعدهما لان عمران هو ابن قاهث بن لاوي بن
يعقوب فكان اولاد يعقوب آلهما ويجوز ان يراد مما ترك آل موسى وهرون والآل مقحم لتفخيم شأنهما فلما فصل طالوت
بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر فصل عن موضع كذا اذا انفصل عنه وجاوزه واصله فصل نفسه ثم كثر محذوف المفعول
حتى صار في حكم غير المتعدي كانفصل وقيل فصل عن البلد فصولا ويجوز ان يكون فصله فصلا وفصل فصولا كوقف
وقفا ووقوفا وصد صدا وصدودا ونحوهما والمعنى انفصل عن بلده بالجنود روي انه قال لقومه لا يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة
ولا متزوج بامرأة لم يبن عليها ولا ابتغي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختار ثمانون الفا وكان الوقت
قيظا وسلكوا مفازة فسألوا ان يجري الله لهم نهرا فقال ان الله مبتليكم بما اقترحتموه فمن شرب منه فمن ابتدأ شربه
من النهر بان كرع فيه فليس مني فليس بمتصل بي ومتحد معي من قولهم فلان مني كأنه بعضه لاختلاطهما واتحادهما ويجوز
ان يراد فليس من جملتي واشياعي ومن لم يطعمه فانه مني ومن لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه ۞ وان شئت لم اطعم
نقاخا ولا بردا ۞ الا ترى كيف عطف عليه البرد وهو النوم ويقال ما ذقت غماضا ونحوه من الابتلاء ما ابتلي به اهل ايلة من
ترك الصيد مع اتيان الحيتان شرعا بل هو اشد منه واصعب وانما عرف ذلك طالوت باخبار من النبي وان كان نبيا كما يروى
عن بعضهم فبالوحي وقرئ بنهر بالسكون فان قلت مم استثني قوله الا من اغترف غرفة بيده قلت من قوله فمن شرب
منه فليس مني والجملة الثانية في حكم المتأخرة الا انها قدمت للعناية كما قدم والصابئون في قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا
والصابئون ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكروع والدليل عليه قوله فشربوا منه اي فكرعوا فيه
الا قليلا منهم وقرئ غرفة بالفتح بمعنى المصدر وبالضم بمعنى المغروف وقرأ ابي والاعمش الا قليل بالرفع وهذا من ميلهم
مع المعنى والاعراض عن اللفظ جانبا وهو باب جليل من علم العربية فلما كان معنى فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه حمل عليه
كأنه قيل فلم يطيعوه الا قليل منهم ونحوه قول الفرزدق ۞ لم يدع من المال الا مسحت او مجلف ۞ كأنه قال لم يبق من المال
الا مسحت او مجلف وقيل لم يبق مع طالوت الا ثلثمائة وبضعة عشر رجلا فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه يعني القليل
قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة
باذن الله والله مع الصابرين ۞ والذين يظنون يعني الخلص منهم الذين نصبوا بين اعينهم لقاء الله وايقنوه او الذين تيقنوا
انهم يستشهدون عما قريب ويلقون الله والمؤمنون مختلفون في قوة اليقين ونصوع البصيرة وقيل الضمير في قالوا لا طاقة
لنا للكثير الذين انخزلوا والذين يظنون هم القليل الذين ثبتوا معه كأنهم تقاولوا بذلك والنهر بينهما فيظهر اولئك
عذرهم في الانخزال ويرد عليهم هؤلاء ما يعتذرون به وروي ان الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه واداوته والذين شربوا
منه اسودت شفاههم وغلبهم العطش وجالوت جبار من العمالقة من اولاد عمليق بن عاد كانت بيضته فيها ثلثمائة رطل
ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ۞ وهب لنا ما
نثبت به في مداحض الحرب من قوة القلوب والقاء الرعب في قلب العدو ونحو ذلك من الاسباب كان ايشي ابو داود في
عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وهو صغير يرعى الغنم فاوحى الله الى شمويل ان داود بن ايشي هو
الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد مر في طريقه بثلاثة احجار دعاه كل واحد منها ان تحمله وقالت له انك تقتل بنا
جالوت فحملها في مخلاته ورمى بها جالوت فقتله وزوجه طالوت بنته وروي انه حسده واراد قتله ثم تاب وآتاه الله
الملك في مشارق الارض المقدسة ومغاربها وما اجتمعت بنو اسرائيل على ملك قط قبل داود والحكمة والنبوة وعلمه
مما يشاء من صنعة الدروع وكلام الطير والدواب وغير ذلك ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض
ولكن الله ذو فضل على العالمين ۞ ولولا ان الله يدفع بعض الناس ببعض ويكف بهم فسادهم لغلب المفسدون وفسدت
الارض وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وسائر ما يعمر الارض وقيل ولولا ان الله ينصر المسلمين على
الكفار لفسدت الارض بعيث الكفار فيها وقتل المسلمين او لو لم يدفعهم بهم لعم الكفر ونزلت السخطة فاستؤصل
اهل الارض تلك آيات الله نتلوها عليك يعني القصص التي اقتصها من حديث الالوف واماتتهم واحيائهم وتمليك طالوت
واظهاره بالآية التي هي نزول التابوت من السماء وغلبة الجبابرة على يد صبي بالحق باليقين الذي لا يشك فيه اهل الكتاب لانه في كتبهم
كذلك وانك لمن المرسلين ۞ حيث تخبر بها من غير ان تعرف بقراءة كتاب او سماع اخبار
تلك الرسل اشارة الى جماعة الرسل التي ذكرت قصصها في السورة او التي ثبت علمها عند رسول الله صلى الله عليه وعلى آله
وسلم فضلنا بعضهم على بعض لما اوجب ذلك من تفاضلهم في الحسنات منهم من كلم الله منهم من فضله الله بان كلمه من
غير سفير وهو موسى عليه السلام وقرئ كلم الله بالنصب وقرأ اليماني كالم الله من المكالمة ويدل عليه قولهم كليم الله بمعنى مكالمه
ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس اي ومنهم من رفعه الله على سائر الانبياء وكان
بعد تفاوتهم في الفضل افضل منهم بدرجات كثيرة والظاهر انه اراد محمدا صلى الله عليه وعلى آله وسلم لانه هو المفضل عليهم حيث اوتي

مالم يؤته

ما لم يؤته احد من الآيات المتكاثرة المرتقية الى الف آية او اكثر ولو لم يؤت الا القرآن وحده لكفى به فضلا منيفا على سائر ما اوتي
الانبياء لانه المعجزة الباقية على وجه الدهر دون سائر المعجزات وفي هذا الابهام من تفخيم فضله واعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه
من الشهادة على انه العلم الذي لا يشتبه والمتميز الذي لا يلتبس ويقال للرجل من فعل هذا فيقول احدكم او بعضكم يريد به الذي
تعورف واشتهر بنحوه من الافعال فيكون افخم من التصريح به وانوه بصاحبه وسئل الحطيئة عن اشعر الناس فذكر زهيرا
والنابغة ثم قال ولو شئت لذكرت الثالث اراد نفسه ولو قال ولو شئت لذكرت نفسي لم يفخم امره ويجوز ان يريد ابراهيم ومحمدا
او غيرهما من اولي العزم من الرسل وعن ابن عباس كنا في المسجد نتذاكر فضل الانبياء فذكرنا نوحا بطول عبادته وابراهيم بخلته
وموسى بتكليم الله اياه وعيسى برفعه الى السماء وقلنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم افضل منهم بعث الى الناس كافة
وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهو خاتم الانبياء فدخل عليه السلام فقال فيم انتم فذكرنا له فقال لا ينبغي لاحد ان يكون خيرا
من يحيى بن زكريا فذكر انه لم يعمل سيئة قط ولم يهم بها فان قلت فلم خص موسى وعيسى من بين الانبياء بالذكر قلت
لما اوتيا من الآيات العظيمة والمعجزات الباهرة ولقد بين الله وجه التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل وهو آية من الآيات
فلما كان هذان النبيان قد اوتيا ما اوتيا من عظام الآيات خصا بالذكر في باب التفضيل وهذا دليل بين ان من زيد تفضيلا بالآيات منهم
فقد فضل على غيره ولما كان نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم هو الذي اوتي منها ما لم يؤت احد في كثرتها وعظمها كان هو المشهود
له باحراز قصبات الفضل غير مدافع اللهم ارزقنا شفاعته يوم الدين ولو شاء الله مشيئة الجاء وقسر ما اقتتل الذين من
بعدهم من بعد الرسل لاختلافهم في الدين وتشعب مذاهبهم وتكفير بعضهم بعضا من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا
فمنهم من آمن لالتزامه دين الانبياء ومنهم من كفر لاعراضه عنه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره للتأكيد ولكن الله
يفعل ما يريد من الخذلان والعصمة يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم اراد الانفاق الواجب لاتصال الوعيد به من قبل ان
يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة من قبل ان يأتي يوم لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الانفاق لانه لا بيع فيه حتى تبتاعوا
ما تنفقونه ولا خلة حتى يسامحكم اخلاؤكم به وان اردتم ان يحط عنكم ما في ذمتكم من الواجب لم تجدوا شفيعا يشفع لكم في
حط الواجبات لان الشفاعة ثم في زيادة الفضل لا غير والكافرون هم الظالمون ۞ اراد والتاركون الزكاة من صفات الكفار
في قوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وقرئ لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة بالرفع

الله لا اله الا هو الحي القيوم

لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السماوات وما في الارض الحي الباقي الذي لا سبيل عليه للفناء وهو
على اصطلاح المتكلمين الذي يصح ان يعلم ويقدر والقيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه وقرئ القيام والقيم
والسنة ما يتقدم النوم من الفتور الذي يسمى النعاس قال ابن الرقاع العاملي ۞ وسنان اقصده النعاس فرنقت في عينه
سنة وليس بنائم ۞ اي لا يأخذه نعاس ولا نوم وهو تأكيد للقيوم لان من جاز عليه ذلك استحال ان يكون قيوما ومنه حديث
موسى انه سأل الملائكة وكان ذلك من قومه كطلب الرؤية اينام ربنا فاوحى الله اليهم ان يوقظوه ثلاثا ولا يتركوه ينام ثم
قال خذ بيدك قارورتين مملوءتين فاخذهما والقى الله عليه النعاس فضرب باحدهما على الاخرى فانكسرتا ثم اوحى اليه قل لهؤلاء اني
امسك السماوات والارض بقدرتي فلو اخذني نوم او نعاس لزالتا من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه بيان لملكوته وكبريائه
وان احدا لا يتمالك ان يتكلم يوم القيامة الا اذا اذن له في الكلام كقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن يعلم ما بين ايديهم
وما خلفهم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم والضمير لما في السماوات والارض لان فيهم العقلاء او لما دل عليه من ذا من الملائكة
والانبياء ولا يحيطون بشيء من علمه من معلوماته الا بما شاء الا بما علم وسع كرسيه السماوات والارض لبسطته وسعته
وما هو الا تصوير لعظمته وتخييل فقط ولا كرسي ثمة ولا قعود ولا قاعد كقوله وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته
يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه من غير تصور قبضة وطي ويمين وانما هو تخييل لعظمة شأنه وتمثيل حسي الا ترى الى قوله
وما قدروا الله حق قدره والثاني وسع علمه وسمي العلم كرسيا تسمية بمكانه الذي هو كرسي العالم والثالث وسع ملكه تسمية
بمكانه الذي هو كرسي الملك والرابع انه ما روي انه خلق كرسيا هو بين يدي العرش ودونه السماوات والارض وهو الى العرش
كاصغر شيء وعن الحسن الكرسي هو العرش ولا يؤوده ولا يثقله ولا يشق عليه حفظهما حفظ السماوات والارض وهو العلي
العظيم الشأن الملك والقدرة ۞ فان قلت كيف ترتبت الجمل في آية الكرسي من غير حرف عطف قلت ما منها جملة الا وهي واردة
على سبيل البيان لما ترتبت عليه والبيان متحد بالمبين فلو توسط بينهما عاطف لكان كما تقول العرب بين العصا ولحائها
فالاولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمنا عليه غير ساه عنه والثانية لكونه مالكا لما يدبره والثالثة لكبرياء شأنه
والرابعة لاحاطته باحوال الخلق وعلمه بالمرتضى منهم المستوجب للشفاعة وغير المرتضى والخامسة لسعة علمه وتعلقه
بالمعلومات كلها او لجلاله وعظم قدره فان قلت لم فضلت هذه الآية حتى ورد في فضلها ما ورد منه قوله عليه الصلاة
والسلام ما قرئت هذه الآية في دار الا اهتجرتها الشياطين ثلاثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة يا علي علمها ولدك
واهلك وجيرانك فما نزلت آية اعظم منها وعن علي رضي الله عنه سمعت نبيكم على اعواد المنبر وهو يقول من قرأ آية الكرسي

في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قراها اذا اخذ مضجعه امنه الله
على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وتذاكر الصحابة افضل ما في القران فقال لهم علي اين انتم عن اية الكرسي ثم قال
قال لي رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم يا علي سيد البشر ادم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب
وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القران وسيد القران البقرة وسيد البقرة
اية الكرسي قلت لما فضلت له سورة الاخلاص من اشتمالها على توحيد الله وتعظيمه وتمجيده وصفاته العظمى ولا مذكور اعظم
من رب العزة فما كان ذكرا له كان افضل من سائر الاذكار وبهذا يعلم ان اشرف العلوم واعلاها منزلة عند الله علم اهل العدل
والتوحيد ولا يغرنك عنه ما يزري من كثرة اعدائه ● فان العرانين تلقاها محسدة ● ولا ترى للئام الناس حسادا ●
لا اكراه في الدين اي لم يجر الله امر الايمان على الاجبار والقسر ولكن على التمكين والاختيار ونحوه ولو شاء ربك لامن من في
الارض كلهم جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين اي لو شاء لقسرهم على الايمان ولكنه لم يفعل وبنى الامر على الاختيار قد
تبين الرشد من الغي قد تميز الايمان من الكفر بالدلائل الواضحة فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فمن اختار الكفر
بالشيطان او الاصنام والايمان بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم ● فقد استمسك بالعروة
الوثقى من الحبل الوثيق المحكم المأمون انفصامها اي انقطاعها وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس حتى يتصوره
السامع كانه ينظر اليه بعينه فيحكم اعتقاده والتيقن به وقيل هو اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين ثم قال بعضهم هو منسوخ
بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقيل هو في اهل الكتاب خاصة لانهم حصنوا انفسهم باداء الجزية وروي انه
كان لانصاري من بني سالم بن عوف ابنان فتنصرا قبل ان يبعث رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم ثم قدما المدينة فلزمهما
ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم فقال الانصاري يا رسول الله
ايدخل بعضي النار وانا انظر فنزلت فخلاهما الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور يلطف بهم حتى يخرجهم بلطفه
وتاييده من الكفر الى الايمان والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات اولئك اصحاب النار
هم فيها خالدون ● والذين كفروا اي صمموا على الكفر امرهم على عكس ذلك او الله ولي المؤمنين يخرجهم من الشبه في الدين
ان وقعت لهم بما يهديهم ويوفقهم له من حلها حتى يخرجوا منها الى نور اليقين والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت الشياطين يخرجونهم
من نور البينات التي تظهر لهم الى ظلمات الشك والشبهة الم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه تعجيب من محاجة نمرود في الله وكفره
به ان اتاه الله الملك متعلق بحاج على وجهين احدهما حاج لان اتاه الله الملك على معنى ان ايتاء الملك ابطره واورثه الكبر
والعتو فحاج لذلك او على انه وضع المحاجة في ربه موضع ما وجب عليه من الشكر على ان اتاه الله الملك فكان المحاجة كانت
لذلك كما تقول عاداني فلان لاني احسنت اليه تريد انه عكس ما كان يجب عليه من الموالاة لاجل الاحسان ونحوه قوله وتجعلون
رزقكم انكم تكذبون واما حاج وقت ان اتاه الله الملك فان قلت كيف جاز ان يؤتي الله الملك الكافر قلت فيه قولان
اتاه ما غلب به وتسلط من المال والخدم والاتباع واما التغليب والتسليط فلا وقيل ملكه امتحانا لعباده واذ قال ابرهيم ربي
الذي يحيي ويميت قال انا احيي واميت قال ابرهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي
كفر والله لا يهدي القوم الظالمين ● واذ قال نصب بحاج او بدل من اتاه الله اذا جعل بمعنى الوقت انا احيي واميت يريد اعفي
عن القتل واقتل وكان الاعتراض عتيدا ولكن ابرهيم صلى الله عليه لما سمع جوابه الاحمق لم يحاجه فيه ولكن انتقل الى ما لا يقدر فيه على نحو
ذلك الجواب ليبهته اول شيء وهذا دليل على جواز الانتقال للمجادل من حجة الى حجة فبهت الذي كفر اي فغلب ابرهيم الكافر
وقرا ابو حيوة فبهت بوزن قرب وقيل كانت هذه المحاجة حين كسر الاصنام وسجنه نمرود ثم اخرجه من السجن ليحرقه فقال
له من ربك الذي تدعو اليه فقال ربي الذي يحيي ويميت او كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال انى يحيي هذه
الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر
الى طعامك وشرابك لم يتسنه او كالذي معناه او ارايت مثل الذي فحذف لدلالة الم تر عليه لان كلتيهما كلمة تعجيب ويجوز
ان يحمل على المعنى دون اللفظ كانه قيل ارايت كالذي حاج ابرهيم او كالذي مر على قرية والمار كان كافرا بالبعث وهو الظاهر
لانتظامه مع نمرود في سلك ولكلمة الاستبعاد التي هي انى يحيي وقيل هو عزير او الخضر عليهما السلام اراد ان يعاين احياء الموتى
ليزداد بصيرة كما طلبه ابرهيم وقوله انى يحيي اعتراف بالعجز عن معرفة طريقة الاحياء واستعظام لقدرة المحيي والقرية بيت
المقدس حين خربه بخت نصر وقيل هي التي خرج منها الالوف وهي خاوية على عروشها تفسيره فيما بعد يوما او بعض يوم بناء
على الظن روي انه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غيبوبة الشمس فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فراى بقية
من الشمس فقال او بعض يوم وروي ان طعامه كان تينا وعنبا وشرابه عصيرا او لبنا فوجد التين والعنب كما جنيا والشراب
على حاله لم يتسنه لم يتغير والهاء اصلية او هاء سكت واشتقاقه من السنة على الوجهين لان لامها هاء او واو وذلك ان الشيء
يتغير بمرور الزمان وقيل اصله يتسنن من الحما المسنون فقلبت نونه حرف علة كتقضي البازي ويجوز ان يكون معنى لم

يتسنه

سنة لم تمر عليها السنون التي مرت عليه يعني هو بحاله كما كان لم يلبث مائة سنة وفي قراءة عبد الله فانظر الى طعامك
وهذا شرابك لم يتسن وقرا ابي لم يسنه بادغام التاء في السين وانظر الى حمارك كيف نخرت عظامه او صاله وكان له
حمار قد ربطه ويجوز ان يراد وانظر اليه سالما في مكانه كما ربطته وذلك من اعظم الايات ان يعيشه مائة عام من غير علف ولا ماء
كما حفظ طعامه وشرابه من التغير ولنجعلك اية للناس فعلنا ذلك يريد احياءه بعد الموت وحفظ ما معه وقيل اتى
قومه راكب حماره وقال انا عزير فكذبوه فقال هاتوا التوراة فاخذ يهذها هذا عن ظهر قلبه وهم ينظرون في الكتاب
فما خرم حرفا فقالوا هو ابن الله ولم يقرا التوراة ظاهرا احد قبل عزير فذلك كونه اية وقيل رجع الى منزله فراى اولاده
شيوخا وهو شاب فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة وانظر الى العظام وهي عظام الحمار او عظام الموتى الذين
تعجب من احيائهم كيف ننشزها ثم نكسوها لحما كيف نحييها وقرا الحسن ننشرها من نشر الله الموتى بمعنى انشرهم
فنشروا وقرئ بالزاي بمعنى نحركها ونرفع بعضها الى بعض للتركيب فلما تبين له وفاعل تبين مضمر تقديره فلما تبين له
ان الله على كل شيء قدير قال اعلم ان الله على كل شيء قدير فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كما في قولهم [illegible]
وقرئ قال اعلم على لفظ الامر وقرا عبد الله قيل اعلم فان قلت فان كان المار كافرا فكيف يسوغ ان يكلمه الله قلت كان
الكلام بعد البعث ولم يكن اذ ذاك كافرا واذ قال ابرهيم رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى
بصري فان قلت كيف قال له اولم تؤمن وقد علم انه اثبت الناس ايمانا قلت ليجيب بما اجاب به لما فيه من الفائدة الجليلة
للسامعين وبلى ايجاب لما بعد النفي معناه بلى امنت ولكن ليطمئن قلبي ليزيد سكونا وطمانينة بمضامة علم الضرورة علم
الاستدلال وتظاهر الادلة اسكن للقلوب وازيد للبصيرة واليقين ولان علم الاستدلال يجوز معه التشكيك بخلاف العلم
الضروري فاراد بطمانينة القلب العلم الذي لا مجال فيه للتشكيك فان قلت بم تعلقت اللام في ليطمئن قلت بمحذوف
تقديره ولكن سالت ذلك ارادة طمانينة القلب قال فخذ اربعة من الطير طاووسا وديكا وغرابا وحمامة فصرهن
اليك بضم الصاد وكسرها بمعنى فاملهن واضممهن اليك قال ● ولكن اطراف الرماح تصورها ● وقال ● وفرع يصير الجيد
وحف كانه ● على الليت قنوان الكروم الدوالح ● وقرا ابن عباس فصرهن بضم الصاد وكسرها وتشديد الراء من صره
يصره ويصره اذا جمعه نحو ضره يضره ويضره وعنه فصرهن من التصرية وهي الجمع ايضا ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا يريد ثم جزئهن وفرق اجزاءهن على
الجبال والمعنى على كل جبل من الجبال التي بحضرتك وفي ارضك قيل كانت اربعة اجبل وعن السدي سبعة ثم ادعهن وقل لهن
تعالين باذن الله ياتينك سعيا واعلم ان الله عزيز حكيم ● سعيا ساعيات مسرعات في طيرانهن او في مشيهن على ارجلهن
فان قلت ما معنى امره بضمها الى نفسه بعد ان ياخذها قلت ليتاملها ويعرف اشكالها وهيئاتها وحلاها لئلا تلتبس عليه
بعد الاحياء ولا يتوهم انها غير تلك ولذلك قال ياتينك سعيا وروي انه امر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق
اجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها وان يمسك رؤوسها ثم امر ان يجعل اجزاءها على الجبال على كل جبل ربعا من كل طائر
ثم يصيح بها تعالين باذن الله فجعل كل جزء يطير الى الاخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤوسهن كل جثة الى راسها
وقرئ جزؤا بضمتين وجزا بالتشديد ووجهه انه خفف بطرح همزته ثم شدد كما يشدد في الوقف اجراء للوصل مجرى الوقف
مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة لا بد من حذف
مضاف اي مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة والمنبت هو الله تعالى ولكن الحبة لما كانت سببا اسند اليها
الانبات كما يسند الى الارض والى الماء ومعنى انباتها سبع سنابل ان تخرج ساقا تتشعب منها سبع شعب لكل واحدة سنبلة
وهذا التمثيل تصوير للاضعاف كانها ماثلة بين عيني الناظر فان قلت كيف صح هذا التمثيل والممثل به غير موجود قلت
بل هو موجود في الدخن والذرة وغيرهما وربما فرخت ساق البرة في الاراضي القوية المغلة فيبلغ حبها هذا المبلغ ولو لم يوجد
لكان صحيحا على سبيل الفرض والتقدير فان قلت هلا قيل سبع سنبلات على حقه من التمييز بجمع القلة كما قال وسبع
سنبلات خضر قلت هذا لما قدمت عند قوله تعالى ثلاثة قروء من وقوع امثلة الجمع متعاورة مواقعها والله يضاعف لمن
يشاء والله واسع عليم ● اي يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق لتفاوت احوال المنفقين او يضاعف سبع المائة ويزيد
عليها اضعافا لمن يستوجب ذلك الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لهم اجرهم
عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ● المن ان يعتد على من احسن اليه باحسانه ويريه انه اصطنعه واوجب عليه حقا
وكانوا يقولون اذا اصطنعتم صنيعة فانسوها ● ولبعضهم ● وان امرا اسدى الي صنيعة ● وذكرنيها مرة للئيم ●
وفي نوابغ الكلم صنوان من منح سائله ومن ● ومن منع نائله وضن ● وفيها طعم الالاء احلى من المن ● وهي امر من
الالاء مع المن ● والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما ازل اليه ومعنى ثم اظهار التفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى وان تركهما
خير من نفس الانفاق كما جعل الاستقامة على الايمان خيرا من الدخول فيه بقوله ثم استقاموا فان قلت اي فرق بين قوله
لهم اجرهم وقوله فيما بعد فلهم اجرهم قلت الموصول لم يضمن ها هنا معنى الشرط وضمنه ثمة والفرق بينهما من جهة المعنى

ان الغنا فهاد لا له على ان الانفاق به اشبه الاجر وطرحها غار عن ملك لا يد الا له قول معروف رد جميل ومغفرة وعفو عن السائل اذا
وجد منه ما يثقل على المسؤول او نيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل او وعفو من جهة السائل لانه اذا رده ردا جميلا عذره
خير من صدقة يتبعها اذى وصح الاخبار عن المبتدا النكرة لاختصاصه بالصفة والله غني لا حاجة به الى منفق يمن
ويؤذي حليم عن معاجلته بالعقوبة وهذا سخط منه ووعيد له ثم بالغ في ذلك بما اتبعه يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم
بالمن والاذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الاخر اي لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كابطال
المنافق الذي ينفق ماله رئاء الناس لا يريد بانفاقه رضا الله ولا ثواب الاخرة فمثله كمثل صفوان مثله ونفقته التي لا
ينتفع بها البتة بصفوان بحجر املس عليه تراب وقرأ سعيد بن المسيب صفوان بوزن كروان فاصابه وابل مطر عظيم القطر
فتركه صلدا اجرد نقيا من التراب الذي كان عليه ومنه صلد جبين الاصلع اذا برق لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله
لا يهدي القوم الكافرين كقوله فجعلناه هباء منثورا ويجوز ان تكون الكاف في محل النصب على الحال اي لا تبطلوا صدقاتكم
مماثلين الذي ينفق فان قلت كيف قال لا يقدرون بعد قوله كالذي ينفق كانه قيل كمن ينفق ومثل الذين ينفقون اموا
لهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم وليثبتوا منها ببذل المال الذي هو شقيق الروح وبذله اشق شيء على النفس على
سائر العبادات الشاقة وعلى الايمان لان النفس اذا ريضت بالتحامل عليها وتكليفها ما يصعب عليها ذلت خاضعة لصاحبها
وقل طمعها في اتباعه لشهواتها وبالعكس فكان انفاق المال تثبيتا لها على الايمان واليقين ويجوز ان يراد وتصديقا للاسلام
وتحقيقا للجزاء من اصل انفسهم لانه اذا انفق المسلم ماله في سبيل الله علم ان تصديقه وايمانه بالثواب من اصل نفسه ومن اخلاص
قلبه ومن على التفسير الاول للتبعيض مثلها في قولهم هز من عطفه وحرك من نشاطه وعلى الثاني لابتداء الغاية كقوله تعالى
حسدا من عند انفسهم ويحتمل ان يكون المعنى وتثبيتا من انفسهم عند المؤمنين انها صادقة الايمان مخلصة فيه ويعضده قراءة
مجاهد وتبيينا من انفسهم فان قلت فما معنى التبعيض قلت معناه ان من بذل ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه
ومن بذل ماله وروحه معا فهو الذي ثبتها كلها وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم والمعنى ومثل نفقة هؤلاء في
زكاها عند الله كمثل جنة وهي البستان بربوة بمكان مرتفع وخصها لان الشجر فيها ازكى واحسن ثمرا اصابها وابل
مطر عظيم القطر فآتت اكلها ثمرتها ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل فان لم يصبها وابل فطل فمطر صغير القطر
يكفيها لكرم منبتها او مثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل وكما ان كل واحد
من المطرين يضعف اكل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة كانت او قليلة بعد ان يطلب بها وجه الله ويبذل فيها الوسع زاكية
عند الله زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عنده وقرئ كمثل حبة بربوة بالحركات الثلاث واكلها بضمتين والله بما تعملون
بصير ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات واصابه الكبر
وله ذرية ضعفاء فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون
الهمزة في ايود للانكار وقرئ له جنات وذرية ضعاف والاعصار الريح التي تستدير في الارض ثم تسطع نحو السماء كالعمود
وهذا مثل لمن يعمل الاعمال الحسنة لا يبتغي بها وجه الله فاذا كان يوم القيامة وجدها محبطة فيتحسر عند ذلك حسرة من كانت
له جنة من ابهى الجنان واجمعها للثمار فبلغ الكبر وله اولاد ضعاف والجنة معاشهم ومنتعشهم فهلكت بالصاعقة وعن عمر
رضي الله عنه انه سأل عنها الصحابة فقالوا الله اعلم فغضب وقال قولوا نعلم او لا نعلم فقال ابن عباس في نفسي منها شيء
يا امير المؤمنين قال قل يا ابن اخي ولا تحقر نفسك قال ضرب مثلا لعمل قال لاي عمل قال لرجل غني يعمل الحسنات ثم بعث الله له
الشيطان فعمل بالمعاصي حتى اغرق اعماله كلها وعن الحسن هذا مثل قل والله من يعقله من الناس شيخ كبير ضعف جسمه وكثر
صبيانه افقر ما كان الى جنته وان احدكم والله افقر ما يكون الى عمله اذا انقطعت عنه الدنيا فان قلت كيف قال جنة
من نخيل واعناب ثم قال له فيها من كل الثمرات قلت النخيل والاعناب لما كانا اكرم الشجر واكثرها منافع خصهما بالذكر
وجعل الجنة منهما وان كانت محتوية على سائر الاشجار تغليبا لهما على غيرهما ثم اردفهما ذكر كل الثمرات ويجوز ان يريد
بالثمرات المنافع التي كانت تحصل له فيها كقوله وكان له ثمر بعد قوله جنتين من اعناب وحففناهما بنخل فان قلت
علام عطف قوله واصابه الكبر قلت الواو للحال لا للعطف ومعناه ان تكون له جنة وقد اصابه الكبر وقيل يقال وددت ان
يكون كذا ووددت لو كان كذا فحمل العطف على المعنى كانه قيل ايود احدكم لو كان له جنة واصابه الكبر يا ايها الذين
امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم من جياد مكسوباتكم ومما اخرجنا لكم من الارض من الحب والثمر والمعادن
وغيرها فان قلت فهلا قيل وما اخرجنا لكم عطفا على ما كسبتم حتى يشتمل الطيب على المكسوب والمخرج من الارض
قلت معناه ومن طيبات ما اخرجنا لكم الا انه حذف لذكر الطيبات ولا تيمموا الخبيث ولا تقصدوا المال الرديء
منه تنفقون تخصونه بالانفاق وهو في محل الحال وقرأ عبد الله ولا تأمموا وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما ولا تيمموا بضم
التاء ويممه وتيممه وتأممه سواء في معنى قصده ولستم بآخذيه وحالكم انكم لا تأخذونه في حقوقكم الا ان تغمضوا فيه واعلموا

ان الله

ان الله غني حميد الا ان تتسامحوا في اخذه وتترخصوا فيه من قولك اغمض فلان عن بعض حقه اذا غض بصره ويقال للبائع
اغمض اي لا تستقص كانك لا تبصر وقال الطرماح لم يفتنا بالوتر قوم وللضيم رجال يرضون بالاغماض وقرأ الزهري
تغمضوا واغمض وغمض بمعنى وعنه تغمضوا بضم الميم وكسرها من غمض يغمض ويغمض وقرأ قتادة تغمضوا على البناء للمفعول
بمعنى الا ان تدخلوا فيه وتجذبوا اليه وقيل الا ان توجدوا مغمضين وعن الحسن لو وجدتموه في السوق يباع ما اخذتموه حتى يهضم لكم
من ثمنه وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه الشيطان يعدكم الفقر اي يعدكم
في الانفاق الفقر ويقول لكم ان عاقبة انفاقكم ان تفتقروا وقرئ الفقر بالضم والفقر بفتحتين والوعد يستعمل في الخير
والشر قال الله تعالى النار وعدها الله الذين كفروا ويأمركم بالفحشاء ويغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الامر للمأمور
والفاحش عند العرب البخيل والله يعدكم في الانفاق مغفرة منه لذنوبكم وكفارة لها وفضلا وان يخلف عليكم افضل
مما انفقتم او ثوابا عليه في الاخرة والله واسع عليم يؤتي الحكمة من يشاء يوفق للعلم والعمل به والحكيم عند الله هو العالم
العامل ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وقرئ ومن يؤت بمعنى ومن يؤته الله الحكمة وهكذا قرأ الاعمش
وخيرا كثيرا تنكير تعظيم كانه قال فقد اوتي اي خير كثير وما يذكر الا اولوا الالباب يريد الحكماء العلماء العمال
والمراد به الحث على العمل بما تضمنت الآي في معنى الانفاق وما انفقتم من نفقة في سبيل الله او في سبيل الشيطان او نذرتم
من نذر في طاعة الله او في معصيته فان الله يعلمه لا يخفى عليه وهو مجازيكم عليه وما للظالمين الذين يمنعون
الصدقات او ينفقون اموالهم في المعاصي او لا يوفون بالنذور او ينذرون في المعاصي من انصار ممن ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه
ان تبدوا الصدقات فنعما هي ما في نعما نكرة غير موصولة ولا موصوفة ومعنى فنعما هي فنعم شيئا ابداؤها وقرئ بكسر النون
وفتحها وان تخفوها وتؤتوها الفقراء وتصيبوا بها مصارفها مع الاخفاء فهو خير لكم فالاخفاء خير لكم والمراد الصدقات
المتطوع بها فان الافضل في الفرائض ان يجاهر بها وعن ابن عباس رضي الله عنهما صدقات السر في التطوع تفضل علانيتها
سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا وانما كانت المجاهرة بالفرائض افضل
لنفي التهمة حتى اذا كان المزكي ممن لا يعرف باليسار كان اخفاؤه افضل والمتطوع ان اراد ان يقتدى به كان اظهاره افضل ونكفر عنكم
من سيئاتكم والله بما تعملون خبير وقرئ بالنون مرفوعا عطفا على محل ما بعد الفاء او على انه خبر مبتدأ محذوف وقرئ ويكفر بالياء
مرفوعا والفعل لله او للاخفاء وتكفر بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات وقرأ الحسن بالياء والنصب باضمار ان ومعناه ان
تخفوها يكن خيرا لكم وان نكفر عنكم ليس عليك هداهم لا يجب عليك ان تجعلهم مهديين الى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والاذى والانفاق
من الخبيث وغير ذلك وما عليك الا ان تبلغهم النواهي فحسب ولكن الله يهدي من يشاء يلطف بمن يعلم ان اللطف ينفع فيه فينتهي
عما نهي عنه وما تنفقوا من خير من مال فلانفسكم فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا على الناس ولا تؤذوهم بالتطاول
عليهم وما تنفقوا من خير يوف اليكم وانتم لا تظلمون يوف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة فلا عذر لكم في ان ترغبوا
عن انفاقه وان يكون على احسن الوجوه واجملها وقيل حجت اسماء بنت ابي بكر فاتتها امها تسألها وهي مشركة فابت ان تعطيها
فنزلت وعن سعيد بن جبير كانوا يتقون ان يرضخوا لقراباتهم من المشركين وروي ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار في اليهود
ورضاع وقد كانوا ينفقون عليهم قبل الاسلام فلما اسلموا كرهوا ان ينفقوهم وعن بعض العلماء لو كان شر خلق الله لكان
لك ثواب نفقتك واختلف في الواجب فجوز ابو حنيفة رضي الله عنه صرف صدقة الفطر الى اهل الذمة وأباه غيره للفقراء
الذين احصروا في سبيل الله الجار متعلق بمحذوف والمعنى اعمدوا للفقراء واجعلوا ما تنفقون للفقراء كقوله في تسع آيات
ويجوز ان يكون خبر مبتدأ اي صدقاتكم للفقراء والذين احصروا في سبيل الله هم الذين احصرهم الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم
به ضربا في الارض للكسب وقيل هم اصحاب الصفة وهم نحو من اربعمائة رجل من مهاجري قريش لم يكن لهم مساكن في المدينة
ولا عشائر فكانوا في صفة المسجد وهي سقيفته يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها
رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فمن كان عنده فضل اتاهم به اذا امسى وعن ابن عباس وقف رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوما على اصحاب
الصفة فرأى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال ابشروا يا اصحاب الصفة فمن بقي من امتي على النعت الذي انتم عليه راضيا بما فيه
فانه من رفقائي يحسبهم الجاهل بحالهم اغنياء من التعفف مستغنين من اجل تعففهم عن المسألة تعرفهم بسيماهم من صفرة
الوجه ورثاثة الحال لا يسألون الناس الحافا وما تنفقوا من خير فان الله به عليم والالحاف الالحاح وهو اللزوم وان لا يفارق
الا بشيء يعطاه من قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني من فضل ما عنده وعن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ان الله يحب الحيي الحليم المتعفف
ويبغض البذي السائل الملحف ومعناه انهم ان سألوا سألوا بتلطف ولم يلحوا وقيل هو نفي للسؤال والالحاف جميعا كقوله
على لاحب لا يهتدى بمناره يريد نفي المنار والاهتداء به الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم
عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون يعمون الاوقات والاحوال بالصدقة لحرصهم على الخير فكلما نزلت بهم حاجة محتاج
عجلوا قضاءها ولم يؤخروه ولم يتعللوا بوقت ولا حال وقيل نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه حين تصدق باربعين الف دينار

وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وليس نفقتكم الا لوجه الله ولطلب ما عنده وبالياء كما ينفقون بل ينفقون الا لوجه الله

عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة في السر وعشرة في العلانية وعن ابن عباس نزلت في علي رضي الله عنه لم يملك الا اربعة دراهم
فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وقيل نزلت في علف الخيل وارتباطها في سبيل الله وعن ابي هريرة
كان اذا مر بفرس سمين قرأ هذه الآية **الذين يأكلون الربوا** الربا كتب بالواو على لغة من يفخم كما كتبت الصلوة والزكوة
وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع **لا يقومون** اذا بعثوا من قبورهم **الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس**
اي المصروع وتخبط الشيطان من زعمات العرب يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط الضرب على غير استواء
كخبط العشواء فورد على ما كانوا يعتقدون والمس الجنون ورجل ممسوس وهذا ايضا من زعماتهم وان الجني يمسه فيختلط
عقله وكذلك جن الرجل معناه ضربته الجن ورأيتهم لهم في الجن قصص واخبار وعجائب وانكار ذلك عندهم كانكار
المشاهدات **فان قلت** بم يتعلق قوله من المس **قلت** بلا يقومون اي لا يقومون من المس الذي بهم الا كما يقوم المصروع
ويجوز ان يتعلق بيقوم اي كما يقوم المصروع من جنونه والمعنى انهم يقومون يوم القيامة مخبلين كالمصروعين تلك سيماهم يعرفون
بها عند اهل الموقف وقيل الذين يخرجون من الاجداث يوفضون الا اكلة الربوا فانهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين
لانهم اكلوا الربوا فارباه الله في بطونهم حتى اثقلهم فلا يقدرون على الايفاض **ذلك** العقاب **بانهم قالوا** بسبب قولهم **انما البيع
مثل الربوا** **فان قلت** هلا قيل انما الربوا مثل البيع لان الكلام في الربوا لا في البيع فوجب ان يقال انهم شبهوا الربوا بالبيع
فاستحلوه وكانت شبهتهم انهم قالوا لو اشترى الرجل ما لا يساوي الا درهما بدرهمين جاز فكذلك اذا باع درهما بدرهمين
قلت جيء به على طريق المبالغة وهو انه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربوا انهم جعلوه اصلا وقانونا في الحل حتى شبهوا به البيع وقوله
واحل الله البيع وحرم الربوا انكار لتسويتهم بينهما ودلالة على ان القياس يهدمه النص لانه جعل الدليل على بطلان قياسهم
احلال الله وتحريمه **فمن جاءه موعظة من ربه** فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهي عن الربوا **فانتهى** فتبع النهي وامتنع **فله ما
سلف** فلا يؤاخذ بما مضى منه لانه اخذ قبل نزول التحريم **وامره الى الله** يحكم في شأنه يوم القيامة وليس من امره اليكم شيء فلا تطالبوه
به **ومن عاد** الى الربوا **فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون** وهذا دليل بين على تخليد الفساق وذكر فعل الموعظة لان
تأنيثها غير حقيقي ولانها في معنى الوعظ وقرأ ابي والحسن فمن جاءته **يمحق الله الربوا** يذهب ببركته ويهلك المال الذي يدخل فيه
وعن ابن مسعود الربوا وان كثر الى قل **ويربي الصدقات** ما يتصدق به بان يضاعف عليه الثواب ويزيد المال الذي اخرجت منه
الصدقة ويبارك فيه وفي الحديث ما نقصت زكاة من مال قط **والله لا يحب كل كفار اثيم** تغليظ في امر الربوا وايذان بانه
من فعل الكفار لا من فعل المسلمين **ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة لهم اجرهم عند
ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** **يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا** خذوا ما شرطتم على الناس من
الربوا وبقيت لهم بقايا فامروا ان يتركوها ولا يطالبوا بها روي انها نزلت في ثقيف وكان لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم
عند المحل بالمال والربوا وقرأ الحسن ما بقي بقلب الياء الفا على لغة طيء وعنه ما بقي بياء ساكنة ومنه قول جرير هو الخليفة فارضوا
ما رضي لكم ماضي العزيمة ما في حكمه حيف **ان كنتم مؤمنين** ان صح ايمانكم يعني ان دليل صحة الايمان وثباته
امتثال ما امرتم به وترك ذلك **فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله** فاعلموا بها من اذن بالشيء اذا علم به وقرئ فآذنوا
فاعلموا بها غيركم وهو من الاذن وهو الاستماع لانه من طرق العلم وقرأ الحسن فايقنوا وهو دليل لقراءة العامة **فان
قلت** هلا قيل بحرب الله ورسوله **قلت** كان هذا ابلغ لان المعنى فأذنوا بنوع من الحرب عظيم من عند الله ورسوله وروي
انها لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله **وان تبتم** من الارتباء **فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون** المديونين
بطلب الزيادة عليها **ولا تظلمون** بالنقصان منها **فان قلت** هذا حكمهم ان تابوا فما حكمهم ان لم يتوبوا **قلت**
قالوا يكون مالهم فيئا للمسلمين وروى المفضل عن عاصم لا تظلمون ولا تظلمون **وان كان ذو عسرة** وان وقع غريم من
غرمائكم ذو عسرة اي ذو اعسار وقرأ عثمان رضي الله عنه ذا عسرة وقرئ ومن كان ذا عسرة **فنظرة** فالحكم او فالامر
نظرة وهي الانظار وقرئ فنظرة بسكون الظاء وقرأ عطاء فناظره بمعنى فصاحب الحق ناظره اي منتظره او صاحب نظرته على
طريقة النسب كقولهم مكان عاشب وباقل بمعنى ذو عشب وذو بقل وعنه فناظره على الامر بمعنى فسامحه بالنظرة
وباشره بها **الى ميسرة** الى يسار وقرئ بضم السين وهما كمقبرة ومقبرة ومشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف
التاء عند الاضافة كقوله ان الخليط اجدوا البين فانجردوا واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وقوله تعالى
واقام الصلوة **وان تصدقوا خير لكم** ندب الى ان يتصدقوا برؤس اموالهم على من اعسر من غرمائهم او ببعضها كقوله
وان تعفوا اقرب للتقوى وقيل اريد بالتصدق الانظار لقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل
يوم صدقة **ان كنتم تعلمون** انه خير لكم فتعملوا به جعل من لا يعمل به وان علمه كانه لا يعلمه وقرئ تصدقوا
بتخفيف الصاد على حذف التاء **واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون**
ترجعون قرئ على البناء للفاعل والمفعول وقرئ يرجعون بالياء على طريقة الالتفات وقرأ عبد الله تردون وقرأ ابي

تصيرون

تصيرون وعن ابن عباس انها اخر آية نزل بها جبريل وقال ضعها في رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعدها احدى وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل ثلاث ساعات **يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم
بدين الى اجل مسمى فاكتبوه** اذا داين بعضكم بعضا يقال داينت الرجل اذا عاملته بدين معطيا او آخذا كما تقول بايعته
اذا بعته او باعك قال رؤبة داينت اروى والديون تقضى فمطلت بعضا وادت بعضا والمعنى اذا تعاملتم
بدين مؤجل فاكتبوه **فان قلت** هلا قيل اذا داينتم الى اجل مسمى واي حاجة الى ذكر الدين كما قال داينت اروى
ولم يقل بدين **قلت** ذكر ليرجع الضمير اليه في قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر لوجب ان يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم
بذلك الحسن ولانه ابين لتنويع الدين الى مؤجل وحال **فان قلت** ما فائدة قوله مسمى **قلت** ليعلم ان من حق الاجل ان يكون
معلوما كالتوقيت بالسنة والاشهر والايام ولو قال الى الحصاد او الدياس او رجوع الحاج لم يجز لعدم التسمية وانما امر
بكتبة الدين لان ذلك اوثق وآمن من النسيان وابعد من الجحود والامر للندب وعن ابن عباس ان المراد به السلم وقال لما
حرم الله الربوا اباح السلم وعنه اشهد ان الله اباح السلم المضمون الى اجل معلوم في كتابه وانزل فيه اطول آية **وليكتب
بينكم كاتب بالعدل** متعلق بكاتب صفة له اي كاتب مأمون على ما يكتب يكتب بالسوية والاحتياط لا يزيد على ما يجب
ان يكتب ولا ينقص وفيه ان يكون الكاتب فقيها عالما بالشروط حتى يجيء مكتوبه معدلا بالشرع وهو امر للمتداينين
بتخير الكاتب وان لا يستكتبوا الا فقيها دينا **ولا يأب كاتب** ولا يمتنع احد من الكتاب وهو معنى تنكير كاتب **ان يكتب
كما علمه الله** مثل ما علمه الله كتابة الوثائق لا يبدل ولا يغير وقيل هو كقوله واحسن كما احسن الله اليك اي ينفع
الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها وعن الشعبي هي فرض كفاية وكما علمه يجوز ان يتعلق بان يكتب وبقوله **فليكتب** **فان
قلت** اي فرق بين الوجهين **قلت** ان علقته بان يكتب فقد نهى عن الامتناع من الكتابة المقيدة ثم قيل له فليكتب يعني فليكتب
تلك الكتابة لا يعدل عنها للتوكيد وان علقته بقوله فليكتب فقد نهى عن الامتناع من الكتابة على سبيل الاطلاق
ثم امر بها مقيدة **وليملل الذي عليه الحق** ولا يكن المملي الا من وجب عليه الحق لانه هو المشهود على ثباته في ذمته واقراره به والاملال والاملاء
لغتان قد نطق بهما القرآن فهي تملى عليه **وليتق الله ربه ولا يبخس منه** من الحق **شيئا** والبخس النقص وقرئ شيا بطرح الهمزة
وشيا بالتشديد **فان كان الذي عليه الحق سفيها** محجورا عليه لتبذيره وجهله بالتصرف **او ضعيفا** او شيخا مختلا **او لا يستطيع ان
يمل هو** او غير مستطيع للاملاء بنفسه لعي به او خرس **فليملل وليه بالعدل** وليه الذي يلي امره من وصي ان كان سفيها او
صبيا او وكيل ان كان غير مستطيع او ترجمان يمل عنه وهو مصدق وقوله ان يمل هو فيه انه غير
مستطيع بنفسه ولكن بغيره وهو الذي يترجم عنه **واستشهدوا شهيدين** واطلبوا ان يشهد لكم شهيدان على الدين **من رجالكم**
من رجال المؤمنين والحرية والبلوغ شرط مع الاسلام عند عامة العلماء وعن علي رضي الله عنه لا تجوز شهادة العبد في شيء وعن شريح
وابن سيرين وعثمان البتي انها جائزة ويجوز عند ابي حنيفة شهادة الكفار بعضهم على بعض على اختلاف الملل **فان لم يكونا** فان لم
يكن الشهيدان **رجلين فرجل وامرأتان** فليشهد رجل وامرأتان وشهادة النساء مع الرجال مقبولة عند ابي حنيفة فيما عدا الحدود
والقصاص **ممن ترضون من الشهداء** ممن تعرفون عدالتهم **ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى** اي لا تهتدي احداهما للشهادة
بان نسيتها من ضل الطريق اذا لم يهتد له وانتصابه على انه مفعول له اي ارادة ان تضل **فان قلت** كيف يكون ضلالها مرادا
قلت لما كان الضلال سببا للاذكار والاذكار مسببا عنه وهم ينزلون كل واحد من السبب والمسبب منزلة الآخر لالتباسهما
واتصالهما كانت ارادة الضلال المسبب عنه الاذكار ارادة للاذكار فكانه قيل ارادة ان **تذكر احداهما الاخرى** ان ضلت
ونظيره قولهم اعددت الخشبة ان يميل الحائط فادعمه واعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه وقرئ فتذكر بالتخفيف والتشديد
وهما لغتان وقرأ حمزة ان تضل احداهما على الشرط فتذكر بالرفع والتشديد كقوله ومن عاد فينتقم الله منه وقرئ ان تضل
احداهما على البناء للمفعول والتأنيث ومن بدع التفاسير فتذكر فتجعل احداهما الاخرى ذكرا يعني انهما اذا اجتمعتا كانتا
بمنزلة الذكر **ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا** ليقيموا الشهادة وقيل ليستشهدوا وقيل لهم شهداء قبل التحمل تنزيلا لما يشارف
منزلة الكائن وعن قتادة كان الرجل يطوف في الحواء العظيم فيه القوم فلا يتبعه منهم احد فنزلت **ولا تسأموا ان تكتبوه**
كنى بالسأم عن الكسل لان الكسل صفة المنافق ومنه الحديث لا يقول المؤمن كسلت ويجوز ان يراد من كثرت مداينته
فاحتاج ان يكتب لكل دين صغير او كبير كتابا فربما مل كثرة الكتب والضمير في تكتبوه للدين او الحق **صغيرا او كبيرا** على
اي حال كان الحق من صغير او كبير ويجوز ان يكون الضمير للكتاب وان يكتبوه مختصرا او مشبعا ولا يخلوا بكتابته **الى اجله** الى
وقته الذي اتفق الغريمان على تسميته **ذلكم** اشارة الى ان تكتبوه لانه في معنى المصدر اي ذلكم الكتب **اقسط** اعدل من
القسط **واقوم للشهادة** واعون على اقامة الشهادة **وادنى ان لا ترتابوا** واقرب من انتفاء الريب **فان قلت** مم بني افعلا
التفضيل اعني اقسط واقوم **قلت** يجوز على مذهب سيبويه ان يكونا مبنيين من اقسط واقام وان يكون اقسط من قاسط على طريقة
النسب بمعنى ذي قسط واقوم من قويم وقرئ ولا يسأموا ان يكتبوه بالياء فيهما **فان قلت** **الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها**

الاملاء

صبيا

لكم

الله

شيئكم فان قلت ما معنى تجارة حاضرة وسواء كانت المبايعة بدين او بعين فالتجارة حاضرة وما معنى ادارتها بينهم قلت
اريد بالتجارة ما يتجر فيه من الابدال ومعنى ادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد والمعنى الا ان تتبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد فليس
عليكم جناح الا تكتبوها فلا بأس ان لا تكتبوه لانه لا يتوهم فيه ما يتوهم في التداين وقرئ تجارة حاضرة بالرفع على كان التامة
وقيل هي الناقصة على ان الاسم تجارة حاضرة والخبر تديرونها وبالنصب على الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة كقوله
بني اسد هل تعلمون بلاءنا ۝ اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا ۝ اي اذا كان اليوم يوما واشهدوا اذا تبايعتم امر بالاشهاد
على التبايع مطلقا ناجزا او كاليا لانه احوط وابعد مما عسى يقع من الاختلاف ويجوز ان يراد واشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع يعني
التجارة الحاضرة على ان الاشهاد كاف فيه دون الكتابة وعن الحسن ان شاء اشهد وان شاء لم يشهد وعن الضحاك هي عزيمة من الله
ولو على باقة بقل ولا يضار كاتب ولا شهيد يحتمل البناء للفاعل والمفعول والدليل عليه قراءة عمر رضي الله عنه ولا يضارر بالاظهار
والكسر وقراءة ابن عباس ولا يضارر بالاظهار والفتح والمعنى نهي الكاتب والشهيد عن ترك الاجابة الى ما يطلب منهما وعن التحريف
والزيادة والنقصان او النهي عن الضرار بهما بان لا يعجلا عن مهم ويلزا او لا يعطى الكاتب حقه من الجعل او يحمل الشهيد مؤنة مجيئه
من بلد وقرأ الحسن ولا يضار بالكسر وان تفعلوا وان تضاروا فانه فان الضرار فسوق بكم وقيل وان تفعلوا شيئا مما نهيتم
عنه واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم ۝ وقيل وان تفعلوا شيئا مما نهيتم عنه وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا
على سفر مسافرين وقرأ ابن عباس وابي كتابا وقال ابن عباس ارأيت ان وجدت الكاتب ولم تجد الصحيفة والدواة وقرأ ابو العالية
كتبا وقرأ الحسن كتابا جمع كاتب فرهان مقبوضة فالذي يستوثق به رهن وقرئ فرهن بضم الهاء وسكونها وهو جمع رهن
كسقف وسقف وفرهان فان قلت لم شرط السفر في الارتهان ولا يختص به سفر دون حضر وقد رهن رسول الله صلى
الله عليه وعلى آله وسلم درعه في غير سفر قلت ليس الغرض تجويز الارتهان في السفر خاصة ولكن السفر لما كان مظنة لاعواز الكتب
والاشهاد امر على سبيل الارشاد الى حفظ المال من كان على سفر بان يقيم الارتهان مقام التوثق بالكتب والاشهاد وعن مجاهد
والضحاك انهما لم يجوزاه الا في حال السفر اخذا بظاهر الاية واما القبض فلا بد من اعتباره وعند مالك يصح الارتهان بالايجاب والقبول دون القبض
فان امن بعضكم بعضا فان امن بعض الدائنين بعض المديونين لحسن ظنه به وقرأ ابي فان اومن اي امنه الناس ووصفوا المديون
بالامانة والوفاء والاستغناء عن الارتهان من مثله فليؤد الذي اؤتمن امانته حث للمديون على ان يكون عند ظن الدائن وامنه منه
وائتمانه له وان يؤدي اليه الحق الذي ائتمنه عليه فلم يرتهن منه وسمي الدين امانة وهو مضمون لائتمانه عليه بترك الارتهان منه
والقراءة ان تنطق بهمزة ساكنة بعد الذال الذي فتقول الذي تمن او الذيتمن وعن عاصم انه قرأ الذي اتمن بادغام الياء في التاء قياسا
على اتسر في الافتعال من اليسر وليس بصحيح لان الياء منقلبة عن الهمزة فهي في حكم الهمزة واتزر عامي وكذلك ريا في رؤيا ولا تكتموا
الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله بكل شيء عليم ۝ آثم خبر ان وقلبه رفع بآثم على الفاعلية كانه قيل فانه يأثم قلبه ويجوز
ان يرتفع قلبه بالابتداء وآثم خبر مقدم والجملة خبر ان فان قلت هلا اقتصر على قوله فانه آثم وما فائدة ذكر القلب والجملة هي
الآثمة لا القلب وحده قلت كتمان الشهادة هو ان يضمرها ولا يتكلم بها فلما كان آثما مقترفا بالقلب اسند اليه لان اسناد الفعل
الى الجارحة التي يعمل بها ابلغ الا تراك تقول اذا اردت التوكيد هذا مما ابصرته عيني ومما سمعته اذني ومما عرفه قلبي ولان القلب
هو رئيس الاعضاء والمضغة التي ان صلحت صلح الجسد كله وان فسدت فسد الجسد كله فكانه قيل فقد تمكن الاثم في اصل نفسه وملك اشرف
مكان فيه ولئلا يظن ان كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان فقط وليعلم ان القلب اصل متعلقه ومعدن اقترافه واللسان
ترجمان عنه ولان افعال القلوب اعظم من افعال سائر الجوارح وهي لها كالاصول التي تتشعب منها الا ترى ان اصل الحسنات
والسيئات الايمان والكفر وهما من افعال القلوب فاذا جعل كتمان الشهادة من آثام القلوب فقد شهد له بانه من معاظم الذنوب
وعن ابن عباس رضي الله عنه اكبر الكبائر الاشراك بالله لقوله تعالى فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة وقرئ
قلبه بالفتح كقوله سفه نفسه وقرأ ابن ابي عبلة اثم قلبه اي جعله آثما لله ما في السموات وما في الارض وان تبدوا ما
في انفسكم او تخفوه يعني من السوء يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء لمن استوجب المغفرة بالتوبة مما اظهر منه او اضمره ويعذب
من يشاء ممن استوجب العقوبة بالاصرار ولا تدخل فيما يخفيه الانسان الوساوس وحديث النفس لان ذلك مما ليس في وسعه
الخلو منه ولكن ما اعتقده وعزم عليه وعن عبد الله بن عمر انه قرأها فقال لئن اخذنا الله بهذا لنهلكن ثم بكى حتى سمع نشيجه فذكر ذلك لابن ٥
عباس فقال يغفر الله لابي عبد الرحمن لقد وجد المسلمون منها مثل ما وجد فنزل لا يكلف الله وقرئ فيغفر ويعذب مجزومين عطفا
على جواب الشرط ومرفوعين على فهو يغفر ويعذب فان قلت كيف يقرأ الجازم قلت يظهر الراء ويدغم الباء ومدغم الراء في اللام لاحن
مخطئ خطأ فاحشا وراويه عن ابي عمرو مخطئ مرتين لانه يلحن وينسب الى اعلم الناس بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم والسبب في نحو هذه
الروايات قلة ضبط الرواة والسبب في قلة الضبط قلة الدراية ولا يضبط نحو هذا الا اهل النحو وقرأ الاعمش يغفر بغير فاء مجزوما
على البدل من يحاسبكم كقوله ۝ متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا ۝ تجد حطبا جزلا ونارا تأججا ۝ ومعنى هذا البدل التفصيل
لجملة الحساب لان التفصيل اوضح من المفصل فهو جار مجرى بدل البعض من الكل او بدل الاشتمال كقولك ضربت زيدا راسه

بما تعملون

وليتق الله ربه

واحد

واحد منها اعقله وهذا البدل واقع في الافعال وقوعه في الاسماء لحاجة القبيلين الى البيان والله على كل شيء قدير آمن
الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والمؤمنون ان عطف على الرسول
كان الضمير الذي التنوين نائب عنه في كل راجعا الى الرسول والمؤمنين اي كلهم آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله من المذكورين
ووقف عليه وان كان مبتدأ كان الضمير للمؤمنين ووحد ضمير كل في آمن على معنى كل واحد منهم آمن وكان يجوز ان يجمع
كيف كقوله وكل اتوه داخرين وقرأ ابن عباس وكتابه يريد القرآن او الجنس وعنه الكتاب اكثر من الكتب فان قلت كيف يكون الواحد
اكثر من الجمع قلت لانه اذا اريد بالواحد الجنس والجنسية قائمة في وحدان الجنس كلها لم يخرج منه شيء واما الجمع فلا يدخل
تحته الا ما فيه الجنسية من الجموع لا نفرق بين احد من رسله يقولون لا نفرق وعن ابي عمرو يفرق بالياء على ان الفعل لكل وقرأ
عبد الله لا يفرقون واحد في معنى الجمع كقوله فما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين وقالوا سمعنا واجبنا
واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير غفرانك منصوب باضمار فعله يقال غفرانك لا كفرانك اي نستغفرك ولا نكفرك
وقرئ وكتبه ورسله بالسكون لا يكلف الله نفسا الا وسعها الوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه ولا يحرج فيه
اي لا يكلفها الا ما يتسع فيه طوقه ويتيسر عليه دون مدى الطاقة والمجهود وهذا اخبار عن عدله ورحمته كقوله يريد
الله بكم اليسر لانه كان في امكان الانسان وطاقته ان يصلي اكثر من الخمس ويصوم اكثر من الشهر ويحج اكثر من حجة وقرأ ابن ابي
عبلة وسعها بالفتح لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ينفعها ما كسبت من خير ويضرها ما اكتسبت من شر لا يؤاخذ
بذنبها غيرها ولا يثاب غيرها بطاعتها فان قلت لم خص الخير بالكسب والشر بالاكتساب قلت في الاكتساب اعتمال
فلما كان الشر مما تشتهيه النفس وهي منجذبة اليه وامارة به كانت في تحصيله اعمل واجد فجعلت لذلك مكتسبة
فيه ولما لم تكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا اي لا تؤاخذنا
بالنسيان او الخطا ان فرط منا فان قلت النسيان والخطا متجاوز عنهما فما معنى الدعاء بترك المؤاخذة بهما قلت ذكر النسيان
والخطا والمراد بهما ما هما مسببان عنه من التفريط والاغفال الا ترى الى قوله تعالى وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره والشيطان
لا يقدر على فعل النسيان وانما يوسوس فتكون وسوسته سببا للتفريط الذي منه النسيان ولانهم كانوا متقين الله حق تقاته
فما كانت تفرط منهم فرطة الا على وجه النسيان والخطا فكان وصفهم بالدعاء بذلك ايذانا ببراءة ساحتهم عما يؤاخذون به كانه
قيل ان كان النسيان والخطا مما يؤاخذ به فما منهم سبب مؤاخذة الا الخطا والنسيان ويجوز ان يدعو الانسان بما علم انه حاصل له
قبل الدعاء من فضل الله لاستدامته والاعتداد بالنعمة فيه ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا الاصر العبء
الذي يأصر حامله اي يحبسه مكانه لا يستقل به لثقله استعير للتكليف الشاق من نحو قتل الانفس وقطع موضع النجاسة
من الجلد والثوب وغير ذلك وقرئ آصارا على الجمع وفي قراءة ابي ولا تحمل علينا بالتشديد فان قلت اي فرق بين هذه التشديدة
والتي في ولا تحملنا قلت هذه للمبالغة في حمل عليه وتلك لنقل حمله من مفعول واحد الى مفعولين ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة
لنا به من العقوبات النازلة بمن قبلنا طلبوا الاعفاء عن التكليفات الشاقة التي كلفها من قبلهم ثم عما نزل عليهم من العقوبات
على تفريطهم في المحافظة عليها وقيل المراد به الشاق الذي لا يكاد يستطاع من التكاليف وهذا تكرير لقوله ولا تحمل علينا اصرا واعف
عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا سيدنا ونحن عبيدك او ناصرنا او متولي امورنا فانصرنا على القوم الكافرين ۝ فمن حق المولى
ان ينصر عبيده او فان ذلك عادتك او فان ذلك من امورنا التي عليك توليها وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم
لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل كلمة قد فعلت وعنه عليه السلام من قرأ الايتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وعنه
عليه السلام اوتيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتهن نبي قبلي وعنه انزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن
بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة من قرأهما بعد العشاء الآخرة اجزأتاه عن قيام الليل فان قلت هل يجوز ان يقال قرأت سورة
البقرة او قرأت البقرة قلت لا بأس بذلك وقد جاء في حديث النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من آخر سورة البقرة وخواتيم سورة البقرة
وعن علي رضي الله عنه خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه رمى الجمرة ثم قال من هاهنا
والذي لا اله غيره رمى الذي انزلت عليه سورة البقرة ولا فرق بين هذا وبين قولك سورة الزخرف وسورة الممتحنة والمجادلة
واذا قيل قرأت البقرة لم يشكل ان المراد سورة البقرة كقوله وسل القرية وعن بعضهم انه كره ذلك وقال يقال قرأت السورة
التي تذكر فيها البقرة عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها
بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة

سورة آل عمران مدنية وهي مائتا آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم

الم **اللّٰهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ** ميم حقها ان يوقف عليها كما وقف على الف ولام وان يبدا ما بعدها كما تقول واحد اثنان وهي قراءة عاصم واما فتحها فهي حركة الهمزة القيت عليها حين اسقطت للتخفيف **فان قلت** كيف جاز القاء حركتها عليها وهي همزة وصل لا تثبت في درج الكلام فلا تثبت حركتها لان ثبات حركتها كثباتها **قلت** هذا ليس بدرج لان ميم في حكم الوقف والسكون والهمزة في حكم الثابت وانما حذفت تخفيفا والقيت حركتها على الساكن قبلها ليدل عليها ونظيره قولهم واحد اثنان بالقاء حركة الهمزة على الدال **فان قلت** هلا زعمت انها حركة لالتقاء الساكنين لانها لا تثبت في باب الوقف وذلك قولك هذا ابراهيم وداود واسحق ولو كان لالتقاء الساكنين في حال الوقف يوجب التحريك لحرك الميمان في لام ميم لالتقاء الساكنين ولما انتظر ساكن اخر **فان قلت** انما لم يحركوا لالتقاء الساكنين في ميم لانهم ارادوا الوقف وامكنهم النطق بساكنين فاذا جاء ساكن ثالث لم يمكن الا التحريك فحركوا **قلت** الدليل على ان الحركة ليست لملاقاة الساكن انه كان يمكنهم ان يقولوا واحد اثنان بسكون الدال مع طرح الهمزة فيجمعوا بين ساكنين كما قالوا اصيم وامدق فلما حركوا الدال علم ان حركتها هي حركة الهمزة الساقطة لا غير وليست لالتقاء الساكنين **فان قلت** فما وجه قراءة عمرو بن عبيد رحمه الله بالكسر **قلت** هذه القراءة على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وما هي بمقبولة والتوراة والانجيل اسمان اعجميان وتكلف اشتقاقهما من الوري والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل انما يصح بعد كونهما عربيين وقرا الحسن الانجيل بفتح الهمزة وهو دليل على العجمة لان افعيلا بفتح الهمزة عديم في اوزان العرب **فان قلت** لم قيل نزل الكتاب وانزل التوراة والانجيل **قلت** لان القران نزل منجما ونزل الكتابان جملة وقرا الاعمش نزل عليك الكتاب بالتخفيف ورفع الكتاب **هُدًى لِلنَّاسِ** اي لقوم موسى وعيسى ومن قال نحن متعبدون بشرائع من قبلنا فسره على العموم **وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ** **فان قلت** ما المراد بالفرقان **قلت** جنس الكتب السماوية لان كلها فرقان تفرق بين الحق والباطل من كتبه او من هذه الكتب او اراد الكتاب الرابع وهو الزبور كما قال وآتينا داود زبورا وهو ظاهر او كرر ذكر القران بما هو نعت له ومدح من كونه فارقا بين الحق والباطل بعد ما ذكره باسم الجنس تعظيما لشانه واظهارا لفضله **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللّٰهِ** من كتبه المنزلة وغيرها **لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللّٰهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ** له انتقام شديد لا يقدر على مثله منتقم **إِنَّ اللّٰهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ** في العالم فعبر عنه بالسماء والارض فهو مطلع على كفر من كفر وايمان من آمن وهو مجازيهم عليه **هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** كيف يشاء من الصور المختلفة المتفاوتة وقرا طاوس تصوركم اي صوركم لنفسه ولتعبده كقولك اثلت مالا اذا جعلته اثلة اي اصلا وتاثلته اذا اثلته لنفسك وعن سعيد بن جبير هذا حجاج على من زعم ان عيسى كان ربا كانه نبه بكونه مصورا في الرحم على انه عبد كغيره وكان يخفى عليه ما لا يخفى على الله **هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ** محكمات احكمت عبارتها بان حفظت من الاحتمال والاشتباه متشابهات محتملات هن ام الكتاب اي اصل الكتاب تحمل المتشابهات عليها وترد اليها ومثال ذلك لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار الى ربها ناظرة ولا يامر بالفحشاء امرنا مترفيها **فان قلت** فهلا كان القران كله محكما **قلت** لو كان كله محكما لتعلق الناس به لسهولة ماخذه ولاعرضوا عما يحتاجون فيه الى الفحص والتامل من النظر والاستدلال ولو فعلوا ذلك لعطلوا الطريق التي لا يتوصل الى معرفة الله وتوحيده الا به ولما في المتشابه من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه ولما في تقادح العلماء واتعابهم القرائح في استخراج معانيه ورده الى المحكم من الفوائد الجليلة والعلوم الجمة ونيل الدرجات عند الله ولان المؤمن المعتقد ان لا مناقضة في كلام الله ولا اختلاف اذا راى فيه ما يتناقض في ظاهره طلب ما يوفق بينه ويجريه على سنن واحد ففكر وراجع نفسه وغيره ففتح الله عليه وتبين مطابقة المتشابه المحكم ازداد طمانينة الى معتقده وقوة في ايقانه **فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ** هم اهل البدع **فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ** فيتعلقون بالمتشابه الذي يحتمل ما يذهب اليه المبتدع مما لا يطابق المحكم ويحتمل ما يطابقه من قول اهل الحق **ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ** طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم **وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ** وطلب ان يؤولوه التاويل الذي يشتهونه **وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللّٰهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ** اي لا يهتدي الى تاويله الحق الذي يجب ان يحمل عليه الا الله وعباده الذين رسخوا في العلم اي ثبتوا فيه وتمكنوا وعضوا فيه بضرس قاطع ومنهم من يقف على قوله الا الله ويبتدي والراسخون في العلم يقولون ويفسرون المتشابه بما استاثر الله بعلمه وبمعرفة الحكمة فيه من اياته كعدد الزبانية ونحوه والاول هو الوجه ويقولون كلام مستانف موضح لحال الراسخين بمعنى هؤلاء العالمون بالتاويل يقولون آمنا به اي بالمتشابه **كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا** اي كل واحد منه ومن المحكم من عنده او بالكتاب كل من متشابهه ومحكمه من عند الله الحكيم الذي لا يتناقض كلامه ولا يختلف كتابه **وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ** مدح للراسخين بالقاء الذهن وحسن التامل ويجوز ان يكون يقولون حالا من الراسخين وقرا عبد الله ان تاويله الا عند الله وقرا ابي ويقول الراسخون **رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا** لا تبلنا ببلايا تزيغ قلوبنا فيها **بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا** وارشدتنا لدينك او لا تمنعنا الطافك بعد اذ لطفت بنا **وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً** من عندك نعمة بالتوفيق والمعونة وقرى لا يزغ قلوبنا بالياء والنار ورفع القلوب **إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ** اي تجمعهم فيه لحساب يوم

او لجزاء يوم كقوله يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن وقرى جامع الناس على الاصل **إِنَّ اللّٰهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ** معناه ان الالهية تنافي خلف الميعاد كقولك ان الجواد لا يخيب سائله والميعاد الموعد **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللّٰهِ شَيْئًا وَأُولٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ** وقرا علي رضي الله عنه لن يغني بسكون الياء وهذا من الجد في استثقال الحركة على حروف اللين في قولهم من الله مثله في قوله ان الظن لا يغني من الحق شيئا والمعنى لن تغني عنهم من رحمة الله او من طاعة الله شيئا اي بدل رحمته وطاعته وبدل الحق ومنه ولا ينفع ذا الجد منك الجد اي لا ينفعه جده وحظه من الدنيا بدلك اي بدل طاعتك وما عندك وفي معناه قوله تعالى وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى وقرى وقود بالضم بمعنى اهل وقودها والمراد بالذين كفروا من كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس هم قريظة والنضير **كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللّٰهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللّٰهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ** الداب مصدر داب في العمل اذا كدح فيه فوضع موضع ما عليه الانسان من شانه وحاله والكاف مرفوع المحل تقديره داب هؤلاء الكفرة كداب من قبلهم من ال فرعون وغيرهم ويجوز ان ينتصب محل الكاف بلن تغني او بالوقود اي لن تغني عنهم مثل ما لم تغن عن اولئك او توقد بهم النار كما توقد بهم تقول انك لتظلم الناس كداب ابيك تريد كظلم ابيك ومثل ما كان يظلم وان فلانا لمحارف كداب ابيه كاخور وابوه كذبوا باياتنا تفسير لدابهم مما فعلوا وفعل بهم على انه جواب سؤال مقدر عن حالهم **قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ** هم مشركو مكة ستغلبون يعني يوم بدر وقيل هم اليهود لما غلب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر قالوا هذا والله النبي الامي الذي بشرنا به موسى وهموا باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا حتى ننظر الى وقعة اخرى فلما كان يوم احد شكوا وقيل جمعهم رسول الله بعد وقعة بدر في سوق بني قينقاع فقال يا معشر اليهود احذروا مثل ما نزل بقريش واسلموا قبل ان ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم اني نبي مرسل فقالوا لا يغرنك انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت وقرى سيغلبون ويحشرون بالياء كقوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم على قل لهم قولي لهم ستغلبون **فان قلت** اي فرق بين القراءتين من حيث المعنى **قلت** معنى القراءة بالتاء الامر بان يخبرهم بما سيجري عليهم من الغلبة والحشر الى جهنم فهو اخبار بمعنى ستغلبون وتحشرون وهو الكائن من نفس المتوعد به والذي يدل عليه اللفظ ومعنى القراءة بالياء الامر بان يحكي لهم ما اخبره به من وعيدهم بلفظه كانه قال اد اليهم هذا القول الذي هو قولي لك سيغلبون ويحشرون **قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ** الخطاب لمشركي قريش **فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا** يوم بدر **فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ** يرى المشركون المسلمين مثلي عدد المشركين قريبا من الفين او مثلي عدد المسلمين ستمائة ونيفا وعشرين اراهم الله اياهم مع قلتهم اضعافهم ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم وكان ذلك مددا لهم من الله كما امدهم بالملائكة والدليل عليه قراءة نافع ترونهم بالتاء اي ترون يا مشركي قريش المسلمين مثلي فئتكم الكافرة او مثلي انفسهم **فان قلت** فهذا مناقض لقوله في سورة الانفال ويقللكم في اعينهم **قلت** قللوا اولا في اعينهم حتى اجترؤوا عليهم فلما لاقوهم كثروا في اعينهم حتى غلبوا فكان التقليل والتكثير في حالين مختلفين ونظيره من المحمول على اختلاف الاحوال قوله فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان وقوله وقفوهم انهم مسؤولون وتقليلهم تارة وتكثيرهم اخرى في اعينهم ابلغ في القدرة واظهار الاية وقيل يرى المسلمون المشركين مثلي المسلمين على ما قرر عليه امرهم من مقاومة الواحد الاثنين في قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ولكن وصف ضعفهم بالقلة لانه قليل بالاضافة الى عشرة الاضعاف وكان الكافرون ثلاثة امثالهم وقراءة نافع لا تساعد عليه وقرا ابن ابي عبلة يرونهم على البناء للمفعول بالياء والتاء اي يريهم الله ذلك بقدرته وقرى فئة تقاتل واخرى كافرة بالجر على البدل من فئتين وبالنصب على الاختصاص او على الحال من الضمير في التقتا **رَأْيَ الْعَيْنِ** يعني رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها معاينة كسائر المعاينات **وَاللّٰهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ** كما ايد اهل بدر بتكثيرهم في عين العدو **إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ زُيِّنَ لِلنَّاسِ** المزين هو الله تعالى للابتلاء كقوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ويدل عليه قراءة مجاهد زين للناس على تسمية الفاعل وعن الحسن الشيطان والله زينها لهم لانا لا نعلم احدا اذم لها من خالقها **حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّٰهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ** جعل الاعيان التي ذكرها شهوات مبالغة في كونها مشتهاة محروصا على الاستمتاع بها والوجه ان يقصد تخسيسها فيسميها شهوات لان الشهوة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية وقال زين للناس حب الشهوات ثم جاء بالتفسير ليقرر اولا في النفوس ان المزين لهم حبه ما هو الا شهوات لا غير ثم يفسره بهذه الاجناس فيكون اقوى لتخسيسها وادل على ذم من يستعظمها ويتهالك عليها ويرجح طلبها على طلب ما عند الله والقنطار المال الكثير قيل ملء مسك ثور وعن سعيد بن جبير مائة الف دينار ولقد جاء الاسلام يوم جاء وبمكة مائة رجل قد قنطروا والقنطرة مبنية من لفظ القنطار للتوكيد كقولهم الف مؤلفة وبدرة مبدرة والمسومة المعلمة من السومة وهي العلامة او المطهمة او المرعية من اسام الدابة وسومها والانعام الازواج الثمانية ذلك المذكور متاع الحياة الدنيا **قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ**

من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله للذين اتقوا عند ربهم جنات كلام مستانف فيه دلالة على ما هو من ذلكم كما تقول هل ادلك على رجل عالم عندي رجل من صفته كيت وكيت ويجوز ان يتعلق اللام بخير واختص المتقين لانهم هم المنتفعون به ويرتفع جنات على هو جنات وينصره قراءة من قرا جنات بالجر على البدل من خير والله بصير بالعباد يثيب ويعاقب على الاستحقاق او بصير بالذين اتقوا وباحوالهم فلذلك اعد لهم الجنات الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار الذين يقولون نصب على المدح او رفع ويجوز الجر صفة للمتقين او للعباد والواو المتوسطة بين الصفات للدلالة على كمالهم في كل واحدة منها وقد مر الكلام في ذلك وخص الاسحار لانهم كانوا يقدمون قيام الليل فيحسن طلب الحاجة فيه ان الله يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وعن الحسن كانوا يصلون في اول الليل حتى اذا كان السحر اخذوا في الدعاء والاستغفار هذا نهارهم وهذا ليلهم شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام شبهت دلالته على وحدانيته بافعاله الخاصة التي لا يقدر عليها غيره وبما اوحى من آياته الناطقة بالتوحيد كسورة الاخلاص وآية الكرسي وغيرهما بشهادة الشاهد في البيان والكشف وكذلك اقرار الملائكة واولي العلم بذلك واحتجاجهم عليه قائما بالقسط مقيما للعدل فيما يقسم من الارزاق والآجال ويثيب ويعاقب وما يامر به عباده من انصاف بعضهم لبعض والعمل على السوية فيما بينهم وانتصابه على انه حال مؤكدة منه كقوله وهو الحق مصدقا فان قلت لم جاز افراده بنصب الحال دون المعطوف عليه ولو قلت جاءني زيد وعمرو راكبا لم يجز قلت انما جاز هذا لعدم اللبس كما جاز في قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة ان انتصب نافلة حالا عن يعقوب ولو قلت جاءني زيد وهند راكبا جاز لتميزه بالذكورة او على المدح فان قلت اليس من حق المنتصب على المدح ان يكون معرفة كقولك الحمد لله الحميد انا معشر الانبياء لا نورث انا بني نهشل لا ندعي لاب عنه ولا هو بالابناء يشرينا قلت قد جاء نكرة كما جاء معرفة وانشد سيبويه فيما جاء منه نكرة قول الهذلي ويأوي الى نسوة عطل وشعثا مراضيع مثل السعالى فان قلت هل يجوز ان يكون صفة للمنفي كانه قيل لا اله قائما بالقسط الا هو قلت لا يبعد فقد رأيناهم يتسعون في الفصل بين الصفة والموصوف فان قلت قد جعلته حالا من فاعل شهد فهل يصح ان ينتصب حالا عن هو في لا اله الا هو قلت نعم لانها حال مؤكدة والحال المؤكدة لا تستدعي ان يكون في الجملة التي هي زيادة في فائدتها عامل فيها كقولك انا عبد الله شجاعا وكذلك لو قلت لا رجل الا عبد الله شجاعا وهو اوجه من انتصابه عن فاعل شهد وكذلك انتصابه على المدح فان قلت هل دخل قيامه بالقسط في حكم شهادة الله والملائكة واولي العلم كما دخلت الوحدانية قلت نعم اذا جعلته حالا من هو او نصبا على المدح منه او صفة للمنفي كانه قيل شهد الله والملائكة واولوا العلم انه لا اله الا هو وانه قائم بالقسط وقرأ عبد الله القائم بالقسط على انه بدل من هو او خبر مبتدأ محذوف وقرأ ابو حنيفة قيما بالقسط العزيز الحكيم صفتان مقررتان لما وصف به ذاته من الوحدانية والعدل يعني انه العزيز الذي لا يغالبه اله الحكيم الذي لا يعدل عن العدل في افعاله فان قلت ما المراد باولي العلم الذين عظمهم هذا التعظيم حيث جمعهم معه ومع الملائكة في الشهادة على وحدانيته وعدله قلت هم الذين يثبتون وحدانيته وعدله بالحجج الساطعة والبراهين القاطعة وهم علماء العدل والتوحيد وقرئ انه بالفتح وان الدين بالكسر على ان الفعل واقع على انه بمعنى شهد الله على انه او بانه وقوله ان الدين عند الله الاسلام جملة مستانفة مؤكدة للجملة الاولى فان قلت ما فائدة هذا التوكيد قلت فائدته ان قوله لا اله الا هو توحيد وقوله قائما بالقسط تعديل فاذا اردفه قوله ان الدين عند الله الاسلام فقد آذن ان الاسلام هو العدل والتوحيد وهو الدين عند الله وما عداه فليس عنده في شيء من الدين وفيه ان من ذهب الى تشبيه او ما يؤدي اليه كاجازة الرؤية او ذهب الى الجبر الذي هو محض الجور لم يكن على دين الله الذي هو الاسلام وهذا بين جلي كما ترى وقرئا مفتوحتين على ان الثاني بدل من الاول كانه قيل شهد الله ان الدين عند الله الاسلام والبدل هو المبدل منه في المعنى فكان بيانا صريحا لان دين الله هو التوحيد والعدل وقرئ الاول بالكسر والثاني بالفتح على ان الفعل واقع على ان وما بينهما اعتراض مؤكد وهذا ايضا شاهد على ان دين الاسلام هو العدل والتوحيد فترى القراءات كلها متعاضدة على ذلك وقرأ عبد الله ان لا اله الا هو وقرأ ابي ان الدين عند الله للاسلام وهي مقوية لقراءة من فتح الاولى وكسر الثانية وقرئ شهداء لله بالنصب على انه حال من المذكورين قبله وبالرفع على هم شهداء لله فان قلت علام عطف على هذه القراءة والملائكة واولوا العلم قلت على الضمير في شهداء وجاز لوقوع الفاصل بينهما فان قلت لم كرر قوله لا اله الا هو قلت ذكره اولا للدلالة على اختصاصه بالوحدانية وانه لا اله الا تلك الذات المتميزة ثم ذكره ثانيا بعد ما قرنه باثبات الوحدانية اثبات العدل للدلالة على اختصاصه بالامرين كانه قال لا اله الا هذا الموصوف بالصفتين ولذلك قرن به قوله العزيز الحكيم لتضمنهما معنى الوحدانية والعدل وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب الذين

اوتوا

اوتوا الكتاب اهل الكتاب من اليهود والنصارى واختلافهم انهم تركوا الاسلام وهو التوحيد والعدل من بعد ما جاءهم العلم انه الحق الذي لا محيد عنه فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالوا كنا احق بان تكون النبوة فينا من قريش لانهم اميون وكنا اهل كتاب وهذا نحن ابناء الله بغيا بينهم اي ما كان ذلك الاختلاف وتظاهر هؤلاء بمذهب وهؤلاء بمذهب الا حسدا بينهم وطلبا منهم للرياسة وحظوظ الدنيا واستتباع كل فريق ناسا يطئون اعقابهم لا شبهة في الاسلام وقيل هو اختلافهم في نبوة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم حيث آمن به بعض وكفر بعض وقيل هو اختلافهم في الايمان بالانبياء فمنهم من آمن بموسى ومنهم من آمن بعيسى وقيل هم اليهود واختلافهم ان موسى عليه السلام حين احتضر استودع التوراة سبعين حبرا من بني اسرائيل وجعلهم امناء عليها واستخلف يوشع فلما مضى قرن بعد قرن اختلف ابناء السبعين من بعد ما جاءهم علم التوراة بغيا بينهم وتحاسدا على حظوظ الدنيا والرياسة وقيل هم النصارى واختلافهم في امر عيسى بعد ما جاءهم العلم انه عبد الله ورسوله فان حاجوك فان جادلوك في الدين فقل اسلمت وجهي لله اي اخلصت نفسي وجملتي لله وحده لم اجعل لغيره شركا بان اعبده وادعو الها معه يعني ان ديني دين التوحيد وهو الدين القويم الذي ثبتت عندكم صحته كما ثبتت عندي وما جئت بشيء بديع حتى تجادلوني فيه ونحوه قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا فهو دفع للمحاجة بان ما هو عليه ومن معه من المؤمنين هو الحق اليقين الذي لا لبس فيه فما معنى المحاجة فيه ومن اتبعن عطف على التاء في اسلمت وحسن للفاصل ويجوز ان تكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولا معه وقل للذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى والاميين والذين لا كتاب لهم من مشركي العرب ءاسلمتم يعني انه قد اتاكم من البينات ما يوجب الاسلام ويقتضي حصوله لا محالة فهل اسلمتم ام انتم بعد على كفركم وهذا كقولك لمن لخصت له المسألة ولم تبق من طرق البيان والكشف طريقا الا سلكته فهل فهمتها لا ام لك ومنه قوله عز وعلا فهل انتم منتهون بعد ما ذكر الصوارف عن الخمر والميسر وفي هذا الاستفهام استقصار وتعيير بالمعاندة وقلة الانصاف لان المنصف اذا تجلت له الحجة لم يتوقف اذعانه للحق وللمعاند بعد تجلي الحجة ما يضرب اسدادا بينه وبين الاذعان وكذلك في هل فهمتها توبيخ بالبلادة وكلة القريحة وفي فهل انتم منتهون بالتقاعد عن الانتهاء والحرص الشديد على تعاطي المنهي عنه فان اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم حيث خرجوا من الضلال الى الهدى ومن الظلمة الى النور وان تولوا لم يضروك فانك رسول منبه ما عليك الا ان تبلغ الرسالة وتنبه على طريق الهدى [illegible] ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين قرأ الحسن يقتلون النبيين وقرأ حمزة ويقاتلون الذين يأمرون وقرأ عبد الله قاتلوا وقرأ أبي يقتلون النبيين والذين يأمرون وهم اهل الكتاب قتل اولوهم الانبياء وقتلوا اتباعهم وهم راضون بما فعلوا وكانوا حول قتل رسول الله والمؤمنين لولا عصمة الله وعن ابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قلت يا رسول الله اي الناس اشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا او رجلا امر بمعروف ونهى عن منكر ثم قرأها ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فامروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار في الدنيا والآخرة لان لهم اللعنة والخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة فان قلت لم دخلت الفاء في خبر ان قلت لتضمن اسمها معنى الجزاء كانه قيل الذين يكفرون فبشرهم بمعنى من يكفر فبشرهم وان لا يغير معنى الابتداء فكان دخولها كلا دخول ولو كان مكانها ليت او لعل لامتنع ادخال الفاء لتغير معنى الابتداء الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يريد احبار اليهود وانهم حصلوا نصيبا وافرا من التوراة ومن اما للتبعيض واما للبيان او حصلوا من جنس الكتب المنزلة او من اللوح التوراة وهي نصيب عظيم يدعون الى كتاب الله وهو التوراة ليحكم بينهم وذلك ان رسول الله دخل مدراسهم فدعاهم فقال له نعيم بن عمرو والحرث بن زيد على اي دين انت قال على ملة ابرهيم قالا ان ابرهيم كان يهوديا قال لهم ان بيننا وبينكم التوراة فهلموا اليها فابيا وقيل نزلت في الرجم وقد اختلفوا فيه وعن الحسن وقتادة كتاب الله القرآن لانهم قد علموا انه كتاب الله لم يشكوا فيه ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم بعد علمهم بان الرجوع الى كتاب الله واجب وهم معرضون وهم قوم لا يزال الاعراض ديدنهم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول والوجه ان يراد ما وقع من الاختلاف والتعادي بين من اسلم من احبارهم وبين من لم يسلم وانهم دعوا الى كتاب الله الذي لا اختلاف بينهم في صحته وهو التوراة ليحكم بين المحق والمبطل منهم ثم يتولى فريق منهم وهم الذين لم يسلموا وذلك ان قوله ليحكم بينهم يقتضي ان يكون اختلافا واقعا فيما بينهم لا فيما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ذلك التولي والاعراض بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات بسبب تسهيلهم على انفسهم امر العقاب وطمعهم في الخروج من النار بعد ايام قلائل كما طمعت المجبرة والحشوية وغيرهم وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم كما غرت اولئك شفاعة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في كبائرهم فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت فكيف

فكيف يصنعون وكيف يكون حالهم وهو استعظام لما اعد لهم وتهويل لهم وانهم يقعون فيما لا حيلة في دفعه والمخلص منه وانما حدثوا به
انفسهم وسهلوه عليها تعلل بباطل وتطمع بما لا يكون وروي ان اول راية ترفع لاهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم
الله على رؤوس الاشهاد ثم يامر بهم الى النار **وهم لا يظلمون** يرجع الى كل نفس على المعنى لانه في معنى كل الناس كما يقول ثلاثة انفس
تريد ثلاثة اناسي **قل اللهم** الميم في اللهم عوض من يا ولذلك لا يجتمعان وهذا بعض خصائص هذا الاسم كما اختص بالتاء في القسم
وبدخول حرف النداء عليه وفيه لام التعريف وبقطع همزته في يا الله وبغير ذلك **مالك الملك** اي تملك جنس الملك فتتصرف فيه تصرف الملاك
فيما يملكون **تؤتي الملك من تشاء** تعطي من تشاء النصيب الذي قسمت له واقتضته حكمتك من الملك **وتنزع الملك ممن تشاء وتعز**
من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير وتنزع ممن تشاء النصيب الذي اعطيته منه فالملك الاول عام شامل
والملكان الاخران خاصان بعضان من الكل روي ان رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم حين افتتح مكة ووعد امته ملك فارس والروم
قال المنافقون واليهود هيهات هيهات من اين لمحمد ملك فارس والروم هم اعز وامنع من ذلك وروي ان رسول الله لما خط الخندق
عام الاحزاب وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون خرج من بطن الخندق صخرة كالتل العظيم لم تعمل فيها المعاول
فوجهوا سلمان الى رسول الله يخبره فاخذ المعول من سلمان فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكان مصباحا
في جوف بيت مظلم وكبر وكبر المسلمون وقال اضاءت لي منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت
لي قصور صنعا واخبرني جبريل ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم
انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا وان
ونزلت **فان قلت** كيف قال بيدك الخير فذكر الخير دون الشر **قلت** لان الكلام انما وقع في الخير الذي يسوقه الى المؤمنين
وهو الذي انكرته الكفرة فقال بيدك الخير تؤتيه اولياءك على رغم من اعدائك ولان كل افعال الله من نافع وضار صادر عن
الحكمة والمصلحة فهو خير كله كايتاء الملك ونزعه **تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج**
الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب ثم ذكر قدرته الباهرة بذكر حال الليل والنهار في المعاقبة بينهما وحال الحي والميت
في اخراج احدهما من الاخر وعطف عليه رزقه بغير حساب دلالة على ان من قدر على تلك الافعال العظيمة المحيرة للافهام ثم
قدر ان يرزق بغير حساب من يشاء من عباده فهو قادر على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم وفي بعض الكتب
انا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد اطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وان العباد عصوني جعلتهم عليهم
عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم وهو معنى قوله عليه الصلاة والسلام كما تكونوا يولى عليكم
لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء نهوا ان يوالوا الكافرين لقرابة بينهم او صداقة قبل الاسلام او غير ذلك من الاسباب التي
يتصادق بها ويتعاشر وقد كرر ذلك في القرآن ومن يتولهم منكم فانه منهم لا تجد قوما يؤمنون
بالله واليوم الاخر الاية والمحبة في الله والبغض في الله باب عظيم واصل من اصول الايمان **من دون المؤمنين** يعني ان لكم في موالاة
المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم عليهم **ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء** ومن يوال الكفرة فليس
من ولاية الله في شيء يقع عليه اسم الولاية يعني انه منسلخ من ولاية الله راسا وهذا امر معقول فان موالاة الولي وموالاة عدوه
متنافيان قال ○ تود عدوي ثم تزعم انني ○ صديقك ليس النوك عنك بعازب ○ **الا ان تتقوا منهم تقاة** الا
ان تخافوا من جهتهم امرا يجب اتقاؤه وقرئ تقية قيل للمتقي تقاة وتقية كقولهم ضرب الامير لمضروبه رخص لهم في موالاتهم
اذا خافوهم والمراد بتلك الموالاة مخالقة ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من قشر
العصا كقول عيسى صلوات الله عليه كن وسطا وامش جانبا **ويحذركم الله نفسه والى الله المصير** فلا تتعرضوا لسخطه
بموالاة اعدائه وهذا وعيد شديد ويجوز ان يضمن تتقوا معنى تحذروا وتخافوا فيعدى بمن وينتصب تقاة او تقية على المصدر كقوله
اتقوا الله حق تقاته **قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه** من ولاية الكفار او غيرها مما لا يرضي الله **يعلمه الله** ولم يخف عليه
وهو الذي يعلم ما في السموات وما في الارض لا يخفى عليه منه شيء قط فلا يخفى عليه سركم وعلنكم **والله على كل شيء قدير**
فهو قادر على عقوبتكم وهذا بيان لقوله ويحذركم الله نفسه لان نفسه وهي ذاته المتميزة من سائر الذوات متصفة بعلم
ذاتي لا يختص بمعلوم دون معلوم فهي متعلقة بالمعلومات كلها وبقدرة ذاتية لا تختص بمقدور دون مقدور فهي قادرة على
المقدورات كلها فكان حقها ان تحذر وتتقى فلا يجسر احد على قبيح ولا يقصر عن واجب فان ذلك مطلع عليه لا محالة فلاحق به
العقاب ولو علم بعض عبيد السلطان انه اراد الاطلاع على احواله فوكل همه بما يورد ويصدر ونصب عليه عيونا وبث من يتجسس
عن بواطن اموره لاخذ حذره وتيقظ في امره واتقى كل ما يتوقع فيه الاسترابة به فما بال من علم ان العالم الذات الذي يعلم السر
واخفى مهيمن عليه وهو امن اللهم انا نعوذ بك من اغترارنا بسترك **يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء**
تود لو ان بينها وبينه يوم تجد منصوب بتود والضمير في بينه لليوم اي يوم القيامة حين تجد كل نفس خيرها وشرها
حاضرين تتمنى لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله **امدا بعيدا** ويجوز ان ينتصب يوم تجد بمضمر نحو اذكر ويقع على ما عملت وحده

ويرتفع وما عملت على الابتداء وتود خبره اي والذي عملته من سوء تود هي لو تباعد ما بينها وبينه ولا يصح ان تكون ما شرطية
لارتفاع تود **فان قلت** فهل يصح ان تكون شرطية على قراءة عبد الله ودت **قلت** لا كلام في صحته ولكن الحمل على الابتداء والخبر
اوقع في المعنى لانه حكاية الكائن في ذلك اليوم واثبت لموافقة قراءة العامة ويجوز ان يعطف وما عملت على ما عملت ويكون تود
حالا اي يوم تجد عملها محضرا وادة تباعد ما بينها وبين اليوم او عمل السوء محضرا كقوله ووجدوا ما عملوا حاضرا يعني مكتوبا
في صحفهم يقرؤونه ونحوه فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه والامد المسافة كقوله يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين
وكرر قوله **ويحذركم الله نفسه** ليكون على بال منهم لا يغفلون عنه **والله رؤوف بالعباد** يعني ان تحذيره نفسه
وتعريفه حالها من العلم والقدرة من الرافة العظيمة بالعباد لانهم اذا عرفوه حق المعرفة وحذروه دعاهم ذلك الى طلب رضاه
واجتناب سخطه وعن الحسن من رافته بهم ان حذرهم نفسه ويجوز ان يريد انه مع كونه محذورا لعلمه وقدرته مرجو لسعة
رحمته كقوله ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم **قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم**
ذنوبكم والله غفور رحيم ○ محبة العباد لله مجاز عن ارادة نفوسهم اختصاصه بالعبادة دون غيره ورغبتهم فيها ومحبة
الله عباده ان يرضى عنهم ويحمد فعلهم والمعنى ان كنتم مريدين لعبادة الله على الحقيقة فاتبعوني حتى يصح ما تدعونه من
ارادة عبادته يرضى عنكم ويغفر لكم وعن الحسن زعم اقوام على عهد رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم انهم يحبون الله فاراد ان
يجعل لقولهم تصديقا من عمل فمن ادعى محبته وخالف سنة رسوله فهو كذاب وكتاب الله يكذبه واذا رايت من يذكر محبة الله
ويصفق بيديه مع ذكرها ويطرب وينعر ويصعق فلا تشك في انه لا يعرف ما الله ولا يدري ما محبة الله وما تصفيقه وطربه
ونعرته وصعقته الا لانه تصور في نفسه الخبيثة صورة مستملحة معشقة فسماها الله بجهله ودعارته ثم صفق
وطرب ونعر وصعق على تصورها وربما رايت المني قد ملأ ازار ذلك المحب عند صعقته وحمقى العامة حواليه قد ملأوا اردانهم
بالدموع لما رققهم من حاله وقرئ تحبون ويحببكم من حبه يحبه قال ○ احب ابا ثروان من حب تمره ○
واعلم ان الرفق بالجار ارفق ○ ووالله لولا تمره ما حببته ○ ولا كان ادنى من عبيد ومشرق ○ **قل اطيعوا الله**
والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين ○ فان تولوا يحتمل ان يكون ماضيا وان يكون مضارعا على معنى فان تتولوا ويدخل
في جملة ما يقول الرسول لهم **ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين** ○ **ذرية** آل ابراهيم اسمعيل
واسحق واولادهما وآل عمران موسى وهرون عليهما السلام ابنا عمران بن يصهر وقيل عيسى ومريم بنت عمران بن ماثان عليهما السلام
وبين العمرانين الف وثمانمائة سنة ذرية بدل من آل ابراهيم وآل عمران **بعضها من بعض** يعني ان الالين ذرية واحدة متسلسلة
بعضها متشعب من بعض موسى وهرون من عمران وعمران من يصهر ويصهر من قاهث وقاهث من لاوي ولاوي من يعقوب ويعقوب
من اسحق وكذلك عيسى بن مريم بنت عمران بن ماثان بن سليمن بن داود بن ايشى بن يهوذا بن يعقوب بن اسحق وقد دخل في آل ابراهيم
رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم وقيل بعضها من بعض في الدين كقوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض **والله سميع عليم**
يعلم من يصلح للاصطفاء او يعلم ان بعضهم من بعض في الدين او سميع عليم لقول امرأة عمران ونيتها واذ منصوب به وقيل باضمار اذكر
وامرأة عمران هي امرأة عمران بن ماثان ام مريم البتول جدة عيسى صلوات الله عليه وهي حنة بنت فاقوذ وقوله اذ قالت امرأة
عمران على اثر قوله وآل عمران مما يرجح ان عمران هو عمران بن ماثان جد عيسى والقول الاخر يرجحه ان موسى يقرن بابراهيم كثيرا
في الذكر **فان قلت** كانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من موسى وهرون ولعمران بن ماثان مريم البتول فما
ادراك ان عمران هذا هو ابو مريم البتول دون عمران ابي مريم التي هي اخت موسى وهرون **قلت** كفى بكفالة زكريا دليلا على انه
عمران ابو البتول لان زكريا ابن اذن وعمران بن ماثان كانا في عصر واحد وقد تزوج زكريا بنته ايشاع اخت مريم فكان
يحيى وعيسى ابني خالة روي انها كانت عاقرا لم تلد الى ان عجزت فبينا هي في ظل شجرة بصرت بطائر يطعم فرخا له فتحركت
نفسها للولد وتمنته فقالت اللهم ان لك علي نذرا شكرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه
فحملت بمريم وهلك عمران وهي حامل **فلما وضعتها** محررا معتقا لخدمة بيت المقدس لا يد لي عليه ولا استخدمه ولا اشغله بشيء وكان
هذا النوع من النذر مشروعا عندهم وروي انهم كانوا ينذرون هذا النذر فاذا بلغ الغلام خير بين ان يفعل وان لا يفعل وعن
الشعبي محررا مخلصا للعبادة وما كان التحرير الا للغلمان وانما بنت الامر على التقدير او طلبت ان ترزق ذكرا **فلما وضعتها**
قالت رب اني وضعتها انثى الضمير لما في بطني وانما انث على المعنى لان ما في بطنها كان انثى في علم الله او على تاويل الحبلة او النفس او النسمة
فان قلت كيف جاز انتصاب انثى حالا من الضمير في وضعتها وهو كقولك وضعت الانثى انثى **قلت** الاصل وضعته انثى وانما
انث لتانث الحال لان الحال وذا الحال لشيء واحد كما انث الاسم في من كانت امك لتانث الخبر ونظيره قوله فان كانتا اثنتين واما على
تاويل الحبلة او النسمة فهو ظاهر كانه قيل اني وضعت الحبلة او النسمة انثى **فان قلت** فلم قالت اني وضعتها انثى
وما ارادت الى هذا القول **قلت** قالته تحسرا على ما رات من خيبة رجائها وعكس تقديرها فتحزنت الى ربها لانها كانت ترجو
وتقدر ان تلد ذكرا ولذلك نذرته محررا للسدانة ولتكلمها بذلك على وجه التحسر والتحزن قال الله تعالى **والله اعلم بما وضعت**

تعظيما للموضوع وتجهيلا لها بقدر ما وهب لها منه ومعناه والله اعلم بالشيء الذي وضعت وما علق به من عظائم الامور وان يجعله
وولده اية للعالمين وهي جاهلة بذلك لا تعلم منه شيئا فلذلك تحسرت وفي قراءة ابن عباس والله اعلم بما وضعت على خطاب الله لها اي انك
لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما علم الله من عظم شانه وعلو قدره وقرئ وضعت بمعنى ولعل لله فيه سرا وحكمة ولعل هذه الانثى
خير من الذكر تسلية لنفسها فان قلت فما معنى قوله وليس الذكر كالانثى قلت هو بيان لما في قوله والله اعلم بما وضعت
من التعظيم للموضوع والرفع منه ومعناه وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت لها واللام فيهما للعهد فان
قلت علام عطف قوله واني سميتها مريم قلت هو عطف على اني وضعتها انثى وما بينهما جملتان معترضتان كقوله وانه
لقسم لو تعلمون عظيم فان قلت فلم ذكرت تسميتها مريم لربها قلت لان مريم في لغتهم بمعنى العابدة فارادت بذلك
التقرب والطلب اليه ان يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها وان يصدق فيها ظنها بها الا ترى كيف اتبعته طلب الاعاذة لها ولولدها
من الشيطان واغوائه وما يروى من الحديث ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان اياه
الا مريم وابنها فالله اعلم بصحته فان صح فمعناه ان كل مولود يطمع الشيطان في اغوائه الا مريم وابنها فانهما كانا معصومين
وكذلك كل من كان في صفتهما كقوله لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين واستهلاله صارخا من مسه تخييل
وتصوير لطمعه فيه كانه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول هذا ممن اغويه ونحوه من التخييل قول ابن الرومي
لما تؤذن الدنيا به من صروفها • يكون بكاء الطفل ساعة يولد • واما حقيقة المس والنخس كما يتوهم اهل الحشو فكلا ولو سلط
ابليس على الناس ينخسهم لامتلات الدنيا صراخا وعياطا مما يبلونا به من نخسه فتقبلها ربها فرضي بها في النذر مكان الذكر
بقبول حسن فيه وجهان احدهما ان يكون القبول اسم ما يقبل به الشيء كالسعوط واللدود لما يسعط به الشيء ويلد وهو اختصاصه
لها باقامتها مقام الذكر في النذر ولم يقبل قبلها انثى في ذلك او بان تسلمها من امها عقيب الولادة قبل ان تنشا وتصلح للسدانة روي ان
حنة حين ولدت مريم لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هرون وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة
فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم وكانت بنو ماثان رؤوس بني
اسرائيل واحبارهم وملوكهم فقال لهم زكريا انا احق بها عندي خالتها فقالوا لا حتى نقترع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة
وعشرين الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فارتفع قلم زكريا فوق الماء ورسبت اقلامهم فتكفلها والثاني ان يكون مصدرا
على تقدير حذف المضاف بمعنى فتقبلها بذي قبول حسن اي بامر ذي قبول حسن وهو الاختصاص ويجوز ان يكون معنى فتقبلها فاستقبلها
كقولك تعجله بمعنى استعجله وتقضاه بمعنى استقضاه وهو كثير في كلامهم من استقبل الامر اذا اخذه باوله وعنفوانه
قال القطامي • وخير الامر ما استقبلت منه • وليس بان تتبعه اتباعا • ومنه المثل خذ الامر بقوابله اي فاخذها في اول
امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا مجاز عن التربية الحسنة العائدة عليها بما يصلحها في جميع احوالها وقرئ
وكفلها زكريا وقرئ وكفلها زكريا بوزن وعملها وكفّلها زكريا بتشديد الفاء ونصب زكريا والفعل لله بمعنى
وضمها اليه وجعله كافلا لها وضامنا لمصالحها ويؤيدها قراءة ابي واكفلها من قوله فقال اكفلنيها وقرا مجاهد فتقبلها ربها
وانبتها وكفلها على لفظ الامر في الافعال الثلاثة ونصب ربها تدعو بذلك اي فاقبلها يا ربها وانبتها واجعل زكريا كافلا لها قيل بني
كلما دخل عليها زكريا المحراب قيل بنى لها زكريا محرابا في المسجد اي غرفة يصعد اليها بسلم وقيل المحراب اشرف المجالس
ومقدمها كانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب وروي انه كان لا يدخل عليها
الا هو وحده وكان اذا خرج غلق عليها سبعة ابواب وجد عندها رزقا كان رزقها ينزل عليها من الجنة ولم ترضع ثديا قط
وكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء قال يا مريم انى لك هذا من اين لك هذا الرزق الذي
لا يشبه ارزاق الدنيا وهو ات في غير حينه والابواب مغلقة عليك لا سبيل للداخل به اليك قالت هو من عند الله فلا
تستبعد قيل تكلمت وهي صغيرة كما تكلم عيسى وهو في المهد وعن النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم انه جاع في زمن قحط فاهدت
له فاطمة رضي الله عنها رغيفين وبضعة لحم اثرته بها فرجع بها اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو
مملوء خبزا ولحما فبهتت وعلمت انها نزلت من عند الله فقال لها النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان
الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال عليه السلام الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني اسرائيل ثم جمع رسول الله علي بن ابي طالب
والحسن والحسين وجميع اهل بيته عليه حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو فاوسعت فاطمة على جيرانها ان الله يرزق من يشاء
من جملة كلام مريم عليها السلام او من كلام رب العزة عز من قائل بغير حساب • بغير تقدير لكثرته او تفضلا بغير
محاسبة ومجازاة على عمل بحسب الاستحقاق هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة هنالك في
ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم في المحراب او في ذلك الوقت فقد يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما راى حال مريم
في كرامتها على الله ومنزلتها رغب في ان يكون له من ايشاع ولد مثل ولد اختها حنة في النجابة والكرامة على الله وان كانت
عاقرا عجوزا فقد كانت اختها كذلك وقيل لما راى الفاكهة في غير وقتها انتبه على جواز ولادة العاقر ذرية ولدا والذرية

يقع على الواحد والجمع انك سميع الدعاء مجيبه فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب قرئ فناداه الملائكة وقيل
ناداه جبريل وانما قيل الملائكة على قولهم فلان يركب الخيل ان الله يبشرك بيحيى بالفتح على ان الله وبالكسر على ارادة القول
او لان النداء نوع من القول وقرئ يبشرك ويبشرك من بشره وابشره ويبشرك بفتح الباء من بشره ويحيى ان كان اعجميا وهو
الظاهر فمنع صرفه للتعريف والعجمة كموسى وعيسى وان كان عربيا فللتعريف ووزن الفعل كيعمر مصدقا بكلمة
من الله مصدقا بعيسى مؤمنا به قيل هو اول من امن به وسمي عيسى كلمة لانه لم يوجد الا بكلمة الله وحدها وهي قوله كن
من غير سبب اخر وقيل مصدقا بكلمة من الله مؤمنا بكتاب منه وسمي الكتاب كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته
وسيدا وحصورا السيد الذي يسود قومه اي يفوقهم في الشرف وكان يحيى فائقا لقومه وفائقا للناس كلهم في انه لم
يركب سيئة قط ويا لها من سيادة وحصورا الذي لا يقرب النساء حصرا لنفسه اي منعا لها من الشهوات وقيل هو الذي لا يدخل
مع القوم في الميسر قال الاخطل • وشارب مربح بالكاس نادمني • لا بالحصور ولا فيها بسوار • فاستعير لمن لا يدخل
في اللعب واللهو وقد روي انه مر وهو طفل بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت ونبيا من الصالحين • ناشيا
من الصالحين لانه كان من اصلاب الانبياء او كائنا من جملة الصالحين كقوله وانه في الاخرة لمن الصالحين قال رب انى
يكون لي غلام استبعاد من حيث العادة كما قالت مريم وقد بلغني الكبر وامراتي عاقر كقولهم ادركته السن
العالية والمعنى اثر في الكبر واضعفني وكانت له تسع وتسعون سنة ولامراته ثمان وتسعون سنة قال كذلك
الله يفعل ما يشاء اي يفعل الله ما يشاء من الافعال العجيبة مثل ذلك الفعل وهو خلق الولد بين الشيخ الفاني والعجوز العاقر
وكذلك الله مبتدا وخبر اي على نحو هذه الصفة الله ويفعل ما يشاء بيان له اي يفعل ما يريد من الافاعيل الخارقة للعادات
قال رب اجعل لي اية علامة اعرف بها الحبل لاتلقى النعمة اذا جاءت بالشكر قال ايتك الا تكلم الناس الا تقدر على
تكليم الناس ثلاثة ايام الا رمزا وانما خص تكليم الناس ليعلمه انه يحبس لسانه عن القدرة على تكليمهم خاصة مع ابقاء
قدرته على التكلم بذكر الله ولذلك قال واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار يعني في ايام عجزك عن
تكليم الناس وهي من الايات الباهرة فان قلت لم حبس لسانه عن كلام الناس قلت ليخلص المدة لذكر الله لا يشغل لسانه بغيره
توفرا منه على قضاء حق النعمة الجسيمة وشكرها الذي طلب الاية من اجله كانه لما طلب الاية من اجل الشكر قيل له ايتك ان يحبس
لسانك الا عن الشكر واحسن الجواب ما وقع ما كان مشتقا من السؤال ومنتزعا منه الا رمزا الا اشارة بيد او راس او
غيرهما واصله التحرك يقال ارتمز اذا تحرك ومنه قيل للبحر الراموز وقرا يحيى بن وثاب الا رمزا بضمتين جمع رموز كرسول
ورسل وقرئ رمزا جمع رامز كخادم وخدم وهو حال منه ومن الناس دفعة كقوله • متى ما تلقني فردين ترجف •
روانف اليتيك وتستطارا • بمعنى الا مترامزين كما يكلم الناس الاخرس بالاشارة ويكلمهم والعشي من حين تزول الشمس
الى ان تغيب والابكار من طلوع الفجر الى وقت الضحى وقرئ والابكار بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار يقال اتيته بكرا
بفتحتين فان قلت الرمز ليس من جنس الكلام فكيف استثني منه قلت لما ادى مؤدى الكلام وفهم منه ما يفهم
منه سمي كلاما ويجوز ان يكون استثناء منقطعا واذ قالت الملائكة يا مريم روي انهم كلموها شفاها معجزة لزكريا
عليه السلام او ارهاصا لنبوة عيسى ان الله اصطفاك اولا حين تقبلك من امك ورباك واختصك بالكرامة السنية وطهرك
مما يستقذر من الافعال ومما قرفك به اليهود واصطفاك اخرا على نساء العالمين بان وهب لك عيسى من غير اب ولم يكن
ذلك لاحد من النساء يا مريم اقنتي لربك واسجدي امرت بالصلاة بذكر القنوت والسجود لكونهما من هيئات الصلاة واركانها
ثم قيل لها واركعي مع الراكعين بمعنى ولتكن صلاتك مع المصلين اي في الجماعة او وانظمي نفسك في جملة المصلين
وكوني معهم في عدادهم ولا تكوني في عداد غيرهم ويحتمل ان يكون في زمانها من كان يقوم ويسجد في صلاته ولا يركع وفيه من
يركع فامرت بان تركع مع الراكعين ولا تكون مع من لا يركع ذلك اشارة الى ما سبق من نبا زكريا ويحيى ومريم
وعيسى يعني ان ذلك من الغيوب التي لم تعرفها الا بالوحي فان قلت لم نفيت المشاهدة وانتفاؤها معلوم بغير شبهة
وترك نفي استماع الانباء من حفاظها وهو موهوم قلت كان معلوما عندهم علما يقينا انه ليس من اهل السماع والقراءة
وكانوا منكرين للوحي فلم يبق الا المشاهدة وهي في غاية الاستبعاد والاستحالة فنفيت على سبيل التهكم بالمنكرين
للوحي مع علمهم بانه لا سماع له ولا قراءة ونحوه وما كنت بجانب الغربي وما كنت بجانب الطور وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم
اقلامهم ازلامهم وهي قداحهم التي طرحوها في النهر مقترعين وقيل هي الاقلام التي كانوا يكتبون بها التوراة اختاروها
للقرعة تبركا بها اذ يختصمون في شانها تنافسا في التكفل بها فان قلت ايهم يكفل بم يتعلق قلت بمحذوف دل
عليه يلقون اقلامهم كانه قيل يلقونها ينظرون ايهم يكفل او ليعلموا او يقولون اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك
بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والاخرة ومن المقربين • ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن
الصالحين • المسيح لقب من الالقاب المشرفة كالصديق والفاروق واصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك كقوله

وجعلني مباركا اينما كنت وكذلك عيسى معرب من ايشوع ومشتقهما من المسح والعيس كالرقم في الماء فان قلت اذ قالت
بم يتعلق قلت هو بدل من واذ قالت الملائكة ويجوز ان يبدل من اذ يختصمون على ان الاختصام والبشارة وقعا في زمان واسع كما تقول لقيته
سنة كذا فان قلت لم قيل عيسى بن مريم والخطاب لمريم قلت لان الابناء ينسبون الى الآباء لا الى الامهات فاعلمت بنسبته اليها انه يولد
من غير اب فلا ينسب الا الى امه وبذلك فضلت واصطفيت على نساء العالمين فان قلت لم ذكر ضمير الكلمة قلت لان المسمى بها مذكر
فان قلت لم قيل اسمه المسيح عيسى بن مريم وهذه ثلاثة اشياء الاسم منها عيسى واما المسيح والابن فلقب وصفة قلت الاسم للمسمى
علامة يعرف بها ويتميز من غيره فكانه قيل الذي يعرف به ويتميز ممن سواه مجموع الثلاثة وجيها حال من كلمة وكذلك قوله ومن المقربين
ويكلم ومن الصالحين اي يبشرك به موصوفا بهذه الصفات وصح انتصاب الحال من النكرة لكونها موصوفة والوجاهة في الدنيا النبوة
والتقدم على الناس وفي الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة وكونه من المقربين رفعه الى السماء وصحبته للملائكة والمهد
ما يمهد للصبي من مضجعه سمي بالمصدر وفي المهد في محل النصب على الحال وكهلا عطف عليه بمعنى ويكلم الناس طفلا وكهلا ومعناه يكلم
الناس في هاتين الحالتين كلام الانبياء من غير تفاوت بين حال الطفولة وحال الكهولة التي يستحكم فيها العقل ويستنبأ فيها الانبياء
ومن بدع التفاسير ان قولها رب نداء لجبريل بمعنى يا سيدي قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله
يخلق ما يشاء اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا الى
بني اسرائيل اني قد جئتكم باية من ربكم اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير ويعلمه عطف على يبشرك او على
وجيها او على يخلق او هو كلام مبتدأ وقرأ عاصم ونافع ويعلمه بالياء فان قلت علام تحمل ورسولا ومصدقا من المنصوبات
المتقدمة وقوله اني قد جئتكم ولما بين يدي يأبى حمله عليها قلت هو من المضائق وفيه وجهان احدهما ان يضمر له وارسلت على ارادة
القول تقديره ويعلمه الكتاب والحكمة ويقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم ومصدقا لما بين يدي والثاني ان الرسول وقرأ اليزيدي
ورسول عطفا على كلمة اني قد جئتكم متعلقه ارسلت باني قد جئتكم فحذف الجار وانتصب بالفعل واني اخلق نصب بدل من اني قد جئتكم
او جر بدل من اية او رفع على هي اني اخلق لكم وقرئ اني بالكسر على الاستئناف اي اقدر لكم شيئا مثل صورة الطير فانفخ فيه الضمير
للكاف اي في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير فيكون طائرا باذن الله فيصير طيرا كسائر الطيور حيا طيارا وقرأ عبد الله فانفخها
قال كالهبرقي تنحى ينفخ الفحما وقيل لم يخلق غير الخفاش وابرئ الاكمه والابرص واحيي الموتى باذن الله وانبئكم بما
تاكلون وما تدخرون في بيوتكم ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولاحل لكم
بعض الذي حرم عليكم وجئتكم باية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط
مستقيم الاكمه الذي ولد اعمى وقيل هو الممسوح العين ويقال لم يكن في هذه الامة اكمه غير قتادة بن دعامة السدوسي
صاحب التفسير وروي انه ربما اجتمع عليه خمسون الفا من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى وما كان يداوي الا بالدعاء
وكرر باذن الله دفعا لوهم من توهم فيه اللاهوتية وروي انه احيى سام بن نوح وهم ينظرون فقالوا هذا سحر فارنا اية فقال يا
فلان اكلت كذا ويا فلان خبئ لك كذا وقرئ تذخرون بالذال والتخفيف ولاحل رد على قوله باية من ربكم اي جئتكم باية
من ربكم وجئتكم مصدقا ولاحل لكم وما حرم الله عليهم في شريعة موسى الشحوم والثروب ولحوم الابل والسمك وكل ذي ظفر فاحل لهم عيسى
بعض ذلك قيل احل لهم من السمك والطير ما لا صيصية له واختلفوا في احلاله لهم السبت وقرئ حرم عليكم على تسمية الفاعل وهو
ما بين يدي من التوراة او الله عز وجل او موسى صلى الله عليه وسلم لان ذكر التوراة دل عليه ولانه كان معلوما عندهم ان الله ربي وربكم لان
جميع الرسل كانوا على هذا القول لم يختلفوا فيه وقرئ بالفتح على البدل من اية وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض فان قلت
كيف جعل هذا القول اية من ربه قلت لان الله تعالى جعله له علامة يعرف بها انه رسول كسائر الرسل حيث هداه للنظر في ادلة
العقل والاستدلال ويجوز ان يكون تكريرا لقوله جئتكم باية من ربكم اي جئتكم باية بعد اخرى مما ذكرت لكم من خلق الطير والابراء
والاحياء والانباء بالخفيات وبغيره من ولادتي بغير اب ومن كلامي في المهد ومن سائر ذلك وقرأ عبد الله وجئتكم بايات من ربكم
فاتقوا الله لما جئتكم به من الايات واطيعوني فيما ادعوكم اليه ثم ابتدأ فقال ان الله ربي وربكم ومعنى قراءة من فتح ولان الله ربي وربكم
فاعبدوه كقوله لايلاف قريش فليعبدوا ويجوز ان يكون المعنى وجئتكم باية على ان الله ربي وربكم وما بينهما اعتراض فلما احس عيسى
منهم الكفر قال من انصاري الى الله فلما علم منهم الكفر علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس والى الله من صلة انصاري
مضمنا معنى الاضافة كانه قيل من الذين يضيفون انفسهم الى الله ينصرونني كما ينصرني او يتعلق بمحذوف حالا من الياء اي من انصاري
ذاهبا الى الله ملتجئا اليه قال الحواريون نحن انصار الله اي انصار دينه ورسوله وحواري الرجل صفوته وخالصته ومنه قيل
للحضريات الحواريات لخلوص الوانهن ونظافتهن قال فقل للحواريات يبكين غيرنا ولا تبكنا الا الكلاب النوابح
وفي وزنه الحوالي وهو الكثير الحيلة امنا بالله واشهد بانا مسلمون وانما طلبوا شهادته باسلامهم تاكيدا لايمانهم لان
الرسل يشهدون يوم القيامة لقومهم وعليهم ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين مع الانبياء
الذين يشهدون لاممهم او مع الذين يشهدون بالوحدانية وقيل مع امة محمد لانهم شهداء على الناس ومكروا الواو لكفار بني

اسرائيل الذين احس منهم الكفر ومكرهم انهم وكلوا به من يقتله غيلة ومكر الله ان رفع عيسى الى السماء والقى شبهه على من
اراد اغتياله حتى قتل والله خير الماكرين اقواهم مكرا وانفذهم كيدا واقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب
اذ قال الله يا عيسى ظرف لخير الماكرين او لمكر الله اني متوفيك اي مستوفي اجلك ومعناه اني عاصمك من ان يقتلك الكفار
ومؤخرك الى اجل كتبته لك ومميتك حتف انفك لا قتلا بايديهم ورافعك الي الى سمائي ومقر ملائكتي ومطهرك من الذين
كفروا من سوء جوارهم وخبث صحبتهم وقيل متوفيك قابضك من الارض من توفيت مالي على فلان اذا استوفيته وقيل مميتك
في وقتك بعد النزول من السماء ورافعك الان وقيل متوفي نفسك بالنوم من قوله والتي لم تمت في منامها ورافعك وانت
نائم حتى لا يلحقك خوف وتستيقظ وانت في السماء امن مقرب وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة
يعلونهم بالحجة وفي اكثر الاحوال بها وبالسيف ومتبعوه هم المسلمون لانهم متبعوه في اصل الاسلام وان اختلفت الشرائع
دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود ثم الي مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون تفسير الحكم
قوله فاعذبهم فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والاخرة وما لهم من ناصرين واما
الذين امنوا وعملوا الصالحات فنوفيهم اجورهم والله لا يحب الظالمين وقرئ فيوفيهم بالياء ذلك نتلوه عليك
من الايات ذلك اشارة الى ما سبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره نتلوه ومن الايات خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف
ويجوز ان يكون ذلك بمعنى الذي ونتلوه صلته ومن الايات الخبر ويجوز ان ينتصب ذلك بمضمر يفسره نتلوه والذكر الحكيم
القران وصف بصفة من هو سببه او كانه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم ان شان
عيسى وحاله الغريبة كشان ادم وقوله خلقه من تراب جملة مفسرة لما له شبه عيسى بادم فان قلت كيف شبه به وقد وجد
هو بغير اب ووجد ادم بغير اب وام قلت هو مثيله ولا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الاخر من تشبيهه به لان المماثلة مشاركة
في بعض الاوصاف ولانه شبه به في انه وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة وهما في ذلك نظيران ولان الوجود من غير اب وام
اغرب واخرق للعادة من الوجود من غير اب فشبه الغريب بالاغرب ليكون اقطع لمادة شبهته اذا نظر فيما هو اغرب مما استغربه وعن
بعض العلماء انه اسر بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا اب له قال فادم اولى لانه لا ابوين له قالوا كان يحيي الموتى قال
فحزقيل اولى لان عيسى احيا اربعة نفر واحيا حزقيل ثمانية الاف فقالوا كان يبرئ الاكمه والابرص قال فجرجيس اولى لانه طبخ
واحرق ثم قام سالما خلقه من تراب قدر جسدا من طين ثم قال له كن اي انشاه بشرا كقوله ثم انشاناه خلقا اخر فيكون
حكاية حال ماضية الحق من ربك خبر مبتدأ محذوف اي هو الحق كقول اهل خيبر محمد والخميس فلا تكن من الممترين
ونهيه عن الامتراء وجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكون ممتريا من باب التهييج لزيادة الثبات والطمانينة وان يكون
لطفا لغيره فمن حاجك من النصارى فيه في عيسى من بعد ما جاءك من العلم اي من البينات الموجبة للعلم فقل تعالوا
هلموا والمراد المجيء بالراي والعزم كما تقول تعال نفكر في هذه المسالة ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا
وانفسكم اي يدع كل منا ومنكم ابناءه ونساءه ونفسه الى المباهلة ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ثم
نتباهل بان نقول بهلة الله على الكاذب منا ومنكم والبهلة بالفتح والضم اللعنة وبهله الله لعنه وابعده من رحمته
من قولك ابهله اذا اهمله وناقة باهل لا صرار عليها واصل الابتهال هذا ثم استعمل في كل دعاء يجتهد فيه وان لم يكن التعانا روي
انه لما دعاهم الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم يا عبد المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر
النصارى ان محمدا نبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم
ولئن فعلتم لتهلكن فان ابيتم الا الف دينكم والاقامة على ما انتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتى رسول الله
صلى الله عليه وعلى اله وسلم وقد غدا محتضنا الحسين اخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا
فقال اسقف نجران يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو شاء الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا
ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيامة فقالوا يا ابا القاسم رأينا ان لا نباهلك وان نقرك على دينك ونثبت على ديننا قال فاذا
ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فابوا قال فاني اناجزكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة
ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدي اليك كل عام الفي حلة الف في صفر والف في رجب وثلاثين
درعا عادية من حديد فصالحهم على ذلك وقال والذي نفسي بيده ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة
وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستاصل الله نجران واهله حتى الطير على رؤوس الشجر ولما حال الحول على النصارى
كلهم حتى يهلكوا وعن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجاء الحسن
فادخله ثم جاء الحسين فادخله ثم فاطمة ثم علي ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت فان قلت ما كان
دعاؤه الى المباهلة الا ليتبين الكاذب منه ومن خصمه وذلك امر يختص به وبمن يكاذبه فما معنى ضم الابناء والنساء قلت
ذلك اكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرأ على تعريض اعزته وافلاذ كبده واحب الناس اليه

لذلك ولم يقتصر على تعريض نفسه له وعلى ثقته بكذبهم حتى يهلك خصمه مع أحبته وأعزته هلاك الاستئصال إن تمت المباهلة
وخص الأبناء والنساء لأنهم أعز الأهل وألصقهم بالقلوب وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل ومن ثمة كانوا يسوقون
مع أنفسهم الظعائن في الحروب لتمنعهم من الهرب ويسمون الذادة عنها بأرواحهم حماة الحقائق وقدمهم في الذكر على الأنفس
لينبه على لطف مكانهم وقرب منزلتهم وليؤذن بأنهم مقدمون على الأنفس مفدون بها وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب
الكساء عليهم السلام وفيه برهان واضح على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم لأنه لم يرو أحد من موافق ولا مخالف أنهم أجابوا إلى
ذلك إن هذا الذي قص عليك من نبإ عيسى لهو القصص الحق وقرئ بتحريك الهاء على الأصل وبالسكون لأن اللام تنزل من هو منزلة
بعضه فخفف كما خفف عضد وهو إما فصل بين اسم إن وخبرها وإما مبتدأ والقصص خبره والجملة خبر إن **فإن قلت**
لم جاز دخول اللام على الفصل **قلت** إذا جاز دخولها على الخبر كان دخولها على الفصل أجوز لأنه أقرب إلى المبتدأ وأصلها أن تدخل على
المبتدأ ومن في قوله وما من إله إلا الله بمنزلة البناء على الفتح في لا إله إلا الله في إفادة معنى الاستغراق والمراد الرد على النصارى
في تثليثهم وإن الله لهو العزيز الحكيم فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين وعيد لهم بالعذاب
المذكور في قوله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون قل يا أهل الكتاب قيل هم أهل الكتابين وقيل وفد نجران
وقيل يهود المدينة تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم مستوية بيننا وبينكم لا يختلف فيها القرآن والتوراة والإنجيل والكلمة فان
وتفسير الكلمة قوله ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله يعني تعالوا إليها
حتى لا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله لأن كل واحد منهما بعضنا بشر مثلنا ولا نطيع أحبارنا فيما أحدثوا من التحريم والتحليل
من غير رجوع إلى ما شرع الله كقوله اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا
إلها واحدا وعن عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال أليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم
قال هو ذاك وعن الفضيل لا أبالي أطعت مخلوقا في معصية الخالق أو صليت لغير القبلة وقرئ كلمة بسكون اللام وقرأ الحسن
سواء بالنصب بمعنى استوت استواء فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون أي لزمتكم الحجة فوجب عليكم أن تعترفوا
وتسلموا بأنا مسلمون دونكم كما يقول الغالب للمغلوب في جدال أو صراع أو غيرهما اعترف بأني أنا الغالب وسلم لي الغلبة ويجوز أن
يكون من باب التعريض ومعناه اشهدوا واعترفوا بأنكم كافرون حيث توليتم عن الحق بعد ظهوره يا أهل الكتاب لم تحاجون
في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده زعم كل فريق من اليهود والنصارى أن إبراهيم كان منهم وجادلوا رسول
الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم والمؤمنين فيه فقيل لهم إن اليهودية إنما حدثت بعد نزول التوراة والنصرانية بعد نزول الإنجيل وبين إبراهيم
وموسى ألف سنة وبينه وبين عيسى ألفان فكيف يكون إبراهيم على دين لم يحدث إلا بعد عهده بأزمنة متطاولة أفلا تعقلون حتى لا تجادلوا
مثل هذا الجدال المحال ها أنتم هؤلاء حاججتم ها للتنبيه وأنتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم جملة مستأنفة مبينة للجملة الأولى
يعني أنتم هؤلاء الأشخاص الحمقى وبيان حماقتكم وقلة عقولكم أنكم جادلتم فيما لكم به علم مما نطق به التوراة والإنجيل فلم
تحاجون فيما ليس لكم به علم ولا ذكر له في كتابكم من دين إبراهيم وعن الأخفش ها أنتم هو أأنتم على الاستفهام فقلبت الهمزة
هاء ومعنى الاستفهام التعجب من حماقتكم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته والله يعلم علم ما حاججتم فيه وأنتم لا تعلمون
وأنتم جاهلون به ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما ثم أعلمهم بأنه بريء من دينكم وما كان إلا حنيفا
مسلما وما كان من المشركين كما لم يكن منكم وأراد بالمشركين اليهود والنصارى لإشراكهم به عزيرا والمسيح إن أولى
الناس بإبراهيم إن أخصهم به وأقربهم منه من الولي وهو القرب للذين اتبعوه في زمانه وبعده وهذا النبي خصوصا والذين آمنوا
من أمته وقرئ وهذا النبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه أي واتبعوا هذا النبي وبالجر عطفا على إبراهيم والله ولي المؤمنين ودت
طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم هم اليهود دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا إلى اليهودية وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون
وما يعود وبال الإضلال إلا عليهم لأن العذاب يضاعف لهم بضلالهم وإضلالهم أو وما يقدرون على إضلال المسلمين وإنما يضلون أمثالهم
من أشياعهم يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله بالتوراة والإنجيل وكفرهم بها أنهم لا يؤمنون بأنها آيات الله أو يكفرون بالقرآن
ودلائل نبوة الرسول وأنتم تشهدون نعته في الكتابين أو تكفرون بآيات الله جميعا وأنتم تعلمون أنها حق يا أهل الكتاب
لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون وقرئ تلبسون بالتشديد وقرأ يحيى بن وثاب تلبسون بفتح الباء أي
تلبسون الحق مع الباطل كقوله كلابس ثوبي زور وقوله إذا هو بالمجد ارتدى وتأزرا وقالت طائفة من أهل
الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون وجه النهار أوله قال
من كان مسرورا بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار والمعنى أظهروا الإيمان بما أنزل على المسلمين في أول النهار واكفروا
به في آخره لعلهم يشكون في دينهم ويقولون ما رجعوا وهم أهل الكتاب وعلماء إلا لأمر قد تبين لهم فيرجعون برجوعكم وقيل
تواطأ اثنا عشر رجلا من أحبار يهود خيبر وقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد أول النهار من غير اعتقاد واكفروا به آخر النهار
وقولوا إنا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا ليس بذلك المنعوت وظهر لنا كذبه وبطلان دينه فإذا فعلتم ذلك شك أصحابه

أي اتبعوه

في دينهم

في دينهم وقيل هذا في شأن القبلة لما صرفت إلى الكعبة قال كعب بن الأشرف لأصحابه آمنوا بما أنزل عليهم من الصلاة إلى الكعبة وصلوا إليها
في أول النهار ثم اكفروا به في آخره وصلوا إلى الصخرة لعلهم يقولون هم أعلم منا وقد رجعوا فيرجعون ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم
قل إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ولا تؤمنوا متعلق بقوله أن يؤتى أحد وما بينهما اعتراض أي ولا تظهروا إيمانكم
بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ولا تفشوه إلا إلى أشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يدعوهم إلى الإسلام أو يحاجوكم عند ربكم
عطف على أن يؤتى والضمير في يحاجوكم لأحد لأنه في معنى الجمع بمعنى ولا تؤمنوا لغير أتباعكم أن المسلمين يحاجونكم يوم القيامة ويغالبونكم
عند الله بالحجة **فإن قلت** فما معنى الاعتراض **قلت** معناه أن الهدى هدى الله من شاء أن يلطف به حتى يسلم أو يزيد ثباته على الإسلام كان
ذلك ولم ينفع كيدكم وحيلكم وزيكم تصديقكم عن المسلمين والمشركين وكذلك قوله قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء
والله واسع عليم يريد الهداية والتوفيق أو يتم الكلام عند قوله إلا لمن تبع دينكم على معنى ولا تؤمنوا هذا الإيمان الظاهر وهو
إيمانهم وجه النهار إلا لمن تبع دينكم إلا لمن كانوا تابعين لدينكم ممن أسلموا منكم لأن رجوعهم كان أرجى عندهم من رجوع من سواهم
ولأن إسلامهم كان أغيظ لهم وقوله أن يؤتى أحد معناه لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم قلتم ذلك ودبرتموه لا لشيء آخر يعني أن ما بكم من الحسد
والبغي أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من فضل العلم والكتاب دعاكم إلى أن قلتم ما قلتم والدليل عليه قراءة ابن كثير أأن يؤتى أحد
بزيادة همزة الاستفهام للتقرير والتوبيخ بمعنى ألأن يؤتى أحد **فإن قلت** فما معنى قوله أو يحاجوكم على هذا **قلت** معناه دبرتم
ما دبرتم لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ولما يتصل به عند كفركم به من محاجتهم لكم عند ربكم ويجوز أن يكون هدى الله بدلا من الهدى
وأن يؤتى أحد خبر إن على معنى قل إن هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم حتى يحاجوكم عند ربكم فيقرعوا باطلكم بحقهم
ويدحضوا حجتكم وقرئ أن يؤتى أحد على أن النافية وهو متصل بكلام أهل الكتاب أي ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم وقولوا لهم
ما يؤتى أحد مثل ما أوتيتم حتى يحاجوكم عند ربكم يعني ما يؤتون مثله فلا يحاجونكم ويجوز أن ينتصب أن يؤتى بفعل مضمر يدل عليه
قوله ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم كأنه قيل قل إن الهدى هدى الله فلا تنكروا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم لأن قولهم ولا تؤمنوا إلا لمن
تبع دينكم لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ومن أهل الكتاب من إن
تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك عن ابن عباس رضي الله عنهما من إن تأمنه بقنطار
هو عبد الله بن سلام استودعه رجل من قريش ألفا ومائتي أوقية ذهبا فأداه إليه ومنهم من إن تأمنه بدينار فنحاص بن عازوراء
استودعه رجل من قريش دينارا فجحده وخانه وقيل المأمونون على الكثير النصارى لغلبة الأمانة عليهم والخائنون في القليل اليهود
لغلبة الخيانة عليهم إلا ما دمت عليه قائما إلا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائما على رأسه متوكلا عليه بالمطالبة والتعنيف
أو بالرفع إلى الحاكم وإقامة البينة عليه وقرئ يؤده بكسر الهاء والوصل وبكسرها بغير وصل وبسكونها وقرأ يحيى بن وثاب تئمنه
بكسر التاء ودمت بكسر الدال من دام يدام ذلك إشارة إلى ترك الأداء الذي دل عليه لا يؤده أي تركهم أداء الحقوق بأنهم قالوا بسبب
قولهم ليس علينا في الأميين سبيل أي لا يتطرق علينا عتاب وذم في شأن الأميين يعنون الذين ليسوا من أهل الكتاب وما فعلنا بهم
على ديننا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم ويقولون لم يجعل لهم في كتابنا حرمة وقيل بايع اليهود رجالا من قريش فلما أسلموا تقاضوهم
فقالوا ليس لكم علينا حق حيث تركتم دينكم وادعوا أنهم وجدوا ذلك في كتابهم وعن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال عند
نزولها كذب أعداء الله ما من شيء في الجاهلية إلا وهو تحت قدمي إلا الأمانة فإنها مؤداة إلى البر والفاجر وعن ابن عباس أنه سأله رجل فقال إنا
نصيب في الغزو من أموال أهل الذمة الدجاجة والشاة قال فتقولون ماذا قال نقول ليس علينا بذلك بأس قال هذا كما قال أهل الكتاب
ليس علينا في الأميين سبيل إنهم إذا أدوا الجزية لم تحل لكم أموالهم إلا بطيبة أنفسهم ويقولون على الله الكذب بادعائهم أن
ذلك في كتابهم وهم يعلمون أنهم كاذبون بلى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين بلى إثبات لما نفوه من
السبيل عليهم في الأميين أي بلى عليهم سبيل فيهم وقوله من أوفى بعهده جملة مستأنفة مقررة للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير
في بعهده راجع إلى من أوفى على أن كل من أوفى بما عاهد عليه واتقى الله في ترك الخيانة والغدر فإن الله يحبه **فإن قلت** فهذا
عام يخيل أنه لو وفى أهل الكتاب بعهودهم وتركوا الخيانة لكسبوا محبة الله **قلت** أجل لأنهم إذا أوفوا بالعهود وفوا أول شيء بالعهد
الأعظم وهو ما أخذ عليهم في كتابهم من الإيمان برسول الله المصدق لما معهم ولو اتقوا الله في ترك الخيانة لاتقوه في ترك الكذب على
الله وتحريف كلمه ويجوز أن يرجع الضمير إلى الله تعالى على أن كل من وفى بعهد الله واتقاه فإن الله يحبه ويدخل في ذلك الإيمان وغيره
من الصالحات وما وجب اتقاؤه من الكفر وأعمال السوء **فإن قلت** فأين الضمير الراجع من الجزاء إلى من **قلت** عموم المتقين قام مقام
رجوع الضمير وعن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في عبد الله بن سلام وبحيرا الراهب ونظرائهما من مسلمة أهل الكتاب إن الذين يشترون
يستبدلون بعهد الله بما عاهدوا عليه من الإيمان بالرسول المصدق لما معهم وأيمانهم وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه
ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ثمنا
قليلا متاع الدنيا من الترؤس والارتشاء ونحو ذلك وقيل نزلت في أبي رافع وكنانة بن أبي الحقيق وحيي بن أخطب حرفوا التوراة
وبدلوا صفة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأخذوا الرشوة على ذلك وقيل جاءت جماعة من اليهود إلى كعب بن الأشرف في سنة أصابتهم

ممتارين

فقال لهم هل تعلمون ان هذا الرجل رسول الله قالوا نعم قال فقد هممت ان اميركم واكسوكم فحرمكم الله خيرا كثيرا فقالوا لعله شبه
علينا فرويدا حتى نلقاه فانطلقوا فكتبوا صفة غير صفته ثم رجعوا اليه وقالوا قد غلطنا وليس هو بالنعت الذي نعت لنا ففرح
ومارهم وعن الاشعث بن قيس نزلت في كانت بيني وبين رجل خصومة في بير فاختصمنا الى رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم
فقال شاهداك او يمينه فقلت اذن يحلف ولا يبالي فقال من حلف على يمين يستحق بها مالا لقي الله وهو عليه غضبان
وقيل نزلت في رجل اقام سلعة في السوق فحلف لقد اعطي بها ما لم يعطه والوجه ان نزولها في اهل الكتاب وقوله بعهد الله
يقوي رجوع الضمير في بعهده الى الله ولا ينظر اليهم مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم تقول فلان لا ينظر الى فلان تريد نفي
اعتداده به واحسانه اليه ولا يزكيهم ولا يثني عليهم فان قلت اي فرق بين استعماله فيمن يجوز عليه النظر وفيمن لا يجوز عليه
قلت اصله فيمن يجوز عليه النظر الكناية لان من اعتد بالانسان التفت اليه واعاره نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة
عن الاعتداد والاحسان وان لم يكن ثم نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجردا لمعنى الاحسان مجازا عما وقع كناية عنه فيمن
يجوز عليه النظر **وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ**
هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ لفريقا هم كعب بن الاشرف ومالك
بن الصيف وحيي بن اخطب وغيرهم يلوون السنتهم بالكتاب يفتلونها بقراءته عن الصحيح الى المحرف وعن اهل المدينة يلوون
بالتشديد كقوله لووا رءوسهم وعن مجاهد وابن كثير يلون ووجهه انهما قلبا الواو المضمومة همزة ثم خففوها بحذفها والقاء
حركتها على الساكن قبلها فان قلت الام يرجع الضمير في لتحسبوه قلت الى ما دل عليه يلوون السنتهم بالكتاب
وهو المحرف ويجوز ان يراد يعطفون السنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه من الكتاب وقرئ ليحسبوه بالياء
بمعنى يفعلون ذلك ليحسبه المسلمون من الكتاب ويقولون هو من عند الله تاكيد لقوله ما هو من الكتاب وزيادة
تشنيع عليهم وتسجيل بالكذب ودلالة على انهم لا يعرضون ولا يورون وانما يصرحون بانه في التوراة هكذا وقد انزله الله
على موسى كذلك لفرط جراتهم على الله وقساوة قلوبهم ويأسهم من الاخرة وعن ابن عباس هم اليهود الذين قدموا على كعب
بن الاشرف وغيروا التوراة وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم ثم اخذت قريظة ما كتبوه فخلطوه
بالكتاب الذي عندهم **مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ**
دُونِ اللَّهِ تكذيب لمن اعتقد عبادة عيسى وقيل ان ابا رافع القرظي والسيد من نصارى نجران قالا لرسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم
اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله او ان نامر بعبادة غير الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني
فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي السجود لاحد من دون الله
ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله والحكم الحكمة وهي السنة **وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ** ولكن يقول كونوا
والرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كما يقال رقباني ولحياني وهو الشديد التمسك بدين الله وطاعته وعن محمد بن
الحنفية انه قال حين مات ابن عباس اليوم مات رباني هذه الامة وعن الحسن ربانيين علماء فقهاء وقيل علماء معلمين وكانوا يقولون
الشارع الرباني العالم العامل المعلم **بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ** بسبب كونكم عالمين **وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ** وبسبب
كونكم دارسين للعلم اوجب ان تكون الربانية التي هي قوة التمسك بطاعة الله مسببة عن العلم والدراسة وكفى به دليلا على خيبة
سعي من جهد نفسه وكد روحه في جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة الى العمل فكان مثله مثل من غرس شجرة حسناء تونقه بمنظرها
ولا تنفعه بثمرها وقرئ تعلمون من التعليم وتعلمون من التعلم وتدرسون بضم الراء وقرئ تدرسون من التدريس وتدرسون
على ان ادرس بمعنى درس كاكرم وكرم وانزل ونزل ويجوز ان تدرسون من التدريس ويجوز ان يكون معناه ومعنى تدرسون بالتخفيف
تدرسونه على الناس كقوله لتقراه على الناس فيكون معناهما معنى تدرسون من التدريس وفيه ان من علم ودرس العلم ولم يعمل به
فليس من الله في شيء والسببية وبين به منقطع حيث لم يثبت النسبة اليه الا للمتمسكين بطاعته **وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا**
الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ قرئ ولا يامركم بالنصب عطفا على ثم يقول
وفيه وجهان احدهما ان تجعل لا مزيدة لتاكيد معنى النفي في ما كان لبشر والمعنى ما كان لبشر ان يستنبئه الله وينصبه للدعا
الى اختصاص الله بالعبادة وترك الانداد ثم يامر الناس بان يكونوا عبادا له ويامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا كما تقول
ما كان لزيد ان اكرمه ثم يهينني ويستخف بي والثاني ان تجعل لا غير مزيدة والمعنى ان رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم كان
ينهى قريشا عن عبادة الملائكة واليهود والنصارى عن عبادة عزير والمسيح فلما قالوا له انتخذك ربا قيل لهم ما كان لبشر ان
يستنبئه الله ثم يامر الناس بعبادته وينهاكم عن عبادة الملائكة والانبياء والقراءة بالرفع على ابتداء الكلام اظهر وينصرها
قراءة عبد الله ولن يامركم والضمير في ولا يامركم وايامركم لبشر وقيل لله والهمزة في ايامركم للانكار بعد اذ انتم مسلمون دليل على ان
المخاطبين كانوا هم مسلمين وهم الذين استاذنوه ان يسجدوا له **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ**
ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا

ميثاق النبيين فيه غير وجه احدها ان يكون على ظاهره من اخذ الميثاق على النبيين بذلك والثاني ان يضيف الميثاق الى النبيين اضافته الى
الموثق لا الى الموثق عليه كما تقول ميثاق الله وعهد الله كانه قيل واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء على اممهم والثالث ان يراد ميثاق
اولاد النبيين وهم بنو اسرائيل على حذف المضاف والرابع ان يراد اهل الكتاب وان يرد على زعمهم تهكما بهم لانهم كانوا يقولون نحن اولى
بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب ومنا كان النبيون ويدل عليه قراءة ابي وابن مسعود واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب واللام
في لما اتيتكم لام التوطئة لان اخذ الميثاق في معنى الاستحلاف وفي لتؤمنن به لام جواب القسم وما تحتمل ان تكون المتضمنة لمعنى الشرط
ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا وان تكون موصولة بمعنى الذي اتيتكموه لتؤمنن به وقرئ لما اتيناكم وقرا حمزة
لما اتيتكم بكسر اللام ومعناه لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به على ان ما مصدرية
والفعلان معها اعني اتيناكم وجاءكم في معنى المصدرين واللام داخلة للتعليل على معنى اخذ الله ميثاقهم لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه
لاجل اني اتيتكم الكتاب والحكمة وان الرسول الذي امركم بالايمان به ونصرته موافق لكم غير مخالف ويجوز ان تكون ما موصولة فان
قلت كيف يجوز ذلك والعطف على اتيتكم وهو قوله ثم جاءكم لا يجوز ان يدخل تحت حكم الصلة لانك لا تقول للذي جاءكم رسول مصدق
لما معكم قلت بلى لان ما معكم في معنى ما اتيتكم فكانه قيل للذي اتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرا سعيد بن جبير لما
بالتشديد بمعنى حين اتيتكم بعض الكتاب والحكمة ثم جاءكم رسول مصدق له وجب عليكم الايمان به ونصرته وقيل اصله لمن ما فاستثقلوا
اجتماع ثلاث ميمات وهي الميمان والنون المنقلبة ميما بادغامها في الميم فحذفوا احداها فصارت لما ومعناه لمن اجل ما اتيتكم لتؤمنن
به وهذا نحو من قراءة حمزة في المعنى اصري عهدي وقرئ اصري بالضم وسمي اصرا لانه مما يؤصر اي يشد ويعقد ومنه الاصار الذي
يعقد به ويجوز ان يكون المضموم لغة في اصر كعبر وعبر وان يكون جمع اصار **قَالَ فَاشْهَدُوا** فليشهد بعضكم على بعض
بالاقرار **وَأَنَا مَعَكُمْ** وانا على ذلك لكم من اقراركم وتشاهدكم **مِنَ الشَّاهِدِينَ** وهذا توكيد عليهم وتحذير من الرجوع اذا علموا
شهادة الله وشهادة بعضهم على بعض وقيل الخطاب للملائكة **فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ** الميثاق والتوكيد **فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**
اي المتمردون من الكفار **أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ**
دخلت همزة الاستفهام على الفاء العاطفة جملة على جملة والمعنى فاولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون ثم توسطت الهمزة بينهما ويجوز
ان تعطف على محذوف تقديره ايتولون فغير دين الله يبغون وقدم المفعول الذي هو غير دين الله على فعله لانه اهم من حيث ان الانكار
الذي هو معنى الهمزة متوجه الى المعبود بالباطل وروي ان اهل الكتاب اختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم فيما اختلفوا
فيه من دين ابراهيم عليه السلام كل واحد من الفريقين ادعى انه اولى به فقال صلى الله عليه وعلى اله وسلم كلا الفريقين بريء من دين ابراهيم فقالوا
ما نرضى بقضائك ولا ناخذ بدينك فنزلت وقرئ يبغون بالياء وترجعون بالتاء وهي قراءة ابي عمرو لان الباغين هم المتولون والراجعون
جميع الناس وقرئا بالياء معا وبالتاء معا طوعا بالنظر في الادلة والانصاف من نفسه وكرها بالسيف او بمعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل
على بني اسرائيل وادراك الغرق فرعون والاشفاء على الموت فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده وانتصب طوعا وكرها على الحال بمعنى
طائعين ومكرهين **قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ**
مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ امر رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم بان يخبر عن نفسه وعمن
معه بالايمان فلذلك وحد الضمير في قل وجمع في امنا ويجوز ان يؤمر بان يتكلم عن نفسه كما يتكلم الملوك اجلالا من الله لقدر نبيه
فان قلت لم عدي انزل في هذه الاية بحرف الاستعلاء وفيما تقدم من مثلها بحرف الانتهاء قلت لوجود المعنيين جميعا لان الوحي ينزل
من فوق وينتهي الى الرسل فجاء تارة باحد المعنيين واخرى بالاخر ومن قال انما قيل علينا لقوله قل والينا لقوله قولوا تفرقة بين الرسول
والمؤمنين لان الرسول ياتيه الوحي على طريق الاستعلاء وياتيهم على وجه الانتهاء فقد تعسف الا ترى الى قوله بما انزل اليك وانزلنا اليك
الكتاب وقوله امنوا بالذي انزل على الذين امنوا **وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** موحدون مخلصون انفسنا له لا نجعل له شريكا في عبادتها ثم
قال **وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ** يعني التوحيد واسلام الوجه لله **دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** من الذين
وقعوا في الخسران مطلقا من غير تقييد للشياع وقرئ ومن يبتغ غير الاسلام بالادغام **كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ**
إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ كيف يلطف بهم وليسوا من اهل اللطف لما علم الله من تصميمهم على كفرهم
ودل على تصميمهم بانهم كفروا بعد ايمانهم وبعد ما شهدوا بان الرسول حق وبعد ما جاءتهم الشواهد من القران وسائر المعجزات التي
تثبت بمثلها النبوة وهم اليهود كفروا بالنبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم بعد ان كانوا مؤمنين به وذلك حين عاينوا ما يوجب قوة ايمانهم
من البينات وقيل نزلت في رهط كانوا اسلموا ثم رجعوا عن الاسلام ولحقوا بمكة منهم طعمة بن ابيرق ووحوح بن الاسلت
والحرث بن سويد بن الصامت فان قلت علام عطف قوله وشهدوا قلت فيه وجهان احدهما ان يعطف على ما في ايمانهم
من معنى الفعل لان معناه بعد ان امنوا كقوله تعالى فاصدق واكن وقول الشاعر ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب ويجوز
ان تكون الواو للحال باضمار قد بمعنى كفروا وقد شهدوا ان الرسول حق **وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** المعاندين الذين علم ان
اللطف لا ينفعهم **أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ**

ولا هم ينظرون إلا الذين تابوا من بعد ذلك الكفر العظيم والارتداد وأصلحوا ما أفسدوا أو دخلوا في الصلاح فإن
الله غفور رحيم قيل نزلت في الحارث بن سويد حين ندم على ردته وأرسل إلى قومه أن سلوا هل لي من توبة فأرسل إليه أخوه
الجلاس بالآية فأقبل إلى المدينة فتاب وقبل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم توبته إن الذين كفروا هم اليهود كفروا بعيسى والإنجيل
بعد إيمانهم بموسى والتوراة ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد والقرآن أو كفروا برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بعد ما كانوا
به مؤمنين قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بإصرارهم على ذلك وطعنهم فيه في كل وقت وعداوتهم له ونقضهم ميثاقه وفتنتهم
للمؤمنين وصدهم عن الإيمان وسخريتهم بكل آية تنزل وقيل نزلت في الذين ارتدوا ولحقوا بمكة وازديادهم الكفر أن قالوا نقيم
بمكة نتربص بمحمد ريب المنون وإن أردنا الرجعة نافقنا بإظهار التوبة فإن قلت قد علم أن المرتد كيفما ازداد كفرا
فإنه مقبول التوبة إذا تاب فما معنى لن تقبل توبتهم قلت جعلت عبارة عن الموت على الكفر لأن الذي لا تقبل توبته من الكفار
هو الذي يموت على الكفر كأنه قيل إن اليهود أو المرتدين الذين فعلوا ما فعلوا مائتون على الكفر داخلون في جملة من لا تقبل
توبتهم وأولئك هم الضالون إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو
افتدى به أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين فإن قلت فلم قيل في إحدى الآيتين لن تقبل بغير فاء وفي الأخرى
فلن يقبل قلت قد أوذن بالفاء أن الكلام بني على الشرط والجزاء وأن سبب امتناع قبول الفدية هو الموت على الكفر وبترك الفاء
أن الكلام مبتدأ وخبر ولا دليل فيه على التسبيب كما تقول الذي جاءني له درهم لم تجعل المجيء سببا في استحقاق الدرهم بخلاف
قولك فله درهم فإن قلت فحين كان معنى لن تقبل توبتهم معنى الموت على الكفر فهلا جعل الموت على الكفر مسببا عن
ارتدادهم وازديادهم الكفر لما في ذلك من قساوة القلوب وركوب الرين وجره إلى الموت على الكفر قلت لأنه كم من مرتد
من دار الكفر يرجع إلى الإسلام ولا يموت على الكفر فإن قلت فأي فائدة في هذه الكناية أعني أن كنى عن الموت على الكفر
بامتناع قبول التوبة قلت الفائدة فيها جليلة وهي التغليظ في شأن أولئك الفريق من الكفار وإبراز حالهم في صورة حال الآيسين
من الرحمة التي هي أغلظ الأحوال وأشدها ألا ترى أن الموت على الكفر إنما يخاف من أجل اليأس من الرحمة ذهبا نصب على التمييز وقرأ
الأعمش ذهب بالرفع ردا على ملء كما يقال عندي عشرون نفسا رجال فإن قلت كيف موقع قوله ولو افتدى به قلت
هو كلام محمول على المعنى كأنه قيل فلن تقبل من أحدهم فدية ولو افتدى بملء الأرض ذهبا ويجوز أن يراد ولو افتدى بمثله كقوله
ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعا ومثله معه والمثل يحذف كثيرا في كلامهم كقولك ضربته ضرب زيد تريد مثل ضربه وأبو
يوسف أبو حنيفة تريد مثله ولا هيثم الليلة للمطي وقضية ولا أبا حسن لها تريد ولا مثل هيثم ولا مثل أبي حسن كما أنه يزاد في نحو قولهم مثلك لا يفعل
كذا تريد أنت وذلك أن المثلين يسد أحدهما مسد الآخر فكانا في حكم شيء واحد وأن يراد فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا كان قد تصدق
به ولو افتدى به أيضا لم يقبل منه وقرئ فلن تقبل من أحدهم ملء الأرض على البناء للفاعل وهو الله عز وجل ونصب ملء وملء الأرض بتخفيف
الهمزة لن تنالوا البر لن تبلغوا حقيقة البر ولن تكونوا أبرارا أو لن تنالوا بر الله وهو ثوابه حتى تنفقوا
مما تحبون حتى تكون نفقتكم من أموالكم التي تحبونها وتؤثرونها كقوله أنفقوا من طيبات ما كسبتم وكان السلف رحمهم الله
إذا أحبوا شيئا جعلوه لله وروي أنها لما نزلت جاء أبو طلحة فقال يا رسول الله إن أحب أموالي إلي بيرحا فضعها يا رسول الله حيث
أراك الله فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم بخ بخ ذاك مال رابح أو رايح وإني أرى أن تجعلها في الأقربين فقال أبو طلحة أفعل يا رسول
الله فقسمها في أقاربه وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم
أسامة فكأن زيدا وجد في نفسه فقال إنما أردت أن أتصدق به فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أما إن الله قد قبلها منك وكتب عمر
رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري أن يبتاع له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت مدائن كسرى فلما جاءت أعجبته فقال إن الله يقول لن
تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فأعتقها ونزل بأبي ذر ضيف فقال للراعي ائتني بخير إبلي فجاء بناقة مهزولة فقال خنتني فقال
وجدت خير الإبل فحلها فذكرت يوم حاجتكم إليه فقال إن يوم حاجتي إليه ليوم أوضع في حفرتي وقرأ عبد الله حتى تنفقوا
بعض ما تحبون وهذا دليل على أن من في مما تحبون للتبعيض ونحوه أخذت من المال وما تنفقوا من شيء من في من شيء للتبيين
أي وما تنفقوا من أي شيء كان طيب تحبونه أو خبيث تكرهونه فإن الله به عليم بكل شيء تنفقونه فمجازيكم بحسبه كل
الطعام المطعومات أو كل أنواع الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة
والحل مصدر حل الشيء حلا كقولك ذلت الدابة ذلا وعز الرجل عزا وفي حديث عائشة رضي الله عنها كنت أطيبه لحله وحرمه
ولذلك استوى في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع قال الله تعالى لا هن حل لهم والذي حرم إسرائيل وهو يعقوب عليه
السلام لحوم الإبل وألبانها وقيل العروق وكان به عرق النسا فنذر إن شفي أن يحرم على نفسه أحب الطعام إليه وكان ذلك أحبه
إليه فحرمه وقيل أشارت عليه الأطباء باجتنابه ففعل وذلك بإذن من الله فهو كتحريم الله ابتداء والمعنى أن المطاعم كلها لم يحرم
منها شيء قط إلا ما ذكر عن المطعوم الواحد الذي حرمه أبوهم إسرائيل على نفسه فتبعوه على تحريمه وهو رد على اليهود وتكذيب لهم
حيث أرادوا براءة ساحتهم مما نعى عليهم في قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم إلى قوله عذابا أليما وفي

قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلى قوله ذلك جزيناهم ببغيهم وجحود ما
غاظهم واشمأز منه وامتعضوا مما نطق به القرآن من تحريم الطيبات عليهم لبغيهم وظلمهم فقالوا لسنا بأول من حرمت عليه وما
هو إلا تحريم قديم كانت محرمة على نوح وعلى إبراهيم ومن بعده من بني إسرائيل وهلم جرا إلى أن انتهى التحريم إلينا كما حرمت على
من قبلنا وغرضهم تكذيب شهادة الله عليهم بالبغي والظلم والصد عن سبيل الله وأكل الربا وأخذ أموال الناس بالباطل
وما عدد الله من مساويهم التي كلما ارتكبوا منها كبيرة حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم قل فأتوا بالتوراة فاتلوها
إن كنتم صادقين أمر بأن يحاجهم بكتابهم ويبكتهم بما هو ناطق به من أن تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث بسبب ظلمهم
وبغيهم لا تحريم قديم كما يدعونه فروي أنهم لم يجسروا على إخراج التوراة وبهتوا وانقلبوا صاغرين وفي ذلك الحجة البينة على صدق
النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وعلى جواز النسخ الذي ينكرونه فمن افترى على الله الكذب بزعمه أن ذلك كان محرما على بني إسرائيل
قبل التوراة من بعد ذلك من بعد ما لزمتهم من الحجة القاطعة فأولئك هم الظالمون المكابرون الذين لا ينصفون من
أنفسهم ولا يلتفتون إلى البينات قل صدق الله تعريض بكذبهم كقوله ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون أي ثبت أن الله
صادق فيما أنزل وأنتم الكاذبون فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين وهي ملة الإسلام التي عليها محمد صلى
الله عليه وعلى آله وسلم ومن آمن معه حتى تتخلصوا من اليهودية التي ورطتكم في فساد دينكم ودنياكم حيث اضطرتكم إلى تحريف
كتاب الله لتسوية أغراضكم وألزمتكم تحريم الطيبات التي أحلها الله لإبراهيم ومن تبعه إن أول بيت وضع للناس للذي
ببكة وضع للناس صفة لبيت والواضع هو الله تعالى يدل عليه قراءة من قرأ وضع للناس بتسمية الفاعل وهو الله ومعنى وضع الله
بيتا للناس أنه جعله متعبدا لهم فكأنه قال إن أول متعبد للناس الكعبة وعن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه سئل عن أول
مسجد وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما قال أربعون سنة وعن علي رضي الله عنه أن رجلا قال
له هو أول بيت قال لا قد كان قبله بيوت ولكنه أول بيت وضع للناس مباركا فيه الهدى والرحمة والبركة وأول من بناه إبراهيم ثم بناه قوم
من العرب من جرهم ثم هدم فبنته العمالقة ثم هدم فبناه قريش وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو أول بيت حج بعد الطوفان وقيل
هو أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والأرض خلقه قبل الأرض بألفي عام وكان زبدة بيضاء على الماء فدحيت الأرض تحته
وقيل هو أول بيت بناه آدم عليه السلام في الأرض وقيل لما أهبط آدم قالت له الملائكة طف حول هذا البيت فلقد طفنا قبلك
بألفي عام وكان في موضعه قبل آدم بيت يقال له الضراح فرفع في الطوفان إلى السماء الرابعة تطوف به ملائكة السماوات
للذي ببكة البيت التي بها وهي علم للبلد الحرام ومكة وبكة لغتان فيه كقولهم النبيط والنميط في اسم موضع بالدهناء ونحوه من الاعتقاب
أمر راتب وراتم وحمى مطمطة ومطبطة وقيل مكة البلد وبكة موضع المسجد وقيل اشتقاقها من بكه إذا زحمه لازدحام الناس
فيها وعن قتادة يبك الناس بعضهم بعضا الرجال والنساء يصلي بعضهم بين يدي بعض لا يصلح ذلك إلا بمكة كأنها سميت ببكة
وهي الزحمة وقيل ۞ إذا الشريب أخذته الأكه ۞ فخله حتى يبك بكه ۞ وقيل تبك أعناق الجبابرة أي تدقها لم يقصدها
جبار إلا قصمه الله مباركا كثير الخير لما يحصل لمن حجه واعتمره وعكف عنده وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب وانتصابه
على الحال من المستكن في الظرف لأن التقدير للذي ببكة هو والعامل فيه المقدر في الظرف من فعل الاستقرار وهدى
للعالمين لأنه قبلتهم ومتعبدهم فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا مقام إبراهيم عطف بيان لقوله
آيات بينات فإن قلت كيف صح بيان الجماعة بالواحد قلت فيه وجهان أحدهما أن يجعل وحده بمنزلة آيات كثيرة
لظهور شأنه وقوة دلالته على قدرة الله ونبوة إبراهيم عليه السلام من تأثير قدمه في حجر صلد كقوله إن إبراهيم كان أمة
والثاني اشتماله على آيات لأن أثر القدم في الصخرة الصماء آية وغوصه فيها إلى الكعبين آية وإلانة بعض الصخرة دون بعض
آية وإبقاؤه دون سائر آيات الأنبياء عليهم السلام آية لإبراهيم خاصة وحفظه مع كثرة أعدائه من المشركين وأهل الكتاب والملاحدة
ألوف سنة آية ويجوز أن يراد فيه آيات بينات مقام إبراهيم وأمن من دخله لأن الاثنين نوع من الجمع كالثلاثة والأربعة
ويجوز أن تذكر هاتان الآيتان وتطوى ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الآيات كأنه قيل فيه آيات بينات مقام إبراهيم وأمن من دخله
وكثير سواهما ونحوه في طي الذكر قول جرير ۞ كانت حنيفة أثلاثا فثلثهم ۞ من العبيد وثلث من مواليها ۞ ومنه قوله
عليه السلام حبب إلي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة وقرأ ابن عباس وأبي ومجاهد وأبو جعفر المدني
وأبو قتيبة آية بينة على التوحيد وفيها دليل على أن مقام إبراهيم واقع وحده عطف بيان فإن قلت كيف أجزت
أن يكون مقام إبراهيم والأمن عطف بيان للآيات وقوله ومن دخله كان آمنا جملة مستأنفة إما ابتدائية وإما شرطية
قلت أجزت ذلك من حيث المعنى لأن قوله ومن دخله كان آمنا دل على أمن داخله فكأنه قيل فيه آيات بينات مقام إبراهيم
وأمن داخله ألا ترى أنك لو قلت فيه آية بينة من دخله كان آمنا صح لأنه في معنى قولك فيه آية بينة أمن من دخله فإن قلت
كيف كان سبب هذا الأثر قلت فيه قولان أحدهما أنه لما ارتفع بنيان الكعبة وضعف إبراهيم عن رفع الحجارة قام
على هذا الحجر فغاصت فيه قدماه وقيل إنه جاء زائرا من الشام إلى مكة فقالت له امرأة إسماعيل انزل حتى تغسل رأسك فلم ينزل

مخافة يدى الحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق رأسه ثم حولته الى شقه الايسر حتى غسلت الشق الآخر
فبقي اثر قدميه عليه ومعنى ومن دخله كان آمنا معنى قوله او لم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وذلك بدعوة ابراهيم
رب اجعل هذا البلد آمنا وكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجأ الى الحرم لم يطلب وعن عمر رضي الله عنه لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته
حتى يخرج منه وعند ابي حنيفة من لزمه القتل في الحل بقصاص او ردة او زنا فالتجأ الى الحرم لم يتعرض له الا انه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى
ولا يبايع حتى يضطر الى الخروج وقيل آمنا من النار وعن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من مات في احد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا
وعنه عليه السلام الحجون والبقيع يؤخذ باطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود رضي الله عنه
وقف رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم على ثنية الحجون وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله من هذه البقعة ومن هذا الحرم
سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم
مسيرة مائتي عام **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ** من استطاع
بدل من الناس وروي ان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فسر الاستطاعة بالزاد والراحلة وكذا عن ابن عباس وابن عمر وعليه اكثر
العلماء وعن ابن الزبير هو على قدر القوة ومذهب مالك ان الرجل اذا وثق بقوته لزمه وعنه ذلك على قدر الطاقة وقد يجد الزاد
والراحلة من لا يقدر على السفر وقد يقدر عليه من لا راحلة له ولا زاد وعن الضحاك اذا قدر ان يؤجر نفسه فهو مستطيع وقيل له
في ذلك فقال ان كان لبعضهم ميراث بمكة أكان يتركه بل كان ينطلق اليه ولو حبوا فكذلك يجب عليه الحج والضمير في اليه للبيت او
للحج وكل مأتى الى الشيء فهو سبيل اليه وفي هذا الكلام انواع من التوكيد والتشديد منها قوله ولله على الناس حج البيت
يعني انه حق واجب لله في رقاب الناس لا ينفكون عن ادائه والخروج من عهدته ومنها انه ذكر الناس ثم ابدل عنه من استطاع اليه
سبيلا وفيه ضربان من التأكيد احدهما ان الابدال تثنية للمراد وتكرير له والثاني ان الايضاح بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال
ايراد له في صورتين مختلفتين ومنها قوله ومن كفر مكان ومن لم يحج تغليظا على تارك الحج ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم
من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا ونحوه من التغليظ من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر ومنها ذكر الاستغناء عنه
وذلك مما يدل على المقت والسخط والخذلان ومنها قوله عن العالمين وان لم يقل عنه وما فيه من الدلالة على الاستغناء عنه ببرهان لانه
اذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغناء لا محالة ولانه يدل على الاستغناء الكامل فكان ادل على عظم السخط الذي وقع عبارة
عنه وعن سعيد بن المسيب نزلت في اليهود فانهم قالوا الحج الى مكة غير واجب وروي انه لما نزل قوله ولله على الناس حج البيت جمع رسول الله
اهل الاديان كلهم فخطبهم فقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت خمس ملل قالوا لا
نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزل ومن كفر وعن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم حجوا قبل ان لا تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع
في الثالثة وروي حجوا قبل الا تحجوا حجوا قبل ان يمنع البر جانبه وعن ابن مسعود حجوا هذا البيت قبل ان تنبت في البادية شجرة
لا تأكل منها دابة الا نفقت وعن عمر رضي الله عنه لو ترك الناس الحج عاما واحدا ما نوظروا وقرئ حج البيت بالكسر **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ**
لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ والله شهيد الواو للحال والمعنى لم تكفرون بآيات الله التي دلتكم على صدق
محمد والحال ان الله شهيد على اعمالكم فمجازيكم عليها وهذه الحال توجب ان لا تجسروا على الكفر بآياته **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ**
لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ قرأ الحسن تصدون من اصده عن سبيل الله عن دين حق علم انه سبيل الله التي امر بسلوكها
وهو الاسلام وكانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون لصدهم عنه ويبغون من اراد الدخول فيه بجهدهم وقيل اتت اليهود الاوس
والخزرج فذكروهم ما كان بينهم في الجاهلية من العداوات والحروب ليعودوا لمثله **تَبْغُونَهَا عِوَجًا** تطلبون لها عوجا وميلا
عن القصد والاستقامة **فان قلت** كيف تبغونها عوجا وهو محال **قلت** فيه معنيان احدهما انكم تلبسون على الناس
حتى توهموهم ان فيها عوجا بقولكم ان شريعة موسى لا تنسخ وبتغييركم صفة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن وجهها ونحو ذلك
والثاني انكم تتعبون انفسكم في اخفاء الحق وابتغاء ما لا يتأتى لكم من وجود العوج فيما هو اقوم من كل مستقيم **وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ**
انها سبيل الله التي لا يصد عنها الا ضال مضل او وانتم شهداء بين اهل دينكم عدول يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في عظائم
امورهم وهم الاحبار **وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** وعيد ومحل تبغونها نصب على الحال قيل مر شاس بن قيس اليهودي
وكان عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد لهم على نفر من الانصار من الاوس والخزرج في مجلس لهم يتحدثون
فغاظه ذلك حيث تألفوا واجتمعوا بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة وقال ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فامر شابا
من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه من الاشعار وكان يوما اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان
الظفر فيه للاوس ففعل فتنازع القوم عند ذلك وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح فبلغ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فخرج اليهم
فيمن معه من المهاجرين والانصار فقال أتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر
الجاهلية وألف بين قلوبكم فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم بعضا
ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فما كان يوم اقبح اولا واحسن آخرا من ذلك اليوم **وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ**

آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ معنى الاستفهام فيه الانكار والتعجيب والمعنى من اين يتطرق اليكم الكفر والحال ان آيات الله وهي القرآن
تتلى عليكم على لسان الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم غضة طرية وبين اظهركم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ينبهكم ويعظكم
ويزيح شبهكم **وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ** ومن يتمسك بدينه ويجوز ان يكون حثا لهم على الالتجاء اليه في دفع شرور الكفار ومكايدهم
فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ فقد حصل له الهدى لا محالة كما تقول اذا جئت فلانا فقد افلحت كأن الهدى قد حصل له
فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى التوقع في قد ظاهر لان المعتصم بالله متوقع للهدى كما ان قاصد الكريم متوقع للفلاح عنده
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ واجب تقواه وما يحق منها وهو القيام بالمواجب واجتناب المحارم ونحوه فاتقوا الله ما
استطعتم يريد بالغوا في التقوى حتى لا تتركوا من المستطاع منها شيئا وعن عبد الله هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر
ويذكر فلا ينسى وروي مرفوعا وقيل هو ان لا تأخذه في الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه او ابنه او ابيه وقيل لا يتقي الله
عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتأد **وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** معناه ولا تكونن على حال
سوى حال الاسلام اذا ادرككم الموت كما تقول لمن تستعين به على لقاء العدو لا تأتني الا وانت على حصان فلا تنهاه عن الاتيان
ولكنك تنهاه عن خلاف الحال التي شرطت عليه في وقت الاتيان **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ**
عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا اعتصمت بحبله يجوز ان يكون تمثيلا لاستظهاره
به ووثوقه بحمايته بامتساك المتدلي من مكان مرتفع بحبل وثيق يأمن انقطاعه وان يكون الحبل استعارة والاعتصام لوثوقه
بالعهد او ترشيحا للاستعارة الحبل بما يناسبه والمعنى واجتمعوا على استعانتكم بالله ووثوقكم به ولا تفرقوا عنه او واجتمعوا على
التمسك بعهده الى عباده وهو الايمان والطاعة او بكتابه لقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم القرآن حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه
ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدي الى صراط مستقيم ولا تفرقوا ولا تتفرقوا عن الحق
بوقوع الاختلاف بينكم كما اختلفت اليهود والنصارى او كما كنتم متفرقين في الجاهلية متدابرين يعادي بعضكم بعضا
ويحاربه او ولا تحدثوا ما يكون عنه التفرق ويزول معه الاجتماع والالفة التي انتم عليها مما يأباه جامعكم والمؤلف بينكم وهو
اتباع الحق والتمسك بالاسلام كانوا في الجاهلية بينهم الاحن والعداوات والحروب المتواصلة فألف الله بين قلوبهم بالاسلام
وقذف فيها المحبة فتحابوا وتوافقوا وصاروا اخوانا متراحمين متناصحين مجتمعين على امر واحد قد نظم بينهم وازال الاختلاف وهو
الاخوة في الله وقيل هم الاوس والخزرج كانا اخوين لاب وام فوقعت العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة الى ان اطفأ
الله ذلك بالاسلام والف بينهم برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم **وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ** وكنتم مشفين على ان
تقعوا في نار جهنم لما كنتم عليه **فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا** بالاسلام والضمير في للحفرة او للنار او للشفا وانما انث لاضافته الى الحفرة
كما قال كما شرقت صدر القناة من الدم وشفا الحفرة وشفتها حرفها بالتذكير والتأنيث ولامها واو الا انها في المذكر مقلوبة وفي
المؤنث محذوفة ونحو الشفا والشفة الجانب والجانبة **فان قلت** كيف جعلوا على حرف حفرة من النار **قلت** لو ماتوا على
ما كانوا عليه وقعوا في النار فمثلت حياتهم التي يتوقع بعدها الوقوع في النار بالقعود على حرفها مشفين على الوقوع فيها
كَذَلِكَ مثل ذلك البيان البليغ **يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ارادة ان تزدادوا هدى **وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ**
أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من
فروض الكفايات ولانه لا يصلح له الا من علم المعروف والمنكر وعلم كيف يرتب الامر في اقامته وكيف يباشر فان الجاهل ربما نهى
عن معروف وامر بمنكر وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله في مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر وقد يغلظ في موضع
اللين ويلين في موضع الغلظة وينكر على من لا يزيده انكاره الا تماديا او على من الانكار عليه عبث كالانكار على اصحاب المآصر
والجلادين واضرابهم وقيل من للتبيين بمعنى وكونوا امة تأمرون كقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون **وَأُولَئِكَ**
هُمُ الْمُفْلِحُونَ هم الاخصاء بالفلاح دون غيرهم وعن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم انه سئل وهو على المنبر من خير الناس قال
آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم وعنه عليه السلام من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله
في ارضه وخليفة رسول الله وخليفة كتابه وعن علي رضي الله عنه افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شنئ
الفاسقين وغضب لله غضب الله له وعن حذيفة يأتي على الناس زمان تكون فيهم جيفة الحمار احب اليهم من مؤمن يأمرهم بالمعروف
وينهاهم عن المنكر وعن سفيان الثوري اذا كان الرجل محببا في جيرانه محمودا عند اخوانه فاعلم انه مداهن والامر بالمعروف
تابع للمأمور به ان كان واجبا فواجب وان كان ندبا فندب واما النهي عن المنكر فواجب كله لان جميع المنكر تركه واجب
لاتصافه بالقبح **فان قلت** ما طريق الوجوب **قلت** قد اختلف فيه الشيخان رحمهما الله تعالى فعند ابي علي السمع والعقل
وعند ابي هاشم السمع وحده **فان قلت** ما شرائط النهي **قلت** ان يعلم الناهي ان ما ينكره قبيح لانه اذا لم يعلم لم يأمن ان
ينكر الحسن وان لا يكون ما ينهى عنه واقعا لان الواقع لا يحسن النهي عنه وانما يحسن الذم عليه والنهي عن امثاله وان لا يغلب على
ظنه ان المنهي يزيد في منكراته وان لا يغلب على ظنه ان نهيه لا يؤثر لانه عبث **فان قلت** فما شروط الوجوب **قلت**

انه يغلب على ظنه وقوع المعصية نحو ان يرى الشارب قد تهيأ لشرب الخمر باعداد آلاته وان لا يغلب على ظنه انه ان انكر لحقته مضرة
عظيمة **فان قلت** كيف يباشر الانكار **قلت** يبتدئ بالسهل فان لم ينفع ترقى الى الصعب لان الغرض كف المنكر قال
الله تعالى فاصلحوا بينهما ثم قال فقاتلوا **فان قلت** من يباشره **قلت** كل مسلم تمكن منه واختص بشرائطه وقد اجمعوا على
ان من رأى غيره تارك الصلاة وجب عليه الانكار لانه معلوم قبحه لكل احد واما الانكار الذي بالقتال فالامام وخلفاؤه
اولى لانهم اعلم بالسياسة ومعهم عدتها **فان قلت** فمن يؤمر وينهى **قلت** كل مكلف وغير المكلف اذا هم بضرر غيره
منع كالصبيان والمجانين وينهى الصبيان عن المحرمات حتى لا يتعودوها كما يؤخذون بالصلاة ليتمرنوا عليها **فان
قلت** هل يجب على مرتكب المنكرات ان ينهى عما يرتكبه **قلت** نعم يجب عليه لان ترك ارتكابه وانكاره واجبان عليه
فبتركه احد الواجبين لا يسقط عنه الواجب الآخر وعن السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا وعن الحسن انه سمع مطرف بن عبد الله
يقول لا اقول ما لا افعل فقال وايّنا يفعل ما يقول ود الشيطان لو ظفر بهذه منكم فلا يأمر احد بمعروف ولا ينهى عن منكر **فان
قلت** كيف قيل يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف **قلت** الدعاء الى الخير عام في التكاليف من الافعال والتروك والامر
بالمعروف والنهي عن المنكر خاص فجيء بالعام ثم عطف عليه الخاص ايذانا بفضله كقوله والصلاة الوسطى ولا تكونوا
كالذين تفرقوا واختلفوا وهم اليهود والنصارى من بعد ما جاءهم البينات الموجبة للاتفاق على كلمة الحق وقيل هم
مبتدعوا هذه الامة وهم المشبهة والمجبرة والحشوية واشباههم واولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود
وجوه يوم نصب بالظرف وهو لهم او باضمار اذكروا وقرئ تبيض وتسود بكسر حرف المضارعة وتبياض وتسواد والبياض
من النور والسواد من الظلمة فمن كان من اهل نور الحق وسم ببياض اللون واسفاره واشراقه وابيضت صحيفته واشرقت وسعى
النور بين يديه وبيمينه ومن كان من اهل ظلمة الباطل وسم بسواد اللون وكسوفه وكمده واسودت صحيفته واظلمت
واحاطت به الظلمة من كل جانب نعوذ بالله وبسعة رحمته من ظلمات الباطل واهله فاما الذين اسودت وجوههم
اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون اكفرتم فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ
والتعجب من حالهم والظاهر انهم اهل الكتاب وكفرهم بعد الايمان تكذيبهم برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بعد اعترافهم به
قبل مجيئه وعن عطاء تبيض وجوه المهاجرين والانصار وتسود وجوه بني قريظة والنضير وقيل هم المرتدون وقيل اهل البدع
والاهواء وعن ابي امامة هم الخوارج ولما رآهم على درج دمشق دمعت عيناه ثم قال كلاب النار هؤلاء شر قتلى تحت اديم السماء
وخير قتلى تحت اديم السماء الذين قتلهم هؤلاء فقال له ابو غالب اشيء تقوله برأيك ام شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم
قال بل سمعته من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم غير مرة قال فما شأنك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من اهل الاسلام
ثم كفروا ثم قرأ هذه الآية ثم اخذ بيده فقال ان بارضكم منهم كثيرا فاعاذك الله منهم وقيل هم جميع الكفار لاعراضهم عما اوجبه
الاقرار حين اشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله ففي نعمته وهي
الثواب المخلد **فان قلت** كيف موقع قوله هم فيها خالدون بعد قوله ففي رحمة الله **قلت** موقع الاستئناف كانه
قيل كيف يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون تلك آيات الله الواردة في الوعد والوعيد
نتلوها عليك ملتبسة بالحق والعدل من جزاء المحسن والمسيء بما يستوجبانه وما الله يريد ظلما فيأخذ احدا بغير جرم
او يزيد في عقاب مجرم او ينقص من ثواب محسن ونكر ظلما وقال للعالمين على معنى ما يريد شيئا من الظلم لاحد من خلقه
فسبحان من يحلم عمن يصفه بارادة القبائح والرضا بها ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع الامور
كنتم خير امة كان عبارة عن وجود الشيء في زمان ماض على سبيل الابهام وليس فيه دليل على عدم سابق ولا على انقطاع
طارئ ومنه قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما ومنه قوله كنتم خير امة كانه قيل وجدتم خير امة وقيل كنتم في علم الله
خير امة وقيل كنتم في الامم قبلكم مذكورين بانكم خير امة موصوفين به اخرجت اظهرت للناس وقوله تأمرون
بالمعروف وتنهون عن المنكر كلام مستأنف بيّن به كونهم خير امة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم
بما يصلحهم وتؤمنون بالله جعل الايمان بكل ما يجب الايمان به ايمانا بالله لان من آمن ببعض ما يجب الايمان به من رسول
او كتاب او بعث او حساب او عقاب او ثواب او غير ذلك لم يعتد بايمانه فكانه غير مؤمن بالله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر
ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا والدليل عليه قوله ولو آمن اهل الكتاب مع ايمانهم
بالله لكان خيرا لهم لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه لانهم انما آثروا دينهم على دين الاسلام حبا للرياسة واستتباع العوام
ولو آمنوا لكان لهم من الرياسة والاتباع وحظوظ الدنيا ما هو خير مما آثروا دين الباطل لاجله مع الفوز بما وعدوه على الايمان
من ايتاء الاجر مرتين منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر لن
يضروكم الا اذى الا ضررا مقتصرا على اذى بقول من طعن في الدين او تهديد او نحو ذلك وان يقاتلوكم يولوكم الادبار
منهزمين ولا يضروكم بقتل او اسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون لهم نصر من احد ولا يمنعون منكم وفيه تثبيت لمن اسلم منهم لانهم

كانوا

كانوا يؤذونهم بالتلهي بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم وانهم لا يقدرون ان يتجاوزوا الاذى بالقول الى ضرر يبالى به مع انه
وعدهم الغلبة عليهم والانتقام منهم وان عاقبة امرهم الخذلان والذل **فان قلت** هلا جزم المعطوف في قوله ثم لا
ينصرون **قلت** عدل به عن حكم الجزاء الى حكم الاخبار ابتداء كانه قيل اخبركم انهم لا ينصرون **فان قلت** فاي فرق
بين رفعه وجزمه في المعنى **قلت** لو جزم لكان نفي النصر مقيدا بمقاتلتهم كتولية الادبار وحين رفع كان نفي النصر وعدا مطلقا
كانه قال ثم شأنهم وقصتهم التي اخبركم عنها وابشركم بها بعد التولية انهم مخذولون منتف عنهم النصر والقوة لا ينهضون
بعدها بجناح ولا يستقيم لهم امر وكان كما اخبر من حال بني قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر **فان قلت** فما الذي
عطف عليه هذا الخبر **قلت** جملة الشرط والجزاء كانه قيل اخبركم انهم ان يقاتلوكم ينهزموا ثم اخبركم انهم لا ينصرون **فان
قلت** ما معنى التراخي في ثم **قلت** التراخي في المرتبة لان الاخبار بتسليط الخذلان عليهم اعظم من الاخبار بتوليتهم الادبار
فان قلت ما موقع الجملتين اعني منهم المؤمنون ولن يضروكم **قلت** هما كلامان واردان على طريق الاستطراد عند اجراء ذكر
اهل الكتاب كما يقول القائل وعلى ذكر فلان فان من شأنه كيت وكيت ولذلك جاء من غير عاطف ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا
الا بحبل من الله وحبل من الناس بحبل من الله وهو استثناء من اعم عام الاحوال والمعنى ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا في حال
اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس يعني ذمة الله وذمة المسلمين اي لا عز لهم قط الا هذه الواحدة وهي التجاؤهم الى الذمة لما قبلوه
من الجزية وباءوا بغضب من الله استوجبوه وضربت عليهم المسكنة كما يضرب البيت على اهله فهم ساكنون في المسكنة
غير ظاعنين عنها وهم اليهود عليهم لعنة الله وغضبه ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير
حق ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بغضب الله اي ذلك كائن بسبب كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء ثم
قال ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اي ذلك كائن بسبب عصيانهم لله واعتدائهم لحدوده ليعلم ان الكفر وحده ليس
بسبب في استحقاق سخط الله وان سخط الله يستحق بركوب المعاصي كما يستحق بالكفر ونحوه مما خطئوا به اعتدوا واخذهم الربوا
وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون
يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات الضمير في ليسوا لاهل الكتاب اي ليس
اهل الكتاب مستوين وقوله من اهل الكتاب امة قائمة كلام مستأنف لبيان قوله ليسوا سواء كما وقع قوله تأمرون بالمعروف بيانا
لقوله كنتم خير امة قائمة مستقيمة عادلة من قولك اقمت العود فقام بمعنى استقام وهم الذين اسلموا منهم وعبر عن تهجدهم
بتلاوة القرآن في ساعات الليل مع السجود لانه ابين لما يفعلون وادل على حسن صورة امرهم وقيل عنى صلاة العشاء لان اهل
الكتاب لا يصلونها وعن ابن عباس اخر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم صلاة العشاء ثم خرج الى المسجد فاذا الناس ينتظرون الصلاة
فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم وقرأ هذه الآية وقوله يتلون ويؤمنون في محل الرفع صفتان
لامة اي امة قائمة تالون مؤمنون وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود من تلاوة آيات الله آناء الليل ساجدين ومن الايمان بالله لان
ايمانهم كلا ايمان لاشراكهم به عزيرا وكفرهم ببعض الكتب والرسل دون بعض ومن الايمان باليوم الآخر لانهم يصفونه بخلاف
صفته ومن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لانهم كانوا مداهنين ومن المسارعة في الخيرات لانهم كانوا متباطئين عنها غير
راغبين فيها والمسارعة في الخير فرط الرغبة فيه لان من رغب في الامر سارع في توليه والقيام به وآثر الفور على التراخي واولئك
من الصالحين من جملة الصالحين الذين صلحت احوالهم عند الله ورضيهم واستحقوا ثناءه عليهم ويجوز ان
يريد بالصالحين المسلمين وما تفعلوا من خير فلن تكفروه لما جاء وصف الله بالشكر في قوله والله شكور حليم في معنى توفية
الثواب نفى عنه نقيض ذلك **فان قلت** لم عدي الى مفعولين وشكر وكفر لا يتعديان الا الى واحد تقول شكر النعمة وكفرها
قلت ضمن معنى الحرمان فكانه قيل فلن تحرموه بمعنى فلن تحرموا جزاءه وقرئ يفعلوا ولن يكفروه بالياء والتاء والله عليم بالمتقين
بشارة للمتقين بجزيل الثواب ودلالة على انه لا يفوز عنده الا اهل التقوى ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم
من الله شيئا واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر
اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم فاهلكته الصر الريح الباردة نحو الصرصر قال لا تعدلن اتاويين تضربهم
نكباء صر باصحاب المحلات وكما قالت ليلى الاخيلية ولم تغلب الخصم الالد وتملأ الجفان سديفا يوم نكباء صرصر
فان قلت فما معنى كمثل ريح فيها صر **قلت** فيه اوجه كما تقول برد بارد على المبالغة والثاني ان يكون الصر مصدرا في الاصل بمعنى البرد فجيء به
على اصله والثالث ان يكون من قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة ومن قولك ان ضيعني فلان ففي الله كاف وكافل
قال وفي الرحمن للضعفاء كاف شبه ما كانوا ينفقون من اموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس
لا يبتغون به وجه الله بالزرع الذي حسه البرد فذهب حطاما وقيل هو ما كانوا يتقربون به الى الله مع كفرهم وقيل ما انفقوا
في عداوة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فضاع عنهم لانهم لم يبلغوا بانفاقه ما انفقوه لاجله وشبه بحرث قوم ظلموا انفسهم
فعوقبوا بهلاكه على معاصيهم لان الاهلاك عن سخط اشد وابلغ **فان قلت** الغرض تشبيه ما انفقوا في ضياعه وذهابه بالحرث الذي

ضربته فالكلام عن مطابق للغرض حيث جعل ما ينفقون ممثلاً بالريح. قلت: هو من التشبيه المركب الذي مر في تفسير قوله
تعالى كمثل الذي استوقد نارا، ويجوز أن يراد مثل إهلاك ما ينفقون كمثل إهلاك الريح، أو مثل ما ينفقون كمثل مهلك الريح وهو الحرث. وقرئ
تنفقون بالتاء. **وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ** الضمير للمنفقين على معنى: وما ظلمهم الله بأن لم يقبل نفقاتهم **وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** ولكن
ظلموا أنفسهم حيث لم يأتوا بها مستحقة للقبول، أو لأصحاب الحرث الذين ظلموا أنفسهم، أي: وما ظلمهم الله بإهلاك حرثهم ولكنهم ظلموا
أنفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة. وقرئ: ولكنّ بالتشديد بمعنى: ولكنّ أنفسهم يظلمونها هم، ولا يجوز أن يراد: ولكنه أنفسهم
يظلمون، على إسقاط ضمير الشأن لأنه إنما يجوز في الشعر. **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً** بطانة الرجل ووليجته: خصيصه وصفيّه
الذي يفضي إليه بشقوره ثقة به، شبّه ببطانة الثوب كما يقال: فلان شعاري. وعن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: الأنصار شعار والناس
دثار. **مِنْ دُونِكُمْ** من دونكم مجاوزة لكم. **لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا** يقال: ألا في الأمر يألو إذا قصّر فيه، ثم استعمل معدى إلى مفعولين
كقولهم: لا آلوك نصحا ولا آلوك جهدا، على التضمين، والمعنى: لا أمنعك نصحا. والخبال: الفساد. **وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ** ودّوا عنتكم، على أن
ما مصدرية. والعنت: شدة الضرر والمشقة. **قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ** لأنهم لا يتمالكون مع ضبطهم أنفسهم وتحاملهم
عليها أن ينفلت من ألسنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين. وعن قتادة: قد بدت البغضاء لأوليائهم من المنافقين والكفار
لاطلاع بعضهم بعضا على ذلك. وفي قراءة عبد الله: قد بدا البغضاء. **وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ** الدالة
على وجوب الإخلاص في الدين وموالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه. **إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ** ما بيّن لكم وعملتم به. **فإن قلت**
كيف موقع هذه الجمل؟ **قلت**: يجوز أن يكون لا يألونكم صفة للبطانة، وكذلك قد بدت البغضاء، كأنه قيل: بطانة غير مانعيكم خبالا
بادية بغضاؤهم. وأما قد بيّنا فكلام مبتدأ. وأحسن منه وأبلغ أن تكون مستأنفات كلها على وجه التعليل للنهي عن اتخاذهم بطانة.
هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ
الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ها للتنبيه، وأنتم مبتدأ، وأولاء خبره، أي: أنتم أولاء الخاطئون في موالاة منافقي أهل الكتاب. وقوله تحبونهم ولا يحبونكم
بيان لخطئهم في موالاتهم حيث تبذلون محبتكم لأهل البغضاء. وقيل: أولاء موصول، تحبونهم صلته. والواو في وتؤمنون للحال،
وانتصابها من لا يحبونكم، أي: لا يحبونكم والحال أنكم تؤمنون بكتابهم كله، وهم مع ذلك يبغضونكم، فما بالكم تحبونهم وهم لا
يؤمنون بشيء من كتابكم؟ وفيه توبيخ شديد بأنهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم. ونحوه: فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من
الله ما لا يرجون. ويوصف المغتاظ والنادم بعض الأنامل والبنان والإبهام. قال الحارث بن ظالم المري:
فأقتل أقواما لئاما أذلة ۞ يعضون من غيظ رؤوس الأباهم ۞ **قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ** دعاء عليهم بأن يزداد غيظهم حتى يهلكوا به، والمراد بزيادة الغيظ زيادة ما
يغيظهم من قوة الإسلام وعز أهله وما لهم في ذلك من الذل والخزي والتبار. **إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ** فهو يعلم ما في صدور
المنافقين من الحنق والبغضاء، وما يكون منهم في حال خلو بعضهم ببعض، وهو كلام داخل في جملة المقول أو خارج منها. **فإن**
قلت: كيف معناه على الوجهين؟ **قلت**: إذا كان داخلا في جملة المقول فمعناه: أخبرهم بما يسرونه من عضهم الأنامل غيظا إذا خلوا،
وقل لهم: إن الله عليم بما هو أخفى مما تسرونه بينكم وهو مضمرات الصدور، فلا تظنوا أن شيئا من أسراركم يخفى عليه. وإذا كان خارجا
فمعناه: قل لهم ذلك يا محمد، ولا تتعجب من إطلاعي إياك على ما يسرون، فإني أعلم ما هو أخفى من ذلك وهو ما أضمروه في صدورهم ولم
يظهروه بألسنتهم. ويجوز أن لا يكون ثمّ قول، وأن يكون قل موتوا بغيظكم أمرا لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بطيب النفس وقوة الرجاء
والاستبشار بوعد الله أن يهلكوا غيظا بإعزاز الدين وإذلالهم به، كأنه قيل: حدّث نفسك بذلك. **إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ**
وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا الحسنة: الرخاء والخصب والنصرة والغنيمة ونحوها من المنافع، والسيئة ما كان ضد ذلك. وهذا
بيان لفرط معاداتهم حيث يحسدونهم على ما نالهم من الخير، ويشمتون بهم فيما أصابهم من الشدة. **فإن قلت**: كيف وصفت
الحسنة بالمس والسيئة بالإصابة؟ **قلت**: المس مستعار لمعنى الإصابة، فكان المعنى واحدا، ألا ترى إلى قوله: إن تصبك حسنة تسؤهم
وإن تصبك مصيبة، ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك، إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا.
وَإِنْ تَصْبِرُوا على عداوتهم **وَتَتَّقُوا** ما نهيتم عنه من موالاتهم، أو وإن تصبروا على تكاليف الدين ومشاقه وتتقوا الله في اجتنابكم
محارمه **لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا** كنتم في كنف الله فلا يضركم كيدهم. وقرئ: لا يضرْكم من ضاره يضيره، ويضرُّكم
على أن ضمة الراء لإتباع ضمة الضاد، كقولك: مُدُّ يا هذا. وروى المفضل عن عاصم: لا يضرَّكم بفتح الراء. وهذا تعليم من الله وإرشاد
إلى أن يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى. وقد قال الحكماء: إذا أردت أن تكبت من يحسدك فازدد فضلا في نفسك. **إِنَّ اللَّهَ بِمَا**
تَعْمَلُونَ من الصبر والتقوى وغيرهما **مُحِيطٌ** ففاعل بكم ما أنتم أهله. وقرئ بالياء بمعنى أنه عالم بما يعملون في عداوتكم فمعاقبهم عليه.
وَإِذْ غَدَوْتَ واذكر إذ غدوت **مِنْ أَهْلِكَ** بالمدينة، وهو غدوّه إلى أحد من حجرة عائشة. روي أن المشركين نزلوا بأحد يوم
الأربعاء، فاستشار رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أكثر أصحابه، ودعا عبد الله بن أبي بن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره،
فقال عبد الله وأكثر الأنصار: يا رسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج إليهم، فوالله ما خرجنا منها إلى عدو قط إلا أصاب منا، ولا
دخلها علينا إلا أصبنا منه، فكيف وأنت فينا؟ فدعهم، فإن أقاموا أقاموا بشر محبس، وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء

والصبا

والصبيان بالحجارة، وإن رجعوا رجعوا خائبين. وقال بعضهم: يا رسول الله اخرج بنا إلى هؤلاء الأكلب لا يرون أنا قد جبنّا عنهم.
فقال عليه السلام: إني قد رأيت في منامي بقرا مذبحة حولي فأوّلتها خيرا، ورأيت في ذباب سيفي ثلما فأوّلته هزيمة، ورأيت
كأني أدخلت يدي في درع حصينة فأوّلتها المدينة، فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم. فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم
بدر وأكرمهم الله بالشهادة يوم أحد: اخرج بنا إلى أعدائنا، فلم يزالوا به حتى دخل فلبس لأمته، فلما رأوه قد لبس لأمته ندموا
وقالوا: بئسما صنعنا، نشير على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم والوحي يأتيه، وقالوا: اصنع يا رسول الله ما رأيت. فقال: لا ينبغي لنبي
أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل. فخرج يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة، وأصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال، فمشى
على رجليه فجعل يصف أصحابه للقتال كأنما يقوّم بهم القدح، إن رأى صدرا خارجا قال: تأخر. وكان نزوله في عدوة الوادي،
وجعل ظهره وعسكره إلى أحد، وأمّر عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم: انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا. **تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ**
تنزلهم. وقرأ عبد الله: للمؤمنين، بمعنى تسوّي لهم وتهيّئ. **مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ** مواطن ومواقف، وقد اتسع في قعد وقام حتى أجريا مجرى
صار، واستعمل المقعد والمقام في معنى المكان، ومنه قوله تعالى: في مقعد صدق، قبل أن تقوم من مقامك، أي من مجلسك وموضع
حكمك. **وَاللَّهُ سَمِيعٌ** لأقوالكم **عَلِيمٌ** بنياتكم وضمائركم. **إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا** إذ همت
بدل من إذ غدوت، أو عمل فيه معنى سميع عليم. والطائفتان: حيّان من الأنصار: بنو سلمة من الخزرج، وبنو حارثة من الأوس، وهما
الجناحان. خرج رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في ألف، وقيل في تسعمائة وخمسين، والمشركون في ثلاثة آلاف، ووعدهم الفتح
إن صبروا، فانخزل عبد الله بن أبي بثلث الناس وقال: يا قوم علام نقتل أنفسنا وأولادنا؟ فتبعهم عمرو بن حزم الأنصاري وقال: أنشدكم
الله في نبيكم وأنفسكم. فقال عبد الله: لو نعلم قتالا لاتبعناكم. فهمّ الحيّان باتباع عبد الله فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله
صلى الله عليه وعلى آله وسلم. وعن ابن عباس: أضمروا أن يرجعوا، فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا. والظاهر أنها ما كانت إلا همة وحديث
نفس، وكما لا تخلو النفس عند الشدة من بعض الهلع ثم يردها صاحبها إلى الثبات والصبر ويوطنها على احتمال المكروه، كما قال عمرو
بن الإطنابة: أقول لها إذا جشأت وجاشت ۞ مكانك تحمدي أو تستريحي ۞ قال معاوية: عليكم بحفظ الشعر، فقد
كدت أضع رجلي في الركاب يوم صفين فما ثبتني إلا قول عمرو بن الإطنابة. ولو كانت عزيمة لما ثبتت معها الولاية،
والله تعالى يقول: والله وليهما، ويجوز أن يراد: والله ناصرهما ومتولي أمرهما، فما لهما يفشلان ولا يتوكلان على الله تعالى. **فإن قلت**:
ما معنى ما روي من قول بعضهم عند نزول الآية: والله ما يسرنا أنا لم نهمّ بالذي هممنا به وقد أخبرنا الله بأنه ولينا؟ **قلت**: معنى ذلك
فرط الاستبشار بما حصل لهم من الشرف بثناء الله وإنزاله فيهم آية ناطقة بصحة الولاية، وأن تلك الهمة غير المأخوذ بها لأنها لم تكن
عن عزيمة وتصميم كانت سببا لنزولها. والفشل: الجبن والخور. وقرأ عبد الله: والله وليهم، كقوله: وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا.
وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ أمرهم بأن لا يتوكلوا إلا عليه ولا يفوّضوا أمورهم إلا إليه. **وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ**
أَذِلَّةٌ ثم ذكّرهم ما يوجب عليهم التوكل مما يسّر لهم من الفتح يوم بدر وهم في حال قلة وذلة. والأذلة جمع قلة، والذلان جمع الكثرة،
وجاء بجمع القلة ليدل على أنهم على ذلتهم كانوا قليلا. وذلتهم ما كان بهم من ضعف الحال وقلة السلاح والمال والمركوب، وذلك أنهم خرجوا على
النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد، وما كان معهم إلا فرس واحد. وقلتهم أنهم كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر، وكان عدوهم
في حال كثرة زهاء ألف مقاتل، ومعهم مائة فرس والشكة والشوكة. وبدر اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به.
فَاتَّقُوا اللَّهَ في الثبات مع رسوله **لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** بتقواكم ما أنعم به عليكم من نصرته، أو لعلكم ينعم الله عليكم
نعمة أخرى تشكرونها، فوضع الشكر موضع الإنعام لأنه سبب له. **إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ**
بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ
مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ إذ تقول ظرف لنصركم، على أن يقول لهم ذلك يوم بدر، أو بدل ثان من إذ غدوت، على أن يقوله لهم
يوم أحد. **فإن قلت**: كيف يصح أن يقول لهم يوم أحد ولم تنزل فيهم الملائكة؟ **قلت**: قاله لهم مع اشتراط الصبر والتقوى
عليهم، فلم يصبروا عن الغنائم ولم يتقوا حيث خالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فلذلك لم تنزل الملائكة، ولو تموا على ما
شرط عليهم لنزلت. وإنما قدّم لهم الوعد بنزول الملائكة لتقوى قلوبهم ويعزموا على الثبات ويثقوا بنصر الله. ومعنى ألن يكفيكم
إنكار أن لا يكفيهم الإمداد بثلاثة آلاف من الملائكة، وإنما جيء بلن الذي هو لتأكيد النفي للإشعار بأنهم كانوا لقلتهم وضعفهم
وكثرة عدوهم وشوكته كالآيسين من النصر. وبلى إيجاب لما بعد لن، يعني: بلى يكفيكم الإمداد بهم، فأوجب الكفاية، ثم
قال: إن تصبروا وتتقوا يمددكم بأكثر من ذلك العدد مسوّمين للقتال، ويأتوكم يعني المشركين من فورهم هذا، من قولك: قفل
من غزوته وخرج من فورته إلى غزوة أخرى، وجاء فلان ورجع من فوره، ومنه قول أبي حنيفة رضي الله عنه: الأمر على الفور لا على
التراخي، وهو مصدر من فارت القدر إذا غلت، فاستعير للسرعة، ثم سميت به الحالة التي لا ريث فيها ولا تعريج على شيء من صاحبها،
فقيل: خرج من فوره، كما تقول: خرج من ساعته لم يلبث. والمعنى أنهم إن يأتوكم من ساعتهم هذه يمددكم ربكم بالملائكة في حال إتيانهم لا يتأخر
نزولهم عن إتيانهم، يريد أن الله يعجل نصركم وييسر فتحكم إن صبرتم واتقيتم. وقرئ منزّلين بالتشديد، ومنزِلين بكسر الزاي

معنى منزلين النصر ومسومين بفتح الواو وكسرها بمعنى معلَمين ومعلِمين انفسهم او خيلهم قال الكلبي معلمين بعمائم صفر مرخاة على
اكتافهم وعن الضحاك معلمين بالصوف الابيض في نواصي الدواب واذنابها وعن مجاهد مجزوزة اذناب خيلهم وعن قتادة
كانوا على خيل بلق وعن عروة بن الزبير كانت عمامة الزبير يوم بدر صفرا فنزلت الملائكة كذلك وعن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم
انه قال لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت وما جعله الله الهاء لان يمدكم اي وما جعل الله امدادكم بالملائكة الا
بشرى الا بشارة لكم بانكم تنصرون ولتطمئن قلوبكم به كما كانت السكينة لبني اسرائيل بشارة بالنصر وطمانينة لقلوبهم
وما النصر الا من عند الله لا من عند المقاتلة اذا تكاثروا ولا من عند الملائكة والسكينة ولكن ذلك مما يقوي به الله رجاء
النصرة والطمع في الرحمة ويربط به على قلوب المجاهدين العزيز الذي لا يغالب في حكمه الحكيم الذي يعطي النصر ويمنعه
لما يرى من المصلحة ليقطع طرفا من الذين كفروا ليهلك طائفة منهم بالقتل والاسر وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين
من روساء قريش وصناديدهم او يكبتهم او يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة فينقلبوا خائبين غير ظافرين بمبتغاهم ونحوه ورد الله الذين
كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ويقال كبته بمعنى كبده اذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة وقيل في قول ابي الطيب لا كبت حاسدا وارى عدوا
هو من الكبد والرية واللام متعلقة بقوله تعالى ولقد نصركم او بقوله وما النصر الا من عند الله ليس لك من الامر شيء او يتوب
عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون او يتوب عطف على ما قبله وليس لك من الامر شيء اعتراض والمعنى ان الله مالك امرهم فاما ان
يهلكهم او يهزمهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا على الكفر وليس لك من امرهم شيء انما انت عبد مبعوث لانذارهم
ومجاهدتهم وقيل ان يتوب منصوب باضمار ان وان يتوب في حكم اسم معطوف باو على الامر او على شيء اي ليس لك من امرهم شيء او من
التوبة عليهم او من تعذيبهم او ليس لك من امرهم شيء او التوبة عليهم او تعذيبهم وقيل او بمعنى الا ان كقولك لالزمنك او تعطيني
حقي على معنى ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم او يعذبهم فتتشفى منهم وقيل شجه عتبة بن ابي وقاص
يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه وسالم مولى ابي حذيفة يغسل عن وجهه الدم وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا
وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فنزلت وقيل اراد ان يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه ان فيهم من يومن ولله ما في السموات
وما في الارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم عن الحسن يغفر لمن يشاء بالتوبة ولا يشاء ان يغفر
الا للتائبين ويعذب من يشاء ولا يشاء ان يعذب الا المستوجبين للعذاب وعن عطاء يغفر لمن يتوب اليه ويعذب من لقيه ظالما واتباعه قوله
او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون تفسير بين لمن يشاء وانهم المتوب عليهم او الظالمون ولكن اهل الاهواء والبدع يتصامون
ويتعامون عن ايات الله فيخبطون خبط عشواء ويطيبون انفسهم بما يفترون على ابن عباس رضي الله عنهما من قولهم يهب الذنب
الكبير لمن يشاء ويعذب على الذنب الصغير من يشاء يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربا اضعافا مضاعفة واتقوا الله
لعلكم تفلحون نهي عن الربا مع توبيخ بما كانوا عليه من تضعيفه كان الرجل منهم اذا بلغ الدين محله زاد في الاجل فاستغرق
بالشيء الطفيف مال المديون واتقوا النار التي اعدت للكافرين واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون كان
ابو حنيفة رضي الله عنه يقول هي اخوف اية في القران حيث اوعد الله المومنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب محارمه
وقد امد ذلك بما اتبعه من تعليق رجاء المومنين لرحمته بتوفرهم على طاعته وطاعة رسوله عليه الصلاة والسلام ومن
تامل هذه الايات وامثالها لم يحدث نفسه بالاطماع الفارغة والتمني على الله وفي ذكره تعالى لعل وعسى في نحو هذه المواضع
وان قال الناس ما قالوا ما لا يخفى على العارف الفطن في دقة مسلك التقوى وصعوبة اصابة رضا الله وعزة التوصل الى رحمته
وثوابه سارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة في مصاحف اهل المدينة والشام سارعوا بغير واو وقرا الباقون بالواو
وقراءة عبد الله وسابقوا ومعنى المسارعة الى المغفرة والجنة الاقبال على ما يستحقان به عرضها السموات والارض اي
عرضها عرض السموات والارض كقوله عرضها كعرض السماء والارض والمراد وصفها بالسعة والبسطة فشبهت باوسع ما علمه الناس من
خلقه وابسطه وخص العرض لانه في العادة ادنى من الطول للمبالغة كقوله بطائنها من استبرق وعن ابن عباس رضي الله
عنهما كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض اعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء في حال
الرخاء واليسر وحال الضيقة والعسر لا يخلون بان ينفقوا في كلا الحالين ما قدروا عليه من قليل او كثير كما يحكى عن بعض السلف
انه ربما تصدق ببصلة وعن عائشة رضي الله عنها انها تصدقت بحبة عنب او في جميع الاحوال لانها لا تخلو من حال مسرة او مضرة
لا يمنعهم حال فرح وسرور ولا حال محنة وبلاء من المعروف وسواء عليهم كان الواحد منهم في عرس او حبس فانه لا يدع الاحسان
وافتتح بذكر الانفاق لانه اشق شيء على النفس وادله على الاخلاص ولانه كان في ذلك الوقت اعظم الاعمال للحاجة اليه في مجاهدة العدو
ومواساة فقراء المومنين والكاظمين الغيظ كظم القربة اذا ملاها وشد فاها وكظم البعير اذا لم يجتر ومنه كظم الغيظ
وهو ان يمسك على ما في نفسه منه بالصبر ولا يظهر له اثرا وعن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه
ملا الله قلبه امنا وايمانا وعن عائشة رضي الله عنها ان خادما لها غاظها فقالت لله در التقوى ما تركت لذي غيظ شفاء والعافين
عن الناس اذا جنى عليهم احد لم يواخذوه وروي ينادي مناد يوم القيامة اين الذين كانت اجورهم على الله فلا يقوم الا من عفا

وعن ابن

وعن ابن عيينة انه رواه للرشيد وقد غضب على رجل فخلاه وعن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ان هولاء في امتي قليل الا من عصم الله
وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت والله يحب المحسنين يجوز ان تكون اللام للجنس فيتناول كل محسن ويدخل تحته هولاء
المذكورون وان تكون للعهد فتكون اشارة الى هولاء والذين عطف على المتقين اي اعدت للمتقين والتائبين وقوله اولئك اشارة
الى الفريقين ويجوز ان تكون والذين مبتدا واولئك خبره اذا فعلوا فاحشة فعلة متزايدة القبح او ظلموا انفسهم
او اذنبوا اي ذنب كان مما يواخذون به وقيل الفاحشة الزنا وظلم النفس ما دونه من القبلة واللمسة ونحوهما وقيل الفاحشة
الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ذكروا الله تذكروا عقابه او وعيده او نهيه او حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء
منه فاستغفروا لذنوبهم فتابوا عنها لقبحها نادمين عازمين ومن يغفر الذنوب الا الله وصف لذاته بسعة الرحمة
وقرب المغفرة وان التائب من الذنب عنده كمن لا ذنب له وانه لا مفزع للمذنبين الا فضله وكرمه وان عدله يوجب المغفرة للتائب
لان العبد اذا جاء في الاعتذار والتنصل باقصى ما يقدر عليه وجب العفو والتجاوز وفيه تطييب لنفوس العباد وتنشيط للتوبة
وبعث عليها وردع عن الياس والقنوط وان الذنوب وان جلت فان عفوه اجل وكرمه اعظم والمعنى انه وحده معه مصححات
المغفرة وهذه جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه ولم يصروا على ما فعلوا ولم يقيموا على قبيح فعلهم غير مستغفرين
وعن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وروي لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة
مع الاصرار وهم يعلمون حال من فعل الاصرار وحرف النفي منصب عليهما معا والمعنى وليسوا ممن يصرون على الذنوب وهم عالمون
بقبحها وبالنهي عنها والوعيد عليها لانه قد يعذر من لا يعلم قبح القبيح وفي هذه الايات بيان قاطع ان الذين امنوا على ثلاث طبقات متقون
وتائبون ومصرون وان الجنة للمتقين والتائبين منهم دون المصرين ومن خالف في ذلك فقد كابر عقله وعاند ربه اولئك جزاؤهم
مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين قال اجر العاملين بعد قوله
جزاؤهم لانهما في معنى واحد وانما خالف بين اللفظين لزيادة التنبيه على ان ذلك جزاء واجب على عمل واجر مستحق عليه لا كما قال
المبطلون وروي ان الله تعالى اوحى الى موسى ما اقل حياء من يطمع في جنتي بغير عمل كيف اجود برحمتي على من يبخل بطاعتي
وعن شهر بن حوشب طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء الرحمة ممن لا يطاع
حمق وجهالة وعن الحسن يقول الله يوم القيامة جوزوا الصراط بعفوي وادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها باعمالكم وعن رابعة البصرية
انها كانت تنشد ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ان السفينة لا تجري على اليبس قد خلت من قبلكم سنن فسيروا
في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين يريد ما سنه الله في الامم المكذبين من وقائعه كقوله تعالى وقتلوا تقتيلا
سنة الله في الذين خلوا من قبل ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله التي قد خلت من قبل هذا بيان للناس ايضاح لسوء عاقبة
ما هم عليه من التكذيب يعني حثهم على النظر في سوء عواقب المكذبين قبلهم والاعتبار بما يعاينون من اثار هلاكهم وهدى
وموعظة للمتقين يعني انه مع كونه بيانا وتنبيها للمكذبين فهو زيادة تثبيت وموعظة للذين اتقوا من المومنين ويجوز ان يكون
قوله قد خلت جملة معترضة للبعث على الايمان وما يستحقونه بما ذكر من اجر العاملين ويكون قوله هذا اشارة الى ما لخص من
امر المتقين والتائبين والمصرين ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية من الله لرسوله وللمومنين عما اصابهم يوم احد وتقوية من قلوبهم يعني ولا
تضعفوا عن الجهاد لما اصابكم اي لا يورثنكم ذلك وهنا وجبنا ولا تبالوا به ولا تحزنوا على من قتل منكم وجرح وانتم الاعلون
وحالكم انكم اعلى منهم واغلب لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم يوم احد او وانتم الاعلون شانا لان قتالكم لله
ولاعلاء كلمته وقتالهم للشيطان ولاعلاء كلمة الكفر ولان قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار او هي بشارة لهم بالعلو والغلبة
اي وانتم الاعلون في العاقبة وان جندنا لهم الغالبون ان كنتم مومنين متعلق بالنهي يعني ولا تهنوا ان صح ايمانكم على ان
صحة الايمان توجب قوة القلب والثقة بصنع الله وقلة المبالاة باعدائه او بالاعلون اي ان كنتم مصدقين بما يعدكم الله ويبشركم
به من الغلبة ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وقرئ قرح بفتح القاف وضمها وهما لغتان كالضعف والضعف
وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المها وقرا ابو السمال قرح بفتحتين وقيل القرح والقرح كالطرد والطرد والمعنى ان نالوا منكم
يوم احد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال فانتم اولى ان لا تضعفوا ونحوه فانهم
يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون وقيل كان ذلك يوم احد فقد نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فان قلت كيف قيل قرح مثله وما كان قرحهم يوم احد مثل قرح المشركين قلت بلى كان مثله ولقد قتل يومئذ خلق من الكفار
الا ترى الى قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما اراكم ما
تحبون وتلك الايام تلك مبتدا والايام صفة ونداولها خبر ويجوز ان تكون تلك الايام مبتدا وخبرا كما تقول هي الايام تبلي كل جديد
والمراد بالايام اوقات الظفر والغلبة نداولها بين الناس نصرفها بينهم نديلها لهولاء تارة ولهولاء اخرى كقوله وهو من ابيات الكتاب
فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر وفي امثالهم الحرب سجال وعن ابي سفيان انه صعد الجبل يوم احد فمكث ساعة
ثم قال اين ابن ابي كبشة اين ابن ابي قحافة اين ابن الخطاب فقال عمر هذا رسول الله وهذا ابو بكر وها انا عمر فقال ابو سفيان يوم بيوم والايام

دولة والحرب سجال فقال عمر رضي الله عنه لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال إنكم تزعمون ذلك فقد خبنا إذن وخسرنا والمداولة مثل المعاورة والتصف شعر ● يرد المياه فلا يزال مداولا ● في الناس بين تمثل وسماع ● نداول داولت بينهم الشيء فتداولوه وليعلم الله الذين آمنوا فيه وجهان أحدهما أن يكون المعلل محذوفا معناه وليتميز الثابتون على الإيمان منكم من غير الثابت وإلا فالله عز وجل لم يزل عالما بالأشياء قبل كونها وقيل معناه وليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو أن يعلمهم موجودا منهم الثبات والثاني أن يكون العلة محذوفة وهذا عطف عليه معناه فعلنا ذلك ليكون كيت وكيت وليعلم الله وإنما حذف للإيذان بأن المصلحة فيما فعل ليست بواحدة ليسليهم عما جرى عليهم وليبصرهم أن العبد يسوؤه ما يجري عليه من المصائب ولا يشعر أن لله في ذلك من المصالح ما هو غافل عنه ويتخذ منكم شهداء وليكرم ناسا منكم بالشهادة يريد المستشهدين يوم أحد أو ويتخذ منكم من يصلح للشهادة على الأمم يوم القيامة بما يبتلى به صبركم من الشدائد من قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس والله لا يحب الظالمين ● وليمحص الله الذين آمنوا والله لا يحب الظالمين اعتراض بين بعض التعليل وبعض ومعناه والله لا يحب من ليس من هؤلاء الثابتين على الإيمان المجاهدين في سبيل الله المخلصين من الذنوب والتمحيص التطهير والتصفية ويمحق الكافرين ● ويهلكهم يعني إن كانت الدولة على المؤمنين فللتمييز والاستشهاد والتمحيص وغير ذلك مما هو أصلح لهم وإن كانت على الكافرين فلمحقهم ومحو آثارهم أم حسبتم أن تدخلوا الجنة أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها الإنكار ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم بمعنى ولما تجاهدوا لأن العلم متعلق بالمعلوم فنزل نفي العلم منزلة نفي متعلقه لأنه منتف بانتفائه يقول الرجل ما علم الله في فلان خيرا يريد ما فيه خير حتى يعلمه ولما بمعنى لم إلا أن فيه ضربا من التوقع فدل على نفي الجهاد فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل وتقول وعدني أن يفعل كذا ولما تريد ولم يفعل وأنا أتوقع فعله وقرئ ولما يعلم الله بفتح الميم وقيل أراد ولما يعلمن بالنون الخفيفة فحذفها ويعلم الصابرين ● نصب بإضمار أن والواو بمعنى الجمع كقولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن وقرأ الحسن بالجزم على العطف وروى عبد الوارث عن أبي عمرو ويعلم بالرفع على أن الواو للحال كأنه قيل ولما تجاهدوا وأنتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه خوطب به الذين لم يشهدوا بدرا وكانوا يتمنون أن يحضروا مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ليصيبوا من كرامة الشهادة ما نال شهداء بدر وهم الذين ألحوا على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في الخروج إلى المشركين وكان رأيه في الإقامة بالمدينة يعني وكنتم تمنون الموت قبل أن تشاهدوه وتعرفوا شدته وصعوبة مقاساته فقد رأيتموه وأنتم تنظرون ● أي رأيتموه معاينين مشاهدين له حين قتل بين أيديكم من قتل من إخوانكم وأقاربكم وشارفتم أن تقتلوا وهذا توبيخ لهم على تمنيهم الموت وعلى ما تسببوا له من خروج رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بإلحاحهم عليه ثم انهزامهم عنه وقلة ثباتهم عنده **فإن قلت** كيف يجوز تمني الشهادة وفي تمنيها تمني غلبة الكافر على المسلم **قلت** قصد متمني الشهادة إلى نيل كرامة الشهداء لا غير ولا يذهب وهمه إلى ذلك المتضمن كما أن من يشرب دواء الطبيب النصراني قاصد إلى حصول المأمول من الشفاء ولا يخطر بباله أن فيه جر منفعة وإحسان إلى عدو الله وتنفيقا لصناعته ولقد قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه حين نهض إلى مؤتة وقيل له ردكم الله لكنني أسأل الرحمن مغفرة ● وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا ● أو طعنة بيدي حران مجهزة ● بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا ● حتى يقولوا إذا مروا على جدثي ● أرشدك الله من غاز وقد رشدا ● وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل لما رمى عبد الله بن قميئة الحارثي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه أقبل يريد قتله فذب عنه مصعب بن عمير وهو صاحب الراية يوم بدر ويوم أحد حتى قتله ابن قميئة وهو يرى أنه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ ألا إن محمدا قد قتل وقيل كان الصارخ الشيطان ففشا في الناس خبر قتله فانكفأوا وجعل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يدعو إلي عباد الله حتى انحازت إليه طائفة من أصحابه فلامهم على هربهم فقالوا يا رسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا أتانا خبر قتلك فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين وروي أنه لما صرخ الصارخ قال بعض المسلمين ليت عبد الله بن أبي يأخذ لنا أمانا من أبي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا إلى إخوانكم وإلى دينكم فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك يا قوم إن كان قتل محمد فإن رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة بعده وقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم إني أعتذر إليك مما يقول هؤلاء وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل وعن بعض المهاجرين أنه مر بأنصاري يتشحط في دمه فقال يا فلان أشعرت أن محمدا قد قتل فقال إن كان قتل فقد بلغ قاتلوا على دينكم والمعنى وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا وكما أن أتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم فعليكم أن تتمسكوا بدينه بعد خلوه لأن الغرض من بعثة الرسول تبليغ الرسالة وإلزام الحجة لا وجوده بين أظهر قومه أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم الفاء معلقة للجملة الشرطية بالجملة قبلها على معنى التسبيب والهمزة لإنكار أن يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على أعقابهم بعد هلاكه بموت أو قتل مع علمهم أن خلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به يجب أن يجعل سببا للتمسك بدين محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ● **فإن قلت** لم ذكر القتل وقد علم أنه لا يقتل **قلت** لكونه مجوزا عند المخاطبين **فإن قلت** أما علموه من ناحية قوله والله يعصمك من الناس **قلت** هذا مما يختص بالعلماء منهم وذوي البصيرة ألا أنهم سمعوا خبر قتله فهربوا على أنه يحتمل العصمة

من فتنة الناس وإضلالهم والانقلاب على الأعقاب الإدبار عما كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقوم به من أمر الجهاد وغيره وقيل الارتداد وما ارتد أحد من المسلمين ذلك اليوم إلا ما كان من قول المنافقين ويجوز أن يكون على وجه التغليظ عليهم فيما كان منهم من الفرار والانكشاف عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وإسلامه ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وإنما يضر نفسه لأن الله لا يجوز عليه المضار والمنافع وسيجزي الله الشاكرين ● الذين لم ينقلبوا كأنس بن النضر وأضرابه وسماهم الشاكرين لأنهم شكروا نعمة الإسلام فيما فعلوا وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله المعنى أن موت الأنفس محال أن يكون إلا بمشيئة الله فأخرجه مخرج فعل لا ينبغي لأحد أن يقدم عليه إلا أن يأذن الله له تمثيلا ولأن ملك الموت هو الموكل بذلك فليس له أن يقبض نفسا إلا بإذن الله وهو على معنيين أحدهما تحريضهم على الجهاد وتشجيعهم على لقاء العدو بإعلامهم بأن الحذر لا ينفع وأن أحدا لا يموت قبل بلوغ أجله وإن خوض المهالك واقتحم المعارك والثاني ذكر ما صنع الله برسوله عند غلبة العدو والتفافهم عليه وإسلام قومه له نهزة للمختلس من الحفظ والكلاءة وتأخير الأجل كتابا مصدر مؤكد لأن المعنى كتب الموت كتابا مؤجلا موقتا له أجل معلوم لا يتقدم ولا يتأخر ومن يرد ثواب الدنيا تعريض بالذين شغلتهم الغنائم يوم أحد نؤته منها أي من ثوابها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الجزاء المبهم الشاكرين ● الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد وقرئ يؤته وسيجزي بالياء فيهما وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير قرئ قاتل وقتل بالتشديد والفاعل ربيون أو ضمير النبي ومعه ربيون حال عنه بمعنى قتل كائنا معه ربيون والقراءة بالتشديد تنصر الوجه الأول وعن سعيد بن جبير ما سمعنا بنبي قتل في القتال والربيون الربانيون وقرئ بالحركات الثلاث فالفتح على القياس والضم والكسر من تغييرات النسب فما وهنوا لما أصابهم وقرئ فما وهنوا بكسر الهاء والمعنى فما وهنوا عند قتل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وما ضعفوا عن الجهاد بعده وما استكانوا والله يحب الصابرين ● وما استكانوا للعدو وهذا تعريض بما أصابهم من الوهن والانكسار عند الإرجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين أرادوا أن يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن أبي في طلب الأمان من أبي سفيان وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ● وما كان قولهم إلا هذا القول وهو إضافة الذنوب والإسراف إلى أنفسهم مع كونهم ربانيين هضما لها واستقصارا والدعاء بالاستغفار منها مقدما على طلب تثبيت الأقدام في مواطن الحرب والنصرة على العدو ليكون طلبهم إلى ربهم عن زكاة وطهارة وخضوع أقرب إلى الاستجابة فآتاهم الله ثواب الدنيا من النصرة والغنيمة والعز وطيب الذكر وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين ● وخص ثواب الآخرة بالحسن دلالة على فضله وتقدمه وأنه هو المعتد به عنده تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة ● يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين قال علي رضي الله عنه نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا إلى إخوانكم وادخلوا في دينهم وعن الحسن إن تستنصحوا اليهود والنصارى وتقبلوا منهم لأنهم كانوا يستغوونهم ويوقعون لهم الشبه في الدين ويقولون لو كان نبيا حقا لما غلب ولما أصابه وأصحابه ما أصابهم وإنما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوما له ويوما عليه وعن السدي إن تستكينوا لأبي سفيان وأصحابه وتستأمنوهم يردوكم إلى دينهم وقيل هو عام في جميع الكفار وإن على المؤمنين أن يجانبوهم ولا يطيعوهم في شيء ولا ينزلوا على حكمهم ولا على مشورتهم حتى لا يستجروهم إلى موافقتهم بل الله مولاكم أي ناصركم لا تحتاجون معه إلى نصرة أحد وولايته وقرئ بالنصب على بل أطيعوا الله مولاكم وهو خير الناصرين ● سنلقي وقرئ بالنون والياء في قلوب الذين كفروا الرعب والرعب بسكون العين وضمها قيل قذف الله في قلوب المشركين الخوف يوم أحد فانهزموا إلى مكة من غير سبب ولهم القوة والغلبة وقيل ذهبوا إلى مكة فلما كانوا ببعض الطريق قالوا ما صنعنا شيئا … بما أشركوا بالله بسبب إشراكهم أي كان السبب في إلقاء الله الرعب في قلوبهم إشراكهم به ما لم ينزل به سلطانا آلهة لم ينزل الله بإشراكها حجة **فإن قلت** كأن هناك حجة حتى ينزلها الله فيصح لهم الإشراك **قلت** لم يعن أن هناك حجة إلا أنها لم تنزل عليهم لأن الشرك لا يستقيم أن تقوم عليه حجة وإنما المراد نفي الحجة ونزولها جميعا كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر ● ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين ● ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا وعدهم الله النصر بشرط الصبر والتقوى في قوله إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم ويجوز أن يكون الموعود قوله تعالى سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب فلما فشلوا وتنازعوا لم يرعبهم وقيل لما رجعوا إلى المدينة قال ناس من المؤمنين من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزلت وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم جعل أحدا خلف ظهره واستقبل المدينة وأقام الرماة عند الجبل وأمرهم أن يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا كانت الدولة للمسلمين أو عليهم فلما أقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يحسونهم أي يقتلونهم قتلا ذريعا حتى إذا فشلتم والفشل الجبن وضعف الرأي وتنازعتم فقال بعضهم قد انهزم المشركون فما موقفنا هاهنا وقال بعضهم لا نخالف أمر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فممن ثبت مكانه عبد الله بن جبير أمير الرماة في نفر دون العشرة وهم المعنيون بقوله ومنكم من يريد الآخرة ونفر أعقابا

وهم الذين أرادوا الدنيا فكرّ المشركون على الرماة وقتلوا عبد الله بن جبير وأقبلوا على المسلمين وحالت الريح دبوراً وكانت صباً حتى هزموهم وقتلوا من قتلوا وهو قوله **ثم صرفكم عنهم ليبتليكم** ليمتحن صبركم على المصائب وثباتكم على الإيمان عندها **ولقد عفا عنكم** لما علم من ندمكم على ما فرط منكم من عصيان أمر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم **والله ذو فضل على المؤمنين** يتفضل عليهم بالعفو أو هو متفضل عليهم في جميع الأحوال سواء أديل لهم أو أديل عليهم لأن الابتلاء رحمة كما أن النصرة رحمة **فإن قلت** بم تعلق حتى إذا **قلت** بمحذوف تقديره حتى إذا فشلتم منعكم نصره ويجوز أن يكون المعنى صدقكم الله وعده إلى وقت فشلكم **إذ تصعدون** نصب بصرفكم أو بقوله ليبتليكم أو بإضمار اذكروا والإصعاد الذهاب في الأرض والإبعاد فيه يقال صعد في الجبل وأصعد في الأرض يقال أصعدنا من مكة إلى المدينة وقرأ الحسن تصعدون يعني في الجبل وتعضد الأولى قراءة أبيّ إذ تصعدون في الوادي وقرأ أبو حيوة تصعّدون بفتح التاء وتشديد العين من تصعّد في السلم **ولا تلوون على أحد** وقرأ الحسن تلون بواو واحدة وقد ذكرنا وجهها وقرئ يصعدون ويلوون بالياء **والرسول يدعوكم** كان يقول إليّ عباد الله إليّ عباد الله أنا رسول الله من يكرّ فله الجنة **في أخراكم** في ساقتكم وجماعتكم الأخرى وهي المتأخرة يقال جئت في آخر الناس وأخراهم كما تقول في أولهم وأولاهم بتأويل مقدمتهم وجماعتهم الأولى **فأثابكم** عطف على صرفكم أي فجازاكم الله **غماً** حين صرفكم عنهم وابتلاكم **بغم** بسبب غم أذقتموه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بعصيانكم له أو غماً مضاعفاً غماً بعد غم وغماً متصلاً بغم من الاغتمام بما أرجف به من قتل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم والجرح والقتل وظفر المشركين وفوت الغنيمة والنصر **لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خبير بما تعملون** لتتمرنوا على تجرع الغموم وتضروا على احتمال الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على ما فات من المنافع ولا على مصيب من المضار ويجوز أن يكون الضمير في فأثابكم للرسول أي فآساكم في الاغتمام وكما غمكم ما نزل به من كسر الرباعية والشجة وغيرهما غمه ما نزل بكم فأثابكم غماً اغتمه لأجلكم بسبب غم اغتممتموه لأجله ولم يثربكم على عصيانكم ومخالفتكم لأمره وإنما فعل ذلك ليسليكم وينفس عنكم لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نصر الله ولا على ما أصابكم من غلبة العدو **ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً** أنزل الله الأمن على المؤمنين وأزال عنهم الخوف الذي كان بهم حتى نعسوا وغلبهم النوم وعن أبي طلحة غشينا النعاس ونحن في مصافنا فكان السيف يسقط من يد أحدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه وما أحد إلا ويميل تحت حجفته وعن الزبير لقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حين اشتد علينا الخوف فأرسل الله علينا النوم والله إني لأسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني يقول لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا والأمنة الأمن وقرئ أمنة بسكون الميم كأنها المرة من الأمن ونعاساً بدل من أمنة ويجوز أن يكون هو المفعول وأمنة حالاً منه مقدمة عليه كقولك رأيت راكباً رجلاً أو مفعولاً له بمعنى نعستم أمنة ويجوز أن يكون حالاً من المخاطبين بمعنى ذوي أمنة أو على أنه جمع آمن كبارّ وبررة **يغشى** قرئ بالياء والتاء رداً على النعاس أو على الأمنة **طائفة منكم** هم أهل الصدق واليقين **وطائفة** هم المنافقون **قد أهمتهم أنفسهم** ما بهم إلا همّ أنفسهم لا همّ الدين ولا همّ رسول الله والمسلمين أو قد أوقعتهم أنفسهم وما حل بهم في الهموم والأشجان فهم في التشاكي والتباكي **يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية** غير الحق في حكم المصدر ومعناه يظنون بالله غير الظن الحق الذي يجب أن يظن به وظن الجاهلية بدل منه ويجوز أن يكون المعنى يظنون بالله ظن الجاهلية وغير الحق تأكيد ليظنون كقولك هذا القول غير ما تقول وهذا القول لا قولك وظن الجاهلية كقولك حاتم الجود ورجل صدق تريد الظن المختص بالملة الجاهلية ويجوز أن يراد ظن أهل الجاهلية أي لا يظن مثل ذلك الظن إلا أهل الشرك الجاهلون بالله **يقولون** لرسول الله يسألونه **هل لنا من الأمر من شيء** معناه هل لنا معاشر المسلمين من أمر الله نصيب قط يعنون النصر والإظهار على العدو **قل إن الأمر كله لله** ولأوليائه المؤمنين وهو النصر والغلبة كتب الله لأغلبن أنا ورسلي وإن جندنا لهم الغالبون **يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك** معناه يقولون لك فيما يظهرون هل لنا من الأمر من شيء سؤال المؤمنين المسترشدين وهم فيما يبطنون على النفاق في أنفسهم يقول بعضهم لبعض منكرين لقولك لهم إن الأمر كله لله **يقولون لو كان لنا من الأمر شيء** أي لو كان الأمر كما قال محمد إن الأمر كله لله ولأوليائه وأنهم الغالبون **ما قتلنا ها هنا** لما غلبنا قط ولما قتل من المسلمين من قتل في هذه المعركة **قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل** يعني من علم الله منه أنه يقتل ويصرع في هذه المصارع وكتب ذلك في اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم في بيوتكم لبرز من بينكم الذين علم الله أنهم يقتلون **إلى مضاجعهم** وهي مصارعهم ليكون ما علم الله أنه يكون والمعنى أن الله كتب في اللوح قتل من يقتل من المؤمنين وكتب مع ذلك أنهم الغالبون لعلمه أن العاقبة في الغلبة لهم وأن دين الإسلام يظهر على الدين كله وأن ما ينكبون في بعض الأوقات تمحيص لهم وترغيب في الشهادة وحرصهم على الشهادة مما يحرضهم على القتال فتحصل الغلبة وقيل معناه هل لنا من التدبير من شيء يعنون لم نملك شيئاً من التدبير حيث خرجنا إلى أحد وكان علينا أن نقيم ولا نبرح كما كان رأي عبد الله بن أبيّ وغيره ولو ملكنا من التدبير شيئاً لما قتلنا في هذه المعركة قل إن التدبير كله لله يريد أن الله تعالى قد دبّر الأمر كما جرى ولو أقمتم بالمدينة ولم تخرجوا من بيوتكم لما نجا من القتل من قتل منكم وقرئ كتب عليهم القتل على البناء للفاعل ولبُرّز بالتشديد وضم الباء **وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور** وليمتحن ما في صدور المؤمنين من الإخلاص ويمحص ما في قلوبهم من وساوس الشيطان فعل ذلك أو

فعل ذلك لمصالح جمة وللابتلاء والتمحيص **فإن قلت** كيف مواقع الجمل التي بعد قوله وطائفة **قلت** قد أهمتهم صفة لطائفة ويظنون صفة أخرى أو حال بمعنى قد أهمتهم أنفسهم ظانين أو استئناف على وجه البيان للجملة قبلها ويقولون بدل من يظنون **فإن قلت** كيف صح أن يقع ما هو مسألة عن الأمر بدلاً من الإخبار بالظن **قلت** كانت مسألتهم صادرة عن الظن فلذلك جاز إبداله منه ويخفون حال من يقولون وقل إن الأمر كله لله اعتراض بين الحال وذي الحال ويقولون بدل من يخفون والأجود أن يكون استئنافاً **إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان** طلب منهم الزلل ودعاهم إليه **ببعض ما كسبوا** من ذنوبهم ومعناه أن الذين انهزموا يوم أحد كان السبب في توليهم أنهم كانوا أطاعوا الشيطان فاقترفوا ذنوباً فلذلك منعتهم التأييد وتقوية القلوب حتى تولوا وقيل استزلال الشيطان إياهم هو التولي وإنما دعاهم إليه بذنوب قد تقدمت لهم لأن الذنب يجر إلى الذنب كما أن الطاعة تجر إلى الطاعة وتكون لطفاً فيها وقال الحسن استزلهم بقبول ما زين لهم من الهزيمة وقيل بعض ما كسبوا هو تركهم المركز الذي أمرهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالثبات فيه فجرهم ذلك إلى الهزيمة وقيل ذكرتهم تلك الخطايا فكرهوا لقاء الله معها فأخروا الجهاد حتى يصلحوا أمرهم ويجاهدوا على حالة مرضية **فإن قلت** لم قيل ببعض ما كسبوا **قلت** هو كقوله ويعفو عن كثير **ولقد عفا الله عنهم** لتوبتهم واعتذارهم **إن الله غفور** للذنوب **حليم** لا يعاجل بالعقوبة **يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم** أي لأجل إخوانهم كقوله وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه ومعنى الأخوة اتفاق الجنس أو النسب **إذا ضربوا في الأرض** إذا سافروا فيها وأبعدوا للتجارة أو غيرها **أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا** غزى جمع غاز كعاف وعفى وقرئ بتخفيف الزاي على حذف التاء من غزاة **فإن قلت** كيف قيل إذا ضربوا مع قالوا **قلت** هو على حكاية الحال الماضية كقوله حين يضربون **فإن قلت** ما متعلق **ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم** **قلت** قالوا أي قالوا ذلك واعتقدوه ليكون حسرة في قلوبهم على أن اللام مثلها في ليكون لهم عدواً وحزناً أو لا تكونوا بمعنى لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول واعتقاده ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم **فإن قلت** ما معنى إسناد الفعل إلى الله تعالى **قلت** معناه أن الله عز وجل عند اعتقادهم ذلك المعتقد الفاسد يضع الغم والحسرة في قلوبهم ويضيق صدورهم عقوبة فاعتقاده فعلهم وما يكون عنده من الغم والحسرة وضيق الصدر فعل الله عز وعلا كقوله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء ويجوز أن يكون ذلك إشارة إلى ما دل عليه النهي أي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم لأن مخالفتهم فيما يعتقدون ويقولون ومضادتهم مما يغمهم ويغيظهم **والله يحيي ويميت** رد لقولهم أي الأمر بيده قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد كما شاء وعن خالد بن الوليد أنه قال عند موته ما في موضع شبر إلا وفيه طعنة أو ضربة وها أنا ذا أموت كما يموت العير فلا نامت أعين الجبناء **والله بما تعملون بصير** فلا تكونوا مثلهم وقرئ بالياء يعني الذين كفروا **ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون** لمغفرة جواب القسم وهو ساد مسد جواب الشرط وكذلك لإلى الله تحشرون كذب الكفرة أولاً في زعمهم أن من سافر من إخوانهم أو غزا لو كان بالمدينة لما مات ونهى المسلمين عن ذلك لأنه سبب التقاعد عن الجهاد ثم قال لهم ولئن تم عليكم ما تخافونه من الهلاك بالموت أو القتل في سبيل الله فإن ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت في سبيل الله خير مما يجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا وعن ابن عباس رضي الله عنهما خير من طلاع الأرض ذهبة حمراء وقرئ بالياء أي يجمع الكفار لإلى الله تحشرون لإلى الرحيم الواسع الرحمة المثيب العظيم الثواب تحشرون ولوقوع اسم الله هذا الموقع مع تقديمه وإدخال اللام على الحرف المتصل به شأن ليس بالخفي وقرئ متم بضم الميم وكسرها من مات يموت ومات يمات **فبما رحمة من الله لنت لهم** ما مزيدة للتوكيد والدلالة على أن لينه لهم ما كان إلا برحمة من الله ونحوه فبما نقضهم ميثاقهم ومعنى الرحمة ربطه على جأشه وتوفيقه للرفق والتلطف بهم حتى أثابهم غماً بغم وآساهم بالمباثة بعد ما خالفوه وعصوا أمره وانهزموا وتركوه **ولو كنت فظاً** جافياً **غليظ القلب** قاسيه **لانفضوا من حولك** لتفرقوا عنك حتى لا يبقى حولك أحد منهم **فاعف عنهم** فيما يختص بك **واستغفر لهم** فيما يختص بحق الله إتماماً للشفقة عليهم **وشاورهم في الأمر** يعني في أمر الحرب ونحوه مما لم ينزل عليك فيه وحي لتستظهر برأيهم ولما فيه من تطييب نفوسهم والرفع من أقدارهم وعن الحسن قد علم الله أنه ما به إليهم حاجة ولكنه أراد أن يستن به من بعده وعن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما تشاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمرهم وعن أبي هريرة ما رأيت أحداً أكثر مشاورة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وقيل كان سادات العرب إذا لم يشاوروا في الأمر شق عليهم فأمر الله رسوله بمشاورة أصحابه لئلا يثقل عليهم استبداده بالرأي دونهم وقرئ وشاورهم في بعض الأمر **فإذا عزمت** فقطعت الرأي على شيء بعد الشورى **فتوكل على الله** في إمضاء أمرك على الأرشد الأصلح فإن ما هو أصلح لك لا يعلمه إلا الله لا أنت ولا من تشاور معه وقرئ فإذا عزمتُ بضم التاء بمعنى فإذا عزمت لك على شيء وأرشدتك إليه فتوكل على الله ولا تشاور بعد ذلك أحداً **إن الله يحب المتوكلين إن ينصركم الله** كما نصركم يوم بدر **فلا غالب لكم** فلا أحد يغلبكم **وإن يخذلكم** كما خذلكم يوم أحد **فمن ذا الذي ينصركم** وهذا تنبيه على أن الأمر كله لله وعلى وجوب التوكل عليه ونحوه ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك

لها وما بعدك فلا ناصر له من بعده من بعد خذلانه او هو من قولك ليس لك من يحسن اليك من بعد فلان تريد اذا جاوزته
ووراء عسى ان تجدوا ان تجد لكم من احد له اذا جعله مخذولا وفيه ترغيب في الطاعة فيما يستحقون به النصر من الله والتاييد وتحذير
من المعصية ومما يستوجبون به العقوبة بالخذلان وعلى الله فليتوكل المؤمنون وليخص المؤمنون ربهم بالتوكل والتفويض
اليه لعلمهم انه لا ناصر سواه ولان ايمانهم يوجب ذلك ويقتضيه وما كان لنبي ان يغل يقال غل شيئا من المغنم غلولا واغل اغلالا اذا
اخذه في خفية يقال اغل الجازر اذا سرق من اللحم شيئا مع الجلد والغل الحقد الكامن في الصدر ومنه قوله عليه الصلاة والسلام من
بعثناه على عمل فغل شيئا جاء يوم القيمة يحمله على عنقه وقوله عليه الصلاة والسلام هدايا الولاة غلول وعنه صلى الله عليه وعلى اله وسلم
ليس على المستعير غير المغل ضمان وعنه صلى الله عليه وعلى اله وسلم لا اغلال ولا اسلال ويقال اغله اذا وجده غالا كقولك ابخلته
واحمقته ومعنى وما كان لنبي ان يغل وما صح له ذلك يعني ان النبوة تنافي الغلول وكذلك من قرا على البناء للمفعول فهو راجع
الى معنى الاول لان معناه وما صح له ان يوجد غالا ولا يوجد غالا الا اذا كان غالا وفيه وجهان احدهما ان يبرا رسول الله صلى
الله عليه وعلى اله وسلم من ذلك وينزه وينبه على عصمته بان النبوة والغلول متنافيان لئلا يظن به ظان شيئا منه والا يستريب به احد كما
روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم اخذها وروي انها نزلت في
غنائم احد حين ترك الرماة المركز وطلبوا الغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم من اخذ شيئا فهو له ولا
يقسم الغنائم كما لم يقسم يوم بدر فقال لهم النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم الم اعهد اليكم الا تتركوا المركز حتى ياتيكم امري فقالوا
تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال عليه الصلاة والسلام بل ظننتم انا نغل ولا نقسم لكم والثاني ان يكون مبالغة في النهي لرسول الله صلى
الله عليه وعلى اله وسلم على ما روي انه بعث طلائع فغنمت غنائم فقسمها ولم يقسم للطلائع فنزلت يعني وما كان لنبي ان يعطي
قوما ويمنع اخرين بل عليه ان يقسم بالسوية وسمي حرمان بعض الغزاة غلولا تغليظا وتقبيحا لصورة الامر ولو قرئ ان يغل من
اغل بمعنى غل لجاز ومن يغلل يات بما غل يوم القيمة يات بالشيء الذي غل بعينه يحمله كما جاء في الحديث جاء يوم القيمة يحمله على عنقه
الا لا اعرفن احدكم ياتي ببعير له رغاء وببقرة لها خوار وبشاة لها ثغاء فينادي يا محمد يا محمد فاقول لا املك لك من الله شيئا فقد بلغتك
وعن بعض جفاة الاعراب انه سرق نافجة مسك فتليت عليه الاية فقال اذن احملها طيبة الريح خفيفة المحمل ويجوز ان يراد ياتي
بما احتمل من وباله وتبعته واثمه ثم توفى كل نفس ما كسبت فان قلت هلا قيل ثم يوفى ما كسب ليتصل به قلت
جيء بعام دخل تحته كل كاسب من الغال وغيره فاتصل به من حيث المعنى وهو ابلغ واثبت لانه اذا علم الغال ان كل كاسب خيرا او شرا
مجزي فموفى جزاءه علم انه غير متخلص من بينهم مع عظم ما اكتسب وهم لا يظلمون اي يعدل بينهم في الجزاء كل جزاؤه على
قدر كسبه افمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله وماواه جهنم وبئس المصير هم درجات عند الله
اي هم متفاوتون كما تتفاوت الدرجات كقوله انصب للمنية تعتريهم رجالي ام هم درج السيول وقيل ذوو درجات
والمعنى تفاوت منازل المثابين ومنازل المعاقبين او التفاوت بين الثواب والعقاب والله بصير بما يعملون عالم باعمالهم
ودرجاتها فمجازيهم على حسبها لقد من الله على المؤمنين على من امن مع رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم من قومه وخص
المؤمنين منهم لانهم هم المنتفعون بمبعثه اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم من جنسهم عربيا مثلهم وقيل من ولد اسمعيل
كما انهم من ولده فان قلت فما وجه المنة عليهم في ان كان من انفسهم قلت اذا كان منهم كان اللسان واحدا فسهل اخذ ما
يجب عليهم اخذه عنه وكانوا واقفين على احواله في الصدق والامانة فكان ذلك اقرب لهم الى تصديقه والوثوق به وفي كونه
من انفسهم شرف لهم كقوله وانه لذكر لك ولقومك وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم وقراءة فاطمة رضي الله
عنها من انفسهم اي من اشرفهم لان عدنان ذروة ولد اسمعيل ومضر ذروة نزار بن معد بن عدنان وخندف ذروة مضر
ومدركة ذروة خندف وقريش ذروة مدركة وذروة قريش محمد صلى الله عليه وعلى اله وسلم وفيما خطب به ابو طالب في تزويج
خديجة رضي الله عنها وقد حضر معه بنو هاشم ورؤساء مضر الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابرهيم وزرع اسمعيل
وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما امنا وجعلنا الحكام على
الناس ثم ان ابن اخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به فتى من قريش الا رجح به وهو والله بعد هذا له نبا عظيم وخطر جليل
وقرئ لمن من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم وفيه وجهان ان يراد لمن من الله على المؤمنين منه او بعثه اذ بعث فيهم فحذف
لقيام الدلالة او يكون اذ في محل الرفع كاذا في قولك اخطب ما يكون الامير اذا كان قائما بمعنى لمن من الله على المؤمنين وقت بعثه
يتلو عليهم اياته بعد ما كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شيء من الوحي ويزكيهم ويطهرهم من دنس القلوب بالكفر
ونجاسة سائر الجوارح بملابسة المحرمات وسائر الخبائث وقيل ياخذ منهم الزكوة ويعلمهم الكتاب والحكمة القران
والسنة بعد ما كانوا اجهل الناس وابعدهم من دراسة العلوم وان كانوا من قبل بعثة الرسول لفي ضلال ان هي المخففة من الثقيلة
واللام هي الفارقة بينها وبين النافية وتقديره وان الشان والحديث كانوا من قبل لفي ضلال مبين ظاهر لا شبهة فيه اولما
اصابتكم مصيبة يريد ما اصابهم يوم احد من قتل سبعين منهم قد اصبتم مثليها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين

الاسلال السرقة

الطليعة ضد الساقة

قلتم انى هذا قل هو من عند انفسكم ولما نصب بقلتم واصابتكم في محل الجر باضافة لما اليه وتقديره اقلتم حين اصابتكم وانى
هذا نصب لانه مقول والهمزة للتقرير والتقريع فان قلت علام عطفت الواو هذه الجملة قلت على ما مضى من قصة احد من
قوله ولقد صدقكم الله وعده ويجوز ان تكون معطوفة على محذوف كانه قيل افعلتم كذا وقلتم حينئذ كذا انى هذا من اين هذا
كقوله انى لك هذا لقوله من عند انفسكم وقوله من عند الله والمعنى انتم السبب فيما اصابكم لاختياركم الخروج من المدينة او
لتخليتكم المركز وعن علي رضي الله عنه لاخذكم الفداء من اسارى بدر قبل ان يؤذن لكم ان الله على كل شيء قدير فهو قادر على
النصر وعلى منعه وعلى ان يصيب بكم تارة ويصيب منكم اخرى وما اصابكم يوم احد يوم التقى الجمعان جمعكم وجمع المشركين
فباذن الله فهو كائن باذن الله اي بتخليته استعار الاذن لتخلية الكفار وانه لم يمنعهم منهم ليبتليهم لان الاذن مخل بين الماذون
له ومراده وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وهو كائن ليتميز المؤمنون والمنافقون وليظهر ايمان هؤلاء ونفاق
هؤلاء وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم وقيل لهم من جملة الصلة
عطف على نافقوا وانما لم يقل فقالوا لانه جواب لسؤال اقتضاه دعاء المؤمنين لهم الى القتال كانه قيل فماذا قالوا لهم فقيل قالوا لو
نعلم ويجوز ان يقتصر بالصلة على نافقوا ويكون وقيل لهم كلاما مبتدا قسم الامر عليهم بين ان يقاتلوا للاخرة كما يقاتل المؤمنون
وبين ان يقاتلوا ان لم يكن بهم غم الاخرة دفعا عن انفسهم واهليهم واموالهم فابوا القتال وجحدوا القدرة عليه راسا لنفاقهم
ودغلهم وذلك ما روي ان عبد الله بن ابي انخزل مع حلفائه فقيل له فقال ذلك وقيل او ادفعوا العدو بتكثيركم سواد المجاهدين
وان لم تقاتلوا لان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه وعن سهل بن سعد الساعدي وقد كف بصره لو امكنني لبعت داري
ولحقت بثغر من ثغور المسلمين فكنت بينهم وبين عدوهم قيل وكيف وقد ذهب بصرك قال لقوله او ادفعوا اراد اكثر سوادهم وقوله
اخرى هو ان يكون معنى لو نعلم قتالا لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم يعنون ان ما انتم فيه لخطا رايكم وزللكم عن
الصواب ليس بشيء ولا يقال لمثله قتال انما هو القاء بالانفس الى التهلكة لان راي عبد الله كان في الاقامة بالمدينة وما كان يستصوب
الخروج هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان يعني انهم كانوا قبل ذلك اليوم كانوا يتظاهرون بالايمان وما ظهرت منهم امارة تؤذن
بكفرهم فلما انخزلوا عن عسكر المؤمنين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الايمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر وقيل هم لاهل
الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليلهم سواد المؤمنين بالانخزال تقوية للمشركين يقولون بافواههم ما ليس في
قلوبهم لا يتجاوز ايمانهم افواههم ومخارج الحروف منهم ولا تعي قلوبهم منه شيئا وذكر الافواه مع القلوب تصوير لنفاقهم وان
ايمانهم موجود في افواههم معدوم في قلوبهم خلاف صفة المؤمنين في مواطاة قلوبهم لافواههم والله اعلم بما يكتمون
من النفاق وبما يجري بعضهم مع بعض من ذم المؤمنين وتجهيلهم وتخطئة رايهم والشماتة بهم وغير ذلك لانكم تعلمون بعض
ذلك علما مجملا بامارات وانا اعلم ذلك كله علم احاطة بتفاصيله وكيفياته الذين قالوا اعرابه اوجه ان يكون نصبا على الذم او على
الرد على الذين نافقوا او رفعا على هم الذين قالوا او على الابدال من واو يكتمون ويجوز ان يكون مجرورا بدلا من الضمير في بافواههم
او قلوبهم كقوله على حالة لو ان في القوم حاتما على جوده لضن بالماء حاتم لاخوانهم اي لاجل اخوانهم من جنس المنافقين
المقتولين يوم احد او اخوانهم في النسب وفي سكنى الدار وقعدوا اي قالوا وقد قعدوا عن القتال لو اطاعونا ما قتلوا لو اطاعنا
اخواننا فيما امرناهم به من القعود وقعدوا كما قعدنا لما قتلوا كما لم نقتل قل فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين
معناه قل ان كنتم صادقين في انكم وجدتم الى دفع القتل سبيلا وهو القعود عن القتال فجدوا الى دفع الموت سبيلا يعني ان
ذلك الدفع غير مغن عنكم لانكم ان دفعتم القتل الذي هو احد اسباب الموت لم تقدروا على دفع اسبابه المبثوثة ولابد لكم
من ان يتعلق بكم بعضها وروي انه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا فان قلت فقد كانوا صادقين في انهم
دفعوا القتل عن انفسهم بالقعود فما معنى قوله ان كنتم صادقين قلت معناه ان النجاة من القتل يجوز ان يكون سببها القعود
عن القتال وان يكون غيره لان اسباب النجاة كثيرة وقد يكون قتال الرجل سبب نجاته ولو لم يقاتل لقتل فما يدريكم ان سبب نجاتكم
القعود وانكم صادقون في مقالتكم وما انكرتم ان يكون السبب غيره ووجه اخر ان كنتم صادقين في قولكم لو اطاعونا
وقعدوا ما قتلوا يعني انهم لو اطاعوكم وقعدوا لقتلوا قاعدين كما قتلوا مقاتلين وقوله فادرءوا عن انفسكم الموت استهزاء
بهم اي ان كنتم رجالا دفاعين لاسباب الموت فادرءوا جميع اسبابه حتى لا تموتوا ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله
امواتا بل احياء الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم او لكل احد وقرئ ولا يحسبن بالياء على ولا يحسبن حاسب ويجوز ان
يكون الذين قتلوا فاعلا ويكون التقدير ولا يحسبنهم الذين قتلوا امواتا اي ولا يحسبن الذين قتلوا انفسهم امواتا فان قلت
كيف جاز حذف المفعول الاول قلت هو في الاصل مبتدا فحذف كما حذف المبتدا في قوله احياء والمعنى هم احياء لدلالة الكلام عليهما وقرئ
ولا تحسبن بفتح السين وقتلوا بالتشديد واحياء بالنصب على معنى بل احسبهم احياء عند ربهم مقربون عنده ذوو زلفى كقوله
فالذين عند ربك يرزقون مثل ما يرزق سائر الاحياء ياكلون ويشربون وهو تاكيد لكونهم احياء ووصف لحالهم التي هم عليها من التنعم
برزق الله فرحين بما اتاهم الله من فضله وهو التوفيق في الشهادة وما ساق اليهم من الكرامة والتفضيل على غيرهم من كونهم

ق

قتالا لاتبعناكم

عوسا

بالي عام

احيا مقربين معجلا لهم رزق الجنة ونعيمها وعن النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في اجواف
طيور خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل عرشه ويستبشرون باخوانهم
الذين لم يلحقوا بهم اي لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم اي من الذين من خلفهم قد بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم او لم يلحقوا
بهم لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون ۞ يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا
يضيع اجر المؤمنين ۞ ولا خوف عليهم بدل من الذين والمعنى انهم يستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوا خلفهم من المؤمنين
وهو انهم يبعثون امنين يوم القيمة بشرهم الله بذلك فهم مستبشرون به وفي ذكر حال الشهدا واستبشارهم بمن خلفهم
بعث للباقين بعدهم على ازدياد الطاعة والجد في الجهاد والرغبة في نيل منازل الشهدا واصابة فضلهم واحماد لحال من يرى نفسه في
خير فيتمنى مثله لاخوانه في سبيل الله وبشرى للمؤمنين بالفوز في الماب وكرر يستبشرون ليعلق به ما هو بيان لقوله الا خوف عليهم
ولا هم يحزنون من ذكر النعمة والفضل وان ذلك اجر لهم على ايمانهم يجب في عدل الله وحكمته ان يحصل لهم ولا يضيع وقرى وان الله بالفتح
عطفا على النعمة والفضل بالكسر على الابتدا وعلى ان الجملة اعتراض وهي قراءة الكسائي ويعضدها قراءة عبد الله والله لا يضيع
الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم ۞ الذين استجابوا
مبتدا خبره للذين احسنوا او صفة للمؤمنين او نصب على المدح روي ان ابا سفيان واصحابه لما انصرفوا من احد فبلغوا الروحا
ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم فاراد ان يرهبهم ويريهم من نفسه واصحابه قوة
فندب اصحابه للخروج في طلب ابي سفيان وقال لا يخرجن معنا احد الا من حضر يومنا بالامس فخرج صلى الله عليه وعلى اله وسلم
مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية اميال وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر
والقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت ومن في للذين احسنوا منهم للتبيين مثلها في قوله تعالى وعد الله الذين
امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما لان الذين استجابوا لله والرسول قد احسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم وعن عروة بن
الزبير قالت لي عايشة ان ابويك لمن الذين استجابوا لله والرسول تعني ابا بكر والزبير الذين قال لهم الناس ان الناس قد
جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا روي ان ابا سفيان نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل
ان شئت فقال صلى الله عليه وعلى اله وسلم ان شاء الله تعالى فلما كان القابل خرج ابو سفيان في اهل مكة حتى نزل مر الظهران
فالقى الله الرعب في قلبه فبدا له ان يرجع فلقي نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا فقال يا نعيم اني واعدت محمدا ان
نلتقي بموسم بدر وان هذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لي ولكن ان خرج محمد ولم
اخرج زاده ذلك جراة فالحق بالمدينة فثبطهم ولك عندي عشر من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال
لهم ما هذا بالراي اتوكم في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم احد الا شريدا فتريدون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم عند
الموسم فوالله لا يفلت منكم احد وقيل مر بابي سفيان ركب من عبد القيس يريدون المدينة للميرة فجعل لهم حمل بعير
زبيب ان ثبطوهم فكره المسلمون الخروج فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين
راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل وقيل هي الكلمة التي قالها ابراهيم صلوات الله عليه حين القي في النار حتى
وافوا بدرا واقاموا بها ثماني ليال وكانت معهم تجارات فباعوها واصابوا خيرا ثم انصرفوا الى المدينة سالمين غانمين ورجع ابو
سفيان الى مكة فسمى اهل مكة جيشه جيش السويق قالوا انما خرجتم لتشربوا السويق فالناس الاولون المثبطون والاخرون
ابو سفيان واصحابه فان قلت كيف قيل الناس ان كان نعيم هو المثبط وحده قلت قيل ذلك لانه من جنس الناس كما يقال
فلان يركب الخيل ويلبس البرود وما له الا فرس واحد وبرد واحد ولانه حين قال ذلك لم يخل من ناس من اهل المدينة يعاونونه
ويصلون جناح كلامه ويثبطون مثل تثبيطه فان قلت الام يرجع المستكن في فزادهم قلت الى المقول الذي هو
ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم كانه قيل قالوا لهم هذا الكلام فزادهم ايمانا او الى مصدر قالوا كقولك من صدق
كان خيرا له او الى الناس اذا اريد به نعيم فان قلت كيف زادهم نعيم او مقوله ايمانا قلت لما لم يسمعوا قوله واخلصوا
عند النية والعزم على الجهاد واظهروا حمية الاسلام كان ذلك اثبت ليقينهم واقوى لاعتقادهم كما يزداد الايقان
بتناصر الحجج ولان خروجهم على اثر تثبيطه الى وجهة العدو طاعة عظيمة والطاعات من جملة الايمان لان الايمان اعتقاد واقرار وعمل
وعن عمر قلنا يا رسول الله ان الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار
وعن عمر انه كان ياخذ بيد الرجل فيقول قم بنا نزدد ايمانا وعنه لو وزن ايمان ابي بكر بايمان هذه الامة لرجح به وقالوا حسبنا الله
محسبنا الله اي كافينا يقال احسبه الشي اذا كفاه والدليل على انه بمعنى المحسب انك تقول هذا رجل حسبك فتصف به النكرة
لان اضافته لكونه في معنى اسم الفاعل غير حقيقية ونعم الوكيل ونعم الموكول اليه هو فانقلبوا فرجعوا من بدر
بنعمة من الله وهي السلامة وحذر العدو منهم وفضل وهو الربح في التجارة كقوله ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا
من ربكم لم يمسسهم سوء لم يلقوا ما يسوءهم من كيد عدوهم واتبعوا رضوان الله بجراتهم وخروجهم والله ذو فضل

عظيم

عظيم ۞ قد تفضل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا وفي ذلك تحسير للمتخلف عنهم واظهار لخطا رايهم حيث حرموا انفسهم ما
فاز به هولا وروي انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فاعطاهم الله ثواب الغزو ورضي عنهم انما ذلكم الشيطان يخوف
اولياءه الشيطان خبر ذلكم بمعنى انما ذلكم المثبط هو الشيطان ويخوف اولياءه جملة مستانفة بيان لشيطنته او الشيطان
صفة لاسم الاشارة ويخوف الخبر والمراد بالشيطان نعيم او ابو سفيان ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف بمعنى انما
ذلكم قول الشيطان اي قول ابليس لعنه الله يخوف اولياءه يخوفكم اولياءه الذين هم ابو سفيان واصحابه ويدل عليه قراءة ابن
عباس وابن مسعود يخوفكم اولياءه وقوله فلا تخافوهم وقيل يخوف اولياءه القاعدين عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه
وعلى اله وسلم فان قلت فالام رجع في فلا تخافوهم على هذا التفسير قلت الى الناس في قوله ان الناس قد جمعوا لكم فلا
تخافوهم فتقعدوا عن القتال وتجبنوا وخافون فجاهدوا مع رسولي وسارعوا الى ما يامركم به ان كنتم مؤمنين ۞ يعني
ان الايمان يقتضي ان يؤثروا خوف الله على خوف الناس ولا يخشون احدا الا الله ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر
يقعون فيه سريعا ويرغبون فيه اشد رغبة وهم الذين نافقوا من المتخلفين او قوم ارتدوا عن الاسلام فان قلت
فما معنى قوله ولا يحزنك ومن حق الرسول ان يحزن لنفاق من نافق وارتداد من ارتد قلت معناه لا يحزنوك لخوف ان يضروك
ويعينوا عليك الا ترى الى قوله انهم لن يضروا الله شيئا يعني انهم لن يضروا بمسارعتهم في الكفر غير انفسهم
ووبال ذلك عائد عليهم ثم بين كيف يعود وباله بقوله يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الاخرة اي نصيبا من الثواب
ولهم بدل الثواب عذاب عظيم ۞ وذلك ابلغ ما ضر به الانسان نفسه فان قلت هلا قيل لا يجعل الله لهم حظا واي فايدة
في ذكر الارادة قلت فائدته الاشعار بان الداعي الى حرمانهم وتعذيبهم قد خلص خلوصا لم يبق معه صارف قط حين سارعوا
في الكفر تنبيها على تماديهم في الطغيان وبلوغهم الغاية فيه حتى ان ارحم الراحمين يريد ان لا يرحمهم ان الذين اشتروا الكفر
بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم ۞ اما ان يكون تكريرا لذكرهم للتاكيد والتسجيل عليهم بما اضاف اليهم
واما ان يكون عاما للكفار والاول خاصا فيمن نافق من المتخلفين او ارتد عن الاسلام او على العكس وشيئا نصب على المصدر
لان المعنى شيئا من الضرر وبعض الضرر ولا تحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم الذين كفروا فيمن قرا
بالتاء نصب وانما نملي لهم خير لانفسهم بدل منه اي ولا تحسبن ان ما نملي للكافرين خير لهم وان مع ما في حيزه ينوب عن المفعولين
كقوله ام تحسب ان اكثرهم يسمعون وما مصدرية بمعنى ولا تحسبن ان املانا خير وكان حقها في قياس علم الخط ان تكتب
مفصولة ولكنها وقعت في الامام متصلة فلا يخالف وتتبع سنة الامام في خط المصاحف فان قلت كيف صح مجي البدل
ولم يذكر الا احد المفعولين ولا يجوز الاقتصار بفعل الحسبان على مفعول واحد قلت صح ذلك من حيث ان التعويل على البدل والمبدل
منه في حكم المنحى الا تراك تقول جعلت متاعك بعضه فوق بعض مع امتناع سكوتك على متاعك ويجوز ان يقدر مضاف
محذوف على ولا تحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او ولا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم
وهو فيمن قرا بالياء فاعل والفعل متعلق بان وما في حيزه والاملاء لهم تخليتهم وشانهم مستعار من املى لفرسه اذا ارخى له
الطول ليرعى كيف شاء وقيل هو امهالهم واطالة عمرهم والمعنى ولا تحسبن ان الاملاء خير لهم من منعهم او قطع اجالهم انما
نملي لهم ليزدادوا اثما ما هذه حقها ان تكتب متصلة لانها كافة دون الاولى وهذه جملة مستانفة تعليل للجملة قبلها كانه
قيل ما بالهم لا يحسبون الاملاء خيرا لهم فقيل انما نملي لهم ليزدادوا اثما فان قلت كيف جاز ان يكون ازدياد الاثم غرضا
لله تعالى في املائه لهم قلت هو علة للاملاء وما كل علة بغرض الا تراك تقول قعدت عن الغزو للعجز والفاقة وخرجت من
البلد لمخافة الشر وليس شي منها بغرض لك وانما هي علل واسباب فكذلك ازدياد الاثم جعل علة للاملاء وسببا فيه فان
قلت كيف يكون ازدياد الاثم علة للاملاء كما كان العجز علة للقعود عن الحرب قلت لما كان في علم المحيط بكل شي انهم
مزدادون اثما فكان الاملاء وقع من اجله وبسببه على طريق المجاز وقرا يحيى بن وثاب بكسر الاولى وفتح الثانية ولا يحسبن
بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا ان املاءنا لازدياد الاثم كما يفعلون وانما هو ليتوبوا ويدخلوا في الايمان وقوله انما
نملي لهم خير لانفسهم اعتراض بين الفعل او معموله ومعناه ان املاءنا خير لانفسهم ان عملوا فيه وعرفوا انعام الله بتفسيح
المدة وترك المعاجلة بالعقوبة ولهم عذاب مهين ۞ على هذه القراءة فان قلت فما معنى قوله قلت معناه ولا تحسبوا
ان املاءنا لزيادة الاثم والتعذيب والواو للحال كانه قيل ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين ما كان الله ليذر
المؤمنين اللام لتاكيد النفي على ما انتم عليه من اختلاط المؤمنين المخلصين والمنافقين حتى يميز الخبيث من الطيب حتى
يعزل المنافق عن المخلص وقرئ يميز من ميز وفي رواية عن ابن كثير يميز من اماز بمعنى ميز فان قلت لمن الخطاب في انتم
قلت للمصدقين جميعا من اهل الاخلاص والنفاق كانه قيل ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التي انتم عليها
من اختلاط بعضكم ببعض وانه لا يعرف مخلصكم من منافقكم لاتفاقكم على التصديق جميعا حتى يميزهم منكم بالوحي
الى نبيه واخباره باحوالكم ثم قال وما كان الله ليطلعكم على الغيب اي وما كان الله ليؤتي احدا منكم علم الغيوب

فلا تتوهموا عند اخبار الرسول لكم بنفاق الرجل واخلاص الآخر انه يطلع على ما في القلوب اطلاع الله فيخبر عن كفرها وايمانها
ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فيوحي اليه ويخبره بان في الغيب كذا وان فلانا في قلبه النفاق وفلانا في قلبه الاخلاص فيعلم ذلك من جهة
اخبار الله لا من جهة اطلاعه على المغيبات ويجوز ان يراد لا يترككم مختلطين حتى يميز الخبيث من الطيب بان يكلفكم التكاليف الصعبة
التي لا يصبر عليها الا الخلص الذين امتحن الله قلوبهم كبذل الارواح في الجهاد وانفاق الاموال في سبيل الله فيجعل ذلك عيارا على عقائدكم
وشاهدا بضمائركم حتى يعلم بعضكم ما في قلب بعض من طريق الاستدلال لا من جهة الوقوف على ذات الصدور والاطلاع عليها
فان ذلك مما استأثر الله به وما كان الله ليطلع احدا منكم على الغيب ومضمرات القلوب حتى تعرف صحيحها من فاسدها مطلعا عليها
ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فيخبره ببعض المغيبات فآمنوا بالله ورسله بان تقدروه حق قدره وتعلموه وحده
مطلعا على الغيب وان تنزلوهم منازلهم بان تعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يخبرون الا بما اخبرهم الله به من الغيوب
وليسوا من علم الغيب في شيء وعن السدي قال الكافرون ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت وان تؤمنوا
وتتقوا فلكم اجر عظيم ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون
ما بخلوا به يوم القيمة من قرأ بالتاء قدر مضافا محذوفا اي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذلك
من قرأ بالياء ان جعل فاعل يحسبن ضمير رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم او ضمير احد ومن جعل فاعله الذين يبخلون كان المفعول
الاول عنده محذوفا تقديره ولا يحسبن الذين يبخلون بخلهم هو خيرا لهم والذي سوغ حذفه دلالة يبخلون عليه وهو فصل
وقرأ الاعمش بغير هو سيطوقون تفسير لقوله هو شر لهم اي سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق وفي امثالهم تقلدها
طوق الحمامة اذا جاء بهنة يسب بها ويذم وقيل يجعل ما بخل به من الزكاة حية يطوقها في عنقه يوم القيمة تنهشه من قرنه الى
قدمه وتنقر رأسه وتقول انا مالك وعن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في مانع الزكاة يطوق شجاعا اقرع وروي شجاعا اسود
وعن النخعي سيطوقون بطوق من نار ولله ميراث السموات والارض اي وله ما فيهما مما يتوارثه اهلهما من مال وغيره فما لهم
يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله ونحوه قوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه والله بما تعملون خبير قرئ بما تعملون
بالتاء والياء فالتاء على طريقة الالتفات وهو ابلغ في الوعيد والياء على الظاهر لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن
اغنياء قال ذلك اليهود حين سمعوا قول الله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فلا يخلو اما ان يقولوه عن اعتقاد لذلك او عن
استهزاء بالقرآن وايهما كان فالكلمة عظيمة لا تصدر الا عن متمردين في كفرهم ومعنى سماع الله له انه لم يخف عليه وانه اعد له
كفاءه من العقاب سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق سنكتب ما قالوا في صحائف الحفظة او سنحفظه ونثبته في علمنا لا
ننساه كما تثبت المكتوب فان قلت كيف قال لقد سمع الله ثم قال سنكتب ما قالوا وهلا قيل كتبنا قلت ذكر وجود السماع
اولا مؤكدا بالقسم ثم قال سنكتب على جهة الوعيد بمعنى لن يفوتنا ابدا اثباته وتدوينه كما لن يفوتنا قتلهم الانبياء وجعل قتلهم
الانبياء قرينة له ايذانا بانهما في العظم اخوان وبان هذا ليس باول ما ركبوه من العظائم وانهم اصلاء في الكفر ولهم فيه سوابق وان من
قتل الانبياء لم يستبعد منه الاجتراء على مثل هذا القول وروي ان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كتب مع ابي بكر رضي الله عنه الى يهود بني
قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلاة وايتاء الزكاة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص اليهودي ان الله فقير حين سألنا
القرض فلطمه ابو بكر في وجهه وقال لولا الذي بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم
وجحد ما قاله فنزلت ونحوه قولهم يد الله مغلولة ونقول ذوقوا عذاب الحريق ونقول لهم ذوقوا وننتقم منهم بان نقول لهم
يوم القيمة ذوقوا عذاب الحريق كما اذقتم المسلمين الغصص يقال للمنتقم منه احس وذق وقال ابو سفيان لحمزة رضي الله عنه
ذق عقق وقرأ حمزة سيكتب ما قالوا على البناء للمفعول ويقول بالياء وقرأ الحسن والاعرج سيكتب بالياء وتسمية الفاعل وقرأ ابن مسعود
ويقال ذوقوا ذلك بما قدمت ايديكم ذلك اشارة الى ما تقدم من عقابهم وذكر الايدي لان اكثر الاعمال تزاول بهن فجعل كل
عمل كالواقع بالايدي على سبيل التغليب فان قلت فلم عطف قوله وان الله ليس بظلام للعبيد على ما قدمت ايديكم
وكيف جعل كونه غير ظلام للعبيد شريكا لاجتراحهم السيئات في استحقاق التعذيب قلت معنى كونه غير ظلام
للعبيد انه عادل عليهم ومن العدل ان يعاقب المسيء منهم ويثيب المحسن الذين قالوا ان الله عهد الينا الا نؤمن لرسول حتى
يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين
عهد الينا امرنا في التوراة واوصانا بان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه الآية الخاصة وهي ان يرينا قربانا تنزل نار من السماء
فتأكله كما كانت انبياء بني اسرائيل تلك آيتهم كان يقرب بالقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار من السماء فتأكله وهذه دعوى باطلة
وافتراء على الله تعالى لان اكل النار القربان لم يوجب الايمان للرسول الآتي به الا لكونه آية ومعجزة فهو اذن وسائر الآيات سواء فلا
يجوز ان تقترح على الله من بين سائر الآيات وقد الزمهم الله ان انبياءهم جاؤوهم بالبينات الكثيرة التي اوجبت عليهم التصديق
وجاؤوهم ايضا بهذه الآية التي اقترحوها فلم قتلوهم ان كانوا صادقين ان الايمان يلزمهم باتيانها وقرئ بقربان بضمتين ونظيره
السلطان فان قلت ما معنى قوله وبالذي قلتم قلت معناه وبمعنى الذي قلتموه من قولكم قربان تأكله النار ومؤداه

كقوله

كقوله ثم تعودون لما قالوا اي يعني ما قالوا فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤوا بالبينات والزبر في مصاحف اهل
الشام وبالزبر وهي الصحف والكتاب المنير التوراة والانجيل والزبور وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من
تكذيب قومه وتكذيب اليهود كل نفس ذائقة الموت وقرأ اليزيدي ذائقة الموت على الاصل وقرأ الاعمش ذائقة الموت بطرح
التنوين مع النصب كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا فان قلت كيف اتصل به قوله وانما توفون اجوركم يوم القيمة قلت
اتصاله به على ان كلكم تموتون لا بد لكم من الموت ولا توفون اجوركم على طاعاتكم ومعاصيكم عقيب موتكم وانما توفونها يوم
قيامكم من القبور فان قلت فهذا يوهم نفي ما يروى ان القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار قلت
كلمة التوفية تزيل هذا الوهم لان المعنى ان توفية الاجور وتكميلها يكون ذلك اليوم وما يكون قبل ذلك فبعض الاجور فمن زحزح
عن النار ونحي عنها فالزحزحة التنحية والابعاد تكرير الزح وهو الجذب بعجلة وادخل الجنة فقد فاز فقد حصل له الفوز المطلق المتناول
لكل ما يراد ولا غاية للفوز وراء النجاة من سخط الله والعذاب السرمد ونيل رضوان الله والنعيم المخلد اللهم وفقنا لما
ندرك به عندك الفوز في المآب وعن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه
منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وهذا شامل للمحافظة على حقوق الله تعالى وحقوق العباد
وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور شبه الدنيا بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له فساده
ورداءته والشيطان هو المدلس الغرور وعن سعيد بن جبير انما هذا لمن آثرها على الآخرة فاما من طلب الآخرة بها فانها متاع
بلاغ لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا
اذى كثيرا خوطب المؤمنون بذلك ليوطنوا انفسهم على احتمال ما سيلقون من الاذى والشدائد والصبر عليها حتى اذا لقوها
لقوها وهم مستعدون لا يرهقهم ما يرهق من تصيبه الشدة بغتة فينكرها وتشمئز منها نفسه والبلاء في الانفس
القتل والاسر والجراح وما يرد عليها من انواع المخاوف والمصائب وفي الاموال الانفاق في سبيل الخير وما يقع فيها من الآفات وما
يسمعون من اهل الكتاب المطاعن في الدين الحنيف وصد من اراد الايمان وتخطئة من آمن وما كان من كعب بن الاشرف من هجائه
لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وتحريض المشركين ومن فنحاص ومن بني قريظة والنضير وان تصبروا وتتقوا فان ذلك
من عزم الامور من معزومات الامور اي مما يجب العزم عليه من الامور او مما عزم الله ان يكون يعني ان ذلك عزمة من عزمات الله لا
بد لكم ان تصبروا وتتقوا واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب واذكر وقت اخذ الله ميثاق اهل الكتاب لتبيننه
للناس ولا تكتمونه الضمير للكتاب اكد عليهم ايجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه كما يؤكد على الرجل اذا عزم عليه وقيل له آلله
لتفعلن فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون فنبذوا الميثاق وتأكيده عليهم يعني لم يراعوه
ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل في الطرح وترك الاعتداد ونقيضه جعله نصب عينيه والقاه بين عينيه وكفى به
دليلا على انه مأخوذ على العلماء ان يبينوا الحق للناس وما علموه وان لا يكتموا منه شيئا لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم
واستجلاب لمسارهم او لجر منفعة وحطام دنيا او لتقية مما لا دليل عليه ولا امارة او لبخل بالعلم وغيرة ان ينسب اليه غيرهم
وعن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار وعن طاوس انه قال لوهب اني ارى الله سوف يعذبك
بهذه الكتب وعنه قال والله لو كنت نبيا فكتمت العلم كما تكتمه لرأيت ان الله سيعذبك وعن محمد بن كعب لا يحل لاحد من العلماء
ان يسكت على علمه ولا يحل لجاهل ان يسكت على جهله حتى يسأل وعن علي رضي الله عنه ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل
العلم ان يعلموا وقرئ ليبيننه ولا يكتمونه بالياء لانهم غيب وبالتاء على حكاية مخاطبتهم كقوله وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب
لتفسدن في الارض لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة
من العذاب ولهم عذاب اليم خطاب لرسول الله واحد المفعولين الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تأكيد تقديره
لا تحسبنهم فلا تحسبنهم فائزين وقرئ لا يحسبن فلا يحسبنهم بضم الباء على خطاب المؤمنين ولا يحسبن فلا يحسبنهم بالياء وفتح
الباء فيهما على ان الفعل للرسول وقرأ ابو عمرو بالياء وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني على ان الفعل للذين يفرحون والمفعول الاول
محذوف على لا يحسبنهم الذين يفرحون بمفازة بمعنى لا يحسبن انفسهم الذين يفرحون فائزين وفلا يحسبنهم تأكيد ومعنى بما اتوا بما
فعلوا واتى وجاء يستعملان بمعنى فعل قال الله تعالى انه كان وعده مأتيا وقد جئت شيئا فريا ويدل عليه قراءة ابي يفرحون بما فعلوا
وقرئ آتوا بمعنى اعطوا وعن علي رضي الله عنه بما اوتوا ومعنى بمفازة من العذاب بمنجاة منه وروي ان رسول الله صلى الله عليه
وعلى آله وسلم سأل اليهود عن شيء مما في التوراة فكتموا الحق واخبروه بخلافه واروه انهم قد صدقوه واستحمدوا اليه وفرحوا بما فعلوا
فاطلع الله رسوله على ذلك وسلاه بما انزل من وعيدهم اي لا تحسبن اليهود الذين يفرحون بما فعلوا من تدليسهم عليك ويحبون
ان تحمدهم بما لم يفعلوا من اخبارك بالصدق عما سألتهم عنه ناجين من العذاب ومعنى يفرحون بما اوتوا بما اوتوه من علم التوراة وقيل
يفرحون بما فعلوا من كتمان نعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من اتباع دين ابرهيم حيث ادعوا
ان ابرهيم كان على اليهودية وانهم على دينه وقيل هم قوم تخلفوا عن الغزو مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فلما قفل اعتذروا

اليه بانهم راوا المصلحه في التخلف واستحمدوا اليه بترك الخروج وقيل هم المنافقون يفرحون بما اتوا من اظهار الايمان للمسلمين ومنافقتهم وتوصلهم بذلك الى اغراضهم ويستحمدون اليهم بالايمان الذي لم يفعلوه على الحقيقه لابطانهم الكفر ويجوز ان يكون شاملا لكل من ياتي بحسنه فيفرح بها فرح اعجاب ويحب ان يحمده الناس ويثنوا عليه بالديانه والزهد وبما ليس فيه **ولله ملك السموات والارض** فهو يملك امرهم **والله على كل شي قدير** فهو يقدر على عقابهم **ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات** لادله واضحه على الصانع وعظيم قدرته وباهر حكمته **لاولي الالباب** للذين يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار ولا ينظرون اليها نظر البهايم غافلين عما فيها من عجايب الفطر وفي النصايح الصغار املا عينيك من رويه هذه الكواكب واجلها في جمله هذه العجايب متفكرا في قدره مقدرها متدبرا حكمة مدبرها قبل ان يسافر بك القدر فيحال بينك وبين النظر وعن ابن عمر رضي الله عنه قلت لعايشه رضي الله عنها اخبريني باعجب ما رايت من رسول الله [illegible] الصق جلده بجلدي ثم قال يا عايشه هل لك ان تاذني لي الليله في عبادة ربي فقلت يا رسول الله اني لاحب قربك واحب هواك قد اذنت لك فقام الى قربه من ما في البيت فتوضا ولم يكثر من صب الما ثم قام يصلي فقرا من القران وجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله واثنى عليه وجعل يبكي ثم رفع يديه فجعل يبكي حتى رايت دموعه قد بلت الارض فاتاه بلال يوذنه بصلاة الغداه فراه يبكي فقال له يا رسول الله اتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال يا بلال افلا اكون عبدا شكورا ثم قال وما لي لا ابكي وقد انزل الله علي في هذه الليله ان في خلق السموات والارض ثم قال ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها وروي ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتامل فيها وعن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم كان اذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر الى السما ثم يقول ان في خلق السموات والارض وحكي ان الرجل من بني اسرايل كان اذا عبد الله ثلثين سنه اظلته سحابه فعبدها فتى من فتيانهم فلم تظله فقالت له امه لعل فرطه فرطت منك في مدتك قال ما اذكر قالت لعلك نظرت مره الى السما ولم تعتبر قال لعل قالت فما اتيت الا من ذاك **الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم** يذكرون الله ذكرا دايبا على اي حال كانوا من قيام وقعود لا يخلون بالذكر في اغلب احوالهم وعن ابن عمر وعروه بن الزبير وجماعه انهم خرجوا يوم العيد الى المصلى فجعلوا يذكرون الله فقال بعضهم اما قال الله تعالى يذكرون الله قياما وقعودا فقاموا يذكرون الله على اقدامهم وعن النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم من احب ان يرتع في رياض الجنه فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون في هذه الاحوال على حسب استطاعتهم قال رسول الله لعمران بن الحصين صل قايما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب توما ايما وهذه حجه للشافعي رحمه الله في اضجاع المريض على جنبه كما في اللحد وعند ابي حنيفه رحمه الله انه يستلقي حتى اذا وجد خفه قعد **ويتفكرون في خلق السموات والارض** وما يدل عليه اختراع هذه الاجرام العظام وابداع صنعتها وما دبر فيها مما تكل الافهام عن ادراك بعض عجايبه على عظم شان الصانع وكبريا سلطانه وعن سفيان الثوري انه صلى خلف المقام ركعتين ثم رفع راسه الى السما فلما راى الكواكب غشي عليه وكان يبول الدم من طول حزنه وفكرته وعن النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع راسه فنظر الى النجوم والى السما فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وقال النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم لا عباده كالتفكر وقيل الفكره تذهب الغفله وتحدث للقلب الخشيه كما يحدث الما للزرع النبات وما جليت القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكره وروي عن النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له في كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله الذي هو عمل القلب لان احدا لا يقدر ان يعمل بجوارحه في اليوم مثل عمل اهل الارض **ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار** على اراده القول اي يقولون ذلك وهو في محل الحال بمعنى يتفكرون قايلين والمعنى ما خلقته خلقا باطلا بغير حكمه بل خلقته لداعي حكمه عظيمه وهو ان تجعلها مساكن للمكلفين وادله لهم على معرفتك ووجوب طاعتك واجتناب معصيتك ولذلك وصل به قوله فقنا عذاب النار لانه جزا من عصى ولم يطع **فان قلت** هذا اشاره الى ماذا **قلت** الى الخلق على ان المراد به المخلوق كانه قيل ويتفكرون في مخلوق السموات والارض اي فيما خلق منها ويجوز ان يكون اشاره الى السموات والارض لانهما في معنى المخلوق كانه قيل ما خلقت هذا المخلوق العجيب باطلا وفي هذا ضرب من التعظيم كقوله ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم ويجوز ان يكون باطلا حالا من هذا وسبحانك اعتراض للتنزيه من العبث وان يخلق شيا بغير حكمه **ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته** فقد ابلغت في اخزايه وهو نظير قوله فقد فاز ونحوه في كلامهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك ومن سبق فلانا فقد سبق **وما للظالمين من انصار** اللام اشاره الى من يدخل النار واعلام بان من يدخل النار فلا ناصر له بشفاعه ولا غيرها تقول سمعت رجلا يقول كذا او سمعت زيدا يتكلم فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع لانك وصفته بما يسمع او جعلته حالا عنه فاغناك عن ذكره ولولا الوصف او الحال لم يكن منه بد وان يقال سمعت كلام فلان او قوله **ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان** **فان قلت** اي فايده في الجمع بين المنادي وينادي **قلت** ذكر النداء مطلقا ثم مقيدا بالايمان تفخيما لشان المنادي لانه لا منادي اعظم من مناد ينادي للايمان ونحوه قولك مررت بهاد يهدي للاسلام وذلك ان المنادي اذا اطلق ذهب الوهم الى مناد للحرب او لاطفا النايره او لاغاثه المكروب او لكفايه بعض النوازل او بعض المنافع وكذلك الهادي قد يطلق على من يهدي للطريق ويهدي لسداد

الراي وغير ذلك فاذا قلت ينادي للايمان ويهدي للاسلام فقد رفعت من شان المنادي والهادي وفخمته ويقال دعاه لكذا والى كذا وندبه له واليه وناداه له واليه ونحوه هداه للطريق واليه وذلك ان معنى انتها الغايه ومعنى الاختصاص واقعان جميعا والمنادي هو الرسول يدعو الى الله ادع الى سبيل ربك وعن محمد بن كعب القرظي القران **ان امنوا** اي امنوا او بان امنوا **بربكم فامنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا** كبايرنا **وكفر عنا سياتنا** صغايرنا **وتوفنا مع الابرار** مخصوصين بصحبتهم معدودين في جملتهم والابرار جمع بر او بار كرب وارباب وصاحب واصحاب **ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك** على هذه صله للوعد في قولك وعد الله الجنه على الطاعه والمعنى ما وعدتنا على تصديق رسلك الا تراه كيف اتبع ذكر المنادي للايمان وهو الرسول وقوله امنا وهو التصديق ويجوز ان يكون متعلقا بمحذوف اي ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا على رسلك لان الرسل يحملون ذلك فانما عليه ما حمل وقيل على السنه رسلك والموعود هو الثواب وقيل النصره على الاعدا **ولا تخزنا يوم القيامه انك لا تخلف الميعاد** **فان قلت** كيف دعوا الله بانجاز ما وعد والله لا يخلف الميعاد **قلت** معناه طلب التوفيق فيما يحفظ عليهم اسباب انجاز الميعاد او هو من باب اللجا الى الله تعالى والخضوع كما كان الانبيا عليهم الصلاه والسلام يستغفرون مع علمهم انهم مغفور لهم يقصدون بذلك التذلل لربهم والتضرع واللجا الذي هو سيما العبوديه **فاستجاب لهم ربهم** يقال استجاب له واستجابه فلم يستجبه عند ذلك مجيب **اني لا اضيع عمل عامل منكم** قري بالفتح على حذف اليا وبالكسر على اراده القول وقري لا اضيع بالتشديد **من ذكر او انثى** بيان لعامل **بعضكم من بعض** اي يجمع ذكوركم واناثكم اصل واحد فكل واحد منكم من الاخر اي من اصله او كانه منه لفرط اتصالكم واتحادكم وقيل المراد وصله الاسلام وهذه جمله معترضه بينت بها شركه النسا مع الرجال فيما وعد الله عباده العاملين وروي ان ام سلمه قالت يا رسول الله اني اسمع الله يذكر الرجال في الهجره ولا يذكر النسا فنزلت **فالذين هاجروا** تفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم له والتفخيم كانه قال فالذين عملوا هذه الاعمال السنيه الفايقه وهي المهاجره عن اوطانهم فارين الى الله بدينهم من دار الفتنه واضطروا الى الخروج من ديارهم التي ولدوا فيها ونشاوا بما سامهم المشركون من الخسف **واوذوا في سبيلي** من اجله وبسببه يريد سبيل الدين **وقاتلوا وقتلوا** وغزوا المشركين واستشهدوا وقري وقتلوا بالتشديد وقتلوا وقاتلوا على التقديم بالتخفيف والتشديد وقتلوا وقتلوا على بنا الاول للفاعل والثاني للمفعول وقتلوا وقاتلوا على بنايهما للفاعل **لاكفرن عنهم سياتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب** ثوابا في موضع المصدر المؤكد بمعنى اثابه او تثويبا من عند الله لان قوله لاكفرن عنهم ولادخلنهم في معنى لاثيبنهم وعنده مثل اي يختص به وبقدرته وفضله لا يثيبه غيره ولا يقدر عليه كما يقول الرجل عندي ما تريد يريد اختصاصه به وبملكه وان لم يكن بحضرته وهذا تعليم من الله كيف يدعى وكيف يبتهل اليه ويتضرع وتكرير ربنا من باب الابتهال واعلام بما يوجب حسن الاجابه وحسن الاثابه من احتمال المشاق في دين الله والصبر على صعوبه تكاليفه وقطع لاطماع الكسالى المتمنين عليه وتسجيل على من لا يرى الثواب موصولا اليه بالعمل بالجهل والغباوه وروي عن جعفر الصادق رضي الله عنه من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد وقرا هذه الايه وعن الحسن حكى الله عنهم انهم قالوا خمس مرات ربنا ثم اخبر انه استجاب لهم الا انه اتبع ذلك رفع الدعا وما يستجاب به فلا بد من تقديمه بين يدي الدعا **لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد** الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم او لكل احد اي لا تنظر الى ما هم عليه من سعه الرزق والمضطرب ودرك العاجل واصابه حظوظ الدنيا ولا تغترر بظاهر ما ترى من تبسطهم في الارض وتصرفهم في البلاد يتكسبون ويتجرون ويتدهقنون وعن ابن عباس هم اهل مكه وقيل هم اليهود وروي ان ناسا من المومنين كانوا يرون ما كانوا فيه من الخصب والرخا ولين العيش فيقولون ان اعدا الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد **فان قلت** كيف جاز ان يغتر رسول الله بذلك حتى ينهى عن الاغترار به **قلت** فيه وجهان احدهما ان مدره القوم ومقدمهم يخاطب بشي فيقوم خطابه مقام خطابهم جميعا فكانه قيل لا يغرنكم والثاني ان رسول الله كان غير مغرور بحالهم فاكد عليه ما كان عليه وثبت على التزامه كقوله ولا تكن من الكافرين ولا تكونن من المشركين ولا تطع المكذبين وهذا في النهي نظير قوله في الامر اهدنا الصراط المستقيم يا ايها الذين امنوا امنوا وقد جعل النهي في الظاهر للتقلب وهو في المعنى للمخاطب وهذا من تنزيل السبب منزله المسبب لان التقلب لو غره لاغتر به فمنع السبب ليمتنع المسبب وقري لا يغرنك بالنون الخفيفه **متاع قليل** خبر مبتدا محذوف اي ذلك متاع قليل وهو التقلب في البلاد اراد قلته في جنب ما فاتهم من نعيم الاخره او في جنب ما اعد الله للمومنين من الثواب او اراد انه قليل في نفسه لانقضايه وكل زايل قليل وقال رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم ما الدنيا في الاخره الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع **ثم ماواهم جهنم وبئس المهاد** وساما مهدوا لانفسهم **لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله** النزل والنزل ما يقام للنازل قال ابو الشعر الضبي وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وانتصابه اما على الحال من جنات لتخصصها بالو

والعامل اللام ويجوز أن يكون بمعنى مصدر مؤكد كأنه قيل رزقا أو عطاء من عند الله وما عند الله من الكثير الدائم خير
للأبرار مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل وقرأ مسلمة بن محارب والأعمش نزلا بالسكون وقرأ يزيد بن القعقاع لكن الذين اتقوا
بالتشديد وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله نزلت في عبد الله بن سلام وغيره ممن أسلم من أهل الكتاب وقيل في
أربعين من أهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه الصلاة والسلام فأسلموا وقيل
في أصحمة النجاشي ملك الحبشة ومعنى أصحمة عطية بالعربية وذلك أنه لما مات نعاه جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم
فقال عليه الصلاة والسلام اخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم فخرج إلى البقيع ونظر إلى أرض الحبشة فأبصر سرير
النجاشي وصلى عليه واستغفر له فقال المنافقون انظروا إلى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وليس على دينه فنزلت ودخلت لام الابتداء
على اسم أن لفصل الظرف بينهما كقوله وإن منكم لمن ليبطئن وما أنزل إليكم من القرآن وما أنزل إليهم من الكتابين خاشعين
لله حال من فاعل يؤمن لأن من يؤمن في معنى الجمع لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعل من لم يسلم من أحبارهم وكبارهم
أولئك لهم أجرهم عند ربهم أي ما اختص بهم من الأجر وهو ما وعده في قوله أولئك يؤتون أجرهم مرتين يؤتكم كفلين
من رحمته إن الله سريع الحساب لنفوذ علمه في كل شيء فهو عالم بما يستوجبه كل عامل من الأجر ويجوز أن يراد أنما توعدون
لآت قريب بعد ذكر الموعد يا أيها الذين آمنوا اصبروا على الدين وتكاليفه وصابروا أعداء الله في الجهاد أي غالبوهم
في الصبر على شدائد الحرب لا تكونوا أقل صبرا منهم وثباتا والمصابرة باب من الصبر ذكر بعد الصبر على ما يجب الصبر عليه تخصيصا لشدته وصعوبته
ورابطوا وأقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين مستعدين للغزو قال الله تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به
عدو الله وعدوكم وعن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر وقيامه لا يفطر
ولا ينفتل عن صلاته إلا لحاجة واتقوا الله لعلكم تفلحون عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من قرأ سورة آل عمران أعطي
بكل آية منها أمانا على جسر جهنم وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله وملائكته عليه
حتى تحجب الشمس

سورة النساء مائة وست وسبعون آية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الناس
اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة يا بني آدم خلقكم من نفس واحدة فرعكم من أصل واحد وهو نفس آدم أبيكم
فإن قلت علام عطف قوله تعالى وخلق منها زوجها قلت فيه وجهان أحدهما أن يعطف على محذوف كأنه قيل من نفس واحدة أنشأها
وابتدأها وخلق منها زوجها وإنما حذف لدلالة المعنى عليه والمعنى شعبكم من نفس واحدة هذه صفتها وهي أنه أنشأها من تراب وخلق
زوجها حواء من ضلع من أضلاعها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء نوعي جنس الإنس وهما الذكور والإناث فوصفها بصفة هي بيان وتفصيل
لكيفية خلقهم والثاني أن يعطف على خلقكم ويكون الخطاب في يا أيها الناس للذين بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم والمعنى خلقكم
من نفس آدم لأنهم من جملة الجنس المفرع منه وخلق منها أمكم حواء وبث منهما رجالا كثيرا ونساء غيركم من الأمم الفائتة للحصر
فإن قلت الذي يقتضيه سداد نظم الكلام وجزالته أن يجاء عقيب الأمر بالتقوى بما يوجبها أو يدعو إليها ويبعث عليها فكيف كان خلقه
إياهم من نفس واحدة على التفصيل الذي ذكره موجبا للتقوى وداعيا إليها قلت لأن ذلك مما يدل على القدرة العظيمة ومن قدر على نحوه كان
قادرا على كل شيء ومن المقدورات عقاب العصاة فالنظر فيه يؤدي إلى أن يتقي القادر عليه ويخشى عقابه ولأنه يدل على النعمة السابغة عليهم
فحقهم أن يتقوه في كفرانها والتفريط فيما يلزمهم من القيام بشكرها أو أراد بالتقوى تقوى خاصة وهي أن يتقوه فيما يتصل بحفظ الحقوق
بينهم فلا يقطعوا ما يجب عليهم وصله فقيل اتقوا ربكم الذي وصل بينكم حيث جعلكم صنوانا مفرعة من أرومة واحدة فيما يجب
على بعضكم لبعض فحافظوا عليه ولا تغفلوا عنه وهذا المعنى مطابق لمعاني السورة وقرئ وخالق منها زوجها وباث منهما رجالا
بلفظ اسم الفاعل وهو خبر مبتدأ محذوف تقديره وهو خالق واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان
عليكم رقيبا تساءلون به تتساءلون به فأدغمت التاء في السين وقرئ تساءلون بطرح التاء الثانية أي يسأل بعضكم بعضا بالله وبالرحم
فيقول بالله وبالرحم افعل كذا على سبيل الاستعطاف وأنشدك الله والرحم أو تساءلون غيركم بالله وبالرحم فقيل تفاعلون موضع تفعلون للجمع كقولك
رأيت الهلال وتراءيناه وتنصره قراءة من قرأ تسألون به مهموزا وغير مهموز وقرئ والأرحام بالحركات الثلاث فالنصب على وجهين
إما على واتقوا الله والأرحام أو أن يعطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا وينصره قراءة ابن مسعود تساءلون به وبالأرحام والجر
على عطف الظاهر على المضمر وليس بسديد لأن الضمير المتصل متصل كاسمه والجار والمجرور كشيء واحد فكانا في قولك مررت به وزيد
وهذا غلامه وزيد شديدي الاتصال فلما اشتد الاتصال لتكرره أشبه العطف على بعض الكلمة فلم يجز ووجب تكرير العامل كقولك
مررت به وبزيد وهذا غلامه وغلام زيد ألا ترى إلى صحة قولك رأيتك وزيدا ومررت بزيد وعمرو لما لم يقو الاتصال لأنه لم يتكرر
وقد تمحل لصحة هذه القراءة بأنها على تقدير تكرير الجار ونظيرها قول الشاعر: فما بك والأيام من عجب، والرفع على أنه مبتدأ خبره
محذوف كأنه قيل والأرحام كذلك على معنى والأرحام مما يتقى أو والأرحام مما يتساءل به والمعنى أنهم كانوا يقرون بأن لهم خالقا وكانوا

يتساءلون بذكر الله والرحم فقيل لهم اتقوا الله الذي خلقكم واتقوا الذي تتناشدون به واتقوا الأرحام فلا تقطعوها أو واتقوا الله
الذي تتعاطفون بإذكاره وبإذكار الرحم وقد آذن عز وجل إذ قرن الأرحام باسمه أن صلتها منه بمكان كما قال ألا تعبدوا إلا إياه
وبالوالدين إحسانا وعن الحسن إذا سألك بالله فأعطه وإذا سألك بالرحم فأعطه وللرحم حجنة عند العرش ومعناه ما روي
عن ابن عباس رضي الله عنهما الرحم معلقة بالعرش فإذا أتاها الواصل بشت به وكلمته وإذا أتاها القاطع احتجبت منه وسئل
ابن عيينة عن قوله عليه السلام تخيروا لنطفكم فقال يقول لأولادكم وذلك أن يضع ولده في الحلال ألم تسمع قوله واتقوا الله
الذي تساءلون به والأرحام وأول صلته أن يختار له الموضع الحلال فلا يقطع رحمه ولا نسبه فإنما للعاهر الحجر ثم يختار الصحة
ويجتنب الدعوة ولا يضعه موضع شهوة تتبع شهوته وهواه بغير هدى من الله وآتوا اليتامى أموالهم اليتامى الذين
مات آباؤهم فانفردوا عنهم واليتم الانفراد ومنه الرملة اليتيمة والدرة اليتيمة وقيل اليتم في الأناسي من قبل الآباء وفي البهائم
من قبل الأمهات فإن قلت كيف جمع اليتيم وهو فعيل كمريض على يتامى قلت فيه وجهان أن يجمع على يتمى كأسرى
لأن اليتم من وادي الآفات والأوجاع ثم يجمع فعلى على فعالى كأسارى ويجوز أن يجمع على فعائل لجري اليتيم مجرى الأسماء نحو
صاحب وفارس ثم يقال يتائم ثم يتامى على القلب وحق هذا الاسم أن يقع على الصغار والكبار لبقاء معنى الانفراد عن الآباء إلا أنه
قد غلب أن يسموا به قبل أن يبلغوا مبلغ الرجال فإذا استغنوا بأنفسهم عن كافل وقائم عليهم وانتصبوا كفاة يكفلون غيرهم
ويقومون عليهم زال عنهم هذا الاسم وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يتيم أبي طالب إما على القياس وإما حكاية
للحال التي كان عليها صغيرا ناشئا في حجر عمه توضيعا له وأما قوله عليه الصلاة والسلام لا يتم بعد الحلم فما هو إلا تعليم شريعة
لا لغة يعني أنه إذا احتلم لم تجر عليه أحكام الصغار فإن قلت فما معنى قوله وآتوا اليتامى أموالهم قلت إما أن يراد باليتامى
الصغار وبإيتائهم الأموال أن لا يطمع فيها الأولياء والأوصياء وولاة السوء وقضاته ويكفوا عنها أيديهم الخاطفة حتى تأتي
اليتامى إذا بلغوا سالمة غير محذوفة وإما أن يراد الكبار تسمية لهم يتامى على القياس أو لقرب عهدهم إذا بلغوا بالصغر كما تسمى الناقة
عشراء بعد وضعها على أن فيه إشارة إلى أن لا يؤخر دفع أموالهم إليهم عن حد البلوغ ولا يمطلوا إن أونس منهم الرشد وأن يؤتوها
قبل أن يزول عنهم اسم اليتامى والصغار وقيل هي في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم فلما بلغ طلب المال فمنعه
عمه فترافعا إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فنزلت فلما سمعها العم قال أطعنا الله وأطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب
الكبير فدفع ماله إليه فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ومن يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فإنه يحل داره يعني جنته فلما
قبض الفتى ماله أنفقه في سبيل الله فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ثبت الأجر وبقي الوزر قالوا يا رسول الله قد عرفنا
أنه ثبت الأجر فكيف بقي الوزر وهو ينفق ماله في سبيل الله فقال ثبت أجر الغلام وبقي الوزر على والده ولا تتبدلوا الخبيث
بالطيب ولا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم وما أبيح لكم من المكاسب ورزق الله المبثوث في الأرض
فتأكلوه مكانه أو لا تستبدلوا الأمر الخبيث وهو اختزال أموال اليتامى بالأمر الطيب وهو حفظها والتورع منها والتفعل بمعنى
الاستفعال غير عزيز منه التعجل بمعنى الاستعجال والتأخر بمعنى الاستئخار قال ذو الرمة: فيا كرم السكن الذين تحملوا
عن الدار والمستخلف المتبدل. أراد ويا لؤم ما استخلفته الدار واستبدلته وقيل هو أن يعطي رديا ويأخذ جيدا وعن السدي
أن يجعل شاة مهزولة مكان سمينة وهذا ليس بتبديل إنما هو تبديل إلا أن يكارم صديقا له فيأخذ منه عجفاء مكان سمينة من مال
الصبي ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم ولا تنفقوها معها وحقيقته ولا تضموها إليها في الإنفاق حتى لا تفرقوا بين
أموالكم وأموالهم قلة مبالاة بما لا يحل لكم وتسوية بينه وبين الحلال فإن قلت قد حرم عليهم أكل مال اليتامى وحده
ومع أموالهم فلم ورد النهي عن أكله معها قلت لأنهم إذا كانوا مستغنين عن أموال اليتامى بما رزقهم الله من مال حلال وهم على
ذلك يطمعون فيها كان القبح أبلغ والذم أحق ولأنهم كانوا يفعلون ذلك فنعى عليهم فعلهم وسمع
بهم ليكون أزجر لهم إنه كان حوبا كبيرا والحوب الذنب العظيم ومنه قوله عليه السلام إن طلاق أم أيوب لحوب فكأنه قيل
إنه كان ذنبا عظيما كبيرا وقرأ الحسن حوبا بفتح الحاء وهو مصدر حاب حوبا وقرئ حابا ونظير الحوب والحاب القول
والقال والطرد والطرد ولما نزلت الآية في اليتامى وما في أكل أموالهم من الحوب الكبير خاف الأولياء أن يلحقهم الحوب بترك الإقساط
في حقوق اليتامى وأخذوا يتحرجون من ولايتهم وكان الرجل منهم ربما كان تحته العشر من الأزواج والثمان والست فلا يقوم
بحقوقهن ولا يعدل بينهن فقيل لهم إن خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا أيضا ترك العدل بين النساء
فقللوا عدد المنكوحات لأن من تحرج من ذنب أو تاب عنه وهو مرتكب مثله فهو غير متحرج ولا تائب لأنه إنما وجب أن يتحرج من الذنب
ويتاب عنه لقبحه والقبح قائم في كل ذنب وقيل كانوا لا يتحرجون من الزنا وهم يتحرجون من ولاية اليتامى فقيل إن خفتم الجور
في حق اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم من النساء ولا تحوموا حول المحرمات وقيل كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال
أو يكون وليها فيتزوجها ضنا بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن فيخاف لضعفهن وفقد من يغضب لهن أن يظلمهن
حقوقهن ويفرط فيما يجب لهن فقيل لهم إن خفتم ألا تقسطوا في يتامى النساء فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم وقال اللاتي في اليتامى

كما يقال للذكور وهو جمع تسمية على الفعل كما قيل ايامى والاصل ايائم ويتائم وقرأ النخعي تقسطوا بفتح التاء على ان لا مزيدة مثلها في لئلا يعلم يريد وان خفتم ان تجوروا ما طاب لكم ما حل لكم من النساء لان منهن ما حرم كاللاتي في آية التحريم وقيل ما ذهابا الى الصفة ولان الاناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء ومنه قوله تعالى او ما ملكت ايمانكم **مثنى وثلاث ورباع** معدولة عن اعداد مكررة وانما منعت الصرف لما فيها من العدلين عدلها عن صيغتها وعدلها عن تكررها وهي نكرات يعرفن بلام التعريف تقول فلان ينكح المثنى والثلاث والرباع ومحلهن النصب على الحال مما طاب تقديره فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا **فان قلت** الذي اطلق للناكح في الجمع ان يجمع بين ثنتين او ثلاث او اربع فما معنى التكرير في مثنى وثلاث ورباع **قلت** الخطاب للجميع فوجب التكرير ليصيب كل ناكح يريد الجمع ما اراد من العدد الذي اطلق له كما تقول للجماعة اقتسموا هذا المال وهو الف درهم درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة واربعة اربعة ولو افردت لم يكن له معنى **فان قلت** فلم جاء العطف بالواو دون او **قلت** كما جاء بالواو في المثال الذي حذوته لك ولو ذهبت تقول اقتسموا هذا المال درهمين درهمين او ثلاثة ثلاثة او اربعة اربعة علمت انه لا يسوغ لهم ان يقتسموه الا على احد انواع هذه القسمة وليس لهم ان يجمعوا بينها فيجعلوا بعض القسم على تثنية وبعضه على تثليث وبعضه على تربيع وذهب معنى تجويز الجمع بين انواع القسمة الذي دلت عليه الواو وتحريره ان الواو دلت على اطلاق ان ياخذ الناكحون من ارادوا نكاحها من النساء على طريق الجمع ان شاؤوا مختلفين في تلك الاعداد وان شاؤوا متفقين فيها محظورا عليهم ما وراء ذلك وقرأ ابراهيم وثلث وربع على القصر من ثلاث ورباع **فان خفتم الا تعدلوا** بين هذه الاعداد كما خفتم ترك العدل فيما فوقها **فواحدة** فالزموا او فاختاروا واحدة وذروا الجمع راسا فان الامر كله يدور مع العدل فاينما وجدتم العدل فعليكم به وقرئ فواحدة بالرفع على معنى فالمقنع واحدة او فكفت واحدة او فحسبكم واحدة **او ما ملكت ايمانكم** سوى في السهولة واليسر بين الحرة الواحدة وبين الاماء من غير حصر ولا توقيت عدد ولعمري انهن اقل تبعة واخف مؤونة من المهائر لا عليك اكثرت منهن ام اقللت عدلت بينهن في القسم ام لم تعدل عزلت عنهن ام لم تعزل وقرأ ابن ابي عبلة من ملكت **ذلك** اشارة الى اختيار الواحدة او التسري **ادنى ان لا تعولوا** اقرب من ان لا تميلوا من قولهم عال الميزان عولا اذا مال وميزان فلان عائل وعال الحاكم في حكمه اذا جار وروي ان اعرابيا حكم عليه حاكم فقال له اتعول علي وقد روت عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم الا تعولوا الا تجوروا والذي حكي عن الشافعي رضي الله عنه انه فسر الا تعولوا الا تكثر عيالكم فوجهه من قولك عال الرجل عياله يعولهم كقولهم مانهم يمونهم اذا انفق عليهم لان من كثر عياله لزمه ان يعولهم وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال والرزق الطيب وكلام مثله من اعلام العلم وايمة الشرع ورؤوس المجتهدين حقيق بالحمل على الصحة والسداد وان لا يظن به تحريف تعيلوا الى تعولوا فقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تظنن بكلمة خرجت من في اخيك سوءا وانت تجد لها في الخير محملا وكفى بكتابنا المترجم بكتاب شافي العي من كلام الشافعي شاهدا بانه كان اعلى كعبا واطول باعا في علم كلام العرب من ان يخفى عليه مثل هذا ولكن للعلماء طرقا واساليب فسلك في تفسير هذه الكلمة طريقة الكنايات **فان قلت** كيف يقل عيال من تسرى وفي السراري نحو ما في المهائر **قلت** ليس كذلك لان الغرض بالتزوج التوالد والتناسل بخلاف التسري ولذلك جاز العزل عن السراري بغير اذنهن فكان التسري مظنة لقلة الولد بالاضافة الى التزوج كتزوج الواحدة بالاضافة الى تزوج الاربع وقرأ طاوس الا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله وهذه القراءة تعضد تفسير الشافعي رحمه الله من حيث المعنى الذي قصده **وآتوا النساء صدقاتهن** مهورهن وفي حديث شريح قضى ابن عباس لها بالصدقة وقرئ صدقاتهن بفتح الصاد وسكون الدال على تخفيف صدقاتهن وصدقاتهن بضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة بوزن غرفة وقرئ صدقتهن بضم الصاد والدال على التوحيد وهو تثقيل صدقة كقولك في ظلمة ظلمة **نحلة** من نحله كذا اذا اعطاه اياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا ومنه حديث ابي بكر رضي الله عنه اني كنت نحلتك جداد عشرين وسقا بالعالية وانتصابها على المصدر لان النحلة والايتاء بمعنى الاعطاء فكانه قيل وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة اي اعطوهن مهورهن عن طيبة انفسكم او على الحال من المخاطبين اي آتوهن عن طيبة الانفس وقيل نحلة من الله عطية من عنده وتفضلا منه عليهن وقيل النحلة ديانة على انها مفعول لها ويجوز ان تكون حالا من الصدقات اي دينا من الله شرعه وفرضه والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا ياخذون مهور بناتهم وكانوا يقولون هنيئا لك النافجة لمن تولد له بنت يعنون تاخذ مهرها فتنفج به مالك اي تعظمه المهر وصدقات مجرى اسم الاشارة كانه قيل **فان طبن لكم عن شيء منه نفسا** الضمير في منه جار مجرى اسم الاشارة كانه قيل عن شيء من ذلك كما قال تعالى قل أؤنبئكم بخير من ذلكم بعد ذكر الشهوات ومن الحجج المسموعة من افواه العرب ما روي عن رؤبة انه قيل له في قوله • كانه في الجلد توليع البهق • فقال اردت كان ذاك او يرجع الى ما هو في معنى الصدقات وهو الصداق لانك لو قلت وآتوا النساء صداقهن لم يخل بالمعنى فهو نحو قوله فاصدق واكن من الصالحين كانه قيل اصدق في تفسير وتوحيدها لان الغرض بيان الجنس والواحد يدل عليه والمعنى فان وهبن لكم شيئا من الصداق وتجافت عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات بما يضطرهن الى الهبة من شكاسة اخلاقكم وسوء معاشرتكم **فكلوه هنيئا مريئا** فانفقوه قالوا فان وهبت له ثم طلبت منه بعد الهبة علم انها لم تطب عنه نفسا وعن الشعبي ان رجلا اتى مع امراته شريحا في عطية اعطتها اياه وهي تطلب ان يرجع

وجب التكرير

فقال شريح رد عليها فقال الرجل اليس قد قال الله فان طبن لكم فقال لو طابت نفسها عنه لما رجعت فيه وعنه اقيلها فيما وهبت ولا اقيله لانهن يخدعن وحكي ان رجلا من آل ابي معيط اعطته امراته الف دينار صداقا كان لها عليه فلبث شهرا ثم طلقها فخاصمته الى عبد الملك بن مروان فقال الرجل اعطتني طيبة بها نفسها فقال عبد الملك فاين الآية التي بعدها فلا تاخذوا منه شيئا اردد عليها وعن عمر رضي الله عنه انه كتب الى قضاته ان النساء يعطين رغبة ورهبة فايما امراة اعطت ثم ارادت ان ترجع فذلك لها وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم سئل عن هذه الآية فقال اذا جادت لزوجها بالعطية طائعة غير مكرهة لا يقضي به عليكم سلطان ولا يؤاخذكم الله به في الآخرة وروي ان ناسا كانوا يتاثمون ان يرجع احدهم في شيء مما ساق الى امراته فقال الله تعالى ان طابت نفس واحدة من غير اكراه ولا خديعة فكلوه سائغا هنيئا وفي الآية دليل على ضيق المسلك في ذلك ووجوب الاحتياط حيث بنى الشرط على طيب النفس فقيل فان طبن ولم يقل فان وهبن او سمحن اعلاما بان المراعى هو تجافي النفس عن الموهوب طيبة وقيل فان طبن لكم عن شيء منه ولم يقل فان طبن لكم عنه بعثا لهن على تقليل الموهوب وعن الليث بن سعد لا يجوز تبرعها الا باليسير وعن الاوزاعي لا يجوز تبرعها ما لم تلد او تقم في بيت زوجها سنة ويجوز ان يكون تذكير الضمير لينصرف الى الصداق الواحد فيكون متناولا بعضه ولو انث لتناول ظاهره هبة الصداق كله لان بعض الصدقات واحدة منها فصاعدا الهنيء والمريء صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان سائغا لا تنغيص فيه وقيل الهنيء ما يلذه الآكل والمريء ما تحمد عاقبته وقيل هو ما ينساغ في مجراه وقيل لمدخل الطعام من الحلقوم الى فم المعدة المريء لمروء الطعام فيه وهو انسياغه وهما وصف للمصدر اي اكلا هنيئا مريئا او حال من الضمير اي كلوه وهو هنيء مريء وقد يوقف على فكلوه ويبتدأ هنيئا مريئا على الدعاء وعلى انهما صفتان اقيمتا مقام المصدرين كانه قيل هنئا مرءا وهذه عبارة عن التحليل والمبالغة في الاباحة وازالة التبعة **ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم** السفهاء المبذرون اموالهم الذين ينفقونها فيما لا ينبغي ولا يدي لهم باصلاحها وتثميرها والتصرف فيها والخطاب للاولياء واضاف الاموال اليهم لانها من جنس ما يقيم به الناس معايشهم كما قال ولا تقتلوا انفسكم فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات والدليل على انه خطاب للاولياء في اموال اليتامى قوله وارزقوهم فيها واكسوهم وقرئ اللاتي جعل الله لكم قياما وقيما بمعنى قياما كما جاء عوذا بمعنى عياذا وقرأ عبد الله بن عمر قواما بالواو وقوام الشيء ما يقام به كقولك هو ملاك الامر لما يملك به وكان السلف يقولون المال سلاح المؤمن ولان اترك ما لا يحاسبني الله عليه خير من ان احتاج الى الناس وعن سفيان وكانت له بضاعة يقلبها لولاها لتمندل بي بنو العباس وعن غيره وقيل له انها تدنيك من الدنيا لئن ادنتني من الدنيا لقد صانتني عنها وكانوا يقولون اتجروا واكتسبوا فانكم في زمان اذا احتاج احدكم كان اول ما ياكل دينه وربما راوا رجلا في جنازة فقالوا له اذهب الى دكانك وارزقوهم فيها واجعلوها مكانا لرزقهم بان تتجروا فيها وتتربحوا حتى تكون نفقتهم من الارباح لا من صلب المال فلا ياكلها الانفاق وقيل هو امر لكل احد ان لا يخرج ماله الى احد من السفهاء قريب او اجنبي رجل او امراة يعلم انه يضعه فيما لا ينبغي ويفسده **وقولوا لهم قولا معروفا** قال ابن جريج عدة جميلة ان صلحتم ورشدتم سلمنا اليكم اموالكم وعن عطاء اذا ربحت اعطيتك وان غنمت في غزاتي جعلت لك حظا وقيل ان لم يكن ممن وجبت عليك نفقته فقل عافانا الله واياك بارك الله فيك وكل ما سكنت اليه النفس واحبته لحسنه عقلا او شرعا من قول او عمل فهو معروف وما انكرته ونفرت منه لقبحه فهو منكر **وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم** واختبروا عقولهم وذوقوا احوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ حتى اذا تبينتم منهم رشدا اي هداية دفعتم اليهم اموالهم من غير تاخير عن حد البلوغ وبلوغ النكاح ان يحتلم لانه يصلح للنكاح عنده ولطلب ما هو مقصود به وهو التوالد والايناس الاستيضاح فاستعير للتبيين واختلف في الابتلاء والرشد فالابتلاء عند ابي حنيفة واصحابه ان يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى يستبين حاله فيما يجيء منه والرشد التهدي الى وجوه التصرف وعن ابن عباس الصلاح في العقل والحفظ للمال وعند مالك والشافعي الابتلاء ان يتتبع احواله وتصرفه في الاخذ والاعطاء ويتبصر مخايله وميله الى الدين والرشد الصلاح في الدين لان الفسق مفسدة للمال **فان قلت** فان لم يؤنس منه رشد الى حد البلوغ **قلت** عند ابي حنيفة ينتظر الى خمس وعشرين سنة لان مدة بلوغ الذكر عنده بالسن ثماني عشرة سنة فاذا زادت عليها سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير احوال الانسان لقوله عليه الصلاة والسلام مروهم بالصلاة لسبع دفع اليه ماله اونس منه رشد او لم يؤنس وعند اصحابه لا يدفع اليه ابدا الا بايناس الرشد **فان قلت** ما معنى تنكير الرشد **قلت** معناه نوعا من الرشد وهو الرشد في التصرف والتجارة او طرفا من الرشد ومخيلة من مخايله حتى لا ينتظر به تمام الرشد **فان قلت** كيف نظم هذا الكلام **قلت** ما بعد حتى الى فادفعوا اليهم اموالهم جعل غاية للابتلاء وهي حتى التي تقع بعدها الجمل كالتي في قوله • فما زالت القتلى تمج دماءها • بدجلة حتى ماء دجلة اشكل • والجملة الواقعة بعدها جملة شرطية لان اذا متضمنة معنى الشرط وفعل الشرط بلغوا النكاح وقوله فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم جملة من شرط وجزاء واقعة جوابا للشرط الاول الذي هو اذا بلغوا النكاح فكانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم فاستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم

وقرأ ابن مسعود فإن أحستم بمعنى أحسستم، قال: أحسن به فهن إليه شوس. وقرئ رَشَدًا بفتحتين ورُشُدًا بضمتين. ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف مسرفين ومبادرين كبرهم، أو لإسرافكم ومبادرتكم كبرهم تفرطون في إنفاقها وتقولون ننفق كما نشتهي قبل أن يكبر اليتامى فينتزعوها من أيدينا. ثم قسم الأمر بين أن يكون الوصي غنيا وبين أن يكون فقيرا، فالغني يستعفف، والفقير يأكل قوتا مقدرا محتاطا في تقديره على وجه الأجرة أو استقراضا على ما في ذلك من الاختلاف، ولفظ الأكل بالمعروف والاستعفاف مما يدل على أن للوصي حقا لقيامه عليها. وعن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن رجلا قال له: إن في حجري يتيما أفآكل من ماله؟ قال: بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله. فقال: أفأضربه؟ قال: مما كنت ضاربا منه ولدك. وعن ابن عباس أن ولي يتيم قال له: أفأشرب من لبن إبله؟ قال: إن كنت تبغي ضالتها وتلوط حوضها وتهنأ جرباها وتسقيها يوم ورودها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب. وعنه يضرب بيده مع أيديهم فليأكل بالمعروف ولا يلبس عمامة فما فوقها. وعن إبراهيم: لا يلبس الكتان والحلل ولكن ما سد الجوعة ووارى العورة. وعن محمد بن كعب: يتقرم تقرم البهيمة وينزل نفسه منزلة الأجير فيما لا بد منه. وعن الشعبي: يأكل من ماله بقدر ما يعين فيه. وعنه كالميتة يتناول عند الضرورة ويقضي. وعن مجاهد: يستسلف فإذا أيسر أدى. وعن سعيد بن جبير: إن شاء شرب فضل اللبن وركب الظهر ولبس ما يستره من الثياب وأخذ القوت ولا يجاوزه فإن أيسر قضاه وإن أعسر فهو في حل. وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إني أنزلت نفسي من مال الله منزلة والي اليتيم إن استغنيت استعففت وإن افتقرت أكلت بالمعروف وإذا أيسرت قضيت. واستعفف أبلغ من عف كأنه طالب زيادة العفة. فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم بأنهم تسلموها وقبضوها وبرئت عنها ذممكم، وذلك أبعد من التخاصم والتجاحد وأدخل في الأمانة وبراءة الساحة، ألا ترى أنه إذا لم يشهد فادعى عليه صدق مع اليمين عند أبي حنيفة وأصحابه، وعند مالك والشافعي لا يصدق إلا بالبينة، فكان في الإشهاد الاستحراز من توجه الحلف المفضي إلى التهمة أو من وجوب الضمان إذا لم يقم البينة. وكفى بالله حسيبا أي كافيا في الشهادة عليكم بالدفع والقبض أو محاسبا فعليكم بالتصادق وإياكم والتكاذب. للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا. الأقربون هم المتوارثون من ذوي القرابات دون غيرهم. مما قل منه أو كثر بدل مما ترك بتكرير العامل. ونصيبا مفروضا نصب على الاختصاص بمعنى أعني نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا لابد لهم من أن يحوزوه ولا يستأثر به. ويجوز أن ينتصب انتصاب المصدر المؤكد كقوله فريضة من الله كأنه قيل قسمة مفروضة. وروي أن أوس بن الصامت الأنصاري ترك امرأته أم كجة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة أو قتادة وعرفجة ميراثه عنهن، وكان أهل الجاهلية لا يورثون النساء والأطفال ويقولون لا يرث إلا من طاعن بالرماح وذاد عن الحوزة وحاز الغنيمة، فجاءت أم كجة إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في مسجد الفضيخ فشكت إليه فقال: ارجعي حتى أنظر ما يحدث الله، فنزلت، فبعث إليهما: لا تفرقا من مال أوس شيئا فإن الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين، فنزلت يوصيكم الله، فأعطى أم كجة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العم. وإذا حضر القسمة أي قسمة التركة أولو القربى ممن لا يرث واليتامى والمساكين فارزقوهم منه. الضمير لما ترك الوالدان والأقربون، وهو أمر على الندب. قال الحسن: كان المؤمنون يفعلون ذلك إذا اجتمعت الورثة حضرهم هؤلاء فرضخوا لهم بالشيء من رثة المتاع، فحضهم الله على ذلك تأديبا من غير أن يكون فريضة، قالوا ولو كان فريضة لضرب له حد ومقدار كما لغيره من الحقوق. وروي أن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه قسم ميراث أبيه وعائشة رضي الله عنها حية فلم يدع في الدار أحدا إلا أعطاه وتلا هذه الآية. وقيل هو على الوجوب، وقيل هو منسوخ بآية الميراث كالوصية. وعن سعيد بن جبير: إن ناسا يقولون نسخت، والله ما نسخت ولكنها مما تهاون به الناس. وقولوا لهم قولا معروفا. والقول المعروف أن يلطفوا لهم القول ويقولوا خذوا بارك الله عليكم ويعتذروا إليهم ويستقلوا ما أعطوهم ولا يستكثروه ولا يمنوا عليهم. وعن الحسن والنخعي: أدركنا الناس وهم يقسمون على القرابات والمساكين واليتامى من العين يعني الورق والذهب، فإذا قسم الورق والذهب وصارت القسمة إلى الأرضين والرقيق وما أشبه ذلك قالوا لهم قولا معروفا، كانوا يقولون لهم بورك فيكم. وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا. لو مع ما في حيزه صلة للذين، والمراد بهم الأوصياء أمروا بأن يخشوا الله فيخافوا على من في حجورهم من اليتامى ويشفقوا عليهم خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا وشفقتهم عليهم، وأن يقدروا ذلك في أنفسهم ويصوروه حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة. ويجوز أن يكون المعنى وليخشوا على اليتامى من الضياع. وقيل هم الذين يجلسون إلى المريض فيقولون إن ذريتك لا يغنون عنك من الله شيئا فقدم مالك فيستغرقه بالوصايا، فأمروا بأن يخشوا ربهم أو يخشوا على أولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على أولاد أنفسهم لو كانوا. ويجوز أن يتصل بما قبله وأن يكون أمرا للورثة بالشفقة على الذين يحضرون القسمة من ضعفاء أقاربهم واليتامى والمساكين، وأن يتصوروا أنهم لو كانوا أولادهم بقوا خلفهم ضياعا محتاجين هل كانوا يخافون عليهم الحرمان والخيبة. فإن قلت: ما معنى وقوع لو تركوا وجوابه صلة للذين؟ قلت: معناه وليخش الذين صفتهم وحالهم أنهم لو شارفوا أن يتركوا خلفهم ذرية ضعافا وذلك عند احتضارهم خافوا عليهم الضياع بعدهم لذهاب كافلهم وكاسبهم، كما قال القائل: لقد زاد الحياة إلي حبا ... بناتي إنهن من الضعاف

أحاذر أن يرين البؤس بعدي ... وأن يشربن رنقا بعد صاف. وقرئ ضُعَفاء وضِعافى وضَعافى نحو سُكارى وسَكارى. والقول السديد من الأوصياء أن لا يؤذوا اليتامى ويكلموهم كما يكلمون أولادهم بالأدب الحسن والترحيب ويدعوهم بيا بني ويا ولدي، ومن الجالسين إلى المريض أن يقولوا له إذا أراد الوصية لا تسرف في وصيتك فتجحف بأولادك، مثل قول رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لسعد: إنك أن تترك ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس. وكان الصحابة رضي الله عنهم يستحبون أن لا تبلغ الوصية الثلث وأن الخمس أفضل من الربع والربع من الثلث. ومن المتقاسمين ميراثهم أن يلطفوا القول ويجملوه للحاضرين. إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما ظالمين أو على وجه الظلم من أولياء السوء وقضاته. إنما يأكلون في بطونهم نارا ملء بطونهم، يقال أكل فلان في بطنه وفي بعض بطنه، قال: كلوا في بعض بطنكم تعفوا ... فإن زمانكم زمن خميص. ومعنى يأكلون نارا يأكلون ما يجر إلى النار فكأنه نار في الحقيقة. وروي أنه يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وأنفه وأذنيه وعينيه فيعرف الناس أنه كان يأكل مال اليتيم في الدنيا. وقرئ وسيصلون، وقرئ وسيُصلون بضم الياء وتخفيف اللام وتشديدها سعيرا نارا من النيران مبهمة الوصف. يوصيكم الله يعهد إليكم ويأمركم في أولادكم في شأن ميراثهم بما هو العدل والمصلحة، وهذا إجمال تفصيله للذكر مثل حظ الأنثيين. فإن قلت: هلا قيل للأنثيين مثل حظ الذكر أو للأنثى نصف حظ الذكر؟ قلت: ليبدأ ببيان حظ الذكر لفضله كما ضوعف حظه لذلك، ولأن قوله للذكر مثل حظ الأنثيين قصد إلى بيان فضل الذكر، وقولك للأنثيين مثل حظ الذكر قصد إلى بيان نقص الأنثى، وما كان قصدا إلى بيان فضله كان أدل على فضله من القصد إلى بيان نقص غيره عنه، ولأنهم كانوا يورثون الذكور دون الإناث وهو السبب لورود الآية، فقيل كفى الذكور أن ضوعف لهم نصيب الإناث فلا يتمادى في حظهن حتى يحرمن مع إدلائهن من القرابة بمثل ما يدلون به. فإن قلت: حظ الأنثيين الثلثان فكأنه قيل للذكر الثلثان. قلت: أريد حال الاجتماع لا الانفراد، أي إذا اجتمع الذكر والأنثيان كان له سهمان كما أن لهما سهمين، وأما في حال الانفراد فالابن يأخذ المال كله والبنتان يأخذان الثلثين، والدليل على أن الغرض حكم الاجتماع أنه أتبعه حكم الانفراد وهو قوله فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك، والمعنى للذكر منهم أي من أولادكم، فحذف الراجع إليه لأنه مفهوم كقولهم السمن منوان بدرهم. فإن كن نساء فإن كانت البنات أو المولودات نساء خلصا ليس معهن رجل يعني بنات ليس معهن ابن، فوق اثنتين يجوز أن يكون خبرا ثانيا لكان وأن يكون صفة لنساء أي نساء زائدات على اثنتين. وإن كانت واحدة وإن كانت البنت أو المولودة منفردة فذة ليس معها أخرى فلها النصف. وقرئ واحدة بالرفع على كان التامة، والقراءة بالنصب أوفق لقوله فإن كن نساء. وقرأ زيد بن ثابت النُّصف بالضم. والضمير في ترك للميت لأن الآية لما كانت في الميراث علم أن التارك هو الميت. فإن قلت: قوله للذكر مثل حظ الأنثيين كلام مسوق لبيان حظ الذكور من الأولاد لا لبيان حظ الأنثيين، فكيف صح أن يردف قوله فإن كن نساء وهو لبيان حظ الإناث؟ قلت: وإن كان مسوقا لبيان حظ الذكر إلا أنه لما فقه منه وتبين حظ الأنثيين مع أخيهما كان كأنه مسوق للأمرين جميعا، فلذلك صح أن يقال فإن كن نساء. فإن قلت: هل يصح أن يكون الضميران في كن وكانت مبهمين ويكون نساء وواحدة تفسيرا لهما على أن كان تامة؟ قلت: لا أبعد ذلك. فإن قلت: لم قيل فإن كن نساء ولم يقل وإن كانت امرأة؟ قلت: لأن الغرض ثمة خلوصهن إناثا لا ذكر فيهن ليميز بين ما ذكر من اجتماعهن مع الذكور في قوله للذكر مثل حظ الأنثيين وبين انفرادهن، وأريد هاهنا أن يميز بين كون البنت مع غيرها وبين كونها وحدها لا قرينة لها. فإن قلت: قد ذكر حكم البنتين في حال اجتماعهما مع الابن وحكم البنات والبنت في حال الانفراد ولم يذكر حكم البنتين في حال الانفراد، فما حكمهما وما باله لم يذكر؟ قلت: أما حكمهما فمختلف فيه، فابن عباس أبى تنزيلهما منزلة الجماعة لقوله تعالى فإن كن نساء فوق اثنتين فأعطاهما حكم الواحدة، وهو ظاهر مكشوف. وأما سائر الصحابة فقد أعطوهما حكم الجماعة، والذي يعلل به قولهم أن قوله للذكر مثل حظ الأنثيين قد دل على أن حكم الأنثيين حكم الذكر، وذلك أن الذكر كما يحوز الثلثين مع الواحدة فالأنثيان كذلك يحوزان الثلثين، فلما ذكر ما دل على حكم الأنثيين قيل فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك على معنى فإن كن جماعة بالغات ما بلغن من العدد فلهن ما للاثنتين وهو الثلثان لا يتجاوزنه لكثرتهن، ليعلم أن حكم الجماعة حكم الاثنتين بغير تفاوت. وقيل إن البنتين أمس رحما بالميت من الأختين فأوجبوا لهما ما أوجب الله للأختين، ولم يروا أن يقصروا بهما عن حظ من هو أبعد رحما منهما. وقيل إن البنت لما وجب لها مع أخيها الثلث كانت أحرى أن يجب لها الثلث إذا كانت مع أخت مثلها، ويكون لأختها معها مثل ما كان يجب لها أيضا مع أخيها لو انفردت معه، فوجب لهما الثلثان. ولأبويه الضمير للميت. لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد. ولكل واحد منهما بدل من لأبويه بتكرير العامل، وفائدة هذا البدل أنه لو قيل ولأبويه السدس لكان ظاهره اشتراكهما فيه، ولو قيل لأبويه السدسان لأوهم قسمة السدسين عليهما على التسوية وعلى خلافها. فإن قلت: فهلا قيل ولكل واحد من أبويه السدس، وأي فائدة في ذكر الأبوين أولا ثم في الإبدال منهما؟ قلت: لأن في الإبدال والتفصيل بعد الإجمال تأكيدا وتشديدا كالذي تراه في الجمع بين المفسر والتفسير. والسدس مبتدأ وخبره لأبويه والبدل متوسط بينهما للبيان. وقرأ الحسن ونعيم بن ميسرة السُّدْس بالتخفيف وكذلك الثلث والربع والثمن. والولد

تقع على الذكر والانثى ويختلف حكم الاب في ذلك فان كان ذكرا اقتصر بالاب على السدس وان كانت انثى عصب مع اعطاء
السدس **فان قلت** قد بين حكم الابوين في الارث مع الولد ثم حكمهما مع عدمه فهلا قيل فان لم يكن له ولد فلامه الثلث
واي فائدة في قوله وورثه ابواه **قلت** معناه فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فحسب فلامه الثلث مما ترك لانه اذا ورثه ابواه
مع احد الزوجين كان للام ثلث ما بقي بعد اخراج نصيب الزوج لا ثلث ما ترك الا عند ابن عباس والمعنى ان الابوين اذا خلصا تقاسما
الميراث للذكر مثل حظ الانثيين **فان قلت** ما العلة في ان كان لها ثلث ما بقي دون ثلث المال **قلت** فيه وجهان احدهما ان
الزوج انما استحق ما يسهم له بحق العقد لا بالقرابة فاشبه الوصية في قسمة ما وراءه والثاني ان الاب اقوى في الارث من الام
بدليل انه يضعف عليها اذا خلصا ويكون صاحب فرض وعصبة وجامعا بين الامرين فلو ضرب لها الثلث كملا لادى الى حط
نصيبه عن نصيبها الا ترى ان امراة لو تركت زوجا وابوين فصار للزوج النصف وللام الثلث والباقي للاب حازت الام سهمين
والاب سهما واحدا فينقلب الحكم الى ان يكون للانثى مثل حظ الذكرين فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ الاخوة يحجبون الام
عن الثلث وان كانوا لا يرثون مع الاب فيكون لها السدس وللاب خمسة اسداس ويستوي في الحجب الاثنان فصاعدا الا عند
ابن عباس وعنه انهم ياخذون السدس الذي حجبوا عنه الام **فان قلت** فكيف صح ان يتناول الاخوة الاخوين والجمع
خلاف التثنية **قلت** الاخوة تفيد معنى الجمعية المطلقة بغير كمية والتثنية كالتثليث والتربيع في افادة الكمية
وهذا موضع الدلالة على الجمع المطلق فدل بالاخوة عليه وقرئ فلإمه بكسر الهمزة اتباعا للجرة الا تراها لا تكسر في قوله
وجعلنا ابن مريم وامه اية مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها لا بما يليه وحده كانه قيل قسمة هذه الانصباء
من بعد وصية يُوصِي بِهَا وقرئ يوصى بها بالتخفيف والتشديد ويوصى بها على البناء للمفعول مخففا أَوْ دَيْنٍ **فان قلت** ما معنى او **قلت**
معناها الاباحة وانه ان كان احدهما او كلاهما قدم على قسمة الميراث كقولك جالس الحسن او ابن سيرين **فان قلت**
لم قدمت الوصية على الدين والدين مقدم عليها في الشريعة **قلت** لما كانت الوصية مشبهة للميراث في كونها ماخوذة من
غير عوض كان اخراجها مما يشق على الورثة ويتعاظمهم ولا تطيب انفسهم بها فكان اداؤها مظنة للتفريط بخلاف الدين فان
نفوسهم مطمئنة بادائه فلذلك قدمت على الدين بعثا على وجوبها والمسارعة الى اخراجها مع الدين ولذلك جيء بكلمة او للتسوية
بينهما في الوجوب ثم اكد ذلك ورغب فيه بقوله آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا اي لا تدرون من انفع لكم
من ابائكم وابنائكم الذين يموتون امن اوصى منهم ام من لم يوص يعني ان من اوصى ببعض ماله فعرضكم لثواب الاخرة بامضاء
وصيته فهو اقرب لكم نفعا واحضر جدوى ممن ترك الوصية فوفر عليكم عرض الدنيا وجعل ثواب الاخرة اقرب واحضر
من عرض الدنيا ذهابا الى حقيقة الامر لان عرض الدنيا وان كان عاجلا قريبا في الصورة الا انه فان فهو في الحقيقة الابعد الاقصى
وثواب الاخرة وان كان آجلا الا انه باق فهو في الحقيقة الاقرب الادنى وقيل ان الابن ان كان ارفع درجة من ابيه في الجنة سال
ان يرفع ابوه اليه فيرفع وكذلك الاب ان كان ارفع درجة من ابنه سال ان يرفع ابنه اليه فانتم لا تدرون في الدنيا ايهم اقرب
لكم نفعا وقيل قد فرض الله الفرائض على ما هو عنده حكمة ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا ايهم لكم انفع فوضعتم انتم الاموال
على غير حكمة وقيل الاب يجب عليه النفقة على الابن اذا احتاج وكذلك الابن اذا كان محتاجا فهما في النفع بالنفقة لا يدري
ايهما اقرب نفعا وليس شيء من هذه الاقاويل بملائم للمعنى ولا مجاوب له لان هذه الجملة اعتراضية ومن حق الاعتراض ان يؤكد ما
اعترض بينه وبين ما يناسبه والقول ما تقدم فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ نصبت نصب المصدر المؤكد اي فرض ذلك فرضا إِنَّ اللَّهَ كَانَ
عَلِيمًا بمصالح خلقه حَكِيمًا في كل ما فرض وقسم من المواريث وغيرها وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ
فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ منكم او من غيركم فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا
تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ جعلت
المراة على النصف من الرجل بحق الزواج كما جعلت كذلك بحق النسب والواحدة والجماعة سواء في الربع والثمن وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ
كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي
الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ ويورث من ورث اي يورث منه وهو صفة لرجل وكلالة خبر كان اي وان كان
رجل موروث منه كلالة او يجعل يورث خبر كان وكلالة حالا من الضمير في يورث وقرئ يورث ويورث بالتخفيف والتشديد
على البناء للفاعل وكلالة حال او مفعول به **فان قلت** ما الكلالة **قلت** تطلق على ثلاثة على من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى
من ليس بولد ولا والد من المخلفين وعلى القرابة من غير جهة الولد والوالد ومنه قولهم ما ورث المجد عن كلالة كما تقول ما صمت عن
عي وما كف عن جبن والكلالة في الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء قال الاعشى
فاليت لا ارثي لها من كلالة ولا من حفى حتى تلاقي محمدا فاستعيرت للقرابة من غير جهة الولد والوالد لانها
بالاضافة الى قرابتهما كالة ضعيفة واذا جعل صفة للموروث او الوارث فبمعنى ذي كلالة كما تقول فلان من قرابتي تريد
من ذوي قرابتي ويجوز ان يكون صفة كالهجاجة والفقاقة للاحمق **فان قلت** فان جعلتها اسما للقرابة في الاية

فعلام

فعلام

تنصبها **قلت** على انها مفعول له اي يورث لاجل الكلالة او يورث غيره لاجلها **فان قلت** فان جعلت يورث على البناء للمفعول من اورث
فما وجهه **قلت** الرجل حينئذ هو الوارث لا الموروث **فان قلت** فالضمير في قوله فلكل واحد الى من يرجع حينئذ **قلت** الى الرجل
والى اخيه او اخته وعلى الاول اليهما **فان قلت** اذا رجع الضمير اليهما افاد استواءهما في حيازة السدس من غير مفاضلة الذكر الانثى فهل
تبقى هذه الفائدة قائمة لان الذكر والانثى سواء وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه سئل عن الكلالة فقال اقول فيه برايي فان كان صوابا
فمن الله وان كان خطا فمني ومن الشيطان والله منه بريء الكلالة ما خلا الولد والوالد وعن عطاء والضحاك ان الكلالة هو الموروث
وعن سعيد بن جبير هو الوارث وقد اجمعوا على ان المراد اولاد الام ويدل عليه قراءة ابي وله اخ او اخت من الام وقراءة سعد بن ابي وقاص
وله اخ او اخت من ام وقيل انما استدل على ان الكلالة ههنا الاخوة للام خاصة بما ذكر في اخر السورة من ان للاختين الثلثين وان للاخوة كل
المال فعلم ههنا لما جعل للواحد السدس وللاثنين الثلث ولم يزد على الثلث شيئا انه يعني بهم الاخوة للام والا فالكلالة عامة لمن عدا
الولد والوالد من سائر الاخوة الاخياف والاعيان واولاد العلات وغيرهم غَيْرَ مُضَارٍّ حال اي يوصي بها وهو غير مضار لورثته
وذلك ان يوصي بزيادة على الثلث او يوصي بالثلث فما دونه ونيته مضارة ورثته ومغاضبتهم لا وجه الله وعن قتادة كره الله
الضرار في الحياة وعند الممات ونهى عنه وعن الحسن المضارة في الدين ان يوصي بدين ليس عليه ومعناه الاقرار وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ
مصدر مؤكد اي يوصيكم الله بذلك وصية كقوله فريضة من الله ويجوز ان تكون منصوبة بغير مضار اي لا يضار وصية
من الله وهو الثلث فما دونه بزيادته او وصية من الله بالاولاد وان لا يدعهم عالة بالاسراف في الوصية وينصر هذا الوجه قراءة الحسن غير مضار وصية من الله بالاضافة
وَاللَّهُ عَلِيمٌ بمن جار او عدل في وصيته حَلِيمٌ عن الجائر لا يعاجله وهذا وعيد **فان قلت** يوصى ممن الرجال اذا جعلته
الموروث فكيف يعمل اذا جعلته الوارث **قلت** كما عمل في قوله فلهن ثلثا ما ترك لانه علم ان التارك والموصي هو الميت **فان
قلت** فاين ذو الحال فيمن قرا يوصى بها على ما لم يسم فاعله **قلت** يضمر يوصي فينتصب عن فاعله لانه لما قيل يوصى بها علم ان ثم موصيا
كما قال يسبح له على ما لم يسم فاعله فعلم ان ثم مسبحا فاضمر يسبح فكما كان رجال فاعل ما يدل عليه يسبح كان غير مضار حالا عما يدل
عليه يوصى بها تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ اشارة الى الاحكام التي ذكرت في باب اليتامى والوصايا والمواريث وسماها حدودا لان الشرائع
كالحدود المضروبة الموقتة للمكلفين لا يجوز لهم ان يتجاوزوها ويتخطوها الى ما ليس لهم بحق وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ
يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ۝ يدخله قرئ بالياء والنون وكذلك يدخله نارا وقيل يدخله وخالدين حملا على
لفظ من ومعناه وانتصب خالدين وخالدا على الحال **فان قلت** هل يجوز ان يكونا صفتين لجنات ونارا **قلت** لا لانهما جريا على غير من هما
له فلا بد من الضمير وهو قولك خالدين هم فيها وخالدا هو فيها وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ
أَرْبَعَةً مِنْكُمْ ياتين الفاحشة يرهقنها يقال اتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها بمعنى وفي قراءة ابن مسعود ياتين بالفاحشة
والفاحشة الزنا لزيادتها في القبح على كثير من القبائح فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ قيل معناه
فخلدوهن محبوسات في بيوتكم وكان ذلك عقوبتهن في اول الاسلام ثم نسخ بقوله الزانية والزاني الاية ويجوز ان تكون غير منسوخة
بان يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصى بامساكهن في البيوت بعد ان يحددن صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن
بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ۝ هو النكاح الذي يستغنين به عن السفاح وقيل السبيل هو
الحد لانه لم يكن مشروعا ذلك الوقت **فان قلت** ما معنى يتوفاهن الموت والتوفي والموت بمعنى واحد كانه قيل حتى يميتهن الموت
قلت يجوز ان يراد حتى يتوفاهن ملائكة الموت كقوله الذين تتوفاهم الملائكة ان الذين توفاهم الملائكة قل يتوفاكم ملك
الموت او حتى ياخذهن الموت ويستوفي ارواحهن وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ يريد الزاني والزانية فَآذُوهُمَا فوبخوهما وقولوا لهما
اما استحييتما اما خفتما الله فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا وغيرا الحال فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا ۝ فاعرضوا عنهما فاقطعوا التوبيخ
والمذمة فان التوبة تمنع استحقاق الذم والعقاب ويحتمل ان يكون خطابا للشهود العاثرين على سرهما ويراد بالايذاء ذمهما
وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع الى الامام والحد فان تابا قبل الرفع الى الامام فاعرضوا عنهما ولا تتعرضوا لهما وقيل نزلت الاولى في
السحاقات وهذه في اللواطين وقرئ واللذان بتشديد النون واللذان بالهمزة وتشديد النون إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ
السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ التوبة من تاب الله عليه اذا قبل توبته
وغفر له يعني انما القبول والغفران واجب على الله تعالى لهؤلاء بجهالة في موضع الحال اي يعملون السوء جاهلين سفهاء لان ارتكاب القبيح
مما يدعو اليه السفه والشهوة لا مما تدعو اليه الحكمة والعقل وعن مجاهد من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته من قريب من
زمان قريب والزمان القريب ما قبل حضرة الموت الا ترى الى قوله حتى اذا حضر احدهم الموت فبين ان وقت الاحتضار هو الوقت الذي
لا تقبل فيه التوبة فبقي ما وراءه في حكم القريب وعن ابن عباس قبل ان ينزل به سلطان الموت وعن الضحاك كل توبة قبل
الموت فهو قريب وعن الحسن ما لم يؤخذ بكظمه وروى ابو ايوب عن النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر
ولو قبل موته بفواق ناقة **فان قلت** ما معنى من في قوله من قريب **قلت** معناه التبعيض اي يتوبون بعض زمان قريب كانه سمى ما

من وجود المعصية وحضرة الموت زمانا قريبا ففي اي جزء تاب من اجزاء هذا الزمان فهو تائب من قريب والا فهو تائب من بعيد فان
قلت فما فائدة قوله فاولئك يتوب الله عليهم بعد قوله انما التوبة على الله لهم قلت قوله انما التوبة على الله اعلام بوجوبها عليه كما
يجب على العبد بعض الطاعات وقوله فاولئك يتوب الله عليهم عدة بانه يفي بما وجب عليه واعلام بان الغفران كائن لا محالة كما يعد العبد الوفاء
بالواجب وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ
وَهُمْ كُفَّارٌ ولا الذين يموتون عطف على الذين يعملون السيئات سوى بين الذين سوفوا توبتهم الى حضرة الموت وبين الذين ماتوا على الكفر
انه لا توبة لهم لان حضرة الموت تجاوزه كل واحد منهم اوان التكليف والاحتساب أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ في الوعيد نظير
قوله فاولئك يتوب الله عليهم في الوعد لتبين ان الامرين كائنان لا محالة فان قلت من المراد بالذين يعملون السيئات اهم الفساق
من اهل القبلة ام غير الكفار قلت فيه وجهان احدهما ان يراد الكفار لظاهر قوله وهم كفار وان يراد الفساق لان
الكلام انما وقع في الزانيين والاعراض عنهما ان تابا واصلحا ويكون قوله وهم كفار واردا على سبيل التغليظ كقوله تعالى
ومن كفر فان الله غني عن العالمين وقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا من ترك الصلوة
متعمدا فقد كفر لان من كان مصدقا ومات وهو لا يحدث نفسه بالتوبة حاله قريبة من حال الكافر لانه لا يجترئ على ذلك الا قلب مصمت
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا كانوا يبلون النساء بضروب من البلايا ويظلمونهن بانواع من الظلم فزجروا
عن ذلك كان الرجل اذا مات له قريب من اب او اخ او حميم عن امرأة القى ثوبه عليها وقال انا احق بها من كل احد فقيل لا يحل لكم ان ترثوا
النساء كرها اي تاخذوهن على سبيل الارث كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك او مكرهات وقيل كان يمسكها حتى تموت
فقيل لا يحل لكم ان تمسكوهن حتى ترثوا منهن وهن غير راضيات بامساككم وكان الرجل اذا تزوج امرأة ولم تكن من حاجته
حبسها مع سوء العشرة والقهر لتفتدي منه بمالها وتختلع فقيل وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ والعضل الحبس
والتضييق ومنه عضلت المرأة بولدها اذا اختنقت رحمها به فخرج بعضه وبقي بعضه إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وهي النشوز
وشكاسة الخلق وايذاء الزوج واهله بالبذاء والسلاطة اي الا ان يكون سوء العشرة من جهتهن فقد عذرتم في طلب الخلع وتدل عليه
قراءة ابي الا ان يفحشن عليكم وعن الحسن الفاحشة الزنا فان فعلت حل لزوجها ان يسألها الخلع وقيل كانوا اذا اصابت امرأة فاحشة
اخذ منها ما ساق اليها واخرجها وعن ابي قلابة ومحمد بن سيرين لا يحل الخلع حتى يوجد رجل على بطنها وعن قتادة لا يحل له ان يحبسها ضرارا
حتى تفتدي منه يعني وان زنت وقيل نسخ ذلك بالحد وكانوا يسيئون معاشرة النساء فقيل لهم وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وهو
النصفة في المبيت والنفقة والاجمال في القول فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ۝
فان كرهتموهن فلا تفارقوهن لكراهة الانفس وحدها فربما كرهت الانفس ما هو اصلح في الدين واحمد وادنى الى الخير واحبت ما هو
بضد ذلك ولكن للنظر في اسباب الصلاح وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا
مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ۝ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا
غَلِيظًا ۝ وكان الرجل اذا طمحت عينه الى استطراف امرأة بهت التي تحته ورماها بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها
ليصرفه الى تزوج غيرها فقيل وان اردتم استبدال زوج مكان زوج والقنطار المال العظيم من قنطرت الشيء اذا رفعته ومنه
القنطرة لانها بناء مشيد قال ۝ كقنطرة الرومي اقسم ربها ۝ لتكتنفن حتى تشاد بقرمد ۝ وعن عمر رضي الله عنه انه
قام خطيبا فقال ايها الناس لا تغالوا بصدق النساء فلو كانت مكرمة في الدنيا او تقوى عند الله لكان اولاكم بها رسول
الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما اصدق امرأة من نسائه اكثر من اثنتي عشرة اوقية فقامت اليه امرأة فقالت يا امير المؤمنين
لم تمنعنا حقا جعله الله لنا والله يقول وآتيتم احداهن قنطارا فقال عمر كل احد اعلم من عمر ثم قال لاصحابه تسمعونني اقول مثل
هذا فلا تنكرونه علي حتى ترد علي امرأة ليست من اعلم النساء والبهتان ان تستقبل الرجل بامر قبيح تقذفه به وهو بريء لانه
يبهت عند ذلك اي يتحير وانتصب بهتانا على الحال اي باهتين وآثمين او على انه مفعول له وان لم يكن غرضا كقولك قعد عن
القتال جبنا والميثاق الغليظ حق الصحبة والمضاجعة كانه قيل واخذن به منكم ميثاقا غليظا اي بافضاء بعضكم الى بعض ووصفه
بالغلظ لقوته وعظمه فقد قالوا صحبة عشرين يوما قرابة فكيف بما يجري بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج وقيل هو قول الولي
عند العقد انكحتك على ما في كتاب الله من امساك بمعروف او تسريح باحسان وعن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم استوصوا بالنساء
خيرا فانهن عوان في ايديكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا
قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ۝ وكانوا ينكحون روابهم وناس منهم يمقتونه من ذوي مروآتهم ويسمونه نكاح
المقت وكان المولود عليه يقال له المقتي ومن ثم قيل ومقتا كانه قيل هو فاحشة في دين الله بالغة في القبح قبيح ممقوت في المروءة
ولا مزيد على ما يجمع القبحين وقرئ لا يحل لكم بالتاء على ان ترثوا بمعنى الوراثة وكرها بالفتح والضم من الكراهة والاكراه وقرئ
فاحشة مبينة من ابانت بمعنى تبينت او بينت كما قرئ مبينة بكسر الياء وفتحها ويجعل الله بالرفع على انه في موضع الحال وقرئ واتيتم
احداهن بوصل همزة احداهن كما قرئ فلا اثم عليه فان قلت تعضلوهن ما وجه اعرابه قلت النصب عطفا على ان ترثوا ولا لتاكيد

النفي اي لا يحل لكم ان ترثوا النساء ولا ان تعضلوهن فان قلت اي فرق بين تعديته بذهب بالباء وبينها بالهمزة قلت اذا
عدي بالباء فمعناه الاخذ والاستصحاب كقوله تعالى فلما ذهبوا به واما الاذهاب فكالازالة فان قلت الا ان يأتين ما هذا
الاستثناء قلت هو استثناء من اعم عام الظرف او المفعول له كانه قيل ولا تعضلوهن في جميع الاوقات
الا وقت ان يأتين بفاحشة او ولا تعضلوهن لعلة من العلل الا لان يأتين بفاحشة فان قلت من اي وجه صح قوله فعسى
ان تكرهوا جزاء للشرط قلت من حيث ان المعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا
كثيرا ليس فيما تحبونه فان قلت كيف استثنى ما قد سلف مما نكح آباؤكم قلت كما استثنى غير ان سيوفهم من قوله ولا
عيب فيهم يعني ان امكنكم ان تنكحوا ما قد سلف فانكحوه فلا يحل لكم غيره وذلك غير ممكن والغرض المبالغة في تحريمه وسد
الطريق الى اباحته كما يعلق بالمحال في التأبيد في نحو قولهم حتى يبيض القار وحتى يلج الجمل في سم الخياط حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ
وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ معنى حرمت عليكم امهاتكم تحريم نكاحهن
لقوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء ولان تحريم نكاحهن هو الذي يفهم من تحريمهن كما يفهم من تحريم الخمر تحريم شربها
ومن تحريم لحم الخنزير تحريم اكله وقرئ وبنات الاخت بتخفيف الهمزة وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ
مِنَ الرَّضَاعَةِ وقد نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما للرضيع والمرضعة اختا وكذلك زوج المرضعة
ابوه وابواه جداه واخته عمته وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم اخوته واخواته لابيه وام المرضعة
جدته واختها خالته وكل من ولد له من هذا الزوج فهم اخوته واخواته لابيه وامه ومن ولد لها من غيره فهم اخوته لامه ومنه
قوله عليه الصلاة والسلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب فقالوا تحريم الرضاع كتحريم النسب الا في مسئلتين احداهما انه لا
يجوز للرجل ان يتزوج اخت ابنه من النسب ويجوز ان يتزوج اخت ابنه من الرضاع لان المانع في النسب وطؤه امها وهذا المعنى غير
موجود في الرضاع والثانية لا يجوز ان يتزوج ام اخته من النسب ويجوز في الرضاع لان المانع في النسب وطء الاب اياها وهذا
المعنى غير موجود في الرضاع وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ
فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ من نسائكم متعلق بربائبكم ومعناه ان الربيبة من المرأة المدخول بها محرمة
على الرجل حلال له اذا لم يدخل بها فان قلت هل يصح ان يتعلق بقوله وامهات نسائكم قلت لا يخلو اما ان يتعلق بهن وبا
لربائب فتكون حرمتهن وحرمة الربائب غير مبهمتين جميعا واما ان يتعلق بهن دون الربائب فتكون حرمتهن غير مبهمة وحرمة
الربائب مبهمة فلا يجوز الاول لان معنى من مع احد المتعلقين خلاف معناه مع الآخر الا ترى انك اذا قلت وامهات نسائكم من نسائكم
اللاتي دخلتم بهن فانك جاعل من لابتداء الغاية كما تقول بنات رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من خديجة وليس بصحيح ان يعني
بالكلمة الواحدة في خطاب واحد معنيان مختلفان ولا يجوز الثاني لان ما يليه هو الذي يستوجب التعلق به ما لم يعترض امر
لا يرد الا ان تقول اعلقه بالنساء والربائب واجعل من للاتصال كقوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ۝
فاني لست منك ولست مني ۝ وما انا من الدد ولا الدد مني ۝ وامهات النساء متصلات بالنساء لانهن امهاتهن كما
ان الربائب متصلات بامهاتهن لانهن بناتهن هذا وقد اتفقوا على ان تحريم امهات النساء مبهم دون تحريم الربائب على ما عليه
ظاهر كلام الله تعالى وقد روي عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في رجل يتزوج امرأة ثم طلقها قبل ان يدخل بها انه قال لا
باس ان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها وعن عمر وعمران بن الحصين ان الام تحرم بنفس العقد وعن مسروق هي
مرسلة فارسلوا ما ارسل الله وعن ابن عباس ابهموا ما ابهم الله الا ما روي عن علي وابن عباس وزيد وابن عمر وابن الزبير
انهم قرأوا وامهات نسائكم اللاتي دخلتم بهن وكان ابن عباس يقول والله ما نزل الا هكذا وعن جابر روايتان وعن سعيد
بن المسيب عن زيد اذا ماتت عنده فاخذ ميراثها كره له ان يخلف على امها واذا طلقها قبل ان يدخل بها فان شاء فعل اقام الموت
مقام الدخول في ذلك كما قام مقامه في باب المهر وسمي ولد المرأة من غير زوجها ربيبا وربيبة لانه يربهما كما يرب ولده
في غالب الامر ثم اتسع فيه فسميا بذلك وان لم يربهما فان قلت ما فائدة قوله في حجوركم قلت فائدته التعليل
للتحريم وانهن لاحتضانكم لهن او لكونهن بصدد احتضانكم وفي حكم التقلب في حجوركم اذا دخلتم بامهاتهن وتمكن بدخولكم
حكم الزواج وثبتت الخلطة والالفة وجعل الله بينكم المودة والرحمة وكانت الحال خليقة بان تجروا اولادهن
مجرى اولادكم كانكم في العقد على بناتهن عاقدون على بناتكم وعن علي رضي الله عنه انه شرط ذلك في التحريم وبه اخذ داود
فان قلت ما معنى دخلتم بهن قلت هي كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب يعني ادخلتموهن الستر
والباء للتعدية واللمس ونحوه يقوم مقام الدخول عند ابي حنيفة وعن عمر رضي الله عنه انه خلا بجارية فجردها فاستوهبها
ابن له فقال انها لا تحل لك وعن مسروق انه امر ان تباع جاريته بعد موته وقال اما اني لم اصب منها الا ما يحرمها على ولدي من اللمس
والنظر وعن الحسن في الرجل يملك الامة فيغمزها لشهوة او يقبلها او يكشفها انها لا تحل لولده بحال وعن عطاء وحماد بن سلمة اذا
نظر الى فرج امرأة فلا ينكح امها ولا ابنتها وعن الاوزاعي اذا دخل بالام فعراها ولمسها بيده واغلق الباب وارخى الستر فلا يحل له

نكاح اختها وعن ابن عباس رضي الله عنهما وطاوس وعمرو بن دينار انه لا يحرم الا بالجماع وحده وحلائل ابنائكم الذين
من اصلابكم دون من تبنيتم وقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم زينب بنت جحش الاسدية بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب
حين فارقها زيد بن حارثة وقال عز وجل لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم وان تجمعوا بين الاختين في موضع
الرفع عطف على المحرمات اي وحرم عليكم الجمع بين الاختين والمراد حرمة النكاح لان التحريم في الاية تحريم النكاح واما الجمع
بينهما في ملك اليمين فعن عثمان وعلي رضي الله عنهما انهما قالا احلتهما اية وحرمتهما اية يعنيان هذه الاية وقوله او ما ملكت
ايمانكم فرجح علي رضي الله عنه التحريم وعثمان رضي الله عنه التحليل الا ما قد سلف ولكن ما مضى مغفور بدليل قوله تعالى ان الله كان
غفورا رحيما ۝ والمحصنات من النساء القراءة بفتح الصاد وعن طلحة بن مصرف انه قرأ بكسر الصاد وهن
ذوات الازواج لانهن احصن فروجهن بالتزوج فهن محصنات ومحصنات الا ما ملكت ايمانكم يريد ما ملكت ايمانكم من
اللاتي سبين ولهن ازواج في دار الكفر فهن حلال لغزاة المسلمين وان كن محصنات وفي معناه قول الفرزدق ۝
وذات خليل انكحتها رماحنا ۝ حلال لمن يبني بها لم تطلق ۝ كتاب الله عليكم مصدر مؤكد اي كتب الله ذلك عليكم كتابا
وفرضه فرضا وهو تحريم ما حرم فان قلت علام عطف قوله واحل لكم قلت على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله
اي كتب الله عليكم تحريم ذلك واحل لكم ما وراء ذلكم ويدل عليه قراءة اليماني كتب الله عليكم واحل وروي عن اليماني
كتب الله على الجمع والرفع اي هذه فرائض الله عليكم ومن قرأ احل لكم على البناء للمفعول فقد عطفه على حرمت ان تبتغوا باموالكم
مفعول له بمعنى بين لكم ما يحل مما يحرم ارادة ان يكون ابتغاؤكم باموالكم التي جعل الله لكم قياما في حال كونكم محصنين
غير مسافحين لئلا تضيعوا اموالكم وتفقروا انفسكم فيما لا يحل لكم فتخسروا دنياكم ودينكم ولا مفسدة اعظم مما يجمع بين
الخسرانين والاحصان العفة وتحصين النفس من الوقوع في الحرام والاموال المهور وما يخرج في المناكح فان قلت اين مفعول
تبتغوا قلت يجوز ان يكون مقدرا وهو النساء والاجود ان لا يقدر وكانه قيل ان تخرجوا اموالكم ويجوز ان يكون بدلا مما وراء
والمسافح الزاني من السفح وهو صب المني وكان الفاجر يقول للفاجرة سافحيني وماذيني من المذي فما استمتعتم به منهن فما استمتعتم
به من المنكوحات من جماع او خلوة صحيحة او عقد عليهن فآتوهن اجورهن عليه فاسقط الراجع الى ما لانه لا يلبس كقوله ان ذلك
لمن عزم الامور باسقاط منه ويجوز ان يكون ما في معنى النساء ومن للتبعيض او البيان ويرجع الضمير اليه على اللفظ في به وعلى المعنى
في فآتوهن اجورهن مهورهن لان المهر ثواب على البضع فريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة او وضعت موضع ايتاء لان الايتاء
مفروض او مصدر مؤكد اي فرض ذلك فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ان الله كان عليما
حكيما ۝ فيما تحط عنه من المهر او تهب له من كله او تزيد لها على مقداره وقيل فيما تراضيا به من مقام او فراق وقيل نزلت في المتعة التي
كانت ثلاثة ايام حين فتح الله مكة على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ثم نسخت كان الرجل ينكح المرأة وقتا معلوما ليلة او ليلتين
او اسبوعا بثوب او غير ذلك ويقضي منها وطره ثم يسرحها سميت متعة لاستمتاعه بها او لتمتيعه لها بما يعطيها وعن عمر لا اوتى برجل تزوج
امرأة الى اجل الا رجمتهما بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم انه اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس اني كنت امرتكم بالاستمتاع
من هذه النساء الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيامة وقيل ابيح مرتين وحرم مرتين وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي محكمة يعني لم تنسخ وكان يقرأ
فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى ويروى انه رجع عن ذلك عند موته وقال اللهم اني اتوب اليك من قولي بالمتعة وقولي في الصرف
ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات الطول الفضل يقال لفلان على فلان
طول اي زيادة وفضل وقد طاله طولا فهو طائل قال ۝ لقد زادني حبا لنفسي انني ۝ بغيض الى كل امرئ غير طائل ۝ ومنه
قولهم ما خلا منه بطائل اي بشيء يعتد به مما له فضل وخطر ومنه الطول في الجسم لانه زيادة فيه كما ان القصر قصور فيه ونقصان
والمعنى ومن لم يستطع زيادة في المال وسعة يبلغ بها نكاح الحرة فلينكح امة قال ابن عباس من ملك ثلاثمائة درهم فقد وجب
عليه الحج وحرم عليه نكاح الاماء وهو الظاهر وعليه مذهب الشافعي رضي الله عنه واما ابو حنيفة رضي الله عنه فيقول الغني والفقير
سواء في جواز نكاح الامة ويفسر الاية بان من لم يملك فراش الحرة على ان النكاح هو الوطء فله ان ينكح امة وفي رواية عن ابن عباس رضي
الله عنهما انه قال ومما وسع الله على هذه الامة نكاح الامة واليهودية والنصرانية وان كان موسرا وكذلك قوله من فتياتكم
المؤمنات الظاهر ان لا يجوز نكاح الامة الكتابية وهو مذهب اهل الحجاز وعند اهل العراق يجوز نكاحها ونكاح الامة المؤمنة افضل
فحملوه على الفضل لا على الوجوب واستشهدوا على ان الايمان ليس بشرط بوصف الحرائر به مع علمنا انه ليس بشرط فيهن على الاتفاق ولكنه
افضل فان قلت لم كان نكاح الامة منحطا عن نكاح الحرة قلت لما فيه من اتباع الولد الام في الرق ولثبوت حق المولى فيها وفي
استخدامها ولانها ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة وذلك كله نقصان راجع الى الناكح ومهانة والعزة من صفات المؤمنين
وقوله من فتياتكم اي من فتيات المسلمين لا من فتيات غيركم وهم المخالفون في الدين فان قلت فما معنى قوله والله اعلم
بايمانكم قلت معناه ان الله اعلم بتفاضل ما بينكم وبين ارقائكم في الايمان ورجحانه ونقصانه فيهم وفيكم وربما كان
ايمان الامة ارجح من ايمان الحرة والمرأة افضل في الايمان من الرجل وحق المؤمنين ان لا يعتبروا الا فضل الايمان لا فضل الاحساب

والانساب وهذا تأنيس بنكاح الاماء وترك الاستنكاف منه بعضكم من بعض اي انتم وارقاؤكم متواصلون متناسبون
لاشتراككم في الايمان لا يفضل حر عبدا الا برجحان فيه فانكحوهن باذن اهلهن اشتراط لاذن الموالي في نكاحهن
ويحتج به لقول ابي حنيفة رضي الله عنه ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن لانه اعتبر اذن الموالي لا عقدهم وآتوهن
اجورهن بالمعروف وادوا اليهن مهورهن بغير مطل وضرار واحواج الى الاقتضاء واللز فان قلت الموالي
هم ملاك مهورهن لا هن والواجب اداؤها اليهم لا اليهن قلت لم قيل فآتوا مواليهن فحذف المضاف محصنات عفائف غير مسافحات
ولا متخذات اخدان والاخدان الاخلاء في السر كأنه قيل غير مجاهرات بالسفاح ولا مسرات له فاذا احصن وقرئ احصن فان
اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات اي الحرائر من العذاب من الحد كقوله وليشهد عذابهما ويدرأ عنها العذاب
ولا رجم عليهن لان الرجم لا يتنصف ذلك اشارة الى نكاح الاماء لمن خشي العنت منكم لمن خاف الاثم الذي تؤدي اليه غلبة الشهوة
واصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر ولا ضرر اعظم من مواقعة المآثم وقيل اريد به الحد لانه اذا
هويها خشي ان يواقعها فيحد فيتزوجها وان تصبروا في محل الرفع على الابتداء اي وصبركم عن نكاح الاماء متعففين خير لكم
والله غفور رحيم وعن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم الحرائر صلاح البيت والاماء هلاك البيت يريد الله ليبين لكم اصله يريد
الله ان يبين لكم فزيدت اللام مؤكدة لارادة التبيين كما زيدت في لا ابا لك لتاكيد اضافة الاب والمعنى يريد الله ان يبين لكم
ما هو خفي عنكم من مصالحكم وافاضل اعمالكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم وان يهديكم مناهج من كان قبلكم من
الانبياء والصالحين والطرق التي سلكوها في دينهم لتقتدوا بهم ويتوب عليكم ويرشدكم الى طاعات ان قمتم بها كانت كفارات
لسيئاتكم فيتوب عليكم ويغفر لكم والله عليم حكيم ۝ والله يريد ان يتوب عليكم ان تفعلوا ما تستوجبون به
ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما ۝ وهو الميل عن القصد والحق ولا ميل
اعظم منه بمساعدتهم وموافقتهم على اتباع الشهوات وقيل هم اليهود وقيل المجوس كانوا يحلون نكاح الاخوات من الاب وبنات الاخ
وبنات الاخت فلما حرمهن الله قالوا فانكم تحلون بنت الخالة والعمة والخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخ والاخت فنزلت
يقول يريدون ان تكونوا زناة مثلهم يريد الله ان يخفف عنكم باحلال نكاح الامة وغيره من الرخص وخلق الانسان ضعيفا
لا يصبر عن الشهوات ولا على مشاق الطاعات وعن سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من بني آدم قط الا اتاهم من قبل النساء فقد اتى علي
ثمانون سنة وذهبت احدى عيني وانا اعشو بالاخرى وان اخوف ما اخاف علي فتنة النساء وقرئ ان يبلوا ابلا والضمير للذين
يتبعون الشهوات وقرأ ابن عباس رضي الله عنه وخلق الانسان على البناء للفاعل ونصب الانسان وعنه رضي الله عنه ثمان
آيات في سورة النساء هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم والله يريد ان يتوب عليكم يريد الله
ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا او يظلم
نفسه ما يفعل الله بعذابكم يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل بما لم تبحه الشريعة من نحو السرقة
والخيانة والغصب والقمار وعقود الربا الا ان تكون تجارة الا ان تقع تجارة وقرئ تجارة على الا ان تكون التجارة تجارة
عن تراض غير منهي عنه وقوله عن تراض صفة لتجارة اي تجارة صادرة عن تراض وخص التجارة بالذكر لان اسباب الرزق
اكثرها متعلق بها والتراضي رضا المتبايعين بما تعاقدا عليه في حال البيع وهو الايجاب والقبول وهو مذهب ابي حنيفة
رضي الله عنه وعند الشافعي رضي الله عنه تفرقهما عن مجلس العقد متراضيين ولا تقتلوا انفسكم من كان من جنسكم
من المؤمنين وعن الحسن لا تقتلوا اخوانكم او ولا يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجهلة وعن عمرو بن العاص انه تاوله في التيمم
لخوف البرد فلم ينكر عليه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وقرأ علي رضي الله عنه ولا تقتلوا بالتشديد ان الله كان بكم رحيما
ما نهاكم عما يضركم الا لرحمته عليكم وقيل معناه انه امر بني اسرائيل بقتلهم انفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم وكان
بكم يا امة محمد رحيما حيث لم يكلفكم تلك التكاليف الصعبة ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه اشارة
الى القتل اي ومن يقدم على قتل النفس عدوانا وظلما لا خطأ ولا اقتصاصا وقرئ عدوانا بالكسر ونصليه بتخفيف اللام وتشديدها
ونصليه بفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله عز وجل او لذلك لكونه سببا للصلي نارا مخصوصا
شديد العذاب وكان ذلك على الله يسيرا لان الحكمة تدعو اليه ولا صارف عنه من ظلم او نحوه ان تجتنبوا كبائر ما
تنهون عنه وقرئ كبير ما تنهون عنه اي ما كبر من المعاصي التي نهاكم الله عنها والرسول نكفر عنكم سيئاتكم
نمط ما تستحقونه من العقاب في كل وقت على صغائركم ونجعلها كان لم تكن لزيادة الثواب المستحق على اجتنابكم الكبائر وصبركم
عنها على عقاب السيئات والكبيرة والصغيرة انما وصفتا بالكبر والصغر باضافتهما اما الى طاعة او معصية او ثواب فاعلهما
والتكفير اماطة المستحق من العقاب بثواب ازيد او بتوبة والاحباط نقيضه وهو اماطة الثواب المستحق بعقاب ازيد او بندم على الطاعة
وعن علي رضي الله عنه الكبائر سبع الشرك والقتل والقذف واكل مال اليتيم والفرار من الزحف والتعرب بعد الهجرة وزاد ابن عمر
السحر واستحلال البيت الحرام وعن ابن عباس ان رجلا قال له الكبائر سبع فقال هي الى سبعمائة اقرب لانه لا صغيرة مع الاصرار ولا

كبيرة مع الاستغفار وروي الى سبعين وقرئ بالياء وندخلكم مدخلا كريما ومدخلا بضم الميم وفتحها بمعنى المكان
والمصدر فيهما ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض نهوا عن التحاسد وعن تمني ما فضل الله به بعض الناس على بعض
من الجاه والمال فان ذلك الفضل قسمة من الله صادرة عن حكمة وتدبير وعلم باحوال العباد وبما يصلح المقسوم له من بسط في الرزق
او قبض ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض فعلى كل احد ان يرضى بما قسم له علما بان ما قسم له هو مصلحته ولو كان خلافه لكان
مفسدة له ولا يحسد اخاه على حظه للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن جعل ما قسم لكل من الرجال
والنساء على حسب ما علم الله من حاله الموجبة للبسط او القبض كسبا له واسألوا الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليما
ولا تتمنوا انصباء غيركم من الفضل ولكن سلوا الله من خزائنه التي لا تنفد وقيل كان الرجال قالوا ان الله فضلنا على النساء في الدنيا
لنا سهمان ولهن سهم واحد فنرجوا ان يكون لنا اجران في الاخرة على الاعمال ولهن اجر واحد فقالت ام سلمة ونسوة معها ليت الله
كتب علينا الجهاد كما كتبه على الرجال فيكون لنا من الاجر مثل ما لهم فنزلت ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون
مما ترك تبيين لكل اي ولكل شيء مما ترك الوالدان والاقربون من المال جعلنا موالي وراثا يلونه ويحرزونه او ولكل قوم جعلناهم
موالي نصيب مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالي صفة لكل والضمير الراجع الى كل محذوف والكلام مبتدا وخبر كما
تقول لكل من خلقه الله انسانا نصيب من رزق اي حظ من رزق الله او لكل احد جعلنا موالي مما ترك اي وراثا مما ترك على ان من
صلة موالي لانهم في معنى الوارث وفي ترك ضمير كل ثم فسر الموالي بقوله الوالدان والاقربون كانه قيل من هم فقيل الوالدان والاقربون
والذين عاقدت ايمانكم مبتدا ضمن معنى الشرط فوقع خبره مع الفاء وهو قوله فآتوهم نصيبهم ان الله كان على كل
شيء شهيدا ● او يجوز ان يكون منصوبا على قولك زيدا فاضربه ويجوز ان يعطف على الوالدان ويكون المضمر في فآتوهم للموالي
والمراد بالذين عاقدت ايمانكم موالي الموالاة كان الرجل يعاقد الرجل فيقول دمي دمك وهدمي هدمك وثاري ثارك وحربي
حربك وسلمي سلمك وترثني وارثك وتطلب بي واطلب بك وتعقل عني واعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف فنسخ
وعن النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم يوم الفتح فقال ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به فانه لم يزده الاسلام الا شدة ولا تحدثوا
حلفا في الاسلام وعند ابي حنيفة رضي الله عنه لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح عنده وورث
بحق الموالاة خلافا للشافعي رضي الله عنه وقيل المعاقدة التبني ومعنى عاقدت ايمانكم عاقدتهم ايديكم وماسحتموهم وقرئ عقدت
بالتشديد والتخفيف بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم الرجال قوامون على النساء يقومون عليهن آمرين ناهين كما يقوم الولاة على
الرعايا وسموا قواما لذلك بما فضل الله بعضهم على بعض والضمير في بعضهم للرجال والنساء جميعا يعني انما كانوا مسيطرين
عليهم بسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال على بعض وهم النساء وفيه دليل على ان الولاية انما تستحق بالفضل لا بالتغلب والاستطالة
والقهر وقد ذكروا في فضل الرجال العقل والحزم والعزم والقوة والكتابة في الغالب والفروسية والرمي وان منهم الانبياء والعلماء
وفيهم الامامة الكبرى والصغرى والجهاد والاذان والخطبة والاعتكاف وتكبيرات التشريق عند ابي حنيفة والشهادة في الحدود
والقصاص وزيادة السهم والتعصيب في الميراث والحمالة والقسامة والولاية في النكاح والطلاق والرجعة وعدد الازواج واليهم
الانتساب وهم اصحاب اللحى والعمائم وبما انفقوا من اموالهم وبسبب ما اخرجوا في نكاحهن من اموالهم في المهور والنفقات وروي
ان سعد بن الربيع كان نقيبا من نقباء الانصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول
الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم فقال افرشته كريمتي فلطمها فقال لتقتص منه فنزلت فقال اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد
الله خير ورفع القصاص واختلف في ذلك فقيل لا قصاص بين الرجل وامرأته فيما دون النفس ولو شجها ولكن يجب العقل وقيل لا قصاص
الا في الجرح والقتل واما اللطمة ونحوها فلا فالصالحات قانتات مطيعات قائمات بما عليهن للازواج حافظات للغيب
الغيب خلاف الشهادة اي حافظات لمواجب الغيب اذا كان الازواج غير شاهدين لهن حفظن ما يجب عليهن حفظه في حال الغيبة
وعن النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم خير النساء امرأة اذا نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في
مالها ونفسها وتلا الاية وامر رسول الله وقال استوصوا بالنساء خيرا بما حفظ الله بحفظ الله وعصمتهن وتوفيقهن لحفظ الغيب او بما
حفظهن حين وعدهن الثواب العظيم على حفظ الغيب واوعدهن بالعذاب الشديد على الخيانة وما مصدرية وقرئ بما حفظ
الله بالنصب على ان ما موصولة اي حافظات للغيب بالامر الذي يحفظ حق الله وامانة الله وهو التعفف والتحصن والشفقة
على الرجال والنصيحة لهم وقرئ ابن مسعود فالصوالح قوانت حوافظ للغيب بما حفظ الله فاصلحوا اليهن واللاتي تخافون نشوزهن
فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن نشوزها ونشوصها ان تعصي زوجها ولا تطمئن اليه واصله الانزعاج
والمضاجع في المراقد اي لا تداخلوهن تحت اللحف او هي كناية عن الجماع وقيل هو ان يوليها ظهره وقيل في المضاجع في بيوتهن التي
يبتن فيها اي لا تبايتوهن وقرئ في المضجع وفي المضطجع وذلك لتعرف احوالهن وتحقق امرهن في النشوز امر بوعظهن اولا
ثم هجرانهن في المضاجع ثم بالضرب ان لم ينجع فيهن الوعظ والهجران وقيل معناه اكرهوهن على الجماع واربطوهن من هجر البعير اذا
شده بالهجار وهذا من تفسير الثقلاء والواجبات ان يكون ضربا غير مبرح لا يجرحها ولا يكسر لها عظما ويجتنب الوجه وعن النبي

صلى الله عليه

صلى الله عليه وعلى اله وسلم علق سوطك حيث يراه اهلك وعن اسماء بنت ابي بكر الصديق كنت رابعة اربع نسوة عند الزبير بن العوام
فاذا غضب على احدنا ضربها بعود المشجب حتى يكسره عليها ويروى عن الزبير ابيات منها
ولولا بنوها حولها لخبطتها ● كخبطة فروج ولم اتلعثم ● فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا فازيلوا عنهن
التعرض بالاذى والتوبيخ والتجني وتوبوا عليهن واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن بعد رجوعهن الى الطاعات والانقياد وترك
النشوز ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه واعلموا ان قدرته عليكم اعظم من قدرتكم على من تحت ايديكم ويروى ان
ابا مسعود الانصاري رفع سوطه ليضرب غلاما له فبصر به رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم فصاح به ابا مسعود لله اقدر
عليك منك عليه فرمى بالسوط واعتق الغلام او ان الله كان عليا كبيرا وانكم تعصونه على علو شانه وكبرياء سلطانه ثم
تتوبون فيتوب عليكم فانتم احق بالعفو عمن يجني عليكم اذا رجع وان خفتم شقاق بينهما اصله شقاقا بينهما فاضيف
الشقاق الى الظرف على طريق الاتساع كقوله بل مكر الليل والنهار واصله بل مكر في الليل والنهار او على ان جعل البين مشاقا
والليل والنهار ماكرين على قولهم نهارك صائم وليلك قائم والضمير للزوجين ولم يجر ذكرهما لجري ذكر ما يدل عليه وهو الرجال
والنساء فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها رجلا مقتضيا يصلح لحكومة العدل والاصلاح بينهما وانما كان بعث الحكمين
من اهلهما لان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وانما تسكن اليهم نفوس الزوجين ويبرز اليهم ما في ضمائرهما
من الحب والبغض وارادة الصحبة والفرقة وموجبات ذلك ومقتضياته وما يزويانه عن الاجانب ولا يحبان ان يطلعوا عليه
فان قلت فهل يليان الجمع بينهما والتفريق ان رايا ذلك قلت قد اختلف فيه فقيل ليس لهما ذلك الا باذن الزوجين
وقيل ذلك اليهما وما جعل الحكمين حكمين الا وليهما بناء الامر على ما يقتضيه اجتهادهما وعن عبيدة السلماني شهدت عليا رضي
الله عنه وقد جاءته امرأة وزوجها ومع كل واحد فئام من الناس فاخرج هؤلاء حكما وهؤلاء حكما فقال علي للحكمين اتدريان ما عليكما
ان رايتما ان تفرقا فرقتما وان رايتما ان تجمعا جمعتما فقال الزوج اما الفرقة فلا فقال علي كذبت والله لا تبرح حتى ترضى بكتاب الله لك
وعليك فقالت المرأة رضيت بكتاب الله لي وعلي وعن الحسن يجمعان ولا يفرقان وعن الشعبي ما قضى الحكمان جاز والالف في ان يريدا
اصلاحا ضمير الحكمين وفي يوفق الله بينهما للزوجين اي ان قصدا اصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة
لوجه الله تعالى بورك في وساطتهما واوقع الله بطيب نفسهما وحسن سعيهما بين الزوجين الوفاق والالفة والقى في نفوسهما المودة
والرحمة وقيل الضميران للحكمين اي ان قصدا اصلاح ذات البين والنصيحة للزوجين يوفق الله بينهما فيتفقان على الكلمة
الواحدة ويتساندان في طلب الوفاق حتى يحصل الغرض ويتم المراد وقيل الضميران للزوجين اي ان يريدا الاصلاح بينهما وطلبا
للخير وان يزول عنهما الشقاق يطرح الله بينهما الالفة وابدلهما بالشقاق وفاقا وبالبغضاء مودة ان الله كان عليما خبيرا ●
يعلم كيف يوفق بين المختلفين ويجمع بين المفترقين لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم واعبدوا
الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا واحسنوا بهما احسانا وبذي القربى وبكل من بينكم وبينه قربى من اخ وعم
او غيرهما واليتامى والمساكين والجار ذي القربى الذي قرب جواره والجار الجنب الذي جواره بعيد وقيل الجار القريب
النسب والجار الجنب الاجنبي وانشد لبلعاء بن قيس ● لا يجتنبنا مجاور ابدا ● ذو رحم او مجاور جنب ● وقرئ والجار ذا
القربى نصبا على الاختصاص كما قرئ حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى تنبيها على عظم حقه لادلائه بحقي الجوار والقرابة والصاحب
بالجنب هو الذي صحبك بان حصل بجنبك اما رفيقا في سفر واما جارا ملاصقا واما شريكا في تعلم علم او حرفة واما قاعدا
الى جنبك في مجلس او مسجد او غير ذلك من ادنى صحبة التأمت بينك وبينه فعليك ان ترعى ذلك الحق ولا تنساه وتجعله ذريعة
الى الاحسان وقيل الصاحب بالجنب المرأة وابن السبيل المسافر المنقطع به وقيل الضيف وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب
من كان مختالا فخورا ● والمختال التياه الجهول الذي يتكبر عن اقاربه واصحابه ومماليكه فلا يتحفى بهم ولا يلتفت اليهم وقرئ
والجار الجنب بفتح الجيم وسكون النون الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل بدل من قوله من كان مختالا او نصب على
الذم ويجوز ان يكون رفعا عليه وان يكون مبتدا خبره محذوف كانه قيل الذين يبخلون ويفعلون ويصنعون احقاء بكل ملامة
وقرئ بالبخل بضم الباء وفتحها وبفتحتين وبضمتين اي يبخلون بذات ايديهم وبما في ايدي غيرهم فيامرونهم ان يبخلوا به مقتا
للسخاء ممن وجد وفي امثال العرب ابخل من الضنين بنائل غيره ● وان امرأ ضنت يداه على امرئ ● بنيل يد من غيره لبخيل ●
ولقد رايت ممن بلي بداء البخل من اذا طرق سمعه ان احدا جاد على احد شخص به وحل حبوته واضطرب ودارت عيناه في راسه كانما
نهب رحله وكسرت خزانته ضجرا من ذلك وحسرة على وجوده وقيل هم اليهود كانوا ياتون رجالا من الانصار يتنصحون لهم ويقولون
لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون ويكتمون ما اتاهم الله من فضله واعتدنا للكافرين
عذابا مهينا ● وقد عابهم بكتمان نعمة الله وما اتاهم الله من فضله الغنى والتفاقر الى الناس وعن النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم اذا
انعم الله على عبد نعمة احب ان ترى نعمته عليه وبنى عامل للرشيد قصرا حذاء قصره فنم به عنده فقال الرجل يا امير المؤمنين ان الكريم
يسره ان يرى اثر نعمته فاحببت ان اسرك بالنظر الى اثر نعمتك فاعجبه كلامه وقيل نزلت في شأن اليهود الذين كتموا صفة رسول الله

والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس للفخار وليقال ما اسخاهم وما اجودهم لا ابتغاء وجه الله وقيل نزلت في مشركي مكة المنفقين
اموالهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا
حيث حملهم على البخل والرياء وكل شر ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان الشيطان يقرن بهم في النار وماذا عليهم لو آمنوا بالله
واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله واي تبعة ووبال عليهم في الايمان والانفاق في سبيل الله والمراد الذم والتوبيخ والا فكل
منفعة ومفلحة في ذلك وهذا كما يقال للمنتقم ما ضرك لو عفوت وللعاق ما كان يرزؤك لو كنت بارا وقد علم انه لا مضرة ولا مرزأة
في العفو والبر ولكنه ذم وتوبيخ وتجهيل بمكان المنفعة وكان الله بهم عليما وعيد ان الله لا يظلم مثقال ذرة الذرة النملة
الصغيرة وفي قراءة عبد الله مثقال نملة وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه ادخل يده في التراب فرفعه ثم نفخ فيه فقال كل واحد من هؤلاء ذرة
وقيل كل جزء من اجزاء الهباء في الكوة وفيه دليل على انه لو نقص من الاجر ادنى شيء واصغره او زاد في العقاب لكان ظلما وانه لا يفعله
لاستحالته في الحكمة لا لاستحالته في القدرة وان تك حسنة وان يك مثقال ذرة حسنة وانما انث ضمير المثقال لكونه مضافا
الى مؤنث وقرئ بالرفع على كان التامة يضاعفها يضاعف ثوابها لاستحقاقها عنده الثواب في كل وقت من الاوقات المستقبلة
غير المتناهية وعن عثمان النهدي انه قال لابي هريرة بلغني عنك انك تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ان الله تعالى يعطي
عبده المؤمن بالحسنة الواحدة الف الف حسنة فقال ابو هريرة لا بل سمعته يقول ان الله يعطيه الفي الف حسنة ثم تلا هذه الآية والمراد الكثرة لا
التحديد ويؤت من لدنه اجرا عظيما ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل عطاء عظيما وسماه اجرا لانه تابع للاجر لا
يثبت الا بثباته وقرئ يضعفها بالتشديد والتخفيف من اضعف وضعف وقرأ ابن هرمز نضاعفها بالنون فكيف يصنع هؤلاء الكفرة من
اليهود وغيرهم اذا جئنا من كل امة بشهيد يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم كقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم
وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قرأ سورة النساء على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حتى بلغ وجئنا بك
على هؤلاء شهيدا فبكى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وقال حسبنا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم
الارض لو يدفنون فتسوى بهم الارض كما تسوى بالموتى وقيل يودون انهم لم يبعثوا وانهم كانوا والارض سواء وقيل تصير البهائم
ترابا فيودون حالها ولا يكتمون الله حديثا ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اي يودون
ان يدفنوا تحت الارض وانهم لا يكتمون الله حديثا ولا يكذبون في قولهم والله ربنا ما كنا مشركين لانهم اذا قالوا ذلك وجحدوا شركهم
ختم الله على افواههم عند ذلك وتكلمت ايديهم وارجلهم بتكذيبهم والشهادة عليهم بالشرك فلشدة الامر عليهم يتمنون ان تسوى
بهم الارض وقرئ تسوى بحذف التاء من تتسوى يقال سويته فتسوى ونحوه لويته فتلوى وتسوى بادغام التاء في السين كقوله يسمعون
وماضيه اسوى كازكى يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا الا عابري سبيل
حتى تغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا
طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم روي ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما وشرابا فدعا نفرا من اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وعلى آله وسلم حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا فلما ثملوا وجاء وقت صلاة المغرب قدموا احدهم ليصلي بهم فقرأ اعبد ما
تعبدون وانتم عابدون ما اعبد فنزلت فكانوا لا يشربون في اوقات الصلاة فاذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون الا وقد
ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون ثم نزل تحريمها ومعنى لا تقربوا الصلوة لا تغشوها ولا تقوموا اليها واجتنبوها
كقوله ولا تقربوا الزنا ولا تقربوا الفواحش وقيل معناه ولا تقربوا مواضعها وهي المساجد كقوله عليه الصلاة والسلام جنبوا
مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وقيل هو سكر النعاس وغلبة النوم كقوله ۝ ورانوا بسكر سنانهم كل الرين ۝ وقرئ
سكارى بفتح السين وسكرى على ان يكون جمعا نحو هلكى وجوعى لان السكر علة تلحق العقل او مفردا بمعنى وانتم جماعة سكرى
كامرأة سكرى وسكرى بضم السين كحبلى على ان تكون صفة للجماعة وحكى جناح بن حبيش كسلى وكسلى بالفتح والضم
ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى لان محل الجملة مع الواو النصب على الحال كانه قيل لا تقربوا الصلوة سكارى ولا جنبا والجنب يستوي
فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الاجناب الا عابري سبيل استثناء من عامة احوال
المخاطبين وانتصابه على الحال فان قلت كيف جمع بين هذه الحال والحال التي قبلها قلت كانه قيل ولا تقربوا الصلوة في حال الجنابة
الا ومعكم حال اخرى تعذرون فيها وهي حال السفر وعبور السبيل عبارة عنه ويجوز ان لا يكون حالا ولكن صفة لقوله جنبا اي ولا تقربوا
الصلوة جنبا غير عابري سبيل اي جنبا مقيمين غير معذورين فان قلت كيف تصح صلاتهم على الجنابة لعذر السفر قلت
اريد بالجنب الذين لم يغتسلوا كانه قيل لا تقربوا الصلوة غير مغتسلين حتى تغتسلوا الا ان تكونوا مسافرين وقال من فسر الصلوة بالمسجد
معناه ولا تقربوا المسجد جنبا الا مجتازين فيه اذا كان الطريق فيه الى الماء او كان الماء فيه او احتلمتم فيه وقيل ان رجالا من
الانصار كانت ابوابهم الى المسجد فتصيبهم الجنابة ولا يجدون ممرا الا في المسجد فرخص لهم وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
لم يأذن لاحد ان يجلس في المسجد او يمر فيه وهو جنب الا لعلي رضي الله عنه لان بيته كان في المسجد فان قلت ادخل في حكم
الشرط اربعة وهم المرضى والمسافرون والمحدثون واهل الجنابة فبمن تعلق الجزاء الذي هو الامر بالتيمم عند عدم الماء منهم قلت

الطاهر

الظاهر انه متعلق بهم جميعا وان المرضى اذا عدموا الماء لضعف حركتهم وعجزهم عن الوصول اليه فلهم ان يتيمموا وكذلك السفر اذا
عدموه لبعده والمحدثون واهل الجنابة كذلك اذا لم يجدوه لبعض الاسباب وقال الزجاج الصعيد وجه الارض ترابا كان او غيره
وان كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده عليه ومسح لكان ذلك طهوره وهو مذهب ابي حنيفة رضي الله عنه فان قلت
فما يصنع بقوله في سورة المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اي بعضه وهذا لا يتأتى في الصخر الذي لا تراب عليه قلت
قالوا ان من لابتداء الغاية فان قلت قولهم انها لابتداء الغاية قول متعسف ولا يفهم احد من العرب من قول القائل مسحت برأسه
من الدهن ومن الماء ومن التراب الا معنى التبعيض قلت هو كما تقول والاذعان للحق احق من المراء ان الله كان عفوا غفورا
كناية عن الترخيص والتيسير لان من كانت عادته ان يعفو عن الخطائين ويغفر لهم آثر ان يكون ميسرا غير معسر فان قلت كيف
نظم في سلك واحد بين المرضى والمسافرين وبين المحدثين والمجنبين والمرض والسفر سببان من اسباب الرخصة والحدث سبب
لوجوب الوضوء والجنابة سبب لوجوب الغسل قلت اراد سبحانه ان يرخص للذين وجب عليهم التطهر وهم عادمون للماء في
التيمم بالتراب فخص اولا من بينهم مرضاهم وسفرهم لانهم المتقدمون في استحقاق بيان الرخصة لهم ولكثرة المرض والسفر
وغلبتهما على سائر الاسباب الموجبة للرخصة ثم عم كل من وجب عليه التطهر واعوزه الماء لخوف عدو او سبع او عدم آلة استقاء
او ارهاق في مكان لا ماء فيه او غير ذلك مما لا يكثر كثرة المرض والسفر وقرئ من غيط قيل هو تخفيف غيط كهين في هين والغيط
الغائط الم تر الى الذين من رؤية القلب وعدي بالى على معنى الم ينته علمك اليهم او بمعنى الم تنظر اليهم اوتوا نصيبا حظا من علم
التوراة وهم احبار اليهود يشترون الضلالة يستبدلونها بالهدى وهو البقاء على اليهودية بعد وضوح الآيات لهم على صحة
نبوة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وانه هو النبي العربي المبشر به في التوراة والانجيل ويريدون ان تضلوا السبيل سبيل الحق كما ضلوا
وتفرطوا في شأنكم لا يكفيهم انهم ضلوا بل يحبون ان يضل معهم غيرهم وقرئ ان يضلوا بالياء بفتح الضاد وكسرها والله
اعلم منكم باعدائكم وقد اخبركم بعداوة هؤلاء واطلعكم على احوالهم وما يريدون بكم فاحذروهم ولا تستنصحوهم في
اموركم ولا تستشيروهم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا فثقوا بولايته ونصرته دونهم او لا تبالوا بهم فان الله
ينصركم عليهم ويكفيكم مكرهم من الذين هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا من الكتاب لانهم يهود ونصارى وقوله والله اعلم
باعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا جمل توسطت بين البيان والمبين على سبيل الاعتراض او بيان لاعدائكم وما بينهما اعتراض او صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين
هادوا كقوله ونصرناه من القوم الذين كذبوا ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ على ان يحرفون صفة مبتدأ محذوف تقديره من الذين
هادوا قوم يحرفون كقوله ۝ وما الدهر الا تارتان فمنهما ۝ اموت واخرى ابتغي العيش اكدح ۝ اي فمنهما تارة اموت فيها
يحرفون الكلم عن مواضعه يميلونه عنها ويزيلونه لانهم اذا بدلوه ووضعوا مكانه كلما غيره فقد اما لوه عن مواضعه التي
وضعه الله فيها وازالوه عنها وذلك نحو تحريفهم اسمر ربعة عن موضعه في التوراة بوضعهم آدم طوال مكانه ونحو تحريفهم
الرجم بوضعهم الحد بدله فان قلت كيف قيل ههنا عن مواضعه وفي المائدة من بعد مواضعه قلت اما عن مواضعه فعلى
ما فسرناه من ازالته عن مواضعه التي اوجبت حكمة الله وضعه فيها بما اقتضت شهواتهم من ابدال غيره مكانه واما من بعد مواضعه
فالمعنى انه كانت له مواضع هو قمن بان يكون فيها فحين حرفوه تركوه كالغريب الذي لا موضع له بعد مواضعه ومقاره والمعنيان
متقاربان وقرئ يحرفون الكلام والكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة ويقولون سمعنا وعصينا
واسمع غير مسمع وراعنا قولهم غير مسمع حال من المخاطب اي اسمع وانت غير مسمع وهو قول ذو وجهين يحتمل الذم اي
اسمع منا مدعوا عليك بلا سمعت لانه لو اجيبت دعوتهم عليه لم يسمع فكان اصم غير مسمع قالوا ذلك اتكالا على ان قولهم لا سمعت
دعوة مستجابة او اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه ومعناه غير مسمع جوابا يوافقك فكانك لم تسمع شيئا او اسمع غير مسمع
كلاما ترضاه فسمعك عنه ناب ويجوز على هذا ان يكون غير مسمع مفعول اسمع اي اسمع كلاما غير مسمع اياك لان اذنك لا
تعيه نبوا عنه ويحتمل المدح اي اسمع غير مسمع مكروها من قولك اسمع فلان اذا سبه وكذلك راعنا يحتمل راعنا نكلمك اي ارقبنا وانتظرنا
ويحتمل شبه كلمة عبرانية او سريانية كانوا يتسابون بها وهي راعينا فكانوا سخرية بالدين وهزؤا برسول الله صلى الله عليه
وعلى آله وسلم يكلمونه بكلام محتمل ينوون به الشتيمة والاهانة ويظهرون به التوقير والاكرام ليا بالسنتهم وطعنا في
الدين ليا بالسنتهم فتلا بها وتحريفا اي يفتلون بالسنتهم الحق الى الباطل حيث يضعون راعنا موضع انظرنا وغير مسمع موضع
لا اسمعت مكروها او يفتلون بالسنتهم ما يضمرونه من الشتم الى ما يظهرونه من التوقير نفاقا فان قلت كيف جاؤوا
بالقول المحتمل ذي الوجهين بعد ما صرحوا وقالوا سمعنا وعصينا قلت جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا
يواجهونه بالسب ودعاء السوء ويجوز ان يقولوه فيما بينهم ويجوز ان لا ينطقوا بذلك ولكنهم لما لم يؤمنوا به جعلوا كانهم نطقوا به
وقرئ وانظرنا من الانظار وهو الامهال ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم واقوم فان
قلت الام يرجع الضمير في قوله لكان خيرا لهم قلت الى انهم قالوا لان المعنى ولو ثبت قولهم سمعنا واطعنا لكان قولهم ذلك
خيرا لهم واقوم واعدل واسد ولكن لعنهم الله بكفرهم اي خذلهم بسبب كفرهم وابعدهم عن الطافه فلا يؤمنون الا

امانا قليلا ۝ اي ضعيفا ركيكا لا يعبا به وهو ايمانهم بمن خلقهم مع كفرهم بغيره او اراد بالقلة العدم كقوله ۝ قليل
التشكي للمهم يصيبه ۝ كثير الهوى شتى النوى والمسالك ۝ اي عديم التشكي او الا قليلا منهم فانهم امنوا يا ايها الذين اوتوا
الكتاب امنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها اي نمحو تخطيط صورها من عين وحاجب وانف وفم
فنردها على ادبارها فنجعلها على هيئة ادبارها وهي الاقفاء مطموسة مثلها والفاء للتسبيب وان جعلتها للتعقيب على انهم
توعدوا بعقابين احدهما عقيب الاخر ردها على ادبارها بعد طمسها فالمعنى ان نطمس وجوها فننكسها الوجوه الى خلف والاقفاء الى قدام
ووجه اخر وهو ان يراد بالطمس القلب والتغيير كما طمسنا اموال القبط فجعلناها حجارة وبالوجوه رؤسهم ووجهاؤهم اي من
قبل ان نغير احوال وجهائهم فنسلبهم اقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارهم وادبارهم او نردهم الى حيث جاؤا منه وهي اذرعات
الشام يريد اجلاء بني النضير او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت فان قلت لمن الراجع في قوله او نلعنهم
قلت للوجوه ان اريد به الوجهاء او لاصحاب الوجوه لان المعنى من قبل ان نطمس وجوه قوم او يرجع الى الذين اوتوا الكتاب على
طريقة الالتفات او نلعنهم او نخزيهم بالمسخ كما مسخنا اصحاب السبت فان قلت فاين وقوع الوعيد قلت هو مشروط بالايمان
وقد امن منهم ناس وقيل هو منتظر ولا بد من طمس ومسخ لليهود قبل يوم القيمة ولان الله تعالى اوعدهم باحد الامرين بطمس
وجوه منهم او بلعنهم فان كان الطمس تبديل احوال رؤسائهم واجلاءهم الى الشام فقد كان احد الامرين وان كان غيره فقد
حصل اللعن فانهم ملعونون بكل لسان والظاهر اللعن المتعارف دون المسخ الا ترى الى قوله قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة
عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وكان امر الله مفعولا ۝ فلا بد ان يقع احد الامرين
ان لم يؤمنوا فان قلت ان الله تعالى يغفر الشرك لمن تاب منه وانه لا يغفر ما دون الشرك من الكبائر الا بالتوبة فما وجه قوله
ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قلت الوجه ان يكون الفعل المنفي والمثبت جميعا موجهين
الى قوله لمن يشاء الشرك ويغفر لمن يشاء ما دون الشرك على ان المراد بالاول من لم يتب وبالثاني من تاب ونظيره قولك ان الامير لا يبذل
الدينار ويبذل القنطار لمن يشاء تريد لا يبذل الدينار لمن لا يستاهله ويبذل القنطار لمن يستاهله ومن يشرك بالله فقد افترى
اثما عظيما ۝ اي ارتكبه وهو مفتر مفتعل ما لا يصح كونه الم تر الى الذين يزكون انفسهم اليهود والنصارى قالوا نحن ابناء الله
واحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقيل جاء رجال من اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم باطفالهم
فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملناه بالنهار كفر عنا بالليل وما عملناه بالليل كفر عنا بالنهار ويدخل
فيها كل من زكى نفسه ووصفها بزكاء العمل وزيادة التقوى والطاعة والزلفى عند الله فان قلت اما قال رسول الله صلى الله عليه
وعلى آله وسلم اني لامين في السماء امين في الارض قلت انما قال ذلك حين قال له المنافقون اعدل في القسمة اكذابا لهم اذ وصفوه بخلاف
ما وصفه به ربه وشتان من شهد الله له بالتزكية ومن شهد لنفسه او شهد له من لا يعلم بل الله يزكي من يشاء اعلام بان
تزكية الله هي التي يعتد بها لا تزكية غيره لانه هو العالم بمن هو اهل للتزكية ومعنى يزكي من يشاء يزكي المرتضين من عباده الذين
عرف منهم الزكاء فوصفهم به ولا يظلمون فتيلا ۝ اي الذين يزكون انفسهم يعاقبون على تزكيتهم انفسهم حق جزائهم او من
يشاء يثابون على زكائهم ولا ينقص من ثوابهم ونحوه ولا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى انظر كيف يفترون على الله الكذب
في زعمهم انهم عند الله ازكياء وكفى به وكفى بزعمهم هذا اثما مبينا ۝ من بين سائر آثامهم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب
يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين امنوا سبيلا ۝ اولئك الذين لعنهم الله
ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا ۝ الجبت الاصنام وكل ما عبد من دون الله والطاغوت الشيطان وذلك ان حيي بن اخطب
وكعب بن الاشرف اليهوديين خرجا الى مكة مع جماعة من اليهود يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وعلى
آله وسلم فقالوا انتم اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نامن مكركم فاسجدوا لالهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا فهذا
ايمانهم بالجبت والطاغوت لانهم سجدوا للاصنام واطاعوا ابليس فيما فعلوا وقال ابو سفيان اينا اهدى سبيلا ام محمد فقال كعب
ماذا يقول محمد قالوا يامر بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك قال وما دينكم قالوا نحن ولاة البيت نسقي الحاج ونقري الضيف
ونفك العاني وذكروا افعالهم فقال انتم اهدى سبيلا من محمد ام لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيرا ۝
وصف اليهود بالبخل والحسد وهما شر خصلتين يمنعون ما اوتوا من النعمة ويتمنون ان تكون لهم نعمة غيرهم فقال ام لهم نصيب من
الملك على ان ام منقطعة ومعنى الهمزة ومعنى الانكار ان يكون لهم نصيب من الملك ثم قال فاذا لا يؤتون الناس اي لو كان لهم نصيب
من الملك فاذا لا يؤتون احدا مقدار نقير لفرط بخلهم والنقير النقرة في ظهر النواة وهو مثل في القلة كالفتيل والقطمير والمراد
بالملك اما ملك اهل الدنيا واما ملك الله كقوله تعالى قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق وهذا اوصف
لهم بالشح واحسن لطباقه نظيره من القرآن ويجوز ان يكون معنى الهمزة في ام لانكار انهم قد اوتوا نصيبا من الملك وكانوا اصحاب
اموال وبساتين وقصور مشيدة كما تكون احوال الملوك وانهم لا يؤتون احدا مما يملكون شيئا وقرأ ابن مسعود فاذا لا يؤتوا على اعمال اذا
عملها الذي هو النصب وهي ملغاة في قراءة العامة كانه قيل فلا يؤتون الناس نقيرا اذن ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله

من

من فضله يحسدون رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم والمؤمنين على انكار الحسد واستقباحه وكانوا يحسدونهم على
ما اتاهم الله من النصرة والغلبة وازدياد العز والتقدم كل يوم فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة الزام لهم بما عرفوه
من ايتاء الله الكتاب والحكمة آل ابراهيم الذين هم اسلاف محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم وانه ليس ببدع ان يؤتيه الله مثل ما اوتي
اسلافه وآتيناهم ملكا عظيما ۝ وعن ابن عباس رضي الله عنهما الملك في آل ابراهيم ملك يوسف وداود وسليمن وقيل
استكثروا نساءه فقيل لهم كيف استكثرتم له التسع وقد كان لداود عليه الصلاة والسلام مائة ولسليمان صلى الله عليه وسلم ثلثمائة مهيرة
وسبعمائة سرية فمنهم من اليهود من آمن به اي بما ذكر من حديث آل ابراهيم ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا ۝ ومنهم
من صد عنه انكره مع علمه بصحته او من اليهود من آمن برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ومنهم من انكر نبوته او من آل ابراهيم من آمن بابراهيم
ومنهم من كفر كقوله فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم
بدلناهم جلودا غيرها ابدلناهم اياها فان قلت كيف تعذب مكان الجلود العاصية قلت العذاب للجملة الحساسة
وهي التي عصت لا للجلد وعن فضيل يجعل الجلد النضيج غير نضيج وعن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تبدل جلودهم كل يوم سبع
مرات وعن الحسن تسعين مرة يبدلون جلودا بيضا كالقراطيس ليذوقوا العذاب ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز
اعزك الله اي ادامك على عزك وزادك فيه ان الله كان عزيزا لا يمتنع عليه شيء مما يريده بالمجرمين حكيما ۝ لا يعذب الا بعدل من
يستحقه والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا لهم فيها ازواج
مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا ۝ ظليلا صفة مشتقة من لفظ الظل لتاكيد معناه كما يقال ليل اليل ويوم ايوم وما اشبه ذلك
وهو ما كان فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس وسجسجا لا حر فيه ولا برد وليس ذلك الا ظل الجنة رزقنا الله بتوفيقه لما يزلف اليه
التفيؤ تحت ذلك الظل وقرأ عبد الله سيدخلهم بالياء ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين
الناس ان تحكموا بالعدل الخطاب عام لكل واحد في كل امانة وقيل نزلت في عثمان بن طلحة بن عبد الدار وكان سادن الكعبة وذلك ان
رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حين دخل مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح وابى ان يدفع اليه المفتاح وقال لو
علمت انه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لم امنعه فلوى علي بن ابي طالب يده واخذه منه وفتح ودخل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وصلى
ركعتين فلما خرج سأله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فامر عليا رضي الله عنه ان يرده الى عثمان
ويعتذر اليه فقال عثمان لعلي اكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال لقد انزل الله في شانك قرآنا وقرأ عليه الاية فقال عثمان اشهد ان لا اله الا
الله وان محمدا رسول الله فهبط جبريل عليه الصلاة والسلام واخبر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ان السدانة في اولاد عثمان ابدا وقيل
هو خطاب للولاة باداء الامانات والحكم بالعدل وقرئ الامانة على التوحيد ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا ۝
ما اما ان تكون منصوبة موصوفة بيعظكم به واما ان تكون مرفوعة موصولة به كانه قيل نعم شيئا يعظكم به او نعم الشيء الذي يعظكم
به والمخصوص بالمدح محذوف اي نعما يعظكم به ذلك وهو المامور به من اداء الامانات والعدل في الحكم وقرئ نعما بفتح النون
يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم لما امر الولاة باداء الامانات الى اهلها وان يحكموا بالعدل
امر الناس بان يطيعوهم وينزلوا على قضاياهم والمراد باولي الامر منكم امراء الحق لان امراء الجور الله ورسوله بريئان منهم فلا يعطفون على
الله ورسوله في وجوب الطاعة لهم وانما يجمع بين الله ورسوله والامراء الموافقين لهما في ايثار العدل واختيار الحق والامر بهما والنهي
عن اضدادهما كالخلفاء الراشدين ومن تبعهم باحسان وكان الخلفاء يقولون اطيعوني ما عدلت فيكم فان خالفت فلا طاعة لي عليكم وعن ابي حازم ان
مسلمة بن عبد الملك قال له الستم امرتم بطاعتنا في قوله واولي الامر منكم قال اليس قد نزعت عنكم اذا خالفتم الحق بقوله فان تنازعتم في
شيء فردوه الى الله والرسول وقيل هم امراء السرايا وعن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله
ومن يطع اميري فقد اطاعني ومن يعص اميري فقد عصاني وقيل هم العلماء الدينون الذين يعلمون الناس الدين ويامرونهم بالمعروف
وينهونهم عن المنكر فان تنازعتم في شيء فان اختلفتم انتم واولوا الامر منكم في شيء من امور الدين فردوه الى الله والرسول
ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر اي ارجعوا فيه الى الكتاب والسنة وكيف تلزم طاعة امراء الجور وقد جنح الله الامر
بطاعة اولي الامر بما لا يبقي معه شك وهو ان امرهم اولا باداء الامانات وبالعدل في الحكم وامرهم آخرا بالرجوع الى الكتاب والسنة فيما
اشكل وامراء الجور لا يؤدون امانة ولا يحكمون بعدل ولا يردون شيئا الى كتاب ولا الى سنة وانما يتبعون شهواتهم حيث ذهبت بهم فهم
منسلخون عن صفات الذين هم اولوا الامر عند الله ورسوله واحق اسمائهم اللصوص المتغلبة ذلك اشارة الى الرد الى الكتاب والسنة
خير لكم واصلح واحسن تاويلا ۝ واحسن عاقبة وقيل احسن تاويلا من تاويلكم انتم الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل
اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت روي ان بشرا المنافق خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي
صلى الله عليه وعلى آله وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقضى لليهودي فلم يرض
المنافق وقال تعال نتحاكم الى عمر بن الخطاب فقال اليهودي لعمر قضى لنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فلم يرض بقضائه فقال للمنافق اكذا
قال نعم فقال عمر مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل عمر فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا اقضي لمن لم

برض نقضا الله ورسوله ونزلت وقال جبريل عليه الصلاة والسلام ان عمر قد فرق بين الحق والباطل فقال له صلى الله عليه وعلى آله وسلم انت الفاروق
والطاغوت كعب بن الاشرف سماه الله طاغوتا لافراطه في الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم او على التشبيه بالشيطان
والتسمية باسمه او جعل اختيار التحاكم الى غير رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم على التحاكم اليه تحاكما الى الشيطان بدليل قوله وقد
أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا ۝ وقرئ بما انزل وما انزل على البناء للفاعل وقرئ ان
يكفروا بها ذهابا بالطاغوت الى الجمع كقوله اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل
الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا ۝ وقرأ الحسن تعالوا بضم اللام على انه حذف اللام من تعاليت تخفيفا
كما قالوا ما باليت به بالة واصلها بالية كعافية وكما قال الكسائي في آية ان اصلها آيية فاعلة فحذفت اللام فلما حذفت وقعت واو الجمع
بعد اللام من تعالى فضمت فصار تعالوا نحو تقدموا ومنه قول اهل مكة تعالي بكسر اللام للمرأة وفي شعر الحمداني
ايا جارتا ما انصف الدهر بيننا تعالي اقاسمك الهموم تعالي ۝ والوجه فتح اللام فكيف يكون حالهم وكيف يصنعون يعني
انهم يعجزون عند ذلك فلا يصدرون امرا ولا يوردونه إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم من التحاكم الى غيرك واتهامهم
لك في الحكم ثم جاؤوك يحلفون بالله إن أردنا ثم جاؤوك حين يصابون فيعتذرون اليك ويحلفون ما اردنا بتحاكمنا الى
غيرك إلا إحسانا لا اساءة وتوفيقا ۝ بين الخصمين ولم نرد مخالفة لك ولا تسخطا لحكمك فلا تؤاخذنا بما فعلنا وهذا وعيد
لهم على فعلهم وانهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغني عنهم الاعتذار عند حلول بأس الله وقيل جاء اولياء المنافق يطلبون
بدمه وقد اهدره الله فقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا بحكومة العدل والتوفيق بينه وبين خصمه وما خطر
ببالنا انه يحكم له بما حكم به أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم لا تعاقبهم لمصلحة في استبقائهم
والنصح لهم عما هم عليه وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا ۝ بالغ في وعظهم بالتخويف والانذار
فان قلت بم تعلق قوله في انفسهم قلت بقوله بليغا اي قل لهم قولا بليغا في انفسهم مؤثرا في قلوبهم يغتمون اغتماما ويستشعرون
منه الخوف استشعارا وهو التوعد بالقتل والاستئصال ان نجم منهم النفاق واطلع قرنه واخبرهم ان ما في انفسهم من الدغل
والنفاق معلوم عند الله وانه لا فرق بينكم وبين المشركين وما هذه المكافة الا لاظهاركم الايمان واسراركم الكفر واضماره
فان فعلتم ما تكشفون به غطاءكم لم يبق الا السيف او يتعلق بقوله قل لهم اي قل لهم في معنى انفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية
على النفاق قولا بليغا وان الله يعلم ما في قلوبكم لا يخفى عليه فلا يغني عنكم ابطانه فاصلحوا انفسكم وطهروا قلوبكم وداووها
من مرض النفاق والا انزل الله بكم ما انزل بالمجاهرين بالشرك من انتقامه وشرا من ذلك واغلظ او قل لهم في انفسهم خاليا بهم ليس معهم
غيرهم مسارا لهم بالنصيحة لانها في السر انجع وفي الامحاض ادخل قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم وما أرسلنا من رسول إلا
ليطاع بإذن الله بسبب اذن الله في طاعته وبانه امر المبعوث اليهم بان يطيعوه ويتبعوه لانه مؤدي
عنه فطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله ومن يطع الرسول فقد اطاع الله ويجوز ان يراد بتيسير الله وتوفيقه في
طاعته ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم بالتحاكم الى الطاغوت جاؤوك تائبين من النفاق متنصلين عما ارتكبوا فاستغفروا الله
من ذلك بالاخلاص واستغفر لهم الرسول واعتذروا اليك حتى انتصبت شفيعا لهم الى الله
ومستغفرا لوجدوا الله توابا رحيما ۝ لعلموه توابا اي لتاب عليهم ولم يقل واستغفرت لهم وعدل عنه الى طريقة الالتفات
تفخيما لشانه صلى الله عليه وعلى آله وسلم وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على ان شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان فلا وربك
لا يؤمنون معناه فوربك كقوله فوربك لنسألنهم ولا مزيدة لتأكيد معنى القسم كما زيدت في لئلا يعلم لتأكيد وجوب العلم
ولا يؤمنون جواب القسم فان قلت هلا زعمت انها زيدت لتظاهر لا في لا يؤمنون قلت يأبى ذلك استواء النفي والاثبات
فيه وذلك قوله فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم حتى يحكموك فيما شجر بينهم فيما اختلف بينهم واختلط ومنه
الشجر لتداخل اغصانه ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا ضيقا اي لا تضيق صدورهم مما قضيت من حكمك وقيل شكا لان الشاك
في ضيق من امره حتى يلوح له اليقين ويسلموا تسليما ۝ وينقادوا ويذعنوا لما تأتي به من قضائك لا يعارضونه بشيء من قولك سلم
لامر الله واسلم له وحقيقته سلم نفسه واسلمها اذا جعلها سالمة له خالصة وتسليما تأكيد للفعل بمنزلة تكريره كانه قيل وينقادوا
لحكمه انقيادا لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم قيل نزلت في شأن المنافق واليهودي وقيل في شأن الزبير وحاطب بن ابي بلتعة وذلك
انهما اختصما الى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك
فغضب حاطب فقال لان كان ابن عمتك فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر واستوف
حقك ثم ارسله الى جارك كان قد اشار الى الزبير براي فيه السعة له ولخصمه فلما احفظ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم استوعب
للزبير حقه في صريح الحكم ثم خرجا فمرا على المقداد فقال لمن كان القضاء فقال الانصاري قضى لابن عمته ولوى شدقه ففطن يهودي
كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة في حياة
موسى فدعانا موسى الى التوبة منه فقال اقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس اما

والله

والله ان الله ليعلم مني الصدق ولو امرني محمد ان اقتل نفسي لقتلتها وروي انه قال ذلك ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر
فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم والذي نفسي بيده ان من امتي رجالا الايمان اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي وروي
عن عمر بن الخطاب انه قال والله لو امرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذي لم يفعل بنا ذلك فنزلت الآية في شأن حاطب ونزلت في شأن
هؤلاء ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم اي لو اوجبنا عليهم مثل ما اوجبنا على بني اسرائيل
من قتلهم انفسهم او خروجهم من ديارهم حين استتيبوا من عبادة العجل ما فعلوه إلا قليل منهم وهذا توبيخ عظيم
والرفع على البدل من الواو في فعلوه وقرئ الا قليلا بالنصب على اصل الاستثناء او على الا فعلا قليلا ولو أنهم فعلوا ما يوعظون
به من اتباع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وطاعته والانقياد لما يراه ويحكم به لانه الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى
لكان خيرا لهم في عاجلهم وآجلهم وأشد تثبيتا ۝ لايمانهم وابعد من الاضطراب فيه وإذا جواب لسؤال مقدر كانه قيل
وماذا يكون لهم ايضا بعد التثبيت فقيل واذا لو تثبتوا لآتيناهم لان اذا جواب وجزاء من لدنا أجرا عظيما ۝ كقوله ويؤت من
لدنه اجرا عظيما في ان المراد العطاء المتفضل به من عنده وتسميته اجرا لانه تابع للاجر لا يثبت الا باثباته ولهديناهم صراطا
مستقيما ۝ وللطفنا بهم ووفقناهم لازدياد الخيرات ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم
من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ۝ الصديقون افاضل صحابة الانبياء صلى الله عليهم وعلى آله وسلم الذين تقدموا في تصديقهم
كابي بكر الصديق رضي الله عنه وصدقوا في اقوالهم وافعالهم وهذا ترغيب للمؤمنين في الطاعة حيث وعدوا مرافقة اقرب
عباد الله الى الله وارفعهم درجات عنده وحسن أولئك رفيقا ۝ فيه معنى التعجب كانه قيل وما احسن اولئك رفيقا ولاستقلاله
بمعنى التعجب قرئ وحسن بسكون السين يقول المتعجب حسن الوجه وجهك وحسن الوجه وجهك بالفتح والضم مع التسكين والرفيق
كالصديق والخليط في استواء الواحد والجمع فيه ويجوز ان يكون مفردا بين به الجنس في باب التمييز وروي ان ثوبان مولى رسول الله
صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قليل الصبر عنه فاتاه يوما وقد تغير وجهه
ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن حاله فقال يا رسول الله ما بي من وجع غير اني اذا لم اراك
اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك فذكرت الآخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع
النبيين وان ادخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم والذي
نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى اكون احب اليه من نفسه وابويه واهله وولده والناس اجمعين وحكي ذلك عن جماعة من الصحابة
ذلك الفضل من الله ذلك مبتدأ والفضل صفته ومن الله الخبر ويجوز ان يكون ذلك مبتدأ والفضل من الله خبره والمعنى ان ما
اعطي المطيعون من الاجر العظيم ومرافقة المنعم عليهم من الله لانه تفضل به عليهم تبعا لثوابهم وكفى بالله عليما ۝ بجزاء
من اطاعه او اراد ان فضل المنعم عليهم ومزيتهم من الله لانهم اكتسبوه بتمكينه وتوفيقه وكفى بالله عليما بعباده فهو
يوفقهم على حسب احوالهم يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم الحذر والحذر بمعنى كالإثر والأثر يقال اخذ حذره اذا تيقظ
واحترز من المخوف كانه جعل الحذر آلته التي يقي بها نفسه ويعصم بها روحه والمعنى احذروا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه
من انفسكم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا ۝ فانفروا واذا انفرتم الى العدو فاما ثبات جماعات متفرقة سرية بعد سرية واما
جميعا اي مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتخاذلوا فتلقوا بانفسكم الى التهلكة وقرئ فانفروا بضم الفاء وإن منكم لمن ليبطئن
اللام في منكم للابتداء بمنزلتها في قوله ان الله لغفور وفي ليبطئن جواب قسم محذوف تقديره وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن
والقسم وجوابه صلة من والضمير الراجع منها اليه ما استكن في ليبطئن والخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم
والمبطئون منهم المنافقون لانهم كانوا يغزون معهم نفاقا ومعنى ليبطئن ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد وبطأ بمعنى ابطأ كعتم
بمعنى اعتم اذا ابطأ وقرئ ليبطئن بالتخفيف يقال بطأ على فلان وابطأ علي وبطؤ كقولك ثقل من بطائك فتعدى بالباء ويجوز ان يكون
منقولا من بطؤ نحو ثقل من ثقل فيراد ليبطئن غيره وليثبطنه عن الغزو وكان هذا ديدن المنافق عبد الله بن ابي وهو الذي
ثبط الناس يوم احد فإن أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيدا ۝ ولئن أصابكم
فضل من الله من فتح او غنيمة ليقولن وقرئ الحسن ليقولن بضم اللام اعادة للضمير الى معنى من لان قوله لمن ليبطئن في معنى
الجماعة وقوله كأن لم تكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل الذي هو ليقولن وبين مفعوله وهو يا ليتني كنت
معهم فأفوز فوزا عظيما ۝ والمعنى كأن لم يتقدم له معكم موادة لان المنافقين كانوا يوادون المؤمنين ويصادقونهم
في الظاهر وان كانوا يبغون لهم الغوائل في الباطن والظاهر انه تهكم لانهم كانوا اعدى عدو للمؤمنين واشدهم حسدا لهم فكيف
يوصفون بالمودة الا على وجه العكس تهكما بحالهم وقرئ فأفوز بالرفع عطفا على كنت معهم لينتظم الكون معهم والفوز
معنى التمني فيكونا متمنيين جميعا ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف بمعنى فانا افوز في ذلك الوقت فليقاتل في سبيل الله الذين
يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما ۝ يشرون
بمعنى يشترون ويبيعون قال ابن مفرغ ۝ وشريت بردا ليتني ۝ من بعد برد كنت هامه ۝ فالذين يشرون الحياة الدنيا

بالاخرة هم المبطئون وعظوا بان يغيروا ما بهم من النفاق ويخلصوا الايمان بالله وبرسوله ويجاهدوا في سبيل الله حق الجهاد والذين
يتبعون هم المؤمنون الذين يشترون الحياة الدنيا بالآخرة اي يستبدلونها بها ويختارون الآجلة على العاجلة ويستبدلونها بها والمعنى ان صد الذين مرضت قلوبهم وضعف
نياتهم عن القتال فليقاتل الثابتون المخلصون ووعد المقاتل في سبيل الله ظافرا او مظفورا به ايتاء الاجر العظيم على اجتهاده في
اعزاز دين الله **وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا**
أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ۝ والمستضعفين فيه وجهان
ان يكون مجرورا عطفا على سبيل الله اي في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين ومنصوبا على الاختصاص يعني واختص من سبيل
الله خلاص المستضعفين لان سبيل الله عام في كل خير وخلاص المستضعفين من المسلمين من ايدي الكفار من اعظم الخير واخصه
والمستضعفون هم الذين اسلموا بمكة وصدهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين اظهرهم مستذلين مستضعفين يلقون منهم الاذى الشديد
وكانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه فيسر الله لبعضهم الخروج الى المدينة وبقي بعضهم الى الفتح حتى جعل الله لهم من لدنه خير
ولي وناصر وهو محمد صلى الله عليه وعلى اله وسلم فتولاهم احسن التولي ونصرهم اقوى النصر ولما خرج استعمل على اهل مكة عتاب بن اسيد فراوا
منه الولاية والنصرة كما ارادوا قال ابن عباس رضي الله عنهما كان ينصر الضعيف من القوي حتى كانوا اعز بها من الظلمة **فان قلت**
لم ذكر الولدان **قلت** تسجيلا بافراط ظلمهم حيث بلغ اذاهم الولدان غير المكلفين ارغاما لآبائهم وامهاتهم ومبغضة لهم
لمكانهم ولان المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم في دعائهم استنزالا لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل قوم يونس
وكما وردت السنة باخراجهم في الاستسقاء وعن ابن عباس رضي الله عنهما كنت انا وامي من المستضعفين من النساء والولدان ويجوز ان
يراد بالرجال والنساء الاحرار والحرائر وبالولدان العبيد والاماء لان العبد والامة يقال لهما الوليد والوليدة وقيل للولدان والولائد
الولدان لتغليب الذكور على الاناث كما يقال الآباء والاخوة **فان قلت** لم ذكر الظالم وموصوفه مؤنث **قلت** هو وصف للقرية الا انه
مسند الى اهلها فاعطي اعراب القرية لانه صفتها وذكر لاسناده الى الاهل كما تقول من هذه القرية التي ظلم اهلها ولو انث فقيل الظالمة
اهلها لجاز لا لتانيث الموصوف ولكن لان الاهل يذكر ويؤنث **فان قلت** هل يجوز من هذه القرية الظالمين اهلها **قلت** نعم كما تقول
التي ظلموا اهلها على لغة من يقول اكلوني البراغيث ومنه واسروا النجوى الذين ظلموا **الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ**
كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ۝ رغب الله المؤمنين
ترغيبا وشجعهم تشجيعا باخبارهم انهم انما يقاتلون في سبيل الله فهو وليهم وناصرهم واعداؤهم يقاتلون في سبيل الشيطان فلا ولي
لهم الا الشيطان وكيد الشيطان للمؤمنين الى جنب كيد الله للكافرين اضعف شيء واوهنه **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ**
وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً كفوا ايديكم
اي كفوها عن القتال وذلك ان المسلمين كانوا مكفوفين عن مقاتلة الكفار ما داموا بمكة وكانوا يتمنون ان يؤذن لهم فيه فلما كتب
عليهم القتال بالمدينة كع فريق منهم لا شكا في الدين ولا رغبة عنه ولكن نفورا عن الاخطار بالارواح وخوفا من الموت كخشية الله من
اضافة المصدر الى المفعول **فان قلت** ما محل كخشية الله من الاعراب **قلت** محلها النصب على الحال من الضمير في يخشون
اي يخشون الناس مثل اهل خشية الله او اشد معطوف على الحال **فان قلت** لم عدلت عن الظاهر وهو كونه صفة للمصدر ولم
تقدر يخشون خشية مثل خشية الله بمعنى مثل ما يخشى الله **قلت** ابى ذلك قوله او اشد خشية لانه وما عطف عليه في حكم واحد ولو قلت
يخشون الناس اشد خشية لم يكن الا حالا عن ضمير الفريق ولم ينتصب انتصاب المصدر لانك لا تقول خشي فلان اشد خشية فتنصب
خشية وانت تريد المصدر انما تقول اشد خشية فتجرها واذا نصبتها لم يكن اشد خشية عبارة عن الفاعل حالا منه اللهم الا ان تجعل
الخشية خاشية وذات خشية على قولهم جد جده فتزعم ان معناه يخشون الناس خشية مثل خشية الله او خشية اشد خشية من خشية
الله ويجوز على هذا ان يكون محل اشد مجرورا عطفا على خشية الله يريد كخشية الله او كخشية اشد خشية منها **وَقَالُوا رَبَّنَا**
لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۝ استزادة في مدة الكف واستمهال الى وقت آخر كقوله لولا اخرتني الى اجل قريب
فاصدق **قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا** ۝ ولا تنقصون ادنى شيء من اجوركم على مشاق القتال
فلا ترغبوا عنه وقرئ ولا يظلمون بالياء **أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ** وقرئ يدرككم
بالرفع وقيل هو على حذف الفاء كانه قيل فيدرككم الموت وشبه بقول القائل ۝ من يفعل الحسنات الله يشكرها ۝ ويجوز ان يقال
حمل على ما يقع موقع اينما تكونوا وهو اينما كنتم كما حمل ولا ناعب على ما يقع موقع ليسوا مصلحين وهو ليسوا بمصلحين فرفع كما رفع زهير ۝
يقول لا غائب مالي ولا حرم ۝ وهو قول نحوي سيبويه ويجوز ان يتصل بقوله ولا تظلمون فتيلا اي ولا تنقصون شيئا مما كتب من آجالكم
اينما تكونوا في ملاحم حروب او غيرها ثم ابتدأ قوله يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة والوقف على هذا الوجه على اينما تكونوا
والبروج الحصون مشيدة مرفعة وقرئ مشيدة من شاد القصر اذا رفعه او طلاه بالشيد وهو الجص وقرأ نعيم بن ميسرة
مشيدة بكسر الياء وصفا لها بفعل فاعلها مجازا كما قالوا قصيدة شاعرة وانما الشاعر فارضها **وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ**
عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ السيئة تقع على البلية والحسنة على النعمة والطاعة قال الله تعالى وبلوناهم

بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون وقال ان الحسنات يذهبن السيئات والمعنى وان تصبهم نعمة من خصب ورخاء نسبوها
الى الله وان تصبهم بلية من قحط وشدة اضافوها اليك وقالوا هي من عندك وما كانت الا بشؤمك كما حكى الله عن قوم موسى
وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وعن قوم صالح قالوا اطيرنا بك وبمن معك وروي عن اليهود لعنت انها تشاءمت
برسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم فقالوا منذ دخل المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها فرد الله عليهم بقوله **قُلْ كُلٌّ**
مِّنْ عِندِ اللَّهِ يبسط الارزاق ويقبضها على حسب المصالح **فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا** ۝ فيعلمون ان الله هو
الباسط القابض وكل ذلك صادر عن حكمة وصواب ثم قال **مَّا أَصَابَكَ** يا انسان خطابا عاما **مِنْ حَسَنَةٍ** اي من نعمة واحسان
فَمِنَ اللَّهِ تفضلا منه واحسانا وامتنانا وامتحانا **وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ** اي من بلية ومصيبة **فَمِن نَّفْسِكَ** فمن عندك لانك السبب
فيها بما اكتسبت يداك وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وعن عائشة رضي الله عنها ما من مسلم
يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر **وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ**
رَسُولًا اي رسولا للناس جميعا لست برسول العرب وحدهم انت رسول العرب والعجم كقوله وما ارسلناك الا كافة للناس
وقل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا **وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا** ۝ على ذلك فما ينبغي لاحد ان يخرج عن طاعتك واتباعك
مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ لانه لا يامر الا بما امر الله به ولا ينهى الا عما نهى الله عنه فكانت طاعته في امتثال ما امر به والانتهاء عما
نهى عنه طاعة لله وروي انه قال من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون الا تسمعون الى ما يقول هذا الرجل
لقد قارف الشرك وهو ينهى ان يعبد غير الله ما يريد هذا الرجل الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت **وَمَن تَوَلَّىٰ** عن الطاعة
واعرض عنه **فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا** ۝ فما ارسلناك الا نذيرا لا حفيظا ومهيمنا عليهم تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم
كقوله وما انت عليهم بوكيل **وَيَقُولُونَ** اذا امرتهم بشيء **طَاعَةٌ** بالرفع اي امرنا وشاننا طاعة ويجوز النصب بمعنى اطعناك طاعة
وهذا من قول المرتسم سمعا وطاعة وسمع وطاعة ونحوه قول سيبويه وسمعنا بعض العرب الموثوق بهم يقال له كيف اصبحت فيقول حمد الله
وثناء عليه كانه قال امري وشاني حمد الله وثناء عليه ولو نصب حمد الله وثناء عليه كان على الفعل والرفع يدل على ثبات الطاعة واستقرارها
فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ زورت طائفة **مِّنْهُمْ** وسوت **غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ** خلاف ما قلت وما امرت به او خلاف ما
قالت وما ضمنت من الطاعة لانهم ابطنوا الرد لا القبول والعصيان لا الطاعة وانما ينافقون بما يقولون ويظهرون والتبييت اما من
البيتوتة لانه قضاء الامر وتدبيره بالليل يقال هذا امر بيت بليل واما من ابيات الشعر لان الشاعر يدبرها ويسويها **وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا**
يُبَيِّتُونَ ۝ يثبته في صحائف اعمالهم ويجازيهم عليه على سبيل الوعيد او يكتبه في جملة ما يوحي اليك فيطلعك على اسرارهم فلا يحسبوا
ان ابطانهم يغني عنهم **فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ** ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم **وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ** في شانهم **وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا** ۝ فان
الله يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم اذا قوي امر الاسلام وعز انصاره وقرئ بيت طائفة بالادغام وتذكير الفعل لان تانيث
الطائفة غير حقيقي ولانها في معنى الفريق والفوج **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ** يتاملون معانيه ويتبصرون ما فيه وتدبر الامر تامله والنظر في ادباره وما يؤول اليه في
عاقبته ومنتهاه ثم استعمل في كل تامل فمعنى تدبر القرآن تامل معانيه وتبصر ما فيه **وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا**
كَثِيرًا ۝ لكان الكثير منه مختلفا متناقضا قد تفاوت نظمه وبلاغته ومعانيه فكان بعضه بالغا حد الاعجاز وبعضه
قاصرا عنه يمكن معارضته وبعضه اخبارا بغيب قد وافق المخبر عنه وبعضه اخبارا مخالفا للمخبر عنه وبعضه دالا على معنى صحيح
عند علماء المعاني وبعضه دالا على معنى فاسد غير ملتئم فلما تجاوب كله بلاغة معجزة فائتة لقوى البلغاء وتناصر صحة معان وصدق
اخبار علم انه ليس الا من عند قادر على ما لا يقدر عليه غيره عالم بما لا يعلمه احد سواه **فان قلت** اليس نحو قوله فاذا هي ثعبان مبين
كانها جان فورب لنسألنهم اجمعين فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان من الاختلاف **قلت** ليس باختلاف عند المتدبرين **وَإِذَا جَاءَهُمْ**
أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ هم ناس من ضعفة المسلمين الذين لم يكن فيهم خبرة بالاحوال ولا استبطان للامور كانوا اذا بلغهم خبر
عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم من امن وسلامة او خوف وخلل اذاعوا به وكانت اذاعتهم مفسدة **وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ**
ولو ردوا ذلك الخبر الى رسول الله **وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ** وهم كبار الصحابة البصراء بالامور او الذين كانوا يؤمرون منهم **لَعَلِمَهُ**
لعلم تدبير ما اخبروا به **الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ** الذين يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكائدها
وقيل كانوا يقفون من رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم واولي الامر على امن ووثوق بالظهور على بعض الاعداء او على خوف واستشعار
فيذيعونه فينتشر فيبلغ الاعداء فتعود اذاعتهم مفسدة ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم وفوضوه اليهم وكانوا كان لم يسمعوا
لعلم الذين يستنبطونه تدبيره كيف يدبرونه وما ياتون ويذرون فيه وقيل كانوا يسمعون من افواه المنافقين شيئا من الخبر عن السرايا مظنونا غير معلوم
الصحة فيذيعونه فيعود ذلك وبالا على المؤمنين ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم وقالوا نسكت حتى نسمعه منهم ونعلم هل
هو مما يذاع او لا يذاع لعلمه الذين يستنبطونه منهم لعلم صحته وهل هو مما يذاع او لا يذاع هؤلاء المذيعون وهم الذين يستنبطونه
من الرسول واولي الامر اي يتلقونه منهم ويستخرجون علمه من جهتهم يقال اذاع السر واذاع به قال ۝ اذاع به في الناس حتى كانه
بعلياء نار اوقدت بثقوب ۝ ويجوز ان يكون المعنى فعلوا به الاذاعة وهو ابلغ من اذاعوه وقرئ لعلمه باسكان اللام كقوله ۝

فان اهله يحتكرونه كاضحر بازل ۞ من الأدم ديرت صفحتاه وغاربه ۞ والنبط الماء يخرج من البئر اول ما تحفر وانباطه
واستنباطه اخراجه واستخراجه فاستعير لما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعاني والتدابير فيما يعضل ويهم ولولا فضل
الله عليكم ورحمته وهو ارسال الرسول وانزال الكتب والتوفيق لاتبعتم الشيطان لبقيتم على الكفر الا قليلا منكم او الا
اتباعا قليلا لما ذكر في الآي قبلها تثبطهم عن القتال واظهارهم الطاعة واضمارهم خلافها قال فقاتل في سبيل الله ان افردوك
وتركوك وحدك لا تكلف الا نفسك غير نفسك وحدها ان تقدمها الى الجهاد فان الله هو ناصرك لا الجنود فان شاء نصرك
وحدك كما نصرك وحولك الالوف قيل دعا الناس في بدر الصغرى الى الخروج وكان ابو سفيان واعد رسول الله صلى الله عليه
وعلى آله وسلم اللقاء فيها فكره بعض الناس ان يخرجوا فنزلت فخرج وما معه الا سبعون لم يلو على احد ولو لم يتبعه احد لخرج وحده
وقرئ لا تكلف بالجزم على النهي ولا نكلف بالنون وكسر اللام اي لا نكلفك الا نفسك وحدها وحرض المؤمنين وما عليك
في شأنهم الا التحريض فحسب لا التعنيف بهم عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا وهم قريش وقد كف بأسهم فقد بدا لابي
سفيان وقال هذا عام مجدب وما كان معهم زاد الا السويق ولا يلقون الا في عام مخصب فرجع بهم والله اشد بأسا من قريش واشد
تنكيلا ۞ تعذيبا منهم من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها الشفاعة
الحسنة هي التي روعي بها حق مسلم ودفع بها عنه شر او جلب اليه خير وابتغي بها وجه الله ولم تؤخذ عليها رشوة وكانت في امر جائز لا في حد
من حدود الله ولا في حق من الحقوق والسيئة ما كانت بخلاف ذلك وعن مسروق انه شفع شفاعة فاهدى اليه المشفوع له جارية
فغضب وردها وقال لو علمت ما في قلبك ما تكلمت في حاجتك ولا اتكلم فيما بقي منها وقيل الشفاعة الحسنة هي الدعوة للمسلم لانها
في معنى الشفاعة الى الله وعن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك فذلك
النصيب والدعوة على المسلم بضد ذلك وكان الله على كل شيء مقيتا ۞ شهيدا حفيظا وقيل مقتدرا واقات على الشيء قال الزبير بن عبد
المطلب ۞ وذي ضغن كففت النفس عنه ۞ وكنت على اساءته مقيتا ۞ وقال السموأل ۞ الي الفضل ام علي اذا حوسبت ۞ اني على
الحساب مقيت ۞ واشتقاقه من القوت لانه يمسك النفس ويحفظها واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها الا احسن منها بان
تقول وعليكم السلام ورحمة الله اذا قال السلام عليكم وان تزيد وبركاته اذا قالها ورحمة الله وروي ان رجلا قال لرسول الله صلى
الله عليه وعلى آله وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال
وعليك فقال الرجل نقصتني فاين ما قال الله وتلا الآية فقال انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله او ردوها او اجيبوها بمثلها
ورد السلام ورجعه جوابه بمثله لان المجيب يرد قول المسلم ويكرره وجواب التسليمة واجب والتخيير بين الزيادة وتركها وعن ابي يوسف
رحمه الله من قال لآخر اقرئ فلانا مني السلام وجب عليه ان يفعل وعن النخعي السلام سنة والرد فريضة وعن ابن عباس الرد واجب
وما من رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه الا نزع عنهم روح القدس وردت عليه الملائكة ولا يرد السلام في
الخطبة وقراءة القرآن جهرا ورواية الحديث وعند مذاكرة العلم والاذان والاقامة وعن ابي يوسف لا يسلم على لاعب النرد والشطرنج
والمغني والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعاري من غير عذر في حمام او غيره وذكر الطحاوي ان المستحب رد السلام على الطهارة وعن
النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم انه تيمم لرد السلام قالوا ويسلم الرجل اذا دخل على امرأته ولا يسلم على اجنبية ويسلم الماشي على القاعد
والراكب على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والاقل على الاكثر واذا التقيا ابتدرا وعن ابي حنيفة لا يجهر
بالرد يعني الجهر الكثير وعن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم اي وعليكم ما قلتم لانهم كانوا
يقولون السام عليكم وروي لا تبتدئ اليهودي بالسلام وان بداك فقل وعليك وعن الحسن يجوز ان تقول للكافر وعليك السلام ولا تقل
ورحمة الله فانها استغفار وعن الشعبي انه قال لنصراني سلم عليه وعليك السلام ورحمة الله فقيل له فقال اليس في رحمة الله يعيش
وقد رخص بعض العلماء في ان يبدأ اهل الذمة بالسلام اذا دعت الى ذلك حاجة تحوج اليهم وروي ذلك عن النخعي وعن ابي حنيفة رضي الله
عنه لا يبدأ بسلام في كتاب ولا غيره وعن ابي يوسف لا يسلم عليهم ولا يصافحهم واذا دخلت فقل السلام على من اتبع الهدى ولا بأس بالدعاء
له بما يصلحه في دنياه ان الله كان على كل شيء حسيبا ۞ اي يحاسبكم على كل شيء من التحية وغيرها الله لا اله الا هو مبتدأ وخبر او لا اله الا هو
خبر للمبتدأ واما اعتراض والخبر ليجمعنكم ومعناه الله والله ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه اي ليحشرنكم اليه والقيامة
والقيام كالطلابة والطلاب وهي قيامهم من القبور او قيامهم للحساب قال الله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين ومن اصدق من الله
حديثا ۞ لانه عز وعلا صادق لا يجوز عليه الكذب وذلك ان الكذب مستقبح بصارف عن الاقدام عليه وهو قبحه ووجه قبحه الذي هو
كونه كذبا واخبارا عن الشيء بخلاف ما هو عليه فمن كذب لم يكذب الا لانه محتاج الى ان يكذب ليجر منفعة او يدفع مضرة او هو غني عنه الا
انه يجهل غناه عنه او هو جاهل بقبحه او هو سفيه لا يفرق بين الصدق والكذب في اخباره ولا يبالي بايهما نطق وربما كان الكذب احلى
على حنكه من الصدق وعن بعض السفهاء انه عوتب على الكذب فقال له لو غرغرت لهواتك به ما فارقته وقيل لكذاب هل صدقت
قط فقال لولا اني صادق في قولي لا لقلتها فكان الغني الحكيم الذي لا يجوز عليه الحاجات العالم بكل معلوم منزها عنه كما هو منزه عن سائر
القبائح فما لكم في المنافقين فئتين فئتين نصب على الحال كقولك ما لك قائما روي ان قوما استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم
في الخروج الى البدو معتلين باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون فيهم

فقال بعضهم هم كفار وقال بعضهم هم مسلمون وقيل كانوا قوما هاجروا من مكة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا الى رسول الله
انا على دينك وما اخرجنا الا اجتواء المدينة والاشتياق الى بلدنا وقيل هم قوم خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوم
احد ثم رجعوا وقيل هم العرنيون الذين اغاروا وساقوا السرح وقيل قوم اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة
ومعناه ما لكم اختلفتم في شأن قوم نافقوا نفاقا ظاهرا وتفرقتم فيه فرقتين وما لكم لا تثبتوا القول بكفرهم والله
اركسهم اي ردهم في حكم المشركين كما كانوا بما كسبوا من ارتدادهم ولحوقهم بالمشركين واحتيالهم على رسول الله صلى الله عليه
وعلى آله وسلم او اركسهم في الكفر بان خذلهم حتى ارتكسوا فيه لما علم من مرض قلوبهم اتريدون ان تهدوا ان تجعلوا من جملة
المهتدين من اضل الله من جعله من جملة الضلال او حكم عليه بذلك او خذله حتى ضل وقرئ ركسهم وركسوا فيها ومن يضلل الله
فلن تجد له سبيلا ۞ ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله
فتكونون عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمني لجاز والمعنى ودوا كفركم وكونكم معهم شرعا واحدا فيما هم عليه من الضلال
واتباع دين الآباء فلا تتولوهم وان آمنوا حتى يظاهروا ايمانهم بهجرة صحيحة هي لله ورسوله لا لغرض من اغراض الدنيا مستقيمة
ليس بعدها بدو ولا تعرب فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا ۞ فان
تولوا عن الايمان المظاهر بالهجرة الصحيحة المستقيمة فحكمهم حكم سائر المشركين يقتلون حيث وجدوا في الحل والحرم وجانبوهم
مجانبة كلية وان بذلوا لكم الولاية والنصرة فلا تقبلوا منهم الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق استثناء من قوله
فخذوهم واقتلوهم ومعنى يصلون الى قوم ينتهون اليهم ويتصلون بهم وعن ابي عبيدة هو من الانتساب وصلت الى فلان واتصلت
به اذا انتسبت اليه وقيل ان الانتساب لا اثر له في منع القتال فقد قاتل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من معه من هو من انسابهم والقوم
هم الاسلميون وكان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عهد وذلك انه وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر
الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه وعلى ان من وصل الى هلال ولجأ اليه فله من الجوار مثل الذي لهلال وقيل القوم بنو بكر بن زيد مناة كانوا في الصلح او
جاؤكم لا يخلو من ان يكون معطوفا على صفة قوم كانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او قوم ممسكين عن القتال لا لكم
ولا عليهم او على صلة الذين كانه قيل الا الذين يتصلون بالمعاهدين او الذين لا يقاتلونكم والوجه العطف على الصلة لقوله فان اعتزلوكم
فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا بعد قوله فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم فقرر ان كفهم
عن القتال احد سببي استحقاقهم لنفي التعرض عنهم وترك الايقاع بهم فان قلت كل واحد من الاتصالين له تأثير في صحة
الاستثناء واستحقاق ازالة التعرض الاتصال بالمعاهدين والاتصال بالكافين لان الاتصال بهؤلاء او بهؤلاء داخل في حكمهم فهلا جوز
ان يكون العطف على صفة قوم ويكون قوله فان اعتزلوكم تقريرا لحكم اتصالهم بالكافين واختلاطهم بهم وجريهم على سننهم
قلت هو جائز ولكن الاول اظهر واجرى على اسلوب الكلام وفي قراءة ابي بينكم وبينهم ميثاق جاؤكم حصرت صدورهم بغير واو
ووجهه ان يكون جاؤكم بيانا ليصلون او بدلا او استئنافا او صفة بعد صفة لقوم حصرت صدورهم في موضع الحال باضمار قد
والدليل عليه قراءة من قرأ حصرة صدورهم وحصرات صدورهم وجعله المبرد صفة لموصوف محذوف على او جاؤكم قوما حصرت
صدورهم وقيل هو بيان لجاؤكم وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض وحاصرات
صدورهم وحصرات ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم عن ان يقاتلوكم او كراهة ان يقاتلوكم ولو شاء الله لسلطهم عليكم
فلقاتلوكم فان قلت كيف يجوز ان يسلط الله الكفرة على المؤمنين قلت ما كانت مكافتهم الا لقذف الله الرعب في
قلوبهم ولو شاء لمصلحة يراها من ابتلاء ونحوه لم يقذفه فكانوا متسلطين مقاتلين غير مكافين فذلك معنى التسليط وقرئ فلقتلوكم
بالتخفيف والتشديد فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم فان لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم السلم اي الانقياد والاستسلام
وقرئ بسكون اللام مع فتح السين فما جعل الله لكم عليهم سبيلا ۞ فما اذن لكم في اخذهم وقتلهم ستجدون آخرين يريدون
ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم هم قوم من اسد وغطفان كانوا اذا اتوا المدينة اسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين فاذا رجعوا الى
قومهم كفروا ونكثوا عهودهم كلما ردوا الى الفتنة كلما دعاهم قومهم الى قتال المسلمين اركسوا فيها قلبوا فيها اقبح قلب واشنعه
وكانوا شرا فيها من كل عدو فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا ايديهم فخذوهم واقتلوهم حيث
ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا ۞ حجة واضحة لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم
في الكفر والغدر واضرارهم باهل الاسلام او تسلطا ظاهرا حيث اذنا لكم في قتلهم وما كان لمؤمن وما صح له ولا استقام ولا لاق
بحاله كقوله وما كان لنبي ان يغل وما كان لنا ان نعود ان يقتل مؤمنا ابتداء من غير قصاص الا خطأ الا على وجه الخطأ فان
قلت بم انتصب خطأ قلت بانه مفعول له اي ما ينبغي له ان يقتله لعلة من العلل الا للخطأ وحده ويجوز ان يكون حالا بمعنى لا يقتله
في حال من الاحوال الا في حال الخطأ وان يكون صفة للمصدر الا قتلا خطأ والمعنى ان من شأن المؤمن ان ينتفي عنه وجود قتل المؤمن ابتداء البتة
الا اذا وجد منه خطأ من غير قصد بان يرمي كافرا فيصيب مسلما او يرمي شخصا على انه كافر فاذا هو مسلم وقرئ الا خطاء بالمد وقرئ خطا
بوزن عما بتخفيف الهمزة وروي ان عياش بن ابي ربيعة وكان اخا ابي جهل لامه اسلم وهاجر خوفا من قومه الى المدينة وذلك قبل هجرة

رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فأقسمت أمه لا تأكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج أبو جهل ومعه الحرث بن زيد بن
أبي أنيسة فأتياه وهو في أطم ففتل منه أبو جهل في الذروة والغارب وقال أليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر أمك وأنت
على دينك حتى نزل وذهب معهما فلما فسحا عن المدينة كتفاه وجلده كل واحد مائة جلدة فقال للحرث هذا أخي فمن أنت يا حارث لله علي
إن وجدتك خاليا أن أقتلك وقدم على أمه فحلفت لا يحل كتافه أو يرتد ففعل ثم هاجر بعد ذلك وأسلم الحرث وهاجر فلقيه
عياش بظهر قباء ولم يشعر بإسلامه فأنحى عليه فقتله ثم أخبر بإسلامه فأتى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال قتلته ولم أشعر بإسلامه
فنزلت ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ فعليه تحرير رقبة والتحرير الإعتاق والحر والعتيق الكريم لأن الكرم في الأحرار
كما أن اللؤم في العبيد ومنه عتاق الخيل وعتاق الطير لكرامها وحر الوجه أكرم موضع منه وقولهم للئيم عبد وفلان عبد الفعل أي
لئيم الفعل والرقبة عبارة عن النسمة كما عبر عنها بالرأس في قولهم فلان يملك كذا رأسا من الرقيق والمراد برقبة مؤمنة كل رقبة كانت
على حكم الإسلام عند عامة العلماء وعن الحسن لا تجزي إلا رقبة قد صلت وصامت ولا تجزي الصغيرة وقاس عليه كفارة الظهار فاشترط
الإيمان وقيل لما أخرج نفسا مؤمنة عن جملة الأحياء لزمه أن يدخل نفسا مثلها في جملة الأحرار لأن إطلاقها من قيد الرق كإحيائها من قبل
أن الرقيق ممنوع من تصرف الأحرار ﴿وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ مؤداة إلى ورثته يقتسمونها كما يقتسمون الميراث لا فرق بينها وبين سائر
التركة في كل شيء يقضى منها الدين وتنفذ الوصية وإذا لم يبق وارث فهي لبيت المال لأن المسلمين يقومون مقام الورثة كما قال رسول الله
صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنا وارث من لا وارث له وعن عمر رضي الله عنه أنه قضى به المقتول فجاءت امرأته تطلب ميراثها من عقله فقال
لا أعلم لك شيئا إنما الدية للعصبة الذين يعقلون عنه فقام الضحاك بن سفيان الكلابي فقال كتب إلي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم
يأمرني أن أورث امرأة أشيم الضبابي من عقل زوجها أشيم فورثها عمر وعن ابن مسعود يرث كل وارث من الدية غير القاتل وعن شريك
لا يقضى من الدية دين ولا تنفذ وصية وعن ربيعة الغرة لأم الجنين وحدها وذلك خلاف قول الجماعة **فإن قلت** على من تجب الدية
والرقبة **قلت** على القاتل إلا أن الرقبة في ماله والدية يتحملها عنه العاقلة فإن لم تكن له عاقلة فهي في بيت المال فإن لم يكن ففي ماله ﴿إِلَّا أَن يَصَّدَّقُوا﴾
إلا أن يتصدقوا عليه بالدية ومعناه العفو كقوله إلا أن يعفون ونحوه وأن تصدقوا خير لكم وعن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كل
معروف صدقة وقرأ أبي إلا أن يتصدقوا **فإن قلت** بم تعلق أن يصدقوا وما محله **قلت** تعلق بعليه أو بمسلمة كأنه قيل وتجب
عليه الدية أو يسلمها إلا حين يتصدقون عليه ومحلها النصب على الظرف بتقدير حذف الزمان كقولهم اجلس ما دام زيد جالسا ويجوز
أن يكون حالا من أهله بمعنى إلا متصدقين ﴿فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ من قوم كفار أهل حرب وذلك
نحو رجل أسلم في قومه الكفار وهو بين أظهرهم لم يفارقهم فعلى قاتله الكفارة إذا قتله خطأ وليس على عاقلته لأهله شيء لأنهم كفار محاربون
وقيل كان الرجل يسلم ثم يأتي قومه وهم مشركون فيغزوهم جيش المسلمين فيقتل فيهم خطأ لأنهم يظنونه كافرا مثلهم ﴿وَإِن كَانَ
مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ وإن كان من قوم كفرة لهم ذمة كالمشركين
الذين عاهدوا المسلمين وأهل الذمة من أهل الكتاب فحكمه حكم مسلم من المسلمين ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ رقبة يعني لم يملكها ولا ما يتوصل إليها به
﴿فَصِيَامُ﴾ فعليه صيام ﴿شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ قبولا من الله ورحمة منه من تاب الله عليه إذا قبل توبته يعني شرع ذلك
توبة منه أو فعلكم من التوبة إلى الصوم توبة منه ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا
فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ۝﴾ هذه الآية فيها من التهديد والإيعاد والإبراق والإرعاد أمر عظيم
وخطب غليظ ومن ثم روي عن ابن عباس ما روي من أن توبة قاتل المؤمن عمدا غير مقبولة وعن سفيان كان أهل العلم إذا سئلوا قالوا لا
توبة له وذلك محمول منهم على الاقتداء بسنة الله في التغليظ والتشديد وإلا فكل ذنب ممحو بالتوبة وناهيك بمحو الشرك دليلا وفي
الحديث لزوال الدنيا أهون على الله من قتل امرئ مسلم وفيه لو أن رجلا قتل بالمشرق وآخر رضي بالمغرب لأشرك في دمه وفيه إن هذا
الإنسان بنيان الله ملعون من هدم بنيانه وفيه من أعان على قتل مؤمن ولو بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله
والعجب من قوم يقرءون هذه الآية ويرون ما فيها ويسمعون هذه الأحاديث وقول ابن عباس بمنع التوبة ثم لا تدعهم أشعبيتهم
وطماعيتهم الفارغة واتباعهم هواهم وما يخيل إليهم مناهم أن يطمعوا في العفو عن قاتل المؤمن بغير توبة أفلا يتدبرون
القرآن أم على قلوب أقفالها ثم ذكر الله سبحانه التوبة في قتل الخطأ لما عسى يقع من نوع تفريط فيما يجب من الاحتياط والتحفظ فيه
حسم للأطماع وأي حسم ولكن لا حياة لمن تنادي **فإن قلت** هل فيها دليل على خلود من لم يتب من أهل الكبائر **قلت**
ما أبين الدليل فيها وهو تناول قوله ومن يقتل أي قاتل كان من مسلم أو كافر تائب أو غير تائب إلا أن التائب أخرجه الدليل فمن ادعى إخراج المسلم غير التائب
فليأت بدليل مثله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ وقرئ فتثبتوا وهما من التفعل بمعنى الاستفعال أي اطلبوا
بيان الأمر وثباته ولا تتهوكوا فيه من غير روية ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾ وقرئ السلام والسلم وهما الاستسلام
وقيل الإسلام وقيل التسليم الذي هو تحية أهل الإسلام ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ وقرئ مؤمنا بفتح الميم من أمنه أي لا نؤمنك وأصله أن
مرداس بن نهيك رجلا من أهل فدك أسلم لم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله كان عليها غالب بن فضالة الليثي
فهربوا وبقي مرداس لثقته بإسلامه فلما رأى الخيل ألجأ غنمه إلى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا إله

إلا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله أسامة بن زيد واستاق غنمه فأخبروا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فوجد وجدا
شديدا وقال قتلتموه إرادة ما معه ثم قرأ الآية على أسامة فقال يا رسول الله استغفر لي فقال فكيف بلا إله إلا الله قال أسامة
فما زال يعيدها حتى وددت أني لم أكن أسلمت إلا يومئذ ثم استغفر لي وقال أعتق رقبة ﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ تطلبون
الغنيمة التي هي حطام سريع النفاد فهو الذي يدعوكم إلى ترك التثبت وقلة البحث عن حال من تقتلونه ﴿فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾
تغنمونها تغنيكم عن قتل رجل يظهر الإسلام ويتعوذ به من التعرض له لتأخذوا ماله ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ﴾ أول ما دخلتم في
الإسلام سمعت من أفواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماءكم وأموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطأة قلوبكم لألسنتكم
﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بالاستقامة والاشتهار بالإيمان والتقدم وأن صرتم أعلاما فيه فعليكم أن تفعلوا بالداخلين في الإسلام كما فعل
بكم وأن تعتبروا ظاهر الإسلام في المكافة ولا تقولوا إن تهليل هذا لاتقاء القتل لا لصدق النية فتجعلوه سلما إلى استباحة دمه وماله
وقد حرمهما الله وقوله ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ تكرير للأمر بالتبيين ليؤكد عليهم ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فلا تتهافتوا في القتل وكونوا محترزين
محتاطين في ذلك ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾
غير أولي قرئ بالحركات الثلاث فالرفع صفة للقاعدون والنصب استثناء منهم أو حال عنهم والجر صفة للمؤمنين والضرر المرض
أو العاهة من عمى أو عرج أو زمانة أو نحوها وعن زيد بن ثابت كنت إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فغشيته السكينة كذلك
ثم قال اكتب يا زيد فقرأت لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر قال زيد أنزلها الله وحدها فألحقتها والذي نفسي بيده
لكأني أنظر إلى ملحقها عند صدع في الكتف وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا يستوي القاعدون عن بدر والخارجون إليها وعن مقاتل إلى
تبوك **فإن قلت** معلوم أن القاعد بغير عذر والمجاهد لا يستويان فما فائدة نفي الاستواء **قلت** معناه الإذكار بما بينهما من
التفاوت العظيم والبون البعيد ليأنف القاعد ويترفع بنفسه عن انحطاط منزلته فيهتز للجهاد ويرغب فيه وفي ارتفاع طبقته
ونحوه هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون أريد به التحريك من حمية الجاهل وأنفته ليهاب به إلى التعلم ولينهض بنفسه عن
صفة الجهل إلى شرف العلم ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً﴾ جملة موضحة لما نفي من استواء القاعدين
والمجاهدين كأنه قيل ما لهم لا يستوون فأجيب بذلك والمعنى على القاعدين غير أولي الضرر لكون الجملة بيانا للجملة الأولى المتضمنة
لهذا الوصف ﴿وَكُلًّا﴾ وكل فريق من المجاهدين والقاعدين ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ أي المثوبة الحسنى وهي الجنة وإن كان المجاهدون
مفضلين على القاعدين درجة وعن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لقد خلفتم بالمدينة أقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا إلا كانوا
معكم وهم الذين صحت نياتهم ونصحت جيوبهم وكانت أفئدتهم تهوي إلى الجهاد وبهم ما يمنعهم من المسير من ضرر أو غيره ﴿وَفَضَّلَ
اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۝ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝﴾ **فإن قلت**
قد ذكر الله سبحانه مفضلين درجة ومفضلين درجات فمن هم **قلت** أما المفضلون درجة واحدة فهم الذين فضلوا على القاعدين الأضراء
فإن قلت بم نصب درجة وأجرا ودرجات **قلت** نصب قوله درجة
لوقوعها موقع المرة من التفضيل كأنه قيل فضلهم تفضيلة ونظيره قولك ضربه سوطا بمعنى ضربه ضربة وأما أجرا فقد انتصب بفضل
لأنه في معنى أجرهم أجرا ودرجات ومغفرة ورحمة بدل من أجرا ويجوز أن ينتصب درجات نصب درجة كما تقول ضربه أسواطا بمعنى
ضربات كأنه قيل فضله تفضيلات ونصب أجرا عظيما على أنه حال عن النكرة التي هي درجات مقدمة عليها وانتصب مغفرة ورحمة
بإضمار فعلهما بمعنى وغفر لهم ورحمهم مغفرة ورحمة ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ توفاهم يجوز أن يكون ماضيا كقراءة من قرأ توفتهم
ومضارعا بمعنى تتوفاهم كقراءة من قرأ توفاهم على مضارع وفيت بمعنى أن الله يوفي الملائكة أنفسهم فيتوفونها أي يمكنهم من استيفائها
فيستوفونها ﴿ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾ في حال ظلمهم أنفسهم ﴿قَالُوا﴾ قال الملائكة للمتوفين ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾ في أي شيء كنتم من أمر دينكم وهم ناس
من أهل مكة أسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً
فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ
حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۝ فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ۝﴾ **فإن قلت** كيف صح وقوع قوله
كنا مستضعفين جوابا عن قوله فيم كنتم وكان حق الجواب أن يقولوا كنا في كذا أو لم نكن في شيء **قلت** معنى فيم كنتم التوبيخ بأنهم
لم يكونوا في شيء من الدين حيث قدروا على المهاجرة ولم يهاجروا فقالوا كنا مستضعفين اعتذارا مما وبخوا به واعتلالا بالاستضعاف
وأنهم لم يتمكنوا من الهجرة حتى يكونوا في شيء فبكتتهم الملائكة بقولهم ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها أرادوا
إنكم كنتم قادرين على الخروج من مكة إلى بعض البلاد التي لا تمنعون فيها من إظهار دينكم ومن الهجرة إلى رسول الله كما فعل
المهاجرون إلى أرض الحبشة وهذا دليل على أن الرجل إذا كان في بلد لا يتمكن فيه من إقامة أمر دينه كما يجب لبعض الأسباب والعوائق عن
إقامة الدين لا تنحصر أو علم أنه في غير بلده أقوم بحق الله وأدوم على العبادة حقت عليه المهاجرة وعن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم
من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبرا من الأرض استوجبت له الجنة وكان رفيق أبيه إبراهيم ونبيه محمد اللهم إن كنت تعلم أن هجرتي
لك لم تكن إلا للفرار بديني فاجعلها سببا في خاتمة الخير ودرك المرجو من فضلك والمبتغى من رحمتك وصل جواري لك بعكوفي

عند بيتك بجوارك في دار كرامتك بواسع المغفرة ثم استثنى من أهل الوعيد المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة في الخروج لفقرهم وعجزهم ولا معرفة بالمسالك وروي أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بعث بهذه الآية إلى مسلمي مكة فقال جندب بن ضمرة أو ضمرة بن جندب لبنيه احملوني فإني لست من المستضعفين وإني لأهتدي الطريق والله لا أبيت الليلة بمكة فحملوه على سرير متوجها إلى المدينة وكان شيخا كبيرا فمات بالتنعيم فإن قلت كيف أدخل الولدان في جملة المستثنين من أهل الوعيد كأنهم كانوا يستحقون الوعيد مع الرجال والنساء لو استطاعوا حيلة واهتدوا سبيلا قلت الرجال والنساء قد يكونون مستطيعين مهتدين وقد لا يكونون كذلك وأما الولدان فلا يكونون إلا عاجزين عن ذلك فلا توجه عليهم وعيد لأن سبب خروج الرجال والنساء من جملة أهل الوعيد إنما هو كونهم عاجزين فإذا كان العجز متمكنا في الولدان لا ينفكون عنه كانوا خارجين من جملتهم ضرورة أو أريد بالولدان الأطفال ويجوز أن يراد المراهقون منهم الذين عقلوا ما يعقل الرجال والنساء فيلحقوا بهم في التكليف وإن أريد العبيد والإماء البالغون فلا سؤال فإن قلت الجملة التي هي لا يستطيعون ما موقعها قلت هي صفة للمستضعفين أو للرجال والنساء والولدان وإنما جاز ذلك والجمل نكرات لأن الموصوف وإن كان فيه حرف التعريف فليس لشيء بعينه كقوله ◦ ولقد أمر على اللئيم يسبني ◦ فإن قلت لم قيل عسى الله أن يعفو عنهم بكلمة الإطماع قلت للدلالة على أن ترك الهجرة أمر مضيق لا توسعة فيه حتى إن المضطر البين الاضطرار من حقه أن يقول عسى الله أن يعفو عني فكيف بغيره ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة مراغما مهاجرا وطريقا يراغم بسلوكه قومه أي يفارقهم على رغم أنوفهم والرغم الذل والهوان وأصله لصوق الأنف بالرغام وهو التراب يقال راغمت الرجل إذا فارقته وهو يكره مفارقتك لمذلة تلحقه بذلك قال النابغة الجعدي ◦ كطود يلاذ بأركانه ◦ عزيز المراغم والمذهب ◦ وقرئ مرغما ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت قرئ ثم يدركه الموت بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وقرئ بحركة الكاف ووصول من الهاء كأنه أراد أن يقف عليها ثم نقل حركة الهاء إلى الكاف كقوله ◦ عجبت والدهر كثير عجبه ◦ من عنزي سبني لم أضربه ◦ وقرئ يدركه الموت بالنصب على إضمار أن كقوله ◦ سأترك منزلي لبني تميم ◦ وألحق بالحجاز فأستريحا ◦ فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما ◦ فقد وجب ثوابه عليه وحقيقة الوجوب الوقوع والسقوط فإذا وجبت جنوبها ووجبت الشمس سقط قرصها والمعنى فقد علم الله كيف يثيبه وذلك واجب عليه وروي في قصة جندب بن ضمرة أنه لما أدركه الموت أخذ يصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على ما بايعك عليه رسولك فمات حميدا فبلغ خبره أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقالوا لو توفي بالمدينة لكان أتم أجرا وقال المشركون وهم يضحكون ما أدرك هذا ما طلب فنزلت وقالوا كل هجرة لغرض ديني من طلب علم أو حج أو جهاد أو فرار إلى بلد يزداد فيه طاعة أو قناعة أو زهدا في الدنيا أو ابتغاء رزق طيب فهي هجرة إلى الله ورسوله وإن أدركه الموت في طريقه فأجره واقع على الله وإذا ضربتم في الأرض الضرب هو السفر وأدنى مدة السفر الذي يجوز فيه القصر عند أبي حنيفة مسيرة ثلاثة أيام ولياليهن سير الإبل ومشي الأقدام على القصد ولا اعتبار بإبطاء الضارب وإسراعه فلو سار مسيرة ثلاثة أيام ولياليهن في يوم قصر ولو سار مسيرة يوم في ثلاثة أيام لم يقصر وعند الشافعي أدنى مدة السفر أن يكون مسيرة يوم وليلة فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ظاهره التخيير بين القصر والإتمام وأن الإتمام أفضل وإلى التخيير ذهب الشافعي رضي الله عنه وعن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه أتم في السفر وعن عائشة رضي الله عنها اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من المدينة إلى مكة حتى إذا قدمت مكة قلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي قصرت وأتممت وصمت وأفطرت فقال أحسنت يا عائشة وما عاب علي وكان عثمان رضي الله عنه يتم ويقصر وعند أبي حنيفة رضي الله عنه القصر في السفر عزيمة غير رخصة لا يجوز غيره وعن عمر رضي الله عنه صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم وعن عائشة رضي الله عنها أول ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين فأقرت في السفر وزيدت في الحضر فإن قلت فما تصنع بقوله فليس عليكم جناح أن تقصروا قلت كأنهم ألفوا الإتمام فكانوا مظنة لأن يخطر ببالهم أن عليهم نقصانا في القصر فنفى عنهم الجناح لتطيب أنفسهم بالقصر ويطمئنوا إليه وقرئ تقصروا من أقصر وجاء في الحديث إقصار الخطبة بمعنى تقصيرها وقرأ الزهري تقصروا بالتشديد والقصر ثابت بنص الكتاب في حال الخوف خاصة وهو قوله إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا ◦ وأما في حال الأمن فبالسنة وفي قراءة عبد الله من الصلاة أن يفتنكم ليس فيها إن خفتم على أنه مفعول له بمعنى كراهة أن يفتنكم والمراد بالفتنة القتال والتعرض بما يكره وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة تعلق بظاهره من لا يرى صلاة الخوف بعد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حيث شرط كونه فيهم وقال في ذلك بعد أن الأئمة نواب عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في كل عصر قوام بما كان يقوم به فكان الخطاب له متناولا لكل الجماعات التي كانت تحضرها والضمير في فيهم للخائفين فلتقم طائفة منهم معك فاجعلهم طائفتين فلتقم إحداهما معك فصل بهم وليأخذوا أسلحتهم الضمير إما للمصلين وإما لغيرهم فإن كان للمصلين فقالوا يأخذون من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلاة كالسيف والخنجر ونحوهما

وإن كان لغيرهم فلا كلام فإذا سجدوا فليكونوا يعني غير المصلين من ورائكم يحرسونكم وصفة صلاة الخوف عند أبي حنيفة أن يصلي الإمام بإحدى الطائفتين ركعة إن كانت الصلاة ركعتين والأخرى بإزاء العدو وتأتي الأخرى فيصلي بها ركعة ويتم صلاته ثم تقف هذه بإزاء العدو وتأتي الأولى فتؤدي الركعة بغير قراءة وتتم صلاتها ثم تحرس وتأتي الأخرى فتؤدي الركعة بقراءة وتتم صلاتها والسجود على ظاهره عند أبي حنيفة وعند مالك بمعنى الصلاة لأن الإمام يصلي عنده بطائفة ركعة ويقف قائما حتى تتم صلاتها وتسلم بهم وبعضهم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم وقرئ وأمتعاتكم فإن قلت كيف جمع بين الأسلحة وبين الحذر في الأخذ قلت جعل الحذر وهو التحرز والتيقظ آلة يستعملها الغازي فلذلك جمع بينه وبين الأسلحة في الأخذ وجعلا مأخوذين ونحوه قوله والذين تبوءوا الدار والإيمان جعل الإيمان مستقرا لهم ومتبوأ لتمكنهم فيه فلذلك جمع بينه وبين الدار في التبوء فيميلون عليكم ميلة واحدة فيشدون عليكم شدة واحدة ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم رخص لهم في وضع الأسلحة إن ثقل عليهم حملها بسبب ما يبلهم من مطر أو يضعفهم من مرض وأمرهم مع ذلك بأخذ الحذر لئلا يغفلوا فيهجم عليهم العدو فإن قلت كيف طابق الأمر بالحذر قوله إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا ◦ قلت الأمر بالحذر من العدو يوهم توقع غلبته واعتزازه فنفى عنهم ذلك الإيهام بإخباره أنه يهين عدوهم ويخذله وينصرهم عليه لتقوى قلوبهم وليعلموا أن الأمر بالحذر ليس لذلك وإنما هو تعبد من الله كما قال ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة فإذا قضيتم الصلاة فإذا صليتم في حال الخوف والقتال فاذكروا الله فصلوها قياما مسايفين ومقارعين وقعودا جاثين على الركب مرامين وعلى جنوبكم مثخنين بالجراح فإذا اطمأننتم حين تضع الحرب أوزارها وأمنتم فأقيموا الصلاة فاقضوا ما صليتم في تلك الأحوال التي هي أحوال القلق والانزعاج إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ◦ محدودا بأوقات لا يجوز إخراجها عن أوقاتها على أي حال كنتم خوف أو أمن وهذا ظاهر على مذهب الشافعي رضي الله عنه في إيجابه الصلاة على المحارب في حال المسايفة والمشي والاضطراب في المعركة إذا حضر وقتها فإذا اطمأن فعليه القضاء وأما عند أبي حنيفة رضي الله عنه فهو معذور في تركها إلى أن يطمئن وقيل معناه فإذا قضيتم صلاة الخوف فأديموا ذكر الله مهللين داعين بالنصرة والتأييد في كافة أحوالكم من قيام وقعود واضطجاع فإن ما أنتم فيه من خوف وحرب جدير بذكر الله ودعائه واللجأ إليه فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة فأتموها ولا تهنوا ولا تضعفوا ولا تتوانوا في ابتغاء القوم في طلب الكفار بالقتال والتعرض به لهم ثم ألزمهم الحجة بقوله إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون أي ليس ما تكابدون من الألم بالجرح والقتل مختصا بكم إنما هو أمر مشترك بينكم وبينهم يصيبهم كما يصيبكم ثم إنهم يصبرون عليه ويتشجعون فما لكم لا تصبرون مثل صبرهم مع أنكم أولى منهم بالصبر لأنكم ترجون من الله ما لا يرجون من إظهار دينكم على سائر الأديان ومن الثواب العظيم في الآخرة وقرأ الأعرج أن تكونوا بفتح الهمزة بمعنى ولا تهنوا لأن تكونوا تألمون وقوله فإنهم يألمون كما تألمون تعليل وقرئ فإنهم يئلمون كما تيلمون وروي أن هذا في بدر الصغرى كان بهم جراح فتواكلوا وكان الله عليما حكيما ◦ لا يكلفكم شيئا ولا يأمركم ولا ينهاكم إلا لما هو عالم به مما يصلحكم إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس روي أن طعمة بن أبيرق أحد بني ظفر سرق درعا من جار له اسمه قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين رجل من اليهود فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما أخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى إلى منزل اليهودي فأخذوها فقال دفعها إلي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فسألوه أن يجادل عن صاحبهم وقالوا إن لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يفعل وأن يعاقب اليهودي وقيل هم أن يقطع يده فنزلت وروي أن طعمة هرب إلى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق أهله فسقط الحائط عليه فقتله بما أراك الله بما عرفك وأوحى به إليك وعن عمر رضي الله عنه لا يقولن أحدكم قضيت بما أراني الله فإن الله لم يجعل ذلك إلا لنبيه ولكن يجتهد رأيه لأن الرأي من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان مصيبا لأن الله كان يريه إياه وهو منا الظن والتكلف ولا تكن للخائنين خصيما ولا تكن لأجل الخائنين مخاصما للبرآء يعني لا تخاصم اليهود لأجل بني ظفر واستغفر الله مما هممت به من عقاب اليهودي إن الله كان غفورا رحيما ◦ ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم يخونونها بالمعصية كقوله علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم جعلت معصية العصاة خيانة منهم لأنفسهم كما جعلت ظلما لها لأن الضرر راجع إليهم فإن قلت لم قيل للخائنين ويختانون أنفسهم وكان السارق طعمة وحده قلت لوجهين أحدهما أن بني ظفر شهدوا له بالبراءة ونصروه فكانوا شركاء له في الإثم والثاني أنه جمع ليتناول طعمة وكل من خان خيانته فلا تخاصم لخائن قط ولا تجادل له إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما ◦ فإن قلت لم قيل خوانا أثيما على المبالغة قلت كان الله عالما من طعمة بالإفراط في الخيانة وركوب المأثم ومن كانت تلك خاتمة أمره لم يشك في حاله وقيل إذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم أن لها أخوات وعن عمر رضي الله عنه أنه أمر بقطع يد سارق فجاءت أمه تبكي وتقول هذه أول سرقة

ستر قبحها فاعف عنه فقال كذبت ان الله لا يواخذ عبده في اول مرة يستخفون من الناس يستترون منهم حياء وخوفا من ضررهم ولا يستخفون من الله ولا يستحيون منه وهو معهم وهو عالم بهم مطلع عليهم لا يخفى عليه خاف من سرهم وكفى بهذه الآية ناعية على الناس ما هم فيه من قلة الحيا والخشية من ربهم مع علمهم ان كانوا مومنين انهم في حضرته لا سترة ولا غفلة ولا غيبة وليس الا الكشف الصريح والافتضاح اذ يبيتون يدبرون ويزورون واصله ان يكون بالليل ما لا يرضى من القول وهو تدبير طعمة ان يرمي بالدرع في دار زيد ليسترق دونه وحلفه انه **فان قلت** كيف سمى التدبير قولا وانما هو معنى في النفس **قلت** لما حدث به نفسه سمى قولا على المجاز ويجوز ان يراد بالقول الحلف الكاذب الذي حلف به بعد ان بيته وتوريكه الذنب على اليهودي وكان الله بما يعملون محيطا ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة ام من يكون عليهم وكيلا ها للتنبيه في انتم واولاء وهما مبتدا وخبر وجادلتم جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا كما تقول لبعض الاسخيا انت حاتم تجود بمالك وتوثر على نفسك ويجوز ان يكون اولاء اسما موصولا بمعنى الذين وجادلتم صلته والمعنى هبوا انكم خاصمتم عن طعمة وقومه في الدنيا فمن يخاصم عنهم في الآخرة اذا اخذهم الله بعذابه وقرأ عبد الله عنه اي عن طعمة وكيلا حافظا ومحاميا من بأس الله وانتقامه ومن يعمل سوءا قبيحا متعديا يسوء به غيره كما فعل طعمة بقتادة واليهودي او يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب وقيل ومن يعمل سوءا من ذنب دون الشرك او يظلم نفسه بالشرك ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما وهذا بعث لطعمة على الاستغفار والتوبة ليلزمه الحجة مع العلم بما يكون منه او لقومه بما فرط منهم من نصرته والذب عنه ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه اي لا يتعداه ضرره الى غيره فليتوق على نفسه من كسب السوء عنه وكان الله عليما حكيما ومن يكسب خطيئة صغيرة او اثما كبيرة ثم يرم به بريئا كما رمى طعمة زيدا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا لانه بكسب الاثم اثم وبرمي البري باهت فهو جامع بين الامرين وقرأ معاذ بن جبل رضي الله عنه ومن يكسب بكسر الكاف والسين المشددة واصله يكتسب ولولا فضل الله عليك ورحمته اي عصمته والطافه وما اوحى اليك من الاطلاع على سرهم لهمت طائفة منهم من بني ظفر ان يضلوك عن القضا بالحق وتوخي طريق العدل مع علمهم بان الجاني هو صاحبهم فقد روي ان ناسا منهم كانوا يعلمون كنه القصة وما يضلون الا انفسهم لان وباله عليهم وما يضرونك من شيء فانك انما عملت بظاهر الحال وما كان يخطر ببالك ان الحقيقة على خلاف ذلك وانزل الله وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وعلمك ما لم تكن تعلم من خفيات الامور وضماير القلوب او من امور الدين والشرايع ويجوز ان يراد بالطائفة بنو ظفر ويرجع الضمير في منهم الى الناس وقيل الآية في المنافقين لا خير في كثير من نجواهم من متناجي الناس الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس الا نجوى من امر على انه مجرور بدل من كثير كما تقول لا خير في قيامهم الا قيام زيد ويجوز ان يكون منصوبا على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير وقيل المعروف القرض وقيل اغاثة الملهوف وقيل هو عام في كل جميل ويجوز ان يراد بالصدقة الواجب وبالمعروف ما يتصدق به على سبيل التطوع وعن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كلام ابن آدم عليه لا له الا ما كان من امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله وسمع سفيان رجلا يقول ما اشد هذا الحديث فقال الم تسمع الله يقول لا خير في كثير من نجواهم فهو هذا بعينه او ما سمعته يقول والعصر ان الانسان لفي خسر فهو هذا بعينه ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نوتيه اجرا عظيما وشرط في استيجاب الاجر العظيم ان ينوي فاعل الخير عبادة الله والتقرب به اليه وان يبتغي به وجهه خالصا لان الاعمال بالنيات **فان قلت** كيف قال الا من امر ثم قال ومن يفعل ذلك **قلت** قد ذكر الامر بالخير ليدل به على فاعله لانه اذا دخل الآمر به في زمرة الخيرين كان الفاعل فيهم ادخل ثم قال ومن يفعل ذلك فذكر الفاعل وقرن به الوعد بالاجر العظيم ويجوز ان يراد ومن يأمر بذلك فعبر عن الامر بالفعل كما يعبر به عن سائر الافعال وقرئ يوتيه بالياء ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المومنين وهو السبيل الذي هم عليه من الدين الحنيفي القيم وهو دليل على ان الاجماع حجة لا يجوز مخالفتها كما لا يجوز مخالفة الكتاب والسنة لان الله عز وعلا جمع بين اتباع غير سبيل المومنين وبين مشاقة الرسول في الشرط وجعل جزاءه الوعيد الشديد فكان اتباعهم واجبا كموالاة الرسول نوله ما تولى نجعله واليا لما تولى من الضلال بان نخذله ونخلي بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم وساءت مصيرا وقرئ ونصله بفتح النون من صلاه وقيل نزلت في طعمة وارتداده وخروجه الى مكة ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا تكرير للتاكيد وقيل كرر لقصة طعمة وروي انه مات مشركا وقيل جاء شيخ من العرب الى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال اني شيخ كبير منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك بالله شيا منذ عرفته وامنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصي جراة على الله ولا مكابرة له وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب مستغفر فما حالي عند الله فنزلت وهذا الحديث ينصر قول من فسر من يشاء بالتائب من ذنبه ان يدعون من دونه الا اناثا يعني اللات والعزى ومناة وعن الحسن لم يكن حي من احياء العرب الا ولهم صنم يعبدونه يسمونه انثى

بني فلان وقيل كانوا يقولون في اصنامهم هن بنات الله وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وقرئ اثنا جمع انيث او اناث ووثنا واثنا بالتخفيف والتثقيل جمع وثن كقولك اسد واسد واسد وقلب الواو الفا نحو اجوه في وجوه وقرات عائشة رضي الله عنها اوثانا وان يدعون وان يعبدون بعبادتها الا شيطانا مريدا لانه هو الذي اغراهم على عبادتها فاطاعوا فجعلت طاعتهم له عبادة لعنه الله وقال لاتخذن من عبادك ولعنه الله وقال لاتخذن صفتان بمعنى شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الشنيع نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا فرضه لنفسي من قولهم فرض له في العطا وفرض الجند رزقه قال الحسن من كل الف تسعماية وتسعون الى النار ولاضلنهم ولامنينهم ولامرنهم فليبتكن آذان الانعام ولامرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا ولامنينهم الاماني الباطلة من طول الاعمار وبلوغ الآمال ورحمة الله للمجرمين بغير توبة والخروج من النار بعد دخولها بالشفاعة ونحو ذلك وبتبتيكهم الآذان فعلهم بالبحاير كانوا يشقون اذن الناقة اذا ولدت خمسة ابطن وجا الخامس ذكرا وحرموا على انفسهم الانتفاع بها وتغييرهم خلق الله فقا عين الحامي واعفاوه عن الركوب وقيل الخصا وهو في قول العلما مباح في البهائم واما في بني آدم فمحظور وعند ابي حنيفة يكره شرا الخصيان وامساكهم واستخدامهم لان الرغبة فيهم تدعو الى خصائهم وقيل فطرة الله التي هي دين الاسلام وقيل للحسن ان عكرمة يقول هو الخصا فقال كذب عكرمة هو دين الله وعن ابن مسعود هو الوشم وعنه لعن الله الواشرات والمتنمصات والمتوشمات المغيرات خلق الله وقيل التخنث يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا اولئك ماويهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا مصدران الاول موكد لنفسه والثاني موكد لغيره ومن اصدق من الله قيلا توكيد ثالث بليغ **فان قلت** ما فايدة هذه التوكيدات **قلت** معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة واماني الباطلة لقرنايه بوعد الله الصادق لاوليايه ترغيبا للعباد في ايثار ما يستحقون به تنجز وعد الله على ما يتجرعون في عاقبته غصص اخلاف مواعيد الشيطان ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ومن يعمل من الصالحات وهو مومن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا في ليس ضمير وعد الله اي ليس ينال ما وعد الله من الثواب بامانيكم ولا باماني اهل الكتاب والخطاب للمسلمين لانه لا يتمنى الا من آمن به وكذلك ذكر اهل الكتاب معهم لمشاركتهم لهم في الايمان بوعد الله وعن مسروق والسدي هي في المسلمين وعن الحسن ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ان قوما الهتهم اماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا لو احسنوا الظن لاحسنوا العمل وقيل ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم وقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب التي كانت قبله فنزلت ويحتمل ان يكون الخطاب للمشركين لقولهم ان كان الامر كما يزعم هولا لنكونن خيرا منهم واحسن حالا لاوتين مالا وولدا ان لي عنده للحسنى وكان اهل الكتاب يقولون نحن ابنا الله واحباوه ولن تمسنا النار الا اياما معدودة ويعضده ذكر اهل الشرك قبله وعن مجاهد ان الخطاب للمشركين قوله من يعمل سوءا يجز به وقوله ومن يعمل من الصالحات بعد ذكر تمني اهل الكتاب نحو من قوله بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته وقوله والذين امنوا وعملوا الصالحات عقيب قوله وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة واذا ابطل الله الاماني واثبت ان الامر كله معقود بالعمل وان من اصلح عمله فهو الفائز ومن اساء عمله فهو الهالك تبين الامر ووضح ووجب قطع الاماني وحسم المطامع والاقبال على العمل الصالح ولكنه نصح لا تعيه الآذان ولا تلقى اليه الاذهان **فان قلت** ما الفرق بين من الاولى والثانية **قلت** الاولى للتبعيض اراد ومن يعمل بعض الصالحات لان كلا لا يتمكن من كل الصالحات لاختلاف الاحوال وانما يعمل منها ما هو في تكليفه وفي وسعه وكم من مكلف لا حج عليه ولا جهاد ولا زكاة وتسقط عنه الصلوة في بعض الاحوال والثانية لتبيين الابهام في ومن يعمل **فان قلت** كيف خص الصالحون بانهم لا يظلمون وغيرهم مثلهم في ذلك **قلت** فيه وجهان احدهما ان يكون الراجع في ولا يظلمون لعمال السوء وعمال الصالحات جميعا والثاني ان يكون ذكره عند احد الفريقين دالا على ذكره عند الآخر لان كلا الفريقين مجزيون باعمالهم لا تفاوت بينهم ولان ظلم المسي ان يزاد في عقابه وارحم الراحمين معلوم انه لا يزيد في عقاب المجرم فكان ذكره مستغنى عنه واما المحسن فله ثواب وتوابع للثواب من فضل الله هي في حكم الثواب فجاز ان ينقص من الفضل لانه ليس بواجب فكان نفي الظلم دالا على انه لا يقع نقصان في الفضل ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله اخلص نفسه لله وجعلها سالمة له لا تعرف لها ربا ومعبودا سواه وهو محسن وهو عامل للحسنات تارك للسيات واتبع ملة ابراهيم حنيفا حال من المتبع او من ابراهيم كقوله بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين وهو الذي تحنف اي مال عن الاديان كلها الى دين الاسلام واتخذ الله ابراهيم خليلا مجاز عن اصطفايه واختصاصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله والخليل المخال وهو الذي يخالك اي يوافقك في خلالك او يسايرك في طريقه من الخل وهو الطريق في الرمل او يسد خللك كما تسد خلله او يداخلك خلال منازلك وحجبك **فان قلت**

ما موقع هذه الجملة قلت هي جملة اعتراضية لا محل لها من الاعراب كنحو ما يجي في الشعر من قولهم والحوادث جمة فايدتها تاكيد
وجوب اتباع ملته لان من بلغ من الزلفى عند الله ان اتخذه خليلا كان جديرا بان تتبع ملته وطريقته ولو جعلتها معطوفة على الجملة
قبلها لم تكن لها معنى وقيل ان ابرهيم عليه الصلاة والسلام بعث الى خليل له بمصر في ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان
ابرهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت ولكنه يريدها للاضياف وقد اصابنا ما اصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملاوا منها الغراير حياء من الناس فلما اخبروا
ابرهيم ساءه الخبر فحملته عيناه وعمدت امراته الى غرارة منها فاخرجت احسن حوارى واختبزت واستنبه ابرهيم فاشتم رايحة الخبز
فقال من اين لكم هذا فقالت امراته من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله عز وجل فسماه الله خليلا ولله ما في السموات وما
في الارض متصل بذكر العمال الصالحين والطالحين ومعناه ان له ملك اهل السموات والارض فطاعته واجبة عليهم وكان الله بكل
شيء محيطا وكان عالما باعمالهم فمجازيهم على خيرها وشرها فعليهم ان يختاروا لانفسهم ما هو اصلح لها ويستفتونك في
النسا قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النسا ما يتلى في محل الرفع اي الله يفتيكم والمتلو في
الكتاب في معنى اليتامى يعني قوله وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى وهو من قولك اعجبني زيد وكرمه ويجوز ان يكون ما يتلى عليكم
مبتدا وفي الكتاب خبره على انها جملة معترضة والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ تعظيما للمتلو عليهم وان العدل والنصفة
في حقوق اليتامى من عظايم الامور المرفوعة الدرجات عند الله التي تجب مراعاتها والمحافظة عليها والمخل بها ظالم متهاون بما
عظمه الله ونحوه في تعظيم القران وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم ويجوز ان يكون مجرورا على القسم كانه قيل قل الله يفتيكم
فيهن واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب والقسم ايضا بمعنى التعظيم وليس بسديد لانه بعطف على المجرور في فيهن لاختلاله من
حيث اللفظ والمعنى فان قلت بم تعلق قوله في يتامى النسا قلت في الوجه الاول هو صلة يتلى اي يتلى عليكم في معناهن
ويجوز ان يكون في يتامى النسا بدلا من فيهن واما في الوجهين الاخيرين فبدل لا غير فان قلت الاضافة في يتامى النسا ما هي
قلت اضافة بمعنى من كقولك عندي سحق عمامة وقري في ييامى النسا بيايين على قلب همزة ايامى يا اللاتي لا تؤتونهن ما كتب
لهن وقري ما كتب الله لهن اي ما فرض لهن من الميراث وكان الرجل منهم يضم اليتيمة الى نفسه وما لها فان كانت جميلة تزوجها واكل
المال وان كانت دميمة عضلها عن التزويج حتى تموت فيرثها وترغبون ان تنكحوهن يحتمل في ان تنكحوهن لجمالهن وعن ان
تنكحوهن لدمامتهن وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان اذا جاءه ولي اليتيمة نظر فان كانت جميلة غنية قال زوجها غيرك
والتمس لها من هو خير منك وان كانت دميمة ولا مال لها قال تزوجها فانت احق بها والمستضعفين من الولدان مجرور معطوف
على يتامى النسا وكانوا في الجاهلية انما يورثون الرجال القوام بالامور دون الاطفال والنسا ويجوز ان يكون خطابا للاوصيا
كقوله ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب وان تقوموا لليتامى بالقسط مجرور كالمستضعفين بمعنى يفتيكم في يتامى النسا وفي المستضعفين
وفي ان تقوموا ويجوز ان يكون منصوبا بمعنى ويامركم ان تقوموا وهو خطاب للايمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا لهم حقوقهم
ولا يخلوا احدا يهتضمهم وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما وان امراة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا توقعت
منه ذلك لما لاح لها من مخايله او اماراته والنشوز ان يتجافى عنها بان يمنعها نفسه ونفقته والمودة والرحمة التي بين الرجل والمراة
وان يوذيها بسب او ضرب والاعراض ان يعرض عنها بان يقل محادثتها ومؤانستها وذلك لبعض الاسباب من طعن في سن او دمامة
او شي في خلق او خلق او ملال او طموح عين الى اخرى او غير ذلك فلا جناح عليهما ان يصالحا بينهما فلا باس بهما ان يصلحا بينهما
وقري يصالحا ويصلحا بمعنى يتصالحا ويصطلحا ونحو اصلح اصبر في اصطبر صلحا في معنى مصدر كل واحد من الافعال الثلاثة ومعنى
الصلح ان يتصالحا على ان تطيب له نفسا عن القسمة او عن بعضها كما فعلت سودة بنت زمعة حين كرهت ان يفارقها رسول الله صلى الله
عليه وعلى اله وسلم وعرفت مكان عايشة من قلبه فوهبت لها يومها وكما روي ان امراة ارادت ان يطلقها زوجها لرغبته عنها وكان لها
منه ولد فقالت لا تطلقني ودعني اقوم على ولدي وتقسم لي في كل شهرين فقال ان كان هذا يصلح فهو احب الي فاقرها او تهب له
بعض المهر او كله او النفقة فان لم تفعل فليس له الا ان يمسكها باحسان او يسرحها والصلح خير من الفرقة او من النشوز
والاعراض وسوء العشرة او هو خير من الخصومة في كل شي والصلح خير من الخيور كما ان الخصومة شر من الشرور وهذه
الجملة اعتراض وكذلك قوله واحضرت الانفس الشح ومعنى احضار الانفس الشح ان الشح جعل حاضرا لها لا يغيب عنها ابدا ولا
ينفك عنه يعني انها مطبوعة عليه والغرض ان المراة لا تكاد تسمح بقسمتها وبغير قسمتها والرجل لا تكاد نفسه تسمح بان يقسم
لها وان يمسكها اذا رغب عنها واحب غيرها وان تحسنوا بالاقامة على نسايكم وان كرهتموهن واحببتم غيرهن وتصبروا على ذلك
مراعاة لحق الصحبة وتتقوا النشوز والاعراض وما يؤدي الى الاذى والخصومة فان الله كان بما تعملون من الاحسان والتقوى
خبيرا وهو يثيبكم عليه وكانت تحت عمران بن حطان الخارجي من اذم بني ادم وامراته من اجملهم فاجالت في وجهه نظرها يوما
ثم تابعت الحمد لله فقال ما لك قالت حمدت الله على اني واياك من اهل الجنة قال كيف قالت لانك رزقت مثلي فشكرت ورزقت
مثلك فصبرت وقد وعد الله الجنة عباده الشاكرين والصابرين ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النسا ولو حرصتم
ومحال ان تستطيعوا العدل بين النسا والتسوية حتى لا يقع ميل البتة ولا زيادة ولا نقصان فيما يجب لهن فرفع لذلك عنكم تمام العدل

وغايته

وغايته وما كلفتم منه الا ما تستطيعون شرط ان تبذلوا فيه وسعكم وطاقتكم لان تكليف ما لا يستطاع داخل في حد الظلم
وما ربك بظلام للعبيد وقيل معناه ان تعدلوا في المحبة وعن النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم انه كان يقسم بين نسايه فيعدل ويقول
هذه قسمتي فيما املك فلا تواخذني فيما تملك ولا املك يعني المحبة لان عايشة كانت احب اليه وقيل ان العدل بينهن امر صعب
بالغ من الصعوبة حدا يوهم انه غير مستطاع لانه يجب ان يسوي بينهن في القسمة والنفقة والتعهد والنظر والاقبال والممالحة
والمفاكهة والمؤانسة وغيرها مما لا يكاد الحصر ياتي من ورايه فهو كالخارج من حد الاستطاعة هذا اذا كن محبوبات كلهن
فكيف اذا مال القلب مع بعضهن فلا تميلوا كل الميل فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور فتمنعوها قسمتها من غير رضا
منها يعني ان اجتناب كل الميل مما هو في حد اليسر والسعة فلا تفرطوا فيه ان وقع منكم التفريط في العدل كله وفيه ضرب
من التوبيخ فتذروها كالمعلقة وهي التي ليست بذات بعل ولا مطلقة قال هل هي الا حظة او تطليق او صلف او بين
ذاك تعليق وفي قراءة ابي فتذروها كالمسجونة وفي الحديث من كانت له امراتان يميل مع احديهما جاء يوم القيمة واحد شقيه
مايل وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث الى ازواج رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم بمال فقالت عايشة الى كل ازواج
رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم بعث عمر مثل هذا قالوا لا بعث الى القرشيات بمثل هذا والى غيرهن بغيره فقالت ارفع راسك
فان رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم كان يعدل بيننا في القسمة بماله ونفسه فرجع الرسول فاخبره فاتم لهن جميعا وكان لمعاذ
امراتان فاذا كان عند احديهما لم يتوضا في بيت الاخرى فماتتا في الطاعون فدفنهما في قبر واحد وان تصلحوا ما مضى من ميلكم
وتتداركوه بالتوبة وتتقوا فيما يستقبل غفر الله لكم فان الله كان غفورا رحيما وان يتفرقا وقري وان يتفارقا يعني
وان يتفارقا وكل واحد منهما صاحبه يغن الله كلا من سعته يرزقه زوجا خيرا من زوجه وعيشا اهنا من عيشه والسعة
الغنى والمقدرة وكان الله واسعا حكيما والواسع الغني المقتدر ولله ما في السموات وما في الارض ولقد وصينا
الذين اوتوا الكتاب من قبلكم متعلق بوصينا او باوتوا واياكم عطف على الذين اوتوا الكتاب اسم للجنس يتناول الكتب
السماوية ان اتقوا الله بان اتقوا او تكون ان المفسرة لان التوصية في معنى القول وقوله وان تكفروا فان لله ما في السموات
وما في الارض عطف على اتقوا لان المعنى امرناهم وامرناكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله الخلق
كله وهو خالقهم ومالكهم والمنعم عليهم باصناف النعم كلها فحقه ان يكون مطاعا في خلقه غير معصي يتقون عقابه ويرجون
ثوابه ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم من الامم السالفة ووصيناكم انما اوصى الله عباده لسعادتهم بها مخصوصين
لانهم بالتقوى يسعدون عنده وبها ينالون النجاة في العاقبة وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله في سمواته وارضه من
الملايكة والثقلين من يوحده ويعبده ويتقيه وكان الله غنيا عن خلقه وعن عبادتهم جميعا حميدا مستحقا لان يحمد لكثرة
نعمه وان لم يحمده احد منهم ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا وتكرير قوله لله ما في السموات
وما في الارض تقرير لما هو موجب تقواه ليتقوه ولا يعصوه لان الخشية والتقوى اصل الخير كله ان يشا يذهبكم ايها الناس
يفنكم ويعدمكم كما اوجدكم وانشاكم ويات باخرين ويوجد انشا اخرين مكانكم او خلقا اخرين غير الانس وكان
الله على ذلك من الاعدام والايجاد قديرا بليغ القدرة لا يمتنع عليه شي اراده وهذا غضب عليهم وتخويف وبيان لاقتداره وقيل
هو خطاب لمن كان يعادي رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم من العرب اي ان يشا يمتكم وياتي باناس اخرين يوالونه ويروى
انها لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم يده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا يريد ابنا فارس من كان يريد ثواب الدنيا
كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والاخرة فما له يطلب احدهما دون الاخر والذي يطلبه اخسهما لان من
جاهد لله خالصا لم تخطيه الغنيمة وله من ثواب الاخرة ما الغنيمة الى جنبه كلا شي والمعنى فعند الله ثواب الدنيا والاخرة له
ان اراده حتى يتعلق الجزا بالشرط وكان الله سميعا بصيرا يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط مجتهدين في اقامة
العدل حتى لا تجوروا شهدا لله تقيمون شهاداتكم لوجه الله كما امرتم باقامتها ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين
ولو كانت الشهادة على انفسكم او ابايكم او اقاربكم فان قلت الشهادة على الوالدين والاقربين ان تقول اشهد ان لفلان
على والدي كذا او على اقاربي فما معنى الشهادة على نفسه قلت هي الاقرار على نفسه لانه في معنى الشهادة عليها بالزام الحق لها ويجوز
ان يكون المعنى وان كانت الشهادة وبالا على انفسكم وعلى ابايكم واقاربكم وذلك ان يشهد على من يتوقع ضرره من سلطان
ظالم او غيره ان يكن المشهود عليه غنيا فلا يمنع الشهادة عليه لغناه طلبا لرضاه او فقيرا فلا يمنعها ترحما عليه
فالله اولى بهما اي بالنظر لهما وارادة مصلحتهما ولولا ان الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها لانه اعلم بمصالح العباد من كل ناظر
فان قلت لم ثني الضمير في اولى بهما وكان حقه ان يوحد لان قوله ان يكن غنيا او فقيرا في معنى ان يكن احد هذين قلت
قد رجع الضمير الى ما دل عليه قوله ان يكن غنيا او فقيرا لا الى المذكور فلذلك ثني ولم يفرد وهو جنس الغني وجنس الفقير كانه
قيل فالله اولى بجنسي الغني والفقير اي بالاغنيا والفقرا وفي قراة ابي فالله اولى بهم وهي شاهدة على ذلك وقرا عبد الله ان يكن
غني او فقير على كان التامة فلا تتبعوا الهوى يحتمل العدل والعدول كانه قيل فلا تتبعوا الهوى كراهة ان تعدلوا بين

النساء وإرادة أن تعدلوا عن الحق وإن تلووا أو تعرضوا وإن تلووا ألسنتكم عن شهادة الحق أو حكومة العدل أو تعرضوا عن
الشهادة بما عندكم وتمنعوها وقرئ إن تلوا أو تعرضوا بمعنى وإن وليتم إقامة الشهادة أو أعرضتم عن إقامتها فإن الله كان بما
تعملون خبيرا وبمجازاتكم عليه يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب
الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا خطاب للمسلمين
ومعنى آمنوا اثبتوا على الإيمان وداوموا عليه وازدادوه والكتاب الذي أنزل من قبل المراد به جنس ما أنزل على الأنبياء قبله من الكتب
والدليل عليه قوله وكتبه وقرئ وكتابه على إرادة الجنس وقرئ نزل وأنزل على البناء للفاعل وقيل الخطاب لأهل الكتاب لأنهم آمنوا
ببعض الكتب والرسل وكفروا ببعض وروي أنه لعبد الله بن سلام وأسد وأسيد ابني كعب وثعلبة بن قيس وسلام بن أخت عبد
الله بن سلام وسلمة ابن أخيه ويامين بن يامين أتوا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وقالوا يا رسول الله إنا نؤمن بك وبموسى والتوراة
وعزير ونكفر بما سواه من الكتب فقال عليه الصلاة والسلام بل آمنوا بالله ورسوله محمد وكتابه القرآن وبكل كتاب كان قبله
فقالوا لا نفعل فنزلت فآمنوا بالله كلهم وقيل هو للمنافقين كأنه قيل يا أيها الذين آمنوا نفاقا آمنوا إخلاصا فإن قلت كيف قيل
لأهل الكتاب والكتاب الذي أنزل من قبل وكانوا مؤمنين بالتوراة والإنجيل قلت كانوا مؤمنين بهما فحسب وما كانوا مؤمنين بكل ما
أنزل من الكتب فأمروا أن يؤمنوا بالجنس كله ولأن إيمانهم ببعض الكتب لا يصح إيمانا به لأن طريق الإيمان به هو المعجزة ولا اختصاص لها ببعض
الكتب دون بعض فلو كان إيمانهم بما آمنوا به لأجل المعجزة لآمنوا به كله فحين آمنوا ببعضه علم أنهم لم يعتبروا المعجزة فلم يكن إيمانهم
إيمانا وهذا الذي أراد عز وجل في قوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون
حقا فإن قلت لم قيل نزل على رسوله وأنزل من قبل قلت لأن القرآن نزل مفرقا منجما في عشرين سنة بخلاف الكتب قبله ومعنى
قوله ومن يكفر بالله الآية ومن يكفر بشيء من ذلك فقد ضل لأن الكفر ببعضه كفر بكله ألا ترى كيف قدم الأمر بالإيمان به
جميعا إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا
نفي للغفران والهداية وهي اللطف على سبيل المبالغة التي يعطيها اللام والمراد بنفيهما نفي ما يقتضيهما وهو الإيمان الخالص الثابت
والمعنى أن الذين تكرر منهم الارتداد وعهد منهم ازدياد الكفر والإصرار عليه يستبعد منهم أن يحدثوا ما يستحقون به المغفرة
ويستوجبون اللطف من إيمان صحيح ثابت يرضاه الله لأن قلوب أولئك الذين هذا ديدنهم قلوب قد ضربت بالكفر ومرنت على الردة
وكان الإيمان أهون شيء عندهم وأدونه حيث يبدو لهم فيه كرة بعد أخرى وليس المعنى أنهم لو أخلصوا الإيمان بعد تكرار الردة
ونصحت توبتهم لم يقبل منهم ولم يغفر لهم لأن ذلك مقبول حيث هو بذل للطاقة واستفراغ للوسع ولكنه استبعاد واستغراب
وأنه أمر لا يكاد يكون وهكذا ترى الفاسق الذي يتوب ثم يرجع ثم يتوب ثم يرجع لا يكاد يرجى منه الثبات والغالب أنه يموت على شر
حال وأسمج صورة وقيل هم اليهود آمنوا بالتوراة وبموسى ثم كفروا بالإنجيل وبعيسى ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وعلى آله
وسلم بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين وضع بشر مكان أخبر تهكما
بهم والذين نصب على الذم أو رفع بمعنى أريد الذين أو هم الذين وكانوا يمايلون الكفرة ويوالونهم ويقول بعضهم لبعض لا يتم أمر
محمد فتولوا اليهود أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا يريد لأوليائه الذين كتب لهم العز والغلبة على اليهود وغيرهم
وقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا
معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا أن إذا سمعتم
هي المخففة من الثقيلة والمعنى أنه إذا سمعتم أي نزل عليكم أن الشأن كذا والشأن ما أفادته الجملة بشرطها وجزائها وأن مع
خبرها في موضع الرفع بنزل أو في موضع النصب بنزل فيمن قرأ به والمنزل عليهم في الكتاب هو ما نزل عليهم بمكة من قوله وإذا رأيت
الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وذلك أن المشركين كانوا يخوضون في ذكر القرآن في مجالسهم
فيستهزئون به فنهي المسلمون عن القعود معهم ما داموا خائضين فيه وكان أحبار اليهود بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين فنهوا
أن تقعدوا معهم كما نهوا عن مجالسة المشركين بمكة وكان الذين يقاعدون الخائضين في القرآن من الأحبار هم المنافقون فقيل لهم
إنكم إذا مثل الأحبار في الكفر إن الله جامع المنافقين والكافرين يعني القاعدين والمقعود معهم فإن قلت الضمير
في قوله فلا تقعدوا معهم إلى من يرجع قلت إلى من دل عليه يكفر بها ويستهزأ بها كأنه قيل فلا تقعدوا مع الكافرين بها والمستهزئين
بها فإن قلت لم يكونون مثلهم بالمجالسة إليهم وقت الخوض قلت لأنهم إذا لم ينكروا عليهم كانوا راضين والراضي بالكفر
كافر فإن قلت فهلا كان المسلمون بمكة حين كانوا يجالسون الخائضين من المشركين منافقين قلت لأنهم كانوا لا ينكرون
لعجزهم وهؤلاء لم ينكروا مع قدرتهم فكان ترك الإنكار لرضاهم الذين يتربصون بكم إما بدل من الذين يتخذون وإما صفة
للمنافقين أو نصب على الذم منهم يتربصون بكم أي ينتظرون بكم ما يتجدد لكم من ظفر أو إخفاق فإن كان لكم فتح من الله قالوا
ألم نكن معكم مظاهرين فأسهموا لنا في الغنيمة وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين
فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ألم نستحوذ عليكم ألم نغلبكم ونتمكن

من قتلكم وأسركم فأبقينا عليكم ونمنعكم من المؤمنين بأن ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم ومرضوا في
قتالكم وتوانينا في مظاهرتهم عليكم فهاتوا نصيبا لنا بما أصبتم وقرئ ونمنعكم بالنصب بإضمار أن قال الحطيئة
ألم أك جاركم ويكون بيني ۞ وبينكم المودة والإخاء ۞ فإن قلت لم سمي ظفر المؤمنين فتحا وظفر الكافرين
نصيبا قلت تعظيما لشأن المسلمين وتخسيسا لحظ الكافرين لأن ظفر المسلمين أمر عظيم تفتح له أبواب السماء حتى ينزل على أوليائه
وأما ظفر الكافرين فما هو إلا حظ دني ولمظة من الدنيا يصيبونها إن المنافقين يخادعون الله يفعلون ما يفعل المخادع
من إظهار الإيمان وإبطان الكفر وهو خادعهم وهو فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث تركهم معصومي الدماء والأموال
في الدنيا وأعد لهم الدرك الأسفل من النار في الآخرة ولم يخلهم في العاجل من فضيحة وإحلال بأس ونقمة ورعب دائم والخادع اسم
فاعل من خادعته فخدعته إذا غلبته وكنت أخدع منه وقيل يعطون على الصراط نورا كما يعطى المؤمنون فيمضون بنورهم ثم يطفأ
نورهم ويبقى نور المؤمنين فينادون انظرونا نقتبس من نوركم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى قرئ بضم الكاف وفتحها جمع
كسلان كسكارى في سكران أي يقومون متثاقلين متقاعسين كما ترى من يفعل شيئا على كره لا عن طيبة نفس ورغبة يراءون
الناس يقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة ولا يذكرون الله إلا قليلا ولا يصلون إلا قليلا لأنهم لا يصلون قط غائبين عن
عيون الناس إلا ما يجاهرون به وما يجاهرون به قليل أيضا لأنهم ما وجدوا مندوحة من تكلف ما ليس في قلوبهم لم يتكلفوه أو لا يذكرون
الله بالتسبيح والتهليل إلا ذكرا قليلا في الندرة وهكذا ترى كثيرا من المتظاهرين بالإسلام لو صحبته الأيام والليالي لم تسمع
منه تهليلة ولا تسبيحة ولا تحميدة ولكن حديث الدنيا يستغرق به أوقاته لا يفتر عنه ويجوز أن يراد بالقلة العدم فإن قلت
ما معنى المراءاة وهي مفاعلة من الرؤية قلت فيه وجهان أحدهما أن المرائي يريهم عمله وهم يرونه استحسانه والثاني أن تكون
من المفاعلة بمعنى التفعيل فيقال راءى الناس بمعنى أراهم كقولك نعمه وناعمه وفنقه وفانقه وعيش مفانق وروى أبو زيد
رأت المرأة المرآة إذا أمسكتها لترى وجهها ويدل عليه قراءة ابن أبي إسحق يرؤونهم بهمزة مشددة مثل يرعونهم أي يبصرونهم
أعمالهم ويراؤونهم كذلك مذبذبين بين ذلك إما حال نحو قوله ولا يذكرون عن واو يراؤون أي يراؤونهم غير ذاكرين أو منصوب
على الذم ومعنى مذبذبين ذبذبهم الشيطان والهوى بين الإيمان والكفر فهم مترددون بينهما متحيرون وحقيقة المذبذب الذي
يذب عن كلا الجانبين أي يذاد ويدفع فلا يقر في جانب واحد كما قيل فلان يرمى به الرجوان إلا أن الذبذبة فيها تكرير ليس في الذب
كأن المعنى كلما مال إلى جانب ذب عنه وقرأ ابن عباس مذبذبين بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم أو دينهم أو رأيهم أو بمعنى
يتذبذبون كما جاء صلصل وتصلصل بمعنى وفي مصحف عبد الله متذبذبين وعن أبي جعفر مدبدبين بالدال غير المعجمة وكأن المعنى
أخذ بهم تارة في دبة وتارة في دبة فليسوا ماضين على دبة واحدة والدبة الطريقة ومنها دبة قريش وذلك إشارة إلى الكفر والإيمان لا إلى
هؤلاء لا منسوبين إلى هؤلاء فيكونون مؤمنين ولا إلى هؤلاء ولا منسوبين إلى هؤلاء فيسمون مشركين ومن يضلل الله فلن تجد
له سبيلا يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين لا تتشبهوا بالمنافقين في اتخاذهم اليهود وغيرهم
من أعداء الإسلام أولياء أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا حجة بينة يعني أن موالاة الكافرين بينة على النفاق
وعن صعصعة بن صوحان أنه قال لابن أخ له خالص المؤمن وخالق الكافر والفاجر فإن الفاجر يرضى منك بالخلق الحسن وإنه يحق عليك أن
تخالص المؤمن إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا الدرك الأسفل الطبق الذي في قعر جهنم والنار
سبع دركات سميت بذلك لأنها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض وقرئ بسكون الراء والوجه التحريك لقولهم
أدراك جهنم فإن قلت لم كان المنافق أشد عذابا من الكافر قلت لأنه مثله في الكفر وضم إلى كفره الاستهزاء بالإسلام
وأهله ومداجاتهم إلا الذين تابوا وأصلحوا ما أفسدوا من أسرارهم وأحوالهم في حال النفاق واعتصموا بالله ووثقوا
به كما يثق المؤمنون الخلص وأخلصوا دينهم لله لا يبتغون بطاعتهم إلا وجهه فأولئك مع المؤمنين فهم أصحاب المؤمنين
ورفقاؤهم في الدارين وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما فيشاركونهم فيه ويساهمونهم فإن قلت
من المنافق قلت هو في الشريعة الذي يظهر الإيمان ويبطن الكفر وأما تسميته من ارتكب ما يفسق به بالمنافق فللتغليظ
كقوله من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر ومنه قوله عليه الصلاة والسلام ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم
من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان وقيل لحذيفة رضي الله عنه من المنافق فقال الذي يصف الإسلام ولا يعمل به
وقيل لابن عمر ندخل على السلطان ونتكلم بكلام فإذا خرجنا تكلمنا بخلافه فقال كنا نعده من النفاق وعن الحسن أتى على النفاق
زمان وهو مقروع فيه فأصبح قد قلد وعمم وأعطي سيفا يعني الحجاج ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم
أي يتشفى به من الغيظ أم يدرك به الثار أم يستجلب به نفعا أم يستدفع به ضررا كما يفعل الملوك بعذابهم وهو الغني الذي
لا يجوز عليه شيء من ذلك وإنما هو أمر أوجبته الحكمة أن يعاقب المسيء فإن قمتم بشكر نعمته وآمنتم به فقد أبعدتم عن أنفسكم
استحقاق العذاب وكان الله شاكرا مثيبا موفيا أجوركم عليما بحق شكركم وإيمانكم فإن قلت لم قدم الشكر على الإيمان
قلت لأن العاقل ينظر إلى ما عليه من النعمة العظيمة في خلقه وتعريضه للمنافع فيشكر شكرا مبهما فإذا انتهى به النظر إلى معرفة

الجزء السادس

امريه ثم شكر سكرا مفصلا فكان الشكر مقدما على الايمان وكانه اصل التكليف ومداره **لا يحب الله الجهر**
بالسوء من القول الا من ظلم وكان الله سميعا عليما الا من ظلم الا جهر
من ظلم استثنى من الجهر الذي لا يحبه الله جهر المظلوم وهو ان يدعو على الظالم ويذكره بما فيه من السوء وقيل هو ان يبدا
بالشتيمة فيرد على الشاتم ولمن انتصر بعد ظلمه وقيل ضاف رجل قوما فلم يطعموه فاصبح شاكيا فعوتب على الشكاية فنزلت
وقرئ الا من ظلم على البناء للفاعل للانقطاع اي ولكن الظالم راكب ما لا يحبه الله فيجهر بالسوء ويجوز ان يكون من ظلم مرفوعا
كانه قيل لا يحب الله الجهر بالسوء الا الظالم على لغة من يقول ما جاءني زيد الا عمرو ومعنى ما جاءني الا عمرو ومنه لا يعلم من في السموات
والارض الغيب الا الله **ان تبدوا خيرا او تخفوه او تعفوا عن سوء** حث على العفو وان لا يجهر احد لاحد بسوء وان كان على وجه
الانتصار بعد ما اطلق الجهر به وجعله محبوبا حثا على الاحب والاقصر عنه والادخل في الكرم والسجع في العبودية وذكر
ابداء الخير واخفاءه تشبيبا للعفو ثم عطفه عليهما اعتدادا به وتنبيها على منزلته وان له مكانا في باب الخير وسيطا والدليل على
ان العفو هو الغرض المقصود بذكر ابداء الخير واخفائه قوله **فان الله كان عفوا قديرا** اي يعفو عن الجانين مع قدرته على
الانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنة الله **ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله**
ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض جعل الذين امنوا بالله وكفروا برسله وامنوا بالله وببعض رسله وكفروا ببعض
كافرين بالله ورسله جميعا لما ذكرنا من العلة **ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا** ومعنى اتخاذهم بين ذلك سبيلا ان يتخذوا
دينا وسطا بين الايمان والكفر كقوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا اي طريقا وسطا في القراءة وهو
ما بين الجهر والمخافتة وقد اخطاوا فانه لا واسطة بين الكفر والايمان ولذلك قال **اولئك هم الكافرون حقا** اي هم الكاملون
في الكفر وحقا تاكيد لمضمون الجملة كقولك هو عبد الله حقا اي حق ذلك حقا وهو كونهم كاملين في الكفر او هو صفة لمصدر
الكافرين اي هم الذين كفروا كفرا حقا ثابتا يقينا لا شك فيه **واعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين امنوا بالله ورسله ولم**
يفرقوا بين احد منهم **فان قلت** كيف جاز دخول بين على احد وهو يقتضي شيئين فصاعدا **قلت** ان احدا عام في الواحد المذكر
والمؤنث وتثنيتهما وجمعهما تقول ما رايت احدا فتقصد العموم الا تراك تقول الا بني فلان والا بنات فلان فالمعنى ولم يفرقوا بين اثنين
منهم او بين جماعة ومنه قوله تعالى لستن كاحد من النساء **اولئك سوف نؤتيهم اجورهم وكان الله غفورا رحيما** معناه
ان ايتاءها كائن لا محالة وان تاخر فالغرض به توكيد الوعد وتثبيته لا كونه مؤخرا **يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من**
السماء روي ان كعب بن الاشرف وفنحاص بن عازوراء وغيرهما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم ان كنت نبيا صادقا فاتنا بكتاب
من السماء جملة كما اتى به موسى فنزلت وقيل كتابا الى فلان وكتابا الى فلان انك رسول الله وقيل كتابا نعاينه حين ينزل وانما اقترحوا ذلك على سبيل التعنت
لو سالوه لكي يتبينوا الحق لاعطاهم وفيما اتاهم كفاية **فقد سالوا موسى اكبر من ذلك** جواب لشرط مقدر معناه معناه ان
استكبرت ما سالوه منك فقد سالوا موسى اكبر من ذلك وانما اسند السؤال اليهم وان وجد من ابائهم موسى وهم النقباء السبعون
لانهم كانوا على مذهبهم وراضين بسؤالهم ومضاهين لهم في التعنت **فقالوا ارنا الله جهرة** عيانا بمعنى ارناه نره جهرة **فاخذتهم**
الصاعقة بظلمهم بسبب سؤالهم الرؤية ولو طلبوا امرا جائزا لما سموا ظالمين ولما اخذتهم الصاعقة كما سال ابراهيم صلوات الله
عليه ان يريه احياء الموتى فلم يسمه ظالما ولا رماه بالصاعقة فتبا للمشبهة ورميا بالصواعق **ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم**
البينات فعفونا عن ذلك واتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا واستيلاء ظاهرا عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسهم
حتى يتاب عليهم فاطاعوا واحتبوا بافنيتهم والسيوف تتساقط عليهم فيا لك من سلطان مبين **ورفعنا فوقهم الطور**
بميثاقهم بسبب ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوه **وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا في السبت واخذنا**
منهم ميثاقا غليظا وقلنا لهم والطور مظل عليهم ادخلوا الباب سجدا ولا تعدوا في السبت وقد اخذنا منهم الميثاق على ذلك
وقولهم سمعنا واطعنا ومعاهدتهم على ان يتمسكوا عليه ثم نقضوه بعد وقرئ لا تعدوا ولا تعتدوا وبادغام التاء في الدال **فبما**
نقضهم ميثاقهم وكفرهم بايات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم
فلا يؤمنون الا قليلا فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد **فان قلت** بم تعلقت الباء وما معنى التوكيد **قلت** اما ان يتعلق
بمحذوف كانه قيل فبما نقضهم ميثاقهم فعلنا بهم ما فعلنا واما ان يتعلق بقوله حرمنا عليهم على ان قوله فبظلم من الذين هادوا
بدل من قوله فبما نقضهم ميثاقهم واما التوكيد فمعناه تحقيق ان العقاب او تحريم الطيبات لم يكن الا بنقض العهد وما عطف
عليه من الكفر وقتل الانبياء وغير ذلك **فان قلت** فهلا زعمت ان المحذوف الذي تعلقت به الباء ما دل عليه قوله بل طبع
الله عليها فيكون التقدير فبما نقضهم ميثاقهم طبع الله على قلوبهم بل طبع الله عليها بكفرهم **قلت** لم يصح هذا التقدير
لان قوله بل طبع الله عليها بكفرهم رد وانكار لقولهم قلوبنا غلف فكان متعلقا به وذلك انهم ارادوا بقولهم قلوبنا غلف ان
الله خلق قلوبنا غلفا اي في اكنة لا يتوصل اليها شيء من الذكر والموعظة كما حكى الله عن المشركين وقالوا لو شاء الرحمن ما
عبدناهم وكذبوا مذهب المجبرة اخزاهم الله فقيل لهم بل خذلها الله ومنعها الالطاف بسبب كفرهم فصارت كالمطبوع عليها لا ان تخلق

علفا علفها

غلفا غير قابلة للذكر ولا متمكنة من قبوله **وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما وقولهم انا قتلنا المسيح**
عيسى ابن مريم رسول الله **فان قلت** علام عطف قوله وبكفرهم **قلت** الوجه ان يعطف على فبما نقضهم ويجعل قوله
بل طبع الله عليها بكفرهم كلاما تبع قوله وقولهم قلوبنا غلف على وجه الاستطراد ويجوز عطفه على ما يليه من قوله بكفرهم
فان قلت فما معنى المجيء بالكفر معطوفا على ما فيه ذكره سواء عطف على ما قبل حرف الاضراب او على
ما بعده وهو قوله وكفرهم بايات الله وقوله بكفرهم **قلت** قد تكرر منهم الكفر لانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد فعطف
بعض كفرهم على بعض او عطف مجموع المعطوف على مجموع المعطوف عليه كانه قيل فبجمعهم بين نقض الميثاق والكفر بايات
الله وقتل الانبياء وقولهم قلوبنا غلف وجمعهم بين كفرهم وبهتهم مريم وافتخارهم بقتل عيسى عاقبناهم او بل طبع الله عليها بكفرهم
وجمعهم بين كفرهم كذا وكذا والبهتان العظيم هو التزنية **فان قلت** كانوا كافرين بعيسى عليه السلام اعداء له عامدين لقتله
يسمونه الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فكيف قالوا انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله **قلت** قالوه على وجه الاستهزاء
كقول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون ويجوز ان يضع الله الذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح في الحكاية عنهم رفعا
لعيسى عليه السلام عما كانوا يذكرونه به وتعظيما لما ارادوا بمثله كقوله ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الارض مهادا
وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم روي ان رهطا من اليهود سبوه وسبوا امه فدعا عليهم اللهم انت ربي وبكلمتك خلقتني
اللهم العن من سبني وسب والدتي فمسخ الله من سبهما قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله بانه يرفعه الى السماء ويطهره
من صحبة اليهود فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم انا فالقى الله عليه شبهه
فقتل وصلب وقيل كان رجلا ينافق عيسى فلما ارادوا قتله قال انا ادلكم عليه فدخل بيت عيسى فرفع عيسى والقي شبهه على المنافق
فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون انه عيسى ثم اختلفوا فقال بعضهم انه اله لا يصح قتله وقال بعضهم قد قتل وصلب وقال بعضهم ان كان
هذا عيسى فاين صاحبنا وان كان صاحبنا فاين عيسى **فان قلت** شبه مسند الى ماذا ان جعلته مسندا الى المسيح فالمسيح مشبه به وليس
بمشبه وان اسندته الى المقتول فالمقتول لم يجر له ذكر **قلت** هو مسند الى الجار والمجرور وهو لهم كقولك خيل اليه كانه قيل ولكن
وقع لهم التشبيه ويجوز ان يسند الى ضمير المقتول لان قوله انا قتلنا يدل عليه كانه قيل ولكن شبه لهم من قتلوه **وان الذين اختلفوا فيه**
لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن استثناء منقطع لان اتباع الظن ليس من جنس العلم يعني ولكنهم يتبعون الظن **فان**
قلت قد وصفوا بالشك والشك ان لا يترجح احد الجائزين ثم وصفوا بالظن والظن ان يترجح احدهما فكيف يكونون شاكين ظانين
قلت اريد انهم شاكون ما لهم من علم قط ولكن ان لاحت لهم امارة فظنوا فذاك **وما قتلوه يقينا** وما قتلوه قتلا يقينا او وما قتلوه
متيقنين كما ادعوا ذلك في قولهم انا قتلنا المسيح او يجعل يقينا تاكيدا لقوله وما قتلوه كقولك وما قتلوه حقا اي حق انتفاء قتله
حقا وقيل هو من قولهم قتلت الشيء علما ونحرته علما اذا تبالغ فيه علمك وفيه تهكم لانه اذا نفي عنهم العلم نفيا كليا بحرف الاستغراق
ثم قيل وما علموه علم يقين واحاطة لم يكن الا تهكما بهم **وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته** ليؤمنن به جملة قسمية واقعة
صفة لموصوف محذوف تقديره وان من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن به ونحوه وما منا الا له مقام معلوم وان منكم الا واردها والمعنى وما
من اليهود احد الا ليؤمنن قبل موته بعيسى وبانه عبد الله ورسوله يعني اذا عاين قبل ان تزهق روحه حين لا ينفعه ايمانه لانقطاع وقت
التكليف وعن شهر بن حوشب قال لي الحجاج اية ما قراتها الا تخالج في نفسي شيء منها يعني هذه الاية وقال اني اوتى بالاسير من اليهود
والنصارى فاضرب عنقه فلا اسمع منه ذلك فقلت ان اليهودي اذا حضره الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا يا عدو الله اتاك عيسى نبيا فكذبت به فيقول امنت انه عبد نبي وتقول للنصراني اتاك
عيسى نبيا فزعمت انه الله او ابن الله فيؤمن انه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه ايمانه قال وكان متكئا فاستوى جالسا فنظر الي
وقال ممن قلت حدثني محمد بن علي ابن الحنفية فاخذ ينكت الارض بقضيبه ثم قال لقد اخذتها من عين صافية او من معدنها قال الكلبي فقلت له ما
اردت الى ان تقول حدثني محمد بن علي ابن الحنفية قال اردت ان اغيظه يعني بزيادة اسم علي رضوان الله عليه لانه مشهور بابن الحنفية و
عن ابن عباس رضي الله عنهما انه فسره كذلك فقال له عكرمة فان اتاه رجل فضرب عنقه قال لا تخرج نفسه حتى يحرك بها شفتيه قال وان خر
من فوق بيت او احترق او اكله سبع قال يتكلم بها في الهوي ولا تخرج روحه حتى يؤمن به وتدل عليه قراءة ابي الا ليؤمنن به قبل موتهم
بضم النون على معنى وان منهم احد الا سيؤمنون به قبل موتهم لان احدا يصلح للجمع **فان قلت** ما فائدة الاخبار بايمانهم بعيسى
قبل موتهم **قلت** فائدته الوعيد وليكون علمهم بانهم لا بد لهم من الايمان به عن قريب عند المعاينة وانه لا ينفعهم بعثا لهم وتنبيها
على معاجلة الايمان في اوان الانتفاع به وليكون الزاما للحجة لهم وكذلك قوله **ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا** يشهد على اليهود
بانهم كذبوه وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله وقيل الضميران لعيسى بمعنى وان منهم احد الا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وهم
اهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله روي انه ينزل من السماء في اخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون
الملة واحدة وهي ملة الاسلام ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر
والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه ويجوز ان يراد انه
لا يبقى احد من جميع اهل الكتاب الا ليؤمنن به على ان الله يحييهم في قبورهم في ذلك الزمان ويعلمهم نزوله وما انزل له ويؤمنون
به حين لا ينفعهم ايمانهم وقيل الضمير في به يرجع الى الله وقيل الى محمد صلى الله عليه وعلى اله وسلم **فبظلم من الذين هادوا حرمنا**

عليهم طيبات أحلت لهم فبأي ظلم منهم والمعنى ما حرمنا عليهم الطيبات إلا لظلم عظيم ارتكبوه وهو ما عدد لهم من الكفر
والكبائر العظيمة والطيبات التي حرمت عليهم ما ذكره في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر وحرمت عليهم الألبان وكلما أذنبوا
ذنبا صغيرا أو كبيرا حرم عليهم بعض الطيبات من المطاعم وغيرها وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ناسا كثيرا أو صدا كثيرا
وأخذهم الربوا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل بالرشوة التي كانوا يأخذونها من سفلتهم في تحريف الكتاب
وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما لكن الراسخون في العلم منهم يريد من آمن منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه
والراسخون في العلم الثابتون فيه المتقنون المستبصرون والمؤمنون يعني المؤمنين منهم أو المؤمنين من المهاجرين والأنصار
يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وارتفع الراسخون على الابتداء ويؤمنون خبره والمقيمين الصلوة والمؤتون
الزكوة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما والمقيمين نصب على المدح لبيان فضل الصلوة
وهو باب واسع قد كسره سيبويه على أمثلة وشواهد ولا يلتفت إلى ما زعموا من وقوعه لحنا في خط المصحف وربما التفت إليه من لم ينظر
في الكتاب ولم يعرف مذاهب العرب وما لهم في النصب على الاختصاص من الافتنان وغبي عليه أن السابقين الأولين الذين مثلهم في
التوراة ومثلهم في الإنجيل كانوا أبعد همة في الغيرة على الإسلام وذب المطاعن عنه من أن يتركوا في كتاب الله ثلمة ليسدها من
بعدهم وخرقا يرفوه من يلحق بهم وقيل هو عطف على بما أنزل إليك أي يؤمنون بالكتب وبالمقيمين الصلوة وهم الأنبياء وفي مصحف
عبد الله والمقيمون بالواو وهي قراءة مالك بن دينار والجحدري وعيسى الثقفي إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين
من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمن
جواب لأهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بأن شأنه في الوحي إليه
كشأن سائر الأنبياء الذين سلفوا وآتينا داود زبورا وقرئ زبورا بضم الزاي جمع زبر وهو الكتاب ورسلا قد قصصناهم
عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك ورسلا نصب بمضمر في معنى أوحينا إليك وهو أرسلنا ونبأنا وهو ما فسره ذلك أو
بما فسره قصصناهم وفي قراءة أبي ورسل قد قصصناهم عليك من قبل ورسل لم نقصصهم وكلم الله موسى تكليما وعن إبراهيم
ويحيى بن وثاب أنهما قرآ وكلم الله بالنصب ومن بدع التفاسير أنه من الكلم وأن معناه وجرح الله موسى بأظفار المحن
ومخالب الفتن رسلا مبشرين ومنذرين الوجه أن ينتصب على المدح ويجوز انتصابه على التكرير لئلا يكون للناس على الله حجة
بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما فإن قلت كيف يكون للناس على الله حجة قبل الرسل وهم محجوجون بما نصبه الله
من الأدلة التي النظر فيها موصل إلى المعرفة والرسل في أنفسهم لم يتوصلوا إلى المعرفة إلا بالنظر في تلك الأدلة ولا عرف أنهم رسل الله
إلا بالنظر فيها قلت الرسل منبهون عن الغفلة وباعثون على النظر كما ترى علماء أهل العدل والتوحيد مع تبليغ ما حملوه من تفصيل
أمور الدين وبيان أحوال التكليف وتعليم الشرائع فكان إرسالهم إزاحة للعلة وتتميما لإلزام الحجة لئلا يقولوا لولا أرسلت إلينا
رسولا فيوقظنا من سنة الغفلة وينبهنا لما وجب الانتباه له لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه وقرأ السلمي لكن الله
بالتشديد فإن قلت الاستدراك لا بد له من مستدرك فما هو في قوله لكن الله يشهد قلت لما سأل أهل الكتاب إنزال
الكتاب من السماء وتعنتوا بذلك واحتج عليهم بقوله إنا أوحينا إليك قال لكن الله يشهد بمعنى أنهم لا يشهدون لكن الله يشهد
وقيل لما نزل إنا أوحينا إليك قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل لكن الله يشهد ومعنى شهادة الله بما أنزل إليه إثباته لصحته بإظهار المعجزات
كما تثبت الدعاوي بالبينات والملئكة يشهدون وشهادة الملئكة شهادتهم بأنه حق وصدق فإن قلت بم يعلمون
لو قالوا لم نعلم أن الملئكة يشهدون بذلك قلت يعلمون بأنه يعلم بشهادة الله لأنه لما علم بإظهار المعجزات أنه شاهد بصحته
علم أن الملئكة يشهدون بصحة ما شهد بصحته لأن شهادتهم تبع لشهادته فإن قلت ما معنى قوله أنزله بعلمه وما موقعه من
الجملة التي قبله قلت معناه أنزله ملتبسا بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره وهو تأليفه على نظم وأسلوب يعجز عنه كل بليغ وصاحب
للعباد وقيل أنزله وهو عالم بأنك أهل لإنزاله إليك وأنك مبلغه وقيل أنزله بما علم من مصالح العباد مشتملا عليه ويحتمل أنه
أنزله وهو عالم به رقيب عليه حافظ له من الشياطين برصد من الملئكة والملئكة يشهدون كما قال في آخر سورة الجن إلى قوله
وأحاط بما لديهم والإحاطة بمعنى العلم وكفى بالله شهيدا وإن لم يشهد غيره لأن التصديق بالمعجزة هو الشهادة حقا قل أي شيء
أكبر شهادة قل الله إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا إن الذين كفروا وظلموا لم
يكن الله ليغفر لهم كفروا وظلموا جمعوا بين الكفر والمعاصي وكان بعضهم كافرين وبعضهم ظالمين أصحاب كبائر لأنه لا فرق
بين الفريقين في أنه لا يغفر لهم إلا بالتوبة ولا ليهديهم طريقا إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا لا يلطف بهم فيسلكون الطريق
الموصل إلى جهنم أو لا يهديهم يوم القيمة طريقا إلا طريقها وكان ذلك على الله يسيرا أي لا صارف له عنه يا أيها الناس قد
جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم وإن تكفروا فإن لله ما في السموات والأرض وكان الله عليما حكيما
فآمنوا خيرا لكم وكذلك انتهوا خيرا لكم انتصابه بمضمر وذلك أنه لما بعثهم على الإيمان وعلى الانتهاء عن التثليث علم أنه يحملهم
على أمر فقال خيرا لكم أي اقصدوا وأتوا أمرا خيرا لكم مما أنتم فيه من الكفر والتثليث وهو الإيمان والتوحيد يا أهل الكتاب

فموقعه مما قبله موقع الجملة المفسرة لأنه بيان للشهادة وأن شهادته بصحته أنه أنزله بالنظم المعجز الفائق

لا تغلوا في دينكم غلت اليهود في حط المسيح عن منزلته حيث جعلته مولودا لغير رشدة وغلت النصارى في رفعه عن مقداره
حيث جعلوه إلها ولا تقولوا على الله إلا الحق وهو تنزيهه عن الشريك والولد إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته
ألقاها إلى مريم وروح منه وقرأ جعفر بن محمد رضي الله عنهما إنما المسيح بوزن السكيت وقيل لعيسى كلمة الله وكلمة منه لأنه
وجد بكلمته وأمره لا غير من غير واسطة أب ولا نطفة وقيل له روح الله وروح منه لذلك لأنه ذو روح وجد من غير جزء من ذي
روح كالنطفة المنفصلة من الأب الحي وإنما اخترع اختراعا من عند الله وقدرته خالصة ومعنى ألقاها إلى مريم أوصلها
إليها وحصلها فيها فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد ثلثة خبر مبتدأ محذوف
فإن صحت الحكاية عنهم أنهم يقولون هو جوهر واحد ثلثة أقانيم أقنوم الأب وأقنوم الابن وأقنوم روح القدس وأنهم يريدون
بأقنوم الأب الذات وبأقنوم الابن العلم وبأقنوم روح القدس الحيوة فتقديره الله ثلثة وإلا فتقديره الآلهة ثلثة والذي
يدل عليه القرآن التصريح منهم بأن الله والمسيح ومريم ثلثة آلهة وأن المسيح ولد الله من مريم ألا ترى إلى قوله أأنت قلت للناس
اتخذوني وأمي إلهين من دون الله وقالت النصارى المسيح ابن الله والمشهور المستفيض عنهم أنهم يقولون في المسيح لاهوتية
وناسوتية من جهة الأب والأم ويدل عليه قوله إنما المسيح عيسى ابن مريم فأثبت أنه ولد لمريم اتصل بها اتصال الأولاد بأمهاتهم
وأن اتصاله بالله عز وعلا من حيث أنه رسوله وأنه موجود بأمره وابتداعه جسدا حيا من غير أب فنفى أن يتصل به اتصال الأبناء بالآباء
وقوله سبحانه أن يكون له ولد وحكاية الله أوثق من حكاية غيره ومعنى سبحانه أن يكون له ولد سبحه تسبيحا من أن يكون
له ولد وقرأ الحسن إن يكون بكسر الهمزة ورفع النون أي سبحانه ما يكون له ولد على أن الكلام جملتان له ما في السموات وما
في الأرض بيان لتنزهه عما نسب إليه يعني أن كل ما فيهما خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزءا منه على أن الجزء إنما يصح في
الأجسام وهو متعال عن صفات الأجسام والأعراض وكفى بالله وكيلا يكل إليه الخلق كلهم أمورهم فهو الغني
عنهم وهم الفقراء إليه لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله لن يأنف ولن يذهب بنفسه عزة من نكفت الدمع إذا نحيته
عن خدك بإصبعك ولا الملئكة المقربون ولا من هو أعلى منه قدرا وأعظم منه خطرا وهم الملئكة الكروبيون الذين حول
العرش كجبريل وميكائيل وإسرافيل ومن في طبقتهم فإن قلت من أين دل قوله ولا الملئكة المقربون على أن المعنى ولا
من فوقه قلت من حيث إن علم المعاني لا يقتضي غير ذلك وذلك أن الكلام إنما سيق لرد مذهب النصارى وغلوهم في رفع المسيح
عن منزلة العبودية فوجب أن يقال لهم لن يترفع عيسى عن العبودية ولا من هو أرفع منه درجة كأنه قيل لن يستنكف الملئكة
المقربون من العبودية فكيف بالمسيح ويدل عليه دلالة ظاهرة بينة تخصيص المقربين لكونهم أرفع الملئكة درجة وأعلاهم منزلة
ومثاله قول القائل وما مثله ممن يجاود حاتم ولا البحر ذو الأمواج يلتج زاخر لا شبهة في أنه قصد بالبحر
ذي الأمواج ما هو فوق حاتم في الجود ومن كان له ذوق فليذق مع هذه الآية قوله تعالى ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى
حتى يعرف الفرق البين وقرأ علي رضي الله عنه عبيدا لله على التصغير وروي أن وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم
لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال وأي شيء أقول قالوا تقول إنه عبد الله ورسوله قال إنه ليس بعار أن يكون عبد الله
قالوا بلى فنزلت أي لا يستنكف عيسى من ذلك فلا تستنكفوا له منه فلو كان موضع استنكاف لكان هو أولى بأن يستنكف
لأن العار ألصق به فإن قلت علام عطف قوله ولا الملئكة المقربون قلت لا يخلو إما أن يعطف على المسيح أو على اسم يكون
أو على المستتر في عبدا لما فيه من معنى الوصف لدلالته على معنى العبادة كقولك مررت برجل عبد أبوه فالعطف على المسيح هو
الظاهر لأداء غيره إلى ما فيه بعض انحراف عن الغرض وهو أن المسيح لا يأنف أن يكون هو ولا من فوقه موصوفين بالعبودية
أو أن يعبد الله هو ومن فوقه فإن قلت قد جعلت الملئكة وهم جماعة عبدا لله في هذا العطف فما وجهه قلت فيه
وجهان أحدهما أن يراد ولا كل واحد من الملئكة أو ولا الملئكة المقربون أن يكونوا عبادا لله فحذف ذلك لدلالة عبد الله
عليه إيجازا وأما إذا عطفتهم على الضمير في عبدا فقد طاح هذا السؤال ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر
فسيحشرهم إليه جميعا قرئ فسنحشرهم بضم الشين وكسرها وبالنون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم
أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من
دون الله وليا ولا نصيرا فإن قلت التفصيل غير مطابق للمفصل لأنه اشتمل على الفريقين والمفصل على فريق واحد
قلت هو مثل قولك جمع الإمام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه نكل به وصحة ذلك لوجهين أحدهما
أن يحذف ذكر أحد الفريقين لدلالة التفصيل عليه ولأن ذكر أحدهما يدل على ذكر الثاني كما حذف واحدهما في التفصيل في قوله عقيب هذا
فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به والثاني وهو أن الإحسان إلى غيرهم مما يغمهم فكان داخلا في جملة التنكيل بهم فكأنه قيل
ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيعذب بالحسرة إذا رأى أجور العاملين وبما يصيبه من عذاب الله يا أيها الناس
قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا البرهان والنور المبين القرآن أو أراد بالبرهان دين
الحق أو رسول الله وبالنور المبين ما يبينه ويصدقه من الكتاب المعجز فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في

رحمة منه وفضل ثواب مستحق وتفضل ويهديهم إليه إلى عبادته صراطا مستقيما وهو طريق الإسلام والمعنى
توفيقهم وتثبيتهم يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة روي أنه آخر ما نزل من الأحكام كان رسول الله صلى الله عليه
وعلى آله وسلم في طريق مكة عام حجة الوداع فأتاه جابر بن عبد الله فقال إن لي أختا فكم آخذ من ميراثها إن ماتت وقيل كان مريضا فعاده
رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال إني كلالة فكيف أصنع في مالي إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك
ارتفع امرؤ بمضمر يفسره الظاهر ومحل ليس له ولد الرفع على الصفة لا النصب على الحال أي إن هلك امرؤ غير ذي ولد والمراد بالولد الابن
وهو اسم مشترك يجوز إيقاعه على الذكر وعلى الأنثى لأن الابن يسقط الأخت ولا تسقطها البنت إلا في مذهب ابن عباس والأخت التي
هي لأب وأم أو لأب دون التي لأم لأن الله فرض لها النصف وجعل أخاها عصبة وقال للذكر مثل حظ الأنثيين وأما الأخت للأم فلها السدس
في آية المواريث مسوى بينها وبين أخيها وهو يرثها وأخوها يرثها إن قدر الأمر على العكس من موتها وبقائه بعدها إن لم
يكن لها ولد أي ابن لأن الابن يسقط الأخ دون البنت **فإن قلت** الابن لا يسقط الأخ وحده فإن الأب نظيره في الإسقاط
فلم اقتصر على نفي الولد **قلت** بين حكم انتفاء الولد ووكل حكم انتفاء الوالد إلى بيان السنة وهو قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ألحقوا
الفرائض بأهلها فما بقي فلأولى عصبة ذكر والأب أولى من الأخ وليسا بأول حكمين بين أحدهما بالكتاب والآخر بالسنة ويجوز
أن يدل حكم انتفاء الولد على حكم انتفاء الوالد لأن الولد أقرب إلى الميت من الوالد فإذا ورث الأخ عند انتفاء الأقرب فأولى أن يرث
عند انتفاء الأبعد ولأن الكلالة تناول انتفاء الولد والوالد جميعا فكان ذكر انتفاء أحدهما دالا على انتفاء الآخر
فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وإن كانوا إخوة رجالا ونساء
فللذكر مثل حظ الأنثيين **فإن قلت** إلى من يرجع ضمير التثنية والجمع في قوله فإن كانتا اثنتين وإن كانوا إخوة **قلت**
أصله فإن كان من يرث بالأخوة اثنتين وإن كان من يرث بالأخوة ذكورا وإناثا وإنما قيل فإن كانتا وإن كانوا كما قيل من كانت أمك
فكما أنث ضمير من لمكان تأنيث الخبر كذلك ثنى وجمع ضمير من يرث في كانتا وكانوا لمكان تثنية الخبر وجمعه والمراد بالإخوة
والأخوات تغليبا لحكم الذكورة يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم أن تضلوا مفعول له ومعناه كراهة
أن تضلوا عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من قرأ سورة النساء فكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا وأعطي من الأجر كمن اشترى محررا
وبرئ من الشرك وكان في مشيئة الله من الذين يتجاوز عنهم

سوره المايده مدنيه وهي مايه وثلاث وعشرون ايه

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام يقال وفى بالعهد وأوفى به ومنه والموفون بعهدهم والعقد العهد الموثق شبه بعقد الحبل ونحوه قول الحطيئة
قوم إذا عقدوا عقدا لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا وهي عقود الله التي عقدها على عباده وألزمها إياهم
من مواجب التكليف وقيل هي ما يعقدون بينهم من عقود الأمانات ويتحالفون عليه ويتماسحون من المبايعات ونحوها والظاهر أنها
عقود الله عليهم في دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه وأنه كلام قدم مجملا ثم عقب بالتفصيل وهو قوله أحلت لكم وما بعده والبهيمة
كل ذات أربع في البر والبحر وإضافتها إلى الأنعام للبيان وهي الإضافة التي بمعنى من كخاتم فضة ومعناه البهيمة من الأنعام إلا
ما يتلى عليكم إلا محرم ما يتلى عليكم من القرآن من نحو قوله حرمت عليكم الميتة أو إلا ما يتلى عليكم آية تحريمه والأنعام الأزواج الثمانية
وقيل بهيمة الأنعام الظباء وبقر الوحش ونحوها كأنهم أرادوا ما يماثل الأنعام ويدانيها من جنس البهائم في الاجترار وعدم الأنياب
فأضيفت إلى الأنعام لملابسة الشبه غير محلي الصيد نصب على الحال من الضمير في لكم أي أحلت لكم هذه الأشياء لا محلين الصيد وعن
الأخفش أن انتصابه عن قوله أوفوا بالعقود وقوله وأنتم حرم حال عن محلي الصيد كأنه قيل أحللنا لكم بعض الأنعام في حال امتناعكم
من الصيد وأنتم محرمون لئلا نحرج عليكم إن الله يحكم ما يريد من الأحكام ويعلم أنه حكمة ومصلحة والحرم جمع حرام وهو
المحرم يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام الشعائر جمع
شعيرة وهي اسم ما أشعر أي جعل شعارا وعلما للنسك من مواقف الحج ومرامي الجمار والمطاف والمسعى والأفعال التي هي علامات الحاج يعرف بها
من الإحرام والطواف والسعي والحلق والنحر والشهر الحرام شهر الحج والهدي ما أهدي إلى البيت وتقرب به إلى الله تعالى من النسائك
وهو جمع هدية كما يقال جدي في جمع جدية السرج والقلائد جمع قلادة وهي ما قلد به الهدي من نعل أو عروة مزادة أو لحاء شجر أو غيره
وآمو المسجد الحرام قاصدوه وهم الحجاج والعمار وإحلال هذه الأشياء أن يتهاون بحرمة هذه الشعائر وأن يحال بينها وبين المتنسكين
بها وأن يحدثوا في أشهر الحج ما يصدون به الناس عن الحج وأن يتعرض للهدي بالغصب أو بالمنع من بلوغ محله وأما القلائد ففيها وجهان أحدهما
أن يراد بها ذوات القلائد من الهدي وهي البدن وتعطف على الهدي للاختصاص وزيادة التوصية بها لأنها أشرف الهدي كقوله وجبريل
وميكائيل كأنه قيل والقلائد منها خصوصا والثاني أن ينهى عن التعرض لقلائد الهدي مبالغة في النهي عن التعرض للهدي على معنى ولا تحلوا قلائدها

فضلا عن أن تحلوها كما قال ولا يبدين زينتهن فنهى عن إبداء الزينة مبالغة في النهي عن إبداء مواقعها ولا آمين ولا تحلوا قوما قاصدين المسجد
الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا وهو الثواب وأن يرضى عنهم أي لا تتعرضوا لقوم هذه صفتهم تعظيما لهم واستنكارا
أن يتعرض لمثلهم قيل هي محكمة وعن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم المائدة من آخر القرآن نزولا فأحلوا حلالها وحرموا حرامها وقال
الحسن ليس فيها منسوخ وعن أبي ميسرة فيها ثماني عشرة فريضة وليس فيها منسوخ وقيل هي منسوخة وعن ابن عباس رضي الله عنهما
كان المسلمون والمشركون يحجون جميعا فنهى الله المسلمين أن يمنعوا أحدا عن حج البيت بقوله لا تحلوا ثم نزل بعد ذلك إنما المشركون نجس فما كان
للمشركين أن يعمروا مساجد الله وقال مجاهد والشعبي لا تحلوا نسخ بقوله واقتلوهم حيث وجدتموهم وفسر ابتغاء الفضل بالتجارة
وابتغاء الرضوان بأن المشركين كانوا يظنون في أنفسهم أنهم على سداد من دينهم وأن الحج يقربهم إلى الله فوصفهم الله بظنهم وقرأ
عبد الله ولا آمي البيت الحرام على الإضافة وقرأ حميد بن قيس والأعرج تبتغون بالتاء على خطاب المؤمنين وإذا حللتم فاصطادوا
إباحة للاصطياد بعد حظره عليهم كأنه قيل وإذا حللتم فلا جناح عليكم أن تصطادوا وقرئ بكسر الفاء وقيل هو بدل من كسرة
الهمزة عند الابتداء وقرئ وإذا أحللتم يقال حل المحرم وأحل ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام
أن تعتدوا جرم يجري مجرى كسب في تعديه إلى مفعول واحد واثنين تقول جرم ذنبا نحو كسبه وجرمته ذنبا نحو كسبته إياه
ويقال أجرمته ذنبا على نقل المتعدي إلى مفعول بالهمزة إلى مفعولين كقولهم أكسبته ذنبا وعليه قراءة عبد الله ولا يجرمنكم بضم
الياء وأول المفعولين على القراءتين ضمير المخاطبين والثاني أن تعتدوا وأن صدوكم بفتح الهمزة متعلق بالشنآن بمعنى العلة والشنآن
شدة البغض وقرئ بسكون النون والمعنى ولا يكسبنكم بغض قوم لأن صدوكم الاعتداء ولا يحملنكم عليه وقرئ إن صدوكم
على أن الشرطية وفي قراءة عبد الله إن يصدوكم ومعنى صدهم إياهم عن المسجد الحرام منع أهل مكة رسول الله صلى الله عليه وعلى
آله وسلم والمؤمنين يوم الحديبية عن العمرة ومعنى الاعتداء الانتقام منهم بإلحاق مكروه بهم وتعاونوا على البر والتقوى على العفو
والإغضاء ولا تعاونوا على الإثم والعدوان على الانتقام والتشفي ويجوز أن يراد العموم لكل بر وتقوى وكل إثم وعدوان فيتناول
بعمومه العفو والانتصار واتقوا الله إن الله شديد العقاب حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير كان أهل الجاهلية
يأكلون هذه المحرمات البهيمة التي تموت حتف أنفها والفصيد وهو الدم في المباعر يشوونها ويقولون لم يحرم من فزد له وما أهل لغير
الله به أي رفع الصوت به لغير الله وهو قولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه والمنخنقة التي خنقوها حتى ماتت أو انخنقت بسبب
والموقوذة التي أثخنوها ضربا بعصا أو حجر حتى ماتت والمتردية التي تردت من جبل أو في بئر فماتت والنطيحة وهي التي نطحتها أخرى
فماتت بالنطح وما أكل السبع بعضه إلا ما ذكيتم إلا ما أدركتم ذكاته وهو يضطرب اضطراب المذبوح وتشخب أوداجه وقرأ
عبد الله والمنطوحة وفي رواية عن أبي عمرو والسبع بسكون الباء وقرأ ابن عباس وأكيل السبع وما ذبح على النصب كانت لهم حجارة
منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويشرحون عليها اللحم يعظمونها بذلك ويتقربون به إليها تسمى الأنصاب والنصب واحد قال الأعشى
وذا النصب المنصوب لا تعبدنه وقيل هو جمع والواحد نصاب وقرئ النصب بسكون الصاد وأن تستقسموا بالأزلام وحرم
عليكم الاستقسام بالأزلام كان أحدهم إذا أراد سفرا أو غزوا أو تجارة أو نكاحا أو أمرا من معاظم الأمور ضرب بالقداح وهي مكتوب على بعضها نهاني
ربي وعلى بعضها أمرني ربي وبعضها غفل فإن خرج الآمر مضى لطيته وإن خرج الناهي أمسك وإن خرج الغفل أجالها عودا
ومعنى الاستقسام بالأزلام طلب معرفة ما قسم له مما لم يقسم له بالأزلام وقيل هو الميسر وقسمتهم الجزور على الأنصباء المعلومة ذلكم
فسق الإشارة إلى الاستقسام أو إلى تناول ما حرم عليهم لأن المعنى حرم عليكم تناول الميتة وكذا وكذا **فإن قلت**
لم كان استقسام المسافر وغيره بالأزلام ليعرف الحال فسقا **قلت** لأنه دخول في علم الغيب الذي استأثر به علام الغيوب وقال لا يعلم من
في السماوات والأرض الغيب إلا الله واعتقاد أن إليه طريقا وإلى استنباطه وقوله أمرني ربي ونهاني ربي افتراء على الله وما يدريه أنه
أمره أو نهاه والكهنة والمنجمون بهذه المثابة وإن كان أراد بالرب الصنم فقد روي أنهم كانوا يجيلونها عند أصنامهم فأمره ظاهر اليوم
لم يرد به يوما بعينه وإنما أراد الزمان الحاضر وما يتصل به ويدانيه من الأزمنة الماضية والآتية كقولك كنت بالأمس شابا وأنت
اليوم أشيب فلا تريد بالأمس الذي قبل يومك ونحوه الآن في قوله الآن لما ابيض مسربتي وعضضت من نابي على جذم وقيل أريد
يوم نزولها وقد نزلت يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع يئس الذين كفروا من دينكم يئسوا منه أن يبطلوه
وأن يرجعوا محللين لهذه الخبائث بعد ما حرمت عليكم وقيل يئسوا من دينكم أن يغلبوه لأن الله عز وجل وفى بوعده من إظهاره على الدين
كله فلا تخشوهم بعد إظهار الدين وزوال الخوف من الكفار وانقلابهم مغلوبين مقهورين بعد ما كانوا غالبين واخشون
وأخلصوا لي الخشية اليوم أكملت لكم دينكم كفيتكم أمر عدوكم وجعلت اليد العليا لكم كما تقول الملوك
اليوم كمل لنا الملك وكمل لنا ما نريد إذا كفوا من ينازعهم الملك ووصلوا إلى أغراضهم ومباغيهم أو أكملت لكم ما تحتاجون إليه في تكليفكم من
تعليم الحلال والحرام والتوقيف على الشرائع وقوانين القياس وأصول الاجتهاد وأتممت عليكم نعمتي بفتح مكة ودخولها آمنين
ظاهرين وهدم منار الجاهلية ومناسكهم وأن لم يحج معكم مشرك ولم يطف بالبيت عريان أو أتممت نعمتي عليكم بإكمال أمر
الدين والشرائع كأنه قيل اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي لأنه لا نعمة أتم من نعمة الإسلام ورضيت لكم الإسلام

الإسلام دينا يعني اخترته لكم من بين الأديان وآذنتكم بأنه هو الدين المرضي وحده ومن يبتغ غير الإسلام دينا إن هذه أمتكم أمة واحدة **فإن قلت** بم اتصل قوله فمن اضطر **قلت** بذكر المحرمات وقوله ذلكم فسق اعتراض أكد به معنى التحريم وكذلك ما بعده لأن تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والإسلام المنعوت بالرضى دون غيره من الملل ومعناه فمن اضطر إلى الميتة أو إلى غيرها في مخمصة في مجاعة غير متجانف لإثم غير منحرف إليه كقوله غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم لا يؤاخذه بذلك يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات في السؤال معنى القول فلذلك وقع بعده ماذا أحل لهم كأنه قيل يقولون لك ماذا أحل لهم وإنما لم يقل ماذا أحل لنا حكاية لما قالوه لأن يسألونك بلفظ الغيبة كما تقول أقسم زيد ليفعلن ولو قيل لأفعلن وأحل لنا لكان صوابا وماذا مبتدأ وأحل لهم خبره كقولك أي شيء أحل لهم ومعناه ماذا أحل لهم من المطاعم كأنهم حين تلي عليهم ما حرم عليهم من خبيثات المآكل سألوا عما أحل لهم منها فقيل أحل لكم الطيبات أي ما ليس بخبيث منها وهو كل ما لم يأت تحريمه في كتاب أو سنة أو قياس مجتهد وما علمتم من الجوارح عطف على الطيبات أي أحل لكم الطيبات وصيد ما علمتم فحذف المضاف أو جعل ما شرطية وجوابها فكلوا والجوارح الكواسب من سباع البهائم والطير كالكلب والفهد والنمر والعقاب والصقر والبازي والشاهين مكلبين تعلمونهن المكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد لصاحبها ورائضها لذلك بما علم من الحيل وطرق التأديب والتثقيف واشتقاقه من الكلب لأن التأديب أكثر ما يكون في الكلاب فاشتق من لفظه لكثرته في جنسه أو لأن السبع يسمى كلبا ومنه قوله عليه الصلاة والسلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فأكله الأسد أو من الكلب الذي هو بمعنى الضراوة يقال هو كلب بكذا إذا كان ضاريا به وانتصاب مكلبين على الحال من علمتم **فإن قلت** ما فائدة هذه الحال وقد استغنى عنها بعلمتم **قلت** فائدتها أن يكون من يعلم الجوارح نحريرا في علمه مدربا فيه موصوفا بالتكليب وتعلمونهن حال ثانية أو استئناف وفيه فائدة جليلة وهي أن على كل آخذ علما أن لا يأخذه إلا من أقتل أهله علما وأنحرهم دراية وأغوصهم على لطائفه وحقائقه وإن احتاج إلى أن يضرب إليه أكباد الإبل فكم من آخذ عن غير متقن قد ضيع أيامه وعض عند لقاء النحارير أنامله مما علمكم الله من علم التكليب لأنه إلهام من الله ومكتسب بالعقل أو مما عرفكم أن تعلموه من اتباع الصيد بإرسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعائه وإمساك الصيد عليه وأن لا يأكل منه وقرئ مكلبين بالتخفيف وأفعل وفعل يشتركان فكلوا مما أمسكن عليكم الإمساك على صاحبه أن لا يأكل منه لقوله عليه الصلاة والسلام لعدي بن حاتم وإن أكل منه فلا تأكل إنما أمسك على نفسه وعن علي رضي الله عنه إذا أكل البازي فلا تأكل وفرق العلماء فاشترطوا في سباع البهائم ترك الأكل لأنها تؤدب بالضرب ولم يشترطوا في سباع الطير ومنهم من لم يعتبر ترك الأكل أصلا ولم يفرق ... وذكرت اسم الله عليه فكل **فإن قلت** إلام يرجع الضمير في قوله واذكروا اسم الله عليه **قلت** إما أن يرجع إلى ما أمسكن على معنى وسموا عليه إذا أدركتم ذكاته أو إلى ما علمتم من الجوارح أي سموا عليه عند إرساله واتقوا الله إن الله سريع الحساب اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم طعام الذين أوتوا الكتاب قيل هو ذبائحهم وقيل جميع مطاعمهم ويستوي في ذلك جميع النصارى وعن علي رضي الله عنه أنه استثنى نصارى بني تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم يأخذوا منها إلا شرب الخمر وبه أخذ الشافعي رضي الله عنه وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن ذبائح نصارى العرب فقال لا بأس وهو قول عامة التابعين وبه أخذ أبو حنيفة رضي الله عنهم وحكم الصابئين حكم أهل الكتاب عند أبي حنيفة وقال صاحباه هم صنفان صنف يقرؤون الزبور ويعبدون الملائكة وصنف لا يقرؤون كتابا ويعبدون النجوم فهؤلاء ليسوا من أهل الكتاب وأما المجوس فقد سن بهم سنة أهل الكتاب في أخذ الجزية منهم دون أكل ذبائحهم ونكاح نسائهم وقد روي عن ابن المسيب أنه قال إذا كان المسلم مريضا فأمر المجوسي أن يذكر اسم الله ويذبح فلا بأس وقال أبو ثور وإن أمره بذلك في الصحة فلا بأس وقد أساء وطعامكم حل لهم فلا عليكم أن تطعموهم لأنه لو كان حراما عليهم طعام المؤمنين لما ساغ لهم إطعامهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن المحصنات الحرائر أو العفائف وتخصيصهن بعث على تخير المؤمنين لنطفهم والإماء من المسلمات يصح نكاحهن بالاتفاق وكذلك نكاح غير العفائف منهن وأما الإماء الكتابيات فعند أبي حنيفة رضي الله عنه هن كالمسلمات وخالفه الشافعي وكان ابن عمر لا يرى نكاح الكتابيات ويحتج بقوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ويقول لا أعلم شركا أعظم من قولها إن ربها عيسى وعن عطاء قد أكثر الله المسلمات وإنما رخص لهم يومئذ محصنين أعفاء غير مسافحين ولا متخذي أخدان صدائق والخدن يقع على الذكر والأنثى ومن يكفر بالإيمان بشرائع الإسلام وما أحل الله وحرم فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنبا فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه إذا قمتم إلى الصلاة كقوله فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله وكقولك إذا ضربت غلامك فهون عليه في أن المراد إرادة الفعل **فإن قلت** لم جاز أن يعبر عن إرادة الفعل بالفعل **قلت** لأن الفعل يوجد بقدرة الفاعل عليه وإرادته له وهي قصده إليه وميله وخلوص داعيه فكما عبر عن القدرة على الفعل بالفعل في قولهم الإنسان لا يطير والأعمى لا يبصر أي لا يقدران على الطيران والإبصار ومنه قوله تعالى نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين

يعني إنا كنا قادرين على الإعادة كذلك عبر عن إرادة الفعل بالفعل وذلك لأن الفعل مسبب عن القدرة والإرادة فأقيم المسبب مقام السبب للملابسة بينهما ولإيجاز الكلام ونحوه من إقامة المسبب مقام السبب قولهم كما تدين تدان عبر عن الفعل المبتدأ الذي هو سبب الجزاء بلفظ الجزاء الذي هو مسبب عنه وقيل معنى قمتم إلى الصلاة قصدتموها لأن من توجه إلى شيء وقام إليه كان قاصدا له لا محالة فعبر عن القصد له بالقيام إليه **فإن قلت** ظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم إلى الصلاة محدث وغير محدث فما وجهه **قلت** يحتمل أن يكون الأمر للوجوب فيكون الخطاب للمحدثين خاصة وأن يكون للندب وعن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم والخلفاء بعده أنهم كانوا يتوضؤون لكل صلاة وعن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات وعنه عليه الصلاة والسلام أنه كان يتوضأ لكل صلاة فلما كان يوم الفتح مسح على خفيه فصلى الصلوات الخمس بوضوء واحد فقال له عمر صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته يا عمر يعني بيانا للجواز **فإن قلت** هل يجوز أن يكون الأمر شاملا للمحدثين وغيرهم لهؤلاء على وجه الإيجاب ولهؤلاء على وجه الندب **قلت** لا لأن تناول الكلمة لمعنيين مختلفين من باب الإلغاز والتعمية وقيل كان الوضوء لكل صلاة واجبا أول ما فرض ثم نسخ إلى تفيد معنى الغاية مطلقا فأما دخولها في الحكم وخروجها فأمر يدور مع الدليل فمما فيه دليل على الخروج قوله فنظرة إلى ميسرة لأن الإعسار علة الإنظار وبوجود الميسرة تزول العلة ولو دخلت الميسرة فيه لكان منظرا في كلتا الحالتين معسرا وموسرا وكذلك ثم أتموا الصيام إلى الليل لو دخل الليل لوجب الوصال ومما فيه دليل على الدخول قولك حفظت القرآن من أوله إلى آخره لأن الكلام مسوق لحفظ القرآن كله ومنه قوله تعالى من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى لوقوع العلم بأنه لا يسرى به إلى بيت المقدس من غير أن يدخله وقوله إلى المرافق وإلى الكعبين لا دليل فيه على أحد الأمرين فأخذ كافة العلماء بالاحتياط فحكموا بدخولها في الغسل وأخذ زفر وداود بالمتيقن فلم يدخلاها وعن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه كان يدير الماء على مرفقيه وامسحوا برؤوسكم المراد إلصاق المسح بالرأس وماسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح برأسه وقد أخذ مالك رحمه الله بالاحتياط فأوجب الاستيعاب أو أكثره على اختلاف الرواية وأخذ الشافعي باليقين فأوجب أقل ما يقع عليه اسم المسح وأخذ أبو حنيفة ببيان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو ما روي أنه مسح على ناصيته وقدر الناصية بربع الرأس وقرأ جماعة وأرجلكم بالنصب فدل على أن الأرجل مغسولة **فإن قلت** فما تصنع بقراءة الجر ودخولها في حكم المسح **قلت** الأرجل من بين الأعضاء الثلاثة المغسولة تغسل بصب الماء عليها فكانت مظنة للإسراف المذموم المنهي عنه فعطفت على الرابع الممسوح لا لتمسح ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد في صب الماء عليها وقيل إلى الكعبين فجيء بالغاية إماطة لظن ظان يحسبها ممسوحة لأن المسح لم تضرب له غاية في الشريعة وعن علي رضي الله عنه أنه أشرف على فتية من قريش فرأى في وضوئهم تجوزا فقال ويل للأعقاب من النار فلما سمعوه جعلوا يغسلونها غسلا ويدلكونها دلكا وعن ابن عمر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فتوضأ قوم وأعقابهم بيض تلوح فقال ويل للأعقاب من النار وفي رواية جابر ويل للعراقيب وعن عمر أنه رأى رجلا يتوضأ فترك باطن قدميه فأمره أن يعيد الوضوء وذلك للتغليظ عليه وعن عائشة لأن تقطعا أحب إلي من أن أمسح على القدمين بغير خفين وعن عطاء وقد ذهب بعض الناس إلى ظاهر العطف فأوجب المسح وعن الحسن أنه جمع بين الأمرين وروي عن الشعبي نزل القرآن بالمسح والغسل سنة وعن الحسن وأرجلكم بالرفع بمعنى وأرجلكم مغسولة أو ممسوحة إلى الكعبين وإن كنتم جنبا فاطهروا أي فتطهروا وكذلك ليطهركم وقرأ عبد الله فأطهروا ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج في باب الطهارة حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ليطهركم بالتراب إذا أعوزكم التطهر بالماء وليتم نعمته عليكم وليتم برخصه إنعامه عليكم بعزائمه لعلكم تشكرون نعمته فيثيبكم واذكروا نعمة الله عليكم وهي نعمة الإسلام وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا واتقوا الله إن الله عليم بذات الصدور وميثاقه الذي واثقكم به أي عاقدكم به عقدا وثيقا وهو الميثاق الذي أخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم على السمع والطاعة في حال اليسر والعسر والمنشط والمكره فقبلوا وقالوا سمعنا وأطعنا وقيل هو الميثاق ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا عدي يجرمنكم بحرف الاستعلاء مضمنا معنى فعل يتعدى به كأنه قيل ولا يحملنكم ويجوز أن يكون قوله أن تعتدوا بمعنى على أن تعتدوا فحذف مع أن وعدوه قوله عليه الصلاة والسلام من أتبع على مليء فليتبع لأنه بمعنى أحيل وقرئ شنان بالسكون ونظيره في المصادر ليان والمعنى لا يحملنكم بغضكم للمشركين على أن تتركوا العدل فتعتدوا عليهم بأن تنتصروا منهم وتتشفوا بما في قلوبكم من الضغائن بارتكاب ما لا يحل لكم من مثلة أو قذف أو قتل أولاد أو نساء أو نقض عهد أو ما أشبه ذلك اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون نهاهم أولا أن تحملهم البغضاء على ترك العدل ثم استأنف فصرح لهم بالأمر بالعدل تأكيدا وتشديدا ثم استأنف فذكر لهم وجه الأمر بالعدل وهو قوله هو أقرب للتقوى أي العدل أقرب إلى التقوى وأدخل في مناسبتها أو أقرب إلى التقوى لكونه لطفا فيها وفيه تنبيه عظيم على أن وجوب العدل مع الكفار الذين هم أعداء الله إذا كان بهذه الصفة من القوة فما الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم أولياؤه وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم لهم مغفرة وأجر عظيم بيان للوعد بعد تمام الكلام قبله كأنه قال قدم لهم وعدا فقيل أي شيء وعده لهم فقيل لهم مغفرة وأجر عظيم أو يكون على إرادة القول يعني وعدهم وقال لهم مغفرة أو على إجراء وعد مجرى قال لأنه ضرب من القول

او يجعل وعد واقعا على الجملة التي هي لهم مغفرة كما وقع تركنا على قوله سلام على نوح كانه قيل وعدهم هذا القيل واذا وعدهم
من لا يخلف الميعاد هذا القول فقد وعدهم مضمونه من المغفرة والاجر العظيم وهذا القول يتلقون به عند الموت ويوم القيمة فيسرون
به ويستروحون اليه ويهون عليهم السكرات والاهوال قبل الوصول الى الثواب والذين كفروا وكذبوا باياتنا
اولئك اصحاب الجحيم ۝ يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم روى ان المشركين
راوا رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم واصحابه قاموا الى صلاة الظهر يصلون معا وذلك بعسفان في غزوة ذي انمار فلما صلوا ندموا
الا كانوا اكبوا عليهم فقالوا ان لهم بعدها صلاة هي احب اليهم من ابائهم وابنائهم يعنون صلاة العصر وهموا ان يوقعوا بهم
اذا قاموا اليها فنزل عليه الصلاة والسلام بصلاة الخوف وروي ان رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم اتى بني قريظة ومعه الشيخان
وعلي رضي الله عنهم يستقرضهم دية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري خطأ يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القسم
اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه في صفة وهموا بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش الى رحا عظيمة ليطرحها عليه
فامسك الله يده ونزل جبريل فاخبره فخرج وقيل نزل منزلا وتفرق الناس في العضاه يستظلون بها فعلق رسول الله صلى الله
عليه وعلى اله وسلم سلاحه بشجرة فجاء اعرابي فسل سيف رسول الله ثم اقبل عليه فقال من يمنعك مني قال الله قالها ثلاثا فشام الاعرابي
السيف فصاح رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم باصحابه فاخبرهم وابى ان يعاقبه ۝ يقال بسط اليه لسانه اذا شتمه وبسط اليه يده اذا بطش
به ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء ومعنى بسط اليه يده مدها الى المبطوش به الا ترى الى قولهم فلان بسيط الباع ومديد الباع
بمعنى فكف ايديهم عنكم منعها ان تمد اليكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ۝ ولقد اخذ الله ميثاق
بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا لما استقر بنو اسرائيل بمصر بعد هلاك فرعون امرهم بالمسير الى اريحا ارض الشام
وكان يسكنها الكنعانيون الجبابرة وقال لهم اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها واني ناصركم
وامر موسى بان ياخذ من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما امروا به توثقة عليهم فاختار النقباء واخذ الميثاق على بني
اسرائيل وتكفل لهم به النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون فراوا اجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوا ورجعوا
وحدثوا قومهم وقد نهاهم موسى عليه السلام ان يحدثوهم فنكثوا الميثاق الا كالب بن يوقنا من سبط يهوذا ويوشع بن نون
من سبط افرايم بن يوسف وكانا من النقباء والنقيب الذي ينقب عن احوال القوم ويفتش عنها كما قيل له عريف لانه يتعرفها وقال
الله اني معكم اي ناصركم ومعينكم لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة وامنتم برسلي وعزرتموهم واقرضتم
الله قرضا حسنا لاكفرن عنكم سيئاتكم ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار عزرتموهم نصرتموهم ومنعتموهم
من ايدي العدو ومنه التعزير وهو التنكيل والمنع من معاودة الفساد وقرئ بالتخفيف يقال عزرت الرجل اذا حطته وكنفته
والعزر والازر من واد واحد ومنه لانصرنك نصرا مؤزرا اي قويا وقيل معناه ولقد اخذنا ميثاقهم بالايمان والتوحيد وبعثنا
منهم اثني عشر ملكا يقيمون فيهم العدل ويامرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر واللام في لئن اقمتم موطئة للقسم وفي لاكفرن
جوابه وهذا الجواب ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا فمن كفر بعد ذلك بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق بالوعد
العظيم فقد ضل سواء السبيل ۝ فان قلت من كفر من قبل ذلك فقد ضل سواء السبيل قلت اجل ولكن الضلال بعده
اظهر واعظم لان الكفر انما عظم قبحه لعظم النعمة المكفورة فاذا زادت النعمة زاد قبح الكفر وتمادى فبما نقضهم ميثاقهم
لعناهم طردناهم واخرجناهم من رحمتنا وقيل مسخناهم وقيل ضربنا عليهم الجزية وجعلنا قلوبهم قاسية خذلناهم ومنعناهم
الالطاف حتى قست قلوبهم او امليناهم ولم نعاجلهم بالعقوبة حتى قست وقرأ عبد الله قسية اي ردية مغشوشة من قولهم
درهم قسي وهو من القسوة لان الذهب والفضة الخالصين فيهما لين والمغشوش فيه يبس وصلابة والقاسي والقاسح بالحاء اخوان
في الدلالة على اليبس والصلابة وقرئ قسية بكسر القاف للاتباع يحرفون الكلم عن مواضعه بيان لقسوة قلوبهم لانه لا قسوة
اشد من الافتراء على الله وتغيير وحيه ونسوا حظا وتركوا نصيبا جزيلا وقسطا وافيا مما ذكروا به من التوراة يعني ان تركهم
واعراضهم عن التوراة اغفال حظ عظيم او قست قلوبهم وفسدت فحرفوا التوراة وزلت اشياء منها عن حفظهم وعن ابن مسعود
رضي الله عنه قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الاية وقيل تركوا نصيب انفسهم مما امروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه
وعلى اله وسلم وبيان نعته ولا تزال تطلع اي هذه عادتهم وهجيراهم وكان عليها اسلافهم كانوا يخونون الرسل وهؤلاء يخونونك
ينكثون عهودك ويظاهرون المشركين على حربك ويهمون بالفتك بك وان يسموك على خائنة منهم او على فعلة
ذات خيانة او على نفس او فرقة خائنة ويقال رجل خائنة كقولهم رجل راوية للشعر للمبالغة ۝ قال حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن
للغدر خائنة مغل الاصبع ۝ وقرئ على خيانة منهم الا قليلا منهم وهم الذين امنوا منهم فاعف عنهم واصفح ان الله يحب
المحسنين ۝ بعث على محو العفو عنهم وقيل هو منسوخ باية السيف وقيل فاعف عن مؤمنيهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم ومن الذين
قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به اخذنا من النصارى ميثاق من ذكر قبلهم من قوم موسى اي
مثل ميثاقهم بالايمان بالله وبالرسل وبافعال الخير واخذنا من النصارى ميثاق انفسهم بذلك فان قلت فهلا قيل من

العضا كل شجر له شوك كالطلح والسلم
والعوسج والقتاد

يقال شام السيف اغمده وسله وهو من الاضداد والمراد هنا الاول

النصارى قلت لانهم انما سموا انفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله وهم الذين قالوا لعيسى نحن انصار الله ثم اختلفوا بعد نسطورية
ويعقوبية وملكانية انصارا للشيطان فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة وسوف ينبئهم الله بما كانوا
يصنعون ۝ بينهم بين فرق النصارى المختلفين وقيل بينهم وبين اليهود ونحوه وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا او يلبسكم
شيعا ويذيق بعضكم باس بعض يا اهل الكتاب خطاب لليهود والنصارى قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم
تخفون من الكتاب من نحو صفة رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم ومن نحو الرجم ويعفوا عن كثير مما تخفونه لا يبينه اذا لم تضطر
اليه مصلحة دينية ولم تكن فيه فائدة الا افتضاحكم وصفته مما لابد من بيانه وكذلك الرجم وما فيه احياء شريعة واماتة بدعة وعن
الحسن ويعفو عن كثير منكم لا يؤاخذه ما كان خافيا على الناس من الحق ولانه ظاهر الاعجاز يهدي به الله من اتبع رضوانه من امن منهم
سبل السلام طرق السلامة والنجاة من عذاب الله او سبل الله ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط
مستقيم ۝ لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم معنى قولهم ان الله هو المسيح معاينة القول على ان حقيقة الله هو المسيح
لا غير قيل كان في النصارى قوم يقولون ذلك وقيل ما صرحوا به ولكن مذهبهم يؤدي اليه حيث اعتقدوا انه يخلق ويحيي ويميت ويدبر
امر العالم قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا ولله ملك السموات والارض وما بينهما
فمن يمنع من قدرته ومشيته شيئا ان اراد ان يهلك من دعوه الها من المسيح وامه دلالة على ان المسيح عبد مخلوق كسائر العباد واراد
ان يعطف من في الارض على المسيح وامه ابانة ان حكمهم لا تفاوت بينهما وبينهم في البشرية يخلق ما يشاء والله على كل
شيء قدير ۝ اي يخلق من ذكر وانثى ويخلق من انثى من غير ذكر كما خلق عيسى ويخلق من غير ذكر وانثى كما خلق ادم او يخلق ما يشاء كخلق
الطير على يد عيسى معجزة له كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك فيجب ان ينسب اليه ولا ينسب الى البشر المجرى على يده وقالت اليهود
والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه اشياع ابني الله عزير والمسيح كما قيل لاشياع ابي خبيب وهو عبد الله بن الزبير الخبيبون
وكما كان يقول رهط مسيلمة نحن انبياء الله ويقول اقرباء الملك وذووه وحشمه نحن الملوك ولذلك قال مؤمن ال فرعون لكم الملك اليوم
جاءت قل فلم يعذبكم بذنوبكم فان صح لكم انكم ابناء الله واحباؤه فلم تذنبون تعذبون بذنوبكم فتمسخون وتمسكم النار اياما معدودة
على زعمكم ولو كنتم ابناء الله لكنتم من جنس الاب غير فاعلين للقبائح ولا مستوجبين للعذاب ولو كنتم احباءه لما عصيتموه ولما
عاقبكم بل انتم بشر ممن خلق من جملة من خلق من البشر يغفر لمن يشاء وهم اهل الطاعة ويعذب من يشاء وهم العصاة ولله ملك
السموات والارض وما بينهما واليه المصير يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل يبين لكم اما
ان تقدر المبين وهو الدين والشرائع وحذفه لما ورد الرسول لتبيينه او يقدر ما كنتم تخفون وحذف لتقدم ذكره او لا تقدر ويكون
المعنى يبذل لكم البيان ومحله النصب على الحال اي مبينا لكم وعلى فترة متعلق بجاءكم اي جاءكم على حين فتور من ارسال الرسل وانقطاع
الوحي ان تقولوا كراهة ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم متعلق بمحذوف اي لا تعتذروا فقد جاءكم بشير ونذير
والله على كل شيء قدير ۝ وقيل كان بين عيسى ومحمد عليه الصلاة والسلام خمسمائة وستون سنة وقيل ستمائة وقيل اربعمائة
وستون سنة وعن الكلبي كان بين موسى وعيسى الف وسبعمائة سنة والف نبي وبين عيسى ومحمد اربعة انبياء ثلاثة من بني اسرائيل
وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي والمعنى الامتنان عليهم وان الرسول بعث اليهم حين انطمست اثار الوحي احوج ما يكونون اليه
ليهشوا اليه ويعدوه اعظم نعمة من الله وفتح باب الى الرحمة وتلزمهم الحجة فلا يعتلوا غدا بانه لم يرسل اليهم من ينبههم على غفلتهم واذ
قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء لانه لم يبعث في امة محمد صلى الله عليه وعلى اله وسلم ما بعث
في بني اسرائيل من الانبياء وجعلكم ملوكا لانه ملكهم بعد فرعون ملكه وبعد الجبابرة ملكهم ولان الملوك تكاثرت فيهم تكاثر الانبياء
وقيل كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله فسمى انقاذهم ملكا وقيل الملك من له مسكن واسع فيه ماء جار وقيل من له بيت وخدم
وقيل من له مال لا يحتاج معه الى تكلف الاعمال وتحمل المشاق واتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين ۝ من فلق البحر واغراق العدو وتظليل
الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك من الامور العظام وقيل اراد عالمي زمانهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة الارض المقدسة
ارض بيت المقدس وقيل الطور وما حوله وقيل الشام وقيل فلسطين ودمشق وبعض الاردن وقيل سماها الله لابراهيم ميراثا لولده
حين رفع على الجبل فقيل له انظر فلك ما ادرك بصرك وكانت المقدس قرار الانبياء ومسكن المؤمنين التي كتب الله لكم
قسمها لكم وسماها او خطها في اللوح ان تكون لكم ولا ترتدوا على ادباركم ولا تنكصوا على اعقابكم مدبرين من خوف الجبابرة جبنا وهلعا
قيل لما حدثهم النقباء بحال الجبابرة رفعوا اصواتهم بالبكاء وقالوا ليتنا متنا بمصر وقالوا تعالوا نجعل علينا راسا ينصرف بنا الى مصر او لا ترتدوا
على دينكم بمخالفتكم امر ربكم وعصيانكم نبيكم فترجعوا خاسرين ۝ ثواب الدنيا والاخرة قالوا
يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون ۝ الجبار فعال من جبره
على الامر بمعنى اجبره وهو العاتي الذي يجبر الناس على ما يريد قال رجلان هما كالب ويوشع من الذين يخافون من الذين يخافون الله
ويخشونه كانه قيل رجلان من المتقين ويجوز ان يكون الواو لبني اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف وتقديره من الذين يخافهم بنو اسرائيل
وهم الجبابرة رجلان منهم انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون ۝ وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين ۝

وهم الجبابرة

قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ۝ يريد
القران لكشفه ظلمات الشرك والشك ولابانته

انعم الله عليهما بالايمان فاما قالا لهم ان العمالقة اجسام لا قلوب فيها فلا تخافوهم وارجعوا اليهم فانكم غالبوهم يشجعانهم على قتالهم
تذكره من قرا يخافون بالضم شاهد له وكذلك انعم الله عليهما كانه قيل من المخوفين وقيل هو من الاخافة ومعناه من الذين يخوفون من الله
بالتذكرة والموعظة او يخوفهم وعيد الله بالعقاب **فان قلت** ما محل انعم الله عليهما **قلت** ان انتظم مع قوله من الذين يخافون في
حكم الوصف لرجلان فمرفوع وان جعل كلاما معترضا فلا محل له **فان قلت** من اين علما انهم غالبون **قلت** من جهة اخبار موسى
بذلك وقوله كتب الله لكم وقيل من جهة غلبة الظن وما تبيناه من عادة الله في نصرة رسله وما عهدا من صنع الله لموسى في قهر اعدائه
وما عرفا من حال الجبابرة والباب باب قريتهم قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها نفي لدخولهم في المستقبل على وجه التاكيد
المؤيس وابدا تعليق للنفي المؤكد بالدهر المتطاول وما داموا فيها بيان للابد فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون
يحتمل ان يقصدوا حقيقة الذهاب ولكن كما تقول كلمته فذهب يجيبني تريد معنى الارادة والقصد للجواب كانهم قالوا اريدا قتالهم والظاهر
انهم قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وقلة مبالاة بهما واستهزاء وقصد ذهابهما حقيقة لجهلهم وجفائهم وقسوة قلوبهم التي
عبدوا بها العجل وسالوا بها رؤية الله جهرة والدليل عليه مقابلة ذهابه بقعودهم ويحكى ان موسى وهرون عليهما الصلوة والسلام
خرا لوجوههما قدامهم لشدة ما ورد عليهما فهموا برجمهما ولامر ما قرن الله اليهود بالمشركين وقدمهم عليهم في قوله لتجدن
اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا لما عصوه وتمردوا عليه وخالفوه وقالوا ما قالوا من كلمة الكفر ولم يبق معه
مطيع موافق يثق به الا هرون عليه الصلاة والسلام قال رب اني لا املك لنصرة دينك الا نفسي واخي وهذا من البث والحزن والشكوى
الى الله والحسرة ورقة القلب التي بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة ونحوه قول يعقوب عليه الصلاة والسلام انما اشكو بثي وحزني
الى الله وعن علي رضي الله انه كان يدعو الناس على منبر الكوفة الى قتال البغاة فما اجابه الا رجلان فتنفس الصعداء ودعا لهما وقال اين
تقعان مما اريد وذكر في اعراب اخي وجوه ان يكون منصوبا عطفا على نفسي او على الضمير في اني بمعنى لا املك الا نفسي وان اخي لا يملك
الا نفسه ومرفوعا عطفا على محل ان واسمها كانه قيل انا لا املك الا نفسي وهرون كذلك لا يملك الا نفسه وعلى الضمير في لا املك وجاز
للفصل ومجرورا عطفا على الضمير في نفسي وهو ضعيف لقبح العطف على ضمير المجرور الا بتكرير الجار **فان قلت** اما كان
معه الرجلان المذكوران **قلت** كانه لم يثق بهما كل الوثوق ولم يطمئن الى ثباتهما لما ذاق على طول الزمان واتصال الصحبة من احوال
قومه وتلونهم وقسوة قلوبهم فلم يذكر الا النبي المعصوم الذي لا شبهة في امره ويجوز ان يقول ذلك لفرط ضجره عندما سمع منهم
تقليلا لمن يوافقه ويجوز ان يريد ومن يؤاخيني على ديني فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ٥ فافصل بيننا وبينهم بان تحكم لنا بما
نستحق وعليهم بما يستحقونه وهو في معنى الدعاء عليهم ولذلك وصل به قوله فانها محرمة عليهم على وجه التسبيب او فباعد
بيننا وبينهم وخلصنا من صحبتهم كقوله ونجني من القوم الظالمين قال فانها فان الارض المقدسة محرمة عليهم اربعين
سنة لا يدخلونها ولا يملكونها **فان قلت** كيف يوافق بين هذا وبين قوله كتب الله لكم **قلت** فيه وجهان احدهما ان يراد كتبها
لكم بشرط ان تجاهدوا اهلها فلما ابوا الجهاد قيل فانها محرمة عليهم والثاني ان يراد فانها محرمة عليهم اربعين سنة فاذا مضت الاربعون
كان ما كتب فقد روي ان موسى عليه الصلاة والسلام سار بمن بقي من بني اسرائيل وكان يوشع على مقدمته ففتح اريحا واقام فيها ما
شاء الله ثم قبض وقيل لما مات موسى بعث يوشع نبيا فاخبرهم بانه نبي الله وان الله امره بقتال الجبابرة فصدقوه وتابعوه وسار
بهم الى اريحا وقتل الجبابرة واخرجهم وصار الشام كله لبني اسرائيل وقيل لم يدخل الارض المقدسة احد ممن قال انا لن ندخلها وهلكوا
في التيه ونشات نواشئ من ذرياتهم فقاتلوا الجبابرة ودخلوها والعامل في الظرف اما محرمة واما يتيهون ومعنى يتيهون في الارض
يسيرون فيها متحيرين لا يهتدون طريقا والتيه المفازة التي يتاه فيها روي انهم لبثوا اربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون كل يوم
جادين حتى اذا امسوا اذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظللهم من حر الشمس ويطلع عمود من نور بالليل يضيء لهم
وينزل عليهم المن والسلوى لا تطول شعورهم واذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله **فان قلت** فلم كانوا
ينعم عليهم بتظليل الغمام وغيره وهم معاقبون **قلت** كما ينزل بعض النوازل على العصاة عركا لهم وعليهم مع ذلك النعمة متظاهرة
ومثل ذلك مثل الوالد المشفق يضرب ولده ويؤدبه ليتادب ويتثقف ولا يقطع عنه معروفه واحسانه **فان قلت** هل كان
معهم في التيه موسى وهرون عليهما الصلاة والسلام **قلت** اختلف في ذلك فقيل لم يكونا معهم لانه كان عقابا وقد طلب موسى
الى ربه ان يفرق بينهما وبينهم وقيل كانا معهم الا انه كان ذلك روحا وسلاما لا عقوبة كالنار لابرهيم وملائكة العذاب وروي
ان هرون مات في التيه ومات موسى بعده فيه بسنة ودخل يوشع اريحا بعد موته بثلاثة اشهر ومات النقباء في التيه بغتة الا كالب
ويوشع فلا تاس على القوم الفاسقين ٥ فلا تحزن عليهم لانه ندم على الدعاء عليهم فقيل انهم احقاء بفسقهم بالعذاب فلا تحزن
عليهم ولا تندم واتل عليهم نبا ابني ادم هما ابنا ادم لصلبه قابيل وهابيل اوحى الله الى ادم عليه الصلاة والسلام ان يزوج كل واحد
منهما توءمة الاخر وكانت توءمة قابيل اجمل واسمها اقليما فحسد عليها اخاه وسخط فقال لهما ادم قربا قربانا فمن ايكما قبل تزوجها فقبل
قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته فازداد قابيل حسدا وسخطا وتوعده بالقتل وقيل هما رجلان من بني اسرائيل بالحق ملتبسا
بالحق والصحة او اتل عليهم تلاوة ملتبسة بالصدق وموافقا لما في كتب الاولين او بالغرض الصحيح وهو تقبيح الحسد لان المشركين واهل

الكتاب

الكتاب كلهم كانوا يحسدون رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم ويبغون عليه اوائل عليهم وانت محق صادق اذ قربا قربانا فتقبل من
احدهما ولم يتقبل من الاخر قال لاقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين واذ نصب بالنبا اي قصتهم وحديثهم في ذلك
الوقت ويجوز ان يكون بدلا من النبا اي اتل عليهم النبا نبا ذلك الوقت على تقدير حذف المضاف والقربان اسم ما يتقرب به الى الله من
نسيكة او صدقة كما ان الحلوان اسم ما يحلى اي يعطى يقال قرب صدقة وتقرب بها لان تقرب مطاوع قرب قال الاصمعي
تقربوا قرف القمع فيعدى بالباء حتى يكون بمعنى قرب **فان قلت** كيف كان قوله انما يتقبل الله من المتقين جوابا لقوله لاقتلنك
قلت لما كان الحسد لاخيه على تقبل قربانه هو الذي حمله على توعده بالقتل قال له انما اتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى
لا من قبلي فلم تقتلني وما لك لا تعاتب نفسك ولا تحملها على تقوى الله التي هي السبب في القبول فاجابه بكلام حكيم مختصر جامع
لمعان وفيه دليل على ان الله تعالى لا يتقبل طاعة الا من مؤمن متق فما انعاه على اكثر العاملين اعمالهم وعن عامر بن عبد الله انه
بكى حين حضرته الوفاة فقيل له ما يبكيك فقد كنت وكنت قال اني اسمع الله يقول انما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الي
يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين قيل كان اقوى من القاتل وابطش منه ولكنه
تحرج عن قتل اخيه واستسلم له خوفا من الله لان الدفع لم يكن مباحا في ذلك الوقت قاله مجاهد وغيره اني اريد ان تبوء باثمي واثمك
ان تحتمل اثم قتلي لك لو قتلتك واثم قتلك لي **فان قلت** كيف يحتمل اثم قتله له ولا تزر وازرة وزر اخرى **قلت** المراد بمثل
اثمي على الاتساع في الكلام كما تقول قرات قراءة فلان وكتبت كتابته تريد المثل وهو اتساع فاش مستفيض لا يكاد يستعمل غيره ونحوه
قوله عليه الصلاة والسلام المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم على ان البادي عليه اثم سبه ومثل اثم سب صاحبه
لانه كان سببا فيه الا ان الاثم محطوط عن صاحبه معفو عنه لانه مكافئ دافع عن عرضه الا ترى الى قوله ما لم يعتد المظلوم
لانه اذا خرج من حد المكافاة واعتدى لم يسلم **فان قلت** فحين كف هابيل عن قتل قابيل اخيه واستسلم وتحرج عما كان محظورا
في شرعه من الدفع فاين الاثم حتى يتحمل اخوه مثله فيجتمع عليه الاثمان **قلت** هو مقدر فهو يتحمل مثل الاثم المقدر كانه قال اني
اريد ان تبوء بمثل اثمي لو بسطت اليك يدي وقيل باثمي باثم قتلي وباثمك الذي من اجله لم يتقبل قربانك فتكون من اصحاب النار
فان قلت كيف جاز ان يريد شقاوة اخيه وتعذيبه بالنار **قلت** كان ظالما وجزاء الظالم حسن ان يراد الا ترى الى قوله وذلك
جزاء الظالمين واذا جاز ان يريده الله لم يمتنع ان يريده العبد لانه لا يريد الا ما هو حسن والمراد بالاثم وبال القتل وما يجره من استحقاق العقاب **فان
قلت** لم جاء الشرط بلفظ الفعل والجزاء بلفظ اسم الفاعل وهو قوله لئن بسطت ما انا بباسط **قلت** ليفيد انه لا يفعل ما يكتسب به هذا
الوصف الشنيع ولذلك اكده بالباء المؤكدة للنفي فطوعت له نفسه قتل اخيه فقتله فاصبح من الخاسرين ٥ فوسعته له
ويسرته له من طاع له المرتع اذا اتسع وقرا الحسن فطاوعت وفيه وجهان ان يكون مما جاء من فاعل بمعنى فعل وان يراد ان قتل اخيه
كانه دعا نفسه الى الاقدام عليه فطاوعته ولم يمتنع وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله وقيل قتل وهو ابن عشرين سنة
وكان قتله عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم فبعث الله غرابا يبحث في الارض روي انه اول قتيل على وجه
الارض من بني ادم ولما قتله تركه بالعراء لا يدري ما يصنع به فخاف عليه السباع فحمله في جراب على ظهره سنة حتى اروح وعكفت
عليه السباع فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الاخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه في الحفرة فقال يا ويلتا اعجزت وروي
انه لما قتله اسود جسده وكان ابيض فساله ادم عليه الصلاة والسلام عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك
اسود جسدك وروي ان ادم مكث بعده مائة سنة لا يضحك وانه رثاه بشعر وهو كذب بحت وما الشعر الا منحول ملحون
وقد صح ان الانبياء معصومون من الشعر ليريه ليريه الله او ليريه الغراب اي ليعلمه لانه كان سبب تعليمه فكانه قصد تعليمه على
سبيل المجاز كيف يواري سواة اخيه عورة اخيه وما لا يجوز ان ينكشف من جسده والسوءة الفضيحة لقبحها قال
يا لقومي للسوءة السوءا اي للفضيحة العظيمة فكنى بها عنها قال يا ويلتا اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري
سواة اخي فاواري بالنصب على جواب الاستفهام وقرئ بالسكون على فانا اواري او على التسكين في موضع النصب للتخفيف فاصبح
من النادمين ٥ على قتله لما تعب فيه من حمله وتحيره في امره وتبين له عجزه وتلمذه للغراب واسوداد لونه وسخط ابيه ولم يندم ندم
التائبين من اجل ذلك بسبب ذلك وبعلته وقيل اصله من اجل شرا اذا جناه ياجله اجلا ومنه قوله وهل جاءني اجل ذات بينهم
فقد احتربوا في عاجل انا اجله كانك اذا قلت من اجلك فعلت كذا اردت من ان جنيت فعله واوجبته ويدل عليه قولهم من جرا
فعلته اي من ان جررته بمعنى جنيته وذلك اشارة الى القتل المذكور اي من جناية ذلك وجره كتبنا على بني اسرائيل ومن لابتداء
الغاية اي ابتدا الكتب ونشاه من اجل ذلك ويقال فعلت كذا لاجل كذا وقد يقال اجل كذا بحذف الجار وايصال الفعل قال
اجل ان الله قد فضلكم وقرئ من اجل بحذف الهمزة وفتح النون لالقاء حركتها عليها وقرا ابو جعفر من اجل ذلك بكسر الهمزة وهي
لغة فاذا خفف كسر النون ملقيا لكسرة الهمزة عليها انه من قتل نفسا بغير نفس بغير قتل نفس لا على وجه الاقتصاص او فساد
على نفس بمعنى او بغير فساد في الارض وهو الشرك وقيل قطع الطريق فكانما قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما احيا
الناس جميعا ومن استنقذها من بعض اسباب الهلكة او غرق او حرق او هدم او غير ذلك **فان قلت** كيف شبه الواحد بالجميع

وجعل حكمه كحكمهم **قلت** لان كل انسان يدلي بما يدلي به الاخر من الكرامة على الله وثبوت الحرمة فاذا قتل فقد اهين ما كرم على الله
وهتكت حرمته وعلى العكس فلا فرق اذا بين الواحد والجميع في ذلك **فان قلت** فما الفائدة في ذكر ذلك **قلت**
تعظيم قتل النفس واحيائها في القلوب ليشمئز الناس عن الجسارة عليها ويتراغبوا في المحاماة على حرمتها لان المتعرض لقتل النفس
اذا تصور قتلها بصورة قتل الناس جميعا عظم ذلك عليه فثبطه وكذلك الذي اراد احياءها وعن مجاهد قاتل النفس جزاؤه جهنم
وغضب الله والعذاب العظيم ولو قتل الناس جميعا لم يزد على ذلك وعن الحسن يا ابن ادم ارايت لو قتلت الناس جميعا اكنت تطمع ان يكون
لك عمل يوازي ذلك فيغفر لك به كلا انه شيء سولته لك نفسك والشيطان فكذلك اذا قتلت واحدا ولقد جاءتهم رسلنا
بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض بعد ما كتبنا عليهم وبعد مجيء الرسل بالايات لمسرفون يعني في القتل
لا يبالون بعظمته انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله يحاربون رسول الله ومحاربة المسلمين في حكم محاربته ويسعون
في الارض فسادا مفسدين او لان سعيهم في الارض لما كان على طريق الفساد نزل منزلة ويفسدون في الارض فانتصب فسادا
على المعنى ويجوز ان يكون مفعولا له اي للفساد نزلت في قوم هلال بن عويمر وكان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عهد وقد
مر بهم قوم يريدون رسول الله فقطعوا عليهم وقيل في العرنيين فاوحى اليه ان من جمع بين القتل واخذ المال قتل وصلب ومن افرد
القتل قتل ومن افرد اخذ المال قطعت يده لاخذ المال ورجله لاخافة السبيل ومن افرد الاخافة نفي من الارض وقيل هذا حكم
كل قاطع طريق كافرا كان او مسلما ان يقتلوا من غير صلب ان افردوا القتل او يصلبوا مع القتل ان جمعوا بين القتل والاخذ
قال ابو حنيفة ومحمد يصلب حيا ويطعن حتى يموت او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض اذا لم يزيدوا على الاخافة
وعن جماعة منهم الحسن والنخعي ان الامام مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق من غير تفصيل والنفي الحبس عند ابي حنيفة وعند
الشافعي النفي من بلد الى بلد لا يزال يطلب وهو هارب فزعا وقيل ينفى من بلده وكانوا ينفونهم الى دهلك وهو بلد في اقصى تهامة وناصع
وهو بلد من بلاد الحبشة ذلك لهم خزي ذل وفضيحة في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا
عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم استثناء من المعاقبين عقاب قطع الطريق خاصة واما حكم القتل والجراح واخذ المال فالى
الاولياء ان شاؤوا عفوا وان شاؤوا استوفوا وعن علي رضي الله عنه ان الحارث بن بدر جاءه تائبا بعد ما كان يقطع الطريق فقبل توبته
ودرأ عنه العقوبة يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون الوسيلة كل ما
يتوسل به اي يتقرب من قرابة او صنيعة او غير ذلك فاستعيرت لما يتوسل به الى الله من فعل الطاعات وترك المعاصي وانشد للبيد
ارى الناس لا يدرون ما قدر امرهم الا كل ذي لب الى الله واسل ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله
معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب اليم ليفتدوا به ليجعلوه فدية لانفسهم وهذا تمثيل للزوم
العذاب لهم وانه لا سبيل الى النجاة منه بوجه وعن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقال للكافر يوم القيامة ارايت لو كان لك ملء الارض ذهبا
اكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال له قد سئلت ايسر من ذلك ولو مع ما في حيزه خبر ان **فان قلت** لم وحد الراجع في قوله ليفتدوا به
وقد ذكر شيئان **قلت** هو كقوله ٥ فاني وقيار بها لغريب ٥ او على اجراء الضمير مجرى اسم الاشارة كانه قيل ليفتدوا بذلك ويجوز ان
تكون الواو في ومثله بمعنى مع فيتوحد المرجوع اليه **فان قلت** فبم ينتصب المفعول معه **قلت** بما تستند اليه لو من الفعل
لان التقدير لو ثبت ان لهم ما في الارض يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم قرأ ابو واقد
ان يخرجوا بضم الياء من اخرج ويشهد لقراءة العامة قوله وما هم بخارجين وما يروى عن عكرمة ان نافع بن الازرق قال لابن عباس
يا اعمى البصر اعمى القلب تزعم ان قوما يخرجون من النار وقد قال الله تعالى وما هم بخارجين منها فقال ويحك اقرا ما فوقها هذا للكفار
فمما لفقته المجبرة وليس باول تكاذيبهم وفراهم وكفاك بما فيه من مواجهة ابن الازرق ابن عم رسول الله وهو بين اظهر اعضاده
من قريش وانضاده من بني عبد المطلب وهو حبر الامة وبحرها ومفسرها بالخطاب الذي لا يجسر عليه احد من اهل الدنيا وبرفعه الى
عكرمة دليلين ناصعين ان الحديث فرية ما فيها مرية والسارق والسارقة رفعهما على الابتداء والخبر محذوف عند سيبويه كانه قيل وفيما
فرض عليكم السارق والسارقة اي حكمهما ووجه اخر وهو ان يرتفعا بالابتداء والخبر فاقطعوا ايديهما ودخول الفاء لتضمنها معنى الشرط
لان المعنى والذي سرق والتي سرقت فاقطعوا ايديهما والاسم الموصول يضمن معنى الشرط وقرأ عيسى بن عمر بالنصب وفضلها على قراءة
العامة لاجل الامر لان زيدا فاضربه احسن من زيد فاضربه ايديهما ونحوه فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه عن تثنية المضاف
واريد باليدين اليمينان بدليل قراءة عبد الله والسارقون والسارقات فاقطعوا ايمانهم والسارق في الشريعة من سرق من الحرز
والمقطع الرسغ وعند الخوارج المنكب والمقدار الذي يجب به القطع عشرة دراهم عند ابي حنيفة وعند مالك والشافعي ربع دينار
وعن الحسن درهم وفي مواعظه احذر من قطع يدك في درهم جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم جزاء ونكالا مفعول
لهما فمن تاب من السراق من بعد ظلمه من بعد سرقته واصلح امره بالتفصي عن التبعات فان الله يتوب عليه يسقط عنه عقاب الاخرة
واما القطع فلا تسقطه التوبة عند ابي حنيفة واصحابه وعند الشافعي في احد قوليه تسقطه ان الله غفور رحيم الم تعلم ان الله له ملك
السموات والارض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير من يجب في الحكمة تعذيبه والمغفرة له من المصرين

والسارق

والثاني قبل سقط حد الحرابة بالتوبة ليكون ادعى لهم الى الاسلام وابعد من التنفير عنه ولا تسقط عن المسلم لان في اقامته الصلاح
للمؤمنين والحياة لكم في القصاص **فان قلت** لم قدم التعذيب على المغفرة **قلت** لانه قوبل بذلك تقدم السرقة على التوبة
يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم قرئ لا يحزنك بضم
الياء ويسرعون والمعنى لا تهتم ولا تبال بمسارعة المنافقين في الكفر اي في اظهاره بما يلوح منهم من اثار الكيد للاسلام ومن موالاة المشركين
فاني ناصرك عليهم وكافيك شرهم يقال اسرع فيه الشيب واسرع فيه الفساد بمعنى وقع فيه سريعا فكذلك مسارعتهم في الكفر
ووقوعهم وتهافتهم فيه اسرع شيء اذا وجدوا فرصة لم يخطئوها وامنا بافواههم متعلق بقالوا لا بامنا ومن الذين هادوا
منقطع مما قبله خبر لسماعون اي ومن اليهود قوم سماعون ويجوز ان يعطف على من الذين قالوا ويرتفع سماعون على هم سماعون والضمير للفريقين او للذين
هادوا ومعنى سماعون للكذب قابلون لما يفتريه الاحبار ويفتعلونه من الكذب على الله وتحريف كتابه من قولك الملك يسمع كلام
فلان ومنه سمع الله لمن حمده سماعون لقوم اخرين لم ياتوك يعني اليهود الذين لم يصلوا الى مجلسك وتجافوا عنه لما افرط
فيهم من شدة البغضاء وتبالغ من العداوة اي قابلون من الاحبار ومن اولئك المفرطين في العداوة الذين لا يقدرون ان ينظروا اليك
وقيل سماعون اليك سماعون الى رسول الله لاجل ان يكذبوا عليه بان يمسخوا ما سمعوا منه بالزيادة والنقصان والتبديل والتغيير سماعون من رسول
الله لاجل قوم اخرين من اليهود وجهوهم عيونا ليبلغوهم ما سمعوا منه وقيل السماعون بنو قريظة والقوم الاخرون يهود خيبر يحرفون
الكلم من بعد مواضعه يميلونه ويزيلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها فيهملونه بغير مواضع بعد ان كان ذا مواضع
يقولون ان اوتيتم هذا المحرف المزال عن مواضعه فخذوه واعلموا انه الحق واعملوا به وان لم تؤتوه وافتاكم محمد بخلافه
فاحذروا واياكم واياه فهو الباطل والضلال وروي ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان وحدهما الرجم في التوراة فكرهوا
رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم الى بني قريظة ليسالوا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن ذلك وقالوا ان امركم بالجلد
والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا تقبلوا وارسلوا الزانيين معهم فامرهم بالرجم فابوا ان ياخذوا به فقال له جبريل اجعل بينك
وبينهم ابن صوريا فقال هل تعرفون شابا امرد ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو اعلم يهودي على وجه الارض
ورضوا به حكما فقال له رسول الله انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق
ال فرعون والذي انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت
ان كذبته ان ينزل علينا العذاب ثم سال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن اشياء كان يعرفها من اعلامه فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك
رسول الله النبي الامي العربي الذي بشر به المرسلون وامر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالزانيين فرجما عند باب مسجده ومن يرد الله فتنته
تركه مفتونا وخذلانه فلن تملك له من الله شيئا فلن تستطيع له من لطف الله وتوفيقه شيئا اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر اي يمنحهم
من الطافه ما يطهر به قلوبهم لانهم ليسوا من اهلها لعلمه انها لا تنفع ولا تنجع فيهم ان الذين لا يؤمنون بايات الله لا يهديهم الله كيف يهدي الله قوما
كفروا بعد ايمانهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الاخرة عذاب عظيم سماعون للكذب اكالون للسحت السحت كل ما لا يحل كسبه وهو
من سحته اذا استاصله لانه مسحوت البركة كما قال تعالى يمحق الله الربا والربا باب منه وقرئ بالتخفيف والتثقيل وبفتح السين على لفظ المصدر
من سحته والسحت بفتحتين والسحت بكسر السين وكانوا ياخذون الرشا على الاحكام وتحليل الحرام وعن الحسن كان الحاكم في بني اسرائيل
اذا اتاه احدهم برشوة جعلها في كمه فاراها اياه وتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر الى خصمه فياكل الرشوة ويسمع الكذب وعن علي انه قدم
من عمله فجاءه قومه فقدم اليهم العراضة وجعل يحدثهم بما جرى له في عمله فقال اعرابي من القوم نحن كما قال الله سماعون للكذب اكالون
للسحت وعن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كل لحم انبته السحت فالنار اولى به فان جاءوك فاحكم بينهم او اعرض عنهم قيل كان
رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم مخيرا اذا تحاكم اهل الكتاب اليه بين ان يحكم بينهم وبين ان لا يحكم وعن عطاء والنخعي والشعبي
انهم اذا ارتفعوا الى حكام المسلمين فان شاؤوا حكموا وان شاؤوا اعرضوا وقيل هو منسوخ بقوله وان احكم بينهم بما انزل الله وعند ابي
حنيفة ان احتكموا الينا حملوا على حكم الاسلام وان زنى منهم رجل بمسلمة او سرق من مسلم شيئا اقيم عليه الحد واما اهل الحجاز فانهم لا
يرون اقامة الحد ويقولون ان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم رجم اليهوديين قبل نزول الجزية وان تعرض عنهم فلن يضروك
شيئا لانهم كانوا لا يتحاكمون اليه الا لطلب الايسر والاهون عليهم كالجلد مكان الرجم فاذا اعرضت عنهم وابيت الحكومة شق عليهم وتكرهوا
اعراضك عنهم وكانوا خلقاء بان يعادوك ويضاروك فامنه الله شرهم وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط بالعدل والاحتياط كما حكمت
بالرجم ان الله يحب المقسطين وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به
وبكتابه مع ان الحكم منصوص في كتابهم الذي يدعون الايمان به ثم يتولون من بعد ذلك ثم يعرضون من بعد تحكيمهم
عن حكمك الموافق لما في كتابهم لا يرضون به وما اولئك بالمؤمنين بكتابهم كما يدعون او وما اولئك بالكاملين في الايمان
على سبيل التهكم بهم **فان قلت** فيها حكم الله ما موضعه من الاعراب **قلت** اما ان ينتصب حالا من التوراة وهي مبتدا
خبره عندهم واما ان يرتفع خبرا عنها كقولك وعندهم التوراة ناطقة بحكم الله واما ان لا يكون له محل وتكون جملة مبينة لان
عندهم ما يغنيهم عن التحكيم كما تقول عندك زيد ينصحك ويشير عليك بالصواب فما تصنع بغيره **فان قلت** علام عطف ثم

يتولون قلت عن حكمك ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى﴾ يهدي للحق والعدل ﴿وَنُورٌ﴾ يبين ما استبهم من الأحكام ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ
الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ الذين أسلموا صفة أجريت على النبيين على سبيل المدح كالصفات الجارية على القديم سبحانه لا للتفصلة
والتوضيح وأريد بإجرائها التعريض باليهود وأنهم بعداء من ملة الإسلام التي هي دين الأنبياء كلهم في القديم والحديث وأن اليهود
بمعزل منها وقوله الذين أسلموا للذين هادوا يناد على ذلك ﴿وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾ والزهاد والعلماء من ولد هارون الذين التزموا
طريقة النبيين وجانبوا دين اليهود ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ﴾ بما سألهم أنبياؤهم حفظه من التوراة أي بسبب سؤال أنبيائهم
إياهم أن يحفظوه من التغيير والتبديل ومن في كتاب الله للتبعيض ﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ رقباء لئلا يبدل والمعنى يحكم بأحكام التوراة النبيون
بين موسى وعيسى وكان بينهما ألف نبي للذين هادوا يحملونهم على أحكام التوراة لا يتركونهم أن يعدلوا عنها كما فعل رسول
الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من حملهم على حكم الرجم وإرغام أنوفهم وإبائه عليهم ما اشتهوه من الجلد وكذلك حكم الربانيون والأ
حبار المسلمون بسبب ما استحفظهم أنبياؤهم من كتاب الله والقضاء بأحكامه وبسبب كونهم عليه شهداء ويجوز أن يكون الضمير في
استحفظوا للأنبياء والربانيين والأحبار جميعاً ويكون الاستحفاظ من الله أي بما كلفهم الله حفظه وأن يكونوا عليه شهداء
على خلاف ما أمروا به من العدل لخشية سلطان ظالم أو خيفة أذية من القرباء والأصدقاء ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي﴾ ولا تستبدلوا ولا ت
ستعيضوا بآيات الله وأحكامه ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ وهو الرشوة وابتغاء الجاه ورضا الناس كما حرف أحبار اليهود كتاب الله وغيروا أحكامه
رغبة في الدنيا وطلباً للرياسة فهلكوا ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ مستهيناً به ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ والظالمون والفاسقون
وصف لهم بالعتو في كفرهم حين ظلموا آيات الله بالاستهانة وتمردوا بأن حكموا بغيرها وعن ابن عباس أن الكافرين والظالمين والفاسقين
أهل الكتاب وعنه نعم القوم أنتم ما كان من حلو فلكم وما كان من مر فلأهل الكتاب من جحد حكم الله كفر ومن لم يحكم به وهو مقر به فهو
ظالم فاسق وعن الشعبي هذه في أهل الإسلام والظالمون في اليهود والفاسقون في النصارى وعن ابن مسعود هو عام في اليهود وغيرهم
وعن حذيفة أنتم أشبه الأمم سمتاً ببني إسرائيل لتركبن طريقهم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة غير أني لا أدري أتعبدون العجل أم لا ﴿وَكَتَبْنَا
عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ في مصحف
أبي وأنزل الله على بني إسرائيل فيها وفيه وأن الجروح قصاص والمعطوفات كلها قرئت منصوبة ومرفوعة والرفع للعطف على محل أن النفس
لأن المعنى وكتبنا عليهم النفس بالنفس إما لإجراء كتبنا مجرى قلنا وإما لأن معنى الجملة التي هي قولك النفس بالنفس مما يقع عليه الكتب كما يقع
عليه القراءة تقول كتبت الحمد لله وقرأت سورة أنزلناها ولذلك قال الزجاج لو قرئ إن النفس بالنفس بالكسر لكان صحيحاً أو للاستئناف
والمعنى فرضنا عليهم فيها أن النفس مأخوذة بالنفس مقتولة بها إذا قتلتها بغير حق وكذلك العين مفقوءة بالعين والأنف مجدوع بالأنف
والأذن مصلومة بالأذن والسن مقلوعة بالسن والجروح قصاص وذات قصاص وهو المقاصة ومعناه ما يمكن فيه القصاص ويعرف
المساواة وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة ﴿فَمَن تَصَدَّقَ﴾ من أصحاب الحق ﴿بِهِ﴾ بالقصاص وعفى عنه ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ
لَّهُ﴾ فالتصدق به كفارة للمتصدق يكفر الله من سيئاته ما تقتضيه الموازنة كسائر طاعاته وعن عبد الله بن عمرو يهدم عنه من ذنوبه
بقدر ما تصدق به وقيل فهو كفارة للجاني إذا تجاوز عنه صاحب الحق سقط عنه ما لزمه وفي قراءة أبي فهو كفارته له فأجره على الله
ويرغب في العفو ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا
لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ۝
وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۝﴾ قفيته مثل عقبته إذا أتبعته
ثم يقال قفيته بفلان وعقبته به فتعديه إلى الثاني بزيادة الباء فإن قلت فأين المفعول الأول في الآية قلت هو محذوف
والظرف الذي هو على آثارهم كالساد مسده لأنه إذا قفى به على أثره فقد قفى به إياه والضمير في آثارهم للنبيين في قوله يحكم
بها النبيون الذين أسلموا وقرأ الحسن الأنجيل بفتح الهمزة فإن صح عنه فلأنه أعجمي خرج لعجمته عن زنات العربية كما خرج هابيل
وآجر ومصدقاً عطف على محل فيه هدى ومحله النصب على الحال وهدى وموعظة يجوز أن ينتصبا على الحال كقوله مصدقاً وأن
ينتصبا مفعولاً لهما لقوله وليحكم كأنه قيل وللهدى والموعظة آتيناه الإنجيل وليحكم بما أنزل الله فيه من الأحكام فإن قلت
فإن نظمت هدى وموعظة في سلك مصدقاً فما تصنع بقوله وليحكم قلت أصنع به ما صنعت بهدى وموعظة حين جعلتهما
مفعولاً لهما فأقدر وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه آتيناه إياه وقرئ وليحكم على لفظ الأمر على معنى وقلنا ليحكم وروي في قراءة
أبي وأن ليحكم بزيادة أن مع الأمر على أن أن موصولة بالأمر كقولك أمرته بأن قم كأنه قيل وآتيناه الإنجيل وأمرناه بأن يحكم
أهل الإنجيل وقيل إن عيسى صلوات الله عليه كان متعبداً بما في التوراة من الأحكام لأن الإنجيل مواعظ وزواجر والأحكام فيه
قليلة وظاهر قوله وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه يرد ذلك وكذلك قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً وإن ساغ لقائل
أن يقول معناه وليحكموا بما أنزل الله فيه من إيجاب العمل بأحكام التوراة ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾
فإن قلت أي فرق بين التعريفين في قوله وأنزلنا إليك الكتاب وفي قوله لما بين يديه من الكتاب قلت الأول تعريف العهد
لأنه عني به القرآن والثاني تعريف الجنس لأنه عني به جنس الكتب المنزلة ويجوز أن يقال هو للعهد لأنه لم يرد به ما يقع عليه اسم الكتاب

على الإطلاق وإنما أريد نوع معلوم منه وهو ما أنزل من السماء سوى القرآن ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ ورقيباً على سائر الكتب المنزلة لأنه يشهد لها
بالصحة والثبات وقرئ ومهيمناً عليه بفتح الميم أي هو من عليه بأن حفظ من التغيير والتبديل كما قال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا
من خلفه والذي هيمن عليه الله عز وجل أو الحفاظ في كل بلد لو حرف حرف منه أو حركة أو سكون لتنبه عليه كل أحد ولاشمأزوا رادين ومنكرين ن
﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ ضمن معنى ولا تتبع معنى ولا تنحرف فلذلك عدي بعن كأنه قيل ولا تنحرف ﴿عَمَّا جَاءَكَ
مِنَ الْحَقِّ﴾ متبعاً أهواءهم ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ﴾ أيها الناس ﴿شِرْعَةً﴾ وقرأ يحيى بن وثاب بفتح الشين ﴿وَمِنْهَاجًا﴾ وطريقاً واضحاً في الدين
يجرون عليه وقيل هذا دليل على أنا غير متعبدين بشرائع من قبلنا ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ جماعة متفقة على شريعة واحدة
أو ذوي أمة واحدة أي دين واحد لا اختلاف فيه ﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ من الشرائع المختلفة هل تعملون بها مذعنين معتقدين
أنها مصالح قد اختلفت على حسب الأحوال والأوقات معترفين بأن الله لم يقصد باختلافها إلا ما اقتضته الحكمة أم تتبعون الشبه
وتفرطون في العمل ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ فابتدروها وتسابقوا نحوها ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ استئناف في معنى التعليل
لاستباق الخيرات ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝﴾ فيخبركم بما لا تشكون معه من الجزاء الفاصل بين محقكم ومبطلكم
وعاملكم ومفرطكم في العمل فإن قلت ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ معطوف على ماذا قلت على الكتاب في قوله وأنزلنا إلى
إليك الكتاب كأنه قيل وأنزلنا إليك أن احكم على أن أن وصلت بالأمر لأنه فعل كسائر الأفعال ويجوز أن يكون معطوفاً على بالحق أي
أنزلناه بالحق وبأن احكم ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ أن يضلوك عنه ويستزلوك
وذلك أن كعب بن أسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس من أحبار اليهود قالوا اذهبوا بنا إلى محمد نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد
قد عرفت أنا أحبار اليهود وأنا إن اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم ولم يخالفونا وإن بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم إليك
فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فأبى ذلك رسول الله فنزلت ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ عن الحكم بما أنزل الله إليك وأرادوا غيره ﴿فَاعْلَمْ
أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ يعني بذنب التولي عن حكم الله وإرادة خلافه فوضع ببعض ذنوبهم موضع ذلك
وأراد أن لهم ذنوباً جمة كثيرة العدد وأن هذا الذنب مع عظمه بعضها وواحد منها وهذا الإبهام لتعظيم التولي
واستسرافهم في ارتكابه ونحو البعض في هذا الكلام ما في قول لبيد ۝ تراك أمكنة إذا لم أرضها ۝ أو يرتبط بعض النفوس حمامها ۝ حمامها
أراد نفسه وإنما قصد تفخيم شأنها بهذا الإبهام كأنه قال نفساً كبيرة ونفساً أي نفس فكما أن التنكير يعطي معنى التكبير
وهو في معنى البعضية فكذلك إذا صرح بالبعض ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ۝﴾ لمتمردون في الكفر معتدون فيه
يعني أن التولي عن حكم الله من التمرد العظيم والاعتداء في الكفر ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ فيه وجهان أحدهما أن قريظة
والنضير طلبوا إليه أن يحكم بما كان يحكم به أهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وروي أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم
قال لهم القتلى بواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت والثاني أن يكون تعييراً لليهود بأنهم أهل كتاب وعلم وهم
يبغون حكم الملة الجاهلية التي هي هوى وجهل لا تصدر عن كتاب ولا ترجع إلى وحي من الله وعن الحسن هو عام في كل من يبتغي
غير حكم الله والحكم حكمان حكم بعلم فهو حكم الله وحكم بجهل فهو حكم الشيطان وسئل طاوس عن الرجل يفضل بعض
ولده على بعض فقرأ هذه الآية وقرئ تبغون بالتاء والياء وقرأ السلمي أفحكم الجاهلية يبغون برفع الحكم على الابتداء وإيقاع يبغون
خبراً وإسقاط الراجع عنه كإسقاطه عن الصلة في أهذا الذي بعث الله وعن الصفة في الناس رجلان رجل أهنت ورجل أكرمت
وعن الحال في مررت بهند يضرب زيد وقرأ قتادة أفحكم الجاهلية على أن هذا الحكم الذي يبغونه إنما يحكم به حكم كان
يحكم به حكام الجاهلية فأرادوا بسفههم أن يكون محمد خاتم النبيين حكماً كأولئك الحكام ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا
لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝﴾ اللام في قوله لقوم يوقنون للبيان كاللام في هيت لك أي هذا الخطاب وهذا الاستفهام لقوم يوقنون
فإنهم الذين يتيقنون أن لا أعدل من الله ولا أحسن حكماً منه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾ لا تتخذوهم
أولياء تنصرونهم وتستنصرونهم وتؤاخونهم وتصافونهم وتعاشرونهم معاشرة المؤمنين ثم علل النهي بقوله ﴿بَعْضُهُمْ
أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ أي إنما يوالي بعضهم بعضاً لاتحاد ملتهم واجتماعهم في الكفر فما لمن دينه خلاف دينهم ولموالاتهم ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ
فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ من جملتهم وحكمه حكمهم وهذا تغليظ من الله وتشديد في وجوب مجانبة المخالف في الدين واعتزاله كما قال رسول الله صلى
الله عليه وعلى آله وسلم لا تتراءى ناراهما ومنه قول عمر رضي الله عنه لأبي موسى في كاتبه النصراني لا تكرموهم إذ أهانهم الله ولا تأمنوهم
إذ خونهم الله ولا تدنوهم إذ أقصاهم الله وروي أنه قال له أبو موسى لا قوام للبصرة إلا به فقال مات النصراني والسلام يعني هب
أنه قد مات فما كنت تكون صانعاً حينئذ فاصنعه الساعة واستغن عنه بغيره ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝﴾ يعني الذين
ظلموا أنفسهم بموالاة الكفرة يمنعهم الله ألطافه ويخذلهم مقتاً لهم ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن
تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ يتمسكون في موالاتهم ويرغبون فيها ويعتذرون بأنهم لا يأمنون أن تصيبهم دائرة من دوائر الزمان أي
صرف من صروفه ودولة من دوله فيحتاجوا إليهم وإلى معونتهم وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال لرسول الله صلى الله
عليه وعلى آله وسلم إن لي موالي من يهود كثيراً عددهم وإني أبرأ إلى الله ورسوله من ولايتهم وأوالي الله ورسوله فقال عبد الله بن أبي

[illegible] ولايه موالي وهم يهود بني قينقاع فعسى الله أن يأتي بالفتح لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم على
[illegible] أو أمر من عنده فيقطع شأفة اليهود ويجليهم عن بلادهم فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين
[illegible] ما حدثوا به أنفسهم وذلك أنهم كانوا يشكون في أمر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ويقولون ما نظن أن يتم له أمر
[illegible] دولة والغلبة لهؤلاء وقيل أو أمر من عنده أو أن يؤمر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بإظهار أسرار المنافقين وقتلهم
[illegible] من عند الله لا يكون فيه للناس فعل كبني النضير الذين طرح الله في قلوبهم الرعب فأعطوا بأيديهم من غير أن يوجف
[illegible] ويقول الذين آمنوا قرئ بالنصب عطفا على أن يأتي وبالرفع على أنه كلام مبتدأ أي ويقول الذين آمنوا في ذلك الوقت
[illegible] وهو في مصاحف مكة والمدينة والشام كذلك على أنه جواب قائل فما ذا يقول المؤمنون حينئذ فقيل يقول الذين
[illegible] أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم فإن قلت لمن يقولون هذا القول قلت إما أن يقوله بعضهم لبعض تعجبا
[illegible] من الله عليهم من التوفيق في الإخلاص أهؤلاء الذين أقسموا لكم بإغلاظ الأيمان أنهم أولياؤكم ومعاضدوكم على
[illegible] لليهود لأنهم حلفوا لهم بالمعاضدة والنصرة كما حكى الله عنهم وإن قوتلتم لننصرنكم حبطت أعمالهم
[illegible] من جملة قول المؤمنين أي بطلت أعمالهم التي كانوا يتكلفونها في رأي أعين الناس وفيه معنى التعجب كأنه قيل
[illegible] أو من قول الله عز وجل شهادة لهم بحبوط الأعمال وتعجبا من سوء حالهم يا أيها الذين آمنوا من يرتد
[illegible] من يرتد ومن يرتدد وهو في الإمام بدالين وهو من الكائنات التي أخبر عنها في القرآن قبل كونها وقيل
[illegible] فرقة ثلاث في عهد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بنو مدلج ورئيسهم ذو الحمار وهو الأسود العنسي
[illegible] واستولوا على بلاده وأخرج عمال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فكتب رسول الله إلى معاذ بن جبل وإلى
[illegible] الله على يدي فيروز الديلمي بيته فقتله وأخبر رسول الله بقتله ليلة قتل فسر المسلمون وقبض رسول الله
[illegible] من الغد وأتى خبره في آخر شهر ربيع الأول وبنو حنيفة قوم مسيلمة تنبأ وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من مسيلمة رسول
[illegible] أما بعد فإن الأرض نصفها لي ونصفها لك فأجاب من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب أما بعد فإن الأرض
[illegible] والعاقبة للمتقين فحاربه أبو بكر رضي الله عنه بجنود المسلمين وقتل على يدي وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه
[illegible] في الجاهلية وشر الناس في الإسلام أراد في جاهليتي وإسلامي وبنو أسد قوم طليحة بن خويلد بعث
[illegible] خالدا فانهزم بعد القتال إلى الشام ثم أسلم وحسن إسلامه وسبع في عهد أبي بكر رضي الله عنه
[illegible] وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع
[illegible] قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التي زوجت نفسها مسيلمة الكذاب وفيها يقول أبو العلاء المعري
[illegible] أمت سجاح ووالاها مسيلمة كذابة في بني الدنيا وكذاب
[illegible] قوم الحطم بن زيد وكفى الله أمرهم على يدي أبي بكر رضي الله عنه وفرقة واحدة في عهد عمر رضي الله
[illegible] نصرته اللطمة وسيرته إلى بلاد الروم بعد إسلامه فسوف يأتي الله بقوم قيل لما نزلت أشار رسول
[illegible] أبي موسى الأشعري فقال قوم هذا وقيل هم ألفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة وثلاثة آلاف
[illegible] القادسية وقيل هم الأنصار وقيل سئل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عنهم فضرب على عاتق سلمان وقال هذا
[illegible] بالثريا لناله رجال من أبناء فارس يحبهم ويحبونه محبة العباد لربهم طاعته وابتغاء مرضاته وألا يفعلوا
[illegible] الله لعباده أن يثيبهم أحسن الثواب على طاعتهم ويعظمهم ويثني عليهم ويرضى عنهم وأما ما يعتقده أجهل الناس
[illegible] عنهم للشرع وأسوأهم طريقة وإن كانت طريقتهم عند أمثالهم من الجهلة والسفهاء شيئا وهم الفرقة
[illegible] وما يدينون به من المحبة والعشق والتغني على كراسيهم خربها الله وفي مراقصهم عطلها الله بأبيات
[illegible] يسمونهم شهداء وصعقاتهم التي أين عنها صعقة موسى عليه الصلاة والسلام عند دك الطور فتعالى
[illegible] كما أنه بذاته يحبهم كذلك يحبون ذاته فإن الهاء راجعة إلى الذات دون النعوت والصفات ومنها
[illegible] المحبة فإذا لم يكن ذلك لم تكن فيه حقيقة فإن قلت أين الراجع من الجزاء إلى الاسم المضمن لمعنى
[illegible] فسوف يأتي الله بقوم مكانهم أو بقوم غيرهم أو ما أشبه ذلك أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين
[illegible] ذلك ومن زعم أنه من الذل الذي هو نقيض الصعوبة فقد غبي عنه أن ذلولا لا يجمع على أذلة فإن قلت
[illegible] قلت فيه وجهان أحدهما أن يضمن الذل معنى الحنو والعطف كأنه قيل عاطفين عليهم على وجه التذلل
[illegible] وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم أجنحتهم ونحوه قوله عز وعلا أشداء على الكفار رحماء
[illegible] على الحال يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم يحتمل أن تكون الواو للحال على أنهم يجاهدون
[illegible] المنافقين خافوا أولياءهم اليهود فلا يعملون شيئا مما يعلمون أنه يلحقهم فيه لوم من جهتهم وأما المؤمنون
[illegible] لا يخافون لومة لائم قط وأن تكون للعطف على أن من صفتهم المجاهدة في سبيل الله وأنهم صلاب في دينهم إذا شرعوا

[illegible] منكر أو أمر بمعروف مضوا فيه كالمسامير المحماة لا يرعبهم قول قائل ولا اعتراض معترض ولا لومة لائم
[illegible] وصلابتهم في أمرهم واللومة المرة من اللوم وفيها وفي التنكير مبالغتان كأنه قيل لا يخافون
[illegible] ذلك فضل الله وذلك إشارة إلى ما وصف به القوم من المحبة والذلة والعزة والمجاهدة وانتفاء
[illegible] من يعلم أنه لطفا والله واسع كثير الفواضل والألطاف عليم بمن هو من أهلها عقب النهي عن
[illegible] من تجب موالاته بقوله إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ومعنى إنما وجوب اختصاصهم
[illegible] وقد ذكرت جماعة فهلا قيل إنما أولياؤكم قلت أصل الكلام إنما وليكم الله فجعلت الولاية لله على
[illegible] إثباتها لرسول الله والمؤمنين على سبيل التبع ولو قيل إنما أولياؤكم الله ورسوله والذين
[illegible] التبع وفي قراءة عبد الله إنما مولاكم الله فإن قلت الذين يقيمون الصلاة ويؤتون
[illegible] على البدل من الذين آمنوا أو على هم الذين يقيمون أو النصب على المدح وفيه تمييز للخلص من
[illegible] قلوبهم ألسنتهم إلا أنهم مفرطون في العمل وهم راكعون الواو فيه للحال أي يعملون ذلك
[illegible] والإخبات والتواضع لله إذا صلوا وإذا زكوا وقيل هو حال من يؤتون الزكاة بمعنى يؤتونها
[illegible] إنها نزلت في علي رضي الله عنه حين سأله سائل وهو راكع في صلاته فطرح له
[illegible] فلم يتكلف لخلعه كثير عمل يفسد صلاته فإن قلت كيف صح أن يكون لعلي رضي الله عنه
[illegible] جيء به على لفظ الجمع وإن كان السبب فيه رجلا واحدا ليرغب الناس في مثل فعله فينالوا مثل ثوابه ولينبه على أن
[illegible] على هذه الغاية من الحرص على البر والإحسان وتفقد الفقراء حتى إن لزهم أمر لا يقبل التأخير وهم في
[illegible] منها ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون فإن حزب الله من
[illegible] ومعناه فإنهم هم الغالبون ولكنهم بذلك جعلوا أعلاما لكونهم حزب الله وأصل الحزب القوم يجتمعون
[illegible] الله والرسول والمؤمنين ويكون المعنى ومن يتولهم فقد تولى حزب الله واعتضد بمن لا يغالب يا أيها
[illegible] الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء
[illegible] من الحارث قد أظهرا الإسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فنزلت يعني أن اتخاذهم دينكم
[illegible] يجب أن يقابل بالمعاداة لا بل يقابل ذلك بالبغضاء والشنآن والمنابذة وفصل المستهزئين بأهل الكتاب
[illegible] من الكفار إطلاقا للكفار على المشركين خاصة والدليل عليه قراءة عبد الله ومن الذين أشركوا
[illegible] بالجر ويعضد قراءة الجر قراءة أبي ومن الكفار واتقوا الله في موالاة الكفار وغيرهم إن كنتم
[illegible] حقا لأن الإيمان يأبى موالاة أعداء الدين وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا الضمير للصلاة أو
[illegible] بالمدينة إذا سمع المؤذن يقول أشهد أن محمدا رسول الله قال حرق الكاذب فدخلت خادمه بنار
[illegible] منها شرارة في البيت فاحترق هو وأهله وقيل فيه دليل على ثبوت الأذان بنص الكتاب لا بالمنام
[illegible] يعقلون لأن لعبهم وهزوهم من أفعال السفهاء والجهلة فكأنه لا عقل لهم قل يا أهل الكتاب
[illegible] آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وعن الحسن هل تنقمون بفتح القاف والفصيح كسرها
[illegible] إلا الإيمان بالكتب المنزلة كلها وأن أكثركم فاسقون فإن قلت علام عطف
[illegible] قلت فيه وجوه منها أن يعطف على أن آمنا بمعنى وما تنقمون منا إلا الجمع بين إيماننا وبين تمردكم
[illegible] وما تنكرون منا إلا مخالفتكم حيث دخلنا في دين الإسلام وأنتم خارجون منه ويجوز أن يكون
[illegible] واعتقاد أنكم فاسقون ومنها أن يعطف على المجرور أي وما تنقمون منا إلا الإيمان بالله وبما أنزل وبأن أكثركم
[illegible] مع أي وما تنقمون منا إلا الإيمان لقلة إنصافكم وفسقكم واتباعكم الشهوات ويدل عليه تفسير
[illegible] وروي أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم نفر من اليهود فسألوه عمن يؤمن به من الرسل أومن
[illegible] له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى ما نعلم أهل دين أقل حظا في الدنيا والآخرة منكم ولا دينا
[illegible] ويجوز أن يكون بالكسر وأن أكثركم ويحتمل أن ينتصب وأن أكثركم بفعل محذوف يدل عليه هل
[illegible] أكثركم فاسقون أو يرتفع على الابتداء والخبر محذوف أي وفسقكم ثابت معلوم عندكم لأنكم علمتم أنا
[illegible] حالنا وكنتم تعلمون فتتصفون قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة
[illegible] وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير ذلك إشارة إلى المنقوم ولا بد من حذف مضاف قبله أو قبل
[illegible] من لعنه الله ومن لعنه الله في محل الرفع على قولك هو من لعنه الله كقوله قل أفأنبئكم بشر من
[illegible] من شر وقرئ مثوبة ومثوبة ومثالهما مشورة ومشورة فإن قلت المثوبة مختصة
[illegible] قلت وضعت المثوبة موضع العقوبة على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ومنه فبشرهم

مستوجب الله من لعنه قلت فان قلت المنافقون من المؤمنين هم اليهود فلم شركهم في العقوبة قلت كان اليهود لعنهم الله يزعمون ان المسلمين ضالون مستوجبون للعقاب فقيل من لعنه الله شر عقوبة في الحقيقة واليقين من اهل الاسلام في زعمكم ودعواكم

وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ عطف على صلة من كانه قيل ومن عبد الطاغوت وقرئ وعبد الطاغوت على البناء للمفعول وقرأ ابن مسعود ومن عبدوا وقرئ وعابد الطاغوت عطفا على القردة وعابد وعباد وعبد وعبد ومعناه الغلو في العبودية كقولهم رجل حذر وفطن للبليغ في الحذر والفطنة وقال

أبني لبينى ان امكم امة ۝ وان اباكم عبد ۝

وعبد بوزن حطم وعبيد وعبد جمع عبد وعبد بوزن كرم وعبد واصله عبدة جمع فالتاء للاضافة او هو كخدم في جمع خادم وعبد وعباد واعبد وعبد الطاغوت على البناء للمفعول وحذف الراجع بمعنى وعبد الطاغوت فيهم او بينهم وعبد الطاغوت بمعنى صار الطاغوت معبودا من دون الله كقولك امر اذا صار اميرا وعبد الطاغوت بالجر عطفا على من لعنه الله **فان قلت** كيف جاز ان يجعل الله منهم عباد الطاغوت **قلت** فيه وجهان احدهما انه خذلهم حتى عبدوه والثاني انه حكم عليهم بذلك ووصفهم به كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وقيل الطاغوت العجل لانه معبود من دون الله ولان عبادتهم للعجل مما زينه لهم الشيطان فكانت عبادتهم له عبادة للشيطان وهو الطاغوت وعن ابن عباس رضي الله عنه اطاعوا الكهنة وكل من اطاع احدا في معصية فقد عبده وقرأ الحسن الطواغيت وقيل وجعل منهم القردة اصحاب السبت والخنازير كفار اهل مائدة عيسى وقيل كلا المسخين من اصحاب السبت فشبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير وروي انها لما نزلت كان المسلمون يعيرون اليهود ويقولون يا اخوة القردة والخنازير فينكسون رؤسهم **أُولَئِكَ** الملعونون الممسوخون **شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ** ۝ جعلت الشرارة للمكان وهي لاهله وفيه مبالغة ليست في قولك اولئك شر واضل لدخوله في باب الكناية التي هي اخت المجاز **وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ** ۝ نزلت في ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يظهرون له الايمان نفاقا فاخبره الله بشأنهم وانهم يخرجون من مجلسك كما دخلوا لم يتعلق بهم شيء مما سمعوا به من تذكيرك بآيات الله ومواعظك وقوله بالكفر وبه حالان اي دخلوا كافرين وخرجوا كافرين وتقديره ملتبسين بالكفر وكذلك قوله وقد دخلوا وهم قد خرجوا ولذلك دخلت قد تقريبا للماضي من الحال ولمعنى آخر وهو ان امارات النفاق كانت لائحة عليهم وكان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم متوقعا لاظهار الله ما كتموه فدخل حرف التوقع وهو متعلق بقوله قالوا آمنا اي قالوا ذلك وهذه حالهم ۝ **وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ۝ الاثم الكذب بدليل قوله عن قولهم الاثم والعدوان الظلم وقيل الاثم كلمة الشرك وقولهم عزير ابن الله وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعداهم الى غيرهم والمسارعة في الشيء الشروع فيه بسرعة ~~والمشي كانهم~~ جاءوا الاثم **لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ** ۝ كانهم جعلوا من مرتكبي المناكير لان كل عامل لا يسمى صانعا ولا كل عمل يسمى صناعة حتى يتمكن فيه ويتدرب وينسب اليه وكان المعنى في ذلك ان مواقع المعصية معها الشهوة التي تدعوه اليها وتحمله على ارتكابها واما الذي ينهاه فلا شهوة معه في فعل غيره فاذا فرط في الانكار كان اشد حالا من المواقع ولعمري ان هذه الآية مما يقذ السامع وينعى على العلماء توانيهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي اشد آية في القرآن وعن الضحاك ما في القرآن آية اخوف عندي منها **وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا** غل اليد وبسطها عبارة عن البخل والجود ومنه قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ولا يقصد من يتكلم به اثبات يد ولا غل ولا بسط ولا فرق عنده بين هذا الكلام وبين ما وقع مجازا عنه لانهما كلامان معتقبان على حقيقة واحدة حتى انه يستعمله في ملك لا يعطي عطاء قط ولا يمنعه الا باشارته من غير استعمال يد وقبضها وبسطها ولو اعطى الاقطع الى المنكب عطاء جزلا لقالوا ما ابسط يده بالنوال لان بسط اليد وقبضها عبارتان وقعتا متعاقبتين للبخل والجود وقد استعملوها حيث لا تصح اليد كقوله

جاد الحمى بسط اليدين بوابل ۝ شكرت نداه تلاعه ووهاده ۝

ولقد جعل لبيد للشمال يدا في قوله ۝ اذ اصبحت بيد الشمال زمامها ۝ ويقال بسط اليأس كفيه في صدري فجعل لليأس الذي هو من المعاني لا من الاعيان كفين ومن لم ينظر في علم البيان عمي عن تبصر محجة الصواب في تأويل امثال هذه الآية ولم يتخلص من يد الطاعن اذا عبث به **فان قلت** قد صح ان قوله يد الله مغلولة عبارة عن البخل فما تصنع بقوله غلت ايديهم ومن حقه ان يطابق ما تقدمه والا تنافر الكلام وزل عن سننه **قلت** يجوز ان يكون معناه الدعاء عليهم بالبخل والنكد ومن ثم كانوا ابخل خلق الله وانكدهم ونحوه بيت الاشتر ۝ بقيت وفري وانحرفت عن العلى ۝ ولقيت اضيافي بوجه عبوس ۝ ويجوز ان يكون دعاء عليهم بغل الايدي حقيقة يغلون في الدنيا اسارى وفي الآخرة معذبين باغلال جهنم والطباق من حيث اللفظ وملاحظة اصل المجاز كما تقول سبني سب الله دابره اي قطعه لان السب اصله القطع **فان قلت** كيف جاز ان يدعو الله عليهم بما هو قبيح وهو البخل والنكد **قلت** المراد به الدعاء بالخذلان الذي تقسو به قلوبهم فيزيد بخلهم ونكدهم او بما هو مسبب عن البخل والنكد من لصوق العار بهم وسوء الاحدوثة التي تخزيهم وتمزق اعراضهم **فان قلت** لم ثنيت اليد في **بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ** وهي مفردة في يد الله مغلولة **قلت** ليكون رد قولهم وانكاره ابلغ وادل على

ابانت غاية السخاء ونفي البخل عنه وذلك ان غاية ما يبذله السخي بماله من نفسه ان يعطيه بيديه جميعا فبني المجاز على ذلك وقرئ ولعنوا بسكون العين وفي مصحف عبد الله بل يداه بسطان يقال يده بسط بالمعروف ونحوه مشية سجح وناقة سرح **يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ** تاكيد للوصف بالسخاء ودلالة على انه لا ينفق الا على مقتضى الحكمة والمصلحة روي ان الله قد بسط على اليهود حتى كانوا من اكثر الناس مالا فلما عصوا الله في محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم وكذبوه كف الله تعالى عنهم ما بسط عليهم من السعة فعند ذلك قال فنحاص بن عازورا يد الله مغلولة ورضي بقوله الآخرون فاشركوا فيه **وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ** اي يزدادون عند نزول القرآن لحسدهم **طُغْيَانًا** تماديا في الجحود **وَكُفْرًا** بآيات الله **وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ** فكلهم ابدا مختلفون وقلوبهم شتى لا يقع اتفاق بينهم ولا تعاضد **كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ** كلما ارادوا محاربة غلبوا وقهروا ولم يقم لهم نصر من الله على احد قط وقد اتاهم الاسلام وهم في ملك المجوس وقيل خالفوا حكم التوراة فبعث الله عليهم بخت نصر ثم افسدوا فسلط الله عليهم فطرس الرومي ثم افسدوا فسلط الله عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط الله عليهم المسلمين وقيل كلما حاربوا رسول الله نصر عليهم وعن قتادة لا تلقى اليهود ببلدة الا وجدتهم من اذل الناس **وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا** ويجتهدون في الكيد للاسلام ومحو ذكر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من كتبهم **وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ** ۝ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ** مع ما عددنا من سيئاتهم **آمَنُوا** برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وبما جاء به **وَاتَّقَوْا** وقرنوا ايمانهم بالتقوى التي هي الشريطة في الفوز بالايمان **لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ** تلك السيئات ولم نؤاخذهم بها **وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ** ۝ ولادخلناهم مع المسلمين الجنة وفيه اعلام بعظم معاصي اليهود والنصارى وكثرة سيئاتهم ودلالة على سعة رحمة الله وفتحه باب التوبة على كل عاص وان عظمت معاصيه وبلغت مبالغ سيئات اليهود والنصارى وان الايمان لا ينجي ولا يسعد الا مشفوعا بالتقوى كما قال الحسن هذا العمود فاين الاطناب **وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ** اقاموا احكامهما وحدودهما وما فيهما من نعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم **وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ** من سائر كتب الله لانهم مكلفون الايمان بجميعها فكانها انزلت اليهم وقيل هو القرآن لوسع الله عليهم الرزق وكانوا قد قحطوا وقوله **لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ** عبارة عن التوسعة وفيه ثلاثة اوجه ان يفيض عليهم بركات السماء وبركات الارض وان يكثر الاشجار المثمرة والزروع المغلة وان يرزقهم الجنان اليانعة الثمار يجتنون ما تهدل منها من رؤس الشجر ويلتقطون ما تساقط على الارض من تحت ارجلهم **مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ** طائفة حالها امم في عداوة رسول الله وقيل هي الطائفة المؤمنة عبد الله بن سلام واصحابه وثمانية واربعون من النصارى **وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ** ۝ وساء ما يعملون فيه معنى التعجب كانه قيل وكثير منهم ما اسوأ عملهم وقيل هم كعب بن الاشرف واصحابه والروم **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ** جميع ما انزل اليك واي شيء انزل اليك غير مراقب في تبليغه احدا ولا خائف ان ينالك مكروه **وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ** وان لم تبلغ جميعه كما امرتك **فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ** وقرئ رسالاته فلم تبلغ اذا ما كلفت من اداء الرسالات ولم تؤد منها شيئا قط وذلك ان بعضها ليس باولى بالاداء من بعض فاذا لم تؤد بعضها فكانك اغفلت اداءها جميعا كما ان من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها لادلاء كل منها بما يدليه غيرها وكونها لذلك في حكم شيء واحد والشيء الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا به غير مؤمن به وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان كتمت آية لم تبلغ رسالاتي وروي عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بعثني الله برسالاته فضقت بها ذرعا فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت **فان قلت** وقع قوله فما بلغت رسالته جزاء للشرط فما وجه صحته **قلت** فيه وجهان احدهما انه اذا لم يمتثل امر الله في تبليغ الرسالات وكتمها كلها كانه لم يبعث رسولا كان امرا شنيعا لا خفاء بشناعته فقيل ان لم تبلغ منها ادنى شيء وان كلمة واحدة فانت كمن ركب الامر الشنيع الذي هو كتمان كلها كما عظم قتل النفس بقوله فكانما قتل الناس جميعا والثاني ان يراد فانك ان لم تفعل فلك ما يوجبه كتمان الوحي كله من العقاب فوضع السبب موضع المسبب ويعضده قوله عليه الصلاة والسلام فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك **وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** عدة من الله بالحفظ والكلاءة والمعنى والله يضمن لك العصمة من اعدائك فما عذرك في مراقبتهم **فان قلت** اين ضمان العصمة وقد شج في وجهه يوم احد وكسرت رباعيته **قلت** المراد انه يعصمه من القتل وفيه ان عليه ان يحتمل كل ما دون النفس في ذات الله فما اشد تكليف الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل نزلت بعد يوم احد والناس الكفار بدليل قوله **إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ** ۝ ومعناه انه لا يمكنهم مما يريدون انزاله بك من الهلاك وعن الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يحرس حتى نزلت فاخرج رأسه من قبة ادم فقال انصرفوا ايها الناس فقد عصمني الله من الناس **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ** اي على دين يعتد به حتى يسمى شيئا لفساده وبطلانه كما تقول هذا ليس بشيء تريد تحقيره وتصغير شأنه وامثالهم اقل من لا شيء **حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** ۝ فلا تتأسف عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم فان ضرر ذلك راجع اليهم لا اليك وفي المؤمنين غنى عنهم **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ۝ والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التأخير عما في حيز ان من اسمها وخبرها كانه قيل ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك

فان قلت واستشهد سيبويه شاهدا له والا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا في شقاق اي فاعلموا انا بغاة وانتم كذلك
هلا زعمت ان ارتفاعه للعطف على محل ان واسمها قلت لا يصح ذلك قبل الفراغ من الخبر لا تقول ان زيدا وعمرو منطلقان
فان قلت لم لا يصح والنية به التاخير فكانك قلت ان زيدا منطلق وعمرو قلت لاني اذا رفعته عطفا على محل ان واسمها
والعامل في محلهما هو الابتداء فيجب ان يكون هو العامل في الخبر لان الابتداء ينتظم الجزئين في عمله كما تنتظمهما ان في عملها فلو رفعت
الصابئون المنوي به التاخير بالابتداء وقد رفعت الخبر بان لاعملت فيهما رافعين مختلفين فان قلت فقوله والصابئون
معطوف لا بد له من معطوف عليه فما هو قلت هو مع خبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله ان الذين امنوا الى اخره
ولا محل لها كما لا محل للتي عطفت عليها فان قلت ما التقديم والتاخير الا لفائدة فما فائدة هذا التقديم قلت فائدته
التنبيه على ان الصابئين يتاب عليهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح فما الظن بغيرهم وذلك ان الصابئين ابين هؤلاء
المعدودين ضلالا واشدهم غيا وما سموا صابئين الا لانهم صبؤا عن الاديان كلها اي خرجوا كما ان الشاعر قدم قوله وانتم
تنبيها على ان المخاطبين اوغل في الوصف بالبغاة من قومه حيث عاجل به قبل الخبر الذي هو بغاة لئلا يدخل قومه في البغي قبلهم
فان قلت فلو قيل والصابئين واياكم لكان التقديم حاصلا قلت لو قيل هكذا لم يكن من التقديم في شيء لانه لا ازالة فيه
عن موضعه وانما يقال مقدم ومؤخر للمزال لا للقار في مكانه ومجرى هذه الجملة مجرى الاعتراض في الكلام فان قلت
كيف قيل الذين امنوا ثم قيل من امن قلت فيه وجهان ان يراد بالذين امنوا الذين امنوا بالسنتهم وهم المنافقون وان يراد
بمن امن من ثبت على الايمان واستقام ولم يخالجه ريبة فان قلت فما محل من امن قلت اما الرفع على الابتداء وخبره فلا خوف
عليهم والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط ثم الجملة كما هي خبر ان واما النصب على البدل من اسم ان وما عطف عليه او من المعطوف
عليه فان قلت فاين الراجع الى اسم ان قلت هو محذوف وتقديره من امن منهم كما جاء في موضع اخر وقرئ والصابيون
بياء صريحة وهو من تخفيف الهمزة كقراءة من قرا يستهزيون والصابون من صبوت لانهم صبوا الى اتباع الهوى والشهوات
في دينهم ولم يتبعوا ادلة العقل والسمع وفي قراءة ابي والصابئين بالنصب وبها قرا ابن كثير وقرا عبد الله يا ايها الذين امنوا والذين
هادوا والصابئون لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل لقد اخذنا ميثاقهم بالتوحيد وارسلنا اليهم رسلا ليقفوهم على ما ياتون
ويذرون في دينهم كلما جاءهم رسول جملة شرطية وقعت صفة لرسلا والراجع محذوف اي رسول منهم بما لا تهوى انفسهم
بما يخالف هواهم ويضاد شهواتهم من مشاق التكليف والعمل بالشرائع فان قلت اين جواب الشرط فان قوله فريقا كذبوا
وفريقا يقتلون ناب عن الجواب لان الرسول الواحد لا يكون فريقين ولانه لا يحسن ان تقول ان اكرمت اخي اخاك اكرمت قلت
هو محذوف يدل عليه قوله فريقا كذبوا وفريقا يقتلون كانه قيل كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه وقوله فريقا كذبوا جواب مستانف
لقائل يقول كيف فعلوا برسلهم فان قلت لم جيء باحد الفعلين ماضيا وبالاخر مضارعا قلت جيء يقتلون على حكاية الحال
الماضية استفظاعا للقتل واستحضارا لتلك الحال الشنيعة للتعجيب منها وحسبوا ان لا تكون فتنة قرئ ان لا تكون بالنصب
على الظاهر وبالرفع على ان ان هي المخففة من الثقيلة اصله انه لا تكون فتنة فخففت وحذف ضمير الشان فان قلت كيف
دخل فعل الحسبان على ان التي هي للتحقيق قلت نزل حسبانهم لقوته في صدورهم منزلة العلم فان قلت فاين مفعولا حسب
قلت سد ما يشتمل عليه صلة ان وان من المسند والمسند اليه مسد المفعولين والمعنى حسب بنو اسرائيل انهم لا يصيبهم من الله فتنة اي بلاء
وعذاب في الدنيا والاخرة فعموا عن الدين وصموا حين عبدوا العجل ثم تاب الله عليهم حين تابوا عن عبادة العجل فتاب الله عليهم ثم
عموا وصموا كرة ثانية بطلبهم المحال غير المعقول في صفات الله وهو الرؤية وقرئ عموا وصموا بالضم على تقدير عماهم الله وصمهم
اي رماهم وضربهم بالعمى والصمم كما يقال نزكته اذا ضربته بالنيزك وركبته اذا ضربته بركبتك كثير منهم بدل من الضمير
وعلى قولهم اكلوني البراغيث او هو خبر مبتدا محذوف اي اولئك كثير منهم والله بصير بما يعملون لقد كفر الذين
قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم لم يفرق عيسى عليه الصلاة والسلام
بينه وبينهم في انه عبد مربوب كمثلهم وهو احتجاج على النصارى انه من يشرك بالله في عبادته او فيما هو مختص به من
صفاته وافعاله فقد حرم الله عليه الجنة التي هي دار الموحدين اي حرمه دخولها ومنعه منه كما يمنع المحرم من المحرم عليه
وماواه النار وما للظالمين من انصار وما للظالمين من انصار من كلام الله على انهم ظلموا وعدلوا عن سبيل الحق فيما تقولوا
على عيسى فلذلك لم يساعدهم عليه ولم ينصر قولهم ورده وانكره وان كانوا معظمين لذلك ورافعين من مقداره او من قول
عيسى على معنى ولا ينصركم احد فيما تقولون ولا يساعدكم عليه لاستحالته وبعده عن المعقول او ولا ينصركم ناصر في الاخرة من
عذاب الله لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين
كفروا منهم عذاب اليم من في قوله وما من اله الا اله واحد للاستغراق وهي المقدرة مع لا التي لنفي الجنس في قولك لا اله الا
الله والمعنى وما من اله في الوجود الا اله موصوف بالوحدانية لا ثاني له وهو الله وحده لا شريك له ومن في قوله ليمسن الذين كفروا
منهم للبيان كالتي في قوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان فان قلت فهلا قيل ليمسنهم عذاب اليم قلت في اقامة الظاهر

مقام

مقام المضمر في قوله لقد كفر الذين قالوا وفي البيان فائدة اخرى وهي الاعلام في تفسير الذين كفروا منهم انهم بمكان
من الكفر والمعنى ليمسن الذين كفروا من النصارى خاصة عذاب اليم اي نوع شديد الالم من العذاب كما تقول اعطني عشرين من الثياب تريد من
الثياب خاصة لا من غيرها من الاجناس التي يجوز ان يتناولها عشرون ويجوز ان تكون للتبعيض على معنى ليمسن الذين بقوا على الكفر منهم لان
كثيرا منهم تابوا من النصرانية افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه الا يتوبون بعد هذه الشهادة المكررة عليهم بالكفر وهذا
الوعيد الشديد مما هم عليه وفيه تعجيب من اصرارهم والله غفور رحيم يغفر لهؤلاء ان تابوا ولغيرهم ما المسيح ابن مريم الا رسول
قد خلت من قبله الرسل صفة لرسول اي ما هو الا رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله جاء بايات من الله كما اتوا بامثالها ان ابرأ الله الاكمه والابرص
واحيا الموتى على يده فقد احيا العصا وجعلها حية تسعى وفلق البحر وطمس على يد موسى وان خلقه من غير ذكر فقد خلق ادم من غير ذكر ولا انثى وامه صديقة
اي وما امه ايضا الا كبعض النساء المصدقات للانبياء المؤمنات بهم فما منزلتهما الا منزلة بشرين احدهما نبي والاخر صحابي فمن اين
اشتبه عليكم امرهما حتى وصفتموهما بما لم يوصف به سائر الانبياء وصحابتهم مع انه لا تميز ولا تفاوت بينهما وبينهم بوجه من الوجوه
ثم صرح ببعدهما عما نسب اليهما في قوله كانا ياكلان الطعام لان من احتاج الى الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من الهضم والنفض لم
يكن الا جسما مركبا من عظم ولحم وعروق واعصاب واخلاط وامزجة مع شهوة وقرم وغير ذلك مما يدل على انه مصنوع مؤلف مدبر كغيره
من الاجسام انظر كيف نبين لهم الايات اي الاعلام من الادلة الظاهرة على بطلان قولهم ثم انظر انى يؤفكون كيف يصرفون
عن استماع الحق وتامله فان قلت ما معنى التراخي في قوله ثم انظر قلت معناه ما بين العجبين يعني انه بين لهم الايات بيانا عجيبا
وان اعراضهم عنها اعجب منه قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا ما لا يملك هو عيسى عليه الصلاة والسلام
اي شيئا لا يستطيع ان يضركم بمثل ما يضركم به الله من البلايا والمصائب في الانفس والاموال ولا ان ينفعكم بمثل ما ينفعكم به من
صحة الابدان والسعة والخصب ولان كل ما يستطيعه البشر من المضار والمنافع فبايجاد الله وتمكينه فكانه لا يملك منه شيئا
وهذا دليل قاطع على ان امره مناف للربوبية حيث جعله لا يستطيع ضرا ولا نفعا وصفة الرب ان يكون قادرا على كل شيء لا يخرج
مقدور عن قدرته والله هو السميع العليم متعلق باتعبدون اي اتشركون بالله ولا تخشونه وهو الذي يسمع ما تقولون ويعلم
ما تعتقدون اتعبدون العاجز والله هو السميع العليم الذي يصح منه ان يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم ولن يكون كذلك
الا وهو حي قادر قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق صفة للمصدر اي لا تغلوا في دينكم غلوا غير الحق اي غلوا باطلا
لان الغلو في الدين غلوان حق وهو ان يفحص عن حقائقه ويفتش عن اباعد معانيه ويجتهد في تحصيل حججه كما يفعل المتكلمون من
اهل العدل والتوحيد وغلو باطل وهو ان يتجاوز الحق ويتخطاه بالاعراض عن الادلة واتباع الشبه كما يفعل اهل الاهواء والبدع ولا
تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل هم ائمتهم في النصرانية كانوا على الضلال قبل مبعث النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم واضلوا كثيرا
ممن شايعهم على التثليث وضلوا لما بعث رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم عن سواء السبيل حين كذبوه وحسدوه لعن الذين
كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم نزل الله لعنهم في الزبور على لسان داود وفي الانجيل على لسان عيسى
وقيل ان اهل ايلة لما اعتدوا في السبت قال داود اللهم العنهم واجعلهم اية فمسخوا قردة ولما كفر اصحاب عيسى بعد المائدة
قال عيسى اللهم عذب من كفر بعد ما اكل من المائدة عذابا لم تعذب به احدا من العالمين والعنهم كما لعنت اصحاب السبت فاصبحوا خنازير
وكانوا خمسة الاف رجل ما فيهم امراة ولا صبي ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اي لم يكن ذلك اللعن الشنيع الذي كان سبب
المسخ الا لاجل المعصية والاعتداء لا لشيء اخر ثم فسر المعصية والاعتداء بقوله كانوا لا يتناهون لا ينهى بعضهم بعضا عن منكر
فعلوه ثم قال لبئس ما كانوا يفعلون للتعجيب من سوء فعلهم مؤكدا لذلك بالقسم فيا حسرتا على المسلمين في اعراضهم عن باب
التناهي عن المناكير وقلة عبئهم به كانه ليس من ملة الاسلام في شيء مع ما يتلون من كلام الله وما فيه من المبالغات في هذا الباب
فان قلت كيف وقع ترك التناهي عن المنكر تفسيرا للمعصية والاعتداء قلت من قبل ان الله عز وجل امر بالتناهي فكان الاخلال
به معصية وهو اعتداء لان في التناهي حسما للفساد فكان تركه على عكسه فان قلت ما معنى وصف المنكر بفعلوه ولا
يكون النهي بعد الفعل قلت معناه لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه او عن مثل منكر فعلوه او عن منكر ارادوا فعله كما
ترى امارات الخوض في الفسق والاته تسوى وتهيا فتنكر ويجوز ان يراد لا ينتهون ولا يمتنعون عن منكر فعلوه بل يصرون
عليه ويداومون على فعله يقال تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع منه وتركه ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا
هم منافقوا اهل الكتاب كانوا يوالون المشركين ويصافونهم لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم وفي العذاب
هم خالدون ان سخط الله عليهم هو المخصوص بالذم ومحله الرفع كانه قيل لبئس زادهم الى الاخرة سخط الله عليهم والمعنى
موجب سخط الله ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء ولو كانوا يؤمنون ايمانا خالصا غير
نفاق ما اتخذوا المشركين اولياء يعني ان موالاة المشركين كفى بها دليلا على نفاقهم وان ايمانهم ليس بايمان ولكن كثيرا
منهم فاسقون متمردون في كفرهم ونفاقهم وقيل معناه ولو كان هؤلاء اليهود يؤمنون بالله وموسى كما يدعون ما اتخذوا
المشركين اولياء كما لم يوالهم المسلمون لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن اقربهم

للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون ۝ وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع

وصف الله شدة شكيمة اليهود وصعوبة إجابتهم إلى الحق ولين عريكة النصارى وسهولة ارعوائهم وميلهم إلى الإسلام وجعل اليهود قرناء المشركين في شدة العداوة للمؤمنين بل نبه على تقدم قدمهم فيها بتقديمهم على الذين أشركوا وكذلك فعل في قوله ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا ولعمري إنهم لكذلك وأشد وعن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما خلا يهودي بمسلم إلا هم بقتله وعلل سهولة مأخذ النصارى وقرب مودتهم للمؤمنين بأن منهم قسيسين ورهبانا أي علماء وعبادا وأنهم قوم فيهم تواضع واستكانة ولا كبر فيهم واليهود على خلاف ذلك وفيه دليل بين على أن العلم أنفع شيء وأهداه إلى الخير وأدله على الفوز علم القسيسين وكذلك علم الآخرة والتحدث بالعاقبة وإن كان في راهب والبراءة من الكبر وإن كانت في نصراني ووصفهم برقة القلوب وأنهم يبكون عند استماع القرآن وذلك نحو ما يحكى عن النجاشي أنه قال لجعفر بن أبي طالب حين اجتمع في مجلسه المهاجرون إلى الحبشة والمشركون وهم يغرونه عليهم ويطلبون عنتهم عنده هل في كتابكم ذكر مريم قال جعفر فيه سورة تنسب إليها فقرأها إلى قوله ذلك عيسى بن مريم وقرأ سورة طه إلى قوله هل أتاك حديث موسى فبكى النجاشي وكذلك فعل قومه الذين وفدوا على رسول الله وهم سبعون رجلا حين قرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم سورة يس فبكوا **فإن قلت** بم تعلقت اللام في قوله للذين آمنوا **قلت** بعداوة ومودة على أن عداوة اليهود التي أحصت المؤمنين أشد العداوات وأظهرها وأن مودة النصارى التي اختصت المؤمنين أقرب المودات وأدناها وجودا وأسهلها حصولا ووصف اليهود بالعداوة والنصارى بالمودة مما يؤذن بالتفاوت ثم وصف العداوة بالأشد والمودة بالأقرب **فإن قلت** ما معنى قوله تفيض من الدمع **قلت** معناه تمتلئ من الدمع حتى تفيض لأن الفيض أن يمتلئ الإناء أو غيره حتى يطلع ماؤه من جوانبه فوضع الفيض الذي هو من الامتلاء موضع الامتلاء وهو من إقامة المسبب مقام السبب أو قصدت المبالغة في وصفهم بالبكاء فجعلت أعينهم كأنها تفيض بأنفسها أي تسيل من الدمع من أجل البكاء من قولك دمعت عينه دمعا **فإن قلت** أي فرق بين من ومن في قوله مما عرفوا من الحق **قلت** الأولى لابتداء الغاية على أن فيض الدمع ابتدأ ونشأ من معرفة الحق وكان من أجله وبسببه والثانية لتبيين الموصول الذي هو ما عرفوا وتحتمل معنى التبعيض على أنهم عرفوا بعض الحق فأبكاهم وبلغ منهم فكيف إذا عرفوه كله وقرؤوا القرآن وأحاطوا بالسنة وقرئ ترى أعينهم على البناء للمفعول يقولون ربنا آمنا المراد به إنشاء الإيمان والدخول فيه فاكتبنا مع الشاهدين ۝ مع أمة محمد الذين هم شهداء على سائر الأمم يوم القيامة لتكونوا شهداء على الناس وقالوا ذلك لأنهم وجدوا ذكرهم في الإنجيل كذلك وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ۝ إنكار واستبعاد لانتفاء الإيمان مع قيام موجبه وهو الطمع في إنعام الله عليهم بصحبة الصالحين وقيل لما رجعوا إلى قومهم لاموهم فأجابوهم بذلك وأرادوا وما لنا لا نؤمن بالله وحده لأنهم كانوا مثلثين وليس ذلك بإيمان بالله ومحل لا نؤمن النصب على الحال بمعنى غير مؤمنين كقولك ما لك قائما والواو في ونطمع واو الحال **فإن قلت** ما العامل في الحال الأولى والثانية **قلت** العامل في الأولى ما في اللام من معنى الفعل كأنه قيل أي شيء حصل لنا غير مؤمنين وفي الثانية معنى هذا الفعل ولكن مقيدا بالحال الأولى لأنك لو أزلتها وقلت وما لنا ونطمع لم يكن كلاما ويجوز أن تكون ونطمع حالا من لا نؤمن على أنهم أنكروا على أنفسهم أنهم لا يوحدون الله ويطمعون مع ذلك أن يصحبوا الصالحين وأن تكون معطوفا على لا نؤمن على معنى وما لنا لا نجمع بين التثليث وبين الطمع في صحبة الصالحين أو على معنى وما لنا لا نجمع بينهما بالدخول في الإسلام لأن الكافر ما ينبغي له أن يطمع في صحبة الصالحين فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين ۝ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم ۝ فأثابهم الله بما قالوا بما تكلموا به عن اعتقاد وإخلاص من قولك هذا قول فلان أي اعتقاده وما يذهب إليه يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ما طاب ولذ من الحلال ومعنى لا تحرموا لا تمنعوها أنفسكم كمنع التحريم أو لا تقولوا حرمناها على أنفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا وروي أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وصف القيامة لأصحابه يوما فبالغ وأشبع الكلام في الإنذار فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على أن لا يزالوا صائمين قائمين ولا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الأرض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال لهم إني لم أومر بذلك إن لأنفسكم عليكم حقا فصوموا وأفطروا وقوموا وناموا فإني أقوم وأنام وأصوم وأفطر وآكل اللحم والدسم وآتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني فنزلت وروي أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يأكل الدجاج والفالوذ وكان يعجبه الحلواء والعسل وقال إن المؤمن حلو يحب الحلاوة وعن ابن مسعود أن رجلا قال له إني حرمت الفراش فتلا هذه الآية وقال نم على فراشك وكفر عن يمينك وعن الحسن أنه دعي إلى طعام ومعه فرقد السبخي وأصحابه فقعدوا على المائدة وعليها الألوان من الدجاج المسمن والفالوذ وغير ذلك فاعتزل فرقد ناحية فقال الحسن أهو صائم قالوا لا ولكنه يكره هذه الألوان فأقبل الحسن عليه وقال يا فريقد أترى لعاب النحل بلباب البر بخالص السمن يعيبه مسلم

وعنه أنه قيل له فلان لا يأكل الفالوذ ويقول لا أؤدي شكره قال أفيشرب الماء البارد قالوا نعم قال إنه جاهل إن نعمة الله عليه في الماء البارد أكثر من نعمته عليه في الفالوذ وعنه إن الله تعالى أدب عباده فأحسن أدبهم بقوله لينفق ذو سعة من سعته ما عاب الله قوما وسع عليهم في الدنيا فتنعموا وأطاعوا ولا عذر قوما زواها عنهم فعصوه ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ۝ ولا تتعدوا حدود ما أحل لكم إلى ما حرم عليكم أو ولا تسرفوا في تناول الطيبات أو جعل تحريم الطيبات اعتداء وظلما فنهى عن الاعتداء ليدخل تحته النهي عن تحريمها دخولا أوليا لوروده على عقبه أو أراد ولا تعتدوا بذلك وكلوا مما رزقكم الله أي من الوجوه الطيبة التي تسمى رزقا حلالا طيبا حلالا حال مما رزقكم الله واتقوا الله تأكيد للتوصية بما أمر به وزاده تأكيدا بقوله الذي أنتم به مؤمنون ۝ لأن الإيمان به يوجب التقوى في الانتهاء إلى ما أمر به وعما نهى عنه لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم اللغو في اليمين الساقط الذي لا يتعلق به حكم واختلف فيه فعن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت عنه فقالت هو قول الرجل لا والله وبلى والله وهو مذهب الشافعي رحمه الله وعن مجاهد هو الرجل يحلف على الشيء يرى أنه كذلك وليس كما ظن وهو قول أبي حنيفة ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان بتعقيدكم الأيمان وهو توثيقها بالقصد والنية وروي أن الحسن سئل عن لغو اليمين وكان عنده الفرزدق فقال يا أبا سعيد دعني أجب عنك فقال ولست بمأخوذ بلغو تقوله ۝ إذا لم تعمد عاقدات العزائم ۝ وقرئ عقدتم بالتخفيف وعاقدتم والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم إذا حنثتم فحذف وقت المؤاخذة لأنه كان معلوما عندهم أو بنكث ما عقدتم فحذف المضاف فكفارته إطعام عشرة مساكين فكفارة نكثه والكفارة الفعلة التي من شأنها أن تكفر الخطيئة أي تسترها من أوسط ما تطعمون أهليكم من أقصده لأن منهم من يسرف في إطعام أهله ومنهم من يقتر وهو عند أبي حنيفة نصف صاع من بر وصاع من غيره لكل مسكين أو يغديهم ويعشيهم وعند الشافعي مد لكل مسكين وقرأ جعفر بن محمد أهاليكم بسكون الياء والأهالي اسم جمع لأهل كالليالي في جمع ليلة والأراضي في جمع أرض وقولهم أهلون كقولهم أرضون بسكون الراء وأما تسكين الياء في حال النصب فللتخفيف كما قالوا رأيت معدي كرب تشبيها للياء بالألف أو كسوتهم عطف على محل من أوسط وقرئ بضم الكاف ونحوه قدوة في قدوة وأسوة في أسوة والكسوة ثوب يغطي العورة وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانت العباءة تجزئ يومئذ وعن ابن عمر إزار وقميص أو رداء أو كساء وعن مجاهد ثوب جامع وعن الحسن ثوبان أبيضان وقرأ سعيد بن المسيب واليماني أو كأسوتهم بمعنى أو مثل ما تطعمون أهليكم إسرافا كان أو تقتيرا لا تنقصونهم عن مقدار نفقتهم ولكن تساوون بينهم وبينهم **فإن قلت** ما محل الكاف **قلت** الرفع تقديره أو طعامهم كأسوتهم بمعنى كمثل طعامهم إن لم تطعموهم الأوسط أو تحرير رقبة شرط الشافعي الإيمان قياسا على كفارة القتل وأما أبو حنيفة وأصحابه فقد جوزوا تحرير الرقبة الكافرة في كل كفارة سوى القتل **فإن قلت** ما معنى أو **قلت** التخيير وإيجاب إحدى الكفارات الثلاث على الإطلاق بأيها أخذ المكفر فقد أصاب فمن لم يجد إحداها فصيام ثلاثة أيام متتابعات عند أبي حنيفة تمسكا بقراءة أبي وابن مسعود رضي الله عنهما فصيام ثلاثة أيام متتابعات وعن مجاهد كل صوم متتابع إلا قضاء رمضان ويخير في كفارة اليمين ذلك المذكور كفارة أيمانكم ولو قيل تلك كفارة أيمانكم لكان صحيحا بمعنى تلك الأشياء أو لتأنيث الكفارة والمعنى إذا حلفتم وحنثتم فترك ذكر الحنث لوقوع العلم بأن الكفارة إنما تجب بالحنث في الحلف لا بنفس الحلف والتكفير قبل الحنث لا يجوز عند أبي حنيفة وأصحابه ويجوز عند الشافعي بالمال إذا لم يحنث بمعصية واحفظوا أيمانكم فبروا فيها ولا تحنثوا أراد الأيمان التي الحنث فيها معصية لأن الأيمان اسم جنس يجوز إطلاقه على بعض الجنس وعلى كله وقيل احفظوها بأن تكفروها وقيل احفظوها كيف حلفتم بها ولا تنسوها تهاونا بها كذلك مثل ذلك البيان يبين الله لكم آياته أعلام شريعته وأحكامه لعلكم تشكرون ۝ نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ۝ إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة أكد تحريم الخمر والميسر وجوها من التأكيد منها تصدير الجملة بإنما ومنها أنه قرنهما بعبادة الأصنام ومنه قوله عليه الصلاة والسلام شارب الخمر كعابد الوثن ومنها أنه جعلهما رجسا كما قال فاجتنبوا الرجس من الأوثان ومنها أنه جعلهما من عمل الشيطان والشيطان لا يأتي منه إلا الشر البحت ومنها أنه أمر بالاجتناب ومنها أنه جعل الاجتناب من الفلاح وإذا كان الاجتناب فلاحا كان الارتكاب خيبة ومحقة ومنها أنه ذكر ما ينتج منهما من الوبال وهو وقوع التعادي والتباغض بين أصحاب الخمر والقمر وما يؤديان إليه من الصد عن ذكر الله وعن مراعاة أوقات الصلاة وقوله فهل أنتم منتهون ۝ من أبلغ ما ينهى به كأنه قيل قد تلي عليكم ما فيهما من أنواع الصوارف والموانع فهل أنتم مع هذه الصوارف منتهون أم أنتم على ما كنتم عليه كأن لم توعظوا ولم تزجروا **فإن قلت** إلام يرجع الضمير في قوله فاجتنبوه **قلت** إلى المضاف المحذوف كأنه قيل إنما شأن الخمر والميسر أو تعاطيهما وما أشبه ذلك ولذلك قال رجس من عمل الشيطان **فإن قلت** لم جمع الخمر والميسر مع الأنصاب والأزلام أولا ثم أفردهما آخرا **قلت** لأن الخطاب مع المؤمنين وإنما نهاهم عما كانوا يتعاطونه من شرب الخمر واللعب بالميسر وذكر الأنصاب والأزلام لتأكيد تحريم الخمر والميسر وإظهار أن ذلك جميعا من أعمال الجاهلية وأهل الشرك فوجب اجتنابه بأسره وكأنه لا مباينة بين من عبد صنما وأشرك بالله في علم الغيب وبين من شرب خمرا أو قامر ثم أفردهما بالذكر ليرى أن المقصود بالذكر الخمر والميسر وقوله وعن

الصلاة اختصاص للصلاة من بين الذكر كأنه قيل وعن الصلاة خصوصا **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا** وكونوا
حذرين خاشين لأنهم اذا حذروا دعاهم الحذر الى اتقاء كل سيئة وعمل كل حسنة ويجوز أن يراد واحذروا ما عليكم في الخمر والميسر أو
في ترك طاعة الله والرسول **فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ** ۝ فإن توليتم فاعلموا انكم لم تضروا بتوليكم الرسول
لأن الرسول ما كلف الا البلاغ بالآيات وقد فعل وانما ضررتم انفسكم حين اعرضتم عما كلفتموه **لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**
جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا رفع الجناح عن المؤمنين في أي شيء طعموه من مستلذات المطاعم ومشتهياتها **إِذَا مَا اتَّقَوْا** ما حرم عليهم منها
وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وثبتوا على الايمان والعمل الصالح وازدادوه **ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا** ثم ثبتوا على التقوى والايمان **ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا**
ثم ثبتوا على اتقاء المعاصي واحسنوا اعمالهم واحسنوا الى الناس واسوهم مما رزقهم الله من الطيبات وقيل لما نزل تحريم الخمر قال الصحابة
رضي الله عنهم يا رسول الله كيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون مال الميسر فنزلت يعني ان المؤمنين لا جناح
عليهم في أي شيء طعموه من المباحات اذا ما اتقوا المحارم ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا على معنى ان اولئك كانوا على هذه الصفة ثناء عليهم
وحمدا لاحوالهم في الايمان والتقوى والاحسان ومثاله ان يقال لك هل على زيد فيما فعل جناح فتقول وقد علمت ان ذلك امر مباح
ليس على احد جناح في المباح اذا اتقى المحارم وكان مؤمنا محسنا تريد ان زيدا تقي مؤمن محسن وانه غير مؤاخذ بما فعل **وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد
وهم محرمون وكثر عندهم حتى كان يغشاهم في رحالهم فيستمكنون من صيده أخذا بأيديهم وطعنا برماحهم **لِيَعْلَمَ اللَّهُ**
مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ ليتميز من يخاف عقاب الله وهو غائب منتظر في الآخرة فيتقي الصيد ممن لا يخافه فيقدم عليه **فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ**
فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ فمن اعتدى فصاد بعد ذلك الابتلاء فالوعيد لاحق به **فإن قلت** ما معنى التقليل والتصغير في قوله بشيء من
الصيد **قلت** قلل وصغر ليعلم انه ليس بفتنة من الفتن العظام التي تدحض عندها اقدام الثابتين كالابتلاء ببذل الارواح والاموال
وانما هو شبيه بما ابتلي به اهل ايلة من صيد السمك وانهم اذا لم يثبتوا عنده فكيف شأنهم عند ما هو أشد منه وقرأ ابرهيم يناله
بالياء **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ** **وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا** حرم محرمون جمع حرام كردح في جمع رداح والتعمد
ان يقتله وهو ذاكر لاحرامه او عالم ان ما يقتله مما يحرم عليه قتله فان قتله وهو ناس لاحرامه او رمى صيدا وهو يظن انه ليس بصيد
فاذا هو صيد او قصد برميه غير صيد فعدل السهم عن رميته فاصاب صيدا فهو مخطئ **فإن قلت** فمحظورات الاحرام يستوي
فيها العمد والخطأ فما بال التعمد مشروطا في الآية **قلت** لان مورد الآية فيمن تعمد فقد روي انه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش
فحمل عليه ابو اليسر فطعنه برمحه فقتله فقيل له انك قتلت الصيد وانت محرم فنزلت ولان الاصل فعل التعمد والخطأ لاحق به للتغليظ
ويدل عليه قوله ليذوق وبال امره ومن عاد فينتقم الله منه وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطأ وعن سعيد بن
جبير لا ارى في الخطأ شيئا اخذا باشتراط العمد في الآية وعن الحسن روايتان **فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ** برفع جزاء ومثل جميعا بمعنى فعليه جزاء
يماثل ما قتل من الصيد وهو عند ابي حنيفة قيمة الصيد يقوم حيث صيد فان بلغت قيمته ثمن هدي تخير بين ان يهدي من النعم ما قيمته قيمة
الصيد وبين ان يشتري بقيمته طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وان شاء صام عن طعام كل مسكين
يوما فان فضل ما لا يبلغ طعام مسكين صام عنه يوما او تصدق به وعند محمد والشافعي مثله نظيره من النعم فان لم يوجد له نظير من
النعم عدل الى قول ابي حنيفة **فإن قلت** فما يصنع من يفسر المثل بالقيمة بقوله من النعم وهو تفسير للمثل وبقوله هديا بالغ الكعبة
قلت قد خير من اوجب القيمة بين ان يشتري بها هديا او طعاما او يصوم كما خير الله تعالى في الآية فكان قوله من النعم بيانا للهدي
المشترى بالقيمة في احد وجوه التخيير لان من قوم الصيد واشترى بالقيمة هديا فاهداه فقد جزى بمثل ما قتل من النعم على ان التخيير الذي
في الآية بين ان يجزي بالهدي او يكفر بالاطعام او بالصوم انما يستقيم استقامة ظاهرة بغير تعسف اذا قوم ونظر بعد التقويم اي
الثلاثة يختار واما اذا عمد الى النظير وجعله الواجب وحده من غير تخيير فاذا كان شيئا لا نظير له قوم حينئذ ثم يخير بين الاطعام والصوم
ففيه نبو عما في الآية الا ترى الى قوله او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما كيف خير بين الاشياء الثلاثة ولا سبيل الى ذلك الا بالتقويم وقرأ
عبد الله فجزاؤه مثل ما قتل وقرئ على الاضافة واصله فجزاء مثل ما قتل بنصب مثل بمعنى فعليه ان يجزي مثل ما قتل ثم اضيف كما تقول عجبت من
ضرب زيدا وقرأ السلمي على الاصل وقرأ محمد بن مقاتل فجزاء مثل ما قتل بنصبهما بمعنى فليجز جزاء مثل ما قتل وقرأ الحسن من النعم بسكون العين
استثقل الحركة على حرف الحلق فسكنه **يَحْكُمُ بِهِ** بمثل ما قتل **ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ** حكمان عادلان من المسلمين قالوا وفيه دليل على ان
المثل القيمة لان التقويم مما يحتاج الى النظر والاجتهاد دون الاشياء المشاهدة وعن قبيصة انه اصاب ظبيا وهو محرم فسأل عمر
فشاور عبد الرحمن بن عوف ثم امره بذبح شاة فقال قبيصة لصاحبه والله ما علم امير المؤمنين حتى سأل غيره فاقبل عليه ضربا بالدرة
وقال اتغمص الفتيا وتقتل الصيد وانت محرم قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم فانا عمر وهذا عبد الرحمن وقرأ محمد بن جعفر رضي
الله عنهما ذو عدل منكم اراد يحكم به من يعدل منكم ولم يرد الوحدة وقيل اراد الامام **هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ** هديا حال عن جزاء
فيمن وصفه بمثل لان الصفة خصصته فقربته من المعرفة او بدل عن مثل فيمن نصبه او عن محله فيمن جره ويجوز ان ينتصب حالا عن الضمير
في به ووصف هديا ببالغ الكعبة لان اضافته غير حقيقية ومعنى بلوغه الكعبة ان يذبح بالحرم فاما التصدق به فحيث شئت عند ابي حنيفة

وعند

وعند الشافعي في الحرم **أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ** **فإن قلت** بم يرتفع كفارة من ينصب جزاء **قلت** يجعلها خبر مبتدأ
محذوف كأنه قيل او الواجب عليه كفارة او يقدر فعليه ان يجزي جزاء او كفارة فيعطفها على ان يجزي وقرئ او كفارة طعام
مساكين على الاضافة وهذه الاضافة مبينة كأنه قيل او كفارة من طعام مساكين كقولك خاتم فضة بمعنى خاتم من فضة
وقرأ الاعرج او كفارة طعام مسكين وانما وحد لانه واقع موقع التبيين فاكتفى بالواحد الدال على الجنس **أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ**
صِيَامًا وقرئ او عدل بكسر العين والفرق بينهما ان عدل الشيء ما عادله من غير جنسه كالصوم والاطعام وعدله ما عدل
به في المقدار ومنه عدلا الحمل لان كل واحد منهما عدل بالآخر حتى اعتدلا كأن المفتوح تسمية بالمصدر والمكسور
بمعنى المفعول به كالذبح ونحوه ونحوهما الحمل والحمل وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل كقولك لي مثله رجلا والخيار
في ذلك الى قاتل الصيد عند ابي حنيفة وابي يوسف وعند محمد الى الحكمين **لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ** متعلق بقوله فجزاء اي فعليه ان
يجازى او يكفر ليذوق سوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام والوبال المكروه والضرر الذي ينال في العاقبة من عمل سوء لثقله عليه كقوله
تعالى فاخذناه اخذا وبيلا ثقيلا والطعام الوبيل الذي يثقل على المعدة فلا يستمرأ **عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ** لكم من الصيد في حال الاحرام
قبل ان تراجعوا رسول الله وتسألوه عن جوازه وقيل عما سلف لكم في الجاهلية منه لانهم كانوا متعبدين بشرائع من قبلهم وكان الصيد
فيها محرما **وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ** الى قتل الصيد وهو محرم بعد نزول النهي عنه **فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ**
ينتقم خبر مبتدأ محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه ولذلك دخلت الفاء ونحوه فمن يؤمن بربه فلا يخاف يعني ينتقم منه في الآخرة واختلف
في وجوب الكفارة على العائد فعن عطاء وابرهيم وسعيد بن جبير والحسن وجوبها وعليه عامة العلماء وعن ابن عباس وشريح انه لا كفارة
عليه تعلقا بالظاهر وانه لم يذكر الكفارة **أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ** مصيدات البحر مما يؤكل ومما لا يؤكل **وَطَعَامُهُ** وما يطعم من
صيده والمعنى احل لكم الانتفاع بجميع ما يصاد في البحر واحل لكم اكل المأكول منه وهو السمك وحده عند ابي حنيفة رضي الله عنه
وعند ابن ابي ليلى جميع ما يصاد منه على ان تفسير الآية عنده احل لكم صيد حيوان البحر وان تطعموه **مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ**
مفعول له اي احل لكم تمتيعا لكم وهو في المفعول له بمنزلة قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة في باب الحال لان قوله متاعا لكم
مفعول له مختص بالطعام كما ان نافلة حال مختصة بيعقوب يعني احل لكم طعامه تمتيعا لتنائكم يأكلونه طريا ولسيارتكم
يتزودونه قديدا كما تزود موسى عليه الصلاة والسلام الحوت في مسيره الى الخضر وقرئ وطعمه **وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ**
الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝ وصيد البر ما صيد فيه وهو ما يفرخ فيه وان كان يعيش في الماء في
بعض الاوقات كطير الماء عند ابي حنيفة واختلف فيه فمنهم من حرم على المحرم كل شيء يقع عليه اسم الصيد وهو قول عمر وابن عباس
وعن ابي هريرة وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير انهم اجازوا للمحرم اكل ما صاده الحلال وان صاده لاجله اذا لم يدل ولم يشر
وكذا ما ذبحه قبل احرامه وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه وعند مالك والشافعي واحمد لا يباح له ما صيد لاجله **فإن**
قلت ما يصنع ابو حنيفة بعموم قوله صيد البر **قلت** قد اخذ ابو حنيفة رحمه الله تعالى بالمفهوم من قوله وحرم عليكم صيد البر
ما دمتم حرما لان ظاهره انه صيد المحرمين دون صيد غيرهم لانهم المحرمون وصيدهم حين كانوا محرمين ويدل عليه قوله تعالى يا ايها
الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم وقرأ ابن عباس وحرم عليكم صيد البر اي الله عز وجل وقرئ ما دمتم بكسر الدال فيمن
يقول دام يدام **جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ** البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح لا على جهة التوضيح كما يجيء الصفة كذلك
قِيَامًا لِلنَّاسِ انتعاشا لهم في امر دينهم ودنياهم ونهوضا الى اغراضهم ومقاصدهم ومعاشهم ومعادهم لما يتم لهم من امر
حجهم وعمرتهم وتجارتهم وانواع منافعهم وعن عطاء بن ابي رباح لو تركوه عاما واحدا لم ينظروا ولم يؤخروا **وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ**
والشهر الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لان لاختصاصه من بين الاشهر باقامة موسم الحج شأنا قد عرفه الله وقيل عني جنس الاشهر الحرم
وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ والمقلد منه خصوصا وهو البدن لان الثواب فيه اكثر وبهاء الحج معه اظهر **ذَلِكَ** اشارة الى جعل الكعبة
قياما للناس او الى ما ذكر من حرمة الاحرام بترك الصيد وغيره **لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ**
اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ لتعلموا ان الله يعلم كل شيء وهو عالم بما يصلحكم وينعشكم مما امركم به وكلفكم **اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ**
شَدِيدُ الْعِقَابِ لمن انتهك محارمه **وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** لمن حافظ عليها **مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ** تشديد في ايجاب القيام بما
امر به وان الرسول قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم في التفريط **وَاللَّهُ يَعْلَمُ**
مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ۝ **قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ** البون بين الخبيث والطيب بعيد
عند الله وان كان قريبا عندكم فلا تعجبوا بكثرة الخبيث حتى تؤثروه لكثرته على الطيب القليل فان ما تتوهمونه في الكثرة
من الفضل لا يوازي النقصان في الخبث وفوات الطيب وهو عام في حلال المال وحرامه وصالح العمل وطالحه وصحيح المذاهب
وفاسدها وجيد الناس ورديهم **فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ۝ وآثروا الطيب وان قل على الخبيث وان كثر
ومن حق هذه الآية ان تكفح بها وجوه المجبرة اذا افتخروا بالكثرة ۝ كما قيل وتعيرنا انا قليل عديدنا ۝ وقد قيل

لا يدهمنك من دهمائهم عدد ۝ فان جلهم بل كلهم بقر ۝ وقيل نزلت في حجاج اليمامة حين اراد المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عن

الانتفاع بهم وان كانوا مشركين يا ايها الذين امنوا لا تسئلوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم الجملة الشرطية والمعطوف
عليها اعني قوله وان تسئلوا عنها حين ينزل القران تبد لكم صفتان للاشياء والمعنى لا تكثروا مسئلة رسول الله
حتى تسئلوه عن تكاليف شاقة عليكم ان افتاكم بها وكلفكم اياها تغمكم وتشق عليكم وتندموا على السؤال عنها وذلك نحو ما روي
ان سراقة بن مالك او عكاشة بن محصن قال يا رسول الله الحج علينا كل عام فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه واله وسلم حتى اعاد
مسئلته ثلث مرات فقال صلى الله عليه وعلى اله وسلم ويحك ما يؤمنك ان اقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم لكفرتم
فاتركوني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا امرتكم بامر فخذوا منه ما استطعتم
وان نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وان تسئلوا عنها حين ينزل القران وان تسئلوا عن هذه التكاليف الصعبة في زمان الوحي وهو
ما دام الرسول بين اظهركم يوحى اليه تبد لكم تلك التكاليف الصعبة التي تسؤكم وتؤمروا بتحملها فتعرضوا انفسكم لغضب
الله بالتفريط فيها عفا الله عنها عفا الله عما سلف من مسئلتكم فلا تعودوا الى مثلها والله غفور حليم لا يعاجلكم فيما يفرط
منكم بعقوبته قد سئلها قوم من قبلكم فان قلت كيف قال لا تسئلوا عن اشياء ثم قال قد سئلها ولم يقل قد سئل عنها
قلت الضمير في سئلها ليس براجع الى اشياء حتى يتعدى بعن وانما هو راجع الى المسئلة التي دل عليها لا تسئلوا يعني قد سئل هذه
المسئلة قوم من الاولين ثم اصبحوا بها كافرين وذلك ان بني اسرائيل كانوا يستفتون انبياءهم عن اشياء فاذا امروا بها تركوها
فهلكوا ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب كان
اهل الجاهلية اذا نتجت الناقة خمسة ابطن اخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وحرموا ركوبها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى واذا
لقيها المعيي لم يركبها واسمها البحيرة وكان يقول الرجل اذا قدمت من سفري او برئت من مرضي فناقتي سائبة وجعلها كالبحيرة في
تحريم الانتفاع بها وقيل كان الرجل اذا اعتق عبدا قال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت
ذكرا فهو لالهتهم فان ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا الذكر لالهتهم واذا نتجت من صلب الفحل عشرة ابطن قالوا
قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى ومعنى ما جعل ما شرع ذلك ولا امر بالتبحير والتسييب وغير ذلك ولكنهم
بتحريمهم ما حرموا يفترون على الله الكذب واكثرهم لا يعقلون فلا ينسبون التحريم الى الله حتى يفتروا ولكنهم يقلدون
في تحريمها كبارهم واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا اولو كان اباؤهم
لا يعلمون شيئا ولا يهتدون الواو في قوله اولو كان اباؤهم واو الحال قد دخلت عليها همزة الانكار وتقديره احسبهم ذلك ولو كان
اباؤهم لا يعلمون شيئا والمعنى ان الاقتداء انما يصح بالعالم المهتدي وانما يعرف اهتداؤه بالحجة يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم
لا يضركم من ضل اذا اهتديتم الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون كان المؤمنون تذهب انفسهم
حسرة على اهل العتو والعناد من الكفرة يتمنون دخولهم في الاسلام فقيل لهم عليكم انفسكم وما كلفتم من اصلاحها والمشي بها
في طرق الهدى لا يضركم من ضل لا يضركم الضلال عن دينكم اذا كنتم مهتدين كما قال عز وجل لنبيه فلا تذهب نفسك عليهم
حسرات وكذلك من يتاسف على ما فيه الفسقة من الفجور والمعاصي ولا يزال يذكر معايبهم ومناكيرهم فهو مخاطب به وليس المراد
ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان من تركهما مع القدرة عليهما فليس بمهتد وانما هو بعض الضلال الذين فصلت الاية بينهم
وبينه وعن ابن مسعود انها قرئت عنده فقال ان هذه ليس بزمانها انها اليوم مقبولة ولكن يوشك ان ياتي زمان تامرون فلا يقبل
منكم ويبسط لعذركم وعنه ليس هذا زمان تاويلها قيل فمتى قال اذا جعل دونها السيف والسوط والسجن وعن ابي ثعلبة الخشني انه سئل
عن ذلك فقال للسائل سالت عنها خبيرا سالت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم عنها فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا ما
رايت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي راي برايه فعليك نفسك ودع امر العوام وان من ورائكم اياما
الصبر فيهن كقبض على الجمر للعامل منهم مثل اجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت اباك فلاموه
فنزلت عليكم انفسكم عليكم من اسماء الفعل بمعنى الزموا اصلاح انفسكم ولذلك جزم جوابه وعن نافع عليكم انفسكم بالرفع
وقرئ لا يضركم وفيه وجهان ان يكون خبرا مرفوعا وتنصره قراءة ابي حيوة لا يضيركم وان يكون جوابا للامر مجزوما وانما ضمت الراء
اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة والاصل لا يضرركم ويجوز ان يكون نهيا ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من
ضاره يضيره ويضوره يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية اثنان ارتفع اثنان على انه خبر
للمبتدا الذي هو شهادة بينكم على تقدير شهادة بينكم شهادة اثنين او على انه فاعل شهادة بينكم على معنى فيما فرض عليكم ان يشهد
اثنان وقرا الشعبي شهادة بينكم بالتنوين وحين الوصية بدل منه وفي ابداله منه دليل على وجوب الوصية وانها من الامور اللازمة التي
ما ينبغي ان يتهاون بها ويذهل عنها وحضور الموت مشارفته وظهور امارات بلوغ الاجل ذوا عدل منكم من اقاربكم او اخران
من غيركم من الاجانب ان انتم ضربتم في الارض فاصابتكم مصيبة الموت يعني ان وقع الموت في السفر ولم يكن معكم احد من
عشيرتكم فاستشهدوا اجنبيين على الوصية وجعل الاقارب اولى لانهم اعلم باحوال الميت وبما هو اصلح وهم له انصح وقيل منكم من
المسلمين ومن غيركم من اهل الذمة وقيل هو منسوخ لا تجوز شهادة الذمي على المسلم وانما جازت في اول الاسلام لقلة المسلمين وتعذر وجودهم

في السفر وعن مكحول نسخها قوله واشهدوا ذوي عدل منكم وروي انه خرج بديل بن ابي مريم مولى عمرو بن العاص وكان من المهاجرين
مع عدي بن زيد وتميم الداري وكانا نصرانيين تجارا الى الشام فمرض بديل وكتب كتابا فيه ما معه وطرحه في متاعه ولم يخبر به
صاحبيه وامرهما ان يبلغا متاعه الى اهله ومات ففتشا متاعه فوجدا اناء من فضة فيه ثلثمائة منقوشا بالذهب فغيباه
فاصاب اهله الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فرفعوا الى رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم فنزلت تحبسونهما تقفونهما
وتصبرونهما للحلف من بعد الصلوة من بعد صلاة العصر لانه وقت اجتماع الناس وعن الحسن بعد العصر او الظهر لان
اهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما وفي حديث بديل انها لما نزلت صلى رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم صلوة العصر ودعا
بعدي وتميم واستحلفهما عند المنبر فحلفا ثم وجد الاناء بمكة فقالوا انا اشتريناه من تميم وعدي وقيل هي صلوة اهل الذمة وهم يعظمون
صلوة العصر فيقسمان بالله ان ارتبتم لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى ان ارتبتم اعتراض بين القسم والمقسم عليه
والمعنى ان ارتبتم في شانهما واتهمتموهما فحلفوهما وقيل ان اريد بهما الشاهدان فقد نسخ تحليف الشاهدين وان اريد الوصيان فليس بمنسوخ تحليفهما
وعن علي رضي الله عنه انه كان يحلف الشاهد والراوي اذا اتهمهما والضمير في به للقسم وفي كان للمقسم له يعني لا نستبدل بصحة
القسم بالله عرضا من الدنيا اي لا نحلف بالله كاذبين لاجل المال ولو كان من نقسم له قريبا منا على معنى ان هذه عادتهم في صدقهم
وامانتهم ابدا انهم داخلون تحت قوله تعالى كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ولا نكتم شهادة
الله اي الشهادة التي امر الله بحفظها وتعظيمها وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدا الله بالمد على حذف حرف القسم وتعويض
حرف الاستفهام منه وروي عنه بغير مد على ما ذكر سيبويه ان منهم من يحذف حرف القسم ولا يعوض منه همزة الاستفهام
فيقول الله لقد كان كذا انا اذا لمن الاثمين وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة وطرح حركتها على اللام وادغام نون من فيها كقوله
عادا لولى فان قلت ما موقع تحبسونهما قلت هو استئناف كلام كانه قيل بعد اشتراط العدالة فيهما فكيف نعمل ان
ارتبنا بهما فقيل تحبسونهما فان قلت كيف فسرت الصلوة بصلوة العصر وهي مطلقة قلت لما كانت معروفة
عندهم بالتحليف بعدها اغنى عن ذلك التقييد كما لو قلت في بعض ائمة الفقه اذا صلى احد في البدن علم انها صلوة الفجر ويجوز ان
تكون اللام للجنس وان يقصد بالتحليف على اثر الصلوة ان تكون الصلوة لطفا في النطق بالصدق وناهية عن الكذب والزور ان الصلوة تنهى عن الفحشاء
والمنكر فان عثر فان اطلع على انهما استحقا اثما اي فعلا ما اوجب اثما واستوجبا ان يقال انهما لمن الاثمين فاخران فشاهدان
اخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم اي من الذين استحق عليهم الاثم ومعناه من الذين جني عليهم وهم اهل
الميت وعشيرته وفي قصة بديل انه لما ظهرت خيانة الرجلين حلف رجلان من ورثته انه اناء صاحبهما وان شهادتهما احق من
شهادتهما الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما وما اعتدينا انا اذا لمن الظالمين والاوليان الاحقان
بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وارتفاعهما على هما الاوليان كانه قيل ومن هما فقيل الاوليان وقيل هما بدل من الضمير في يقومان
او من اخران ويجوز ان يرتفعا باستحق اي من الذين استحق عليهم مجرور او هم منصوب على المدح ومعنى الاولوية التقدم على الاجانب
في الشهادة لكونهم احق بها وقرئ الاولين على التثنية وانتصابه على المدح وقرا الحسن الاولان واحتج به من يرى رد اليمين على المدعي وابو
حنيفة واصحابه لا يرون ذلك فوجهه عندهم ان الورثة قد ادعوا على النصرانيين انهما اختانا فحلفا فلما ظهر كذبهما ادعيا
الشرى فيما كتما فانكر الورثة فكانت اليمين على الورثة لانكارهم الشرى فان قلت فما وجه قراءة من قرا استحق عليهم
الاوليان على البناء للفاعل وهو علي وابي وابن عباس قلت معناه من الورثة الذين استحق عليهم الاوليان من بينهم بالشهادة ان يجردوهما
للقيام بالشهادة ويظهروا بها كذب الكاذبين ذلك الذي تقدم من بيان الحكم ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها
ادنى ان ياتي الشهداء على نحو تلك الحادثة بالشهادة على وجهها او يخافوا ان ترد ايمان ان تكون شهود اخرين فيفتضحوا
بظهور كذبهم كما جرى في قصة بديل واتقوا الله واسمعوا سمع اجابة وقبول والله لا يهدي القوم الفاسقين يوم يجمع
الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب يوم يجمع بدل من المنصوب في قوله واتقوا الله
وهو من بدل الاشتمال كانه قيل واتقوا الله يوم جمعه او ظرف لقوله لا يهدي اي لا يهديهم طريق الجنة يومئذ كما يفعل
بغيرهم او ينصب باضمار اذكر او يوم يجمع الله الرسل كان كيت وكيت وماذا منتصب باجبتم انتصاب مصدره على معنى
اي اجابة اجبتم ولو اريد الجواب لقيل بماذا اجبتم فان قلت ما معنى سؤالهم قلت توبيخ قومهم كما كان سؤال الموؤدة
توبيخا للوائد فان قلت كيف يقولون لا علم لنا وقد علموا بما اجيبوا قلت يعلمون ان الغرض بالسؤال توبيخ اعدائهم
فيكلون الامر الى علمه واحاطته بما منوا به منهم وكابدوا من سوء اجابتهم اظهارا للتشكي واللجا الى ربهم في الانتقام منهم
وذلك اعظم على الكفرة وافت في اعضادهم واجلب لحسرتهم وسقوطهم في ايديهم اذا اجتمع توبيخ الله وتشكي انبيائه عليهم
ومثاله ان ينكب بعض الخوارج على السلطان خاصة من خواصه نكبة قد عرفها السلطان واطلع على كنهها وعزم
على الانتصار له منه فيجمع بينهما ويقول له ما فعل بك هذا الخارجي وهو عالم بما فعل به يريد توبيخه وتبكيته فيقول له
انت اعلم بما فعل بي تفويضا للامر الى علم سلطانه واتكالا عليه واظهارا للشكاية وتعظيما لما حل به منه وقيل من هول ذلك

فتفزعون وتذهلون عن الجواب ثم تجيبون بعدما تثوب اليهم عقولهم بالشهادة على اممهم وقيل معناه علمنا ساقط مع علمك ومغمور به لانك علام الغيوب ومن علم الخفيات لم تخف عليه الظواهر التي منها اجابة الامم لرسلهم فكانه لا علم لنا الى جنب علمك وقيل لا علم لنا بما كان منهم بعدنا وانما الحكم للخاتمة وكيف يخفى عليهم امرهم وقد راوهم سود الوجوه زرق العيون موبخين وقرى علام الغيوب بالنصب على ان الكلام قد تم بقوله انك انت اي الموصوف باوصافك المعروفة من العلم وغيره ثم نصب علام الغيوب على الاختصاص او على النداء او هو صفة لاسم ان اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك بدل من يوم يجمع والمعنى انه يوبخ الكافرين يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم وبتعديد ما اظهر على ايديهم من الآيات العظام فكذبوهم وسموهم سحرة او جاوزوا الحد فاتخذوهم آلهة كما قال بعض بني اسرائيل فيما اظهر على يد عيسى من البينات هذا سحر مبين واتخذه بعضهم وامه الهين اذ ايدتك قويتك وقرى آيدتك على افعلتك بروح القدس بالكلام الذي يحيى به الدين واضافه الى القدس لانه سبب الطهر من اوضار الآثام والدليل عليه قوله تكلم الناس في المهد وكهلا وفي المهد في موضع الحال لان المعنى تكلمهم طفلا وكهلا الا ان في المهد دليل على حد من الطفولية وقيل روح القدس جبريل صلوات الله عليه وسلامه ايد به لتثبيت الحجة فان قلت ما معنى قوله في المهد وكهلا قلت معناه تكلمهم في هاتين الحالتين من غير ان يتفاوت الكلام كلامك في حين الطفولية وحين الكهولة الذي هو وقت كمال العقل وبلوغ الاشد والحد الذي تستنبأ فيه الانبياء واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل والتوراة والانجيل خصا بالذكر مما تناوله الكتاب والحكمة لان المراد بهما جنس الكتب والحكمة وقيل الكتاب الخط والحكمة الكلام المحكم الصواب واذ تخلق من الطين كهيئة الطير هيئة مثل هيئة الطير باذني بتسهيلي فتنفخ فيها الضمير للكاف لانها صفة الهيئة التي كان يخلقها عيسى وينفخ فيها ولا يرجع الى الهيئة المضاف اليها لانها ليست من خلقه ولا نفخه في شيء وكذلك الضمير في فتكون طيرا باذني وتبرئ الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى باذني تخرجهم من القبور وتبعثهم قيل اخرج سام بن نوح ورجلين وامراة وجارية واذ كففت بني اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين واذ كففت بني اسرائيل عنك يعني اليهود حين هموا بقتله وقيل لما قال الله لعيسى اذكر نعمتي عليك كان يلبس الشعر وياكل الشجر ولا يدخر شيئا لغد يقول مع كل يوم رزقه ولم يكن له بيت فيخرب ولا ولد فيموت اينما امسى بات واذ اوحيت الى الحواريين امرتهم على السنة الرسل ان آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون مخلصون من اسلم وجهه لله اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين قالوا نريد ان ناكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم ان قد صدقتنا عيسى في محل النصب على اتباع حركته حركة الابن كقولك يا زيد بن عمرو وهي اللغة الفاشية ويجوز ان يكون مضموما كقولك يا زيد بن عمرو والدليل عليه قوله احار بن عمرو كاني خمر لان الترخيم لا يكون الا في المضموم فان قلت كيف قالوا هل يستطيع ربك بعد ايمانهم واخلاصهم قلت ما وصفهم الله بالايمان والاخلاص وانما حكى ادعاءهم لهما ثم اتبعه قوله اذ قالوا فآذن ان دعواهم كانت باطلة وانهم كانوا شاكين وقوله هل يستطيع ربك كلام لا يرد مثله عن مؤمنين معظمين لربهم وكذلك قول عيسى عليه الصلاة والسلام لهم معناه اتقوا الله ولا تشكوا في اقتداره واستطاعته ولا تقترحوا ولا تتحكموا ما تشتهون من الآيات فتهلكوا اذا عصيتموه بعدها ان كنتم مؤمنين ان كانت دعواكم للايمان صحيحة وقرى هل تستطيع ربك اي هل تستطيع سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عن سؤاله والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام وهي من ماده اذا اعطاه ورفده كانها تميد من تقدم اليه ونكون عليها من الشاهدين نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بني اسرائيل او نكون من الشاهدين لله بالوحدانية ولك بالنبوة عاكفين عليها على ان عليها في موضع الحال وكانت دعواهم لارادة ما ذكروا كدعواهم للايمان والاخلاص وانما سأل عيسى واجيب ليلزموا الحجة بكمالها ويرسل عليهم العذاب اذا خالفوا وقرى ويعلم بالياء على البناء للمفعول وتعلم ونكون بالتاء والضمير للقلوب قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء اللهم اصله يا الله فحذف حرف النداء وعوضت منه الميم وربنا نداء ثان تكون لنا عيدا اي يكون يوم نزولها عيدا قيل هو يوم الاحد ومن ثم اتخذه النصارى عيدا وقيل العيد السرور العائد ولذلك يقال يوم عيد فكان معناه تكون لنا سرورا وفرحا وقرا عبد الله تكن على جواب الامر ونظيرهما يرثني ويرثني لاولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وانت خير الرازقين لاولنا وآخرنا بدل من لنا بتكرير العامل اي لمن في زماننا من اهل ديننا ولمن ياتي بعدنا وقيل ياكل منها آخر الناس كما ياكل اولهم ويجوز للمقدمين والاتباع وفي قراءة زيد لاولانا واخرانا والتانيث بمعنى الامة والجماعة قال الله اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين عذابا بمعنى تعذيبا والضمير في لا اعذبه للمصدر ولو اريد بالعذاب ما يعذب به لم يكن بد من الباء روي ان عيسى عليه السلام لما اراد الدعاء لبس صوفا ثم قال اللهم انزل علينا فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة فوقها واخرى تحتها وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة وقال لهم ليقم احسنكم عملا يكشف عنها ويذكر اسم الله عليها وياكل منها فقال شمعون راس الحواريين انت اولى بذلك فقام عيسى فتوضا وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك

تسيل

تسيل دسما وعند راسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله امن طعام الدنيا ام من طعام الآخرة فقال ليس منهما ولكنه شيء اخترعه الله بالقدرة العالية كلوا ما سالتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقال الحواريون يا روح الله لو اريتنا من هذه الآية آية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا قردة وخنازير وروي انهم لما سمعوا بالشريطة وهي قوله فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه قالوا لا نريد فلم تنزل وعن الحسن والله ما نزلت ولو نزلت لكانت عيدا الى يوم القيامة لقوله وآخرنا والصحيح انها نزلت اذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك من ان يكون لك شريك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ما ينبغي لي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك تعلم معلومي ولا اعلم معلومك ولكنه سلك بالكلام طريق المشاكلة وهو من فصيح الكلام وبينه فقيل في نفسك لقوله في نفسي انك انت علام الغيوب تقرير للجملتين معا لان ما انطوت عليه النفوس من جملة الغيوب ولان ما يعلمه علام الغيوب لا ينتهي اليه علم احد ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم ان في قوله ان اعبدوا ان جعلتها مفسرة لم يكن لها بد من مفسر والمفسر اما فعل القول واما فعل الامر وكلاهما لا وجه له اما فعل القول فيحكى بعده الكلام من غير ان يوسط بينهما حرف التفسير لا تقول ما قلت لهم الا ان اعبدوا الله ولكن ما قلت لهم الا اعبدوا الله واما فعل الامر فمسند الى ضمير الله عز وجل فلو فسرته باعبدوا الله ربي وربكم لم يستقم لان الله لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم وان جعلتها موصولة بالفعل لم تخل من ان تكون بدلا من ما امرتني به او من الهاء في به وكلاهما غير مستقيم لان البدل هو الذي يقوم مقام المبدل منه ولا يقال ما قلت لهم الا ان اعبدوا الله بمعنى ما قلت لهم الا عبادته لان العبادة لا تقال وكذلك اذا جعلته بدلا من الهاء لانك لو اقمت ان اعبدوا مقام الهاء فقلت الا ما امرتني بان اعبدوا الله لم يصح لبقاء الموصول بغير راجع اليه من صلته فان قلت فكيف تصنع قلت يحمل فعل القول على معناه لان معنى ما قلت لهم الا ما امرتني به ما امرتهم الا بما امرتني به حتى يستقيم تفسيره بان اعبدوا الله ربي وربكم ويجوز ان تكون ان موصولة عطف بيان للهاء لا بدلا وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم رقيبا كالشاهد على المشهود عليه امنعهم من ان يقولوا ذلك ويتدينوا به فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم تمنعهم من القول به بما نصبت لهم من الادلة وانزلت عليهم من البينات وارسلت اليهم من الرسل وانت على كل شيء شهيد ان تعذبهم فانهم عبادك الذين عرفتهم عاصين جاحدين لآياتك مكذبين لانبيائك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم القوي القادر على الثواب والعقاب الحكيم الذي لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب فان قلت المغفرة لا تكون للكفار فكيف قال وان تغفر لهم قلت ما قال انك تغفر لهم ولكنه بنى الكلام على ان قال ان عذبتهم عدلت لانهم احقاء بالعذاب وان غفرت لهم مع كفرهم لم تعدم في المغفرة وجه حكمة لان المغفرة حسنة لكل مجرم في المعقول بل متى كان المجرم اعظم جرما كان العفو عنه احسن قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير وقرى هذا يوم ينفع بالرفع والاضافة وبالنصب اما على انه ظرف لقال واما على ان هذا مبتدا والظرف خبر ومعناه هذا الذي ذكرنا من كلام عيسى واقع يوم ينفع ولا يجوز ان يكون فتحا كقوله يوم لا تملك لانه مضاف الى متمكن وقرا الاعمش يوم ينفع بالتنوين كقوله واتقوا يوما لا تجزي نفس فان قلت ما معنى قوله ينفع الصادقين صدقهم ان اريد صدقهم في الآخرة فليست الآخرة بدار عمل وان اريد صدقهم في الدنيا فليس بمطابق لما ورد فيه لانه في معنى الشهادة لعيسى عليه السلام بالصدق فيما يجيب به يوم القيامة قلت معناه الصدق المستمر بالصادقين في دنياهم وآخرتهم وعن قتادة متكلمان تكلما يوم القيامة اما ابليس فقال ان الله وعدكم وعد الحق وصدق يومئذ وكان قبل ذلك كاذبا فلم ينفعه صدقه واما عيسى فكان صادقا في الحياة وبعد الممات فنفعه صدقه فان قلت في السموات والارض العقلاء وغيرهم فهلا غلب العقلاء فقيل ومن فيهن قلت ما تناول الاجناس كلها تناولا عاما الا تراك تقول اذا رايت شبحا من بعيد ما هو قبل ان تعرف اعاقل هو ام غيره فكان اولى بارادة العموم عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من قرا سورة المائدة اعطي من الاجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا

سورة الانعام مائة وخمس وستون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور جعل يتعدى الى مفعول واحد اذا كان بمعنى احدث وانشا كقوله وجعل الظلمات والنور والى مفعولين اذا كان بمعنى صير كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا والفرق بين الخلق والجعل ان الخلق فيه معنى التقدير وفي الجعل معنى التضمين كانشاء شيء من شيء او تصيير شيء شيئا او

نقله من مكان الى مكان ومن ذلك وجعل منها زوجها وجعل الظلمات والنور لان الظلمات من الاجرام المتكاثفه والنور من
النار وجعلناكم ازواجا اجعل الالهه الها واحدا فان قلت لم افرد النور قلت للقصد الى الجنس كقوله والملك
على ارجائها ولان الظلمات كثيره لانه ما من جنس من اجناس الاجرام الا وله ظل وظله هو الظلمه بخلاف النور فانه من جنس واحد
وهو النار فان قلت علام عطف قوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون قلت اما على قوله الحمد لله على معنى ان الله
حقيق بالحمد على ما خلق لانه ما خلقه الا نعمه ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته واما على قوله خلق السموات والارض على
معنى انه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شي منه فان قلت فما معنى ثم قلت استبعاد
ان يعدلوا به بعد وضوح ايات قدرته وكذلك قوله ثم انتم تمترون استبعاد لان يمتروا فيه بعد ما ثبت انه محييهم ومميتهم و
باعثهم هو الذي خلقكم من طين ثم قضى اجلا اجل الموت واجل مسمى عنده ثم انتم تمترون اجل القيمه وقيل الاجل
الاول ما بين ان يخلق الى ان يموت والثاني ما بين الموت والبعث وهو البرزخ وقيل الاول النوم والثاني الموت فان قلت
المبتدا النكره اذا كان خبره ظرفا وجب تاخيره فقارب المعرفه كقوله فلم جاز تقديمه في قوله واجل مسمى عنده قلت
لانه تخصص بالصفه فقارب المعرفه كقوله ولعبد مومن خير من مشرك فان قلت الكلام السائر ان يقول عندي ثوب
جيد ولي عبد كيس وما اشبه ذلك فما اوجب التقديم قلت اوجبه ان المعنى واي اجل مسمى عنده تعظيما لشان الساعه فلما جرى
فيه هذا المعنى وجب التقديم وهو الله في السموات وفي الارض متعلق بمعنى اسم الله كانه قيل وهو المعبود فيها ومنه قوله
وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله او وهو المعروف بالالهيه او المتوحد بالالهيه فيها او وهو الذي يقال له الله فيها لا يشرك
به في هذا الاسم ويجوز ان يكون الله في السموات خبرا بعد خبر على معنى انه الله وانه في السموات والارض بمعنى انه عالم
بما فيها لا يخفى عليه منه شي كان ذاته فيها فان قلت كيف موقع قوله يعلم سركم وجهركم قلت ان اردت المتوحد
بالالهيه كان تقريرا له لان الذي استوى في علمه السر والعلانيه هو الله وحده وكذلك اذا جعلت في السموات خبرا بعد خبر
والا فهو كلام مبتدا بمعنى هو يعلم سركم وجهركم او خبر ثالث ويعلم ما تكسبون من الخير والشر ويثيب عليه ويعاقب
وما تاتيهم من ايه من ايات ربهم من في من ايه للاستغراق وفي من ايات ربهم للتبعيض يعني وما يظهر لهم دليل قط من الادله
التي يجب فيها النظر والاستدلال والاعتبار الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر لا يلتفتون اليه ولا يرفعون به راسا
لقله خوفهم وتدبرهم للعواقب فقد كذبوا بالحق مردود على كلام محذوف كانه قيل ان كانوا معرضين عن الايات فقد كذبوا
بما هو اعظم ايه واكبرها وهو الحق لما جاءهم يعني القران الذي تحدوا به على تناهيهم في الفصاحه فعجزوا عنه فسوف ياتيهم انباء
ما كانوا به يستهزءون انباء الشي الذي كانوا به يستهزءون وهو القران اي اخباره واحواله بمعنى سيعلمون باي شي
استهزءوا وسيظهر لهم انه لم يكن بموضع استهزاء وذلك عند ارسال العذاب عليهم في الدنيا او يوم القيمه او عند ظهور
الاسلام وعلو كلمته الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم مكن له في الارض جعل
له مكانا فيها ونحوه ارض له ومنه قوله انا مكنا له في الارض اولم نمكن لهم واما مكنته في الارض فاثبته فيها ومنه قوله ولقد
مكناهم فيما ان مكناكم فيه ولتقارب المعنيين جمع بينهما في قوله مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم والمعنى لم نعط اهل مكه
نحو ما اعطينا عادا وثمود وغيرهم من البسطه في الاجسام والسعه في الاموال والاستظهار باسباب الدنيا وارسلنا السماء
عليهم مدرارا والسماء المظله لان الماء ينزل منها الى السحاب او السحاب او المطر والمدرار المغزار وجعلنا الانهار تجري
من تحتهم فاهلكناهم بذنوبهم وانشانا من بعدهم قرنا اخرين فان قلت اي فايده في ذكر انشاء قرن اخرين
بعدهم قلت الدلاله على انه لا يتعاظمه ان يهلك قرنا ويخرب بلاده منهم فانه قادر على ان ينشي مكانهم اخرين يعمر بهم
بلاده كقوله ولا يخاف عقباها ولو نزلنا عليك كتابا مكتوبا في قرطاس في ورق فلمسوه بايديهم ولم يقتصر بهم على
الرويه لئلا يقولوا سكرت ابصارنا ولا يبقى لهم عله لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين تعنتا وعنادا للحق بعد ظهوره وقالوا
لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضي الامر لقضي امر اهلاكهم ثم لا ينظرون بعد نزوله طرفه عين اما لانهم
اذا عاينوا الملك قد نزل على رسول الله صلعم في صورته وهي ايه لا شي ابين منها وايقن ثم لا يومنون كما قالوا ولو اننا نزلنا اليهم الملائكه
لم يكن بد من اهلاكهم كما اهلك اصحاب المايده واما لانه يزول الاختيار الذي هو قاعده التكليف عند نزول الملك فيجب اهلاكهم
واما لانهم اذا شاهدوا ملكا في صورته زهقت ارواحهم من هول ما يشاهدون ومعنى ثم بعد ما بين الامرين قضاء الامر
وعدم الانظار جعل عدم الانظار اشد من قضاء الامر لان مفاجاه الشده اشد من نفس الشده ولو جعلناه ملكا ولو جعلنا
الرسول ملكا كما اقترحوا لانهم كانوا يقولون لولا انزل على محمد ملك وتاره يقولون ما هذا الا بشر مثلكم ولو شاء ربنا لانزل ملائكه
لجعلناه رجلا لارسلناه في صوره رجل كما كان ينزل جبريل على رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم في اعم الاحوال في صوره دحيه
لانهم لا يبقون مع رويه الملائكه في صورهم وللبسنا عليهم ما يلبسون ولخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم حينئذ فانهم
يقولون اذا راوا الملك في صوره انسان هذا انسان وليس بملك فان قال لهم الدليل على اني ملك اني جئت بالقران المعجز وهو ناطق

باني ملك لا بشر كذبوه كما كذبوا محمدا فاذا فعلوا ذلك خذلوا كما هم مخذولون الان فهو لبس الله عليهم ويجوز ان يراد ولبسنا
عليهم حينئذ مثل ما يلبسون على انفسهم الساعه في كفرهم بايات الله البينه وقرئ ولبسنا عليهم ما يلبسون بالتشديد ولقد استهزئ
برسل من قبلك تسليه لرسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم عما كان يلقى من قومه فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون
فحاق بهم فاحاط بهم الشي الذي كانوا به يستهزءون وهو الحق حيث اهلكوا من اجل الاستهزاء قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان
عاقبه المكذبين فان قلت اي فرق بين قوله فانظروا وبين قوله ثم انظروا قلت جعل النظر مسببا عن السير في قوله فانظروا فكانه قيل سيروا لاجل النظر ولا تسيروا سير الغافلين واما قوله
سيروا في الارض ثم انظروا فمعناه اباحه السير في الارض للتجاره وغيرها من المنافع وايجاب النظر في اثار الهالكين ونبه على ذلك
بثم لتباعد ما بين الواجب والمباح قل لمن ما في السموات والارض قل لله لمن ما في السموات والارض سوال تبكيت وقل لله تقرير
لهم اي هو لله لا خلاف بيني وبينكم ولا تقدرون ان تضيفوا شيا منه الى غيره كتب على نفسه الرحمه اوجبها على ذاته في هدايتكم
الى معرفته ونصب الادله لكم على توحيده بما انتم مقرون به من خلق السموات والارض ثم اوعدهم على اغفالهم النظر واشراكهم
به من لا يقدر على خلق شي بقوله ليجمعنكم الى يوم القيمه لا ريب فيه فيجازيكم على اشراككم وقوله الذين خسروا انفسهم
نصب على الذم او رفع اي اريد الذين خسروا انفسهم فان قلت كيف جعل عدم ايمانهم مسببا عن خسرانهم والامر على العكس
قلت معناه الذين خسروا انفسهم في علم الله لاختيارهم الكفر فهم لا يومنون وله عطف على لله ما سكن في الليل والنهار
من السكنى وتعديه بفي كما في قوله وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم وهو السميع العليم يسمع كل مسموع ويعلم
كل معلوم فلا يخفى عليه شي مما يشتمل عليه الملوان قل اغير الله اتخذ وليا اولى غير الله همزه الاستفهام دون الفعل الذي
هو اتخذ لان الانكار في اتخاذ غير الله وليا لا في اتخاذ الولي فكان اولى بالتقديم ونحوه افغير الله تامروني اعبد الله اذن لكم فاطر
السموات والارض وقرئ فاطر السموات بالجر صفه لله وبالرفع على المدح وقرا الزهري فطر وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما عرفت
ما فاطر السموات والارض حتى اتاني اعرابيان يختصمان في بير فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها وهو يطعم ولا يطعم وهو
يرزق ولا يرزق كقوله ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون والمعنى ان المنافع كلها من عنده ولا يجوز عليه الانتفاع
وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وروى ابن المامون عن يعقوب وهو يطعم ولا يطعم على بنائهما للفاعل وفسر بان معناه وهو يطعم
تاره ولا يطعم اخرى على حسب المصالح كقولك هو يعطي ويمنع ويبسط ويقدر ويغني ويفقر قل اني امرت ان اكون اول من
اسلم لان النبي سابق امته في الاسلام كقوله وبذلك امرت وانا اول المسلمين وكقول موسى سبحانك تبت اليك وانا اول المومنين
ولا تكونن وقيل لي لا تكونن من المشركين ومعناه امرت بالاسلام ونهيت عن الشرك قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب
يوم عظيم من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين ومن يصرف عنه العذاب يومئذ فقد رحمه الله الرحمه
العظمى وهي النجاه كقولك ان اطعمت زيدا من جوعه فقد احسنت اليه تريد فقد اتممت الاحسان اليه او فقد ادخله الجنه لان
من لم يعذب فقد رحمه بمعنى من يدفع الله عنه ويحفظه وقد علم من المدفوع عنه وترك ذكر المصروف لكونه معلوما او مذكورا
قبله وهو العذاب ويجوز ان ينتصب يومئذ بيصرف انتصاب المفعول به اي من يصرف الله عنه ذلك اليوم اي هوله فقد رحمه وتنصره
هذه القراءه قراءه ابي من يصرف الله عنه وان يمسسك الله بضر من مرض او فقر او غير ذلك من بلاياه فلا كاشف له فلا قادر
على كشفه الا هو وان يمسسك بخير من غنى او صحه فهو على كل شي قدير فكان قادرا على ادامته وازالته وهو القاهر
فوق عباده وهو الحكيم الخبير فوق عباده تصوير للقهر والعلو بالغلبه والقدره كقوله وانا فوقهم قاهرون قل
اي شي اكبر شهاده الشي اعم العام لوقوعه على كل ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيقع على القديم والجرم والعرض والمحال والمستقيم
ولذلك صح ان يقال في الله عز وجل شي لا كالاشياء كانك قلت معلوم لا كسائر المعلومات ولا يصح جسم لا كالاجسام واراد
اي شي اكبر شهاده فوضع شيا مقام شهيد ليبالغ في التعميم قل الله شهيد بيني وبينكم يحتمل ان يكون تمام الجواب عند قوله
قل الله بمعنى الله اكبر شهاده ثم ابتدى شهيد بيني وبينكم اي هو شهيد بيني وبينكم وان يكون الله شهيد بيني وبينكم هو الجواب لدلالته على ان الله
عز وجل اذا كان هو الشهيد بينه وبينهم فاكبر شي شهاده شهيد له واوحي الي هذا القران لانذركم به ومن بلغ
عطف على ضمير المخاطبين من اهل مكه اي لانذركم به وانذر كل من بلغه الى يوم القيمه وعن سعيد بن جبير من بلغه القران
فكانما راى محمدا صلى الله عليه وعلى اله وسلم اينكم لتشهدون ان مع الله الهه اخرى تقرير لهم مع انكار واستبعاد قل لا اشهد
شهادتكم قل انما هو اله واحد وانني بري مما تشركون الذين اتيناهم الكتاب يعني اليهود والنصارى يعرفونه
يعرفون رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم بحليته ونعته في الكتابين معرفه خالصه كما يعرفون ابناءهم بحلاهم ونعوتهم
لا يخفون عليهم ولا يلتبسون بغيرهم وهذا استشهاد لاهل مكه بمعرفه اهل الكتاب به وبصحه نبوته ثم قال
الذين خسروا انفسهم من المشركين ومن اهل الكتاب الجاحدين فهم لا يومنون ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا
او كذب باياته انه لا يفلح الظالمون جمعوا بين امرين متناقضين فكذبوا على الله ما لا حجه عليه وكذبوا بما ثبت بالحجه
البينه والبرهان الصحيح حيث قالوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباونا وقالوا والله امرنا بها وقالوا الملائكه بنات الله

وهؤلاء شفعاؤنا عند الله ونسبوا اليه عز وجل البنات والبنين وذهبوا وكذبوا بالقرآن والمعجزات وسموها سحرا ولم يؤمنوا بالرسل
ويوم نحشرهم جميعا ناصبه محذوف تقديره ويوم نحشرهم كان كيت وكيت فيترك ليبقى على الابهام الذي هو داخل في التخويف ثم نقول
للذين أشركوا أين شركاؤكم اي الهتكم التي جعلتموها شركاء لله وقوله الذين كنتم تزعمون معناه تزعمونهم شركاء
فحذف المفعولان وقرئ يحشرهم ثم يقول بالياء فيهما وانما يقال لهم ذلك على وجه التوبيخ ويجوز ان يشاهدوهم الا انهم حين لا ينفعونهم
ولا يكون منهم ما رجوا من الشفاعة فكانت غيبا عنهم وان يحال بينهم وبينهم في وقت التوبيخ ليفقدوهم في الساعة التي علقوا
بهم الرجاء فيها فيروا مكان خزيهم وحسرتهم ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين والمعنى ثم لم تكن
عاقبة كفرهم الذي لزموه اعمارهم وقاتلوا عليه وافتخروا به وقالوا دين ابائنا الا جحوده والتبرؤ منه والحلف على الانتفاء من التدين
به ويجوز ان يراد ثم لم يكن جوابهم الا ان قالوا فسمي فتنة لانه كذب وقرئ تكن بالتاء ونصب الفتنة وبالياء والتاء مع رفع الفتنة وقرئ
ربنا بالنصب على النداء انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون وغاب عنهم ما كانوا يفترون الوهيته اي
يفترون الهيته وشفاعته فان قلت كيف يصح ان يكذبوا حين يطلعون على حقائق الامور وعلى ان الكذب والجحود لا وجه لمنفعته
قلت الممتحن ينطق بما ينفعه وبما لا ينفعه من غير تمييز بينهما حيرة ودهشا الا تراهم يقولون ربنا اخرجنا منها فان عدنا
فانا ظالمون وقد ايقنوا بالخلود ولم يشكوا فيه ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك وقد علموا انه لا يقضى عليهم واما قول
من يقول معناه ما كنا مشركين عند انفسنا وما علمنا انا على خطأ في معتقدنا وحمل قوله انظر كيف كذبوا على انفسهم يعني في
الدنيا فتمحل وتعسف وتحريف لافصح الكلام الى ما هو عي واقحام لان المعنى الذي ذهبوا اليه ليس هذا الكلام بمترجم عنه
ولا منطبق عليه وهو ناب عنه اشد النبو وما ادري ما يصنع من ذلك تفسيره بقوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون
لكم ويحسبون انهم على شيء الا انهم هم الكاذبون بعد قوله ويحلفون على الكذب وهم يعلمون فشبه كذبهم في الاخرة
بكذبهم في الدنيا ومنهم من يستمع اليك حين تتلو القرآن روي انه اجتمع ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو
جهل واضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم فقالوا للنضر يا ابا قتيلة ما يقول محمد فقال والذي جعلها
بيته يعني الكعبة ما ادري ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية فقال
ابو سفيان اني لاراه حقا فقال ابو جهل كلا فنزلت وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا والاكنة على
القلوب والوقر في الآذان مثل في نبو قلوبهم ومسامعهم عن قبوله واعتقاد صحته ووجه اسناد الفعل الى ذاته وهو قوله وجعلنا الدلالة
على انه امر ثابت فيهم لا يزول عنهم كأنهم مجبولون عليه او هي حكاية لما كانوا ينطقون به من قولهم وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك
حجاب وقرئ وقرا بكسر الواو وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاؤوك يجادلونك يقول الذين كفروا هي حتى التي تقع
بعدها الجمل والجملة قوله اذا جاؤوك يقول الذين كفروا ويجادلونك في موضع الحال ويجوز ان تكون الجارة ويكون اذا جاؤوك في محل
الجر بمعنى حتى وقت مجيئهم ويجادلونك حال وقوله يقول الذين كفروا تفسير له والمعنى انه بلغ تكذيبهم الآيات الى انهم يجادلونك
ويناكرونك وفسر مجادلتهم بانهم يقولون ان هذا الا اساطير الاولين فيجعلون كلام الله واصدق الحديث خرافات واكاذيب
وهي الغاية في التكذيب وهم ينهون عنه وهم ينهون الناس عن القرآن او عن الرسول واتباعه ويثبطونهم عن الايمان به وينأون
عنه بانفسهم فيضلون ويضلون وان يهلكون الا انفسهم وما يشعرون وان يهلكون بذلك الا انفسهم ولا يتعداهم الضرر الى
غيرهم وان كانوا يظنون انهم يضرون رسول الله وقيل هو ابو طالب لانه كان ينهى قريشا عن التعرض لرسول الله وينأى عنه فلا يؤمن به
وروي انهم اجتمعوا الى ابي طالب وارادوا برسول الله سوءا فقال ۞ والله لن يصلوا اليك بجمعهم ۞ حتى اوسد في التراب دفينا ۞
فاصدع بامرك ما عليك غضاضة ۞ وابشر بذاك وقر منه عيونا ۞
ودعوتني وزعمت انك ناصح ۞ ولقد صدقت وكنت ثم امينا ۞ وعرضت دينا لا محالة انه من خير اديان البرية دينا
لولا الملامة او حذار مسبة ۞ لوجدتني سمحا بذاك مبينا ۞ فنزلت
ولو ترى جوابه محذوف تقديره ولو ترى لرأيت امرا شنيعا اذ وقفوا على النار اروها حتى يعاينوها او اطلعوا عليها اطلاعا
هي تحتهم او ادخلوها فعرفوا مقدار عذابها من قولك وقفته على كذا اذا فهمته وعرفته وقرئ ووقفوا على البناء للفاعل من
وقف عليه وقوفا فقالوا يا ليتنا نرد تم تمنيهم ثم ابتدؤوا ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين واعدين الايمان
كانهم قالوا ونحن لا نكذب ونؤمن على وجه الاثبات وشبهه سيبويه بقولهم دعني ولا اعود بمعنى دعني وانا لا اعود تركتني او لم
تتركني ويجوز ان يكون معطوفا على نرد او حالا على معنى يا ليتنا نرد غير مكذبين وكائنين من المؤمنين فيدخل تحت حكم التمني فان
قلت يدفع ذلك قوله وانهم لكاذبون لان المتمني لا يكون كاذبا قلت هذا التمني قد تضمن معنى العدة فجاز ان يتعلق به التكذيب
كما يقول الرجل ليت الله يرزقني مالا فاحسن اليك واكافئك على صنيعك فهذا متمن في معنى الواعد فلو رزق مالا ولم يحسن الى صاحبه
ولم يكافئه كذب كأنه قال ان رزقني الله مالا كافأتك على الاحسان وقرئ ولا نكذب ونكون بالنصب باضمار ان على جواب التمني ومعناه
ان رددنا لم نكذب ونكن من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل من قبائحهم وفضائحهم في صحفهم وشهادة

جوارحهم

جوارحهم عليهم فلذلك تمنوا ما تمنوا ضجرا لا انهم عازمون على انهم لو ردوا لآمنوا وقيل هو في المنافقين وانه يظهر نفاقهم الذي
كانوا يسرونه وقيل هو في اهل الكتاب وانه يظهر لهم ما كانوا يخفونه من صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم ولو ردوا
الى الدنيا بعد وقوفهم على النار لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمعاصي وانهم لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم لا يفون به
وقالوا عطف على لعادوا اي ولو ردوا لكفروا ولقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين كما كانوا يقولون قبل معاينة
القيامة ويجوز ان يعطف على قوله وانهم لكاذبون في كل شيء وهم الذين قالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وكفى به دليلا على كذبهم ولو ترى
اذ وقفوا على ربهم وقفوا مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده ليعاتبه وقيل وقفوا على جزاء
ربهم وقيل عرفوه حق التعريف قال اليس هذا بالحق مردود على قول قائل قال ماذا قال لهم ربهم اذ وقفوا عليه فقيل قال اليس هذا بالحق وهذا
تعيير من الله تعالى لهم على التكذيب وقولهم لما كانوا يسمعون من حديث البعث والجزاء ما هو بحق وما هو الا باطل قالوا بلى وربنا
قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بكفركم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله ببلوغ الاخرة وما يتصل بها وقد حقق
الكلام فيه في مواضع اخر حتى اذا جاءتهم الساعة حتى غاية لكذبوا لا لخسر لان خسرانهم لا غاية له اي ما زال بهم التكذيب
الى حسرتهم وقت مجيء الساعة فان قلت اما يتحسرون عند موتهم قلت لما كان الموت وقوعا في احوال الاخرة ومقدماتها
جعل من جنس الساعة وسمي باسمها ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم من مات فقد قامت قيامته او جعل مجيء الساعة بعد
الموت لسرعته كالواقع بغير فترة بغتة فجأة وانتصابها على الحال بمعنى باغتة او على المصدر كانه قيل بغتتهم الساعة بغتة وهم
يحملون اوزارهم على ظهورهم كقوله فبما كسبت قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها الضمير للحياة الدنيا جيء بضميرها وان لم يجر
لها ذكر لكونها معلومة او للساعة على معنى قصرنا في شانها وفي الايمان بها كما تقول فرطت في فلان ومنه فرطت في جنب الله
وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم كقوله فبما كسبت ايديكم لانه اعتيد حمل الاثقال على الظهور كما الف الكسب بالايدي الا
ساء ما يزرون بئس شيئا يزرون وزرهم كقوله ساء مثلا القوم وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين
يتقون افلا تعقلون جعل اعمال الدنيا لعبا ولهوا واشتغالا بما لا يعني ولا يعقب منفعة كما تعقب اعمال الاخرة المنافع العظيمة
وقوله للذين يتقون دليل على ان ما سوى اعمال المتقين لعب ولهو وقرئ ولدار الاخرة وقرئ يعقلون بالياء والتاء قد نعلم
بمعنى ربما الذي يجيء لزيادة الفعل وكثرته كقوله ولكنه قد يهلك المال نائله والهاء في انه ضمير الشأن ليحزنك الذي يقولون
ليحزنك وقرئ بفتح الياء وضمها والذي يقولون هو قولهم ساحر كذاب فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون
لا يكذبونك قرئ بالتشديد والتخفيف من كذبه اذا جعله كاذبا في زعمه واكذبه اذا وجده كاذبا والمعنى ان تكذيبك امر راجع
الى الله لانك رسوله المصدق بالمعجزات فهم لا يكذبونك في الحقيقة وانما يكذبون الله بجحود اياته فانته عن حزنك لنفسك
وانهم كذبوك وانت صادق وليشغلك عن ذلك ما هو اهم وهو استعظامك لجحود آيات الله والاستهانة بكتابه ونحوه قول
السيد لغلامه اذا اهانه بعض الناس انهم لم يهينوك وانما اهانوني وفي هذه الطريقة قوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون
الله وقيل فانهم لا يكذبونك بقلوبهم ولكنهم يجحدون بالسنتهم وقيل فانهم لا يكذبونك لانك عندهم الصادق الموسوم
بالصدق ولكنهم يجحدون بآيات الله وعن ابن عباس كان رسول الله يسمى الامين فعرفوا انه لا يكذب في شيء ولكنهم كانوا يجحدون
وكان ابو جهل يقول ما نكذبك وانك عندنا لمصدق وانما نكذب ما جئتنا به وروي ان الاخنس بن شريق قال لابي جهل يا ابا الحكم
اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس عندنا احد غيرنا فقال له والله ان محمدا لصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي
باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فنزلت وقوله ولكن الظالمين من اقامة الظاهر مقام المضمر للدلالة
على انهم ظلموا في جحودهم ولقد كذبت رسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم وهذا
دليل على ان قوله فانهم لا يكذبونك ليس بنفي لتكذيبه وانما هو من قولك لغلامك ما اهانوك ولكنهم اهانوني فصبروا على
ما كذبوا واوذوا على تكذيبهم وايذائهم حتى اتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا
لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون ولقد جاءك من نبأ المرسلين بعض انبائهم وقصصهم وما كابدوا من مصابرة المشركين
كان يكبر على النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم كفر قومه واعراضهم عما جاء به فنزل لعلك باخع نفسك انك لا تهدي من احببت وان
كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض منفذا تنفذ فيه الى ما تحت الارض حتى تطلع لهم آية يؤمنون بها
او سلما في السماء فتأتيهم منها بآية فافعل يعني انك لا تستطيع ذلك والمراد بيان حرصه على اسلام قومه وتهالكه عليه وانه لو استطاع
ان ياتيهم بآية من تحت الارض او من فوق السماء لاتى بها رجاء ايمانهم وقيل كانوا يقترحون الآيات فكان يود ان يجابوا اليها لتمادي حرصه
على ايمانهم فقيل له ان استطعت كذا فافعل دلالة على انه بلغ من حرصه انه لو استطاع ذلك لفعله حتى ياتيهم بما اقترحوا لعلهم يؤمنون
ويجوز ان يكون ابتغاء النفق في الارض والسلم في السماء هو الاتيان بالآيات كانه قيل لو استطعت النفوذ الى ما تحت الارض او الرقي الى السماء لفعلت لعل
ذلك يكون لك آية يؤمنون عندها وحذف جواب ان كما تقول ان شئت ان تقوم بنا الى فلان نزوره ولو شاء الله لجمعهم على الهدى
بان ياتيهم بآية ملجئة ولكنه لا يفعل لخروجه عن الحكمة فلا تكونن من الجاهلين من الذين يجهلون ذلك ويرومون ما هو خلافه

إنما يستجيب الذين يسمعون يعني ان الذين تحرص على ان يصدقوك بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون وانما يستجيب من يسمع كقوله انك
لا تسمع الموتى والموتى يبعثهم الله مثل لقدرته على الجائهم الى الاستجابة بانه هو الذي يبعث الموتى من القبور يوم القيامة ثم
إليه يرجعون للجزاء فكان قادرا على هولاء الموتى بالكفر ان يحييهم بالايمان وانت لا تقدر على ذلك وقيل معناه وهولاء الموتى يعني الكفرة يبعثهم الله ثم اليه يرجعون فحينئذ يسمعون واما قبل ذلك فلا سبيل الى استماعهم وقرئ
يرجعون بفتح اليا وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه نزل بمعنى انزل وقرئ ان ينزل بالتشديد والتخفيف وذكر الفعل والفاعل مؤنث
لان تانيث آية غير حقيقي وحسن للفصل وانما قالوا ذلك مع تكاثر ما انزل من الآيات على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لتركهم
الاعتداد بما انزل عليه كانه لم ينزل عليه شي من الآيات عنادا منهم قل إن الله قادر على أن ينزل آية تضطرهم الى الايمان كنتق الجبل
على بني اسرائيل ونحوه او آية ان جحدوها جاءهم العذاب ولكن أكثرهم لا يعلمون ان الله قادر على ان ينزل تلك الآية
وان صارفا من الحكمة يصرفه عن انزالها وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم مكتوبة ارزاقها وآجالها
واعمالها كما كتبت ارزاقكم وآجالكم واعمالكم ما فرطنا ما تركنا وما اغفلنا في الكتاب في اللوح المحفوظ من شي من ذلك
لم نكتبه ولم نثبت ما وجب ان يثبت مما يختص به ثم إلى ربهم يحشرون يعني الامم كلها من الدواب والطير فيعوضها وينصف
بعضها من بعض كما روى انه ياخذ للجماء من القرناء فإن قلت كيف قيل الا امم مع افراد الدابة والطائر قلت لما كان
قوله من دابة ولا طائر دالا على معنى الاستغراق ومغنيا عن ان يقال وما من دواب ولا طير حمل قوله الا امم على المعنى فإن
قلت هلا قيل وما من دابة ولا طائر الا امم امثالكم وما معنى زيادة قوله في الأرض ويطير بجناحيه قلت معنى ذلك زيادة
التعميم والاحاطة كانه قيل وما من دابة قط في جميع الارضين السبع وما من طائر قط في جو السما من جميع ما يطير بجناحيه الا امم
امثالكم محفوظة احوالها غير مهمل امرها فإن قلت فما الغرض في ذكر ذلك قلت الدلالة على عظم قدرته ولطف علمه
وسعة سلطانه وتدبيره تلك الخلائق المتفاوتة الاجناس المتكاثرة الاصناف وهو حافظ لما لها وما عليها مهيمن على احوالها لا يشغله
شان عن شان وان المكلفين ليسوا مخصوصين بذلك دون من عداهم من سائر الحيوان وقرأ ابن ابي عبلة ولا طائر بالرفع على
المحل كانه قيل وما من دابة ولا طائر وقرأ علقمة ما فرطنا بالتخفيف فإن قلت كيف اتبعه قوله والذين كذبوا بآياتنا قلت
لما ذكر من خلائقه وآثار قدرته ما يشهد لربوبيته وينادي على عظمته قال والمكذبون صم لا يسمعون كلام المنبه وبكم لا
ينطقون بالحق في الظلمات خابطون في ظلمات الكفر غافلون عن تامل ذلك والتفكر فيه ثم قال ايذانا بانهم من اهل الطبع
من يشإ الله يضلله اي يخذله ويخليه وضلاله لم يلطف به لانه ليس من اهل اللطف ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم اي
يلطف به لان اللطف يجدي عليه قل أرأيتكم احبروني والضمير الثاني لا محل له من الاعراب لانك تقول ارأيتك زيدا ما شانه فلو
جعلت للكاف محلا لكنت كانك تقول ارأيت نفسك زيدا ما شانه وهو خلف من القول ومتعلق الاستخبار محذوف
تقديره ارأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة من تدعون ثم بكتهم بقوله أغير الله تدعون إن كنتم صادقين
بمعنى اتخصون آلهتكم بالدعوة فيما هو عادتكم اذا اصابكم ضر ام تدعون الله دونها بل إياه تدعون بل تخصونه بالدعاء
دون الآلهة فيكشف ما تدعون إليه اي ما تدعونه الى كشفه إن شاء ان اراد ان يتفضل عليكم ولم تكن مفسدة وتنسون
ما تشركون وتتركون آلهتكم او لا تذكرونها في ذلك الوقت لان اذهانكم في ذلك الوقت مغمورة بذكر ربكم وحده
اذ هو القادر على كشف الضر دون غيره ويجوز ان يتعلق الاستخبار بقوله اغير الله تدعون كانه قيل ارأيتكم اغير الله
تدعون ان اتاكم عذاب الله فإن قلت ان علقت الاستخبار به فما تصنع بقوله فيكشف ما تدعون اليه مع قوله او اتتكم
الساعة وقوارع الساعة لا تكشف عن المشركين قلت قد اشترط في الكشف المشيئة وهو قوله ان شاء ايذانا بانه ان
فعل كان له وجه من الحكمة الا انه لا يفعل لوجه آخر من الحكمة ارجح منه ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم
بالبأساء والضراء البأساء والضراء البؤس والضر وقيل البأساء القحط والجوع والضراء المرض ونقصان الانفس والاموال والمعنى ولقد
ارسلنا اليهم الرسل فكذبوهم فاخذناهم لعلهم يتضرعون يتذللون ويتخشعون لربهم ويتوبون عن ذنوبهم فلولا إذ
جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون معناه نفي التضرع كانه قيل فلم يتضرعوا
اذ جاءهم باسنا ولكنه جاء بلولا ليفيد انه لم يكن لهم عذر في ترك التضرع الا عنادهم وقسوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم التي زينها
الشيطان لهم فلما نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء اي تركوا الاتعاظ به ولم ينفع فيهم ولم يزجرهم فتحنا عليهم أبواب
كل شيء من الصحة والسعة وصنوف النعمة ليزاوج عليهم بين نوبتي الضراء والسراء كما يفعل الاب المشفق بولده يخاشنه تارة
ويلاطفه اخرى طلبا لصلاحه حتى إذا فرحوا بما أوتوا من الخير والنعم لم يزيدوا على الفرح والبطر من غير انتداب لشكر ولا تصدي
لتوبة واعتذار أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون واجمون متحسرون آيسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا اخرهم
لم يترك منهم احد قد استوصلت شافتهم والحمد لله رب العالمين ايذان بوجوب الشكر والحمد لله عند هلاك الظلمة وانه من
اجل النعم واجزل القسم وقرئ فقطعنا بالنون قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم بان يصمكم ويعميكم وختم على قلوبكم
بان يغطي عليها ما يذهب عنه فهمكم وعقلكم من إله غير الله يأتيكم به اي ياتيكم بذلك اجرا للضمير مجرى اسم الاشارة

يوما اخذ وختم عليه انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون يعرضون عن الآيات بعد ظهورها قل أرأيتكم إن أتاكم
عذاب الله بغتة أو جهرة لما كانت البغتة ان يقع الامر من غير ان يشعر به وبظهر اماراته قيل بغتة او جهرة وعن
الحسن ليلا او نهارا وقرئ بغتة او جهرة هل يهلك الا هلاك تعذيب وسخط إلا القوم الظالمون وقرئ هل يهلك بفتح اليا
وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين من آمن بهم وبما جاءوا به اطاعهم ومن كذبهم وعصاهم ولم يرسلهم ليتلهى بهم وتقترح
عليهم الآيات بعد وضوح امرهم بالبراهين القاطعة فمن آمن وأصلح ما يجب عليه اصلاحه مما كلف فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون جعل العذاب ماسا كانه حي يفعل بهم ما يريد من الآلام ومنه
قولهم لقيت منه الامرين والاقورين حيث جمعوا جمع العقلاء وقوله اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا قل لا أقول
لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلي اي لا ادعي ما يستبعد في العقول ان يكون
لبشر من ملك خزائن الله وهي قسمه بين الخلق وارزاقه وعلم الغيب وان من الملائكة الذين هم اشرف جنس خلقه الله وافضله واقربه
منزلة منه اي لم ادع الالهية ولا الملكية لانه ليس بعد الالهية منزلة ارفع من منزلة الملائكة حتى تستبعدوا دعواي
وتستنكروها وانما ادعي ما كان مثله لكثير من البشر وهو النبوة قل هل يستوي الأعمى والبصير مثل للضال والمهتدي
ويجوز ان يكون مثلا لمن اتبع ما يوحى اليه ومن لم يتبع او لمن ادعى المستقيم وهو النبوة والمحال وهو الالهية او الملكية أفلا تتفكرون
فلا تكونوا ضالين اشباه العميان او فتعلموا اني ما ادعيت ما لا يليق بالبشر او فتعلموا ان اتباع ما يوحى الي مما لا بد لي منه فإن
قلت أعلم الغيب ما محله من الاعراب قلت النصب عطفا على محل قوله عندي خزائن الله لانه من جملة المقول كانه قال لا اقول لكم
هذا القول ولا هذا القول وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون والهاء
في به راجع الى قوله ما يوحى والذين يخافون ان يحشروا اما قوم داخلون في الاسلام مقرون بالبعث الا انهم مفرطون في العمل
فينذرهم بما اوحي اليه لعلهم يتقون اي يدخلون في زمرة اهل التقوى من المسلمين واما اهل الكتاب لانهم مقرون بالبعث واما
ناس من المشركين علم من حالهم انهم يخافون اذا سمعوا بحديث البعث ان يكون حقا فيهلكوا فهم ممن يرجى ان ينجع فيهم الانذار دون
المتمردين منهم فامر ان ينذر هولاء وقوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع في موضع الحال من يحشروا بمعنى يخافون ان يحشروا غير
منصورين ولا مشفوعا لهم ولا بد من هذه الحال لان كلا محشور فالمخوف انما هو الحشر على هذه الحال ولا تطرد الذين يدعون ربهم
بالغداة والعشي ذكر غير المتقين من المسلمين وامره بانذارهم ليتقوا ثم اردفهم ذكر المتقين منهم وامره بتقريبهم واكرامهم
وان لا يطيعهم فيهم من اراد بهم خلاف ذلك واثنى عليهم بانهم يواصلون دعاء ربهم اي عبادته ويواظبون عليها والمراد بذكر الغداة
والعشي الدوام وقيل معناه يصلون صلاة الصبح والعصر ووسمهم بالاخلاص في عبادتهم بقوله يريدون وجهه والوجه يعبر
به عن ذات الشي وحقيقته روي ان رؤسا من المشركين قالوا لرسول الله لو طردت هولاء الاعبد يعنون فقراء المسلمين وهم
عمار وصهيب وخباب وسلمان واضرابهم رضوان الله عليهم اجمعين وارواح جبابهم وكانت عليهم جباب من صوف جلسنا اليك
وحادثناك فقال عليه السلام والسلام ما انا بطارد المؤمنين فقالوا فاقمهم عنا اذا جينا فاذا قمنا فاقعدهم معك ان شئت
قال نعم طمعا في ايمانهم وروي ان عمر رضي الله عنه قال له لو فعلت حتى ننظر الى ماذا يصيرون ثم الحوا فقالوا اكتب بذلك كتابا فدعا
بالصحيفة وبعلي ليكتب فنزلت فرمى بالصحيفة واعتذر عمر عن مقالته قال سلمان وخباب فينا نزلت فكان رسول الله يقعد
معنا وندنو منه حتى تمس ركبنا ركبته وكان يقوم عنا اذا اراد القيام فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك
القيام الى ان نقوم عنه وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع قوم من امتي معكم المحيا ومعكم الممات ما عليك
من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء ما عليك من حسابهم من شي كقوله ان حسابهم الا على ربي وذلك انهم طعنوا في
دينهم واخلاصهم فقال ما عليك من حسابهم من شي بعد شهادته لهم بالاخلاص وبارادة وجه الله في اعمالهم على معنى وان كان الامر
على ما يقولون عند الله فما يلزمك الا اعتبار الظاهر والاتسام بسيرة المتقين وان كان لهم باطن غير مرضي فحسابهم عليهم لازم
لهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك عليك لا يتعداك اليهم كقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى فإن قلت اما كفى قوله ما
عليك من حسابهم من شي حتى ضم اليه وما من حسابك عليهم من شي قلت قد جعلت الجملتان بمنزلة جملة واحدة وقصد بهما
مؤدى واحد وهو المعنى في قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا يستقل بهذا المعنى الا الجملتان جميعا كانه قيل لا تؤاخذ انت ولا هم
بحساب صاحبه وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا يؤاخذون بحسابك ولا انت بحسابهم حتى يهمك ايمانهم ويحركك الحرص عليه
الى ان تطرد المؤمنين فتطردهم جواب النفي فتكون من الظالمين جواب النهي ويجوز ان يكون عطفا على فتطردهم على وجه التسبيب
لان كونه ظالما مسبب عن طردهم وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا ومثل ذلك الفتن العظيم
فتنا بعض الناس ببعض اي ابتليناهم بهم وذلك ان المشركين كانوا يقولون للمسلمين أهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا اي انعم
عليهم بالتوفيق لاصابة الحق ولما يسعدهم عنده من دوننا ونحن المقدمون والرؤسا وهم العبيد والفقراء انكارا لان يكون امثالهم
على الحق وممنونا عليهم من بينهم بالخير ونحوه لو كان خيرا ما سبقونا اليه ومعنى فتناهم ليقولوا ذلك خذلناهم

فافتنوا حتى كان افتتانهم سببا لهذا القول لانه لا يقول مثل قولهم هذا الا مخذول مفتون ﴿أليس الله بأعلم بالشاكرين﴾ اي الله اعلم بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه للايمان وبمن يصمم على كفره فيخذله ويمنعه التوفيق ﴿وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم﴾ اما ان يكون امرا بتبليغ سلام الله اليهم واما ان يكون امرا بان يبدأهم بالسلام اكراما لهم وتطييبا لقلوبهم وكذلك قوله ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾ من جملة ما يقول لهم ليبشرهم بسعة رحمة الله وقبوله التوبة منهم ﴿أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم﴾ وقرئ انه بالكسر على الاستئناف كأن الرحمة استفسرت فقيل انه من عمل منكم وبالفتح على الابدال من الرحمة بجهالة في موضع الحال اي عمله وهو جاهل وفيه معنيان احدهما انه فاعل فعل الجهلة لان من عمل ما يؤدي الى الضرر في العاقبة وهو عالم بذلك او ظان فهو من اهل السفه والجهل لا من اهل الحكمة والتدبير ومنه قول الشاعر على انها قالت عشية زرتها ۝ جهلت على عمد ولم تك جاهلا ۝ والثاني انه جاهل بما يتعلق به من المكروه والمضرة ومن حق الحكيم ان لا يقدم على شيء حتى يعلم حاله وكيفيته وقيل انها نزلت في عمر حين اشار باجابة الكفرة الى ما سألوا ولم يعلم انها مفسدة ﴿وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين﴾ وقرئ وليستبين بالياء والتاء مع رفع السبيل لانها تذكر وتؤنث وبالتاء على خطاب الرسول مع نصب السبيل يقال استبان الامر وتبين واستبنته وتبينته والمعنى ومثل ذلك التفصيل البين نفصل آيات القرآن ونلخصها في صفة احوال المجرمين من هو مطبوع على قلبه لا يرجى اسلامه ومن ترى فيه امارة القبول وهو الذي يخاف اذا سمع ذكر القيامة ومن دخل في الاسلام الا انه لا يحفظ حدوده ولتستوضح سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يجب ان يعامل به فصلنا ذلك التفصيل ﴿قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله﴾ صرفت وزجرت بما ركب في من ادلة العقل وبما اوتيت من ادلة السمع عن عبادة ما تعبدون من دون الله وفيه استجهال لهم ووصف بالاقتحام فيما كانوا فيه على غير بصيرة ﴿قل لا أتبع أهواءكم﴾ اي لا اجري في طريقتكم التي سلكتموها في دينكم من اتباع الهوى دون اتباع الدليل وهو بيان للسبب الذي منه وقعوا في الضلال وتنبيه لكل من اراد اصابة الحق ومجانبة الباطل ﴿قد ضللت إذا وما أنا من المهتدين﴾ اي ان اتبعت اهواءكم فانا ضال وما انا من الهدى في شيء يعني انكم كذلك ولما نفى ان يكون الهوى متبعا نبه على ما يجب اتباعه بقوله ﴿قل إني على بينة من ربي﴾ ومعناه اني من معرفة ربي وانه لا معبود سواه على حجة واضحة وشاهد صدق ﴿وكذبتم به﴾ حيث اشركتم به غيره يقال انا على بينة من هذا الامر وانا على يقين منه اذا كان ثابتا عندك بدليل ثم عقبه بما دل على استعظام تكذيبهم بالله وشدة غضبه عليهم لذلك وانهم احقاء بان يغافصوا بالعذاب المستأصل فقال ﴿ما عندي ما تستعجلون به﴾ يعني العذاب الذي استعجلوه في قولهم فأمطر علينا حجارة من السماء ﴿إن الحكم إلا لله﴾ في تأخير عذابكم ﴿يقص الحق﴾ اي القضاء الحق في كل ما يقضي من التأخير والتعجيل في اقسامه ﴿وهو خير الفاصلين﴾ اي القاضين وقرئ يقض الحق اي يتبع الحق والحكمة فيما يحكم به ويقدره من قص اثره ﴿قل لو أن عندي﴾ اي في قدرتي وامكاني ﴿ما تستعجلون به﴾ من العذاب ﴿لقضي الأمر بيني وبينكم﴾ لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي وامتعاضا من تكذيبكم به ولتخلصت منكم سريعا ﴿والله أعلم بالظالمين﴾ وبما يجب في الحكمة من كنه عقابهم وقيل على بينة من ربي على حجة من جهة ربي وهي القرآن وكذبتم به اي بالبينة وذكر الضمير على تأويل البيان او القرآن **فان قلت** بم انتصب الحق **قلت** بانه صفة لمصدر يقضي اي يقضي القضاء الحق ويجوز ان يكون مفعولا به من قولهم قضى الدرع اذا صنعها اي يصنع الحق ويدبره وفي قراءة عبد الله يقضي بالحق **فان قلت** لم اسقطت الياء **قلت** اتباعا لخط اللفظ وهو سقوطها في اللفظ لالتقاء الساكنين ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها﴾ جعل للغيب مفاتح على طريق الاستعارة لان المفاتح يتوصل بها الى ما في المخازن المستوثق منها بالاغلاق والاقفال ومن علم مفاتحها وكيف يفتح توصل اليها فاراد انه هو المتوصل الى المغيبات وحده لا يتوصل اليها غيره كمن عنده مفاتح اقفال المخازن ويعلم فتحها فهو المتوصل الى ما في المخازن والمفاتح جمع مفتح وهو المفتاح وقرئ مفاتيح وقيل هي جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن ﴿ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس﴾ عطف على ورقة وداخل في حكمها كأنه قيل وما يسقط من شيء من هذه الاشياء الا يعلمه وقوله ﴿إلا في كتاب مبين﴾ كالتكرير لقوله الا يعلمها لان معنى الا يعلمها ومعنى الا في كتاب مبين واحد والكتاب المبين علم الله او اللوح وقرئ ولا حبة ولا رطب ولا يابس بالرفع وفيه وجهان ان يكون عطفا على محل من ورقة وان يكون رفعا على الابتداء وخبره الا في كتاب مبين كقولك لا رجل منهم ولا امرأة الا في الدار ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل﴾ الخطاب للكفرة اي انتم منسدحون الليل كله كالجيف ﴿ويعلم ما جرحتم بالنهار﴾ ما كسبتم من الآثام فيه ﴿ثم يبعثكم فيه﴾ ثم يبعثكم من القبور في شأن ذلك الذي قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ومن اجله كقولك فيم دعوتني فيقول في كذا ﴿ليقضى أجل مسمى﴾ وهو الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم ﴿ثم إليه مرجعكم﴾ وهو المرجع الى موقف الحساب ﴿ثم ينبئكم بما كنتم تعملون﴾ في ليلكم ونهاركم ﴿وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة﴾ ملائكة حافظين لاعمالكم وهم الكرام الكاتبون وعن ابي حاتم السجستاني انه كان يكتب عن الاصمعي كل شيء يلفظ به من فوائد العلم حتى قال فيه انت شبه الحفظة تكتب لغط اللفظة فقال ابو حاتم وهذا ايضا مما يكتب **فان قلت** الله تعالى غني بعلمه عن كتبة الملائكة فما فائدتها **قلت** فيها لطف للعباد لانهم اذا علموا ان الله رقيب عليهم والملائكة الذين

هم اشرف خلقه موكلون بهم يحفظون اعمالهم ويكتبونها في صحائف تعرض على رؤوس الاشهاد في مواقف القيامة كان ذلك ازجر لهم عن القبيح وابعد من السوء ﴿حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون﴾ اي استوفت روحه وهم ملك الموت واعوانه وعن مجاهد جعلت الارض له مثل الطست يتناول من يتناوله وما من اهل بيت الا ويطوف عليهم في كل يوم مرتين وقرئ توفاه ويجوز ان يكون ماضيا ومضارعا بمعنى تتوفاه ويفرطون بالتشديد والتخفيف فالتفريط التواني والتأخير عن الحد والافراط مجاوزة الحد اي لا ينقصون مما امروا به ولا يزيدون فيه ﴿ثم ردوا إلى الله﴾ الى حكمه وجزائه ﴿مولاهم﴾ مالكهم الذي يلي عليهم امورهم ﴿الحق﴾ العدل الذي لا يحكم الا بالحق ﴿ألا له الحكم﴾ يومئذ لا حكم فيه لغيره ﴿وهو أسرع الحاسبين﴾ لا يشغله حساب عن حساب وقرئ الحق بالنصب على المدح كقولك الحمد لله الحق ﴿قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية﴾ ظلمات البر والبحر مجاز عن مخاوفهما واهوالهما يقال لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب اي اشتدت ظلمته حتى عاد كالليل ويجوز ان يراد ما يشفون عليه من الخسف في البر والغرق في البحر بذنوبهم فاذا دعوا وتضرعوا كشف الله عنهم الخسف والغرق فنجوا من ظلماتها ﴿لئن أنجيتنا﴾ على ارادة القول ﴿من هذه﴾ الظلمة والشدة وقرئ ينجيكم بالتخفيف والتشديد وانجانا وخفية بالضم والكسر ﴿لنكونن من الشاكرين ۝ قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون ۝ قل هو القادر﴾ هو الذي عرفتموه قادرا وهو الكامل القدرة ﴿على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم﴾ كما امطر على قوم لوط وعلى اصحاب الفيل الحجارة وارسل على قوم نوح الطوفان ﴿أو من تحت أرجلكم﴾ كما اغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم من قبل اكابركم وسلاطينكم ومن تحت ارجلكم من قبل سفلتكم وعبيدكم وقيل هو حبس المطر والنبات ﴿أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض ۝ انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون﴾ او يخلطكم فرقا مختلفين على اهواء شتى كل فرقة منكم مشايعة لامام ومعنى خلطهم ان ينشب القتال بينهم فيختلطوا ويشتبكوا في ملاحم القتال من قوله ۝ وكتيبة لبستها بكتيبة ۝ حتى اذا التبست نفضت لها يدي ۝ وعن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم سألت الله ان لا يبعث على امتي عذابا من فوقهم او من تحت ارجلهم فاعطاني ذلك وسألته ان لا يجعل بأسهم بينهم فمنعني واخبرني جبريل ان فناء امتي بالسيف وعن جابر بن عبد الله لما نزل من فوقكم قال رسول الله اعوذ بوجهك فلما نزل او من تحت ارجلكم او يلبسكم شيعا قال هاتان اهون ومعنى الآية الوعيد باحد اصناف العذاب المعدودة والضمير في قوله ﴿وكذب به قومك﴾ راجع الى العذاب ﴿وهو الحق﴾ اي لا بد ان ينزل بهم ﴿قل لست عليكم بوكيل﴾ بحفيظ وكل الي امركم امنعكم من التكذيب اجبارا انما انا منذر ﴿لكل نبإ﴾ لكل شيء ينبأ به يعني انباءهم بانهم يعذبون وايعادهم به ﴿مستقر﴾ وقت استقرار وحصول لا بد منه وقيل الضمير في به للقرآن ﴿وسوف تعلمون ۝ وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا﴾ في الاستهزاء بها والطعن فيها وكانت قريش في انديتهم يفعلون ذلك ﴿فأعرض عنهم﴾ فلا تجالسهم وقم عنهم ﴿حتى يخوضوا في حديث غيره﴾ فلا بأس ان تجالسهم حينئذ ﴿وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾ معهم وان شغلك بوسوسته حتى تنسى النهي عن مجالستهم فلا تقعد معهم بعد الذكرى بعد ان تذكر النهي وقرئ ينسينك بالتشديد ويجوز ان يراد وان كان الشيطان ينسينك قبل النهي قبح مجالسة المستهزئين لانها مما تنكره العقول فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان ذكرناك قبحها ونبهناك عليه معهم ﴿وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء﴾ وما يلزم المتقين الذين يجالسونهم شيء مما يحاسبون عليه من ذنوبهم ﴿ولكن﴾ عليهم ان يذكروهم ﴿ذكرى﴾ اذا سمعوهم يخوضون بالقيام عنهم واظهار الكراهة لهم وموعظتهم ﴿لعلهم يتقون﴾ لعلهم يجتنبون الخوض حياء او كراهة لمساءتهم ويجوز ان يكون الضمير للذين يتقون اي يذكرونهم ارادة ان يثبتوا على تقواهم ويزدادوها ۝ وروي ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤوا بالقرآن لم نستطع ان نجلس في المسجد الحرام وان نطوف فرخص لهم **فان قلت** ما محل ذكرى **قلت** يجوز ان يكون نصبا على ولكن يذكرونهم ذكرى اي تذكيرا او رفعا على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز ان يكون عطفا على محل من شيء كقولك ما في الدار من احد ولكن زيد لان قوله من حسابهم يأبى ذلك ﴿وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا﴾ اي دينهم الذي كان يجب ان يأخذوا به لعبا ولهوا وذلك ان عبادة الاصنام وما كانوا عليه من تحريم البحائر والسوائب وغير ذلك من باب اللعب واللهو واتباع هوى النفس والعمل بالشهوة ومن جنس الهزل دون الجد او اتخذوا ما هو لعب ولهو من عبادة الاصنام وغيرها دينا لهم او اتخذوا دينهم الذي كلفوه ودعوا اليه وهو دين الاسلام لعبا ولهوا حيث سخروا به واستهزؤوا وقيل جعل الله لكل قوم عيدا يعظمونه ويصلون فيه ويعمرونه بذكر الله والناس كلهم من المشركين واهل الكتاب اتخذوا عيدهم لعبا ولهوا غير المسلمين فانهم اتخذوا عيدهم كما شرعه الله ومعنى ذرهم اعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم ولا تشغل قلبك بهم ﴿وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع﴾ مخافة ان تسلم الى الهلكة والعذاب وترتهن بسوء كسبها واصل الابسال المنع لان المسلم اليه يمنع المسلم قال ۝ وابسالي بني بغير جرم ۝ ومنه هذا عليك بسل اي حرام ومحظور والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه او لانه شديد البسور يقال بسر الرجل اذا اشتد عبوسه فاذا زاد قالوا بسل والعابس منقبض الوجه ﴿وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها﴾ وان تفد كل فداء والعدل الفدية لان الفادي يعدل المفدى بمثله وكل نصب على المصدر وفاعل يؤخذ قوله منها لا ضمير العدل فمعنى

المفيدي به فصح اسناده اليه أُولَٰئِكَ اشارة الى المتخذين دينهم لعبا ولهوا الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما
كانوا يكفرون ● قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله قيل نزلت في ابي بكر رضي
الله عنه حين دعاه ابنه عبد الرحمن الى عبادة الاوثان قل اندعوا اتعبد من دون الله الضار النافع ما لا يقدر على نفعنا ولا مضرتنا
وانرد على اعقابنا راجعين الى الشرك بعد اذ انقذنا الله منه وهدانا للاسلام كالذي استهوته الشياطين كالذي ذهبت به
مردة الجن والغيلان في الأرض المهمه حيران تائها ضالا عن الجادة لا يدري كيف يصنع له اي لهذا المستهوي أصحاب رفقة
يدعونه إلى الهدى الى ان يهدوه الطريق المستوي او سمي الطريق المستقيم بالهدى يقولون له ائتنا وقد اعتسف المهمه تابعا
للجن لا يجيبهم ولا ياتيهم وهذا مبني على ما تزعمه العرب وتعتقده ان الجن تستهوي الانسان والغيلان تستولي عليه كقوله
كالذي يتخبطه الشيطان فشبه به الضال عن طريق الاسلام التابع لخطوات الشيطان والمسلمون يدعونه اليه فلا يلتفت
اليهم قل إن هدى الله وهو الاسلام هو الهدى وحده وما وراءه ضلال وغي ومن يبتغ غير الاسلام دينا فماذا بعد الحق الا الضلال
فان قلت ما محل الكاف في قوله كالذي استهوته قلت النصب على الحال من الضمير في نرد على اعقابنا اي انكص مشبهين
من استهوته الشياطين فان قلت ما معنى استهوته قلت هو استفعال من هوى في الارض اذا ذهب فيها كان معناه
طلبت هويه وحرصت عليه وأمرنا لنسلم لرب العالمين ● فان قلت ما محل امرنا قلت النصب عطفا على محل قوله
ان هدى الله هو الهدى على انهما مقولان كانه قيل قل هذا القول وقل امرنا لنسلم فان قلت ما معنى اللام في لنسلم قلت
هي تعليل للامر بمعنى امرنا وقيل لنا اسلموا لاجل ان نسلم فان قلت فاذا كان هذا واردا في شان ابي بكر فكيف قيل للرسول قل اندعوا
قلت للاتحاد الذي كان بين رسول الله والمؤمنين خصوصا بينه وبين الصديق رضوان الله عليه فان قلت وأن أقيموا
الصلوة واتقوه وهو الذي إليه تحشرون ● فان قلت علام عطف قوله وان اقيموا قلت على موضع قوله لنسلم كانه قيل
وامرنا لان نسلم ولان اقيموا ويجوز ان يكون التقدير وامرنا لان نسلم ولان اقيموا اي للاسلام ولاقامة الصلوة وهو الذي خلق
السموات والأرض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم
الخبير ● قوله الحق مبتدا ويوم يقول بمعنى الحين والمعنى انه خلق السموات والارض قائما بالحق والحكمة وحين يقول لشيء من
الاشياء كن فيكون ذلك الشيء قوله الحق والحكمة اي لا يكون شيء من السموات والارض وسائر المكونات الا عن حكمة وصواب
وله الملك كقوله لمن الملك اليوم ويجوز ان يكون قوله الحق فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق
اي لقضائه الحق كن فيكون قوله الحق وانتصاب اليوم بمحذوف دل عليه قوله بالحق كانه قيل وحين يكون ويقدر يقوم بالحق
عالم الغيب وارتفاعه على المدح وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة إني أراك وقومك في
ضلال مبين وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين ● فلما جن عليه الليل رأى كوكبا
قال هذا ربي آزر اسم ابي ابرهيم وفي كتب التواريخ ان اسمه بالسريانية تارخ والاقرب ان يكون وزن آزر فاعل مثل تارخ
وعابر وشالخ وفالغ وما اشبهها من اسمائهم وهو عطف بيان لابيه وقرئ آزر بالضم على النداء وقيل آزر اسم صنم فيجوز
ان ينبز به للزومه عبادته كما نبز ابن قيس بالرقيات اللاتي كان يشبب بهن فقيل ابن قيس الرقيات وفي شعر بعض المحدثين
أدعى بأسماء نبزا في قبائلها ● كأن أسماء أضحت بعض أسمائي ● او ازر بمعنى عابد آزر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقرئ
أأزرا بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام وزاي ساكنة وراء منصوبة منونة وهو اسم صنم ومعناه
أتعبد أزرا ثم قال تتخذ اصناما آلهة تثبيتا لذلك وتقريرا وهو داخل في حكم الانكار لانه كالبيان له فلما جن عليه الليل عطف
على قال ابرهيم لابيه وقوله وكذلك نري ابرهيم جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه والمعنى ومثل ذلك التعريف
والتبصير نعرف ابرهيم ونبصره ملكوت السموات والارض يعني الربوبية والالهية ونوفقه لمعرفتها ونرشده بما شرحنا
صدره وهديناه لطريق الاستدلال وليكون من الموقنين فعلنا ذلك ونري حكاية حال ماضية وكان ابوه
وقومه يعبدون الاصنام والشمس والقمر والكواكب فاراد ان ينبههم على الخطا في دينهم وان يرشدهم الى طريق النظر
والاستدلال ويعرفهم ان النظر الصحيح مؤد الى ان شيئا منها لا يصح ان يكون الها لقيام دليل الحدوث فيها وان وراءها محدثا
احدثها وصانعا صنعها ومدبرا دبر طلوعها وافولها وانتقالها ومسيرها وسائر احوالها هذا ربي قول من ينصف خصمه
مع علمه انه مبطل فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه لان ذلك ادعى الى الحق وانجى من الشغب ثم يكر عليه بعد حكايته
فيبطله بالحجة فلما أفل قال لا أحب الآفلين ● لا احب عبادة الارباب المتغيرين عن حال الى حال المتنقلين من مكان الى مكان
المحتجبين بستر فان ذلك من صفات الاجرام فلما رأى القمر بازغا مبتدئا في الطلوع قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني
ربي لأكونن من القوم الضالين ● لئن لم يهدني ربي تنبيه لقومه على ان من اتخذ القمر الها وهو نظير الكواكب في الافول
فهو ضال وان الهداية الى الحق بتوفيق الله ولطفه فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر هذا اكبر من باب استعمال
النصفة مع خصومه فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون ● من الاجرام التي تجعلونها شركاء لخالقها إني وجهت وجهي

للذي

للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين ● اي للذي دلت هذه المحدثات عليه وعلى انه مبتدئها ومبتدعها
وقيل كان هذا النظر واستدلاله في نفسه فحكاه الله والاول اظهر لقوله لئن لم يهدني ربي وقوله يا قوم اني بريء مما تشركون
فان قلت لم احتج عليهم بالافول دون البزوغ وكلاهما انتقال من حال الى حال قلت الاحتجاج بالافول اظهر لانه انتقال
مع خفاء واحتجاب فان قلت ما وجه التذكير في قوله هذا ربي والاشارة للشمس قلت جعل المبتدأ مثل الخبر لكونهما
عبارة عن شيء واحد كقولهم ما جاءت حاجتك ومن كانت امك ولم تكن فتنتهم الا ان قالوا وكان اختيار هذه الطريقة واجبا
لصيانة الرب عن شبهة التانيث الا تراهم قالوا في صفة الله علام ولم يقولوا علامة وان كان العلامة ابلغ احترازا من علامة
التانيث وقرئ ترى ابرهيم ملكوت السموات بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلائل الربوبية وحاجه قومه قال
أتحاجوني في الله وكانوا حاجوه في توحيد الله ونفي الشركاء عنه منكرين لذلك وقد هدان يعني الى التوحيد ولا أخاف
ما تشركون به وقد خوفوه ان معبوداتهم تصيبه بسوء إلا أن يشاء ربي شيئا الا وقت مشية ربي شيئا يخاف فحذف الوقت
يعني لا اخاف معبوداتكم في وقت قط لانها لا تقدر على منفعة ولا مضرة الا اذا شاء ربي ان يصيبني بمخوف من جهتها ان اصبت
ذنبا استوجب به انزال المكروه مثل ان يرجمني بكوكب او بشقة من الشمس او القمر او يجعلها قادرة على مضرتي وسع ربي كل
شيء علما اي ليس بعجب ولا مستبعد ان يكون في علمه انزال المخوف من جهتها أفلا تتذكرون ● فتميزوا بين الصحيح والفاسد
والقادر والعاجز وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله وكيف اخاف لتخويفكم شيئا مامون
الخوف ولا يتعلق به ضرر بوجه وانتم لا تخافون ما يتعلق به كل مخوف وهو اشراككم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا
ما لم ينزل باشراكه سلطانا اي حجة لان الاشراك لا يصح ان يكون عليه حجة كانه قال وما لكم تنكرون علي الامن في موضع الامن
ولا تنكرون على انفسكم الامن في موضع الخوف فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون ● ولم يقل فاينا احق بالامن انا ام
انتم احترازا من تزكيته نفسه ثم عدل عنه الى قوله فاي الفريقين يعني فريقي المشركين والموحدين ثم استانف الجواب عن
السؤال بقوله الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ● اي لم يخلطوا ايمانهم بمعصية
تفسقهم وابى تفسير الظلم بالكفر لفظ اللبس وتلك حجتنا اشارة الى جميع ما احتج به ابرهيم على قومه من قوله فلما جن عليه الليل
الى قوله وهم مهتدون ومعنى آتيناها ابرهيم ارشدناه اليها ووفقناه لها على قومه نرفع درجات من نشاء يعني في العلم
والحكمة وقرئ بالتنوين إن ربك حكيم عليم ● ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل
ومن ذريته الضمير لنوح او لابرهيم داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين ●
وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين ● وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على
العالمين ● وداود عطف على نوحا اي وهدينا داود ومن آبائهم في موضع النصب عطفا على كلا بمعنى وفضلنا بعض آبائهم
وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم ● ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده
ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ● مع فضلهم وتقدمهم وما رفع لهم من الدرجات لكانوا كغيرهم في
حبوط اعمالهم كما قال لئن اشركت ليحبطن عملك أولئك الذين آتيناهم الكتاب يريد الجنس والحكم والنبوة فإن
يكفر بها هؤلاء ● بالكتاب والحكم والنبوة او بالنبوة هؤلاء يعني اهل مكة فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين
هم الانبياء المذكورون ومن تابعهم بدليل قوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وبدليل وصل قوله فان يكفر بها
هؤلاء بما قبله وقيل هم اصحاب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وكل من آمن به وقيل كل مؤمن من بني آدم وقيل الملائكة وادعى الانصار انها
لهم وعن مجاهد هم الفرس ومعنى توكيلهم بها انهم وفقوا للايمان بها والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل بالشيء ليقوم به
ويتعهده ويحافظ عليه والباء في بها صلة كافرين وفي بكافرين تأكيد للنفي فبهداهم اقتده فاختص هداهم بالاقتداء ولا تقتد الا بهم
وهذا معنى تقديم المفعول والمراد بهداهم طريقتهم في الايمان بالله وتوحيده واصول الدين دون الشرائع فانها مختلفة
وهي هدى ما لم تنسخ فاذا نسخت لم تبق هدى بخلاف اصول الدين فانها هدى ابدا والهاء في اقتده للوقف تسقط في الدرج
واستحسن ايثار الوقف لثبات الهاء في المصحف قل لا أسألكم عليه أجرا إن هو إلا ذكرى للعالمين وما قدروا الله حق
قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس
تبدونها وتخفون كثيرا وما عرفوه حق معرفته في الرحمة على عباده واللطف بهم حين انكروا بعثة الرسل والوحي
اليهم وذلك من اعظم رحمته واجل نعمته وما ارسلناك الا رحمة للعالمين او ما عرفوه حق معرفته في سخطه على الكافر
وشدة بطشه بهم ولم يخافوه حين جسروا على تلك المقالة العظيمة من انكار النبوة والقائلون هم اليهود بدليل قراءة من
قرأ تجعلونه بالتاء وكذلك تبدونها وتخفون وانما قالوا ذلك مبالغة في انكار انزال القرآن على رسول الله فالزموا ما لا
بد لهم من الاقرار به من انزال التوراة على موسى وادرج تحت الالزام توبيخهم وان نعى عليهم سوء حملهم لكتابهم وتحريفهم
وابداء بعض واخفاء بعض فقيل جاء به موسى وهو نور وهدى للناس حتى غيروه ونقصوه وجعلوه قراطيس مقطعة وورقات

معترفة ليشمهم كونوا مما ازاموا من الاية او الاخفاء وروي ان مالك بن الصيف من احبار اليهود ورؤسائهم قال له رسول الله صلى الله
عليه وعلى آله وسلم انشدك بالذي انزل التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين قد سمنت من
مالك الذي تطعمك اليهود فضحك القوم فغضب ثم التفت الى عمر فقال ما انزل الله على بشر من شيء فقال له قومه ويلك
ما هذا الذي بلغنا عنك قال انه اغضبني فنزعوه وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف وقيل القائلون قريش وقد الزموا انزال
التوراة لانهم كانوا يسمعون من اليهود بالمدينة ذكر موسى والتوراة وكانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم
وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم الخطاب لليهود اي علمتم على لسان محمد صلى الله عليه مما اوحي اليه ما لم تعلموا انتم وانتم حملة
التوراة ولم يعلمه آباؤكم الاقدمون الذين كانوا اعلم منكم ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل
الخطاب لمن آمن من قريش كقوله لتنذر قوما ما انذر آباؤهم قل الله اي انزله الله فانهم لا يقدرون ان يناكروك ثم ذرهم
في خوضهم يلعبون في باطلهم الذي يخوضون فيه ولا عليك بعد الزام الحجة ويقال لمن كان في عمل لا يجدي عليه انما انت لاعب
ويلعبون حال من ذرهم او من خوضهم ويجوز ان يكون في خوضهم حالا من يلعبون وان يكون صلة لهم او لذرهم وهذا كتاب انزلناه
مبارك كثير المنافع والفوائد مصدق الذي بين يديه ولتنذر ام القرى ومن حولها ولتنذر معطوف على ما دل عليه صفة الكتاب
كانه قيل انزلناه للبركات وتصديق ما تقدمه من الكتب والانذار وقرئ لينذر بالتاء والياء وسميت مكة ام القرى لانها مكان
اول بيت وضع للناس ولانها قبلة اهل القرى كلها ومحجهم ولانها اعظم القرى شانا ولبعض المجاورين
من يلق في بعض القريات رحله فام القرى ملقى رحالي ومنتاي والذين يؤمنون بالآخرة يصدقون بالعاقبة وكانوا
يؤمنون به بهذا الكتاب وذلك ان اصل الدين خوف العاقبة فمن خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن وهم على صلاتهم يحافظون
وخص الصلاة لانها عماد الدين ومن حافظ عليها كانت لطفا له في المحافظة على اخواتها ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا فزعم
ان الله بعثه نبيا او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء وهو مسيلمة الحنفي الكذاب او كذاب صنعاء الاسود العنسي وعن النبي صلى الله
عليه وعلى آله وسلم رأيت فيما يرى النائم كان في يدي سوارين من ذهب فكبرا علي واهماني فاوحى الله الي ان انفخهما فنفختهما فطارا
فاولتهما الكذابين اللذين انا بينهما كذاب اليمامة مسيلمة وكذاب صنعاء الاسود العنسي ومن قال سانزل مثل ما انزل الله
هو عبد الله بن سعد بن ابي سرح القرشي كاتب لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فكان اذا املى عليه سميعا عليما كتب هو عليما
حكيما واذا قال عليما حكيما كتب غفورا رحيما فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى آخر الآية عجب عبد الله من تفصيل
خلق الانسان فقال تبارك الله احسن الخالقين فقال عليه السلام اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد
صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال فارتد عن الاسلام ولحق بمكة ثم رجع مسلما قبل فتح مكة وقيل
هو النضر بن الحارث والمستهزئون ولو ترى جوابه محذوف اي لرأيت امرا عظيما اذ الظالمون يريد الذين ذكرهم من اليهود والمتنبئة
فتكون اللام للعهد ويجوز ان تكون للجنس فيدخل فيه هؤلاء لاشتماله في غمرات الموت شدائده وسكراته واصل الغمرة
ما يغمر من الماء فاستعيرت للشدة الغالبة والملائكة باسطوا ايديهم اي يبسطون اليهم ايديهم يقولون اخرجوا انفسكم هاتوا
ارواحكم اخرجوها الينا من اجسادكم وهذه عبارة عن العنف في السياق والالحاح والتشديد في الازهاق من غير تنفيس وامهال وانهم
يفعلون بهم فعل الغريم الملازم يبسط يده الى من عليه الحق ويعنف عليه في المطالبة ولا يمهله ويقول اخرج الي مالي عليك الساعة ولا
اريم مكاني حتى انزعه من احداقك وقيل معناه باسطوا ايديهم عليهم بالعذاب اخرجوا انفسكم خلصوها من ايدينا اي لا تقدرون
على الخلاص اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق يجوز ان يريدوا وقت الاماتة وما يعذبون به من شدة
النزع وان يريدوا الوقت الممتد المتطاول الذي يلحقهم فيه العذاب في البرزخ والقيامة والهون الهوان الشديد واضافة العذاب
اليه كقولك رجل سوء يريد العراقة في الهوان والتمكن فيه وكنتم عن آياته تستكبرون فلا تؤمنون بها ولقد جئتمونا فرادى
منفردين عن اموالكم واولادكم وما حرصتم عليه وآثرتموه من دنياكم وعن اوثانكم التي زعمتم انها شفعاؤكم وشركاء الله كما
خلقناكم اول مرة على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة
وراء ظهوركم لم ينفعكم ولم تحتملوا منه نقيرا ولا قدمتموه لانفسكم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم
شركاء في استعبادكم لانهم حين دعوهم آلهة وعبدوها فقد جعلوها لله شركاء فيهم وفي استعبادهم وقرئ فرادى بالتنوين وفراد
مثل ثلاث وفردى كسكرى فان قلت كما خلقناكم في اي محل هو قلت في محل النصب صفة لمصدر جئتمونا اي مجيئا مثل ما خلقناكم
لقد تقطع بينكم وقع التقطع بينكم كما تقول جمع بين الشيئين تريد اوقع الجمع بينهما على اسناد الفعل الى مصدره بهذا التأويل
ومن رفع فقد اسند الفعل الى الظرف كما تقول قوتل خلفكم وامامكم وفي قراءة عبد الله لقد تقطع ما بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون
ان الله فالق الحب والنوى بالنبات والشجر وعن مجاهد اراد الشقين اللذين في النواة والحنطة يخرج الحي من الميت اي الحيوان
والنامي من النطف والبيض والحب والنوى ومخرج الميت هذه الاشياء الميتة من الحي من الحيوان والنامي فان قلت
كيف قال ومخرج الميت من الحي بلفظ اسم الفاعل بعد قوله يخرج الحي من الميت قلت عطفه على فالق الحب والنوى لا على الفعل ويخرج الحي

من الميت وقع موقعه موقع الجملة المبينة لقوله فالق الحب والنوى لان فالق الحب والنوى بالنبات والشجر النامين
من جنس اخراج الحي من الميت لان النامي في حكم الحيوان الا ترى الى قوله يحيي الارض بعد موتها ذلكم الله
ذلكم المحيي المميت هو الله الذي يحق له الربوبية فانى تؤفكون فكيف تصرفون عنه وعن توليه الى غيره فالق
الاصباح وجاعل الليل سكنا الاصباح مصدر سمي به الصبح وقرأ الحسن بفتح الهمزة جمع صبح وانشد قوله
افنى رباحا وبني رباح تناسخ الامساء والاصباح بالكسر والفتح مصدرين وجمع مسي وصبح فان قلت فما معنى
فالق الصبح والظلمة هي التي تنفلق كما قال تفرى ليل عن بياض نهار قلت فيه وجهان احدهما ان يراد فالق ظلمة الاصباح
وهي الغبش في آخر الليل ومنقضاه الذي يلي الصبح والثاني ان يراد فالق الاصباح الذي هو عمود الفجر عن بياض النهار واسفاره
وقالوا انشق عمود الفجر وانصدع الفجر وسموا الفجر فلقا بمعنى مفلوق قال الطائي وازرق الفجر يبدو قبل ابيضه
واول الغيث قطر ثم ينسكب وقرئ فالق الاصباح وجاعل الليل بالنصب على المدح وقرأ النخعي فلق الاصباح وجعل الليل
السكن ما سكن اليه الرجل ويطمئن استئناسا به واسترواحا اليه من زوج او حبيب ومنه قيل للنار سكن لانه يستأنس بها
الا تراهم سموها المؤنسة والليل يطمئن اليه المتعب بالنهار لاستراحته فيه وجمامه ويجوز ان يراد وجعل الليل مسكونا فيه من
قوله لتسكنوا فيه والشمس والقمر قرئ بالحركات الثلاث فالنصب على اضمار فعل دل عليه جاعل الليل اي وجعل الشمس والقمر
حسبانا او يعطفان على محل الليل فان قلت كيف يكون لليل محل والاضافة حقيقية لان اسم الفاعل المضاف اليه في معنى
المضي ولا تقول زيد ضارب عمرا امس قلت ما هو في معنى المضي وانما هو دال على جعل مستمر في الازمنة المختلفة وكذلك فالق
الحب وفالق الاصباح كما تقول الله قادر عالم ولا تقصد زمانا دون زمان والجر عطف على لفظ الليل والرفع على الابتداء والخبر محذوف
تقديره والشمس والقمر مجعولان حسبانا او محسوبان حسبانا ومعنى جعل الشمس والقمر حسبانا جعلهما على حسبان لان حساب
الاوقات يعلم بدورهما وسيرهما والحسبان بالضم مصدر حسب كما ان الحساب بالكسر مصدر حسب ونظيره الكفران
والشكران ذلك اشارة الى جعلهما حسبانا اي ذلك التسيير بالحساب المعلوم تقدير العزيز الذي قهرهما وسخرهما العليم بتدبيرهما وتدويرهما
وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر في ظلمات الليل بالبر والبحر واضافها اليهما لملابستها لهما او شبه
مشتبهات الطرق بالظلمات قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون وهو الذي انشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع
من فتح قاف المستقر كان المستودع اسم مكان مثله او مصدرا ومن كسرها كان اسم فاعل والمستودع اسم مفعول والمعنى فلكم
مستقر في الرحم ومستودع في الصلب او مستقر فوق الارض ومستودع تحتها او فمنكم مستقر ومنكم مستودع قد فصلنا
الآيات لقوم يفقهون فان قلت لم قيل يعلمون مع ذكر النجوم ويفقهون مع ذكر انشاء بني آدم قلت كان انشاء الانس
من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال مختلفة الطف وادق صنعة وتدبيرا فكان ذكر الفقه الذي هو استعمال فطنة وتدقيق
نظر مطابقا له وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به بالماء نبات كل شيء نبت كل صنف من اصناف النامي يعني ان السبب واحد وهو
الماء والمسببات صنوف مفتنة كما قال تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل فاخرجنا منه من النبات خضرا شيئا غضا اخضر
يقال اخضر وخضر كاعور وعور وهو ما تشعب من اصل النبات الخارج من الحبة نخرج منه من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل
ومن النخل من طلعها قنوان وقنوان بفتح القاف اومن النخل خبره ومن طلعها بدل منه كانه قيل وحاصلة من طلع النخل قنوان ويجوز
ان يكون الخبر محذوفا لدلالة اخرجنا عليه تقديره ومخرجة من طلع النخل قنوان ومن قرأ يخرج منه حب متراكب كان قنوان عنده
معطوفا على حب والقنوان جمع قنو ونظيره صنو وصنوان وقرئ بضم القاف وبفتحها على انه اسم جمع كركب لان فعلان ليس من
زنات التكسير دانية سهلة المجتنى معرضة للقاطف كالشيء الداني القريب المتناول ولان النخلة وان كانت صغيرة ينالها القاعد
فانها تاتي بالثمر لا تنتظر الطول وقال الحسن دانية قريب بعضها من بعض وقيل ذكر القريبة وترك ذكر البعيدة لان النعمة فيها اظهر
او دل بذكر القريبة على ذكر البعيدة كقوله سرابيل تقيكم الحر وقوله وجنات من اعناب فيه وجهان احدهما ان يراد وثم جنات
من اعناب اي مع النخل والثاني ان يعطف على قنوان على معنى وحاصلة او ومخرجة من النخل قنوان وجنات من اعناب اي من نبات اعناب وقرئ
وجنات بالنصب عطفا على نبات كل شيء اي واخرجنا به جنات من اعناب وكذلك قوله والزيتون والرمان والاحسن ان ينتصبا على الا
ختصاص كقوله والمقيمين الصلاة لفضل هذين الصنفين مشتبها وغير متشابه يقال اشتبه الشيئان وتشابها كقولك استويا
وتساويا والافتعال والتفاعل يشتركان كثيرا وقرئ متشابها وغير متشابه وتقديره والزيتون متشابها وغير متشابه والرمان
كذلك كقوله كنت منه ووالدي بريا ومن اجل الطوي رماني والمعنى بعضه متشابها وبعضه غير
متشابه في القدر واللون والطعم وذلك دليل على التعمد دون الاهمال انظروا الى ثمره اذا اثمر اذا اخرج ثمره كيف يخرجه ضئيلا
ضعيفا لا يكاد ينتفع به وانظروا الى حال ينعه ونضجه كيف يعود شيئا جامعا لمنافع وملاذ نظر اعتبار واستبصار واستدلال
على قدرة مقدره ومدبره وناقله من حال الى حال وقرئ وينعه بالضم يقال ينعت الثمرة ينعا وينعا وقرأ ابن محيصن ويانعه وقرئ ثمره
بضم الثاء ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون وجعلوا لله شركاء الجن ان جعلت لله شركاء مفعولي جعلوا نصبت الجن بدلا من شركاء وان جعلت

لله لعوا كان شركا الجن مفعولين قدم ثانيهما على الاول فان قلت فما فائدة التقديم قلت فائدته استعظام ان يتخذ لله شريك من كان ملكا او جنيا او انسيا او غير ذلك ولذلك قدم اسم الله على الشركا وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة التي للتبيين والمعنى اشركوهم في عبادته لانهم اطاعوهم كما يطاع الله وقيل هم الذين زعموا ان الله خالق الخير وكل نافع والابليس خالق الشر وكل ضار وخلقهم وخلق الجاعلين لله شركا ومعناه وعلموا ان الله خالقهم دون الجن ولم يمنعهم علمهم ان يتخذوا من لا يخلق شريكا للخالق وقيل الضمير للجن وقرئ وخلقهم اي اختلاقهم للافك يعني وجعلوا لله خلقهم حيث نسبوا قبائحهم الى الله في قولهم والله امرنا بها وخرقوا له وخلقوا له اي افتعلوا له بنين وبنات وهو قول اهل الكتابين في المسيح وعزير وقول قريش في الملائكة يقال خلق الافك وخرقه واختلقه بمعنى وسئل الحسن عنه فقال كلمة عربية كانت العرب تقولها كان الرجل اذا كذب كذبة في نادي القوم يقول له بعضهم قد خرقها والله ويجوز ان يكون من خرق الثوب اذا شقه اي اشتقوا له بنين وبنات وقرئ وخرّقوا بالتشديد للتكثير لقوله بنين وبنات وقرأ ابن عمر وابن عباس وحرّفوا له بمعنى وزوّروا له اولادا لان المزوّر محرّف ومغيّر للحق الى الباطل بغير علم من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوه من خطا او صواب ولكن رميا بقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية سبحانه وتعالى عما يصفون بديع السموات والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم بديع السموات والارض من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها كقولك فلان بديع الشعر اي بديع شعره او هو بديع في السموات والارض كقولك فلان ثبت الغدر اي ثابت فيه والمعنى انه عديم المثل والنظير فيها وقيل البديع بمعنى المبدع وارتفاعه على انه خبر مبتدا محذوف او على الابتداء وخبره انى يكون له ولد او فاعل تعالى وقرئ بالجر ردا على قوله وجعلوا لله او على سبحانه وبالنصب على المدح وفيه ابطال الولد من ثلاثة اوجه احدها ان مبتدع السموات والارض وهي اجسام عظيمة لا يستقيم ان يوصف بالولادة لان الولادة من صفات الاجسام ومخترع الاجسام لا يكون جسما حتى يكون والدا والثاني ان الولادة لا تكون الا بين زوجين من جنس واحد وهو متعال عن مجانس فلم يصح ان تكون له صاحبة فلم تصح الولادة والثالث انه ما من شيء الا وهو خالقه والعالم به ومن كان بهذه الصفة كان غنيا عن كل شيء والولد انما يطلبه المحتاج وقرئ ولم يكن له صاحبة بالياء وانما جاز للفصل كقوله لقد ولد الاخيطل ام سوء ذلكم اشارة الى الموصوف بما تقدم من الصفات وهو مبتدا وما بعده اخبار مترادفة وهي الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء اي ذلكم الجامع لهذه الصفات فاعبدوه مسبب عن مضمون الجملة على معنى ان من استجمعت له هذه الصفات كان هو الحقيق بالعبادة فاعبدوه ولا تعبدوا من دونه من بعض خلقه ثم قال وهو على كل شيء وكيل يعني وهو مع تلك الصفات مالك لكل شيء من الآجال والارزاق رقيب على الاعمال لا تدركه الابصار البصر هو الجوهر اللطيف الذي ركبه الله في حاسة النظر به تدرك المبصرات فالمعنى ان الابصار لا تتعلق به ولا تدركه لانه متعال ان يكون مبصرا في ذاته لان الابصار انما تتعلق بما كان في جهة اصلا او تابعا كالاجسام والهيات وهو يدرك الابصار وهو للطف ادراكه للمدركات يدرك تلك الجواهر اللطيفة التي لا يدركها مدرك وهو اللطيف يلطف عن ان تدركه الابصار الخبير بكل لطيف فهو يدرك الابصار لا تلطف عن ادراكه وهذا من باب اللطف قد جاءكم بصائر من ربكم هو وارد على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله وما انا عليكم بحفيظ والبصيرة نور القلب الذي به يستبصر كما ان البصر نور العين الذي به تبصر اي جاءكم من الوحي والتنبيه على ما يجوز على الله وما لا يجوز ما هو للقلوب كالبصائر فمن ابصر الحق وآمن فلنفسه ابصر واياها نفع ومن عمي عنه فعليها فعلى نفسه عمي واياها ضر بالعمى وما انا عليكم بحفيظ احفظ اعمالكم واجازيكم عليها انما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون وليقولوا جوابه محذوف تقديره وليقولوا درست نصرفها ومعنى درست قرأت وتعلمت وقرئ دارست اي دارست العلماء ودرست بمعنى قدمت هذه الآيات وعفت كما قالوا اساطير الاولين ودرست بضم الراء مبالغة في درست اي اشتد دروسها ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرأت او عفيت ودارست وفسروها بدارست اليهود محمدا وجاز الاضمار لان الشهرة بالدراسة كانت لليهود عندهم ويجوز ان يكون الفعل للآيات وهو لاهلها اي دارس اهل الآيات وحملتها محمدا وهم اهل الكتاب ودرس اي درس محمد ودارسات على هي دارسات اي قديمات او ذات درس كعيشة راضية فان قلت اي فرق بين اللامين في ليقولوا ولنبينه قلت الفرق بينهما ان الاولى مجاز والثانية حقيقة وذلك ان الآيات صرفت للتبيين ولم تصرف ليقولوا دارست ولكن لانه حصل هذا القول بتصريف الآيات كما حصل للتبيين شبه به فسيق مساقه وقيل ليقولوا كما قيل لنبينه فان قلت الام يرجع الضمير في قوله ولنبينه قلت الى الآيات لانها في معنى القرآن كانه قيل وكذلك نصرف القرآن او الى القرآن وان لم يجر له ذكر لكونه معلوما او الى التبيين الذي هو مصدر الفعل كقولهم ضربته زيدا ويجوز ان يراد فيمن قرأ درست ودارست درست الكتاب ودارسته فيرجع الى الكتاب المقدر اتبع ما اوحي اليك من ربك لا اله الا هو واعرض عن المشركين لا اله الا هو اعتراض اكد به ايجاب اتباع الوحي لا محل له من الاعراب ويجوز ان يكون حالا من ربك وهي حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا ولو شاء الله ما اشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما انت عليهم بوكيل ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله وذلك انهم قالوا عند نزول قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم

الالهتهم

لتنتهين

ليسبهن عن شتم الهتنا او لنهجون الهك وقيل كان المسلمون يسبون آلهتهم فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله فان قلت سب الآلهة حق وطاعة فكيف صح النهي عنه وانما يصح النهي عن المعاصي قلت رب طاعة علم انها تكون مفسدة فتخرج عن ان تكون طاعة فيجب النهي عنها لانها معصية لا لانها طاعة كالنهي عن المنكر هو من اجل الطاعات فاذا علم انه يؤدي الى زيادة الشر انقلب معصية ووجب النهي عن ذلك النهي كما يجب النهي عن المنكر فان قلت فقد روي عن الحسن وابن سيرين انهما حضرا جنازة فرأى محمد نساء فرجع فقال الحسن لو تركنا الطاعة لاجل المعصية لاسرع ذلك في ديننا قلت ليس هذا مما نحن بصدده لان حضور الرجال الجنازة طاعة وليس بسبب لحضور النساء فانهن يحضرنها حضر الرجال او لم يحضروا بخلاف سب الآلهة وانما خيل الى محمد رحمه الله انه مثله حتى نبه عليه الحسن عدوا بغير علم ظلما وعدوانا وقرئ عدوا وعن ابن كثير رضي الله عنه عدوا وانتصاب عدوا على الحال بمعنى اعتداء بغير علم على جهالة بالله وبما يجب ان يذكر به كذلك زينا لكل امة عملهم مثل ذلك التزيين زينا لكل امة من امم الكفار سوء عملهم اي خليناهم وشانهم ولم نكفهم حتى حسن عندهم سوء عملهم او امهلنا الشيطان حتى زين لهم او زيناه في زعمهم وقولهم ان الله امرنا بهذا وزينه لنا ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون فيوبخهم عليه ويعاقبهم واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وهو قادر عليها ولكنه لا ينزلها الا على موجب الحكمة او انما الآيات عند الله لا عندي فكيف اجيبكم اليها وآتيكم بها وما يشعركم انها اي الآيات التي تقترحونها اذا جاءت لا يؤمنون يعني انا اعلم انها اذا جاءت لا يؤمنون بها وانتم لا تدرون بذلك وذلك ان المؤمنين كانوا يطمعون في ايمانهم اذا جاءت تلك الآية ويتمنون مجيئها فقال عز وجل وما يدريكم انهم لا يؤمنون على معنى انكم لا تدرون ما سبق علمي به من انهم لا يؤمنون الا ترى الى قوله كما لم يؤمنوا به اول مرة وقيل انها بمعنى لعلها من قول العرب ائت السوق انك تشتري لحما وقال امرؤ القيس عوجوا على الطلل المحيل لاننا نبكي الديار كما بكى ابن خذام ويقويها قراءة ابي لعلها اذا جاءتهم لا يؤمنون وقرئ انها بالكسر على ان الكلام قد تم قبله بمعنى وما يشعركم ما يكون منهم ثم اخبرهم بعلمه فيهم فقال انها اذا جاءت لا يؤمنون البتة ومنهم من جعل لا مزيدة في قراءة الفتح وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءتهم لا يؤمنون اي يحلفون بانهم يؤمنون عند مجيئها وما يشعرهم ان تكون قلوبهم حينئذ كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الآيات مطبوعا عليها فلا يؤمنوا بها ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ونقلب ونذر عطف على لا يؤمنون داخل في حكم وما يشعركم بمعنى وما يشعركم انهم لا يؤمنون وما يشعركم انا نقلب افئدتهم وابصارهم اي نطبع على قلوبهم وابصارهم فلا يفقهون ولا يبصرون الحق كما كانوا عند نزول آياتنا اولا لا يؤمنون بها لكونهم مطبوعا على قلوبهم وما يشعركم انا نذرهم في طغيانهم يعمهون اي نخليهم وشانهم لا نكفهم عن الطغيان حتى يعمهوا فيه وقرئ ويقلب ويذرهم بالياء اي الله عز وجل وقرأ الاعمش وتقلب افئدتهم وابصارهم على البناء للمفعول

ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة كما قالوا لولا انزل علينا الملائكة وكلمهم الموتى كما قالوا فاتوا بآبائنا وحشرنا عليهم كل شيء قبلا كما قالوا او تأتي بالله والملائكة قبيلا قبلا كفلاء بصحة ما بشرنا به وانذرنا او جماعات وقيل قبلا مقابلة وقرئ قبلا اي عيانا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله مشيئة اكراه واضطرار ولكن اكثرهم يجهلون فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يشعرون من حال قلوبهم عند نزول الآيات او ولكن اكثر المسلمين يجهلون ان هؤلاء لا يؤمنون الا ان يضطرهم فيطمعون في ايمانهم اذا جاءت الآية المقترحة وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن وكما خلينا بينك وبين اعدائك كذلك فعلنا بمن قبلك من الانبياء واعدائهم لم نمنعهم من العداوة لما فيه من الامتحان الذي هو سبب ظهور الثبات والصبر وكثرة الثواب والاجر وانتصب شياطين على البدل من عدوا او على انهما مفعولان كقوله وجعلوا لله شركاء الجن يوحي بعضهم الى بعض يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس وكذلك بعض الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض وعن مالك بن دينار ان شيطان الانس اشد علي من شيطان الجن لاني اذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن عني وشيطان الانس يجيئني فيجرني الى المعاصي عيانا زخرف القول ما زينه من القول والوسوسة والاغراء على المعاصي ويموهه غرورا خدعا واخذا على غرة ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ما فعلوا ذلك اي ما عادوك او ما اوحى بعضهم الى بعض زخرف القول بان يكفهم ولا يخليهم وشانهم ولتصغى جوابه محذوف تقديره وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا على ان اللام لام الصيرورة وتحقيقها ما ذكر والضمير في اليه يرجع الى ما رجع اليه الضمير في فعلوه اي ولتميل الى ما ذكر من عداوة الانبياء ووسوسة الشياطين افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه لانفسهم وليقترفوا ما هم مقترفون من الآثام افغير الله ابتغي حكما على ارادة القول اي قل يا محمد افغير الله اطلب حاكما يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وهو الذي انزل اليكم الكتاب المعجز مفصلا مبينا فيه الفصل بين الحق والباطل والشهادة لي بالصدق وعليكم بالافتراء ثم عضد الدلالة على ان القرآن حق والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق ثم عضد الدلالة على ان القرآن حق بعلم اهل الكتاب انه حق لتصديقه ما عندهم وموافقته له فلا تكونن من الممترين من باب التهييج والالهاب كقوله ولا تكونن من المشركين او فلا تكونن

يكونن من الممترين فان اهل الكتاب يعلمون انه منزل بالحق ولا يريبك جحود اكثرهم وكفرهم به ويجوز ان يكون فلا تكونن خطابا لكل
احد على معنى انه اذا تعاضدت الادلة على صحته وصدقه فما ينبغي ان يمتري فيه احد وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم خطاب
لامته وتمت كلمت ربك صدقا وعدلا اي تم كلما اخبر به وامر ونهى ووعد واوعد صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع
العليم لا احد يبدل شيئا من ذلك مما هو اصدق واعدل وصدقا وعدلا نصب على الحال وقرئ كلمة ربك اي ما تكلم به وقيل هي القران
وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله وان يطع اكثر الناس يضلوك لان الاكثر في الغالب يتبعون اهواءهم
ثم قال ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان اباءهم كانوا على الحق فهم مقلدون وان هم الا يخرصون يقدرون انهم على شيء او يكذبون
فان الله حرم كذا واحل كذا ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين وقرئ من يضل بضم اليا اي يضله الله
فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم باياته مؤمنين فكلوا مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحلون الحرام ويحرمون الحلال وذلك
انهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تزعمون انكم تعبدون الله فما قتل الله احق ان تاكلوا مما قتلتم انتم فقيل للمسلمين ان كنتم متحققين
بالايمان فكلوا مما ذكر اسم الله عليه خاصة دون ما ذكر عليه اسم غيره من الهتهم او مات حتف انفه وما ذكر اسم الله عليه هو المذكى
بسم الله وما لكم الا تاكلوا واي غرض لكم في ان لا تاكلوا وقد فصل لكم وقد بين لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم وهو قوله
حرمت عليكم الميتة وقرئ فصل لكم ما حرم عليكم على تسمية الفاعل وهو الله عز وجل الا ما اضطررتم اليه مما حرم عليكم فانه
حلال لكم في حال الضرورة وان كثيرا ليضلون وقرئ بفتح اليا وضمها اي يضلون فيحرمون ويحللون باهوائهم بشهواتهم بغير علم
من غير تعلق بشريعة ان ربك هو اعلم بالمعتدين وذروا ظاهر الاثم وباطنه ما اعلنتم منه وما اسررتم وقيل ما عملتم وما
نويتم وقيل ظاهره الزنا في الحوانيت وباطنه الصديقة في السر ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون ولا
تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق الضمير راجع الى مصدر الفعل الذي دخل عليه حرف النهي يعني وان الاكل منه لفسق
او الى الموصول على ان اكله لفسق او جعل ما لم يذكر اسم الله عليه في نفسه فسقا **فان قلت** فقد ذهب جماعة من المجتهدين الى
جواز اكل ما لم يذكر اسم الله عليه بنسيان او عمد **قلت** فقد تاوله هولا بالميتة وبما ذكر غير اسم الله عليه كقوله او فسقا اهل لغير الله
به وان الشياطين ليوحون ليوسوسون الى اوليائهم من المشركين ليجادلوكم بقولهم ولا تاكلون مما قتله الله وبهذا ترجح تاويل من
تاوله بالميتة وان اطعتموهم انكم لمشركون لان من اتبع غير الله في دينه فقد اشرك به ومن حق ذي البصيرة في دينه ان لا ياكل
مما لم يذكر اسم الله عليه كيف ما كان لما يرى في الاية من التشديد العظيم وان كان ابو حنيفة رضي الله عنه مرخصا في النسيان دون
العمد ومالك والشافعي فيهما او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها
مثل الذي هداه الله بعد الضلالة ومنحه التوفيق لليقين وجعل له نورا يمشي به في الناس مستضيئا به فيميز بعضهم من بعض ويفصل
بين حلالهم من بقي على الضلالة بالخابط في الظلمات لا ينفك منها ولا يتخلص ومعنى قوله كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كمن
صفته هذه وهي قوله في الظلمات ليس بخارج منها بمعنى هو في الظلمات ليس بخارج منها كقوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار
اي صفتها هذه وهي قوله فيها انهار كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون اي زينه الشيطان او زينه الله عز وجل على قوله
زينا لهم اعمالهم ويدل عليه قوله وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها يعني وكما جعلنا في مكة صناديدها
ليمكروا فيها كذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها لذلك ومعناه خليناهم ليمكروا وما كففناهم عن المكر وخص الاكابر
لانهم هم الحاملون على الضلال والماكرون بالناس كقوله امرنا مترفيها وقرئ اكبر مجرميها على قولك هم اكبر قومهم واكابر قومهم
وما يمكرون الا بانفسهم لان مكرهم يحيق بهم وهذه تسلية لرسول الله وتقدم موعد بالنصرة عليهم وما يشعرون واذا جاءتهم
اية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله روي ان الوليد بن المغيرة قال لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها منك لاني
اكبر منك سنا واكثر منك مالا وروي ان ابا جهل قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا
نبي يوحى اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه ابدا الا ان ياتينا وحي كما ياتيه فنزلت ونحوها قوله بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا
منشرة الله اعلم حيث يجعل رسالاته كلام مستانف للانكار عليهم وان الله لا يصطفي للنبوة الا من علم انه يصلح لها وهو اعلم بالمكان
الذي يضعها فيه منهم سيصيب الذين اجرموا من كبارها صغار وقماءة بعد كبرهم وعظمهم عند الله وعذاب شديد في الدارين
من الاسر والقتل وعذاب النار بما كانوا يمكرون فمن يرد الله ان يهديه ان يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان يشرح صدره
للاسلام بلطفه حتى يرغب في الاسلام وتسكن اليه نفسه ويحب الدخول فيه ومن يرد ان يضله ان يخذله ويخليه وشانه وهو الذي لا لطف
له يجعل صدره ضيقا حرجا بمنعه الطافه حتى يقسو قلبه وينبو عن قبول الحق وينسد فلا يدخله الايمان وقرئ ضيقا بالتخفيف والتشديد
وقرئ حرجا بالكسر وحرجا بالفتح وصفا كانما يصعد في السماء وقرئ يصعد واصله يتصعد وقرا ابو بكر يصاعد وهو يتصاعد
واصله يتصاعد ويصعد من صعد ويصعد من اصعد كذلك يجعل الله الرجس يعني الخذلان ومنع التوفيق وصفه بنقيض ما
يوصف به التوفيق من الطيب او اراد الفعل المؤدي الى الرجس وهو العذاب من الارتجاس وهو الاضطراب على الذين لا يؤمنون وهذا
صراط ربك وهذا طريقه الذي اقتضته الحكمة وعادته في التوفيق والخذلان مستقيما عادلا مطردا او مستقيما على انه حال مؤكدة

كقوله

كقوله وهو الحق مصدقا قد فصلنا الايات لقوم يذكرون لهم دار السلام دار الله يعني الجنة اضافها الى نفسه تعظيما
لها او دار السلامة من كل افة وكدر عند ربهم في ضمانه كما تقول لفلان عندي حق لا ينسى او ذخيرة لا يعلمون كنهها كقوله فلا تعلم
نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وهو وليهم مواليهم ومحبهم او ناصرهم على اعدائهم بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم او متوليهم بجزاء ما كانوا
يعملون ويوم يحشرهم منصوب بمحذوف اي واذكر يوم نحشرهم جميعا او يوم نحشرهم قلنا يا معشر الجن او ويوم نحشرهم وقلنا يا معشر
الجن كان ما لا يوصف لفظاعته والضمير لمن يحشر من الثقلين وغيرهم والجن هم الشياطين قد استكثرتم من الانس اضللتم منهم كثيرا
او جعلتموهم اتباعكم فحشر معكم منهم الجم الغفير كما يقول استكثر الامير من الجنود واستكثر فلان من الاشياع وقال
اولياؤهم من الانس الذين اطاعوهم واستمعوا الى وسوستهم ربنا استمتع بعضنا ببعض اي انتفع الانس بالشياطين حيث دلوهم
على الشهوات وعلى اسباب التوصل اليها وانتفع الجن بالانس حيث اطاعوهم وساعدوهم على مرادهم وشهوتهم في اغوائهم وقيل استمتاع
الانس بالجن ما في قوله وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن وان الرجل كان اذا نزل واديا وخاف قال اعوذ برب هذا الوادي
يعني به كبير الجن واستمتاع الجن بالانس اعتراف الانس لهم بانهم يقدرون على الدفع عنهم واجابتهم لهم وبلغنا اجلنا الذي
اجلت لنا يعنون يوم البعث وهذا الكلام اعتراف بما كان منهم من طاعة الشياطين واتباع الهوى والتكذيب بالبعث واستسلام
لربهم وتحسر على حالهم خالدين فيها الا ما شاء الله اي يخلدون في عذاب النار الابد كله الا ما شاء الله الا الاوقات التي ينقلون
فيها من عذاب النار الى عذاب الزمهرير فقد روي انهم يدخلون واديا فيه من الزمهرير ما يميز بعض اوصالهم من بعض فيتعاوون ويطلبون
الرد الى الجحيم او يكون من قول الموتور الذي ظفر بواتره ولم يزل يحرق عليه انيابه وقد طلب اليه ان ينفس عن خناقه اهلكني الله
ان نفست عنك الا اذا شئت وقد علم انه لا يشاء الا التشفي منه باقصى ما يقدر عليه من التعنيف والتشديد فيكون قوله الا اذا شئت
من اشد الوعيد مع تهكم بالموعد لخروجه في صورة الاستثناء الذي فيه اطماع ان ربك حكيم لا يفعل شيئا الا بموجب الحكمة
عليم باعمال الكفار فيستوجبون عذاب الابد وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا نكلهم حتى نولي بعضهم بعضا كما
نفعل الشياطين وغواة الانس او يجعل بعضهم اولياء بعض يوم القيمة وقرناءهم كما كانوا في الدنيا بما كانوا يكسبون بسبب
ما كسبوا من الكفر والمعاصي يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي وينذرونكم لقاء يومكم
هذا يقال لهم يوم القيمة على جهة التوبيخ الم ياتكم رسل منكم واختلف في الجن هل بعث اليهم رسل منهم فتعلق بعضهم بظاهر
الاية ولم يفرقوا بين مكلفين ومكلفين ان يبعث اليهم رسل من جنسهم لانهم به انس وله الف وقال اخرون الرسل من الانس خاصة
وانما قيل رسل منكم لجمع الثقلين في الخطاب صح ذلك وان كان من احدهما كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وقيل ان رسل
الرسل من الجن اليهم كقوله ولوا الى قومهم منذرين وعن الكلبي كانت الرسل قبل ان يبعث محمد صلى الله عليه وعلى اله وسلم يبعثون
الى الانس ورسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم الى الجن والانس قالوا شهدنا على انفسنا حكاية لتصديقهم واجابتهم قوله الم ياتكم
لان الهمزة الداخلة على نفي اتيان الرسل للانكار فكان تقريرا لهم وقولهم شهدنا على انفسنا اقرار منهم بان حجة الله لازمة لهم وانهم محجوجون
بها **فان قلت** ما لهم مقرين في هذه الاية جاحدين في قوله والله ربنا ما كنا مشركين **قلت** يتفاوت الاحوال والمواطن في ذلك
اليوم المتطاول فيقرون في بعضها ويجحدون في بعضها او اريد شهادة ايديهم وارجلهم حين يختم على افواههم وغرتهم الحيوة
الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين **فان قلت** لم كرر ذكر شهادتهم على انفسهم **قلت** الاولى حكاية
لقولهم كيف يقولون ويعترفون والثانية ذم لهم وتخطئة لرايهم ووصف لقلة نظرهم لانفسهم وانهم قوم غرتهم الحيوة
الدنيا واللذات الحاضرة وكان عاقبة امرهم ان اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام واستيجاب عذابه وانما
قال ذلك تحذيرا للسامعين من مثل حالهم ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون ذلك اشارة الى ما
تقدم من بعثة الرسل اليهم وانذارهم سوء العاقبة وهو خبر مبتدا محذوف اي الامر ذلك وان لم يكن ربك مهلك القرى تعليل
اي الامر ما قصصنا عليك لانتفاء كون ربك مهلك القرى على ان هي التي تنصب الافعال ويجوز ان تكون مخففة من الثقيلة على
معنى لان الشان والحديث لم يكن ربك مهلك القرى بظلم ولك ان تجعله بدلا من ذلك كقوله وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلا
مقطوع بظلم بسبب ظلم اقدموا عليه او ظالما على انه لو اهلكهم وهم غافلون لم ينبهوا برسول وكتاب لكان ظلما وهو متعال عن
الظلم ولكل من المكلفين درجات منازل مما عملوا من جزاء اعمالهم وما ربك بغافل عما يعملون بساه عنه يخفى عنه مقاديره
واحواله وما يستحق عليه من الاجر وربك الغني عن عباده وعن عبادتهم ذو الرحمة يترحم عليهم بالتكليف لتعريضهم للمنافع الابد
ان يشا يذهبكم ايها العصاة ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الخلق المطيع كما انشاكم من ذرية قوم اخرين من اولاد قوم
اخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم اهل سفينة نوح عليه الصلاة والسلام ان ما توعدون لات وما انتم بمعجزين قل يا قوم اعملوا
على مكانتكم المكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة وقوله اعملوا
على مكانتكم يحتمل اعملوا على تمكنكم من امركم واقصى استطاعتكم وامكانكم او اعملوا على جهتكم وحالكم التي انتم عليها يقال للرجل
اذا امر ان يثبت على حاله على مكانتك يا فلان اي اثبت على ما انت عليه لا تنحرف عنه اني عامل على مكانتي التي انا عليها والمعنى اثبتوا على

على كفركم وعداوتكم فاني ثابت على الاسلام وعلى مصابرتكم فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون
فسوف تعلمون ايّنا تكون له العاقبة المحمودة وطريقة هذا الامر طريقة قوله اعملوا ما شئتم وهي التخلية والتسجيل على المامور
بانه لا ياتي منه الا الشر وكانه مامور به وهو واجب عليه حتم ليس له ان يتقصى عنه ويعمل بخلافه فان قلت ما موضع من
الرفع اذا كان معنى اي وعلق عنه فعل العلم او النصب اذا كان بمعنى الذي وعاقبة الدار العاقبة الحسنى التي خلق الله هذه الدار
لها وهذا طريق من الانذار لطيف المسلك فيه انصاف في المقال وادب حسن مع تضمن شدة الوعيد والوثوق بان المنذِر محق وان
المنذَر مبطل كانوا وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا كانوا
يعينون اشياء من حرث ونتاج لله واشياء منهما لالهتهم فاذا راوا ما جعلوه لله زاكيا ناميا يزيد في نفسه خيرا رجعوا فجعلوه
للالهة واذا زكا ما جعلوه للاصنام تركوه لها واعتلوا بان الله غني وانما ذاك لحبهم الهتهم وايثارهم لها وقوله مما ذرأ فيه
ان الله كان اولى بان يجعل له الزاكي لانه هو الذي ذرأه وزكاه ولا يرد الى ما لا يقدر على ذرء ولا تزكية بزعمهم وقرئ بالضم اي قد
زعموا انه لله والله لم يامرهم بذلك ولا شرع لهم تلك القسمة التي هي من الشرك لانهم اشركوا بين الله وبين اصنامهم في القربة
فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله اي لا يصل الى الوجوه التي كانوا يصرفونه اليها من قرى الضيفان والتصدق على المساكين
اي لا يصل الى الوجوه وما كان لله فهو يصل الى شركائهم من انفاق عليها وذبح نسائك عندها والاجراء على سدنتها ونحو ذلك ساء
ما يحكمون في ايثار الهتهم على الله وعملهم على ما لم يشرع لهم وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم ومثل
ذلك التزيين وهو تزيين الشرك في قسمة القربات بين الله والالهة او ومثل ذلك التزيين البليغ الذي علم من الشياطين والمعنى
ان شركاءهم من الشياطين او من سدنة الاصنام زينوا لهم قتل اولادهم بالواد او بنحرهم للالهة وكان الرجل يحلف في الجاهلية لئن
ولد له كذا غلاما لينحرن احدهم كما حلف عبد المطلب وقرئ زين على البناء للفاعل الذي هو شركاؤهم ونصب قتل اولادهم وزين على البناء
للمفعول الذي هو القتل ورفع شركاؤهم باضمار فعل دل عليه زين كانه قيل لما قيل زين لهم قتل اولادهم من زينه فقيل زينه
لهم شركاؤهم واما قراءة ابن عامر قتل اولادهم شركائهم برفع القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء على اضافة القتل الى الشركاء
والفصل بينهما بغير الظرف فشيء لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر لكان سمجا مردودا كما سمج ورد زج القلوص ابي
مزاده فكيف به في الكلام المنثور فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته والذي حمله على ذلك ان رأى في بعض
المصاحف شركائهم مكتوبا بالياء ولو قرأ بجر الاولاد والشركاء لان الاولاد شركاؤهم في اموالهم لوجد في ذلك مندوحة عن هذا
الارتكاب ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ويشبهوه ودينهم ما كانوا عليه من دين
اسماعيل حتى زلوا عنه الى الشرك وقيل دينهم الذي وجب ان يكونوا عليه وقيل معناه وليوقعوهم في دين ملتبس فان قلت
ما معنى اللام قلت ان كان التزيين من الشياطين فهي على حقيقة التعليل وان كان من السدنة فعلى معنى الصيرورة ولو شاء الله مشيئة
قسر ما فعلوه لما فعل المشركون ما زين لهم من القتل او لما فعل الشياطين او السدنة التزيين او الارداء او اللبس او جميع ذلك ان
جعلت الضمير جاريا مجرى اسم الاشارة فذرهم وما يفترون وما يفترونه من الافك او وافتراءهم وقالوا هذه انعام وحرث حجر لا
يطعمها الا من نشاء بزعمهم حجر فعل بمعنى مفعول كالذبح والطحن ويستوي في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع لان حكمه
حكم الاسماء غير الصفات وقرأ الحسن وقتادة حجر بضم الحاء وعن ابن عباس حرج وهو من التضييق وكانوا اذا عينوا اشياء من حرثهم وانعامهم
لالهتهم قالوا لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم الاوثان والرجال دون النساء وانعام حرمت ظهورها هي البحائر والسوائب
والحوامي وانعام لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح وانما يذكرون عليها اسماء الاصنام وقيل لا يحجون عليها ولا يلبون على ظهورها
والمعنى انهم قسموا انعامهم فقالوا هذه انعام حجر وهذه انعام محرمة الظهور وهذه انعام لا يذكرون عليها اسم الله فجعلوها اجناسا
بهواهم ونسبوا ذلك التجنيس الى الله افتراء عليه اي فعلوا ذلك كله على جهة الافتراء وانتصابه على انه مفعول له او حال او مصدر
موكد لان قولهم ذلك في معنى الافتراء كانوا يقولون في اجنة البحائر والسوائب ما ولد منها حيا فهو خالص للذكور لا تاكل منه الاناث وما
ولد ميتا اشترك فيه الذكور والاناث وانث خالصة للحمل على المعنى لان ما في معنى الاجنة وذكّر ومحرم للحمل على اللفظ ونظيره
ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك ويجوز ان تكون التاء للمبالغة مثلها في راوية الشعر وان يكون مصدرا وقع موقع الخالص
كالعافية اي ذو خالصة ويدل عليه قراءة من قرأ خالصة بالنصب على ان قوله لذكورنا هو الخبر وخالصة مصدر موكد ولا يجوز
ان يكون حالا متقدمة لان المجرور لا يتقدم عليه حاله وقرأ ابن عباس خالصةُ على الاضافة وفي مصحف عبد الله خالص وان يكن ميتة
وقرئ بالياء والتاء وان تكن ميتة بالرفع على كان التامة وتذكير الضمير في قوله فهم
فيه شركاء لان الميتة لكل ميت ذكرا او انثى فكانه قيل وان يكن ميت فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم اي جزاء وصفهم الكذب
على الله في التحليل والتحريم من قوله وتصف السنتهم الكذب هذا حلال وهذا حرام نزلت في ربيعة ومضر والعرب الذين كانوا
يئدون بناتهم مخافة السبي والفقر سفها بغير علم لخفة احلامهم وجهلهم بان الله هو رازق اولادهم وقرئ قتّلوا بالتشديد وحرموا
ما رزقهم الله من البحائر والسوائب وغيرها افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين وهو الذي انشأ جنات من الكروم

معروشات مسموكات وغير معروشات متروكات على وجه الارض لم تعرش وقيل المعروشات ما في الارياف والعمران مما غرسه
الناس واهتموا به فعرشوه وغير معروشات مما انبته الله وحشيا في البراري والجبال فهو غير معروش يقال عرشت الكرم اذا جعلت
له دعائم وسمكا تعطف عليه القضبان وسقف البيت عرشه والنخل والزرع مختلفا اكله في اللون والطعم والحجم والرائحة وقرئ اكله
بالضم والسكون وهو ثمره الذي يوكل والضمير للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفا عليه ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن وقت
الانشاء كذلك كقوله فادخلوها خالدين والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره وقرئ ثُمُره بضمتين فان
قلت ما فائدة قوله اذا اثمر وقد علم انه اذا لم يثمر لم يوكل منه قلت لما ابيح لهم الاكل من ثمره قيل اذا اثمر ليعلم ان اول وقت الاباحة وقت
اطلاع الشجر الثمر لئلا يتوهم انه لا يباح الا اذا ادرك واينع وآتوا حقه يوم حصاده الاية مكية والزكاة انما فرضت بالمدينة
فاريد بالحق ما كان يتصدق به على المساكين يوم الحصاد وكان ذلك واجبا حتى نسخه افتراض العشر ونصف العشر وقيل مدنية
والحق هو الزكاة المفروضة ومعناه واعزموا على ايتاء الحق واقصدوه واهتموا به يوم الحصاد لا توخروه عن اول وقت يمكن فيه الايتاء
ولا تسرفوا في الصدقة كما روي عن ثابت بن قيس بن شماس انه صرم خمسمائة نخلة ففرق ثمرها كله ولم يدخل منه شيئا الى منزله ولا تبسطها
كل البسط فتقعد ملوما محسورا انه لا يحب المسرفين ومن الانعام حمولة وفرشا عطف على جنات اي وانشا من
الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح او ينسج من وبره وصوفه وشعره الفرش وقيل الحمولة الكبار التي تصلح للحمل والفرش
الصغار كالفصلان والعجاجيل والغنم لانها دانية من الارض للطافة اجرامها مثل الفرش المفروش عليها كلوا مما رزقكم
الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان في التحليل والتحريم من عند انفسكم كما فعل اهل الجاهلية انه لكم عدو مبين
ثمانية ازواج بدل من حمولة وفرشا من الضأن اثنين ومن المعز اثنين زوجين اثنين يريد الذكر والانثى كالجمل والناقة والثور
والبقرة والكبش والنعجة والتيس والعنز والواحد اذا كان وحده فهو فرد فاذا كان معه غيره من جنسه سمي كل واحد منهما زوجا
وهما زوجان بدليل قوله خلق الزوجين الذكر والانثى والدليل عليه قوله ثمانية ازواج ثم فسرها بقوله من الضأن اثنين ومن
المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين ونحو تسميتهم الفرد بالزوج بشرط ان يكون معه اخر من جنسه تسميتهم الزجاجة
كأسا بشرط ان يكون فيها خمر والضأن والمعز جمع ضائن وماعز كتاجر وتجر وقرئا بفتح العين وقرأ ابي ومن المعزى وقرئ اثنان
على الابتداء قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين نبئوني بعلم ان كنتم صادقين ومن الابل
اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين الهمزة في آلذكرين للانكار والمراد
بالذكرين الذكر من الضأن والذكر من المعز وبالانثيين الانثى من الضأن والانثى من المعز على طريق الجنسية والمعنى انكار ان يحرم
الله من جنسي الغنم ضأنها ومعزها شيئا من نوعي ذكورها واناثها ولا مما تحمل اناث الجنسين وكذلك الذكران من جنسي الابل
والبقر والانثيان منهما وما تحمل اناثهما وذلك انهم كانوا يحرمون ذكورة الانعام تارة واناثها تارة واولادها كيف ما كانت ذكورا
واناثا او مختلطة تارة وكانوا يقولون قد حرمها الله فانكر ذلك عليهم نبئوني بعلم اخبروني بامر معلوم من جهة الله يدل
على تحريم ما حرمتم ان كنتم صادقين في ان الله حرمها ام كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا بل اكنتم شهداء ومعنى الهمزة
الانكار يعني ام شاهدتم ربكم حين امركم بهذا التحريم وذكر المشاهدة على مذهبهم لانهم كانوا لا يومنون برسول الله وهم
يقولون الله حرم هذا الذي نحرمه فتهكم بهم في قوله ام كنتم على معنى اعرفتم التوصية به مشاهدين لانكم لا تومنون
بالرسل فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم
الظالمين وهو عمرو بن لحي بن قمعة الذي بحر البحائر وسيب السوائب فان قلت كيف فصل بين بعض المعدود وبعضه ولم يوال
بينه قلت قد وقع الفاصل بينهما اعتراضا غير اجنبي من المعدود وذلك ان الله عز وجل من على عباده بانشاء الانعام
لمنافعهم وباباحتها لهم فاعترض بالاحتجاج على من حرمها والاحتجاج على من حرمها تاكيد وتشديد للتحليل والاعتراضات
في الكلام لا تساق الا للتوكيد قل لا اجد فيما اوحي الي فيه تنبيه على ان التحريم انما يثبت بوحي الله وشرعه لا بهوى الانفس
محرما على طاعم يطعمه طعاما محرما من المطاعم التي حرمتموها الا ان يكون ميتة الا ان يكون الشيء المحرم ميتة او دما مسفوحا
اي مصبوبا سائلا كالدم في العروق لا كالكبد والطحال وقد رخص في دم العروق بعد الذبح او لحم خنزير فانه رجس
او فسقا اهل لغير الله به او فسقا عطف على المنصوب قبله سمي ما اهل به لغير الله فسقا لتوغله في باب الفسق ومنه قوله تعالى
ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق واهل صفة له منصوبة المحل ويجوز ان يكون مفعولا له من اهل اي اهل لغير
الله به فسقا فان قلت فعلام تعطف اهل والام يرجع الضمير في به على هذا القول قلت تعطف على يكون ويرجع الضمير
الى ما يرجع اليه المستكن في يكون فمن اضطر فمن دعته الضرورة الى اكل شيء من هذه المحرمات غير باغ على مضطر مثله تارك
لمواساته ولا عاد متجاوز قدر حاجته من تناوله فان ربك غفور رحيم لا يواخذه وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي
ظفر ذو الظفر ما له اصبع من دابة او طائر وكان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا حرم عليهم فعم التحريم كل ذي ظفر
بدليل قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقوله ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما كقولك

التحقيق ما اتصل بالظهر من الشحم

من بين ... ما لا صافه زيادة الربط والمعنى انه حرم عليهم لحم كل ذي ظفر وشحمه وكل شي منه وترك البقر والغنم على التحليل
لم يحرم منهما الا الشحوم الخالصة وهي الثروب وشحوم الكلى وقوله الا ما حملت ظهورهما يعني الا ما اشتمل على الظهور والجنوب من
السحفة او الحوايا او ما اشتمل على الامعاء او ما اختلط بعظم وهو شحم الالية وقيل الحوايا عطف على شحومهما واو بمنزلتها في قولهم
جالس الحسن او ابن سيرين ذلك جزيناهم وهو تحريم الطيبات ببغيهم بسبب ظلمهم وانا لصادقون فيما اوعدنا به العصاة
لا نخلفه كما لا نخلف ما وعدناه اهل الطاعة فلما عصوا وبغوا الحقنا بهم الوعيد واحللنا بهم العقاب فان كذبوك في ذلك وزعموا
ان الله واسع الرحمة وانه لا يؤاخذ بالبغي ويخلف الوعيد جودا وكرما فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة لاهل طاعته ولا
يرد باسه عن القوم المجرمين فلا يغتر برجاء رحمته عن خوف نقمته سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا
ولا حرمنا من دونه من شي اخبار بما سوف يقولونه ولما قالوه قال وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شي يعنون
بكفرهم وتمردهم ان شركهم وشرك ابائهم وتحريمهم ما احل الله بمشية الله وارادته ولولا مشيته لم يكن شي من ذلك كمذهب المجبرة
بعينه كذلك كذب الذين من قبلهم اي جاؤا بالتكذيب المطلق لان الله عز وجل ركب في العقول وانزل في الكتب ما دل على غناه
وبرائته من مشية القبائح وارادتها والرسل اخبروا بذلك فمن علق وجود القبائح من الكفر والمعاصي بمشيته وارادته فقد كذب
التكذيب كله وهو تكذيب الله وكتبه ورسله ونبذ ادلة العقل والسمع وراء ظهره حتى ذاقوا باسنا حتى انزلنا عليهم العذاب
بتكذيبهم قل هل عندكم من علم من امر معلوم يصح الاحتجاج به فيما قلتم فتخرجوه لنا وهذا من التهكم والشهادة بان
مثل قولهم محال ان يكون له حجة ان تتبعون الا الظن في قولكم هذا وان انتم الا تخرصون تقدرون ان الامر كما تزعمون او تكذبون
ويجوز كذلك كذب الذين من قبلهم بالتخفيف قل فلله الحجة البالغة يعني فان كان الامر كما زعمتم ان ما انتم عليه بمشية الله فلله الحجة
البالغة عليكم على قود مذهبكم فلو شاء لهداكم اجمعين منكم ومن مخالفيكم في الدين فان تعليقكم دينكم بمشية الله
يقتضي ان تعلقوا دين من يخالفكم بمشية الله فتوالوهم ولا تعادوهم وتوافقوهم ولا تخالفوهم لان المشية تجمع بين ما انتم عليه وما
هم عليه قل هلم شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا هلم يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث عند الحجازيين
وبنو تميم يؤنث ويجمع والمعنى هاتوا شهداءكم وقربوهم فان شهدوا فلا تشهد معهم فان قلت كيف امر باستحضار
شهدائهم الذين يشهدون ان الله حرم هذا ما زعموه محرما ثم امره بان لا يشهد معهم قلت امره باستحضارهم وهم شهداء بالباطل
ليلزمهم الحجة ويلقمهم الحجر ويظهر للمشهود لهم بانقطاع الشهداء انهم ليسوا على شي لتساوي اقدام الشاهدين والمشهود لهم في
انهم لا يرجعون الى ما يصح التمسك به وقوله فلا تشهد معهم يعني فلا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم لانه اذا سلم لهم فكانه شهد
معهم مثل شهادتهم وكان واحدا منهم ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا من وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على ان من كذب
بايات الله وعدل به غيره فهو متبع للهوى لا غير لانه لو اتبع الدليل لم يكن الا مصدقا بالايات موحدا لله فان قلت هلا قيل هلم
شهداء يشهدون ان الله حرم هذا واي فرق بينه وبين المنزل قلت المراد ان يحضروا شهداءهم الذين علم انهم يشهدون لهم
وينصرون قولهم وكان المشهود لهم يقلدونهم ويثقون بهم ويعتضدون بشهادتهم ليهدم ما يقومون به فيحق الحق ويبطل
الباطل فاضيفت الشهداء اليهم لذلك وجي بالذين للدلالة على انهم شهداء معروفون موسومون بالشهادة لهم وبنصرة مذهبهم والدليل
عليه قوله فان شهدوا فلا تشهد معهم ولو قيل هلم شهداء يشهدون لكان معناه هاتوا اناسا يشهدون بتحريم ذلك فكان
الظاهر طلب شهداء بالحق وذلك ليس بالغرض ويناقضه قوله فلا تشهد معهم والذين لا يؤمنون بالاخرة وهم بربهم يعدلون قل تعالوا
اتل ما حرم ربكم عليكم تعال من الخاص الذي صار عاما واصله ان يقوله من كان في مكان عال لمن هو اسفل منه ثم كثر واتسع
فيه حتى عم وما حرم منصوب بفعل التلاوة يعني اتل الذي حرمه ربكم او محرم يعني اقل اي شي حرم ربكم لان التلاوة من القول
وان في الا تشركوا به شيئا مفسرة ولا للنهي فان قلت هلا قلت هي التي تنصب الفعل وجعلت الا تشركوا بدلا مما حرم قلت
وجب ان يكون لا تشركوا ولا تقربوا ولا تقتلوا ولا تتبعوا السبل نواهي لانعطاف الاوامر عليها وهي قوله وبالوالدين احسانا لان التقدير
واحسنوا بالوالدين واوفوا واذا قلتم فاعدلوا وبعهد الله اوفوا فان قلت فما تصنع بقوله وان هذا صراطي مستقيما
فاتبعوه فيمن قرا بالفتح وانما يستقيم عطفه على الا تشركوا اذا جعلت ان هي الناصبة للفعل حتى يكون المعنى اتل عليكم نفي الاشراك والتوحيد
واتل عليكم ان هذا صراطي مستقيما قلت اجعل قوله وان هذا صراطي مستقيما علة للاتباع بتقدير اللام كقوله وان المساجد
لله فلا تدعوا مع الله احدا بمعنى لان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه والدليل عليه القراءة بالكسر كانه قيل واتبعوا صراطي لانه مستقيم
او واتبعوا صراطي انه مستقيم فان قلت اذا جعلت ان مفسرة لفعل التلاوة وهو معلق بما حرم ربكم وجب ان يكون ما بعده
منهيا عنه محرما كله كالشرك وما بعده مما دخل عليه حرف النهي فما تصنع بالاوامر قلت لما وردت هذه الاوامر مع
النواهي وتقدمهن جميعا فعل التحريم واشتركن في الدخول تحت حكمه علم ان التحريم راجع الى اضدادها وهي الاساءة الى الوالدين
وبخس الكيل والميزان وترك العدل في القول ونكث عهد الله ولا تقتلوا اولادكم من املاق من اجل فقر ومن خشيته كقوله
خشية املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن مثل قوله ظاهر الاثم وباطنه ولا تقتلوا النفس التي

حرم الله

حرم الله الا بالحق كالقصاص والقتل على الردة والرجم ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي
هي احسن الا بالخصلة التي هي احسن ما يفعل بمال اليتيم وهي حفظه وتثميره والمعنى احفظوه عليه حتى يبلغ اشده فادفعوه اليه
واوفوا الكيل والميزان بالقسط بالسوية والعدل لا نكلف نفسا الا وسعها الا ما يسعها ولا تعجز عنه وانما اتبع الامر بايفاء
الكيل والميزان لان ذلك مراعاة الحد من القسط الذي لا زيادة فيه ولا نقصان مما يجري فيه الحرج فامر ببلوغ الوسع وان ما وراءه
معفو عنه واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ولو كان المقول له او عليه في شهادة او غيرها من اهل قرابة القائل فما ينبغي ان يزيد في
القول او ينقص كقوله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين وبعهد الله اوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون
وان هذا صراطي مستقيما وقري وان هذا صراطي بتخفيف ان واصله وانه هذا صراطي على ان الهاء ضمير الشان والحديث وقرا الاعمش
وهذا صراطي وفي مصحف عبد الله وهذا صراط ربكم فاتبعوه ولا تتبعوا السبل الطرق المختلفة في الدين من اليهودية والنصرانية
والمجوسية وسائر البدع والضلالات فتفرق بكم فتفرقكم ايادي سبا عن سبيله عن صراط الله المستقيم وهو دين الاسلام وقري
فتفرق بادغام التاء ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون وروى ابو وائل عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم انه خط خطا
ثم قال هذا سبيل الرشد ثم خط عن يمينه وعن شماله خطوطا ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا هذه الاية وان هذا
صراطي مستقيما فاتبعوه وعن ابن عباس رضي الله عنهما هذه الايات محكمات لم ينسخهن شي من جميع الكتب وقيل انهن ام الكتاب
من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن كعب الاحبار والذي نفس كعب بيده ان هذه الايات لاول شي في التوراة
ثم اتينا موسى الكتاب فان قلت كيف صح عطفه عليه بثم والايتاء قبل التوصية بدهر طويل قلت هو عطف على وصاكم به
هذه التوصية قديمة لم تزل توصاها كل امة على لسان نبيها كما قال ابن عباس محكمات لم ينسخهن شي من جميع الكتب فكانه قيل ذلكم
وصاكم به يا بني ادم قديما ثم اعظم من ذلك انا اتينا موسى الكتاب وانزلنا هذا الكتاب المبارك وقيل هو معطوف على ما تقدم
قبل شطر السورة من قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب تماما على الذي احسن وتفصيلا لكل شي وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم
يؤمنون تماما للكرامة والنعمة على الذي احسن على من كان محسنا صالحا يريد جنس المحسنين وتدل عليه قراءة عبد الله على الذين احسنوا
واراد به موسى عليه الصلاة والسلام اي تتمة للكرامة على العبد الذي احسن الطاعة في التبليغ وفي كل ما امر به او تماما على الذي
احسن موسى من العلم والشرائع من احسن الشي اذا اجاد معرفته اي زيادة على علمه على وجه التتميم وقرا يحيى بن يعمر على الذي
احسن بالرفع على المبتدا كحذفه من قرا مثلا ما بعوضة بالرفع اي على الذي هو احسن دين وارتضاه او اتينا موسى الكتاب تماما اي تاما كاملا
على احسن ما يكون عليه الكتب اي على الوجه والطريق الذي هو احسن وهو معنى قول الكلبي اتم له الكتاب على احسنه وهذا
كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا يريدون اهل
التوراة والانجيل وان كنا عن دراستهم لغافلين هي ان المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والاصل وانه
كنا عن دراستهم غافلين على ان الهاء ضمير الشان عن دراستهم عن قراءتهم اي لم نعرف مثل دراستهم او تقولوا لو انا انزل علينا
الكتاب لكنا اهدى منهم لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا وغزارة حفظنا لايام العرب ووقائعها وخطبها واشعارها واسجاعها
وامثالها على انا اميون وقري ان يقولوا او يقولوا بالياء فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة تبكيت لهم وهو على قراءة من قرا يقولوا
على لفظ الغيبة احسن لما فيه من الالتفات والمعنى ان صدقتم فيما كنتم تعدون من انفسكم فقد جاءكم بينة من ربكم فحذف الشرط وهو
من احاسن الحذوف فمن اظلم ممن كذب بايات الله بعد ما عرف صحتها وصدقها او تمكن من معرفة ذلك وصدف عنها الناس
فضل واضل سنجزي الذين يصدفون عن اياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
زدناهم عذابا فوق العذاب هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة ملائكة الموت او العذاب او ياتي ربك او ياتي كل ايات ربك بدليل
قوله او ياتي بعض ايات ربك يريد ايات القيامة والهلاك الكلي وبعض الايات اشراط الساعة كطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك
وعن البراء بن عازب كنا نتذاكر الساعة اذ اشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم فقال ما تتذاكرون قلنا نتذاكر الساعة
قال انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر ايات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال
وطلوع الشمس من مغربها وياجوج وماجوج ونزول عيسى ونارا تخرج من عدن يوم ياتي بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها
لم تكن امنت من قبل لم تكن امنت من قبل صفة لقوله نفسا او كسبت في ايمانها خيرا عطف على امنت والمعنى ان اشراط الساعة اذا جاءت
وهي ايات ملجئة مضطرة ذهب اوان التكليف عندها فلم ينفع الايمان حينئذ نفسا غير مقدمة ايمانها من قبل ظهور الايات او
مقدمة ايمانها غير كاسبة خيرا في ايمانها فلم يفرق بين النفس الكافرة اذا امنت في غير وقت الايمان وبين النفس التي امنت في وقته ولم
تكسب خيرا ليعلم ان قوله الذين امنوا وعملوا الصالحات جمع بين قرينتين لا ينبغي ان تنفك احداهما عن الاخرى حتى يفوز صاحبها ويسعد
والا فالشقوة والهلاك قل انتظروا انا منتظرون وعيد وقري ان تاتيهم الملائكة بالتاء والياء وقرا ابن سيرين لا تنفع بالتاء لكون
الايمان مضافا الى ضمير المؤنث الذي هو بعضه كقولك ذهبت بعض اصابعه ان الذين فرقوا دينهم اختلفوا فيه كما اختلفت
اليهود والنصارى وفي الحديث افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وهي الناجية وافترقت النصارى

على ثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وتفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وقيل فرقوا دينهم فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وقرئ فارقوا دينهم اي تركوه **وكانوا شيعا** اي فرقا كل فرقة تشيع اماما لها **لست منهم في شيء** اي من السؤال عنهم وعن تفرقهم وقيل من عقابهم وقيل هي منسوخة بآية السيف **انما امرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون ۝ من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها** عشر امثالها على اقامة صفة الجنس المميز مقام الموصوف تقديره عشر حسنات امثالها وقرئ عشر امثالها برفعهما جميعا على الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف وقد وعد بالواحد سبعمائة ووعد ثوابا بغير حساب ومضاعفة الحسنات فضل ومكافأة السيئات عدل **وهم لا يظلمون** لا ينقص من ثوابهم ولا يزاد على عقابهم **قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم ۝ دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ۝** دينا نصب على البدل من محل الى صراط لان معناه هداني صراطا بدليل قوله ويهديكم صراطا مستقيما والقيم فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من القائم وقرئ قيما والقيم مصدر بمعنى القيام وصف به وملة ابراهيم عطف بيان وحنيفا حال من ابراهيم **قل ان صلاتي ونسكي** وعبادتي وتقربي كله وقيل وذبحي وجمع بين الصلاة والذبح كما في قوله فصل لربك وانحر وقيل صلاتي وحجي من مناسك الحج **ومحياي ومماتي** وما آتيه في حياتي واموت عليه من الايمان والعمل الصالح **لله رب العالمين ۝** خالصة لوجهه **وبذلك** من الاخلاص **امرت وانا اول المسلمين ۝** لان اسلام كل نبي متقدم لاسلام امته **قل اغير الله ابغي ربا** جواب عن دعائهم له الى عبادة الهتهم والهمزة للانكار اي منكر ان ابغي ربا غيره **وهو رب كل شيء** فكل من دونه مربوب ليس في الوجود من له الربوبية غيره كما قال قل اغير الله تأمروني اعبد **ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى** جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم **ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ۝ وهو الذي جعلكم خلائف الارض** جعلهم خلائف الارض لان محمدا صلى الله عليه وعلى آله وسلم خاتم النبيين فخلفت امته سائر الامم او جعلهم يخلف بعضهم بعضا او هم خلفاء الله في ارضه يملكونها ويتصرفون فيها **ورفع بعضكم فوق بعض** في الشرف والرزق **درجات ليبلوكم فيما آتاكم** من نعمة الجاه والمال كيف تشكرون تلك النعمة وكيف يعمل الشريف والوضيع والحر والعبد والغني والفقير **ان ربك سريع العقاب** لمن كفر نعمته **وانه لغفور رحيم ۝** لمن قام بشكرها ووصف العقاب بالسرعة لان ما هو آت قريب عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم انزلت علي سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الانعام صلى عليه واستغفر له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل آية من سورة الانعام يوما وليلة

تم الربع الاول من الكشاف بحمد الله تعالى عشية يوم الجمعة المباركة ثالث عشر من شهر ربيع الاول احد شهور سنة سبعة وستين والف سنة حلب

سورة الاعراف مكية غير ثمان آيات واسألهم عن القرية الى واذ نتقنا الجبل وهي مائتان وست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

المص ۝ كتاب انزل اليك خبر مبتدأ محذوف اي هو كتاب وانزل اليك صفة له والمراد بالكتاب السورة **فلا يكن في صدرك حرج منه** اي شك منه كقوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك وسمي الشك حرجا لان الشاك ضيق الصدر حرج كما ان المتيقن منشرح الصدر منفسحه اي لا تشك انه منزل من الله او حرج منه بتبليغه لانه كان يخاف قومه وتكذيبهم له واعراضهم عنه واذاهم فكان يضيق صدره من الاداء ولا ينبسط له فأمنه الله ونهاه عن المبالاة بهم **فان قلت** بم تعلق قوله **لتنذر به** **قلت** بانزل اي انزل اليك لانذارك به او بالنهي لانه اذا لم يخفهم انذرهم وكذا اذا ايقن انه من عند الله شجعه اليقين على الانذار لان صاحب اليقين جسور متوكل على ربه متكل على عصمته **وذكرى للمؤمنين ۝** **فان قلت** فما محل ذكرى **قلت** يحتمل الحركات الثلاث النصب باضمار فعلها كانه قيل لتنذر به وتذكر تذكيرا لان الذكرى اسم بمعنى التذكير والرفع عطفا على كتاب او بانه خبر مبتدأ محذوف والجر للعطف على محل ان تنذر اي للانذار وللذكرى **فان قلت** النهي في قوله فلا يكن متوجه الى الحرج فما وجهه **قلت** هو من قولهم لا أرينك هاهنا **اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم** من القرآن والسنة **ولا تتبعوا من دونه** من دون الله **اولياء** اي ولا تتولوا من دونه من شياطين الجن والانس فيحملوكم على عبادة الاوثان والاهواء والبدع ويضلوكم عن دين الله وما انزل اليكم وامركم باتباعه وعن الحسن يا ابن آدم امرت باتباع كتاب الله وسنة محمد والله ما نزلت آية الا وهو يحب ان يعلم فيم انزلت وما معناها وقرأ مالك بن دينار ولا تبتغوا من الابتغاء ومن يبتغ غير الاسلام دينا ويجوز ان يكون الضمير في من دونه لما انزل اي ولا تتبعوا من دون دين الله اولياء **قليلا ما تذكرون ۝** حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وقرئ تتذكرون ويتذكرون بالياء والتاء وقليلا نصب بتذكرون اي تذكرون تذكيرا قليلا وما مزيدة لتوكيد القلة **وكم من قرية اهلكناها فجاءها** اي جاء اهلها **باسنا بياتا** مصدر واقع موقع الحال بمعنى بائتين يقال بات بياتا حسنا وبيتة حسنة وقوله **او هم قائلون ۝** حال معطوفة على بياتا كانه قيل فجاءهم باسنا بائتين او قائلين **فان قلت** هل يقدر حذف المضاف الذي هو الاهل قبل قرية او قبل الضمير في اهلكناها **قلت** انما يقدر المضاف للحاجة ولا حاجة فان القرية تهلك كما يهلك اهلها وانما قدرناه قبل الضمير في فجاءها لقوله او هم قائلون **فان قلت** لا يقال جاءني زيد هو فارس بغير واو فما بال قوله وهم قائلون **قلت** قدر بعض النحويين الواو محذوفة ورده الزجاج وقال لو قلت جاءني زيد راجلا او هو فارس او جاءني زيد هو فارس لم يحتج فيه الى واو لان الذكر قد عاد على الاول والصحيح انها اذا عطفت على حال قبلها حذفت الواو استثقالا لاجتماع حرفي عطف لان واو الحال هي واو العطف استعيرت للوصل فقولك جاءني زيد راجلا او هو فارس كلام فصيح وارد على حده واما جاءني زيد هو فارس فخبيث **فان قلت** ما معنى قوله اهلكناها فجاءها باسنا والاهلاك انما هو بعد مجيء الباس **قلت** معناه اردنا اهلاكها كقوله اذا قمتم الى الصلاة وانما خص هذان الوقتان وقت البيات ووقت القيلولة لانهما وقت الغفلة والدعة فيكون نزول العذاب فيهما اشد وافظع وقوم لوط اهلكوا بالليل وقت السحر وقوم شعيب وقت القيلولة **فما كان دعواهم اذ جاءهم باسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين ۝** فما كان يدعون دعواهم ما كانوا يدعونه من دينهم وينتحلونه من مذهبهم الا اعترافهم ببطلانه وفساده وقولهم انا كنا ظالمين فيما كنا عليه ويجوز فما كان استغاثتهم الا قولهم هذا لانه لا يستغاث الا به من قولهم دعواهم يا لكعب وكقوله فما كان دعاءهم ربهم الا اعترافهم لعلمهم ان الدعاء لا ينفعهم وان لات حين دعاء فلا يزيدون على ذم انفسهم وتحسرهم على ما كان منهم ودعواهم نصب خبر لكان وان قالوا رفع اسم لكان ويجوز العكس **فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين ۝** ارسل مسند الى اليهم وهو الجار والمجرور ومعناه فلنسألن المرسل اليهم وهم الامم يسألهم عما اجابوا به رسلهم كما قال ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين **فلنقصن عليهم** على الرسل والمرسل اليهم ما كان منهم **بعلم** عالمين باحوالهم الظاهرة والباطنة واقوالهم وافعالهم **وما كنا غائبين ۝** عنهم وعما وجد منهم **فان قلت** فاذا كان عالما بذلك وكان يقصه عليهم فما معنى سؤالهم **قلت** معناه التوبيخ والتقريع والتقرير اذا فاهوا به بالسنتهم وشهد عليهم انبياؤهم **والوزن يومئذ الحق** يعني وزن الاعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها ورفعه على الابتداء وخبره يومئذ والحق صفته اي والوزن يوم يسأل الله الامم ويسألهم الرسل الوزن الحق اي العدل وقرئ القسط واختلف في كيفية الوزن فقيل توزن صحف الاعمال بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق تأكيدا للحجة واظهارا للنصفة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم فيعترفون بها بالسنتهم وتشهد بها عليهم ايديهم وارجلهم وجلودهم وتشهد عليهم الانبياء والملائكة والاشهاد وكما تثبت في صحائفهم فيقرؤونها في موقف الحساب وقيل هي عبارة عن القضاء السوي والحكم العادل **فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ۝ ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم** جمع ميزان او موزون اي فمن رجحت اعماله الموزونة التي لها وزن وقدر وهي الحسنات او ما توزن به حسناتهم وعن الحسن وحق لميزان توضع فيه الحسنات ان يثقل وحق لميزان توضع فيه السيئات ان يخف **بما كانوا بآياتنا يظلمون ۝** يكذبون بها ظلما كقوله فظلموا بها **ولقد مكناكم في الارض** جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا او ملكناكم فيها واقدرناكم على التصرف فيها **وجعلنا لكم فيها معايش** جمع معيشة وهي ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها او ما يتوصل به الى ذلك والوجه تصريح الياء وعن ابن عامر انه همز على التشبيه بصحائف **قليلا ما تشكرون ۝ ولقد خلقناكم ثم صورناكم** يعني خلقنا اباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه بعد ذلك الا ترى الى قوله **ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين ۝** ممن سجد لآدم **قال ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ۝** لا في ان لا تسجد صلة بدليل قوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي ومثلها لئلا يعلم اهل الكتاب بمعنى ليعلم **فان قلت** ما فائدة زيادتها **قلت** توكيد معنى الفعل الذي تدخل عليه وتحقيقه كانه قيل ليتحقق علم اهل الكتاب وما منعك ان تحقق السجود وتلزمه نفسك اذ امرتك لان امري لك بالسجود اوجبه عليك ايجابا وحتمه حتما لا بد لك منه **فان قلت** لم سأله عن المانع من السجود وقد علم ما منعه **قلت** للتوبيخ ولاظهار معاندته وكفره وكبره وافتخاره باصله وازدرائه باصل آدم وانه خالف امر ربه معتقدا انه غير واجب عليه لما رأى ان سجود الفاضل للمفضول خارج من الصواب **فان قلت** كيف يكون قوله انا خير منه جوابا لما منعك وانما الجواب ان يقول منعني كذا **قلت** قد استأنف قصة اخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم وبعلة فضله عليه وهو ان اصله من نار واصل آدم من طين فعلم منها الجواب وزيادة عليه وهي انكار الامر واستبعاد ان يكون مثله مأمورا بالسجود لمثله كانه يقول من كان على هذه الصفة كان مستبعدا ان يؤمر بما امر به **قال فاهبط منها** من السماء التي هي مكان المطيعين المتواضعين من الملائكة الى الارض التي هي مقر العاصين المتكبرين من الثقلين **فما يكون لك ان تتكبر فيها** وتعصي **فاخرج انك من الصاغرين ۝** من اهل الصغار والهوان على الله وعلى اوليائه لتكبرك كما تقول للرجل قم صاغرا اذا اهنته وفي ضده قم راشدا وذلك انه لما اظهر الاستكبار البس الصغار وعن عمر رضي الله عنه من تواضع لله رفع الله حكمته وقال انتعش نعشك الله ومن تكبر وعدا طوره وهصه الله الى الارض **قال انظرني الى يوم يبعثون ۝ قال انك من المنظرين ۝** **فان قلت** لم اجيب الى استنظاره وانما استنظر ليفسد عباده ويغويهم **قلت** لما في ذلك من ابتلاء العباد وفي مخالفته من اعظم الثواب وحكمه حكم ما خلق في الدنيا من صنوف الزخارف وانواع الملاذ والملاهي وما ركب في الانفس من الشهوات ليمتحن بها عباده **قال فبما اغويتني** فبسبب اغوائك اياي **لاقعدن لهم صراطك المستقيم ۝** وهو تكليفه اياه ما وقع به في الغي ولم يثبت كما ثبتت الملائكة مع كونهم افضل منه ومن آدم انفسا ومناصب

وعن الاصمعي امرني تسمى كما قسمت سهمهم فان قلت بم تعلقت الباء فان تعلقها بلاقعدن يصد عنه لام القسم لا تقول
والله بزيد لامرن قلت تعلقت بفعل القسم المحذوف وتقديره فبما اغويتني اقسم بالله لاقعدن اي فبسبب اغوائك اياي اقسم ويجوز
ان تكون الباء للقسم اي فاقسم باغوائك لاقعدن وانما اقسم بالاغواء لانه كان تكليفا والتكليف من احسن افعال الله لكونه تعريضا
لسعادة الابد فكان جديرا بان يقسم به ومن تكاذيب المجبرة ما حكوا عن طاووس انه كان في المسجد الحرام فجاء رجل من كبار الفقهاء يرمي
بالقدر فجلس اليه فقال طاووس تقوم او تقام فقام الرجل فقيل له اتقول هذا لرجل فقيه فقال ابليس افقه منه قال رب بما اغويتني
وهذا يقول انا اغوي نفسي وما ظنك بقوم بلغ من تهالكهم على اضافة القبيح الى الله تعالى ان لفقوا الاكاذيب على الرسول والصحابة
والتابعين وقيل ما للاستفهام كانه قيل باي شيء اغويتني ثم ابتدأ لاقعدن واثبات الالف اذا دخل حرف الجر على ما الاستفهامية قليل
شاذ واصل الغي الفساد ومنه غوي الفصيل اذا بشم والبشم فساد في المعدة لاقعدن لهم صراطك المستقيم لاعترضن لهم على
طريق الاسلام كما يعترض العدو على الطريق ليقطعه على السابلة وانتصابه على الظرف كقوله كما عسل الطريق الثعلب
وشبهه الزجاج بقولهم ضرب زيد الظهر والبطن اي على الظهر والبطن وعن رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم ان الشيطان قعد لابن ادم
باطرقه فقعد له بطريق الاسلام فقال له تدع دين ابائك فعصاه فاسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال له تدع ديارك وتغرب
فعصاه فهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له تقاتل فتقتل فيقسم مالك وتنكح امراتك فقاتل ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن
خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ثم لاتينهم من الجهات الاربع التي ياتي منها العدو في الغالب وهذا مثل لوسوسته اليهم
وتسويله ما امكنه وقدر عليه كقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك فان قلت
كيف قيل من بين ايديهم ومن خلفهم بحرف الابتداء وعن ايمانهم وعن شمائلهم بحرف المجاوزة قلت المفعول فيه عدي اليه الفعل نحو
تعديته الى المفعول به فكما اختلفت حروف التعدية في ذلك اختلفت في هذا وكانت لغة تؤخذ ولا تقاس وانما نفتش عن صحة
موقعها فقط فلما سمعناهم يقولون جلس عن يمينه وعلى يمينه وعن شماله وعلى شماله قلنا معنى على يمينه انه تمكن من جهة اليمين تمكن
المستعلي من المستعلى عليه ومعنى عن يمينه انه جلس متجافيا عن صاحب اليمين منحرفا عنه غير ملاصق له ثم كثر حتى استعمل
في المتجافي وغيره كما ذكرنا في تعال ونحوه من المفعول به قولهم رميت عن القوس وعلى القوس ومن القوس لان السهم يبعد عنها ويستعليها
اذا وضع على كبدها للرمي ويبتدي الرمي منها وكذلك قالوا جلس بين يديه وخلفه بمعنى في لانهما ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه
لان الفعل يقع في بعض الجهتين كما تقول جئته من الليل تريد بعض الليل
وعن شقيق ما من صباح الا قعد لي الشيطان على اربعة مراصد من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي اما من بين يدي فيقول
لا تخف فان الله غفور رحيم فاقرأ واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا واما من خلفي فيخوفني الضيعة على مخلفي فاقرأ وما من دابة في
الارض الا على الله رزقها واما من قبل يميني فياتيني من قبل الثناء فاقرأ والعاقبة للمتقين واما من قبل شمالي فياتيني من قبل الشهوات
فاقرأ وحيل بينهم وبين ما يشتهون ولا تجد اكثرهم شاكرين قاله تظنيا بدليل قوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وقيل
سمعه من الملائكة باخبار الله لهم قال اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم لاملان جهنم منكم اجمعين مذءوما
من ذأمه اذا ذمه وقرأ الزهري مذوما بالتخفيف مثل مسول في مسؤول واللام في لمن تبعك موطئة للقسم ولاملان جوابه
وهو ساد مسد جواب الشرط منكم منك ومنهم فغلب ضمير المخاطب كما في قوله انكم قوم تجهلون وروى عصمة عن عاصم
لمن تبعك منهم بكسر اللام بمعنى لمن تبعك منهم هذا الوعيد وهو قوله لاملان جهنم منكم على ان لاملان في محل الابتداء ولمن تبعك
خبره ويا ادم وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين
وتقرأ هذي الشجرة وهو الاصل لان الياء والهاء بدل منها فوسوس لهما الشيطان يقال وسوس اذا تكلم كلاما خفيا يكرره ومنه وسوس
الحلي وهو فعل غير متعد كولولت المراة ووعوع الذئب ورجل موسوس بكسر الواو ولا يقال رجل موسوس بالفتح ولكن موسوس
له او موسوس اليه وهو الذي يلقى اليه الوسوسة ومعنى وسوس له فعل الوسوسة لاجله ووسوس اليه القاها اليه ليبدي لهما
ليظهر لهما وجعل ذلك غرضا له ليسوءهما اذا رايا ما يؤثران ستره وان لا يطلع عليه مكشوفا وفيه دليل على ان
كشف العورة من عظائم الامور وانه لم يزل مستهجنا في الطباع مستقبحا في العقول فان قلت ما للواو المضمومة في ووري
لم تقلب همزة كما قلبت في اويصل تصغير واصل قلت لان الثانية مدة كالالف في وارى وقد جاء في قراءة عبد الله اوري بالقلب وقال ما نهاكما ربكما عن
هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين الا كراهة ان تكونا ملكين وفيه دليل على ان الملائكة بالمنظر الاعلى وان البشرية تلمح مرتبتها
كلاولاوي ملكين بكسر اللام لقوله وملك لا يبلى او تكونا من الخالدين من الذين لا يموتون ويبقون في الجنة ساكنين وقرئ من
سوتهما بالوحيد وسوّاتهما بالواو المشددة وقاسمهما اقسم لهما اني لكما لمن الناصحين فان قلت المقاسمة ان تقسم
لصاحبك ويقسم لك تقول قاسمت فلانا حالفته وتقاسما تحالفا ومنه قوله تعالى تقاسموا بالله لنبيتنه قلت كانه قال لهما اقسم
لكما اني لمن الناصحين وقالا له اتقسم بالله انك لمن الناصحين فجعل ذلك مقاسمة بينهم او اقسم لهما بالنصيحة واقسما له بقبولها
او اخرج قسم ابليس على زنة المفاعلة لانه اجتهد فيها اجتهاد المقاسم فدلاهما فنزلهما الى الاكل من الشجرة بغرور بما غرهما به من

القسم بالله وعن قتادة وانما يخدع المؤمن بالله وعن ابن عمر انه كان اذا راى من عبده طاعة وحسن صلوة اعتقه فكان عبيده يفعلون ذلك طلبا
للعتق فقيل له انهم يخدعونك فقال من خدعنا بالله انخدعنا له فلما ذاقا الشجرة وجدا طعمها اخذين في الاكل منها وقيل الشجرة هي
السنبلة وقيل شجرة الكرم بدت لهما سوآتهما اي تهافت عنهما اللباس فظهرت لهما عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من
الاخر وعن عائشة رضي الله عنها ما رايت منه ولا راى مني وعن سعيد بن جبير كان لباسهما من جنس الاظفار وعن وهب كان لباسهما نورا يحول
بينهما وبين النظر وطفقا يقال طفق يفعل كذا بمعنى جعل يفعل وقرأ ابو السمال وطفقا بالفتح يخصفان عليهما يخصفان ورقة
فوق ورقة على عوراتهما ليستترا بها كما يخصف النعل بان يجعل طرقة على طرقة ويوثق بالسيور وقرأ الحسن يخصفان بكسر الخاء وتشديد
الصاد واصله يختصفان وقرأ الزهري يخصفان من اخصف وهو منقول من خصف اي يخصفان انفسهما وقرئ يخصفان من خصف
بالتشديد من ورق الجنة قيل كان ورق التين وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما
عدو مبين قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين الم انهكما عتاب من الله وتوبيخ وتنبيه
على الخطا حيث لم يتحذرا ما حذرهما الله من عداوة ابليس وروي انه قال لادم الم يكن لك فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة
فقال بلى وعزتك ولكن ما ظننت ان احدا من خلقك يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش الا كدا فاهبط
وعلم صنعة الحديد وامر بالحرث فحرث وسقى وحصد وداس وذرى وطحن وعجن وخبز وسميا ذنبهما وان كان صغيرا مغفورا ظلما
لانفسهما وقالا لنكونن من الخاسرين على عادة الاولياء والصالحين في استعظامهم الصغير من السيئات واستصغارهم العظيم من
الحسنات قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو الخطاب لادم وحواء وابليس وبعضكم لبعض عدو في موضع الحال اي متعادين
يعاديهما ابليس ويعاديانه ولكم في الارض مستقر استقرار او موضع استقرار ومتاع وانتفاع بعيش الى حين اي الى انقضاء اجالكم
قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون وعن ثابت البناني لما اهبط ادم وحضرته الوفاة احاطت به الملائكة فجعلت حواء
تدور حولهم فقال لها خلي ملائكة ربي فانما اصابني الذي اصابني فيك فلما توفي غسلته الملائكة بالسدر وترا وحنطته وكفنته في وتر
من الثياب وحفروا له ولحدوا ودفنوه بسرنديب بارض الهند وقالوا لبنيه هذه سنتكم بعده يا بني ادم قد انزلنا عليكم لباسا يواري
سواتكم وريشا جعل ما في الارض منزلا من السماء لانه قضي ثم وكتب ومنه وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج والريش لباس الزينة
استعير من ريش الطير لانه لباسه وزينته اي انزلنا عليكم لباسين لباسا يواري سواتكم ولباسا يزينكم لان الزينة غرض صحيح كما قال
لتركبوها وزينة ولكم فيها جمال وقرأ عثمان رضي الله عنه ورياشا جمع ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى ولباس الورع والخشية من الله وارتفاعه
على الابتداء وخبره اما الجملة التي هي ذلك خير كانه قيل ولباس التقوى هو خير لان اسماء الاشارة تقرب من الضمائر فيما يرجع الى عود الذكر واما
المفرد الذي هو خير وذلك صفة للباس التقوى او ان يكون اشارة الى اللباس المواري للسوءة لان مواراة السوءة من التقوى تفضيلا له
على لباس الزينة وقيل لباس التقوى خبر مبتدا محذوف اي وهو لباس التقوى ثم قيل ذلك خير وفي قراءة عبد الله وابي ولباس التقوى خير
وقيل المراد بلباس التقوى ما يلبس من الدروع والجواشن والمغافر وغيرها مما يتقى به في الحروب وقرئ ولباس التقوى بالنصب عطفا على لباسا
وريشا ذلك من ايات الله الدالة على فضله ورحمته على عباده يعني انزال اللباس لعلهم يذكرون فيعرفوا عظيم النعمة فيه وهذه
الاية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدو السوات وخصف الورق عليهما اظهارا للمنة فيما خلق من اللباس ولما في العري وكشف
العورة من المهانة والفضيحة واشعارا بان التستر باب عظيم من ابواب التقوى يا بني ادم لا يفتننكم الشيطان لا يمحننكم
بان لا تدخلوا الجنة كما اخرج ابويكم من الجنة كما محن ابويكم بان اخرجهما منها ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما
ليريهما سوآتهما حال اي اخرجهما نازعا لباسهما بان كان سببا في ان نزع عنهما انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم
تعليل للنهي وتحذير من فتنته بانه بمنزلة العدو المداجي يكيدكم ويغتالكم من حيث لا تشعرون وعن مالك بن دينار ان عدوا يراك ولا
تراه لشديد المؤنة الا من عصم الله وقبيله وجنوده من الشياطين وفيه دليل بين ان الجن لا يرون ولا يظهرون للانس وان اظهارهم
لانفسهم ليس في استطاعتهم وان زعم من يدعي رؤيتهم زور ومخرقة انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون اي خلينا بينهم
وبينهم لم نكفهم عنهم حتى تولوهم واطاعوهم فيما سولوا لهم من الكفر والمعاصي وهذا تحذير اخر ابلغ من الاول فان
قلت علام عطف وقبيله قلت على الضمير في يراكم المؤكد بهو والضمير في انه ضمير الشان والحديث وقرأ اليزيدي وقبيله
بالنصب وفيه وجهان ان يعطف على اسم ان وان يكون بمعنى مع واذا عطف على اسم ان وهو الضمير في انه كان راجعا الى ابليس واذا فعلوا
فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها الفاحشة ما تبالغ في قبحه من الذنوب اي اذا فعلوا اعتذروا بان اباءهم
كانوا يفعلونها فاقتدوا بهم وبان الله امرهم بان يفعلوها وكلاهما باطل من العذر لان احدهما تقليد والتقليد ليس بطريق للعلم
والثاني افتراء على الله والحاد في صفاته كانوا يقولون لو كره الله منا ما نفعله لنقلنا عنه وعن الحسن ان الله بعث محمدا صلى الله
عليه وعلى اله وسلم الى العرب وهم قدرية مجبرة يحملون ذنوبهم على الله وتصديقه قول الله عز وجل واذا فعلوا فاحشة قل ان
الله لا يامر بالفحشاء لان فعل القبيح مستحيل لعدم الداعي ووجود الصارف فكيف يامر بفعله اتقولون على الله ما
لا تعلمون انكار لاضافتهم القبيح اليه وشهادة على ان مبنى قولهم على الجهل المفرط وقيل المراد بالفاحشة طوافهم بالبيت

عراة قل أمر ربي بالقسط بالعدل وبما قام في النفوس أنه مستقيم حسن عند كل منصف وقيل بالتوحيد وأقيموا وجوهكم وقيل وجهوا وجوهكم أي اقصدوا عبادته مستقيمين إليها غير عادلين إلى غيرها عند كل مسجد في وقت كل سجود أو في كل مكان سجود وهو الصلاة وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين أي الطاعة مبتغين بها وجهه خالصا كما بدأكم تعودون كما أنشأكم ابتداء يعيدكم احتج عليهم في إنكارهم الإعادة بابتداء الخلق والمعنى أنه يعيدكم فيجازيكم على أعمالكم فأخلصوا له العبادة فريقا هدى وهم الذين أسلموا أي وفقهم الله للإيمان وفريقا حق عليهم الضلالة أي كلمة الضلالة وعلم الله أنهم يضلون ولا يهتدون وانتصاب قوله وفريقا بفعل يفسره ما بعده كأنه قيل وخذل فريقا حق عليهم الضلالة إنهم أي إن الفريق الذين حق عليهم الضلالة اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون أي تولوهم بالطاعة فيما أمروهم به وهذا دليل على أن علم الله لا أثر له في ضلالهم وأنهم هم الظالمون باختيارهم وتوليهم الشياطين من دون الله يا بني آدم خذوا زينتكم أي ريشكم ولباس زينتكم عند كل مسجد كلما صليتم أو طفتم وكانوا يطوفون عراة وعن طاوس لم يأمرهم بالحرير والديباج وإنما كان أحدهم يطوف عريانا ويدع ثيابه وراء المسجد وإن طاف وهي عليه ضرب وانتزعت منه لأنهم قالوا لا نعبد الله في ثياب أذنبنا فيها وقيل تفاؤلا ليتعروا من الذنوب كما تعروا من الثياب وقيل الزينة المشط وقيل الطيب والسنة أن يأخذ الرجل أحسن هيئة للصلاة وكان بنو عامر في أيام حجهم لا يأكلون الطعام إلا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون فإنا أحق أن نفعل فقيل لهم وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين وعن ابن عباس رضي الله عنهما كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة وحكي أن الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال لعلي بن الحسين بن واقد ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان علم الأبدان وعلم الأديان فقال له قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابه قال وما هي قال قوله كلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصراني ولا يؤثر من رسولكم شيء في الطب فقال قد جمع رسولنا صلى الله عليه وسلم الطب في ألفاظ يسيرة قال وما هي قال قوله عليه الصلاة والسلام المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء وأعط كل بدن ما عودته فقال النصراني ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده من الثياب وكل ما يتجمل به والطيبات من الرزق المستلذات من المآكل والمشارب ومعنى الاستفهام في من إنكار تحريم هذه الأشياء وقيل كانوا إذا أحرموا حرموا الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا غير خالصة لهم لأن المشركين شركاؤهم فيها خالصة يوم القيامة لا يشركهم فيها أحد فإن قلت هلا قيل هي للذين آمنوا ولغيرهم قلت لينبه على أنها خلقت للذين آمنوا على طريق الأصالة وأن الكفرة تبع لهم لقوله ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وقرئ خالصة بالنصب على الحال وبالرفع على أنها خبر بعد خبر كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون قل إنما حرم ربي الفواحش ما تفاحش منها قبحه أي تزايد وقيل هي ما يتعلق بالفروج ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق والإثم عام لكل ذنب وقيل شرب الخمر والبغي الظلم والكبر أفرده بالذكر كما قال وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا فيه تهكم لأنه لا يجوز أن ينزل برهانا بأن يشرك به غيره وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون وأن تتقولوا عليه وتفتروا الكذب من التحريم وغيره ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وعيد لأهل مكة بالعذاب النازل في أجل معلوم عند الله كما نزل بالأمم وقرئ فإذا جاء آجالهم وقال ساعة لأنها أقل الأوقات في استعمال الناس يقول المستعجل لصاحبه في ساعة يريد أقصر وقت وأقربه يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون إما هي إن الشرطية ضمت إليها ما مؤكدة أي في معنى الشرط ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة والخفيفة فإن قلت فما جزاء هذا الشرط قلت الفاء وما بعده من الشرط والجزاء والمعنى فمن اتقى وأصلح منكم والذين كذبوا منكم وقرئ تأتينكم فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته فمن أشنع ظلما ممن يقول على الله ما لم يقله أو كذب ما قاله أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب أي مما كتب لهم من الأرزاق والأعمار حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم حتى غاية لنيلهم نصيبهم واستيفائهم وهم له إلى وقت وفاتهم وهي التي يبتدأ بعدها الكلام والكلام هاهنا جملة شرطية وهي إذا جاءتهم رسلنا قالوا ويتوفونهم حال الرسل أي متوفيهم والرسل ملك الموت وأعوانه قالوا أينما كنتم تدعون من دون الله وما وقعت موصولة بأين في خط المصحف وكان حقها أن تفصل لأنها موصولة بمعنى أين الآلهة الذين تدعون قالوا ضلوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ضلوا عنا غابوا عنا فلا نراهم ولا نستشفع بهم اعترافا منهم بأنهم لم يكونوا على شيء مما كانوا عليه وأنهم لم يحمدوا في العاقبة قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار أي يقول الله تعالى يوم القيامة لأولئك الذين قال فيهم فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته وهم كفار العرب في أمم في موضع الحال أي كائنين في جملة أمم وفي غمارهم مصاحبين لهم أي ادخلوا في النار مع أمم قد خلت من قبلكم وتقدم زمانهم زمانكم كلما دخلت أمة في النار لعنت أختها التي ضلت بالاقتداء بها حتى إذا اداركوا فيها جميعا أي تداركوا بمعنى تلاحقوا واجتمعوا في النار قالت أخراهم منزلة وهي الأتباع والسفلة لأولاهم

منزلة وهي القادة والرؤوس ومعنى لأولاهم لأجل أولاهم لأن خطابهم مع الله لا معهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف لأن كلا من القادة والأتباع كانوا ضالين مضلين ولكن لا تعلمون وبالياء أبو بكر وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل عطفوا هذا الكلام على قول الله تعالى للسفلة لكل ضعف فقد ثبت أن لا فضل لكم علينا وأنا متساوون في استحقاق الضعف فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون من قول القادة أو من قول الله لهم جميعا إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط لا يصعد لهم عمل صالح إليه يصعد الكلم الطيب كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين وقيل إن الجنة في السماء فالمعنى لا يؤذن لهم في صعود السماء ولا يطرق لهم ليدخلوا الجنة وقيل لا تصعد أرواحهم إذا ماتوا كما تصعد أرواح المؤمنين وقيل لا تنزل عليهم البركة ولا يغاثون ففتحنا أبواب السماء وقرئ لا يفتح بالتشديد ولا يفتح بالياء والتاء للفاعل ونصب الأبواب على أن الفعل للآيات وبالياء على أن الفعل لله عز وجل وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما الجمل بوزن القمل وسعيد بن جبير الجمل بوزن النغر وقرئ الجمل بوزن القفل والجمل بوزن النصب والجمل بوزن الحبل ومعناها القلس الغليظ لأنه حبال جمعت وجعلت حبلا واحدا وعن ابن عباس أن الله أحسن تشبيها من أن يشبه بالجمل يعني أن الحبل مناسب للخيط الذي يسلك في سم الإبرة والبعير لا يناسبه إلا أن قراءة العامة أوقع لأن سم الإبرة مثل في ضيق المسلك يقال أضيق من خرت الإبرة وقالوا للدليل الماهر خريت للاهتداء به في المضايق المشبهة بأخرات الإبر والجمل مثل في عظم الجرم قال جسم الجمال وأحلام العصافير إن الرجال ليسوا بجزر يراد منهم الأجسام فقيل لا يدخلون الجنة حتى يكون ما لا يكون أبدا من ولوج هذا الحيوان الذي لا يلج إلا في باب واسع في ثقب الإبرة وعن ابن مسعود أنه سئل عن الجمل فقال زوج الناقة استجهالا للسائل وإشارة إلى أن طلب معنى آخر تكلف وقرئ في سم بالحركات الثلاث وقرأ عبد الله في سم المخيط والخياط والمخيط كالحزام والمحزم ما يخاط به وهو الإبرة وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين ليؤذن أن الإجرام هو السبب الموصل إلى العقاب وأن كل من أجرم عوقب وقد كرره فقال وكذلك نجزي الظالمين لأن كل مجرم ظالم لنفسه لهم من جهنم مهاد فراش ومن فوقهم غواش أغطية وقرئ غواش بالرفع كقوله وله الجوار المنشآت في قراءة عبد الله وكذلك نجزي الظالمين والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا إلا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون لا نكلف نفسا إلا وسعها جملة معترضة بين المبتدأ والخبر للترغيب في اكتساب ما لا يكتنه وصفه من النعيم الخالد مع التعظيم بما هو في الوسع وهو الإمكان الواسع غير الضيق من الإيمان والعمل الصالح وقرأ الأعمش لا تكلف نفس ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الأنهار أي ما كان في قلب أحدهم على أخيه في الدنيا ننزع منه فسلمت قلوبهم وطهرت ولم يكن بينهم إلا التواد والتعاطف وعن علي رضي الله عنه إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا أي وفقنا لموجب هذا الفوز العظيم وهو الإيمان والعمل الصالح وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله اللام لتأكيد النفي يعني وما يستقيم أن نكون مهتدين لولا هداية الله وتوفيقه وفي مصاحف أهل الشام ما كنا لنهتدي بغير واو على أنها جملة موضحة للأولى لقد جاءت رسل ربنا بالحق فكان لنا لطفا وتنبيها على الاهتداء فاهتدينا يقولون ذلك سرورا واغتباطا بما نالوا وتلذذا بالتكلم به لا تقربا وتعبدا كما ترى من رزق خيرا في الدنيا يتكلم بنحو ذلك ولا يتمالك أن لا يقوله للفرح لا للقربة ونودوا أن تلكم الجنة أن مخففة من الثقيلة تقديره ونودوا بأنه تلكم الجنة أورثتموها والضمير ضمير الشأن والحديث أو تكون بمعنى أي لأن المناداة من القول كأنه قيل وقيل لهم تلكم الجنة بما كنتم تعملون بسبب أعمالكم لا بالتفضل كما تقول المبطلة ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون أن في أن قد وجدنا يحتمل أن تكون مخففة من الثقيلة وأن تكون مفسرة كالتي سبقت آنفا وكذلك أن لعنة الله على الظالمين وإنما قالوا لهم ذلك اغتباطا بحالهم وشماتة بأصحاب النار وزيادة في غمهم وليكون حكايته لطفا لمن سمعها وكذلك قول المؤذن بينهم لعنة الله على الظالمين وهو ملك يأمره الله فينادي بينهم نداء يسمع أهل الجنة وأهل النار وقرئ أن لعنة الله بالتشديد والنصب وقرأ الأعمش إن لعنة الله بكسر إن على إرادة القول أو على إجراء أذن مجرى قال فإن قلت هلا قيل ما وعدكم ربكم كما قيل ما وعدنا قلت حذف ذلك تخفيفا لدلالة وعدنا عليه ولقائل أن يقول أطلق ليتناول كل ما وعد الله من البعث والحساب والثواب والعقاب وسائر أحوال القيامة لأنهم كانوا مكذبين بذلك أجمع ولأن الموعود كله مما ساءهم وما نعيم أهل الجنة إلا عذاب لهم فأطلق لذلك وبينهما حجاب يعني بين الجنة والنار أو بين الفريقين وهو السور المذكور في قوله فضرب بينهم بسور وعلى الأعراف وعلى أعراف الحجاب وهو السور المضروب بين الجنة والنار وهي أعاليه جمع عرف استعير من عرف الفرس وعرف الديك رجال من المسلمين من آخرهم دخولا في الجنة لقصور أعمالهم كأنهم المرجون لأمر الله يحبسون بين الجنة والنار إلى أن يأذن الله لهم في دخول الجنة يعرفون كلا من زمر السعداء والأشقياء بسيماهم بعلامتهم التي أعلمهم الله بها يلهمهم الله ذلك أو يعرفهم الملائكة ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون

اذا نظروا الى اصحاب الجنة نادوهم بالتسليم عليهم وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار ورأوا ما هم فيه من العذاب
قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين استعاذوا بالله وفزعوا الى رحمته ان لا يجعلهم معهم ونادى أصحاب الأعراف
رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون ونادوا رجالا من رؤس الكفرة
ويقولون لهم أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة اشارة لهم الى اهل الجنة الذين كان الرؤساء يستهينون بهم ويحتقرونهم
لفقرهم وقلة حظوظهم من الدنيا وكانوا يقسمون ان الله لا يدخلهم الجنة ادخلوا الجنة يقال لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة
وذلك بعد ان يحبسوا على الاعراف وينظروا الى الفريقين ويعرفوهم بسيماهم ويقولوا ما يقولون وفائدة ذلك بيان ان الجزاء
على قدر الاعمال وان التقدم والتأخر على حسبها وان احدا لا يسبق عند الله الا بسبقه في العمل ولا يتخلف عنده الا بتخلفه فيه
وليرغب السامعون في حال السابقين ويحرصوا على احراز قصبهم وليتصوروا ان كل احد يعرف ذلك بسيماه التي استوجب
ان يوسم بها من اهل الخير والشر فيرتدع المسيء عن اساءته ويزيد المحسن في احسانه وليعلم ان العصاة يوبخهم كل احد حتى اقصر
الناس عملا وقوله واذا صرفت ابصارهم فيه ان صارفا يصرف ابصارهم لينظروا فيستعيذوا ويوبخوا وقرأ الاعمش واذا قلبت ابصارهم
وقرئ ادخلوا الجنة على البناء للمفعول وقرأ عكرمة دخلوا الجنة فان قلت كيف لاءم هاتين القراءتين قوله لا خوف عليكم
ولا انتم تحزنون قلت تأويله دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون فان قلت ما محل قوله
لم يدخلوها وهم يطمعون قلت لا محل له لانه استئناف كأن سائلا سأل عن حال اصحاب الاعراف فقيل له لم يدخلوها وهم
يطمعون يعني حالهم ان دخولهم الجنة استأخر عن دخول اهل الجنة فلم يدخلوها لكونهم محبوسين وهم يطمعون لم ييأسوا
ويجوز ان يكون له محل بان يقع صفة لرجالا ما اغنى عنكم جمعكم المال او كثرتكم واجتماعكم وما كنتم تستكبرون استكبارا
عن الحق وعلى الناس وقرئ تستكثرون من الكثرة ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء فيه دليل
على ان الجنة فوق النار أو مما رزقكم الله من غيره من الاشربة لدخوله في حكم الافاضة ويجوز ان يراد او القوا علينا مما رزقكم
الله من الطعام والفاكهة كقوله علفتها تبنا وماء باردا وانما يطلبون ذلك مع يأسهم من الاجابة اليه حيرة في امرهم
كما يفعل المضطر الممتحن قالوا إن الله حرمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة
الدنيا منعهم شراب الجنة وطعامها كما يمنع المكلف ما يحرم عليه ويحظر كقوله حرام على عيني ان تطعمها الكرا
فاليوم ننساهم نفعل بهم فعل الناسين الذين ينسون عبيدهم من الخير لا يذكرونهم به كما نسوا لقاء يومهم هذا وما
كانوا بآياتنا يجحدون كما فعلوا بلقائه فعل الناسين فلم يخطروه ببالهم ولم يهتموا به ولقد جئناهم بكتاب فصلناه
على علم عالمين كيف نفصل احكامه ومواعظه وقصصه وسائر معانيه حتى جاء حكيما قيما غير ذي عوج وقرأ ابن محيصن فضلناه
بالضاد المعجمة يعني فضلناه على جميع الكتب عالمين انه اهل للتفضيل عليها هدى ورحمة لقوم يؤمنون وهدى ورحمة
حال من منصوب فصلناه كما ان على علم حال من مرفوعه هل ينظرون إلا تأويله الا عاقبة امره وما يؤول اليه من تبين صدقه وظهور
صحة ما نطق به من الوعد والوعيد يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق اي تبين وصح انهم جاؤا
بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون
نرد جملة معطوفة على الجملة التي قبلها داخلة معها في حكم الاستفهام كأنه قيل هل لنا من شفعاء او هل نرد ورافعه وقوعه
موقعا يصلح للاسم كما تقول ابتداء هل يضرب زيد ولا يطلب له فعل آخر يعطف عليه ولا يقدر هل يشفع لنا شافع او نرد وقرأ
ابن ابي اسحق او نرد بالنصب عطفا على فيشفعوا او يكون مثل حتى انا فيشفعوا لنا حتى نرد فنعمل وقرأ الحسن بنصب نرد ونعمل معا
فنعمل إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا
يغشي الليل النهار وقرئ يغشي بالتشديد اي يلحق الليل بالنهار والنهار بالليل يحتملهما جميعا والدليل على الثاني قراءة حميد
بن قيس يغشى الليل النهار بفتح الياء ونصب الليل ورفع النهار اي يدرك النهار الليل ويطلبه حثيثا حسن الملاءمة لقراءة حميد
والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره بنصبه ورفعه وهو متعلق مسخرات اي خلقهن جاريات بمقتضى حكمته وتدبيره
وكما يريد ان يصرفها سمي ذلك امرا على التشبيه كأنهن مأمورات وقرئ والشمس والقمر والنجوم مسخرات بالرفع ولما
ذكر انه خلقهن مسخرات بامره قال ألا له الخلق والأمر اي هو الذي خلق الاشياء وهو الذي صرفها على حسب ارادته تبارك
الله رب العالمين ادعوا ربكم تضرعا وخفية نصب على الحال اي ذوي تضرع وخفية وكذلك خوفا وطمعا والتضرع
تفعل من الضراعة وهو الذل اي تذللا وتملقا وقرئ خفية وعن الحسن رحمه الله ان الله يعلم القلب التقي والدعاء الخفي وان كان
الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر جاره وان كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر به الناس وان كان الرجل ليصلي الصلوة
الطويلة وعنده الزوار وما يشعرون به ولقد ادركنا اقواما ما كان على الارض من عمل يقدرون على ان يعملوه في السر فيكون
علانية ابدا ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت ان كان الا همسا بينهم وبين ربهم وذلك ان الله تعالى
يقول ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقد اثنى على زكريا عليه الصلوة والسلام فقال اذ نادى ربه نداء خفيا وبين دعوة السر

ودعوة العلانية سبعون ضعفا إنه لا يحب المعتدين اي المجاوزين ما امروا به في كل شيء من الدعاء وغيره وعن ابن جريج
هو رفع الصوت بالدعاء وعنه الصياح في الدعاء مكروه وبدعة وقيل هو الاسهاب في الدعاء وعن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون
قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب
اليها من قول وعمل ثم قرأ قوله انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا إن
رحمت الله قريب من المحسنين كقوله واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا وانما ذكر قريب على تأويل الرحمة بالرحم او الترحم
او لانه صفة موصوف محذوف اي شيء قريب او على تشبيهه بفعيل الذي هو بمعنى مفعول كما شبه ذاك به فقيل قتلاء واسراء او على
انه بزنة المصدر الذي هو النقيض والضغيب او لان تأنيث الرحمة غير حقيقي وهو الذي يرسل الرياح نشرا وقرئ نشرا وهو
مصدر نشر وانتصابه اما لان ارسل ونشر متقاربان فكأنه قيل نشرها نشرا واما على الحال بمعنى منتشرات ونشرا
جمع نشور ونشرا تخفيف نشر كرسل ورسل وقرئ نشرا وقرئ نشرى بمعنى منشورات فعلى بمعنى مفعول كنقض وحسب
ومنه قولهم ضم نشره وبشرا جمع بشير وبشرا بتخفيفه وبشرا بفتح الباء مصدر من بشره بمعنى بشره اي باشرات وبشرى
بين يدي رحمته امام نعمته وهي الغيث الذي هو من اجل النعم واحسنها اثرا حتى إذا أقلت حملت ورفعت واشتقاق الاقلال
من القلة لان الرافع المطيق يرى الذي يرفعه قليلا سحابا ثقالا سحابا ثقالا بالماء جمع سحابة سقناه الضمير للسحاب على اللفظ ولو حمل على
المعنى كالثقال لانث كما لو حمل الوصف على اللفظ لقيل ثقيلا لبلد ميت لاجل بلد ليس فيه حيا ولسقيه وقرئ ميت فأنزلنا به
الماء بالبلد او بالسحاب او بالسوق وكذلك فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك مثل ذلك الاخراج وهو اخراج الثمرات
نخرج الموتى لعلكم تذكرون فيؤديكم التذكر الى انه لا فرق بين الاخراجين اذ كل واحد منهما اعادة للشيء بعد انشائه
والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا البلد الطيب الارض الكريمة التربة والذي
خبث الارض السبخة التي لا تنبت ما ينتفع به باذن ربه بتيسيره وهو في موضع الحال كأنه قيل يخرج نباته حسنا وافيا لانه
واقع في مقابلة نكدا والنكد الذي لا خير فيه وقرئ يخرج نباته اي يخرجه البلد وينبته وقرئ والذي خبث صفة للبلد ومعناه
والبلد الخبيث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف الذي هو النبات واقيم المضاف اليه الذي هو راجع الى البلد مقامه الا
انه كان مجرورا بارزا فانقلب مرفوعا مستكنا لوقوعه موقع الفاعل او يقدر ونبات الذي خبث وقرئ نكدا بفتح الكاف على
المصدر اي ذا نكد ونكدا باسكانها للتخفيف كقوله نزه عن الريب بمعنى نزه وهذا مثل لمن ينجع فيه الوعظ والتنبيه
من المكلفين ولمن لا يؤثر فيه شيء من ذلك وعن مجاهد آدم وذريته منهم خبيث وطيب وعن قتادة المؤمن سمع كتاب الله فعقله
فوعاه وانتفع به كالارض الطيبة اصابها الغيث فانبتت والكافر بخلاف ذلك وهذا التمثيل واقع على اثر ذكر المطر وانزاله
بالبلد الميت واخراج الثمرات به على طريق الاستطراد كذلك مثل ذلك التصريف نصرف الآيات نرددها ونكررها
لقوم يشكرون نعمة الله وهم المؤمنون ليفكروا فيها ويعتبروا بها وقرئ يصرفها اي يصرفها الله لقد أرسلنا
نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم لقد ارسلنا جواب
قسم محذوف فان قلت ما لهم لا يكادون ينطقون بهذه اللام الا مع قد وقل عنهم نحو قوله حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا
قلت انما كان ذلك لان الجملة القسمية لا تساق الا تأكيدا للجملة المقسم عليها التي هي جوابها فكانت مظنة لمعنى التوقع الذي
هو معنى قد عند استماع المخاطب كلمة القسم قيل ارسل نوح عليه الصلاة والسلام وهو ابن خمسين سنة وكان نجارا وهو نوح
بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ واخنوخ اسم ادريس النبي صلى الله عليه وسلم وقرئ غيره بالحركات الثلاث فالرفع على المحل كأنه
قيل ما لكم اله غيره والجر على اللفظ والنصب على الاستثناء بمعنى ما لكم من اله الا اياه كقولك ما في الدار من احد الا زيدا او غير
زيد فان قلت ما موقع الجملتين بعد قوله اعبدوا الله قلت الاولى بيان لوجه اختصاصه بالعبادة والثانية بيان للداعي
الى عبادته لانه هو المحذور عقابه دون ما كانوا يعبدونه من دون الله واليوم يوم القيمة او يوم نزول العذاب عليهم وهو
الطوفان قال الملأ من قومه الملأ الاشراف والسادة وقيل الرجال ليس معهم نساء إنا لنراك في ضلال مبين في ذهاب
عن طريق الصواب والرؤية رؤية القلب قال يا قوم ليس بي ضلالة فان قلت لم قال ليس بي ضلالة ولم يقل ضلال
كما قالوا قلت الضلالة اخص من الضلال فكانت ابلغ في نفي الضلال عن نفسه كأنه قال ليس بي شيء من الضلال كما لو قيل لك ألك
تمر فقلت ما لي تمرة فان قلت كيف وقع قوله ولكني رسول من رب العالمين استدراكا للانتفاء عن الضلالة قلت
كونه رسولا من الله مبلغا رسالاته ناصحا في معنى كونه على الصراط المستقيم فصح لذلك ان يكون استدراكا للانتفاء عن الضلال
أبلغكم وقرئ ابلغكم بالتخفيف فان قلت كيف موقع قوله ابلغكم قلت فيه وجهان احدهما ان يكون كلاما
مستأنفا بيانا لكونه رسول رب العالمين والثاني ان يكون صفة لرسول فان قلت كيف جاز ان يكون صفة والرسول
لفظه لفظ الغائب قلت جاز ذلك لان الرسول وقع خبرا عن ضمير المخاطب فكان في معناه كما قال انا الذي سمتني امي حيدره
رسالات ربي ما اوحي الي في الاوقات المتطاولة او في المعاني المختلفة من الاوامر والنواهي والمواعظ والزواجر والبشائر

والمداومة ويجوز أن يريد رسالاته إليه وإلى الأنبياء قبله من صحف جده إدريس وهي ثلاثون صحيفة ومن صحف شيث وهي خمسون
صحيفة وأنصح لكم يقال نصحته ونصحت له وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة على إمحاض النصيحة وأنها وقعت خالصة
للمنصوح له مقصودا بها جانبه لا غير فرب نصيحة ينتفع بها الناصح فيقصد النفعين جميعا ولا نصيحة أمحض من نصيحة
الله ورسله وأعلم من الله ما لا تعلمون أي من صفات الله وأحواله يعني قدرته الباهرة وشدة بطشه على أعدائه وأن
بأسه لا يرد عن القوم المجرمين وقيل لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم فكانوا آمنين لا يعلمون ما علمه نوح بوحي الله إليه أو أراد
وأعلم من جهة الله أشياء لا علم لكم بها أوعجبتم الهمزة للإنكار والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف كأنه قيل أكذبتم
وعجبتم أن جاءكم من أن جاءكم ذكر موعظة من ربكم على رجل منكم على لسان رجل منكم كقوله ما وعدتنا على
رسلك وذلك أنهم كانوا يتعجبون من نبوة نوح ويقولون ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين يعنون إرسال البشر ولو شاء ربنا
لأنزل ملائكة لينذركم وليحذركم عاقبة الكفر ولتتقوا ولتوجد منكم التقوى وهي الخشية بسبب الإنذار ولعلكم
ترحمون ولترحموا بالتقوى إن وجدت منكم فكذبوه فأنجيناه والذين معه قيل كانوا أربعين رجلا وأربعين
امرأة وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن به فإن قلت في الفلك بم يتعلق قلت هو متعلق بمعه كأنه
قيل والذين استقروا معه في الفلك أو صحبوه في الفلك ويجوز أن يتعلق بفعل الإنجاء أي أنجيناهم في السفينة من الطوفان
وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوما عمين عمي القلوب غير مستبصرين وقرئ عامين والفرق بين العمي
والعامي أن العمي يدل على عمى ثابت والعامي على عمى حادث ونحوه قوله ضائق به صدرك وإلى عاد أخاهم هودا أخاهم
واحدا منهم من قولك يا أخا العرب للواحد منهم وإنما جعل واحدا منهم لأنهم أفهم عن رجل منهم وأعرف بحاله في صدقه وأمانته
وهو هود بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح وأخاهم عطف على نوحا وهودا عطف بيان فإن قلت لم حذف العاطف
من قوله قال يا قوم ولم يقل فقال كما في قصة نوح قلت هو على تقدير سؤال سائل قال فما قال لهم هود فقيل قال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من إله غيره أفلا تتقون وكذلك قال الملأ الذين كفروا من قومه فإن قلت لم وصف الملأ بالذين كفروا
دون الملأ من قوم نوح قلت كان في أشراف قوم هود من آمن به منهم مرثد بن سعد الذي أسلم وكان يكتم إسلامه فأريدت
التفرقة بالوصف ولم يكن في أشراف قوم نوح مؤمن ونحوه قوله وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة ويجوز أن
يكون وصفا واردا للذم لا غير إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين في سفاهة في خفة حلم وسخافة
عقل حيث تهجر دين قومك إلى دين آخر وجعلت السفاهة ظرفا على طريق المجاز أرادوا أنه متمكن فيها غير منفك عنها
قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين أوعجبتم
أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم وفي إجابة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من نسبهم إلى
الضلال والسفاهة بما أجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والإغضاء وترك المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بأن
خصومهم أضل الناس وأسفههم أدب حسن وخلق عظيم وحكاية الله عز وجل ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون
السفهاء وكيف يغضون عنهم ويسبلون أذيالهم على ما يكون منهم ناصح أمين أي عرفت فيما بينكم بالنصح والأمانة
فما حقي أن أتهم وأنا لكم ناصح فيما أدعوكم إليه أمين على ما أقول لكم لا أكذب فيه واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد
قوم نوح أي خلفتموهم في الأرض أو جعلكم ملوكا في الأرض قد استخلفكم فيها بعدهم وزادكم في الخلق بسطة
فيما خلق من أجرامكم ذهابا في الطول والبدانة قيل كان أقصرهم ستين ذراعا وأطولهم مائة ذراع فاذكروا آلاء الله
في استخلافكم وبسطة أجرامكم وما سواهما من عطاياه وواحد الآلاء إلى نحو إنى وأنا وضلع وأضلاع وعنب وأعناب
فإن قلت إذ في قوله إذ جعلكم خلفاء ما وجه انتصابه قلت هو مفعول به وليس بظرف أي اذكروا وقت استخلافكم
لعلكم تفلحون قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا أنكروا واستبعدوا اختصاص الله
وحده بالعبادة وترك دين الآباء في اتخاذ الأصنام شركاء معه حبا لما نشأوا عليه وإلفا لما صادفوا آباءهم يتدينون به فإن
قلت ما معنى المجيء في قوله أجئتنا قلت فيه أوجه أن يكون لهود عليه الصلاة والسلام مكان معتزل عن قومه يتحنث
فيه كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحراء قبل المبعث فلما أوحي إليه جاء قومه يدعوهم وأن يريد به
الاستهزاء لأنهم كانوا يعتقدون أن الله لا يرسل إلا الملائكة فكأنهم قالوا أجئتنا من السماء كما يجيء الملك وأن يريد
المجيء ولكن التعرض والقصد كما يقال ذهب يشتمني ولا يراد حقيقة الذهاب كأنهم قالوا أقصدتنا لنعبد الله وحده وتعرضت
لنا بتكليف ذلك فأتنا بما تعدنا استعجال منهم للعذاب إن كنت من الصادقين قال قد وقع عليكم أي حق عليكم
ووجب أو قد نزل عليكم جعل المتوقع الذي لا بد من نزوله بمنزلة الواقع ونحوه قولك لمن طلب إليك بعض المطالب قد
كان ذلك وعن حسان أن ابنه عبد الرحمن لسعه زنبور وهو طفل فجاء يبكي فقال له يا بني ما لك قال لسعني طوير كأنه
ملتف في بردي حبرة فضمه إلى صدره وقال يا بني قد قلت الشعر من ربكم رجس وغضب والرجس العذاب من الارتجاس

وهو الاضطراب أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان في أشياء ما هي إلا أسماء ليس
تحتها مسميات لأنكم تسمونها آلهة ومعنى الإلهية فيها معدوم ومحال وجوده وهذا كقوله ما يدعون من دونه من شيء
ومعنى سميتموها سميتم بها من قولك سميته بزيد فانتظروا إني معكم من المنتظرين فأنجيناه والذين معه برحمة منا
وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وقطع الدابر عبارة عن الاستئصال وتدميرهم عن آخرهم وقصتهم أن عادا قد تبسطوا في
البلاد ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم أصنام يعبدونها صداء وصمود والهباء فبعث الله إليهم هودا نبيا وكان من أوسطهم
وأفضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا عتوا وتجبرا فأمسك الله عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا وكان الناس إذا نزل
بهم بلاء طلبوا إلى الله الفرج منه عند بيته الحرام مسلمهم ومشركهم وأهل مكة إذ ذاك العماليق أولاد عمليق بن لاوذ
بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فجهزت عاد إلى مكة من أماثلهم سبعين رجلا منهم قيل بن عنز ومرثد بن سعد
الذي كان يكتم إسلامه فلما قدموا نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا عن الحرم فأنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله
وأصهاره فأقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان كانتا لمعاوية فلما رأى طول مقامهم وذهولهم باللهو عما قدموا
له همه وقال قد هلك أخوالي وأصهاري وهؤلاء على ما هم عليه وكان يستحيي أن يكلمهم خيفة أن يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك
للقينتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معاوية
ألا يا قيل ويحك قم فهينم ... لعل الله يسقينا غماما ... فيسقي أرض عاد إن عادا ... قد امسوا ما يبينون الكلاما
فلما غنتا به قالوا إن قومكم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم وقد أبطأتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد
بن سعد والله لا تسقون بدعائكم ولكن إن أطعتم نبيكم وتبتم إلى الله سقيتم وأظهر إسلامه فقالوا لمعاوية احبس
عنا مرثدا لا يقدمن معنا مكة فإنه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت
تسقيهم فأنشأ الله سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال
اخترت السوداء فإنها أكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد لهم يقال له المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا
فجاءتهم منها ريح عقيم فأهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فأتوا مكة فعبدوا الله فيها حتى ماتوا فإن قلت ما فائدة
نفي الإيمان عنهم في قوله وما كانوا مؤمنين مع إثبات التكذيب بآيات الله قلت هو تعريض بمن آمن منهم كمرثد بن
سعد ومن نجا مع هود عليه الصلاة والسلام كأنه قيل وقطعنا دابر الذين كذبوا منهم ولم يكونوا مثل من آمن منهم ليؤذن
أن الهلاك خص المكذبين ونجى الله المؤمنين وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره
وقرئ وإلى ثمود بمنع الصرف بتأويل القبيلة وإلى ثمود بالصرف بتأويل الحي أو باعتبار الأصل لأنه اسم أبيهم الأكبر وهو ثمود
بن عامر بن إرم بن سام بن نوح وقيل سميت لقلة مائها من الثمد وهو الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام
إلى وادي القرى قد جاءتكم بينة من ربكم آية ظاهرة وشاهد على صحة نبوتي فكأنه قيل ما هذه البينة فقال هذه
ناقة الله لكم آية وآية نصب على الحال والعامل فيها ما دل عليه اسم الإشارة من معنى الفعل كأنه قيل أشير إليها آية ولكم
بيان لمن هي له آية موجبة عليه الإيمان خاصة وهم ثمود لأنهم عاينوها وسائر الناس أخبروا عنها وليس الخبر كالمعاينة
كأنه قال لكم خصوصا وإنما أضيفت إلى اسم الله تعظيما لها وتفخيما لشأنها وأنها جاءت من عنده مكونة من غير فحل وطروقة
آية من آياته كما تقول آية الله وروي أن عادا لما أهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوهم في الأرض وكثروا وعمروا
أعمارا طوالا حتى إن الرجل كان يبني المسكن المحكم فينهدم في حياته فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في سعة ورخاء
من العيش فعتوا على الله وأفسدوا في الأرض وعبدوا الأوثان فبعث الله إليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من
أوسطهم نسبا فدعاهم إلى الله فلم يتبعه إلا قليل منهم مستضعفون فحذرهم وأنذرهم فسألوه آية فقال أية آية
تريدون قالوا اخرج معنا إلى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة فتدعو إلهك وندعو آلهتنا فإن استجيب لك اتبعناك
وإن استجيب لنا اتبعتنا فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا أوثانهم وسألوها الاستجابة فلم تجبهم فقال سيدهم جندع
بن عمرو وأشار إلى صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة
التي شاكلت البخت فإن فعلت صدقناك وأجبناك فأخذ صالح عليه الصلاة والسلام عليهم المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن
قالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم
ما بين جنبيها إلا الله وعظماؤهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع ورهط من قومه ومنع أعقابهم ناس من رؤوسهم
أن يؤمنوا فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا فإذا كان يومها وضعت رأسها في البئر فما
ترفعه حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحتلبون ما شاؤوا حتى تمتلئ أوانيهم فيشربون ويدخرون قال أبو موسى الأشعري
أتيت أرض ثمود فذرعت مصدر الناقة فوجدته ستين ذراعا وكانت الناقة إذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي
فتهرب منها أنعامهم فتهبط إلى بطنه وإذا وقع البرد تشتت ببطن الوادي فتهرب مواشيهم إلى ظهره فشق ذلك عليهم

وسنت لهم عقرها امرأتان عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار لما أضرت به من مواشيهما وكانتا كثيرتي المواشي فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى بلغ جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا وكان صالح قال لهم أدركوا الفصيل عسى أن يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة وبعد غد وجوهكم محمرة واليوم الثالث ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا أن يقتلوه فأنجاه الله إلى أرض فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالأنطاع فأتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا **فذروها تأكل في أرض الله** أي الأرض أرض الله والناقة ناقة الله فذروها تأكل في أرض ربها فليست الأرض لكم ولا ما فيها من النبات من إنباتكم **ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم** لا تضربوها ولا تطردوها ولا تريبوها بشيء من الأذى إكراما لآية الله وروي أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حين مر بالحجر في غزوة تبوك قال لأصحابه لا يدخلن أحدكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل الذي أصابهم وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم يا علي أتدري من أشقى الأولين قال الله ورسوله أعلم قال عاقر ناقة صالح قال عليه الصلاة والسلام أتدري من أشقى الآخرين قال الله ورسوله أعلم قال قاتلك وقرأ أبو جعفر في رواية تأكل في أرض الله وهي في موضع الحال بمعنى آكلة **واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم** ونزلكم والمباءة المنزل **في الأرض** في أرض الحجر بين الحجاز والشام **تتخذون من سهولها قصورا** أي تبنونها من سهولة الأرض بما تعملون منها من الرهص واللبن والآجر **وتنحتون الجبال** وقرأ الحسن وتنحتون بفتح الحاء وتنحاتون بإشباع الفتحة كقوله ينباع من ذفرى أسيل حرة **بيوتا** **فإن قلت** علام انتصب بيوتا **قلت** على الحال كما تقول خط هذا الثوب قميصا وابر هذه القصبة قلما وهي من الحال المقدرة لأن الجبل لا يكون بيتا في حال النحت ولا الثوب والقصبة قميصا وقلما في حال الخياطة والبري وقيل كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتاء **فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم** للذين استضعفهم رؤساء الكفار واستذلوهم ولمن آمن منهم بدل من الذين استضعفوا **فإن قلت** الضمير في منهم راجع إلى ماذا **قلت** إلى قومه وإلى الذين استضعفوا **فإن قلت** هل لاختلاف المرجعين أثر في اختلاف المعنى **قلت** نعم وذلك أن الراجع إذا رجع إلى قومه فقد جعل من آمن مفسرا لمن استضعف منهم فدل أن استضعافهم كان مقصورا على المؤمنين وإذا رجع إلى الذين استضعفوا لم يكن الاستضعاف مقصورا عليهم ودل أن المستضعفين كانوا مؤمنين وكافرين **أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه** قالوه على سبيل الطنز والسخرية كما تقول للمجسمة أتعلمون أن الله فوق العرش **قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون** **فإن قلت** كيف صح قولهم إنا بما أرسل به مؤمنون جوابا عنه **قلت** سألوهم عن العلم بإرساله وبما أرسل به ما لا كلام فيه ولا شبهة تدخله لوضوحه وإنارته وإنما الكلام في وجوب الإيمان به فنخبركم أنا به مؤمنون ولذلك كان جواب الكفرة إنا بالذي آمنتم به كافرون فوضعوا آمنتم به موضع أرسل به ردا لما جعله المؤمنون معلوما وأخذوه مسلما **فعقروا الناقة** أسند العقر إلى جميعهم لأنه كان برضاهم وإن لم يباشره إلا بعضهم وقد يقال للقبيلة الضخمة أنتم فعلتم كذا وما فعله إلا واحد منهم **وعتوا عن أمر ربهم** وتولوا عنه واستكبروا عن امتثاله وأمر ربهم ما أمر به على لسان صالح عليه الصلاة والسلام من قوله فذروها تأكل في أرض الله أو شأن ربهم وهو دينه ويجوز أن يكون المعنى وصدر عتوهم عن أمر ربهم كأن أمر ربهم بتركها كان هو السبب في عتوهم ونحو عن هذه ما في قوله وما فعلته عن أمري **وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين** ائتنا بما تعدنا أراد من العذاب وإنما جاز الإطلاق لأنه كان معلوما واستعجالهم له لتكذيبهم به ولذلك علقوه بما هم به كافرون وهو كونه من المرسلين **فأخذتهم الرجفة** الصيحة التي زلزلت لها الأرض واضطربوا لها **فأصبحوا في دارهم جاثمين** هامدين لا يتحركون موتى يقال الناس جثم أي قعود لا حراك بهم ولا يتسمعون نبسة ومنه المجثمة التي جاء النهي عنها وهي البهيمة تربط وتجمع قوائمها لترمى وعن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لما مر بالحجر قال لا تسألوا الآيات فقد سألها قوم صالح فأخذتهم الصيحة فلم يبق منهم إلا رجل واحد كان في حرم الله قالوا من هو قال ذاك أبو رغال فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه وروي أن صالحا كان بعثه إلى قوم فخالف أمره وروي أنه مر بقبر أبي رغال فقال أتدرون من هذا قالوا الله ورسوله أعلم فذكر قصة أبي رغال وأنه دفن ههنا ودفن معه غصن من ذهب فابتدروه وبحثوا عنه بأسيافهم فاستخرجوا الغصن **فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين** الظاهر أنه كان مشاهدا لما جرى عليهم وأنه تولى عنهم بعد ما أبصرهم جاثمين تولي مغتم متحسر على ما فاته من إيمانهم يتحزن لهم ويقول يا قوم لقد بذلت فيكم وسعي ولم آل جهدا في إبلاغكم والنصيحة لكم ولكنكم لا تحبون الناصحين ويجوز أن يتولى عنهم تولي ذاهب عنهم منكر لإصرارهم حين رأى العلامات قبل نزول العذاب وروي أن عقرهم الناقة كان يوم الأربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت وروي أنه

خرج في مئة وعشرة من المسلمين وهو يبكي فالتفت فرأى الدخان ساطعا فعلم أنهم قد هلكوا وكانوا ألفا وخمسمائة دار وروي أنه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم **فإن قلت** كيف صح خطاب الموتى وقوله ولكن لا تحبون الناصحين **قلت** قد يقول الرجل لصاحبه وهو ميت وقد كان نصحه فلم يسمع منه حتى ألقى بنفسه في التهلكة يا أخي كم نصحتك وكم قلت لك فلم تقبل مني وقوله ولكن لا تحبون الناصحين حكاية حال ماضية **ولوطا إذ قال لقومه** وأرسلنا لوطا وإذ ظرف لأرسلنا أو واذكر لوطا وإذ بدل منه بمعنى واذكر وقت قال لقومه **أتأتون الفاحشة** أتفعلون السيئة المتمادية في القبح **ما سبقكم بها** ما عملها قبلكم والباء للتعدية من قولك سبقته بالكرة إذا ضربتها قبله ومنه قوله عليه الصلاة والسلام سبقك بها عكاشة **من أحد من العالمين** من الأولى زائدة لتأكيد النفي وإفادة معنى الاستغراق والثانية للتبعيض **فإن قلت** ما موقع هذه الجملة **قلت** هي جملة مستأنفة أنكر عليهم أولا بقوله أتأتون الفاحشة ثم وبخهم عليها فقال أنتم أول من عملها أو على أنه جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا لم لا نأتيها فقال ما سبقكم بها أحد فلا تفعلوا ما لم تسبقوا به **إنكم لتأتون الرجال** بيان لقوله أتأتون الفاحشة والهمزة مثلها في أتأتون للإنكار والتعظيم وقرئ إنكم على الإخبار المستأنف لتأتون الرجال من أتى المرأة إذا غشيها **شهوة من دون النساء** مفعول له أي للاشتهاء لا حامل لكم عليه إلا مجرد الشهوة من غير داع آخر ولا ذم أعظم منه لأنه وصف لهم بالبهيمية وأنه لا داعي لهم من جهة العقل البتة كطلب النسل ونحوه أو حال بمعنى مشتهين تابعين للشهوة غير ملتفتين إلى السماجة **بل أنتم قوم مسرفون** أضرب عن الإنكار إلى الإخبار عنهم بالحال التي توجب ارتكاب القبائح وتدعو إلى اتباع الشهوات وهو أنهم قوم عادتهم الإسراف وتجاوز الحد في كل شيء فمن ثم أسرفوا في باب قضاء الشهوة حتى تجاوزوا المعتاد إلى غير المعتاد ونحوه بل أنتم قوم عادون **وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم** يعني ما أجابوه بما يكون جوابا عما كلمهم به لوط عليه الصلاة والسلام من إنكار الفاحشة وتعظيم أمرها ووسمهم بسمة الإسراف الذي هو أصل الشر كله ولكنهم جاءوا بشيء آخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته من الأمر بإخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم ضجرا بهم وبما يسمعونه من وعظهم ونصحهم وقولهم **إنهم أناس يتطهرون** سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش وافتخار بما كانوا فيه من القذارة كما يقول الشطار من الفسقة لبعض الصلحاء إذا وعظهم أبعدوا عنا هذا المتقشف وأريحونا من هذا المتزهد **فأنجيناه وأهله** ومن يختص به من ذويه أو من المؤمنين **إلا امرأته كانت من الغابرين وأمطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين** من الغابرين من الذين غبروا في ديارهم أي بقوا فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور على الإناث وكانت كافرة موالية لأهل سدوم وروي أنها التفتت فأصابها حجر فماتت وقيل كانت المؤتفكة خمس مدائن وقيل كانوا أربعة آلاف بين الشام والمدينة فأمطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وأمطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم وقيل أمطر عليهم ثم خسف بهم وروي أن تاجرا منهم كان في الحرم فوقف له الحجر أربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه **فإن قلت** أي فرق بين مطر وأمطر **قلت** يقال مطرتهم السماء وواد ممطور وفي نوابغ الكلم حري غير ممطور حري أن يكون غير ممطور ومعنى مطرتهم أصابتهم بالمطر كقولهم غاثتهم وبلتهم وجادتهم ورهمتهم ويقال أمطرت عليهم كذا بمعنى أرسلته عليهم إرسال المطر فأمطر علينا حجارة من السماء وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ومعنى وأمطرنا عليهم مطرا وأرسلنا عليهم نوعا من المطر يعني الحجارة ألا ترى إلى قوله فساء مطر المنذرين **وإلى مدين أخاهم شعيبا** كان يقال لشعيب خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه وكانوا أهل بخس للمكاييل والموازين **قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم** معجزة شاهدة بصحة نبوتي أوجبت عليكم الإيمان بي والأخذ بما أمرتكم والانتهاء عما نهيتكم عنه **فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم** **فإن قلت** ما كانت معجزته **قلت** قد وقع العلم بأنه كانت له معجزة لقوله قد جاءتكم بينة من ربكم ولأنه لا بد لمدعي النبوة من معجزة تشهد له وتصدقه وإلا لم تصح دعواه وكان متنبئا لا نبيا غير أن معجزته لم تذكر في القرآن كما لم تذكر أكثر معجزات نبينا فيه ومن معجزات شعيب عليه الصلاة والسلام ما روي من محاربة عصا موسى التنين حين دفع إليه غنمه وولادة الغنم الدرع خاصة حين وعده أن تكون الدرع من أولادها ووقوع عصا آدم على يده في المرات السبع وغير ذلك من الآيات لأن هذه كلها كانت قبل أن يستنبئ موسى وكانت معجزات لشعيب **فإن قلت** كيف قيل الكيل والميزان وهلا قيل المكيال والميزان كما في سورة هود **قلت** أريد بالكيل آلة الكيل وهو المكيال أو سمي ما يكال به بالكيل كما قيل العيش لما يعاش به أو أريد فأوفوا الكيل ووزن الميزان ويجوز أن يكون الميزان كالميعاد والميلاد بمعنى المصدر ويقال بخسته حقه إذا نقصته إياه ومنه قيل للمكس البخس وفي أمثالهم تحسبها حمقاء وهي باخس وقيل أشياءهم لأنهم كانوا يبخسون الناس كل شيء في مبايعاتهم أو كانوا مكاسين لا يدعون شيئا إلا مكسوه كما يفعل أمراء الحرمين وروي أنهم كانوا إذا دخل الغريب بلادهم أخذوا دراهمه الجياد وقالوا هي زيوف فقطعوها قطاعا ثم أخذوها بنقصان ظاهر أو

اعطوه بدلها ناقصا ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها بعد الاصلاح فيها اي لا تفسدوا فيها بعد ما اصلح فيها
الصالحون من الانبيا واتباعهم العاملون بشرايعهم واضافته كاضافة قوله بل مكر الليل والنهار بمعنى بل مكركم
في الليل والنهار او بعد اصلاح اهلها على حذف المضاف ذلكم اشارة الى ما ذكر من الوفا بالكيل والميزان وترك البخس والافساد
في الارض والى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنى خير لكم في الانسانية وما تطلبونه من التكسب والتربح لان الناس ارغب
في متاجرتكم اذا عرفوا منكم الامانة والتسوية إن كنتم مؤمنين اي ان كنتم مصدقين لي في قولي ذلكم خير
لكم ولا تقعدوا بكل صراط توعدون ولا تقتدوا بالشيطان في قوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فتقعدوا
بكل صراط اي بكل منهاج من مناهج الدين والدليل على ان المراد بالصراط سبيل الحق قوله وتصدون عن سبيل الله ومحل توعدون
وما عطف عليه النصب على الحال اي ولا تقعدوا موعدين وصادين عن سبيل الله وباغيها عوجا فان قلت صراط الحق
واحد ولكنه تتشعب الى معارف وحدود واحكام كثيرة مختلفة فكانوا اذا راوا واحدا يشرع في شيء منها اوعدوه
وصدوه فان قلت الى ما يرجع الضمير في من آمن به قلت الى كل صراط تقديره توعدون من آمن به وتصدون
عنه فوضع الظاهر الذي هو في سبيل الله موضع الضمير زيادة في تقبيح امرهم ودلالة على عظم ما يصدون عنه وقيل
كانوا يجلسون على الطرق والمراصد فيقولون لمن يمر بهم ان شعيبا كذاب فلا يفتننكم عن دينكم كما يفعل قريش
بمكة وقيل كانوا يقطعون الطرق وقيل كانوا عشارين وتبغونها عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا اي تصفونها للناس
بانها سبيل معوجة غير مستقيمة لتصدوهم عن سلوكها والدخول فيها او يكون تبغونها بمعنى وانهم يطلبون لها ما هو محال
لان طريق الحق لا يعوج واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم اذ مفعول به غير ظرف اي واذكروا على جهة الشكر
وقت كونكم قليلا عددكم فكثركم الله ووفر عددكم قيل ان مدين بن ابراهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله في
نسلها بالبركة والنما فكثروا وفشوا ويجوز اذ كنتم مقلين فقرا فكثركم فجعلكم مكثرين موسرين او كنتم اقلة اذلة
فعززكم بكثرة العدد والعدد وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين آخر من افسد قبلكم من الامم كقوم نوح وهود
وصالح ولوط وكانوا قريبي عهد مما اصاب المؤتفكة وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا
فاصبروا فتربصوا وانتظروا حتى يحكم الله بيننا اي بين الفريقين بان ينصر المحقين على المبطلين ويظهرهم عليهم وهذا
وعيد للكافرين بانتقام الله منهم كقوله فتربصوا انا معكم متربصون او هو عظة للمؤمنين وحث على الصبر واحتمال
ما كان يلحقهم من اذى المشركين الى ان يحكم الله بينهم وينتقم لهم منهم ويجوز ان يكون خطابا للفريقين اي ليصبر المؤمنون
على اذى الكفار وليصبر الكفار على ما يسوؤهم من ايمان من آمن منهم حتى يحكم الله فيميز الخبيث من الطيب وهو خير الحاكمين
لان حكمه حق وعدل لا يخاف فيه الحيف قال الملأ الذين استكبروا من قومه
لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أولو كنا كارهين قد افترينا
على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا
وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا اي ليكونن احد الامرين اما اخراجكم واما عودكم في الكفر فان قلت
كيف خاطبوا شعيبا عليه الصلاة والسلام بالعود في الكفر في قولهم او لتعودن في ملتنا وكيف اجابهم بقوله ان عدنا في ملتكم
بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان نعود فيها والانبيا لا يجوز عليهم من الصغاير الا ما ليس فيه تنفير فضلا عن الكباير
فضلا عن الكفر قلت لما قالوا لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك فعطفوا على ضميره الذين دخلوا في الايمان منهم بعد
كفرهم قالوا لتعودن فغلبوا الجماعة على الواحد فجعلوهم عايدين جميعا اجرا للكلام على حكم التغليب وعلى ذلك اجرى
شعيب عليه الصلاة والسلام جوابه فقال ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وهو يريد عود قومه الا انه نظم نفسه في جملتهم
وان كان بريا من ذلك اجرا للكلام على حكم التغليب فان قلت فما معنى قوله وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان
يشا الله والله متعال ان يشا ردة المؤمنين وعودهم في الكفر قلت معناه الا ان يشا الله خذلاننا ومنعنا الالطاف لعلمه انها لا تنفع
فينا فيكون عبثا والعبث قبيح لا يفعله الحكيم والدليل عليه قوله وسع ربنا كل شيء علما اي هو عالم بكل شيء مما كان وما يكون
فهو يعلم احوال عباده كيف تتحول قلوبهم وكيف تتقلب وكيف يقسو بعد الرقة ويمرض بعد الصحة ويرجع الى الكفر بعد الايمان
على الله توكلنا في ان يثبتنا على الايمان ويوفقنا لازدياد الايقان ويجوز ان يكون قوله الا ان يشا الله حسما لطمعهم في العود
لان مشية الله لعودهم في الكفر محال خارج عن الحكمة اولو كنا كارهين الهمزة للاستفهام والواو واو الحال تقديره
اتعيدوننا في ملتكم في حال كراهتنا ومع كوننا كارهين قال ما يكون لنا وما ينبغي لنا وما يصح ربنا افتح بيننا وبين قومنا
بالحق احكم بيننا والفتاحة الحكومة او اظهر امرنا حتى ينفتح ما بيننا وبين قومنا وينكشف بان تنزل عليهم عذابا يتبين
معه انهم على الباطل وانت خير الفاتحين كقوله وهو خير الحاكمين فان قلت كيف اسلوب قوله قد افترينا
على الله كذبا ان عدنا في ملتكم قلت هو اخبار مقيد بالشرط وفيه وجهان ان يكون كلاما مستانفا فيه معنى التعجب

كانهم قالوا ما اكذبنا على الله ان عدنا في الكفر بعد الاسلام لان المرتد ابلغ في الافترا من الكافر لان الكافر مفتر على الله الكذب
حيث يزعم ان لله ندا ولا ند له والمرتد مثله في ذلك وزايد عليه حيث يزعم انه قد تبين له ما خفي عليه من التمييز بين الحق والباطل
والثاني ان يكون قسما على تقدير حذف اللام بمعنى والله لقد افترينا على الله وقال الذين كفروا من قومه اي اشرافهم للذين دونهم
يثبطونهم عن الايمان لئن اتبعتم شعيبا إنكم إذا لخاسرون لاستبدالكم الضلالة بالهدى كقوله اولئك الذين اشتروا
الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وقيل تخسرون باتباعه فوايد البخس والتطفيف لانه ينهاكم عنهما ويحملكم على الايفا والتسوية
فان قلت ما جواب القسم الذي وطاته اللام في لئن اتبعتم وجواب الشرط قلت قوله انكم اذا لخاسرون ساد مسد
الجوابين فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا
شعيبا كانوا هم الخاسرين الذين كذبوا شعيبا مبتدا خبره كان لم يغنوا فيها وكذلك كانوا هم الخاسرين وفي هذا
الابتدا معنى الاختصاص كانه قيل الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بان اهلكوا واستوصلوا كان لم يقيموا في دارهم
لان الذين اتبعوا شعيبا قد انجاهم الله الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بالخسران العظيم دون اتباعه فانهم الرابحون
وفي هذا الاستيناف والابتدا وهذا التكرار مبالغة في رد مقالة الملا لاشياعهم وتسفيه لرايهم واستهزا بنصحهم
لقومهم واستعظام لما جرى عليهم فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف
آسى على قوم كافرين الاسى شدة الحزن قال العجاج وانحلبت عيناه من فرط الاسى اشتد حزنه على قومه ثم انكر على
نفسه فقال كيف يشتد حزني على قوم ليسوا باهل للحزن عليهم لكفرهم واستحقاقهم ما نزل بهم ويجوز ان يريد لقد اعذرت
اليكم في الابلاغ والنصيحة والتحذير مما حل بكم فلم تسمعوا قولي ولم تصدقوني فكيف آسى عليكم يعني انه لا ياسى عليهم لانهم
ليسوا احقا بالاسى وقرا يحيى بن وثاب فكيف ايسى بكسر الهمزة وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء
بالبؤس والفقر والضراء بالضر والمرض لاستكبارهم عن اتباع نبيهم وتعززهم عليه لعلهم يضرعون ليتضرعوا
ويتذللوا ويحطوا اردية الكبر والعزة ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلا والمحنة
الرخا والسعة والصحة كقوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات حتى عفوا كثروا ونموا في انفسهم واموالهم من قولهم عفا النبات
وعفا الشحم والوبر اذا كثرت ومنه قوله عليه الصلاة والسلام واعفوا اللحى وقال الحطيئة بمستاسد القريات عاف نباته وقال ولكنا نعض
السيف منها باسوق عافيات الشحم كوم وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء يعني وابطرتهم النعمة واشروا فقالوا هذه عادة
الدهر يعاقب في الناس بين الضرا والسرا وقد مس آباءنا نحو ذلك وما هو بابتلا من الله لعباده فلم يبق فيهم بعد ابتلائهم بالسيئات والحسنات
الا ان ياخذهم بالعذاب فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون اخذناهم اشد الاخذ وافظعه وهو اخذهم فجاة من
غير شعور منهم ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا اللام في القرى اشارة الى القرى التي دل عليها قوله وما ارسلنا في قرية من نبي كانه
قال ولو ان اهل تلك القرى الذين كذبوا واهلكوا آمنوا بدل كفرهم واتقوا المعاصي مكان ارتكابها لفتحنا عليهم بركات
من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون لاتيناهم بالخير من كل وجه وقيل اراد المطر والنبات
فان قلت ما معنى فتح البركات عليهم قلت تيسيرها عليهم كما يتيسر امر الابواب المستغلقة بفتحها ومنه قولهم فتحت على القاري اذا تعذرت عليه القراءة فيسرتها عليه بالتلقين
وقيل اللام في القرى للجنس ويجوز ان تكون اللام سوى كسبهم
أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون أوأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون بياتا يكون
بمعنى البيتوتة يقال بات بياتا ومنه قوله فجاءها باسنا بياتا او هم قائلون ويكون بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم يقال
بيته العدو بياتا فيجوز ان يراد ان ياتيهم باسنا بايتا او وقت بيات او مبيتا او مبيتين او يكون بمعنى تبييتا كانه قيل ان يبيتهم
باسنا بياتا وضحى نصب على الظرف يقال اتيته ضحى وضحيا وضحا والضحى في الاصل اسم لضوء الشمس اذا اشرقت وارتفعت والفاء والواو
في افامن واومن حرفا عطف دخلت عليهما همزة الانكار فان قلت ما المعطوف عليه ولم عطفت الاولى بالفاء والثانية بالواو
قلت المعطوف عليه قوله فاخذناهم بغتة وقوله ولو ان اهل القرى الى يكسبون وقع اعتراضا بين المعطوف والمعطوف
عليه وانما عطفت بالفاء لان المعنى فعلوا وصنعوا فاخذناهم بغتة بعد ذلك أمن اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا وامنوا ان ياتيهم
باسنا ضحى وقرئ او امن على العطف باو وهم يلعبون يشتغلون بما لا يجدي عليهم كانهم يلعبون فان قلت فلم جي
وعطف بالفاء قوله أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون قلت هو تكرير لقوله افامن
اهل القرى ومكر الله استعارة لاخذه العبد من حيث لا يشعر ولاستدراجه فعلى العاقل ان يكون في خوفه من مكر الله
كالمحارب الذي يخاف من عدوه الكمين والبيات والغيلة وعن الربيع بن خثيم ان ابنته قالت له ما لي ارى الناس ينامون
ولا اراك تنام قال يا بنتاه ان اباك يخاف البيات اراد قوله ان ياتيهم باسنا بياتا أولم يهد للذين يرثون الأرض من
بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون اذا قرئ اولم يهد بالياء كان مرفوعا
بانه فاعله بمعنى اولم يهد للذين يخلفون من خلا قبلهم في ديارهم ويرثونهم ارضهم هذا الشان وهو انا لو نشا اصبناهم

نوليهم كما اصبنا من قبلهم واهلكنا الوارثين كما اهلكنا المورثين واذا قرئ بالنون فهو منصوب كانه قيل اولم نهد للوارثين هذا الشان بمعنى اولم نبين لهم ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وانما عدي فعل الهداية باللام لانه بمعنى التبيين **فان قلت** بم يتعلق قوله ونطبع على قلوبهم **قلت** فيه اوجه ان يكون معطوفا على ما دل عليه معنى اولم يهد كانه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع على قلوبهم او على يرثون الارض او يكون منقطعا بمعنى ونحن نطبع على قلوبهم **فان قلت** هل يجوز ان يكون ونطبع بمعنى وطبعنا كما كان لو نشاء بمعنى لو شئنا ويعطف على اصبناهم **قلت** لا يساعد عليه المعنى لان القوم كانوا مطبوعا على قلوبهم موصوفين بصفة من قبلهم من اقتراف الذنوب والاصابة بها وهذا التفسير يؤدي الى خلوهم عن هذه الصفة وان الله لو شاء لاتصفوا بها تلك القرى نقص عليك من انبائها كقوله وهذا بعلي شيخا في انه مبتدا وخبر وحال ويجوز ان تكون القرى صفة لتلك ونقص خبرا وان تكون القرى ونقص خبرا بعد خبر **فان قلت** ما معنى تلك القرى حتى يكون كلاما مفيدا **قلت** هو مفيد ولكن بشرط التقييد بالحال كما يفيد بشرط التقييد بالصفة في قولك هو الرجل الكريم **فان قلت** ما معنى الاخبار عن القرى بنقص عليك من انبائها **قلت** معناه ان تلك القرى المذكورة نقص عليك بعض انبائها ولها انباء غيرها لم نقصها عليك ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل بالبينات بما كذبوا من قبل بما كذبوا به من آيات الله من قبل مجيء الرسل اي استمروا على التكذيب من لدن مجيء الرسل اليهم الى ان ماتوا مصرين لا يرعوون ولا تلين شكيمتهم في كفرهم وعنادهم مع تكرر المواعظ عليهم وتتابع الآيات ومعنى اللام تاكيد نفي الايمان وان الايمان كان منافيا لحالهم في التصميم على الكفر وعن مجاهد هو كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه كذلك مثل ذلك الطبع الشديد يطبع الله على قلوب الكافرين وما وجدنا لاكثرهم من عهد الضمير للناس على الاطلاق اي ما وجدنا لاكثر الناس من عهد يعني ان اكثرهم نقض عهد الله وميثاقه في الايمان والتقوى وان وجدنا وان الشان والحديث وجدنا اكثرهم لفاسقين خارجين عن الطاعة مارقين والآية اعتراض ويجوز ان يرجع الضمير الى الامم المذكورين وانهم كانوا اذا عاهدوا الله في ضر ومخافة لئن انجيتنا لنؤمنن ثم نجاهم نكثوا كما قال قوم فرعون لموسى عليه الصلاة والسلام لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك الى قوله اذا هم ينكثون والوجود بمعنى العلم كقولك وجدت زيدا ذا الحفاظ بدليل دخول ان المخففة واللام الفارقة ولا يسوغ ذلك الا في المبتدا والخبر والافعال الداخلة عليهما ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا الى فرعون وملائه من بعدهم الضمير للرسل في قوله ولقد جاءتهم رسلهم او للامم فظلموا بها فكفروا بآياتنا اجرى الظلم مجرى الكفر لانهما من واد واحد ان الشرك لظلم عظيم او فظلموا الناس بسببها حين اوعدوهم وصدوهم عنها وآذوا من آمن بها ولانه اذا وجب الايمان بها فكفروا بدل الايمان كان كفرهم بها ظلما فلذلك قيل فظلموا بها اي كفروا بها واضعين الكفر غير موضعه وهو موضع الايمان فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين يقال لملوك مصر الفراعنة كما يقال لملوك فارس الاكاسرة فكانه قال يا ملك مصر وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق فيه اربع قراءات المشهورة وحقيق علي ان لا اقول وهي قراءة نافع وحقيق ان لا اقول وهي قراءة عبد الله وحقيق بان لا اقول وهي قراءة ابي وفي المشهورة اشكال ولا تخلو من وجوه احدها ان تكون مما قلب من الكلام لا من الالباس كقوله وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر ومعناه وتشقى الضياطرة بالرماح وحقيق علي ان لا اقول وهي قراءة نافع والثاني ان ما لزمك فقد لزمته فلما كان قول الحق حقيقا عليه كان هو حقيقا على قول الحق اي لازما له والثالث ان يضمن حقيق معنى حريص كما ضمن هيجني معنى ذكرني في بيت الكتاب اذا تغنى الحمام الورق هيجني ولو تغربت عنها ام عمار والرابع وهو الاوجه الادخل في نكت القرآن ان يغرق موسى عليه الصلاة والسلام في وصف نفسه بالصدق في ذلك المقام لا سيما وقد روي ان عدو الله فرعون قال له لما قال اني رسول من رب العالمين كذبت فيقول انا حقيق على قول الحق اي واجب علي قول الحق ان اكون انا قائله والقائم به ولا يرضى الا بمثلي ناطقا به فقد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معي بني اسرائيل فخلهم حتى يذهبوا معي راجعين الى الارض المقدسة التي هي وطنهم ومولد آبائهم وذلك ان يوسف عليه الصلاة والسلام لما توفي وانقرضت الاسباط غلب فرعون نسلهم واستعبدهم فانقذهم الله بموسى وكان بين اليوم الذي دخل يوسف مصر واليوم الذي دخله موسى اربعمائة عام قال ان كنت جئت بآية فات بها ان كنت من الصادقين **فان قلت** كيف قال له فات بها بعد قوله ان كنت جئت بآية **قلت** معناه ان كنت جئت من عند من ارسلك بآية فاتني بها واحضرها عندي ليصح دعواك ويثبت صدقك فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ظاهر امره لا يشك في انه ثعبان وروي انه كان ثعبانا ذكرا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل في الارض ولحيه الاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون ليأخذه فوثب فرعون من سريره وهرب واحدث ولم يكن احدث قبل ذلك وهرب الناس وصاحوا وحمل على الناس فانهزموا فمات منهم خمسة وعشرون الفا قتل بعضهم بعضا ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى خذه

وانا اومن بك وارسل معك بني اسرائيل فعاد عصا ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين **فان قلت** بم يتعلق للناظرين **قلت** يتعلق ببيضاء والمعنى فاذا هي بيضاء للنظارة ولا تكون بيضاء للنظارة الا اذا كان بياضها بياضا عجيبا خارجا عن العادة يجتمع الناس للنظر اليه كما تجتمع النظارة للعجائب وذلك ما روي انه ارى فرعون يده وقال ما هذه فقال يدك ثم ادخلها جيبه وعليه مدرعة صوف ونزعها فاذا هي بيضاء بياضا نورانيا غلب شعاعها شعاع الشمس وكان موسى عليه الصلاة والسلام آدم شديد الادمة قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تأمرون قالوا ارجه واخاه وابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم ان هذا لساحر عليم عالم بالسحر ماهر فيه قد اخذ عيون الناس بخدعة من خدعه حتى خيل اليهم العصا حية والآدم ابيض **فان قلت** قد عزي هذا الكلام الى فرعون في سورة الشعراء وانه قاله للملأ وعزي هاهنا اليهم **قلت** قد قاله هو وقالوه هم فحكي قوله ثمة وقولهم هاهنا او قاله ابتداء فتلقنه منه الملأ فقالوه لاعقابهم او قالوه عنه للناس على طريق التبليغ كما يفعل الملوك يرى الواحد منهم الرأي فيكلم به من يليه من الخاصة ثم تبلغه الخاصة العامة والدليل عليه انهم اجابوه في قولهم ارجه واخاه وارسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم وقرئ سحار اي يأتوك بكل ساحر مثله في العلم والمهارة او بخير منه وكانت هذه مؤامرة مع القبط وقوله فماذا تأمرون من كلام فرعون قاله للملأ لما قالوا له ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم كانه قيل قال فماذا تأمرون فقالوا ارجه واخاه ومعنى ارجه واخاه اخرهما واصدرهما عنك حتى ترى رأيك فيهما وتدبر امرهما وقيل احبسهما وقرئ ارجئه بالهمز وارجه من ارجاه وارجاه وجاء السحرة فرعون قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين **فان قلت** هلا قيل وجاء السحرة فرعون فقالوا **قلت** هو على تقدير سائل سأل ما قالوا اذ جاؤوه فاجيب بقوله قالوا ائن لنا لاجرا اي جعلا على الغلبة وقرئ ان لنا لاجرا على الاخبار واثبات الاجر العظيم وايجابه كانهم قالوا لا بد لنا من اجر والتنكير للتعظيم كقول العرب ان له لابلا وان له لغنما يقصدون الكثرة قال نعم وانكم لمن المقربين **فان قلت** ما الذي عطف عليه وانكم لمن المقربين **قلت** هو معطوف على محذوف سد مسده حرف الايجاب كانه قال ايجابا لقولهم ان لنا لاجرا نعم ان لكم لاجرا وانكم لمن المقربين اراد اني لا اقتصر بكم على الثواب وحده وان لكم مع الثواب ما يقل معه الثواب وهو التقريب والتعظيم لان المثاب انما يتهنأ بما يصل اليه ويغتبط به اذا نال معه الكرامة والرفعة وروي انه قال لهم تكونون اول من يدخل واخر من يخرج وروي انه دعا برؤساء السحرة ومعلميهم فقال لهم ما صنعتم قالوا قد عملنا سحرا لا يطيقه سحرة اهل الارض الا ان يكون امرا من السماء فانه لا طاقة لنا به وروي انهم كانوا ثمانين الفا وقيل سبعين الفا وقيل بضعة وثلاثين الفا واختلفت الروايات فمن مقل ومن مكثر وقيل كان يعلمهم مجوسيان من اهل نينوى وقيل قال فرعون لا نغالب موسى الا بما هو منه يعني السحر قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين تخييرهم اياه ادب حسن راعوه معه كما يفعل اهل الصناعات اذا التقوا كالمتناظرين قبل ان يتخاوضوا في الجدال والمتصارعين قبل ان يتآخذوا للصراع وقولهم واما ان نكون نحن الملقين فيه ما يدل على رغبتهم في ان يلقوا قبله من تأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر او اقحام الفصل وقد سوغ لهم موسى ما تراغبوا فيه ازدراء لشأنهم وقلة مبالاة بهم وثقة بما كان بصدده من التأييد السماوي وان المعجزة لن يغلبها سحر ابدا قال القوا فلما القوا سحروا اعين الناس اروها بالحيل والشعوذة وخيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه كقوله يخيل اليه من سحرهم انها تسعى روي انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا فاذا هي امثال الحيات قد ملأت الارض وركب بعضها بعضا وجاؤوا بسحر عظيم في باب السحر روي انهم لونوا حبالهم وخشبهم وجعلوا فيها ما يوهم الحركة قيل جعلوا فيها الزئبق واوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا هي تلقف ما يأفكون ما موصولة او مصدرية بمعنى يأفكونه اي يقلبونه عن الحق الى الباطل ويزورونه او افكهم تسمية للمأفوك بالافك روي انها لما تلقفت ملء الوادي من الخشب والحبال ورفعها موسى فرجعت عصا كما كانت واعدم الله بقدرته تلك الاجرام العظيمة او فرقها اجزاء لطيفة قالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فوقع الحق فحصل وثبت ومن بدع التفاسير فوقع قلوبهم اي فاثر فيها من قولهم فاس وقيع وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين وصاروا اذلاء مبهوتين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون وخروا سجدا كانما القاهم ملق لشدة خرورهم وقيل لم يتمالكوا مما راوا فكانهم القوا قال قتادة كانوا اول النهار كفارا سحرة وفي اخره شهداء بررة وعن الحسن تراه ولد في الاسلام ونشأ بين المسلمين يبيع دينه بكذا وكذا وهؤلاء كفار نشأوا في الكفر بذلوا انفسهم لله قال فرعون آمنتم به على الاخبار اي فعلتم هذا الفعل الشنيع توبيخا لهم وتقريعا وقرئ ءامنتم بحرف الاستفهام ومعناه الانكار والاستبعاد ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها ان صنعكم هذا لحيلة احتلتموها انتم وموسى في مصر قبل ان تخرجوا منها الى هذه الصحراء قد تواطأتم على ذلك لغرض لكم وهو ان تخرجوا منها القبط وتسكنوا بني اسرائيل وكان هذا الكلام من فرعون تمويها على الناس لئلا يتبعوا السحرة في الايمان وروي ان موسى عليه الصلاة والسلام قال للساحر الاكبر اتؤمن بي ان غلبتك قال لآتين بسحر لا يغلبه سحر وان غلبتني لأومنن بك وفرعون يسمع فلذلك قال ما قال فسوف تعلمون وعيد اجمله ثم فصله بقوله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ثم لاصلبنكم اجمعين

... ويكد لك لاصلبنكم من خلاف من كل شق طرفا وقيل ان اول من قطع من خلاف وصلب لفرعون قالوا
... فيه اوجه ان يريد فانا لا نبالي بالموت لانقلابنا الى لقاء ربنا ورحمته وخلاصنا منك ومن لقائك او
... فينسا على شبه ابن القطع والصلب وانا جميعا يعنون انفسهم وفرعون ننقلب الى الله فيحكم بيننا
... منقلبون الى الله فما يقدر ان تفعل بنا الا ما به لنا منه وما تنقم منا الا ان امنا بايات ربنا لما جاءتنا
... بايات الله ... اردوا وما نعيب الا ما هو اصل المناقب والمفاخر كلها وهو الايمان ومنه قوله ولا عيب فيهم
ربنا افرغ علينا صبرا هب لنا صبرا واسعا واكثره علينا ... كما يفرغ الماء افراغا وعن بعض ان احدكم
يقول ... ما ... اي بغمره ... والحجل او صب علينا ما يطهرنا من اوضار الاثام وهو الصبر على ما توعدنا
... استقاموا وصبروا وكان ذلك مطهرة لهم وتوفنا مسلمين ثابتين على الاسلام وقال الملأ من
قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ويذرك والهتك ويذرك عطف على ليفسدوا والا انه اذا تركهم
... الى ما دعوه فشا ... والى تركه وترك الهته وكانه تركهم لذلك او هو جواب للاستفهام بالواو كما يجاب
... حادركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء والنصب باضمار ان تقديره ايكون منك ترك موسى ويكون
... وبين ... ك والهتك بالرفع عطفا على اتذر بمعنى اتذره وايذرك اي ايطلق له ذلك او يكون مستانفا
... والهتك وقرأ الحسن ويذرك بالجزم كانه قيل يفسدوا كما قرئ واكن من الصالحين كانه قيل اصدق
... والنصب اي ... فيلعن عبادتك ... وقرئ ويذرك والهتك اي عبادتك وروي انهم قالوا
... سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم وانا فوقهم قاهرون ...

[illegible]

عندك ما مصدرية والمعنى بعهده عندك وهو النبوة والباء إما أن يتعلق بقوله ادع لنا ربك على وجهين أحدهما أسعفنا
إلى ما نطلب إليك من الدعاء لنا بحق ما عندك من عهد الله وكرامته بالنبوة أو ادع الله لنا متوسلا إليه بعهده عندك وإما أن
يكون قسما مجابا بلنؤمنن أي أقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل
فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إلى حد من الزمان هم بالغوه لا محالة فمعذبون فيه لا ينفعهم ما تقدم لهم
من الإمهال وكشف العذاب إلى حلوله إذا هم ينكثون جواب لما يعني فلما كشفنا عنهم فاجأوا النكث وبادروه ولم
يؤخروه ولكن لما كشف عنهم نكثوا فانتقمنا منهم فأردنا الانتقام منهم فأغرقناهم في اليم واليم البحر الذي لا يدرك قعره
وقيل هو لجة البحر ومعظم مائه واشتقاقه من التيمم لأن المستقين يقصدونه بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين أي كان
إغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وغفلتهم عنها وقلة فكرهم فيها وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض
ومغاربها القوم الذين كانوا يستضعفون هم بنو إسرائيل كان يستضعفهم فرعون وقومه والأرض أرض مصر والشام
ملكها بنو إسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتصرفوا كيف شاؤوا في أطرافها ونواحيها الشرقية والغربية التي باركنا فيها بالخصب
وسعة الأرزاق وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل كلمة ربك الحسنى قوله ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض
إلى قوله ما كانوا يحذرون والحسنى تأنيث الأحسن صفة للكلمة ومعنى تمت على بني إسرائيل مضت عليهم واستمرت من قولك
تم على الأمر إذا مضى عليه بما صبروا بسبب صبرهم وحسبك به حاثا على الصبر ودالا على أن من قابل البلاء بالجزع وكله الله إليه
ومن قابله بالصبر وانتظار النصر ضمن الله له الفرج وعن الحسن عجبت ممن خف كيف خف وقد سمع قوله وتلا الآية ومعنى خف طاش
جزعا وقلة صبر ولم يرزن رزانة أولي الصبر وقرأ عاصم في رواية وتمت كلمات ربك الحسنى ونظيره من آيات ربه الكبرى ودمرنا
ما كان يصنع فرعون وقومه ما كانوا يعملون ويسوون من العمارات وبناء القصور وما كانوا يعرشون من الجنات
وهو الذي أنشأ جنات معروشات أو ما كانوا يرفعون من الأبنية المشيدة في السماء كصرح هامان وغيره وقرئ يعرشون
بالكسر والضم وذكر اليزيدي أن الكسر أفصح وبلغني أنه قرأ بعض الناس يغرسون من غرس الأشجار وما أحسبه إلا تصحيفا
منه وهذا آخر ما قص الله من نبأ فرعون والقبط وتكذيبهم بآيات الله وظلمهم ومعاصيهم ثم أتبعه اقتصاص نبأ بني إسرائيل وما
أحدثوا بعد إنقاذهم من ملكة فرعون واستعباده ومعاينتهم الآيات العظام ومجاوزتهم البحر من عبادة البقر وطلب رؤية
الله جهرة وغير ذلك من أنواع الكفر والمعاصي ليعلم حال الإنسان وأنه كما وصفه ظلوم كفار جهول كنود إلا من عصمه الله
وقليل من عبادي الشكور وليسلي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم مما رأى من بني إسرائيل في المدينة وروي أنه عبر بهم موسى يوم
عاشوراء بعد ما أهلك الله فرعون وقومه فصاموه شكرا لله تعالى وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم فمروا
عليهم يعكفون على أصنام لهم يواظبون على عبادتها ويلازمونها قال ابن جريج كانت تماثيل بقر وذلك أول شأن العجل
وقيل كانوا قوما من لخم وقيل كانوا من الكنعانيين الذين أمر موسى بقتالهم وقرئ وجوزنا بمعنى أجزنا يقال أجاز المكان
وجوزه وجاوزه بمعنى جازه كقولك أعلاه وعلاه وقرئ يعكفون بضم الكاف وكسرها قالوا يا موسى اجعل لنا إلها
صنما نعكف عليه كما لهم آلهة أصنام يعكفون عليها وما كافة للكاف ولذلك وقعت الجملة بعدها وعن علي رضوان الله عليه
أن يهوديا قال له اختلفتم بعد نبيكم قبل أن يجف ماؤه فقال قلتم اجعل لنا إلها ولما تجف أقدامكم قال إنكم قوم تجهلون
تعجب من قولهم على أثر ما رأوا من الآية العظمى والمعجزة الكبرى فوصفهم بالجهل المطلق وأكده لأنه لا جهل أعظم مما رأى منهم
ولا أشنع إن هؤلاء يعني عبدة تلك التماثيل متبر ما هم فيه مدمر مكسر ما هم فيه من قولهم إناء متبر إذا كان فضاضا ويقال
لكسار الذهب التبر أي يتبر الله ويهدم دينهم الذي هم عليه على يدي ويحطم أصنامهم هذه ويتركها رضاضا وباطل ما كانوا
يعملون أي ما عملوا شيئا من عبادتها فيما سلف إلا وهو باطل مضمحل لا ينتفعون به وإن كان في زعمهم تقربا إلى الله كما قال وقدمنا إلى
ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وفي إيقاع هؤلاء اسما لإن وتقديم خبر المبتدإ من الجملة الواقعة خبرا لها وسم لعبدة الأصنام
بأنهم هم المعرضون للتبار وأنه لا يعدوهم البتة وأنه لهم ضربة لازب ليحذرهم عاقبة ما طلبوا ويبغض إليهم ما
أحبوا قال أغير الله أبغيكم إلها وهو فضلكم على العالمين أغير المستحق للعبادة أطلب لكم معبودا وهو فضلكم
بما فضلكم دون غيركم من الاختصاص بالنعمة التي لم يعطها أحدا غيركم لتختصوا بالعبادة ولا تشركوا به غيره ومعنى الهمزة الإنكار
والتعجب من طلبهم مع كونهم مغمورين في نعمة الله عبادة غير الله وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب
يبغونكم شدة العذاب من سام السلعة إذا طلبها **فإن قلت** ما محل يسومونكم **قلت** هو استئناف لا محل له ويجوز أن يكون
حالا من المخاطبين أو من آل فرعون يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم وذلكم
إشارة إلى الإنجاء أو إلى العذاب والبلاء النعمة والمحنة وقرئ يقتلون بالتخفيف وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر
فتم ميقات ربه أربعين ليلة روي أن موسى عليه الصلاة والسلام وعد بني إسرائيل وهو بمصر إن أهلك الله عدوهم أتاهم بكتاب من عند
الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فأمره بصوم ثلاثين يوما وهي شهر ذي القعدة فلما

أتم الثلاثين أنكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك وقيل أوحى الله إليه
أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك فأمره الله أن يزيد عليها عشرة أيام من ذي الحجة لذلك وقيل أمره الله أن
يصوم ثلاثين يوما وأن يعمل فيها بما يقربه من الله ثم أنزلت عليه التوراة في العشر وكلم فيها ولقد أجمل ذكر الأربعين في
سورة البقرة وفصلها هاهنا وميقات ربه ما وقت له من الوقت وضربه له وأربعين ليلة نصب على الحال أي تم بالغا هذا
العدد وقال موسى لأخيه هارون عطف بيان لأخيه وقرئ بالضم على النداء اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم وأصلح
ولا تتبع سبيل المفسدين وكن مصلحا أو وأصلح ما يجب أن يصلح من أمور بني إسرائيل ومن دعاك منهم إلى الإفساد فلا تتبعه
ولا تطعه ولما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتنا له وحددنا ومعنى اللام الاختصاص فكأنه قيل واختص مجيئه
بميقاتنا كما تقول أتيته لعشر خلون من الشهر وكلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملك وتكليمه أن يخلق الكلام
منطوقا به في بعض الأجرام كما خلقه مخطوطا في اللوح وروي أن موسى عليه الصلاة والسلام كان يسمع ذلك من كل جهة
وعن ابن عباس رضي الله عنهما كلمه أربعين يوما وأربعين ليلة وكتب له الألواح وقيل إنما كلمه في أول الأربعين قال
رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ثاني مفعولي أرني محذوف أي أرني نفسك أنظر إليك **فإن قلت** الرؤية
عين النظر فكيف قيل أرني أنظر إليك **قلت** معنى أرني نفسك اجعلني متمكنا من رؤيتك بأن تتجلى لي فأنظر إليك
وأراك **فإن قلت** كيف قال لن تراني ولم يقل لن تنظر إلي لقوله أنظر إليك **قلت** لما قال أرني بمعنى اجعلني متمكنا من
الرؤية التي هي الإدراك علم أن الطلبة هي الرؤية لا النظر الذي لا إدراك معه فقيل لن تراني ولم يقل لن تنظر إلي **فإن**
قلت كيف طلب موسى ذلك وهو من أعلم الناس بالله وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز وبتعاليه عن الرؤية التي هي
إدراك ببعض الحواس وذلك إنما يصح فيما كان جسما أو عرضا في جهة وما ليس بجسم ولا عرض فمحال أن يكون في جهة ومنع
المجبرة إحالته في العقول غير لازم لأنه ليس بأول مكابرتهم وارتكابهم وكيف يكون طالبه وقد قال حين أخذت الرجفة
الذين قالوا أرنا الله جهرة أتهلكنا بما فعل السفهاء منا إلى قوله تضل بها من تشاء فتبرأ من فعلهم ودعاهم سفهاء وضلالا **قلت**
ما كان طلبه الرؤية إلا ليبكت هؤلاء الذين دعاهم سفهاء وضلالا وتبرأ من فعلهم وليلقمهم الحجر وذلك أنهم حين طلبوا
الرؤية أنكر عليهم وأعلمهم الخطأ ونبههم على الحق فلجوا وتمادوا في لجاجهم وقالوا لا بد ولن نؤمن لك حتى نراه فأراد أن
يسمعوا النص من عند الله باستحالة ذلك وهو قوله لن تراني ليتيقنوا وينزاح عنهم ما دخلهم من الشبهة فلذلك قال رب
أرني أنظر إليك **فإن قلت** فهلا قال أرهم ينظروا إليك **قلت** لأن الله سبحانه وتعالى إنما كلم موسى عليه الصلاة والسلام
وهم يسمعون فلما سمعوا كلام رب العزة أرادوا أن يرى موسى ذاته فيبصروه معه كما أسمعه كلامه فسمعوه معه إرادة مبنية
على قياس فاسد فلذلك قال موسى أرني أنظر إليك ولأنه إذا زجر عما طلب وأنكر عليه في نبوته واختصاصه وزلفته عند
الله وقيل له لن يكون ذلك كان غيره أولى بالإنكار ولأن الرسول إمام أمته فكان ما يخاطب به أو ما يخاطب راجعا إليهم
وقوله أنظر إليك وما فيه من معنى المقابلة التي هي محض التشبيه والتجسيم دليل على أنه ترجمة عن مقترحهم وحكاية
لقولهم وجل صاحب الجمل أن يجعل الله منظورا إليه مقابلا بحاسة النظر فكيف بمن هو أعرق في معرفة الله من واصل
بن عطاء وعمرو بن عبيد والنظام وأبي الهذيل والشيخين وجميع المتكلمين **فإن قلت** ما معنى لن **قلت** تأكيد النفي
الذي تعطيه لا وذلك أن لا تنفي المستقبل تقول لا أفعل غدا فإذا أكدت نفيها قلت لن أفعل غدا والمعنى أن فعله ينافي
حالي كقوله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له فقوله لا تدركه الأبصار نفي للرؤية فيما يستقبل ولن تراني تأكيد وبيان
لأن المنفي مناف لصفاته **فإن قلت** كيف اتصل الاستدراك في قوله ولكن انظر إلى الجبل بما قبله **قلت** اتصل به
على معنى أن النظر إلي محال فلا تطلبه ولكن عليك بنظر آخر وهو أن تنظر إلى الجبل الذي يرجف بك وبمن طلب الرؤية
لأجلهم كيف أفعل به وكيف أجعله دكا بسبب طلبك الرؤية لتستعظم ما أقدمت عليه بما أريك من عظم أثره كأنه
عز وعلا حقق عند طلب الرؤية ما مثله عند نسبة الولد إليه في قوله وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا فإن استقر
مكانه كما كان مستقرا ثابتا ذاهبا في جهاته فسوف تراني تعليق لوجود الرؤية بوجود ما لا يكون من استقرار الجبل مكانه
حين يدكه دكا ويسويه بالأرض وهذا كلام مدمج بعضه في بعض وارد على أسلوب عجيب ونمط بديع ألا ترى كيف
تخلص من النظر إلى النظر بكلمة الاستدراك ثم كيف بنى الوعيد بالرجفة الكائنة بسبب طلب النظر على الشريطة في وجود
الرؤية أعني قوله فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل فلما ظهر له اقتداره وتصدى له أمره وإرادته
جعله دكا أي مدكوكا مصدر بمعنى مفعول كضرب الأمير والدك والدق أخوان كالشك والشق وقرئ دكاء
والدكاء اسم للرابية الناشزة من الأرض كالدكة أو أرضا دكاء مستوية ومنه ناقة دكاء وقرأ يحيى بن وثاب دكا أي قطعا دكا جمع
دكاء وخر موسى صعقا من هول ما رأى وصعق من باب فعلته ففعل يقال صعقته فصعق وأصله من الصاعقة ويقال
لها الصاقعة من صقعه إذا ضربه على رأسه ومعناه خر مغشيا عليه غشية كالموت وروي أن الملائكة مرت عليه

وهو معنى عليه فحاولوا المكروه بانه لم يعرفوا فلما افاق من صعقته قال سبحانك تبت اليك من طلب الرؤية وانا اول المؤمنين بانك لست بمرئي ولا مدرك بشيء من الحواس فان قلت فان كان طلب الرؤية للغرض الذي ذكرته فمم تاب قلت من اجرائه تلك المقالة العظيمة وان كان لغرض صحيح على لسانه من غير اذن فيه من الله تعالى فانظر الى اعظام الله تعالى امر الرؤية في هذه الاية وكيف ارجف الجبل بطالبيها وجعله دكا وكيف اصعقهم ولم يخل كليمه من نفيان ذلك مبالغة في اعظام الامر وكيف سبح ربه ملتجئا اليه وتاب من اجراء تلك الكلمة على لسانه وقال انا اول المؤمنين ثم تعجب من المتسمين بالاسلام المتسمين باهل السنة والجماعة كيف اتخذوا هذه العظيمة مذهبا ولا يغرنك تسترهم بالبلكفة فانه من منصوبات اشياخهم والقول ما قال بعض العدلية فيهم

لجماعة سموا هواهم سنة ... وجماعة حمر لعمري موكفه
قد شبهوه بخلقه وتخوفوا ... شنع الورى فتستروا بالبلكفه

وتفسير اخر وهو ان يريد بقوله ارني انظر اليك عرفني نفسك تعريفا واضحا جليا كانها اراءة في جلائها باية مثل ايات القيامة التي تضطر الخلق الى معرفتك انظر اليك اعرفك معرفة اضطرار كاني انظر اليك كما جاء في الحديث سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر بمعنى ستعرفونه معرفة جلية هي في الجلاء كابصاركم القمر اذا امتلا واستوى قال لن تراني لن تطيق معرفتي على هذه الطريقة ولن تحتمل قوتك تلك الاية المضطرة ولكن انظر الى الجبل فاني اورد عليه واظهر له اية من تلك الايات فان ثبت لتجليها واستقر مكانه ولم يتضعضع فسوف تثبت لها وتطيقها فلما تجلى ربه للجبل فلما ظهرت له اية من ايات قدرته وعظمته جعله دكا وخر موسى صعقا لعظم ما راى فلما افاق قال سبحانك تبت اليك مما كنت عليه من الاقتراح وانا اول المؤمنين بعظمتك وجلالك وان شيئا لا يقوم لبطشك وباسك قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس اخترتك على اهل زمانك واثرتك عليهم برسالاتي وهي اسفار التوراة وبكلامي وبتكليمي اياك فخذ ما اتيتك ما اعطيتك من شرف النبوة والحكمة وكن من الشاكرين على النعمة في ذلك فهي من اجل النعم فان قلت كيف قيل اصطفيتك على الناس وكان هرون مصطفى مثله نبيا قلت اجل ولكنه كان تابعا له وردءا ووزيرا والكليم هو موسى والاصل في تحمل الرسالة وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء ذكروا في عدد الالواح وفي جوهرها

وطولها انها كانت عشرة الواح وقيل سبعة الواح وقيل لوحين وانها كانت من زمرد جاء بها جبريل وقيل من زبرجد
خضراء وياقوتة حمراء وقيل امر الله موسى بقطعها من صخرة صماء لينها له فقطعها بيده وشققها باصابعه وعن الحسن كانت
من خشب نزلت من السماء فيها التوراة وان طولها كان عشرة اذرع وقوله من كل شيء في محل النصب مفعول كتبنا وموعظة
وتفصيلا بدلا منه والمعنى كتبنا له كل شيء كان بنو اسرائيل محتاجين اليه في دينهم من المواعظ وتفصيل الاحكام وقيل
انزلت التوراة وهي سبعون وقر بعير يقرا الجزء منه في سنة لم يقراها الا اربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى
وعن مقاتل كتب في الالواح اني انا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بي شيئا ولا تقطعوا السبيل ولا تحلفوا باسمي كاذبا
فان من حلف باسمي كاذبا فلا ازكيه ولا تقتلوا ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين فخذها فقلنا له خذها عطفا على كتبنا ويجوز
ان يكون بدلا من قوله فخذ ما اتيتك والضمير في فخذها للالواح او لكل شيء لانه في معنى الاشياء او للرسالات او للتوراة
ومعنى بقوة بجد وعزيمة فعل اولي العزم من الرسل وامر قومك ياخذوا باحسنها اي فيها ما هو حسن واحسن
كالاقتصاص والعفو والانتصار والصبر فمرهم ان يحملوا على انفسهم في الاخذ بما هو ادخل في الحسن واكثر للثواب كقوله
واتبعوا احسن ما انزل اليكم وقيل ياخذوا بما هو واجب او ندب لانه احسن من المباح ويجوز ان يراد ياخذوا بما امروا به دون ما نهوا
عنه على قولك الصيف احر من الشتاء سأريكم دار الفاسقين يريد دار فرعون وقومه وهي مصر كيف اقفرت منهم
ودمروا لفسقهم لتعتبروا فلا تفسقوا مثل فسقهم فينكل بكم مثل نكالهم وقيل منازل عاد وثمود والقرون الذين
اهلكهم الله لفسقهم في ممركم وقيل دار الفاسقين نار جهنم وقرا الحسن ساوريكم وهي لغة فاشية بالحجاز يقال
اورني كذا واوريته ووجهه ان يكون من اوريت الزند كان المعنى بينه لي وانره لاستبينه وقرئ ساورثكم وهي قراءة
حسنة يصححها قوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون سأصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض ساصرف
عن اياتي بالطبع على قلوب المتكبرين وخذلانهم فلا يفكرون فيها ولا يعتبرون بها غفلة وانهماكا فيما يشغلهم عنها
من شهواتهم وعن الفضيل بن عياض ذكر لنا عن رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم اذا عظمت امتي الدنيا نزع منها هيبة الاسلام
واذا تركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت بركة الوحي وقيل ساصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما اجتهد
فرعون ان يبطل اية موسى بان جمع لها السحرة فابى الله الا علو الحق وانتكاس الباطل ويجوز ساصرفهم عنها وعن الطعن
فيها والاستهانة بها وتسميتها سحرا باهلاكهم وفيه انذار للمخاطبين من عاقبة الذين يصرفون عن الايات لتكبرهم
وكفرهم بها لئلا يكونوا مثلهم فيسلك بهم سبيلهم بغير الحق فيه وجهان ان يكون حالا بمعنى يتكبرون غير محقين لان
التكبر بالحق لله وحده وان يكون صلة لفعل التكبر اي يتكبرون بما ليس بحق وما هم عليه من دينهم وان يروا كل اية

من الايات المنزلة عليهم لا يؤمنوا بها وقرا مالك بن دينار وان يروا بضم اليا وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا
وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا وقرئ سبيل الرشد والرشد والرشاد كقولهم السقم والسقم والسقام وما
اسفه من ركب المفازة فانه اى طريقا مستقيما اعرض عنه وتركه وان راى طريقا معتسفا مرديا اخذ فيه وسلكه ففاعل
نحو ذلك في دينه اسفه ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين ذلك في محل الرفع والنصب على معنى
ذلك الصرف بسبب تكذيبهم او صرفهم الله ذلك الصرف بسببه والذين كذبوا باياتنا ولقاء الاخرة حبطت اعمالهم
هل يجزون الا ما كانوا يعملون ولقاء الاخرة يجوز ان يكون من اضافة المصدر الى المفعول به اى ولقائهم الاخرة
ومشاهدتهم احوالها او من اضافة المصدر الى الظرف بمعنى ولقاء ما وعد الله في الاخرة واتخذ قوم موسى من بعده
من حليهم عجلا جسدا له خوار من بعد فراقه اياهم الى الطور فان قلت لم قيل واتخذ قوم موسى عجلا والمتخذ
هو السامري قلت فيه وجهان احدهما ان ينسب الفعل اليهم لان رجلا منهم باشره ووجد فيما بين ظهرانيهم
كما يقال بنو تميم قالوا كذا وفعلوا والقائل والفاعل واحد لانهم كانوا مريدين لاتخاذه راضين به فكانهم اجمعوا
عليه والثاني ان يراد واتخذوه الها وعبدوه وقرئ من حليهم بضم الحاء والتشديد جمع حلي كثدي وثدي ومن حليهم
بالكسر للاتباع كدلي ومن حليهم على التوحيد والحلي اسم ما يتحسن به من الذهب والفضة فان قلت لم قال من حليهم
ولم يكن الحلي لهم انما كانت عواري في ايديهم قلت الاضافة تكون بادنى ملابسة وكونها عواري في ايديهم كفى به ملابسة
على انهم قد ملكوها بعد المهلكين كما ملكوا غيرها من املاكهم الا ترى الى قوله عز وعلا فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز
ومقام كريم كذلك واورثناها بني اسرائيل جسدا بدنا ذا لحم ودم كسائر الاجساد والخوار صوت البقر قال الحسن
ان السامري قبض قبضة من تراب من اثر فرس جبريل يوم قطع البحر فقذفه في في العجل فكان عجلا له خوار وقرا علي رضي الله
عنه له جؤار بالجيم والهمزة من جار اذا صاح وانتصاب جسدا على البدل من عجلا الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم
سبيلا حين اتخذوه الها انه لا يقدر على كلام ولا على هداية سبيل حتى لا يختاروه على من لو كان البحر مدادا لكلماته
لنفد البحر قبل ان تنفد كلماته وهو الذي هدى الخلق الى سبيل الحق وما ركز في العقول من الادلة وبما انزل في كتبه
ثم قال اتخذوه اي اقدموا على ما اقدموا عليه من الامر المنكر وكانوا ظالمين واضعين كل شيء في غير موضعه فلم يكن
اتخاذ العجل بدعا منهم ولا اول مناكيرهم ولما سقط في ايديهم ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل لان
من شان من اشتد ندمه وحسرته ان يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها لان فاه قد وقع فيها وسقط مسند الى في
ايديهم وهو من باب الكناية وقرا ابو السميفع سقط على تسمية الفاعل اي وقع العض فيها وقال الزجاج معناه سقط
الندم في ايديهم اي في قلوبهم وانفسهم كما يقال حصل في يده مكروه وان كان محالا ان يكون في اليد تشبيها لما يحصل في
القلب وفي النفس بما يحصل في اليد ويرى بالعين وراوا انهم قد ضلوا وتبينوا ضلالهم تبينا كانهم ابصروه
بعيونهم قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين وقرئ لئن لم ترحمنا ربنا وتغفر لنا بالتاء وربنا
بالنصب على النداء وهذا كلام التائبين كما قال ادم وحواء عليهما الصلاة والسلام وان لم تغفر لنا وترحمنا ولما
رجع موسى الى قومه غضبان اسفا الاسف الشديد الغضب فلما اسفونا انتقمنا منهم وقيل هو الحزين قال بئسما
خلفتموني من بعدي قمتم مقامي وكنتم خلفائي من بعدي وهذا الخطاب اما ان يكون لعبدة العجل من السامري واشياعه ولوجوه
بني اسرائيل وهم هرون عليه الصلاة والسلام والمؤمنون معه ويدل عليه قوله اخلفني في قومي والمعنى بئسما خلفتموني
حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله وحيث لم تكفوا من عبد غير الله فان قلت اي معنى لقوله اين ما يقتضيه بئس
من الفاعل والمخصوص بالذم قلت الفاعل مضمر يفسره ما خلفتموني والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها
من بعدي خلافتكم فان قلت اي معنى لقوله من بعدي بعد قوله خلفتموني قلت معناه من بعد ما رايتم مني من
توحيد الله ونفي الشركاء عنه واخلاص العبادة له ومن بعد ما كنت احمل بني اسرائيل على التوحيد واكفهم عما طمحت نحوه
ابصارهم من عبادة البقر حين قالوا اجعل لنا الها كما لهم الهة ومن حق الخلفاء ان يسيروا سيرة المستخلف من بعده ولا يخالفوه
وعلى هذا محل من بعدهم خلف اي من بعده اولئك الموصوفون بالصفات الحميدة اعجلتم امر ربكم يقال عجل عن الامر اذا تركه
غير تام ونقيضه تم عليه واعجله عنه غيره ويضمن معنى سبق فيعدى تعديته فيقال عجلت الامر والمعنى اعجلتم عن امر ربكم
وهو انتظار موسى حافظين لعهده وما وصاكم به فبنيتم الامر على ان الميعاد قد بلغ اخره ولم ارجع اليكم فحدثتم
انفسكم بموتي فغيرتم كما غيرت الامم بعد انبيائهم وروي ان السامري قال لهم حين اخرج لهم العجل فقال هذا
الهكم واله موسى ان موسى لن يرجع وانه قد مات وروي انهم عدوا عشرين يوما بلياليها فجعلوها اربعين ثم احدثوا
والقى الالواح وطرحها لما لحقه من فرط الدهش وشدة الضجر عند استماعه حديث العجل غضبا لله وحمية لدينه وكان في
نفسه حديدا شديد الغضب وكان هرون الين منه جانبا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل من موسى وروي ان

الوزاة كانت سبعة اسباع فلما ألقى الألواح تكسرت فرفع منها ستة اسباعها وبقي سبع واحد وكان فيما رفع تفصيل
كل شيء وفيما بقي الهدى والرحمة وأخذ برأس أخيه أي بشعر رأسه يجره إليه بذوائبه وذلك لشدة ما ورد عليه من
الأمر الذي استفزه وذهب بفطنته وظنا بأخيه أنه فرط في الكف قال ابن أم قرئ بالفتح تشبيها بخمسة عشر وبالكسر على
طرح ياء الإضافة وقرئ ابن امي بالياء وابن إم بكسر الهمزة والميم وقيل كان أخاه لأبيه وأمه فإن صح فإنما أضافه إلى الأم إشارة إلى
أنهما من بطن واحد وذلك أدعى إلى العطف والرقة وأعظم للحق الواجب ولأنها كانت مؤمنة فاعتد بنسبها ولأنها هي
التي قاست فيه المخاوف والشدائد فذكره بحقها إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني يعني أنه لم آل جهدا في
كفهم بالوعظ والإنذار وبما بلغته طاقتي من بذل القوة في مضادتهم حتى قهروني واستضعفوني ولم يبق إلا أن يقتلوني فلا
تشمت بي الأعداء فلا تفعل بي ما هو أمنيتهم من الاستهانة بي والإساءة إلي وقرئ فلا تشمت بي الأعداء على نهي الأعداء عن الشماتة
والمراد أن لا يحل به ما يشمتون به لأجله ولا تجعلني مع القوم الظالمين ولا تجعلني في مؤاخذتك علي وعقوبتك لي قرينا لهم
وصاحبا أو ولا تعتقد أني واحد من الظالمين مع براءتي منهم ومن ظلمهم قال رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك
وأنت أرحم الراحمين لما اعتذر إليه أخوه وذكر له شماتة الأعداء قال رب اغفر لي ولأخي ليرضي أخاه ويظهر لأهل
الشماتة رضاه عنه فلا يتم لهم شماتتهم واستغفر لنفسه مما فرط منه إلى أخيه ولأخيه أن عسى فرط في حسن الخلافة
وطلب أن لا يتفرقا عن رحمته ولا تزال منتظمة لهما في الدنيا والآخرة إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم
وذلة في الحياة الدنيا الغضب ما أمروا به من قتل أنفسهم والذلة خروجهم من ديارهم لأن ذلة الغربة مثل مضروب
وكذلك نجزي المفترين المتكذبين على الله ولا فرية أعظم من قول السامري هذا إلهكم وإله موسى ويجوز أن يتعلق
في الحياة الدنيا بالذلة وحدها ويراد سينالهم غضب في الآخرة وذلة في الحياة الدنيا كقوله وضربت عليهم الذلة والمسكنة
وباؤوا بغضب من الله والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي كلها ثم تابوا ثم رجعوا من بعدها
إلى الله واعتذروا إليه وآمنوا وأخلصوا الإيمان إن ربك من بعدها من بعد تلك العظائم لغفور لستور عليهم
محاء لما كان منهم رحيم منعم عليهم بالجنة وهذا حكم عام يدخل تحته متخذو العجل ومن عداهم عظم جناياتهم
أولا ثم أردفها بعظم رحمته ليعلم أن الذنوب وإن جلت وعظمت فإن عفوه وكرمه أعظم وأجل ولكن لا بد من
حفظ الشريطة وهي وجوب التوبة والإنابة وما وراءه طمع فارغ وأشعبية باردة لا يلتفت إليها حازم ولما سكت
عن موسى الغضب هذا مثل كأن الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول له قل لقومك كذا وألق الألواح وجر برأس أخيك فترك
النطق بذلك وقطع الإغراء ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها كل ذي طبع سليم وذوق صحيح إلا لذلك ولأنه من
قبيل شعب البلاغة وإلا فما لقراءة معاوية بن قرة ولما سكن عن موسى الغضب لا تجد النفس عندها شيئا من تلك الهزة وطرفا
من تلك الروعة وقرئ ولما سكت وأسكت أي أسكته الله أو أخوه باعتذاره إليه وتنصله والمعنى ولما طفئ غضبه أخذ
الألواح التي ألقاها وفي نسختها وفيما نسخ فيها أي كتب والنسخة فعلة بمعنى مفعول كالخطبة هدى ورحمة للذين هم
لربهم يرهبون دخلت اللام لتقدم المفعول لأن تأخر الفعل عن مفعوله يكسبه ضعفا ونحوه للرؤيا تعبرون ويقولون لك
ضربت واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل
وإياي واختار موسى من قومه فحذف الجار وأوصل الفعل كقوله ومنا الذي اختير الرجال سماحة وقيل اختار
من اثني عشر سبطا من كل سبط ستة حتى تتاموا اثنين وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال إن لمن قعد منكم
مثل أجر من خرج فقعد كالب ويوشع وروي أنه لم يصب إلا ستين شيخا فأوحى الله أن تختار من الشباب عشرة فاختارهم
فأصبحوا شيوخا وقيل كانوا أبناء ما عدا العشرين ولم يتجاوزوا الأربعين قد ذهب عنهم الجهل والصبا فأمرهم موسى
أن يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم ثم خرج بهم إلى طور سيناء لميقات ربه وكان لا يأتيه إلا بإذن منه فلما
دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنا موسى ودخل فيه وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى
إذا دخلوا في الغمام وقعوا سجدا فسمعوه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه افعل ولا تفعل ثم انكشف الغمام فأقبلوا إليه
فطلبوا الرؤية فوعظهم وزجرهم وأنكر عليهم فقالوا يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فقال رب أرني أنظر
إليك يريد أن يسمعوا الرد والإنكار من جهته فأجيب بلن تراني ورجف بهم الجبل فصعقوا ولما كانت الرجفة قال موسى رب لو شئت
أهلكتهم من قبل وإياي وهذا تمن منه للإهلاك قبل أن يرى ما رأى من تبعة طلب الرؤية كما يقول النادم على الأمر إذا
رأى سوء المغبة لو شاء الله لأهلكني قبل هذا أتهلكنا بما فعل السفهاء منا يعني أتهلكنا جميعا يعني نفسه وإياهم
لأنه إنما طلب الرؤية زجرا للسفهاء وهم طلبوه سفها وجهلا إن هي إلا فتنتك أي محنتك وابتلاؤك حين كلمتني وسمعوا
كلامك فاستدلوا بالكلام على الرؤية استدلالا فاسدا حتى افتتنوا وضلوا تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء تضل
بالمحنة الجاهلين غير الثابتين في معرفتك وتهدي العالمين بك الثابتين بالقول الثابت وجعل ذلك إضلالا من الله وهدى منه لأن

محبته

محبته لما كانت سببا لأن ضلوا واهتدوا فكأنه أضلهم بها وهداهم على الاتساع في الكلام أنت ولينا مولانا القائم بأمورنا فاغفر
لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين واكتب لنا وأثبت لنا واقسم في هذه الدنيا حسنة عافية وحياة طيبة وتوفيقا
في الطاعة وفي الآخرة الجنة إنا هدنا إليك تبنا إليك وهاد إليه يهود إذا رجع وتاب والهود جمع هائد وهو التائب ولبعضهم
يا راكب الذنب هد هد واسجد كأنك هدهد وقرأ أبو وجزة السعدي هدنا بكسر الهاء من هاده يهيده
إذا حركه وأماله ويحتمل أمرين أن يكون مبنيا للفاعل وللمفعول بمعنى حركنا إليك أنفسنا وأملناها وحركنا وأملنا
على تقدير فعلنا كقولك عدت يا مريض بكسر العين فعلت من العيادة ويجوز عدت بالإشمام وعدت بإخلاص الضمة فيمن قال
عود المريض وقول القول ويجوز أن يكون على هذه اللغة أن يكون هدنا بالضم فعلنا من هاده يهيده قال عذابي أصيب به
من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء عذابي من حاله وصفته أني أصيب به من أشاء أي من وجب علي في الحكمة تعذيبه
ولم يكن في العفو عنه مساغ لكونه مفسدة وأما رحمتي فمن حالها وصفتها أنها واسعة تبلغ كل شيء ما من مسلم ولا كافر
ولا مطيع ولا عاص إلا وهو متقلب في نعمتي وقرأ الحسن من أساء من الإساءة فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة
والذين هم بآياتنا يؤمنون فسأكتب هذه الرحمة كتبة خاصة منكم يا بني إسرائيل للذين يكونون في آخر الزمان من
أمة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم الذين هم بجميع آياتنا وكتبنا يؤمنون لا يكفرون بشيء منها الذين يتبعون الرسول
الذي نوحي إليه كتابا مختصا به وهو القرآن النبي صاحب المعجزات الأمي الذي يجدونه يجد نعته أولئك الذين
يتبعونه من بني إسرائيل مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل
لهم الطيبات ما حرم عليهم من الأشياء الطيبة كالشحوم وغيرها وما طاب في الشريعة والحكم مما ذكر اسم الله عليه
من الذبائح وما خلا كسبه من السحت ويحرم عليهم الخبائث مما يستخبث من نحو الدم والميتة ولحم الخنزير وما
أهل لغير الله به أو ما خبث في الحكم كالربا والرشوة وغيرها من المكاسب الخبيثة ويضع عنهم إصرهم والأغلال
التي كانت عليهم الإصر الثقل الذي يأصر صاحبه أي يحبسه من الحراك لثقله وهو مثل لثقل تكليفهم وصعوبته نحو
اشتراط قتل الأنفس في صحة توبتهم وكذلك الأغلال مثل لما كان في شرائعهم من الأشياء الشاقة كتعين القصاص في
العمد كان أو الخطأ من غير شرع الدية وقطع الأعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب وإحراق الغنائم
وتحريم العروق في اللحم وتحريم السبت وعن عطاء كانت بنو إسرائيل إذا قامت تصلي لبسوا المسوح وغلوا أيديهم
إلى أعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة وأوثقها إلى السارية يحبس نفسه على العبادة وقرئ
آصارهم على الجمع فالذين آمنوا به وعزروه وعظموه حتى لا يقوى عليه عدو وقرئ بالتخفيف وأصل العزر المنع ومنه
التعزير للضرب دون الحد لأنه منع من معاودة القبيح ألا ترى إلى تسميته الحد والحد هو المنع ونصروه واتبعوا النور
الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون أي النور القرآن فإن قلت ما معنى قوله أنزل معه وإنما أنزل مع جبريل
قلت معناه أنزل مع نبوته لأن استنباءه كان مصحوبا بالقرآن مشفوعا به ويجوز أن يتعلق باتبعوا أي واتبعوا القرآن المنزل
مع اتباع النبي والعمل بسنته وبما أمر به ونهى عنه أو واتبعوا القرآن كما اتبعه مصاحبين له في اتباعه فإن قلت
كيف انطبق هذا الجواب على قول موسى عليه الصلاة والسلام ودعائه قلت لما دعا لنفسه ولبني إسرائيل أجيب بما هو
منطو على توبيخ بني إسرائيل على استجازتهم الرؤية على الله تعالى وعلى كفرهم بآيات الله العظام التي أجراها على يد موسى
وعرض بذلك في قوله والذين هم بآياتنا يؤمنون وأريد أن يكون استماع أوصاف أعقابهم الذين آمنوا برسول الله صلى الله
عليه وعلى آله وسلم وما جاء به كعبد الله بن سلام وغيره من أهل الكتابين لطفا لهم وترغيبا في إخلاص الإيمان والعمل
الصالح وفي أن يحشروا معهم ولا يفرق بينهم وبين أعقابهم في رحمة الله التي وسعت كل شيء قل يا أيها الناس إني
رسول الله إليكم جميعا قيل بعث كل رسول إلى قومه خاصة وبعث محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى كافة الإنس وكافة
الجن جميعا نصب على الحال من إليكم فإن قلت الذي له ملك السموات والأرض ما محله قلت الأحسن أن
يكون منتصبا بإضمار أعني وهو الذي يسمى النصب على المدح ويجوز أن يكون جرا على الوصف وإن حيل بين الصفة والموصوف
بقوله إليكم جميعا وقوله لا إله إلا هو بدل من الصلة التي هي له ملك السموات والأرض وكذلك يحيي ويميت وفي لا
إله إلا هو بيان للجملة قبلها لأن من ملك العالم كان هو الإله على الحقيقة وفي يحيي ويميت بيان لاختصاصه بالإلهية
لأنه لا يقدر على الإحياء والإماتة غيره فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته وما أنزل عليه
وعلى من تقدمه من الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على الإفراد وهي القرآن وأراد جنس ما كلم به وعن مجاهد أراد
عيسى بن مريم وقيل هي الكلمة التي تكون عنها عيسى وجميع خلقه وهي قوله كن وإنما قيل إن عيسى كلمة الله فخص بهذا الاسم
لأنه لم يكن لكونه سبب غير الكلمة ولم يكن من نطفة تمنى واتبعوه لعلكم تهتدون إرادة أن تهتدوا
فإن قلت هلا قيل فآمنوا بالله وبي بعد قوله إني رسول الله إليكم قلت عدل عن المضمر إلى الاسم الظاهر لتجري

عليه الصفات التي اجريت عليه ان الذي وجب الايمان به واتباعه هو هذا الشخص المستقل بانه هو النبي الامي الذي يومن بالله وكلماته كما سمعت وما ذكرنا من فوائد العصبية **ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون** هم المومنون التائبون من بني اسرائيل لما ذكر الذين تزلزلوا منهم في الدين وارتابوا حتى اقدموا على العظيمتين عبادة العجل واستجازة رؤية الله ذكر ان منهم امة موقنين ثابتين يهدون الناس بكلمة الحق ويدلونهم على الاستقامة ويرشدونهم وبالحق يعدلون بينهم في الحكم لا يجورون وقيل اراد الذين وصفهم ممن ادرك النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم وامن به من اعقابهم وقيل ان بني اسرائيل لما قتلوا انبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطا تبرا سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسالوا الله ان يفرق بينهم وبين اخوانهم ففتح الله لهم نفقا في الارض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين وهم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا وذكر عن النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم ان جبريل ذهب به ليلة الاسرا نحوهم فكلمهم فقال لهم جبريل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا فقال هذا محمد النبي الامي فامنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا من ادرك منكم احمد فليقرا مني عليه السلام فرد محمد صلى الله عليه وعلى اله وسلم على موسى عليه الصلاه والسلام ثم اقراهم عشر سور من القران نزلت بمكة ولم تكن نزلت فريضة غير الصلوة والزكوة وامرهم ان يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فامرهم ان يجمعوا ويتركوا السبت وقيل هم قوم ... وقرئ يرسي عبد الله فقال رجل منهم فقال عبد الله يعني لمن كان في مجلسه من المومنين وهل يزيد صالحا وكم سيا من يهدي الله بالحق وبه يعدل وقيل لو كانوا في طرف من الدنيا متمسكين بشريعته ولم يبلغهم نسخها كانوا معذورين وهذا من باب الفرض والتقدير والا فقد طار الخبر بشريعة محمد صلى الله عليه وعلى اله وسلم الى كل افق وتغلغل في كل نفق ولم يبق الله اهل وبر ولا مدر ولا سهل ولا جبل ولا بر ولا بحر في مشارق الارض ومغاربها الا وقد القاه اليهم وملا به مسامعهم والزمهم الحجة وهو سائلهم عنه يوم القيمة **وقطعناهم** وصيرناهم قطعا اي فرقا وميز بعضهم من بعض لقلة الالفة بينهم وقرئ وقطعناهم بالتخفيف **اثنتي عشرة اسباطا امما** كقولك اثني عشرة قبيلة والاسباط اولاد الولد جمع سبط وكانوا اثني عشر قبيلة وكل قبيلة اسباط فوضع اسباط موضع قبيلة ونظيره بين رماحي مالك ونهشل وامما بدل من اثنتي عشرة بمعنى وقطعناهم امما لان كل اسباط كانت امة عظيمة وجماعة كثيفة العدد وكل واحدة كانت تؤم خلاف ما تؤمه الاخرى لا تكاد تاتلف وقرئ اثنتي عشرة بكسر الشين **واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم** فانبجست فانفجرت والمعنى واحد وهو الانفتاح بسعة وكثرة قال العجاج وكيف غربي دالج تبجسا

فان قلت هلا قيل فضرب فانبجست **قلت** لعدم الالباس وليجعلوا الانبجاس مسببا عن الايحا بضرب الحجر للدلالة على ان الموحى اليه لم يتوقف عن اتباع الامر وانه من انتفا الشك عنه بحيث لا حاجة الى الافصاح به وقوله كل اناس نظير قوله اثنتي عشرة اسباطا يريد كل امة من تلك الامم الاثنتي عشرة والاناس اسم جمع غير تكسير نحو رخال وتؤام واخوات لها ويجوز ان يقال ان الاصل الكسر والتكسير والضمة بدل من الكسرة كما ابدلت في نحو سكارى وغيارى من الفتحة **وظللنا عليهم الغمام** وجعلناه ظليلا عليهم في التيه **وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم** وكلوا على ارادة القول **وما ظلمونا** وما رجع الينا ضرر ظلمهم بكفرانهم النعم **ولكن كانوا انفسهم يظلمون** ولكن كانوا يضرون انفسهم ويرجع وبال ظلمهم اليهم **واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السما بما كانوا يظلمون** واذكر اذ قيل لهم والقرية بيت المقدس

فان قلت كيف اختلفت العبارة ها هنا وفي سورة البقرة **قلت** لا باس باختلاف العبارتين اذا لم يكن هناك تناقض ولا تناقض بين قوله اسكنوا هذه القرية فكلوا منها وبين قوله فكلوا منها لانهم اذا سكنوا القرية فسبب سكناهم للاكل منها فقد جمعوا في الوجود بين سكناها والاكل منها وسوا قدموا الحطة على دخول الباب او اخروه فهم جامعون في الايجاد بينهما وترك ذكر الرغد لا يناقض اثباته وقوله نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين موعد بشيئين بالغفران وبالزيادة وطرح الواو لا يخل بذلك لانه استيناف مرتب على تقدير قول القايل وماذا بعد الغفران فقيل له سنزيد المحسنين وكذلك زيادة منهم زيادة بيان وارسلنا وانزلنا ويظلمون ويفسقون من واد واحد وقرئ تغفر لكم خطيئاتكم وتغفر لكم خطاياكم وخطيئتكم على البنا للمفعول **واسالهم عن القرية** وسل اليهود وقرئ واسالهم وهذا السوال معناه التقرير والتقريع بقديم كفرهم وتجاوزهم حدود الله والاعلام بان هذا من علومهم التي لا تعلم الا بكتاب او وحي فاذا اعلمهم به من لم يقرا كتابهم علم انه من جهة الوحي وبطش هو الاشعار الذي يراد بها التقرير وقوله اذ يعدون في السبت والقرية ايلة وقيل طبرية والعرب تسمي المدينة قرية **التي كانت حاضرة البحر** قريبة منه راكبة لشاطئه **اذ يعدون في السبت اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تاتيهم** اذ يعدون ويتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم في يوم السبت وقد نهوا عنه وقرئ يعدون بمعنى يعتدون وادغمت التاء في الدال ونقلت حركتها

الى العين ويعدون من الاعداد وكانوا يعدون الات الصيد يوم السبت وهم مامورون بان لا يشتغلوا فيه بغير العبادة والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بترك الصيد والاشتغال بالتعبد فمعناه يعدون في تعظيم هذا اليوم وكذلك قوله يوم سبتهم معناه يوم تعظيمهم امر السبت ويدل عليه قوله ويوم لا يسبتون وقراة عمر بن عبد العزيز يوم اسباتهم وقرئ لا يسبتون بضم اليا وقرا علي رضوان الله عليه يسبتون بضم اليا من اسبتوا وعن الحسن لا يسبتون على البنا للمفعول اي لا يدار عليهم السبت ولا يومرون بان يسبتوا

فان قلت اذ يعدون واذ تاتيهم ما محلهما من الاعراب **قلت** اما الاول فمجرور بدل من القرية والمراد بالقرية اهلها كانه قيل وسلهم عن اهل القرية وقت عدوانهم في السبت وهو من بدل الاشتمال ويجوز ان يكون منصوبا بكانت او بحاضرة واما الثاني فمنصوب بيعدون ويجوز ان يكون بدلا بعد بدل والحيتان السمك واكثر ما تستعمل العرب الحوت في معنى السمكة شرعا ظاهرة على وجه الما وعن الحسن تشرع على ابوابهم كانها الكباش البيض يقال شرع علينا فلان اذا دنا منا واشرف علينا وشرعت على فلان في بيته فرايته يفعل كذا **كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون** مثل ذلك البلا الشديد نبلوهم بسبب فسقهم **واذ قالت** معطوف على اذ يعدون وحكمه في الاعراب **امة منهم** جماعة من اهل القرية من صلحائهم الذين ركبوا الصعب والذلول في موعظتهم حتى ايسوا من قبولهم لاخرين كانوا لا يقلعون عن وعظهم **لم تعظون قوما الله مهلكهم** اي مخترمهم ومطهر الارض منهم **او معذبهم عذابا شديدا** لتماديهم في الشر وانما قالوا ذلك لعلمهم ان الوعظ لا ينفع فيهم **قالوا معذرة الى ربكم** اي موعظتنا ابلاغ عذر الى الله ولئلا ننسب في النهي عن المنكر الى بعض التفريط **ولعلهم يتقون** ولطمعنا في ان يتقوا بعض الاتقا وقرئ معذرة بالنصب اي وعظناهم معذرة الى ربكم او اعتذارا معذرة **فلما نسوا ما ذكروا به** يعني اهل القرية فلما تركوا ما ذكرهم به الصالحون ترك الناسي لما ينساه **انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون** واخذنا الظالمين الراكبين للمنكر

فان قلت الامة الذين قالوا لم تعظون من اي الفريقين هم امن فريق الناجين ام من المعذبين **قلت** من فريق الناجين لانهم لم يروا وعظهم مجديا لعلمهم بحال القوم واذا علم الناهي حال المنهي وان النهي لا يوثر فيه سقط عنه النهي وربما وجب الترك لدخوله في باب العبث الا ترى انك لو ذهبت الى المكاسين القاعدين على الماصر والجلادين المرتبين للتعذيب لتعظهم وتكفهم عما هم فيه كان ذلك عبثا منك ولم يكن الا سببا للتلهي بك واما الاخرون فانما لم يعرضوا عنهم اما لان ياسهم لم يستحكم كما استحكم ياس الاولين ولم يخبروهم كما خبروهم او لفرط حرصهم وجدهم في امرهم كما وصف الله رسوله في قوله فلعلك باخع نفسك وقيل الامة هم الموعوظون لما وعظوا قالوا للواعظين لم تعظون قوما تزعمون ان الله مهلكهم او معذبهم وعن ابن عباس انه قال ليت شعري ما فعل بهولا الذين قالوا لم تعظون قوما قال عكرمة فقلت جعلني الله فداك الا ترى انهم كرهوا ما هم عليه وخالفوهم وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم فلم ازل به حتى عرفته انهم قد نجوا وعن الحسن نجت فرقتان وهلكت فرقة وهم الذين اخذوا الحيتان وروي ان اليهود امروا باليوم الذي امرنا به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا يوم السبت فابتلوا به وحرم عليهم فيه الصيد وامروا بتعظيمه وكانت الحيتان تاتيهم يوم السبت شرعا بيضا سمانا كانها المخاض لا يرى الما من كثرتها ويوم لا يسبتون لا تاتيهم كذلك فجاءهم ابليس فقال لهم انما نهيتم عن اخذها يوم السبت فاتخذوا حياضا تسوقون الحيتان اليها يوم السبت فلا تقدر على الخروج منها وتاخذونها يوم الاحد واخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا الى خشبة في الساحل ثم شواه يوم الاحد فوجد جاره ريح السمك فتطلع في تنوره فقال له اني ارى الله سيعذبك فلما لم يره عذب اخذ في السبت القابل حوتين فلما راوا ان العذاب لا يعاجلهم صادوا واكلوا وملحوا وباعوا وكانوا نحوا من سبعين الفا فصار اهل القرية اثلاثا ثلث نهوا وكانوا نحوا من اثني عشر الفا وثلث قالوا لم تعظون وثلث هم اهل الخطيئة فلما لم ينتهوا قال المسلمون انا لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود عليه الصلوة والسلام فاصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا ان للناس شانا فعلوا الجدار فنظروا فاذا هم قردة ففتحوا الباب ودخلوا فعرفت القردة انسابها من الانس والانس لا يعرفون انسابهم من القردة فجعل القرد ياتي نسيبه فيشم ثيابه ويبكي فيقول الم ننهكم فيقول براسه بلى وقيل صار الشباب قردة والشيوخ خنازير وعن الحسن اكلوا والله اوخم اكلة اكلها اهلها اثقلها خزيا في الدنيا واطولها عذابا في الاخرة هاه وايم الله ما حوت اخذه قوم فاكلوه اعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله جعل موعدا والساعة ادهى وامر بعذاب بئيس شديد يقال بؤس يبؤس باسا اذا اشتد فهو بائس وقرئ بئيس بوزن فيعل وبئس على فعل بسكون العين ونقل حركتها الى الفا كما قيل كبد في كبد وبيس على قلب الهمزة يا كذيب في ذئب وبئس على وزن فيعل بكسر الهمزة وفتحها وبيئس بوزن ريئس على قلب همزته يا وادغام اليا فيها وبيس على تخفيف بيس كهين في هين وبايس على فاعل

فلما عتوا عما نهوا عنه فلما تكبروا وأبوا أن يتركوا ما نهوا عنه كقوله وعتوا عن أمر ربهم قلنا لهم كونوا قردة خاسئين عبارة عن
مسخهم قردة كقوله إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون والمعنى أن الله عذبهم أولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم وقيل فلما
عتوا تكرير لقوله فلما نسوا والعذاب البئيس هو المسخ وإذ تأذن ربك عزم ربك وهو تفعل من الإيذان وهو الإعلام لأن العازم
على الأمر يحدث نفسه ويؤذنها بفعله وأجري مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك أجيب بما يجاب به القسم وهو قوله
ليبعثن عليهم والمعنى وإذ حتم ربك وكتب على نفسه ليبعثن على اليهود إلى يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب فكانوا
يؤدون الجزية إلى المجوس إلى أن بعث الله محمدا صلى الله عليه وعلى آله وسلم فضربها عليهم فلا تزال مضروبة عليهم إلى آخر الدهر والمعنى
ليسلطن عليهم كقوله بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم
وقطعناهم في الأرض أمما وفرقناهم فيها فلا يكاد يخلو بلد من فرقة منهم منهم الصالحون الذين آمنوا منهم بالمدينة أو الذين
وراء الصين ومنهم دون ذلك ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون عنه وهم الكفرة والفسقة فإن قلت ما محل
دون ذلك قلت الرفع وهو صفة لموصوف محذوف ومعناه ومنهم ناس منحطون عن الصلاح ونحوه وما منا إلا له مقام وبلوناهم
بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم لعلهم يرجعون لعلهم ينتهون فينيبون فخلف من بعدهم خلف فخلف من بعد
المذكورين خلف وهم الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ورثوا الكتاب التوراة بقيت في أيديهم بعد سلفهم
يقرؤونها ويقفون على ما فيها من الأوامر والنواهي والتحليل والتحريم ولا يعملون بها يأخذون عرض هذا الأدنى أي حطام
هذا الشيء الأدنى يريد الدنيا وما يتمتع به منها وفي قوله هذا الأدنى تخسيس وتحقير والأدنى إما من الدنو بمعنى القرب لأنه عاجل
قريب وإما من دنو الحال وسقوطها وقلتها والمراد ما كانوا يأخذونه من الرشا في الأحكام وعلى تحريف الكلم للتسهيل على العامة ويقولون
سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بما أخذناه وفاعل سيغفر الجار والمجرور وهو لنا ويجوز أن يكون الأخذ الذي هو مصدر يأخذون وإن
يأتهم عرض مثله يأخذوه الواو للحال أي يرجون المغفرة وهم مصرون عائدون إلى مثل فعلهم غير تائبين وغفران الذنوب
لا يصح إلا بالتوبة والمصر لا غفران له ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب يعني قوله في التوراة من ارتكب ذنبا عظيما فإنه لا يغفر له
إلا بالتوبة ألا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه في الكتاب من اشتراط التوبة في غفران الذنوب والذي عليه المجبرة والمرجئة
هو مذهب اليهود بعينه كما ترى وعن مالك بن دينار رحمه الله يأتي على الناس زمان إن قصروا عما أمروا به قالوا سيغفر لنا
لأنا لم نشرك بالله شيئا كل أمرهم إلى الطمع خيارهم فيهم المداهنة فهؤلاء من هذه الأمة أشباه الذين ذكرهم الله وتلا الآية والدار
الآخرة خير من ذلك العرض الخسيس للذين يتقون أفلا تعقلون للذين يتقون الرشا ومحارم الله وقرئ ورثوا الكتاب وأن لا
يقولوا بالتاء وادارسوا بمعنى تدارسوا أفلا يعقلون بالتاء والياء فإن قلت ما موقع قوله ألا يقولوا على الله إلا الحق قلت هو عطف
بيان لميثاق الكتاب ومعنى ميثاق الكتاب الميثاق المذكور في الكتاب وفيه أن إثبات المغفرة بغير توبة خروج عن ميثاق الكتاب
وافتراء على الله وتقول عليه ما ليس بحق وإن فسر ميثاق الكتاب بما تقدم ذكره كان أن لا يقولوا مفعولا له ومعناه لئلا يقولوا ويجوز
أن يكون مفسرة ولا تقولوا نهيا كأنه قيل ألم يقل لهم لا تقولوا على الله إلا الحق فإن قلت علام عطف قوله ودرسوا ما فيه والذين
يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلوة قلت فيه وجهان أحدهما أن يكون مرفوعا بالابتداء وخبره إنا لا نضيع أجر المصلحين
والمعنى إنا لا نضيع أجرهم لأن المصلحين في معنى الذين يمسكون بالكتاب كقوله إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر
من أحسن عملا والثاني أن يكون مجرورا عطفا على الذين يتقون ويكون قوله إنا لا نضيع اعتراضا وقرئ يمسكون بالتشديد ويعضده
قراءة أبي والذين مسكوا بالكتاب فإن قلت التمسك بالكتاب يشتمل على كل عبادة ومنها إقامة الصلوة فكيف أفردت
قلت إظهارا لمزية الصلوة لكونها عماد الدين وفارقة بين الكفر والإيمان وقرأ ابن مسعود والذين استمسكوا وإذ نتقنا
الجبل فوقهم كأنه ظلة قلعناه ورفعناه كقوله ورفعنا فوقهم الطور ومنه نتق السقاء إذا نفضه ليقتلع الزبدة منه
والظلة كل ما أظلك من سقيفة أو سحاب وقرئ بالطاء من أطل عليه إذا أشرف وظنوا أنه واقع بهم وعلموا أنه ساقط عليهم وذلك أنهم
أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة لغلظها وثقلها فرفع الله الطور على رؤوسهم مقدار عسكرهم وكانوا فرسخا في فرسخ
وقيل لهم إن قبلتموها بما فيها وإلا ليقعن عليكم فلما نظروا إلى الجبل خر كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الأيسر وهو ينظر بعينه
اليمنى إلى الجبل فرقا من سقوطه فلذلك لا ترى يهوديا يسجد إلا على حاجبه الأيسر ويقولون هي السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة
ولما نشر موسى الألواح وفيها كتاب الله لم يبق جبل ولا شجر ولا حجر إلا اهتز فلذلك لا ترى يهوديا تقرأ عليه التوراة إلا اهتز
وأنغض لها رأسه خذوا ما آتيناكم على إرادة القول أي قلنا خذوا ما آتيناكم أو قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب
بقوة وعزم على احتمال مشاقه وتكاليفه واذكروا ما فيه من الأوامر والنواهي ولا تنسوه أو اذكروا ما فيه من التعريض
للثواب العظيم فارغبوا فيه ويجوز أن يراد خذوا ما آتيناكم من الآية العظيمة بقوة إن كنتم تطيقونه كقوله إن استطعتم
أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا واذكروا ما فيه من الدلالة على القدرة الباهرة والإنذار لعلكم تتقون
ما أنتم عليه وقرأ ابن مسعود وتذكروا وقرئ واذكروا بمعنى وتذكروا وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم

وأشهدهم

وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا من ظهورهم بدل من بني آدم بدل البعض من الكل ومعنى أخذ
ذرياتهم من ظهورهم إخراجهم من أصلابهم نسلا وإشهادهم على أنفسهم وقوله ألست بربكم قالوا بلى
شهدنا من باب التمثيل والتخييل ومعنى ذلك أنه نصب لهم الأدلة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم وبصائرهم
التي ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى فكأنه أشهدهم على أنفسهم وقررهم وقال لهم ألست بربكم
وكأنهم قالوا بلى أنت ربنا شهدنا على أنفسنا وأقررنا بوحدانيتك وباب التمثيل واسع في كلام الله تعالى ورسوله وفي كلام
العرب ونظيره قوله عز وعلا إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها
قالتا أتينا طائعين وقوله إذا قالت الأنساع للبطن الحق وقالت له ريح الصبا قرقار ومعلوم أنه لا قول ثم
وإنما هو تمثيل وتصوير للمعنى أن تقولوا مفعول له أي فعلنا ذلك من نصب الأدلة الشاهدة على صحتها العقول كراهة
أن تقولوا يوم القيمة إنا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه أو كراهة أن تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا
ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لأن نصب الأدلة على التوحيد وما نبهوا عليه قائم معهم فلا عذر لهم في الإعراض عنه
والإقبال على التقليد والاقتداء بالآباء كما لا عذر لآبائهم في الشرك وأدلة التوحيد منصوبة لهم فإن قلت بنو
آدم وذرياتهم من هم قلت عني ببني آدم أسلاف اليهود الذين أشركوا بالله حيث قالوا عزير ابن الله وبذرياتهم الذين
كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من أخلافهم المقتدين بآبائهم والدليل على أنها في المشركين وأولادهم
قوله أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم والدليل على أنها في اليهود الآيات التي عطفت عليها
وهي على نمطها وأسلوبها وذلك قوله واسألهم عن القرية وإذ قالت أمة منهم وإذ تأذن ربك وإذ نتقنا الجبل فوقهم واتل عليهم
نبأ الذي آتيناه آياتنا أفتهلكنا بما فعل المبطلون أي كانوا السبب في شركنا لتأسيسهم الشرك وتقدمهم فيه وتركهم
سنة لنا وكذلك نفصل الآيات ومثل ذلك التفصيل البليغ نفصل الآيات لهم ولعلهم يرجعون وإرادة أن يرجعوا
عن شركهم نفصلها وقرئ ذريتهم على التوحيد وأن يقولوا بالياء واتل عليهم على اليهود نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ
منها هو عالم من علماء بني إسرائيل وقيل من الكنعانيين اسمه بلعم بن باعوراء أوتي علم بعض كتب الله فانسلخ منها من الآيات بأن كفر
بها ونبذها وراء ظهره فأتبعه الشيطان فلحقه الشيطان وأدركه وصار قرينا له أو فأتبعه خطواته وقرئ فاتبعه بمعنى
تبعه فكان من الغاوين فصار من الضالين الكافرين روي أن قومه طلبوا إليه أن يدعو على موسى ومن
معه فأبى وقال كيف أدعو على من معه الملائكة فألحوا عليه ولم يزالوا به حتى فعل ولو شئنا لرفعناه بها لعظمناه ورفعناه
إلى منازل الأبرار من العلماء بتلك الآيات ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه مال إلى الدنيا ورغب فيها وقيل مال إلى السفالة
فإن قلت كيف علق رفعه بمشيئة الله ولم يعلقه بفعله الذي يستحق به الرفع قلت المعنى ولو لزم العمل بالآيات
ولم ينسلخ منها لرفعناه بها وذلك أن مشيئة الله رفعه تابعة للزومه الآيات فذكرت المشيئة والمراد ما هي تابعة له
ومسببة عنه كأنه قيل ولو لزمها لرفعناه بها ألا ترى إلى قوله ولكنه أخلد إلى الأرض فاستدرك المشيئة بإخلاده الذي هو
فعله فوجب أن يكون ولو شئنا في معنى ما هو فعله ولو كان الكلام على ظاهره لوجب أن يقال ولو شئنا لرفعناه ولكنا
لم نشأ فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث فصفته التي هي مثل في الخسة والضعة كصفة
الكلب في أخس أحواله وأذلها وهي حال دوام اللهث به واتصاله سواء حمل عليه أي شد عليه وهيج فطرد أو ترك غير
متعرض له بالحمل عليه وذلك أن سائر الحيوان لا يكون منه اللهث إلا إذا هيج منه وحرك وإلا لم يلهث والكلب يتصل
لهثه في الحالين جميعا وكان حق الكلام أن يقال ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض فحططناه ووضعنا
منزلته فوضع قوله فمثله كمثل الكلب موضع فحططناه أبلغ حط لأن تمثيله بالكلب في أخس أحواله وأذلها في معنى
ذلك وعن ابن عباس الكلب منقطع الفؤاد يلهث إن حمل عليه أو لم يحمل وقيل معناه إن وعظته فهو ضال وإن لم تعظه
فهو ضال كالكلب إن طردته فسعى لهث وإن تركته على حاله لهث فإن قلت ما محل الجملة الشرطية قلت
النصب على الحال كأنه قيل كمثل الكلب ذليلا دائم الذلة لاهثا في الحالين وقيل لما دعا بلعم على موسى خرج لسانه فوقع
على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا من اليهود بعد ما قرؤوا نعت رسول
الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في التوراة وذكر القرآن المعجز وما فيه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به
فاقصص القصص قصص بلعم الذي هو نحو قصصهم لعلهم يتفكرون فيحذرون مثل عاقبته إذا ساروا نحو
سيرته وزاغوا شبه زيغه ويعلمون أنك علمته من جهة الوحي فيزدادوا إيقانا وتزداد الحجة لزوما لهم ساء مثلا القوم
الذين كذبوا بآياتنا أي مثل القوم أو ساء أصحاب مثل القوم وقرأ الجحدري ساء مثل القوم وأنفسهم كانوا يظلمون
إما أن يكون معطوفا على كذبوا فيدخل في حيز الصلة بمعنى الذين جمعوا بين التكذيب بآيات الله وظلم أنفسهم وإما
أن يكون كلاما منقطعا عن الصلة بمعنى وما ظلموا إلا أنفسهم بالتكذيب وتقديم المفعول به للاختصاص كأنه

قيل وحصوا انفسهم بالظلم لم تتعدها الى غيرها من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون
فهو المهتدي حمل على اللفظ فاولئك هم الخاسرون حمل على المعنى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب
لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها كثيرا من الجن والانس هم المطبوع على قلوبهم
الذين علم الله انه لا لطف لهم وجعلهم في انهم لا يلقون اذهانهم الى معرفة الحق ولا ينظرون بعيونهم الى ما خلق الله
نظر اعتبار ولا يسمعون الى ما يتلى عليهم من آيات الله سماع تدبر كانهم عدموا فهم القلوب وابصار العيون واستماع
الآذان وجعلهم لاغراقهم في الكفر وشدة شكائمهم فيه وانه لا يأتي منهم الا افعال اهل النار مخلوقين للنار دلالة
على توغلهم في الموجبات وتمكنهم فيما يؤهلهم لدخول النار ومنه كتاب عمر رضي الله عنه الى خالد بن الوليد بلغني ان اهل الشام
اتخذوا لك دلوكا عجن بعمر واني لاظنكم آل المغيرة ذرء النار ويقال لمن كان عريقا في بعض الامور ما خلق فلان
الا لكذا والمراد وصف حال اليهود في عظم ما اقدموا عليه من تكذيب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم مع علمهم انه
النبي الموعود وانهم من جملة الكثير الذين لا يكاد الايمان يأتي منهم كانهم خلقوا للنار اولئك كالانعام في
عدم الفقه والنظر للاعتبار والاستماع للتدبر بل هم اضل من الانعام لانهم يبصرون منافعها ومضارها فلا تلزم بعض ما
يضرها وهؤلاء اكثرهم يعلم انه معاند فيقدم على النار ولله الاسماء الحسنى التي هي احسن الاسماء لانها تدل على
معان حسنة من تمجيد وتقديس وغير ذلك فادعوه بها فسموه بتلك الاسماء وذروا الذين يلحدون في اسمائه
سيجزون ما كانوا يعملون واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمونه بغير الاسماء الحسنى وذلك
ان يسموه بما لا يجوز عليه كما سمعنا البدو يقولون بجهلهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه يا سخي او ان يأبوا تسميته
ببعض اسمائه الحسنى نحو ان يقولوا يا الله ولا يقولوا يا رحمن وقد قال الله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا
فله الاسماء الحسنى ويجوز ان يراد ولله الاوصاف الحسنى وهو الوصف بالعدل والخير والاحسان وانتفاء شبه الخلق
فصفوه بها وذروا الذين يلحدون في اوصافه فيصفونه بمشيئة القبائح وخلق الفحشاء والمنكر وبما يدخل في التشبيه
كالرؤية ونحوها وقيل الحادهم في اسمائه تسميتهم الاصنام آلهة واشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز لما قال
ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا فاخبر ان كثيرا من الثقلين عاملون باعمال اهل النار اتبعه قوله وممن خلقنا امة يهدون
بالحق وبه يعدلون وعن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم انه كان يقول اذا قرأها هذه لكم وقد اعطي امة قوما على
الحق حتى نزل عيسى وعن الكلبي هم الذين آمنوا من اهل الكتاب وقيل هم العلماء والدعاة الى الدين والذين كذبوا
بآياتنا سنستدرجهم الاستدراج استفعال من الدرجة بمعنى الاستصعاد والاستنزال درجة بعد درجة
قال الاعشى ◌ فلو كنت في جب ثمانين قامة ◌ ورقيت اسباب السماء بسلم ◌ ليستدرجنك القول حتى تهره
وتعلم اني عنكم غير مفحم ◌ ومنه درج الصبي اذا قارب بين خطاه وادرج الكتاب طواه شيئا بعد شيء ودرج
القوم اذا مات بعضهم في اثر بعض ومعنى سنستدرجهم سنستدنيهم قليلا قليلا الى ما يهلكهم ويضاعف
عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم وذلك ان يواتر الله نعمه عليهم مع انهماكهم في الغي فكلما جدد عليهم
نعمة ازدادوا بطرا وجددوا معصية فيتدرجون في المعاصي بسبب ترادف النعم ظانين ان مواترة النعم اثرة من الله وتقريب وانما هي خذلان منه وتبعيد
فهو استدراج الله نعوذ بالله منه واملي لهم عطف على سنستدرجهم وهو داخل في حكم السين ان كيدي
متين سماه كيدا لانه شبيه بالكيد من حيث انه في الظاهر احسان وفي الحقيقة خذلان اولم يتفكروا ما بصاحبهم
بمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم من جنة من جنون وكانوا يقولون شاعر مجنون وعن قتادة ان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم علا
على الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم بأس الله فقال قائلهم ان صاحبكم هذا لمجنون بات يهوت الى الصباح ان
هو الا نذير مبين اولم ينظروا نظر استدلال في ملكوت السموات والارض فيما تدلان عليه من عظم الملك
والملكوت الملك العظيم وما خلق الله من شيء وفيما خلق الله مما يقع عليه اسم الشيء من اجناس لا يحصرها العدد
ولا يحيط بها الوصف وان عسى ان مخففة من الثقيلة والاصل انه عسى على ان الضمير ضمير الشان والمعنى اولم ينظروا
في ان الشان والحديث عسى ان يكون قد اقترب اجلهم ولعلهم يموتون عما قريب فيسارعوا الى النظر وطلب
الحق وما ينجيهم قبل مغافصة الاجل وحلول العقاب ويجوز ان يراد باقتراب الاجل اقتراب الساعة ويكون من كان التي
فيها ضمير الشان فان قلت بم يتعلق قوله فبأي حديث بعده يؤمنون قلت بقوله عسى ان يكون قد
اقترب اجلهم كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الايمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون
بعد وضوح الحق وباي حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم
يعمهون قرئ ونذرهم بالياء والنون والرفع على الاستئناف ويذرهم بالياء والجزم عطفا على محل فلا هادي له
كانه قيل من يضلل الله لا يهده احد ويذرهم يسألونك عن الساعة قيل ان قوما من اليهود قالوا يا محمد اخبرنا متى

الساعة ان كنت نبيا فانا نعلم متى هي وكان ذلك امتحانا منهم مع علمهم ان الله قد استأثر بعلمها وقيل السائلون قريش والساعة
من الاسماء الغالبة كالنجم للثريا وسميت القيامة بالساعة لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او على العكس لطولها او لانها
عند الله على طولها كساعة من الساعات عند الخلق ايان مرساها متى وقيل اشتقاقه من اي فعلان منه لان معناه اي وقت
واي فعل من اويت اليه لان البعض اوى الى الكل متساند اليه قاله ابن جني وأبى ان يكون من اين لانه زمان واين مكان وقرأ
السلمي ايان بكسر الهمزة مرساها ارساؤها او وقت ارسائها اي اثباتها واقرارها وكل شيء ثقيل رسوه ثباته واستقراره
ومنه رسا الجبل وارسى السفينة والمرسى الانجر الذي ترسى به ولا اثقل من الساعة بدليل قوله ثقلت في السموات والارض
والمعنى متى يرسيها الله قل انما علمها عند ربي اي علم وقت ارسائها عنده قد استأثر به ولم يخبر به احدا من ملك مقرب
ولا نبي مرسل ليكون ذلك ادعى الى الطاعة وازجر عن المعصية كما اخفى الاجل الخاص وهو وقت
الموت لذلك لا يجليها لوقتها الا هو اي لا تزال خفية لا يظهر امرها ولا يكشف خفاء علمها الا هو وحده اذا جاء بها في وقتها
بغتة لا تجليها بالخبر عنها قبل مجيئها احد من خلقه لاستمرار الخفاء بها على غيره الى وقت وقوعها ثقلت في السموات
والارض اي كل من اهلها من الملائكة والثقلين اهمه شان الساعة ويتمنى ان يتجلى له علمها وشق عليه خفاؤها وثقل عليه
او ثقلت فيها لان اهلها يتوقعونها ويخافون شدائدها واهوالها او لان كل شيء لا يطيقها ولا يقوم لها فهي ثقيلة فيها لا
تأتيكم الا بغتة الا فجأة على غفلة منكم وعن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل
يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه يسألونك كانك حفي عنها قل انما
علمها عند الله كانك حفي عنها كانك عالم بها وحقيقته كانك بليغ في السؤال عنها لان من بالغ في المسألة عن الشيء والتنقير
عنه استحكم علمه فيه ورصن وهذا التركيب معناه المبالغة ومنه احفاء الشارب واحتفاء البقل استئصاله واحفى في المسألة
اذا الحف وحفي بفلان وتحفى به بالغ في البر به وعن مجاهد استحفيت عنها السؤال حتى علمت وقرأ ابن مسعود كانك
حفي بها اي عالم بها بليغ في العلم بها وقيل عنها متعلق بيسألونك اي يسألونك عنها كانك حفي اي عالم بها وقيل ان
قريشا قالوا له ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة فقيل يسألونك عنها كانك حفي تتحفى بهم فتختصهم بتعليم
وقتها لاجل القرابة وتزوي علمها عن غيرهم ولو اخبرت بوقتها لمصلحة عرفها في اخبارك لكنت مبلغة القريب
والبعيد من غير تخصيص كسائر ما اوحي اليك وقيل كانك حفي بالسؤال عنها تحبه وتؤثره يعني انك تكره السؤال عنها
لانها من علم الغيب الذي استأثر الله به ولم يؤته احدا من خلقه فان قلت لم كرر يسألونك وانما علمها عند الله قلت
للتأكيد ولما جاء به من زيادة قوله كانك حفي عنها وعلى هذا تكرير العلماء الحذاق في كتبهم لا يخلون المكرر من فائدة
زائدة منهم محمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه العالم بها وانه المختص بالعلم بها
قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله هو اظهار للعبودية والانتفاء عما يختص بالربوبية من علم الغيب اي انا
عبد ضعيف لا املك لنفسي اجتلاب نفع ولا دفع ضرر كالمماليك والعبيد الا ما شاء ربي ومالكي من النفع لي والدفع
عني ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ولو كنت اعلم الغيب لكانت حالي على خلاف ما هي
عليه من استكثار الخير واستغزار المنافع واجتناب السوء والمضار حتى لا يمسني شيء منها ولم اكن مرة غالبا ومغلوبا
اخرى في الحروب ورابحا وخاسرا في التجارات ومصيبا ومخطئا في التدبير ان انا الا نذير وبشير ان انا الا عبد ارسلت
نذيرا وبشيرا وما من شاني ان اعلم الغيب لقوم يؤمنون يجوز ان يتعلق بالنذير والبشير جميعا اي الا نذير للكافرين
وبشير لقوم يؤمنون هو الذي خلقكم من نفس واحدة وهي نفس آدم وجعل منها زوجها وهي حواء خلقها من
جسد آدم من ضلع من اضلاعه او من جنسها كقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا ليسكن اليها ليطمئن اليها ويميل
ولا ينفر لان الجنس الى الجنس اميل وبه آنس واذا كان بعضا منه كان السكون والمحبة ابلغ كما يسكن الانسان الى
ولده ويحبه محبة نفسه لكونه بضعة منه وقال ليسكن فذكر بعد ما انث في قوله واحدة منها زوجها ذهابا
الى معنى النفس ليبين ان المراد بها آدم ولان الذكر هو الذي يسكن الى الانثى ويتغشاها فكان التذكير احسن
طباقا للمعنى فلما تغشاها والتغشي كناية عن الجماع وكذلك الغشيان والاتيان حملت حملا خفيفا خف عليها
ولم تلق منه ما يلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والاذى ولم تستثقله كما يستثقلنه وقد تسمع بعضهن تقول
في ولدها ما كان اخفه علي كبدي حين حملته فمرت به الى وقت ميلاده من غير اخداج ولا ازلاق وقيل حملت حملا
خفيفا يعني النطفة فمرت به فقامت به وقعدت وقرأ ابن عباس فاستمرت به وقرأ يحيى بن يعمر فمرت به بالتخفيف
وقرئ فمارت به من المرية كقوله افتمارونه وافتمرونه ومعناه فوقع في نفسها ظن الحمل وارتابت به فلما
اثقلت حان وقت ثقل حملها كقولك اقربت وقرئ اثقلت على البناء للمفعول اي اثقلها حملها دعوا الله ربهما
لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين دعا آدم وحواء ربهما ومالك امرهما الذي هو الحقيق بان يدعى ويلتجأ اليه

فقالا لين اسالنى وهبت لنا صالحا ولدا سويا قد صلح بدنه وبرى وقيل ولدا ذكرا لان الذكورة من الصلاح والجودة والضمير في اتيتنا
ولنكونن لهما ولكل من تناسل من ذريتهما **فلما آتاهما صالحا** ما طلباه من الولد الصالح السوي **جعلا له شركا** اي جعل
اولادهما شركاء على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وكذلك **فيما آتاهما** اي اتى اولادهما وقد دل على ذلك قوله
تعالى **فتعالى الله عما يشركون** حيث جمع الضمير وادم وحوى بريان من الشرك ومعنى اشراكهم فيما اتاهم الله تسميتهم
اولادهم بعبد العزى وعبد مناة وعبد شمس وما اشبه ذلك مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم ووجه اخر وهو ان
يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم وهم ال قصي الا ترى الى قوله في قصة اهم معه
فالقصي ما روى الله عنكم ﴿ به من فخار لا يبارى وسؤددي ﴾ ويراد هو الذي خلقكم من نفس قصي وجعل
من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن اليها فلما اتاهما ما طلبا من الولد الصالح السوي جعلا له شركا فيما اتاهما حيث
سميا اولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصي وعبد الدار وجعل الضمير في يشركون لهما ولاعقابهما
الذين اقتدوا بهما في الشرك وهذا تفسير حسن لا اشكال فيه وقرى شركا اي ذوي شرك وهم الشركاء او احدثا لله اشراكا
في الولد **أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون** اجريت الاصنام مجرى اولى العلم في قوله وهم يخلقون بناء على اعتقادهم
فيها وتسميتهم اياها الهة والمعنى ايشركون ما لا يقدر على خلق شي كما يخلق الله وهم يخلقون لان الله خالقهم او لا يقدر على
اختلاق شي لانه جماد وهم يخلقون لان عبدتهم يختلقونهم فهم اعجز من عبدتهم **ولا يستطيعون لهم** لعبدتهم **نصرا
ولا انفسهم ينصرون** فيدفعون عنها ما يعتريها من الحوادث بل عبدتهم الذين يدفعون عنهم ويحامون عليهم
وان تدعوهم وان تدعوا هذه الاصنام **الى الهدى** اي الى ما هو هدى ورشاد والى ان يهدوكم والمعنى وان تطلبوا
منهم كما تطلبون من الله الخير والهدى **لا يتبعوكم** الى مرادكم وطلبتكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله ويدل
عليه قوله فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين **سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون** ام صمتم عن دعائهم
في انه لا فلاح معهم **فان قلت** هلا قيل ام صمتم ولم وضعت الجملة الاسمية موضع الفعلية **قلت** لانهم كانوا
اذا حزبهم امر دعوا الله دون اصنامهم كقوله واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه وكانت حالهم المستمرة ان
يكونوا صامتين عن دعوتهم فقيل ان دعوتموهم لم تفترق الحال بين احداثكم دعاءهم وبين ما انتم عليه من عادة صمتكم عن
دعائهم **ان الذين تدعون من دون الله** اي تعبدونهم وتسمونهم الهة من دون الله **عباد امثالكم فادعوهم
فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين** وقوله عباد امثالكم استهزاء بهم اي قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء فان
ثبت ذلك فهم عباد امثالكم لا تفاضل بينكم ثم ابطل ان يكونوا عبادا امثالهم فقال **ألهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد
يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها** وقيل عباد امثالكم مملوكون امثالكم وقرا سعيد
بن جبير ان الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم بتخفيف ان ونصب عبادا امثالكم والمعنى ما الذين تدعون عبادا
امثالكم على اعمال ان النافية عمل ما الحجازية **قل ادعوا شركاءكم** واستعينوا بهم في عداوتي **ثم كيدون** جميعا انتم وشركاؤكم
فلا تنظرون فاني لا ابالي بكم ولا اثق الا بولاية الله ونصرته وكانوا قد خوفوه الهتهم فامر ان يخاطبهم بذلك كما قال
قوم هود له ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء فقال اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون
ان وليي الله اي ناصري عليكم الله **الذي نزل الكتاب** الذي اوحى الي كتابه واعزني برسالته **وهو يتولى
الصالحين** ومن عادته ان ينصر الصالحين من عباده وانبيائه ولا يخذلهم **والذين تدعون من دونه لا يستطيعون
نصركم ولا انفسهم ينصرون وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك** يشبهون الناظرين اليك
لانهم صوروا اصنامهم بصورة من قلب حدقته الى الشي ينظر اليه **وهم لا يبصرون** وهم لا يدركون المرئي **خذ العفو**
وامر بالعرف العفو ضد الجهد اي خذ ما عفا لك من افعال الناس واخلاقهم وما اتى منهم وتسهل من غير كلفة ولا تداقهم
ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لا ينفروا كقوله عليه السلام يسروا ولا تعسروا قال
﴿ خذ العفو مني تستديمي مودتي ﴾ ولا تنطقي في سورتي حين اغضب ﴿
وقيل خذ الفضل وما تسهل من صدقاتهم وذلك قبل نزول اية الزكاة فلما نزلت امر ان ياخذهم بها طوعا وكرها
والعرف المعروف والجميل من الافعال **واعرض عن الجاهلين** ولا تكافئ السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عنهم
واغض على ما يسوؤك منهم وقيل لما نزلت الاية سال جبريل فقال لا ادري حتى اسال ثم رجع فقال يا محمد ان ربك امرك ان تصل
من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عن من ظلمك وعن جعفر الصادق امر الله نبيه بمكارم الاخلاق وليس في القران
اية اجمع لمكارم الاخلاق منها **واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم** واما ينخسنك
منه نخس بان يحملك بوسوسته على خلاف ما امرت به فاستعذ بالله ولا تطعه والنزغ والنسغ الغرز والنخس كانه ينخس
الناس حين يغريهم على المعاصي وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده وروى انها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم

اشتد بهم الامر

يصف

كيف يا رب والغضب فنزل واما ينزغنك ويجوز ان يراد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب كقول ابي بكر رضي الله عنه ان لي
شيطانا يعتريني **ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون واخوانهم يمدونهم
في الغي** طيف من الشيطان لمة منه مصدر من قولهم طاف به الخيال يطيف طيفا قال ﴿ اني الم بك الخيال يطيف ﴾
او هو كميت طيف فيعل من طاف يطيف كلين او من طاف يطوف كهين وقرئ طائف وهو يحتمل الامرين ايضا وهذا تاكيد
وتقرير لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان وان المتقين هذه عادتهم اذا اصابهم ادنى نزغ من الشيطان
والمام بوسوسته تذكروا ما امر الله به ونهى عنه فابصروا السداد ودفعوا ما وسوس به اليهم ولم يتبعوه
انفسهم واما اخوان الشياطين الذين ليسوا بمتقين فان الشياطين يمدونهم في الغي اي يكونون مددا لهم فيه ويعضدونهم
وقرئ يمدونهم من الامداد ويمادونهم اي يعاونونهم **ثم لا يقصرون** ثم لا يمسكون عن اغوائهم حتى يصروا ولا يرجعوا
وقوله واخوانهم يمدونهم كقوله ﴿ قوم اذا الخيل جالوا في كواثبها ﴾ فوارس الخيل لا ميل ولا قزم ﴿
وان الخبر جار على ما هو له ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير المتعلق به الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا
على ما هو له والاول اوجه لان اخوانهم في مقابلة الذين اتقوا **فان قلت** لم جمع الضمير في اخوانهم والشيطان مفرد
قلت المراد به الجنس كقوله اولياؤهم الطاغوت **واذا لم تاتهم باية قالوا لولا اجتبيتها** اجتبى الشيء بمعنى جباه
لنفسه اي جمعه كقولك اجتمعه او جبى اليه فاجتباه اي اخذه كقولك جليت اليه العروس فاجتلاها والمعنى
لولا اجتبيتها هلا اجتمعتها افتعالا من عند نفسك لانهم كانوا يقولون ان هذا الا افك مفترى او هلا اخذتها منزلة
عليك مقترحة **قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي** ولست بمفتعل للايات او لست بمقترح لها **هذا بصائر** هذا القران
بصائر **من ربكم** اي حجج بينة يعود المؤمنون بها بصراء بعد العمى او هو بمنزلة بصائر القلوب **وهدى ورحمة
لقوم يؤمنون واذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون** ظاهره وجوب الاستماع والانصات
وقت قراءة القران في صلاة وغير صلاة وقيل كانوا يتكلمون في الصلاة فنزلت ثم صار سنة في غير الصلاة ان ينصت
القوم اذا كانوا في مجلس يقرا فيه القران وقيل معناه واذا تلى عليكم الرسول القران عند نزوله فاستمعوا له وقيل
معنى فاستمعوا له اعملوا بما فيه ولا تجاوزوه **واذكر ربك في نفسك** هو عام في الاذكار من قراءة القران والدعاء والتسبيح
والتهليل وغير ذلك **تضرعا وخيفة** متضرعا وخائفا **ودون الجهر من القول** ومتكلما كلاما دون الجهر لان الاخفاء ادخل
في الاخلاص واقرب الى حسن التفكر **بالغدو والاصال** لفضل هذين الوقتين او اراد الدوام ومعنى بالغدو باوقات الغدو
وهي الغدوات وقرئ والايصال من اصل اذا دخل في الاصيل كاقصر واعتم وهو مطابق للغدو **ولا تكن من الغافلين** من
الذين يغفلون عن ذكر الله ويلهون عنه **ان الذين عند ربك** هم الملائكة صلوات الله عليهم ومعنى عند دنو الزلفة والقرب من
رحمة الله وفضله لتوفرهم على طاعته وابتغاء مرضاته **لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون** ويختصونه بالعبادة
ولا يشركون به غيره وهو تعريض بمن سواهم من المكلفين عن رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم من قرا سورة الاعراف جعل الله يوم
القيمة بينه وبين ابليس سترا وكان ادم شفيعا له يوم القيمة

سورة الانفال مدنية وهي ست وسبعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

يسالونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول النفل الغنيمة لانها من فضل الله وعطائه قال لبيد ﴿ ان تقوى ربنا خير نفل ﴾
والنفل ما ينفله الغازي اي يعطاه زائدا على سهمه من المغنم وهو ان يقول الامام تحريضا على البلاء في الحرب من قتل قتيلا
فله سلبه او قال لسرية ما اصبتم فهو لكم او فلكم نصفه او ربعه ولا يخمس النفل ويلزم الامام الوفاء بما وعد منه وعند
الشافعي في احد قوليه لا يلزم ولقد وقع اختلاف بين المسلمين في غنائم بدر وفي قسمتها فسالوا رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم
كيف تقسم ولمن الحكم في قسمتها اللمهاجرين ام للانصار ام لهم جميعا فقيل له قل لهم هي لرسول الله صلى الله عليه وعلى اله
وهو الحاكم فيها خاصة يحكم فيها ما يشاء ليس لاحد غيره فيها حكم وقيل شرط لمن كان له بلاء في ذلك اليوم ان ينفله فتسارع
شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين فلما يسر الله الفتح اختلفوا فيما بينهم وتنازعوا فقال الشبان نحن المقاتلون
وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون اليها اذا انهزمتم وقالوا لرسول
الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم المغنم قليل والناس كثير وان تعط هؤلاء ما شرطت لهم حرمت اصحابك فنزلت وعن سعد
بن ابي وقاص قتل اخي عمير يوم بدر فقتلت به سعيد بن العاص واخذت سيفه فاعجبني فجئت به الى رسول الله صلى الله
عليه وعلى اله وسلم فقلت ان الله قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته

وباذن الله ربي وعل

وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى جاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد انزلت سورة
الانفال فقال يا سعد انك سالتني السيف وليس لي وانه قد صار لي فاذهب فخذه وعن عبادة بن الصامت نزلت فينا اصحاب بدر
حين اختلفنا في النفل وساءت فيه اخلاقنا فنزعه الله من ايدينا فجعله لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقسمه بين المسلمين
على السوا وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم واصلاح ذات البين وقرا ابن محيصن يسالونك
علنفال بحذف الهمزة والقا حركتها على اللام وادغام نون عن في اللام وقرا ابن مسعود يسالونك الانفال اي يسالك
الشبان ما شرطت لهم من الانفال **فان قلت** ما معنى الجمع بين ذكر الله والرسول في قوله قل الانفال لله والرسول **قلت**
معناه ان حكمها مختص بالله ورسوله يامر الله بقسمتها على ما تقتضيه حكمته ويمتثل الرسول امر الله فيها وليس الامر في قسمتها مفوضا
الى راي احد والمراد ان الذي اقتضته حكمة الله وامر به رسوله ان يواسي المقاتلة المشروط لهم النفل الشيوخ الذين كانوا
عند الرايات فيقاسموهم على السوية ولا يستاثروا بما شرط لهم فانهم ان فعلوا لم يومن ان يقبح ذلك فيما بين المسلمين من
التحاب والتصافي فاتقوا الله في الاختلاف والتخاصم وكونوا متحدين متآخين في الله واصلحوا ذات بينكم واطيعوا
الله ورسوله وتاسوا وتساعدوا فيما رزقكم الله وتفضل به عليكم وعن عطا كان الاصلاح بينهم ان دعاهم وقال
اقسموا غنائمكم بالعدل فقالوا قد اكلنا وانفقنا فقال ليرد بعضكم على بعض **فان قلت** ما حقيقة قوله ذات بينكم **قلت**
احوال بينكم يعني ما بينكم من الاحوال حتى تكون احوال الفة ومحبة واتفاق كقوله بذات الصدور وهي مضمراتها لما كانت
الاحوال ملابسة للبين قيل لها ذات البين كقولهم اسقني ذا انايك يريدون ما في انايك من الشراب وقد جعل التقوى
واصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله من لوازم الايمان وموجباته ليعلمهم ان كمال الايمان موقوف على التوفر عليها ومعنى
قوله ان كنتم مؤمنين ان كنتم كاملي الايمان واللام في قوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله اشارة اليهم اي انما الكاملو
الايمان الذين من صفتهم كيت وكيت والدليل عليه قوله اولئك هم المؤمنون حقا وجلت قلوبهم فزعت وعن ام الدرداء
الوجل في القلب كاحتراق السعفة اما تجد له قشعريرة قال بلى قالت فادع الله فان الدعاء يذهبه يعني فزعت لذكره
استعظاما له وتهيبا له من جلاله وعزة سلطانه وبطشه بالعصاة وعقابه وهذا الذكر خلاف الذكر في قوله ثم تلين جلودهم
وقلوبهم الى ذكر الله لان ذلك ذكر رحمته ورافته وثوابه وقيل هو الرجل يريد ان يظلم او يهم بمعصية فيقال له اتق الله
فينزع عنه وقري وجلت بالفتح وهي لغة نحو وبق في وبق وفي قراءة عبد الله فرقت واذا تليت عليهم اياته زادتهم
ايمانا ازدادوا بها يقينا وطمانينة نفس لان تظاهر الادلة اقوى للمدلول عليه واثبت لقدمه وقد حمل على زيادة العمل وعن
ابي هريرة الايمان سبع وسبعون شعبة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحيا
شعبة من الايمان وعن عمر بن عبد العزيز ان للايمان سننا وفرائض وشرائع فمن استكملها استكمل الايمان ومن لم
يستكملها لم يستكمل الايمان وعلى ربهم يتوكلون ولا يفوضون امورهم الى غير ربهم لا يخشون ولا يرجون الا اياه
الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا جمع بين اعمال القلوب من الخشية والاخلاص
والتوكل وبين اعمال الجوارح من الصلوة والصدقة حقا صفة للمصدر المحذوف اي اولئك هم المؤمنون ايمانا حقا وعن
الحسن ان رجلا ساله امؤمن انت قال الايمان ايمانان فان كنت تسالني عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم
الاخر والجنة والنار والبعث والحساب فانا مؤمن وان كنت تسالني عن قوله انما المؤمنون فوالله لا ادري امنهم انا
ام لا وعن الثوري من زعم انه مؤمن بالله حقا ثم لم يشهد انه من اهل الجنة فقد امن بنصف الاية وهذا الزام منه يعني
كما لا نقطع بانه من اهل ثواب المؤمنين حقا فلا نقطع بانه مؤمن حقا وبهذا تعلق من يستثني في الايمان وكان ابو حنيفة
ممن لا يستثني فيه وحكى عنه انه قال لقتادة لم تستثني في ايمانك قال اتباعا لابراهيم في قوله والذي اطمع ان يغفر
لي خطيئتي فقال له هلا اقتديت به في قوله اولم تؤمن قال بلى لهم درجات شرف وكرامة وعلو منزلة عند
ربهم ومغفرة وتجاوز لسيئاتهم ورزق كريم نعيم الجنة يعني لهم منافع حسنة دائمة على سبيل التعظيم وهذا معنى
الثواب كما اخرجك ربك من بيتك فيه وجهان احدهما ان يرتفع محل الكاف على انه خبر مبتدا محذوف تقديره
هذه الحال كحال اخراجك يعني ان حالهم في كراهة ما رايت من تنفيل الغزاة مثل حالهم في كراهة خروجك للحرب والثاني
ان ينتصب على انه صفة مصدر الفعل المقدر في قوله الانفال لله والرسول اي الانفال استقرت لله والرسول وثبتت
مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك وهم كارهون من بيتك يريد بيته عليه السلام بالمدينة او المدينة
نفسها لانها مهاجره ومسكنه فهي في اختصاصها به كاختصاص البيت بساكنه بالحق اي اخراجا ملتبسا بالحكمة
والصواب الذي لا محيد عنه وان فريقا من المؤمنين لكارهون في موضع الحال اي اخرجك في حال كراهتهم
وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام
فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا

بلغ اهل مكه

بلغ اهل مكة خبرها فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجا النجا على كل صعب وذلول عيركم
واموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها ابدا وقد رات اخت العباس بن عبد المطلب رؤيا فقالت لاخيها اني
رايت عجبا كان ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت من بيوت مكة الا اصابه من تلك
الصخرة فحدث بها العباس فقال ابو جهل ما يرضى رجالهم ان يتنبؤوا حتى تتنبا نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة وهم
النفير في المثل السائر لا في العير ولا في النفير فقيل له ان العير اخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس الى مكة
فقال لا والله لا يكون ذلك ابدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف ببدر فيتسامع جميع
العرب بمخرجنا وان محمدا لم يصب العير وانا قد اعضضناه فمضى بهم الى بدر وبدر ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما
في السنة ونزل جبريل فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبي صلى الله عليه وعلى
آله وسلم اصحابه وقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير احب اليكم ام النفير قالوا بل العير
احب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ثم رد عليهم فقال ان العير قد مضت على
ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله صلى الله عليك عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب النبي صلى الله
عليه وآله وسلم ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن
ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما امرك الله فانا معك حيث ما احببت لا نقول
لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكم
مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فضحك رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد
الانصار لانهم قالوا له حين بايعوه على العقبة انا برآء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا
نمنعك مما نمنع به ابناءنا ونساءنا وكان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يتخوف الا تكون الانصار ترى عليهم نصرته الا على عدو دهمه
بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد امنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به
هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق
لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا وانا لصبر عند
الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه
وعلى آله وسلم ونشطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله وعدني احدى الطائفتين والله لكاني
الان انظر الى مصارع القوم وروي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها
شيء فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له النبي عليه السلام لم قال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك
ما وعدك وكانت الكراهة من بعضهم لقوله وان فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق الحق الذي
جادلوا فيه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تلقي النفير لايثارهم عليه تلقي العير بعد ما تبين كانما يساقون الى الموت
وهم ينظرون بعد اعلام رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بانهم ينصرون وجدالهم قولهم ما كان خروجنا الا للعير
وهلا قلت لنا لنستعد ونتاهب وذلك لكراهتهم القتال ثم شبه حالهم في فرط فزعهم ورعبهم وهم يسار بهم الى الظفر
والغنيمة بحال من يعتل الى القتل ويساق على الصغار الى الموت المتيقن وهو مشاهد لاسبابه ناظر اليها لا يشك فيها
وقيل كان خوفهم لقلة العدد وانهم كانوا رجالة وروي انه ما كان فيهم الا فارسان واذ يعدكم الله احدى
الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم اذ منصوب باضمار اذكر وانها لكم بدل من
احدى الطائفتين والطائفتان العير والنفير وغير ذات الشوكة العير لانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا والشوكة
كانت في النفير لعددهم وعدتهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويقال شوك القنا لشباها
ومنها قولهم شاكي السلاح اي تتمنون ان تكون لكم العير لانها الطائفة التي لا حدة لها ولا شدة ولا تريدون الطائفة
الاخرى ويريد الله ان يحق الحق اي يثبته ويعليه بكلماته باياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة وبما امر الملائكة من
نزولهم للنصرة وبما قضى من اسرهم وقتلهم وطرحهم في قليب بدر ويقطع دابر الكافرين والدابر الاخر فاعل
من دبر اذا ادبر ومنه دابرة الطائر وقطع الدابر عبارة عن الاستئصال يعني انكم تريدون الفائدة العاجلة وسفساف
الامور والا تلقوا ما يرزاكم في ابدانكم واحوالكم والله عز وعلا يريد معالي الامور وما يرجع الى عمارة الدين ونصرة
الحق وعلو الكلمة والفوز في الدارين وشتان ما بين المرادين ولذلك اختار لكم الطائفة ذات الشوكة وكسر قوتهم
بضعفكم وغلب كثرتهم بقلتكم واعزكم واذلهم وحصل لكم ما لا تعارض ادناه العير وما فيها وقرى بكلمته على
التوحيد ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون **فان قلت** بم يتعلق قوله ليحق الحق **قلت** بمحذوف تقديره
ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ذلك ما فعله الا لهما وهو اثبات الاسلام واظهاره وابطال الكفر ومحقه **فان قلت**

اليس هذا تكريرا **قلت** لا لان المعنيين متباينان وذلك ان الاول تمييز بين الارادتين وهذا بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم ونصرتهم عليها وانه ما نصرهم ولا خذل اولئك الا لهذا الغرض الذي هو سيد الاغراض ويجب ان يقدر المحذوف متاخرا حتى يفيد معنى الاختصاص وينطبق عليه المعنى وقيل قد تعلق بيقطع **فان قلت** بم يتعلق إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ **قلت** هو بدل من اذ يعدكم وقيل يتعلق بقوله ليحق الحق ويبطل الباطل واستغاثتهم انهم لما علموا انه لا بد من القتال طفقوا يدعون الله يقولون اي رب انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين اغثنا وعن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فاخذه ابو بكر فالقاه على منكبه والتزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ اصله باني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه استجاب فنصب محله بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ **فان قلت** هل قاتلت الملائكة يوم بدر **قلت** اختلف فيه فقيل نزل جبريل في خمسمائة ملك على الميمنة وفيها ابو بكر وميكائيل في خمسمائة على الميسرة وفيها علي بن ابي طالب في صور الرجال عليهم ثياب بيض وعمائم بيض قد ارخوا اذنابها بين اكتافهم فقاتلت وقيل قاتلت يوم بدر ولم تقاتل يوم الاحزاب ويوم حنين وعن ابي جهل انه قال لابن مسعود من اين كان ذلك الصوت الذي كنا نسمع ولا نرى شخصا قال من الملائكة فقال ابو جهل هم غلبونا لا انتم وروي ان رجلا من المسلمين بينما هو يشتد في اثر رجل من المشركين اذ سمع صوت ضربة بالسوط فوقه فنظر الى المشرك قد خر مستلقيا وشق وجهه فحدث الانصاري رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم فقال صدقت ذلك من مدد السماء وعن ابي داود المازني تبعت رجلا من المشركين لاضربه يوم بدر فوقع راسه بين يدي قبل ان يصل اليه سيفي وقيل لم يقاتلوا وانما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين والا فملك واحد كاف في اهلاك اهل الدنيا كلهم فان جبريل اهلك بريشة من جناحه مدائن قوم لوط واهلك بلاد ثمود وقوم صالح بصيحة واحدة وقرئ مُرْدِفِينَ بكسر الدال وفتحها من قولك ردفه اذا تبعه ومنه قوله تعالى ردف لكم بمعنى ردفكم واردفته اياه اذا اتبعته ويقال اردفته كقولك اتبعته اذا جئت بعده فلا يخلو المكسور الدال من ان يكون بمعنى متبعين او متبعين فان كان بمعنى متبعين بعضهم بعضا او متبعين بعضهم لبعض او بمعنى متبعين اياهم المؤمنين اي يتقدمونهم فيتبعونهم انفسهم او متبعين لهم يشيعونهم ويقدمونهم بين ايديهم وهم على ساقتهم ليكونوا على اعينهم وحفظهم او بمعنى متبعين انفسهم ملائكة اخرين او متبعين غيرهم من الملائكة ويعضد هذا الوجه قوله تعالى في سورة ال عمران بثلاثة الاف من الملائكة منزلين ومن قرا مردفين بالفتح فهو بمعنى متبعين او متبعين وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها وتشديد الدال واصله مرتدفين اي مترادفين او متبعين من ارتدفه فادغمت تاء الافتعال في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل او على اتباع الدال وبالضم على اتباع الميم وعن السدي بالاف من الملائكة على الجمع ليوافق ما في سورة ال عمران **فان قلت** فبم يعتذر لمن قرا على التوحيد ولم يفسر المردفين بارداف الملائكة ملائكة اخرين والمردفين بارتدافهم غيرهم **قلت** بان المراد بالالف من قاتل منهم او الوجوه منهم الذين من سواهم اتباع لهم **فان قلت** الى ما يرجع الضمير في وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ **قلت** الى قوله اني ممدكم لان المعنى فاستجاب لكم بامدادكم **فان قلت** ففيمن قرا بالكسر **قلت** الى قوله اني ممدكم لانه مفعول القول المضمر فهو في معنى القول ويجوز ان يرجع الى الامداد الذي يدل عليه ممدكم إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ الا بشارة لكم بالنصر كالسكينة لبني اسرائيل يعني انكم استغثتم وتضرعتم لقلتكم وذلتكم فكان الامداد بالملائكة بشارة لكم بالنصر وتسكينا منكم وربطا على قلوبكم وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ يريد ولا تحسبوا النصر من الملائكة فان الناصر هو الله لكم وللملائكة او وما النصر بالملائكة وغيرهم من الاسباب الا من عند الله والمنصور من نصره الله إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ بدل ثان من اذ يعدكم او منصوب بالنصر او بما في من عند الله من معنى الفعل او بما جعله الله او باضمار اذكر وقرئ يغشيكم بالتخفيف والتشديد ونصب النعاس والضمير لله عز وجل وامنة مفعول له **فان قلت** اما وجب ان يكون فاعل الفعل المعلل والعلة واحدا **قلت** بلى ولكن لما كان معنى يغشاكم النعاس تنعسون انتصب امنة على ان النعاس والامنة لهم والمعنى اذ تنعسون امنة اي لامنكم ومنه صفة لها اي امنة حاصلة لكم من الله **فان قلت** فعلى غير هذه القراءة **قلت** يجوز ان تكون الامنة بمعنى الايمان اي ينعسكم ايمانا منه او على يغشيكم النعاس فتنعسون امنا **فان قلت** هل يجوز ان ينتصب على ان الامنة للنعاس الذي هو فاعل يغشاكم اي يغشاكم النعاس لامنه على ان اسناد الامن الى النعاس اسناد مجازي وهو لاصحاب النعاس على الحقيقة او على انه انامكم في وقت كان من حق النعاس في مثل ذلك الوقت المخوف ان لا يقدم على غشيانكم وانما غشيكم امنة حاصلة له من الله لولاها لم يغشكم على طريقة التمثيل والتخييل **قلت** لا تبعد فصاحة القران عن احتماله وله فيه نظائر وقد الم به من قال

يهابُ اليومُ ان يغشى عيونا ۞ تهابُك فهو نفّارٌ شرودُ ۞

وقرئ امنة

وقرئ امنة بسكون الميم ونظير امن امنة حيي حياة ونحو امن امنة رحم رحمة والمعنى ان ما كان بهم من الخوف كان يمنعهم من النوم فلما طامن الله قلوبهم وامنهم رقدوا وعن ابن عباس النعاس في القتال امنة من الله وفي الصلاة وسوسة من الشيطان وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ وينزل قرئ بالتخفيف والتثقيل وقرا الشعبي ما ليطهركم به قال ابن جني ما موصولة وصلتها حرف الجر بما جره فكانه قال ما للطهور ورجز الشيطان وسوسته اليهم وتخويفه اياهم من العطش وقيل الجنابة لانها من تخييله وقرئ رجس الشيطان وذلك ان ابليس تمثل لهم وكان المشركون قد سبقوهم الى الماء ونزل المؤمنون في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم فقال لهم انتم يا اصحاب محمد تزعمون انكم على الحق وانكم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على حق ما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم الا ان يجهدكم العطش فاذا قطع العطش اعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من احبوا وساقوا بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا شديدا واشفقوا فانزل الله عليهم المطر حتى جرى الوادي واتخذ رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم واصحابه الحياض على عدوة الوادي وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤوا وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت وسوسة الشيطان وطابت النفوس والضمير في به للماء ويجوز ان يكون للربط لان القلب اذا تمكن فيه الصبر والجراءة ثبتت القدم في مواطن القتال إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا اذ يوحي يجوز ان يكون بدلا ثالثا من اذ يعدكم وان ينتصب بيثبت اني معكم مفعول يوحي وقرئ اني بالكسر على ارادة القول او على اجراء يوحي مجرى يقول كقوله اني ممدكم والمعنى اني معينكم على التثبيت فثبتوا وقوله سالقي فاضربوا يجوز ان يكون تفسيرا لقوله اني معكم فثبتوا ولا معونة اعظم من القاء الرعب في قلوب الكفرة ولا تثبيت ابلغ من ضرب اعناقهم واجتماعهما غاية النصرة ويجوز ان يكون غير تفسير وان يراد بالتثبيت ان يخطروا ببالهم ما تقوى به قلوبهم وتصح عزائمهم ونياتهم في القتال وان يظهروا ما يتيقنون به انهم ممدون بالملائكة وقيل كان الملك يتشبه بالرجل الذي يعرفون وجهه فياتي فيقول اني سمعت المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لننكشفن ويمشي بين الصفين فيقول ابشروا فان الله ناصركم لانكم تعبدونه وهؤلاء لا يعبدونه وقرئ الرعب بالتثقيل فَوْقَ الْأَعْنَاقِ اراد اعالي الاعناق التي هي المذابح لانها مفاصل فكان ايقاع الضرب فيها حزا وتطييرا للرؤوس وقيل اراد الرؤوس لانها فوق الاعناق يعني ضرب الهام قال

واضرب هامة البطل المشيح ۞

وقال

وغشيته وهو في جأواء باسلة ۞ عضبا اصاب سواء الراس فانفلقا ۞

وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ والبنان الاصابع يريد الاطراف والمعنى فاضربوا المقاتل والشوى لان الضرب اما واقع على مقتل او غير مقتل فامرهم بان يجمعوا عليهم النوعين معا ويجوز ان يكون قوله سالقي الى قوله كل بنان عقيب قوله فثبتوا الذين امنوا تلقينا للملائكة ما يثبتونهم به كانه قال لهم قولي سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب او كانهم قالوا كيف نثبتهم فقال قولوا لهم قولي سالقي فالضاربون على هذا هم المؤمنون ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ذلك اشارة الى ما اصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل ومحله الرفع على الابتداء وبانهم خبره اي ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاقتهم والمشاقة مشتقة من الشق لان كلا المتعاديين في شق خلاف شق صاحبه وسئلت في المنام عن اشتقاق المعاداة فقلت لان هذا في عدوة وذاك في عدوة كما قيل المخاصمة والمشاقة لان هذا في خصم اي في جانب وذاك في خصم وهذا في شق وذاك في شق والكاف في ذلك لخطاب الرسول او لخطاب كل احد منكم وفي ذَلِكُمْ للكفرة على طريقة الالتفات ومحل ذلكم الرفع على ذلكم العقاب او العقاب ذلكم فَذُوقُوهُ ويجوز ان يكون نصبا على عليكم ذلكم فذوقوه كقولك زيدا فاضربه وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ عطف على ذلكم في وجهيه او نصب على ان الواو بمعنى مع والمعنى ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الاجل الذي لكم في الاخرة فوضع الظاهر موضع الضمير وقرئ وان للكافرين بالكسر يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ زحفا حال من الذين كفروا والزحف الجيش الدهم الذي يرى لكثرته كانه يزحف اي يدب دبيبا من زحف الصبي اذا دب على استه قليلا قليلا سمي بالمصدر والجمع زحوف والمعنى اذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وانتم قليل فلا تفروا فضلا ان تدانوهم في العدد او تساووهم او حال من الفريقين اي اذا لقيتموهم متزاحفين هم وانتم او حال من المؤمنين كانهم اشعروا بما سيكون منهم يوم حنين حين تولوا مدبرين وهم زحف من اثني عشر الفا وفي قوله ومن يولهم يومئذ دبره امارة عليه متحرفا لقتال هو الكر بعد الفر يخيل عدوه انه منهزم ثم يعطف عليه وهو باب من خدع الحرب ومكايدها او متحيزا الى فئة الى جماعة اخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها وعن ابن عمر رضي الله عنه خرجت سرية وانا فيهم ففروا فلما رجعوا الى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانهزم رجل من القادسية فاتى المدينة الى عمر رضي الله عنه

فقال يا امير المومنين هلكت فررت من الزحف فقال انا فيتك وعن ابن عباس ان الفرار من الزحف من اعظم الكبائر ○
فان قلت بم انتصب الا متحرفا قلت على الحال والا لغو وعلى الاستثناء من المولين اى ومن يولهم الا رجلا منهم
متحرفا او متحيزا وقرا الحسن دبره بالسكون ووزن متحيز متفيعل لا متفعل من حاز يحوز لان بناء متفعل منه متحوز
لما كسروا اهل مكة وقتلوا واسروا واقبلوا على التفاخر فكان القائل يقول قتلت واسرت ولما طلعت قريش قال
رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم انى اسالك ما وعدتنى
فاتاه جبريل فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فقال لما التقى الجمعان لعلي رضي الله عنه اعطني قبضة من حصباء
الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم المومنون
يقتلونهم ويأسرونهم فقيل لهم فلم تقتلوهم والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم فانتم لم تقتلوهم ولكن الله
قتلهم لانه هو الذي انزل الملائكة والقى الرعب في قلوبهم وشاء النصر والظفر وقوى قلوبكم واذهب عنها الفزع والجزع وما
رميت انت يا محمد اذ رميت ولكن الله رمى يعني ان الرمية التي رميتها لم ترمها انت على الحقيقة لانك لو رميتها
لما بلغ اثرها الا ما يبلغه اثر رمي البشر ولكنها كانت رمية الله حتى اثرت ذلك الاثر العظيم فاثبت الرمية لرسول
الله لان صورتها وجدت منه ونفاها عنه لان اثرها الذي لا يطيقه البشر فعل الله عز وعلا فكان الله هو فاعل
الرمية على الحقيقة وكانها لم توجد من الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم اصلا وقرئ ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى بتخفيف لكن ورفع
ما بعده وليبلي المومنين منه وليعطيهم بلاء حسنا عطاء جميلا قال زهير ○ فابلاهما خير البلاء الذي يبلو ○
والمعنى وللاحسان الى المومنين فعل ما فعل وما فعله الا لذلك ان الله سميع لدعائهم عليم باحوالهم ذلكم اشارة
الى البلاء الحسن ومحله الرفع اي الغرض ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين ○ معطوف على ذلكم يعني ان الغرض
ابلاء المومنين وتوهين كيد الكافرين وقرئ موهن بالتشديد وقرئ على الاضافة وعلى الاصل الذي هو التنوين
والاعمال ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك حين ارادوا ان ينفروا تعلقوا
باستار الكعبة فقالوا اللهم انصر اقرانا للضيف واوصلنا للرحم وافكنا للعاني ان كان محمد على حق فانصره
وان كنا على حق فانصرنا وروي انهم قالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وروي ان ابا جهل
قال يوم بدر اللهم اينا كان اهجر واقطع للرحم فاحنه اليوم اي فاهلكه وقيل ان تستفتحوا خطاب للمومنين وان تنتهوا
خطاب للكافرين يعني وان تنتهوا عن عداوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو خير لكم واسلم وان تعودوا
لمحاربته نعد لنصرته عليكم ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وان الله مع المومنين ○ وقرئ بالفتح على
ولان الله معين للمومنين كان ذلك وقرئ بالكسر وهذا اوجه ويعضدها قراءة ابن مسعود والله مع المومنين
وقرئ ولن يغني بالياء للفصل يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وانتم تسمعون ○ ولا تولوا وقرئ
بطرح احدى التائين وادغامها والضمير في عنه لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لان المعنى واطيعوا رسول الله كقوله
والله ورسوله احق ان يرضوه ولان طاعة الرسول وطاعة الله شيء واحد من يطع الرسول فقد اطاع الله فكان رجوع الضمير
الى احدهما كرجوعه اليهما كقولك الاحسان والاجمال لا ينفع في فلان ويجوز ان يرجع الضمير الى الامر بالطاعة اي ولا تولوا
عن هذا الامر وامتثاله وانتم تسمعونه او ولا تولوا عن رسول الله ولا تخالفوه وانتم تسمعون اي تصدقون لانكم مومنون
لستم كالصم المكذبين من الكفرة ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا اي ادعوا السماع وهم لا يسمعون ○ لانهم ليسوا
مصدقين فكانهم غير سامعين والمعنى انكم تصدقون بالقرآن والنبوة فاذا توليتم عن طاعة الرسول في بعض الامور
من قسمة الغنائم وغيرها كان تصديقكم كلا تصديق واشبه سماعكم سماع من لا يومن ثم قال ان شر الدواب عند الله
الصم البكم الذين لا يعقلون ○ اي ان شر من يدب على وجه الارض او ان شر البهائم الذين هم صم عن الحق لا يعقلونه جعلهم
من جنس البهائم ثم جعلهم شرها ولو علم الله فيهم في هؤلاء الصم البكم خيرا اي انتفاعا باللطف لاسمعهم للطف
بهم حتى يسمعوا سماع المصدقين ثم قال ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون ○ يعني ولو لطف بهم لما نفع فيهم اللطف فلذلك
منعهم الطافه او ولو لطف بهم فصدقوا لارتدوا بعد ذلك وكذبوا ولم يستقيموا وقيل هم بنو عبد الدار بن قصي لم
يسلم منهم الا رجلان مصعب بن عمير وسويد بن حرملة وكانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه ○
فقتلوا جميعا باحد وكانوا اصحاب اللواء وعن ابن جريج هم المنافقون وعن الحسن اهل الكتاب يا ايها الذين آمنوا استجيبوا
لله وللرسول اذا دعاكم وحد الضمير ايضا كما وحده فيما قبله لان استجابة رسول الله كاستجابته وانما يذكر احدهما مع الآخر
للتوكيد والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال وبالدعوة البعث والتحريض وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم
مر على باب ابي بن كعب فناداه وهو في الصلاة فعجل في صلاته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتي قال كنت اصلي قال الم تخبر فيما
اوحي الي استجيبوا لله وللرسول قال لا جرم لا تدعوني الا اجبتك وفيه قولان احدهما ان هذا مما اختص به رسول الله صلى الله

عليه وعلى آله وسلم والثاني ان دعاءه كان لامر لم يحتمل التاخير فاذا وقع مثله للمصلي فله ان يقطع صلاته لما يحييكم من
علوم الديانات والشرائع لان العلم حياة كما ان الجهل موت ولبعضهم ○
○ لا تعجبن الجهول حلته ○ فذاك ميت وثوبه كفن ○
وقيل لمجاهدة الكفار لانهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم كقوله ولكم في القصاص حياة وقيل للشهادة
لقوله بل احياء عند ربهم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون ○ يعني انه يميته فتفوته
الفرصة التي هو واجدها وهي التمكن من اخلاص القلب ومعالجة ادوائه وعلله ورده سليما كما يريده الله فاغتنموا
هذه الفرصة واخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله واعلموا انكم اليه تحشرون فيثيبكم على حسب سلامة القلوب
واخلاص الطاعة وقيل معناه ان الله قد يملك على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير نياته ومقاصده ويبدله
بالخوف امنا وبالامن خوفا وبالذكر نسيانا وبالنسيان ذكرا وما اشبه ذلك مما هو جائز على الله عز وجل فاما ما يثاب عليه
العبد ويعاقب من افعال القلوب فلا والمجبرة على انه يحول بين المرء والايمان اذا كفر وبينه وبين الكفر اذا امن
تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقيل معناه انه يطلع على كل ما يخطره المرء بباله لا يخفى عليه شيء من ضمائره فكانه
يحول بينه وبين قلبه وقرئ بين المر بتشديد الراء ووجهه انه قصد تخفيف الهمزة والقى حركتها على الراء ثم نوى
الوقف على لغة من يقول مررت بعمر واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا ان الله شديد
العقاب ○ فتنة ذنبا قيل هو اقرار المنكر بين اظهرهم وقيل افتراق الكلمة وقيل فتنة عذابا وقوله لا تصيبن لا
يخلو من ان يكون جوابا للامر او نهيا بعد امر او صفة لفتنة فاذا كانت جوابا فالمعنى ان اصابتكم لا تصيب الظالمين منكم
خاصة ولكنها تعمكم وهذا كما يحكى ان علماء بني اسرائيل نهوا عن المنكر تعذيرا فعمهم الله بالعذاب واذا كانت نهيا
بعد امر فكانه قيل احذروا ذنبا او عقابا ثم قيل لا تتعرضوا للظلم فيصيب العقاب او اثر الذنب ووباله من ظلم منكم خاصة
وكذا اذا جعلته صفة على ارادة القول كانه قيل واتقوا فتنة مقولا فيها لا تصيبن ونظيره قوله ○
○ حتى اذا جن الظلام واختلط ○ جاؤوا بمذق هل رايت الذئب قط ○
اي بمذق مقول فيه هذا القول لانه سمار فيه لون الورقة التي هي لون الذئب ويعضد المعنى الاخير
قراءة ابن مسعود لتصيبن على جواب القسم المحذوف وعن الحسن نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير وهو يوم الجمل
خاصة قال الزبير نزلت فينا وقراناها زمانا وما ارانا من اهلها فاذا نحن المعنيون بها وعن السدي نزلت في اهل
بدر فاقتتلوا يوم الجمل وروي ان الزبير كان يساير النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوما اذ اقبل علي رضي الله
عنه فضحك اليه الزبير فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كيف حبك لعلي فقال يا رسول الله بابي انت وامي اني
احبه كحبي لولدي او اشد حبا فقال كيف انت اذا سرت اليه تقاتله فان قلت كيف جاز ان تدخل النون
المؤكدة في جواب الامر قلت لان فيه معنى النهي اذا قلت انزل عن الدابة لا تطرحك فلذلك جاز لا تطرحنك ولا
تصيبن ولا يحطمنكم فان قلت فما معنى من في قوله الذين ظلموا منكم قلت التبعيض على الوجه الاول
والتبيين على الثاني لان المعنى لا تصيبنكم خاصة على ظلمكم لان الظلم اقبح منكم من سائر الناس واذكروا اذ انتم
قليل مستضعفون اذ انتم نصبه على انه مفعول به مذكور لا ظرف اي اذكروا وقت كونكم اقلة اذلة مستضعفين
في الارض ارض مكة قبل الهجرة تستضعفكم قريش تخافون ان يتخطفكم الناس لان الناس كانوا لهم حربا
اعداء منافين مضادين فآواكم الى المدينة وايدكم بنصره بمظاهرة الانصار وبامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم
من الطيبات من الغنائم لعلكم تشكرون ○ ارادة ان تشكروا هذه النعم وعن قتادة كان هذا الحي من العرب
اذل الناس واشقاهم عيشا واعراهم جلدا وابينهم ضلالا يوكلون ولا ياكلون فمكن الله لهم في البلاد ووسع لهم
في الرزق والغنائم وجعلهم ملوكا يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم معنى
الخون النقص كما ان معنى الوفاء التمام ومنه تخونه اذا انتقصه ثم استعمل في ضد الامانة والوفاء لانك اذا خنت الرجل
في شيء فقد ادخلت عليه النقصان فيه وقد استعير فقيل خان الدلو الكرب وخان المشتار السبب لانه اذا انقطع
به فكانه لم يف له ومنه قوله وتخونوا اماناتكم والمعنى لا تخونوا الله بان تعطلوا فرائضه ورسوله بان لا تستنوا به
وامانتكم فيما بينكم بان لا تحفظوها وانتم تعلمون ○ تبعة ذلك ووباله وقيل وانتم تعلمون انكم تخونون يعني
ان الخيانة توجد منكم عن تعمد لا عن سهو وقيل وانتم علماء تعلمون قبح القبيح وحسن الحسن وروي ان نبي الله صلى الله عليه
وعلى آله وسلم حاصر يهود بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسالوا الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا
الى اذرعات واريحا من ارض الشام فابى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا
وقالوا ارسل الينا ابا لبابة مروان بن عبد المنذر وكان مناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا

له ما ترى هل ننزل على حكم سعد فأشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم هو يحلني فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال عليه السلام يجزيك الثلث ان تتصدق به وعن المغيرة نزلت في قتل عثمان رضي الله عنه وقيل اماناتكم ما ائتمنكم الله عليه من فرائضه وحدوده **فان قلت** وتخونوا جزم ام هو نصب **قلت** يحتمل ان يكون جزما داخلا في حكم النهي وان يكون نصبا باضمار ان كقوله وتكتموا الحق وقرأ مجاهد وتخونوا امانتكم على التوحيد **اعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة** جعل الاموال والاولاد فتنة لانهم سبب الوقوع في الفتنة وهي الاثم او العذاب او محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده **وان الله عنده اجر عظيم** فعليكم ان تنوطوا بطلبه وبما يؤدي اليه هممكم وتزهدوا في الدنيا ولا تحرصوا على جمع المال وحب الولد حتى تورطوا انفسكم من اجلها كقوله المال والبنون الآية وقيل هي من جملة ما نزل في ابي لبابة وما فرط منه لاجل ماله وولده **يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم** فرقانا نصرا لانه يفرق بين الحق والباطل وبين الكفر باذلال حزبه والاسلام باعزاز اهله ومنه قوله تعالى يوم الفرقان او بيانا وظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم واثاركم في اقطار الارض من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اي حتى طلع الفجر او مخرجا من الشبهات وتوفيقا وشرحا للصدور او تفرقة بينكم وبين غيركم من اهل الاديان وفضلا ومزية في الدنيا والاخرة **واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك** لما فتح الله عليه ذكر مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في نجاته من مكرهم واستيلائه عليهم وما اتاح الله عليه من حسن العاقبة والمعنى واذكر اذ يمكرون بك وذلك ان قريشا لما اسلمت الانصار وبايعوه فرقوا ان يتفاقم امره فاجتمعوا في دار الندوة متشاورين في امره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ من نجد وقال انا من نجد دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رأيا ونصحا فقال ابو البختري رأيي ان تحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها وتتربصوا به ريب المنون فقال ابليس بئس الرأي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رأيي ان تحملوه على جمل وتخرجوه من اظهركم فلا يضركم ما صنع واسترحتم فقال ابليس بئس الرأي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا صارما فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلنا واسترحنا فقال الشيخ صدق هذا الفتى هو اجودكم رأيا فتفرقوا على رأي ابي جهل مجمعين على قتله فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وامره ان لا يبيت في مضجعه واذن له في الهجرة وامر عليا رضي الله عنه فنام في مضجعه وقال له اتشح ببردتي فانه لن يخلص اليك امر تكرهه وباتوا مترصدين فلما اصبحوا ثاروا الى مضجعه فابصروا عليا فبهتوا وخيب الله سعيهم واقتصوا اثره فابطل الله مكرهم ليثبتوك ليسجنوك او يوثقوك او يثخنوك بالضرب والجرح من قولهم ضربوه حتى اثبتوه لا حراك به ولا براح وفلان مثبت وجعا وقرئ ليثبتوك بالتشديد وقرأ النخعي ليبيتوك من البيات وعن ابن عباس ليقيدوك وهو دليل لمن فسر بالايثاق **ويمكرون ويمكر الله** ويخفي ما اعد لهم حتى يأتيهم بغتة **والله خير الماكرين** اي مكره انفذ من مكر غيره وابلغ تأثيرا ولانه لا ينزل الا ما هو حق وعدل ولا يصيب الا بما هو مستوجب **واذا تتلى عليهم اياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم** لو نشاء لقلنا مثل هذا نفاجة منهم وصلف تحت الراعدة فانهم لم يتوانوا في مشيئتهم لو ساعدتهم الاستطاعة والا فما منعهم ان كانوا مستطيعين ان يشاؤوا غلبة من تحداهم وقرعهم بالعجز حتى يفوزوا بالقدح المعلى دونه مع فرط انفتهم واستنكافهم ان يغلبوا في باب البيان خاصة وان يماتنهم واحد فيتعللوا بامتناع المشيئة ومع ما علم وظهر ظهور الشمس من حرصهم على ان يقهروا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وتهالكهم على ان يغمروه وقيل قائله النضر بن الحارث المقتول صبرا حين سمع اقتصاص اخبار القرون لو شئت لقلت مثل هذا وهو الذي جاء من بلاد فارس بنسخة حديث رستم واسفنديار فزعم ان هذا مثل ذلك وانه من جملة تلك الاساطير وهو القائل ان كان هذا هو الحق وهذا اسلوب من الجحود بليغ يعني ان كان القرآن هو الحق فعاقبنا على انكاره بالسجيل كما فعلت باصحاب الفيل او بعذاب آخر ومراده نفي كونه حقا واذا انتفى كونه حقا لم يستوجب منكره عذابا فكان تعليق العذاب بكونه حقا مع اعتقاد انه ليس بحق كتعليقه بالمحال في قولك ان كان الباطل حقا فامطر علينا حجارة من السماء وقوله هو الحق تهكم بمن يقول على سبيل التخصيص والتعيين

هذا هو الحق

هذا هو الحق وقرأ الاعمش هو الحق بالرفع على ان هو مبتدأ غير فصل وهي في القراءة الاولى فصل ويقال امطرت السماء كقولك انجمت واسبلت ومطرت كقولك هتنت وهتلت وقد كثر الامطار في معنى العذاب **فان قلت** ما فائدة قوله من السماء والامطار لا يكون الا منها **قلت** كأنه اراد ان يقال فامطر علينا السجيل وهي الحجارة المسومة للعذاب فوضع حجارة من السماء موضع السجيل كما تقول صب عليه مسرودة من حديد تريد درعا بعذاب اليم اي بنوع آخر من جنس العذاب الاليم يعني ان امطار السجيل بعض العذاب الاليم فعذبنا به او بنوع آخر من انواعه وعن معاوية انه قال لرجل من سبأ ما اجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة قال اجهل من قومي قومك قالوا لرسول الله حين دعاهم الى الحق ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له **وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون** اللام لتأكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم وانت بين اظهرهم غير مستقيم في الحكمة لان عادة الله وقضية حكمته ان لا يعذب قوما عذاب استئصال ما دام نبيهم بين اظهرهم وفيه اشعار بانهم مرصدون بالعذاب اذا هاجرت عنهم والدليل على هذا الاشعار قوله وما لهم الا يعذبهم الله وانما يصح هذا بعد اثبات التعذيب كأنه قال وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وهو معذبهم اذا فارقتهم وما لهم الا يعذبهم وهم يستغفرون في موضع الحال ومعناه نفي الاستغفار عنهم اي ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم كقوله وما كان ربك وقيل معناه وفيهم من يستغفر وهم المسلمون بين اظهرهم ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من المستضعفين **وما لهم الا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام** اي وأي شيء لهم في انتفاء العذاب عنهم يعني لا حظ لهم في ذلك وهم معذبون لا محالة وكيف لا يعذبون وحالهم انهم يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عام الحديبية واخراجهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم والمؤمنين من الصد وكانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء **وما كانوا اولياءه** وما استحقوا مع اشراكهم وعداوتهم للدين ان يكونوا ولاة امره وارباببه **ان اولياؤه الا المتقون** من المسلمين ليس كل مسلم ايضا ممن يصلح لان يلي امره انما يستأهل ولايته من كان برا تقيا فكيف بالكفرة عبدة الاصنام **ولكن اكثرهم لا يعلمون** كأنه استثنى من كان يعلم وهو يعاند ويطلب الرياسة او اراد بالاكثر الجميع كما يراد بالقلة العدم **وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية** المكاء فعال بوزن الثغاء والرغاء من مكا يمكو اذا صفر ومنه المكاء كأنه سمي بذلك لكثرة مكائه واصله الصفة كالوضاء والفراء وقرئ مكا بالقصر ونظيرهما البكاء والبكى والتصدية التصفيق تفعلة من الصدى او من صد يصد اذا قومك منه يصدون وقرأ الاعمش وما كان صلاتهم بالنصب على تقديم خبر كان على اسمه **فان قلت** فما وجه هذا الكلام **قلت** هو من قوله

وما كنت اخشى ان يكون عطاؤه ... اداهم سودا او محدرجة سمرا

والمعنى انه وضع القيود والسياط موضع العطاء ووضعوا المكاء والتصدية موضع الصلاة وذلك انهم كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء وهم مشبكون بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وكانوا يفعلون نحو ذلك اذا قرأ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في صلاته يخلطون عليه **فذوقوا العذاب** عذاب القتل والاسر يوم بدر **بما كنتم تكفرون** بسبب كفركم وافعالكم التي لا يقدم عليها الا الكفرة قيل نزلت في المطعمين يوم بدر كان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزائر وقيل قالوا لكل من كانت له تجارة في العير اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثارنا بما اصيب منا ببدر وقيل نزلت في ابي سفيان وقد استأجر ليوم احد الفين من الاحابيش سوى من استجاش من العرب وانفق عليهم اربعين اوقية والاوقية اثنان واربعون مثقالا **ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها** اي كان غرضهم في الانفاق الصد عن اتباع محمد وهو سبيل الله وان لم يكن عندهم كذلك **ثم تكون عليهم حسرة** اي يكون عاقبة انفاقها ندما وحسرة فكأن ذاتها تصير ندما وتصير حسرة **ثم يغلبون** آخر الامر وان كانت الحرب بينهم وبين المؤمنين سجالا قبل ذلك فيرجعون طلقاء كتب الله لاغلبن انا ورسلي **والذين كفروا** والكافرون منهم **الى جهنم يحشرون** لان منهم من اسلم وحسن اسلامه **ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض** اي الفريق الخبيث من الكفار من الفريق الطيب من المؤمنين فيجعل الفريق الخبيث بعضه على بعض **فيركمه جميعا** عبارة عن الجمع والضم حتى يتراكبوا كقوله كادوا يكونون عليه لبدا يعني لفرط ازدحامهم **فيجعله في جهنم اولئك هم الخاسرون** اولئك اشارة الى الفريق الخبيث وقيل ليميز المال الخبيث الذي انفقه المسلمون كابي بكر وعثمان في نصرته فيركمه فيجعله في جهنم في جملة ما يعذبون به كقوله فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم الآية واللام على هذا متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وعلى الاول بيحشرون واولئك اشارة الى الذين كفروا وقرئ ليميز على التخفيف **قل للذين كفروا** من ابي سفيان واصحابه اي قل لاجلهم هذا القول **ان ينتهوا** ولو كان بمعنى خاطبهم به لقيل ان تنتهوا يغفر لكم وهي قراءة ابن مسعود ونحوه وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه خاطبوا به غيرهم لاجلهم ليسمعوه اي ان ينتهوا عما هم عليه من عداوة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وقتاله بالدخول في الاسلام **يغفر لهم ما قد سلف** لهم من العداوة **وان يعودوا** لقتاله **فقد مضت سنة الاولين** منهم الذين حاق بهم مكرهم يوم بدر او فقد مضت سنة الذين تحزبوا على انبيائهم من الامم فدمروا فليتوقعوا مثل ذلك ان لم ينتهوا وقيل معناه ان الكفار اذا انتهوا

الجزء العاشر

عن الكفر واسلموا غفر لهم ما سلف من الكفر والمعاصي وخرجوا منهما كما تنسل الشعرة من العجين ومنه قوله عليه السلام الاسلام يجب ما قبله وقالوا الحربي اذا اسلم لم يبق عليه تبعة قط واما الذمي فلا يلزمه قضاء حقوق الله وتبقى عليه حقوق الآدميين وبه احتج ابو حنيفة في ان المرتد اذا اسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة في حال الردة وقبلها وفسر وان يعودوا بالارتداد وقرئ يغفر لهم على ان الضمير لله عز وجل **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة** الى ان لا يوجد فيهم شرك قط **ويكون الدين كله لله** ويضمحل عنهم كل دين باطل ويبقى فيهم دين الاسلام وحده **فان انتهوا** عن الكفر واسلموا **فان الله بما يعملون بصير** يثيبهم على توبتهم واسلامهم وقرئ تعملون بالتاء فيكون المعنى فان الله بما تعملون من الجهاد في سبيله والدعوة الى دينه والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الاسلام بصير يجازيكم عليه احسن الجزاء **وان تولوا فاعلموا ان الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير** وان تولوا ولم ينتهوا فان الله مولاكم اي ناصركم ومعينكم فثقوا بولايته ونصرته

واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ما موصولة ومن شيء بيانه قيل من شيء حتى الخيط والمخيط فان لله مبتدأ خبره محذوف تقديره فحق او فواجب ان لله خمسه وروى الجعفي عن ابي عمرو فان لله بالكسر وتقويه قراءة النخعي فلله خمسه والمشهورة آكد واثبت للايجاب كانه قيل فلا بد من ثبات الخمس ولا سبيل الى الاخلال به والتفريط فيه من حيث انه اذا حذف الخبر واحتمل غير واحد من المقدرات كقولك ثابت واجب حق لازم وما اشبه ذلك كان اقوى للايجاب من النص على واحد وقرئ خمسه بالسكون **فان قلت** كيف قسمة الخمس **قلت** عند ابي حنيفة انها كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم على خمسة اسهم سهم لرسول الله وسهم لذوي قرباه من بني هاشم [وبني المطلب] دون بني عبد شمس وبني نوفل استحقوه حينئذ بالنصرة والمظاهرة لما روي عن عثمان وجبير بن مطعم انهما قالا لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارايت اخواننا بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال عليه السلام انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين اصابعه وثلاثة اسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل واما بعد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فسهمه ساقط بموته وكذلك سهم ذوي القربى وانما يعطون لفقرهم فهم اسوة سائر الفقراء ولا يعطى اغنياؤهم فيقسم على اليتامى والمساكين وابن السبيل واما عند الشافعي فيقسم على خمسة اسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كعدة الغزاة من الكراع والسلاح ونحو ذلك وسهم لذوي القربى من اغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم للذكر مثل حظ الانثيين والباقي للفرق الثلاث وعند مالك بن انس الامر فيه مفوض الى اجتهاد الامام ان رأى قسمه بين هؤلاء وان رأى اعطاه بعضهم دون بعض وان رأى غيرهم اولى واهم فغيرهم **فان قلت** ما معنى ذكر الله وعطف الرسول وغيره عليه **قلت** يحتمل ان يكون معنى لله وللرسول لرسول الله كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وان يراد بذكره ايجاب سهم سادس يصرف الى وجه من وجوه القرب وان يراد بقوله فان لله خمسه ان من حق الخمس ان يكون متقربا به اليه لا غير ثم خص من وجوه القرب هذه الخمسة تفضيلا لها على غيرها كقوله وجبريل وميكال فعلى الاحتمال الاول مذهب الامامين وعلى الثاني ما قال ابو العالية انه يقسم على ستة اسهم سهم لله تعالى يصرف الى رتاج الكعبة [الرتاج الباب] وعنه كان صلى الله عليه وعلى آله وسلم يأخذ الخمس فيضرب فيه بيده فيأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة وهو سهم الله ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل ان سهم الله لبيت المال وعلى الثالث مذهب مالك بن انس وعن ابن عباس رضي الله عنه انه كان على ستة لله وللرسول سهمان وسهم لاقاربه حتى قبض فاجرى ابو بكر رضي الله عنه الخمس على ثلاثة وكذلك روي عن عمر رضي الله عنه ومن بعده من الخلفاء وروي ان ابا بكر رضي الله عنه منع بني هاشم الخمس وقال انما لكم ان يعطى فقيركم ويزوج ايمكم ويخدم من لا خادم له منكم فاما الغني منكم فهو بمنزلة ابن سبيل غني لا يعطى من الصدقة شيئا ولا يتيم موسر وعن زيد بن علي رضي الله عنهما انه قيل له ان الله تعالى قال ذي القربى واليتامى والمساكين فقال ايتامنا ومساكيننا وعن الحسن رضي الله عنه في سهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم انه لولي الامر من بعده وعن الكلبي ان الآية نزلت ببدر وقال الواقدي كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة ايام للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة **فان قلت** بم تعلق قوله **ان كنتم آمنتم بالله** **قلت** بمحذوف يدل عليه واعلموا والمعنى ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا ان الخمس من الغنيمة يجب التقرب به فاقطعوا عنه اطماعكم واقتنعوا بالاخماس الاربعة وليس المراد بالعلم العلم المجرد ولكنه العلم المضمن بالعمل والطاعة لامر الله لان العلم المجرد يستوي فيه المؤمن والكافر **وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان** معطوف على بالله اي ان كنتم آمنتم بالله وبالمنزل على عبدنا وقرئ عبدنا كقوله وعبد الطاغوت بضمتين **يوم الفرقان يوم التقى الجمعان** الفريقان من المسلمين والكافرين والمراد ما انزل عليه من الملائكة والآيات والفتح يومئذ **والله على كل شيء قدير** يقدر على ان ينصر القليل على الكثير والذليل على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم **اذ انتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب اسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة** اذ بدل من يوم الفرقان والعدوة شط الوادي بالكسر والضم والفتح وقرئ بهن وبالعدية على قلب الواو ياء لان بينها وبين الكسرة حاجزا غير حصين كما في الصبية والدنيا والقصوى تأنيث الادنى والاقصى **فان قلت** كلتاهما

فعلى من بنات الواو فلم جاءت احداهما بالياء والثانية بالواو **قلت** القياس هو قلب الواو ياء كالعليا واما القصوى فكالقود في مجيئه على الاصل وقد جاء القصيا الا ان استعمال القصوى اكثر كما كثر استعمال استصوب مع مجيء استصاب واغيلت مع اغالت والعدوة الدنيا مما يلي المدينة والقصوى مما يلي مكة والركب اسفل منكم يعني الركب الاربعين الذين كانوا يقودون العير اسفل منكم بالساحل واسفل نصب على الظرف معناه مكانا اسفل من مكانكم وهو مرفوع المحل لانه خبر المبتدا **فان قلت** ما فائدة هذا التوقيت وذكر مراكز الفريقين وان العير كانت اسفل منهم **قلت** الفائدة الاخبار عن الحال الدالة على قوة شأن العدو وشوكته وتكامل عدته وتمهد اسباب الغلبة له وضعف شأن المسلمين والتياث امرهم وان غلبتهم في مثل هذه الحال ليست الا صنعا من الله ودليلا على ان ذلك امر لم يتيسر الا بحوله وقوته وباهر قدرته وذلك ان العدوة القصوى التي اناخ بها المشركون كان فيها الماء وكانت ارضا لا بأس بها ولا ماء بالعدوة الدنيا وهي خبار [الارض الرخوة ذات الحجارة] تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ومشقة وكانت العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم وكانت الحماية دونها تضاعف حميتهم وتشحذ في المقاتلة عنها نياتهم ولهذا كانت العرب تخرج الى الحرب بظعنهم واموالهم ليبعثهم الذب عن الحرم والغيرة على الحرم على بذل جهيداهم في القتال وان لا يتركوا وراءهم ما يحدثون انفسهم بالانحياز اليه فيجمع ذلك قلوبهم ويضبط هممهم ويوطن نفوسهم على ان لا يبرحوا مواطنهم ولا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى نجدتهم وقصارى شدتهم وفيه تصوير ما دبر سبحانه من امر وقعة بدر ليقضي الله امرا كان مفعولا من اعزاز دينه واعلاء كلمته حين وعد المسلمين احدى الطائفتين مبهمة غير مبينة حتى خرجوا ليأخذوا العير راغبين في الخروج وشخص بقريش مرعوبين مما بلغهم من تعرض رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لاموالهم حتى نفروا ليمنعوا عيرهم وسبب الاسباب حتى اناخ هؤلاء بالعدوة الدنيا وهؤلاء بالعدوة القصوى ووراءهم العير يحامون عليها حتى قامت الحرب على ساق وكان ما كان ولو تواعدتم انتم واهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه للقتال لخالف بعضكم بعضا فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد وثبطهم ما في قلوبهم من هيبة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم والمسلمين فلم يتفق لكم من التلاقي ما وفقه الله وسبب له ليقضي متعلق بمحذوف اي ليقضي امرا كان واجبا ان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه دبر ذلك ليهلك من هلك بدل منه واستعير الهلاك والحياة للكفر والاسلام اي ليصدر كفر من كفر عن وضوح بينة لا عن مخالجة شبهة حتى لا يبقى له على الله حجة ويصدر اسلام من اسلم عن يقين وعلم بانه دين الحق الذي يجب الدخول فيه والتمسك به وذلك ان ما كان من وقعة بدر من الآيات الغر المحجلة التي من كفر بعدها كان مكابرا لنفسه مغالطا لها وقرئ ليهلك بفتح اللام وحيي باظهار التضعيف **وان الله لسميع عليم** يعلم كيف يدبر اموركم ويسوي مصالحكم او لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وبايمان من آمن وثوابه **اذ يريكهم الله في منامك قليلا** نصب باضمار اذكر او هو بدل ثان من يوم الفرقان او متعلق بقوله لسميع عليم اي يعلم المصالح اذ يقللهم في عينك في منامك في رؤياك وذلك ان الله عز وجل اراه اياهم في رؤياه قليلا فاخبر بذلك اصحابه فكان تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم وعن الحسن في منامك في عينك لانها مكان النوم كما قيل للقطيفة المنامة لانه ينام فيها وهذا تفسير فيه تعسف وما احسب الرواية فيه صحيحة عن الحسن وما يلائم علمه بكلام العرب وفصاحته **ولو اراكهم كثيرا لفشلتم** لجبنتم وهبتم الاقدام **ولتنازعتم في الامر** في الرأي وتفرقت فيما تصنعون كلمتكم وترجحتم بين الثبات والفرار **ولكن الله سلم** اي عصم وانعم بالسلامة من الفشل والتنازع والاختلاف **انه عليم بذات الصدور** يعلم ما سيكون فيها من الجرأة والجبن والصبر والجزع **واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم ليقضي الله امرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور** والضميران مفعولان يعني واذ يبصركم اياهم وقليلا نصب على الحال وانما قللهم في اعينهم تصديقا لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وليعاينوا ما اخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدوا ويثبتوا قال ابن مسعود لقد قللوا في اعيننا حتى قلت لرجل الى جنبي اتراهم سبعين قال اراهم مائة فاسرنا رجلا منهم فقلنا له كم كنتم قال الفا ويقللكم في اعينهم حتى قال قائل منهم انما هم اكلة جزور **فان قلت** الغرض في تقليل الكفار في اعين المؤمنين ظاهر فما الغرض في تقليل المؤمنين في اعينهم **قلت** قد قللهم في اعينهم قبل اللقاء ثم كثرهم فيها بعده ليجترئوا عليهم قلة مبالاة بهم ثم تفجأهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا وتفل شوكتهم حين يرون ما لم يكن في حسابهم وتقديرهم وذلك قوله يرونهم مثليهم رأي العين ولئلا يستعدوا لهم وليعظم الاحتجاج عليهم في استيضاح الآية البينة من قلتهم اولا وكثرتهم آخرا **فان قلت** بأي طريق يبصرون الكثير قليلا **قلت** بان يستر الله عنهم بعضه بساتر او يحدث في عيونهم ما يستقلون به الكثير كما احدث في اعين الحول ما يرون به الواحد اثنين قيل لبعضهم ان الاحول يرى الواحد اثنين وكان بين يديه ديك واحد فقال ما لي لا ارى هذين الديكين اربعة **يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة** اذا حاربتم جماعة من الكفار وترك ان يصفها لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا

الكفاف واللقاء اسم للقتال غالبا فاثبتوا لقتالهم ولا تفروا واذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب مستظهرين بذكره
مستنصرين به داعين له على عدوكم اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم لعلكم تفلحون لعلكم تظفرون بمرادكم
من النصرة والمثوبة وفيه إشعار بأن على العبد أن لا يفتر عن ذكر ربه أشغل ما يكون قلبا وأكثر ما يكون هما وأن تكون
نفسه مجتمعة لذلك وإن كانت متوزعة عن غيره وناهيك بما في خطب أمير المؤمنين في أيام صفين وفي مشاهده
مع البغاة والخوارج من البلاغة والبيان ولطائف المعاني وبليغات المواعظ والنصائح دليلا على أنهم كانوا لا يشغلهم
عن ذكر الله شاغل وإن تفاقم الأمر وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن
الله مع الصابرين ولا تنازعوا قرئ بتشديد التاء فتفشلوا منصوب بإضمار أن أو مجزوم لدخوله في حكم النهي ويدل
على الجزم قراءة من قرأ وتذهب ريحكم بالتاء والنصب وقرأ من قرأ ويذهب ريحكم بالياء والجزم والريح الدولة
شبهت في نفوذ أمرها وتمشيه بالريح وهبوبها فقيل هبت رياح فلان إذا دالت له الدولة ونفذ أمره ومنه قوله

أتنظران قليلا ريث غفلتهم ۞ أم تعدوان فإن الريح للعادي

وقيل لم يكن نصر قط إلا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور حذرهم بالنهي عن التنازع
واختلاف الرأي نحو ما وقع لهم بأحد بمخالفتهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من فشلهم وذهاب ريحهم ولا تكونوا
كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط هم أهل مكة
حين نفروا لحماية العير فأتاهم رسول أبي سفيان وهم بالجحفة أن ارجعوا فقد سلمت عيركم فأبى أبو جهل وقال حتى
نقدم بدرا نشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فذلك بطرهم ورئاؤهم الناس بإطعامهم
فوافوها فسقوا كؤوس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهاهم أن يكونوا مثلهم بطرين مرائين
بأعمالهم وأن يكونوا من أهل التقوى والكآبة والحزن من خشية الله مخلصين أعمالهم لله وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم
وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء
منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب واذكر إذ زين لهم الشيطان أعمالهم التي عملوها
في معاداة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ووسوس إليهم أنهم لا يغلبون ولا يطاقون وأوهمهم أن اتباع خطوات
الشيطان وطاعته مما يجيرهم فلما تلاقى الفريقان نكص الشيطان وتبرأ منهم أي بطل كيده حين نزلت جنود الله
وكذا عن الحسن رحمه الله كان ذلك على سبيل الوسوسة ولم يتمثل لهم وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت الذي
بينها وبين كنانة من الحرب فكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم الشاعر الكناني
وكان من أشرافهم في جند من الشياطين معه راية وقال لا غالب لكم اليوم وإني مجيركم من بني كنانة فلما رأى الملائكة
تنزل نكص وقيل كانت يده في يد الحارث بن هشام فلما نكص قال له الحارث إلى أين أتخذلنا في هذه الحال فقال إني
أرى ما لا ترون ودفع في صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة
فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما أسلموا علموا أنه الشيطان وفي الحديث ما رئي إبليس يوما أصغر
ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه في يوم عرفة لما يرى من نزول الرحمة إلا ما رئي يوم بدر فإن قلت هلا قيل لا غالبا لكم
كما يقال لا ضاربا زيدا عندنا قلت لو كان لكم مفعولا لغالب بمعنى لا غالب إياكم لكان الأمر كما قلت لكنه خبر
تقديره لا غالب كائن لكم إذ يقول المنافقون بالمدينة والذين في قلوبهم مرض وعن الحسن هم المشركون
غر هؤلاء دينهم يعنون أن المسلمين اغتروا بدينهم وأنهم يتقوون به وينصرون من أجله فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة
عشر إلى زهاء ألف ثم قال جوابا لهم ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز غالب يسلط القليل الضعيف على الكثير القوي
حكيم ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ولو عاينت وشاهدت لأن
لو ترد المضارع إلى معنى الماضي كما ترد إن الماضي إلى معنى الاستقبال وإذ نصب على الظرف وقرئ يتوفى بالياء والتاء والملائكة رفعها
بالفعل ويضربون حال منهم ويجوز أن يكون في يتوفى ضمير الله عز وجل والملائكة مرفوعة بالابتداء ويضربون خبره وعن مجاهد
أدبارهم أستاههم ولكن الله كريم يكني وإنما خصوهما بالضرب لأن الخزي والنكال في ضربهما أشد وبلغني عن أهل الصين
أن عقوبة الزاني أن يضعه يعطى الرجل القوي البطش شاعرا من حديد كهيئة الطبق فيه زرانه وله مقبض فيضربه على دبره
ضربة واحدة بقوته فيجمع في مكانه وقيل يضربون ما أقبل منهم وما أدبر وذوقوا معطوف على يضربون على إرادة القول أي ويقولون
ذوقوا عذاب الحريق أي مقدمة عذاب النار أو ذوقوا عذاب الآخرة بشارة لهم به وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما
ضربوا التهبت النار أو يقال لهم يوم القيامة ذوقوا ذلك بما قدمت أيديكم يحتمل أن يكون من كلام الله ومن كلام
الملائكة وذلك رفع بالابتداء وبما قدمت خبره وأن الله عطف عليه أي ذلك العذاب بسببين بسبب كفركم ومعاصيكم
وبأن الله ليس بظلام للعبيد لأن تعذيب الكفار من العدل كإثابة المؤمنين وقيل ظلام للتكثير لأجل العبيد أو لأن

العذاب

العذاب من العظم بحيث لولا الاستحقاق لكان المعذب بمثله ظلاما بليغ الظلم متفاقمه كدأب آل فرعون والذين من قبلهم
كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم إن الله قوي شديد العقاب الكاف في محل الرفع أي دأب هؤلاء مثل دأب آل
فرعون ودأبهم عادتهم وعملهم الذي دأبوا فيه أي داوموا عليه وواظبوا وكفروا تفسير لدأب آل فرعون ذلك بأن الله
لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وذلك إشارة إلى ما حل بهم يعني ذلك العذاب أو الانتقام
بسبب أن الله لم ينبغ ولم يصح في حكمته أن يغير نعمته عند قوم حتى يغيروا ما بهم من الحال فإن قلت فما كان من تغيير آل فرعون
ومشركي مكة حتى غير الله نعمته عليهم ولم تكن لهم حال مرضية فيغيروها إلى حال مسخوطة قلت كما تغير الحال المرضية
إلى المسخوطة تغير الحال المسخوطة إلى أسخط منها وأولئك كانوا قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم إليهم كفرة
عبدة أصنام فلما بعث إليهم بالآيات البينات فكذبوه وعادوه وتحزبوا عليه ساعين في إراقة دمه غيروا حالهم إلى
أسوأ مما كانت فغير الله ما أنعم به عليهم من الإمهال وعاجلهم بالعذاب وأن الله سميع عليم لما يقول مكذبو الرسل عليم
بما يفعلون كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون
كدأب آل فرعون تكرير للتأكيد وفي قوله بآيات ربهم زيادة دلالة على كفران النعم وجحود الحق وفي ذكر الإغراق بيان
للأخذ بالذنوب وكل كانوا ظالمين وكلهم من غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين أنفسهم بالكفر والمعاصي إن
شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون أي أصروا على الكفر ولجوا فيه فلا يتوقع منهم إيمان وهم بنو
قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن لا يمالئوا عليه فنكثوا بأن أعانوا مشركي مكة بالسلاح وقالوا نسينا
وأخطأنا ثم عاهدهم فنكثوا ومالؤوهم يوم الخندق وانطلق كعب بن الأشرف إلى مكة فحالفهم الذين عاهدت
منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة الذين عاهدت منهم بدل من الذين كفروا أي الذين عاهدتهم من الذين كفروا وجعلهم
شر الدواب لأن شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون منهم وشر المصرين الناكثون للعهود وهم لا يتقون لا يخافون
عاقبة الغدر ولا يبالون ما فيه من العار والنار فإما تثقفنهم فإما تصادفنهم وتظفرن بهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم
ففرق عن محاربتك ومناصبتك بقتلهم والنكاية فيهم من وراءهم من الكفرة حتى لا يجسر عليك بعدهم أحد اعتبارا بهم
واتعاظا بحالهم وقرأ ابن مسعود فشرذ بالذال المعجمة بمعنى ففرق وكأنه مقلوب شذر من قولهم ذهبوا شذر مذر ومنه
الشذر الملتقط من المعدن لتفرقه وقرأ أبو حيوة من خلفهم ومعناه فافعل التشريد من ورائهم لأنه إذا شرد الذين وراءهم فقد فعل
التشريد في الوراء وأوقعه فيه لأن الوراء جهة المشردين فإذا جعل الوراء ظرفا للتشريد فقد دل على تشريد من فيه فلم يبق
فرق بين القراءتين لعلهم يذكرون لعل المشردين من ورائهم يتعظون وإما تخافن من قوم معاهدين خيانة ونكثا
بأمارات تلوح لك فانبذ إليهم فاطرح إليهم العهد على سواء على طريق مستو قصد وذلك أن تظهر لهم نبذ العهد
وتخبرهم إخبارا مكشوفا بينا أنك قطعت ما بينك وبينهم ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة
منك إن الله لا يحب الخائنين فلا يكن منك إخفاء نكث العهد والخداع وقيل على استواء في العلم بنقض العهد وقيل على استواء
في العداوة والجار والمجرور في موضع الحال كأنه قيل فانبذ إليهم ثابتا على طريق قصد سوي أو حاصلين على استواء في العلم
أو على العداوة على أنها حال من النابذ والمنبوذ إليهم معا ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا فاتوا وأفلتوا من أن يظفر بهم
إنهم لا يعجزون إنهم لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن إدراكهم وقرئ أنهم بالفتح بمعنى لأنهم كل واحدة من
المكسورة والمفتوحة تعليل إلا أن المكسورة على طريقة الاستئناف والمفتوحة تعليل صريح وقرئ يعجزون بالتشديد
وقرأ ابن محيصن يعجزون بكسر النون وقرأ الأعمش ولا يحسب الذين كفروا بكسر الباء وبفتحها على حذف النون
الخفيفة وقرأ حمزة ولا يحسبن بالياء على أن الفعل للذين كفروا وقيل فيه أصله أن سبقوا فحذفت أن كقوله ومن آياته
يريكم البرق واستدل عليه بقراءة ابن مسعود أنهم سبقوا وقيل وقع الفعل على أنهم لا يعجزون على أن لا صلة وسبقوا
في محل الحال بمعنى سابقين أي مفلتين هاربين وقيل ولا يحسبنهم الذين كفروا سبقوا فحذف الضمير لكونه مفهوما وقيل
ولا يحسبن قبيل المؤمنين الذين كفروا سبقوا وهذه الأقاويل كلها متمحلة وليست هذه القراءة التي تفرد بها حمزة بنيرة
وعن الزهري أنها نزلت فيمن أفلت من فل المشركين وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب من
عددها وعن عقبة بن عامر سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول على المنبر ألا إن القوة الرمي قالها ثلاثا ومات عقبة
عن سبعين قوسا في سبيل الله وعن عكرمة هي الحصون ومن رباط الخيل والرباط اسم للخيل التي تربط في سبيل الله
ويجوز أن تسمى بالرباط الذي هو بمعنى المرابطة ويجوز أن يكون جمع ربيط كفصيل وفصال وقرأ الحسن ومن ربط الخيل
بضم الباء وسكونها جمع رباط ويجوز أن يكون قوله ومن رباط الخيل تخصيصا للخيل من بين ما يتقوى به كقوله وجبريل وميكال
وعن ابن سيرين أنه سئل عمن أوصى بثلث ماله في الحصون فقال يشترى به الخيل فترتبط في سبيل الله ويغزى عليها فقيل له
إنما أوصى في الحصون فقال ألم تسمع قول الشاعر

إن الحصون الخيل لا مدر القرى ۞

ترهبون به عدو قرئ بالتخفيف

والتشبيه به وقرأ ابن عباس ومجاهد تخزون به والضمير في به راجع الى ما استطعتم عدو الله وعدوكم
هم اهل مكة وآخرين من دونهم هم اليهود وقيل المنافقون وعن السدي هم اهل فارس وقيل كفرة الجن
وجاء في الحديث ان الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق وروي ان صهيل الخيل يرهب
الجن لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون وان جنحوا للسلم فاجنح
لها جنح له واليه اذا مال والسلم يؤنث تأنيث نقيضها وهي الحرب قال السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من
انفاسها جرع وقرئ بفتح السين وكسرها وعن ابن عباس ان الاية منسوخة بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون وعن مجاهد
بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم والصحيح ان الامر موقوف على ما يرى فيه الامام صلاح الاسلام واهله من حرب
او سلم وليس بحتم ان يقاتلوا ابدا او يجابوا الى الهدنة ابدا وقرأ الاشهب العقيلي فاجنح بضم النون وتوكل على الله انه هو السميع
العليم ولا تخف من ابطانهم المكر في جنوحهم الى السلم فان الله كافيك وعاصمك من مكرهم وخديعتهم قال مجاهد
نزلت في قريظة وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله فان محسبك الله قال جرير
اني وجدت من المكارم حسبكم ان تلبسوا خز الثياب وتشبعوا
هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله
الف بينهم انه عزيز حكيم التأليف بين قلوبهم من بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من الايات الباهرة لان العرب
لما فيهم من الحمية والعصبية والانطواء على الضغينة في ادنى شيء والقائه بين اعينهم الى ان ينتقموا لا يكاد يأتلف منهم
قلبان ثم ائتلفت قلوبهم على اتباع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم واتحدوا وانشأوا يرمون عن قوس واحدة وذلك لما
نظم الله من الفتهم وجمع بين كلمتهم واحدث بينهم من التحاب والتوادد واماط عنهم من التباغض والتماقت وكلفهم من الحب في الله
والبغض في الله ولا يقدر على ذلك الا من يملك القلوب فهو يقلبها كيف يشاء ويصنع فيها ما اراد وقيل هم الاوس والخزرج كان بينهم من الحروب
والوقائع ما اهلك سادتهم ورؤساءهم ودق جماجمهم ولم يكن لبغضائهم امد ومنتهى وبينهما التجاور الذي يهيج الضغائن
ويديم التحاسد والتنافس وعادة كل طائفتين كانتا بهذه المثابة ان تتجنب هذه ما آثرته اختها وتكرهه وتتنفر عنه فانساهم
الله ذلك كله حتى اتفقوا على الطاعة وتصافوا وصاروا انصارا وعادوا اعوانا وما ذلك الا بلطيف صنعه وبليغ قدرته
يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين الواو بمعنى مع وما بعده منصوب تقول حسبك وزيدا درهم ولا
تجر لان عطف الظاهر المجرور على المكني ممتنع قال
فحسبك والضحاك سيف مهند والمعنى كفاك
وكفى اتباعك من المؤمنين الله ناصرا ويجوز ان يكون في محل الرفع اي كفاك الله وكفاك المؤمنون وهذه الاية نزلت بالبيداء في غزوة
بدر قبل القتال وعن ابن عباس نزلت في اسلام عمر وعن سعيد بن جبير انه اسلم مع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا
وست نسوة ثم اسلم عمر فنزلت يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين
وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا التحريض المبالغة في الحث على الامر من الحرض وهو ان ينهكه
المرض ويتبالغ فيه حتى يشفي على الموت او ان تسميه حرضا وتقول له ما اراك الا حرضا في هذا الامر وممرضا فيه ليهيجه ويحركه
منه وقرئ حرص بالصاد غير المعجمة حكاه الاخفش من الحرص وهذا وعد من الله وبشارة بان الجماعة من المؤمنين ان صبروا غلبوا عشرة امثالهم من الكفار بعون الله وتأييده ثم قال بانهم
قوم لا يفقهون اي بسبب ان الكفار قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب وطلب ثواب كالبهائم فيقل ثباتهم ويعدمون لجهلهم بالله
نصرته ويستحقون خذلانه خلاف من يقاتل على بصيرة ومعه ما يستوجب به النصر والاظهار من الله وعن ابن جريج كان عليهم ان لا يفروا
ويثبت الواحد للعشرة وكان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بعث حمزة في ثلاثين راكبا فلقي ابا جهل في ثلاثمائة راكب فهزمهم فثقل عليهم
ذلك وضجوا منه وذلك بعد مدة طويلة فنسخ وخفف عنهم مقاومة الواحد للاثنين وقيل كان فيهم قلة في الابتداء ثم لما كثروا بعد
نزول التخفيف الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن
منكم الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين وقرئ ضعفا بالفتح والضم كالمكث والمكث والفقر والفقر
وضعفاء جمع ضعيف وقرئ الفعل المسند الى المائة بالتاء والياء في الموضعين والمراد بالضعف الضعف في البدن وقيل في البصيرة
والاستقامة في الدين وكانوا متفاوتين في ذلك فان قلت لم كرر المعنى الواحد وهو مقاومة الجماعة لاكثر منها مرتين
قبل التخفيف وبعده قلت للدلالة على ان الحال مع القلة والكثرة واحدة لا تتفاوت لان الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين
المائتين والمائة الالف وكذلك بين مقاومة المائة المائتين والالف الالفين ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض
وقرئ للنبي على التعريف واسارى ويثخن بالتشديد ومعنى الاثخان كثرة القتل والمبالغة فيه من قولهم اثخنته الجراحات اذا اثبتته
حتى تثقل عليه الحركة واثخنه المرض اذا اثقله من الثخانة التي هي الغلظ والكثافة يعني حتى يذل الكفر ويضعفه باشاعة القتل
في اهله ويعز الاسلام ويقويه بالاستيلاء والقهر ثم الاسر بعد ذلك ومعنى ما كان ما صح له وما استقام وكان هذا يوم بدر فلما

كثر المسلمون

كثر المسلمون نزل فاما منا بعد واما فداء وروي ان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم اتي بسبعين اسيرا فيهم العباس عمه
وعقيل بن ابي طالب فاستشار ابا بكر فيهم فقال قومك واهلك استبقهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى اصحابك
وقال عمر كذبوك واخرجوك فقدمهم واضرب اعناقهم فان هؤلاء ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل
وحمزة من العباس ومكني من فلان لنسيب له فلنضرب اعناقهم فقال عليه الصلوة والسلام ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون
الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن
عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ثم قال لاصحابه انتم اليوم عالة فلا
يفلتن احد منهم الا بفداء او ضربة عنق وروي انه قال لهم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم
فقالوا بل ناخذ الفداء فاستشهدوا باحد وكان فداء الاسارى عشرين اوقية وفداء العباس اربعين اوقية وعن محمد بن سيرين كان
فداؤهم مائة اوقية والاوقية اربعون درهما وستة دنانير وروي انهم لما اخذوا الفداء نزلت الاية فدخل عمر على النبي صلى الله عليه
وعلى آله وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان اجد بكاء بكيت وان لم اجد بكاء تباكيت فقال ابكي على
اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروي انه قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا
منه غير عمر وسعد بن معاذ لقوله كان الاثخان في القتل احب الي تريدون عرض الدنيا حطامها سمي عرضا لانه حدث قليل اللبث
يريد الفداء والله يريد الآخرة يعني ما هو سبب الجنة من اعزاز الاسلام بالاثخان في القتل وقرئ يريدون بالياء وقرأ بعضهم والله يريد
الآخرة بجر الآخرة على حذف المضاف وابقاء المضاف اليه على حاله كقوله اكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد بالليل نارا ومعناه والله يريد عرض
الآخرة على التقابل يعني ثوابها والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه ويمكنون منهم قتلا واسرا ويطلق لهم الفداء ولكنه حكيم يؤخر
ذلك الى ان يعزوا ويكثروا وهم يعجلون لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم لولا حكم منه سبق اثباته
في اللوح المحفوظ وهو انه لا يعاقب احدا بخطأ وكان هذا خطأ في الاجتهاد لانهم نظروا في ان استبقاءهم ربما كان سببا في اسلامهم
وتوبتهم وان فداءهم يتقوى به على الجهاد في سبيل الله وخفي عليهم ان قتلهم اعز للاسلام واهيب لمن وراءهم وافل لشوكتهم وقيل
كتابه انه سيحل لهم الفدية التي اخذوها وقيل ان اهل بدر مغفور لهم وقيل انه لا يعذب قوما الا بعد تأكيد الحجة وتقديم النهي
ولم يتقدم نهي عن ذلك فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا روي انهم امسكوا عن الغنائم ولم يمدوا ايديهم اليها فنزلت وقيل هو اباحة للفداء
لانه من جملة الغنائم واتقوا الله فلا تقدموا على شيء لم يعهد اليكم فيه فان قلت ما معنى الفاء قلت التسبيب والسبب محذوف
ومعناه قد ابحت لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم وحلالا نصب على الحال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وقوله ان الله
غفور رحيم معناه انكم اذا اتقيتموه بعد ما فرط منكم من استباحة الفداء قبل ان يؤذن لكم فيه غفر لكم ورحمكم وتاب عليكم
يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسارى في ايديكم في ملكتكم كان ايديكم قابضة عليهم وقرئ من الاسرى ان يعلم الله
في قلوبكم خيرا خلوص ايمان وصحة نية يؤتكم خيرا مما اخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم يؤتكم
خيرا مما اخذ منكم من الفداء اما ان يخلفكم في الدنيا اضعافه او يثيبكم في الآخرة وفي قراءة الاعمش يثبكم خيرا وعن العباس
انه قال كنت مسلما لكنهم استكرهوني فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ان يكن ما تذكر حقا فالله يجزيك فاما ظاهر امرك
فقد كان علينا وكان احد الذين ضمنوا اطعام اهل بدر وخرج بالذهب لذلك وروي ان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال للعباس
افد ابني اخيك عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحرث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال فاين الذهب الذي
دفعته الى ام الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها ما ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله
وعبيد الله والفضل فقال العباس وما يدريك قال اخبرني به ربي قال العباس فانا اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك عبده
ورسوله والله ما اطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في امرك فاما اذ اخبرتني بذلك فلا
ريب قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان
لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربي وروي انه قدم على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم مال البحرين ثمانون الفا
فتوضأ لصلوة الظهر وما صلى حتى فرقه وامر العباس ان ياخذ منه فاخذ ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما اخذ مني وارجو
المغفرة وقرأ الحسن رضي الله عنه وشيبة مما اخذ منكم على البناء للفاعل وان يريدوا خيانتك نكث ما بايعوك عليه من الاسلام
والردة واستحباب دين آبائهم فقد خانوا الله من قبل في كفرهم به ونقض ما اخذ على كل عاقل من ميثاقه فامكن منهم
كما رأيتم يوم بدر فسيمكن منهم ان اعادوا الخيانة وقيل المراد بالخيانة منع ما ضمنوا من الفداء والله عليم حكيم ان الذين
٤٧ آمنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا الذين هاجروا اي فارقوا اوطانهم
وقومهم حبا لله ولرسوله هم المهاجرون والذين آووهم الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم هم الانصار اولئك بعضهم اولياء
بعض اي يتولى بعضهم بعضا في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون ذوي القرابات حتى نسخ
ذلك بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وقرئ

من ولايتهم بالفتح والكسر اي من توليهم في الميراث ووجه الكسر ان تولي بعضهم بعضا شبه بالعمل والصناعة كانه بتوليه صاحبه يزاول
امرا وباشر عملا وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين الا على قوم بينكم
وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير ۝ الا على قوم منهم بينكم وبينهم عهد فانه لا يجوز لكم نصركم عليهم لانهم لا يبتدئون
بالقتال اذ الميثاق مانع من ذلك والذين كفروا بعضهم اولياء بعض ظاهره اثبات الموالاة بينهم كقوله في المسلمين اولئك
بعضهم اولياء بعض ومعناه نهي المسلمين عن موالاة الذين كفروا وموارثتهم وايجاب مباعدتهم ومصارمتهم وان كانوا اقرب وان
تركوا يتوارثون بعضهم بعضا ثم قال الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير ۝ اي ان لم تفعلوا ما امرتكم به
من تواصل المسلمين وتولي بعضهم بعضا حتى في التوارث تفضيلا لنسبة الاسلام على نسبة القرابة ولم تقطعوا العلائق بينكم
وبين الكفار ولم تجعلوا قرابتهم كلا قرابة تحصل فتنة في الارض ومفسدة عظيمة لان المسلمين ما لم يصيروا يدا واحدة على
الشرك كان الشرك ظاهرا والفساد زائدا وقرئ كثير بالثاء والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا
اولئك هم المؤمنون حقا لانهم صدقوا ايمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن ومفارقة الاهل والانسلاخ
من المال لاجل الدين وليس بتكرار لان هذه الاية واردة للثناء عليهم والشهادة لهم مع الموعد الكريم والاولى للامر بالتواصل
لهم مغفرة ورزق كريم ۝ والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم يريد اللاحقين
بعد السابقين الى الهجرة كقوله والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الحقهم بهم
وجعلهم منهم تفضلا منه وترغيبا واولوا الارحام اولوا القرابات بعضهم اولى ببعض اولى بالتوارث وهو نسخ
للتوارث بالهجرة والنصرة في كتاب الله ان الله بكل شيء عليم ۝ في كتاب الله في حكمته وقسمته وقيل في اللوح وقيل في
القران وهو آية المواريث وقد استدل به اصحاب ابي حنيفة على توريث ذوي الارحام روي عن رسول الله صلى الله عليه وعلى
آله انه قال من قرأ سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيامة وشاهد انه بريء من النفاق واعطي عشر حسنات بعدد كل
منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له في ايام الدنيا ۝

سورة التوبة مدنية وهي مائة وثلاثون وقيل تسع وعشرون آية

لها عدة اسماء براءة التوبة المقشقشة المبعثرة المشردة المخزية الفاضحة المثيرة الحافرة المنكلة المدمدمة سورة العذاب
لان فيها التوبة على المؤمنين وهي تقشقش من النفاق اي تبرئ منه وتبعثر عن اسرار المنافقين تبحث عنها وتثيرها
وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشرد بهم وتخزيهم وتدمدم عليهم وعن حذيفة انكم تسمونها سورة التوبة وانما هي سورة العذاب
والله ما تركت احدا الا نالت منه فان قلت هلا صدرت بآية التسمية كما في سائر السور قلت سأل عن ذلك ابن عباس
عثمان بن عفان رضي الله عنهما فقال ان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان اذا نزلت عليه السورة والآية قال اجعلوها في الموضع
الذي يذكر فيه كذا وكذا وتوفي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولم يبين لنا اين نضعها وكانت قصتها شبيهة بقصتها فلذلك
قرنت بينهما وكانتا تدعيان القرينتين وعند ابي بن كعب انما توهموا ذلك لان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذ العهود
وسئل ابن عيينة فقال اسم الله سلام وامان فلا يكتب في النبذ والمحاربة قال الله تعالى ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست
مؤمنا قيل فان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قد كتب الى اهل الحرب بسم الله الرحمن الرحيم قال انما ذلك ابتداء يدعوهم
ولم ينبذ اليهم الا تراه يقول السلام على من اتبع الهدى فمن دعي الى الله فاجاب ومن دعي الى الجزية فاجاب فقد اتبع الهدى واما النبذ فانما
هو البراءة واللعنة واهل الحرب لا يسلم عليهم ولا يقال لا تفرقوا ولا تخف ومترس كلمة فارسية ولا باس هذا امان كله وقيل سورة
الانفال والتوبة واحدة كلتاهما نزلت في القتال تعدان السابعة من الطوال وهي سبع وما بعدها المئون وهذا قول ظاهر لانهما
معا مائتان وست فهما بمنزلة احدى الطوال وقد اختلف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال بعضهم الانفال وبراءة سورة
واحدة وقال بعضهم سورتان فتركت بينهما فرجة لقول من قال هما سورتان وتركت بسم الله لقول من قال هما سورة واحدة
براءة من الله ورسوله خبر مبتدأ محذوف اي هذه براءة ومن لابتداء الغاية متعلق بمحذوف وليس بصلة كما في قولك برئت من الدين
والمعنى هذه براءة واصلة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين ۝ كما يقال كتاب من فلان الى فلان ويجوز ان
يكون براءة مبتدأ لتخصيصها بصفتها والخبر الى الذين عاهدتم كما تقول رجل من بني تميم في الدار وقرئ براءة بالنصب على اسمعوا
براءة وقرأ اهل نجران من الله بكسر النون والوجه الفتح مع لام التعريف لكثرته والمعنى ان الله ورسوله قد برئا من العهد
الذي عاهدتم به المشركين وانه منبوذ اليهم فان قلت لم علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين قلت قد اذن الله في
معاهدة المشركين اولا واتفق المسلمون مع رسول الله وعاهدوهم فلما نقضوا العهد اوجب الله النبذ اليهم فخوطب المسلمون
بما تجدد من ذلك فقيل لهم اعلموا ان الله ورسوله قد برئا مما عاهدتم به المشركين فسيحوا في الارض اربعة اشهر
وروي انهم عاهدوا المشركين من اهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا الا ناسا منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد

الى الناكثين

الى الناكثين وامروا ان يسيحوا في الارض اربعة اشهر آمنين ان شاؤوا لا يتعرض لهم وهي الاشهر الحرم في قوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم
وذلك لما فتح مكة سنة ثمان وكان الامير فيها عتاب بن اسيد فامر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ابا بكر على موسم سنة تسع ثم
اتبعه عليا رضي الله عنه راكب العضباء ليقرأها على اهل الموسم فقيل له لو بعثت الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما
دنا علي سمع ابو بكر الرغاء فوقف فقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فلما لحقه قال امير او مأمور قال
مأمور وروي ان ابا بكر لما كان ببعض الطريق هبط جبريل وقال يا محمد لا يبلغن رسالتك الا رجل منك فارسل عليا فرجع
ابو بكر الى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال يا رسول الله اشيء نزل من السماء قال نعم فسر وانت على الموسم وعلي ينادي بالآي
فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول
رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين او اربعين آية وعن مجاهد ثلاث عشرة وقال امرت باربع ان لا
يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده
فقالوا عند ذلك يا علي ابلغ ابن عمك انا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا فانه ليس بيننا وبينه عهد الا طعن بالرماح وضرب
بالسيوف قيل انما امر ان لا يبلغ عنه الا رجل منه لان العرب عادتها في نقض عهودها ان يتولى ذلك على القبيلة رجل منها
فلو تولاه ابو بكر لجاز ان يقولوا هذا خلاف ما نعرف فينا في نقض العهود فربما لم يقبلوا فازيحت علتهم بتولية ذلك عليا رضي الله عنه فان
قلت الاشهر الاربعة ما هي قلت عن الزهري ان براءة نزلت في شوال فهي اربعة اشهر شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم
وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من ربيع الآخر وكانت حرما لانهم اومنوا فيها وحرم
قتلهم وقتالهم او على التغليب لان ذا الحجة والمحرم منها وقيل لعشر من ذي القعدة الى عشر من ربيع الاول لان الحج في تلك السنة كان في
ذلك الوقت للنسيء الذي كان فيهم ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة فان قلت ما وجه اطباق اكثر العلماء على جواز
مقاتلة المشركين في الاشهر الحرم وقد صانها الله عن ذلك قلت والواقع نسخ وجوب الصيانة واباح قتال المشركين فيها واعلموا انكم
غير معجزي الله وان الله مخزي الكافرين ۝ غير معجزي الله لا تفوتونه وان امهلكم وهو مخزيكم اي مذلكم في الدنيا بالقتل
وفي الآخرة بالعذاب واذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر واذان ارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة
معطوفة على مثلها ولا وجه لقول من قال انه معطوف على براءة كما لا يقال عمرو معطوف على زيد في قولك زيد قائم وعمرو قاعد والاذان
بمعنى الايذان وهو الاعلام كما ان الامان والعطاء بمعنى الايمان والاعطاء فان قلت اي فرق بين معنى الجملة الاولى والثانية
قلت تلك اخبار بثبوت البراءة وهذه اخبار بوجوب الاعلام بما ثبت فان قلت لم علقت البراءة بالذين عوهدوا من المشركين
وعلق الاذان بالناس قلت لان البراءة مختصة بالمعاهدين والناكثين منهم واما الاذان فعام لجميع الناس من عاهد ومن لم
يعاهد ومن نكث من المعاهدين ومن لم ينكث يوم الحج الاكبر يوم عرفة وقيل يوم النحر لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله من الطواف
والنحر والحلق والرمي وعن علي رضي الله عنه ان رجلا اخذ بلجام دابته فقال ما الحج الاكبر قال يومك هذا خل عن دابتي
وعن ابن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر
لان العمرة تسمى الحج الاصغر وجعل الوقوف بعرفة هو الحج الاكبر لانه معظم واجباته لانه اذا فات فات الحج وكذلك ان اريد به يوم
النحر لان ما يفعل فيه معظم افعال الحج فهو الحج الاكبر وعن الحسن سمي يوم الحج الاكبر لاجتماع المسلمين والمشركين فيه وموافقته
لاعياد اهل الكتاب ولم يتفق ذلك قبله ولا بعده فعظم في قلب كل مؤمن وكافر ان الله بريء من المشركين حذفت الباء
التي هي صلة الاذان تخفيفا وقرئ ان الله بالكسر لان الاذان في معنى القول ورسوله عطف على المنوي في بريء او على محل ان
المكسورة واسمها وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع اي بريء معه منهم وبالجر على الجوار وقيل على القسم كقوله لعمرك
ويحكى ان اعرابيا سمع رجلا يقرؤها فقال ان كان الله بريئا من رسوله فانا منه بريء فلببه الرجل الى عمر فحكى الاعرابي قراءته فعندها
امر عمر بتعلم العربية فان تبتم من الكفر والغدر فهو خير لكم وان توليتم عن التوبة او ثبتم على التولي والاعراض عن
الاسلام والوفاء فاعلموا انكم غير معجزي الله غير سابقين الله ولا فائتين اخذه وعقابه وبشر الذين كفروا بعذاب
اليم ۝ الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم
ان الله يحب المتقين ۝ فان قلت مما استثنى قوله الا الذين عاهدتم قلت وجهه ان يكون مستثنى من قوله فسيحوا
في الارض لان الكلام خطاب للمسلمين ومعناه براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا الا
الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقضوا فاتموا اليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوفي كالغادر ان الله يحب المتقين
يعني ان قضية التقوى ان لا يسوى بين القبيلين فاتقوا الله في ذلك لم ينقصوكم شيئا ولم يقتلوا منكم احدا ولم
يضروكم قط ولم يظاهروا ولم يعاونوا عليكم عدوا كما عدت بنو بكر على خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم
وظاهرهم قريش بالسلاح حتى وفد عمرو بن سالم الخزاعي على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فانشد ۝
لا هم اني ناشد محمدا ۝ حلف ابينا وابيه الاتلدا ۝

ان قريشا اخلفوك الموعدا ○ ونقضوا ذمامك المؤكدا ○
هم بيتونا بالحطيم هجدا ○ وقتلونا ركعا وسجدا ○

فقال عليه الصلاة لا نصرت ان لم انصركم وقرئ لم ينقضوكم بالضاد معجمة اي لم ينقضوا عهدكم ومعنى فاتموا اليهم ادوا اليهم تاما كاملا قال ابن عباس بقي لحي من كنانة من عهدهم تسعة اشهر فاتم اليهم عهدهم فاذا انسلخ الاشهر الحرم انسلخ الشهر كقولهم اجرد الشهر وسنه جردا والاشهر الحرم التي ابيح فيها للناكثين ان يسيحوا فاقتلوا المشركين يعني الذين نقضوكم واظهروا عليكم حيث وجدتموهم من حل او حرم وخذوهم واسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم وقيدوهم وامنعوهم من التصرف في البلاد وعن ابن عباس حصرهم ان يحال بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد كل ممر ومجتاز ترصدونهم به وانتصابه على الظرف كقوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم فاطلقوا عنهم بعد الاسر والحصر او فكوا عنهم ولا تتعرضوا لهم كقوله ○ خل السبيل لمن يبني المنار به ○ وعن ابن عباس رضي الله عنه دعوهم واتيان المسجد الحرام ان الله غفور رحيم ○ يغفر لهم ما قد سلف من الكفر والغدر وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله احد مرتفع بفعل الشرط مضمرا يفسره الظاهر تقديره وان استجارك احد استجارك ولا يرتفع بالابتداء لان ان من عوامل الفعل لا يدخل على غيره والمعنى وان جاءك احد من المشركين بعد انقضاء الاشهر لا عهد بينك وبينه ولا ميثاق فاستامنك ليسمع ما تدعو اليه من التوحيد والقران وتبين ما بعثت له فامنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه بعد ذلك مامنه داره التي يامن فيها ان لم يسلم ثم قاتله ان شئت من غير غدر ولا خيانة وهذا الحكم ثابت في كل وقت وعن الحسن هي محكمة الى يوم القيمة وعن سعيد بن جبير جاء رجل من المشركين الى علي رضي الله عنه فقال ان اراد الرجل منا ان ياتي محمدا بعد انقضاء هذا الاجل يسمع كلام الله او ياتيه لحاجة قتل قال لا لان الله تعالى يقول وان احد من المشركين استجارك الاية وعن السدي والضحاك هي منسوخة بقوله فاقتلوا ذلك بانهم قوم لا يعلمون ○ اي ذلك الامر يعني الامر بالاجارة في قوله فاجره بسبب انهم قوم جهلة لا يعلمون ما الاسلام وما حقيقة ما تدعو اليه فلا بد من اعطائهم الامان حتى يسمعوا ويفهموا الحق كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله استفهام بمعنى الاستنكار والاستبعاد لان يكون للمشركين عهد عند رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم وهم اضداد وغرة صدورهم يعني محال ان يثبت لهؤلاء عهد فلا تطمعوا في ذلك ولا تحدثوا به نفوسكم ولا تفكروا في قتلهم ثم استدرك ذلك بقوله الا الذين عاهدتم اي ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام ولم يظهر منهم نكث كبني كنانة وبني ضمرة فتربصوا امرهم ولا تقاتلوهم فما استقاموا لكم على العهد فاستقيموا لهم على مثله ان الله يحب المتقين ○ يعني ان التربص بهم من اعمال المتقين كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة كيف تكرار لاستبعاد ثبات المشركين على العهد وحذف الفعل لكونه معلوما كما قال ○

وخبرتماني انما الموت بالقرى ○ فكيف وهاتا هضبة وقليب ○

يريد فكيف مات اي وكيف يكون لهم عهد وحالهم انهم ان يظهروا عليكم بعد ما سبق لهم من تاكيد الايمان والمواثيق لم ينظروا في حلف ولا عهد ولم يبقوا عليكم لا يرقبوا فيكم الا لا يراعوا حلفا وقيل قرابة وانشد لحسان ○

لعمرك ان الك من قريش ○ كال السقب من رال النعام ○

وقيل الا الها وقرئ ايلا بمعناه وقيل جبريل وجبرئيل من ذلك وقيل اشتق منه الال بمعنى القرابة كما اشتقت الرحم من الرحمن والوجه ان اشتقاق الال بمعنى الحلف لانهم اذا تماسحوا وتحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه من الال وهو الجؤار وله اليل اي انين يرتفع به صوته ودعت الالية اذا ولولت ثم قيل لكل عهد وميثاق ال وسميت به القرابة لان القرابة عقدت بين الرجلين ما لا يعقده يرضونكم بافواههم وتابى قلوبهم كلام مبتدا في وصف حالهم من مخالفة الظاهر الباطن مقررة لاستبعاد الثبات منهم على العهد واباء القلوب مخالفة ما فيها من الاضغان لما يجرونه على السنتهم من الكلام الجميل واكثرهم فاسقون ○ متمردون خلعاء لا مروة تزعهم ولا شمايل مرضية تردعهم كما يوجد ذلك في بعض الكفرة من التفادي عن الكذب والنكث والتعفف عما يثلم العرض ويجر احدوثة السوء اشتروا استبدلوا بايات الله بالقران والاسلام ثمنا قليلا وهو اتباع الاهواء والشهوات فصدوا عن سبيله فعدلوا وصرفوا غيرهم وقيل هم الاعراب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم انهم ساء ما كانوا يعملون ○ لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة واولئك هم المعتدون ○ المجاوزون الغاية في الظلم والشرارة فان تابوا عن الكفر ونقض العهد واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فاخوانكم في الدين فهم اخوانكم على حذف المبتدا كقوله فان لم تعلموا اباءهم فاخوانكم ونفصل الايات لقوم يعلمون ○ ونبينها وهذا اعتراض كانه قيل وان من تامل تفصيلها فهو العالم بعثا وتحريضا على تامل ما فصل الله من احكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة عليها وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم وثلبوه وعابوه فقاتلوا ائمة الكفر فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع ضميرهم اشعارا بانهم اذا نكثوا في حال الشرك تمردا

وطغيانا وطرحا لعادات الكرام الاوفياء من العرب ثم امنوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة وصاروا اخوانا للمسلمين في الدين ثم رجعوا فارتدوا عن الاسلام ونكثوا ما بايعوا عليه من الايمان والوفاء بالعهود وقعدوا يطعنون في دين الله ويقولون ليس دين محمد بشيء فهم ائمة الكفر وذووا الرياسة والتقدم فيه لا يسبقهم كافر الى كفرهم وقالوا اذا طعن الذمي في دين الاسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لان العهد معقود معه على ان لا يطعن فاذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة انهم لا ايمان لهم جمع يمين وقرئ لا ايمان لهم اي لا اسلام لهم ولا يعطون الامان بعد الردة والنكث ولا سبيل اليه **فان قلت** كيف اثبت لهم الايمان في قوله وان نكثوا ايمانهم ثم نفاها عنه **قلت** اراد ايمانهم التي اظهروها ثم قال لا ايمان لهم على الحقيقة وايمانهم ليست بايمان وبه استشهد ابو حنيفة على ان يمين الكافر لا تكون يمينا وعند الشافعي يمينهم يمين وقال معناه انهم لا يوفون بها بدليل انه وصفها بالنكث لعلهم ينتهون ○ متعلق بقوله فقاتلوا ائمة الكفر اي ليكن غرضكم في مقاتلتهم بعد ما وجد منهم ما وجد من العظائم ان تكون المقاتلة سببا في انتهائهم عما هم عليه وهذا من غاية كرمه وفضله وعوده على المسيء بالرحمة كلما عاد **فان قلت** كيف لفظ ائمة **قلت** همزة بعدها همزة بين بين اي بين مخرج الهمزة والياء وتحقيق الهمزتين قراءة مشهورة وان لم تكن مقبولة عند البصريين واما التصريح بالياء فليس بقراءة ولا يجوز ان تكون ومن صرح بها فهو لاحن محرف الا تقاتلون قوما دخلت الهمزة على لا تقاتلون تقريرا بانتفاء المقاتلة ومعناه الحض عليها على سبيل المبالغة نكثوا ايمانهم التي حلفوها في المعاهدة وهموا باخراج الرسول من مكة حين تشاوروا في امره بدار الندوة حتى اذن الله له في الهجرة فخرج بنفسه وهم بدؤكم اول مرة اي وهم الذين كانت منهم البداءة بالمقاتلة لان رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم جاءهم اولا بالكتاب المبين وتحداهم به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها الى القتال فهم البادئون بالقتال والبادئ اظلم فما يمنعكم من ان تقاتلوهم بمثله وان تصدموهم بالشر كما صدموكم وبخهم بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الحض عليها ويقرر ان من كان في مثل صفاتهم من نكث العهد واخراج الرسول والبدء من غير موجب حقيق بان لا تترك مصادمته وان يوبخ من فرط فيها اتخشونهم تقرير بالخشية منهم وتوبيخ عليها فالله احق ان تخشوه فقاتلوا اعداءه ان كنتم مؤمنين ○ يعني ان قضية الايمان الصحيح ان لا يخشى المؤمن الا ربه ولا يبالي بمن سواه كقوله ولا يخشون احدا الا الله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ○ ويذهب غيظ قلوبهم لما وبخهم الله على ترك القتال جرد لهم الامر به فقال قاتلوهم ووعدهم ليثبت قلوبهم ويصحح نياتهم انه يعذبهم بايديهم قتلا ويخزيهم اسرا ويوليهم النصر والغلبة عليهم ويشف صدور طائفة من المؤمنين وهم خزاعة قال ابن عباس هم بطون من اليمن وسبا قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى فبعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم يشكون اليه فقال ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم لما لقيتم منهم من المكروه وقد حصل لهم هذه المواعيد كلها فكان ذلك دليلا على صدق رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم وصحة نبوته ويتوب الله على من يشاء ابتداء كلام واخبار بان بعض اهل مكة يتوب عن كفره وكان ذلك ايضا فقد اسلم ناس منهم وحسن اسلامهم وقرئ ويتوب بالنصب باضمار ان ودخول التوبة في جملة ما اجيب به الامر من طريق المعنى والله عليم يعلم ما سيكون كما يعلم ما قد كان حكيم لا يفعل الا ما اقتضته الحكمة ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون ○ ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على وجود الحسبان والمعنى انكم لا تتركون على ما انتم عليه حتى يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا في سبيل الله لوجه الله ولم يتخذوا وليجة اي بطانة من الذين يضادون رسول الله والمؤمنين ولما معناها التوقع وقد دلت على ان تبين ذلك والايضاح متوقع كائن وان الذين لم يخلصوا دينهم لله يميز بينهم وبين المخلصين وقوله ولم يتخذوا معطوف على جاهدوا وداخل في حيز الصلة كانه قيل ولما يعلم الله المجاهدين منكم والمخلصين غير المتخذين وليجة من دون الله والوليجة فعيلة من ولج كالدخيلة من دخل والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كقول القائل ما علم الله مني ما قيل في يريد ما وجد ذلك مني ما كان للمشركين ما صح لهم وما استقام ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر اولئك حبطت اعمالهم وفي النار هم خالدون ○ يعني المسجد الحرام لقوله وعمارة المسجد الحرام واما القراءة بالجمع ففيها وجهان احدهما ان يراد المسجد الحرام وانما قيل مساجد لانه قبلة المساجد كلها وامامها فعامره كعامر جميع المساجد ولان كل بقعة منه مسجد والثاني ان يراد جنس المساجد واذا لم يصلحوا لان يعمروا جنسها دخل تحت ذلك ان لا يعمروا المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس ومقدمته وهو اكد لان طريقة الكناية كما لو قلت فلان لا يقرا كتب الله كنت انفى لقراءته القران من تصريحك بذلك وشاهدين حال من الواو في يعمروا والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة متعبدات الله مع الكفر بالله وبعبادته ومعنى شهادتهم على انفسهم بالكفر ظهور كفرهم وانهم نصبوا اصنامهم حول البيت وكانوا يطوفون عراة ويقولون لا نطوف عليها بثياب قد اصبنا فيها المعاصي وكلما طافوا شوطا سجدوا لها وقيل هو قولهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك وقيل قد اقبل المهاجرون والانصار على اسارى بدر فعيروهم بالشرك وطفق علي بن ابي طالب رضي الله عنه يوبخ العباس بقتال رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم وقطيعة الرحم واغلظ له القول فقال العباس تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقالوا اولكم محاسن فقالوا نعم ونحن

افضل منكم اجرا انا نعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت حبطت اعمالهم التي هي العمارة والحجابة والسقاية
وفك العناة واذا هدم الكفر والكبيرة الاعمال الثابتة الصحيحة اذا تعقبتها فما ظنك بالمقارن واليه ذلك اشار في قوله
شاهدين حيث جعله حالا عنهم وذلك على انهم قارنوا بين العمارة والشهادة بالكفر على انفسهم في حال واحدة وذلك حال غير
مستقيم **انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر واقام الصلوة واتى الزكوة** وقرئ بالتوحيد اي انما تستقيم
عمارة هؤلاء وتكون معتدا بها والعمارة تتناول رم ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وتعظيمها واعتيادها
للعبادة والذكر ومن الذكر درس العلم بل هو اجله واعظمه وصيانتها مما لم تبن له المساجد من احاديث الدنيا فضلا عن فضول
الحديث وعن النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم ياتي في اخر الزمان ناس من امتي ياتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحب
الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وفي الحديث الحديث في المسجد ياكل الحسنات كما تاكل البهيمة الحشيش وقال عليه
الصلوة والسلام قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي
فحق على المزور ان يكرم زائره وعنه عليه السلام من الف المسجد الفه الله وقال صلى الله عليه وعلى اله وسلم اذا رايتم الرجل
يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان وعن انس رضي الله عنه من اسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش
يستغفرون له ما دام في ذلك المسجد ضوؤه **فان قلت** هلا ذكر الايمان برسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم **قلت**
علم وشهر ان الايمان بالله قرينته الايمان بالرسول صلى الله عليه وعلى اله وسلم لاشتمال كلمة الشهادة والاذان والاقامة وغيرها
عليهما مقترنين مزدوجين كانهما شيء واحد فلما ذكر الايمان بالله دل على الايمان بالرسول صلى الله عليه وعلى اله وسلم وقيل دل عليه بذكر اقامة الصلوة وايتاء الزكوة **فان قلت** كيف
قيل **ولم يخش الا الله** والمؤمن يخشى المحاذير ولا يتمالك الا يخشاها **قلت** هي الخشية والتقوى في ابواب الدين وان لا يختار
على رضى الله رضى غيره لتوقع مخوف واذا اعترضه امران احدهما حق لله تعالى والاخر حق نفسه ان يخاف الله فيؤثر حق الله
على حق نفسه وقيل كانوا يخشون الاصنام ويرجونها فاريد نفي تلك الخشية عنهم **فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين**
تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء وحسم لاطماعهم في الانتفاع باعمالهم التي استعظموها وافتخروا بها واملوا عاقبتها بان
الذين امنوا وضموا الى ايمانهم العمل بالشرائع مع استشعار الخشية والتقوى اهتداؤهم دائر بين عسى ولعل فما بال المشركين
يقطعون انهم مهتدون ونائلون عند الله الحسنى وفي هذا الكلام ونحوه لطف للمؤمنين في ترجيح الخشية على الرجاء ورفض
الاغترار بالله **اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله لا
يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين ۝ الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم
وانفسهم اعظم درجة عند الله** السقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر كالصيانة والوقاية ولا بد من مضاف
محذوف تقديره اجعلتم اهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله وتصدقه قراءة ابن الزبير وابي وجزة السعدي
وكان من القراء سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام والمعنى انكار ان يشبه المشركون بالمؤمنين واعمالهم المحبطة باعمالهم المثبتة
وان يسوى بينهم وجعل تسويتهم ظلما بعد ظلمهم بالكفر وروي ان المشركين قالوا لليهود نحن سقاة الحجيج وعمار المسجد
الحرام فنحن افضل ام محمد واصحابه فقالت لهم اليهود انتم افضل وقيل ان عليا كرم الله وجهه قال للعباس يا عم الا تهاجرون
الا تلحقون برسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم فقال الست في افضل من الهجرة اسقي حاج بيت الله واعمر المسجد الحرام فلما نزلت
قال العباس ما اراني الا تارك سقايتنا فقال عليه الصلوة والسلام صلى الله عليه وعلى اله وسلم اقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا اعظم درجة عند الله من اهل
السقاية والعمارة عندكم **واولئك هم الفائزون ۝** لا انتم والمختصون بالفوز دونكم **يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان
وجنات لهم فيها نعيم مقيم ۝ خالدين فيها ابدا ان الله عنده اجر عظيم ۝** وقرئ يبشرهم بالتخفيف والتثقيل وتنكير
المبشر به لوقوعه وراء صفة الواصف وتعريف المعرف وعن ابن عباس هي في المهاجرين خاصة **يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا
اباءكم واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون ۝ قل ان كان
اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها
ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره والله
لا يهدي القوم الفاسقين ۝** كان قبل فتح مكة من امن لم يتم ايمانه الا بان يهاجر ويصارم اقاربه الكفرة ويقطع
موالاتهم فقالوا يا رسول الله ان نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين قطعنا اباءنا وعشائرنا وذهبت تجارتنا وهلكت اموالنا
وخربت ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت فهاجروا فجعل الرجل ياتيه ابنه او ابوه او اخوه او بعض اقاربه فلا يلتفت اليه
ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم بعد ذلك وقيل نزلت في التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة فنهى الله عن موالاتهم
وعن النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم لا يطعم احدكم طعم الايمان حتى يحب في الله ويبغض في الله اي حتى يحب في الله ابعد
الناس ويبغض في الله اقرب الناس اليه وقرئ عشيراتكم وعشائركم والحسن عشائركم فتربصوا حتى ياتي الله امره
وعيد عن ابن عباس هو فتح مكة وعن الحسن عقوبة عاجلة او اجلة وهذه اية شديدة لا ترى اشد منها كانها تنعى على الناس ما

هم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب حبل اليقين فلينصف اورع الناس واتقاهم من نفسه هل يجد عنده من التصلب في ذات
الله والثبات على دين الله ما يستحب له دينه على الاباء والابناء والاخوان والعشائر والمال والمساكن وجميع حظوظ الدنيا ويتجرد
منها لاجله ام يزوي الله عنه احقر شيء منها لمصلحته فلا يدري اي طرفيه اطول ويغويه الشيطان عن اجل حظ من حظوظ
الدين فلا يبالي كانما وقع على انفه ذباب فطيره **لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين اذ اعجبتكم
كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا** مواطن الحرب مقاماتها ومواقفها قال

وكم موطن لولاي طحت كما هوى ۞ باجرامه من قلة النيق منهوي

وامتناعه من الصرف لانه جمع وعلى صيغة لم ياتِ عليها واحد والمواطن الكثيرة وقعات بدر وقريظة والنضير
والحديبية وخيبر وفتح مكة **فان قلت** كيف عطف الزمان على المكان وهو يوم حنين على المواطن **قلت**
معناه وموطن يوم حنين او في ايام مواطن كثيرة ويوم حنين ويجوز ان يراد بالموطن الوقت كمقتل الحسين على ان الواجب
ان يكون يوم حنين منصوبا بفعل مضمر لا بهذا الظاهر وموجب ذلك ان قوله اذ اعجبتكم بدل من يوم حنين فلو جعلت
ناصبه هذا الظاهر لم يصح لان كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن ولم يكونوا كثيرا في جميعها فبقي ان يكون ناصبه
فعلا خاصا به الا اذا نصبت اذ باضمار اذكر وحنين واد بين مكة والطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم
اثنا عشر الفا الذين حضروا فتح مكة منضما اليهم الفان من الطلقاء وبين هوازن وثقيف وهم اربعة الاف فيمن ضامهم
من امداد سائر العرب وكانوا الجم الغفير فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله صلى
الله عليه وعلى اله وسلم وقيل قائلها رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم وقيل ابو بكر وذلك قوله اذ اعجبتكم كثرتكم فاقتتلوا
قتالا شديدا وادركت المسلمين كلمة الاعجاب بالكثرة وزل عنهم ان الله هو الناصر لا كثرة الجنود فانهزموا حتى بلغ فلهم
مكة وبقي رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم وحده وهو ثابت في مركزه لا يتحلحل ليس معه الا عمه العباس اخذا بلجام دابته وابو
سفيان بن الحارث ابن عمه وناهيك بهذه الواحدة شهادة صدق على تناهي شجاعته ورباطة جاشه وما هي الا من ايات النبوة
وقال يا رب ائتني بما وعدتني وقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى الانصار فخذا فخذا ثم نادى يا اصحاب الشجرة يا اصحاب
سورة البقرة فكروا عنقا واحدا وهم يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة عليهم الثياب البيض على خيول بلق فنظر رسول الله صلى الله عليه
وعلى اله وسلم الى قتال المسلمين فقال هذا حين حمي الوطيس ثم اخذ كفا من تراب فرماهم به ثم قال انهزموا ورب الكعبة
فانهزموا قال العباس لكاني انظر الى رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم يركض خلفهم على بغلته **وضاقت عليكم الارض
بما رحبت** ما مصدرية والباء بمعنى مع اي مع رحبها وحقيقته ملتبسة برحبها على ان الجار والمجرور في موضع الحال كقولك دخلت عليه بثياب السفر
اي ملتبسا بها لم احلها تعني مع ثياب السفر والمعنى لا تجدون موضعا تستصلحونه لهربكم اليه ونجاتكم لفرط الرعب
فكانما ضاقت عليكم **ثم وليتم مدبرين ۝** ثم انهزمتم **ثم انزل الله سكينته** رحمته التي سكنوا بها وامنوا **على رسوله
وعلى المؤمنين** الذين انهزموا وقيل هم الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم حين وقع الهرب **وانزل جنودا لم
تروها** يعني الملائكة وكانوا ثمانية الاف وقيل خمسة الاف وقيل ستة عشر الفا **وعذب الذين كفروا** بالقتل والاسر وسبي
النساء والذراري **وذلك جزاء الكافرين ۝ ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم ۝** ثم يتوب الله اي
يسلم بعد ذلك ناس منهم وروي ان ناسا منهم جاؤوا فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم على الاسلام وقالوا يا رسول الله
انت خير الناس وابر الناس وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا قيل سبي يومئذ ستة الاف نفس واخذ من الابل
والغنم ما لا يحصى فقال ان عندي ما ترون ان خير القول اصدقه اختاروا اما ذراريكم ونساءكم واما اموالكم فقالوا
ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم فقال ان هؤلاء جاؤوا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري
والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده شيء وطابت نفسه ان يرده فشانه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا
علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فقال اني لا ادري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا
ذلك الينا فرفعت اليه العرفاء انهم قد رضوا **يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس** النجس مصدر يقال نجس نجسا
وقذر قذرا ومعناه ذوو نجس لان معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس ولانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون
النجاسات فهي ملابسة لهم او جعلوا كانهم النجاسة بعينها مبالغة في وصفهم بها وعن ابن عباس اعيانهم نجسة كالكلاب
والخنازير وعن الحسن من صافح مشركا توضا واهل المذاهب على خلاف هذين القولين وقرئ نجس بكسر النون وسكون الجيم
على تقدير حذف الموصوف كانه قيل انما المشركون جنس نجس او ضرب نجس واكثر ما جاء تابعا لرجس وهو تخفيف نجس
نحو كبد في كبد **فلا يقربوا المسجد الحرام** فلا يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلون في الجاهلية **بعد عامهم هذا**
بعد حج عامهم هذا وهو عام تسع من الهجرة حين امر ابو بكر رضي الله عنه على الموسم وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه
ويدل عليه قول علي رضي الله عنه على الموسم حين نادى ببراءة الا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ولا يمنعون من دخول الحرام

والمسجد الحرام وسائر المساجد عندهم وعند الشافعي يمنعون من المسجد الحرام خاصة وعند مالك يمنعون منه ومن غيره من المساجد وعن عطاء المراد بالمسجد الحرام الحرم وان على المسلمين ان لا يمكنوهم من دخوله ونهي المشركين ان يقربوه راجع الى نهي المسلمين عن تمكينهم منه وقيل المراد ان يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك وإن خفتم عيلة اي فقرا بسبب منع المشركين من الحج وما كان لكم في قدومهم عليكم من الارفاق والمكاسب فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه او من تفضله بوجه آخر فارسل السماء عليهم مدرارا فاغزر بها خيرهم واكثر ميرهم واسلم اهل تبالة وجرش فحملوا الى مكة الطعام وما يعاش به فكان ذلك اعود عليهم مما خافوا العيلة لفواته وعن ابن عباس القى الشيطان في قلوبهم الخوف وقال من اين تأكلون فامرهم الله بقتال اهل الكتاب واغناهم بالجزية وقيل بفتح البلاد والغنائم وقرئ عائلة بمعنى المصدر كالعافية او حالا عائلة ومعنى قوله إن شاء ان اوجبت الحكمة اغناءكم وكان مصلحة لكم في دينكم إن الله عليم باحوالكم حكيم لا يعطي ولا يمنع الا عن حكمة وصواب قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب من الذين اوتوا بيان للذين مع ما في حيزه نفى عنهم الايمان بالله لان اليهود مثنية والنصارى مثلثة وايمانهم باليوم الآخر لانهم فيه على خلاف ما يجب وتحريم ما حرم الله ورسوله لانهم لا يحرمون ما حرم في الكتاب والسنة وعن ابي روق لا يعملون بما في التوراة والانجيل وان يدينوا دين الحق وان يعتقدوا دين الاسلام الذي هو الحق وما سواه الباطل وقيل دين الله يقال فلان يدين بكذا اذا اتخذه دينه ومعتقده حتى يعطوا الجزية سميت جزية لانها طائفة مما على اهل الذمة ان يجزوه اي يقضوه او لانهم يجزون بها من منّ عليهم بالاعفاء عن القتل عن يد اما ان يراد يد المعطي او الآخذ فمعناه على ارادة يد المعطي حتى يعطوها عن يد مؤاتية غير ممتنعة لان من ابى وامتنع لم يعط يده بخلاف المطيع المنقاد ولذلك قالوا اعطى بيده اذا انقاد واصحب الا ترى الى قولهم نزع يده عن الطاعة كما يقال خلع ربقة الطاعة عن عنقه او حتى يعطوها عن يد الى يد نقدا غير نسيئة لا مبعوثا على يد احد ولكن عن يد المعطي الى يد الآخذ واما على ارادة يد الآخذ فمعناه حتى يعطوها عن يد قاهرة مستولية او عن انعام عليهم وهم صاغرون اي تؤخذ منهم على الصغار والذل وهو ان يأتي بها بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس وان يتلتل تلتلة ويؤخذ بتلبيبه ويقال له اد الجزية وان كان يؤديها ويزج في قفاه وتسقط بالاسلام عند ابي حنيفة ولا يسقط به خراج الارض واختلف فيمن تضرب عليه فعند ابي حنيفة تضرب على كل كافر من ذمي ومجوسي وصابي وحربي الا على مشركي العرب وحدهم روى الزهري ان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم صالح عبدة الاوثان على الجزية الا من كان من العرب وقال لاهل مكة هل لكم في كلمة اذا قلتموها دانت لكم بها العرب وادت اليكم الجزية العجم وعند الشافعي لا تؤخذ من مشركي العجم والمأخوذ عند ابي حنيفة في اول كل سنة من الفقير الذي له كسب اثنا عشر درهما ومن المتوسط في الغنى ضعفها ومن المكثر ضعف الضعف ثمانية واربعون ولا تؤخذ من فقير لا كسب له وعند الشافعي يؤخذ في آخر السنة من كل احد دينار فقيرا او غنيا كان له كسب او لم يكن وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله عزير ابن الله مبتدأ وخبر كقوله المسيح ابن الله وعزير اسم اعجمي كعازر وعيزار وعزرائيل ولعجمته وتعريفه امتنع صرفه ومن نون فقد جعله عربيا واما قول من قال سقوط التنوين لالتقاء الساكنين كقراءة من قرأ احد الله او لان الابن وقع وصفا والخبر محذوف وهو معبودنا فتمحل عنه مندوحة وهو قول ناس من اليهود ممن كان بالمدينة وما هو بقول كلهم وعن ابن عباس جاء رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم سلام بن مشكم ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا ذلك وقيل قاله فنحاص وسبب هذا القول ان اليهود قتلوا الانبياء بعد موسى عليه الصلاة والسلام فرفع الله عنهم التوراة ومحاها من قلوبهم فخرج عزير وهو غلام يسيح في الارض فاتاه جبريل فقال له اين تذهب فقال اطلب العلم فحفظه التوراة فاملاها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرفا فقالوا ما جمع الله التوراة في صدره وهو غلام الا انه ابنه والدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الآية تليت عليهم فما انكروا ولا كذبوا مع تهالكهم على التكذيب **فإن قلت** كل قول يقال بالفم فما معنى قوله ذلك قولهم بأفواههم **قلت** فيه وجهان احدهما ان يراد انه قول لا يعضده برهان فما هو الا لفظ يفوهون به فارغ من معنى تحته كالالفاظ المهملة التي هي اجراس ونغم لا تدل على معان وذلك ان القول الدال على معنى لفظه مقول بالفم ومعناه مؤثر في القلب وما لا معنى له مقول بالفم لا غير والثاني ان يراد بالقول المذهب كقولهم قول ابي حنيفة يريدون مذهبه وما يقول به كأنه قيل ذلك مذهبهم ودينهم بافواههم لا بقلوبهم لانه لا حجة معه ولا شبهة حتى يؤثر في القلوب وذلك انهم اذا اعترفوا انه لا صاحبة له لم تبق شبهة في انتفاء الولد يضاهئون قول الذين كفروا من قبل لا بد فيه من حذف مضاف تقديره يضاهي قولهم قولهم ثم حذف المضاف واقيم الضمير المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا والمعنى ان الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من اليهود والنصارى يضاهي قولهم قول قدمائهم يعني انه كفر قديم فيهم غير مستحدث او يضاهي قول المشركين الملائكة بنات الله وقيل الضمير للنصارى اي يضاهي قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لانهم اقدم منهم وقرئ يضاهون بالهمز من قولهم امرأة ضهيأ على

فعيل

فعيل وهي التي ضاهأت الرجال في انها لا تحيض وهمزتها مزيدة كما في غرقئ قاتلهم الله اي هم احقاء بان يقال لهم هذا تعجبا من شناعة قولهم كما يقال لقوم ركبوا شنعاء قاتلهم الله ما اعجب فعلهم أنى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم اتخاذهم اربابا انهم اطاعوهم في الامر بالمعاصي وتحليل ما حرم الله وتحريم ما حلله كما تطاع الارباب في اوامرهم ونحوه تسمية اتباع الشيطان فيما يوسوس به عبادة له قال تعالى بل كانوا يعبدون الجن يا ابت لا تعبد الشيطان وعن عدي بن حاتم انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال اليس كانوا يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون ما حرمه فتحلونه قلت بلى قال فتلك عبادتهم وعن فضيل ما ابالي اطعت مخلوقا في معصية الخالق او صليت لغير القبلة واما المسيح فحين جعلوه ابنا لله فقد اهلوه للعبادة الا ترى الى قوله قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا امرتهم بذلك ادلة العقل والنصوص في الانجيل والمسيح عليه السلام انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون سبحانه تنزيه عن الاشراك واستبعاد له ويجوز ان يكون الضمير في وما امروا للمتخذين اربابا اي وما امر هؤلاء الذين هم عندهم ارباب الا ليعبدوا الله ويوحدوه فكيف يصح ان يكونوا اربابا وهم مأمورون مستعبدون مثلهم يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون مثل حالهم في طلبهم ان يبطلوا نبوة محمد صلى الله عليه بالتكذيب بحال من يريد ان ينفخ في نور عظيم منبث في الآفاق يريد الله ان يزيده ويبلغه الغاية القصوى من الاشراق والاضاءة ليطفئه بنفخه ويطمسه هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ليظهره ليظهر الرسول على الدين كله على اهل الاديان كلهم او ليظهر دين الحق على كل دين **فإن قلت** كيف جاز ابى الله الا كذا ولا يقال كرهت او ابغضت الا زيدا **قلت** قد اجرى ابى مجرى لم يرد الا ترى كيف قوبل يريدون ان يطفئوا بقوله ويأبى الله وكيف اوقع موقع ولا يريد الله الا ان يتم نوره يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله معنى اكل الاموال على وجهين اما ان يستعار الاكل للاخذ الا ترى الى قولهم اخذ الطعام وتناوله واما على ان الاموال يؤكل بها فهي سبب للاكل ومنه قوله ان لنا اكلة كل ليلة اكافا نريد علفا يشترى بثمن اكاف ومعنى اكلهم بالباطل انهم كانوا يأخذون الرشا في الاحكام والتخفيف والمسامحة في الشرائع والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يجوز ان يكون اشارة الى الكثير من الاحبار والرهبان للدلالة على اجتماع خصلتين مذمومتين فيهم اخذ البراطيل وكنز الاموال والضن بها عن الانفاق في سبيل الخير ويجوز ان يراد المسلمون الكانزون غير المنفقين ويقرن بينهم وبين المرتشين من اليهود والنصارى تغليظا دلالة على ان من يأخذ منهم السحت ومن لا يعطي منكم من طيب ماله سواء في استحقاق البشارة بالعذاب الاليم وقيل نسخت الزكاة آية الكنز وقيل هي ثابتة وانما عني بترك الانفاق في سبيل الله منع الزكاة وعن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما ادي زكوته فليس بكنز وان كان باطنا وما بلغ ان يزكى فلم يزك فهو كنز وان كان ظاهرا وعن عمر رضي الله عنه ان رجلا سأله عن ارض له باعها فقال احرز مالك الذي اخذت احفر له تحت فراش امرأتك قال ليس بكنز قال ما ادي زكاته فليس بكنز وعن ابن عمر كلما اديت زكاته فليس بكنز وان كان تحت سبع ارضين وما لم تؤد زكاته فهو الذي ذكره الله وان كان على ظهر الارض **فإن قلت** فما تصنع بما روى سالم بن الجعد انها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تبا للذهب تبا للفضة قالها ثلاثا فقالوا له اي مال نتخذ قال لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة تعين احدكم على دينه وبقوله عليه الصلاة والسلام من ترك صفراء او بيضاء كوي بها وتوفي رجل فوجد في مئزره دينار فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم كية وتوفي آخر فوجد في مئزره ديناران فقال كيتان **قلت** كان هذا قبل ان تفرض الزكاة فاما بعد فرض الزكاة فالله اعدل واكرم من ان يجمع عبده مالا من حيث اذن له ويؤدي عنه ما اوجب عليه ثم يعاقبه ولقد كان كثير من الصحابة كعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله يقتنون الاموال ويتصرفون فيها وما عابهم احد ممن اعرض عن القنية لان الاعراض اختيار للافضل والادخل في الورع والزهد في الدنيا والاقتناء مباح موسع لا يذم صاحبه ولكل شيء حد وما روي عن علي رضي الله عنه اربعة آلاف فما دونها نفقة فما زاد فهو كنز كلام في الافضل **فإن قلت** لم قيل ولا ينفقونها وقد ذكر شيئان **قلت** ذهابا بالضمير الى المعنى دون اللفظ لان كل واحد منهما جملة وافية وعدة كثيرة ودنانير ودراهم فهو كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقيل ذهب به الى الكنوز وقيل الى الاموال وقيل معناه ولا ينفقونها والذهب كما ان معنى قوله . فاني وقيار بها لغريب . وقيار كذلك **فإن قلت** لم خصا بالذكر من بين سائر الاموال **قلت** لانهما قانون التمول واثمان الاشياء ولا يكنزهما الا من فضلا عن حاجته ومن كثرا عنده حتى يكنزهما

لعينه شائعا في جنس المال وكان ذكر كنزهما دليلا على ما سواهما يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم
وجنوبهم وظهورهم فإن قلت ما معنى قوله يحمى عليها وهلا قيل تحمى من قولك حمي الميسم وأحميته ولا تقول
أحميت على الحديد قلت معناه أن النار تحمى عليها أي توقد ذات حمي وحر شديد من قوله نار حامية ولو قيل يوم
تحمى لم يعط هذا المعنى فإن قلت فإذا كان الإحماء للنار فلم ذكر الفعل قلت لأنه مسند إلى الجار والمجرور
وأصله يوم تحمى النار عليها فلما حذفت النار قيل يحمى عليها لانتقال الإسناد عن النار إلى عليها كما تقول رفعت القصة
إلى الأمير فإن لم تذكر القصة قلت رفع إلى الأمير وعن ابن عامر أنه قرأ تحمى بالتاء وقرأ أبو حيوة فيكوى بالياء
فإن قلت لم خصت هذه الأعضاء قلت لأنهم لم يطلبوا بأموالهم حيث لم ينفقوها في سبيل الله إلا الأغراض الدنيوية
من وجاهة عند الناس وتقدم وأن يكون ماء وجوههم مصونا عندهم يتلقون بالجميل ويحيون بالإكرام ويحتشمون ومن
أكل طيبات يتضلعون منها وينفخون جنوبهم ومن لبس ناعمة من الثياب يطرحونها على ظهورهم كما ترى أغنياء زمانك
هذه أغراضهم وطلباتهم من أموالهم لا يخطرون ببالهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب أهل الدثور بالأجور وقيل لأنهم
إذا أبصروا الفقير عبسوا وإذا ضمهم وإياه مجلس ازوروا عنه وتولوا بأركانهم وولوه ظهورهم وقيل معناه تكوى
على الجهات الأربع مقاديمهم ومآخيرهم وجنوبهم هذا ما كنزتم على إرادة القول وقوله لأنفسكم أي كنزتموه
لتنتفع به نفوسكم وتلتذ وتحصل لها الأغراض التي حامت حولها وما علمتم أنكم كنزتموه لتستضر به أنفسكم
وتتعذب وهو توبيخ لهم فذوقوا ما كنتم تكنزون وقرئ تكنزون بضم النون أي وبال المال الذي
كنتم تكنزونه أو وبال كونكم كانزين إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله فيما أثبته وأوجبه
من حكمه ورآه حكمة وصوابا وقيل في اللوح يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم ثلاثة سرد
ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو رجب ومنه قوله عليه الصلاة والسلام في خطبته في حجة الوداع
ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السماوات والأرض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاثة متواليات
ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت الأشهر إلى ما كانت عليه
وعاد الحج في ذي الحجة وبطل النسيء الذي كان في الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة وكانت حجة أبي بكر
قبلها في ذي القعدة ذلك الدين القيم يعني أن تحريم الأشهر الأربعة هو الدين المستقيم دين إبراهيم وإسماعيل وكانت
العرب قد تمسكت به وراثة منهما وكانوا يعظمون الأشهر الحرم ويحرمون القتال فيها حتى لو لقي الرجل قاتل أبيه
أو أخيه لم يهجه وسموا رجبا الأصم ومنصل الأسنة حتى أحدثت النسيء فغيروا فلا تظلموا فيهن في الحرم أنفسكم
أي لا تجعلوا حرامها حلالا وعن عطاء تالله ما يحل للناس أن يغزوا في الحرم ولا في الأشهر الحرم إلا أن يقاتلوا وما نسخت
وعن عطاء الخراساني أحلت القتال في الأشهر الحرم براءة من الله ورسوله وقيل معناه لا تأثموا فيهن بيانا لعظم حرمتهن
كما عظم أشهر الحج بقوله فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق الآية وإن كان ذلك محرما في سائر الشهور وقاتلوا
المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة كافة حال من الفاعل أو المفعول واعلموا أن الله مع المتقين ناصر
لهم حثهم على التقوى بضمان النصر لأهلها إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه
عاما النسيء تأخير حرمة الشهر إلى شهر آخر وذلك أنهم كانوا أصحاب حروب وغارات فإذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون
شق عليهم ترك المحاربة فيحلونه ويحرمون مكانه شهرا آخر حتى رفضوا تخصيص الأشهر الحرم بالتحريم وكانوا يحرمون
من شهور العام أربعة أشهر وذلك قوله ليواطئوا عدة ما حرم الله أي ليوافقوا العدة التي هي الأشهر الحرم ولا
يخالفوها وقد خالفوا التخصيص الذي هو أحد الواجبين وربما زادوا في عدد الشهور فيجعلونها ثلاثة عشر أو أربعة
عشر ليتسع لهم الوقت ولذلك قال عز وعلا إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا يعني من غير زيادة زادوها والضمير
في يحلونه ويحرمونه للنسيء يعني إذا أحلوا من الأشهر الحرم عاما رجعوا فحرموه في العام القابل وروي أنه حدث ذلك في
كنانة لأنهم كانوا فقراء محاويج إلى الغارة وكان جنادة بن عوف الكناني مطاعا في الجاهلية وكان يقوم على جمل في الموسم
فيقول بأعلى صوته إن آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوه ثم يقوم في القابل فيقول إن آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه
وجعل النسيء زيادة في الكفر لأن الكافر كلما أحدث معصية ازداد كفرا فزادتهم رجسا إلى رجسهم كما أن
المؤمن إذا أحدث طاعة ازداد إيمانا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وقرئ يضل على البناء للمفعول ويضل بفتح الياء
والضاد ويضل على أن الفعل لله عز وجل وقرأ الزهري ليوطئوا بالتشديد والنسيء مصدر نسأه إذا أخره يقال نسأه نسأ
ونساء ونسيئا كقولك مسه مسا ومساسا ومسيسا وقرئ بهن جميعا وقرئ النسي بوزن الهدي
والنسي بوزن النهي وهما تخفيف النسيء والنسء فإن قلت ما معنى قوله فيحلوا ما حرم الله قلت معناه فيحلوا
بمواطأة العدة وحدها من غير تخصيص ما حرم الله من القتال أو من ترك الاختصاص للأشهر بعينها زين لهم سوء

أعمالهم

أعمالهم خذلهم فحسبوا أعمالهم القبيحة حسنة والله لا يهدي القوم الكافرين أي لا يلطف بهم بل يخذلهم وقرئ
زين لهم سوء أعمالهم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم
إلى الأرض تثاقلتم به وقرأ الأعمش تثاقلتم به وتقاعستم وضمن معنى الميل والإخلاد فعدي بإلى والمعنى ملتم
إلى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه ونحوه أخلد إلى الأرض واتبع هواه وقيل ملتم إلى الإقامة
بأرضكم ودياركم وقرئ أثاقلتم على الاستفهام الذي معناه الإنكار والتوبيخ فإن قلت فما العامل في
إذا وحرف الاستفهام مانعه أن يعمل فيه قلت ما دل عليه أثاقلتم أو ما في ما لكم من معنى الفعل كأنه قيل ما تصنعون
إذا قيل لكم كما تعمله في الحال إذا قلت ما لك قائما وكان ذلك في غزوة تبوك في سنة عشر بعد رجوعهم من الطائف
استنفروا في وقت عسرة وقحط مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم وقيل ما خرج رسول الله صلى الله
عليه في غزوة إلا ورى عنها بغيرها إلا في غزوة تبوك ليستعد الناس تمام العدة أرضيتم بالحياة الدنيا من
الآخرة بدل الآخرة كقوله لجعلنا منكم فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة في جنب الآخرة إلا قليل إلا تنفروا يعذبكم
عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير إلا تنصروه فقد نصره الله
إذ أخرجه الذين كفروا إلا تنفروا سخط عظيم على المتثاقلين حيث أوعدهم بعذاب أليم مطلق يتناول عذاب
الدارين وأنه يهلكهم ويستبدل بهم قوما آخرين خيرا منهم وأطوع وأنه غني عنهم في نصرة دينه لا يقدح تثاقلهم
فيها شيئا وقيل الضمير للرسول عليه الصلاة والسلام أي ولا تضروه لأن الله وعده أن يعصمه من الناس وأن ينصره
ووعد الله كائن لا محالة وقيل يريد بقوله قوما غيركم أهل اليمن وقيل أبناء فارس والظاهر مستغن عن التخصيص
فإن قلت كيف يكون قوله فقد نصره الله جوابا للشرط قلت فيه وجهان أحدهما إلا تنصروه فسينصره من نصره
حين لم يكن معه إلا رجل واحد ولا أقل من الواحد فدل بقوله فقد نصره الله على أنه ينصره في المستقبل كما نصره في ذلك
الوقت والثاني أنه أوجب له النصرة وجعله منصورا في ذلك فلن يخذل من بعده وأسند الإخراج إلى الكفار كما أسند
إليهم في قوله من قريتك التي أخرجتك لأنهم حين هموا بإخراجه أذن الله له في الخروج فكأنهم أخرجوه ثاني اثنين أحد اثنين
كقوله ثالث ثلاثة وهما رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأبو بكر رضي الله عنه يروى أن جبريل صلوات الله عليه لما أمره
بالخروج قال من يخرج معي قال أبو بكر وانتصابه على الحال وقرئ ثاني اثنين بالسكون إذ هما في الغار بدل من إذ أخرجه
والغار ثقب في أعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا
بدل ثان قيل طلع المشركون فوق الغار فأشفق أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال إن تصب اليوم ذهب
دين الله فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا في أسفله
والعنكبوت فنسجت وقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم اللهم أعم أبصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا
يفطنون قد أخذ الله بأبصارهم وقالوا من أنكر صحبة أبي بكر فقد كفر لإنكاره كلام الله عز وجل وليس ذلك لسائر
الصحابة فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله
هي العليا والله عزيز حكيم سكينته ما ألقى في قلبه من الأمنة التي سكن عندها وعلم أنهم لا يصلون إليه والجنود
الملائكة يوم بدر والأحزاب وحنين وكلمة الذين كفروا دعوتهم إلى الكفر وكلمة الله دعوته إلى الإسلام وقرئ
كلمة الله بالنصب والرفع أوجه وهي فصل أو مبتدأ وفيها تأكيد فضل كلمة الله في العلو وأنها المختصة به دون
سائر الكلم انفروا خفافا وثقالا خفافا في النفور لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم أو خفافا لقلة عيالكم
وثقالا لكثرتها أو خفافا من السلاح وثقالا منه أو ركبانا ومشاة أو شبانا وشيوخا أو مهازيل وسمانا أو صحاحا
ومراضا وعن ابن أم مكتوم أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أعلي أن أنفر قال نعم حتى نزل قوله ليس على الأعمى
حرج وعن ابن عباس سمعت تقول لا يبقى على الضعفاء ولا على المرضى وعن صفوان بن عمرو كنت واليا على حمص فلقيت شيخا
كبيرا قد سقط حاجباه من أهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت يا عم لقد أعذر الله إليك فرفع حاجبيه وقال
يا ابن أخي استنفرنا الله خفافا وثقالا إلا إنه من يحبه الله يبتليه وعن الزهري خرج سعيد بن المسيب إلى الغزو
وقد ذهبت إحدى عينيه فقيل له إنك عليل صاحب ضرر فقال استنفر الله الخفيف والثقيل فإن لم يمكني الحرب كثرت السواد
وحفظت المتاع وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون إيجاب للجهاد بهما
إن أمكن أو بأحدهما على حسب الحال والحاجة لو كان عرضا قريبا العرض ما عرض لك من منافع الدنيا يقال الدنيا عرض
حاضر يأكل منه البر والفاجر أي لو كان ما دعوا إليه غنما قريبا سهل المنال وسفرا قاصدا وسطا مقاربا لاتبعوك
ولكن بعدت عليهم الشقة المسافة الشاطة الشاقة وقرأ عيسى بن عمر بعدت عليهم الشقة بكسر العين والشين
ومنه قوله يقولون لا تبعد وهم يدفنونه ولا بعد إلا ما توارى الصفائح

وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم بالله متعلق بسيحلفون او هو من جملة كلامهم والقول مراد في الوجهين اي سيحلفون يعني المتخلفين عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين يقولون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم او سيحلفون بالله يقولون لو استطعنا وقوله لخرجنا سد مسد جوابي القسم ولو جميعا والاخبار بما سوف يكون بعد القفول من تخلفهم واعتذارهم وقد كان من جملة المعجزات ومعنى الاستطاعة استطاعة العدد واستطاعة الابدان كانهم تمارضوا وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الجمع في قوله فتمنوا الموت يهلكون انفسهم والله يعلم انهم لكاذبون يهلكون انفسهم اما ان يكون بدلا من سيحلفون او حالا بمعنى مهلكين والمعنى انهم يوقعونها في الهلاك بحلفهم الكاذب وما يحلفون عليه من التخلف ويحتمل ان يكون حالا من قوله لخرجنا معكم اي لخرجنا معكم وان اهلكنا انفسنا والقيناها في التهلكة بما نحملها من المسير في تلك الشقة وجاء به على لفظ الغائب لانه مخبر عنهم الا ترى انه لو قيل سيحلفون بالله لو استطاعوا لخرجوا لكان سديدا يقال حلف بالله ليفعلن ولافعلن فالغيبة على حكم الاخبار والتكلم على الحكاية عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين عفا الله عنك كناية عن الجناية لان العفو رادف لها ومعناه اخطات وبئس ما فعلت ولم اذنت لهم بيان لما كنى عنه بالعفو ومعناه مالك اذنت لهم في القعود عن الغزو حين استاذنوك واعتلوا لك بعللهم وهلا استانيت بالاذن حتى يتبين لك من صدق في عذره ممن كذب فيه وقيل شيئان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولم يؤمر بهما اذنه للمنافقين واخذه من الاسارى فعاتبه الله لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم ليس من عادة المؤمنين ان يستاذنوك في ان يجاهدوا وكان الخلص من المهاجرين والانصار يقولون لا نستاذن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ابدا ولنجاهدن معه باموالنا وانفسنا ومعنى ان يجاهدوا في ان يجاهدوا او كراهة ان يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالانتظام في زمرة المتقين وعدة لهم باجزل الثواب انما يستاذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم يعني المنافقين وكانوا تسعة وثلاثين رجلا فهم في ريبهم يترددون عبارة عن التحير لان التردد ديدن المتحير كما ان الثبات والاستقرار ديدن المستبصر ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم وقرئ عُدَّه بمعنى عُدَّته فعل بالعدة ما فعل بالعدة من قال واخلفوك عِدَ الامر الذي وعدوا بمعنى عدة تاء التانيث وتعويض المضاف اليه منها وقرئ عِدَّة بكسر العين بغير اضافة وعِدَّه باضافة فان قلت كيف موقع حرف الاستدراك قلت لما كان قوله ولو ارادوا الخروج معطيا معنى نفي خروجهم واستعدادهم للغزو قيل ولكن كره الله انبعاثهم كانه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج لكراهة انبعاثهم كما تقول ما احسن الي زيد ولكن اساء الي فثبطهم فكسلهم وخذلهم وضعف رغبتهم في الانبعاث وقيل اقعدوا جعل القاء الله في قلوبهم كراهة الخروج امرا بالقعود وقيل هو قول الشيطان بالوسوسة وقيل هو قول بعضهم لبعض وقيل هو اذن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لهم بالقعود فان قلت كيف جاز ان يوقع الله في نفوسهم كراهة الخروج الى الغزو وهي قبيحة وتعالى الله عن الهام القبيح قلت خروجهم كان فيه مفسدة لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا فكان كراهة ذلك الخروج في نفوسهم حسنا ومصلحة فان قلت لم خطئ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في الاذن لهم فيما هو مصلحة قلت لان اذن الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم لم يكن للنظر في هذه المصلحة ولا علمها الا بعد القفول باعلام الله ولكن لانهم استاذنوه واعتذروا اليه فكان عليه ان يتفحص عن كنه معاذيرهم ولا يتجوز في قبولها فمن ثم اتاه العتاب ويجوز ان يكون في ترك رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم الاذن لهم مع تثبيط الله اياهم مصلحة اخرى فبإذنه لهم فقدت تلك المصلحة وذلك انه اذا ثبطهم الله فلم ينبعثوا وكان قعودهم بغير اذن من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قامت عليهم الحجة ولم تبق لهم معذرة ولقد تدارك الله ذلك حيث هتك استارهم وكشف اسرارهم وشهد عليهم بالنفاق وانهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر فان قلت ما معنى قوله مع القاعدين قلت هو ذم وتعجيز والحاق بالنساء والصبيان والزمنى الذين شانهم القعود والجثوم في البيوت وهم القاعدون والخالفون والخوالف ويبينه قوله رضوا بان يكونوا مع الخوالف لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ليس من الاستثناء المنقطع في شيء كما يقولون لان الاستثناء المنقطع هو ان يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كقولك ما زادوكم خيرا الا خبالا والمستثنى منه في هذا الكلام غير مذكور واذا لم يذكر وقع الاستثناء من اعم العام الذي هو الشيء فكان استثناء متصلا لان الخبال بعض اعم العام كانه قيل ما زادوكم شيئا الا خبالا والخبال الفساد والشر ولاوضعوا خلالكم ولسعوا بينكم بالتضريب والنمائم وافساد ذات البين يقال وضع البعير وضعا اذا اسرع واوضعته انا والمعنى ولاوضعوا ركائبهم بينكم والمراد الاسراع بالنمائم لان الراكب اسرع من الماشي وابن الزبير لا ترفضوا من رفضت الناقة رفضا اذا اسرعت وارفضتها قال والراقصات الى منى فالغبغب وقرئ ولا وفضوا فان قلت كيف خط في المصحف ولا اوضعوا بزيادة الالف قلت كانت الفتحة تكتب الفا قبل الخط

العربي والخط العربي اخترع قريبا من نزول القرآن وقد بقي من ذلك الالف اثر في الطباع فكتبوا صورة الهمزة الفا وفتحها الفا اخرى ونحوه اولاذبحنه يبغونكم الفتنة يحاولون ان يفتنوكم بان يوقعوا الخلاف فيما بينكم ويفسدوا نياتكم في مغزاكم وفيكم سماعون لهم اي نمامون يسمعون حديثكم فينقلونه اليهم او فيكم قوم يسمعون للمنافقين ويطيعونهم والله عليم بالظالمين لقد ابتغوا الفتنة اي العنت ونصب الغوائل والسعي في تشتيت شملك وتفريق اصحابك عنك كما فعل عبد الله بن ابي يوم احد حين انصرف بمن معه وعن ابن جريج وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم على الثنية ليلة العقبة وهم اثنا عشر رجلا ليفتكوا به من قبل من قبل غزوة تبوك وقلبوا لك الامور ودبروا لك الحيل والمكايد ودوروا الآراء في ابطال امرك وقرئ وقلبوا بالتخفيف حتى جاء الحق وهو تاييدك ونصرك وظهر امر الله وغلب دينه وعلا شرعه وهم كارهون ومنهم من يقول ائذن لي في القعود ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة وهي الاثم بان لا تاذن لي فاني ان تخلفت بغير اذنك اثمت وقيل ولا تلقني في الهلكة فاني اذا خرجت معك هلك مالي وعيالي وقيل قال الجد بن قيس قد علمت الانصار اني مستهتر بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر يعني نساء الروم ولكني اعينك بمال فاتركني ولا تفتني من افتنه الا في الفتنة سقطوا اي ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف وفي مصحف ابي سقط لان من موحد اللفظ مجموع المعنى وان جهنم لمحيطة بالكافرين يعني انها تحيط بهم يوم القيامة او هي محيطة بهم الآن لان اسباب الاحاطة معهم فكانهم في وسطها ان تصبك في بعض الغزوات حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم وان تصبك مصيبة نكبة وشدة في بعضها نحو ما جرى يوم احد يقولوا يتبجحوا بما صنعوا من الحذر والتيقظ والعمل بالحزم قد اخذنا امرنا اي امرنا الذي نحن متسمون به من الحذر والتيقظ والعمل بالحزم من قبل من قبل ما وقع ويتولوا عن مقام التحدث بذلك والاجتماع له الى اهاليهم وهم فرحون مسرورون وقيل تولوا اعرضوا عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قل لن يصيبنا وقرا ابن مسعود قل هل يصيبنا وقرا طلحة قل هل يصيبنا بتشديد الياء ووجهه ان يكون يفيعل لا يفعل لانه من بنات الواو لقولهم الصواب وصاب السهم يصوب ومصاوب في جمع مصيبة فحق يفعل منه يصوب الا ترى الى قولهم صوب رايه الا ان يكون من لغة من يقول صاب السهم يصيب ومنه قوله اسهمي الصائبات والصيب واللام في قوله الا ما كتب الله لنا مفيدة معنى الاختصاص كانه قيل لن يصيبنا الا ما اختصنا الله باثباته وايجابه من النصرة عليكم او الشهادة الا ترى الى قوله هو مولانا اي الذي يتولانا ونتولاه ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم وعلى الله فليتوكل المؤمنون وحق المؤمنين ان لا يتوكلوا على غير الله فليفعلوا ما هو حقهم قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين الا احدى العاقبتين اللتين كل واحدة منهما هي حسنى العواقب وهما النصرة والشهادة ونحن نتربص بكم احدى السوأيين من العواقب اما ان يصيبكم الله بعذاب من عنده وهو قارعة من السماء كما نزلت على عاد وثمود او بايدينا او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا بنا ما ذكرنا من عواقبنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم فلا بد ان نلقى كلنا ما نتربصه لا نتجاوزه قل انفقوا يعني في سبيل الله ووجوه البر طوعا او كرها نصب على الحال اي طائعين او مكرهين فان قلت كيف امرهم بالانفاق ثم قال لن يتقبل منكم قلت هو امر في معنى الخبر كقوله قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا ومعناه لن يتقبل منكم انفقتم طوعا او كرها ونحوه قوله استغفر لهم او لا تستغفر لهم وقوله

اسيئي بنا او احسني لا ملومة

اي لن يغفر الله لهم استغفرت لهم او لم تستغفر لهم ولا نلومك اسأت الينا او احسنت فان قلت متى يجوز نحو هذا قلت اذا دل الكلام عليه كما جاز عكسه في قولك رحم الله زيدا وغفر له فان قلت لم فعل ذلك قلت لنكتة فيه وهي ان كثيرا كانه يقول للغرة امتحني لطف محلك عندي وقوة محبتي لك وعامليني بالاساءة والاحسان وانظري هل يتفاوت حالي معك مسيئة كنت او محسنة وفي معناه قول القائل

اخوك الذي ان قمت بالسيف عامدا … لتضربه لم يستغشك في الود

وكذلك المعنى انفقوا وانظروا هل يتقبل منكم واستغفر لهم او لا تستغفر لهم وانظر هل ترى اختلافا بين حال الاستغفار وتركه فان قلت ما الغرض في نفي التقبل اهو ترك رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قبله منهم ورده عليهم ما يبذلون منه ام هو كونه غير مقبول عند الله ذاهبا هباء لا ثواب له قلت يحتمل الامرين جميعا وقوله طوعا او كرها معناه طائعين من غير الزام من الله ورسوله او ملزمين وسمي الالزام اكراها لانهم منافقون فكان الزامهم الانفاق شاقا عليهم كالاكراه او طائعين من غير اكراه من رؤسائكم لان رؤساء اهل النفاق كانوا يحملون على الانفاق لما يرون من المصلحة فيه او مكرهين من جهتهم وروي انها نزلت في الجد

بن قيس حلف عن غزوة تبوك قال مالي اعينك به فاتركني انكم كنتم قوما فاسقين تعليل لرد انفاقهم والمراد
بالفسق التمرد والعتو وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله انهم فاعل منع وهم وان
تقبل مفعوله وقرئ ان تقبل بالتاء والياء على البناء للمفعول ونفقاتهم ونفقتهم على الجمع والتوحيد وقرأ السلمي ان
تقبل منهم نفقاتهم على ان الفعل لله عز وجل ولا يأتون الصلوة الا وهم كسالى بالضم والفتح جمع كسلان
نحو سكارى وغيارى في سكران وغيران وكسلهم انهم لا يرجون بصلاتهم ثوابا ولا يخشون بتركها عقابا فهي ثقيلة
عليهم كقوله وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقرأت في بعض الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كره للمؤمن
ان يقول كسلت كانه ذهب الى هذه الاية فان الكسل من صفات المنافقين فما ينبغي ان يسنده المؤمن الى نفسه ولا
ينفقون الا وهم كارهون فان قلت الكراهة خلاف الطواعية وقد جعلهم الله طائعين في قوله طوعا
او كرها ثم وصفهم بانهم لا ينفقون الا وهم كارهون قلت المراد بطوعهم انهم يبذلونه من غير الزام رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم
او من رؤسائهم وما طوعهم ذاك الا عن كراهة واضطرار لا عن رغبة واحتساب فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم
انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون الاعجاب بالشيء ان تسر به سرور
راض به متعجب من حسنه والمعنى فلا تستحسن ولا تفتتن بما اوتوا من زينة الدنيا كقوله ولا تمدن عينيك ان الله
انما اعطاهم ما اعطاهم للعذاب بان عرضه للتغنم والسبي وبلاهم فيه بالآفات والمصائب وكلفهم الانفاق منه في ابواب الخير
وهم كارهون له على رغم انوفهم واذاقهم انواع الكلف والمحاشم في جمعه واكتسابه وفي تربية اولادهم فان
قلت ان صح تعليق التعذيب بارادة الله فما بال زهوق انفسهم وهم كافرون قلت المراد الاستدراج بالنعم
كانه قيل ويريد ان يديم عليهم نعمته الى ان يموتوا وهم كافرون ملتهون بالتمتع عن
النظر للعاقبة ويحلفون بالله انهم لمنكم لمن جملة المسلمين وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون يخافون
القتل وما يفعل بالمشركين فيتظاهرون بالاسلام تقية لو يجدون ملجأ مكانا يلجؤن اليه متحصنين به من
رأس جبل او قلعة وحرز او مغارات او غيرانا وقرئ بضم الميم من اغار الرجل وغار اذا دخل الغور وقيل هو
[illegible] بمعنى امكنة يغيرون فيها اشخاصهم ويجوز ان يكون من اغار الثعلب اذا اسرع بعدو
مهارب ومعاقل او مدخلا او نفقا ينتسبون فيه وينجحرون وهو مفتعل من الدخول وقرئ مدخلا من دخل ومدخلا
من ادخل مكانا يدخلون فيه انفسهم وقرأ ابي بن كعب متدخلا لولوا اليه وقرئ لالوا اليه لالتجأوا اليه
وهم يجمحون يسرعون اسراعا لا يردهم شيء من الفرس الجموح وهو الذي اذا حمل لم يرده اللجام وقرأ انس
يجمزون فسئل فقال يجمحون ويجمزون ويشتدون واحد ومنهم من يلمزك في الصدقات فان اعطوا منها
رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون يلمزك يعيبك في قسمة الصدقات ويطعن عليك قيل هم المؤلفة
قلوبهم وقيل هو ابن ذي الخويصرة رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقسم غنائم حنين فقال
اعدل يا رسول الله فقال ويلك ان لم اعدل فمن يعدل وقيل هو ابو الجواظ من المنافقين فقال الا ترون الى صاحبكم
انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم وهو يزعم انه يعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا ابا لك اما كان
موسى راعيا اما كان داود راعيا فلما ذهب قال عليه الصلاة والسلام احذروا هذا واصحابه فانهم منافقون
وقرئ يلمزك بالضم ويلمزك بالتثقيل والبناء على المفاعلة مبالغة في اللمز ووصفهم بان رضاهم وسخطهم
لانفسهم لا للدين وما فيه صلاح اهله لان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم استعطف قلوب اهل مكة يومئذ بتوفير
الغنائم عليهم فضجر المنافقون منه واذا للمفاجاة اي وان لم يعطوا منها فاجاؤا السخط ولو انهم رضوا ما آتاهم الله
ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون جواب لو محذوف
تقديره ولو انهم رضوا لكان خيرا لهم والمعنى ولو انهم رضوا ما اصابهم به الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم من الغنيمة
وطابت به نفوسهم وان قل نصيبهم وقالوا كفانا فضل الله وصنعه وحسبنا ما قسم لنا سيرزقنا غنيمة اخرى
فيؤتينا رسول الله اكثر مما آتانا اليوم انا الى الله في ان يغنمنا ويخولنا فضله لراغبون انما الصدقات
للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله
وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم انما الصدقات للفقراء قصر لجنس الصدقات على الاصناف
المعدودة وانها مختصة بها لا تتجاوزها الى غيرها كانه قيل انما هي لهم لا لغيرهم ونحوه قولك انما الخلافة لقريش
تريد لا تتعداهم ولا تكون لغيرهم فيحتمل ان تصرف الى الاصناف كلها وان تصرف الى بعضها وعليه مذهب ابي حنيفة
وعن حذيفة وابن عباس وغيرهما من الصحابة والتابعين انهم قالوا في اي صنف منها وضعتها اجزاك وعن سعيد
بن جبير لو نظرت الى اهل بيت من المسلمين فقراء متعففين فجبرتهم بها كان احب الي وعند الشافعي لا بد من صرفها

الى الاصناف وعن عكرمة انها تفرق في الاصناف الثمانية وعن الزهري انه كتب لعمر بن عبد العزيز تفريق الصدقات على
الاصناف الثمانية والعاملين عليها السعاة الذين يقبضونها والمؤلفة قلوبهم اشراف من العرب كان رسول الله صلى الله عليه
وعلى آله وسلم يستألفهم على ان يسلموا او يرضخ لهم شيئا منها حين كان في المسلمين قلة والرقاب المكاتبون يعانون منها
وقيل الاسارى وقيل تبتاع الرقاب فتعتق والغارمين الذين ركبتهم الديون ولا يملكون بعدها ما يبلغ النصاب وقيل
الذين يتحملون الحمالات فتدينوا فيها وغرموا وفي سبيل الله فقراء الغزاة والحجيج المنقطع بهم وابن السبيل المسافر
المنقطع عن ماله فهو فقير حيث هو غني حيث ماله فريضة في معنى المصدر المؤكد لان قوله انما الصدقات للفقراء معناه
فرض الله الصدقات لهم وقرئ فريضة بالرفع على تلك فريضة فان قلت لم عدل عن اللام الى في في الاربعة
الاخيرة قلت للايذان بانهم ارسخ في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره لان في للوعاء فنبه على انهم احقاء
بان توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنة لها ومصبا وذلك لما في فك الرقاب من الكتابة او الرق او الاسر وفي
فك الغارمين من الغرم من التخليص والانقاذ والغربة عن الاهل والمال وتكرير في في قوله وفي سبيل الله وابن
السبيل فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين فان قلت فكيف وقعت هذه الاية في تضاعيف ذكر
المنافقين ومكايدهم قلت دل بكون هذه الاصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على انهم ليسوا منهم
حسما لاطماعهم واشعارا باستيجابهم الحرمان وانهم بعداء عنها وعن مصارفها فما لهم وما لها وما سلطهم على التكلم
فيها ولمز قاسمها ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين
ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم الاذن الرجل الذي يصدق كل ما يسمع ويقبل
قول كل احد سمي بالجارحة التي هي آلة السماع كان جملته اذن سامعة ونظيره قولهم للربيئة عين وايذاؤهم له هو قولهم
فيه هو اذن واذن خير كقولك رجل صدق تريد الجودة والصلاح كانه قيل نعم هو اذن ولكن نعم الاذن ويجوز ان
يريد هو اذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس باذن في غير ذلك ويدل عليه قراءة حمزة ورحمة بالجر عطفا عليه
اي هو اذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله ثم فسر كونه اذن خير بانه يصدق بالله لما قام عنده من الادلة ويقبل
من المؤمنين الخلص من المهاجرين والانصار وهو رحمة لمن آمن منكم اي اظهر الايمان ايها المنافقون حيث يسمع منكم ويقبل
ايمانكم الظاهر ولا يكشف اسراركم ولا يفضحكم ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين مراعاة لما راى الله من المصلحة
في الابقاء عليكم فهو اذن كما قلتم الا انه اذن خير لكم لا اذن سوء فسلم قولهم فيه الا انه فسره بما هو مدح له وثناء عليه
وان كانوا قصدوا به المذمة والتقصير بفطنته وشهامته وانه من اهل سلامة القلوب والغرة وقيل ان جماعة منهم
ذموه وبلغه ذلك فاشتغلت قلوبهم فقال بعضهم لا عليكم فانما هو اذن سامعة قد سمع كلام المبلغ فاذى ونحن ناتيه
فنعتذر اليه فيسمع عذرنا ايضا فيرضى فقيل هو اذن خير لكم لانه يقبل معاذيركم ولا يكافئكم على سوء دخلتكم
وقرأ نافع بتخفيف الذال فان قلت لم عدي فعل الايمان بالباء الى الله وباللام الى المؤمنين قلت لانه قصد
التصديق بالله الذي هو نقيض الكفر به فعدي بالباء وقصد السماع من المؤمنين وان يسلم لهم ما يقولونه ويصدقه
لكونهم صادقين عنده فعدي باللام الا ترى الى قوله وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ما انباه عن الباء ونحوه فما
آمن لموسى الا ذرية من قومه انؤمن لك واتبعك الارذلون آمنتم له قبل ان آذن لكم فان قلت ما وجه قراءة
ابن ابي عبلة ورحمة بالنصب قلت هي علة معللها محذوف تقديره ورحمة لكم يأذن لكم فدل عليه قوله اذن خير لكم
يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله احق ان يرضوه ان كانوا مؤمنين الخطاب للمسلمين وكان
المنافقون يتكلمون بالمطاعن او يتخلفون عن الجهاد ثم يأتونهم فيعتذرون اليهم ويؤكدون معاذيرهم بالحلف
ليعذروهم ويرضوا عنهم فقيل لهم ان كنتم مؤمنين كما تزعمون فاحق من ارضيتم الله ورسوله بالطاعة والوفاق
وانما وحد الضمير لانه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسوله فكانا في حكم مرضي واحد كقولك احسان زيد واجماله
نعشني وجبرني والله احق ان يرضوه ورسوله كذلك الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان له نار
جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم المحادة مفاعلة من الحد كالمشاقة من الشق فان له على حذف الخبر اي فحق ان له
نار جهنم وقيل معناه فله وان تكرير لان في قوله انه للتوكيد ويجوز ان يكون فان له معطوفا على انه على ان جواب من
محذوف تقديره الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله يهلك فان له نار جهنم وقرئ الم تعلموا بالتاء يحذر المنافقون
ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا ان الله مخرج ما تحذرون كانوا يستهزؤن بالاسلام
واهله وكانوا يحذرون ان يفضحهم الله بالوحي فيهم حتى قال بعضهم والله لا ارانا الا شر خلق الله لوددت اني قد
مت فجلدت مائة جلدة وان لا ينزل فينا شيء يفضحنا والضمير في عليهم وتنبئهم للمؤمنين وفي قلوبهم للمنافقين
وصح ذلك لان المعنى يقود اليه ويجوز ان تكون الضمائر للمنافقين لان السورة اذا نزلت في معناهم فهي نازلة عليهم

ومعنى تنبيهم بما في قلوبهم كأنها تقول لهم في قلوبهم كيت وكيت يعني أنها تذيع أسرارهم عليهم حتى يسمعوها مذاعة
منتشرة فكأنها تخبرهم بها وقيل معنى يحذر الأمر بالحذر أي ليحذر المنافقون **فإن قلت** الحذر واقع على
إنزال السورة في قوله يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة فما معنى قوله مخرج ما تحذرون **قلت** معناه محصل
مبرز إنزال السورة أو أن الله مظهر ما كنتم تحذرونه أي تحذرون إظهاره من نفاقكم ولئن سألتهم ليقولن إنما
كنا نخوض ونلعب بينا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين
يديه فقالوا انظروا إلى هذا الرجل يريد أن يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فأطلع الله رسوله على ذلك
فقال احبسوا على الركب فأتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله لا والله ما كنا في شيء من أمرك ولا من أمر
أصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر قل أبالله وآياته ورسوله
كنتم تستهزئون ۝ لم يعبأ باعتذارهم لأنهم كانوا كاذبين فيه فجعلوا كأنهم معترفون باستهزائهم وبأنه
موجود منهم حتى وبخوا بأخطائهم موقع الاستهزاء حيث جعل المستهزأ به يلي حرف التقرير وذلك إنما يستقيم
بعد وقوع الاستهزاء وثبوته لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة فإنها لا تنفعكم بعد ظهور سركم قد
كفرتم قد أظهرتم كفركم باستهزائكم بعد إيمانكم بعد إظهاركم الإيمان إن نعف عن طائفة منكم
بإحداثهم التوبة وإخلاصهم الإيمان بعد النفاق نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين ۝ مصرين على النفاق غير تائبين
منه أو إن نعف عن طائفة منكم لم يؤذوا رسول الله ولم يستهزئوا فلم نعذبهم في العاجل نعذب في العاجل طائفة منهم
بأنهم كانوا مجرمين مؤذين لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم مستهزئين وقرأ مجاهد إن تعف عن طائفة على البناء
للمفعول مع التأنيث والوجه التذكير لأن المسند إليه الظرف كما تقول سير بالدابة ولا تقول سيرت بالدابة ولكنه ذهب
إلى المعنى كأنه قيل إن ترحم طائفة فأنث لذلك وهو غريب والجيد قراءة العامة إن يعف عن طائفة بالتذكير وتعذب
طائفة بالتأنيث وقرئ إن يعف عن بعض طائفة يعذب طائفة على البناء للفاعل وهو الله عز وجل المنافقون
والمنافقات بعضهم من بعض أريد به نفي أن يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم في قولهم ويحلفون بالله إنهم لمنكم وتقرير
قوله وما هم منكم ثم وصفهم بما يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين يأمرون بالمنكر بالكفر والمعاصي وينهون
عن المعروف عن الإيمان والطاعات ويقبضون أيديهم شحا بالمبار والصدقات والإنفاق في سبيل الله نسوا الله
أغفلوا ذكره فنسيهم فتركهم من رحمته وفضله إن المنافقين هم الفاسقون ۝ هم الكاملون في الفسق الذي هو
التمرد في الكفر والانسلاخ عن كل خير وكفى المسلم زاجرا أن يلم بما يكسبه هذا الاسم الفاحش الذي وصف الله به المنافقين
حين بالغ في ذمهم وإذا كره رسول الله صلى الله عليه للمسلم أن يقول كسلت لأنها من فعلات المنافقين وصفوا بالكسل في قوله
كسالى فما ظنك بالفسق وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها مقدرين الخلود
هي حسبهم دلالة على عظم عذابها وأنه لا شيء أبلغ منه وأنه بحيث لا يزاد عليه نعوذ بالله من سخطه وعذابه ولعنهم
الله وأهانهم مع التعذيب وجعلهم مذمومين ملحقين بالشياطين الملاعين كما عظم الله أهل الجنة وألحقهم بالملائكة
المكرمين ولهم عذاب مقيم ۝ ولهم نوع من العذاب سوى الصلي بالنار مقيم دائم كعذاب النار ويجوز أن يريد ولهم
عذاب مقيم معهم في العاجل لا ينفكون عنه وهو ما يقاسونه من تعب النفاق والظاهر المخالف للباطن خوفا من المسلمين
وما يحذرونه أبدا من الفضيحة ونزول العذاب إن اطلع على أسرارهم كالذين من قبلكم الكاف محلها رفع على
اسم مثل الذين من قبلكم أو نصب على فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم وهو أنكم استمتعتم وخضتم كما استمتعوا
وخاضوا ونحوه قول النمر كاليوم مطلوبا ولا طلبا بإضمار لم أر وقوله كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا
وأولادا تفسير لتشبيههم بهم وتمثيل فعلهم بفعلهم فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع
الذين من قبلكم بخلاقهم والخلاق النصيب وهو ما خلق للإنسان أي قدر من خير كما قيل له قسم ونصيب لأنه نصب
أي أثبت وخضتم والخوض الدخول في الباطل واللهو كالذي خاضوا كالفوج الذي خاضوا أو كالخوض الذي
خاضوه **فإن قلت** أي فائدة في قوله فاستمتعوا بخلاقهم وقوله كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم مغن عنه
كما أغنى قوله كالذي خاضوا عن أن يقال وخاضوا فخضتم كالذي خاضوا **قلت** فائدته أن يذم الأولين بالاستمتاع
بما أوتوا من حظوظ الدنيا ورضاهم بها والتهائهم بشهواتهم الفانية عن النظر في العاقبة وطلب الفلاح في الآخرة وأن
يخسس أمر الاستمتاع ويهجن أمر الراضي به ثم يشبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم كما تريد أن تنبه بعض الظلمة
على سماجة فعله فتقول أنت مثل فرعون كان يقتل بغير جرم ويعذب ويعسف وأنت تفعل مثل فعله وأما وخضتم
كالذي خاضوا فمعطوف على ما قبله مستند إليه مستغن باستناده إليه عن تلك التقدمة أولئك حبطت
أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون ۝ نقيض قوله وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين

ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين وأهل مدين وهم قوم شعيب
والمؤتفكات مدائن قوم لوط وقيل قريات قوم لوط وهود وصالح وائتفاكهن انقلاب أحوالهن عن الخير إلى
الشر أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ۝ فما صح منه
أن يظلمهم وهو حكيم لا يجوز عليه القبيح وأن يعاقبهم بغير جرم ولكن ظلموا أنفسهم حيث كفروا به فاستحقوا
عقابه والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض في مقابلة قوله في المنافقين بعضهم من بعض يأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله أولئك
سيرحمهم الله السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد في قولك سأنتقم منك
يوما يعني أنك لا تفوتني وإن تباطأ ذلك ونحوه سيجعل لهم الرحمن ودا ولسوف يعطيك ربك وسوف يؤتيهم أجورهم
إن الله عزيز غالب على كل شيء قادر عليه فهو يقدر على الثواب والعقاب حكيم واضع كلا موضعه على حسب الاستحقاق ق
وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة عن الحسن قصورا
من اللؤلؤ والياقوت الأحمر والزبرجد في جنات عدن وعدن علم بدليل قوله جنات عدن التي وعد الرحمن
ويدل عليه ما روى أبو الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على
قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك وقيل هي مدينة
في الجنة وقيل نهر جناته على حافاته ورضوان من الله أكبر وشيء من رضوان الله أكبر من ذلك كله لأن رضاه هو
سبب كل فوز وسعادة ولأنهم ينالون برضاه عنهم تعظيمه وكرامته والكرامة أكبر أصناف الثواب ولأن
العبد إذا علم أن مولاه راض عنه فهو أكبر في نفسه مما وراءه من النعم وإنما تتهنأ له برضاه كما إذا علم بسخطته
تنغصت عليه ولم يجد لها لذة وإن عظمت وسمعت بعض أولي الهمة البعيدة والنفس المرة من مشايخنا يقول لا تطمح
عيني ولا تنازع نفسي إلى شيء مما وعد الله في دار الكرامة كما تطمح وتنازع إلى رضاه عني وأن أحشر في زمرة
المهديين المرضيين عنده ذلك هو الفوز العظيم ۝ ذلك إشارة إلى ما وعد الله أو إلى الرضوان أي هو الفوز
العظيم وحده دون ما يعده الناس فوزا وروي أن الله عز وجل يقول لأهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى
وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول أنا أعطيكم أفضل من ذلك قالوا وأي شيء أفضل من ذلك قال أحل عليكم
رضواني فلا أسخط عليكم أبدا يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم
وبئس المصير ۝ جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم في الجهادين جميعا ولا تحابهم وكل من وقف
منه على فساد في العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه يجاهد بالحجة وتستعمل معه الغلظة ما أمكن منها عن ابن مسعود
إن لم يستطع بيده فبلسانه وإن لم يستطع فليكفهر في وجهه فإن لم يستطع فبقلبه يريد الكراهة والبغضاء
والبراءة منه وقد حمل الحسن جهاد المنافقين على إقامة الحدود عليهم إذا تعاطوا أسبابها يحلفون بالله ما قالوا
ولقد قالوا كلمة الكفر أقام رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن
ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمعه من كان معه منهم منهم الجلاس بن سويد فقال الجلاس والله لئن كان ما يقول محمد
حقا لإخواننا الذين خلفناهم وهم سادتنا وأشرافنا فنحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس الأنصاري للجلاس أجل والله
إن محمدا لصادق وأنت شر من الحمار وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فاستحضر فحلف بالله ما قال فرفع
عامر يده فقال اللهم أنزل على عبدك ونبيك تصديق الصادق وتكذيب الكاذب فنزل يحلفون بالله ما قالوا
فقال الجلاس يا رسول الله لقد عرض الله علي التوبة والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته
وكفروا بعد إسلامهم وأظهروا كفرهم بعد إظهارهم الإسلام وهموا بما لم ينالوا وهو الفتك برسول الله
صلى الله عليه وعلى آله وسلم وذلك عند مرجعه من تبوك توافق خمسة عشر منهم على أن يدفعوه عن راحلته إلى الوادي
إذا تسنم العقبة بالليل فأخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك إذ سمع حذيفة
بوقع أخفاف الإبل وبقعقعة السلاح فالتفت فإذا قوم متلثمون فقال إليكم إليكم يا أعداء الله فهربوا وقيل
هم المنافقون بقتل عامر لرده على الجلاس وقيل أرادوا أن يتوجوا عبد الله بن أبي وإن لم يرض رسول الله صلى الله عليه وعلى
آله وسلم وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله وما أنكروا وما عابوا إلا الغنى وذلك أنهم كانوا
حين قدم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم المدينة في ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة
فأثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فأمر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بديته اثني عشر ألفا فاستغنى فإن
يتوبوا يك خيرا لهم هي الآية التي تاب عندها الجلاس وإن يتولوا يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة
بالقتل والنار وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير ۝ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن

ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون ۞ روي ان ثعلبه بن حاطب
قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال
والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما تنمى الدود حتى
ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسال عنه رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم فقيل
كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبه فبعث رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم مصدقين لاخذ الصدقات
فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبه فسالاه الصدقة واقرأه كتاب رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم
الذي فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزيه ما هذه الا اخت الجزيه وقال ارجعا حتى ارى رأيي فلما رجعا قال لهما
رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم قبل ان يكلماه يا ويح ثعلبه مرتين فنزلت فجاء ثعلبه بالصدقه فقال ان الله
منعني ان اقبل منك فجعل التراب على راسه فقال هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض رسول الله صلى الله عليه
وعلى اله وسلم فجاء بها الى ابي بكر فلم يقبلها وجاء بها الى عمر في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمن عثمان وقرئ لنصدقن
ولنكونن بالنون الخفيفه فيهما من الصالحين قال ابن عباس يريد الحج فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه
بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ۞ الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم وان الله
علام الغيوب ۞ فاعقبهم عن الحسن وقتاده ان الضمير للبخل يعني فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم
لانه كان سببا فيه وداعيا اليه والظاهر ان الضمير لله والمعنى فخذلهم حتى نافقوا وتمكن في قلوبهم
نفاقهم فلا ينفك عنها الى ان يموتوا بسبب اخلافهم ما وعدوا الله من التصدق والصلاح وكونهم كاذبين ومنه
جعل خلف الوعد ثلث النفاق وقرئ يكذبون بالتشديد والم تعلموا بالتاء عن علي رضي الله عنه سرهم ونجواهم
ما اسروه من النفاق والعزم على اخلاف ما وعدوه وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين وتسميه الصدقه
جزيه وتدبير منعها الذين يلمزون محله النصب او الرفع على الذم ويجوز ان يكون في محل الجر بدلا من الضمير
في سرهم ونجواهم وقرئ يلمزون بالضم المطوعين من المؤمنين في الصدقات المتطوعين المتبرعين روي
ان رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم حث على الصدقه فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعين اوقيه من ذهب وقيل
باربعة الاف درهم وقال كان لي ثمانيه الاف فاقرضت ربي اربعه وامسكت اربعه لعيالي فقال رسول الله صلى
الله عليه وعلى اله وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك له حتى صولحت تماضر امرأته عن ربع الثمن على
ثمانين الفا وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع من تمر فقال بت ليلتي اجر
بالجرير الماء حتى نلت صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فامره صلى الله عليه واله وسلم ان ينثره على الصدقات فلمزهم
المنافقون فقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وان كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل
ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت والذين لا يجدون الا جهدهم الا طاقتهم وقرئ
بالفتح فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب اليم ۞ سخر الله منهم كقوله الله يستهزئ بهم
وانه خبر غير دعاء الا ترى الى قوله ولهم عذاب اليم استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين
مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين ۞ سال عبد الله
بن عبد الله بن ابي وكان رجلا صالحا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ان يستغفر لابيه في مرضه ففعل فنزلت
فقال عليه الصلاه والسلام ان الله قد رخص لي فسازيد على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام
لم تستغفر لهم وقد ذكرنا ان هذا الامر في معنى الخبر كانه قيل لن يغفر الله لهم استغفرت لهم ام لم تستغفر
وان فيه معنى الشرط وذكرنا النكته في المجيء به على لفظ الامر والسبعون جار مجرى المثل في كلامهم للتكثير

قال علي بن ابي طالب عليه السلام

لاصبحن العاص وابن العاصي ۞ سبعين الفا عاقدي النواصي

فان قلت كيف خفي على رسول الله وهو افصح العرب واخبرهم باساليب الكلام وتمثيلاته والذي يفهم
من ذكر هذا العدد كثرة الاستغفار كيف وقد تلاه بقوله ذلك بانهم كفروا الايه فبين الصارف لهم عن
المغفرة حتى قال قد رخص لي ربي فسازيد على السبعين قلت لم يخف عليه ذلك ولكنه خيل بما قال اظهارا
لغاية رحمته ورافته على من بعث اليه كقول ابرهيم عليه الصلاه والسلام ومن عصاني فانك غفور رحيم
وفي اظهار النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم الرحمه والرافه لطف لامته ودعا لهم الى ترحم بعضهم على بعض فرح
المخلفون الذين استاذنوا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من المنافقين فاذن لهم وخلفهم بالمدينه في غزوة
تبوك او الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان بمقعدهم بقعودهم عن الغزو خلاف رسول الله خلفه

يقال اقام خلاف الحي بمعنى بعدهم ظعنوا ولم يظعن معهم ويشهد له قراءة من قرأ خلف رسول الله وقيل هو بمعنى
المخالفه لانهم خالفوا حيث قعدوا ونهض واصحابه على انه مفعول له او بمعنى وقعدوا لمخالفته او بمخالفتهم له وكرهوا
ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله تعريض بالمؤمنين وبتحملهم المشاق العظام لوجه الله وبما فعلوا
من بذل اموالهم وارواحهم في سبيل الله وايثارهم ذلك على الدعه والخفض وكره ذلك المنافقون وكيف لا يكرهونه
وما فيهم ما في المؤمنين من باعث الايمان وداعي الايقان وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا
يفقهون ۞ قل نار جهنم اشد حرا استجهال لهم لان من تصون من مشقة ساعة فوقع بسبب ذلك التصون في مشقة
الابد كان اجهل من كل جاهل ولبعضهم ۞

مسرة احقاب تلقيت بعدها ۞ مساءة يوم اريها شبه الصاب ۞
فكيف بان تلقى مسرة ساعة ۞ وراء تقضيها مساءة احقاب ۞

فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون ۞ معناه فسيضحكون قليلا ويبكون كثيرا جزاء
الا انه اخرج على لفظ الامر للدلاله على انه حتم واجب لا يكون غيره يروى ان اهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا
لا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستاذنوك للخروج فقل لن
تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالقعود اول مرة وانما قال الى طائفه لان منهم من
تاب عن النفاق وندم على التخلف واعتذر بعذر صحيح وقيل لم يكن المخلفون كلهم منافقين فاراد بالطائفه
المنافقين منهم فاستاذنوك للخروج يعني الى غزوة بعد غزوة تبوك اول مرة هي الخرجه الى غزوة تبوك وكان
اسقاطهم عن ديوان الغزاه عقوبه لهم على تخلفهم الذي علم الله انه لم يدعهم اليه الا النفاق بخلاف غيرهم من المتخلفين
فاقعدوا مع الخالفين ۞ قد مر تفسيره وقرأ مالك بن دينار رحمه الله مع الخلفين على قصر الخالفين فان
قلت مرة نكرة وضعت موضع المرات للتفضيل قلت اكثر اللغتين هند اكبر النساء وهي اكبرهن ثم
ان قولك هي كبرى امرأة لا تكاد تعثر عليه ولكن هي اكبر امرأة واول مرة واخر مرة وعن قتاده ذكر لنا انهم كانوا اثني
عشر رجلا قيل فيهم ما قيل ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا
وهم فاسقون ۞ روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم على قبور المنافقين ويدعو لهم فلما مرض رأس
النفاق عبد الله بن ابي بعث اليه ليأتيه فلما دخل عليه قال اهلكك حب اليهود فقال يا رسول الله بعثت اليك
لتستغفر لي لا لتؤنبني وساله ان يكفنه في شعاره الذي يلي جلده ويصلي عليه فلما مات دعاه ابنه حباب الى
جنازته فساله عن اسمه فقال انت عبد الله بن عبد الله ۞ الحباب اسم للشيطان فلما هم بالصلاه عليه قال له عمر
رضي الله عنه اتصلي على عدو الله فنزلت وقيل اراد ان يصلي عليه فجذبه جبريل فان قلت
كيف جازت له تكرمه المنافق وتكفينه في قميصه قلت كان ذلك مكافاة على صنيع سبق له وذلك ان العباس
عم رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لما اخذ اسيرا ببدر لم يجدوا له قميصا وكان رجلا طوالا فكساه عبد الله
قميصه وقال له المشركون يوم الحديبيه انا لا ناذن لمحمد ولكنا ناذن لك فقال لا ان لي في محمد رسول الله اسوه
حسنه فشكر رسول الله له ذلك واجابه له الى ما ساله اياه فقد كان عليه السلام لا يرد سائلا وكان يتوفر على دواعي
المروه ويعمل بعادات الكرام واكراما لابنه الرجل الصالح فقد روي انه قال له اسالك ان تكفنه في
بعض قمصانك وان تقوم على قبره لا يشمت به الاعداء وعلما بان تكفينه في قميصه لا ينفعه مع كفره فلا فرق
بينه وبين غيره من الاكفان وليكون الباسه اياه لطفا لغيره فقد روي انه قيل له لم وجهت اليه بقميصك وهو كافر
فقال ان قميصي لن يغني عنه من الله شيئا واني اؤمل من الله ان يدخل في الاسلام كثير بهذا السبب فيروى انه
اسلم الف لما رأوه طلب الاستشفاء بثوب رسول الله صلى الله عليه وكذلك ترحمه واستغفاره كان للدعاء الى
التراحم والتعاطف لانهم اذا راوه يترحم على من يظهر الايمان وباطنه كان على خلاف ذلك دعا المسلم الى ان يتعطف
على من واطأ قلبه لسانه وراه حتما عليه فان قلت كيف جازت الصلوه عليه قلت لم يتقدم نهي عن
الصلوه عليهم وكانوا يجرون مجرى المسلمين لظاهر ايمانهم لما في ذلك من المصلحه وعن ابن عباس ما ادري ما هذه
الصلوه الا اني اعلم ان رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم لا يخادع مات صفه لاحد وانما قيل مات وماتوا بلفظ الماضي
والمعنى على الاستقبال على تقدير الكون والوجود لانه كائن موجود لا محاله انهم كفروا تعليل للنهي وقد اعيد قوله ولا تعجبك
اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون ۞ لان تجدد النزول
له شان في تقرير ما نزل له وتاكيده وارادة ان يكون على بال من المخاطب لا ينساه ولا يسهو عنه وان يعتقد
ان العمل به مفتقر الى فضل عنايه به لا سيما اذا تراخى ما بين النزولين فاشبه الشيء الذي اهم صاحبه فهو يرجع اليه

في اساءته ويخلص ليه وانما اعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب ان يحذر منه **وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم** يجوز ان يراد السورة بتمامها وان يراد بعضها في قوله
واذا انزلت سورة كما يقع القران والكتاب على كله وعلى بعضه وقيل هي براءة لان فيها الامر بالايمان والجهاد وهي ان
المفسرة اولوا الطول ذوو الفضل والسعة من طال عليه طولا **وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين** مع الذين لهم علة
وعذر في التخلف **رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون** ما في الجهاد من الفوز والسعادة
وما في التخلف من الشقاء والهلاك **لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك
لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز
العظيم** اي ان تخلف هولاء فقد نهد الى الغزو من هو خير منهم واخلص نية ومعتقدا كقوله فان يكفر
بها هولاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين فان استكبروا فالذين عند ربك الخيرات تتناول منافع الدارين
لاطلاق اللفظ وقيل الحور لقوله فيهن خيرات **وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم** المعذرون من عذر
في الامر اذا قصر فيه وتوانى ولم يجد وحقيقته ان يوهم ان له عذرا فيما يفعل ولا عذر له او المعتذرون بادغام التاء
في الذال ونقل حركتها الى العين ويجوز في العربية كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها لاتباع الميم ولكن
لم تثبت بهما قراءة وهم الذين يعتذرون بالباطل كقوله يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم وقرئ المعذرون بالتخفيف
وهو الذي يجتهد في العذر ويحتشد فيه قيل هم اسد وغطفان قالوا ان لنا عيالا وان بنا جهدا فائذن لنا في التخلف
وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت اعراب طيء على اهالينا ومواشينا فقال عليه الصلاة والسلام
سيغنيني الله عنكم وعن مجاهد نفر من غفار اعتذروا فلم يعذرهم الله وعن قتادة اعتذروا بالكذب وقرئ
المعذرون بتشديد العين والذال من تعذر بمعنى اعتذر وهذا غير صحيح لان التاء لا تدغم في العين ادغامها في
الطاء والزاي والصاد في المطوعين واذكى واصدق وقيل اريد المعتذرون بالصحة وبه فسر المعذرون
والمعذرون على قراءة ابن عباس الذين لم يفرطوا في العذر **وقعد الذين كذبوا الله ورسوله** هم منافقوا الاعراب
الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا فظهر بذلك انهم كذبوا الله ورسوله في ادعائهم الايمان وقرئ كذبوا بالتشديد
سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب **عذاب أليم** في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار **ليس على الضعفاء ولا
على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله
غفور رحيم ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من
الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا
مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون** الضعفاء الهرمى والزمنى والذين لا يجدون الفقراء
قيل هم مزينة وجهينة وبنو عذرة والنصح لله ورسوله الايمان بهما وطاعتهما في السر والعلن وتوليهما والحب
والبغض فيهما كما يفعل الموالي الناصح بصاحبه على المحسنين على المعذورين الناصحين ومعنى لا سبيل عليهم لا
جناح عليهم ولا طريق للعاتب عليهم قلت لا أجد حال من الكاف في أتوك وقد قبله مضمرة كما قيل في قوله او جاؤكم حصرت
صدورهم اي اذا ما اتوك قائلا لا اجد تولوا ولعمر قد عذر الله المعذورين في التخلف الذين ليس لهم في ابدانهم استطاعة
والذين عدموا آلة الخروج والذين سألوا المعونة فلم يجدوها وقيل المستحملون ابو موسى الاشعري واصحابه
وقيل البكاؤون وهم ستة نفر من الانصار تفيض من الدمع كقولك تفيض دمعا وهو ابلغ من يفيض دمعها
لان العين جعلت كان كلها دمع فائض ومن للبيان كقولك افديك من رجل ومحل الجار والمجرور النصب على
التمييز الا يجدوا لئلا يجدوا ومحله نصب على انه مفعول له وناصبه المفعول له الذي هو حزنا **فان قلت**
رضوا ما موقعه **قلت** هو استئناف كانه قيل ما لهم استأذنوا وهم اغنياء فقيل رضوا بالدناءة والضعة والانتظام
في جملة الخوالف وطبع الله على قلوبهم يعني ان السبب في استئذانهم رضاهم بالدناءة وخذلان الله اياهم
فان قلت هل يجوز ان يكون قوله قلت لا اجد استئنافا مثله كانه اذا ما اتوك لتحملهم تولوا فقيل ما لهم
تولوا باكين فقيل قلت لا اجد ما احملكم عليه الا انه وسط بين الشرط والجزاء كالاعتراض **قلت** نعم ويحسن
يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم
علة للنهي عن الاعتذار لان غرض المعتذر ان يصدق فيما يعتذر به فاذا علم انه مكذب وجب عليه الاخلال به قوله **قد نبأنا
الله من أخباركم** علة لانتفاء تصديقهم لان الله عز وجل اذا اوحى الى رسوله الاعلام باخبارهم واحوالهم وما
في ضمائرهم من الشر والفساد لم يستقم مع ذلك تصديقهم في معاذيرهم **وسيرى الله عملكم ورسوله
ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون**
وسيرى الله عملكم اتنيبون ام تثبتون

على كفركم ثم تردون اليه وهو عالم كل غيب وشهادة وسر وعلانية فيجازيكم على حسب ذلك **سيحلفون بالله
لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم** فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم **فأعرضوا عنهم** فاعطوا طلبتهم **إنهم رجس**
تعليل لترك معاتبتهم يعني ان المعاتبة لا تنفع فيهم ولا تصلحهم انما يعاتب الاديم ذو البشرة والمؤمن يوبخ على زلة تفرط
منه ليطهره التوبيخ بالحمل على التوبة والاستغفار فاما هولاء فارجاس لا سبيل الى تطهيرهم **ومأواهم جهنم
جزاء بما كانوا يكسبون** يعني وكفتهم النار عتابا وتوبيخا فلا تتكلفوا عتابهم **يحلفون لكم لترضوا
عنهم** اي غرضهم في الحلف بالله طلب رضاكم لينفعهم ذلك في دنياهم **فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن
القوم الفاسقين** فان رضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كان الله ساخطا عليهم وكانوا عرضة
لعاجل عقوبته واجلها وقيل انما قيل ذلك لئلا يتوهم متوهم ان رضا المؤمنين يقتضي رضا الله قيل هم جد بن
قيس ومعتب بن قشير واصحابهما وكانوا ثمانين رجلا منافقين فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم حين قدم المدينة
لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقيل جاء عبد الله بن ابي يحلف الا يتخلف عنه ابدا **الأعراب** اهل البدو **أشد كفرا
ونفاقا** من اهل الحضر لجفائهم وقسوتهم وتوحشهم ونشئهم في بعد من مشاهدة العلماء ومعرفة الكتاب
والسنة **وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله** واحق بجهل حدود الدين وما انزل الله من
الشرائع والاحكام ومنه قوله عليه الصلاة والسلام ان الجفاء والقسوة في الفدادين **والله عليم** يعلم حال كل احد
من اهل الوبر والمدر **حكيم** فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم من عقابه وثوابه **ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق
مغرما** غرامة وخسرانا والغرامة ما ينفقه الرجل وليس يلزمه لانه لا ينفق الا تقية من المسلمين ورياء لا لوجه الله
وابتغاء المثوبة **ويتربص بكم الدوائر** دوائر الزمان دوله وعقبه لتذهب غلبتكم عليه فيتخلص من اعطاء
الصدقة **عليهم دائرة السوء** دعاء معترض دعا عليهم بنحو ما دعوا به كقوله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة
غلت ايديهم وقرئ السوء بالضم وهو العذاب كما قيل له سيئة والسوء بالفتح هو ذم للدائرة كقولك رجل
سوء في نقيض قولك رجل صدق لان من دارت عليه ذام لها **والله سميع** لما يقولون اذا توجهت عليهم الصدقة
عليم بما يضمرون وقيل هم اعراب اسد وغطفان وتميم **ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ
ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا إنها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته إن الله غفور رحيم**
قربات مفعولان ليتخذ والمعنى ان ما ينفقه سبب لحصول القربات عند الله وصلوات الرسول لان الرسول كان
يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله اللهم صل على آل ابي اوفى وقال تعالى وصل عليهم
فلما كان ما ينفق سببا لذلك قيل يتخذ ما ينفق قربات وصلوات الا انها شهادة من الله للمتصدق بصحة ما
اعتقد من كون نفقته قربات وصلوات وتصديق لرجائه على طريق الاستئناف مع حرفي التنبيه والتحقيق
المؤذنين بثبات الامر وتمكنه وكذلك سيدخلهم وما في السين من تحقيق الوعد وما ادل هذا الكلام على
رضى الله عن المتصدقين وان الصدقة منه بمكان اذا خلصت النية من صاحبها وقرئ قربة بضم الراء وقيل
هم عبد الله ذو البجادين ورهطه **والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان
رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم**
السابقون الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين وقيل الذين شهدوا بدرا وعن الشعبي من بايع بالحديبية
وهي بيعة الرضوان ما بين الهجرتين ومن الانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر واهل العقبة
الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير فعلمهم القرآن وقرأ عمر رضي الله
عنه والانصار بالرفع عطفا على والسابقون وعن عمر انه كان يرى ان قوله والذين اتبعوهم باحسان بغير واو
صفة للانصار حتى قال له زيد انه بالواو فقال ائتوني بأبي فقال تصديق ذلك في اول الجمعة وآخرين منهم وأوسط
الحشر والذين جاؤوا من بعدهم وآخر الانفال والذين آمنوا من بعد وروي انه سمع رجلا يقرؤه بالواو فقال من
اقرأك قال أبي فدعاه فقال اقرأنيه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وانك لتبيع القرظ فقال صدقت وان
شئت قلت شهدنا وغبتم ونصرنا وخذلتم وآوينا وطردتم ومن ثم قال عمر لقد كنت ارانا رفعنا رفعة لا يبلغها
احد بعدنا وان يتبع السابقين بالاتباع وخيره رضي الله عنهم ومعناه رضي الله عنهم لاعمالهم ورضوا عنه
لما افاض عليهم من نعمته الدينية والدنيوية وفي مصاحف اهل مكة تجري من تحتها الانهار وهي قراءة ابن كثير
وفي سائر المصاحف تجري تحتها بغير من **وممن حولكم** يعني حول بلدتكم وهي المدينة **من الأعراب منافقون**
وهم جهينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها **ومن أهل المدينة مردوا على النفاق** عطف على خبر المبتدأ
الذي هو ممن حولكم ويجوز ان يكون جملة معطوفة على المبتدأ والخبر اذا قدرت ومن اهل المدينة قوم مردوا

على النفاق على ان مردوا صفة موصوف محذوف كقوله انا ابن جلا وعلى الوجه الاول لا يخلو من ان يكون كلاما مبتدا او صفة لمنافقون فصل بينها وبينه بمعطوف على خبره مردوا على النفاق تمهروا فيه من مرن فلان على عمله ومرد عليه اذا درب به وضري حتى لان عليه ومهر فيه ودل على مرانتهم عليه ومهارتهم فيه بقوله لا تعلمهم اي يخفون عليك مع فطنتك وشهامتك وصدق فراستك لفرط تنوقهم في تحامي ما يشكك في امرهم ثم قال نحن نعلمهم اي لا يعلمهم الا الله ولا يطلع على سرهم غيره لانهم يبطنون الكفر في سويداء قلوبهم ابطانا ويبرزون لك ظاهرا كظاهر المخلصين من المومنين لا تشك معه في ايمانهم وذلك انهم مردوا على النفاق وضروا به ولهم فيه اليد الطولى سنعذبهم مرتين قيل هما القتل وعذاب القبر وقيل الفضيحة وعذاب القبر وعن ابن عباس انهم اختلفوا في هاتين المرتين فقال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك منافق فاخرج اناسا وفضحهم فهذا العذاب الاول والثاني عذاب القبر وعن الحسن اخذ الزكوة من اموالهم ونهك الابدان ثم يردون الى عذاب عظيم الى عذاب النار وآخرون اعترفوا بذنوبهم اي لم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة كغيرهم ولكن اعترفوا على انفسهم بانهم بئس ما فعلوا متذممين نادمين وكانوا ثلاثة ابو لبابة مروان بن عبد المنذر واوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام وقيل كانوا عشرة فسبعة منهم اوثقوا انفسهم بلغهم ما نزل في المتخلفين فايقنوا بالهلاك فاوثقوا انفسهم على سواري المسجد فقدم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين وكانت عادته كلما قدم من سفر فرآهم موثقين فسال عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي يحلهم وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فاطلقهم وعذرهم فقالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فنزلت خذ من اموالهم خلطوا عملا صالحا خروجا الى الجهاد وآخر سيئا تخلفا عنه عن الحسن وعن الكلبي التوبة والاثم فان قلت قد جعل كل واحد منهما مخلوطا فما المخلوط به قلت كل واحد منهما مخلوط ومخلوط به لان المعنى خلط كل واحد منهما بالآخر كقولك خلطت الماء واللبن تريد خلطت كل واحد منهما بصاحبه وفيه ما ليس في قولك خلطت الماء باللبن لانك جعلت الماء مخلوطا واللبن مخلوطا به واذا قلته بالواو جعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطا بهما كانك قلت خلطت الماء باللبن واللبن بالماء ويجوز ان يكون من قولهم بعت الشاء شاة ودرهما بمعنى شاة بدرهم عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم فان قلت كيف قيل ان يتوب عليهم وما ذكرت توبتهم قلت اذا ذكر اعترافهم بذنوبهم وهو دليل على التوبة فقد ذكرت توبتهم خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها تطهرهم صفة لصدقة وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للامر ولم يقرا وتزكيهم الا باثبات الياء والتاء في تطهرهم للخطاب او لغيبة المونث والتزكية مبالغة في التطهير وزيادة فيه او بمعنى الانماء والبركة في المال وصل عليهم واعطف عليهم بالدعاء لهم وترحم والسنة ان يدعو المصدق لصاحب الصدقة اذا اخذها وعن الشافعي رحمه الله احب ان يقول الوالي عند اخذ الصدقة آجرك الله فيما اعطيت وجعله طهورا وبارك لك فيما ابقيت ان صلواتك وقرئ ان صلاتك على التوحيد سكن لهم يسكنون اليه وتطمئن قلوبهم بان الله قد تاب عليهم والله سميع عليم وهو سميع لاعترافهم بذنوبهم ودعائهم عليم بما في ضمائرهم من الندم والغم لما فرط منهم الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده وياخذ الصدقات وان الله هو التواب الرحيم وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمومنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون قرئ الم تعلموا بالياء والتاء وفيه وجهان احدهما ان يراد المتوب عليهم يعني الم يعلموا قبل ان يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم ان الله هو يقبل التوبة اذا صحت ويقبل الصدقات اذا صدرت عن خلوص النية وهو للتخصيص والتاكيد وان الله من شانه قبول توبة التائبين وقيل معنى التخصيص في هو ان ذلك ليس الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انما الله هو الذي يقبل التوبة ويردها فاقصدوه بها ووجهوها اليه وقل لهؤلاء التائبين اعملوا فان عملكم لا يخفى خيرا كان او شرا على الله وعلى عباده كما رايتم وتبين لكم والثاني ان يراد غير التائبين ترغيبا لهم في التوبة فقد روي انهم لما تيب عليهم قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فنزلت فان قلت فما معنى قوله وياخذ الصدقات قلت هو مجاز عن قبوله لها وعن ابن مسعود ان الصدقة تقع في يد الله قبل ان تقع في يد السائل والمعنى يقبلها ويضاعف عليها وقوله فسيرى الله وعيد لهم وتحذير من عاقبة الاصرار والذهول عن التوبة وآخرون مرجون لامر الله قرئ مرجون ومرجؤن من ارجيته وارجاته اذا اخرته ومنه المرجئة يعني وآخرون من المتخلفين موقوف امرهم اما يعذبهم ان بقوا على الاصرار ولم يتوبوا واما يتوب عليهم ان تابوا وهم ثلاثة كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع امر رسول الله صلى الله وآله وسلم اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم ولم يفعلوا كما فعل ابو

لبابه واصحابه

لبابة واصحابه من شد انفسهم على السواري واظهار الجزع والغم فلما علموا ان احدا لا ينظر اليهم فوضوا امرهم الى الله واخلصوا نياتهم ونصحت توبتهم فرحمهم الله والله عليم حكيم وفي قراءة عبد الله غفور رحيم واما للعباد اي خافوا عليهم العذاب وارجوا لهم الرحمة والذين اتخذوا مسجدا ضرارا في مصاحف اهل المدينة والشام الذين اتخذوا بغير واو لانها قصة على حيالها وفي سائرها بالواو على عطف قصة مسجد الضرار الذي احدثه المنافقون على سائر قصصهم روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ان ياتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبني مسجدا ونرسل الى رسول الله صلى الله عليه يصلي فيه ويصلي فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام ليثبت لهم الفضل والزيادة على اخوتهم وهو الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الفاسق وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن خرج هاربا الى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فاني ذاهب الى قيصر وآت بجنود ومخرج محمدا واصحابه من المدينة فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قباء وقالوا للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية ونحن نحب ان تصلي لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال اني على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سالوه اتيان المسجد فنزلت عليه فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشي قاتل حمزة فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعلوا وامر ان يتخذ مكانه كناسة تلقى فيه الجيف والقمامة ومات ابو عامر بالشام بقنسرين ضرارا مضارة لاخوانهم اصحاب مسجد قباء ومعازة وكفرا وتقوية للنفاق وتفريقا بين المومنين لانهم كانوا يصلون مجتمعين في مسجد قباء فيغتص بهم فارادوا ان يتفرقوا عنه وتختلف كلمتهم وارصادا لمن حارب الله ورسوله واعدادا لاجل من حارب الله ورسوله وهو الراهب اعدوه له ليصلي فيه ويظهر على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وقيل كل مسجد بني مباهاة او رياء او سمعة او لغرض سوى ابتغاء وجه الله او بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار وعن شقيق انه لم يدرك الصلاة في مسجد بني عامر فقيل له مسجد بني فلان لم يصلوا فيه فقال لا احب ان اصلي فيه لانه بني على ضرار وكل مسجد بني على ضرار او رياء او سمعة فان اصله ينتهي الى المسجد الذي بني ضرارا وعن عطاء لما فتح الله الامصار على يد عمر رضي الله عنه امر المسلمين ان يبنوا المساجد وان لا يتخذوا في مدينة مسجدين يضار احدهما صاحبه فان قلت والذين اتخذوا ما محله من الاعراب قلت محله النصب على الاختصاص كقوله والمقيمين الصلوة وقيل هو مبتدا خبره محذوف معناه وفيمن وصفنا الذين اتخذوا كقوله والسارق والسارقة فان قلت بم يتصل قوله من قبل قلت باتخذوا اي اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف وليحلفن ان اردنا الا الحسنى ما اردنا ببنائه هذا المسجد الا الخصلة الحسنى او الا الارادة الحسنى وهي الصلوة وذكر الله والتوسعة على المصلين والله يشهد انهم لكاذبون لا تقم فيه ابدا لمسجد اسس على التقوى قيل هو مسجد قباء اسسه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصلى فيه ايام مقامه بقباء وهو يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة وهو اولى لان الموازنة بين مسجدي قباء اوقع وقيل هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة وعن ابي سعيد الخدري سالت رسول الله عن المسجد الذي اسس على التقوى فاخذ حصباء فضرب بها الارض وقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة من اول يوم احق ان تقوم فيه من اول يوم من ايام وجوده فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال امومنون انتم فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر يا رسول الله انهم لمومنون وانا معهم فقال عليه السلام اترضون بالقضاء قالوا نعم قال اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال عليه السلام مومنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا النبي صلى الله عليه وسلم رجال يحبون ان يتطهروا وقرئ ان يطهروا بالادغام وقيل هو عام في التطهر عن النجاسات كلها وكانوا لا ينامون الليل على الجنابة ويتبعون الماء اثر البول وعن الحسن هو التطهر من الذنوب بالتوبة وقيل يحبون ان يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا عن آخرهم فان قلت ما معنى المحبتين قلت محبتهم للتطهر انهم يوثرونه ويحرصون عليه حرص المحب للشيء المشتهى له على ايثاره ومحبة الله اياهم انه يرضى عنهم ويحسن اليهم كما يفعل المحب بمحبوبه افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين وقرئ اسس بنيانه على البناء للفاعل والمفعول واسس بنيانه جمع اساس على الاضافة وأسا

بنيانه بالفتح وبالكسر جمع أُسّ وأساس بنيانه على أفعال جمع أسّ أيضا وأُسّ بنيانه والمعنى أفمن أسس بنيان دينه
على قاعدة قوية محكمة وهو الحق الذي تقوى الله ورضوانه خير أم من أسسه على قاعدة هي أضعف القواعد وأرخاها
وأقلها إبقاء وهو الباطل والنفاق الذي مثله كمثل شفا جرف هار في قلة الثبات والاستمساك وضع شفا الجرف
في مقابلة التقوى لأنه جعل مجازا عما ينافي التقوى **فإن قلت** فما معنى قوله فانهار به في نار جهنم **قلت**
لما جعل الجرف الهائر مجازا عن الباطل قيل فانهار به في نار جهنم على معنى فطاح به الباطل في نار جهنم إلا أنه رشح
المجاز فجيء بلفظ الانهيار الذي هو للجرف وليصور أن المبطل كأنه أسس بنيانه على شفا جرف من أودية جهنم
فانهار به ذلك الجرف فهوى في قعرها والشفا الحرف والشفير وجرف الوادي جانبه الذي يتحفر أصله بالماء
وتجرفه السيول فيبقى واهيا والهار الهائر وهو المتصدع الذي أشفى على التهدم والسقوط ووزنه فعل
قصر عن فاعل كخلف من خالف ونظيره شاك وصات في شائك وصائت وألفه ليست بألف فاعل وإنما هي عينه وأصله
هور وشوك وصوت ولا ترى أبلغ من هذا الكلام ولا أدل على حقيقة الباطل وكنه أمره وقرئ جرف بسكون
الراء **فإن قلت** فما وجه ما روى سيبويه عن عيسى بن عمر على تقوى من الله بالتنوين **قلت** قد جعل الألف للإلحاق
لا للتأنيث كتترى فيمن نون ألحقها بجعفر وفي مصحف أبي فانهارت به قواعده وقيل حفرت بقعة من مسجد الضرار
فرئي الدخان يخرج منه وروي أن مجمع بن جارية كان إمامهم في مسجد الضرار فكلم بنو عمرو بن عوف أصحاب
مسجد قباء عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته أن يأذن لمجمع فيؤمهم في مسجدهم فقال لا ولا نعمة عين أليس بإمام
مسجد الضرار فقال يا أمير المؤمنين لا تعجل علي فوالله لقد صليت بهم والله يعلم أني لا أعلم ما أضمروا فيه ولو
علمت ما صليت معهم فيه كنت غلاما قارئا للقرآن وكانوا شيوخا لا يقرؤون من القرآن شيئا فعذره وصدقه
وأمره بالصلاة بقومه لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم شكا في الدين ونفاقا وكان القوم منافقين
وإنما حملهم على بناء ذلك المسجد كفرهم ونفاقهم كما قال عز وجل ضرارا وكفرا فلما هدمه رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم ازدادوا لما غاظهم من ذلك وعظم عليهم تصميما على النفاق ومقتا للإسلام فمعنى قوله لا يزال بنيانهم الذي
بنوا ريبة في قلوبهم لا يزال هدمه سبب شك ونفاق زائد على شكهم ونفاقهم لا يزول وسمه عن قلوبهم ولا
يضمحل أثره إلا أن تقطع قلوبهم قطعا وتفرق أجزاء فحينئذ يسلون عنه وأما ما دامت سالمة مجتمعة فالريبة
باقية فيها متمكنة فيجوز أن يكون ذكر التقطيع تصويرا لحال زوال الريبة عنها ويجوز أن يراد حقيقة تقطيعها
وما هو كائن منه بقتلهم أو في القبور أو في النار وقرئ يقطع بالياء وتقطع بالتخفيف وتقطع بفتح التاء بمعنى تتقطع
وتقطع قلوبهم على أن الخطاب للرسول صلى الله عليه وآله وسلم أي إلا أن تقطع أنت قلوبهم بقتلهم وقرأ الحسن إلى أن
وفي قراءة عبد الله ولو قطعت قلوبهم على خطاب الرسول صلى الله عليه أو كل مخاطب وقيل معناه إلا أن يتوبوا توبة
تتقطع بها قلوبهم ندما وأسفا على تفريطهم والله عليم حكيم ۝ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم
وأموالهم بأن لهم الجنة مثّل الله عز وجل إثابتهم بالجنة على بذلهم أنفسهم وأموالهم في سبيل الله بالشراء وروي
تاجرهم فأغلى لهم الثمن وعن عمر رضي الله عنه فجعل لهم الصفقتين جميعا وعن الحسن رضي الله عنه أنفسا هو خلقها
وأموالا هو رزقها وروي أن الأنصار حين بايعوه على العقبة قال عبد الله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك ما
شئت فقال أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم قالوا
فإذا فعلنا ذلك فما لنا فقال لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل ومر برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
أعرابي وهو يقرؤها فقال كلام من قال كلام الله قال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج إلى الغزو
واستشهد يقاتلون في سبيل الله فيه معنى الأمر كقوله تجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم وقرئ
فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن وعدا مصدر مؤكد أي وأخبر أن هذا
الوعد الذي وعده للمجاهدين في سبيله وعد ثابت قد أثبته في التوراة والإنجيل كما أثبته في القرآن ومن أوفى
بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ۝ لأن إخلاف الميعاد
قبيح لا يقدم عليه الكرام من الخلق مع جوازه عليهم لحاجتهم فكيف بالغني الذي لا يجوز عليه قبيح قط ولا ترى
ترغيبا في الجهاد أحسن منه وأبلغ التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون
الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين ۝ التائبون رفع على المدح
أي هم التائبون يعني المؤمنين المذكورين ويدل عليه قراءة عبد الله وأبي رضي الله عنهما التائبين بالياء إلى قوله
والحافظين نصبا على المدح ويجوز أن يكون جرا صفة للمؤمنين وجوز الزجاج أن يكون مبتدأ خبره محذوف
أي التائبون العابدون من أهل الجنة أيضا وإن لم يجاهدوا كقوله وكلا وعد الله الحسنى وقيل هو رفع على البدل من

الضمير في يقاتلون

الضمير في يقاتلون ويجوز أن يكون مبتدأ وخبره العابدون وما بعده خبر بعد خبر أي التائبون من الكفر على
الحقيقة الجامعون لهذه الخصال وعن الحسن رضي الله عنه هم الذين تابوا من الشرك وتبرؤوا من النفاق والعابدون
الذين عبدوا الله وحده وأخلصوا له العبادة وحرصوا عليها والسائحون الصائمون شبهوا بذوي السياحة
في الأرض في امتناعهم من شهواتهم وقيل هم طلبة العلم يسيحون في الأرض يطلبونه في مظانه وقيل قال صلى الله عليه
وآله وسلم لعمه أبي طالب أنت أعظم الناس علي حقا وأحسنهم عندي يدا فقل كلمة تجب لك بها شفاعتي فأبى فقال
لا أزال أستغفر لك حتى أنهى عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة سأل أي أبويه أحدث عهدا فقيل أمك آمنة فزار قبرها
بالأبواء ثم قام مستعبرا فقال إني استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي
فنزلت وهذا أصح لأن موت أبي طالب كان قبل الهجرة وهذا آخر ما نزل بالمدينة وقيل استغفر لأبيه وقيل قال
المسلمون ما يمنعنا أن نستغفر لآبائنا وذوي قرابتنا وقد استغفر إبراهيم لأبيه وهذا محمد يستغفر لعمه فنزلت
ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا ما صح لهم الاستغفار في حكم الله وحكمته للمشركين ولو
كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ۝ لأنهم ماتوا على الشرك وما كان استغفار
إبراهيم لأبيه قرأ طلحة وما استغفر إبراهيم لأبيه وعنه وما يستغفر إبراهيم على حكاية الحال الماضية إلا عن موعدة
وعدها إياه أي وعدها إبراهيم أباه وهو قوله لأستغفرن لك وتدل عليه قراءة الحسن وحماد الراوية وعدها أباه
فإن قلت كيف خفي على إبراهيم أن الاستغفار للكافر غير جائز حتى وعده **قلت** يجوز أن يظن أنه ما دام يرجى منه
الإيمان جاز الاستغفار له على أن امتناع جواز الاستغفار للكافر إنما علم بالوحي لأن العقل يجوز أن يغفر الله عز وجل للكافر
ألا ترى إلى قوله عليه السلام لعمه لأستغفرن لك ما لم أنه وعن الحسن رضي الله عنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
إن فلانا يستغفر لآبائه المشركين فقال ونحن نستغفر لهم فنزلت وعن علي عليه السلام رأيت رجلا يستغفر لأبويه وهما مشركان
فقلت له فقال أليس قد استغفر إبراهيم **فإن قلت** فما معنى قوله فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه **قلت**
معناه فلما تبين له من جهة الوحي أنه لن يؤمن وأنه يموت كافرا وانقطع رجاؤه عنه قطع استغفاره فهو كقوله من
بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم إن إبراهيم لأواه حليم ۝ أواه فعّال من أوّه كلآل من اللؤلؤ وهو الذي يكثر التأوه
ومعناه أنه لفرط ترحمه ورقته وحلمه كان يتعطف على أبيه الكافر ويستغفر له مع شكاسته عليه وقوله
لأرجمنك وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون إن الله بكل شيء عليم ۝ يعني ما أمر
الله باتقائه واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره مما نهى الله عنه وبين أنه محظور لا يؤاخذ به عباده الذين هداهم
للإسلام ولا يسميهم ضلالا ولا يخذلهم إلا إذا أقدموا عليه بعد بيان حظره عليهم وعلمهم بأنه واجب الاتقاء والاجتناب
وأما قبل العلم والبيان فلا سبيل عليهم كما لا يؤاخذون بشرب الخمر ولا ببيع الصاع بالصاعين قبل التحريم وهذا بيان
لعذر من خاف المؤاخذة بالاستغفار للمشركين قبل ورود النهي عنه وفي هذه الآية شديدة ما ينبغي أن يغفل عنها
وهي أن المهدي للإسلام إذا أقدم على بعض محظورات الله داخل في حكم الإضلال والمراد بما يتقون ما يجب اتقاؤه للنهي فأما
ما يعلم بالعقل كالصدق في الخبر ورد الوديعة فغير موقوف على التوقيف إن الله له ملك السماوات والأرض
يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ۝ لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار تاب الله
على النبي كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقوله واستغفر لذنبك وهو بعث للمؤمنين على التوبة وأنه
ما من مؤمن إلا وهو محتاج إلى التوبة والاستغفار حتى النبي والمهاجرين والأنصار وإبانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله
وأن صفة التوابين الأوابين صفة الأنبياء كما وصفهم بالصالحين ليظهر فضيلة الصلاح وقيل معناه تاب الله عليه
من إذنه للمنافقين في التخلف عنه كقوله عفا الله عنك الذين اتبعوه في ساعة العسرة في وقتها والساعة مستعملة
في معنى الزمان المطلق كما استعملت الغداة والعشية واليوم ۝ غداة طفت علماء بكر بن وائل ۝
عشية قارعنا جذام وحميرا ۝ إذا جاء يوما وارثي يبتغي الغنى ۝ والعسرة حالهم في غزوة تبوك
كانوا في عسرة من الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد وفي عسرة من الزاد تزودوا التمر المدود والشعير المسوس
والإهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة أن اقتسم التمرة اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء ونحروا الإبل
واعتصروا فرثها وفي شدة زمان من حمارة القيظ ومن الجدب والقحط والضيقة الشديدة من بعد ما كاد
تزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات على الإيمان وعن اتباع الرسول في تلك الغزوة والخروج معه وفي كاد ضمير الشأن
وشبهه سيبويه بقولهم ليس خلق الله مثله وقرئ يزيغ بالياء وفي قراءة عبد الله من بعد ما زاغت قلوب فريق
منهم يريد المتخلفين من المؤمنين كأبي لبابة وأمثاله ثم تاب عليهم تكرير للتوكيد ويجوز أن يكون الضمير للفريق
تاب عليهم لكيدودتهم إنه بهم رءوف رحيم ۝ وعلى الثلاثة الذين خلفوا كعب بن مالك ومرارة بن الربيع

وهلال بن اميه ومعا خلفوا اخلفوا من الغزو وقيل عن ابي لبابه واصحابه حث تيب عليهم بعدهم وقرئ خلفوا اي
خلفوا الغازين بالمدينه او فسدوا من الخالفه وخلوف الفم وقرا جعفر الصادق عليه السلام خالفوا وقرا الاعمش وعلى
الثلاثه المخلفين حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت برحبها اي مع سعتها وهو مثل للحيره في امرهم كانهم
لا يجدون فيها مكانا يقرون فيه قلقا وجزعا مما هم فيه وضاقت عليهم أنفسهم قلوبهم لا يسعها انس ولا سرور
لانها حرجت من فرط الوحشه والغم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه وعلموا ان لا ملجا من سخط الله الا الى استغفاره
ثم تاب عليهم ليتوبوا ثم رجع عليهم بالقبول والرحمه كره بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم وينيبوا او ليتوبوا
ايضا فيما يستقبل ان فرطت منهم خطيئه علما منهم إن الله هو التواب الرحيم ان الله تواب على من تاب ولو عاد في
اليوم مايه مره روي ان ناسا من المومنين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم منهم من بدا له وكره مكانه فلحق به
عن الحسن بلغني انه كان لاحدهم حايط كان خيرا من مايه الف درهم فقال يا حايطاه ما خلفني الا ظلك وانتظار
ثمرك اذهب فانت في سبيل الله ولم يكن لاخر الا اهله فقال يا اهلاه ما بطاني ولا خلفني الا الضن بك لا جرم والله
لاكابدن المفاوز حتى الحق برسول الله صلى الله عليه واله وسلم فركب ولحق به ولم يكن لاخر الا نفسه لا اهل ولا
مال فقال يا نفس ما خلفني الا حب الحيوه لك والله لاكابدن الشدايد حتى الحق برسول الله صلى الله عليه واله وسلم
فتابط زاده ولحق به قال الحسن كذلك والله المومن يتوب من ذنوبه ولا يصر عليها وعن ابي ذر الغفاري رضي
الله عنه ان بعيره ابطا به فحمل متاعه على ظهره واتبع اثر رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ماشيا فقال رسول الله
صلى الله عليه واله وسلم لما راى سواده كن ابا ذر فقال الناس هو ذاك فقال رحم الله ابا ذر يمشي وحده ويموت
وحده ويبعث وحده وعن ابي خيثمه انه بلغ بستانه وكانت له امراه حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير
وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامراه حسناء ورسول الله في الضح
والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله عليه واله وسلم طرفه
الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمه فكانه ففرح رسول الله صلى الله عليه واله وسلم واستغفر له
ومنهم من بقي لم يلحق منهم الثلاثه قال كعب [illegible] سلمت عليه فرد علي كالمغضب
بعد ما ذكرني وقال ليت شعري ما خلف كعبا [illegible] فقال معاذ الله
ما اعلم الا فضلا واسلاما ونهى عن كلامنا ايها الثلاثه فتنكر لنا الناس ولم يكلمنا احد من قريب ولا بعيد فلما مضت
اربعون ليله امرنا ان نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليله اذا انا بنداء من ذروه سلع ابشر يا كعب
بن مالك فخررت ساجدا وكنت كما وصفني ربي وضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وتتابعت
البشاره فلبست ثوبي وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فاذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون فقام
الي طلحه بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وقال لتهنك توبه الله عليك فلن انساها لطلحه وقال رسول الله
صلى الله عليه واله وسلم وهو يستنير استناره القمر ابشر يا كعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك ثم تلا علينا الايه وعن
ابي بكر الوراق انه سيل عن التوبه النصوح فقال ان تضيق على التايب الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبه كعب
بن مالك وصاحبيه يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين وقرئ من الصادقين وهم الذين صدقوا
في دين الله نيه وقولا والذين في ايمانهم ومعاهدتهم الله ورسوله على الطاعه من قوله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
وقيل هم الثلاثه اي كونوا مثل هولاء في صدقهم وثباتهم وعن ابن عباس الخطاب لمن امن من اهل الكتاب كونوا
مع المهاجرين والانصار ووافقوهم وانتظموا في جملتهم واصدقوا مثل صدقهم وقيل لمن تخلف من الطلقا عن غزوه
تبوك وعن ابن مسعود رضي الله عنه لا يصلح الكذب في جد ولا هزل ولا ان يعد احدكم صبيه ثم لا ينجزه اقرأوا
ان شيتم وكونوا مع الصادقين فهل فيها من رخصه ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا
عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه امروا بان يصحبوه على الباساء والضراء ويكابدوا معه الاهوال
برغبه ونشاط واغتباط وان يلقوا انفسهم في الشدايد ما تلقاه نفسه علما بانها اعز نفس عند الله واكرمها عليه
فاذا تعرضت مع كرامتها وعزتها للخوض في شده وهول وجب على سائر الانفس ان تتهافت فيما تعرضت له ولا
يكترث لها اصحابها ولا يقيموا لها وزنا وتكون اخف شي عليهم واهونه فضلا ان يربأوا بانفسهم عن متابعتها ع
ومصاحبتها ويضنوا بها على ما سمح بنفسه عليه وهذا نهي بليغ مع تقبيح لامرهم وتوبيخ لهم عليه وتهييج لمتابعته
بانفه وحميه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤون موطئا يغيظ
الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين ذلك اشاره الى ما
دل عليه قوله ما كان لهم ان يتخلفوا من وجوب متابعته وكانه قيل ذلك الوجوب بسبب انهم لا يصيبهم من عطش ولا تعب

ولا مجاعه في طريق الجهاد ولا يدوسون مكانا من امكنه الكفار بحوافر خيولهم واخفاف رواحلهم وارجلهم ولا
يتصرفون في ارضهم تصرفا يغيظهم ويضيق صدورهم ولا ينالون من عدو نيلا ولا يرزونهم شيئا بقتل او
اسر او غنيمه او غير ذلك الا كتب لهم به عمل صالح واستوجبوا الثواب ونيل الزلفى عند الله عز وجل وذلك
مما يوجب المشايعه ويجوز ان يراد بالوطء الايقاع والاباده لا الوطء بالاقدام والحوافر كقوله عليه الصلوه والسلام
اخر وطاه وطئها الله بوج والموطي اما مصدر كالمورد واما مكان فان كان مكانا فمعنى يغيظ الكفار
يغيظهم وطوه والنيل ايضا يجوز ان يكون مصدرا موكدا وان يكون بمعنى المنيل ويقال نال منه اذا رزاه
ونقصه وهو عام في كل ما يسوءهم وينكيهم ويلحق بهم ضررا وفيه دليل على ان من قصد خيرا كان سعيه فيه
مشكورا من قيام وقعود ومشي وكلام وغير ذلك وكذلك الشر وبهذه الايه استشهد اصحاب ابي حنيفه ان
المدد القادم بعد انقضاء الحرب يشارك الجيش في الغنيمه لان وطء ديارهم مما يغيظهم وينكي فيهم ولقد اسهم
النبي صلى الله عليه واله وسلم لابني عامر وقد قدما بعد تقضي الحرب وامد ابو بكر رضي الله عنه المهاجر بن ابي اميه
وزياد بن ابي لبيد بعكرمه بن ابي جهل مع خمسمايه نفس فلحقوا بعد ما فتحوا فاسهم لهم وعند الشافعي لا يشارك
المدد الغانمين وقرا عبيد بن عمير ظماء بالمد يقال ظمي ظماءه وظماء ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو تمره
وعلاقه سوط ولا كبيرة مثل ما انفق عثمان رضي الله عنه في جيش العسره ولا يقطعون واديا اي ارضا في
ذهابهم ومجيئهم والوادي كل منعرج بين جبال واكام يكون منفذا للسيل وهو في الاصل فاعل من ودى اذا
سال ومنه الودي وقد شاع في استعمال العرب بمعنى الارض يقولون لا تصل في وادي غيرك إلا كتب لهم ذلك من
الانفاق وقطع الوادي ويجوز ان يرجع الضمير فيه الى عمل صالح وقوله ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون
متعلق بكتب اي اثبت في صحايفهم لاجل الجزاء وما كان المؤمنون لينفروا كافة اللام لتاكيد النفي ومعناه
ان نفير الكافه عن اوطانهم لطلب العلم غير صحيح ولا ممكن وفيه انه لو صح وامكن ولم يؤد الى مفسده لوجب لوجوب
التفقه على الكافه ولان طلب العلم فريضه على كل مسلم ومسلمه فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة فحين لم
يمكن نفير الكافه ولم يكن مصلحه فهلا نفر من كل فرقه طايفه اي من كل جماعه كثيره جماعه قليله منهم يكفونهم
النفير ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا الفقاهه فيه ويتجشموا المشاق في اخذها وتحصيلها ولينذروا قومهم إذا رجعوا
إليهم وليجعلوا غرضهم ومرمى همتهم في التفقه انذار قومهم وارشادهم والنصيحه لهم لا ما ينتحيه الفقهاء من الاغراض
الخسيسه ويرمونه من المقاصد الركيكه من التصدر والترؤس والتبسط في البلاد والتشبه بالظلمه في ملابسهم
ومراكبهم ومنافسه بعضهم بعضا وفشو داء الضرائر بينهم وانقلاب حماليق احدهم اذا لمح ببصره مدرسه لاخر
او شرذمه جثوا بين يديه وتهالكه على ان يكون موطا العقب دون الناس كلهم فما ابعد هولاء من قوله عز وجل
لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا لعلهم يحذرون اراده ان يحذروا الله فيعملوا عملا صالحا ووجه اخر وهو
ان رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم كان اذا بعث بعثا بعد غزوه تبوك وبعد ما انزل في المتخلفين من الايات الشداد
استبق المومنون عن اخرهم الى النفير وانقطعوا جميعا عن استماع الوحي والتفقه في الدين فامروا ان ينفر من كل فرقه
منهم طايفه الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطعوا عن التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجه
اعظم اثرا من الجلاد بالسيف وقوله ليتفقهوا الضمير فيه للفرق الباقيه بعد الطوايف النافره من بينهم ولينذروا قومهم
ولينذروا الفرق الباقيه قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا في ايام غيبتهم من العلوم وعلى الاول الضمير للطايفه
النافره الى المدينه يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار يلونكم يقربون منكم والقتال واجب مع
كافه الكفره قريبهم وبعيدهم ولكن الاقرب فالاقرب اوجب ونظيره وانذر عشيرتك الاقربين وقد حارب رسول
الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم غزا الشام وقيل هم قريظه والنضير وفدك وخيبر
وقيل الروم لانهم كانوا يسكنون الشام والشام اقرب الى المدينه من العراق وغيره وهكذا المفروض على اهل
كل ناحيه ان يقاتلوا من وليهم ما لم يضطر اليهم اهل ناحيه اخرى وعن ابن عمر انه سيل عن قتال الديلم فقال عليك بالروم
وليجدوا فيكم غلظة وقرئ غلظه بالحركات الثلاث فالغلظه كالشده والغلظه كالضغطه والغلظه
كالسخطه ونحوه واغلظ عليهم ولا تهنوا وهو يجمع الجراه والصبر على القتال وشده العداوه والعنف في القتل والاسر
ومنه ولا تاخذكم بهما رافه في دين الله واعلموا أن الله مع المتقين ينصر من اتقاه فلم يترأف على عدوه وإذا ما
أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فمن المنافقين من يقول بعضهم لبعض ايكم زادته هذه
السوره ايمانا انكارا واستهزاء بالمومنين واعتقادهم زياده الايمان بزياده العلم الحاصل بالوحي والعمل به وايكم
مرفوع بالابتداء وقرا عبيد بن عمير ايكم بالنصب على اضمار فعل يفسره زادته تقديره ايكم زادت زادته هذه ايمانا

ايمانا فزادتهم ايمانا لانها اسبب للبقين والثبات وانلج للصدر او فزادتهم عملا فان زيادة العمل زيادة في الايمان لان
الايمان يقع على الاعتقاد والعمل **فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ** كفرا مضموما الى كفرهم لانهم كلما جددوا تجديد الله الوحي كفروا ونافقوا
ازداد كفرهم واستحكم وتضاعف عقابهم **وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ۝** وقرئ **أَوَلَا يَرَوْنَ** بالياء والتاء **أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ
فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ** يبتلون بالمرض والقحط وغيرهما من بلاء الله **ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ** ثم لا ينتهون ولا يتوبون عن
نفاقهم **وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ۝** ولا يعتبرون ولا ينظرون في امرهم او يبتلون بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم ويعاينون امره وما ينزل الله عليه من نصرته وتاييده او يفتنهم الشيطان فيكذبون وينقضون العهود مع
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيقتلهم وينكل بهم ثم لا ينزجرون **وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ
هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا** تغامزوا بالعيون انكارا للوحي وسخرية به قائلين هل يراكم من احد من المسلمين
لننصرف فانا لا نصبر على استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح او ترامقوا يتشاورون في تدبير الخروج
والانسلال لواذا يقولون هل يراكم من احد وقيل معناه واذا ما انزلت سورة في عيب المنافقين **صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ**
دعا عليهم بالخذلان وبصرف قلوبهم عما في قلوب اهل الايمان من الانشراح **بِأَنَّهُمْ** بسبب انهم **قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ۝**
لا يتدبرون حتى يفقهوا **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ** من جنسكم ومن نسبكم عربي قرشي مثلكم ثم ذكر
ما يتبع المجانسة والمناسبة من النتائج بقوله **عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ** اي شديد عليه شاق لكونه بعضا منكم
عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع في العذاب **حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ** حتى لا يخرج
احد منكم عن اتباعه والاستسعاد بدين الحق الذي جاء به **بِالْمُؤْمِنِينَ** منكم ومن غيركم **رَءُوفٌ رَحِيمٌ ۝** وقرئ
من انفسكم اي من اشرافكم وافضلكم وقيل هي قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفاطمة وعائشة رضي الله
عنهما وقيل لم يجمع الله اسمين من اسمائه لاحد غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله رءوف رحيم **فَإِنْ تَوَلَّوْا
فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۝** فان اعرضوا عن الايمان بك وناصبوك
فاستعن بالله وفوض اليه فهو كافيك معرتهم ولا يضرونك وهو ناصرك عليهم وقرئ العظيم بالرفع وعن
ابن عباس لا يقدر قدره احد وعن ابي بن كعب اخر اية نزلت لقد جاءكم رسول من انفسكم عن رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم ما نزل على القرآن الا اية اية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما
سبعون الف صف من الملائكة

العرش

سورة يونس عليه السلام مكية وهي مائة وتسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ۝ الر تعديد للحروف على طريق التحدي تلك اشارة الى ما
تضمنته السورة من الآيات والكتاب السورة والحكيم ذو الحكمة لاشتماله عليها ونطقه بها او وصف بصفة
محدثه ۝ قال الاعشى ۝ وغريبة تأتي الملوك حكيمة ۝ قد قلتها ليقال من ذا قالها ۝
أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْهُمْ الهمزة لانكار التعجب والتعجيب منه وان اوحينا اسم كان وعجبا
خبره وقرأ ابن مسعود عجب فجعله اسما وهو نكرة وان اوحينا خبرا وهو معرفة كقوله ۝ يكون مزاجها عسل وماء ۝
والاجود ان تكون كان تامة وان اوحينا بدلا من عجب **فان قلت** فما معنى اللام في قوله اكان للناس عجبا وما الفرق
بينه وبين قولك اكان عند الناس عجبا **قلت** معناه انهم جعلوه لهم اعجوبة يتعجبون منها ونصبوه علما لهم يوجهون
نحو استهزائهم وانكارهم وليس في عند الناس هذا المعنى والذي تعجبوا منه ان يوحى الى بشر وان يكون رجلا من افناء
رجالهم دون عظيم من عظمائهم فقد كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وان
يذكر لهم البعث وينذر بالنار ويبشر بالجنة وكل واحد من هذه الامور ليس بعجب لان الرسل المبعوثين الى الامم لم يكونوا
الا بشرا مثلهم وقال الله تعالى لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا وارسال
الفقير او اليتيم ليس بعجب ايضا لان الله تعالى انما يختار من استحق الاختيار لجمعه اسباب الاستقلال بما اختير له من
النبوة والغنى والتقدم في الدنيا ليس من تلك الاسباب في شيء وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى والبعث
للجزاء على الخير والشر هو الحكمة العظمى فكيف يكون عجبا انما العجب العجيب والمنكر في العقول تعطيل الجزاء
أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ ان هي المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول ويجوز ان تكون المخففة من الثقيلة واصله انه انذر الناس
على معنى ان الشان قولنا انذر الناس **وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ** وان لهم الباء محذوفة **قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ**

اي سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة **فان قلت** لم سميت السابقة قدما **قلت** لما كان السعي والسبق
بالقدم سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدما كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد وباعا لان صاحبها
يبوع بها فقيل لفلان قدم في الخير واضافته الى الصدق دلالة على زيادة فضل وانه من السوابق العظيمة وقيل
مقام صدق **قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا** الكتاب وما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم **لَسِحْرٌ مُبِينٌ ۝** ومن قرأ لساحر
فهذا اشارة الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو دليل عجزهم واعترافهم به وان كانوا كاذبين في تسميته سحرا
وفي قراءة ابي ما هذا الا سحر **إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ
يُدَبِّرُ الْأَمْرَ** يقضي ويقدر على حسب مقتضى الحكمة ويفعل ما يفعل المتحري للصواب الناظر في ادبار الامور وعواقبها لئلا
يلقاه ما يكره اخرا والامر امر الخلق وامر ملكوت السموات والارض والعرش **فان قلت** ما موقع هذه
الجملة **قلت** قد دل بالجملة قبلها على عظمة شانه وملكه بخلق السموات والارض مع بسطتها واتساعها في وقت
يسير وبالاستواء على العرش واتبعها هذه الجملة لزيادة الدلالة على العظمة وانه لا يخرج امر من الامور من
قضائه وتقديره وكذلك قوله **مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ** دليل على العزة والكبرياء كقوله يوم يقوم الروح
والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن **ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ** وذلكم اشارة الى المعلوم
تلك العظمة اي ذلك العظيم الموصوف بما وصف به هو ربكم وهو الذي يستحق العبادة منكم فاعبدوه ووحدوه
ولا تشركوا به بعض خلقه من ملك او انسان فضلا عن جماد لا يضر ولا ينفع **أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝** فان ادنى
التفكر والنظر ينبهكم على الخطأ فيما انتم عليه **إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا** اي لا ترجعون في العاقبة الا اليه
فاستعدوا للقائه **وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا** وعد الله مصدر مؤكد لقوله اليه مرجعكم وحقا مصدر مؤكد لقوله
وعد الله **إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ** استئناف معناه التعليل لوجوب المرجع اليه وهو ان الغرض ومقتضى الحكمة
بابتداء الخلق واعادته هو جزاء المكلفين على اعمالهم وقرئ انه يبدأ الخلق بمعنى لانه او هو منصوب بالفعل الذي
نصب وعد الله اي وعد الله وعدا بدء الخلق ثم اعادته والمعنى اعادة الخلق بعد بدئه وقرئ وعد الله على لفظ
الفعل ويبدئ من ابدأ ويجوز ان يكون مرفوعا بما نصب حقا اي حق حقا بدء الخلق كقوله
۝ احقا عباد الله ان لست جائيا ۝ ولا ذاهبا الا علي رقيب ۝
وقرئ حق انه يبدأ الخلق كقولك حق ان زيدا منطلق **لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ
كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ۝** بالقسط بالعدل وهو متعلق بيجزي والمعنى
ليجزيهم بقسطه ويوفيهم اجورهم او بقسطهم وبما اقسطوا وعدلوا ولم يظلموا حين آمنوا وعملوا الصالحات
لان الشرك ظلم قال الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم والعصاة ظلام لانفسهم وهذا اوجه لمقابلة قوله بما كانوا يكفرون
هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا الياء في ضياء منقلبة عن واو لكسرة ما قبلها وقرئ ضئاء بهمزتين بينهما الف
على القلب بتقديم اللام على العين كما قيل في عاقب عقاب والضياء اقوى من النور **وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ** وقدر القمر والمعنى
وقدر مسيره منازل او قدره ذا منازل كقوله والقمر قدرناه منازل **لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ** وحساب
الاوقات من الشهور والايام والليالي **مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ** ذلك اشارة الى المذكور اي ما خلقه الا ملتبسا
بالحق الذي هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثا **يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝** وقرئ نفصل بالنون **إِنَّ فِي
اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ۝** خص المتقين لانهم يحذرون
العاقبة فيدعوهم الحذر الى النظر والتدبر **إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا** لا يتوقعونه اصلا ولا يخطرونه ببالهم
لغفلتهم المستولية عليهم المذهلة باللذات وحب العاجل عن التفطن للحقائق او لا يأملون حسن لقائنا كما
يأمله السعداء او لا يخافون سوء لقائنا الذي يجب ان يخاف **وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا** من الآخرة وآثروا القليل الفاني
على الكثير الباقي كقوله ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة **وَاطْمَأَنُّوا بِهَا** وسكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها
فبنوا شديدا واملوا بعيدا **وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ۝ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ
إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ** يسددهم بسبب ايمانهم للاستقامة على سلوك
السبيل المؤدي الى الثواب ولذلك جعل **تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝** بيانا وتفسيرا لان
التمسك بسبب السعادة كالوصول اليها ويجوز ان يريد يهديهم في الآخرة بنور ايمانهم ومنه الحديث ان المؤمن
اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة فيقول له انا عملك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة والكافر اذا
خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة فيقول له انا عملك فينطلق به حتى يدخله النار **فان قلت** فلقد دلت
هذه الآية على ان الايمان الذي يستحق به العبد الهداية والتوفيق والنور يوم القيامة هو ايمان مقيد وهو الايمان

المقرون بالعمل الصالح والايمان الذي لم يقترن بالعمل الصالح فصاحبه لا توفيق له ولا نور فان قلت الامر كذلك لا
ترى كيف وقع الصلة مجموعا فيها بين الايمان والعمل كانه قال ان الذين جمعوا بين الايمان والعمل الصالح ثم قال بايمانهم
اي بايمانهم هذا المضموم اليه العمل الصالح وهو بين واضح لا شبهة فيه **دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم
فيها سلام** دعاؤهم لان اللهم نداء لله ومعناه اللهم انا نسبحك كقول القانت في دعاء القنوت اللهم اياك نعبد ولك
نصلي ونسجد ويجوز ان يراد بالدعاء العبادة واعتزلكم وما تدعون من دون الله على معنى انه لا تكليف في الجنة ولا عبادة
وما عبادتهم فيها الا ان يسبحوا الله ويحمدوه وذلك ليس بعبادة وانما يلهمونه فينطقون به تلذذا بلا كلفة كقوله وما
كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية **وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين** وخاتمة دعائهم الذي هو التسبيح
ان يقولوا الحمد لله رب العالمين ومعنى وتحيتهم فيها سلام ان بعضهم يحيي بعضا بالسلام وقيل هي تحية الملائكة اياهم
فيها اضافة المصدر الى المفعول وقيل تحية الله لهم وان هي المخففة من الثقيلة واصله انه الحمد لله على ان الضمير
للشان كقوله ان هالك كل من يحفى وينتعل وقرئ ان الحمد لله بالتشديد ونصب الحمد **ولو يعجل الله
للناس الشر استعجالهم بالخير** اصله ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم الخير فوضع استعجالهم بالخير تعجيله لهم
موضع تعجيله لهم الخير اشعارا بسرعة اجابته لهم واسعافه بطلبتهم حتى كان استعجالهم بالخير تعجيل لهم والمراد اهل
مكة وقولهم فامطر علينا حجارة من السماء يعني ولو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما نعجل لهم الخير ونجيبهم اليه **لقضي
اليهم اجلهم** لاميتوا واهلكوا وقرئ لقضى اليهم اجلهم على البنا للفاعل وهو الله عز وجل وتنصره قراءة عبد الله
لقضينا اليهم اجلهم **فان قلت** فكيف اتصل به قوله **فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون**
وما معناه **قلت** قوله ولو يعجل الله متضمن معنى نفي التعجيل كانه قيل ولا نعجل لهم الشر ولا نقضي اليهم اجلهم فنذرهم
في طغيانهم يعمهون اي فنمهلهم ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم الزاما للحجة عليهم **واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه
او قاعدا او قائما** لجنبه في موضع الحال بدليل عطف الحالين عليه اي دعانا مضطجعا او قاعدا او قائما **فان قلت** فما فائدة
ذكر هذه الاحوال **قلت** معناه ان المضرور لا يزال داعيا لا يفتر عن الدعاء حتى يزول عنه الضر فهو يدعونا في حالاته
كلها كان منبطحا عاجز النهض متخاذل النوء او كان قاعدا لا يقدر على القيام او كان قائما لا يطيق المشي والمضطرب
الى ان يخف كل الخفة ويرزق الصحة بكمالها والمسحة بتمامها ويجوز ان يراد ان من المضرورين من هو اشد حالا وهو صاحب
الفراش ومنهم من هو اخف وهو القادر على القعود ومنهم المستطيع للقيام وكلهم لا يستغنون عن الدعاء واستدفاع
البلاء لان الانسان للجنس **فلما كشفنا عنه ضره مر** اي مضى على طريقته الاولى قبل مس الضر ونسي حال الجهد او مر
عن موقف الابتهال والتضرع لا يرجع اليه كانه لا عهد له به **كان لم يدعنا الى ضر مسه** كانه لم يدعنا فخفف وحذف
ضمير الشان قال كان ثدياه حقان **كذلك** مثل ذلك التزيين **زين للمسرفين** زين الشيطان بوسوسته
او الله عز وجل بخذلانه وتخليته **ما كانوا يعملون** من الاعراض عن الذكر واتباع الشهوات **ولقد اهلكنا القرون
من قبلكم لما ظلموا** لما ظرف لاهلكنا والواو في **وجاءتهم رسلهم بالبينات** للحال اي ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم
رسلهم بالحجج والشواهد على صدقهم وهي المعجزات وقوله **وما كانوا ليؤمنوا** يجوز ان يكون عطفا على ظلموا وان يكون
اعتراضا واللام لتاكيد النفي يعني وما كانوا يؤمنون حقا تاكيدا لنفي ايمانهم وان الله قد علم منهم انهم يصرون على
كفرهم وان الايمان مستبعد منهم والمعنى ان السبب في اهلاكهم تكذيبهم الرسل وعلم الله انه لا فائدة في امهالهم بعد
ان الزموا الحجة ببعثة الرسل **كذلك** مثل ذلك الجزاء يعني الاهلاك **نجزي القوم المجرمين** نجزي كل مجرم وهو
وعيد لاهل مكة على اجرامهم بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ يجزي بالياء **ثم جعلناكم خلائف في الارض
من بعدهم** الخطاب للذين بعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم اي استخلفناكم في الارض بعد القرون التي اهلكناها **لننظر
كيف تعملون** خيرا او شرا فنعاملكم على حسب عملكم وكيف في محل النصب بتعملون لا بننظر لان معنى الاستفهام
فيه يحجب ان يتقدم عليه عامله **فان قلت** كيف جاز النظر على الله تعالى وفيه معنى المقابلة **قلت** هو مستعار للعلم
المحقق الذي هو العلم بالشيء موجودا شبه بنظر الناظر وعيان المعاين في تحققه **واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين
لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا** غاظهم ما في القرآن من ذم عبادة الاوثان والوعيد للمشركين فقالوا ائت
بقرآن آخر ليس فيه ما يغيظنا من ذلك نتبعك **او بدله** بان تجعل مكان آية عذاب آية رحمة وتسقط ذكر الآلهة وذم
عبادتها فامر بان يجيب عن التبديل لانه داخل تحت قدرة الانسان وهو **قل ما يكون لي** ما ينبغي لي وما يحل لي كقوله ما يكون
لي ان اقول ما ليس لي بحق **ان ابدله من تلقاء نفسي** من قبل نفسي وقرئ بفتح التاء من غير ان يامرني بذلك ربي **ان اتبع
الا ما يوحى الي** لا آتي ولا اذر شيئا من نحو ذلك الا متبعا لوحي الله واوامره ان نسخت آية تبعت النسخ وان بدلت
آية مكان آية تبعت التبديل وليس الي تبديل ولا نسخ **اني اخاف ان عصيت ربي** بالتبديل والنسخ من عند نفسي

صدره ٤ فتيه كسوا الهدير علوا

النوء النهوض بثقل تخاذل منسقطه

صدره وتخر مسرق اللون

من بعدهم

عذاب يوم عظيم فان قلت اما ظهر وتبين لهم العجز عن الاتيان بمثل القرآن حتى قالوا ائت بقرآن
غير هذا **قلت** بلى ولكنهم كانوا لا يعترفون بالعجز وكانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا ويقولون افترى على الله كذبا
فينسبونه الى الرسول عليه السلام ويزعمونه قادرا عليه وعلى مثله مع علمهم بان العرب مع كثرة فصحائها وبلغائها
اذا عجزوا عنه كان الواحد منهم اعجز **فان قلت** لعلهم ارادوا ائت بقرآن غير هذا او بدله من جهة الوحي كما اتيت
بالقرآن من جهته واراد بقوله ما يكون لي ما يتسهل لي وما يمكنني ان ابدله **قلت** يرده قوله اني اخاف ان عصيت ربي
فان قلت فما كان غرضهم وهم ادهى الناس وانكرهم في هذا الاقتراح **قلت** الكيد والمكر اما اقتراح
ابدال قرآن بقرآن ففيه انه من عندك وانك قادر على مثله فابدل مكانه آخر واما اقتراح التبديل والتغيير
فللطمع ولاختبار الحال وانه ان وجد منه تبديل فاما ان يهلكه الله فينجوا منه او لا يهلكه فيسخروا منه ويجعلوا
التبديل حجة ويصححوا افتراءه على الله **قل لو شاء الله ما تلوته عليكم** يعني ان تلاوته ليست الا بمشيئة الله عز وجل
واحداثه امرا عجيبا خارجا عن العادات وهو ان يخرج رجل امي لم يتعلم ولم يستمع ولم يشاهد العلماء ساعة من عمره
ولا نشا في بلد فيه علماء فيقرأ عليكم كتابا فصيحا يبهر كل كلام فصيح ويعلو على كل منثور ومنظوم
مشحونا بعلوم من علوم الاصول والفروع والاخبار بما كان وما يكون ناطقا بالغيوب التي لا يعلمها الا الله وقد
بلغ بين ظهرانيكم اربعين سنة تطلعون على احواله ولا يخفى عليكم شيء من اسراره وما سمعتم منه حرفا من ذلك
ولا عرفه به احد من اقرب الناس منه والصقهم به **ولا ادراكم به** ولا اعلمكم به على لساني وقرأ الحسن ولا ادراتكم به
على لغة من يقول اعطاته وارضاته في معنى اعطيته وارضيته وتعضده قراءة ابن عباس ولا انذرتكم به ورواه
الفراء ولا ادراتكم به بالهمز وفيه وجهان احدهما ان تقلب الالف همزة كما قيل لبأت بالحج ورثأت الميت وحلأت
السويق وذلك لان الالف والهمزة من واد واحد ولذلك اذا مستها الحركة انقلبت همزة والثاني ان يكون من
درأته اذا دفعته وادراته اذا جعلته داريا والمعنى ولا جعلكم بتلاوته خصماء تدرءونني بالجدال وتكذبونني
وعن ابن كثير ولادراكم به بلام الابتداء لاثبات الادراء ومعناه لو شاء الله ما تلوته انا عليكم ولاعلمكم به على
لسان غيري ولكنه يمن على من يشاء من عباده فخصني بهذه الكرامة ورآني لها اهلا دون سائر الناس **فقد لبثت
فيكم عمرا من قبله** وقرئ عمرا بالسكون يعني فقد اقمت فيما بينكم يافعا وكهلا فلم تعرفوني متعاطيا شيئا من نحو
ذلك ولا قدرت عليه ولا كنت متواصفا بعلم وبيان فتتهموني باختراعه **افلا تعقلون** فتعلمون انه ليس الا من الله
لا من مثلي وهذا جواب عما دسوه تحت قولهم ائت بقرآن غير هذا من اضافة الافتراء اليه **فمن اظلم ممن افترى على الله
كذبا او كذب بآياته انه لا يفلح المجرمون** يحتمل ان يريد افتراء المشركين على الله في قولهم انه ذو شريك وذو ولد
وان يكون تفاديا مما اضافوه اليه من الافتراء **ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء
شفعاؤنا عند الله** ما لا يضرهم ولا ينفعهم الاوثان التي هي جمادات لا تقدر على نفع ولا ضر وقيل ان عبدوها لم تنفعهم
وان تركوا عبادتها لم تضرهم ومن حق المعبود ان يكون مثيبا على الطاعة معاقبا على المعصية وكان اهل الطائف يعبدون
اللات واهل مكة العزى ومناة وهبل واساف ونائلة وكانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وعن النضر بن الحرث
اذا كان يوم القيامة شفعت لي اللات والعزى **قل أتنبئون الله بما لا يعلم** اتخبرونه بكونهم شفعاء عنده وهو انباء
بما ليس بمعلوم لله واذا لم يكن معلوما له وهو العالم الذات المحيط بجميع المعلومات لم يكن شيئا لان الشيء ما يعلم ويخبر
عنه فكان خبرا ليس له مخبر عنه **فان قلت** كيف انبأوا الله بذلك **قلت** هو تهكم بهم وبما ادعوه من المحال
الذي هو شفاعة الاصنام واعلام بان الذي انبأوا به باطل غير منطو تحت الصحة فكانهم يخبرونه بشيء لا يتعلق به
علمه كما يخبر الرجل الرجل بما لا يعلمه وقرئ اتنبئون بالتخفيف وقوله **في السماوات ولا في الارض** تاكيد لنفيه
لان ما لم يوجد فيهما فهو منتف معدوم **سبحانه وتعالى عما يشركون** قرئ بالياء والتاء وما موصولة او مصدرية
اي عن الشركاء الذين يشركونهم او عن اشراكهم **وما كان الناس الا امة واحدة** حنفاء متفقين على ملة واحدة من
غير ان يختلفوا بينهم وذلك في عهد آدم حتى قتل قابيل هابيل وقيل بعد الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين ديارا
فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك وهو تاخير الحكم بينهم الى يوم القيامة **لقضي بينهم فيما فيه يختلفون**
لقضي بينهم عاجلا فيما اختلفوا فيه ولتميز المحق من المبطل وسبق كلمته بالتاخير لحكمة اوجبت ان تكون هذه الدار دار
تكليف وتلك دار ثواب وعقاب **وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه** ارادوا آية من الآيات التي كانوا يقترحونها
وكانوا لا يعتدون بما انزل عليه من الآيات العظام المتكاثرة التي لم ينزل على احد من الانبياء مثلها وكفى بالقرآن وحده
آية باقية على وجه الدهر بديعة غريبة من الآيات دقيقة المسلك من بين المعجزات وجعلوا نزولها كلا نزول وكانه
لم ينزل عليه آية قط حتى قالوا لولا انزل عليه آية واحدة من ربه وذلك لفرط عنادهم وتماديهم في التمرد وانهماكهم

التكر لغة الداهي والدهي المنكر

نني

والغي **فقل إنما الغيب لله** اي هو المختص بعلم الغيب المستاثر به لا علم لي ولا لاحد به يعني ان الصارف عن انزال الايات المقترحة امر مغيب لا يعلمه الا هو **فانتظروا** نزول ما اقترحتموه **إني معكم من المنتظرين** لما يفعل الله بكم لعنادكم وجحودكم الايات **وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم إذا لهم مكر في آياتنا قل الله أسرع مكرا** سلط الله القحط سبع سنين على اهل مكة حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فلما رحمهم طفقوا يطعنون في ايات الله ويعادون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويكيدونه واذا الاولى للشرط والاخيرة جوابها وهي للمفاجاة والمكر اخفاء الكيد وطيه من الجارية الممكورة المطوية الخلق ومعنى مستهم خالطتهم حتى احسوا بسوء اثرها فيهم **فان قلت** ما وصفهم بسرعة المكر فكيف صح قوله اسرع مكرا **قلت** بلى دلت على ذلك كلمة المفاجاة كانه قال واذا رحمناهم من بعد ضراء فاجاوا وقوع المكر منهم وسارعوا اليه قبل ان يغسلوا رؤوسهم من مس الضراء ولم يلبثوا ريثما يسيغون غصتهم والمعنى ان الله تعالى دبر عقابكم وهو موقعه بكم قبل ان تدبروا كيف تعملون في اطفاء نور الاسلام **إن رسلنا يكتبون ما تمكرون** اعلام بان ما تظنونه خافيا مطويا لا يخفى على الله وهو منتقم منكم وقرئ يمكرون بالياء والتاء وقيل مكرهم قولهم سقينا بنوء كذا وعن ابي هريرة ان الله عز وجل ليصبح القوم بالنعمة ويمسيهم بها فيصبح طائفة منهم بها كافرين ويقولون مطرنا بنوء كذا **هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين** وقرأ زيد بن ثابت ينشركم ومثله قوله فانتشروا في الارض ثم اذا انتم بشر تنتشرون **فان قلت** كيف جعل الكون في الفلك غاية للتسيير في البحر والتسيير في البحر انما هو بالكون في الفلك **قلت** لم يجعل الكون في الفلك غاية للتسيير في البحر ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد حتى بما في حيزها كانه قيل يسيركم حتى اذا وقعت هذه الحادثة وكان كيت وكيت من مجيء الريح العاصف وتراكم الامواج والظن للهلاك والدعاء بالانجاء **فان قلت** ما جواب اذا **قلت** جاءتها **فان قلت** فدعوا **قلت** بدل من ظنوا لان دعاءهم من لوازم ظنهم الهلاك **فان قلت** ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة **قلت** المبالغة كانه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الانكار والتقبيح **فان قلت** ما وجه قراءة ام الدرداء في الفلكي بياء النسب **قلت** فيه وجهان ان يراد به اليم والماء الغمر الذي لا تجري الفلك الا فيه والضمير في جرين للفلك لانه جمع فلك كالاسد في فعل اخي فعل وفي قراءة ام الدرداء للفلك ايضا لان الفلكي يدل عليه جاءتها جاءت الريح الطيبة اي تلقتها وقيل الضمير للفلك من كل مكان من جميع امكنة الموج احيط بهم جعل احاطة العدو بالحي مثلا في الهلاك مخلصين له الدين من غير اشراك به لانهم لا يدعون حينئذ غيره معه لئن انجيتنا على ارادة القول او لان دعوا من جملة القول **فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض** يفسدون فيها ويعبثون مترامين في ذلك ممعنين فيه من قولك بغى الجرح اذا ترامى الى الفساد **فان قلت** ما معنى قوله **بغير الحق** والبغي لا يكون بحق **قلت** بلى وهو استيلاء المسلمين على ارض الكفرة وهدم دورهم واحراق زروعهم وقلع اشجارهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ببني قريظة **يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثم إلينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون** وقرئ متاع الحيوة الدنيا بالنصب **فان قلت** ما الفرق بين القراءتين **قلت** اذا رفعت كان المتاع خبرا للمبتدا الذي هو بغيكم وعلى انفسكم صلته كقولك بغى عليهم ومعناه انما بغيكم على امثالكم والذين جنسهم جنسكم يعني بغي بعضكم على بعض منفعة الحيوة الدنيا لا بقاء لها واذا نصبت فعلى انفسكم خبر غير صلة معناه انما بغيكم وبال على انفسكم ومتاع الحيوة الدنيا في موضع المصدر المؤكد كانه قيل يتمتعون متاع الحيوة الدنيا ويجوز ان يكون الرفع على هو متاع الحيوة الدنيا بعد تمام الكلام وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لا تمكر ولا تعن ماكرا ولا تبغ ولا تعن باغيا ولا تنكث ولا تعن ناكثا وكان يتلوها وعنه عليه الصلوة والسلام اسرع الخير ثوابا صلة الرحم واعجل الشر عقابا البغي وعقوق الوالدين وعن ابن عباس لو بغى جبل على جبل لدك الباغي وكان المامون يتمثل بهذين البيتين في اخيه

> يا صاحب البغي ان البغي مصرعة ... فاربع فخير فعال المرء اعدله
>
> فلو بغى جبل يوما على جبل ... لاندك منه اعاليه واسفله

وعن محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال الله تعالى انما بغيكم على انفسكم **إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام** هذا من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الاقبال بحال نبات الارض في جفافه وذهابه

حطاما بعد ما التف وتكاثف وزين الارض بخضرته ورفيفه فاختلط به فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا **حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت** كلام فصيح جعلت الارض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس اذا اخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها وتزينت بغيرها من الوان الزين واصل ازينت تزينت فادغم وبالاصل قرا عبد الله وقرئ وازينت على افعلت من غير اعلال كاغيلت اي صارت ذات زينة وازيانت بوزن ابياضت **وظن أهلها أنهم قادرون عليها** متمكنون من منفعتها محصلون لثمرتها رافعون لغلتها **أتاها أمرنا ليلا أو نهارا** وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد امنهم واستيقانهم انه قد سلم **فجعلناها حصيدا** شبيها بما يحصد من الزرع في قطعه واستئصاله **كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون** كان لم يغن زرعها اي لم يلبث على حذف المضاف في هذه المواضع لا بد منه والا لم يستقم المعنى وقرأ الحسن كان لم يغن بالياء على ان الضمير للمضاف المحذوف الذي هو الزرع وعن مروان انه قرا على المنبر كان لم تتغن بالامس من قول الاعشى طويل الثواء طويل التغني والامس مثل في الوقت القريب كانه قيل كان لم تغن آنفا **والله يدعو إلى دار السلام** الجنة اضافها الى اسمه تعظيما لها وقيل السلام السلامة لان اهلها سالمون من كل مكروه وقيل لفشو السلام بينهم وتسليم الملائكة عليهم الا قيلا سلاما سلاما **ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم** ويوفق من يشاء وهم الذين علم الله ان اللطف يجدي عليهم لان مشيئته تابعة لحكمته ومعناه يدعو العباد كلهم الى دار السلام ولا يدخلها الا المهديون **للذين أحسنوا الحسنى** المثوبة الحسنى **وزيادة** وما يزيد على المثوبة وهي التفضل ويدل عليه قوله تعالى ويزيدهم من فضله وعن علي رضي الله عنه الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة وعن ابن عباس الحسنى الحسنة والزيادة عشر امثالها وعن الحسن عشر امثالها الى سبعمائة ضعف وعن مجاهد الزيادة مغفرة من الله ورضوان وعن يزيد بن شجرة الزيادة ان تمر السحابة باهل الجنة فتقول ما تريدون ان امطركم فلا يريدون شيئا الا امطرتهم وزعمت المجبرة والمشبهة ان الزيادة النظر الى وجه الله تعالى وجاءت بحديث مرقوع اذا دخل اهل الجنة الجنة نودوا يا اهل الجنة فيكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما اعطاهم الله شيئا هو احب اليهم منه **ولا يرهق وجوههم** لا يغشاها **قتر** غبرة فيها سواد **ولا ذلة** ولا اثر هوان وكسوف بال والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار انكار لما يسعدهم منه برحمته **أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون** ولا ذلة الا شرا الى قوله ترهقها قترة وترهقهم ذلة **فان قلت** فما وجه قوله **والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها** وكيف يتلاءم **قلت** لا يخلو اما ان يكون والذين كسبوا معطوفا على قوله للذين احسنوا كانه قيل وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها واما ان يقدر وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها على معنى جزاؤهم ان تجازى سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وهذا الوجه من قولك في الدار زيد والحجرة عمرو وذلك ان الاول عطف على عاملين وان كان الاخفش يجيزه وفي هذا دليل على ان المراد بالزيادة الفضل لانه دل بترك الزيادة على السيئة على عدله ودل ثم باثبات الزيادة على المثوبة على فضله **وترهقهم ذلة** وقرئ ويرهقهم بالياء **ما لهم من الله من عاصم** اي لا يعصمهم احد من سخط الله وعذابه او ما لهم من جهة الله ومن عنده من يعصمهم كما يكون للمؤمنين **كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** مظلما حال من الليل ومن قرا قطعا بالسكون جعله صفة له ويعضده قراءة ابي بن كعب كانما يغشى وجوههم قطع من الليل مظلم **فان قلت** اذا جعلت مظلما حالا من الليل فما العامل فيه **قلت** لا يخلو اما ان يكون اغشيت من قبل ان من الليل صفة لقوله قطعا فكان افضاؤه الى الموصوف كافضائه الى الصفة واما ان يكون معنى الفعل في من الليل **ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم** مكانكم الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم وانتم اكد به الضمير في مكانكم لسده مسد قوله الزموا وشركاؤكم عطف عليه وقرئ وشركاءكم على ان الواو بمعنى مع والعامل فيه ما في مكانكم من معنى الفعل **فزيلنا بينهم** ففرقنا بينهم وقطعنا اقرانهم والوصل التي كانت بينهم في الدنيا او فباعدنا بينهم بعد الجمع في الموقف وتبرؤ شركائهم منهم ومن عبادتهم كقوله اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون فالواضلوا عنا وقرئ فزايلنا بينهم كقولك صاعر خده وصعره وكالمته وكلمته **وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون** انما كنتم تعبدون الشياطين حيث امروكم ان تتخذوا لله اندادا فاطعتموهم **فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين** ان هي المخففة من الثقيلة وهي اللام الفارقة بينها وبين النافية وهم الملائكة والمسيح ومن عبدوه من دون الله من اولي العقل وقيل الاصنام ينطقها الله عز وجل فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي زعموها علقوا بها اطماعهم **هنالك** في ذلك المقام وفي ذلك الموقف او في ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان **تبلو كل نفس** تختبر وتذوق **ما أسلفت** من العمل فتعرف كيف هو اقبيح ام حسن انافع ام ضار امقبول ام مردود كما يختبر

الرجل الشيء وتعرفه ليكتنه حاله ومنه قوله تعالى يوم تبلى السرائر وعن عاصم نبلو كل نفس بالنون ونصب كل اي نختبرها
باختبار ما اسلفت من العمل فنعرف حالها بمعرفة حال عملها ان كان حسنا فهي سعيدة وان كان سيئا فهي شقية والمعنى نفعل
بها فعل الخابر لنسب ما اسلفت من الشر وقرئ تتلوا اي تتبع ما اسلفت لان عمله هو الذي يهديه الى طريق الجنة او الى طريق
النار او تقرا في صحيفتها من خير او شر وردوا الى الله مولاهم الحق ربهم الصادق ربوبيته لانهم كانوا يتولون ما ليس
لربوبيته حقيقة او الذي يتولى حسابهم وثوابهم العدل الذي لا يظلم احدا وقرئ الحق بالنصب على تاكيد قوله وردوا
الى الله كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل او على المدح كقولك الحمد لله اهل الحمد وضل عنهم ما كانوا يفترون
وضاع عنهم ما كانوا يدعون انهم شركاء لله او بطل عنهم ما كانوا يختلقون من الكذب وشفاعة الالهة قل من يرزقكم
من السماء والارض اي يرزقكم منهما جميعا لم يقتصر برزقكم على جهة واحدة ليفيض عليكم نعمته ويوسع رحمته
امن يملك السمع والابصار من يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحد الذي سويا عليه من الفطرة العجيبة او من يحميهما و
يحصنهما من الآفات مع كثرتها في المدد الطوال وهما لطيفان يؤذيهما ادنى شيء بكلايته وحفظه ومن يخرج الحي من
الميت ويخرج الميت من الحي ومن يلي تدبير امر العالم كله جاء بالعموم بعد الخصوص فسيقولون الله فقل افلا تتقون
افلا تقون انفسكم ولا تحذرون عليها عقابه فيما انتم بصدده من الضلال فذلكم الله اشارة الى من هذه قدرته وافعاله
ربكم الحق الثابت ربوبيته ثباتا لا ريب فيه لمن حقق النظر فماذا بعد الحق الا الضلال يعني ان الحق والضلال لا واسطة
بينهما فمن تخطى الحق وقع في الضلال فانى تصرفون عن الحق الى الضلال وعن التوحيد الى الشرك وعن السعادة الى
الشقاوة كذلك مثل ذلك الحق حقت كلمات ربك اي كما حق وثبت ان الحق بعده الضلال او كما حق انهم مصروفون
عن الحق فكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون اي تمردوا في كفرهم وخرجوا الى الحد الاقصى
فيه وانهم لا يؤمنون بدل من الكلمة اي حق عليهم انتفاء الايمان وعلم الله عز وجل منهم ذلك او حق عليهم كلمة الله انهم من
اهل الخذلان وان ايمانهم غير كائن او اراد بالكلمة العدة بالعذاب وانهم لا يؤمنون تعليل بمعنى لانهم لا يؤمنون
قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده فان قلت كيف قيل لهم هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده وهم
غير معترفين بالاعادة قلت قد وضعت اعادة الخلق لظهور برهانها موضع ما ان دفعه دافع كان مكابرا
رادا للظاهر البين الذي لا مدخل للشبهة فيه دلالة على انهم في انكارهم لها منكرون امرا مسلما معترفا بصحته عند العقلاء
وقال لنبيه قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فانى تؤفكون فامره بان ينوب عنهم في الجواب يعني انه لا يدعهم لجاجهم ومكابرتهم
ان ينطقوا بكلمة الحق فكلم عنهم قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق افمن يهدي الى
الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى يقال هداه للحق والى الحق فجمع بين اللغتين ويقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى
كما يقال شرى بمعنى اشترى ومنه قوله امن لا يهدي وقرئ لا يهدي بفتح الياء وكسرها مع تشديد الدال والاصل يهتدي
فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء الساكنين وقد كسرت الياء لاتباع ما بعدها وقرئ الا ان يهدي
من هداه وهداه للمبالغة ومنه قولهم تهدى ومعناه ان الله وحده هو الذي يهدي للحق بما ركب في المكلفين من العقول
واعطاهم من التمكين للنظر في الادلة التي نصبها لهم وبما لطف بهم ووفقهم والهمهم واخطر ببالهم ووقفهم على الشرائع
فهل من شركائكم الذين جعلتم انداد الله احد من اشرافهم كالملائكة والمسيح وعزير يهدي الى الحق مثل هداية الله
ثم قال افمن يهدي الى الحق هذه الهداية احق بالاتباع ام الذي لا يهدي اي لا يهتدي بنفسه او لا يهدي غيره الا ان يهديه
الله وقيل معناه امن لا يهتدي من الاوثان الى مكان فينتقل اليه الا ان يهدى الا ان ينقل او لا يهتدي ولا يصح منه الاهتداء
الا ان ينقله الله من حاله الى ان يجعله حيوانا مكلفا فيهديه فما لكم كيف تحكمون بالباطل حيث تزعمون انهم انداد
لله وما يتبع اكثرهم الا ظنا لانه قول غير مستند الى برهان عندهم ان الظن في معرفة الله لا يغني من الحق وهو
العلم شيئا وقيل وما يتبع اكثرهم في قولهم للاصنام انها آلهة وانها شفعاء عند الله الا الظن والمراد بالاكثر الجميع ان الله
عليم بما يفعلون وعيد على ما يفعلون من اتباع الظن وتقليد الآباء وقرئ تفعلون بالتاء وما كان هذا القرآن ان
يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب وما كان هذا القرآن افتراء من دون الله ولكن
تصديق الذي بين يديه وهو ما تقدمه من الكتب المنزلة لانه معجز دونها فهو عيار عليها وشاهد لصحتها كقوله
هو الحق مصدقا لما بين يديه وقرئ تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب على ولكن هو تصديق وتفصيل ومعنى وما كان ان
يفترى وما صح وما استقام وكان محالا ان يكون مثله في علو امره واعجازه مفترى وتفصيل الكتاب وتبيين ما كتب وفرض
من الاحكام والشرائع من قوله كتاب الله عليكم لا ريب فيه من رب العالمين فان قلت بم اتصل قوله من رب العالمين قلت هو
داخل في حيز الاستدراك كانه قال ولكن كان تصديقا وتفصيلا منتفيا عنه الريب كائنا من رب العالمين ويجوز ان يراد
ولكن تصديقا من رب العالمين وتفصيلا منه لا ريب فيه فيكون من رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل ويكون لا ريب فيه

قيل من السماء المطر ومن الارض النبات

اقرارهم بالله

اعتراضا كما تقول زيد لا شك فيه كريم ام يقولون افتراه بل يقولون اختلقه على ان الهمزة تقرير لالزام الحجة عليهم
والانكار لقولهم واستبعاد والمعنيان متقاربان قل ان كان الامر كما تزعمون فاتوا انتم على وجه الافتراء بسورة
مثله فانتم مثلي في العربية والفصاحة ومعنى بسورة مثله اي شبيهة به في البلاغة وحسن النظم وقرئ بسورة مثله
على الاضافة اي بسورة كتاب مثله وادعوا من استطعتم من دون الله وادعوا من استطعتم من خلقه للاستعانة
على الاتيان بمثله يعني ان الله وحده هو القادر على ان ياتي بمثله لا يقدر على ذلك احد غيره فلا تستعينوا وحده ثم استعينوا
بكل من دونه ان كنتم صادقين انه افتراه بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه بل سارعوا الى التكذيب بالقرآن وفاجؤوه
في بديهة السماع قبل ان يفقهوه ويعلموا كنه امره وقبل ان يتدبروه ويفقهوا تأويله ومعانيه وذلك لفرط نفورهم
عما يخالف دينهم وشرادهم عن مفارقة دين آبائهم كالناشئ على التقليد من الحشوية اذا احس بكلمة لا توافق ما نشأ عليه
والفه وان كانت اضوأ من الشمس في ظهور الصحة وبيان الاستقامة انكرها في اول وهلة واشمأز منها قبل ان يحس ادراكها
بحاسة سمعه من غير فكر في صحة او فساد لانه لم يشعر قلبه الا صحة مذهبه وفساد ما عداه من المذاهب فان
قلت ما معنى التوقع في قوله ولما ياتهم تاويله قلت معناه انهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التاويل
تقليدا للآباء وكذبوه بعد التدبر تمردا وعنادا فذمهم بالتسرع الى التكذيب قبل العلم به وجاء بكلمة التوقع ليؤذن
انهم علموا بعد علو شانه واعجازه لما كرر عليهم التحدي ورازوا قواهم في المعارضة واستيقنوا عجزهم فكذبوا به
بغيا وحسدا كذلك اي مثل ذلك التكذيب كذب الذين من قبلهم يعني قبل النظر في معجزات الانبياء وقبل تدبرها من
غير انصاف من انفسهم ولكن قلدوا الآباء وعاندوا وقيل هو في الذين كذبوا وهم شاكون ويجوز ان يكون معنى ولما ياتهم
تاويله ولما ياتهم بعد تاويل ما فيه من الاخبار بالغيوب اي عاقبته حتى يتبين لهم اهو كذب ام صدق يعني انه كتاب
معجز من جهتين من جهة اعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الاخبار بالغيوب فتسرعوا الى التكذيب به قبل ان ينظروا في نظمه
وبلوغه حد الاعجاز وقبل ان يخبروا اخباره بالمغيبات وصدقه وكذبه فانظر كيف كان عاقبة الظالمين
ومنهم من يؤمن به من يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكنه يعاند بالتكذيب ومنهم من لا يؤمن به وربك اعلم بالمفسدين
بالمعاندين او المصرين وان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون وان تموا
على تكذيبك ويئست من اجابتهم فتبرأ منهم وخلهم فقد اعذرت كقوله فان عصوك فقل اني بريء وقيل هي منسوخة باية
السيف ومنهم من يستمعون اليك افانت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر اليك افانت
تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون معناه ومنهم ناس يستمعون اليك اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكنهم لا يعون
ولا يقبلون وناس ينظرون اليك ويعاينون ادلة الصدق واعلام النبوة ولكنهم لا يصدقون ثم قال اتطمع انك تقدر على اسماع
الصم ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم لان الاصم العاقل ربما تفرس واستدل اذا وقع في صماخه دوي الصوت فاذا اجتمع سلب
السمع والعقل فقد تم الامر وتحسب انك تقدر على هداية العمي ولو انضم الى فقد البصر فقد البصيرة لان الاعمى الذي له في قلبه بصيرة
قد يحدس ويظن واما العمى مع الحمق فجهد البلاء يعني انهم في اليأس من ان يقبلوا ويصدقوا كالصم والعمي الذين لا عقول لهم
ولا بصائر وقوله افانت دلالة على انه لا يقدر على اسماعهم وهدايتهم الا الله عز وجل بالقسر والالجاء كما لا يقدر على رد الاصم والاعمى
المسلوبي العقل حديدي السمع والبصر راجحي العقل الا هو وحده ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون
اي لا ينقصهم شيئا مما يتصل بمصالحهم من بعثة الرسل وانزال الكتب ولكنهم يظلمون انفسهم بالكفر والتكذيب ويجوز ان
يكون وعيدا للمكذبين يعني ان ما يلحقهم يوم القيامة من العذاب لاحق بهم على سبيل العدل والاستيجاب ولا يظلمهم الله به ولكنهم
ظلموا انفسهم باقتراف ما كان سببا فيه ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يستقربون وقت لبثهم
في الدنيا وقيل في القبور لهول ما يرون يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتفارقوا الا قليلا وذلك عند خروجهم
من القبور ثم ينقطع التعارف لشدة الامر عليهم فان قلت كان لم يلبثوا ويتعارفون كيف موقعهما قلت اما الاولى
فحال منهم اي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة واما الثانية فاما ان تتعلق بالظرف واما ان تكون مبينة لقوله كان لم
يلبثوا الا ساعة لان التعارف لا يبقى مع طول العهد وينقلب تناكرا قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله على ارادة القول اي يتعارفون
بينهم قائلين ذلك وهي شهادة من الله تعالى على خسرانهم والمعنى انهم وضعوا في تجارتهم وبيعهم الايمان بالكفر وما كانوا
مهتدين للتجارة عارفين بها وهو استئناف فيه معنى التعجب كانه قيل ما اخسرهم واما نرينك بعض الذي نعدهم او
نتوفينك فالينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون فالينا مرجعهم جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف كانه
قيل واما نرينك بعض الذي نعدهم في الدنيا فذاك او نتوفينك قبل ان نريكه فنحن نريكه في الآخرة فان قلت
الله شهيد على ما يفعلون في الدارين فما معنى ثم قلت ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها ونتيجتها وهو العقاب كانه قال
ثم الله معاقب على ما يفعلون وقرأ ابن ابي عبلة ثم بالفتح اي هنالك ويجوز ان يراد ان الله مؤد شهادته على افعالهم

كها

عن

زفون

يوم القيمة حين تنطق جلودهم والسنتهم وايديهم وارجلهم شاهدة عليهم **ولكل امة رسول** يبعث اليهم لينبههم على التوحيد
ويدعوهم الى دين الحق **فاذا جاء رسولهم** واذا جاءهم رسولهم بالبينات فكذبوه ولم يتبعوه **قضي بينهم** اي بين النبي ومكذبيه
بالقسط وهم لا يظلمون بالقسط بالعدل فانجي الرسول وعذب المكذبون كقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
او لكل امة من الامم يوم القيمة رسول تنسب اليه وتدعى به فاذا جاءهم رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر كقوله وجيء بالنبيين
والشهداء وقضي بينهم **ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين** استعجال لما وعدوا من العذاب استبعادا له **قل لا**
املك لنفسي ضرا من مرض او فقر **ولا نفعا** من صحة او غنى **الا ما شاء الله** استثناء منقطع اي ولكن ما شاء الله من ذلك كاين
فكيف املك لكم الضر وجلب العذاب **لكل امة اجل اذا جاء اجلهم فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون** يعني ان عذابكم
له اجل مضروب عند الله وحد محدود من الزمان اذا جاء ذلك الوقت انجز وعدكم لا محالة فلا تستعجلوا وقرا ابن سيرين فاذا
جاء اجالهم **قل ارايتم ان اتاكم عذابه بياتا او نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون** بياتا نصب على الظرف بمعنى وقت بيات
فان قلت هلا قيل ليلا او نهارا **قلت** لانه اريد ان اتاكم عذابه وقت بيات فبيتكم وانتم ساهون نائمون لا تشعرون
كما يبيت العدو المباغت والبيات بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وكذلك قوله نهارا معناه في وقت انتم فيه
مشتغلون بطلب المعاش والكسب ونحوه بياتا وهم نائمون ضحى وهم يلعبون والضمير في منه للعذاب والمعنى ان العذاب كله
مكروه مر المذاق موجب للنفار فاي شيء تستعجلون منه وليس شيء منه يوجب الاستعجال ويجوز ان يكون معناه التعجب كانه
قيل اي شيء هول شديد تستعجلون منه ويجوز ان يكون من للبيان في هذا الوجه وقيل الضمير في منه لله تعالى **فان قلت**
بم تعلق الاستفهام واين جواب الشرط **قلت** تعلق بارايتم لان المعنى اخبروني ماذا يستعجل منه المجرمون وجواب الشرط محذوف
وهو تندموا على الاستعجال او تعرفوا الخطا فيه **فان قلت** فهلا قيل ماذا تستعجلون منه **قلت** اريدت الدلالة
على موجب ترك الاستعجال وهو الاجرام لان من حق المجرم ان يخاف التعذيب على اجرامه ويهلك فزعا من مجيئه وان ابطا
فضلا ان يستعجله ويجوز ان يكون ماذا يستعجل منه المجرمون جوابا للشرط كقولك ان اتيتك ماذا تطعمني ثم تتعلق
الجملة بارايتم وان يكون **اثم اذا ما وقع امنتم به** جواب الشرط وماذا يستعجل منه المجرمون اعتراضا والمعنى ان اتاكم عذابه
امنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان ودخول حرف الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والفاء في قوله افامن
اهل القرى اوامن اهل القرى **الان** على ارادة القول اي قيل لهم اذا امنوا بعد وقوع العذاب الان امنتم به **وقد كنتم به**
تستعجلون يعني وقد كنتم به تكذبون لان استعجالهم كان على جهة التكذيب والانكار وقرئ الان بحذف الهمزة
والقاء حركتها على اللام **ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون** عطف على قيل المضمر
قبل الان **ويستنبئونك** ويستخبرونك فيقولون **احق هو** وهو استفهام على جهة الانكار والاستهزاء وقرا الاعمش الحق
هو وهو ادخل في الاستهزاء لتضمنه معنى التعريض بانه باطل وذلك ان اللام للجنس فكانه قيل اهو الحق لا الباطل او اهو الذي
تسمونه الحق والضمير للعذاب الموعود **قل اي وربي انه لحق** واي بمعنى نعم في القسم خاصة كما كان هل بمعنى قد في الاستفهام
خاصة وسمعتهم يقولون في التصديق ايو فيصلونه بواو القسم ولا ينطقون به وحده **وما انتم بمعجزين** بفائتين العذاب
وهو لاحق بكم لا محالة **ولو ان لكل نفس ظلمت** صفة لنفس على ولو ان لكل نفس ظالمة **ما في الارض** ما في الدنيا اليوم
من خزائنها واموالها وجميع منافعها **لافتدت به** لجعلته فدية لها يقال فداه فافتدى ويقال افتداه ايضا بمعنى فداه **واسروا**
الندامة لما راوا العذاب لانهم بهتوا لرؤيتهم ما لم يحتسبوه ولم يخطر ببالهم وعاينوا من شدة الامر وتفاقمه ما سلبهم
قواهم وبهرهم فلم يطيقوا عنده بكاء ولا صراخا ولا ما يفعله الجازع سوى اسرار الندم والحسرة في القلوب كما ترى المقدم
للصلب يثخنه ما دهمه من فظاعة الخطب ويغلب حتى لا ينبس بكلمة ويبقى جامدا مبهوتا وقيل اسروا الندامة اسر رؤساؤهم الندامة من
سفلتهم الذين اضلوهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم وقيل اسروها اخلصوها اما لان اخفاءها اخلاصها واما من قولهم سر الشي
لخالصه وفيه تهكم بهم وباخلاصهم وقيل اسروا الندامة اظهروها من قولهم اسر الشي واشره اذا اظهره
وليس هنالك تجلد **وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون الا ان لله ما في السموات والارض الا ان وعد الله حق**
ولكن اكثرهم لا يعلمون هو يحيي ويميت واليه ترجعون وقضي بينهم اي بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك
ذكر الظلم ثم اتبع ذلك الاعلام بان له الملك كله وانه المثيب المعاقب وما وعد من الثواب والعقاب فهو حق وهو القادر
على الاحياء والاماتة لا يقدر عليهما غيره والى حسابه وجزائه المرجع ليعلم ان الامر كذلك فيخاف ويرجى ولا يغتر به المغترون
يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم اي قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة وتنبيه على التوحيد
وهو **شفاء** اي دواء **لما في الصدور** من العقائد الفاسدة **وهدى** ودعاء الى الحق **ورحمة للمؤمنين** لمن امن به
منكم **قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا** اصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا والتكرير للتاكيد والتقرير
وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا فحذف احد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء

داخله

داخله لمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشي فليخصوهما بالفرح فانه لا مفروح به احق منهما ويجوز ان يراد بفضل الله
وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا ويجوز ان يراد قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك فبمجيئها فليفرحوا
وقرئ فلتفرحوا بالتاء وهو الاصل والقياس وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم فيما روي وعنه لتاخذوا مصافكم
قالها في بعض الغزوات وفي قراءة ابي فافرحوا **هو خير مما يجمعون** وهو راجع الى ذلك وقرئ بالياء والتاء وعن ابي بن
كعب ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والاسلام وقيل رحمته ما وعد عليه
قل ارايتم اخبروني **ما انزل الله لكم من رزق** ما في موضع النصب بانزل او بارايتم في معنى اخبروني **فجعلتم منه**
حراما وحلالا اي انزله الله رزقا حلالا كله فبعضتموه وقلتم هذا حلال وهذا حرام كقوله هذه انعام وحرث
حجر ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا **قل الله اذن لكم ام على الله تفترون** الله اذن
لكم متعلق بارايتم وقل تكرير للتوكيد والمعنى اخبروني الله اذن لكم في التحليل والتحريم فانتم تفعلون ذلك باذنه
ام تكذبون على الله في نسبة ذلك اليه ويجوز ان تكون الهمزة للانكار وام منقطعة بمعنى بل اتفترون على الله تقريرا
للافتراء وكفى بهذه الاية زاجرة زجرا بليغا عن التجوز فيما يسال عنه من الاحكام وباعثة على وجوب الاحتياط فيه وان لا
يقول احد في شي جائز او غير جائز الا بعد اتقان وايقان ومن لم يوقن فليقل الله اعلم والا فهو مفتر على الله عز وجل
وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيمة يوم القيمة منصوب بالظن وهو ظن واقع فيه يعني اي شي ظن المفترين
في ذلك اليوم ما يصنع بهم فيه وهو يوم الجزاء بالاحسان والاساءة وهو وعيد عظيم حيث ابهم امره وقرا عيسى بن عمر
وما ظن على لفظ الفعل ومعناه واي ظن ظنوا يوم القيمة وجي به على لفظ الماضي لانه كائن فكان قد كان **ان الله لذو فضل**
على الناس حيث انعم عليهم بالعقل ورحمهم بالوحي وتعليم الحلال والحرام **ولكن اكثر الناس لا يشكرون**
هذه النعمة ولا يتبعون ما هدوا اليه **وما تكون في شان** ما نافية والخطاب لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم والشان
الامر واصله الهمز بمعنى القصد من شانت شانه اذا قصدت قصده **وما تتلو منه من قران** والضمير في منه للشان
لان تلاوة القران شان من شان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بل هو معظم شانه او للتنزيل كانه قيل وما تتلو من التنزيل
من قران لان كل جزء منه قران والاضمار قبل الذكر تفخيم له او لله عز وجل **ولا تعملون من عمل** اي عمل كان
الا كنا عليكم شهودا شاهدين رقباء نحصي عليكم **اذ تفيضون فيه** من افاض في الامر اذا اندفع فيه **وما يعزب**
عن ربك وقرئ بالضم والكسر وما يبعد وما يغيب منه ومنه الروض العازب **من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء**
ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين القراءة بالنصب والرفع والوجه النصب على نفي الجنس والرفع
على الابتداء ليكون كلاما براسه وفي العطف على محل من مثقال ذرة او فتحا في موضع الجر لامتناع الصرف اشكال لان
قوله لا يعزب عنه شي الا في كتاب مشكل **فان قلت** لم قدمت الارض على السماء بخلاف قوله في سورة سبا عالم الغيب
لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض **قلت** حق السماء ان تقدم على الارض ولكنه لما ذكر
شهادته على شؤون اهل الارض واحوالهم واعمالهم ووصل بذلك قوله لا يعزب عنه لاءم ذلك ان قدم الارض على السماء على
ان العطف بالواو حكمه حكم التثنية **الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون** اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة
ويتولاهم بالكرامة وقد فسر في قوله **الذين امنوا وكانوا يتقون** فهو توليهم اياه **لهم البشرى في الحيوة الدنيا**
وفي الاخرة فهو توليه اياهم وعن سعيد بن جبير ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم سئل من اولياء الله فقال هم الذين يذكر
الله برؤيتهم يعني السمت والهيئة وعن ابن عباس رضي الله عنهما الاخبات والسكينة وقيل هم المتحابون في الله وعن عمر
رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه واله وسلم ان من عباد الله عبادا ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء
يوم القيمة لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله خبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير
ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون
اذا حزن الناس ثم قرا الاية الذين امنوا نصب او رفع على المدح او على وصف الاولياء او على الابتداء والخبر لهم البشرى والبشرى
في الدنيا ما بشر الله به المؤمنين المتقين في غير مكان من كتابه وعن النبي صلى الله عليه واله وسلم هي الرؤيا الصالحة يراها
المسلم او ترى له وعنه عليه الصلوة والسلام ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وقيل هي محبة الناس له والذكر الحسن
وعن ابي ذر قلت لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال تلك عاجل بشرى المؤمن وعن عطاء لهم
البشرى عند الموت تاتيهم الملئكة بالرحمة قال الله تعالى تتنزل عليهم الملئكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة واما عند الموت
تلقيهم الملئكة بالبشرى في الاخرة فتلقي الملئكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم
واعطاء الصحائف بايمانهم وما يقرؤون منها وغير ذلك من البشارات **لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم**
اي لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده كقوله ما يبدل القول لدي وذلك اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين وكلتا

الجمل من اعتراض ولا يحزنك وقرئ ولا يحزنك من احزنه قولهم تكذيبهم لك وتهديدهم وتشاورهم في تدبير هلاكك وابطال امرك
وسائر ما يتكلمون به في شانك إن العزة لله جميعا استئناف بمعنى التعليل كانه قيل ما لي لا احزن فقيل ان العزة لله جميعا اي
ان الغلبة والقهر في ملكة الله تعالى جميعا لا يملك احد شيئا منها لا هم ولا غيرهم فهو يغلبهم وينصرك عليهم كتب الله لاغلبن
انا ورسلي انا لننصر رسلنا والذين امنوا وقرأ ابو حيوة انّ العزة بالفتح بمعنى لان العزة على صريح التعليل ومن جعله بدلا
من قولهم ثم انكره فالمنكر هو تخريجه لا ما انكر من القراءة به هو السميع العليم يسمع ما يقولون ويعلم ما يدبرون
ويعزمون عليه وهو مكافئهم بذلك ألا إن لله من في السموات ومن في الأرض وما يتبع الذين يدعون من دون الله
شركاء من في السموات ومن في الارض يعني العقلاء المميزين وهم الملائكة والثقلان وانما خصهم ليؤذن ان هؤلاء اذا كانوا
له وفي ملكته فهم عبيد كلهم وهو سبحانه وتعالى ربهم ولا يصلح احد منهم للربوبية ولا ان يكون شريكا له فيها فما
وراءهم مما لا يعقل احق ان لا يكون ندا وشريكا وليدل على ان من اتخذ غيره ربا من ملك او انسي فضلا عن صنم او غير ذلك
فهو مبطل تابع لما ادى اليه التقليد وترك النظر ومعنى وما يتبع وما يتبعون شركاء على الحقيقة وان كانوا
يسمونها شركاء لان شركة الله عز وجل في الربوبية محال إن يتبعون إلا الظن الا ظنهم انهم شركاء وإن هم
إلا يخرصون يحزرون ويقدرون ان تكون شركاء تقديرا باطلا ويجوز ان تكون ما استفهاما يعني واي
شئ يتبعون وشركاء على هذا نصب بيدعون وعلى الاول بيتبع وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء
شركاء فاقتصر على احدهما للدلالة ويجوز ان تكون ما موصولة معطوفة على من كانه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون
الله شركاء اي وله شركاؤهم وقرأ علي بن ابي طالب تدعون بالتاء ووجهه ان يحمل وما يتبع على الاستفهام
اي واي شئ يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين يعني انهم يتبعون الله ويطيعونه فما لكم لا تفعلون مثل فعلهم
كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون ثم صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة فقال ان يتبع هؤلاء المشركون الا الظن ولا
يتبعون ما يتبع الملائكة والنبيون من الحق هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه ينبه على عظيم قدرته ونعمته
الشاملة لعباده التي يستحقون بها ان يوحدوه بالعبادة بانه جعل لهم الليل مظلما ليسكنوا فيه مما يقاسون في نهارهم
من تعب التردد في المعاش والنهار مبصرا مضيئا يبصرون فيه مطالب ارزاقهم ومكاسبهم إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون
سماع معتبر مدكر قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه تنزيه له عن اتخاذ الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء هو الغني علة لنفي
الولد لان ما يطلب به الولد من يلد وما يطلبه له السبب في كله الحاجة فمن الحاجة منتفية عنه كان الولد عنه منتفيا
له ما في السموات وما في الأرض فهو مستغن بملكه لهم عن كل شئ إن عندكم من سلطان بهذا ما عندكم
من حجة بهذا القول والباء حقها ان تتعلق بقوله ان عندكم على ان يجعل القول مكانا للسلطان كقولك ما عندكم بارضكم
موز كانه قيل ان عندكم فيما تقولون سلطان أتقولون على الله ما لا تعلمون لما نفى عنهم البرهان جعلهم غير عالمين فدل على
ان كل قول لا برهان عليه لقائله فذاك جهل وليس بعلم قل إن الذين يفترون على الله الكذب باضافة الولد اليه لا
يفلحون متاع في الدنيا اي افتراؤهم هذا منفعة قليلة في الدنيا وذلك حيث يقيمون به رياستهم في الكفر ومناصبة النبي
صلى الله عليه وسلم بالتظاهر به ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون
الموبد بعده واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم عظم عليكم وشق وثقل ومنه
وانها لكبيرة الا على الخاشعين وثقل يتعاظمه الامر مقامي مكاني
يعني نفسه كما تقول فعلت كذا لمكان فلان وفلان ثقيل الظل
ومكثي بين اظهركم مدة طويلة الف سنة الا خمسين عاما او مقامي
يعظوهم ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا كما يحكى عن عيسى وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت
فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة من اجمع الامر اذا نواه وعزم عليه قال
هل أغدون يوما وأمري مجمع والواو بمعنى مع يعني فاجمعوا امركم مع شركائكم وقرئ وشركاؤكم بالرفع
عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير تأكيد بالمنفصل لقيام الفاصل مقامه لطول الكلام
وقرئ فاجمعوا من الجمع وشركاءكم نصب على العطف
شركاءكم فان قلت كيف اسناد الاجماع الى الشركاء قلت على وجه التهكم
فان قلت ما معنى الامرين امرهم الذي يجمعونه وامرهم الذي لا يكون عليهم غمة قلت اما الامر الاول فالقصد الى
اهلاكه يعني فاجمعوا ما تريدون من اهلاكي واحتشدوا فيه
وثقته بما وعده ربه من كلاءته وعصمته وانهم لن يجدوا اليه سبيلا
وما كانوا فيه معه من الحال الشديدة عليهم المكروهة عندهم

اي غما وهما والغم والغمة كالكرب والكربة والثاني ان يراد به ما اريد بالامر الاول والغمة السترة من غمه اذا ستره ومنها
قوله عليه الصلوة والسلام ولا غمة في فرائض الله اي لا تستر ولكن يجاهر بها يعني ولا يكن قصدكم الى اهلاكي مستورا عليكم
ولكن مكشوفا مشهورا تجاهرونني به ثم اقضوا إلي ذلك الامر الذي تريدون بي اي ادوا الي قطعه وصحته كقوله
وقضينا اليه ذلك الامر او ادوا الي ما هو حق عليكم عندكم من هلاكي كما يقضي الرجل غريمه ولا تنظرون ولا تمهلوني
وقرئ ثم افضوا الي بالفاء بمعنى ثم انتهوا الي بشركم وقيل هو من افضى الرجل اذا خرج الى الفضاء اي اصحروا به الي وابرزوه
لي فإن توليتم فان اعرضتم عن تذكيري ونصيحتي فما سألتكم من أجر فما كان عندي ما ينفركم عني وتتهموني لاجله
من طمع في اموالكم وطلب اجر على عظتكم إن أجري إلا على الله وهو الثواب الذي يثيبني به في الاخرة اي ما نصحتكم الا لوجه
الله لا لغرض من اعراض الدنيا وأمرت أن أكون من المسلمين الذين لا ياخذون على تعليم الدين شيئا ولا يطلبون به دنيا يريد
ان ذلك مقتضى الاسلام والذي كل مسلم مامور به والمراد ان يجعل الحجة لازمة لهم ويبرئ ساحته فذكر ان توليهم لم يكن
عن تفريط منه في سوق الامر معهم على الطريق الذي يجب ان يساق عليه وانما ذلك لعنادهم وتمردهم لا غير فكذبوه فتموا على
تكذيبه وكان تكذيبهم له في آخر المدة المتطاولة كتكذيبهم في اولها وذلك عند مشارفة الهلاك بالطوفان فنجيناه
ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف يخلفون الهالكين بالغرق وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين
تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن انذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مثله وتسلية له ثم بعثنا من بعده من بعد نوح رسلا
إلى قومهم يعني هودا وصالحا وابرهيم ولوطا وشعيبا فجاءوهم بالبينات بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم فما كانوا ليؤ
فما كان ايمانهم الا ممتنعا كالمحال لشدة شكيمتهم في الكفر وتصميمهم عليه بما كذبوا به من قبل يريد انهم كانوا قبل بعثة
الرسل اهل جاهلية مكذبين بالحق فما وقع فصل بين حالتيهم بعد بعثة الرسل وقبلها كان لم يبعث اليهم احد كذلك
نطبع اي مثل ذلك الطبع المحكم نطبع على قلوب المعتدين والطبع جار مجرى الكناية عن عنادهم ولجاجهم لان
الخذلان يتبعه الا ترى كيف اسند اليهم الاعتداء ووصفهم ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون إلى فرعون وملائه بآياتنا
بالآيات التسع فاستكبروا عن قبولها وهو اعظم الكبر ان يتهاون العبيد برسالة ربهم بعد تبينها ويتعظموا عن تقبلها
وكانوا قوما مجرمين كفارا ذوي آثام عظام فلذلك استكبروا واجترءوا على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا فلما عرفوا
انه هو الحق وانه من عند الله لا من قبل موسى وهرون قالوا لحبهم الشهوات إن هذا لسحر مبين وهم يعلمون ان الحق ابعد شئ من
السحر الذي ليس الا تمويها وباطلا قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولا يفلح الساحرون فان قلت
هم قطعوا بقولهم ان هذا لسحر مبين على انه سحر فكيف قيل لهم اتقولون اسحر هذا قلت فيه اوجه ان يكون معنى قوله اتقولون
للحق تعيبونه وتطعنون فيه وكان عليكم ان تذعنوا له وتعظموه من قولهم فلان يخاف القالة وبين الناس تقاول
اذا قال بعضهم لبعض ما يسوءه ونحو القول الذكر في قولهم سمعنا فتى يذكرهم ثم قال اسحر هذا فانكر ما قالوه في عيبه
والطعن عليه وان يحذف مفعول اتقولون وهو ما دل عليه قولهم ان هذا لسحر مبين كانه قيل اتقولون ما تقولون يعني قولهم
ان هذا لسحر مبين ثم قيل اسحر هذا وان يكون جملة قوله اسحر هذا ولا يفلح الساحرون حكاية لكلامهم كانهم قالوا اجئتما
بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح الساحرون كما قال موسى للسحرة ما جئتم به السحر ان الله سيبطله قالوا أجئتنا لتلفتنا
لتصرفنا واللفت والفتل اخوان ومطاوعهما الالتفات والانفتال عما وجدنا عليه آباءنا يعنون عبادة الاصنام وتكون
لكما الكبرياء في الأرض اي الملك لان الملوك موصوفون بالكبر ولذلك قيل للملك الجبار ووصف بالصيد والشوس
ولهذا وصف ابن الرقيات مصعبا في قوله

ملكه ملك رأفة ليس فيه ... جبروت منه ولا كبرياء

ينفي ما عليه الملوك من ذلك ويجوز ان يقصدوا ذمهما وانهما ان ملكا ارض مصر تجبرا وتكبرا كما قال القبطي
لموسى عليه السلام ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض وما نحن لكما بمؤمنين مصدقين فيما جئتما به وقرئ ويكون
لكما الكبرياء بالياء وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم
ملقون فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله ما موصولة واقعة مبتدأ والسحر خبر اي الذي
جئتم به هو السحر لا الذي سماه فرعون وقومه سحرا هو السحر وقرأ عبد الله ما جئتم سحر وقرأ ابي ما اتيتم به سحر والمعنى
لا ما اتيت به إن الله سيبطله سيمحقه او يظهر بطلانه باظهار المعجزة على الشعوذة إن الله لا يصلح عمل المفسدين
لا يثبته ولا يديمه ولكن يسلط عليه الدمار ويحق الله الحق ويثبته بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته بامره ومشيئته
ولو كره المجرمون فما آمن لموسى في اول امره إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون الا طائفة من ذراري بني
اسرائيل كانه قيل الا اولاد من اولاد قومه وذلك انه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون واجابته طائفة من ابنائهم مع الخوف
وقيل الضمير في قومه لفرعون والذرية مؤمن آل فرعون وآسية امرأته وخازنه وامرأة خازنه وماشطته فان قلت

او ماشطة آل فرعون

الام يرجع الضمير في قوله **وملإيهم** **قلت** الى فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال ربيعة ومضر او لانه ذو اصحاب ياتمرون له ويجوز ان يرجع الى الذرية اي على خوف من فرعون وخوف من اشراف بني اسرائيل لانهم كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى انفسهم ويدل عليه قوله **أن يفتنهم** يريد ان يعذبهم **وإن فرعون لعال في الأرض** لغالب فيها قاهر **وإنه لمن المسرفين** في الظلم والفساد وفي الكبر والعتو بادعائه الربوبية **وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله** صدقتم به وباياته **فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين** ... وهو ان يسلموا نفوسهم لله اي يجعلوها له سالمة خالصة لا حظ للشيطان فيها ... في الكلام ان كان لك عليّ حق فاعطني ... **فقالوا على الله توكلنا** ... لا جرم ان الله سبحانه قبل توكلهم واجاب دعاهم واهلك من كانوا يخافونه ... فمن اراد ان يصلح للتوكل على ربه والتفويض اليه فعليه برفض التخليط الى الاخلاص **ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين** لا تجعلنا فتنة موضع فتنة لهم اي عذاب يعذبوننا او يفتنوننا عن ديننا ... **ونجنا برحمتك من القوم الكافرين**

وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلوة وبشر المؤمنين تبوء المكان اتخذه مباءة كقولك توطنه اذا اتخذه وطنا ... مرجعا يرجعون اليه للعبادة والصلوة فيه واجعلوا بيوتكم تلك قبلة اي مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة وكان موسى ومن معه يصلون الى الكعبة وكانوا في اول امرهم مامورين بان يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المومنون على ذلك في اول الاسلام بمكة **فإن قلت** كيف نوع الخطاب فثنى اولا ثم جمع ثم وحد آخرا **قلت** خوطب موسى وهرون عليهما السلام ان يتبوءا لقومهما بيوتا ويختاراها للعبادة وذلك مما يفوض الى الانبياء ثم سيق الخطاب عاما لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلوة فيها لان ذلك واجب على الجمهور ثم خص موسى عليه السلام بالبشارة التي هي الغرض تعظيما لها وللمبشر بها **وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة** الزينة ما يتزين به من لباس وحلي وفرش واثاث وغير ذلك وعن ابن عباس كانت لهم من فسطاط مصر الى ارض الحبشة جبال فيها معادن من ذهب وفضة وزبرجد وياقوت **فإن قلت** ما معنى قوله **ربنا ليضلوا عن سبيلك** **قلت** هو دعاء بلفظ الامر كقوله **ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم** وذلك انه لما عرض عليهم ايات الله وبيناته عرضا مكررا ورد عليهم النصائح والمواعظ زمانا طويلا وحذرهم من عذاب الله وانتقامه وانذرهم عاقبة ما كانوا عليه من الكفر والضلال المبين ورآهم لا يزيدون على عرض الايات الا كفرا وعلى الانذار الا استكبارا وعلى النصيحة الا نبوا ولم يبق له مطمع فيهم وعلم بالتجربة وطول الصحبة انه لا يجيء منهم الا الغي والضلال وان ايمانهم كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة او علم ذلك بوحي من الله اشتد غضبه عليهم وافرط مقته وكراهته لحالهم فدعا الله عليهم بما علم انه لا يكون غيره كما تقول لعن الله ابليس واخزى الله الكفرة مع علمك انه لا يكون غير ذلك وليشهد عليهم بانه لم يبق فيهم حيلة وانهم لا يستاهلون الا ان يخذلوا ويخلى بينهم وبين ضلالهم يتسكعون فيه كانه قال ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال وليكونوا ضلالا وليطبع الله على قلوبهم فلا يومنوا وما علي منهم هم احق بذلك واحق كما يقول الاب المشفق لولده الشاطر اذا لم يقبل منه حسرة على ما فاته من قبول نصيحته وحردا عليه لا ان يريد خلاعته واتباعه هواه ومعنى الشد على القلوب الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الايمان **فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم** جواب للدعاء الذي هو اشدد او دعاء بلفظ النهي وقد حمل اللام في ليضلوا على التعليل على انهم جعلوا نعمة الله سببا في الضلال فكانهم اوتوها ليضلوا وقوله فلا يومنوا عطف على ليضلوا وقوله ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم دعاء معترض بين المعطوف والمعطوف عليه ... واطمس بضم الميم **قال قد أجيبت دعوتكما** قرئ دعواتكما قيل كان موسى يدعو وهرون يؤمن ويجوز ان يكونا جميعا يدعوان والمعنى ان دعاكما مستجاب وما طلبتما كائن ولكن في وقته **فاستقيما** فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزيادة في الزام الحجة فقد لبث نوح في قومه الف عام الا قليلا ولا تستعجلا قال ابن جريج فمكث موسى بعد الدعاء اربعين سنة **ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون** اي لا تتبعا طريق الجهلة بعادة الله في تعليق الامور بالمصالح ولا تعجلا فان العجلة ليست بمصلحة وهذا كما قال لنوح عليه السلام اني اعظك ان تكون من الجاهلين وقرئ ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين تشبيها بنون التثنية وبتخفيف التاء من تبع **وجاوزنا ببني إسرائيل البحر** وقرأ الحسن وجوزنا من اجاز المكان وجاوزه وجوزه وليس من جوز الذي في بيت الاعشى ~ واذا تجوزها حبال قبيلة ~ لانه لو كان منه لكان حقه ان يقال وجوزنا بني اسرائيل في البحر كما قال ~ كما جوز السكي في الباب فيتق ~ **فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين** فاتبعهم فلحقهم يقال تبعته حتى اتبعته وقرأ الحسن وعدوا وقرئ انه بالفتح على حذف الباء التي هي صلة الايمان وانه بالكسر على الاستئناف بدلا من امنت كرر المخذول المعنى الواحد ثلاث مرات في ثلاث عبارات حرصا على القبول ثم لم يقبل حيث اخطا وقته وقاله حين لم يبق له اختيار قط وكانت

المرة الواحدة كافية في حال الاختيار وعند بقاء التكليف **آلآن وقد عصيت من قبل** اتومن الساعة في وقت الاضطرار حين ادركك الغرق وايست من نفسك قيل ذلك قيل الجمه الغرق يعني حين اوشك ان يغرق قيل قاله بعد ان غرق في نفسه والذي يحكى انه حين قال امنت اخذ جبريل من حال البحر فدسه في فيه فللغضب لله على الكافر في وقت قد علم ان ايمانه لا ينفعه واما ما يضم اليه من قولهم خشية ان تدركه رحمة الله فمن زيادات الباهتين لله وملائكته وفيه جهالتان احداهما ان الايمان يصح بالقلب كايمان الاخرس فحال البحر لا يمنعه والاخرى ان من كره ايمان الكافر واحب بقاءه على الكفر فهو كافر لان الرضا بالكفر كفر **وكنت من المفسدين** من الضالين المضلين عن الايمان كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون ويروى ان جبريل اتاه بفتيا ما قول الامير في عبد لرجل نشا في ماله ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فرعون فيه يقول ابو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعماه ان يغرق في البحر فلما الجمه الغرق ناوله جبريل عليه السلام خطه فعرفه **فاليوم ننجيك** ننقذك مما وقع فيه قومك من قعر البحر وقيل نلقيك بنجوة من الارض وقرئ ننحيك بالحاء نلقيك بناحية مما يلي البحر وذلك انه طرح بعد الغرق بجانب من جوانب البحر قال كعب رماه الماء الى الساحل كانه ثور **ببدنك** في موضع الحال اي في الحال التي لا روح فيك وانما انت بدن او ببدنك كاملا سويا لم ينقص منه شي ولم يتغير او عريانا لست الا بدنا من غير لباس او بدرعك قال عمرو بن معدي كرب

أعاذل شكتي بدني وسيفي ... وكل مقلص سلس القياد

وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرأ ابو حنيفة رحمه الله بابدانك وهو على وجهين اما ان يكون مثل قولهم هوى باجرامه يعني ببدنك كله وافيا باجزائه او يريد بدروعك كانه كان مظاهرا بينها **لتكون لمن خلفك آية** لمن وراءك من الناس علامة وهم بنو اسرائيل وكان في انفسهم ان فرعون اعظم شانا من ان يغرق وروي انهم قالوا ما مات فرعون ولا يموت ابدا وقيل اخبرهم موسى عليه السلام بهلاكه فلم يصدقوه فالقاه الله على الساحل حتى عاينوه وكان مطرحه على ممر من بني اسرائيل حتى قيل لمن خلفك اية وقيل لمن ياتي بعدك من القرون ومعنى كونه اية ان تظهر للناس عبوديته ومهانته وان ما كان يدعيه من الربوبية باطل محال وانه مع ما كان فيه من عظم الشان وكبريا الملك آل امره الى ما ترون لعصيانه ربه فما الظن بغيره او لتكون عبرة تعتبر بها الامم فلا يجترئوا على نحو ما اجترات عليه اذا سمعوا بحالك وبهوانك على الله عز وجل وقرئ لمن خلقك بالقاف اي لتكون لخالقك اية كسائر اياته ويجوز ان يراد ليكون طرحك على الساحل وحدك وتمييزك من بين المغرقين لئلا يشتبه على الناس امرك ولئلا يقولوا لادعائك العظمة ان مثله لا يغرق ولا يموت اية من ايات الله التي لا يقدر عليها غيره وليعلموا ان ذلك تعمد منه لاماطة الشبهة في امرك **ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم إن ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون** مبوأ صدق منزلا صالحا مرضيا وهو مصر والشام فما اختلفوا في دينهم وما تشعبوا فيه شعبا الا من بعد ما قرؤا التورية وكسبوا العلم بدين الحق لزمهم الثبات عليه واتحاد الكلمة وعلموا ان الاختلاف فيه تفرق عنه وقيل هو العلم بمحمد صلى الله عليه وسلم واختلاف بني اسرائيل وهم اهل الكتاب اختلافهم في صفته ونعته وانه هو ام ليس به بعد ما جاءهم العلم والبينات انه هو لم يرتابوا فيه كما قال الله تعالى الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم **فإن قلت** كيف قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم **فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك** مع قوله للكفرة وانهم لفي شك منه مريب **قلت** فرق عظيم بين قوله وانهم لفي شك منه مريب باثبات الشك لهم على سبيل التاكيد والتحقيق وبين قوله فان كنت في شك بمعنى الفرض والتمثيل كانه قيل فان وقع لك شك مثلا وخيل لك الشيطان خيالا منه تقديرا **فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك** والمعنى ان الله عز وجل قدم ذكر بني اسرائيل وهم قراء الكتاب ووصفهم بان العلم قد جاءهم لان امر رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوب عندهم في التورية والانجيل وهم يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فاراد ان يوكد علمهم بصحة القران وصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ويبالغ في ذلك فقال فان وقع لك شك فرضا وتقديرا وسبيل من خالجته شبهة في الدين ان يسارع الى حلها واماطتها اما بالرجوع الى قوانين الدين وادلته واما بمقادحة العلماء المنبهين على الحق فاسال علماء اهل الكتاب يعني انهم من الاحاطة بصحة ما انزل اليك بحيث يصلحون لمراجعة مثلك ومسائلتهم فضلا عن غيرك فالغرض وصف الاحبار بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشك فيه ثم قال **لقد جاءك الحق من ربك** اي ثبت عندك بالايات والبراهين القاطعة ان ما اتاك هو الحق الذي لا مدخل فيه للمرية **فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين** اي فاثبت ودم على ما انت عليه من انتفاء المرية عنك والتكذيب بايات الله ويجوز ان يكون على طريقة التهييج والالهاب كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن ايات الله بعد اذ انزلت اليك ولزيادة التثبيت والعصمة ولذلك قال عليه

السلام عند نزوله ولا اشك ولا اسأل بل اشهد انه الحق وعن ابن عباس لا والله ما شك طرفة عين ولا سأل احدا منهم وقيل خوطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمراد خطاب امته ومعناه فان كنتم في شك مما انزلنا اليكم كقوله وانزلنا اليكم نورا مبينا وقيل الخطاب للسامع ممن يجوز عليه الشك كقول العرب اذا عز اخوك فهن وقيل ان للنفي اي فما كنت في شك فسل يعني لا نامرك بالسؤال لانك شاك ولكن لتزداد يقينا كما ازداد ابراهيم بمعاينة احياء الموتى وقرئ فاسأل الذين يقرؤون الكتب ان الذين حقت عليهم كلمت ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم حقت عليهم كلمة ربك ثبت عليهم قول الله الذي كتبه في اللوح واخبر به الملائكة انهم يموتون كفارا فلا يكون غيره وتلك كتابة معلوم لا كتابة مقدور ومراد تعالى الله عن ذلك فلولا كانت قرية آمنت فهلا كانت قرية واحدة من القرى التي اهلكناها تابت عن الكفر واخلصت الايمان قبل المعاينة ولم تؤخر كما اخر فرعون الى ان اخذ بمخنقه فنفعها ايمانها بان يقبله الله منها لوقوعه في وقت الاختيار وقرأ أبي وعبد الله فهلا كانت الا قوم يونس استثناء من القرى لان المراد اهاليها وهو استثناء منقطع بمعنى ولكن قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ومتعناهم الى حين ويجوز ان يكون متصلا والجملة في معنى النفي كانه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة الا قوم يونس وانتصابه على اصل الاستثناء وقرئ بالرفع على البدل هكذا روي عن الجرمي والكسائي وروي ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من ارض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا اربعين ليلة وقيل قال لهم يونس ان اجلكم اربعون ليلة فقالوا ان راينا اسباب الهلاك آمنا بك فلما مضت خمس وثلاثون اغامت السماء غيما اسود هائلا يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم وتسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب واولادها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واظهروا الايمان والتوبة وتضرعوا فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم حتى ان الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه اساس بنيانه فيرده وقيل خرجوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا اله الا انت فقالوها فكشف عنهم وعن الفضيل بن عياض قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم منها واجل افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله ولو شاء ربك مشيئة القسر والالجاء لآمن من في الارض كلهم على وجه الاحاطة والشمول جميعا مجتمعين على الايمان مطبقين عليه لا يختلفون فيه الا ترى الى قوله أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين يعني انما يقدر على اكراههم واضطرارهم الى الايمان هو لا انت وايلاء الاسم حرف الاستفهام للاعلام بان الاكراه ممكن مقدور عليه وانما الشان في المكره من هو وما هو الا هو وحده لا يشارك فيه لانه هو القادر على ان يفعل في قلوبهم ما يضطرون عنده الى الايمان وذلك غير مستطاع للبشر وما كان لنفس يعني من النفوس التي علم انها تؤمن ان تؤمن الا باذن الله اي بتسهيله وهو منح الالطاف ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون قابل الاذن بالرجس وهو الخذلان والنفس المعلوم ايمانها بالذين لا يعقلون وهم المصرون على الكفر كقوله صم بكم عمي فهم لا يعقلون وسمي الخذلان رجسا وهو العذاب لانه سببه وقرئ الرجز بالزاي ونجعل بالنون قل انظروا ماذا في السموات والارض من الآيات والعبر وما تغني الآيات والنذر والرسل المنذرون او الانذارات عن قوم لا يؤمنون لا يتوقع ايمانهم وهم الذين لا يعقلون وقرئ وما يغني بالياء وما نافية او استفهامية فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم وقائع الله فيهم كما يقال ايام العرب لوقائعها قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين ثم ننجي رسلنا معطوف على كلام محذوف يدل عليه قوله الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا على حكاية الاحوال الماضية والذين آمنوا ومن آمن معهم كذلك حقا علينا ننج المؤمنين مثل ذلك الانجاء ننجي المؤمنين منكم ونهلك المشركين وحقا علينا اعتراض يعني حق ذلك علينا حقا وقرئ ننجي بالتشديد قل يا ايها الناس يا اهل مكة ان كنتم في شك من ديني فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ان كنتم في شك من ديني وصحته وسداده فهذا ديني فاستمعوا وصفه واعرضوه على عقولكم وانظروا فيه بعين الانصاف لتعلموا انه دين لا مدخل فيه للشك وهو اني لا اعبد الحجارة التي تعبدونها من دون من هو الهكم وخالقكم ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم وانما وصفه بالتوفي ليريهم انه الحقيق بان يخاف ويتقى فيعبد دون ما لا يقدر على شيء وأمرت ان اكون من المؤمنين يعني ان الله امرني بذلك بما ركب في من العقل وبما اوحى الي في كتابه وقيل معناه ان كنتم في شك من ديني ومما انا عليه اثبت عليه ام اتركه واوافقكم فلا تحدثوا انفسكم بالمحال ولا تشكوا في امري واقطعوا عني اطماعكم واعلموا اني لا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولا اختار الضلالة على الهدى كقوله قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون وأمرت ان اكون اصله بان اكون فحذف الجار وهذا الحذف يحتمل ان يكون من الحذف المطرد الذي هو حذف الحروف الجارة مع ان وان وان يكون من الحذف غير المطرد وهو قوله امرتك الخير فاصدع بما تؤمر وان اقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين **فان قلت** عطف قوله وان اقم على ان اكون فيه اشكال لان ان لا تخلو من ان تكون التي للعبارة

او التي تكون

او التي تكون مع الفعل في تأويل المصدر فلا يصح ان تكون للعبارة وان كان الامر مما يتضمن معنى القول لان عطفها على الموصول يأبى ذلك والقول بكونها موصولة مثل الاولى لا يساعد عليه لفظ الامر وهو اقم لان الصلة حقها ان تكون جملة تحتمل الصدق والكذب **قلت** قد سوغ سيبويه ان توصل ان بالامر والنهي وشبه ذلك بقولهم انت الذي تفعل على الخطاب لان الغرض وصلها بما تكون معه في معنى المصدر والامر والنهي دالان على المصدر دلالة غيرهما من الافعال اقم وجهك استقم اليه ولا تلتفت يمينا ولا شمالا وحنيفا حال من الدين او من الوجه ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت معناه فان دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكنى عنه بالفعل ايجازا فانك اذا من الظالمين اذا جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر كان سائلا سأل عن تبعة عبادة الاوثان وجعل من الظالمين لانه لا ظلم اعظم من الشرك ان الشرك لظلم عظيم وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله اتبع النهي عن عبادة الاوثان ووصفها بانها لا تنفع ولا تضر ان الله عز وجل هو الضار النافع الذي ان اصابك بضر لم يقدر على كشفه الا هو وحده دون كل احد فكيف بالجماد الذي لا شعور به وكذلك ان اراد بك خيرا لم يرد احد ما يريده بك من فضله واحسانه فكيف بالاوثان فهو الحقيق اذا بان توجه اليه العبادة دونها وهو ابلغ من قوله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته **فان قلت** لم ذكر المس في احدهما والارادة في الثاني **قلت** كانه اراد ان يذكر الامرين جميعا الارادة والاصابة في كل واحد من الضر والخير وانه لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فاوجز الكلام بان ذكر المس وهو الاصابة في احدهما والارادة في الآخر ليدل بما ذكر على ما ترك على انه قد ذكر الاصابة بالخير في قوله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم والمراد بالمشيئة مشيئة المصلحة قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فلم يبق لكم عذر ولا على الله حجة فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه فمن اختار الهدى واتباع الحق فما نفع باختياره الا نفسه ومن ضل فانما يضل عليها ومن آثر الضلال فما ضر الا نفسه واللام وعلى دلا على معنى النفع والضرر وكل اليهم الامر بعد ابانة الحق وازاحة العلل وفيه حث على ايثار الهدى واطراح الضلال مع ذلك وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الي امركم وحملكم على ما اريد انما انا بشير ونذير واتبع ما يوحى اليك واصبر على دعوتهم واحتمال اذاهم واعراضهم حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين حتى يحكم الله لك بالنصرة عليهم والغلبة وروي انه لما نزلت جمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الانصار فقال انكم ستجدون بعدي اثرة فاصبروا حتى تلقوني يعني اني امرت في هذه الآية بالصبر على ما سامتني الكفرة فصبرت فاصبروا انتم على ما يسومكم الامراء الجورة قال انس فلم نصبر وروي ان ابا قتادة رضي الله عنه تخلف عن تلقي معاوية حين قدم المدينة وقد تلقته الانصار ثم دخل عليه فقال ما لك لم تتلقنا قال لم يكن عندنا دواب قال فاين النواضح قال قطعناها في طلبك وطلب ابيك يوم بدر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا معشر الانصار ستلقون بعدي اثرة قال معاوية فماذا قال قال فاصبروا حتى تلقوني قال فاصبر قال اذن نصبر فقال عبد الرحمن بن حسان

الا ابلغ معاوية بن حرب ۞ امير الظالمين نثا كلامي
بانا صابرون فمنظروكم ۞ الى يوم التغابن والخصام

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة يونس اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون

سورة هود عليه السلام مكية وهي مائة وثلاث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب احكمت آياته نظمت نظما رصينا محكما لا يقع فيه نقض ولا خلل كالبناء المحكم المرصف وقيل منعت من الفساد ويجوز ان يكون نقلا بالهمزة من حكم بضم الكاف اذا صار حكيما اي جعلت حكيمة كقوله آيات الكتاب الحكيم وقيل منعت من الفساد من قولهم احكمت الدابة اذا وضعت عليها الحكمة قال جرير

ابني حنيفة احكموا سفهاءكم ۞ اني اخاف عليكم ان اغضبا

وعن قتادة احكمت من الباطل ثم فصلت كما تفصل القلائد بالفرائد من دلائل التوحيد والاحكام والمواعظ والقصص او جعلت فصولا سورة سورة وآية آية او فرقت في التنزيل ولم تنزل جملة واحدة او فصل فيها ما يحتاج اليه العباد اي بين ولخص وقرئ احكمت آياته ثم فصلت اي احكمتها انا ثم فصلتها وعن عكرمة والضحاك ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل **فان قلت** ما معنى ثم **قلت** ليس معناها التراخي في الوقت ولكن في الحال كما تقول هي محكمة احسن الاحكام ثم مفصلة احسن التفصيل وفلان كريم الاصل ثم كريم الفعل وكتاب خبر مبتدأ محذوف واحكمت صفة له وقوله

من لدن حكيم خبير صفة ثانية ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر وان يكون صلة لاحكمت وفصلت اي من عنده احكامها
وتفصيلها وفيه طباق حسن لان المعنى احكمها حكيم وفصلها اي بينها وشرحها خبير عالم بكيفيات الامور ألا تعبدوا
إلا الله مفعول له على معنى لان لا تعبدوا او تكون ان مفسرة لان في تفصيل الايات معنى القول كانه قيل قال لا تعبدوا الا
الله او امركم ان لا تعبدوا الا الله إنني لكم منه نذير وبشير ٥ وأن استغفروا ربكم اي امركم بالتوحيد
والاستغفار ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ منقطعا عما قبله على لسان النبي صلى الله عليه واله وسلم اغراء منه على اختصاص الله
عز وجل بالعبادة ويدل عليه قوله انني لكم منه نذير وبشير كانه قال ترك عبادة غير الله انني لكم منه نذير كقوله تعالى
فضرب الرقاب والضمير في منه لله عز وجل اي انني لكم نذير وبشير من جهته كقوله رسول من الله او هي صلة لنذير
اي انذركم منه ومن عذابه ان كفرتم وابشركم بثوابه ان امنتم فان قلت ما معنى ثم في قوله ثم توبوا إليه
قلت معناه استغفروا من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة او استغفروا والاستغفار توبة ثم اخلصوا التوبة
واستقيموا عليها كقوله ثم استقاموا يمتعكم متاعا حسنا بطول نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضية من
عيشة واسعة ونعمة متتابعة إلى أجل مسمى الى ان يتوفاكم كقوله فلنحيينه حياة طيبة ويؤت كل ذي
فضل فضله ويعط في الاخرة كل من كان له فضل في العمل وزيادة فيه جزاء فضله لا يبخس منه او فضله في الثواب
والدرجات تتفاضل في الجنة على قدر تفاضل الطاعات وإن تولوا وان تتولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير
إلى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير ٥ عذاب يوم كبير هو يوم القيامة وصف بالكبر كما وصف بالعظم والثقل
وبين عذاب اليوم الكبير بان مرجعهم الى من هو قادر على كل شيء وكان قادرا على اشد ما اراد من عذابهم لا يعجزه وقرئ
فان تولوا من ولي ألا إنهم يثنون صدورهم يزورون عن الحق وينحرفون عنه لان من اقبل على الشيء استقبله بصدره
ومن ازور عنه وانحرف ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه ليستخفوا منه يعني ويريدون ليستخفوا من الله فلا يطلع
رسوله والمؤمنين على ازورارهم ونظير اضمار يريدون لعود المعنى الى اضماره الاضمار في قوله تعالى اضرب بعصاك
البحر فانفلق معناه فضرب فانفلق ومعنى ألا حين يستغشون ثيابهم ويريدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم
كراهة لاستماع كلام الله كقول نوح عليه السلام جعلوا اصابعهم في اذانهم واستغشوا ثيابهم ثم قال يعلم ما
يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور ٥ يعني انه لا تفاوت في علمه بين اسرارهم واعلانهم فلا وجه لتوصلهم الى ما
يريدون من الاستخفاء والله مطلع على ثنيهم صدورهم واستغشائهم ثيابهم ونفاقهم غير نافق عنده وروي انها نزلت
في الاخنس بن شريق وكان يظهر لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم المحبة وله منطق حلو وحسن سياق للحديث فكان
يعجب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم مجالسته ومحادثته وهو يضمر خلاف ما يظهر وقيل نزلت في المنافقين وقرئ تثنوني
صدورهم واثنوني افعوعل من الثني كاحلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة قرئ بالتاء والياء وعن ابن عباس لتثنوني
وقرئ تثنون واصله تثنونن تفعوعل من الثن وهو ما هش وضعف من الكلا يريد مطاوعة صدورهم للثني
كما يثني الهش من النبات او اراد ضعف ايمانهم ومرض قلوبهم وقرئ تثنان من اثنان افعال منه ثم همز كما
قيل ابياضت وادهامت وقرئ تثنوي بوزن ترعوي وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها
ويعلم مستقرها ومستودعها فان قلت كيف قال على الله رزقها بلفظ الوجوب وانما هو تفضل قلت هو تفضل الا انه لما
ضمن ان يتفضل عليهم رجع التفضل واجبا كنذور العباد والمستقر مكانه من الارض ومسكنه والمستودع حيث
كان مودعا قبل الاستقرار من صلب او رحم او بيضة كل في كتاب مبين ٥ كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها
ومستودعها في اللوح يعني ذكرها مكتوب فيه مبين وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان
عرشه على الماء اي ما كان تحته خلق قبل خلق السموات والارض وارتفاعه فوقها الا الماء وفيه دليل على ان العرش والماء
كانا مخلوقين قبل السموات والارض وقيل كان الماء على متن الريح والله اعلم بذلك وكيف ما كان فالله ممسك
كل ذلك بقدرته وكلما ازدادت الاجرام كانت احوج اليه والى امساكه ليبلوكم متعلق بخلق اي خلقهن لحكمة
بالغة وهي ان يجعلها مساكن لعباده وينعم عليهم فيها بفنون النعم ويكلفهم الطاعات واجتناب المعاصي فمن شكر واطاع
اثابه ومن كفر وعصى عاقبه ولما اشبه ذلك اختبار المختبر قال ليبلوكم يريد ليفعل بكم ما يفعل المبتلي لاحوالكم كيف
تعملون فان قلت كيف جاز تعليق فعل البلوى قلت لما في الاختبار من معنى العلم لانه طريق اليه فهو ملابس له كما تقول
انظر ايهم احسن وجها واسمع ايهم احسن صوتا لان النظر والاستماع من طرق العلم فان قلت كيف قيل أيكم
أحسن عملا واعمال المؤمنين هي التي تتفاوت الى حسن واحسن فاما اعمال المؤمنين والكافرين فتفاوتها الى حسن وقبيح
قلت الذين هم احسن عملا هم المتقون وهم الذين استبقوا الى تحصيل ما هو غرض الله من عباده فخصهم بالذكر واطرح
ذكر من وراءهم تشريفا لهم وتنبيها على مكانهم منه وليكون ذلك لطفا للسامعين وترغيبا في حيازة فضلهم وعن النبي صلى الله

سورة هود عليه السلام

عليه واله وسلم ليبلوكم ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله ولئن قلت إنكم مبعوثون من
بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين ٥ وقرئ ولئن قلت انكم مبعوثون بفتح الهمزة ووجهه ان
يكون من قولهم ائت السوق انك تشتري لنا لحما وانك تشتري بمعنى لعلك اي ولئن قلت لعلهم مبعوثون بمعنى توقع
بعثكم وظنوه ولا تبتوا القول بانكاره لقالوا ان هذا الاسحر مبين يبتون القول ببطلانه كبطلان السحر تشبيها
له به او اشارة بهذا الى القران لان القران هو الناطق بالبعث فاذا جعلوه سحرا فقد اندرج تحته انكار ما فيه
من البعث وغيره وقرئ ان هذا الا ساحر يريدون الرسول صلى الله عليه واله وسلم والساحر كاذب مبطل ولئن أخرنا
عنهم العذاب عذاب الاخرة وقيل عذاب يوم بدر وعن ابن عباس قتل جبريل المستهزئين إلى أمة معدودة الى جماعة
من الاوقات ليقولن ما يحبسه ما يمنعه من النزول استعجالا له على وجه التكذيب والاستهزاء ألا يوم يأتيهم ليس
مصروفا عنهم ويوم يأتيهم منصوب بخبر ليس ويستدل به من يستجيز تقديم خبر ليس على ليس وذلك انه اذا جاز تقديم
معمول خبرها كان دليلا على جواز تقديم خبرها اذ المعمول تابع للعامل فلا يقع الاحيث يقع العامل وانما وضع يستهزءون
موضع يستعجلون لان استعجالهم كان على جهة الاستهزاء والمعنى وحاق بهم الا انه جاء على عادة الله في اخباره ولئن
أذقنا الإنسان للجنس منا رحمة نعمة من صحة وامن وجدة ثم نزعناها منه ثم سلبناه تلك النعمة إنه ليئوس شديد الياس
من ان تعود اليه مثل تلك النعمة المسلوبة قاطع رجاءه من سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه ولا استرجاع
كفور ٥ عظيم الكفران لما سلف له من التقلب في نعمة الله نساء له ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات
عني اي المصائب التي ساءتني إنه لفرح اشر بطر فخور ٥ على الناس بما اذاقه الله من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر
إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير ٥ الا الذين امنوا فان عادتهم ان نالتهم رحمة
ان يشكروا وان زالت عنهم نعمة ان يصبروا وكانوا يقترحون عليه ايات تعنتا لا استرشادا لانهم لو كانوا مسترشدين لكانت
اية واحدة مما جاء به كافية في رشادهم ومن اقتراحاتهم لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وكانوا لا يعتدون بالقران
ويتهاونون به وبغيره مما جاء به من البينات فكان يضيق صدر رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ان يلقي اليهم ما لا يقبلونه
ويضحكون منه فحرك الله منه وهيجه لاداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزائهم واقتراحهم بقوله فلعلك تارك
بعض ما يوحى إليك اي لعلك تترك ان تلقيه اليهم وتبلغه اياهم مخافة ردهم له وتهاونهم به وضائق به صدرك
ان تتلوه عليهم أن يقولوا مخافة ان يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك اي هلا انزل عليه ما اقترحنا نحن
من الكنز والملائكة ولم ينزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه ثم قال إنما أنت نذير اي ليس عليك الا ان تنذرهم بما اوحي اليك
وتبلغهم بتبليغه ولا عليك ردوا او تهاونوا او اقترحوا والله على كل شيء وكيل ٥ يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم
ما يجب ان يفعل فتوكل على الله وكل امرك اليه وعليك بتبليغ الوحي بقلب فسيح وصدر منشرح غير ملتفت الى
استكبارهم ولا مبال بسفههم واستهزائهم فان قلت لم عدل عن ضيق الى ضائق قلت ليدل على انه ضيق عارض
غير ثابت لان الرسول صلى الله عليه واله وسلم كان افسح الناس صدرا ومثله قولك زيد سيد وجواد تريد السيادة والجود
الثابتين المستقرين فاذا اردت الحدوث قلت سائد وجائد ونحوه كانوا قوما عامين في بعض القرات وقول
السمهري العكلي
بمنزلة اما اللئيم فسامن ٭ بها وكرام الناس بادٍ شحوبها
أم يقولون افتراه ام منقطعة والضمير في افتراه لما يوحى اليك قل فأتوا بعشر سور تحداهم اولا بعشر سور ثم
بسورة واحدة كما يقول المخابر في الخط لصاحبه اكتب عشرة اسطر نحو ما اكتب فاذا تبين له العجز عن مثل خطه قال
قد اقتصرت منك على سطر واحد مثله بمعنى امثاله ذهابا الى مماثلة كل واحدة منها له مفتريات صفة لعشر سور
لما قالوا افتريت القران واختلقته من عند نفسك وليس من عند الله فاودهم على دعواهم وارخى معهم العنان وقال
هبوا اني اختلقته من عند نفسي ولم يوح الي شيء وان الامر كما قلتم فاتوا انتم ايضا بكلام مثله مختلق من عند انفسكم
فانتم عرب فصحاء مثلي لا تعجزون عن مثل ما اقدر عليه من الكلام فان قلت كيف يكون ما ياتون به مثله وما ياتون
به مفترى وهذا غير مفترى قلت معناه مثله في حسن النظم والبيان وان كان مفترى وادعوا من استطعتم من
دون الله إن كنتم صادقين فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم
مسلمون ٥ فان قلت ما وجه جمع الخطاب بعد افراده وهو قوله لكم فاعلموا بعد قوله قل قلت معناه فان
لم يستجيبوا لك وللمؤمنين لان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم والمؤمنين كانوا يتحدونهم وقد قال في موضع اخر فان
لم يستجيبوا لك واعلم ويجوز ان يكون الجمع لتعظيم رسول الله صلى الله عليه واله وسلم كقوله
فان شئت حرمت النساء سواكم ووجه اخر وهو ان يكون الخطاب للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم
يعني فان لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله الى المظاهرة على معارضته لعلمهم بالعجز عنه وان طاقتهم اقصر من ان

وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون اي العذاب الذي كانوا به يستعجلون

تبليغه فاعلموا انما انزل بعلم الله اي انزل ملتبسا بما لا يعلمه الا الله من نظم معجز للخلق واخبار بغيوب لا سبيل لهم اليه واعلموا عند ذلك ان لا اله الا الله وحده وان توحيده واجب والاشراك به ظلم عظيم فهل انتم مسلمون متابعون
بالاسلام بعد هذه الحجة القاطعة وهذا اوجه حسن مطرد ومن جعل الخطاب للمسلمين فمعناه فاثبتوا على العلم الذي
انتم عليه وازدادوا يقينا وثبات قدم على انه منزل من عند الله وعلى التوحيد ومعنى فهل انتم مسلمون فهل انتم مخلصون
من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون نوف اليهم نوصل اليهم
اجور اعمالهم وافية كاملة من غير بخس في الدنيا وهو ما يرزقون فيها من الصحة والرزق قيل هم اهل الرياء يقال
للقراء منهم اردت ان يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك ولمن وصل الرحم وتصدق فعلت حتى يقال فقد قيل ولمن قاتل
فقتل قاتلت حتى يقال فلان جرئ فقد قيل وعن انس بن مالك هم اليهود والنصارى ان اعطوا سائلا او وصلوا رحما
عجل لهم جزاء ذلك بتوسعة في الرزق وصحة في البدن وقيل هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاسهم لهم في الغنائم وقرئ يوف اليهم بالياء على ان الفعل لله عز وجل ونوف اليهم اعمالهم بالبناء على البناء للمفعول
وفي قراءة الحسن نوفي بالتخفيف واثبات الياء لان الشرط وقع ماضيا كقوله ❊ يقول لا غائب مالي ولا حرم ❊
اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وحبط في الاخرة ما صنعوه او صنيعهم يعني لم يكن
له ثواب لانهم لم يريدوا به الاخرة وانما ارادوا به الدنيا وقد وفي اليهم ما ارادوا وباطل ما كانوا يعملون اي كان
عملهم في نفسه باطلا لانه لم يعمل لوجه صحيح والعمل الباطل لا ثواب له وقرئ وبطل على الفعل وعن عاصم وباطلا
بالنصب وفيه وجهان ان تكون ما ابهامية وينتصب بيعملون ومعناه وباطلا اي باطل كانوا يعملون وان تكون بمعنى
المصدر على وبطل بطلانا ما كانوا يعملون افمن كان على بينة معناه امن كان يريد الحيوة الدنيا فمن كان على بينة
اي لا يعقبونهم في المنزلة ولا يقاربونهم يريد ان بين الفريقين تفاوتا بعيدا وتباينا بينا واراد بهم من امن من
اليهود كعبد الله بن سلام وغيره كان على بينة من ربه اي على برهان من الله وبيان ان دين الاسلام حق وهو دليل العقل
ويتلوه ويتبع ذلك البرهان شاهد منه اي شاهد يشهد بصحته وهو القران منه اي من الله او شاهد من القران
فقد تقدم ذكره انفا ومن قبله ومن قبل القران كتاب موسى وهو التوراة اي ويتلو ذلك البرهان ايضا من قبل القران كتاب موسى
وقرئ كتاب موسى بالنصب ومعناه كان على بينة من ربه وهو الدليل على ان القران حق ويتلوه ويقرأ القران شاهد
منه شاهد ممن كان على بينة كقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده
علم الكتاب ومن قبله كتاب موسى ويتلو من قبل القران التوراة اماما كتابا مؤتما به في الدين قدوة فيه ورحمة ونعمة
عظيمة على المنزل اليهم اولئك يعني من كان على بينة يؤمنون به يؤمنون بالقران ومن يكفر به من الاحزاب من اهل
مكة ومن ضامهم من المتحزبين على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالنار موعده فلا تك في مرية وقرئ مرية
بالضم وهما الشك منه من القران او من الموعد انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون ومن اظلم ممن افترى على
الله كذبا اولئك يعرضون على ربهم يحبسون في الموقف ويعرض عليهم اعمالهم ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على
ربهم ويشهد عليهم الاشهاد من الملائكة والنبيين بانهم الكذابون على الله بانه اتخذ ولدا وشريكا ويقال الا لعنة الله على
الظالمين تواخزيا وافضحتاه والاشهاد جمع شاهد او جمع شهيد كاصحاب واشراف الذين يصدون عن سبيل
الله ويبغونها عوجا يصفونها بالاعوجاج وهي مستقيمة او يبغون اهلها ان يعوجوا بالارتداد وهم بالاخرة هم كافرون
وهم الثانية لتاكيد كفرهم بالاخرة واختصاصهم اولئك لم يكونوا معجزين في الارض اي ما كانوا يعجزون الله في الدنيا
ان يعاقبهم لو اراد عقابهم وما كان لهم من دون الله من اولياء وما كان لهم من يتولاهم فينصرهم منه ويمنعهم من عقابه
ولكنه اراد انظارهم وتاخير عقابهم الى هذا اليوم وهو من كلام الاشهاد يضاعف لهم العذاب وقرئ يضعف ما كانوا
يستطيعون السمع اي انهم لفرط تصامهم عن استماع الحق وكراهتهم له كانهم لا يستطيعون السمع هذا كلام لا استطيع ان
اسمعه وهذا اسلوب سمعي ويحتمل ان يريد بقوله وما كان لهم من اولياء انه بين نفي كونهم اولياء بقوله ما كانوا يستطيعون
وما كانوا يبصرون فكيف يصلحون للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض بوعيد اولئك الذين خسروا انفسهم
اشتروا عبادة الالهة بعبادة الله فكان خسرانهم في تجارتهم ما لا خسران اعظم منه وهو انهم خسروا انفسهم وضل
عنهم وبطل عنهم وضاع ما اشتروه وهو ما كانوا يفترون من الالهة وشفاعتها لا جرم فيه ثلاثة اوجه احدها انهم في الاخرة
هم الاخسرون لا ترى احدا ابين خسرانا منهم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اولئك
اصحاب الجنة هم فيها خالدون واخبتوا الى ربهم واطمأنوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخشوع والتواضع من الخبت
وهي الارض المطمئنة ومنه قولهم للشيء الدني الخبيت ❊
❊ ينفع الطيب القليل من الرزق ❊ ولا ينفع الكثير الخبيث ❊

وقيل للتابعين انه ان لنا مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع شبه فريق الكافرين بالاعمى والاصم
وفريق المؤمنين بالبصير والسميع وهو من اللف والطباق وفيه معنيان ان تشبه الفريقين تشبيهين اثنين كما شبه
امرؤ القيس قلوب الطير بالحشف والعناب وان يشبه بالذي جمع بين العمى والصمم او الذي جمع بين البصر والسمع
على ان تكون الواو في والاصم وفي والسميع لعطف الصفة على الصفة كقوله ❊ الصابح فالغانم فالايب ❊ هل يستويان
يعني الفريقين مثلا تشبيها افلا تذكرون ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير مبين اي ارسلنا نوحا باني
لكم نذير مبين ومعناه ارسلناه ملتبسا بهذا الكلام وهو قوله اني لكم نذير مبين بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما
فتح في كان والمعنى على الكسر وهو قولك ان زيدا كالاسد وقرئ بالكسر على ارادة القول ان لا تعبدوا الا الله بدل
من اني لكم نذير اي ارسلناه ان لا تعبدوا الا الله او تكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير اني اخاف عليكم عذاب
يوم اليم وصف اليوم باليم من الاسناد المجازي لوقوع الالم فيه فان قلت فاذا وصف به العذاب قلت مجازي
مثله لان الاليم في الحقيقة هو المعذب ونظيرهما قولك نهارك صائم وجد جده فقال الملأ الذين كفروا من قومه
الملأ الاشراف من قولهم فلان ملئ بكذا اذا كان مطيقا له وقد ملؤ بالامر لانهم ملؤا بكفايات الامور واضطلعوا
بها وبتدبيرها او لانهم متمالون اي متظاهرون ومتساندون او لانهم يملؤن القلوب هيبة والمجالس ابهة او لانهم
ملاء بالاحلام والاراء الصائبة ما نراك الا بشرا مثلنا تعريض بانهم احق منه بالنبوة وان الله لو اراد ان يجعلها في احد
من البشر لجعلها فيهم فقالوا هب انك واحد من الملأ وموازيهم في المنزلة فما جعلك احق منهم الا ترى الى قولهم وما
نرى لكم علينا من فضل او ارادوا انه كان ينبغي ان يكون ملكا لا بشرا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا والاراذل
جمع ارذل كقوله اكابر مجرميها احاسنكم اخلاقا بادي الرأي قرئ بادي الراي بالهمزة وغير الهمزة بمعنى اتبعوك
اول الراي او ظاهر الراي واشتقاقه على الطرف اصله وقت حدوث اول رأيهم او وقت ظاهر رأيهم فحذف ذلك
واقيم المضاف اليه مقامه ارادوا ان اتباعهم لك انما هو شيء عن لهم بديهة من غير روية ونظر وانما استرذلوا
المؤمنين لفقرهم وتاخرهم في الاسباب الدنيوية لانهم كانوا جهالا ما كانوا يعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا
وكان الاشراف عندهم من له جاه ومال كما ترى اكثر المتسمين بالاسلام يعتقدون ذلك ويبنون عليه اكرامهم
واهانتهم ولقد زل عنهم ان التقدم في الدنيا لا يقرب احدا من الله وانما يبعده ولا يرفعه بل يضعه فضلا ان يجعله
سببا في الاختيار للنبوة والتاهيل لها على ان الانبياء عليهم السلام بعثوا مرغبين في طلب الاخرة ورفض الدنيا مزهدين
فيها مصغرين لشانها فما احلد اليها فما ابعد حالهم من الاتصاف بما يبعد من الله والتشرف بما هو ضعة عند الله وما
نرى لكم علينا من فضل من زيادة شرف علينا يؤهلكم للنبوة بل نظنكم كاذبين فيما تدعونه قال يا قوم
ارأيتم اخبروني ان كنت على بينة على برهان من ربي وشاهد منه يشهد بصحة دعواي واتاني رحمة من عنده
بايتاء البينة على ان البينة في نفسها هي الرحمة ويجوز ان يريد بالبينة المعجزة وبالرحمة النبوة فان قلت
فقوله فعميت عليكم ظاهر على الوجه الاول فما وجهه على الوجه الثاني وحقه ان يقال فعميتا قلت الوجه ان
يقدر فعميت بعد البينة وان يكون حذفه للاقتصار على ذكره مرة ومعنى عميت خفيت وقرئ فعميت بمعنى اخفيت
وفي قراءة ابي فعماها عليكم فان قلت فما حقيقته قلت حقيقته ان الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عمياء
لان الاعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره فمعنى فعميت عليكم البينة فلم تهدكم كما لو عمي على القوم دليلهم في المفازة
بقوا بغير هاد فان قلت فما معنى قراءة ابي قلت المعنى انهم صمموا على الاعراض عنها فخلاهم الله وتصميمهم
فجعلت تلك التخلية تعمية منه والدليل عليه قوله انلزمكموها وانتم لها كارهون يعني انكرهكم على قبولها
ونقسركم على الاهتداء بها وانتم تكرهونها ولا تختارونها ولا اكراه في الدين وقد جيء بضميري المفعولين متصلين
جميعا ويجوز ان يكون الثاني منفصلا كقولك انلزمكم اياها ونحوه فسيكفيكهم الله ويجوز فسيكفيك اياهم
وحكي عن ابي عمرو اسكان الميم ووجهه ان الحركة لم تكن الا خلسة خفيفة فظنها الراوي سكونا والاسكان الصريح
لحن عند الخليل وسيبويه وحذاق البصريين لان الحركة الاعرابية لا يسوغ طرحها الا في ضرورة الشعر ويا قوم
لا اسألكم عليه مالا ان اجري الا على الله والضمير في قوله لا اسالكم راجع الى قوله اني لكم نذير مبين الا تعبدوا
الا الله وما انا بطارد الذين امنوا وقرئ وما انا بطارد الذين امنوا بالتنوين على الاصل فان قلت
ما معنى قوله انهم ملاقوا ربهم قلت معناه انهم يلاقون الله فيعاقب من طردهم او يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم
من ايمان صحيح ثابت كما ظهر لي منهم وما اعرف غيره منهم او على خلاف ذلك مما تقذفونهم به من بناء ايمانهم على بادي الراي
من غير نظر وتفكر وما علي ان اشق عن قلوبهم واتعرف سر ذلك منهم حتى اطردهم ان كان الامر كما تزعمون
ونحوه ولا تطرد الذين يدعون ربهم الاية او هم مصدقون بلقاء ربهم موقنون به عالمون انهم ملاقوه لا محالة ولكني

أراكم قوما تجهلون تسافهون على المؤمنين وتدعونهم اراذل من قوله ألا لا يجهلن احد علينا أو تجهلون
لقاء ربكم او تجهلون انهم خير منكم ويا قوم من ينصرني من الله من يمنعني من انتقامه إن طردتهم أفلا تذكرون
وكانوا يسألونه ان يطردهم ليؤمنوا به انفة من ان يكونوا معهم على سواء ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم
الغيب معطوف على عندي خزائن الله اي لا اقول عندي خزائن الله ولا اقول انا اعلم الغيب ومعناه لا اقول لكم عندي خزائن
الله فادعي فضلا عليكم في الغنى حتى تجحدوا فضلي لقولكم وما نرى لكم علينا من فضل ولا ادعي علم الغيب حتى تنسبوني الى
الكذب في الافتراء او حتى اطلع على ما في نفوس اتباعي وضمائر قلوبهم ولا أقول إني ملك حتى تقولوا لي ما انت الا بشر مثلنا
ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا ولا احكم على من استرذلتم من المؤمنين لفقرهم ان الله لن يؤتيهم
خيرا في الدنيا والآخرة تهوانهم عليه كما تقولون مساعدة لكم ونزولا على هواكم الله أعلم بما في أنفسهم إني إذا لمن
الظالمين ان قلت شيئا من ذلك والازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه وازرى به قصر به يقال ازدرته عينه
واقتحمته عينه قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا معناه اردت جدالنا وشرعت فيه فاكثرته
كقولك جاد فلان فاكثر واطاب فأتنا بما تعدنا من العذاب المعجل إن كنت من الصادقين قال إنما
يأتيكم به الله ليس الاتيان بالعذاب الي انما هو الى من كفرتم به وعصيتموه إن شاء يعني ان اقتضت حكمته ان
يعجله لكم وقرأ ابن عباس فأكثرت جدلنا وما أنتم بمعجزين ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم
إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون فإن قلت ما وجه ترادف هذين الشرطين
قلت قوله ان كان الله يريد ان يغويكم جزاؤه ما دل عليه قوله لا ينفعكم نصحي وهذا الدال في حكم ما دل عليه فوصل
بشرط كما وصل الجزاء بالشرط في قولك ان احسنت الي احسنت اليك ان امكنني فإن قلت فما قوله ان كان الله
يريد ان يغويكم قلت اذا عرف الله من الكافر الاصرار فخلاه وشأنه ولم يلجئه سمي ذلك اغواء واضلالا كما انه اذا
عرف منه انه يتوب ويرعوي فلطف به سمي ارشادا وهداية وقيل ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم
فهلك ومعناه انكم اذا كنتم من التصميم على الكفر بالمنزلة التي لا ينفعكم نصائح الله ومواعظه وسائر الطافه
كيف ينفعكم نصحي أم يقولون افتراه قل إن افتريته فعلي إجرامي وأنا بريء مما تجرمون فعلي اجرامي واجرامي
بلفظ المصدر والجمع كقوله والله يعلم اسرارهم واسرارهم ونحو جرم واجرام قفل واقفال ونصرها قسره
الاذلون بالماضي والمعنى ان صح وثبت اني افتريته فعلي عقوبة اجرامي اي افترائي وكان حقي حينئذ ان تعرضوا
عني وتتألبوا علي وانا بريء ولم يثبت ذلك وانا بريء منه ومعنى مما تجرمون من اجرامكم في اسناد الافتراء الي فلا
وجه لاعراضكم ومعاداتكم وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك اقناط من ايمانهم وانه كالمحال الذي لا تعلق به
للتوقع إلا من قد آمن الا من وجد منه ما كان يتوقع من ايمانه وقد للتوقع وقد اصابت محزها فلا تبتئس بما كانوا يفعلون
فلا تحزن حزن بائس مستكين والابتئاس افتعال من البؤس وهو الحزن والفقر والمعنى فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وايذائك ومعاداتك فقد حان وقت الانتقام لك منهم واصنع الفلك بأعيننا
بأعيننا في موضع الحال بمعنى اصنعها محفوظا وحقيقته ملتبسا بأعيننا كأن الله معه اعينا تكلؤه ان تزيغ في صنعته عن
الصواب والا تحول بينه وبين عمله احد من اعدائه ووحينا وانا نوحي اليك ونلهمك كيف تصنع عن ابن عباس لم يعلم كيف صنعة
الفلك فأوحى الله اليه ان يصنعها مثل جؤجؤ الطائر ولا تخاطبني في الذين ظلموا ولا تدعني في شأن قومك واستدفاع العذاب
عنهم بشفاعتك إنهم مغرقون اي محكوم عليهم بالاغراق وقد وجب ذلك وقضي به القضاء وجف القلم فلا سبيل الى كفه كقوله
يا ابراهيم اعرض عن هذا انه قد جاء امر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود ويصنع الفلك حكاية حال ماضية وكلما مر
عليه ملأ من قومه سخروا منه ومن عمله السفينة وكان يعملها في برية في ابعد موضع من الماء وفي وقت عز الماء فيه عزة
شديدة فكانوا يتضاحكون ويقولون يا نوح صرت نجارا بعدما كنت نبيا قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما
يعني في المستقبل كما تسخرون منا الساعة اي نسخر منكم سخرية مثل سخريتكم اذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق
في الآخرة وقيل ان تستجهلونا فيما نصنع فانا نستجهلكم فيما انتم عليه من الكفر والتعرض لسخط الله عز وجل وعذابه فانتم اولى
بالاستجهال منا او ان تستجهلونا فانا نستجهلكم في استجهالكم لانكم لا تستجهلون الا عن جهل بحقيقة الامر وبناء على
ظاهر الحال كما هو عادة الجهلة في البعد عن الحقائق وروي ان نوحا عليه السلام اتخذ السفينة في سنتين وكان طولها
ثلثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعا وطولها في السماء ثلاثون ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاثة بطون
فحمل في البطن الاسفل الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وركب هو ومن معه في
البطن الاعلى مع ما يحتاج اليه من الزاد وحمل معه جسد آدم وجعله معترضا بين الرجال والنساء وعن الحسن كان طولها الفا

ومائتي ذراع وعرضها ستمائة وقيل ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها
فانطلق بهم حتى انتهى الى كثيب من تراب فاخذ كفا من ذلك التراب فقال اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله
اعلم قال هذا كعب بن حام قال فضرب الكثيب بعصاه فقال قم باذن الله فاذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه وقد شاب
فقال له عيسى عليه السلام هكذا اهلكت قال لا مت وانا شاب ولكني ظننت انها الساعة فمن ثم شبت قال حدثنا عن
سفينة نوح عليه السلام قال كان طولها الف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة وكانت ثلاث طبقات طبقة للدواب والوحش وطبقة
للانس وطبقة للطير ثم قال له عد باذن الله كما كنت فعاد ترابا فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه
عذاب مقيم من يأتيه في محل النصب بتعلمون اي فسوف تعلمون الذي يأتيه عذاب يخزيه ويعني به اياهم ويريد بالعذاب
عذاب الدنيا وهو الغرق حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين حتى هي التي يبتدأ
بعدها الكلام دخلت على الجملة من الشرط والجزاء فإن قلت وقعت غاية لماذا قلت لقوله ويصنع الفلك اي وكان
يصنعها الى ان جاء وقت الموعد فإن قلت فاذا اتصل حتى بيصنع فما تصنع بما بينهما من الكلام قلت هو حال من
يصنع كأنه قال يصنعها والحال انه كلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه فإن قلت فما جواب كلما قلت سخروا منه
واما قال فكلام مستأنف على تقدير سؤال سائل او يجعل سخروا بدلا من مر او صفة لملأ وقال جوابا
وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن واهلك عطف على اثنين وكذلك ومن آمن يعني واحمل اهلك والمؤمنين من
غيرهم واستثنى من اهله من سبق عليه القول انه من اهل النار وما سبق عليه القول بذلك الا للعلم بانه يختار الكفر لا لتقديره
عليه وارادته به تعالى الله من ذلك قال الضحاك اراد ابنه وامرأته وما آمن معه إلا قليل روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم وعن محمد بن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقيل كانوا اثنين
وسبعين رجلا وامرأة واولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء
وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها يجوز ان يكون كلاما واحدا وكلامين فالكلام
الواحد ان يتصل بسم الله باركبوا حالا من الواو بمعنى اركبوا فيها مسمين الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها ووقت ارسائها
اما لان المجرى والمرسى للوقت واما لانهما مصدران كالاجراء والارساء حذف منهما الوقت المضاف كقولهم خفوق النجم ومقدم
الحاج ويجوز ان يراد مكان الاجراء والارساء وانتصابهما بما في بسم الله من معنى الفعل او بما فيه من ارادة القول والكلامان
ان يكون بسم الله مجراها ومرساها جملة من مبتدأ وخبر مقتضية اي بسم الله اجراؤها وارساؤها يروى انه كان اذا اراد
ان تجري قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يقحم الاسم كقوله ثم اسم السلام عليكما
ويراد بالله اجراؤها وارساؤها اي بقدرته وامره وقرئ مجراها ومرساها بفتح الميم من جرى ورسا اما مصدرين او
وقتين او مكانين وقرأ مجاهد مجريها ومرسيها بلفظ اسم الفاعل مجروري المحل صفتين لله فإن قلت ما معنى قولك جملة
مقتضبة قلت معناه ان نوحا عليه السلام امرهم بالركوب ثم اخبرهم بان مجراها ومرساها بذكر اسم الله او بامره وقدرته ويحتمل
ان تكون غير مقتضبة بان تكون في موضع الحال كقوله وجاؤوا اباهم عشاء يبكون ولا تكون كلاما برأسه ولكن فضلة من
فضلات الكلام الاول وانتصاب هذه الحال عن ضمير الفلك كأنه قيل اركبوا فيها مجراة ومرساة باسم الله بمعنى التقدير كقوله
ادخلوها خالدين إن ربي لغفور رحيم لولا مغفرته لذنوبكم ورحمته اياكم لما انجاكم فإن قلت بم اتصل قوله
وهي تجري بهم قلت بمحذوف دل عليه اركبوا فيها بسم الله كأنه قيل فركبوا فيها يقولون بسم الله وهي تجري بهم اي
تجري وهم فيها في موج كالجبال يريد موج الطوفان شبه كل موجة منه بالجبل في تراكمها وارتفاعها فإن قلت
الموج ما يرتفع فوق الماء عند اضطرابه وزخيره وكان الماء قد التقى وطبق ما بين السماء والارض وكانت الفلك تجري في جوف
الماء كما تسبح السمكة فما معنى جريها في الموج قلت كان ذلك قبل التطبيق وقيل ان يغمر الطوفان الجبال الا ترى الى قوله
ونادى نوح ابنه سآوي الى جبل يعصمني من الماء وقيل كان اسم ابنه كنعان وقيل يام وقرأ علي رضي الله عنه
ابنها والضمير لامرأته وقرأ محمد بن علي وعروة بن الزبير ابنه بفتح الهاء يريدان ابنها فاكتفيا بالفتحة عن الالف وبه ينصر
مذهب الحسن قال قتادة سألته فقال والله ما كان ابنه فقلت ان الله عز وجل حكى عنه ان ابني من اهلي وانت تقول لم يكن ابنه
واهل الكتاب لا يختلفون في انه ابنه فقال ومن يأخذ دينه من اهل الكتاب واستدل بقوله من اهلي ولم يقل مني ولنسبته الى امه وجهان ان يكون ربيبا له كعمر بن ابي سلمة لرسول الله صلى
الله عليه وسلم وان يكون لغير رشدة وهذه غضاضة عصمت منها الانبياء عليهم السلام والصواب قراءة السدي ونادى نوح ابناه على
الندبة والترثي قال يا ابناه وكان في معزل والمعزل مفعل من عزله عنه اذا نحاه وابعده يعني وكان في مكان عزل فيه نفسه
عن ابيه وعن مركب المؤمنين وقيل كان في معزل عن دين ابيه يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين يا بني قرئ
بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الاضافة وبالفتح اقتصارا من الالف المبدلة من ياء الاضافة في قولك يا بنيا او سقطت الياء والالف
لالتقاء الساكنين لان الراء بعدهما ساكنة قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من

رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ۝ الا من رحم الا الراحم وهو الله تعالى او لا عاصم اليوم من الطوفان الا من رحم الله اي الا مكان من رحم الله من المومنين وكان لهم عقوة ارحما في قوله ان ربي لعفوة رحيم وذلك انه جعل الجبل عاصما من الماء قال له لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم يعني السفينه وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة الا من رحمه الله كقوله ماء دافق وعيشة راضيه وقيل الا من رحم الله استثنى منقطع كانه قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم كقولهم ما لهم به من علم الا اتباع الظن وروى الا من رحم على البنا للمفعول وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي نداء الارض والسما بما ينادى به الحيوان المميز على لفظ التخصيص والاقبال عليهما بالخطاب من بين سائر المخلوقات وهو قوله يا ارض ويا سماء ثم امرهما بما يومر به اهل التمييز والعقل من قوله ابلعي ماءك واقلعي من الدلالة على الاقتدار العظيم وان السموات والارض وهذه الاجرام العظام منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير ممتنعة عليه كانها عقلاء مميزون قد عرفوا عظمته وجلالته وثوابه وعقابه وقدرته على كل مقدور وتبينوا تحتم طاعته عليهم وانقيادهم وهم يهابونه ويفزعون من التوقف دون الامتثال له والنزول على مشيئته على الفور من غير ريث فكما يرد عليهم امره كان المامور به مفعولا لا حبس ولا ابطا والبلع عبارة عن النشف والاقلاع الامساك يقال اقلع المطر واقلعت الحمى وَغِيضَ الْمَاءُ من غاضه اذا نقصه وَقُضِيَ الْأَمْرُ وانجز ما وعد الله نوحا من هلاك قومه وَاسْتَوَتْ واستقرت السفينه عَلَى الْجُودِيِّ وهو جبل بالموصل وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝ يقال بعد بعدا وبعدا اذا ارادوا البعد البعيد من حيث الهلاك والموت ونحو ذلك ولذلك اختص بدعاء السوء ومجي اخباره على الفعل المبني للمفعول للدلالة على الجلال والكبريا وان تلك الامور العظام لا تكون الا بفعل فاعل قادر وتكوين مكون قاهر وان فاعلها فاعل واحد لا يشارك في افعاله فلا يذهب الوهم الى ان يقول غيره يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي ولا ان يقضي ذلك الامر الهائل غيره ولا ان تستوي السفينه على متن الجودي وتستقر عليه الا بتسويته واقراره ولما ذكرنا من المعاني والنكت استفصح علماء البيان هذه الايه ورقصوا لها رؤسهم لا لتجانس الكلمتين وهما قوله ابلعي واقلعي وذلك وان كان لا يخلي الكلام من حسن فهو كغير الملتفت اليه بازاء تلك المحاسن التي هي اللب وما عداها قشور وعن قتاده استقلت بهم السفينه لعشر خلون من رجب وكانت في الماء خمسين ومائة يوم واستقرت بهم على الجودي شهرا وهبط بهم يوم عاشوراء وروى انها مرت بالبيت فطافت به سبعا وقد اعتقه الله من الغرق وروي ان نوحا عليه السلام صام يوم الهبوط وامر من معه فصاموا شكرا لله تعالى وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ نداؤه ربه دعاؤه له وهو قوله رب مع ما بعده من اقتضاء وعده في تنجية اهله **فان قلت** فاذا كان النداء هو قوله رب فكيف عطف قال رب على نادى بالفاء **قلت** اريد بالنداء ارادة النداء ولو اريد النداء نفسه لجاء كما جاء قوله اذ نادى ربه نداء خفيا قال رب بغير فاء إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي اي بعض اهلي لانه كان ابنه من صلبه او كان ربيبا فهو بعض اهله وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وان كل وعد تعده فهو الوعد الثابت الذي لا شك في انجازه والوفاء به وقد وعدتني ان تنجي اهلي فما بال ولدي وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ اي اعلم الحكام واعدلهم لانه لا فضل لحاكم على غيره الا بالعلم والعدل ورب غريق في الجهل والجور من متقلدي الحكومه في زمانك قد لقب اقضى القضاة ومعناه احكم الحاكمين فاعتبر واستعبر ويجوز ان يكون من الحكمه على انه يبنى من الحكمة حاكم بمعنى النسبه كما قيل دارع من الدرع وحائض وطالق على مذهب الخليل قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ تعليل لانتفا كونه من اهله وفيه ايذان بان قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وان نسيبك في دينك ومعتقدك من الاباعد في المنصب وان كان حبشيا وكنت قرشيا لصيقك وخصيصك ومن لم يكن على دينك وان كان امس اقاربك رحما فهو ابعد بعيد منك وجعلت ذاته عملا غير صالح مبالغة في ذمه كقولها ۝ فانما هي اقبال وادبار ۝ وقيل الضمير لنداء نوح عليه السلام اي نداؤك هذا عمل غير صالح وليس بذاك **فان قلت** فهلا قيل انه عمل فاسد **قلت** لما نفاه عن اهله نفى عنه صفتهم بكلمة النفي التي يستبقي معها لفظ المنفي واذن بذلك انه انما انجى من انجى من اهله لصلاحهم لا لانهم اهلك واقاربك وان هذا لما انتفى عنه الصلاح لم تنفعه ابوتك كقوله كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقرئ عمل غير صالح اي عمل عملا غير صالح فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ۝ وقرئ فلا تسألن بكسر النون بغير ياء الاضافه وبالنون الثقيله بياء وبغير ياء يعني فلا تلتمس مني ملتمسا او التماسا لا تعلم اصواب هو ام غير صواب حتى تقف على كنهه وذكر المسئلة دليل على ان النداء كان قبل ان يغرق حين خاف عليه **فان قلت** لم سمي نداؤه سؤالا ولا سؤال فيه **قلت** قد تضمن دعاؤه معنى السؤال وان لم يصرح به لانه اذا ذكر الموعد بنجاة اهله في وقت مشارفة ولده الغرق فقد استنجز وجعل سؤال ما لا يعرف كنهه جهلا وغباوة ووعظه ان لا يعود اليه والى امثاله من افعال الجاهلين **فان قلت** قد وعده ان ينجي اهله وما كان عنده ان ابنه ليس منهم دينا فلما اشفى على الغرق تشابه عليه الامر لان العدة قد سبقت له وقد عرف الله حكيما لا يجوز عليه فعل القبيح وخلف

الميعاد وطلب

الميعاد فطلب اماطة الشبهة وطلب اماطة الشبهة واجب فلم زجر وسمي سؤاله جهلا **قلت** ان الله عز وعلا قدم له الوعد بانجاء اهله مع استثناء من سبق عليه القول منهم فكان عليه ان يعتقد ان في جملة اهله من هو مستوجب للعذاب لكونه غير صالح وان كلهم ليسوا بناجين وان لا تخالجه شبهة حين شارف ولده الغرق في انه من المستثنين لا من المستثنى منهم فعوتب على ان اشتبه عليه ما يجب ان لا يشتبه قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ من ان اطلب منك في المستقبل ما لا علم لي بصحته تادبا بادبك واتعاظا بموعظتك وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي ما فرط مني من ذلك وَتَرْحَمْنِي بالتوبه علي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝ اعمالا قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ وقرئ يا نوح اهبط بضم البا بِسَلَامٍ مِنَّا مسلما محفوظا من جهتنا او مسلما عليك مكرما وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ والبركات الخيرات النامية وقرئ وبركة عليك على التوحيد وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ يحتمل ان تكون من للبيان فيراد الامم الذين كانوا معه في السفينه لانهم كانوا جماعات او قيل لهم امم لان الامم تتشعب منهم وان تكون لابتداء الغاية اي على امم ناشية ممن معك الى اخر الدهر وهو الوجه وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ وقوله وامم رفع بالابتداء وسنمتعهم صفه والخبر محذوف تقديره وممن معك امم سنمتعهم وانما حذف لان قوله ممن معك يدل عليه والمعنى ان السلام منا والبركات عليك وعلى امم مومنين ينشاون ممن معك وممن معك امم ممتعون بالدنيا منقلبون الى النار وكان نوح عليه السلام ابا الانبياء والخلق بعد الطوفان وممن معه كان معه في السفينه وعن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل مومن ومومنة الى يوم القيمه وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر وعن ابن زيد هبطوا والله عنهم راض ثم اخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من عذب وقيل المراد بالامم الممتعه قوم هود وصالح ولوط وشعيب تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ تلك اشارة الى قصة نوح ومحلها الرفع على الابتداء والجمل بعدها اخبار اي تلك القصه بعض انباء الغيب موحاة اليك مجهولة عندك وعند قومك مِنْ قَبْلِ هَذَا من قبل ايحاي اليك واخبارك بها او من قبل هذا العلم الذي كسبته بالوحي او من قبل هذا الوقت فَاصْبِرْ على تبليغ الرسالة واذى قومك كما صبر نوح وتوقع في العاقبة لك ولمن كذبك نحو ما قيض لنوح ولقومه إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ۝ في الفوز والنصر والغلبة وقوله ولا قومك اي ان قومك الذين انت منهم على كثرتهم ووفور عددهم اذا لم يكن ذلك شانهم ولا سمعوه ولا عرفوه فكيف برجل منهم كما تقول لم يعرف هذا عبد الله ولا اهل بلده وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ اخاهم واحدا منهم وانتصابه للعطف على ارسلنا نوحا وهودا عطف بيان وغيره بالرفع صفة على محل الجار والمجرور وقرئ غيره بالجر صفة على اللفظ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ۝ تفترون على الله الكذب باتخاذكم الاوثان له شركا يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي ما من رسول الا واجه قومه بهذا القول لان شانهم النصيحة والنصيحة لا يمحصها ولا يمحضها الا حسم المطامع وما دام يتوهم شيء منها لم تنجع ولم تنفع أَفَلَا تَعْقِلُونَ اذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها اجرا الا من الله وهو ثواب الاخرة ولا شيء انفى للتهمة من ذلك وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ قيل استغفروا ربكم امنوا به ثم توبوا اليه من عبادة غيره لان التوبة لا تصح الا بعد الايمان والمدرار الكثير الدرور كالمغزار وانما قصد استمالتهم الى الايمان وترغيبهم فيه بكثرة المطر وزيادة القوة لان القوم كانوا اصحاب زروع وبساتين وعمارات حراصا عليها اشد الحرص فكانوا احوج شيء الى الماء وكانوا مدلين بما اوتوا من شدة القوة والبطش والنجدة مستحرزين بها من العدو مهيبين في كل ناحية وقيل اراد القوة في المال وقيل القوة على النكاح وقيل حبس عنهم القطر ثلاث سنين وعقمت ارحام نسائهم وعن الحسن بن علي انه وفد على معاوية فلما خرج تبعه بعض حجابه فقال اني رجل ذو مال ولا يولد لي فعلمني شيئا لعل الله يرزقني ولدا فقال عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر في يوم واحد سبعمائة مرة فولد له عشر بنين فبلغ ذلك معاوية فقال هلا سالته مم قال ذلك فوفد وفدة اخرى فساله الرجل فقال الم تسمع قول هود ويزدكم قوة الى قوتكم وقول نوح ويمددكم باموال وبنين وَلَا تَتَوَلَّوْا ولا تعرضوا عني وعما ادعوكم اليه وارغبكم فيه مُجْرِمِينَ ۝ مصرين على اجرامكم واثامكم قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا ما جئتنا بحجة كذبا منهم وجحودا كما قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم لولا انزل عليه اية من ربه مع فوت اياته الحصر عَنْ قَوْلِكَ حال من الضمير في تاركي الهتنا كانه قيل وما نترك الهتنا صادرين عن قولك وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ۝ وما يصح من امثالنا ان يصدقوا مثلك فيما يدعوهم اليه اقناطا له من الاجابة إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ اعتراك مفعول نقول والا لغو والمعنى ما نقول الا قولنا اعتراك بعض الهتنا بسوء اي خبلك ومسك بجنون لسبك اياها وصدك عنها وعداوتك لها مكافاة لك منها على سوء فعلك بسوء الجزاء فمن ثم تتكلم بكلام المجانين وتهذي بهذيان المبرسمين وليس بعجب من اولئك ان سموا التوبة والاستغفار خبلا وجنونا وهم عاد اعلام الكفر واوتاد الشرك وانما العجب من قوم من المتظاهرين بالاسلام سمعناهم يسمون التائب عن ذنوبه

مجنونا والمنيب الى ربه مخبلا ولم يجدهم ولم يعهدهم عما كانوا عليه في ايام جاهليتهم من الموادة ماذاك الا لعرق من الالحاد ابى الا ان ينبض وصبت من الزبد فدلت اجوبتهم المتقدمة على ان القوم كانوا جفاة غلاظ الاكباد لا يبالون بالبهت ولا يلتفتون الى النصح ولا تلين شكيمتهم للرشد وهذا الاخير دال على جهل مفرط وبله متناه حيث اعتقدوا في حجارة انها تنتصر وتنتقم ولعلهم حين اجاز العقلاء على ان يجحدوه الى آخره **قال إني أشهد الله وأشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون** من اعظم الآيات ان يواجه بهذا الكلام رجل واحد امة عطاشا الى اراقة دمه يرمونه عن قوس واحدة وذلك لثقته بربه وانه يعصمه منهم فلا تنشب فيه مخالبهم ونحو ذلك قال نوح عليه السلام لقومه ثم اقضوا الي ولا تنظرون اكد براءته من آلهتهم وشركهم ووثقها بما جرت به عادة الناس من توثيقهم الامور بشهادة الله وشهادة العباد فيقول الرجل الله شهيد على اني لا افعل كذا ويقول لقومه كونوا شهداء على اني لا افعله **فان قلت** هلا قيل اني اشهد الله واشهدكم **قلت** لان اشهاد الله على البراءة من الشرك اشهاد صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد وشد معاقده واما اشهادهم فما هو الا تهاون بدينهم ودلالة على قلة المبالاة به فحسب فعدل به عن لفظ الاول لاختلاف ما بينهما وجيء به على لفظ الامر بالشهادة كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه اشهد علي اني احبك تهكما به واستهانة بحاله من دونه من اشراككم آلهة من دونه او مما تشركون من دونه اي انتم تجعلونها شركاء له ولم يجعلها هو شركاء ولم ينزل بذلك سلطانا فكيدوني جميعا انتم وآلهتكم اعجل ما تفعلون من غير انظار فاني لا ابالي بكم وبكيدكم ولا اخاف معرتكم وان تعاونتم علي وانتم الاقوياء الشداد فكيف تضرني آلهتكم وما هي الا جماد لا يضر ولا ينفع وكيف تنتقم مني اذا نلت منها وصددت عن عبادتها بان تخبلني وتذهب بعقلي **إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها** ذكر توكله على الله وثقته بحفظه وكلاءته من كيدهم ثم وصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتمال ربوبيته عليه وعليهم ومن كون كل دابة في قبضته وملكته وتحت قهره وسلطانه والاخذ بالناصية تمثيل لذلك **إن ربي على صراط مستقيم** يريد انه على طريق الحق والعدل في ملكه لا يفوته ظالم ولا يضيع عنده معتصم به **فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم** **فان قلت** الابلاغ كان قبل التولي فكيف وقع جزاء للشرط **قلت** معناه فان تتولوا لم اعاتب على تفريط في الابلاغ وكنتم محجوجين بان ما ارسلت به اليكم قد بلغكم فابيتم الا تكذيب الرسالة وعداوة الرسول **ويستخلف ربي قوما غيركم** كلام مستانف يريد ويهلككم الله ويجيء بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم واموالكم **ولا تضرونه شيئا** بتوليكم من ضرر قط لانه لا يجوز عليه المضار والمنافع وانما تضرون انفسكم وفي قراءة عبد الله ويستخلف بالجزم وكذلك ولا تضروه عطفا على محل فقد ابلغتكم والمعنى ان تتولوا يعذرني ربي ويستخلف قوما غيركم ولا تضروه الا انفسكم **إن ربي على كل شيء حفيظ** اي رقيب عليه مهيمن فما تخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم او من كان رقيبا على الاشياء كلها حافظا لها وكانت مفتقرة الى حفظه من المضار لم يضر مثله مثلكم **ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا** قيل كانوا اربعة الاف **ونجيناهم من عذاب غليظ** **فان قلت** ما معنى تكرير التنجية **قلت** ذكر اولا انه حين اهلك عدوهم نجاهم ثم قال ونجيناهم من عذاب غليظ وذلك ان الله عز وجل بعث عليهم السموم فكانت تدخل في انوفهم وتخرج من ادبارهم فتقطعهم عضوا عضوا وقيل اراد بالثانية التنجية من عذاب الآخرة ولا عذاب اغلظ منه واشد وقوله برحمة منا يريد بسبب الايمان الذي انعمنا عليهم بالتوفيق له **وتلك عاد** اشارة الى قبورهم وآثارهم كانه قال سيحوا في الارض فانظروا اليها واعتبروا ثم استانف وصف احوالهم فقال **جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله** لانهم اذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله لا نفرق بين احد من رسله وقيل لم يرسل اليهم الا هود وحده **واتبعوا أمر كل جبار عنيد** يريد رؤساءهم وكبراءهم ودعاتهم الى تكذيب الرسل ومعنى اتباع امرهم طاعتهم **وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة ألا إن عادا كفروا ربهم ألا بعدا لعاد قوم هود** ولما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم على وجوههم في عذاب الله والا وتكرارها مع النداء على كفرهم والدعاء عليهم تهويل لامرهم وتفظيع له وبعث على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم **فان قلت** بعدا دعاء بالهلاك فما معنى الدعاء به عليهم بعد هلاكهم **قلت** معناه الدلالة على انهم كانوا مستاهلين له الا ترى الى قوله

اخوتي لا تبعدوا ابدا * وبلى والله قد بعدوا

فان قلت قوم هود عطف بيان لعاد فما الفائدة في هذا البيان والبيان حاصل بدونه **قلت** الفائدة فيه ان

يوسموا بهذه الدعوة وسما وتجعل فيهم امرا محققا لا شبهة فيه بوجه من الوجوه ولان عادا عادان الاولى القديمة التي هي قوم هود والقصة فيهم والاخرى ارم **وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه** هو انشاكم من الارض لم ينشئكم منها الا هو ولم يستعمركم فيها غيره وانشاؤهم منها خلق آدم عليه السلام من التراب واستعمركم وامركم بالعمارة والعمارة متنوعة الى واجب وندب ومباح ومكروه وكان ملوك فارس قد اكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار وعمروا الاعمار الطوال مع ما كان فيهم من عسف الرعايا فسال نبي من انبياء زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فاوحى الله اليه انهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي وعن معوية بن ابي سفيان انه اخذ في احياء الارض في آخر امره فقيل له فقال ما حملني عليه الا قول القائل

ليس الفتى بفتى لا يستضاء به * ولا تكون له في الارض آثار

وقيل استعمركم من العمر نحو استبقاكم من البقاء وقد جعل من العمرى وفيه وجهان احدهما ان يكون استعمر في معنى اعمر كقولك استهلكه في معنى اهلكه ومعناه اعمركم فيها دياركم ثم هو وارثها منكم عند انقضاء اعماركم والثاني ان يكون بمعنى جعلكم معمرين دياركم فيها لان الرجل اذا ورث داره من بعده فكانما اعمره اياها لانه يسكنها عمره ثم يتركها لغيره **إن ربي قريب** داني الرحمة سهل المطلب **مجيب** لمن دعاه وساله **قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا** كانت تلوح فيك مخايل الخير وامارات الرشد فكنا نرجوك لننتفع بك وتكون مشاورا في الامور ومسترشدا في التدابير فلما نطقت بهذا القول انقطع رجاؤنا عنك وعلمنا ان لا خير فيك وعن ابن عباس فاضلا خيرا نقدمك على جميعنا وقيل كنا نرجو ان تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه **أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا** حكاية حال ماضية **وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب** من ارابه اذا اوقعه في الريبة وهي قلق النفس وانتفاء الطمانينة باليقين او من اراب الرجل اذا كان ذا ريبة على الاسناد المجازي **قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله إن عصيته** قيل ان كنت على بينة من ربي حرف الشك وكان على يقين انه على بينة لان خطابه للجاحدين فكانه قال قدروا اني على بينة من ربي وانني نبي على الحقيقة وانظروا ان تابعتكم وعصيت ربي في اوامره فمن يمنعني من عذاب الله **فما تزيدونني** اذن حينئذ **غير تخسير** يعني تخسرون اعمالي وتبطلونها او فما تزيدونني بما تقولون لي وتحملونني عليه غير ان اخسركم اي انسبكم الى الخسران واقول لكم انكم خاسرون **ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية** نصب على الحال قد عمل فيها ما دل عليه اسم الاشارة من معنى الفعل **فان قلت** فبم يتعلق لكم **قلت** بآية حالا منها متقدمة لانها لو تاخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت انتصب على الحال **فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب** عاجل لا يستاخر عن مسكم لها بسوء الا يسيرا وذلك ثلاثة ايام ثم يقع عليكم **فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام** استمتعوا بالعيش في داركم في بلدكم وتسمى البلاد الديار لانه يدار فيها اي يتصرف يقال ديار بكر لبلادهم وتقول العرب الذين حوالي مكة نحن من عرب الدار يريدون من عرب البلد وقيل في دار الدنيا وقيل عقروها يوم الاربعاء وهلكوا يوم السبت **ذلك وعد غير مكذوب** فيه فاتسع في الظرف بحذف الحرف واجرائه مجرى المفعول به كقولك يوم مشهود من قوله ويوم شهدناه او على المجاز كانه قيل للوعد نفي بك فاذا وفي به فقد صدق ولم يكذب او وعد غير كذب على ان المكذوب مصدر كالمجلود والمعقول وكالمصدوقة بمعنى الصدق **فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ إن ربك هو القوي العزيز** ومن خزي يومئذ وقرئ يومئذ مفتوح الميم لانه مضاف الى اذ وهو غير متمكن كقوله

على حين عاتبت المشيب على الصبا

فان قلت علام عطف **قلت** على نجينا لان تقديره ونجيناهم من خزي يومئذ كما قال ونجيناهم من عذاب غليظ وكانت التنجية من خزي يومئذ اي من ذله ومهانته وفضيحته ولا خزي اعظم من خزي من كان هلاكه بغضب الله وانتقامه ويجوز ان يريد بيومئذ يوم القيامة كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الآخرة **وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها ألا إن ثمودا كفروا ربهم ألا بعدا لثمود** وقرئ الا ان ثمودا ولثمود كلاهما بالصرف وامتناعه فالصرف للذهاب الى الحي او الاب الاكبر ومنعه للتعريف والتانيث بمعنى القبيلة **ولقد جاءت رسلنا إبراهيم** يريد الملائكة عن ابن عباس جاءه جبريل وملكان معه وقيل جبريل وميكائيل واسرافيل وقيل كانوا تسعة وعن السدي احد عشر **بالبشرى** هي البشارة بالولد وقيل بهلاك قوم لوط والظاهر الولد **قالوا سلاما** سلمنا عليك سلاما **قال سلام** امركم سلام وقرئ فقالوا سلما قال سلم بمعنى السلام وقيل سلم وسلام كحرم وحرام وانشد

مررنا فقلنا ايه سلم فسلمت * كما اكتل بالبرق الغمام اللوائح

فما لبث أن جاء بعجل حنيذ فما لبث في المجيء به بل عجل فيه او فما لبث مجيئه والعجل ولد البقرة ويسمى الحسيل والخبش بلغة اهل السراة

وكان مال ابرهيم البقر حنيذ ۝ مشوي بالرضف في اخدود وقيل حنيذ يقطر دسمه من حنذت الفرس اذا القيت عليها الجل
حتى يقطر عرقا ويدل عليه بعجل سمين فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا
إلى قوم لوط ۝ يقال نكره وانكره واستنكره ومنكور قليل في كلامهم وكذلك انا انكرتك لكن منكر ومستنكر
وانكرتك وقال الاعشى ۝ وانكرتني وما كان الذي نكرت ۝ من الحوادث الا الشيب والصلعا ۝
قيل كان ينزل في طرف من الارض فخاف ان يريد به مكروها وقيل كانت عادتهم اذا مس من يطرقهم طعامهم امنوه
والا خافوه والظاهر انه احس بانهم ملائكة ونكرهم لانه تخوف ان يكون نزولهم لامر انكره الله عليه او لتعذيب قومه الا ترى
الى قولهم لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط وانما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف فيم ارسلوا فاوجس فاعلموا انما قالوا لا تخف لانهم
راوا اثر الخوف والتغير في وجهه او عرفوه بتعريف الله او علموا ان علمه بانهم ملائكة موجب للخوف لانهم كانوا لا
ينزلون الا بعذاب وامرأته قائمة قيل كانت قائمة وراء الستر تسمع تحاورهم وقيل كانت قائمة على رؤسهم تخدمهم وفي
مصحف عبد الله وامراته قائمة وهو قاعد فضحكت سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل الخبائث او كان ضحكها ضحك
انكار لغفلتهم وقد اظلهم العذاب وقيل كانت تقول لابرهيم اضمم لوطا ابن اخيك فاني اعلم انه ينزل بهؤلاء القوم عذاب
فضحكت سرورا لما اتى الامر على ما توهمت وقيل فضحكت فحاضت وقرا محمد بن زياد الاعرابي فضحكت بفتح الحاء فبشرناها
باسحق ومن وراء اسحق يعقوب بالرفع بالابتداء كانه قيل ومن وراء اسحق يعقوب مولود او موجود من بعده وقيل
الوراء ولد الولد وعن الشعبي انه قيل له هذا ابنك فقال نعم من الوراء وكان ولد ولد وقرئ يعقوب بالنصب كانه قيل
ومن وراء اسحق يعقوب على طريقة قوله ۝ ليسوا مصلحين عشيرة ۝ ولا ناعب ۝ قالت يا ويلتا
أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا الالف في يا ويلتا مبدلة من ياء الاضافة وكذلك في يا لهفا ويا عجبا وقرا
الحسن يا ويلتي بالياء على الاصل وشيخا نصب بما دل عليه اسم الاشارة وقرئ شيخ على تقدير مبتدا محذوف اي هذا بعلي هو
شيخ او بعلي بدل من المبتدا وشيخ خبر او يكونان معا خبرين قيل بشرت ولها تسعون سنة ولابرهيم مائة وعشرون
سنة إن هذا لشيء عجيب قالوا أتعجبين من أمر الله ان هذا الشيء عجيب ان يولد ولد من هرمين وهو استبعاد من حيث
العادة التي اجراها الله وانما انكرت عليها الملائكة تعجبها فقالوا اتعجبين من امر الله لانها كانت في بيت الايات
ومهبط المعجزات والامور الخارقة للعادات فكان عليها ان تتوقر ولا يزدهيها ما يزدهي سائر النساء الناشئات
في غير بيوت النبوة وان تسبح الله وتمجده مكان التعجب والى ذلك اشارت الملائكة صلوات الله عليهم في قولهم
رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت اذا دوات هذه وامثالها مما يكرمكم به رب العزة ويخصكم بالانعام به
يا اهل بيت النبوة فليست بمكان عجب وهكذا امر الله قدرته وحكمته وقوله رحمت الله وبركاته عليكم كلام مستانف
علل به انكار التعجب كانه قيل اياك والتعجب فان امثال هذه الرحمة والبركات الاسباط من بني اسرائيل لان الانبيا منهم
وكلهم من ولد ابرهيم عليهم السلام إنه حميد فاعل ما يستوجب به الحمد من عباده مجيد كريم كثير الاحسان اليهم واهل البيت
نصب على النداء او على الاختصاص لان اهل البيت مدح لهم اذ المراد اهل بيت خليل الرحمن فلما ذهب عن ابرهيم الروع
وجاءته البشرى ما اوجس من الخيفة حين نكر اضيافه والمعنى انه لما اطمان قلبه بعد الخوف وملئ سرورا بسبب البشرى
بدل الغم فرغ للمجادلة فان قلت اين جواب لما قلت هو محذوف كما حذف في قوله فلما ذهبوا به واجمعوا وقوله
يجادلنا كلام مستانف دال على الجواب وتقديره اجترا على خطابنا او فطن لمجادلتنا او قال كيت وكيت ثم ابتدا
فقال يجادلنا في قوم لوط ۝ وقيل يجادلنا هو جواب لما وانما جيء به مضارعا لحكاية الحال وقيل ان لما ترد المضارع
الى معنى الماضي كما ترد ان الماضي الى معنى الاستقبال وقيل معناه اخذ يجادلنا واقبل يجادلنا والمعنى يجادل رسلنا
ومجادلته اياهم انهم قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية فقال ارايتم لو كان فيها خمسون رجلا من المؤمنين اتهلكونها
قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال ارايتم ان كان فيها رجل واحد مسلم اتهلكونها
قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله وكان في قوم لوط في مغناهم وعن ابن عباس قالوا
له ان كان فيهم خمسة يصلون رفع عنهم العذاب وعن قتادة ما قوم لا يكون فيهم عشرة فيهم خير وقيل كان فيها
اربعة الف الف انسان إن ابرهيم لحليم غير عجول على كل من اساء اليه أواه كثير التاوه من الذنوب منيب
تائب راجع الى الله بما يحب ويرضى وهذه الصفات دالة على رقة القلب والرافة والرحمة فبين ان ذلك مما حمله على المجادلة
فيهم رجاء ان يرفع عنهم العذاب ويمهلوا لعلهم يحدثون التوبة والانابة كما حمله على الاستغفار لابيه يا ابرهيم على ارادة
القول اي قالت الملائكة أعرض عن هذا الجدال وان كانت الرحمة ديدنك فلا فائدة فيه إنه قد جاء أمر ربك وإنهم
آتيهم عذاب غير مردود انه قد جاء امره وهو قضاؤه وحكمه الذي لا يصدر الا عن صواب وحكمة والعذاب نازل بالقوم
لا محالة لا مرد له بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا كانت مساءة لوط

وضيق ذرعه

وضيق ذرعه لانه حسب انهم انس فخاف عليهم خبث قومه وان يعجز عن مقاومتهم ومدافعتهم وروي ان الله تعالى قال لهم
لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم اما بلغكم امر هذه
القرية قالوا وما امرهم قال اشهد بالله انها لشر قرية في الارض عملا يقول ذلك اربع مرات فدخلوا معه منزله
ولم يعلم بذلك احد فخرجت امراته فاخبرت بهم قومها وقال هذا يوم عصيب ۝ يقال يوم عصيب وعصبصب اذا
كان شديدا من قولك عصبه اذا شده وجاءه قومه يهرعون إليه يسرعون كانما يدفعون دفعا ومن قبل كانوا
يعملون السيئات ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون الفواحش ويكثرونها فضروا بها ومرنوا عليها وقل عندهم استقباحها
فلذلك جاءوا مجاهرين لا يكفهم حياء وقيل معناه وقد عرف لوط عادتهم في عمل الفواحش قبل ذلك قال
يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم اراد ان يقي اضيافه وذلك غاية الكرم واراد هؤلاء بناتي فتزوجوهن وكان
تزويج المسلمات من الكفار جائزا كما زوج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابنته من عتبة بن ابي لهب وابي العاص بن وائل
قبل الوحي وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فاراد ان يزوجهما ابنتيه وقرا ابن مروان هن اطهر لكم
بالنصب وضعفه سيبويه وقال ابن جني ذلك لحن وعن ابي عمرو بن العلاء من قرا هن اطهر لكم بالنصب فقد
تربع في لحنه وذلك ان انتصابه على ان يجعل حالا قد عمل فيها ما في هؤلاء من معنى الفعل كقوله وهذا بعلي شيخا
او ينصب هؤلاء بفعل مضمر كانه قيل خذوا هؤلاء وبناتي بدل ويعمل هذا المضمر في الحال وهن فصل وهذا لا يجوز لان
الفصل مختص بالوقوع بين جزئي الجملة ولا يقع بين الحال وذي الحال وقد خرج له وجه لا يكون هن فيه فصلا وذلك
ان يكون هؤلاء مبتدا وبناتي هن جملة في موضع خبر المبتدا كقولك هذا اخي هو ويكون اطهر حالا فاتقوا الله بايثار
هن عليهم ولا تخزون ولا تهينوني ولا تفضحوني من الخزي او ولا تخجلوني من الخزاية وهو الحياء في ضيفي في حق ضيوفي
فانه اذا خزي ضيف الرجل او جاره فقد خزي الرجل وذلك من عراقة الكرم واصالة المروءة أليس منكم رجل رشيد
رجل واحد يهتدي الى سبيل الحق وفعل الجميل والكف عن السوء وقرئ ولا تخزون بطرح الياء ويجوز ان يكون عرض البنات
عليهم مبالغة في تواضعه واظهارا لشدة امتعاضه مما اوردوا عليه طمعا في ان يستحيوا منه ويرقوا له اذا سمعوا
ذلك فيتركوا له ضيوفه مع ظهور الامر واستقرار العلم عنده وعندهم ان لا مناكحة بينه وبينهم قالوا لقد
علمت مستشهدين بعلمه ما لنا في بناتك من حق لانك لا ترى مناكحتنا وما هو الا عرض سابري وقيل لما اتخذوا اتيان
الذكران مذهبا ودينا لتواطئهم عليه كان عندهم انه هو الحق وان نكاح الاناث من الباطل فلذلك قالوا ما لنا في بناتك من
حق قط لان نكاح الاناث امر خارج من مذهبنا الذي نحن عليه ويجوز ان يقولوه على وجه الخلاعة والعرض في الشهوة
وإنك لتعلم ما نريد ۝ عنوا اتيان الذكور وما لهم فيه من الشهوة قال لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن
شديد ۝ جواب لو محذوف كقوله ولو ان قرانا سيرت به الجبال والمعنى لو ان لي بكم قوة لفعلت بكم وصنعت يقال ما لي به
قوة وما لي به طاقة ونحوه لا قبل لهم بها وما لي به يدان لانه في معنى لا اضطلع به ولا استقل به والمعنى لو قويت عليكم
بنفسي او اويت الى قوي استند اليه واتمنع به فيحميني منكم فشبه القوي العزيز بالركن من الجبل في شدته
ومنعته ولذلك قالت الملائكة وقد وجدت عليه ان ركنك لشديد وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم رحم الله اخي
لوطا لقد كان ياوي الى ركن شديد وقرئ او اوي بالنصب باضمار ان كانه قيل لو ان لي بكم قوة او اويا كقولها
للبس عباءة وتقر عيني ۝ وقرئ الى ركن بضمتين وروي انه اغلق بابه حين جاءوا وجعل يرادهم ما حكى الله عنه
ويجادلهم فتسوروا الجدار فلما رات الملائكة ما لقي لوط من الكرب قالوا يا لوط ان ركنك لشديد إنا رسل
ربك لن يصلوا إليك فافتح الباب ودعنا واياهم فدخلوا فاستاذن جبريل ربه في عقوبتهم فاذن له فقام في الصورة
التي يكون فيها فنشر جناحه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحيه وجوههم
فطمس اعينهم كما قال الله عز وجل فطمسنا اعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجا النجا فان في
بيت لوط قوما سحرة لن يصلوا إليك جملة موضحة للتي قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لم يصلوا اليه ولم يقدروا على ضرره فأسر
بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم إن موعدهم الصبح
فأسر بالقطع والوصل والا امراتك بالرفع والنصب وروي انه قال لهم متى موعد هلاكهم قالوا الصبح فقال اريد
اسرع من ذلك فقالوا أليس الصبح بقريب ۝ وقرئ الصبح بضمتين فان قلت ما وجه قراءة من قرأ الا امراتك
بالنصب قلت استثناها من قوله فاسر باهلك والدليل عليه قراءة عبد الله فاسر باهلك بقطع من الليل الا امراتك ويجوز
ان ينتصب عن لا يلتفت على اصل الاستثناء وان كان الفصيح هو البدل اعني قراءة من قرا بالرفع فابدلها عن احد وفي اخراجها
مع اهله روايتان روي انه اخرجها معهم وامر ان لا يلتفت منهم احد الا هي فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا
قوماه فادركها حجر فقتلها وروي انه امر بان يخلفها مع قومها فان هواها اليهم فلم يسر بها واختلاف القراءتين لاختلاف

حيا

هن

باهلكم

الرواسي فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة جعل جبريل جناحه في أسفلها ثم رفعها
إلى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم وأتبعوا الحجارة من فوقهم من سجيل هي كلمة معربة
من سنك كل بدليل قوله حجارة من طين وقيل هي من أسجله إذا أرسله لأنها ترسل على الظالمين ويدل عليه
قوله لنرسل عليهم حجارة وقيل مما كتب الله أن يعذب به من السجل وسجل لفلان منضود نضد في السماء نضدا
معدا للعذاب وقيل يرسل بعضه في إثر بعض متتابعا مسومة عند ربك معلمة للعذاب وعن الحسن معلمة
ببياض وحمرة وقيل عليها سيما تعلم بها أنها ليست من حجارة الأرض وقيل مكتوب على كل واحد اسم من يرمى به
وما هي من الظالمين ببعيد وما هي من كل ظالم ببعيد وفيه وعيد لأهل مكة وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
أنه سأل جبريل فقال يعني ظالمي أمتك ما من ظالم منهم إلا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة إلى ساعة وقيل الضمير للقرى
أي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في مسايرهم بشيء بعيد ويجوز أن يراد وما هي بمكان بعيد لأنها وإن
كانت في السماء وهي مكان بعيد إلا أنها إذا هوت منها فهي أسرع شيء لحوقا بالمرمي فكأنها بمكان قريب منه
وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إني
أراكم بخير يريد بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف أو أراكم بنعمة من الله حقها أن تقابل بغير ما تفعلون
أو أراكم بخير فلا تزيلوه عنكم بما أنتم عليه كقول مؤمن آل فرعون يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض
فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط مهلك من قوله وأحيط بثمره وأصله من
إحاطة العدو فإن قلت وصف العذاب بالإحاطة أبلغ أم وصف اليوم بها قلت بل وصف اليوم لأن
اليوم زمان يشتمل على الحوادث فإذا أحاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه كما إذا أحاط بنعيمه
ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط فإن قلت النهي عن النقصان أمر بالإيفاء فما فائدة قوله أوفوا
قلت نهوا أولا عن عين القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال والميزان لأن في التصريح بالقبيح نعيا على المنهي
وتعييرا له ثم ورد الأمر بالإيفاء الذي هو حسن في العقول مصرحا بلفظه لزيادة ترغيب فيه وبعث عليه وجيء
به مقيدا بالقسط أي ليكن الإيفاء على وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان أمرا بما هو الواجب لأن ما
جاوز العدل فضل وأمر مندوب إليه وفيه توقيف على أن الموفي عليه أن ينوي بالوفاء القسط لأن الإيفاء وجه حسنه أنه
قسط وعدل فهذه ثلاث فوائد ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين البخس الهضم
والنقص ويقال للمكس البخس قال زهير وفي كل ما باع امرؤ بخس درهم وروي مكس درهم
وكانوا يأخذون من كل شيء يباع شيئا كما يفعل السماسرة أو كانوا يمكسون الناس أو كانوا ينقصون من أثمان
ما يشترون من الأشياء فنهوا عن ذلك والعثي في الأرض نحو السرقة والغارة وقطع السبيل ويجوز أن يجعل التطفيف
والبخس عثيا منهم في الأرض بقيت الله ما يبقى لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم خير لكم إن كنتم مؤمنين
بشرط أن تؤمنوا فإن قلت بقية الله خير للكفرة لأنهم يسلمون معها من تبعة البخس والتطفيف فلم شرط
الإيمان قلت لظهور فائدتها مع الإيمان من حصول الثواب مع النجاة من العقاب وخفاء فائدتها مع فقده لانغماس
صاحبها في غمرات الكفر وفي ذلك تعظيم للإيمان وتنبيه على جلالة شأنه ويجوز أن يراد إن كنتم مصدقين
لي فيما أقول لكم وأنصح به إياكم ويجوز أن يراد ما يبقى لكم عند الله من الطاعات خير لكم كقوله والباقيات الصالحات
خير عند ربك وإضافة البقية إلى الله من حيث إنها رزقه الذي يجوز أن يضاف إليه وأما الحرام فلا يضاف إلى الله
ولا يسمى رزقا وإذا أريد بها الطاعة فكما تقول طاعة الله وقرئ تقية الله بالتاء وهي تقواه ومراقبته التي تصرف
عن المعاصي والقبائح وما أنا عليكم بحفيظ وما بعثت لأحفظ عليكم أعمالكم وأجازيكم عليها وإنما بعثت مبلغا
ومنبها على الخير وناصحا وقد أعذرت حين أنذرت قالوا يا شعيب أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد
آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء كان شعيب عليه الصلاة والسلام كثير الصلوات وكان قومه إذا
رأوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا بقوله أصلواتك تأمرك السخرية والهزء والصلاة وإن جاز أن تكون آمرة
على طريق المجاز كما كانت ناهية في قوله إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر أن يقال إن الصلاة تأمر بالجميل والمعروف
كما يقال تدعو إليه وتبعث عليه إلا أنهم ساقوا الكلام مساق الطنز وجعلوا الصلاة آمرة على سبيل التهكم
بصلاته وأرادوا أن هذا الذي تأمر به من ترك عبادة الأوثان باطل لا وجه لصحته وأن مثله لا يدعوك إليه
داعي عقل ولا يأمرك به آمر فطنة فلم يبق إلا أن يأمرك به آمر هذيان ووسوسة شيطان وهو صلواتك التي تداوم
عليها في ليلك ونهارك وعندهم أنها من باب الجنون ومما يتولع بها المجانين والموسوسون من بعض الأقوال والأفعال ومعنى
تأمرك أن نترك تأمرك بتكليف أن نترك ما يعبد آباؤنا فحذف المضاف الذي هو التكليف لأن الإنسان لا يؤمر بفعل

غيره وروي أصلاتك بالتوحيد وقرئ أن نفعل في أموالنا ما نشاء بتاء الخطاب فيهما وهو ما كان يأمرهم به
من ترك التطفيف والبخس والاقتناع بالحلال القليل من الحرام الكثير وقيل كان ينهاهم عن حذف الدراهم والدنانير
وتقطيعها وأرادوا بقولهم إنك لأنت الحليم الرشيد نسبته إلى غاية السفه والغي فعكسوا ليتهكموا به كما
يتهكم بالشحيح الذي لا يبض حجره فيقال له لو أبصرك حاتم لسجد لك وقيل معناه إنك للمتواصف بالحلم والرشد في
قومك يعنون أن ما تأمر به لا يطابق حالك وما شهرت به قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني
منه أي من لدنه رزقا حسنا وهو ما رزقه من النبوة والحكمة وقيل رزقا حسنا حلالا طيبا من غير بخس ولا تطفيف
فإن قلت أين جواب أرأيتم وما له لم يثبت كما أثبت في قصة قوم نوح ولوط قلت جوابه محذوف وإنما لم يثبت لأن
إثباته في القصتين دل على مكانه ومعنى الكلام ينادي عليه والمعنى أخبروني إن كنت على حجة واضحة ويقين من ربي
وكنت نبيا على الحقيقة أيصح لي أن لا آمركم بترك عبادة الأوثان والكف عن المعاصي والأنبياء لا يبعثون إلا لذلك
وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه يقال خالفني فلان إلى كذا إذا قصده وأنت مول عنه وخالفني عنه إذا
ولى عنه وأنت قاصده ويلقاك الرجل صادرا عن الماء فتسأله عن صاحبه فيقول خالفني إلى الماء يريد أنه قد ذهب إليه واردا
وأنا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله تعالى وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه يعني أن أسبقكم إلى شهواتكم التي نهيتكم
عنها لأستبد بها دونكم إن أريد إلا الإصلاح ما أريد إلا أن أصلحكم بموعظتي ونصيحتي وأمري بالمعروف ونهيي عن
المنكر ما استطعت ظرف أي مدة استطاعتي للإصلاح وما دمت متمكنا منه لا آلو فيه جهدا أو بدل من الإصلاح أي
المقدار الذي استطعته منه ويجوز أن يكون على تقدير حذف المضاف على قولك إلا الإصلاح إصلاح ما استطعت
أو مفعولا له كقوله ضعيف النكاية أعداءه أي ما أريد إلا أن أصلح ما استطعت إصلاحه من فاسدكم وما
توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب وما كوني موفقا لإصابة الحق فيما آتي وأذر ووقوعه موافقا لرضا
الله إلا بمعونته وتأييده والمعنى أنه استوفق ربه في إمضاء الأمر على سننه وطلب التأييد والإظهار على عدوه وفي
ضمنه تهديد للكفار وحسم لأطماعهم فيه ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح
أو قوم هود أو قوم صالح جرم مثل كسب في تعديه إلى مفعول واحد وإلى مفعولين تقول جرم ذنبا وكسبه
وجرمته ذنبا وكسبته إياه قال جرمت فزارة بعدها أن يغضبوا ومنه قوله تعالى لا يجرمنكم أي لا
يكسبنكم شقاقي إصابة العذاب وقرأ ابن كثير بضم الياء من أجرمته ذنبا إذا جعلته جارما له أي كاسبا وهو
منقول من جرم المتعدي إلى مفعول واحد كما يقال أكسبه المال من كسب المال وكما لا فرق بين كسبته مالا وأكسبته
إياه فكذلك لا فرق بين جرمته ذنبا وأجرمته إياه والقراءتان مستويتان في المعنى لا تفاوت بينهما إلا أن المشهورة
أفصح لفظا كما أن كسبته مالا أفصح من أكسبته والمراد بالفصاحة أنه على ألسنة الفصحاء من العرب الموثوق
بعربيتهم أدور وهم له أكثر استعمالا وقرأ أبو حيوة ورويت عن نافع مثل ما أصاب بالفتح لإضافته إلى غير متمكن كقوله
لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت وما قوم لوط منكم ببعيد يعني أنهم أهلكوا في عهد قريب من عهدكم فهم
أقرب الهالكين منكم أو لا يبعدون منكم في الكفر والمساوي وما يستحق به الهلاك فإن قلت ما لبعيد لم يرد على
ما تقتضيه قومه من حمله على لفظه أو معناه قلت إما أن يراد وما إهلاكهم ببعيد أو وما هم بشيء بعيد أو بزمان أو مكان
بعيد ويجوز أن يسوى في قريب وبعيد وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التي هي الصهيل
والنهيق ونحوهما واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود عظيم الرحمة للتائبين فاعل بهم ما
يفعل البليغ المودة بمن يوده من الإحسان والإجمال قالوا يا شعيب ما نفقه ما نفهم كثيرا مما تقول لأنهم كانوا لا يلقون
إليه أذهانهم رغبة عنه وكراهة له كقوله وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه أو كانوا يفهمونه ولكنهم لم
يقبلوه فكأنهم لم يفقهوه على وجه الاستهانة به كما يقول الرجل لصاحبه إذا لم يعبأ بحديثه ما أدري ما تقول أو جعلوا كلامه
هذيانا وتخليطا لا ينفعهم كثير منه وكيف لا ينفهم كلامه وهو خطيب الأنبياء وقيل كان ألثغ وإنا لنراك فينا ضعيفا
لا قوة لك ولا عز فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع منا إن أردنا بك مكروها وعن الحسن
ضعيفا مهينا وقيل ضعيفا أعمى وحمير تسمي المكفوف ضعيفا كما يسمى ضريرا وليس بسديد لأن فينا يأباه ألا ترى أنه
لو قيل إنا لنراك فينا أعمى لم يكن كلاما لأن الأعمى أعمى فيهم وفي غيرهم ولذلك قللوا قومه حيث جعلوهم رهطا
والرهط من الثلاثة إلى العشرة وقيل إلى السبعة وإنما قالوا ولولا رهطك احتراما لهم واعتدادا بهم لأنهم كانوا على ملتهم لا خوفا
من شوكتهم وعزتهم لرجمناك لقتلناك شر قتلة وما أنت علينا بعزيز أي لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك
من القتل ونرفعك عن الرجم وإنما يعز علينا رهطك لأنهم من أهل ديننا لم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا وقد
دل إيلاء ضميره حرف النفي على أن الكلام واقع في الفاعل كأنه قيل وما أنت علينا بعزيز بل رهطك هم الأعزة علينا

ولذلك قال في جوابهم يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب فإن قلت
فالكلام واقع فيه وفي رهطه وأنهم الأعزة عليهم دونه فكيف صح قوله أرهطي أعز عليكم من الله قلت تهاونهم به وهو
نبي الله تهاون بالله فحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه أعز عليهم من الله ألا ترى إلى قوله من يطع الرسول فقد
أطاع الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ونسيتموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به والظهري منسوب
إلى الظهر والكسر من تغييرات النسب ونظيره قولهم في النسبة إلى الأمس إمسي إن ربي بما تعملون محيط قد أحاط بأعمالكم
علما فلا يخفى عليه شيء منها ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن
هو كاذب المكانة تكون بمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة وتكون مصدرا من مكن مكانة
فهو مكين والمعنى اعملوا قارين على جهتكم التي أنتم عليها من الشرك والشنآن لي أو اعملوا متمكنين من عداوتي مطيقين لها
إني عامل على حسب ما يؤتيني الله من النصرة والتأييد ويمكنني من يأتيه يجوز أن تكون من استفهامية معلقة لفعل العلم
عن عمله فيها كأنه قيل سوف تعلمون أينا يأتيه عذاب يخزيه وأينا هو كاذب وأن تكون موصولة قد عمل فيها كأنه قيل
سوف تعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه والذي هو كاذب فإن قلت أي فرق بين إدخال الفاء ونزعها في سوف
تعلمون قلت إدخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ونزعها وصل خفي تقديري بالاستئناف الذي هو جواب
لسؤال مقدر كأنهم قالوا فماذا يكون إذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت فقال سوف تعلمون فوصل تارة بالفاء وتارة
بالاستئناف للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناف وهو باب من أبواب علم البيان
تتكاثر محاسنه وارتقبوا وانتظروا العاقبة وما أقول لكم إني معكم رقيب أي منتظر والرقيب بمعنى الراقب
من رقبه كالضريب والصريم بمعنى الضارب والصارم أو بمعنى المراقب كالعشير والنديم أو بمعنى المرتقب كالفقير والرفيع
بمعنى المفتقر والمرتفع ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة
فأصبحوا في ديارهم جاثمين فإن قلت قد ذكر عملهم على مكانتهم وعمله على مكانته ثم أتبعه ذكر عاقبة العاملين
منه ومنهم فكان القياس أن يقول من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو صادق حتى ينصرف من يأتيه عذاب يخزيه إلى الجاحدين
ومن هو صادق إلى النبي المبعوث إليهم قلت القياس ما ذكرت ولكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب
يعني في زعمكم ودعواكم تجهيلا لهم فإن قلت ما بال ساقتي قصة عاد وقصة مدين جاءتا بالواو والساقتان الوسطيان بالفاء
قلت قد وقعت الوسطيان بعد ذكر الوعد وذلك قوله إن موعدهم الصبح ذلك وعد غير مكذوب فجيء بالفاء الذي هو للتسبيب
كما تقول وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت وأما الأخريان فلم تقعا بتلك المثابة وإنما وقعتا مبتدأتين فكان
حقهما أن تعطفا بحرف الجمع على ما قبلهما كما تعطف قصة على قصة الجاثم اللازم لمكانه لا يريم كاللابد يعني أن جبريل
صاح بهم صيحة فزهق روح كل واحد منهم بحيث هو فجأة كأن لم يغنوا فيها كأن لم يقيموا في ديارهم أحياء متصرفين مترددين
ألا بعدا لمدين البعد بمعنى البعد وهو الهلاك كالرشد بمعنى الرشد ألا ترى إلى قوله كما بعدت ثمود وقرأ السلمي بعدت
بضم العين والمعنى في البناءين واحد وهو نقيض القرب إلا أنهم أرادوا التفرقة بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره
فغيروا البناء كما فرقوا بين ضماني الخير والشر فقالوا وعد وأوعد وقراءة السلمي جاءت على الأصل اعتبارا لمعنى البعد من
غير تخصيص كما يقال ذهب فلان ومضى في معنى الموت وقيل معناه بعدا لهم من رحمة الله كما بعدت ثمود منها ولقد أرسلنا
موسى بآياتنا وسلطان مبين فيه وجهان أن يراد أن هذه الآيات فيها سلطان مبين لموسى على صدق نبوته وأن يراد بالسلطان
المبين العصا لأنها أبهرها إلى فرعون وملئه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد بجهل لمتبعه حتى
تابعوه على أمره وهو ضلال مبين لا يخفى على من فيه أدنى مسكة من العقل وذلك أنه ادعى الإلهية وهو بشر مثلهم وجاهر
بالعسف والظلم والشر الذي لا يأتي إلا من شيطان مارد ومثله بمعزل من الإلهية ذاتا وأفعالا فاتبعوه وسلموا له
دعواه وتتابعوا على طاعته والأمر الرشيد الذي فيه رشد أي وما في أمره رشد إنما هو غي صريح وضلال ظاهر مكشوف
وإنما يتبع العقلاء من يرشدهم ويهديهم لا من يضلهم ويغويهم وفيه أنهم عاينوا الآيات والسلطان المبين في أمر موسى
عليه الصلاة والسلام وعلموا أن معه الرشد والحق ثم عدلوا عن اتباعه إلى اتباع من ليس في أمره رشد قط يقدم قومه
يوم القيامة أي كان لهم قدوة في الضلال كذلك يتقدمهم إلى النار وهم يتبعونه ويجوز أن يريد وما أمر فرعون
برشيد وما أمره بصالح حميد العاقبة ويكون قوله يقدم قومه تفسيرا له وإيضاحا والرشد يستعمل في كل ما يحمد
ويرتضى كما استعمل الغي في كل ما يذم ويتسخط ويقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه قادمة الرحل كما يقال قدمه بمعنى
تقدمه ومنه مقدمة الجيش وأقدم بمعنى تقدم ومنه مقدم العين
فأوردهم النار فإن قلت هلا قيل يقدم قومه فيوردهم ولم جيء بلفظ الماضي قلت لأن الماضي يدل على أمر
موجود مقطوع به فكأنه قيل يقدمهم فيوردهم النار لا محالة وبئس الورد المورود الورد المورد والمورود
الذي وردوه شبه بالفارط الذي يتقدم الواردة إلى الماء وشبه أتباعه بالواردة ثم قيل بئس الورد الذي يردونه النار

ودعواكم

لان

لأن الورد إنما يراد لتسكين العطش وتبريد الأكباد والنار ضده وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة أي يلعنون
في الدنيا ويلعنون في الآخرة بئس الرفد المرفود رفدهم أي بئس العون المعان وذلك أن اللعنة في الدنيا رفد
للعذاب ومدد له وقد رفدت باللعنة في الآخرة وقيل بئس العطاء المعطى ذلك من أنباء القرى نقصه عليك
بعضها ... خبر بعد خبر أي ذلك النبأ بعض أنباء القرى المهلكة مقصوص عليك منها الضمير للقرى
قائم وحصيد أي بعضها باق وبعضها عافي الأثر كالزرع القائم على ساقه والذي حصد فإن قلت
ما محل هذه الجملة قلت هي مستأنفة لا محل لها وما ظلمناهم بإهلاكنا إياهم ولكن ظلموا أنفسهم بارتكاب ما به
هلكوا فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك فما قدرت أن ترد عنهم بأس
الله ويدعون حكاية حال ماضية ولما منصوب بما أغنت أمر ربك عذابه ونقمته وما زادوهم غير
تتبيب تخسير يقال تب إذا خسر وتببه غيره أوقعه في الخسران وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى
محل الكاف الرفع تقديره ومثل ذلك الأخذ أخذ ربك والنصب فيمن قرأ وكذلك أخذ ربك بلفظ الفعل وقرئ إذ
أخذ القرى وهي ظالمة حال من القرى إن أخذه أليم شديد وجيع صعب على المأخوذ وهذا تحذير من وخامة
عاقبة الظلم لكل أهل قرية ظالمة من كفار مكة وغيرها بل لكل من ظلم غيره أو نفسه بذنب يقترفه فعلى كل
من أذنب أن يحذر أخذ ربه الأليم الشديد فيبادر التوبة ولا يغتر بالإمهال إن في ذلك فيما قص الله من قصص
الأمم الهالكة بذنوبهم لآية لمن خاف عذاب الآخرة لعبرة لأنه ينظر إلى ما أحل الله بالمجرمين في الدنيا وما هو
إلا أنموذج مما أعد الله لهم في الآخرة فإذا رأى عظمه وشدته اعتبر به عظم العذاب الموعود فيكون له عبرة وعظة
ولطفا في زيادة التقوى والخشية من الله ونحوه إن في ذلك لعبرة لمن يخشى ذلك إشارة إلى يوم القيامة لأن عذاب الآخرة
دل عليه مجموع له الناس والناس رفع باسم المفعول الذي هو مجموع كما يرفع بفعله إذا قلت يجمع له الناس فإن
قلت لأي فائدة أوثر اسم المفعول على فعله قلت لما في اسم المفعول من دلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وأنه يوم لا بد من
أن يكون ميعادا مضروبا لجمع الناس له وأنه الموصوف بذلك صفة لازمة وهو أثبت أيضا لإسناد الجمع إلى الناس وأنهم
لا ينفكون منه ونظيره قول المتهدد إنك لمنهوب مالك محروب قومك فيه من تمكن الوصف وثباته ما ليس في الفعل
وإن شئت فوازن بينه وبين قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع تعثر على صحة ما قلت لك ومعنى مجموعون له مجموعون لما فيه
من الحساب والثواب والعقاب وذلك يوم مشهود مشهود فيه فاتسع في الظرف بإجرائه مجرى المفعول به
كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا أي يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه أحد والمراد بالمشهود
الذي كثر شاهدوه ومنه قولهم لفلان مجلس مشهود وطعام محضور قال في محفل من نواصي الناس مشهود
فإن قلت ما منعك أن تجعل اليوم مشهودا في نفسه دون أن تجعله مشهودا فيه كما قال الله تعالى فمن شهد منكم
الشهر فليصمه قلت الغرض وصف ذلك اليوم بالهول والعظم وتمييزه من بين الأيام فإن جعلته مشهودا في نفسه
فسائر الأيام كذلك مشهودات كلها ولكن يجعل مشهودا فيه حتى يحصل التمييز كما ميز يوم الجمعة من بين أيام الأسبوع
مثله يشهدها كل من يشهده وكذلك قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه الشهر منتصب ظرفا لا مفعولا وكذلك
الضمير في فليصمه والمعنى فمن شهد منكم في الشهر فليصم فيه يعني فمن كان منكم حاضرا غير غائب في شهر رمضان فليصم
فيه ولو نصبته مفعولا لكان المسافر والمقيم كلاهما شاهدين للشهر لا يشهده المقيم ويغيب عنه المسافر وما نؤخره إلا
لأجل معدود الأجل يطلق على مدة التأجيل كلها وعلى منتهاها فيقولون انتهى الأجل آخره ويقولون حل الأجل فإذا جاء
أجلهم يراد آخر مدة التأجيل والعد إنما هو للمدة لا لغايتها ومنتهاها فمعنى قوله وما نؤخره إلا لأجل معدود إلا لانتهاء
مدة معدودة بحذف المضاف وقرئ وما يؤخره بالياء يوم يأت وقرئ يوم يأتي بالياء ونحو قولهم لا أدر حكاه الخليل
وسيبويه وحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة كثير في لغة هذيل فإن قلت فاعل يأتي ما هو قلت الله عز وجل كقوله
هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله أو يأتي ربك وجاء ربك وتعضده قراءة وما يؤخره بالياء وقوله بإذنه ويجوز أن يكون الفاعل
ضمير اليوم كقوله تعالى أن تأتيهم الساعة فإن قلت بم انتصب الظرف قلت إما أن ينتصب بلا تكلم وإما بإضمار
اذكر وإما بالانتهاء المحذوف في قوله إلا لأجل معدود أي ينتهي الأجل يوم يأتي فإن قلت فإذا جعلت الفاعل ضمير
اليوم فقد جعلت اليوم وقتا لإتيان اليوم وحددت الشيء بنفسه قلت المراد إتيان هوله وشدائده لا تكلم
نفس إلا بإذنه لا تتكلم وهو نظير قوله لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن فإن قلت كيف يوفق بين هذا وبين قوله
يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون قلت ذلك يوم طويل
له مواقف ومواطن ففي بعضها يجادلون عن أنفسهم وفي بعضها يكفون عن الكلام فلا يؤذن لهم وفي بعضها يؤذن
لهم فيتكلمون وفي بعضها يختم على أفواههم وتتكلم أيديهم وتشهد أرجلهم فمنهم الضمير لأهل الموقف لم يذكر لأن

بكونه مشهودا فيه دونها ولم يجز أن يكون مشهودا في نفسه لأن سائر أيام الأسبوع صح

ذلك معلوم ولمن قوله لا تكلم نفس يدل عليه وقد مر ذكر الناس في قوله مجموع له الناس شقي وسعيد والشقي الذي وجبت
له النار لإساءته والسعيد الذي وجبت له الجنة لإحسانه فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق
وقرأ العامة بفتح الشين وعن الحسن شقوا بالضم كما قرئ سعدوا والزفير إخراج النفس والشهيق رده قال الشماخ
بعيد مدى التطريب أول صوته زفير ويتلوه شهيق محشرج
خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد وأما الذين سعدوا
ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ ما دامت السموات والأرض
فيه وجهان أحدهما أن تراد سموات الآخرة وأرضها وهي دائمة مخلوقة للأبد والدليل على أن لها سموات وأرضا قوله
يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وقوله وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء ولأنه لا بد لأهل الآخرة
مما يقلهم ويظلهم إما سماء يخلقها الله أو يظلهم العرش وكل ما أظلك فهو سماء والثاني أن يكون عبارة عن التأبيد ونفي
الانقطاع كقول العرب ما دام تعار وما أقام ثبير وما لاح كوكب وغير ذلك من كلمات التأبيد فإن قلت
فما معنى الاستثناء في قوله إلا ما شاء ربك وقد ثبت خلود أهل الجنة والنار في الأبد من غير استثناء قلت هو استثناء من
الخلود في عذاب النار ومن الخلود في نعيم الجنة وذلك أن أهل النار لا يخلدون في عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير
وبأنواع العذاب سوى عذاب النار وبما هو أغلظ منها كلها وهو سخط الله عليهم وخسؤه لهم وإهانته إياهم وكذلك
أهل الجنة لهم سوى الجنة ما هو أكبر منها وأجل موقعا منهم وهو رضوان الله تعالى كما قال وعد الله المؤمنين والمؤمنات
جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ولهم ما يتفضل به
الله عليهم سوى ثواب الجنة لا يعرف كنهه إلا هو فهو المراد بالاستثناء والدليل عليه قوله عطاء غير مجذوذ ومعنى قوله
في مقابلته إن ربك فعال لما يريد أنه يفعل بأهل النار ما يريد من العذاب كما يعطي أهل الجنة عطاءه الذي لا انقطاع له
فتأمله فإن القرآن يفسر بعضه بعضا ولا يخدعنك عنه قول المجبرة إن المراد بالاستثناء خروج أهل الكبائر بالشفاعة
فإن الاستثناء الثاني ينادي على تكذيبهم ويسجل بافترائهم وما ظنك بقوم نبذوا كتاب الله ظهورهم لما روى لهم بعض الثوابت عن
عبد الله بن عمرو بن العاص ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابا وقد بلغني
أن من الضلال من اعتقد هذا الحديث فاعتقد أن الكفار لا يخلدون في النار فهذا ونحوه والعياذ بالله من الخذلان المبين
زادنا الله هداية إلى الحق ومعرفة بكتابه وتنبها على أن نغفل عنه ولئن صح هذا الحديث عن ابن العاص فمعناه أنهم
يخرجون من حر النار إلى برد الزمهرير فذلك خلو جهنم وصفق أبوابها وأقول ما كان لابن عمرو في سيفيه ومقاتلته بهما
علي بن أبي طالب صلوات الله عليه ما يشغله عن تسيير هذا الحديث غير مجذوذ غير مقطوع ولكنه ممتد إلى غير نهاية كقوله
لهم أجر غير ممنون لما قص قصص عبدة الأوثان وذكر ما أحل بهم من نقمه وما أعد لهم من عذابه قال فلا تك في مرية مما
يعبد هؤلاء أي فلا تشك بعد ما أنزل عليك من هذه القصص في سوء عاقبة عبادتهم وتعرضهم لما أصاب أمثالهم قبلهم تسلية لرسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم وعدة بالانتقام منهم ووعيدا لهم ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل يريد أن حالهم في
الشرك مثل حال آبائهم من غير تفاوت بين الحالين وقد بلغك ما نزل بآبائهم فسينزل بهم مثله وهو استئناف معناه تعليل النهي
عن المرية وما في مما وكما يجوز أن تكون مصدرية وموصولة أي من عبادتهم وكعبادتهم أو مما يعبدون من الأوثان ومثل ما
يعبدون منها وإنا لموفوهم نصيبهم أي حظهم من العذاب كما وفينا آباءهم أنصباءهم فإن قلت كيف نصب
غير منقوص حالا عن النصيب الموفى قلت يجوز أن يوفى وهو ناقص ويوفى وهو كامل ألا تراك تقول وفيته شطر حقه
وثلث حقه وحقه كاملا وناقصا ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه آمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف في القرآن
ولولا كلمة سبقت من ربك يعني كلمة الإنظار إلى يوم القيامة لقضي بينهم بين قوم موسى أو قومك وهذه من جملة
التسلية أيضا وإنهم لفي شك منه مريب وإن كلا التنوين عوض من المضاف إليه يعني وإن كلهم وإن جميع المختلفين
فيه لما ليوفينهم ربك أعمالهم إنه بما يعملون خبير ليوفينهم جواب قسم محذوف واللام في لما موطئة للقسم وما
مزيد والمعنى وإن جميعهم والله ليوفينهم ربك أعمالهم من حسن وقبيح وإيمان وجحود وقرئ وإن كلا بالتخفيف على إعمال
أن المخففة عمل الثقيلة اعتبارا لأصلها الذي هو التثقيل وقرأ أبي وإن كل لما ليوفينهم على أن إن نافية ولما بمعنى إلا وقرأ
عبد الله مفسرا لها وإن كل إلا ليوفينهم وقرأ الزهري وسليمان بن أرقم وإن كلا لما ليوفينهم بالتنوين كقوله أكلا لما والمعنى
وإن كلا ملمومين بمعنى مجموعين كأنه قيل وإن كلا جميعا كقوله فسجد الملائكة كلهم أجمعون فاستقم كما
أمرت فاستقم استقامة مثل الاستقامة التي أمرت بها على جادة الحق غير عادل عنها ومن تاب معك معطوف على
المستتر في استقم وإنما جاز العطف عليه ولم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه والمعنى فاستقم أنت وليستقم من تاب
عن الكفر وآمن معك ولا تطغوا ولا تخرجوا عن حدود الله إنه بما تعملون بصير عالم فهو مجازيكم فاتقوه وعن ابن عباس

رضي الله عنه ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في جميع القرآن آية كانت أشد ولا أشق عليه من هذه الآية
ولهذا قال شيبتني هود والواقعة وأخواتهما وروي أن أصحابه قالوا له لقد أسرع فيك الشيب فقال شيبتني هود
وعن بعضهم رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في النوم فقلت له روي عنك أنك قلت شيبتني هود فقال نعم فقلت ما
الذي شيبك منها أقصص الأنبياء وهلاك الأمم قال لا ولكن قوله فاستقم كما أمرت وعن جعفر الصادق فاستقم كما أمرت
قال افتقر إلى الله بصحة العزم ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار قرئ ولا تركنوا بفتح الكاف
وضمها مع فتح التاء وعن أبي عمرو بكسر التاء وفتح الكاف على لغة تميم في كسرهم حروف المضارعة إلا الياء في كل ما كان
من باب علم يعلم ونحوه قراءة من قرأ فتمسكم النار بكسر التاء وقرأ ابن أبي عبلة ولا تركنوا على البناء للمفعول من أركنه
إذا أماله والنهي متناول للانحطاط في هواهم والانقطاع إليهم ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضى
بأعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيهم ومد العين إلى زهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم لهم وتأمل قوله ولا تركنوا فإن
الركون هو الميل اليسير وقوله إلى الذين ظلموا أي إلى الذين وجد منهم الظلم ولم يقل إلى الظالمين وحكي أن الموفق صلى خلف الإمام
فقرأ هذه الآية فغشي عليه فلما أفاق قيل له فقال هذا فيمن ركن إلى من ظلم فكيف بالظالم وعن الحسن رحمه الله جعل الله
الدين بين لاءين ولا تطغوا ولا تركنوا ولما خالط الزهري السلاطين كتب إليه أخ له في الدين عافانا الله وإياك أبا بكر
من الفتن فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك أن يدعو لك الله ويرحمك أصبحت شيخا كبيرا وقد أثقلتك نعم الله
بما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه وليس كذلك أخذ الله الميثاق على العلماء قال الله تعالى لتبيننه للناس ولا تكتمونه
واعلم أن أيسر ما ارتكبت وأخف ما احتملت أنك آنست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغي بدنوك ممن لم يؤد حقا
ولم يترك باطلا حين أدناك اتخذوك قطبا تدور عليك رحى باطلهم وجسرا يعبرون عليك إلى بلائهم وسلما
يصعدون فيك إلى ضلالهم يدخلون الشك بك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما أيسر ما عمروا لك في جنب ما
خربوا عليك وما أكثر ما أخذوا منك فيما أفسدوا عليك من دينك فما يؤمنك أن تكون ممن قال الله فيهم فخلف من بعدهم
خلف أضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا فإنك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك
فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر السفر البعيد وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء والسلام وقال
سفيان في جهنم واد لا يسكنه إلا القراء الزائرون للملوك وعن الأوزاعي ما من شيء أبغض إلى الله من عالم يزور عاملا وعن
محمد بن مسلمة الذباب على العذرة أحسن من قارئ على باب هؤلاء وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من دعا لظالم بالبقاء
فقد أحب أن يعصى الله في أرضه ولقد سئل سفيان عن ظالم أشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة ماء فقال لا فقيل له
يموت فقال دعه يموت وما لكم من دون الله من أولياء حال من قوله فتمسكم النار وأنتم على هذه الحالة ومعناه وما لكم
من دون الله من أنصار يقدرون على منعكم منه غيره ثم لا تنصرون ثم لا ينصركم هو لأنه وجب في حكمته تعذيبكم
وترك الإبقاء عليكم فإن قلت فما معنى ثم قلت معناها الاستبعاد لأن النصرة من الله مستبعدة مع استيجابهم
العذاب واقتضاء حكمته له وأقم الصلوة طرفي النهار غدوة وعشية وزلفا من الليل وساعات من الليل وهي ساعاته
القريبة من آخر النهار من أزلفه إذا قربه وازدلف إليه وصلوة الغدوة الفجر وصلوة العشية الظهر والعصر لأن ما بعد
الزوال عشي وصلوة الزلف المغرب والعشاء وانتصاب طرفي النهار على الظرف لأنهما مضافان إلى الوقت كقولك أقمت
عنده جميع النهار وأتيته نصف النهار وأوله وآخره تنصب هذا كله على إعطاء المضاف حكم المضاف إليه ونحوه وأطراف
النهار وقرئ وزلفا بضمتين وزلفا بسكون اللام وزلفى بوزن قربى فالزلف جمع زلفة كالظلم في ظلمة والزلف
بضمتين نحو بسر في بسر والزلفى بمعنى الزلفة كما أن القربى بمعنى القربة وهو ما يقرب من آخر النهار من الليل وقيل وزلفا
من الليل وقربا من الليل وحقها على هذا التفسير أن تعطف على الصلوة أي أقم الصلوة طرفي النهار وأقم زلفا من الليل
على معنى وأقم صلوات يتقرب بها إلى الله عز وجل في بعض الليل إن الحسنات يذهبن السيئات فيه وجهان أحدهما
أن يراد تكفير الصغائر بالطاعات وفي الحديث إن الصلوة إلى الصلوة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر والثاني
أن الحسنات يذهبن السيئات بأن يكون لطفا في تركها كقوله إن الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل نزلت في أبي اليسر
عمرو بن غزية الأنصاري كان يبيع التمر فأتته امرأة فأعجبته فقال لها إن في البيت أجود من هذا التمر فذهب بها
بيته فضمها إلى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره بما فعل فقال
انتظر أمر ربي فلما صلى صلوة العصر نزلت فأتى عمر فقال له مثل ذلك ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت
فقال عمر أهذا له خاصة أم للناس عامة فقال بل للناس عامة وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال له
توضأ وضوءا حسنا وصل ركعتين إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك إشارة إلى قوله فاستقم فما بعده ذكرى
للذاكرين عظة للمتعظين واصبر ثم كر إلى التذكير بالصبر بعد ما جاء بما هو خاتمة للتذكير وهذا الكلام

لفضل خصوصية ومزية وتنبيه على مكان الصبر ومحله كأنه قال وعليك بما هو أهم مما ذكرت وأحق بالوصية وهو
الصبر على امتثال ما أمرت به والانتهاء عما نهيت عنه فلا يتم شيء منه إلا به ﴿فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ جاء بما
هو مشتمل على الاستقامة وإقامة الصلاة والانتهاء عن الطغيان والركون إلى الظالمين والصبر وغير ذلك من
الحسنات ﴿فلولا كان من القرون من قبلكم﴾ فهلا كان وقد حكوا عن الخليل كل لولا في القرآن فمعناها هلا إلا التي
في الصافات لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء ولولا رجال مؤمنون ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن
إليهم ﴿أولوا بقية﴾ أولو فضل وخير وسمي الفضل والجودة بقية لأن الرجل يستبقي مما يخرجه أجوده وأفضله فصار
مثلا في الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم أي من خيارهم وبه فسر بيت الحماسة إن تذنبوا ثم يأتيني بقيتكم
أي فهلا كان منهم ذوو بقاء على أنفسهم وصيانة لها من سخط الله عز وجل وعقابه وقرئ أولو بقية من بقاه يبقيه
إذا راقبه وانتظره ومنه بقينا رسول الله والبقية المرة من مصدره والمعنى فلولا كان منهم أولو مراقبة وخشية
من انتقام الله كأنهم ينتظرون إيقاعه لإشفاقهم ﴿ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا﴾ استثناء منقطع معناه
ولكن قليلا ﴿ممن أنجينا منهم﴾ من القرون نهوا عن الفساد وسائرهم تاركون للنهي ومن في ممن أنجينا حقها أن تكون للبيان لا
للتبعيض لأن النجاة إنما هي للناهين وحدهم بدليل قوله عز وجل أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا
فإن قلت هل لوقوع هذا الاستثناء متصلا وجه يحمل عليه قلت إن جعلته متصلا على ما عليه ظاهر الكلام كان
المعنى فاسدا لأنه يكون تحضيضا لأولي البقية على النهي عن الفساد إلا القليل من الناجين منهم كما تقول هلا قرأ قومك
القرآن إلا الصلحاء منهم تريد استثناء الصلحاء من المحضضين على قراءة القرآن وإن قلت في تحضيضهم على النهي عن الفساد
إلا القليل من الناجين معنى نفيه عنهم فكأنه قيل ما كان من القرون أولو بقية إلا قليلا كان استثناء متصلا ومعنى
صحيحا وكان انتصابه على أصل الاستثناء وإن كان الأفصح أن يرفع على البدل ﴿واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه﴾ أراد
بالذين ظلموا تاركي النهي عن المنكرات أي لم يهتموا بما هو ركن عظيم من أركان الدين وهو الأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر وعقدوا هممهم بالشهوات واتبعوا ما عرفوا فيه التنعم والترف من حب الرياسة والثروة وطلب أسباب
العيش الهني ورفضوا ما وراء ذلك ونبذوه وراء ظهورهم وقرأ أبو عمرو في رواية الجعفي وأتبع الذين ظلموا يعني
وأتبعوا جزاء ما أترفوا فيه ويجوز أن يكون المعنى في القراءة المشهورة أنهم اتبعوا جزاء إترافهم وهذا معنى قوي لتقدم
الإنجاء كأنه قيل إلا قليلا ممن أنجينا منهم وهلك السائر فإن قلت علام عطف قوله واتبع الذين ظلموا قلت
إن كان معناه واتبعوا الشهوات كان معطوفا على مضمر لأن المعنى إلا قليلا ممن أنجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين
ظلموا شهواتهم فهو عطف على نهوا وإن كان معناه واتبعوا جزاء الإتراف فالواو للحال كأنه قيل أنجينا القليل
وقد اتبع الذين ظلموا جزاءهم فإن قلت فقوله ﴿وكانوا مجرمين﴾ قلت على أترفوا أي اتبعوا الإتراف وكونهم
مجرمين لأن تابع الشهوات مغمور بالآثام أو أريد بالإجرام إغفالهم للشكر أو على اتبعوا أي اتبعوا شهواتهم وكانوا مجرمين
بذلك ويجوز أن يكون اعتراضا وحكما عليهم بأنهم قوم مجرمون ﴿وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون﴾
معنى صحيح واستقام واللام لتأكيد النفي وبظلم حال من الفاعل والمعنى واستحال في الحكمة أن يهلك الله القرى ظالما لها
وأهلها قوم مصلحون تنزيها لذاته عن الظلم وإيذانا بأن إهلاك المصلحين من الظلم وقيل الظلم الشرك ومعناه أنه
لا يهلك القرى بسبب شرك أهلها وهم مصلحون يتعاطون الحق فيما بينهم ولا يضمون إلى شركهم فسادا آخر ﴿ولو
شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة﴾ يعني لاضطرهم إلى أن يكونوا أهل أمة واحدة أي ملة واحدة وهي ملة الإسلام كقوله إن
هذه أمتكم أمة واحدة وهذا الكلام يتضمن نفي الاضطرار وأنه لم يضطرهم إلى الاتفاق على دين الحق ولكنه مكنهم من الاختيار
الذي هو أساس التكليف فاختار بعضهم الحق وبعضهم الباطل فاختلفوا فلذلك قال ﴿ولا يزالون مختلفين إلا من رحم
ربك﴾ إلا ناسا هداهم الله ولطف بهم فاتفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه ﴿ولذلك خلقهم﴾ ذلك إشارة إلى ما دل عليه الكلام
الأول وتضمنه يعني ولذلك من التمكين والاختيار الذي كان عنه الاختلاف خلقهم ليثيب مختار الحق بحسن اختياره ويعاقب
مختار الباطل بسوء اختياره ﴿وتمت كلمة ربك﴾ وهي قوله للملائكة ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ لعلمه
بكثرة من يختار الباطل ﴿وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك﴾ التنوين فيه عوض من المضاف إليه
كأنه قيل وكل نبإ نقص عليك من أنباء الرسل وما نثبت به فؤادك بدل من كلا ويجوز أن يكون المعنى وكل
اقتصاص نقص عليك على معنى وكل نوع من أنواع الاقتصاص نقص عليك يعني على الأساليب المختلفة وما نثبت به فؤادك
مفعول نقص ومعنى تثبيت فؤاده زيادة يقينه وما فيه طمأنينة قلبه لأن تكاثر الأدلة أثبت للقلب وأرسخ للعلم ﴿وجاءك
في هذه الحق﴾ أي في هذه السورة أو في هذه الأنباء المقتصة ما هو حق ﴿وموعظة وذكرى للمؤمنين﴾ ﴿وقل للذين
لا يؤمنون﴾ من أهل مكة وغيرهم ﴿اعملوا على مكانتكم﴾ على حالكم وجهتكم التي أنتم عليها ﴿إنا عاملون﴾ ﴿وانتظروا﴾ بنا الدوائر

انا منتظرون

﴿إنا منتظرون﴾ أن ينزل بكم نحو ما اقتص الله من النقم النازلة بأشباهكم ﴿ولله غيب السماوات والأرض﴾ لا تخفى عليه خافية
مما يجري فيهما فلا تخفى عليه أعمالكم ﴿وإليه يرجع الأمر كله﴾ فلا بد أن يرجع إليه أمرهم وأمرك فينتقم لك منهم ﴿فاعبده
وتوكل عليه﴾ فإنه كافيك وكافلك ﴿وما ربك بغافل عما تعملون﴾ وقرئ تعملون بالتاء أي أنت وهم على تغليب المخاطب
عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة هود أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به
وهود وصالح وشعيب ولوط وإبرهيم وموسى وكان يوم القيمة من السعداء إن شاء الله تعالى

سورة يوسف عليه السلام وهي مائة وإحدى عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الر تلك آيات الكتاب المبين﴾ تلك إشارة إلى آيات السورة والكتاب المبين السورة أي تلك الآيات التي أنزلت إليك في هذه
السورة الظاهر أمرها في إعجاز العرب وتبكيتهم أو التي تبين لمن تدبرها أنها من عند الله لا من عند البشر أو الواضحة
التي لا تشتبه على العرب معانيها لنزوله بلسانهم أو قد أبين فيها ما سألت عنه اليهود من قصة يوسف فقد روي أن علماء اليهود
قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر وعن قصة يوسف ﴿إنا أنزلناه﴾ أنزلنا هذا الكتاب
الذي فيه قصة يوسف في حال كونه ﴿قرآنا عربيا﴾ وسمي بعض القرآن قرآنا لأن القرآن اسم جنس يقع على كله وبعضه
﴿لعلكم تعقلون﴾ إرادة أن تفهموه وتحيطوا بمعانيه ولا يلتبس عليكم ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته
﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾ القصص على وجهين يكون مصدرا بمعنى الاقتصاص تقول قص الحديث يقصه قصصا
كقولك شله يشله شللا إذا طرده ويكون فعلا بمعنى مفعول كالنفض والحسب ونحوه النبأ والخبر في معنى المنبأ به
والمخبر به ويجوز أن يكون من تسمية المفعول بالمصدر كالخلق والصيد فإن أريد المصدر فمعناه نقص عليك أحسن
الاقتصاص ﴿بما أوحينا إليك هذا القرآن﴾ أي بإيحائنا إليك هذه السورة على أن يكون أحسن منصوبا نصب المصدر
لإضافته إليه ويكون المقصوص محذوفا لأن قوله بما أوحينا إليك هذا القرآن مغن عنه ويجوز أن ينتصب هذا القرآن
بنقص كأنه قيل نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص هذا القرآن بإيحائنا إليك والمراد بأحسن الاقتصاص أنه اقتص على أبدع طريقة
وأعجب أسلوب ألا ترى أن هذا الحديث مقتص في كتب الأولين وفي كتب التواريخ ولا ترى اقتصاصه في كتاب منها
مقاربا لاقتصاصه في القرآن وإن أريد بالقصص المقصوص فمعناه نحن نقص عليك أحسن ما يقص من الأحاديث وإنما
كان أحسنه لما يتضمن من العبر والنكت والحكم والعجائب التي ليست في غيرها والظاهر أنه أحسن ما يقتص في بابه كما يقال في
الرجل هو أعلم الناس وأفضلهم يراد في فنه فإن قلت مم اشتقاق القصص قلت من قص أثره إذا اتبعه لأن الذي
يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا كما يقال تلا القرآن إذا قرأه لأنه يتلو أي يتبع ما حفظ منه آية بعد آية ﴿وإن كنت
من قبله لمن الغافلين﴾ إن مخففة من الثقيلة واللام هي التي تفرق بينها وبين النافية والضمير في قبله راجع إلى قوله بما أوحينا
والمعنى وإن الشأن والحديث كنت من قبل إيحائنا إليك من الغافلين عنه أي من الجاهلين به ما كان لك فيه علم قط ولا طرق
سمعك طرف منه ﴿إذ قال يوسف لأبيه﴾ بدل من أحسن القصص وهو من بدل الاشتمال لأن الوقت مشتمل على القصص وهو المقصوص
فإذا قص وقته فقد قص أو بإضمار اذكر ويوسف اسم عبراني وقيل عربي وليس بصحيح لأنه لو كان عربيا لانصرف لخلوه
عن سبب آخر سوى التعريف فإن قلت فما تقول فيمن قرأ يوسف بكسر السين أو يوسف بفتحها هل يجوز على قراءته أن يقال
هو عربي لأنه على وزن المضارع المبني للفاعل أو للمفعول من آسف وإنما منع الصرف للتعريف ووزن الفعل قلت لا لأن
القراءة المشهورة قامت بالشهادة على أن الكلمة أعجمية فلا تكون عربية تارة وأعجمية أخرى ونحو يوسف يونس رويت فيه اللغات
الثلاث ولا يقال هو عربي لأنه في لغتين منها بوزن المضارع من آنس وأونس وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا قيل من الكريم
فقولوا الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبرهيم ﴿يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا
والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين﴾ قرئ بالحركات الثلاث فإن قلت ما هذه التاء قلت تاء التأنيث وقعت عوضا
من ياء الإضافة والدليل على أنها تاء تأنيث قلبها هاء في الوقف فإن قلت كيف جاز إلحاق تاء التأنيث بالمذكر قلت كما جاز
نحو قولك حمامة ذكر وشاة ذكر ورجل ربعة وغلام يفعة فإن قلت لم ساغ تعويض تاء التأنيث من ياء الإضافة
قلت لأن التأنيث والإضافة يتناسبان في أن كل واحد منهما زيادة مضمومة إلى الاسم في آخره فإن قلت فما هذه
الكسرة قلت هي الكسرة التي كانت قبل الياء في قولك يا أبي قد زحلقت إلى التاء لاقتضاء تاء التأنيث أن يكون ما قبلها مفتوحا
فإن قلت فما بال الكسرة لم تسقط بالفتحة التي اقتضتها التاء وتبقى التاء ساكنة قلت امتنع ذلك فيها لأنها اسم والأسماء
حقها التحريك لأصالتها في الإعراب وإنما جاز تسكين الياء وأصلها أن تحرك تخفيفا لأنها حرف لين وأما التاء فحرف
صحيح نحو كاف الضمير فلزم تحريكها فإن قلت يشبه الجمع بين التاء وبين هذه الكسرة الجمع بين العوض والمعوض منه

لانها في حكم الياء اذا قلت يا غلام كما لا يجوز يا ابني ولا يجوز يا ابت **قلت** التاء والكسرة قبلها شيان والياء عوض من احد الشيين
وهو اليا والكسرة غير معترض لها ولا يجمع بين العوض والمعوض منه الا اذا جمع بين اليا والتا لا غير الا ترى الى قولهم يا ابتا
مع كون الالف فيه بدلا من اليا كيف جاز الجمع بينها وبين التا ولم يعد ذلك جمعا بين العوض والمعوض منه فالكسرة ابعد من
ذلك **فان قلت** فقد دلت الكسرة في يا غلام على الاضافة لانها قرينة اليا ولصيقتها فان دلت على مثل ذلك في يا ابت
فالتا المعوضة لغو وجودها كعدمها **قلت** بل حالها مع التا كحالها مع اليا اذا قلت يا ابي **فان قلت** فما وجه من
قرا بفتح التاء وضمها **قلت** اما من فتح فقد حذف الالف من يا ابتا واستبقي الفتحة قبلها كما فعل من حذف اليا في يا غلام ويجوز
ان يقال حركها بحركة اليا المعوض منها في قولك يا ابي واما من ضم فقد راى اسما في اخره تا تانيث فاجراه مجرى الاسماء
المونثة بالتا فقال يا ابة كما تقول يا ثبة من غير اعتبار لكونها عوضا من يا الاضافة وقرى اني رايت بتحريك اليا واحد
عشر بسكون العين تخفيفا لتوالي المتحركات فيما هو في حكم اسم واحد وكذلك الى تسعة عشر الا اثنا عشر لئلا يلتقي ساكنا
ورايت من الرويا لا من الروية لان ما ذكره معلوم انه منام لان الشمس والقمر لو اجتمعا مع الكواكب ساجدة ليوسف
في حال اليقظة لكانت اية عظيمة ليعقوب عليه السلام ولما خفيت عليه وعلى الناس **فان قلت** فما اسما تلك الكواكب
قلت روى جابر ان يهوديا جا الى النبي صلى الله عليه واله وسلم فقال يا محمد اخبرني عن النجوم التي راهن يوسف فسكت
رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فنزل جبريل عليه السلام فاخبره بذلك فقال النبي صلى الله عليه واله وسلم لليهودي ان اخبرتك
هل تسلم قال نعم قال جربان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو
الكتفين راها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماوها وقيل الشمس والقمر
ابواه وقيل ابوه وخالته والكواكب اخوته وعن وهب ان يوسف راى وهو ابن سبع سنين ان احد عشر عصا طوالا كانت
مركوزة في الارض كهيئة الدارة واذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك
ان تذكر هذا لاخوتك ثم راى وهو ابن ثنتي عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على ابيه فقال لا تقصها
عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين رويا يوسف ومصير اخوته اليه اربعون سنة وقيل ثمانون **فان قلت**
لم اخر الشمس والقمر **قلت** اخرهما ليعطفهما على الكواكب على طريق الاختصاص بيانا لفضلهما واستبدادهما بالمزية
على غيرهما من الطوالع كما اخر جبريل وميكائيل عن الملائكة ثم عطفهما عليها لذلك ويجوز ان تكون الواو بمعنى مع اي رايت
الكواكب مع الشمس والقمر **فان قلت** ما معنى تكرار رايت **قلت** ليس بتكرار انما هو كلام مستانف على تقدير
سوال وقع جوابا له كان يعقوب عليه السلام قال له عند قوله اني رايت احد عشر كوكبا كيف رايتها سايلا عن حال
روييتها فقال رايتهم لي ساجدين **فان قلت** فلم اجريت مجرى العقلا في رايتهم لي ساجدين **قلت** لانه لما وصفها بما هو
خاص للعقلاء وهو السجود اجرى عليها حكمهم كانها عاقلة وهذا كثير شايع في كلامهم ان يلابس الشيء الشيء من
بعض الوجوه فيعطى حكما من احكامه اظهارا لاثر الملابسة والمقاربة **قال يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك**
عرف يعقوب عليه السلام دلالة الرويا على ان يوسف يبلغه الله عز وجل مبلغا من الحكمة ويصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف
الدارين كما فعل بابائه فخاف عليه حسد الاخوة وبغيهم والرويا بمعنى الروية الا انها مختصة بما كان منها في المنام دون
اليقظة فرق بينهما بحرفي التانيث كما قيل القربة والقربى وقرى روياك بقلب الهمزة واوا وسمع الكسائي رياك وريّاك
بالادغام وضم الرا وكسرها وهي ضعيفة لان الواو في تقدير الهمزة فلا يقوى ادغامها كما لم يقو الادغام في قولهم اترص
والتزر من الاجر **فيكيدوا لك كيدا** منصوب باضمار ان والمعنى ان قصصتها عليهم كادوك **فان قلت** هلا قيل فيكيدوك كما قيل فكيدوني **قلت** ضمن معنى فعل يتعدى باللام ليفيد معنى الكيد مع افادة معنى الفعل المضمن
فيكون اكد وابلغ في التخويف وذلك نحو فيحتالوا لك الا ترى الى تاكيده بالمصدر **ان الشيطان للانسان عدو مبين**
ظاهر العداوة كما فعل بادم وحوا وكقوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فهو يحمل على الكيد والمكر وكل شر ليورط
من يحمله ولا يومن ان يحملهم على مثله **وكذلك** ومثل ذلك الاجتبا **يجتبيك ربك ويعلمك من تاويل الاحاديث ويتم**
نعمته عليك وعلى ال يعقوب كما اتمها على ابويك من قبل ابراهيم واسحق يعني وكما اجتباك لمثل هذه الرويا
العظيمة الدالة على شرف وعز وكبريا شان كذلك يجتبيك لامور عظام وقوله ويعلمك كلام مبتدا غير داخل
في حكم التشبيه كانه قيل وهو يعلمك ويتم نعمته عليك والاجتبا الاصطفا افتعال من جبيت الشي اذا جعلته لنفسك
وجبيت الما في الحوض جمعته والاحاديث الرويا لان الرويا اما حديث نفس او ملك او شيطان وتاويلها عبارتها وتفسيرها وكان يوسف عليه السلام اعبر الناس للرويا واصحهم عبارة لها ويجوز ان يراد بتاويل الاحاديث معاني كتب الله
وسنن الانبيا وما غمض واشتبه على الناس من اغراضها ومقاصدها يفسرها لهم ويشرحها ويدلهم على مودعات حكمها وسميت
احاديث لانه يحدث بها عن الله ورسله فيقال قال الله وقال الرسول كذا وكذا الا ترى الى قوله فباي حديث بعده

يوصون

يوصون الله نزل احسن الحديث وهو اسم جمع للحديث وليس بجمع احدوثة ومعنى تمام النعمة عليهم انهم وصل لهم نعمة الدنيا
بنعمة الاخرة بان جعلهم انبيا في الدنيا وملوكا ونقلهم عنها الى الدرجات العلى في الجنة وقيل اتمها على ابراهيم بالخلة والانجا
من النار ومن ذبح الولد وعلى اسحق بانجايه من الذبح وفدايه بذبح عظيم وباخراج يعقوب والاسباط من صلبه وقيل علم
يعقوب ان يوسف يكون نبيا واخوته انبيا استدلالا بضوء الكواكب فلذلك قال وعلى ال يعقوب وقيل لما بلغت الرويا
اخوة يوسف حسدوه وقالوا ما رضي ان يسجد له اخوته حتى سجد له ابواه وقيل كان يعقوب موثرا له بزيادة المحبة فكان
يضمه كل ساعة الى صدره ولا يصبر عنه فتبالغ فيهم الحسد وقيل لما قص رويا على يعقوب قال هذا امر متشتت يجمعه
الله لك بعد دهر طويل وال يعقوب اهله وهم نسله وغيرهم واصل ال اهل بدليل تصغيره على اهيل الا انه لا يستعمل الا
فيمن له خطر يقال ال النبي وال الملك ولا يقال ال الحايك ولا ال الحجام ولكن اهلهما واراد بالابوين الجد وابا الجد لانهما في حكم
الاب في الاصالة ومن ثم يقولون ابن فلان وان كان بينه وبين فلان عدة وابراهيم واسحق عطف بيان لابويك **ان ربك عليم**
يعلم من يحق له الاجتبا **حكيم** لا يتم نعمته الا على من يستحقها **لقد كان في يوسف واخوته ايات للسايلين** في يوسف
واخوته اي في قصتهم وحديثهم ايات علامات ودلايل على قدرة الله وحكمته في كل شي للسايلين لمن سال عن قصتهم وعرفها
وقيل ايات على نبوة محمد صلى الله عليه واله وسلم للذين سالوه من اليهود عنها فاخبرهم بالصحة من غير سماع من احد ولا
قراة كتاب وقرى اية وفي بعض المصاحف عبرة وقيل انما قص الله على النبي عليه الصلوة والسلام خبر يوسف وبغي اخوته
عليه لما راى من بغي قومه عليه ليتاسى به وقيل اسماوهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي وربالون ويشجر ودينة
ودان ونفتالي وجاد واشر السبعة الاولون كانوا من ليا بنت خالة يعقوب والاربعة الاخرون من سريتين زلفة
وبلهة فلما توفيت ليا تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف **اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا**
منا اللام لام الابتدا وفيها تاكيد وتحقيق لمضمون الجملة ارادوا ان زيادة محبته لهما امر ثابت لا شبهة فيه واخوه هو
بنيامين وانما قالوا اخوه وهم جميعا اخوته لان امهما كانت واحدة وقيل احب في الاثنين لان افعل لا يفرق بين الواحد
وما فوقه ولا بين المذكر والمونث اذا كان معه من ولا بد من الفرق مع لام التعريف واذا اضيف جاز الامران والواو في
ونحن عصبة واو الحال يعني انه يفضلهما في المحبة علينا وهما اثنان صغيران لا كفاية فيهما ولا منفعة ونحن جماعة عشرة رجال
كفاة نقوم بمرافقه فنحن احق بزيادة المحبة منهما لفضلنا بالكثرة والمنفعة عليهما **ان ابانا لفي ضلال مبين** اي في ذهاب
عن طريق الصواب في ذلك والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا وقيل الى الاربعين سموا بذلك لانهم جماعة تعصب
بهم الامور ويستكفون النوايب وروى النزال بن سبرة عن علي رضي الله عنه ونحن عصبة بالنصب وقيل معناه ونحن
نجتمع عصبة وعن ابن الانباري هذا كما تقول العرب انما العامري عمته اي يتعهد عمته **اقتلوا يوسف** من جملة ما حكي
بعد قوله اذ قالوا كانهم اطبقوا على ذلك الا من قال لا تقتلوا يوسف وقيل الامر بالقتل شمعون وقيل دان والباقون كانوا
راضين فجعلوا امرين **او اطرحوه ارضا** منكورة مجهولة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها واخلايها من الوصف
ولا بهامها من هذا الوجه نصبت نصب الظروف المبهمة **يخل لكم وجه ابيكم** يقبل عليكم اقبالة واحدة ولا يلتفت عنكم
الى غيركم والمراد سلامة محبته لهم ممن يشاركهم فيها وينازعهم اياها فكان ذكر الوجه لتصوير معنى اقباله عليهم لان
الرجل اذا اقبل على الشي اقبل بوجهه ويجوز ان يراد بالوجه الذات كما قال ويبقى وجه ربك وقيل يخل لكم يفرغ لكم من الشغل
بيوسف **وتكونوا من بعده** من بعد يوسف اي من بعد كفايته بالقتل او التغريب او يرجع الضمير الى مصدر اقتلوا او اطرحوا
قوما صالحين تايبين الى الله مما جنيتم عليه او يصلح ما بينكم وبين ابيكم بعذر تمهدونه وتصلح دنياكم
وينتظم امركم بعده بخلو وجه ابيكم ويكونوا اما مجزوم عطفا على يخل لكم واما منصوب باضمار ان والواو بمعنى
مع كقوله وتكتموا الحق **قال قايل منهم لا تقتلوا يوسف والقوه في غيابت الجب** قايلهم هو يهوذا وكان احسنهم
فيه رايا وهو الذي قال فلن ابرح الارض قال لهم القتل عظيم القوه في غيابات الجب وهو غوره وما غاب منه عن عين
الناظر واظلم من اسفله قال المنخل اذا انا يوما غيبتني غيابتي فسيروا بسيري في العشيرة والاهل
اراد غيابة حفرته التي يدفن فيها وقرى غيابات على الجمع وغيابات بالتشديد وقرا الجحدري غيبة والجب البير
لم تطو لانه ارض تجب جبا لا غير **يلتقطه** ياخذه **بعض السيارة** بعض الاقوام الذين يسيرون في الطريق وقرى تلتقطه
بالتا على المعنى لان بعض السيارة سيارة كقوله كما شرقت صدر القناة من الدم ومنه ذهبت
بعض اصابعه **ان كنتم فاعلين** ان كنتم على ان تفعلوا ما يحصل به غرضكم فهذا هو الراي **قالوا يا ابانا ما لك لا**
تامنا على يوسف وانا له لناصحون ما لك لا تامنا قرى باظهار النونين وبالادغام بالاشمام وبغير اشمام وتيمنا
بكسر التاء مع الادغام والمعنى لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير ونحبه ونشفق عليه وما وجد منا في بابه ما يدل
على خلاف النصيحة والمقة وارادوا بذلك لما عزموا على كيد يوسف استنزاله عن رايه وعادته في حفظه منهم وفيه دليل

على انه احسن منهم بما يوجب الا يامنهم عليه أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون يرتع نتسع في
اكل الفواكه وغيرها واصل الرتعة الخصب والسعة وقرئ نرتع من ارتعى نرتعي وقرئ يرتع ويلعب بالياء ويرتع من
ارتع ماشيته وقرا العراقيان بالياء ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء فان قلت كيف استجاز لهم يعقوب
عليه السلام اللعب قلت كان لعبهم الاستباق والانتضال ليمرنوا انفسهم بما يحتاج اليه لقتال العدو لا للهو بل
قولهم انا ذهبنا نستبق وانما سموه لعبا لانه في صورته قال إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب
وأنتم عنه غافلون ليحزنني اللام لام الابتداء كقوله ان ربك ليحكم بينهم ودخولها احد ما ذكره سيبويه من شبه
المضارعة اعتذر اليهم بشيئين احدهما ان ذهابهم به ومفارقته اياه مما يحزنه لانه لا يصبر عنه ساعة والثاني خوفه عليه
من عدوة الذئب اذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم او قل به اهتمامهم ولم تصدق في حفظه عنايتهم وقيل رأى في النوم ان الذئب
قد شد على يوسف وكان يحذره فمن ثمه قال ذلك فلقنهم العلة وفي امثالهم البلاء موكل بالمنطق وقرئ الذئب بالهمزة
على الاصل وبالتخفيف وقيل اشتقاقه من تذاءبت الريح من كل جهة قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة القسم محذوف
تقديره والله لئن اكله الذئب واللام موطئة للقسم وقوله إنا إذا لخاسرون جواب للقسم مجزي عن جزاء الشرط
والواو في ونحن عصبة واو الحال حلفوا له لانه كان ما خافه من خطفه الذئب اخاهم من بينهم وحالهم انهم عشرة رجال
بمثلهم تعصب الامور وتكفى الخطوب انهم اذا لقوم خاسرون اي هالكون ضعفا وخورا او عجزا او مستحقون ان يهلكوا
لانه لا غناء عندهم ولا جدوى في حياتهم او مستحقون لان يدعى عليهم بالخسار والدمار وان يقال خسرهم الله ودمرهم
حين اكل الذئب بعضهم وهم حاضرون وقيل ان لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا اذا وخسرناها فان
قلت قد اعتذر اليهم بعذرين فلم اجابوا عن احدهما دون الاخر قلت هو الذي كان يغيظهم ويذيقهم الامرين فاعاروه
اذانا صما ولم يعبأوا به فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابت الجب ان يجعلوه مفعول اجمعوا من قولك
اجمع الامر وازمعه فاجمعوا امركم وقرئ في غيابات الجب قيل هو بئر بيت المقدس وقيل بارض الاردن وقيل
بين مصر ومدين وقيل على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وجواب لما محذوف ومعناه فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد
روي انهم لما برزوا به الى البرية اظهروا له العداوة واخذوا يهينونه ويضربونه وكلما استغاث بواحد منهم لم يغثه
الا بالاهانة والضرب حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح يا ابتاه لو تعلم ما يصنع بابنك اولاد الاماء فقال يهوذا اما اعطيتموني
موثقا ان لا تقتلوه فلما ارادوا القاءه في الجب تعلق بثيابهم فنزعوها من يديه فتعلق بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا
قميصه فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به وانما نزعوه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيهم فقالوا له ادع الشمس
والقمر والاحد عشر كوكبا تؤنسك ودلوه في البئر فلما بلغ نصفها القوه ليموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم اوى
الى الصخرة فقام عليها وهو يبكي فنادوه فظن انها رحمة ادركتهم فاجابهم فارادوا ان يرضخوه ليقتلوه فمنعهم يهوذا وكان
يهوذا ياتيه بالطعام ويروى ان ابرهيم صلوات الله عليه حين القي في النار جرد عن ثيابه اتاه جبرئيل بقميص من حرير
الجنة فالبسه اياه فدفعه ابرهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله يعقوب في تميمة علقها في عنق يوسف فجاء جبرئيل
عليه السلام فاخرجه والبسه اياه وأوحينا إليه قيل اوحي اليه في الصغر كما اوحي الى يحيى وعيسى وقيل كان اذ ذاك
مدركا وعن الحسن كان له سبع عشرة سنة لتنبئنهم بأمرهم هذا وانما اوحي اليه ليؤنسه في الظلمة والوحشة ويبشره
بما يؤول اليه امره ومعناه لتتخلصن مما انت فيه ولتحدثن اخوتك بما فعلوا بك وهم لا يشعرون انك يوسف لعلو شانك
وكبرياء سلطانك وبعد حالك عن اوهامهم ولطول العهد المبدل للهيئات والاشكال وذلك انهم حين دخلوا عليه ممتارين
فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف
وكان يدنيه دونكم وانكم انطلقتم به والقيتموه في غيابة الجب وقلتم لابيكم اكله الذئب وبعتموه بثمن
بخس ويجوز ان يتعلق وهم لا يشعرون بقوله واوحينا على انا انسناه بالوحي وازلنا عن قلبه الوحشة وهم لا يشعرون
ذلك ويحسبون انه مرهق مستوحش لا انيس له وقرئ لننبئنهم بالنون على انه وعيد لهم وقوله وهم لا يشعرون
متعلق باوحينا لا غير وجاءوا أباهم عشاء يبكون وقرئ عشيا على تصغير عشي يقال لقيته عشيا وعشيانا
واصيلا واصيلالا وقرأ ابن جني عشى بضم العين والقصر جمع اعشى اي عشوا من البكاء وروي ان امراة حاكمت الى شريح فبكت
فقال له الشعبي يا ابا امية اما تراها تبكي فقال قد جاء اخوة يوسف يبكون وهم ظلمة ولا ينبغي لاحد ان يقضي الا بما امر
يقضي به من السنة المرضية انه لما سمع صوتهم فزع وقال ما لكم وقال ما لكم يا بني هل اصابكم في غنمكم شيء قالوا لا قال
فما لكم واين يوسف قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق اي نتسابق والافتعال والتفاعل يشتركان كالانتضال والتناضل
والارتماء والترامي وغير ذلك والمعنى نتسابق في العدو او في الرمي وجاء في التفسير ننتضل وتركنا يوسف عند
متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا وما انت بمصدق لنا ولو كنا صادقين ولو كنا من اهل الصدق

والثقة لشدة

والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وانت سيء الظن بنا غير واثق بقولنا وجاءوا على قميصه بدم كذب ذي
كذب او وصف بالمصدر مبالغة كانه نفس الكذب وعينه كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته ونحوه
فهن به جود وانتم به بخل وقرئ كذبا بالنصب على الحال بمعنى جاءوا به كاذبين ويجوز ان يكون مفعولا له وقرأت
عائشة رضي الله عنها كدب بالدال غير المعجمة اي كدر وقيل طري وقال ابن جني اصله من الكدب وهو الفوف البياض
الذي يخرج على اظفار الاحداث كانه اثر في قميصه وروي انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم ان يمزقوه
وروي ان يعقوب لما سمع بخبر يوسف صاح باعلى صوته وقال اين القميص فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب
وجهه بدم القميص وقال تالله ما رأيت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان في قميص يوسف
ثلاث آيات كان دليلا ليعقوب عليه الصلوة والسلام على كذبهم والقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف
حين قد من دبر فان قلت على قميصه ما محله قلت محله النصب على الظرف كانه قيل وجاءوا فوق قميصه بدم كما
تقول جاء على جماله باحمال فان قلت هل يجوز ان تكون حالا متقدمة قلت لا لان حال المجرور لا تتقدم عليه قال بل سولت
سهلت من السول وهو الاسترخاء اي سهلت لكم أنفسكم أمرا عظيما ارتكبتموه في يوسف وهونته في اعينكم فتسهل
على فعلهم به بما كان يعرف من حسدهم وسلامة القميص او وحي اليه بانهم قصدوه فصبر جميل خبر او مبتدأ لكونه
موصوفا اي فامري صبر جميل او فصبر جميل امثل وفي قراءة ابي فصبرا جميلا والصبر الجميل ما في الحديث المرفوع انه
الذي لا شكوى فيه ومعناه لا شكوى فيه الى الخلق لا الى قوله انما اشكو بثي وحزني الى الله وقيل لا اعايشكم على
كآبة الوجه بل اكون لكم كما كنت وقيل سقط حاجبا يعقوب عليه السلام على عينيه فكان يرفعهما بعصابة فقيل له
ما هذا فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله تعالى اليه يا يعقوب اتشكوني قال يا رب خطيئة فاغفرها لي
والله المستعان على ما تصفون اي استعينه على احتمال ما تصفون من هلاك يوسف والصبر على الرزء فيه وجاءت
سيارة رفقة يسيرون من قبل مدين الى مصر وذلك بعد ثلاثة ايام من القاء يوسف في الجب فاخطئوا الطريق فنزلوا قريبا
منه وكان الجب في قفرة بعيدة من العمران لم يكن الا للرعاة وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين القي فيه يوسف عليه السلام
فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه فارسلوا رجلا منهم يقال له مالك بن ذعر الخزاعي ليطلب لهم الماء والوارد الذي يرد الماء
ليستقي للقوم قال يا بشرى نادى البشرى كانه يقول تعالي فهذا من اوانك وقرئ يا بشراي على اضافتها الى نفسه وقرأ
الحسن وغيره يا بشري بالياء مكان الالف جعلت الياء بمنزلة الكسرة قبل ياء الاضافة وهي لغة للعرب مشهورة سمعت
اهل السروات يقولون في دعائهم يا سيدي وموليّ وعن نافع يا بشراي بالسكون وليس بالوجه لما فيه من التقاء الساكنين
على غير حده الا ان يقصد الوقف فلما ادلى دلوه اي ارسلها في الجب تعلق يوسف عليه السلام بالحبل فلما خرج اذا هو
بغلام احسن ما يكون فقال يا بشراي هذا غلام وقيل ذهب فلما دنا من اصحابه صاح بذلك يبشرهم به وأسروه بضاعة
الضمير للوارد واصحابه اخفوه من الرفقة وقيل اخفوا امره ووجدانهم له في الجب وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء
لنبيعه لهم بمصر وعن ابن عباس ان الضمير لاخوة يوسف انهم قالوا للرفقة هذا غلام لنا قد ابق فاشتروه منا وسكت
يوسف عليه السلام مخافة ان يقتلوه وبضاعة نصب على الحال اي اخفوه متاعا للتجارة والبضاعة ما بضع من المال للتجارة اي قطع والله
عليم بما يعملون لم يخف عليه اسرارهم او هو وعيد لهم حيث استبضعوا ما ليس لهم او والله عليم بما يعمل اخوة يوسف بابيهم
واخيهم من سوء الصنيع وشروه وباعوه بثمن بخس مبخوس لزيفه او نقصانه ناقصا ظاهرا او زيف ناقص العيار
دراهم بدل من الثمن معدودة قليلة تعد عدا ولا توزن لانهم كانوا لا يزنون الا ما بلغ الاوقية وهي الاربعون
ويعدون ما دونها وقيل للقليلة معدودة لان الكثيرة تمنع من عدها لكثرتها وعن ابن عباس كانت عشرين درهما
وعن السدي اثنين وعشرين درهما وكانوا فيه من الزاهدين من يرغب عما في يده فيبيعه بما طف من الثمن
لانهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به لا يبالي بما باعه ولانه يخاف ان يعرض له مستحق ينتزعه من يده فيبيعه
من اول مساوم باوكس الثمن ويجوز ان يكون معنى وشروه واشتروه يعني الرفقة من اخوته وكانوا فيه من
الزاهدين لانهم اعتقدوا انه ابق فخافوا ان يخطروا بما لهم فيه ويروى ان اخوته اتبعوهم يقولون استوثقوا منه
لا يابق وقالوا فيه ليس من صلة الزاهدين لان الصلة لا تتقدم على الموصول الا ان يقول وكانوا زاهدين فيه من
الزاهدين وانما هو بيان كانه قيل في اي شيء زهدوا فقالوا زهدوا فيه وقال الذي اشتراه من مصر قيل هو
قطفير او اطفير وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من العماليق وقد امن بيوسف
ومات في حياة يوسف فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه يوسف الى الاسلام فابى واشتراه العزيز وهو ابن سبع
عشرة سنة واقام في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره ريان بن الوليد وهو ابن ثلاثين سنة وآتاه الله الملك والحكمة
والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل كان الملك في ايامه فرعون موسى عاش

ان بحابيته بدليل قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف وقيل اشتراه
العزيز بعشرين دينارا وزوجي نعل وثوبين ابيضين وقيل ادخلوه السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ
ثمنه وزنه مسكا وورقا وحريرا فابتاعه قطفير لذلك الملك لامرأته اكرمي مثواه اجعلي منزله ومقامه عندنا
كريما اي حسنا مرضيا بدليل قوله انه ربي احسن مثواي والمراد تفقده بالاحسان وتعهده بحسن الملكة حتى
تكون نفسه طيبة في صحبتنا ساكنة في كنفنا ويقال للرجل كيف ابو مثواك وام مثواك لمن ينزل به من رجل او
امرأة يراد هل تطيب نفسك بثوائك عنده وهل يراعي حق نزولك به واللام في لامرأته متعلقة بقال لا باشتراه عسى
ان ينفعنا او نتخذه ولدا لعله اذا تدرب وراض الامور وفهم مجاريها نستظهر به على ما نحن بسبيله فينفعنا
فيه بكفايته وامانته او نتبناه ونقيمه مقام الولد وكان قطفير عقيما لا يولد له وقد تفرس فيه الرشد فقال
ذلك وقيل افرس الناس ثلاثة العزيز حين تفرس في يوسف فقال لامرأته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا والمرأة التي
اتت موسى وقالت لابيها يا ابت استأجره وابو بكر حين استخلف عمر رضي الله عنهما وروي انه سأله عن نفسه فاخبره
بنسبه فعرفه وكذلك مكنا ليوسف في الارض الاشارة الى ما تقدم من انجائه وعطف قلب العزيز عليه والكاف
منصوب بتقدير ومثل ذلك الانجاء والعطف مكنا له اي كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز كذلك مكنا له في ارض مصر وجعلناه
ملكا يتصرف فيها بامره ونهيه ولنعلمه من تأويل الاحاديث كان الانجاء والتمكين لان غرضنا ليس الا ما تحمد عاقبته
من علم وعمل والله غالب على امره اي على امر نفسه لا يمنع عما يشاء ولا ينازع فيما يريد ويقضي او على امر يوسف يدبره لا يكله
الى غيره قد ارادوا اخوته به ما ارادوا ولم يكن الا ما اراد الله ودبره ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيد الله
ولما بلغ اشده آتيناه حكما وعلما قيل في الاشد ثماني عشرة سنة وعشرون وثلاثون واربعون وقيل اقصاه اثنان
وستون حكما حكمة وهو العلم بالعمل واجتناب ما يجهل فيه وقيل حكما بين الناس وفقها وكذلك نجزي المحسنين تنبيه
على انه كان محسنا في عمله متقيا في عنفوان امره وان الله آتاه الحكم والعلم جزاء على احسانه وعن الحسن من احسن عبادة
ربه في شبيبته آتاه الله الحكمة في اكتهاله وراودته التي هو في بيتها المراودة مفاعلة من راد يرود اذا جاء وذهب
كان المعنى خادعته عن نفسه اي فعلت ما يفعل المخادع بصاحبه عن الشيء الذي لا يريد ان يخرجه من يده يحتال ان يغلبه عليه
ويأخذه منه وهي عبارة عن التمحل لمواقعته اياها وغلقت الابواب قيل كانت سبعة وقالت هيت لك وفي هيت بفتح الهاء
وكسرها مع فتح التاء وبناؤه كبناء اين وعيط وهيت كجير وهيت كحيث وهئت بمعنى تهيأت يقال هاء يهيء كجاء
يجيء اذا تهيأ وهيئت لك واللام من صلة الفعل واما في الاصوات فللبيان كانه قيل لك اقول هذا كما تقول هلم لك
قال معاذ الله اي اعوذ بالله معاذا انه الشأن والحديث ربي سيدي ومالكي يريد قطفير احسن مثواي حين
قال لك اكرمي مثواه فما جزاؤه ان اخلفه في اهله سوء الخلافة واخونه فيهم انه لا يفلح الظالمون الذين يجازون
الحسن بالسيء وقيل اراد الزناة لانهم ظالمون انفسهم وقيل اراد بقوله ربي الله تعالى لانه مسبب الاسباب ولقد همت به هم
بالامر اذا قصده وعزم عليه قال

هممت ولم افعل وكدت وليتني ۞ تركت على عثمان تبكي حلائله ۞

ومنه قولك لا فعلت كذا ولا كيدا ولا هما اي ولا اكاد ان افعله كيدا ولا اهم بفعله هما حكاه سيبويه ومنه
الهمام وهو الذي اذا هم بامر امضاه ولم ينكل عنه قوله ولقد همت به معناه ولقد همت بمخالطته وهم بها وهم بمخالطتها
لولا ان رأى برهان ربه جوابه محذوف تقديره لولا ان رأى برهان ربه لخالطها فحذف لان قوله وهم بها يدل عليه
كقولك هممت بقتله لولا اني خفت الله معناه لولا اني خفت الله لقتلته فان قلت كيف جاز على نبي الله ان يكون منه
هم بالمعصية وقصد اليها قلت المراد ان نفسه مالت الى المخالطة ونازعت اليها عن شهوة الشباب وقرمه ميلا يشبه
الهم به والقصد اليه وكما تقتضيه صورة تلك الحال التي تكاد تذهب بالعقول والعزائم وهو يكسر ما به ويرده بالنظر في
برهان الله المأخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب المحارم ولو لم يكن ذلك الميل الشديد المسمى هما لشدته لما كان صاحبه
ممدوحا عند الله بالامتناع لان استعظام الصبر على الابتلاء على حسب عظم الابتلاء وشدته ولو كان همه كهمها عن عزيمة
لما مدحه الله يريد مشارفة الفعل ومشافهته كانه شرع فيه فان قلت قوله وهم بها داخل تحت حكم القسم في قوله
ولقد همت به ام هو خارج منه قلت الامران جائزان ومن حق القارئ اذا قدر خروجه من حكم القسم وجعله كلاما
برأسه ان يقف على قوله ولقد همت به ويبتدئ قوله وهم بها لولا ان رأى برهان ربه وفيه ايضا اشعار بالفرق بين الهمين
فان قلت لم جعلت جواب لولا محذوفا يدل عليه هم بها وهلا جعلته هو الجواب مقدما قلت لان لولا لا يتقدم عليها جوابها
من قبل انه في حكم الشرط وللشرط صدر الكلام وهو مع ما في حيزه من الجملتين مثل كلمة واحدة ولا يجوز تقديم بعض
الكلمة على بعض واما حذف بعضها اذا دل الدليل عليه فجائز فان قلت فلم جعلت لولا متعلقة بهم بها وحده ولم

بجعلها متعلقة

ذكركم

بانه من عبادنا المخلصين ويجوز ان يريد بقوله وهمت به وهم بها شارف ان يهم بها كما يقول الرجل قتلته لو لم اخف الله

بجعلها متعلقة بجملة قوله ولقد همت به وهم بها لان الهم لا يتعلق بالجواهر ولكن بالمعاني فلا بد من تقدير المخالطة والمخالطة
لا تكون الا من اثنين معا فكانه قيل ولقد هما بالمخالطة لولا ان منع مانع احدهما قلت نعم ما قلت ولكن الله سبحانه قد
جاء بالهمين على سبيل التفصيل حيث قال ولقد همت به وهم بها وكان اعقابه العطف له فوجب ان يكون التقدير ولقد همت
بمخالطته وهم بمخالطتها على ان المراد بالمخالطتين توصلها الى ما هو حظها من قضاء شهوتها منه وتوصله الى ما هو حظه من
قضاء شهوته منها لولا ان رأى برهان ربه فترك التوصل الى حظه من الشهوة فلذلك كانت لولا حقيقة بان تتعلق بهم بها
وحده وقد فسر هم يوسف بانه حل الهميان وجلس منها مجلس المجامع وبانه حل تكة سراويله وقعد بين شعبها
الاربع وهي مستلقية على قفاها وفسر البرهان بانه سمع صوتا اياك واياها فلم يكترث له فسمعه ثانيا فلم
يعمل به فسمع ثالثا اعرض عنها فلم ينجع فيه حتى مثل له يعقوب عاضا على انملته وقيل ضرب بيده في صدره فخرجت شهوته من
انامله وقيل كل ولد يعقوب له اثنا عشر ولدا الا يوسف فانه ولد له احد عشر ولدا من اجل ما نقص من شهوته حين هم
وقيل صيح به يا يوسف لا تكن كالطائر كان له ريش فلما زنى قعد لا ريش له وقيل بدت كف فيما بينهما ليس لها عضد
ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين فلم ينصرف ثم رأى فيها ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة
وساء سبيلا فلم ينته ثم رأى فيها واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فلم ينجع فيه فقال الله لجبريل ادرك عبدي ان يصيب
الخطيئة فانحط جبريل وهو يقول يا يوسف اتعمل عمل السفهاء وانت مكتوب في ديوان الانبياء وقيل رأى تمثال العزيز وقيل
قامت المرأة الى الصنم كان هناك فسترته وقالت استحي ان يرانا فقال يوسف استحييت ممن لا يسمع ولا يبصر ولا استحي من
السميع البصير العليم بذات الصدور وهذا ونحوه مما يورده اهل الحشو والجبر الذين دينهم بهت الله وانبيائه واهل العدل
والتوحيد ليسوا من مقالاتهم ورواياتهم بحمد الله بسبيل ولو وجدت من يوسف عليه السلام ادنى زلة لنعيت عليه وذكرت
توبته واستغفاره كما نعيت على آدم صلوات الله عليه زلته وعلى داود وعلى نوح وعلى ايوب وعلى ذي النون وذكرت
توبتهم واستغفارهم كيف وقد اثنى عليه وسمي مخلصا فعلم بالقطع انه ثبت في ذلك المقام الدحض وانه جاهد
نفسه مجاهدة اولي القوة والعزم ناظرا في دليل التحريم ووجه القبح حتى استحق من الله الثناء فيما انزل من كتب الاولين ثم في
القرآن الذي هو حجة على سائر كتبه ومصداق لها ولم يقتصر الا على استيفاء قصته وضرب سورة كاملة عليها ليجعل لسان
صدق في الآخرين كما جعله لجده الخليل ابراهيم وليقتدي به الصالحون الى آخر الدهر في العفة وطيب الازار والتثبت في مواقف
العثرات فاخزى الله اولئك في ايرادهم ما يؤدي الى ان يكون انزل الله السورة التي هي احسن القصص في القرآن العربي
المبين ليقتدي بنبي من انبياء الله في القعود بين شعب الزانية وفي حل تكته للوقوع عليها وفي ان ينهاه ربه ثلاث كرات
ويصاح به من عنده ثلاث صيحات بقوارع القرآن وبالتوبيخ العظيم وبالوعيد الشديد وبالتشبيه بالطائر الذي سقط
ريشه حين سفد غير انثاه وهو جاثم في مربضه لا يتحلحل ولا ينتهي ولا ينتبه حتى يتداركه الله بجبريل عليه السلام وباجباره
ولو ان اوقح الزناة واشطرهم واحدهم حدقة واجلحهم وجها لقي بادنى ما لقي به نبي الله مما ذكروا لما بقي له عرق ينبض
ولا عضو يتحرك فيا له من مذهب ما افحشه ومن ضلال ما ابينه كذلك الكاف منصوب المحل اي مثل ذلك التثبيت
ثبتناه او مرفوعه اي الامر مثل ذلك لنصرف عنه السوء من خيانة السيد والفحشاء من الزنا انه من عبادنا المخلصين (٥)
الذين اخلصوا دينهم لله وبالفتح الذين اخلصهم الله لطاعته بان عصمهم ويجوز ان يريد بالسوء مقدمات الفاحشة
من القبلة والنظر بشهوة ونحو ذلك وقوله من عبادنا معناه بعض عبادنا اي هو مخلص من جملة المخلصين او هو ناشئ
منهم لانه من ذرية ابراهيم الذين قال فيهم انا اخلصناهم بخالصة واستبقا الباب وتسابقا الى الباب على حذف الجار وايصال
كقوله واختار موسى قومه او على تضمين استبقا معنى ابتدرا نفر منها يوسف فاسرع يريد الباب ليخرج واسرعت وراءه لتمنعه
الخروج فان قلت كيف وحد الباب وقد جمعه في قوله وغلقت الابواب قلت اراد الباب البراني الذي هو المخرج
من الدار والمخلص من العار فقد روى كعب انه لما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من الابواب
وقدت قميصه من دبر اجتذبته من خلفه فانقد اي انشق حين هرب منها الى الباب وتبعته تمنعه والفيا
سيدها لدى الباب وصادفا بعلها وهو قطفير تقول المرأة لبعلها سيدي وقيل انما لم يقل سيدهما لان ملك يوسف
لم يصح فلم يكن سيدا له على الحقيقة قيل الفياه مقبلا يريد ان يدخل وقيل جالسا مع ابن عم للمرأة قالت ما جزاء من اراد
باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم ولما اطلع منها زوجها على تلك الهيئة المريبة وهي مغتاظة على يوسف اذ لم يؤاتها
جاءت بحيلة جمعت فيها غرضيها وهما تبرئة ساحتها عند زوجها من الريبة والغضب على يوسف وتخويفه طمعا في ان يواتيها
خيفة منها ومن مكرها وكرها لما ايست من مواتاتها طوعا الا ترى الى قولها ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وما نافية اي
ليس جزاؤه الا السجن ويجوز ان تكون استفهامية بمعنى اي شيء جزاؤه الا السجن كما تقول من في الدار الا زيد فان قلت
كيف لم تصرح في قولها بذكر يوسف وانه اراد بها سوءا قلت قصدت العموم وان كل من اراد باهلك سوءا فحقه ان يسجن او يعذب

للفعل

لان ذلك ابلغ فيما قصدته من تخويف يوسف وقيل العذاب الاليم الضرب بالسياط **قال هي راودتني عن نفسي** ولما اغرت به وعرضته للسجن والعذاب وجب عليه الدفع عن نفسه فقال هي راودتني عن نفسي ولولا ذلك لكتم عليها **وشهد شاهد من اهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين** ۞ قيل كان ابن عم لها وانما القى الله الشهادة على لسان من هو من اهلها لتكون اوجب للحجة عليها واوثق لبراءة يوسف وانفى للتهمة عنه وقيل هو الذي كان جالسا مع زوجها لدى الباب وقيل كان حكيما يرجع اليه الملك ويستشيره ويجوز ان يكون بعض اهلها كان في الدار فبصر بها من حيث لا تشعر فاغضبه الله ليوسف بالشهادة له والقيام بالحق وقيل كان ابن خال لها صبيا في المهد وعن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى **فان قلت** لم سمي قوله شهادة وما هو بلفظ الشهادة **قلت** لما ادى مؤدى الشهادة في ان ثبت به قول يوسف بطل قولها سمي شهادة **فان قلت** الجملة الشرطية كيف جازت حكايتها بعد فعل الشهادة **قلت** لانها قول من القول او على ارادة القول كانه قيل وشهد شاهد فقال ان كان قميصه **فان قلت** ان دل قد قميصه من دبر على انها كاذبة وانما هي التي تبعته واجتذبت ثوبه اليها فقدته فمن اين دل قده من قبل على انها صادقة وانه كان تابعها وهي دافعته **قلت** من وجهين احدهما انه اذا كان تابعها وهي دافعته عن نفسها فقدت قميصه من قدامه بالدفع والثاني ان يسرع خلفها ليلحقها فيتعثر في مقادم قميصه فيشقه وقرئ من قبل ومن دبر بالضم على مذهب الغايات والمعنى من قبل القميص ومن دبره واما التنكير فمعناه من جهة يقال لها قبل ومن جهة يقال لها دبر وعن ابي اسحق انه قرا من قبل ومن دبر بالفتح كانه جعلهما علمين للجهتين فمنعهما الصرف للعلمية والتانيث وقرئ بسكون العين **فان قلت** كيف جاز الجمع بين ان الذي هو للاستقبال وبين كان **قلت** لان المعنى ان يعلم انه كان قميصه قد ونحوه كقولك ان احسنت الي فقد احسنت اليك من قبل لمن يمتن عليك باحسانه تريد ان تمتن علي امتن عليك **فلما راى قميصه قد من دبر** فلما راى يعني قطفير وعلم براءة يوسف وصدقه وكذبها **قال انه** ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا او ان هذا الامر وهو طمعها في يوسف **من كيدكن ان كيدكن عظيم** الخطاب لها ولامتها وانما استعظم كيد النساء لانه وان كان في الرجال الا ان النساء الطف كيدا وانفذ حيلة ولهن في ذلك نيقة ورفق وبذلك يغلبن الرجال ومنه قوله ومن شر النفاثات في العقد والقصريات منهن معهن ما ليس مع غيرهن من البوائق وعن بعض العلماء اني اخاف من النساء اكثر مما اخاف من الشيطان لان الله تعالى يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء ان كيدكن عظيم **يوسف** حذف منه حرف النداء لانه منادى قريب مفاطن للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله **اعرض عن هذا واستغفري** اعرض عن هذا الامر واكتمه ولا تحدث به واستغفري **لذنبك انك كنت من الخاطئين** ۞ من جملة القوم المتعمدين للذنب يقال خطئ اذا اذنب متعمدا وانما قال من الخاطئين بلفظ التذكير تغليبا للذكور على الاناث وما كان العزيز الا رجلا حليما وروي انه كان قليل الغيرة **وقال نسوة** وقال جماعة من النساء وكن خمسا امراة الساقي وامراة الخباز وامراة صاحب الدواب وامراة صاحب السجن وامراة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المراة وتانيثه غير حقيقي كتانيث اللمة ولذلك لم تلحق فعله تاء التانيث وفيه لغتان ضم النون وكسرها **في المدينة** في مصر **امراة العزيز** يردن قطفير والعزيز الملك بلسان العرب **تراود فتاها** غلامها يقال فتاي وفتاتي اي غلامي وجاريتي **عن نفسه قد شغفها حبا** خرق حبه شغاف قلبها حتى وصل الى الفؤاد والشغاف حجاب القلب وقيل جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب قال النابغة

وقد حال هم دون ذلك والج ۞ مكان الشغاف تبتغيه الاصابع ۞

وقرئ شعفها بالعين من شعف البعير اذا هناه فاحرقه بالقطران قال

۞ كما شعف المهنوءة الرجل الطالي ۞

وحبا نصب على التمييز **انا لنراها في ضلال مبين** ۞ في خطا وبعد عن طريق الصواب **فلما سمعت بمكرهن** باغتيابهن وسوء قالتهن وقولهن امراة العزيز عشقت عبدها الكنعاني ومقتها وسمي الاغتياب مكرا لانه في خفية وحال غيبة كما يخفي الماكر مكره وقيل استكتمتهن سرها فافشينه عليها **ارسلت اليهن** دعتهن قيل دعت اربعين امراة منهن الخمس المذكورات **واعتدت لهن متكا واتت كل واحدة منهن سكينا** واعتدت لهن متكا ما يتكئن عليه من نمارق قصدت بتلك الهيئة وهي قعودهن متكئات والسكاكين في ايديهن ان يدهشن ويبهتن عند رؤيته ويشغلن عن انفسهن فتقع ايديهن على ايديهن فيقطعنها لان المتكئ اذا بهت لشيء وقعت يده على يده ولا يبعد ان تقصد الجملة به وبهن فيشيع الخبر فايديهن ليقطعن ايديهن فيتبكتن بالحجة ولتهول يوسف من مكرها اذا خرج على اربعين نسوة مجتمعات في ايديهن الخناجر توهمه انهن يثبن عليه وقيل متكا مجلس طعام لانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين ولذلك نهي ان ياكل الرجل متكئا واتتهن السكاكين ليعالجن بها ما ياكلن وقيل متكا طعاما من قولك اتكانا عند فلان طعمنا على سبيل الكناية لان من دعوته ليطعم عندك اتخذت له تكاة يتكئ عليها قال جميل ۞

۞ فظللنا بنعمة واتكانا ۞ وشربنا الحلال من قلله ۞

وعن مجاهد متكا طعاما يحز حزا وعن الحسن متكاء بالمد كانه مفتعال وذلك لاشباع فتحة الكاف كقوله بمنتزاح بمعنى بمنتزح ونحوه ينباع بمعنى ينبع وقرئ متكا وهو الاترج واسد

۞ فاهدت متكة لبني ابيها ۞ تخب بها العثمثمة الوقاح ۞

وكانت اهدت اترجة على ناقة وكانها الاترجة التي ذكرها ابو داود في سننه انها شقت بنصفين وحملا كالعدلين على جمل وقيل الزماورد وعن وهب اترجا وموزا وبطيخا وقيل اعتدت لهن ما يقطع من متك الشيء بمعنى بتكه اذا قطعه وقرا الاعرج متكا مفعلا من تكا يتكا اذا اتكا **وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه** عظمنه وهبن ذلك الحسن الرائع والجمال الفائق قيل كان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء وعن النبي صلى الله عليه وسلم مررت بيوسف الليلة التي عرج بي الى السماء فقلت لجبريل من هذا فقال يوسف فقيل يا رسول الله كيف رايته قال كالقمر ليلة البدر وكان يوسف اذا سار في ازقة مصر يرى تلالؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس من الماء عليها وقيل ما كان احد يستطيع وصف يوسف وقيل كان يشبه ادم يوم خلقه ربه وقيل ورث الجمال من جدته سارة وقيل اكبرن بمعنى حضن والهاء للسكت يقال اكبرت المراة اذا حاضت وحقيقته دخلت في الكبر لانها بالحيض تخرج من حد الصغر الى حد الكبر وكان ابا الطيب اخذ من هذا التفسير قوله ۞

۞ خف الله واستر ذا الجمال ببرقع ۞ فان لحت حاضت في الخدور العواتق ۞

وقطعن ايديهن جرحنها كما تقول كنت اقطع اللحم فقطعت يدي تريد جرحتها **وقلن حاش لله** حاشى كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء تقول اساء القوم حاشا زيد قال ۞

۞ حاشا ابي ثوبان ان به ۞ ضنا عن الملحاة والشتم ۞

وهي حرف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة فمعنى حاش لله براءة الله وتنزيه الله وهي قراءة ابن مسعود على اضافة حاشا الى الله اضافة البراءة ومن قرا حاشا لله فنحو قولك سقيا لك كانه قال براءة ثم قال لله لبيان من يبرا وينزه والدليل على تنزيل حاشا منزلة المصدر قراءة ابي السمال حاشا لله وقراءة ابي عمرو حاش لله بحذف الالف الاخيرة اتباعا وهي ضعيفة لما فيها من التقاء الساكنين على غير حده وقرئ حاشا الاله **فان قلت** فلم [illegible] حاشا لله الا بنون بعد اجرائه مجرى براءة لله **قلت** مراعاة لاصله الذي هو الحرفية الا ترى الى قولهم جلست من عن يمينه كيف تركوا عن غير معرب على اصله وعلى في قوله غدت من عليه منقلب الالف الى الياء مع الضمير والمعنى تنزيه الله من صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله واما قوله حاشا لله ما علمنا عليه من سوء فالتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله **ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم** ۞ نفين عنه البشرية لغرابة جماله ومباعدة حسنه لما عليه محاسن الصور واثبتن له الملكية وبتتن بها الحكم وذلك لان الله عز وجل ركز في الطباع ان لا احسن من الملك كما ركز فيها ان لا اقبح من الشيطان ولذلك يشبه كل متناه في الحسن والقبح بهما وما ركز ذلك فيها الا لان الحقيقة كذلك كما ركز في الطباع ان لا ادخل في الشر من الشياطين ولا اجمع للخير من الملائكة الا ما عليه الفئة الخاسرة المجبرة من تفضيل الانسان على الملك وما هو الا من تعكيسهم للحقائق وجحودهم للعلوم الضرورية ومكابرتهم في كل باب واعمال ما عمل ليس هي اللغة القدمى الحجازية وبها ورد القران ومنها قوله ما هن امهاتهم ومن قرا على سليقته من بني تميم قرا بشر بالرفع وهي قراءة ابن مسعود وقرئ ما هذا بشرى اي ما هو بعبد مملوك لئيم ان هذا الا ملك كريم تقول هذا بشرى اي حاصل بشرى بمعنى هذا مشترى وتقول هذا لك بشرى ام بكرى والقراءة هي الاولى لموافقتها المصحف ومطابقة بشر لملك **قالت فذلكن الذي لمتنني فيه** ولم تقل فهذا وهو حاضر رفعا لمنزلته في الحسن واستحقاق ان يحب ويفتتن به وربا بحاله واستبعادا لمحله ويجوز ان يكون اشارة الى المعنى بقولهن عشقت عبدها الكنعاني الذي صورتن في انفسكن ثم لمتنني فيه تعني انكن لم تصورنه بحق صورته ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني في الافتتان به **ولقد راودته عن نفسه فاستعصم** الاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كانه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها ونحوه استمسك واستوسع الفتق واستجمع الراي واستفحل الخطب وهذا بيان لما كان من يوسف عليه السلام لا مزيد عليه وبرهان لا شيء انور منه على انه بريء مما اضاف اليه اهل الحشو مما فسروا به الهم والبرهان **ولئن لم يفعل ما امره ليسجنن وليكونا من الصاغرين** ۞ **فان قلت** الضمير في امره راجع الى الموصول ام الى يوسف **قلت** بل الى الموصول والمعنى ما امر به فحذف الجار كما في قوله ۞ امرتك الخير ۞ ويجوز ان يجعل ما مصدرية فيرجع الى يوسف ومعناه ولئن لم يفعل امري اياه اي موجب امري ومقتضاه وقرئ وليكونن بالتشديد والتخفيف اولى لان النون كتبت في المصحف الفا على حكم الوقف وذلك لا يكون الا في الخفيفة **قال رب**

السجن احب الي مما يدعونني اليه وقرئ السجن بالفتح على المصدر وانما ابتدأ الدعوة اليهن جميعا لانهن تنصحن له وزين له مطاوعتها وقلن له اياك والقاء نفسك في السجن والصغار فالتجأ الى ربه عند ذلك وقال رب نزول السجن احب الي من ركوب المعصية فان قلت نزول السجن مشقة على النفس شديدة وما دعونه اليه لذة عظيمة فكيف كانت المشقة احب اليه من اللذة قلت كانت احب اليه واثر عنده نظرا الى حسن الصبر على احتمالها لوجه الله والى قبح المعصية وفي عاقبة كل واحدة منهما لا نظرا الى مشتهى النفس ومكروهها والا تصرف عني كيدهن فزع الى الطاف الله وعصمته كعادة الانبياء والصالحين فيما عزم عليه ووطن عليه نفسه من الصبر لا ان يطلب منه الاجبار على التعفف والالجاء اليه اصب اليهن امل اليهن والصبوة الميل الى الهوى ومنها الصبا لان النفوس تصبو اليها لطيب نسيمها وروحها وقرئ اصب اليهن من الصبابة واكن من الجاهلين من الذين لا يعملون بما يعلمون لان من لا جدوى لعلمه فهو ومن لا يعلم سواء او من السفهاء لان الحكيم لا يفعل القبيح فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن وانما ذكر الاستجابة ولم يتقدم الدعاء لان قوله والا تصرف عني كيدهن فيه معنى طلب الصرف والدعاء باللطف انه هو السميع لدعوات الملتجئين اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم فاعله مضمر لدلالة ما يفسره عليه وهو ليسجننه والمعنى بدا لهم بداء اي ظهر لهم راي ليسجننه والضمير في لهم للعزيز واهله من بعد ما راوا الايات وهي الشواهد على براءته وما كان ذلك الا باستنزال المراة لزوجها وفتلها منه في الذروة والغارب وكان مطواعا لها وجميلا ذلولا زمامه في يدها حتى انساه ذلك ما عاين من الايات وعمل برايها في سجنه والحاق الصغار به كما وعدته به وذلك لما ايست من طاعته لها او لطمعها في ان يذلله السجن ويسخره لها ليسجننه وفي قراءة الحسن لتسجننه بالتاء على الخطاب خاطب به بعضهم العزيز ومن يليه او العزيز وحده على وجه التعظيم حتى حين الى زمان كانها اقترحت ان يسجن زمانا حتى تبصر ما يكون منه وفي قراءة ابن مسعود عتى حين وهي لغة هذيل وعن عمر رضي الله عنه انه سمع رجلا يقرا عتى حين فقال من اقراك قال ابن مسعود فكتب اليه ان الله قد انزل هذا القران فجعله عربيا وانزله بلغة قريش فلا تقرئهم بلغة هذيل والسلام ودخل معه السجن فتيان مع يدل على معنى الصحبة واستحداثها تقول خرجت مع الامير تريد مصاحبا له فيجب ان يكون دخولهما السجن مصاحبين له فتيان عبدان للملك خبازه وشرابيه رقي اليه انهما يسمانه فامر بهما الى السجن فادخلا السجن ساعة ادخل يوسف قال احدهما اني اراني يعني في المنام وهي حكاية حال ماضية اعصر خمرا يعني عنبا تسمية للعنب بما يؤول اليه وقيل الخمر بلغة عمان اسم للعنب وفي قراءة ابن مسعود اعصر عنبا وقال الاخر اني اراني احمل فوق راسي خبزا تاكل الطير منه نبئنا بتاويله انا نراك من المحسنين من الذين يحسنون عبارة الرؤيا اي يجيدونها راياه يقص عليه بعض اهل السجن رؤياه فيؤولها له فقالا له ذلك او من العلماء لانهما سمعاه يذكر للناس ما علما به انه عالم او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا بان تفرج عنا الغمة بتاويل ما رايناه ان كانت لك يد في تاويل الرؤيا روي انه كان اذا مرض منهم رجل قام عليه واذا ضاق اوسع له واذا احتاج جمع له وعن قتادة كان في السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا واصبروا تؤجروا ان لهذا لاجرا فقالوا بارك الله عليك ما احسن وجهك واحسن خلقك لقد بورك لنا في جوارك فمن انت يا فتى قال انا يوسف ابن صفي الله يعقوب ابن ذبيح الله اسحق ابن خليل الله ابرهيم فقال له عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك ولكني احسن جوارك فكن في اي بيوت السجن شئت وروي ان الفتيين قالا له انا لنحبك من حين رايناك فقال انشدكما بالله ان لا تحباني فوالله ما احبني احد قط الا دخل علي من حبه بلاء لقد احبتني عمتي فدخل علي من حبها بلاء فلا تحباني بارك الله فيكما وعن الشعبي انهما تحالما له ليمتحناه فقال الشرابي اني اراني في بستان فاذا انا باصل حبلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب فقطفتها وعصرتها في كاس الملك وسقيته وقال الخباز اني اراني فوق راسي ثلاث سلال فيها انواع الاطعمة واذا سباع الطير تنهش منها فان قلت الام يرجع الضمير في قوله نبئنا بتاويله قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله قبل ان ياتيكما لما استعبراه ووصفاه بالاحسان افترص ذلك فوصل به وصف نفسه بما هو فوق علم العلماء وهو الاخبار بالغيب فانه ينبئهما بما يحمل اليهما من الطعام في السجن قبل ان ياتيهما ويصفه لهما ويقول اليوم ياتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجدانه كما اخبرهما وجعل ذلك تخلصا الى ان يذكر لهما التوحيد ويعرض عليهما الايمان ويزينه لهما ويقبح لهما الشرك بالله وهذه طريقة على كل ذي علم ان يسلكها مع الجهال والفسقة اذا استفتاه واحد منهم ان يقدم الهداية والارشاد والموعظة والنصيحة اولا ويدعوه الى ما هو اولى به واوجب عليه مما استفتى فيه ثم يفتيه بعد ذلك وفيه ان العالم اذا جهلت منزلته في العلم فوصف نفسه بما هو بصدده وغرضه ان يقتبس منه وينتفع به في الدين لم يكن من باب التزكية بتاويله ببيان ماهيته وكيفيته لان ذلك يشبه تفسير المشكل والاعراب عن معناه ذلكما اشارة لهما الى التاويل اي ذلك التاويل والاخبار بالمغيبات مما علمني ربي واوحى به الي ولم اقله عن تكهن وتنجم اني

تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالاخرة هم كافرون واتبعت ملة ابائي ابرهيم واسحق ويعقوب اي تركت ويجوز ان يكون كلاما مبتدا وان يكون تعليلا لما قبله اي علمني ذلك واوحى الي لاني رفضت ملة اولئك واتبعت ملة الانبياء المذكورين وهي الملة الحنيفية واراد باولئك الذين لا يؤمنون اهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم وتكريرهم للدلالة على انهم خصوصا كافرون بالاخرة وان غيرهم قوم مؤمنون بها وهم الذين على ملة ابرهيم ولتوكيد كفرهم بالجزاء تنبيها على ما هم عليه من الظلم والكبائر التي لا يرتكبها الا من هو كافر بدار الجزاء ويجوز ان يكون فيه تعريض بما مني به من جهتهم حين اودعوه السجن بعد ما راوا الايات الشاهدة على براءته وان ذلك ما لا يقدم عليه الا من هو شديد الكفر بالجزاء وذكر اباءه ليريهما انه من بيت النبوة بعد ان عرفهما انه نبي يوحى اليه بما ذكر من اخباره بالغيوب ليقوي رغبتهما في الاستماع اليه واتباع قوله ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبياء ان نشرك بالله من شيء اي شيء كان من ملك او جني او انسي فضلا ان نشرك به صنما لا يسمع ولا يبصر ثم قال ذلك التوحيد من فضل الله علينا وعلى الناس اي على الرسل وعلى المرسل اليهم لانهم نبهوهم عليه وارشدوهم اليه ولكن اكثر الناس المبعوث اليهم لا يشكرون فضل الله فيشركون ولا ينتبهون وقيل ان ذلك من فضل الله علينا لانه نصب لنا الادلة التي ننظر فيها ونستدل بها وقد نصب مثل تلك الادلة لسائر الناس من غير تفاوت ولكن اكثر الناس لا ينظرون ولا يستدلون اتباعا لاهوائهم فيبقون كافرين غير شاكرين يا صاحبي السجن يريد يا صاحبي في السجن فاضافهما الى السجن كما تقول يا سارق الليلة فكما ان الليلة مسروق فيها غير مسروقة فكذلك السجن مصحوب فيه غير مصحوب وانما المصحوب غيره وهو يوسف عليه السلام ونحوه قولك لصاحبيك يا صاحبي الصدق فتضيفهما الى الصدق ولا تريد انهما صحبا الصدق ولكن كما تقول رجلا صدق وسميتهما صاحبين لانهما صحباك ويجوز ان يريد يا ساكني السجن كقوله اصحاب الجنة واصحاب النار لسكانها ءارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار يريد التفرق في العدد والتكاثر يقول اان تكون لكما ارباب شتى يستعبدكما هذا ويستعبدكما هذا خير لكما ام يكون لكما رب واحد قهار لا يغالب ولا يشارك في الربوبية بل هو القهار الغالب وهذا مثل ضربه لعبادة الله وحده ولعبادة الاصنام ما تعبدون من دونه خطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم يعني انكم سميتم ما لا يستحق الالهية الهة ثم طفقتم تعبدونها فكانكم لا تعبدون الا اسماء فارغة لا مسميات تحتها ومعنى سميتموها سميتم بها يقال سميته بزيد وسميته زيدا ما انزل الله بها اي بتسميتها من سلطان اي من حجة ان الحكم في امر العبادة والدين الا لله ثم بين ما حكم به فقال امر ان لا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم اي الثابت الذي دلت عليه البراهين ولكن اكثر الناس لا يعلمون يا صاحبي السجن اما احدكما يريد الشرابي فيسقي ربه خمرا واما الاخر فيصلب فتاكل الطير من راسه فيسقي ربه سيده وقرا عكرمة فيسقي ربه اي فيسقى ما يروى به على البناء للمفعول روي انه قال للاول ما رايت من الكرمة وحسنها هو الملك وحسن حالك عنده واما القضبان الثلاثة فانها ثلاثة ايام تمضي في السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقال للثاني ما رايت من السلال ثلاثة ايام ثم تخرج فتقتل قضي الامر الذي فيه تستفتيان قطع وتم ما تستفتيان فيه من امركما وشانكما فان قلت ما استفتيا في امر واحد بل في امرين مختلفين فما وجه التوحيد قلت المراد بالامر ما اتهما به من سم الملك وما سجنا من اجله وظنا ان ما رايا في معنى ما نزل بهما فكانهما كانا يستفتيانه في الامر الذي نزل بهما اعاقبته نجاة ام هلاك فقال لهما قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي ما يجر اليه من العاقبة وهي هلاك احدهما ونجاة الاخر وقيل جحدا وقالا ما راينا شيئا على ما روي انهما تحالما له فاخبرهما ان ذلك كائن صدقتما ام كذبتما وقال للذي ظن انه ناج منهما الظان هو يوسف عليه السلام ان كان تاويله بطريق الاجتهاد وان كان بطريق الوحي فالظان هو الشرابي او يكون الظن بمعنى اليقين اذكرني عند ربك صفني عند الملك بصفتي وقص عليه قصتي لعله يرحمني وينتاشني من هذه الورطة فانساه الشيطان ذكر ربه فانسى الشرابي ذكر ربه ان يذكره لربه وقيل فانسى يوسف ذكر الله حين وكل امره الى غيره فلبث في السجن بضع سنين البضع ما بين الثلاث الى التسع واكثر الاقاويل انه لبث فيه سبع سنين فان قلت كيف يقدر الشيطان على الانساء قلت يوسوس الى العبد بما يشغله عن الشيء من اسباب النسيان حتى يذهب عنه ويزول عن قلبه واما الانساء ابتداء فلا يقدر عليه الا الله عز وجل ما ننسخ من اية او ننسها فان قلت ما وجه اضافة الذكر الى ربه اذا اريد به الملك وما هي باضافة المصدر الى الفاعل ولا الى المفعول قلت قد لابسه في قولك فانساه الشيطان ذكره لربه او عند ربه فجازت اضافته اليه لان الاضافة تكون بادنى ملابسة او على تقدير فانساه الشيطان ذكر اخبار ربه فحذف المضاف الذي هو الاخبار فان قلت لم انكر على يوسف الاستعانة بغير الله في كشف ما كان فيه وقد قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وقال حكاية عن عيسى عليه السلام من انصاري الى الله وفي الحديث الله في عون العبد ما دام العبد في عون اخيه المسلم ومن فرج عن مؤمن كربة فرج الله عنه كربة من كرب الاخرة وعن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لم ياخذه النوم ليلة من الليالي وكان يطلب من يحرسه حتى جاء

سعد بن أبي وقاص فسمعت غطيطه وهل ذلك إلا مثل التداوي بالأدوية والتقوي بالأشربة والأطعمة وإن كان ذلك
لأن الملك كان كافرا فلا خلاف في جواز الاستعانة بالكفار في دفع الظلم والغرق والحرق ونحو ذلك من المضار قلت كما اصطفى
الله عز وجل الأنبياء عليهم السلام على خليقته فقد اصطفى لهم أحسن الأمور وأفضلها وأولاها والأحسن والأولى بالنبي أن لا
يكل أمره إذا ابتلي ببلاء إلا إلى ربه ولا يعتضد إلا به خصوصا إذا كان المعتضد به كافرا لئلا يشمت به الكفار ويقولوا
لو كان هذا على الحق وكان له رب لأغناه عن الاستعانة بنا وعن الحسن أنه كان يبكي إذا قرأها ويقول نحن إذا نزل بنا أمر فزعنا
إلى الناس وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات
لما دنا فرج يوسف رأى ملك مصر الريان بن الوليد رؤيا عجيبة ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا
أخر يابسات قد استحصدت وأدركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها فاستعبرها فلم يجد في قومه
من يحسن عبارتها سمان جمع سمين وسمينة وكذلك رجال ونسوة كرام فإن قلت هل من فرق بين إيقاع
سمان صفة للمميز وهو بقرات دون المميز وهو سبع وأن يقال سبع بقرات سمانا قلت إذا أوقعتها صفة لبقرات فقد
قصدت إلى أن تميز السبع بنوع من البقرات وهي السمان منهن لا بجنسهن ولو وصفت بها السبع لقصدت بها إلى تمييز
السبع بجنس البقرات لا بنوع منها ثم رجعت فوصفت المميز بالجنس بالسمن فإن قلت هلا قيل سبع عجاف على الإضافة قلت
التمييز موضوع لبيان الجنس والعجاف وصف لا يقع البيان به وحده فإن قلت فقد يقولون ثلاثة فرسان وخمسة أصحاب
قلت الفارس والصاحب والراكب ونحوها صفات جرت مجرى الأسماء فأخذت حكمها وجاز فيها ما لم يجز في غيرها ألا تراك
لا تقول عندي ثلاثة ضخام وأربعة غلاظ فإن قلت ذاك مما يشكل وما نحن بسبيله لا إشكال فيه ألا ترى أنه لم يقل
وبقرات سبع عجاف لوقوع العلم بأن المراد البقرات قلت ترك الأصل لا يجوز مع وقوع الاستغناء عما ليس بأصل وقد وقع
الاستغناء بقولك سبع عجاف عما تقترحه من التمييز بالوصف والعجف الهزال الذي ليس بعده والسبب في وقوع عجاف جمعا
لعجفاء وأفعل وفعلاء لا يجمعان على فعال حمله على سمان لأنه نقيضه ومن دأبهم حمل النظير على النظير والنقيض على النقيض
فإن قلت هل في الآية دليل على أن السنبلات اليابسة كانت سبعا كالخضر قلت الكلام مبني على انصبابه
إلى هذا العدد في البقرات السمان والعجاف والسنابل الخضر فوجب أن يتناول معنى الآخر السبع ويكون قوله وأخر يابسات
بمعنى وسبعا أخر فإن قلت هل يجوز أن يعطف قوله وأخر يابسات على سنبلات خضر فيكون مجرور المحل قلت يؤدي
إلى تدافع وهو أن عطفها على سنبلات خضر يقتضي أن تدخل في حكمها فتكون معها مميزا للسبع المذكورة ولفظ الآخر يقتضي
أن يكون غير السبع بيانه أنك تقول عنده سبعة رجال قيام وقعود بالجر فيصح لأنك ميزت السبعة برجال موصوفين
بالقيام والقعود على أن بعضهم قيام وبعضهم قعود فلو قلت عنده سبعة رجال قيام وآخرين قعود تدافع ففسد
يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون ۝ كأنه أراد الأعيان من العلماء والحكماء واللام في قوله للرؤيا
إما أن تكون للبيان كقوله وكانوا فيه من الزاهدين وإما أن تدخل لأن العامل إذا تقدم عليه معموله لم يكن في قوته على العمل فيه مثله
إذا تأخر عنه فعضد بها كما يعضد بها اسم الفاعل إذا قلت هو عابر للرؤيا لانحطاطه عن الفعل في القوة ويجوز أن تكون للرؤيا خبر
كان كما تقول كان فلان لهذا الأمر إذا كان مستقلا به متمكنا منه وتعبرون خبرا آخر أو حالا وأن يضمن تعبرون معنى فعل
يتعدى باللام كأنه قيل إن كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا وحقيقة عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها وآخر أمرها كما تقول عبرت
النهر إذا قطعته حتى تبلغ آخر عرضه وهو عبره ونحوه أولت الرؤيا إذا ذكرت مآلها وهو مرجعها وعبرت
الرؤيا بالتخفيف هو الذي اعتمده الأثبات ورأيتهم ينكرون عبّرت بالتشديد والتعبير والمعبر وقد عثرت على بيت
أنشده المبرد في كتاب الكامل لبعض الأعراب

رأيت رؤيا ثم عبرتها ۝ وكنت للأحلام عبارا ۝

قالوا أضغاث أحلام أضغاث الأحلام تخاليطها وأباطيلها وما يكون منها من حديث نفس أو وسوسة شيطان وأصل
الأضغاث ما جمع من أخلاط النبات وحزم الواحد ضغث فاستعيرت لذلك والإضافة بمعنى من أي أضغاث من أحلام
والمعنى هي أضغاث أحلام فإن قلت ما هو إلا حلم واحد فلم قالوا أضغاث أحلام فجمعوا قلت هو كما تقول فلان
يركب الخيل ويلبس عمائم الخز لمن لا يركب إلا فرسا واحدا وما له إلا عمامة فردة تزيدا في الوصف فهؤلاء أيضا تزيدوا في
وصف الحلم بالبطلان فجعلوه أضغاث أحلام ويجوز أن يكون قد قص عليهم مع هذه الرؤيا رؤى غيرها وما نحن بتأويل
الأحلام بعالمين ۝ إما أن يريدوا بالأحلام المنامات الباطلة خاصة فيقولوا ليس عندنا لها تأويل إنما التأويل للمنامات الصحيحة
الصالحة وإما أن يعترفوا بقصور علمهم وأنهم ليسوا في تأويل الأحلام بنحارير وقال الذي نجا منهما وادكر
بالمهملة وهو الفصيح وعن الحسن واذكر بالذال أي تذكر الذي نجا من الفتيين من القتل يوسف وما شاهد منه بعد أمة بعد مدة
طويلة وذلك أنه حين استفتى الملك في رؤياه وأعضل على الملأ تأويلها تذكر الناجي يوسف وتأويله رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبه

البيان بذكر

البيان بذكره عند الملك وقرأ الأشهب العقيلي بعد إمة بكسر الهمزة والإمة النعمة قال عدي

ثم بعد الفلاح والملك والإمة ۝ وارتهم هناك القبور ۝

أي بعد ما أنعم عليه بالنجاة وقرئ بعد أمه بعد نسيان يقال أمه يأمه أمها إذا نسي ومن قرأ بسكون الميم فقد
خطئ أنا أنبئكم بتأويله أنا أخبركم به عمن عنده علمه وفي قراءة الحسن أنا آتيكم بتأويله فأرسلون فابعثوني
إليه لأسأله ومروني باستعباره وعن ابن عباس لم يكن السجن في المدينة يوسف المعنى فأرسلوه إلى يوسف فأتاه
فقال يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر
يابسات أيها البليغ في الصدق وإنما قال له ذلك لأنه ذاق أحواله وتعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه حيث
جاء كما أول ولذلك كلمه كلام محترز فقال لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون ۝ لأنه ليس على يقين من
الرجوع فربما اخترم دونه ولا من علمهم فربما لم يعلموا ومعنى لعلهم يعلمون فضلك ومكانك من العلم فيطلبوك ويخلصوك
من محبسك قال تزرعون سبع سنين دأبا يريد تزرعون خبر في معنى الأمر كقوله تؤمنون بالله واليوم وتجاهدون
وإنما يخرج الأمر في صورة الخبر للمبالغة في إيجاد المأمور به فيجعل كأنه يوجد فهو يخبر عنه والدليل على كونه في معنى
الأمر قوله فذروه في سنبله دأبا بسكون الهمزة وتحريكها وهما مصدرا دأب في العمل وهو حال من المأمورين أي دائبين
إما على تدأبون دأبا وإما على إيقاع المصدر حالا بمعنى ذوي دأب فما حصدتم فذروه في سنبله لئلا يتسوس إلا
قليلا مما تأكلون ۝ ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن من الإسناد المجازي جعل أكل
أهلهن مسندا إليهن إلا قليلا مما تحصنون ۝ تحرزون وتخبأون ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس من
الغوث أو من الغيث يقال غيثت البلاد إذا مطرت ومنه قول الأعرابية غثنا ما شئنا وفيه يعصرون ۝ بالياء والتاء
يعصرون العنب والزيتون والسمسم وقيل يحلبون الضروع وقرئ يعصرون على البناء للمفعول من عصره إذا أنجاه وهو
مطابق للإغاثة ويجوز أن يكون المبني للفاعل بمعنى ينجون كأنه قيل فيه يغاث الناس وفيه يغيثون أنفسهم أي يغيثهم
الله ويغيث بعضهم بعضا وقيل يعصرون يمطرون من أعصرت السحابة وفيه وجهان إما أن يضمن أعصرت معنى مطرت
فيعدى تعديته وإما أن يقال الأصل أعصرت عليهم فحذف الجار وأوصل الفعل تأول البقرات السمان والسنبلات الخضر
بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات بسنين مجدبة ثم بشرهم بعد الفراغ من تأويل الرؤيا بأن العام الثامن يجيء مباركا
خصيبا كثير الخير غزير النعم وذلك من جهة الوحي وعن قتادة زاده الله علم سنة فإن قلت معلوم أن السنين
المجدبة إذا انتهت كان انتهاؤها بالخصب وإلا لم توصف بالانتهاء فلم قلت إن علم ذلك من جهة الوحي قلت ذلك معلوم
علما مطلقا لا مفصلا وقوله فيه يغاث الناس وفيه يعصرون تفصيل لحال العام وذلك لا يعلم إلا بالوحي وقال الملك
ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إنما تأنى وتثبت في
إجابة الملك وقدم سؤال النسوة ليظهر براءة ساحته عما قرف به وسجن فيه لئلا يتسلق به الحاسدون إلى تقبيح أمره
عنده ويجعلوه سلما إلى حط منزلته لديه ولئلا يقولوا ما خلد في السجن سبع سنين إلا لأمر عظيم وجرم كبير
حق به أن يسجن ويعذب ويستكف شره وفيه دليل على أن الاجتهاد في نفي التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف في مواقفها قال
عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن في مواقف التهم ومنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للمارين به
في معتكفه وعنده بعض نسائه هي فلانة اتقاء للتهمة وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره
والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى أشترط أن يخرجوني ولقد عجبت
منه حين أتاه الرسول فقال ارجع إلى ربك ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لأسرعت الإجابة وبادرتهم ولم يقل سله أن
يفتش عن شأنهن لأن السؤال مما يهيج الإنسان ويحركه للبحث عما سئل عنه فأراد أن يورد عليه السؤال ليجد في
التفتيش عن حقيقة القصة وقص الحديث حتى يتبين له براءته بيانا مكشوفا يتميز فيه الحق من الباطل وفي التمسه من
الهوان ومن كرمه وحسن أدبه أنه لم يذكر سيدته مع ما صنعت به وتسببت فيه من السجن والعذاب واقتصر على ذكر
المقطعات أيديهن إن ربي بكيدهن عليم ۝ إن الله تعالى أراد أنه كيد عظيم لا يعلمه إلا الله لبعد غوره أو استشهد
بعلم الله على أنهن كدنه وأنه بريء مما قرف به أو أراد الوعيد لهن أي هو عليم بكيدهن فمجازيهن عليه قال ما خطبكن ما
شأنكن إذ راودتن يوسف عن نفسه هل وجدتن منه ميلا إليكن قلن حاش لله تعجبا من عفته وذهابه بنفسه
عن شيء من الريبة ومن نزاهته عنها ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أي ثبت واستقر
وقرئ حصحص على البناء للمفعول وهو من حصحص البعير إذا ألقى ثفناته للإناخة قال

فحصحص في صم الصفا ثفناته ۝ وناء بسلمى نوءة ثم صمما ۝

ولا مزيد على شهادتهن له بالبراءة والنزاهة واعترافهن على أنفسهن بأنه لم يتعلق بشيء مما قرفنه به لأنهن خصومه وإذا

اعترف الخصم بان صاحبه على الحق وهو على الباطل لم يبق لاحد مقال وقالت المجبرة والحشوية نحن قد كفينا مقالا فلا بد لنا ان ندق في فروة من ثبتت نزاهته **ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب** من كلام يوسف اي ذلك التثبت والتشمر لظهور البراءة ليعلم العزيز اني لم اخنه بظهر الغيب في حرمته ومحل بالغيب الحال من الفاعل والمفعول على معنى وانا غائب عنه خفي عن عينه او وهو غائب عني خفي عن عيني ويجوز ان يكون ظرفا اي بمكان الغيب وهو الخفاء وراء الاستار والابواب المغلقة **وان الله لا يهدي كيد الخائنين** لا ينفذه ولا يسدده وكان فيه تعريض بامراته في خيانتها زوجها وتوكيد لامانته ولذلك اردفه حين شاع عنها بعد ظهور الايات على حبسه ويجوز ان يكون تاكيدا لامانته وانه لو كان خائنا لما هدى الله كيده ولا سدده ثم اراد ان يتواضع لله ويهضم نفسه لئلا يكون لها مزكيا وبحالها في الامانة معجبا ومفتخرا كما قال صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم ولا فخر وليبين ان ما فيه من الامانة ليس به وحده وانما هو بتوفيق الله ولطفه وعصمته فقال **وما ابرئ نفسي** من الزلل وما اشهد لها بالبراءة الكلية ولا ازكيها ولا تخلو اما ان يريد في هذه الحادثة لما ذكرنا من الهم الذي هو ميل النفس عن طريق الشهوة البشرية لا عن طريق القصد والعزم واما ان يريد عموم الاحوال **ان النفس لامارة بالسوء** اراد الجنس اي ان هذا الجنس يامر بالسوء ويحمل عليه بما فيه من الشهوات **الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم** الا البعض الذي رحمه ربي بالعصمة كالملائكة ويجوز ان يكون ما رحم في معنى الزمان اي الا وقت رحمة ربي يعني انها امارة بالسوء في كل وقت واوان الا وقت العصمة ويجوز ان يكون استثناء منقطعا اي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة كقوله ولا هم ينقذون الا رحمة وقيل ذلك ليعلم الله اني لم اخنه لان المعصية خيانة وقيل هو من كلام امراة العزيز اي ذلك الذي قلت ليعلم يوسف اني لم اخنه ولم اكذب عليه في حال الغيبة وجئت بالصحيح والصدق فيما سئلت عنه وما ابرئ نفسي مع ذلك من الخيانة فاني قد خنته حين قرفته وقلت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن وادعت انه راودها ان كل نفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي الا نفسا رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف ان ربي غفور رحيم استغفرت ربي واسترحمته مما ارتكبت **فان قلت** كيف صح ان يجعل من كلام يوسف ولا دليل على ذلك **قلت** كفى بالمعنى دليلا قائدا الى ان يجعل من كلامه ونحوه قال الملا من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تامرون وهو من كلام فرعون يخاطبهم ويستشيرهم وعن ابن جريج هذا من تقديم القران وتاخيره ذهب الى ان ذلك ليعلم متصل بقوله فاساله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ولقد لفقت المبطلة روايات مصنوعة لم اخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت بها وقالت له امراة العزيز ولا حين حللت تكة سراويلك الكهم على انبياء الله ورسله **وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي** فقال استخلصه اجعله خالصا لنفسه وخاصا به **فلما كلمه** وشاهد منه ما لم يحتسب **قال** ايها الصديق **انك اليوم لدينا مكين** ذو مكانة ومنزلة **امين** مؤتمن على كل شيء روي ان الرسول جاءه فقال اجب الملك فخرج من السجن ودعا لاهله اللهم اعطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار فهم اعلم الناس بالاخبار في الواقعات وكتب على باب السجن هذه منازل البلوى وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسالك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان ابائي وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه وقال ايها الصديق اني احب ان اسمع رؤياي منك قال رايت بقرات فوصف لونهن واحوالهن ومكان خروجهن ووصف السنابل وما كان منها على الهيئة التي راها الملك لا يخرم منها حرفا فقال له ما ترى قال ارى ان تجمع الطعام في الاهراء فياتيك الخلق من النواحي يمتارون منك ويجتمع لك من الكنوز ما لم يجتمع لاحد من قبلك **قال اجعلني على خزائن الارض** ولني خزائن ارضك **اني حفيظ عليم** لها ممن لا يستحقها عالم بوجوه التصرف وصف نفسه بالامانة والكفاية اللتين هما طلبة الملوك ممن يولونه وانما قال ذلك ليتوصل الى امضاء احكام الله واقامة الحق وبسط العدل والتمكن مما لاجله بعثت الانبياء الى العباد ولعلمه ان احدا غيره لا يقوم مقامه في ذلك فطلب التولية ابتغاء وجه الله لا لحب الملك والدنيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكنه اخر ذلك سنة **فان قلت** كيف جاز ان يتولى عملا من يد كافر ويكون تبعا له وتحت امره وطاعته **قلت** روي عن مجاهد انه قد اسلم وعن قتادة هو دليل على انه يجوز ان يتولى الانسان عملا من يد سلطان جائر وقد كان السلف يتولون القضاء من جهة البغاة ويرونه واذا علم النبي او العالم انه لا سبيل الى الحكم بامر الله الا بتمكين منه فله ان يستظهر به وقيل كان الملك يصدر عن رايه ولا يعترض عليه في كل ما راى فكان في حكم التابع له والمطيع **وكذلك مكنا ليوسف في الارض** في ارض مصر روي انها كانت اربعين فرسخا في اربعين **يتبوا منها حيث يشاء** والباء اي كل مكان اراد ان يتخذه منزلا ومتبوا له لم يمنع منه لاستيلائه على جميعها ودخولها

تحت ملكه وسلطانه روي ان الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه بردائه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت وروي انه قال له اما السرير فاشد به ملكك واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس من لباسي ولا لباس ابائي فقال قد وضعته اجلالا لك واقرارا بفضلك فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض الملك اليه امره وعزل قطفير ثم مات بعد فزوجه الملك امراته فلما دخل عليها قال اليس هذا خيرا مما طلبت فوجدها عذراء فولدت له ولدين افرايم وميشا فاقام العدل بمصر واحبته الرجال والنساء واسلم على يده الملك وكثير من الناس وباع من اهل مصر في سني القحط الطعام بالدنانير والدراهم في السنة الاولى حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا والله ما راينا كاليوم ملكا اجل ولا اعظم منه فقال للملك كيف رايت صنع الله بي فيما خولني فما ترى قال الراي رايك قال فاني اشهد الله واشهدك اني اعتقت اهل مصر عن اخرهم ورددت عليهم املاكهم وكان لا يبيع من احد من الممتارين اكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس واصاب ارض كنعان وبلاد الشام نحو ما اصاب اهل مصر فارسل يعقوب بنيه ليمتاروا واحتبس بنيامين **نصيب برحمتنا** بعطائنا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم **من نشاء** من اقتضت الحكمة ان نشاء له ذلك **ولا نضيع اجر المحسنين** بل نوفي اجورهم في الدنيا **ولاجر الاخرة خير للذين امنوا وكانوا يتقون** ولاجر الاخرة خير لهم قال سفيان بن عيينة المؤمن يثاب على حسناته في الدنيا والاخرة والفاجر يعجل له الخير في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق وتلا هذه الاية **وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون** لم يعرفوه لطول العهد ومفارقته اياهم في سن الحداثة ولاعتقادهم انه قد هلك ولذهابه عن اوهامهم لقلة فكرهم فيه واهتمامهم بشانه ولبعد حاله التي بلغها من الملك والسلطان عن حاله التي فارقوه عليها طريحا في البئر مشريا بدراهم معدودة حتى لو تخيل لهم انه هو لكذبوا انفسهم وظنونهم ولان الملك مما يبدل الزي ويلبس صاحبه من التهيب والاستعظام ما ينكر له المعروف وقيل راوه على زي فرعون عليه ثياب الحرير جالسا على سرير في عنقه طوق من ذهب وعلى راسه تاج فما خطر ببالهم انه هو وقيل ما راوه الا من بعيد بينهم وبينه مسافة وحجاب وما وقفوا الا حيث يقف طلاب الحوائج وانما عرفهم لانه فارقهم وهم رجال وراى زيهم قريبا من زيهم اذ ذاك ولان همته كانت معقودة بهم وبمعرفتهم فكان يتامل ويتفطن وعن الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا له **ولما جهزهم بجهازهم** اصلحهم بعدتهم وهي عدة السفر من الزاد وما يحتاج اليه المسافرون واوقر ركائبهم بما جاءوا له من الميرة وقرئ بجهازهم بكسر الجيم **قال ائتوني باخ لكم من ابيكم الا ترون اني اوفي الكيل وانا خير المنزلين** لا بد من مقدمة سبقت له معهم حتى اجتر القول هذه المسالة روي انه لما راهم وكلموه بالعبرانية قال لهم اخبروني من انتم وما شانكم فاني انكرتكم قالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم عيونا تنظرون عورة بلادي قالوا معاذ الله نحن بنو اخوة اب واحد وهو شيخ صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فهلك منا واحد قال فكم انتم هاهنا قالوا عشرة قال فاين الاخ الحادي عشر قالوا هو عند ابيه يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم انكم لستم بعيون وان الذي تقولون حق قالوا انا ببلاد لا يعرفنا فيها احد فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني باخيكم من ابيكم وهو يحمل رسالة من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا بينهم فاصابت القرعة شمعون وكان احسنهم رايا في يوسف فخلفوه عنده وكان قد احسن انزالهم وضيافتهم **فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون** فيه وجهان احدهما ان يكون داخلا في حكم الجزاء مجزوما عطفا على محل قوله فلا كيل لكم عندي كانه قيل فان لم تاتوني به تحرموا ولا تقربوا وان يكون بمعنى النهي **قالوا سنراود عنه اباه** سنخادعه عنه ونجتهد ونحتال حتى ننتزعه من يده **وانا لفاعلون** وانا لقادرون على ذلك لا نتعايا به او وانا لفاعلون ذلك لا محالة لا نفرط فيه ولا نتوانى **وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم** وقرئ لفتيته وهما جمع فتى كاخوة واخوان في اخ وفعلة للقلة وفعلان للكثرة اي لغلمانه الكيالين **لعلهم يعرفونها** لعلهم يعرفون حق ردها وحق التكرم باعطاء البدلين **اذا انقلبوا الى اهلهم** وفرغوا ظروفهم **لعلهم يرجعون** لعل معرفتهم ذلك تدعوهم الى الرجوع الينا وكانت بضاعتهم النعال والادم وقيل تخوف ان لا يكون عند ابيه من المتاع ما يرجعون به وقيل لم ير من الكرم ان ياخذ من ابيه واخوته ثمنا وقيل علم ان ديانتهم تحملهم على رد البضاعة لا يستحلون امساكها فيرجعون لاجلها وقيل معنى لعلهم يعرفونها لعلهم يردونها **فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل** يريدون قول يوسف فان لم تاتوني به فلا كيل لكم لانهم اذا انذروا بمنع الكيل فقد منع الكيل **فارسل معنا اخانا نكتل وانا له لحافظون** نكتل نرفع المانع من الكيل ونكتل من الطعام ما نحتاج اليه وقرئ يكتل بالياء اي يكتل اخونا فينضم اكتياله الى اكتيالنا او يكن سببا للاكتيال فان امتناعه بسببه **قال هل امنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل** يريد انكم قلتم في يوسف وانا له لحافظون كما تقولونه ثم خنتم بضمانكم فما يؤمنني من مثل ذلك ثم قال **فالله خير حافظا** فتوكل على الله فيه ودفعه اليهم وحافظا تمييز كقولك لله دره فارسا

رجلا ولله دره فارسا ويجوز ان يكون حالا وقرئ حفظا وقرأ الاعمش فالله خير حافظ وقرأ ابو هريرة خير الحافظين وهو
ارحم الراحمين ۝ فارجو ان ينعم علي بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت
اليهم وقرئ ردت الينا بكسر الراء على ان كسرة الدال المدغمة نقلت الى الراء كما في قيل وبيع وحكى قطرب ضرب زيد
على نقل كسرة الراء فيمن سكنها الى الضاد قالوا يا ابانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت الينا ما نبغي ما للنفي
اي ما نبغي في القول وما نتزيد فيما وصفنا لك من احسان الملك واكرامه وكانوا قالوا له انا قدمنا على خير رجل
انزلنا واكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب ما اكرمنا كرامته او ما نبغي شيئا وراء ما فعل بنا من الاحسان
او على الاستفهام بمعنى اي شيء نطلب وراء هذا وفي قراءة ابن مسعود ما تبغي بالتاء على مخاطبة يعقوب معناه اي شيء تطلب
وراء هذا من الاحسان او من الشاهد على صدقنا وقيل معناه ما نريد منك بضاعة اخرى وقوله هذه بضاعتنا ردت
الينا جملة مستأنفة موضحة لقوله ما نبغي والجمل بعدها معطوفة عليها على معنى ان بضاعتنا ردت الينا فنستظهر بها
ونمير اهلنا في رجوعنا الى الملك ونحفظ اخانا فما يصيبه شيء مما تخافه ونزداد كيل بعير باستصحاب اخينا
نسق بعير اخينا على اوساق ابعرتنا فاي شيء نبغي وراء هذه المباغي التي نستصلح بها احوالنا ونوسع ذات ايدينا
وانما قالوا ونزداد كيل بعير لما ذكرنا انه كان لا يزيد لكل رجل على حمل بعير للتقسيط فان قلت هذا اذا فسرت
البغي بالطلب فاما اذا فسرته بالكذب والتزيد في القول كانت الجملة الاولى وهي قوله هذه بضاعتنا ردت الينا بيانا لصدقهم
وانتفاء التزيد عن قيلهم فما تصنع بالجمل البواقي قلت اعطفها على قوله ما نبغي على معنى لا نبغي فيما نقول ونمير اهلنا
ونفعل كيت وكيت ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ كقولك وينبغي ان نمير اهلنا كما تقول سعيت في حاجة فلان واجتهدت
في تحصيل غرضه ويجب ان اسعى وينبغي لي ان لا اقصر ويجوز ان يراد ما نبغي وما ننطق الا بالصواب فيما نشير به عليك من تجهيزنا
مع اخينا ثم قالوا هذه بضاعتنا نستظهر بها ونمير اهلنا ونفعل ونصنع بيانا لانهم لا ينطقون في رأيهم وانهم مصيبون
فيه وهو وجه حسن واضح ذلك كيل يسير اي ذلك مكيل قليل لا يكفينا يعنون ما يكال لهم فارادوا ان يزدادوا اليه ما
يكال لاخيهم او يكون ذلك اشارة الى كيل بعير اي ذلك الكيل شيء قليل يجيبنا اليه الملك ولا يضايقنا فيه او هو
سهل عليه متيسر لا يتعاظمه ويجوز ان يكون من كلام يعقوب وان حمل بعير واحد شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد
كقوله ذلك ليعلم قال لن ارسله معكم مناف لحالي وقد رأيت منكم ما رأيت ان ارسله معكم حتى تؤتون
موثقا من الله حتى تعطوني ما اتوثق به من عند الله اراد ان يحلفوا له بالله وانما جعل الحلف بالله موثقا منه لان الحلف
به مما تؤكد به العهود وتشدد وقد اذن الله في ذلك فهو اذن منه لتأتنني به جواب اليمين لان المعنى حتى تحلفوا
لتأتنني به الا ان يحاط بكم الا ان تغلبوا فلم تطيقوا الاتيان به او الا ان تهلكوا فان قلت اخبرني عن حقيقة
هذا الاستثناء ففيه اشكال قلت ان يحاط بكم مفعول له والكلام المثبت الذي هو قوله لتأتنني به في تأويل النفي معناه
لا تمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة بكم اي لا تمتنعون منه لعلة من العلل الا لعلة واحدة وهي ان يحاط بكم فهو
استثناء من اعم العام في المفعول له والاستثناء من اعم العام لا يكون الا في النفي وحده فلا بد من تأويله بالنفي ونظيره
من الاثبات المتأول بمعنى النفي قولهم اقسمت بالله لما فعلت والا فعلت تريد ما اطلب منك الا الفعل فلما آتوه موثقهم
قال الله على ما نقول من طلب الموثق واعطائه وكيل ۝ رقيب مطلع وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا
من ابواب متفرقة وانما نهاهم ان يدخلوا من باب واحد لانهم كانوا ذوي بهاء وشارة حسنة وقد اشتهرهم اهل مصر
بالقربة عند الملك والتكرمة الخاصة التي لم تكن لغيرهم وكانوا مظنة لطموح الابصار اليهم من بين الوفود وان
يشار اليهم بالاصابع ويقال هؤلاء اضياف الملك انظروا اليهم ما احسنهم من فتيان وما احقهم بالاكرام لامر ما اكرمهم
الملك وقربهم وفضلهم على الوافدين اليه فخاف لذلك ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا لجمالهم وجلالة امرهم
في الصدور فيصيبهم ما يسوءهم ولذلك لم يوصهم بالتفرق في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين مغمورين بين الناس فان
قلت هل للاصابة بالعين وجه تصح عليه قلت يجوز ان يحدث الله عز وجل عند النظر الى الشيء والاعجاب به نقصانا
فيه وخللا من بعض الوجوه ويكون ذلك ابتلاء من الله وامتحانا للعباد ليتميز المحققون من اهل الحشو فيقول المحقق
هذا فعل الله ويقول الحشوي هو اثر العين كما قال وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
انه كان يعوذ الحسن والحسين فيقول اعيذكما بكلمات الله التامة من كل هامة ومن كل عين لامة وما اغني عنكم من
الله من شيء يعني ان اراد الله بكم سوءا لم ينفعكم ولم يدفع عنكم ما اشرت به عليكم من التفرق وهو مصيبكم
لا محالة ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ۝ ثم قال ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم
اي متفرقين ما كان يغني عنهم من الله من شيء اي ما كان يغني عنهم رأي يعقوب ودخولهم متفرقين شيئا
قط حيث اصابهم ما ساءهم مع تفرقهم من اضافة السرقة اليهم وافتضاحهم بذلك واخذ اخيهم بوجدان الصاع في

الوسق بالكسر حمل بعير جوهري

رحله وتضاعف المصيبة على ابيهم الا حاجة استثناء منقطع على معنى ولكن حاجة في نفس يعقوب قضاها وهي شفقته
عليهم واظهارها بما قاله لهم ووصاهم به وانه لذو علم لما علمناه يعني قوله وما اغني عنكم وعلمه بان القدر لا يغني عنه الحذر
ولكن اكثر الناس لا يعلمون ۝ ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه قال اني انا اخوك آوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين
وروي انهم قالوا له هذا اخونا قد جئناك به فقال لهم احسنتم واصبتم وستجدون ذلك عندي فانزلهم واكرمهم
ثم اضافهم واجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف
بقي اخوكم وحيدا فاجلسه معه على مائدته وجعل يواكله وقال انتم عشرة فلينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثاني له
فيكون معي فبات يوسف يضمه اليه ويشم رائحته حتى اصبح وسأله عن ولده فقال لي عشرة بنين اشتققت اسماءهم
من اخ لي هلك فقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل
فبكى يوسف وقام اليه وعانقه وقال له اني انا اخوك يوسف فلا تبتئس فلا تحزن بما كانوا يعملون ۝ بنا فيما مضى
فان الله عز وجل قد احسن الينا وجمعنا على خير ولا تعلمهم بما اعلمتك وعن ابن عباس تعرف اليه وعن وهب انما قال
له انا اخوك بدل اخيك المفقود ولا تبتئس بما كنت تلقى منهم من الحسد والاذى فقد امنتهم وروي انه قال له فانا لا
افارقك قال قد علمت اغتمام والدي بي فاذا حبستك ازداد غمه ولا سبيل الى ذلك الا ان انسبك الى ما لا يجمل قال لا ابالي
فافعل ما بدا لك قال فاني ادس صاعي في رحلك ثم انادي عليك بانك سرقته ليتهيأ لي ردك بعد تسريحك معهم
قال افعل فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل اخيه السقاية مشربة يسقى بها وهي الصواع قيل كان
يسقى بها الملك ثم جعلت صاعا يكال به وقيل كانت الدواب تسقى بها ويكال بها ويقال انه كان مستطيلا يشبه المكوك
وقيل هي المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه يشرب به الاعاجم وقيل كانت من فضة مموهة بالذهب وقيل كانت من
ذهب وقيل كانت مرصعة بالجواهر ثم اذن مؤذن ايتها العير انكم لسارقون ۝ ثم نادى مناد يقال له اذنه اعلمه
واذن اكثر الاعلام ومنه المؤذن لكثرة ذلك منه روي انهم ارتحلوا وامهلهم يوسف حتى انطلقوا ثم امر بهم فادركوا
وحبسوا ثم قيل لهم ذلك والعير الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اي تذهب وتجيء وقيل هي قافلة الحمير ثم كثر حتى
قيل لكل قافلة عير كانها جمع عير واصلها فعل كسقف وسقف فعل به ما فعل ببيض وعيد والمراد اصحاب العير
كقوله يا خيل الله اركبي وقرأ ابن مسعود وجعل السقاية على حذف جواب لما كانه قيل فلما جهزهم بجهازهم وجعل
السقاية في رحل اخيه امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون ۝ قالوا نفقد صواع
الملك ولمن جاء به حمل بعير وقرأ ابو عبد الرحمن السلمي تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا وقرئ صواع وصاع
وصوع بفتح الصاد وضمها والعين معجمة وغير معجمة وانا به زعيم ۝ يقوله المؤذن يريد وانا بحمل البعير كفيل اؤديه
الى من جاء به واراد وسق بعير من طعام جعلا لمن حصله قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض قسم فيه معنى
التعجب مما اضيف اليهم وانما قالوا لقد علمتم فاستشهدوا بعلمهم لما ثبت عندهم من دلائل دينهم وامانتهم في كرتي مجيئهم
ومداخلتهم للملك ولانهم دخلوا وافواه رواحلهم مكعومة لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد من اهل السوق
ولانهم ردوا بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم وما كنا سارقين ۝ وما كنا قط نوصف بالسرقة وهي منافية لحالنا
قالوا فما جزاؤه الضمير للصواع اي فما جزاء سرقته ان كنتم كاذبين ۝ في جحودكم وادعائكم البراءة منه
قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين ۝ اي جزاء سرقته اخذ من وجد في رحله
وكان حكم السارق في آل يعقوب ان يسترق سنة فلذلك استفتوا في جزائه وقولهم فهو جزاؤه تقرير للحكم
اي فاخذ السارق نفسه هو جزاؤه لا غير كقولك حق زيد ان يكسى ويطعم وينعم عليه فذلك حقه اي فهو حقه
لتقرر ما ذكرته من استحقاقه وتلزمه ويجوز ان يكون جزاؤه مبتدأ والجملة الشرطية كما هي خبره على اقامة
الظاهر مقام المضمر والاصل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو فوضع الجزاء موضع هو كما تقول لصاحبك من اخو زيد
فتقول لك من يقعد الى جنبه فهو هو يرجع الضمير الاول الى من والثاني الى الاخ ثم تقول فهو اخوه مقيما للمظهر مقام
المضمر ويحتمل ان يكون جزاؤه خبر مبتدأ محذوف اي المسؤول عنه جزاؤه ثم افتوا بقولهم من وجد في رحله فهو جزاؤه
كما تقول من يستفتي في جزاء صيد المحرم جزاء صيد المحرم ثم تقول ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم
فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه ثم استخرجها من وعاء اخيه قيل لهم من وكل بهم لا بد من تفتيش اوعيتكم فانصرف
بهم الى يوسف فبدأ بتفتيش اوعيتهم قبل وعاء بنيامين لنفي التهمة حتى بلغ وعاءه فقال ما اظن هذا اخذ شيئا
فقالوا والله لا نتركه حتى تنظر في رحله فانه اطيب لنفسك وانفسنا فاستخرجوه منه وقرأ الحسن بضم الواو
وهي لغة وقرأ سعيد بن جبير اعاء اخيه بقلب الواو همزة فان قلت لم ذكر ضمير الصواع مرات ثم انثه قلت
رجع بالتأنيث على السقاية او انث الصواع لانه يذكر ويؤنث ولعل يوسف كان يسميه سقاية وعبيده

صواعًا فقد وقع فيما يتصل به من الكلام شغاية وفيما يتصل بهم منه صواعًا كذلك كدنا مثل ذلك الكيد العظيم كدنا
ليوسف يعني علّمناه إياه وأوحينا به إليه ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك تفسير للكيد وبيان له لأنه كان في دين
ملك مصر وما كان يحكم له في السارق أن يغرم مثلي ما أخذ لا أن يلزم ويستعبد إلا أن يشاء الله أي ما كان يأخذه إلا
بمشيئة الله وإذنه فيه نرفع درجات من نشاء في العلم كما رفعنا درجة يوسف فيه وقرئ يرفع بالياء ودرجاتٍ بالتنوين
وفوق كل ذي علم عليم فوقه أرفع درجة منه في علمه أو فوق العلماء كلهم عليم هم دونه وهو الله عز وجل
فإن قلت ما أذن الله عز وجل فيه يجب أن يكون حسنًا فمن أي وجه حسن هذا الكيد وما هو إلا بهتان وتسريق
لمن لم يسرق وتكذيب لمن لم يكذب وهو قوله إنكم لسارقون فما جزاؤه إن كنتم كاذبين قلت هو في صورة البهتان
وليس ببهتان في الحقيقة لأن قوله إنكم لسارقون تورية عما جرى مجرى السرقة من فعلهم بيوسف وقيل كان ذلك
القول من المؤذن لا من يوسف عليه السلام وقوله إن كنتم كاذبين فرض لانتفاء براءتهم وفرض التكذيب لا يكون تكذيبًا
على أنه لو صرح لهم بالتكذيب كما صرح لهم بالتسريق لكان له وجه لأنهم كانوا كاذبين في قولهم وتركنا يوسف عند متاعنا
فأكله الذئب هذا وحكم هذا الكيد حكم الحيل الشرعية التي يتوصل بها إلى مصالح ومنافع دينية كقوله لأيوب عليه
السلام وخذ بيدك ضغثًا ليتخلص من حلفه ولا يحنث وقول إبراهيم هي أختي لتسلم من يد الكافر وما الشرائع كلها إلا مصالح
وطرق إلى التخلص من الوقوع في المفاسد وقد علم الله تعالى في هذه الحيلة التي لقنها يوسف عليه السلام مصالح عظيمة
فجعلها سُلَّمًا وذريعة إليها فكانت حسنة جميلة وانزاحت عنها وجوه القبح لما ذكرنا قالوا إن يسرق فقد
سرق أخ له من قبل أرادوا يوسف عليه الصلوة والسلام روي أنهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نكس إخوته
رؤوسهم حياءً وأقبلوا عليه وقالوا له ما الذي صنعت فضحتنا وسوّدت وجوهنا يا بني راحيل ما يزال لنا منكم
بلاء متى أخذت هذا الصاع فقال بنو راحيل الذي لا يزال عليهم منكم بلاء ذهبتم بأخي فأهلكتموه ووضع هذا الصاع
في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم واختلف فيما أضافوا إلى يوسف من السرقة فقيل كان أخذ في صباه صنمًا
لجده أبي أمه فكسره وألقاه في الجيف في الطريق وقيل دخل كنيسة فأخذ تمثالًا صغيرًا من ذهب كانوا يعبدونه
فدفنه وقيل كانت في المنزل عناق أو دجاجة فأعطاها السائل وقيل كانت لإبراهيم عليه السلام منطقة يتوارثها أكابر
ولده فورثها إسحق ثم وقعت إلى ابنته وكانت أكبر أولاده فحضنت يوسف وهي عمته بعد وفاة أمه وكانت لا تصبر
عنه فلما شب أراد يعقوب أن ينتزعه منها فعمدت إلى المنطقة فحزمتها على يوسف تحت ثيابه وقالت فقدت منطقة إسحق
فانظروا من أخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت إنه لي سلم أفعل به ما شئت فخلّاه يعقوب عندها حتى ماتت
فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا فأسر إضمارًا على شريطة التفسير يفسره أنتم شر مكانا
وإنما أنث لأن قوله أنتم شر مكانا جملة أو كلمة على تسميتهم الطائفة من الكلام كلمة كأنه قيل فأسر الجملة أو الكلمة التي هي
قوله أنتم شر مكانا والمعنى قال في نفسه أنتم شر مكانا لأن قوله أنتم شر مكانا بدل من أسرها وفي قراءة ابن مسعود فأسره على التذكير
يريد القول أو الكلام والمعنى أنتم شر منزلة في السرق لأنكم سارقون بالصحة لسرقتكم أخاكم من أبيكم
والله أعلم بما تصفون يعلم أنه لم يصح لي ولا لأخي سرقة وليس الأمر كما تصفون قالوا يا أيها العزيز إن له أبًا شيخًا
كبيرًا استعطفوه إذ كان قد أخذ عليهم حق أبيهم يعقوب وأنه شيخ كبير السن أو كبير القدر وأن بنيامين أحب إليه منهم
وكانوا قد أخبروه بأن ولدًا له قد هلك وهو عليه ثكلان وأنه مستأنس بأخيه فخذ أحدنا مكانه أي خذه بدلًا منه على وجه
الاسترهان أو الاستعباد إنا نراك من المحسنين إلينا فأتمم إحسانك أو من عادتك الإحسان فأجر على عادتك ولا
تغيرها قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذًا لظالمون هو كلام موجه ظاهره أنه وجب
على قضية فتواكم أخذ من وجد الصواع في رحله واستعباده فلو أخذنا غيره كان ذلك ظلمًا في مذهبكم فلم
تطلبون ما عرفتم أنه ظلم وباطنه أن الله أمرني وأوحى إليّ بأخذ بنيامين واحتباسه لمصلحة أو لمصالح جمة علمها في
ذلك فلو أخذت غير من أمرني بأخذه كنت ظالمًا وعاملًا على خلاف الوحي ومعنى معاذ الله أن نأخذ نعوذ بالله معاذًا
من أن نأخذ فأضيف المصدر إلى المفعول به وحذف من وإذن جواب لهم وجزاء لأن المعنى إن أخذنا بدله ظلمنا فلما استيأسوا
منه يئسوا وزيادة السين والتاء في المبالغة نحو ما مر في استعصم خلصوا نجيًا والنجي يكون على معنيين يكون بمعنى المناجي
كالعشير والسمير بمعنى المعاشر والمسامر ومنه قوله تعالى وقربناه نجيًّا وبمعنى المصدر الذي هو التناجي كما قيل
النجوى بمعناه ومنه قيل قوم نجيّ كما قيل وإذ هم نجوى تنزيلًا للمصدر منزلة الأوصاف ويجوز أن يقال هم نجيّ كما قيل هم
صديق لأنه بزنة المصادر وجمع أنجية قال إني إذا ما القوم كانوا أنجيه ومعنى خلصوا اعتزلوا وانفردوا عن
الناس خالصين لا يخالطهم سواهم نجيًّا ذوي نجوى أو فوجًا نجيًا أي مناجيًا لمناجاة بعضهم بعضًا وأحسن منه
أنهم تمحضوا تناجيًا لاستجماعهم لذلك وإفاضتهم فيه بجد واهتمام كأنهم في أنفسهم صورة التناجي وحقيقته وكان

تناجيهم

تناجيهم في تدبير أمرهم على أي صفة يذهبون وماذا يقولون لأبيهم في شأن أخيهم كقوم تعايوا بما دهمهم من الخطب
فاحتاجوا إلى التشاور قال كبيرهم في السن وهو روبيل وقيل رئيسهم وهو شمعون وقيل كبيرهم في العقل والرأي
وهو يهوذا ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقًا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فيه وجوه أن تكون
ما صلة أي ومن قبل هذا قصرتم في شأن يوسف ولم تحفظوا عهد أبيكم وأن تكون مصدرية على أن محل المصدر الرفع
على الابتداء وخبره الظرف وهو من قبل ومعناه ووقع من قبل تفريطكم في يوسف أو النصب عطفًا على مفعول ألم
تعلموا وهو أن أباكم كأنه قيل ألم تعلموا أخذ أبيكم عليكم موثقًا وتفريطكم من قبل في يوسف وأن تكون موصولة
بمعنى ومن قبل هذا ما فرطتموه أي قدمتموه في حق يوسف من الخيانة العظيمة ومحله الرفع أو النصب على الوجهين
فلن أبرح الأرض فلن أفارق أرض مصر حتى يأذن لي أبي في الانصراف إليه أو يحكم الله لي بالخروج منها أو
بالانتصاف ممن أخذ أخي أو بخلاصه من يده بسبب من الأسباب وهو خير الحاكمين لأنه لا يحكم أبدًا إلا بالعدل والحق
ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق وقرئ سُرِّق أي نسب إلى السرقة وما شهدنا عليه بالسرقة
إلا بما علمنا من سرقته وتيقنّاه لأن الصواع استخرج من وعائه ولا شيء أبين من هذا وما كنا للغيب حافظين
وما علمنا أنه سيسرق حين أعطيناك الموثق أو ما علمنا أنك تصاب به كما أصبت بيوسف ومن قرأ سُرِّق فمعناه وما
شهدنا إلا بقدر ما علمنا من التسريق وما كنا للغيب حافظين من الحقيقة أسرق بالصحة أم دُسّ الصاع في رحله ولم
يشعر واسأل القرية التي كنا فيها هي مصر أي أرسل إلى أهلها فسلهم عن كنه القصة والعير التي أقبلنا
فيها وإنا لصادقون وأصحاب العير وكانوا قومًا من كنعان من جيران يعقوب عليه السلام وقيل من أهل صنعاء قال بل سولت
لكم أنفسكم أمرًا فصبر جميل معناه فرجعوا إلى أبيهم فقالوا له ما قال لهم أخوهم فقال بل سولت لكم أنفسكم أمرًا
أردتموه وإلا فما أدرى ذلك الرجل أن السارق يؤخذ بسرقته لولا فتواكم وتعليمكم عسى الله أن يأتيني بهم
جميعًا بيوسف وأخيه وروبيل أو غيره إنه هو العليم بحالي في الحزن والأسف الحكيم الذي لم يبتلني بذلك إلا
لحكمة ومصلحة وتولى عنهم وأعرض عنهم كراهة لما جاؤوا به وقال يا أسفى على يوسف أضاف الأسف وهو أشد
الحزن والحسرة إلى نفسه والألف بدل من ياء الإضافة والتجانس بين لفظتي الأسف ويوسف مما يقع مطبوعًا غير
متعمل فيملح ويبدع ونحوه اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم وهم ينهون عنه وينأون عنه وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا من
سبأ بنبأ وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم تعط أمة من الأمم إنا لله وإنا إليه راجعون عند المصيبة إلا أمة محمد
ألا ترى إلى يعقوب حين أصابه ما أصابه لم يسترجع وإنما قال يا أسفى فإن قلت كيف تأسف على يوسف دون
أخيه والثالث والرزء الأحدث أشد على النفس وأظهر أثرًا قلت هو دليل على تمادي أسفه على يوسف وأنه لم يقع
عنده موقعه وأن الرزء فيه مع تقادم عهده كان غضًّا عنده طريًّا ولم تنسني أوفى المصيبات بعده
ولأن الرزء في يوسف كان قاعدة مصيباته التي ترتبت عليها الرزايا في ولده وكان الأسف عليه أسفًا على من لحق به
وابيضت عيناه من الحزن إذا كثر الاستعبار محقت العبرة سواد العين وقلبته إلى بياض كدر قيل قد
عمي بصره وقيل كان يدرك إدراكًا ضعيفًا قرئ من الحزن قيل ما جفت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف إلى
حين لقائه ثمانين عامًا وما على وجه الأرض أكرم على الله من يعقوب وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه سأل جبرائيل
ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الأجر قال أجر مائة شهيد وما ساء
ظنه بالله ساعة قط فإن قلت كيف جاز لنبي الله أن يبلغ به الجزع ذلك المبلغ قلت الإنسان مجبول على أن
لا يملك نفسه عند الشدائد من الحزن ولذلك حمد صبره وأن يضبط نفسه حتى لا يخرج إلى ما لا يحسن ولقد
بكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ولده إبراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وإنا
عليك يا إبراهيم لمحزونون وإنما الجزع المذموم ما يقع من الجهلة من الصياح والنياحة ولطم الصدور والوجوه
وتمزيق الثياب وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود بنفسه فقيل يا رسول الله تبكي
وقد نهيتنا عن البكاء قال ما نهيتكم عن البكاء وإنما نهيتكم عن صوتين أحمقين صوت عند الفرح وصوت
عند الترح وعن الحسن رحمه الله أنه بكى على ولد أو غيره فقيل له في ذلك فقال ما رأيت الله جعل الحزن عارًا
على يعقوب فهو كظيم فهو مملوء من الغيظ على أولاده ولا يظهر ما يسوؤهم فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله وهو
مكظوم من كظم السقاء إذا شده على ملئه والكظم بفتح الظاء مخرج النفس يقال أخذ بأكظامه قالوا
تالله تفتؤ تذكر يوسف أراد لا تفتؤ فحذف حرف النفي لأنه لا يلتبس بالإثبات لأنه لو كان إثباتًا لم يكن بد
من اللام والنون ونحوه فقلت يمين الله أبرح قاعدًا ومعنى لا تفتؤ لا تزال وعن مجاهد لا تفتر من حبه
كأنه جعل الفتوء والفتور أخوين يقال ما فتئ يفعل كذا ... أو

فما فتئت خيل تثوب وتدعي ۞ ويلحق منها لاحق وتقطع

حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين حرضا مشفيا على الهلاك مرضا واحرضه المرض ويستوي
فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه مصدر والصفة حرض بكسر الراء ونحوهما دنف ودنف
وجاءت القراءة بهما جميعا وقرأ الحسن حرضا بضمتين ونحوه في الصفات رجل جنب وغرب قال إنما أشكو
بثي وحزني إلى الله البث أصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه إلى الناس أي ينشره ومنه باثه أمره وأبثه إياه
ومعنى إنما أشكو إني لا أشكو إلى أحد منكم ومن غيركم إنما أشكو إلى ربي داعيا له وملتجئا إليه فخلوني وشكايتي
وهذا معنى توليه عنهم أي فتولى عنهم إلى الله والشكاية إليه وقيل دخل على يعقوب جار له فقال يا يعقوب قد
تهشمت وفنيت وما بلغت من السن ما بلغ أبوك فقال هشمني وأفناني ما ابتلاني الله به من هم يوسف فأوحى الله
إليه يا يعقوب أتشكوني إلى خلقي قال يا رب خطيئة أخطأتها فاغفر لي فغفر له فكان بعد ذلك إذا سئل قال
إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وروي أنه أوحي إلى يعقوب إنما وجدت عليكم لأنكم ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين
فلم تطعموه وإن أحب خلقي إلي الأنبياء ثم المساكين فاصنع طعاما وادع عليه المساكين وقيل اشترى جارية
مع ولدها فباع ولدها فبكت حتى عميت وأعلم من الله ما لا تعلمون أي أعلم من صنعه ورحمته وحسن ظني به
أنه يأتيني بالفرج من حيث لا أحتسب وروي أنه رأى ملك الموت في منامه فسأله هل قبضت روح يوسف فقال لا
والله هو حي فاطلبه وعرفه وحزني بفتحتين وحزني بضمتين قتادة يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف
وأخيه فتعرفوا منهما واطلبوا خبرهما وقرئ بالجيم كما قرئ بهما في الحجرات وهما تفعل من الإحساس وهو المعرفة
فلما أحس عيسى منهم الكفر ومن الحس وهو الطلب ومنه قالوا للمشاعر الإنسان الحواس والجواس ولا تيأسوا
من روح الله من فرجه وتنفيسه وقرأ الحسن وقتادة من روح الله بالضم أي من رحمته التي يحيى بها العباد إنه
لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر الهزال
من الشدة والجوع وجئنا ببضاعة مزجاة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها إذا دفعته
وطردته والريح تزجي السحاب قيل كانت من متاع الأعراب صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل سويق
المقل والأقط وقيل دراهم زيوفا لا تؤخذ إلا بوضيعة فأوف لنا الكيل الذي هو حقنا وتصدق علينا وتفضل علينا
بالمسامحة والإغماض عن رداءة البضاعة أو زدنا على حقنا فسموا ما هو فضل وزيادة لا تلزمه صدقة لأن الصدقات
محظورة على الأنبياء وقيل كانت تحل لغير نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وسئل ابن عيينة عن ذلك فقال ألم تسمع وتصدق
علينا أراد أنها كانت حلالا لهم والظاهر أنهم تمسكنوا له وطلبوا إليه أن يتصدق عليهم ومن ثم رق لهم وملكته الرحمة
عليهم فلم يتمالك أن عرفهم نفسه وقوله إن الله يجزي المتصدقين شاهد لذلك لذكر الله عز وجل وجزائه والصدقة
العطية التي يبتغى بها المثوبة من الله ومنه قول الحسن لمن سمعه يقول اللهم تصدق علي إن الله لا يتصدق وإنما يتصدق الذي
يبتغي الثواب قل اللهم أعطني أو تفضل علي أو ارحمني قال هل علمتم أتاهم من جهة الدين وكان حليما موفقا فكلمهم
مستفهما عن معرفة وجه القبح الذي يجب أن يراعيه التائب فقال هل علمتم قبح ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم
جاهلون لا تعلمون قبحه فلذلك أقدمتم عليه يعني هل علمتم قبحه فتبتم إلى الله منه لأن علم القبح يدعو إلى الاستقباح
والاستقباح يجر إلى التوبة فكان كلامه شفقة عليهم وتنصحا لهم في الدين لا معاتبة وتثريبا إيثارا لحق الله على
حق نفسه في ذلك المقام الذي ينفث فيه المكروب وينفث فيه المصدور ويتشفى المغيظ المحنق ويدرك ثأره الموتور
فلله أخلاق الأنبياء ما أوطأها وأسجحها ولله حصى عقولهم ما أرزنها وأرجحها وقيل لم يرد نفي العلم لأنهم كانوا علماء
ولكنهم لما لم يفعلوا ما يقتضيه العلم ولا يقدم عليه إلا جاهل سماهم جاهلين وقيل معناه إذ أنتم صبيان في حد السفه
والطيش قبل أن تبلغوا أوان الحلم والرزانة وروي أنهم قالوا لما مسنا وأهلنا وتضرعوا إليه ارفضت عيناه
ثم قال هذا القول وقيل أدوا إليه كتاب يعقوب عليه السلام من يعقوب إسرائيل الله بن إسحق ذبيح الله بن إبرهيم خليل الله إلى
عزيز مصر أما بعد فإنا أهل بيت موكل بنا البلاء أما جدي فشدت يداه ورجلاه ورمي به في النار ليحرق فنجاه الله
وجعلت النار عليه بردا وسلاما وأما أبي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله وأما أنا فكان لي ابن وكان أحب أولادي
إلي فذهب به إخوته إلى البرية ثم أتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد أكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه
ثم كان لي ابن وكان أخاه من أمه وكنت أتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا إنه سرق وإنك حبسته لذلك وإنا أهل
بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فإن رددته علي وإلا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام فلما قرأ يوسف
الكتاب لم يتمالك وعيل صبره فقال لهم ذلك وروي أنه لما قرأ الكتاب بكى وكتب الجواب اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا
فإن قلت ما فعلهم بأخيه قلت تعريضهم إياه للغم والثكل بإفراده عن أخيه لأبيه وأمه وجفاؤهم به حتى كان

لا يستطيع

لا يستطيع أن يكلم أحدا منهم إلا كلام الذليل للعزيز وإيذاؤهم له بأنواع الأذى قالوا أئنك لأنت يوسف قال أنا
يوسف وهذا أخي قد من الله علينا قرئ إنك على الاستفهام وإنك على الإيجاب وفي قراءة أبي أئنك أو أنت يوسف على
معنى أئنك يوسف أو أنت يوسف فحذف الأول لدلالة الثاني عليه وهذا كلام متعجب مستغرب لما سمع وهو يكرر
الاستثبات فإن قلت كيف عرفوه قلت رأوا في روائه وشمائله حين كلمهم بذلك ما شعروا به أنه هو
مع علمهم بأن ما خاطبهم به لا يصدر مثله إلا عن حنيف مسلم من سنخ إبرهيم لا عن بعض أعزاء مصر وقيل تبسم عند ذلك
فعرفوه بثناياه وكانت كاللؤلؤ المنظوم وقيل ما عرفوه حتى رفع التاج عن رأسه فنظروا إلى علامة بقرنه كانت
ليعقوب وسارة مثلها تشبه الشامة البيضاء فإن قلت قد سألوه عن نفسه فلم أجابهم عنها وعن أخيه على أن أخاه
كان معلوما لهم قلت لأنه كان في ذكر أخيه بيان لما سألوه عنه إنه من يتق من يخف الله وعقابه ويصبر عن
المعاصي وعلى الطاعة فإن الله لا يضيع أجر المحسنين أجرهم فوضع المحسنين موضع الضمير لاشتماله على المتقين
والصابرين قالوا تالله لقد آثرك الله علينا أي فضلك علينا بالتقوى والصبر وسيرة المحسنين وإن كنا لخاطئين
وإن شأننا وحالنا أنا كنا خاطئين متعمدين للإثم لم نتق ولم نصبر لا جرم أن الله أعزك بالملك وأذلنا بالتمسكن
بين يديك قال لا تثريب عليكم اليوم لا تأنيب عليكم ولا عتب وأصل التثريب من الثرب وهو الشحم الذي هو غاشية
الكرش ومعناه إزالة الثرب كما أن التجليد والتقريع إزالة الجلد والقرع لأنه إذا ذهب كان ذلك غاية الهزال والعجف
الذي ليس بعده فضرب مثلا للتقريع الذي يمزق الأعراض ويذهب بماء الوجوه فإن قلت بم تعلق اليوم قلت بالتثريب
أو بالمقدر في عليكم من معنى الاستقرار أو بيغفر والمعنى لا أثربكم اليوم وهو اليوم الذي هو مظنته فما ظنكم بغيره
من الأيام ثم ابتدأ فقال يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم يقال غفر الله لك ويغفر لك
على لفظ الماضي والمضارع جميعا ومنه قول المشمت يهديكم الله ويصلح بالكم أو اليوم يغفر الله لكم بشارة بعاجل غفران الله
لما تجدد يومئذ من توبتهم وندمهم على خطيئتهم وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخذ بعضادتي باب الكعبة يوم الفتح
فقال لقريش ما ترونني فاعلا بكم قالوا نظن خيرا أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت فقال أقول ما قال أخي يوسف لا
تثريب عليكم اليوم وروي أن أبا سفيان لما جاء ليسلم قال له العباس إذا أتيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فاتل عليه قال لا تثريب
عليكم اليوم ففعل فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غفر الله لك ولمن علمك ويروى أن إخوته لما عرفوه أرسلوا إليه إنك
تدعونا إلى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال يوسف إن أهل مصر وإن ملكت فيهم فإنهم
ينظرون إلي بالعين الأولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت الآن بكم وعظمت في العيون
حيث علم الناس أنكم إخوتي وأني من حفدة إبرهيم اذهبوا بقميصي هذا قيل هو القميص المتوارث الذي كان في تعويذ
يوسف وكان من الجنة أمره جبريل أن يرسله إليه فإن فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم إلا عوفي فألقوه على وجه
أبي يأت بصيرا يصر بصيرا كقولك جاء البناء محكما بمعنى صار ويشهد له فارتد بصيرا أو يأت إلي وهو بصير وينصره
قوله وأتوني بأهلكم أجمعين أي يأتني أبي ويأتني آله جميعا وقيل يهوذا هو الحامل قال أنا أحزنته بحمل القميص
ملطوخا بالدم إليه فأفرحه كما أحزنته وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر إلى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا
ولما فصلت العير خرجت من عريش مصر يقال فصل من البلد فصولا إذا انفصل منه وجاوز حيطانه وقرأ ابن عباس فلما انفصل
العير قال أبوهم لولده ومن حوله من قومه إني لأجد ريح يوسف أوجده الله ريح القميص حين أقبل من مسيرة ثمان
لولا أن تفندون والتفنيد النسبة إلى الفند وهو الخرف وإنكار العقل من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز
مفندة لأنها لم تكن في شبيبتها ذات رأي فتفند في كبرها والمعنى لولا تفنيدكم إياي لصدقتموني قالوا تالله إنك
لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب قدما في إفراط محبتك ليوسف ولهجك بذكره ورجائك للقائه وكان عندهم أنه قد مات
فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه طرح البشير القميص على وجه يعقوب أو ألقاه يعقوب فارتد فرجع بصيرا يقال رده فارتد
وارتد إذا ارتجعه قال ألم أقل لكم يعني قوله إني لأجد ريح يوسف أو قوله ولا تيأسوا من روح الله وقوله إني أعلم من
الله ما لا تعلمون كلام مبتدأ لم يقع عليه القول ولك أن توقعه عليه وتريد قوله إنما أشكو بثي وحزني إلى الله
وأعلم من الله ما لا تعلمون وروي أنه سأل البشير كيف يوسف فقال هو ملك مصر فقال ما أصنع بالملك على أي دين تركته
قال على دين الإسلام قال الآن تمت النعمة قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين قال سوف أستغفر
لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم قيل أخر الاستغفار إلى وقت السحر وقيل إلى ليلة الجمعة ليتعمد به وقت الإجابة
وقيل ليتعرف حالهم في صدق التوبة وإخلاصها وقيل أراد الدوام على الاستغفار لهم فقد روي أنه كان يستغفر لهم
كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة وقيل قام إلى الصلاة في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه وقال اللهم اغفر لي جزعي على
يوسف وقلة صبري عنه واغفر لولدي ما أتوا إلى أخيهم فأوحى الله إليه أن الله قد غفر لك ولهم أجمعين وروي أنهم قالوا له وقد غلبهم

الكآبة وما يغني عنا عفوكما ان لم يعف عنا ربنا فان لم يوح اليك بالعفو فلا قرت لنا عين ابدا فاستقبل الشيخ القبلة قائما
يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين عشرين سنة حتى بلغ جهدهم وظنوا انها الهلكة نزل
جبريل فقال ان الله اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وقد اختلف في استنبائهم
فلما دخلوا على يوسف قيل وجه يوسف الى ابيه جهازا ومائتي راحلة ليتجهز اليه بمن معه وخرج يوسف والملك في
اربعة الاف من الجند والعظماء واهل مصر باجمعهم فتلقوا يعقوب وهو يمشي متوكئا على يهوذا فنظر الى الخيل والناس
فقال يا يهوذا هذا فرعون مصر قال لا هذا ولدك فلما لقيه قال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان وقيل ان
يوسف عليه السلام قال له لما التقيا يا ابت بكيت علي حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيامة تجمعنا قال بلى ولكن خشيت
ان تسلب دينك فيحال بيني وبينك وقيل ان يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجل وامرأة وخرجوا
منها مع موسى ومقاتلتهم ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعون رجلا سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية
الف الف ومائتي الف آوى اليه ابويه ضمهما اليه واعتنقهما قال ابن اسحق كانت امه تحيا وقيل ابوه وخالته
ماتت امه فتزوجها وجعلها احد الابوين لان الرابة تدعى اما لقيامها مقام الام او لان الخالة ام كما ان العم اب
ومنه قوله تعالى واله آبائك ابرهيم واسمعيل واسحق وقال ادخلوا مصر فان قلت ما معنى دخولهم عليه قبل
دخولهم مصر قلت كانه حين استقبلهم نزل لهم في مضرب او بيت ثم فدخلوا عليه وضم اليه ابويه ثم قال لهم ادخلوا مصر
ان شاء الله آمنين ورفع ابويه على العرش ولما دخل مصر وجلس في مجلسه مستويا على سريره واجتمعوا اليه
اكرم ابويه فرفعهما على السرير وخروا له يعني الاخوة الاحد عشر والابوين سجدا وقيل كان يرى في قبة
من قباب الملوك التي تحمل على البغال فامر ان يرفع اليه ابواه فدخلا عليه القبة فآواهما اليه بالضم والاعتناق وقربهما
منه وقال بعد ذلك ادخلوا مصر فان قلت بم تعلقت المشيئة قلت بالدخول مكيفا بالامن لان القصد الى
اتصافهم بالامن في دخولهم فكانه قيل لهم اسلموا وامنوا في دخولكم ان شاء الله ونظيره قولك للغازي ارجع سالما غانما ان
شاء الله فلا تعلق المشيئة مطلقا ولكن مقيدا بالسلامة والغنيمة مكيفا بهما والتقدير ادخلوا مصر آمنين ان شاء الله
دخلتم آمنين ثم حذف الجزاء لدلالة الكلام عليه ثم اعترض بالجملة الجزائية بين الحال وذي الحال ومن بدع التفاسير
ان قوله ان شاء الله من باب التقديم والتاخير وان موضعها ما بعد قوله سوف استغفر لكم ربي في كلام يعقوب وما ادري
ما يقول فيه وفي نظائره فان قلت كيف جاز لهم ان يسجدوا لغير الله قلت كانت السجدة عندهم جارية مجرى
التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها مما جرت عليه عادة الناس من افعال شهرت في التعظيم والتوقير
وقيل ما كانت الا انحناء دون تعفير الجباه وخرورهم سجدا ياباه وقيل معناه وخروا لاجله سجدا لله شكرا
وهذا ايضا فيه نبوة وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد احسن بي اذ اخرجني من
السجن يقال احسن اليه وبه وكذلك اساء اليه وبه قال اسيئي بنا او احسني لا ملومة وجاء بكم من البدو
من البادية لانهم كانوا اهل عمد واصحاب مواش يتنقلون في المياه والمناجع من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين
اخوتي افسد بيننا واغرى من نخس الرائض الدابة وحمله على الجري يقال نزغه ونسغه اذا نخسه ان ربي لطيف لما
يشاء انه هو العليم الحكيم لطيف التدبير لاجله رفيق حتى يجيء على وجه الحكمة والصواب روي ان يوسف اخذ بيد
يعقوب فطاف به في خزائنه فادخله خزائن الورق والذهب وخزائن الحلي وخزائن الثياب وخزائن السلاح وغير ذلك فلما ادخله
خزائن القراطيس قال يا بني ما اعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي على ثمان مراحل قال امرني جبريل قال
اوما تساله قال انت ابسط اليه مني فساله فقال جبريل الله امرني بذلك لقولك واخاف ان ياكله الذئب قال فهلا خفتني
وروي ان يعقوب عليه السلام اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم مات واوصى ان يدفنه بالشام الى جنب ابيه اسحق
فمضى بنفسه ودفنه ثمة ثم عاد الى مصر وعاش بعد ابيه ثلاثا وعشرين سنة فلما تم امره وعلم انه لا يدوم له طلبت
الملك الدائم الخالد فتاقت نفسه اليه فتمنى الموت وقيل ما تمناه نبي قبله ولا بعده فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم
اهل مصر وتشاجروا في دفنه كل يحب ان يدفن في محلتهم حتى هموا بالقتال فراوا ان يعملوا له صندوقا من مرمر
وجعلوه فيه ودفنوه في النيل بمكان يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا كلهم فيه شرعا واحدا وولد له افرائيم
وميشا وولد لافرائيم نون ولنون يوشع فتى موسى ولقد توارثت الفراعنة من العماليق بعده مصر ولم تزل بنو
اسرائيل تحت ايديهم على بقايا دين يوسف وآبائه الى ان بعث الله موسى صلى الله عليه وسلم رب قد آتيتني من الملك
وعلمتني من تاويل الاحاديث فاطر السموات والارض من في من الملك ومن تاويل للتبعيض لانه لم يؤت الا بعض
ملك الدنيا او بعض ملك مصر وبعض التاويل انت ولي في الدنيا والآخرة انت الذي تتولاني بالنعمة في الدارين وتوصل
الملك الفاني بالملك الباقي توفني مسلما طلب للوفاة على حال الاسلام ولان يختم له بالخير والحسنى كما قال يعقوب لولده ولا

موتوا الا وانتم مسلمون

موتوا الا وانتم مسلمون ويجوز ان يكون تمنيا للموت على ما قيل والحقني بالصالحين من آبائي او على العموم وعن عمر
بن عبد العزيز ان ميمون بن مهران بات عنده فرآه كثير البكاء والمسالة للموت فقال له صنع الله على يديك خيرا
كثيرا احييت سننا وامت بدعا وفي حياتك خير وراحة للمسلمين فقال له افلا اكون كالعبد الصالح لما اقر الله
عينه وجمع له امره قال توفني مسلما والحقني بالصالحين فان قلت علام انتصب فاطر السموات والارض قلت على انه
وصف لقوله رب كقولك اخا زيد حسن الوجه او على النداء ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت
لديهم اذ اجمعوا امرهم وذلك اشارة الى ما سبق من نبا يوسف في الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومحله
الابتداء وقوله من انباء الغيب نوحيه اليك خبران ويجوز ان يكون اسما موصولا بمعنى الذي ومن انباء الغيب صلته ونوحيه الخبر
والمعنى ان هذا النبا غيب لم يحصل لك الا من جهة الوحي لانك لم تحضر بني يعقوب حين اجمعوا امرهم وهو القاؤهم
اخاهم في البئر كقوله واجمعوا ان يجعلوه في غيابت الجب وهذا تهكم بقريش ومن كذبه لانه لم يخف على احد من
المكذبين انه لم يكن من حملة هذا الحديث واشباهه ولا لقي فيها احدا ولا سمع منه ولم يكن من علم قومه فاذا اخبر به
وقص هذا القصص العجيب الذي اعجز حملته ورواته لم تقع شبهة في انه ليس منه وانه من جهة الوحي فاذا انكروه
تهكم بهم وقيل لهم قد علمتم يا مكابرون انه لم يكن مشاهدا لمن مضى من القرون الخالية وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا
الى موسى الامر وهم يمكرون بيوسف ويبغون له الغوائل وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين يريد العموم كقوله
ولكن اكثر الناس لا يؤمنون وعن ابن عباس انه اراد اهل مكة اي وما هم بمؤمنين ولو حرصت وتهالكت على ايمانهم لتصميمهم
على الكفر وعنادهم وما تسالهم عليه من اجر وما تسالهم على ما تحدثهم به وتذكرهم ان ينيلوك منفعة وجدوى
كما يعطى حملة الاحاديث والاخبار ان هو الا ذكر للعالمين الا موعظة من الله تعالى للعالمين عامة وحث
على النجاة على لسان رسول من رسله وكاين من آية في السموات والارض من علامة ودلالة على الخالق وعلى صفاته
وتوحيده يمرون عليها ويشاهدونها وهم عنها معرضون وهم معرضون عنها لا يعتبرون بها وقرئ والارض بالرفع
على الابتداء ويمرون عليها خبره وقرا السدي والارض بالنصب على يطؤون الارض يمرون عليها وفي مصحف عبد الله
والارض يمشون عليها برفع الارض والمراد ما يرون من آثار الامم الهالكة وغير ذلك من العبر وما يؤمن اكثرهم
بالله الا وهم مشركون وما يؤمن اكثرهم في اقرارهم بالله وبانه خلقه وخلق السموات والارض الا وهو مشرك
بعبادة الوثن وعن الحسن هم اهل الكتاب معهم شرك وايمان وعن ابن عباس هم الذين يشبهون الله بخلقه افامنوا
ان تاتيهم غاشية من عذاب الله او تاتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون غاشية نقمة تغشاهم وقيل
ما يغمرهم من العذاب ويجللهم وقيل الصواعق قل هذه سبيلي هذه السبيل التي هي الدعوة الى الايمان والتوحيد سبيلي
والسبيل الطريق تذكر وتؤنث ثم فسر سبيله بقوله ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني اي ادعو
الى دينه مع حجة واضحة غير عمياء انا تاكيد للمستتر في ادعو ومن اتبعني عطف عليه يريد ادعو اليها انا ويدعو
اليها من اتبعني ويجوز ان يكون انا مبتدا وعلى بصيرة خبرا مقدما ومن اتبعني عطفا على انا اخبارا منه بانه ومن
اتبعه على حجة وبرهان لا على هوى ويجوز ان يكون على بصيرة حالا من ادعو عاملة الرفع في انا ومن اتبعني وسبحان الله
وما انا من المشركين ونزهه من الشركاء وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم لا ملائكة لانهم كانوا
يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة وعن ابن عباس يريد ليست فيهم امراة وقيل في سجاح المتنبئة ولم تكن نبية الله
وقرئ يوحى اليهم بالنون من اهل القرى لانهم اعلم واحلم واهل البوادي فيهم الجهل والجفاء والقسوة افلم يسيروا
في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة ولدار الساعة او الحال الآخرة خير
للذين اتقوا للذين خافوا الله فلم يشركوا به ولم يعصوه وقرئ افلا تعقلون بالياء والتاء حتى اذا استياس
الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا حتى متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام كانه قيل وما ارسلنا من
قبلك الا رجالا فتراخى نصرهم حتى اذا استياسوا عن النصر وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم
بانهم ينصرون او رجاؤهم لقولهم رجاء صادق ورجاء كاذب والمعنى ان مدة التكذيب والعداوة من الكفار
وانتظار النصر من الله وتاميله قد تطاولت عليهم وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا ان لا نصر لهم في الدنيا فجاءهم نصرنا
فجاة من غير احتساب وعن ابن عباس وظنوا حين ضعفوا وغلبوا انهم قد اخلفوا ما وعدهم الله من النصر وقال كانوا
بشرا وتلا قوله وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله فان صح هذا عن ابن عباس فقد اراد بالظن
ما يخطر بالبال ويهجس في القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس على ما عليه البشرية واما الظن الذي هو ترجيح
احد الجائزين على الآخر فغير جائز على رجل من المسلمين فما بال رسل الله الذين هم اعرف الناس بربهم وانه متعال عن
خلف الميعاد منزه عن كل قبيح وقيل وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا اي اخلفوا او وظن المرسل اليهم انهم قد كذبوا

من جهة الرسل اي كذبهم الرسل في انهم ينصرون عليهم ولا يصدقوهم فيه وقرئ كذبوا بالتشديد على وظنّ
الرسل انهم قد كذبهم قومهم فيما اوعدوهم من العذاب والنصر عليهم وقرأ مجاهد كذبوا بالتخفيف على البناء للفاعل
على وظن الرسل انهم قد كذبوا فيما حدثوا به قومهم من النصر اما على تاويل ابن عباس واما على ان قومهم لم يروا لموعدهم
اثرا قالوا لهم انكم قد كذبتمونا فيكونون كاذبين عند قومهم او وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا ولو وعدوا
لهذا اشبه ذا الكلام معناه وظن المرسل ان قومهم كذبوهم في موعدهم فنجي من نشاء قرئ فننجي بالتخفيف والتشديد
من انجاه ونجاه ونجي على لفظ الماضي المبني للمفعول وقرأ ابن محيصن فنجا والمراد من نشاء المومنون لانهم الذين
يستاهلون ان نشاء نجاتهم وقد بين ذلك بقوله ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين لقد كان في قصصهم
عبرة لاولي الالباب الضمير في قصصهم للرسل وينصره قراءة من قرأ في قصصهم بكسر القاف وقيل هو راجع الى
يوسف واخوته فان قلت فالام يرجع الضمير في قوله ما كان حديثا يفترى فيمن قرأ بالكسر قلت
الى القرآن اي ما كان القرآن حديثا يفترى ولكن كان تصديق الذي بين يديه اي قبله من الكتب السماويه
وتفصيل كل شيء يحتاج اليه في الدين لانه القانون الذي يستند اليه السنه والاجماع والقياس بعد ادله
العقل وانتصاب ما نصب بعد لكن للعطف على خبر كان وقرئ ذلك بالرفع ولكن هو تصديق الذي بين يديه
وهدى ورحمة لقوم يؤمنون عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم
تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة الا يحسد مسلما

سورة الرعد مختلف فيها وهي خمس واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

المر تلك آيات الكتاب والذي انزل اليك من ربك الحق ولكن اكثر الناس لا يؤمنون
تلك اشارة الى آيات السورة والمراد بالكتاب السورة اي تلك الآيات آيات السورة الكاملة العجيبة في بابها وقال
والذي انزل اليك من القرآن كله هو الحق الذي لا مزيد عليه لا هذه السورة وحدها وفي اسلوب هذا الكلام قول
الانمارية هم كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها تريد الكملة الله الذي الله مبتدا والذي خبره بدليل
قوله وهو الذي مد الارض ويجوز ان يكون صفة وقوله يدبر الامر يفصل الآيات خبرا بعد خبر وينصره ما تقدمه
من ذكر الآيات رفع السموات بغير عمد ترونها كلام مستانف استشهاد برؤيتهم لها كذلك وقيل هي
صفة لعمد ويعضده قراءة أبي ترونه وقرئ عُمُد بضمتين ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل
يجري لاجل مسمى يدبر الامر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون يدبر امر ملكوته وربوبيته
يفصل آياته في كتبه المنزله لعلكم توقنون بالجزاء وبان هذا المدبر والمفصل لا بد لكم من الرجوع اليه
وقرأ الحسن نفصل بالنون وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وانهارا ومن كل الثمرات جعل
فيها زوجين اثنين خلق فيها جميع انواع الثمرات زوجين زوجين حين مدها ثم تكاثرت بعد ذلك وتنوعت وقيل
اراد بالزوجين الابيض والاسود والحلو والحامض والصغير والكبير وما اشبه ذلك من الاصناف المختلفه
يغشي الليل النهار ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون يلبسه مكانه فيصير اسود مظلما بعد ما كان ابيض منيرا
وقرئ يغشي بالتشديد وفي الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى
بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون وقطع متجاورات بقاع مختلفة مع
كونها متجاورة متلاصقة طيبة الى سبخة وكريمة الى زهيدة وصلبة الى رخوة وصالحة للزرع لا للشجر الى اخرى على
عكسها مع انتظامها جميعا في جنس الارضيه وذلك دليل على قادر مريد موقع لافعاله على وجه دون وجه
وكذلك الكروم والزروع والنخيل النابتة في هذه القطع مختلفة الاجناس والانواع وهي تسقى بماء واحد وتراها
متغايرة الثمر في الاشكال والالوان والطعوم والروائح متفاضلة فيها وفي بعض المصاحف قطعا متجاورات على
وجعل وقرئ جنات بالنصب للعطف على زوجين او بالجر على كل الثمرات وقرئ وزرع ونخيل بالجر عطفا على اعناب
وجنات والصنوان جمع صنو وهي النخلة لها رأسان واصلهما واحد وقرئ بالضم فالكسر لغة اهل الحجاز والضم
لغة بني تميم وقيس تسقى بالتاء والياء ونفضل بالنون والياء على البناء للفاعل والمفعول جميعا في الاكل بضم الكاف
وسكونها وان تعجب يا محمد من قولهم في انكار البعث فعجب قولهم حقيق بان يتعجب منه لان من
قدر على انشاء ما عدد عليك من الفطر العظيمة ولم يعي بخلقهن كانت الاعادة اهون شيء عليه وايسره فكان انكارهم
اعجوبة من الاعاجيب أإذا كنا ترابا الى اخر قولهم يجوز ان يكون في محل الرفع بدلا من قولهم وان يكون منصوبا بالقول

واذا نصب بما دل عليه قوله انا لفي خلق جديد اولئك الذين كفروا بربهم الكاملون المتمادون في كفرهم واولئك
الاغلال في اعناقهم واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون واولئك الاغلال في اعناقهم وصف بالاصرار كقوله
انا جعلنا في اعناقهم اغلالا او وعيد لهم او تشبيه اغلالا او اقيادا وهو من جملة الوعيد ويستعجلونك بالسيئة قبل
الحسنة بالنقمة قبل العافية والاحسان اليهم بالامهال وذلك انهم سالوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان ياتيهم
بالعذاب استهزاء منهم بانذاره وقد خلت من قبلهم المثلات اي عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا
بها فلا يستهزؤا والمثلة العقوبة لانها مثل المعاقب عليه من المماثلة وجزاء سيئة سيئة مثلها ويقال
امثلت الرجل من صاحبه واقصصته منه القصاص وقرئ المثلات بتخفيف العين والمثلات بفتح الميم
وسكون الثاء كما يقال السمرة والمثلات بضم الميم وسكون الثاء تخفيف المثلات بضمتين والمثلات جمع مثلة كركبة
وركبات وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب لذو مغفرة للناس على ظلمهم اي
مع ظلمهم انفسهم بالذنوب ومحله الحال بمعنى ظالمين لانفسهم وفيه اوجه ان يريد السيئات المكفرة لمجتنب الكبائر
او الكبائر بشرط التوبة او يريد بالمغفرة الستر والامهال روي انها لما نزلت قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لولا عفو الله وتجاوزه
ما هنأ احدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه انما انت منذر
لم يعتدوا بالآيات المنزلة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنادا فاقترحوا نحو آيات موسى وعيسى من انقلاب العصا حية
واحياء الموتى فقيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انما انت رجل ارسلت منذرا مخوفا لهم من سوء العاقبة وناصحا كغيرك
من الرسل وما عليك الا الاتيان بما يصح به انك رسول منذر وصحة ذلك حاصلة باية آية والآيات كلها سواء في حصول
الغرض بها لا تفاوت فيها والذي عنده كل شيء بمقدار يعطي كل نبي على حسب ما اقتضاه علمه بالمصالح وتقدير لها ولكل
قوم هاد من الانبياء يهديهم الى الدين ويدعوهم الى الله بوجه من الهداية وباية خص بها ولم يجعل للانبياء شرعا واحدا في
آيات مخصوصة ووجه اخر وهو ان يكون المعنى انهم يجحدون كون ما انزل عليك آيات ويعاندون فلا يهمنك ذلك انما
انت منذر فما عليك الا ان تنبه الايمان في صدورهم ولست بقادر عليه ولكل قوم هاد قادر على هدايتهم بالالجاء
وهو الله تعالى ولقد دل بما اردفه من ذكر آيات علمه وتقديره للاشياء على قضايا حكمته ان اعطاء كل منذر آيات خلاف
آيات غيره امر مدبر بالعلم النافذ مقدر بالحكمة الربانية ولو علم في اجابتهم الى مقترحهم خيرا او مصلحة لاجابهم اليه
واما على الوجه الثاني فقد دل به على ان من هذه قدرته وهذا علمه هو القادر وحده على هدايتهم العالم باي طريق يهديهم
ولا سبيل الى ذلك لغيره الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد الله يعلم يحتمل ان يكون كلاما
مستانفا وان يكون المعنى هو الله تفسيرا لهاد على الوجه الاخير ثم ابتدى فقيل يعلم ما تحمل كل انثى وما في ما تحمل
وما تغيض وما تزداد اما موصولة واما مصدرية فان كانت موصولة فالمعنى انه يعلم ما تحمله من الولد على اي حال هو من
ذكورة وانوثة وتمام وخداج وحسن وقبح وطول وقصر وغير ذلك من الاحوال الحاضرة والمترقبة ويعلم ما تغيضه الارحام
اي تنقصه يقال غاض الماء وغضته انا ومنه قوله تعالى وغيض الماء وما تزداد اي تاخذه زائدا يقال اخذت منه حقي وازددت
منه كذا ومنه قوله تعالى وازدادوا تسعا ويقال زدته فزاد بنفسه وازداد ومما تنقصه الرحم وتزداده عدد
الولد فانها تشتمل على واحد وقد تشتمل على اثنين وثلاثة واربعة ويروى ان شريكا كان رابع اربعة في بطن امه ومنه
جسد الولد فانه يكون تاما ومخدجا ومنه مدة ولادته فانها تكون اقل من تسعة اشهر وازيد عليها الى سنتين عند
ابي حنيفة والى اربع عند الشافعي والى خمس عند مالك وقيل ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان بقي في بطن امه اربع
سنين ولذلك سمي هرما ومنه الدم فانه يقل ويكثر وان كانت مصدرية فالمعنى انه يعلم حمل كل انثى ويعلم غيض الارحام
وازديادها لا يخفى عليه شيء من ذلك ومن اوقاته واحواله ويجوز ان يراد غيوض ما في الارحام وزيادته فاسند الفعل
الى الارحام وهو لما فيها على ان الفعلين غير متعديين ويعضده قول الحسن الغيضوضة ان تضع لثمانية اشهر واقل من
ذلك والازدياد ان تزيد على تسعة اشهر وعنه الغيض الذي يكون سقطا لغير تمام والازدياد ما ولد لتمام وكل شيء عنده
بمقدار بقدر وحد لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله انا كل شيء خلقناه بقدر عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال
العظيم الشان الذي كل شيء دونه المتعالي المستعلي على كل شيء بقدرته والذي كبر عن صفات المخلوقين وتعالى عنها
سواء منكم من اسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار وذاهب سارب في سربه بالفتح اي
في طريقه ووجهه يقال سرب في الارض سروبا والمعنى سواء عنده من استخفى اي طلب الخفاء في مختبأ بالليل وفي ظلمته
ومن يضطرب في الطرقات ظاهرا بالنهار يبصره كل احد فان قلت كان حق العبارة ان يقال ومن هو مستخف ومن هو
سارب بالنهار حتى يتناول معنى الاستواء المستخفي والسارب والا فقد تناول واحدا هو مستخف وسارب قلت فيه
وجهان احدهما ان قوله وسارب عطف على من هو مستخف لا على مستخف والثاني انه عطف على مستخف الا ان من في معنى الاثنين

كقوله لكن مثل ما باذت يصطحبان ۝ كانه قيل اسوا منكم انسان مستخف بالليل وسارب بالنهار والضمير في **له** مردود على من كانه قيل لمن اسر ومن جهر ومن استخفى ومن سرب **معقبات من بين يديه ومن خلفه** جماعة من الملائكة تعتقب في حفظه وكلايه والاصل معتقبات فادغمت التا في القاف كقوله وجا المعذرون بمعنى المعتذرون ويجوز معقبات بكسر العين ولم يقرا به وهو مفعلات من عقبه اذا جاء على عقبه كما يقال قفاه لان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه **يحفظونه من امر الله** هما صفتان جميعا وليس من امر الله بصلة للحفظ كانه قيل له معقبات من امر الله او يحفظونه من اجل امر الله اي من اجل ان الله امرهم بحفظه والدليل عليه قراة علي وابن عباس وزيد بن علي وجعفر بن محمد وعكرمة يحفظونه بامر الله او يحفظونه من باس الله ونقمته اذا اذنب بدعايهم له ومسلتهم ربهم ان يمهله رجا ان يتوب وينيب كقوله قل من يكلوكم بالليل والنهار من الرحمن وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه وتقديره من امر الله اي من قضاياه ونوازله او على التهكم به وقرى له معاقيب جمع معقب ومعقبة والياء عوض من حذف احدى القافين في التكسير **ان الله لا يغير ما بقوم** من العافية والنعمة **حتى يغيروا ما بانفسهم** من الحال الجميلة بكثرة المعاصي **واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال** ۝ ممن يلي امرهم ويدفع عنهم **هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا** خوفا لا يصح ان يكونا مفعولا لهما لانهما ليسا بفعل فاعل الفعل المعلل الا على تقدير حذف المضاف اي ارادة خوف وطمع او على معنى اخافة واطماعا ويجوز ان يكونا منتصبين على الحال من البرق كانه في نفسه خوف وطمع او على ذا خوف وذا طمع من المخاطبين اي خايفين وطامعين ومعنى الخوف والطمع ان وقوع الصواعق يخاف عند لمع البرق ويطمع في الغيث قال ابو الطيب

۝ فتى كالسحاب الجون يخشى ويرتجى ۝ يرجى الحيا منها ويخشى الصواعق ۝

وقيل يخاف المطر من له فيه ضرر كالمسافر ومن في جرينه التمر والزبيب ومن له بيت يكف ومن البلاد ما لا ينتفع اهله بالمطر كاهل مصر ويطمع فيه من له فيه نفع ويحيى به **وينشي السحاب الثقال** السحاب اسم الجنس والواحد سحابة والثقال جمع ثقيلة لانك تقول سحابة ثقيلة وسحاب ثقال كما تقول امراة كريمة ونسا كرام وهي الثقال بالما **ويسبح الرعد بحمده** ويسبح سامعو الرعد من العباد الراجين للمطر حامدين له اي يضجون بسبحان الله والحمد لله وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه كان يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده وعن علي رضي الله عنه سبحان من سبحت له واذا اشتد الرعد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وعن ابن عباس ان اليهود سالت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الرعد ما هو فقال ملك من الملايكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب وعن الحسن خلق من الله ليس بملك ومن بدع المتصوفة الرعد صعقات الملايكة والبرق زفرات افيدتهم والمطر بكاوهم **والملايكة من خيفته** ويسبح الملايكة من هيبته واجلاله **ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشا** ذكر علمه النافذ في كل شي واستوا الظاهر والخفي عنده وما دل على قدرته الباهرة ووحدانيته ثم قال **وهم** يعني الذين كفروا وكذبوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانكروا اياته **يجادلون في الله** حيث ينكرون على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما يصفه به من القدرة واعادة الخلايق بقولهم من يحيي العظام وهي رميم ويردون الوحدانية باتخاذ الشركا والانداد ويجعلونه بعض الاجسام المتوالدة بقولهم الملايكة بنات الله فهذا جدالهم بالباطل وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق وقيل الواو للحال اي فيصيب بها من يشا في حال جدالهم وذلك ان اربد اخا لبيد بن ربيعة العامري قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين وفد عليه مع عامر بن الطفيل قاصدين لقتله فرمى الله عامرا بغدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية وارسل على اربد صاعقة فقتلته اخبرني عن ربنا امن نحاس هو ام من حديد **وهو شديد المحال** المماحلة وهي شدة المماكرة والمكايدة ومنه تمحل لكذا اذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه ومحل بفلان اذا كاده وسعى به الى السلطان ومنه الحديث ولا تجعله علينا ماحلا مصدقا وقال الاعشى ۝ فرع نبع يهتز في غصن المجد ۝ غزير الندى شديد المحال ۝ والمعنى انه شديد المكر والكيد لاعدايه ياتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون وقرا الاعرج بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول محالا اذا احتال ومنه احول من ذيب اي اشد حيلة ويجوز ان يكون المعنى الفقار ويكون مثلا في القوة والقدرة كما جاء فساعد الله اشد وموساه احد لان الحيوان اذا اشتد محاله كان منعوتا بشدة القوة والاضطلاع بما يعجز عنه غيره الا ترى الى قولهم فقرته الفواقر وذلك ان الفقار عمود الظهر وقوامه **له دعوة الحق** فيه وجهان احدهما ان تضاف الدعوة الى الحق الذي هو نقيض الباطل كما تضاف الكلمة اليه في قوله كلمة الحق للدلالة على ان الدعوة ملابسة للحق مختصة بها وانها بمعزل من الباطل والمعنى ان الله سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة ويعطي الداعي سواله ان كان مصلحة له فكانت دعوة ملابسة للحق لكونه حقيقا بان يوجه اليه الدعا لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا يجدي دعاوه والثاني ان يضاف الى الحق الذي هو الله عز وجل على معنى دعوة المدعو الحق الذي يسمع فيجيب وعن الحسن رحمه الله الحق

هو الله وكل

صدره
نقش فان على هدى لاتخونني

وهو القرآن اولى
[illegible]

هو الله وكل دعا اليه دعوة الحق **فان قلت** فما وجه اتصال هذين الوصفين بما قبله **قلت** اما على قصة اربد فظاهر لان اصابته بالصاعقة محال من الله ومكر به من حيث لم يشعر وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليه وعلى صاحبه بقوله اللهم اخسفهما بما شيت فاجيب فيهما فكانت الدعوة دعوة حق واما على الاول فوعيد للكفرة على مجادلتهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحلول محاله بهم واجابة دعوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان دعا عليهم فيهم **والذين يدعون من دونه** والالهة الذين يدعوهم الكفار من دون الله **لا يستجيبون لهم بشي** من طلباتهم **الا كباسط كفيه الى الما ليبلغ فاه وما هو ببالغه** الا استجابة كاستجابة باسط كفيه اي كاستجابة الما من بسط كفيه اليه يطلب منه ان يبلغ فاه والما جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته اليه ولا يقدر ان يجيب دعاه ويبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدعايهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر على نفعهم وقيل شبهوا في قلة جدوى دعايهم لالهتهم بمن اراد ان يغرف الما بيديه ليشربه فيبسطهما ناشرا اصابعه فلم تلق كفاه منه شيا ولم يبلغ طلبته من شربه وقرى بدعون بالتا كباسط كفيه بالتنوين **وما دعا الكافرين الا في ضلال** ۝ الا في ضياع لا منفعة فيه لانهم ان دعوا الله لم يجبهم وان دعوا الالهة لم تستطع اجابتهم **ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال** اي ينقادون لاحداث ما اراده فيهم من افعاله شاوا او ابوا لا يقدرون ان يمتنعوا عليه وتنقاد له ظلالهم ايضا حيث تتصرف على مشيته في الامتداد والتقلص والفي والزوال وقرى والايصال من اصلوا اذا دخلوا في الاصيل **قل من رب السموات والارض قل الله** حكاية لاعترافهم وتاكيد له عليهم لانه اذا قال لهم من رب السموات والارض لم يكن لهم بد من ان يقولوا الله كقوله قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله وهذا كما يقول المناظر لصاحبه اهذا قولك فاذا قال هذا قولي قال هذا قولك فيحكي اقراره تقريرا له عليه واستيثاقا منه ثم يقول له فيلزمك على هذا القول كيت وكيت ويجوز ان يكون تلقينا اي ان كفوا عن الجواب فلقنهم فانهم يتلقنونه ولا يقدرون ان ينكروه **قل افاتخذتم من دونه اوليا** ابعد ان علمتموه رب السموات والارض اتخذتم من دونه اوليا فجعلتم ما كان يجب ان يكون سبب التوحيد من علمكم واقراركم سبب الاشراك **لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا** لا يستطيعون لانفسهم ان ينفعوها او يدفعوا عنها ضررا فكيف يستطيعونه لغيرهم وقد اثرتموهم على الخالق الرازق المثيب المعاقب فما اضلكم **قل هل يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات والنور ام جعلوا لله شركا خلقوا كخلقه** ام جعلوا بل اجعلوا ومعنى الهمزة الانكار وخلقوا صفة لشركا يعني انهم لم يتخذوا لله شركا خالقين قد خلقوا مثل خلق الله فتشابه عليهم خلق الله وخلقهم حتى يقولوا قدر هولا على الخلق كما قدر الله عليه فاستحقوا العبادة فنتخذهم له شركا ونعبدهم كما يعبد اذ لا فرق بين خالق وخالق ولكنهم اتخذوا له شركا عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا ان يقدروا على ما يقدر عليه الخالق **قل الله خالق كل شي** لا خالق غير الله ولا يستقيم ان يكون له شريك في الخلق فلا يكون له شريك في العبادة **وهو الواحد** المتوحد بالربوبية **القهار** ۝ لا يغالب وما عداه مربوب ومقهور **انزل من السما ما فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغا حلية او متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفا واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض** هذا مثل ضربه الله تعالى للحق واهله بالما الذي ينزل من السما فتسيل به اودية الناس فيحيون به وينفعهم انواع المنافع وبالفلز الذي ينتفعون به في صوغ الحلي منه واتخاذ الاواني والالات المختلفة ولو لم يكن الا الحديد الذي فيه الباس الشديد لكفى به وان ذلك ماكث في الارض باق بقا ظاهرا يثبت الما في منافعه وتبقى اثاره في العيون والابار والحبوب والثمار التي تنبت به مما يدخر ويكنز وكذلك الجواهر تبقى ازمنة متطاولة وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله ووشك زواله وانسلاخه عن المنفعة بزبد السيل الذي يرمي به وبزبد الفلز الذي يطفو فوقه اذا اذيب **فان قلت** لم نكرت الاودية **قلت** لان المطر لا ياتي الا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض اودية الارض دون بعض **فان قلت** فما معنى قوله بقدرها **قلت** بمقدارها الذي عرف الله انه نافع للممطور عليهم غير ضار الا ترى الى قوله واما ما ينفع الناس لانه ضرب المطر مثلا للحق فوجب ان يكون مطرا خالصا للنفع خاليا من المضرة ولا يكون كبعض الامطار والسيول الجواحف **فان قلت** فما فايدة قوله ابتغا حلية او متاع **قلت** الفايدة كالفايدة في قوله بقدرها لانه جمع الما والفلز في النفع في قوله واما ما ينفع الناس لان المعنى واما ما ينفعهم من الما فهو الذي بقي والفلز وذكر وجه الانتفاع بما يوقد عليه منه وذلك هو الحلية والمتاع وقوله ومما يوقدون عليه في النار ابتغا حلية او متاع عبارة جامعة لانواع الفلز مع اظهار الكبريا في ذكره على وجه التهاون به كما هو هجيري الملوك كما جا في ذكر الاجر وقد لي يا هامان على الطين من لابنه ازالة الغاية اي ومنه يستانه مثل زبد الما

في نعوم

مخابه
الخلق عليهم

للتبعيض بمعنى وبعضه زبد رابيا منتفخا مرتفعا وفي قراءة رؤبة بن العجاج جفالا وعن أبي حاتم لا تقرأ بقراءة
رؤبة لأنه كان يأكل الفار وقرئ يوقدون بالياء أي يوقد الناس كذلك يضرب الله الأمثال للذين
استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا للذين استجابوا اللام متعلقة بيضرب أي كذلك يضرب الله
الأمثال للمؤمنين الذين استجابوا وللكافرين الذين لم يستجيبوا أي هما مثلا الفريقين والحسنى صفة لمصدر استجابوا
أي استجابوا الاستجابة الحسنى وقوله لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به كلام مبتدأ في ذكر
ما أعد لغير المستجيبين وقيل قد تم الكلام عند قوله كذلك يضرب الله الأمثال وما بعده كلام مستأنف والحسنى
مبتدأ خبره للذين استجابوا والمعنى لهم المثوبة الحسنى وهي الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره لو مع ما في
حيزه أولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد ۝ وسوء الحساب المناقشة فيه وعن النخعي
أن يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر منه شيء دخلت همزة الإنكار على الفاء في قوله أفمن يعلم أنما أنزل إليك الحق
كمن هو أعمى لإنكار أن تقع شبهة بعد ما ضرب من المثل في أن حال من علم أنما أنزل إليك من ربك الحق فاستجاب
بمعزل من حال الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب كبعد ما بين الزبد والماء والخبث والإبريز إنما يتذكر
أولوا الألباب ۝ أي الذين عملوا على قضيات عقولهم فنظروا واستبصروا والذين يوفون بعهد الله مبتدأ
وأولئك لهم عقبى الدار خبره كقوله والذين ينقضون عهد الله أولئك لهم اللعنة ويجوز أن يكون صفة لأولي الألباب
والأول أوجه وعهد الله ما عقدوه على أنفسهم من الشهادة بربوبيته وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى
ولا ينقضون الميثاق ۝ ولا ينقضون كل ما وثقوه على أنفسهم وقبلوه من الإيمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين
الله وبين العباد تعميم بعد تخصيص والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل من الأرحام والقرابات ويدخل فيه
وصل قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقرابة المؤمنين الثابتة بسبب الإيمان إنما المؤمنون إخوة بالإحسان
إليهم على حسب الطاقة ونصرتهم والذب عنهم والشفقة عليهم والنصيحة لهم وطرح التفرقة بين أنفسهم وبينهم
وإفشاء السلام عليهم وعيادة مرضاهم وشهود جنائزهم ومنه مراعاة حق الأصحاب والخدم والجيران والرفقاء في السفر
وكل ما تعلق منهم بسبب حتى الهرة والدجاجة وعن الفضيل بن عياض أن جماعة دخلوا عليه بمكة فقال من أين أنتم قالوا
من أهل خراسان قال اتقوا الله وكونوا من حيث شئتم واعلموا أن العبد لو أحسن الإحسان كله وكانت له دجاجة
فأساء إليها لم يكن من المحسنين ويخشون ربهم أي يخشون وعيده كله ويخافون خصوصا سوء الحساب ۝ فيحاسبون
أنفسهم قبل أن يحاسبوا والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة صبروا مطلق فيما يصبر عليه من
المصائب في النفوس والأموال ومشاق التكاليف ابتغاء وجه الله لا ليقال ما أصبره وأحمله للنوازل وأوقره عند الزلازل
ولا لئلا يعاب بالجزع ولئلا يشمت به الأعداء كقوله ۝ وتجلدي للشامتين ۝ ولا لأنه لا طائل تحت الهلع ولا مرد
فيه للفائت ۝ ما إن جزعت ولا هلعت ۝ ولا يرد بكاي زندا ۝ وكل عمل له وجوه يعمل عليها فعلى المؤمن
أن ينوي منها ما به كان حسنا عند الله وإلا لم يستحق به ثوابا وكان فعلا كلا فعل وأنفقوا مما رزقناهم من
الحلال لأن الحرام لا يكون رزقا ولا يسند إلى الله سرا وعلانية يتناول النوافل لأنها في السر أفضل والفرائض
لوجوب المجاهرة بها نفيا للتهمة ويدرءون بالحسنة السيئة ويدفعونها وعن ابن عباس يدفعون بالحسن من الكلام
ما يرد عليهم من سيئ غيرهم وعن الحسن إذا حرموا أعطوا وإذا ظلموا عفوا وإذا قطعوا وصلوا وعن ابن كيسان
إذا أذنبوا تابوا وقيل إذا رأوا منكرا أمروا بتغييره أولئك لهم عقبى الدار ۝ جنات عدن يدخلونها ومن صلح من
آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار
عقبى الدار عاقبة الدنيا وهي الجنة لأنها التي أراد الله أن تكون عاقبة الدنيا ومرجع أهلها وجنات عدن بدل من
عقبى الدار وقرئ فنعم بفتح النون والأصل نعم فمن كسر النون فلنقل كسرة العين إليها ومن فتح فقد سكن
العين ولم ينقل وقرئ يدخلونها على البناء للمفعول وقرأ ابن أبي عبلة صلح بضم اللام والفتح أفصح أعلم أن الأنساب
لا تنفع إذا تجردت من الأعمال الصالحة وآباؤهم جمع أبوي كل واحد منهم فكأنه قيل من آبائهم وأمهاتهم سلام في موضع
الحال لأن المعنى قائلين سلام عليكم أو مسلمين فإن قلت بم يتعلق قوله بما صبرتم قلت بمحذوف تقديره هذا بما صبرتم يعني
هذا الثواب بسبب صبركم أو بدل ما احتملتم من مشاق الصبر ومتاعبه هذه الملاذ والنعم والمعنى لئن تعبتم في
الدنيا لقد استرحتم الساعة كقوله ۝ بما قد أرى فيها أوانس بدنا ۝ وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان
يأتي قبور الشهداء على رأس كل حول فيقول السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ويجوز أن يتعلق بسلام أي
نسلم عليكم ونكرمكم بصبركم والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه من بعد ما أوثقوه به من الاعتراف
والقبول ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار ۝ يحتمل

أن يراد سوء عاقبة الدنيا لأنه في مقابلة عقبى الدار ويجوز أن يراد بالدار جهنم وبسوئها عذابها الله يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر أي الله وحده يبسط الرزق ويقدره دون غيره وهو الذي
بسط رزق أهل مكة ووسعه عليهم وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع وفرحوا
بما بسط لهم من الدنيا فرح بطر وأشر لا فرح سرور بفضل الله وإنعامه عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى يستوجبوا
نعيم الآخرة وخفي عليهم أن نعيم الدنيا في جنب نعيم الآخرة ليس إلا شيئا نزرا يتمتع به كعجالة الراكب وهي
ما يتعجله من تميرات أو شربة سويق أو نحو ذلك ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إن الله يضل
من يشاء ويهدي إليه من أناب الذين آمنوا ۝ فإن قلت كيف طابق قولهم لولا أنزل عليه آية من ربه قوله قل إن الله يضل
من يشاء قلت هو كلام يجري مجرى التعجب من قولهم وذلك أن الآيات الباهرة المتكاثرة التي أوتيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم
يؤتها نبي قبله وكفى بالقرآن وحده آية وراء كل آية فإذا جحدوها ولم يعتدوا بها وجعلوه كأن آية لم تنزل عليه قط كان
موضعا للتعجب والاستنكار فكأنه قيل لهم ما أعظم عنادكم وما أشد تصميمكم على كفركم إن الله يضل من يشاء ممن كان
على صفتكم من التصميم وشدة الشكيمة في الكفر فلا سبيل إلى اهتدائهم وإن أنزلت كل آية ويهدي إليه من كان على
خلاف صفتكم أناب أقبل إلى الحق وحقيقته دخل في نوبة الخير الذين آمنوا بدل من من أناب وتطمئن قلوبهم بذكر الله
بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته كقوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله أو بذكر
دلائله الدالة على وحدانيته أو تطمئن بالقرآن لأنه معجزة بينة تسكن القلوب وتثبت اليقين فيها ألا بذكر الله
تطمئن القلوب الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم الذين آمنوا مبتدأ وطوبى لهم خبره ويجوز أن يكون بدلا من القلوب
على تقدير حذف المضاف أي تطمئن القلوب قلوب الذين آمنوا وطوبى مصدر من طاب كبشرى وزلفى ومعنى طوبى لك أصبت
خيرا وطيبا ومحلها النصب أو الرفع كقولك طيبا لك وطيب لك وسلاما لك وسلام لك والقراءة في قوله وحسن مآب ۝
بالرفع والنصب تدلك على محليها واللام في لهم للبيان مثلها في سقيا لك والواو في طوبى منقلبة عن ياء لضمة ما قبلها كموقن
وموسر وقرأ مكوزة الأعرابي طيبى لهم فكسر الطاء لتسلم الياء كما قيل بيض ومعيشة كذلك أرسلناك مثل
ذلك الإرسال أرسلناك يعني أرسلناك إرسالا له شأن وفضل على سائر الإرسالات ثم فسر كيف أرسله فقال
في أمة قد خلت من قبلها أمم أي أرسلناك في أمة قد تقدمتها أمم كثيرة فهي آخر الأمم وأنت خاتم الأنبياء لتتلو
عليهم الذي أوحينا إليك لتقرأ عليهم الكتاب العظيم الذي أوحينا إليك وهم يكفرون وحال هؤلاء أنهم يكفرون
بالرحمن البليغ الرحمة الذي وسعت رحمته كل شيء وما بهم من نعمة فمنه فكفروا نعمته في إرسال مثلك إليهم وإنزال
هذا القرآن المعجز المصدق لسائر الكتب عليهم قل هو ربي لا إله إلا هو قل هو ربي الواحد المتعالي عن الشركاء عليه
توكلت وإليه متاب ۝ فيثيبني على مصابرتكم ومجاهدتكم ولو أن قرآنا جوابه محذوف كما تقول لغلامك لو أني
قمت إليك وتترك الجواب والمعنى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال عن مقارها وزعزعت عن مضاجعها أو قطعت به
الأرض حتى تتصدع وتزايل قطعا أو كلم به الموتى فتسمع وتجيب لكان هذا القرآن لكونه غاية في التذكير ونهاية
في الإنذار والتخويف كما قال لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وهذا تعظيم لما قرر
به قوله لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك من إرادة تعظيم ما أوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من القرآن وقيل معناه ولو
أن قرآنا وقع به تسيير الجبال وتقطيع الأرض وتكليم الموتى وتنبيههم لما آمنوا به ولما تنبهوا عليه كقوله ولو أننا نزلنا إليهم
الملائكة الآية وقيل إن أبا جهل بن هشام قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سير بقرآنك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ
فيها البساتين والقطائع كما سخرت لداود إن كنت نبيا كما تزعم فلست بأهون على الله من داود وسخر لنا به الريح لنركبها
ونتجر إلى الشام ثم نرجع في يومنا فقد شق علينا قطع المسافة البعيدة كما سخرت لسليمان وابعث لنا به رجلين أو ثلاثة
ممن قد مات من آبائنا منهم قصي بن كلاب فنزلت ومعنى تقطيع الأرض على هذا قطعها بالسير ومجاوزتها وعن الفراء
هو متعلق بما قبله والمعنى وهم يكفرون بالرحمن ولو أن قرآنا سيرت به الجبال وما بينهما اعتراض وليس ببعيد من السداد
وقيل قطعت به الأرض شققت فجعلت أنهارا وعيونا بل لله الأمر جميعا على معنيين أحدهما بل الله القادر على كل شيء
وهو قادر على الآيات التي اقترحوها إلا أن علمه بأن إظهارها مفسدة يصرفه والثاني بل لله أن يلجئهم إلى الإيمان وهو
قادر على الإلجاء إلا أنه بنى أمر التكليف على الاختيار ويعضده قوله أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله يعني مشيئة الإلجاء
والقسر لهدى الناس جميعا ومعنى أفلم ييأس أفلم يعلم قيل هي لغة قوم من النخع وقيل إنما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه
معناه لأن اليائس عن الشيء عالم بأنه لا يكون كما استعمل الرجاء في معنى الخوف والنسيان في معنى الترك لتضمن ذلك قال سحيم
بن وثيل الرياحي ۝ أقول لهم بالشعب إذ ييسرونني ۝ ألم تيأسوا أني ابن فارس زهدم ۝
ويدل عليه أن عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرءوا أفلم يتبين وهو تفسير أفلم ييأس وقيل إنما كتبه الكاتب

وهو باعث مستوى الشبهات وهذا ونحوه مما لا يصدق فيه كلمة الله الذي لا هادي سواه الباطل من يريد بوقلا من حلمه وكيف يخفى مثل هذا حتى سفها ناسا نسبوا في الامام وكان مستقلا في ابي اي لمكة الاعلام المحاطين دين المهيمن عليه لا يغفلون عن جلايله ودقايقه خصوصا عن القانون الذي اليه المرجع والقاعدة التي عليها المبنى ههنا والله فريقهما فهما مرتبه وكون ان يتعلق ان لو يشاء الله بامنوا ولم ييأس بمعنى افلم يعلم الذين امنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولهداهم **ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا** من كفرهم وسوء اعمالهم **قارعة** داهية تقرعهم بما يحل الله بهم في كل وقت من صنوف البلايا والمصائب في نفوسهم واولادهم واموالهم **او تحل قريبا من دارهم** منهم فيفزعون ويضطربون ويتطاير اليهم شرارها ويتعدى اليهم شرورها **حتى يأتي وعد الله** وهو موتهم او القيامة وقيل ولا يزال كفار مكة تصيبهم بما صنعوا برسول الله من العداوة والتكذيب قارعة لان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم كان لا يزال يبعث السرايا فتغير حول مكة وتختطف منهم وتصيب من مواشيهم او تحل انت يا محمد قريبا من دارهم بجيشك كما حل بالحديبية حتى يأتي وعد الله وهو فتح مكة وكان الله وعده ذلك **ان الله لا يخلف الميعاد ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم اخذتهم فكيف كان عقاب** الاملاء الامهال وان يترك ملاوة من الزمان في خفض وامن كالبهيمة يملى لها في المرعى وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الايات على رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء به وتسلية له **افمن هو قائم** احتجاج عليهم في اشراكهم بالله يعني افالله الذي هو قائم رقيب على كل نفس صالحة او طالحة **بما كسبت** يعلم خيره وشره ويعد لكل جزاءه كمن ليس كذلك **وجعلوا لله شركاء** تمثيله افمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له وهو الله الذي يستحق العبادة وحده شركاء **قل سموهم** اي جعلتم له شركاء فسموهم له باسمائهم ثم قال **ام تنبئونه بما لا يعلم في الارض** على ان المقطعة كقولك للرجل قل لي من زيد ام هو اقل من ان يعرف ومعناه بل اتنبئونه بشركاء لا يعلمهم في الارض وهو العالم بما في السموات والارض فاذا لم يعلمهم علم انهم ليسوا بشيء يتعلق به العلم والمراد نفي ان يكون له شركاء ونحوه قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض **ام بظاهر من القول** بل انسموهم شركاء بظاهر من القول من غير ان يكون لذلك حقيقة كقوله ذلك قولهم بافواههم ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها وهذه الاحتجاجات واساليبها العجيبة التي ورد عليها مناد على نفسه بلسان طلق ذلق انه ليس من كلام البشر لمن عرف وانصف من نفسه فتبارك الله احسن الخالقين وقرئ اتنبئونه بالتخفيف **بل زين للذين كفروا مكرهم** كيدهم للاسلام بشركهم **وصدوا عن السبيل** بالحركات الثلاث وقرأ ابن ابي اسحق وصد بالتنوين **ومن يضلل الله** من يخذله لعلمه انه لا يهتدي **فما له من هاد** فما له من احد يقدر على هدايته **لهم عذاب في الحيوة الدنيا** وهو ما ينالهم من القتل والاسر وسائر المحن ولا يلحقهم الا عقوبة لهم على الكفر ولذلك سماه عذابا **ولعذاب الآخرة اشق وما لهم من الله من واق** وما لهم من حافظ من عذابه او ما لهم من جهته واق من رحمته **مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الانهار** مثل الجنة صفتها التي هي في غرابة المثل وارتفاعه بالابتداء والخبر محذوف على مذهب سيبويه اي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقال غيره الخبر تجري من تحتها الانهار كما تقول صفة زيد اسمر وقال الزجاج معناه مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار على حذف الموصوف تمثيلا لما غاب عنا بما نشاهد وقرأ علي رضي الله عنه امثال الجنة على الجمع **اكلها دائم** كقوله لا مقطوعة ولا ممنوعة **وظلها** دائم لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس **تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار والذين آتيناهم الكتاب** يريد من اسلم من اليهود كعبد الله بن سلام وكعب واصحابهما ومن اسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران واثنان وثلاثون بارض الحبشة وثمانية من اهل اليمن **يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب** يعني ومن احزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بالعداوة نحو كعب بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب اسقفي نجران واشياعهما **من ينكر بعضه** لانهم كانوا لا ينكرون الاقاصيص وبعض الاحكام والمعاني مما هو ثابت في كتبهم غير محرف وكانوا ينكرون ما هو نعت الاسلام ونعت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم مما حرفوه وبدلوه من الشرائع **فان قلت** كيف اتصل قوله **قل انما امرت ان اعبد الله** بما قبله **قلت** هو جواب للمنكرين معناه قل انما امرت فيما انزل الي بان اعبد الله **ولا اشرك به** فانكاركم له انكار لعبادة الله وتوحيده فانظروا ماذا تنكرون مع ادعائكم وجوب عبادة الله وان لا يشرك به قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا وقرأ نافع في رواية ابي خليد ولا اشرك بالرفع على الاستئناف كانه قال وانا لا اشرك به **اليه ادعو** خصوصا لا ادعو الى غيره **واليه مآب** مرجعي وانتم تقولون مثل ذلك فلا معنى لانكاركم **وكذلك انزلناه** ومثل ذلك الانزال انزلناه مأمورا فيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة اليه والى دينه والانذار بدار الجزاء **حكما عربيا** حكمة عربية مترجمة بلسان العرب وانتصابه على الحال **ولئن اتبعت اهواءهم**

من بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق ۝ ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية وما كان لرسول ان يأتي بآية الا باذن الله لكل اجل كتاب كانوا يدعون رسول الله صلى الله عليه واله وسلم الى امور يوافقهم عليها منها ان يصلي الى قبلتهم بعد ما حوله الله عنها فقيل له لئن تابعتهم على دين ما هو الا اهواء وشبه بعد ثبوت العلم عندك بالبراهين والحجج القاطعة خذلك الله فلا ينصرك ناصر واهلكك فلا يقيك منه واق وهذا من باب الالهاب والتهييج والبعث للسامعين على الثبات في الدين والتصلب فيه وان لا يزل زال عند الشبهة بعد استمساكه بالحجة والا فكان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من شدة الشكيمة بمكان كانوا يعيبونه بالزواج والولادة كما كانوا يقولون ما لهذا الرسول ياكل الطعام وكانوا يقترحون عليه الايات وينكرون النسخ فقيل كان الرسل قبله بشرا مثله ذوي ازواج وذرية وما كان لهم ان يأتوا بآيات برأيهم ولا يأتون بما يقترح عليهم والشرائع مصالح تختلف باختلاف الاحوال والاوقات فلكل وقت حكم يكتب على العباد اي يفرض عليهم ما تقتضيه استصلاحهم **يمحو الله ما يشاء** ينسخ ما يستصوب نسخه **ويثبت** بدله ما يرى المصلحة في اثباته او يتركه غير منسوخ وقيل يمحو الله من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة ولا سيئة لانهم مأمورون بكتبة كل قول وفعل ويثبت غيره وقيل يمحو كفر التائبين ومعاصيهم بالتوبة ويثبت ايمانهم وطاعتهم وقيل يمحو بعض الخلائق ويثبت بعضا من الاناسي وسائر الحيوان والنبات والاشجار وصفاتها واحوالها والكلام في نحو هذا واسع المجال **وعنده ام الكتاب** اصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ لان كل كائن مكتوب فيه وقرئ ويثبت **وإما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب** ۝ وكيف ما دارت الحال اريناك مصارعهم وما وعدناهم من انزال العذاب عليهم او توفيناك قبل ذلك فما يجب عليك الا تبليغ الرسالة فحسب وعلينا لا عليك حسابهم وجزاؤهم على اعمالهم فلا يهمنك اعراضهم ولا تستعجل بعذابهم **اولم يروا انا نأتي الارض** ارض الكفر **ننقصها من اطرافها** بما نفتح على المسلمين من بلادهم فننقص دار الحرب ونزيد في دار الاسلام وذلك من آيات النصرة والغلبة ونحوه افلا يرون انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها افهم الغالبون سنريهم آياتنا في الآفاق والمعنى عليك بالبلاغ الذي حملته ولا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر ولا يضجرك تأخره فان ذلك لما نعلم من المصالح التي لا تعلمها ثم طيب نفسه ونفس عنها بما ذكر من طلوع تباشير الظفر وقرئ ننقصها بالتشديد **والله يحكم لا معقب لحكمه** لا راد لحكمه والمعقب الذي يكر على الشيء فيبطله وحقيقته الذي يعقبه اي يقفيه بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفي غريمه بالاقتضاء والطلب قال لبيد طلب المعقب حقه المظلوم ۝ والمعنى انه حكم للاسلام بالغلبة والاقبال وعلى الكفر بالادبار والانتكاس **وهو سريع الحساب** فعما قليل يحاسبهم في الآخرة بعد عذاب الدنيا **فان قلت** ما محل قوله لا معقب لحكمه **قلت** هو جملة محلها النصب على الحال كانه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاءني زيد لا عمامة على رأسه ولا قلنسوة تريد حاسرا **وقد مكر الذين من قبلهم** وصفهم بالمكر ثم جعل مكرهم كلا مكر بالاضافة الى مكره فقال **فلله المكر جميعا** ثم فسر ذلك بقوله **يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار** لان من علم ما تكسب كل نفس واعد لها جزاءها فهو المكر كله لانه يأتيهم من حيث لا يعلمون وهم في غفلة مما يراد بهم وقرئ الكفار والكافرون والذين كفروا والكفر اي اهله والمراد بالكافر الجنس وقرأ جناح بن حبيش وسيعلم الكافر من اعلمه اي سيخبر **ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم** لما اظهر من الادلة على رسالتي **ومن عنده علم الكتاب** ۝ والذي عنده علم القرآن وما الف عليه من النظم المعجز الفائت لقوى البشر وقيل ومن هو من علماء اهل الكتاب الذين اسلموا لانهم يشهدون بنعته في كتبهم وقيل هو الله عز وعلا والكتاب اللوح المحفوظ وعن الحسن لا والله ما يعني الا الله والمعنى كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم علم ما في اللوح الا هو شهيدا بيني وبينكم وتعضده قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب **فان قلت** بم ارتفع علم الكتاب **قلت** في القراءة التي وقع فيها عنده صلة لمن يرتفع العلم بالمقدر في الظرف فيكون فاعلا لان الظرف اذا وقع صلة اوغل في شبه الفعل لاعتماده على الموصول فعمل عمل الفعل كقولك مررت بالذي في الدار اخوه فاخوه فاعل كما تقول بالذي استقر في الدار اخوه وفي القراءة التي لم يقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالابتداء ۝ عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من قرأ سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيامة وبعث يوم القيامة من الموفين بعهد الله

سورة ابراهيم عليه السلام مكية وهي احدى وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور كتاب هو كتاب يعني السورة وقرئ ليخرج الناس والظلمات والنور استعارتان للضلال والهدى **باذن ربهم** بتسهيله وتيسيره مستعار من الاذن الذي هو تسهيل

للنجاة وذلك ما منحهم من اللطف والتوفيق ﴿إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ بدل من قوله الى النور بتكرير العامل كقوله للذين
استضعفوا لمن امن منهم ويجوز ان يكون على وجه الاستيناف كانه قيل الى اي نور فقيل الى صراط العزيز الحميد وقوله ﴿اللَّهِ الَّذِي
لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ عطف بيان للعزيز الحميد لانه جرى مجرى الاسماء الاعلام لغلبته واختصاصه بالمعبود الذي
يحق له العبادة كما غلب النجم في الثريا وقرئ بالرفع على هو الله ﴿وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ الويل نقيض الوال
وهو النجاة اسم معنى كالهلاك الا انه لا يشتق منه فعل انما يقال ويلا له فتنصب نصب المصادر ثم يرفع رفعها لافادة
معنى الثبات فيقال ويل له كقولك سلام عليك ولما ذكر الخارجين من الظلمات الكفر الى نور الايمان توعد الكافرين
بالويل **فان قلت** ما وجه اتصال قوله ﴿مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ بالويل **قلت** لان المعنى انهم يولولون من عذاب شديد
ويضجون منه ويقولون يا ويلاه كقوله دعوا هنالك ثبورا ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾ مبتدا خبره
اولئك في ضلال بعيد ويجوز ان يكون مجرورا صفة للكافرين ومنصوبا على الذم او مرفوعا على اعني الذين يستحبون او هم
الذين يستحبون والاستحباب الايثار والاختيار وهو استفعال من المحبة لان المؤثر للشيء على غيره كانه يطلب من نفسه
ان يكون احب اليها وافضل عندها من الاخر وقرا الحسن ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ بضم الياء وكسر الصاد من اصده عن كذا
واصده قال ۝ اناس اصدوا الناس بالسيف عنهم ۝ والهمزة فيه داخلة على صده صدا لنقله من غير المتعدي
الى المتعدي واما صد فموضوع على التعدية كمنعه وليست بفصيحة كاوقفه لان الفصحاء استغنوا بصده ووقفه
عن تكلف التعدية بالهمزة ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ ويطلبون لسبيل الله زيغا واعوجاجا وان يدلوا الناس على انها سبيل ناكبة
عن الحق غير مستوية والاصل ويبغون لها فحذف الجار واوصل الفعل ﴿أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ اي ضلوا عن طريق الحق
ووقفوا دونه بمراحل **فان قلت** فما معنى وصف الضلال بالبعد **قلت** هو من الاسناد المجازي والبعد في الحقيقة
للضال لانه هو الذي يتباعد من الطريق فوصف به فعله كما تقول جد جده ويجوز ان يراد في ضلال ذي بعد او فيه
بعد لان الضال قد يضل عن الطريق مكانا قريبا وبعيدا ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ اي ليفقهوا
عنه ما يدعوهم اليه فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولوا لم نفهم ما خوطبنا به كما قال ولو جعلناه قرانا اعجميا لقالوا لولا
فصلت اياته **فان قلت** لم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العرب وحدهم وانما بعث الى الناس جميعا قل يا ايها
الناس اني رسول الله اليكم جميعا بل الى الثقلين وهم على السنة مختلفة فان لم تكن للعرب حجة فلغيرهم الحجة وان لم تكن لغيرهم
حجة فلو نزل بالعجمية لم تكن للعرب حجة ايضا **قلت** لا يخلو اما ان ينزل بجميع الالسنة او بواحد منها فلا حاجة الى نزوله
بجميع الالسنة لان الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل فبقي ان ينزل بلسان واحد فكان اولى الالسنة لسان قوم الرسول
لانهم اقرب اليه فاذا فهموا عنه وتبينوه وتنوقل عنهم وانتشر قامت التراجم ببيانه وتفهيمه كما ترى الحال وتشاهدها من
نيابة التراجم في كل امة من امم العجم مع ما في ذلك من اتفاق اهل البلاد المتباعدة والاقطار المتنازحة والامم المختلفة
والاجيال المتفاوتة على كتاب واحد واجتهادهم في تعلم لفظه وتعلم معانيه وما يتشعب من ذلك من جلائل الفوائد
وما يتكاثر في اتعاب النفوس وكد القرائح فيه من القرب والطاعات المفضية الى جزيل الثواب ولانه ابعد من
التحريف والتبديل واسلم من التنازع والاختلاف ولانه لو نزل بالسنة الثقلين كلها مع اختلافها وكثرتها وكان
مستقلا بصفة الاعجاز في كل واحد منها وكلم الرسول العربي كل امة بلسانها كما كلم امته التي هو منها يتلوه عليهم معجزا
لكان ذلك امرا قريبا من الالجاء ومعنى بلسان قومه بلغة قومه وقرئ بلسن قومه واللسن واللسان كالريش والرياش
بمعنى اللغة وقرئ بلسن قومه بضم اللام والسين مضمومة او ساكنة وهو جمع لسان كعماد وعمد وعمد على التخفيف
وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم ورووه عن الضحاك وان الكتب كلها نزلت بالعربية ثم اداها كل نبي بلغة
قومه وليس بصحيح لان قوله ليبين لهم ضمير القوم وهم العرب فيؤدي الى ان الله انزل التوراة من السماء بالعربية ليبين
للعرب وهذا معنى فاسد ﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ كقوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن لان الله لا يضل الا
من يعلم انه لا يؤمن ولا يهدي الا من يعلم انه يؤمن والمراد بالاضلال التخلية ومنع الالطاف وبالهداية التوفيق واللطف
وكان ذلك كناية عن الكفر والايمان ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ فلا يغالب على مشيئته ﴿الْحَكِيمُ﴾ ۝ فلا يخذل الا اهل الخذلان ولا يلطف
الا باهل اللطف ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ ان اخرج بمعنى اي اخرج لان
الارسال فيه معنى القول كانه قيل ارسلناه وقلنا له اخرج ويجوز ان تكون ان الناصبة للفعل وانما صلح ان توصل بفعل
الامر لان الغرض وصلها بما تكون معه في تاويل المصدر وهو الفعل والامر وغيره سواء في الفعلية والدليل على جواز ان
تكون الناصبة للفعل قولهم اوعز اليه بان افعل فادخلوا عليها حرف الجر وكذلك التقدير بان اخرج قومك ﴿وَذَكِّرْهُم
بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ وانذرهم بوقائعه التي وقعت على الامم قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ومنه ايام العرب لحروبها وملاحمها
كيوم ذي قار ويوم الفجار ويوم قضة وغيرها وهو الظاهر وعن ابن عباس نعماؤه وبلاؤه فاما نعماؤه فانه ظلل عليهم

الغمام وانزل عليهم المن والسلوى وفلق لهم البحر واما بلاؤه فاهلاك القرون ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾
يصبر على بلاء الله ويشكر نعماه فاذا سمع بما انزل الله من البلاء على الامم وافاض عليهم من النعم تنبه على ما يجب عليه
من الصبر والشكر واعتبر وقيل اراد لكل مؤمن لان الشكر والصبر من سجاياهم تنبيها عليهم ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ
اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ اذ انجاكم ظرف للنعمة بمعنى الانعام اي انعامه عليكم ذلك
الوقت **فان قلت** هل يجوز ان ينتصب بعليكم **قلت** لا يخلو اما ان تكون صلة للنعمة او غير صلة اذا اردت
بالنعمة العطية فاذا كانت صلة لم يعمل فيه واذا كان غير صلة بمعنى اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم عمل فيه ويتبين
الفرق بين الوجهين انك اذا قلت نعمة الله عليكم فان جعلته صلة لم يكن كلاما حتى تقول فائضة او نحوها والا
كان كلاما ويجوز ان يكون اذ بدلا من نعمة الله اي اذكروا وقت انجائكم وهو من بدل الاشتمال ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ
الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ **فان قلت** في سورة البقرة يذبحون وفي الاعراف يقتلون
وههنا ويذبحون مع الواو فما الفرق **قلت** الفرق ان التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيرا للعذاب وبيانا له
وحيث اثبت جعل التذبيح لانه اوفى على جنس العذاب وزاد عليه زيادة ظاهرة كانه جنس اخر ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن
رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ ۝ **فان قلت** كيف كان فعل ال فرعون بلاء من ربهم **قلت** تمكينهم وامهالهم حتى فعلوا ما فعلوا
ابتلاء من الله ووجه اخر وهو ان ذلك اشارة الى الانجاء وهو بلاء عظيم والبلاء يكون ابتلاء بالنعمة والمحنة جميعا
قال الله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقال زهير ۝ فابلاهما خير البلاء الذي يبلو ۝ ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ
لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ من جملة ما قال موسى لقومه وانتصابه للعطف على قوله نعمة الله عليكم كانه قيل واذ
قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تاذن ربكم ومعنى تاذن ربكم اذن ربكم ونظيره
تاذن واذن توعد واوعد وتفضل وافضل ولا بد في تفعل من زيادة معنى ليس في افعل كانه قيل واذ اذن ربكم
ايذانا بليغا تنتفي عنده الشكوك وتنزاح الشبه والمعنى واذ تاذن ربكم فقال لئن شكرتم واجرى تاذن مجرى
قال لانه ضرب من القول وفي قراءة ابن مسعود واذ قال ربكم لئن شكرتم اي لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما خولتكم من نعمة
الانجاء وغيرها من النعم بالايمان الخالص والعمل الصالح لازيدنكم نعمة الى نعمة ولاضاعفن لكم ما اتيتكم ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾
وغمطتم ما انعمت به عليكم ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ لمن كفر نعمتي ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ﴾ يا بني اسرائيل ﴿وَمَن فِي
الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ والناس كلهم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ﴾ فانما ضررتم انفسكم وحرمتموها الخير الذي لا بد لكم منه وانتم اليه
محاويج والله غني عن شكركم ﴿حَمِيدٌ﴾ ۝ مستحق للحمد لكثرة انعمه واياديه وان لم يحمده الحامدون ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ
نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ جملة من مبتدا وخبر وقعت
اعتراضا او عطف الذين من بعدهم على قوم نوح ولا يعلمهم الا الله اعتراض والمعنى انهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم
الا الله وعن ابن عباس بين عدنان واسمعيل ثلاثون ابا لا يعرفون وكان ابن مسعود اذا قرا هذه الاية يقول كذب
النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب وقد نفى الله علمها عن العباد ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ
وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ﴾ فعضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من
الغيظ او ضحكا واستهزاء كمن غلبه الضحك فوضع يده على فيه او اشاروا بايديهم الى السنتهم وما نطقت به
من قولهم انا كفرنا بما ارسلتم به اي هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره اقناطا لهم من التصديق الا ترى الى قوله وقالوا
انا كفرنا بما ارسلتم به وهذا قول قوي او وضعوها على افواههم يقولون للانبياء اطبقوا
افواهكم واسكتوا او ردوها في افواه الانبياء يشيرون لهم الى السكوت او وضعوها على افواههم يسكتونهم ولا
يذرونهم يتكلمون وقيل الايدي جمع يد وهي النعمة بمعنى الايادي اي ردوا نعم الانبياء التي هي اجل النعم من مواعظهم
ونصائحهم وما اوحي اليهم من الشرائع والايات في افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم ردوها في
افواههم ورجعوها الى حيث جاءت منه على طريق المثل ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ﴾ من الايمان بالله وقرئ تدعونا بادغام
النون ﴿مُرِيبٍ﴾ ۝ موقع في الريبة او ذي ريبة من ارابه وارتاب وهي قلق النفس والا تطمئن الى الامر ﴿قَالَتْ
رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ادخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام ليس في الشك انما هو
في المشكوك فيه وانه لا يحتمل الشك لظهور الادلة وشهادتها عليه ﴿يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ اي يدعوكم
الى الايمان ليغفر لكم او يدعوكم لاجل المغفرة كقولك دعوته لينصرني ودعوته ليأكل معي قال
۝ دعوت لما نابني مسورا ۝ فلبى فلبي يدي مسور ۝
فان قلت ما معنى التبعيض في قوله من ذنوبكم **قلت** ما علمته جاء هكذا الا في خطاب الكافرين كقوله
واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم يا قومنا اجيبوا داعي الله وامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال في خطاب

المومنين هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم الى ان قال يغفر لكم ذنوبكم وغير ذلك مما انفقك عليه التفسير
وكان ذلك للتفرقه بين الخطابين ولئلا يسوي بين الفريقين في الميعاد وقيل اريد به يغفر لهم ما بينهم وبين الله بخلاف
ما بينهم وبين العباد من المظالم ونحوها ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت قد سماه وبين مقداره يبلغكموه ان امنتم
والا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت قالوا ان انتم الا بشر مثلنا لا فضل بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا تخصون
بالنبوة دوننا ولو ارسل الله الى البشر رسولا لجعلهم من جنس افضل منهم وهم الملئكة تريدون ان تصدونا
عما كان يعبد اباؤنا فاتونا بسلطان مبين بحجة بينة وقد جاءتهم رسلهم بالبينات والحجج وانما ارادوا بالسلطان
المبين اية قد اقترحوها تعنتا ولجاجا قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم تسليم لقولهم وانهم بشر مثلهم يعنون
انهم مثلهم في البشرية وحدها فاما ما وراء ذلك فما كانوا مثلهم ولكنهم لم يذكروا فضلهم تواضعا منهم واقتصروا
على قولهم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده بالنبوة لانه قد علم انه لا يختصهم بتلك الكرامة الا وهم اهل لاختصاصهم
بها لخصائص فيهم قد استاثروا بها على ابناء جنسهم وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله اراد وان الاتيان
بالايات بالاية التي اقترحتموها ليس الينا ولا في استطاعتنا وما هو الا امر متعلق بمشيئة الله وعلى الله فليتوكل المومنون
امر منهم للمومنين كافة بالتوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا وامروها به كانهم قالوا ومن حقنا ان نتوكل على الله
في الصبر على معاندتكم وما يجري علينا منكم الا ترى الى قوله وما لنا الا نتوكل على الله ومعناه واي عذر لنا الا
نتوكل عليه وقد هدانا سبلنا وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل واحد منا سبيله الذي يجب عليه
سلوكه في الدين ولنصبرن على ما اذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون فان قلت كيف كرر الامر بالتوكل
قلت الاول لاستحداث التوكل وقوله فليتوكل المتوكلون معناه فليثبت المتوكلون على ما استحدثوا من توكلهم
وقصدهم الى انفسهم على ما تقدم وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا ليكونن
احد الامرين لا محالة اما اخراجكم واما عودكم والحلف على ذلك فان قلت كانهم على ملتهم حتى يعودوا فيها قلت
معاذ الله ولكن العود بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلام العرب كثرة فاشية لا تكاد تسمعهم يستعملون صار ولكن
عاد ما عرفت اراه عاد لا يكلمني ما عاد لفلان مال او خاطبوا به كل رسول ومن امن به فغلبوا في الخطاب الجماعة على الواحد
فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم لنهلكن الظالمين حكاية حال يقتضي اضمار القول او اجراء الايحاء
مجرى القول لانه ضرب منه وقرا ابو حيوة ليهلكن الظالمين وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى فان لفظه لفظ الغيبة ونحوه قولك
اقسم زيد ليخرجن ولاخرجن والمراد بالارض ارض الظالمين وديارهم ونحوه واورثنا الارض مشارق الارض ومغاربها
واورثكم ارضهم وديارهم وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من اذى جاره ورثه الله داره ولقد عاينت هذا في مدة قريبة
كان لي خال يظلمه عظيم القرية التي انا فيها ويوذيني فيه فمات ذلك العظيم وملكني الله ضيعته فنظرت يوما الى
ابناء خالي يترددون فيها ويدخلون في دورها ويخرجون ويامرون وينهون فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وحدثتهم به وسجدنا لله شكرا ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد اشارة الى ما قضى به الله من اهلاك الظالمين
واسكان المومنين ديارهم اي ذلك الامر حق لمن خاف مقامي موقفي وهو موقف الحساب لانه موقف الله الذي يقف فيه
عباده يوم القيمة او على اقحام المقام وقيل خاف قيامي عليه وحفظي لاعماله والمعنى ان ذلك حق للمتقين كقوله والعاقبة للمتقين
واستفتحوا واستنصروا الله على اعدائهم ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح او استحكموا الله وسالوه القضاء بينهم من
الفتاحة وهي الحكومة بينهم كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على اوحى اليهم ربهم وقرئ واستفتحوا
بلفظ الامر وعطفه على لنهلكن اي اوحى اليهم ربهم وقال لنهلكن وقال استفتحوا وخاب كل جبار عنيد معناه فنصروا وظفروا
وافلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم وقيل واستفتح الكفار على الرسل ظنا منهم بانهم على الحق والرسل على الباطل
وخاب كل جبار عنيد منهم ولم يفلح باستفتاحه من ورائه جهنم من بين يديه قال

عسى الكرب الذي امسيت فيه … يكون وراءه فرج قريب

وهذا وصف حاله وهو في الدنيا لانه مرصد لجهنم فكانها بين يديه وهو على شفيرها او وصف حاله في الاخرة حين يبعث
ويوقف فان قلت علام عطف قوله ويسقى قلت على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء
صديد كانه اشد عذابها فخصص بالذكر مع قوله وياتيه الموت من كل مكان وما هو بميت فان قلت ما وجه قوله من
ماء صديد قلت صديد عطف بيان لماء قال ويسقى من ماء فابهمه ابهاما ثم بينه بقوله صديد وهو ما يسيل من جلود
اهل النار يتجرعه يتكلف جرعه ولا يكاد يسيغه كاد للمبالغة يعني ولا يقارب ان يسيغه فكيف تكون الا
ساغة كقوله لم يكد يراها اي لم يقرب من رويتها فكيف يراها ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت كان اسباب
الموت كلها قد تالبت عليه واحاطت به من جميع الجهات تفظيعا لما يصيبه من الالام وقيل من كل مكان من جسده حتى من

ابهام رجله وقيل من اصل كل شعرة ومن ورائه ومن بين يديه عذاب غليظ اي في كل وقت يستقبله يتلقى عذابا اشد مما قبله
واغلظ وعن الفضيل هو قطع الانفاس وحبسها في الاجساد ويحتمل ان يكون اهل مكة قد استفتحوا اي استمطروا والفتح المطر
في سني القحط التي ارسلت عليهم بدعوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يسقوا فذكر سبحانه ذلك انه خيب رجاء كل جبار
عنيد وانه يسقى في جهنم بدل سقياه ماء اخر وهو صديد اهل النار واستفتحوا على هذا التفسير كلام مستانف منقطع عن
حديث الرسل واممهم مثل الذين كفروا بربهم هو مبتدا محذوف الخبر عند سيبويه تقديره وفيما يقص عليكم مثل الذين
كفروا بربهم والمثل مستعار للصفة التي فيها غرابة وقوله اعمالهم كرماد اشتدت به الريح جملة مستانفة
على تقدير سوال سائل يقول كيف مثلهم فقيل اعمالهم كرماد اشتدت ويجوز ان يكون المعنى مثل اعمال الذين كفروا بربهم
وهذه الجملة خبر للمبتدا اي صفة الذين كفروا اعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول
او يكون اعمالهم بدلا من مثل الذين كفروا على تقدير مثل اعمالهم وكرماد الخبر وقرئ الرياح في يوم عاصف جعل العصف
لليوم وهو لما فيه وهو الريح او الرياح كقولك يوم ماطر وليلة ساكرة وانما السكون لريحها وقرئ في يوم عاصف
بالاضافة واعمال الكفرة المكارم التي كانت لهم من صلة الارحام وعتق الرقاب وفداء الاسارى وعقر الابل للاضياف
واغاثة الملهوفين والاجارة وغير ذلك من صنائعهم شبهها في حبوطها وذهابها هباء منثورا لبنائها على غير اساس من
معرفة الله والايمان به وكونها لوجهه برماد طيرته الريح العاصف لا يقدرون يوم القيمة مما كسبوا من
اعمالهم على شيء اي لا يرون له اثرا من ثواب كما لا يقدر من الرماد المطير في الريح على شيء ذلك هو الضلال البعيد
اشارة الى بعد ضلالهم عن طريق الحق او عن الثواب الم تر ان الله خلق السموات والارض بالحق بالحكمة والغرض
الصحيح والامر العظيم ولم يخلقها عبثا ولا شهوة وقرئ خالق السموات والارض ان يشا يذهبكم ويات بخلق
جديد اي هو قادر على ان يعدم الناس ويخلق مكانهم خلقا اخر على شكلهم اعلاما منه باقتداره على اعدام الموجود
وايجاد المعدوم وعلى انه يقدر على الشيء وضده وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر بل هو هين عليه يسير لانه
قادر الذات لا لاختصاص له بمقدور دون مقدور فاذا خلص له الداعي الى شيء وانتفى الصارف تكون من غير توقف
كتحريك اصبعك اذا دعاك اليه داع ولم يعترض من دونه صارف وهذه الاية بيان لابعادهم في الضلال وعظم خطائهم
في الكفر بالله لوضوح اياته الشاهدة له الدالة على قدرته الباهرة وحكمته البالغة وانه هو الحقيق بان يعبد ويخاف
عقابه ويرجى ثوابه في دار الجزاء وبرزوا لله جميعا ويبرزون يوم القيمة وانما جيء بلفظ الماضي لان ما اخبر به
عز وعلا لصدقه كانه قد كان ووجد ونحوه ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب النار ونظائر له ومعنى بروزهم لله
والله تعالى لا يتوارى عنه شيء حتى يبرز له انهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون ان ذلك
خاف على الله فاذا كان يوم القيمة انكشفوا لله عند انفسهم وعلموا ان الله لا يخفى عليه خافية او خرجوا من قبورهم
فبرزوا لحساب الله وحكمه فقال الضعفاء للذين استكبروا فان قلت لم كتب الضعفوا بواو قبل الهمزة قلت
كتب على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو ونظيره علموا بني اسرائيل والضعفاء الاتباع والعوام والذين استكبروا
سادتهم وكبراؤهم وهم الذين استتبعوهم واستغووهم وصدوهم عن الاستماع الى الانبيا واتباعهم انا كنا لكم تبعا
تابعين جمع تابع على تبع كقولهم خادم وخدم وغائب وغيب او ذوي تبع والتبع الاتباع يقال تبعه تبعا فهل انتم
مغنون عنا من عذاب الله من شيء فان قلت اي فرق بين من في من عذاب الله وبينه في من شيء قلت الاولى للتبيين والثانية
للتبعيض كانه قيل هل انتم مغنون عنا بعض الشيء الذي هو عذاب الله ويجوز ان تكونا للتبعيض معا بمعنى هل انتم مغنون
عنا بعض شيء هو بعض عذاب الله اي بعض بعض عذاب الله قالوا لو هدانا الله لهديناكم فان قلت فما
معنى قوله لو هدانا الله لهديناكم قلت الذي قال لهم الضعفاء كان توبيخا لهم وعتابا على استتباعهم واستغوائهم
وقولهم فهل انتم مغنون عنا من باب التبكيت لانهم قد علموا انهم لا يقدرون على الاغناء عنهم فاجابوهم معتذرين عما كان
منهم اليهم بان الله تعالى لو هداهم الى الايمان لهدوهم ولم يضلوهم اما موركين الذنب في ضلالهم واضلالهم على الله كما
حكى الله عنهم في الانعام وقالوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء يقولون ذلك في الاخرة
كما كانوا يقولونه في الدنيا ويدل عليه قوله حكاية عن المنافقين يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون
انهم على شيء وان يكون المعنى لو كنا من اهل اللطف فلطف بنا ربنا واهتدينا لهديناكم الى الايمان وقيل معناه لو هدانا الله
الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم اي لاغنينا عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة كما سلكنا بكم سبيل الهلكة سواء علينا
اجزعنا ام صبرنا مستويان علينا الجزع والصبر والهمزة وام للتسوية ونحوه اصبروا او لا تصبروا سواء عليكم وروي انهم
يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا
فان قلت كيف اتصل قوله سواء علينا بما قبله قلت اتصاله به من حيث ان عتابهم كان جزعا مما هم فيه فقالوا لهم سواء علينا

اجزعنا ام صبرنا مستوون اتهمهم وارادوا انهم لاجتماعهم في عقاب الضلالة التي كانوا مجتمعين فيها يقولون ما هذا الجزع
والتوبيخ ولا فايدة في الجزع كما لا فايدة في الصبر والامر من ذلك اطم او لما قالوا لو هدانا الله طريق النجاة لاغنينا عنكم
وانجيناكم انتغوا الاقناط من النجاة فقالوا **ما لنا من محيص** اي منجى ومهرب جزعنا ام صبرنا ويجوز ان يكون من
كلام الضعفا والمستكبرين جميعا كانه قيل قالوا جميعا سوا علينا كقوله ذلك ليعلم اني لم اخنه والمحيص يكون مصدرا
كالمغيب والمشيب ومكانا كالمبيت والمصيف ويقال حاص عنه وجاض بمعنى واحد **وقال الشيطان لما قضي الامر**
لما قطع الامر وفرغ منه وهو الحساب وتصادر الفريقين ودخول احدهما الجنة ودخول الاخر النار وروي ان الشيطان يقوم
عند ذلك خطيبا في الاشقيا من الجن والانس فيقول ذلك **ان الله وعدكم وعد الحق** وهو البعث والجزاء على الاعمال
فوفا لكم بما وعدكم **ووعدتكم** خلاف ذلك **فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان** من تسلط وقهر فاقسركم
على الكفر والمعاصي والجيكم اليها **الا ان دعوتكم فاستجبتم لي** الا دعاي اياكم الى الضلالة بوسوستي
وتزييني وليس الدعا من جنس السلطان ولكنه كقولهم تحيتهم الا الضرب **فلا تلوموني ولوموا انفسكم**
حيث اغتررتم بي واطعتموني اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم اذ دعاكم وهذا دليل على ان الانسان هو الذي يختار
الشقاوة او السعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله الا التمكين ولا من الشيطان الا التزيين ولو كان الامر كما يزعم
المجبرة لقال فلا تلوموني ولا انفسكم فان الله قضى عليكم الكفر واجبركم عليه **فان قلت** قول الشيطان باطل
لا يصح التعلق به **قلت** لو كان هذا القول منه باطلا لبين الله بطلانه واظهر انكاره على انه لا طائل له في النطق بالباطل
في ذلك المقام الا ترى الى قوله ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم كيف اتى فيه بالحق والصدق وفي قوله
وما كان لي عليكم من سلطان وهو مثل قول الله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين **ما انا
بمصرخكم وما انتم بمصرخي** لا ينجي بعضنا بعضا من عذاب الله ولا يغيثه والاصراخ الاغاثة وقري بمصرخي
بكسر اليا وهي ضعيفة واستشهد والها ببيت مجهول

قال لها هل لك يا تا في · قالت له ما انت بالمرضي

وكانه قدر يا الاضافة ساكنة وقبلها يا ساكنة فحركها بالكسر لما عليه اصل التقا الساكنين ولكنه غير صحيح
لان يا الاضافة لا تكون الا مفتوحة حيث قبلها الف في نحو عصاي فما بالها وقبلها يا **فان قلت** جرت اليا الاولى
مجرى الحرف الصحيح لاجل الادغام فكانها يا وقعت ساكنة بعد حرف صحيح ساكن فحركت بالكسر على الاصل
قلت هذا قياس حسن ولكن الاستعمال المستفيض الذي هو بمنزلة الخبر المتواتر تتضاءل اليه القياسات **اني
كفرت بما اشركتموني من قبل** ما في بما اشركتموني مصدرية يعني كفرت اليوم باشراككم اياي من قبل هذا اليوم
اي في الدنيا كقوله ويوم القيمة يكفرون بشرككم ومعنى كفره باشراكهم اياه تبروه منه واستنكاره له
كقوله انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وقيل من قبل متعلق بكفرت وما موصولة اي كفرت
من قبل حين ابيت السجود لادم بالذي اشركتمونيه وهو الله عز وجل تقول شركت زيدا فاذا نقلت بالهمزة قلت
اشركنيه فلان اي جعلني له شريكا ونحو ما هذه ما في قولهم سبحان ما سخركن لنا ومعنى اشراكهم الشيطان بالله
طاعتهم له فيما كان يزينه لهم من عبادة الاوثان وغيرها وهذا اخر قول ابليس وقوله **ان الظالمين لهم عذاب اليم**
قول الله عز وعلا ويحتمل ان يكون من جملة قول ابليس وانما حكى الله عز وجل ما سيقوله في ذلك الوقت ليكون لطفا للسامعين
في النظر لعاقبتهم والاستعداد لما لا بد لهم من الوصول اليه وان يتصوروا في انفسهم ذلك المقام الذي يقول فيه الشيطان
ما يقول فيخافوا ويعملوا ما يخلصهم منه وينجيهم وقرى فلا يلوموني بالياء على طريقة الالتفات كقوله حتى اذا كنتم في
الفلك وجرين بهم **وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها** وقرا
الحسن وعمرو بن عبيد رحمة الله عليهما ورضوانه وادخل الذين امنوا على فعل المتكلم بمعنى وادخل انا وهذا دليل على انه من قول الله
عز وجل لا من قول ابليس **باذن ربهم** متعلق بادخل اي ادخلتهم الملائكة الجنة باذن الله وامره **فان قلت** فيم يتعلق في
القراءة الاخرى وقولك وادخلهم انا باذن ربهم كلام غير ملتئم **قلت** الوجه في هذه القراءة ان يتعلق قوله باذن ربهم بما بعده اي
تحيتهم فيها سلام باذن ربهم يعني ان الملائكة يحيونهم باذن ربهم **الم تر** وقرى الم تر ساكنة الرا كما قرى من يتق
وفيه ضعف **ضرب الله مثلا كلمة طيبة** اعتمد مثلا ووضعه وكلمة طيبة نصب بمضمر اي جعل كلمة طيبة
كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا كقولك شرف الامير زيدا كساه حلة وحمله على فرس ويجوز ان
ينتصب مثلا وكلمة بضرب اي ضرب كلمة طيبة مثلا بمعنى جعلها مثلا ثم قال كشجرة طيبة على انها خبر مبتدأ محذوف
بمعنى هي كشجرة طيبة **اصلها ثابت** يعني في الارض ضارب بعروقه فيها **وفرعها** واعلاها وراسها **في السما** ويجوز ان يريد
وفروعها على الاكتفا بلفظ الجنس وقرا انس بن مالك كشجرة طيبة ثابت اصلها **فان قلت** اي فرق بين القراءتين

قلت

قلت قراءة الجماعة اقوى معنى لان في قراءة انس اجريت الصفة على الشجرة واذا قلت مررت برجل ابوه قايم فهو اقوى معنى
من قولك مررت برجل قايم ابوه لان المخبر عنه انما هو الاب لا الرجل والكلمة الطيبة كلمة التوحيد وقيل كل كلمة حسنة
كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة وعن ابن عباس شهادة ان لا اله الا الله واما الشجرة فكل شجرة مثمرة
طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين والعنب والرمان وغير ذلك وعن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم قال ذات يوم ان الله ضرب مثل المومن شجرة فاخبروني ما هي فوقع الناس في شجر البوادي وكنت صبيا فوقع
في قلبي انها النخلة فهبت رسول الله ان اقولها وانا اصغر القوم وروي فمنعني مكان عمر واستحييت فقال لي عمر يا
بني لو كنت قلتها لكانت احب الي من حمر النعم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الا انها النخلة وعن ابن عباس شجرة
في الجنة وقوله في السما معناه في جهة العلو والصعود ولم يرد المظلة كقولك في الجبل طويل في السما تريد ارتفاعه
وشموخه **تؤتي اكلها كل حين** تعطي ثمرها كل وقت وقته الله لاثمارها **باذن ربها** بتيسير خالقها وتكوينه
ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون لان في ضرب الامثال زيادة افهام وتذكير وتصوير للمعاني
ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة كمثل شجرة خبيثة اي صفتها كصفتها وقرى ومثل كلمة بالنصب عطفا
على كلمة طيبة والكلمة الخبيثة كلمة الشرك وقيل كل كلمة قبيحة واما الشجرة الخبيثة فكل شجرة لا يطيب
ثمرها كشجرة الحنظل والكشوث ونحو ذلك وقوله **اجتثت من فوق الارض** في مقابلة قوله اصلها ثابت ومعنى
اجتثت استوصلت وحقيقة الاجتثاث اخذ الجثة كلها **ما لها من قرار** اي استقرار يقال قر الشي قرارا كقولك
ثبت ثباتا شبه القول الذي لم يعضد بحجة فهو داحض غير ثابت والذي لا يبقى انما يضمحل عن قريب لبطلانه من قولهم
الحق ابلج والباطل لجلج وعن قتادة انه قيل لبعض العلما ما تقول في كلمة خبيثة فقال ما اعلم لها في الارض مستقرا
ولا في السما مصعدا الا ان تلزم عنق صاحبها حتى يوافي بها يوم القيمة **يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في
الحيوة الدنيا وفي الاخرة** القول الثابت الذي ثبت بالحجة والبرهان في قلب صاحبه وتمكن فيه فاعتقده واطمانت
اليه نفسه تثبيتهم به في الدنيا انهم اذا فتنوا في دينهم لم يزلوا كما ثبت الذين فتنهم اصحاب الاخدود والذين
نشروا بالمناشير ومشطت لحومهم بامشاط الحديد وكما ثبت جرجيس وشمسون وغيرهما وتثبيتهم في الاخرة انهم اذا سيلوا
عند تواقف الاشهاد عن معتقدهم ودينهم لم يتلعثموا ولم يبهتوا ولم تحيرهم اهوال الحشر وقيل معناه الثبات عند سوال
القبر وعن البرا بن عازب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذكر قبض روح المومن ثم قال تعاد روحه في جسده فياتيه
ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد فينادي
مناد من السما ان صدق عبدي فذلك قوله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت **ويضل الله الظالمين** الذين
لم يتمسكوا بحجة في دينهم وانما اقتصروا على تقليد كبارهم وشيوخهم كما قلد المشركون اباهم فقالوا انا وجدنا اباءنا على
امة واضلالهم في الدنيا انهم لا يثبتون في مواقف الفتن وتزل اقدامهم اول شي وهم في الاخرة اضل وازل **ويفعل الله ما
يشا** اي ما توجبه الحكمة لان مشية الله تعالى تابعة للحكمة من تثبيت المومنين وتاييدهم وعصمتهم عند ثباتهم
وعزمهم ومن اضلال الظالمين وخذلانهم والتخلية بينهم وبين شانهم عند زللهم **الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله** اي شكر
نعمة الله **كفرا** لان شكرها الذي وجب عليهم وضعوا مكانه كفرا فكانهم غيروا الشكر الى الكفر وبدلوه تبديلا ونحوه
وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي شكر رزقكم حيث وضعتم التكذيب موضعه ووجه اخر وهو انهم بدلوا نفس النعمة
كفرا على انهم لما كفروها سلبوها فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر حاصلا لهم الكفر بدل النعمة وهم اهل مكة
اسكنهم الله حرمه وجعلهم قوام بيته واكرمهم بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم فكفروا نعمة الله بدل ما لزمهم من الشكر العظيم
واصابهم الله بالنعمة في الرخا والسعة لايلافهم الرحلتين فكفروا نعمته فضربهم الله بالقحط سبع سنين فحصل لهم
الكفر بدل النعمة وكذلك حين اسروا وقتلوا يوم بدر قد ذهبت عنهم النعمة وبقي الكفر طوقا في اعناقهم وعن عمر رضي
الله عنه هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا الى
حين وقيل هم متنصرة العرب جبلة بن الايهم واصحابه **واحلوا قومهم** ممن تابعهم على الكفر **دار البوار** دار الهلاك **جهنم يصلونها
وبيس القرار** جهنم عطف بيان لدار البوار **وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله** وقري ليضلوا بفتح اليا
وضمها **فان قلت** الضلال والاضلال لم يكن غرضهم في اتخاذ الانداد فما معنى اللام **قلت** لما كان الضلال والاضلال نتيجة
اتخاذ الانداد كما كان الاكرام في قولك جيتك لتكرمني نتيجة المجي دخلته اللام وان لم يكن غرضا على طريق التشبيه
والتقريب **قل تمتعوا** ايذان بانهم لانغماسهم في التمتع بالحاضر وانهم لا يعرفون غيره ولا يريدونه مامورون به قد امرهم
امر مطاع لا يسعهم ان يخالفوه ولا يملكون لانفسهم امرا دونه وهو امر الشهوة والمعنى ان دمتم على ما انتم
عليه من الامتثال لامر الشهوة **فان مصيركم الى النار** ويجوز ان يراد الخذلان والتخلية ونحوه قل تمتع بكفرك

ولدلالة كونه من اصحاب النار قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم المقول محذوف لان جواب
قل يدل عليه تقديره قل لعبادي الذين آمنوا اقيموا الصلوة وانفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا وجوّزوا ان يكون يقيموا وينفقوا
بمعنى ليقيموا ولينفقوا ويكون هذا هو المقول وانما جاز حذف اللام لان الامر الذي هو قل عوض منه ولو قيل يقيموا الصلوة
وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم يجز فان قلت علام انتصب سرا وعلانية قلت على الحال اي ذوي سر وعلانية بمعنى
مسرّين ومعلنين او على الظرف اي وقتي سر وعلانية او على المصدر اي انفاق سر وانفاق علانية والمعنى اخفاء المتطوع به من
الصدقات والاعلان بالواجب من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال والخلال المخالّة فان قلت كيف طابق
الامر بالانفاق وصف اليوم بانه لا بيع فيه ولا خلال قلت من قبل ان الناس يخرجون اموالهم في عقود المعاوضات
فيعطون بدلا ليأخذوا مثله وفي المكارمات ومهاداة الاصدقاء ليستجرّوا بهداياهم امثالها او خيرا منها واما الانفاق
لوجه الله خالصا كقوله وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى فلا يفعله الا المؤمنون الخلّص فبعثوا عليه
ليأخذوا بدله في يوم لا بيع فيه ولا خلال اي لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالّة ولا بما ينفقون فيه اموالهم من المعاوضات
والمكارمات وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله وقرئ لا بيع فيه ولا خلال بالرفع الله الذي خلق السموات والارض
وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر الله مبتدا والذي خلق خبره
ومن الثمرات بيان للرزق اي اخرج به رزقا هو ثمرات ويجوز ان يكون من الثمرات مفعول اخرج ورزقا حالا من المفعول
او نصبا على المصدر من اخرج لانه في معنى رزق بامره بقوله كن وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين
يدأبان في سيرهما وانارتهما ودرئهما الظلمات واصلاحهما ما يصلحان من الارض والابدان والنبات وسخر لكم
الليل والنهار يتعاقبان خلفة لمعاشكم وسباتكم وآتاكم من كل ما سألتموه من للتبعيض اي آتاكم بعض جميع
ما سألتموه نظرا في مصالحكم وقرئ من كلٍّ بالتنوين وما سألتموه نفي ومحله النصب على الحال اي آتاكم من جميع ذلك غير
سائليه ويجوز ان تكون ما موصولة على وآتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه ولم تصلح احوالكم ومعايشكم الا به فكأنكم
سألتموه او طلبتموه بلسان الحال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تحصروها ولا تطيقوا عدّها وبلوغ آخرها
هذا اذا ارادوا ان يعدّوها على الاجمال واما على التفصيل فلا يقدر عليه ولا يعلمه الا الله ان الانسان لظلوم يظلم
النعمة باغفال شكرها كفار شديد الكفران لها وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع والانسان
للجنس فيتناول الاخبار بالظلم والكفران من يوجدان منه واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد يعني البلد الحرام
زاده الله امنا وكفاه كل باغ ظالم واجاب دعوة خليله ابراهيم آمنا ذا امن فان قلت اي فرق بين قوله اجعل هذا
بلدا امنا وبين قوله اجعل هذا البلد امنا قلت قد سأل في الاول ان يجعله من جملة البلاد التي يأمن اهلها ولا يخافون
وفي الثاني ان يخرجه من الصفة التي كان عليها من الخوف الى ضدها من الامن كانه قال هو بلد مخوف فاجعله امنا واجنبني
وقرئ واجنبني وفيه ثلاث لغات جنبه الشر وجنّبه واجنبه فاهل الحجاز يقولون جنّبني شره بالتشديد واهل
نجد جنبني شره واجنبني والمعنى ثبّتنا وادمنا على اجتناب عبادتها وبني ان نعبد الاصنام اراد بنيه من صلبه
وسئل ابن عيينة كيف عبدت العرب الاصنام فقال ما عبد احد من ولد اسمعيل صنما واحتج بقوله واجنبني وبني ان
نعبد الاصنام انما كانت انصاب حجارة لكل قوم قالوا البيت حجر فحيثما نصبنا حجرا فهو بمنزلة البيت فكانوا يدورون
بذلك الحجر ويسمونه الدوار فاستحب ان يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت رب انهن اضللن كثيرا من الناس
فاعوذ بك ان تعصمني وبني من ذلك وانما جعلن مضلات لان الناس ضلوا بسببهن فكأنهن اضللنهم كما تقول فتنتهم الدنيا
وغرّتهم اي افتتنوا بها واغترّوا بسببها فمن تبعني على ملتي وكان حنيفا مسلما مثلي فانه مني اي هو بعضي لفرط اختصاصه
بي وملابسته لي وكذلك قوله عليه السلام من غشنا فليس منا اي ليس بعض المؤمنين على ان الغش ليس من افعالهم واوصافهم
ومن عصاني فانك غفور رحيم تغفر له ما سلف منه من عصياني اذا بدا له فيه واستحدث الطاعة لي وقيل معناه
ومن عصاني فيما دون الشرك ربنا اني اسكنت من ذريتي بعض اولادي وهم اسمعيل ومن ولد منه بواد هو وادي
مكة غير ذي زرع لا يكون فيه شيء من زرع قط كقوله قرآنا عربيا غير ذي عوج بمعنى لا يوجد فيه اعوجاج ما فيه
الا الاستقامة لا غير عند بيتك المحرم وقيل للبيت المحرم لان الله تعالى حرّم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله
حرما لمكانه او لانه لم يزل ممنعا عزيزا يهابه كل جبار كالشيء المحرّم الذي حقه ان يجتنب او لانه محترم عظيم الحرمة
لا يحل انتهاكها او لانه حرم على الطوفان اي منع منه كما سمي عتيقا لانه اعتق منه فلم يستول عليه ربنا ليقيموا الصلوة
اللام متعلقة باسكنت اي ما اسكنتهم بهذا الوادي الخلاء البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا ليقيموا الصلوة عند بيتك
المحرم ويعمروه بذكرك وعبادتك وما تعمر به مساجدك ومتعبداتك متبركين بالبقعة التي شرفتها على البقاع
مستسعدين بجوارك الكريم متقربين اليك بالعكوف عند بيتك والطواف به والركوع والسجود حوله مستنزلين الرحمة

التي اثرت بها

التي اثرت بها سكان حرمك فاجعل افئدة من الناس افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض ويدل عليه ما روي عن مجاهد
لو قال افئدة الناس لزحمتكم عليه فارس والروم وقيل لو لم يقل من لازدحموا عليه حتى الروم والترك والهند ويجوز ان
يكون من للابتداء كقولك القلب مني سقيم تريد قلبي فكأنه قيل افئدة ناس وانما نكرت المضاف اليه في هذا التمثيل لتنكير
افئدة لانها في الاية نكرة ليتناول بعض الافئدة وقرئ آفدة بوزن عاقدة وفيه وجهان احدهما ان يكون من القلب كقولهم
آدر في ادؤر والثاني ان يكون اسم فاعلة من افدت الرحلة اذا عجلت اي جماعة او جماعات يرحلون اليهم ويعجلون
نحوهم وقرئ افدة وفيه وجهان ان تطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه ان تخفف باخراجها بين بين وان يكون
من افد تهوي اليهم تسرع اليهم وتطير نحوهم شوقا ونزاعا من قوله ، يهوي مخارمها هوي الاجدل ،
وقرئ تهوى اليهم على البناء للمفعول من هوى اليه واهواه غيره وتهوى اليهم من هوي يهوى اذا احب ضمن معنى
تنزع فعدّي تعديته وارزقهم من الثمرات مع سكناهم واديا ما فيه شيء منها بان تجلب اليهم من البلاد لعلهم
يشكرون النعمة في ان يرزقوا انواع الثمرات حاضرة في واد يباب ليس فيه نجم ولا شجر ولا ماء لا جرم ان الله عز وجل
اجاب دعوته فجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنه ثم فضله في وجود اصناف الثمار فيه على
كل ريف وعلى اخصب البلاد واكثرها ثمارا وفي اي بلد من بلاد الشرق والغرب ترى الاعجوبة التي يريكها الله
بواد غير ذي زرع وهي اجتماع البواكير والفواكه المختلفة الازمان من الربيعية والصيفية والخريفية
في يوم واحد وليس ذلك من آياته بعجيب متعنا الله بسكنى حرمه ووفقنا لشكر نعمه وادام لنا التشرف بالدخول
تحت دعوة ابراهيم ورزقنا طرفا من سلامة ذلك القلب السليم ربنا النداء المكرر دليل التضرع واللجأ الى الله تعالى
انك تعلم ما نخفي وما نعلن تعلم السر كما تعلم العلن علما لا تفاوت فيه لان غيبا من الغيوب لا يحتجب عنك والمعنى
انك اعلم باحوالنا وما يصلحنا وما يفسدنا منا وانت ارحم بنا وانصح لنا منا بانفسنا ولها فلا حاجة الى الدعاء والطلب
وانما ندعوك اظهارا للعبودية لك وتخشعا لعظمتك وتذللا لعزتك وافتقارا الى ما عندك واستعجالا لنيل
اياديك وولها الى رحمتك كما يتملق العبد بين يدي سيده رغبة في اصابة معروفه مع توفر السيد على حسن الملكة
وعن بعضهم انه رفع حاجته الى كريم فابطأ عليه النجح فاراد ان يذكّره فقال مثلك لا يذكّر استقصارا ولا توهما
للغفلة عن حوائج السائلين ولكن ذا الحاجة لا تدعه حاجته ان لا يتكلم فيها وقيل ما نخفي من الوجد لما وقع بيننا من
الفرقة وما نعلن من البكاء والدعاء وقيل ما نخفي من كآبة الافتراق وما نعلن يريد ما جرى بينه وبين هاجر حين
قالت له عند الوداع الى من تكلنا قال الى الله اكلكم قالت آلله امرك بهذا قال نعم قالت اذن لا نخشى تركتنا الى
كاف وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء من كلام الله عز وجل تصديقا لابراهيم عليه الصلوة
والسلام كقوله وكذلك يفعلون او من كلام ابراهيم يعني وما يخفى على الله الذي هو عالم الغيب من شيء في كل مكان
ومن للاستغراق كانه قيل وما يخفى على الله شيء ما الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق
على في قوله على الكبر بمعنى مع كقوله ،
، اني على ما ترين من كبري ، اعلم من حيث تؤكل الكتف ،
وهو في موضع الحال معناه وهب لي وانا كبير في حال الكبر روي ان اسمعيل ولد له وهو ابن تسع وتسعين
سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة وقد روي انه ولد له اسمعيل لاربع وستين واسحق
لتسعين وعن سعيد بن جبير لم يولد لابراهيم الا بعد مائة وسبع عشرة سنة وانما ذكر حال الكبر لان المنة بهبة
الولد فيها اعظم من حيث انها حال وقوع الياس من الولادة والظفر بالحاجة على عقب الياس من اجل النعم واحلاها في نفس
الظافر ولان الولادة في تلك السن العالية كانت آية لابراهيم ان ربي لسميع الدعاء كان قد دعا ربه وسأل الولد
فقال رب هب لي من الصالحين فشكر الله ما اكرمه به من اجابته فان قلت الله تعالى يسمع كل دعاء اجابه او لم يجبه
قلت هو من قولك سمع الملك كلام فلان اذا اعتدّ به وقبله ومنه سمع الله لمن حمده وفي الحديث ما اذن الله لشيء كاذنه
لنبي يتغنى بالقرآن فان قلت ما هذه الاضافة اضافة السميع الى الدعاء قلت اضافة الصفة الى مفعولها واصله
لسميع الدعاء وقد ذكر سيبويه فعيلا في جملة ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل كقولك هذا ضروب زيدا وضراب
اخاه ومنحار ابله وحذر امورا ورحيم اباه ويجوز ان يكون من اضافة فعيل الى فاعله ويجعل دعاء الله سميعا على
الاسناد المجازي والمراد سماع الله رب اجعلني مقيم الصلوة ومن ذريتي وبعض ذريتي عطفا على المنصوب في
اجعلني وانما بعّض لانه علم باعلام الله انه يكون في ذريته كفار وذلك قوله لا ينال عهدي الظالمين ربنا وتقبل
دعاء اي عبادتي واعتزلكم وما تدعون من دون الله ربنا اغفر لي ولوالدي وفي قراءة ابي ولابويّ وقرأ سعيد بن
جبير ولوالدي اعني اباه وقرأ الحسن بن علي عليهما السلام ولولديّ يعني اسمعيل واسحق وقرئ لولدي بضم الواو والولد

يعني لولده كالعدم معنى العدم وقيل جمع ولد كأسد في أسد وفي بعض المصاحف ولدي بني فإن قلت كيف جاز له أن يستغفر لأبويه وكانا كافرين قلت هو من مجوزات العقل لا يعلم امتناعه إلا بالتوقيف وقيل أراد بوالديه آدم وحواء وقيل بشرط الإسلام ويأباه قوله إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك لأنه لو شرط الإسلام لكان استغفارا صحيحا لا مقال فيه فكيف يستثنى الاستغفار الصحيح من جملة ما يؤتسى فيه بهم **وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ** أي يثبت وهو مستعار من قيام القائم على الرجل والدليل عليه قولهم قامت الحرب على ساقها ونحوه قولهم ترجلت الشمس إذا أشرقت وثبت ضوؤها كأنها قامت على رجل ويجوز أن يسند إلى الحساب قيام أهله إسنادا مجازيا أو يكون مثل واسأل القرية وعن مجاهد فقد استجاب الله له فيما سأل فلم يعبد أحد من ولده صنما بعد دعوته وجعل البلد آمنا ورزق أهله وجعله إماما وجعل في ذريته من يقيم الصلاة وأراه مناسكه وتاب عليه وعن ابن عباس أن بركات الطائف من أرض فلسطين فلما قال إبراهيم ربنا إني أسكنت من ذريتي الآية رفعها الله فوضعها حيث وضعها رزقا للحرم فإن قلت تعالى الله عن السهو والغفلة فكيف يحسبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أعلم الناس غافلا حتى قيل **وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ** قلت إن كان خطابا لرسول الله ففيه وجهان أحدهما التثبيت على ما كان عليه من أنه لا يحسب الله غافلا كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله إلها آخر كما جاء في الأمر يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والثاني أن المراد بالنهي عن حسبانه غافلا الإيذان بأنه عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه منه شيء وأنه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد كقوله والله بما تعملون عليم يريد الوعيد ويجوز أن يراد ولا تحسبنه يعاملهم معاملة الغافل عما يعملون ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب على النقير والقطمير وإن كان خطابا لغيره ممن يجوز أن يحسبه غافلا لجهله فلا سؤال فيه وعن ابن عيينة تسلية للمظلوم وتهديد للظالم فقيل له من قال هذا فغضب وقال إنما قاله من علمه **إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ** وقرئ بالنون **لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ** أي أبصارهم لا تقر في أماكنها من هول ما ترى **مُهْطِعِينَ** مسرعين إلى الداعي وقيل الإهطاع أن تقبل ببصرك على المرئي تديم النظر إليه لا تطرف **مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ** رافعيها **لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ** لا يرجع إليهم أن يطرفوا بعيونهم أي لا يطرفون ولكن عيونهم مفتوحة ممدودة من غير تحريك للأجفان أو لا يرجع إليهم نظرهم فينظروا إلى أنفسهم **وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ** الهواء الخلاء الذي لم تشغله الأجرام فوصف به فقيل قلب فلان هواء إذا كان جبانا لا قوة في قلبه ولا جرأة ويقال للأحمق أيضا قلبه هواء قال زهير

من الظلمان جؤجؤه هواء

لأن النعام مثل في الجبن والحمق وقال حسان

فأنت مجوف نخب هواء

وعن ابن جريج أفئدتهم هواء صفر من الخير خاوية منه وقال أبو عبيدة جوف لا عقول لهم **وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ** يوم يأتيهم العذاب مفعول ثان لأنذر وهو يوم القيامة **فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ** ومعنى أخرنا إلى أجل قريب ردنا إلى الدنيا وأمهلنا إلى أمد وحد من الزمان قريب نتدارك ما فرطنا فيه من إجابة دعوتك واتباع رسلك أو أريد باليوم يوم هلاكهم بالعذاب العاجل أو يوم موتهم معذبين بشدة السكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى وأنهم يسألون يومئذ أن يؤخرهم ربهم إلى أجل قريب كقوله لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق **أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ** على إرادة القول وفيه وجهان أن يقولوا ذلك بطرا وأشرا ولما استولى عليهم من عادة الجهل والسفه وأن يقولوا بلسان الحال حيث بنوا شديدا وأملوا بعيدا وما لكم جواب القسم وإنما جاء بلفظ الخطاب لقوله أقسمتم ولو حكى لفظ المقسمين لقيل ما لنا من زوال والمعنى أقسمتم أنكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت والفناء وقيل لا تنتقلون إلى دار أخرى يعني كفرهم بالبعث كقوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت يقال سكن الدار وسكن فيها ومنه قوله **وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ** لأن السكنى من السكون الذي هو اللبث والأصل تعديه بفي كقولك قر في الدار وأقام فيها ولكنه لما نقل إلى سكون خاص تصرف فيه فقيل سكن الدار كما قيل تبوأها وأوطنها ويجوز أن يكون سكنوا من السكون أي قروا فيها واطمأنوا طيبي النفوس سائرين سيرة من قبلهم في الظلم والفساد لا يحدثونها بما لقي الأولون من أيام الله وكيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا ويرتدعوا **وَتَبَيَّنَ لَكُمْ** بالأخبار والمشاهدة **كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ** كيف أهلكناهم وانتقمنا منهم وقرئ ونبين لكم بالنون **وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ** أي صفات ما فعلوا وما فعل بهم وهي في الغرابة كالأمثال المضروبة لكل ظالم **وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ** أي مكرهم العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم **وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ** لا يخلو إما أن يكون مضافا إلى الفاعل على أن المعنى ومكتوب عند الله مكرهم فهو مجازيهم عليه بمكر هو أعظم منه أو يكون مضافا إلى المفعول على معنى وعند الله مكرهم الذي يمكرهم به وهو عذابهم الذي يستحقونه يأتيهم به من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون **وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ** وإن عظم مكرهم وتبالغ في الشدة فضرب زوال الجبال منه مثلا لتفاقمه وشدته أي وإن كان مكرهم مسوى لإزالة الجبال معدى لذلك وقد جعلت إن نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليضيع إيمانكم والمعنى ومحال أن تزول الجبال بمكرهم على أن الجبال مثل لآيات الله وشرائعه لأنها

منزلة

بمنزلة الجبال الراسية ثباتا وتمكنا وتنصره قراءة ابن مسعود وما كان مكرهم وقرئ لتزول بلام الابتداء على وإن كان مكرهم من الشدة بحيث تزول منه الجبال وتنقلع عن أماكنها وقرأ علي رضي الله عنه وإن كاد مكرهم **فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ** يعني قوله إنا لننصر رسلنا كتب الله لأغلبن أنا ورسلي فإن قلت هلا قيل مخلف رسله وعده ولم قدم المفعول الثاني على الأول قلت قدم الوعد ليعلم أنه لا يخلف الوعد أصلا كقوله إن الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسله ليؤذن أنه إذا لم يخلف وعده أحدا وليس من شأنه إخلاف المواعيد كيف يخلفه رسله الذين هم خيرته وصفوته وقرئ مخلف وعده رسله بجر الرسل ونصب الوعد وهذه في الضعف كمن قرأ قتل أولادهم شركائهم **إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ** غالب لا يماكر **ذُو انْتِقَامٍ** لأوليائه من أعدائه **يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ** انتصابه على البدل من يوم يأتيهم أو على الظرف للانتقام والمعنى يوم تبدل هذه الأرض التي تعرفونها أرضا أخرى غير هذه المعروفة وكذلك السماوات والتبديل كقولك بدلت الحلقة خاتما إذا أذبتها وسويتها خاتما فنقلتها من شكل إلى شكل ومنه قوله تعالى فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات واختلف في تبديل الأرض والسماوات فقيل تبدل أوصافها فتسير عن الأرض جبالها وتفجر بحارها وتسوى فلا ترى فيها عوجا ولا أمتا وعن ابن عباس هي تلك الأرض وإنما تغير وأنشد

وما الناس بالناس الذين عهدتهم ... ولا الدار بالدار التي كنت تعلم

وتبدل السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها أبوابا وقيل يخلق بدلها أرض وسماوات أخر وعن ابن مسعود وأنس يحشر الناس على أرض بيضاء لم يخطئ عليها أحد خطيئة وعن علي رضي الله عنه تبدل أرضا من فضة وسماوات من ذهب وعن الضحاك أرضا من فضة بيضاء كالصحائف وقرئ يوم نبدل الأرض بالنون **وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ** فإن قلت كيف قال الواحد القهار قلت هو كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لأن الملك إذا كان لواحد غلاب لا يغالب ولا يعاز فلا مستغاث لأحد إلى غيره ولا مستجار كان الأمر في غاية الصعوبة والشدة **وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ** قرن بعضهم مع بعض أو مع الشياطين أو قرنت أيديهم إلى أرجلهم مغللين وقوله **فِي الْأَصْفَادِ** إما أن يتعلق بمقرنين أي يقرنون في الأصفاد وإما أن لا يتعلق به فيكون المعنى مقرنين مصفدين والأصفاد القيود وقيل الأغلال وأنشد لسلامة بن جندل

وزيد الخيل قد لاقى صفادا ... يعض بساعد وبعظم ساق

سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ القطران فيه ثلاث لغات قطران وقطران وقطران بفتح القاف وكسرها مع سكون الطاء وهو ما يتحلب من شجر يسمى الأبهل فيطبخ فتهنأ به الإبل الجربى فيحرق الجرب بحره وحدته والجلد وقد تبلغ حرارته الجوف ومن شأنه أن يسرع فيه اشتعال النار وقد يستسرج به وهو أسود اللون منتن الريح فيطلى به جلود أهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل وهي القمص لتجتمع عليهم الأربع لذع القطران وحرقته وإسراع النار في جلودهم واللون الوحش ونتن الريح على أن التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين وكل ما وعده الله أو أوعد به في الآخرة فبينه وبين ما نشاهده من جنسه ما لا يقادر قدره وكأنه ما عندنا منه إلا الأسامي والمسميات ثمة فنكرمه بالواسع نعوذ بالله من سخطه ونسأله التوفيق فيما ينجينا من عذابه وقرئ من قطر آن والقطر النحاس أو الصفر المذاب والآني المتناهي حره **وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ** كقوله أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم يسحبون في النار على وجوههم لأن الوجه أعز موضع في ظاهر البدن وأشرفه كالقلب في باطنه ولذلك قال تطلع على الأفئدة وقرئ وتغشى وجوههم بمعنى تتغشى **لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ** أي يفعل بالمجرمين ما يفعل ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت أو كل نفس من مجرمة ومطيعة لأنه إذا عاقب المجرمين لإجرامهم علم أنه يثيب المطيعين لطاعتهم **هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ** كفاية في التذكير والموعظة يعني بهذا ما وصفه من قوله ولا تحسبن إلى قوله سريع الحساب **وَلِيُنْذَرُوا** معطوف على محذوف أي لينصحوا ولينذروا وقرئ ولينذروا بفتح الياء من نذر به إذا علمه واستعد له **وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ** لأنهم إذا خافوا ما أنذروا به دعتهم المخافة إلى النظر حتى يتوصلوا إلى التوحيد لأن الخشية أم الخير كله **وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ** عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة إبراهيم أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل من عبد الأصنام وعدد من لم يعبد

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ تلك إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب والقرآن المبين السورة وتنكير القرآن للتفخيم والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل في كونه كتابا وأي قرآن مبين كأنه قيل الكتاب الجامع للكمال والغرابة في البيان **رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ** وقرئ ربما بالتشديد وربما بالضم والفتح مع التخفيف فإن قلت لم دخلت على المضارع وقد أبوا دخولها إلا على الماضي قلت لأن المترقب في إخبار الله عز وجل

بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه فكأنه قيل ربما ودّ. فإن قلت متى تكون ودادتهم قلت عند الموت او يوم القيامة
اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين وقيل اذا رأوا المسلمين يخرجون من النار وهذا ايضا باب من الودادة فإن قلت فما
معنى التقليل قلت هو وارد على مذهب العرب في قولهم لعلك ستندم على فعلك وربما ندم الانسان على ما فعل ولا يشكون
في تندمه ولا يقصدون تقليله ولكنهم ارادوا لو كان الندم مشكوكا فيه او كان قليلا لحق عليك ان لا تفعل هذا الفعل
لان العقلاء يتحرزون من التعرض للغم المظنون كما يتحرزون من المتيقن ومن القليل منه كما من الكثير وكذلك المعنى
في الآية لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة فبالحري ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه في كل ساعة ولو كانوا مسلمين
حكاية ودادتهم وانما جيء بها على لفظ الغيبة لانهم مخبر عنهم كقولك حلف بالله ليفعلن ولو قيل حلف بالله لافعلن ولو كنا مسلمين
لكان حسنا سديدا وقيل تدهشهم اهوال ذلك اليوم فيبقون مبهوتين فان حانت منهم افاقة في بعض الاوقات من
سكرتهم ودّوا لذلك. **ذرهم** يعني اقطع طمعك من ارعوائهم ودعهم عن النهي عما هم عليه والصد عنه بالتذكير
والنصيحة وخلهم **يأكلوا ويتمتعوا** بدنياهم وتنفيذ شهواتهم **ويلههم الأمل** ويشغلهم املهم وتوقعهم لطول
الاعمار واستقامة الاحوال والا يلقوا في العاقبة الا خيرا **فسوف يعلمون** سوف يعلمون سوء صنيعهم والغرض
الايذان بانهم من اهل الخذلان وانهم لا يجيء منهم الا ما هم فيه وانه لا زاجر لهم ولا واعظ الا معاينة ما ينذرون به حين
لا ينفعهم الوعظ ولا سبيل الى اتعاظهم فامر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بان يخليهم وشانهم ولا يشتغل بما لا
طائل تحته وان بالغ في تخليتهم حتى امرهم بما لا يزيدهم الا ندما في العاقبة وفيه الزام للحجة ومبالغة في الانذار
واعذار فيه وفيه تنبيه على ان ايثار التلذذ والتنعم وما يؤدي اليه طول الامل وهذه هجيرى اكثر الناس ليس من اخلاق
المؤمنين وعن بعضهم التمرغ في الدنيا من اخلاق الهالكين **وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم ما تسبق
من أمة أجلها وما يستأخرون** ولها كتاب جملة واقعة صفة لقرية والقياس ان لا يتوسط الواو بينهما كما في قوله وما اهلكنا
من قرية الا لها منذرون وانما توسطت لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف كما يقال في الحال جاءني زيد عليه ثوب كتاب
معلوم مكتوب معلوم وهو اجلها الذي كتب في اللوح وبيّن الا ترى الى قوله ما تسبق من امة اجلها في موضع كتابها
وانث الامة اولا ثم ذكرها آخرا حملا على اللفظ والمعنى وقال وما يستأخرون بحذف عنه لانه معلوم **وقالوا يا أيها
الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون** والاعتناء بايها الذي نزل عليه الذكر وكان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء
كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وكيف يقرون بنزول الذكر عليه وينسبونه الى الجنون والتعكيس
في كلامهم للاستهزاء والتهكم مذهب واسع وقد جاء في كتاب الله عز وجل في مواضع منها فبشرهم بعذاب اليم
انك لانت الحليم الرشيد وقد يوجد كثيرا في كلام العجم والمعنى انك لتقول قول المجانين حين تدعي ان الله نزل
عليه الذكر **لوما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين** لو ركبت مع لا وما لمعنيين معنى امتناع الشيء لوجود
غيره ومعنى التحضيض واما هل فلم تركب الا مع لا وحدها للتحضيض وقال ابن مقبل

لوما الحياء ولوما الدين عبتكما ببعض ما فيكما اذ عبتما عوري

والمعنى هلا تاتينا بالملائكة يشهدون لك بصدقك ويعضدونك على انذارك كقوله لولا انزل اليه ملك
فيكون معه نذيرا او هلا تاتينا بالملائكة للعقاب على تكذيبنا لك ان كنت صادقا كما كانت تاتي الامم المكذبة
برسلها **ما ننزل الملائكة** وقرئ تنزل بمعنى تتنزل وتنزل على البناء للمفعول من نزّل وننزل الملائكة بالنون ونصب
الملائكة **إلا بالحق** الا تنزيلا ملتبسا بالحكمة والمصلحة ولا حكمة في ان تاتيكم عيانا تشاهدونهم ويشهدون لكم
بصدق النبي صلى الله عليه وآله وسلم لانكم حينئذ مصدقون عن اضطرار ومثله قوله عز وجل وما خلقنا السموات والارض
وما بينهما الا بالحق وقيل الحق الوحي او العذاب **وما كانوا إذا منظرين** واذا جواب وجزاء لانه جواب لهم وجزاء الشرط
مقدر تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين وما اخر عذابهم **إنا نحن نزلنا الذكر** رد لانكارهم واستهزائهم
في قولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر ولذلك قال انا نحن فاكد عليهم انه هو المنزل على القطع والثبات وانه هو الذي
بعث به جبريل الى محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبين يديه ومن خلفه رصد حتى نزل وبلغ محفوظا من الشياطين وهو حافظه
في كل وقت من كل زيادة ونقصان وتحريف وتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فانه لم يتول حفظها وانما استحفظها
الربانيين والاحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيا فكان التحريف ولم يكل القرآن الى غير حفظه. فإن قلت فحين كان
قوله انا نحن نزلنا الذكر ردا لانكارهم واستهزائهم فكيف اتصل به قوله **وإنا له لحافظون** قلت قد جعل ذلك
دليلا على انه منزل من عنده آية لانه لو كان من قول البشر او غير آية لتطرق عليه الزيادة والنقصان كما يتطرق
على كل كلام سواه وقيل الضمير في له لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كقوله والله يعصمك من الناس **ولقد
أرسلنا من قبلك في شيع الأولين** في فرقهم وطوائفهم والشيعة الفرقة اذا اتفقوا على مذهب وطريقة

التمرغ التوغل فيه

ومعا ارسلناه

ومعنا ارسلناه فيهم نبانا فيهم وجعلناه رسولا فيما بينهم **وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون**
حكاية حال ماضية لان ما لا تدخل على مضارع الا وهو في معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال **كذلك نسلكه**
يقال سلكت الخيط في الابرة واسلكته اذا ادخلته فيها ونظمته وقرئ نُسلكه والضمير للذكر اي مثل ذلك
السلك ونحوه نسلك الذكر **في قلوب المجرمين** على معنى انه يلقيه في قلوبهم مكذبا مستهزءا به غير مقبول كما
لو انزلت بلئيم حاجة فلم يجبك اليها فقلت كذلك انزلها باللئام تعني مثل هذا الانزال انزلها بهم مردودة غير مقضية
ومحل قوله **لا يؤمنون به** النصب على الحال اي غير مؤمن به او هو بيان لقوله كذلك نسلكه **وقد خلت سنة الأولين**
طريقتهم التي سنها الله في اهلاكهم حين كذبوا برسلهم وبالذكر المنزل عليهم وهو وعيد لاهل مكة على تكذيبهم
ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون
وقرئ يعرجون بالضم والكسر وسكرت حيرت او حبست من الابصار من السكر او السكر وقرئ سكرت بالتخفيف
اي حبست كما يحبس النهر من الجري وقرئ سكرت من السكر اي حارت كما يحار السكران والمعنى ان هؤلاء المشركين
بلغ من غلوهم في العناد ان لو فتح لهم باب من ابواب السماء ويسر لهم معراج يصعدون فيه اليها ورأوا من العيان
ما رأوا لقالوا هو شيء نتخايله لا حقيقة له ولقالوا قد سحرنا محمد بذلك وقيل الضمير للملائكة اي لو رأوا الملائكة
يصعدون في السماء عيانا لقالوا ذلك وذكر الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون وقالوا
انما ليدل على انهم يبتون القول بان ذلك ليس الا تسكيرا للابصار **ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين
وحفظناها من كل شيطان رجيم إلا من استرق السمع** من استرق في محل النصب على الاستثناء وعن ابن عباس انهم كانوا
لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وآله وسلم منعوا من السموات كلها
فأتبعه شهاب مبين ظاهر للمبصرين **والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون**
وزن بميزان الحكمة وقدر بمقدار تقتضيه لا تصلح فيه زيادة ولا نقصان او له وزن وقدر في ابواب النعمة وقيل ما يوزن من
نحو الذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها **وجعلنا لكم فيها معايش** بالياء صريحة بخلاف الشمائل والخبائث ونحوها فان
تصريح الياء فيها خطأ والصواب الهمز او اخراج الياء بين بين وقرئ معائش بالهمز على التشبيه **ومن لستم له برازقين**
عطف على معايش او على محل لكم ومن لستم له برازقين واراد بهم العيال والمماليك والخدم الذين يحسبون انهم يرزقونهم ويخطئون
فان الله هو الرزاق يرزقهم واياهم ويدخل فيه الانعام والدواب وكل ما بتلك المثابة مما الله رازقه وقد سبق الى ظنهم
انهم هم الرازقون ولا يجوز ان يكون مجرورا عطفا على الضمير المجرور **وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا
بقدر معلوم** ذكر الخزائن تمثيل والمعنى وما من شيء ينتفع به العباد الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه والانعام
به وما نعطيه الا بمقدار معلوم نعلم انه مصلحة له فضرب الخزائن مثلا لاقتداره على كل مقدور **وأرسلنا الرياح
لواقح** فيه قولان احدهما ان الريح لاقح اذا جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر كما قيل للتي لا تاتي بخير ريح عقيم والثاني
ان اللواقح بمعنى الملاقح كما قال ومختبط مما تطيح الطوائح يريد المطاوح جمع مطيحة وقرئ وارسلنا
الريح على تأويل الجنس **فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه** فجعلناه لكم سقيا **وما أنتم له بخازنين** نفى عنهم ما
اثبته لنفسه في قوله وان من شيء الا عندنا خزائنه كانه قال نحن الخازنون للماء على معنى نحن القادرون على خلقه
في السماء وانزاله منها وما انتم عليه بقادرين دلالة على عظيم قدرته واظهارا لعجزهم **وإنا لنحن نحيي ونميت
ونحن الوارثون** اي الباقون بعد هلاك الخلق كله وقيل للباقي وارث استعارة من وارث الميت لانه يبقى بعد فنائه
ومنه قوله عليه الصلاة والسلام في دعائه واجعله الوارث منا **ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا
المستأخرين** من استقدم ولادة وموتا ومن تاخر من الاولين والآخرين ومن خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج
بعد او من تقدم في الاسلام وسبق الى الطاعة ومن تاخر وقيل المستقدمين في صفوف الجماعة والمستاخرين وروي
ان امرأة حسناء كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان بعض القوم يستقدم لئلا ينظر اليها
وبعضهم يستاخر ليبصرها فنزلت **وإن ربك هو يحشرهم** اي هو وحده القادر على حشرهم والعالم بحصرهم مع
افراط كثرتهم وتباعد اطراف عددهم **إنه حكيم عليم** باهر الحكمة واسع العلم يفعل كل ما يفعل على مقتضى
الحكمة والصواب وقد احاط علما بكل شيء **ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون** الصلصال الطين
اليابس الذي يصلصل وهو غير مطبوخ واذا طبخ فهو فخار قالوا اذا توهمت في صوته مدا فهو صليل وان توهمت
فيه ترجيعا فهو صلصلة وقيل هو تضعيف صل اذا انتن والحمأ الطين الاسود المتغير والمسنون المصبوب من سنه
الوجه وقيل المصبوب المفرغ اي افرغ صورة انسان كما تفرغ الصور من الجواهر المذوبة في امثلتها وقيل المنتن من
سننت الحجر على الحجر اذا حككته فالذي يسيل منهما سنين ولا يكون الا منتنا من حمإ صفة لصلصال اي خلقه

من صلصال كائن من حمإ وحق مسنون بمعنى مصور اى تكون صفة لصلصال كأنه افرغ الحمأ فصور منها تمثال انسان
اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غيره بعد ذلك الى جوهر آخر والجان خلقناه من قبل والجان للجن كآدم للناس وقيل
هو ابليس وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد رحمهما الله تعالى والجأن بالهمز من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام
قيل هذه السموم جزء من سبعين جزءا من سموم النار التي خلق الله منها الجان وإذ قال ربك واذكروا وقت قوله للملائكة
إني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون فإذا سويته عدلت خلقته واكملتها وهيأتها لنفخ الروح فيها ومعنى
ونفخت فيه من روحي واحييته وليس ثم نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لتحصيل ما يحيى به فيه فقعوا له ساجدين
فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين واستثنى ابليس من الملائكة لانه كان بينهم
مأمورا معهم بالسجود فغلب اسم الملائكة ثم استثنى بعد التغليب كقولك رأيتهم الا هندا او الا استثناف على
تقدير قول قائل هلا سجد فقيل ابى ذلك واستكبر عنه وقيل معناه ولكن ابليس ابى قال يا إبليس ما لك ألا تكون
مع الساجدين حرف الجر مع ان محذوف تقديره ما لك في ان لا تكون مع الساجدين بمعنى اي غرض لك في ابائك السجود
واي داع لك اليه قال لم أكن لأسجد اللام لتأكيد النفي ومعناه لا يصح مني وينافي حالي ويستحيل ان
اسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون قال فاخرج منها فإنك رجيم شيطان من الذين يرجمون
بالشهب او مطرود من رحمة الله لان من يطرد يرجم بالحجارة ومعناه ملعون لان اللعن هو الطرد من الرحمة والابعاد
منها والضمير في منها راجع الى الجنة او السماء او الى جملة الملائكة وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين وضرب يوم الدين
حدا للعنة اما لانه ابعد غاية يضربها الناس في كلامهم كقوله ما دامت السموات والارض في التابيد واما ان يراد
انك مذموم مدعو عليك باللعنة في السموات والارض الى يوم الدين من غير ان تعذب فاذا جاء ذلك اليوم عذبت بما ينسى اللعن معه
قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم ويوم الدين ويوم يبعثون ويوم
الوقت المعلوم في معنى واحد ولكن خولف بين العبارات سلوكا بالكلام طريقة البلاغة وقيل انما سأل الانظار الى اليوم
الذي فيه يبعثون لئلا يموت لان يوم البعث لا يموت فيه احد فلم يجب الى ذلك وانظر الى آخر ايام التكليف
قال رب بما أغويتني الباء للقسم وما مصدرية وجواب القسم لأزينن لهم والمعنى اقسم باغوائك اياي لأزينن لهم ومعنى اغوائه اياه تسبيبه لغيه
بأن امره بالسجود لآدم عليه السلام فافضى ذلك الى غيه وما الامر بالسجود الا حسن وتعريض للثواب بالتواضع والخضوع
لامر الله ولكن ابليس اختار الاباء والاستكبار فهلك والله تعالى بريء من غيه ومن ارادته والرضا به ونحو قوله بما اغويتني
لأغوينهم قوله فبعزتك لأغوينهم في انه اقسام الا ان احدهما اقسام بصفته والثاني اقسام بفعله وقد فرق الفقهاء بينهما
ويجوز ان لا يكون قسما ويقدر قسم محذوف ويكون المعنى بسبب تسبيبك لاغوائي اقسم لأفعلن بهم نحو ما فعلت بي من التسبيب
لاغوائهم بأن ازين لهم المعاصي واوسوس اليهم ما يكون سبب هلاكهم في الأرض في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله
اخلد الى الارض واتبع هواه او اراد اني اقدر على الاحتيال لآدم والتزيين له الاكل من الشجرة وهو في السماء فانا على التزيين
لاولاده في الارض اقدر او اراد لأجعلن مكان التزيين عندهم الارض ولأوقعن تزييني فيها اي لأزيننها في اعينهم
ولأحدثنهم بان الزينة في الدنيا وحدها حتى يستحبوها على الآخرة ويطمئنوا اليها دونها ونحوه يجرح في عراقيبها نصلي
ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين استثنى المخلصين لانه علم ان كيده لا يعمل فيهم ولا يقبلون منه
قال هذا صراط علي مستقيم إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين
حق علي ان اراعيه وهو ان لا يكون لك سلطان على عبادي الا من اختار اتباعك منهم لغوايته وقرئ علي وهو من علو
الشرف والفضل وإن جهنم لموعدهم الضمير للغاوين أجمعين لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم
وقيل ابواب النار اطباقها وادراكها فاعلاها للموحدين والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين
والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وعن ابن عباس ان جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة
النار والحطمة لعبدة الاصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين وقرئ جزّ بالتخفيف
والتثقيل وقرأ الزهري جزّ بالتشديد كأنه حذف الهمزة والقى حركتها على الزاي كقولك خبّ في خبء ثم وقف
عليه بالتشديد كقولهم الرجل ثم اجرى الوصل مجرى الوقف إن المتقين في جنات وعيون المتقي على الاطلاق من
يتقي ما يجب اتقاؤه مما نهي عنه وعن ابن عباس رضي الله عنه اتقوا الكفر والفواحش ولهم ذنوب تكفرها الصلوات وغيرها
ادخلوها على ارادة القول وقرأ الحسن ادخلوها بسلام سالمين او مسلما عليكم تسلم عليكم الملائكة آمنين ونزعنا ما
في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين الغل الحقد الكامن في القلب من انغل في جوفه وتغلغل اي ان
كان لاحدهم في الدنيا غل على آخر نزع الله ذلك من قلوبهم وطيب نفوسهم وعن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون انا وعثمان
وطلحة والزبير منهم وعن الحارث الاعور كنت جالسا عنده اذ جاء ابن طلحة فقال علي رضي الله عنه مرحبا بك يا ابن

اخي اما والله اني لأرجو ان اكون انا وابوك ممن قال الله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل فقال له قائل كلا الله اعدل
ت من ان يجمعك وطلحة في مكان واحد فقال فلمن هذه الآية لا ام لك وقيل معناه طهر الله قلوبهم من ان يتحاسدوا على الدرجة
في الجنة ونزع منها كل غل والقى فيها التواد والتحاب واخوانا نصب على الحال وعلى سرر متقابلين كذلك وعن مجاهد تدور
بهم الاسرة حيث ما داروا فيكونون في جميع احوالهم متقابلين لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين نبئ عبادي
أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم ونبئهم عن ضيف إبراهيم إذ دخلوا عليه لما اتم ذكر
الوعد والوعيد اتبعه نبئ عبادي تقريرا لما ذكر وتمكينا له في النفوس وعن ابن عباس غفور لمن تاب وعذابه لمن لم
يتب وعطف ونبئهم على نبئ عبادي ليتخذوا ما احل من العذاب بقوم لوط عبرة يعتبرون بها سخط الله وانتقامه
من المجرمين ويتحققوا ان عذابه هو العذاب الأليم فقالوا سلاما اي نسلم عليك سلاما او سلمت سلاما قال إنا
منكم وجلون خائفون وكان خوفه لامتناعهم من الاكل وقيل لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت قالوا لا توجل وقرأ الحسن
بضم التاء من اوجله اذا اخافه وقرئ لا تاجل ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله إنا نبشرك بغلام عليم وقرئ
نبشرك بفتح النون والتخفيف انا نبشرك استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل اراد انك بمثابة الآمن المبشر
فلا توجل قال أبشرتموني على أن مسني الكبر يعني ابشرتموني مع مس الكبر بأن يولد لي اي ان الولادة امر
عجيب مستنكر في العادة مع الكبر فبم تبشرون هي ما الاستفهامية دخلها معنى التعجب كأنه قال فبأي اعجوبة
تبشروني او اراد انكم تبشرونني بما هو غير متصور في العادة فبأي شيء تبشرون يعني لا تبشروني في الحقيقة لان
البشارة بمثل هذا بشارة بغير شيء ويجوز ان لا يكون صلة لبشر ويكون سؤالا عن الوجه والطريقة يعني بأي طريقة تبشرونني
بالولد والبشارة به لا طريقة لها في العادة قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين قال ومن يقنط من رحمة
ربه إلا الضالون قالوا بشرناك بالحق يحتمل ان يكون الباء فيه صلة اي بشرناك باليقين الذي لا لبس فيه او بشرناك
ق بطريقة هي حق وهي قول الله ووعده وانه قادر على ان يوجد ولدا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر
وقرئ تبشرون بفتح النون وبكسرها على حذف نون الجمع والاصل تبشرونني وتبشرونّ بادغام نون الجمع في
نون العماد وقرئ من القنطين من قنط يقنط وقرئ ومن يقنط بالحركات الثلاث في النون اراد ومن يقنط من رحمة
ربه الا المخطئون طريق الصواب او الا الكافرون كقوله لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون يعني لم استنكر
ذلك قنوطا من رحمته ولكن استبعادا له في العادة التي اجراها الله قال فما خطبكم أيها المرسلون قالوا
إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين إلا آل لوط فإن قلت قوله الا آل لوط استثناء متصل ام منقطع قلت لا يخلو اما ان
يكون استثناء من قوم فيكون منقطعا لان القوم موصوفون بالاجرام واختلاف لذلك الجنسان وان يكون استثناء من الضمير في
مجرمين فيكون متصلا كأنه قيل الى قوم قد اجرموا كلهم الا آل لوط وحدهم كما قال فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين
فإن قلت فهل يختلف المعنى لاختلاف الاستثناءين قلت نعم وذلك ان آل لوط مخرجون في المنقطع من حكم الارسال
وعلى انهم ارسلوا الى القوم المجرمين خاصة ولم يرسلوا الى آل لوط اصلا ومعنى ارسالهم الى القوم المجرمين كارسال الحجر او السهم الى
المرمي في انه في معنى التعذيب والاهلاك كأنه قيل انا اهلكنا قوما مجرمين ولكن آل لوط انجيناهم واما في المتصل فهم داخلون
في حكم الارسال وعلى ان الملائكة ارسلوا اليهم جميعا ليهلكوا هؤلاء وينجوا هؤلاء فلا يكون الارسال مخلصا بمعنى الاهلاك والتعذيب
كما في الوجه الاول فإن قلت فقوله إنا لمنجوهم أجمعين بم يتعلق على الوجهين قلت اذا انقطع الاستثناء جرى
مجرى خبر لكن في الاتصال بآل لوط لان المعنى لكن آل لوط منجون واذا اتصل كان كلاما مستأنفا كأن ابراهيم صلوات الله عليه
قال لهم فما حال آل لوط فقالوا انا لمنجوهم فإن قلت فقوله إلا امرأته مما استثني وهل هو استثناء من استثناء قلت
استثني من الضمير المجرور في قوله لمنجوهم وليس من الاستثناء في شيء لان الاستثناء من الاستثناء انما يكون فيما اتحد الحكم
فيه وان يقال اهلكناهم الا آل لوط الا امرأته كما اتحد الحكم في قول المطلق انت طالق ثلاثا الا اثنتين الا واحدة وفي قول
المقر لفلان علي عشرة دراهم الا ثلاثة الا درهما فاما في الآية فقد اختلف الحكمان لان الا آل لوط متعلق بأرسلنا او بمجرمين
والا امرأته قد تعلق بمنجوهم فأنى يكون استثناء من استثناء وقرئ لمنجوهم بالتخفيف والتثقيل فإن قلت لم جاز تعليق فعل التقدير
في قوله قدرنا إنها لمن الغابرين والتعليق من خصائص افعال القلوب قلت لتضمن فعل التقدير معنى العلم ولذلك
فسر العلماء تقدير الله اعمال العباد بالعلم فإن قلت فلم اسند الملائكة فعل التقدير وهو لله وحده الى انفسهم ولم
يقولوا قدر الله قلت لما لهم من القرب والاختصاص بالله الذي ليس لاحد غيرهم كما يقول خاصة الملك دبرنا كذا وامرنا بكذا
ك والمدبر والآمر هو الملك فلما جاء آل لوط المرسلون قال إنكم قوم منكرون اي تنكركم نفسي وتنفر منكم
فاخاف ان تطرقوني بشر بدليل قوله قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك
نك بما فيه فرحك وسرورك وتشفيك من عدوك وهو العذاب الذي كنت تتوعدهم بنزوله فيمترون فيه ويكذبونك

وآتيناك بالحق باليقين من عذابهم وإنا لصادقون في الإخبار بنزوله بهم فأسر بأهلك بقطع من الليل وقرئ فاسر بقطع الهمزة ووصلها من أسرى وسرى وروى صاحب الإقليد فسر من السير والقطع في آخر الليل قال

افتحي الباب وانظري في النجوم ... كم علينا من قطع ليل بهيم

وقيل هو بعد ما مضى شيء صالح من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد فإن قلت ما معنى أمره باتباع أدبارهم ونهيهم عن الالتفات قلت قد بعث الله الهلاك على قومه ونجاه وأهله إجابة لدعوته عليهم وخرج مهاجرا فلم يكن له بد من الاجتهاد في شكر الله وإدامة ذكره وتفريغ باله لذلك فأمر بأن يقدمهم لئلا يشتغل بمن خلفه قلبه وليكون مطلعا عليهم وعلى أحوالهم فلا تفرط منهم التفاتة احتشاما منه ولا غيرها من الهفوات في تلك الحال المهولة المحذورة ولئلا يتخلف منهم أحد لغرض له فيصيبه العذاب وليكون مسيره مسير الهارب الذي يقدم سربه ويفوت به ونهوا عن الالتفات لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم وليوطنوا نفوسهم على المهاجرة ويطيبوها عن مساكنهم ويمضوا قدما غير ملتفتين إلى ما وراءهم كالذي يتحسر على مفارقة وطنه فلا يزال يلوي إليه أخادعه كما قال

تلفت نحو الحي حتى وجدتني ... وجعت من الإصغاء ليتا وأخدعا

أو جعل النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التواني والتوقف لأن من يتلفت لا بد له في ذلك من أدنى وقفة وامضوا حيث تؤمرون قيل هو مصر وعدى وامضوا إلى حيث تعديته إلى الظرف المبهم لأن حيث مبهم في الأمكنة وكذلك الضمير في تؤمرونه وقضينا إليه ذلك الأمر عدى قضينا بإلى لأنه ضمن معنى أوحينا كأنه قيل وأوحينا إليه مقضيا مبتوتا وفسر ذلك الأمر بقوله أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وفي إبهامه وتفسيره تفخيم للأمر وتعظيم له وقرأ الأعمش إن بالكسر على الاستئناف كأن قائلا قال أخبرنا عن ذلك الأمر فقال إن دابر هؤلاء وفي قراءة ابن مسعود وقلنا إن دابر هؤلاء ودابرهم آخرهم يعني يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم أحد وجاء أهل المدينة أهل سدوم التي ضرب بقضاتها المثل في الجور يستبشرون مستبشرين بالملائكة قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون بفضيحة ضيفي لأن من أساء إلى ضيفه أو جاره فقد أساء إليه كما أن من أكرم من يتصل به فقد أكرمه واتقوا الله ولا تخزون ولا تذلوني بإذلال ضيفي من الخزي وهو الهوان أو ولا تشوروني من الخزاية وهي الحياء قالوا أولم ننهك عن العالمين عن أن تجير منهم أحدا أو تدفع عنهم أو تمنع بيننا وبينهم فإنهم كانوا يتعرضون لكل أحد وكان يقوم صلى الله عليه وسلم بالنهي عن المنكر والحجز بينهم وبين المتعرض له فأوعدوه وقالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين وقيل عن ضيافة الناس وإنزالهم وكانوا نهوه أن يضيف أحدا قط قال هؤلاء بناتي إشارة إلى النساء لأن كل أمة أولاد نبيها رجالهم بنوه ونساؤهم بناته فكأنه قال لهم هؤلاء بناتي فانكحوهن وخلوا بني فلا تتعرضوا لهم إن كنتم فاعلين شك في قبولهم لقوله كأنه قال إن فعلتم ما أقول لكم وما أظنكم تفعلون وقيل إن كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما أحل الله دون ما حرم لعمرك على إرادة القول أي قالت الملائكة للوط عليه السلام لعمرك إنهم لفي سكرتهم أي في غوايتهم التي أذهبت عقولهم وتمييزهم بين الخطأ الذي هم عليه وبين الصواب الذي تشير به عليهم من ترك البنين إلى البنات يعمهون يتحيرون فكيف يقبلون قولك ويصغون إلى نصيحتك وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه أقسم بحياته وما أقسم بحياة أحد قط كرامة له والعمر والعمر واحد إلا أنهم خصوا القسم بالمفتوح لإيثار الأخف فيه وذلك لأن الحلف كثير الدور على ألسنتهم ولذلك حذفوا الخبر وتقديره لعمرك مما أقسم به كما حذفوا الفعل في قولك بالله وقرئ في سكرهم وفي سكراتهم فأخذتهم الصيحة صيحة جبريل عليه السلام مشرقين داخلين في الشروق وهو بزوغ الشمس فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل قيل من طين عليه كتاب من السجل ودليله قوله تعالى حجارة من طين مسومة عند ربك أي معلمة بكتاب إن في ذلك لآيات للمتوسمين للمتفرسين المتأملين وحقيقة المتوسمين النظار المتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سمة الشيء يقال توسمت في فلان كذا أي عرفت وسمه فيه والضمير في عاليها سافلها لقرى قوم لوط وإنها وإن هذه القرى يعني آثارها لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس لم يندرس بعد وهم يبصرون تلك الآثار وهو تنبيه لقريش كقوله وإنكم لتمرون عليهم مصبحين إن في ذلك لآية للمؤمنين وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين فانتقمنا منهم وإنهما يعني قرى قوم لوط والأيكة وقيل الضمير للأيكة ومدين لأن شعيبا عليه الصلاة والسلام كان مبعوثا إليهما فلما ذكر الأيكة دل بذكرها على مدين فجاء بضميرهما لبإمام مبين لبطريق واضح والإمام اسم ما يؤتم به فسمي به الطريق ومطمر البناء واللوح الذي يكتب فيه لأنها مما يؤتم به ولقد كذب أصحاب الحجر ثمود والحجر واديهم وهو بين المدينة والشام المرسلين بتكذيبهم صالحا لأن من كذب واحدا منهم فكأنما كذبهم جميعا أو أراد صالحا ومن معه من المؤمنين كما قيل الخبيبون في ابن الزبير وأصحابه وعن جابر مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال لنا لا تدخلوا

مساكن الذين ظلموا

مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين حذرا أن يصيبكم مثل ما أصاب هؤلاء ثم زجر رسول الله صلى الله عليه وسلم راحلته فأسرع حتى خلفها وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين لوثاقة البيوت واستحكامها من أن تنهدم ويتداعى بنيانها ومن نقب اللصوص ومن الأعداء وحوادث الدهر أو آمنين من عذاب الله يحسبون أن الجبال تحميهم منه وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق إلا خلقا ملتبسا بالحق والحكمة لا باطلا وعبثا أو بسبب العدل والإنصاف يوم الجزاء على الأعمال وإن الساعة لآتية وإن الله ينتقم لك فيها من أعدائك ويجازيك وإياهم على حسناتك وسيئاتهم فإن الله ما خلق السماوات والأرض وما بينهما إلا لذلك فاصفح الصفح الجميل فأعرض عنهم واحتمل ما تلقى منهم إعراضا جميلا بحلم وإغضاء وقيل هو منسوخ بآية السيف ويجوز أن يراد به المخالقة فلا يكون منسوخا إن ربك هو الخلاق العليم الذي خلقك وخلقهم وهو العليم بحالك وحالهم فلا يخفى عليه ما يجري بينكم وهو يحكم بينكم أو إن ربك هو الذي خلقكم وعلم ما هو الأصلح لكم وقد علم أن الصفح اليوم أصلح وفي مصحف أبي وعثمان إن ربك هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق للكثير لا غير كقولك قطع الثياب وقطع الثوب والثياب ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم سبعا سبع آيات وهي الفاتحة أو سبع سور وهي الطول واختلف في السابعة فقيل الأنفال وبراءة لأنهما في حكم سورة واحدة ولذلك لم يفصل بينهما بآية التسمية وقيل هي سورة يونس وقيل هي آل حم أو سبع صحائف وهي الأسباع والصحائف والمثاني من التثنية وهي التكرير لأن الفاتحة مما تكرر قراءتها في الصلاة وغيرها أو من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء على الله الواحدة مثناة أو مثنية صفة للآية وأما السور فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك ولما فيها من الثناء كأنها تثني على الله بأفعاله العظمى وصفاته الحسنى ومن إما للبيان أو للتبعيض إذا أردت بالسبع الفاتحة أو الطول وللبيان إذا أردت الأسباع ويجوز أن يكون كتب الله كلها مثاني لأنها تثني عليه ولما فيها من المواعظ المكررة ويكون القرآن بعضها فإن قلت كيف صح عطف القرآن العظيم على السبع المثاني وهل هو إلا عطف الشيء على نفسه قلت إذا عني بالسبع الفاتحة أو الطول فما وراءهن ينطلق عليه اسم القرآن لأن اسم القرآن يقع على البعض كما يقع على الكل ألا ترى إلى قوله بما أوحينا إليك هذا القرآن يعني سورة يوسف وإذا عنيت الأسباع فالمعنى ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم أي الجامع لهذين النعتين وهو الثناء والتثنية والعظم لا تمدن عينيك أي لا تطمح ببصرك طموح راغب فيه متمن له إلى ما متعنا به أزواجا منهم أصنافا من الكفار ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين فإن قلت كيف وصل هذا بما قبله قلت يقول لرسوله قد أوتيت النعمة العظمى التي كل نعمة وإن عظمت فهي إليها حقيرة ضئيلة وهي القرآن العظيم فعليك أن تستغني به ولا تمدن عينيك إلى متاع الدنيا ومنه الحديث ليس منا من لم يتغن بالقرآن وحديث أبي بكر رضي الله عنه من أوتي القرآن فرأى أن أحدا أوتي من الدنيا أفضل مما أوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وقيل وافت من بصرى وأذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها أنواع البز والطيب والجواهر وسائر الأمتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الأموال لنا لتقوينا بها ولأنفقناها في سبيل الله فقال لهم الله عز وجل لقد أعطيتكم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع ولا تحزن عليهم يعني لا تتمن أموالهم ولا تحزن عليهم أنهم لم يؤمنوا فيتقوى بمكانهم الإسلام وينتعش بهم المؤمنون وتواضع لمن معك من فقراء المؤمنين وضعفائهم وطب نفسا عن إيمان الأغنياء والأقوياء وقل لهم إني أنا النذير المبين أنذركم ببيان وبرهان أن عذاب الله نازل بكم فإن قلت بم تعلق قوله تعالى كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين قلت فيه وجهان أحدهما أن يتعلق بقوله ولقد آتيناك أي أنزلنا عليك مثل ما أنزلنا على أهل الكتاب وهم المقتسمون الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا بعنادهم وعدوانهم بعضه حق موافق للتوراة والإنجيل وبعضه باطل مخالف لهما فاقتسموه إلى حق وباطل وعضوه وقيل كانوا يستهزئون به فيقول بعضهم سورة البقرة لي ويقول الآخر سورة آل عمران لي ويجوز أن يراد بالقرآن ما يقرؤونه من كتبهم وقد اقتسموه بتحريفهم وبأن اليهود أقرت ببعض التوراة وكذبت ببعض والنصارى أقرت ببعض الإنجيل وكذبت ببعض وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن صنيع قومه بالقرآن وتكذيبهم وقولهم سحر وشعر وأساطير بأن غيرهم من الكفرة فعلوا بغيره من الكتب نحو فعلهم والثاني أن يتعلق بقوله وقل إني أنا النذير المبين أي وأنذر قريشا مثل ما أنزلنا من العذاب على المقتسمين يعني اليهود وهو ما جرى على قريظة والنضير جعل المتوقع بمنزلة الواقع وهو من الإعجاز لأنه إخبار بما سيكون وقد كان ويجوز أن يكون الذين جعلوا القرآن عضين منصوبا بالنذير أي أنذر المعضين الذين يجزؤون القرآن إلى سحر وشعر وأساطير مثل ما أنزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم فقعدوا

في كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الايمان برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج
منا فانه ساحر ويقول الآخر كذاب والآخر شاعر فاهلكهم الله يوم بدر وقبله بآفات كالوليد بن المغيرة
والعاص بن وائل والاسود بن المطلب وغيرهم ومثل ما انزلنا على الرهط الذين تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه السلام
والاقتسام بمعنى التقاسم **فان قلت** اذا علق قوله كما انزلنا بقوله ولقد آتيناك فما معنى توسط لا تمدن
الى آخره بينهما **قلت** لما كان ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض بما هو مدد لمعنى
التسلية من النهي عن الالتفات الى دنياهم والتاسف على كفرهم ومن الامر بان يقبل بمجامعه على المؤمنين عضين
اجزاء جمع عضة واصلها عضوة فعلة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء قال رؤبة وليس دين الله بالمعضى
وقيل هي فعلة من عضهته وعن عكرمة العضه السحر بلسان قريش يقولون للساحر العاضهة ولعن
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العاضهة والمستعضهة نقصانها على الاول واو وعلى الثاني ها **فوربك لنسألنهم**
اجمعين عما كانوا يعملون لنسألنهم عبارة عن الوعيد وقيل نسألهم سؤال تقريع وعن ابي العالية يسأل
العباد عن خلتين عما كانوا يعبدون وماذا اجابوا المرسلين **فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين** فاجهر به
واظهره يقال صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا كقولك صرح بها من الصديع وهو الفجر والصدع في الزجاجة الابانة
وقيل فاصدع فافرق بين الحق والباطل بما تؤمر والمعنى بما تؤمر به من الشرائع فحذف الجار كقوله
امرتك الخير فافعل ما امرت به ويجوز ان تكون ما مصدرية اي بامرك مصدر من المبني للمفعول **انا**
كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون وعن عروة بن الزبير في المستهزئين
هم خمسة نفر ذوو اسنان وشرف الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب
والحارث بن الطلاطلة وعن ابن عباس ماتوا كلهم قبل بدر قال جبريل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم امرت ان اكفيكهم
فاوما الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات
واوما الى اخمص العاص بن وائل فدخلت فيها شوكة فقال لدغت لدغت فانتفخت رجله حتى صارت كالرحا
ومات واشار الى عيني الاسود بن المطلب فعمي واشار الى انف الحرث بن قيس فامتخط قيحا فمات والى الاسود
بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات **ولقد نعلم**
انك يضيق صدرك بما يقولون من اقاويل الطاعنين فيك وفي القرآن **فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين**
فافزع فيما نابك الى الله والفزع الى الله هو الذكر الدائم وكثرة السجود يكفيك ويكشف عنك الغم **واعبد**
ربك حتى ياتيك اليقين اي الموت ما دمت حيا فلا تخل بالعبادة وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه كان اذا حزبه
امر فزع الى الصلوة وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين
والانصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم

سورة النحل مكية غير ثلاث آيات في آخرها وتسمى سورة النعم وهي مائة وثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم كانوا يستعجلون
ما وعدوا من قيام الساعة او نزول العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكذيبا بالوعد فقيل لهم **اتى امر الله** اي هو بمنزلة
الآتي الواقع وان كان منتظرا لقرب وقوعه **فلا تستعجلوه** روي انه لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم ان
هذا يزعم ان القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما تاخرت قالوا ما نرى شيئا فنزلت
اقترب للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فنزلت اتى
امر الله فوثب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورفع الناس رؤوسهم فنزلت فلا تستعجلوه فاطمأنوا وقرئ تستعجلوه
بالياء والتاء **سبحانه وتعالى عما يشركون** تبرأ عز وجل عن ان يكون له شريك وان تكون آلهتهم له شركاء او عن
اشراكهم على ان ما موصولة او مصدرية فان قلت كيف اتصل هذا باستعجالهم قلت لان استعجالهم استهزاء وتكذيب
وذلك من الشرك وقرئ تشركون بالياء والتاء **ينزل الملائكة** بالتخفيف والتشديد وقرئ تنزل الملائكة اي تتنزل **بالروح**
من امره بما يحيي القلوب الميتة بالجهل من وحيه او بما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد **ان انذروا انه لا اله الا انا**
فاتقون خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم
مبين والانعام خلقها لكم وان انذروا بدل من الروح اي ينزلهم بان انذروا وتقديره بانه انذروا اي بان
الشان اقول لكم انذروا او تكون ان مفسرة لان تنزل الملائكة بالوحي فيه معنى القول ومعنى انذروا ان
لا اله الا انا اعلموا بان الامر ذلك من نذرت بكذا اذا علمته والمعنى يقول لهم اعلموا الناس قولي لا اله الا انا فاتقون
ثم دل على وحدانيته وانه لا اله الا هو بما ذكر مما لا يقدر عليه غيره من خلق السموات والارض وخلق الانسان وما يصلحه ولا

بين له منه من خلق

بين له منه من خلق البهائم لاكله وركوبه وجر اثقاله وسائر حاجاته وخلق ما لا يعلمون من اصناف خلائقه ومثله
متعال عن ان يشرك به غيره وقرئ تشركون بالياء والتاء فاذا هو خصيم مبين فيه معنيان احدهما فاذا هو منطيق
مجادل عن نفسه مكافح للخصوم مبين للحجة بعد ما كان نطفة من مني جمادا لا حس به ولا حركة دلالة على قدرته والثاني
فاذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم وصفا للانسان بالافراط في الوقاحة
والجهل والتمادي في كفران النعمة وقيل نزلت في ابي بن خلف الجمحي حين جاء بالعظم الرميم الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فقال يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم الانعام الازواج الثمانية واكثر ما يقع على الابل وانتصابها بمضمر
يفسره الظاهر كقوله والقمر قدرناه ويجوز ان يعطف على الانسان اي خلق الانسان والانعام ثم قال خلقها لكم اي ما خلقها
الا لكم ولمصالحكم يا جنس الانسان **فيها دفء** والدفء اسم لما يدفأ به كما ان الملء اسم لما يملأ به وهو الدفاء من لباس معمول
من صوف او وبر او شعر وقرئ دف بطرح الهمزة والقاء حركتها على الفاء **ومنافع** هي نسلها ودرها وغير ذلك
فان قلت تقديم الظرف في قوله **ومنها تاكلون** مؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها قلت الاكل منها هو الاصل
الذي يعتمده الناس في معايشهم واما الاكل من غيرها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر فكغير المعتد به وكالجاري مجرى
التفكه ويحتمل ان طعمتكم منها لانكم تحرثون بالبقر فالحب والثمار التي تاكلونها منها وتكتسبون باكراء الابل وتبيعون
نتاجها والبانها وجلودها **ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون** من الله بالتجمل بها كما من بالانتفاع بها
لانه من اغراض اصحاب المواشي بل هو من معاظمها لان الرعيان اذا روحوها بالعشي وسرحوها بالغداة فزينت باراحتها
وتسريحها الافنية وتجاوب فيها الثغاء والرغاء انست اهلها وفرحت اربابها واجلتهم في عيون الناظرين اليها وكسبتهم
الجاه والحرمة عند الناس ونحوه لتركبوها وزينة يواري سوآتكم وريشا فان قلت لم قدمت الاراحة على التسريح
قلت لان الجمال في الاراحة اظهر اذا اقبلت ملأى البطون حافلة الضروع ثم اوت الى الحظائر حاضرة لاهلها وقرأ عكرمة حينا
تريحون وحينا تسرحون على ان تريحون وتسرحون وصف للحين والمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه كقوله تعالى
يوما لا تجزي **وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس** وقرئ بشق الانفس بكسر الشين وفتحها وقيل
هما لغتان في معنى المشقة وبينهما فرق وهو ان المفتوح مصدر شق عليه الامر شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذي
هو الصدع واما الشق فهو النصف كانه يذهب نصف قوته لما يناله من الجهد فان قلت ما معنى قوله لم تكونوا بالغيه
كانهم كانوا زمانا يتحملون المشاق في بلوغه حتى حملت الابل اثقالهم قلت معناه وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه في التقدير
لو لم تخلق الابل الا بجهد انفسكم لا انهم لم يكونوا بالغيه في الحقيقة فان قلت كيف طابق قوله لم تكونوا بالغيه قوله
وتحمل اثقالكم وهلا قيل لم تكونوا حامليها اليه قلت طابقه من حيث ان معناه وتحمل اثقالكم الى بلد قد علمتم انكم لا تبلغونه
بانفسكم الا بجهد ومشقة فضلا ان تحملوا على ظهوركم اثقالكم ويجوز ان يكون المعنى لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس
وقيل اثقالكم اجرامكم وعن عكرمة البلد مكة **ان ربكم لرؤوف رحيم** حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل وتيسير هذه المصالح
والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة عطف على الانعام اي وخلق هؤلاء للركوب والزينة وقد احتج على حرمة
اكل لحومهن بان علل خلقها بالركوب والزينة ولم يذكر الاكل بعد ما ذكره في الانعام فان قلت لم انتصب زينة قلت لانه
مفعول له وهو معطوف على محل لتركبوها فان قلت هلا ورد المعطوف والمعطوف عليه على سنن واحد قلت لان الركوب
فعل المخاطبين واما الزينة ففعل الزائن وهو الخالق وقرئ لتركبوها زينة بغير واو اي وخلقها زينة لتركبوها
ويجعل زينة حالا من هؤلاء اي خلقها لتركبوها وهي زينة وجمال **ويخلق ما لا تعلمون** يجوز ان يريد به ما يخلق فينا ولنا
مما لا نعلم كنهه وتفاصيله ويمن علينا بذكره كما من بالاشياء المعلومة مع الدلالة على قدرته ويجوز ان يخبرنا بان له من الخلائق
ما لا علم لنا به ليزيدنا دلالة على اقتداره بالاخبار بذلك وان طوى عنا علمه لحكمة له في طيه وقد حمل على ما خلق في الجنة
والنار مما لم يبلغه وهم احد ولا خطر على قلبه **وعلى الله قصد السبيل** المراد بالسبيل الجنس ولذلك اضاف اليها
القصد وقال **ومنها جائر** والقصد مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم كانه
يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه ومعنى قوله وعلى الله قصد السبيل ان هداية الطريق واجبة عليه كقوله
ان علينا للهدى فان قلت لم غير اسلوب الكلام في قوله ومنها جائر قلت ليعلم ما يجوز اضافته اليه من السبيلين وما لا
يجوز ولو كان الامر كما زعمت المجبرة لقيل وعلى الله قصد السبيل وعليه جائرها وقرأ عبد الله ومنكم جائر
يعني ومنكم جائر عن القصد بسوء اختياره والله بريء منها **ولو شاء لهداكم اجمعين** قسرا والجاء **هو الذي انزل**
من السماء ماء لكم منه شراب لكم متعلق بانزل او بشراب خبرا له والشراب ما يشرب **ومنه شجر** يعني الشجر الذي ترعاه
المواشي وفي حديث عكرمة لا تاكلوا ثمن الشجر فانه سحت يعني الكلأ **فيه تسيمون** من سامت الماشية اذا رعت فهي
سائمة واسامها صاحبها وهو من السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات في الارض **ينبت لكم به الزرع والزيتون**

والنخيل والأعناب وقرئ ينبت بالياء والنون فان قلت لم قيل ومن كل الثمرات قلت لان كل الثمرات لا تكون الا في
الجنة وانما انبت في الارض بعض من كلها للتذكرة إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون فيستدلون بها عليه
وعلى قدرته وحكمته والآية الدلالة الواضحة وعن بعضهم ينبت بالتشديد وقرأ أبي بن كعب ينبت لكم الزرع والزيتون
والنخيل والأعناب بالرفع وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره قرئت كلها بالنصب على
وجعل النجوم مسخرات او على ان معنى تسخيرها للناس تصييرها نافعة لهم حيث يسكنون بالليل ويبتغون من فضله
بالنهار ويعلمون عدد السنين والحساب بمسير الشمس والقمر ويهتدون بالنجوم فكانه قيل ونفعكم بها في حال كونها
مسخرات لما خلقن له بأمره ويجوز ان يكون المعنى انه سخرها انواعا من التسخير جمع مسخر بمعنى تسخير من قولك سخره
الله مسخرا كقولك سرحه الله مسرحا كأنه قيل وسخرها لكم تسخيرات بأمره وقرئ بنصب الليل والنهار ورفع ما
بعدهما على الابتداء والخبر وقرئ والنجوم مسخرات بالرفع وما قبله بالنصب وقال إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون
فجمع الآية وذكر العقل لان الآثار العلوية اظهر دلالة على القدرة الباهرة وأبين شهادة للكبرياء والعظمة وما
ذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه معطوف على الليل والنهار يعني ما خلق فيها من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك
مختلف الهيئات والمناظر إن في ذلك لآية لقوم يذكرون وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا هو
السمك ووصفه بالطراوة لان الفساد يسرع اليه فيسارع الى اكله خيفة الفساد عليه فان قلت ما بال الفقهاء قالوا
اذا حلف الرجل لا ياكل لحما فاكل سمكا لم يحنث والله سبحانه وتعالى سماه لحما كما ترى قلت مبنى الايمان على العادة
وعادة الناس اذا ذكر اللحم على الاطلاق ان لا يفهم منه السمك فاذا قال الرجل لغلامه اشتر بهذه الدراهم لحما فجاء بالسمك
كان حقيقا بالانكار ومثاله ان الله سمى الكافر دابة في قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فلو حلف حالف لا
يركب دابة فركب كافرا لم يحنث وتستخرجوا منه حلية تلبسونها حلية هي اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم لبس نسائهم
لانهن من جملتهم ولانهن انما يتزين بها من اجلهم فكانها زينتهم ولباسهم وترى الفلك مواخر فيه المخر شق الماء بحيزومها
وعن الفراء هو صوت جري الفلك بالرياح ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وابتغاء الفضل التجارة وألقى
في الأرض رواسي أن تميد بكم كراهة ان تميد بكم وتضطرب والمائد الذي يدار به اذا ركب البحر قيل خلق الله
الارض فجعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال لم تدر الملائكة مم خلقت
وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون وجعل فيها انهارا لان ألقى فيه معنى جعل الا ترى الى قوله ألم نجعل الارض مهادا
والجبال اوتادا وعلامات هي معالم الطرق وكل ما يستدل به السابلة من جبل ومنهل وغير ذلك وبالنجم هم يهتدون
والمراد بالنجم الجنس كقولك كثر الدرهم في ايدي الناس وعن السدي هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي
وقرأ الحسن وبالنجم بضمتين وبضمة وسكون وهو جمع نجم كرهن ورهن والسكون تخفيف وقيل حذف الواو من النجوم
تخفيفا فان قلت قوله وبالنجم هم يهتدون مخرج عن سنن الخطاب مقدم فيه النجم مقحم فيه هم كانه قيل وبالنجم خصوصا
هؤلاء خصوصا يهتدون فمن المراد بهم قلت كانه اراد قريشا كان لهم اهتداء بالنجوم في مسايرهم وكان لهم بذلك
علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر اوجب عليهم والاعتبار الزم لهم فخصصوا أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا
تذكرون فان قلت من لا يخلق اريد به الاصنام فلم جيء بمن الذي هو لأولي العلم خاصة قلت فيه اوجه احدها
انهم سموها آلهة وعبدوها فاجروها مجرى اولي العلم الا ترى الى قوله على اثره والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون
والثاني المشاكلة بينه وبين من يخلق والثالث ان يكون المعنى ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف
بما لا علم عنده كقوله ألهم أرجل يمشون بها يعني ان الآلهة حالهم منحطة عن حال من لهم ارجل وايد وآذان وقلوب
لان هؤلاء احياء وهم اموات فكيف يصح لهم العبادة لا انها لو صحت لهم هذه الاعضاء لصح ان يعبدوا فان قلت هو الزام
للذين عبدوا الأوثان وسموها آلهة تشبيها بالله فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق فكان حق الالزام ان يقال لهم
أفمن لا يخلق كمن يخلق قلت حين جعلوا غير الله مثل الله في تسميته باسمه والعبادة له وسووا بينه وبينه فقد
جعلوا الله تعالى من جنس المخلوقات وشبيها بها فانكر عليهم ذلك بقوله افمن يخلق كمن لا يخلق وإن تعدوا
نعمة الله لا تحصوها لا تضبطوا عددها ولا تبلغه طاقتكم فضلا ان تطيقوا القيام بحقها من اداء الشكر اتبع ذلك
ما عدد من نعمه تنبيها على ان وراءها ما لا ينحصر ولا يعد إن الله لغفور رحيم حيث يتجاوز عن تقصيركم في اداء شكر
النعمة ولا يقطعها عنكم لتفريطكم ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها والله يعلم ما تسرون وما تعلنون
من اعمالكم وهو وعيد والذين يدعون والآلهة الذين يدعوهم الكفار من دون الله وقرئ بالتاء وقرئ يدعون
على البناء للمفعول لا يخلقون شيئا وهم يخلقون أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون نفى عنهم خصائص
الالهية بنفي كونهم خالقين واحياء لا يموتون وعالمين بوقت البعث واثبت لهم صفات الخلق بانهم مخلوقون وانهم اموات

وانهم جاهلون

وانهم جاهلون بالبعث ومعنى أموات غير أحياء انهم لو كانوا آلهة على الحقيقة لكانوا احياء غير اموات اي غير جائز
عليهم الموت كالحي الذي لا يموت وامرهم على العكس من ذلك والضمير في يبعثون للداعين اي لا يشعرون متى يبعث
عبدتهم وفيه تهكم بالمشركين وان آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء منهم على عبادتهم
وفيه دلالة على انه لا بد من البعث وانه من لوازم التكليف ووجه آخر وهو ان يكون المعنى ان الناس يخلقونهم بالنحت
والتصوير وهم لا يقدرون على نحو ذلك فهم اعجز من عبدتهم اموات جمادات لا حياة فيها غير احياء يعني ان من الاموات
ما يعقب موته حياة كالنطف التي ينشئها الله حيوانا واجساد الحيوان تبعث بعد موتها واما الحجارة فاموات لا يعقب
موتها حياة وذلك اعرق في موتها وما يشعرون ايان يبعثون اي وما يعلم هؤلاء الآلهة متى تبعث الاحياء تهكما بحالها لان
شعور الجماد محال فكيف بشعور ما لا يعلمه حي الا الحي القيوم سبحانه ووجه ثالث وهو ان يراد بالذين يدعون الملائكة
وكان ناس منهم يعبدونهم وانهم اموات اي لا بد لهم من الموت غير احياء غير باق حياتهم وما يشعرون ولا علم لهم
بوقت بعثهم وقرئ إيان بكسر الهمزة إلهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة يعني انه قد
ثبت بما تقدم من ابطال ان تكون الالهية لغيره وانها له وحده لا شريك له فيها فكان من نتيجة ثبات الوحدانية
ووضوح دليلها استمرارهم على شركهم وهم مستكبرون عنها وعن الاقرار بها لا جرم حقا أن الله يعلم ما يسرون
وما يعلنون سرهم وعلانيتهم فيجازيهم وهو وعيد إنه لا يحب المستكبرين يجوز ان يريد المستكبرين عن التوحيد
يعني المشركين ويجوز ان يعم كل مستكبر ويدخل هؤلاء تحت عمومه وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير
الأولين ماذا منصوب بانزل بمعنى اي شيء انزل ربكم او مرفوع بالابتداء بمعنى اي شيء انزله ربكم فاذا نصب فمعنى
اساطير الاولين ما يدعون نزوله اساطير الاولين واذا رفعته فالمعنى المنزل اساطير الاولين كقوله ماذا ينفقون
قل العفو فيمن رفع فان قلت هو كلام متناقض لانه لا يكون منزل ربهم واساطير قلت هو على السخرية كقوله ان
رسولكم وهو كلام بعضهم لبعض او قول المسلمين لهم وقيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون
عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا سألهم وفود الحاج عما انزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالوا احاديث
الاولين واباطيلهم ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم اي قالوا ذلك اضلالا للناس
وصدا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحملوا اوزار ضلالهم كاملة وبعض اوزار من ضل بضلالهم وهو وزر الاضلال
لان المضل والضال شريكان هذا يضله وهذا يطاوعه على اضلاله فيتحاملان الوزر ومعنى اللام التعليل من
غير ان يكون غرضا كقولك خرجت من البلد مخافة الشر بغير علم حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم
ضلال وانما وصف بالضلال واحتمال الوزر من اضلوه وان لم يعلم لانه كان عليه ان يبحث وينظر بعقله حتى يميز بين المحق
والمبطل ألا ساء ما يزرون قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم
القواعد اساطين البناء التي تعمده وقيل الاساس وهذا تمثيل يعني انهم سووا منصوبات ليمكروا بها الله ورسوله
فجعل الله هلاكهم في تلك المنصوبات كحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فاتى البنيان من الاساطين بان
ضعضعت فسقط عليهم السقف وهلكوا ونحوه من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا وقيل هو نمرود بن كنعان
حين بنى الصرح ببابل طوله خمسة آلاف ذراع وقيل فرسخان فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ومعنى
فاتى الله اتى امره من القواعد من جهة القواعد وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون من حيث لا يحتسبون
ولا يتوقعون وقرئ فاتى الله بيتهم فخر عليهم السقف بضمتين ثم يوم القيامة يخزيهم يذلهم بعذاب الخزي ربنا
انك من تدخل النار فقد اخزيته يعني هذا لهم في الدنيا ثم العذاب في الآخرة ويقول أين شركاءي على الاضافة
الى نفسه حكاية لاضافتهم ليوبخهم بها على طريق الاستهزاء بهم الذين كنتم تشاقون فيهم تعادون وتخاصمون
المؤمنين في شأنهم ومعناهم وقرئ تشاقون بكسر النون بمعنى تشاقونني لان مشاقة المؤمنين كانها مشاقة الله
عز وجل قال الذين أوتوا العلم هم الانبياء والعلماء من اممهم الذين كانوا يدعونهم الى الايمان ويعظونهم فلا يلتفتون
اليهم ويتكبرون عليهم ويشاقونهم إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم
يقولون ذلك شماتة بهم وحكى الله تعالى ذلك من قولهم ليكون لطفا لمن سمعه وقيل هم الملائكة وقرئ يتوفاهم بالياء
وادغاما وقرئ بالذين توفاهم بادغام التاء في التاء فألقوا السلم فسالموا واخبتوا وجاءوا بخلاف ما كانوا عليه في الدنيا من
الشقاق والكبر ما كنا نعمل من سوء وجحدوا ما وجد منهم من الكفر والعدوان فرد عليهم اولوا العلم بلى
إن الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وهذا ايضا من الشماتة وكذلك فادخلوا أبواب جهنم خالدين
فيها فلبئس مثوى المتكبرين وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا انزل خيرا فان قلت لم
نصب هذا ورفع الاول قلت فصلا بين جواب المقر وجواب الجاحد يعني ان هؤلاء لما سئلوا لم يتلعثموا واطبقوا

الجواب

على السؤال بيّنًا مكشوفًا مفعولًا للإنزال فقالوا خيرًا أي أنزل خيرًا وأولئك عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا هو أساطير
الأولين وليس من الإنزال في شيء وروي أن أحياء العرب كانوا يبعثون أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فإذا
جاء الوافد كفّه المقتسمون وأمروه بالانصراف وقالوا إن لم تلقه كان خيرًا لك فيقول أنا شرّ وافد إن رجعت إلى قومي
دون أن أستطلع أمر محمد وأراه فيلقى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبرونه بصدقه وأنه نبي مبعوث فهم
الذين قالوا خيرًا وقوله للذين أحسنوا وما بعده بدل من خيرًا حكاية لقول الذين اتقوا أي قالوا هذا القول فقدّم تسميته
خيرًا ثم حكاه ويجوز أن يكون كلامًا مبتدأ عدة للقائلين ويجعل قولهم من جملة إحسانهم ويحمدوا عليه في هذه الدنيا
حسنة مكافأة في الدنيا بإحسانهم ولدار الآخرة خير لهم في الآخرة ما هو خير منها كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا
وحسن ثواب الآخرة ولنعم دار المتقين دار الآخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره جنات عدن يدخلونها
تجري من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاؤون كذلك يجزي الله المتقين وجنات عدن خبر مبتدأ محذوف ويجوز
أن يكون المخصوص بالمدح الذين تتوفاهم الملائكة طيبين طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر والمعاصي لأنه في مقابلة
ظالمي أنفسهم يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون قيل إذا أشرف العبد المؤمن على الموت جاءه ملك فقال
السلام عليك يا ولي الله الله يقرأ عليك السلام وبشّره بالجنة هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك يأتيهم
الملائكة بالتاء والياء يعني أن تأتيهم لقبض الأرواح وأمر ربك العذاب المستأصل أو القيامة كذلك أي مثل ذلك
الفعل من الشرك والتكذيب فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون
لأنهم فعلوا ما استوجبوا به التدمير فأصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون سيئات ما عملوا أي جزاء
سيئات أعمالهم أو هو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء
نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء هذا من جملة ما عدد من أصناف كفرهم وعنادهم من شركهم بالله وإنكار
وحدانيته بعد قيام الحجج وإنكار البعث واستعجاله استهزاء به وتكذيبهم الرسول وشقاقهم واستكبارهم عن
قبول الحق يعني أشركوا بالله وحرّموا ما أحل الله من البحيرة والسائبة وغيرهما ثم نسبوا فعلهم إلى الله وقالوا
لو شاء لم نفعل وهذا مذهب المجبرة بعينه كذلك فعل الذين من قبلهم أي أشركوا وحرموا حلال الله فلما نبّهوا
على قبح فعلهم ورّكوه على ربهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين إلا أن يبلغوا الحق بالبيان والبرهان ويطلعوا
على بطلان الشرك وقبحه وأن الله لا يشاء الشرك والمعاصي وتنزيه الله من أفعال العباد وأنهم فاعلوها بقصدهم وإرادتهم
واختيارهم والله عز وجل باعثهم على جميلها وموفقهم له وزاجرهم عن قبيحها وموعدهم عليه ولقد بعثنا في كل أمة
رسولًا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ولقد أمدّ إبطال قدر السوء ومشيئة الشر بأنه ما من أمة إلا
وقد بعث فيهم رسولًا يأمرهم بالخير الذي هو الإيمان وعبادة الله وباجتناب الشر الذي هو طاعة الطاغوت فمنهم
من هدى الله أي لطف به لأنه عرفه من أهل اللطف ومنهم من حقت عليه الضلالة أي ثبت عليه الخذلان والترك
من اللطف لأنه عرفه مصممًا على الكفر لا يأتي منه خير فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين
فسيروا فانظروا ما فعلت بالمكذبين حتى لا يبقى لكم شبهة في أني لا أقدر الشر ولا أشاؤه حيث أفعل ما أفعل بالأشرار
إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل ثم ذكر عناد قريش وحرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على إيمانهم
وعرّفه أنهم من قسم من حقت عليه الضلالة وأنه لا يهدي من يضل أي لا يلطف بمن يخذل لأنه عبث والله متعال عن العبث
لأنه من قبيل القبائح التي لا تجوز عليه وقرئ لا يُهدى أي لا تقدر أنت ولا أحد على هدايته وقد خذله الله وقوله
وما لهم من ناصرين دليل على أن المراد بالإضلال الخذلان الذي هو نقيض النصرة ويجوز أن يكون لا يهدي بمعنى لا يهتدي
يقال هداه الله فهدى وفي قراءة أبي فإن الله لا هادي لمن يضل ولمن أضل وهي معاضدة للأولى وقرئ يضل بالفتح
وقرأ النخعي إن تحرص بفتح الراء وهي لغة وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدًا عليه حقًا
معطوف على وقال الذين أشركوا إيذانًا بأنهما كفرتان عظيمتان موصوفتان حقيقتان بأن تحكيا وتدوّنا
توريك ذنوبهم على مشيئة الله وإنكارهم البعث مقسمين عليه وبلى إثبات لما بعد النفي أي بلى يبعثهم الله ووعدًا مصدر
مؤكد لما دل عليه بلى لأن يبعث موعد من الله وبيّن أن الوفاء بهذا الموعد حق واجب عليه في الحكمة ولكن أكثر الناس
لا يعلمون أنهم يبعثون أو أنه وعد واجب على الله لأنهم يقولون لا يجب على الله شيء لا ثواب عامل ولا عقوبة من مواجب
الحكمة ليبين لهم الذي يختلفون فيه متعلق بما دل عليه بلى أي يبعثهم ليبين لهم والضمير لمن يموت وهو عام للمؤمنين
والكافرين والذي اختلفوا فيه هو الحق وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين في قولهم لو شاء الله ما
عبدنا من دونه من شيء وفي قوله لا يبعث الله من يموت وقيل يجوز أن يتعلق بقوله ولقد بعثنا في كل أمة رسولًا
أي بعثناه ليبين لهم ما اختلفوا فيه وأنهم كانوا على الضلالة قبله مفترين على الله الكذب إنما قولنا لشيء إذا أردناه

أن نقول له كن فيكون قولنا مبتدأ وأن نقول خبره وكن فيكون من كان التامة التي بمعنى الحدوث والوجود
أي إذا أردنا وجود شيء فليس إلا أن نقول له احدث فهو يحدث عقيب ذلك لا يتوقف وهذا مثل لأن مرادًا
لا يمتنع عليه وأن وجوده عند إرادته غير متوقف كوجود المأمور به عند أمر الآمر المطاع إذا ورد على
المأمور المطيع الممتثل ولا قول ثَمّ والمعنى أن إيجاد كل مقدور على الله عز وجل بهذه السهولة فكيف يمتنع
عليه البعث الذي هو من شق المقدورات وقرئ فيكون عطفًا على نقول والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا
هم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم ظلمهم أهل مكة ففروا بدينهم إلى الله منهم من
هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة فجمع بين الهجرتين ومنهم من هاجر إلى المدينة وقيل هم الذين كانوا محبوسين
معذبين بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلما خرجوا تبعوهم فردوهم منهم بلال وصهيب وخباب
وعمار وعن صهيب أنه قال لهم أنا رجل كبير إن كنت معكم لم أنفعكم وإن كنت عليكم لم أضركم فافتدى
منهم بماله وهاجر فلما رآه أبو بكر قال له ربح البيع يا صهيب وقال له عمر نعم الرجل صهيب لو لم يخف الله لم يعصه
وهو ثناء عظيم يريد لو لم يخلق الله نارًا لأطاعه فكيف وقد خلقها في الله في حقه ولوجهه لنبوئنهم في الدنيا
حسنة ولأجر الآخرة أكبر حسنة صفة للمصدر أي لنبوئنهم تبوئة حسنة وفي قراءة علي رضي الله عنه لنثوينهم
ومعناه إثواءة حسنة وقيل لننزلنهم في الدنيا منزلة حسنة وهي الغلبة على أهل مكة الذين ظلموهم وعلى العرب
قاطبة وعلى أهل المشرق والمغرب وعن عمر رضي الله عنه أنه كان إذا أعطى رجلًا من المهاجرين عطاءه قال خذ بارك الله لك
فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ادخر لك في الآخرة أكبر وقيل لنبوئنهم مباءة حسنة وهي المدينة حيث آواهم أهلها
ونصروهم لو كانوا يعلمون الضمير للكفار أي لو علموا أن الله يجمع لهؤلاء المستضعفين في أيديهم الدنيا والآخرة
لرغبوا في دينهم ويجوز أن يرجع الضمير إلى المهاجرين أي لو كانوا يعلمون ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم
الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون أي هم الذين صبروا أو أعني الذين صبروا وكلاهما مدح أي صبروا على العذاب
وعلى مفارقة الوطن الذي هو حرم الله المحبوب في كل قلب فكيف بقلوب قوم هو مسقط رءوسهم وعلى المجاهدة
وبذل الأرواح في سبيل الله قالت قريش الله أعظم من أن يكون رسوله بشرًا فقيل وما أرسلنا من قبلك إلا رجالًا
يوحى إليهم على ألسنة الملائكة فاسألوا أهل الذكر وهم أهل الكتاب ليعلموكم أن الله لم يبعث إلى الأمم السالفة
إلا بشرًا إن كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر فإن قلت بم تعلق قوله بالبينات قلت له متعلقات شتى
فإما أن يتعلق بما أرسلنا داخلًا تحت حكم الاستثناء مع رجالًا أي وما أرسلنا إلا رجالًا بالبينات كقولك ما ضربت
إلا زيدًا بالسوط وإما بأرسلنا مضمرًا كأنه قيل بم أرسلوا فقلت بالبينات فهو على كلامين والأول على كلام واحد
وإما بيوحى أي يوحى إليهم بالبينات وإما بلا تعلمون على أن الشرط في معنى التبكيت والإلزام كقول الأجير إن
كنت عملت لك فأعطني حقي وقوله فاسألوا أهل الذكر اعتراض على الوجوه المتقدمة وأهل الذكر أهل الكتاب
وقيل للكتاب الذكر لأنه موعظة وتنبيه للغافلين وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم يعني ما نزل الله
إليهم في الذكر مما أمروا به ونهوا عنه ووعدوا وأوعدوا ولعلهم يتفكرون وإرادة أن يصغوا إلى تنبيهاته
فينتبهوا ويتأملوا أفأمن الذين مكروا السيئات أي المكرات السيئات وهم أهل مكة وما مكروا به رسول الله
صلى الله عليه وسلم أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون أو يأخذهم في تقلبهم فما هم
بمعجزين أو يأخذهم على تخوف متخوفين وهو أن يهلك قومًا قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم بالعذاب وهم متخوفون
متوقعون وهو خلاف قوله من حيث لا يشعرون وقيل هو من قولك تخوفته وتخونته إذا تنقصته قال زهير

تخوّف الرحل منها تامكًا قردًا ۝ كما تخوّف عود النبعة السفن ۝

أي يأخذهم على أن يتنقصهم شيئًا بعد شيء في أنفسهم وأموالهم حتى يهلكوا وعن عمر رضي الله عنه أنه قال على المنبر ما
تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص قال فهل تعرف العرب ذلك
في أشعارها قال نعم قال شاعرنا وأنشد البيت فقال عمر أيها الناس عليكم بديوانكم لا يضل قالوا وما ديواننا
قال شعر الجاهلية فإن فيه تفسير كتابكم فإن ربكم لرءوف رحيم حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم مع استحقاقكم
أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدًا لله قرئ أولم تروا وتتفيؤا بالتاء
والياء وما موصول بخلق الله وهو مبهم بيانه من شيء يتفيؤ ظلاله واليمين بمعنى الأيمان وسجدًا حال من الظلال
وهم داخرون حال من الضمير في ظلاله لأنه في معنى الجمع وهو ما خلق الله من كل شيء له ظل وجمع بالواو لأن الدخور
من أوصاف العقلاء أو لأن في جملة ذلك من يعقل فغلّب والمعنى أو لم يروا إلى ما خلق الله من الأجرام التي لها ظلال
متفيئة عن أيمانها وشمائلها أي عن جانبي كل واحد منها وشقيه استعارة من يمين الإنسان وشماله لجانبي الشيء

اي يرجع الظلال من جانب الى جانب منقادة لله غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ والاجرام في انفسها داخرة ايضا صاغرة منقادة لافعال الله فيها لا تمتنع **ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة والملئكة وهم لا يستكبرون** يجوز ان يكون بيانا لما في السموات وما في الارض جميعا على ان في السموات خلقا لله يدبون فيها كما يدب الاناسي في الارض وان يكون بيانا لما في الارض وحده ويراد بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح وان يكون بيانا لما في الارض ويراد بما في السموات الملائكة وكرر ذكرهم على معنى والملائكة خصوصا من بين الساجدين لانهم اطوع الخلق واعبدهم ويجوز ان يراد بما في السموات ملائكتهن وبقوله والملائكة ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم فان قلت سجود المكلفين مما انتظمه هذا الكلام خلاف سجود غيرهم فكيف عبر عن النوعين بلفظ واحد قلت المراد بسجود المكلفين طاعتهم وعبادتهم وبسجود غيرهم انقياده لارادة الله وانها غير ممتنعة عليها وكلا السجودين يجمعهما معنى الانقياد فلم يختلفا فلذلك جاز ان يعبر عنهما بلفظ واحد فان قلت فهلا جيء بمن دون ما تغليبا للعقلاء من الدواب على غيرهم قلت لانه لو جيء بمن لم يكن فيه دليل على التغليب فكان متناولا للعقلاء خاصة فجيء بما هو صالح للعقلاء وغيرهم ارادة العموم **يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون** يخافون يجوز ان يكون حالا من الضمير في لا يستكبرون اي لا يستكبرون خائفين وان يكون بيانا لنفي الاستكبار وتأكيدا له لان من خاف الله لم يستكبر عن عبادته من فوقهم ان علقته بيخافون فمعناه يخافونه ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم وان علقته بربهم حالا منه فمعناه يخافون ربهم عاليا لهم قاهرا كقوله وهو القاهر فوق عباده وانا فوقهم قاهرون وفيه دليل على ان الملائكة مكلفون مدارون على الامر والنهي والوعد والوعيد كسائر المكلفين وانهم بين الخوف والرجا **وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد** فان قلت انما جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا عندي رجال ثلاثة وافراس اربعة لان المعدود عار عن الدلالة على العدد الخاص فاما رجل ورجلان وفرس وفرسان فمعدودان فيهما دلالة على العدد فلا حاجة الى ان يقال رجل واحد ورجلان اثنان فما وجه قوله الهين اثنين قلت الاسم الحامل لمعنى الافراد والتثنية دال على شيئين على الجنسية والعدد المخصوص فاذا اريدت الدلالة على ان المعني به منهما والذي يساق اليه الحديث هو العدد شفع بما يؤكده فدل به على القصد اليه والعناية به الا ترى انك لو قلت انما هو اله ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل انك تثبت الالهية لا الوحدانية **فاياي فارهبون** نقل للكلام عن الغيبة الى التكلم وجاز لان الغالب هو المتكلم وهو من طريقة الالتفات وهو ابلغ في الترهيب من قوله واياه فارهبوه ومن ان يجيء ما قبله على لفظ المتكلم **وله ما في السموات والارض وله الدين واصبا افغير الله تتقون** الدين الطاعة واصبا حال عمل فيه الظرف والواصب الواجب الثابت لان كل نعمة منه فالطاعة واجبة له على كل منعم عليه ويجوز ان يكون من الوصب اي وله الدين ذا كلفة ومشقة ولذلك سمي تكليفا او وله الجزاء دائما ثابتا سرمدا لا يزول يعني الثواب والعقاب **وما بكم من نعمة فمن الله** واي شيء حل بكم او اتصل بكم من نعمة فهو من الله **ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون** فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت بالدعا والاستغاثة قال

الاعشى

يراوح من صلوات المليك ۝ طورا سجودا وطورا جؤارا ۝

وقرئ تجرون بطرح الهمزة والقاء حركتها على الجيم **ثم اذا كشف الضر عنكم** وقرا قتادة كاشف الضر على فاعل بمعنى فعل وهو اقوى من كشف لان بناء المغالبة يدل على المبالغة فان قلت فما معنى قوله **اذا فريق منكم بربهم يشركون** قلت يجوز ان يكون الخطاب في قوله وما بكم من نعمة فمن الله عاما ويريد بالفريق فريق الكفرة وان يكون الخطاب للمشركين ومنكم للبيان لا للتبعيض كانه قال فاذا فريق كافر وهم انتم ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد **ليكفروا بما اتيناهم** من نعمة الكشف عنهم كانهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة **فتمتعوا فسوف تعلمون** تخلية ووعيد وقرئ فيمتعوا بالياء مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا ويجوز ان يكون ليكفروا فيمتعوا من الامر الوارد في معنى الخذلان والتخلية واللام لام الامر **ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم** اي لالهتهم ومعنى لا يعلمونها انهم يسمونها الهة ويعتقدون فيها انها تضر وتنفع وتشفع عند الله وليس كذلك وحقيقتها انها جماد لا يضر ولا ينفع فهم اذا جاهلون بها وقيل الضمير في لا يعلمون للالهة اي لاشيا غير موصوفة بالعلم ولا تشعر اجعلوا لها نصيبا في انعامهم وزروعهم ام لا وكانوا يجعلون لها ذلك تقربا اليها **تالله لتسألن** وعيد **عما كنتم تفترون** من الافك في زعمكم انها الهة وانها اهل للتقرب اليها **ويجعلون لله البنات** كانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله **سبحانه** تنزيه لذاته من نسبة الولد اليه او تعجب من قولهم **ولهم ما يشتهون** يعني البنين ويجوز في ما يشتهون الرفع على الابتدا والنصب على ان

كون معطوفا

كون معطوفا على البنات اي وجعلوا لانفسهم ما يشتهون من الذكور **واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا** ظل بمعنى صار كما تستعمل بات واصبح وامسى بمعنى الصيرورة ويجوز ان يجيء ظل لان اكثر الوضع يتفق بالليل فيظل نهاره مغتما مربد الوجه من الكآبة والحيا من الناس **وهو كظيم** مملوء حنقا على المراة **يتوارى من القوم** يستخفي منهم **من سوء ما بشر به** من اجل سوء المبشر به ومن اجل تعييرهم ويحدث نفسه وينظر **ايمسكه** ايمسك ما بشر به **على هون** على هوان وذل **ام يدسه في التراب** ام يئده وقرئ ايمسكها على هون ام يدسها على التانيث وقرئ على هوان **الا ساء ما يحكمون** حيث يجعلون الولد الذي هذا محله عندهم لله ويجعلون لانفسهم من هو على عكس هذا الوصف **للذين لا يؤمنون بالاخرة مثل السوء ولله المثل الاعلى وهو العزيز الحكيم** مثل السوء صفة السوء وهي الحاجة الى الاولاد الذكور وكراهة الاناث ووأدهن خشية الاملاق واقرارهم على انفسهم بالشح البالغ ولله المثل الاعلى وهو الغنى عن العالمين والنزاهة عن صفات المخلوقين والجواد الكريم **ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم** بكفرهم ومعاصيهم **ما ترك عليها** على الارض **من دابة** قط ولاهلكها كلها بشؤم ظلم الظالمين وعن ابي هريرة انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله حتى ان الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود رضي الله كاد الجعل يهلك بذنب ابن ادم او من دابة بظلمه وعن ابن عباس من دابة من مشرك يدب عليها وقيل لو اهلك الاباء بكفرهم لم تكن الابناء **ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون** ۝ **ويجعلون لله ما يكرهون** ۝ لانفسهم من البنات ومن شركاء في رياستهم ومن الاستخفاف برسلهم والتهاون برسالاتهم ويجعلون له اراذل اموالهم ولاصنامهم اكرمها **وتصف السنتهم** مع ذلك **الكذب ان لهم الحسنى** عند الله كقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وعن بعضهم انه قال لرجل من ذوي اليسار كيف تكون يوم القيمة اذا قال الله تعالى هاتوا ما دفع الى السلاطين واعوانهم فيؤتى بالدواب والثياب وانواع الاموال الفاخرة واذا قال هاتوا ما دفع الي فيؤتى بالكسر والخرق وما لا يؤبه له اما تستحي من ذلك الموقف وقرئ هذه الاية عن مجاهد ان لهم الحسنى هو قول قريش لنا البنون وان لهم الحسنى بدل من الكذب وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للالسنة **لا جرم ان لهم النار وانهم مفرطون** ۝ وقرئ مفتوح الرا ومكسورها مخففا ومشددا فالمفتوح بمعنى مقدمون الى النار معجلون اليها من افرطت فلانا وفرطته في طلب الماء اذا قدمته وقيل منسيون متروكون من افرطت فلانا خلفي اذا خلفته ونسيته والمكسور المخفف من الافراط في المعاصي والمشدد من التفريط في الطاعات وما يلزم **تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب اليم** فهو وليهم اليوم حكاية للحال الماضية التي كان يزين الشيطان اعمالهم فيها او فهو وليهم في الدنيا فجعل اليوم عبارة عن زمان الدنيا ومعنى وليهم قرينهم ومتولي اغوائهم بئس القرين او يجعل فهو وليهم اليوم حكاية للحال الاتية وهي حال كونهم معذبين في النار اي فهو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم غيره نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه ويجوز ان يرجع الضمير الى مشركي قريش وانه زين للكفار قبلهم اعمالهم فهو ولي هؤلاء لانهم منهم ويجوز ان يكون الضمير على حذف المضاف اي فهو ولي امثالهم اليوم **وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون** وهدى ورحمة معطوفان على محل لتبين الا انهما انتصبا على انهما مفعول لهما لانهما فعلا الذي انزل الكتاب ودخلت اللام على لتبين لانه فعل المخاطب لا فعل المنزل وانما ينتصب مفعولا له ما كان فعلا لفاعل الفعل المعلل والذي اختلفوا فيه البعث لانه كان فيهم من يؤمن به ومنهم عبد المطلب واشيا من التحريم والتحليل والانكار **والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها ان في ذلك لاية لقوم يسمعون** ۝ سماع انصاف وتدبر لان من لم يسمع بقلبه فكانه اصم لا يسمع **وان لكم في الانعام لعبرة** ذكر سيبويه الانعام في باب ما لا ينصرف في الاسماء المفردة الواردة على افعال كقولهم ثوب اكياش ولذلك رجع الضمير اليه مفردا واما في بطونها في سورة المؤمنين فلان معناه الجمع ويجوز ان يقال في الانعام وجهان احدهما ان يكون تكسير نعم كاجبال في جبل وان يكون اسما مفردا مقتضيا لمعنى الجمع كنعم فاذا ذكر فكما يذكر نعم في قوله

۝ في كل عام نعم تحوونه ۝ يلقحه قوم وتنتجونه ۝

واذا انث ففيه وجهان انه تكسير نعم وانه في معنى الجمع **نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا** وقرئ نسقيكم بالفتح وبالضم وهو استيناف كانه قيل كيف العبرة فقيل نسقيكم من بين فرث ودم اي يخلق الله اللبن وسيطا بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه وبينهما برزخ من قدرة الله لا يبغي احدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص من ذلك كله قيل اذا اكلت البهيمة العلف فاستقر في كرشها طبخته وكان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما والكبد مسلطة على هذه الاصناف الثلاثة تقسمها فتجري

الدم في العروق واللبن في الضروع ويبقى الفرث في الكرش فسبحان الله ما أعظم قدرته وألطف حكمته لمن تفكر
وتأمل وسئل شقيق عن الإخلاص فقال تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من بين فرث ودم **سائغاً للشاربين**
سهل المرور في الحلق ويقال لم يغص أحد باللبن قط وقرئ سيّغاً بالتشديد وسيْغاً بالتخفيف كهيّن ولين
فإن قلت أي فرق بين من الأولى والثانية قلت الأولى للتبعيض لأن اللبن بعض ما في بطونها كقولك أخذت
من مال زيد ثوباً والثانية لابتداء الغاية لأن بين الفرث والدم مكان الإسقاء الذي منه يبتدئ فهو صلة
لنسقيكم كقولك سقيته من الحوض ويجوز أن يكون حالاً من قوله لبناً مقدماً عليه فيتعلق بمحذوف أي
كائناً من بين فرث ودم ألا ترى أنه لو تأخر فقيل لبناً من بين فرث ودم كان صفة له وإنما قدم لأنه موضع
العبرة فهو قمن بالتقديم وقد احتج بعض من يرى أن المني طاهر على من جعله نجساً لجريه في مسلك البول
بهذه الآية وأنه ليس بمستنكر أن يسلك مسلك البول وهو طاهر كما خرج اللبن من بين فرث ودم
طاهراً فإن قلت بم تعلق قوله **ومن ثمرات النخيل والأعناب** قلت بمحذوف تقديره ونسقيكم من
ثمرات النخيل والأعناب أي من عصيرها وحذف لدلالة نسقيكم قبله عليه وقوله **تتخذون منه سكراً**
ورزقاً حسناً بيان وكشف عن كنه الإسقاء ويتعلق بتتخذون ومنه من تكرير الظرف للتوكيد
كقولك زيد في الدار فيها ويجوز أن يكون تتخذون صفة موصوف محذوف كقوله
بكفي كان من أرمى البشر
تقديره ومن ثمرات النخيل والأعناب ثمر تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً
لأنهم يأكلون بعضها ويتخذون من بعضها السكر فإن قلت فالام يرجع الضمير في منه إذا جعلته ظرفاً
مكرراً قلت إلى المضاف المحذوف الذي هو العصير كما يرجع في قوله تعالى أو هم قائلون إلى الأهل
المحذوف والسكر الخمر سميت بالمصدر من سكر سكراً وسكراً نحو رشد رشداً ورشداً قال
وجاؤونا بهم سكر علينا ۝ فأجلى اليوم والسكران صاحي ۝
وفيه وجهان أحدهما أن تكون منسوخة وممن قال بنسخها الشعبي والنخعي والثاني أن يجمع بين العتاب والمنة
وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر إذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال
عند أبي حنيفة إلى حد السكر ويحتج بهذه الآية وبقوله عليه الصلاة والسلام الخمر حرام لعينها والسكر من كل
شراب وبأخبار جمة ولقد صنف شيخنا أبو علي الجبائي قدس الله روحه غير كتاب في تحليل النبيذ فلما
شيخ واخذت منه السن العالية قيل له لو شربت منه ما تتقوى به فأبى فقيل له فقد صنفت في تحليله فقال
تناولته الدعارة فسمج في المروءة وقيل السكر الطعم وأنشد جعلت أعراض الكرام سكراً أي تنقلت
بأعراضهم وقيل هو من الخمر وأنه إذا ابترك في أعراض الناس فكأنه تخمر بها والرزق الحسن الخل والرب والتمر والزبيب
وغير ذلك ويجوز أن يجعل السكر رزقاً حسناً كأنه قيل تتخذون منه ما هو سكر ورزق حسن **إن في ذلك**
لآية لقوم يعقلون ۝ **وأوحى ربك إلى النحل** إلهامها والقذف في قلوبها وتعليمها على وجه
هو أعلم به لا سبيل لأحد إلى الوقوف عليه وإلا فنيقتها في صنعتها ولطفها في تدبير أمرها وإصابتها فيما يصلحها
دلائل بينة شاهدة على أن الله أودعها علماً بذلك وفطنها كما أولى أولي العقول عقولهم وقرأ يحيى
بن وثاب إلى النحل بفتحتين وهو مذكر كالنخل وتأنيثه على المعنى **أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما**
يعرشون ۝ أن اتخذي هي أن المفسرة لأن الإيحاء فيه معنى القول وقرئ بيوتاً بكسر الباء لأجل الياء ويعرِشون
بكسر الراء وضمها يرفعون من سقوف البيوت وقيل ما يبنون للنحل في الجبال بيوتاً وفي الشجر وفي البيوت من
والضمير في يعرشون للناس فإن قلت ما معنى من في قوله أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون
وهلا قيل في الجبال وفي الشجر قلت أريد معنى البعضية وأن لا تبني بيوتها في كل جبل وكل شجر وكل
ما يعرشون ولا في كل مكان منها **ثم كلي من كل الثمرات** إحاطة بالثمرات التي تجرسها النحل وتعتاد أكلها أي ابني
البيوت ثم كلي من كل ثمرة تشتهيها فإذا أكلتها **فاسلكي سبل ربك** أي الطرق التي ألهمك وأفهمك في عمل العسل
أو فاسلكي ما أكلت في سبل ربك أي في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلاً من أجوافك
ومنافذ مأكلك أو إذا أكلت الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكي إلى بيوتك راجعة سبل ربك
لا تتوعر عليك ولا تضلين فيها فقد بلغني أنها ربما أجدب عليها ما حولها فتسافر إلى البلد البعيد في طلب
النجعة أو أراد ثم كلي ثم اقصدي أكل الثمرات فاسلكي في طلبها في مظانها سبل ربك **ذللاً** جمع ذلول
وهي حال من السبل لأن الله ذللها وطأها وسهلها كقوله هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً أو من
الضمير في فاسلكي أي وأنت ذلل منقادة لما أمرت به غير ممتنعة **يخرج من بطونها شراب** يريد العسل لأنه

مما يشرب **مختلف ألوانه** منه أبيض وأصفر وأحمر وأسود **فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون** ۝
فيه شفاء للناس لأنه من جملة الأشفية والأدوية المشهورة النافعة وقل معجون من المعاجين لم تذكر الأطباء فيه العسل
وليس الغرض أنه شفاء لكل مريض كما أن كل دواء كذلك وتنكيره إما لتعظيم الشفاء الذي فيه أو لأن فيه بعض الشفاء
وكلاهما محتمل وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن رجلاً جاء إليه فقال إن أخي يشتكي بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم
رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب فاسقه عسلاً فقد صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فشفاه الله فبرأ
فكأنما أنشط من عقال وعن عبد الله بن مسعود العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور فعليكم بالشفاءين
القرآن والعسل ومن بدع التأويلات الرافضة أن المراد بالنحل علي وقومه وعن بعضهم أنه قال عند المهدي إنما النحل
بنو هاشم يخرج من بطونهم العلم فقال له رجل جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطونهم فضحك المهدي
وحدث به المنصور فاتخذوه أضحوكة من أضاحيكهم **والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد إلى أرذل**
العمر إلى أخسه وأحقره وهو خمس وسبعون سنة عن علي رضي الله عنه وتسعون سنة عن قتادة لأنه لا عمر أسوأ
حالاً من عمر الهرم **لكي لا يعلم بعد علم شيئاً** ليصير إلى حالة شبيهة بحال الطفولة في النسيان وأن يعلم شيئاً ثم
يسرع في نسيانه فلا يعلمه إن سئل عنه وقيل لئلا يعقل من بعد عقله الأول شيئاً وقيل لئلا يعلم زيادة علم على علمه
إن الله عليم قدير ۝ **والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت**
أيمانهم فهم فيه سواء أي جعلكم متفاوتين في الرزق فرزقكم أفضل مما رزق مماليككم وهم بشر مثلكم وإخوانكم
فكان ينبغي أن تردوا فضل ما رزقتموه عليهم حتى تتساووا في الملبس والمطعم كما يحكى عن أبي ذر رضي الله عنه
أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنما هم إخوانكم فاكسوهم مما تلبسون وأطعموهم مما تطعمون فما رئي عبده
بعد ذلك إلا ورداؤه رداؤه وإزاره إزاره من غير تفاوت **أفبنعمة الله يجحدون** ۝ فجعل من جملة جحود النعمة
وقيل هو مثل ضربه للذين جعلوا له شركاء فقال لهم أنتم لا تسوون بينكم وبين عبيدكم فيما أنعمت عليكم ولا
تجعلونهم فيه شركاء ولا ترضون ذلك لأنفسكم فكيف رضيتم أن تجعلوا عبيدي لي شركاء وقيل المعنى أن
الموالي والمماليك أنا رازقهم جميعاً فهم في رزقي سواء فلا تحسبن الموالي أنهم يردون على مماليكهم من عندهم شيئاً
من الرزق فإنما ذلك رزقي أجريه إليهم على أيديهم وقرئ تجحدون بالياء والتاء **والله جعل لكم من أنفسكم**
أزواجاً من جنسكم وقيل هو خلق حواء من ضلع آدم **وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة** والحفدة جمع
حافد وهو الذي يحفد أي يسرع في الطاعة والخدمة ومنه قول القانت وإليك نسعى ونحفد وقال
حفد الولائد بينهن وأسلمت ۝ بأكفهن أزمة الأجمال ۝
واختلف فيهم فقيل هم الأختان على البنات وقيل أولاد الأولاد وقيل أولاد المرأة من الزوج الأول وقيل المعنى
وجعل لكم حفدة أي خدماً يحفدون في مصالحكم ويعينونكم ويجوز أن يراد بالحفدة البنون أنفسهم كقوله
سكراً ورزقاً حسناً كأنه قيل وجعل لكم منهن أولاداً هم بنون وهم حافدون أي جامعون بين الأمرين
ورزقكم من الطيبات يريد بعضها لأن كل الطيبات في الجنة وما طيبات الدنيا إلا أنموذج منها **أفبالباطل**
يؤمنون ۝ وهو ما يعتقدون من منفعة الأصنام وبركتها وشفاعتها وما هو إلا وهم باطل لم يتوصلوا إليه
بدليل ولا أمارة فليس لهم إيمان إلا به كأنه شيء معلوم مستيقن **وبنعمة الله هم يكفرون** ونعمة الله المشاهدة
المعاينة التي لا شبهة فيها لذي عقل وتمييز هم كافرون بها منكرون لها كما ينكر المحال الذي لا تتصوره العقول
وقيل الباطل ما يسول لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما ونعمة الله ما أحل لهم **ويعبدون من**
دون الله ما لا يملك لهم رزقاً من السماوات والأرض شيئاً الرزق يكون بمعنى المصدر بمعنى ما يرزق فإن
أردت المصدر نصبت به شيئاً كقوله أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيماً على لا يملك أن يرزق شيئاً وإن أردت المرزوق كان شيئاً
بدلاً منه بمعنى قليلاً ويجوز أن يكون تأكيداً للا يملك أي لا يملك شيئاً من الملك ومن السماوات والأرض صلة للرزق
إن كان مصدراً بمعنى لا يرزق من السماوات مطراً ولا من الأرض نباتاً وصفة إن كان اسماً لما يرزق والضمير
في **ولا يستطيعون** لما لأنه في معنى الآلهة بعدما قيل لا يملك على اللفظ ويجوز أن يكون للكفار يعني ولا يستطيع
هؤلاء مع أنهم أحياء متصرفون أولو الألباب من ذلك شيئاً فكيف بالجماد الذي لا حس به فإن قلت ما معنى قوله ولا
يستطيعون بعد قوله لا يملك وهل هما إلا شيء واحد قلت ليس في لا يستطيعون تقدير راجع وإنما المعنى لا يملكون أن
يرزقوا والاستطاعة منفية عنهم أصلاً لأنهم أموات ألا ترى إلى قوله أموات غير أحياء ويراد بالجمع بين نفي الملك والاستطاعة
التوكيد أو يراد أنهم لا يملكون الرزق ولا يمكنهم أن يملكوه ولا يتأتى ذلك منهم ولا يستقيم **فلا تضربوا لله الأمثال**
تمثيل للإشراك بالله والتشبيه به لأن من يضرب الأمثال مشبه حالاً بحال وقصة بقصة **إن الله يعلم** كنه ما تفعلون

وقطمه وهو معاقبكم عليه بما يوازيه في العظم لأن العقاب على مقدار الاثم وأنتم لا تعلمون كنهه وكنه عقابه
فذاك هو الذي جرّكم اليه وجرّأكم عليه فهو تعليل للنهي عن الشرك ويجوز أن يراد ولا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم
كيف يضرب الأمثال وأنتم لا تعلمون ثم علّمهم كيف تضرب فقال ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء
ومن رزقناه منّا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون مثّلكم في
اشراككم بالله الأوثان مثل من سوّى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حرّ مالك قد رزقه الله مالا فهو
يتصرف وينفق منه كيف يشاء فإن قلت لم قال مملوكا لا يقدر على شيء وكل عبد مملوك وغير قادر على التصرف قلت
أما ذكر المملوك فليميز من الحر لأن اسم العبد يقع عليهما لأنهما من عباد الله وأما لا يقدر على شيء فليجعل غير مكاتب ولا مأذون
له لأنهما يقدران على التصرف واختلفوا في العبد هل يصح له ملك والمذهب الظاهر أنه لا يصح ومن موصوفة كأنه قيل وحرا رزقناه
ليطابق عبدا ولا يمتنع أن تكون موصولة فإن قلت لم قيل يستوون على الجمع قلت معناه هل يستوي الأحرار والعبيد
وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء الأبكم الذي ولد أخرس فلا يفهم ولا يُفهم وهو كلّ على مولاه
أي ثقيل وعيال على من يلي أمره ويعوله أينما يوجهه حيث ما يرسله في قضاء حاجة أو كفاية مهم لا يأت بخير لم ينفع
ولم يأت بنجح هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل ومن هو سليم الحواس نفّاع ذو كفايات مع رشد وديانة فهو
يأمر الناس بالعدل والخير وهو في نفسه على صراط مستقيم على سيرة صالحة ودين قويم وهذا مثل ثان ضربه
لنفسه ولما يفيض على عباده ويشملهم من آثار رحمته وألطافه ونعمه الدينية والدنيوية وللأصنام التي هي أموات
لا تضر ولا تنفع وقرئ أينما يوجّه بمعنى أينما يتوجه من قولهم أينما أوجّه ألق سعدا وقرأ ابن مسعود أينما يوجّه
على البناء للمفعول ولله غيب السموات والأرض أي يختص به علم ما غاب فيهما عن العباد وخفي عليهم علمه أو أراد بغيب
السموات والأرض يوم القيامة على أن علمه غائب عن أهل السموات والأرض لم يطلع عليه أحد منهم وما أمر الساعة
إلا كلمح البصر أو هو أقرب أي هو عند الله وإن تراخى كما تقولون أنتم في الشيء الذي تستقربونه هو كلمح البصر
أو هو أقرب إذا بالغتم في استقرابه ونحوه قوله ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإن يوما عند ربك
كألف سنة مما تعدون أي هو عنده دان وهو عندكم بعيد وقيل معناه أن إقامة الساعة وإماتة الأحياء
وإحياء الأموات من الأولين والآخرين تكون في أقرب وقت وأوحاه إن الله على كل شيء قدير فهو يقدر على أن يقيم
الساعة ويبعث الخلق لأنه بعض المقدورات ثم دلّ على قدرته بما بعده والله أخرجكم من بطون أمهاتكم وقرئ
إمهاتكم بضم الهمزة وكسرها والهاء مزيدة في أمّات كما زيدت في أراق فقيل أهراق وشذت زيادتها في الواحدة
قال أمّهتي خندف والياس أبي لا تعلمون شيئا في موضع الحال ومعناه غير عالمين شيئا من حق المنعم
الذي خلقكم في البطون وسوّاكم وصوّركم ثم أخرجكم من الضيق إلى السعة وقوله وجعل لكم السمع والأبصار
والأفئدة لعلكم تشكرون معناه وما ركّب فيكم هذه الأشياء إلا آلات لإزالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب
العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والترقي إلى ما يسعدكم والأفئدة في فؤاد كالأغربة
في غراب وهو من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة والقلة إذا لم يرد في السماع غيرها كما جاء شسوع في جمع
شسع لا غير فجرت ذلك المجرى وقرئ ألم يروا بالتاء والياء إلى الطير مسخرات في جو السماء مذللات للطيران بما خلق
لها من الأجنحة والأسباب المواتية لذلك والجو الهواء المتباعد من الأرض في سمت العلو وإلسكاك أبعد منه واللوح
مثله ما يمسكهن في قبضهن وبسطهن إلا الله بقدرته إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون والله جعل لكم من
بيوتكم سكنا من بيوتكم التي تسكنونها من الحجر والمدر والأخبية وغيرها والسكن فعل بمعنى مفعول
وهو ما يسكن إليه وينقطع إليه من بيت أو إلف وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا هي القباب والأبنية من الأدم والأنطاع
تستخفونها ترونها خفيفة المحمل في الضرب والنقض والنقل يوم ظعنكم ويوم إقامتكم أي يوم ترحلون خفّ
عليكم حملها ونقلها ويوم تنزلون وتقيمون في مكان لم يثقل عليكم ضربها أو هي خفيفة عليكم في أوقات السفر والحضر
جميعا على أن اليوم بمعنى الوقت ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا وشيئا ينتفع به إلى حين إلى
أن تقضوا منه أوطاركم أو إلى أن تبلى وتفنى أو إلى أن تموتوا وقرئ يوم ظعنكم بالسكون والله جعل لكم مما
خلق من الشجر وسائر المستظلات ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا جمع كن وهو ما يستكن به من البيوت
المنحوتة في الجبال والغيران والكهوف وجعل لكم سرابيل هي القمصان والثياب من الصوف والكتان والقطن وغيرها
تقيكم الحر لم يذكر البرد لأن الوقاية من الحر أهم عندهم وقلما يهمهم البرد لكونه يسيرا محتملا وقيل ما يقي من الحر يقي
من البرد فدل ذكر الحر على البرد وسرابيل تقيكم بأسكم يريد الدروع والجواشن والسربال عام يقع على ما
كان من حديد وغيره كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون أي تنظرون في نعمته الفائضة فتؤمنون به وتنقادون

لدروع سابغة من الجراح بلبس الدروع فإن تولوا فلم يقبلوا منك فإنما عليك البلاغ المبين فقد تمهد عذرك
بعد ما أديت ما وجب عليك من التبليغ فذكر سبب العذر وهو البلاغ ليدل على المسبب يعرفون نعمت الله
التي عددنا ها حيث يعترفون بها وأنها من الله ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم هي من الله ولكنها
بشفاعة آلهتنا وقيل إنكارهم قولهم ورثناها من آبائنا وقيل قولهم لولا فلان لما أصبت كذا لبعض نعم الله وإنما
لا يجوز التكلم بنحو هذا إذا لم يعتقد أنها من الله وأنه أجراها على يد فلان وجعله سببا في نيلها وأكثرهم الكافرون
أي الجاحدون غير المعترفين وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم كانوا يعرفونها ثم ينكرونها عنادا وأكثرهم
الجاحدون المنكرون بقلوبهم فإن قلت ما معنى ثم قلت الدلالة على أن إنكارهم أمر مستبعد بعد
حصول المعرفة لأن حق من عرف النعمة أن يعترف لا أن ينكر ويوم نبعث من كل أمة شهيدا نبيها يشهد لهم
وعليهم بالإيمان والتصديق والكفر والتكذيب ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار والمعنى لا حجة لهم فدل بترك الإذن
على أن لا حجة لهم ولا عذر وكذا عن الحسن ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون أي لا يقال لهم ارضوا
ربكم لأن الآخرة ليست بدار عمل فإن قلت فما معنى ثم هذه قلت معناها أنهم يمنون بعد شهادة الأنبياء عليهم
السلام بما هو أطم منها وهو أنهم يمنعون الكلام فلا يؤذن لهم في إلقاء معذرة ولا إدلاء بحجة وانتصاب اليوم
بمحذوف تقديره واذكر يوم نبعث أو يوم نبعث وقعوا فيما وقعوا فيه وكذلك وإذا رأى الذين ظلموا العذاب
وإذا رأوا العذاب بغتهم وثقل عليهم فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون كقوله بل تأتيهم بغتة فتبهتهم الآية
وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك فألقوا إليهم القول
إنكم لكاذبون أي آلهتهم بالشركاء آلهتهم بمعنى شركاؤنا آلهتنا التي دعوناها شركاء وإن أرادوا الشياطين
فلأنهم شركاؤهم في الكفر وقرناؤهم في الغي وندعو بمعنى نعبد فإن قلت لم قالوا إنكم لكاذبون وكانوا
يعبدونهم على الصحة قلت لما كانوا غير راضين بعبادتهم فكأن عبادتهم لم تكن عبادة والدليل عليه قول الملائكة
كانوا يعبدون الجن يعنون أن الجن كانوا راضين بعبادتهم لا أنهم المعبودون دوننا أو كذبوهم في تسميتهم
شركاء وآلهة تنزيها لله من الشريك وإن أريد بالشركاء الشياطين جاز أن يكونوا كاذبين في قولهم إنكم لكاذبون كما
يقول الشيطان إني كفرت بما أشركتمون من قبل وألقوا يعني الذين ظلموا إلى الله يومئذ السلم والقوا السلم
الاستسلام لأمر الله وحكمه بعد الإباء والاستكبار في الدنيا وضلّ عنهم وبطل عنهم ما كانوا يفترون من أن لله
عز وجل شركاء وأنهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤوا منهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل
الله زدناهم عذابا فوق العذاب الذين كفروا في أنفسهم وحملوا غيرهم على الكفر يضاعف الله عقابهم كما
ضاعفوا كفرهم وقيل في زيادة عذابهم حيات أمثال البخت وعقارب أمثال البغال تلسع إحداهن اللسعة
فيجد صاحبها حمتها أربعين خريفا وقيل يخرجون من النار إلى الزمهرير فيبادرون من شدة برده إلى النار بما
كانوا يفسدون بكونهم مفسدين الناس بصدهم عن سبيل الله ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم
يعني نبيهم لأنه كان يبعث أنبياء الأمم فيهم منهم وجئنا بك يا محمد شهيدا على هؤلاء على أمتك ونزلنا عليك
الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين تبيانا بيانا بليغا ونظير تبيان تلقاء في كسر أوله
وقد جوّز الزجاج فتحه في غير القرآن فإن قلت كيف كان القرآن تبيانا لكل شيء قلت المعنى أنه بيّن كل شيء من أمور
الدين حيث كان نصا على بعضها وإحالة إلى السنة حيث أمر فيه باتباع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وطاعته وقيل
وما ينطق عن الهوى وحثا على الإجماع في قوله ويتبع غير سبيل المؤمنين وقد رضي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
لأمته اتباع أصحابه والاقتداء بآثارهم في قوله أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا
ووطؤوا طرق القياس والاجتهاد فكانت السنة والإجماع والقياس والاجتهاد مستندة إلى تبيان الكتاب فمن
ثم كان تبيانا لكل شيء إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم
لعلكم تذكرون العدل هو الواجب لأن الله عز وجل عدل فيه على عباده فجعل ما فرضه عليهم واقعا تحت طاقتهم
والإحسان الندب وإنما علق أمره بهما جميعا لأن الفرض لا بد أن يقع فيه تفريط فيجبره الندب ولذلك قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمن علمه الفرائض فقال والله لا زدت فيها ولا نقصت أفلح إن صدق فعقد الفلاح بشرط
الصدق والسلامة من التفريط وقال عليه الصلاة والسلام استقيموا ولن تحصوا فما ينبغي أن يترك ما يجبر
كسر التفريط من النوافل والفواحش ما جاوز حدود الله والمنكر ما تنكره العقول والبغي طلب التطاول
بالظلم وحين أسقطت من الخطب لعنة الملاعين على أمير المؤمنين رضوان الله عليه أقيمت هذه الآية مقامها
ولعمري إنها كانت فاحشة ومنكرا وبغيا ضاعف الله لمن سنّها غضبا ونكالا وخزيا إلبة وعوض ونبه وعادى

عاداه وكانت سبب اسلام عثمن بن مطعون وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم عهد الله في البيعة لرسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ولا تنقضوا الأيمان ايمان البيعة بعد توكيدها اي بعد توثيقها باسم الله
واكد ووكد لغتان فصيحتان والاصل الواو والهمزة بدل وقد جعلتم الله عليكم كفيلا اي ان الله يعلم ما
تفعلون كفيلا شاهدا وقيل لان الكفيل مراع لحال المكفول به مهيمن عليه ولا تكونوا في نقض الأيمان كالتي
نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا كالمرأة التي انحت على غزلها بعد ان احكمته وابرمته فجعلته انكاثا جمع
نكث وهو ما ينكث فتله قيل هي ريطة بنت سعد بن تيم وكانت خرقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وفلكة
عظيمة على قدرها وكانت تغزل هي وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تامرهن فينقضن ما غزلن تتخذون أيمانكم
دخلا بينكم بعد ذات حال ودخلا احد مفعولي تتخذ يعني ولا تنقضوا ايمانكم متخذيها دخلا بينكم اي مفسدة
ودغلا أن تكون أمة بسبب ان تكون امة يعني جماعة قريش هي أربى من أمة هي ازيد عددا واوفر مالا من جماعة
المؤمنين إنما يبلوكم الله به الضمير لقوله ان تكون امة لانه في معنى المصدر اي انما يختبركم بكونهم اربى لينظر
اتتمسكون بحبل الوفا بعهد الله وما عقدتم على انفسكم ووكدتم من ايمان البيعة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ام تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقوتهم وقلة المؤمنين وفقرهم وضعفهم وليبينن لكم يوم القيامة ما
كنتم فيه تختلفون اذا جازاكم على اعمالكم بالثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة حنيفة مسلمة
على طريق الالجاء والاضطرار وهو قادر على ذلك ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولكن الحكمة اقتضت
ان يضل من يشاء وهو ان يخذل من علم انه يختار الكفر ويصمم عليه ويهدي من يشاء وهو ان يلطف بمن علم انه يختار
الايمان يعني انه بنى الامر على الاختيار وعلى ما يستحق به اللطف والخذلان والثواب والعقاب ولم يبنه على الاجبار
الذي لا يستحق به شيء من ذلك وحققه بقوله ولتسألن عما كنتم تعملون ولو كان هو المضطر الى الضلال
والاهتداء لما اثبت لهم عملا يسألون عنه ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم ثم كرر النهي عن اتخاذ الايمان دخلا
بينهم تأكيدا عليهم واظهارا لعظم ما يركب منه فتزل قدم بعد ثبوتها فتزل اقدامكم عن محجة الاسلام بعد
ثبوتها عليها وتذوقوا السوء في الدنيا بما صددتم بصدودكم عن سبيل الله وخروجكم من الدين او بصدكم غيركم ولكم عذاب عظيم في
الاخرة كان قوما ممن اسلم بمكة زين لهم الشيطان لجزعهم مما رأوا من غلبة قريش واستضعافهم المسلمين وايذائهم
لهم ولما كانوا يعدونهم ان رجعوا من المواعيد ان ينقضوا ما بايعوا عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فثبتهم الله ولا تشتروا ولا تستبدلوا بعهد الله وبيعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثمنا قليلا عرضا من الدنيا
يسيرا وهو ما كانت قريش يعدونهم ويمنونهم ان رجعوا إنما عند الله من اظهاركم وتغنيمكم ومن ثواب الآخرة
هو خير لكم إن كنتم تعلمون ما عندكم من اغراض الدنيا ينفد وما عند الله باق لا ينفد وقرئ ولنجزين بالنون
الذين صبروا على اذى المشركين ومشاق الاسلام أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون فان قلت لم وحدت
القدم ونكرت قلت لاستعظام ان تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد ان ثبتت عليه فكيف باقدام كثيرة
من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فان قلت من متناول في نفسه للذكر والانثى فما معنى تبيينه بهما
قلت هو مبهم صالح على الاطلاق صالح للنوعين الا انه اذا ذكر كان الظاهر تناوله للذكور فقيل من ذكر او انثى
على التبيين ليعم الموعد النوعين جميعا فلنحيينه حياة طيبة يعني في الدنيا وهو الظاهر لقوله ولنجزينهم
أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون وعده الله ثواب الدنيا والاخرة كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب
الاخرة وذلك ان المؤمن مع العمل الصالح موسرا كان او معسرا يعيش عيشا طيبا فمعه ما يطيب عيشه وهو
القناعة والرضا بقسمة الله عز وجل واما الفاجر فامره على العكس ان كان معسرا فلا اشكال في امره وان كان
موسرا فالحرص لا يدعه ان يتهنأ بعيشه وعن ابن عباس الحياة الطيبة الرزق الحلال وعن الحسن القناعة وعن
قتادة يعني في الجنة وقيل هي حلاوة الطاعة والتوفيق في قلبه لما ذكر العمل الصالح ووعد عليه وصل به قوله فاذا قرأت
القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ايذانا بان الاستعاذة من جملة الاعمال الصالحة التي يجزل الله
عليها الثواب والمعنى فاذا اردت قراءة القرآن فاستعذ بالله كقوله اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم
وكقوله اذا اكلت فسم الله فان قلت لم عبر عن ارادة الفعل بلفظ الفعل قلت لان الفعل يوجد عند القصد
والارادة بغير فاصل وعلى حسبه فكان منه بسبب قوي وملابسة ظاهرة وعن عبد الله بن مسعود قرأت على
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم فقال يا ابن ام عبد قل اعوذ
بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرانيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ إنه ليس له سلطان اي تسلط
على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون على اولياء الله يعني انهم لا يقبلون منه ولا يطيعونه فيما يريد منهم

من اتباع خطواته

من اتباع خطواته إنما سلطانه على الذين يتولونه على من يتولاه ويطيعه والذين هم به مشركون الضمير يرجع
الى ربهم ويجوز ان يرجع الى الشيطان على معنى بسببه وإذا بدلنا آية مكان آية تبديل الآية مكان الآية هو النسخ والله تعالى
ينسخ الشرائع بالشرائع لانها مصالح وما كان مصلحة امس يجوز ان يكون مفسدة اليوم وخلافه مصلحة والله عز وجل
عالم بالمصالح والمفاسد فيثبت ما يشاء وينسخ ما يشاء بحكمته وهذا معنى قوله والله اعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر
بل أكثرهم لا يعلمون وجدوا مدخلا للطعن فطعنوا وذلك لجهلهم وبعدهم عن العلم بالناسخ والمنسوخ وكانوا
يقولون ان محمدا يسخر من اصحابه يامرهم اليوم بامر وينهاهم عنه غدا فيأتيهم بما هو اهون ولقد افتروا فقد كان ينسخ
الاشق بالاهون والاهون بالاشق والاهون بالاهون والاشق بالاشق لان الغرض المصلحة لا الهون والمشقة
فان قلت هل في ذكر تبديل الآية بالآية دليل على ان القرآن انما ينسخ بمثله ولا يصح بغيره من السنة والاجماع
والقياس قلت فيه ان القرآن ينسخ بمثله وليس فيه نفي نسخه بغيره على ان السنة المكشوفة المتواترة مثل القرآن في
ايجاب العلم فنسخه بها كنسخه بمثله واما الاجماع والقياس والسنة غير المقطوع بها فلا يصح نسخ القرآن بها قل نزله
روح القدس من ربك في ينزل وتنزيله وما فيهما من التنزيل شيئا فشيئا على حسب الحوادث والمصالح اشارة الى ان
التبديل من باب المصالح وان ترك النسخ بمنزلة انزاله دفعة واحدة في خروجه عن الحكمة وروح القدس جبريل
عليه الصلوة والسلام اضيف الى القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود وزيد الخير والمراد الروح المقدس وحاتم
الجواد وزيد الخير والمقدس المطهر من المآثم وقرئ بضم الدال وسكونها بالحق في موضع الحال اي نزله ملتبسا
بالحكمة يعني ان النسخ من جملة الحق ليثبت الذين آمنوا ليبلوهم بالنسخ حتى اذا قالوا فيه هو الحق من ربنا والحكمة حكم
لهم بثبات القدم وصحة اليقين وطمأنينة القلوب على ان الله حكيم فلا يفعل الا ما هو حكمة وصواب وهدى
وبشرى للمسلمين مفعول لهما معطوفان على محل ليثبت والتقدير تثبيتا لهم وارشادا وبشارة وفيه تعريض
بحصول اضداد هذه الخصال لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر اراد بالبشر غلاما
كان لحويطب بن عبد العزى قد اسلم وحسن اسلامه اسمه عائش او يعيش وكان صاحب كتب وقيل هو جبر غلام رومي
كان لعامر بن الحضرمي وقيل عبدان جبر ويسار كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل فكان
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا مر وقف عليهما يسمع ما يقرآن فقالوا يعلمانه فقيل لاحدهما فقال بل هو يعلمني وقيل
هو سلمان الفارسي لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين واللسان اللغة ويقال الحد القبر
ولحده وهو ملحد وملحود اذا امال حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير لكل امالة عن استقامة فقالوا الحد
فلان في قوله والحد في دينه ومنه الملحد لانه امال مذهبه عن الاديان كلها لم يمله الى دين والمعنى لسان الرجل الذي
يميلون قولهم عن الاستقامة اليه لسان اعجمي غير بين وهذا القرآن لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة ردا لقولهم
وابطالا لطعنهم وقرئ يلحدون بفتح الياء والحاء وفي رواية الحسن اللسان الذي يلحدون اليه بتعريف اللسان فان
قلت الجملة التي هي قوله لسان الذي يلحدون اليه اعجمي ما محلها قلت لا محل لها لانها مستأنفة جواب لقولهم ومثله قوله
الله اعلم حيث يجعل رسالاته بعد قوله واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله إن الذين لا يؤمنون
بآيات الله اي يعلم الله منهم انهم لا يؤمنون لا يهديهم الله لا يلطف بهم لانهم من اهل الخذلان في الدنيا والعذاب في الآخرة
لا من اهل اللطف والثواب ولهم عذاب أليم إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله رد لقولهم انما انت مفتر يعني
انما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن لانه لا يترقب عقابا عليه وأولئك اشارة الى قريش هم الكاذبون اي هم الذين لا يؤمنون
هم الكاذبون او الى الذين لا يؤمنون اي اولئك هم الكاذبون على الحقيقة الكاملون في الكذب لان تكذيب آيات الله اعظم
الكذب او اولئك الذين عادتهم الكذب لا يبالون به في كل شيء لا تحجبهم عنه مروة ولا دين او اولئك هم الكاذبون في قولهم انما انت
مفتر من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان من كفر بدل من الذين لا يؤمنون بآيات الله على ان يجعل
واولئك هم الكاذبون اعتراضا بين البدل والمبدل منه والمعنى انما يفتري الكذب من كفر بالله من بعد ايمانه واستثنى
منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء ثم قال ولكن من شرح بالكفر صدرا اي طاب به نفسا واعتقده فعليهم غضب
من الله ولهم عذاب عظيم ويجوز ان يكون بدلا من المبتدأ الذي هو اولئك على تقدير ومن كفر بعد ايمانه هم الكاذبون
او من الخبر الذي هو الكاذبون على تقدير واولئك هم من كفر بالله من بعد ايمانه ويجوز ان ينتصب على الذم وقد جوزوا
ان يكون من كفر بالله شرطا مبتدأ ويحذف جوابه لان جواب من شرح دال عليه كانه قيل من كفر بالله فعليهم
غضب الا من اكره ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب روي ان ناسا من اهل مكة فتنوا فارتدوا عن
الاسلام بعد دخولهم فيه وكان فيهم من اكره فاجرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد للايمان منهم عمار وابواه
ياسر وسمية وصهيب وبلال وخباب وسالم عذبوا فاما سمية فقد ربطت بين بعيرين ووجئ قبلها بحربة فقالوا انك

اسلمت من اجل الرجال فصلبت وقتل ياسر وهما اول قتيلين في الاسلام واما عمار فقد اعطاهم ما ارادوا بلسانه مكرها
فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا لك
فعد لهم بما قلت ومنهم جبر مولى الحضرمي اكرهه سيده فكفر ثم اسلم مولاه واسلم وحسن اسلامهما وهاجرا فان قلت
اي الامرين افضل افعل عمار ام فعل ابويه قلت بل فعل ابويه لان في ترك التقية والصبر على القتل اعزازا للاسلام وقد
روي ان مسيلمة اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد فقال رسول الله قال فما تقول في قال انت ايضا فخلاه وقال للاخر
ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال انا اصم فاعاد عليه ثلاثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الاخر فقد صدع بالحق فهنيئا له ذلك بانهم استحبوا الحيوة الدنيا
على الاخرة وان الله لا يهدي القوم الكافرين ذلك اشارة الى الوعيد وان الغضب والعذاب لحقا بهم بسبب استحبابهم
الدنيا على الاخرة واستحقاقهم خذلان الله بكفرهم اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم
واولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة الذين لا احد اغفل منهم لان الغفلة عن تدبر العواقب هي غاية الغفلة
ومنتهاها لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون ثم ان ربك للذين هاجروا ثم ان ربك دلالة على تباعد حال هؤلاء
من حال اولئك وهم عمار واصحابه ومعنى ان ربك لهم انه لهم لا عليهم بمعنى انه وليهم وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم كما
يكون الملك للرجل لا عليه فيكون محميا منفوعا غير مضرور من بعد ما فتنوا بالعذاب والاكراه على الكفر وقرئ فتنوا
على البناء للفاعل اي بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي واشباهه ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها من بعد
هذه الافعال وهي الهجرة والجهاد والصبر لغفور رحيم يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت
وهم لا يظلمون يوم تأتي منصوب برحيم او باضمار اذكر فان قلت ما معنى النفس المضافة الى النفس قلت يقال
لعين الشيء وذاته نفسه وفي نقيضه غيره والنفس الجملة كما هي فالنفس الاولى هي الجملة والثانية عينها وذاتها فكانه قيل
يوم يأتي كل انسان يجادل عن ذاته لا يهمه شأن غيره كل يقول نفسي نفسي ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها كقولهم
هؤلاء اضلونا ما كنا مشركين ونحو ذلك وضرب الله مثلا قرية اي جعل القرية التي هذه حالها مثلا لكل قوم
انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فانزل الله بهم نقمته فيجوز ان يراد قرية مقدرة على هذه الصفة وان
تكون في قرى الاولين قرية كانت هذه حالها فضربها الله مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها كانت امنة مطمئنة
لا يزعجها خوف لان الطمأنينة مع الامن والانزعاج والقلق مع الخوف يأتيها رزقها رغدا واسعا من كل مكان
فكفرت بانعم الله والانعم جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس وفي الحديث
نادى منادي النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالموسم بمنى انها ايام طعم ونعم فلا تصوموا فاذاقها الله لباس الجوع والخوف
بما كانوا يصنعون فان قلت الاذاقة واللباس استعارتان فما وجه صحتهما والاذاقة المستعارة موقعة
على اللباس المستعار فما وجه صحة ايقاعها عليه قلت اما الاذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا
والشدائد وما يمس الناس منها يقولون ذاق فلان البؤس والضر واذاقه العذاب شبه ما يدرك من اثر الضرر والالم بما
يدرك من طعم المر والبشع واما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس ما غشي الانسان والتبس به من بعض الحوادث
واما ايقاع الاذاقة على لباس الجوع والخوف فلانه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكانه قيل فاذاقهم ما غشيهم من الجوع
والخوف ولهم في نحو هذا طريقان لا بد من الاحاطة بهما فان الاستنكار لا يقع الا لمن فقدهما احدهما ان ينظروا فيه
الى المستعار له كما نظر اليه ها هنا ونحوه قول كثير

غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا ... غلقت لضحكته رقاب المال

استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه ووصفه بالغمر الذي هو وصف المعروف
والنوال لا صفة الرداء نظرا الى المستعار له والثاني ان ينظروا فيه الى المستعار كقوله

ينازعني ردائي عبد عمرو ... رويدك يا اخا عمرو بن بكر
لي الشطر الذي ملكت يميني ... ودونك فاعتجر منه بشطر

اراد بردائه سيفه ثم قال فاعتجر منه بشطر فنظر الى المستعار في لفظ الاعتجار ولو نظر اليه فيما نحن فيه لقيل
فكساهم لباس الجوع والخوف ولقال كثير ضافي الرداء اذا تبسم ضاحكا
ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون في حال التباسهم بالظلم كقوله الذين تتوفاهم
الملائكة ظالمي انفسهم نعوذ بالله من مفاجأة النقمة والموت على الغفلة وقرئ والخوف عطفا على اللباس او على تقدير
حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اصله ولباس الخوف وقرئ لباس الخوف والجوع فكلوا مما رزقكم الله

حلالا طيبا

حلالا طيبا واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما
اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا
حلال وهذا حرام لما وعظهم بما ذكر من حال القرية وما اوتيت من كفرها وسوء صنيعها وصل ذلك بالفاء في قوله
فكلوا وصدهم عن افعال الجاهلية ومذاهبهم الفاسدة التي كانوا عليها بان امرهم باكل ما رزقهم من الحلال الطيب
وشكر انعامه بذلك وقال ان كنتم اياه تعبدون يعني تطيعون او ان صح زعمكم انكم تعبدون الله بعبادة
الالهة لانها شفعاؤكم عنده ثم عدد عليهم محرمات الله ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم باهوائهم وجهالاتهم دون
اتباع ما شرع الله على لسان انبيائه وانتصاب الكذب بلا تقولوا على ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم من
البهائم بالحل والحرمة في قولكم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا من غير استناد ذلك
الوصف الى وحي من الله او الى قياس مستند اليه واللام مثلها في قولك ولا تقولوا لما احل الله هو حرام وقوله هذا حلال
وهذا حرام بدل من الكذب ويجوز ان يتعلق بتصف على ارادة القول اي ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم فتقولوا
هذا حلال وهذا حرام ولك ان تنصب الكذب بتصف وتجعل ما مصدرية وتعلق هذا حلال وهذا حرام بلا تقولوا على
ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اي لا تحرموا ولا تحللوا لاجل قول تنطق به السنتكم ويجول
في افواهكم لا لاجل حجة وبينة ولكن قول ساذج ودعوى فارغة فان قلت ما معنى وصف السنتهم الكذب قلت
هو من فصيح الكلام وبليغه جعل قولهم كانه عين الكذب ومحضه فاذا نطقت به السنتهم فقد حلت الكذب
بحليته وصورته بصورته كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر صفة لما المصدرية
كانه قيل لوصفها الكذب بمعنى الكاذب كقوله بدم كذب والمراد بالوصف وصفها البهائم بالحل والحرمة وقرئ
الكذب جمع كذوب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الشتم او بمعنى الكلم الكواذب او هو جمع الكذاب من قولك
كذب كذابا ذكره ابن جني واللام في لتفتروا على الله الكذب من التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض ان الذين يفترون
على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب اليم متاع قليل خبر مبتدأ محذوف اي منفعتهم فيما هم عليه من
افعال الجاهلية منفعة قليلة وعقابها عظيم وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل يعني في سورة الانعام
وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة في موضع الحال اي عملوا
السوء جاهلين غير عارفين بالله وبعقابه او غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا
ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور رحيم ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين
كان امة فيه وجهان احدهما انه كان امة من الامم لكماله في صفات جميع الخير كقوله

وليس لله بمستنكر ... ان يجمع العالم في واحد

وعن مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار والثاني ان يكون امة بمعنى مأموم اي يؤمه الناس لياخذوا منه الخير
او بمعنى مؤتم به كالرحلة والنخبة وما اشبه ذلك مما جاء من فعلة بمعنى مفعول فيكون مثل قوله قال اني جاعلك للناس
اماما وروى الشعبي عن فروة بن نوفل الاشجعي عن ابن مسعود انه قال ان معاذا كان امة قانتا لله فقلت غلطت
انما هو ابراهيم صلوات الله عليه فقال الامة الذي يعلم الخير والقانت المطيع لله ولرسوله وكان معاذ كذلك
وعن عمر رضي الله عنه انه قال حين قيل له الا تستخلف لو كان ابو عبيدة حيا لاستخلفته ولو كان معاذ حيا
لاستخلفته ولو كان سالم حيا لاستخلفته فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ابو عبيدة امين هذه الامة ومعاذ
امة لله قانت ليس بينه وبين الله يوم القيمة الا المرسلون وسالم شديد الحب لله لو كان لا يخاف الله لم يعصه وهو
ذلك المعنى اي كان اماما في الدين لان الائمة معلمو الخير والقانت القائم بما امره الله به والحنيف المائل الى ملة الاسلام
غير الزائل عنها ونفى عنه الشرك تكذيبا لكفار قريش في زعمهم انهم على ملة ابيهم ابراهيم شاكرا لانعمه روي انه كان
لا يتغدى الا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فاخر غداءه فاذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر فدعاهم الى الطعام
فخيلوا له ان بهم جذاما فقال الان وجبت مؤاكلتكم شكرا لله على انه عافاني وابتلاكم اجتباه اختصه واصطفاه
للنبوة وهداه الى صراط مستقيم الى ملة الاسلام واتيناه في الدنيا حسنة عن قتادة هي تنويه الله بذكره حتى
ليس من اهل دين الا وهم يتولونه وقيل الاموال والاولاد وقيل قول المصلي منا كما صليت على ابراهيم وانه في الاخرة
لمن الصالحين لمن اهل الجنة ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين في ثم هذه ما فيها من
تعظيم منزلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واجلال محله والايذان بان اشرف ما اوتي خليل الله ابراهيم عليه السلام من
الكرامة واجل ما اولي من النعمة اتباع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ملته من قبل انها دلت على تباعد هذا النعت في
المرتبة من بين سائر النعوت التي اثنى الله عليه بها انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وان ربك ليحكم بينهم

قوله وصل بعد ما اي وصل الفعل وهو قوله فكلوا وما بعده بالموعظة وهو قوله ضرب الله مثلا قرية وما بعده بالفاء فكلوا

هذا كلام ليس بشعر

يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ● السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها والمعنى انما جعل وبال السبت
وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه واختلافهم فيه انهم احلوا الصيد فيه تارة وحرموه تارة وكان الواجب عليهم ان يتفقوا
في تحريمه على كلمة واحدة بعد ما حتم الله عليهم الصبر عن الصيد فيه وتعظيمه والمعنى في ذكر ذلك نحو المعنى في ضرب
القرية التي كفرت بانعم الله مثلا وغير ما ذكر وهو الانذار من سخط الله على العصاة والمخالفين لاوامره والخالعين
ربقة طاعته فان قلت ما معنى الحكم بينهم اذا كانوا جميعا محلين او محرمين قلت معناه انه يجازيهم جزاء اختلاف
فعلهم في كونهم محلين تارة ومحرمين اخرى ووجه اخر وهو ان موسى عليه السلام امرهم ان يجعلوا في الاسبوع يوما للعبادة
وان يكون يوم الجمعة فابوا عليه وقالوا نريد اليوم الذي فرغ الله فيه من خلق السموات والارض وهو يوم السبت
الا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فهذا اختلافهم في السبت لان بعضهم اختاروه وبعضهم اختاروا عليه الجمعة فاذن
الله لهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فاطاع امر الله الراضون بالجمعة وكانوا لا يصيدون واعقابهم لم يصبروا
فمسخهم الله دون اولئك وهو يحكم بينهم يوم القيمة فيجازي كل واحد من الفريقين بما يستوجبه ومعنى جعل
السبت فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطياد فيه وقرى انما جعل السبت على البناء للفاعل وعن عبد الله انا انزلنا السبت
ادع الى سبيل ربك الى الاسلام بالحكمة بالمقالة المحكمة الصحيحة وهو الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة والموعظة
الحسنة وهي التي لا يخفى عليهم انك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم ويجوز ان يريد القران اي ادعهم بالكتاب الذي
هو حكمة وموعظة حسنة وجادلهم بالتي هي احسن بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير
فظاظة ولا تعنيف ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين ● ان ربك اعلم بهم فمن كان فيه
خير كفاه الوعظ القليل والنصيحة اليسيرة ومن لا خير فيه عجزت عنه الحيل وكانك تضرب منه في حديد بارد وان
عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به سمي الفعل الاول باسم الثاني للمزاوجة والمعنى ان صنع بكم صنيع سوء من قتل او
نحوه فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه وقرى وان عقبتم فعقبوا اي وان قفيتم بالانتصار فقفوا بمثل ما فعل بكم روى
ان المشركين مثلوا بالمسلمين يوم احد بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم ما تركوا احدا غير ممثول به الا حنظلة بن
الراهب فوقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على حمزة وقد مثل به وروى فراه مبقور البطن فقال اما والذي احلف به لئن
اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما اراده ولا خلاف في تحريم المثلة وقد وردت
الاخبار بالنهي عنها ولو بالكلب العقور ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ● اما ان يرجع الضمير في لهو الى صبرهم وهو مصدر
صبرتم ويراد بالصابرين المخاطبون اي ولصبركم خير لكم فوضع الصابرون موضع الضمير ثناء من الله عليهم بانهم
صابرون على الشدائد او وصفهم بالصفة التي تحصل لهم اذا صبروا عن المعاقبة واما ان يرجع الى جنس الصبر وقد دل
عليه صبرتم ويراد بالصابرين جنسهم كانه قيل وللصبر خير للصابرين ونحوه قوله عز وعلى فمن عفا واصلح فاجره على الله
وان تعفوا اقرب للتقوى ثم قال لرسوله عليه الصلاة والسلام واصبر انت فعزم عليه بالصبر وما صبرك الا بالله
اي بتوفيقه وتثبيته وربطه على قلبه ولا تحزن عليهم اي على الكافرين كقوله فلا تاس على القوم الكافرين او على المؤمنين
وما فعل بهم الكافرون ولا تك في ضيق مما يمكرون ● وقرى ولا تكن في ضيق اي ولا يضيقن صدرك من مكرهم والضيق
تخفيف الضيق اي في امر ضيق ويجوز ان يكون الضيق والضيق مصدرين كالقيل والقول ان الله مع الذين اتقوا
والذين هم محسنون ● اي هو ولي الذين اجتنبوا المعاصي وولي الذين هم محسنون في اعمالهم وعن هرم بن حيان انه قيل له حين
احتضر اوص فقال انما الوصية من المال ولا مال لي واوصيكم بخواتيم سورة النحل عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرا سورة
النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه في دار الدنيا وان مات في يوم تلاها او في ليلة كان له من الاجر كالذي مات واحسن الوصية

سورة بني اسرائيل مكية وهي مائة وعشر آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله ● سبحان علم للتسبيح كعثمان
للرجل وانتصابه بفعل مضمر متروك اظهاره تقديره اسبح الله سبحان ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد مسده ودل
على التنزيه البليغ من جميع القبائح التي يضيفها اليه اعداء الله واسرى وسرى لغتان وليلا نصب على الظرف فان قلت
الاسراء لا يكون الا بالليل فما معنى ذكر الليل قلت اراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الاسراء وانه اسرى به
في بعض الليل من مكة الى الشام مسيرة اربعين ليلة وذلك ان التنكير فيه قد دل على معنى البعضية ويشهد لذلك
قراءة عبد الله وحذيفة من الليل اي بعض الليل كقوله ومن الليل فتهجد به يعني الامر بالقيام في بعض الليل واختلف
في المكان الذي اسري منه فقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بينا انا في المسجد الحرام

في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني جبريل بالبراق وقيل اسري به من دار ام هانئ بنت ابي طالب والمراد
بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به وعن ابن عباس الحرم كله مسجد وروي انه كان نائما في بيت ام هانئ بعد صلاة
العشاء فاسري به ورجع من ليلته وقص القصة على ام هانئ وقال مثل لي النبيون فصليت بهم وقام ليخرج الى
المسجد فتشبثت ام هانئ بثوبه فقال ما لك قالت اخشى ان يكذبك قومك ان اخبرتهم قال وان كذبوني فخرج
فجلس اليه ابو جهل فاخبره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحديث الاسراء فقال ابو جهل يا معشر بني كعب بن لؤي
هلم فحدثهم فمن بين مصفق وواضع يده على راسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان امن به وسعى رجال
الى ابي بكر رضي الله عنه فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من
ذلك فسمي الصديق ومنهم من سافر الى ثم فاستنعتوه المسجد فجلي له بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته
لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا
مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم هذه والله الشمس
قد شرقت فقال اخر هذه والله العير قد اقبلت يقدمها جمل اورق كما قال محمد ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر
مبين وقد عرج به الى السماء في تلك الليلة وكان العروج به من بيت المقدس واخبر قريشا ايضا بما راى في السماء من العجائب
وانه لقي الانبياء وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى واختلفوا في وقت الاسراء فقيل كان قبل الهجرة بسنة وعن
انس والحسن انه كان قبل البعث واختلف في انه كان في اليقظة ام في المنام فعن عائشة رضي الله عنها انها قالت
والله ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولكن عرج بروحه وعن معاوية انما عرج بروحه وعن الحسن
كان في المنام رؤيا راها واكثر الاقاويل بخلاف ذلك والمسجد الاقصى بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه
مسجد باركنا حوله يريد بركات الدين والدنيا لانه متعبد الانبياء من وقت موسى عليه السلام ومهبط الوحي وهو
محفوف بالانهار الجارية والاشجار المثمرة لنريه من اياتنا وقرا الحسن ليريه بالياء ولقد تصرف الكلام على لفظ
الغائب والمتكلم فقيل اسرى ثم باركنا ثم ليريه على قراءة الحسن ثم اياتنا ثم انه هو وهي طريقة الالتفات التي هي
طرق البلاغة انه هو السميع لاقوال محمد صلى الله عليه وآله وسلم البصير ● بافعاله العالم بتهذيبها وخلوصها فيكرمه
ويقربه على حسب ذلك واتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل الا تتخذوا من دوني وكيلا ●
لا تتخذوا وقرى بالياء على لئلا يتخذوا وبالتاء على اي لا تتخذوا كقولك كتبت اليه ان افعل كذا وكيلا ربا تكلون اليه
اموركم ذرية من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص وقيل على النداء فيمن قرا لا تتخذوا بالتاء على النهي يعني قلنا
لهم لا تتخذوا من دوني وكيلا يا ذرية من حملنا مع نوح وقد يجعل وكيلا ذرية من حملنا مفعولي تتخذوا اي لا
تجعلوهم اربابا كقوله ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ومن ذرية المحمولين مع نوح عيسى وعزير
وقرى ذرية من حملنا بالرفع بدلا من واو يتخذوا وقرا زيد بن ثابت ذرية بكسر الذال وروي عنه انه فسرها بولد
الولد ذكرهم النعمة في انجاء ابائهم من الغرق انه ان نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا ● قيل كان اذا اكل قال
الحمد لله الذي اطعمني ولو شاء اجاعني واذا شرب قال الحمد لله الذي سقاني ولو شاء اظماني واذا اكتسى قال الحمد لله
الذي كساني ولو شاء اعراني واذا احتذى قال الحمد لله الذي حذاني ولو شاء احفاني واذا قضى حاجته قال الحمد لله
الذي اخرج عني اذاه في عافية ولو شاء حبسه وروي انه كان اذا اراد الافطار عرض طعامه على من امن به فان وجده
محتاجا اثره به فان قلت قوله انه كان عبدا شكورا ما وجه ملاءمته لما قبله قلت كانه قيل لا تتخذوا من دوني
وكيلا ولا تشركوا بي لان نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا وانتم ذرية من امن به وحمل معه فاجعلوه اسوتكم كما
جعله اباؤكم اسوتهم ويجوز ان يكون تعليلا لاختصاصهم والثناء عليهم بانهم اولاد المحمولين مع نوح فهم متصلون
به فاستاهلوا لذلك الاختصاص ويجوز ان يقال ذلك عند ذكره على سبيل الاستطراد وقضينا الى بني اسرائيل
في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا ● واوحينا اليهم وحيا مقضيا اي مقطوعا اي
مبتوتا بانهم يفسدون في الارض لا محالة ويعلون اي يتعظمون ويبغون في الكتاب في التوراة ولتفسدن جواب
قسم محذوف ويجوز ان يجري القضاء المبتوت مجرى القسم فيكون لتفسدن جوابا له كانه قال واقسمنا لتفسدن
وقرى لتفسدن على البناء للمفعول ولتفسدن بفتح التاء من فسد مرتين اولاهما قتل زكريا عليه السلام وحبس ارميا حين انذرهم سخط
الله والاخرة قتل يحيى بن زكريا وقصد قتل عيسى بن مريم فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولي
باس شديد فجاسوا خلال الديار ● وقرى عبيدا لنا واكثر ما يقال عباد الله وعبيد الناس سنحاريب وجنوده
وقيل بخت نصر وعن ابن عباس جالوت قتلوا علماءهم واحرقوا التوراة وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين الفا
فان قلت كيف جاز ان يبعث الله الكفرة على ذلك ويسلطهم عليه قلت معناه خلينا بينهم وبين ما فعلوا ولم

تسلطهم على ان الله عز وعلا اسند بعث الكفرة عليهم الى نفسه فهو كقوله وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وكقول الداعي وخالف بين كلمهم واسند الجوس وهو التردد خلال الديار بالفساد اليهم فتخريب المسجد واحراق التوراة من جملة الجوس المسند اليهم وقرأ طلحة فحاسوا بالحاء وقرئ فجوسوا وخلل الديار فان قلت ما معنى وعد اولاهما قلت معناه وعد عقاب اولاهما وكان وعدا مفعولا يعني وكان وعد العقاب وعدا لا بد ان يفعل ثم رددنا لكم الكرة اي الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد والعلو قيل هي قتل بخت نصر واستنقاذ بني اسرائيل اسراهم واموالهم ورجوع الملك اليهم وقيل هي قتل داود جالوت وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر كالعبيد والمعيز ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها اي الاحسان والاساءة كلاهما مختص بانفسكم لا يتعدى النفع والضرر الى غيركم وعن علي رضي الله عنه ما احسنت الى احد ولا اسأت اليه وتلاها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة فاذا جاء وعد المرة الآخرة بعثناهم ليسوءوا وجوهكم حذف لدلالة ذكره اولا عليه ومعنى ليسوءوا وجوهكم ليجعلوها بادية آثار المساءة والكآبة فيها كقوله سيئت وجوه الذين كفروا وقرئ ليسوء والضمير لله عز وجل او للوعد او للبعث ولنسوء بالنون وفي قراءة علي رضي الله عنه لنسوءن ولنسوءن وقرئ لنسوأن بالنون الخفيفة واللام في ليدخلوا على هذا متعلق بمحذوف وهو وبعثناهم ليدخلوا ولنسوءن جواب اذا جاء وليتبروا ما علوا تتبيرا ما علوا مفعول ليتبروا اي ليهلكوا كل شيء غلبوه واستولوا عليه او بمعنى مدة علوهم عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الثانية ان تبتم توبة اخرى وانزجرتم عن المعاصي وان عدتم مرة ثالثة عدنا الى عقوبتكم وقد عادوا فاعاد الله عليهم النقمة بتسليط الاكاسرة وضرب الاتاوة عليهم وعن الحسن عادوا فبعث الله محمدا صلى الله عليه وآله وسلم فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وعن قتادة ثم كان آخر ذلك ان بعث الله عليهم هذا الحي من العرب فهم منهم في عذاب الى يوم القيامة وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا محبسا يقال للسجن محصر وحصير وعن الحسن بساطا كما يبسط الحصير المرمول ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم للحالة التي هي اقوم الحالات واسدها او للملة او للطريقة واينما قدرت لم تجد مع الاثبات ذوق البلاغة الذي تجده مع الحذف لما في ابهام الموصوف بحذفه من فخامة تفقد مع ايضاحه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما وقرئ ويبشر بالتخفيف فان قلت كيف ذكر المؤمنين الابرار والكفار ولم يذكر الفسقة قلت كان الناس حينئذ اما مؤمن تقي واما مشرك وانما حدث اصحاب المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك فان قلت علام عطف وان الذين لا يؤمنون قلت على ان لهم اجرا كبيرا على معنى انه بشر المؤمنين ببشارتين اثنتين بثوابهم وبعقاب اعدائهم ويجوز ان يراد ويخبر بان الذين لا يؤمنون معذبون ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير اي ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه واهله وماله كما يدعو لهم بالخير كقوله ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير وكان الانسان عجولا يتسرع الى طلب كل ما يقع في قلبه ويخطر بباله لا يتأنى فيه تأني المتبصر وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه دفع الى سودة بنت زمعة اسيرا فاقبل يئن بالليل فقالت له ما لك تئن فشكا ألم القد فأرخت له من كتافه فلما نامت اخرج يده وهرب فلما اصبح اتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فدعا به فاعلم شأنه فقال عليه السلام اللهم اقطع يديها فرفعت سودة يديها تتوقع الاجابة ان يقطع الله يديها فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اني سألت الله ان يجعل لعنتي ودعائي على من لا يستحق من اهلي رحمة لاني بشر اغضب كما يغضب البشر فلترد سودة يديها ويجوز ان يريد بالانسان الكافر وانه يدعو بالعذاب استهزاء ويستعجل به كما يدعو بالخير اذا مسته الشدة وكان الانسان عجولا يعني ان العذاب آتيه لا محالة فما هذا الاستعجال وعن ابن عباس هو النضر بن الحارث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية فاجيبت له فضربت عنقه صبرا وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة فيه وجهان احدهما ان يراد ان الليل والنهار آيتان في انفسهما فتكون الاضافة في آية الليل وآية النهار للتبيين كاضافة العدد الى المعدود اي فمحونا الآية التي هي الليل وجعلنا الآية التي هي النهار مبصرة والثاني ان يراد وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر فمحونا آية الليل اي جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسه مظلما لا يستبان فيه شيء كما لا يستبان ما في اللوح الممحو وجعلنا النهار مبصرا اي تبصر فيه الاشياء وتستبان او فمحونا آية الليل التي هي القمر حيث لم يخلق له شعاعا كشعاع الشمس فترى به الاشياء رؤية بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر في ضوئها كل شيء لتبتغوا فضلا من ربكم لتتوصلوا ببياض النهار الى استبانة اعمالكم والتصرف في معايشكم ولتعلموا باختلاف الجديدين عدد السنين والحساب وجنس الحساب وما تحتاجون اليه منه ولولا ذلك لما علم احد حساب الاوقات ولتعطلت الامور وكل شيء مما تفتقرون اليه في دينكم ودنياكم فصلناه

فصلناه بيناه بيانا غير ملتبس فأزحنا عللكم وما تركنا لكم حجة علينا وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا طائره عمله وقد حققنا القول فيه في سورة النمل وعن ابن عيينة هو من قولك طار له سهم اذا خرج يعني الزمناه ما طار من عمله والمعنى ان عمله لازم له لزوم القلادة او الغل لا يفك عنه ومنه مثل العرب تقلدها طوق الحمامة وقولهم الموت في الرقاب وهذا ربقة في رقبته وعن الحسن رحمه الله يا ابن آدم بسطت لك صحيفة اذا بعثت قلدتها في عنقك وقرئ في عنقه بسكون النون وقرئ ويخرج بالياء والضمير لله عز وجل ويخرج على البناء للمفعول ويخرج من خرج والضمير للطائر كتابا على الحال وقرئ يلقاه بالتشديد مبنيا للمفعول ومنشورا صفتان للكتاب او يلقاه صفة ومنشورا حال من يلقاه اقرأ كتابك على ارادة القول وعن قتادة يقرأ ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارئا كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبنفسك فاعل كفى وحسيبا تمييز وهو بمعنى حاسب كضريب القداح بمعنى ضاربها وصريم بمعنى صارم ذكرهما سيبويه وعلى متعلق به من قولك حسب عليه كذا ويجوز ان يكون بمعنى الكافي ووضع موضع الشهيد فعدي بعلى لان الشاهد يكفي المدعي ما اهمه فان قلت لم ذكر حسيبا قلت لانه بمنزلة الشهيد والقاضي والامير لان الغالب ان هذه الامور يتولاها الرجال فكأنه قيل كفى بنفسك رجلا حسيبا ويجوز ان يتأول النفس بالشخص كما يقال ثلاثة انفس وكان الحسن اذا قرأها قال يا ابن آدم انصفك والله من جعلك حسيب نفسك من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى اي كل نفس حاملة وزرا فانما تحمل وزرها لا وزر نفس اخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وما صح منا صحة تدعو اليها الحكمة ان نعذب قوما الا بعد ان نبعث اليهم رسولا فتلزمهم الحجة فان قلت الحجة لازمة لهم قبل بعثة الرسل لان معهم ادلة العقل التي بها يعرف الله وقد اغفلوا النظر وهم متمكنون منه واستيجابهم العذاب لاغفالهم النظر فيما معهم وكفرهم لذلك لا لاغفالهم الشرائع التي لا سبيل اليها الا بالتوقيف والعمل بها لا يصح الا بعد الايمان قلت بعثة الرسول من جملة التنبيه على النظر والايقاظ من رقدة الغفلة لئلا يقولوا كنا غافلين فلولا بعثت الينا رسولا ينبهنا على النظر في ادلة العقل واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا واذا دنا وقت اهلاك قوم ولم يبق من زمان امهالهم الا قليل امرناهم ففسقوا اي امرناهم بالفسق ففعلوا والامر مجاز لان حقيقة امرهم بالفسق ان يقول لهم افسقوا وهذا لا يكون فبقي ان يكون مجازا ووجه المجاز انه صب عليهم النعمة صبا فجعلوها ذريعة الى المعاصي واتباع الشهوات فكأنهم مأمورون بذلك لتسبب ايلاء النعمة فيه وانما خولهم اياها ليشكروا ويعملوا فيها الخير ويتمكنوا من الاحسان والبر كما خلقهم اصحاء اقوياء واقدرهم على الخير والشر وطلب منهم ايثار الطاعة على المعصية فآثروا الفسوق فلما فسقوا حق عليهم القول وهو كلمة العذاب فدمرهم فان قلت هلا زعمت ان معناه امرناهم بالطاعة ففسقوا قلت لان حذف ما لا دليل عليه غير جائز فكيف يحذف ما الدليل قائم على نقيضه وذلك ان المأمور به انما حذف لان فسقوا يدل عليه وهو كلام مستفيض يقال امرته فقام وامرته فقرأ لا يفهم منه الا ان المأمور به قيام او قراءة ولو ذهبت تقدر غيره فقد رمت من مخاطبك علم الغيب ولا يلزم هذا قولهم امرته فعصاني او فلم يمتثل امري لان ذلك مناف للامر مناقض له ولا يكون ما يناقض الامر مأمورا به فكان المأمور به في هذا الكلام غير مدلول عليه ولا منوي لان من يتكلم بهذا الكلام فانه لا ينوي لامره مأمورا به وكأنه يقول كان مني امر فلم تكن منه طاعة كما ان من يقول فلان يعطي ويمنع ويأمر وينهى غير قاصد الى مفعول فان قلت هلا كان ثبوت العلم بان الله لا يأمر بالفحشاء وانما يأمر بالقسط والخير دليلا على ان المراد امرناهم بالخير ففسقوا قلت لا يصح ذلك لان قوله ففسقوا يدافعه فكأنك اظهرت شيئا وانت تدعي اضمار خلافه فكان صرف الامر الى المجاز هو الوجه ونظير امر شاء في ان مفعوله استفاض فيه الحذف لدلالة ما بعده عليه تقول لو شاء لاحسن اليك ولو شاء لاساء اليك تريد لو شاء الاحسان ولو شاء الاساءة فلو ذهبت تضمر خلاف ما اظهرت وقلت قد دلت حال من اسندت اليه المشيئة انه من اهل الاحسان او من اهل الاساءة فاترك الظاهر المنطوق به واضمر ما دلت عليه حال صاحب المشيئة لم تكن على سداد وقد فسر بعضهم امرنا بكثرنا وجعل امرته فأمر من باب فعلته ففعل كثبرته فثبر وفي الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة اي كثيرة النتاج وروي ان رجلا من المشركين قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اني ارى امرك هذا حقيرا فقال عليه السلام انه سيأمر اي سيكثر وشيكا وقرئ أمرنا من أمر وآمرنا من أمر وأمرنا اومرنا من امارة وامر الله اي جعلناهم امراء وسلطناهم وكم اهلكنا من القرون من بعد نوح كم مفعول اهلكنا ومن القرون بيان لكم وتمييز له كما يميز العدد بالجنس يعني عادا وثمود وقرونا بين ذلك كثيرا ونبه بقوله وكفى بربك

بذنوب عباده خبيرا بصيرا على ان الذنوب هي اسباب الهلكة لا غير وانه عالم بها فيعاقب عليها من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد من كانت العاجلة همه ولم يرد غيرها كالكفرة واكثر الفسقة تفضلنا عليه من منافعها ما نشاء لمن نريد فقيد الامر بقيدين احدهما تقييد المعجل بمشيئته والثاني تقييد المعجل له بارادته وهكذا الحال ترى كثيرا من هؤلاء يتمنون ما يتمنون ولا يعطون الا بعضا منه وكثيرا منهم يتمنون ذلك البعض وقد حرموه فاجتمع عليهم فقر الدنيا وفقر الاخرة اما المؤمن التقي فقد اختار مراده وهو غنى الاخرة فما يبالي اوتي حظا من الدنيا ام لم يؤت فان اوتي فبها والا فربما كان الفقر خيرا له واعون على مراده وقوله لمن نريد بدل من له وهو بدل البعض من الكل لان الضمير يرجع الى من وهو في معنى الكثرة وقرئ يشاء وقيل الضمير لله عز وجل ولا فرق اذن بين القراءتين في المعنى ويجوز ان يكون للعبد على ان للعبد ما يشاء من الدنيا وان ذلك لواحد من الدهماء يريد به الله ذلك وقيل هو من يريد الدنيا بعمل الاخرة كالمنافق والمرائي والمهاجر للدنيا والمجاهد للغنيمة والذكر كما قال عليه الصلوة والسلام فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها او امراة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا سعيها حقها من السعي وكفاها من الاعمال الصالحة اشترط ثلاث شرائط في كون السعي مشكورا ارادة الاخرة بان يعقد بها همه ويتجافى عن دار الغرور والسعي فيما كلف من الفعل والترك والايمان الصحيح الثابت وعن بعض المتقدمين من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا هذه الاية وشكر الله على الطاعة كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك كل واحد من الفريقين والتنوين عوض عن المضاف اليه نمدهم نزيدهم من عطائنا ونجعل الآنف منه مددا للسالف لا نقطعه نرزق المطيع والعاصي جميعا على وجه التفضل وما كان عطاء ربك وفضله محظورا اي ممنوعا يمنعه من عاص لعصيانه انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا انظر بعين الاعتبار كيف جعلناهم متفاوتين في التفضيل وفي الاخرة التفاوت اكبر لانها ثواب واعواض وتفضل وكلها متفاوتة وروي ان قوما من الاشراف فمن دونهم اجتمعوا بباب عمر رضي الله عنه فخرج الاذن لبلال وصهيب فشق على ابي سفيان فقال سهيل بن عمرو انما اتينا من قبلنا انهم دعوا ودعينا يعني الى الاسلام فاسرعوا وابطانا وهذا باب عمر فكيف التفاوت في الاخرة ولئن حسدتموهم على باب عمر لما اعد الله لهم في الجنة اكثر وقرئ اكثر تفضيلا وعن بعضهم ايها المباهي بالرفع منك في مجالس الدنيا اما ترغب في المباهاة بالرفع في مجالس الاخرة وهي اكبر وافضل لا تجعل مع الله الها اخر فتقعد مذموما مخذولا فتقعد من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كانها حربة بمعنى صارت يعني فتصير جامعا على نفسك الذم وما يتبعه من الهلاك والخذلان والعجز عن النصرة ممن جعلته شريكا له وقضى ربك وامر امرا مقطوعا به الا تعبدوا الا اياه ان مفسرة ولا تعبدوا نهي او بان لا تعبدوا وبالوالدين احسانا واحسنوا بالوالدين احسانا او بان تحسنوا بالوالدين احسانا وقرئ واوصى وعن ابن عباس ووصى وعن بعض ولد معاذ بن جبل وقضاء ربك ولا يجوز ان يتعلق الباء في بالوالدين بالاحسان لان المصدر لا يتقدم عليه صلته اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما اما هي ان الشرطية زيدت عليها ما تاكيدا لها ولذلك دخلت النون المؤكدة في الفعل ولو افردت ان لم يصح دخولها لا تقول ان تكرمن زيدا يكرمك ولكن اما تكرمنه واحدهما فاعل يبلغن وهو فيمن قرا يبلغان بدل من الف الضمير الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما فاعلا او بدلا فان قلت لو قيل يبلغان كلاهما كان كلاهما توكيدا لا بدلا فما لك زعمت انه بدل قلت لانه معطوف على ما لا يصح ان يكون توكيدا للاثنين فانتظم في حكمه فوجب ان يكون مثله فان قلت ما ضرك لو جعلته توكيدا مع كون المعطوف عليه بدلا وعطفت التوكيد على البدل قلت لو اريد توكيد التثنية لقيل كلاهما فحسب فلما قيل احدهما او كلاهما علم ان التوكيد غير مراد فكان بدلا مثل الاول فلا تقل لهما اف اف صوت يدل على تضجر وقرئ اف بالحركات الثلاث منونا وغير منون الكسر على اصل البناء والفتح تخفيف للضمة والتشديد كثم والضم اتباع كمنذ فان قلت ما معنى عندك قلت هو ان يكبرا ويعجزا وكانا كلا على ولدهما لا كافل لهما غيره فهما عنده في بيته وكنفه وذلك اشق عليه واشد احتمالا وصبرا وربما تولى منهما ما كانا يتوليان منه في حال الطفولة فهو مامور بان يستعمل معهما وطاءة الخلق ولين الجانب والاحتمال حتى لا يقول لهما اذا اضجره ما يستقذر منهما او يستثقل من مؤنهما اف فضلا عما يزيد عليه ولقد بالغ سبحانه في التوصية بهما حيث افتتحها بان شفع الاحسان اليهما بتوحيده ونظمهما في سلك القضاء بهما معا ثم ضيق الامر في مراعاتهما حتى لم يرخص في ادنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات الضجر ومقتضياته ومع احوال لا يكاد يدخل صبر الانسان معها في الاستطاعة ولا تنهرهما ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك والنهي والنهر والنهم اخوات وقل لهما بدل التافيف والنهر قولا كريما جميلا كما يقتضيه

حسن الادب والنزول على المروءة وقيل هو ان يقول لهما يا ابتاه يا اماه كما قال ابراهيم عليه السلام لابيه يا ابت مع كفره ولا يدعوهما باسمائهما فانه من الجفاء وسوء الادب وعادة الدعار ولا بأس به في غير وجهه كما قالت عائشة رضي الله عنها نحلني ابو بكر كذا واخفض لهما جناح الذل وقرئ جناح الذل والذل بالكسر والضم فان قلت ما معنى قوله جناح الذل قلت فيه وجهان احدهما ان يكون المعنى واخفض لهما جناحك كما قال واخفض جناحك للمؤمنين فاضافه الى الذل او الذل كما اضيف حاتم الى الجود على معنى فاخفض لهما جناحك الذليل او الذلول والثاني ان تجعل لذله او لذله لهما جناحا خفيضا كما جعل لبيد للشمال يدا وللقرة زماما مبالغة في التذلل والتواضع لهما من الرحمة من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم الى من كان افقر خلق الله اليهما بالامس وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ولا تكتف برحمتك عليهما التي لا بقاء لها وادع الله بان يرحمهما رحمته الباقية واجعل ذلك جزاء لرحمتهما عليك في صغرك وتربيتهما لك فان قلت الاسترحام لهما انما يصح اذا كانا مسلمين قلت واذا كانا كافرين فله ان يسترحم لهما بشرط الايمان وان يدعو الله تعالى لهما بالهداية والارشاد ومن الناس من قال كان الدعاء للكفار جائزا ثم نسخ وسئل ابن عيينة عن الصدقة عن الميت فقال كل ذلك واصل اليه ولا شيء انفع له من الاستغفار ولو كان شيء افضل منه لامركم به في الابوين ولقد كرر الله سبحانه في كتابه الوصية بالوالدين وعن النبي صلى الله عليه وسلم رضى الله في رضى الوالدين وسخطه في سخطهما وروي يفعل البار ما شاء ان يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق ما شاء ان يفعل فلن يدخل الجنة وروى سعيد بن المسيب ان البار لا يموت ميتة سوء وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوي بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما وشكى رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اباه وانه ياخذ ماله فدعا به فاذا هو شيخ يتوكأ على عصا فسأله فقال انه كان ضعيفا وانا قوي وفقيرا وانا غني فكنت لا امنعه شيئا من مالي واليوم انا ضعيف وهو قوي وانا فقير وهو غني ويبخل علي بماله فبكى عليه السلام وقال ما من حجر ولا مدر يسمع هذا الا بكى ثم قال للولد انت ومالك لابيك انت ومالك لابيك وشكا اليه آخر سوء خلق امه فقال لم تكن سيئة الخلق حين حملتك تسعة اشهر قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين ارضعتك حولين قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين اسهرت لك ليلها واظمأت نهارها قال لقد جازيتها قال ما فعلت قال حججت بها على عاتقي قال ما جزيتها ولو طلقة وعن عمر انه رأى رجلا في الطواف يحمل امه ويقول

إني لها مطية لا تذعر ... إذا الركاب نفرت لا تنفر
ما حملت وأرضعتني أكثر ... الله ربي ذو الجلال الأكبر
تظنني جزيتها يا ابن عمر

قال لا ولو زفرة واحدة وعنه عليه الصلاة والسلام اياكم وعقوق الوالدين فان الجنة يوجد ريحها من مسيرة الف عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء ان الكبرياء لله رب العالمين وقال الفقهاء لا يذهب بابيه الى البيعة واذا بعث اليه منها ليحمله فعل ولا يناوله الخمر ويأخذ الاناء منه اذا شربها وعن ابي يوسف اذا امره ان يوقد تحت قدره وفيها لحم الخنزير اوقد وعن حذيفة انه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل ابيه وهو في صف المشركين فقال دعه يليه غيرك وسئل الفضيل عن بر الوالدين فقال ان لا تقوم الى خدمتهما عن كسل وسئل بعضهم فقال ان لا ترفع صوتك عليهما ولا تنظر شزرا اليهما ولا يريا منك مخالفة في ظاهر ولا باطن وان تترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما اذا ماتا وتقوم بخدمة اودائهما من بعدهما فعن النبي صلى الله عليه وسلم ان من ابر البر ان يصل الرجل اهل ود ابيه ربكم اعلم بما في نفوسكم بما في ضمائركم من قصد البر الى الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من التوقير ان تكونوا صالحين قاصدين الصلاح والبر ثم فرطت منكم في حال الغضب وعند حرج الصدر وما لا يخلو منه البشر او لحمية الاسلام هنة تؤدي الى اذاهما ثم انبتم الى الله واستغفرتم منها فانه كان للاوابين غفورا فان الله غفور للاوابين التوابين وعن سعيد بن جبير هي في البادرة تكون من الرجل الى ابيه لا يريد بذلك الا الخير وعن سعيد بن المسيب الاواب الرجل كلما اذنب بادر بالتوبة ويجوز ان يكون هذا عاما لكل من فرطت منه جناية ثم تاب منها ويندرج تحته الجاني على ابويه التائب من جنايته لوروده على اثره وآت ذا القربى حقه وصى بغير الوالدين من الاقارب بعد التوصية بهما بان يؤتوا حقهم وحقهم اذا كانوا محارم كالابوين والولد وفقراء عاجزين عن الكسب وكان الرجل موسرا ان ينفق عليهم عند ابي حنيفة والشافعي لا يرى النفقة الا على الولد والوالدين فحسب فان كانوا مياسير او لم يكونوا محارم كابناء العم فحقهم صلتهم بالمودة والزيارة وحسن المعاشرة والمؤالفة على السراء والضراء والمعاضدة ونحو ذلك والمسكين وابن السبيل يعني وآت هؤلاء حقهم من الزكاة وهذا دليل على ان المراد بما يؤتى ذوي القربى من الحق هو تعهدهم بالمال وقيل اراد بذي القربى اقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تبذر تبذيرا التبذير تفريق المال فيما لا ينبغي وانفاقه

على وجه الاسراف وكانت الجاهلية تنحر ابلها وتتياسر عليها وتبذر اموالها في الفخر والسمعة وتذكر ذلك في اشعارها
فامر الله بالنفقة في وجوهها مما يقرب منه ويزلف وعن عبد الله هو انفاق المال في غير حقه وعن مجاهد لو انفق مدا
في باطل كان تبذيرا ولقد انفق بعضهم نفقة في خير فاكثر فقال له صاحبه لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير وعن
عبد الله بن عمر مر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسعد وهو يتوضا فقال ما هذا السرف يا سعد قال او في الوضوء
سرف قال نعم وان كنت على نهر جار **إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين** امثالهم في الشرارة وهي غاية المذمة
لانه لا شر من الشيطان او هم اخوانهم واصدقاؤهم لانهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الاسراف او هم قرناؤهم في النار
على سبيل الوعيد **وكان الشيطان لربه كفورا** فما ينبغي ان يطاع لانه لا يدعو الا الى مثل فعله وقرا الحسن
اخوان الشيطان **وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا** وان اعرضت
عن ذي القربى والمسكين حياء من الرد وقل لهم قولا ميسورا ولا تتركهم غير مجابين اذا سألوك وكان النبي
صلى الله عليه وآله وسلم اذا سئل شيئا وليس عنده اعرض عن السائل وسكت حياء ويجوز ان يتعلق ابتغاء رحمة من ربك اما ان
يتعلق بجواب الشرط مقدما عليه اي فقل لهم قولا سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا رحمة لهم وتطييبا لقلوبهم ابتغاء
رحمة من ربك اي ابتغ رحمة الله التي ترجوها برحمتك عليهم واما ان يتعلق بالشرط اي وان اعرضت عنهم لفقد رزق
من ربك ترجو ان يفتح لك فسمى الرزق رحمة مبتغى له وكان الفقد سبب الابتغاء والابتغاء مسببا عنه فوضع
المسبب موضع السبب ويجوز ان يكون معنى واما تعرضن عنهم وان لم تنفعهم ولم ترفع خصاصتهم لعدم الا
ستطاعة ولا تريد الاعراض بالوجه كناية بالاعراض عن ذلك لان من ابى ان يعطي اعرض بوجهه يقال يسر الامر
وعسر مثل سعد الزجر ونحس فهو مفعول وقيل معناه فقل لهم رزقنا الله واياكم من فضله على انه دعاء لهم
ييسر عليهم فقرهم كان معناه قولا ذا ميسور وهو اليسر اي دعاء فيه يسر **ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك
ولا تبسطها كل البسط** هذا تمثيل لمنع الشحيح واعطاء المسرف وامر بالاقتصاد الذي هو بين الاسراف والتقتير
فتقعد ملوما فتصير ملوما عند الله لان المسرف غير مرضي عنده وعند الناس يقول المحتاج اعطى فلانا وحرمني ويقول
المستغني ما يحسن تدبير امر المعيشة وعند نفسك اذا احتجت فندمت على ما فعلت **محسورا** منقطعا بك
لا شيء عندك من حسره السفر اذا بلغ منه وحسره بالمسألة وعن جابر بينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اتاه صبي
فقال ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل داره ونزع قميصه فاعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظروا فلم
يخرج للصلوة وقيل اعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل وعيينة بن حصن فجاء عباس بن مرداس وانشا يقول

أتجعل نهبي ونهب العبيد ۝ بين عيينة والاقرع ۝
فما كان حصن ولا حابس ۝ يفوقان مرداس في مجمع ۝
وما كنت دون امرئ منهما ۝ ومن تضع اليوم لا يرفع ۝

فقال يا ابا بكر اقطع لسانه عني اعطه مائة من الابل فنزلت **إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان
بعباده خبيرا بصيرا** ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عما كان يرهقه من الاضاقة بان ذلك ليس لهوان منك عليه
ولا لبخل به عليك ولكن لان مشيته في بسط الارزاق وقدرها تابعة للحكمة والمصلحة ويجوز ان يريد ان البسط
والقبض انما هما من امر الله الذي الخزائن في يده فاما العبيد فعليهم ان يقتصدوا ويحتمل انه عز وعلا يبسط لعباده اوقص
وانه يراعي اوسط الحالين لا يبلغ بالمبسوط له غاية مراده ولا بالمقبوض عليه اقصى مكروهه فاستنوا بسنته **ولا تقتلوا
أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطأ كبيرا** قتلهم اولادهم هو وادهم بناتهم كانوا يئدون بناتهم
خشية الفاقة وهي الاملاق فنهاهم الله وضمن لهم ارزاقهم وقرئ خشية بكسر الخاء وقرئ خطئا وهو الاثم يقال
خطئ خطأ كاثم اثما وخطاء وهو ضد الصواب اسم من اخطأ وقيل هو والخطأ كالحذر والحذر وخطاء بالكسر
والمد وخطاء بالفتح والسكون وعن الحسن خطاء بالفتح وحذف الهمزة كالخطء وعن ابي رجاء بكسر الخاء غير مهموز
ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة قبيحة زائدة على حد القبح **وساء سبيلا** وبئس طريقا طريقه وهو ان يغصب على غيرك
امراته او اخته او ابنته من غير سبب والسبب ممكن وهو الصهر الذي شرعه الله تعالى **ولا تقتلوا النفس التي حرم
الله إلا بالحق** الا باحدى ثلاث الا ان يكفر او يقتل مؤمنا عمدا او يزني بعد احصان **ومن قتل مظلوما
فقد جعلنا لوليه** الذي بينه وبينه قرابة توجب المطالبة بدمه فان لم يكن له ولي فالسلطان وليه **سلطانا** تسلطا
على القاتل في الاقتصاص منه او حجة يثبت بها عليه **فلا يسرف في القتل** الضمير للولي اي فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل
واحد كعادة الجاهلية كان اذا قتل منهم واحد قتلوا به جماعة حتى قال مهلهل حين قتل بجير بن الحارث بن عباد بؤ بشسع
نعل كليب وقال

كل قتيل في كليب غرة ۝ حتى ينال القتل آل مرة ۝

وكانوا يقتلون

وكانوا يقتلون غير القاتل اذا لم يكن بواء وقيل الاسراف المثلة وقرأ ابو مسلم صاحب الدولة فلا يسرف في القتل بالرفع على
انه خبر في معنى الامر وفيه مبالغة ليست في الامر وعن مجاهد ان الضمير للقاتل الاول وقرئ ولا تسرف على خطاب
الولي او قاتل المظلوم وفي قراءة ابي فلا تسرفوا رده على ولا تقتلوا **إنه كان منصورا** الضمير اما للولي يعني حسبه ان الله قد
نصره بان اوجب له القصاص فلا يستزد على ذلك وبان الله نصره بمعونة السلطان وباظهار المؤمنين على استيفاء الحق
فلا يبغ ما وراء حقه واما للمظلوم لان الله ناصره حيث اوجب القصاص بقتله وينصره في الآخرة بالثواب واما للذي يقتله
الولي بغير حق ويسرف في قتله فانه منصور بايجاب القصاص على المسرف **ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن**
بالخصلة او الطريقة التي هي احسن وهي حفظه عليه وتثميره **حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا**
اي مطلوبا يطلب من العاهد ان لا يضيعه ويفي به ويجوز ان يكون تخييلا كانه يقال للعهد لم نكثت وهلا وفي بك تبكيتا
للناكث كما يقال للموؤدة باي ذنب قتلت ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان مسؤولا **وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا
بالقسطاس المستقيم** وقرئ بالقسطاس بالضم والكسر وهو القرسطون وقيل كل ميزان صغيرا او كبيرا من موازين
الدراهم وغيرها **ذلك خير وأحسن تأويلا** واحسن عاقبة وهو تفعيل من آل اذا رجع وهو ما يؤول اليه **ولا
تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا** ولا تقف ولا تتبع وقد يقف يقال
قفا اثره وقافه ومنه القافة يعني ولا تكن في اتباعك ما لا علم لك به من قول او فعل كمن يتبع مسلكا لا يدري انه يوصله
الى مقصده فهو ضال والمراد النهي عن ان يقول الرجل ما لا يعلم وان يعمل بما لا يعلم ويدخل فيه النهي عن التقليد دخولا ظاهرا لانه اتباع لما لا
يعلم صحته من فساده وعن ابن الحنفية شهادة الزور وعن الحسن لا تقف اخاك المسلم اذا مر بك فتقول هذا
يفعل كذا ورايته يفعل وسمعته ولم تره ولم تسمع وقيل القفو شبيه بالعضيهة ومنه الحديث من قفا مؤمنا بما ليس
فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى ياتي بالمخرج وانشد

ومثل الدمى شم العرانين ساكن ۝ بهن الحياء لا يشعن التقافيا ۝

اي التقاذف وقال الكميت

ولا ارمي البريء بغير ذنب ۝ ولا اقفو الحواصن ان قفينا ۝

وقد استدل به مبطل الاجتهاد ولم يصح لان ذلك نوع من العلم فقد اقام الشرع غالب الظن مقام العلم وامر بالعمل
به اولئك اشارة الى السمع والبصر والفؤاد كقوله والعيش بعد اولئك الايام ۝ وعنه في موضع الرفع بالفاعلية
اي كل واحد منها كان مسؤولا عنه فمسؤول مسند الى الجار والمجرور كالمغضوب في قوله غير المغضوب عليهم يقال
للانسان لم سمعت ما لا يحل لك سماعه ولم نظرت الى ما لم يحل لك النظر اليه ولم عزمت على ما لم يحل لك العزم عليه وقرئ
والفواد بفتح الفاء والواو قلبت الهمزة واوا بعد الضمة في الفؤاد ثم استصحب القلب مع الفتح **ولا تمش في الأرض مرحا**
حال اي ذا مرح وقرئ مرحا وفضل الاخفش المصدر على اسم الفاعل لما فيه من التاكيد **إنك لن تخرق الأرض** لن تجعل
فيها خرقا بدوسك لها وشدة وطاتك وقرئ لن تخرق بضم الراء **ولن تبلغ الجبال طولا** بتطاولك وهو تهكم بالمختال **كل
ذلك كان سيئه عند ربك مكروها** وقرئ سيئة وسيئا على اضافة سيء الى ضمير كل وسيئا في بعض المصاحف وسيئات
وفي قراءة ابي بكر الصديق رضي الله عنه كان شانه فان قلت كيف قيل سيئة مع قوله مكروها قلت السيئة في حكم الاسماء
بمنزلة الذنب والاثم زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتانيثه ولا فرق بين من قرا سيئة ومن قرا سيئا الا ترى انك تقول
الزنا سيئة كما تقول السرقة سيئة فلا تفرق بين اسنادها الى مذكر ومؤنث فان قلت فما ذكر من الخصال بعضها
سيء وبعضها حسن ولذلك قرا من قرا سيئة بالاضافة فما وجه من قرا سيئة قلت كل ذلك احاطة بما نهي عنه خاصة
لا لجميع الخصال المعدودة **ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم
ملوما مدحورا** ذلك اشارة الى ما تقدم من قوله لا تجعل مع الله الها آخر الى هذه الغاية وسماه حكمة لانه كلام محكم
لا مدخل فيه للفساد بوجه وعن ابن عباس رضي الله عنه هذه الثماني عشرة اية كانت في الواح موسى عليه السلام اولها لا
تجعل مع الله الها آخر قال الله تعالى وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وهي عشر آيات في التوراة ولقد جعل الله عز
وعلا فاتحتها وخاتمتها النهي عن الشرك لان التوحيد هو راس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم ينفعه حكمه وعلومه
وان بذ فيها الحكماء وحك بيافوخه السماء وما اغنت عن الفلاسفة اسفار الحكم وهم عن دين الله اضل من النعم **أفأصفاكم
ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا** خطاب للذين قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للانكار يعني افخصكم ربكم
على وجه الخلوص والصفاء بافضل الاولاد وهم البنون ولم يجعل فيهم نصيبا لنفسه واتخذ ادونهم وهي البنات وهذا خلاف
الحكمة وما عليه معقولكم وعادتكم فان العبيد لا يؤثرون باجود الاشياء واصفاها من الشوب ويكون ارداها
وادونها للسادات **إنكم لتقولون قولا عظيما** باضافة الاولاد اليه وهي خاصة بالاجسام ثم انكم تفضلون عليه

انفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون ثم انكم تجعلوا الملائكة وهم اعلى خلق الله واشرفهم ادون خلق الله وهم الاناث
ولقد صرفنا في هذا القرآن يجوز ان يريد بهذا القرآن ابطال اضافتهم الى الله البنات لانه مما صرف فيه وكرر ذكره
والمعنى ولقد صرفنا القول في هذا المعنى واوقعنا التصريف فيه وجعلناه مكانا للتكرير ويجوز ان يشير بهذا القرآن
الى التنزيل ويريد ولقد صرفناه يعني هذا المعنى في مواضع من التنزيل فترك الضمير لانه معلوم وقرئ صرفنا بالتخفيف
وكذلك ليذكروا وقرئ مشددا ومخففا اي ذكرنا ليتعظوا ويعتبروا ويطمئنوا الى ما يحتج به عليهم وما يزيدهم
الا نفورا عن الحق وقلة طمانينة اليه وعن سفيان كان اذا قرأها قال زادني لك خضوعا ما زاد اعداءك نفورا
قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا وقرئ كما يقولون بالتاء والياء واذا دالة على
ان ما بعدها وهو لابتغوا جواب عن مقالة المشركين وجزاء للو ومعنى لابتغوا الى ذي العرش سبيلا لطلبوا
الى من له الملك والربوبية سبيلا بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض كقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا
وقيل لتقربوا اليه كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا
علوا في معنى تعاليا والمراد البراءة من ذلك والنزاهة ومعنى وصف العلو بالكبر المبالغة في معنى البراءة والبعد
مما وصفوه به تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده المراد انها تسبح له بلسان
الحال حيث تدل على الصانع وعلى قدرته وحكمته فكانها تنطق بذلك وكانها تنزه الله مما لا يجوز عليه من الشركاء وغيرها
فان قلت فما تصنع بقوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم وهذا التسبيح مفهوم معلوم قلت الخطاب للمشركين
وهم وان كانوا اذا سئلوا عن خالق السموات والارض قالوا الله الا انهم جعلوا معه آلهة مع اقرارهم فكانهم لم ينظروا
ولم يقروا لان نتيجة النظر الصحيح والاقرار الثابت خلاف ما كانوا عليه فاذا لم يفقهوا التسبيح ولم يستوضحوا
الدلالة على الخالق فان قلت من فيهن يسبحون على الحقيقة وهم الملائكة والثقلان وقد عطفوا على السموات والارض
فما وجهه قلت التسبيح المجازي حاصل في الجميع فوجب الحمل عليه والا كانت الكلمة الواحدة في حالة واحدة محمولة على الحقيقة والمجاز
انه كان حليما غفورا حين لا يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وسوء نظركم وجهلكم بالتسبيح وشرككم واذا قرأت
القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا ذا ستر كقولهم سيل مفعم ذو افعام وقيل
هو حجاب لا يرى فهو مستور ويجوز انه يريد انه حجاب من دونه حجاب او حجب فهو مستور بغيره او حجاب يستر ان يبصر فكيف
بصر المحتجب به وهذه حكاية لما كانوا يقولونه وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب
كأنه قال وانا قرأت القرآن جعلنا على زعمهم وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا
اكنة فيه معنى المنع من الفقه فكانه قيل ومنعناهم ان يفقهوه او لان فقوله وجعلنا على قلوبهم
وقرا ثقلا يمنعهم من استماعه وفي آذانهم وقرا واذا ذكرت ربك في القرآن
وحده واحدا وحده مصدر نحو وعد يعد وعدا وعدة من باب رجع الضمير عوده على ربه وافعله
والنفور مصدر بمعنى التولية او جمع نافر كقاعد وقعود اي يحبون ان تذكر معه آلهتهم ولوا على ادبارهم نفورا
بالتوحيد نفروا نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك بما يستمعون به من الهزء بك وبالقرآن ومن اللغو كانوا يستمعون
حين يستمعون اذا قرأت لانهم مشركون فاذا سمعوا
في موضع كما تقول يستمعون بالهزء اي هازئين واذ يستمعون نصب باعلم اي اعلم وقت استماعهم بما به يستمعون
وبما يتناجون به اذ هم ذوو نجوى اذ يقول الظالمون بدل من واذ هم ان تتبعون الا رجلا مسحورا سحر فجن وقيل هو من السحر
وهو الرئة اي هو بشر مثلكم انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا مثلوك بالشاعر والساحر
والمجنون فضلوا في جميع ذلك ضلال من يطلب في التيه طريقا يسلكه فلا يقدر عليه فهو متحير في امره لا يدري ما يصنع
وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقا جديدا قل كونوا حجارة او حديدا لما قالوا أإذا كنا عظاما
قيل لهم كونوا حجارة او حديدا فرد قوله كونوا على قولهم كنا كانه قيل كونوا حجارة او حديدا ولا تكونوا عظاما فانه يقدر على
احيائكم والمعنى انكم تستبعدون ان يجدد الله خلقكم ويرده الى حال الحيوة والى رطوبة الحي وغضاضته بعد ما كنتم
عظاما يابسة مع ان العظام بعض اجزاء الحي بل هي عمود خلقه الذي يبنى عليه سائره فليس ببدع ان يردها الله
بقدرته الى الحالة الاولى ولكن لو كنتم ابعد شيء من الحيوة ورطوبة الحي من حيث هي كالحجارة او حديدا مع ان طباعهما الجساوة والصلابة لكان قادرا على ان يردكم الى حال الحيوة او خلقا مما يكبر
في صدوركم يعني او خلقا مما يكبر عندكم عن قبول الحيوة ويعظم في زعمكم على الخالق واحيائه فانه يحييه وقيل ما
يكبر في صدورهم الموت وقيل السموات والارض فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة فسينغضون
اليك رؤسهم فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا يوم يدعوكم فتستجيبون

والدعا والاستجابة

وهذه الدعا والاستجابة كلاهما مجاز والمعنى يوم يبعثكم فتنبعثون مطاوعين منقادين لا تمتنعون
وقوله بحمده حال منهم اي حامدين وهي مبالغة في انقيادهم للبعث كقولك لمن تأمره بركوب ما يشق عليه فيتأبى
ويمتنع ستركبه وانت حامد شاكر يعني انك تحمل عليه وتقسر قسرا حتى انك تلين لين المسمح الراغب فيه
الحامد عليه وعن سعيد بن جبير ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك وتظنون
ان لبثتم الا قليلا وترون الهول فعنده تستقصرون مدة لبثكم في الدنيا وتحسبونها يوما او بعض يوم
وعن قتادة تحاقرت الدنيا في انفسهم حين عاينوا الآخرة وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن ان الشيطان
ينزغ بينهم ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا وقل للمؤمنين يقولوا للمشركين الكلمة التي هي احسن
والين ولا يخاشنوهم كقوله ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن وفسر التي هي احسن بقوله ربكم اعلم بكم ان يشأ
يرحمكم او ان يشأ يعذبكم يعني يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم انكم من اهل النار وانكم معذبون
وما اشبه ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشر وقوله ان الشيطان ينزغ بينهم اعتراض يعني يلقي بينهم الفساد
ويغري بعضهم على بعض ليقع بينهم المشارة والمشاقة وما ارسلناك عليهم وكيلا اي ربا موكولا اليك
امرهم تقسرهم على الاسلام وتجبرهم عليه وانما ارسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالمداراة والاحتمال
وترك المخافة والمشاقة وذلك قبل نزول آية السيف وقيل نزلت في عمر رضي الله عنه حين شتمه رجل فامره الله
بالعفو وقيل افرط ايذاء المشركين للمسلمين فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت وقيل هي احسن ان
يقولوا يهديكم الله يرحمكم الله وقرا طلحة ينزغ بالكسر وهما لغتان كيعرشون ويعرشون وربك اعلم بمن
في السموات والارض هو رد على اهل مكة وانكارهم واستبعادهم ان يكون يتيم ابي طالب نبيا وان يكون
العراة الجوع اصحابه كصهيب وبلال وخباب دون ان يكون في بعض اكابرهم وصناديدهم يعني وربك
اعلم بمن في السموات والارض وباحوالهم ومقاديرهم وبما يستاهل كل واحد منهم وقوله ولقد فضلنا بعض
النبيين على بعض اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وآتينا داود زبورا دلالة على وجه تفضيله
وانه خاتم الانبياء وان امته خير الامم لان ذلك مكتوب في زبور داود قال الله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد
الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون وهم محمد وامته فان قلت هلا عرف في الزبور كما عرف في قوله ولقد كتبنا
في الزبور قلت يجوز ان يكون الزبور وزبور كالعباس وعباس والفضل وفضل وان يريد وآتينا داود بعض
الزبر وهي الكتب وان يريد ما ذكر فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الزبور فسمى ذلك زبورا لانه بعض الزبور
كما سمى بعض القرآن قرآنا قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا هم الملائكة
وقيل عيسى ومريم وعزير وقيل نفر من الجن عبدهم ناس من العرب ثم اسلم الجن ولم يشعروا اي ادعوهم فهم لا يستطيعون
ان يكشفوا عنكم الضر من مرض او فقر او عذاب ولا ان يحولوه من واحد الى آخر او يبدلوه اولئك الذين يدعون
يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا واولئك
مبتدأ والذين يدعون صفته ويبتغون خبره يعني ان آلهتهم اولئك يبتغون الوسيلة وهي القربة الى الله عز وجل
وايهم بدل من واو يبتغون واي موصولة اي يبتغي من هو اقرب منهم وازلف الوسيلة الى الله فكيف بغير الاقرب
او ضمن يبتغون الوسيلة معنى يحرصون فكانه قيل يحرصون ايهم اقرب الى الله وذلك بالطاعة وازدياد الخير
والصلاح ويرجون ويخافون كما غيرهم من عباد الله فكيف يزعمون انهم آلهة ان عذاب ربك كان حقيقا
بان يحذره كل احد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلا عن غيرهم وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة بالموت
والاستيصال او معذبوها عذابا شديدا بالقتل وانواع العذاب وقيل الهلاك للصالحة والعذاب للطالحة
وعن مقاتل وجدت في كتب الضحاك بن مزاحم في تفسيرها اما مكة فتخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة
بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف واما خراسان فعذابها ضروب ثم ذكرها بلدا بلدا كان
ذلك في الكتاب في اللوح المحفوظ مسطورا وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون
استعير المنع لترك ارسال الآيات الا ان كذب الاولون والمراد الآيات التي اقترحتها قريش من قلب الصفا ذهبا ومن احياء
الموتى وغير ذلك وعادة الله في الامم ان من اقترح منهم آية فاجيب اليها ثم لم يؤمن بها ان يعاجل بعذاب الاستيصال
فالمعنى وما صرفنا عن ارسال ما يقترحونه من الآيات الا ان كذب بها الذين هم امثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد
وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك وقالوا هذا سحر مبين كما يقولون في غيرها واستوجبوا العذاب
المستأصل وقد عزمنا ان نؤخر امر من بعثت اليهم الى يوم القيمة ثم ذكر من تلك الآيات التي
اقترحها الاولون ثم كذبوا بها لما ارسلت فاهلكوا واحدة وهي ناقة صالح لان آثار اهلاكهم في بلاد العرب قريبة

من حده وده بصرها صادرهم وواردهم مبصرة مبينة وقرئ مبصرة بفتح الميم فظلموا بها وكفروا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا ● ان اراد بها الآيات المقترحة فالمعنى لا نرسلها الا تخويفا من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة له فان لم يخافوا وقع عليهم وان اراد غيرها فالمعنى وما نرسل ما نرسل من الآيات الا كآيات القرآن وغيرها الا تخويفا وانذارا بعذاب الآخرة وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة والشجرة الملعونة في القرآن واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بقريش يعني بشرناك بوقعة بدر وبالنصرة عليهم وذلك قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون وغير ذلك فجعله كان قد كان ووجد فقال احاط بالناس على عادته في اخباره وحين تزاحف الفريقان يوم بدر ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش مع ابي بكر رضي الله عنه كان يدعو ويقول اللهم اني اسألك عهدك ووعدك ثم خرج وعليه الدرع يحرض الناس ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر ولعل الله تعالى اراه مصارعهم في منامه فقد كان يقول حين ورد ماء بدر والله لكأني انظر الى مصارع القوم وهو يومي الى الارض ويقول هذا مصرع فلان فتسامعت قريش بما اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مصارعهم فكانوا يضحكون ويسخرون ويستعجلون به استهزاء وحين سمعوا بقوله ان شجرة الزقوم طعام الاثيم جعلوها سخرية وقالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول تنبت فيها الشجرة وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ذلك وما انكروا ان يجعل الله الشجرة من جنس لا تأكله النار فهذا وبر السمندل وهو دويبة ببلاد الترك تتخذ منها مناديل اذا اتسخت طرحت في النار فذهب الوسخ وبقي المنديل لم تعمل فيه النار وترى النعامة تبتلع الجمر وقطع الحديد المحمرة كالجمر باحماء النار فلا تضرها ثم اقرب من ذلك انه خلق في كل شجرة نارا فلا تحرقها فما انكروا ان يخلق في النار شجرة لا تحرقها والمعنى ان الآيات انما نرسل بها تخويفا للعباد وهؤلاء قد خوفوا بعذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر فما كان ما اريناك منه في منامك بعد الوحي اليك الا فتنة لهم حيث اتخذوه سخريا وخوفوا بعذاب الآخرة وبشجرة الزقوم فما اثر فيهم ثم قال ونخوفهم اي نخوفهم بمخاوف الدنيا والآخرة فما يزيدهم التخويف إلا طغيانا كبيرا ● وكيف يخاف قوم هذه حالهم بارسال ما يقترحون من الآيات وقيل الرؤيا هي الاسراء وبه تعلق من يقول كان الاسراء في المنام ومن قال في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية وقيل انما سماها رؤيا على قول المكذبين حيث قالوا له لعلها رؤيا رأيتها وخيال خيل اليك استبعادا منهم كما سمى اشياء باساميها عند الكفرة نحو قوله فراغ الى آلهتهم اين شركاي ذق انك انت العزيز الكريم وقيل هي رؤياه انه سيدخل مكة وقيل رأى في المنام ان ولد الحكم يتداولون منبره كما يتداول الصبيان الكرة فان قلت اين لعنت شجرة الزقوم في القرآن قلت لعنت حيث لعن طاعموها من الكفرة والظلمة لان الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن على الحقيقة وانما وصفت بلعن اصحابها على المجاز وقيل وصفها الله باللعن لان اللعن الابعاد من الرحمة وهي في اصل الجحيم في ابعد مكان من الرحمة وقيل تقول العرب لكل طعام مكروه ضار ملعون وسألت بعضهم فقال نعم الطعام الملعون القشب الممحوق وعن ابن عباس هي الكشوث التي تلتوي بالشجر تجعل في الشراب وقيل هو الشيطان وقيل ابو جهل وقرئ والشجرة الملعونة بالرفع على الابتداء والخبر محذوف كأنه قيل والشجرة الملعونة في القرآن كذلك وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طينا ● طينا حال اما من الموصول والعامل فيه اسجد على أأسجد له وهو طين اي اصله طين او من الراجع اليه من الصلة على أأسجد لمن كان في وقت خلقه طينا قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي الكاف للخطاب وهذا مفعول به والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته علي اي فضلته وانا خير منه فاختصر الكلام بحذف ذلك ثم ابتدأ فقال لئن أخرتن إلى يوم القيامة واللام موطئة للقسم المحذوف لأحتنكن ذريته إلا قليلا لاستأصلنهم بالاغواء من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا وهو من الحنك ومنه ما ذكر سيبويه من قولهم احنك الشاتين اي آكلهما فان قلت من اين علم ان ذلك سيتسهل له قلت اما ان سمعه من الملائكة صلوات الله عليهم وقد اخبرهم الله به او خرجه من قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها او نظر اليه فتوسم في مخايله انه خلق شهواني وقيل كان ذلك لما عملت وسوسته في آدم والظاهر انه قال ذلك قبل اكل آدم من الشجرة قال اذهب ليس من الذهاب الذي هو نقيض المجيء وانما معناه امض لشأنك الذي اخترته خذلانا وتخلية وعقبه بذكر ما جره سوء اختياره في قوله فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم كما قال موسى عليه السلام للسامري فاذهب فان لك في الحياة ان تقول لا مساس فان قلت اما كان من حق الضمير في الجزاء ان يكون على لفظ الغيبة ليرجع الى من تبعك قلت بلى ولكن التقدير فان جهنم جزاؤهم وجزاؤكم ثم غلب المخاطب على الغائب فقيل جزاؤكم ويجوز ان يكون للتابعين على طريقة الالتفات وانتصب جزاء موفورا بما في فان جهنم جزاؤكم من معنى تجازون او باضمار تجازون او على الحال لان الجزاء موصوف بالوفور والموفور الموفر يقال فر لصاحبك عرضه

واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد استفزه استخفه والفز الخفيف واجلب من الجلبة وهي الصياح والخيل الخيالة ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل ونظيره الركب والصحب وقرئ ورجلك على ان فعلا بمعنى فاعل نحو تعب وتاعب ومعناه وجمعك الرجل وتضم جيمه ايضا فيكون مثل حدث وحدث وندس وندس واخوات لهما يقال رجل رجل وقرئ ورجالك ورجالك فان قلت ما معنى استفزاز ابليس بصوته واجلابه بخيله ورجله قلت هو كلام ورد مورد التمثيل مثلت حاله في تسلطه على من يغويه بمغوار اوقع على قوم فصوت بهم صوتا يستفزهم من اماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم واجلب عليهم بجنده من خيالة ورجالة حتى استأصلهم وقيل بصوته بدعائه الى الشر وخيله ورجله كل راكب وماش من اهل العيث وقيل يجوز ان تكون لابليس خيل ورجال واما المشاركة في الاموال والاولاد فكل معصية يحملهم عليها في بابهما كالربا والمكاسب المحرمة والبحيرة والسائبة والانفاق في الفسوق والاسراف ومنع الزكاة والتوصل الى الاولاد بالسبب الحرام ودعوى ولد بغير سبب والتسمية بعبد العزى وعبد الحارث والتهويد والتنصير والحمل على الحرف الذميمة والاعمال المحظورة وغير ذلك وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا ● وعدهم المواعيد الكاذبة من شفاعة الآلهة والكرامة على الله بالانساب الشريفة وتسويف التوبة ومغفرة الذنوب بدونها والاتكال على الرحمة وشفاعة الرسول في الكبائر والخروج من النار بعد ان يصيروا حمما وايثار العاجل على الآجل إن عبادي يريد الصالحين ليس لك عليهم سلطان اي لا تقدر ان تغويهم وكفى بربك وكيلا ● لهم يتوكلون به في الاستعاذة منك ونحوه قوله الا عبادك منهم المخلصين فان قلت كيف جاز ان يأمر الله تعالى ابليس ان يتسلط على عباده مغويا مضلا داعيا الى الشر صادا عن الخير قلت هو من الأوامر الواردة على سبيل الخذلان والتخلية كما قال للعصاة اعملوا ما شئتم ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله إنه كان بكم رحيما ● وإذا مسكم الضر في البحر والضر خوف الغرق ضل من تدعون إلا إياه ذهب عن اوهامكم وخواطركم كل من تدعونه في حوادثكم الا اياه وحده فانكم لا تذكرون سواه ولا تدعونه في ذلك الوقت ولا تعقدون برحمته رجاءكم ولا تخطرون ببالكم ان غيره يقدر على اغاثتكم او لم يهتد لانقاذكم احد غيره من سائر المدعوين ويكون المراد ضل من تدعون من الآلهة عن اغاثتكم ولكن الله وحده الذي ترجونه وحده على الاستثناء المنقطع فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا ● أفأمنتم الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم فأمنتم فحملكم ذلك على الاعراض أن يخسف بكم جانب البر فان قلت بم انتصب جانب البر قلت بيخسف مفعولا به كالارض في قوله فخسفنا به وبداره الارض وبكم حال والمعنى ان يقلبه وانتم عليه فان قلت فما معنى ذكر الجانب قلت معناه ان الجوانب والجهات كلها في قدرته سواء وله في كل جانب برا كان او بحرا سبب مرصد من اسباب الهلكة ليس جانب البحر وحده مختصا بذلك بل ان كان الغرق في جانب البحر ففي جانب البر ما هو مثله وهو الخسف لانه تغييب تحت التراب كما ان الغرق تغييب تحت الماء فالبر والبحر عنده سيان يقدر في البر على نحو ما يقدر عليه في البحر فعلى العاقل ان يستوي خوفه من الله في جميع الجوانب وحيث كان أو يرسل عليكم حاصبا وهي الريح التي تحصب اي ترمي بالحصباء يعني وان لم يصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف اصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم فيها الحصباء يرجمكم بها فيكون اشد عليكم من الغرق في البحر ثم لا تجدوا لكم وكيلا ● من يتوكل بصرف ذلك عنكم أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم ام امنتم ان يقوي دواعيكم ويوفر حوائجكم الى ان ترجعوا فتركبوا البحر الذي نجاكم منه فاعرضتم فينتقم منكم بان يرسل عليكم قاصفا من الريح وهي الريح التي لها قصيف وهو الصوت الشديد كأنها تتقصف اي تتكسر وقيل التي لا تمر بشيء الا قصفته فيغرقكم بما كفرتم وقرئ بالتاء اي الريح وبالنون وكذلك نخسف ونرسل ونعيدكم ونغرقكم بالياء والنون ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا ● التبيع المطالب من قوله فاتباع بالمعروف اي مطالبه قال الشماخ ● كما لاذ الغريم من التبيع ● يقال فلان على فلان تبيع بحقه اي مسيطر عليه مطالب له بحقه والمعنى انا نفعل ما نفعل بهم ثم لا تجد احدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا منا ودركا للثأر من جهتنا وهذا نحو قوله ولا يخاف عقباها بما كفرتم بكفرانكم النعمة باعراضكم حين نجاكم ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات قيل في تكرمة بني آدم كرمه الله بالعقل والنطق والتمييز والخط والصورة الحسنة والقامة المعتدلة وتدبير امر المعاش والمعاد وقيل بتسليطهم على ما في الارض وتسخيره لهم وقيل كل شيء يأكل بفيه الا ابن آدم وعن الرشيد انه احضر طعاما فدعا بالملاعق وعنده ابو يوسف فقال له جاء في تفسير جدك ابن عباس قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم جعلنا لهم اصابع يأكلون بها فأحضرت الملاعق فردها واكل باصابعه وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ● هو ما سوى الملائكة صلوات الله عليهم وحسب بني آدم تفضيلا

ان تفضل عليهم الملائكة وهم هم ومنزلتهم عند الله منزلتهم والعجب من المجبرة كيف عكسوا في كل شيء وكابروا
حتى جسرتهم عادة المكابرة على العظيمة التي هي تفضيل الانسان على الملك وذلك بعد ما سمعوا تفخيم الله امرهم وتكثيره
مع التعظيم ذكرهم وعلموا اين اسكنهم وانّى قرّبهم وكيف نزّلهم من انبيائه منزلة انبيائه من اممهم ثم جرّهم فرط
التعصب عليهم الى ان لفقوا اخبارا واقوالا منها قالت الملائكة ربنا انك اعطيت بني آدم الدنيا ياكلون منها ويتمتعون
ولم تعطنا ذلك فاعطناه في الآخرة فقال وعزتي وجلالي لا اجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان
ورووا عن ابي هريرة انه قال المؤمن اكرم على الله من الملائكة الذين عنده ومن ارتكابهم انهم فسروا كثيرا بمعنى
جميع في هذه الآية وخذلوا حتى سلبوا الذوق فلم يحسوا ببشاعة قولهم وفضلناهم على جميع ممن خلقنا على ان معنا
قولهم على جميع ممن خلقنا اشجى لحلوقهم واقذى لعيونهم ولكنهم لا يشعرون فانظر الى تمحلهم وتشبثهم بالتاويلات
البعيدة في عداوة الملأ الاعلى كأن جبريل غاظهم حين اهلك مدائن قوم لوط فتلك السخيمة لا تنسل عن قلوبهم
يوم ندعو كل اناس قرئ يدعو بالياء والنون ويُدعى كل اناس على البناء للمفعول وفي قراءة الحسن يدعو كل اناس على
قلب الالف واوا في لغة من يقول افعو والظرف نصب باضمار اذكر ويجوز ان يقال انها علامة الجمع كما في واسروا
النجوى الذين ظلموا والرفع مقدر كما في يدعى ولم يؤت بالنون قلة مبالاة بها لانها غير ضمير ليست الا
علامة **باِمامهم** بمن ائتموا به من نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين فيقال يا اتباع فلان يا اهل دين
كذا او كتاب كذا وقيل بكتاب اعمالهم فيقال يا اصحاب كتاب الخير ويا اصحاب كتاب الشر وفي قراءة الحسن بكتابهم
ومن بدع التفاسير ان الامام جمع أمّ وان الناس يدعون يوم القيامة بامهاتهم وان الحكمة في الدعاء بالامهات دون
الآباء رعاية حق عيسى واظهار شرف الحسن والحسين عليهما السلام وان لا يفتضح اولاد الزنا وليت شعري ايهما
ابدع أصحة لفظه ام بهاء حكمته **فمن اوتي** من هؤلاء المدعوين **كتابه بيمينه فاولئك يقرءون كتابهم** قيل
اولئك لان من اوتي في معنى الجمع فان قلت لم خص اصحاب اليمين بقراءة كتابهم كأن اصحاب الشمال لا يقرءون كتابهم
قلت بلى ولكن اذا اطلعوا على ما في كتابهم اخذهم ما ياخذ المطالب بالنداء على جناياته والاعتراف بمساويه امام
التنكيل به والانتقام منه من الحياء والخجل والانحصار وتحبس اللسان والتتعتع والعجز عن اقامة حروف الكلام
والذهاب عن تسوية القول فكان قراءتهم كلا قراءة واما اصحاب اليمين فامرهم على عكس ذلك لا جرم انهم يقرءون
كتابهم احسن قراءة وابينها ولا يقنعون بقراءتهم وحدهم حتى يقول القارئ لاهل المحشر هاؤم اقرءوا كتابيه
ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون من ثوابهم ادنى شيء كقوله ولا يظلمون شيئا فلا يخاف ظلما ولا هضما **ومن**
كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا معناه ومن كان في الدنيا اعمى فهو في الآخرة اعمى كذلك
واضل سبيلا من الاعمى والاعمى مستعار ممن لا يدرك المبصرات لفساد حاسته لمن لا يهتدي الى طريق النجاة
اما في الدنيا فلفقد النظر واما في الآخرة فلانه لا ينفعه الاهتداء اليه وقد جوزوا ان يكون الثاني بمعنى التفضيل
ومن ثم قرأ ابو عمرو الاول ممالا والثاني مفخما لان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه في حكم الواقعة في وسط
الكلام كقولك اعمالكم واما الاول فلم يتعلق به شيء فكانت الفه واقعة في الطرف معرضة للامالة روي ان
ثقيفا قالت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر
ولا نجبّي في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة ولا نكسرها بايدينا
عند راس الحول وان تمنع من قصد وادينا وجّ فعضد شجره فاذا سالتك العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرني به
وجاءوا بكتابهم فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله صلى الله عليه لثقيف لا يعشرون ولا
يحشرون فقالوا ولا يجبّون فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قالوا للكاتب اكتب ولا يجبون والكاتب
ينظر الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فسل سيفه وقال اسعرتم قلب نبينا يا معشر ثقيف
اسعر الله قلوبكم نارا فقالوا لسنا نكلمك انما نكلم محمدا فنزلت وروي ان قريشا قالوا له اجعل آية رحمة
آية عذاب وآية عذاب آية رحمة حتى نؤمن بك **وان كادوا ليفتنونك** ان مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة
والمعنى ان الشان قاربوا ان يفتنوك اي يخدعوك فاتنين **عن الذي اوحينا اليك** من اوامرنا ونواهينا ووعدنا
ووعيدنا **لتفتري علينا غيره** لتقول علينا ما لم نقل يعني ما ارادوه عليه من تبديل الوعد وعيدا
والوعيد وعدا وما اقترحته ثقيف من ان تضيف الى الله ما لم ينزل عليه **واذا لاتخذوك**
خليلا ولكنت لهم وليا وخرجت من ولايتي **ولولا ان ثبتناك** ولولا تثبيتنا لك وعصمتنا **لقد**
كدت تركن اليهم شيئا قليلا لقاربت ان تميل الى خدعهم ومكرهم وهذا تهييج من الله له وفضل تثبيت
وفي ذلك لطف للمؤمنين **اذا** لو قاربت تركن اليهم ادنى ركنة **لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات ثم**

لا تجد لك

لا تجد لك علينا نصيرا اي لاذقناك عذاب الآخرة وعذاب القبر مضاعفين فان قلت كيف حقيقة هذا الكلام
قلت اصله لاذقناك عذاب الحيوة وعذاب الممات لان العذاب عذابان عذاب في الممات وهو عذاب القبر
وعذاب في الآخرة وهو عذاب النار والضعف يوصف به نحو قوله فآتهم عذابا ضعفا من النار بمعنى مضاعفا فكان
اصل الكلام لاذقناك عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا في الممات ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه
وهو الضعف ثم اضيفت الصفة اضافة الموصوف فقيل ضعف الحيوة وضعف الممات كما لو قيل لاذقناك اليم الحيوة
واليم الممات ويجوز ان يراد بضعف الحيوة عذاب الحيوة الدنيا وبضعف الممات ما يعقب الموت من عذاب القبر وعذاب
النار والمعنى لضاعفنا لك العذاب المعجل للعصاة في الحيوة الدنيا وما نؤخره لما بعد الموت وفي ذكر الكيد وذكره
وتعليلها مع اتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف في الدارين دليل بيّن على ان القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم
شان فاعله وارتفاع منزلته ومن ثم استعظم مشايخ العدل والتوحيد رضوان الله عليهم نسبة المجبرة القبائح الى الله
تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وفيه دليل على ان ادنى مداهنة للغواة مضادة لله وخروج عن ولايته وسبب موجب
لغضبه ونكاله فعلى المؤمن اذا تلا هذه الآية ان يجثو عندها ويتدبرها وهي جديرة بالتدبر وبان يستشعر الناظر
فيها الخشية وازدياد التصلب في دين الله وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انها لما نزلت كان يقول اللهم لا تكلني الى
نفسي طرفة عين **وان كادوا** وان كاد اهل مكة **ليستفزونك** ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم **من الارض** من ارض
مكة **ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلفك الا قليلا** لا يبقون بعد اخراجك الا زمانا قليلا فان الله مهلكهم
وكان كما قال فقد اهلكوا ببدر بعد اخراجه بقليل وقيل معناه ولو اخرجوك لاستؤصلوا عن بكرة ابيهم ولم يخرجوه
بل هاجر بامر ربه وقيل من ارض العرب وقيل من ارض المدينة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما هاجر
حسدته اليهود وكرهوا قربه منهم فاجتمعوا اليه وقالوا يا ابا القاسم ان الانبياء انما بعثوا بالشام وهي بلاد مقدسة وكانت مسكن ابراهيم فلو خرجت الى الشام لآمنا بك واتبعناك
وقد علمنا انه لا يمنعك من الخروج الا خوف الروم فان كنت رسول الله فالله مانعك منهم فعسكر رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم على اميال من المدينة وقيل بذي الحليفة حتى يجتمع اليه اصحابه ويراه الناس عازما على الخروج
الى الشام لحرصه على دخول الناس في دين الله فنزلت فرجع وقرئ لا يلبثون وفي قراءة ابيّ لا يلبثوا على اعمال اذن فان قلت ما وجه
القراءتين قلت اما الشائعة فقد عطف فيها الفعل على الفعل وهو مرفوع لوقوعه خبر كاد والفعل في خبر
كاد واقع موقع الاسم واما قراءة ابيّ ففيها الجملة برأسها التي هي اذا لا يلبثوا عطف على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك
وقرئ خلافك قال

عفت الديار خلافهم فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا

اي بعدهم **سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا** يعني ان كل قوم اخرجوا رسولهم
من بين ظهرانيهم فسنة الله ان يهلكهم ونصبت نصب المصدر المؤكد اي سن الله ذلك سنة **اقم الصلوة لدلوك**
الشمس الى غسق الليل دلكت الشمس غربت وقيل زالت وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم اتاني جبريل لدلوك
الشمس حين زالت الشمس فصلى بي الظهر واشتقاقه من الدلك لان الانسان يدلك عينيه عند النظر اليها فان كان
الدلوك الزوال فالآية جامعة للصلوات الخمس وان كان الغروب فقد خرجت منها الظهر والعصر والغسق الظلمة
وهو وقت صلوة العشاء **وقرآن الفجر** صلوة الفجر سميت قرآنا وهي القراءة لانها ركن كما سميت ركوعا وسجودا
وقنوتا وهي حجة على ابن علية والاصم في زعمهما ان القراءة ليست بركن **ان قرآن الفجر كان مشهودا** يشهده ملائكة
الليل والنهار ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء فهو في آخر ديوان الليل واول ديوان النهار او يشهده الكثير من المصلين في العادة
او من حقه ان يكون مشهودا بالجماعة الكثيرة ويجوز ان يكون وقرآن الفجر حثا على طول القراءة في صلوة الفجر لكونها مكثورا
عليها ليسمع الناس القرآن فيكثر الثواب ولذلك كانت الفجر اطول الصلوات قراءة **ومن الليل** وعليك بعض الليل
فتهجد به والتهجد ترك الهجود للصلوة ونحوه التأثم والتحرج ونفى الصلاة في النوم تهجد **نافلة لك** عبادة زائدة
لك على الصلوات الخمس وضع نافلة موضع تهجدا لان التهجد عبادة زائدة فكان التهجد والنافلة يجمعهما معنا واحد
لان التهجد زيادة لك على الصلوات المفروضة فريضة عليك خاصة دون غيرك لانه تطوع لهم **عسى ان يبعثك ربك**
مقاما محمودا نصب على الظرف اي عسى ان يبعثك يوم القيامة فيقيمك مقاما محمودا او ضمّن يبعثك معنى يقيمك
ويجوز ان يكون حالا بمعنى ان يبعثك ذا مقام محمود ومعنى المقام المحمود المقام الذي يحمد القائم فيه وكل من رآه وعرفه
وهو مطلق في كل ما يجب الحمد من انواع الكرامات وقيل المراد الشفاعة وهي نوع واحد مما يتناوله وعن ابن عباس
مقاما يحمدك فيه الاولون والآخرون وتشرف فيه على جميع الخلائق تسأل فتعطى وتشفع فتشفع ليس احد الا تحت لوائك
وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو المقام الذي اشفع فيه لامتي وعن حذيفة يجمع الناس في صعيد فلا

يتكلم نفس فأول مد عن محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيقول لبيك وسعديك والشر ليس إليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك وبك وإليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال فهذا قوله عسى أن يبعثك مقاما محمودا **وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق** وقرئ مُدخل ومُخرج بالضم والفتح بمعنى المصدر ومعنى الفتح أدخلني فأدخل مَدخل صدق أي أدخلني القبر مدخل صدق إدخالا مرضيا على طهارة وطيب من السيئات وأخرجني منه عند البعث إخراجا مرضيا ملقى بالكرامة آمنا من السخط يدل عليه ذكره على أثر ذكر البعث وقيل نزلت حين أمر بالهجرة يريد إدخال المدينة والإخراج من مكة وقيل إدخاله مكة ظاهرا عليها بالفتح وإخراجه منها آمنا من المشركين وقيل إدخاله الغار وإخراجه منه سالما وقيل إدخاله فيما حمله من عظيم الأمر وهو النبوة وإخراجه منه مؤديا لما كلفه من غير تفريط وقيل الطاعة وقيل هو عام في كل ما يدخل فيه ويلابسه من أمر ومكان **واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا** حجة تنصرني على من خالفني أو ملكا وعزا قويا ناصرا للإسلام على الكفر مظهرا له عليه فأجيبت دعوته بقوله والله يعصمك من الناس فإن حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الأرض ووعده لينزعن ملك فارس والروم فيجعله له وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه استعمل عتاب بن أسيد على أهل مكة وقال انطلق فقد استعملتك على أهل الله فكان شديدا على المريب لينا على المؤمن وقال لا والله لا أعلم متخلفا يتخلف عن الصلوة في جماعة إلا ضربت عنقه فإنه لا يتخلف عن الصلوة إلا منافق فقال أهل مكة يا رسول الله لقد استعملت على أهل مكة عتاب بن أسيد أعرابيا جافيا فقال صلى الله عليه وآله وسلم إني رأيت فيما يرى النائم كأن عتاب بن أسيد أتى باب الجنة فأخذ بحلقة الباب فقلقلها قلقالا شديدا حتى فتح له فدخلها فأعز الله به الإسلام لنصرته المسلمين على من يريد ظلمهم فذلك السلطان النصير **وقل جاء الحق وزهق الباطل** كان حول البيت ثلاثمائة وستون صنما صنم كل قوم بحيالهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانت لقبائل العرب يحجون إليها وينحرون لها فشكا البيت إلى الله عز وجل فقال أي رب حتى متى تعبد هذه الأصنام حولي دونك فأوحى الله إلى البيت إني سأحدث لك نوبة جديدة فأملأك خدودا سجدا يدفون إليك دفيف النسور ويحنون إليك حنين الطير إلى بيضها لهم عجيج حولك بالتلبية ولما نزلت هذه الآية يوم الفتح قال جبرئيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خذ مخصرتك ثم ألقها فجعل يأتي صنما صنما وهو ينكت بالمخصرة في عينه ويقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب الصنم لوجهه حتى ألقاها جميعا وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير صفر فقال يا علي ارم به فحمله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى صعد فرمى به فكسره فجعل أهل مكة يتعجبون ويقولون ما رأينا رجلا أسحر من محمد وسكانه البيت والوحي إليه تخييل وزهق الباطل من قولهم زهقت نفسه إذا خرجت والحق الإسلام والباطل الشرك وزهق الباطل ذهب وهلك **إن الباطل كان زهوقا** كان مضمحلا غير ثابت في كل وقت **وننزل** وقرئ بالتخفيف والتشديد **من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا** من للتبيين كقوله من الأوثان أو للتبعيض أي كل شيء نزل من القرآن فهو شفاء للمؤمنين يزدادون به إيمانا ويستصلحون به دينهم فموقعه منهم موقع الشفاء من المرضى وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله ولا يزداد به الكافرون إلا خسارا أي نقصانا لتكذيبهم به وكفرهم كقوله فزادتهم رجسا إلى رجسهم **وإذا أنعمنا على الإنسان** بالصحة والسعة **أعرض** عن ذكر الله كأنه مستغن عنه مستبد بنفسه **ونأى بجانبه** تأكيد للإعراض لأن الإعراض عن الشيء أن يوليه عرض وجهه والنأي بالجانب أن يلوي عنه عطفه ويوليه ظهره أو أراد الاستكبار لأن ذلك من عادة المستكبرين **وإذا مسه الشر** من فقر أو مرض أو نازلة من النوازل **كان يئوسا** شديد اليأس من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون وقرئ وناء بجانبه بتقديم اللام على العين كقولهم راء في رأى ويجوز أن يكون من ناء بمعنى نهض **قل كل يعمل على شاكلته** أي على مذهبه وطريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة من قولهم طريق ذو شواكل وهي الطرق التي تتشعب منه والدليل عليه قوله **فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا** أي أسد مذهبا وطريقة **ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي** الأكثر على أنه الروح الذي في الحيوان سألوه عن حقيقته فأخبر أنه من أمر الله أي مما استأثر بعلمه وعن أبي بريدة لقد مضى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما يعلم الروح وقيل هو خلق عظيم روحاني أعظم من الملك وقيل جبرئيل وقيل القرآن ومن أمر ربي أي من وحيه وكلامه ليس من كلام البشر بعثت اليهود إلى قريش أن سلوه عن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فإن أجاب عنها أو سكت فليس بنبي وإن أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وأبهم أمر الروح وهو مبهم في التوراة فندموا على سؤالهم **وما أوتيتم من العلم إلا قليلا** الخطاب عام وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون

بهذا الخطاب أم أنت معنا فقال بل نحن وأنتم لم تؤتوا من العلم إلا قليلا فقالوا ما أعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام وليس ما قالوه بلازم لأن القلة والكثرة تدوران مع الإضافة فيوصف الشيء بالقلة مضافا إلى ما فوقه وبالكثرة مضافا إلى ما تحته فالحكمة التي أوتيها العبد خير كثير في نفسها إلا أنها إذا أضيفت إلى علم الله فهي قليلة وقيل هو خطاب لليهود خاصة لأنهم قالوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أوتينا التوراة وفيها الحكمة وقد تلوت ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا فقيل لهم إن علم التوراة قليل في علم الله **ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك** لنذهبن جواب قسم محذوف مع نيابته عن جزاء الشرط واللام الداخلة على إن موطئة للقسم والمعنى إن شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن الصدور والمصاحف فلم نترك له أثرا وبقيت كما كنت لا تدري ما الكتاب **ثم لا تجد لك به علينا وكيلا** ثم لا تجد لك بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده وإعادته محفوظا مسطورا **إلا رحمة من ربك إن فضله كان عليك كبيرا** إلا أن يرحمك ربك فيرده عليك كأن رحمته تتوكل عليه بالرد أو يكون على الاستثناء المنقطع بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من الله ببقاء القرآن محفوظا بعد المنة العظيمة في تنزيله وتحفيظه فعلى كل ذي علم أن لا يغفل عن هاتين المنتين والقيام بشكرهما وهما منة الله عليه بحفظ العلم ورسوخه في صدره ومنته عليه في بقاء المحفوظ وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن أول ما تفقدون من دينكم الأمانة وآخر ما تفقدون الصلوة وليصلين قوم ولا دين لهم وإن هذا القرآن تصبحون يوما وما فيكم منه شيء فقال رجل كيف ذلك وقد أثبتناه في قلوبنا وأثبتناه في مصاحفنا نعلمه أبناءنا ويعلمه أبناؤنا أبناءهم فقال يسرى عليه ليلا فيصبح الناس منه فقراء ترفع المصاحف وينزع ما في القلوب **قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا** لا يأتون جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطئة لجاز أن يكون جوابا للشرط كقوله يقول لا غائب مالي ولا حرم لأن الشرط وقع ماضيا أي لو تظاهروا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن في بلاغته وحسن نظمه وتأليفه وفيهم العرب العاربة أرباب البيان لعجزوا عن الإتيان بمثله والعجب من النوابت ومن زعمهم أن القرآن قديم مع اعترافهم بأنه معجز وإنما يكون العجز حيث تكون القدرة فيقال الله قادر على خلق الأجسام والعباد عاجزون عنه وأما المحال الذي لا مجال فيه للقدرة ولا مدخل لها فيه كثاني القديم فلا يقال للفاعل قد عجز عنه ولا هو معجز ولو قيل ذلك لجاز وصف الله بالعجز لأنه لا يوصف بالقدرة على المحال إلا أن يكابروا فيقولوا هو قادر على المحال فإن رأس مالهم المكابرة وقلب الحقائق **ولقد صرفنا** رددنا وكررنا **للناس في هذا القرآن من كل مثل** من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه **فأبى أكثر الناس إلا كفورا** والكفور الجحود فإن قلت كيف جاز فأبى أكثر الناس إلا كفورا ولم يجز ضربت إلا زيدا قلت لأن أبى متأول بالنفي كأنه قيل فلم يرضوا إلا كفورا **وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا** لما تبين إعجاز القرآن وانضمت إليه المعجزات الأخر والبينات ولزمتهم الحجة وغلبوا أخذوا يتعللون باقتراح الآيات فعل المبهوت المحجوج المتعثر في أذيال الحيرة فقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر وقرئ تفجر بالتخفيف **من الأرض** يعنون أرض مكة **ينبوعا** عينا غزيرة من شأنها أن تنبع لا تنقطع يفعول من نبع كيعبوب من عب **أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا** كما زعمت يعنون قول الله تعالى إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء كسفا بالسكون جمع كسفة كسدرة وسدر وبفتحه **أو تأتي بالله والملائكة قبيلا** كفيلا بما تقول شاهدا بصحته والمعنى أو تأتي بالله قبيلا وبالملائكة قبيلا كقوله كنت منه ووالدي بريا وإني وقيار بها لغريب أو مقابلا كالعشير ونحوه لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا أو جماعة حالا من الملائكة **أو يكون لك بيت من زخرف** من ذهب **أو ترقى في السماء** في معارج السماء فحذف المضاف يقال رقي في السلم وفي الدرجة **ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه** ولن نؤمن لأجل رقيك حتى تنزل علينا كتابا من السماء فيه تصديقك عن ابن عباس قال عبد الله بن أبي أمية لن نؤمن لك حتى تتخذ إلى السماء سلما ترقى فيه وأنا أنظر إليك حتى تأتيها ثم تأتي معك بصك منشور معه أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول وما كانوا يقصدون بهذه الاقتراحات إلا العناد واللجاج ولو جاءتهم كل آية لقالوا هذا سحر كما قال عز وعلا ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون وحين أنكروا الآية الباقية التي هي القرآن وسائر الآيات وليست بدون ما اقترحوه بل هي أعظم لم يكن إلى تبصرتهم سبيل **قل سبحان ربي** وقرئ قال سبحان ربي أي قال الرسول سبحان ربي تعجبا من اقتراحاتهم عليه **هل كنت إلا بشرا رسولا** إلا رسولا كسائر الرسل بشرا مثلهم وكان الرسل لا يأتون قومهم إلا بما يظهره الله عليهم من الآيات فليس أمر الآيات إلي إنما هو

الا الله ما لكم يتخير وبها على وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ۝ ان
الاولى نصب مفعول ثان لمنع والثانية رفع فاعله والهدى الوحى اى وما منعهم الايمان بالقرآن وبنبوة محمد صلى الله عليه
وسلم الا شبهة تلجلجت فى صدورهم وهى انكارهم ان يرسل الله البشر والهمزة فى ابعث الله للانكار وما انكروه
فخلافه هو المنكر عند الله لان قضية حكمته ان لا يرسل ملك الوحى الا الى امثاله او الى الانبيا قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ
ثم قرر ذلك بانه لو كان فى الارض مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ على اقدامهم كما يمشى الانس ولا يطيرون باجنحتهم الى السما
فيسمعوا من اهلها ويعلموا ما يجب علمه مُطْمَئِنِّينَ ساكنين فى الارض قارين لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ۝
يعلمهم الخير ويهديهم المراشد فاما الانس فما هم بهذه المثابة انما يرسل الملك الى مختار منهم للنبوة فيقوم ذلك المختار
بدعوتهم وارشادهم فان قلت هل يجوز ان يكون بشرا وملكا منصوبين على الحال من رسولا قلت وجه حسن والمعنى
قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ على انى بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم كذبتم وعاندتم إِنَّهُ كَانَ
بِعِبَادِهِ المنذرين خَبِيرًا بَصِيرًا عالما باحوالهم فهو مجازيهم وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ووعيد للكفرة وتهديد لهم بليغ او خال وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ ومن يوفقه ويلطف به فَهُوَ الْمُهْتَدِ لانه لا يلطف الا بمن عرف ان
اللطف ينفع فيه وَمَنْ يُضْلِلْ ومن يخذل فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ انصارا مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ
كقوله يوم يسحبون فى النار على وجوههم وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال ان
الذى امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا كما كانوا فى الدنيا لا يستبصرون
ولا ينطقون بالحق ويتصامون عن استماعه فهم فى الآخرة كذلك لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ
مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الآخرة اعمى ويجوز ان يحشروا مؤوفى الحواس من
الموقف الى النار بعد الحساب فقد اخبر عنهم فى موضع آخر انهم يقرؤون ويتكلمون مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ
زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ۝ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ
خَلْقًا جَدِيدًا ۝ كلما خبت كلما اكلت جلودهم ولحومهم وافنتها فسكن لهبها بدلوا غيرها فرجعت ملتهبة
مستعرة كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافنا جعل الله جزاءهم ان سلط النار على اجزائهم تاكلها وتفنيها
ثم يعيدها لا يزالون على الافناء والاعادة ليزيد ذلك فى تحسرهم على تكذيبهم البعث ولانه ادخل فى الانتقام
من الجاحد وقد دل على ذلك بقوله ذلك جزاؤهم الى قوله انا لمبعوثون خلقا جديدا أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ۝ فان قلت
علام عطف قوله وجعل لهم اجلا قلت على قوله اولم يروا لان المعنى قد علموا بدليل العقل ان من قدر على خلق السموات
والارض فهو قادر على خلق امثالهم من الانس لانهم ليسوا باشد خلقا منهن كما قال أانتم اشد خلقا ام السما وجعل لهم اجلا
لا ريب فيه وهو الموت او القيمة فابوا مع وضوح الدليل الا جحودا قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا
لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ لو حقها ان تدخل على الافعال دون الاسما فلا بد من فعل بعدها فى لو انتم تملكون تقديره
لو تملكون تملكون فاضمر تملك على شريطة التفسير وابدل من الضمير المتصل الذى هو الواو ضمير منفصل وهو انتم
لسقوط ما يتصل به من اللفظ وهو تملك فانتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره هذا هو الوجه الذى يقتضيه
الاعراب فاما ما يقتضيه علم البيان فهو ان انتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص وان الناس هم المختصون بالشح المتبالغ
ونحوه قول حاتم لو ذات سوار لطمتنى وقول المتلمس ۝ ولو غير اخوالى ارادوا نقيصتى ۝ وذلك لان الفعل
الاول لما سقط لاجل المفسر ابرز الكلام فى صورة المبتدا والخبر ورحمة الله رزقه وسائر نعمه على خلقه ولقد بلغ
هذا الوصف بالشح الغاية التى لا يبلغها الوهم وقيل هو لاهل مكة الذين اقترحوا ما اقترحوا من الينبوع والانهار
وغيرها وانهم لو ملكوا خزائن الارزاق لبخلوا بها وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ۝ ضيقا بخيلا فان قلت هل تقدير
لامسكتم مفعول قلت لا لان معناه لبخلتم من قولك للبخيل ممسك وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ
عن ابن عباس هى العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والطور الذى نتقه على بنى اسرائيل وعن
الحسن الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور وعن عمر بن عبد العزيز انه سال محمد بن كعب
فذكر اللسان والطمس فقال له عمر كيف يكون الفقيه الا هكذا اخرج يا غلام ذلك الجراب فاخرجه فنفضه فاذا بيض
مكسور وجوز وفوم وحمص وعدس كلها حجارة وعن صفوان بن عسال ان بعض اليهود سال
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال اوحى الله الى موسى ان قل لبنى اسرائيل لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا
ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تاكلوا الربو ولا تمشوا ببرى الى ذى سلطان ليقتله ولا تقذفوا
محصنة ولا تفروا من الزحف وانتم يا يهود خاصة لا تعدوا فى السبت فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فقلنا له سل بنى اسرائيل اى

سلهم عن فرعون وقل له ارسل معى بنى اسرائيل او سلهم عن ايمانهم وعن حال دينهم او سلهم ان يعاضدوك
وتكون قلوبهم وايديهم معك وتدل عليه قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال بنى اسرائيل على لفظ الماضى بغير همز
وهى لغة قريش وقيل فسل يا رسول الله المؤمنين من بنى اسرائيل وهم عبد الله بن سلام واصحابه عن الايات ليزدادوا
يقينا وطمانينة قلب لان الادلة اذا تظاهرت كان ذلك اقوى واثبت كقول ابرهيم ولكن ليطمئن قلبى فان قلت
بم تعلق اذ جاءهم قلت اما على الوجه الاول فبالقول المحذوف اى فقلنا له سلهم حين جاءهم او بسال فى القراءة
الثانية واما على الاخير فبآتينا او باضمار اذكروا او يخبروك اذ جاءهم اباءهم فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ
يَا مُوسَى مَسْحُورًا ۝ سحرت فخولط عقلك قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ
وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ۝ لقد علمت يا فرعون ما انزل هؤلاء الايات الا الله عز وجل بصائر بينات مكشوفات
ولكنك معاند مكابر ونحوه وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقرئ علمت بالضم على معنى انى لست بمسحور
كما وصفتنى بل انا عالم بصحة الامر وان هذه الايات منزلها رب السموات والارض ثم قارع ظنه بظنه كانه قال
ان ظننتنى مسحورا فانا اظنك مثبورا هالكا وظنى اصح من ظنك لان له امارة ظاهرة وهى انكارك ما عرفت صحته
ومكابرتك لايات الله بعد وضوحها واما ظنك فكذب بحت لان قولك مع علمك بصحة امرى انى لاظنك مسحورا قول
كذاب وقرا ابى بن كعب وان اخالك يا فرعون لمثبورا على ان المخففة واللام الفارقة فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ
مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ۝ فاراد فرعون ان يستخف موسى وقومه من ارض مصر ويخرجهم
منها او ينفيهم من ظهر الارض بالقتل والاستيصال فحاق به مكره بان استفزه الله باغراقه مع قبطه وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ
لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ التى اراد فرعون ان يستفزكم منها فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ يعنى قيام الساعة جِئْنَا بِكُمْ
لَفِيفًا ۝ جمعا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز بين سعدائكم واشقيائكم واللفيف الجماعات من
قبائل شتى وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وما انزلنا القرآن الا بالحكمة المقتضية لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق
والحكمة لاشتماله على الهداية الى كل خير او وما انزلناه من السماء الا بالحق محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول
الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا الا لتبشرهم بالجنة وتنذرهم من النار ليس اليك
وراء ذلك شيء من اكراه على الدين او نحو ذلك وَقُرْآنًا منصوب بفعل يفسره فَرَقْنَاهُ وقرا ابى فرقناه بالتشديد
اى جعلنا نزوله مفرقا منجما وعن ابن عباس انه قرأه مشددا وقال لم ينزل فى يومين او ثلاثة بل كان بين اوله واخره
عشرون سنة يعنى ان فرق بالتخفيف يدل على فصل متقارب لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ بالفتح والضم على مهل
وتؤدة وتثبت وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ۝ على حسب الحوادث قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ
إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۝ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ
يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۝ قل آمنوا به او لا تؤمنوا امر بالاعراض عنهم واحتقارهم والازدراء بشانهم وانه لا يكترث
بهم وبايمانهم وبامتناعهم عنه وانهم ان لم يدخلوا فى الايمان ولم يصدقوا بالقرآن وهم اهل جاهلية وشرك فان خيرا
منهم وافضل وهم العلماء الذين قرأوا الكتب وعلموا ما الوحى وما الشرائع قد آمنوا به وصدقوه وثبت عندهم انه النبى
العربى الموعود فى كتبهم فاذا تلى عليهم خروا سجدا وسبحوا الله تعظيما لامره ولانجازه ما وعد فى الكتب المنزلة وبشر به
من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن عليه وهو المراد بالوعد فى قوله ان كان وعد ربنا لمفعولا ويزيدهم
خشوعا اى يزيدهم القرآن لين قلب ورطوبة عين فان قلت ان الذين اوتوا العلم من قبله تعليل لماذا قلت يجوز
ان يكون تعليلا لقوله آمنوا به او لا تؤمنوا وان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتطييب نفسه
كانه قيل تسل عن ايمان الجهلة بايمان العلماء على الوارث لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم فان قلت فما معنى
الخرور للذقن قلت السقوط على الوجه وانما ذكر الذقن وهو مجتمع اللحيين لانه اول ما يلقى به الارض من وجهه
الذقن فان قلت حرف الاستعلاء ظاهر المعنى اذا قلت خر على وجهه وعلى ذقنه فما معنى اللام فى خر لذقنه ولوجهه
قال فخر صريعا لليدين وللفم قلت معناه جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصه به لان اللام للاختصاص
فان قلت لم كرر يخرون للاذقان قلت لاختلاف الحالين وهما خرورهم فى حال كونهم ساجدين وخرورهم
فى حال كونهم باكين قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ عن ابن عباس سمعه ابو جهل يقول يا الله يا رحمن فقال انه ينهانا ان
نعبد الهين وهو يدعو الها آخر وقيل ان اهل الكتاب قالوا انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثر الله فى التوراة هذا
الاسم فنزلت والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء وهو يتعدى الى مفعولين تقول دعوته زيدا ثم يترك احدهما استغناء عنه
فيقال دعوت زيدا والله والرحمن المراد بهما الاسم لا المسمى واو للتخيير فمعنى ادعوا الله او ادعوا الرحمن سموا بهذا
الاسم او بهذا او اذكروا واذكروا اما هذا واما هذا والتنوين فى أَيًّا مَا تَدْعُوا عوض من المضاف وما صلة للابهام المؤكد

لما في ايا اي هذين الاسمين سميتم وذكرتم فله الاسماء الحسنى والضمير في فله ليس براجع الى احد الاسمين المذكورين
ولكن الى مسماهما وهو ذاته عز وعلا لان التسمية للذات لا للاسم والمعنى اياما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه
قوله فله الاسماء الحسنى لانه اذا حسنت اسماؤه كلها حسن هذان الاسمان لانهما منها ومعنى كونها احسن الاسماء انها
مستقلة بمعاني التحميد والتقديس والتعظيم ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها بصلاتك بقراءة صلاتك
على حذف المضاف لانه لا يلبس من قبل ان الجهر والمخافتة صفتان تعتقبان على الصوت لا غير والصلاة افعال واذكار
وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرفع صوته بقراءته فاذا سمعه المشركون لغوا وسبوا فامر بان يخفض من صوته
والمعنى ولا تجهر حتى يسمع المشركون ولا تخافت حتى لا تسمع من خلفك وابتغ بين ذلك بين الجهر والمخافتة سبيلا
وسطا وروي ان ابا بكر رضي الله عنه كان يخفي صوته بالقراءة في صلاته ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وكان عمر
يرفع صوته ويقول ازجر الشيطان واوقظ الوسنان فامر ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل معناه
ولا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بان تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار وقيل
بصلاتك بدعائك وذهب قوم الى ان الاية منسوخة بقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية وابتغاء السبيل مثل لانتحاء
الوجه الوسط في القراءة وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل
وكبره تكبيرا ولي من الذل ناصر من الذل ومانع منه لاعتزازه به ولم يوال احدا من اهل الذل لمذلته ليدفعها
بموالاته فان قلت كيف لاق وصفه بنفي الولد والشريك والذل بكلمة التحميد قلت لان من هذا وصفه هو
الذي يقدر على ايلاء كل نعمة فهو الذي يستحق جنس الحمد وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا افصح الغلام من بني
عبد المطلب علمه هذه الاية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرا سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند
ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية

سورة الكهف مكية وهي مائة واحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب لقن الله عباده وفقههم كيف يثنون عليه ويحمدونه على اجزل
نعمائه عليهم وهي نعمة الاسلام وما انزل على عبده محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم وفوزهم ولم يجعل له
عوجا ولم يجعل له شيئا من العوج قط والعوج في المعاني كالعوج في الاعيان والمراد نفي الاختلاف والتناقض عن
معانيه وخروج شيء منه من الحكمة والاصابة فيه فان قلت بم انتصب قيما قلت الاحسن ان ينتصب بمضمر
ولا يجعل حالا من الكتاب لان قوله ولم يجعل معطوف على انزل فهو داخل في حيز الصلة فجاعله حالا من الكتاب فاصل
بين الحال وذي الحال ببعض الصلة وتقديره ولم يجعل له عوجا جعله قيما لانه اذا نفى عنه العوج فقد اثبت له الاستقامة
فان قلت ما فائدة الجمع بين نفي العوج واثبات الاستقامة وفي احدهما غنى عن الاخر قلت فائدته التوكيد فرب
مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من ادنى عوج عند السبر والتصفح وقيل قيما على سائر الكتب مصدقا لها
شاهدا بصحتها وقيل قيما بمصالح العباد وما لا بد لهم منه من الشرائع وقرئ قيما لينذر باسا شديدا من لدنه ويبشر
المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ماكثين فيه ابدا انذر متعد الى مفعولين
كقوله انا انذرناكم عذابا قريبا فاقتصر على احدهما واصله لينذر الذين كفروا باسا شديدا والباس من قوله
بعذاب بئيس وقد بؤس العذاب وبؤس الرجل باسا وباسة من لدنه صادرا من عنده وقرئ من لدنه بسكون
الدال مع اشمام الضمة وكسر النون ويبشر بالتخفيف والتشديد فان قلت لم اقتصر على احد مفعولي انذر
قد جعل المنذر به هو الغرض المسوق اليه فوجب الاقتصار عليه والدليل عليه تكرير الانذار في قوله وينذر
الذين قالوا اتخذ الله ولدا متعلقا بالمنذرين من غير ذكر المنذر به كما ذكر المبشر به في قوله ان لهم اجرا
حسنا استغناء بتقدم ذكره والاجر الحسن الجنة ما لهم به من علم اي بالولد او باتخاذه ولا لابائهم يعني ان قولهم
هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط وتقليد للاباء وقد اشتملته اباهم من الشيطان وتسويله فان قلت
اتخاذ الله ولدا في نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم قلت معناه ما لهم به من علم لانه ليس مما يعلم لاستحالته
وانتفاء العلم بالشيء اما للجهل بالطريق الموصل اليه واما لانه في نفسه محال لا يستقيم تعلق العلم به كبرت
كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا وقرئ كبرت كلمة وكلمة بالنصب على التمييز والرفع على
الفاعلية والنصب اقوى وابلغ وفيه معنى التعجب كانه قيل ما اكبرها كلمة وتخرج من افواههم صفة للكلمة
استعظاما لاجترائهم على النطق بها واخراجها من افواههم فان كثيرا مما يوسوسه الشيطان في قلوب الناس

يحدثون به انفسهم من المنكرات لا يتمالكون ان يتفوهوا به ويطلقوا به السنتهم بل يكظمون عليه تشوزا
من اظهاره فكيف بمثل هذا المنكر وقرئ كبرت بسكون الباء مع اشمام الضمة فان قلت الام يرجع الضمير في
كبرت قلت الى قولهم اتخذ الله ولدا وسميت كلمة كما يسمون القصيدة بها فلعلك باخع نفسك على آثارهم نعم
ان لم يؤمنوا شبههم واياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما داخله من الوجد والاسف على توليهم برجل
فارقه احبته واعزته فهو يتساقط حسرات على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وتلهفا على فراقهم وقرئ
باخع نفسك على الاصل وعلى الاضافة اي قاتلها ومهلكها وهو للاستقبال فيمن قرا ان لم يؤمنوا وللمضي فيمن
قرا ان لم يؤمنوا بمعنى لان لم يؤمنوا بهذا الحديث بهذا القرآن اسفا مفعول له اي لفرط الحزن ويجوز ان يكون
حالا والاسف المبالغة في الحزن والغضب يقال رجل اسف واسيف انا جعلنا ما على الارض زينة لها يعني
ما يصلح ان يكون زينة لها ولاهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها لنبلوهم ايهم احسن عملا وحسن العمل
الزهد فيها وترك الاغترار بها ثم زهد في الميل اليها بقوله وانا لجاعلون ما عليها من هذه الزينة صعيدا جرزا
يعني مثل ارض بيضاء لا نبات فيها بعد ان كانت خضراء معشبة في ازالة بهجته واماطة حسنه وابطال ما به
كان زينة من اماتة الحيوان وتجفيف النبات والاشجار ونحو ذلك ذكر من الآيات الكلية تزيين الارض بما خلق
فوقها من الاجناس التي لا حصر لها وازالة ذلك كله كان لم يكن ثم قال ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم
يعني ان ذلك اعظم من قصة اصحاب الكهف وابقاء حياتهم مدة طويلة والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم
اسم كلبهم قال امية بن ابي الصلت

وليس بها الا الرقيم مجاورا ۝ وصيدهم والقوم في الكهف همد ۝

وقيل هو لوح من رصاص رقمت فيه اسماؤهم جعلت على باب الكهف وقيل ان الناس رقموا حديثهم نقرا في الجبل
وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف وقيل الجبل وقيل مكانهم بين غضبان وايلة دون فلسطين
كانوا من آياتنا عجبا كانوا آية عجبا من آياتنا وصفا بالمصدر او على ذات عجب اذ اوى الفتية الى الكهف
فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة اي رحمة من خزائن رحمتك وهي المغفرة والرزق والامن من الاعداء وهيئ
لنا من امرنا الذي نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا حتى نكون بسببه راشدين مهتدين او اجعل امرنا
رشدا كله كقولك رأيت منك اسدا فضربنا على آذانهم في الكهف اي ضربنا عليها حجابا من ان تسمع يعني انمناهم
انامة ثقيلة لا تنبههم فيها الاصوات كما ترى المستثقل في نومه يصاح به فلا يسمع ولا يستنبه فحذف المفعول
الذي هو الحجاب كما يقال بنى على امراته يريدون بنى عليها القبة سنين عددا ذوات عدد فيحتمل ان يريد
الكثرة وان يريد القلة لان الكثير قليل عنده كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار وقال الزجاج اذا قل فهم مقدار
عدده فلم يحتج ان يعد واذا كثر احتاج الى ان يعد ثم بعثناهم لنعلم اي الحزبين احصى لما لبثوا امدا اي
ضمن معنى الاستفهام فعلق عنه لنعلم فلم يعمل فيه وقرئ ليعلم وهو معلق عنه ايضا لان ارتفاعه بالابتداء لا
باسناد يعلم اليه وفاعل يعلم مضمون الجملة كما انه مفعول نعلم اي الحزبين المختلفين منهم في مدة لبثهم لانهم لما
انتبهوا اختلفوا في ذلك وذلك قوله قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم
وكان الذين قالوا ربكم اعلم بما لبثتم هم الذين علموا ان لبثهم قد تطاول او اي الحزبين المختلفين من غيرهم واحصى فعل
ماض اي ايهم ضبط امدا لاوقات لبثهم فان قلت فما تقول فيمن جعله من افعل التفضيل قلت ليس بالوجه السديد
وذلك ان بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس ونحو اعدى من الجرب وافلس من ابن المذلق شاذ والقياس على الشاذ
في غير القرآن ممتنع فكيف به ولان امدا لا يخلو اما ان ينتصب بافعل وافعل لا يعمل واما ان ينتصب بلبثوا فلا يسد
عليه المعنى فان زعمت اني انصبه باضمار فعل يدل عليه احصى كما اضمر في قوله واضرب منا بالسيوف القوانسا
على نضرب القوانس فقد ابعدت المتناول وهو قريب حيث ابيت ان يكون احصى فعلا ثم رجعت مضطرا الى
تقديره واضماره فان قلت كيف جعل الله تعالى العلم بالاحصاء غرضا في الضرب على آذانهم قلت الله عز
وجل لم يزل عالما بذلك وانما اراد ما تعلق به العلم من ظهور الامر لهم ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم واعتبارا ويكون لطفا
لمؤمني زمانهم وآية بينة لكفاره نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى
بالتوفيق والتثبيت وربطنا على قلوبهم وقويناها بالصبر على هجر الاوطان والنعم والفرار بالدين الى بعض
الغيران وجسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالاسلام اذ قاموا بين يدي الجبار وهو دقيانوس من
غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه
الها لقد قلنا اذا شططا قولا ذا شطط وهو الافراط في الظلم والابعاد فيه من شط اذا بعد ومنه اشط في السوم

هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة هؤلاء مبتدأ وقومنا عطف بيان واتخذوا خبره وهو اخبار في معنى انكار
لولا يأتون عليهم هلا يأتون على عبادتهم فحذف المضاف بسلطان بين وهو تبكيت لان الاتيان بالسلطان على
عبادة الاوثان محال وهو دليل على فساد التقليد وانه لا بد في الدين من الحجة حتى يصح ويثبت فمن اظلم ممن افترى
على الله كذبا بنسبة الشريك اليه واذ اعتزلتموهم خطاب من بعضهم لبعض حين صممت عزيمتهم على الفرار
بدينهم وما يعبدون نصب عطف على الضمير يعني واذا اعتزلتم المشركين ومعبوديهم الا الله يجوز ان يكون
استثناء متصلا على ما روي انهم كانوا يقرون بالخالق ويشركون معه كما اهل مكة وان يكون منقطعا وقيل هو كلام معترض
اخبار من الله تعالى عن الفتية انهم لم يعبدوا غير الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ
لكم من امركم مرفقا وهو بفتح الميم وكسرها وهو ما يرتفق به اي ينتفع انما قالوا ذلك ثقة
بفضل الله وقوة في رجائهم لتوكلهم عليه ونصوع يقينهم واما ان اخبرهم به نبي في عصرهم واما ان يكون
بعضهم نبيا وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم تتزاور مخفف بادغام التاء في الزاي او بحذفها
وقد قرئ بهما وقرئ تزور وتزوار بوزن تحمر وتحمار وكلها من الزور وهو الميل ومنه زاره اذا مال اليه والزور
الميل عن الصدق ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها الجهة المسماة باليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال
تقطعهم لا تقربهم من معنى القطيعة والصرم قال ذو الرمة

الى ظعن يقرضن اقواز مشرف ◦ شمالا وعن ايمانهن الفوارس

وهم في فجوة منه وهم في متسع من الكهف المعنى انهم في ظل نهارهم كله لا تصيبهم الشمس في طلوعها ولا غروبها
مع انهم في مكان واسع منفتح معرض لاصابة الشمس لولا ان الله يحجبها عنهم وقيل في متسع من غارهم ينالهم
فيه روح الهواء وبرد النسيم ولا يحسون كرب الغار ذلك من آيات الله اي ما صنعه الله بهم من ازورار
الشمس وقرضها طالعة وغاربة آية من آياته يعني ما كان في ذلك السمت تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصا
لهم بالكرامة وقيل باب الكهف شمالي مستقبل لبنات نعش فهم في مقنأة ابدا ومعنى ذلك من آيات الله ان شأنهم
وحديثهم من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا من يهدي الله فهو
المهتدي ثناء عليهم بانهم جاهدوا في الله واسلموا له وجوههم فلطف بهم واعانهم وارشدهم الى نيل تلك الكرامة
السنية والاختصاص بالآية العظيمة وان كل من سلك طريقة المهتدين الراشدين فهو الذي اصاب الفلاح
واهتدى الى السعادة ومن تعرض للخذلان فهو فلن تجد من يليه ويرشده بعد خذلان الله وتحسبهم ايقاظا
وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وتحسبهم بكسر السين وفتحها خطاب لكل احد والايقاظ
جمع يقظ كانكاد في نكد قيل عيونهم مفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك ايقاظا وقيل لكثرة تقلبهم وقيل
لهم تقلبتان في السنة وقيل تقلبة واحدة في يوم عاشوراء وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير لله عز وجل وقرئ وتقلبهم
على المصدر منصوبا بفعل مضمر يدل عليه وتحسبهم ايقاظا كانه قيل وترى وتشاهد تقلبهم
وقرأ جعفر الصادق وكالبهم اي وصاحب كلبهم وكلبهم باسط ذراعيه حكاية حال ماضية
الا اذا نويت حكاية الحال الماضية بالوصيد والوصيد الفناء وقيل العتبة وقيل الباب وانشد

بارض فضاء لا يسد وصيدها ◦ علي ومعروفي بها غير منكر

لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا ولملئت بتشديد اللام للمبالغة وقرئ بتخفيف الهمزة
وقلبها ياء ورعبا بالتخفيف والتثقيل وهو الذي يرعب الصدر اي يملأه وذلك لما البسهم الله من الهيبة وقيل لطول
اظفارهم وشعورهم وعظم اجرامهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية انه غزا الروم فمر بالكهف فقال
لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رضي الله عنه ليس لك ذلك قد منع الله تعالى منه من هو خير
منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فقال معاوية لا انتهي حتى اعلم علمهم فبعث ناسا وقال لهم اذهبوا فانظروا
ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله تعالى ريحا فاحرقتهم وقرئ لو اطلعت بضم الواو وكذلك بعثناهم وكما انمناهم
تلك النومة بعثناهم اذكارا بقدرته على الانامة والبعث جميعا ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم
ليسأل بعضهم بعضا ويتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله ويزدادوا يقينا
ويشكروا ما انعم الله به عليهم وكثر مواهبه قالوا لبثنا يوما او بعض يوم جواب مبني على غالب الظن وفيه دليل
على جواز الاجتهاد والقول بالظن الغالب وانه لا يكون كذبا وان جاز ان يكون خطأ قالوا ربكم اعلم بما لبثتم
بعضهم وان الله اعلم بمدة لبثهم كأن هؤلاء قد علموا بالادلة او بالهام من الله ان المدة متطاولة وان مقدارها مبهم
لا يعلمه الا الله وروي انهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم بعد الزوال فظنوا انهم في يومهم فلما نظروا الى طول

الاقواز الرمل واحدها قوز ومشرف علم الرملة والفوارس علم الرمال

اظفارهم واشعارهم قالوا ذلك فان قلت كيف وصلوا قولهم فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة بما قبله
قلت كانهم قالوا ربكم اعلم بذلك لا طريق لكم الى علمه فخذوا في شيء آخر مما يهمكم والورق الفضة مضروبة
كانت او غير مضروبة ومنه الحديث ان عرفجة اصيب انفه يوم الكلاب فاتخذ انفا من ورق فانتن فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يتخذ انفا من ذهب وقرئ بورقكم بسكون الراء والواو مفتوحة او مكسورة وقرأ ابن كثير بورقكم بكسر
الراء وادغام القاف في الكاف وعن ابن محيصن انه كسر الواو واسكن الراء وادغم وهذا غير جائز لالتقاء الساكنين
لا على حده والمدينة طرسوس قالوا وتزودهم ما كان معهم من الورق عند فرارهم دليل على ان حمل النفقة
وما يصلح المسافر هو رأي المتوكلين على الله دون المتكلين على الاتفاقات وعلى ما في اوعية القوم من النفقات ومنه
قول عائشة رضي الله عنها لمن سألها عن محرم يشد عليه هميانه اوثق عليك نفقتك وعن بعض صعاليك العلماء انه
كان شديد الحنين الى ان يرزق حج بيت الله وتقول منه لذلك وكانت مياسير اهل بلده كلما عزم منهم فوج على الحج اتوه
فبذلوا له ان يحجوه والحوا عليه فيعتذر اليهم ويحمد اليهم بذلهم فاذا انفضوا عنه قال لمن عنده ما لهذا السفر
الا شيئان شد الهميان والتوكل على الرحمن فلينظر ايها اي اي اهلها فحذف الاهل كما في قوله واسأل القرية ازكى طعاما
احل واطيب واكثر وارخص فليأتكم برزق منه وليتلطف وليتكلف اللطف والثقة فيما يباشره من امر المبايعة
حتى لا يغبن او في امر التخفي حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم احدا يعني ولا يفعلن ما يؤدي من غير قصد منه الى
الشعور بنا فسمى ذلك اشعارا منه بهم لانه سبب فيه والضمير في انهم راجع الى الاهل المقدر في ايها ان يظهروا عليكم
يرجموكم يقتلوكم اخبث القتلة وهي الرجم وكانت عادتهم او يعيدوكم في ملتهم او يصيروكم اليها بالاكراه العنف
ويصيروكم اليها والعود في معنى الصيرورة اكثر شيء في كلامهم يقولون ما عدت افعل كذا يريدون ابتداء الفعل
ولن تفلحوا اذا ابدا ان دخلتم في دينهم وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا ان وعد الله حق وان الساعة لا ريب فيها
اذ يتنازعون بينهم امرهم وكما انمناهم وبعثناهم لما في ذلك من الحكمة اطلعنا عليهم ليعلم الذين اطلعناهم ان
وعد الله حق وهو البعث لان حالهم في نومهم وانتباههم بعدها كحال من يموت ثم يبعث اذ يتنازعون متعلق باعثرنا
اي اعثرناهم عليهم حين يتنازعون بينهم امر دينهم ويختلفون في حقيقة البعث وكان بعضهم يقول تبعث الارواح
دون الاجساد وبعضهم يقول تبعث حية حساسة فيها ارواحها كما كانت قبل الموت فقالوا حين توفى الله اصحاب الكهف ابنوا
عليهم بنيانا اي على باب كهفهم لئلا يتطرق اليهم الناس ضنا بتربتهم ومحافظة عليها كما حفظت تربة رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالحظيرة ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم من المسلمين وملكهم وكانوا اولى بهم وبالبناء عليهم
لنتخذن عليهم على باب الكهف مسجدا يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم وقيل اذ يتنازعون بينهم امرهم اي يتذاكر
الناس اصحاب الكهف ويتكلمون في قصتهم وما اظهر الله من الآية فيهم او يتنازعون بينهم امرهم حتى توفوا كيف
يخفون مكانهم وكيف يسدون الطريق اليهم فقالوا ابنوا على باب كهفهم بنيانا روي ان اهل الانجيل عظمت فيهم الخطايا
وطغت ملوكهم حتى عبدوا الاصنام واكرهوا على عبادتها وممن شدد في ذلك دقيانوس فاراد فتية من اشراف قومه على
الشرك وتوعدهم بالقتل فابوا الا الثبات على الايمان والتصلب فيه ثم هربوا الى الكهف ومروا بكلب فتبعهم فطردوه
فانطقه الله وقال ما تريدون مني انا احب احباء الله فناموا وانا احرسكم وقيل مروا براع ومعه كلب فتبعهم على
دينهم ودخلوا الكهف وكانوا يعبدون الله فيه ثم ضرب الله على آذانهم وقبل ان يبعثهم الله ملك مدينتهم رجل صالح
مؤمن وقد اختلف اهل مملكته في البعث معترفين وجاحدين فدخل الملك بيته واغلق بابه ولبس مسحا وجلس على
رماد وسأل ربه ان يبين لهم الحق فالقى الله في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد به فم الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه ولما
دخل المدينة من بعثوه لابتياع الطعام واخرج الورق وكان من ضرب دقيانوس اتهموه انه وجد كنزا فذهبوا به
الى الملك فقص عليه القصة فانطلق الملك واهل المدينة معه وابصروهم وحمدوا الله على الآية الدالة على البعث
ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم وتوفى الله انفسهم
فالقى الملك عليهم ثيابه وامر فجعل لكل واحد تابوتا من ذهب فرآهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج
وبنى على باب الكهف مسجدا ربهم اعلم بهم من كلام المتنازعين كأنهم تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم واحوالهم
ومدة لبثهم فلما لم يهتدوا الى حقيقة ذلك قالوا ربهم اعلم بهم او هو من كلام الله عز وجل رد لقول الخائضين في حديثهم
من اولئك المتنازعين او من الذين تنازعوا فيهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب سيقولون ثلاثة
رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي اعلم
بعدتهم ما يعلمهم الا قليل الضمير لمن خاض في قصتهم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب والمؤمنين
سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخر الجواب الى ان يوحى اليه فيهم فنزلت اخبارا بما سيجري بينهم من اختلافهم في عددهم

وإن المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم كلبهم، وقال ابن عباس رضي الله عنه: أنا من أولئك القليل. وروي أن السيد والعاقب وأصحابهما من أهل نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر أصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبياً: كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم، وقال العاقب وكان نسطورياً: كانوا خمسة سادسهم كلبهم، وقال المسلمون: كانوا سبعة وثامنهم كلبهم، فحقق الله قول المسلمين، وإنما عرفوا ذلك بإخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لسان جبريل عليه السلام. وعن علي رضي الله عنه: هم سبعة نفر أسماؤهم يمليخا ومكشلينيا ومشلينيا هؤلاء أصحاب يمين الملك، وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش، وكان يستشير هؤلاء الستة في أمره، والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس، واسم مدينتهم أفسوس، واسم كلبهم قطمير. فإن قلت: لم جاء بسين الاستقبال في الأول دون الآخرين؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما أن يدخل الآخرين في حكم السين كما تقول قد أكرم وأنعم، تريد معنى التوقع في الفعلين جميعاً، وأن يريد بيفعل معنى الاستقبال الذي هو صالح له. رجماً بالغيب رمياً بالخبر الخفي وإتياناً به، كقوله ويقذفون بالغيب، أي يأتون به، أو وضع الرجم موضع الظن فكأنه قيل ظناً بالغيب لأنهم أكثروا أن يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين، ألا ترى إلى قول زهير:

وما هو عنها بالحديث المرجم

أي المظنون. وقرئ ثلاث رابعهم بإدغام الثاء في التاء، وثلاثة خبر مبتدأ محذوف أي هم ثلاثة، وكذلك خمسة وسبعة، ورابعهم كلبهم جملة من مبتدأ وخبر واقعة صفة لثلاثة، وكذلك سادسهم كلبهم وثامنهم كلبهم. فإن قلت: فما هذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة ولم دخلت عليها دون الأوليين؟ قلت: هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الواقعة حالاً عن المعرفة في نحو قولك جاءني رجل ومعه آخر، ومررت بزيد وفي يده سيف، ومنه قوله جل وعلا وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم، وفائدتها تأكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر، وهذه الواو هي التي آذنت بأن الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوه عن ثبات علم وطمأنينة نفس ولم يرجموا بالظن كما رجم غيرهم، والدليل عليه أنه سبحانه أتبع القولين الأوليين قوله رجماً بالغيب، وأتبع القول الثالث وما يعلمهم إلا قليل، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: حين وقعت الواو انقطعت العدة، أي لم يبق بعدها عدة عاد يلتفت إليها، وثبت أنهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والثبات. وقيل إلا قليل من أهل الكتاب، والضمير في سيقولون على هذا لأهل الكتاب خاصة، أي سيقول أهل الكتاب فيهم كذا وكذا، ولا علم بذلك إلا في قليل منهم، وأكثرهم على ظن وتخمين. فلا تمار فيهم فلا تجادل أهل الكتاب في شأن أهل الكهف إلا مراء ظاهراً جدالاً ظاهراً غير متعمق فيه، كما قال وجادلهم بالتي هي أحسن. ولا تستفت فيهم منهم أحداً ولا تسأل أحداً منهم عن قصتهم سؤال متعنت له حتى يقول شيئاً فترده عليه وتزيف ما عنده، لأن ذلك خلاف ما وصيت به من المداراة والمجاملة، ولا سؤال مسترشد لأن الله قد أرشدك بأن أوحى إليك قصتهم. ولا تقولن لشيء ولا تقولن لأجل شيء تعزم عليه إني فاعل ذلك غداً أي فيما يستقبل من الزمان، ولم يرد الغد خاصة. إلا أن يشاء الله متعلق بالنهي لا بقوله إني فاعل، لأنه لو قال إني فاعل كذا إلا أن يشاء الله كان معناه إلا أن تعترض مشيئة الله دون فعله، وذلك مما لا مدخل فيه للنهي، وتعلقه بالنهي على وجهين: أحدهما ولا تقولن ذلك القول إلا أن يشاء الله أن تقوله بأن يأذن لك فيه، والثاني ولا تقولنه إلا بأن يشاء الله، أي إلا بمشيئة الله، وهو في موضع الحال، يعني إلا ملتبساً بمشيئة الله قائلاً إن شاء الله، وفيه وجه ثالث وهو أن يكون إن شاء الله في معنى كلمة تأبيد كأنه قيل ولا تقولنه أبداً، ونحوه قوله وما كان لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله، لأن عودهم في ملتهم مما لم يشأه الله، وهذا نهي تأديب من الله لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وذي القرنين، فسألوه فقال ائتوني غداً أخبركم، ولم يستثن، فأبطأ عليه الوحي حتى شق عليه وكذبته قريش. واذكر ربك أي مشيئة ربك وقل إن شاء الله إذا نسيت إذا فرط منك نسيان لذلك، والمعنى إذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت عليها فتداركها بالذكر. وعن ابن عباس: ولو بعد سنة ما لم تحنث. وعن سعيد بن جبير: ولو بعد يوم أو أسبوع أو شهر أو سنة. وعن طاوس: هو على ثنياه ما دام في مجلسه. وعن الحسن نحوه. وعن عطاء: يستثني على مقدار حلب ناقة غزيرة. وعند عامة الفقهاء أنه لا أثر له في الأحكام ما لم يكن موصولاً. ويحكى أنه بلغ المنصور أن أبا حنيفة خالف ابن عباس في الاستثناء المنفصل فاستحضره لينكر عليه، فقال له أبو حنيفة: هذا يرجع عليك، إنك تأخذ البيعة بالأيمان، أفترضى أن يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك؟ فاستحسن كلامه ورضي عنه. ويجوز أن يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار إذا نسيت كلمة الاستثناء تشديداً في البعث على الاهتمام بها، وقيل واذكر ربك إذا تركت بعض ما أمرك به، وقيل واذكره إذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي، وقد حمل على أداء الصلاة المنسية عند ذكرها. وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشداً وهذا إشارة إلى نبأ أصحاب الكهف، ومعناه لعل الله يؤتيني من البينات والحجج على أني نبي صادق ما هو أعظم في الدلالة وأقرب رشداً من نبأ أصحاب الكهف، وقد فعل ذلك حيث آتاه من قصص الأنبياء

والإخبار بالغيوب ما هو أعظم من ذلك وأدل. والظاهر أن يكون المعنى إذا نسيت شيئاً فاذكر ربك، وذكر ربك عند نسيانه أن تقول عسى ربي أن يهديني لشيء آخر بدل هذا المنسي أقرب منه رشداً وأدنى خيراً ومنفعة، ولعل النسيان كان خيرة كقوله أو ننسها نأت بخير منها. ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً يريد لبثهم فيه أحياء مضروباً على آذانهم هذه المدة، وهو بيان لما أجمل في قوله فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً. ومعنى قوله قل الله أعلم بما لبثوا أنه أعلم من الذين اختلفوا فيهم بمدة لبثهم، والحق ما أخبرك به. وعن قتادة أنه حكاية لكلام أهل الكتاب، وقل الله أعلم رد عليهم، وقال في حرف عبد الله وقالوا لبثوا. وسنين عطف بيان لثلاثمائة، وقرئ ثلاثمائة سنين بالإضافة على وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كقوله بالأخسرين أعمالاً، وفي قراءة أبي ثلاثمائة سنة. تسعاً تسع سنين لأن ما قبله يدل عليه. له غيب السماوات والأرض أبصر به وأسمع ذكر اختصاصه بما غاب في السماوات والأرض وخفي فيها من أحوال أهلها ومن غيرها، وأنه هو وحده العالم به، وجاء بما دل على التعجب من إدراكه للمسموعات والمبصرات للدلالة على أن أمره في الإدراك خارج عن حد ما عليه إدراك السامعين والمبصرين، لأنه يدرك ألطف الأشياء وأصغرها كما يدرك أكبرها حجماً وأكثفها جرماً، ويدرك البواطن كما يدرك الظواهر. ما لهم الضمير لأهل السماوات والأرض من دونه من ولي من يتولى أمورهم ولا يشرك في حكمه في قضائه أحداً منهم. وقرأ ابن عامر وقالون ولا تشرك بالتاء والجزم على النهي. واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته كانوا يقولون له ائت بقرآن غير هذا أو بدله، فقيل له واتل ما أوحي إليك من القرآن ولا تسمع لما يهذون به من طلب التبديل، فلا مبدل لكلمات ربك، أي لا يقدر أحد على تبديلها وتغييرها، إنما يقدر على ذلك هو وحده، وإذا بدلنا آية مكان آية. ولن تجد من دونه ملتحداً ملتجأ تعدل إليه إن هممت بذلك. واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم: نح هؤلاء الموالي الذين كأن ريحهم ريح الضأن، وهم صهيب وعمار وخباب وغيرهم من فقراء المسلمين، حتى نجالسك، كما قال قوم نوح واتبعك الأرذلون، فنزلت. واصبر نفسك واحبسها معهم وثبتها، قال أبو ذؤيب:

فصبرت عارفة لذلك حرة ... ترسو إذا نفس الجبان تطلع

بالغداة والعشي دائبين على الدعاء في كل وقت، وقيل المراد صلاة الفجر والعصر، وقرئ بالغدوة، وبالغداة أجود لأن غدوة علم في أكثر الاستعمال، وإدخال اللام على تأويل التنكير كما قال:

والزيد زيد المعارك

ونحوه قليل في كلامهم. ولا تعد عيناك عنهم يقال عداه إذا جاوزه، ومنه قولهم عدا طوره، وجاء القوم عدا زيداً، وإنما عدي بعن لتضمين عدا معنى نبا وعلا في قولك نبت عنه عينه وعلت عنه عينه إذا اقتحمته ولم تعلق به. فإن قلت: أي غرض في هذا التضمين، وهلا قيل ولا تعدهم عيناك أو ولا تعل عيناك عنهم؟ قلت: الغرض فيه إعطاء مجموع معنيين، وذلك أقوى من إعطاء معنى فذ، ألا ترى كيف رجع المعنى إلى قولك ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين إلى غيرهم، ونحوه قوله ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم، أي ولا تضموها إليها آكلين لها. وقرئ ولا تعد عينيك من أعداه وعداه نقلاً بالهمزة وتثقيل الحشو، ومنه قوله:

فعد عما ترى إذ لا ارتجاع له

لأن معناه فعد همك عما ترى. نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزدري بفقراء المؤمنين وأن تنبو عيناه عن رثاثة زيهم طموحاً إلى زي الأغنياء وحسن شارتهم. تريد زينة الحياة الدنيا في موضع الحال. ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه من جعلنا قلبه غافلاً عن الذكر بالخذلان، أو وجدناه غافلاً عنه كقولك أجبنته وأفحمته وأبخلته إذا وجدته كذلك، أو من أغفل إبله إذا تركها بغير سمة، أي لم نسمه بالذكر ولم نجعلهم من الذين كتبنا في قلوبهم الإيمان، وقد أبطل الله توهم المجبرة بقوله واتبع هواه. وقرئ أغفلنا قلبه بإسناد الفعل إلى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين من أغفلته إذا وجدته غافلاً. وكان أمره فرطاً متقدماً للحق والصواب نابذاً له وراء ظهره، من قولهم فرس فرط متقدم للخيل. وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر الحق خبر مبتدأ محذوف، والمعنى جاء الحق وزاحت العلل فلم يبق إلا اختياركم لأنفسكم ما شئتم من الأخذ في طريق النجاة أو في طريق الهلاك، وجيء بلفظ الأمر والتخيير لأنه لما مكن من اختيار أيهما شاء فكأنه مخير مأمور بأن يتخير ما شاء من النجدين. إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق وهي الحجرة التي تكون حول الفسطاط، وبيت مسردق ذو سرادق، وقيل هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار، وقيل حائط من نار يطيف بهم. وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل كقوله:

فأعتبوا بالصيلم

وفيه تهكم. والمهل ما أذيب من جواهر الأرض، وقيل دردي الزيت. يشوي الوجوه إذا قدم ليشرب انشوى الوجه من حرارته، عن النبي صلى الله عليه وسلم: هو كعكر الزيت فإذا قرب إليه سقطت فروة وجهه. بئس الشراب وساءت مرتفقاً متكأ من المرفق، وهذا لمشاكلة قوله وحسنت مرتفقاً، وإلا فلا ارتفاق لأهل النار ولا اتكاء، إلا أن يكون من قوله:

إني أرقت فبت الليل مرتفقا ۝ كأن عيني فيها الصاب مذبوح ۝

إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا ۝ أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا ۝ أولئك خبر إن وإنا لا نضيع اعتراض ولك أن تجعل إنا لا نضيع وأولئك خبرين معا أو تجعل أولئك كلاما مستأنفا بيانا للأجر المبهم فإن قلت إذا جعلت إنا لا نضيع خبرا فأين الضمير الراجع منه إلى المبتدأ قلت من أحسن عملا والذين آمنوا وعملوا الصالحات ينتظمهما معنى واحد فقام من أحسن مقام الضمير أو أردت من أحسن عملا منهم فكان كقولك السمن منوان بدرهم ومن الأولى للابتداء والثانية للتبيين وتنكير أساور لإبهام أمرها في الحسن وجمع بين السندس وهو ما رق من الديباج وبين الإستبرق وهو الغليظ منه جمعا بين النوعين وخص الاتكاء لأنه هيئة المتنعمين والملوك على أسرتهم واضرب لهم مثلا رجلين أي ومثل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين كانا أخوين في بني إسرائيل أحدهما كافر اسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا وقيل هما المذكوران في سورة والصافات في قوله قال قائل منهم إني كان لي قرين ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فتشاطراها فاشترى الكافر أرضا بألف فقال المؤمن اللهم إن أخي اشترى أرضا بألف دينار وأنا أشتري منك أرضا في الجنة بألف فتصدق به ثم بنى أخوه دارا بألف فقال اللهم إني أشتري منك دارا في الجنة بألف فتصدق به ثم تزوج أخوه امرأة بألف فقال اللهم إني جعلت ألفا صداقا للحور العين ثم اشترى أخوه خدما ومتاعا بألف فقال اللهم إني اشتريت منك الولدان المخلدين بألف فتصدق به ثم أصابته حاجة فجلس لأخيه على طريقه فمر به في حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق بماله وقيل هما مثل لأخوين من بني مخزوم مؤمن وهو أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد وكان زوج أم سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكافر وهو الأسود بن عبد الأسد جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب بستانين من كروم وحففناهما بنخل وجعلنا النخل محيطا بالجنتين وهذا مما يؤثره الدهاقين في كرومهم أي يجعلونها مؤزرة بالأشجار المثمرة يقال حفوه إذا طافوا به وحففته بهم أي جعلتهم حافين حوله وهو متعد إلى مفعول واحد فتزيده الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيته وغشيته به وجعلنا بينهما زرعا كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا ۝ جعلها أرضا جامعة للأقوات والفواكه ووصف العمارة بأنها متواصلة متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها ويفصل بينها مع الشكل الحسن والترتيب الأنيق ونعتهما بوفاء الثمار وتمام الأكل من غير نقص ثم بما هو أصل الخير ومادته من أمر الشرب فجعله أفضل ما يسقى به وهو النهر الجاري فيها والأكل الثمر وقرئ بضم الكاف ولم تظلم ولم تنقص وآتت حمل على اللفظ لأن كلتا لفظه مفرد ولو قيل آتتا على المعنى لجاز وقرئ وفجرنا على التخفيف وقرأ عبد الله كلتا الجنتين آتى أكله برد الضمير على كل وكان له ثمر أي أنواع من المال من ثمر ماله إذا كثره وعن مجاهد الذهب والفضة أي كانت له إلى الجنتين الموصوفتين الأموال الكثيرة من الذهب والفضة وغيرهما فكان وافر اليسار من كل وجه متمكنا من عمارة الأرض كيف شاء فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ۝ يعني أنصارا وحشما وقيل أولادا ذكورا لأنهم ينفرون معه دون الإناث ويحاوره يراجعه الكلام من حار يحور إذا رجع وسأله فما أخاه كله يعني قطروس أخذ بيد المسلم يطوف به في الجنتين ويريه ما فيهما ويعجبه منهما ويفاخره بما ملك من المال دونه ودخل جنته فإن قلت لم أفرد الجنة بعد التثنية قلت معناه ودخل ما هو جنته ما له جنة غيرها يعني أنه لا نصيب له في الجنة التي وعد المؤمنون فما ملكه في الدنيا هو جنته لا غير ولم يقصد الجنتين ولا واحدة منهما وهو ظالم لنفسه وهو معجب بما أوتي مفتخر به كافر لنعمة ربه معرض بذلك نفسه لسخط الله وهو أفحش الظلم قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا ۝ أخبر عن نفسه بالشك في بيودة جنته لطول أمله واستيلاء الحرص عليه وتمادي غفلته واغتراره بالمهلة واطراحه النظر في عواقب أمثاله وترى أكثر الأغنياء من المسلمين وإن لم يطلقوا بنحو هذا ألسنتهم فإن ألسنة أحوالهم ناطقة به منادية عليه وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها أقسم منه على أنه إن رد إلى ربه على سبيل الفرض والتقدير وكما يزعم صاحبه ليجدن في الآخرة خيرا من جنته في الدنيا تطمعا وتمنيا على الله وادعاء لكرامته عليه ومكانته عنده وأنه ما أولاه الجنتين إلا لاستحقاقه واستئهاله له وأن معه هذا الاستحقاق أين توجه كقوله إن لي عنده للحسنى لأوتين مالا وولدا وقرئ خيرا منهما ردا على الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة وانتصابه على التمييز أي منقلب تلك خير من منقلب هذه لأنها فانية وتلك باقية قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب أي خلق أصلك لأن خلق أصله سبب في خلقه فكان خلقه خلقا له ثم من نطفة ثم سواك رجلا ۝ عدلك وكملك إنسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعله كافرا بالله جاحدا لأنعمه لشكه في البعث كما يكون المكذب بالرسول كافرا لكنا

هو الله ربي

هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا ۝ أصله لكن أنا فحذفت الهمزة وألقيت حركتها على نون لكن فتلاقت النونان فكان الإدغام ونحوه قول القائل ۝

وترمينني بالطرف أي أنت مذنب ۝ وتقلينني لكن إياك لا أقلي ۝

أي لكن أنا لا أقليك وهو ضمير الشأن والشأن الله ربي والجملة خبر أنا والراجع منها إليه ياء الضمير وقرأ ابن عامر بإثبات ألف أنا في الوقف والوصل جميعا وحسن ذلك وقوع الألف عوضا من حذف الهمزة وغيره لا يثبتها إلا في الوقف وعن أبي عمرو أنه وقف بالهاء لكنه وقرئ لكن هو الله ربي بسكون النون وطرح أنا وقرأ أبي لكن أنا على الأصل وفي قراءة عبد الله لكن أنا لا إله إلا هو ربي فإن قلت هو استدراك لماذا قلت لقوله أكفرت قال لأخيه أنت كافر بالله لكني مؤمن موحد كما تقول زيد غائب لكن عمرا حاضر ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله يجوز أن تكون ما موصولة مرفوعة المحل على أنها خبر مبتدأ محذوف تقديره الأمر ما شاء الله وأن تكون شرطية منصوبة المحل والجزاء محذوف بمعنى أي شيء شاء الله كان ونظيرها في حذف الجواب لو في قوله تعالى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر إلى ما رزقك الله منها الأمر ما شاء الله اعترافا بأنها وكل خير فيها إنما حصل بمشيئة الله وفضله وأن أمرها بيده إن شاء تركها عامرة وإن شاء خربها وقلت لا قوة إلا بالله إقرارا بأن ما قويت به على عمارتها وتدبير أمرها هو بمعونته وتأييده إذ لا يقوى أحد في بدنه ولا في ملك يده إلا بالله وعن عروة بن الزبير أنه كان يثلم حائطه أيام الرطب فيدخل من شاء وكان إذا دخله ردد هذه الآية حتى يخرج إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا ۝ فعسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء من قرأ أقل بالنصب فقد جعل أنا فصلا ومن رفع جعله مبتدأ وأقل خبره والجملة مفعولا ثانيا لترن وفي قوله وولدا نصرة لمن فسر النفر بالأولاد في قوله وأعز نفرا والمعنى إن ترن أفقر منك فأنا أتوقع من صنع الله أن يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني لإيماني جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب بستانك والحسبان مصدر كالغفران والبطلان بمعنى الحساب أي مقدارا قدره الله وحسبه وهو الحكم بتخريبها وقال الزجاج عذاب حسبان وذلك الحسبان حساب ما كسبت يداك وقيل حسبانا مرامي الواحد حسبانة وهي الصواعق فتصبح صعيدا زلقا أرضا بيضاء يزلق عليها لملاستها أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا ۝ زلقا وغورا كلاهما وصف بالمصدر وأحيط بثمره وأحيط به عبارة عن إهلاكه وأصله من أحاط به العدو لأنه إذا أحاط به فقد ملكه واستولى عليه ثم استعمل في كل إهلاك ومنه قوله تعالى إلا أن يحاط بكم ومثله قولهم أتى عليه إذا أهلكه من أتى عليهم العدو إذا جاءهم مستعليا لهم فأصبح يقلب كفيه وتقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر لأن النادم يقلب كفيه ظهرا لبطن كما كنى عن ذلك بعض الكف والسقوط في اليد ولأنه في معنى الندم عدي تعديته بعلى كأنه قيل فأصبح يندم على ما أنفق فيها أي أنفق في عمارتها وهي خاوية على عروشها يعني أن كرومها المعرشة سقطت عروشها على الأرض وسقطت فوقها الكروم قيل أرسل الله عليها نارا فأكلتها ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا ۝ تذكر موعظة أخيه فعلم أنه أتي من جهة شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله بستانه ويجوز أن يكون توبة من الشرك وندما على ما كان منه ودخولا في الإيمان ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وقرئ ولم يكن بالتاء والياء وحمل ينصرونه على المعنى دون اللفظ كقوله فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم فإن قلت ما معنى قوله ينصرونه من دون الله قلت معناه يقدرون على نصرته من دون الله أي هو وحده القادر على نصرته لا يقدر أحد غيره أن ينصره إلا أنه لم ينصره لصارف وهو استيجابه أن يخذل وما كان منتصرا ۝ وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله هنالك الولاية لله الحق الولاية بالفتح النصرة والتولي وبالكسر السلطان والملك وقد قرئ بهما والمعنى هنالك أي في ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها أحد سواه تقريرا لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله أو هنالك السلطان والملك لله لا يغلب ولا يمتنع منه أو في مثل تلك الحال الشديدة يتولى الله ويؤمن به كل مضطر يعني أن قوله يا ليتني لم أشرك بربي أحدا كلمة ألجئ إليها فقالها جزعا مما دهاه من شؤم كفره ولولا ذلك لم يقلها ويجوز أن يكون المعنى هنالك الولاية لله ينصر فيها أولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم ويشفي صدورهم من أعدائهم يعني أنه نصر فيما فعل بالكافر أخاه المؤمن وصدق قوله عسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا أي لأوليائه وقيل هنالك إشارة إلى الآخرة أي في تلك الدار الولاية لله كقوله لمن الملك اليوم لله وقرئ الحق بالرفع والجر صفة للولاية ولله وقرأ عمرو بن عبيد رحمه الله عليه بالنصب على التأكيد كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل

وهي قراءة حسنة فصيحة وكان عمرو بن عبيد من افصح الناس وافصحهم وقرئ عقبا بضم القاف وسكونها وعقبى
على فعلى وكلها بمعنى العاقبة واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فالتف
بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضا وقيل نجع في النبات الماء فاختلط به حتى روي ورف رفيفا وكان
حق اللفظ على هذا التفسير فاختلط بنبات الارض ووجه صحته ان كل مختلطين موصوف كل واحد منهما
بصفة صاحبه فاصبح هشيما والهشيم ما تهشم وتحطم الواحد هشيمة تذروه الرياح وقرئ تذريه
الريح وعن ابن عباس تذريه الرياح من اذرى شبه حال الدنيا في نضرتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك
والفناء بحال النبات يكون اخضر وارقا ثم يهيج فتطيره الرياح كان لم يكن وكان الله على كل شيء مقتدرا
من الانشاء والافناء مقتدرا ◯ المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات اعمال الخير التي تبقى
ثمرتها للانسان وتفنى عنه كلما تطمح اليه نفسه من حظوظ الدنيا وقيل هي الصلوات الخمس وقيل سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وعن قتادة كل ما اريد به وجه الله خير عند ربك ثوابا وخير املا ◯
اي ما يتعلق بها من الثواب وما يتعلق بها من الامل لان صاحبها يامل في الدنيا ثواب الله ونصيبه في الاخرة ويوم
نسير الجبال قرئ نسير من سيرت ونسير من سيرنا وتسير من سارت اي تسير في الجو او يذهب بها بان
نجعلها هباء منبثا وترى الارض وقرئ وترى الارض على البناء للمفعول بارزة ليس عليها ما يسترها مما كان
عليها وحشرناهم وجمعناهم الى الموقف وقرئ فلم نغادر منهم احدا ◯ بالنون والياء يقال غادره واغدره
اذا تركه ومنه الغديرة لترك الوقاء والغدير ما غادره السيل وعرضوا على ربك صفا وشبهت حالهم
بحال الجند المعروضين على السلطان صفا مصطفين ظاهرين يرى جماعتهم كما يرى كل واحد لا يحجب احد
احدا لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة اي قلنا لهم لقد جئتمونا وهذا المضمر هو عامل النصب في يوم
نسير ويجوز ان ينتصب بمضمر اذكر والمعنى لقد بعثناكم كما انشاناكم اول مرة وقيل جئتمونا عراة لا شيء
معكم كما خلقناكم اولا وقيل جئتمونا فرادى فان قلت لم جيء بحشرناهم ماضيا بعد نسير وترى قلت
للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الاهوال والعظائم كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك
بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا ◯ وقتا لانجاز ما وعدتم على السنة الانبياء من البعث والنشور ووضع
الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه الكتاب للجنس وهو صحف الاعمال ويقولون يا ويلتنا ينادون
هلكتهم التي هلكوها خاصة من بين الهلكات ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها
هنة صغيرة ولا كبيرة وهي عبارة عن الاحاطة يعني لا يترك شيئا من المعاصي الا احصاه اي احصاها كلها
كما تقول ما اعطاني قليلا ولا كثيرا لان الاشياء اما صغار واما كبار ويجوز ان يريد ما كان عندهم صغائر وكبائر
وقيل لم يجتنبوا الكبائر فكتبت عليهم الصغائر وهي المناقشة وعن ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة
وعن سعيد بن جبير الصغيرة المسيس والكبيرة الزنا وعن الفضيل كان اذا قراها قال ضجوا والله من الصغائر
قبل الكبائر الا احصاها الا ضبطها وحصرها ووجدوا ما عملوا حاضرا في الصحف عتيدا او جزاء ما عملوا ولا
يظلم ربك احدا ◯ فيكتب عليه ما لم يعمل او يزيد في عقابه المستحق او يعذبه بغير جرم كما يزعم من ظلم الله في
تعذيب اطفال المشركين بذنوب آبائهم واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس كان من
الجن كلام مستانف جار مجرى التعليل بعد استثناء ابليس من الساجدين كان قائلا قال ما له لم يسجد فقيل كان
من الجن ففسق عن امر ربه والفاء للتسبيب ايضا جعل كونه من الجن سببا في فسقه يعني انه لو كان ملكا
كسائر من سجد لادم لم يفسق عن امر الله لان الملائكة معصومون البتة لا يجوز عليهم ما يجوز على الجن والانس
كما قال لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وهذا الكلام المعترض تعمد من الله عز وعلا لصيانة الملائكة عن
وقوع شبهة في عصمتهم فما ابعد البون بين ما تعمده الله وبين قول من ضاده فزعم انه كان ملكا ورئيسا على
الملائكة فعصى فلعن ومسخ شيطانا ثم وركه على ابن عباس ومعنى فسق عن امر ربه خرج عما امره به من
السجود وقال ◯ فواسقا عن قصدها جوائرا ◯ او صار فاسقا كافرا بسبب ترك امر ربه الذي هو قوله
اسجدوا لادم افتتخذونه الهمزة للانكار والتعجيب كانه قيل اعقيب ما وجد منه تتخذونه وذريته اولياء
من دوني وتستبدلونهم بي وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا ◯ بئس البدل من الله ابليس لمن استبدله
فاطاعه بدل طاعته ما اشهدتهم وقرئ ما اشهدناهم يعني انكم اتخذتموهم شركاء لي في العبادة وانما كانوا
يكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء في الالهية فنفى مشاركتهم في الالهية بقوله ما اشهدتهم خلق
السموات والارض لاعتضد بهم في خلقها ولا خلق انفسهم ولا اشهدت بعضهم خلق بعض كقوله ولا تقتلوا

انفسكم وما كنت متخذ المضلين يعني وما كنت متخذهم عضدا اي اعوانا فوضع المضلين موضع الضمير ذما
لهم بالاضلال فاذا لم يكونوا عضدا لي في الخلق فما لكم تتخذونهم شركاء لي في العبادة وقرئ وما كنت بالفتح الخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى وما صح لك الاعتضاد بهم وما ينبغي لك ان تعتز بهم وقرا علي رضي الله عنه
متخذا المضلين بالتنوين على الاصل وقرا الحسن عضدا بسكون الضاد ونقل ضمتها الى العين وقرئ عضدا بالفتح وسكون
العين وعضدا بضمتين وعضدا بفتحتين جمع عاضد كخادم وخدم وراصد ورصد من عضده اذا قواه واعانه ويوم يقول
بالياء والنون نادوا شركائي الذين زعمتم واضافه الشركاء اليه على زعمهم توبيخا لهم واراد الجن فدعوهم
فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا ◯ والموبق المهلك من وبق يبق وبوقا ووبق يوبق وبقا اذا هلك واوبقه
غيره ويجوز ان يكون مصدرا كالمورد والموعد يعني وجعلنا بينهم واديا من اودية جهنم هو مكان الهلاك والعذاب
الشديد مشتركا يهلكون فيه جميعا وعن الحسن موبقا عداوة والمعنى عداوة هي في شدتها هلاك كقوله لا يكن حبك كلفا
ولا بغضك تلفا وقال الفراء البين الوصل اي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيامة ويجوز ان يريد
الملائكة وعزيرا وعيسى ومريم وبالموبق البرزخ البعيد اي وجعلنا بينهم امدا بعيدا يهلك فيه الاشواط لفرط
بعده لانهم في قعر جهنم وهم في اعلى الجنان ورأى المجرمون النار فظنوا فايقنوا انهم مواقعوها مخالطوها
واقعون فيها ولم يجدوا عنها مصرفا معدلا قال ◯ انهم هل عن شيبة من مصرف ◯ ولقد
صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان اكثر شيء جدلا ◯ اكثر الاشياء التي يتاتى منها
الجدل ان فصلتها واحدا بعد واحد خصومة ومماراة بالباطل وانتصاب جدلا على التمييز يعني ان جدل الانسان
اكثر من جدل كل شيء ونحوه فاذا هو خصيم مبين وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا
ربهم الا ان تاتيهم ان الاولى نصب والثانية رفع وقبلها مضاف محذوف تقديره وما منع الناس الايمان والاستغفار الا
انتظار ان تاتيهم سنة الاولين وهي الاهلاك او انتظار ان ياتيهم العذاب يعني عذاب الاخرة قبلا ◯ عيانا
وقرئ قبلا انواعا جمع قبيل وقبلا بفتحتين مستقبلا وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ويجادل
الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق ليزيلوا ويبطلوا من ادحاض القدم وهو ازلاقها وازالتها عن موطئها
واتخذوا آياتي وما انذروا هزوا ◯ ويجوز ان تكون ما موصولة ويكون الراجع من الصلة محذوفا اي وما انذروه
من العقاب او مصدرية بمعنى وانذارهم وقرئ هزؤا بالسكون اي اتخذوها موضع استهزاء وجدالهم قولهم
للرسل ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة وما اشبه ذلك ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه بالقرآن
ولذلك رجع اليها الضمير مذكرا في قوله ان يفقهوه فاعرض عنها ونسي ما قدمت يداه فلم يتذكر حين ذكر
ولم يتدبر ونسي عاقبة ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي غير متفكر فيها ولا ناظر في ان المسيء والمحسن لا بد لهما
من جزاء انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا تعليل لاعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على
قلوبهم وجمع بعد الافراد حملا على لفظ من ومعناه وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا فلا يكون منهم اهتداء
البتة كانه محال منهم لشدة تصميمهم ابدا ◯ مدة التكليف كلها واذا جزاء وجواب فدل على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول
صلى الله عليه وآله وسلم بمعنى انهم جعلوا ما يجب ان يكون سبب وجود الاهتداء سببا في انتفائه وعلى انه جواب للرسول صلى الله
عليه وآله وسلم على تقدير قوله ما لي لا ادعوهم فعلق وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم
بما كسبوا لعجل لهم العذاب الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة ثم استشهد على ذلك بترك
مؤاخذة اهل مكة عاجلا من غير امهال مع افراطهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بل لهم موعد وهو يوم بدر
لن يجدوا من دونه موئلا ◯ منجا ولا ملجا يقال وال اذا نجا ووال اليه اذا لجا اليه وتلك القرى اهلكناهم
يريد قرى الاولين من ثمود وقوم لوط وغيرهم اشار لهم اليها ليعتبروا وتلك مبتدا والقرى صفة لان اسماء الاشارة
توصف باسماء الاجناس واهلكناهم خبر ويجوز ان يكون تلك القرى نصبا باضمار اهلكنا على شريطة التفسير والمعنى
وتلك اصحاب القرى اهلكناهم لما ظلموا مثل ظلم اهل مكة وجعلنا لمهلكهم موعدا ◯ وضربنا لاهلاكهم وقتا
معلوما لا يستاخرون عنه كما ضربنا لاهل مكة يوم بدر والمهلك الاهلاك ووقته وقرئ لمهلكهم بفتح الميم واللام
مفتوحة او مكسورة اي لهلاكهم او وقت هلاكهم والموعد وقت او مصدر واذ قال موسى لفتاه لعبده
وفي الحديث ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي وقيل هو يوشع بن نون وانما قيل فتاه لانه كان
يخدمه ويتبعه وقيل كان ياخذ منه العلم فان قلت لا ابرح ان كان بمعنى لا ازول من برح المكان فقد دل
على الاقامة لا على السفر وان كان بمعنى لا ازال فلا بد من الخبر قلت هو بمعنى لا ازال وقد حذف الخبر لان الحال
والكلام معا يدلان عليه اما الحال فلانها كانت حال سفر واما الكلام فلان قوله حتى ابلغ مجمع البحرين غاية مضروبة

تستدعي ما هي غاية له فلا بد ان يكون المعنى لا ابرح اسير حتى ابلغ مجمع البحرين ووجه اخر وهو ان تكون المعنى لا يبرح مسيري حتى ابلغ على ان ابلغ هو الخبر فلما حذف المضاف اقيم المضاف اليه مقامه وهو ضمير المتكلم فانقلب الفعل عن لفظ الغائب الى لفظ المتكلم وهو وجه لطيف ويجوز ان تكون المعنى لا ابرح ما انا عليه بمعنى الزم المسير والطلب ولا اتركه ولا افارقه حتى ابلغ كما تقول لا ابرح المكان ومجمع البحرين المكان الذي وعد فيه موسى لقاء الخضر عليهما الصلوة والسلام وهو ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق وقيل طنجة وقيل افريقية ومن بدع التفاسير ان البحرين موسى والخضر لانهما كانا بحرين في العلم وقرئ مجمع بكسر الميم وهي في الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع من يفعل **او امضي حقبا** ۝ او اسير زمانا طويلا والحقب ثمانون سنة روي انه لما ظهر موسى على مصر مع بني اسرائيل واستقروا فيها بعد هلاك القبط امره الله ان يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا فذكر نعمة الله وقال ان الله اصطفى نبيكم وكلمه فقالوا له قد علمنا هذا فاي الناس اعلم قال انا فعتب الله عليه حين لم يرد العلم الى الله فاوحى الله اليه بل اعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين وهو الخضر وكان الخضر في ايام افريدون قبل موسى عليه السلام وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى وقيل ان موسى سال ربه اي عبادك احب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى قال فان كان في عبادك من هو اعلم مني فادللني عليه قال اعلم منك الخضر قال فاين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال يا رب كيف لي به قال تاخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان فرقد موسى فاضطرب الحوت ووقع في البحر فلما جاء وقت الغداء طلب موسى الحوت فاخبره فتاه بوقوعه في البحر فاتيا الصخرة فاذا رجل مسجى بثوبه فسلم عليه موسى فقال وانى بارضنا السلام فعرفه نفسه فقال يا موسى انا على علم علمنيه الله لا تعلمه وانت على علم علمكه الله لا اعلمه انا فلما ركبا السفينة جاء عصفور فوقع على حرفها فنقر في الما فقال الخضر ما ينقص علمي وعلمك من علم الله مقدار ما اخذ هذا العصفور من البحر **فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما** اي نسيا تفقد امره وما يكون منه مما جعل امارة على الظفر بالطلبة وقيل نسي يوشع ان يقدمه ونسي موسى ان يامره فيه بشي وقيل كان الحوت سمكة مملوحة وقيل ان يوشع حمل الحوت والخبز في المكتل فنزلا ليلة على شاطئ عين تسمى عين الحيوة ونام موسى عليه السلام فلما اصاب السمكة روح الماء وبرده عاشت وروي انهما اكلا منها وقيل توضى يوشع من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش ووقع في الماء **فاتخذ سبيله في البحر سربا** ۝ امسك الله جرية الماء على الحوت فصار عليه مثل الطاق وحصل منه في مثل السرب معجزة لموسى والخضر **فلما جاوزا قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا** ۝ فلما جاوزا الموعد وهو الصخرة لنسيان موسى تعهد امر الحوت وما كان منه ونسيان يوشع ان يذكر لموسى ما راى من حيوته ووقوعه في البحر وقيل سارا بعد مجاوزة الصخرة الليلة والغد الى الظهر والقي على موسى النصب والجوع حين جاوز الموعد ولم ينصب ولا جاع قبل ذلك فتذكر الحوت وطلبه وقوله من سفرنا هذا اشارة الى مسيرهما وراء الصخرة فان قلت كيف نسي يوشع ذلك ومثله لا ينسى لكونه امارة لهما على الطلبة التي تناهضا من اجلها ولكونها معجزتين ثنتين حيوة السمكة المملوحة الماكول منها وقيل ما كانت الا شق سمكة وقيام الماء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها في مثل السرب منه ثم كيف استمر به النسيان حتى خلفا الموعد وسارا مسيرة ليلة الى ظهر الغد وحتى طلب موسى عليه السلام الحوت قلت شغله الشيطان بوسواسه فذهب بفكره كل مذهب حتى اعتراه النسيان وانضم الى ذلك انه ضري بمشاهدة امثاله عند موسى من العجائب واستانس باخوانه فاعان الالف على قلة الاهتمام **قال ارايت اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا** ۝ ارايت بمعنى اخبرني فان قلت ما وجه التيام هذا الكلام فان كل واحد من ارايت واذ اوينا وفاني نسيت الحوت لا متعلق له قلت لما طلب موسى الحوت ذكر يوشع ما راى منه وما اعتراه من نسيانه الى تلك الغاية فدهش وطفق يسال موسى عن سبب ذلك كانه قال ارايت ما دهاني اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت فحذف ذلك وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت وان اذكره بدل من الهاء في انسانيه اي وما انساني ذكره الا الشيطان وفي قراءة عبد الله ان اذكركه وعجبا ثاني مفعولي اتخذ مثل سربا يعني واتخذ سبيله سبيلا عجبا وهو كونه شبيه السرب او قال عجبا في اخر كلامه تعجبا من حاله في رؤية تلك العجيبة ونسيانه لها او مما راى من المعجزتين وقوله وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وقيل ان عجبا حكاية لتعجب موسى وليس بذاك **قال ذلك ما كنا نبغي** اشارة الى اتخاذه سبيلا اي ذلك الذي كنا نطلب امارة

الظفر بالطلبة

الظفر بالطلبة من لقاء الخضر وقرئ نبغ بغير ياء في الوصل واثباتها احسن وهي قراءة ابي عمرو واما الوقف فالاكثر فيه طرح الياء اتباعا لخط المصحف **فارتدا على آثارهما** فرجعا في ادراجهما **قصصا** ۝ يقصان قصصا اي يتبعان آثارهما اتباعا او فارتدا مقتصين **فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا** هي الوحي والنبوة **وعلمناه من لدنا علما** ۝ مما يختص بنا من العلم وهو الاخبار بالغيوب **قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا** ۝ قرئ بفتحتين وبضمة وسكون اي علما ذا رشد ارشد به في ديني فان قلت اما دلت حاجته الى التعلم من آخر في عهده انه كما قيل موسى بن ميشى لا موسى بن عمران لان النبي يجب ان يكون اعلم اهل زمانه وامامهم المرجوع اليه في ابواب الدين قلت لا غضاضة بالنبي في اخذ العلم من نبي مثله وانما يغض منه ان ياخذ ممن دونه وعن سعيد بن جبير انه قال لابن عباس ان نوفا ابن امراة كعب يزعم ان الخضر ليس بصاحب موسى وان موسى هو موسى بن ميشى فقال كذب عدو الله **قال انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا** ۝ نفى استطاعة الصبر معه على وجه التاكيد كانها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك بانه يتولى امورا هي في ظاهرها مناكير والرجل الصالح فكيف اذا كان نبيا لا يتمالك ان يشمئز ويمتعض ويجزع اذا راى ذلك وياخذ في الانكار وخبرا تمييز اي لم يحط به خبرك او لانه لم تحط به بمعنى لم تخبره فنصبه نصب المصدر **قال ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا** ۝ ولا اعصي في محل النصب عطف على صابرا اي ستجدني صابرا وغير عاص اولا في محل عطفا على ستجدني رجا موسى عليه الصلوة والسلام لحرصه على العلم وازدياده ان يستطيع معه صبرا بعد افصاح الخضر عليه السلام عن حقيقة الامر فوعد بالصبر معلقا بمشية الله علما بشدة الامر وصعوبته وان الحمية التي تاخذ المصلح عند مشاهدة الفساد شي لا يطاق هذا مع علمه ان النبي المعصوم الذي امره الله بالمسافرة اليه واتباعه واقتباس العلم منه بريء من ان يباشر ما فيه غميزة في الدين وانه لا بد لما يستسمج ظاهره من باطن حسن جميل فكيف اذا لم يعلم **قال فان اتبعتني فلا تسالني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا** ۝ وقرئ فلا تسالني بالنون الثقيلة يعني فمن شرط اتباعك لي انك اذا رايت مني شيئا وقد علمت انه صحيح الا انه خفي عليك وجه صحته فحميت وانكرت في نفسك ان لا تفاتحني بالسؤال ولا تراجعني فيه حتى اكون انا الفاتح عليك وهذا من ادب المتعلم مع العالم والمتبوع مع التابع **فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها قال اخرقتها لتغرق اهلها** فانطلقا على ساحل البحر يطلبان السفينة فلما ركبا قال اهلها هما من اللصوص وامروهما بالخروج فقال صاحب السفينة ارى وجوه الانبياء وقيل عرفوا الخضر فحملوهما بغير نول فلما لججوا اخذ الخضر الفاس فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها مما يلي الماء فجعل موسى يسد الخرق بثيابه ويقول اخرقتها لتغرق اهلها وقرئ ليغرق اهلها من غرق واهلها مرفوع **لقد جئت شيئا امرا** ۝ اتيت شيئا عظيما من امر الامر اذا عظم قال ۝ داهية دهيا اذا امرا ۝ **قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا** ۝ **قال لا تؤاخذني بما نسيت** بالذي نسيته او بشيء نسيته او بنسياني اراد انه نسي وصيته ولا مؤاخذة على الناسي او اخرج الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة بالنسيان يوهمه انه قد نسي ليبسط عذره في الانكار وهو من معاريض الكلام التي يتقى بها الكذب مع التوصل الى الغرض كقول ابراهيم هذه اختي واني سقيم او اراد بالنسيان الترك اي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك اول مرة **ولا ترهقني من امري عسرا** ۝ يقال رهقه اذا غشيه وارهقه اياه اي ولا تغشني عسرا من امري وهو اتباعه اياه يعني ولا تعسر علي متابعتك ويسرها علي بالاغضاء وترك المناقشة وقرئ عسرا بضمتين **فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال اقتلت نفسا زكية** قيل كان قتله فتل عنقه وقيل ضرب براسه الحائط وعن سعيد بن جبير اضجعه ثم ذبحه بالسكين فان قلت لم قيل خرقها اذا ركبا في السفينة بغير فاء وحتى اذا لقيا غلاما فقتله بالفاء قلت جعل خرقها جزاء للشرط وجعل قتله من جملة الشرط معطوفا عليه والجزاء قال اقتلت فان قلت فلم خولف بينهما قلت لان خرق السفينة لم يتعقب الركوب وقد تعقب القتل لقاء الغلام وقرئ زاكية وزكية وهي الطاهرة من الذنوب اما لانها طاهرة عنده لانه لم يرها قد اذنبت واما صغيرة لم تبلغ الحنث **بغير نفس** يعني لم تقتل نفسا فيقتص منها وعن ابن عباس ان نجدة الحروري كتب اليه كيف جاز قتله وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل **لقد جئت شيئا نكرا** ۝ وقرئ بضمتين وهو المنكر وقيل النكر اقل من الامر لان قتل نفس واحدة اهون من اغراق اهل السفينة وقيل معناه جئت شيئا انكر من الاول لان ذلك كان خرقا يمكن تداركه بالسد وهذا لا سبيل الى تداركه

الجزء السادس عشر

قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا ۝ فان قلت ما معنى زيادة لك قلت زيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية والوسم بقلة الصبر عند الكرة الثانية **قال ان سالتك عن شيء بعدها** بعد هذه الكرة او المسالة **فلا تصاحبني** فلا تقاربني وان طلبت صحبتك فلا تتابعني على ذلك وقرئ فلا تصحبني وفلا تكن صاحبي

وقرئ فلا تصحبني اي فلا تصحبني اياك ولا تجعلني صاحبك قد بلغت من لدني عذرا قد اعذرت
وقرئ لدني بتخفيف النون ولدني بسكون الدال وكسر النون كقولهم في عضد عضد وعن رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم رحم الله اخي موسى استحيا فقال ذلك ولو لبث مع صاحبه لابصر اعجب
الاعاجيب فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية هي انطاكية وقيل ايلة وهي ابعد ارض الله من السماء استطعما اهلها
فابوا ان يضيفوهما وقرئ يضيفوهما يقال ضافه اذا كان له ضيفا وحقيقته مال اليه من ضاف السهم عن الغرض
ونظيره زاره من الازورار واضافه وضيفه انزله وجعله ضيفه وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانوا اهل
قرية لئاما وقيل شر القرى التي لا يضاف الضيف فيها ولا يعرف لابن السبيل حقه فوجدا فيها جدارا يريد ان
ينقض استعيرت الارادة للمداناة والمشارفة كما استعير الهم والعزم لذلك قال الراعي

في مهمه قلقت به هاماتها ❀ قلق الفؤوس اذا اردن نصولا ❀
يريد الرمح صدر ابي براء ❀ ويعدل عن دماء بني عقيل ❀
ان دهرا يلف شملي بجمل ❀ لزمان يهم بالاحسان ❀

وسمعت من يقول عزم السراج ان يطفأ وطلب ان يطفأ واذا كان القول والنطق والشكاية والصدق
الارادة واذ قالت الانساع للبطن الحق ❀ تقول سني للنواة طني ❀
لا ينطق اللهو حتى ينطق العود ❀ وشكى الي بعبرة وتحمحم ❀
ان يك ظني صادقا وهو صادقي ❀ ولما سكت عن موسى الغضب ❀
تمرد مارد وعز الابلق ❀ ولعصيهم ❀
ياني على اجفانه اغفاءة ❀ همم اذا النقاد للهموم ❀
ابت الروادف والثدي لقمصها ❀ مس البطون وان تمس ظهورا ❀

قالتا اتينا طائعين ولقد بلغني ان بعض المحرفين لكلام الله ممن لا يعلم كان يجعل الضمير للخضر لان ما كان فيه من آفة
الجهل وسقم الفهم اراه اعلى الكلام طبقة ادناه منزلة فتمحل ليرده الى ما هو عنده اصح وافصح وعنده ان ما كان ابعد من
المجاز كان ادخل في الاعجاز وانقض اذا اسرع سقوطه من انقضاض الطائر وهو انفعل من القض ومطاوع قضضته وقيل هو
افعل من النقض كاحمر من الحمرة وقرئ ان ينقض من النقض وان ينقاص من انقاصت السن اذا انشقت طولا قال
ذو الرمة ❀ منقاص ومنكثب ❀ بالصاد غير المعجمة فاقامه قيل اقامه بيده وقيل مسحه بيده فقام واستوى وقيل
اقامه بعمود عمده به وقيل نقضه وبناه وقيل كان طول الجدار في السماء مائة ذراع قال لو شئت لاتخذت عليه
اجرا كانت الحال حال اضطرار وافتقار الى المطعم وقد لزتهما الحاجة الى آخر كسب المرء وهو المسألة فلم يجدا مواسيا
فلما اقام الجدار لم يتمالك موسى لما راى من الحرمان ومساس الحاجة ان قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا اي طلبت على عملك
جعلا حتى تنتعش به وتستدفع به الضرورة وقرئ لتخذت والتاء في تخذ اصل كما في تبع واتخذ افتعل منه كاتبع من تبع
وليس من الاخذ في شيء قال هذا فراق بيني وبينك سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا
هذا اشارة الى الفراق الموعود بقوله فلا تصاحبني وقد تصور فراق بينهما عند حلول ميعاده على ما قال موسى عليه السلام ان سالتك عن شيء
بعدها فلا تصاحبني فاشار اليه وجعله مبتدأ واخبر عنه كما تقول هذا اخوك فلا يكون هذا اشارة الى غير
الاخ ويجوز ان يكون اشارة الى السؤال الثالث اي هذا الاعتراض سبب الفراق والاصل هذا فراق بيني وبينك
وقد قرئ به على الاصل فاضيف المصدر الى الظرف كما يضاف الى المفعول به اما السفينة فكانت لمساكين يعملون
في البحر فاردت ان اعيبها وكان وراءهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا قيل كانت لعشرة اخوة خمسة منهم
زمنى وخمسة يعملون في البحر وراءهم امامهم كقوله ومن ورائه جهنم وقيل خلفهم وكان طريقهم في رجوعهم
عليه وما كان عندهم خبره فاعلم الله به الخضر وهو جلندى فان قلت قوله فاردت ان اعيبها مسبب عن خوف
الغصب عليها فكان حقه ان يتاخر عن السبب فلم قدم عليه قلت النية به التاخير وانما قدم للعناية ولان خوف
الغصب ليس هو السبب وحده ولكن مع كونها للمساكين فكان بمنزلة قولك زيد ظني مقيم
وعن ابن عباس كل سفينة صالحة واما الغلام فكان ابواه مؤمنين
فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا فخفنا ان يغشى الوالدين المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا
لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما شرا وبلاء او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان
وطاغ كافر او يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه ويطغيا ويكفرا بعد الايمان وانما خشي الخضر
منه ذلك لان الله عز وعلا علمه بحاله واطلعه على سر امره وامره اياه بقتله كاخترامه لمفسدة عرفها في حياته

وفي قراءة ابي فخاف ربك والمعنى فكره ربك كراهة من خاف سوء عاقبة الامر فغيره ويجوز ان يكون قوله
فخشينا حكاية لقول الله عز وجل بمعنى فكرهنا كقوله لاهب لك فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكوة
واقرب رحما ❀ وقرئ يبدلهما بالتشديد والزكوة الطهارة والنقاء من الذنوب والرحم الرحمة والعطف وروي انه
ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله على يديه امة من الامم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل ابدلهما
ابنا مؤمنا مثلهما واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما قيل اسما الغلامين
اصرم وصريم والغلام المقتول اسمه الحسين واختلف في الكنز فقيل مال مدفون من ذهب وفضة وقيل لوح
من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن ❀ وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن
بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن
اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل صحف فيها علم والظاهر لاطلاقه انه مال وعن قتادة احل الكنز لمن قبلنا
وحرم علينا وحرمت الغنيمة عليهم واحلت لنا اراد قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة الاية وكان ابوهما
صالحا اعتد بصلاح ابيهما وحفظ لحقه فيهما وعن جعفر بن محمد كان بين الغلامين وبين الاب الذي حفظا فيه
سبعة اباء وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما انه قال لبعض الخوارج في كلام جرى بينهما بم حفظ الله مال الغلامين
قال بصلاح ابيهما قال فابي وجدي خير منه فلم حرمتم علينا فقال قد انبانا الله انكم قوم خصمون فاراد
ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك رحمة مفعول له او مصدر منصوب باراد
ربك لانه في معنى رحمهما وما فعلته وما فعلت ما رايت عن امري عن اجتهادي ورأيي وانما فعلته
بامر الله ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا ❀ ويسالونك عن ذي القرنين ذو القرنين هو الاسكندر
الذي ملك الدنيا قيل ملكها مؤمنان ذو القرنين وسليمن بن داود وكافران نمرود وبخت نصر وكان بعد
نمرود واختلف فيه فقيل كان عبدا صالحا ملكه الله الارض واعطاه العلم والحكمة والبسه الهيبة
وسخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور من امامه وتحوطه الظلمة من ورائه وقيل نبيا وقيل ملكا من
الملائكة وعن عمر رضي الله عنه انه سمع رجلا يقول يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا اما رضيتم ان تسموا باسماء الانبياء
حتى تسميتم باسماء الملائكة وعن علي رضي الله عنه سخر له السحاب ومدت له الاسباب وبسط له النور وسئل عنه
فقال احبه الله فاحبه وساله ابن الكواء ما ذو القرنين املك ام نبي فقال ليس بملك ولا نبي ولكن كان عبدا صالحا
ضرب على قرنه الايمن في طاعة الله فمات فبعثه الله ثم ضرب على قرنه الايسر فمات فبعثه الله فسمي ذا القرنين وفيكم
مثله وقيل كان يدعوهم الى التوحيد فيقتلونه فيحييه الله وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سمي ذا القرنين لانه طاف
قرني الدنيا يعني جانبيها شرقها وغربها وقيل كان له قرنان اي ضفيرتان وقيل انقرض في وقته قرنان من
الناس وعن وهب لانه ملك الروم وفارس وروي الروم والترك وعنه كانت صفحتا راسه من نحاس وقيل كان
لتاجه قرنان وقيل كان على راسه ما يشبه القرنين ويجوز ان يلقب بذلك لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشا لانه ينطح
اقرانه وكان من الروم ولد عجوز ليس لها ولد غيره والسائلون هم اليهود سالوه على وجه الامتحان وقيل ساله ابو جهل
واشياعه قل ساتلوا عليكم منه ذكرا ❀ والخطاب في عليكم لاحد الفريقين انا مكنا له في الارض واتيناه من كل
شيء سببا فاتبع سببا حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوما من كل شيء
اي من اسباب كل شيء اراده من اغراضه ومقاصده في ملكه سببا طريقا موصلا اليه والسبب ما يتوصل به الى المقصود
من علم او قدرة او آلة فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه حتى بلغ وكذلك اراد المشرق فاتبع سببا واراد
بلوغ السدين فاتبع سببا وقرئ فاتبع وقرئ حمئة من حمئت البئر اذا صارت فيها الحماة وحامية بمعنى حارة
وعن ابي ذر رضي الله عنه كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على جمل فراى الشمس حين غابت فقال اتدري
يا ابا ذر اين تغرب هذه قلت الله ورسوله اعلم قال فانها تغرب في عين حامية وهي قراءة ابن مسعود وطلحة وابن عمرو
والحسن وقرا ابن عباس حمئة وكان ابن عباس عند معوية فقرا معاوية حامية فقال ابن عباس حمئة فقال معوية
لعبد الله بن عمرو كيف تقرا قال كما يقرا امير المؤمنين ثم وجه الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب فقال في
ماء وطين كذلك نجده في التوراة وروي في ثاط فوافق قول ابن عباس وكان ثمة رجل فانشد قول تبع ❀
فراى مغيب الشمس عند مآبها ❀ في عين ذي خلب وثاط حرمد ❀
اي في عين ماء ذي طين وحما اسود ولا تنافي بين الحمئة والحامية فجائز ان تكون العين جامعة للوصفين
جميعا قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا ❀ قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم
يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا ❀ كانوا كفرة فخيره الله بين ان يعذبهم بالقتل وان يدعوهم الى الاسلام

فاختار البرعوم والاجتهاد في استمالتهم فقال اياس دعوته فابا الا البقاء على الظلم العظيم الذي هو الشرك فذاك
هو المعذب في الدارين وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وعمل ما تقتضيه الايمان فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى
في مقابلة الفعل فله جزاء الحسنى فله ان يجازى المثوبة الحسنى او فله جزاء الفعلة الحسنى التي
هي كلمة الشهادة وقرى فله جزاء الحسنى اي فله الفعلة الحسنى جزاء وعن قتادة كان يطبخ من كفر في القدور
وهو العذاب المنكر ومن امن اعطاه وكساه وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا اي لا نامره بالصعب الشاق
ولكن بالسهل الميسر من الزكوة والخراج وغير ذلك وتقديره ذا يسر كقوله قولا ميسورا وقرى يسرا بضمتين
ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وقرى مطلع بفتح اللام وهو مصدر والمعنى بلغ مكان مطلع الشمس
كقوله كانه مجرة التامات ديولها يريد كان اثار تجر الرامات وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ
لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا قيل هم الزنج والستر الابنية وعن كعب ارضهم لا تمسك الابنية وبها اسراب فاذا طلعت
الشمس دخلوها فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فسالت عن
هولاء فقيل بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فاذا احدهم يفرش اذنه ويلبس الاخرى ومعي صاحب يعرف
لسانهم فقالوا له جئتنا تنظر كيف تطلع الشمس قال فبينا نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي
علي ثم افقت وهم يمسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء اذا هي فوق الماء كهيئة الزيت فادخلونا سربا
لهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم وقيل
الستر اللباس وعن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس اكثر من جميع اهل الارض كَذَلِكَ
اي امر ذي القرنين كذلك اي كما وصفناه تعظيما لامره وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ من الجنود والالات واسباب
الملك خُبْرًا تكثيرا لذلك وقيل لم نجعل لهم من دونها سترا مثل ذلك الستر الذي جعلنا لكم من الجبال والحصون
والابنية والاكنان من كل جنس والثياب من كل صنف وقيل بلغ مطلع الشمس مثل ذلك اي كما بلغ مغربها وقيل
تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم يعني انهم كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم في تعذيبه لمن بقي منهم على
الكفر واحسانه الى من امن منهم ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ بين الجبلين وهما جبلان سد ذو القرنين
ما بينهما قرئ بالضم والفتح وقيل ما كان من خلق الله فهو مضموم وما كان من عمل العباد فهو مفتوح لان السد بالضم
فعل بمعنى مفعول اي هو مما فعله الله وخلقه والسد بالفتح مصدر حدث يحدثه الناس وانتصب بين على انه مفعول
به مبلوغ كما انجر على الاضافة في قوله هذا فراق بيني وبينك وكما ارتفع في قوله لقد تقطع بينكم لانه من الظروف
التي تستعمل اسما وظرفا وهذا المكان في منقطع ارض الترك مما يلي المشرق وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا هم الترك
لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا لا يكادون يفهمونه الا بجهد ومشقة من اشارة ونحوها كما يفهم البكم وقرئ
يُفقهون اي لا يفقهون السامع كلامهم ولا يبينونه لان لغتهم غريبة مجهولة قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ
وَمَأْجُوجَ ياجوج وماجوج اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقرئا مهموزين وقرا رؤبة آجوج وماجوج وهما من ولد
يافث وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الجيل والديلم مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ قيل كانوا ياكلون الناس وقيل كانوا
يخرجون ايام الربيع فلا يتركون شيئا اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وكانوا يلقون منهم قتلا واذى شديدا
وعن النبي صلى الله عليه واله وسلم في صفتهم لا يموت احد منهم حتى ينظر الى الف ذكر من صلبه كلهم
قد حملوا السلاح وقيل هم على صنفين طوال مفرطوا الطول وقصار مفرطوا القصر فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ
تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا قرئ خرجا وخراجا اي جعلا نخرجه من اموالنا ونظيرهما النول والنوال وقرى سدا وسدا بالفتح
والضم قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ ما جعلني فيه مكينا من كثرة المال واليسار خير مما تبذلون لي من الخراج
فلا حاجة لي اليه كما قال سليمان عليه الصلوة والسلام فما اتاني الله خير مما اتاكم وقرئ بالادغام وبفكه
فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ
نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا فاعينوني بقوة بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل وبالالات ردما
حاجزا حصينا موثقا والردم اكبر من السد من قولهم ثوب مردم رقاع فوق رقاع قيل حفر للاساس
حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى سد
ما بين الجبلين الى اعلاهما ثم وضع المنافيخ حتى اذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فاختلط
والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بعد ما بين السدين مائة
فرسخ وقرى سوى وسووى وعن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ان رجلا اخبره به فقال كيف رايته
قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال قد رايته والصدفان بفتحتين جانبا الجبلين لانهما يتصادفان اي

يتقابلان وقرئ الصدفين بضمتين والصدفين بضمة وسكون والصدف بفتحة وضمة والقطر النحاس المذاب
لانه يقطر وقطرا منصوب بافرغ وتقديره اتوني قطرا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وقرئ
فما اسطاعوا بحذف التاء للخفة وقرئ فما اصطاعوا بقلب السين صادا واما من قرا بادغام التاء في الطاء فملاق بين ساكنين على غير الحد أَنْ يَظْهَرُوهُ
وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا اي لا حيلة لهم فيه من صعود لارتفاعه وانملاسه ولا نقب لصلابته
وثخانته قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي هذا اشارة الى السد اي هذا السد نعمة من الله ورحمة على عباده او هذا
الاقدار والتمكين من تسويته فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي يعني فاذا دنا مجيء يوم القيمة وشارف ان ياتي جَعَلَهُ جعله
دَكَّاءَ اي مدكوكا مبسوطا مسوى بالارض وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك ومنه الجمل الادك
المنبسط السنام وقرى دكا بالمد اي ارضا مستوية وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا اخر حكاية ذي القرنين وَتَرَكْنَا
وجعلنا بَعْضَهُمْ بعض الخلق يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ اي يضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ويجوز ان
يكون الضمير لياجوج وماجوج وانهم يموجون حين يخرجون من وراء السد مزدحمين في البلاد وروى انهم
ياتون البحر فيشربون ماءه وياكلون دوابه ثم ياكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن من الناس ولا يقدرون
ان ياتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله عليهم نغفا في اقفائهم فيدخل اذانهم فيموتوا وَنُفِخَ
فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ وبرزناها لهم فراوها وشاهدوها
عرضنا الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي عن اياتي التي ينظر اليها فاذكر بالتعظيم او عن القران
وتاملي معانيه وتبصرها وكونوا صما بكما عميا وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا يعني وكانوا صما عنه الا انه ابلغ
لان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء كانهم اصميت اسماعهم فلا استطاعة بهم للسمع أَفَحَسِبَ الَّذِينَ
كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ هم الملئكة يعني انهم لا يكونون لهم اولياء كما حكى عنهم سبحانك
انت ولينا من دونهم وقرا ابن مسعود افظن الذين كفروا وقراه علي رضي الله عنه افحسب الذين كفروا اي
افكافيهم ومحسبهم ان يتخذوهم اولياء على الابتداء والخبر او على الفعل والفاعل لان اسم الفاعل اذا اعتمد على الهمزة
ساوى الفعل في العمل كقولك اقائم الزيدان والمعنى ان ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله كما
حسبوا وهي قراءة محكمة إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا النزل ما يقام للنزيل وهو الضيف ونحوه
فبشرهم بعذاب اليم قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ
أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ضل سعيهم ضاع وبطل وهم الرهبان عن علي رضي الله عنه كقوله عاملة ناصبة وعن
مجاهد اهل الكتاب وعن علي رضي الله عنه ان ابن الكوا ساله عنهم فقال منهم اهل حروراء وعن ابي سعيد الخدري
ياتي ناس باعمال يوم القيمة هي عندهم في العظم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيئا أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا
بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا فنزدري بهم ولا يكون لهم عندنا وزن ولا مقدار
وقيل لا نقيم لهم ميزانا لان الميزان انما يوضع لاهل الحسنات والسيئات من الموحدين وقرئ فلا يقيم بالياء فان قلت
الذين ضل سعيهم في اي محل هو قلت الاوجه ان يكون في محل الرفع على هم الذين ضل سعيهم لانه جواب عن السؤال
ويجوز ان يكون نصبا على الذم او جرا على البدل ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا
ذلك عطف بيان لقوله جزاؤهم إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا خَالِدِينَ
فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا الحول التحول يقال حال من مكانه حولا كقولك عاد في حبها عودا يعني لا مزيد عليها
حتى تنازعهم انفسهم الى اجمع لاغراضهم وامانيهم وهذه غاية الوصف لان الانسان في الدنيا في اي نعيم كان
فهو طامح الطرف الى ارفع منه ويجوز ان يراد نفي التحول وتاكيد الخلود قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ
رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي المداد اسم ما تمد به الدواة من الحبر وما يمد به السراج من السليط
والمعنى لو كتبت كلمات علم الله وحكمته وكان البحر مدادا لها والمراد بالبحر الجنس
لنفد قبل ان تنفد الكلمات وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ولو جئنا بمثل البحر مددا لنفد ايضا والكلمات غير نافدة
ومددا تمييز كقولك لي مثله رجلا والمدد مثل المداد وهو ما يمد به وعن ابن عباس بمثله مددا وقرا الاعرج
مددا بكسر الميم جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب فيكتب به وقرئ ينفد بالياء وقيل قال حيي بن اخطب في كتابكم
ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وتقرؤن وما اوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت يعني ان ذلك خير كثير
ولكنه قطرة من بحر كلمات الله قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ
رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا فمن كان يامل حسن لقاء ربه وان يلقاه لقاء رضى
وقبول وقد فسرنا اللقاء او فمن كان يخاف سوء لقائه والمراد بالنهي عن الاشراك بالعبادة ان لا يرائي بعمله وان لا يبتغي

الاوجه ذي خالصا لا يخلط به غيره وقيل نزلت في جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اني اعمل لله فاذا اطلع عليه سرني فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه وروي انه قال له اجران اجر السر واجر العلانية وذلك اذا قصد ان يقتدى به وعنه عليه الصلوة والسلام اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الريا

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرا سورة الكهف من آخرها كانت له نورا

من قرنه الى قدمه ومن قراها كلها كانت له نورا من الارض الى السما

وعنه عليه السلام من قرا عند مضجعه قل انما انا بشر مثلكم

كان له في مضجعه نورا يتلالا الى مكة حشو

ذلك النور ملايكة يصلون عليه حتى يقوم وان

كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلالا من مضجعه

الى البيت المعمور حشو ذلك النور

ملايكة يصلون عليه حتى يستيقظ

تم الجزء الاول من

الكشاف والحمد لله

رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

فرغ من تحرير هذا العبد الفقير المعترف بالعجز والتقصير السيد قاسم بن عبد الله وفقه الله تعالى وعفا عنه ولوالديه ولمن دعا له بالمغفرة بحق محمد صلى الله عليه وآله وسلم يوم الربوع ثاني عشر خلت من شهر رجب الاصب شهور سنة ١٠٦٧

حرره برسم صنوي وبركتي الفاضل العلم الزاهد ضيا الاسلام وعين عيون ابناء السادة الماجدين المهدي بن الحسن الحوثي ابن الحجم حماه الله ذاته ورزقه العلم والعمل به بحق محمد المصطفى وآله اهل العدل والوفا ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على محمد وآله وسلم

على [illegible] الاشهات [illegible] حسا [illegible] ان الاعانة [illegible] يوم الاحد [illegible] جمادى الاول [illegible]

الجزء الثامن من الكشاف الكريم من تفسير كتاب الله العظيم نفع الله

بدامر

شرعت في تحصيله صحوة نهار الاثنين لعله رابع وعشرين خلت من شهر رجب الاصب سنة ١٠٦٧ انا لمن الله الاعانة على تحصيله على احسن حال والنعم [illegible] عليه [illegible] وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

في ملك الفقير [illegible] بن حسن [illegible]

الحمد لله رب العالمين من مواهب الملك الجليل ذي الفضل الجزيل رب العالمين [illegible]

[illegible]

سورة مريم عليها السلام مكية وهي ثمان وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص

فتح الها وكسر اليا حمزة وكسرهما عاصم وضمهما الحسن ذكر رحمة ربك عبده زكريا وقرئ ذكر رحمة
ربك اي هذا المتلو من القرآن ذكر رحمة ربك وقرئ ذكر على الامر اذ نادى ربه نداء خفيا ۝ راعى سنة
الله في اخفاء دعوته لان الجهر والاخفا عند الله سيان وكان الاخفا اولى لانه ابعد من الريا وادخل في الاخلاص
وعن الحسن نداء لا ريا فيه او اخفاه لئلا يلام على طلب الولد في ابان الكبرة والشيخوخة او اسره من مواليه الذين
خافهم او خفت صوته لضعفه وهرمه كما جا في صفة الشيخ صوته خفات وسمعه تارات واختلف في سن زكريا
عليه الصلوة والسلام فقيل ستون وخمس وستون وسبعون وخمس وسبعون وخمس وثمانون قال رب اني
وهن العظم مني وقرئ وهن بالحركات الثلاث وانما ذكر العظم لانه عمود البدن وبه قوامه وهو اصل بنائه
فاذا وهن تداعى وتساقطت قوته ولانه اشد ما فيه واصلبه فاذا وهن كان ما وراه اوهن ووحده لان الواحد هو
الدال على معنى الجنسية وقصده الى ان هذا الجنس الذي هو العمود والقوام واشد ما تركب منه الجسد قد
اصابه الوهن ولو جمع لكان قصدا الى معنى آخر وهو انه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها واشتعل
الرأس شيبا ادغام السين في الشين عن ابي عمرو شبه الشيب بشواظ النار في بياضه وانارته وانتشاره
في الشعر وفشوه فيه واخذه منه كل ماخذ باشتعال النار ثم اخرجه مخرج الاستعارة ثم اسند الاشتعال
الى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس واخرج الشيب مميزا ولم يضف الرأس اكتفاء بعلم المخاطب انه رأس زكريا
فمن ثمه فصحت هذه الجملة وشهدت لها بالبلاغة ولم اكن بدعائك رب شقيا ۝ توسل الى الله بما سلف
معه من الاستجابة وعن بعضهم ان محتاجا ساله وقال انا الذي احسنت الي وقت كذا فقال مرحبا بمن توسل
بنا الينا وقضى حاجته واني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا
يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا ۝ كان مواليه وهم عصبته اخوته وبنو عمه شرار بني
اسرائيل فخافهم على الدين ان يغيروه ويبدلوه وان لا يحسنوا الخلافة على امته فطلب عقبا من صلبه صالحا يقتدى
به في احياء الدين ويرتسم مراسمه فيه من ورائي بعد موتي وقرأ ابن كثير من وراي بالقصر وهذا الظرف
لا يتعلق بخفت لفساد المعنى ولكن بمحذوف او بمعنى الولاية في الموالي اي خفت فعل الموالي وهو تبديلهم وسوء
خلافتهم من وراي او خفت الذين يلون الامر من وراي وقرأ عثمان ومحمد بن علي وعلي بن الحسين رضي الله عنهم
خفت الموالي من وراي وهذا على معنيين احدهما ان يكون وراي بمعنى خلفي وبعدي فيتعلق الظرف بالموالي اي
قلوا وعجزوا عن اقامة امر الدين فسال ربه تقويتهم ومظاهرتهم بولي يرزقه والثاني ان يكون بمعنى قدامي
فيتعلق الظرف بخفت ويريد انهم خفوا قدامه ودرجوا ولم يبق منهم من به تقوٍّ واعتضاد من لدنك
تاكيد لكونه وليا مرضيا بكونه مضافا الى الله وصادرا من عنده والا فهب لي وليا يرثني كاف او اراد اختراعا
منك بلا سبب لاني وامرأتي لا نصلح للولادة يرثني ويرث الجزم جواب الدعاء والرفع صفة وكذا ردءا يصدقني
وعن ابن عباس والجحدري يرثني وارث آل يعقوب وعن الجحدري او يرث على تصغير وارث وقال غليم صغير
وعن علي رضي الله عنه وجماعة وارث من آل يعقوب اي يرثني به وارث ويسمى التجريد في علم البيان والمراد
بالارث ارث الشرع والعلم لان الانبيا لا تورث المال وقيل يرثني الحبورة وكان حبرا ويرث من آل يعقوب
الملك يقال ورثته وورثت منه لغتان وقيل من للتبعيض لا للتعدية لان آل يعقوب لم يكونوا كلهم انبيا
ولا علما وكان زكريا عليه الصلوة والسلام من نسل يعقوب بن اسحق وقيل هو يعقوب بن ماثان اخو زكريا
وقيل يعقوب هذا وعمران ابو مريم اخوان من نسل سليمن بن داود يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى
لم نجعل له من قبل سميا ۝ لم يسم يحيى باحد قبله وهذا شاهد على ان الاسامي الشنعة جديرة بالاثرة واياها
كانت العرب تنتحي في التسمية لكونها انبه وانزه عن النبز حتى قال القائل في مدح قوم
شنع الاسامي مسبلي ازر ۝ حمر تمس الارض بالهدب ۝
وقال رؤبة للنسابة البكري وقد ساله عن نسبه انا ابن العجاج فقال قصرت وعرفت وقيل
مثلا وشبيها عن مجاهد كقوله هل تعلم له سميا وانما قيل للمثل سمي لان كل متشاكلين يسمى كل واحد
منهما باسم المثل والشبيه والشكل والنظير فكل واحد منهما سمي لصاحبه ونحو يحيى في اسمائهم يعمر ويعيش

ان كانت التسميه عربيه وقد سموا بيموت ايضا وهو يموت بن المرتبع قالوا لم يكن له مثل في انه لم يعص ولم يهم
بمعصية قط وانه ولد بين شيخ فان وعجوز عاقر وانه كان حصورا قال رب انى يكون لي غلام وكانت
امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا ۝ اي كانت على صفة العقر حين انا شاب وكهل فما رزقت
الولد لاختلال احد السببين افحين اختل السببان جميعا ارزقه فان قلت لم طلب اولا وهو وامرأته
على صفة العتي والعقر فلما اسعف بطلبته استبعد واستعجب قلت ليجاب بما اجيب به فيزداد
الموهوب اتقانا ومن بديع المطلوب والا فمعتقد زكريا اولا واخرا كان على منهاج واحد في ان الله
غني عن الاسباب اي بلغت عتيا وهو اليبس والجساوة في المفاصل والعظام كالعود القاحل يقال عتا العود
وعسي من اجل الكبر والطعن في السن العالية او بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا وقرأ ابن
وثاب وحمزة والكسائي بكسر العين وكذلك صليا وابن مسعود بفتحهما فيهما وقرأ ابي ومجاهد
عسيا قال كذلك الكاف رفع اي الامر كذلك تصديق له ثم ابتدأ قال ربك او نصب بقال وذلك
اشارة الى مبهم يفسره هو علي هين ونحوه وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وقرأ
الحسن وهو علي هين ولا يخرج هذا الا على الوجه الاول اي الامر كما قلت وهو على ذلك يهون علي ووجه
اخر وهو ان يشار بذلك الى ما تقدم من وعد الله لا الى قول زكريا وقال محذوف في كلتا القراءتين اي قال
هو علي هين قال وهو علي هين وان شئت لم تنوه لان الله هو المخاطب والمعنى انه قال ذلك ووعده
وقوله الحق وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا لان المعدوم ليس بشيء او شيئا يعتد به كقولهم عجبت من
لا شيء وقوله اذا رأى غير شيء ظنه رجلا وقرأ الاعمش والكسائي وابن وثاب خلقناك قال رب اجعل
لي آية اي اجعل لي علامة اعلم بها وقوع ما بشرت به قال آيتك الا تكلم الناس ثلاث ليال سويا ۝ قال
علامتك ان تمنع الكلام فلا تطيقه وانت سليم الجوارح سوي الخلق ما بك خرس ولا بكم ودل ذكر
الليالي هنا والايام في آل عمران على ان المنع من الكلام استمر به ثلاثة ايام ولياليهن فخرج على قومه
من المحراب فاوحى اليهم اوحى اشار عن مجاهد ويشهد له الا رمزا وعن ابن عباس كتب لهم على الارض
ان سبحوا بكرة وعشيا سبحوا صلوا او على الظاهر وان هي المفسرة يا يحيى خذ الكتاب بقوة
اي خذ التوراة بجد واستظهار بالتوفيق والتأييد وآتيناه الحكم صبيا والحكم الحكمة ومنه
واحكم كحكم فتاة الحي اذ نظرت حكما كحكم خاليا وهو الفهم للتوراة والفقه في الدين عن ابن
عباس وقيل دعاه الصبيان الى اللعب وهو صبي فقال ما للعب خلقنا وعن معمر العقل
وقيل النبوة لان الله تعالى احكم عقله في صباه واوحى اليه وحنانا من لدنا وزكوة وكان تقيا
وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا ۝ حنانا رحمة لابويه وغيرهما وتعطفا وشفقة انشد
سيبويه ۝ وقالت حنان ما اتى بك ها هنا ۝ اذو نسب ام انت بالحي عارف ۝
وقيل حنانا من الله عليه وتحنن عليه في معناه تاح واشتقاق واستعمال العطف والرافة وقيل لله حنان
كما قيل رحيم على سبيل الاستعارة والزكوة الطهارة وقيل الصدقة اي يتعطف على الناس ويتصدق
عليهم وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا ۝ سلم الله عليه في هذه الاحوال قالت
عيينة انها اوحش المواطن واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا
فاتخذت من دونهم حجابا فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ۝ اذ بدل من مريم بدل الاشتمال
لان الاحيان مشتملة على ما فيها وفيه ان المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا لوقوع هذه القصة
العجيبة فيه والانتباذ الاعتزال والانفراد تخلت للعبادة في مكان مما يلي شرقي بيت المقدس او من
دارها معتزلة عن الناس وقيل قعدت في مشرقة للاغتسال من الحيض محتجبة بحائط او بشيء يسترها
وكان موضعها المسجد فاذا هي بشاب امرد وضي الوجه جعد الشعر سويا سوي الخلق لم
ينتقص من الصورة الآدمية شيئا او حسن الصورة مستوي الخلق وانما تمثل لها في صورة الانسان لتستانس
بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها في الصورة الملكية لنفرت ولم تقدر على استماع كلامه ودل على عفافها
وورعها انها تعوذت بالله من تلك الصورة الجميلة الفائقة الحسن وكان تمثيله على تلك الصفة ابتلاء لها
وسبرا لعفتها وقيل كانت في منزل زوج اختها زكريا ولها محراب على حدة تسكنه وكان زكريا اذا
خرج اغلق عليها الباب فتمنت ان تجد خلوة في الجبل لتفلي راسها فانفجر السقف لها فخرجت فجلست في المشرقة وراء
الجبل فاتاها الملك وقيل قام بين يديها في صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس وقيل ان النصارى

كانت من اولاده وانما قيل اخت هرون كما يقال يا اخا همدان اي يا واحدا منهم وقيل رجل صالح او طالح
في زمانها شبهوها به اي كنت عندنا مثله في الصلاح او شتموها به ولم ترد اخوة النسب ذكر ان هارون
الصالح تبع جنازته اربعون الفا كلهم يسمى هارون تبركا به وباسمه فقالوا كنا نشبهك بهرون هذا
وهو اعم من لحاء التيمي ما كان اباك امرأ سوء وقيل احتمل يوسف النجار مريم وابنها الى غار فلبثوا فيه
اربعين يوما حتى تعلت من نفاسها ثم جاءت تحمله فكلمها عيسى عليه الصلوة والسلام في الطريق فقال يا
اماه ابشري فاني عبد الله ومسيحه فلما دخلت به على قومها وهم اهل بيت صالحون تباكوا وقالوا ذلك
وقيل هموا برجمها حتى تكلم عيسى فتركوها فأشارت إليه اي هو الذي يجيبكم اذا ناطقتموه
وقيل كان المستنطق لعيسى زكريا عليه الصلوة والسلام وعن السدي لما اشارت اليه غضبوا وقالوا
لسخريتها بنا اشد علينا من زناها وروي انه كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع واقبل عليهم بوجهه واتكأ
على يساره واشار بسبابته وكلمهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان قالوا كيف
نكلم من كان في المهد صبيا ۝ كان لايقاع مضمون الجملة في زمان ماض مبهم يصلح لقريبه وبعيده
وهو هاهنا لقريبه خاصة والدال عليه مبنى الكلام وانه مسوق للتعجب ووجه آخر وهو ان يكون
نكلم حكاية حال ماضية اي كيف عهد قبل عيسى ان يكلم الناس صبيا في المهد فيما سلف من الزمان حتى
نكلم هذا قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا ۝ انطقه الله اولا بانه عبد الله
ردا لقول النصارى والكتاب هو الانجيل واختلفوا في نبوته فقيل اعطيها في طفوليته اكمل الله عقله
واستنبأه طفلا نظرا الى ظاهر الاية وقيل انه معناه ان ذلك سبق في قضائه او جعل الآتي لا محالة كانه
قد وجد وجعلني مباركا أينما كنت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نفاعا حيث كنت وقيل
معلما للخير وأوصاني بالصلوة والزكوة ما دمت حيا ۝ وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا
شقيا ۝ وقرئ برا عن ابي نهيك جعل ذاته برا لفرط بره او نصبه بفعل في معنى اوصاني وهو كلفني
لان اوصاني بالصلوة وكلفنيها واحد والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا ۝
قيل ادخل لام التعريف لتعرفه بالذكر قبله كقولك جاءنا رجل فكان من فعل الرجل كذا والمعنى وذلك
السلام الموجه الى يحيى في المواطن الثلاثة موجه الي والصحيح ان يكون هذا التعريف تعريضا
باللعنة على متهمي مريم عليها الصلوة والسلام واعدائها من اليهود وتحقيقه ان اللام للجنس فاذا قال
وجنس السلام علي خاصة فقد عرض بان ضده عليكم ونظيره قوله والسلام على من اتبع الهدى يعني ان
العذاب على من كذب وتولى وكان المقام مقام مناكرة وعناد فهو مئنة لنحو هذا من التعريض ذلك
عيسى ابن مريم قول الحق قرأ عاصم وابن عامر قول الحق بالنصب وعن ابن مسعود قال الحق وقال الله
وعن الحسن قول الحق بضم القاف وكذلك في الانعام قوله الحق والقول والقال والقول في معنى واحد
كالرهب والرهب والرهب وارتفاعه على انه خبر بعد خبر او بدل او خبر مبتدا محذوف واما
انتصابه فعلى المدح ان فسر بكلمة الله او على انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة ان اريد قول الثبات
والصدق كقولك هو عبد الله حقا لا القول الباطل وانما قيل لعيسى كلمة الله وقول الحق لانه لم
يولد الا بكلمة الله وحدها وهي قوله كن من غير واسطة اب تسمية للمسبب باسم السبب كما سمي
العشب بالسماء والشحم بالندى ويحتمل اذا اريد بقول الحق عيسى ان يكون الحق اسم الله عز وجل وان
يكون بمعنى الثبات والصدق ويعضده قوله الذي فيه يمترون اي امره حق ويقين وهم فيه شاكون
يمترون يشكون والمرية الشك او يتمارون يتلاحون قالت اليهود ساحر كذاب وقالت
النصارى ابن الله وثالث ثلاثة وقرأ علي بن ابي طالب رضي الله عنه تمترون على الخطاب وعن ابي بن
كعب قول الحق الذي كان الناس فيه يمترون ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمرا
فإنما يقول له كن فيكون ۝ تكذيب للنصارى وتبكيتهم بالبرهان على انتفاء الولد عنه وانه مما لا يأتي
ولا يتصور في المعقول وليس بمقدور عليه اذ من المحال عند المستقيم ان تكون ذاته كذات من ينشأ
منه الولد ثم بين احالة ذلك بان من اذا اراد شيئا من الاجناس كلها اوجده بكن كان منزها عن شبه
الحيوان الوالد والقول هاهنا مجاز ومعناه ان ارادته للشيء يتبعها كونه لا محالة من غير توقف فشبه ذلك
بامر الآمر المطاع اذا ورد على المأمور الممتثل وأن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم
قرأ المدنيون وابو عمرو بفتح ان ومعناه ولانه ربي وربكم فاعبدوه كقوله وان المساجد لله فلا

تدعوا

تدعوا مع الله احدا والباقون وابو عبيد بالكسر على الابتداء وفي حرف ابي ان الله بالكسر بغير واو وان
الله اي بسبب ذلك فاعبدوه فاختلف الأحزاب من بينهم الاحزاب اليهود والنصارى عن الكلبي وقيل النصارى
لتحزبهم ثلاث فرق نسطورية ويعقوبية وملكانية وعن الحسن تحزبوا على الانبياء لما قص عليهم قصة
عيسى اختلفوا فيه من بين الناس فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم ۝ اي من شهودهم الحساب
والجزاء يوم القيامة او من شهود فيه وهو الموقف او من وقت الشهود او من شهادة ذلك اليوم
العظيم عليهم وان تشهد عليهم الملائكة والانبياء والسنتهم وايديهم وارجلهم بالكفر وسوء الاعمال او من
مكان الشهادة او وقتها وقيل هو ما قالوه وشهدوا به في عيسى وامه أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا
لا يوصف الله تعالى بالتعجب وانما المراد ان اسماعهم وابصارهم يومئذ جدير بان يتعجب منهما بعدما كانوا صما
عميا في الدنيا وقيل معناه التهديد بما سيسمعون وسيبصرون مما يسوءهم ويصدع قلوبهم لكن الظالمون
اليوم في ضلال مبين ۝ اوقع الظاهر اعني الظالمين موضع الضمير اشعارا بان لا ظلم اشد من ظلمهم
حيث اغفلوا الاستماع والنظر حين يجدي عليهم ويسعدهم والمراد بالضلال المبين اغفال النظر والاستماع
وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون ۝ قضي الامر فرغ من الحساب
وتصادر الفريقان الى الجنة والنار وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عنه فقال حين يذبح الكبش
والفريقان ينظران واذ بدل من يوم الحسرة او منصوب بالحسرة وهم في غفلة متعلق بقوله في ضلال
مبين عن الحسن وانذرهم اعتراض او هو متعلق بانذرهم اي وانذرهم على هذه الحال غافلين غير مؤمنين
إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون ۝ حتما ان نميتهم ونخرب ديارهم وانه نفني اجسادها
ونفني الارض ونذهب بها واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا ۝ إذ قال لأبيه
يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا ۝ يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك
فاتبعني أهدك صراطا سويا ۝ يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا
يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا ۝ الصديق من ابنية المبالغة
ونظيره الضحيك والنطيق والمراد فرط صدقه وكثرة ما صدق به من غيوب الله واياته وكتبه ورسله
وكان الرجحان والغلبة في هذا التصديق للكتب والرسل اي كان مصدقا لجميع الانبياء وكتبهم وكان
نبيا في نفسه كقوله تعالى بل جاء بالحق وصدق المرسلين او كان بليغا في الصدق لان ملاك امر النبوة
الصدق ومصدق الله باياته ومعجزاته حري ان يكون كذلك وهذه الجملة وقعت اعتراضا بين
المبدل منه وبدله اعني ابراهيم واذ قال كقولك رايت زيدا ونعم الرجل اخاك ويجوز ان تتعلق اذ بكان
او بصديقا نبيا اي كان جامعا لخصائص الصديقين والانبياء حين خاطب اباه تلك المخاطبات والمراد
بذكر الرسول اياه وقصته في الكتاب ان يتلو ذلك على الناس ويبلغه اياهم كقوله واتل عليهم نبأ ابرهيم
والا فالله عز وجل هو ذاكره ومورده في تنزيله التاء في يا ابت عوض من ياء الاضافة ولا يقال يا ابتي لئلا
يجمع بين العوض والمعوض منه وقيل يا ابتا لكون الالف بدلا من الياء وشبه ذلك سيبويه بأينق وتعويض
الياء فيه بدلا عن الواو الساقطة انظر حين اراد ان ينصح اباه ويعظه فيما كان متورطا فيه من الخطا العظيم
والارتكاب الشنيع الذي عصى فيه امر العقل وانسلخ عن قضية التمييز ومن الغباوة التي ليس بعدها غباوة كيف رتب
الكلام معه في احسن اتساق وساقه ارشق مساق مع استعمال المجاملة واللطف والرفق واللين والادب
الجميل والخلق الحسن منتصحا في ذلك بنصيحة ربه جل وعلا حدث ابو هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اوحى الله تعالى الى ابرهيم عليه السلام انك خليلي حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل
مداخل الابرار فان كلمتي سبقت لمن حسن خلقه اظله تحت عرشي واسكنه حظيرة القدس وادنيه
من جواري وذلك انه طلب اولا العلة في خطابه طلب منبه على تماديه موقظ لافراطه وتناهيه لان المعبود
لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على الثواب والعقاب نافعا ضارا الا انه بعض الخلق لاستخف عقل
من اهله للعبادة ووصفه بالربوبية ولسجل عليه بالغي المبين والظلم العظيم وان كان اشرف الخلق واعلاهم
منزلة كالملائكة والنبيين قال الله تعالى ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ايأمركم بالكفر
بعد اذ انتم مسلمون وذلك ان العبادة هي غاية التعظيم فلا تحق الا لمن له غاية الانعام وهو الخالق الرازق
المحيي المميت المثيب المعاقب الذي منه اصول النعم وفروعها فاذا وجهت الى غيره وتعالى علوا كبيرا ان
تكون هذه الصفة لغيره لم يكن الا ظلما وعتوا وغيا وكفرا وجحودا وخروجا عن الصحيح النير الى

الفاسد المظلم فما ظنك بمن وجه عبادته الى جماد ليس به حس ولا شعور فلا يسمع يا عابده ذكرك له وثناءك عليه ولا يرى
هيئات خضوعك وخشوعك له فضلا ان يغني عنك بان تستدفعه بلاء فيدفعه او تسنح لك حاجه
فيكفيها ثم ثنى بدعوته الى الحق مترفقا به متلطفا فلم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق
ولكنه قال ان معي طائفه من العلم وشيئا منه ليس معك وذلك علم الدلاله على الطريق السوي فلا
تستنكف وهب اني واياك في مسير وعندي معرفه بالهدايه دونك فاتبعني انجك من ان
تضل وتتيه ثم ثلث بتثبيطه ونهيه عما كان عليه بان الشيطان الذي استعصى على ربك الرحمن
الذي جميع ما عندك من النعم من عنده وهو عدوك الذي لا يريد بك الا كل هلاك وخزي ونكال وعدو
ابيك ادم وابناء جنسك كلهم هو الذي ورطك في هذه الضلاله وامرك بها وزينها لك فانت ان
حققت النظر عابد الشيطان الا انه خص منها بذكر العبره من عصيانه واستكباره ولم يلتفت الى ذكر
معاداته لادم وذريته كان النظر في عظم ما ارتكب من ذلك غمر فكره واطبق على ذهنه ثم ربع
بتخويفه سوء العاقبه وبما يجره ما هو فيه من التبعه والوبال ولم يخل ذلك من حسن الادب حيث لم يصرح
بان العقاب لاحق له وان العذاب لاصق به ولكنه قال اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فذكر الخوف
والمس ونكر العذاب وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جمله اشياعه واوليائه اكبر من العذاب
وذلك ان رضوان الله اكبر من الثواب نفسه وسماه الله المشهود له بالفوز العظيم حيث قال
ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم فكذلك ولاية الشيطان التي هي معارضة رضوان
الله اكبر من العذاب نفسه واعظم وصدر كل نصيحه من النصائح الاربع بقوله يا ابت توسلا اليه
واستعطافا ما في ما لا يسمع وما لا يبصر يجوز ان تكون موصوله وموصوفه والمفعول في لا يسمع ولا يبصر
منسي غير منوي كقولك ليس به استماع ولا ابصار وشيئا يحتمل وجهين احدهما ان يكون في موقع
المصدر اي شيئا من الغناء ويجوز ان يقدر نحوه من الفعلين السابقين والثاني ان يكون مفعولا به
من قولهم اغن عني وجهك قد جاءني فيه تجدد العلم عندي **قال اراغب انت عن آلهتي يا
ابرهيم** لما اطلعه على سماجة صورة امره وهدم مذهبه بالحجج القاطعه وناصحه المناصحه العجيبه مع
تلك الملاطفات اقبل عليه الشيخ بفظاظة الكفر وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا ابت
بيا بني وقدم الخبر على المبتدا في قوله اراغب انت عن آلهتي لانه كان اهم عنده وهو عنده اعني وفيه
ضرب من التعجب والانكار لرغبته عن آلهته وان آلهته ما ينبغي ان يرغب عنها احد وفي هذا سلوان
وثلج لصدر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يلقى مثل ذلك من كفار قومه **لئن لم تنته لارجمنك**
لارمينك بلساني يريد الشتم والذم ومنه الرجيم المرمي باللعن او لاقتلنك من رجم الزاني او لاطردنك
رميا بالحجاره واصل الرجم الرمي بالرجام **واهجرني مليا** ۝ زمانا طويلا من الملاوه او مليا بالذهاب
عني والهجران قبل ان اثخنك بالضرب حتى لا تقدر ان تبرح فلان ملي بكذا اذا كان مطيقا له مضطلعا
به فان قلت علام عطف واهجرني قلت على معطوف عليه محذوف يدل عليه لارجمنك اي
فاحذرني واهجرني لان لارجمنك تهديد وتقريع **قال سلام عليك ساستغفر لك ربي**
سلام توديع ومتاركه كقوله لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين وقوله
واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وهذا دليل على جواز متاركة المنصوح له والحال هذه ويجوز
ان يكون قد دعا له بالسلامه استماله له الا ترى انه وعده الاستغفار فان قلت كيف جاز ان
يستغفر للكافر وان يعده ذلك قلت قالوا اراد اشتراط التوبه عن الكفر كما ترد الاوامر والنواهي
الشرعيه على الكفار والمراد اشتراط الايمان وكما يؤمر المحدث والفقير بالزكاة والصلوه ويراد
اشتراط الوضوء والنصاب وقالوا انما استغفر له بقوله واغفر لابي انه كان من الضالين لانه وعده ان
يؤمن واستشهدوا بقوله تعالى وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعده وعدها اياه ولقائل ان يقول
الذي منع من الاستغفار للكافر انما هو السمع فاما القضيه العقليه فلا تاباه فيجوز ان يكون الوعد بالاستغفار
والوفاء به قبل ورود السمع بناء على قضيه العقل والذي يدل على صحته قوله تعالى الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن
لك فلو كان شارطا للايمان لم يكن مستنكرا ومستثنى عما وجبت فيه الاسوه واما عن موعده وعدها
اياه فالواعد هو ابرهيم لا آزر اي ما قال واغفر لابي الا عن قوله لاستغفرن لك وتشهد له قراءة حماد الروايه
وعدها اباه والله اعلم **انه كان بي حفيا** ۝ الحفي البليغ في البر والالطاف حفي به وتحفى به **واعتزلكم**

وما تدعون من دون الله اراد بالاعتزال المهاجره الى الشام **وادعو ربي** المراد بالدعاء العباده
لانه منها ومن وسائطها ومنه قوله عليه الصلوه والسلام الدعاء هو العباده ويدل عليه قوله تعالى فلما اعتزلهم وما
يعبدون من دون الله ويجوز ان يراد الدعاء الذي حكاه الله تعالى في سورة الشعراء عرض بشقاوتهم بدعاء آلهتهم في قوله
عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا ۝ مع التواضع لله في كلمة عسى وما فيه من هضم النفس **فلما
اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا** ۝ ما
خسر على الله احد ترك الكفار الفسقه لوجهه فعوضه اولادا مؤمنين انبياء **ووهبنا لهم من رحمتنا**
هي النبوه عن الحسن وعن الكلبي المال والولد وتكون عامه في كل خير ديني ودنياوي اوتوه **وجعلنا
لهم لسان صدق عليا** ۝ لسان الصدق الثناء الحسن وعبر باللسان عما يوجد باللسان كما عبر باليد
عما يطلق باليد وهي العطيه قال ۝ اني اتتني لسان لا اسر بها ۝ يريد الرساله ولسان العرب لغتهم وكلامهم
استجاب الله دعوته واجعل لي لسان صدق في الاخرين فصيره قدوه حتى ادعاه اهل الاديان كلهم
وقال عز وجل ملة ابيكم ابرهيم ملة ابرهيم حنيفا ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم واعطى ذلك ذريته فاعلى
ذكرهم واثنى عليهم كما اعلى ذكره واثنى عليه **واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا**
المخلص بالكسر الذي اخلص العباده عن الشرك والرياء او اخلص نفسه واسلم وجهه لله وبالفتح الذي
اخلصه الله **وكان رسولا نبيا** ۝ الرسول الذي معه كتاب من الانبياء والنبي الذي ينبئ عن الله عز وجل
وان لم يكن معه كتاب كيوشع **وناديناه من جانب الطور الايمن** من اليمين اي من ناحيته اليمنى
او من اليمن صفه للطور او للجانب **وقربناه نجيا** شبهه بمن قربه بعض العظماء للمناجاه حيث كلمه بغير
واسطه ملك وعن ابي العاليه قربه حتى سمع صريف القلم الذي كتبت به التوراه **ووهبنا له من
رحمتنا اخاه هرون نبيا** ۝ من رحمتنا من اجل رحمتنا له وترؤفنا عليه وهبنا له هرون او بعض
رحمتنا كما في قوله ووهبنا لهم من رحمتنا واخاه على هذا الوجه بدل وهرون عطف بيان كقولك رايت رجلا
اخاك زيدا وكان هرون اكبر من موسى فوقعت الهبه على معاضدته وموازرته كذا عن ابن عباس
رضي الله عنهما **واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا** ۝ ذكر
اسمعيل بصدق الوعد وان كان موجودا في غيره من الانبياء تشريفا له واكراما كالتلقيب نحو الحليم
والاواه والصديق ولانه المشهور المتواصف من خصاله عن ابن عباس انه وعد صاحبا له ان ينتظره في مكان
فانتظره سنه وناهيك انه وعد من نفسه الصبر على الذبح فوفى حيث قال ستجدني ان شاء الله من الصابرين
وكان يامر اهله بالصلوه والزكوه وكان عند ربه مرضيا ۝ كان يبدا باهله في الامر
بالصلاح والعباده ليجعلهم قدوه لمن وراءهم ولانهم اولى من سائر الناس وانذر عشيرتك الاقربين وامر
اهلك بالصلوه قوا انفسكم واهليكم نارا الا ترى انهم احق بالتصدق عليهم فالاحسان الديني اولى
وقيل اهله امته كلهم من القرابه وغيرهم لان امم النبيين في عداد اهاليهم وفيه ان من حق الصالح
ان لا يالو نصحا للاجانب فضلا عن الاقارب والمتصلين به وان يحظيهم بالفوائد الدينيه ولا يفرط في
ذلك **واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا** ۝ قيل سمي ادريس لكثرة دراسته كتاب الله
وكان اسمه اخنوخ وهو غير صحيح لانه لو كان افعيلا من الدرس لم يكن فيه الا سبب واحد وهو العلميه
وكان منصرفا فامتناعه من الصرف دليل العجمه وكذلك ابليس اعجمي وليس من الابلاس كما يزعمون
ولا يعقوب من العقب ولا اسرائيل باسرال كما زعم ابن السكيت ومن لم يحقق ولم يتدرب بالصناعه
كثرت منه امثال هذه الهنات **ورفعناه مكانا عليا** ۝ المكان العلي شرف النبوه والزلفى
عند الله وقد انزل الله عليه ثلاثين صحيفه وهو اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب
واول من خاط الثياب ولبسها وكانوا يلبسون الجلود وعن انس بن مالك يرفعه انه رفع الى
السماء الرابعه وعن ابن عباس الى السماء السادسه وعن الحسن الى الجنه لا شيء اعلى من الجنه وعن النابغه
الجعدي انه لما انشد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الشعر الذي اخره
۝ بلغنا السماء مجدنا وسناءنا ۝ وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا ۝
قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى اين يا ابا ليلى قال الى الجنه **اولئك الذين انعم الله عليهم من
النبيين من ذرية ادم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابرهيم واسرائيل** اولئك اشاره
الى المذكورين في السوره من لدن زكريا الى ادريس ومن في من النبيين للبيان مثلها في قوله تعالى في اخر سوره

الفاسد المظلم فما طلبك من وجه عبادته الى جماد ليس به حس ولا شعور فلا يسمع يا عابده ذكرك له وثناءك عليه ولا يرى
هيئات خضوعك وخشوعك له فضلا ان يغني عنك بان تستدفعه بلاء فيدفعه او تسنح لك حاجة
فيكفيها ثم ثنى بدعوته الى الحق مترفقا به متلطفا فلم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق
ولكنه قال ان معي طائفة من العلم وشيئا منه ليس معك وذلك علم الدلالة على الطريق السوي فلا
تستنكف وهب اني واياك في مسير وعندي معرفة بالهداية دونك فاتبعني انجك من ان
تضل وتتيه ثم ثلث بتثبيطه ونهيه عما كان عليه بان الشيطان الذي استعصى على ربك الرحمن
الذي جميع ما عندك من النعم من عنده وهو عدوك الذي لا يريد بك الا كل هلاك وخزي ونكال وعدو
ابيك ادم وابناء جنسك كلهم هو الذي ورطك في هذه الضلالة وامرك بها وزينها لك فانت ان
حققت النظر عابد الشيطان الا التي تختص منها برب العزة من عصيانه واستكباره ولم يلتفت الى ذكر
معاداته لادم وذريته كان النظر في عظم ما ارتكب من ذلك غمر فكره واطبق على ذهنه ثم ربع
بتخويفه سوء العاقبة وبما يجره ما هو فيه من التبعة والوبال ولم يخل ذلك من حسن الادب حيث لم يصرح
بان العقاب لاحق له وان العذاب لاصق به ولكنه قال اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فذكر الخوف
والمس ونكر العذاب وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة اشياعه واوليائه اكبر من العذاب
وذلك ان رضوان الله اكبر من الثواب نفسه وسماه الله المشهود له بالفوز العظيم حيث قال
ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم فكذلك ولاية الشيطان التي هي معارضة رضوان
الله اكبر من العذاب نفسه واعظم وصدر كل نصيحة من النصائح الاربع بقوله يا ابت توسلا اليه
واستعطافا ما في ما لا يسمع ولا يبصر يجوز ان تكون موصولة وموصوفة والمفعول في لا يسمع ولا يبصر
منسي غير منوي كقولك ليس به استماع ولا ابصار وشيئا يحتمل وجهين احدهما ان يكون في موضع
المصدر اي شيئا من الغناء ويجوز ان يقدر نحوه من الفعلين السابقين والثاني ان يكون مفعولا به
من قولهم اغن عني وجهك قد جاءني فيه تجدد العلم عنده **قال اراغب انت عن الهتي يا**
ابراهيم لما اطلعه على سماجة صورة امره وهدم مذهبه بالحجج القاطعة وناصحه المناصحة العجيبة مع
تلك الملاطفات اقبل عليه الشيخ بفظاظة الكفر وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا ابت
بيا بني وقدم الخبر على المبتدأ في قوله اراغب انت عن الهتي لانه كان اهم عنده وهو عنده اعنى وفيه
ضرب من التعجب والانكار لرغبته عن الهته وان الهته ما ينبغي ان يرغب عنها احد وفي هذا سلوان
وثلج لصدر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يلقى من مثل ذلك من كفار قومه **لئن لم تنته لارجمنك**
لارمينك بلساني يريد الشتم والذم ومنه الرجيم المرمي باللعن او لاقتلنك من رجم الزاني او لاطردنك
رميا بالحجارة واصل الرجم الرمي بالرجام **واهجرني مليا** زمانا طويلا من الملاوة او مليا بالذهاب
عني والهجران قبل ان اثخنك بالضرب حتى لا تقدر ان تبرح فلان ملي بكذا اذا كان مطيقا له مضطلعا
به فان قلت علام عطف واهجرني قلت على معطوف عليه محذوف يدل عليه لارجمنك اي
فاحذرني واهجرني لان لارجمنك تهديد وتقريع **قال سلام عليك ساستغفر لك ربي**
سلام توديع ومتاركة كقوله تعالى لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين وقوله
واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وهذا دليل على جواز متاركة المنصوح له والحال هذه ويجوز
ان يكون قد دعا له بالسلامة استمالة له الا ترى انه وعده الاستغفار فان قلت كيف جاز ان
يستغفر للكافر وان يعده ذلك قلت قالوا اراد اشتراط التوبة من الكفر كما ترد الاوامر والنواهي
الشرعية على الكفار والمراد اشتراط الايمان وكما يؤمر المحدث والفقير بالزكاة والصلوة ويراد
اشتراط الوضوء والنصاب وقالوا انما استغفر له بقوله واغفر لابي انه كان من الضالين لانه وعده ان
يؤمن واستشهدوا بقوله تعالى وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه ولقائل ان يقول
الذي منع من الاستغفار للكافر انما هو السمع فاما القضية العقلية فلا تاباه فيجوز ان يكون الوعد بالاستغفار
والوفاء به قبل ورود السمع بناء على قضية العقل والذي يدل على صحته قوله تعالى الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن
لك فلو كان شارطا للايمان لم يكن مستنكرا ومستثنى عما وجبت فيه الاسوة واما عن موعدة وعدها
اياه فالواعد هو ابراهيم لا ازر اي ما قال واغفر لابي الا عن قوله لاستغفرن لك وتشهد له قراءة حماد الراوية
وعدها اباه والله اعلم **انه كان بي حفيا** الحفي البليغ في البر والالطاف حفي به وتحفى به **واعتزلكم**

وما تدعون من دون الله اراد بالاعتزال المهاجرة الى الشام **وادعو ربي** المراد بالدعاء العبادة
لانه منها ومن وسائطها ومنه قوله عليه الصلوة والسلام الدعاء هو العبادة ويدل عليه قوله تعالى فلما اعتزلهم وما
يعبدون من دون الله ويجوز ان يراد الدعاء الذي حكاه الله تعالى في سورة الشعراء عرض بشقاوتهم بدعاء الهتهم في قوله
عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا مع التواضع لله في كلمة عسى وما فيه من هضم النفس **فلما**
اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ما
خسر على الله احد ترك الكفار الفسقة لوجهه فعوضه اولادا مؤمنين انبياء **ووهبنا لهم من رحمتنا**
هي النبوة عن الحسن وعن الكلبي المال والولد وتكون عامة في كل خير ديني ودنياوي اوتوه **وجعلنا**
لهم لسان صدق عليا لسان الصدق الثناء الحسن وعبر باللسان عما يوجد باللسان كما عبر باليد عما يطلق باليد
وهي العطية قال اني اتتني لسان لا اسر بها يريد الرسالة ولسان العرب لغتهم وكلامهم
استجاب الله دعوته واجعل لي لسان صدق في الاخرين فصيره قدوة حتى ادعاه اهل الاديان كلهم
وقال عز وجل ملة ابيكم ابراهيم ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا واعطى ذلك ذريته فاعلى
ذكرهم واثنى عليهم كما اعلى ذكره واثنى عليه **واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا**
المخلص بالكسر الذي اخلص العبادة عن الشرك والرياء واخلص نفسه واسلم وجهه لله وبالفتح الذي
اخلصه الله **وكان رسولا نبيا** الرسول الذي معه كتاب من الانبياء والنبي الذي ينبئ عن الله عز وجل
وان لم يكن معه كتاب كيوشع **وناديناه من جانب الطور الايمن** من اليمين اي من ناحيته اليمنى
او من اليمن صفة للطور او للجانب **وقربناه نجيا** شبهه بمن قربه بعض العظماء للمناجاة حيث كلمه بغير
واسطة ملك وعن ابي العالية قربه حتى سمع صريف القلم الذي كتبت به التورية **ووهبنا له من**
رحمتنا اخاه هرون نبيا من رحمتنا من اجل رحمتنا له وترؤفنا عليه وهبنا له هرون او بعض
رحمتنا كما في قوله ووهبنا لهم من رحمتنا واخاه على هذا الوجه بدل وهرون عطف بيان كقولك رايت رجلا
اخاك زيدا وكان هرون اكبر من موسى فوقعت الهبة على معاضدته وموازرته كذا عن ابن عباس
رضي الله عنهما **واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا** ذكر
اسمعيل بصدق الوعد وان كان موجودا في غيره من الانبياء تشريفا له واكراما كالتلقيب بنحو الحليم
والاواه والصديق ولانه المشهور المتواصف من خصاله عن ابن عباس انه وعد صاحبا له ان ينتظره في مكان
فانتظره سنة وناهيك انه وعد من نفسه الصبر على الذبح فوفى حيث قال ستجدني ان شاء الله من الصابرين
وكان يامر اهله بالصلوة والزكوة وكان عند ربه مرضيا كان يبدا باهله في الامر
بالصلاح والعبادة ليجعلهم قدوة لمن وراءهم ولانهم اولى من سائر الناس وانذر عشيرتك الاقربين وامر
اهلك بالصلوة قوا انفسكم واهليكم نارا الا ترى انهم احق بالتصدق عليهم فالاحسان الديني اولى
وقيل اهله امته كلهم من القرابة وغيرهم لان امم النبيين في عداد اهاليهم وفيه ان من حق الصالح
ان لا يالو نصحا للاجانب فضلا عن الاقارب والمتصلين به وان يحظيهم بالفوائد الدينية ولا يفرط في
ذلك **واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا** قيل سمي ادريس لكثرة دراسته كتاب الله
وكان اسمه اخنوخ وهو غير صحيح لانه لو كان افعيلا من الدرس لم يكن فيه الا سبب واحد وهو العلمية
وكان منصرفا فامتناعه من الصرف دليل العجمة وكذلك ابليس اعجمي وليس من الابلاس كما يزعمون
ولا يعقوب من العقب ولا اسرائيل باسرال كما زعم ابن السكيت ومن لم يتحقق ولم يتدرب بالصناعة
كثرت منه امثال هذه الهنات **ورفعناه مكانا عليا** المكان العلي شرف النبوة والزلفى
عند الله وقد انزل الله عليه ثلاثين صحيفة وهو اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب
واول من خاط الثياب ولبسها وكانوا يلبسون الجلود وعن انس بن مالك يرفعه انه رفع الى
السماء الرابعة وعن ابن عباس الى السماء السادسة وعن الحسن الى الجنة لا شيء اعلى من الجنة وعن النابغة
الجعدي انه لما انشد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعر الذي اخره

بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا ۝ وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا ۝

قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اين يا ابا ليلى قال الى الجنة **اولئك الذين انعم الله عليهم من**
النبيين من ذرية ادم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل اولئك اشارة
الى المذكورين في السورة من لدن زكريا الى ادريس ومن في من البيان مثلها في قوله تعالى في اخر سورة

الفتح وعند الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لان جميع الانبيا منعم عليهم ومن الثانيه للتبعيض
وكان ادريس من ذريه ادم لقربه منه لانه جد ابي نوح وابرهيم من ذريه من حمل مع نوح لانه من ولد
سام بن نوح واسمعيل من ذريه ابرهيم وموسى وهرون وزكريا ويحيى من ذريه اسرايل وكذلك
عيسى لان مريم من ذريته وممن هدينا واجتبينا يحتمل العطف على من الاولى او الثانيه ان جعلت الذين
خبرا لاولئك كان اذا تتلى عليهم ايات الرحمن خروا سجدا كلاما مستانفا وان جعلته صفه له
كان خبرا وقرا شبل بن عباد المكي يتلى بالتذكير لان التانيث غير حقيقي مع وجود الفاصل وبكيا
البكي جمع باك كالسجود والقعود جمع ساجد وقاعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتلوا القران
وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وعن صالح المري قرات القران على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام
فقال لي يا صالح هذه القراه فاين البكا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عباس اذا قراتم سجده سبحان لي
فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين احدكم فليبك قلبه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
القران نزل بحزن فاذا قراتموه فتحازنوا وقالوا ينبغي ان يدعو الساجد في سجدته بما يليق باياتها فان قرا تنزيل السجده
قال اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون من المستكبرين عن امرك
وان قرا سجده سبحان قال اللهم اجعلني من الباكين اليك الخاشعين لك وان قرا هذه قال اللهم
اجعلني من المنعم عليهم المهتدين الساجدين لك الباكين عند تلاوه اياتك فخلف من بعدهم خلف عبادك
اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات خلفه اذا عقبه ثم قيل في عقب الخير خلف بالفتح وفي عقب السو
خلف بالسكون كما قالوا وعد في ضمان الخير ووعيد في ضمان الشر عن ابن عباس رضي الله عنه هم اليهود
تركوا الصلوه المفروضه وشربوا الخمر واستحلوا نكاح الاخت من الاب وعن ابرهيم ومجاهد اضاعوها
بالتاخير وينصر الاول قوله الا من تاب وامن يعني الكفار وعن علي رضي الله عنه في قوله واتبعوا الشهوات
من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور وعن قتاده هو في هذه الامه وقرا الحسن والضحاك
الصلوات بالجمع فسوف يلقون غيا كل شر عند العرب غي وكل خير رشاد
فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لايما
وعن الزجاج جزاء غي كقوله يلق اثاما او غيا عن طريق الجنه وقيل غي واد في جهنم
تستعيذ منه اوديتها وروى الاخفش يلقون الا من تاب وامن وعمل صالحا فاولئك يدخلون الجنة
ولا يظلمون شيا وقرى يدخلون ويدخلون اي لا ينقصون شيا من جزا اعمالهم ولا يمنعونه بل يضاعف
لهم ثنا لان تقدم الكفر لا يضرهم اذا تابوا من قولك ما ظلمك ان تفعل كذا بمعنى ما منعك او لا يظلمون
البته اي شيا من الظلم جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب لما كانت الجنه مشتمله
على جنات عدن ابدلت منها كقولك ابصرت دارك القاعه والعلالي وعدن معرفه علم بمعنى
العدن وهو الاقامه كما جعلوا فينه وسحر وامس فيمن لم يصرفه اعلاما لمعاني الفينه والسحر والامس
فجرى مجرى العدن لذلك او هو علم لارض الجنه لكونها مكان اقامه ولولا ذلك لما ساغ الابدال لان النكره
لا تبدل من المعرفه الا موصوفه ولما ساغ وصفها بالتي وقرى جنات عدن وجنة عدن بالرفع على
الابتدا اي وعدها وهي غايبه عنهم غير حاضره او هم غايبون عنها لا يشاهدونها او بتصديق الغيب
والايمان به انه كان وعده ماتيا قيل في ماتيا مفعول بمعنى فاعل والوجه ان الوعد هو الجنه
وهم ياتونها او هو من قولك اتى اليه احسانا اي كان وعده مفعولا منجزا لا يسمعون فيها لغوا
الا سلاما اللغو فضول الكلام وما لا طائل تحته وفيه تنبيه ظاهر على وجوب تجنب اللغو واتقائه حيث
نزه الله عنه الدار التي لا تكليف فيها وما احسن قوله واذا مروا باللغو مروا كراما واذا سمعوا اللغو
اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم لا نبتغي الجاهلين نعوذ بالله من اللغو والجهل والخوض
فيما لا يعنينا اي ان كان تسليم بعضهم على بعض او تسليم الملائكه عليهم لغوا فلا يسمعون لغوا الا ذلك
فهو من وادي قوله

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتايب

او لا يسمعون فيها الا قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصه على الاستثنا المنقطع او لان معنى
السلام هو الدعا بالسلامه ودار السلامه واهلها عن الدعا بالسلامه اغنيا فكان ظاهره من باب
اللغو وفضول الكلام لولا ما فيه من فايده الاكرام ولهم رزقهم فيها بكره وعشيا من الناس

من يأكل الوجبة ومنهم من يأكل متى وجد وهي عادة المنهومين ومنهم من يتغدى ويتعشى وهي
العاده الوسطى المحموده ولا يكون ثمه ليل ولا نهار ولكن على التقدير ولان المتنعم عند العرب
من وجد غداء وعشاء وقيل المراد دوام الرزق ودروره كما تقول انا عنده صباحا ومساء
بكره وعشيا تريد الديمومه ولا تقصد الوقتين المعلومين تلك الجنة التي نورث من عبادنا
من كان تقيا وقرى نورث استعاره اي نبقي عليه الجنه كما يبقى على الوارث مال الموروث ولان الاتقيا
يلقون ربهم يوم القيمه قد انقضت اعمالهم وثمرتها باقيه وهي الجنه فاذا ادخلهم الجنه فقد اورثهم
من تقواهم كما يورث الوارث المال من المتوفى وقيل اورثوا من الجنه المساكن التي كانت لاهل هم
النار لو اطاعوا وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان
ربك نسيا رب السموات والارض وما بينهما فاعبده وما نتنزل حكايه قول جبريل
صلوات الله عليه حين استبطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم روى انه احتبس اياما وقيل خمسة
عشر وذلك حين سيل عن قصه اصحاب الكهف وذي القرنين والروح فلم يدر كيف يجيب ورجا
ان يوحى اليه فشق ذلك عليه مشقه شديده وقال المشركون ودعه ربه وقلاه فلما نزل جبريل قال له
النبي صلى الله عليه وسلم ابطات حتى ساء ظني واشتقت اليك قال اني كنت اشوق ولكني عبد مامور اذا
بعثت نزلت واذا حبست احتبست وانزل الله هذه الايه وسوره الضحى والتنزل على معنيين معنى النزول
على مهل ومعنى النزول على الاطلاق كقوله

فلست لانسي ولكن لملاك تنزل من جو السماء يصوب

لانه مطاوع نزل ونزل يكون بمعنى انزل وبمعنى التدريج واللائق بهذا الموضع هو النزول على مهل
والمراد ان نزولنا في الاحايين وقتا غب وقت ليس الا بامر الله وعلى ما يراه صوابا وحكمه وله ما قدامنا
وما خلفنا من الجهات والاماكن وما نحن فيها فلا نتمالك ان ننتقل من جهه الى جهه ومكان الى مكان الا بامر
المليك ومشيته وهو الحافظ العالم بكل حركه وسكون وما يحدث ويتجدد من الاحوال لا يجوز عليه
الغفله والنسيان فانى لنا ان نتقلب في ملكوته الا اذا راى ذلك مصلحه وحكمه واطلق لنا الاذن فيه وقيل
ما سلف من امر الدنيا وما يستقبل من امر الاخره وما بين ذلك ما بين النفختين وهو اربعون سنه وقيل ما
مضى من اعمارنا وما غبر منها والحال التي نحن فيها وقيل ما قبل وجودنا وما بعد فناينا وقيل الارض التي بين
ايدينا اذا نزلنا والسما التي وراءنا وما بين السما والارض والمعنى انه المحيط بكل شي لا تخفى عليه خافيه
ولا يعزب عنه مثقال ذره فكيف نقدم على فعل نحدثه الا صادرا عما توجبه حكمته ويامرنا به وياذن
لنا فيه وقيل معنى وما كان ربك نسيا وما كان تاركا لك كقوله ما ودعك ربك وما قلى اي ما
كان امتناع النزول الا لامتناع الامر به واما احتباس الوحي فلم يكن عن ترك الله لك وتوديعه اياك
ولكن لتوقفه على المصلحه وقيل هي حكايه قول المتقين حين يدخلون الجنه اي وما ننزل الجنه الا
بان من الله علينا بثواب اعمالنا وامرنا بدخولها وهو المالك لرقاب الامور كلها السالفه والمترقبه
والحاضره اللاطف في اعمال الخير والموفق لها والمجازي عليها ثم قال الله تعالى تقريرا لقولهم وما كان ربك
نسيا لاعمال العاملين غافلا عما يجب ان يثابوا به وكيف يجوز النسيان والغفله على ذي ملكوت السماء
والارض وما بينهما ثم قال لرسوله صلى الله عليه وسلم لما عرفته على هذه الصفه فاقبل على العمل واعبده يثبك
كما اثاب غيرك من المتقين وقرا الاعرج وما يتنزل بالياء على الحكايه عن جبريل والضمير للوحي وعن
ابن مسعود لا يليق لربك يجب ان يكون الخلاف في الشي مثله في البعض رب السموات والارض بدل من
ربك ويجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف اي هو رب السموات والارض فاعبده كقوله

وقايله خولان فانكح فتاتهم

وعلى هذا الوجه يجوز ان يكون وما كان ربك نسيا من كلام
المتقين وما بعده من كلام رب العزه واصطبر لعبادته فان قلت هلا عدي اصطبر بعلى التي هي صلته
كقوله واصطبر عليها قلت لان العباده جعلت بمنزله القرن في قولك للمحارب اصطبر لقرنك اي اثبت
له فيما يورد عليك من شداته اريد ان العباده تورد عليك شدايد ومشاق فاثبت لها ولا تهن ولا يضق صدرك
عن لقاء عداتك من اهل الكتاب اغاليطهم وعن احتباس الوحي عليك مده وشماته المشركين بك هل
تعلم له سميا اي لم يسم شي بالله قط وكانوا يقولون لاصنامهم الهه والعزى الهه واما الذي عوض فيه الالف لف
واللام من الهمزه فمخصوص به المعبود الحق غير مشارك فيه وعن ابن عباس لا يسمى احد الرحمن غيره

ووجه آخر هل تعلم من سمي باسمه على الحق دون الباطل لأن التسمية على الباطل في كونها غير معتد بها كلا تسمية
وقيل مثلا وشبيها أي إذا صح أن لا معبود توجه إليه العبادة إلا هو وحده لم يكن بد من عبادته
والاصطبار على مشاقها وتكاليفها ويقول الإنسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا ۝ يحتمل أن
يراد بالإنسان الجنس بأسره وأن يراد بعض الجنس وهم الكفرة فإن قلت لم جازت إرادة الأناسي كلهم
وكلهم غير قائلين ذلك قلت لما كانت هذه المقالة موجودة فيمن هو من جنسهم صح إسناده إلى
جميعهم كما يقولون بنو فلان قتلوا فلانا وإنما القاتل رجل منهم قال الفرزدق ۝
فسيف بني عبس وقد ضربوا به ۝ نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد ۝
فقد أسند الضرب إلى بني عبس مع قوله نبا بيدي ورقاء وهو ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسي
فإن قلت بم انتصب إذا وانتصابه بأخرج ممتنع لأجل اللام لا تقول اليوم لزيد قائم قلت بفعل مضمر
يدل عليه المذكور فإن قلت لام الابتداء الداخلة على المضارع تعطي معنى الحال فكيف جامعت
حرف الاستقبال قلت لم تجامعها إلا مخلصة للتوكيد كما أخلصت الهمزة في يا الله للتعويض واضمحل
عنها معنى التعريف وما في إذا ما للتوكيد أيضا فكأنهم قالوا أحقا أنا سنخرج أحياء حين يمكن فينا الموت
والهلاك على وجه الاستنكار والاستبعاد والمراد الخروج من الأرض أو من حال الفناء أو هو من قولهم
خرج فلان عالما وخرج شجاعا إذا كان نادرا في ذلك أي سأخرج حيا نادرا على سبيل الهزء وقرأ الحسن
وأبو حيوة لسوف أخرج وعن طلحة بن مصرف لسأخرج كقراءة ابن مسعود ولسيعطيك وتقديم
الظرف وإيلاؤه حرف الإنكار من قبل أن ما بعد الموت هو وقت كون الحياة منكرة ومنه جاء إنكارهم
فهو كقولك للمسيء إلى المحسن أحين تمت عليك نعمة فلان أسأت إليه أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه
من قبل الواو عطفت لا يذكر على يقول ووسطت همزة الإنكار بين المعطوف عليه وحرف العطف يعني
أيقول ذلك ولا يتذكر حال النشأة الأولى حتى لا ينكر الأخرى فإن تلك أعجب وأغرب وأدل على
قدرة الخالق حيث أخرج الجواهر والأعراض من العدم إلى الوجود ثم أوقع التأليف مشحونا بضروب الحكم
التي تحار الفطن فيها من غير حذو على مثال واقتداء بمؤلف ولكن اختراعا وإبداعا من عند قادر
جلت قدرته ودقت حكمته وأما الثانية فقد تقدمت نظيرتها وعادت لها كالمثال المحتذى عليه
وليس فيها إلا تأليف الأجزاء الموجودة الباقية وتركيبها وردها إلى ما كانت عليه مجموعة بعد التفكيك
والتفريق وقوله ولم يك شيئا ۝ دليل على هذا المعنى وكذلك قوله وهو أهون عليه على أن رب
العزة سواء عليه النشأتان لا يتفاوت في قدرته الصعب والسهل ولا يحتاج إلى احتذاء على مثال ولا
استعانة بحكيم ولا نظر في مقياس ولكن يواجه جاحد البعث بذلك دفعا في نحر معاندته وكشفا
عن صفحة جهله القراء كلهم على لا يذكر بالتشديد إلا نافعا وابن عامر وعاصما فقد خففوا وفي
حرف أبي يتذكر من قبل من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه فوربك لنحشرنهم والشياطين
ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ۝ في إقسام الله تعالى باسمه تقدست أسماؤه مضافا إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم تفخيم لشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع منه كما رفع من شأن السماء والأرض في قوله
فورب السماء والأرض إنه لحق والواو في والشياطين يجوز أن تكون للعطف وبمعنى مع وهي بمعنى مع أوقع
والمعنى أنهم يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أغووهم يقرن كل كافر مع شيطان في
سلسلة فإن قلت هذا إذا أريد بالإنسان الكفرة خاصة فإن أريد الأناسي على العموم فكيف
يستقيم حشرهم مع الشياطين قلت إذا حشر جميع الناس حشرا واحدا وفيهم الكفرة مقرونين
بالشياطين فقد حشروا مع الشياطين كما حشروا مع الكفرة فإن قلت هلا عزل السعداء عن الأشقياء
في الحشر كما عزلوا عنهم في الجزاء قلت لم يفرق بينهم وبينهم في المحشر وأحضروا حيث تجاثوا حول جهنم
وأوردوا معهم النار ليشاهد السعداء الأحوال التي نجاهم الله منها وخلصهم فيزدادوا لذلك غبطة
إلى غبطة وسرورا إلى سرور ويشمتوا بأعداء الله وأعدائهم فتزداد مساءتهم وحسرتهم وما يغيظهم
من سعادة أولياء الله وشماتتهم بهم فإن قلت ما معنى إحضارهم جثيا قلت أما إذا فسر الإنسان بالخصوص
فالمعنى أنهم يعتلون من المحشر إلى شاطئ جهنم عتلا على حالهم التي كانوا عليها في الموقف جثاة على ركبهم غير
مشاة على أقدامهم وذلك أن أهل الموقف وصفوا بالجثو قال الله تعالى وترى كل أمة جاثية على العادة المعهودة
في مواقف المقاولات والمناقلات من تجاثي أهلها على الركب لما في ذلك من الاستيفاز والقلق وإطلاق الحبى

وخلاف الطمأنينة

وخلاف الطمأنينة أو لما يدهمهم من شدة الأمر التي لا يطيقون معها القيام على أرجلهم فيحبون على ركبهم
جثوا وإن فسر بالعموم فالمعنى أنهم يتجاثون عند موافاة شاطئ جهنم على أن جثيا حال مقدرة كما كانوا في الموقف
متجاثين لأنه من توابع التواقف للحساب قبل التواصل إلى الثواب والعقاب ثم لننزعن من كل شيعة
أيهم أشد على الرحمن عتيا ۝ ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا ۝ المراد بالشيعة وهي
فعلة كفرقة وفتية الطائفة التي شاعت أي تبعت غاويا من الغواة قال الله تعالى إن الذين فرقوا دينهم
وكانوا شيعا يريد نمتاز من كل طائفة من طوائف الغي والفساد أعصاهم فأعصاهم وأعتاهم فأعتاهم
فإذا اجتمعوا طرحناهم في النار على الترتيب نقدم أولاهم بالعذاب فأولاهم أو أراد بالذين هم أولى بها صليا المنتزعين
كما هم كأنه قال ثم لنحن أعلم بتصلية هؤلاء وهم أولى بالصلي من بين سائر الصالين ودركاتهم أسفل وعذابهم
أشد ويجوز أن يريد بأشدهم عتيا رؤساء الشيع وأئمتهم لتضاعف جرمهم بكونهم ضلالا ومضلين قال الله
تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون وليحملن
أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم واختلف في إعراب أيهم أشد فعن الخليل أنه مرتفع على الحكاية تقديره لننزعن
الذين يقال فيهم أيهم أشد وسيبويه على أنه مبني على الضم لسقوط صدر الجملة التي هي صلته حتى لو جيء به لأعرب
وقيل أيهم هو أشد ويجوز أن يكون النزع واقعا على من كل شيعة كقوله ووهبنا لهم من رحمتنا أي لننزعن
بعض كل شيعة فكأن قائلا قال من هم فقيل أيهم أشد عتيا وأيهم أشد بالنصب عن طلحة بن مصرف
وعن معاذ بن مسلم الهراء أستاذ الفراء فإن قلت بم يتعلق على والباء فإن تعلقهما بالمصدرين لا سبيل
إليه قلت هما للبيان لا للصلة أو يتعلقان بأفعل أي عتوهم أشد على الرحمن وصليهم أولى بالنار
كقولهم هو أشد على خصمه وهو أولى بكذا وإن منكم إلا واردها التفات إلى الإنسان يعضده
قراءة ابن عباس وعكرمة وإن منهم أو خطاب للناس من غير التفات إلى المذكور فإن أريد الجنس كله فمعنى
الورود دخولهم فيها وهي خامدة فيعبرها المؤمنون وتنهار بغيرهم عن ابن عباس يردونها كأنها إهالة
وروي دواية وعن جابر بن عبد الله أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال إذا دخل أهل
الجنة الجنة قال بعضهم لبعض أليس قد وعدنا ربنا أن نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة
وعنه رضي الله عنه أنه سئل عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الورود الدخول
لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على إبراهيم عليه الصلاة والسلام
حتى إن للنار ضجيجا من بردها وأما قوله أولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وعن ابن مسعود
والحسن وقتادة هو الجواز على الصراط لأن الصراط ممدود عليها وعن ابن عباس قد يرد الشيء الشيء ولم يدخله
كقوله ولما ورد ماء مدين ووردت القافلة البلد وإن لم تدخله ولكن قربت منه وعن مجاهد ورود المؤمن
النار هو مس الحمى جسده في الدنيا لقوله عليه الصلاة والسلام الحمى من فيح جهنم وفي الحديث الحمى
حظ كل مؤمن من النار ويجوز أن يراد بالورود جثوهم حولها وإن أريد الكفار خاصة فالمعنى بين كان
على ربك حتما مقضيا ۝ الحتم مصدر حتم الأمر إذا أوجبه فسمي به الموجب كقولهم خلق الله وضرب
الأمير أي كان ورودهم واجبا على الله أوجبه على نفسه وقضى به وعزم على أن لا يكون غيره ثم ننجي الذين
اتقوا قرئ ننجي وننجي وينجي وينجى على ما لم يسم فاعله إن أريد الجنس بأسره فهو ظاهر وإن أريد الكفرة وحدهم
فمعنى ثم ننجي الذين اتقوا أن المتقين يساقون إلى الجنة عقيب ورود الكفار لا أنهم يواردونهم ثم يتخلصون
وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس والجحدري وابن أبي ليلى ثم ننجي بفتح الثاء أي هناك وقوله ونذر الظالمين
فيها جثيا ۝ دليل على أن المراد بالورود الجثو حواليها وأن المؤمنين يفارقون الكفرة إلى الجنة بعد تجاثيهم
وتبقى الكفرة في مكانهم جاثين وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات مرتلات الألفاظ ملخصات المعاني مبينات المقاصد
إما محكمات أو متشابهات قد تبعها البيان بالمحكمات أو تبيين الرسول صلى الله عليه وسلم قولا أو فعلا
أو ظاهرات الإعجاز تحدي بها فلم يقدر على معارضتها أو حججا وبراهين والوجه أن تكون حالا مؤكدة
كقوله وهو الحق مصدقا إذ لا تكون آيات الله إلا واضحة وحججا قال الذين كفروا للذين آمنوا أي
الفريقين خير مقاما وأحسن نديا ۝ يعني أنهم يناطقون المؤمنين بذلك ويواجهونهم به وأنهم يقولونه
لأجلهم وفي معناهم كقوله تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه وقرأ ابن كثير مقاما
بالضم وهو موضع الإقامة والمنزل والباقون بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان والموضع والندي
المجلس ومجتمع القوم وحيث ينتدون والمعنى أنهم إذا سمعوا الآيات وهم جهلة لا يعلمون إلا ظاهرا

عن
صح
ضد
الورود الحلول الى تحت الموقف والدنو منه

من الحظوظ الدنيا ذلك مبلغهم من العلم قالوا اي الفريقين من المؤمنين بالآيات والجاحدين لها اوفر حظا من الدنيا حتى يجعل ذلك عيارا على الفضل والنقص والرفعة والضعة ويروى انهم كانوا يرجّلون شعورهم ويدهنون ويتطيبون ويتزينون بالثياب الفاخرة ثم يدعون مفتخرين على فقراء المسلمين انهم اكرم على الله منهم **وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا** كم مفعول اهلكنا ومن تبيين لابهامها اي كثيرا من القرون اهلكنا وكل اهل عصر قرن لمن بعدهم لانهم يتقدمونهم وهم احسن في محل النصب صفة لكم الا ترى انك لو تركت هم لم يكن لك بد من نصب احسن على الوصفية الاثاث متاع البيت وقيل هو ما جدّ من الفرش والخرثي ما لبس منها وانشد الحسن بن علي الطوسي **قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا**

تقادم العهد من ام الوليد بنا ۝ دهرا ۝ وصار اثاث البيت خرثيا ۝

قرئ على خمسة اوجه رئيا وهو المنظر والهيئة فعل بمعنى مفعول من رأيت ورئيا على القلب كقولهم راء في رأى وريّا على قلب الهمزة ياء والادغام او من الري الذي هو النعمة والترفه من قولهم ريان من النعيم وريا على حذف الهمزة رأسا ووجهه ان يخفف المقلوب وهو رئيا بحذف الهمزة والقاء حركتها على الياء الساكنة قبلها وزيا واشتقاقه من الزي وهو الجمع لان الزي محاسن مجموعة والمعنى احسن من هؤلاء **قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا** ۝ اي مد له الرحمن يعني امهله واملى له في العمر فاخرج على لفظ الامر ايذانا بوجوب ذلك وانه مفعول لا محالة كالمأمور به الممتثل لتقطع معاذير الضال ويقال له يوم القيامة اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وكقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما او من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا في معنى الدعاء بان يمهله الله وينفس في مدة حياته **حتى اذا رأوا ما يوعدون اما العذاب واما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا واضعف جندا** ۝ في هذه الآية وجهان احدهما ان تكون متصلة بالآية التي هي رابعتها والآيتان اعتراض بينهما اي قالوا اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا حتى اذا رأوا ما يوعدون اي لا يبرحون يقولون هذا القول ويتولعون به لا يتكافون عنه الى ان يشاهدوا الموعود رأي عين اما العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واظهار الله دينه على الدين كله على ايديهم واما يوم القيامة وما ينالهم من الخزي والنكال فحينئذ يعلمون عند المعاينة ان الامر على عكس ما قدروه وانهم شر مكانا واضعف جندا لا خير مقاما واحسن نديا وان المؤمنين على خلاف صفتهم والثاني ان تتصل بما يليها والمعنى ان الذين في الضلالة ممدود لهم في الضلالة والخذلان لاحق بهم لعلم الله بهم وبان الالطاف لا تنفع فيهم وليسوا من اهلها والمراد بالضلالة ما دعاهم من جهلهم وغلوهم في كفرهم الى القول الذي قالوه لا ينفكون عن ضلالهم الى ان يعاينوا نصرة الله المؤمنين او يشاهدوا الساعة ومقدماتها فان قلت حتى هذه ما هي قلت هي التي تحكى بعدها الجمل الا ترى الجملة الشرطية واقعة بعدها وهي قوله اذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون والمكان شر مكانا واضعف جندا في مقابلة خير مقاما واحسن نديا لان مقامهم هو مكانهم ومسكنهم والندي المجلس الجامع لوجوه قومهم واعوانهم وانصارهم والجند هم الانصار والاعوان **ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا** ۝ يزيد معطوف على موضع فليمدد لانه واقع موقع الخبر تقديره من كان في الضلالة مد او يمد له الرحمن مدا ويزيد اي يزيد في ضلال الضال بخذلانه ويزيد المهتدين هداية بتوفيقه والباقيات الصالحات اعمال الآخرة كلها وقيل الصلوات وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اي هي خير ثوابا من مفاخرات الكفار وخير مردا اي مرجعا وعاقبة او منفعة من قولهم ليس لهذا الامر مرد وهل يرد بكائي زندا فان قلت كيف قيل خير ثوابا كان لمفاخراتهم ثوابا حتى يجعل ثواب الصالحات خيرا منه قلت كانه قيل ثوابهم النار على طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم ۝ وقوله ۝

شجعاء جرتها الذميل تلوكه ۝ اصلا اذا راح المطي غراثا ۝ وقوله ۝

تحية بينهم ضرب وجيع ۝ ثم بني عليه خير ثوابا وفيه ضرب من التهكم الذي هو اغيظ للمتهدد من ان يقال له عقابك النار فان قلت فما وجه التفضيل في الخير كان لمفاخرهم شركا فيه قلت هذا من وجيز كلامهم يقولون الصيف احر من الشتاء اي ابلغ في حره منه في برده **افرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا** ۝ لما كانت مشاهدة الاشياء ورؤيتها طريقا الى الاحاطة بها علما وصحة الخبر عنها استعملوا أرأيت في معنى اخبر والفاء جاءت لافادة معناها الذي هو التعقيب كانه قال

اخبر ايضا بقصة هذا الكافر واذكر حديثه عقيب حديث اولئك **اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا** ۝ من قولهم اطلع الجبل اذا ارتقى الى اعلاه وطلع الثنية قال جرير ۝

لاقيت مطلع الجبال وعورا ۝ ويقولون مر مطلعا لذلك الامر اي عاليا له مالكا له ولاختيار هذه الكلمة شأن يقول أوقد بلغ من عظمة شأنه ان ارتقى الى علم الغيب الذي توحد به الواحد القهار والمعنى ان ما ادعى ان يؤتاه وتألى عليه لا يتوصل اليه الا باحد هذين الطريقين اما علم الغيب واما عهد من عالم الغيب فبايهما توصل الى ذلك قرأ حمزة والكسائي وولدا وهو جمع ولد كأسد في أسد او بمعنى الولد كالعرب في العرب وعن يحيى بن يعمر وولدا بالكسر وقيل العهد كلمة الشهادة وعن قتادة هل له عمل صالح قدمه فهو يرجو به ما يقول وعن الكلبي عهد الله اليه ان يؤتيه ذلك عن الحسن رحمه الله نزلت في الوليد بن المغيرة والمشهور انها في العاص بن وائل قال خباب بن الارت كان لي عليه دين فاقتضيته فقال لا والله حتى تكفر بمحمد قلت لا والله لا اكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين تبعث قال فاني اذا مت بعثت قلت نعم قال اذا بعثت جئتني وسيكون لي ثم مال وولد فاعطيك وقيل صاغ له خباب حليا فاقتضاه الاجر فقال انكم تزعمون انكم تبعثون وان في الجنة ذهبا وفضة وحريرا فانا اقضيك ثم فاني اوتى مالا وولدا حينئذ **كلا** ردع وتنبيه على الخطأ اي هو مخطئ فيما يصوره لنفسه ويتمناه فليرتدع عنه فان قلت كيف قيل **سنكتب ما يقول** بسين التسويف وهو كما قاله كتب من غير تأخير قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد قلت فيه وجهان احدهما سنظهر له ونعلمه انا كتبنا قوله على طريقة قوله ۝ اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة ۝ اي تبين وعلم بالانتساب اني لست بابن لئيمة والثاني ان المتوعد يقول للجاني سوف انتقم منك يعني انه لا يخل بالانتصار وان تطاول به الزمان واستأخر فجرد هنا لمعنى الوعيد **ونمد له من العذاب مدا** ۝ اي نطول له من العذاب ما يستأهله ونعذبه بالنوع الذي يعذب به الكفار المستهزئون او نزيده من العذاب ونضاعف له من المدد يقال مده وامده بمعنى وتدل عليه قراءة علي بن ابي طالب رضي الله عنه ونمد له بالضم واكد ذلك بالمصدر وذلك من فرط غضب الله نعوذ بالله من التعرض لما نستوجب به غضبه **ونرثه ما يقول** اي نزوي عنه ما زعم انه يناله في الآخرة ونعطيه من يستحقه والمعنى مسمى ما يقول ومعنى ما يقول هو المال والولد يقول الرجل انا املك كذا فتقول له ولي فوق ما تقول ويحتمل انه قد تمنى وطمع ان يؤتيه الله في الدنيا مالا وولدا وبلغت به اشعبيته ان تألى على ذلك في قوله لأوتين لانه جواب قسم مضمر ومن يتأل على الله يكذبه فيقول الله عز وجل هب انا اعطيناه ما اشتهاه اما نرثه منه في العاقبة **ويأتينا فردا** ۝ غدا بلا مال ولا ولد كقوله عز وجل ولقد جئتمونا فرادى الآية فما يجدي عليه تمنيه وتأليه ويحتمل ان هذا القول انما يقوله ما دام حيا فاذا قبضناه حلنا بينه وبين ان يقوله ويأتينا رافضا له منفردا عنه غير قائل له او لا ننسى قوله هذا ولا نلغيه بل نثبته في صحيفته لنضرب به وجهه في الموقف ونعيره به ويأتينا على فقره ومسكنته فردا من المال والولد لم نوله سؤله ولم نؤته متمناه فيجتمع عليه الخطبان تبعة قوله ووباله وفقد المطموع فيه فردا على الوجه الاول حال مقدرة نحو فادخلوها خالدين لانه وغيره سواء في اتيانه فردا حين يأتي ثم يتفاوتون بعد ذلك **واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا** ۝ اي ليتعززوا بآلهتهم حيث يكونون لهم عند الله شفعاء وانصارا ينقذونهم من العذاب **كلا سيكفرون بعبادتهم** ردع لهم وانكار لتعززهم بالآلهة وقرأ ابن نهيك كلا سيكفرون بعبادتهم كقولك زيدا مررت بغلامه وفي محتسب ابن جني حتى كلا بفتح الكاف والتنوين وزعم ان معناه كل هذا الرأي والاعتقاد كلا ولقائل ان يقول ان صحت هذه الرواية فهي كلا التي هي للردع قلب الواقف عليها الفها نونا كما في قواريرا والضمير في سيكفرون للآلهة اي سيجحدون عبادتهم وينكرونها ويقولون والله ما عبدتمونا وانتم كاذبون قال الله تعالى واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك فألقوا اليهم القول انكم لكاذبون او للمشركين اي ينكرون لسوء العاقبة ان يكونوا قد عبدوها قال الله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين **ويكونون عليهم ضدا** ۝ في مقابلة لهم عزا والمراد ضد العز وهو الذل والهوان اي يكونون عليهم ضدا لما قصدوه وارادوه كانه قيل ويكونون عليهم ذلا لا لهم عزا او يكونون عليهم عونا والضد العون يقال من اضدادكم اي اعوانكم وكان العون سمي ضدا لانه يضاد عدوك وينافيه باعانته لك عليه فان قلت لم وحد قلت وحد توحيد قوله عليه

الصلوة والسلام وهم يد على من سواهم لاتفاق كلمتهم وانهم كشي واحد لفرط تضامهم وتوافقهم ومعنى كون الالهة عونا عليهم انهم وقود النار وحصب جهنم ولانهم عذبوا بسبب عبادتها وان رجعت الواو في سيكفرون ويكونون الى المشركين فالمعنى ويكونون عليهم اي اعداءهم ضدا اي كفرة بهم بعد ان كانوا يعبدونها ﴿ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا﴾ ۝ الاز والهز والاستفزاز اخوات ومعناه التهييج وشدة الازعاج اي تغريهم على المعاصي وتهيجهم لها بالوساوس والتسويلات والمعنى خلينا بينهم وبينهم ولم نمنعهم ولو شئنا لمنعناهم قسرا والمعنى تعجيب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بعد الآيات التي ذكر فيها العتاة المردة واقاويلهم وملاحتهم ومعاندتهم للرسل واستهزاؤهم بالدين من تماديهم في الغي وافراطهم في العناد وتصميمهم على الكفر واجماعهم على دفع الحق بعد وضوحه وانتفاء الشك عنه وانهماكهم لذلك في اتباع الشياطين وما تسول لهم ﴿فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا﴾ ۝ عجلت عليه بكذا اذا استعجلته منه اي لا تعجل عليهم بان يهلكوا ويبيدوا حتى تستريح انت والمسلمون من شرورهم وتطهر الارض بقطع دابرهم فليس بينك وبين ما تطلب من هلاكهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة كانها في سرعة تقضيها الساعة التي تعد فيها لو عدت ونحوه قوله ولا تستعجل لهم كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان اذا قرأها بكى وقال آخر العدد خروج نفسك آخر العدد فراق اهلك آخر العدد دخول قبرك وعن ابن السماك انه كان عند المامون فقرأها فقال اذا كانت الانفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما اسرع ما تنفد ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا﴾ ۝ ﴿ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا﴾ ۝ نصب يوم بمضمر اي يوم نحشر ونسوق نفعل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف او اذكر يوم نحشر ويجوز ان ينتصب بلا يملكون ذكر المتقين بلفظ التبجيل وهو انهم يجمعون الى ربهم الذي غمرهم برحمته وخصهم برضوانه وكرامته كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين للكرامة عندهم وعن علي رضي الله عنه ما يحشرون والله على ارجلهم ولكنهم على نوق رحالها ذهب وعلى نجائب سروجها ياقوت وذكر الكافرين بانهم يساقون الى النار باهانة واستخفاف كانهم نعم عطاش تساق الى الماء والورد العطاش لان من يرد الماء لا يرده الا العطش وحقيقة الورد المسير الى الماء قال

ردي ردي ورد قطاة صما ۝ كدرية اعجبها برد الما ۝

فسمي به الواردون وقرأ الحسن يحشر المتقون ويساق المجرمون ﴿لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا﴾ ۝ الواو في لا يملكون ان جعل ضميرا فهو للعباد ودل عليه ذكر المتقين والمجرمين لانهم على هذه القسمة ويجوز ان تكون علامة للجمع كالتي في اكلوني البراغيث والفاعل من اتخذ لانه في معنى الجمع ومحل من اتخذ رفع على البدل او على الفاعلية ويجوز ان ينتصب على تقدير حذف المضاف اي الا شفاعة من اتخذ والمراد لا يملكون ان يشفع لهم واتخاذ العهد الاستظهار بالايمان والعمل وعن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه واله وسلم قال لاصحابه ذات يوم ايعجز احدكم ان يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة اني اعهد اليك باني اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك وانك ان تكلني الى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير واني لا اثق الا برحمتك فاجعل لي عندك عهدا توفينيه يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع الله عليه بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيامة نادى مناد اين الذين لهم عند الله عهد فيدخلون الجنة وقيل كلمة الشهادة او يكون من عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به اي لا يشفع الا المأمور بالشفاعة المأذون له فيها ويعضده مواضع في التنزيل وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدا﴾ ۝ ﴿لقد جئتم شيئا إدا﴾ ۝ وقرئ أدا بالكسر والفتح قال ابن خالويه الاد والاد العجب وقيل العظيم المنكر والادة الشدة وادني الامر وآدني اثقلني وعظم علي ادا ﴿تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا﴾ ۝ ﴿أن دعوا للرحمن ولدا﴾ ۝ يكاد قرأه الكسائي ونافع بالياء وقرئ ينفطرن الانفطار من فطره اذا شقه والتفطر من فطره اذا شققه وكرر الفعل فيه وقرأ ابن مسعود ينصدعن اي تهد هدا او مهدودة او مفعول له اي لانها تهد قال ولـ

ما معنى انفطار

ثم ما معنى انفطار السموات وانشقاق الارض وخرور الجبال ومن اين تؤثر هذه الكلمة في الجمادات قلت فيه وجهان احدهما ان الله سبحانه يقول كدت افعل هذا بالسموات والارض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا مني على من تفوه بها لولا حلمي ووقاري واني لا اعجل بالعقوبة كما قال ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا والثاني ان يكون استعظاما للكلمة وتهويلا من فظاعتها وتصويرا لاثرها في الدين وهدمها لاركانه وقواعده وان مثال ذلك الاثر في المحسوسات ان يصيب هذه الاجرام العظيمة التي هي قوام العالم ما تنفطر منه وتنشق وتخر وفي قوله لقد جئتم وما فيه من المخاطبة بعد الغيبة وهو الذي يسمى الالتفات في علم البلاغة زيادة تسجيل عليهم بالجرأة على الله والتعرض لسخطه وتنبيه على عظم ما قالوا وفي ان دعوا ثلاثة اوجه ان يكون مجرورا بدلا من الهاء في منه كقوله

على حالة لو ان في القوم حاتما ۝ على جوده لضن بالماء حاتم ۝

ومنصوبا بتقدير سقوط اللام وافضاء الفعل اي هدا لان دعوا علل الخرور بالهد والهد بدعاء الولد للرحمن ومرفوعا بانه فاعل هدا اي هدها دعاء الولد للرحمن وفي اختصاص الرحمن وتكريره مرات من الفائدة انه هو الرحمن وحده لا يستحق هذا الاسم غيره من قبل ان اصول النعم وفروعها منه خلق العالمين وخلق لهم جميع ما معهم كما قال بعضهم

فليكشف عن بصرك غطاؤه ۝ فانت وجميع ما عندك عطاؤه ۝

فمن اضاف اليه ولدا فقد جعله كبعض خلقه واخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن هو من دعا بمعنى سمى المتعدي الى مفعولين فاقتصر على احدهما الذي هو الثاني طلبا للعموم والاحاطة بكل ما ادعي له ولدا او من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ما في قوله عليه الصلوة والسلام من ادعى الى غير مواليه وقول الشاعر

إنا بني نهشل لا ندعي لأب ۝ اي لا ننتسب اليه ۝

﴿وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا﴾ انبغى مطاوع بغى اذا طلب اي ما يتأتى له اتخاذ الولد وما يتطلب لو طلب مثلا لانه محال غير داخل تحت الصحة اما الولادة المعروفة فلا مقال في استحالتها واما التبني فلا يكون الا فيما هو من جنس المتبنى وليس للقديم سبحانه جنس تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ﴿إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا﴾ ۝ من موصوفة لانها وقعت بعد كل نكرة وقوعها بعد رب في قوله ۝ رب من انضجت غيظا صدره ۝ وقرأ ابن مسعود وابو حيوة آت الرحمن على اصله قبل الاضافة ﴿لقد أحصاهم وعدهم عدا﴾ ۝ ﴿وكلهم آتيه يوم القيامة فردا﴾ ۝ الا حصا الحصر والضبط يعني حصرهم بعلمه واحاط بهم وعدهم عدا الذين اعتقدوا في الملائكة وعيسى وعزير انهم اولاد الله كانوا بين كفرين احدهما القول بان الرحمن يصح ان يكون والدا والثاني اشراك الذين زعموهم لله اولادا في عبادته كما يخدم الناس ابناء الملوك خدمتهم لآبائهم فهدم الله الكفر الاول فيما تقدم من الآيات ثم عقبه بهدم الكفر الآخر والمعنى ما من معبود لهم في السموات والارض من الملائكة ومن الناس الا وهو يأتي الرحمن اي يأوي اليه ويلتجئ الى ربوبيته عبدا منقادا مطيعا خاشعا خاشيا راجيا كما يفعل العبيد وكما يجب عليهم لا يدعي لنفسه ما يدعيه له هؤلاء الضلال ونحوه قوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه وكلهم متقلبون في ملكوته مقهورون بقهره وهو مهيمن عليهم محيط بهم وبجمل امورهم وتفاصيلها وكيفيتهم وكميتهم لا يفوته شيء من احوالهم وكل واحد منهم اتيه يوم القيامة منفردا ليس معه من هؤلاء المشركين احد وهم براء منهم ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا﴾ ۝ قرأ جناح بن حبيش ودا بالكسر والمعنى سيحدث لهم في القلوب مودة ويزرعها لهم فيها من غير تودد منهم ولا تعرض للاسباب التي تكتسب بها الناس مودات القلوب من قرابة او صداقة او اصطناع بمعروف او غير ذلك وانما هو اختراع منه ابتداء اختصاصا منه لاوليائه بكرامة خاصة كما قذف في قلوب اعدائهم الرعب والهيبة اعظاما لهم واجلالا لمكانهم والسين اما لان السورة مكية وكان المؤمنون حينئذ ممقوتين بين الكفرة فوعدهم الله ذلك اذا جاء الاسلام واما ان يكون ذلك يوم القيامة يحببهم الله الى خلقه بما يعرض من حسناتهم وينشر من ديوان اعمالهم وروي ان النبي صلى الله عليه واله وسلم قال لعلي رضي الله عنه يا علي قل اللهم اجعل لي عندك عهدا واجعل لي في صدور المؤمنين مودة فانزل الله هذه الآية وعن ابن عباس رضي الله عنهما يحبهم الله

وحببهم الى خلقه وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله عز وجل يا جبريل قد احببت فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في اهل السماء ان الله قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يضع له المحبة في الارض وعن قتادة ما اقبل العبد الى الله الا اقبل الله بقلوب العباد اليه **فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا** هذه خاتمة السورة ومقطعها فكانه قال بلغ هذا المنزل او بشر به وانذر فانما انزلناه بلسانك اي بلغتك وهو اللسان العربي المبين وسهلناه وفصلناه لتبشر به وتنذر واللد الشداد الخصومة بالباطل الاخذون في كل لديد اي في كل شق من المراء والجدال لفرط لجاجهم يريد اهل مكة **وكم اهلكنا قبلهم من قرن** تخويف وانذار **هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا** وقرئ تحس من حسه اذا شعر به ومنه الحواس والمحسوسات وقرئ تسمع مضارع اسمعت والركز الصوت الخفي ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة مريم اعطي عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وابرهيم واسحق ويعقوب وموسى وهرون واسمعيل وادريس وعشر حسنات بعدد من دعا الله في الدنيا ومن لم يدع الله

سورة طه مكية وهي مائة واربع وثلاثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

طه ابو عمرو فخم الطا لاستعلائها وامال الها وفخمهما ابن كثير وابن عامر على الاصل والباقون اما لوهما وعن الحسن طه وفسر بانه امر بالوطء وان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقوم في تهجده على احدى رجليه فامر بان يطأ الارض بقدميه معا وان الاصل طأ فقلبت همزته هاء او قلبت في يطأ الفا كقوله لا هناك المرتع ثم بني عليه الامر والها للسكت ويجوز ان يكتفى بشطري الاسمين وهما الدالان بلفظهما على المسميين والله اعلم بصحة ما قيل ان طاها في لغة عك في معنى يا رجل ولعل عك تصرفوا في يا هذا كانهم في لغتهم قالبون اليا طا فقالوا في يا طا واختصروا هذا فاقتصروا على ها واثر الصنعة ظاهر لا يخفى في البيت المستشهد به

ان السفاهة طه في خلائقكم ۝ لا قدس الله اخلاق الملاعين

والاقوال الثلاثة في الفواتح التي قدمتها في اول الكاشف عن حقائق التنزيل هي التي يعول عليها الالباء المتقون **ما انزلنا عليك القران** ان جعلت طه تعديدا لاسماء الحروف على الوجه السابق ذكره فهو ابتداء كلام وان جعلتها اسما للسورة احتمل ان تكون خبرا عنها وهي في موضع المبتدا والقران ظاهر اوقع موقع الضمير لانها قران وان تكون جوابا لها وهي قسم وقرئ ما نزل عليك القران **لتشقى** لتتعب بفرط تاسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على ان يؤمنوا كقوله لعلك باخع نفسك والشقاء يجيء في معنى التعب ومنه المثل اتعب من رائض مهر واشقى من رائض مهر **الا تذكرة** اي ما عليك الا ان تبلغ وتذكر ولم يكتب عليك ان يؤمنوا لا محالة بعد ان لم تفرط في اداء الرسالة والموعظة الحسنة وقيل ان ابا جهل والنضر بن الحرث قالا له انك شقي لانك تركت دين ابائك فاريد رد ذلك بان دين الاسلام وهذا القران هو السلم الى نيل كل فوز والسبب في درك كل سعادة وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها وروي انه عليه الصلوة والسلام صلى بالليل حتى تورمت قدماه فقال له جبريل ابق على نفسك فان لها عليك حقا اي ما انزلناه لتنهك نفسك بالعبادة وتذيقها المشقة الفادحة وما بعثت الا بالحنيفية السمحة وكل واحد من لتشقى وتذكرة علة للفعل الا ان الاول وجب مجيئه مع اللام لانه ليس لفاعل الفعل المعلل ففاتته شريطة الانتصاب على المفعولية والثاني جاز قطع اللام عنه ونصبه لاستجماعه الشرائط فان قلت اما يجوز ان تقول ما انزلنا عليك القران ان تشقى كقوله ان تحبط اعمالكم قلت بلى ولكنها نصبة طارئة كالنصبة التي في واختار موسى قومه واما النصبة التي في تذكرة فهي كالتي في ضربت زيدا لانه احد المفاعيل الخمسة التي هي اصول وقوانين لغيرها فان قلت هل يجوز ان تكون تذكرة بدلا من محل لتشقى قلت لا لاختلاف الجنسين ولكنها نصب على الاستثناء المنقطع الذي الا فيه بمعنى لكن ويحتمل ان يكون المعنى انا انزلنا عليك القران لتحتمل متاعب التبليغ ومقاولة العتاة من اعداء الاسلام ومقاتلتهم وغير ذلك من انواع المشاق وتكاليف النبوة وما انزلنا عليك هذا المتعب الشاق الا ليكون تذكرة وعلى هذا

الوجه يجوز ان يكون تذكرة حالا ومفعولا له **لمن يخشى** لمن يؤول امره الى الخشية ولمن يعلم الله منه انه يبدل بالكفر ايمانا وبالفسوق خشية **تنزيلا ممن خلق الارض** في نصب تنزيلا وجوه ان يكون بدلا من تذكرة اذا جعل حالا لا اذا كان مفعولا له لان الشيء لا يعلل بنفسه وان ينصب بنزل مضمرا وان ينصب بانزلنا لان معنى ما انزلناه الا تذكرة انزلناه تذكرة وان ينصب على المدح والاختصاص وان ينصب بيخشى مفعولا به اي انزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله وهو معنى حسن واعراب بين وقرئ تنزيل بالرفع على خبر مبتدا محذوف ما بعد تنزيلا الى قوله له الاسماء الحسنى تعظيم وتفخيم لشان المنزل لنسبته الى من هذه افعاله وصفاته ولا يخلو من ان يكون متعلقه اما تنزيلا نفسه فيقع صلة له واما محذوف فيقع صفة له فان قلت ما فائدة النقلة من لفظ المتكلم الى لفظ الغائب قلت غير واحدة منها عادة الافتنان في الكلام وما يعطيه من الحسن والروعة ومنها ان هذه الصفات انما تسردت مع لفظ الغيبة ومنها انه قال اولا انزلنا ففخم بالاسناد الى ضمير الواحد المطاع ثم ثنى بالنسبة الى المختص بصفات العظمة فضوعفت الفخامة من طريقين ويجوز ان يكون انزلنا حكاية لكلام جبريل والملائكة النازلين معه **والسموات العلى** وصف السموات بالعلى دلالة على عظم قدرة من يخلق مثلها في علوها وبعد مرتقاها **الرحمن على العرش استوى** قرئ الرحمن مجرورا صفة لمن خلق والرفع احسن لانه اما ان يكون رفعا على المدح على تقدير هو الرحمن واما ان يكون مبتدا مشارا بلامه الى من خلق فان قلت الجملة التي هي على العرش استوى ما محلها اذا جررت الرحمن او رفعته على المدح قلت اذا جررت فهي خبر مبتدا محذوف لا غير وان رفعت جاز ان يكون كذلك وان يكون مع الرحمن خبرين للمبتدا لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يردف الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا استوى فلان على العرش يريدون ملك وان لم يقعد على السرير البتة قالوه ايضا لشهرته في ذلك المعنى ومساواته ملك في مؤداه وان كان اشرح وابسط وادل على صورة الامر ونحوه قولك يد فلان مبسوطة ويد فلان مغلولة والمعنى انه جواد وبخيل لا فرق بين العبارتين الا فيما قلت حتى ان من لم يبسط يده قط بالنوال او لم تكن له يد راسا قيل فيه يده مبسوطة لمساواته عندهم قولهم جواد ومن ثم تصوروا به ولا بسط ولا غل فالتفسير بالنعمة والتمحل للتثنية من ضيق العطن والمسافرة عن علم البيان مسيرة اعوام **له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى** ما تحت سبع الارضين عن محمد بن كعب وعن السدي هو الصخرة التي تحت الارض السابعة **وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى** اي يعلم ما اسررته الى غيرك واخفى من ذلك وهو ما اخطرته ببالك او ما اسررته في نفسك واخفى منه وهو ما ستسره فيها وعن بعضهم ان اخفى فعل يعني انه يعلم اسرار العباد واخفى عنهم ما يعلمه هو كقوله يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما وليس بذاك فان قلت كيف طابق الجزاء الشرط قلت معناه وان تجهر بذكر الله من دعاء او غيره فاعلم انه غني عن جهرك فاما ان يكون نهيا عن الجهر كقوله تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول واما تعليما للعباد ان الجهر ليس لاسماع الله وانما هو لغرض اخر **الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى** الحسنى تانيث الاحسن وصفت بها الاسماء لان حكمها حكم الموءنث كقولك الجماعة الحسنى ومثلها مارب اخرى ومن اياتنا الكبرى والذي فضلت به اسماؤه في الحسن على سائر الاسماء دلالتها على معاني التقديس والتمجيد والتعظيم والربوبية والافعال التي هي النهاية في الحسن **وهل اتاك حديث موسى** قفاه بقصة موسى عليه الصلوة والسلام ليأتسي به في تحمل اعباء النبوة وتكاليف الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد حتى ينال عند الله الفوز والمقام المحمود **اذ راى نارا** يجوز ان ينتصب اذ ظرفا للحديث لانه حدث او لمضمر اي حين راى نارا كان كيت وكيت او مفعولا لاذكر استاذن موسى شعيبا عليهما الصلوة والسلام في الخروج الى امه وخرج باهله فولد له في الطريق ابن في ليلة شاتية مظلمة مثلجة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فراى النار عند ذلك قيل كانت ليلة جمعة **فقال لاهله امكثوا اني انست نارا لعلي اتيكم منها بقبس او اجد على النار هدى** الايناس الابصار البين الذي لا شبهة فيه ومنه انسان العين لانه يتبين به الشيء والانس لظهورهم كما قيل الجن لاستتارهم وقيل هو ابصار ما يؤنس به لما وجد منه الايناس وكان مقطوعا متيقنا حققه لهم بكلمة ان ليوطن انفسهم ولما كان الاتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين متوقعين بنى الامر فيهما على الرجاء والطمع

وقال لعلي ولم يقطع فيقول اني اتيكم لئلا يعد ما ليس بمستيقن الوفاء به او قبسا القبس النار المقتبسة
في رأس عود او فتيلة او غيرها ومنه قيل المقتبسة لما يقتبس فيه من سعفة او نحوها هدى اي قوما هداة
يهدونني الطريق او ينفعونني بهداهم في ابواب الدين عن مجاهد وقتادة وذلك لان افكار الابرار مغمورة
بالهمة الدينية في جميع احوالهم لا يشغلهم عنها شاغل والمعنى ذوي هدى او اذا وجد الهداة فقد
وجد الهدى ومعنى الاستعلاء في على النار ان اهل النار يستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه في
مررت بزيد انه لصوق بمكان يقرب من زيد او لان المصطلين بها والمستمتعين بها اذا تكنفوها قياما
وقعودا كانوا مشرفين عليها ومنه قول الاعشى ● وبات على النار الندى والمحلق ●
فلما أتاها نودي يا موسى إني أنا ربك قرأ ابو عمرو وابن كثير أني بالفتح اي نودي بأني انا ربك
وكسر الباقون اي نودي فقيل يا موسى او لان النداء ضرب من القول فعومل معاملته تكرير الضمير
في اني انا ربك لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة روي انه لما نودي يا موسى قال
من المتكلم فقال الله عز وجل اني انا ربك وان ابليس وسوس اليه لعلك تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت
انه كلام الله باني سمعته من جميع جهات الست واسمعه بجميع اعضائي وروي انه حين انتهى رأى شجرة
خضراء من اسفلها الى اعلاها كأنها نار بيضاء تتقد وسمع تسبيح الملائكة ورأى نورا عظيما فخاف وبهت
فالقيت عليه السكينة ثم نودي وكانت الشجرة عوسجة وروي كلما دنا او بعد لم يختلف ما كان يسمع من
الصوت وعن ابي اسحق لما دنا استأخرت عنه فلما رأى ذلك رجع واوجس في نفسه خيفة فلما اراد الرجعة
دنت منه ثم كلم فاخلع نعليك انك بالواد المقدس قيل امر بخلع النعلين لانهما كانا من جلد حمار
ميت غير مدبوغ عن السدي وقتادة وقيل ليباشر الوادي بقدميه متبركا به وقيل لان الحفوة تواضع
لله ومن ثم طاف السلف بالكعبة حافين ومنهم من استعظم دخول المسجد بنعليه وكان اذا ندر منه
الدخول منتعلا تصدق والقرآن يدل على ان ذلك احترام للبقعة وتعظيم لها وتشريف لقدسها وروي
انه خلع نعليه والقاهما من وراء الوادي طوى بالضم والكسر منصرف وغير منصرف بتأويل المكان
والبقعة وقيل مرتين نحو ثنى اي نودي نداءين او قدس الوادي كرة بعد كرة وانا اخترتك
اصطفيتك للنبوة وقرأ حمزة وانا اخترناك فاستمع لما يوحى انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني
وأقم الصلوة لذكري لتذكرني فان ذكري ان اعبد ويصلى لي او لتذكرني فيها
لاشتمال الصلوة على الاذكار عن مجاهد او لاني ذكرتها في الكتب وامرت بها او لان اذكرك بالمدح
والثناء واجعل لك لسان صدق او لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري او لاخلاص ذكري وطلب ذكري
وطلب وجهي لا ترائي بها ولا تقصد بها غرضا اخر او لتكون لي ذاكرا غير ناس فعل المخلصين في جعلهم
ذكر ربهم على بال منهم وتوكيل هممهم وافكارهم به كما قال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله او لاوقات
ذكري وهي مواقيت الصلوة لقوله ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا واللام مثلها في قولك جئتك
لوقت كذا وكان ذلك لست ليال خلون وقوله تعالى يا ليتني قدمت لحياتي وقد حمل على ذكر الصلوة
بعد نسيانها من قوله عليه الصلوة والسلام من نام عن صلوة او سها عنها فليصلها اذا ذكرها ومن حق
له ان يقول اذا ذكر الصلوة فقد ذكر الله او بتقدير حذف المضاف اي لذكر صلاتي او لان الذكر والنسيان
من الله عز وجل في الحقيقة وقرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للذكرى إن الساعة آتية أكاد أخفيها
اي اكاد اخفيها فلا اقول هي آتية لفرط ارادتي اخفاءها ولولا ما في الاخبار باتيانها مع تعمية وقتها من
اللطف لما اخبرت به وقيل معناه اكاد اخفيها من نفسي ولا دليل في الكلام على هذا المحذوف ومحذوف لا
دليل عليه مطرح والذي غرهم منه ان في مصحف ابي اكاد اخفيها من نفسي وفي بعض المصاحف اكاد
اخفيها من نفسي فكيف اظهركم عليها عن ابي الدرداء وسعيد بن جبير اخفيها من خفاه اذا اظهره اي
قرب اظهارها كقوله اقتربت الساعة وقد جاء في بعض اللغات اخفاه بمعنى خفاه وبه
فسر بيت امرئ القيس ● فان تدفنوا الداء لا نخفه ● وان تبعثوا الحرب لا نقعد ●
فاكاد اخفيها محتمل للمعنيين لتجزى كل نفس متعلق بآتية بما تسعى بسعيها فلا يصدنك عنها
من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى ● اي لا يصدنك عن تصديقها والضمير للقيامة ويجوز ان
يكون للصلوة فان قلت العبارة لنهي من لا يؤمن عن صد موسى والمقصود نهي موسى عن التكذيب
بالبعث او امره بالتصديق فكيف صلحت هذه العبارة لاداء هذا المقصود قلت فيه وجهان احدهما

ان صد الكافر عن التصديق بها سبب للتكذيب فذكر السبب ليدل على المسبب والثاني ان صد الكافر
مسبب عن رخاوة الرجل في الدين ولين شكيمته فذكر المسبب ليدل على السبب كقولهم لا ارينك
ها هنا المراد نهيه عن مشاهدته والكون بحضرته وذلك سبب رؤيته اياه فكان ذكر المسبب دليلا على
السبب كأنه قيل وكن شديد الشكيمة صلب المعجم حتى لا يتلوح منك لمن يكفر بالبعث انه يطمع
في صدك عما انت عليه يعني ان من لا يؤمن بالآخرة هم الجم الغفير اذ لا شيء اطم على الكفرة ولا هم اشد له
نكيرا من البعث فلا يهولنك وفور دهمائهم ولا عظم سوادهم فلا تجعل الكثرة مزلة قدمك واعلم
انهم وان كثروا تلك الكثرة فقدوتهم فيما هم فيه هو الهوى واتباعه لا البرهان وتدبره وفي
هذا حث عظيم على العمل بالدليل وزجر بليغ عن التقليد وانذار بان الهلاك والردى مع التقليد واهله
وما تلك بيمينك يا موسى تلك بيمينك كقوله وهذا بعلي شيخا في انتصاب الحال بمعنى الاشارة ويجوز ان تكون
تلك اسما موصولا صلته بيمينك انما سأله ليريه عظم ما يخترعه عز وعلا في الخشبة اليابسة من قلبها
حية نضناضة وليقرر في نفسه المباينة البعيدة بين المقلوب عنه والمقلوب اليه وينبهه على قدرته
الباهرة ونظيره ان يريك الزراد زبرة من حديد ويقول لك ما هي فتقول زبرة حديد ثم يريك بعد ايام
لبوسا مسردا فيقول لك هي تلك الزبرة صيرتها الى ما ترى من عجيب الصنعة وانيق السرد قال هي عصاي
وقرأ ابن ابي اسحق عصيّ على لغة هذيل ومثله يا بشريّ ارادوا كسر ما قبل الياء فلم يقدروا عليه
فقلبوا الالف الى اخت الكسرة وقرأ الحسن عصاي بكسر الياء لالتقاء الساكنين وهو مثل قراءة حمزة
بمصرخي وعن ابن ابي اسحق سكون الياء أتوكأ عليها اعتمد عليها اذا اعييت او وقفت على رأس القطيع
وعند الطفرة وأهش بها على غنمي اهش الورق اخبطه اي اخبطه على رؤوس غنمي تأكله وعن
لقمان بن عاد ● اكلت حقا وابن لبون جذع ● وهشة تحب وسيلاء دفع ●
والحمد لله من غير شبع ● سمعته من غير واحد من العرب ونعت واد قرب من الطائف كثير السدر
وفي قراءة النخعي اهش وكلاهما من هش الخبز يهش اذا كان ينكسر لهشاشته وعن عكرمة
اهس بالسين اي انحي عليها زاجرا لها والهس زجر الغنم ولي فيها مآرب أخرى ذكر على التفصيل والاجمال
المنافع المتعلقة بالعصا كانه احس بما يعقب هذا السؤال من امر عظيم يحدثه الله تعالى فقال ما هي
الا عصا لا تنفع الا منافع بنات جنسها وكما تنفع العيدان ليكون جوابه مطابقا للغرض الذي فهمه من فحوى
كلام ربه ويجوز ان يريد عز وجل ان يعدد المرافق الكثيرة التي علقها بالعصا ويستكثرها ويستعظمها
ثم يريه على عقب ذلك الآية العظيمة كانه يقول له اين انت عن هذه المنفعة العظمى والمأربة الكبرى
المنسية عندها كل منفعة ومأربة كنت تعتد بها وتحتفل بشأنها وقالوا انما سأله ليبسط منه
ويقلل هيبته وقالوا انما اجمل موسى ليسأله عن تلك المآرب فيزيد في اكرامه وقالوا انقطع
لسانه بالهيبة فاجمل وقالوا اسم العصا نبعة وقيل في المآرب كانت ذات شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن
حناه بالمحجن واذا طلب كسره لواه بالشعبتين واذا سار القاها على عاتقه فعلق بها ادواته من القوس
والكنانة والحلاب وغيرها واذا كان في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليها الكساء
واستظل واذا قصر رشاؤه وصله بها وكان يقاتل بها السباع عن غنمه وقيل كان فيها من المعجزات انه كان
يستقي بها فتطول بطول البئر وتصير شعبتاها دلوا وتكونان شمعتين بالليل واذا ظهر عدو حاربت عنه
واذا اشتهى ثمرة ركزها فاورقت واثمرت وكان يحمل عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه ويركزها فينبع
الماء فاذا رفعها نضب وكانت تقيه الهوام قال ألقها يا موسى فألقاها فإذا هي حية تسعى
السعي المشي بسرعة وخفة فان قلت كيف ذكرت بالفاظ مختلفة بالحية والجان والثعبان قلت
اما الحية فاسم جنس يقع على الذكر والانثى والصغير والكبير واما الثعبان والجان فبينهما تناف لان الثعبان
العظيم من الحيات والجان الدقيق وفي ذلك وجهان احدهما انها كانت وقت انقلابها حية تنقلب حية
صفراء دقيقة ثم تتورم ويتزايد جرمها حتى يصير ثعبانا فاريد بالجان اول حالها وبالثعبان مآلها الثاني
انها كانت في شخص الثعبان وسرعة حركة الجان والدليل عليه قوله فلما رآها تهتز كأنها جان وقيل
كان لها عرف كعرف الفرس وقيل كان بين لحييها اربعون ذراعا قال خذها ولا تخف لما رأى
ذلك الامر العجيب الهائل ملكه من الفزع والنفار ما يملك البشر عند الاهوال والمخاوف وعن ابن عباس انقلبت
ثعبانا ذكرا يبتلع الصخر والشجر فلما رآه يبتلع كل شيء خاف ونفر وعن بعضهم انما خافها لانه عرف ما

لى آدم منها وقيل لما قال له ربه لا تخف بلغ من ذهاب خوفه وطمأنينة نفسه أن أدخل يده في فمها وأخذ بلحييها سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى السيرة من السير كالركبة من الركوب يقال سار فلان سيرة حسنة ثم اتسع فيها فنقلت إلى معنى المذهب والطريقة وقيل سير الأولين فيجوز أن ينتصب على الظرف أي سنعيدها في طريقتها الأولى أي في حال ما كانت عصا وأن يكون أعاد منقولا من عاده بمعنى عاد إليه ومنه بيت زهير وعادك أن تلاقيها عداء فيتعدى إلى مفعولين ووجه ثالث حسن وهو أن يكون سنعيدها مستقلا بنفسه غير متعلق بسيرتها بمعنى أنها أنشئت أول ما أنشئت عصا ثم ذهبت وبطلت بالقلب حية فسنعيدها بعد ذهابها كما أنشأناها أولا ونصب سيرتها بفعل مضمر أي تسير سيرتها الأولى يعني سنعيدها سائرة سيرتها الأولى حيث كنت تتوكأ عليها ولك فيها المآرب التي عرفتها وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ قيل لكل ناحيتين جناحان كجناحي العسكر لمجنبتيه وجناحا الإنسان جنباه والأصل المستعار منه جناحا الطائر سميا جناحين لأنه يجنحهما عند الطيران والمراد إلى جنبك تحت العضد دل على ذلك قوله تخرج السوء الرداءة والقبح في كل شيء فكني به عن البرص كما كني عن العورة بالسوأة وكان جذيمة صاحب الزباء أبرص فكنوا عنه بالأبرش والبرص أبغض شيء إلى العرب وبهم عنه نفرة عظيمة وأسماعهم لاسمه مجاجة فكان جديرا بأن يكنى عنه ولا ترى أحسن ولا ألطف ولا أحز للمفاصل من كنايات القرآن وآدابه يروى أنه كان آدم فأخرج يده من مدرعته بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس يغشي البصر بيضاء وآية حالان معا ومن غير سوء من صلة البيضاء كما تقول ابيضت من غير سوء وفي نصب آية وجه آخر وهو أن يكون بإضمار نحو خذ ودونك وما أشبه ذلك حذف لدلالة الكلام وقد تعلق بهذا المحذوف لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى أي خذ هذه الآية أيضا بعد قلب العصا حية لنريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا الكبرى أو لنريك بهما الكبرى من آياتنا أو لنريك من آياتنا الكبرى فعلنا ذلك اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي لما أمره بالذهاب إلى فرعون الطاغي لعنه الله عرف أنه كلف أمرا عظيما وخطبا جسيما يحتاج معه إلى احتمال ما لا يحتمله إلا ذو جأش رابط وصدر فسيح فاستوهب ربه أن يشرح صدره ويفسح قلبه ويجعله حليما حمولا يستقبل ما عسى يرد عليه من الشدائد التي يذهب معها صبر الصابر بجميل الصبر وحسن الثبات وأن يسهل عليه في الجملة أمره الذي هو خلافة الله في أرضه وما يصحبها من مزاولة معاظم الشؤون ومقاساة جلائل الخطوب فإن قلت لي في قوله اشرح لي صدري ويسر لي أمري ما جدواه والكلام بدونه مستتب قلت قد أبهم الكلام أولا فقيل اشرح لي ويسر لي فعلم أن ثم مشروحا وميسرا ثم بين ورفع الإبهام بذكرهما فكان آكد لطلب الشرح والتيسير لصدره وأمره من أن يقول اشرح صدري ويسر أمري على الإيضاح الساذج لأنه تكرير للمعنى الواحد من طريقي الإجمال والتفصيل وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي عن ابن عباس كان في لسانه رتة لما روي من حديث الجمرة ويروى أن يده احترقت وأن فرعون اجتهد في علاجها فلم تبرأ ولما دعاه قال إلى أي رب تدعوني قال إلى الذي أبرأ يدي وقد عجز عنها وعن بعضهم إنما لم تبرأ يده لئلا يدخلها مع فرعون في قصعة واحدة فتنعقد بينهما حرمة المواكلة واختلف في زوال العقدة بكمالها فقيل بقي بعضها لقوله وأخي هارون هو أفصح مني لسانا وقوله ولا يكاد يبين وكان في لسان الحسين بن علي رضي الله عنهما رتة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثها من عمه موسى وقيل زالت لقوله قد أوتيت سؤلك يا موسى وفي تنكير العقدة وإن لم يقل عقدة لساني أنه طلب حل بعضها إرادة أن يفهم عنه فهما جيدا ولم يطلب الفصاحة الكاملة ومن لساني صفة للعقدة كأنه قيل عقدة من عقد لساني وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي الوزير من الوزر لأنه يتحمل عن الملك أوزاره ومؤنه أو من الوزر لأن الملك يعتصم برأيه ويلتجئ إليه في أموره أو من المؤازرة وهي المعاونة عن الأصمعي وكان القياس أزيرا فقلبت الهمزة إلى الواو ووجه قلبها أن فعيلا جاء في معنى مفاعل مجيئا صالحا كقولهم عشير وجليس وقعيد وخليل وصديق ونديم فلما قلب في أخيه قلب فيه وحمل الشيء على نظيره ليس بعزيز ونظرا إلى أن مؤازر يجوز وزيرا وهارون مفعولا قوله اجعل قدم ثانيهما على أولهما عناية بأمر الوزارة أو لي وزيرا مفعولاه وهارون عطف بيان للوزير وأخي في الوجهين بدل من هارون وإن جعل عطف بيان آخر جاز وحسن أَشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا قرأوا جميعا اشدد وأشركه على الدعاء وابن عامر وحده أشدد وأشركه على الجواب وفي مصحف

ابن مسعود أخي واشدد وعن أبي بن كعب أشركه في أمري واشدد به أزري ويجوز فيمن قرأ على لفظ الأمر أن يجعل أخي مرفوعا على الابتداء واشدد به أزري خبره ويوقف على هارون الأزر القوة وأزره قواه أي اجعله شريكي في الرسالة حتى نتعاون على عبادتك وذكرك فإن التعاون لأنه مهيج الرغبات يتزايد به الخير ويتكاثر إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا أي عالما بأحوالنا وبأن التعاضد مما يصلحنا وأن هارون نعم المعين والشاد لعضدي فإنه أكبر مني سنا وأفصح لسانا قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى السؤل الطلبة فعل بمعنى مفعول كقولك خبز بمعنى مخبوز وأكل بمعنى مأكول وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى الوحي إلى أم موسى إما أن يكون على لسان نبي في وقتها كقوله وإذ أوحيت إلى الحواريين أو يبعث إليها ملكا لا على وجه النبوة كما بعث إلى مريم أو يريها ذلك في المنام فتتنبه عليه أو يلهمها كقوله وأوحى ربك إلى النحل أي أوحينا إليها أمرا لا سبيل إلى التوصل إليه ولا إلى العلم به إلا بالوحي وفيه مصلحة دينية فوجب أن يوحى ولا يخل به أي هو مما يوحى لا محالة وهو أمر عظيم مثله يحق بأن يوحى أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ أن هي المفسرة لأن الوحي بمعنى القول القذف مستعمل في معنى الإلقاء والوضع ومنه قوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب وكذلك الرمي قال غلام رماه الله بالحسن يافعا أي حصل فيه الحسن ووضعه فيه والضمائر كلها راجعة إلى موسى ورجوع بعضها إليه وبعضها إلى التابوت فيه هجنة لما يؤدي إليه من تنافر النظم فإن قلت المقذوف في البحر هو التابوت وكذلك الملقى إلى الساحل قلت ما ضرك لو قلت المقذوف والملقى هو موسى في جوف التابوت حتى لا تفرق الضمائر فيتنافر عليك النظم الذي هو أم إعجاز القرآن والقانون الذي وقع عليه التحدي ومراعاته أهم ما يجب على المفسر لما كانت مشيئة الله وإرادته أن لا تخطئ جرية ماء اليم الوصول به إلى الساحل وإلقاءه إليه سلك في ذلك سبيل المجاز وجعل اليم كأنه ذو تمييز أمر بذلك ليطيع الأمر ويمتثل رسمه فقيل فليلقه اليم بالساحل روي أنها جعلت في التابوت قطنا محلوجا فوضعته فيه وجصصته وقيرته ثم ألقته في اليم وكان يشرع منه إلى بستان فرعون نهر كبير فبينا هو جالس على رأس بركة مع آسية إذا بالتابوت فأمر به فأخرج ففتح فإذا صبي أصبح الناس وجها فأحبه عدو الله حبا شديدا لا يتمالك أن يصبر عنه وظاهر اللفظ أن البحر ألقاه بساحله وهو شاطئه لأن الماء يسحله أي يقشره وقذفه ثمة فالتقط من الساحل إلا أن يكون قد ألقاه اليم بموضع من الساحل فيه فوهة نهر فرعون ثم أداه النهر إلى حيث البركة وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي لا يخلو إما أن يتعلق بألقيت فيكون المعنى على أني أحببتك ومن أحبه الله أحبته القلوب وإما أن يتعلق بمحذوف هو صفة لمحبة أي محبة حاصلة أو واقعة مني قد ركزتها أنا في القلوب وزرعتها فيها فلذلك أحبك فرعون وكل من أبصرك روي أنه كانت على وجهه مسحة جمال وفي عينيه ملاحة لا يكاد يصبر عنه من رآه وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي لتربى ويحسن إليك وأنا مراعيك وراقبك كما يراعي الرجل الشيء بعينه إذا اعتنى به وتقول للصانع اصنع هذا على عيني أنظر إليك لئلا تخالف به عن مرادي وبغيتي ولتصنع معطوف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك ويرأم ونحوه أو حذف معلله أي ولتصنع فعلت ذلك وقرئ ولتصنع ولتصنع بكسر اللام وسكونها والجزم على أنه أمر وقرئ ولتصنع بفتح التاء والنصب أي وليكون عملك وتصرفك على عين مني إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ العامل في إذ تمشي ألقيت أو تصنع ويجوز أن يكون بدلا من إذ أوحينا إليك فإن قلت كيف يصح البدل والوقتان مختلفان متباعدان قلت كما يصح وإن اتسع الوقت وتباعد طرفاه أن يقول لك الرجل لقيت فلانا سنة كذا فتقول وأنا لقيته إذ ذاك وربما لقيه هو في أولها وأنت في آخرها يروى أن أخته واسمها مريم جاءت متعرفة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها وذلك أنه كان لا يقبل ثدي امرأة فقالت هل أدلكم فجاءت بالأم فقبل ثديها ويروى أن آسية استوهبته من فرعون وتبنته وهي التي أشفقت عليه وطلبت له المراضع فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا هي نفس القبطي الذي استغاثه عليه الإسرائيلي قتله وهو ابن اثنتي عشرة سنة فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ اغتم بسبب القتل خوفا من عقاب الله ومن اقتصاص فرعون فغفر الله له باستغفاره حين قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي ونجاه من فرعون أن ينشب فيه أظفاره حين هاجر به إلى مدين وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا يجوز أن يكون مصدرا على فعول في المتعدي كالثبور والشكور والكفور

وجمع فتن او فتنه على ترك الاعتداد بالتاء كحجور وبدور في حجرة وبدرة اي فتناك ضروبا من الفتن
سال سعيد بن جبير ابن عباس رضي الله عنهما فقال خلصناك من محنة بعد محنة ولد في عام كان يقتل
فيه الولدان فهذه فتنة يا ابن جبير والقته امه في البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا واجر نفسه
عشر سنين وضل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير
والفتنة المحنة وكلما يشق على الانسان وكل ما يبتلي الله به عباده فتنة قال ونبلوكم بالشر والخير فتنة
فلبثت سنين في اهل مدين ومدين على ثماني مراحل من مصر وعن وهب انه لبث عند شعيب ثمانيا
وعشرين سنة منها مهر ابنته عشر وقضى اوفى الاجلين **ثم جئت على قدر يا موسى** اي سبق في
قضائي وقدري ان اكلمك فاستنبئك في وقت بعينه وقد وقته لذلك فما جئت الا على ذلك القدر
غير مستقدم ولا متاخر وقيل على مقدار من الزمان يوحى فيه الى الانبياء وهو راس اربعين سنة
واصطنعتك لنفسي هذا تمثيل لما خوله من منزلة القرب والتكريم والتكليم مثل حاله
بحال من يراه بعض الملوك لجوامع خصال فيه وخصائص اهلا لان لا يكون اقرب منزلة منه اليه
ولا الطف محلا فيصطنعه بالكرامة والاثرة ويستخلصه لنفسه ولا يبصر ولا يسمع الا بعينه واذنه
ولا يأتمن على مكنون سره الا سواء ضميره **اذهب انت واخوك باياتي ولا تنيا في ذكري اذهبا
الى فرعون انه طغى** ولا تنيا ولا تفترا ولا تقصرا وقرئ تنيا بكسر حرف المضارعة للاتباع اي لا تنسياني
ولا اذكركما بما يليق بكما حيثما تقلبتما واتخذا ذكري جناحا تطيران به مستمدين بذلك العون
معتقدين ان امرا من الامور لا يتمشى لاحد الا بذكري ويجوز ان يريد بالذكر تبليغ الرسالة فان الذكر يقع على
الطاعات وكان جبريل اذا بان اطلق عليه اسم الذكر وروي ان الله اوحى الى هرون وهو بمصر ان يتلقى موسى
وقيل سمع بمقبله وقيل الهم ذلك **فقولا له قولا لينا** وقرئ لينا بالتخفيف هل لك الى ان تزكى
واهديك الى ربك فتخشى فانه دعوة في صورة عرض ومشورة وعرض ما فيه الفوز العظيم وقيل عداه شبابا
لا يهرم بعده وملكا لا ينزع منه الا بالموت وان تبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح الى حين
موته وقيل لا تجبهاه بما يكره والطفا له في القول لما له من حق تربية موسى عليه الصلاة والسلام
ولما ثبت له من مثل حق الابوة وقيل كنياه وهو من ذوي الكنى الثلاث ابو العباس وابو الوليد
وابو مرة **لعله يتذكر او يخشى** والترجي لهما اي اذهبا على رجائكما وطمعكما وباشرا الامر
مباشرة من يرجو ويطمع ان يثمر عمله ولا يخيب سعيه فهو يجتهد بطوقه ويحتشد باقصى وسعه
وجدوى ارسالهما اليه مع العلم بانه لن يؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة ولولا انا اهلكناهم بعذاب
من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك اي يتذكر ويتامل فيبذل النصفة من نفسه
والاذعان للحق او يخشى ان يكون الامر كما تصفان فيجره انكاره الى الهلكة **قالا ربنا اننا نخاف
ان يفرط علينا** ان يعجل علينا بالعقوبة ولا يصبر الى اتمام الدعوة واظهار المعجزة من فرط اذا تقدم ومنه الفارط
ان يعجل علينا بالعقوبة ويبادرنا بها وقرئ يفرط من افرطه اذا حمله على العجلة اي نخاف ان يحمله
حامل على المعاجلة بالعقاب من شيطان او من جبروته واستكباره وادعائه الربوبية او من حبه
الرياسة او من قومه القبط المتمردين الذي حكى عنهم رب العزة قال الملا من قوم فرعون وقرئ يفرط
من الافراط في الاذية اي يخاف ان يقول سنا وبين نساويين ولا يتامل
احل بنا على ما عرفنا وجربنا من شراسته وعتوه **او ان يطغى** اي يزداد طغيانا فيتخطى الى ان يقول فيك ما لا ينبغي لجراءته
وقسوة قلبه والتعبير به هكذا على الاطلاق وعلى سبيل الرمز للتادب وتحاشيا
عن التفوه بالعظيمة **قال لا تخافا انني معكما** اي حافظكما وناصركما **اسمع وارى** ما يجري
بينكما وبينه من قول وفعل فافعل ما يوجبه حفظي ونصرتي لكما ويجوز ان لا يقدر مفعول
وحاصل لا يعزب عني شيء وكانه قيل انا حافظ لكما وناصر سامع مبصر واذا كان الحافظ والناصر كذلك
تم الحفظ وصحت النصرة وذهبت المبالاة بالعدو **فاتياه فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بني
اسرائيل ولا تعذبهم** كانت بنو اسرائيل في ملكه فرعون والقبط يعذبونهم بتكليف الاعمال الصعبة
من الحفر ونقل الحجارة والسخرة اعني كل شيء مع قتل الولدان واستخدام النساء **قد جئناك
باية من ربك** جملة جارية من الجملة الاولى وهي انا رسولا ربك مجرى البيان والتفسير لان دعوى
الرسالة لا تثبت الا ببينتها التي هي المجيء بالاية انما وحد قوله باية ولم يثن ومعه ايتان لانه

المراد في هذا الموضع تثبيت الدعوى ببرهانها فكانه قال قد جئناك بمعجزة وبرهان وحجة على ما
ادعيناه من الرسالة وكذلك قد جئتكم ببينة من ربكم فات باية ان كنت من الصادقين اولو جئتك بشيء مبين
والسلام على من اتبع الهدى انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى يريد
وسلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة على المهتدين وتوبيخ اهل النار والعذاب على المكذبين **قال
فمن ربكما يا موسى** خاطب الاثنين ووجه النداء الى احدهما وهو موسى لانه الاصل في النبوة
وهرون وزيره وتابعه ويحتمل ان يحمله خبثه ودعارته على استدعاء كلام موسى دون كلام اخيه
لما عرف من فصاحة هرون والرتة في لسان موسى ويدل عليه قوله ام انا خير من هذا الذي هو مهين
ولا يكاد يبين **قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه** خلقه اول مفعولي اعطى اي اعطى خليقته كل شيء يحتاجون
اليه ويرتفقون به او ثانيهما اي اعطى كل شيء صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به كما
اعطى العين الهيئة التي تطابق الابصار والاذن الشكل الذي يوافق الاستماع وكذلك الانف
واليد والرجل واللسان كل واحد منها مطابق لما علق به من المنفعة غير ناب عنه او اعطى كل حيوان
نظيره في الخلق والصورة حيث جعل الحصان والحجر زوجين والبعير والناقة والرجل والمراة فلم يزاوج
منها شيء غير جنسه وما هو على خلاف خلقه وقرئ خلقه صفة للمضاف او للمضاف اليه اي كل شيء خلقه
الله لم يخله من عطائه وانعامه **ثم هدى** اي عرفه كيف يرتفق بما اعطي وكيف يتوصل اليه ولله در
هذا الجواب ما اخصره وما اجمعه وما ابينه لمن القى الذهن ونظر بعين الانصاف وكان طالبا للحق **قال
فما بال القرون الاولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى** سأله عن حال من
تقدم وخلا من القرون وعن شقاء من شقي منهم وسعادة من سعد فاجابه بان هذا سؤال عن الغيب
وقد استاثر الله به لا يعلمه الا هو وما انا الا عبد مثلك لا اعلم منه الا ما اخبرني به علام الغيوب وعلم
احوال القرون مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ لا يجوز على الله ان يخطئ شيئا او ينساه يقال ضللت الشيء
اذا اخطاته في مكانه فلم تهتد له كقولك ضللت الطريق والمنزل وقرئ يضل من اضله اذا ضيعه وعن
ابن عباس لا يترك من كفر حتى ينتقم منه ولا يترك من وحده حتى يجازيه ويجوز ان يكون فرعون قد
نازعه في احاطة الله بكل شيء وتبيينه لكل معلوم فتعنت وقال ما تقول في سوالف القرون وتمادي كثرتهم
وتباعد اطراف عددهم كيف احاط بهم وباجزائهم وجواهرهم فاجاب بان كل كائن محيط به علمه وهو
مثبت عنده في كتاب ولا يجوز عليه الخطا والنسيان كما يجوزان عليك ايها العبد الذليل والبشر الضئيل
اي لا يضل كما تضل ولا ينسى كما تنسى يا مدعي الربوبية بالجهل والوقاحة **الذي جعل لكم الارض** مرفوع
صفة لربي او خبر مبتدا محذوف او منصوب على المدح وهذا من مظانه ومجازه **مهدا** وقرئ اهل الكوفة
اي مهدا ها مهدا او يتمهدونها فهي لكم كالمهد وهو ما يمهد للصبي **وسلك لكم فيها سبلا** سلك من قوله
تعالى ما سلككم في سقر سلكناه نسلكه في قلوب المجرمين اي حصل لكم فيها سبلا ووسطها بين الجبال والاودية
والبراري **وانزل من السماء ماء فاخرجنا به** انتقل فيه من لفظ الغيبة الى لفظ المتكلم المطاع لما ذكرت
من الافتنان والايذان بانه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لامره وتذعن الاجناس المتفاوتة لمشيئته لا يمتنع
شيء على ارادته ومثله قوله وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء امن خلق السموات
والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة وفيه تخصيص ايضا بانا نحن نقدر على مثل هذا
ولا يدخل تحت قدرة احد **ازواجا من نبات** اصنافا سميت بذلك لانها مزدوجة مقترنة بعضها مع
بعض **شتى** صفة للازواج جمع شتيت كمريض ومرضى ويجوز ان يكون صفة للنبات والنبات مصدر
سمي به النابت كما سمي بالنبت فاستوى فيه الواحد والجمع يعني انها شتى مختلفة النفع والطعم واللون
والرائحة والشكل بعضها يصلح للناس وبعضها للبهائم والوان نعمته عز وعلا ان ارزاق العباد انما يحصل
بعمل الانعام وقد جعل الله علفها مما يفضل عن حاجتهم ولا يقدرون على اكله **كلوا وارعوا انعامكم**
اي قائلين كلوا وارعوا حال من الضمير في فاخرجنا المعنى فاخرجنا اصناف النبات اذنين في الانتفاع بها
مبيحين ان تاكلوا بعضها وتعلفوا بعضها **ان في ذلك لايات لاولي النهى منها خلقناكم وفيها
نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى** اراد بخلقهم من الارض خلق اصلهم وهو ادم عليه الصلوة
والسلام منها وقيل ان الملك لينطلق فياخذ من تربة المكان الذي يدفن فيه فيبددها على النطفة فيخلق من
التراب والنطفة معا واراد باخراجهم منها انه يؤلف اجزاءهم المتفرقة المختلطة بالتراب ويردهم كما كانوا

احيا ويعرجهم الى المحشر يوم يخرجون من الاجداث شبه اعاده الله عليهم ما علق بالارض من منافعهم حيث جعلها
لهم فراشا ومهادا يتقلبون عليها وسوى لهم فيها سبلا يترددون فيها كيف شاؤوا وانبت فيها اصناف النبات
التي منها اقواتهم وعلوفات بهائمهم وهي اصلهم الذي منه تفرعوا وامهم التي منها ولدوا وهي كفاتهم اذا
ماتوا ومن ثمه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تمسحوا بالارض فانها بكم برة **وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا**
فَكَذَّبَ وَأَبَى ۝ اي بصرناه اياها وعرفناه صحتها ويقيناه بها وانما كذب لظلمه كقوله وجحدوا بها واستيقنتها
انفسهم ظلما وعلوا وقوله لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر وفي قوله اياتنا كلها وجهان
احدهما ان يحذى بها التعريف الاضافي حذو التعريف باللام لو قيل الايات كلها اعني انها كانت لا تعطي الا تعريف
العهد والاشارة الى الايات المعلومة التي هي تسع الايات المختصة بموسى عليه الصلوة والسلام العصا واليد
وفلق البحر والحجر والجراد والقمل والضفادع والدم ونتق الجبل والثاني ان يكون موسى قد اراه اياته وعدد
عليه ما اوتيه غيره من الانبياء من اياتهم ومعجزاتهم وهو نبي صادق لا فرق بين ما يخبر عنه وبين ما يشاهد
به فكذبها جميعا وابى ان يقبل شيئا منها وقيل فكذب الايات وابى قبول الحق **قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ**
يَا مُوسَى يلوح من جيب قوله اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك ان فرائصه كانت ترعد خوفا مما جاءه به موسى
عليه الصلوة والسلام لعلمه وايقانه انه على الحق وان المحق لو اراد قود الجبال لانقادت له وان مثله لا يخذل ولا يقل
ناصره وانه غالبه على ملكه بالسحر **فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ**
نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ۝ **قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى** ۝ **فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ**
فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ۝ لا يخلو الموعد في قوله اجعل بيننا وبينك موعدا من ان يجعل زمانا او مكانا او مصدرا
فان جعلته زمانا نظرا الى ان قوله موعدكم يوم الزينة مطابق له لزمك شيئان ان تجعل الزمان مخلفا
وان يعضل عليك ناصب مكانا وان جعلته مكانا لقوله مكانا سوى لزمك ايضا ان توقع الاخلاف على المكان وان لا يطابق قوله
موعدكم يوم الزينة وقراءة الحسن غير مطابقة له مكانا وزمانا جميعا لانه قرأ يوم الزينة بالنصب فبقي ان
يجعل مصدرا بمعنى الوعد ويقدر مضاف محذوف اي مكان موعد ويجعل الضمير في تخلفه للموعد ومكانا
بدل من المكان المحذوف فان قلت كيف طابقه قوله موعدكم يوم الزينة ولا بد من ان تجعله
زمانا والسؤال واقع عن المكان لا عن الزمان قلت هو مطابق معنى وان لم يطابق لفظا لانه لا بد لهم
من ان يجتمعوا يوم الزينة في مكان بعينه مشتهر باجتماعهم فيه في ذلك اليوم فبذكر الزمان علم المكان
واما قراءة الحسن فالموعد فيها مصدر لا غير والمعنى انجاز وعدكم يوم الزينة وطابق هذا ايضا
من طريق المعنى ويجوز ان لا يقدر مضاف ويكون المعنى اجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه فان
قلت فبم ينتصب مكانا قلت بالمصدر او بفعل يدل عليه المصدر فان قلت كيف يطابقه
الجواب قلت اما على قراءة الحسن فظاهر واما على قراءة العامة فعلى تقدير وعدكم وعد يوم الزينة
ويجوز على قراءة الحسن ان يكون موعدكم مبتدأ بمعنى الوقت وضحى خبره على نية التعريف فيه لانه ضحى ذلك
اليوم بعينه وقيل في يوم الزينة يوم عاشوراء ويوم النيروز ويوم عيد كان لهم في كل عام ويوم كانوا يتخذون فيه
سوقا ويتزينون ذلك اليوم وقرئ نخلفه بالرفع على الوصف للموعد وبالجزم على جواب الامر وقرئ سوى
وسوى بالكسر والضم منونا وغير منون ومعناه منصفا بيننا وبينك عن مجاهد وهو من الاستواء لان
المسافة من الوسط الى الطرفين مستوية لا تفاوت فيها ومن لم ينون فوجهه ان يجري الوصل مجرى
الوقف وقرئ وان تحشر الناس بالتاء والياء يريد وان تحشر يا فرعون وان يحشر اليوم ويجوز ان يكون فيه ضمير
فرعون ذكر بلفظ الغيبة اما على العادة التي تخاطب بها الملوك او خاطب القوم بقوله موعدكم وجعل
يحشر لفرعون ومحل ان يحشر الرفع او الجر عطفا على اليوم او الزينة وانما واعدهم ذلك اليوم ليكون علو كلمة الله وظهور
دينه وكبت الكافر وزهوق الباطل على رؤوس الاشهاد وفي المجمع الغاص لتقوى رغبة من رغب في اتباع
الحق ويكل حد المبطلين واشياعهم ويكثر المحدث بذلك الامر العلم في كل بدو وحضر ويشيع في
جميع اهل الوبر والمدر **قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا**
فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى ۝ وقرئ فيسحتكم والسحت لغة اهل الحجاز
والاسحات لغة اهل نجد وبني تميم ومنه قول الفرزدق الا مسحتا او مجلف ۝ في بيت لا يزال
تصطك الركب في تسوية اعرابه **فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى** ۝ **قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ**
يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا عن ابن عباس ان نجواهم ان غلبنا موسى اتبعناه وعن

قتادة ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء فله امر وعن وهب لما قال ويلكم الاية قالوا ما هذا بقول ساحر
والظاهر انهم تشاوروا في السر وتجاذبوا اهداب القول ثم قالوا ان هذان لساحران فكانت نجواهم في تلفيق هذا
الكلام وتزويره خوفا من غلبتهما وتثبيطا للناس عن اتباعهما وقرا ابو عمرو ان هذين لساحرين على الجهة الظاهرة
المكشوفة وابن كثير وحفص ان هذان لساحران على قولك ان زيد لمنطلق واللام هي الفارقة بين
النافية والمخففة من الثقيلة وقرا ابي ان ذان الا ساحران وقرا ابن مسعود ان هذان ساحران بفتح ان وبغير
لام بدل من النجوى وقيل في القراءة المشهورة ان هذان لساحران هي لغة بلحرث بن كعب جعلوا الاسم المثنى
نحو الاسماء التي اخرها الف كعصى وسعدى فلم يقلبوها ياء في الجر والنصب وقال بعضهم ان بمعنى نعم ولساحران
خبر مبتدا محذوف واللام داخلة على الجملة تقديره لهما ساحران وقد اعجب به ابو اسحق **وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ**
الْمُثْلَى ۝ سموا مذهبهم الطريقة المثلى والسنة الفضلى وكل حزب بما لديهم فرحون وقيل اراد اهل
طريقتهم المثلى وهم بنو اسرائيل لقول موسى ان ارسل معنا بني اسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه الناس واشرافهم
الذين هم قدوة لغيرهم يقال هم طريقة قومهم ويقال للواحد ايضا هو طريقة قومه **فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ**
يعضده قوله فجمع كيده وقرئ فاجمعوا كيدكم اي ازمعوه واجعلوه مجمعا عليه حتى لا تختلفوا ولا
يتخلف عنه واحد منكم كالمسالة المجمع عليها **ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا** امروا بان ياتوا صفا لانه اهيب في صدور
الرائين وروي انهم كانوا سبعين الفا مع كل واحد منهم حبل وعصا وقد اقبلوا اقبالة واحدة وعن ابي
عبيدة انه فسر الصف بالمصلى لان الناس يجتمعون فيه لعيدهم وصلاتهم مصطفين ووجه صحته ان يقع
علما لمصلى بعينه فامروا بان ياتوه او يراد ائتوا مصلى من المصليات **وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى** ۝
اعتراض يعني وقد فاز من غلب **قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى قَالَ بَلْ أَلْقُوا** ان
مع ما بعده اما منصوب بفعل مضمر او مرفوع بانه خبر مبتدا محذوف معناه اختر احد الامرين او الامر
القاؤك او القاؤنا وهذا التخيير منهم استعمال ادب حسن معه وتواضع له وخفض جناح وتنبيه على
اعطائهم النصفة من انفسهم وكان الله عز وعلا الهمهم ذلك وعلم موسى عليه الصلوة والسلام اختيار
القائهم اولا مع ما فيه من مقابلة ادب بادب حتى يبرزوا ما معهم من مكايد السحر ويستنفدوا اقصى طوقهم ومجهودهم
فاذا فعلوا اظهر الله سلطانه وقذف بالحق على الباطل فدمغه وسلط المعجزة على السحر فمحقته وكانت
اية نيرة للناظرين وعبرة بينة للمعتبرين **فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا**
تَسْعَى ۝ يقال في اذا هذه اذا المفاجاة والتحقيق فيها انها اذا الكائنة بمعنى الوقت الطالبة ناصبا لها وجملة تضاف
اليها خصت في بعض المواضع بان يكون ناصبها فعلا مخصوصا وهو فعل المفاجاة والجملة ابتدائية لا غير
فتقدير قوله تعالى فاذا حبالهم وعصيهم ففاجا موسى وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم وهذا تمثيل والمعنى
على مفاجاته حبالهم وعصيهم مخيلة اليه السعي وقرئ عصيهم بالضم وهو الاصل والكسر اتباع ونحوه
دلي ودلي وقسي وقسي وقرئ تخيل على اسناده الى ضمير الحبال والعصي مخيلة سعيها وتخيل بمعنى
تتخيل وطريقه طريق تخيل ويخيل على ان الله تعالى هو المخيل للمحنة والابتلاء يروى انهم لطخوها بالزيبق فلما
ضربت عليه الشمس اضطربت واهتزت فخيلت ذلك **فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى** ۝ ايجاس الخوف
اضمار شيء منه وكذلك التوجس تسمع نبأة يسيرة من الصوت وكان ذلك لطبع الجبلة البشرية وانه لا
يكاد يمكن الخلو من مثله وقيل خاف ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه **قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى** ۝ فيه
تقرير لغلبته وقهره وتوكيد بالاستيناف وبكلمة التشديد وبتكرير الضمير وبلام التعريف وبلفظ العلو
وهو الغلبة الظاهرة وبالتفضيل **وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا** وقوله ما في يمينك ولم يقل عصاك
جائز ان يكون تصغيرا لها اي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويد الفرد الصغير الجرم الذي
في يمينك فانه بقدرة الله يتلقفها على وحدته وكثرتها وصغره وعظمها وجائز ان يكون تعظيما لها اي لا
تحتفل بهذه الاجرام الكبيرة الكثيرة فان في يمينك شيئا اعظم منها كلها وهذه على كثرتها اقل شيء وانزر عنده
فالقه تتلقفها باذن الله وتمحقها وقرئ تلقف بالرفع على الاستيناف او على الحال اي القها متلقفة وقرئ تلقف بالتخفيف
صنعوا هاهنا بمعنى زوروا وافتعلوا كقوله تعالى تلقف ما يافكون **إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ** وقرئ كيد
ساحر بالرفع والنصب فمن رفع فعلى ان ما موصولة ومن نصب فعلى انها كافة وقرئ كيد سحر بمعنى
ذي سحر او ذوي سحر او هم لتوغلهم في سحرهم كانهم السحر بعينه وبذاته او بين الكيد لانه يكون سحرا
وغير سحر كما تبين المائة بدرهم ونحوه علم فقه وعلم نحو فان قلت لم وحد ساحرا ولم يجمع قلت لان

القصد في هذا الكلام الى معنى الخشيه لا الى معنى العبد ولو حمع لخيل ان المقصود هو العبد الا ترى الى قوله
ولا يفلح الساحر اى هذا الجنس وان قلت فلم نكر اولا وعرف ثانيا قلت انما نكر من اجل تنكير المضاف لا من
اجل تنكيره في نفسه كقول العجاج ٥ في سعي دنيا طالما قد مدت ٥ وفي حديث عمر رضى الله عنه لا في
امر دنيا ولا في امر آخرة المراد تنكير الامر كانه قيل انما صنعوا كيد سحري وفي سعي دنيوي وامر دنيوي
واخروي حيث اتى ٥ كقولهم حيث سير واية سلك وانما كان فالقى السحرة سجدا قالوا آمنا برب
هرون وموسى ٥ سبحان الله ما اعجب امرهم قد القوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم القوا روسهم
بعد ساعة للشكر والسجود فما اعظم الفرق بين الالقائين وروي انهم لم يرفعوا رووسهم حتى راوا
الجنه والنار وراوا ثواب اهلها وعن عكرمة لما خروا سجدا اراهم الله في سجودهم منازلهم التي يصيرون
اليها في الجنة قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر لعظيمكم
يريد انه اسحرهم واعلاهم درجة في صناعتهم او لمعلمكم من قول اهل مكة للمعلم امرني كبيري وقال
لي كبيري يريدون معلمهم واستاذهم في القرآن وفي كل شي فلاقطعن ايديكم وارجلكم
من خلاف ولاصلبنكم في جذوع النخل وقرئ لاقطعن ولاصلبن بالتخفيف والقطع من خلاف ان يقطع
اليد اليمنى والرجل اليسرى لان كل واحد من العضوين خالف الآخر بان هذا يد وذاك رجل وهذا يمين وذاك
يسار ومن لابتداء الغاية لان القطع مبتدا وناشى من مخالفة العضو العضو لا من وفاقه اياه ومحل الجار
والمجرور النصب على الحال اي لاقطعنها مختلفات لانها اذا خالف بعضها بعضا فقد اتصفت بالاختلاف شبه
تمكن المصلوب في الجذوع بتمكن الشي الموعى في وعائه فلذلك قيل في جذوع النخل ولتعلمن اينا اشد عذابا
وابقى ٥ اينا يريد نفسه لعنه الله وموسى عليه الصلوة والسلام بدليل قوله آمنتم له واللام مع الايمان
في كتاب الله لغير الله كقوله تعالى يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين وفيه نفاجة باقتداره وقهره وما الفه وضري
به من تعذيب الناس بانواع العذاب وتوضيع لموسى عليه الصلوة والسلام واستضعاف له مع الهزء به
لان موسى لم يكن قط من التعذيب في شي قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا
فاقض ما انت قاض انما تقضي هذه الحيوة الدنيا انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا
عليه من السحر والله خير وابقى ٥ انه من يات ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى
ومن ياته مؤمنا قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى ٥ جنات عدن تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى ٥ والذي فطرنا عطف على ما جاءنا او قسم وقرئ تقضى هذه
الحيوة الدنيا ووجهها ان الحيوة في القراءة المشهورة منتصبة على الظرف فاتسع في الظرف باجرائه
مجرى المفعول به كقولك في صمت يوم الجمعة صيم يوم الجمعة روي ان السحرة يعني روسهم كانوا اثنين
وسبعين الاثنان من القبط والسائر من بني اسرائيل وكان فرعون اكرههم على تعلم السحر وروي
انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر الساحر اذا نام
بطل سحره فابى الا ان يعارضوه من زكا تطهر من ادناس الذنوب وعن ابن عباس قال لا اله الا الله قيل في
هذه الآيات الثلاث هي حكاية قولهم وقيل خبر من الله تعالى لا على وجه الحكاية ولقد اوحينا الى موسى
ان اسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر فاجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما وضرب اللبن
عمله يبسا اليبس مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا ونحوهما العدم والعدم ومن ثم وصف به المؤنث
فقيل شاتنا يبس وناقتنا يبس اذا جف لبنها وقرئ يبسا ويابسا ولا يخلو اليبس من ان يكون مخففا عن اليبس
او صفة على فعل او جمع يابس كصاحب وصحب وصف به الواحد توكيدا كقوله ومعا جياعا جعله
لفرط جوعه كجماعة جياع لا تخاف حال من الضمير في فاضرب وقرئ لا تخف على الجواب دركا وقرا ابو حيوة
دركا بالسكون والدرك والدرك اسمان من الادراك اي لا يدركك فرعون وجنوده ولا يلحقونك في ولا
تخشى ٥ اذا قرئ لا تخف فلا فيه ثلاثة اوجه ان يستانف كانه قيل وانت لا تخشى اي ومن شانك انك امن لا تخشى
وان لا تكون الالف المنقلبة عن الياء التي هي لام الفعل ولكن زائدة للاطلاق ومن اجل الفاصلة كقوله فاضلونا
السبيلا وتظنون بالله الظنونا وان يكون مثل قوله ٥ كان لم ترى قبلي اسيرا يمانيا ٥ فاتبعهم
فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم واضل فرعون قومه ما غشيهم من باب الاختصار
ومن جوامع الكلم التي تستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة اي غشيهم ما لا يعلم كنهه الا الله وقرئ
فغشاهم من اليم ما غشاهم والتغشيه التغطيه ففاعل غشاهم اما الله سبحانه او ما غشاهم او فرعون

لانه الذي ورّط جنوده وتسبب لهلاكهم وقوله وما هدى ٥ تهكم به في قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد
يا بني اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا عليكم
المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم بانهي اسرائيل خطاب لهم بعد انجائهم من البحر واهلاك
آل فرعون وقيل هو للذين كانوا منهم في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما فعل بآبائهم والوجه هو الاول
اي قلنا يا بني اسرائيل وحذف القول كثير في القرآن وقرئ انجيتكم الى رزقتكم وعلى لفظ الوعد
والمواعدة وقرئ الايمن بالجر على الجوار نحو جحر ضب خرب ذكرهم النعمة في نجاتهم وهلاك عدوهم وفيما
واعد موسى صلوات الله وسلامه عليه في المناجاة بجانب الطور وكتب التورية في الالواح وانما عدى
المواعدة اليهم لانها لابستهم واتصلت بهم حيث كانت لنبيهم ونقبائهم واليهم رجعت منافعها التي قام بها
دينهم وشرعهم وفيما افاض عليهم من سائر نعمه وارزاقه ولا تطغوا فيه طغيانهم في النعمة ان يتعدوا حدود الله
فيها بان يكفروها ويشغلهم اللهو والتنعم عن القيام بشكرها وان ينفقوها في المعاصي وان يزووا حقوق
الفقراء فيها وان يسرفوا في انفاقها ويبطروا ويتكبروا فيحل عليكم غضبي وقرئ فيحل وعن عبد الله
لا يحلن ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى ومن علل المكسور في معنى الوجوب من حل الدين يحل اذا وجب
اداؤه ومنه قوله تعالى حتى يبلغ الهدي محله والمضموم في معنى النزول وغضب الله عقوباته ولذلك وصف
بالنزول هوى هلك واصله ان يسقط من جبل فيهلك قال ٥
هوى من راس مرقبة ٥ ففتت تحتها كبده ٥
ويقولون هوت امه او سقط سقوطا لا نهوض بعده واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا
ثم اهتدى الاهتداء هو الاستقامة والثبات على الهدى المذكور وهو التوبة والايمان والعمل الصالح ونحوه
قوله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات قالوا ربنا الله ثم استقاموا وكلمة التراخي دلت على تباين المنزلتين
دلالتها على تباين الوقتين في جاءني زيد ثم عمرو اعني ان منزلة الاستقامة على الخير مباينة لمنزلة الخير نفسه
لانها اعلى منها وافضل وما اعجلك عن قومك يا موسى ٥ قال هم اولاء على اثري وعجلت اليك رب
لترضى ٥ اي شي عجل بك عنهم على سبيل الانكار وكان قد مضى مع النقباء الى الطور على الموعد المضروب ثم تقدمهم
شوقا الى كلام ربه وتنجز ما وعد بناء على اجتهاده ان ذلك اقرب الى مرضاة الله وزال عنه انه عز وجل ما وقت
افعاله الا نظرا الى دواعي الحكمة وعلما بالمصالح المتعلقة بكل وقت فالمراد بالقوم النقباء وليس لقول
من جوز ان يراد جميع قومه وان يكون قد فارقهم قبل الميعاد وجه صحيح ياباه قوله هم اولاء على اثري وعن ابي
عمرو ويعقوب اثري بالكسر وعن عيسى بن عمر اثري بالضم وعنه ايضا اولا بالقصر والاثر افصح من الاثر
واما الاثر فمسموع في فرند السيف مدة في الاصول يقال اثر السيف واثره وهو بمعنى الاثر غريب فان قلت
ما اعجلك سؤال عن سبب العجلة فكان الذي ينطبق عليه من الجواب ان يقال طلب زيادة رضاك او الشوق
الى كلامك وتنجز موعدك وقوله هم اولاء على اثري كما ترى غير منطبق عليه قلت قد تضمن ما واجه
به رب العزة شيئين احدهما انكار العجلة في نفسها والثاني السؤال عن سبب المستنكر والحامل عليه فكان
اهم الامرين الى موسى بسط العذر وتمهيد العلة في نفس ما انكر عليه فاعتل بانه لم يوجد مني الا تقدم
يسير مثله لا يعتد به في العادة ولا يحتفل به وليس بيني وبين من سبقته الا مسافة قريبة يتقدم بمثلها الوافد
راسهم ومقدمهم ثم عقبه بجواب السؤال عن السبب فقال وعجلت اليك رب لترضى ولقائل ان يقول حار لما ورد
عليه من التهيب لعتاب الله فاذهله ذلك عن الجواب المنطبق المرتب على حدود الكلام قال فانا قد فتنا
قومك من بعدك واضلهم السامري اراد بالقوم المفتونين الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة
الف ما نجا من عبادة العجل منهم الا اثنا عشر الفا فان قلت في القصة انهم اقاموا بعد مفارقته عشرين
ليلة وحسبوها اربعين مع ايامها وقالوا قد اكملنا العدة ثم كان امر العجل بعد ذلك فكيف التوفيق بين هذا
وبين قوله تعالى لموسى عند مقدمه انا قد فتنا قومك قلت قد اخبر الله عن الفتنة المترقبة بلفظ الموجودة على
عادته او افتراض السامري غيبته فعزم على اضلالهم غب انطلاقه واخذ في تدبير ذلك فكان بدء الفتنة
موجودا قرئ واضلهم السامري اي وهو اشدهم ضلالا لانه ضال مضل وهو منسوب الى قبيلة من
بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل السامرة قوم من اليهود يخالفونهم في بعض دينهم وقيل كان من اهل باجرما
وقيل كان علجا من كرمان واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا قد اظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون
البقر فرجع موسى الى قومه غضبان اسفا ٥ الاسف الشديد الغضب ومنه قوله عليه الصلوة والسلام في

موت الفجاءة رحمة للمؤمن واخذة اسف للكافر وقيل الحزين فان قلت متى رجع الى قومه قلت بعد ما
استوفى الاربعين ذا القعدة وعشر ذي الحجة قال الم يعدكم ربكم وعدا حسنا وعدهم الله تعالى
ان يعطيهم التوراة التي فيها هدى ونور ولا وعد احسن من ذلك واجمل حكي لنا انها كانت الف سورة كل سورة
الف اية يحمل اسفارها سبعون جملا افطال عليكم العهد ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم
فاخلفتم موعدي العهد الزمان يريد مدة مفارقته لهم يقال طال عهدي بك اي طال زماني بسبب
مفارقتك وعدوه ان يقيموا على امره وما تركهم عليه من الايمان فاخلفوا موعده بعبادتهم العجل قالوا ما اخلفنا
موعدك بملكنا ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم بملكنا قرئ بالحركات الثلاث اي ما اخلفنا موعدك
بان ملكنا امرنا وخلينا ورأينا لما اخلفناه ولكن غلبنا من جهة السامري وكيده اي حملنا احمالا من حلي
القبط التي استعرناها منهم وارادوا بالاوزار انها آثام وتبعات لانهم كانوا معهم في حكم المستأمنين في
دار الحرب وليس للمستأمن ان يأخذ من مال الحربي على ان الغنائم لم تكن تحل حينئذ فقذفناها في نار السامري
التي اوقد في الحفرة وامرنا ان نطرح فيها الحلي وقرئ حُمّلنا فكذلك القى السامري اراهم انه يلقي حليا
في يده مثل ما القوا وانما القى التربة التي اخذها من موطئ حيزوم فرس جبريل اوحى اليه وليه الشيطان
انها اذا خالطت مواتا صار حيوانا فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم واله
موسى فاخرج لهم السامري من الحفرة عجلا خلقه الله من الحلي التي سبكتها النار يخور كما تخور العجاجيل
فان قلت كيف اثرت تلك التربة في احياء الموات قلت اما يصح ان يؤثر الله تعالى روح القدس بهذه
الكرامة الخاصة كما اثره بغيرها من الكرامات وهي ان باشر فرسه بحافره تربة اذا لاقت تلك التربة
جمادا انشأه الله ان شاء عند مباشرته حيوانا الا ترى كيف انشأ المسيح من غير اب عند نفخه في الدرع
فان قلت فلم خلق الله العجل من الحلي حتى صار فتنة لبني اسرائيل وضلالا قلت ليس باول محنة محن الله
بها عباده ليثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ومن عجب من
خلق العجل فليكن من خلق ابليس اعجب والمراد بقوله انا فتنا قومك هو خلق العجل للامتحان اي امتحنا بخلق العجل
وحملهم السامري على الضلال واوقعهم فيه حين قال لهم هذا الهكم واله موسى فنسي اي فنسي موسى
ان يطلبه ها هنا وذهب يطلبه عند الطور او فنسي السامري اي ترك ما كان عليه من الايمان الظاهر افلا
يرون الا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا يرجع من رفعه فعلى ان مخففة من الثقيلة
ومن نصب فعلى انها الناصبة للافعال ولقد قال لهم هارون من قبل من قبل ان يقول لهم السامري
ما قال كانهم اول ما وقعت عليه ابصارهم حين طلع من الحفرة افتتنوا به واستحسنوه فقبل ان ينطق
بادرهم هارون بقوله يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني واطيعوا امري قالوا
لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى قال يا هارون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا الا
تتبعني افعصيت امري لا مزيدة والمعنى ما منعك ان تتبعني في الغضب لله وشدة الزجر عن الكفر
والمعاصي وهلا قاتلت من كفر بمن آمن وما لك لم تباشر الامر كما كنت اباشره انا لو كنت شاهدا او ما لك
لم تلحقني قال يا ابن ام لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم
ترقب قولي وقرئ بلحيتي بفتح اللام وهي لغة اهل الحجاز كان موسى صلوات الله وسلامه عليه رجلا حديدا
مجبولا على الحدة والخشونة والتصلب في كل شيء شديد الغضب لله ولدينه فلم يتمالك حين رأى قومه يعبدون عجلا
من دون الله بعد ما رأوا الآيات العظام ان القى الواح التوراة لما غلب ذهنه من الدهشة العظيمة غضبا لله
واستنكافا وحمية وعنف باخيه وخليفته على قومه فاقبل عليه اقبال العدو المكاشف قابضا على شعر راسه
وكان افرع وعلى شعر وجهه يجره اليه اي لو قاتلت بعضهم ببعض لتفرقوا وتفانوا فاستأنيت ان
تكون انت المتدارك بنفسك المتلافي برايك وخشيت عتابك على اطراح ما وصيتني به من ضم النشر
وحفظ الدهماء ولم يكن لي بد من رقبة وصيتك والعمل على موجبها قال فما خطبك يا سامري الخطب
مصدر خطب الامر اذا طلبه فاذا قيل لمن يفعل شيئا ما خطبك فمعناه ما طلبك له قال بصرت بما لم يبصروا
به وقرئ بصرت بما لم تبصروا به بالتاء والمعنى علمت ما لم يعلموه وفطنت ما لم يفطنوا له فقبضت قبضة
من اثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي وقرا الحسن قُبضة بضم القاف وهي اسم المقبوض
كالغرفة والمضغة واما القبضة فالمرة من القبض واطلاقها على المقبوض من تسمية المفعول بالمصدر كضرب
الامير وقرا ايضا فقبصت قبصة بالصاد فالضاد بجميع الكف والصاد باطراف الاصابع ونحوهما

الخضم والقضم الخاء بجميع الفم والقاف بمقدمه وقرا ابن مسعود من اثر فرس الرسول فان قلت لم سماه
الرسول دون جبريل وروح القدس قلت حين حل ميعاد الذهاب الى الطور ارسل الله جبريل الى
موسى جبريل راكب حيزوم فرس الحياة ليذهب به فابصره السامري فقال ان لهذا شانا فقبض القبضة
من تربة موطئه فلما ساله موسى عن قصته قال قبضت من اثر فرس المرسل اليك يوم حلول الميعاد
ولعله لم يعرف انه جبريل قال فاذهب فان لك في الحياة ان تقول لا مساس عوقب في الدنيا بعقوبة
لا شيء اطم منها واوحش وذلك انه منع من مخالطة الناس منعا كليا وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته
ومواجهته وكل ما يعايش به الناس بعضهم بعضا واذا اتفق ان يماس احدا رجلا او امراة حم الماس والممسوس
فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح لا مساس وعاد في الناس اوحش من القاتل اللاجئ الى الحرم ومن الوحشي
النافر في البرية ويقال ان قومه باق فيهم ذلك الى اليوم وقرئ لا مساس بوزن فجار ونحوه في الظباء
اذا وردت الماء فلا عباب وان فقدته فلا اباب وهي اعلام للمسة والعبة والابة وهي المرة من الاب
وهو الطلب وان لك موعدا لن تخلفه لن يخلفك الله موعده الذي وعدك على الشرك والفساد في
الارض ينجزه لك في الاخرة بعد ما عاقبك بذلك في الدنيا فانت ممن خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران
المبين وقرئ لن تخلفه وهذا من اخلفت الموعد اذا وجدته خلفا قال الاعشى

اثوى وقصر ليله ليزودا ۞ فمضى واخلف من قتيلة موعدا ۞

وقرا ابن مسعود نخلفه بالنون اي لن يخلفه الله كانه حكى قوله عز وجل كما مر في لاهب لك وانظر الى
الهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا ظلت وظلت وظللت والاصل
ظللت فحذفوا اللام الاولى ونقلوا حركتها الى الظاء ومنهم من لم ينقل لنحرقنه ولنحرقنه ولنحرقنه
وفي حرف ابن مسعود لنذبحنه ولنحرقنه القراءتان من الاحراق وذكر ابو علي الفارسي في لنحرقنه
انه يجوز ان يكون حرق مبالغة في حرق اذا برد بالمبرد وعليه القراءة الثالثة وهي قراءة علي بن ابي
طالب رضي الله عنه لننسفنه بكسر السين وضمها وهذه عقوبة ثالثة وهي ابطال ما افتتن به وفتن
واهدار سعيه وهدم مكره ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين انما الهكم الله الذي لا اله
الا هو وسع كل شيء علما قرأ طلحة الله الذي لا اله الا هو الرحمن رب العرش الكريم وسع كل
شيء علما وعن مجاهد وقتادة وسّع ووجهه ان وسع متعد الى مفعول واحد وهو كل شيء واما
علما فانتصابه على التمييز وهو في المعنى فاعل فلما ثقل نقل الى التعدية الى مفعولين فنصبهما معا على
المفعولية لان المميز فاعل في المعنى كما تقول في خاف زيد عمرا خوفت زيدا عمرا فترد بالنقل ما كان فاعلا
مفعولا كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا الكاف في كذلك منصوب
المحل وهذا موعد من الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم اي مثل ذلك الاقتصاص ونحو ما اقتصصنا
عليك قصة موسى وفرعون نقص عليك من سائر اخبار الامم وقصصهم واحوالهم تكثيرا لبيناتك
وزيادة في معجزاتك وليعتبر السامع ويزداد المستبصر في دينه بصيرة وتتاكد الحجة على من عاند
وكابر وان هذا الذكر الذي آتيناك يعني القرآن مشتملا على هذه الاقاصيص والاخبار الحقيقة
بالتفكر والاعتبار لذكر عظيم وقرآن كريم فيه النجاة والسعادة لمن اقبل عليه ومن اعرض عنه
فقد هلك وشقي من اعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزرا يريد بالوزر العقوبة الثقيلة الباهظة
سماها وزرا تشبيها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل وينقض ظهره
ويلقي عليه بهره او لانها جزاء الوزر وهو الاثم وقرئ يحمّل خالدين جمع خالدين على المعنى لان من مطلق
متناول لغير معرض واحد وتوحيد الضمير في اعرض وما بعده للحمل على اللفظ ونحوه قوله تعالى ومن
يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها فيه اي في ذلك الوزر او في احتماله وساء لهم
يوم القيامة حملا ساء في حكم بئس والضمير الذي فيه يجب ان يكون مبهما يفسره حملا والمخصوص
بالذم محذوف لدلالة الوزر السابق عليه تقديره ساء حملا وزرهم كما حذف في قوله تعالى نعم العبد انه اواب
اي نعم العبد ايوب الذي هو المخصوص بالمدح ومنه قوله تعالى وساءت مصيرا اي وساءت مصيرا جهنم فان قلت
اللام في لهم ما هي وبم تتعلق قلت هي للبيان كما في هيت لك فان قلت ما انكرت ان يكون في ساء
ضمير الوزر قلت لا يصح ان يكون في ساء وحكمه حكم بئس ضمير شيء بعينه غير مبهم فان قلت فلا يكن
ساء الذي حكمه حكم بئس ولكن ساء الذي منه قوله تعالى سيئت وجوه الذين كفروا بمعنى اهم واحزن قلت

كفاك صادا عنه ان نزول كلام الله تعالى قوله واحزنت الوزر لهم يوم القيمة حملا وذلك يعيدان يخرج عن
عهدة هذه اللام وعهدة هذا المنصوب **يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا** ۝ اسند
النفخ الى الامر به فيمن قرا ننفخ بالنون اولان الملائكة المقربين واسرافيل منهم بالمنزلة التي هم بها من رب
العزة فصح لكرامتهم عليه وقربهم منه ان يسند ما يتولونه الى ذاته وقرئ ينفخ بلفظ ما لم يسم فاعله وينفخ ويحشر
بالياء المفتوحة على الغيبة والضمير لله عز وجل او لاسرافيل عليه السلام واما يحشر المجرمون فلم يقرا به الا الحسن
وقرئ في الصور بفتح الواو جمع صورة وفي الصور قولان احدهما ان الزرقة ابغض شيء من الوان العيون
الى العرب لان الروم اعداؤهم وهم زرق العيون ولذلك قالوا في صفة العدو اسود الكبد اصهب السبال
ازرق العيون والثاني ان المراد العمى لان حدقة من يذهب نور بصره تزراق **يتخافتون بينهم ان
لبثتم الا عشرا** ۝ **نحن اعلم بما يقولون** يتخافتون لما يملا صدورهم من الرعب والهول يستقصرون مدة
لبثهم في الدنيا اما لما يعاينون من الشدائد التي تذكرهم ايام النعمة والسرور فيتاسفون عليها ويصفونها
بالقصر لان ايام السرور قصار واما لانها ذهبت عنهم وتقضت والذاهب وان طالت مدته قصر بالانتهاء
ومنه توقيع عبد الله بن المعتز تحت اطال الله بقاءك كفى بالانتهاء قصرا واما لاستطالتهم الاخرة
وانها ابد سرمد يستقصر اليها عمر الدنيا ويتقال لبث اهلها فيها بالقياس الى لبثهم في الاخرة وقد استرجح
الله قول من يكون اشد تقالا منهم في قوله **اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما** ۝ ونحوه قوله تعالى
قال كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فاسال العادين وقيل المراد لبثهم في القبور
ويعضده قوله عز وجل ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون
وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث **ويسالونك عن الجبال فقل
ينسفها ربي نسفا** ۝ **فيذرها قاعا صفصفا** ۝ **لا ترى فيها عوجا ولا امتا** ۝ ينسفها يجعلها كالرمل
ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها كما يذرى الطعام فيذرها اي فيذر مقارها او مراكزها او يجعل
الضمير للارض وان لم يجر لها ذكر كقوله ما ترك على ظهرها من دابة فان قلت قد فرقوا بين العوج
بالكسر والعوج فقالوا العوج بالكسر في المعاني والعوج بالفتح في الاعيان والارض عين فكيف صح فيها المكسور العين قلت
اختيار هذا اللفظ له موقع حسن بديع في وصف الارض بالاستواء والملاسة ونفي الاعوجاج عنها على
ابلغ ما يكون وذلك انك لو عمدت الى قطعة ارض فسويتها وبالغت في التسوية على عينك وعيون البصراء
من الفلاحة واتفقتم على انه لم يبق فيها اعوجاج قط ثم استطلعت راي المهندس فيها وامرته ان يعرض
استواءها على المقاييس الهندسية لعثر فيها على عوج في غير موضع لا يدرك ذلك بحاسة البصر ولكن
بالقياس الهندسي فنفى الله عز وعلا ذلك العوج الذي دق ولطف عن الادراك اللهم الا بالقياس الذي
يعرفه صاحب التقدير والهندسة وذلك الاعوجاج لما لم يدرك الا بالقياس دون الاحساس لحق بالمعاني
فقيل فيه عوج بالكسر الامت النتو اليسير يقال مد حبله حتى ما فيه امت **يومئذ يتبعون الداعي**
اضاف اليوم الى وقت نسف الجبال في قوله يومئذ اي يوم اذ نسفت ويجوز ان يكون بدلا بعد بدل من يوم القيمة
والمراد الداعي الى المحشر قالوا هو اسرافيل قائما على صخرة بيت المقدس يدعو الناس فيقبلون من كل اوب الى
صوبه لا يعدلون **لا عوج له** اي لا يعوج له مدعو بل يستوون اليه من غير انحراف متبعين لصوته **وخشعت الاصوات للرحمن** اي خفضت الاصوات من شدة الفزع وخفتت **فلا تسمع الا همسا** وهو
الذكر الخفي ومنه الحروف المهموسة وقيل هو من همس الابل وهو صوت اخفافها اذا مشت اي لا تسمع
الا خفق الاقدام ونقلها الى المحشر **يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا** ۝ من
يصلح ان يكون مرفوعا او منصوبا فالرفع على البدل من الشفاعة بتقدير حذف المضاف اي لا تنفع الشفاعة
الا شفاعة من اذن له الرحمن والنصب على المفعولية ومعنى اذن له ورضي لاجله اي اذن للشافع ورضي
قوله لاجله ونحو هذه اللام اللام في قوله وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه **يعلم ما بين ايديهم
وما خلفهم ولا يحيطون به علما** ۝ **وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما** ۝
المراد بالوجوه وجوه العصاة وانهم اذا عاينوا يوم القيمة الخيبة والشقوة وسوء الحساب صارت وجوههم
عانية اي ذليلة خاشعة مثل وجوه العناة وهم الاسارى ونحوه قوله فلما راوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا
ووجوه يومئذ باسرة وقوله وقد خاب وما بعده اعتراض كقولك خابوا وخسروا وكل من ظلم فهو خائب
خاسر الظلم ان يأخذ من صاحبه فوق حقه **ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا**

هطا

هضما ۝ والهضم ان يكسر من حق اخيه فلا يوفيه له كصفة المطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون
واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون اي فلا يخاف جزاء ظلم ولا هضم لانه لم يظلم ولم يهضم وقرئ فلا يخف على
النهي **وكذلك انزلناه قرانا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا**
وكذلك عطف على كذلك نقص اي ومثل ذلك الانزال وكما انزلنا عليك هؤلاء الايات المضمنة للوعيد انزلنا
القران كله على هذه الوتيرة مكررين فيه ايات الوعيد ليكونوا بحيث يراد منهم ترك المعاصي او فعل الخير والطاعة
والذكر كما ذكرنا يطلق على الطاعة والعبادة وقرئ نحدث وتحدث بالنون والتاء اي تحدث انت وسكن بعضهم
الثاء للتخفيف كما في قوله اشرب غير مستحقب **فتعالى الله الملك الحق** استعظام له ولما يصرف عليه عباده
من اوامره ونواهيه ووعده ووعيده والادارة بين ثوابه وعقابه على حسب اعمالهم وغير ذلك مما يجري عليه
امر ملكوته **ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدني علما** ۝ ولما ذكر القران وانزاله قال
على سبيل الاستطراد واذا لقنك جبريل ما يوحى اليك من القران فتان عليه ريثما يسمعك ويفهمك
ثم اقبل عليه بالتحفظ بعد ذلك ولا تكن قراءتك مساوقة لقراءته ونحوه قوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به وقيل
معناه لا تبلغ ما كان مجملا حتى ياتيك البيان وقرئ حتى نقضي اليك وحيه وقل رب زدني علما متضمن
للتواضع لله والشكر له عندما علم من ترتيب التعلم اي علمتني يا رب لطيفة في باب التعلم والادب جميلا
ما كان عندي فزدني علما الى علم فان لك في كل شيء حكمة وعلما وقيل ما امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم ب
طلب الزيادة في شيء الا في العلم **ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي ولم نجد له عزما** ۝ يقال في اوامر
الملوك ووصاياهم تقدم الملك الى فلان واوعز اليه وعزم عليه وعهد اليه عطف الله سبحانه قصة ادم على
قوله وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون والمعنى واقسم قسما لقد امرنا اباهم ادم ووصيناه ان لا يقرب
الشجرة وتوعدناه بالدخول في جملة الظالمين ان قربها وذلك من قبل وجودهم ومن قبل ان نتوعدهم
فخالف الى ما نهي عنه وتوعد في ارتكابه مخالفتهم ولم يلتفت الى الوعيد كما لا يلتفتون كانه يقول ان اساس
امر بني ادم على ذلك وعرقهم راسخ فيه فان قلت ما المراد بالنسيان قلت يجوز ان يراد النسيان الذي
هو نقيض الذكر وانه لم يعن بالوصية العناية الصادقة ولم يستوثق منها بعقد القلب عليها وضبط
النفس حتى تولد من ذلك النسيان وان يراد الترك وانه ترك ما وصي به من الاحتراس عن الشجرة
واكل ثمرتها وقرئ فنسي اي فنساه الشيطان والعزم التصميم والمضي على ترك الاكل وان يتصلب في
ذلك تصلبا يؤيس الشيطان من التسويل له والوجود يجوز ان يكون بمعنى العلم ومفعولاه له عزما وان
يكون نقيض العدم كانه قال وعدمنا له عزما **واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس**
اذ منصوب بمضمر اي واذكر وقت ما جرى عليه من معاداة ابليس ووسوسته اليه وتزيينه له الاكل من
الشجرة وطاعته له بعدما تقدمت معه النصيحة والموعظة البليغة والتحذير من كيده حتى يتبين انه
لم يكن من اولي العزم والثبات فان قلت ابليس كان جنيا بدليل قوله تعالى كان من الجن ففسق عن امر ربه
فمن اين تناوله الامر وهو للملائكة خاصة قلت كان في صحبتهم وكان يعبد الله عبادتهم فلما امروا
بالسجود لادم والتواضع له كرامة له كان الجني الذي معهم اجدر بان يتواضع كما لو قام لمقبل على المجلس
علية اهله وسراتهم كان القيام على واحد بينهم هو دونهم في المنزلة اوجب حتى انه لم يقم عنف به وقيل
له قد قام فلان وفلان فمن انت حتى تترفع عن القيام فان قلت فكيف صح استثناؤه وهو جني عن
الملائكة قلت عمل على حكم التغليب في اطلاق اسم الملائكة عليهم السلام وعليه فاخرج الاستثناء على ذلك
كقولك خرجوا الا فلانة لامراة بين الرجال **ابى** جملة مستانفة كانه جواب قائل قال لم لم يسجد والوجه
ان لا يقدر له مفعول وهو السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا وان يكون معناه اظهر الاباء وتوقف وتثبط
فقلنا يا ادم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى فلا يكونن سببا لاخراجكما
وانما اسند الى ادم وحده فعل الشقاء دون حواء بعد اشراكهما في الخروج لان في ضمن شقاء الرجل وهو قيم
اهله واميرهم شقاءهم كما ان في ضمن سعادته سعادتهم فاختصر الكلام باسناده اليه دونها مع المحافظة
على الفاصلة او اريد بالشقاء التعب في طلب القوت وذلك معصوب براس الرجل وهو راجع اليه وروي انه
اهبط الى ادم ثور احمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق من جبينه **ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى**
وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى ۝ وقرئ وانك بالكسر والفتح ووجه الفتح العطف على ان لا تجوع فان
قلت ان لا تدخل على ان فلا يقال ان ان زيدا منطلق والواو نائبة عن ان وقائمة مقامها فلم ادخلت عليها قلت

الواو لم توضع لتكون ابداً نائبة عن ان انما هي نائبة عن كل عامل فلما لم تكن حرفا موضوعا للتحقيق خاصة كان
لم يمتنع اجتماعهما فذكره استجماعه له في الجنة وانه مكفي لا يحتاج الى كفاية كاف ولا الى كسب كاسب كما
يحتاج الى ذلك اهل الدنيا وذكرها بلفظ النفي لنقائضها التي هي الجوع والعري والظماء والضحو ليطرق
سمعه باسامي اصناف الشقوة التي حذره منها حتى يتحامى السبب الموقع فيها كراهة لها **فوسوس
اليه الشيطان** فان قلت كيف عدي وسوس تارة باللام في قوله فوسوس لهما الشيطان واخرى
بالى قلت وسوسة الشيطان كولولة الثكلى ووعوعة الذئب ووقوقة الدجاجة في انها حكايات
للاصوات وحكمها حكم صوت واجرس ومنه وسوس المبرسم وهو موسوس بالكسر والفتح لحن وانشد
ابن الاعرابي ۝ وسوس يدعو مخلصا رب الفلق ۝ فاذا قلت وسوس له فمعناه لاجله كقوله اجرس
لها يا ابن ابي كباش ۝ ومعنى وسوس اليه انهى اليه الوسوسة كقولك حدثت اليه واسررت اليه **قال
يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد** اضاف الشجرة الى الخلد وهو الخلود لان من اكل منها خلد بزعمه
كما قيل لحيزوم فرس الحياة لان من باشر اثره حيي **وملك لا يبلى** ۝ دليل على قراءة الحسن بن علي وابن عباس
رضي الله عنهم الا ان تكونا ملكين بالكسر **فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما
من ورق الجنة** طفق يفعل كذا مثل جعل يفعل واخذ وانشا وحكمها حكم كاد في وقوع الخبر فعلا مضارعا
وبينها وبينه مسافة قصيرة هي للشروع في اول الامر وكاد لمشارفته والدنو منه وقرئ يخصفان
للتكثير والتكرير من خصف النعل وهو ان يخرز عليها الخصاف اي يلزقان الورق بسوآتهما للتستر
وهو ورق التين وقيل كان مدورا فصار على هذا الشكل من تحت اصابعهما وقيل كان لباسهما الظفر فلما
اصابا الخطيئة نزع عنهما وتركت هذه البقايا في اطراف الاصابع **وعصى آدم ربه فغوى** ۝ لا شبهة في ان آدم
لم يمتثل ما رسم الله تعالى له وتخطى فيه ساحة الطاعة وذلك هو العصيان ولما عصى خرج فعله من ان يكون
رشدا وخيرا فكان غيا لا محالة لان الغي خلاف الرشد ولكن قوله وعصى آدم ربه فغوى بهذا الاطلاق
وبهذا التصريح وحيث لم يقل وزل آدم واخطا وما اشبه ذلك مما يعبر به عن الزلات والفرطات فيه لطف
بالمكلفين ومزجرة بليغة وموعظة كافة وكانه قيل انظروا واعتبروا كيف نعيت على النبي المعصوم
حبيب الله الذي لا يجوز عليه الا اقتراف الصغيرة غير المنفرة زلته بهذه الغلظة وبهذا اللفظ الشنيع
فلا تتهاونوا بما يفرط منكم من السيئات والصغائر فضلا ان تجسروا على التورط في الكبائر وعن بعضهم
فغوى فبشم من كثرة الاكل وهذا وان صح على لغة من يقلب الياء المكسور ما قبلها الفا فيقول في فني وبقي فنى وبقى وهم
بنو طي تفسير خبيث **ثم اجتباه ربه فتاب عليه** فان قلت ما معنى ثم اجتباه ربه قلت ثم قبله
بعد التوبة وقربه اليه من جبى الي كذا فاجتبيته ونظيره جليت علي العروس فاجتليتها ومنه قوله
عز وجل واذا لم تاتهم باية قالوا لولا اجتبيتها اي هلا جبيت اليك فاجتبيتها واصل الكلمة الجمع يقال
اجتبت الفرس نفسها اذا اجتمعت نفسها راجعة بعد النفار **وهدى** اي وفقه لحفظ التوبة وغيره من اسباب
العصمة والتقوى **قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما ياتينكم مني هدى
فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى** ۝ لما كان آدم وحوى عليهما السلام اصلا البشر والسببين اللذين منهما
نشؤوا وتفرعوا جعلا كانهما البشر في انفسهما فخوطبا مخاطبتهم فقيل فاما ياتينكم على لفظ الجماعة ونظيره
اسنادهم الفعل الى السبب وهو في الحقيقة للمسبب هدى كتاب وشريعة وعن ابن عباس رضي الله عنهما ضمن
الله لمن اتبع القرآن ان لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ثم تلا قوله تعالى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى والمعنى
ان الشقاء في الآخرة هو عقاب من ضل في الدنيا عن طريق الدين فمن اتبع كتاب الله وامتثل اوامره وانتهى
عن نواهيه نجا من الضلال ومن عقابه **ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا** ۝ الضنك مصدر
يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى على فعلى ومعنى ذلك ان مع الدين التسليم والقناعة والتوكل
على الله وعلى قسمته فصاحبه ينفق ما رزقه بسماح وسهولة فيعيش عيشا رافغا كما قال عز وجل فلنحيينه
حياة طيبة والمعرض عن الدين مستول عليه الحرص الذي لا يزال يطمح الى الازدياد من الدنيا مسلط عليه الشح
الذي يقبض يده عن الانفاق فعيشته ضنك وحاله مظلمة كما قال بعض المتصوفة لا يعرض احد عن
ذكر ربه الا اظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه ومن الكفرة من ضرب الله عليه الذلة والمسكنة
لكفره قال الله تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون
بآيات الله وقال تعالى ولو انهم اقاموا التورية والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم

وقال تعالى

وقال تعالى ولو انهم اقاموا التورية والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقال
تعالى ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض وقال تعالى استغفروا ربكم
انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا وقال تعالى وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا وعن الحسن
هو الضريع والزقوم في النار وعن ابي سعيد الخدري عذاب القبر **ونحشره يوم القيامة اعمى** ۝ **قال
رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا** وقرئ ونحشره عطفا على محل فان له معيشة ضنكا لانه جواب
الشرط وقرئ ونحشره بسكون الهاء على لفظ الوقف وهذا مثل قوله تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم
عميا وبكما وصما وكما فسرت الزرق بالعمى **قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى** ۝
اي مثل ذلك فعلت انت ثم فسر بان آياتنا اتتك واضحة مستنيرة فلم تنظر اليها بعين المعتبر ولم تتبصر
وتركتها وعميت عنها فكذلك اليوم نتركك على عماك ولا نزيل غطاءه عن عينيك **وكذلك نجزي
من اسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة اشد وابقى** ۝ لما توعد المعرض عن ذكره بعقوبتين
المعيشة الضنك في الدنيا وحشره اعمى في الآخرة ختم آيات الوعيد بقوله ولعذاب الآخرة اشد وابقى
كانه قال وللحشر على العمى الذي لا يزول ابدا اشد من ضيق العيش المنقضي او اراد ولتركنا اياه في العمى
اشد وابقى من تركه لآياتنا **افلم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم
ان في ذلك لآيات لاولي النهى** ۝ فاعل لم يهد الجملة بعده يريد الم يهد لهم هذا بمعناه ومضمونه ان
يكون فيه ضمير الله او الرسول ويدل عليه القراءة بالنون وقرئ يمشون يريد ان قريشا يتقلبون في بلاد
عاد وثمود ويمشون في مساكنهم ويعاينون آثار هلاكهم **ولولا كلمة سبقت من ربك لكان
لزاما** الكلمة السابقة هي العدة بتاخير جزائهم الى الآخرة يقول لولا هذه العدة لكان مثل اهلاكنا عادا
وثمود لازما لهؤلاء الكفرة واللزام اما مصدر لزم وصف به واما فعال بمعنى مفعل اي ملزم كانه آلة
اللزوم لفرط لزومه كما قالوا لزاز خصم **واجل مسمى** لا يخلو من ان يكون معطوفا على كلمة او على الضمير في كان
اي لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين له كما كانا لازمين لعاد وثمود ولم ينفرد الاجل المسمى دون الاخذ
العاجل **فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح
واطراف النهار** بحمد ربك في موضع الحال اي وانت حامد لربك على ان وفقك للتسبيح واعانك عليه والمراد
بالتسبيح الصلاة او على ظاهره قدم الفعل على الاوقات اولا والاوقات على الفعل آخرا فكانه قال صل لله قبل طلوع
الشمس يعني الفجر وقبل غروبها يعني الظهر والعصر لانهما واقعتان في النصف الاخير من النهار بين زوال
الشمس وغروبها وتعمد آناء الليل واطراف النهار مختصا لها بصلاتك وذلك ان افضل الذكر ما كان بالليل
لاجتماع القلب وهدو الرجل والخلو بالرب وقال الله عز وجل ان ناشئة الليل هي اشد وطا واقوم قيلا وقال
امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما ولان الليل وقت السكون والراحة فاذا صرف الى العبادة كانت على
النفس اشد واشق وللبدن اتعب وانصب وكانت ادخل في معنى التكليف وافضل عند الله وقد تناول
التسبيح في آناء الليل صلاة العتمة وفي اطراف النهار صلاة المغرب وصلاة الفجر على التكرار ارادة الاختصاص
كما اختصت في قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى عند بعض المفسرين فان قلت ما وجه قوله
واطراف النهار على الجمع وانما هما طرفان كما قال تعالى اقم الصلاة طرفي النهار قلت امن من الالباس وفي التثنية
زيادة بيان ونظيره مجيء الامرين في الآية في قوله ظهراهما مثل ظهور الترسين واطراف النهار
عطفا على آناء الليل **لعلك ترضى** لعل للمخاطب اي اذكر الله في هذه الاوقات طمعا ورجاء ان تنال عند الله
ما به ترضى نفسك ويسر قلبك وقرئ ترضى اي يرضيك ربك **ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به** اي
نظر عينيك ومد النظر تطويله وان لا يكاد يرده استحسانا للمنظور اليه واعجابا به وتمنيا ان يكون له
كما فعل نظارة قارون حين قالوا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم حتى واجههم اولو العلم
والايمان بويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا وفيه ان النظر غير الممدود معفو عنه وذلك مثل نظر
من باده الشيء بالنظر ثم غض الطرف ولما كان النظر الى الزخارف كالمركوز في الطباع وان من ابصر منها
شيئا احب ان يمد اليه نظره ويملا منه عينيه قيل ولا تمدن عينيك اي لا تفعل ما انت معتاد له وضار
به ولقد شدد العلماء من اهل التقوى في وجوب غض البصر عن ابنية الظلمة وعدد الفسقة في اللباس
والمراكب وغير ذلك لانهم انما اتخذوا هذه الاشياء لعيون النظارة فالناظر اليها محصل لغرضهم وكالمغري
لهم على اتخاذها **ازواجا منهم** اصنافا من الكفرة ويجوز ان ينتصب حالا من هاء الضمير والفعل واقع

على منهم كأنه قال إلى الذي متعنا به وهو أصناف بعضهم وناسا منهم فإن قلت علام انتصب **زهرة الحيوة
الدنيا** قلت على أحد أربعة أوجه على الذم وهو النصب على الاختصاص وعلى تضمين متعنا معنى أعطينا
وخولنا وكونه مفعولا ثانيا له وعلى إبداله من محل الجار والمجرور وعلى إبداله من أزواجا على تقدير
ذوي زهرة فإن قلت ما معنى الزهرة فيمن حرك قلت معنى الزهرة بعينه وهو الزينة والبهجة كما
جاء في الجهرة الجهرة وقرئ أرنا الله جهرة وأن يكون جمع زاهر وصفا لهم بأنهم زاهرو هذه الدنيا لصفاء
ألوانهم مما يلهون ويتنعمون ويتنعمون وتهلل وجوههم وبهاء زيهم وشارتهم بخلاف ما عليه
المؤمنون والصلحاء من شحوب الألوان والتقشف في الثياب **لنفتنهم فيه** لنبلوهم حتى يستوجبوا
العذاب لوجود الكفران منهم أو لنعذبهم في الآخرة بسببه **ورزق ربك خير وأبقى** ورزق ربك
هو ما ادخر له من ثواب الآخرة الذي هو خير منه في نفسه وأدوم أو ما رزقه من نعمة الإسلام والنبوة
أو لأن أموالهم الغالب عليها الغصب والسرقة والحرمة من بعض الوجوه والحلال خير وأبقى لأن الله لا ينسب
إلى نفسه إلا ما حل وطاب دون ما حرم وخبث والحرام لا يسمى رزقا وعن عبد الله بن قسيط عن رافع قال
بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى يهودي وقال قل له يقول لك رسول الله صلى الله عليه أقرضني إلى رجب
فقال والله لا أقرضته إلا برهن فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إني لأمين في السماء وإني لأمين في الأرض احمل
إليه درعي الحديد فنزلت ولا تمدن عينيك **وأمر أهلك بالصلوة واصطبر عليها لا نسألك
رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى** أي وأقبل أنت مع أهلك على عبادة الله والصلوة واستعينوا
بها على خصاصتكم ولا تهتم بأمر الرزق والمعيشة فإن رزقك مكفي من عندنا ونحن رازقوك ولا نسألك
أن ترزق نفسك ولا أهلك ففرغ بالك لأمر الآخرة وفي معناه قول الناس من كان في عمل الله كان الله في
عمله وعن عروة بن الزبير أنه كان إذا رأى ما عند السلاطين قرأ ولا تمدن عينيك الآية ثم ينادي
الصلوة الصلوة رحمكم الله وعن بكر بن عبد الله المزني كان إذا أصابت أهله خصاصة قال قوموا فصلوا بهذا
أمر الله رسوله ثم يتلو هذه الآية **وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بينة ما في الصحف
الأولى** اقترحوا على عادتهم في التعنت آية على النبوة فقيل لهم أولم تأتكم آية هي أم الآيات وأعظمها في باب
الإعجاز يعني القرآن من قبل أن القرآن برهان ما في سائر الكتب المنزلة ودليل صحته لأنه معجز وتلك
ليست بمعجزات فهي مفتقرة إلى شهادته على صحة ما فيها افتقار المحتج عليه إلى شهادة الحجة وقرئ الصحف
بالتخفيف **ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع
آياتك من قبل أن نذل ونخزى** ذكر الضمير الراجع إلى البينة لأنها في معنى البرهان والدليل وقرئ نذل
ونخزى على لفظ ما لم يسم فاعله **قل كل** أي كل واحد منا ومنكم **متربص** للعاقبة ولما يؤول إليه أمرنا وأمركم
فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى وقرئ السواء بمعنى الوسط
والجيد أو المستوي والسوءى والسوي وقرئ فتمتعوا فسوف تعلمون قال أبو رافع حفظته من رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة طه أعطي يوم القيمة ثواب المهاجرين والأنصار وقال لا يقرأ أهل الجنة من القرآن
إلا طه ويس

سورة الأنبياء مكية وهي مائة واثنتا عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

اقترب للناس حسابهم هذه اللام لا تخلو من أن تكون صلة لاقترب أو تأكيدا للإضافة
كقولهم أزف للحي رحيلهم أصل أزف رحيل الحي ثم أزف للحي الرحيل ثم أزف للحي رحيلهم ونحوه ما
أورده في باب ما ثني فيه المستقر توكيدا عليك زيد حريص عليك وفيك زيد راغب فيك والمعنى
اقترب الساعة وإذا اقتربت الساعة فقد اقترب ما يكون فيها من الحساب والثواب والعقاب وغير ذلك ونحوه
واقترب الوعد الحق فإن قلت كيف وصف بالاقتراب وقد عدت دون هذا القول أكثر من خمسمائة عام
قلت هو مقترب عند الله والدليل عليه قوله عز وجل ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإن
يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون ولأن كل آت وإن طالت أوقات استقباله وترقبه قريب وإنما
البعيد هو الذي وجد وانقرض ولأن كل ما بقي من الدنيا أقصر وأقل مما سلف منها بدليل انبعاث خاتم
النبيين الموعود مبعثه في آخر الزمان وقال عليه الصلوة والسلام بعثت في نسم الساعة وفي خطبة
بعض المتقدمين ولت الدنيا حذاء ولم يبق إلا صبابة كصبابة الإناء وإذا كانت بقية الشيء وإن

كثرت في نفسها قليلة بالإضافة إلى معظمه كانت خليقة بأن توصف بالقلة وقصر الذرع وعن ابن عباس
رضي الله عنهما أن المراد بالناس المشركون وهذا من إطلاق اسم الجنس على بعضه للدليل القائم وهو ما
يتلوه من صفات المشركين **وهم في غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا
استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم** وصفهم بالغفلة مع الإعراض على معنى أنهم غافلون عن
حسابهم ساهون لا يتفكرون في عاقبتهم ولا يتفطنون لما ترجع إليه خاتمة أمرهم مع اقتضاء عقولهم
أنه لا بد من جزاء المحسن والمسيء وإذا قرعت لهم العصا ونبهوا عن سنة الغفلة وفطنوا لذلك بما يتلى
عليهم من الآيات والنذر أعرضوا وسدوا أسماعهم ونفروا وقرر إعراضهم عن تنبيه المنبه وإيقاظ
الموقظ بأن الله يجدد لهم الذكر وقتا فوقتا ويحدث لهم الآية بعد الآية والسورة بعد السورة ليكرر
على أسماعهم التنبيه والموعظة لعلهم يتعظون فما يزيدهم استماع الآي والسور وما فيها من فنون
المواعظ والبصائر التي هي أحق الحق وأجد الجد إلا لعبا وتلهيا واستسخارا والذكر هو الطائفة
النازلة من القرآن وقرأ ابن أبي عبلة محدث بالرفع صفة على المحل قوله وهم يلعبون لاهية قلوبهم
حالان مترادفتان أو متداخلتان ومن قرأ لاهية بالرفع فالحال واحدة لأن لاهية قلوبهم خبر بعد خبر
لقوله وهم واللاهية من لهى عنه إذا غفل يعني أنهم وإن فطنوا فهم في قلة جدوى فطنتهم كأنهم لم يفطنوا
أصلا وثبتوا على رأس غفلتهم وذهولهم عن التأمل والتبصر بقلوبهم **وأسروا النجوى الذين
ظلموا** فإن قلت النجوى وهي اسم من التناجي لا تكون إلا خفية فما معنى قوله وأسروا قلت معناه
وبالغوا في إخفائها وجعلوها بحيث لا يفطن أحد لتناجيهم ولا يعلم أنهم متناجون به الذين ظلموا
من واو وأسروا إشعارا بأنهم الموسومون بالظلم الفاحش فيما أسروا به أو جاء على لغة من قال أكلوني
البراغيث أو هو منصوب المحل على الذم أو هو مبتدأ خبره أسروا النجوى قدم عليه والمعنى وهؤلاء أسروا
النجوى فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلا على فعلهم بأنه ظلم **هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون
السحر وأنتم تبصرون** هذا الكلام كله في محل النصب بدلا من النجوى أي وأسروا هذا الحديث
ويجوز أن يتعلق بقالوا مضمرا اعتقدوا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يكون إلا ملكا وأن كل من
ادعى الرسالة من البشر وجاء بالمعجزة هو ساحر ومعجزته سحر فلذلك قالوا على سبيل الإنكار أفتحضرون
السحر وأنتم تشاهدون وتعاينون أنه سحر فإن قلت لم أسروا هذا الحديث وبالغوا في إخفائه قلت
كان ذلك شبه التشاور فيما بينهم والتحاور في طلب الطريق إلى هدم أمره وعمل المنصوبة في التثبيط
عنه وعادة المتشاورين في خطب أن لا يشركوا أعداءهم في شوراهم ويتجاهدوا في طي سرهم عنهم
ما أمكن واستطيع ومنه قول الناس استعينوا على حوائجكم بالكتمان ويرفع إلى رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ويجوز أن يسروا نجواهم بذلك ثم يقولوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين إن
كان ما تدعونه حقا فأخبرونا بما أسررنا **قل ربي يعلم القول في السماء والأرض وهو السميع
العليم** فإن قلت هلا قيل يعلم السر لقوله وأسروا النجوى قلت القول عام يشمل السر والجهر
فكان في العلم به العلم بالسر وزيادة فكان آكد في بيان الاطلاع على نجواهم من أن يقول يعلم السر
كما أن قوله يعلم السر آكد من أن يقول يعلم سرهم ثم بين ذلك بأنه السميع العليم لذاته فكيف تخفى عليه
خافية فإن قلت فلم ترك هذا الآكد في سورة الفرقان في قوله قل أنزله الذي يعلم السر في السموات
والأرض قلت ليس بواجب أن يجيء بالآكد في كل موضع ولكن يجيء بالوكيد تارة وبالآكد أخرى كما
يجيء بالحسن في موضع وبالأحسن في غيره ليفتن الكلام افتنانا ويجمع الغاية وما دونها على أن أسلوب
تلك الآية خلاف أسلوب هذه من قبل أنه قدم ههنا أنهم أسروا النجوى فكأنه أراد أن يقول إن ربي يعلم
ما أسروه فوضع القول موضع ذلك للمبالغة وثم قصد وصف ذاته بأنه أنزله الذي يعلم في السموات
والأرض كقوله علام الغيوب لا يعزب عنه مثقال ذرة وقرئ قال ربي حكاية لقول رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم **بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر** أضربوا عن قولهم هو سحر إلى أنه تخاليط
أحلام بل إلى أنه كلام مفترى من عنده ثم إلى أنه قول شاعر وهكذا الباطل لجلج والمبطل متحير رجاع
غير ثابت على قول واحد ويجوز أن يكون تنزيلا من الله تعالى لأقوالهم في درج الفساد وأن قولهم الثاني
أفسد من الأول والثالث أفسد من الثاني وكذلك الرابع من الثالث **فليأتنا بآية كما أرسل
الأولون** صحة التشبيه في قوله كما أرسل الأولون من حيث إنه في معنى كما أتى الأولون بالآيات

الجزء السابع عشر

لان ارسال الرسل متضمن للاتيان بالآيات لا فرق بين ان تقول ارسل محمد وبين قولك اتى محمد صلى الله عليه وسلم بالمعجزة
ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون ۝ فيه انهم اعتى من الذين اقترحوا على انبيائهم الآيات وعاهدوا
انهم يؤمنون عندها فلما جاءتهم نكثوا وخالفوا فاهلكهم الله فلو اعطيناهم ما يقترحون لكانوا انكث وانكث
وما ارسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ۝ امرهم ان
يستعلموا اهل الذكر وهم اهل الكتاب حتى يعلموهم ان رسل الله الموحى اليهم كانوا بشرا ولم يكونوا ملائكة
كما اعتقدوا وانما احالهم على اولئك لانهم كانوا يشايعون المشركين في معاداة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال
الله تعالى ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا فلا يكادون يكذبونهم فيه
ردا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام لا يأكلون الطعام صفة
لجسدا والمعنى وما جعلنا الانبياء قبله ذوي جسد غير طاعمين ووحد الجسد لارادة الجنس كانه قال ذوي
ضرب من الاجساد وهذا رد لقولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام فان قلت نعم قد رد انكارهم ان
يكون الرسول بشرا يأكل ويشرب بما ذكرت فماذا رد من قولهم بقوله وما كانوا خالدين ۝ قلت
يحتمل ان يقولوا انه بشر مثلنا يعيش كما نعيش ويموت كما نموت او يقولوا هلا كان ملكا لا يطعم ويخلد اما معتقدين
ان الملائكة لا يموتون او مسمين حياتهم المتطاولة وبقاءهم الممتد خلودا [illegible] ثم صدقناهم الوعد
مثل واختار موسى قومه والاصل في الوعد من قومه ومنه صدقوهم القتال وصدقني سن بكره
فأنجيناهم ومن نشاء هم المؤمنون ومن في بقائهم مصلحة وأهلكنا المسرفين ۝ لقد أنزلنا إليكم
كتابا فيه ذكركم شرفكم وصيتكم كما قال وانه لذكر لك ولقومك او موعظتكم او فيه مكارم
الاخلاق التي كنتم تطلبون بها الثناء وحسن الذكر كحسن الجوار والوفاء بالعهد وصدق الحديث واداء
الامانة والسخاء وما اشبه ذلك أفلا تعقلون ۝ وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها
قوما آخرين ۝ وكم قصمنا من قرية واردة عن غضب شديد ومنادية على سخط عظيم لان القصم افظع الكسر
وهو الكسر الذي يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم واراد بالقرية اهلها ولذلك وصفها بالظلم وقال قوما
آخرين عن ابن عباس رضي الله عنهما انها حضور وهي وسحول قريتان باليمن ينسب اليهما الثياب وفي الحديث
كفن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ثوبين سحوليين وروي حضوريين بعث الله اليهم نبيا فقتلوه فسلط الله
عليهم بخت نصر كما سلطه الله على اهل بيت المقدس فاستأصلهم وروي انه لما اخذتهم السيوف ونادى مناد
من السماء يا لثارات الانبياء ندموا واعترفوا بالخطأ وذلك حين لم ينفعهم الندم وظاهر الآية على الكثرة
ولعل ابن عباس رضي الله عنهما ذكر حضور بانها احدى القرى التي ارادها الله بهذه الآية فلما أحسوا بأسنا
إذا هم منها يركضون ۝ فلما علموا شدة عذابنا وبطشتنا علم حس ومشاهدة لم يشكوا فيها ركضوا
من ديارهم والركض ضرب الدابة بالرجل ومنه قوله تعالى اركض برجلك فيجوز ان يركبوا دوابهم يركضونها
هاربين منهزمين من قريتهم لما ادركتهم مقدمة العذاب ويجوز ان يشبهوا في سرعة عدوهم على
ارجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم فقيل لهم لا تركضوا والقول محذوف فان قلت من
القائل قلت يحتمل ان يكون بعض الملائكة او من ثم من المؤمنين او يجعلوا خلقاء بان يقال لهم ذلك وان
لم يقل او يقوله رب العزة ويسمعه ملائكته لينفعهم في دينهم او يلهمهم ذلك فيحدثوا به نفوسهم
وارجعوا إلى ما أترفتم فيه من العيش الرافه والحال الناعمة والاتراف ابطار النعمة وهي الترفة
ومساكنكم لعلكم تسألون ۝ تهكم بهم وتوبيخ اي ارجعوا الى نعيمكم ومساكنكم لعلكم
تسألون غدا عما جرى عليكم ونزل باموالكم ومساكنكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة او ارجعوا
واجلسوا كما كنتم في مجالسكم وترتبوا في مراتبكم حتى يسألكم عبيدكم وحشمكم ومن تملكون
امره وينفذ فيه امركم ونهيكم ويقولوا لكم بم تأمرون وماذا ترسمون وكيف نأتي ونذر كعادة المنعمين
المخدمين او يسألكم الناس في انديتكم المعاون في نوازل الخطوب ويستشيرونكم في المهمات والعوارض
ويستشفون بتدابيركم ويستضيئون بآرائكم او يسألكم الوافدون عليكم والطماع
ويستمطرون سحائب اكفكم ويمترون اخلاف معروفكم واياديكم اما لانهم كانوا اسخياء ينفقون
اموالهم رئاء الناس وطلب الثناء او كانوا بخلاء فقيل لهم ذلك تهكما الى تهكم وتوبيخا الى توبيخ قالوا يا
ويلنا إنا كنا ظالمين ۝ فما زالت تلك دعواهم تلك اشارة الى يا ويلنا لانها دعوى كانه قيل
فما زالت تلك الدعوى دعواهم والدعوى بمعنى الدعوة قال الله تعالى وآخر دعواهم ان الحمد لله فان قلت

لم سميت الدعوى قلت لان المولول كانه يدعو الويل فيقول له تعال يا ويل فهذا اوانك وتلك مرفوع
او منصوب اسما او خبرا وكذلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين ۝ الحصيد الزرع
المحصود اي جعلناهم مثل الحصيد شبههم به في استئصالهم واصطلامهم كما تقول جعلناهم رمادا اي
مثل الرماد والضمير المنصوب هو الذي كان مبتدأ والمنصوبات بعده كانا خبرين له فلما دخل عليهما
جعل نصبها جميعا على المفعولية فان قلت كيف ينصب جعل ثلاثة مفاعيل قلت حكم الاثنين
الاخيرين حكم الواحد لان معنى قولك جعلته حلوا حامضا جعلته جامعا للطعمين وكذلك معنى
ذلك جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين ۝
لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين ۝ اي وما سوينا هذا السقف المرفوع
وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من اصناف الخلائق مشحونة بضروب البدائع والعجائب كما تسوي
الجبابرة سقوفهم وفرشهم وسائر زخارفهم للهو واللعب وانما سويناها للفوائد الدينية والحكم
الربانية لتكون مطارح افتكار واعتبار واستدلال ونظر لعبادنا مع ما يتعلق لهم بها من المنافع
التي لا تعد والمرافق التي لا تحصى ثم بين ان السبب في ترك اتخاذ اللهو واللعب وانتفائه عن افعالي
هو ان الحكمة صارفة عنه والا فانا قادر على اتخاذه ان كنت فاعلا لاني على كل شيء قدير وقوله
لاتخذناه من لدنا كقوله رزقا من لدنا اي من جهة قدرتنا وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل المرأة
وقيل من لدنا اي من الملائكة لا من الانس ردا لولادة المسيح وعزير بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه
فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون ۝ بل اضراب عن اتخاذ اللهو واللعب وتنزيه منه لذاته كانه قال سبحاننا
ان نتخذ اللهو واللعب بل من عادتنا وموجب حكمتنا واستغنائنا عن القبيح ان نغلب اللعب بالجد وندحض
الباطل بالحق واستعار لذلك القذف والدمغ تصويرا لابطاله به واهداره ومحقه فجعله كانه جرم صلب
كالصخرة مثلا قذف به على جرم اجوف فدمغه ثم قال ولكم الويل مما تصفونه به مما لا يجوز عليه وعلى
حكمته وقرئ فيدمغه بالنصب وهو في ضعف قوله
سأترك منزلي لبني تميم ۝ والحق بالحجاز فاستريحا ۝
وقرئ فيدمغه وله من في السموات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون
من عنده هم الملائكة والمراد انهم مكرمون منزلون لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك على طريق
التمثيل والبيان لشرفهم وفضلهم على جميع خلقه فان قلت الاستحسار مبالغة في الحسور فكان الابلغ
في وصفهم ان ينفي عنهم ادنى الحسور قلت في الاستحسار بيان ان ما هم فيه يوجب غاية الحسور واقصاه
وانهم احقاء لتلك العبادات الباهظة ان يستحسروا فيما يفعلون يسبحون الليل والنهار لا يفترون
اي تسبيحهم دائم متصل في جميع اوقاتهم لا يتخلله فترة بفراغ او بشغل آخر أم اتخذوا آلهة من الأرض
هم ينشرون ۝ هذه ام المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة قد اذنت بالاضراب عما قبلها والانكار لما بعدها
والمنكر هو اتخاذهم آلهة من الارض هم ينشرون الموتى ولعمري ان من اعظم المنكرات ان ينشر الموتى
بعض الموات فان قلت كيف انكر عليهم اتخاذ آلهة تنشر وما كانوا يدعون ذلك لآلهتهم وكيف
وهم ابعد شيء عن هذه الدعوى وذلك انهم كانوا مع اقرارهم لله عز وجل بانه خالق السموات والارض ولئن
سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وبانه القادر على المقدورات وعلى النشأة الاولى منكرين
البعث ويقولون من يحيي العظام وهي رميم وكان عندهم من قبيل المحال الخارج عن قدرة القادر كثاني
القديم فكيف يدعونه للجماد الذي لا يوصف بالقدرة راسا قلت الامر كما ذكرت ولكنهم بادعائهم
لها الالهية يلزمهم ان يدعوا لها الانشاء لانه لا يستحق هذا الاسم الا القادر على كل مقدور والانشاء من جملة
المقدورات وفيه باب من التهكم بهم والتوبيخ والتجهيل واشعار بان ما استبعدوه من الله لا يصح استبعا ده لان
الالهية لما صحت صح معها الاقتدار على الابتداء والاعادة ونحو قوله من الارض قولك فلان من مكة او من
المدينة تريد مكي او مدني ومعنى نسبتها الى الارض الايذان بانها الاصنام التي تعبد في الارض لان الآلهة
على ضربين ارضية وسماوية ومن ذلك حديث الامة التي قال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اين ربك
فاشارت الى السماء فقال انها مؤمنة لانه فهم منها ان مرادها نفي الآلهة الارضية التي هي الاصنام لا اثبات
السماء مكانا لله عز وجل ويجوز ان يراد آلهة من جنس الارض لانها اما ان تنحت من بعض الحجارة او تعمل من
بعض جواهر الارض فان قلت لا بد من نكتة في قوله هم قلت النكتة فيه افادة معنى الخصوصية

كانه قيل ام اتخذوا آلهة لا يقدرون على الانشار الا انهم وحدهم وقرأ الحسن ينشرون وهما لغتان انشر الله الموتى
ونشرها ﴿لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون﴾ وصفت آلهة بالا
كما توصف بغير لو قيل آلهة غير الله فان قلت ما منعك من الرفع على البدل قلت لان لو بمنزلة ان في ان الكلام
معه موجب والبدل لا يسوغ الا في الكلام غير الموجب كقوله تعالى ولا يلتفت منكم احد الا امرأتك وذلك لان
اعم العام يصح نفيه ولا يصح ايجابه والمعنى لو كان يتولاهما ويدبر امرهما آلهة شتى غير الواحد الذي هو
فاطرهما لفسدتا وفيه دلالة على امرين احدهما وجوب ان لا يكون مدبرهما الا واحدا والثاني ان لا يكون ذلك الواحد
الا اياه وحده لقوله الا الله فان قلت لم وجب الامران قلت لعلمنا ان الرعية تفسد بتدبير الملكين
لما يحدث بينهما من التغالب والتناكر والاختلاف وعن عبد الملك بن مروان حين قتل عمرو بن سعيد الاشدق
كان والله اعز علي من دم ناظري ولكن لا يجتمع فحلان في شول وهذا ظاهر واما طريقة التمانع للمتكلمين
فيها تجاول وطراد ولأن هذه الافعال محتاجة الى تلك الذات المتميزة بتلك الصفات حتى تثبت وتستقر
﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾ لما كانت عادة الملوك والجبابرة ان لا يسألهم من في ملكهم عن
افعالهم وعما يوردون ويصدرون من تدبير ملكهم تهيبا واجلالا مع جواز الخطأ والزلل وانواع
الفساد عليهم كان ملك الملوك ورب الارباب خالقهم ورازقهم اولى بان لا يسأل عن افعاله مع ما
علم واستقر في العقول من ان ما يفعله كله مفعول بدواعي الحكمة ولا يجوز عليه الخطأ ولا فعل القبائح وهم
يسألون اي هم مملوكون مستعبدون خطاؤون فما اخلقهم بان يقال لهم لم فعلتم في كل شيء فعلوه ﴿ام
اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم﴾ كرر ام اتخذوا من دونه آلهة استفظاعا لشأنهم واستعظاما
لكفرهم اي وصفتم الله تعالى بان له شريكا فهاتوا برهانكم على ذلك اما من جهة العقل واما من جهة الوحي فانكم
لا تجدون كتابا من كتب الاولين الا وتوحيد الله وتنزيهه عن الانداد مدعو اليه والاشراك به منهي عنه متوعد
عليه ﴿هذا ذكر من معي وذكر من قبلي﴾ اي هذا الوحي الوارد في معنى توحيد الله ونفي الشركاء عنه
كما ورد علي فقد ورد على جميع الانبياء فهو ذكر اي عظة للذين معي يعني امته وذكر للذين من قبلي يريد امم الانبياء
وقرئ ذكر من معي وذكر من قبلي بالتنوين ومن مفعول منصوب بالذكر كقوله او اطعام في يوم ذي مسغبة
يتيما وهو الاصل والاضافة من اضافة المصدر الى المفعول كقوله غلبت الروم وهم من بعد غلبهم سيغلبون
وقرئ من معي ومن قبلي على من الاضافة في هذه القراءة وادخال الجار على مع غريب والعذر فيه انه اسم هو
ظرف نحو قبل وبعد وعند ولدن وما اشبه ذلك فدخل عليه من كما تدخل على اخواته وقرئ ذكر معي وذكر
قبلي ﴿بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون﴾ كانه قيل بل عندهم ما هو اصل الشر والفساد
كله وهو الجهل وفقد العلم وعدم التمييز بين الحق والباطل فمن ثم جاء هذا الاعراض ومن هناك ورد هذا
الانكار وقرئ الحق بالرفع على توسيط التوكيد بين السبب والمسبب والمعنى ان اعراضهم بسبب الجهل
هو الحق لا الباطل ويجوز ان يكون المنصوب ايضا على هذا المعنى كما تقول هذا عبد الله الحق لا الباطل ﴿وما ارسلنا
من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون﴾ يوحى ونوحي مشهورتان وهذه الآية
مقررة لما سبقها من آي التوحيد ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه
بالقول وهم بامره يعملون يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن
ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم
كذلك نجزي الظالمين﴾ نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله فنزه ذاته عن ذلك ثم اخبر عنهم
بانهم عباد والعبودية تنافي الولادة الا انهم مكرمون مقربون عندي مفضلون على سائر العباد لما هم عليه
من احوال وصفات ليست لغيرهم فذلك هو الذي غر منهم من زعم انهم اولادي تعاليت عن ذلك علوا كبيرا
وقرئ مكرمون ولا يسبقونه بالضم من سابقته فسبقته اسبقه والمعنى انهم يتبعون قوله ولا يقولون
شيئا حتى يقوله فلا يسبق قولهم قوله والمراد بقولهم فانيب اللام مناب الاضافة اي لا يتقدمون قوله بقولهم
كما تقول سبقت بفرسي فرسه وكما ان قولهم تابع لقوله فعملهم ايضا كذلك مبني على امره لا يعملون عملا
ما لم يؤمروا به وجميع ما يأتون ويذرون مما قدموا واخروا بعين الله تعالى وهو مجازيهم عليه فلاحاطتهم
بذلك يضبطون انفسهم ويراعون احوالهم ويعمرون اوقاتهم ومن تحفظهم انهم لا يجسرون ان يشفعوا
الا لمن ارتضاه الله واهله للشفاعة في ازدياد الثواب والتعظيم ثم انهم مع هذا كله من خشية الله مشفقون ان وصف
كرامتهم عليه وقربهم منه واثنى عليهم واضاف اليهم تلك الافعال السنية والاعمال المرضية فاجا

بالوعيد الشديد

بالوعيد الشديد وانذر بعذاب جهنم من اشرك منهم ان كان ذلك على سبيل الفرض والتمثيل مع احاطة علمه بانه
لا يكون كما قال تعالى ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون قصد بذلك تفظيع امر الشرك وتعظيم شان التوحيد ﴿او
لم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي
افلا يؤمنون﴾ وقرئ الم ير بغير واو ورتقا بفتح التاء وكلاهما في معنى المفعول كالخلق والنفض اي كانتا
مرتوقتين فان قلت الرتق صالح ان يقع موقع مرتوقتين لانه مصدر فما بال الرتق قلت هو على تقدير موصوف
اي كانتا شيئا رتقا ومعنى ذلك ان السماء كانت لاصقة بالارض لا فضاء بينهما او كانت السموات متلاصقات
وكذلك الارضون لا فرج بينها ففتقها الله وفرج بينها وقيل ففتقناهما بالمطر والنبات بعد ما كانت مصمتة
وانما قيل كانتا دون كن لان المراد جماعة السموات وجماعة الارض ونحوه قولهم لقاحان سوداوان اي
جماعتان فعل في المضمر نحو ما فعل في المظهر فان قلت متى رأوهما رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك قلت
فيه وجهان احدهما انه وارد في القرآن الذي هو معجزة في نفسه فقام مقام المرئي المشاهد والثاني
ان تلاصق الارض والسماء وتباينهما كلاهما جائز في العقل فلا بد للتباين دون التلاصق من مخصص وهو القديم
سبحانه وجعلنا لا يخلو ان يتعدى الى واحد او اثنين فان تعدى الى واحد فالمعنى وخلقنا من الماء كل حيوان
كقوله والله خلق كل دابة من ماء او كانما خلقناه من الماء لفرط احتياجه اليه وحبه له وقلة صبره عنه كقوله
خلق الانسان من عجل وان تعدى الى اثنين فالمعنى صيرنا كل شيء حي بسبب من الماء لا بد له منه ومن هذا نحو
من في قوله عليه الصلوة والسلام ما انا من دد ولا الدد مني وقرئ حيا وهو المفعول الثاني والظرف لغو
﴿وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بهم﴾ اي كراهة ان تميد بهم وتضطرب او لان لا تميد بهم وتضطرب
فحذف لا واللام وانما جاز حذف لا لعدم الالتباس كما تزاد لذلك في قوله لئلا يعلم اهل الكتاب وهذا
مذهب الكوفيين ﴿وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون﴾ الفج الطريق الواسع فان قلت في الفجاج
معنى الوصف فما لها قدمت على السبل ولم تؤخر كما في قوله تعالى لتسلكوا منها سبلا فجاجا قلت لم تقدم وهي صفة
ولكن جعلت حالا كقوله ۞ لعزة موحشا طلل قديم ۞ فان قلت ما الفرق بينهما من جهة المعنى قلت احدهما
اعلام بانه جعل فيها طرقا واسعة والثاني بانه حين خلقها خلقها على تلك الصفة فهو بيان لما ابهم ثمة ﴿وجعلنا
السماء سقفا محفوظا﴾ حفظه بالامساك بقدرته من ان يقع على الارض ويتزلزل او بالشهب عن تسمع الشياطين
على سكانه من الملائكة ﴿وهم عن آياتها معرضون﴾ عما وضع الله فيها من الادلة والعبر بالشمس والقمر
وسائر النيرات ومسايرها وطلوعها وغروبها على الحساب القويم والترتيب العجيب الدال على الحكمة
البالغة والقدرة الباهرة واي جهل اعظم من جهل من اعرض عنها ولم يذهب به وهمه الى تدبرها والاعتبار
بها والاستدلال على عظمة شان من اوجدها عن عدم ودبرها ونصبها هذه النصبة واودعها ما اودعها
مما لا يعرف كنهه الا هو عزت قدرته ولطف علمه وقرئ عن آيتها على التوحيد اكتفاء بالواحدة في
الدلالة على الجنس اي هم متفطنون لما يرد عليهم من السماء من المنافع الدنيوية كالاستضاءة بقمريها والاهتداء
بكواكبها وحيوة الارض والحيوان بامطارها وهم عن كونها آية بينة على الخالق معرضون ﴿وهو
الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون﴾ كل التنوين فيه عوض من المضاف
اليه اي كلهم في فلك يسبحون والضمير للشمس والقمر والمراد بهما جنس الطوالع كل يوم وليلة جعلوها متكاثرة
لتكاثر مطالعها وهو السبب في جمعهما بالشموس والاقمار والا فالشمس واحدة والقمر واحد وانما جعل
الضمير واو العقلاء للوصف بفعلهم وهو السباحة فان قلت الجملة ما محلها قلت محلها النصب على
الحال من الشمس والقمر فان قلت كيف استبد بهما دون الليل والنهار بنصب الحال عنهما قلت كما تقول
رأيت زيدا وهندا متبرجة ونحو ذلك اذا جئت بصفة يختص بها بعض ما تعلق به العامل ومنه
قوله في هذه السورة ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة او لا محل لها لاستينافها فان قلت لكل واحد من
القمرين فلك على حدة فكيف قيل جميعهم يسبحون في فلك قلت هذا كقولهم كسانا الامير حلة وقلدنا
سيفا اي كل واحد منهم او كسا وقلد هؤلاء فاكتفى بما يدل على الجنس اختصارا ولان
الغرض الدلالة على الجنس ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افائن مت فهم الخالدون﴾ كانوا
يقدرون انه سيموت فيشمتون بموته فنفى الله عنه الشماتة بهذا اي قضى الله ان لا يخلد في الدنيا بشر
فلا انت ولا هم الا عرضة للموت فاذا كان كذلك فان مت انت ايبقى هؤلاء وفي معناه قول القائل
۞ فقل للشامتين بنا افيقوا ۞ سيلقى الشامتون كما لقينا ۞

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۝ اي نختبركم بما يجب فيه الصبر
من البلايا وبما يجب فيه الشكر من النعم وإلينا مرجعكم فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر وانما
سمى ذلك ابتلاء وهو عالم بما سيكون من اعمال العاملين قبل وجودهم لانه في صورة الاختبار وفتنة مصدر موكد
لنبلوكم من غير لفظه وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ
وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ ۝ الذكر يكون بخير وبخلافه فاذا دلت الحال على احدهما اطلق ولم يقيد كقولك
للرجل سمعت فلانا يذكرك فان كان الذاكر صديقا فهو ثناء وان كان عدوا فهو ذم ومنه قوله سمعنا فتى يذكرهم
وقوله اهذا الذي يذكر آلهتكم والمعنى انهم عاكفون بهممهم على ذكر آلهتهم وما يجب ان يذكر به من كونهم
شفعاء وشهداء ويسوؤهم ان يذكرها ذاكر بخلاف ذلك واما ذكر الله وما يجب ان يذكر به من الوحدانية فهم
به كافرون لا يصدقون به اصلا فهم احق بان يتخذوا هزوا منك فانك محق وهم مبطلون وقيل معنى
بذكر الرحمن قولهم ما نعرف الرحمن الا مسيلمة وما الرحمن انسجد لما تامرنا وقيل بذكر الرحمن بما انزل عليك
من القرآن والجملة في موضع الحال اي يتخذونك هزوا وهم على حال هي اصل الهزو والسخرية وهي الكفر بالله
خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ۝ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ
كانوا يستعجلون عذاب الله ونزول آياته الملجئة الى العلم والاقرار ويقولون متى هذا الوعد فاراد نهيهم
عن الاستعجال وزجرهم فقدم اولا ذم الانسان على افراط العجلة وانه مطبوع عليها ثم نهاهم وزجرهم
كانه قال ليس ببدع منكم ان تستعجلوا فانكم مجبولون على ذلك وهو طبعكم وسجيتكم وعن
ابن عباس انه اراد بالانسان آدم عليه الصلوة والسلام وانه حين بلغ الروح صدره ولم يتبالغ فيه اراد ان يقوم
وروي لما دخل الروح في عينيه نظر الى ثمار الجنة ولما دخل جوفه اشتهى الطعام وقيل خلقه الله في آخر
النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس فاسرع في خلقه قبل مغيبها وعن ابن عباس انه النضر بن الحرث والظاهر
ان المراد الجنس وقيل العجل الطين بلغة حمير ۝ قال شاعرهم ۝ والنخل تنبت بين الماء والعجل ۝
والله اعلم بصحته فان قلت لم نهاهم عن الاستعجال مع قوله خلق الانسان من عجل وقوله وكان الانسان
عجولا اليس هذا من تكليف ما لا يطاق قلت هذا كما ركب فيه الشهوة وامره ان يغلبها لانه اعطاه القدرة
التي يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة وقرئ خلق الانسان لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ
عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ۝ جواب لو محذوف ومفعول يعلم اي لو يعلمون
الوقت الذي يستعلمون عنه بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت صعب شديد تحيط بهم فيه النار من
وراء وقدام فلا يقدرون على دفعها ومنعها من انفسهم ولا يجدون ناصرا ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة
من الكفر والاستهزاء والاستعجال ولكن جهلهم به هو الذي هونه عليهم ويجوز ان يكون يعلم متروكا
بلا تعدية بمعنى لو كان معهم علم ولم يكونوا جاهلين لما كانوا مستعجلين وحين منصوب بمضمر اي حين
لا يكفون عن وجوههم النار يعلمون انهم كانوا على الباطل وينتفي عنهم هذا الجهل العظيم بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً
فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا اي لا تكون بعلم بل تأتيهم فجأة فتغلبهم يقال للمغلوب في المحاجة
مبهوت ومنه فبهت الذي كفر اي غلب ابراهيم الكافر وقرأ الاعمش يأتيهم فيبهتهم على التذكير والضمير
للوعد او للحين فان قلت الام يرجع الضمير المؤنث في هذه القراءة قلت الى النار او الى الوعد لانه في
معنى النار وهي التي وعدوها او على تأويل العدة والموعدة او الى الحين لانه في معنى الساعة او الى البغتة وقيل
في القراءة الصحيحة للساعة وقرأ الاعمش بغتة بفتح الغين وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ۝ تذكير بانظاره اياهم وامهاله
وتفسيح وقت التذكر عليهم اي لا يمهلون بعد طول الامهال وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ
بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝ سلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن استهزائهم به بان
له في الانبيا عليهم الصلوة والسلام اسوة وان ما يفعلونه به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالانبيا ما فعلوا قُلْ
مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ۝ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ
دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ ۝ من الرحمن اي من باسه وعذابه بل هم
معرضون عن ذكره لا يخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا باسه حتى اذا رزقوا الكلاءة عرفوا من الكالي
وصلحوا للسؤال عنه والمراد انه امر رسوله [illegible] بسؤالهم عن الكالي ثم بين انهم
لا يصلحون لذلك لاعراضهم عن ذكر من يكلؤهم ثم اضرب عن ذلك بما في ام من معنى بل وقال لهم
آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا وحفظنا ثم استأنف فبين ان ما ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها

ولا يصحبون

ولا يصحبون من الله بالنصر والتأييد كيف يمنع غيره وينصره ثم قال بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى
طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ بل ما هم فيه من الكلاءة والحفظ انما هو منا لا من مانع يمنعهم من اهلاكنا وما كلأناهم
وآباءهم الماضين الا تمتيعا لهم بالحيوة الدنيا وامهالا كما متعنا غيرهم من الكفار وامهلناهم حتى طال
عليهم الامد وامتدت ايام الروح والطمأنينة فحسبوا ان لا يزالوا على ذلك لا يغلبون ولا ينزع عنهم
ثوب امنهم واستمتاعهم وذلك طمع فارغ وامل كاذب أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا
أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ۝ افلا يرون انا ننقص ارض الكفر ودار الحرب ونحذف اطرافها بتسليط المسلمين
عليها واظهارهم على اهلها وردها دار اسلام فان قلت اي فائدة في قوله نأتي الارض قلت الفائدة فيه
تصوير ما كان الله يجريه على ايدي المسلمين وان عساكرهم وسراياهم كانت تغزو ارض المشركين وتأتيها
غالبة عليها ناقصة من اطرافها قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ وقرئ ولا تسمع الصم
ولا يسمع الصم بالتاء والياء اي لا تسمع انت ولا يسمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا يسمع الصم [illegible] من اسمع
فان قلت الصم لا يسمعون دعاء المبشر كما لا يسمعون دعاء المنذر فكيف قيل إِذَا مَا يُنْذَرُونَ ۝ قلت
اللام في الصم اشارة الى هؤلاء المنذرين كائنة للعهد لا للجنس والاصل لا يسمعون اذا ما ينذرون
فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على تصامهم وسد اسماعهم اذا انذروا اي هم على هذه الصفة
من الجراءة والجسارة على التصام من آيات الانذار وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا
وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۝ ولئن مسهم من هذا الذي ينذرون به ادنى شيء لاذعنوا وذلوا واقروا بانهم ظلموا
انفسهم حين تصاموا واعرضوا وفي المس والنفحة ثلاث مبالغات لان النفح في معنى القلة والنزارة يقال
نفحته الدابة وهو رمح يسير ونفحه بعطية رضخه ولبناء المرة وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ وصفت
الموازين بالقسط وهو العدل مبالغة كانها في نفسها قسط او على حذف المضاف اي ذوات القسط واللام في لِيَوْمِ
الْقِيَامَةِ مثلها في قولك جئته لخمس ليال خلون من الشهر ومنه قول النابغة ۝
۝ ترسمت آيات لها فعرفتها ۝ لستة اعوام وذا العام سابع ۝
وقيل لاهل يوم القيمة اي لاجلهم فان قلت ما المراد بوضع الموازين قلت فيه قولان احدهما ارصاد الحساب
السوي والجزاء على حسب الاعمال بالعدل والنصفة من غير ان يظلم عباده مثقال ذرة فمثل ذلك بوضع الموازين
لتوزن بها الموزونات والثاني انه يضع الموازين الحقيقية ويزن بها الاعمال عن الحسن هو ميزان له
كفتان ولسان ويروى ان داود عليه الصلوة والسلام سأل ربه ان يريه الميزان فلما رآه غشي عليه ثم
افاق فقال يا الهي من ذا الذي يقدر ان يملأ كفته حسنات فقال يا داود اني اذا رضيت عن عبدي ملأتها
بتمرة فان قلت كيف توزن الاعمال وانما هي اعراض قلت فيه قولان احدهما توزن صحائف الاعمال
والثاني تجعل في كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفي كفة السيئات جواهر سود مظلمة فَلَا
تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ۝ وقرئ مثقال
حبة على كان التامة كقوله وان كان ذو عسرة وقرأ ابن عباس ومجاهد آتينا بها وهي مفاعلة
من الاتيان بمعنى المجازاة والمكافاة لانهم اتوه بالاعمال واتاهم بالجزاء وقرأ حميد اثبنا بها من الثواب
وفي حرف أبي جئنا بها وانث ضمير المثقال لاضافته الى الحبة كقولهم ذهبت بعض اصابعه وَلَقَدْ
آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ ۝ آتيناهما الفرقان وهو التوراة
وآتينا به ضياء وذكرا للمتقين والمعنى انه في نفسه ضياء وذكر او وآتيناهما بما فيه من الشرائع
والمواعظ ضياء وذكرا وعن ابن عباس الفرقان الفتح كقوله يوم الفرقان وعن الضحاك فلق البحر
وعن محمد بن كعب المخرج من الشبهات وقرأ ابن عباس ضياء بغير واو وهو حال عن الفرقان والذكر
الموعظة او ذكر ما يحتاجون اليه في دينهم ومصالحهم او الشرف الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ
مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ۝ محل الذين جر على الوصفية او نصب على المدح او رفع وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ
أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ ۝ ذكر مبارك هو القرآن وبركته كثرة منافعه وغزارة خيره
وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ الرشد الاهتداء لوجوه الصلاح قال الله تعالى فان آنستم منهم رشدا
فادفعوا اليهم اموالهم وقرئ رشده والرشد والرشد كالعدم والعدم ومعنى اضافته اليه
انه رشد مثله وان له شانا مِنْ قَبْلُ من قبل موسى وهارون وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ۝ ومعنى علمه
به انه علم منه احوالا بديعة واسرارا عجيبة وصفات قد رضيها واحمدها حتى اهله لمخالته ومخالصته

كفوك كفو خير من الناس أنا عالم بفلان وكلامك فيه من الاحتواء على محاسن الأوصاف بمنزلة إذ قال لأبيه وقومه إما أن يتعلق بآتينا أو برشده أو بمحذوف أي اذكر من أوقات رشده هذا الوقت وقوله ما هذه التماثيل تجاهل لهم وتغاب لتحقير آلهتهم أجرى مجرى ما لا يتعدى كقولك فاعلون العكوف لها أو واقفون لها فإن قلت هلا قيل عليها عاكفون كقوله يعكفون على أصنام لهم قلت لو قصد التعدية لعداه بصلته التي هي على قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين ما أقبح التقليد والقول المتقبل بغير برهان وما أعظم كيد الشيطان للمقلدين حين استدرجهم إلى أن قلدوا آباءهم في عبادة التماثيل وعفروا لها جباههم وهم معتقدون أنهم على شيء وجادون في نصرة مذهبهم ومجادلون لأهل الحق عن باطلهم وكفى أهل التقليد سبة أن عبدة الأصنام منهم قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين أنتم من التأكيد الذي لا يصح الكلام مع الإخلال به لأن العطف على ضمير هو في حكم بعض الفعل ممتنع ونحوه اسكن أنت وزوجك الجنة أراد أن المقلدين والمقلدين جميعا منخرطون في سلك ضلال لا يخفى على من به أدنى مسكة لاستناد الفريقين إلى غير دليل بل إلى هوى متبع وشيطان مطاع قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين لاستبعادهم أن يكون ما هم عليه ضلالا بقوا متعجبين من تضليله إياهم وحسبوا أن ما قاله على وجه المزاح والمداعبة لا على طريق الجد فقالوا له هذا الذي جئتنا به أهو جد وحق أم لعب وهزل قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين الضمير في فطرهن للسموات والأرض أو للتماثيل وكونه للتماثيل أدخل في تضليلهم وأثبت للاحتجاج عليهم وشهادته على ذلك إدلاؤه بالحجة عليه وتصحيحه بها كما تصحح الدعوى بالشهادة كأنه قال وأنا أبين ذلك وأبرهن عليه كما تبين الدعاوي بالبينات لأني لست مثلكم فأقول ما لا أقدر على إثباته بالحجة كما لم تقدروا على الاحتجاج لمذهبكم ولم تزيدوا على أنكم وجدتم عليه آباءكم وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين قرأ معاذ بن جبل بالله وقرئ تولوا بمعنى تتولوا ويقويها قوله فتولوا عنه مدبرين فإن قلت ما الفرق بين الباء والتاء قلت إن الباء هي الأصل والتاء بدل من الواو المبدل منها وأن التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب كأنه تعجب من تسهيل الكيد على يده وتأتيه لأن ذلك كان أمرا مقنوطا منه لصعوبته وتعذره ولعمري إن مثله صعب متعذر في كل زمان خصوصا في زمن نمرود مع عتوه واستكباره وقوة سلطانه وتهالكه على نصرة دينه ولكن إذا الله سنى عقد شيء تيسرا روي أن آزر خرج به في يوم عيد لهم فبدأوا ببيت الأصنام فدخلوه وسجدوا لها ووضعوا بينها طعاما خرجوا به معهم وقالوا إلى أن نرجع بركت الآلهة على طعامنا فذهبوا وبقي إبراهيم فنظر إلى الأصنام وكانت سبعين صنما مصطفة وثمة صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفي عينيه جوهرتان تضيئان بالليل فكسرها كلها بفأس في يده حتى لم يبق إلا الكبير علق الفأس في عنقه عن قتادة قال ذلك سرا من قومه وروي سمعه رجل واحد فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون جذاذا قطاعا من الجذ وهو القطع وقرئ بالكسر والفتح وقرئ جذذا جمع جذيذ وإنما استبقى الكبير لأنه غلب في ظنه أنهم لا يرجعون إلا إليه لما تسامعوه من إنكاره لدينهم وسبه لآلهتهم فيبكتهم بما أجاب به من قوله بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم وعن الكلبي إليه إلى كبيرهم ومعنى هذا لعلهم يرجعون إليه كما يرجع إلى العالم في كل المشكلات فيقولون له ما لهؤلاء مكسورة ومالك صحيحا والفأس في عاتقك قال هذا بناء على ظنه بهم لما جرب وذاق من مكابرتهم لعقولهم واعتقادهم في آلهتهم وتعظيمهم لها أو قاله مع علمه أنهم لا يرجعون إليه استهزاء واستجهالا وأن قياس حال من يسجد له ويؤهل للعبادة أن يرجع إليه في كل مشكل فإن قلت فإذا رجعوا إلى الصنم بمكابرتهم لعقولهم ورسوخ الإشراك في أعراقهم فأي فائدة دينية في رجوعهم إليه حتى جعله إبراهيم صلوات الله عليه وسلامه غرضا قلت إذا رجعوا إليه تبين أنه عاجز لا ينفع ولا يضر وظهر أنهم في عبادته على جهل عظيم قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين أي إن من فعل هذا الكسر والحطم لشديد الظلم معدود في الظلمة إما لجرأته على الآلهة الحقيقة عندهم بالتوقير والإعظام وإما لأنهم رأوا إفراطا في حطمها وتماديا في الاستهانة بها قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم فإن قلت ما حكم الفعلين بعد سمعنا فتى وأي فرق بينهما قلت هما صفتان لفتى إلا أن الأول وهو يذكرهم

لا بد منه لسمع لأنك لا تقول سمعت زيدا وتسكت حتى تذكر شيئا مما يسمع وأما الثاني فليس كذلك فإن قلت إبراهيم ما هو قلت قيل هو خبر مبتدأ محذوف أو منادى والصحيح أنه فاعل يقال لأن المراد الاسم لا المسمى قالوا فأتوا به على أعين الناس في محل الحال بمعنى معاينا مشاهدا أي بمرأى منهم ومنظر فإن قلت فما معنى الاستعلاء في على قلت هو وارد على طريق المثل أي يثبت إتيانه في الأعين ويتمكن فيها ثبات الراكب على المركوب وتمكنه منه لعلهم يشهدون عليه بما سمع منه أو بما فعله أو يحضرون عقوبتنا له روي أن الخبر بلغ نمرود وأشراف قومه فأمروا بإحضاره قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون هذا من معاريض الكلام ولطائف هذا النوع لا يتغلغل فيها إلا الأذهان الراضة من علماء المعاني والقول فيه أن قصد إبراهيم صلوات الله عليه وسلامه لم يكن إلى أن ينسب الفعل الصادر عنه إلى الصنم وإنما قصد تقريره لنفسه وإثباته لها على أسلوب تعريضي يبلغ منه غرضه من إلزامهم الحجة وتبكيتهم وهذا كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتابا بخط رشيق وأنت شهير بحسن الخط أأنت كتبت هذا وصاحبك أمي لا يحسن الخط ولا يقدر إلا على خرمشة فاسدة فقلت له بل كتبته أنت كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به لا نفيه عنك وإثباته للأمي أو المخرمش لأن إثباته والأمر دائر بينكما للعاجز منكما استهزاء به وإثبات للقادر ولقائل أن يقول غاظته تلك الأصنام حين أبصرها مصطفة مرتبة وكان غيظ كبيرها أشد لما رأى من زيادة تعظيمهم له فأسند الفعل إليه لأنه هو الذي تسبب لاستهانته بها وحطمه لها والفعل كما يسند إلى مباشره يسند إلى الحامل عليه ويجوز أن يكون حكاية لما يقود إليه مذهبهم كأنه قال لهم ما تنكرون أن يفعله كبيرهم فإن من حق من يعبد ويدعى إلها أن يقدر على هذا وأشد منه ويحكى أنه قال فعله كبيرهم هذا غضب أن تعبد معه هذه الصغار وهو أكبر منها وقرأ محمد بن السميفع فعله كبيرهم أي فلعل الفاعل كبيرهم فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون فلما ألقمهم الحجر وأخذ بمخانقهم رجعوا إلى أنفسهم فقالوا أنتم الظالمون على الحقيقة لا من ظلمتموه حين قلتم من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون نكسته قلبته فجعلت أسفله أعلاه وانتكس انقلب أي استقاموا حين رجعوا إلى أنفسهم وجاؤوا بالفكرة الصالحة ثم انتكسوا وانقلبوا عن تلك الحالة فأخذوا في المجادلة بالباطل والمكابرة وأن هؤلاء مع تقاصر حالها عن حال الحيوان الناطق آلهة معبودة مضارة منهم أو انتكسوا عن كونهم مجادلين لإبراهيم مجادلين عنه حين نفوا عنها القدرة على النطق أو قلبوا على رؤسهم حقيقة لفرط إطراقهم خجلا وانكسارا وانخزالا مما بهتهم به إبراهيم فما أحاروا جوابا إلا ما هو حجة عليهم وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا على لفظ ما لم يسم فاعله أي نكسوا أنفسهم على رؤسهم قراءة رضوان بن عبد المعبود قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون أف صوت إذا صوت به علم أن صاحبه متضجر أضجره ما رأى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق وزهوق الباطل فتأفف بهم واللام لبيان المتأفف به أي لكم ولآلهتكم هذا التأفف قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم أجمعوا رأيهم لما غلبوا بإهلاكه وهكذا المبطل إذا قرعت شبهته بالحجة وافتضح لم يكن أحد أبغض إليه من المحق ولم يبق له مفزع إلا مناصبته كما فعلت قريش برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين عجزوا عن المعارضة والذي أشار بإحراقه نمرود وعن ابن عمر رضي الله عنهما رجل من أعراب العجم يريد الأكراد وروي أنهم حين هموا بإحراقه حبسوه ثم بنوا بيتا كالحظيرة بكوثى وجمعوا شهرا أصناف الخشب الصلاب حتى إن كانت المرأة لتمرض فتقول إن عافاني الله لأجمعن حطبا لإبراهيم ثم أشعلوا نارا عظيمة كادت الطير تحترق في الجو من وهجها ثم وضعوه في المنجنيق مقيدا مغلولا فرموا به فيها فناداها جبريل يا نار كوني بردا وسلاما ويروى ما أحرقت منه إلا وثاقه وقال له جبريل حين رمي به هل لك حاجة فقال أما إليك فلا قال فسل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي وعن ابن عباس إنما نجى بقوله حسبي الله ونعم الوكيل وأطل عليه نمرود من الصرح فإذا هو في روضة ومعه جليس له من الملائكة فقال إني مقرب إلى إلهك فذبح أربعة آلاف بقرة وكف عن إبراهيم وكان إذ ذاك ابن ست عشرة سنة واختاروا المعاقبة بالنار لأنها أهول ما يعاقب به وأفظعه ولذلك جاء لا يعذب بالنار إلا خالقها ومن ثمة قالوا إن كنتم فاعلين أي إن كنتم ناصرين آلهتكم نصرا مؤزرا فاختاروا له أهول المعاقبات وهي الإحراق بالنار وإلا فرطتم في نصرتها ولهذا عظموا النار وتكلفوا في تشهير أمرها وتفخيم

شأنها ولم يأل وأجهد في ذلك قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم جعلت النار لمطاوعة فعل
الله وإرادته كمأمور أمر بشيء فامتثله والمعنى ذات برد وسلام فبولغ في ذلك كأن ذاتها برد وسلام
والمراد ابردي فيسلم منك إبراهيم أو ابردي بردا غير ضار وعن ابن عباس لو لم يقل ذلك لأهلكته
بردها فإن قلت كيف بردت النار وهي نار قلت نزع الله عنها طبعها الذي طبعها عليه من الحر
والإحراق وأبقاها على الإضاءة والإشراق والاشتعال كما كانت والله على كل شيء قدير ويجوز أن يدفع
بقدرته عن جسم إبراهيم أذى حرها ويذيقه فيها عكس ذلك كما يفعل بخزنة جهنم ويدل قوله على إبراهيم
وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين ۝ وأرادوا أن يكيدوه ويمكروا به فما كانوا إلا مغلوبين
مقهورين غالبوه بالجدال فغلبه الله ولقنه الحجة المبكتة وعدوا إلى القوة والجبروت فنصره وقواه ونجيناه
ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين ۝ نجيناهما من العراق إلى الشام وبركاته الواصلة إلى العالمين
أن أكثر الأنبياء عليهم الصلوة والسلام بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرايعهم وآثارهم الدينية وهي
البركات الحقيقية وقيل بارك الله فيه بكثرة الماء والشجر والثمر والخصب وطيب عيش الغني والفقير
وعن سفيان أنه خرج إلى الشام فقيل له إلى أين فقال إلى بلد يملأ فيه الجراب بدرهم وقيل ما من ماء عذب
إلا وينبع أصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس روي أنه نزل بفلسطين ولوطا بالمؤتفكة وبينهما
مسيرة يوم وليلة ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين ۝ النافلة ولد الولد وقيل
سأل إسحق فأعطيه فأعطي يعقوب نافلة أي زيادة وفضلا من غير سؤال وجعلناهم أئمة يهدون
بأمرنا ۝ يهدون الناس من صلح ليكون قدوة في دين الله فالهداية محتومة عليه مأمور بها من جهة الله ليس له أن يخل
بها ويتثاقل عنها وأول ذلك أن يهتدي بنفسه لأن الانتفاع بهداه أعم والنفوس إلى الاقتداء بالمهتدي أميل
وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلوة وإيتاء الزكوة وكانوا لنا عابدين ۝ فعل الخيرات
وأصله أن تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك إقام الصلوة وإيتاء الزكوة ولوطا
آتيناه حكما وعلما ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوم سوء
فاسقين ۝ حكما حكمة وهو ما يجب فعله أو فصلا بين الخصوم وقيل هو النبوة والقرية سدوم وأدخلناه
في رحمتنا أي في أهل رحمتنا أو في الجنة ومنه الحديث هذه رحمتي أرحم بها من أشاء إنه من عبادنا الصالحين ۝
ونوحا إذ نادى من قبل من قبل هؤلاء المذكورين فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم
ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين ۝ هو نصر
الذي مطاوعه انتصر وسمعت هذليا يدعو على سارق اللهم انصرهم منه أي اجعلهم منتصرين منه
والكرب الطوفان وما كان فيه من تكذيب قومه وداود وسليمن إذ يحكمان في الحرث
إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ۝ أي واذكرهما وإذ بدل منهما والنفش الانتشار
بالليل وجمع الضمير لأنه أرادهما والمتحاكمين إليهما وقرئ لحكمهما ففهمناها سليمن وكلا
آتينا حكما وعلما والضمير في ففهمناها للحكومة والفتوى وقرئ فأفهمناها حكم داود بالغنم
لصاحب الحرث فقال سليمن وهو ابن إحدى عشرة سنة غير هذا أرفق بالفريقين فعزم عليه ليحكمن فقال
أرى أن تدفع الغنم إلى أهل الحرث ينتفعون بألبانها وأولادها وأصوافها والحرث إلى أرباب الشاء يقومون
عليه حتى يعود كهيئته يوم أفسد ثم يترادان فقال القضاء ما قضيت وأمضى الحكم بذلك فإن قلت
أحكما بوحي أم باجتهاد قلت حكما جميعا بالوحي إلا أن حكومة داود نسخت بحكومة سليمن وقيل
اجتهدا جميعا فجاء اجتهاد سليمن أشبه بالصواب فإن قلت ما وجه كل واحدة من الحكومتين قلت
أما وجه حكومة داود فلأن الضرر لما وقع بالغنم سلمت بجنايتها إلى المجني عليه كما قال أبو حنيفة في العبد
إذا جنى على النفس فعلى المولى أن يدفعه أو يفديه وعند الشافعي يبيعه في ذلك أو يفديه ولعل قيمة الغنم
كانت على قدر النقصان في الحرث ووجه حكومة سليمن عليه الصلوة والسلام أنه جعل الانتفاع بالغنم بإزاء
ما فات من الانتفاع بالحرث من غير أن يزول ملك المالك وأوجب على صاحب الغنم أن يعمل في الحرث حتى يزول الضرر
والنقصان مثاله ما قال أصحاب الشافعي فيمن غصب عبدا فأبق من يده أنه يضمن القيمة فينتفع بها
المغصوب منه بإزاء ما فوته الغاصب من منافع العبد فإذا ظهر ترادا فإن قلت فلو وقعت هذه
الواقعة في شريعتنا ما حكمها قلت أبو حنيفة وأصحابه لا يرون فيه ضمانا بالليل أو بالنهار إلا أن
يكون مع البهيمة سائق أو قائد والشافعي يوجب الضمان بالليل وفي قوله ففهمناها سليمن دليل على أن الأصوب

كان مع سليمن

كان مع سليمن وفي قوله وكلا آتينا حكما وعلما دليل على أنهما جميعا كانا على الصواب وسخرنا مع داود الجبال
يسبحن والطير يسبحن حال بمعنى مسبحات أو استيناف كأن قائلا قال كيف سخرهن فقال يسبحن
والطير إما معطوف على الجبال وإما مفعول معه فإن قلت لم قدمت الجبال على الطير قلت لأن تسخيرها
وتسبيحها أعجب وأدل على القدرة وأدخل في الإعجاز لأنها جماد والطير حيوان ناطق روي أنه كان يمر بالجبال
مسبحا وهي تجاوبه وقيل كانت تسير معه حيث سار فإن قلت كيف تنطق الجبال وتسبح قلت بأن
يخلق الله تعالى فيها الكلام كما خلقه في الشجرة حين كلم موسى عليه الصلوة والسلام وجواب آخر وهو أن
يسبح من رآها تسير بتسيير الله تعالى فلما حملت على التسبيح وصفت به وكنا فاعلين ۝ أي قادرين
على أن نفعل هذا وإن كان عجبا عندكم وقيل وكنا نفعل مثل ذلك بالأنبياء وعلمناه صنعة
لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون ۝ اللبوس من اللباس قال
البس لكل حالة لبوسها ۝ والمراد الدرع قال قتادة كانت صفائح فأول من سردها وحلقها داود فجمعت
الخفة والتحصين لتحصنكم قرئ بالنون والتاء والياء وتخفيف الصاد وتشديدها فالنون لله
عز وجل والتاء للصنعة أو للبوس على تأويل الدرع والياء لداود أو للبوس ولسليمن الريح عاصفة
تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها قرئ الريح والرياح بالرفع والنصب فيهما
والرفع على الابتداء والنصب للعطف على الجبال فإن قلت وصفت هذه الرياح بالعصف تارة وبالرخاوة أخرى
فما التوفيق بينهما قلت كانت في نفسها رخية كالنسيم فإذا مرت بكرسيه أبعدت به في مدة يسيرة على
ما قال غدوها شهر ورواحها شهر فكان جمعها بين الأمرين أن تكون رخاء في نفسها وعاصفة في عملها
مع طاعتها لسليمن وهبوبها على حسب ما يريد ويحتكم آية إلى آية ومعجزة مع معجزة وقيل كانت في وقت
رخاء وفي وقت عاصفا لهبوبها على حكم إرادته وكنا بكل شيء عالمين ۝ وقد أحاط علمنا بكل شيء
فنجري الأشياء كلها على ما يقتضيه علمنا وحكمتنا ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا
دون ذلك وكنا لهم حافظين ۝ أي يغوصون في البحار ويستخرجون له الجواهر ويتجاوزون
ذلك إلى الأعمال والمهن وبناء المداين والقصور واختراع الصنايع العجيبة كما قال يعملون له ما يشاء من محاريب
وتماثيل والله حافظهم أن يزيغوا عن أمره أو يبدلوا أو يغيروا أو يوجد منهم فساد في الجملة فيما هم مسخرون فيه
وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين ۝ أي بأني مسني وقرئ إني بالكسر
على إضمار القول أو لتضمين النداء معناه والضر بالفتح الضرر في كل شيء وبالضم الضرر في النفس من مرض
أو هزال فرق بين البنائين لافتراق المعنيين ألطف في السؤال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة وذكر ربه
بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب ويحكى أن عجوزا تعرضت لسليمن بن عبد الملك فقالت يا أمير المؤمنين
مشت جرذان بيتي على العصي فقال لها ألطفت في السؤال لا جرم لأردنها تثب وثب الفهود وملأ
بيتها حبا فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم كان أيوب عليه السلام
روميا من ولد إسحق بن إبراهيم عليهما الصلوة والسلام وقد استنبأه الله وبسط عليه الدنيا وكثر
أهله وماله كان له سبعة بنين وسبع بنات وله أصناف البهائم وخمسماية فدان يتبعها خمسماية عبد
لكل عبد امرأة وولد ونخيل فابتلاه الله بذهاب ولده انهدم عليهم البيت فهلكوا وبذهاب ماله وبالمرض
في بدنه ثماني عشرة سنة وعن قتادة ثلاث عشرة وعن مقاتل سبعا وسبعة أشهر وسبع ساعات وقالت
له امرأته يوما لو دعوت الله فقال لها كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال أنا أستحيي من
الله أن أدعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فلما كشف الله عنه أحيى ولده ورزقه مثلهم ونوافل
منهم وروي أن امرأته ولدت ستة وعشرين ابنا رحمة من عندنا وذكرى للعابدين ۝ أي
لرحمتنا العابدين وإنا نذكرهم بالإحسان لا ننساهم أو رحمة منا لأيوب عليه الصلوة والسلام وتذكرة
لغيره من العابدين وليصبروا كما صبر حتى يثابوا كما أثيب في الدنيا والآخرة وإسمعيل وإدريس
وذا الكفل كل من الصابرين ۝ وأدخلناهم في رحمتنا إنهم من الصالحين ۝ قيل في ذي الكفل
هو إلياس وقيل زكريا وقيل يوشع بن نون وكأنه سمي بذلك لأنه ذو الحظ من الله والمجدود على الحقيقة
وقيل كان له ضعف عمل الأنبياء في زمانه وضعف ثوابهم وقيل خمسة من الأنبياء عليهم الصلوة والسلام

... واسمه اسرائيل ويعقوب الياس وذا الكفل عيسى والمسيح يونس وذو النون محمد
واحمد **وذا النون إذ ذهب مغاضبا** النون الحوت واضيف اليه برم بقومه لطول ما ذكرهم فلم
يذكروا واقاموا على كفرهم فراغمهم وظن ان ذلك يسوغ حيث لم يفعله الا غضبا لله وانفة لدينه وبغضا
للكفر واهله وكان عليه ان يصابر وينتظر الاذن من الله في المهاجرة عنهم فابتلي ببطن الحوت ومعنى
مغاضبته لقومه انه اغضبهم بمفارقته لخوفهم حلول العقاب عليهم عندها وقرأ ابو شرف مغضبا
فظن أن لن نقدر عليه وقرئ نقدر ونقدّر مخففا ومثقلا وفسرت بالتضييق عليه وبتقدير
الله عليه عقوبة وعن ابن عباس انه دخل على معاوية فقرأ هذه الآية او يظن نبي الله ان لا يقدر عليه
قال هذا من القدر لا من القدرة والمخفف يصح ان يفسر بالقدرة على معنى ان لن نعمل فيه قدرتنا
وان يكون من باب التمثيل بمعنى فكانت حاله ممثلة بحال من ظن ان لن نقدر عليه في مراغمته قومه من
غير انتظار لامر الله ويجوز ان يسبق ذلك الى وهمه بوسوسة الشيطان ثم يردعه ويرده بالبرهان
كما يفعل المؤمن المحقق بنزغات الشيطان وما يوسوس اليه في كل وقت ومنه قوله تعالى
وتظنون بالله الظنونا والخطاب للمؤمنين **فنادى في الظلمات** اي في الظلمة الشديدة المتكاثفة
في بطن الحوت كقوله تعالى ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات وقوله يخرجونهم من النور الى
الظلمات وقيل ظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته حوت اكبر منه فحصل في ظلمتي
بطني الحوتين وظلمة البحر **أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين** اي بانه لا اله الا انت
او بمعنى اي عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له وعن الحسن ما
نجاه والله الا اقراره على نفسه بالظلم **فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين**
ننجي وننجّي والنون لا تدغم في الجيم ومن تمحل لصحته فجعله فعل وقال نجي النجاء المؤمنين
فارسل الياء واسنده الى مصدره ونصب المؤمنين بالنجاء فمتعسف بارد التعسف **وزكريا إذ نادى**
ربه رب لا تذرني فردا سأل ربه ان يرزقه ولدا يرثه ولا يدعه وحيدا بلا وارث ثم رد امره الى الله
تعالى مستسلما فقال **وأنت خير الوارثين** اي ان لم ترزقني من يرثني فلا ابالي فانك خير وارث
فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه اصلاح زوجه ان جعلها صالحة للولادة بعد عقرها
وقيل تحسين خلقها وقيل كانت سيئة الخلق **إنهم كانوا يسارعون في الخيرات** الضمير للمذكورين
من الانبياء يريد انهم ما استحقوا الاجابة الى طلباتهم الا لمبادرتهم ابواب الخيرات ومسارعتهم في تحصيلها
كما يفعل الراغبون في الامور الجادون **ويدعوننا رغبا ورهبا** وقرئ رغبا ورهبا بالاسكان وهو كقوله
يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه **وكانوا لنا خاشعين** قال الحسن ذللا لامر الله وعن مجاهد
الخشوع الخوف الدائم في القلب وقيل متواضعين وسئل الاعمش فقال اما اني سألت ابراهيم فقال لا تدري
قلت افدني فقال بينه وبين الله اذا ارخى ستره واغلق بابه فلير الله منه خيرا لعلك ترى انه
يأكل خشنا ويلبس خشنا ويطأطئ رأسه **والتي أحصنت فرجها** احصانا كليا من الحلال والحرام
جميعا كما قالت ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا فان قلت نفخ الروح في الجسد عبارة عن احيائه قال
الله فاذا سويته ونفخت فيه من روحي اي احييته واذا ثبت ذلك كان قوله **فنفخنا فيها من روحنا**
ظاهر الاشكال لانه يدل على احياء مريم قلت معناه نفخنا الروح في عيسى فيها اي احييناه في جوفها
ونحو ذلك ان يقول الزمار نفخت في بيت فلان اي في المزمار في بيته ويجوز ان يراد وفعلنا النفخ في
مريم من جهة روحنا وهو جبريل صلوات الله وسلامه عليه لانه نفخ في جيب درعها فوصل النفخ الى جوفها
وجعلناها وابنها آية للعالمين فان قلت هلا قيل آيتين كما قال وجعلنا الليل والنهار آيتين
قلت لان حالهما بمجموعهما آية واحدة وهي ولادتها اياه من غير فحل **إن هذه أمتكم أمة واحدة**
الامة الملة وهذه اشارة الى ملة الاسلام اي ان ملة الاسلام هي ملتكم التي يجب ان تكونوا عليها لا تنحرفون
عنها يشار اليها ملة واحدة غير مختلفة **وأنا ربكم** الهكم اله واحد **فاعبدون** ونصب الحسن
امتكم على البدل من هذه ورفع امة خبرا وعنه رفعهما جميعا خبرين لهذه او نوى للثاني مبتدأ
والخطاب للناس كافة **وتقطعوا أمرهم بينهم كل إلينا راجعون** والاصل وتقطعتم الا ان
الكلام حرف الى الغيبة على طريقة الالتفات كأنه ينعى عليهم ما افسدوه الى آخرين ويقبح عندهم

فعلهم ويقول

قولهم ويقول لهم الا ترون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله والمعنى جعلوا امر دينهم فيما بينهم قطعا
فيما بينهم قطعا كما يتوزع الجماعة الشيء ويقتسمونه فيطير لهذا نصيب ولذلك نصيب تمثيلا لاختلافهم
فيه وصيرورتهم فرقا واحزابا شتى ثم توعدهم بان هؤلاء الفرق المختلفة اليه يرجعون فهو محاسبهم
ومجازيهم **فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه** الكفران مثل في حرمان الثواب
كما ان الشكر مثل في اعطائه اذا قيل لله تعالى شكور وقد نفي نفي الجنس ليكون ابلغ من ان يقول فلا نكفر
سعيه **وإنا له كاتبون** اي نحن كاتبو ذلك السعي ومثبتوه في صحيفة عمله وما نحن مثبتوه فهو
غير ضائع ومثاب عليه صاحبه **وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون** استعير الحرام
للممتنع وجوده ومنه قوله عز وعلا ان الله حرمهما على الكافرين اي منعهما منهم وابى ان يكونا لهم وقرئ
وحرم وحرم بالفتح والكسر وحرم وحرّم ومعنى اهلكناها عزمنا على اهلاكها او قدرنا اهلاكها
او وجدناها هالكة ومعنى الرجوع من الكفر الى الاسلام والانابة ومجاز الآية ان قوما عزم الله على اهلاكهم
غير متصور ان يرجعوا وينيبوا الى ان تقوم القيامة فحينئذ يرجعون ويقولون يا ويلنا قد كنا في
غفلة من هذا بل كنا ظالمين يعني انهم مطبوع على قلوبهم فلا يزالون على كفرهم ويموتون عليه حتى يروا
العذاب وقرئ انهم بالكسر وحق هذا ان يتم الكلام قبله فلا بد من تقدير محذوف كأنه قيل وحرام على
قرية اهلكناها ذاك وهو المذكور في الآية المتقدمة من العمل الصالح والسعي المشكور غير المكفور
ثم علل فقيل انهم لا يرجعون ولا صلة على الوجه الاول **حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب**
ينسلون واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا
في غفلة من هذا بل كنا ظالمين فان قلت بم تعلقت حتى واقعة غاية له وآية الثلاث هي قلت
هي متعلقة بحرام وهي غاية له لان امتناع رجوعهم لا يزول حتى تقوم القيامة وهي حتى التي يحكى بعدها الكلام
والكلام المحكي الجملة من الشرط والجزاء اعني اذا وما في حيزها حذف المضاف الى يأجوج ومأجوج وهو سدهما
كما حذف المضاف الى القرية وهو اهلها وقيل فتحت كما قيل اهلكناها وقرئ آجوج وهما قبيلتان من جنس
الانس يقال الناس عشرة اجزاء تسعة منها يأجوج ومأجوج وهم راجع الى الناس المسوقين الى المحشر وقيل هم
يأجوج ومأجوج يخرجون حين يفتح السد الحدب النشز من الارض وقرأ ابن عباس من كل جدث وهو
القبر الثاء حجازية والفاء تميمية وقرئ ينسلون بضم السين ونسل وعسل اسرع واذا هي المفاجأة وهي
تقع في المجازاة سادة مسد الفاء كقوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل
الجزاء بالشرط فيتأكد ولو قيل اذا هي شاخصة او فهي شاخصة كان سديدا هي ضمير مبهم يوضحه
الابصار ويفسره كما فسر الذين ظلموا واسروا يا ويلنا متعلق بمحذوف تقديره يقولون يا ويلنا ويقولون
في موضع الحال من الذين كفروا **إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون**
لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون
ما تعبدون من دون الله يحتمل الاصنام وابليس واعوانه لانهم بطاعتهم لهم واتباعهم خطواتهم في حكم
عبدتهم ويصدقه ما روي ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم
وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما فجلس اليهم فعرض له النضر بن الحارث فكلمه رسول الله صلى الله عليه
واله وسلم حتى افحمه ثم تلا عليهم انكم وما تعبدون من دون الله الآية فاقبل عبد الله بن الزبعرى
فرآهم يتهامسون فقال فيم خوضكم فاخبره الوليد بن المغيرة بقول رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فقال
عبد الله اما والله لو وجدته لخصمته فدعوه فقال ابن الزبعرى أأنت قلت ذلك قال نعم قال قد خصمتك ورب
الكعبة أليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال صلى
الله عليه واله وسلم بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى
الآية يعني عزيرا والمسيح والملائكة فان قلت لم قرنوا بآلهتهم قلت لانهم لا يزالون لمقارنتهم
في زيادة غم وحسرة حيث اصابهم ما اصابهم بسببهم والنظر الى وجه العدو باب من العذاب ولانهم
قدروا انهم يستشفعون بهم في الآخرة ويستنفعون بشفاعتهم فاذا صادفوا الامر على عكس ما قدروا
لم يكن شيء ابغض اليهم منهم فان قلت اذا عنيت بما تعبدون الاصنام فما معنى لهم فيها زفير قلت
اذا كانوا هم واصنامهم في قرن واحد جاز ان يقال لهم زفير وان لم يكن الزافرون الا هم دون الاصنام
للتغليب ولعدم اللبس والحصب المحصوب به اي يحصب بهم في النار والحصب الرمي وقرئ بسكون

وعن ابن مسعود رضي الله عنه يجعلون في توابيت من نار ... فلا يسمعون ويرون ان احدا يعذب غيرهم

الصاد وصفا بالمصدر وقرئ حطب وحضب بالصاد متحركا وساكنا إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ
عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۝ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ۝ الحسنى الخصلة
المفضلة في الحسن تانيث الاحسن اما السعادة واما البشرى بالثواب واما التوفيق للطاعة يروى ان عليا رضي الله عنه
قرا هذه الاية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمن وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف ثم اقيمت الصلوة فقام يجر
رداه وهو يقول لا يسمعون حسيسها والحسيس الصوت الذي يحس والشهوة طلب النفس اللذة لَا يَحْزُنُهُمُ
الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وقرئ لا يُحزِنهم من احزن والفزع الاكبر قيل النفخة الاخيرة لقوله يوم ينفخ في الصور
ففزع من في السموات ومن في الارض وعن الحسن الانصراف الى النار وعن الضحاك حين يطبق على النار وقيل
حين يذبح الموت على صورة كبش املح وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ اي تستقبلهم الملائكة مهنئين على ابواب
الجنة ويقولون هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ۝ هذا وقت ثوابكم الذي وعدكم ربكم
قد حل يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ العامل في يوم نطوي لا يحزنهم او الفزع او تتلقاهم
وقرئ تُطوى السماء على البناء للمفعول والسجل بوزن العتل والسجل بوزن الدلو وروي فيه الكسر
وهو الصحيفة اي كما يطوى الطومار للكتابة اي ليكتب فيه او لما يكتب فيه لان الكتاب اصله المصدر كالبناء ثم يوقع
على المكتوب ومن جمع فمعناه للمكتوبات اي لما يكتب فيه من المعاني الكثيرة وقيل السجل ملك
يطوي كتب بني آدم اذا رفعت اليه وقيل كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والكتاب على هذا
اسم للصحيفة المكتوب فيها كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ اول خلق مفعول نعيد الذي يفسره نعيده
والكاف مكفوفة بما والمعنى نعيد اول الخلق كما بدأناه تشبيها للاعادة بالابتداء في تناول القدرة لهما
على السواء فان قلت وما اول الخلق حتى يعيده كما بداه قلت اوله ايجاده عن العدم فكما اوجده
اولا عن عدم يعيده ثانيا عن عدم فان قلت ما بال خلق منكرا قلت هو كقولك هو اول رجل جاءني
تريد اول الرجال ولكنك وحدته ونكرته ارادة تفصيلهم رجلا رجلا فكذلك معنى اول خلق
اول الخلائق لان الخلق مصدر لا يجمع ووجه آخر وهو ان ينتصب الكاف بفعل مضمر يفسره نعيده
وما موصولة اي نعيد مثل الذي بداناه نعيده واول خلق ظرف لبدأنا اي اول ما خلق او حال من
ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت في المعنى وَعْدًا عَلَيْنَا مصدر مؤكد لان قوله نعيده عدة
للاعادة إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ۝ اي قادرين على ان نفعل ذلك وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ عن الشعبي رحمه
الله زبور داود والذكر التوراة وقيل اسم لجنس ما انزل على الانبياء عليهم الصلوة والسلام من الكتب
والذكر ام الكتاب يعني اللوح أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ۝ اي يرثها المؤمنون
بعد اجلاء الكفار كقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها
قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين
وعن ابن عباس هي ارض الجنة وقيل الارض المقدسة ترثها امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم إِنَّ فِي هَٰذَا
لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ۝ الاشارة الى المذكور في هذه السورة من الاخبار والوعد والوعيد والمواعظ
البالغة والبلاغ الكفاية وما تبلغ به البغية وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ۝ ارسل صلى
الله عليه وآله وسلم رحمة للعالمين لانه جاء بما يسعدهم ان اتبعوه ومن خالف ولم يتبع فانما اتي من عند
نفسه حيث ضيع نصيبه منها ومثاله ان يفجر الله عينا غديقة فيسقي ناس زروعهم ومواشيهم
بمائها فيفلحوا ويبقى ناس مفرطون عن السقي فيضيعوا فالعين المفجرة نعمة من الله تعالى ورحمة
للفريقين ولكن الكسلان محنة على نفسه حيث حرمها ما ينفعها وقيل كونه رحمة للفجار
من حيث ان عقوبتهم اخرت بسببه وامنوا به عذاب الاستيصال قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ
إِلَٰهٌ وَاحِدٌ انما لقصر الحكم على شيء او لقصر الشيء على حكم كقولك انما زيد قائم وانما يقوم زيد
وانما الهكم اله واحد بمنزلة انما زيد قائم وفائدة اجتماعهما الدلالة على ان الوحي الى رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم مقصور على استيثار الله تعالى بالوحدانية وفي قوله فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ۝ ان الوحي الوارد على
هذا السنن موجب ان تخلصوا التوحيد لله وان تخلعوا الانداد وفيه ان صفة الوحدانية يصح ان
تكون طريقها السمع ويجوز ان تكون المعنى ان الذي يوحى الي فتكون ما موصولة فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ
عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ ۝ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا
تَكْتُمُونَ ۝ آذن منقول من اذن اذا علم ولكنه كثر استعماله في الجري مجرى الانذار ومنه قوله

فاذنوا بحرب من الله ورسوله ۝ وقول ابن حلزة ۝ آذنتنا ببينها اسماء ۝ رب ثاو يمل منه الثواء ۝
والمعنى اني بعد توليكم واعراضكم عن قبول ما عرض عليكم من وجوب توحيد الله وتنزيهه عن الانداد
والشركاء كرجل بينه وبين اعدائه هدنة فاحس منهم بغدرة فنبذ اليهم العهد وشهر النبذ واشاعه
وآذنهم جميعا بذلك على سواء اي مستوين في الاعلام به لم يطوه عن احد منهم وكاشف كلهم وقشر العصا
عن لحائها وما توعدون من غلبة المسلمين عليكم كائن لا محالة ولا بد من ان يلحقكم بذلك الذلة والصغار
وان كنت لا ادري متى يكون ذلك لان الله لم يعلمني علمه ولم يطلعني عليه والله عالم لا يخفى عليه ما تجاهرون
به المسلمين من كلام الطعانين في الاسلام وما تكتمونه في صدوركم من الاحن والاحقاد وهو مجازيكم
وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وما ادري لعل تاخير هذا الموعد امتحان لكم لينظر كيف تعملون
وَمَتَاعٌ او تمتيع لكم إِلَىٰ حِينٍ ۝ ليكون ذلك حجة عليكم وليقع الموعد في وقت هو فيه حكمة قُلْ رَبِّ احْكُمْ
بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ۝ وقرئ قل وقال على حكاية قول رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم ورب احكم على الاكتفاء بالكسرة وربُّ احكم على الضم وربي احكم على افعل التفضيل وربي
احكم من الاحكام امر باستعجال العذاب لقومه فعذبوا ببدر ومعنى بالحق لا تحابهم وشدد عليهم
كما هو حقهم كما قال اشدد وطأتك على مضر وقرئ يصفون بالتاء والياء كانوا يصفون الحال على خلاف ما جرت
عليه وكانوا يطمعون ان تكون لهم الشوكة والغلبة فكذب الله ظنونهم وخيب آمالهم ونصر رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين وخذلهم وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ اقترب للناس
حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن

سورة الحج مكية غير ست آيات لها منها وهي هذان خصمان الى الصراط العزيز الحميد وهي ثمان وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝ الزلزلة شدة التحريك والازعاج وان
يضاعف زليل الاشياء عن مقارها ومراكزها ولا تخلو الساعة من ان تكون على تقدير الفاعلة لها
كانها هي التي تزلزل الاشياء على المجاز الحكمي فتكون الزلزلة مصدرا مضافا الى فاعله او على تقدير
المفعول فيها على طريقة الاتساع في الظروف واجرائه مجرى المفعول به كقوله بل مكر الليل والنهار
وهي الزلزلة المذكورة في قوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها واختلف في وقتها فعن الحسن انها تكون يوم
القيمة وعن علقمة والشعبي عند طلوع الشمس من مغربها امر بني آدم بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم بذكر
الساعة ووصفها باهول صفة لينظروا الى تلك الصفة ببصائرهم ويتصوروها بعقولهم حتى يبقوا على
انفسهم ويرحموها من شدائد ذلك اليوم بامتثال ما امرهم به ربهم من التردي بلباس التقوى الذي لا
يؤمنهم من تلك الافزاع الا ان يتردوا به وروي ان هاتين الآيتين نزلتا ليلا في غزوة بني المصطلق فقراهما
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم ير اكثر باكيا من تلك الليلة فلما اصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب
ولم يضربوا الخيام وقت النزول ولم يطبخوا قدرا وكانوا من بين حزين وباك ومفكر يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ
كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا يوم ترونها منصوب بتذهل والضمير للزلزلة
وقرئ تُذهِل كل مرضعة على البناء للمفعول وتُذهِل كل مرضعة اي تذهلها الزلزلة والذهول
الذهاب عن الامر مع دهشة فان قلت لم قيل مرضعة دون مرضع قلت المرضعة التي هي في حال
الارضاع ملقمة ثديها الصبي والمرضع التي شانها ان ترضع وان لم تباشر الارضاع في حال وصفها فقيل مرضعة
ليدل على ان ذلك الهول اذا فوجئت به هذه وقد القمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة
عما ارضعت عن ارضاعها او عن الذي ارضعته وهو الطفل وعن الحسن تذهل المرضعة عن ولدها
لغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ
عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ۝ وقرئ وتُرى بالضم من اريتك قائما والناس منصوب ومرفوع والنصب
ظاهر ومن رفع جعل الناس اسم تُرى وانثه على تاويل الجماعة وقرئ سَكْرى وبسَكْرى وهو نظير
جوعى وعطشى في جوعان وعطشان وسكارى وسكارى نحو كسالى وعجالى وعن الاعمش سُكرى

وسُكرى بالضم وهو غريب في المعنى وتراهم سكارى على التشبيه وما هم بسكارى على التحقيق ولكن ما رهقهم
من خوف عذاب الله هو الذي اذهب عقولهم وطير تمييزهم وردهم في نحو حال من يذهب السكر بعقله وتمييزه
وقيل وتراهم سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب فان قلت لم قيل اولا ترون ثم قيل ترى على
الافراد قلت لان الرؤية علقت بالزلزلة فجعل الناس جميعا رائين لها وهي معلقة اخيرا بكون الناس
على حال السكر فلا بد ان يجعل كل واحد منهم رائيا لسائرهم **ومن الناس من يجادل في الله بغير علم
ويتبع كل شيطان مريد ۝ كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير ۝**
قيل نزلت في النضر بن الحارث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن اساطير الاولين والله غير قادر على
احياء من بلي وصار ترابا وهي عامة في كل من تعاطى الجدال فيما يجوز على الله وما لا يجوز من الصفات والافعال
ولا يرجع الى علم ولا يعض فيه بضرس قاطع وليس فيه اتباع للبرهان ولا نزول على النصفة فهو يخبط خبط
عشواء غير فارق بين الحق والباطل ويتبع في ذلك خطوات كل شيطان عات علم من حاله وظهر وتبين
انه من جعله وليا له لم تثمر له ولايته الا الاضلال عن طريق الجنة والهداية الى النار وما ارى رؤساء اهل
الاهواء والبدع والحشوية المتلقبين بالامامة في دين الله الا داخلين تحت كل هذا دخولا اوليا بل هم اشد
الشياطين اضلالا واقطعهم لطريق الحق حيث دونوا الضلال تدوينا ولقنوه اشياعهم تلقينا وكانهم
ساطوه بلحومهم ودمائهم واياهم عنى من قال ۝

۝ وبانت مفقوه الخطابين قومه ۝ طريق نجاة عندهم مستوي نهج ۝
۝ ولو قرأوا في اللوح ما خط فيه من ۝ بيان اعوجاج في طريقتهم مجوا ۝

اللهم ثبتنا على المعتقد الصحيح الذي رضيته لملائكتك في سمواتك وانبيائك في ارضك وادخلنا
برحمتك في عبادك الصالحين والكتبة عليه مثل اي كانما كتب اضلال من يتولاه عليه ورقم به
لظهور ذلك في حاله وقرئ انه فانه بالفتح والكسر فمن فتح فلان الاول فاعل كتب والثاني عطف
عليه ومن كسر فعلى حكاية المكتوب كما هو كانما كتب عليه هذا الكلام كما تقول كتبت ان الله هو
الغني الحميد او على تقدير قيل او على ان كتب فيه معنى القول **يا ايها الناس ان كنتم في ريب من
البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة
لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشاء الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ومنكم
من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل العمر** قراءة الحسن من البعث بالتحريك ونظيره الجلب والطرد
في الجلب والطرد كانه قيل ان ارتبتم في البعث فمزيل ريبكم ان تنظروا في بدء خلقكم
والعلقة قطعة الدم الجامدة والمضغة اللحمة الصغيرة قدر ما يمضغ والمخلقة المسواة الملساء من
النقصان والعيب يقال خلق السواك والعود اذا سواه وملسه من قولهم صخرة خلقاء اذا كانت ملساء
كان الخلق المضغ متفاوتة منها ما هو كامل الخلقة املس من العيوب ومنها ما هو على عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت
تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم ونقصانهم وانما نقلناكم من حال الى حال
ومن خلقة الى خلقة لنبين لكم بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وان من قدر على خلق البشر من تراب اولا
ثم من نطفة ثانيا ولا تناسب بين التراب والماء وقدر على ان يجعل النطفة علقة وبينهما تباين ظاهر ثم
يجعل العلقة مضغة والمضغة عظاما قادر على اعادة ما ابداه بل هذا ادخل في القدرة من تلك واهون
في القياس وورود الفعل غير معدى الى المبين اعلام بان افعاله هذه يتبين بها من قدرته وعلمه ما
لا يكتنهه الذكر ولا يحيط به الوصف وقرأ ابن ابي عبلة ليبين لكم ويقر بالياء وقرئ ونقر ونخرجكم
بالنون والنصب ويقر ويخرجكم بالنصب والرفع وعن يعقوب نقر بالنون وضم القاف من قر الماء
اذا صبه فالقراءة بالرفع اخبار بانه يقر في الارحام ما يشاء ان يقره من ذلك الى اجل مسمى وهو وقت
الوضع آخر ستة اشهر او تسعة او سنتين او اربع او كما شاء وقدر وما لم يشأ اقراره مجته الارحام
او اسقطته والقراءة بالنصب تعليل معطوف على تعليل ومعناه خلقناكم مدرجين هذا التدريج
لغرضين احدهما ان نبين قدرتنا والثاني ان نقر في الارحام من نقر حتى يولدوا وينشأوا ويبلغوا
حد التكليف فاكلفهم ويعضده هذه القراءة قوله ثم لتبلغوا اشدكم ووحد لان الغرض الدلالة
على الجنس ويحتمل نخرج كل واحد منكم طفلا الاشد كمال القوة والعقل والتمييز وهو من الفاظ الجموع
التي لم يستعمل لها واحد كالاسدة والقتود وغير ذلك وكانها شدة في غير شيء واحد فبنيت لذلك على لفظ

الجمع وقرئ

الجمع وقرئ **ومنكم من يتوفى** اي يتوفاه الله **ارذل العمر** الهرم والخرف حتى يعود كهيئته الاولى ضعيف
البنية سخيف العقل قليل الفهم بين انه كما قدر على ان يرقيه في درجات الزيادة حتى يبلغه حد التمام
فهو قادر على ان يحطه حتى ينتهي به الى الحالة السفلى **لكيلا يعلم بعد علم شيئا** اي ليصير نسّاء
بحيث اذا كسب علما في شيء لم ينشب ان ينساه ويزل عنه علمه حتى يسأل عنه من ساعته يقول لك من هذا
فتقول فلان فما يلبث لحظة الا سألك عنه وقرأ ابو عمرو العمْر بسكون الميم **وترى الارض هامدة**
الهامدة الميتة اليابسة وهذه دلالة ثانية على البعث ولظهورها وكونها مشاهدة معاينة كررها الله
في كتابه **فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت** تحركت بالنبات وانتفخت وقرئ وربأت اي ارتفعت
وانبتت من كل زوج بهيج ۝ البهيج الحسن السار للناظر اليه **ذلك بان الله هو الحق وانه يحيي الموتى
وانه على كل شيء قدير ۝ وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور ۝** اي ذلك
الذي ذكرنا من خلق بني آدم واحياء الارض مع ما في تضاعيف ذلك من اصناف الحكم واللطائف حاصل بهذا
وهو السبب في حصوله ولولاه لم يتصور كونه وهو ان الله هو الحق اي الثابت الوجود وانه قادر
على احياء الموتى وعلى كل مقدور وانه حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة والبعث فلا بد ان يفي
بما وعد **ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ۝** عن ابن عباس انه ابو
جهل بن هشام وقيل كررت كما كررت سائر الاقاصيص وقيل الاول في المقلدين والمراد بالعلم العلم
الضروري وبالهدى الاستدلال والنظر لانه يهدي الى المعرفة وبالكتاب المنير الوحي اي يجادل بظن
وتخمين لا باحد هذه الثلاثة **ثاني عطفه** وثني العطف عبارة عن الكبر والخيلاء كتصعير الخد
ولي الجيد وقيل عن الاعراض عن الذكر وعن الحسن ثاني عطفه بفتح العين اي مانع تعطفه **ليضل عن
سبيل الله** تعليل للمجادلة وقرئ بضم الياء وفتحها فان قلت ما كان غرضه في جداله الضلال عن
سبيل الله فكيف علل به وما كان ايضا مهتديا حتى اذا جادل خرج بالجدال من الهدى الى الضلال
قلت لما ادى جداله الى الضلال جعل كانه غرضه ولما كان الهدى معرضا له فتركه واعرض عنه
واقبل على الجدال بالباطل جعل كالخارج من الهدى الى الضلال **له في الدنيا خزي ونذيقه يوم
القيامة عذاب الحريق ۝** وخزيه ما اصابه يوم بدر من الصغار والقتل **ذلك بما قدمت يداك
وان الله ليس بظلام للعبيد ۝** والسبب فيما مني به من خزي الدنيا وعذاب الآخرة هو ما قدمت يداه
وعدل الله في معاقبته الفجار واثابته الصالحين **ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه
خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه** على حرف على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه
وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكون وطمأنينة كالذي يكون على طرف من العسكر
فان احس بظفر وغنيمة قر واطمأن والا فر وطار على وجهه قالوا نزلت في اعاريب قدموا المدينة
وكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امرأته غلاما سويا وكثر ماله
وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمأن وان كان الامر بخلافه قال ما
اصبت الا شرا وانقلب وعن ابي سعيد الخدري ان رجلا من اليهود اسلم فاصابته مصائب فتشاءم بالا
سلام فاتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال اقلني فقال ان الاسلام لا يقال فنزلت **خسر الدنيا والآ
خرة ذلك هو الخسران المبين ۝** المصاب بالمحنة بترك التسليم لقضاء الله تعالى والخروج الى ما
يسخط الله جامع على نفسه محنتين احداهما ذهاب ما اصيب به والثانية ذهاب ثواب الصابرين
فهو خسران الدارين وقرئ خاسر الدنيا والآخرة بالنصب والرفع فالنصب على الحال والرفع على الفاعل
ووضع الظاهر موضع المضمر وهو وجه حسن او على انه خبر مبتدأ محذوف **يدعو من دون الله
ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد ۝ يدعو لمن ضره اقرب من نفعه
لبئس المولى ولبئس العشير ۝ ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري
من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد ۝** استعير الضلال البعيد من ضلال من ابعد في التيه
ضالا فطالت وبعدت مسافة ضلاله فان قلت الضر والنفع منفيان عن الاصنام مثبتان
لها في الآيتين وهذا تناقض قلت اذا حصل المعنى ذهب هذا الوهم وذلك ان الله تعالى سفه
الكافر بانه يعبد جمادا لا يملك ضرا ولا نفعا وهو يعتقد فيه بجهله وضلاله انه سينتفع به ثم
قال يوم القيامة يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالاصنام ودخوله النار بعبادتها

في اوان طفوليته

وهذا في المقلدين

ولا يرى اثر الشفاعة التي ادعاها لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير او كرر يدعو
كانه قال يدعو يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ثم قال لمن ضره بكونه معبودا
اقرب من نفعه بكونه شفيعا لبئس المولى وفي حرف عبد الله من ضره بغير لام المولى الناصر والعشير
الصاحب كقوله لبئس القرين من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد
بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ ۝ هذا كلام قد دخله اختصار
والمعنى ان الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة فمن كان من حاسديه واعاديه يظن ان الله يفعل خلاف ذلك
ويطمع فيه ويغيظه انه يظفر بمطلوبه فليستقص وسعه وليستفرغ مجهوده في ازالة ما يغيظه بان
يفعل ما يفعل من بلغ منه الغيظ كل مبلغ حتى مد حبلا الى سماء بيته فاختنق فلينظر ويتصور في
نفسه انه ان فعل هل يذهب نصر الله الذي يغيظه وسمى الاختناق قطعا لان المختنق يقطع
نفسه بحبس مجاريه ومنه قيل للبهر القطع وسمى فعله كيدا لانه وضعه موضع الكيد حيث لم يقدر
على غيره او على سبيل الاستهزاء لانه لم يكد به محسوده وانما كاد به نفسه والمراد ليس في يده الا ما ليس
بمذهب لما يغيظ وقيل فليمدد بحبل الى السماء المظلة وليصعد عليه فليقطع الوحي ان ينزل عليه وقيل
كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم وحنقهم على المشركين يستبطئون ما وعد الله ورسوله من النصر
وآخرون من المشركين يريدون اتباعه ويخشون ان لا يثبت امره فنزلت وقد فسر النصر بالرزق
وقيل معناه ان الارزاق بيد الله لا تنال الا بمشيئته ولا بد للعبد من الرضا بقسمته فمن ظن ان الله غير
رازقه وليس به صبر واستسلام فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا يقلب القسمة ولا يرده
مرزوقا وكذلك انزلناه آيات بينات وان الله يهدي من يريد ۝ اي ومثل ذلك الانزال
انزلنا القرآن كله آيات بينات ولان الله يهدي به الذين يعلم انهم يؤمنون او يثبت الذين آمنوا ويزيد
هداهم انزله كذلك مبينا ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين
اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شيء شهيد ۝ الفصل مطلق يحتمل الفصل
بينهم في الاحوال والاماكن جميعا فلا يجازيهم جزاء واحدا بغير تفاوت ولا يجمعهم في موطن واحد وقيل
الاديان خمسة اربعة للشيطان وواحد للرحمن جعل الصابئون مع النصارى لانهم نوع منهم وقيل
يفصل اي بين المؤمن والكافرين وادخلت ان على كل واحد من جزئي الجملة لزيادة التاكيد ونحوه قول
جرير ۝ ان الخليفة ان الله سربله ۝ سربال ملك به ترجى الخواتيم ۝
الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم
والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ۝ سميت
مطاوعتها له فيما يحدث فيها من افعاله ويجريها عليه من تدبيره وتسخيره لها سجودا له تشبيها لمطاوعتها
بادخال افعال المكلف في باب الطاعة والانقياد وهو السجود الذي كل خضوع دونه فان قلت فما تصنع
بقوله وكثير من الناس وبما فيه من الاعتراضين احدهما ان السجود على المعنى الذي فسرته به لا
يسجده بعض الناس من دون بعض والثاني ان السجود قد اسند على سبيل العموم الى من في الارض من الانس
والجن اولا فاسناده الى كثير منهم آخرا مناقضة قلت لا انظم كثير في المفردات المتناسقة الداخلة
تحت حكم الفعل وانما ارفعه بفعل مضمر يدل عليه قوله يسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة ولم
اقل افسر يسجد الذي هو ظاهر بمعنى الطاعة والعبادة في حق هؤلاء لان اللفظ الواحد لا يصح استعماله
في حالة واحدة على معنيين مختلفين او ارفعه على الابتداء والخبر محذوف وهو مثاب لان خبر مقابله
يدل عليه وهو قوله حق عليه العذاب ويجوز ان يجعل من الناس خبرا له اي من الناس الذين هم الناس على
الحقيقة وهم الصالحون والمتقون ويجوز ان يبالغ في تكثير المحقوقين بالعذاب فيعطف كثير على كثير
ثم يخبر عنهم بحق عليهم العذاب كانه قيل وكثير وكثير من الناس حق عليهم العذاب وقرئ حق بالضم
وقرئ حقا اي حق عليه العذاب حقا ومن يهن الله فما له من مكرم ومن اهانه الله بان كتب عليه
الشقاوة لما سبق في علمه من كفره وفسقه فقد بقي مهانا لن يجد له مكرما وقرئ مكرم بفتح الراء
بمعنى الاكرام ان الله يفعل ما يشاء انه يفعل ما يشاء من الاكرام والاهانة ولا يفعل ولا يشاء من ذلك
الا ما تقتضيه عمل العاملين واعتقاد المعتقدين هذان خصمان اختصموا الخصم صفة وصف
بها الفوج او الفريق فكانه قيل هذان فوجان او فريقان مختصمان وقوله هذان للفظ واختصموا للمعنى كقوله

البهر قطع تتابع النفس

اي يسجد له

ومنهم

ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا وقيل هؤلاء خصمان واختصما لان المراد المؤمنون والكافرون
قال ابن عباس رجع الى اهل الاديان الستة في ربهم اي في دينه وصفاته وروي ان اهل الكتاب قالوا
للمؤمنين نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن احق بالله آمنا بمحمد
وآمنا بنبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم تركتموه وكفرتم به حسدا
فهذه خصومتهم في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار هو فصل الخصومة المعني
بقوله ان الله يفصل بينهم يوم القيامة وفي رواية عن الكسائي خصمان بالكسر وقرئ قطعت كان
الله يقدر لهم نيرانا على مقادير جثثهم تشتمل عليهم كما تقطع الثياب الملبوسة ويجوز ان تظاهر
على كل واحد منهم تلك النيران كالثياب المتظاهرة على اللابس بعضها فوق بعض ونحوه سرابيلهم من قطران
يصب من فوق رؤوسهم الحميم ۝ الماء الحار عن ابن عباس لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لاذابتها
يصهر به ما في بطونهم والجلود وعن الحسن بتشديد الهاء للمبالغة اي اذا صب الحميم على رؤوسهم
كان تاثيره في الباطن نحو تاثيره في الظاهر فيذيب امعاءهم واحشاءهم كما يذيب جلودهم وهو ابلغ من قوله وسقوا ماء
حميما فقطع امعاءهم ولهم مقامع من حديد ۝ المقامع السياط في الحديث لو وضعت مقمعة منها في
الارض فاجتمع عليها الثقلان ما اقلوها كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها وذوقوا
عذاب الحريق ۝ وقرا الاعمش ردوا فيها والاعادة والرد لا تكون الا بعد الخروج فالمعنى كلما ارادوا ان
يخرجوا منها من غم فخرجوا اعيدوا فيها ومعنى الخروج ما يروى عن الحسن ان النار تضربهم بلهبها فترفعهم
حتى اذا كانوا في اعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا وقيل ذوقوا عذاب الحريق والحريق
الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات
تجري من تحتها الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير ۝ يحلون عن
ابن عباس من حليت المرأة فهي حال ولؤلؤا بالنصب على ويؤتون لؤلؤا كقوله وحورا عينا ولؤلوا
بقلب الهمزة الثانية واوا ولؤليا بقلبهما واوين ثم قلبت الثانية ياء كادل ولول كادل فمن جر ولؤلؤ
وليليا بقلبهما ياءين عن ابن عباس وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد ۝
وهداهم الله والهمهم ان يقولوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وهداهم الى طريق الجنة ان الذين كفروا
ويصدون عن سبيل الله يقال فلان يحسن الى الفقراء وينعش المضطهدين لا يراد حال ولا استقبال وانما
يراد استمرار وجود الاحسان منه والنعشة في جميع ازمنته واوقاته ومنه قوله تعالى ويصدون
عن سبيله اي الصد منهم مستمر دائم والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء
العاكف فيه والباد اي للذين يقع عليهم اسم الناس من غير فرق بين حاضر وباد وتانئ وطاري
ومكي وآفاقي وقد استشهد به اصحاب ابي حنيفة قائلين ان المراد بالمسجد الحرام مكة على امتناع جواز
بيع دور مكة واجارتها وعند الشافعي لا يمنع ذلك وقد حاور اسحق بن راهويه فاحتج بقوله الذين
اخرجوا من ديارهم وقال انسب الديار الى مالكيها او غير مالكيها واشترى عمر بن الخطاب دار السجن
من مالكيه او غير مالكيه سواء بالنصب قراءة حفص والباقون على الرفع ووجه النصب انه ثاني
مفعولي جعلناه اي جعلناه مستويا العاكف فيه والباد وفي القراءة بالرفع الجملة مفعول ثان
ومن يرد فيه بالحاد بظلم الالحاد العدول عن القصد واصله الحاد الحافر وقوله بالحاد بظلم حالان
مترادفان ومفعول يرد متروك ليتناول كل متناول كانه قال ومن يرد فيه مرادا ما عادلا عن
القصد ظالما نذقه من عذاب اليم ۝ يعني ان الواجب على من كان فيه ان يضبط نفسه ويسلك
طريق السداد والعدل في جميع ما يهم به ويقصده وقيل الالحاد في الحرم منع الناس عن عمارته وعن
سعيد بن جبير الاحتكار وعن عطاء قول الرجل في المبايعة لا والله وبلى والله وعن عبد الله بن عمر انه كان له
فسطاطان احدهما في الحل والآخر في الحرم فاذا اراد ان يعاتب اهله عاتبهم في الحل فقيل له فقال كنا نحدث
ان من الالحاد فيه ان يقول الرجل لا والله وبلى والله وقرئ يرد من الورود بفتح الياء ومعناه من اتى فيه
بالحاد ظالما وعن الحسن ومن يرد الحاده بظلم اراد الحادا فيه فاضافه على الاتساع في الظرف كمكر الليل
معناه ومن يرد ان يلحد فيه ظالما وخبر ان محذوف لدلالة جواب الشرط عليه تقديره ان الذين كفروا
ويصدون عن المسجد الحرام نذيقهم من عذاب اليم وكل من ارتكب فيه ذنبا فهو كذلك واذ بوأنا
لابراهيم مكان البيت ان لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجو
د ۝

واذكر حين جعلنا لابراهيم مكان البيت مباءة اي مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة رفع البيت الى
السما ايام الطوفان وكان من ياقوتة حمرا فاعلم الله تعالى ابراهيم عليه الصلوة والسلام مكانه بريح ارسلها
يقال لها الخجوج كنست ما حولها فبناه على اسه القديم وان هي المفسرة فان قلت كيف يكون
النهي عن الشرك والامر بتطهير البيت تفسيرا للتبوئة قلت كانت التبوئة مقصودة من اجل العبادة
فكانه قيل تعبدنا ابرهيم قلنا له لا تشرك بي شيا وطهر بيتي من الاصنام والاوثان والاقذار ان
تطرح حوله وقرئ يشرك بالياء على الغيبة **واذن في الناس بالحج** ناد فيهم وقرأ ابن محيصن وآذن والندا
بالحج ان يقول حجوا وعليكم بالحج روي انه صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم وعن الحسن انه
خطاب لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم امر ان يفعل ذلك في حجة الوداع **ياتوك رجالا** مشاة جمع
راجل كقائم وقيام وقرئ رجالا بضم الراء وتخفيف الجيم وتثقيله ورجالى كعجالى عن ابن عباس
وعلى كل ضامر حال معطوفة على حال كانه قيل رجالا وركبانا **ياتين** صفة لكل ضامر لانه
في معنى الجمع وقرئ ياتون صفة للرجال والركبان **من كل فج عميق** والعميق البعيد وقرأ
ابن مسعود معيق يقال بئر بعيدة العمق والمعق **ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله**
في ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام نكر المنافع لانه اراد منافع مختصة بهذه
العبادة دينية ودنيوية لا توجد في غيرها من العبادات وعن ابي حنيفة رحمه الله انه كان يفاضل
بين العبادات قبل ان يحج فلما حج فضل الحج على العبادات كلها لما شاهد من تلك الخصائص وكنى عن
النحر والذبح بذكر اسم الله لان اهل الاسلام لا ينفكون عن ذكر اسمه اذا نحروا او ذبحوا وفيه
تنبيه على ان الغرض الاصلي فيما يتقرب به الى الله ان يذكر اسمه وقد حسن الكلام تحسينا بينا ان جمع
بين قوله ليذكروا اسم الله وقوله على ما رزقهم ولو قيل لينحروا في ايام معلومات بهيمة الانعام
لم تر شيا من ذلك الحسن والروعة الايام المعلومات ايام العشر عند ابي حنيفة وقول الحسن
وقتادة وعند صاحبيه هي ايام النحر البهيمة مبهمة في كل ذات اربع في البر والبحر فبينت بالانعام
وهي الابل والبقر والضان والمعز **فكلوا منها واطعموا البائس الفقير** الامر بالاكل منها
امر اباحة لان اهل الجاهلية كانوا لا ياكلون من نسائكهم ويجوز ان يكون ندبا لما فيه من مساواة
الفقراء ومواساتهم ومن استعمال التواضع ومن ثمة استحب الفقهاء ان ياكل الموسع من اضحيته مقدار
الثلث وعن ابن مسعود انه بعث بهدي وقال فيه اذا نحرته فكل وتصدق وابعث منه الى عتبة
يعني ابنه وفي الحديث كلوا وادخروا واتجروا البائس الذي اصابه بؤس اي شدة والفقير الذي
اضعفه الاعسار **ثم ليقضوا تفثهم** قضاء التفث قص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد
والتفث الوسخ فالمراد قضاء ازالة التفث **وليوفوا** وقرئ وليوفّوا بتشديد الفاء **نذورهم**
مواجب حجهم او ما عسى ينذرونه من اعمال البر في حجهم **وليطوفوا** طواف الافاضة وهو طواف
الزيارة الذي هو من اركان الحج ويقع به تمام التحلل وقيل طواف الصدر وهو طواف الوداع
بالبيت العتيق القديم لانه اول بيت وضع للناس عن الحسن وعن قتادة اعتق من الجبابرة كم
من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله وعن مجاهد لم يملك قط وعن مجاهد اعتق من الغرق وقيل
بيت كريم من قولهم عتاق الخيل والطير فان قلت قد تسلط عليه الحجاج فلم يمنع قلت ما قصد
التسلط على البيت وانما تحصن به ابن الزبير رحمه الله فاحتال لاخراجه ثم بناه ولما قصد التسلط
عليه ابرهة فعل به ما فعل **ذلك** خبر مبتدا محذوف اي الامر والشان ذلك كما يقدم الكاتب
جملة من كتابه في بعض المعاني ثم اذا اراد الخوض في معنى اخر قال هذا وقد كان كذا **ومن يعظم**
حرمات الله والحرمة ما لا يحل هتكه وجميع ما كلفه الله تعالى بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها فيحتمل
ان يكون عاما في جميع تكاليفه ويحتمل ان يكون خاصا فيما يتعلق بالحج وعن زيد بن اسلم الحرمات خمس الكعبة
الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم **فهو خير له عند ربه** اي فالتعظيم خير له
ومعنى التعظيم العلم بانها واجبة المراعاة والحفظ والقيام بمراعاتها **واحلت لكم الانعام الا ما**
يتلى عليكم المتلو لا يستثنى من الانعام ولكن المعنى الا ما تلي عليكم اية تحريمه وذلك قوله تعالى في سورة
المائدة حرمت عليكم الميتة والمعنى ان الله قد احل لكم الانعام كلها الا ما استثناه في كتابه فحافظوا على
حدوده واياكم ان تحرموا مما احل لكم شيا كتحريم عبدة الاوثان البحيرة والسائبة والوصلة وغير ذلك

وان تحلوا مما حرم كاحلالهم الموقوذة والميتة وغير ذلك **فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا**
قول الزور حنفاء لله غير مشركين به لما حث على تعظيم حرماته واحمد من يعظمها اتبعه الامر
باجتناب الاوثان وقول الزور لان توحيد الله ونفي الشركاء عنه وصدق القول اعظم الحرمات واسبقها
خطوا وجمع الشرك وقول الزور في قرن واحد وذلك ان الشرك من باب الزور لان المشرك زاعم ان
الوثن تحق له العبادة فكانه قال فاجتنبوا عبادة الاوثان التي هي راس الزور واجتنبوا قول الزور كله
ولا تقربوا شيا منه لتماديه في القبح والسماجة وما ظنك بشيء من قبيله عبادة الاوثان وسمى الاوثان
رجسا وكذلك الخمر والميسر والازلام على طريق التشبيه يعني انكم كما تنفرون بطباعكم عن الرجس
وتجتنبونه فعليكم ان تنفروا عن هذه الاشيا مثل تلك النفرة ونبه على هذا المعنى بقوله رجس من عمل
الشيطان والرجس مجتنب من الاوثان بيان للرجس وتمييز له كقولك عندي عشرون من
الدراهم لان الرجس مبهم يتناول غير شيء كانه قيل فاجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان والزور من
الزور والازورار وهو الانحراف كما ان الافك من افكه اذا صرفه وقيل قول الزور قولهم
هذا حلال وهذا حرام وما اشبه ذلك من افترائهم وقيل شهادة الزور وعن النبي صلى الله عليه
واله وسلم انه صلى الصبح فلما سلم قام قائما واستقبل الناس بوجهه وقال عدلت شهادة الزور
الاشراك بالله عدلت شهادة الزور الاشراك بالله عدلت شهادة الزور الاشراك بالله وتلى
هذه الاية وقيل الكذب والبهتان وقيل قول اهل الجاهلية في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريك
هو لك تملكه وما ملك **ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء فتخطفه الطير او تهوي به**
الريح في مكان سحيق يجوز في هذا التشبيه ان يكون من المركب والمفرق فان كان تشبيها مركبا
فكانه قال من اشرك بالله فقد اهلك نفسه اهلاكا ليس بعده بان صور حاله بصورة حال من خر من
السماء فاختطفته الطير فتفرق مزعا في حواصلها او عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح
البعيدة وان كان مفرقا فقد شبه الايمان في علوه بالسماء والذي ترك الايمان واشرك بالله بالساقط
من السماء والاهواء التي تتوزع افكاره بالطير المختطفة والشيطان الذي يطوح به في وادي الضلالة
بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة وقرئ فتخطفه وبكسر الخاء والطاء وبكسر التاء
مع كسرهما وهي قراءة الحسن واصلهما تختطفه وقرئ الرياح **ذلك ومن يعظم شعائر الله**
تعظيم الشعائر وهي الهدايا لانها من معالم الحج ان تختارها عظام الاجرام حسانا سمانا غالية الاثمان
وترك المكاس في شرائها فقد كانوا يغالون في ثلاث ويكرهون المكاس فيهن الهدي والاضحية والرقبة
وروى ابن عمر عن ابيه رضي الله عنهما انه اهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار فسال رسول الله صلى
الله عليه واله وسلم ان يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها واهدى رسول الله
صلى الله عليه واله وسلم مائة بدنة فيها جمل لابي جهل في انفه برة من ذهب وكان ابن عمر يسوق البدن
مجللة بالقباطي فيتصدق بلحومها وبجلالها ويعتقد ان طاعة الله في التقرب بها واهدائها الى بيته
المعظم امر عظيم لا بد ان يقام به ويسارع فيه **فانها من تقوى القلوب** اي فان تعظيمها من افعال
ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات ولا يستقيم المعنى الا بتقديرها لانه لا بد من راجع من الجزاء
الى من ليرتبط به وانما ذكرت القلوب لانها مراكز التقوى التي اذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر اثرها في
سائر الاعضاء **لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق** الى اجل مسمى
الى ان تنحر ويتصدق بلحومها ويؤكل منها وثم للتراخي في الوقت فاستعيرت للتراخي في الاحوال
والمعنى ان لكم في الهدايا منافع كثيرة في دنياكم ودينكم وانما يعتد الله تعالى بالمنافع الدينية قال
سبحانه تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة واعظم هذه المنافع وابعدها شوطا في النفع
محلها الى البيت اي وجوب نحرها او وقت وجوب نحرها منتهية الى البيت كقوله هديا بالغ
الكعبة والمراد نحرها في الحرم الذي هو في حكم البيت لان الحرم هو حريم البيت ومثل هذا
في الاتساع قولك بلغنا البلد وانما شارفتموه واتصل مسيركم بحدوده وقيل المراد بالشعائر
المناسك كلها ومحلها الى البيت العتيق يأباه **ولكل امة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على**
ما رزقهم من بهيمة الانعام شرع الله لكل امة ان ينسكوا له اي يذبحوا لوجهه على وجه التقرب
وجعل العلة في ذلك ان يذكر اسمه تقدست اسماؤه على النسائك وقرئ منسكا بفتح السين وكسرها

وهو مصدر بمعنى النسك والمنسك يكون بمعنى الموضع فإلهكم إله واحد فله أسلموا أي
خلصوا له الذكر خاصة واجعلوه لوجهه سالما أي خالصا لا تشوبوه بإشراك وبشر المخبتين المخبتون
المتواضعون الخاشعون من الخبت وهو المطمئن من الأرض وقيل هم الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا
الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلوة ومما رزقناهم
ينفقون قرأ الحسن والمقيمي الصلوة بالنصب على تقدير النون وقرأ ابن مسعود والمقيمين الصلوة
على الأصل والبدن جعلناها لكم البدن جمع بدنة سميت لعظم بدنها وهي الإبل خاصة ولأن رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم ألحق البقرة بالإبل حين قال البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة فجعل
البقرة في حكم الإبل صارت البدنة في الشريعة متناولة للجنسين عند أبي حنيفة وأصحابه وإلا فالبدن
هي الإبل وعليه تدل الآية وقرأ الحسن والبدن بضمتين كثمر في جمع ثمرة وعن ابن إسحق بالضمتين
وتشديد النون على لفظ الوقف وقرئ بالنصب والرفع كقوله والقمر قدرناه من شعائر الله
أي من أعلام الشريعة التي شرعها الله وإضافتها إلى اسمه تعظيم لها لكم فيها خير كقوله لكم فيها
منافع ومن شأن الحاج أن يحرص على شيء فيه خير ومنافع بشهادة الله تعالى عن بعض السلف أنه لم يملك إلا
تسعة دنانير فاشترى بها بدنة فقيل له في ذلك فقال سمعت ربي يقول لكم فيها خير وعن ابن عباس
دنيا وآخرة وعن إبراهيم من احتاج إلى ظهرها ركب ومن احتاج إلى لبنها شرب فاذكروا اسم الله
عليها وذكر اسم الله أن يقول عند النحر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر اللهم منك ولك صواف قائمات
قد صففن أيديهن وأرجلهن وقرئ صوافن من صفون الفرس وهو أن يقوم على ثلاث وقرئ صوافي أي
خوالص لوجه الله وعن عمرو بن عبيد صوافنا بالتنوين عوضا من حرف الإطلاق عند الوقف وعن بعضهم
صواف مثل العرب أعط القوس باريها بسكون الياء فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا
القانع والمعتر وجوب الجنوب وقوعها على الأرض من وجب الحائط وجبة إذا سقط ووجبت الشمس
وجبة والمعنى فإذا وجبت جنوبها وسكنت نسائسها حل لكم الأكل والإطعام القانع السائل من قنعت
إليه وكنعت إذا خضعت له وسألته قنوعا والمعتر المتعرض بغير سؤال أو القانع الراضي بما
عنده وبما يعطى من غير سؤال من قنعت قنعا وقناعة والمعتر المتعرض بالسؤال وقرأ الحسن والمعتري
وعره وعراه واعتره واعتراه بمعنى وقرأ أبو رجاء القنع وهو الراضي لا غير يقال قنع فهو
قنع وقانع كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون منّ الله على عباده واستحمد إليهم
بأن سخر لهم البدن مثل التسخير الذي ترون وتعلمون يأخذونها منقادة للآخذ طيعة فيعقلونها
ويحبسونها صافة قوائمها ثم يطعنون في لباتها ولولا تسخير الله تعالى لم تطق ولم تكن بأعجز من بعض
الوحوش التي هي أصغر منها جرما وأقل قوة وكفى بما يتأبد من الإبل شاهدا وعبرة لن ينال الله
لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم أي لن يصيب رضا الله تعالى اللحوم المتصدق بها
ولا الدماء المهراقة بالنحر والمراد أصحاب اللحوم والدماء والمعنى لن يرضي المضحون والمقربون ربهم
إلا بمراعاة النية والإخلاص والاحتفاظ بشروط التقوى في حل ما قرب به وغير ذلك من المحافظات
الشرعية وأوامر الورع فإذا لم يراعوا ذلك لم تغن عنهم التضحية والتقريب وإن كثر ذلك منهم
وقرئ لن ينال ولكن يناله بالياء والتاء وقيل كان أهل الجاهلية إذا نحروا البدن نضحوا الدماء حول
البيت ولطخوه بالدم فلما حج المسلمون أرادوا مثل ذلك فنزلت كذلك سخرها لكم لتكبروا
الله على ما هداكم وبشر المحسنين كرر تذكير النعمة بالتسخير ثم قال لتكبروا
على هدايته إياكم لأعلام دينه ومناسك حجه بأن تكبروا وتهللوا فاختصر الكلام بأن ضمن
التكبير معنى الشكر وعدي تعديته إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل
خوان كفور خص المؤمنين بدفعه عنهم ونصرته لهم كما قال إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا وقال
إنهم لهم المنصورون وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وجعل العلة في ذلك أنه لا يحب أضدادهم
وهم الخونة الكفرة الذين يخونون الله والرسول ويخونون أماناتهم ويكفرون نعم الله ويغمطونها
ومن قرأ يدافع فمعناه يبالغ في الدفع عنهم كما يبالغ من يغالب فيه لأن فعل المغالب يجيء أقوى
وأبلغ أذن للذين يقاتلون أذن ويقاتلون قرئا على لفظ المبني للفاعل والمفعول جميعا والمعنى أذن
لهم في القتال فحذف المأذون فيه لدلالة يقاتلون عليه بأنهم ظلموا أي بسبب كونهم مظلومين

وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان مشركو مكة يؤذونهم أذى شديدا وكانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم من بين مضروب ومشجوج يتظلمون إليه فيقول لهم اصبروا فإني لم أومر بالقتال حتى هاجر فأنزلت
هذه الآية وهي أول آية أذن فيها بالقتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين آية وقيل نزلت في قوم خرجوا مهاجرين
فاعترضهم مشركو مكة فأذن لهم في مقاتلتهم وإن الله على نصرهم لقدير والإخبار بكونه قادرا على
نصرهم عدة منه بالنصر واردة على سنن كلام الجبابرة وما مر من دفعه عن الذين آمنوا مؤذن بمثل هذه
العدة أيضا الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله أن يقولوا في محل الجر على الإبدال من حق
أي بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي أن يكون موجب الإقرار والتمكين لا موجب الإخراج
والتسيير ومثله هل تنقمون منا إلا أن آمنا ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع
وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا دفع الله بعض الناس ببعض إظهاره
وتسليطه المسلمين على الكافرين بالمجاهدة ولولا ذلك لاستولى المشركون على أهل الملل المختلفة
في أزمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا للنصارى بيعا ولا لرهبانهم صوامع ولا لليهود
صلوات ولا للمسلمين مساجد ولغلب المشركون في أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم على المسلمين وعلى أهل الكتاب
الذين في ذمتهم وهدموا متعبدات الفريقين وقرئ دفاع الله ولهدمت بالتخفيف وسميت الكنيسة
صلاة لأنه يصلى فيها وقيل هي كلمة معربة أصلها بالعبرانية صلوثا ولينصرن الله من ينصره
أي ينصر دينه وأولياءه إن الله لقوي عزيز الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلوة
وآتوا الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر هو إخبار من الله عز وجل بظهر الغيب عما
ستكون عليه سيرة المهاجرين رضي الله عنهم إن مكنهم في الأرض وبسط لهم في الدنيا وكيف يقومون
بأمر الدين وعن عثمان رضي الله عنه هذا والله ثناء قبل بلاء يريد أن الله تعالى قد أثنى عليهم قبل أن
يحدثوا من الخير ما أحدثوا وقالوا فيه دليل على صحة أمر الخلفاء الراشدين والطلقاء وعن الحسن
هم أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقيل الذين منصوب بدل من قوله من ينصره والظاهر أنه مجرور تابع
للذين أخرجوا ولله عاقبة الأمور أي مرجعها إلى حكمه وتقديره وفيه تأكيد لما وعده من
إظهار أوليائه وإعلاء كلمتهم وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود
وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين يقول لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسلية له لست بأوحدي
في التكذيب فقد كذب الرسل قبلك أقوامهم وكفاك بهم أسوة فإن قلت لم قيل وكذب
موسى ولم يقل وقوم موسى قلت لأن موسى ما كذبه قومه بنو إسرائيل وإنما كذبه غير قومه
وهم القبط وفيه شيء آخر كأنه قيل بعدما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم وكذب موسى أيضا مع وضوح
آياته وعظم معجزاته فما ظنك بغيره فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير
النكير بمعنى الإنكار والتغيير حيث أبدلهم بالنعمة محنة وبالحياة هلاكا وبالعمارة خرابا فكأين
من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها كل مرتفع أظلك من سقف بيت
أو خيمة أو ظلة أو كرم فهو عرش والخاوي الساقط من خوى النجم إذا سقط أو الخالي من خوى المنزل
إذا خلا من أهله وخوى بطن الحامل وقوله على عروشها لا يخلو من أن يتعلق بخاوية فيكون المعنى أنها ساقطة
على سقوفها أي خرت سقوفها على الأرض ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف أو أنها ساقطة
أو خالية مع بقاء عروشها وأما أن يكون خبرا بعد خبر كأنه قيل هي خالية وهي على عروشها أي قائمة
مطلة على عروشها على معنى أن السقوف سقطت إلى الأرض فصارت في قرار الحيطان وبقيت
الحيطان مائلة فهي مشرفة على السقوف الساقطة فإن قلت ما محل الجملتين من الإعراب أعني وهي
ظالمة فهي خاوية قلت الأولى في محل النصب على الحال والثانية لا محل لها لأنها معطوفة على أهلكناها
وهذا الفعل ليس له محل وبئر معطلة وقرأ الحسن معطلة بمعنى عطلة ومعنى المعطلة أنها عامرة
فيها الماء ومعها آلات الاستقاء إلا أنها عطلت أي تركت لا يستقى منها لهلاك أهلها وقصر مشيد
والمشيد المجصص أو المرفوع البنيان والمعنى كم قرية أهلكناها وكم بئر عطلناها عن سقاتها
وقصر مشيد أخليناه عن ساكنيه فترك ذلك لدلالة معطلة عليه وفي هذا دليل على أن على عروشها بمعنى
مع أوجه وروي أن هذه بئر نزل عليها صالح مع أربعة آلاف نفر ممن آمن به ونجاهم الله تعالى من
العذاب وهي بحضرموت وإنما سميت بذلك لأن صالحا حين حضرها مات وثمة بلدة عند البئر اسمها حاضوراء

بناها قوم صالح وأمّروا عليهم جلهس بن جلاس واقاموا بها زمانا ثم كفروا وعبدوا صنما وارسل الله
اليهم حنظلة بن صفوان نبيا فقتلوه فاهلكهم الله وعطل بئرهم وخرب قصورهم **أفلم يسيروا في الأرض
فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها** يحتمل انهم لم يسافروا فحثوا على السفر ليروا مصارع
من اهلكهم الله بكفرهم ويشاهدوا آثارهم فيعتبروا وان يكونوا قد سافروا وراوا ذلك ولكن لم
يعتبروا فجعلوا كان لم يسافروا ولم يروا وقرئ فيكون لهم قلوب بالياء اي يعقلون ما يجب ان يعقل من التوحيد
ويسمعون ما يجب سماعه من الوحي **فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور** ۞
الضمير ضمير الشان والقصة يجيء مذكرا ومؤنثا وفي قراءة ابن مسعود فانه ويجوز ان يكون ضميرا مبهما
يفسره الابصار وفي تعمى ضمير راجع اليه والمعنى ان ابصارهم صحيحة سالمة لا عمى بها وانما العمى بقلوبهم
او لا يعتد بعمى الابصار فكانه ليس بعمى بالاضافة الى عمى القلوب فان قلت اي فائدة في ذكر الصدور
قلت الذي تعورف واعتقد ان العمى على الحقيقة مكانه البصر وهو ان تصاب الحدقة بما يطمس
نورها واستعماله في القلب استعارة ومثل فلما اريد اثبات ما هو خلاف المعتقد من نسبة العمى الى القلوب
حقيقة ونفيه عن الابصار احتاج هذا التصوير الى زيادة تعيين وفضل تعريف ليتقرر ان مكان العمى
هو القلوب لا الابصار كما تقول ليس المضاء للسيف ولكنه للسانك الذي بين فكيك فقولك الذي بين
فكيك تقرير لما ادعيته للسانه وتثبيت لان محل المضاء هو هو لا غير وكانك قلت ما نفيت المضاء
عن السيف واثبته للسانك فلتة ولا سهوا ولكن تعمدت به اياه بعينه **بالعذاب ولن يخلف الله** ويستعجلونك
وعده وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون ۞ انكر استعجالهم بالمتوعد به من العذاب
العاجل او الآجل كانه قال ولم يستعجلون به كانهم يجوزون الفوت وانما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه
الخلف والله عز وعلا لا يخلف الميعاد وما وعده ليصيبنهم ولو بعد حين وهو سبحانه حليم لا يعجل ومن
حلمه ووقاره واستقصاره المدد الطوال ان يوما واحدا عنده كالف سنة عندكم وقيل معناه
كيف يستعجلون بعذاب من يوم واحد من ايام عذابه في طول الف سنة من سنيكم لان ايام الشدائد
مستطالة او كان ذلك اليوم الواحد لشدة عذابه كالف سنة من سني العذاب وقيل ولن يخلف الله
وعده في النظرة والامهال وقرئ تعدون بالتاء والياء ثم قال **وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة
ثم أخذتها وإلي المصير** ۞ وكم من اهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد انظرتهم حينا ثم اخذتهم
بالعذاب والمرجع الي والى حكمي فان قلت لم كانت الاولى معطوفة بالفاء وهذه بالواو قلت
الاولى وقعت بدلا عن قوله فكيف كان نكير واما هذه فحكمها حكم ما تقدمها من الجملتين المعطوفتين
بالواو اعني قوله ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة **قل يا أيها الناس إنما أنا لكم
نذير مبين** ۞ **فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم** ۞ **والذين سعوا
في آياتنا معاجزين** ۞ **أولئك أصحاب الجحيم** ۞ يقال سعيت في امر فلان اذا اصلحته او افسدته
بسعيه وعاجزه سابقه لان كل واحد منهما طلب اعجاز الآخر عن اللحاق به فاذا سبقه قيل اعجزه
وعجزه والمعنى سعوا في معناها بالفساد من الطعن فيها حيث سموها سحرا وشعرا واساطير
ومن تثبيط الناس عنها سابقين ومسابقين في زعمهم وتقديرهم طامعين ان كيدهم للاسلام
يتم لهم فان قلت كان القياس ان يقال انما انا لكم بشير ونذير لذكر الفريقين بعده قلت
الحديث مسوق الى المشركين ويا ايها الناس نداء لهم وهم الذين قيل فيهم افلم يسيروا ووصفوا
بالاستعجال وانما اقحم المؤمنون وثوابهم ليغاظوا **وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا
إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته** من رسول ولا نبي دليل بين على تغاير الرسول والنبي وعن النبي
صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسل منهم
قال ثلثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا والفرق بينهما ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من الانبياء
من جمع الله الى المعجزة الكتاب المنزل عليه والنبي غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب وانما امر ان
يدعو الى شريعة من قبله والسبب في نزول هذه الآية ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما اعرض
عنه قومه وشاقوه وخالفته عشيرته ولم يشايعوه على ما جاء به تمنى لفرط ضجره من اعراضهم ولحرصه
وتهالكه على اسلامهم ان لا ينزل عليه ما ينفرهم لعله يتخذ ذلك طريقا الى استمالتهم
واستنزالهم عن غيهم وعنادهم فاستمر به ما تمناه حتى نزلت عليه سورة والنجم وهو في نادي قومه

وذلك التمني

وذلك التمني في نفسه فأخذ يقرؤها فلما بلغ قوله ومناة الثالثة الاخرى ألقى الشيطان في أمنيته التي تمناها
اي وسوس اليه بما شيعها به فسبق لسانه على سبيل السهو والغلط الى ان قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن
لترتجى وروي الغرانقة ولم يفطن له حتى ادركته العصمة فتنبه عليه وقيل نبهه جبريل عليه الصلوة
والسلام او تكلم الشيطان بذلك فاسمعه الناس فلما سجد في آخرها سجد معه جميع من في النادي وطابت
نفوسهم وكان تمكين الشيطان من ذلك محنة من الله وابتلاء زاد المنافقون به شكا وظلمة والمؤمنون
نورا وايقانا والمعنى ان الرسل والانبياء من قبلك كانت هجيراهم كذلك اذا تمنوا مثل ما تمنيت مكن الله الشيطان
ليلقي في امانيهم مثل ما القى في امنيتك ارادة امتحان من حولهم والله سبحانه له ان يمتحن عباده بما
شاء من صنوف المحن وانواع الفتن ليضاعف ثواب الثابتين ويزيد في عقاب المذبذبين وقيل تمنى قرأ
وانشد ۞ تمنى كتاب الله اول ليلة ۞ تمنى داود الزبور على رسل ۞
وامنيته قراءته وقيل تلك الغرانيق اشارة الى الملائكة اي هم الشفعاء لا الاصنام **فينسخ الله
ما يلقي الشيطان** اي يذهب به ويبطله **ثم يحكم الله آياته** اي يثبتها **والله عليم حكيم** ۞
ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم الذين في قلوبهم مرض
المنافقون والشاكون والقاسية قلوبهم المشركون المكذبون **وإن الظالمين لفي شقاق بعيد** ۞
يريد وان هؤلاء المنافقين والمشركين واصله وانهم فوضع الظاهر موضع الضمير قضاء عليهم بالظلم
وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك اي ليعلموا ان تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق من
ربك والحكمة **فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهادي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم** ۞
الى ان يتأولوا ما يتشابه في الدين بالتأويلات الصحيحة ويطلبوا لما اشكل منه المحمل الذي تقتضيه الاصول
المحكمة والقوانين الممهدة حتى لا تلحقهم حيرة ولا تعتريهم شبهة ولا تزل اقدامهم وقرئ لهاد
الذين آمنوا بالتنوين **ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب
يوم عقيم** ۞ الضمير في مرية للقرآن او للرسول اليوم العقيم يوم بدر وانما وصف يوم الحرب بالعقيم لان
اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كانهن عقم لم يلدن او لان المقاتلين يقال لهم ابناء الحرب فاذا قتلوا
وصف يوم الحرب بالعقيم على سبيل المجاز وقيل هو الذي لا خير فيه يقال ريح عقيم اذا لم تنشئ مطرا ولم
تلقح شجرا وقيل لا مثل له في عظم امره لقتال الملائكة فيه وعن الضحاك انه يوم القيامة وان المراد بالساعة
مقدماته ويجوز ان يراد بالساعة وبيوم عقيم يوم القيامة كانه قيل حتى تأتيهم الساعة او يأتيهم عذابها
فوضع يوم عقيم موضع الضمير **الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات
في جنات النعيم** ۞ **والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين** ۞ فان قلت
التنوين في يومئذ عن اي جملة ينوب قلت تقديره الملك يوم يؤمنون او يوم تزول مريتهم لقوله ولا يزال الذين كفروا
في مرية منه حتى تأتيهم الساعة **والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا
حسنا وإن الله لهو خير الرازقين** ۞ **ليدخلنهم مدخلا يرضونه وإن الله لعليم حليم** ۞
لما جمعتهم المهاجرة في سبيل الله سوى بينهم في الموعد وان يعطي من مات منهم مثل ما يعطي من قتل منهم تفضلا
منه واحسانا والله عليم بدرجات العاملين ومراتب استحقاقهم حليم عن تفريط المفرط منهم بفضله
وكرمه روي ان طوائف من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا قد
علمنا ما اعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فانزل الله هاتين
الآيتين **ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله** سمي الابتداء بالجزاء
باسم الجزاء لملابسته له من حيث انه سبب وذاك مسبب عنه كما يحملون النظير على النظير والنقيض على النقيض
للملابسة **إن الله لعفو غفور** ۞ فان قلت كيف طابق ذكر العفو الغفور هذا الموضع قلت
المعاقب مبعوث من جهة الله عز وجل على الاخلال بالعقاب والعفو عن الجاني على طريق التنزيه
لا التحريم ومندوب اليه ومستوجب عند الله المدح ان آثر ما ندب اليه وسلك سبيل التنزيه فحين
لم يؤثر ذلك وانتصر وعاقب ولم ينظر في قوله فمن عفا واصلح فاجره على الله وان تعفوا اقرب
للتقوى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور فان الله لعفو غفور اي لا يلومه على ترك ما بعثه
عليه وهو ضامن لنصره في كرته الثانية من اخلاله بالعفو وانتقامه من الباغي عليه ويجوز ان يضمن له
النصر على الباغي ويعرض مع ذلك بما كان اولى به من العفو ويلوح به بذكر هاتين

الصفات اولى بذكر العفو والمغفرة على انه قادر على العقوبة لانه لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده **ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وأن الله سميع بصير** اي ذلك النصر بسبب انه قادر ومن آيات قدرته البالغة انه يولج الليل في النهار والنهار في الليل او بسبب انه خالق الليل والنهار ومصرفهما فلا يخفى عليه ما يجري فيهما على ايدي عباده من الخير والشر والبغي والانصاف وانه سميع لما يقولون بصير بما يفعلون فان قلت ما معنى ايلاج احد الملوين في الآخر قلت تحصيل ظلمة هذا في مكان ضياء ذاك بغيبوبة الشمس وضياء ذاك في مكان ظلمة هذا بطلوعها كما يضيء السرب بالسراج ويظلم بفقده وقيل هو زيادته في احدهما ما ينقص من الآخر من الساعات **ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير** وقرئ يدعون بالياء والتاء وقرأ اليماني وانما يدعون بلفظ المبني للمفعول والواو راجعة الى ما لانه في معنى الآلهة اي ذلك الوصف بخلق الليل والنهار والاحاطة بما يجري فيهما وادراك كل قول وفعل بسبب انه الله الحق الثابت الالهية وان كل ما يدعى الها دونه باطل الدعوة وانه لا شيء اعلى منه شأنا واكبر سلطانا **ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير له ما في السموات وما في الأرض وإن الله لهو الغني الحميد** وقرئ مخضرة اي ذات خضر على مفعلة كمبقلة ومسبعة فان قلت هلا قيل فاصبحت ولم صرف الى لفظ المضارع قلت لنكتة فيه وهي افادة بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان كما تقول انعم علي فلان عام كذا فأروح وأغدو شاكرا له ولو قلت فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع فان قلت فما له رفع ولم ينصب جوابا للاستفهام قلت لو نصب لاعطى ما هو عكس الغرض لان معناه اثبات الاخضرار فينقلب بالنصب الى نفي الاخضرار مثاله ان تقول لصاحبك الم تر اني انعمت عليك فتشكر ان نصبته فانت ناف لشكره شاك تفريطه فيه وان رفعته فانت مثبت للشكر وهذا وامثاله مما يجب ان يرغب له من اتسم بالعلم في علم الاعراب وتوقير اهله لطيف واصل علمه او فضله الى كل شيء خبير بمصالح الخلق ومنافعهم **ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض والفلك تجري في البحر بأمره** ما في الارض من البهائم مذللة للركوب في البر ومن المراكب جارية في البحر وغير ذلك من سائر المسخرات وقرئ والفلك بالرفع على الابتداء **ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه** كراهة ان تقع الا بمشيئته **إن الله بالناس لرءوف رحيم وهو الذي أحياكم** بعد ان كنتم جمادا ترابا ونطفة وعلقة ومضغة **ثم يميتكم ثم يحييكم إن الإنسان لكفور** لجحود لما افاض عليه من ضروب النعم **لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك في الأمر وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم** هي نهي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اي لا تلتفت الى قولهم ولا تمكنهم من ان ينازعوك او هو زجر لهم عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمنازعة في الدين وهم جهال لا علم عندهم وهم كفار خزاعة روي ان بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان الخزاعيين وغيرهما قالوا للمسلمين ما لكم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتله الله يعنون الميتة وقال الزجاج هو نهي له عن منازعتهم كما تقول لا يضاربنك فلان اي لا تضاربه وهذا جائز في الفعل الذي لا يكون الا بين اثنين وقرئ فلا ينزعنك اي اثبت في دينك ثباتا لا يطمعون ان يجذبوك ليزيلوك عنه والمراد زيادة التثبيت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما يهيج حميته ويلهب غضبه لله ولدينه ومنه قوله تعالى ولا يصدنك عن آيات الله ولا تكونن من المشركين فلا تكونن ظهيرا للكافرين وهيهات ان ترتع همة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حول ذلك الحمى ولكنه وارد على ما قلت لك من ارادة التهييج والالهاب وقال الزجاج هو من نازعته فنزعته انزعه اي غلبته اي لا يغلبنك في المنازعة فان قلت لم جاءت نظيرة هذه الآية معطوفة بالواو وقد نزعت عن هذه قلت لان تلك وقعت مع ما يدانيها ويناسبها من الآي الواردة في امر النسائك فعطفت على اخواتها واما هذه فواقعة مع اباعد عن معناها فلم تجد معطفا **وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون** اي وان ابوا للجاج الا المجادلة بعد اجتهادك ان لا يكون بينك وبينهم تنازع وجدال فادفعهم بان الله اعلم باعمالكم وبقبحها وبما تستحقون عليها من الجزاء فهو مجازيكم به وهذا وعيد وانذار ولكن برفق ولين **الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون**

خطاب من الله تعالى للمومنين والكافرين اي يفصل بينكم بالثواب والعقاب ومسلاة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مما كان يلقى منهم **ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب** كيف يخفى عليه ما تعملون ومعلوم عند العلماء بالله انه كل ما يحدث في السموات والارض وقد كتبه في اللوح قبل حدوثه **إن ذلك على الله يسير** والاحاطة بذلك واثباته وحفظه عليه يسير لان العالم الذات لا يتعذر عليه ولا يمتنع تعلق بمعلوم **ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم** ويعبدون ما لم يتمسكوا في صحة عبادته ببرهان سماوي من جهة الوحي والسمع ولا ألجأهم اليها علم ضروري ولا حملهم عليها دليل عقلي **وما للظالمين من نصير** وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من احد ينصرهم ويصوب مذهبهم **وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر** الفظيع من التجهم والبسور او الانكار كالمكرم بمعنى الاكرام وقرئ يعرف والمنكر **يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا** والسطو الوثب والبطش **قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار** قرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف كأن قائلا قال ما هو فقيل النار اي هو النار وبالنصب على الاختصاص وبالجر على البدل من شر من ذلكم من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم او مما اصابكم من الكراهة والضجر بسبب ما تلي عليكم **وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير** استئناف كلام ويحتمل ان تكون النار مبتدأ ووعدها خبرا وان تكون حالا عنها اذا نصبتها او جررتها باضمار قد **يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له** فان قلت الذي جاء به ليس بمثل فكيف سماه مثلا قلت قد سميت الصفة او القصة الرائعة الملتقاة بالاستحسان والاستغراب مثلا تشبيها لها ببعض الامثال المسيرة لكونها مستحسنة مستغربة عندهم **إن الذين تدعون من دون الله** وقرئ يدعون بالياء والتاء ويدعون مبنيا للمفعول **لن يخلقوا ذبابا** لن اخت لا في نفي المستقبل الا ان لن تنفيه نفيا فيه تأكيد وتشديد ودلالة على ان خلق الذباب منهم مستحيل مناف لاحوالهم كأنه قال محال ان يخلقوا فان قلت ما محل **ولو اجتمعوا له** قلت النصب على الحال كأنه قال مستحيل ان يخلقوا الذباب مشروطا عليهم اجتماعهم جميعا لخلقه وتعاونهم عليه وهذا من ابلغ ما انزله الله في تجهيل قريش واستركاك عقولهم والشهادة على ان الشيطان قد خزمهم بخزائمه حيث وصفوا بالالهية التي تقتضي الاقتدار على المقدورات كلها والاحاطة بالمعلومات عن آخرها صورا وتماثيل يستحيل منها ان تقدر على اقل ما خلقه الله واذله واصغره واحقره ولو اجتمعوا لذلك وتساندوا **وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه** وادل من ذلك على عجزهم وانتفاء قدرتهم ان هذا الخلق الاذل لو اختطف منهم شيئا فاجتمعوا على ان يستخلصوه منه لم يقدروا وقوله **ضعف الطالب والمطلوب** كالتسوية بينهم وبين الذباب في الضعف ولو حققت وجدت الطالب اضعف واضعف لان الذباب حيوان وهو جماد وهو غالب وذلك مغلوب وعن ابن عباس انهم كانوا يطلونها بالزعفران ورؤوسها بالعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله **ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز** اي ما عرفوه حق معرفته حتى لا يسموا باسمه من هو منسلخ عن صفاته ولا يؤهلوه للعبادة ولا يتخذوه شريكا له ان الله قادر غالب فكيف يتخذ العاجز المغلوب شبيها به **الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وإلى الله ترجع الأمور** هذا رد لما انكروه من ان يكون الرسول من البشر وبيان ان رسل الله على ضربين ملائكة وبشر ثم ذكر انه عز وجل دراك للمدركات عالم باحوال المكلفين ما مضى منها وما غبر لا يخفى عليه منهم خافية واليه مرجع الامور كلها والذي هو بهذه الصفات لا يسأل عما يفعل وليس لاحد ان يعترض عليه في حكمه وتدابيره واختيار رسله **يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير** الذكر ثانيا لسائر من الطاعات وفي هذه السورة دلالات على ذلك فمن ثمة دعا المؤمنين اولا الى الصلاة التي هي ذكر خالص ثم الى العبادة بغير الصلاة كالصوم والحج والغزو ثم عم بالحث على سائر الخيرات وقيل كان الناس اول ما اسلموا يسجدون بلا ركوع ويركعون بلا سجود فامروا ان تكون صلاتهم بركوع وسجود وقيل معنى واعبدوا ربكم اقصدوا بركوعكم وسجودكم وجه الله وعن ابن عباس في قوله وافعلوا الخير صلة الارحام ومكارم الاخلاق **لعلكم تفلحون** اي افعلوا هذا كله وانتم راجون للفلاح طامعون فيه غير مستيقنين ولا تتكلوا على اعمالكم وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله

في سورة الحج سجدتان قال نعم ان لم تسجدهما فلا تقرأها وعن عبد الله بن عمر فضلت سورة الحج بسجدتين وبذلك احتج الشافعي فرأى سجدتين في سورة الحج وابو حنيفة واصحابه لا يرون فيها الا سجدة واحدة لانهم يقولون قرن السجود بالركوع فدل ذلك على انها سجدة صلوة لا سجدة تلاوة **وجاهدوا** امر بالغزو وبمجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الاكبر عن النبي صلى الله عليه واله وسلم انه رجع من بعض غزواته فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر **في الله** اي في ذات الله ومن اجله يقال هو حق عالم وجد عالم اي عالم حقا وجدا ومنه **حق جهاده** فان قلت ما وجه هذه الاضافة وكان القياس حق الجهاد فيه او حق جهادكم فيه كما قال وجاهدوا في الله قلت الاضافة تكون بادنى ملابسة واختصاص فلما كان الجهاد مختصا بالله من حيث انه مفعول لوجهه ومن اجله صحت اضافته اليه ويجوز ان يتسع في الظرف كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا **هو اجتباكم** اختاركم لدينه ولنصرته **وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة ابيكم ابرهيم هو سماكم المسلمين** فتح باب التوبة للمجرمين وفسح بانواع الرخص والكفارات والديات والاروش ونحوه قوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وامة محمد صلى الله عليه واله وسلم هي الامة المرحومة الموسومة بذلك في الكتب المتقدمة نصب الملة بمضمون ما تقدمها كانه قيل وسع دينكم توسعة ملة ابيكم كقوله الحمد لله الحمد فان قلت لم يكن ابرهيم ابا للامة كلها قلت هو ابو رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فكان ابا لامته لان امة الرسول في حكم اولاده هو يرجع الى الله تعالى وقيل الى ابرهيم ويشهد للقول الاول قراءة ابي بن كعب الله سماكم **من قبل وفي هذا** اي من قبل القرآن في سائر الكتب وفي القرآن اي فضلكم على الامم وسماكم بهذا الاسم الاكرم **ليكون الرسول شهيدا عليكم** انه قد بلغكم **وتكونوا شهداء على الناس** بان الرسل قد بلغتهم **فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير** واذا خصكم بهذه الكرامة والاثرة فاعبدوه وثقوا به ولا تطلبوا النصرة والولاية الا منه فهو خير مولى وناصر عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من قرأ سورة الحج اعطي من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي

سورة المؤمنين مكية وهي مائة وتسع عشرة اية وثماني عشرة عند الكوفيين

عاصم وحمزة والكسائي

بسم الله الرحمن الرحيم

قد افلح المؤمنون قد نقيضة لما هي تثبت المتوقع ولما تنفيه ولا شك ان المؤمنين كانوا متوقعين لمثل هذه البشارة وهي الاخبار بثبات الفلاح لهم فخوطبوا بما دل على ثبات ما توقعوه والفلاح الظفر بالمراد وقيل البقاء في الخير وافلح دخل في الفلاح كابشر دخل في البشارة ويقال افلحه اصاره الى الفلاح وعليه قراءة طلحة بن مصرف افلح على البناء للمفعول وعنه افلحوا على اكلوني البراغيث او على الابهام والتفسير وعنه افلح بضمة بغير واو اجتزاء بها عنها كقوله فلو ان الاطباء كان حولي فان قلت ما المؤمن قلت هو في اللغة المصدق واما في الشريعة فقد اختلف فيه على قولين احدهما ان كل من نطق بالشهادتين مواطئا قلبه لسانه فهو مؤمن والاخر انه صفة مدح لا يستحقها الا البر التقي دون الفاسق الشقي **الذين هم في صلوتهم خاشعون** الخشوع في الصلوة خشية القلب والباد البصر عن قتادة وهو الزامه موضع السجود وعن النبي صلى الله عليه واله وسلم انه كان يصلي رافعا بصره الى السماء فلما نزلت هذه الاية رمى ببصره نحو مسجده وكان الرجل من العلماء اذا قام الى الصلوة هاب الرحمن ان يشد بصره الى شيء او يحدث نفسه بشان من شان الدنيا وقيل هو جمع الهمة لها والاعراض عما سواها ومن الخشوع ان يستعمل الادب فيتوقى كف الثوب والعبث بجسده وثيابه والالتفات والتمطي والتثاوب والتغميض وتغطية الفم والسدل والفرقعة والتشبيك والاختصار وتقليب الحصى روي عن النبي صلى الله عليه واله وسلم انه ابصر رجلا يعبث بلحيته فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه ونظر الحسن الى رجل يعبث بالحصى وهو يقول اللهم زوجني الحور العين فقال بئس الخاطب انت تخطب وانت تعبث فان قلت لم اضيفت الصلوة اليهم قلت لان الصلوة دائرة بين المصلي

والمصلى له فالمصلي هو المنتفع بها وحده وهي عدته وذخيرته فهي صلوته واما المصلى له فغني متعال عن الحاجة اليها والانتفاع بها **والذين هم عن اللغو معرضون** اللغو ما لا يعنيك من قول او فعل كاللعب والهزل وما توجب المروءة القاءه واطراحه يعني ان بهم من الجد ما يشغلهم عن الهزل لما وصفهم بالخشوع في الصلوة اتبعه الوصف بالاعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على الانفس اللذين هما قاعدتا بناء التكليف **والذين هم للزكوة فاعلون** الزكوة اسم مشترك بين عين ومعنى فالعين القدر الذي يخرجه المزكي من النصاب الى الفقير والمعنى فعل المزكي الذي هو التزكية وهو الذي اراده الله تعالى فجعل المزكين فاعلين له ولا يسوغ فيه غيره لانه ما من مصدر الا يعبر عن معناه بالفعل ويقال لمحدثه فاعل يقول للضارب فاعل الضرب وللقاتل فاعل القتل وللمزكي فاعل التزكية وعلى هذا الكلام كله والتحقيق فيه انك تقول في جميع الحوادث من فاعل هذا فيقال لك فاعله الله او بعض الخلق ولم يمتنع الزكوة الدالة على العين ان يتعلق بها فاعلون لخروجها من صحة ان يتناولها الفاعل ولكن لان الخلق ليسوا بفاعليها وقد انشد لامية بن ابي الصلت

المطعمون الطعام في السنة الا زمة والفاعلون للزكوات

ويجوز ان يراد بالزكوة العين ويقدر مضاف محذوف وهو الاداء وحمل البيت على هذا اصح لانها فيه مجموعة **والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين** على ازواجهم في موضع الحال اي الا والين على ازواجهم او قوامين عليهن من قولك كان فلان على فلانة فمات عنها فخلف عليها فلان ونظيره كان زياد على البصرة اي واليا عليها ومنه قولهم فلانة تحت فلان ومن ثمه سميت المراة فراشا والمعنى انهم لفروجهم حافظون في كافة الاحوال الا في حال تزوجهم او تسريهم او تعلق على بمحذوف يدل عليه غير ملومين كانه قيل يلامون الا على ازواجهم اي يلامون على كل مباشر الا على ما اطلق لهم فانهم غير ملومين عليه او تجعله صلة لحافظين من قولك احفظ علي عنان فرسي على تضمينه معنى النفي كما ضمن قولهم نشدتك بالله الا فعلت بمعنى ما طلبت منك الا فعلك فان قلت هلا قيل من ملكت قلت لانه اريد من جنس العقلاء ما يجري مجرى غير العقلاء وهم الاناث **فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون** جعل المستثنى حدا اوجب الوقوف عنده ثم قال فمن احدث ابتغاء وراء هذا الحد مع فسحته واتساعه وهو اباحة اربع من الحرائر ومن الاماء ما شئت فاولئك هم الكاملون في العدوان المتناهون فيه فان قلت هل فيه دليل على تحريم المتعة قلت لا لان المنكوحة نكاح المتعة من جملة الازواج اذا صح النكاح **والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون** وقرئ لامانتهم سمي الشيء المؤتمن عليه والمعاهد عليه امانة وعهدا ومنه قوله تعالى ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وقال وتخونوا اماناتكم وانما تؤدى العيون لا المعاني وكان المؤتمن عليه لا الامانة في نفسها والراعي القائم على الشيء بحفظ واصلاح كراعي الغنم وراعي الرعية ويقال من راعي هذا الشيء اي متوليه وصاحبه ويحتمل العموم في كل ما ائتمنوا عليه وعوهدوا من جهة الله عز وجل ومن جهة الخلق والخصوص فيما حملوه من امانات الناس وعهودهم **والذين هم على صلواتهم يحافظون** وقرئ على صلاتهم فان قلت كيف كرر ذكر الصلوة اولا واخرا قلت هما ذكران مختلفان فليس بتكرير وصفوا اولا بالخشوع في صلاتهم واخرا بالمحافظة عليها وذلك الا يسهوا عنها ويؤدوها في اوقاتها ويقيموا اركانها ويوكلوا نفوسهم بالاهتمام بها وبما ينبغي ان تتم به اوصافها وايضا فقد وحدت اولا ليفاد الخشوع في جنس الصلوة اي صلوة كانت وجمعت اخرا لتفاد المحافظة على اعدادها وهي الصلوات الخمس والوتر والسنن المرتبة مع كل صلوة وصلوة الجمعة والعيدين والجنازة والاستسقاء والكسوف والخسوف وصلوة الضحى والتهجد وصلوة التسبيح وصلوة الحاجة وغيرها من النوافل **اولئك** اي اولئك الجامعون لهذه الاوصاف **هم الوارثون** الاحقاء بان يسموا وراثا دون من عداهم ثم ترجم الوارثين بقوله **الذين يرثون الفردوس** فجاء بفخامة وجزالة لارثهم لا تخفى على الناظر ومعنى الارث ما مر في سورة مريم **هم فيها خالدون** انث الفردوس على تاويل الجنة وهو البستان الواسع الجامع لاصناف الثمر وروي ان الله عز وجل بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الاذفر وفي رواية ولبنة من مسك مذرى وغرس فيها من جيد الفاكهة وجيد الريحان **ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين** السلالة الخلاصة لانها تسل من بين

الكلة بد وقعالة منا للقلة كالقلامة والهامة وعن الحسن ماء بين ظهراني الطين فان قلت ما
الفرق بين من ومن قلت الاولى للابتداء والثانية للبيان كقوله من الاوثان ثم جعلناه نطفة
فان قلت ما معنى جعلنا الانسان نطفة قلت معناه انه خلق جوهر الانسان اولا طينا ثم جعل جوهره
بعد ذلك نطفة في قرار مكين القرار المستقر والمراد الرحم وصفت بالمكانة التي هي صفة المستقر
فيها كقولك طريق سائر او بمكانتها في نفسها لانها مكنت بحيث هي واحرزت ثم خلقنا النطفة
علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما
فكسونا العظم وعظاما فكسونا العظم وضع الواحد مكان الجمع لزوال اللبس لان الانسان ذو عظام
كثيرة ثم انشأناه خلقا آخر اى خلقا مباينا للخلق الاول مباينة ما ابعدها حيث جعله حيوانا وكان
جمادا وناطقا وكان ابكم وسميعا وكان اصم وبصيرا وكان اكمه واودع باطنه وظاهره بل كل
عضو من اعضائه وكل جزء من اجزائه عجائب فطرة وغرائب حكمة لا تدرك بوصف الواصف ولا تبلغ بشرح
الشارح وقد احتج به ابو حنيفة رحمه الله فيمن غصب بيضة فافرخت عنده قال يضمن البيضة ولا يرد
الفرخ لانه خلق آخر سوى البيضة فتبارك الله فتعالى امره وقدرته وعلمه احسن الخالقين اى
احسن المقدرين تقديرا فترك ذكر المميز لدلالة الخالقين عليه ونحوه طرح المأذون فيه في قوله اذن
للذين يقاتلون لدلالة الصلة وروى عن عمر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ
قوله خلقا آخر قال فتبارك الله احسن الخالقين وروى ان عبد الله بن سعد بن ابى سرح كان كاتبا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فنطق بذلك قبل املائه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب هكذا
فقال عبد الله ان كان محمد نبيا يوحى اليه فانا نبى يوحى الى فلحق بمكة كافرا ثم اسلم يوم الفتح ثم انكم
بعد ذلك لميتون قرأ ابن ابى عبلة وابن محيصن لمائتون والفرق بين الميت والمائت ان الميت كالحي
صفة ثابتة واما المائت فيدل على الحدوث تقول زيد مائت الآن ومائت غدا كقولك يموت وهما
ميت وضائق في قوله تعالى وضائق به صدرك ثم انكم يوم القيمة تبعثون جعل الاماتة التي هي اعدام
الحيوة والبعث الذي هو اعادة ما يفنيه ويعدمه دليلين على اقتدار عظيم بعد الانشاء والاختراع
فان قلت فاذن لا حيوة الا حيوة الانشاء وحيوة البعث قلت ليس في ذكر الحيوتين نفي
الثالثة وهي حيوة القبر كما لو ذكرت ثلثي ما عندك وطويت ذكر ثلثه لم يكن دليلا على ان
الثلث ليس عندك وايضا فالغرض ذكر هذه الاجناس الثلاثة الانشاء والاماتة والاعادة والمطوى
ذكرها من جنس الاعادة ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق الطرائق السموات لانه طورق
بعضها فوق بعض كمطارقة النعل وكل شئ فوقه مثله فهو طريقة او لانها طرق الملئكة ومتقلباتهم
وقيل الافلاك لانها طرائق الكواكب فيها مسيرها وما كنا عن الخلق غافلين اراد بالخلق
السموات كانه قال خلقناها فوقهم وما كنا عنها غافلين وعن حفظها وامساكها ان تقع فوقهم بقدرتنا
او اراد به الناس وانه انما خلقها فوقهم ليفتح عليهم الارزاق والبركات منها وينفعهم بانواع منافعها وما كان
غافلا عنهم وما يصلحهم وانزلنا من السماء ماء بقدر بتقدير يسلمون معه من المضرة ويصلون
الى المنفعة او بمقدار ما علمنا من حاجاتهم ومصالحهم فاسكناه في الارض كقوله فسلكه
ينابيع في الارض وقيل جعلناه ثابتا في الارض وقيل انها خمسة انهار سيحون نهر الهند وجيحون نهر بلخ
ودجلة والفرات نهرا العراق والنيل نهر مصر انزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنة
فاستودعها الجبال واجراها في الارض وجعل فيها منافع للناس في اصناف معايشهم وانا على ذهاب
به لقادرون كما قدرنا على انزاله فهو قادر على رفعه وازالته وقوله على ذهاب به من اوقع النكرات
واحزها للمفصل والمعنى على وجه من وجوه الذهاب به وطريق من طرقه وفيه ايذان باقتدار المذهب
وانه لا يتعايا عليه شئ اذا اراده وهو ابلغ في الايعاد من قوله قل ارأيتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن
يأتيكم بماء معين فعلى العباد ان يستعظموا النعمة في الماء ويقيدوها بالشكر الدائم ويخافوا نفارها
اذا لم تشكر فانشأنا لكم به جنات من نخيل واعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون
وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين خص هذه الانواع الثلاثة
لانها اكرم الشجر وافضلها واجمعها للمنافع ووصف النخل والعنب بان ثمرهما جامع بين امرين
انه فاكهة يتفكه بها وطعام يؤكل رطبا ويابسا رطبا وعنبا وتمرا وزبيبا والزيتون بان دهنه

صالح للاستصباح والاصطباغ جميعا ويجوز ان يكون قوله ومنها تأكلون من قولهم فلان يأكل من
حرفته يحترف فيها ومن صنعته يغتلها ومن تجارته يتربح بها يعنون انها طعمته وجهته التي
منها يحصل رزقه كانه قال وهذه الجنات وجوه ارزاقكم ومعايشكم منها ترزقون وتتعيشون
وشجرة عطف على جنات وقرئت مرفوعة على الابتداء اي ومما انشئ لكم شجرة طور سيناء وطور سينين
اما ان يضاف فيه الطور الى بقعة اسمها سيناء وسينون واما ان يكون اسما للجبل مركبا من مضاف
ومضاف اليه كامرئ القيس وكبعلبك فيمن اضاف فمن كسر سين سيناء فقد منع الصرف للتعريف
والعجمة او التانيث لانها بقعة وفعلاء لا يكون الفه للتانيث كعلباء وحرباء ومن فتح فلم يصرفه
لان الالف للتانيث كصحراء وقيل هو جبل فلسطين وقيل بين مصر وايلة ومنه نودي موسى صلوات الله
عليه وسلامه وقرأ الاعمش سينا على القصر بالدهن في موضع الحال اى تنبت وفيها الدهن وقرئ
تنبت وفيه وجهان احدهما ان انبت بمعنى نبت وانشد لزهير

رأيت ذوي الحاجات عند بيوتهم ۝ قطينا لهم حتى اذا انبت البقل ۝

والثاني ان مفعوله محذوف اي تنبت زيتونها وفيه الزيت وقرئ تنبت بضم التاء وفتح الباء وحكمه
حكم تنبت وقرأ ابن مسعود تخرج الدهن وصبغ الآكلين وغيره تخرج بالدهن وفي حرف
ابي تثمر بالدهن وعن بعضهم تنبت بالدهان وقرأ الاعمش وصبغا وصباغ ونحوهما دبغ ودباغ
والصبغ الغمس للائتدام وقيل هي اول شجرة نبتت بعد الطوفان ووصفها الله تعالى بالبركة في
قوله توقد من شجرة مباركة وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها وقرئ
تسقيكم بتاء مفتوحة اي تسقيكم الانعام ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون ۝
وعليها وعلى الفلك تحملون ۝ اي تتعلق بها منافع من الركوب والحمل وغير ذلك كما تتعلق بما لا
يؤكل لحمه من البغال والحمير والخيل وفيها منفعة زائدة وهي الاكل الذي هو انتفاع بذواتها والقصد
بالانعام الى الابل التي هي المحمول عليها في العادة وقرنها بالفلك التي هي السفائن لانها سفائن البر
قال ذو الرمة ۝ سفينة بر تحت خدي زمامها ۝ يريد صيدحه ولقد ارسلنا نوحا الى قومه
فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره بالرفع على المحل والجر على اللفظ والجملة استئناف
تجري مجرى التعليل للامر بالعبادة افلا تتقون ۝ افلا تخافون ان ترفضوا عبادة الله الذي هو ربكم
وخالقكم ورازقكم وشكر نعمته التي لا تحصونها واجب عليكم ثم تذهبوا فتعبدوا غيره مما
ليس من استحقاق العبادة في شئ فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد
ان يتفضل عليكم ان يطلب الفضل عليكم ويرأسكم كقوله تعالى وتكون لكما الكبرياء في الارض
ولو شاء الله لانزل ملئكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين ۝ ان هو الا رجل به جنة بهذا
اشارة الى نوح عليه الصلوة والسلام او الى ما كلمهم به من الحث على عبادة الله اى ما سمعنا بمثل هذا الكلام
او بمثل هذا الذي يدعى وهو بشر انه رسول الله وما اعجب شان الضلال لم يرضوا للنبوة ببشر وقد
رضوا للالهية بحجر وقولهم ما سمعنا بهذا يدل على انهم وآباءهم كانوا في فترة متطاولة او تكذبوا
في ذلك لانهماكهم في الغي وتشمرهم لان يدفعوا الحق بما امكنهم وبما عن لهم من غير تمييز منهم
بين صدق وكذب الا تراهم كيف جننوه وقد علموا انه ارجح الناس عقلا واوزنهم قولا والجنة
الجنون او الجن اى به جن يخبلونه فتربصوا به حتى حين ۝ اي احتملوه واصبروا عليه الى زمان حتى
ينجلى امره عن عاقبة فان افاق من جنونه والا قتلتموه قال رب انصرني بما كذبون ۝ في نصرته اهلاكهم
فكانه قال اهلكهم بسبب تكذيبهم اياي او انصرني بدل ما كذبوني كما تقول هذا بذاك اي بدل ذاك
ومكانه والمعنى ابدلني من غم تكذيبهم سلوة النصرة او انصرني بانجاز ما وعدتهم من العذاب وهو ما كذبوه
فيه حين قال اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا بحفظنا وكلائتنا
كان معه من الله حفاظا يكلأونه بعيونهم لئلا يتعرض له ولا يفسد عليه مفسد عمله ومنه عليه من الله
عين كالئة ووحينا اي نأمرك كيف تصنع ونعلمك روى انه اوحى اليه ان يصنعها على مثال جؤجؤ
الطائر فاذا جاء امرنا وفار التنور روى انه قيل لنوح اذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب انت ومن معك
في السفينة فلما نبع الماء من التنور اخبرته امرأته فركب وقيل كان تنور آدم عليه الصلوة والسلام من
حجارة فصار الى نوح وانما نبع من مكانه وعن الشعبي في مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلي باب كندة

وكان نوح عمل السفينة وسط المسجد وقيل بالشام موضع يقال له عين وردة وقيل بالهند وعن
ابن عباس التنور وجه الارض وعن قتادة اشرف موضع في الارض اي اعلاه وعن علي رضي الله عنه فار
التنور طلع الفجر وقيل معناه ان فوران التنور كان عند تنوير الفجر وقيل هو مثل كقولهم حمي
الوطيس والقول هو الاول فاسلك فيها يقال سلك فيه دخله وسلك غيره واسلكه قال حتى اذا
اسلكوهم في قتائدة من كل زوجين اثنين واهلك من كل امتي زوجين وهما امة الذكر وامة الانثى
كالجمال والنوق والحصن والرماك اثنين واحدين مزدوجين كالجمل والناقة والحصان والرمكة روي
انه لم يحمل الا ما يلد ويبيض وقرئ من كلٍّ بالتنوين اي من كل امة زوجين واثنين تاكيد وزيادة بيان الا من
سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون فاذا استويت انت
ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين وقل رب انزلني منزلا
جيء بعلى مع سبق الضار كما جيء باللام مع سبق النافع قال الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ولقد
سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ونحوه قوله لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقول عمر رضي الله عنه ليتها
كانت كفافا لا علي ولا لي فان قلت لم نهاه عن الدعاء لهم بالنجاة قلت لما تضمنته الاية من كونهم
ظالمين وايجاب الحكمة ان يغرقوا لا محالة لما عرف من المصلحة في اغراقهم والمفسدة في استبقائهم وبعد
ان املى لهم الدهر المتطاول فلم يزيدوا الا ضلالا ولزمتهم الحجة البالغة لم يبق الا ان يجعلوا عبرة للمعتبرين
ولقد بالغ في ذلك حيث اتبع النهي عنه الامر بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم كقوله فقطع
دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ثم امره ان يدعو بدعاء هو اهم وانفع له وهو طلب ان
ينزله في السفينة او في الارض عند خروجه منها منزلا يبارك له فيه ويعطيه الزيادة في خير الدارين
وان يشفع الدعاء بالثناء عليه المطابق لمسالته وهو قوله مباركا وانت خير المنزلين فان قلت هلا
قيل فقولوا لقوله فاذا استويت انت ومن معك على الفلك لانه في معنى اذا استويتم قلت لانه نبيهم
وامامهم فكان قوله قولهم مع ما فيه من الاشعار بفضل النبوة واظهار كبرياء الربوبية وان رتبة تلك
المخاطبة لا يترقى اليها الا ملك او نبي وقرئ منزلا بمعنى انزالا او موضع انزال كقوله ليدخلنهم مدخلا
يرضونه ان في ذلك لايات وان كنا لمبتلين ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بين النافية
وبينها والمعنى وان الشان والقصة كنا مبتلين اي مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد
او مختبرين بهذه الايات عبادنا لننظر من يعتبر ويذكر كقوله تعالى ولقد تركناها اية فهل من مدكر
ثم انشانا من بعدهم قرنا اخرين هم عاد قوم هود عن ابن عباس وتشهد له حكاية الله قول هود
واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ومجيء قصة هود على اثر قصة نوح في سورة الاعراف
وسورة هود والشعراء فارسلنا فيهم رسولا منهم فان قلت حق ارسل ان يعدى بالى كاخواته
التي هي وجه وانفذ وبعث فما باله عدي في القران بالى تارة وبفي اخرى كقوله كذلك ارسلناك في امة
وما ارسلنا في قرية من نذير فارسلنا فيهم رسولا منهم اي في عاد وفي موضع اخر والى عاد اخاهم هودا
قلت لم يعد بفي كما عدي بالى ولم يجعل صلة مثله ولكن الامة او القرية جعلت موضعا للارسال
كما قال رؤبة ارسلت فيها مصعبا ذا اقحام وقد جاء بعث على ذلك في قوله تعالى ولو شئنا
لبعثنا في كل قرية نذيرا ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون ان مفسرة لارسلنا
اي قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله وقال الملا من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الاخرة
واترفناهم في الحياة الدنيا فان قلت ذكر مقال قوم هود في جوابه في سورة الاعراف وسورة هود بغير
واو قال الملا الذين استكبروا من قومه انا لنراك في سفاهة قالوا ما نراك الا بشرا مثلنا وههنا مع الواو
فاي فرق بينهما قلت الذي بغير واو على تقدير سؤال سائل قال فما قال قومه فقيل له قالوا
كيت وكيت واما الذي مع الواو فعطف لما قالوه على ما قاله ومعناه انه اجتمع في الحصول هذا الحق
وهذا الباطل وشتان ما بينهما بلقاء الاخرة بلقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب كقولك يا
حبذا جوار مكة اي جوار الله في مكة ما هذا الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه ويشرب
مما تشربون حذف الضمير والمعنى من مشروبكم او حذف منه لدلالة ما قبله عليه ولئن اطعتم
بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون اذا واقع في جزاء الشرط وجواب للذين قاولوهم من قومهم
اي تخسرون عقولكم وتغبنون في ارائكم ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما

انكم مخرجون

انكم مخرجون ثنى انكم للتوكيد وحسن ذلك لفصل ما بين الاول والثاني بالظرف ومخرجون خبر
عن الاول وجعل انكم مخرجون مبتدا واذا متم خبرا على معنى اخراجكم اذا متم ثم اخبر بالجملة
عن انكم او رفع انكم مخرجون بفعل هو جزاء للشرط كانه قيل اذا متم وقع اخراجكم ثم اوقعت الجملة الشرطية
خبرا عن انكم وفي قراءة ابن مسعود ايعدكم اذا متم هيهات هيهات لما توعدون وقرئ هيهات
بالفتح والكسر والضم كلها بتنوين وبلا تنوين وبالسكون على لفظ الوقف فان قلت ما توعدون
هو المستبعد ومن حقه ان يرتفع بهيهات كما ارتفع في قوله فهيهات هيهات العقيق واهله
فما هذه اللام قلت قال الزجاج في تفسيره البعد لما توعدون او بعد لما توعدون فيمن نون فنزله
منزلة المصدر وفيه وجه اخر وهو ان تكون اللام لبيان المستبعد ما هو بعد التصويت بكلمة
الاستبعاد كما جاءت اللام في هيت لك لبيان المهيت به ان هي الا حياتنا الدنيا هذا ضمير لا يعلم ما
يعنى به الا بما يتلوه من بيانه واصله ان الحياة الا حياتنا الدنيا ثم وضع هي موضع الحياة لان الخبر
يدل عليها ويبينها ومنه هي النفس تتحمل ما حملت وهي العرب تقول ما شاءت والمعنى لا حياة الا
هذه الحياة لان ان النافية دخلت على هي التي في معنى الحياة الدالة على الجنس فنفتها فوازنت لا التي
نفت ما بعدها نفي الجنس نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين اي يموت بعض ويولد بعض ينقرض
قرن وياتي قرن اخر ان هو الا رجل افترى على الله كذبا ثم قالوا ما هو الا مفتر على الله فيما يدعيه
من استنبائه وفيما يعدنا من البعث وما نحن له بمؤمنين بمصدقين قال رب انصرني بما كذبون
قال عما قليل ليصبحن نادمين قليل صفة للزمان كقديم وحديث في قولك ما رايته قديما ولا حديثا
وفي معناه عن قريب وما توكيد قلة المدة وقصرها فاخذتهم الصيحة بالحق صيحة جبريل صاح
عليهم فدمرهم بالحق بالوجوب لانهم قد استوجبوا الهلاك او بالعدل من الله من قولك فلان يقضي بالحق
اذا كان عادلا في قضاياه فجعلناهم غثاء شبههم في دمارهم بالغثاء وهو حميل السيل مما بلي واسود
من الورق والعيدان ومنه قوله تعالى فجعله غثاء احوى وقد جاء مشددا في قول امرئ القيس
من السيل والغثاء فلكة مغزل فبعدا للقوم الظالمين بعدا وسحقا ودفرا ونحوها
مصادر موضوعة مواضع افعالها وهي من جملة المصادر التي قال سيبويه نصبت بافعال لا يستعمل
اظهارها ومعنى بعدا بعدوا اي هلكوا يقال بعد بعدا وبعدا نحو رشد رشدا ورشدا وللقوم الظالمين بيان
لمن دعا عليه بالبعد نحو هيت لك ولما توعدون ثم انشانا من بعدهم قرونا اخرين قوم صالح
ولوط وشعيب وغيرهم وعن ابن عباس بني اسرائيل ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون اجلها
الوقت الذي حد لهلاكها وكتب ثم ارسلنا رسلنا تترى كلما جاء امة رسولها كذبوه فعلى
الالف للتانيث لان الرسل جماعة وقرئ تترى بالتنوين والتاء بدل من الواو كما في تولج وتيقور اي
متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد واضاف الرسل اليه والى اممهم ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات
لان الاضافة تكون بالملابسة والرسول ملابس المرسل والمرسل اليه جميعا فاتبعنا بعضهم بعضا
وجعلناهم احاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون فاتبعنا الامم والقرون بعضهم بعضا في
الاهلاك وجعلناهم اخبارا يسمر بها ويتعجب منها والاحاديث تكون اسم جمع للحديث ومنه احاديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكون جمعا للاحدوثة التي هي مثل الاضحوكة والالعوبة والاعجوبة
وهي ما يتحدث به الناس تلهيا وتعجبا وهو المراد ههنا ثم ارسلنا موسى واخاه هرون باياتنا
وسلطان مبين الى فرعون وملئه فاستكبروا فان قلت ما المراد بالسلطان المبين قلت
يجوز ان يراد العصا لانها كانت ام ايات موسى واولاها وقد تعلقت بها معجزات شتى من انقلابها حية
وتلقفها ما افكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربهما بها وكونها حارسا وشمعة
وشجرة خضراء مثمرة ودلوا ورشاء فجعلت كانها ليست بعضها لما استبدت به من الفضل
فلذلك عطفت عليها كقوله تعالى وجبريل وميكال ويجوز ان يراد الايات انفسها اي هي ايات وحجة بينة
وكانوا قوما عالين متكبرين ان فرعون علا في الارض لا يريدون علوا في الارض او متطاولين
على الناس قاهرين بالبغي والظلم فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون فكذبوهما
فكانوا من المهلكين البشر يكون واحدا وجمعا بشرا سويا لبشرين فاما ترين من البشر ومثل
وغير يوصف بهما الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث انكم اذا مثلهم ومن الارض مثلهن ويقال ايضا

مما تلك وهم ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم وقومهما يعني بني اسرائيل كانهم يعبدوننا
خضوعا وتذللا او لانه كان يدعي الالهية فادعى للناس العبادة وان طاعتهم له عبادة على الحقيقة
ولقد آتينا موسى الكتاب اي قوم موسى التورية لعلهم يهتدون لعلهم يعملون بشرائعها
ومواعظها فذكر موسى والمراد آله كما قال على خوف من فرعون وملائهم يريد آل فرعون وكما تقولون هاشم وثقيف وتميم ويراد قومهم
ولا يجوز ان يرجع الضمير في لعلهم الى فرعون وملائه لان التورية انما اوتيها بنو اسرائيل بعد اغراق
فرعون وملائه لان التورية انما اوتيها بنو اسرائيل بعد اغراق فرعون وملائه ولقد آتينا موسى الكتاب
من بعد ما اهلكنا القرون الاولى وجعلنا ابن مريم وامه آية فان قلت لو قيل آيتين هل كان يكون
له وجه قلت نعم لان مريم ولدت من غير مسيس وعيسى روح من الله القي اليها وقد تكلم في المهد
وكان يحيي الموتى مع معجزات اخر فكان آية من غير وجه وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين
والربوة والرباوة في رائها الحركات وقرئ ربوة ورباوة بالضم ورباوة بالكسر
وهي الارض المرتفعة قيل هي ايليا ارض بيت المقدس وانها كبد الارض واقرب الارض الى السماء
بثمانية عشر ميلا عن كعب وقيل دمشق وغوطتها وعن الحسن فلسطين والرملة وعن ابي هريرة الزموا
هذه الرملة رملة فلسطين فانها الربوة التي ذكرها الله تعالى وقيل مصر والقرار المستقر من ارض
مستوية منبسطة وعن قتادة ذات ثمار وماء يعني انه لاجل الثمار يستقر فيها ساكنوها والمعين
الماء الظاهر الجاري على وجه الارض وقد اختلف في زيادة ميمه واصالته فوجه من جعله مفعولا
انه مدرك بالعين لظهوره من عانه اذا ادركه بعينه ونحو ركبه اذا ضربه بركبته ووجه من
جعله فعيلا انه نفاع لظهوره وجريه من الماعون وهو المنفعة يا ايها الرسل كلوا من الطيبات
واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما وكيف والرسل انما
ارسلوا متفرقين في ازمنة مختلفة وانما المعنى الاعلام بان كل رسول في زمانه نودي لذلك ووصي
به ليعتقد السامع ان امرا نودي له جميع الرسل ووصوا به حقيق ان يؤخذ به ويعمل عليه والمراد بالطيبات
ما حل وطاب وقيل طيبات الرزق حلال وصاف وقوام فالحلال الذي لا يعصى الله فيه والصافي الذي لا ينسى
الله فيه والقوام ما امسك النفس وحفظ العقل واريد به ما يستطاب ويستلذ من المآكل والفواكه
ويشهد له مجيئه على عقب قوله وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين ويجوز ان يقع هذا الاعلام
عند ايواء عيسى ومريم الى الربوة فذكر على سبيل الحكاية اي آويناهما وقلنا لهما هذا اي اعلمناهما
ان الرسل كلهم خوطبوا بهذا فكلا مما رزقناكما واعملا صالحا اقتداء بالرسل وان هذه امتكم
امة واحدة وانا ربكم فاتقون وقرئ وان بالكسر على الاستئناف وان بمعنى ولان وان مخففة
من الثقيلة وامتكم مرفوعة معها فتقطعوا امرهم بينهم زبرا وقرئ زبرا جمع زبور اي كتبا
مختلفة يعني جعلوا دينهم اديانا وزبرا قطعا استعيرت من زبر الفضة والحديد وزبرا مخففة
الباء كرسل في رسل كل حزب بما لديهم فرحون اي كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المقطعين
دينهم فرح بباطله مطمئن النفس معتقد انه على الحق فذرهم في غمرتهم الغمرة الماء الذي يغمر القامة
فضربت مثلا لما هم مغمورون فيه من جهلهم وعمايتهم وشبهوا باللاعبين في غمر الماء لما هم عليه من الباطل
قال كانني ضارب في غمرة لعب وعن علي رضي الله عنه في غمراتهم حتى حين الى ان يقتلوا او يموتوا تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونهي له عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تاخيره ايحسبون انما
نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون وقرئ يمدهم ويسارع
ويسرع بالياء والفاعل الله سبحانه ويجوز في يسارع ويسرع ان يتضمن ضمير الممد به ويسارع
مبنيا للمفعول والمعنى ان هذا الامداد ليس الا استدراجا لهم الى المعاصي واستجرارا الى زيادة
الاثم وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات كما يفعل باهل الخير من المسلمين وبل استدراك لقوله
ايحسبون يعني بل هم اشباه البهائم لا فطنة لهم ولا شعور حتى يتاملوا ويتفكروا في ذلك اهو
استدراج ام مسارعة في الخير فان قلت اين الراجع من خبر ان الى اسمها اذا لم يستكن فيه ضميره
قلت هو محذوف تقديره نسارع به ويسارع به ويسارع الله به كقوله ان ذلك من عزم الامور
اي ان ذلك منه وذلك لاستطالة الكلام مع امن الالباس ان الذين هم من خشية ربهم
مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون والذين

يوتون

يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون يؤتون ما آتوا يعطون ما اعطوا وفي
قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعائشة رضي الله عنها يأتون ما أتوا اي يفعلون ما فعلوا وعنها
انها قالت قلت يا رسول الله هو الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر وهو على ذلك يخاف الله قال لا يا ابنة
الصديق ولكن هو الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو على ذلك يخاف الله ان لا يقبل منه اولئك يسارعون
في الخيرات يحتمل معنيين احدهما ان يراد يرغبون في الطاعات اشد الرغبة فيبادرونها والثاني
انهم يتعجلون في الدنيا المنافع ووجوه الاكرام كما قال فآتاهم الله ثواب
الدنيا وحسن ثواب الآخرة وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين لانهم اذا سورع بها لهم
فقد سارعوا في نيلها وتعجلوها وهذا الوجه احسن طباقا للآية المتقدمة لان فيه اثبات ما نفي
عن الكفار للمؤمنين وقرئ يسرعون في الخيرات وهم لها سابقون اي فاعلون السبق لاجلها
او سابقون الناس لاجلها او اياها سابقون اي ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا ويجوز ان يكون
لها سابقون خبرا بعد خبر ومعنى وهم لها كمعنى قوله انت لها احمد من بين البشر ولا نكلف نفسا
الا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون يعني ان هذا الذي وصف به الصالحون
غير خارج من حد الوسع والطاقة وكذلك كل ما كلفه عباده وما عملوه من الاعمال فغير ضائع عنده
بل هو مثبت لديه في كتاب يريد اللوح او صحيفة الاعمال ناطق بالحق لا يقرؤون منه يوم القيمة الا ما هو
صدق وعدل لا زيادة فيه ولا نقصان ولا يظلم منهم احد او اراد ان الله لا يكلف الا الوسع فان لم يبلغ
المكلف ان يكون على صفة هؤلاء السابقين بعد ان يستفرغ وسعه ويبذل طاقته فلا عليه ولدينا كتاب فيه عمل
السابق والمقتصد ولا يظلم احدا من حقه ولا يحطه دون درجته بل قلوبهم قلوب الكفرة في غمرة
غفلة غامرة لها من هذا اي مما عليه هؤلاء الموصوفون من المؤمنين ولهم اعمال من دون ذلك متجاوزة
متخطية لذلك اي لما وصف به المؤمنون هم لها عاملون معتادون وبها ضارون لا يفطمون عنها
حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب وحتى هذه هي التي يبتدأ بعدها الكلام والكلام ع
الجملة الشرطية والعذاب قتلهم يوم بدر او الجوع حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال
اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف عليه السلام فابتلاهم الله بالقحط
حتى اكلوا الجيف والكلاب والعظام المحترقة والقد والاولاد اذا هم يجأرون الجؤار الصراخ
باستغاثة قال جأر ساعات النيام لربه لا تجأروا اليوم اي يقال لهم حينئذ لا تجأروا فان
الجؤار غير نافع لكم انكم منا لا تنصرون لا تغاثون ولا تمنعون منا او من جهتنا لا يلحقكم نصر
ومعونة قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على اعقابكم تنكصون مستكبرين
به سامرا تهجرون قالوا الضمير في به للبيت العتيق او للحرم كانوا يقولون لا يظهر علينا احد لانا اهل
الحرم والذي سوغ هذا الاضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت وانه لم يكن لهم مفخر الا انهم ولاته والقائمون
به ويجوز ان يرجع الى آياتي الا انه ذكر لانها في معنى كتابي ومعنى استكبارهم بالقرآن تكذيبهم
به استكبارا ضمن مستكبرين معنى مكذبين فعدي تعديته او يحدث لكم استماعه
استكبارا وعتوا فانتم مستكبرون بسببه او تتعلق الباء بسامرا اي تسمرون بذكر القرآن
وبالطعن فيه وكانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا
وشعرا وسب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم او تهجرون والسامر نحو الحاضر في الاطلاق على الجمع
وقرئ سمرا وسمارا وتهجرون من اهجر في منطقه اذا افحش والهجر بالضم الفحش ومن هجر الذي
هو مبالغة في هجر اذا هذى والهجر بالفتح الهذيان افلم يدبروا القول ام جاءهم ما لم يأت آباءهم
الاولين القول القرآن يقول افلم يتدبروه ليعلموا انه الحق فيصدقوا به وبمن جاء به بل اجاءهم ما لم يأت آباءهم
فلذلك انكروه واستبعدوه كقوله لتنذر قوما ما انذر آباؤهم فهم غافلون او ليخافوا عند تدبر آياته
واقاصيصه مثل ما نزل بمن قبلهم من المكذبين ام جاءهم من الامن ما لم يأت آباءهم حين خافوا الله فآمنوا به
وبكتبه ورسله واطاعوه وآباؤهم اسمعيل واعقابه من عدنان وقحطان وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
لا تسبوا مضر ولا ربيعة فانهما كانا مسلمين ولا تسبوا قسا فانه كان مسلما ولا تسبوا الحارث بن كعب
ولا اسد بن خزيمة ولا تميم بن مر فانهم كانوا على الاسلام وما شككتم فيه من شيء فلا تشكوا في ان تبعا
كان مسلما وروي ان ضبة كان مسلما وكان على شرطة سليمان بن داود عليهما الصلوة والسلام ام لم يعرفوا

رسولهم فهم له منكرون ام لم يعرفوا محمدا وصحة نسبه وحلوله في سطة هاشم وامانته وصدقه
وشهامته وعقله واتسامه بانه خير فتيان قريش والخطبة التي خطبها ابو طالب في نكاح خديجة
بنت خويلد كفى برغائها مناديا ام يقولون به جنة بل جاءهم بالحق
نسبة الجنون وكانوا يعلمون انه بريء منها وانه ارجحهم عقلا واثقبهم ذهنا ولكنه جاءهم بما خالف
شهواتهم واهواءهم ولم يوافق ما نشأوا عليه وسيط بلحومهم ودمائهم من اتباع الباطل ولم يجدوا له
مردا ولا مدفعا لانه الحق الابلج والصراط المستقيم فاخلدوا الى البهت وعولوا على الكذب من النسبة
الى الجنون والسحر والشعر فان قلت قوله واكثرهم للحق كارهون فيه ان اقلهم كانوا لا يكرهون
الحق قلت كان فيهم من يترك الايمان انفة واستنكافا من توبيخ قومه وان يقولوا صبا وترك دين
آبائه لا كراهة للحق كما يحكى عن ابي طالب فان قلت يزعم بعض الناس ان ابا طالب صح اسلامه
قلت يا سبحان الله كأن ابا طالب كان اخمل اعمام رسول الله صلى الله عليه واله وسلم حتى يشتهر اسلام
حمزة والعباس ويخفى اسلام ابي طالب ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض ومن
فيهن دل بهذا على عظم شأن الحق وان السموات والارض ما قامت ولا من فيهن الا به فلو اتبع اهواءهم
لانقلب باطلا ولذهب ما يقوم به العالم فلا يبقى بعده قوام او اراد ان الحق الذي جاء به محمد وهو الاسلام
لو اتبع اهواءهم وانقلب شركا لجاء الله بالقيامة ولاهلك العالم ولم يؤخره وعن قتادة ان الحق هو الله
ومعناه ولو كان الله الها يتبع اهواءهم ويأمر بالشرك والمعاصي لما كان الها ولكان شيطانا ولما
قدر على ان يمسك السموات والارض بل اتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون
بذكرهم اي بالكتاب الذي هو ذكرهم اي وعظهم او وصيتهم وفخرهم او بالذكر الذي كانوا
يتمنونه ويقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين وقرئ بذكراهم ام تسألهم
خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم
وقرئ خراجا فخراج وهو ما تخرجه الى الامام من زكاة ارضك والى كل عامل من اجرته وجعله وقيل
الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك اداؤه والوجه ان الخرج اخص من الخراج كقولك خراج القرية
وخرج الكردة زيادة اللفظ لزيادة المعنى ولذلك حسنت قراءة من قرأ خرجا فخراج ربك يعني
ام تسألهم على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخلق فالكثير من عطاء الخالق خير فقد الزمهم الحجة في
هذه الايات وقطع معاذيرهم وعللهم بان الذي ارسل اليهم رجل معروف امره وحاله مخبور
سره وعلنه خليق بان يجتبى مثله للرسالة من بين ظهرانيهم وانه لم يعرض له حتى يدعي مثل
هذه الدعوى العظيمة بباطل ولم يجعل ذلك سلما الى النيل من دنياهم واستعطاء اموالهم ولم
يدعهم الا الى دين الاسلام الذي هو الصراط المستقيم مع ابراز المكنون من ادوائهم وهو اخلالهم بالتدبر
والتأمل واستهتارهم بدين الآباء الضلال من غير برهان وتعللهم بانه مجنون بعد ظهور الحق وثبات
التصديق من الله تعالى بالمعجزات والآيات النيرة وكراهتهم للحق واعراضهم عما فيه حظهم من الذكر
وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون يحتمل ان هؤلاء وصفتهم انهم لا يؤمنون
بالآخرة لناكبون اي عادلون عن هذا الصراط المذكور وهو قوله الى صراط مستقيم وان كل من لا
يؤمن بالآخرة فهو عن القصد ناكب ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم
يعمهون لما اسلم ثمامة بن اثال الحنفي ولحق باليمامة ومنع الميرة من اهل مكة واخذهم الله
بالسنين حتى اكلوا العلهز جاء ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فقال له انشدك الله
والرحم الست بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع والمعنى لو كشف
الله عنهم هذا الضر وهو الهزال والقحط الذي اصابهم برحمته عليهم ووجدوا الخصب لارتدوا
الى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم والمؤمنين وافراطهم فيها
ولذهب عنهم هذا الابلاس وهذا التملق بين يديه يسترحمونه ولقد اخذناهم بالعذاب
فما استكانوا لربهم وما يتضرعون حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد اذا هم
فيه مبلسون واستشهد على ذلك بانا اخذناهم اولا بالسيوف وبما جرى عليهم يوم بدر من
قتل صناديدهم واسرهم فما وجدت منهم بعد استكانة ولا تضرع حتى فتحنا عليهم باب الجوع
الذي هو اشد من الاسر والقتل وهو اطم العذاب فابلسوا الساعة وخضعت رقابهم وجاء اعتاهم

واشدهم شكيمة في العناد يستعطفك او محناهم بكل محنة من القتل والجوع فما رؤي فيهم لين مقادة
وهم كذلك حتى اذا عذبوا بنار جهنم فحينئذ يبلسون كقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون
لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون والابلاس اليأس من كل خير وقيل السكوت مع التحير فان قلت ما وزن
استكان قلت استفعل من الكون اي انتقل من كون الى كون كما قيل استحال اذا انتقل من حال الى حال ويجوز
ان يكون افتعل من السكون اشبعت فتحة عينه كما جاء بمنتزاح فان قلت هلا قيل وما تضرعوا او فما
استكانوا ويستكينون قلت لان المعنى محناهم فما وجدت منهم عقيب المحنة استكانة وما من عادة هؤلاء
ان يستكينوا ويتضرعوا حتى يفتح عليهم باب العذاب الشديد وقرئ فتحنا وهو الذي انشأ لكم
السمع والابصار والافئدة انما خص السمع والابصار والافئدة لانه يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية
ما لا يتعلق بغيرها ومقدمة منافعها ان يعملوا ابصارهم واسماعهم في آيات الله وافعاله ثم ينظروا
ويستدلوا بقلوبهم ومن لم يعملها فيما خلقت له فهو بمنزلة عادمها كما قال عز وجل فما اغنى عنهم سمعهم
ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون بآيات الله ومقدمة شكر النعمة فيها الاقرار بالمنعم بها
وان لا يجعل له ند وشريك قليلا ما تشكرون اي تشكرون شكرا قليلا وما مزيدة للتاكيد بمعنى حقا
وهو الذي ذرأكم في الارض واليه تحشرون خلقكم وبثكم بالتناسل تجمعون يوم القيامة بعد
تفرقكم وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار اي هو مختص به وهو متوليه ولا يقدر
على تصريفهما غيره افلا تعقلون وقرئ يعقلون بالياء عن ابي عمرو بل قالوا مثل ما قال الاولون اي
قال اهل مكة كما قال الكفار قبلهم قالوا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون لقد وعدنا
نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين الاساطير جمع اسطار جمع سطر قال
رؤبة * اني واسطار سطرن سطرا * وهي ما كتبه الاولون مما لا حقيقة له وجمع اسطورة اوفق
قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون اي اجيبوني عما استعلمتكم منه ان كان عندكم فيه علم
وفيه استهانة بهم وتجويز لفرط جهالتهم بالديانات ان يجهلوا مثل هذا الجلي سيقولون لله قل
افلا تذكرون وقرئ تذكرون بحذف التاء الثانية ومعناه افلا تتذكرون فتعلموا ان من فطر الارض
ومن فيها اختراعا كان قادرا على اعادة الخلق وكان حقيقا بان لا يشرك به بعض خلقه في الربوبية قل
من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل افلا تتقون
قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله
قرئ الاول باللام لا غير والاخريان باللام وهو هكذا في مصاحف اهل الحرمين والكوفة والشام
وبغير اللام وهو هكذا في مصاحف البصرة فباللام على المعنى لان قولك من ربه ولمن هو في معنى واحد
وبغير اللام على اللفظ ويجوز قراءة الاول بغير لام ولكنها لم تثبت في الرواية افلا تتقون افلا تخافونه فلا
تشركوا به وتعصوا رسله اجرت فلانا على فلان اذا اغثته منه ومنعته يعني وهو يغيث من يشاء ممن
يشاء ولا يغيث احد منه احدا فانى تسحرون تخدعون عن توحيده وطاعته والخادع هو
الشيطان والهوى بل اتيناهم بالحق بان نسبة الولد اليه محال والشرك
باطل وانهم لكاذبون حيث يدعون له ولدا ومعه شريكا ما اتخذ الله من ولد وما كان معه
من اله اذا لذهب كل اله بما خلق لانفرد كل واحد من الآلهة بخلقه الذي خلقه واستبد به ولرأيتم
ملك كل واحد منهم متميزا عن ملك الآخرين ولعلا بعضهم على بعض ولغلب بعضهم بعضا
كما ترون حال ملوك الدنيا ممالكهم متمايزة وهم متغالبون وحين لم تروا اثرا لتمايز الممالك والتغالب
فاعلموا انه اله واحد بيده ملكوت كل شيء فان قلت اذا لا تدخل الا على كلام هو جزاء وجواب فكيف
وقع قوله لذهب جزاء وجوابا ولم يتقدمه شرط ولا سؤال سائل قلت الشرط محذوف وتقديره ولو كان
معه آلهة وانما حذف لدلالة قوله وما كان معه من اله عليه وهو جواب لمن معه المحاجة من المشركين
سبحان الله عما يصفون من الانداد والاولاد عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون
عالم الغيب بالجر صفة لله وبالرفع خبر مبتدأ محذوف قل رب اما تريني ما يوعدون رب فلا
تجعلني في القوم الظالمين ما والنون مؤكدتان اي ان كان لا بد من ان تريني ما تعدهم من
العذاب في الدنيا او في الآخرة فلا تجعلني قرينا لهم ولا تعذبني بعذابهم عن الحسن اخبره الله تعالى ان له
في امته نقمة ولم يخبره افي حياته ام بعد موته فامره ان يدعو بهذا الدعاء فان قلت كيف يجوز ان

يجعل الله نبيه المعصوم مع الظالمين حتى يطلب ان لا يجعله معهم قلت يجوز ان يسأل العبد ربه ما
علم انه يفعله وان يستعيذ به مما علم انه لا يفعله اظهاراً للعبودية وتواضعاً لربه واخباتاً له واستغفاره
صلى الله عليه وآله وسلم اذا قام من مجلسه سبعين مرة لذلك وما احسن قول الحسن في قول ابي بكر الصديق
رضي الله عنه وليتكم ولست بخيركم كان يعلم انه خيرهم ولكن المؤمن يهضم نفسه وقرئ اما
ترئنهم بالهمز كما قرئ فاما ترئن ولترؤن الجحيم وهي ضعيفة وقوله رب مرتين مرة قبل الشرط ومرة قبل
الجزاء حث على فضل تضرع وجؤار **وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون** كانوا ينكرون
الموعد بالعذاب ويضحكون منه واستعجالهم له لذلك فقيل لهم ان الله قادر على انجاز ما وعد ان تأملتم
فما وجه هذا الانكار **ادفع بالتي هي احسن السيئة** هو ابلغ من ان يقال بالحسنة السيئة لما فيه من التفضيل
كانه قال ادفع بالحسنى السيئة والمعنى الصفح عن اساءتهم ومقابلتها بما امكن من الاحسان حتى اذا اجتمع
الصفح والاحسان وبذل الاستطاعة فيه كانت حسنة مضاعفة بازاء سيئة وهذه قضية قوله بالتي
هي احسن وعن ابن عباس شهادة ان لا اله الا الله والسيئة الشرك وعن مجاهد السلام يسلم عليه اذا لقيه
وعن الحسن الاغضاء والصفح وقيل هي منسوخة بآية السيف وقيل محكمة لان المداراة محثوث عليها ما لم
تؤد الى ثلم دين وازراء بمروءة **نحن اعلم بما يصفون** بما يذكرونه من احوالك بخلاف صفتها او بوصفهم
لك وسوء ذكرهم والله اعلم بذلك واقدر على جزائهم **وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين**
واعوذ بك رب ان يحضرون الهمز النخس والهمزات جمع المرة ومنه مهماز الرائض والمعنى
ان الشياطين يحثون الناس على المعاصي ويغرونهم عليها كما تهمز الراضة الدواب حثاً لها على المشي
ونحو الهمز الاز في قوله تعالى تؤزهم ازاً امر بالتعوذ من نخساتهم بلفظ المبتهل الى ربه المكرر لندائه
وبالتعوذ من ان يحضروه اصلاً ويحوموا حوله وعن ابن عباس عند تلاوة القرآن وعن عكرمة عند النزع
حتى اذا جاء احدهم الموت حتى يتعلق بيصفون اي لا يزالون على سوء الذكر الى هذا الوقت والآية فاصلة
بينهما على وجه الاعتراض والتأكيد للاغضاء عنهم مستعيناً بالله على الشيطان ان يستزله عن
الحلم ويغريه على الانتصار منهم او على قوله وانهم لكاذبون **قال رب ارجعون** خطاب الله بلفظ
الجمع كقوله فان شئت حرمت النساء سواكم وقوله الا فارحموني يا اله محمد اذا ايقن
بالموت واطلع على حقيقة الامر ادركته الحسرة على ما فرط فيه من الايمان والعمل الصالح فسأل ربه الرجعة
وقال **لعلي اعمل صالحاً فيما تركت** في الايمان الذي تركته والمعنى لعلي آتي بما تركته من الايمان
واعمل فيه صالحاً كما تقول لعلي ابني على اس تريد اؤسس اساً وابني عليه وقيل فيما تركت من المال وعن النبي صلى
الله عليه وآله وسلم اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان
بل قدوماً الى الله واما الكافر فيقول رب ارجعون **كلا** ردع عن طلب الرجعة واستبعاد
انها كلمة والمراد بالكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض وهي قوله لعلي اعمل صالحاً فيما
تركت **هو قائلها** لا محالة لا يخليها ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة عليه وتسلط الندم او قائلها وحده
لا يجاب اليها ولا تسمع منه **ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون** والضمير للجماعة اي امامهم
حائل بينهم وبين الرجعة الى يوم البعث وليس المعنى انهم يرجعون يوم البعث وانما هو اقناط كلي
لما علم انه لا رجعة يوم البعث الا الى الآخرة **فاذا نفخ في الصور** الصور بفتح الواو عن الحسن والصور
بالكسر والفتح عن ابي رزين وهذا دليل لمن فسر الصور بجمع الصورة **فلا انساب بينهم يومئذ**
ونفي الانساب يحتمل ان التقاطع يقع بينهم حيث يتفرقون معاقبين ومثابين ولا يكون التواصل بينهم
والتآلف الا بالاعمال فتلغو الانساب وتبطل وانه لا يعتد بالانساب لزوال التعاطف والتراحم بين الاقارب
اذ يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه **ولا يتساءلون** وعن ابن مسعود ولا يتساءلون بادغام
التاء في السين فان قلت قد ناقض هذا ونحو قوله ولا يسأل حميم حميماً قوله واقبل بعضهم على بعض
يتساءلون وقوله يتعارفون بينهم قلت فيه جوابان احدهما ان يوم القيامة مقداره خمسين
الف سنة ففيه ازمنة واحوال مختلفة يتساءلون ويتعارفون في بعضها وفي بعضها لا يفطنون
لذلك لشدة الهول والفزع والثاني ان التناكر يكون عند النفخة الاولى فاذا كانت الثانية قاموا
فتعارفوا وتساءلوا **فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون** الموازين جمع موزون وهي
الموزونات من الاعمال اي الصالحات التي لها وزن وقدر عند الله من قوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة

وزنا

وزنا **ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم في جهنم خالدون** في جهنم خالدون
بدل من خسروا انفسهم ولا محل للبدل والمبدل منه لان الصلة لا محل لها او خبر بعد خبر لاولئك او
خبر مبتدأ محذوف **تلفح وجوههم النار** تسفع وقال الزجاج اللفح والنفح واحد الا ان اللفح اشد
تأثيراً **وهم فيها كالحون** والكلوح ان تتقلص الشفتان وتتشمرا عن الاسنان كما ترى الرؤوس
المشوية وعن مالك بن دينار كان سبب توبة عتبة الغلام انه مر في السوق براس اخرج من
التنور فغشي عليه ثلاثة ايام ولياليها وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال تشويه النار
فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي السفلى حتى تبلغ سرته وقرئ كلحون
**الم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا
قوماً ضالين** غلبت علينا ملكتنا من قولك غلبني فلان على كذا اذا اخذه منك وامتلكه والشقاوة
سوء العاقبة التي علم الله انهم يستحقونها بسوء اعمالهم وقرئ شقوتنا وشقاوتنا بفتح الشين
وكسرها فيهما **ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسؤوا فيها** ذلوا فيها
وانزجروا كما تنزجر الكلاب اذا زجرت يقال خسأ الكلب وخسأ بنفسه **ولا تكلمون**
في رفع العذاب فانه لا يرفع ولا يخفف قيل هو آخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا
الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلب لا يفهمون ولا يفهمون وعن ابن عباس ان لهم ست دعوات اذا
دخلوا النار قالوا الف سنة ربنا ابصرنا وسمعنا فيجابون حق القول مني فينادون الفاً ربنا
امتنا اثنتين فيجابون ذلكم بانه اذا دعي الله وحده فينادون الفاً يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون
انكم ماكثون فينادون الفاً ربنا اخرجنا فيجابون اولم تكونوا فينادون الفاً اخرجنا نعمل صالحاً فيجابون
اولم نعمركم فينادون الفاً رب ارجعون فيجابون اخسؤوا **انه كان فريق من عبادي
يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين** في حرف ابي انه كان فريق بالفتح
بمعنى لانه **فاتخذتموهم سخرياً حتى انسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون**
السخري بالضم والكسر مصدر سخر كالسخر الا ان في ياء النسب زيادة قوة في الفعل كما قيل الخصوصية في الخصوص
وعن الكسائي والفراء ان المكسور من الهزء والمضموم من السخرة والعبودية اي تسخروهم واستعبدوهم
والاول مذهب الخليل وسيبويه وقيل هم الصحابة وقيل اهل الصفة خاصة ومعناه
اتخذتموهم هزؤاً وتشاغلتم بهم ساخرين حتى انسوكم بتشاغلكم بهم على تلك الصفة ذكري فتركتموه
اي تركتم ان تذكروني فتخافوني في اوليائي **اني جزيتهم اليوم بما صبروا انهم هم الفائزون** وقرئ
انهم بالفتح والكسر استئناف اي قد فازوا حيث صبروا فجزوا بصبرهم احسن الجزاء والفتح انه
مفعول جزيتهم كقولك جزيتهم فوزهم **قال كم لبثتم في الارض عدد سنين** وقال في مصاحف
الكوفة وقل في مصاحف اهل الحرمين والبصرة والشام ففي قال ضمير الله او المأمور بسؤالهم من
الملائكة وفي قل ضمير الملك او بعض رؤساء اهل النار **قالوا لبثنا يوماً او بعض يوم فاسأل
العادين قال ان لبثتم الا قليلاً لو انكم كنتم تعلمون** استقصروا مدة لبثهم في الدنيا بالاضافة
الى خلودهم ولما هم فيه من عذابها لان الممتحن يستطيل ايام محنته ويستقصر ما مر عليه
من ايام الدعة اليها او لانهم كانوا في سرور وايام السرور قصار او لان المنقضي في حكم ما لم يكن
وصدقهم الله في تقالهم لسني لبثهم في الدنيا ووبخهم على غفلتهم التي كانوا عليها وقرئ فاسأل العادين
والمعنى لا نعرف من عدد تلك السنين الا انا نستقله ونحسبه يوماً او بعض يوم لما نحن فيه من العذاب وما
فينا ان نعده فاسأل من فيه ان يعده ومن يقدر ان يلقي اليه فكره وقيل فاسأل الملائكة
الذين يعدون اعمار العباد ويحصون اعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اي الظلمة فانهم يقولون كما
نقول وقرئ العاديين اي القدماء المعمرين فانهم يستقصرونها فكيف بمن دونهم وعن ابن عباس
انساهم ما كانوا فيه من العذاب بين النفختين **افحسبتم انما خلقناكم عبثاً** حال اي عابثين كقوله
لاعبين او مفعول له اي ما خلقناكم للعبث ولم يدعنا الى خلقكم الا حكمة اقتضت ذلك وهي ان
نتعبدكم ونكلفكم المشاق من الطاعات وترك المعاصي ثم نرجعكم من دار التكليف الى دار الجزاء
فنثيب المحسن ونعاقب المسيء **وانكم الينا لا ترجعون** معطوف على انما خلقناكم ويجوز ان يكون
معطوفاً على عبثاً اي للعبث ولترككم غير مرجوعين وقرئ ترجعون بفتح التاء **فتعالى الله**

الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم الحق الذي يحق له الملك لان كل شيء منه واليه او الثابت الذي لا يزول ولا يزول ملكه وصف العرش بالكريم لان الرحمة تنزل منه والخير والبركة او لنسبته الى اكرم الاكرمين كما يقال بيت كريم اذا كان ساكنوه كراما وقرئ الكريم بالرفع ونحوه ذو العرش المجيد ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين لا برهان له به كقوله ما لم ينزل به سلطانا وهي صفة لازمة نحو قوله يطير بجناحيه جيء بها للتوكيد لا ان تكون في الالهة ما يجوز ان يقوم عليه برهان ويجوز ان تكون اعتراضا بين الشرط والجزاء كقولك من احسن الى زيد لا احق بالاحسان منه فالله مثيبه وقرئ انه بفتح الهمزة ومعناه حسابه عدم الفلاح والاصل حسابه انه لا يفلح هو فوضع الكافرون موضع الضمير لان من يدع في معنى الجمع وكذلك حسابه انه لا يفلح في معنى حسابهم انهم لا يفلحون جعل فاتحة السورة قد افلح المؤمنون واورد في خاتمتها انه لا يفلح الكافرون فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من قرا سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت وروي ان اول سورة قد افلح المؤمنون واخرها من كنوز العرش من عمل بثلاث ايات من اولها واتعظ باربع ايات من اخرها فقد نجا وافلح وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اذا نزل عليه الوحي يسمع عنده دوي كدوي النحل فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا واعطنا ولا تحرمنا واثرنا ولا تؤثر علينا وارضنا وارض عنا ثم قال لقد انزلت علي عشر ايات من اقامهن دخل الجنة ثم قرا قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر

سورة النور مدنية وهي اثنتان وستون آية وقيل اربع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة انزلناها وفرضناها وانزلنا فيها آيات بينات سورة خبر مبتدأ محذوف وانزلناها صفة او هي مبتدأ موصوف والخبر محذوف اي فيما اوحينا اليك سورة انزلناها وقرئ بالنصب على زيدا ضربته ولا محل لانزلناها لانها مفسرة للمضمر فكانت في حكمه او على دونك سورة او اتل سورة وانزلناها صفة ومعنى فرضناها فرضنا احكامها التي فيها واصل الفرض القطع اي جعلناها واجبة مقطوعا بها والتشديد للمبالغة في الايجاب وتوكيده او لان فيها فرائض شتى وانك تقول فرضت الفريضة وفرضت الفرائض او لكثرة المفروض عليهم من السلف ومن بعدهم لعلكم تذكرون بتشديد الذال وتخفيفها الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة رفعهما على الابتداء والخبر محذوف عند الخليل وسيبويه على معنى فيما فرض عليكم الزانية اي جلدهما ويجوز ان يكون الخبر فاجلدوا وانما دخلت الفاء لكون الالف واللام بمعنى الذي وتضمينه معنى الشرط تقديره التي زنت والذي زنا فاجلدوهما كما تقول من زنا فاجلدوه وكقوله والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره وهو احسن من سورة انزلناها لاجل الامر وقرئ والزان بلا ياء والجلد ضرب الجلد يقال جلده كقولك ظهره وبطنه وراسه فان قلت اهذا حكم جميع الزناة والزواني ام حكم بعضهم قلت بل هو حكم من ليس بمحصن منهم فان المحصن حكمه الرجم وشرائط الاحصان عند ابي حنيفة ست الاسلام والحرية والعقل والبلوغ والتزوج بنكاح صحيح والدخول اذا فقدت واحدة منها فلا احصان وعند الشافعي الاسلام ليس بشرط لما روي ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم رجم يهوديين وحجة ابي حنيفة قوله عليه الصلوة والسلام من اشرك بالله فليس بمحصن فان قلت اللفظ يقتضي تعليق الحكم بجميع الزناة والزواني لان قوله الزانية والزاني عام في الجميع يتناول المحصن وغير المحصن قلت الزانية والزاني يدلان على الجنسين المنافيين لجنسي العفيف والعفيفة دلالة مطلقة والجنسية قائمة في الكل والبعض جميعا فايهما قصد المتكلم فلا عليه كما يفعل بالاسم المشترك ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله وقرئ ولا ياخذكم بالياء ورافة بفتح الهمزة ورآفة على فعالة والمعنى ان الواجب على المؤمنين

ان يتصلبوا في دين الله ويستعملوا الجد والمتانة فيه ولا ياخذهم اللين والهوادة في استيفاء حدوده وكفى برسول الله صلى الله عليه واله وسلم اسوة في ذلك حيث قال لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقوله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر من باب التهييج والهاب الغضب لله ولدينه وقيل لا ترحموهما حتى لا تعطلوا الحدود او حتى لا توجعوهما ضربا وفي الحديث يؤتى بوال نقص من الحد سوطا فيقول رحمة لعبادك فيقال له انت ارحم به مني فيؤمر به الى النار ويؤتى بمن زاد سوطا فيقول لينتهوا عن معاصيك فيؤمر به الى النار وعن ابي هريرة رضي الله عنه اقامة حد بارض خير لاهلها من مطر اربعين ليلة وعلى الامام ان ينصب للحدود رجلا عالما بصيرا يعقل كيف يضرب والرجل يجلد قائما على مجرده ليس عليه الا ازاره ضربا وسطا لا مبرحا ولا هينا مفرقا على الاعضاء كلها لا يستثنى منها الا الثلاثة الوجه والراس والفرج وفي لفظ الجلد اشارة الى انه لا ينبغي ان يتجاوز الالم الى اللحم والمراة تجلد قاعدة ولا ينزع من ثيابها الا الحشو والفرو وبهذه الاية استشهد ابو حنيفة رضي الله عنه على ان الجلد حد غير المحصن بلا تغريب وما احتج به الشافعي رضي الله عنه على وجوب التغريب من قوله عليه الصلوة والسلام البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وما يروى عن الصحابة رضي الله عنهم انهم جلدوا ونفوا منسوخ عندنا وعند اصحابه بالاية او محمول على وجه التعزير والتاديب من غير وجوب وقول الشافعي في تغريب الحر واحد وله في العبد ثلاثة اقوال يغرب سنة كالحر ويغرب نصف سنة كما يجلد خمسين جلدة ولا يغرب كما قال ابو حنيفة رضي الله عنه وبهذه الاية نسخ الحبس والاذى في قوله فامسكوهن في البيوت وقوله فآذوهما وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قيل تسميته عذابا دليل على انه عقوبة ويجوز ان يسمى عذابا لانه يمنع من المعاودة كما سمي نكالا الطائفة الفرقة التي يمكن ان تكون حلقة واقلها ثلاثة او اربعة وهي صفة غالبة كانها الجماعة الحافة حول الشيء وعن ابن عباس في تفسيرها اربعة الى اربعين رجلا من المصدقين بالله وعن الحسن عشرة وعن قتادة ثلاثة فصاعدا وعن عكرمة رجلان فصاعدا وعن مجاهد الواحد فما فوقه وفضل قول ابن عباس لان الاربعة هي الجماعة التي يثبت بها هذا الحد والصحيح ان هذه الكبيرة من امهات الكبائر ولهذا قرنها الله بالشرك وقتل النفس في قوله ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما وقال ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا وعن النبي صلى الله عليه واله وسلم يا معشر الناس اتقوا الزنا فان فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الاخرة فاما اللاتي في الدنيا فيذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر واما اللاتي في الاخرة فيوجب السخطة وسوء الحساب والخلود في النار ولذلك وفى الله فيه عقد المائة بكماله بخلاف حد القذف وشرب الخمر وشرع فيه القتلة الهولة وهي الرجم ونهى المؤمنين عن الرافة على المجلود وامر بشهادة الطائفة للتشهير فوجبت ان تكون طائفة يحصل بها التشهير والواحد والاثنان ليسوا بتلك المثابة واختصاصه المؤمنين لان ذلك افضح والفاسق بين صلحاء قومه اخجل ويشهد له قول ابن عباس الى اربعين رجلا من المصدقين بالله الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك على المؤمنين الفاسق الخبيث الذي من شانه الزنا والتقحب لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء واللاتي على خلاف صفته وانما يرغب في فاسقة خبيثة من شكله او في مشركة والفاسقة الخبيثة المسافحة كذلك لا يرغب في نكاحها الصلحاء من الرجال وينفرون عنها وانما يرغب فيها من هو من شكلها من الفسقة والمشركين ونكاح المؤمن الممدوح عند الله الزانية ورغبته فيها وانخراطه بذلك في سلك الفسقة المتسمين بالزنا محرم عليه محظور لما فيه من التشبه بالفساق وحضور موقع التهمة والتسبب لسوء القالة فيه والغيبة وانواع المفاسد ومجالسة الخطائين كم فيها من التعرض لاقتراف الاثام فكيف بمزاوجة الزواني والقحاب والى ذلك نبه بقوله وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم وقيل كان في المدينة موسرات من بغايا المشركين فرغب فقراء المهاجرين في نكاحهن فاستاذنوا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فنزلت وعن عائشة رضي الله عنها ان الرجل اذا زنى بامراة ليس له ان يتزوجها لهذه الاية واذا باشرها كان زانيا وقد اجازه ابن عباس رضي الله عنهما وشبهه بمن سرق ثمر شجرة ثم اشتراه وعن النبي صلى الله عليه واله وسلم انه سئل عن ذلك فقال اوله سفاح واخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطء وليس بقول لامرين احدهما ان هذه الكلمة اينما وردت في القران لم ترد الا في معنى العقد والثاني فساد المعنى واداؤه الى قولك الزاني لا يزني الا بزانية والزانية لا يزني بها الا زان وقيل كان نكاح الزانية محرما في اول الاسلام ثم نسخ والناسخ

قوله وانكحوا الايامى منكم وقيل الاجماع وروى ذلك عن سعيد بن المسيب فان قلت اي فرق بين معنى الجملة الاولى ومعنى الثانية قلت معنى الاولى صفة الزاني بكونه غير راغب في العفائف ولكن في الفواجر ومعنى الثانية صفة الزانية بكونها غير مرغوب فيها للاعفاء ولكن للزناة وهما معنيان مختلفان فان قلت كيف قدمت الزانية على الزاني اولا ثم قدم عليها ثانيا قلت سيقت تلك الآية لعقوبتهما على ما جنيا والمراة هي المادة التي منها نشأت الجناية لانها لو لم تطمع الرجل ولم تومض له ولم تمكنه لم يطمع ولم يتمكن فلما كانت اصلا واولا في ذلك بدئ بذكرها واما الثانية فمسوقة لذكر النكاح والرجل اصل فيه لانه هو الراغب والخاطب ومنه يبدأ الطلب وعن عمرو بن عبيد لا ينكح بالجزم على النهي والمرفوع ايضا فيه معنى النهي ولكن ابلغ واكد كما ان رحمك الله ويرحمك ابلغ من ليرحمك ويجوز ان يكون خبرا محضا على معنى ان عادتهم جارية على ذلك وعلى المؤمن ان لا يدخل نفسه تحت هذه العادة ويتصون عنها وقرئ وحرم بفتح الحاء **والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون ● الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم ●** القذف يكون بالزنا وبغيره والذي دل على ان المراد قذفهن بالزنا شيئان احدهما ذكر المحصنات عقيب الزواني والثاني اشتراط اربعة شهداء لان القذف بغير الزنا يكفي فيه شاهدان والقذف بالزنا ان يقول الحر العاقل البالغ لمحصنة يا زانية او لمحصن يا زاني يا ابن الزانية يا ولد الزنا لست لابيك لست لرشدة والقذف بغير الزنا ان يقول يا آكل الربا يا شارب الخمر يا يهودي يا مجوسي يا فاسق يا خبيث يا ماص بظر امه فعليه التعزير ولا يبلغ به ادنى حد العبيد وهو اربعون بل ينقص منه وقال ابو يوسف يجوز ان يبلغ به تسعة وسبعون وقال للامام ان يعزر الى المائة وشروط احصان القذف خمسة الحرية والبلوغ والعقل والاسلام والعفة وقرئ باربعة شهداء بالتنوين وشهداء صفة فان قلت كيف يشهدون مجتمعين او متفرقين قلت الواجب عند ابي حنيفة واصحابه ان يحضروا في مجلس واحد وان جاوا متفرقين كانوا قذفة وعند الشافعي يجوز ان يحضروا متفرقين فان قلت هل يجوز ان يكون زوج المقذوفة واحدا منهم قلت يجوز عند ابي حنيفة خلافا للشافعي فان قلت كيف يجلد القاذف قلت كما يجلد الزاني الا انه لا ينزع عنه من ثيابه الا ما ينزع من المراة من الحشو والفرو والقاذف ايضا كالزانية واشد الضرب ضرب التعزير ثم ضرب الزنا ثم ضرب شارب الخمر ثم ضرب القاذف قالوا لان سبب عقوبته محتمل للصدق والكذب الا انه عوقب صيانة للاعراض وردعا عن هتكها فان قلت فاذا لم يكن المقذوف محصنا قلت يعزر القاذف ولا يحد الا ان يكون معروفا بما قذف به فلا حد ولا تعزير رد شهادة القاذف معلق عند ابي حنيفة رضي الله عنه باستيفاء الحد فاذا شهد قبل الحد او قبل تمام استيفائه قبلت شهادته فاذا استوفي لم تقبل شهادته ابدا وان تاب وكان من الابرار الاتقياء وعند الشافعي رحمه الله يتعلق رد شهادته بنفس القذف فاذا تاب عن القذف بان رجع عنه عاد مقبول الشهادة وكلاهما متمسك بالآية فابو حنيفة جعل جزاء الشرط الذي هو الرمي الجلد ورد الشهادة عقيب الجلد على التابيد فكانوا مردودي الشهادة عنده في ابدهم وهو مدة حياتهم وجعل قوله واولئك هم الفاسقون كلاما مستانفا غير داخل في حيز جزاء الشرط كانه حكاية حال الرامين عند الله بعد انقضاء الجملة الشرطية والا الذين تابوا استثناء من الفاسقين ويدل عليه قوله فان الله غفور رحيم والشافعي جعل جزاء الشرط الجملتين ايضا غير انه صرف الابد الى مدة كونه قاذفا وهي تنتهي بالتوبة والرجوع عن القذف وجعل الاستثناء متعلقا بالجملة الثانية وحق المستثنى عنده ان يكون مجرورا بدلا من هم في لهم وحقه عند ابي حنيفة ان يكون منصوبا لانه عن موجب والذي يقتضيه ظاهر الآية ونظمها ان تكون الجمل الثلاث مجموعهن جزاء الشرط كانه قيل ومن قذف المحصنات فاجلدوهم وردوا شهادتهم وفسقوهم اي فاجمعوا لهم الجلد والرد والتفسيق الا الذين تابوا عن القذف واصلحوا فان الله يغفر لهم فينقلبون غير مجلودين ولا مردودين ولا مفسقين فان قلت الكافر يقذف فيتوب عن الكفر فتقبل شهادته بالاجماع والقاذف من المسلمين يتوب عن القذف فلا تقبل شهادته عند ابي حنيفة رحمه الله كأن القذف مع الكفر اهون من القذف مع الاسلام قلت المسلمون لا يعبأون بسب الكفار لانهم شهروا بعداوتهم والطعن فيهم بالباطل فلا يلحق المقذوف بقذف الكافر من الشين والشنار ما يلحقه بقذف مسلم مثله فشدد على القاذف من المسلمين ردعا وكفا

عن الحاق

عن الحاق الشنار فان قلت هل للمقذوف او للامام ان يعفو عن حد القذف قلت لهما ذلك قبل ان يشهد الشهود ويثبت الحد والمقذوف مندوب الى ان لا يرافع ولا يطالب بالحد ويحسن من الامام ان يحمل المقذوف على كظم الغيظ ويقول له اعرض عن هذا ودعه لوجه الله قبل ثبات الحد فاذا ثبت الحد لم يكن لواحد منهما ان يعفو لانه خالص حق الله تعالى ولهذا لم يصح ان يصالح عنه بمال فان قلت هل يورث الحد قلت عند ابي حنيفة لا يورث لقوله عليه الصلاة والسلام الحد لا يورث ويورث عند الشافعي واذا تاب القاذف قبل ان يثبت الحد سقط وقيل نزلت هذه الآية في حسان بن ثابت حين تاب مما قال في عائشة رضي الله عنها **والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين ● والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ● ويدرأ عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين ● والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين ●** قاذف امراته اذا كان مسلما حرا بالغا عاقلا غير محدود في القذف والمراة بهذه الصفة مع العفة صح اللعان بينهما اذا قذفها بصريح الزنا وهو ان يقول لها يا زانية او زنيت او رايتك تزنين واذا كان الزوج عبدا او محدودا في قذف والمراة محصنة حد كما في قذف الاجنبيات وما لم ترافعه الى الامام لم يجب اللعان واللعان ان يبدا الرجل فيشهد اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فيما رماها به من الزنا ويقول في الخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين فيما رماها به من الزنا وتقول المراة اربع مرات اشهد بالله انه لمن الكاذبين فيما رماني به من الزنا ثم تقول في الخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين فيما رماني به من الزنا وعند الشافعي رحمه الله يقوم الرجل قائما حتى يشهد والمراة قاعدة وتقوم المراة والرجل قاعد حتى تشهد ويامر الامام من يضع يده على فيه ويقول له اني اخاف ان لم تكن صادقا ان تبوء بلعنة الله وقال اللعان بمكة بين المقام والبيت وبالمدينة على المنبر وبيت المقدس في مسجده ولعان المشركين في الكنيسة وحيث يعظم واذا لم يكن له دين ففي مساجدنا الا في المسجد الحرام لقوله تعالى انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام ثم يفرق القاضي بينهما ولا تقع الفرقة بينهما الا بتفريقه عند ابي حنيفة واصحابه الا عند زفر فان الفرقة تقع باللعان وعن عثمان البتي لا فرقة اصلا وعند الشافعي تقع بلعان الزوج وتكون هذه الفرقة في حكم التطليقة البائنة عند ابي حنيفة ومحمد ولا يتابد حكمها فاذا اكذب الرجل نفسه بعد ذلك فحد جاز ان يتزوجها وعند ابي يوسف وزفر والحسن بن زياد والشافعي هي فرقة بغير طلاق توجب تحريما مؤبدا وليس لهما ان يجتمعا بعد ذلك بوجه وروي ان آية القذف لما نزلت قراها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على المنبر فقام عاصم بن عدي الانصاري فقال جعلني الله فداك ان وجد رجل مع امراته رجلا فاخبر جلد ثمانين وردت شهادته ابدا وفسق وان ضربه بالسيف قتل وان سكت سكت على غيظ والى ان يجيء باربعة شهداء فقد قضى الرجل حاجته ومضى اللهم افتح وخرج فاستقبله هلال بن امية او عويمر فقال ما وراءك قال شر وجدت على بطن امراتي خولة وهي بنت عاصم شريك بن سحماء فقال هذا والله سؤالي ما اسرع ما ابتليت به فرجعا فاخبر عاصم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكلم خولة فقالت لا ادري الغيرة ادركته ام بخلا على بالطعام وكان شريك نزيلهم وقال هلال لقد رايته على بطنها فنزلت ولاعن بينهما وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند قوله وقولها ان لعنة الله عليه ان غضب الله عليها آمين وقال القوم آمين وقال ان كنت ألممت بذنب فاعترفي به فالرجم اهون عليك من غضب الله ان غضبه هو النار وقال تحينوا بها الولادة فان جاءت به اصيهب اثيبج يضرب الى السواد فهو لشريك وان جاءت به اورق جعدا جماليا خدلج الساقين فهو لغير الذي رميت به قال ابن عباس فجاءت باشبه خلق الله بشريك فقال عليه الصلاة والسلام لولا الايمان لكان لي ولها شان وقرئ ولم تكن بالتاء لان الشهداء جماعة او لانهم في معنى الانفس التي هي بدل ووجه من قرأ اربع ان ينصب لانه في حكم المصدر والعامل فيه المصدر الذي هو فشهادة احدهم وهي مبتدا محذوف الخبر تقديره فواجب شهادة احدهم اربع شهادات وقرئ ان لعنة الله وان غضب الله على تخفيف ان ورفع ما بعدها وقرئ ان غضب الله على فعل الغضب وقرئ بنصب الخامسة على معنى وتشهد الخامسة فان قلت لم خصت الملاعنة بان تخمس بغضب الله قلت تغليظا عليها لانها هي اصل الفجور ومنبعه بخلابتها واطماعها ولذلك كانت مقدمة في آية الجلد ويشهد لذلك قوله عليه الصلاة والسلام لخولة فالرجم اهون

عليك من غضب الله **ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم** الفصل التفضل
وجواب لولا متروك وتركه دال على امر عظيم لا يكتنه ورب مسكوت عنه ابلغ من منطوق به **ان
الذين جاؤوا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم
ما اكتسب من الاثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم** الافك ابلغ ما يكون من الكذب
والافتراء وقيل هو البهتان لا تشعر حتى يفجأك واصله الافك وهو القلب لانه قول مافوك عن وجهه
والمراد ما افك على عائشة رضي الله عنها والعصبة الجماعة من العشرة الى الاربعين وكذلك العصابة
واعصوصبوا اجتمعوا وهم عبد الله بن ابي رأس النفاق وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح
بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وقرئ كبره بالضم والكسر وهو عظمه والذي تولاه عبد الله
لامعانه في عداوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانتهازه الفرص وطلبه سبيلا الى الغميزة اي
يصيب كل خائض في حديث الافك من تلك العصبة نصيبه من الاثم على مقدار خوضه والعذاب العظيم
لعبد الله لانه معظم الشرك كأنه يحكي ان صفوان مر بهودجها عليه وهو في ملأ من قومه
فقال من هذه فقالوا عائشة فقال والله ما نجت منه ولا نجا منها وقال امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى
اصبحت ثم جاء يقودها والخطاب في قوله خير لكم لمن ساءه ذلك من المؤمنين وخاصة رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم وابو بكر وعائشة وصفوان بن المعطل ومعنى كونه خيرا لهم انهم اكتسبوا فيه
الثواب العظيم لانه كان بلاء مبينا ومحنة ظاهرة وانه نزلت فيه ثماني عشرة آية كل واحدة منها مستقلة
بما هو تعظيم لشأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتسلية له وتنزيه لام المؤمنين رضوان الله عليها
وتطهير لاهل البيت وتهويل لمن تكلم في ذلك او سمع به فلم تمجه اذناه وعدة الطاف للسامعين والتالين
الى يوم القيامة وفوائد دينية واحكام وآداب لا تخفى على متأمليها **لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون
والمؤمنات بانفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين** اي بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات
كقوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم وذلك نحو ما يروى ان ابا ايوب الانصاري قال لام ايوب الا ترين
ما يقال فقالت لو كنت بدل صفوان اكنت تظن بحرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سوءا قال لا قالت
ولو كنت بدل عائشة ما خنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فعائشة خير مني وصفوان خير منك
فان قلت هلا قيل لولا اذ سمعتموه ظننتم بانفسكم خيرا وقلتم ولم عدل عن الخطاب الى الغيبة
وعن الضمير الى الظاهر قلت ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات وليصرح بلفظ الايمان دلالة على
ان الاشتراك فيه مقتض ان لا يصدق مؤمن على اخيه ولا مؤمنة على اختها قول عائب ولا طاعن وفيه تنبيه
على ان حق المؤمن اذا سمع قالة في اخيه ان يبني الامر فيها على الظن لا على الشك وان يقول بملء فيه
بناء على ظنه بالمؤمن الخير هذا افك مبين هكذا بلفظ المصرح ببراءة ساحته كما يقول المستيقن المطلع على
حقيقة الحال وهذا من الادب الحسن الذي قل القائم به والحافظ له وليتك تجد من يسمع فيسكت ولا
يشيع ما سمعه باخوات **لولا جاؤوا عليه باربعة شهداء فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله
هم الكاذبون** جعل الله التفصلة بين الرمي الصادق والكاذب ثبوت شهادة الاربعة وانتفاءها
والذين رموا عائشة رضي الله عنها لم تكن لهم بينة على قولهم فقامت عليهم الحجة وكانوا عند الله اي في
حكمه وشريعته كاذبين وهذا توبيخ وتعنيف للذين سمعوا الافك فلم يجدوا في دفعه وانكاره
واحتجاج عليهم بما هو ظاهر مكشوف في الشرع من وجوب تكذيب القاذف بغير بينة والتنكيل به اذا
قذف امرأة محصنة من عرض نساء المسلمين فكيف بام المؤمنين الصديقة بنت الصديق حرمة
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحبيبة حبيب الله تعالى **ولولا فضل الله عليكم ورحمته في
الدنيا والآخرة لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم** لولا الاولى للتحضيض وهذه لامتناع
الشيء لوجود غيره والمعنى ولولا اني قضيت ان اتفضل عليكم في الدنيا بضروب النعم التي من
جملتها الامهال للتوبة وان اترحم عليكم في الآخرة بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعذاب على ما خضتم
فيه من حديث الافك يقال افاض في الحديث واندفع وهضب وخاض **اذ تلقونه بالسنتكم وتقولون
بافواهكم ما ليس لكم به علم** اذ ظرف لمسكم او افضتم تلقونه ياخذه بعضكم من بعض يقال
تلقى القول وتلقنه وتلقفه ومنه قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات وقرئ على الاصل تتلقونه واذ تلقونه
بادغام الذال في التاء وتلقونه من لقيه بمعنى لقفه وتلقونه من القاه بعضهم على بعض وتلقونه وتألقونه

من الولق

من الولق والألق وهو الكذب وتلقونه محكية عن عائشة رضي الله عنها وعن سفين سمعت امي تقرأ
اذ تثقفونه وكان ابوها يقرأ بحرف عبد الله بن مسعود فان قلت ما معنى قوله بافواهكم والقول
لا يكون الا بالفم قلت معناه ان الشيء المعلوم يكون علمه في القلب فيترجم عنه اللسان وهذا الافك ليس
الا قولا يجري على السنتكم ويدور في افواهكم من غير ترجمة عن علم به في القلب كقوله تعالى يقولون
بالسنتهم ما ليس في قلوبهم **وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم** اي تحسبونه صغيرة وهو
عند الله وهو عند الله كبيرة وعن بعضهم انه جزع عند الموت فقيل له فقال اخاف ذنبا لم يكن مني على بال
وهو عند الله عظيم وفي كلام بعضهم لا تقولن لشيء من سيئاتك حقير فلعله عند الله نخلة وهو
عندك نقير وصفهم بارتكاب ثلاثة آثام وعلق مس العذاب العظيم بها احدها تلقي الافك بالسنتهم
وذلك ان الرجل كان يلقى الرجل فيقول له ما وراءك فيحدثه بحديث الافك حتى شاع وانتشر فلم يبق بيت
ولا نادٍ الا طار فيه والثاني التكلم بما لا علم لهم به والثالث استصغارهم لذلك وهو عظيمة من العظائم
ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم فان قلت
كيف جاز الفصل بين لولا وقلتم قلت للظروف شأن وهو تنزلها من الاشياء منزلة انفسها لوقوعها فيها وانها لا تنفك عنها
فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها فان قلت فاي فائدة في تقديم الظرف قلت الفائدة بيان انه كان الواجب ان
يتفادوا اول ما سمعوا بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت اهم وجب التقديم فان قلت ما معنى
يكون والكلام بدونه متلئب لو قيل ما لنا ان نتكلم بهذا قلت معناه ما ينبغي ويصح اي ما ينبغي لنا ان نتكلم
بهذا وما يصح لنا ونحوه ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق وسبحانك للتعجب من عظم الامر فان قلت
ما معنى التعجب في كلمة التسبيح قلت الاصل في ذلك ان يسبح الله عند رؤية العجيب من صنائعه
ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه او لتنزيه الله تعالى من ان تكون حرمة نبيه فاجرة فان قلت
كيف جاز ان تكون امرأة النبي كافرة كامرأة نوح ولوط عليهما الصلوة والسلام ولم يجز ان تكون فاجرة قلت
لان الانبياء عليهم الصلوة والسلام مبعوثون الى الكفار ليدعوهم ويستعطفوهم فيجب الا يكون معهم ما
ينفرهم عنهم مما يعير به واما الكشخنة فمن اعظم المنفرات **يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم
مؤمنين** اي كراهة ان تعودوا او في ان تعودوا من قولك وعظت فلانا في كذا فتركه وابدا ما
داموا احياء مكلفين وان كنتم مؤمنين فيه تهييج لهم ليتعظوا وتذكير بما يوجب ترك العود وهو
اتصافهم بالايمان الصاد عن كل مقبح **ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم** ويبين الله
لكم الدلالات على علمه وحكمته بما ينزل عليكم من الشرائع ويعلمكم من الآداب الجميلة ويعظكم به من
المواعظ الشافية والله عالم بكل شيء فاعل لما يفعله بدواعي الحكمة **ان الذين يحبون ان تشيع الفا
حشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والآخرة** اي يشيعون الفاحشة عن قصد الى الاشاعة وارادة
ومحبة لها وعذاب الدنيا الحد ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابن ابي وحسانا ومسطحا وقعد
صفوان لحسان فضربه ضربة بالسيف وكف بصره وقيل هو المراد بقوله والذي تولى كبره منهم
والله يعلم ما في القلوب من الاسرار والضمائر **وانتم لا تعلمون** يعني انه قد علم محبة من احب الاشاعة
وهو معاقبه عليها **ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رؤوف رحيم** وكرر المنة بترك المعاجلة
بالعقاب حاذفا جواب لولا كما حذفه ثمة وفي هذا التكرير مع حذف الجواب مبالغة عظيمة وكذلك في
التواب والرؤوف والرحيم **يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان
فانه يامر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ولكن
الله يزكي من يشاء والله سميع عليم** الفحشاء والفاحشة ما افرط قبحه قال ابو ذؤيب
ضحيا يخرجن في تفاحش غارها او زكي بالتشديد والضمير لله عز وجل ولولا ان الله تفضل عليكم بالتوبة
الممحصة لما طهر منكم احد آخر الدهر من دنس اثم الافك ولكن الله يطهر التائبين بقبول توبتهم اذا
محضوها وهو سميع لقولهم عليم بضمائرهم واخلاصهم **ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة ان
يؤتوا اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله
لكم والله غفور رحيم** هو من ائتلى اذا حلف افتعال من الالية وقيل من قولهم ما الوت جهدا
اذا لم تدخر منه شيئا ويشهد للاول قراءة الحسن ولا يتأل والمعنى لا يحلفوا على ان لا يحسنوا الى المستحقين
للاحسان او لا يقصروا في ان يحسنوا اليهم وان كانت بينهم وبينهم شحناء لجناية اقترفوها فليعودوا

عليهم بالعفو والصفح وليفعلوا بهم مثل ما يرجون ان يفعل بهم ربهم مع كثرة خطاياهم وذنوبهم نزلت في
شأن مسطح وكان ابن خالة ابي بكر الصديق رضي الله عنه وكان فقيرا من فقراء المهاجرين وكان ابو بكر رضي الله عنه ينفق
عليه فلما فرط منه ما فرط آلى ان لا ينفق عليه وكفى به داعيا الى المجاملة وترك الاشتغال بالمكافأة للمسيء ويروى
ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرأها على ابي بكر فقال بلى احب ان يغفر الله لي ورجع الى مسطح نفقته
وقال والله لا انزعها ابدا وقرأ ابو حيوة وابن قطيب ان تؤتوا بالتاء على الالتفات ويعضده قوله الا تحبون
ان يغفر الله لكم **والذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم
عذاب عظيم** الغافلات السليمات الصدور والنقيات القلوب اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر
لانهن لم يجربن الامور ولم يرزن الاحوال فلا يفطن لما تفطن له المجربات العرافات قال

ولقد لهوت بطفلة ميالة … بلهاء تطلعني على اسرارها

وكذلك البله من الرجال في قوله اكثر اهل الجنة البله **يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم
بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون ان الله هو الحق المبين** وقرئ يشهد
بالياء والحق بالنصب صفة للدين وهو الجزاء وبالرفع صفة لله ولو فليت القرآن كله وفتشت عما
اوعد به العصاة لم تر الله عز وجل قد غلظ في شيء تغليظه في افك عائشة رضي الله عنها ولا انزل من الآيات
القوارع المشحونة بالوعيد الشديد والعتاب البليغ والزجر العنيف واستعظام ما ركب من ذلك
واستفظاع ما اقدم عليه ما انزل فيه على طرق مختلفة واساليب مفتنة كل واحد منها كاف في بابه
ولو لم ينزل الا هذه الثلاث لكفى بها حيث جعل القذفة ملعونين في الدارين جميعا وتوعدهم بالعذاب
العظيم في الآخرة وبان السنتهم وايديهم وارجلهم تشهد بما افكوا وبهتوا وانه يوفيهم جزاءهم
الحق الواجب الذي هم اهله حتى يعلموا عند ذلك ان الله هو الحق المبين فاوجز في ذلك واشبع وفصل
واجمل واكد وكرر وجاء بما لم يقع في وعيد المشركين عبدة الاوثان الا ما هو دونه في الفظاعة
وما ذاك الا لامر وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان بالبصرة يوم عرفة وكان يسأل عن تفسير القرآن حتى
سئل عن هذه الآيات فقال من اذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته الا من خاض في امر عائشة وهذا منه مبالغة
وتعظيم لامر الافك ولقد برأ الله اربعة باربعة برأ يوسف عليه الصلوة والسلام بلسان الشاهد
وشهد شاهد من اهلها وبرأ الله موسى عليه الصلوة من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه وبرأ
مريم بانطاق ولدها حين نادى من حجرها اني عبد الله وبرأ عائشة بهذه الآيات العظام في كتابه
المعجز المتلو على وجه الدهر مثل هذه التبرئة بهذه المبالغات فانظر كم بينها وبين تبرئة اولئك
وما ذاك الا لاظهار علو منزلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والتنبيه على انافة محل سيد ولد آدم وخيرة
الاولين والآخرين وحجة الله على العالمين ومن اراد ان يتحقق عظمة شأنه وتقدم قدمه واحرازه
لقصب السبق دون كل سابق فليتلق ذلك من آيات الافك وليتأمل كيف غضب الله له في حرمته وكيف بالغ
في نفي التهمة عن حجابه فان قلت ان كانت عائشة هي المرادة فكيف قيل المحصنات قلت فيه وجهان
احدهما ان يراد بالمحصنات ازواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وان يخصصن بان من قذفهن فهذا الوعيد
لاحق به واذا اردن وعائشة كبراهن منزلة وقربة عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت
المرادة اولا والثاني انها ام المؤمنين فجمعت ارادة لها ولبناتها من نساء الامة الموصوفات بالاحصان
والعفة والايمان كما قال قدني من نصر الخبيبين قدي اراد عبد الله بن الزبير واشياعه وكان
اعداؤه يكنونه بخبيب ابنه وكان مضعوفا وكنيته المشهورة ابو بكر الا ان هذا في الاسم وذاك في الصفة
فان قلت ما معنى قوله هو الحق المبين قلت معناه ذو الحق المبين اي العادل الظاهر العدل
الذي لا ظلم في حكمه والمحق الذي لا يوصف بباطل ومن هذه صفته لم تسقط عنده اساءة مسيء ولا احسان
محسن فحق مثله ان يتقى وتجتنب محارمه **الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين
والطيبون للطيبات اولئك مبرؤون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم** اي الخبيثات من
القول تقال او تعد للخبيثين من الرجال والنساء والخبيثون منهم يتعرضون للخبيثات من القول وكذلك الطيبات
والطيبون واولئك اشارة الى الطيبين وانهم مبرؤون مما يقول الخبيثون من خبيثات الكلم وهو كلام جار
مجرى المثل لعائشة وما رميت به من قول لا يطابق حالها في النزاهة والطيب ويجوز ان يكون اولئك اشارة
الى اهل البيت وانهم مبرؤون مما يقول اهل الافك وان يراد بالخبيثات والطيبات النساء اي الخبائث

يتزوجن

يتزوجن الخباث والخباث للخباث وكذلك اهل الطيب وذكر الرزق الكريم هاهنا مثله في قوله واعتدنا
لها رزقا كريما وعن عائشة رضي الله عنها لقد اعطيت تسعا ما اعطيتهن امرأة لقد نزل جبريل عليه الصلوة
والسلام بصورتي في راحته حين امر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يتزوجني ولقد تزوجني بكرا
وما تزوج بكرا غيري ولقد توفي وان رأسه لفي حجري ولقد قبر في بيتي ولقد حفته الملائكة في بيتي وان
الوحي لينزل عليه في اهله فيتفرقون عنه وان كان لينزل عليه وانا معه في لحافه واني لابنة خليفته وصديقه
ولقد نزل عذري من السماء ولقد خلقت طيبة عند طيب ولقد وعدت مغفرة ورزقا كريما
يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها تستأنسوا فيه
وجهان احدهما انه من الاستئناس الظاهر الذي هو خلاف الاستيحاش لان الذي يطرق باب غيره لا يدري
ايؤذن له ام لا فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه فاذا اذن له استأنس فالمعنى حتى يؤذن لكم
كقوله لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم وهذا من باب الكناية والارداف لان هذا النوع من
الاستئناس يردف الاذن فوضع موضع الاذن والثاني ان يكون من الاستئناس الذي هو الاستعلام
والاستكشاف استفعال من انس الشيء اذا ابصره ظاهرا مكشوفا والمعنى حتى تستعلموا وتستكشفوا
الحال هل يراد دخولكم ام لا ومنه قولهم استأنس هل ترى احدا واستأنست فلم ار احدا اي تعرفت
واستعلمت ومنه بيت النابغة

كأن رحلي وقد زال النهار بنا … بذي الجليل على مستأنس وحد

ويجوز ان يكون من الانس وهو ان يتعرف هل ثمة انسان وعن ابي ايوب الانصاري قلنا يا رسول الله ما الاستئناس
قال يتكلم الرجل بالتسبيحة والتكبيرة والتحميدة يتنحنح يؤذن اهل البيت والتسليم ان يقول السلام
السلام عليكم أادخل ثلاث مرات فان اذن له والا رجع وعن ابي موسى الاشعري انه اتى باب عمر فقال السلام
عليكم أادخل قالها ثلاثا ثم رجع وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول الاستئذان ثلاث واستأذن
رجل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال أألج فقال عليه الصلوة والسلام لامرأة يقال لها روضة قومي
الى هذا فعلميه فانه لا يحسن ان يستأذن قولي له يقول السلام عليكم أادخل فسمعها الرجل فقالها فقال
ادخل وكان اهل الجاهلية يقول الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته حييتم صباحا وحييتم مساء ثم يدخل
فربما اصاب الرجل مع امرأته في لحاف واحد فصد الله عن ذلك وعلم الاحسن والاجمل وكم من باب
من ابواب الدين هو عند الناس كالشريعة المنسوخة قد تركوا العمل به وباب الاستئذان من ذلك بينا
انت في بيتك اذ رعف عليك الباب بواحد من غير استئذان ولا تحية من تحايا اسلام ولا جاهلية وهو
ممن سمع ما انزل الله فيه وما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولكن اين الاذن الواعية وفي قراءة عبد الله حتى
تسلموا على اهلها وتستأذنوا وعن ابن عباس وسعيد بن جبير انما هو حتى تستأذنوا فاخطأ الكاتب ولا
يعول على هذه الرواية وفي قراءة ابي حتى تستأذنوا **ذلكم خير لكم** ذلكم الاستئذان والتسليم خير
لكم من تحية الجاهلية والدمور وهو الدخول بغير اذن واشتقاقه من الدمار وهو الهلاك كأن صاحبه
دامر لعظم ما ارتكب وفي الحديث من سبقت عينه استئذانه فقد دمر وروي ان رجلا قال
للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أأستأذن على امي قال نعم قال انها ليس لها خادم غيري أأستأذن عليها كلما دخلت
قال اتحب ان تراها عريانة قال الرجل لا قال فاستأذن **لعلكم تذكرون** اي انزل عليكم او قيل
لكم هذا ارادة ان تذكروا وتتعظوا وتعملوا بما امرتم به في باب الاستئذان **فان لم تجدوا فيها احدا
فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم** يحتمل فان لم تجدوا فيها احدا من الآذنين فلا تدخلوها واصبروا
حتى تجدوا ومن يأذن لكم ويحتمل فان لم تجدوا فيها احدا من اهلها ولكم فيها حاجة فلا تدخلوها الا باذن اهلها
وذلك ان الاستئذان لم يشرع لئلا يطلع الدامر على عورة ولا تسبق عينه الى ما لا يحل النظر اليه فقط
وانما شرع لئلا يوقف على الاحوال التي يطويها الناس في العادة عن غيرهم ويتحفظون من اطلاع احد
عليها ولانه تصرف في ملك غيرك فلا بد من ان يكون برضاه والا اشبه الغصب والتغلب **وان قيل لكم ارجعوا
فارجعوا** اي لا تلحوا في اطلاق الاذن ولا تلجوا في تسهيل الحجاب ولا تقفوا على الابواب منتظرين لان هذا
مما يجلب الكراهة ويقدح في قلوب الناس خصوصا اذا كانوا ذوي مروءة ومرتاضين بالآداب الحسنة واذا
نهي عن ذلك لادائه الى الكراهة وجب الانتهاء عن كل ما يؤدي اليها من قرع الباب بعنف والتصييح
بصاحب الدار وغير ذلك مما يدخل في عادات من لم يتهذب من اكثر الناس وعن ابي عبيد رحمه الله

ما قرعت بابا على عالم قط وكفى بقصة بني اسد زاجرة وما نزل فيها من قوله تعالى ان الذين ينادونك من
وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون فان قلت هل يصح ان يكون المعنى وان لم يؤذن لكم وامرتم بالرجوع فامتثلوا
ولا تدخلوا مع كراهتهم قلت بعد ان جزم النهي عن الدخول مع فقد الاذن وحده من اهل البيت
حاضرين وغائبين لم تبق شبهة في كونه منهيا عنه مع انضمام الامر بالرجوع الى فقد الاذن فان قلت
فان عرض امر في دار من حريق او هجوم سارق او ظهور منكر يجب انكاره قلت ذلك مستثنى بالدليل
هو ازكى لكم اي الرجوع اطيب لكم واطهر لما فيه من سلامة الصدور والبعد من الريبة وانفع وانمى
للخير والله بما تعملون عليم وعيد للمخاطبين بانه عالم بما يأتون وما يذرون مما خوطبوا به
فموف جزاءه ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة استثنى من البيوت التي يجب الاستئذان
على داخلها ما ليس بمسكون منها وذلك نحو الفنادق وهي الخانات والربط وحوانيت البياعين فيها
متاع لكم والمتاع المنفعة كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الرحال والسلع والشراء والبيع
ويروى ان ابا بكر رضه قال يا رسول الله ان الله قد انزل عليك اية في الاستئذان وانا نختلف في تجاراتنا
فننزل هذه الخانات افلا ندخلها الا باذن فنزلت وقيل الخربات يتبرز فيها والمتاع التبرز والله يعلم
ما تبدون وما تكتمون وعيد للذين يدخلون الخربات والدور الخالية من اهل الريبة قل
للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون
من للتبعيض والمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به على ما يحل وجوز الاخفش ان تكون مزيدة واباه سيبويه
فان قلت كيف دخلت في غض البصر دون حفظ الفروج قلت دلالة على ان امر النظر اوسع الا
ترى ان المحارم لا باس بالنظر الى شعورهن وصدورهن وثديهن واعضادهن واسوقهن واقدامهن وكذلك
الجواري المستعرضات والاجنبية ينظر الى وجهها وكفيها وقدميها في احدى الروايتين واما امر الفرج
فمضيق وكفاك فرقا ان ابيح النظر الا ما استثني منه وحظر الجماع الا ما استثني منه ويجوز ان يراد مع
حفظها عن الافضاء الى ما لا يحل حفظها عن الابداء وعن ابن زيد كل ما في القران من حفظ الفرج فهو
عن الزنا الا هذا فانه اراد به الاستتار ثم اخبر انه خبير باحوالهم وافعالهم وكيف يجيلون
ابصارهم وكيف يصنعون بسائر حواسهم وجوارحهم فعليهم اذا عرفوا ذلك ان يكونوا منه على
تقوى وحذر في كل حركة وسكون وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن
النساء مأمورات ايضا بغض الابصار ولا يحل للمرأة ان تنظر من الاجنبي الى ما تحت سرته الى ركبته وان
اشتهت غضت بصرها راسا ولا تنظر من المرأة الا الى مثل ذلك وغضها بصرها من الاجانب اصلا
اولى بها واحسن ومنه حديث ابن ام مكتوم عن ام سلمة قالت كنت عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعنده ميمونة
فاقبل ابن ام مكتوم وذلك بعد ان امرنا بالحجاب فدخل علينا فقال احتجبا فقلنا يا رسول الله اليس اعمى
لا يبصرنا فقال افعمياوان انتما الستما تبصرانه فان قلت لم قدم غض الابصار على حفظ الفروج
قلت لان النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى فيه اشد واكثر ولا يكاد يقدر على الاحتراس
منه ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن
الا لبعولتهن او ابائهن او اباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن
او بني اخواتهن او نسائهن او ما ملكت ايمانهن الزينة ما تزينت به المرأة من حلي او كحل او خضاب فما
كان ظاهرا منها كالخاتم والفتخة والكحل والخضاب فلا باس بابدائه للاجانب وما خفي منها كالسوار
والخلخال والدملج والقلادة والاكليل والوشاح والقرط فلا تبديه الا لهؤلاء المذكورين وذكر
الزينة دون مواقعها للمبالغة في الامر بالتصون والتستر لان هذه الزين واقعة على مواضع من الجسد
لا يحل النظر اليها لغير هؤلاء وهي الذراع والساق والعضد والعنق والراس والصدر والاذن فنهى
عن ابداء الزين نفسها ليعلم ان النظر اذا لم يحل اليها لملابستها تلك المواقع بدليل ان النظر اليها غير ملابسة
لها لا مقال في حله كان النظر الى المواقع انفسها متمكنا في الحظر ثابت القدم في الحرمة شاهدا على ان النساء
حقهن ان يحتطن في سترها ويتقين الله في الكشف عنها فان قلت ما تقول في القراميل هل يحل
نظر هؤلاء اليها قلت نعم فان قلت اليس مواقعها الظهر ولا يحل لهم النظر الى ظهرها وبطنها
وربما ورد الشعر فوقعت القراميل على ما يحاذي ما تحت السرة قلت الامر كما قلت ولكن امر القراميل
خلاف امر سائر الحلي لانه لا يقع الا فوق اللباس ويجوز النظر الى الثوب الواقع على الظهر والبطن للاجانب

فضلا عن هؤلاء الا اذا كان يصف لرقته فلا يحل النظر الى القراميل واقعة عليه فان قلت ما المراد بموقع الزينة
الخفية قلت كذلك مواقع الزينة الظاهرة الوجه موقع الكحل في عينيه والخضاب بالوسمة في حاجبيه وشاربيه
والغمرة في خديه والكف والقدم موقعا الخاتم والفتخة والخضاب بالحناء فان قلت لم سومح مطلقا
في الزينة الظاهرة قلت لان سترها فيه حرج فان المرأة لا تجد بدا من مزاولة الاشياء بيديها ومن
الحاجة الى كشف وجهها خصوصا في الشهادة والمحاكمة والنكاح وتضطر الى المشي في الطرقات
وظهور قدميها وخاصة الفقيرات منهن وهذا معنى قوله الا ما ظهر منها يعني الا ما جرت العادة
والجبلة على ظهوره والاصل فيه الظهور وانما سومح في الزينة الخفية اولئك المذكورون لما كانوا مختصين
به من الحاجة المضطرة الى مداخلتهم ومخالطتهم ولقلة توقع الفتنة من جهاتهم ولما في الطباع من
النفرة عن مماسة القرائب وتحتاج الى صحبتهم في الاسفار للنزول والركوب وغير ذلك كانت جيوبهن
واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن وما حواليها وكن يسدلن الخمر من ورائهن فتبقى مكشوفة
فامرن بان يسدلنها من قدامهن حتى يغطينها ويجوز ان يراد بالجيوب الصدور تسمية بما يليها
ويلابسها ومنه قولهم ناصح الجيب وقولك ضربت بخمارها على جيبها كقولك ضربت بيدي على الحائط اذا وضعتها
عليه وعن عائشة رضها ما رأيت نساء خيرا من نساء الانصار لما نزلت هذه الاية قامت كل واحدة
منهن الى مرطها المرحل فصدعت منه صدعة فاختمرن فاصبحن كأن على رؤوسهن الغربان وقرئ جيوبهن
بكسر الجيم لاجل الياء وكذلك بيوتا غير بيوتكم قيل وفي نسائهن المؤمنات لانه ليس للمؤمنة ان تتجرد بين
يدي مشركة او كتابية وعن ابن عباس والظاهر انه عنى بنسائهن وما ملكت ايمانهن من في صحبتهن
وخدمتهن من الحرائر والاماء والنساء كلهن سواء في حل نظر بعضهن الى بعض وقيل ما ملكت ايمانهن هم
الذكور والاناث جميعا وعن عائشة رضي الله عنها انها اباحت النظر اليها لعبدها وقالت لذكوان
انك اذا وضعتني في القبر وخرجت فانت حر وعن سعيد بن المسيب مثله ثم رجع وقال لا تغرنكم اية النور
فان المراد بها الاماء وهذا هو الصحيح لان عبد المرأة بمنزلة الاجنبي منها خصيا كان او فحلا وعن ميسون بنت
بحدل الكلابية ان معاوية دخل عليها ومعه خصي فتقنعت منه فقال هو خصي فقالت يا معاوية اترى ان
المثلة به تحلل ما حرم الله وعند ابي حنيفة رضي الله عنه لا يحل امساك الخصيان واستخدامهم وبيعهم وشراؤهم
ولم ينقل عن احد من السلف امساكهم فان قلت روي انه اهدي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خصي
فقبله قلت لا يقبل فيما تعم به البلوى الا حديث مكشوف فان صح فلعله قبله ليعتقه او لسبب من
الاسباب او التابعين غير اولي الاربة من الرجال الاربة الحاجة قيل هم الذين يتبعونكم ليصيبوا من
فضل طعامكم ولا حاجة لهم الى النساء لانهم بله لا يعرفون شيئا من امرهن او شيوخ صلحاء اذا كانوا
معهن غضوا ابصارهم او بهم عنانة وقرئ غير بالنصب على الاستثناء او الحال والجر على الوصفية او
الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء وضع الواحد موضع الجمع لانه يفيد الجنس ويبين ما بعده
انه يراد به الجمع ونحوه نخرجكم طفلا لم يظهروا اما من ظهر على الشيء اذا اطلع عليه اي لا يعرفون ما
العورة ولا يميزون بينها وبين غيرها واما من ظهر على فلان اذا قوي عليه وظهر على القرآن اخذه واطاقه
اي لم يبلغوا اوان القدرة على الوطء وقرئ عورات وهي لغة هذيل فان قلت لم لم يذكر الله الاعمام
والاخوال قلت سئل الشعبي عن ذلك فقال لئلا يصفها العم عند ابنه والخال كذلك ومعناه ان
سائر القرابات تشترك الاب والابن في المحرمية الا العم والخال وابناءهما فاذا رآها الاب فربما وصفها لابنه
وليس بمحرم فيداني تصوره لها بالوصف نظره اليها وهذا ايضا من الدلالات البليغة على وجوب الاحتياط
عليهن في التستر ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن كانت المرأة تضرب الارض برجلها
ليتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال وقيل كانت تضرب باحدى رجليها الاخرى ليعلم انها ذات
خلخالين واذا نهين عن اظهار صوت الحلي بعد ما نهين عن اظهار الحلي علم بذلك ان النهي عن اظهار
مواضع الحلي ابلغ وابلغ وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون اوامر الله ونواهيه
في كل باب لا يكاد العبد الضعيف يقدر على مراعاتها وان ضبط نفسه واجتهد ولا يخلو من تقصير يقع منه
فلذلك وصى المؤمنين جميعا بالتوبة والاستغفار وبتأميل الفلاح اذا تابوا واستغفروا وعن ابن عباس
توبوا مما كنتم تفعلونه في الجاهلية لعلكم تسعدون في الدنيا والاخرة فان قلت قد صحت
التوبة بالاسلام والاسلام يجب ما قبله فما معنى هذه التوبة قلت اراد بها ما يقوله العلماء ان من

ذنب دنيا ثم تاب عنه لزمه كلما تذكره أن يجدد عنه التوبة لأنه يلزمه أن يستمر على ندمه وعزمه إلى أن يلقى ربه وقرئ أيُّهُ المؤمنون بضم الهاء ووجهه أنها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الألف فلما سقطت الألف لالتقاء الساكنين أتبعت حركتها حركة ما قبلها **وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ** الأيامى واليتامى أصلهما أيائم ويتائم فقلبا والأيم للرجل والمرأة وقد آم وآمت وتأيما إذا لم يتزوجا كانا بكرين أو ثيبين قال

فإن تنكحي أنكح وإن تتأيمي ... وإن كنت أفتى منكم أتأيم

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال اللهم إنا نعوذ بك من العيمة والغيمة والأيمة والكزم والقرم والمراد أنكحوا من تأيم من الأحرار والحرائر ومن كان فيه صلاح من غلمانكم وجواريكم وقرئ من عبيدكم وهذا الأمر للندب لما علم من أن النكاح أمر مندوب إليه وقد يكون للوجوب في حق الأولياء عند طلب المرأة ذلك وعند أصحاب الظواهر النكاح واجب ومما يدل على كونه مندوبا قوله عليه الصلاة والسلام من أحب فطرتي فليستن بسنتي وهو النكاح وعنه من كان له ما يتزوج به فلم يتزوج فليس منا وعنه إذا تزوج أحدكم عج شيطانه يا ويله عصم ابن آدم مني ثلثي دينه وعنه يا عياض لا تزوجن عجوزا ولا عاقرا فإني مكاثر بكم الأمم والأحاديث فيه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والآثار كثيرة وربما كان واجب الترك إذا أدى إلى معصية أو مفسدة وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا أتى على أمتي مائة وثمانون سنة فقد حلت لهم العزبة والعزلة والترهب على رؤوس الجبال وفي الحديث يأتي على الناس زمان لا تنال المعيشة فيه إلا بالمعصية فإذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة فإن قلت لم خص الصالحين قلت ليحصن دينهم ويحفظ عليهم صلاحهم ولأن الصالحين من الأرقاء هم الذين مواليهم يشفقون عليهم وينزلونهم منزلة الأولاد في الأثرة والمودة فكانوا مظنة للتوصية بشأنهم والاهتمام بهم وتقبل الوصية فيهم وأما المفسدون منهم فحالهم عند مواليهم على عكس ذلك أو أريد بالصلاح القيام بحقوق النكاح **إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ** ينبغي أن تكون شريطة الله غير منسية في هذا الموعد ونظائره وهي مشيئته ولا يشاء الحكيم إلا ما اقتضته الحكمة وما كان مصلحة ونحوه ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فقد جاءت الشريطة منصوصة في قوله تعالى وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم ومن لم ينس هذه الشريطة لم ينتصب معترضا بعزب كان غنيا فأفقره النكاح وبفاسق تاب واتقى الله وكان له شيء ففني وأصبح مسكينا وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم التمسوا الرزق بالنكاح وشكا إليه رجل الحاجة فقال عليك بالباءة وعن عمر رضي الله عنه عجب لمن لا يطلب الغنى بالباءة ولقد كان عندنا رجل بائس الحال ثم رأيته بعد سنين وقد انتعشت حاله وحسنت فسألته فقال كنت في أول أمري على ما علمت وذلك قبل أن أرزق ولدا فلما رزقت بكري تراخيت عن الفقر فلما ولد لي الثاني زدت خيرا فلما تتاموا ثلاثا صب الله علي الخير صبا فأصبحت إلى ما ترى **وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** أي غني ذو سعة لا يرزؤه إغناء الخلائق ولكنه عليم يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر **وَلْيَسْتَعْفِفِ** وليجتهد في العفة وظلف النفس كأن المستعفف طالب من نفسه العفاف وحاملها عليه **الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا** أي استطاعة تزوج ويجوز أن يراد بالنكاح ما ينكح به من المال **حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ** ترجية للمستعففين وتقدمة وعد بالتفضل عليهم بالغنى ليكون انتظار ذلك وتأميله لطفا لهم في استعفافهم وربطا على قلوبهم وليظهر بذلك أن فضله أولى بالأعفاء وأدنى من الصلحاء وما أحسن ما رتب هذه الأوامر حيث أمر أولا بما يعصم من الفتنة ويبعد من مواقعة المعصية وهو غض البصر ثم بالنكاح الذي يحصن به الدين ويقع به الاستغناء بالحلال عن الحرام ثم بالحمل على النفس الأمارة بالسوء وعزفها عن الطموح إلى الشهوة عند العجز عن النكاح إلى أن يرزق القدرة عليه **وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ** والذين يبتغون مرفوع على الابتداء أو منصوب بفعل مضمر يفسره **فَكَاتِبُوهُمْ** كقولك زيدا فاضربه ودخلت الفاء لتضمن معنى الشرط والكتاب والمكاتبة كالعتاب والمعاتبة وهو أن يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على ألف درهم فإن أداها عتق ومعناه كتبت لك على نفسي أن تعتق مني إذا وفيت بالمال وكتبت لي على نفسك أن تفي بذلك أو كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت علي العتق ويجوز عند أبي حنيفة رحمه الله حالا ومؤجلا ومنجما وغير منجم لأن الله عز وجل لم يذكر التنجيم وقياسا على سائر العقود وعند الشافعي رحمه الله لا يجوز

الا موجلا منجما

إلا مؤجلا منجما ولا يجوز عنده بنجم واحد لأن العبد لا يملك شيئا فعقده حالا منع من حصول الغرض لأنه لا يقدر على أداء البدل عاجلا ويجوز عقده على مال قليل وكثير وعلى خدمة ومدة معلومة وعلى عمل معلوم مثل حفر بئر في مكان بعينه معلومة الطول والعرض وبناء دار قد أراه آجرها وجصها وما تبنى به وإن كاتبه على قيمته لم يجز فإن أداها عتق وإن كاتبه على وصيف جاز لقلة الجهالة ووجب الوسط وليس له أن يطأ المكاتبة وإذا أدى عتق وكان ولاؤه لمولاه لأنه جاد عليه بالكسب الذي هو في الأصل له وهذا الأمر للندب عند عامة العلماء وعن الحسن ليس ذلك بعزم إن شاء كاتب وإن لم يشأ لم يكاتب وعن عمر رضي الله عنه هي عزمة من عزمات الله وعن ابن سيرين مثله وهو مذهب داود **إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا** قدرة على أداء ما يفارقون عليه وقيل أمانة وتكسبا وعن سلمان أن مملوكا له ابتغى أن يكاتبه فقال أعندك مال قال لا قال أفتأمرني أن آكل غسالة أيدي الناس **وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ** أمر للمسلمين على وجه الوجوب بإعانة المكاتبين وإعطائهم سهمهم الذي جعله الله لهم من بيت المال كقوله تعالى وفي الرقاب عند أبي حنيفة فإن قلت هل يحل لمولاه إذا كان غنيا أن يأخذ ما تصدق به عليه قلت نعم وكذلك إذا لم تف الصدقة بجميع البدل وعجز عن أداء الباقي طاب للمولى ما أخذه لأنه لم يأخذه بسبب الصدقة ولكن بسبب عقد المكاتبة كمن اشترى الصدقة من الفقير أو ورثها أو وهبت له ومنه قوله عليه الصلاة والسلام في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية وعند الشافعي هو إيجاب على الموالي أن يحطوا من مال الكتابة وإذا لم يفعلوا أجبروا وعن علي رضي الله عنه يحط له الربع وعن ابن عباس يرضخ له من كتابته شيئا وعن عمر أنه كاتب عبدا له يكنى أبا أمية وهو أول عبد كوتب في الإسلام فأتاه بأول نجم فدفعه إليه عمر وقال استعن به على مكاتبتك فقال لو أخرته إلى آخر نجم فقال أخاف أن لا أدرك ذلك وهذا عند أبي حنيفة على وجه الندب وقال إنه عقد معاوضة فلا يجبر على الحطيطة كالبيع وقيل معنى وآتوهم أسلفوهم وقيل أنفقوا عليهم بعد أن يؤدوا ويعتقوا وهذا كله مستحب وروي أنه نزل في حويطب بن عبد العزى مملوك له يقال له الصبيح سأل مولاه أن يكاتبه فأبى فنزلت **وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** كانت إماء أهل الجاهلية يساعين على مواليهن وكان لعبد الله بن أبي رأس النفاق ست جوار معاذة ومسيكة وأميمة وعمرة وأروى وقتيلة يكرههن على البغاء وضرب عليهن ضرائب فشكت ثنتان منهن إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت ويكنى بالفتى والفتاة عن العبد والأمة وفي الحديث ليقل أحدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وأمتي والبغاء مصدر البغي فإن قلت لم أقحم قوله إن أردن تحصنا قلت لأن الإكراه لا يتأتى إلا مع إرادة التحصن وآمر الطيعة المواتية للبغاء لا يسمى مكرها ولا أمره إكراها وكلمة إن وإيثارها على إذا إيذان بأن المساعيات كن يفعلن ذلك برغبة وطواعية منهن وأن ما وجد من معاذة ومسيكة من حيز الشاذ النادر **وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** لهم أو لهن أو لهم ولهن إن تابوا وأصلحوا وفي قراءة ابن عباس لهن غفور رحيم فإن قلت لا حاجة إلى تعليق المغفرة بهن لأن المكرهة على الزنا بخلاف المكره عليه في أنها غير آثمة قلت لعل الإكراه كان دون ما اعتبرته الشريعة من إكراه بقتل أو بما يخاف منه التلف أو ذهاب العضو من ضرب عنيف أو غيره حتى تسلم من الإثم وربما قصرت عن الحد الذي تعذر فيه فتكون آثمة **وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ** هي الآيات التي بينت في هذه السورة وأوضحت في معاني الأحكام والحدود ويجوز أن يكون الأصل مبينا فيها فاتسع في الظرف وقرئ بالكسر أي بينت هي الأحكام والحدود جعل الفعل لها على المجاز أو من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذي عينين **وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ** ومثلا من أمثال من قبلكم أي قصة عجيبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم يعني قصة عائشة رضي الله عنها **وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ** ما وعظ به في الآيات والمثل من نحو قوله تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله لولا إذ سمعتموه يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا **اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** نظير قوله الله نور السماوات مع قوله مثل نوره ويهدي الله لنوره قولك زيد كرم وجود ثم تقول ينعش الناس بكرمه وجوده والمعنى ذو نور السماوات وصاحب نور السماوات ونور السماوات الحق شبهه بالنور في ظهوره وبيانه كقوله الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور أي من الباطل إلى الحق وأضاف النور إلى السماوات والأرض لأحد معنيين إما للدلالة على سعة إشراقه وفشو إضاءته حتى تضيء له السماوات والأرض وإما أن يراد أهل السماوات

وانهم يستضيئون به مثل نوره اي صفة نوره العجيبة الشأن في الاضاءة كمشكوة كصفة مشكوة وهي الكوة في الجدار غير النافذة فيها مصباح سراج ضخم ثاقب المصباح في زجاجة اراد قنديلا من زجاج شامي ازهر الزجاجة كأنها كوكب دري شبهه في زهرته باحد الدراري من الكواكب وهي المشاهير كالمشتري والزهرة والمريخ وسهيل ونحوها يوقد من شجرة مباركة زيتونة اي ابتدا ثقوب هذا المصباح من شجرة اي ثقوبه من شجرة الزيتون يعني رويت ذبالته بزيتها مباركة كثيرة المنافع او لانها نبتت في الارض التي بارك فيها للعالمين وقيل بارك فيها سبعون نبيا منهم ابرهيم عليه الصلوة والسلام وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليكم بهذه الشجرة زيت الزيتون فتداووا به فانه مصحة من الباسور لا شرقية ولا غربية اي منبتها الشام واجود الزيتون زيتون الشام وقيل لا في مضحى ولا في مقنأة ولكن الشمس والظل يتعاقبان عليها وذلك اجود لحملها واصفى لدهنها قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا خير في شجرة في مقنأة ولا نبات في مقنأة ولا خير فيهما في مضحى وقيل ليست مما تطلع عليه الشمس في وقت شروقها او غروبها فقط بل تصيبها بالغداة والعشي جميعا فهي شرقية غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ثم وصف الزيت بالصفاء والوبيص وانه لتلألؤه يكاد يضيء من غير نار نور على نور اي هذا الذي شبهت به الحق نور متضاعف قد تناصر فيه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم يبق مما يقوي النور ويزيده اشراقا ويمده باضاءة بقية وذلك ان المصباح اذا كان في مكان متضايق كالمشكاة كان اضوأ له واجمع لنوره بخلاف المكان الواسع فان الضوء ينبث فيه وينتشر والقنديل اعون شيء على زيادة الانارة وكذلك الزيت وصفاؤه يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم ۝ يهدي الله لهذا النور الثاقب من يشاء من عباده اي يوفق لاصابة الحق من نظر وتدبر بعين عقله والانصاف من نفسه ولم يذهب عن الجادة الموصلة اليه يمينا وشمالا ومن لم يتدبر فهو كالاعمى سواء عليه جنح الليل الدامس وضحوة النهار الشامس عن علي رضي الله عنه نور السموات والارض اي نشر فيها الحق وبثه فاضاءت بنوره او نور قلوب اهلها به وعن ابي بن كعب مثل نور من آمن به وقرئ زجاجة الزجاجة بالفتح والكسر ودري منسوب الى الدر اي ابيض متلألئ ودريء بوزن سكيت يدرأ الظلام بضوئه ودريء كمريق ودري كالسكينة عن ابي زيد وتوقد بمعنى تتوقد والفعل للزجاجة ويوقد وتوقد بالتخفيف وتوقد بفتح التاء لاجتماع حرفين زائدين وهو غريب ويمسسه بالياء لان التانيث ليس بحقيقي والضمير فاصل في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال في بيوت يتعلق بما قبله اي كمشكاة في بعض بيوت الله وهي المساجد كانه قيل مثل نوره كما ترى في المسجد نور المشكاة التي من صفتها كيت وكيت او بما بعده وهو يسبح اي يسبح له رجال في بيوت وفيها تكرير كقولك زيد في الدار جالس فيها او بمحذوف كقوله في تسع آيات اي سبحوا في بيوت والمراد بالاذن الامر ورفعها بناؤها كقوله بناها رفع سمكها فسواها واذ يرفع ابرهيم القواعد وعن ابن عباس هي المساجد امر الله ان تبنى او تعظيمها والرفع من قدرها وعن الحسن ما امر الله ان ترفع بالبناء ولكن بالتعظيم ويذكر فيها اسمه وهو عام في كل ذكر وعن ابن عباس وان يتلى فيها كتابه وقرئ يسبح على البناء للمفعول ويسند الى احد الظروف الثلاثة اعني له فيها بالغدو ورجال مرفوع بما دل عليه يسبح وهو يسبح وتسبح بالتاء وكسر الباء وعن ابي جعفر بالتاء وفتح الباء ووجهها ان يسند الى اوقات الغدو والآصال على زيادة الباء وتجعل الاوقات مسبحة والمراد ربها كصيد عليه يومان والمراد وحشهما والآصال جمع أصل وهو العشي والمراد باوقات الغدو اي بالغدوات وقرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل يقال آصل كاظهر واعتم لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله التجارة صناعة التاجر وهو الذي يبيع ويشتري للربح فاما ان يريد لا يشغلهم نوع من هذه الصناعة ثم خص البيع لانه في الالهاء ادخل من قبل ان التاجر اذا اتجهت له بيعة رابحة وهي طلبته الكلية من صناعته الهته ما لا يلهيه شراء شيء يتوقع فيه الربح في الوقت الثاني لان هذا يقين وذاك مظنون واما ان يسمي الشراء تجارة اطلاقا

لاسم الجنس على النوع كما تقول رزق فلان تجارة اذا اتجه له بيع صالح او شراء وقيل التجارة لاهل الجلب تجر فلان في كذا اذا جلبه واقام الصلوة وايتاء الزكوة التاء في اقامة عوض من العين الساقطة للاعلال والاصل اقوام فلما اضيفت اقيمت الاضافة مقام حرف التعويض فاسقطت ونحوه واخلفوك عد الامر الذي وعدوا ۝ يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار وتقلب القلوب والابصار اما ان تتقلب وتتغير في انفسها وهو ان تضطرب من الهول والفزع وتشخص كقوله واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر واما ان تتقلب احوالها وتتغير فتفقه القلوب بعد ان كانت مطبوعا عليها لا تفقه وتبصر الابصار بعد ان كانت عميا لا تبصر ليجزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم من فضله اي احسن جزاء اعمالهم كقوله للذين احسنوا الحسنى والمعنى يسبحون ويخافون ليجزيهم ثوابهم مضاعفا ويزيدهم على الثواب تفضلا وكذلك معنى قوله الحسنى وزيادة المثوبة الحسنى وزيادة عليها من التفضل وعطاء الله عز وجل اما تفضل واما ثواب واما عوض والله يرزق من يشاء بغير حساب ۝ ما يتفضل به فاما الثواب فله حساب لكونه على حسب الاستحقاق والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب ۝ السراب ما يرى في الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهيرة يسرب على وجه الارض كانه ماء يجري والقيعة بمعنى القاع او جمع قاع وهو المنبسط المستوي من الارض كجيرة في جار وقرئ بقيعات بتاء مطوطة كديمات في ديمة وقيمات في قيمة وقد جعل بعضهم بقيعات بتاء مدورة كرجل عزهاة شبه ما يعمله من لا يعتقد الايمان ولا يتبع الحق من الاعمال الصالحة التي يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه ثم تخيب في العاقبة امله ويلقى خلاف ما قدر بسراب يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش يوم القيمة فيحسبه ماء فيأتيه فلا يجد ما رجاه ويجد زبانية الله عنده يأخذونه فيعتلونه الى جهنم فيسقونه الحميم والغساق وهم الذين قال الله تعالى فيهم عاملة ناصبة وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقيل نزلت في عتبة بن ربيعة بن امية قد كان تعبد ولبس المسوح والتمس الدين في الجاهلية ثم كفر في الاسلام او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ۝ اللجي العميق الكثير الماء منسوب الى اللج وهو معظم ماء البحر وفي اخراج ضمير الواقع فيه لم يكد يراها مبالغة في لم يرها اي لم يقرب ان يراها فضلا ان يراها ومثله قول ذي الرمة

اذا غير النأي المحبين لم يكد ۝ رسيس الهوى من حب مية يبرح ۝

اي لم يقرب من البراح فما باله يبرح شبه اعمالهم اولا في فوات نفعها وحضور ضررها بسراب لم يجده من خدعه من بعيد شيئا ولم يكفه خيبة وكمدا ان لم يجد شيئا كغيره من السراب حتى وجد عنده الزبانية تعتله الى النار ولا يسقونه ماء وشبهها ثانيا في ظلمتها وسوادها لكونها باطلة وفي خلوها عن نور الحق بظلمات متراكمة من لج البحر والامواج والسحاب ثم قال ومن لم يوله نور توفيقه وعصمته ولطفه فهو في ظلمة الباطل لا نور له وهذا الكلام مجراه مجرى الكنايات لان الالطاف انما تردف الايمان والعمل الصالح او كونهما مترقبين الا ترى الى قوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقوله ويضل الله الظالمين وقرئ سحاب ظلمات على الاضافة وسحاب ظلمات برفع سحاب وتنوينه وجر ظلمات بدلا من ظلمات الاولى الم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ۝ ولله ملك السموات والارض والى الله المصير ۝ صافات يصففن اجنحتهن في الهواء والضمير في علم لكل او لله وكذلك في صلاته وتسبيحه والصلوة الدعاء ولا يبعد ان يلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما الهمها سائر العلوم التي في قفه العقلاء يهتدون بها الم تر ان الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقلب الله الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار ۝ يزجي يسوق ومنه البضاعة المزجاة التي يزجيها كل احد لا يرضاها والسحاب يكون واحدا كالعماء وجمعا كالرباب ومعنى تاليف الواحد انه يكون قزعا فيضم بعضه الى بعض وجاز

سببه وهو واحد لان المعنى بين اجزائه كما قيل في قوله بين الدخول فحومل
فوقعهن والودق المطر من خلاله من فتوقه ومخارجه جمع خلل كجبال في جبل
وكاد سنا على الادغام وبرقه جمع برقة وهي المقدار من البرق كالغرفة واللقمة
عيسى بن عمر يقال في جمع فعلة فعلات كظلمات وسنا برقه على المد المقصور بمعنى الضوء
والممدود بمعنى العلو والارتفاع من قولك سني للمرتفع ويذهب بالابصار على زيادة الباء
عن ابي جعفر المدني وهذا من بعد بدائع الدلائل على ظهور امره حيث
ذكر تسبيح من في السموات والارض وكل ما يطير بين السماء والارض ودعاءهم له وابتهالهم اليه وانه سخر
السحاب التسخير الذي وصفه وما يحدث فيه من افعاله حتى ينزل المطر منه وانه يقسم رحمته بين
خلقه ويقبضها ويبسطها على ما تقتضيه حكمته ويريهم البرق في السحاب الذي يكاد يخطف ابصارهم
ليعتبروا ويحذروا ويعاقب بين الليل والنهار ويخالف بينهما بالطول والقصر وما هذه الا براهين
في غاية الوضوح على وجوده وثباته ودلائل منادية على صفاته لمن نظر وفكر وتبصر وتدبر
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسبيح من في السموات والارض وتسبيح الطير
من جبال برد في السماء جبال قيل له قلت علمه
فان قلت ما الفرق بين من الاولى والثانية والثالثة في قوله من السماء من جبال فيها من برد
قلت الاولى لابتداء الغاية والثانية للتبعيض والثالثة للبيان او الاوليان للابتداء والاخرة
للتبعيض ومعناه انه ينزل البرد من السماء من جبال فيها وعلى الاول مفعول ينزل من جبال فان قلت
ما معنى من جبال فيها من برد قلت فيه معنيان احدهما ان يخلق الله تعالى في السماء جبال برد كما
خلق في الارض جبال حجر والثاني ان يريد الكثرة بذكر الجبال كما يقال فلان يملك جبالا من ذهب
والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم
من يمشي على اربع يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شيء قدير وقرئ خالق كل دابة ولما
كان اسم الدابة موقعا على المميز وغير المميز غلب المميز فاعطى ما وراءه حكمه كأن الدواب كلهم
مميزون فمن ثمه قيل فمنهم وقيل في الماشي على بطنه والماشي على اربع قوائم فان قلت لم نكر
الماء في قوله من ماء قلت لان المعنى انه خلق كل دابة من نوع من الماء مختص بتلك الدابة وخلقها
من ماء مخصوص وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات من النطفة فمنها هوام ومنها بهائم ومنها
ناس ونحوه يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل فان قلت فما باله معرفا
في قوله وجعلنا من الماء كل شيء حي قلت قصد ثمه معنى آخر وهو ان اجناس الحيوان كلها مخلوقة
من هذا الجنس الذي هو جنس الماء والجن من نار خلقها منه وآدم من تراب خلقه منه فان قلت
لم جاءت الاجناس الثلاثة على هذا الترتيب قلت قدم ما هو اعرق في القدرة وهو الماشي بغير
آلة مشي من ارجل او قوائم ثم الماشي على رجلين ثم الماشي على اربع فان قلت لم سمى الزحف مشيا
قلت على سبيل الاستعارة كما قالوا في الامر المستمر قد مشى هذا الامر ويقال فلان لا يتمشى له
امر ونحوه استعارة الشفة مكان الجحفلة والمشفر مكان الشفة ونحو ذلك او على طريق
المشاكلة لذكر الزاحف مع الماشين لقد انزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء الى
صراط مستقيم ويقولون آمنا بالله وبالرسول واطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك
وما اولئك بالمؤمنين وما اولئك اشارة الى القائلين آمنا واطعنا او الى الفريق المتولي منهم فمعناه
على الاول اعلام من الله بان جميعهم منتف عنهم الايمان لا الفريق المتولي وحده وعلى الثاني اعلام بان الفريق
المتولي لم يكن ما سبق لهم من الايمان ايمانا انما كان ادعاء باللسان من غير مواطاة القلب لانه لو كان
صادرا عن صحة معتقد وطمأنينة نفس لم يتعقبه التولي والاعراض والتعريف في قوله بالمؤمنين
دلالة على انهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفت وهم الثابتون المستقيمون على الايمان الموصوف في قوله
انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق
منهم معرضون معنى الى الله ورسوله الى رسول الله كقولك اعجبني زيد وكرمه تريد كرم
زيد ومنه غلسته قبل القطا وفرطه وروي انها نزلت في بشر المنافق وخصمه
اليهودي حين اختصما في ارض فجعل اليهودي يجره الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمنافق الى كعب

بن الاشرف ويقول ان محمدا يحيف علينا وروي ان المغيرة بن وائل كان بينه وبين علي بن ابي طالب رضي الله عنه
خصومة في ماء وارض فقال المغيرة اما محمد فلست آتيه ولا احاكم اليه فانه يبغضني وانا اخاف
ان يحيف علي وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين اليه صلة يأتوا لان اتى وجاء قد جاءا
معديين بالى او يتصل بمذعنين لانه في معنى مسرعين في الطاعة وهذا احسن لتقدم صلته ودلالته
على الاختصاص والمعنى انهم لمعرفتهم انه ليس معك الا الحق المر والعدل البحت يزورون عن
المحاكمة اليك اذا ركبهم الحق لئلا تنتزعه من احداقهم بقضائك عليهم لخصومهم وان ثبت لهم حق
على خصم اسرعوا اليك ولم يرضوا الا بحكومتك لتأخذ لهم ما ذاب لهم في ذمة الخصم افي قلوبهم
مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله ثم قسم الامر في صدودهم عن حكومته
اذا كان الحق عليهم بين ان يكونوا مرضى القلوب منافقين او مرتابين في امر نبوته او خائفين الحيف في قضائه
ثم ابطل خوفهم حيفه بقوله بل اولئك هم الظالمون اي لا يخافون ان يحيف عليهم لمعرفتهم بحاله
وانما هم الظالمون يريدون ان يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده وذلك شيء لا يستطيعونه في
مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمن ثمه يأبون المحاكمة اليه انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى
الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون وعن الحسن قول
المؤمنين بالرفع والنصب اقوى لان اولى الاسمين بكونه اسما لكان اوغلهما في التعريف وان يقولوا
اوغل لانه لا سبيل عليه للتنكير بخلاف قول المؤمنين وكان هذا من قبيل كان في قوله ما كان لله ان
يتخذ من ولد ما يكون لنا ان نتكلم بهذا وقرئ ليحكم على البناء للمفعول فان قلت الام اسند يحكم
ولا بد له من فاعل قلت هو مسند الى مصدره لان معناه ليفعل الحكم بينهم [illegible] وهذه القراءة مجاوبة لقوله
دعوا ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون قرئ ويتقه بكسر القاف
والهاء مع الوصل وبغير وصل وبسكون القاف وكسر الهاء شبه تقه بكتف فخفف كقوله
قالت سليمى اشتر لنا سويقا ولقد جمع الله سبحانه في هذه الآية اسباب الفوز وعن ابن عباس رضي الله عنهما
في تفسيرها ومن يطع الله في فرائضه ورسوله في سننه ويخش الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل
وعن بعض الملوك انه سأل عن آية كافية فتليت له هذه الآية واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن امرتهم
ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة جهد يمينه مستعار من جهد نفسه اذا بلغ اقصى وسعها
وذلك اذا بالغ في اليمين وبلغ غاية شدتها ووكادتها وعن ابن عباس رضي الله عنهما من قال بالله فقد جهد
يمينه واصل اقسم جهد اليمين اقسم يجهد اليمين جهدا فحذف الفعل وقدم المصدر فوضع موضعه
مضافا الى المفعول كقوله فضرب الرقاب وحكم هذا المنصوب حكم الحال كانه قال جاهدين ايمانهم
وطاعة معروفة خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ محذوف الخبر اي امركم والذي يطلب منكم طاعة
معروفة معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب كطاعة الخلص من المؤمنين الذين طابق باطن امرهم ظاهرهم
لا ايمان تقسمون بها بافواهكم وقلوبكم على خلافها او طاعتكم طاعة معروفة بانها بالقول
دون الفعل او طاعة معروفة امثل واولى بكم من هذه الايمان الكاذبة وقرأ اليزيدي طاعة
معروفة بالنصب على معنى اطيعوا طاعة ان الله خبير بما تعملون يعلم ما في ضمائركم ولا يخفى
عليه شيء من سرائركم وانه فاضحكم لا محالة ومجازيكم على نفاقكم قل اطيعوا الله واطيعوا
الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا صرف الكلام من
الغيبة الى الخطاب على طريقة الالتفات وهو ابلغ في تبكيتهم يريد فان تتولوا فما ضررتموه وانما ضررتم
انفسكم فان الرسول ليس عليه الا ما حمله الله وكلفه من اداء الرسالة فاذا ادى فقد خرج عن
عهدة تكليفه واما انتم فعليكم ما كلفتم من التلقي بالقبول والاذعان فان لم تفعلوا وتوليتم فقد
عرضتم نفوسكم لسخط الله وعذابه وان اطعتموه فقد احرزتم نصيبكم من الخروج عن
الضلالة الى الهدى فالنفع والضرر عائدان اليكم وما على الرسول الا البلاغ المبين
وما الرسول الا ناصح وهاد وما عليه الا ان يبلغ ما له نفع في قبولكم ولا عليه ضرر في توليكم
والبلاغ بمعنى التبليغ كالاداء بمعنى التأدية ومعنى المبين كونه مقرونا بالآيات والمعجزات وعد
الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين
من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني لا

لا يشركون بي شيئا الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن معه ومنكم للبيان كالتي في آخر سورة
الفتح وعدهم الله تعالى ان ينصر الاسلام على الكفر ويورثهم الارض ويجعلهم فيها خلفاء كما فعل
ببني اسرائيل حين اورثهم مصر والشام بعد اهلاك الجبابرة وان يمكن الدين المرتضى وهو دين
الاسلام وتمكينه تثبيته وتوطيده وان يؤمن سربهم ويزيل عنهم الخوف الذي كانوا عليه وذلك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ولما هاجروا كانوا بالمدينة
يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى قال رجل ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فقال عليه الصلوة
والسلام لا تغبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملاء العظيم محتبيا ليس فيه حديدة فانجز
الله وعده واظهرهم على جزيرة العرب وافتتحوا بعد بلاد المشرق والمغرب ومزقوا ملك الاكاسرة
وملكوا خزائنهم واستولوا على الدنيا ثم خرج الذين على خلاف سيرتهم فكفروا تلك الانعم وفسقوا
وذلك قوله عليه الصلوة والسلام الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يملك الله من يشاء فتصير ملكا ثم
يصير تزى قطع سبيل وسفك دماء واخذ اموال بغير حقها وقرئ كما استخلف على البناء للمفعول
وليبدلنهم بالتشديد فان قلت اين القسم المتلقى باللام والنون في ليستخلفنهم قلت هو محذوف
تقديره وعدهم الله واقسم ليستخلفنهم او نزل وعد الله في تحققه منزلة القسم فتلقى بما يتلقى
به القسم كانه اقسم الله ليستخلفنهم فان قلت ما محل يعبدونني قلت ان جعلته استئنافا لم يكن
له محل كان قائلا قال ما لهم يستخلفون ويؤمنون فقال يعبدونني وان جعلته حالا عن وعدهم
اي وعدهم الله ذلك في حال عبادتهم واخلاصهم فمحله النصب **ومن كفر بعد ذلك** يريد كفران
النعمة كقوله تعالى فكفرت بانعم الله **فاولئك هم الفاسقون** ۝ اي هم الكاملون في فسقهم حيث
كفروا تلك النعمة العظيمة وجسروا على غمطها فان قلت هل في هذه الآية دليل على امر الخلفاء
الراشدين قلت اوضح دليل وابينه لان المستخلفين الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم هم
واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون ۝ معطوف على اطيعوا
الله واطيعوا الرسول وليس ببعيد ان يقع بين المعطوف والمعطوف عليه فاصل وان طال لان حق
المعطوف ان يكون غير المعطوف وكررت طاعة الرسول تأكيدا لوجوبها **لا تحسبن الذين
كفروا معجزين في الارض وماواهم النار ولبئس المصير** ۝ وقرئ لا يحسبن بالياء وفيه اوجه
ان يكون معجزين في الارض هما المفعولان والمعنى لا يحسبن الذين كفروا احدا يعجز الله في الارض
حتى يطمعوا هم في مثل ذلك وهذا معنى قوي جيد وان يكون فيه ضمير الرسول لتقدم ذكره
في قوله واطيعوا الرسول وان يكون الاصل لا يحسبنهم الذين كفروا معجزين ثم حذف الضمير
الذي هو المفعول الاول وكان الذي سوغ ذلك ان الفاعل والمفعولين لما كانت لشيء واحد اقتنع
بذكر اثنين عن ذكر الثالث وعطف قوله وماواهم النار على لا يحسبن الذين كفروا معجزين كانه قيل
الذين كفروا لا يفوتون الله وماواهم النار والمراد بهم المقسمون جهد ايمانهم **يا ايها الذين
آمنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات
من قبل صلوة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلوة العشاء ثلاث
عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين
الله لكم الآيات والله عليم حكيم** ۝ امر بان يستاذن العبيد وقيل العبيد والاماء والاطفال
الذين لم يحتلموا من الاحرار ثلاث مرات في اليوم والليلة قبل صلوة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع
وطرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة وبالظهيرة لانها وقت وضع الثياب للقائلة
وبعد صلوة العشاء لانه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم وسمى كل واحدة
من هذه الاحوال عورة لان الناس يختل تسترهم وتحفظهم فيها والعورة الخلل ومنها اعور الفارس
واعور المكان والاعور المختل العين ثم عذرهم في ترك الاستيذان وراء هذه المرات وبين
وجه العذر في قوله طوافون عليكم يعني ان بكم وبهم حاجة الى المخالطة والمداخلة يطوفون
عليكم للاستخدام فلو جزم الامر بالاستيذان في كل وقت لادى الى الحرج وروي ان مدلج
بن عمرو وكان غلاما انصاريا ارسله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الظهيرة الى عمر رضي
الله عنه ليدعوه فدخل عليه وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضي الله عنه لوددت ان الله

نهى آباءنا وابناءنا وخدمنا ان لا يدخلوا علينا هذه الساعات الا باذن ثم انطلق معه الى النبي صلى الله
عليه وسلم فوجده وقد انزلت عليه هذه الآية وهي احدى الآيات المنزلة بسبب عمر رضي الله عنه
وقيل نزلت في اسماء بنت ابي مرثد قالت انا لندخل على الرجل والمرأة ولعلهما يكونان في لحاف واحد
وقيل دخل عليها غلام لها كبير في وقت كرهت دخوله فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
ان خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرهها وعن ابي عمرو والحلم بالسكون وقرئ ثلاث عورات
بالنصب بدلا عن ثلاث مرات اي اوقات ثلاث عورات وعن الاعمش عورات على لغة هذيل فان قلت
ما محل ليس عليكم قلت اذا رفعت ثلاث عورات كان ذلك في محل الرفع على الوصف والمعنى هن
ثلاث عورات مخصوصة بالاستيذان واذا نصبت لم يكن له محل فكان كلاما مقررا للامر بالاستيذان
في تلك الاحوال خاصة فان قلت بم ارتفع بعضكم قلت بالابتداء وخبره على بعض على
معنى طائف على بعض وحذف لان طوافون يدل عليه ويجوز ان يرتفع بيطوف مضمرا لتلك الدلالة
**واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا كما استاذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم
حكيم** الاطفال منكم من الاحرار دون المماليك الذين من قبلهم يريد الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم
الرجال او الذين ذكروا من قبلهم في قوله يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا الآية
والمعنى ان الاطفال ماذون لهم في الدخول بغير اذن الا في العورات الثلاث فاذا اعتاد الاطفال ذلك
ثم خرجوا عن حد الطفولية بان يحتلموا او يبلغوا السن التي يحكم عليهم فيها بالبلوغ وجب ان يفطموا عن تلك العادة
ويحملوا على ان يستاذنوا في جميع الاوقات كالرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم الا باذن
وهذا مما الناس منه في غفلة وهو عندهم كالشريعة المنسوخة وعن ابن عباس رضي الله عنهما آية لا
يؤمن بها اكثر الناس آية الاذن واني لآمر جاريتي ان تستاذن علي وسأله عطاء استاذن
على اختي قال نعم وان كانت في حجرك تمونها وتلا هذه الآية وعنه ثلاث آيات جحدهن الناس الاذن
كله وقوله ان اكرمكم عند الله اتقاكم فقال ناس اعظمكم بيتا وقوله واذا حضر القسمة
وعن ابن مسعود عليكم ان تستاذنوا على آبائكم وامهاتكم واخواتكم وعن الشعبي ليست منسوخة
فقيل له ان الناس لا يعملون بها فقال الله المستعان وعن سعيد بن جبير يقولون هي منسوخة ولا والله
ما هي منسوخة ولكن الناس تهاونوا بها فان قلت ما السن التي يحكم فيها بالبلوغ قلت قال ابو
حنيفة ثماني عشرة سنة في الغلام وسبع عشرة في الجارية وعامة العلماء على خمس عشرة فيهما وعن
علي رضي الله عنه انه كان يعتبر القامة ويقدره بخمسة اشبار وبه اخذ الفرزدق في قوله
۝ ما زال مذ عقدت يداه ازاره ۝ وسما فادرك خمسة الاشبار ۝
واعتبر غيره الانبات وعن عثمان رضي الله عنه انه سئل عن غلام فقال هل اخضر ازاره **والقواعد
من النساء** القاعد التي قعدت عن الحيض والولد لكبرها **اللاتي لا يرجون نكاحا** لا
يطمعن فيه **فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن** والمراد بالثياب الثياب الظاهرة كالملحفة
والجلباب الذي فوق الخمار **غير متبرجات بزينة** غير مظهرات زينة يريد الزينة الخفية
التي اراد في قوله ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او غير قاصدات بالوضع التبرج ولكن التخفف
اذا احتجن اليه **وان يستعففن خير لهن والله سميع عليم** ۝ والاستعفاف من الوضع خير
لهن لما ذكر الجائز عقبه بالمستحب بعثا منه على اختيار افضل الاعمال واحسنها كقوله وان
تعفوا اقرب للتقوى وان تصبروا خير لكم فان قلت ما حقيقة التبرج قلت تكلف اظهار ما
يجب اخفاؤه من قولهم سفينة بارج لا غطاء عليها والبرج سعة العين يرى بياضها محيطا بسوادها
لا يغيب منه شيء الا انه اختص بان تتكشف المرأة للرجال بابداء زينتها واظهار محاسنها وبدا
وبرز بمعنى ظهر من اخوات تبرج وتبلج كذلك **ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج
حرج ولا على المريض حرج ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم او بيوت آبائكم او بيوت
امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او
بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم** كان المؤمنون يذهبون بالضعفاء وذوي العاهات الى بيوت
ازواجهم واولادهم والى بيوت قراباتهم واصدقائهم فيطعمونهم منها فخالج قلوب المطعمين
والمطعمين ريبة في ذلك وخافوا ان يلحقهم فيه حرج وكرهوا ان يكون اكلا بغير حق لقوله تعالى

ولانا كلوا اموالكم بينكم بالباطل وقيل لهم ليس على الضعفاء ولا على انفسكم يعني عليكم وعلى من في مثل حالكم
من المؤمنين حرج في ذلك وعن عكرمة كانت الانصار في انفسها قزازة فكانت لا تاكل من هذه البيوت
اذا استغنوا وقيل كان هؤلاء يتوقون مجالسة الناس ومواكلتهم لما عسى يؤدي اليه الكراهة من قبلهم
ولان الاعمى ربما سبقت يده الى ما سبقت عين اكيله وهو لا يشعر والاعرج يتفسح في مجلسه وياخذ اكثر
من موضعه فيضيق على جليسه والمريض لا يخلو من رائحة تؤذي او جرح يبض او انف يذن ونحو ذلك
وكانوا يخرجون الى الغزو ويخلفون الضعفاء في بيوتهم ويدفعون اليهم المفاتيح وياذنون لهم ان ياكلوا
من بيوتهم فكانوا يتحرجون حكي عن الحارث بن عمرو انه خرج غازيا وخلف مالك بن زيد في بيته وماله
فلما رجع رآه مجهودا فقال ما اصابك قال لم يكن عندي شيء ولم يحل لي ان آكل من مالك فقيل ليس على
هؤلاء الضعفاء حرج فيما تحرجوا عنه ولا عليكم ان تاكلوا من هذه البيوت وهذا كلام صحيح وكذلك
اذا فسر بان هؤلاء ليس عليهم حرج في القعود عن الغزو ولا عليكم ان تاكلوا من البيوت المذكورة
لالتقاء الطائفتين في ان كل واحدة منهما منفي عنها الحرج ومثال هذا ان يستفتيك مسافر عن الافطار
في رمضان وحاج مفرد عن تقديم الحلق على النحر فقلت ليس عليك حرج ان تفطر ولا عليك ان
تقدم الحلق على النحر فان قلت هلا ذكر الاولاد قلت دخل ذكرهم تحت قوله من بيوتكم
لان ولد الرجل بعضه وحكمه حكم نفسه وفي الحديث ان اطيب ما ياكل المرء من كسبه وان ولده
من كسبه ومعنى من بيوتكم من البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم ولان الولد اقرب من
عدد من القرابات فاذا كان سبب الرخصة هي القرابة كان الذي هو اقرب منهم اولى فان قلت
ما معنى أو ما ملكتم مفاتحه قلت اموال الرجل اذا كان له عليها قيم ووكيل يحفظها له ان ياكل من
ثمر بستانه ويشرب من لبن ماشيته وملك المفاتح كونها في يده وحفظه وقيل بيوت المماليك لان
مال العبد لمولاه وقرئ مفتاحه فان قلت فما معنى أو صديقكم قلت معناه او بيوت اصدقائكم
والصديق يكون واحدا وجمعا وكذلك الخليط والقطين والعدو ويحكى عن الحسن انه دخل داره
واذا حلقة من اصدقائه وقد استلوا سلالا من تحت سريره فيها الخبيص واطايب الاطعمة وهم مكبون
عليها ياكلون فتهللت اسارير وجهه سرورا وضحك وقال هكذا وجدناهم يريد كبراء الصحابة
ومن لقيهم من البدريين وكان الرجل منهم يدخل دار صديقه وهو غائب فيسال جاريته كيسه فياخذ
ما شاء فاذا حضر مولاها فاخبرته اعتقها سرورا بذلك وعن جعفر بن محمد من عظم حرمة الصديق
ان جعله الله من الانس والثقة والانبساط وطرح الحشمة بمنزلة النفس والاب والاخ والابن وعن ابن عباس
الصديق اكبر من الوالدين ان الجهنميين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالآباء والامهات فقالوا فما لنا من
شافعين ولا صديق حميم وقالوا اذا دل ظاهر الحال على رضا المالك قام ذلك مقام الاذن الصريح وربما
سمج الاستئذان وثقل كمن قدم اليه طعام فاستاذن صاحبه في الاكل منه ليس عليكم جناح ان
تاكلوا جميعا أو أشتاتا اي مجتمعين او متفرقين نزلت في بني ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون
ان ياكل الرجل وحده فربما قعد منتظرا نهاره الى الليل فان لم يجد من يواكله اكل ضرورة وقيل
في قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا ياكلون الا مع ضيفهم وقيل تحرجوا عن الاجتماع على الطعام
لاختلاف الناس في الاكل وزيادة بعضهم على بعض فإذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت لتاكلوا
فسلموا على أنفسكم فابدءوا بالسلام على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة تحية من عند الله
اي ثابتة بامره مشروعة من لدنه او لان التسليم والتحية طلب سلامة وحياة للمسلم عليه والمحيا
من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون ۝ ووصفها
بالبركة والطيب لانها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله زيادة الخير وطيب الرزق وعن
انس قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عشر سنين وفي رواية تسع سنين فما قال
لي لشيء فعلته لم فعلته ولا لشيء كسرته لم كسرته وكنت واقفا على راسه اصب
الماء على يديه فرفع راسه فقال الا اعلمك ثلاث خصال تنتفع بها قلت بلى بابي وامي يا
رسول الله قال متى لقيت من امتي احدا فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم
عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الابرار الاوابين وقالوا ان لم يكن
في البيت احد فليقل السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله

وعن ابن عباس اذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين تحية من عند الله وانتصب
تحية بسلموا لانها في معنى تسليما كقولك قعدت جلوسا إنما المؤمنون الذين آمنوا
بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه إن الذين
يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم
فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم ۝ اراد عز وجل ان يريهم
عظم الجناية في ذهاب الذاهب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بغير اذنه اذا كانوا
معه على امر جامع فجعل ترك ذهابهم حتى يستاذنوه ثالث الايمان بالله والايمان برسوله
وجعلهما كالتشبيب له والبساط لذكره وذلك مع تصدير الجملة بانما وايقاع المؤمنين مبتدا
مخبرا عنه بموصول احاطت صلته بذكر الايمانين وعرض بحال المنافقين وتسللهم لواذا ومعنى
قوله لم يذهبوا حتى يستاذنوه وياذن لهم الا تراه كيف علق الامر بعد وجود استئذانهم بمشيئته
واذنه لمن استصوب ان ياذن له والامر الجامع الذي يجمع له الناس فوصف الامر بالجمع على سبيل
المجاز وذلك نحو مقاتلة عدو او تشاور في خطب مهم او تضام لارهاب مخالف او تماسح في حلف
وغير ذلك او الامر الذي يعم بضرره او بنفعه وقرئ امر جميع وفي قوله اذا كانوا معه على امر
جامع انه خطب جليل لا بد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه من ذوي راي وقوة يظاهرونه
عليه ويعاونونه ويستضيء بآرائهم ومعارفهم وتجاربهم في كفايته فمفارقة احدهم في مثل تلك
الحال مما يشق على قلبه ويشعث عليه رايه فمن ثمة غلظ عليهم وضيق عليهم الامر في الاستئذان مع
العذر المبسوط ومساس الحاجة اليه واعتراض ما يهمهم ويعنيهم وذلك قوله لبعض شانهم
وذكر الاستغفار للمستأذنين دليل على ان الافضل ان لا يحدثوا انفسهم بالذهاب ولا يستاذنوا فيه وقيل
نزلت في حفر الخندق وكان قوم يتسللون بغير اذن وقالوا ينبغي ان يكون الناس مع ائمتهم ومقدميهم
في الدين والعلم يظاهرونهم ولا يخذلونهم في نازلة من النوازل ولا يتفرقون عنهم والامر في الاذن
مفوض الى الامام ان شاء اذن وان شاء لم ياذن على حسب ما اقتضاه رايه لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم
كدعاء بعضكم بعضا اذا احتاج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى اجتماعكم عنده
لامر فدعاكم فلا تتفرقوا عنه الا باذنه ولا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا ورجوعكم
عن المجمع بغير اذن الداعي ولا تجعلوا تسميته ونداءه بينكم كما يسمي بعضكم بعضا ويناديه
باسمه الذي سماه به ابواه ولا تقولوا يا محمد ولكن يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير والتعظيم
والصوت المخفوض والتواضع ويحتمل لا تجعلوا دعاء الرسول ربه مثل ما يدعو صغيركم كبيركم
وفقيركم غنيكم يساله حاجة فربما اجابه وربما رده فان دعوات رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم مسموعة مستجابة قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا يتسللون قليلا قليلا
ونظير تسلل تدرج وتدخل واللواذ الملاوذة وهو ان يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا يعني يتسللون
عن الجماعة في الخفية على سبيل الملاوذة واستتار بعضهم ببعض ولواذا حال اي ملاوذين وقيل
كان بعضهم يلوذ بالرجل اذا استاذن فياذن له فينطلق الذي لم يؤذن له معه وقرئ لواذا بالفتح
فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم يقال خالفه الى الامر اذا ذهب اليه دونه ومنه قوله
تعالى وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه وخالفه عن الامر اذا صد عنه دونه ومعنى الذين
يخالفون عن امره الذين يصدون عن امره دون المؤمنين وهم المنافقون فحذف المفعول لان الغرض
ذكر المخالف والمخالف عنه الضمير في امره لله سبحانه او للرسول صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى عن
طاعته ودينه أن تصيبهم فتنة محنة في الدنيا أو يصيبهم عذاب أليم ۝ في الآخرة وعن
ابن عباس فتنة قتل وعن عطاء زلازل واهوال وعن جعفر بن محمد يسلط عليهم سلطان جائر ألا إن لله ما في السموات
والأرض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم ۝
ادخل قد ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين والنفاق ومرجع توكيد العلم الى توكيد
الوعيد وذلك ان قد اذا دخلت على المضارع كانت بمعنى ربما فوافقت ربما في خروجها الى معنى
التكثير في نحو قوله ۝ فإن تمس مهجور الفناء فربما ۝ أقام به بعد الوفود وفود ۝
ونحو قول زهير ۝ أخي ثقة لا تهلك الخمر ماله ۝ ولكنه قد يهلك المال نائله ۝

والمعنى ان جميع ما في السموات والارض مختصة به خلقا وملكا وعلما فكيف يخفى عليه احوال المنافقين وان كانوا
يجتهدون في سترها عن العيون واخفائها ويوم يرجعون اليه يوم القيمة فينبئهم بما عملوا من سوء اعمالهم وسيجازيهم حق جزائهم
والخطاب والغيبة في قوله قد يعلم ما انتم عليه ويوم يرجعون اليه يجوز ان يكونا جميعا للمنافقين على طريق
الالتفات ويجوز ان يكون ما انتم عليه عاما ويرجعون للمنافقين والله اعلم ● عن رسول الله صلى
الله عليه والسلم من قرا سورة النور اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما
بقي

سورة الفرقان مكية وهي سبع وسبعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم ●
تبارك الذي نزل الفرقان على عبده البركة كثرة الخير وزيادته ومنها بارك الله وفيه معنيان
تزايد خيره وتكاثر او تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وافعاله والفرقان مصدر فرق بين
الشيئين اذا فصل بينهما وسمي به القران لفصله بين الحق والباطل او لانه لم ينزل جملة واحدة ولكن مفصولا
مفرقا بين بعضه وبعضه في الانزال لقوله تعالى وقرانا فرقناه لتقراه على الناس على مكث ونزلناه
تنزيلا وقد جاء الفرق بمعناه قال ... ومشرك كافر بالفرق ● وعن
ابن الزبير على عباده وهم رسول الله صلى الله عليه والسلم وامته كما قال لقد انزلنا اليكم وقولوا امنا بالله
وما انزل الينا والضمير في ليكون لعبده او للفرقان ويعضد رجوعه الى الفرقان قراءة ابن الزبير
للعالمين للجن والانس نذيرا منذرا اي مخوفا او انذارا كالنكير بمعنى الانكار ومنه قوله
فكيف كان عذابي ونذر الذي له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له
شريك في الملك بدل من الذي الاول او رفع على المدح او نصب عليه فان قلت
كيف جاز الفصل بين البدل والمبدل منه قلت ما فصل بينهما بشيء لان المبدل منه صلته نزل وليكون
تعليل له فكان المبدل منه لم يتم الا به فان قلت في الخلق معنى التقدير فما معنى قوله وخلق
كل شيء فقدره تقديرا كانه قال وقدر كل شيء فقدره قلت المعنى انه احدث كل شيء احداثا
مراعى فيه التقدير والتسوية فقدره وهياه لما يصلح له مثاله انه خلق الانسان على هذا الشكل المقدر
المستوي الذي تراه فقدره للتكاليف والمصالح المنوطة به في بابي الدين والدنيا وكذلك كل حيوان
وجماد جاء به على الجبلة المستوية المقدرة بامثلة الحكمة والتدبير فقدره لامر ما ومصلحة مطابقا
لما قدر له غير متجاف عنه او سمي احداث الله خلقا لانه لا يحدث شيئا لحكمته الا على وجه التقدير
من غير تفاوت فاذا قيل خلق الله كذا فهو بمنزلة قولك احدث واوجد من غير نظر الى وجه الاشتقاق
فكانه قيل واوجد كل شيء فقدره في ايجاده لم يوجده متفاوتا وقيل فجعل له غاية ومنتهى ومعناه
فقدره للبقاء الى امد معلوم واتخذوا من دونه الهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ● الخلق بمعنى
الافتعال كما في قوله انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا والمعنى انهم اثروا على عبادة الله
سبحانه عبادة الهة لا عجز ابين من عجزهم لا يقدرون على شيء من افعال الله ولا من افعال العباد
حيث لا يفتعلون شيئا وهم يفتعلون لان عبدتهم يصنعونهم بالنحت والتصوير ولا
يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا ● اي لا يستطيعون
لانفسهم دفع ضرر عنها او جلب نفع اليها وهم يستطيعون واذا عجزوا عن الافتعال ودفع
الضرر وجلب النفع التي يقدر عليها العباد كانوا عن الموت والحيوة والنشور التي لا يقدر عليها الا الله
اعجز وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتريه واعانه عليه قوم اخرون هم اليهود وقيل
عداس مولى حويطب بن عبد العزى ويسار مولى العلاء بن الحضرمي وابو فكيهة الرومي قال
ذلك النضر بن الحارث بن عبد الدار فقد جاءو ظلما وزورا جاء واتى يستعملان في معنى فعل فيعديان تعديته
وقد يكون على معنى وردوا ظلما كما يقول جئت المكان ويجوز ان يحذف الجار ويوصل
الفعل وظلمهم ان جعلوا العربي يتلقن من العجمي الرومي كلاما عربيا اعجز بفصاحته جميع فصحاء
العرب والزور ان بهتوه بنسبة ما هو بريء منه اليه وقالوا اساطير الاولين ما سطره المتقدمون
من خرافات رستم واسفنديار جمع اسطار او اسطورة كاحدوثة اكتتبها فهي تملى عليه

كتبها لنفسه

كتبها لنفسه واخذها كما تقول استكب الماء واصطبه اذا سكبه وصبه لنفسه واخذه وقرئ اكتتبها
على البناء للمفعول والمعنى اكتتبها كاتب له لانه كان اميا لا يكتب بيده وذلك من تمام اعجازه ثم حذف
اللام وافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب كقوله واختار موسى قومه ثم بني الفعل للضمير الذي
هو اياه فانقلب مرفوعا مستترا بعد ان كان بارزا منصوبا وبقي ضمير الاساطير على حاله فصار اكتتبها
كما ترى فان قلت كيف قيل اكتتبها فهي تملى عليه وانما يقال امليت عليه فهو يكتتبها قلت فيه
وجهان احدهما اراد اكتتابها وطلبه فهي تملى عليه او كتبت له وهو امي فهي تملى عليه اي تلقى عليه
من كتابه يتحفظها لان صورة الالقاء على الحافظ كصورة الالقاء على الكاتب وعن الحسن انه قول الله
سبحانه يكذبهم وانما يستقيم ان لو فتحت الالف للاستفهام الذي في معنى الانكار ووجهه ان يكون نحو
قوله افرح ان ارزا الكرام وحق الحسن ان يقف على الاولين بكرة واصيلا ● اي دائما او في الخفية
قبل ان ينتشر الناس وحين ياوون الى مساكنهم قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض
انه كان غفورا رحيما ● يعلم كل سر خفي في السموات والارض ومن جملته ما تسرونه انتم من الكيد لرسول
الله صلى الله عليه والسلم مع علمكم انما تقولونه باطل وزور وكذلك باطن امر رسول الله صلى الله عليه والسلم
وبراءته مما تبهتونه به وهو يجازيكم ويجازيه على ما علم منكم وعلم منه فان قلت كيف طابق قوله انه كان
غفورا رحيما هذا المعنى قلت لما كان ما تقدمه في معنى الوعيد عقبه بما يدل على القدرة عليه لانه لا يوصف
بالمغفرة والرحمة الا القادر على العقوبة وهو تنبيه على انهم استوجبوا بمكابرتهم هذه ان يصب عليهم
العذاب صبا ولكن صرف ذلك عنهم انه غفور رحيم يمهل ولا يعاجل وقالوا مال هذا الرسول ياكل
الطعام ويمشي في الاسواق لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ● او يلقى اليه كنز او
تكون له جنة ياكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا ● وقعت اللام في المصحف
مفصولة عن هذا خارجة عن اوضاع الخط العربي وخط المصحف سنة لا تغير وفي هذا استهانة وتصغير
لشانه وتسميته بالرسول سخرية منهم وكانهم قالوا ما لهذا الزاعم انه رسول ونحوه قول
فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون اي ان صح انه رسول الله فما باله حاله مثل حالنا
ياكل الطعام كما ناكل ويتردد في الاسواق لطلب المعاش كما نتردد يعنون انه كان يجب ان يكون ملكا
مستغنيا عن الاكل والتعيش ثم نزلوا عن اقتراحهم ان يكون ملكا الى اقتراح ان يكون انسانا معه ملك
حتى يتساندا في الانذار والتخويف ثم نزلوا ايضا فقالوا وان لم يكن مرفودا بملك فليكن مرفودا بكنز
يلقى اليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج الى تحصيل المعاش ثم نزلوا فاقتنعوا بان يكون رجلا له بستان
ياكل منه ويرتزق كالدهاقين والمياسير او ياكلون هم من ذلك البستان فينتفعون به في دنياهم ومعاشهم
واراد بالظالمين اياهم باعيانهم وضع الظاهر موضع المضمر ليسجل عليهم بالظلم فيما قالوا وقرئ
فيكون بالرفع او يكون له جنة بالياء وناكل بالنون فان قلت ما وجها الرفع والنصب في فيكون قلت
النصب لانه جواب لولا بمعنى هلا والرفع وقد عطف عليه يلقى وتكون مرفوعين ولا يجوز النصب فيهما لانهما في حكم
الواقع بعد لولا ولا يكون الا مرفوعا والقائلون هم كفار قريش النضر بن الحارث وعبد الله بن ابي
امية ونوفل بن خويلد ومن ضامهم مسحورا سحر فغلب على عقله او ذا سحر وهو الرئة عنوا انه
بشر لا ملك انظر كيف ضربوا لك الامثال اي قالوا فيك تلك الاقوال واخترعوا لك تلك الصفات
والاحوال النادرة من نبوة مشتركة بين انسان وملك والقاء كنز عليك من السماء وغير ذلك
فضلوا فلا يستطيعون سبيلا ● فبقوا متحيرين ضلالا لا يجدون قولا يستقرون عليه او فضلوا عن
الحق فلا يجدون طريقا اليه تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها
الانهار ويجعل لك قصورا ● تكاثر خير الذي ان شاء وهب لك في الدنيا خيرا مما قالوا وهو ان يعجل
لك مثل ما وعدك في الاخرة من الجنات والقصور وقرئ ويجعل لك بالرفع عطفا على جعل لان الشرط اذا
وقع ماضيا جاز في جزائه الجزم والرفع كقوله ●
● وان اتاه خليل يوم مسالة ● يقول لا غائب مالي ولا حرم ●
ويجوز في ويجعل لك اذا ادغمت ان يكون اللام في تقدير الجزم والرفع جميعا وقرئ بالنصب على انه جواب
الشرط بالواو بل كذبوا بالساعة عطف على ما حكى عنهم يقول بل اتوا باعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم
بالساعة ويجوز ان يتصل بما يليه كانه قال بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون الى هذا الجواب وكيف

بصيرتهم فوق تعجبهم مثل ما وعدك في الاخرة وهم لا يؤمنون بالاخرة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا
السعير النار الشديدة الاستعار وعن الحسن انه اسم من اسماء جهنم إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا
لها تغيظا وزفيرا ۝ اي اذا كانت منهم بمرأى الناظر في البعد كقوله عليه الصلوة والسلام لا تراءى ناراهما اي لا تتقاربان بحيث تكون احداهما بمرأى من الاخرى على سبيل المجاز والمعنى اذا كانت بمرأى الناظر في البعد سمعوا
صوت غليانها وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزافر ويجوز ان يراد اذا رأتهم زبانيتها تغيظوا وزفروا
غضبا على الكفار وشهوة للانتقام منهم وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين الكرب مع الضيق كما
ان الروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بأن عرضها السموات والارض وجاء في الاحاديث ان لكل
مؤمن من القصور والجنان كذا وكذا ولقد جمع الله على اهل النار انواع التضييق والارهاق حيث ألقاهم
في مكان ضيق يتراصون فيه تراصا كما روي عن ابن عباس في تفسيره انه تضيق عليهم كما يضيق الزج
في الرمح وهم مع ذلك الضيق مسلسلون مقرنون في السلاسل قرنت ايديهم الى اعناقهم في الجوامع
وقيل يقرن مع كل كافر شيطانه في سلسلة وفي ارجلهم الاصفاد دعوا هنالك ثبورا ۝ والثبور
الهلاك ودعاؤه ان يقال واثبوراه اي تعال يا ثبور فهذا حينك وزمانك لا تدعوا اليوم ثبورا
واحدا اي يقال لهم ذلك او هم احقاء بان يقال لهم وان لم يكن ثمة قول ومعنى وادعوا ثبورا كثيرا ۝
انكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحدا انما هو ثبور كثير اما لان العذاب انواع والوان
كل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته او لانهم كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها فلا غاية لهلاكهم
قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا ۝ لهم فيها ما يشاؤن
خالدين كان على ربك وعدا مسئولا ۝ الراجع الى الموصولين محذوف يعني وعدها المتقون وما يشاؤنه
وانما قيل كانت لان ما وعده الله فهو في تحققه كانه قد كان او كان مكتوبا في اللوح قبل ان برأهم بازمنة
متطاولة ان الجنة جزاؤهم ومصيرهم فان قلت ما معنى قوله كانت لهم جزاء ومصيرا قلت
هو كقوله نعم الثواب وحسنت مرتفقا فمدح الثواب ومكانه كما قال بئس الشراب وساءت مرتفقا
فذم العقاب ومكانه لان النعيم لا يتم للمتنعم الا بطيب المكان وسعته وموافقته للمراد والشهوة
والا تنغص وكذلك العذاب تتضاعف بغثاثة الموضع وضيقه وظلمته وجمعه لاسباب الاجتواء
والكراهة فلذلك ذكر المصير مع ذكر الجزاء والضمير في كان لما يشاؤن والوعد الموعود اي كان ذلك
موعودا واجبا على ربك انجازه حقيقا ان يسأل ويطلب لانه جزاء واجر مستحق وقيل قد سأله
الناس والملئكة في دعواتهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة
حسنة ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول
أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل ۝ قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ
من دونك من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا ۝
نقول كلاهما بالنون والياء وقرئ نحشرهم بكسر الشين وما يعبدون يريد المعبودين من الملئكة والمسيح
وعزير وعن الكلبي الاصنام ينطقها الله تعالى ويجوز ان يكون عاما لهم جميعا فان قلت كيف
صح استعمال ما في العقلاء قلت هو موضوع على العموم للعقلاء وغيرهم بدليل قولك اذا رأيت شبحا
من بعيد ما هو فاذا قيل لك انسان قلت حينئذ من هو ويدلك قولهم من لما يعقل او اريد به
الوصف كانه قيل ومعبودهم الا تراك تقول اذا اردت السؤال عن صفة زيد ما زيد تعني اطويل ام قصير
افقيه ام طبيب فان قلت ما فائدة انتم وهم وهلا قيل اضللتم عبادي هؤلاء ام ضلوا السبيل
قلت ليس السؤال عن الفعل ووجوده لانه لولا وجوده لما توجه هذا العتاب وانما هو عن متوليه فلا
بد من ذكره وايلائه حرف الاستفهام حتى يعلم انه المسؤل عنه فان قلت فالله سبحانه قد سبق علمه
بالمسؤل عنه فما فائدة هذا السؤال قلت فائدته ان يجيبوا بما اجابوا به حتى يبكت عبدتهم بتكذيبهم
اياهم فيبهتوا ويخذلوا وتزيد حسرتهم ويكون ذلك نوعا مما يلحقهم من غضب الله وعذابه
ويغتبط المؤمنون ويفرحوا بحالهم ونجاتهم من فضيحة اولئك وليكون حكاية ذلك في القرآن لطفا
للمكلفين وفيه كسر بين لقول من يزعم ان الله يضل عباده على الحقيقة حيث يقول للمعبودين من دونه
انتم اضللتموهم ام هم ضلوا بانفسهم فيتبرؤن من اضلالهم ويستعيذون به ان يكونوا مضلين
ويقولون بل انت تفضلت من غير سابقة على هؤلاء وآبائهم تفضل جواد كريم فجعلوا النعمة التي حقها ان

يكون

سبب الشكر سبب الكفر ونسيان الذكر وكان ذلك سبب هلاكهم فاذا برأت الملئكة والرسل
انفسهم من نسبة الاضلال الذي هو عمل الشياطين اليهم واستعاذوا منه فهم لربهم الغني العدل
اشد تبرئة وتنزيها منه ولقد نزهوه حين اضافوا اليه التفضل بالنعمة والتمتيع بها واسندوا
نسيان الذكر والتسبب للبوار الى الكفرة فشرحوا الاضلال المجازي الذي اسنده الله تعالى الى
ذاته في قوله يضل من يشاء ولو كان هو المضل على الحقيقة لكان الجواب العتيد ان يقولوا بل انت
اضللتهم والمعنى انتم اوقعتموهم في الضلال عن طريق الحق ام هم ضلوا عنه بانفسهم وضل مطاوع اضله
وكان القياس ضل عن السبيل الا انهم تركوا الجار كما تركوه في هداه الطريق والاصل الى الطريق
وللطريق وقولهم اضل البعير في معنى جعله ضالا اي ضائعا كان اكثر ذلك بتفريط من صاحبه
وقلة احتياط في حفظه قيل اضله سواء كان منه فعل او لم يكن سبحانك تعجب منهم قد
تعجبوا مما قيل لهم لانهم ملئكة وانبياء معصومون فما ابعدهم عن الاضلال الذي هو مختص بابليس
وحزبه او نطقوا بسبحانك ليدلوا على انهم المسبحون المقدسون فكيف يليق بحالهم ان يضلوا عبادا
او قصدوا به تنزيهه عن الانداد وان يكون له ملك او نبي او غيرهما ندا ثم قالوا ما كان يصح لنا ولا
يستقيم ونحن معصومون ان نتولى احدا دونك فكيف يصح لنا ان نحمل غيرنا على ان يتولونا دونك وما
كان ينبغي لنا ان نكون امثال الشياطين في توليهم الكفار كما تولاهم الكفار قال الله تعالى فقاتلوا اولياء
الشيطان يريد الكفرة وقال والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت وقرأ ابو جعفر المدني نتخذ
على البناء للمفعول وهذا الفعل اعني اتخذ يتعدى الى مفعول واحد كقولك اتخذ وليا والى مفعولين كقولك
اتخذ فلانا وليا وقال الله تعالى ام اتخذوا آلهة من الارض وقال واتخذ الله ابرهيم خليلا فالقراءة الاولى من
المتعدي الى واحد وهو من اولياء والاصل ان نتخذ اولياء فزيدت من لتاكيد معنى النفي والثانية
من المتعدي الى مفعولين فالاول ما بني له الفعل والثاني من اولياء ومن للتبعيض اي لا نتخذ بعض اولياء
وتنكير اولياء من حيث انهم اولياء مخصوصون وهم الجن والاصنام والذكر ذكر الله تعالى والايمان
او القرآن والشرائع والبور الهلاك يوصف به الواحد والجمع ويجوز ان يكون جمع بائر كعائذ وعوذ فقد
كذبوكم بما تقولون فما يستطيعون صرفا ولا نصرا هذه المفاجأة بالاحتجاج والالزام حسنة
رائعة وخاصة اذا انضم اليها الالتفات وحذف القول ونحوها قوله عز وعلا يا اهل الكتاب قد
جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير
ونذير وقول القائل ۝
قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ۝ ثم القفول فقد جئنا خراسانا ۝
وقرئ يقولون بالتاء والياء فمعنى من قرأ بالتاء فقد كذبوكم بقولكم انهم آلهة ومعنى من قرأ بالياء
فقد كذبوكم بقولهم ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء فان قلت هل يختلف حكم
الباء مع التاء والياء قلت اي والله هي مع التاء كقوله بل كذبوا بالحق لما جاءهم والجار
والمجرور بدل من الضمير كانه قيل فقد كذبوا بما تقولون وهي مع الياء كقولك كتبت بالقلم وقرئ
يستطيعون بالتاء والياء ايضا يعني فما تستطيعون انتم يا كفار صرف العذاب عنكم وقيل الصرف التوبة
وقيل الحيلة من قوله انه ليتصرف اي يحتال او فما يستطيع آلهتكم ان يصرفوا عنكم العذاب وينصروكم
ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا ۝ الخطاب على العموم للمكلفين والعذاب الكبير لاحق
بكل من ظلم والكافر ظالم لقوله ان الشرك لظلم عظيم والفاسق ظالم لقوله ومن لم يتب فاولئك
هم الظالمون وقرئ يذقه بالياء وفيه ضمير الله او ضمير مصدر يظلم وما أرسلنا قبلك من المرسلين
إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق الجملة بعد الا صفة لموصوف محذوف والمعنى
وما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين الا آكلين وماشين وانما حذف اكتفاء بالجار والمجرور اعني
من المرسلين ونحوه قوله عز من قائل وما منا الا له مقام معلوم على معنى وما منا احد وقرئ يمشون
على البناء للمفعول اي تمشيهم حوائجهم او الناس ولو قرئ يمشون لكان اوجه لولا الرواية وقيل
هو احتجاج على من قال ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق وجعلنا بعضكم لبعض
فتنة أتصبرون فتنة اي محنة وابتلاء وهذا تصبير لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما قالوه واستبعدوه
من اكله الطعام ومشيه في الاسواق بعد ما احتج عليهم بسائر الرسل يقول وجرت عادتي وموجب

حكمتي على ابتلاء بعضكم ايها الناس ببعض والمعنى انه ابتلى المرسلين بالمرسل اليهم وبمناصبتهم
لهم العداوة واقاويلهم الخارجة عن حد الانصاف وانواع اذاهم وطلب منهم الصبر الجميل ونحوه
ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من
عزم الامور وموقع اتصبرون بعد ذكر الفتنة موقع ايكم بعد الابتلاء في قوله ليبلوكم ايكم
احسن عملا **وكان ربك بصيرا** عالما بالصواب فيما يبتلي به وغيره فلا يضيقن صدرك ولا يستخفنك
اقاويلهم فان صبرك عليها سعادتك وفوزك في الدارين وقيل هو تسلية له عليه الصلوة والسلام
عما عيروه به من الفقر حين قالوا او يلقى اليه كنز او تكون له جنة وانه جعل الاغنيا فتنة للفقراء
لينظر هل يصبرون وانها حكمته ومشيته يغني من يشاء ويفقر من يشاء وقيل جعلناك فتنة لهم لانك
لو كنت غنيا صاحب كنوز وجنان لكان ميلهم اليك وطاعتهم لك للدنيا او ممزوجة بالدنيا فانما بعثناك
فقيرا لتكون طاعة من يطيعك خالصة لوجه الله من غير طمع دنيوي وقيل كان ابو جهل والوليد بن
المغيرة والعاص بن وائل ومن في طبقتهم يقولون ان اسلمنا وقد اسلم قبلنا عمار وصهيب وبلال وفلان
وفلان ترفعوا علينا اذلة بالسابقة فهو افتتان بعضهم ببعض **وقال الذين لا يرجون لقاءنا**
اي لا يأملون لقاءنا بالخير لانهم كفرة او لا يخافون لقاءنا بالشر والرجاء في لغة تهامة الخوف وبه فسر قوله تعالى
لا ترجون لله وقارا اجعلت الصيرورة الى دار جزائه بمنزلة لقائه لو كان ملقيا **لولا انزل علينا الملئكة**
او نرى ربنا اقترحوا من الآيات ان ينزل الله عليهم الملئكة فتخبرهم بان محمدا صادق حتى يصدقوه
او يروا الله جهرة فيأمرهم بتصديقه واتباعه ولا يخلوا اما ان يكونوا عالمين بان الله لا يرسل الملئكة
الى غير الانبياء وان الله لا يصح ان يرى وانما علقوا ايمانهم بما لا يكون واما ان لا يكونوا عالمين بذلك وانما
ارادوا التعنت باقتراح آيات سوى الآيات التي نزلت وقامت بها الحجة عليهم كما فعل قوم موسى عليه
الصلوة والسلام قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة **لقد استكبروا في انفسهم** فان قلت
ما معنى في انفسهم قلت معناه انهم اضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد في قلوبهم واعتقدوه
كما قال ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه **وعتوا عتوا كبيرا** وتجاوزوا الحد في الظلم يقال
عتا علينا فلان وقد وصف العتو بالكبير فبالغ في افراطه يعني انهم لم يجسروا على هذا القول العظيم
الا لانهم بلغوا غاية الاستكبار واقصى العتو واللام جواب قسم محذوف وهذه الجملة في
حسن استئنافها غاية وفي اسلوبها قول القائل

وجارة جساس ابأنا بنابها ... كليبا غلت ناب كليب بواؤها

وفي فحوى هذا الفعل دليل على التعجب من غير لفظ تعجب الا ترى ان المعنى ما اشد استكبارهم
وما اكبر عتوهم وما اغلى نابا بواؤها كليب **يوم يرون الملئكة لا بشرى يومئذ للمجرمين**
يوم يرون منصوب باحد شيئين اما بما دل عليه لا بشرى اي يوم يرون الملئكة يمنعون البشرى وان لا بشرى يومئذ للمجرمين
وقوله للمجرمين اما ظاهر في موضع ضمير واما لانه عام فقد تناولهم بعمومه **ويقولون**
حجرا محجورا ذكر سيبويه في باب المصادر غير المتصرفة المنصوبة بافعال متروك اظهارها نحو
معاذ الله وقعدك الله وعمرك الله هذه كلمة كانوا يتكلمون بها عند لقاء عدو موتور او هجوم
نازلة او نحو ذلك يضعونها موضع الاستعاذة قال سيبويه ويقول الرجل للرجل اتفعل كذا وكذا
فيقول حجرا محجورا وهي من حجره اذا منعه لان المستعيذ طالب من الله ان يمنع المكروه فلا
يلحقه فكان المعنى اسأل الله ان يمنع ذلك منعا ويحجره حجرا ومجيئه على فعل او فعل في قراءة الحسن
تصرف فيه لاختصاصه بموضع واحد كما كان قعدك وعمرك كذلك وانشدت لبعض الرجاز

قالت وفيها حيدة وذعر ... عوذ بربي منكم وحجر

فان قلت فاذا قد ثبت انه من باب المصادر فما معنى وصفه بمحجورا قلت جاءت هذه الصفة
لتأكيد معنى الحجر كما قالوا ذيل ذائل والذيل الهوان وموت مائت والمعنى في الآية انهم يطلبون
نزول الملئكة ويقترحونه وهم اذا رأوهم عند الموت او يوم القيمة كرهوا لقاءهم وفزعوا منهم
لانهم لا يلقونهم الا بما يكرهون وقالوا عند رؤيتهم ما كانوا يقولونه عند لقاء العدو الموتور
وشدة النازلة وقيل هو من قول الملئكة ومعناه حراما محرما عليكم الغفران والجنة والبشرى
اي جعل الله ذلك حراما عليكم **وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا** ليس ههنا

قدوم

قدوم ولا ما يشبه القدوم ولكن مثلت حال هؤلاء واعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلة رحم واغاثة
ملهوف وقرى ضيف ومن على اسير وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم بحال قوم خالفوا سلطانهم
واستعصوا عليه فقدم الى اشيائهم وقصد الى ما تحت ايديهم فافسدها ومزقها كل ممزق ولم
يترك لها اثرا ولا عثيرا والهباء ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيه بالغبار وفي امثالهم
اقل من الهباء منثورا صفة للهباء شبهه بالهباء في قلته وحقارته عنده وانه لا ينتفع به ثم
بالمنثور منه لانك تراه منتظما مع الضوء فاذا حركته الريح رأيته قد تناثر وذهب كل
مذهب ونحوه قوله كعصف مأكول لم يكف ان شبههم بالعصف حتى جعله مأووفا بالاكال
ولا ان شبه عملهم بالهباء حتى جعله متناثرا او مفعول ثالث لجعلناه اي فجعلناه جامعا لحقارة
الهباء والتناثر كقوله كونوا قردة خاسئين اي جامعين للمسخ والخسأ ولام الهباء واو بدليل
الهبوة **اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا** المستقر المكان الذي يكونون فيه
في اكثر اوقاتهم مستقرين يتجالسون ويتحادثون والمقيل المكان الذي يأوون اليه للاسترواح
الى ازواجهم والتمتع بمغازلتهن وملامستهن كما ان المترفين في الدنيا يعيشون على ذلك الترتيب
وروي انه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار
وفي معناه قوله عز وجل ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وازواجهم في ظلال على الارائك
متكئون قيل في تسميته بالمقيل اختصاص النكات ولا نوم في الجنة وانما سمى مكان دعتهم واسترواحهم
الى الحور مقيلا على طريق التشبيه وفي لفظ الاحسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم من حسن الوجوه
وملاحة الصور الى غير ذلك من التحاسين والتزين **ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملئكة**
تنزيلا وقرئ تشقق والاصل تتشقق فحذف بعضهم التاء وغيره ادغمها ولما كان انشقاق
السماء بسبب طلوع الغمام منها جعل الغمام كانه الذي تشقق به السماء كما تقول شق السنام بالشفرة
وانشق بها ونظيره قوله السماء منفطر به فان قلت اي فرق بين قولك انشقت الارض
بالنبات وانشقت عن النبات قلت معنى انشقت به ان الله شقها بطلوعه فانشقت به
ومعنى انشقت عنه ان التربة ارتفعت عنه عند طلوعه والمعنى ان السماء تنفتح بغمام
يخرج منها وفي الغمام الملئكة ينزلون وفي ايديهم صحايف اعمال العباد وروي تنشق سماء سماء
وتنزل الملئكة الى الارض وقيل هو غمام ابيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن الا لبني اسرائيل
في تيههم وفي معناه قوله تعالى هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملئكة وقرئ وننزل
الملئكة وننزل الملئكة ونزلت الملئكة وانزل الملئكة ونزل الملئكة على حذف النون
الذي هو فاء الفعل من ننزل قراءة اهل مكة **الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما**
على الكافرين عسيرا الحق الثابت لان كل ملك يزول يومئذ ويبطل ولا يبقى الا ملكه **ويوم يعض**
الظالم على يديه عض اليدين والانامل والسقوط في اليد واكل البنان وحرق الاسنان والارم
وفرعها كنايات عن الغيظ والحسرة لانها من روادفهما فتذكر الرادفة ويدل بها على المردوف
فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة ويجد السامع عنده في نفسه من الروعة والاستحسان ما لا
يجده عند لفظ المكني عنه وقيل نزلت في عقبة بن ابي معيط بن امية بن عبد شمس وكان يكثر مجالسة
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقيل اتخذ ضيافة فدعا اليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فابى ان ياكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان ابي بن خلف صديقه فعاتبه وقال
صبأت يا عقبة قال لا ولكن ابى ان ياكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له والشهادة
ليست في نفسي فقال وجهي من وجهك حرام ان لقيت محمدا فلم تطأ قفاه وتبزق في وجهه وتلطم
عينه فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا القاك
خارجا من مكة الا علوت رأسك بالسيف فقتل يوم بدر امر عليا رضي الله عنه بقتله وقيل قتله
عاصم بن ثابت بن افلح الانصاري وقال يا محمد الى من الصبية قال الى النار وطعن رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم ابيا باحد فرجع الى مكة فمات واللام في الظالم يجوز ان تكون للعهد
يراد به عقبة خاصة ويجوز ان تكون للجنس فيتناول عقبة وغيره **يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول**
سبيلا تمنى ان لو صحب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وسلك معه طريقا واحدا وهو طريق الحق

ولم تتشعب به طرق الضلالة والهوى او اراد انى كنت ضالا لم يكن لي سبيل قط فليتني حصلت لنفسي
في صحبة الرسول سبيلا يا ويلتى ليتني لم اتخذ فلانا خليلا ۝ وقرئ يا ويلتي بالياء وهو الاصل
لان الرجل ينادي ويلته وهي هلكته يقول لها تعالي فهذا اوانك وانما قلبت الياء الفا كما في صحارى
ومدارى فلان كناية عن الاعلام كما ان الهن كناية عن الاجناس فان اريد بالظالم عقبة فالمعنى
ليتني لم اتخذ أبيا خليلا فكنى عن اسمه وان اريد به الجنس فكل من اتخذ من المضلين خليلا كان لخليله
اسم علم لا محالة فجعله كناية عنه لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني عن ذكر الله او القران او موعظة
الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ويجوز ان يريد به نطقه بشهادة الحق وعزمه على الاسلام وكان الشيطان
للانسان خذولا ۝ والشيطان اشارة الى خليله سماه شيطانا لانه اضله كما يضل الشيطان ثم خذله
ولم ينفعه في العاقبة او اراد ابليس وانه هو الذي حمله على مخالة المضل ومخالفة الرسول صلى
الله عليه وآله وسلم ثم خذله او اراد الجنس وكل من تشيطن من الجن والانس ويحتمل ان يكون وكان
الشيطان حكاية كلام الظالم وان يكون كلام الله تعالى ابتداء يقرأ على الادغام والاظهار والادغام
اكثر وقال الرسول يا رب ان قومي اتخذوا هذا القران مهجورا ۝ وكذلك جعلنا
لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا ۝ الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم
وقومه قريش حكى الله عنه [illegible] شكواه قومه اليه وفي هذه الحكاية تعظيم للشكاية وتخويف
لقومه لان الانبياء كانوا اذا التجاوا اليه وشكوا اليه قومهم حل بهم العذاب ولم ينظروا ثم اقبل عليه
مسليا وموسيا وواعدا بالنصرة عليهم فقال كذلك كان كل نبي قبلك مبتلى بعداوة قومه
وكفاك بي هاديا الى طريق قهرهم والانتصار منهم وناصرا لك عليهم مهجورا تركوه
وصدوا عنه وعن الايمان به وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من تعلم القران وعلمه وعلق مصحفا
لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيمة متعلقا به يقول يا رب العالمين عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض
بيني وبينه وقيل هو من هجر اذا هذى اي جعلوه مهجورا فيه فحذف الجار وهو على وجهين احدهما
زعمهم انه هذيان وباطل واساطير الاولين والثاني انهم كانوا يسمعون هجروا فيه كقوله تعالى
لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه ويجوز ان يكون المهجور بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول والمعنى
اتخذوه هجرا والعدو يجوز ان يكون واحدا وجمعا كقوله فانهم عدو لي والمعنى
يوم القيمة وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة واحدة نزل ها هنا بمعنى انزل كخبر
بمعنى اخبر والا كان متدافعا وهذا ايضا من اعتراضاتهم واقتراحاتهم الدالة على شرادهم عن الحق
وتجافيهم عن اتباعه قالوا هلا انزل عليه دفعة واحدة في وقت واحد كما انزلت الكتب الثلاثة
وماله انزل على التفاريق والقائلون قريش وقيل اليهود وهذا فضول من القول ومماراة بما لا طائل
تحته لان امر الاعجاز والاحتجاج به لا يختلف بنزوله جملة واحدة او مفرقا وقوله كذلك
لنثبت به فؤادك جواب لهم اي كذلك انزل فيه والحكمة فيه ان نقوي بتفريقه فؤادك حتى تعيه
وتحفظه لان المتلقن انما يقوى قلبه على حفظ العلم شيئا بعد شيء وجزءا عقيب جزء ولو القي عليه
جملة واحدة لتعيا به وتعيا بحفظه والرسول صلى الله عليه وآله وسلم فارقت حاله حال موسى وداود
وعيسى عليهم الصلوة والسلام حيث كان اميا لا يقرأ ولا يكتب وهم كانوا قارئين كاتبين فلم يكن له
بد من التلقن والتحفظ فانزل عليه منجما في عشرين سنة وقيل في ثلاث وعشرين وايضا فكان
ينزل على حسب الحوادث وجوابات السائلين ولان بعضه منسوخ وبعضه ناسخ ولا يتاتى ذلك الا فيما
انزل مفرقا فان قلت ذلك في كذلك يجب ان يكون اشارة الى شيء تقدمه والذي تقدمه
انزاله جملة فكيف فسرته بكذلك انزلناه مفرقا قلت لان قولهم لولا انزل عليه جملة معناه لم انزل
مفرقا والدليل على فساد هذا الاعتراض انهم عجزوا عن ان ياتوا بنجم واحد من نجومه وتحدوا بسورة
واحدة من اصغر السور فابرزوا صفحة عجزهم وسجلوا به على انفسهم حين لاذوا بالمناصبة وفزعوا الى
المحاربة ثم قالوا هلا نزل عليه جملة واحدة كانهم قدروا على تفاريقه حتى يقدروا على جملته
ورتلناه ترتيلا ۝ معطوف على الفعل الذي تعلق به كذلك كانه قال كذلك فرقناه ورتلناه
ومعنى ترتيله ان قدره اية بعد اية ووقفة عقيب وقفة ويجوز ان يكون المعنى وامرنا بترتيل
قراءته وذلك قوله ورتل القران ترتيلا اي اقرأه بترسل وتثبت ومنه حديث عائشة في صفة

قراءته لا كسردكم هذا لو اراد السامع ان يعد حروفه لعدها واصله الترتيل في الاسنان
وهو تفليجها يقال ثغر رتل ومرتل ويشبه بنور الاقحوان في تفليجه وقيل هو ان نزله متفرقا
على تمكث وتمهل في مدة متباعدة وهي عشرون سنة ولم يفرقه في مدة متقاربة ولا ياتونك بمثل
بسؤال عجيب من سؤالاتهم الباطلة كانه مثل في البطلان الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا ۝ الا
اتيناك نحن بالجواب الحق الذي لا محيد عنه وبما هو احسن معنى ومؤدى من سؤالهم ولما كان التفسير
هو التكشيف عما يدل عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا فلان تفسير هذا الكلام كيت وكيت
كما قيل معناه كذا وكذا او لا ياتونك بحال وصفة عجيبة يقولون هلا كانت هذه صفتك وحالك
نحو ان يقرن بك ملك ينذر معك او يلقى اليك كنز او تكون لك جنة او ينزل عليك القران جملة
الا اعطيناك نحن من الاحوال ما يحق لك في حكمتنا ومشيتنا ان تعطاه وما هو احسن تكشيفا
لما بعثت عليه ودلالة على صحته يعني ان تنزيله مفرقا وتحديهم بان ياتوا ببعض تلك
التفاريق كلما نزل شيء منها ادخل في الاعجاز وانور للحجة من ان ينزل كله جملة واحدة ويقال لهم
جيئوا بمثل هذا الكتاب في فصاحته مع بعد ما بين طرفيه الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم
اولئك شر مكانا واضل سبيلا ۝ كانه قيل لهم ان حاملكم على هذه السؤالات انكم تضللون
سبيله وتحتقرون مكانه ومنزلته ولو نظرتم بعين الانصاف وانتم من المسحوبين على وجوههم الى
جهنم لعلمتم ان مكانكم شر من مكانه وسبيلكم اضل من سبيله وفي طريقته قوله قل هل انبئكم
بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه الاية ويجوز ان يراد بالمكان الشرف والمنزلة
وان يراد الدار والمسكن كقوله اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا ووصف السبيل بالضلال
من الاسناد المجازي وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحشر الناس يوم القيمة على ثلاثة اثلاث ثلث على الدواب
وثلث على وجوههم وثلث على اقدامهم ينسلون نسلا ولقد اتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه
هرون وزيرا ۝ والوزارة لا تنافي النبوة فقد كان يبعث في الزمن الواحد انبياء ويؤمرون بان يوازر
بعضهم بعضا فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا فدمرناهم تدميرا ۝ والمعنى فذهبا
اليهم فكذبوهما فدمرناهم كقوله اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فضرب فانفلق اراد اختصار
القصة فذكر حاشيتيها اولها واخرها لانهما المقصود من القصة بطولها اعني الزام الحجة ببعثة الرسل
واستحقاق التدمير بتكذيبهم وعن علي رضي الله عنه فدمرتهم وعنه فدمراتهم وقرئ فدمرانهم
على التاكيد بالنون الثقيلة وقوم نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم بانهم كذبوا نوحا ومن قبله
من الرسل صريحا او كان تكذيبهم لواحد منهم تكذيبا للجميع او لم يروا بعثة الرسل اصلا كالبراهمة
وجعلناهم للناس اية وجعلنا اغراقهم او قصتهم واعتدنا للظالمين عذابا اليما ۝ اما ان يعني
بهم قوم نوح واصله واعتدنا لهم الا انه قصد تظليمهم فاظهر واما ان يتناولهم بعمومه وعادا وثمودا
واصحاب الرس عطف على هم في جعلناهم او على الظالمين لان المعنى ووعدنا الظالمين وقرئ وثمود
على تاويل القبيلة واما المنصرف فعلى انه اسم الحي او الاب الاكبر قيل هم اصحاب الرس كانوا قوما
من عبدة الاصنام اصحاب ابار ومواش فبعث الله اليهم شعيبا فدعاهم الى الاسلام فتمادوا في طغيانهم
وفي ايذائه فبينا هم حول الرس وهو البئر غير المطوية عن ابي عبيدة انهارت بهم فخسف بهم وبديارهم
وقيل هم اصحاب النبي حنظلة بن صفوان كانوا مبتلين بالعنقاء وهي اعظم ما
يكون من الطير سميت لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتخ وهي تنقض على صبيانهم
فتخطفهم ان اعوزها الصيد فدعا عليها حنظلة فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوا حنظلة فهلكوا
وقيل هم اصحاب الاخدود والرس هو الاخدود وقيل الرس بانطاكية قتلوا حبيبا النجار وقيل كذبوا
نبيهم ورسوه اي دسوه فيها وقرونا بين ذلك كثيرا ۝ اي بين ذلك المذكور وقد يذكر الذاكر
اشياء مختلفة ثم يشير اليها بذلك ويحسب الحاسب اعدادا متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت على معنى
فذلك المحسوب والمعدود وكلا ضربنا له الامثال بينا له القصص العجيبة من قصص الاولين
ووصفنا لهم ما اجروا اليه من تكذيب الانبياء وجرى عليهم من عذاب الله وتدميره وكلا تبرنا تتبيرا
والتتبير التفتيت والتكسير ومنه التبر وهو كسارة الذهب والفضة والزجاج وكلا الاول
منصوب بما دل عليه ضربنا له الامثال وهو انذرنا او حذرنا والثاني بتبرنا لانه فارغ له ولقد

أنواع القرية التي أمطرت مطر السوء اراد بها القرية سدوم من قرى قوم لوط وكانت خمسا اهلك الله
اربعا باهلها وبقيت واحدة ومطر السوء الحجارة أفلم يكونوا يرونها يعني ان قريشا مروا مرارا كثيرة
في متاجرهم الى الشام على تلك القرية التي اهلكت بالحجارة من السماء افلم يكونوا في مرار مرورهم ينظرون
الى آثار عذاب الله ونكاله ويتذكرون بل كانوا لا يرجون نشورا بل كانوا كفرة بالبعث لا يتوقعون
نشورا وعاقبة فوضع الرجاء موضع التوقع لانه انما يتوقع العاقبة من يؤمن فمن ثمه لم ينظروا ولم
يتذكروا ومروا بها كما مرت ركابهم او لا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون لطمعهم في الوصول الى
ثواب اعمالهم او لا يخافون على اللغة التهامية وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي
بعث الله رسولا إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها ان الاولى نافية والثانية مخففة
من الثقيلة واللام هي الفارقة بينهما واتخذوه هزوا في معنى استهزأوا به والاصل اتخذه موضع
هزء او مهزوا به اهذا محكي بعد القول المضمر وهذا استصغار وبعث الله رسولا واخراجه
في معرض التسليم والاقرار وهم على غاية الجحود والانكار سخرية واستهزاء ولو لم يستهزؤا لقالوا
هذا الذي زعم او ادعى انه مبعوث من عند الله رسولا وقولهم ان كاد ليضلنا دليل على فرط مجاهدة
رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوتهم وبذله قصارى الوسع والطاقة في استعطافهم مع عرض
الآيات والمعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم ان يتركوا دينهم الى دين الاسلام لولا فرط لجاجهم
واستمساكهم بعبادة آلهتهم ولولا في مثل هذا الكلام جار من حيث المعنى لا من حيث الصيغة
مجرى التقييد للحكم المطلق وسوف يعلمون حين يرون العذاب وعيد ودلالة على انهم لا يفوتونه
وان طالت مدة الامهال ولابد للوعيد ان يلحقهم فلا يغرنهم التأخير وقوله من أضل سبيلا كالجواب
عن قولهم ان كاد ليضلنا لانه نسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى الضلال من حيث لا يضل غيره الا من
هو ضال في نفسه ويروى انه من قول ابي جهل لعنه الله أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون
عليه وكيلا أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا
من كان في طاعة الهوى في دينه يتبعه في كل ما يأتي ويذر لا يتبصر دليلا ولا يصغي الى برهان فهو عابد
هواه وجاعله الهه فيقول لرسوله هذا الذي لا يرى معبودا الا هواه كيف تستطيع ان تدعوه الى الهدى
افتتوكل عليه وتجبره على الاسلام وتقول لابد ان تسلم شئت او ابيت ولا اكراه في الدين وهذا كقوله
وما انت عليهم بجبار ولست عليهم بمسيطر ويروى ان الرجل منهم كان يعبد الحجر فاذا رأى احسن
منه رمى به واخذ آخر ومنهم الحارث بن قيس السهمي ام هذه منقطعة معناه بل أتحسب كأن هذه
المذمة اشد من التي تقدمتها حتى حقت بالاضراب عنها اليها وهي كونهم مسلوبي الاسماع والعقول
لانهم لا يلقون الى استماع الحق اذنا ولا الى تدبره عقلا ومشبهين بالانعام التي هي مثل في الغفلة
والضلالة ثم ارجح ضلالة منها فان قلت لم اخر هواه والاصل قولك اتخذ الهوى الها قلت ما هو الا
تقديم المفعول الثاني على الاول للعناية كما تقول علمت منطلقا زيدا لفضل عنايتك بالمنطلق فان قلت
ما معنى ذكر الاكثر قلت لان فيهم من لم يصده عن الاسلام الا داء واحد وهو حب الرياسة وكفى
به داء عضالا فان قلت كيف جعلوا اضل من الانعام قلت لان الانعام تنقاد لاربابها التي
تعلفها وتتعهدها وتعرف من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدي
لمراعيها ومشاربها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه اليهم من اساءة الشيطان الذي هو
عدوهم ولا يطلبون الثواب الذي هو اعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار والمهالك
ولا يهتدون للحق الذي هو المشرع الهني والعذب الروي ألم تر إلى ربك كيف مد الظل
الم تنظر الى صنع ربك وقدرته ومعنى مد الظل ان جعله يمتد وينبسط فينتفع به الناس ولو شاء
لجعله ساكنا اي لاصقا باصل كل مظل من جبل وبناء وشجرة غير منبسط فلم ينتفع به احد سمى انبساط
الظل وامتداده تحركا منه وعدم ذلك سكونا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ومعنى كون الشمس
دليلا ان الناس يستدلون بالشمس باحوالها في مسيرها على احوال الظل من كونه ثابتا في مكان وزائلا
ومتسعا ومتقلصا فيبنون حاجتهم الى الظل واستغناءهم عنه على حسب ذلك ثم قبضناه إلينا
اي اليه انه ينسخه بضح الشمس قبضا يسيرا اي على مهل وفي هذا القبض اليسير شيئا بعد شيء من
المنافع ما لا يعد ولا يحصر ولو قبض دفعة واحدة لتعطلت اكثر مرافق الناس بالظل والشمس جميعا

فان قلت ثم في هذين الموضعين كيف موقعها قلت موقعها لبيان تفاضل الامور الثلاثة كان
الثاني اعظم من الاول والثالث اعظم منهما تشبيها لتباعد ما بينها في الفضل بتباعد ما بين الحوادث في الوقت
ووجه آخر وهو انه مد الظل حين بنى السماء كالقبة ودحا الارض تحتها فالقت القبة ظلها على الا
رض فيناء ما في اديمه جوب لعدم النير ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا على تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها
على ذلك الظل اي سلطها عليه ونصبها دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل في الطريق فهو يزيد بها وينقص
ويمتد ويتقلص ثم نسخه بها فقبضه قبضا سهلا غير عسير ويحتمل ان يريد قبضه عند قيام الساعة
بقبض اسبابه وهي الاجرام التي تلقي الظل فيكون قد ذكر اعدامه باعدام اسبابه وقوله قبضناه
الينا يدل عليه وكذلك قوله يسيرا كما قال ذلك حشر علينا يسير وهو الذي جعل لكم الليل لباسا
والنوم سباتا وجعل النهار نشورا شبه ما يستر من ظلام الليل باللباس الساتر والسبات الموت
والمسبوت الميت لانه مقطوع الحياة وهذا كقوله وهو الذي يتوفاكم بالليل فان قلت هلا فسرته بالراحة
قلت النشور في مقابلته يأباه اباء العيوف الورد وهو مرنق وهذه الآية مع دلالتها على قدرة
الخالق فيها اظهار لنعمته على خلقه لان الاحتجاب بستر الليل كم فيه لكثير من الناس من فوائد دينية
ودنيوية والنوم واليقظة وشبههما بالموت والحياة اي عبرة فيهما لمن اعتبر وعن لقمان انه قال لابنه
كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر وهو الذي أرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته قرئ
الريح والرياح نشرا احياء ونشرا جمع نشور وهي المحيية ونشرا تخفيف نشر وبشرا تخفيف
بشر جمع بشور وبشرى وبين يدي رحمته استعارة مليحة اي قدام المطر وأنزلنا من السماء ماء طهورا
بليغا في طهارته وعن احمد بن يحيى هو ما كان طاهرا في نفسه مطهرا لغيره فان كان ما قاله شرحا
لبلاغته في الطهارة كان سديدا ويعضده قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به والا
فليس فعول من التفعيل في شيء والطهور على وجهين في العربية صفة واسم غير صفة فالصفة قولك
ماء طهور كقولك طاهر والاسم قولك لما يتطهر به طهور كالوضوء والوقود لما يتوضأ به وتوقد
به النار وقولهم تطهرت طهورا حسنا كقولك وضوءا حسنا ذكره سيبويه ومنه قوله عليه الصلوة
والسلام لا صلوة الا بطهور فان قلت ما الذي يزيل عن الماء اسم الطهور قلت تيقن مخالطة النجاسة
او غلبتها على الظن تغير احد اوصافه الثلاثة او لم يتغير او استعماله في البدن لاداء عبادة
عند ابي حنيفة وعند مالك بن انس ما لم يتغير احد اوصافه فهو طهور فان قلت فما تقول في قوله
عليه الصلوة والسلام حين سئل عن بئر بضاعة فقال الماء طهور لا ينجسه الا ما غير لونه
او طعمه او ريحه قلت قال الواقدي كان بئر بضاعة طريقا للماء الى البساتين لنحيي
به بلدة ميتا وانما قال ميتا لان البلدة في معنى البلد في قوله فسقناه الى بلد ميت فانه غير جار على الفعل
كمفعول ومفعال ومفعيل ونسقيه مما خلقنا أنعاما وقرئ نسقيه بالفتح وسقى واسقى لغتان
وقيل اسقاه جعل له سقيا وأناسي كثيرا الاناسي جمع انسي او انسان ونحوه ظرابي في ظربان
على قلب النون ياء والاصل اناسين وظرابين وقرئ بالتخفيف بحذف ياء افاعيل كقولك اناعم في اناعيم
فان قلت انزل الماء موصوفا بالطهارة وتعليله بالاحياء والسقي يؤذن بان الطهارة شرط في صحة
ذلك كما تقول حملني الامير على فرس جواد لاصيد عليه الوحش قلت لما كان سقي الاناسي من
جملة ما انزل له الماء وصفه بالطهور اكراما لهم وتتميما للمنة عليهم وبيانا ان من حقهم حين اراد
الله لهم الطهارة وارادهم عليها ان يؤثروها في بواطنهم ثم في ظواهرهم وان يربؤوا بانفسهم عن
مخالطة القاذورات كلها كما ربأ بهم ربهم فان قلت لم خص الانعام من بين ما خلق من الحيوان
الشارب قلت لان الطير والوحش تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب بخلاف الانعام ولانها
قنية الاناسي وعامة منافعهم متعلقة بها فكان الانعام عليهم بسقي انعامهم كالانعام بسقيهم
فان قلت فما معنى تنكير الانعام والاناسي ووصفها بالكثرة قلت معناه لان علية
الناس متجمعون بالقرب من الاودية والانهار ومنابع الماء فبهم غنية عن سقي السماء واعقابهم وهم كثير
منهم لا يعيشهم الا ما ينزل الله من رحمته وسقيا سمائه وكذلك قوله لنحيي به بلدة ميتا يريد بعض
بلاد هؤلاء المتبعدين عن مظان الماء فان قلت لم قدم احياء الارض وسقي الانعام على سقي الاناسي
قلت لان حياة الاناسي بحياة ارضهم وحياة انعامهم فقدم ما هو سبب حياتهم وتعيشهم

على شفقتهم ولانهم اذا اظهروا ولما يكون شفقات صبهم ومواشيهم لم يعتد مواساتهم ولقد صرفناه بينهم
ليذكروا فأبى أكثر الناس الا كفورا يريد ولقد صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن
وسائر الكتب والصحف التي انزلت على الرسل وهو ذكر انشاء السحاب وانزال القطر ليفكروا
ويعتبروا ويعرفوا حق النعمة فيه ويشكروا فأبى اكثرهم الا كفران النعمة وجحودها وقلة
الاكتراث لها وقيل صرفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة وعلى الصفات
من وابل وطل وجود ورذاذ وديمة ورهام فأبوا الا الكفور وان يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا
صنع الله تعالى ورحمته وعن ابن عباس ما من عام اقل مطرا من عام ولكن الله قسم
ذلك بين عباده على ما شاء وتلا هذه الاية وروي ان الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره في كل عام لانه
لا يختلف ولكن تختلف فيه البلاد وينتزع من ههنا جواب في تنكير البلدة والانعام والاناسي كانه
قال لنحيي به بعض البلاد الميتة ونسقيه بعض الانعام والاناسي وذلك البعض كثير فان قلت
هل يكفر من ينسب الامطار الى الانواء قلت ان كان لا يراها الا من الانواء ويجحد ان تكون هي والانواء
من خلق الله فهو كافر وان كان يرى ان الله خالقها وقد نصب الانواء دلائل وامارات عليها لم يكفر ولو
شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا فلا تطع الكافرين يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولو شئنا لخففنا
عنك اعباء نذارة جميع القرى ولبعثنا في كل قرية نبيا ينذرها وانما قصرنا الامر عليك وعظمناك به
واجللناك وفضلناك على سائر الرسل فقابل ذلك بالتشدد والتصبر ولا تطع الكافرين فيما يريدونك
عليه وانما اراد بهذا تهييجه وتهييج المؤمنين وتحريكهم ان الكفار يجدون ويجتهدون في
توهين امرك فقابلهم من جدك واجتهادك وعضك على نواجذك بما تغلبهم به وتعلوهم وجعله جهادا كبيرا لما
يحتمل فيه من المشاق العظام ويجوز ان يرجع الضمير في به الى ما دل عليه ولو شئنا لبعثنا في كل قرية
نذيرا من كونه نذير كافة القرى لانه لو بعث في كل قرية نذير لوجبت على كل نذير مجاهدة
قريته فاجتمعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المجاهدات كلها فكبر جهاده من اجل ذلك وعظم
فقال له وجاهدهم بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا جامعا لكل مجاهدة وهو الذي مرج
البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج وجعل بينهما برزخا سمى الماءين الكثيرين
الواسعين بحرين والفرات البليغ العذوبة حتى يضرب الى الحلاوة والاجاج نقيضه ومرجهما خلاهما
متجاورين متلاصقين وهو بقدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج وهذا من عظيم اقتداره
عز وعلا يعني بغير عمد ترونها يريد بغير عمد مرئية وهو قدرته وقرئ ملح على فعل وقيل كانه
حذف من مالح تخفيفا كما قال وصليانا بردا يريد باردا فان قلت وحجرا محجورا ما معناه
قلت هي الكلمة التي يقولها المتعوذ وقد فسرناها وهي ههنا واقعة على سبيل المجاز كأن كل واحد
من البحرين يتعوذ من صاحبه ويقول له حجرا محجورا كما قال لا يبغيان اي لا يبغي احدهما على صاحبه
بالممازجة فانتفاء البغي ثمة كالتعوذ ههنا جعل كل واحد منهما في صورة الباغي على صاحبه فهو يتعوذ
منه وهي من احسن الاستعارات واشهدها على البلاغة وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله
نسبا وصهرا اراد فقسم البشر قسمين ذوي نسب اي ذكورا ينسب اليهم فيقال فلان بن
فلان وفلانة بنت فلان وذوات صهر اي اناثا يصاهر بهن ونحوه قوله تعالى فجعل منه الزوجين
الذكر والانثى وكان ربك قديرا حيث خلق من النطفة الواحدة بشرا نوعين ذكرا وانثى
ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا وما
ارسلناك الا مبشرا ونذيرا الظهير والمظاهر كالعوين والمعاون وفعيل بمعنى مفاعل غير عزيز
والمعنى ان الكافر يظاهر الشيطان على ربه بالعداوة والشرك روي انها نزلت في ابي جهل ويجوز
ان يريد بالظهير الجماعة كقوله والملائكة بعد ذلك ظهير كما جاء الصديق والخليط ويريد بالكافر
الجنس وان بعضهم مظاهر لبعض على اطفاء نور دين الله وقيل معناه وكان الذي يفعل هذا الفعل
وهو عبادة ما لا ينفع ولا يضر على ربه هينا مهينا من قوله ظهرت به اذا خلفته خلف ظهرك لا تلتفت
اليه وهذا نحو قوله اولئك لا خلاق لهم في الاخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم قل ما اسألكم
عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا مثال الا من شاء والمراد الا فعل من شاء واستثناؤه
عن الاجر قول ذي شفقة عليك قد سعى لك في تحصيل مال ما اطلب منك ثوابا على ما سعيت الا ان

تحفظ هذا المال

الرهام جمع الرهمة المطر الضعيف

تحفظ هذا المال ولا تضيعه فليس حفظك المال لنفسك من جنس الثواب ولكن صورته هو صورة الثواب وسماه
باسمه فافاد فائدتين احداهما قلع شبهة الطمع في الثواب من اصله كأنه يقول لك ان كان حفظك
لمالك ثوابا فاني اطلب الثواب والثانية اظهار الشفقة البالغة وانك ان حفظت مالك اعتد بحفظك
ثوابا ورضي به كما يرضى المثاب بالثواب ولعمري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مع المبعوث
اليهم بهذا الصدد وفوقه ومعنى اتخاذهم الى الله سبيلا تقربهم اليه وطلبهم عنده الزلفى بالايمان والطاعة
وقيل المراد التقرب بالصدقة والنفقة في سبيل الله وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى
به بذنوب عباده خبيرا امره بان يثق به ويسند امره اليه في استكفاء شرورهم مع التمسك
بقاعدة التوكل واساس الالتجاء وهو طاعته وعبادته وتنزيهه وتحميده وعرفه ان الحي الذي لا
يموت حقيق بان يتوكل عليه وحده ولا يتوكل على غيره من الاحياء الذين يموتون وعن بعض السلف انه قراها
فقال لا يصح لذي عقل ان يثق بعدها بمخلوق ثم اراه ان ليس اليه من امر عباده شيء منوا ام كفروا وانه
خبير باحوالهم كاف في جزاء اعمالهم الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم
استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا في ستة ايام يعني في مدة مقدارها هذه المدة لانه لم يكن حينئذ
نهار ولا ليل وقيل ستة ايام من ايام الاخرة وكل يوم الف سنة والظاهر انها من ايام الدنيا وعن مجاهد اولها
يوم الاحد واخرها يوم الجمعة ووجهه ان يسمي الله لملائكته تلك الايام المقدرة بهذه الاسماء فلما
خلق السموات والارض وكررت الايام على ما هو عليه جرت التسمية على هذه الايام واما الداعي الى هذا العدد
اعني الستة دون سائر الاعداد فلا نشك انه داعي حكمة لعلمنا انه لا يقدر تقديرا الا بداعي حكمة وان
كنا لا نطلع عليه ولا نهتدي الى معرفته ومن ذلك تقدير الملائكة الذين هم اصحاب النار تسعة عشر
وحملة العرش ثمانية والشهور اثني عشر شهرا والسموات سبعا والارض كذلك والصلوات خمسا
واعداد النصب والحدود والكفارات وغير ذلك والاقرار بدواعي الحكمة في جميع افعاله
وبان ما قدره حق وصواب هو الايمان وقد نص عليه في قوله تعالى وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة وما
جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين امنوا ايمانا ولا يرتاب
الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا ثم قال وما يعلم
جنود ربك الا هو وهو الجواب ايضا في ان لم يخلقها في لحظة وهو قادر على ذلك وعن سعيد بن جبير
انما خلقها في ستة ايام وهو يقدر ان يخلقها في لحظة تعليما لخلقه الرفق والتثبت وقيل اجتمع خلقها يوم الجمعة
فجعله الله عيدا للمسلمين الذي خلق مبتدأ والرحمن خبره او هو صفة للحي والرحمن خبر مبتدأ محذوف
او بدل عن المستتر في استوى وقرئ الرحمن بالجر صفة للحي وقرئ فسل والباء في به صلة سل كقوله
سأل سائل بعذاب واقع كما تكون عن صلته في نحو قوله ثم لتسألن يومئذ عن النعيم فسأل به كقوله اهتم
به واعتنى به واشتغل به وسأل عنه كقولك بحث عنه وفتش عنه ونقر عنه او صلة خبيرا
وتجعل خبيرا مفعول سل يريد فسل عنه رجلا عارفا يخبرك برحمته او فسل رجلا خبيرا به
وبرحمته او فسل بسؤاله خبيرا كقولك رأيت به اسدا اي برؤيته والمعنى ان سألته وجدته
خبيرا او تجعله حالا من الهاء يريد فسل عنه عالما بكل شيء وقيل الرحمن اسم من اسماء الله تعالى مذكور
في الكتب المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه وقيل سل بهذا الاسم من يخبرك من اهل الكتاب حتى تعرف من
ينكره ومن ثمة كانوا يقولون ما نعرف الرحمن الا الذي باليمامة يعنون مسيلمة وكان يقال له
رحمن اليمامة واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن يجوز ان يكون سؤالا عن المسمى به
لانهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم والسؤال عن المجهول بما ويجوز ان يكون سؤالا عن معناه لانه لم يكن مستعملا
في كلامهم كما استعمل الرحيم والرحوم والراحم اولانهم انكروا اطلاقه على الله تعالى انسجد لما تأمرنا
اي للذي تأمرناه بمعنى تأمرنا سجوده على قوله امرتك الخير او لامرك لنا وقرئ بالياء كأن
بعضهم قال لبعض انسجد لانه هو المقول تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا
وقمرا منيرا البروج منازل الكواكب السبعة السيارة الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد
والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت سميت بالبروج التي هي القصور
العالية لانها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها واشتقاق البروج من التبرج لظهوره والسراج
الشمس كقوله وجعل الشمس سراجا وقرئ سرجا وهي الشمس والكواكب الكبار معها وقرأ

الحسن والاعمش وقمرا منيرا وهي جمع ليلة قمرا كانه قال وذا قمر منيرا لان الليالي تكون قمرا فاضافه اليها
ونظيره في بقاء حكم المضاف بعد سقوطه وقيام المضاف اليه مقامه قول حسان
۝ بردى يصفق بالرحيق السلسل ۝ يريد ماء بردى ۝ ولا يبعد ان يكون القمر بمعنى
القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر
او اراد شكورا ۝ الخلفة من خلف كالركبة من ركب وهي الحالة التي يخلف عليها الليل والنهار كل واحد
منهما الاخر والمعنى جعلهما ذوي خلفة اي ذوي عقبة يعقب هذا ذاك ويقال الليل والنهار يختلفان كما
يقال يعتقبان ومنه قوله واختلاف الليل والنهار ويقال بفلان خلفة واختلاف اذا اختلف كثيرا الى
متبرزه وقرئ يذكر ويذكر وعن ابي بن كعب يتذكر والمعنى لينظر في اختلافهما الناظر فيعلم
ان لا بد لانتقالهما من حال الى حال وتغيرهما من ناقل ومغير ويستدل بذلك على عظم قدرته ويشكر الشاكر
على النعمة فيهما من السكون بالليل والتصرف بالنهار كما قال عز وجل ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار
لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله او ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين من فاته في احدهما ورده
من العبادة قام به في الاخر وعن الحسن رحمه الله تعالى من فاته عمله من التذكر والشكر بالنهار كان
له في الليل مستعتب ومن فاته في الليل كان له في النهار مستعتب وعباد الرحمن الذين يمشون على
الارض وعباد الرحمن مبتدا خبره في اخر السورة كانه قيل وعباد الرحمن الذين هذه الصفة صفاتهم
اولئك يجزون الغرفة ويجوز ان يكون خبره الذين يمشون واضافهم الى الرحمن تخصيصا وتفضيلا وقرئ وعباد
الرحمن وقرئ يمشون هونا حال او صفة للمشي بمعنى هينين او مشيا هينا الا ان في وضع المصدر
موضع الصفة مبالغة والهون الرفق واللين ومنه الحديث احبب حبيبك هونا ما وقوله المؤمنون
هينون لينون والمثل اذا عز اخوك فهن ومعناه اذا عاسر فياسر والمعنى انهم يمشون بسكينة
ووقار وتواضع لا يضربون باقدامهم ولا يخفقون بنعالهم اشرا وبطرا ولذلك كره بعض العلماء
الركوب في الاسواق ولقوله ويمشون في الاسواق واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ۝ تسلما منكم
لا نجاهلكم ومتاركة لا خير بيننا ولا شر اي نتسلم منكم تسلما فاقيم السلام مقام التسلم وقيل
قالوا سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم والمراد بالجهل السفه وقلة الادب وسوء الرعة
من قوله ۝ الا لا يجهلن احد علينا ۝ فنجهل فوق جهل الجاهلينا ۝
وعن ابي العالية نسختها اية القتال ولا حاجة الى ذلك لان الاغضاء عن السفهاء وترك المقابلة مستحسن
في الادب والمروءة والشريعة واسلم للعرض والورع والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما البيتوتة
خلاف الظلول وهو ان يدركك الليل نمت او لم تنم وقالوا من قرا شيئا من القران في صلوة وان قل فقد
بات ساجدا وقائما وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء والظاهر انه وصف
لهم باحياء الليل او اكثره يقال فلان يظل صائما ويبيت قائما والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب
جهنم ان عذابها كان غراما ۝ هلاكا وخسرانا ملحا لازما قال
۝ يوم النسار ويوم الجفار ۝ كانا عذابا وكانا غراما ۝ وقال
۝ ان يعاقب يكن غراما ۝ وان يعط جزيلا فانه لا يبالي ۝
ومنه الغريم لالحاحه والزامه وصفهم باحياء الليل ساجدين وقائمين ثم عقبهم بذكر دعوتهم هذه
ايذانا بانهم مع اجتهادهم خائفون مبتهلون الى الله في صرف العذاب عنهم كقوله والذين يؤتون ما اتوا
وقلوبهم وجلة انها ساءت مستقرا ومقاما ۝ ساءت في حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا
والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقرا ومقاما هي وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم
ان وجعلها خبرا لها ويجوز ان تكون ساءت بمعنى احزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال او تمييز
والتعليلان يصح ان يكونا متداخلين ومترادفين وان يكونا من كلام الله وحكاية لقولهم والذين اذا
انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا قرئ يقتروا بكسر التاء وضمها ويقتروا بتخفيف التاء وتشديدها والقتر
والاقتار والتقتير التضييق الذي هو نقيض الاسراف والاسراف مجاوزة الحد في النفقة وصفهم بالقصد الذي هو
بين الغلو والتقصير وبمثله امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها
كل البسط وقيل الاسراف انما هو الانفاق في المعاصي فاما في القرب فلا اسراف وسمع رجل رجلا
يقول لا خير في الاسراف فقال لا اسراف في الخير وعن عمر بن عبد العزيز انه شكر عبد الملك بن مروان

حين زوجه ابنته واحسن اليه فقال وصلت الرحم وفعلت وصنعت وجاء بكلام حسن فقال ابن لعبد
الملك انما هو كلام اعد لهذا المقام فسكت عبد الملك فلما كان بعد ايام دخل عليه والابن حاضر فسأله
عن نفقته واحواله فقال الحسنة بين السيئتين فعرف عبد الملك انه اراد ما في هذه الاية فقال
لابنه يا بني اهذا ايضا مما اعده وقيل اولئك اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا لا ياكلون طعاما
للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوبا للجمال والزينة ولكن كانوا ياكلون ما يسد جوعتهم ويعينهم على عبادة
ربهم ويلبسون ما يستر عوراتهم ويكنهم من الحر والقر وقال عمر رضي الله عنه كفى سرفا ان لا
يشتهي رجل شيئا الا اشتراه فاكله وكان بين ذلك قواما ۝ والقوام العدل بين الشيئين لاستقامة
الطرفين واعتدالهما ونظيره السواء من الاستواء وقرئ قواما بالكسر وهو
ما يقام به الشيء يقال انت قوامنا بمعنى ما تقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص والمنصوبان اعني
بين ذلك قواما جائز ان يكونا خبرين معا وان يجعل بين ذلك اسم كان على انه مبني لاضافته الى غير متمكن
كقوله ۝ لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت ۝ وهو من جهة الاعراب لا باس به ولكن المعنى
ليس بقوي لان ما بين الاسراف والتقتير قوام لا محالة فليس في الخبر الذي هو معتمد الفائدة فائدة
والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل
ذلك يلق اثاما ۝ حرم الله اي حرمها والمعنى حرم قتلها والا بالحق متعلق بهذا القتل المحذوف او بلا
يقتلون ونفي هذه المقبحات العظام عن الموصوفين بتلك الخلال العظيمة في الدين للتعريض بما كان
عليه اعداء المؤمنين من قريش وغيرهم كانه قيل والذين براهم الله وطهرهم مما انتم عليه والقتل بغير
حق يدخل فيه الواد وغيره وعن ابن مسعود رضي الله عنه قلت يا رسول الله اي الذنب اعظم
قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم اي قال ان تقتل ولدك خشية ان ياكل معك قلت ثم اي قال
ان تزاني حليلة جارك فانزل الله تعالى تصديقه وقرئ يلق اثاما وقرئ يلقى باثبات الالف وقد مر مثله
والاثام جزاء الاثم بوزن الوبال والنكال ومعناهما قال
۝ جزى الله ابن عروة حيث امسى ۝ عقوقا والعقوق له اثام ۝
وقيل هو الاثم ومعناه يلق جزاء اثام وقرا ابن مسعود اياما اي شدائد يقال يوم ذو ايام لليوم الصعب
يضاعف له العذاب يوم القيمة ويخلد فيه مهانا ۝ الا من تاب وامن وعمل عملا
صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ۝ يضاعف بدل من
يلق لانهما في معنى واحد كقوله ۝
۝ متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا ۝ تجد حطبا جزلا ونارا تاججا ۝
وقرئ يضعف ونضعف له العذاب بالنون ونصب العذاب وقرئ بالرفع على الاستئناف او
على الحال وكذلك يخلد على البناء للمفعول مخففا ومثقلا من الاخلاد والتخليد وقرئ وتخلد بالتاء
على الالتفات بمخفف ومثقل وكذلك سيئاتهم فان قلت ما معنى مضاعفة العذاب وابدال
الحسنات سيئات قلت اذا ارتكب المشرك معاصي مع الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصي جميعا
فتضاعف العقوبة لمضاعفة المعاقب عليه وابدال السيئات حسنات انه يمحوها بالتوبة ويثبت مكانها
الحسنات الايمان والطاعة والتقوى وقيل يبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنا
عفة واحصانا ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا ۝ يريد ومن يترك المعاصي ويندم
عليها ويدخل في العمل الصالح فانه بذلك تائب الى الله متابا مرضيا عنده مكفرا للخطايا محصلا للثواب
او فانه تائب متابا الى الله الذي يعرف حق التائبين ويفعل بهم ما يستوجبون والذي يحب التوابين ويحب
المتطهرين وفي كلام بعض العرب لله افرح بتوبة العبد من المضل الواجد والظمان الوارد والعقيم
الوالد او فانه يرجع الى الله تعالى والى ثوابه مرجعا حسنا والذين لا يشهدون الزور يحتمل انهم ينفرون
عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين فلا يحضرونها ولا يقربونها تنزها عن مخالطة الشر واهله وصيانة
لدينهم عما يثلمه لان مشاهد الباطل شركة فيه ولذلك قيل في النظارة الى كل ما لم تسوغه الشريعة
هم شركاء فاعليه في الاثم لان حضورهم ونظرهم دليل الرضا به وسبب وجوده والزيادة فيه لان
الذي سلط على فعله هو استحسان النظارة ورغبتهم في النظر اليه وفي مواعظ عيسى بن مريم صلوات
الله عليه وسلامه اياكم ومجالسة الخطائين ويحتمل انهم لا يشهدون شهادة الزور فحذف المضاف

واقيم المضاف اليه مقامه وعن قتادة مجالس الباطل وعن ابن الحنفية اللهو والغناء وعن مجاهد
اعياد المشركين **واذا مروا باللغو مروا كراما** اللغو كل ما ينبغي ان يلغى ويطرح والمعنى اذا
مروا باهل اللغو والمشتغلين به مروا معرضين عنهم مكرمين انفسهم عن التوقف عليهم والخوض
معهم كقوله تعالى واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا
نبتغي الجاهلين وعن الحسن لم تسفههم المعاصي وقيل اذا سمعوا من الكفار الشتم والاذى اعرضوا
وصفحوا وقيل اذا ذكروا النكاح كنوا عنه **والذين اذا ذكروا بايات ربهم لم يخروا عليها صما
وعميانا** ليس بنفي للخرور وانما هو اثبات له ونفي للصمم والعمى كما تقول لا يلقاني زيد
مسلما هو نفي للسلام لا للقاء والمعنى انهم اذا ذكروا بها اكبوا عليها حرصا على استماعها واقبلوا على المذكر
بها وهم في اكبابهم عليها سامعون باذان واعية مبصرون بعيون راعية لا كالذين يذكرون بها فتراهم
مكبين عليها مقبلين على من يذكر بها مظهرين الحرص الشديد على استماعها وهم كالصم العميان حيث
لا يعونها ولا يبصرون ما فيها كالمنافقين واشباههم **والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا
قرة اعين** قرئ وذريتنا وقرات اعين سالوا ربهم ان يرزقهم ازواجا واعقابا
عمالا لله يسرون بمكانهم وتقر بهم عيونهم وعن محمد بن كعب ليس شيء اقر لعين المؤمن من ان
يرى زوجته واولاده مطيعين لله وذكر انهم في الجنة ليتم لهم سرورهم **واجعلنا للمتقين اماما**
اراد ائمة فاكتفى بالواحد لدلالته على الجنس ولعدم اللبس كقوله ثم يخرجكم طفلا او اراد
واجعل كل واحد منا اماما او اراد جمع ام كصائم وصيام او اراد اجعلنا اماما واحدا لاتحادنا
واتفاق كلمتنا وعن بعضهم في الاية ما يدل على ان الرياسة في الدين يجب ان تطلب ويرغب فيها وقيل
نزلت هذه الايات في العشرة المبشرين بالجنة فان قلت من في قوله من ازواجنا ما هي قلت
يحتمل ان تكون بيانية كانه قيل هب لنا قرة اعين ثم بينت القرة وفسرت بقوله من ازواجنا وذرياتنا
ومعناه ان يجعلهم الله لهم قرة اعين وهو من قولهم رايت منك اسدا وان تكون ابتدائية على معنى
هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح فان قلت لم قال قرة اعين فنكر وقلل
قلت اما التنكير فلاجل تنكير القرة لان المضاف لا سبيل الى تنكيره الا بتنكير المضاف اليه كانه قال
هب لنا منهم سرورا وفرحا وانما قيل اعين دون عيون لانه اراد اعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عيون
غيرهم قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور ويجوز ان يقال في تنكير اعين انها اعين خاصة وهي اعين
المتقين **اولئك يجزون الغرفة** المراد يجزون الغرفات وهي العلالي في الجنة فوحد اقتصارا
على الواحد الدال على الجنس والدليل على ذلك قوله وهم في الغرفات امنون وقراءة من قرا في الغرفة **بما صبروا**
بصبرهم على الطاعات وعن الشهوات وعلى اذى الكفار ومجاهدتهم وعلى الفقر وغير ذلك واطلاقه لاجل
الشياع في كل مصبور عليه **ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما**
وقرئ يلقون كقوله ولقاهم نضرة وسرورا ويلقون كقوله يلق اثاما والتحية دعاء بالتعمير والسلام
دعاء بالسلامة يعني ان الملائكة يحيونهم ويسلمون عليهم او يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه او يعطون
التبقية والتخليد مع السلامة من كل افة اللهم وفقنا لطاعتك واجعلنا مع اهل رحمتك وارزقنا
مما نرزقهم في دار رضوانك **قل ما يعبؤا بكم ربي لولا دعاؤكم** لما وصف عبادة العباد وحسناتهم
واثنى عليهم من اجلها ووعدهم الرفع من درجاتهم في الجنة اتبع ذلك بيان انه انما اكترث لاولئك
وعبا بهم واعلى ذكرهم ووعدهم ما وعدهم لاجل عبادتهم فامر رسوله صلى الله عليه وسلم
ان يصرح للناس ويجزم لهم القول بان الاكتراث لهم عند ربهم انما هو للعبادة وحدها لا لمعنى اخر ولولا عبادتهم
لم يكترث لهم البتة ولم يعتد بهم ولم يكونوا عنده شيئا يبالى به والدعاء العبادة وما متضمنة لمعنى
الاستفهام وهي في محل النصب وهي عبارة عن المصدر كانه قيل واي عبء يعبا بكم لولا دعاؤكم
يعني انكم لا تستاهلون شيئا من العبء لولا عبادتكم وحقيقة قولهم ما عبات به ما اعتددت به
من فوادح همومي ومما يكون عبئا علي كما تقول ما اكترثت له اي ما اعتددت به من كوارثي
ومما يهمني وقال الزجاج في تاويل ما يعبا بكم ربي اي وزن يكون لكم عنده ويجوز ان
تكون ما نافية **فقد كذبتم فسوف يكون لزاما** يقول اذا اعلمتكم ان حكمي اني لا اعتد بعبادي
الا لعبادتهم فقد خالفتم بتكذيبكم حكمي فسوف يلزمكم اثر تكذيبكم حتى يكبكم في النار

وسطه

استقصاء

ونظيره في الكلام ان يقول الملك لمن استعصى عليه ان من عادتي ان احسن الى من يطيعني ويتبع امري
فقد عصيت فسوف ترى ما احل بك بسبب عصيانك وقيل معناه ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤه اياكم
الى الاسلام وقيل ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه الهة فان قلت الى من يتوجه هذا الخطاب
قلت الى الناس على الاطلاق ومنهم مؤمنون عابدون ومكذبون عاصون فخوطبوا بما وجد في
جنسهم من العبادة والتكذيب وقرئ فقد كذب الكافرون وقيل يكون العذاب لزاما وعن
مجاهد هو القتل يوم بدر وانه لوزم بين القتلى لزاما وقرئ لزاما بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات
والثبوت والوجه ان ترك اسم كان غير منطوق به بعد ما علم انه مما توعد به لاجل الابهام وتناول ما لا يكتنهه
الوصف والله اعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الفرقان لقي الله يوم القيامة وهو مؤمن
بان الساعة اتية لا ريب فيها وادخل الجنة بغير نصب

سورة الشعراء مكية الا قوله والشعراء الى اخر السورة وهي مائتان وسبع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم بتفخيم الالف وامالتها واظهار النون وادغامها **تلك ايات الكتاب المبين**
الظاهر اعجازه وصحته انه من عند الله والمراد به السورة او القرآن والمعنى ايات هذا المؤلف من
الحروف المبسوطة تلك ايات الكتاب **لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين** البخع ان يبلغ بالذبح
البخاع بالباء وهو عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذبح ولعل للاشفاق يعني اشفق على نفسك
ان تقتلها حسرة على ما فاتك من اسلام قومك لئلا يؤمنوا او لامتناع ايمانهم او خيفة ان لا يؤمنوا وعن قتادة
باخع نفسك على الاضافة **ان نشا ننزل عليهم من السماء اية** اراد اية ملجئة الى الايمان قاسرة عليه
فظلت اعناقهم لها خاضعين معطوف على الجزاء الذي هو ننزل لانه لو قيل انزلنا لكان صحيحا
ونظيره فاصدق واكن كانه قيل اصدق وقد قرئ لو شئنا لانزلنا وقرئ فتظلل اعناقهم فان قلت
كيف صح مجيء خاضعين خبرا عن الاعناق قلت اصل الكلام فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق
لبيان موضع الخضوع الذي هو للعقلاء قيل خاضعين كقوله لي ساجدين وقيل اعناق الناس رؤساؤهم
ومقدموهم شبهوا بالاعناق كما قيل لهم هم الرؤوس والنواصي والصدور قال
في محفل من نواصي الناس مشهود وقيل جماعات الناس يقال جاءنا عنق من الناس لفوج منهم وقرئ
فظلت اعناقهم لها خاضعة وعن ابن عباس نزلت هذه الاية فينا وفي بني امية قال ستكون لنا عليهم الدولة
فتذل لنا اعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هوان بعد عزة **وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث
الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا فسياتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون** اي وما يجدد
لهم الله بوحيه موعظة وتذكيرا الا جددوا اعراضا عنه وكفرا به فان قلت كيف خولف بين الالفاظ
والغرض واحد وهي الاعراض والتكذيب والاستهزاء قلت انما خولف بينها لاختلاف الاغراض كانه قيل
حين اعرضوا عن الذكر فقد كذبوا وحين كذبوا به فقد خف عندهم قدره وصار عرضة للاستهزاء
والسخرية لان من كان قابلا للحق مقبلا عليه كان مصدقا به لا محالة ولم يظن به التكذيب ومن كان مصدقا
به كان موقرا له فسياتيهم وعيد لهم وانذار بانهم سيعلمون اذا مسهم عذاب الله يوم بدر او يوم
القيامة ما الشيء الذي كانوا يستهزءون به وهو القرآن وسياتيهم انباؤه واحواله التي كانت خافية عليهم
او لم يروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم وصف الزوج وهو الصنف من النبات بالكريم
والكريم صفة لكل ما يرضى ويحمد في بابه يقال وجه كريم اذا رضي في حسنه وجماله وكتاب كريم
مرضي في معانيه وفوائده وقال حتى يشق الصفوف من كرمه اي من كونه مرضيا
في شجاعته وباسه والنبات الكريم المرضي فيما يتعلق به من المنافع **ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم
مؤمنين** ان في انبات تلك الاصناف لاية على ان منبتها قادر على احياء الموتى وقد علم الله تعالى ان اكثرهم
مطبوع على قلوبهم غير مرجو ايمانهم **وان ربك لهو العزيز** في انتقامه من الكفرة **الرحيم** لمن تاب
وامن وعمل صالحا فان قلت ما معنى الجمع بين كم وكل ولو قيل كم انبتنا فيها من زوج كريم قلت
قد دل كل على الاحاطة بازواج النبات على سبيل التفصيل وكم على ان هذا المحيط متكاثر مفرط الكثرة

فهذا معنى الجمع بينهما وبه نبّه على كمال قدرته فان قلت فما معنى وصف الزوج بالكريم قلت يحتمل معنيين احدهما ان النبات على نوعين نافع وضار فذكر كثرة ما انبت في الارض من جميع اصناف النبات النافع وخلّى ذكر الضار والثاني ان يعم جميع النبات نافعه وضاره ويصفهما جميعا بالكرم وينبه على انه ما انبت شيئا الا وفيه فائدة لان الحكيم لا يفعل فعلا الا لغرض صحيح ولحكمة بالغة وان غفل عنها الغافلون ولم يتوصل الى معرفتها العاقلون فان قلت فحين ذكر الازواج ودل عليها بكلمتي الكثرة والاحاطة وكانت بحيث لا يحصيها الا عالم الغيب كيف قال ان في ذلك لآية وهلا قال لآيات قلت فيه وجهان ان يكون ذلك مشارا به الى مصدر انبتنا فكانه قال ان في الانبات لآية اي آية وان يراد ان في كل واحد من تلك الازواج لآية وقد سبقت لهذا الوجه نظائر **وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين قوم فرعون ألا يتقون** سجّل عليهم بالظلم بان قدّم القوم الظالمين ثم عطف عليهم عطف البيان كان معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون وكانهما عبارتان تعتقبان على مؤدّى واحد ان شاء ذاكرهم عبّر عنهم بالقوم الظالمين وان شاء عبّر بقوم فرعون وقد استحقوا هذا الاسم من جهتين من جهة ظلمهم انفسهم بكفرهم وشرارتهم ومن جهة ظلمهم لبني اسرائيل باستعبادهم لهم قرئ الا يتقون بكسر النون بمعنى الا يتقونني فحذفت النون لاجتماع النونين والياء للاكتفاء بالكسرة فان قلت بم تعلق قوله الا يتقون قلت هو كلام مستانف اتبعه عز وجل ارساله اليهم للانذار والتسجيل عليهم بالظلم تعجيبا لموسى عليه الصلوة والسلام من حالهم التي شنعت في الظلم والعسف ومن امنهم العواقب وقلة خوفهم وحذرهم من ايام الله ويحتمل ان يكون الا يتقون حالا من الضمير في الظالمين اي يظلمون غير متقين لله وعقابه فادخلت همزة الانكار على الحال واما من قرأ الا تتقون على الخطاب فعلى طريقة الالتفات اليهم وجبههم وضرب وجوههم بالانكار والغضب عليهم كما ترى من يشكو من ركب جناية الى بعض اخصائه والجاني حاضر فاذا اندفع في الشكاية وحرّ مزاجه وحمي غضبه قطع مباثة صاحبه واقبل على الجاني يوبخه ويعنف به ويقول له الم تتق الله الم تستحي من الناس فان قلت فما فائدة هذا الالتفات والخطاب مع موسى عليه الصلوة والسلام في وقت المناجاة والملتفت اليهم غيّب لا يشعرون قلت اجراء ذلك في تكليم المرسل اليهم في معنى اجرائه بحضرتهم والقائه الى مسامعهم لانه مبلّغه ومنهيه وناشره بين الناس وله فيه لطف وحث على زيادة التقوى وكم من آية انزلت في شأن الكافرين وفيها اوفر نصيب للمؤمنين تدبرا لها واعتبارا بموردها وفي الا يتقون بالياء وكسر النون وجه آخر وهو ان يكون المعنى الا يا ناس اتقون كقوله الا يسجدوا **قال رب إني أخاف أن يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل إلى هرون** يضيق وينطلق بالرفع لانهما معطوفان على خبر ان وبالنصب لعطفهما على صلة أن والفرق بينهما في المعنى ان الرفع يفيد ان فيه ثلاث علل خوف التكذيب وضيق الصدر وامتناع انطلاق اللسان والنصب على ان خوفه متعلق بهذه الثلاثة فان قلت في النصب تعليق الخوف بالامور الثلاثة وفي جملتها نفي انطلاق اللسان وحقيقة الخوف انما هي غمّ يلحق الانسان لامر سيقع وذلك كان واقعا فكيف جاز تعليق الخوف به قلت قد علق الخوف بتكذيبهم وبما يحصل له بسببه من ضيق الصدر والحبسة في اللسان زائدة على ما كان به على ان تلك الحبسة التي كانت به قد زالت بدعوته وقيل بقيت منها بقية يسيرة فان قلت اعتذارك هذا يردّه الرفع لان المعنى اني خائف ضيق الصدر غير منطلق اللسان قلت يجوز ان يكون هذا قبل الدعوة واستجابتها ويجوز الا يكون مع حل العقدة من لسانه من الفصحاء المصاقع الذين اوتوا سلاطة الالسنة وبسطة المقال وهرون كان بتلك الصفة فاراد ان يقرن به ويدل عليه قوله تعالى واخي هرون هو افصح مني لسانا ومعنى فارسل الى هرون ارسل اليه جبريل واجعله نبيا وآزرني به واشدد به عضدي وهذا كلام مختصر وقد بسطه في غير هذا الموضع وقد احسن في الاختصار حيث قال فارسل الى هرون فجاء بما يتضمن معنى الاستنباء ومثله في تقصير الطويلة والحسن قوله تعالى فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا حيث اقتصر على ذكر طرفي القصة اولها وآخرها وهما الانذار والتدمير ودل بذكرهما على ما هو الغرض من القصة الطويلة كلها وهو انهم قوم كذبوا بآيات الله فاراد الله الزام الحجة عليهم فبعث اليهم رسولين فكذبوهما فاهلكهم فان قلت كيف ساغ لموسى عليه الصلوة والسلام ان يامره الله بامر فلا يتقبله بسمع وطاعة من غير توقف وتشبث بعلل وقد علم ان الله من ورائه

أي العصمة

أي المتقدم

قلت

قلت قد امتثل وتقبل ولكنه التمس من ربه ان يعضده باخيه حتى يتعاونا على تنفيذ امره وتبليغ رسالته فمهد قبل التماسه عذره فيما التمسه ثم التمس بعد ذلك وتمهيد العذر في التماس المعين على تنفيذ الامر ليس بتوقف في امتثال الامر ولا بتعلل فيه وكفى بطلب العون دليلا على التقبل لا على التعلل **ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون** اراد بالذنب قتله القبطي وقيل كان خباز فرعون واسمه فاتون يعني ولهم علي تبعة ذنب وهو قود ذلك القتل فاخاف ان يقتلوني به فحذف المضاف او سمى تبعة الذنب ذنبا كما سمى جزاء السيئة سيئة فان قلت قد ابيت ان تكون الثلاث عللا وجعلتها تمهيدا للعذر فيما التمسه فما قولك في هذه الرابعة قلت هذه استدفاع للبلية المتوقعة وفرق من ان يقتل قبل اداء الرسالة فكيف تكون تعللا والدليل عليه ما جاء بعده من كلمة الردع والموعد بالكلاءة والدفع **قال كلا فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون** جمع الله له الاستجابتين معا في قوله تعالى كلا فاذهبا لانه استدفعه بلاءهم فوعده الدفع بردعه عن الخوف والتمس منه الموازرة باخيه فاجابه بقوله اذهبا اي اذهب انت والذي طلبته وهو هرون فان قلت علام عطف قوله فاذهبا قلت على الفعل الذي دل عليه كلا كانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت وهرون وقوله تعالى انا معكم مستمعون من مجاز الكلام يريد انا لكما ولعدوكما كالناصر الظهير لكما عليه اذا حضر واستمع ما يجري بينكما وبينه فاظهركما وغلبكما وكسر شوكته عنكما ونكسه ويجوز ان يكونا خبرين لان او يكون مستمعون مستقرا ومعكم لغوا فان قلت لم جعل مستمعون قرينة معكم في كونه من باب المجاز والله تعالى يوصف على الحقيقة بانه سميع قلت ولكن لا يوصف بالمستمع على الحقيقة لان الاستماع جار مجرى الاصغاء والاستماع من السمع بمنزلة النظر من الرؤية ومنه قوله تعالى قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا ويقال استمع الى حديثه وسمع حديثه اي اصغى اليه وادركه بحاسة السمع ومنه قوله عليه الصلوة والسلام من استمع الى حديث قوم وهم له كارهون صب في اذنيه البرم **فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين** فان قلت هلا ثنى الرسول كما ثنى في قوله انا رسولا ربك قلت الرسول يكون بمعنى المرسل وبمعنى الرسالة فجعله ثمة بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته وجعله ههنا بمعنى الرسالة فجاز التسوية فيه اذا وصف به بين الواحد والتثنية والجمع كما يفعل في الصفة بالمصادر نحو صوم وزور قال

ألكني إليها وخير الرسول ... أعلمهم بنواحي الخبر

فجعله للجماعة والشاهد في الرسول بمعنى الرسالة قوله

لقد كذب الواشون ما فهت عندهم ... بسرّ ولا أرسلتهم برسول

ويجوز ان يوحد لان حكمهما لتساندهما واتفاقهما على شريعة واحدة واتحادهما لذلك وللاخوة كان حكمهما واحدا فكانهما رسول واحد او اريد ان كل واحد منا **أن أرسل معنا بني إسرائيل** أي أرسل بمعنى اي ارسل لتضمن الرسول معنى الارسال وتقول ارسلت اليك ان افعل كذا لما في الارسال من معنى القول كما في المناداة والكتابة ونحو ذلك ومعنى هذا الارسال التخلية والاطلاق كقولك ارسل البازي يريد خلهم يذهبون معنا الى فلسطين وكانت مسكنهما **قال ألم نربك فينا وليدا** يروى انهما انطلقا الى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان ههنا انسانا يزعم انه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك منه فاديا اليه الرسالة فعرف موسى فقال له الم نربك حذف فأتيا فرعون فقالا له ذلك لانه معلوم لا يشتبه وهذا النوع من الاختصار كثير في التنزيل الوليد الصبي لقرب عهده من الولادة **ولبثت فينا من عمرك** وفي رواية عن ابي عمرو من عمرك بسكون الميم **سنين** قيل مكث عندهم ثلاثين سنة وقيل وكز القبطي وهو ابن ثنتي عشرة سنة وفرّ منهم على اثرها والله اعلم بصحيح ذلك **وفعلت فعلتك التي فعلت** وعن الشعبي فعلتك بالكسرة وهي قتلة القبطي لانه قتله بالوكز وهو ضرب من القتل واما الفعلة فلانها كانت وكزة واحدة عدّد عليه نعمته من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال ووبخه بما جرى على يده من قتل خبازه وعظم ذلك وفظعه بقوله وفعلت فعلتك التي فعلت **وأنت من الكافرين** يجوز ان يكون حالا اي قتلته وانت لذاك من الكافرين بنعمتي او وانت اذ ذاك ممن تكفرهم الساعة وقد افترى عليه وجهل امره لانه كان يعايشهم بالتقية فان الله عز وعلا عاصم من يريد ان يستنبئه من كل كبيرة ومن بعض الصغائر فما بال الكفر ويجوز ان يكون قوله وانت من الكافرين حكما عليه بانه من الكافرين بالنعم

لنه

تبعة

ومن كانت عادته كفران النعم لم يكن قتل خواص المنعم عليه بدعا منه او بانه من الكافرين بفرعون والالهية
او من الذين كانوا يكفرون في دينهم فقد كانت لهم آلهة يعبدونهم يشهد لذلك قوله تعالى ويذرك والهتك
وقرئ الاهتك قال فعلتها اذا وانا من الضالين ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي
حكما وجعلني من المرسلين وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل فاجابه موسى صلوات
الله عليه والسلام بان تلك الفعلة انما فرطت منه وهو من الضالين اي الجاهلين وقراءة ابن مسعود رضي الله عنه
من الجاهلين مفسرة والمعنى من الفاعلين فعل اولي الجهل والسفه كما قال يوسف لاخوته
هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون او المخطئين كما يفعل خطأ من عمد يتعمد للقتل او الذاهبين
عن الصواب او الناسين من قوله ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى وكذب فرعون ودفع الوصف
بالكفر عن نفسه وبرأ ساحته بان وضع الضالين موضع الكافرين ربأ بمحل من رشح للنبوة عن
تلك الصفة ثم كر على امتنانه عليه بالتربية فابطله من اصله واستاصله من سنخه وابى ان
يسمى نعمته الا نقمة حيث بين ان حقيقة انعامه عليه تعبيد بني اسرائيل لان تعبيدهم وقصدهم بذبح
ابنائهم هو السبب في حصوله عنده وتربيته فكانه امتن عليه بتعبيد قومه اذا حققت وتعبيدهم
تذليلهم واتخاذهم عبيدا يقال عبدت الرجل واعبدته اذا اتخذته عبدا قال
علام يعبدني قومي وقد كثرت فيهم اباعر ما شاءوا وعبدان
فان قلت اذن جواب وجزاء معا والكلام وقع جوابا لفرعون فكيف وقع جزاء قلت
قول فرعون وفعلت فعلتك فيه معنى انك جازيت نعمتي بما فعلت فقال له موسى نعم فعلتها مجازيا
لك تسليما لقوله لان نعمته كانت عنده جديرة بان تجازى بنحو ذلك الجزاء فان قلت لم جمع الضمير
في منكم وخفتكم مع افراده في تمنها وعبدت قلت الخوف والفرار لم يكونا منه وحده
ولكن منه ومن ملائه المؤتمرين بقتله بدليل قوله ان الملا ياتمرون بك ليقتلوك واما الامتنان فمنه
وحده وكذلك التعبيد فان قلت تلك اشارة الى ماذا وان عبدت ما محلها من الاعراب قلت تلك اشارة
الى خصلة شنعاء مبهمة لا يدرى ما هي الا بتفسيرها ومحل ان عبدت الرفع عطف بيان لتلك ونظيره
قوله وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع والمعنى تعبيدك بني اسرائيل نعمة تمنها علي وقال
الزجاج ويجوز ان يكون في موضع نصب المعنى انما صارت نعمة علي لان عبدت بني اسرائيل اي لو لم تفعل
ذلك لكفلني اهلي ولم يلقوني في اليم قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والارض
وما بينهما ان كنتم موقنين قال لمن حوله الا تستمعون قال ربكم ورب آبائكم الاولين
قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم
تعقلون قال لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين لما قال له بوابه ان ههنا من يزعم
انه رسول رب العالمين قال له عند دخوله وما رب العالمين يريد اي شيء رب العالمين وهذا
السؤال لا يخلو اما ان يريد به اي شيء هو من الاشياء التي شوهدت وعرفت اجناسها فاجاب بما يستدل
عليه من افعاله الخاصة ليعرفه انه ليس بشيء مما شوهد وعرف من الاجرام والاعراض وانه شيء مخالف
لجميع الاشياء ليس كمثله شيء واما ان يريد به اي شيء هو على الاطلاق تفتيشا عن حقيقته الخاصة ما هي فاجابه
بان الذي اليه سبيل وهو الكافي في معرفته معرفة ثباته بصفاته استدلالا بافعاله الخاصة على
ذلك واما التفتيش عن حقيقته الخاصة التي هي فوق فطر العقول فتفتيش عما لا سبيل اليه والسائل عنه
متعنت غير طالب للحق والذي يليق بحال فرعون ويدل عليه الكلام ان يكون سؤاله هذا انكارا لان
يكون للعالمين رب سواه لادعائه الالهية فلما اجاب موسى بما اجاب عجب قومه من جوابه حيث نسب
الربوبية الى غيره فلما ثنى بتقرير قوله جننه الى قومه وطنز به حيث سماه رسولهم فلما ثلث بتقرير
آخر احتد واحتدم وقال لئن اتخذت الها غيري وهذا يدل على صحة هذا الوجه الاخير فان قلت
كيف قيل وما بينهما على التثنية والمرجوع اليه مجموع قلت اريد وما بين الجنسين فعل بالمضمر
ما فعل بالظاهر من قال في الهيجا جمالين فان قلت ما معنى قوله ان كنتم موقنين وان كنتم
تعقلون قلت معناه ان كان يرجى منكم الايقان الذي يؤدي اليه النظر الصحيح
نفعكم هذا الجواب والا لم ينفع او ان كنتم موقنين بشيء قط فهذا اولى ما توقنون به لظهوره
وانارة دليله فان قلت ومن كان حوله قلت اشراف قومه قيل كانوا خمسمائة رجل عليهم

التشاور

التشاور وكانت للملوك خاصة فان قلت ذكر السموات والارض وما بينهما قد استوعب به الخلائق كلها
فما معنى ذكر ربكم ورب آبائكم بعد ذلك وذكر المشرق والمغرب قلت قد عمم اولا ثم خصص من
العام للبيان انفسهم وآباءهم لان اقرب المنظور فيه من العاقل نفسه ومن ولد منه وما شاهد وعاين
من الدلائل على الصانع والناقل من هيئة الى هيئة وحال الى حال من وقت ميلاده الى وقت وفاته ثم خصص
المشرق والمغرب لان طلوع الشمس من احد الخافقين وغروبها في الآخر على تقدير مستقيم في فصول
السنة وحساب مستو من اظهر ما استدل به ولظهوره انتقل الى الاحتجاج به خليل الله صلى الله عليه
وسلم عن الاحتجاج بالاحياء والاماتة على نمرود بن كنعان فبهت الذي كفر وقرئ رب
المشارق والمغارب الذي ارسل اليكم لمجنون بفتح الهمزة فان قلت كيف قال اولا ان
كنتم موقنين وآخرا ان كنتم تعقلون قلت لاين اولا فلما رأى منهم شدة الشكيمة في
العناد وقلة الاصغاء الى عرض الحجج خاشن وعارض ان رسولكم لمجنون بقوله ان كنتم تعقلون
فان قلت الم يكن لاسجننك اخصر من قوله لاجعلنك من المسجونين ومؤديا مؤداه قلت
اما اخصر فنعم واما مؤد مؤداه فلا لان معناه لاجعلنك واحدا ممن عرفت حالهم في سجوني وكان من
عادته ان ياخذ من يريد سجنه فيطرحه في هوة ذاهبة في الارض بعيدة العمق فردا لا يبصر
فيها ولا يسمع فكان ذلك اشد من القتل واشد قال اولو جئتك بشيء مبين الواو في قوله
اولو جئتك واو الحال دخلت عليها همزة الاستفهام معناه اتفعل بي ذلك ولو جئتك بشيء مبين اي
جائيا بالمعجزة قال فأت به ان كنت من الصادقين في قوله اني كنت من الصادقين في انه لا ياتي بالمعجزة
الا الصادق في دعواه لان المعجز تصديق من الله لمدعي النبوة والحكيم لا يصدق الكاذب ومن العجب
ان مثل فرعون لم يخف عليه هذا وخفي على ناس من اهل القبلة حيث جوزوا القبيح على الله تعالى حتى لزمهم تصديق
الكاذبين بالمعجزات وتقديره ان كنت من الصادقين في دعواك اتيت به فحذف الجزاء لان الامر
بالاتيان به يدل عليه فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ظاهر الثعبانية لا شيء يشبه الثعبان كما
تكون الاشياء المزورة بالشعوذة والسحر وروي انها انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم
انحطت مقبلة الى فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني بما شئت ويقول فرعون اسالك بالذي ارسلك
الا اخذتها فاخذها فعادت عصا ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين دليل على ان بياضها
كان شيئا يجتمع النظارة على النظر اليه لخروجه عن العادة وكان بياضا نورانيا روي ان فرعون لما ابصر
الآية الاولى قال فهل غيرها فاخرج يده فقال له ما هذه قال يدك فما فيها فادخلها في ابطه ثم نزعها
ولها شعاع يكاد يغشي الابصار ويسد الافق قال للملا حوله فان قلت ما العامل في حوله قلت
هو منصوب نصبين نصب في اللفظ ونصب في المحل فالعامل في النصب اللفظي ما يقدر في الظرف
والعامل في النصب المحلي وهو النصب على الحال قال ولقد تحير فرعون لما ابصر الآيتين وبقي لا يدري اي
طرفيه اطول حتى زل عنه ذكر دعوى الالهية وحط عن منكبيه كبرياء الربوبية وارتعدت فرائصه
وانتفخ سحره خوفا وفرقا وبلغت به الاستكانة لقومه الذين هم بزعمه عبيده وهو الههم
ان طفق يؤامرهم ويعترف لهم بما حذره وتوقعه واحس به من جهة موسى عليه الصلاة والسلام
وغلبته على ملكه وارضه وقوله ان هذا لساحر عليم قول باهت اذا غلب ومتمحل اذا الزم يريد
ان يخرجكم من ارضكم فماذا تامرون من المؤامرة وهي المشاورة او من الامر الذي هو ضد النهي
جعل العبيد آمرين وربهم مأمورا لما استولى عليه من فرط الدهش والحيرة وماذا منصوب اما لكونه
في معنى المصدر واما لانه مفعول به من قولك امرتك الخير قالوا ارجه واخاه وابعث في المدائن
حاشرين ياتوك بكل سحار عليم وقرئ ارجئه وارجه بالهمز والتخفيف وهما لغتان يقال
ارجاته وارجيته اذا اخرته ومنه المرجئة وهم الذين لا يقطعون بوعيد الفساق ويقولون هم
مرجون لامر الله والمعنى اخره ومناظرته لوقت اجتماع السحرة وقيل احبسه حاشرين شرطا
يحشرون السحرة وعارضوا قوله ان هذا لساحر بقوله بكل سحار فجاؤوا بكلمة الاحاطة وصفة
المبالغة ليطامنوا من نفسه ويسكنوا بعض قلقه وقرأ الاعمش بكل ساحر فجمع السحرة لميقات
يوم معلوم اليوم المعلوم يوم الزينة وميقاته وقت الضحى لانه الوقت الذي وقته لهم موسى صلوات
الله عليه والسلام من يوم الزينة في قوله موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى والميقات ما وقت

بوا اي جية من زمان او مكان ومنه مواقيت الاحرام ﴿وقيل للناس هل انتم مجتمعون﴾ هذا استبطاء لهم في الاجتماع والمراد منه استعجالهم واستحثاثهم كما يقول الرجل لغلامه هل انت منطلق اذا اراد ان يحرك منه ويحثه على الانطلاق كانما يخيل له ان الناس قد انطلقوا وهو واقف ومنه قول تابط شرا

هل انت باعث دينار لحاجتنا ۞ او عبد رب اخا عون بن مخراق

يريد ابعثه الينا سريعا ولا تبطئ به ﴿لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين﴾ اي نتبعهم في دينهم ان غلبوا موسى ولا نتبع موسى في دينه وليس غرضهم اتباع السحرة وانما الغرض الكلي ان لا يتبعوا موسى فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يكونوا متبعين لموسى ﴿فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين﴾ وقرئ نعم بالكسر وهما لغتان ولما كان قوله أئن لنا لاجرا في معنى جزاء الشرط لدلالته عليه وكان قوله وانكم اذا لمن المقربين معطوفا عليه ومدخلا في حكمه دخلت اذن قارة في مكانها الذي تقتضيه من الجواب والجزاء وعدهم ان يجمع لهم الى الثواب على سحرهم الذي قدروا انهم يغلبون به موسى القربة عنده والزلفى ﴿قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون﴾ اقسموا بعزة فرعون وهي من ايمان الجاهلية وهكذا كل حلف بغير الله ولا يصح في الاسلام الا الحلف بالله معلقا ببعض اسمائه او صفاته كقولك بالله والرحمن وربي ورب العرش وعزة الله وقدرة الله وجلال الله وعظمة الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحلفوا بآبائكم ولا بامهاتكم ولا بالطواغيت ولا تحلفوا الا بالله ولا تحلفوا بالله الا وانتم صادقون ولقد استحدث الناس في هذا الباب في اسلامهم جاهلية نسيت لها الجاهلية الاولى وذلك ان الواحد منهم لو اقسم باسماء الله كلها وصفاته على شيء لم يقبل منه ولم يعتد بها حتى يقسم براس سلطانه فاذا اقسم به فتلك عندهم جهد اليمين التي ليس وراءها حلف لحالف ﴿فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يافكون﴾ اي ما يقلبونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم ويزورونه فيخيلون في حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى بالتمويه على الناظرين او افكهم سمى تلك الاشياء افكا مبالغة ﴿فالقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين﴾ روي انهم قالوا ان يك ما جاء به موسى سحرا فلن يغلب وان يك من عند الله فلن يخفى علينا فلما قذف عصاه فتلقفت ما اتوا به علموا انه من عند الله فآمنوا وعن عكرمة اصبحوا سحرة وامسوا شهداء وانما عبر عن الخرور بالالقاء لانه ذكر مع الالقاءات فسلك به طريق المشاكلة وفيه ايضا مع مراعاة المشاكلة انهم حين راوا ما راوا لم يتمالكوا ان رموا بانفسهم الى الارض ساجدين كانهم اخذوا فطرحوا طرحا فان قلت فاعل الالقاء ما هو لو صرح به قلت هو الله عز وجل بما خولهم من التوفيق او ايمانهم او ما عاينوا من المعجزة الباهرة ولك ان لا تقدر فاعلا لان القوا بمعنى خروا وسقطوا ﴿رب موسى وهرون﴾ عطف بيان لرب العالمين لان فرعون لعنه الله كان يدعي الربوبية فارادوا ان يعزلوه ومعنى اضافته اليهما في ذلك المقام انه الذي يدعو اليه هذان والذي اجرى على ايديهما ما اجرى ﴿قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون﴾ اي وبال ما فعلتم ﴿لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين قالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اول المؤمنين﴾ الضر والضير والضور واحد اراد ولا ضرر علينا في ذلك بل لنا فيه اعظم النفع لما يحصل لنا في الصبر عليه لوجه الله من تكفير الخطايا والثواب العظيم مع الاعواض الكثيرة او لا ضير علينا فيما توعدتنا به من القتل انه لا بد لنا من الانقلاب الى ربنا بسبب من اسباب الموت والقتل اهون اسبابه وارجاها او لا ضير علينا في قتلك انك ان قتلتنا انقلبنا الى ربنا انقلاب من يطمع في مغفرته ويرجو رحمته لما رزقنا من السبق الى الايمان وخبر لا محذوف والمعنى لا ضير في ذلك علينا ان كنا معناه لان كنا وكانوا اول جماعة مؤمنين من اهل زمانهم او من رعية فرعون او من اهل المشهد وقرئ ان كنا بالكسر وهو من الشرط الذي يجيء به المدل بامره المتحقق لصحته وهم كانوا متحققين انهم اول المؤمنين ونظيره قول العامل لمن يؤخر جعله ان كنت عملت لك فوفني حقي ومنه قوله عز وجل ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي مع علمه انهم لم يخرجوا الا لذلك ﴿واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي﴾

ليلا

فرى أسر

قرئ اسر بقطع الهمزة ووصلها وسر ﴿انكم متبعون﴾ علل الامر بالاسراء باتباع فرعون وجنوده آثارهم والمعنى اني بنيت تدبير امركم وامرهم على ان تتقدموا ويتبعوكم حتى يدخلوا مدخلكم ويسلكوا مسلككم من طريق البحر فاطبقه عليهم فاهلكهم وروي انه مات في تلك الليلة في كل بيت من بيوتهم ولد فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج موسى بقومه وروي ان الله عز وجل اوحى الى موسى ان اجمع بني اسرائيل كل اربعة ابيات في بيت ثم اذبحوا الجداء واضربوا بدمائها على ابوابكم فاني سآمر الملائكة ان لا يدخلوا بيتا على بابه دم وسآمرهم بقتل ابكار القبط واخبزوا خبزا فطيرا فانه اسرع لكم ثم اسر بعبادي حتى تنتهي الى البحر فياتيك امري ﴿فارسل فرعون في المدائن حاشرين ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حذرون﴾ فارسل فرعون في اثره الف الف وخمسمائة الف ملك مسور مع كل ملك الف وخرج فرعون في جمع عظيم وكانت مقدمته سبعمائة الف كل رجل على حصان وعلى راسه بيضة وعن ابن عباس خرج فرعون في الف الف حصان سوى الاناث فلذلك استقل قوم موسى وكانوا ستمائة الف وسبعين الفا وسماهم شرذمة قليلين ان هؤلاء محكي بعد قول مضمر والشرذمة الطائفة القليلة ومنها قولهم ثوب شراذم للذي بلي وتقطع قطعا ذكرهم بالاسم الدال على القلة ثم جعلهم قليلا بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلا واختار جمع السلامة الذي هو للقلة وقد يجمع القليل على اقلة وقلل ويجوز ان يريد بالقلة الذلة والقماءة ولا يريد قلة العدد والمعنى انهم لقلتهم لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون افعالا تغيظنا وتضيق صدورنا ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الامور فاذا خرج علينا خارج سارعنا الى حسم فساده وهذه معاذير اعتذر بها الى اهل المدائن لئلا يظن به ما يكسر من قهره وسلطانه وقرئ حذرون وحاذرون وحادرون بالدال غير المعجمة فالحذر اليقظ والحاذر الذي يجدد حذره وقيل المؤدي في السلاح وانما يفعل ذلك حذرا واحتياطا لنفسه والحادر السمين القوي قال

احب الصبي السوء من اجل امه ۞ وابغضه من بغضها وهو حادر

اراد انهم اقوياء اشداء وقيل مدججون في السلاح قد كسبهم ذلك حدارة في اجسامهم ﴿فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم﴾ عن مجاهد سماها كنوزا لانهم لم ينفقوا منها في طاعة الله والمقام المكان يريد المنازل الحسنة والمجالس البهية وعن الضحاك المنابر وقيل السرر في الحجال ﴿كذلك واورثناها بني اسرائيل﴾ كذلك يحتمل ثلاثة اوجه النصب على اخرجناهم مثل ذلك الاخراج الذي وصفنا والجر على انه وصف لمقام اي مقام كريم مثل ذلك المقام الذي كان لهم والرفع على انه خبر لمبتدا محذوف اي الامر كذلك ﴿فاتبعوهم﴾ فلحقوهم وقرئ فاتبعوهم ﴿مشرقين﴾ داخلين في وقت الشروق من شرقت الشمس شروقا اذا طلعت ﴿فلما تراءى الجمعان قال اصحاب موسى انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين﴾ سيهديني طريق النجاة من ادراكهم واضرارهم وقرئ فلما تراءت الفئتان انا لمدركون بتشديد الدال وكسر الراء من ادرك الشيء اذا تتابع ففني ومنه قوله تعالى بل ادارك علمهم في الآخرة قال الحسن جهلوا علم الآخرة وفي معناه بيت الحماسة

ابعد بني امي الذين تتابعوا ۞ ارجي الحيوة ام من الموت اجزع

والمعنى انا متتابعون في الهلاك على ايديهم حتى لا يبقى منا احد ﴿فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم﴾ الفرق الجزء المتفرق منه وقرئ كل فلق والمعنى واحد والطود الجبل العظيم المنطاد في السماء ﴿وازلفنا ثم﴾ حيث انفلق البحر ﴿الآخرين﴾ قوم فرعون اي قربناهم من بني اسرائيل وادنينا بعضهم من بعض وجمعناهم حتى لا ينجو منهم احد او قدمناهم الى البحر وقرئ وازلقنا بالقاف اي اذللنا اقدامهم والمعنى اذهبنا عزهم كقوله

تداركتما عبسا وقد ثل عرشها ۞ وذبيان اذ زلت باقدامها النعل

ويحتمل ان يجعل الله طريقهم في البحر على حاله اذ جعله لبني اسرائيل يبسا فيزلقهم فيه ﴿وانجينا موسى ومن معه اجمعين ثم اغرقنا الآخرين﴾ عن عطاء بن السائب ان جبريل عليه الصلوة والسلام كان بين بني اسرائيل وبين آل فرعون فكان يقول لبني اسرائيل ليلحق آخركم اولكم ويستقبل القبط فيقول رويدكم ليلحق آخركم فلما انتهى موسى عليه الصلوة والسلام الى البحر قال له مؤمن آل فرعون وكان بين يدي موسى اين امرت فهذا البحر امامك وقد غشيك آل فرعون قال امرت بالبحر ولا يدري موسى

كيف نصنع فأوحى الله تعالى إليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه فصار فيه اثنى عشر طريقا لكل سبط وروى
أن يوشع قال يا كليم الله أين أمرت فقد غشينا فرعون والبحر أمامنا قال عند ذلك
يا من كان قبل كل شيء والمكوّن لكل شيء والكائن بعد كل شيء وقيل هذا البحر القلزم وقيل هو
بحر من وراء مصر يقال له إساف إن في ذلك لآية أية آية وآية لا توصف وقد عاينها الناس
وشاع أمرها فيهم وما كان أكثرهم مؤمنين وما تنبه عليها أكثرهم ولا آمن بالله وبنو
إسرائيل الذين كانوا أصحاب موسى المخصوصين بالنجاة قد سألوه بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وطلبوا
رؤية الله جهرة وإن ربك لهو العزيز المنتقم من أعدائه الرحيم بأوليائه واتل عليهم نبأ إبراهيم
إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين كان إبراهيم
صلوات الله وسلامه عليه يعلم أنهم عبدة الأصنام ولكنه سألهم ليريهم أن ما يعبدونه ليس من استحقاق
العبادة في شيء كما تقول للتاجر ما مالك وأنت تعلم أن ماله الرقيق ثم تقول له الرقيق جمال وليس بمال
فإن قلت ما تعبدون سؤال عن المعبود فحسب فكان القياس أن يقولوا أصناما كقوله ويسألونك
ماذا ينفقون قل العفو ماذا قال ربكم قالوا الحق ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا قلت هؤلاء قد جاؤوا
بقصة أمرهم كاملة كالمبتهجين بها والمفتخرين فاشتملت على جواب إبراهيم وعلى ما قصدوه من إظهار
ما في نفوسهم من الابتهاج والافتخار ألا تراهم كيف عطفوا على قولهم نعبد أصناما فنظل لها عاكفين
ولم يقتصروا على زيادة نعبد وحده ومثاله أن تقول لبعض الشطار ما تلبس في بلادك فيقول ألبس البرد
الأتحمي فأجر ذيله بين جواري الحي قال هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون
لا بد في يسمعونكم من تقدير حذف المضاف معناه هل يسمعون دعاءكم وقرأ قتادة يُسمعونكم
الجواب عن دعائكم وهل يقدرون على ذلك وجاء مضارعا مع إيقاعه في إذ على حكاية الحال الماضية
ومعناه استحضروا الأحوال الماضية التي كنتم تدعونها فيها وقولوا هل سمعوا أو أسمعوا قط وهذا
أبلغ في التبكيت قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون
أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عدو لي لما أجابوه بجواب المقلد لآبائهم قال لهم رقوا أمر
تقليدكم هذا إلى أقصى غاياته وهي عبادة الأقدمين من آبائكم فإن التقدم والأولية لا يكون برهانا
على الصحة والباطل لا ينقلب حقا بالقدم وما عبادة من عبد هذه الأصنام إلا عبادة أعداء له
ومعنى العدو قوله كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ولأن المغري على عبادتها أعدى
أعداء الإنسان وهو الشيطان وإنما قال عدو لي تصويرا للمسألة في نفسه على معنى أني فكرت
في أمري فرأيت عبادتي لها عبادة للعدو فاجتنبتها وآثرت عبادة من الخير كله منه وأراهم
بذلك أنها نصيحة نصح بها نفسه أولا وبنى عليها تدبير أمره لينظروا فيقولوا ما نصحنا إبراهيم إلا بما نصح
به نفسه وما أراد لنا إلا ما أراد لروحه ليكون أدعى لهم إلى القبول وأبعث على الاستماع منه
ولو قال فإنه عدو لكم لم يكن بتلك المثابة ولأنه دخل في باب من التعريض وقد يبلغ التعريض
للمنصوح ما لا يبلغه التصريح لأنه يتأمل فيه فربما قاده التأمل إلى التقبل ومنه ما يحكى عن الشافعي
رحمه الله أن رجلا واجهه بشيء فقال لو كنت بحيث أنت لاحتجت إلى أدب وسمع رجل ناسا يتحدثون
في الحجر فقال ما هو بيتي ولا بيتكم والعدو والصديق يجيئان في معنى الواحد والجماعة
وقوم علي ذوي مئرة ۝ أراهم عدوا وكانوا أصدقا
إلا رب العالمين الذي خلقني استثناء منقطع كأنه قال لكن رب العالمين فهو يهدين
يريد أنه حين أتم خلقه ونفخ فيه الروح عقب ذلك هدايته المتصلة التي لا تنقطع إلى كل ما يصلحه ويعنيه
وإلا فمن هداه إلى أن يغتذي بالدم في البطن امتصاصا ومن هداه إلى معرفة الثدي عند الولادة
وإلى معرفة مكانه ومن هداه لكيفية الارتضاع إلى غير ذلك من هدايات المعاش والمعاد والذي
هو يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين إنما قال مرضت
دون أمرضني لأن كثيرا من أسباب المرض يحدث بتفريط من الإنسان في مطاعمه ومشاربه وغير
ذلك ومن ثمه قالت الحكماء لو قيل لأكثر الموتى ما سبب آجالكم لقالوا التخم والذي
أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين وقرئ خطاياي والمراد ما يندر منه من بعض الصغائر
لأن الأنبياء معصومون مختارون على العالمين وقيل هي قوله إني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله

لسارة هي أختي وما هي إلا معاريض كلام وتخييلات للكفرة وليست بخطايا يطلب لها الاستغفار فإن
قلت إذا لم يندر منه إلا الصغائر وهي تقع مكفرة فما باله أثبت لنفسه خطيئة أو خطايا وطمع
أن تغفر له قلت الجواب ما سبق لي أن الاستغفار من الأنبياء تواضع منهم لربهم وهضم لأنفسهم
ويدل عليه قوله أطمع ولم يجزم القول بالمغفرة وفيه تعليم لأممهم وليكون لطفا لهم في اجتناب المعاصي
والحذر منها وطلب المغفرة مما يفرط منهم فإن قلت لم علق مغفرة الخطيئة بيوم الدين وإنما تغفر في الدنيا
قلت لأن أثرها يتبين يومئذ وهو الآن خفي لا يعلم رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين
واجعل لي لسان صدق في الآخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم واغفر لأبي إنه كان
من الضالين ولا تخزني يوم يبعثون الحكم الحكمة أو الحكم بين الناس بالحق وقيل النبوة لأن
النبي ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله والإلحاق بالصالحين أن يوفقه لعمل ينتظم به في جملتهم أو يجمع بينه
وبينهم في الجنة ولقد أجابه حيث قال وإنه في الآخرة لمن الصالحين والخزي من الخزي وهو الهوان أو
من الخزاية وهي الحياء وهذا أيضا من نحو استغفارهم مما علموا أنه مغفور وفي يبعثون ضمير العباد
لأنه معلوم أو ضمير الضالين وأن يجعل من جملة الاستغفار لأبيه يعني ولا تخزني يوم يبعث الضالون وأبي
فيهم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم إلا حال من أتى الله بقلب سليم وهو من
قولهم تحية بينهم ضرب وجيع وما ثوابه إلا السيف وبيانه أن يقال لك هل لزيد مال وبنون
فتقول ماله وبنوه سلامة قلبه تريد نفي المال والبنين في معنى الغنى كأنه قيل يوم لا ينفع غنى إلا غنى من
أتى الله بقلب سليم لأن غنى الرجل في دينه بسلامة قلبه كما أن غناه في دنياه بماله وبنيه ولك أن تجعل الاستثناء
منقطعا ولا بد لك من تقدير المضاف وهو الحال والمراد بها سلامة القلب وليست هي من جنس المال
والبنين حتى يؤول المعنى إلى أن المال والبنون لا ينفعان وإنما ينفع سلامة القلب ولو لم تقدر المضاف
لم يتحصل للاستثناء معنى وقد جعل من مفعولا لينفع أي لا ينفع مال ولا بنون إلا رجلا سلم قلبه مع ماله
حيث أنفقه في طاعة الله ومع بنيه حيث أرشدهم إلى الدين وعلمهم الشرائع ويجوز على هذا إلا من
أتى الله بقلب سليم من فتنة المال والبنين ومعنى سلامة القلب سلامته من آفات الكفر والمعاصي ومما أكرم
الله به خليله ونبه على جلالة محله في الإخلاص أن حكى استثناءه هذا حكاية راض بإصابته فيه ثم جعله
صفة له في قوله وإن من شيعته لإبراهيم إذ جاء ربه بقلب سليم ومن بدع التفاسير تفسير بعضهم السليم
باللديغ من خشية الله وقول آخر هو الذي سلم وسلّم وأسلم وسالم واستسلم وما أحسن ما رتب إبراهيم
عليه الصلاة والسلام كلامه مع المشركين حين سألهم أولا عما يعبدون سؤال مقرر لا مستفهم
ثم أنحى على آلهتهم فأبطل أمرها بأنها لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع وعلى تقليدهم آباءهم الأقدمين
فكسره وأخرجه من أن يكون شبهة فضلا أن تكون حجة ثم صور المسألة في نفسه دونهم حتى
تخلص منها إلى ذكر الله تعالى فعظم شأنه وعدد نعمه من لدن خلقه وإنشائه إلى حين وفاته مع ما
يرتجى في الآخرة من رحمته ثم أتبع ذلك أن دعاه بدعوات المخلصين وابتهل إليه ابتهال الأوابين
ثم وصله بذكر يوم القيامة وثواب الله وعقابه وما يدفع إليه المشركون يومئذ من الندم والحسرة
على ما كانوا فيه من الضلال وتمني الكرة إلى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا وأزلفت الجنة للمتقين
وبرزت الجحيم للغاوين الجنة تكون قريبة من موقف السعداء ينظرون إليها ويغتبطون
بأنهم المحشورون إليها والنار تكون بارزة مكشوفة للأشقياء بمرأى منهم يتحسرون على أنهم
المسوقون إليها قال الله تعالى وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد وقال تعالى فلما رأوه زلفة سيئت وجوه
الذين كفروا وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون
جمع العموم كلها والحسرات فجعل النار بمرأى منهم فيهلكون غما في كل لحظة ويوبخون على إشراكهم
فقال لهم أين آلهتكم هل ينفعونكم هل ينصرونكم أو هل ينفعون أنفسهم بانتصارهم
لأنهم وآلهتهم وقود النار وهو قوله فكبكبوا فيها هم أي الآلهة والغاوون وعبدتهم الذين
برزت لهم الجحيم والكبكبة تكرير الكب جعل التكرير في اللفظ دليلا على التكرير في المعنى
كأنه إذا ألقي في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها اللهم أجرنا منها يا خير مستجار
وجنود إبليس أجمعون وجنود إبليس شياطينه أو متبعوه من عصاة الإنس والجن قالوا وهم
فيها يختصمون تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين يجوز أن

ان ينطق الله تعالى الاصنام حتى يصح التقاول والتخاصم ويجوز ان تجري ذلك بين العصاة والشياطين
وما اضلنا الا المجرمون والمراد بالمجرمين الذين اضلوهم رؤساؤهم وكبراؤهم كقوله ربنا
انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا وعن السدي الاولون الذين اقتدينا بهم وعن
ابن جريج ابليس وابن آدم القاتل لانه اول من سن القتل وانواع المعاصي فما لنا من شافعين
كما نرى المؤمنين لهم شفعاء من الملائكة والنبيين ولا صديق حميم كما نرى لهم اصدقاء لانه لا
يتصادق في الآخرة الا المؤمنون واما اهل النار فبينهم التعادي والتباغض قال الله تعالى الاخلاء
يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين او فما لنا من شافعين ولا صديق حميم من الذين كنا نعدهم شفعاء
واصدقاء لانهم كانوا يعتقدون في اصنامهم انهم شفعاؤهم عند الله وكان لهم الاصدقاء من شياطين
الانس او اراد انهم وقعوا في مهلكة علموا ان الشفعاء والاصدقاء لا ينفعون او لا يشفعون
فقصد بنفيهم نفي ما يتعلق بهم من النفع لان ما لا ينفع حكمه حكم المعدوم والحميم من الاحتمام
وهو الاهتمام وهو الذي يهمه ما يهمك او من الحامة بمعنى الخاصة وهو الصديق الخالص وانما
جمع الشافع ووحد الصديق لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق ولان الرجل
اذا امتحن بارهاق ظالم نهضت جماعة وافرة من اهل بلده لشفاعته رحمة له وحسبة وان لم يسبق له
باكثرهم معرفة واما الصديق وهو الصادق في ودادك الذي يهمه ما اهمك فاعز من بيض الانوق
وعن بعض الحكماء انه سئل عن الصديق فقال اسم لا معنى له ويجوز ان يريد بالصديق الجمع فلو ان
لنا كرة فنكون من المؤمنين ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك
لهو العزيز الرحيم الكرة الرجعة الى الدنيا ولو في مثل هذا الموضع في معنى التمني كأنه قيل
فليت لنا كرة وذلك لما بين معنى لو وليت من التلاقي في التقدير ويجوز ان يكون على اصلها ويحذف
الجواب وهو لفعلنا كيت وكيت كذبت قوم نوح المرسلين القوم مؤنثة ولذلك تصغر على قويمة
ونظيره قوله المرسلين والمراد نوح عليه الصلوة والسلام قولك فلان يركب الدواب ويلبس البرود وما
له الا دابة وبرد اذ قال لهم اخوهم نوح الا تتقون قيل اخوهم لانه كان منهم من قول العرب
يا اخا بني تميم يريدون يا واحدا منهم ومنه بيت الحماسة

لا يسألون اخاهم حين يندبهم ۝ في النائبات على ما قال برهانا ۝

اني لكم رسول امين ۝ كان امينا فيهم مشهورا بالامانة كمحمد صلى الله عليه وسلم في قريش
فاتقوا الله واطيعون ۝ في نصحي لكم وفيما ادعوكم اليه من الحق وما اسألكم عليه من اجر
ان اجري الا على رب العالمين ۝ عليه على هذا الامر وعلى ما انا فيه (واتقوا الله واطيعون)
فاتقوا الله في طاعتي وكرره ليؤكد عليهم ويقرره في نفوسهم مع تعليق كل واحد منهما
بعلة جعل علة الاول كونه امينا فيما بينهم وفي الثاني حسم طمعه عنهم قالوا انؤمن لك واتبعك
الارذلون ۝ وقرئ واتباعك الارذلون جمع تابع كشاهد واشهاد او تبع كبطل وابطال
والواو للحال وحقها ان تضمر بعدها قد في واتبعك وقد جمع الارذل على الصحة وعلى التكسير في
قوله الذين هم اراذلنا والرذالة والرذالة الخسة والدناءة وانما استرذلوهم لاتضاع نسبهم
وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من اهل الصناعات الدنية كالحياكة والحجامة والصناعة
لا تزري بالديانة وهكذا كانت قريش تقول في اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما زال
اتباع الانبياء كذلك حتى صارت من سماتهم وامارتهم الا ترى الى هرقل حين سأل ابا سفيان عن
اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قال ضعفاء الناس واراذلهم قال ما زالت اتباع الانبياء كذلك
وعن ابن عباس هم الغاغة وعن عكرمة الحاكة والاساكفة وعن مقاتل السفلة قال وما علمي
بما كانوا يعملون ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون ۝ وما علمي واي شيء علمي والمراد انتفاء
علمه باخلاص اعمالهم لله واطلاعه على سر امرهم وباطنه وانما قال هذا لانهم قد طعنوا مع استرذالهم
في ايمانهم وانهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة وانما آمنوا هوى وبديهة كما حكى الله عنهم في قوله
الذين هم اراذلنا بادي الراي ويجوز ان يتغابى لهم نوح عليه الصلوة والسلام فيفسر قولهم الارذلون
بما هو الرذالة عنده من سوء الاعمال وفساد العقائد ولا يلتفت الى ما هو الرذالة عندهم ثم يبني جوابه
على ذلك فيقول ما علي الا اعتبار الظواهر دون التفتيش عن اسرارهم والشق عن قلوبهم وان كان لهم

عمل سيء

عمل سيء فالله تعالى محاسبهم ومجازيهم عليه وما انا الا منذر لا محاسب ولا مجاز لو تشعرون
ذلك ولكنكم تجهلون فتساقون مع الجهل حيث سيركم وقصد بذلك رد اعتقادهم وانكار
ان يسمى المؤمن رذلا وان كان افقر الناس واوضعهم نسبا فان الغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى
وما انا بطارد المؤمنين ۝ ان انا الا نذير مبين ۝ يريد ليس من شأني ان اتبع شهواتكم واطيب نفوسكم
بطرد المؤمنين لاجل ايمانهم طمعا في ايمانكم وما علي الا انذاركم انذارا بينا بالبرهان الصحيح الذي
يتميز به الحق من الباطل ثم انتم اعلم بشأنكم قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين ۝ قال
رب ان قومي كذبون ۝ ليس هذا اخبارا بالتكذيب لعلمه ان عالم الغيب والشهادة اعلم ولكنه اراد
اني لا ادعوك عليهم لما غاظوني واذوني وانما ادعوك لاجلك ولاجل دينك ولانهم كذبوني في وحيك ورسالتك
فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المؤمنين ۝ فاحكم بيني وبينهم والفتاحة الحكومة
والفتاح الحاكم لانه يفتح المستغلق كما سمي فيصلا لانه يفصل بين الخصومات فانجيناه ومن
معه في الفلك المشحون ۝ ثم اغرقنا بعد الباقين ۝ ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين
وان ربك لهو العزيز الرحيم ۝ الفلك السفينة وجمعه فلك قال الله تعالى وترى الفلك فيه مواخر
فالواحد بوزن قفل والجمع بوزن اسد كسروا فعلا على فعل لما كسروا افعلا على فعل لانهما
اخوان في قولك العرب والعرب والرشد والرشد فقالوا اسد واسد وفلك وفلك ونظيره
بعير هجان وابل هجان ودرع دلاص ودروع دلاص فالواحد بوزن كناز والجمع بوزن
كرام والمشحون المملوء يقال شحنها عليهم خيلا ورجالا كذبت عاد المرسلين ۝ اذ قال لهم اخوهم
هود الا تتقون ۝ اني لكم رسول امين ۝ فاتقوا الله واطيعون ۝ وما اسألكم عليه من
اجر ان اجري الا على رب العالمين ۝ اتبنون بكل ريع آية تعبثون ۝ وقرئ بكل ريع بالكسر
والفتح وهو المكان المرتفع قال المسيب بن علس يصف الظعن

في الآل يرفعها ويخفضها ۝ ريع يلوح كأنه سحل ۝

ومنه قولهم كم ريع ارضك وهو ارتفاعها والآية العلم وكانوا ممن يهتدون بالنجوم
في اسفارهم فاتخذوا في طرقهم اعلاما طوالا فعبثوا بذلك لانهم كانوا مستغنين عنها بالنجوم
وعن مجاهد بنوا بكل ريع بروج الحمام وتتخذون مصانع مآخذ الماء وقيل القصور
المشيدة والحصون لعلكم تخلدون ۝ ترجون الخلود في الدنيا او تشبه حالكم حال من يخلد وفي حرف ابي
كأنكم وقرئ تخلدون بضم التاء مخففا ومشددا واذا بطشتم بسوط او عود بطشتم جبارين ۝ فاتقوا الله واطيعون
كان ذلك ظلما وعلوا وقيل الجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب وعن الحسن تبادرون تعجيل العذاب لا تتثبتون
متفكرين في العواقب واتقوا الذي امدكم بما تعلمون امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون اني اخاف عليكم عذاب
يوم عظيم بالغ في تنبيههم على نعم الله حيث اجملها ثم فصلها مستشهدا بعلمهم وذلك انه ايقظهم عن سنة
غفلتهم عنها حين قال امدكم بما تعلمون ثم عددها عليهم وعرفهم المنعم بتعديد ما يعلمون من نعمته
وانه كما قدر ان يتفضل عليهم بهذه النعم فهو قادر على الثواب والعقاب فاتقوه ونحوه قوله تعالى ويحذركم
الله نفسه والله رؤوف بالعباد فان قلت كيف قرن البنين بالانعام قلت هم الذين يعينونهم على
حفظها والقيام عليها قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين ۝ فان قلت لو قيل اوعظت ام لم تعظ كان
اخصر والمعنى واحد قلت ليس المعنى بواحد وبينهما فرق لان المراد سواء علينا افعلت هذا الفعل
الذي هو الوعظ ام لم تكن اصلا من اهله ومباشرته فهو ابلغ في قلة اعتدادهم بوعظه من قولك ام لم تعظ
ان هذا الا خلق الاولين ۝ وما نحن بمعذبين ۝ فكذبوه فاهلكناهم ان في ذلك لآية وما
كان اكثرهم مؤمنين ۝ وان ربك لهو العزيز الرحيم ۝ من قرأ خلق الاولين بالفتح فمعناه
ان ما جئت به اختلاق الاولين وتخرصهم كما قالوا اساطير الاولين وما خلقنا هذا الا خلق القرون الخالية
نحيى كما حيوا ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا حساب ومن قرأ خلق بضمتين وبواحدة فمعناه ما هذا
الذي نحن عليه من الدين الا خلق الاولين وعادتهم كانوا يدينونه ويعتقدونه ونحن بهم مقتدون
او ما هذا الذي نحن عليه من الحيوة والموت الا عادة لم يزل عليها الناس في قديم الدهر او ما هذا الذي
جئت به من الكذب الا عادة الاولين كانوا يلفقون مثله ويسطرونه كذبت ثمود المرسلين ۝
اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون ۝ اني لكم رسول امين ۝ فاتقوا الله واطيعون ۝

وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين ❁ يجوز أن تكون انكارا لان يتركوا مخلدين في نعيمهم لا يزالون عنه وان تكون تذكيرا بالنعمة في تخلية الله اياهم وما يتنعمون به من الجنات وغير ذلك مع الامن والدعة فيما ها هنا آمنين ❁ في الذي استقر في هذا المكان من النعيم ثم فسره بقوله في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم ❁ وهذا ايضا اجمال ثم تفصيل فان قلت لم قال ونخل بعد قوله في جنات والجنة تتناول النخل اول شيء كما يتناول النعم الابل كذلك من بين الازواج حتى انهم ليذكرون الجنة ولا يقصدون الا النخيل كما يذكرون النعم ولا يريدون الا الابل قال زهير تسقي جنة سحقا ❁ قلت فيه وجهان ان يخص النخل بافراده بعد دخوله في جملة سائر الشجر تنبيها على انفراده عنها بفضله عليها وان يريد بالجنات غيرها من الشجر لان اللفظ يصلح لذلك ثم يعطف عليها النخل الطلعة هي التي تطلع من النخلة كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو والقنو اسم للخارج من الجذع كما هو بعرجونه وشماريخه والهضيم اللطيف الضامر من قولهم كشح هضيم وطلع اناث النخل فيه لطف وفي طلع الفحاحيل جفاء وكذلك طلع البرني الطف من طلع اللون فذكرهم نعمة الله تعالى في ان وهب لهم اجود النخل وانفعه لان الاناث ولادة التمر والبرني اجود التمر واطيبه ويجوز ان يريد ان نخيلهم اصابت اجود المنابت وسعة الماء وسلمت من العاهات فحملت الحمل الكثير واذا كثر الحمل هضم واذا قل جاء فاخرا وقيل الهضيم اللين النضيج كانه قال ونخل قد ارطب ثمره وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين ❁ وقرئ فرهين من الحسن وتنحتون بفتح الحاء وقرئ فرهين وفارهين والفراهة الكيس والنشاط ومنه خيل فرهة فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين ❁ الذين يفسدون في الأرض استعير لامتثال الامر وارتسامه طاعة الامر المطاع او جعل الامر مطاعا على المجاز الحكمي والمراد الآمر ومنه قولهم لك علي امرة مطاعة وقوله تعالى واطيعوا امري فان قلت ما فائدة قوله ولا يصلحون ❁ قلت فائدته ان فسادهم فساد مصمت ليس معه شيء من الصلاح كما تكون حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح قالوا إنما أنت من المسحرين ❁ ما أنت إلا بشر مثلنا فأت بآية إن كنت من الصادقين ❁ المسحر الذي سحر كثيرا حتى غلب على عقله وقيل هو من السحر الرئة وانه بشر قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ❁ الشرب النصيب من الماء نحو السقي والقيت للحظ من السقي والقوت وقرئ بالضم روي انهم قالوا نريد ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة فتلد سقبا فقعد صالح يتفكر فقال له جبريل عليه الصلاة والسلام صل ركعتين وسل ربك الناقة فخرجت الناقة وبركت بين ايديهم ونتجت سقبا مثلها في العظم وعن ابي موسى رأيت مصدرها فاذا هو ستون ذراعا وعن قتادة اذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله ولهم شرب يوم لا تشرب فيه الماء ولا تمسوها بسوء بضرب او عقر او غير ذلك فيأخذكم عذاب يوم عظيم ❁ عظم ذلك اليوم لحلول العذاب فيه ووصف اليوم به ابلغ من وصف العذاب لان الوقت اذا عظم بسببه كان موقعه من العظم اشد فعقروها فأصبحوا نادمين ❁ فأخذهم العذاب إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ❁ وإن ربك لهو العزيز الرحيم ❁ روي ان مسطعا الجأها الى مضيق في شعب فرماها بسهم فاصاب رجلها فسقطت ثم ضربها قدار وروي ان عاقرها قال لا اعقرها حتى ترضوا اجمعين فكانوا يدخلون على المرأة في خدرها فيقولون اترضين فتقول نعم وكذلك صبيانهم فان قلت لم اخذهم العذاب وقد ندموا قلت لم يكن ندمهم ندم تائبين ولكن ندم خائفين ان يعاقبوا على العقر عقابا عاجلا كمن يرى في بعض الامور رأيا فاسدا ويبني عليه ثم يندم ويتحسر كندامة الكسعي او ندموا ندم تائبين ولكن في غير وقت التوبة وذلك عند معاينة العذاب وقال عز وجل وليست التوبة للذين يعملون السيئات الآية وقيل كانت ندامتهم على ترك الولد وهو بعيد واللام في العذاب اشارة الى عذاب يوم عظيم كذبت قوم لوط المرسلين ❁ إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون ❁ إني لكم رسول أمين ❁ فاتقوا الله وأطيعون ❁ وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين ❁ أتأتون الذكران من العالمين ❁ اراد بالعالمين الناس اي أتأتون من بين اولاد آدم على فرط كثرتهم وتفاوت اجناسهم وغلبة اناثهم على ذكورهم في الكثرة ذكرانهم كأن الاناث قد اعوزتكم او أتأتون انتم من بين من عداكم من العالمين

الذكران

الذكران يعني انكم قوم لوط وحدكم مختصون بهذه الفاحشة والعالمون على هذا القول كل ما ينكح من الحيوان وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم ❁ من ازواجكم يصلح ان تكون تبيينا لما خلق وان تكون للتبعيض ويراد بما خلق العضو المباح وفي قراءة ابن مسعود ما اصلح لكم ربكم من ازواجكم وكأنهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم بل أنتم قوم عادون ❁ العادي المتعدي في ظلمه المتجاوز فيه الحد ومعناه أترتكبون هذه المعصية على عظمها بل انتم قوم عادون في جميع المعاصي فهذا من جملة ذاك او بل انتم قوم احقاء بان توصفوا بالعدوان حيث ارتكبتم مثل هذه العظيمة قالوا لئن لم تنته يا لوط عن نهينا وتقبيح امرنا لتكونن من المخرجين ❁ من جملة من اخرجناه من بين اظهرنا وطردناه من بلدنا ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه على اسوء حال من تعنيف به واحتباس لاملاكه وكما تكون حال الظلمة اذا اجلوا بعض من يغضبون عليه وكما كان يفعل اهل مكة بمن يريد المهاجرة قال إني لعملكم من القالين ❁ ابلغ من ان يقول اني لعملكم قال كما تقول فلان من العلماء فيكون ابلغ من قولك فلان عالم لانك تشهد له بكونه معدودا في زمرتهم ومعروفة مساهمته لهم في العلم ويجوز ان يريد من الكاملين في قلاكم والقلى البغض الشديد كانه بغض يتقلى له الفؤاد والكبد وفي هذا دليل على عظم المعصية والمراد القلى من حيث الدين والتقوى وقد يقوى همة الدين في دين الله حتى تغلب كراهته للمعاصي من الكراهة الجبلية رب نجني وأهلي مما يعملون ❁ فنجيناه وأهله أجمعين ❁ إلا عجوزا في الغابرين ❁ ثم دمرنا الآخرين ❁ وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين ❁ إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ❁ وإن ربك لهو العزيز الرحيم ❁ مما يعملون من عقوبة عملهم وهو الظاهر ويحتمل ان يريد بالتنجية العصمة فان قلت فما معنى قوله فنجيناه واهله اجمعين الا عجوزا قلت معناه انه عصمه واهله من ذلك الا العجوز فانها كانت غير معصومة منه لكونها راضية به ومعينة عليه ومحرشة والراضي بالمعصية في حكم العاصي فان قلت كان اهله مؤمنين ولولا ذلك لما طلب لهم النجاة فكيف استثنيت الكافرة منهم قلت الاستثناء انما وقع من الاهل وفي هذا الاسم لها معهم شركة ولم يكن الغبور صفتها وقت تنجيتهم قلت معناه الا عجوزا مقدرا غبورها ومعنى الغابرين في العذاب والهلاك غير الناجين قيل انها هلكت مع من خرج من القرية بما امطر من الحجارة والمراد بتدميرهم الائتفاك بهم واما الامطار فعن قتادة امطر الله على شذاذ القوم حجارة من السماء فاهلكتهم وعن ابن زيد لم يرض بالائتفاك حتى اتبعه مطرا من حجارة وفاعل ساء مطر المنذرين ولم يرد بالمنذرين قوما باعيانهم انما هو للجنس والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم كذب أصحاب الأيكة المرسلين ❁ إذ قال لهم شعيب ألا تتقون ❁ إني لكم رسول أمين ❁ فاتقوا الله وأطيعون ❁ وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين ❁ قرئ اصحاب الايكة بالهمزة وبتخفيفها وبالجر على الاضافة وهو الوجه ومن قرأ بالنصب وزعم ان ليكة بوزن ليلة اسم بلد فتوهم قاد اليه خط المصحف حيث وجدت مكتوبة في هذه السورة وفي سورة ص بغير الف وفي المصحف اشياء كتبت على خلاف قياس الخط المصطلح عليه وانما كتبت في هاتين السورتين على حكم لفظ اللافظ كما يكتب اصحاب النحو لان ولولى على هذه الصورة لبيان لفظ المخفف وقد كتبت في سائر القرآن على الاصل والقصة واحدة على ان ليكة اسم لا يعرف وروي ان اصحاب الايكة كانوا اصحاب شجر ملتف وكان شجرهم الدوم فان قلت هلا قيل اخوهم شعيب كما في سائر المواضع قلت قالوا ان شعيبا لم يكن من اصحاب الايكة وفي الحديث ان شعيبا اخا مدين ارسل اليهم والى اهل الايكة أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين ❁ الكيل ثلاثة اضرب واف وطفيف وزائد فامر بالواجب الذي هو الايفاء ونهى عن المحرم الذي هو التطفيف ولم يذكر الزائد وكان تركه عن الامر والنهي دليلا على انه ان فعله فقد احسن وان لم يفعله فلا عليه وزنوا بالقسطاس المستقيم ❁ قرئ بالقسطاس مضموما ومكسورا وهو الميزان وقيل القرسطون فان كان من القسط وهو العدل وجعلت العين مكررة فوزنه فعلاس والا فهو رباعي وقيل هو بالرومية العدل ولا تبخسوا الناس أشياءهم يقال بخسته حقه اذا نقصته اياه ومنه قيل للمكس البخس وهو عام في كل حق ثبت لاحد ان لا يهضم وفي كل ملك ان لا يغصب عليه مالكه ولا يتحيف منه ولا يتصرف فيه الا باذنه تصرفا شرعيا ولا تعثوا في الأرض مفسدين ❁ يقال عثا في الارض وعثي وعاث

وذلك نحو قطع الطريق والغارة واهلاك الزروع وكانوا يفعلون ذلك مع توليهم انواع الفساد
فنهوا عن ذلك واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين وقرئ الجبلة الاولين بوزن الابلة
والجبلة بوزن الخلقة ومعناهن واحد اي ذوي الجبلة وهو كقولك والخلق الاولين قالوا
إنما أنت من المسحرين وما أنت إلا بشر مثلنا فان قلت هل اختلف المعنى بادخال الواو هنا
وتركها في قصة ثمود قلت اذا دخلت الواو فقد قصد معنيان كلاهما مناف للرسالة عندهم
التسحير والبشرية وان الرسول لا يجوز ان يكون مسحرا ولا يجوز ان يكون بشرا واذا تركت
الواو فلم يقصد الا معنى واحد وهو كونه مسحرا ثم قرر بكونه بشرا مثلهم وإن نظنك
لمن الكاذبين فان قلت ان المخففة من الثقيلة ولامها كيف تفرقتا على فعل الظن
وثاني مفعوليه قلت اصلهما ان يتفرقا على المبتدا والخبر كقولك ان زيدا لمنطلق فلما كان
البابان اعني باب كان وباب ظننت من جنس باب المبتدا والخبر فعل ذلك في البابين فقيل ان كان
زيد لمنطلقا وان ظننته لمنطلقا فأسقط علينا كسفا من السماء إن كنت من الصادقين وقرئ
كسفا بالسكون والحركة وكلاهما جمع كسفة نحو قطع وسدر وقيل الكسف والكسفة
كالريع والريعة وهي القطعة وكسفه قطعه والسماء السحاب او المظلة وما كان
طلبهم ذلك الا لتصميمهم على الجحود والتكذيب ولو كان فيهم ادنى ميل الى التصديق لما اخطروه
ببالهم فضلا ان يطلبوه والمعنى ان كنت صادقا انك نبي فادع الله ان يسقط علينا كسفا
من السماء قال ربي أعلم بما تعملون يريد ان الله اعلم باعمالكم وبما تستوجبون عليها من العقاب
فان اراد ان يعاقبكم باسقاط كسف من السماء فعل وان اراد عقابا باخر فاليه الحكم
والمشية فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم إن في ذلك
لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم فاخذهم الله بنحو ما
اقترحوا من عذاب الظلة ان ارادوا بالسماء السحاب وان ارادوا المظلة فقد خالف بهم عن
مقترحهم يروى انه حبس عنهم الريح سبعا وسلط عليهم الومد واخذ بانفاسهم لا ينفعهم
ظل ولا ماء ولا شرب فاضطروا الى ان خرجوا الى البرية فاظلتهم سحابة وجدوا لها بردا
ونسيما فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا وروي ان شعيبا صلى الله عليه وسلم
بعث الى امتين اصحاب مدين واصحاب الايكة فاهلكت مدين بصيحة جبريل واصحاب الايكة
بعذاب يوم الظلة فان قلت كيف كرر في هذه السورة في اول كل قصة وآخرها ما كرر
قلت كل قصة منها كتنزيل برأسه وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها فكانت كل واحدة
منها تدلي بحق في ان تفتتح بما افتتحت به صاحبتها وان تختتم بما اختتمت به ولان في التكرير
تقريرا للمعاني في الانفس وتثبيتا لها في الصدور الا ترى انه لا طريق الى تحفظ العلوم الا ترديد
ما يراد تحفظه منها وكلما زاد ترديده كان امكن له في القلب وارسخ في الفهم واثبت
للذكر وابعد من النسيان ولان هذه القصص طرقت بها آذان وقر عن الانصات للحق وقلوب
غلف عن تدبره فكوثرت بالوعظ والتذكير وروجعت بالترديد والتكرير لعل ذلك
يفتح أذنا او يفتق ذهنا او يصقل عقلا طال عهده بالصقل او يجلو فهما قد غطى عليه تراكم
الصدأ وإنه وان هذا التنزيل يعني ما نزل من هذه القصص والآيات لتنزيل رب العالمين
والمراد بالتنزيل المنزل والباء في نزل به الروح الأمين ونزل به الروح على القراءتين للتعدية
ومعنى نزل به الروح جعل الله الروح نازلا به على قلبك لتكون من المنذرين اي حفظكه
وفهمك اياه واثبته في قلبك اثبات ما لا ينسى كقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى بلسان عربي مبين
اما ان يتعلق بالمنذرين فيكون المعنى لتكون من الذين انذروا بهذا اللسان وهم خمسة هود وصالح
وشعيب واسمعيل ومحمد عليهم الصلوة والسلام واما ان يتعلق بنزل فيكون المعنى نزله باللسان
العربي لتنذر به لانه لو نزله باللسان الاعجمي لتجافوا عنه اصلا ولقالوا ما نصنع بما لا نفهمه فيتعذر
الانذار به وفي هذا الوجه ان تنزيله بالعربية التي هي لسانك ولسان قومك تنزيل له على قلبك
لانك تفهمه وتفهمه قومك ولو كان اعجميا لكان نازلا على سمعك دون قلبك لانك تسمع اجراس
حروف لا تفهم معانيها ولا تعيها وقد يكون الرجل عارفا بعدة لغات فاذا كلم بلغته التي

الومد الحر الشديد

لقنها

لقنها اولا ونشا عليها وتطبع بها لم يكن قلبه الا الى معاني الكلام يتلقاها بقلبه ولا يكاد يفطن للالفاظ كيف
جرت وان كلم بغير تلك اللغة وان كان ماهرا بمعرفتها كان نظره اولا في الفاظها ثم في معانيها
فهذا تقرير انه نزل على قلبه لنزوله بلسان عربي مبين وإنه لفي زبر الأولين وان القرآن
يعني ذكره مثبت في سائر الكتب السماوية وقيل ان معانيه فيها وبه يحتج لابي حنيفة رحمه الله في
جواز القراءة بالفارسية في الصلوة على ان القرآن قرآن اذا ترجم بغير العربية حيث قيل وانه لفي زبر
الاولين لكون معانيه فيها وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك في ان يعلمه وليس
بواضح أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل وقرئ يكن بالتذكير وآية بالنصب
على انها خبره وان يعلمه هو الاسم وقرئ تكن بالتانيث وجعلت آية اسما وان يعلمه خبرا وليست
كالاولى لوقوع النكرة اسما والمعرفة خبرا وقد خرج لها وجه آخر ليتخلص من ذلك
فقيل في تكن ضمير القصة وآية ان يعلمه جملة واقعة موقع الخبر ويجوز على هذا ان يكون لهم
آية هي جملة الشان وان يعلمه بدلا عن آية ويجوز مع نصب الآية تانيث تكن كقوله ثم لم تكن
فتنتهم الا ان قالوا ومنه بيت لبيد

فمضى وقدمها وكانت عادة ، منه اذا هي عردت اقدامها

وقرئ تعلمه بالتاء وعلماء بني اسرائيل عبد الله بن سلام وغيره قال الله تعالى واذا يتلى عليهم قالوا
آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين فان قلت كيف خط في المصحف علمؤا
بواو قبل الالف قلت خط على لغة من يميل الالف الى الواو وعلى هذه اللغة كتبت الصلوة والزكوة
والربوا ولو نزلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين الاعجم الذي
لا يفصح وفي لسانه عجمة واستعجام والاعجمي مثله الا ان فيه لزيادة ياء النسبة زيادة تاكيد
وقرأ الحسن الاعجميين ولما كان من يتكلم بلسان غير لسانهم لا يفقهون كلامه قالوا له اعجم
واعجمي شبهوه بمن لا يفصح ولا يبين وقالوا لكل ذي صوت من البهائم والطيور وغيرها عجمي
قال حميد

فلم ار مثلي شاقه صوت مثلها ، ولا عربيا شاقه صوت اعجما

كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم فيأتيهم
بغتة وهم لا يشعرون سلكناه ادخلناه ومكناه والمعنى انا انزلنا هذا القرآن على
رجل عربي بلسان عربي مبين فسمعوا به وفهموه وعرفوا فصاحته وانه معجز لا يعارض بكلام
مثله وانضم الى ذلك اتفاق علماء اهل الكتب المنزلة قبله على البشارة بانزاله وتحلية المنزل
عليه وصفته في كتبهم وقد تضمنت معانيه وقصصه وصح بذلك انها من عند الله وليست
باساطير كما زعموا فلم يؤمنوا به وجحدوه وسموه شعرا تارة وسحرا اخرى وقالوا هو من
تلفيق محمد وافترائه ولو نزلناه على بعض الاعاجم الذي لا يحسن العربية فضلا ان
يقدر على نظم مثله فقرأه عليهم هكذا فصيحا معجزا متحدى به لكفروا به كما كفروا ولتمحلوا لجحودهم
عذرا ولسموه سحرا ثم قال كذلك سلكناه اي مثل هذا السلك سلكناه في قلوبهم وهكذا مكناه
وقررناه فيها وعلى مثل هذه الحال وهذه الصفة من الكفر به والتكذيب له وضعناه فيها فكيف
ما فعل بهم وصنع على اي وجه دبر امرهم فلا سبيل الى ان يتغيروا عما هم عليه من جحوده وانكاره
كما قال ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر
مبين فان قلت كيف اسند السلك بصفة التكذيب الى ذاته قلت اراد به الدلالة
على تمكنه مكذبا في قلوبهم اشد التمكن واثبته فجعله بمنزلة امر قد جبلوا عليه وفطروا الا ترى
الى قولهم هو مجبول على الشح يريدون تمكن الشح فيه لان الامور الخلقية اثبت من العارضة
والدليل عليه انه اسند ترك الايمان به اليهم على عقبه وهو قوله لا يؤمنون فان قلت ما موقع لا يؤمنون
من قوله سلكناه في قلوب المجرمين قلت موقعه منه موقع الموضح والملخص لانه مسوق
لثباته مكذبا مجحودا في قلوبهم فاتبع ما يقرر هذا المعنى من انهم لا يزالون على التكذيب به
وجحوده حتى يعاينوا الوعيد ويجوز ان يكون حالا اي سلكناه فيها غير مؤمن به وقرأ الحسن
فتأتيهم بالتاء يعني الساعة وبغتة بالحركة وفي حرف ابي ويروه بغتة فيقولوا هل نحن
منظرون فان قلت ما معنى التعقيب في قوله فياتيهم بغتة فيقولوا قلت ليس المعنى ترادف

رؤية العذاب ومفاجاته وسؤال النظرة فيه في الوجود وانما المعنى ترتيبها في الشدة كانه قيل لا يؤمنون
بالقرآن حتى تكون رؤيتهم للعذاب فما هو اشد منها وهو لحوقه بهم مفاجاة فما هو اشد منه وهو
سؤالهم النظرة ومثال ذلك ان تقول لمن تعظه ان اسأت مقتك الصالحون فمقتك الله فانك
لا تقصد بهذا الترتيب ان مقت الله يوجد عقيب مقت الصالحين وانما قصدك الى ترتيب شدة الامر
على المسيء وانه يحصل له بسبب الاساءة مقت الصالحين فما هو اشد من مقتهم وهو مقت الله وترى
ثم يقع هذا الاسلوب فيحل موقعه **أفبعذابنا يستعجلون ۝ أفرأيت إن متعناهم سنين ۝**
ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ۝ ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون ۝ أفبعذابنا يستعجلون تبكيت
لهم بانكار وتهكم ومعناه كيف يستعجل العذاب من هو معرض لعذاب الله يسأل فيه من جنس ما هو
فيه اليوم من النظرة والامهال طرفة عين فلا يجاب اليها ويحتمل ان يكون هذا حكاية توبيخ يوبخون
عند استنظارهم يومئذ ويستعجلون على هذا الوجه حكاية حال ماضية ووجه آخر متصل
بما بعده وذلك ان استعجالهم بالعذاب انما كان لاعتقادهم انه غير كائن ولا لاحق بهم وانهم
ممتعون باعمار طوال في سلامة وامن فقال عز وجل افبعذابنا يستعجلون اشرا وبطرا واستهزاء
واتكالا على الامل الطويل ثم قال هب ان الامر كما يعتقدون من تمتيعهم حسب ما مضى من طول
اعمارهم وطيب معايشهم وعن ميمون بن مهران انه لقي الحسن في الطواف وكان يتمنى لقاءه فقال له
عظني فلم يزده على تلاوة هذه الآية فقال ميمون لقد وعظت فابلغت وقرئ يمتعون بالتخفيف **وما أهلكنا**
من قرية إلا لها منذرون ۝ ذكرى وما كنا ظالمين ۝ منذرون رسل ينذرونهم ذكرى
منصوبة بمعنى تذكرة اما لان انذر وذكر متقاربان فكانه قيل مذكرون تذكرة واما لانها حال
من الضمير في منذرون اي ينذرونهم ذوي تذكرة واما لانه مفعول له على معنى انهم ينذرون
لاجل الموعظة والتذكرة او مرفوعة على انها خبر مبتدأ محذوف بمعنى هذه ذكرى والجملة
اعتراضية او صفة بمعنى منذرون ذوو ذكرى وجعلوا ذكرى لامعانهم في التذكرة
واطنابهم فيها ووجه آخر وهو ان تكون ذكرى متعلقة باهلكنا مفعولا له والمعنى وما اهلكنا
من اهل قرية ظالمين الا بعد ما الزمناهم الحجة بارسال المنذرين اليهم ليكون اهلاكهم تذكرة
وعبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل عصيانهم وما كنا ظالمين فنهلك قوما غير ظالمين وهذا الوجه
عليه المعول فان قلت كيف عزلت الواو عن الجملة بعد الا ولم تعزل عنها في قوله وما اهلكنا من قرية
الا ولها كتاب معلوم قلت الاصل عزل الواو لان الجملة صفة لقرية واذا زيدت فلتأكيد وصل
الصفة بالموصوف كما في قوله سبعة وثامنهم كلبهم **وما تنزلت به الشياطين ۝ وما ينبغي لهم**
وما يستطيعون ۝ إنهم عن السمع لمعزولون ۝ كانوا يقولون ان محمدا كاهن وما يتنزل عليه من
جنس ما يتنزل به الشياطين على الكهنة فكذبوا بان ذلك مما لا يتسهل للشياطين ولا يقدرون
عليه لانهم مرجومون بالشهب معزولون عن استماع كلام اهل السماء وقرأ الحسن الشياطون
ووجهه انه رأى آخره كآخر يبرين وفلسطين فتخير بين ان يجري الاعراب على النون
وبين ان يقول هذه يبرون ويبرين وفلسطون وفلسطين وحقه ان تشتقه من الشيطوطة
وهي الهلاك كما قيل له الباطل وعن الفراء غلط الشيخ في قراءته الشياطون ظن انها النون التي
على هجاءين فقال النضر بن شميل ان جاز ان يحتج بقول العجاج ورؤبة فهلا جاز ان يحتج بقول
الحسن وصاحبه يريد محمد بن السميقع مع انا نعلم انهما لم يقرآ به الا وقد سمعا فيه **فلا تدع**
مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين ۝ قد علم ان ذلك لا يكون ولكنه اراد ان يحرك منه
لازدياد الاخلاص والتقوى وفيه لطف لسائر المكلفين كما قال ولو تقول علينا بعض الاقاويل فان كنت
في شك مما انزلنا اليك **وأنذر عشيرتك الأقربين ۝** فيه وجهان احدهما ان يؤمر بانذار الاقرب
فالاقرب من قومه ويبدأ في ذلك بمن هو اولى بالبداءة ثم الذي يليه وان يقدم انذارهم على انذار غيرهم كما روي
عنه عليه الصلوة والسلام انه لما دخل مكة قال كل ربا في الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين
واول ما اضعه ربا العباس والثاني ان يؤمر بان لا ياخذه ما ياخذ القريب للقريب من العطف والرأفة
ولا يحابيهم في الانذار والتخويف وروي انه صعد الصفا لما نزلت فنادى الاقرب فالاقرب
فخذا فخذا وقال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف يا عباس عم النبي يا صفية عمة رسول الله

اني لا املك لكم من الله شيئا سلوني من مالي ما شئتم وروي انه عليه الصلوة والسلام جمع بني عبد المطلب
وهم يومئذ اربعون رجلا الرجل منهم ياكل الجذعة ويشرب العس على رجل شاة وقعب من
لبن فاكلوا وشربوا حتى صدروا ثم انذرهم فقال يا بني عبد المطلب لو اخبرتكم ان بسفح هذا
الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد وروي انه قال
يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف افتدوا انفسكم من النار فاني لا اغني عنكم شيئا
ثم قال يا عائشة بنت ابي بكر ويا حفصة بنت عمر ويا فاطمة بنت محمد ويا صفية عمة محمد اشترين انفسكن
من النار فاني لا اغني عنكن شيئا **واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ۝** الطائر اذا اراد
ان ينحط للوقوع كسر جناحه وخفضه واذا اراد ان ينهض للطيران رفع جناحه فجعل خفض جناحه
عند الانحطاط مثلا في التواضع ولين الجانب ومنه قول بعضهم ۝
۝ وانت الشهير بخفض الجناح ۝ فلا تك في رفعه اجدلا ۝
ينهاه عن التكبر بعد التواضع فان قلت المتبعون للرسول هم المؤمنون والمؤمنون هم المتبعون
للرسول فما معنى قوله لمن اتبعك من المؤمنين قلت فيه وجهان ان يسميهم قبل الدخول في الايمان
مؤمنين لمشارفتهم ذلك وان يريد بالمؤمنين المصدقين بألسنتهم وهم صنفان صنف صدق واتبع
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به وصنف ما وجد منه الا التصديق فحسب ثم اما ان
يكونوا منافقين او فاسقين والمنافق والفاسق لا يخفض لهما الجناح والمعنى من المؤمنين من عشيرتك
وغيرهم يعني انذر قومك فان اتبعوك واطاعوك فاخفض لهم جناحك **فإن عصوك فقل إني بريء مما**
تعملون ۝ وتوكل على العزيز الرحيم ۝ الذي يراك حين تقوم ۝ وتقلبك في الساجدين
إنه هو السميع العليم ۝ وان عصوك ولم يتبعوك فتبرأ منهم ومن اعمالهم من الشرك بالله وغيره
وتوكل على الله يكفيك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم والتوكل تفويض الرجل امره الى من يملك
امره ويقدر على نفعه وضره وقالوا المتوكل من ان دهمه امر لم يحاول دفعه عن
نفسه بما هو معصية لله فعلى هذا اذا وقع الانسان في محنة ثم سأل غيره خلاصه لم يخرج
من حد التوكل لانه لم يحاول دفع ما نزل به عن نفسه بمعصية الله وفي مصاحف اهل الشام
فتوكل وبه قرأ نافع وابن عامر وله محملان في العطف ان يعطف على فقل او فلا تدع على العزيز
الرحيم على الذي يقهر اعداءك بعزته وينصرك عليهم برحمته ثم اتبع كونه رحيما على رسوله
ما هو من اسباب الرحمة وهو ذكر ما كان يفعله في جوف الليل من قيامه للتهجد وتقلبه
في تصفح احوال المتهجدين من اصحابه ليطلع عليهم من حيث لا يشعرون ويستبطن سر امرهم
وكيف يعبدون الله وكيف يعملون لآخرتهم كما يحكى انه حين نسخ فرض قيام الليل طاف
تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون لحرصه عليهم وعلى ما يوجد منهم من فعل الطاعات
وتكثير الحسنات فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع منها من دندنتهم بذكر الله والتلاوة
والمراد بالساجدين المصلون وقيل معناه يراك حين تقوم للصلاة بالناس جماعة وتقلبه
في الساجدين تصرفه فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده وقعوده اذا امهم وعن مقاتل
انه سأل ابا حنيفة رحمه الله هل تجد الصلوة في الجماعة في القرآن فقال لا يحضرني فتلا له هذه
الآية ويحتمل انه لا يخفى عليه حالك كلما قمت وتقلبت مع الساجدين في كفاية امور الدين **إنه**
هو السميع لما تقوله **العليم ۝** بما تنويه وتعمله وقيل هو تقلب بصره فيمن يصلي خلفه من قوله
عليه الصلوة والسلام اتموا الركوع والسجود فوالله اني لاراكم من خلف ظهري اذا ركعتم وسجدتم
وقرئ ويقلبك **هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ۝ تنزل على كل أفاك أثيم ۝** هم الكهنة
والمتنبئة كشق وسطيح ومسيلمة وطليحة **يلقون السمع** هم الشياطين كانوا قبل ان يحجبوا
بالرجم يسمعون الى الملأ الاعلى فيختطفون بعض ما يتكلمون به مما اطلعوا عليه من الغيوب
ثم يوحون به الى اوليائهم من اولئك **وأكثرهم كاذبون ۝** فيما يوحون به اليهم لانهم يسمعونهم
ما لم يسمعوا وقيل يلقون الى اوليائهم السمع اي المسموع من الملائكة وقيل الافاكون يلقون السمع
الى الشياطين فيلقون وحيهم اليهم او يلقون المسموع من الشياطين الى الناس واكثر الافاكين
كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا اليهم وترى اكثر ما يحكمون به باطلا وزورا

وفي الحديث الكلمة يحفظها الجني فيقرها في اذن وليه فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة والقر
الضب فان قلت كيف دخل حرف الجر على من المتضمنة لمعنى الاستفهام والاستفهام له صدر الكلام
الا ترى الى قولك اعلى زيد مررت ولا تقول على ازيد مررت قلت ليس معنى التضمن ان الاسم دل
على معنيين معا معنى الاسم ومعنى الحرف وانما معناه ان الاصل امن فحذف حرف الاستفهام واستمر
الاستعمال على حذفه كما حذف من هل والاصل اهل كقوله ... أهل رأونا بسفح القاع ذي الأكم
فاذا ادخلت حرف الجر على من فقدر الهمزة قبل حرف الجر في ضميرك كانك تقول اعلى من تنزل
الشياطين كقولك اعلى زيد مررت فان قلت يلقون ما محله قلت يجوز ان يكون في محل النصب
على الحال اي تنزل ملقين السمع وفي محل الجر صفة لكل افاك لانه في معنى الجمع وان لا يكون له
محل بان يستانف كانه قائلا قال لم تنزل الا على الافاكين فقيل يفعلون كيت وكيت فان قلت
الافاكون هم الذين يكثرون الافك ولا يدل ذلك على انهم لا ينطقون الا بالافك فاراد ان هؤلاء
الافاكين قل من يصدق منهم فيما يحكي عن الجني واكثرهم مفتر عليه فان قلت وانه لتنزيل
رب العالمين وما تنزلت به الشياطين هل انبئكم على من تنزل الشياطين لم فرق بينهن وهن
اخوات قلت اريد التفريق بينهن بآيات ليست في معناهن ليرجع الى المجيء بهن وتطرية ذكر
ما فيهن كرة بعد كرة فيدل على ان المعنى الذي نزلن فيه من المعاني التي اشتدت كراهة الله
لخلافها ومثاله ان يحدث الرجل بحديث وفي صدره اهتمام بشيء منه وفضل عناية فتراه يعيد ذكره
ولا ينفك عن الرجوع اليه **والشعراء يتبعهم الغاوون** والشعراء مبتدأ او يتبعهم خبره
ومعناه انه لا يتبعهم على باطلهم وكذبهم وفضول قولهم وما هم عليه من الهجاء وتمزيق الاعراض والقدح
في الانساب والتشبيب بالحرم والغزل والابتهار ومدح من لا يستحق المدح ولا يستحسن ذلك
منهم ولا يطرب على قولهم الا الغاوون والسفهاء والشطار وقيل الغاوون الراوون وقيل
الشياطين وقيل هم شعراء قريش عبد الله بن الزبعرى وهبيرة بن ابي وهب المخزومي ومسافع
بن عبد مناف وابو عزة الجمحي ومن ثقيف امية بن ابي الصلت قالوا نحن نقول مثل قول
محمد وكانوا يهجونه ويجتمع اليهم الاعراب من قومهم يستمعون اشعارهم واهاجيهم
وقرأ عيسى بن عمر والشعراء بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر قال ابو عبيد كان الغالب
عليه حب النصب قرأ حمالة الحطب والسارق والسارقة وسورة انزلناها وقرئ يتبعهم
على التخفيف ويتبعهم بسكون العين تشبيها لبعه بعضد **ألم تر أنهم في كل واد يهيمون**
وأنهم يقولون ما لا يفعلون ذكر الوادي والهيوم فيه تمثيل لذهابهم في كل شعب من
القول واعتسافهم وقلة مبالاتهم بالغلو في المنطق ومجاوزة حد القصد فيه حتى يفضلوا على
اجبن الناس على عنترة وان يبهتوا البريء ويفسقوا التقي وعن الفرزدق ان سليمان بن
عبد الملك سمع قوله

فبتن بجانبي مصرعات ... وبت أفض أغلاق الختام

فقال قد وجب عليك الحد فقال يا امير المؤمنين قد درأ الله عني الحد بقوله وانهم يقولون
ما لا يفعلون **إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما
ظلموا** استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله وتلاوة القرآن وكان
ذلك اغلب عليهم من الشعر واذا قالوا شعرا قالوه في توحيد الله والثناء عليه والحكمة والموعظة
والزهد والآداب الحسنة ومدح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة وصلحاء الامة وما لا باس به من المعاني
التي لا يتلطخون فيها بذنب ولا يتلبسون بشائنة ولا منقصة وكان هجاؤهم على سبيل الانتصار ممن
يهجوهم قال الله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وذلك من غير اعتداء ولا زيادة على
ما هو جواب لقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وعن عمرو بن
عبيد رحمه الله ان رجلا من العلوية قال له ان صدري ليجيش بالشعر فقال فما يمنعك منه فيما
لا باس به والقول فيه ان الشعر باب من الكلام فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام وقيل
المستثنى عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبان كعب بن مالك وكعب بن
زهير والذين كانوا ينافحون عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويكافحون هجاة قريش وعن كعب بن

والاصل اهل

مالك ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو اشد عليهم من النبل وكان
يقول لحسان قل وروح القدس معك ختم السورة باية ناطقة بما لا شيء اهيب منه واهول ولا انكى
لقلوب المتاملين ولا اصدع لاكباد المتدبرين وذلك قوله **وسيعلم** وما فيه من الوعيد البليغ وقوله
الذين ظلموا واطلاقه وقوله **أي منقلب ينقلبون** وابهامه وقد تلاها ابو بكر لعمر رضي الله عنهما حين عهد اليه
وكان السلف الصالح يتواعظون بها ويتناذرون شدتها وتفسير الظلم بالكفر تعليل ولان
يخاف فيبلغ الامن خير من ان يامن فيبلغ الخوف وقرأ ابن عباس اي منفلت ينفلتون ومعناها
ان الذين ظلموا يطمعون ان ينفلتوا من عذاب الله وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات وهو
النجاة اللهم اجعلنا ممن جعل هذه الآية بين عينيه فلم يغفل عنها وعلم ان من عمل سيئة فهو من الذين ظلموا
والله اعلم بالصواب قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الشعراء كان له من الاجر
عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وشعيب وصالح وابراهيم وبعدد من كذب
بعيسى وصدق بمحمد صلعم

سورة النمل مكية وهي ثلاث وتسعون آية وقيل اربع وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم

طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين طس قرئ بالتفخيم والامالة وتلك اشارة الى آيات
السورة والكتاب المبين اما اللوح وابانته انه قد خط فيه كل ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه
ابانة واما السورة واما القرآن وابانتهما انهما يبينان ما اودعاه من العلوم والحكم والشرائع وان
اعجازهما ظاهر مكشوف واضافة الآيات الى القرآن والكتاب المبين على سبيل التفخيم لها والتعظيم
لان المضاف الى العظيم يعظم بالاضافة اليه فان قلت لم نكر الكتاب المبين قلت ليبهم
بالتنكير فيكون افخم له كقوله تعالى في مقعد صدق عند مليك مقتدر فان قلت ما وجه
عطفه على القرآن اذا اريد به القرآن قلت كما يعطف احدى الصفتين على الاخرى في نحو قولك هذا
فعل السخي والجواد الكريم لان القرآن هو المنزل المبارك المصدق لما بين يديه فكان حكمه حكم
الصفات المستقلة بالمدح فكانه قيل تلك الآيات آيات المنزل المبارك واي كتاب مبين
وقرأ ابن ابي عبلة وكتاب مبين بالرفع على تقدير وآيات كتاب مبين فحذف المضاف واقيم
المضاف اليه مقامه فان قلت ما الفرق بين هذا وبين قوله الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين
قلت لا فرق بينهما الا ما بين المعطوف والمعطوف عليه من التقدم والتأخر وذلك على ضربين ضرب
جار مجرى التثنية لا يترجح فيه جانب على جانب وضرب فيه ترجح فالاول نحو قوله وقولوا حطة وادخلوا
الباب سجدا ومنه ما نحن بصدده والثاني نحو قوله شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم **هدى
وبشرى للمؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة** هدى وبشرى في محل النصب او الرفع
فالنصب على الحال اي هادية ومبشرة والعامل فيهما ما في تلك من معنى الاشارة والرفع على ثلاثة اوجه
على هي هدى وبشرى وعلى البدل من الآيات وعلى ان يكون خبرا بعد خبر اي جمعت انها آيات وانها
هدى وبشرى والمعنى في كونها هدى للمؤمنين انها زادتهم هدى قال الله تعالى واما الذين آمنوا فزادتهم
ايمانا فان قلت **وهم بالآخرة هم يوقنون** كيف يتصل بما قبله قلت يحتمل ان تكون من جملة
صلة الموصول ويحتمل ان تتم الصلة عنده وتكون جملة اعتراضية كانه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون
الصالحات من اقامة الصلاة وايتاء الزكاة هم الموقنون بالآخرة وهو الوجه ويدل عليه انه عقد جملة
ابتدائية وكرر فيها المبتدأ الذي هو هم حتى صار معناها وما يوقن بالآخرة حق الايقان الا
هؤلاء الجامعون بين الايمان والعمل الصالح لان خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق **إن الذين لا يؤمنون
بالآخرة زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون** فان قلت كيف اسند تزيين اعمالهم الى ذاته وقد اسنده
الى الشيطان في قوله وزين لهم الشيطان اعمالهم قلت بين الاسنادين فرق وذلك ان اسناده الى الله
عز وجل مجاز وله طريقان في علم البيان احدهما ان يكون من المجاز الذي يسمى الاستعارة والثاني
ان يكون من المجاز الحكمي فالطريق الاول انه لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق وجعلوا انعام الله
تعالى ذلك عليهم واحسانه اليهم ذريعة الى اتباع شهواتهم وبطرهم وايثارهم الروح والترفه

ونفارهم عما يلزمهم فيه التكاليف الصعبة والمشاق المتعبة فكأنه زين لهم بذلك أعمالهم واليه اشارت الملائكة صلوات الله وسلامه عليهم في قولهم ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر والطريق الثاني ان امهاله الشيطان وتخليته حتى يزين لهم ملابسة ظاهرة للتزيين فأسند اليه لان المجاز الحكمي يصححه بعض الملابسات وقيل هي اعمال الخير التي وجب عليهم ان يعملوها زينها الله لهم فعمهوا عنها وضلوا ويعزى الى الحسن والعمه التحير والتردد كما يكون حال الضال عن الطريق وعن بعض الاعراب انه دخل السوق وما ابصرها قط فقال رأيت الناس عمهين اراد مترددين في اعمالهم واشغالهم **أولئك الذين لهم سوء العذاب** القتل والاسر يوم بدر **وهم في الآخرة هم الأخسرون** والأخسرون اشد الناس خسرانا لانهم لو آمنوا لكانوا من الشهداء على جميع الامم فخسروا ذلك مع خسران النجاة وثواب الله **وإنك لتلقى القرآن** لتؤتاه وتلقنه **من لدن حكيم عليم** من عند اي حكيم واي عليم وهذا معنى مجيئهما نكرتين وهذه الآية بساط وتمهيد لما يريد ان يسوق بعدها من الاقاصيص وما في ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه **إذ قال موسى لأهله إني آنست نارا سآتيكم منها بخبر** اذ منصوب بمضمر وهو اذكر كأنه قال على اثر ذلك خذ من آثار حكمته وعلمه قصة موسى ويجوز ان ينتصب بعليم روي انه لم يكن مع موسى عليه الصلاة والسلام غير امرأته وقد كنى الله عنها بالأهل فتبع ذلك ورود الخطاب على لفظ الجمع وهو قوله امكثوا **أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون** الشهاب الشعلة والقبس النار المقبوسة واضاف الشهاب الى القبس لانه يكون قبسا وغير قبس ومن قرأ بالتنوين جعل القبس بدلا او صفة لما فيه من معنى القبس والخبر ما يخبر به عن حال الطريق لانه كان قد ضله فان قلت سآتيكم منها بخبر ولعلي آتيكم منها بخبر كالمتدافعين لان احدهما ترج والآخر تيقن قلت قد يقول الراجي اذا قوي رجاؤه سأفعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة فان قلت كيف جاء بسين التسويف قلت عدة لأهله انه يأتيهم به وان ابطأ او كانت المسافة بعيدة فان قلت فلم جاء بأو دون الواو قلت بنى الرجاء على انه ان لم يظفر بحاجتيه جميعا لم يعدم واحدة منهما اما هداية الطريق واما اقتباس النار ثقة بعادة الله انه لا يكاد يجمع حرمانين على عبده وما ادراه حين قال ذلك انه ظافر على النار بحاجتيه الكليتين جميعا وهما العزان عز الدنيا وعز الآخرة **فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها** ان هي المفسرة لان النداء فيه معنى القول والمعنى قيل له بورك فان قلت هل يجوز ان تكون المخففة من الثقيلة وتقديره نودي بأنه بورك والضمير ضمير الشأن قلت لا لانه لا بد من قد فان قلت فعلى اضمارها قلت لا يصح لانها علامة لا تحذف ومعنى بورك من في النار ومن حولها بورك من في مكان النار ومن حول مكانها ومكانها البقعة التي حصلت فيها وهي البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى نودي من شاطئ الواد الايمن في البقعة المباركة وتدل عليه قراءة ابي تباركت الارض ومن حولها وعنه بوركت النار والذي بوركت له البقعة وبورك من فيها وحواليها حدوث امر ديني فيها وهو تكليم الله موسى واستنباؤه واظهار المعجزات عليه ورب خير يتجدد في بعض البقاع فينشر الله بركة ذلك الخير في اقاصيها ويبث آثار يمنه في اباعدها فكيف بمثل ذلك الامر العظيم الذي جرى في تلك البقعة وقيل المراد بالمبارك فيهم موسى والملائكة الحاضرون والظاهر انه عام في كل من كان في تلك الارض وفي ذلك الوادي وحواليهما من ارض الشام ولقد جعل الله ارض الشام بالبركات موسومة في قوله تعالى ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين وحقت ان تكون كذلك فهي مبعث الانبياء صلوات الله عليهم ومهبط الوحي وكفاتهم احياء وامواتا فان قلت فما معنى ابتداء خطاب الله تعالى موسى بذلك عند مجيئه قلت هي بشارة له بأنه قد قضي امر عظيم تنتشر منه في ارض الشام كلها البركة **وسبحان الله رب العالمين** تعجيب لموسى من ذلك وايذان بأن ذلك الامر مريده ومكونه رب العالمين تنبيها على ان الكائن من جلائل الامور وعظائم الشؤون **يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم** الهاء في انه يجوز ان يكون ضمير الشأن وأنا الله مبتدأ وخبر والعزيز الحكيم صفتان للخبر وان يكون راجعا الى ما دل عليه ما قبله يعني ان مكلمك انا والله بيان لأنا والعزيز الحكيم صفتان للمبين وهذا تمهيد لما اراد ان يظهره على يده من المعجزة يريد انا القوي القادر

على يبعد

على ما يبعد من الاوهام كقلب العصا حية فان قلت علام عطف قوله **وألق عصاك** قلت على بورك لان المعنى نودي ان بورك من في النار وقيل له الق عصاك والدليل على ذلك قوله والق عصاك بعد قوله ان يا موسى اني انا الله على تكرير حرف التفسير كما تقول كتبت اليك ان حج وان اعتمر **فلما رآها تهتز كأنها جان** قرأ الحسن جأن على لغة من يجد في الهرب من التقاء الساكنين فيقول شأبة ودأبة ومنها قراءة عمرو بن عبيد ولا الضألين **ولى مدبرا ولم يعقب** لم يرجع يقال عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار قال

فما عقبوا اذ قيل هل من معقب ولا نزلوا يوم الكريهة منزلا

يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فإني غفور رحيم انما رعبته لظنه ان ذلك الامر اريد به ويدل عليه اني لا يخاف لدي المرسلون والا بمعنى لكن لانه لما اطلق نفي الخوف عن الرسل كان ذلك مظنة لطرو الشبهة فاستدرك ذلك والمعنى ولكن من ظلم منهم اي فرطت منه صغيرة مما يجوز على الانبياء كالذي فرط من آدم ويونس وداود وسليمان واخوة يوسف ومن موسى عليهم الصلاة والسلام بوكزه القبطي ويوشك ان يقصد بهذا التعريض بما وجد من موسى وهو من التعريضات التي يلطف مأخذها وسماه ظلما كما قال موسى رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي والحسن والسوء حسن التوبة وقبح الذنب وقرئ الا من ظلم بحرف التنبيه وعن ابي عمرو في رواية عصمة حسنا **وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قوما فاسقين** في تسع آيات كلام مستأنف وحرف الجر فيه يتعلق بمحذوف والمعنى اذهب في تسع آيات الى فرعون ونحوه

فقلت الى الطعام فقال منهم فريق نحسد الانس الطعاما

ويجوز ان يكون المعنى والق عصاك وادخل يدك في تسع آيات اي في جملة تسع آيات وعدادهن ولقائل ان يقول كانت الآيات احدى عشرة ثنتان منها اليد والعصا والتسع الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم **فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين** المبصرة الظاهرة البينة جعل الابصار لها وهو في الحقيقة لمتأمليها لانهم لابسوها وكانوا بسبب منها بنظرهم وتفكرهم فيها ويجوز ان يراد بحقيقة الابصار كل ناظر فيها من كافة اولي العقل وان يراد ابصار فرعون وملئه لقوله واستيقنتها انفسهم او جعلت كأنها تبصر فتهدي لان العمي لا تقدر على الاهتداء فضلا ان تهدي غيرها ومنه قولهم كلمة عيناء وكلمة عوراء لان الكلمة الحسنة ترشد والسيئة تغوي ونحوه قوله تعالى لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر فوصفها بالبصارة كما وصفها بالابصار وقرأ علي بن الحسين وقتادة مبصرة وهي نحو مجبنة ومبخلة ومجفرة اي مكانا يكثر فيه التبصر **وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين** الواو في واستيقنتها واو الحال وقد بعدها مضمرة والعلو الكبر والترفع عن الايمان بما جاء به موسى كقوله فاستكبروا وكانوا قوما عالين فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون وقرئ عليا وعليا بالضم والكسر كما قرئ عتيا وعتيا وفائدة ذكر الانفس انهم جحدوها بألسنتهم واستيقنوها في قلوبهم وضمائرهم والاستيقان ابلغ من الايقان وقد قوبل بين المبصرة والمبين واي ظلم افحش من ظلم من اعتقد واستيقن انها آيات بينة واضحة جاءت من عند الله ثم كابر بتسميتها سحرا بينا مكشوفا لا شبهة فيه **ولقد آتينا داود وسليمان علما** طائفة من العلم او علما سنيا عزيزا **وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين** فان قلت أليس هذا موضع الفاء دون الواو كقولك اعطيته فشكر ومنعته فصبر قلت بلى ولكن عطفه بالواو اشعار بأن ما قالاه بعض ما احدث فيهما ايتاء العلم وشيء من مواجبه فأضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد كأنه قال ولقد آتيناهما علما فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة وقالا الحمد لله الذي فضلنا والكثير المفضل عليه من لم يؤت علما او من لم يؤت مثل علمهما وفيه انهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير وفي الآية دليل على شرف العلم وانافة محله وتقدم حملته واهله وان نعمة العلم من اجل النعم واجزل القسم وان من اوتيه فقد اوتي فضلا على كثير من عباد الله كما قال والذين اوتوا العلم درجات وما سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثة الانبياء الا

المقدر (لهم في الشرف والمنزلة لأن القوام بما بعثوا من اجله ومنها انه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة
ان يحمدوا الله تعالى على ما اوتوه من فضلهم على عبيده وفيها الّذي كثير ما بالتواضع وان يعتقد
العالم انه وان فضل على كثير فقد فضل عليه مثلهم وما احسن قول عمر رضي الله عنه كل الناس افقه من عمر
وورث سليمن داود ورث منه النبوة والملك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وكان داود اكثر
تعبدا وسليمن اقضى واشكر لنعمة الله **وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شئ**
قال يا ايها الناس تشهيرا لنعمة الله وتنويها بها واعترافا بمكانها ودعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزة
التي هي علم منطق الطير وغير ذلك مما اوتيه من عظائم الامور والمنطق كل ما يصوت به من المفرد
والمؤلف المفيد وغير المفيد وقد ترجم يعقوب كتابه باصلاح المنطق وما اصلح فيه الا مفردات الكلم وقالت
العرب نطقت الحمامة وكل صنف من الطير يتفاهم اصواته والذي علمه سليمان من منطق
الطير هو ما يفهم بعضه من بعض من معانيه واغراضه ويحكى انه مر على بلبل في شجرة وهو يحرك
راسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه اتدرون ما يقول قالوا الله ونبيه اعلم قال يقول اكلت نصف
تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فاخبر انها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال
يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال يقول استغفروا الله يا مذنبين وصاح طيطوى فقال يقول
كل حي ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال يقول قدموا خيرا تجدوه وصاحت رخمة فقال تقول
سبحان ربي الاعلى مل سمائه وارضه وصاح قمري فقال انه يقول سبحان ربي الاعلى وقال
الحدأ يقول كل شئ هالك الا الله والقطاة تقول من سكت سلم والببغاء تقول ويل لمن الدنيا
همه والديك يقول اذكروا الله يا غافلون والنسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت والعقاب
يقول في البعد من الناس انس والضفدع يقول سبحان ربي القدوس والمراد بقوله من كل شئ كثرة
ما اوتي كما تقول فلان يقصده كل احد ويعلم كل شئ تريد كثرة قصاده ورجوعه
الى غزارة في العلم واستكثاره منه ومثله قوله واوتيت من كل شئ **ان هذا لهو الفضل المبين**
قول وارد على سبيل الشكر والمحمدة كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر
اي اقول هذا القول شكرا ولا اقوله فخرا فان قلت كيف قال علمنا واوتينا وهو من كلام
المتكبرين قلت فيه وجهان احدهما ان يريد نفسه واباه والثاني ان هذه النون يقال لها
نون الواحد المطاع وكان ملكا مطاعا فكلم اهل طاعته على صفته وحاله التي كان عليها وليس
التكبر من لوازم ذلك وقد يتعلق بتجمل الملك وتفخيمه واظهار آيينه سياسة مصالح فيعود
تكلف ذلك واجبا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يفعل نحوا من ذلك اذا وفد وفد او احتاج ان يرجح في عين
عدو وانظر الى امر العباس بان يحبس ابا سفين حتى تمر عليه الكتائب **وحشر لسليمن جنوده من الجن**
والانس والطير روي ان معسكره كان مائة فرسخ في مائة خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للانس
وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له الف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة
وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابريسم فرسخا في فرسخ وكان يوضع منبره في وسطه
وهو من ذهب على كراسي الفضه وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها
حتى لا تقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر ويروى انه كان يامر الريح العاصف تحمله
ويامر الرخاء تسيره فاوحى الله اليه وهو يسير بين السماء والارض اني قد زدت في ملكك لا يتكلم احد
بشئ الا القته الريح في سمعك فيحكى انه مر بحراث فقال لقد اوتي آل داود ملكا عظيما فالقته الريح
في اذنه فنزل ومشى الى الحراث وقال انما مشيت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة
يقبلها الله خير مما اوتي آل داود **فهم يوزعون** يحبس اولهم على آخرهم اي توقف سلاف العسكر حتى
تلحقهم التوالي فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم احد وذلك للكثرة العظيمة **حتى اذا اتوا على واد النمل**
قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمن وجنوده وهم لا يشعرون
قيل هو واد بالشام كثير النمل فان قلت لم عدي اتوا بعلى قلت يتوجه على معنيين احدهما ان
اتيانهم كان من فوق فاتى بحرف الاستعلاء كما قال ابو الطيب ولشد ما قربت عليك الانجم
لما كان قربا من فوق والثاني ان يراد قطع الوادي وبلوغ آخره من قولهم اتى على الشئ اذا انفده وبلغ
آخره كانهم ارادوا ان ينزلوا عند مقطع الوادي لانهم ما دامت الريح تحملهم في الهوى لا يخاف حطمهم وروي

نمله يا ايها النملة بضم الميم وبضم النون والميم وكان الاصل النمل بوزن الرجل والنمل الذي عليه الاستعمال
تخفيف عنه كقولهم السبع في السبع قيل كانت تمشي وهي عرجاء تتكاوس فنادت يا ايها النمل الاية فسمع
سليمن كلامها من ثلثة اميال وقيل كان اسمها طاخية وعن قتادة انه دخل الكوفة فالتفت عليه الناس
فقال سلوا عما شئتم وكان ابو حنيفة حاضرا وهو غلام حدث فقال سلوه عن نملة سليمن اكانت ذكرا
ام انثى فسالوه فافحم فقال ابو حنيفة رحمه الله كانت انثى فقيل له من اين عرفت فقال من كتاب الله وهو قوله
قالت نملة ولو كانت ذكرا لقال قال نملة وذلك ان النملة مثل الحمامة والشاة في وقوعها على الذكر
والانثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة انثى وهو وهي وقرئ مسكنكم
لا يحطمنكم بتخفيف النون وقرئ لا يحطمنكم بفتح الحاء وكسرها واصله يحتطمنكم
ولما جعلها قائلة والنمل مقولا لهم كما يكون في اولي العقل اجري خطابهم مجرى خطابهم
فان قلت لا يحطمنكم ما هو قلت يحتمل ان يكون جوابا للامر وان يكون نهيا بدلا من الامر
والذي جوز ان يكون بدلا منه انه في معنى لا تكونوا حيث انتم فيحطمنكم على طريقة لا ارينك
ههنا اراد لا يحطمنكم جنود سليمن فجاء بما هو ابلغ ونحوه عجبت من نفسي ومن اشفاقها
فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي
وان اعمل صالحا ترضاه معنى تبسم ضاحكا تبسم شارعا في الضحك واخذا فيه يعني انه
قد جاوز حد التبسم الى الضحك وكذلك ضحك الانبياء عليهم الصلوة والسلام واما ما روي
ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فالغرض المبالغة في وصف ما وجد منه
الضحك النبوي والا فبدو النواجذ على الحقيقة انما يكون عند الاستغراب وقرا ابن السميفع فتبسم
ضحكا فان قلت ما اضحكه من قولها قلت شيئان اعجابه بما دل من قولها على ظهور رحمته
ورحمة جنوده وشفقتهم وعلى شهرة حاله وحالهم في باب التقوى وذلك قولها وهم لا يشعرون
يعني انهم لو شعروا لم يفعلوا وسروره بما آتاه الله مما لم يؤت احدا من ادراكه بسمعه ما همس
به بعض الحكل الذي هو مثل في الصغر والقلة ومن احاطته بمعناه والذي اشتمل عليه دعاؤه على
استيزاع الله شكر ما انعم عليه من ذلك وعلى استيفاقه لزيادة العمل الصالح والتقوى وحقيقة
اوزعني اجعلني ازع شكر نعمتك عندي واكفه وارتبطه لا ينفلت عني حتى لا انفك شاكرا لك
وانما ادرج ذكر والديه لان النعمة على الوالد نعمة على الولد خصوصا النعمة الراجعة الى الدين
فانه اذا كان تقيا نفعهما بدعائه وشفاعته وبدعاء المؤمنين لهما كلما دعوا له وقالوا رضي
الله عنك وعن والديك وروي ان النملة احست بصوت الجنود ولا تعلم انهم في الهواء فامر سليمان
عليه الصلوة والسلام الريح فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن ثم دعا بالدعوة ومعنى **وادخلني**
برحمتك في عبادك الصالحين واجعلني من اهل الجنة **وتفقد الطير فقال مالي لا ارى**
الهدهد ام كان من الغائبين لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه او لياتيني بسلطان
مبين ام هي المنقطعة نظر الى مكان الهدهد فلم يبصره فقال مالي لا اراه على معنى انه لا يراه
وهو حاضر لساتر ستره او غير ذلك ثم لاح له انه غائب فاضرب عن ذلك واخذ يقول اهو غائب
كانه يسال عن صحة ما لاح له ونحوه قولهم انها لابل ام شاء وذكر من قصة الهدهد ان سليمن حين
تم له بناء بيت المقدس تجهز للحج بحشره فوافى الحرم واقام به ما شاء وكان يقرب كل يوم طول
مقامه بخمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف بقرة وعشرين الف شاة ثم عزم على السير الى اليمن فخرج
من مكة صباحا وسار فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى ارضا
حسناء فنزل ليتغدى ويصلي فلم يجد الماء وكان الهدهد قناقنه وكان يرى الماء من تحت الارض
كما يرى الماء في الزجاجة فيجيء الشياطين فيسلخونها كما يسلخ الاهاب ويستخرجون الماء
فتفقده لذلك وحين نزل سليمن حلق الهدهد فرأى هدهدا واقفا فانحط اليه فوصف
له ملك سليمن وما سخر له من كل شئ وذكر له صاحبه ملك بلقيس وان تحت
يدها اثني عشر الف قائد تحت كل قائد مائة الف وذهب معه لينظر فما رجع الا بعد العصر
وذكر انه وقعت نفحة من الشمس على راس سليمن فنظر فاذا موضع الهدهد خال فدعا
عفريت الطير وهو النسر فساله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب علي به

قال نعم فنظرت فاذا هو مقبل فقصدته فناشدها الله وقال بحق الله الذي قواك واقدرك
علي الا رحمتني فتركته وقالت ثكلتك امك ان نبي الله قد حلف ليعذبنك قال وما استثنى قالت
بلى او ليأتيني بسلطان مبين فلما قرب من سليمن ارخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الارض تواضعا
له فلما دنا منه اخذ براسه فمده اليه فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله فارتعد سليمن
وعفى عنه ثم سأله فقيل ان تعذيبه ما يحتمله حاله ليعتبر به ابناء جنسه وقيل كان عذاب سليمن
للطير ان ينتف ريشه ويشمسه وقيل انه يطلى بالقطران ويشمس وقيل ان يلقى للنمل تاكله وقيل
ايداعه القفص وقيل التفريق بينه وبين الفه وقيل لالزمنه صحبة الاضداد وعن بعضهم اضيق
السجون معاشرة الاضداد وقيل لالزمنه خدمة اقرانه فان قلت من اين حل له تعذيب الهدهد
قلت يجوز ان يبيح الله له ذلك لما راى من المصلحة والمنفعة كما اباح ذبح البهائم والطيور للاكل
وغيره من المنافع واذا سخر له الطير ولم يتم ما سخر من اجله الا بالتأديب والسياسة جاز ان يباح له
ما يستصلح به وقرئ ليأتينني وليأتين والسلطان الحجة والعذر فان قلت قد حلف
على احد ثلاثة اشياء فحلفه على فعليه لا مقال فيه ولكن كيف صح حلفه على فعل الهدهد ومن
اين درى انه ياتي بسلطان حتى يقول والله ليأتيني بسلطان قلت لما نظم الثلاثة باو في الحكم
الذي هو الحلف آل كلامه الى قولك ليكونن احد الامور يعني ان كان الاتيان بالسلطان لم
يكن تعذيب ولا ذبح وان لم يكن كان احدهما وليس في هذا ادعاء دراية على انه يجوز ان يتعقب حلفه
بالفعل وحي من الله بانه سيأتيه بسلطان مبين فثلث بقوله او ليأتيني بسلطان مبين عن
دراية وايقان فمكث قرئ بفتح الكاف وضمها غير بعيد غير زمان بعيد كقولك عن قريب
ووصف مكثه بقصر المدة للدلالة على اسراعه خوفا من سليمن وليعلم كيف كان الطير مسخرا له
ولبيان ما اعطي من المعجزة الدالة على نبوته وعلى قدرة الله عز وجل فقال احطت بما لم تحط به احطت
بادغام الطاء في التاء باطباق وبغير اطباق الهم الله تعالى الهدهد فكافح سليمن بهذا الكلام على
ما اوتي من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة والاحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له في علمه
وتنبيها على ان في ادنى خلقه واضعفه من احاط علما بما لم يحط به لتتحاقر اليه نفسه ويتصاغر اليه
علمه ويكون لطفا له في ترك الاعجاب الذي هو فتنة العلماء واعظم بها فتنة والاحاطة بالشيء علما ان يعلم
من جميع جهاته لا يخفى منه معلوم قالوا وفيه دليل على بطلان قول الرافضة ان الامام لا يخفى عليه شيء
ولا يكون في زمانه احد اعلم منه وجئتك من سبا قرئ بالصرف ومنعه وقد روي بسكون الباء وعن
ابن كثير في رواية سبا بالالف كقولهم ذهبوا ايدي سبا وهو سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان
فمن جعله اسما للقبيلة لم يصرف ومن جعله اسما للحي او الاب الاكبر صرف قال

من سبا الحاضرين مأرب اذ يبنون من دون سيله العرما

وقال

الواردون وتيم في ذرى سبا قد عض اعناقهم جلد الجواميس

ثم سميت مدينة مأرب بسبا وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث كما سميت معافر بمعافر بن اد
ويحتمل ان يراد المدينة والقوم بنبا يقين النبا الخبر الذي له شأن وقوله من سبا بنبا
من جنس الكلام الذي سماه المحدثون البديع وهو من محاسن الكلام التي تتعلق باللفظ بشرط
ان يجيء مطبوعا او يصنعه عالم بجوهر الكلام يحفظ معه صحة المعنى وسداده ولقد جاء هاهنا
زائدا على الصحة فحسن وبدع لفظا ومعنى الا ترى انه لو وضع مكان بنبا بخبر لكان المعنى
صحيحا وهو كما جاء اصح لما في النبا من الزيادة التي يطابقها وصف الحال اني وجدت امرأة
تملكهم واوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من
دون الله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون المرأة
بلقيس بنت شراحيل وكان ابوها ملك ارض اليمن كلها وقد ولده اربعون ملكا ولم يكن
له ولد غيرها فغلبت على الملك وكانت هي وقومها مجوسا يعبدون الشمس والضمير في تملكهم
راجع الى سبا فان اريد به القوم فالامر ظاهر وان اريدت المدينة فمعناه تملك اهلها وقيل
في وصف عرشها كان ثمانين ذراعا في ثمانين وسمكه ثمانين وقيل كان من
ذهب وفضة مكللا بانواع الجواهر وكانت قوائمه من ياقوت احمر واخضر ودر وزمرد

وعليه

وعليه سبعة ابيات على كل بيت باب مغلق فان قلت كيف استعظم عرشها مع ما كان يرى من
ملك سليمن قلت يجوز ان يستصغر حالها الى حال سليمن فاستعظم لها ذلك العرش ويجوز
ان لا يكون لسليمن مثله وان عظمت مملكته في كل شيء كما يكون لبعض امراء الاطراف شيء
لا يكون مثله للملك الذي يملك عليهم ويستخدمهم ومن نوكى القصاص من يقف على قوله ولها
عرش ثم يبتدي عظيم وجدتها يريد امر عظيم ان وجدتها وقومها يسجدون للشمس فر
من استعظام الهدهد عرشها فوقع في عظيمة وهي مسخ كتاب الله فان قلت كيف قال
واوتيت من كل شيء مع قول سليمن واوتينا من كل شيء كانه سوى بينهما قلت بينهما فرق بين لان سليمن عليه الصلوة
والسلام عطف قوله على ما هو معجزة من الله وهو تعليم منطق الطير فرجع
اولا الى ما اوتي من النبوة والحكمة واسباب الدين ثم الى الملك واسباب الدنيا وعطفه
الهدهد على الملك فلم يرد الا ما اوتيت من اسباب الدنيا اللائقة بحالها فبين الكلامين بون
بعيد فان قلت كيف خفي على سليمن عليه الصلوة والسلام مكانها وكانت المسافة بين محطه وبين
بلدها قريبة وهي مسيرة ثلاث بين صنعاء ومأرب قلت لعل الله عز وجل اخفى عنه ذلك لمصلحة
رآها كما اخفى مكان يوسف على يعقوب عليه الصلوة والسلام فان قلت من اين للهدهد التهدي
الى معرفة الله ووجوب السجود له وانكار سجودهم للشمس واضافته الى الشيطان وتزيينه قلت لا
يبعد ان يلهمه الله ذلك كما الهمه وغيره من الطيور وسائر الحيوان المعارف اللطيفة
التي لا يكاد العقلاء الرجاح العقول يهتدون لها ومن اراد استقراء ذلك فعليه بكتاب الحيوان
خصوصا في زمن نبي سخرت له الطيور وعلم منطقها وجعل ذلك معجزة له الا يسجدوا لله
الذي يخرج الخبء في السموات والارض ويعلم ما تخفون وما تعلنون الله لا اله الا هو رب
العرش العظيم من قرأ بالتشديد اراد فصدهم عن السبيل لئلا يسجدوا فحذف الجار مع ان
ويجوز ان تكون لا مزيدة ويكون المعنى فهم لا يهتدون الى ان يسجدوا ومن قرأ بالتخفيف فهو الا
يا اسجدوا والا للتنبيه ويا حرف النداء ومناداه محذوف كما حذفه من قال

الا يا اسلمي يا دارمي على البلى ولا زال منهلا بجرعائك القطر

وفي حرف عبد الله وهي قراءة الاعمش هلا وهلا بقلب الهمزتين هاء وعن عبد الله هلا
تسجدون بمعنى الا تسجدون على الخطاب وفي قراءة ابي الا تسجدون لله الذي يخرج الخبء
من السماء والارض ويعلم سركم وما تعلنون وسمي المخبوء بالمصدر وهو النبات والمطر
وغيرهما مما خبأه عز وعلا من غيوبه وقرئ الخب على تخفيف الهمزة بالحذف والخبا على تخفيفها
بالقلب وهي قراءة ابن مسعود ومالك بن دينار ووجهها ان تخرج على لغة من يقول في الوقف هذا
الخبو ورأيت الخبا ومررت بالخبي ثم اجرى الوصل مجرى الوقف لا على لغة من يقول الكماة والحماة
لانها ضعيفة مسترذلة وقرئ تخفون وتعلنون بالياء والتاء وقيل من احطت الى العظيم هو
كلام رب العزة وفي اخراج الخب امارة على انه من كلام الهدهد لهندسته ومعرفته الماء تحت الارض
وذلك بالهام من يخرج الخب في السموات والارض جلت قدرته ولطف علمه ولا يكاد تخفى على ذي
الفراسة النظار بنور الله مخايل كل مختص بصناعة او فن من العلم في روائه ومنطقه وشمائله
ولهذا ورد ما عمل رجل عملا الا القى الله عليه رداء عمله فان قلت اسجدة التلاوة واجبة في
القراءتين جميعا ام في احديهما قلت هي واجبة فيهما جميعا لان مواضع السجدة اما امر بها او مدح
لمن اتى بها او ذم لمن تركها واحدى القراءتين امر بالسجود والاخرى ذم للتارك وقد اتفق ابو
حنيفة والشافعي رحمهما الله تعالى ان سجدات القرآن اربع عشرة وانما اختلفا في سجدة ص فهي
عند ابي حنيفة سجدة تلاوة وعند الشافعي سجدة شكر وفي سجدتي سورة الحج وما ذكره الزجاج
من وجوب السجدة مع التخفيف دون التشديد فغير مرجوع اليه فان قلت هل يفرق الواقف بين
القراءتين قلت نعم اذا خفف وقف على فهم لا يهتدون ثم ابتدأ الا يا اسجدوا وان شاء وقف على الا يا ثم
ابتدأ اسجدوا واذا شدد لم يقف الا على العرش العظيم فان قلت كيف سوى الهدهد بين عرش
بلقيس وعرش الله في الوصف بالعظيم قلت بين الوصفين بون عظيم لان وصف عرشها
بالعظم تعظيم له بالاضافة الى عروش ابناء جنسها من الملوك ووصف عرش الله تعالى بالعظم تعظيم

له بالنسبة الى ما خلق من سائر السموات والارض وهي العظيم بالروح **قال سننظر أصدقت**
أم كنت من الكاذبين سنتعرف من النظر الذي هو التأمل والتصفح وارادت صدقت ام كذبت
الا ان كنت من الكاذبين ابلغ لانه اذا كان معروفا بالانخراط في سلك الكاذبين كان كاذبا واذا
كان كاذبا اتهم بالكذب فيما اخبر به فلم يوثق به **اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم**
فانظر ماذا يرجعون تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه ليكون ما يقولونه بمسمع منك
ويرجعون من قوله يرجع بعضهم الى بعض القول فقيل دخل عليها من كوة فالقى الكتاب
اليها وتوارى في الكوة فان قلت لم قال فالقه اليهم على لفظ الجمع قلت لانه قال وجدتها
وقومها يسجدون للشمس فقال فالقه الى الذين هذا دينهم اهتماما منه بامر الدين واشتغالا به عن غيره
وبنى الخطاب في الكتب على لفظ الجمع لذلك **قالت يا ايها الملأ اني القي الي كتاب كريم**
حسن مضمونه وما فيه او وصفته بالكريم لانه من عند ملك كريم او مختوم قال صلى الله عليه وسلم
كرم الكتاب ختمه وكان عليه الصلوة والسلام يكتب الى العجم فقيل له انهم لا يقبلون الا كتابا
عليه خاتم فاصطنع خاتما وعن ابن المقفع من كتب الى اخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به
انه من سليمن وانه بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا علي وأتوني مسلمين هو
استيناف وتبيين لما القي اليها كانها قالت ان القي الي كتاب كريم فقيل لها ممن هو وما هو فقالت
انه من سليمن وانه كيت وكيت وقرأ عبد الله وانه من سليمن في انه عطفا على اني وقرئ انه
من سليمان وانه بالفتح على ابداله من كتاب كانه قيل القي الي انه من سليمن ويجوز ان ينصب
لانه من سليمن ولانه كانها عللت كرمه بكونه من سليمن وتصديره باسم الله وقرأ ابي ان من سليمن
وان بسم الله على ان المفسرة وان في الا تعلوا مفسرة ايضا لا تعلوا لا تتكبروا كما يفعل
الملوك وقرأ ابن عباس بالغين المعجمة من الغلو وهو مجاوزة الحد يروى ان نسخة الكتاب
من عبد الله سليمن بن داود الى بلقيس ملكة سبا السلام على من اتبع الهدى اما بعد فلا تعلوا علي وأتوني
مسلمين وكانت كتب الانبياء عليهم الصلوة والسلام جملا لا يطيلون ولا يكثرون وطبع الكتاب
بالمسك وختمه بخاتمه فوجدها الهدهد راقدة في قصرها بمارب وكانت اذا رقدت
غلقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت راسها فدخل من كوة وطرح الكتاب على نحرها وهي
مستلقية وقيل نقرها فانتبهت فزعة وقيل اتاها والقادة والجنود حوالها فرفرف
ساعة والناس ينظرون حتى رفعت راسها فالقى الكتاب في حجرها وكانت قارئة كاتبة
عربية من نسل تبع بن شراحيل الحميري فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت وقالت لقومها
ما قالت مسلمين منقادين او مؤمنين **قالت يا ايها الملأ افتوني في امري** الفتوى الجواب في
الحادثة اشتقت على طريق الاستعارة من الفتا في السن والمراد بالفتوى هاهنا الاشارة عليها
بما حدث لها من الراي والتدبير وقصدت به الانقطاع اليهم والرجوع الى استشارتهم
واستطلاع آرائهم استعطافا لهم وتطييب نفوسهم ليمالؤوها ويقوموا معها **ما كنت قاطعة**
امرا فاصلة وفي قراءة ابن مسعود قاضية **حتى تشهدون** اي الا بمحضركم
وقيل كان اهل مشورتها ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا كل واحد على عشرة آلاف **قالوا**
نحن اولوا قوة واولوا باس شديد ارادوا بالقوة قوة الاجساد وقوة الآلات والعدد وبالباس
النجدة والبلاء في الحرب **والامر اليك فانظري ماذا تأمرين** اي هو موكول اليك ونحن
مطيعون لك فمرينا بامرك نطعك ولا نخالفك كانهم اشاروا عليها بالقتال او ارادوا نحن
من ابناء الحرب لا من ابناء الراي والمشورة وانت ذات الراي والتدبير فانظري ماذا ترين
نتبع رايك **قالت ان الملوك** لما احست منهم الميل الى المحاربة رات من الراي الميل الى الصلح
والابتداء بما هو احسن ورتبت الجواب فزيفت اولا ما ذكروه واريتهم الخطأ فيه بان الملوك
اذا دخلوا قرية عنوة وقهرا **افسدوها** اي خربوها ومن ثم قالوا للفساد الخربة **وجعلوا**
اعزة اهلها اذلة واذلوا اعزتها واهانوا اشرافها وقتلوا واسروا فذكرت لهم عاقبة الحرب
وسوء مغبتها ثم قالت **وكذلك يفعلون** ارادت وهذه عادتهم المستمرة الثابتة التي
لا تتغير لانها كانت في بيت الملك القديم فسمعت نحو ذلك ورأت ثم ذكرت بعد ذلك حديث

الهدهد وما رأت من الراي السديد وقيل هو تصديق من الله تعالى لقولها وقد تعلق الساعون
في الارض بالفساد بهذه الاية ويجعلونها حجة لانفسهم ومن استباح حراما فقد كفر فاذا
احتج له بالقرآن على وجه التحريف فقد جمع بين كفرين **واني مرسلة اليهم بهدية** اي مرسلة
رسلا بهدية اصانعه بها عن ملكي **فناظرة بم يرجع المرسلون** فناظرة ما يكون منه
حتى اعمل على حسب ذلك فروي انها بعثت اليه خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري وحليهن
الاساور والاطواق والقرطة راكبي خيل مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج
بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك في زي الغلمان والف لبنة من ذهب
وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع والمسك والعنبر وحقا فيه درة عذراء وجزعة
معوجة الثقب وبعثت رجلين من اشراف قومها المنذر بن عمرو وآخر ذا راي وعقل
وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة
خيطا ثم قالت للمنذر ان نظر اليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك وان رأيته بشا لطيفا فهو نبي
فاقبل الهدهد فاخبر سليمن فامر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوه في ميدان
بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفه من الذهب والفضة وامر
باحسن الدواب في البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبن وامر باولاد الجن
وهم خلق كثير فاقيموا عن اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسي من جانبيه واصطفت
الشياطين صفوفا فراسخ والانس صفوفا فراسخ والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك
فلما دنا القوم ونظروا بهتوا ورأوا الدواب تروث على اللبن فتقاصرت اليهم نفوسهم ورموا بما معهم
فلما وقفوا بين يديه نظر اليهم بوجه طلق وقال ما وراءكم وقال اين الحق فاخبره جبريل بما فيه فقال لهم
ان فيه كذا وكذا ثم امر الارضة فاخذت شعرة ونفذت فيها فجعل رزقها في الشجرة واخذت
دودة بيضاء الخيط بفيها ونفذت فيها فجعل رزقها في الفواكه ودعا بالماء فكانت الجارية
تاخذ بيدها فتجعله في الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما ياخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية
وقال للمنذر ارجع اليهم فقالت هو نبي وما لنا به طاقة فشخصت اليه في اثني عشر الف قيل
تحت كل قيل الوف **فلما جاء سليمن قال اتمدونن بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل انتم بهديتكم**
تفرحون وفي قراءة ابن مسعود فلما جاؤا وقرئ اتمدون وقرئ بحذف الياء والاكتفاء بالكسرة
وبالادغام كقوله اتحاجوني وبنون واحدة اتمدوني والهدية اسم المهدى كما ان العطية اسم
المعطى فتضاف الى المهدي والمهدى له تقول هذه هدية فلان تريد هي التي اهداها او اهديت اليه
والمضاف هاهنا هو المهدى اليه والمعنى ان ما عندي خير مما عندكم وذلك ان الله تعالى آتاني
الدين الذي فيه الحظ الاوفر والغنى الاوسع وآتاني من الدنيا ما لا يستزاد عليه فكيف يرضى مثلي
بان يمد بمال بل انتم قوم لا تعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا فلذلك تفرحون بما
تزادون ويهدى اليكم لان ذلك مبلغ همتكم وحالي خلاف حالكم وما ارضى منكم بشيء ولا
افرح الا بالايمان وترك المجوسية فان قلت ما الفرق بين قولك اتمدني وانا اغنى منك وبين
ان تقوله بالفاء قلت اذا قلته بالواو فقد جعلت مخاطبي عالما بزيادتي عليه في الغنى واليسار
وهو مع ذلك يمدني بالمال واذا قلته بالفاء فقد جعلته ممن خفيت عليه حالي فانا اخبره الساعة بما
لا احتاج معه الى امداده كاني اقول له انكر عليك ما فعلت فاني غني عنه وعليه ورد قوله فما آتاني
الله فان قلت فما وجه الاضراب قلت لما انكر عليهم الامداد وعلل انكاره اضرب عن ذلك
الى بيان السبب الذي حملهم عليه وهو انهم لا يعرفون سبب رضى ولا فرح الا ان يهدى اليهم حظ
من الدنيا التي لا يعلمون غيرها ويجوز ان تجعل الهدية مضافة الى المهدي ويكون المعنى بل انتم
بهديتكم هذه التي اهديتموها تفرحون فرح افتخار على الملوك بانكم قدرتم على اهداء مثلها
ويحتمل ان يكون عبارة عن الرد كانه قال بل انتم من حقكم ان تاخذوا هديتكم وتفرحوا بها **ارجع**
اليهم خطاب للرسول وقيل للهدهد محملا كتابا آخر **فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها** لا طاقة
وحقيقة القبل المقاومة والمقابلة اي لا يقدرون ان يقابلوهم وقرأ ابن مسعود لا قبل لهم بهم
ولنخرجنهم منها اذلة والضمير الذي في منها لسبا والذل ان يذهب عنهم ما كانوا فيه من العز

والملك وهم صاغرون والصغار ان يقعوا في اسر واستعباد ولا يقتصر بهم على ان يرجعوا سوقة بعد ان كانوا ملوكا قال يا ايها الملأ ايكم يأتيني بعرشها قبل ان يأتوني مسلمين روي انها امرت عند خروجها الى سليمن عليه الصلوة والسلام فجعل عرشها في اخر سبعة ابيات بعضها في بعض في اخر قصر من قصور سبعة لها وغلقت الابواب ووكلت به حرسا يحفظونه ولعله اوحى الى سليمن عليه الصلوة والسلام باستيثاقها منه فاراد ان يغرب عليها ويريها بذلك بعض ما خصه الله تعالى من اجراء العجائب على يده مع اطلاعها على عظيم قدرة الله تعالى وعلى ما يشهد لنبوة سليمن ويصدقها وعن قتادة اراد ان ياخذه قبل ان تسلم لعلمه انها اذا اسلمت لم يحل له اخذ مالها وقيل اراد ان يوتى به فينكره ويغيره ثم ينظر اتثبته ام تنكره اختبارا لعقلها قال عفريت من الجن انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك وقرئ عفرية والعفر والعفريت والعفرية والعفراة والعفارية من الرجال الخبيث المنكر الذي يعفر اقرانه ومن الشياطين الخبيث المارد وكان اسمه ذكوان واني عليه لقوي امين على حمله امين لا اختزل منه شيئا ولا ابدله قال الذي عنده علم من الكتاب انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك (آصف بن برخيا وزيره) هو رجل كان عنده اسم الله الاعظم وهو يا حي يا قيوم وقيل يا الهنا واله كل شيء الها واحدا لا اله الا انت وقيل يا ذا الجلال والاكرام وعن الحسن الله والرحمن وقيل هو اصف بن برخيا كاتب سليمن عليه الصلوة والسلام وكان صديقا عالما وقيل اسمه اسطوم وقيل هو جبريل وقيل ملك ايد الله تعالى به سليمن وقيل هو سليمن نفسه عليه الصلوة والسلام كانه استبطأ العفريت فقال له انا اريك ما هو اسرع مما تقول وعن ابي لهيعة بلغني انه الخضر عليه الصلوة علم من الكتاب من الكتب المنزل وهو علم الوحي والشرايع وقيل هو اللوح والذي عنده علم منه جبريل و اتيك في الموضعين يحتمل ان يكون فعلا واسم فاعل و الطرف تحريكك اجفانك اذا نظرت فوضع موضع النظر ولما كان الناظر موصوفا بارسال الطرف كما في قوله

وكنت اذا ارسلت طرفك رائدا ۞ لقلبك يوما اتعبتك المناظر ۞

وصف برد الطرف والطرف بالارتداد والمعنى فيه انك ترسل طرفك الى شيء فقبل ان ترده احضرت العرش بين يديك وروي ان اصف قال لسليمن عليه الصلوة والسلام مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد عينيه فنظر نحو اليمن ودعا اصف فغار العرش بمأرب ثم نبع عند مجلس سليمن عليه الصلوة والسلام بالشام بقدرة الله تعالى قبل ان يرتد طرفه ويجوز ان يكون هذا مثلا لاستقصاره مدة المجيء كما تقول لصاحبك افعل ذلك في لحظة وفي ردة طرف والتفت وما اشبه ذلك تريد السرعة فلما رءاه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني ءاشكر ام اكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه لانه يحط به عنها عبء الواجب ويصونها عن سمة الكفران ويرتبط به النعمة ويستمد المزيد وقيل الشكر قيد للنعمة الموجودة وصيد للنعمة المفقودة وفي كلام المصنف ان كفران النعمة بوار وقلما اقشعت نافرة فرجعت في نصابها فاستدع شاردها بالشكر واستدم راهنها بكرم الجوار واعلم ان سبوغ ستر الله متقلص عما قريب اذا انت لم ترج لله وقارا ومن كفر فان ربي غني عن الشكر كريم بالانعام على من يكفر نعمته والذي قاله سليمن عليه الصلوة والسلام عند رؤية العرش شاكرا لربه جري على شاكلة ابائه حسنه من انبياء الله والمخلصين من عباد الله يتلقون النعمة القادمة بحسن الشكر كما يشيعون النعمة المودعة بجميل الصبر قال نكروا لها عرشها ننظر اتهتدي ام تكون من الذين لا يهتدون نكروا اجعلوه منكرا متغيرا عن هيئته وشكله كما يتنكر الرجل للناس لئلا يعرفوه قالوا وسعوه وجعلوا مقدمه موخره واعلاه اسفله وقرئ ننظر بالجزم على الجواب وبالرفع على الاستيناف اتهتدي لمعرفته او للجواب الصواب اذا سئلت عنه او للدين والايمان بنبوة سليمن عليه الصلوة والسلام اذا رات تلك المعجزة البينة من تقدم عرشها وقد خلفته واغلقت عليه الابواب ونصبت عليه الحراس فلما جاءت قيل اهكذا عرشك قالت كانه هو واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين هكذا ثلاث كلمات حرف التنبيه وكاف التشبيه واسم الاشارة لم يقل اهذا عرشك ولكن امثل هذا عرشك لئلا يكون تلقينا فقالت كانه هو ولم تقل هو هو لاحتمال ان يكون مثله وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقطع في المحتمل واوتينا العلم من كلام سليمن وملايه فان قلت علام عطف هذا الكلام وبما اتصل قلت

لما كان

لما كان المقام الذي سئلت فيه عن عرشها واجابت بما اجابت به مقاما اجرى فيه سليمن وملاوه ما يناسب قولهم واوتينا العلم كان يقولوا عند قولها كانه هو قد اصابت في جوابها وطبقت المفصل وهي عاقلة لبيبة وقد رزقت الاسلام وعلمت قدرة الله تعالى وصحة النبوة بالايات التي تقدمت عند وفدة المنذر وبهذه الاية العجيبة من امر عرشها عطفوا على ذلك قولهم واوتينا نحن العلم بالله وبقدرته وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها ولم نزل على دين الاسلام شكرا لله تعالى على فضلهم عليها وسبقهم الى العلم بالله والاسلام قبلها وصدها عن التقدم الى الاسلام ما كانت تعبد من دون الله عبادة الشمس ونشوها بين ظهراني الكفرة ويجوز ان يكون من كلام بلقيس موصولا بقولها كانه هو والمعنى واوتينا العلم بالله وقدرته وبصحة نبوة سليمن قبل هذه المعجزة او قبل هذه الحالة بعني ما تبينت من الايات عند وفدة المنذر ودخلنا في الاسلام ثم قال الله تعالى وصدها قبل ذلك عما دخلت فيه ضلالها عن سواء السبيل وقيل صدها الله او سليمن عما كانت تعبد بتقدير حرف الجر واتصال الفعل انها كانت من قوم كافرين وقرئ انها بالفتح على انه بدل من فاعل صدها او بمعنى لانها قيل لها ادخلي الصرح فلما راته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال انه صرح ممرد من قوارير الصرح القصر وقيل صحن الدار وقرأ ابن كثير ساقيها بالهمز ووجهه انه سمع سؤقا فاجري عليه الواحد والممرد المملس روي ان سليمن امر قبل قدومها فبني له على طريقها قصر من زجاج ابيض واجري من تحته الماء والقي فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع سريره في صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والانس وانما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لامره وتحقيقا لنبوته وثباتا على الدين وزعموا ان الجن كرهوا ان يتزوجها فتفضي اليه باسرارهم لانها كانت بنت جنية وقيل خافوا ان يولد له منها ولد يجمع له فطنة الجن والانس فيخرجون من ملك سليمن الى ملك هو اشد وافظع فقالوا له ان في عقلها شيئا وهي شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجلها فكشفت عنهما فاذا هي احسن الناس ساقا وقدما الا انها شعراء ثم صرف بصره وناداها انه صرح ممرد من قوارير وقيل هي السبب في اتخاذ النورة امر بها الشياطين فاتخذوها واستنكحها سليمن عليه الصلوة والسلام واحبها واقرها على ملكها وامر الجن فبنوا لها سيلحين وغمدان وكان يزورها في الشهر مرة فيقيم عندها ثلاثة ايام وقيل زوجها ذا تبع ملك همدان وسلطه على اليمن وامر زوبعة امير جن اليمن ان يطيعه فبنى له المصانع ولم يزل اميرا حتى مات سليمن عليه الصلوة والسلام قالت رب اني ظلمت نفسي واسلمت مع سليمن لله رب العالمين ظلمت نفسي بكفرها فيما تقدم وقيل حسبت ان سليمن يغرقها في اللجة فقالت ظلمت نفسي بسوء ظني بسليمن عليه الصلوة والسلام ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله وقرئ ان اعبدوا بالضم على اتباع النون الباء فاذا هم فريقان فريق مومن وفريق كافر وقيل اريد بالفريقين صالح وقومه قبل ان يومن منهم احد يختصمون يقول كل فريق الحق معي قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون السيئة العقوبة والحسنة التوبة فان قلت ما معنى استعجالهم بالسيئة قبل الحسنة وانما يكون ذلك اذا كانتا متوقعتين احدهما قبل الاخرى قلت كانوا يقولون لجهلهم ان العقوبة التي يعدها صالح ان وقعت على زعمه تبنا حينئذ واستغفرنا مقدرين ان التوبة في ذلك الوقت وان لم تقع فنحن على ما نحن عليه فخاطبهم صالح عليه الصلوة والسلام على حسب قولهم واعتقادهم ثم قال لهم هلا تستغفرون الله قبل نزول العذاب لعلكم ترحمون تنبيها لهم على الخطا فيما قالوه وتجهيلا فيما اعتقدوه قالوا اطيرنا بك وبمن معك كان الرجل يخرج مسافرا فيمر بطائر فيزجره فان مر سانحا تيمن وان مر بارحا تشأم فلما نسبوا الخير والشر الى الطائر استعير لما كان سببهما من قدر الله وقسمته او من عمل العبد الذي هو السبب في الرحمة والنقمة ومنه قالوا طاير الله لا طايرك اي قدر الله الغالب الذي ينسب الخير والشر لا طايرك الذي تتشام به وتتيمن فلما قالوا اطيرنا بك اي تشامنا وكانوا قد قحطوا قال طائركم عند الله اي سببكم الذي يجيء منه خيركم وشركم وهو قدر الله هو وقسمته ان شاء رزقكم وان شاء حرمكم ويجوز ان يريد عملكم مكتوب عند الله فمنه نزل بكم ما نزل

انه كانت ما معنى

عقوبة لكم ومنه قوله طائركم معكم وكل انسان الزمناه طائره في عنقه وقرئ تطيرنا بكم على
الاصل ومعنى تطير به تطير منه نفر منه **بل انتم قوم تفتنون** تختبرون او تعذبون او يفتنكم الشيطان
بوسوسته اليكم الطيرة **وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض** المدينة الحجر
وانما جاز تمييز التسعة بالرهط لانه في معنى الجماعة وكانه قيل تسعة انفس والفرق بين الرهط
والنفر ان الرهط من الثلاثة الى العشرة او من السبعة الى العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة واسماؤهم
عن وهب الهذيل بن عبد رب غنم بن غنم رئاب بن مهرج مصدع بن مهرج عمير بن كردبة
عاصم بن مخرمة سبيط بن صدقة سمعان بن صفي قدار بن سالف وهم الذين سعوا
في عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من ابناء اشرافهم **ولا يصلحون** يعني
ان شانهم الافساد البحت الذي لا يخلطه شيء من الصلاح كما ترى بعض المفسدين قد يندر منه
بعض الصلاح **قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه واهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك اهله وانا
لصادقون** تقاسموا يحتمل ان يكون امرا وخبرا في محل الحال باضمار قد اي قالوا متقاسمين
وقرئ تقسموا وقرئ لتبيتنه بالتاء والياء والنون فتقاسموا مع النون والتاء يصح فيه الوجهان
ومع الياء لا يصح فيه الا ان يكون خبرا والتقاسم والتقسم كالتظاهر والتظهر التحالف
والبيات مباغتة العدو ليلا وعن الاسكندر انه اشير عليه بالبيات فقال ليس من آيين
الملوك استراق الظفر وقرئ مهلك بفتح الميم واللام وكسرها من هلك ومهلك بضم الميم
من اهلك ويحتمل المصدر والمكان والزمان فان قلت كيف يكونون صادقين وقد جحدوا وما
فعلوا فاتوا بالخبر على خلاف المخبر عنه قلت كانهم اعتقدوا انهم اذا بيتوا صالحا عليه الصلوة
والسلام وبيتوا اهله فجمعوا بين البياتين ثم قالوا ما شهدنا مهلك اهله فذكروا احدهما كانوا
صادقين لانهم فعلوا البياتين جميعا لا احدهما وفي هذا دليل قاطع على ان الكذب قبيح عند
الكفرة الذين لا يعرفون الشرع ونواهيه ولا يخطر ببالهم الا انهم قصدوا قتل نبي الله ولم
يرضوا لانفسهم بان يكونوا كاذبين حتى سووا للصدق في خبرهم حيلة يتفصون بها عن الكذب
ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون مكرهم ما اخفوه من تدبير الفتك بصالح
واهله ومكر الله اهلاكهم من حيث لا يشعرون شبه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة
روي انه كان لصالح عليه الصلوة والسلام مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه فقالوا زعم صالح انه
يفرغ منا الى ثلاث فنحن نفرغ منه ومن اهله قبل الثلاث فخرجوا الى الشعب وقالوا اذا جاء يصلي قتلناه
ثم رجعنا الى اهله فقتلناهم فبعث الله صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة
عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم اين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله كلا منهم في
مكانه ونجى الله صالحا ومن معه وقيل جاؤوا بالليل شاهري سيوفهم وقد ارسل الله الملئكة
ملء دار صالح فدمغوهم بالحجارة يرون الحجارة ولا يرون راميا **فانظر كيف كان
عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين** انا دمرناهم استيناف ومن قرا بالفتح
رفعه بدلا من العاقبة او خبر مبتدا محذوف تقديره هي تدميرهم او نصبه على معنى
لانا او على انه خبر كان اي كان عاقبة مكرهم الدمار **فتلك بيوتهم خاوية بما
ظلموا ان في ذلك لاية لقوم يعلمون وانجينا الذين امنوا وكانوا يتقون** خاوية
حال عمل فيها ما دل عليه تلك وقرا عيسى بن عمر خاوية بالرفع على خبر المبتدا المحذوف
ولوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة واذكر لوطا او وارسلنا لوطا لدلالة ولقد
ارسلنا عليه واذ بدل على الاول وظرف على الثاني **وانتم تبصرون** من بصر القلب اي تعلمون
انها فاحشة لم تسبقوا اليها وان الله تعالى انما خلق الانثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر ولا
الانثى للانثى فهي مضادة لله تعالى في حكمته وحكمه وعلمكم بذلك اعظم لذنوبكم وادخل في القبح وفيه
دليل على ان القبيح من الله اقبح منه من عباده لانه اعلم العالمين واحكم الحاكمين او يبصرها بعضكم
من بعض لانهم كانوا في ناديهم يرتكبونها معالنين بها لا يستتر بعضهم من بعض
خلاعة ومجانة وانهماكا في المعصية وكان ابو نواس بنى على مذهبهم قوله

وبح باسم من تاتي ودعني من الكنى ... فلا خير في اللذات من دونها ستر

اوتبصرون

او تبصرون آثار العصاة قبلكم وما نزل بهم **ائنكم لتاتون الرجال شهوة من
دون النساء بل انتم قوم تجهلون** فان قلت فسرت تبصرون بالعلم وبعده بل
انتم قوم تجهلون فكيف يكونون علماء جهلاء قلت اراد تفعلون فعل الجاهلين
بانها فاحشة مع علمكم بذلك او تجهلون العاقبة او اراد بالجهل السفاهة والمجانة التي
كانوا عليها فان قلت تجهلون صفة لقوم والموصوف لفظه لفظ الغائب فهلا طابقت
الصفة الموصوف فقرئ بالياء دون التاء وكذلك بل انتم قوم تفتنون قلت اجتمعت الغيبة
والمخاطبة فغلبت المخاطبة لانها اقوى وارسخ اصلا من الغيبة **فما كان جواب قومه
الا ان قالوا اخرجوا ال لوط من قريتكم** وقرا الاعمش جواب قومه بالرفع والمشهور
احسن **انهم اناس يتطهرون** يتنزهون عن القاذورات كلها فينكرون هذا العمل القذر
ويغيظنا انكارهم وعن ابن عباس هو استهزاء **فانجيناه واهله الا امراته قدرناها** قدرنا
كونها **من الغابرين** كقوله قدرنا انها لمن الغابرين والقدر واقع على الغبور في المعنى **وامطرنا
عليهم مطرا فساء مطر المنذرين قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى** امر
رسوله صلى الله عليه واله وسلم ان يتلو هذه الآيات الناطقة بالبراهين على وحدانيته وقدرته
على كل شيء وحكمته وان يستفتح بتحميده والسلام على انبيائه والمصطفين من
عباده وفيه تعليم حسن وتوقيف على ادب جميل وبعث على التيمن بالذكرين والتبرك بهما
والاستظهار بمكانهما على قبول ما يلقى الى السامعين واصغائهم اليه وانزاله من قلوبهم
المنزلة التي يبتغيها المستمع ولقد توارث العلماء والخطباء والوعاظ كابرا عن كابر
هذا الادب فحمدوا الله وصلوا على رسوله صلى الله عليه واله وسلم امام كل علم مفاد وقبل
كل عظة وتذكرة وفي مفتتح كل خطبة وتبعهم المترسلون فاجروا عليه اوائل كتبهم
في الفتوح والتهاني وغير ذلك من الحوادث التي لها شان وقيل هو متصل بما قبله وامر بالتحميد
على الهالكين من كفار الامم والصلوة على الانبياء واشياعهم الناجين وقيل هو خطاب للوط عليه الصلوة
والسلام وان يحمد الله على هلاك كفار قومه ويسلم على من اصطفاه الله ونجاه من هلكتهم
وعصمه من ذنوبهم **الله خير اما يشركون** معلوم انه لا خير فيما اشركوه اصلا حتى
يوازن بينه وبين من هو خالق كل خير ومالكه وانما هو الزام لهم وتبكيت وتهكم
بحالهم وذلك انهم آثروا عبادة الاصنام على عبادة الله ولا يؤثر عاقل شيئا على شيء الا لداع يدعو
الى ايثاره من زيادة خير ومنفعة فقيل لهم مع العلم بانه لا خير فيما آثروه وانهم لم يؤثروه
لزيادة الخير ولكن هوى وعبثا لينبهوا على الخطا المفرط والجهل المورط واضلالهم التمييز ونبذهم
المعقول وليعلموا ان الايثار يجب ان يكون للخير الزائد ونحوه ما حكاه عن فرعون ام انا خير
من هذا الذي هو مهين مع علمه انه ليس لموسى مثل اهانته التي كانت تجري عليه ثم عدد
سبحانه الخيرات والمنافع التي هي آثار رحمته وفضله كما عدد في مواضع اخر ثم قال
هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء وقرئ تشركون بالتاء والياء وعن رسول الله
صلى الله عليه واله وسلم انه كان اذا قراها قال بل الله خير وابقى واجل واكرم **ام من خلق
السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء** فان قلت ما الفرق بين ام وام في اما
يشركون وامن خلق قلت تلك متصلة لان المعنى ايهما خير وهذه منقطعة بمعنى بل والهمزة
لما قال الله تعالى ءالله خير ام الالهة قال بل امن خلق السموات والارض خير تقريرا لهم بان من قدر
على خلق العالم خير من جماد لا يقدر على شيء وقرا الاعمش امن بالتخفيف ووجهه ان يجعل بدلا من الله
كانه قال امن خلق السموات والارض خير اما تشركون فان قلت اي نكتة في نقل الاخبار
عن الغيبة الى التكلم عن ذاته في قوله **فانبتنا به حدائق ذات بهجة** قلت تاكيد معنى اختصاص
الفعل بذاته والايذان بان انبات الحدائق المختلفة الاصناف والالوان والطعوم والروائح
والاشكال مع حسنها وبهجتها بماء واحد لا يقدر عليه الا هو وحده الا ترى كيف رشح
معنى الاختصاص بقوله **ما كان لكم ان تنبتوا شجرها** ومعنى الكينونة الانبغاء
اراد ان تاتي ذلك محال من غيره وكذلك قوله بل هم بعد الخطاب ابلغ في تخطئة رايهم والحديقة

البستان عليه حائط من الاحداق وهو الاحاطة وقيل ذات بهجة لان المعنى جماعة حدائق
ذات بهجة كما يقال النساء ذهبت والبهجة الحسن لان الناظر يبتهج به أإله مع الله أغيره
يقرن به ويجعل شريكا له وقرئ أإلها مع الله بمعنى أتدعون او اتشركون ولك ان تحقق
الهمزتين وتوسط بينهما مدة وتخرج الثانية بين بين بل هم قوم يعدلون به غيره او يعدلون
عن الحق الذي هو التوحيد أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي
وجعل بين البحرين حاجزا أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون أمن جعل وما بعده
بدل من أمن خلق فكان حكمها حكمه قرارا دحاها وسواها للاستقرار عليها حاجزا كقوله برزخا
أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء الضرورة الحالة المحوجة الى اللجاء والاضطرار
افتعال منها يقال اضطره الى كذا والفاعل والمفعول مضطر والمضطر الذي احوجه
مرض او فقر او نازلة من نوازل الدهر الى اللجاء والتضرع الى الله تعالى وعن ابن عباس هو المجهود
وعن السدي الذي لا حول له ولا قوة وقيل المذنب اذا استغفر فان قلت قد عم المضطرين
بقوله يجيب المضطر اذا دعاه وكم من مضطر يدعو فلا يجاب قلت الاجابة موقوفة
على ان يكون المدعو به مصلحة ولهذا لا يحسن دعاء العبد الا شارطا فيه المصلحة واما المضطر
فمتناول للجنس مطلقا يصلح لكله ولبعضه فلا طريق الى الجزم على احدهما الا بدليل وقد قام
الدليل على البعض وهو الذي اجابته مصلحة فبطل التناول على العموم ويجعلكم خلفاء الأرض
خلفاء فيها وذلك توارثهم سكناها والتصرف فيها قرنا بعد قرن واراد بالخلافة الملك والتسلط
أإله مع الله قليلا ما تذكرون وقرئ يذكرون بالياء مع الادغام وبالحذف وما مزيدة
اي يذكرون تذكرا قليلا والمعنى نفي التذكر والقلة تستعمل في معنى النفي أمن يهديكم
في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته أإله مع الله تعالى الله
عما يشركون يهديكم بالنجوم في السماء والعلامات في الارض اذا جن الليل عليكم
مسافرين في البحر والبر فان قلت كيف قيل لهم أمن يبدأ الخلق ثم يعيده وهم منكرون
منكرون للاعادة قلت قد ازيحت علتهم بالتمكين من المعرفة والاقرار فلم يبق لهم
عذر في الانكار ومن يرزقكم من السماء والأرض من السماء الماء ومن الارض النبات
أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ان مع الله الها فاين دليلكم
عليه قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله فان قلت لم رفع اسم الله والله
يتعالى ان يكون ممن في السموات والارض قلت جاء على لغة بني تميم حيث يقولون في البدل احد
الا حمار يريدون ما فيها الا حمار كأن احدا لم يذكر ومنه قوله
عشية ما تغني الرماح مكانها ۞ ولا النبل الا المشرفي المصمم
وقولهم ما اتاني زيد الا عمرو وما اعانه اخوانكم الا اخوانه فان قلت ما الداعي الى اختيار
المذهب التميمي على الحجازي قلت دعت اليه نكتة سرية حيث اخرج المستثنى مخرج قوله
الا اليعافير بعد قوله ليس بها انيس ليؤول المعنى الى قولك ان كان الله ممن في السموات
والارض فهم يعلمون الغيب يعني ان علمهم الغيب في استحالته كاستحالة ان يكون الله منهم
كما ان معنى ما في البيت ان كانت اليعافير انيسا ففيها انيس بتا للقول بخلوها عن الانيس
فان قلت هلا زعمت ان الله ممن في السموات كما يقول المتكلمون الله في كل مكان على ان المعنى
ان علمه في الاماكن كلها فكان ذاته فيها حتى لا تحمله على مذهب بني تميم قلت
يأبى ذلك ان كونه في السموات والارض مجاز وكونهم فيهن حقيقة وارادة المتكلم بعبارة واحدة
حقيقة ومجازا غير صحيحة على ان قولك من في السموات والارض وجمعك بينه تعالى وبينهم
في اطلاق اسم واحد فيه ايهام تسوية والايهامات مزالة عنه وعن صفاته الا ترى كيف قال
عليه الصلوة والسلام لمن قال ومن يعصهما فقد غوى بئس خطيب القوم انت وعن ابن عباس
رضي الله عنهما من زعم انه يعلم ما في غد فقد اعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا
يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وعن بعضهم اخفى غيبه عن الخلق ولم يطلع عليه احدا
لئلا يأمن احد من عبيده مكره وقيل نزلت في المشركين حين سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله

وسلم عن وقت

وسلم عن وقت الساعة وما يشعرون أيان يبعثون ايان بمعنى متى ولو سمي به لكان فعالا من
آن يئين ولا نصرف وقرئ إيان بكسر الهمزة بل ادارك علمهم في الآخرة وقرئ بل ادرك بل ادارك
بل تدارك بل أأدرك بهمزتين بل آادرك بالف بينهما بل ادرك بالتخفيف والنقل بل ادرك
بفتح اللام وتشديد الدال واصله بل ادرك على الاستفهام بلى ادرك بلى أأدرك ام تدارك
ام ادرك فهذه ثنتا عشرة قراءة وادارك اصله تدارك فادغمت التاء في الدال وادرك افتعل
ومعنى ادرك علمهم انتهى وتكامل وادارك تتابع واستحكم وهو على وجهين احدهما ان
اسباب استحكام العلم وتكامله بان القيامة كائنة لا ريب فيها قد حصلت لهم ومكنوا منه وهم شاكون
جاهلون وذلك قوله بل هم في شك منها بل هم منها عمون يريد المشركين ممن في السموات
والارض لانهم لما كانوا في جملتهم نسب فعلهم الى الجميع كما يقال بنو فلان فعلوا كذا وانما
فعله ناس منهم فان قلت ان الآية سيقت لاختصاص الله تعالى بعلم الغيب وان العباد لا علم لهم
بشيء منه وان وقت بعثهم ونشورهم من جملة الغيب وهم لا يشعرون به فكيف لاءم هذا
المعنى وصف المشركين بانكارهم البعث مع استحكام اسباب العلم والتمكن من المعرفة
قلت لما ذكر ان العباد لا يعلمون الغيب ولا يشعرون بالبعث الكائن ووقته الذي يكون فيه
وكان هذا بيانا لعجزهم ووصفا لقصور علمهم وصل به ان عندهم عجزا ابلغ منه وهو انهم
يقولون للكائن الذي لا بد ان يكون وهو وقت جزاء اعمالهم لا يكون مع ان عندهم اسباب معرفة
كونه واستحكام العلم به والوجه الثاني ان وصفهم باستحكام العلم وتكامله تهكم بهم كما تقول
لاجهل الناس ما اعلمك على سبيل الهزء وذلك حيث شكوا وعموا عن اثباته الذي الطريق الى علمه
مسلوك فضلا ان يعرفوا وقت كونه الذي لا طريق الى معرفته وفي ادارك علمهم وادرك
وجه آخر وهو ان يكون ادرك بمعنى انتهى وفني من قولك ادركت الثمرة لان تلك غايتها التي
عندها تعدم وقد فسره الحسن باضمحل علمهم وتدارك من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا
في الهلاك فان قلت فما وجه قراءة من قرأ بل ادرك على الاستفهام قلت هو استفهام
على وجه الانكار لادراك علمهم وكذلك من قرأ أم ادرك وأم تدارك لانها ام التي
بمعنى بل والهمزة فان قلت فمن قرأ بلى ادرك وبلى ادرك قلت لما جاء بلى بعد قوله
وما يشعرون كان معناه بلى يشعرون ثم فسر الشعور بقوله ادرك علمهم في الآخرة على سبيل
التهكم الذي معناه المبالغة في نفي العلم فكانه قال شعورهم بوقت الآخرة انهم لا يعلمون
كونها فيرجع الى نفي الشعور على ابلغ ما يكون واما من قرأ بلى أأدرك على الاستفهام
فمعناه بلى يشعرون متى يبعثون ثم انكر علمهم بكونها واذا انكر علمهم بكونها لم يتحصل
لهم شعور بوقت كونها لان العلم بوقت الكائن تابع للعلم بكون الكائن في الآخرة في شأن
الآخرة ومعناها فان قلت هذه الاضرابات الثلاث ما معناها قلت ما هي الا تنزيل
لاحوالهم وصفهم اولا بانهم لا يشعرون وقت البعث ثم بانهم لا يعلمون ان القيامة كائنة
ثم بانهم يخبطون في شك ومرية فلا يزيلونه والازالة مستطاعة الا ترى ان من لم يسمع
اختلاف المذاهب وتضليل اربابها بعضهم لبعض كان امره اهون ممن سمع بها وهو
جاثم لا يشخص به طلب التمييز بين الحق والباطل ثم بما هو اسوأ حالا وهو العمى وان يكون
مثل البهيمة قد عكف همه على بطنه وفرجه لا يخطر بباله حقا ولا باطلا ولا يفكر
في عاقبة وقد جعل الآخرة مبتدأ عماهم ومنشأه فلذلك عداه بمن دون عن لان
الكفر بالعاقبة والجزاء هو الذي جعلهم كالبهائم لا يتدبرون ولا يتبصرون وقال
الذين كفروا أإذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون العامل في اذا ما دل عليه أئنا لمخرجون وهو نخرج
لا مخرجون لان بين يديه عمل اسم الفاعل فيه عقابا وهي همزة الاستفهام وان ولام الابتداء وواحدة
منها كافية فكيف اذا اجتمعن والمراد الاخراج من الارض او من حال الفناء الى الحياة
وتكرير حرف الاستفهام بادخاله على اذا وان جميعا انكار على انكار وجحود عقيب جحود
ودليل على كفر مؤكد مبالغ فيه والضمير في انا لهم ولآبائهم لان كونهم ترابا قد

نا وليهم واباهم لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين فان قلت
قدم في هذه الآية هذا على نحن وآباؤنا وفي آية أخرى قدم نحن وآباؤنا على هذا قلت التقديم
دليل على ان المقدم هو الغرض المتعمد بالذكر وان الكلام انما سيق لاجله ففي احدى الآيتين
دل على ان اتخاذ البعث هو الذي تعمد بالكلام وفي الاخرى على ان اتخاذ المبعوث بذلك
الصدد قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين لم تلحق علامة
التانيث بفعل العاقبة لان تانيثها غير حقيقي ولان المعنى كيف كان آخر امرهم واراد بالمجرمين
الكافرين وانما عبر عن الكفر بلفظ الاجرام ليكون لطفا للمسلمين في ترك الجرائم وتخوف
عاقبتها الا ترى الى قوله فدمدم عليهم ربهم بذنبهم وقوله مما خطيئاتهم ولا تحزن عليهم لانهم لم يتبعوك
ولم يسلموا فيسلموا وهم قومه قريش كقوله فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا
الحديث اسفا ولا تكن في ضيق في حرج صدر مما يمكرون من مكرهم وكيدهم لك
ولا تبال بذلك فان الله يعصمك من الناس يقال ضاق الشيء ضيقا وضيقا بالفتح والكسر
وقد قرئ بهما والضيق ايضا تخفيف الضيق قال الله ضيقا حرجا قرئ مخففا ومثقلا
ويجوز ان يراد في امر ضيق من مكرهم ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل
عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون استعجلوا العذاب الموعود فقيل لهم
عسى ان يكون ردفكم بعضه وهو عذاب يوم بدر فزيدت اللام للتاكيد كالباء في ولا تلقوا
بايديكم الى التهلكة او ضمن معنى فعل يتعدى باللام نحو دنا لكم وازف لكم ومعناه تبعكم ولحقكم
وقد عدي بمن قال

فلما ردفنا من عمير وصحبه ... تولوا سراعا والمنية تعنق

يعني دنونا من عمير وقرأ الاعرج ردف لكم بوزن ذهب وهما لغتان والكسر افصح وعسى
ولعل وسوف في وعد الملوك ووعيدهم يدل على صدق الامر وجده ولا مجال للشك بعده
وانما يعنون بذلك اظهار وقارهم وانهم لا يعجلون بالانتقام لادلالهم بقهرهم وغلبتهم ووثوقهم
بان عدوهم لا يفوتهم وان الرمزة الى الاغراض كافية من جهتهم فعلى ذلك وعد الله ووعيده
وان ربك لذو فضل على الناس ولكن اكثرهم لا يشكرون الفضل والفاضلة
الافضال ولفلان فواضل في قومه وفضول ومعناه انه مفضل عليهم بتاخير العقوبة وانه
لا يعاجلهم بها واكثرهم لا يعرفون حق النعمة ولا يشكرونه ولكنهم بجهلهم يستعجلون وقوع
العقاب وهم قريش وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم قرئ تكن يقال كننت الشيء
واكننته اذا سترته واخفيته يعني انه يعلم ما يخفون وما يعلنون من عداوة
رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ومكايدهم وهو معاقبهم على ذلك بما يستوجبونه وما من غائبة في
السماء والأرض الا في كتاب مبين سمى الشيء الذي يغيب ويخفى غائبة وخافية وكانت التاء
فيهما بمنزلتها في العاقبة والعافية ونظائرهما النطيحة والرمية والذبيحة في انها اسماء
غير صفات ويجوز ان تكونا صفتين وتاؤهما للمبالغة كالراوية وقولهم ويل للشاعر من راوية
السوء كانه قال وما من شيء شديد الغيبوبة والخفاء الا وقد علمه الله واحاط به واثبته
في اللوح المبين الظاهر البين لمن ينظر فيه من الملائكة ان هذا القرآن يقص على بني
اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون قد اختلفوا في المسيح فتحزبوا فيه احزابا ووقع
بينهم التناكر في اشياء كثيرة حتى لعن بعضهم بعضا وقد نزل القرآن ببيان ما
اختلفوا فيه لو انصفوا واخذوا به واسلموا يريد اليهود والنصارى وانه لهدى ورحمة
للمؤمنين اي لمن انصف منهم وآمن اي من بني اسرائيل او منهم ومن غيرهم ان ربك
يقضي بينهم بحكمه بين من آمن بالقرآن ومن كفر به فان قلت ما معنى
يقضي بحكمه ولا يقال زيد يضرب بضربه ويمنع بمنعه قلت معناه بما يحكم
به وهو عدله لانه لا يقضي الا بالعدل فسمى المحكوم به حكما او اراد بحكمته وتدل
عليه قراءة من قرأ بحكمه جمع حكمة وهو العزيز فلا يرد قضاؤه العليم بمن يقضي له

ومن يقضي

ومن يقضي عليه او العزيز في انتقامه من المبطلين العليم بالفصل بينهم وبين المحقين فتوكل
على الله انك على الحق المبين امره بالتوكل على الله وقلة المبالاة باعداء الدين وعلل التوكل
بانه على الحق الابلج الذي لا يتعلق به الشك والظن وفيه بيان ان صاحب الحق حقيق بالوثوق بصنع الله
وبنصرته وان مثله لا يخذل انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين
وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم فان قلت انك لا تسمع الموتى يشبه ان يكون تعليلا
آخر للتوكل فما وجه ذلك قلت وجهه ان الامر بالتوكل جعل مسببا عما كان يغيظ رسول
الله صلى الله عليه واله وسلم من جهة المشركين واهل الكتاب من ترك اتباعه وتشييع ذلك بالعداوة
والاذى فلاءم ذلك ان يعلل توكل متوكل مثله بان اتباعهم امر قد يئس منه فلم يبق الا
الاستنصار عليهم لعداوتهم واستكفاء شرورهم واذاهم وشبهوا بالموتى وهم
احياء صحاح الحواس لانهم اذا سمعوا ما يتلى عليهم من آيات الله فكانوا اقماع القول لا تعيه
آذانهم وكان سماعهم كلا سماع كانت حالهم لانتفاء جدوى السماع كحال الموتى الذين
فقدوا مصحح السماع وكذلك تشبيههم بالصم الذي ينعق بهم فلا يسمعوا وشبهوا بالعمي
حيث يضلون الطريق ولا يقدر احد ان ينزع ذلك عنهم ويجعلهم هداة بصراء الا الله
عز وجل فان قلت ما معنى قوله ولوا مدبرين قلت هو تاكيد لحال الاصم لانه اذا تباعد
عن الداعي بان تولى عنه مدبرا كان ابعد من ادراك صوته وقرئ وما انت تهدي العمي
على الاصل وعن ابن مسعود وما ان تهدي العمي وهداه عن الضلال كقولك سقاه عن
العيمة اي ابعده عنها بالسقي وابعده عن الضلال بالهدى ان تسمع الا من يؤمن باياتنا
اي ما يجدي اسماعك الا على الذين علم الله انهم يؤمنون باياته اي يصدقون بها فهم مسلمون
اي مخلصون من قوله تعالى بلى من اسلم وجهه لله يعني جعله سالما لله خالصا له واذا وقع القول
عليهم سمى معنى القول ومؤداه بالقول وهو ما وعدوا من قيام الساعة والعذاب ووقوعه
حصوله والمراد مشارفة الساعة وظهور اشراطها وحين لا تنفع التوبة اخرجنا لهم دابة
من الأرض تكلمهم ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون ودابة الأرض الجساسة
جاء في الحديث ان طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب وروي ان لها اربع
قوائم وزغب وريش وجناحان وعن ابن جريج في وصفها راس ثور وعين خنزير واذن
فيل وقرن ايل وعنق نعامة وصدر اسد ولون نمر وخاصرة هر وذنب كبش وخف
بعير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعا بذراع آدم عليه الصلوة والسلام وروي لا تخرج الا
راسها وراسها يبلغ اعنان السماء ويبلغ السحاب وعن ابي هريرة فيها من كل لون وما بين قرنيها فرسخ
للراكب وعن الحسن لا يتم خروجها الا بعد ثلاثة ايام وعن علي رضي الله عنه انها تخرج ثلاثة ايام
والناس ينظرون فلا يخرج الا ثلثها وعن النبي صلى الله عليه واله وسلم انه سئل من اين تخرج
الدابة فقال من اعظم المساجد حرمة على الله تعالى يعني المسجد الحرام وروي انها تخرج ثلاث خرجات
تخرج باقصى اليمن ثم تتكمن ثم تخرج بالبادية ثم تتكمن دهرا طويلا فبينا الناس في اعظم
المساجد حرمة واكرمها على الله فما يهولهم الا خروجها من بين الركن حذاء دار بني مخزوم عن
يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون نظارة وقيل تخرج من الصفا فتكلمهم بالعربية
بلسان ذلق فتقول ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون يعني ان الناس كانوا لا يوقنون بخروجي
لان خروجها من الآيات وتقول الا لعنة الله على الظالمين وعن السدي تكلمهم ببطلان
الاديان كلها سوى دين الاسلام وعن ابن عمر تستقبل المغرب فتصرخ صرخة تنفذه
ثم تستقبل المشرق ثم الشام ثم اليمن فتفعل مثل ذلك وقيل تخرج من اجياد وروي بين عيسى
عليه الصلوة والسلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب الارض تحتهم تحرك القنديل
وينشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتضرب
المؤمن في مسجده او فيما بين عينيه بعصا موسى فتنكت نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة
في وجهه حتى يضيء لها وجهه او فتترك وجهه كانه كوكب دري وتكتب بين عينيه مؤمن
وتنكت الكافر بالخاتم في انفه فتفشو النكتة حتى يسود لها وجهه وتكتب بين عينيه كافر

ورد وى تجلو وجه المومن بالعصى وتخطم انف الكافر بالخاتم ثم تقول لهم يا فلان انت من اهل الجنة
ويا فلان انت من اهل النار وقرى تكلمهم من الكلم وهو الجرح والمراد به الوسم بالعصى والخاتم
ويجوز ان يكون تكلمهم من الكلم ايضا على معنى التكثير يقال فلان مكلم اى مجرح ويجوز ان يستدل
بالتخفيف على ان المراد بالتكليم التجريح كما فسر لنحرقنه بقراءة على رضى الله عنه لنحرقنه وان يستدل
بقراءة ابى تنبئهم وبقراءة ابن مسعود تكلمهم بان الناس على انه من الكلام والقراءة بان مكسورة
حكاية لقول الدابة اما لان الكلام بمعنى القول او باضمار القول اى تقول الدابة ذلك او هى حكاية
لقول الله تعالى [illegible] فان قلت اذا كانت حكاية لقول الدابة فكيف تقول باياتنا
قلت قولها حكاية لقول الله تعالى او على معنى بايات ربنا او لاختصاصها بالله واثرتها عنده
وانها من خواص خلقه اضافت ايات الله الى نفسها كما يقول بعض خاصة الملك خيلنا وبلادنا
وانما هى خيل مولاه وبلاده ومن قرا بالفتح فعلى حذف الجار اى تكلمهم بان **ويوم نحشر**
من كل امة فوجا ممن يكذب باياتنا فهم يوزعون يحبس اولهم
على اخرهم حتى يجتمعوا فيكبكبوا فى النار وهذه عبارة عن كثرة العدد وتباعد اطرافه كما
وصفت جنود سليمان بذلك وقوله فوجا فان الفوج الجماعة الكثيرة ومنه قوله تعالى يدخلون فى
دين الله افواجا وعن ابن عباس ابو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدى
اهل مكة وكذلك يحشر قادة سائر الامم بين ايديهم الى النار فان قلت اى فرق بين من الاولى
والثانية قلت الاولى للتبعيض والثانية للتبيين كقوله من الاوثان **حتى اذا جاءوا قال اكذبتم**
باياتى ولم تحيطوا بها علما الواو للحال كانه قال اكذبتم بها بادى الرأى من غير فكر ولا نظر
يؤدى الى احاطة العلم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق او بالتكذيب او للعطف اى اجحدتموها
ومع جحودكم لم تلقوا اذهانكم لتحققها وتبصرها فان المكتوب اليه قد يجحد ان يكون
الكتاب من عند من كتبه ولا يدع مع ذلك ان يقرأه ويتفهم مضامينه ويحيط بمعانيه
اماذا كنتم تعملون هو للتبكيت لا غير وذلك انهم لم يعملوا الا التكذيب فلا يقدرون
ان يكذبوا ويقولوا قد صدقنا بها وليس الا التصديق بها او التكذيب ومثاله ان تقول لراعيك وقد
علمت انه راعى سوء أتأكل نعمى ام ماذا تعمل بها فتجعل ما تبتدى به وتجعله اصل كلامك
هو الذى صح عندك من اكله وفساده وترمى بقولك ام ماذا تعمل بها مع علمك انه لا
يعمل بها الا الاكل لتبهته وتعلمه بانه لا يجىء منه الا اكلها وانه لا يقدر ان يدعى الحفظ والاصلاح
لما شهر من خلاف ذلك او اراد اما كان لكم عمل فى الدنيا الا الكفر والتكذيب بايات الله اماذا كنتم تعملون
من غير ذلك يعنى انه لم يكن لهم عمل غيره كانهم لم يخلقوا الا للكفر والمعصية وانما خلقوا للايمان والطاعة
يخاطبون بهذا قبل كبهم فى النار ثم يكبون فيها وذلك قوله **ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا**
ينطقون يريد ان العذاب الموعود يغشاهم بسبب ظلمهم وهو التكذيب بايات الله فيشغلهم عن النطق
والاعتذار كقوله هذا يوم لا ينطقون **الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار**
مبصرا ان فى ذلك لايات لقوم يؤمنون جعل الابصار للنهار وهو لاهله فان قلت ما
للتقابل لم يراع فى قوله ليسكنوا فيه والنهار مبصرا حيث كان احدهما علة والاخر حالا قلت هو
مراعى من حيث المعنى وهكذا النظم المطبوع غير المتكلف لان معنى مبصرا ليبصروا فيه طرق التقلب
فى المكاسب **ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الارض** فان قلت لم قيل
ففزع دون فيفزع قلت لنكتة وهو الاشعار بتحقق الفزع وثبوته وانه كائن لا محالة
واقع على اهل السموات والارض لان الفعل الماضى يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعا به والمراد
فزعهم عند النفخة الاولى حين يصعقون **الا من شاء الله** الا من ثبت الله قلبه من الملائكة قالوا هم جبريل
وميكائيل واسرافيل وملك الموت وقيل الشهداء وعن الضحاك الحور وخزنة النار وحملة العرش
وعن جابر منهم موسى عليه الصلوة والسلام لانه صعق مرة ومثله قوله تعالى ونفخ فى الصور فصعق من فى
السموات ومن فى الارض الا من شاء الله **وكل اتوه داخرين** وقرى اتوه واتاه ودخرين فالجمع
على المعنى والتوحيد على اللفظ والداخر والدخر الصاغر وقيل معنى الاتيان حضورهم الموقف
بعد النفخة الثانية ويجوز ان يراد رجوعهم الى امره وانقيادهم له **وترى الجبال تحسبها جامدة**

من جمدت فى مكانه اذا لم يبرح تجمع الجبال فتسير كما تسير الريح السحاب فاذا نظر اليها الناظر
حسبها واقفة ثابتة فى مكان واحد **وهى تمر مر السحاب** تمر مرا حثيثا كما يمر السحاب وهكذا
الاجرام العظام المتكاثرة العدد اذا تحركت لا تكاد تتبين حركتها كما قال النابغة فى وصف جيش
بارعن مثل الطود تحسب انهم ۝ وقوف لحاج والركاب تهملج ۝
صنع الله الذى اتقن كل شىء صنع الله من المصادر المؤكدة كقوله وعد الله وصبغة الله
الا ان مؤكده محذوف وهو الناصب ليوم ينفخ والمعنى ويوم ينفخ فى الصور وكان كيت وكيت اثاب
الله المحسنين وعاقب المجرمين ثم قال صنع الله يريد به الاثابة والمعاقبة وجعل هذا الصنع من
جملة الاشياء التى اتقنها واتى بها على الحكمة والصواب حيث قال صنع الله الذى اتقن كل شىء يعنى ان
مقابلة الحسنة بالثواب والسيئة بالعقاب من جملة احكامه للاشياء واتقانه لها واجرائه لها على قضايا
الحكمة **انه خبير بما تفعلون** انه عالم بما يفعل العباد وبما يستوجبون عليه فيكافئهم على حسب ذلك
ثم لخص ذلك بقوله من جاء بالحسنة الى اخر الايتين فانظر الى بلاغة هذا الكلام وحسن نظمه
وترتيبه ومكانة اضماده ورصانة تفسيره واخذ بعضه بحجزة بعض كانما افرغ افراغا واحدا
ولامر ما اعجز القوى واخرس الشقاشق ونحو هذا المصدر اذا جاء عقيب كلام جاء كالشاهد
بصحته والمنادى على سداده وانه كان ينبغى ان يكون الا كما قد كان الا ترى الى قوله صنع الله وصبغة
الله ووعد الله وفطرة الله بعدما وسمها باضافتها اليه بسمة التعظيم كيف تلاها بقوله الذى
اتقن كل شىء ومن احسن من الله صبغة ان الله لا يخلف الميعاد لا تبديل لخلق الله وقرى تفعلون
على الخطاب **من جاء بالحسنة فله خير منها** يريد الاضعاف وان العمل يتقضى والثواب يدوم
وشتان ما بين فعل العبد وفعل السيد وقيل فله خير منها اى له خير حاصل من جهتها وهو الجنة
وعن ابن عباس كلمة الشهادة **وهم من فزع يومئذ آمنون** وقرى يومئذ مفتوحا مع الاضا[فة]
لانه اضيف الى غير متمكن ومنصوبا مع تنوين فزع فان قلت ما الفرق بين الفزعين قلت
الفزع الاول هو ما لا يخلو منه احد عند الاحساس بشدة تقع وهول يفجأ من رعب وهيبة
وان كان المحسن يأمن لحاق الضرر به كما يدخل الرجل على الملك بصدر هياب وقلب وجاب
وان كانت ساعة اعزاز وتكرمة واحسان وتولية واما الثانى فالخوف من العذاب فان قلت
فمن قرا من فزع بالتنوين ما معناه قلت يحتمل معنيين من فزع واحد وهو خوف العقاب واما
ما يلحق الانسان من التهيب والرعب لما يرى من الاهوال والعظائم فلا يخلون منه لان البشرية
تقتضى ذلك وفى الاخبار والاثار ما يدل عليه ومن فزع شديد مفرط الشدة لا يكتنهه الوصف
وهو خوف النار **امنون** امن يعدى بالجار وبنفسه كقوله تعالى افامنوا مكر الله **ومن جاء بالسيئة**
قيل السيئة الاشراك **فكبت وجوههم فى النار** عبر عن الجملة بالوجه والراس والرقبة فكانه
قيل فكبوا فى النار كقوله فكبكبوا فيها ويجوز ان يكون ذكر الوجه ايذانا بانهم يكبون على وجوههم
فيها منكوسين **هل تجزون الا ما كنتم تعملون** يجوز فيه الالتفات وحكاية ما يقال
لهم عند الكب باضمار القول **انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذى حرمها وله كل شىء**
وامرت ان اكون من المسلمين وان اتلو القرءان امر رسوله صلى الله عليه وسلم بان يقول
امرت بان اخص الله وحده بالعبادة ولا اتخذ له شريكا كما فعلت قريش وان اكون من الحنفاء
الثابتين على ملة الاسلام وان اتلو القرءان من التلاوة او من التلو كقوله واتبع ما يوحى اليك والبلدة
مكة حرسها الله تعالى اختصها من بين سائر البلاد باضافة اسمه اليها لانها احب بلاده اليه واكرمها
عليه واعظمها عنده وهكذا قال النبى صلى الله عليه وسلم حين خرج فى مهاجره فلما بلغ الحزورة
استقبلها بوجهه الكريم فقال انى اعلم انك احب بلاد الله الى الله ولولا ان اهلك اخرجونى ما
خرجت واشار اليها اشارة تعظيم لها وتقريب دالا على انها موطن نبيه ومهبط وحيه ووصف ذاته بالتحريم
الذى هو خاص وصفها فاجزل بذلك قسمها فى الشرف والعلو ووصفها بانها محرمة لا ينتهك
حرمتها الا ظالم مضاد لربه ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم لا يختلى خلاها ولا
يعضد شجرها ولا ينفر صيدها والالتجئ اليها امن وجعل دخول كل شىء تحت ربوبيته وملكوته
كالتابع لدخولها تحتهما وفى ذلك اشارة الى ان ملكا ملك مثل هذه البلدة العظيمة الشان قد ملكها

وملك اليها كل شي اللهم بارك لنا في سكناها وامتنانها كل ذي شرف لا يستطلا من حواليها الا البلد الحرام
وقرى التي حرمها واتل عليهم هذا القرآن ... ومن اهتدى باتباعه اياي
فيما اتاكم صدده من توحيد الله ونفي الانداد عنه والدخول في الملة الحنيفية واتباع ما انزل علي من الوحي
فانما يهتدي لنفسه فمنفعتها عائدة اليه لا الي ومن ضل بمخالفتي فقل انما انا
من المنذرين فلا علي وما انا الا رسول منذر وما على الرسول الا البلاغ وقل الحمد لله سيريكم اياته
فتعرفونها ثم امر ان يحمد الله على ما خوله من نعمة النبوة ... ويهددهم باعدائه بانه سيريكم اياته
من اياته التي تلجيهم الى المعرفة والاقرار بانها ايات الله ولكن حين لا ينفعهم ...
عن الحسن وعن الكلبي الدخان وانشقاق القمر وما حل بهم من نقمات الله في الدنيا وقيل هو كقوله سنريهم
اياتنا في الافاق وفي انفسهم وما ربك بغافل عما تعملون وكل عمل يعملونه فالله عالم
به غير غافل عنه لان الغفلة والسهو لا يجوزان على عالم الذات وهو مجاز لهم ... العاملين
يعملون بالياء والتاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا طس كان له من الاجر عشر حسنات
بعدد من صدق سليمان وكذب به وهود وشعيب وصالح وابراهيم ويخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله

سورة القصص مكية وهي ثمانون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم تلك ايات الكتاب المبين نتلو عليك من نبإ موسى وفرعون
مفعول نتلو اي نتلو عليك بعض خبرهما بالحق محقين كقوله تنبت بالدهن لقوم يؤمنون
لانهم المنتفعون به ان فرعون علا في الارض جملة مستانفة
كالتفسير للمجمل كان قائلا قال وكيف كان نباهما فقال ان فرعون علا في الارض بغى وتكبر وعلا
فيها وجاوز الحد في الظلم والعسف وجعل اهلها شيعا فرقا يشيعونه على ما يريد ويطيعونه لا يملك
احد منهم ان يلوي عنقه قال الاعشى
وبلدة يرهب الجواب دلجتها ... حتى تراه عليها يبتغي الشيعا
او يشيع بعضهم بعضا في طاعته او اصنافا في استخدامه يستعمل كل صنف في عمل من بناء وحرث وحفر
ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية او فرقا مختلفة قد اغرى بينهم العداوة وهم بنو اسرائيل
والقبط يستضعف طائفة منهم يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم الطائفة المستضعفة بنو اسرائيل
والابناء ان كاهنا قال له يولد مولود في بني اسرائيل يذهب ملكك على يده وذلك كان من غاية حمق
فرعون فانه ان صدق الكاهن لم ينفع القتل وان كذب فما وجه القتل ويستحيي نساءهم يحتمل كونه حالا
من الضمير في يذبح وجعله صفة لشيعا او كلاما مستانفا انه كان من
المفسدين بيان ان القتل ما كان الا فعل المفسدين ...
فان قلت علام عطف قوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونظيره ان فرعون علا في الارض
ويستضعف عند سيبويه قلت هي جملة معطوفة على قوله ان فرعون علا في الارض لانها نظيرة تلك
ووقوعها تفسيرا لنبا موسى وفرعون واقتصاصا له ونريد حكاية حال ماضية ويجوز ان تكون
حالا من يستضعف اي يستضعفهم فرعون ونحن نريد ان نمن عليهم فان قلت كيف يجتمع استضعافهم
وارادة الله المنة عليهم واذا اراد الله شيئا كان ... ان نمن عليهم بانجائهم من باسه
الدين والدنيا ... الناس عقبا بهم وعن ابن عباس قادة يقتدى بهم في الخير وعن مجاهد دعاة الى الخير
وعن قتادة ولاة كقوله وجعلكم ملوكا ونجعلهم الوارثين لما كان لفرعون وقومه من ملكهم
وكل ما كان لهم ونمكن لهم في الارض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون
مكن له اذا جعل له مكانا يقعد عليه او يرقد فوطاها ومهدها ومعنى التمكين لهم في الارض
وهي ارض مصر والشام ان يجعلها بحيث لا تنبو بهم ولا تغث عليهم كما كانت في ايام الجبابرة وينفذ امرهم
ويطلق ايديهم ويسلطهم وقرئ ويرى فرعون وهامان وجنودهما اي يرون منهم ما كانوا يحذرون اي ذهاب
ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه

طائفة منهم بني اسرائيل

في اليم

في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين اليم البحر قيل هو نيل مصر فان قلت
ما المراد بالخوفين حتى اوجب احدهما ونهى عن الاخر قلت اما الاول فالخوف عليه من القتل لانه
كان اذا صاح خافت ان يسمع الجيران صوته فينموا عليه واما الثاني فالخوف من الغرق ومن الضياع ومن
الوقوع في يد بعض العيون المبثوثة من قبل فرعون في تطلب الولدان وغير ذلك من المخاوف فان قلت
ما الفرق بين الخوف والحزن قلت الخوف غم يلحق الانسان لمتوقع والحزن غم يلحقه لواقع وهو
فراقه والاخطار به فنهيت عنهما جميعا واومنت بالوحي اليها ووعدت ما يسليها ويطامن قلبها
ويملاها غبطة وسرورا وهو رده اليها وجعله من المرسلين وروي انه ذبح في طلب موسى تسعون
الف وليد وروي انها حين اقربت وضربها الطلق وكانت بعض القوابل الموكلات بحبالى بني اسرائيل
مصافية لها فقالت لينفعني حبك اليوم فعالجتها فلما وقع على الارض هالها نور بين عينيه وارتعش
كل مفصل منها ودخل حبه قلبها ثم قالت لها ما جئتك الا لاقتل مولودك واخبر فرعون ولكني وجدت
لابنك حبا ما وجدت مثله فاحفظيه فلما خرجت جاء عيون فرعون فلفته في خرقة ووضعته
في تنور مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلفوا شيئا فخرجوا وهي لا تدري مكانه
فسمعت بكاه من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما فلما الح فرعون في طلب
الولدان اوحى الله اليها فالقته في اليم وقد روي انها ارضعته ثلاثة اشهر في تابوت من بردي
مطلي بالقار من داخله فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا اللام في ليكون هي لام
كي التي معناها التعليل كقولك جئتك لتكرمني سواء بسواء ولكن معنى التعليل فيها وارد
على طريق المجاز دون الحقيقة لانه لم يكن داعيهم الى الالتقاط ان يكون لهم عدوا وحزنا ولكن المحبة
والتبني غير ان ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له وثمرته شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل
لاجله وهو الاكرام الذي هو نتيجة المجيء والتادب الذي هو ثمرة الضرب في قولك ضربته ليتادب
وتحريره ان هذه اللام حكمها حكم الاسد حيث استعيرت لما يشبه التعليل كما يستعار الاسد
لمن يشبه الاسد وقرئ وحزنا وهما لغتان كالعدم والعدم ان فرعون وهامان وجنودهما
كانوا خاطئين في كل شي فليس خطاؤهم في تربية عدوهم ببدع منهم او كانوا مذنبين
مجرمين فعاقبهم الله بان ربى عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على ايديهم وقرئ خاطين تخفيف
خاطئين او خاطين الصواب الى الخطا وقالت امرات فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه
روي انهم حين التقطوا التابوت عالجوا فتحه فلم يقدروا عليه فعالجوا كسره فاعياهم فدنت اسية
فرات في جوف التابوت نورا فعالجته ففتحته فاذا بصبي نوره بين عينيه وهو يمص ابهامه لبنا
فاحبوه وكانت لفرعون بنت برصاء وقالت له الاطباء لا تبرا الا من قبل البحر يوجد فيه شبه
انسان دواؤها ريقه فلطخت البرصاء برصها بريقه فبرات وقيل لما نظرت الى وجهه برات
فقالت ان هذه لنسمة مباركة فهذا احد ما عطفهم عليه فقال الغواة من قومه هو الصبي الذي
تحذر منه فاذن لنا في قتله فهم بذلك فقالت اسية قرة عين لي ولك فقال فرعون لك لا لي وروي
في حديث لو قال قرة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها وهذا على سبيل الفرض والتقدير اي
لو كان غير مطبوع على قلبه كاسية لقال مثل قولها ولاسلم كما اسلمت هذا ان صح الحديث تاويله والله اعلم
بصحته وروي انها قالت له لعله من قوم اخرين ليس من بني اسرائيل قرة عين خبر مبتدا محذوف
ولا يقوى ان تجعله مبتدا ولا تقتلوه خبرا ولو نصب لكان اقوى وقراءة ابن مسعود دليل على انه خبر
قرأ لا تقتلوه قرة عين لي ولك بتقديم لا تقتلوه عسى ان ينفعنا فان فيه مخايل اليمن ودلائل النفع
لاهله وذلك لما عاينت من النور وارتضاع الابهام وبرء البرصاء ولعلها توسمت في سيماه النجابة المؤذنة
بكونه نفاعا او نتخذه ولدا او نتبناه فانه اهل للتبني ولان يكون ولدا لبعض الملوك فان قلت
وهم لا يشعرون حال ممن ذو حالها قلت ذو حالها ال فرعون وتقدير الكلام فالتقطه ال
فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امرات فرعون الاية جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف
والمعطوف عليه مؤكدة لمعنى خطائهم وما احسن نظم هذا الكلام عند المرتاض بعلم محاسن النظم

لد

وأصبح فؤاد أم موسى فارغا صفرا من العقل والمعنى أنها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طار
عقلها لما دهمها من فرط الجزع والدهش ونحوه قوله تعالى وأفئدتهم هواء أي جوف لا عقول فيها ومنه بيت حسان

ألا أبلغ أبا سفيان عني ۝ فأنت مجوف نخب هواء ۝

وذلك أن القلوب مراكز العقول ألا ترى إلى قوله فتكون لهم قلوب يعقلون بها ويدل عليه قراءة من قرأ
فزعا وقرئ فرغا أي خاليا من قولهم أعوذ بالله من صفر الإناء وفرغ الفناء وفرغا من قولهم دماؤهم
بينهم فرغ أي هدر يعني بطل قلبها وذهب وبقيت لا قلب لها من شدة ما ورد عليها إن كادت لتبدي
به لتظهر به والضمير لموسى والمراد بأمره وقصته وأنه ولدها لولا أن ربطنا على قلبها بإلهام
الصبر كما يربط على الشيء المنفلت ليقر ويطمئن لتكون من المؤمنين ۝ من المصدقين بأن وعد الله حق وهو
قوله إنا رادوه إليك ويجوز وأصبح فؤادها فارغا من الهم حين سمعت أن فرعون عطف عليه
وتبناه إن كادت لتبدي بأنه ولدها لأنها لم تملك نفسها فرحا وسرورا بما سمعت لولا أنا طامنا قلبها
وسكنا قلقه الذي حدث به من شدة الفرح والابتهاج لتكون من المؤمنين الواثقين بوعد الله
لا بتبني فرعون وتعطفه وقرئ مؤسى بالهمز جعلت الضمة في جارة الواو وهي الميم كأنها فيها فهمزت
كما يهمز وجوه وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب قصيه اتبعي أثره وتتبعي خبره وقرئ
فبصرت بالكسر يقال بصرت به عن جنب وعن جنابة بمعنى عن بعد وقرئ عن جانب وعن جنب
والجنب الجانب يقال قعد إلى جنبه وإلى جانبه أي نظرت إليه مزورة متجانفة مخاتلة وهم لا
يشعرون وهم لا يحسون بأنها أخته وكان اسمها مريم وحرمنا عليه المراضع التحريم استعارة للمنع
لأن من حرم عليه الشيء فقد منعه ألا ترى إلى قولهم محظور وحجر وذلك لأن الله منعه أن يرضع
ثديا فكان لا يقبل ثدي مرضع قط حتى أهمهم ذلك والمراضع جمع مرضع وهي المرأة التي ترضع أو جمع
مرضع وهو موضع الرضاع يعني الثدي أو الرضاع من قبل من قبل قصصها أثره فقالت هل أدلكم
على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن وروي
أنها لما قالت وهم له ناصحون قال هامان إنها لتعرفه وتعرف أهله فقالت إنما أردت وهم للملك ناصحون والنصح
إخلاص العمل من شائب الفساد فانطلقت إلى أمها بأمرهم فجاءت بها والصبي على يد فرعون يعلله
شفقة عليه وهو يبكي يطلب الرضاع فحين وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال فرعون ومن
أنت منه فقد أبى كل ثدي إلا ثديك فقالت إني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا أوتى بصبي إلا قبلني
فدفعه إليها وأجرى عليها وذهبت به إلى بيتها وأنجز الله وعده في الرد فعندها ثبت واستقر في علمها أن
سيكون نبيا وذلك قوله ولتعلم أن وعد الله حق أي ولتتبين علمها وتتمكن فإن قلت كيف حل لها أن
تأخذ الأجر على الرضاع قلت ما كانت تأخذه على أنه أجر على الرضاع ولكن مال حربي كانت تأخذه
على وجه الاستباحة ولكن أكثرهم لا يعلمون داخل تحت علمها المعنى لتعلم أن وعد الله حق ولكن
أكثر الناس لا يعلمون أنه حق فيرتابون ويشبه التعريض بما فرط منها حين سمعت بخبر موسى فجزعت
وأصبح فؤادها فارغا وروي أنها حين ألقت التابوت في اليم جاءها الشيطان فقال لها يا أم موسى كرهت
أن يقتل فرعون موسى فتؤجري ثم ذهبت فتوليت قتله فلما أتاها الخبر بأن فرعون أصابه قالت وقع
في يد العدو فنسيت وعد الله ويجوز أن يتعلق ولكن بقوله ولتعلم ومعناه أن الرد إنما كان لهذا
الغرض الديني وهو علمها بصدق وعد الله ولكن الأكثر لا يعلمون بأن هذا هو الغرض الأصلي الذي ما
سواه تبع له من قرة العين وذهاب الحزن ولما بلغ أشده واستوى واعتدل وتم استحكامه وبلغ المبلغ
الذي لا يزاد عليه كما قال لقيط ۝

واستحملوا أمركم لله دركم ۝ شزر المريرة لا قحما ولا ضرعا ۝

آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين ۝ العلم التوراة والحكم السنة وحكمة الأنبياء
سنتهم قال الله تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة وقيل معناه آتيناه سيرة الحكماء
العلماء وسمتهم قبل البعث فكان لا يفعل فعلا يستجهل فيه ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها
فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته

على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل
مبين ۝ قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم ۝ المدينة مصر وقيل
مدينة منف من أرض مصر وحين غفلتهم ما بين العشاءين وقيل وقت القائلة وقيل يوم عيد لهم
هم مشتغلون فيه بلهوهم وقيل لما شب وعقل أخذ يتكلم بالحق وينكر عليهم فأخافوه فلا يدخل
قرية إلا على تغفل والمستغاث الذي من شيعته من شايعه على دينه من بني إسرائيل وهو السامري
من عدوه من مخالفيه من القبط وهو فاتون وكان يتسخر الإسرائيلي لحمل الحطب إلى مطبخ فرعون
والوكز الدفع بأطراف الأصابع وقيل بجمع الكف وقرأ ابن مسعود فلكزه باللام فقضى عليه
فقتله فإن قلت لم جعل قتل الكافر من عمل الشيطان وسماه ظلما لنفسه واستغفر منه قلت لأنه قتله
قبل أن يؤذن في القتل فكان ذنبا يستغفر منه وعن ابن جريج ليس لنبي أن يقتل ما لم يؤمر قال رب
بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين ۝ بما أنعمت علي يجوز أن يكون قسما جوابه محذوف تقديره
أقسم بإنعامك علي بالمغفرة لأتوبن فلن أكون ظهيرا للمجرمين وأن يكون استعطافا كأنه
قال رب اعصمني بحق ما أنعمت علي من المغفرة فلن أكون إن عصمتني ظهيرا للمجرمين وأراد بمظاهرة
المجرمين إما صحبة فرعون وانتظامه في جملته وتكثير سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد
مع الوالد وكان يسمى ابن فرعون وإما مظاهرة من أدت مظاهرته إلى الجرم والإثم كمظاهرة الإسرائيلي
المؤدية إلى القتل الذي لم يحل له وعن ابن عباس لم يستثن فابتلي به مرة أخرى يعني لم يقل فلن أكون
إن شاء الله تعالى وهذا نحو قوله تعالى ولا تركنوا إلى الذين ظلموا وعن عطاء رحمه الله تعالى أن رجلا قال له إن أخي
يضرب بقلمه ولا يعدو رزقه قال فمن الرأس يعني من يكتب له قال خالد بن عبد الله القسري قال
فأين قول موسى وتلا هذه الآية وفي الحديث ينادي مناد يوم القيامة أين الظلمة وأشباه الظلمة وأعوان
الظلمة حتى من لاق لهم دواة أو برى لهم قلما فيجمعون في تابوت من حديد فيرمى بهم في جهنم وقيل
معناه بما أنعمت علي من القوة فلن أستعملها إلا في مظاهرة أوليائك وأهل طاعتك والإيمان بك ولا أدع
قبطيا يغلب أحدا من بني إسرائيل فأصبح في المدينة خائفا يترقب فإذا الذي استنصره بالأمس
يستصرخه قال له موسى إنك لغوي مبين ۝ يترقب المكروه وهو الاستقادة منه أو الأخبار
وما يقال فيه ووصف الإسرائيلي بالغي لأنه كان سبب قتل رجل وهو يقاتل آخر فلما أن أراد أن
يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس إن تريد
إلا أن تكون جبارا في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين ۝ وقرئ يبطش بالضم والذي هو
عدو لهما القبطي لأنه ليس على دينهما ولأن القبط كانوا أعداء بني إسرائيل والجبار الذي يفعل ما
يريد من الضرب والقتل بظلم لا ينظر في العواقب ولا يدفع بالتي هي أحسن وقيل المتعظم الذي
لا يتواضع لأمر الله ولما قال هذا أفشى على موسى فانتشر الحديث في المدينة ورقي إلى فرعون وهموا
بقتله وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج
إني لك من الناصحين ۝ قيل الرجل مؤمن آل فرعون وكان ابن عم فرعون ويسعى يجوز ارتفاعه
وصفا لرجل وانتصابه حالا عنه لأنه قد تخصص بأن وصف بقوله من أقصى المدينة وإذا جعل صلة
لجاء لم يجز في يسعى إلا الوصف والائتمار التشاور يقال الرجلان يتآمران لأن كل واحد منهما يأمر صاحبه
بشيء أو يشير عليه بأمر والمعنى يتشاورون بسببك لك بيان وليس بصلة لأن الصلة لا تتقدم فخرج
منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين ۝ يترقب التعرض له في الطريق أو أن يلحق
ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل ۝ تلقاء مدين قصدها ونحوها
ومدين قرية شعيب عليه الصلاة والسلام سميت بمدين بن إبراهيم ولم تكن في سلطان فرعون وبينها
وبين مصر مسيرة ثمان وكان موسى عليه الصلاة والسلام لا يعرف إليها الطريق قال ابن عباس خرج
وليس له علم بالطريق إلا حسن ظنه بربه وسواء السبيل وسطه ومعظم نهجه وقيل خرج حافيا
لا يعيش إلا بورق الشجر فما وصل حتى سقط خف قدميه وقيل جاءه ملك على فرس بيده عنزة فانطلق
به إلى مدين ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ۝ ماء مدين ماؤهم الذي
يستقون منه وكان بئرا فيما روي وورده مجيئه والوصول إليه وجد عليه وجد فوق شفيره
ومستقاه أمة جماعة كثيفة العدد من أناس مختلفين ووجد من دونهم في مكان

اشغل من مكانهم **امرأتين تذودان** والذود الطرد والدفع وانما كانتا تذودان لأن على الماء من
هو اقوى منهما فلا تتمكنان من السقي وقيل كانتا تكرهان المزاحمة على الماء وقيل لئلا تختلط اغنامهما باغنامهم
وقيل تذودان عن وجوههما نظر الناظر لتسترهما **قال ما خطبكما** ما شأنكما وحقيقته ما مخطوبكما
اي مطلوبكما من الذياد فسمي المخطوب خطبا كما سمي المشؤون شأنا في قولك ما شأنك يقال شأنت شأنه
اي قصدت قصده **قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء** وقرئ لا نُسقي ويُصدر والرعاء بضم الراء
والثنا اسم جمع كالرخال والثنا واما الرعا بالكسر فقياس كصيام وقيام **وأبونا شيخ كبير**
كبير السن لا يقدر على السقي **فسقى لهما** فسقى غنمهما لاجلهما وروي ان الرعاة كانوا يضعون على راس البئر حجرا لا يقله
الا سبعة رجال وقيل عشرة وقيل اربعون وقيل مائة فاقله وحده وروي انه سألهم دلوا من ماء
فاعطوه دلوهم وقالوا استق بها وكانت لا ينزعها الا اربعون فاستقى بها وصبها في الحوض ودعا
بالبركة وروى غنمهما واصدرهما وروي انه دفعهم عن الماء حتى سقى لهما وقيل كانت بئرا اخرى
عليها الصخرة وانما فعل هذا رغبة في المعروف واغاثة للملهوف والمعنى انه وصل الى ذلك الماء وقد
ازدحمت عليه امة من اناس مختلفة متكاثفة العدد ورأى الضعيفتين من ورائهم مع غنيمتهما
مترقبتين لفراغهم فما اخطأت همته في دين الله تلك الفرصة مع ما كان به من النصب وسقوط خف
القدم والجوع ولكنه رحمهما فاغاثهما وكفاهما امر السقي في مثل تلك الزحمة بقوة قلبه وقوة ساعده
وما آتاه الله من الفضل في متانة الفطرة ورصانة الجبلة وفيه مع ارادة اقتصاص امره وما اوتي من
البطش والقوة وما لم يغفل عنه على ما كان به من انتهاز فرصه وبعث على الاقتداء في ذلك بالصالحين
والاخذ بسيرهم ومذاهبهم فان قلت لم ترك المفعول غير مذكور في قوله يسقون وتذودان ولا
نسقي قلت لان الغرض هو الفعل لا المفعول الا ترى انه انما رحمهما لانهما كانتا على الذياد وهم على السقي
ولم يرحمهما لان مذودهما غنم ومسقيهم ابل مثلا وكذلك قولهما لا نسقي حتى يصدر الرعاء
المقصود فيه السقي لا المسقي فان قلت كيف طابق جوابهما سؤاله قلت سألهما عن سبب الذود
فقالتا السبب في ذلك انا امرأتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة الرجال ومزاحمتهم
فلا بد لنا من تأخير السقي الى ان يفرغوا وما لنا رجل يقوم بذلك وابونا شيخ قد اضعفه الكبر فلا يصلح
للقيام به ابلتا اليه عذرهما في توليهما السقي بانفسهما فان قلت كيف ساغ لنبي الله الذي هو
شعيب عليه الصلوة والسلام ان يرضى لابنتيه بسقي الماشية قلت الامر في نفسه ليس بمحظور
فالدين لا يأباه واما المروءة فالناس مختلفون في ذلك والعادات متباينة فيه واحوال العرب فيه
خلاف احوال العجم ومذهب اهل البدو فيه غير مذهب اهل الحضر خصوصا اذا كانت الحالة حالة
ضرورة **ثم تولى الى الظل فقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير** اي لاي شيء انزلت الي قليل
او كثير غث او سمين لفقير وانما عدي فقير باللام لانه ضمن معنى سائل وطالب وقيل ذكر ذلك وان
خضرة البقل لتتراءى في بطنه من الهزال ما سأل الله الا اكلة ويحتمل ان يريد اني فقير في الدنيا
لاجل ما انزلت الي من خير الدين وهو النجاة من الظالمين لانه كان عند فرعون في ملك وثروة قال ذلك
رضى بالبدل السني وفرحا به وشكرا له وكان الظل ظل سمرة **فجاءته احداهما تمشي على استحياء**
قالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف
نجوت من القوم الظالمين على استحياء في موضع الحال اي مستحيية متخفرة وقيل استترت
بكم درعها روي انهما لما رجعتا الى ابيهما قبل الناس واغنامهما حفل بطان قال لهما ما اعجلكما قالتا
وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لاحداهما اذهبي فادعيه لي فتبعها موسى فالزقت الريح ثوبها
بجسدها فوصفته فقال لها امشي خلفي وانعتي لي الطريق فلما قص عليه قصته قال له لا تخف
نجوت من القوم الظالمين فان قلت فكيف ساغ لموسى عليه الصلوة والسلام ان يعمل بقول امرأة وان
يمشي معها وهي اجنبية قلت اما العمل بقول امرأة فكما يعمل بقول الواحد حرا كان او عبدا ذكرا
كان او انثى في الاخبار وما كانت الا مخبرة عن ابيها بانه يدعوه ليجزيه واما مماشاته امرأة اجنبية
فلا بأس بها في نظائر تلك الحال مع ذلك الاحتياط والتورع فان قلت فكيف صح له اخذ الاجر
على البر والمعروف قلت يجوز ان يكون قد فعل ذلك لوجه الله تعالى على سبيل البر والمعروف وقبل
اطعام شعيب واحسانه لا على سبيل اخذ الاجرة ولكن على سبيل التقبل لمعروف مبتدأ كيف وقد

قص عليه

قص عليه قصصه وعرفه انه من بيت النبوة من اولاد يعقوب ومثله حقيق بان يضيف ويكرم
خصوصا في دار نبي من انبياء الله وليس بمنكر ان يفعل ذلك لاضطرار الفقر والفاقة طلبا للاجر
وقد روي ما يعضد كلا القولين روي انها لما قالت ليجزيك كره ذلك ولما قدم اليه الطعام
امتنع وقال انا اهل بيت لا نبيع ديننا بطلاع الارض ذهبا ولا نأخذ على المعروف ثمنا حتى قال
شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا وعن عطاء بن السائب رفع صوته بدعائه ليسمعهما
فلذلك قيل له ليجزيك اجر ما سقيت والقصص مصدر كالعلل سمي به المقصوص **قالت احداهما**
يا ابت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين كبراهما كانت تسمى صفرا والصغرى
صفيرا وصفرا هي التي ذهبت به وطلبت الى ابيها ان يستأجره وهي التي تزوجها وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ان شعيبا احفظته الغيرة فقال وما علمك بقوته وامانته فذكرت اقلال الحجر
ونزع الدلو وانه صوب راسه حين بلغته رسالته وامرها بالمشي خلفه وقولها ان خير من
استأجرت القوي الامين كلام حكيم جامع لا يزاد عليه لانه اذا اجتمعت هاتان الخصلتان
اعني الكفاية والامانة في القائم بامرك فقد فرغ بالك وتم مرادك وقد استغنت بارسال هذا
الكلام الذي سياقه سياق المثل والحكمة ان تقول استأجره لقوته وامانته فان قلت كيف
جعل خير من استأجرت اسما لان والقوي الامين خبرا قلت هو مثل قوله

الا ان خير الناس حيا وهالكا ۞ اسير ثقيف عندهم في السلاسل ۞

في ان العناية هي سبب التقديم وقد صدقت حتى جعل لها ما هو احق بان يكون خبرا اسما وورود
الفعل بلفظ الماضي للدلالة على انه امر قد جرب وعرف ومنه قولهم اهون ما اعملت لسان ممخ
وعن ابن مسعود رضي الله عنه افرس الناس ثلاثة بنت شعيب وصاحب يوسف في قوله عسى ان
ينفعنا وابو بكر في عمر **قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي** روي انه انكحه صفرا وقوله **هاتين**
فيه دليل على انه كانت له غيرهما **على ان تأجرني ثماني حجج** تأجرني من اجرته اذا كنت له اجيرا
كقولك ابوته اذا كنت له ابا وثماني حجج ظرفه او من اجرته كذا اذا اثبته اياه ومنه تعزية
رسول الله صلى الله عليه وسلم آجركم الله ورحمكم وثماني حجج مفعول به ومعناه رعية ثماني حجج فان
قلت كيف صح ان ينكحه احدى ابنتيه من غير تمييز قلت لم يكن ذلك عقدا للنكاح ولكن
مواعدة ومواصفة امر قد عزم عليه ولو كان عقدا لقال قد انكحتك ولم يقل انكحك فان قلت
كيف صح ان يمهرها اجارة نفسه في رعية الغنم ولا بد من تسليم ما هو مال الا ترى الى ابي حنيفة
رحمه الله كيف منع ان تتزوج امرأة بان يخدمها سنة وجوز ان يتزوجها بان يخدم لها عبده سنة
او يسكنها داره سنة لانه في الاول مسلم نفسه وليس بمال وفي الثاني مسلم مالا وهو
العبد او الدار قلت الامر على مذهب ابي حنيفة رحمه الله تعالى على ما ذكرت واما الشافعي رحمه الله
فقد جوز التزوج على الاجارة لبعض الاعمال والخدمة اذا كان المستأجر له او المخدوم فيه امرا
معلوما ولعل ذلك كان جائزا في تلك الشريعة ويجوز ان يكون المهر شيئا آخر وانما اراد ان يكون راعي غنمه
هذه المدة واراد ان ينكحه ابنته فذكر له المرادين وعلق الانكاح بالرعية على معنى اني افعل هذا
اذا فعلت ذلك على وجه المعاهدة لا على وجه المعاقدة ويجوز ان يستأجره لرعية ثماني سنين بمبلغ معلوم
ويوفيه اياه ثم ينكحه ابنته به ويجعل قوله على ان تأجرني ثماني حجج عبارة عما جرى بينهما **فان اتممت عشرا**
فمن عندك فاتمامه من عندك والمعنى فهو من عندك لا من عندي يعني لا الزمكه ولا احتمه
عليك ولكنك ان فعلته فهو منك تفضل وتبرع والا فلا عليك **وما اريد ان اشق عليك** بالزام
اتم الاجلين وايجابه فان قلت ما حقيقة قولهم شققت عليه وشق عليه الامر قلت حقيقته ان الامر
اذا تعاظمك فكأنه شق عليك ظنك باثنين تقول تارة اطيقه وتارة لا اطيقه او وعده المساهلة
والمسامحة من نفسه وانه لا يشق عليه فيما استأجره له من رعي غنمه ولا يفعل نحو ما يفعل المعاسرون
من المستأجرين من المناقشة في مراعاة الاوقات والمداقة في استيفاء الاعمال وتكليف الرعاة
اشغالا خارجة عن حد الشرط وهكذا كان الانبياء عليهم الصلوة والسلام آخذين بالاسمح في معاملات
الناس ومنه الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شريكي فكان خير شريك لا يداري ولا يماري
وقوله **ستجدني ان شاء الله من الصالحين** يدل على ذلك يريد بالصلاح حسن المعاملة

ووطاءة الخلق ولين الجانب وكونه يريد الصلاح على العموم ويدخل تحته حسن المعاملة والمراد باشتراط مشيئة الله فيما وعد من الصلاح الاتكال على توفيقه فيه ومعونته لا انه يستعمل الصلاح ان شاء الله وان شاء استعمل خلافه قال ذلك بيني وبينك ذلك مبتدأ وبيني وبينك خبره وهو اشارة الى ما عاهده عليه شعيب عليه الصلوة والسلام يريد ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم بيننا جميعا لا يخرج كلانا عنه لا انا عما شرطت علي ولا انت عما شرطت على نفسك ثم قال أيما الأجلين قضيت اي اجل قضيت من الاجلين اطولهما الذي هو العشر او اقصرهما الذي هو الثماني فلا عدوان علي اي لا يعتدى علي في طلب الزيادة عليه فان قلت تصور العدوان انما هو في احد الاجلين الذي هو الاقصر وهو المطالبة بتتمة العشر فما معنى تعليق العدوان بهما جميعا قلت معناه كما اني ان طولبت بالزيادة على العشر كان عدوانا لا شك فيه فكذلك ان طولبت بالزيادة على الثماني اراد بذلك تقرير امر الخيار وانه ثابت مستقر وان الاجلين على السواء اما هذا واما هذا من غير تفاوت بينهما في القضاء واما التتمة فموكولة الى رأيي ان شئت اتيت بها والا لم اجبر عليها وقيل معناه فلا اكون متعديا وهو في نفي العدوان عن نفسه كقولك لا اثم علي ولا تبعة علي وفي قراءة ابن مسعود اي الاجلين ما قضيت وقرئ ايما بسكون الياء كقوله

۞ تنظرت نصرا والسماكين ايهما ۞ علي من الغيث استهلت مواطره ۞

وعن ابن قطيب عدوان بالكسر فان قلت ما الفرق بين موقعي ما المزيدة في القراءتين قلت وقعت في المستفيضة مؤكدة لابهام اي زائدة في شياعها وفي الشاذة تأكيدا للقضاء كأنه قال اي الاجلين صممت على قضائه وجردت عزيمتي له والله على ما نقول وكيل ۞ الوكيل الذي وكل اليه الامر ولما استعمل في موضع الشاهد والمهيمن والمقيت عدي بعلى لذلك فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا ۞ قال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون ۞ روي ان شعيبا عليه الصلوة والسلام كانت عنده عصي الانبياء عليهم الصلوة والسلام فقال لموسى عليه الصلوة والسلام بالليل ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصي فاخذ عصا هبط بها آدم من الجنة ولم يزل الانبياء عليهم الصلوة والسلام يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب عليه الصلوة والسلام فمسها وكان مكفوفا فضن بها فقال غيرها فما وقع في يده الا هي سبع مرات فعلم ان له شأنا وقيل اخذها جبريل عليه الصلوة والسلام بعد موت آدم فكانت معه حتى لقي بها موسى عليه الصلوة والسلام وقيل اودعها شعيبا عليه الصلوة والسلام ملك في صورة رجل فامر بنته ان تأتيه بعصا فاتته بها فردها سبع مرات فلم يقع في يدها غيرها فدفعها اليه ثم ندم لانها وديعة فتبعه فاختصما فيها ورضيا ان يحكم بينهما اول طالع فأتاهما الملك فقال القياها فمن رفعها فهي له فعالجها الشيخ عليه الصلوة والسلام فلم يطقها ورفعها موسى عليه الصلوة والسلام وعن الحسن ما كانت الا عصا من الشجر اعترضها اعتراضا وعن الكلبي الشجرة التي نودي منها شجرة العوسج ومنها كانت عصاه ولما اصبح قال له شعيب عليه الصلوة والسلام اذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على يمينك فان الكلأ وان كان بها اكثر الا ان فيها تنينا اخشاه عليك وعلى الغنم فاخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها فمشى على اثرها فاذا عشب وريف لم ير مثله فنام فاذا بالتنين قد اقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت الى جنب موسى عليه الصلوة والسلام دامية فلما ابصرها دامية والتنين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع الى شعيب عليه الصلوة والسلام مس الغنم فاخبره موسى عليه الصلوة والسلام ففرح وعلم ان لموسى عليه الصلوة والسلام والعصا شأنا وقال اني وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام كل ادرع ودرعاء فاوحي اليه في المنام ان اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى فما اخطأت واحدة الا وضعت ادرع ودرعاء فوفى له بشرطه سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اي الاجلين قضى موسى عليه الصلوة والسلام فقال ابعدهما واوفاهما وروي انه قال قضى اوفاهما وتزوج صغراهما وهذا خلاف الرواية التي سبقت الجذوة باللغات الثلاث وقرئ بهن جميعا العود الغليظ كانت في رأسه نار او لم تكن قال كثير ۞

۞ باتت حواطب ليلى يلتمسن لها ۞ جزل الجذا غير خوار ولا دعر ۞

قال

قال ۞ وألقى على قبس من النار جذوة ۞ شديد عليها حرها والتهابها ۞

فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين ۞ وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين ۞ اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم إليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك إلى فرعون وملئه إنهم كانوا قوما فاسقين ۞ قال رب إني قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون

من الاولى والثانية لابتداء الغاية اي اتاه النداء من شاطئ الواد من قبل الشجرة ومن الشجرة بدل من قوله من شاطئ الوادي بدل الاشتمال لان الشجرة كانت نابتة على الشاطئ كقوله لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم وقرئ البقعة بالضم والفتح والرهب بفتحتين وضمتين وسكون وضم وسكون وهو الخوف فان قلت ما معنى قوله واضمم اليك جناحك من الرهب قلت فيه معنيان احدهما ان موسى عليه الصلوة والسلام لما قلب الله العصا حية فزع واضطرب فاتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشيء فقيل له ان اتقاءك بيدك فيه غضاضة عند الاعداء فاذا القيتها فكما تنقلب حية فادخل يدك تحت عضدك مكان اتقائك بها ثم اخرجها بيضاء ليحصل الامران اجتناب ما هو غضاضة عليك واظهار معجزة اخرى والمراد بالجناح اليد لان يدي الانسان بمنزلة جناحي الطائر واذا ادخل يده اليمنى تحت عضده اليسرى فقد ضم جناحه اليه والثاني ان يراد بضم جناحه اليه تجلده وضبطه نفسه وتشدده عند انقلاب العصا حية حتى لا يضطرب ولا يرهب استعارة من فعل الطائر لانه اذا خاف نشر جناحيه وارخاهما والا فجناحاه مضمومان اليه مشمران ومنه ما يحكى عن عمر بن عبد العزيز ان كاتبا له كان يكتب بين يديه فانفلتت منه فلتة ريح فخجل وانكسر فقام وضرب بقلمه الارض فقال له عمر خذ قلمك واضمم اليك جناحك وليفرخ روعك فاني ما سمعتها من احد اكثر مما سمعتها من نفسي ومعنى قوله من الرهب من اجل الرهب اي اذا اصابك الرهب عند رؤية الحية فاضمم اليك جناحك جعل الرهب الذي كان يصيبه سببا وعلة فيما امر به من ضم جناحه اليه ومعنى واضمم اليك جناحك وقوله اسلك يدك في جيبك على احد التفسيرين واحد ولكن خولف بين العبارتين وانما كرر المعنى الواحد لاختلاف الغرضين وذلك ان الغرض في احدهما خروج اليد بيضاء وفي الثاني اخفاء الرهب فان قلت قد جعل الجناح وهو اليد في احد الموضعين مضموما وفي الآخر مضموما اليه وذلك قوله واضمم اليك جناحك وقوله واضمم يدك الى جناحك فما التوفيق بينهما قلت المراد بالجناح المضموم هو اليد اليمنى وبالمضموم اليه اليد اليسرى وكل واحدة من يمنى اليدين ويسراهما جناح ومن بدع التفاسير ان الرهب الكم بلغة حمير وانهم يقولون اعطني مما في رهبك وليت شعري كيف صحته في اللغة وهل سمع من الاثبات الثقات الذين ترتضى عربيتهم ثم ليت شعري كيف موقعه في الآية وكيف تطبيقه المفصل كسائر كلمات التنزيل على ان موسى صلوات الله عليه ما كان عليه ليلة المناجاة الا زرمانقة من صوف لا كمي لها فذانك قرئ مخففا ومشددا فالمخفف مثنى ذاك والمشدد مثنى ذلك برهانان حجتان نيرتان فان قلت لم سميت الحجة برهانا قلت لبياضها وانارتها من قولهم للمرأة البيضاء برهرهة بتكرير العين واللام معا والدليل على زيادة النون قولهم ابره الرجل اذا جاء بالبرهان ونظيره تسميتهم اياها سلطانا من السليط وهو الزيت لانارتها وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءا يصدقني يقال ردأته اعنته والردء اسم ما يعان به فعل بمعنى مفعول به كما ان الدفء اسم لما يتدفأ به قال سلامة بن جندل

۞ وردئي كل ابيض مشرفي ۞ شحيذ الحد ذي عضب فلول ۞

وقرئ ردا بالتخفيف كما قرئ الخب ويصدقني بالرفع والجزم صفة وجواب نحو يرثني ويرث فان قلت تصديق اخيه ما الفائدة فيه قلت ليس الغرض بتصديقه ان يقول له صدقت او يقول للناس صدق موسى وانما هو ان يلخص بلسانه الحق ويبسط القول فيه ويجادل به الكفار كما يفعل الرجل المنطيق ذو العارضة فذلك جار مجرى التصديق المفيد كما يصدق القول بالبرهان الا ترى الى قوله واخي هارون هو افصح مني لسانا فارسله معي وفضل الفصاحة انما يحتاج اليه لذلك لا لقوله صدقت لان سحبان وباقلا يستويان فيه او يصل جناح كلامه بالبيان حتى يصدقه

الذي تكافلت به فاسند التصديق الى هرون لانه السبب فيه اسنادا مجازيا ومعنى الاسناد المجازي
ان التصديق حقيقة في المصدق فاسناده اليه حقيقة وليس في السبب تصديق ولكن استعير له
الاسناد لانه لابس التصديق بالتسبب كما لابسه الفاعل بالمباشرة والدليل على هذا الوجه قوله إني أخاف
أن يكذبون وقراءة من قرأ ردا يصدقوني وفيه تقوية للقراءة بجزم يصدقني قال سنشد
عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما
الغالبون العضد قوام اليد وبشدتها تشتد قال طرفة
أبني لبينى لستم بيد ۞ إلا يدا ليست لها عضد
ويقال في دعاء الخير شد الله عضدك وفي ضده فت الله عضدك ومعنى سنشد عضدك
بأخيك سنقويك به ونعينك فاما ان يكون ذلك لان اليد تشتد بشدة العضد والجملة
تقوى بشدة اليد على مزاولة الامور واما لان الرجل شبه باليد في اشتدادها باشتداد العضد فجعل كانه
يد مشتدة بعضد شديدة سلطانا غلبة وتسلطا او حجة واضحة بآياتنا متعلق بنحو ما تعلق به
في تسع آيات اي اذهبا بآياتنا او بنجعل لكما سلطانا اي نسلطكما بآياتنا او بلا يصلون اي تمتنعون
منهم بآياتنا او هو بيان للغالبون لا صلة لامتناع تقدم الصلة على الموصول ولو تأخر لم يكن الا صلة
ويجوز ان يكون قسما جوابه لا يصلون مقدما عليه او من لغو القسم فلما جاءهم موسى بآياتنا
بينات قالوا ما هذا إلا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين سحر مفترى
تعمله انت ثم تفتريه على الله او سحر ظاهر افتراؤه او موصوف بالافتراء كسائر انواع السحر
وليس بمعجزة من عند الله في آبائنا حال منصوبة عن هذا اي كائنا في زمانهم وايامهم يريد ما حدثنا
بكونه فيهم ولا يخلو من ان يكونوا كاذبين في ذلك وقد سمعوا وعلموا بنحوه او يريدوا انهم لم يسمعوا بمثله
فظاعة او ما كان الكهان يخبرون بظهور موسى ومجيئه بما جاء به وهذا دليل انهم حجوا وبهتوا
وما وجدوا ما يدفعون به ما جاءهم من الآيات الا قولهم هذا سحر بدعة لم يسمعوا بمثلها وقال موسى
ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون
ربي اعلم منكم بحال من اهله الله للفلاح الاعظم حيث جعله نبيا وبعثه بالهدى ووعده حسن يقول
العقبى يعني نفسه ولو كان كما تزعمون كاذبا ساحرا مفتريا لما اهله لذلك لانه غني حكيم
لا يرسل الكاذبين ولا ينبئ الساحرين ولا يفلح عنده الظالمون وعاقبة الدار هي العاقبة المحمودة
والدليل عليه قوله عز وعلا اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن وقوله وسيعلم الكافر لمن
عقبى الدار والمراد بالدار الدنيا وعاقبتها وعقباها ان يختم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقى
الملائكة بالبشرى عند الموت فان قلت العاقبة المحمودة والمذمومة كلتاهما يصح ان تسمى عاقبة
الدار لان الدنيا اما ان تكون خاتمتها بخير او بشر فلم اختصت خاتمتها بالخير بهذه التسمية دون
خاتمتها بالشر قلت قد وضع الله سبحانه الدنيا مجازا الى الآخرة واراد بعباده ان لا يعملوا فيها الا
الخير وما خلقهم الا لاجله ليتلقوا خاتمة الخير في عاقبة الصدق ومن عمل فيها خلاف ما وضعها الله له
فقد حرف فاذن عاقبتها الاصلية هي عاقبة الخير واما عاقبة السوء فلا اعتداد بها لانها من نتائج
تحريف الفجار وقرأ ابن كثير قال موسى بغير واو على ما في مصحف اهل مكة وهي قراءة حسنة
لان الموضع موضع سؤال وبحث عما اجابهم به موسى عليه الصلوة والسلام عند تسميتهم مثل تلك الآيات
الباهرة سحرا مفترى ووجه الاخرى انهم قالوا ذلك وقال موسى هذا ليوازن الناظر بين القول والقول
ويتبصر فساد احدهما وصحة الآخر وبضدها تتبين الاشياء وقرئ تكون بالتاء والياء وقال فرعون
يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي
أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين روي انه لما امر ببناء الصرح جمع هامان العمال حتى اجتمع خمسون
الف بناء سوى الاتباع والاجراء وامر بطبخ الآجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير فشيدوه
حتى بلغ ما لم يبلغه بنيان احد من الخلق فكان الباني لا يقدر ان يقوم على رأسه يبني فبعث الله جبريل عند
غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع وقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت الف الف رجل
ووقعت قطعة في البحر وقطعة في المغرب ولم يبق احد من عماله الا وقد هلك ويروى في هذه القصة
ان فرعون ارتقى فوقه فرمى بنشابة نحو السماء فاراد الله ان يفتنهم فردت اليه وهي ملطوخة

بالدم

بالدم فقال قد قتلت إله موسى فعند ذلك بعث الله جبريل لهدمه والله اعلم بصحته قصد بنفي علمه بإله غيره
نفي وجوده كما قال عز وجل قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه معناه بما ليس
فيهن وذلك لان العلم تابع للمعلوم لا يتعلق به الا على ما هو عليه فاذا كان الشيء معدوما لم يتعلق به
موجودا فمن ثم كان انتفاء العلم بوجوده لانتفاء وجوده وعبر عن انتفاء وجوده بانتفاء العلم بوجوده
ويجوز ان يكون على ظاهره وان الها غيره غير معلوم عنده ولكنه مظنون بدليل قوله وإني لأظنه من
الكاذبين واذا ظن موسى عليه الصلوة والسلام كاذبا في اثباته الها غيره ولم يعلمه كاذبا فقد ظن ان في الوجود
الها غيره ولو لم يكن المخذول ظانا ظنا كاليقين بل عالما بصحة قول موسى عليه الصلوة والسلام لقول
موسى له لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر لما تكلف ذلك البنيان العظيم
ولما تعب في بنائه فاتعب لعله يطلع بزعمه الى اله موسى وان كان جاهلا مفرط الجهل به وبصفاته
حيث حسب انه في مكان كما كان هو في مكان وانه يطلع اليه كما كان يطلع اليه اذا قعد في
عليته وانه ملك السماء كما انه ملك الارض ولا ترى بينة اثبت شهادة على افراط جهله وغباوته وجهل
ملائه وغباوتهم من انهم راموا نيل اسباب السموات بصرح يبنونه وليت شعري اكان يلبس
على اهل بلاده ويضحك من عقولهم حيث صادفهم اغبى الناس واخلاهم من الفطن واشبههم بالبهائم
بذلك أم كان في نفسه بتلك الصفة وان صح ما حكي من رجوع النشابة اليه ملطوخة بالدم فتهكم
به بالفعل كما جاء التهكم بالقول في غير موضع من كتاب الله بنظرائه من الكفرة ويجوز ان يفسر
الظن على القول الاول باليقين كقوله ۞ فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج ۞ ويكون بناء الصرح مناقضة
لما ادعاه من العلم واليقين وقد خفيت على قومه لغباوتهم وبلههم او لم تخف عليهم ولكن كلا كان
يخاف على نفسه سوطه وسيفه وانما قال اوقد لي يا هامان على الطين ولم يقل اطبخ لي الآجر واتخذه
لانه اول من عمل الآجر فهو يعلمه الصنعة ولان هذه العبارة احسن طباقا لفصاحة القرآن وعلو
طبقته واشبه بكلام الجبابرة وامر هامان وهو وزيره ورديفه بالايقاد على الطين منادى باسمه
بيا في وسط الكلام دليل التعظم والتجبر وعن عمر رضي الله عنه انه حين سافر الى الشام ورأى
القصور المشيدة بالآجر قال ما علمت ان احدا بنى بالآجر غير فرعون والطلوع والاطلاع الصعود يقال
طلع الجبل واطلع بمعنى واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون
الاستكبار بالحق انما هو لله عز وجل وهو المتكبر على الحقيقة اي المتبالغ في كبرياء الشان قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حكى عن ربه الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا
منهما القيته في النار وكل مستكبر سواه فاستكباره بغير الحق يرجعون بالضم والفتح فأخذناه
وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين من الكلام المفخم الذي دل
به على عظمة شانه وكبرياء سلطانه شبههم استحقارا لهم واستقلالا لعددهم وان كانوا الكثير الكثير
والجم الغفير بحصيات اخذهن آخذ في كفه فطرحهن في البحر ونحو ذلك قوله والقينا فيها
رواسي شامخات وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة وما قدروا الله حق قدره والارض
جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه وما هي الا تصويرات وتمثيلات لاقتداره وان
كل مقدور وان عظم وجل فهو مستصغر الى جنب قدرته فان قلت ما معنى قوله وجعلناهم أئمة
يدعون إلى النار قلت معناه ودعوناهم ائمة دعاة الى النار وقلنا انهم ائمة دعاة الى النار كما يدعى
خلفاء الحق ائمة دعاة الى الجنة وهو من قولك جعله بخيلا وفاسقا اذا دعاه وقال انه بخيل وفاسق ويقول
اهل اللغة في تفسير فسقه وبخله جعله بخيلا وفاسقا ومنه قوله عز وعلا وجعلوا الملائكة الذين
هم عباد الرحمن اناثا ومعنى دعوتهم الى النار دعوتهم الى موجباتها من الكفر والمعاصي ويوم القيامة
لا ينصرون كما ينصر الائمة الدعاة الى الجنة ويجوز خذلناهم حتى كانوا ائمة الكفر ومعنى الخذلان
منع الالطاف وانما يمنعها من علم انها لا تنفع فيه وهو المصمم على الكفر الذي لا تغني عنه الآيات والنذر
ومجراه مجرى الكناية لان منع الالطاف يردف التصميم والغرض بذكره التصميم نفسه وكانه قال صمموا
على الكفر حتى كانوا ائمة فيه دعاة اليه والى سوء عاقبته فان قلت اي فائدة في ترك المردوف الى الرادف
قلت ذكر الرادف يدل على وجود المردوف مع الدليل الشاهد بوجوده فيكون اقوى لاثباته من ذكره الا ترى
انك تقول لولا انه مصمم على الكفر مقطوع امره مبتوت حكمه لما منعت منه الالطاف فبذكر منع الالطاف

يحصل العلم بوجود المصمم على الكفر وزيادة وهو قيام الحجة على وجوده ويبصر هذا الوجه قوله ويوم القيمة
لا ينصرون كأنه قيل وخذلناهم في الدنيا وهم يوم القيمة مخذولون كما قال وأتبعناهم في هذه الدنيا
لعنة ويوم اي طردا وابعادا عن الرحمة ويوم القيمة هم من المقبوحين اي المطرودين المبعدين
ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدى بصائر
نصب على الحال والبصيرة نور القلب الذي يستبصر به كما ان البصر نور العين الذي يبصر به يريد آتيناه
التورية انوارا للقلوب لانها كانت عميا لا تستبصر ولا تعرف حقا من باطل وارشادا لانهم كانوا
يخبطون في ضلال ورحمة لانهم لو عملوا بها وصلوا الى نيل الرحمة لعلهم يتذكرون ارادة ان
يتذكروا وشبهت الارادة بالترجي فاستعير لها ويجوز ان يراد ترجي موسى عليه الصلوة ليتذكرهم
كقوله تعالى لعله يتذكر وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين
الغربي المكان الواقع في شق الغرب وهو المكان الذي وقع فيه ميقات موسى من الطور وكتب الله له
في الالواح والامر المقضي الى موسى عليه الصلوة والسلام الوحي الذي اوحي اليه والخطاب لرسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم يقول وما كنت حاضر المكان الذي اوحينا فيه الى موسى عليه الصلوة والسلام ولا
كنت من جملة الشاهدين للوحي اليه او على الوحي اليه وهم نقباؤه الذين اختارهم للميقات حتى تقف
من جهة ذلك على ما جرى من امر موسى عليه الصلوة والسلام في ميقاته وكتبة التورية له في الالواح
وغير ذلك فان قلت كيف يتصل قوله ولكنا أنشأنا قرونا بهذا الكلام ومن اي وجه يكون
استدراكا له قلت اتصاله به وكونه استدراكا له من حيث ان معناه ولكنا انشأنا بعد
عهد الوحي (الى عهدك) قرونا كثيرة فتطاول عليهم على آخرهم وهم القرون الذين انت فيهم العمر اي امد
انقطاع الوحي واندرست العلوم فوجب ارسالك اليهم فارسلناك وكسبناك العلم بقصص
الانبياء وقصة موسى عليهم الصلوة والسلام كأنه قال وما كنت شاهدا لموسى وما جرى عليه ولكنا اوحينا
اليك فذكر سبب الوحي الذي هو اطالة الفترة ودل به على المسبب على عادة الله في اختصاراته فاذن
هذا الاستدراك شبيه الاستدراكين بعده وما كنت ثاويا اي مقيما في أهل مدين وهم شعيب
والمؤمنون به تتلو عليهم آياتنا تقرؤها عليهم تعلما منهم يريد الآيات التي فيها قصة شعيب وقومه
ولكنا كنا مرسلين ولكنا ارسلناك واخبرناك بها وعلمناكها وما كنت بجانب الطور إذ
نادينا يريد مناداة موسى ليلة المناجاة وتكليمه ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم
من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون ولكن علمناك رحمة وقرئ رحمة بالرفع اي هي رحمة ما
اتاهم من نذير في زمان الفترة بينك وبين عيسى عليهم الصلوة والسلام وهو خمسمائة وخمسون سنة
ونحوه قوله لتنذر قوما ما انذر آباؤهم ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا
لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين لولا الاولى امتناعية وجوابها محذوف
والثانية تحضيضية واحدى الفائين للعطف والاخرى جواب لولا لكونها في حكم الامر من قبل ان
الامر باعث على الفعل والباعث والمحضض من واد واحد والمعنى ولولا انهم قائلون اذا عوقبوا بما
قدموا من الشرك والمعاصي هلا ارسلت الينا رسولا محتجين علينا بذلك لما ارسلنا اليهم يعني ان
ارسال الرسول انما هو ليلزموا الحجة ولا يلزموها كقوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل
ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك فان قلت كيف استقام
هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هي السبب في الارسال لا القول لدخول حرف الامتناع عليها
دونه قلت القول هو المقصود بان يكون سببا لارسال الرسل ولكن العقوبة لما كانت هي السبب
للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة كأنها سبب الارسال بواسطة القول فادخلت
عليها لولا وجيء بالقول معطوفا عليها بالفاء المعطية معنى السببية ويؤول معناه الى قولك ولولا قولهم هذا
اذا اصابتهم مصيبة لما ارسلنا ولكن اختيرت هذه الطريقة لنكتة وهي انهم لو لم يعاقبوا مثلا على كفرهم
وقد عاينوا ما الجئوا به الى العلم اليقيني لم يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا وانما السبب في قولهم هذا هو
العقاب لا غير لا التأسف على ما فاتهم من الايمان بخالقهم وفي هذا من الشهادة القوية على استحكام
كفرهم ورسوخه فيهم ما لا يخفى كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ولما كانت اكثر الاعمال تزاول
بالايدي جعل كل عمل معبرا عنه باجتراح الايدي وتقديم الايدي وان كان من اعمال القلوب وهذا

المشاهدين

القول

من الاتساع

من الاتساع في الكلام وتصيير الاقل تابعا للاكثر وتغليب الاكثر على الاقل فلما جاءهم الحق من عندنا
وهو الرسول المصدق بالكتاب المعجز مع سائر المعجزات وقطعت معاذيرهم وسد طريق احتجاجهم
قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى من الكتاب المنزل جملة واحدة ومن قلب العصا حية وفلق
البحر وغيرها من الآيات فجاؤوا بالاقتراحات المبنية على التعنت والعناد كما قالوا لولا انزل عليه كنز
او جاء معه ملك وما اشبه ذلك أولم يكفروا يعني ابناء جنسهم ومن مذهبهم مذهبهم وعنادهم
عنادهم وهم الكفرة في زمن موسى عليه الصلوة والسلام ومعناه على هذا اولم يكفر آباؤهم قالوا في
موسى وهرون ساحران تظاهرا اي تعاونا وقرئ اظاهرا على الادغام وسحران بمعنى ذوا سحر وجعلوهما
سحرين مبالغة في وصفهما بالسحر او ارادوا نوعان من السحر وقالوا إنا بكل بكل واحد منهما كافرون
فان قلت بم علقت قوله من قبل في هذا التفسير قلت باولم يكفروا ولي ان اعلقه باوتي فينقلب
المعنى الى ان اهل مكة الذين قالوا هذه المقالة كما كفروا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وبالقرآن
فقد كفروا بموسى وبالتورية وقالوا في موسى ومحمد ساحران تظاهرا او في الكتابين سحران
تظاهرا وذلك حين بعثوا الرهط الى رؤساء اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد عليه الصلوة والسلام
فاخبروهم انه نعته وصفته في كتابهم فرجع الرهط الى قريش فاخبروهم بقول اليهود فقالوا
عند ذلك ساحران تظاهرا قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما مما انزل على موسى ومما
انزل علي أتبعه إن كنتم صادقين هذا الشرط من نحو ما ذكرت انه شرط الامر المحقق لصحته
لان امتناع الاتيان بكتاب اهدى من الكتابين امر معلوم متحقق لا مجال فيه للشك ويجوز ان يقصد بحرف
الشرط التهكم بهم فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم فان قلت ما الفرق بين فعل
الاستجابة في الآية وبينه في قوله فلم يستجبه عند ذاك مجيب حيث عدي بغير اللام قلت هذا الفعل
يتعدى الى الدعاء بنفسه والى الداعي باللام ويحذف الدعاء اذا عدي الى الداعي في الغالب فيقال استجاب
الله دعاءه واستجاب له ولا يكاد يقال استجاب له دعاءه واما البيت فمعناه فلم يستجب دعاءه على حذف المضاف
فان قلت فالاستجابة تقتضي دعاء فما هو هاهنا قلت قوله فأتوا بكتاب امر بالاتيان والامر
بعث على الفعل ودعاء اليه فكأنه قال فان لم يستجيبوا دعاءك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فاعلم
انهم قد الزموا ولم يبق لهم حجة الا اتباع الهوى ثم قال ومن أضل ممن اتبع هواه ممن لا يتبع في دينه
الا هواه بغير هدى من الله اي مطبوعا على قلبه ممنوع الالطاف إن الله لا يهدي القوم
الظالمين اي لا يلطف بالقوم الثابتين على الظلم الذين اللاطف بهم عابث وقوله بغير هدى
في موضع الحال يعني مخذولا مخلى بينه وبين هواه ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون
قرئ وصلنا بالتشديد والتخفيف والمعنى ان القرآن اتاهم متتابعا متواصلا وعدا ووعيدا
وقصصا وعبرا ومواعظ ونصائح ارادة ان يتذكروا فيفلحوا او نزل عليهم نزولا متصلا بعضه
في اثر بعض كقوله وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين الذين آتيناهم
الكتاب من قبله هم به يؤمنون نزلت في مؤمني اهل الكتاب وعن رفاعة بن قرظة نزلت
في عشرة انا احدهم وقيل في اربعين من مسلمي اهل الانجيل اثنان وثلاثون جاؤوا مع جعفر من
ارض الحبشة وثمانية من الشام والضمير في من قبله للقرآن وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق
من ربنا إنا كنا فان قلت اي فرق بين الاستئنافين إنه وإنا قلت الاول تعليل للايمان
به لان كونه حقا من الله حقيق بان يؤمن به والثاني بيان لقوله آمنا به لانه يحتمل ان يكون ايمانا قريب
العهد وبعيده فاخبروا ان ايمانهم به متقادم لان آباءهم القدماء قرؤوا في الكتب الاول
ذكره وآباؤهم من بعدهم من قبله من قبل وجوده ونزوله مسلمين كائنين على دين الاسلام لان
الاسلام صفة كل موحد مصدق للوحي أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا بصبرهم على
الايمان بالتورية والايمان بالقرآن او بصبرهم على الايمان بالقرآن قبل نزوله وبعد نزوله او بصبرهم
على اذى المشركين واهل الكتاب ونحوه يؤتكم كفلين من رحمته ويدرؤن بالحسنة
السيئة بالطاعة المعصية المتقدمة وبالحلم الاذى ومما رزقناهم ينفقون وإذا سمعوا اللغو
أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم تؤديع ومتاركة وعن الحسن
كلمة حلم من المؤمنين لا نبتغي الجاهلين لا نريد مخالطتهم وصحبتهم فان قلت من خاطبوا

ما اوتي موسى من قبل

مما

مصدر

بقولهم ولكم أعمالكم قلت الملاغين الذين دل عليهم قوله وإذا سمعوا اللغو **إنك لا تهدي من أحببت** لا تقدر أن تدخل في الإسلام كل من أحببت أن يدخل فيه من قومك وغيرهم لأنك عبد لا تعلم المطبوع على قلبه من غيره **ولكن الله يهدي من يشاء** ولكن الله يدخل في الإسلام من يشاء وهو الذي علم أنه غير مطبوع على قلبه وأن الألطاف تنفع فيه فيقرن به ألطافه حتى تدعوه إلى القبول **وهو أعلم بالمهتدين** بالقابلين من الذين لا يقبلون قال الزجاج أجمع المسلمون أنها نزلت في أبي طالب وذلك أن أبا طالب قال عند موته يا معشر بني هاشم أطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال صلى الله عليه وآله وسلم يا عم تأمرهم بالنصيحة لأنفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن أخي قال أريد منك كلمة واحدة فإنك في آخر يوم من أيام الدنيا أن تقول لا إله إلا الله أشهد لك بها عند الله قال يا ابن أخي قد علمت أنك لصادق ولكني أكره أن يقال جزع عند الموت ولولا أن تكون عليك وعلى بني أبيك غضاضة ومسبة بعدي لقلتها ولأقررت بها عينك عند الفراق لما أرى من شدة وجدك ونصيحتك ولكني سوف أموت على ملة الأشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف **وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا** قالت قريش وقيل إن القائل الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف نحن نعلم أنك على الحق ولكنا نخاف إن اتبعناك وخالفنا العرب بذلك وإنما نحن أكلة رأس أي قليلون أن يتخطفونا من أرضنا فألقمهم الحجر بأنه مكن لهم في الحرم الذي آمنه بحرمة البيت وآمن قطانه بحرمته وكانت العرب في الجاهلية حولهم يتغاورون ويتناحرون وهم آمنون في حرمهم لا يخافون وبحرمة البيت هم قارون بواد غير ذي زرع والثمرات والأرزاق تجبى إليهم من كل أوب فإذا خولهم الله ما خولهم من الأمن والرزق بحرمة البيت وحدها وهم كفرة عبدة أصنام فكيف نستقيم أن يعرضهم للتخوف والتخطف ويسلبهم الأمن إذا ضموا إلى حرمة البيت حرمة الإسلام وإسناد الأمن إلى أهل الحرم حقيقة وإلى الحرم مجاز تجبى إليه تجلب وتجمع وبالتاء مدني ويعقوب وقرئ بالنون من الجبي وتعديته بإلى كقولك يجبى إلى فيه ويجبى إلى الخراج ثمرات بضمتين وبضمة وسكون ومعنى الكلية الكثرة كقوله وأوتيت من كل شيء **ولكن أكثرهم لا يعلمون** متعلق بقوله من لدنا أي قليل منهم يقرون بأن ذلك رزق من عند الله وأكثرهم جهلة لا يعلمون ذلك ولا يفطنون له ولو علموا أنه من عند الله لعلموا أن الخوف والأمن من عنده ولما خافوا التخطف إذا آمنوا به وخلعوا الأنداد فإن قلت بم انتصب رزقا قلت إن جعلته مصدرا جاز أن ينتصب بمعنى ما قبله لأن معنى تجبى إليه ثمرات كل شيء ويرزق ثمرات كل شيء واحد وأن يكون مفعولا له وإن جعلته بمعنى مرزوق كان حالا من الثمرات لتخصصها بالإضافة كما تنتصب عن النكرة المتخصصة بالصفة **وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها** هذا تخويف لأهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم من إنعام الله عليهم بالرقود في ظلال الأمن وخفض العيش فغمطوا النعمة وقابلوها بالأشر والبطر فدمرهم الله وخرب ديارهم وانتصب معيشتها إما بحذف الجار وإيصال الفعل كقوله واختار موسى قومه وإما على الظرف بنفسها كقولك زيد ظني مقيم أو بتقدير حذف الزمان المضاف أصله بطرت أيام معيشتها كخفوق النجم ومقدم الحاج وإما بتضمين بطرت معنى كفرت وغمطت وقيل البطر سوء احتمال الغنى وهو أن لا يحفظ حق الله فيه **فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا** من السكنى قال ابن عباس لم يسكنها إلا المسافر ومار الطريق يوما أو ساعة ويحتمل أن شؤم معاصي المهلكين بقي أثره في ديارهم فكل من سكنها من أعقابهم لم يبق فيها إلا قليلا **وكنا نحن الوارثين** لتلك المساكن من ساكنيها أي تركناها على حال لا يسكنها أحد وخربناها وسويناها بالأرض

تتخلف الآثار عن أصحابها ۝ حينا ويدركها الفناء فتتبع

وما كان ربك مهلك القرى وما كانت عادة ربك أن يهلك القرى في كل وقت **حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون** حتى يبعث في القرية التي هي أمها أي أصلها وقصبتها التي هي أعمالها وتوابعها رسولا لإلزام الحجة وقطع المعذرة مع علمه أنهم لا يؤمنون أو وما كان في حكم الله وسابق قضائه أن يهلك القرى في الأرض حتى يبعث في أم القرى يعني مكة رسولا وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقرئ أمها بضم الهمزة وكسرها

لاتباع الحق وهذا بيان لعدله وتقدسه عن الظلم حيث أخبر بأنه لا يهلكهم إلا إذا استحقوا الهلاك بظلمهم ولا يهلكهم مع كونهم ظالمين إلا بعد تأكيد الحجة والإلزام ببعثة الرسل ولا يجعل علمه بأحوالهم حجة عليهم ونزه ذاته أن يهلكهم وهم غير ظالمين كما قال وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون فنص في قوله بظلم أنه لو أهلكهم وهم مصلحون لكان ذلك ظلما منه وأن حاله في غناه وحكمته منافية للظلم دل على ذلك بحرف النفي مع لامه كما قال وما كان الله ليضيع إيمانكم **وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها** وأي شيء أصبتموه من أسباب الدنيا فما هو إلا تمتع وزينة أياما قلائل وهي مدة الحياة المنقضية **وما عند الله** وهو ثوابه **خير** في نفسه من ذلك **وأبقى** لأن بقاءه دائم سرمدي **أفلا تعقلون** ويقرأ يعقلون بالياء وهو أبلغ في الموعظة وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الله خلق الدنيا وجعل أهلها ثلاثة أصناف المؤمن والكافر والمنافق فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع **أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا** هذه الآية تقرير وإيضاح للتي قبلها والوعد الحسن الثواب لأنه منافع دائمة على وجه التعظيم والاستحقاق وأي شيء أحسن منها ولذلك سمى الله الجنة بالحسنى ولاقيه كقوله ولقاهم نضرة وسرورا وعكسه فسوف يلقون غيا **ثم هو يوم القيامة من المحضرين** من الذين أحضروا النار ونحوه لكنت من المحضرين فكذبوه فإنهم لمحضرون قيل نزلت في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبي جهل لعنه الله وقيل في علي وحمزة وأبي جهل وقيل في عمار بن ياسر والوليد بن المغيرة فإن قلت فسر لي الفاءين وثم وأخبرني عن مواقعهما قلت قد ذكر في الآية التي قبلها متاع الحياة وما عند الله وتفاوتهما ثم عقبه بقوله أفمن وعدناه على معنى أبعد هذا التفاوت الظاهر يسوى بين أبناء الآخرة وأبناء الدنيا فهذا معنى الفاء الأولى وبيان موقعها وأما الثانية فللتسبيب لأن لقاء الموعود مسبب عن الوعد الذي هو الضمان في الخير وأما ثم فلتراخي حال الإحضار عن حال التمتع لا للتراخي وقته عن وقته وقرئ ثم هو بسكون الهاء كما قيل عضد في عضد تشبيها للمنفصل بالمتصل وسكون الهاء في فهو ولهو أحسن لأن الحرف الواحد لا ينطق به وحده فهو كالمتصل **ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون** شركائي مبني على زعمهم وفيه تهكم فإن قلت زعم يطلب مفعولين كقوله ولم أزعمك عن ذاك معزلا فأين هما قلت محذوفان تقديره الذين كنتم تزعمونهم شركائي ويجوز حذف المفعولين في باب ظننت ولا يجوز الاقتصار على أحدهما **قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا** الذين حق عليهم القول الشياطين أو أئمة الكفر ورؤوسه ومعنى حق عليهم القول وجب عليهم مقتضاه وثبت وهو قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وهؤلاء مبتدأ والذين أغوينا صفته والراجع إلى الموصول محذوف وأغويناهم الخبر والكاف صفة مصدر محذوف تقديره أغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا يعنون أنا لم نغو إلا باختيارنا لا أن فوقنا مغوين أغوونا بقسر منهم وإلجاء أو دعونا إلى الغي وسولوه لنا فهؤلاء كذلك غووا باختيارهم لأن إغواءنا لهم لم يكن إلا وسوسة وتسويلا لا قسرا وإلجاء فلا فرق إذا بين غينا وغيهم وإن كان تسويلنا داعيا لهم إلى الكفر فقد كان في مقابلته دعاء الله تعالى لهم بما وضع فيهم من أدلة العقل وما بعث إليهم من الرسل وأنزل عليهم من الكتب المشحونة بالوعد والوعيد والمواعظ والزواجر وناهيك بذلك صارفا عن الكفر وداعيا إلى الإيمان وهذا معنى ما حكاه الله تعالى عن الشيطان إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم والله عز وجل قدم هذا المعنى أول شيء حيث قال لإبليس إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين **تبرأنا إليك** منهم ومما اختاروه من الكفر بأنفسهم هوى منهم للباطل ومقتا للحق لا بقوة منا على استكراههم ولا سلطان **ما كانوا إيانا يعبدون** إنما كانوا يعبدون أهواءهم ويطيعون شهواتهم وإخلاء الجملتين من العاطف لكونهما مقررتين لمعنى الجملة الأولى **وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون** لوجه من وجوه الحيل يدفعون به العذاب أو لو أنهم كانوا مهتدين مؤمنين لما رأوه أو تمنوا لو كانوا مهتدين أو تحيروا عند رؤيته وسدروا فلا يهتدون طريقا **ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين** حكى أولا ما يوبخهم به من اتخاذهم له شركاء

يقولوا ما تقوله الشياطين او امتهم عند توبيخهم لانهم اذا وبخوا بعبادة الالهة اعتذرت الالهة بان الشياطين هم الذين استغووهم وزينوا لهم عبادتها ثم يشبه الشماتة بهم من استغاثتهم آلهتهم وخذلانهم لهم وعجزهم عن نصرتهم ثم ما يبكتون به من الاحتجاج عليهم بارسال الرسل وازاحة العلل فعميت عليهم الانباء يومئذ فصارت الانباء كالعمى عليهم جميعا لا تهتدى اليهم فهم لا يتساءلون لا يسأل بعضهم بعضا كما يتساءل الناس في المشكلات لانهم يتساوون جميعا في عمى الانباء عليهم والعجز عن الجواب وقرئ فعميت والمراد بالنبأ الخبر عما اجاب به المرسل رسوله واذا كانت الانبياء لهول ذلك اليوم يتتعتعون في الجواب عن مثل هذا السؤال ويفوضون الامر الى علم الله وذلك قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب فما ظنك بالضلال من اممهم فاما من تاب من المشركين من الشرك وآمن وعمل صالحا وجمع بين الايمان والعمل الصالح فعسى اولئك ان يكونوا من المفلحين فعسى ان يفلح عند الله وعسى من الكرام تحقيق ويجوز ان يراد ترجي التائب وطمعه كانه قال فليطمع ان يفلح وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة من التخير كالطيرة من التطير تستعمل بمعنى المصدر وهو التخير وبمعنى المتخير كقولهم محمد خيرة الله من خلقه ما كان لهم الخيرة بيان لقوله ويختار لان معناه ويختار ما يشاء ولهذا لم يدخل العاطف والمعنى ان الخيرة لله وهو اعلم بوجوه الحكمة فيها ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه قيل السبب فيه قول الوليد بن المغيرة لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعني لا يبعث الله الرسل باختيار المرسل اليهم وقيل معناه ويختار الذي لهم فيه الخيرة اي يختار للعباد ما هو خير لهم وهو اعلم بمصالحهم من انفسهم من قولهم في الامرين ليس فيهما خيرة لمختار فان قلت فاين الراجع من الصلة الى الموصول اذا جعلت ما موصولة قلت اصل الكلام ما كان لهم فيه الخيرة فحذف فيه كما حذف منه في قوله تعالى ان ذلك لمن عزم الامور لانه مفهوم سبحان الله وتعالى عما يشركون اي الله بريء من اشراكهم وما يحملهم عليه من الجراءة على الله واختيارهم عليه ما لا يختار وربك يعلم ما تكن صدورهم من عداوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحسده وما يعلنون من مطاعنهم وقولهم هلا اختير عليه غيره في النبوة وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون وهو الله وهو المستأثر بالالهية المختص بها ولا اله الا هو تقرير لذلك كقولك الكعبة القبلة لا قبلة الا هي فان قلت الحمد في الدنيا ظاهر فما الحمد في الآخرة قلت هو قولهم الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده وقيل الحمد لله رب العالمين والتحميد هناك على وجه اللذة لا الكلفة وفي الحديث يلهمون التسبيح والتقديس وله الحكم القضاء بين عباده قل ارأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بضياء افلا تسمعون قل ارأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه افلا تبصرون وقرئ ارأيتم بحذف الهمزة وليس بحذف قياسي ومعناه اخبروني من يقدر على هذا والسرمد الدائم المتصل من السرد وهو المتابعة ومنه قولهم في الاشهر الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد والميم مزيدة ووزنه فعمل ونظيره دلامص من الدلاص فان قلت هلا قيل بنهار تتصرفون فيه كما قيل بليل تسكنون فيه قلت ذكر الضياء وهو ضوء الشمس لان المنافع التي تتعلق به متكاثرة ليس التصرف في المعاش وحده والظلام ليس بتلك المنزلة ومن ثم قرن بالضياء افلا تسمعون لان السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده وقرن بالليل افلا تبصرون لان غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره انت من السكون ونحوه ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون زاوج بين الليل والنهار لاغراض ثلاثة لتسكنوا في احدهما وهو الليل ولتبتغوا من فضل الله في الآخر وهو النهار ولارادة شكركم وقد سلكت بهذه الآية طريقة اللف ويوم يناديهم فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون تقريع بعد تقريع للتوبيخ باتخاذ الشركاء ايذانا بان لا شيء اجلب لغضب الله من الاشراك به كما لا شيء ادخل في مرضاته من توحيده اللهم كما ادخلتنا في اهل توحيدك فادخلنا في الناجين من وعيدك ونزعنا واخرجنا من كل امة شهيدا وهو نبيهم لان انبياء الامم شهداء عليهم يشهدون بما كانوا عليه فقلنا للامة هاتوا برهانكم

فيما كنتم عليه

فيما كنتم عليه من الشرك ومخالفة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فعلموا حينئذ ان الحق لله ولرسوله لا لهم ولشياطينهم وضل عنهم وغاب عنهم غيبة الشيء الضائع ما كانوا يفترون من الباطل والكذب ان قارون كان من قوم موسى قارون اسم اعجمي مثل هارون ولم ينصرف للعجمة والتعريف ولو كان فاعولا من قرن لانصرف وقيل معنى كونه من قومه انه آمن به وقيل كان ابن عم لموسى هو قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث وقيل كان موسى ابن اخيه وكان يسمى المنور لحسن صورته وكان اقرأ بني اسرائيل للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامري وقال اذا كانت النبوة لموسى والمذبح والقربان الى هارون فما لي وروي انه لما جاوز بهم موسى البحر وصارت الرسالة والحبورة لهارون يقرب القربان ويكون رأسا فيهم وكانت القربان الى موسى فجعله الى اخيه وجد قارون في نفسه وحسدهما فقال لموسى الامر لكما ولست على شيء الى متى اصبر قال موسى هذا صنع الله قال والله لا اصدقك حتى تأتي باية فامر رؤساء بني اسرائيل ان يجيء كل واحد بعصاه فحزمها والقاها في القبة التي كان الوحي ينزل عليه فيها وكانوا يحرسون عصيهم بالليل فاصبحوا واذا بعصا هارون تهتز ولها ورق اخضر وكانت من شجر اللوز فقال قارون ما هو باعجب مما تصنع من السحر فبغى عليهم من البغي وهو الظلم قيل ملكه فرعون على بني اسرائيل فظلمهم وقيل من البغي وهو الكبر والبذخ تبذخ عليهم بكثرة ماله وولده وقيل زاد عليهم في الثياب شبرا وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة اولي القوة المفاتح جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل الخزائن وقياس واحدها مفتح بالفتح ويقال ناء به الحمل اذا اثقله حتى اماله والعصبة الجماعة الكثيرة والعصابة مثلها واعصوصبوا اجتمعوا وقيل كانت تحمل مفاتيح خزائنه ستون بغلا لكل خزانة مفتاح ولا يزيد المفتاح على اصبع وكانت من جلود قال ابو رزين يكفي الكوفة مفتاح وقد بولغ في ذكر ذلك بلفظ الكنوز والمفاتح والنوء والعصبة واولي القوة وقرأ بديل بن ميسرة لينوء بالياء ووجهه ان يفسر المفاتح بالخزائن ويعطيها حكم ما اضيفت اليه للملابسة والاتصال كقولك ذهبت اهل اليمامة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين ومحل اذ منصوب بتنوء لا تفرح كقوله ولا تفرحوا بما آتاكم وقول القائل

ولست بمفراح اذا الدهر سرني ... ولا جازع من صرفه المتقلب

وذلك انه لا يفرح بالدنيا الا من رضي بها واطمأن فاما من قلبه الى الآخرة ويعلم انه مفارق ما هو فيه عن قريب فلم تحدثه نفسه بالفرح وما احسن ما قال القائل

اشد الغم عندي في سرور ... تيقن عنه صاحبه انتقالا

وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة بان تفعل فيه افعال الخير من اصناف الواجب والمندوب اليه وتجعله زادك الى الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وهو ان تأخذ منه ما يكفيك ويصلحك واحسن الى عباد الله كما احسن الله اليك او احسن بشكرك وطاعتك لله كما احسن اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين والفساد في الارض ما كان عليه من الظلم والبغي وقيل ان القائل موسى عليه الصلوة والسلام وقرئ واتبع قال انما اوتيته على علم عندي اي على استحقاق واستيجاب لما في من العلم الذي فضلت به الناس وذلك انه كان اعلم بني اسرائيل بالتوراة وقيل هو علم الكيمياء عن سعيد بن المسيب كان موسى صلوات الله عليه وسلامه يعلم علم الكيمياء فافاد يوشع بن نون ثلثه وكالب بن يوفنا ثلثه وقارون ثلثه فخدعهما قارون حتى اضاف علمهما الى علمه فكان يأخذ الرصاص والنحاس فيجعلهما ذهبا وقيل علم الله موسى علم الكيمياء فعلمه موسى اخته فعلمته قارون وقيل بصره بانواع التجارة والدهقنة وسائر المكاسب وقيل عندي معناه في ظني كما تقول الامر عندي كذا كقوله تعالى ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما اوتيته على علم قال عندي اي هو في ظني ورأيي أولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة يجوز ان يكون اثباتا لعلمه بان الله قد اهلك من القرون قبله من هو اقوى منه واغنى لانه قد قرأه في التوراة واخبر به موسى وسمعه من حفاظ التواريخ والايام كانه قيل اولم يعلم في جملة ما عنده من العلم هذا حتى لا يغتر بكثرة ماله وقوته ويجوز ان يكون نفيا لعلمه بذلك لانه لما قال اوتيته على علم عندي فتنفج بالعلم وتعظم قيل اعنده مثل ذلك العلم الذي ادعاه ورأى نفسه به مستوجبة لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع

حتى يبقى نفسه مصارع الهالكين وأكثر جمعا للمال أو أكثر جماعة وعددا فإن قلت ما وجه اتصال
قوله ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون بما قبله قلت لما ذكر قارون من أهلك من قبله من القرون
الذين كانوا أقوى منه وأغنى قال على سبيل التهديد له والله مطلع على ذنوب المجرمين لا يحتاج إلى سؤالهم
عنها واستعلامهم وهو قادر على أن يعاقبهم عليها كقوله والله خبير بما تعملون والله بما تعملون عليم
وما أشبه ذلك فخرج على قومه في زينته قال الحسن في الحمرة والصفرة وقيل خرج على بغلة شهباء
عليه الأرجوان وعليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج
الأحمر وعن يمينه ثلثمائة غلام وعن يساره ثلثمائة جارية عليهن الحلي والديباج وقيل في تسعين ألفا
عليهم المعصفرات وهو أول يوم رؤي فيه المعصفر قال الذين يريدون الحيوة الدنيا يا ليت لنا
مثل ما أوتي قارون كان المتمنون قوما مسلمين وإنما تمنوه على سبيل الرغبة في اليسار والاستغناء
كما هو عادة البشر وعن قتادة تمنوه ليتقربوا به إلى الله تعالى وينفقوه في سبيل الخير وقيل كانوا قوما
كفارا الغابط هو الذي يتمنى مثل نعمة صاحبه من غير أن يريد زوالها عنه والحاسد هو الذي يتمنى أن
تكون نعمة صاحبه له دونه فمن الغبطة قالوا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون ومن الحسد قوله تعالى
ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض وقيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هل يضر الغبط
فقال لا إلا كما يضر العضاة الخبط إنه لذو حظ عظيم والحظ الجد وهو البخت والدولة
وصفوه بأنه رجل مجدود مبخوت يقال فلان ذو حظ وحظيظ ومحظوظ وما الدنيا إلا أحاظ وجدود
وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ويلك أصله الدعاء بالهلاك
ثم استعمل في الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرتضى كما استعمل لا أبا لك وأصله الدعاء على الرجل
بالإقراف في الحث على الفعل والراجع في ولا يلقاها للكلمة التي تكلم بها العلماء أو للثواب لأنه في
معنى المثوبة أو الجنة أو للسيرة والطريقة وهي الإيمان والعمل الصالح إلا الصابرون على الطاعات
وعن الشهوات وعلى ما قسم الله من القليل عن الكثير فخسفنا به وبداره الأرض كان قارون يؤذي
نبي الله موسى عليه الصلوة والسلام كل وقت وهو يداريه للقرابة التي بينهما حتى نزلت
الزكوة فصالحه عن كل ألف دينار على دينار وعن كل ألف درهم على درهم فحسبه فاستكثره فشحت
به نفسه فجمع بني إسرائيل وقال إن موسى أرادكم على كل شيء وهو يريد أن يأخذ أموالكم فقالوا
أنت كبيرنا وسيدنا فمر بما شئت قال نبرطل فلانة البغي حتى ترميه بنفسها فيرفضه بنو إسرائيل
فجعل لها ألف دينار وقيل طستا من ذهب وقيل طستا من ذهب مملوءة ذهبا وقيل حكمها فلما كان
يوم عيد قام موسى عليه الصلوة والسلام فقال يا بني إسرائيل من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه
ومن زنى وهو غير محصن جلدناه وإن أحصن رجمناه فقال قارون وإن كنت أنت قال وإن كنت أنا فقال
إن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة فأحضرت فناشدها موسى عليه الصلوة والسلام بالذي فلق
البحر وأنزل التوراة أن تصدق فتداركها الله وقال يا رب إن كنت رسولك فاغضب لي فأوحى
إليه أن مر الأرض بما شئت فإنها مطيعة لك فقال يا بني إسرائيل إن الله بعثني إلى قارون كما بعثني إلى
فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثم قال
يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى الركب ثم قال خذيهم فأخذتهم إلى الأوساط ثم قال خذيهم فأخذتهم
إلى الأعناق وقارون وأصحابه يتضرعون إلى موسى ويناشدونه بالله والرحم وموسى عليه الصلوة
والسلام لا يلتفت إليهم لشدة غضبه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم وأوحى الله تعالى إلى موسى ما أفظك
استغاثوا بك مرارا فلم ترحمهم أما وعزتي لو إياي دعوا لوجدوني قريبا مجيبا فأصبحت
بنو إسرائيل يتناجون بينهم إنما دعا موسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله حتى خسف بداره
وأمواله فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين من المنتقمين من
موسى أو من الممتنعين من عذاب الله تعالى يقال نصره من عدوه فانتصر أي منعه منه فامتنع وأصبح الذين
تمنوا مكانه بالأمس قد يذكر الأمس ولا يراد به اليوم الذي قبل يومك ولكن الوقت المستقرب على
طريق الاستعارة مكانه منزلته من الدنيا يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده
ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون وي مفصولة عن كأن
وهي كلمة تنبه على الخطأ وتندم ومعناه أن القوم قد تنبهوا على خطئهم في تمنيهم وقولهم

يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون وتندموا ثم قالوا كأنه لا يفلح الكافرون أي ما أشبه الحال بأن الكافرين
لا ينالون الفلاح وهو مذهب الخليل وسيبويه قال

وي كأن من يكن له نشب يحبب ومن يفتقر يعش عيش ضر

وحكى الفراء أن أعرابية قالت لزوجها أين ابنك فقال ويكأنه وراء البيت وعند الكوفيين ويك
بمعنى ويلك وأن المعنى ألم تعلم أنه لا يفلح الكافرون ويجوز أن تكون الكاف كاف الخطاب مضمومة
إلى وي كقوله ويك عنتر أقدم وأنه بمعنى لأنه واللام لبيان المقول لأجله هذا القول
أو لأنه لا يفلح الكافرون كان ذلك وهو الخسف بقارون ومن الناس من يقف على وي ويبتدي
كأنه ومنهم من يقف على ويك وقرأ الأعمش لولا من الله علينا وقرئ لخسف بنا وفيه ضمير الله ولا
نخسف بنا كقولك انقطع به ولتخسف بنا تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض
ولا فسادا والعاقبة للمتقين تلك تعظيم لها وتفخيم لشأنها يعني تلك التي سمعت بذكرها وبلغك
وصفها ولم يعلق الموعد بترك العلو والفساد ولكن بترك إرادتهما وميل القلوب إليهما كما قال ولا
تركنوا إلى الذين ظلموا فعلق الوعيد بالركون وعن علي رضي الله عنه أن الرجل ليعجبه أن يكون
شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها وعن الفضيل أنه قرأها ثم قال ذهبت
الأماني ههنا وعن عمر بن عبد العزيز أنه كان يرددها حتى قبض ومن الطماع من يجعل العلو لفرعون
والفساد لقارون متعلقا بقوله تعالى إن فرعون علا في الأرض ولا تبغ الفساد في الأرض ويقول
من لم يكن مثل فرعون وقارون فله تلك الدار الآخرة ولا يتدبر قوله والعاقبة للمتقين كما تدبره علي
والفضيل وعمر من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات معناه
فلا يجزون فوضع الذين عملوا السيئات موضع الضمير لأن في إسناد عمل السيئة إليهم مكررا فضل تهجين لحالهم
وزيادة تبغيض للسيئة إلى قلوب السامعين إلا ما كانوا يعملون إلا مثل ما كانوا يعملون وهذا
من فضله العظيم وكرمه الواسع أن لا يجزي السيئة إلا بمثلها ويجزي الحسنة بعشر أمثالها وبسبعمائة
وهو معنى قوله فله خير منها إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد فرض عليك القرآن
أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه يعني أن الذي حملك صعوبة هذا التكليف ليثيبك
عليها ثوابا لا يحيط به الوصف لرادك بعد الموت إلى معاد أي معاد وإلى معاد ليس لغيرك من
البشر وتنكير المعاد لذلك وقيل المراد به مكة ووجهه أن يراد رده إليها يوم الفتح ووجه
تنكيره أنها كانت في ذلك اليوم معادا له شأن ومرجعا له اعتداد لغلبة رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم وقهره لأهلها ولظهور عز الإسلام وأهله وذل الشرك وحزبه والسورة مكية فكأن الله
وعده وهو بمكة في أذى وغلبة من أهلها أنه يهاجر به منها ويعيده إليها ظاهرا ظافرا وقيل نزلت عليه
حين بلغ الجحفة في مهاجره وقد اشتاق إلى مولده ومولد آبائه وحرم إبراهيم فنزل جبريل فقال أتشتاق
إلى مكة قال نعم فأوحاها إليه فإن قلت كيف اتصل قوله تعالى قل ربي أعلم بما قبله قلت لما وعد
رسوله الرد إلى معاد قال قل للمشركين ربي أعلم من جاء بالهدى من عنده يعني نفسه وما يستحقه
من الثواب في معاده ومن هو في ضلال مبين يعنيهم وما يستحقونه من العقاب في معادهم
وما كنت ترجوا أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين
فإن قلت قوله إلا رحمة من ربك ما وجه الاستثناء فيه قلت هذا كلام محمول على المعنى كأنه قيل
وما ألقي إليك الكتاب إلا رحمة من ربك ويجوز أن يكون إلا بمعنى لكن للاستدراك أي ولكن لرحمة
من ربك ألقي إليك ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك وادع إلى ربك ولا تكونن
من المشركين وقرئ يصدنك من أصده بمعنى صده وهي في لغة كلب

وقال أناس أصدوا الناس بالسيف عنهم صدود السواقي عن أنوف الحوائم

بعد إذ أنزلت إليك بعد وقت إنزاله وإذ تضاف إليه أسماء الزمان كقولك حينئذ ويومئذ وما أشبه ذلك
والنهي عن مظاهرة الكافرين ونحو ذلك من باب التهييج الذي سبق ذكره ولا تدع مع الله إلها آخر
لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون إلا وجهه إلا إياه والوجه
يعبر به عن الذات قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة طسم القصص كان له من الأجر
بعدد من صدق موسى وكذب ولم يبق ملك في السموات والأرض إلا شهد له أنه كان صادقا

سورة العنكبوت مكية وهي تسع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم أحسب الناس أن الحسبان لا يصح تعليقه بمعاني المفردات ولكن بمضامين الجمل ألا ترى أنك لو قلت حسبت زيدا أو ظننت الفرس لم يكن شيئا حتى تقول حسبت زيدا عالما أو ظننت الفرس جوادا لأن قولك زيد عالم أو الفرس جواد كلام دال على مضمون فأردت الإخبار عن ذلك المضمون ثابتا عندك على وجه الظن لا اليقين فلم تجد بدا في العبارة عن ثباته عندك على ذلك الوجه من ذكر شطري الجملة مدخلا عليهما فعل الحسبان حتى يتم لك غرضك فإن قلت فأين الكلام الدال على المضمون الذي يقتضيه الحسبان في الآية قلت هو في قوله أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون وذلك أن تقديره أحسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك أول مفعولي حسب ولقولهم آمنا هو الخبر وأما غير مفتونين فتتمة الترك لأنه من الترك الذي هو بمعنى التصيير كقوله فتركته جزر السباع ينشنه يقضمن حسن بنانه والمعصم ألا ترى أنك قبل المجيء بالحسبان تقدر أن تقول تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا على تقدير حاصل ومستقر قبل اللام فإن قلت أن يقولوا هو علة تركهم غير مفتونين فكيف يصح أن يقع خبر مبتدأ قلت كما تقول خروجه لمخافة الشر وضربه للتأديب وقد كان التأديب والمخافة في قولك خرجت مخافة الشر وضربته تأديبا تعليلين وتقول أيضا حسبت خروجه لمخافة الشر وظننت ضربه للتأديب فتجعلهما مفعولين كما جعلتهما مبتدأ وخبرا والفتنة الامتحان بشدائد التكليف من مفارقة الأوطان ومجاهدة الأعداء وسائر الطاعات الشاقة وهجر الشهوات والملاذ وبالفقر والقحط وأنواع المصائب في الأنفس والأموال ومصابرة الكفار على أذاهم وكيدهم وضرارهم والمعنى أحسب الذين أجروا كلمة الشهادة على ألسنتهم وأظهروا القول بالإيمان أنهم يتركون لذلك غير ممتحنين بل يمتحنهم الله بضروب المحن حتى يبلو صبرهم وثبات أقدامهم وصحة عقائدهم ونصوع نياتهم ليتميز المخلص من غير المخلص والراسخ في الدين من المضطرب والمتمكن من العابد على حرف كما قال لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور وروي أنها نزلت في ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد جزعوا من أذى المشركين وقيل في عمار بن ياسر وكان يعذب في الله وقيل في ناس أسلموا بمكة فكتب إليهم المهاجرون لا يقبل منكم إسلامكم حتى تهاجروا فخرجوا فتبعهم المشركون فردوهم فلما نزلت كتبوا بها إليهم فخرجوا فاتبعهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا وقيل في مهجع بن عبد الله مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو أول قتيل من المسلمين يوم بدر رماه عامر بن الحضرمي فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيد الشهداء مهجع وهو أول من يدعى إلى باب الجنة من هذه الأمة فجزع عليه أبواه وامرأته ولقد فتنا الذين من قبلهم موصول بأحسب أو بلا يفتنون كقولك ألا يمتحن فلان وقد امتحن من هو خير منه يعني أن أتباع الأنبياء قبلهم قد أصابهم من الفتن والمحن نحو ما أصابهم أو ما هو أشد منه فصبروا كما قال وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله الآية وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد كان من قبلكم يؤخذ فيوضع المنشار على رأسه فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه فليعلمن الله الذين صدقوا بالامتحان الذين صدقوا في الإيمان وليعلمن الكاذبين فإن قلت كيف وهو عالم بذلك فيما لم يزل قلت لم يزل يعلمه معدوما ولا يعلمه موجودا إلا إذا وجد والمعنى وليتميزن الصادق منهم من الكاذب ويجوز أن يكون وعدا ووعيدا كأنه قال وليثيبن الذين صدقوا وليعاقبن الكاذبين وقرأ علي رضي الله عنه والزهري وليعلمن من الإعلام وليعرفنهم الله الناس من هم أو ليسمنهم بعلامة يعرفون بها من بياض الوجوه وسوادها وكحل العيون وزرقتها أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون يفوتونا يعني أن الجزاء يلحقهم لا محالة وهم لم يطمعوا في الفوت ولم يحدثوا به نفوسهم ولكنهم لغفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة وإصرارهم على المعاصي في

صورة من يقدر ذلك ويطمع فيه ونظيره وما هم بمعجزين في الأرض ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون فإن قلت أين مفعولا حسب قلت اشتمال صلة أن على مسند ومسند إليه سد مسد المفعولين كقوله أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ويجوز أن يضمن حسب معنى قدر وأم منقطعة ومعنى الإضراب فيها أن هذا الحسبان أبطل من الحسبان الأول لأن ذلك يقدر أنه لا يمتحن لإيمانه وهذا يظن أنه لا يجازى بمساويه ساء ما يحكمون بئس الذي يحكمونه حكمهم هذا أو بئس حكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم من كان يرجو لقاء الله لقاء الله مثل للوصول إلى العاقبة من تلقي ملك الموت والبعث والحساب والجزاء مثلت تلك الحال بحال عبد قدم على سيده بعد عهد طويل وقد اطلع مولاه على ما كان يأتي ويذر فإما أن يلقاه ببشر وترحيب لما رضي من أفعاله أو بضد ذلك لما سخطه منها فمعنى قوله من كان يرجو لقاء الله من كان يأمل تلك الحال وأن يلقى فيها الكرامة من الله تعالى والبشرى فإن أجل الله وهو الموت لآت لا محالة فليبادر العمل الصالح الذي يصدق رجاءه ويحقق أمله ويكتسب به القربة عند الله والزلفى وهو السميع العليم الذي لا يخفى عليه شيء مما يقوله عباده ومما يفعلونه فهو حقيق بالتقوى والخشية وقيل يرجو يخاف من قول الهذلي في صفة عسال إذا لسعته الدبر لم يرج لسعها فإن قلت فإن أجل الله لآت كيف وقع جوابا للشرط قلت إذا علم أن لقاء الله عنيت به تلك الحال الممثلة والوقت الذي تقع فيه تلك الحال هو الأجل المضروب للموت فكأنه قال من كان يرجو لقاء الله فإن لقاء الله لآت لأن الأجل واقع فيه اللقاء كما تقول من كان يرجو لقاء الملك فإن يوم الجمعة قريب إذا علم أنه يقعد للناس يوم الجمعة ومن جاهد نفسه في منعها ما تأمر به وحملها على ما تأباه فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين فإنما يجاهد لها لأن منفعة ذلك راجعة إليها وإنما أمر الله ونهى رحمة لعباده وهو الغني عنهم وعن طاعتهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون إما أن يريد قوما مسلمين صالحين قد أساءوا في بعض أعمالهم وسيئاتهم مغمورة بحسناتهم فهو يكفرها عنهم أي يسقط عقابها بثواب الحسنات ويجزيهم أحسن الذي كانوا يعملون أي أحسن جزاء أعمالهم وإما قوما مشركين آمنوا وعملوا الصالحات فالله يكفر سيئاتهم بأن يسقط عقاب ما تقدم لهم من الكفر والمعاصي ويجزيهم أحسن جزاء أعمالهم في الإسلام ووصينا الإنسان بوالديه حسنا وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون وصى حكمه حكم أمر في معناه وتصرفه يقال وصيت زيدا بأن يفعل خيرا كما تقول أمرته بأن يفعل ومنه بيت الإصلاح وذبيانية وصت بنيها بأن كذب القراطف والقروف كما لو قال أمرتهم أن ينتهبوها ومنه قوله ووصى بها إبراهيم بنيه أي وصاهم بكلمة التوحيد وأمرهم بها وقولك وصيت زيدا بعمرو معناه وصيته بتعهد عمرو ومراعاته ونحو ذلك وكذلك معنى قوله ووصينا الإنسان بوالديه حسنا ووصيناه بإيتاء والديه حسنا أو بإيلاء والديه حسنا أي فعلا ذا حسن أو ما هو في ذاته حسن لفرط حسنه كقوله وقولوا للناس حسنا وقرئ حسنا وإحسانا ويجوز أن تجعل حسنا من باب قولك زيدا بإضمار اضرب إذا رأيته متهيئا للضرب فتنصبه بإضمار أولهما أو افعل بهما لأن التوصية بهما دالة عليه وما بعده مطابق له كأنه قال قلنا أولهما معروفا ولا تطعهما في الشرك إذا حملاك عليه وعلى هذا التفسير إن وقف على بوالديه وابتدأ حسنا حسن الوقف وعلى التفسير الأول لا بد من إضمار القول معناه وقلنا إن جاهداك أيها الإنسان ما ليس لك به علم أي لا علم لك بإلهيته والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كأنه قال لتشرك بي شيئا لا يصح أن يكون إلها وصاه بوالديه وأمره بالإحسان إليهما ثم نهاه عن طاعتهما إذا أراداه على ما ذكر ليستقيم على أن كل حق وإن عظم ساقط إذا جاء حق الله وأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ثم قال إلي مرجع من آمن منكم ومن أشرك فأجازيكم حق جزائكم وفيه شيئان أحدهما أن الجزاء إلي فلا تحدث نفسك بجفوة والديك وعقوقهما لشركهما ولا تحرمهما برك ومعروفك في الدنيا كما أني لا أمنعهما رزقي والثاني التحذير من متابعتهما على الشرك والحث على الثبات والاستقامة

في الدين بذكر المرجع والموعد روي ان سعد بن ابي وقاص الزهري حين اسلم قالت امه وهي حمنة بنت ابي سفيان بن امية بن عبد شمس يا سعد بلغني انك قد صبات فوالله لا يظلني سقف بيت من الضح والريح وان الطعام والشراب علي حرام حتى تكفر بمحمد وكان احب ولدها اليها فابى سعد وبقيت ثلاثة ايام كذلك فجاء سعد الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشكا اليه فنزلت هذه الآية والتي في لقمن والتي في الاحقاف فامره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يداريها ويترضاها بالاحسان وروي انها نزلت في عياش بن ابي ربيعة المخزومي وذلك انه هاجر مع عمر بن الخطاب رضي الله عنهما مترافقين حتى نزلا المدينة فخرج ابو جهل بن هشام والحارث اخواه لامه اسماء بنت مخرمة امراة من بني تميم من بني حنظلة فنزلا بعياش وقالا له ان من دين محمد صلة الارحام وبر الوالدين وقد تركت امك لا تطعم ولا تشرب ولا تاوي بيتا حتى تراك وهي اشد حبا لك منا وقالا له في الذروة والغارب فاستشار عمر فقال هما يخدعانك ولك علي ان اقسم مالي بيني وبينك فما زالا به حتى اطاعهما وعصى عمر فقال عمر اما اذ عصيتني فخذ ناقتي فليس في الدنيا بعير يلحقها فان رابك منهما ريب فارجع فلما انتهوا الى البيداء قال ابو جهل ان ناقتي قد كلت فاحملني معك قال نعم فنزل ليوطئ لنفسه وله فاخذاه وشداه وثاقا وجلده كل واحد مائة جلدة وذهبا به الى امه فقالت لا تزال في عذاب حتى ترجع عن دين محمد فنزلت والذين امنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين اي في جملتهم والصلاح من ابلغ صفات المؤمنين وهو متمنى انبياء الله عليهم الصلوة والسلام قال الله تعالى حكاية عن سليمن عليه الصلوة والسلام وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين وقال في ابرهيم عليه الصلوة والسلام وانه في الآخرة لمن الصالحين او في مدخل الصالحين وهي الجنة وهذا نحو قوله ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله الآية ومن الناس من يقول امنا بالله فاذا اوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين وليعلمن الله الذين امنوا وليعلمن المنافقين هم ناس كانوا يؤمنون بالسنتهم فاذا مسهم اذى من الكفار وهو المراد بفتنة الناس كان ذلك صارفا لهم عن الايمان كما ان عذاب الله صارف للمؤمنين عن الكفر او كما يجب ان يكون عذاب الله صارفا واذا نصر الله المؤمنين وغنمهم اعترضوهم وقالوا انا كنا معكم اي متابعوكم في دينكم ثابتين عليه ثباتكم ما قدر احد ان يفتننا فاعطونا نصيبنا من المغنم ثم اخبر سبحانه انه اعلم بما في صدور العالمين ومن ذلك ما تكن صدور هؤلاء من النفاق وهذا اطلاع منه على ما ابطنوه ثم وعد المؤمنين واوعد المنافقين وقرئ ليقولن بضم اللام وقال الذين كفروا للذين امنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء امروهم باتباع سبيلهم وهي طريقتهم التي كانوا عليها في دينهم وامروا انفسهم بحمل خطاياهم فعطف الامر على الامر وارادوا ليجتمع هذان الامران في الحصول ان تتبعوا سبيلنا وان نحمل خطاياكم والمعنى تعليق الحمل بالاتباع وهذا قول صناديد قريش كانوا يقولون لمن امن منهم لا نبعث نحن ولا انتم فان عسى كان ذلك فانا نتحمل عنكم الاثم وترى في المتسمين بالاسلام من يستن باولئك فيقول لصاحبه اذا اراد ان يشجعه على ارتكاب بعض العظائم افعل هذا واثمه في عنقي وكم من مغرور بمثل هذا الضمان من ضعفة العامة وجهلتهم ومنه ما يحكى ان ابا جعفر المنصور رفع اليه بعض اهل الحشو حوائجه فلما قضاها قال يا امير المؤمنين بقيت الحاجة العظمى قال وما هي قال شفاعتك يوم القيمة فقال عمرو بن عبيد رحمه الله اياك وهؤلاء فانهم قطاع الطريق في المأمن انهم لكاذبون فان قلت كيف سماهم كاذبين وانما ضمنوا شيئا علم الله انهم لا يقدرون على الوفاء به وضامن ما لا يعلم اقتداره على الوفاء به لا يسمى كاذبا لا حين ضمن ولا حين عجز لانه في الحالين لا يدخل تحت حد الكاذب وهو المخبر عن الشيء لا على ما هو عليه قلت شبه الله حالهم حيث علم انما ضمنوه لا طريق لهم الى ان يفوا به فكان ضمانهم عنده لا على ما عليه المضمون بالكاذبين الذين خبرهم لا على ما عليه المخبر عنه ويجوز ان يريد انهم كاذبون لانهم قالوا ذلك وقلوبهم على خلافه كالكاذبين الذين يعدون الشيء

وفي قلوبهم

وفي قلوبهم نية الخلف وليحملن اثقالهم اي اثقال انفسهم واثقالا مع اثقالهم معنى اثقالا اخر غير الخطايا التي ضمنوا للمؤمنين حملها وهي اثقال الذين كانوا سببا في ضلالهم وليسألن يوم القيمة سوال تقريع عما كانوا يفترون اي يختلقون من الاكاذيب والاباطيل وقرئ من خطاياهم ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما كان عمر نوح عليه الصلوة والسلام الفا وخمسين سنة بعث على راس اربعين ولبث في قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين وعن وهب انه عاش الفا واربعمائة سنة فان قلت هلا قيل تسعمائة وخمسين قلت ما اورده الله تعالى احكم لانه لو قيل كما قلت لجاز ان يتوهم اطلاق هذا العدد على اكثره وهذا التوهم زائل مع مجيئه كذلك فكانه قيل تسعمائة وخمسين سنة كاملة وافية العدد الا ان ذلك اخصر واعذب لفظا واملأ بالفائدة وفيه نكتة اخرى وهي ان القصة مسوقة لذكر ما ابتلي به نوح عليه الصلوة والسلام من امته وما كابده من طول المصابرة تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتثبيتا له فكان ذكر راس العدد الذي لا راس اكبر منه اوقع واوصل الى الغرض من استطالة السامع مدة صبره فان قلت لم جاء المميز اولا بالسنة وثانيا بالعام قلت لان تكرير اللفظ الواحد في الكلام الواحد حقيق بالاجتناب في البلاغة الا اذا وقع ذلك لاجل غرض ينتحيه المتكلم من تفخيم او تهويل او تنويه او نحو ذلك فاخذهم الطوفان وهم ظالمون والطوفان ما اطاف واحاط بكثرة وغلبة من سيل او ظلام او نحوهما قال العجاج * وغم طوفان الظلام الاثابا * فانجيناه واصحاب السفينة وجعلناها اية للعالمين اصحاب السفينة كانوا ثمانية وسبعين نفسا نصفهم ذكور ونصفهم اناث منهم اولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم وعن محمد بن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم والضمير في جعلناها للسفينة او للحادثة والقصة وابرهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه نصب ابرهيم باضمار اذكر وابدل عنه اذ بدل الاشتمال لان الاحيان تشتمل على ما فيها او هو معطوف على نوحا واذ ظرف لارسلنا يعني ارسلناه حين بلغ من السن والعلم مبلغا صلح فيه لان يعظ قومه وينصحهم ويعرض عليهم الحق ويامرهم بالعبادة والتقوى وقرأ ابرهيم النخعي وابو حنيفة بالرفع على معنى ومن المرسلين ابرهيم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يعني ان كان فيكم علم بما هو خير لكم مما هو شر لكم او ان نظرتم بعين الدراية المبصرة دون عين الجهل العمياء علمتم انه خير لكم انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا وقرئ تخلقون من خلق بمعنى التكثير في خلق وتخلقون من تخلق بمعنى تكذب وتخرص وقرئ افكا وفيه وجهان ان يكون مصدرا نحو كذب ولعب والافك مخفف منه كالكذب واللعب من اصلهما وان يكون صفة على فعل اي خلقا افكا اي ذا افك وباطل واختلاقهم الافك تسميتهم الاوثان الهة وشركاء لله او شفعاء اليه او سمى الاصنام افكا وعملهم لها ونحتهم خلقا للافك ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق فان قلت لم نكر الرزق ثم عرفه قلت لانه اراد لا يستطيعون ان يرزقوكم شيئا من الرزق فابتغوا عند الله الرزق كله فانه هو الرزاق وحده لا يرزق غيره واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون وقرئ بفتح التاء فاستعدوا للقائه بعبادته والشكر له على انعمه وان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين وان تكذبوني فلا تضروني بتكذيبكم فان الرسل قبلي قد كذبتهم اممهم وما ضروهم وانما ضروا انفسهم حيث حل بهم ما حل بسبب تكذيب الرسل واما الرسول فقد تم امره حين بلغ البلاغ المبين الذي زال معه الشك وهو اقترانه بآيات الله ومعجزاته اي وان كنت مكذبا فيما بينكم فلي في سائر الانبياء اسوة وسلوة حيث كذبوا وعلى الرسول ان يبلغ وما عليه ان تصدق ولا تكذب وهذه الآية والآيات التي بعدها الى قوله فما كان جواب قومه محتملة ان تكون من جملة قول ابرهيم صلوات الله عليه وان تكون آيات وقعت معترضة في شان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشان قريش بين اول قصة ابرهيم واخرها فان قلت اذا كانت من قول ابرهيم فما المراد بالامم قبله قلت قوم شيث وادريس ونوح

وغيرهم وكفى بقوم نوح امة في امم جمة مكذبة ولقد عاش ادريس الف سنة في قومه الى ان رفع الى السما
وامن به الف انسان منهم على عدد سنيه واعقابهم على التكذيب فان قلت فما تصنع بقوله قل
سيروا في الارض قلت هي حكاية كلام الله حكاه ابرهيم عليه الصلوة والسلام كما يحكي رسولنا
صلى الله عليه وسلم على هذا المنهاج في اكثر القرآن فان قلت فاذا كانت خطابا لقريش فما وجه توسطه بين طرفي
قصة ابرهيم والجملة او الجمل الاعتراضية لابد لها من اتصال بما وقعت معترضة فيه الا تراك لا تقول مكة وزيد
قائم خير بلاد الله قلت ايراد قصة ابرهيم ليس الا ارادة للتنفيس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وان تكون مسلاة
له ومتفرجا بان اباه ابرهيم خليل الله كان ممنوا بنحو ما مني به من شرك قومه وعبادتهم الاوثان فاعترض بقوله وان تكذبوا
على معنى انكم يا معشر قريش ان تكذبوا محمدا فقد كذب ابرهيم قومه وكل امة نبيها لان قوله فقد كذب امم من قبلكم لابد من تناوله
لامة ابرهيم وهو كما ترى اعتراض واقع متصل ثم سائر الايات التي تعقبها من اذيالها وتوابعها لكونها
ناطقة بالتوحيد ودلائله وهدم الشرك وتوهين قواعده وصفة قدرة الله وسلطانه ووضوح حجته
وبرهانه **اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير قل سيروا في الارض فانظروا
كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الاخرة ان الله على كل شيء قدير** قرئ يروا بالتاء والياء ويبدئ
ويبدأ وقوله ثم يعيده ليس بمعطوف على يبدئ وليست الرؤية واقعة عليه وانما هو اخبار على حاله
بالاعادة بعد الموت كما وقع النظر في قوله كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الاخرة على البدء
دون ما تشاء ونحوه قولك ما زلت اوثر فلانا واستخلفه على من اخلفه فان قلت هو معطوف حرف
العطف فلابد له من معطوف عليه فما هو قلت هو جملة قوله اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق
وكذلك واستخلفه معطوف على جملة قوله ما زلت اوثر فلاجل ذلك يرجع الى ما يرجع اليه
هو في قوله وهو اهون عليه من معنى يعيده دل بقوله النشأة الاخرة على انهما نشأتان وان كل واحدة
منهما انشاء اي ابتداء واختراع واخراج من العدم الى الوجود لا تفاوت بينهما الا ان الاخرة انشاء
بعد انشاء والاولى ليست كذلك وقرئ النشأة والنشاءة كالرأفة والرآفة
فان قلت ما معنى الافصاح باسمه مع ايقاعه مبتدأ في قوله ثم الله ينشئ النشأة الاخرة
قلت الكلام معهم كان واقعا في الاعادة وفيها كانت تصطك الركب فلما قررهم في الابداء
بانه من الله احتج عليهم بان الاعادة انشاء مثل الابداء فاذا كان الله الذي لا يعجزه شيء هو الذي
لم يعجزه الابداء فهو الذي وجب ان لا تعجزه الاعادة فكانه قال ثم ذاك الذي انشأ النشأة الاولى
هو الذي ينشئ النشأة الاخرة فللدلالة والتنبيه على هذا المعنى ابرز اسمه واوقعه مبتدأ
يعذب من يشاء بعدله **ويرحم من يشاء** برحمته ومتعلق المشيئتين مفسر مبين في مواضع من
القرآن وهو من يستوجبهما من الكافر والفاسق اذا لم يتوبا ومن المعصوم والتائب **واليه تقلبون**
تردون وترجعون **وما انتم بمعجزين** ربكم اي لا تفوتونه ان هربتم من حكمه وقضائه
في الارض الفسيحة **ولا في السماء** التي هي افسح منها وابسط لو كنتم فيها كقوله ان استطعتم
ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا وقيل ولا من في السماء كقول حسان
امن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء
ويحتمل ان يراد لا تعجزونه كيفما هبطتم في مهاوي الارض واعماقها او علوتم في البروج
والقلاع الذاهبة في السماء كقوله ولو كنتم في بروج مشيدة او لا تعجزون امره الجاري في
السماء والارض ان يجري عليكم فيصيبكم ببلاء يظهر من الارض او ينزل من السماء **وما لكم
من دون الله من ولي ولا نصير والذين كفروا بايات الله** بدلائله على وحدانيته وكتبه
ومعجزاته **ولقائه** والبعث **اولئك يئسوا من رحمتي واولئك لهم عذاب اليم** يئسوا من
رحمتي وعيد اي ييأسون يوم تقوم الساعة يبلس المجرمون او هو وصف لحالهم لان المؤمن
انما يكون راجيا خائفا فاما الكافر فلا يخطر بباله رجاء ولا خوف او شبه لهم في انتفاء الرحمة
عنهم بحال من يئس من الرحمة وعن قتادة ان الله ذم قوما هانوا عليه فقال اولئك يئسوا من
رحمتي وقال انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فينبغي للمؤمن ان لا ييأس من روح الله
ولا من رحمته وان لا يأمن عذابه وعقابه فان صفة المؤمن ان يكون راجيا لله خائفا **فما كان
جواب قومه الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه فانجاه الله من النار ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون**

قرئ جواب بالنصب والرفع قالوا قال بعضهم لبعض او قاله واحد منهم وكان الباقون
راضين فكانوا جميعا في حكم القائلين وروي انه لم ينتفع في ذلك اليوم بالنار يعني يوم القي
ابرهيم في النار وذلك لذهاب حرها **وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في
الحيوة الدنيا** قرئ على النصب بغير اضافة وعلى الرفع كذلك فالنصب على وجهين على التعليل
اي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم عليها وائتلافكم كما يتفق
الناس على مذهب فيكون ذلك سبب تحابهم وتصادقهم وان تكون مفعولا ثانيا كقوله اتخذ الهه
هواه اي اتخذتم الاوثان سبب المودة بينكم على حذف المضاف او اتخذتموها مودة بينكم بمعنى
مودودة بينكم كقوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله وفي الرفع وجهان
ان تكون خبرا لان على ان ما موصولة وان يكون خبر مبتدأ محذوف والمعنى ان الاوثان مودة
بينكم اي مودودة او سبب مودة وعن عاصم مودة بينكم بفتح بينكم مع الاضافة كما قرئ
لقد تقطع بينكم ففتح وهو فاعل وقرأ ابن مسعود اوتيتم انما مودة بينكم في الحيوة الدنيا
**ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم
من ناصرين** ثم يوم القيمة يقوم بينكم التلاعن والتباغض والتعادي يتلاعن العبدة ويتلاعن
العبدة والاصنام كقوله عز وعلا ويكونون عليهم ضدا **فآمن له لوط** كان لوط ابن اخت ابرهيم
عليهما الصلوة والسلام وهو اول من امن له حين راى النار لم تحرقه **وقال** يعني ابرهيم عليه الصلوة والسلام
اني مهاجر من كوثى وهي من سواد الكوفة الى حران ثم منها الى فلسطين ومن ثمة قالوا لكل نبي
هجرة ولابرهيم عليه الصلوة والسلام هجرتان وكان معه في هجرته لوط وامرأته سارة وهاجر وهو ابن
خمس وسبعين سنة **الى ربي** الى حيث امرني بالهجرة اليه **انه هو العزيز** الذي يمنعني من اعدائي **الحكيم**
الذي لا يأمرني الا بما هو مصلحتي **ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب
واتيناه اجره في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين** اجره الثناء الحسن والصلوة عليه اخر الدهر
والذرية الطيبة والنبوة وان اهل الملل كلهم يتولونه فان قلت ما بال اسمعيل عليه الصلوة
والسلام لم يذكر وذكر اسحق وعقبه قلت قد دل عليه في قوله وجعلنا في ذريته النبوة
والكتاب وكفى الدليل لشهرة امره وعلو قدره فان قلت ما المراد بالكتاب قلت قصد به الجنس
الكتاب حتى دخل تحته ما نزل على ذريته من الكتب الاربعة التي هي التورية والزبور والانجيل
والفرقان **ولوطا اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين**
ولوطا معطوف على ابرهيم او على ما عطف عليه والفاحشة الفعلة البالغة في القبح وما سبقكم بها من
احد من العالمين جملة مستأنفة مقررة لفاحشة تلك الفعلة كان قائلا قال لم كانت فاحشة فقيل
لان احدا قبلهم لم يقدم عليها اشمئزازا منها في طباعهم لافراط قبحها حتى اقدم عليها قوم لوط لخبث
طينتهم وقذر طباعهم قالوا لم ينز ذكر على ذكر قبل قوم لوط **ائنكم لتأتون الرجال** وقرئ
انكم بغير استفهام في الاول دون الثاني قال ابو عبيد وجدته في الامام بحرف واحد بغير ياء ورأيت
الثاني بحرفين الياء والنون **وتقطعون السبيل** وقطع السبيل قطع النسل باتيان ما ليس بحرث
وتأتون في ناديكم المنكر والمنكر عن ابن عباس هو الخذف بالحصى والرمي بالبنادق والفرقعة
ومضغ العلك والسواك بين الناس وحل الازرار والسباب والفحش في المزاح وعن عائشة رضي الله عنها
كانوا يتحابقون وقيل السخرية بمن مر بهم وقيل المجاهرة في ناديهم بذلك العمل وكل معصية فاظهارها
اقبح من سترها ولذلك من خرق جلباب الحياء فلا غيبة له ولا يقال للمجلس نادي الا ما دام فيه اهله فاذا
قاموا عنه لم يبق ناديا **فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من
الصادقين** اي فيما تعدنا من نزول العذاب **قال رب انصرني على القوم المفسدين** كانوا
يفسدون الناس بحملهم على ما كانوا عليه من المعاصي والفواحش طوعا وكرها ولانهم ابتدعوا الفاحشة وسنوها
فيمن بعدهم وقال الله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا
يفسدون فاراد لوط عليه الصلوة والسلام ان يشتد غضب الله عليهم فذكر لذلك صفة المفسدين
في دعائه **ولما جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى** هي البشارة بالولد والنافلة وهما اسحق ويعقوب
قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية واضاف مهلكوا اضافة تخفيف لا تعريف والمعنى الاستقبال

والقرية سدوم التي قيل فيها أجور من قاضي سدوم إن أهلها كانوا ظالمين معناه ان الظلم
قد استمر منهم ايامه في الايام السالفة وهم عليه مصرون وظلمهم كفرهم وانواع معاصيهم قال
إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين ان فيها
لوطا ليس اخبارا لهم بكونه فيها وانما هو جدال في شانه لانهم لما عللوا اهلاك اهلها بظلمهم اعترض عليهم
بان فيها من هو بري من الظلم واراد بالجدال اظهار الشفقة عليه وما يجب للمومن من التحزن لاخيه
والتشمر في نصرته وحمايته من ان يمسه اذى او يلحقه ضرر قال فانه لا يرى الموت ان يحوط المومن الاخرى
الى جوابهم بانهم اعلم منه بمن فيها يعنون اعلم منك واخبر بحال لوط وحال قومه وامتيازه منهم الامتياز البين وانه
لا يستاهل ما يستاهلون فخفض على نفسك وهون عليك الخطب وقرئ لننجينه بالتشديد والتخفيف
وكذلك منجوك ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن
انا منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين ان صلة اكدت وجود الفعلين مترتبا
احدهما على الاخر في وقتين متجاورين لا فاصل بينهما كانهما وجدا في جزء واحد من الزمان كانه قيل
لما احس بمجيئهم فاجأته المساءة من غير ريث خيفة عليهم من قومه وضاق بشانهم وتدبير امرهم
ذرعه اي طاقته وقد جعلت العرب ضيق الذراع والذرع عبارة عن فقد الطاقة كما قالوا رحب الذراع
بكذا اذا كان مطيقا له والاصل فيه ان الرجل اذا طالت ذراعه نال ما لا يناله القصير الذراع وضرب
ذلك مثلا في العجز والقدرة انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السما بما كانوا يفسقون
الرجز والرجس العذاب من قولهم ارتجز وارتجس اذا اضطرب لما يلحق المعذب من القلق والاضطراب
وقرئ منزلون مخففا ومشددا ولقد تركنا منها من القرية آية بينة هي اثار منازلهم
الخربة وقيل بقية الحجارة وقيل الماء الاسود على وجه الارض وقيل الخبر عما صنع بهم لقوم يعقلون
يتعلق بتركنا او بينة والى مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر
ولا تعثوا في الارض مفسدين وارجوا وافعلوا ما ترجون به العاقبة فاقيم المسبب مقام السبب
او امروا بالرجاء والمراد اشتراط ما يسوغه من الايمان كما يومر الكافر بالشرعيات على ارادة
الشرط وقيل هو من الرجاء بمعنى الخوف فكذبوه فاخذتهم الرجفة الزلزلة الشديدة وعن الضحاك
صيحة جبريل لان القلوب رجفت لها فاصبحوا في دارهم في بلدهم وارضهم او في ديارهم فاكتفى
بالواحد لانه لا يلبس جاثمين باركين على الركب ميتين وعادا وثمودا منصوب باضمار اهلكنا
لان قوله فاخذتهم الرجفة يدل عليه لانه في معنى الاهلاك وقد تبين لكم ذلك يعني ما وصفه
من اهلاكهم من مساكنهم من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم بها وكان اهل مكة
يمرون عليها في اسفارهم فيبصرونها وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل
وكانوا مستبصرين عقلا متمكنين من النظر والافتكار ولكنهم لم يفعلوا وكانوا متبينين ان
العذاب نازل بهم لان الله تعالى قد بين لهم على السنة الرسل ولكنهم لجوا حتى هلكوا وقارون
وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين
فائتين ادركهم امر الله فلم يفوتوه فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا
ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا وما كان الله ليظلمهم
ولكن كانوا انفسهم يظلمون الحاصب لقوم لوط وهي ريح عاصفة فيها حصبا وقيل ملك يرميهم
والصيحة لمدين وثمود والخسف لقارون والغرق لفرعون مثل الذين اتخذوا من دون الله اوليا
كمثل العنكبوت اتخذت بيتا الغرض تشبيه ما اتخذوه متكلا ومعتمدا في دينهم وتولوه
من دون الله بما هو مثل عند الناس في الوهن وضعف القوة وهو نسج العنكبوت الا ترى الى مقطع
التشبيه وهو قوله وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت فان قلت ما معنى قوله لو كانوا يعلمون
وكل احد يعلم وهن بيت العنكبوت قلت معناه ان هذا مثلهم وان امر دينهم بالغ هذه
الغاية في الوهن ووجه اخر وهو انه اذا صح تشبيه ما اعتمدوه في دينهم ببيت العنكبوت وقد صح
ان اوهن البيوت بيت العنكبوت فقد تبين ان دينهم اوهن الاديان لو كانوا يعلمون او اخرج
الكلام بعد تصحيح التشبيه مخرج المجاز فكانه قال وان اوهن ما يعتمد عليه في الدين عبادة الاوثان
لو كانوا يعلمون ولقائل ان يقول مثل المشرك الذي يعبد الوثن بالقياس الى المومن الذي يعبد الله

مثل العنكبوت يتخذ بيتا بالاضافة الى رجل يبني بيتا باجر وجص او ينحته من صخر وكما ان اوهن
اذا استقريتها بيتا بيتا بيت العنكبوت كذلك اضعف الاديان اذا استقريتها دينا دينا عبادة الاوثان
لو كانوا يعلمون إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وقرئ يدعون بالياء والتاء وهذا توكيد
للمثل وزيادة عليه حيث لم يجعل ما يدعونه شيئا وهو العزيز الحكيم فيه تجهيل لهم حيث عبدوا
ما ليس بشيء لانه جماد ليس معه مصحح العلم والقدرة اصلا وتركوا عبادة القادر على كل شيء الحكيم
الذي لا يفعل شيئا الا بحكمة وتدبير وتلك الامثال نضربها للناس كان الجهلة والسفهاء من
قريش يقولون ان رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت ويضحكون من ذلك فلذلك قال
وما يعقلها إلا العالمون اي لا يعقل صحتها وحسنها وفائدتها الا هم لان الامثال والتشبيهات
انما هي الطرق الى المعاني المحتجبة في الاستار حتى تبرزها وتكشف عنها وتصورها للافهام كما صور
هذا التشبيه الفرق بين حال المشرك وحال الموحد وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه تلا هذه الاية فقال العالم
من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه خلق الله السموات والأرض بالحق اي بالغرض الصحيح
الذي هو حق لا باطل وهو ان تكونا مساكن عباده وعبرة للمعتبرين منهم ودلائل على عظم قدرته الا ترى
الى قوله إن في ذلك لآية للمؤمنين ونحوه قوله تعالى وما خلقنا السما والارض وما بينهما باطلا ثم قال ذلك
ظن الذين كفروا اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلوة إن الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر
الصلوة تكون لطفا في ترك المعاصي فكانها ناهية عنها فان قلت كم من مصل يرتكب ولا تنهاه صلوته قلت
الصلوة التي هي الصلوة عند الله المستحق بها الثواب ان يدخل فيها مقدما للتوبة النصوح متقيا لقوله تعالى انما يتقبل
الله من المتقين ويصليها خاشعا بالقلب والجوارح فقد روي عن حاتم كان رجلي على الصراط والجنة
عن يميني والنار عن يساري وملك الموت من فوقي واصلي بين الخوف والرجاء ثم يحوطها بعد ان يصليها
فلا يحبطها فهي الصلوة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر وعن ابن عباس رضي الله عنهما من لم تامره صلاته
بالمعروف وتنهاه عن المنكر لم يزدد بصلاته من الله الا بعدا وعن الحسن من لم تنهه صلاته عن الفحشاء
والمنكر فليست صلاته بصلوة وهي وبال عليه وقيل من كان مراعيا للصلوة جره ذلك الى ان
ينتهي عن السيئات يوما ما فقد روي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان فلانا يصلي بالنهار
ويسرق بالليل فقال ان صلاته لتردعه وروي ان فتى من الانصار كان يصلي معه الصلوات ولا يدع
شيئا من الفواحش الا ارتكبه فوصف له فقال ان صلاته ستنهاه فلم يلبث ان تاب وعلى كل حال
فان المراعي للصلوة لا بد ان يكون ابعد من الفحشاء والمنكر ممن لا يراعيها وايضا فكم من مصلين
تنهاهم الصلوة عن الفحشاء والمنكر واللفظ لا يقتضي الا ان يكون ذلك واحدا عن قضيتها كما تقولون ان زيدا
ينهى عن المنكر فليس غرضك انه ينهى عن جميع المناكير وانما تريد ان هذه الخصلة موجودة فيه
وحاصلة منه من غير اقتضاء للعموم ولذكر الله أكبر يريد والصلوة اكبر من غيرها من الطاعات
وسماها بذكر الله كما قال فاسعوا الى ذكر الله وانما قال ولذكر الله ليستقل بالتعليل كانه قال والصلوة
اكبر لانها ذكر الله او ولذكر الله عند الفحشاء والمنكر وذكر نهيه عنهما ووعيده عليهما اكبر
وكان اولى بان ينهى من اللطف الذي في الصلوة وعن ابن عباس ولذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم
اياه بطاعته والله يعلم ما تصنعون من الخير والطاعة فيثيبكم احسن الثواب ولا تجادلوا
أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن بالخصلة التي هي احسن وهي مقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم
والمشاغبة بالاناة كما قال ادفع بالتي هي احسن إلا الذين ظلموا منهم فافرطوا في الاعتداء والعناد
ولم يقبلوا النصح ولم ينفع فيهم الرفق فاستعملوا معهم الغلظة وقيل الا الذين اذوا رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم وقيل الا الذين اثبتوا الولد والشريك وقالوا يد الله مغلولة وقيل معناه
ولا تجادلوا الداخلين في الذمة المودين للجزية الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا فنبذوا الذمة
ومنعوا الجزية فان اولئك مجادلتهم بالسيف وعن قتادة الاية منسوخة بقوله قاتلوا الذين
لا يومنون بالله ولا باليوم الاخر ولا مجادلة اشد من السيف وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا
وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون من حسن المجادلة بالتي هي احسن وعن
النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما حدثكم اهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله وكتبه
ورسله فان كان باطلا لم تصدقوهم وان كان حقا لم تكذبوهم وكذلك ومثل ذلك الانزال

أنزلنا إليك الكتاب أي أنزلناه مصدقاً لسائر الكتب السماوية تحقيقاً لقوله آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وقيل وكما أنزلنا الكتب إلى من كان قبلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به هم عبد الله بن سلام ومن آمن معه ومن هؤلاء من أهل مكة من يؤمن به وقيل أراد بالذين أوتوا الكتاب الذين تقدموا عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أهل الكتاب ومن هؤلاء ممن في عهده منهم وما يجحد بآياتنا مع ظهورها وزوال الشبهة عنها إلا الكافرون إلا المتوغلون في الكفر المصممون عليه وقيل هم كعب بن الأشرف وأصحابه وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك وأنت أمي ما عرفوك قط تتلو كتاباً ولا تخط إذاً لو كان شيء من ذلك أي من التلاوة والخط لارتاب المبطلون من أهل الكتاب وقالوا الذي نجده في كتبنا أمي لا يكتب ولا يقرأ وليس به ولارتاب مشركو مكة وقالوا لعله تعلمه أو كتبه بيده فإن قلت لم سماهم مبطلين ولو لم يكن أمياً وقالوا ليس بالذي نجد في كتبنا لكانوا صادقين محقين ولكان أهل مكة أيضاً على حق في قولهم لعله تعلمه أو كتبه فإنه رجل قارئ كاتب قلت سماهم مبطلين لأنهم كفروا به وهو أمي بعيد من الريب فكأنه قال هؤلاء المبطلون في كفرهم به لو لم يكن أمياً لارتابوا أشد الريب فحين ليس بقارئ كاتب فلا وجه لارتيابهم وشيء آخر وهو أن سائر الأنبياء لم يكونوا أميين ووجب الإيمان بهم وبما جاؤوا به لكونهم مصدقين من جهة الحكيم بالمعجزات فهب أنه قارئ كاتب فما لهم لم يؤمنوا به من الوجه الذي آمنوا منه بموسى عليه الصلاة والسلام على أن المنزلين ليسا بمعجزين وهذا المنزل معجز فإذاً هم مبطلون حيث لم يؤمنوا به وهو أمي ومبطلون لو لم يؤمنوا به وهو غير أمي فإن قلت ما فائدة قوله بيمينك قلت ذكر اليمين وهي الجارحة التي يزاول بها الخط زيادة تصوير لما نفى عنه من كونه كاتباً ألا ترى أنك إذا قلت في الإثبات رأيت الأمير يخط هذا الكتاب بيمينه كان أشد لإثباتك أنه تولى كتبته فكذلك النفي بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم بل القرآن آيات بينات في صدور العلماء وحفاظه وهما من خصائص القرآن كون آياته بينات الإعجاز وكونه محفوظاً في الصدور يتلوه أكثر الأمة ظاهراً بخلاف سائر الكتب فإنها لم تكن معجزات وما كانت تقرأ إلا من المصاحف ومنه ما جاء في صفة هذه الأمة صدورهم أناجيلهم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون وما يجحد بآيات الله الواضحة إلا المتوغلون في الظلم المكابرون وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه وآيات أرادوا هلا أنزل عليه آية مثل ناقة صالح ومائدة عيسى عليهما الصلاة والسلام ونحو ذلك قل إنما الآيات عند الله ينزل أيتها شاء ولو شاء أن ينزل ما تقترحونه لفعل وإنما أنا نذير مبين كلفت الإنذار وإبانته بما أعطيت من الآيات وليس لي أن أتخير على الله تعالى آياته فأقول أنزل على آية كذا دون آية كذا مع علمي أن الغرض من الآية ثبوت الدلالة والآيات كلها في حكم آية واحدة في ذلك ثم قال أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم أولم يكفهم آية مغنية عن سائر الآيات إن كانوا طالبين للحق غير متعنتين هذا القرآن الذي تدوم تلاوته عليهم في كل زمان ومكان فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا تضمحل كما تزول كل آية بعد كونها وتكون في مكان دون مكان إن في ذلك إن في هذه الآية الموجودة في كل مكان وزمان إلى آخر الدهر لرحمة لنعمة عظيمة لا تشكر وذكرى وتذكرة لقوم يؤمنون وقيل أولم يكفهم يعني اليهود أنا أنزلنا عليك الكتاب تتلى عليهم بتحقيق ما في أيديهم من نعتك ونعت دينك وقيل إن ناساً من المسلمين أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكتف قد كتبوا فيها بعض ما يقول اليهود فلما أن نظر إليها ألقاها وقال كفى بها حماقة قوم أو ضلالة قوم أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم إلى ما جاء به غير نبيهم فنزلت والوجه ما ذكرنا قل كفى بالله بيني وبينكم شهيداً أي قد بلغتكم ما أرسلت به إليكم وأنذرتكم وأنكم قابلتموني بالجحد والتكذيب يعلم ما في السموات والأرض فهو مطلع على أمري وأمركم وعالم بحقي وباطلكم والذين آمنوا بالباطل منكم وهو ما تعبدون من دون الله وكفروا بالله وآياته أولئك هم الخاسرون المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالإيمان إلا أن الكلام ورد مورد الإنصاف كقوله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين وكقول حسان فشركما لخيركما الفداء روي أن كعب بن الأشرف قالوا يا محمد من يشهد لك أنك رسول الله فنزلت ويستعجلونك بالعذاب كان استعجال العذاب استهزاء منهم وتكذيباً والمستعجل النضر بن الحارث هو الذي قال اللهم

امطر علينا

أمطر علينا حجارة من السماء كما قال أصحاب الأيكة فأسقط علينا كسفاً من السماء ولولا أجل مسمى قد سماه الله وبينه في اللوح لعذابهم وأوجبت الحكمة تأخيره إلى ذلك الأجل المسمى لجاءهم العذاب عاجلاً والمراد بالأجل الآخرة لما روي أن الله عز وجل وعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألا يعذب قومه ولا يستأصلهم وأن يؤخر عذابهم إلى يوم القيامة وقيل يوم بدر وقيل وقت فنائهم بآجالهم وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين أي ستحيط بهم يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم أو هي محيطة بهم في الدنيا لأن المعاصي التي توجبها محيطة بهم أو لأنها مآلهم ومرجعهم لا محالة فكأنها الساعة محيطة بهم ويوم يغشاهم على هذا منصوب بمضمر أي يوم يغشاهم العذاب كان كيت وكيت ومن فوقهم ومن تحت أرجلهم كقوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ونقول قرئ بالنون والياء ذوقوا ما كنتم تعملون أي جزاءه يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة معنى الآية أن المؤمن إذا لم يتسهل له العبادة في بلد هو فيه ولم يتمش له أمر دينه كما يحب فليهاجر عنه إلى بلد يقدر أنه فيه أسلم قلباً وأصح ديناً وأكثر عبادة وأحسن خشوعاً ولعمري إن البقاع تتفاوت في ذلك التفاوت الكثير ولقد جربنا وجرب أولونا فلم نجد فيما درنا وداروا أعون على قهر النفس وعصيان الشهوة وأجمع للقلب المتقلب وأضم للهم المنتشر وأحث على القناعة وأطرد للشيطان وأبعد من كثير من الفتن وأضبط للأمر الديني في الجملة من سكنى حرم الله وجوار بيت الله فلله الحمد على ما سهل من ذلك وقرب ورزق من الصبر وأوزع من الشكر وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبراً من الأرض استوجب الجنة وكان رفيق إبراهيم ومحمد وقيل هي في المستضعفين بمكة الذين نزل فيهم ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها وإنما كان ذلك لأن أمر دينهم ما كان يستتب بين ظهراني الكفرة فإياي فاعبدون إياي في التكلم بمنزلة إياه في الغائب وإياك في المخاطب والتقدير فإياي فاعبدوا فاعبدون فإن قلت ما معنى الفاء في فاعبدون وتقديم المفعول قلت الفاء جواب شرط محذوف لأن المعنى إن أرضي واسعة فإن لم تخلصوا العبادة لي في أرض فأخلصوها في غيرها ثم حذف الشرط وعوض من حذفه تقديم المفعول مع إفادة تقديمه معنى الاختصاص والإخلاص كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون لما أمر عباده بالحرص على العبادة وصدق الاهتمام بها حتى يتطلبوا لها أوفق البلاد وإن شسعت أتبعه قوله كل نفس ذائقة الموت أي واجدة مرارته وكربه كما يجد الذائق طعم المذوق ومعناه إنكم ميتون فواصلون إلى الجزاء ومن كانت هذه عاقبته لم يكن له بد من التزود لها والاستعداد بجهده والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفاً تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين لنبوئنهم لننزلنهم من الجنة علالي وقرئ لنثوينهم من الثواء وهو النزول للإقامة يقال ثوى في المنزل وأثوى غيره وثوى يتعدى بزيادة همزة النقل يجاوز مفعولاً واحداً نحو ذهب وأذهبته والوجه في تعديته إلى ضمير المؤمنين وإلى الغرف إما إجراؤه مجرى لننزلنهم ونبوئنهم أو حذف الجار وإيصال الفعل أو تشبيه الظرف الموقت بالمبهم وقرأ يحيى بن وثاب فنعم بزيادة الفاء الذين صبروا على مفارقة الأوطان والهجرة لأجل الدين وعلى أذى المشركين وعلى المحن والمصائب وعلى الطاعات وعن المعاصي وعلى ربهم يتوكلون ولم يتوكلوا في جميع ذلك إلا على الله تعالى وكأين من دابة لا تحمل رزقها لما أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أسلم بمكة بالهجرة خافوا الفقر والضيعة فكان يقول الرجل منهم كيف أقدم بلدة ليس لي فيها معيشة فنزلت والدابة كل نفس دبت على وجه الأرض عقلت أو لم تعقل لا تحمل رزقها لا تطيق أن تحمله لضعفها عن حمله الله يرزقها وإياكم أي لا يرزق تلك الدواب الضعاف إلا الله ولا يرزقكم أيضاً أيها الأقوياء إلا هو وإن كنتم مطيقين لحمل أرزاقكم وكسبها لأنه لو لم يقدركم ولم يقدر لكم أسباب الكسب لكنتم أعجز من الدواب التي لا تحمل وعن الحسن لا تحمل رزقها لا تدخره إنما تصبح فيرزقها الله وعن ابن عيينة ليس شيء يخبأ إلا الإنسان والنملة والفأرة وعن بعضهم رأيت البلبل يحتكر في حضنيه ويقال للعقعق مخابئ إلا أنه ينساها وهو

التمنيع لقولكم نخشى الفقر والضيعة العليم بما في ضمائركم ولئن سألتهم من خلق السموات
والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله الضمير في سألتهم لاهل مكة فأنى يؤفكون فكيف
يصرفون عن توحيد الله وان لا يشركوا به مع اقرارهم بانه خالق السموات والارض الله يبسط
الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له قدر الرزق وقتره بمعنى اذا ضيقه فان قلت الذي
رجع اليه الضمير في قوله ويقدر له هو من يشاء فكان بسط الرزق وقدره جعلا لواحد قلت
يحتمل الوجهين جميعا ان يريد ويقدر لمن يشاء فوضع الضمير موضع من يشاء لان من يشاء مبهم
غير معين فكان الضمير مبهما مثله وان يريد تعاقب الامرين على واحد على حسب المصلحة
ان الله بكل شيء عليم يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء
فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله احمد رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم على انه ممن اقر بنحو ما اقروا به ثم نفعه ذلك في توحيد الله ونفي الانداد والشركاء عنه ولم
يكن اقرارا عاطلا كاقرار المشركين وعلى انهم اقروا وانما هو حجة عليهم حيث نسبوا النعمة
الى الله تعالى وقد جعلوا العبادة للصنم بل أكثرهم لا يعقلون ما يقولون وما فيه من الدلالة
على بطلان الشرك وصحة التوحيد او لا يعقلون ما تريد بقولك الحمد لله ولا يفطنون لم حمدت الله عند
مقالتهم وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب هذه فيها ازدراء للدنيا وتصغير لامرها
وكيف لا يصغرها وهي لا تزن عند الله جناح بعوضة يريد ما هي لسرعة زوالها عن اهلها وموتهم
عنها الا كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون وإن الدار الآخرة لهي الحيوان اي ليس
فيها الا حياة مستمرة خالدة لا موت فيها فكانها في ذاتها حياة والحيوان مصدر حي وقياسه
حييان فقلبت الياء الثانية واوا كما قالوا حيوة في اسم رجل وبه سمي ما فيه حياة حيوان وفي بناء الحيوان
زيادة معنى ليس في بناء الحياة مع ما في بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب كالنزوان
والنغضان واللهبان وما اشبه ذلك والحياة حركة كما ان الموت سكون فمجيئه على بناء
دال على معنى الحركة مبالغة في معنى الحياة ولذلك اختيرت على الحياة في هذا الموضع المقتضي
للمبالغة لو كانوا يعلمون فلم يؤثروا الحياة الدنيا عليها فان قلت بم اتصل قوله فإذا ركبوا
قلت بمحذوف دل عليه ما وصفهم به وشرح من امرهم معناه هم على ما وصفوا به من الشرك والعناد
فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين كائنين في صورة من يخلص الدين لله من
المؤمنين حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون معه الها آخر وفي تسميتهم مخلصين ضرب من التهكم
فلما نجاهم إلى البر وأمنوا إذا هم يشركون عادوا الى حال الشرك واللام في ليكفروا بما آتيناهم
محتملة ان تكون لام كي وكذلك في وليتمتعوا فسوف يعلمون فيمن قرأها بالكسر والمعنى
انهم يعودون الى شركهم ليكونوا بالعود الى شركهم كافرين بنعمة النجاة قاصدين التمتع بها والتلذذ
لا غير على خلاف ما هو عادة المؤمنين المخلصين على الحقيقة اذا انجاهم الله ان يشكروا نعمة الله في
انجائهم ويجعلوا نعمة النجاة ذريعة الى ازدياد الطاعة لا الى التمتع والتلذذ وان تكون لام الامر
وقراءة من قرأ وليتمتعوا بالسكون تشهد له ونحوه قوله تعالى اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير فان قلت
كيف جاز ان يأمر الله تعالى بالكفر وبان يعمل العصاة ما شاءوا وهو ناه عن ذلك ومتوعد عليه قلت
هو مجاز عن الخذلان والتخلية وان ذلك الامر متسخط الى غاية ومثاله ان ترى الرجل قد عزم
على امر وعندك ان ذلك الامر خطأ وانه يؤدي الى ضرر عظيم فتبالغ في نصحه واستنزاله
عن رأيه فاذا لم تر منه الا الاباء والتصميم حردت عليه وقلت له انت وشأنك وافعل ما شئت
فلا تريد بهذا حقيقة الامر وكيف والآمر بالشيء مريد له وانت شديد الكراهة متحسر ولكنك
كانك تقول فاذا قد ابيت قبول النصيحة فانت اهل ليقال لك افعل ما شئت وتبعث عليه ليتبين لك
اذا فعلت صحة رأي الناصح وفساد رأيك أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس
من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون كانت العرب حول مكة يغزو بعضهم بعضا
ويتغاورون ويتناهبون واهل مكة قارون آمنون فيها لا يغزون ولا يغار عليهم مع
قلتهم وكثرة العرب فذكرهم الله هذه النعمة الخاصة ووبخهم بانهم يؤمنون بالباطل الذي هم عليه
ومثل هذه النعمة المكشوفة الظاهرة وغيرها من النعم التي لا يقدر عليها الا الله وحده مكفورة

عبدهم

عندهم ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه افتراؤهم على الله كذبا
زعمهم ان لله شريكا وتكذيبهم بما جاءهم من الحق كفرهم بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم والكتاب
وفي قوله لما جاءه تسفيه لهم يعني لم يتلعثموا في تكذيبه وقت سمعوه ولم يفعلوا كما يفعل المراجيح
العقول المتثبتون في الامور يسمعون الخبر فيستعملون فيه الروية والفكر ويستأنون
الى ان يصح لهم صدقه او كذبه أليس في جهنم مثوى للكافرين تقرير لثوائهم في جهنم كقوله
ألستم خير من ركب المطايا قال بعضهم ولو كان استفهاما ما اعطاه الخليفة مائة من الابل
وحقيقته ان الهمزة همزة الانكار دخلت على النفي فرجع الى معنى التقرير فهما وجهان
احدهما الا يثوون في جهنم والا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله
تعالى وكذبوا بالحق هذا التكذيب والثاني الم يصح عندهم ان في جهنم مثوى للكافرين
حتى اجترأوا مثل هذه الجرأة والذين جاهدوا اطلق المجاهدة ولم يقيدها بمفعول ليتناول
كل ما يجب مجاهدته من النفس الامارة بالسوء والشيطان واعداء الدين فينا في حقنا ومن
اجلنا ولوجهنا خالصا لنهدينهم سبلنا لنزيدنهم هداية الى سبيل الخير وتوفيقا كقوله
والذين اهتدوا زادهم هدى وعن ابي سليمان الداراني والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم
الى ما لم يعلموا وعن بعضهم من عمل بما يعلم وفق لما لا يعلم وقيل ان الذي نرى من جهلنا بما لا
نعلم انما هو من تقصيرنا فيما نعلم وإن الله لمع المحسنين لناصرهم ومعينهم قال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين
والمنافقين

سورة الروم مكية الا قوله فسبحان الله وهي ستون آية وقيل تسع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين القراءة المشهورة
الكثيرة غلبت بضم الغين وسيغلبون بفتحها والارض ارض العرب لان الارض المعهودة
عند العرب ارضهم والمعنى غلبوا في ادنى ارض العرب منهم وهي اطراف الشام او اراد ارضهم على
انابة اللام مناب المضاف اليه اي في ادنى ارضهم الى عدوهم قال مجاهد هي ارض الجزيرة
وهي ادنى ارض الروم الى فارس وعن ابن عباس الاردن وفلسطين وقرئ في ادنى الارض
والبضع ما بين الثلاث الى العشر عن الاصمعي وقيل احتربت الروم وفارس بين اذرعات وبصرى
فغلبت فارس الروم فبلغ الخبر مكة فشق على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين
لان فارس مجوس لا كتاب لهم والروم اهل كتاب وفرح المشركون وشمتوا وقالوا انتم والنصارى
اهل كتاب ونحن وفارس اميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن عليكم فنزلت
فقال لهم ابو بكر رضي الله عنه لا يقرر الله اعينكم فوالله لتظهرن الروم على فارس بعد بضع
سنين فقال له ابي بن خلف كذبت يا ابا فصيل اجعل بيننا اجلا اناحبك عليه والمناحبة
المراهنة فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعل الاجل ثلاث سنين فاخبر ابو بكر
رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده في الخطر
وماده في الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابي من جرح رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك عند رأس سبع سنين وقيل
كان النصر يوم بدر للفريقين فاخذ ابو بكر الخطر من ذرية ابي وجاء به الى رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم فقال تصدق به وهذه الآية من الآيات البينة الشاهدة على صحة النبوة وان القرآن
من عند الله لانها انباء عن علم الغيب الذي لا يعلمه الا الله تعالى وقرئ غلبهم بسكون اللام والغلب
والغلب مصدران كالجلب والجلب والحلب والحلب وقرئ غلبت الروم بالفتح وسيغلبون بالضم
ومعناه ان الروم غلبوا على ريف الشام وسيغلبهم المسلمون في بضع سنين وعند انقضاء هذه
المدة اخذ المسلمون في جهاد الروم واضافة غلبهم تختلف باختلاف القراءتين فهي في احديهما
اضافة المصدر الى المفعول وفي الثانية اضافة الى الفاعل ومثالهما محرم عليكم اخراجهم ولن
يخلف الله وعده فان قلت كيف صحت المناحبة وانما هي قمار قلت عن قتادة رحمه الله
انه كان ذلك قبل تحريم القمار ومن مذهب ابي حنيفة ومحمد رحمهما الله تعالى ان العقود الفاسدة

من معقود الرهان بوجايزه في دار الحرب بين المسلمين والكفار وقد احتج على ذلك بما عقده ابو بكر رضي الله عنه بينه وبين ابي بن خلف **لله الأمر من قبل ومن بعد** اي في اول الوقتين وفي آخرهما حين غلبوا وحين يغلبون كانه قيل من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين يعني ان كونهم مغلوبين اولا وغالبين آخرا ليس الا بامر الله وقضائه وتلك الايام نداولها بين الناس وقرئ من قبل ومن بعد على الجر من غير تقدير مضاف اليه واقتطاعه كانه قيل قبلا وبعدا بمعنى اولا وآخرا **ويومئذ** ويوم تغلب الروم على فارس ويحل الله ما وعده الله من غلبتهم **يفرح المؤمنون بنصر الله** وتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له وغيظ من شمت بهم من كفار مكة وقيل نصر الله هو اظهار صدق المؤمنين فيما اخبروا به المشركين من غلبة الروم وقيل نصر الله انه ولى بعض الظالمين بعضا وفرق بين كلمتهم حتى تفانوا وتناقصوا وفل هؤلاء شوكة هؤلاء وفي ذلك قوة للاسلام وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه وافق ذلك يوم بدر وفي هذا اليوم نصر المؤمنون **ينصر الله من يشاء وهو العزيز الرحيم** ينصر عليكم تارة وينصركم اخرى **وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون** وعد الله مصدر مؤكد كقولك لك على الف درهم عرفا لان معناه اعترف لك اعترافا ووعد الله ذلك وعدا لان ما سبقه في معنى وعد **يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون** ذمهم الله عز وجل بانهم عقلاء في امور الدنيا بله في امور الدين وذلك انهم كانوا اصحاب تجارات ومكاسب وعن الحسن بلغ من حذق احدهم انه يأخذ الدرهم فينقره باصبعه فيعلم اردي هو ام جيد وقوله يعلمون بدل من قوله لا يعلمون وفي هذا الابدال من النكتة انه ابدله منه وجعله بحيث يقوم مقامه ويسد مسده ليعلمك انه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز الدنيا وقوله ظاهرا من الحيوة الدنيا يفيد ان للدنيا ظاهرا وباطنا فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها والتنعم بملاذها وباطنها وحقيقتها انها مجاز الى الآخرة يتزود منها اليها بالطاعة والاعمال الصالحة وفي تنكير الظاهر انهم لا يعلمون الا ظاهرا واحدا من جملة ظواهرها وهم الثانية يجوز ان يكون مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر هم الاولى وان يكون تكريرا للاولى وايّةً كانت فذكرها مناد على انهم معدن الغفلة عن الآخرة ومقرها ومعلمها وانها منهم تنبع واليهم ترجع **أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض إلا بالحق وأجل مسمى** في انفسهم يحتمل ان يكون ظرفا كانه قيل اولم يحدثوا التفكر في انفسهم اي في قلوبهم الفارغة من الفكر والتفكر لا يكون الا في القلوب ولكنه زيادة تصوير لحال المتفكرين كقولك اعتقده في قلبك واضمره في نفسك وان يكون صلة للتفكر كقولك تفكر في الامر واجال فيه فكره وما خلق متعلق بالقول المحذوف ومعناه اولم يتفكروا فيقولوا هذا القول وقيل معناه فيعلموا لان في الكلام دليلا عليه الا بالحق واجل مسمى اي ما خلقها باطلا وعبثا بغير غرض صحيح وحكمة بالغة ولا لتبقى خالدة وانما خلقها مقرونة بالحق مصحوبة بالحكمة وبتقدير اجل مسمى لا بد لها من ان تنتهي اليه وهو قيام الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب الا ترى الى قوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون كيف سمى تركهم غير راجعين اليه عبثا والباء في قوله الا بالحق مثلها في قولك دخلت عليه بثياب السفر واشترى الفرس بسرجه ولجامه تريد اشتراه وهو ملتبس بالسرج واللجام غير منفك عنهما وكذلك ما خلقها الا وهي ملتبسة بالحق مقترنة به فان قلت اذا جعلت في انفسهم صلة للتفكر فما معناه قلت معناه اولم يتفكروا في انفسهم التي هي اقرب اليهم من غيرها من المخلوقات وهم اعلم واخبر باحوالها منهم باحوال ما عداها فيتدبروا ما اودعها الله ظاهرا وباطنا من غرائب الحكم الدالة على التدبير دون الاهمال وانه لا بد لها من انتهاء الى وقت يجازيها فيه الحكيم الذي دبر امرها على الاحسان احسانا وعلى الاساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك ان سائر الخلائق كذلك امرها جار على الحكمة والتدبير وانه لا بد لها من الانتهاء الى ذلك الوقت **وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون** والمراد بلقاء ربهم الاجل

[illegible] ذلك قول الشاعر [illegible] المحاسنه [illegible] الامانات [illegible] الباطن [illegible] وغافلون خبر الاولى [illegible] فاسمها

المسمى أولم

المسمى **أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم** تقرير لسيرهم في البلاد ونظرهم الى آثار المدمرين من عاد وثمود وغيرهم من الامم العاتية ثم اخذ يصف لهم احوالهم وانهم **كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض** وحرثوها قال الله لا ذلول تثير الارض وقيل لبقر الحرث المثيرة وقالوا سمي ثورا لاثارته الارض وبقرة لانها تبقرها اي تشقها **وعمروها** يعني اولئك المدمرون **أكثر مما عمروها** من عمارة اهل مكة واهل مكة اهل واد غير ذي زرع ما لهم اثارة في الارض اصلا ولا عمارة لها رأسا فما هو الا تهكم بهم وتضعيف حالهم في دنياهم لان معظم ما يستظهر به اهل الدنيا ويتباهون به امر الدهقنة وهم ايضا ضعاف القوى فقوله كانوا اشد منهم قوة اي من عاد وثمود واضرابهم من هذا القبيل كقوله اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة وان كان هذا ابلغ لانه خالق القوى والقدر **وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون** فما كان تدميره اياهم ظلما لهم لان حاله منافية للظلم ولكنهم ظلموا انفسهم حيث عملوا ما اوجب تدميرهم **ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون** قرئ عاقبة بالنصب والرفع والسوأى تأنيث الاسوأ وهو الاقبح كما ان الحسنى تأنيث الاحسن والمعنى انهم عوقبوا في الدنيا بالدمار ثم كانت عاقبتهم السوأى الا انه وضع المظهر موضع المضمر اي العقوبة التي هي اسوأ العقوبات في الآخرة وهي جهنم التي اعدت للكافرين وان كذبوا بمعنى لان كذبوا ويجوز ان يكون ان بمعنى اي لانه اذا كان تفسير الاساءة التكذيب والاستهزاء كانت في معنى القول نحو نادى وكتب وما اشبه ذلك ووجه آخر ان يكون اساءوا السوأى بمعنى اقترفوا الخطيئة التي هي اسوأ الخطايا وان كذبوا عطف بيان لها وخبر كان محذوف كما يحذف جواب لما ولو ارادة الابهام **الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون** اي الى ثوابه وعقابه ترجعون وقرئ بالتاء والياء **ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون** الابلاس ان يبقى يائسا ساكتا متحيرا يقال ناظرته فابلس اذا لم ينبس وييس من ان يحتج ومنه الناقة المبلاس التي لا ترغو وقرئ يبلس بفتح اللام من ابلسه اذا اسكته **ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء** من الذين عبدوهم من دون الله **شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين** اي يكفرون بالهتهم ويجحدونها او وكانوا في الدنيا كافرين بسببهم وكتب شفعؤا في المصحف بواو قبل الالف كما كتب علمؤا بني اسرائيل وكذلك كتبت السوأى بالف قبل الياء اثباتا للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها **ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون** الضمير في يتفرقون للمسلمين والكافرين لدلالة ما بعده عليه وعن الحسن هو تفرق المسلمين والكافرين هؤلاء في عليين وهؤلاء في اسفل سافلين وعن قتادة فرقة لا اجتماع بعدها **فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة** بستان وهي الجنة والتنكير لابهام امرها وتفخيمه والروضة عند العرب كل ارض ذات نبات وماء وفي امثالهم احسن من بيضة في روضة يريدون بيضة النعامة **يحبرون** يسرون يقال حبره اذا سره سرورا تهلل له وجهه وظهر فيه اثره ثم اختلف فيه لاحتماله وجوه جميع المسار فعن مجاهد يكرمون وعن قتادة ينعمون وعن ابن كيسان يحلون وعن ابي بكر بن عياش التيجان على رؤوسهم وعن وكيع السماع في الجنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر الجنة وما فيها من النعيم وفي آخر القوم اعرابي فقال يا رسول الله هل في الجنة من سماع قال نعم يا اعرابي ان في الجنة لنهرا حافتاه الابكار من كل بيضاء خوصانية يتغنين باصوات لم تسمع الخلائق بمثلها قط فذلك افضل نعيم الجنة قال الراوي فسألت ابا الدرداء بم يتغنين قال بالتسبيح وروي ان في الجنة لاشجارا عليها اجراس من فضة فاذا اراد اهل الجنة السماع بعث الله ريحا من تحت العرش فتقع في تلك الاشجار فتحرك تلك الاجراس باصوات لو سمعها اهل الدنيا لماتوا طربا **وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك في العذاب محضرون** لا يغيبون عنه ولا يخفف عنهم لقوله تعالى وما هم بخارجين منها لا يفتر عنهم **فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون** لما ذكر الوعد والوعيد اتبعه ذكر ما يوصل الى الوعد وينجي من الوعيد والمراد بالتسبيح ظاهره الذي هو تنزيه الله من السوء والثناء عليه بالخير في هذه الاوقات لما يتجدد فيها من نعمة الله الظاهرة وقيل الصلوة وقيل لابن عباس رضي الله عنهما هل

الصلوات الخمس في القرآن قال نعم وتلا هذه الآية تمسون صلاتا المغرب والعشاء وتصبحون صلاة
الفجر وعشيا صلاة العصر وتظهرون صلاة الظهر وقوله عشيا متصل بقوله حين تمسون وقوله
وله الحمد في السموات والارض اعتراض بينهما ومعناه ان على المميزين كلهم من اهل السموات والارض
ان يحمدوه فان قلت لم ذهب الحسن رحمه الله تعالى الى ان الآية مدنية قلت لانه كان يقول فرضت
الصلوات الخمس بالمدينة وكان الواجب بمكة ركعتين في غير وقت معلوم والقول الاكثر ان الخمس
انما فرضت بمكة وعن عائشة رضي الله عنها فرضت الصلاة ركعتين فلما قدم رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم المدينة أقرت صلاة السفر وزيدت في صلاة الحضر وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
من سره ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الآية وعنه عليه
الصلاة والسلام من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى قوله وكذلك تخرجون
ادرك ما فاته في يومه ومن قالها حين يمسي ادرك ما فاته في ليلته وفي قراءة عكرمة حينا تمسون
وحينا تصبحون والمعنى تمسون فيه وتصبحون فيه كقوله يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا فيه
يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا الحي من الميت الطائر
من البيضة والميت من الحي البيضة من الطائر واحياء الارض اخراج النبات منها **وَكَذَلِكَ
تُخْرَجُونَ** ۞ ومثل ذلك الاخراج تخرجون من القبور وتبعثون والمعنى ان الابداء والاعادة
متساويان في قدرة من هو قادر على الطرد والعكس من اخراج الميت من الحي واخراج الحي من
الميت واحياء الميت واماتة الحي وقرئ الميت بالتشديد وتخرجون بفتح التاء **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ
خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ** ۞ خلقكم من تراب لانه خلق اصلهم منه واذا للمفاجأة
وتقديره ثم فاجأتم وقت كونكم بشرا منتشرين في الارض كقوله وبث منهما رجالا كثيرا
ونساء **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً
وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ۞ من انفسكم ازواجا لان حواء خلقت من ضلع آدم
والنساء بعدها خلقن من اصلاب الرجال او من شكل انفسكم وجنسها لا من جنس آخر وذلك لما
بين الاثنين من جنس واحد من الالف والسكون وما بين المختلفين من التنافر وجعل بينكم التوادد والتراحم
بعصمة الزواج بعد ان لم تكن بينكم سابقة معرفة ولا لقاء ولا سبب يوجب التعاطف من قرابة
او رحم وعن الحسن المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كما قال ورحمة منا وقال ذكر رحمة
ربك عبده ويقال سكن اليه اذا مال اليه كقولهم انقطع اليه واطمأن اليه ومنه السكن وهو الالف
المسكون اليه فعل بمعنى مفعول وقيل ان المودة والرحمة من قبل الله وان الفرك من قبل
الشيطان **وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ
فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ** ۞ الالسنة اللغات او اجناس النطق واشكاله خالف عز وعلا بين
هذه الاشياء حتى لا تكاد تسمع منطقين متفقين في همس ولا جهارة ولا حدة ولا رخاوة ولا فصاحة
ولا لكنة ولا نظم ولا اسلوب ولا غير ذلك من صفات النطق واحواله وكذلك الصور
وتخطيطها والالوان وتنويعها ولاختلاف ذلك وقع التعارف والا فلو اتفقت وتشاكلت
وكانت ضربا واحدا لوقع التجاهل والالتباس ولتعطلت مصالح كثيرة وربما رأيت توأمين
يتشابهان في الحلية فيعروك الخطأ في التمييز بينهما وتعرف حكمة الله تعالى في المخالفة بين الحلى
وفي ذلك آية بينة حيث ولدوا من أب واحد وفرعوا من اصل فذ وهم على الكثرة التي لا يعلمها
الا الله مختلفون متفاوتون وقرئ للعالمين بفتح اللام وكسرها ويشهد للكسر قوله وما
يعقلها الا العالمون **وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ** هذا
من باب اللف وترتيبه ومن آياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار الا انه فصل
بين القرينين الاولين والقرينين الاخيرين لانهما زمانان والزمان والواقع فيه كشيء
واحد مع اعانة اللف على الاتحاد ويجوز ان يكون منامكم في الزمانين وابتغاؤكم فيهما والظاهر
هو الاول لتكرره في القرآن واسد المعاني ما دل عليه القرآن **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ
يَسْمَعُونَ** ۞ يسمعون بآذان واعية **وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ** في يريكم وجهان اضمار
ان وانزال الفعل منزلة المصدر وبهما فسر المثل تسمع بالمعيدي خير من ان تراه وقول القائل ۞

وقالوا

۞ وقالوا ما تشاء فقلت ألهو ۞ الى الاصباح آثر ذي أثير ۞

خَوْفًا من الصاعقة او من الاخلاف **وَطَمَعًا** في الغيث وقيل خوفا للمسافر وطمعا للحاضر وهما
منصوبان على المفعولية فان قلت من حق المفعول له ان يكون فعلا لفاعل الفعل المعلل والخوف والطمع
ليسا كذلك قلت فيه وجهان احدهما ان المفعولين فاعلون في المعنى لانهم راؤون فكأنه
قيل يجعلكم رائين البرق خوفا وطمعا والثاني ان يكون على تقدير حذف المضاف اي ارادة خوف
وارادة طمع فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويجوز ان يكونا حالين اي خائفين
وطامعين **وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**
وقرئ وينزل بالتخفيف والتشديد **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ** قيام السموات والارض
واستمساكهما بغير عمد **بِأَمْرِهِ** اي بقوله كونا قائمتين والمراد باقامتهما وارادته لكونهما
على صفة القيام دون الزوال وقوله **ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً** بمنزلة قوله يريكم في ايقاع الجملة موقع
المفرد على المعنى كأنه قال ومن آياته قيام السموات والارض ثم خروج الموتى من القبور اذا دعاهم
دعوة واحدة يا اهل القبور اخرجوا والمراد سرعة وجود ذلك من غير توقف ولا تلبث كما
يجيب الداعي المطاع مدعوه كما قال القائل ۞

۞ دعوت كليبا دعوة فكأنما ۞ دعوت به ابن الطود او هو اسرع ۞

يريد بابن الطود الصدى او الحجر اذا تدهدى وانما عطف هذا على قيام السموات والارض بثم
بيانا لعظم ما يكون من ذلك الامر واقتداره على مثله وهو ان يقول يا اهل القبور قوموا
فلا تبقى نسمة من الاولين والآخرين الا قامت تنظر كما قال عز وعلا ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم
قيام ينظرون قولك دعوته من مكان كذا كما يجوز ان يكون مكانك يجوز ان يكون مكان صاحبك
تقول دعوت زيدا من اعلى الجبل فنزل علي ودعوته من اسفل فطلع الي فان قلت بم تعلق
مِنَ الْأَرْضِ بالفعل ام بالمصدر قلت هيهات اذا جاء نهر الله بطل نهر معقل **إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ**
فان قلت ما الفرق بين اذا واذا قلت الاولى للشرط والثانية للمفاجأة وهي تنوب مناب الفاء
في جواب الشرط وقرئ تخرجون بضم التاء وفتحها **وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ** ۞
منقادون لوجود افعاله فيهم لا يمتنعون عليه **وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ
عَلَيْهِ** فيما يجب عندكم وينقاس على اصولكم ويقتضيه معقولكم لان من اعاد منكم صنعة
شيء كانت اسهل عليه واهون من انشائها وتعتذرون للصانع اذا اخطأ في بعض ما
ينشئه بقولكم اول الغزو اخرق وتسمون الماهر في صناعته معاودا تعنون انه عاودها كرة
بعد اخرى حتى مرن عليها وهانت عليه فان قلت لم ذكر الضمير في قوله وهو اهون والمراد
به الاعادة قلت معناه وان يعيده اهون عليه فان قلت لم اخرت الصلة في قوله وهو
اهون وقدمت في قوله هو علي هين قلت هنالك قصد الاختصاص وهو محزه فقيل هو علي
هين وان كان مستصعبا عندكم ان يولد بين هم وعاقر واما هاهنا فلا معنى للاختصاص
كيف والامر مبني على ما يعقلون من ان الاعادة اسهل من الابتداء فلو قدمت الصلة لتغير المعنى
فان قلت ما بال الاعادة استعظمت في قوله ثم اذا دعاكم حتى كأنها فضلت على قيام السموات
والارض بامره ثم هونت بعد ذلك قلت الاعادة في نفسها عظيمة ولكنها هونت بالقياس
الى الانشاء لان تكونه في حد الاستحكام والتمام اهون عليه واقل تعبا وكبدا من ان
ينتقل في احوال ويتدرج فيها الى ان يبلغ ذلك الحد وقيل الاهون بمعنى الهين ووجه آخر وهو
ان الانشاء من قبيل الواجب الذي لا بد له من فعله لانها لجزاء الاعمال وجزاؤها واجب والافعال
اما محال والمحال ممتنع اصلا خارج عن المقدور واما ما يصرف الحكيم عن فعله صارف
وهو القبيح وهو رديف المحال لان الصارف يمنع وجود الفعل كما تمنعه الاحالة واما تفضل
والتفضل حاله بين بين للفاعل ان يفعله وان لا يفعله واما واجب لا بد من فعله ولا سبيل
الى الاخلال به فكان الواجب ابعد الافعال من الامتناع واقربها من الحصول فلما كانت الاعادة
من قبيل الواجب كان ابعد الافعال من الامتناع واذا كانت ابعدها من الامتناع كانت ادخلها
في التأتي والتسهل وكانت اهون منها واذا كانت اهون منها كانت اهون من الانشاء **وَلَهُ**

المثل الأعلى اي الوصف الاعلى الذي ليس لغيره مثله قد عرف به ووصف في السموات والارض على
السنة الخلائق والسنة الدلايل وهو انه القادر الذي لا يعجز عن شيء من انشاء واعادة وغيرهما من المقدورات
ويدل عليه قوله وهو العزيز الحكيم اي القادر الذي لا يعجز عن شيء من انشاء واعادة وغيرهما من المقدورات الذي يجري كل فعل على
قضايا حكمته وعلمه وعن مجاهد المثل الاعلى قول لا اله الا الله ومعناه وله الوصف الاعلى الذي هو
الوصف بالوحدانية ويعضده قوله ضرب لكم مثلا من انفسكم وقال الزجاج وله المثل الاعلى في
السموات والارض اي قوله وهو اهون عليه قد ضربه لكم مثلا فيما يصعب ويسهل عليكم التفسير
الاول ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم من ما ملكت ايمانكم من شركاء في ما رزقناكم
فانتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم انفسكم فان قلت اي فرق بين من الاولى والثانية والثالثة
في قوله من انفسكم مما ملكت ايمانكم من شركاء قلت الاولى للابتداء كانه قال اخذ مثلا وانتزعه من
اقرب شيء منكم وهي انفسكم ولم يبعد والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتاكيد الاستفهام الجاري
مجرى النفي ومعناه هل ترضون لانفسكم وعبيدكم امثالكم بشر كبشر وعبيد كعبيد ان يشارككم
بعضهم فيما رزقناكم من الاموال وغيرها تكونون انتم وهم فيه على السواء من غير تفصلة بين حر
وعبد تهابون ان تستبدوا بتصرف دونهم وان تفتاتوا بتدبير عليهم كما يهاب بعضكم
بعضا من الاحرار فاذا لم ترضوا بذلك لانفسكم فكيف ترضون لرب الارباب ومالك الاحرار
والعبيد ان تجعلوا بعض عبيده له شركاء كذلك اي مثل هذا التفصيل نفصل الايات
لقوم يعقلون اي نبينها لان التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها لانه بمنزلة التصوير والتشكيل
لها الا ترى كيف صور الشرك بالصورة المشوهة بل اتبع الذين ظلموا اي اشركوا
كقوله ان الشرك لظلم عظيم اهواءهم بغير علم اي اتبعوا اهواءهم جاهلين لان العالم اذا ركب
هواه ربما ردعه علمه وكفه واما الجاهل فيهيم على وجهه كالبهيمة لا يكفه شيء فمن يهدي
من اضل الله من خذله ولم يلطف به لعلمه مما لا لطف له فمن يقدر على هدايته مثله وقوله وما
لهم من ناصرين دليل على ان المراد بالاضلال الخذلان فاقم وجهك للدين حنيفا فقوم وجهك له
وعدله غير ملتفت عنه يمينا وشمالا وهو تمثيل لاقباله واستقامته عليه وثباته واهتمامه
بأسبابه فان من اهتم بالشيء عقد عليه طرفه وسدد اليه نظره وقوم له وجهه مقبلا به
عليه وحنيفا حال من المامور او من الدين فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله
ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون منيبين اليه واتقوه واقيموا الصلوة
ولا تكونوا من المشركين فطرة الله الزموا فطرة الله او عليكم فطرة الله وانما اضمرته على
خطاب الجماعة لقوله منيبين اليه ومنيبين حال من الضمير في الزموا وقوله واتقوه واقيموا ولا تكونوا
معطوف على هذا المضمر والفطرة الخلقة الا ترى الى قوله لا تبديل لخلق الله والمعنى انه خلقهم
قابلين للتوحيد ودين الاسلام غير نائين عنه ولا منكرين له لكونه مجاوبا للعقل مساوقا للنظر
الصحيح حتى لو تركوا لما اختاروا عليه دينا اخر ومن غوى منهم فباغواء شياطين الانس والجن ومنه
قوله عليه الصلوة والسلام كل عبادي خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وامروهم
ان يشركوا بي غيري وقوله عليه الصلوة والسلام كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما
اللذان يهودانه وينصرانه لا تبديل لخلق الله اي ما ينبغي ان تبدل تلك الفطرة او تغير فان قلت
لم وحد الخطاب اولا ثم جمع قلت خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم اولا وخطاب الرسول خطاب
لامته مع ما فيه من التعظيم للامام ثم جمع بعد ذلك للبيان والتلخيص من الذين بدل من
المشركين فرقوا دينهم تركوا دين الاسلام وقرئ فرقوا دينهم اي جعلوه اديانا مختلفة لاختلاف
اهوائهم وكانوا شيعا فرقا كل فرقة تشايع امامها الذي اضلها كل حزب بما لديهم فرحون
كل حزب منهم فرح بمذهبه مسرور يحسب باطله حقا ويجوز ان يكون من الذين منقطعا مما قبله
ومعناه من المفارقين دينهم كل حزب فرحين بما لديهم ولكنه رفع فرحون على الوصف لكل كقوله
وكل خليل غير هاضم نفسه واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه الضر الشدة من
هزال او مرض او قحط او غير ذلك ثم اذا اذاقهم منه رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون
والرحمة الخلاص من الشدة واللام في ليكفروا بما اتيناهم مجاز مثلها في ليكون لهم عدوا فتمتعوا

بطرا عملوا ما شئتم فسوف تعلمون وبال تمتعكم وقرا ابن مسعود وليتمتعوا ام انزلنا
عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون السلطان الحجة وتكلمه مجاز
كما تقول كتابه ناطق بكذا وهذا مما نطق به القران ومعناه الدلالة والشهادة كانه قال فهو
يشهد بشركهم وبصحته وما في بما كانوا مصدرية اي لكونهم بالله يشركون ويجوز ان تكون
موصولة ويرجع الضمير اليها ومعناه فهو يتكلم بالامر الذي بسببه يشركون ويحتمل
ان يكون المعنى ام انزلنا عليهم ذا سلطان اي ملكا معه برهان فذلك الملك يتكلم بالبرهان
الذي بسببه يشركون واذا اذقنا الناس رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت
ايديهم اذا هم يقنطون اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك
لايات لقوم يؤمنون واذا اذقنا الناس رحمة اي نعمة من مطر او سعة او صحة فرحوا بها وان
تصبهم سيئة اي بلاء من جدب او ضيق او مرض والسبب فيها شؤم معاصيهم قنطوا من الرحمة
ثم انكر عليهم بانهم قد علموا انه هو الباسط القابض فما لهم يقنطون من رحمته فات ذا
القربى حقه والمسكين وابن السبيل حق ذي القربى صلة الرحم وحق المسكين وابن السبيل نصيبهما
من الصدقة المسماة لهما وقد احتج ابو حنيفة رحمه الله تعالى بهذه الاية في وجوب النفقة للمحارم
اذا كانوا محتاجين عاجزين عن الكسب وعند الشافعي رحمه الله لا نفقة بالقرابة الا على الولد
والوالدين قاس سائر القرابات على ابن العم لانه لا ولاد بينهم فان قلت كيف تعلق قوله فات
ذا القربى بما قبله حتى جيء بالفاء قلت لما ذكر ان السيئة اصابتهم بما قدمت ايديهم اتبعه ذكر
ما يجب ان يفعل وما يجب ان يترك ذلك خير للذين يريدون وجه الله واولئك هم المفلحون
يحتمل ان يراد بوجهه ذاته او جهته وجانبه اي يقصدون بمعروفهم اياه خالصا وحقه كقوله
الا ابتغاء وجه ربه الاعلى او يقصدون جهة التقرب الى الله لا جهة اخرى والمعنيان
متقاربان ولكن الطريقة مختلفة وما اتيتم من ربا ليربوا في اموال الناس فلا يربوا عند
الله في معنى قوله عز وجل يمحق الله الربا ويربي الصدقات سواء بسواء يريد وما اعطيتم
اكلة الربا من ربا ليربوا في اموالهم ليزيد ويزكو في اموالهم فلا يربوا عند الله فلا
يزكو عند الله ولا يبارك فيه وما اتيتم من زكوة اي صدقة تريدون وجه الله تبتغون
به وجهه خالصا لا تطلبون به مكافاة ولا سمعة فاولئك هم المضعفون ذوو الاضعاف
من الحسنات ونظير المضعف المقوي والموسر لذي القوة واليسار وقرئ بفتح العين
وقيل نزلت في ثقيف وكانوا يربون وقيل المراد ان يهب الرجل للرجل او يهدي له ليعوضه
اكثر مما وهب او اهدى فليست تلك الزيادة بحرام ولكن المعوض لا يثاب على تلك الزيادة
وقالوا الربا رباءان فالحرام كل قرض يؤخذ فيه اكثر منه او يجر منفعة والذي ليس
بحرام ان يستدعي بهبته او بهديته اكثر منها وفي الحديث المستغزر يثاب من هبته
وقرئ وما اتيتم من ربا بمعنى وما غشيتموه او رهقتموه من اعطاء ربا وقرئ لتربوا اي
لتزيدوا في اموالهم كقوله ويربي الصدقات اي يزيدها وقوله فاولئك هم المضعفون التفات
حسن كانه قال لملائكته وخواص خلقه فاولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم هم
المضعفون فهو امدح لهم من ان يقول فانتم المضعفون والمعنى المضعفون به لانه لا بد من ضمير
يرجع الى ما ووجه اخر وهو ان يكون تقديره فمؤتوه اولئك هم المضعفون والحذف لما في
الكلام من الدليل عليه وهذا اسهل ماخذا والاول املأ بالفائدة الله الذي خلقكم ثم رزقكم
ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى
عما يشركون الله مبتدا وخبره الذي خلقكم اي الله هو فاعل هذه الافعال الخاصة التي لا يقدر
على شيء منها احد غيره ثم قال هل من شركائكم الذين اتخذتموهم انداذا له من الاصنام وغيرها
من يفعل شيئا قط من تلك الافعال حتى يصح ما ذهبتم اليه ثم استبعد حاله من حال شركائهم
ويجوز ان يكون الذي خلقكم صفة للمبتدا والخبر هل من شركائكم وقوله من ذلكم هو الذي
ربط الجملة بالمبتدا لان معناه من افعاله ومن الاولى والثانية والثالثة كل واحدة منهن مستقلة
بتاكيد لتعجيز شركائهم وتجهيل عبدتهم ظهر الفساد في البر والبحر الفساد في البر

والبحر الجدب والقحط وقلة الريع في الزراعات والربح في التجارات ووقوع الموتان في الناس
والدواب وكثرة الحرق والغرق واخفاق الصيادين والغاصة ومحق البركات من كل شيء وقلة
المنافع في الجملة وكثرة المضار وعن ابن عباس اجدبت الارض وانقطعت مادة البحر وقالوا اذا انقطع
القطر عميت دواب البحر وعن الحسن ان المراد بالبحر مدن البحر وقراه التي على شاطئه وعن
عكرمة العرب تسمي الامصار البحار وقرئ في البر والبحور **بما كسبت ايدي الناس**
بسبب معاصيهم وذنوبهم كقوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم وعن ابن
عباس الفساد في البر بقتل ابن آدم اخاه وفي البحر بان جلندي كان ياخذ كل سفينة غصبا
وعن قتادة كان ذلك قبل البعث فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع راجعون
عن الضلال والظلم ويجوز ان يريد ظهور الشر والمعاصي بكسب الناس ذلك فان قلت ما معنى قوله
ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون قلت اما على المعنى الاول فظاهر وهو
ان الله قد افسد اسباب دنياهم ومحقها ليذيقهم وبال بعض اعمالهم في الدنيا قبل ان يعاقبهم
بجميعها في الآخرة لعلهم يرجعون عما هم عليه واما على الثاني فاللام مجاز على معنى ان ظهور الشرور
بسببهم مما استوجبوا به ان يذيقهم الله وبال اعمالهم ارادة الرجوع فكانهم انما افسدوا او تسببوا
لفشو المعاصي في الارض لاجل ذلك وقرئ لنذيقهم بالنون **قل سيروا في الارض فانظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبل** لترى اكيد تسبب المعاصي لغضب الله ونكاله حيث امرهم
بان يسيروا فينظروا كيف اهلك الله الامم واذاقهم سوء العاقبة بمعاصيهم ودل بقوله **كان اكثرهم
مشركين** على ان الشرك وحده لم يكن سبب تدميرهم وان ما دونه من المعاصي يكون سببا لذلك
فاقم وجهك للدين القيم البليغ الاستقامة الذي لا يتأتى فيه عوج **من قبل ان ياتي يوم لا
مرد له من الله** من الله اما ان يتعلق بياتي فيكون المعنى من قبل ان ياتي من الله يوم لا يرده
احد كقوله فلا يستطيعون ردها او بمرد على معنى لا يرده هو بعد ان يجيء ولا رد له من
جهته والمرد مصدر بمعنى الرد **يومئذ يصدعون** يتصدعون اي يتفرقون كقوله
ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون **من كفر فعليه كفره** كلمة جامعة لما لا غاية
وراءه من المضار لان من كان ضاره كفره فقد احاطت به كل مضرة **ومن عمل صالحا
فلانفسهم يمهدون** اي يسوون لانفسهم ما يسويه لنفسه الذي يمهد فراشه ويوطئه
لئلا يصيبه في مضطجعه ما ينبيه عليه وينغص عليه مرقده من نتوء او قضض او بعض
ما يؤذي الراقد ويجوز ان يريد فعلى انفسهم يشفقون من قولهم في المشفق ام فرشت
فانامت وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على ان ضرر الكفر لا يعود الا على الكافر
لا يعداه ومنفعة الايمان والعمل الصالح ترجع الى المؤمن لا يتجاوزه **ليجزي الذين آمنوا وعملوا
الصالحات** متعلق بيمهدون **من فضله** مما يتفضل عليهم بعد توفية الواجب من الثواب
وهذا يشبه الكناية لان الفضل تبع للثواب فلا يكون الا بعد حصول ما هو تبع له او اراد من
عطائه وهو ثوابه لان الفضول والفواضل هي الاعطية عند العرب وتكرير الذين آمنوا وعملوا
الصالحات وترك الضمير الى الصريح لتقرير انه لا يفلح عنده الا المؤمن الصالح وقوله
انه لا يحب الكافرين تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس **ومن آياته ان يرسل الرياح
مبشرات وليذيقكم من رحمته** الرياح هي الجنوب والشمال والصبا وهي رياح الرحمة واما الدبور
فريح العذاب ومنه قوله عليه الصلاة والسلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقد عدد
الاغراض في ارسالها وانه ارسلها للبشارة بالغيث ولاذاقة الرحمة وهي نزول المطر وحصول
الخصب الذي يتبعه والروح الذي مع هبوب الريح وزكاء الارض قال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم اذا كثرت المؤتفكات زكت الارض وازالة العفونة من الهواء وتذرية
الحبوب وغير ذلك **ولتجري الفلك** في البحر عند هبوبها وانما زاد **بامره** لان الريح قد تهب
ولا تكون مواتية فلا بد من ارساء السفن والاحتيال لحبسها وربما عصفت فاغرقتها **ولتبتغوا
من فضله** يريد تجارة البحر **ولعلكم تشكرون** ولتشكروا نعمة الله فيها فان قلت بم
يتعلق وليذيقكم قلت فيه وجهان ان يكون معطوفا على مبشرات على المعنى كانه قيل ليبشركم

وليذيقكم وان يتعلق بمحذوف تقديره وليذيقكم وليكون كذا وكذا ارسلناها
**ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤوهم بالبينات فانتقمنا من الذين اجرموا
وكان حقا علينا نصر المؤمنين** اختصر الطريق الى الغرض بان ادرج تحت ذكره الارسالات
والصدد ذكر العذيبين وقد اخلى الكلام اولا عن ذكرهما وقوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين
تعظيم ورفع من شانهم وتاهيل لكرامة سنية واظهار لفضل سابقة ومزية حيث جعلهم
مستحقين على الله ان ينصرهم مستوجبين وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما من امرئ
مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيامة ثم تلا وكان حقا علينا
نصر المؤمنين **الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء
ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فاذا اصاب به من يشاء من عباده اذا
هم يستبشرون** فيبسطه متصلا تارة ويجعله كسفا اي قطعا تارة وترى الودق
يخرج من خلاله في التارتين جميعا والمراد بالسماء سمت السماء وشقها كقوله وفرعها في
السماء وباصابة العباد اصابة بلادهم واراضيهم **وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من
قبله لمبلسين** من قبله من باب التكرير والتوكيد كقوله تعالى فكان عاقبتهما انهما في النار
خالدين فيها ومعنى التوكيد فيه الدلالة على ان عهدهم بالمطر قد تطاول وبعد فاستحكم
ياسهم وتمادى ابلاسهم فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك **فانظر الى آثار رحمة الله
كيف يحيي الارض بعد موتها** قرئ اثر وآثار على الوحدة والجمع وقرئ الوجوه وعن كيف تحيي
اي الرحمة **ان ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير** يعني ان ذلك القادر الذي يحيي
الارض بعد موتها هو الذي يحيي الناس بعد موتهم وهو على كل شيء من المقدورات قادر وهذا
من جملة المقدورات بدليل الانشاء **ولئن ارسلنا ريحا فراوه مصفرا لظلوا من بعده
يكفرون فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما انت بهادي
العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن باياتنا فهم مسلمون** فراوا اثر رحمة الله لان
رحمة الله هي الغيث واثرها النبات ومن قرا بالجمع رجع الضمير الى معناه لان معنى آثار
الرحمة النبات واسم النبات يقع على القليل والكثير لانه مصدر سمي به ما ينبت ولئن هي اللام
الموطئة للقسم دخلت على حرف الشرط ولظلوا جواب القسم سد مسد الجوابين اعني جواب القسم
وجواب الشرط ومعناه وليظلن ذمهم الله بانه اذا حبس عنهم القطر قنطوا من رحمته
وضربوا اذقانهم على صدورهم مبلسين فاذا اصابهم برحمته ورزقهم المطر استبشروا وابتهجوا
فاذا ارسل ريحا فضرب زروعهم بالصفار ضجوا وكفروا بنعمة الله فهم في جميع هذه الاحوال
على الصفة المذمومة كان عليهم ان يتوكلوا على الله وفضله فقنطوا وان يشكروا نعمته
ويحمدوه عليها فلم يزيدوا على الفرح والاستبشار وان يصبروا على بلائه فكفروا والريح التي
اصفر لها النبات يجوز ان تكون حرورا وحرجفا فكلتاهما مما يصوح له النبات ويصبح
هشيما وقال مصفرا لان تلك صفرة حادثة وقيل فراوا السحاب مصفرا لانه اذا كان كذلك لم
يمطر **الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا
وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير** قرئ بفتح الضاد وضمها وهما لغتان والضم اقوى
في القراءة لما روى ابن عمر قال قراتها على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ضعف فاقرأني
من ضعف وقوله خلقكم من ضعف كقوله خلق الانسان من عجل يعني ان اساس امركم وما عليه
جبلتكم وبنيتكم الضعف خلق الانسان ضعيفا اي ابتدأناكم في اول الامر ضعافا وذلك
حال الطفولية والنشوء حتى بلغتم وقت الاحتلام والشبيبة وتلك حال القوة الى الاكتهال
وبلوغ الاشد ثم رددتم الى اصل حالكم وهو الضعف بالشيخوخة والهرم وقيل من ضعف من النطف
لقوله من ماء مهين وهذا الترديد في الاحوال المختلفة والتغيير من هيئة الى هيئة ومن صفة
الى صفة اظهر دليل واعدل شاهد على الصانع العليم القدير **ويوم تقوم الساعة** القيامة سميت بذلك
لانها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا ولانها تقع بغتة وبديهة كما تقول في ساعة لمن
تستعجله وجرت علما لها كالنجم للثريا والكوكب للزهرة **يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة**

وارادوا لبثهم في الدنيا او في القبور او فيما بين فناء الدنيا الى البعث وفي الحديث ما بين فناء الدنيا
الى وقت البعث اربعون قالوا لا نعلم اهي اربعون سنة ام اربعون الف سنة وذلك وقت
يفنون فيه وينقطع عذابهم وانما يقدرون وقت لبثهم بذلك على وجه استقصار له او
ينسون او يكذبون او يخمنون **كذلك** اي مثل ذلك الصرف **كانوا يؤفكون** يصرفون
عن الصدق والتحقيق في الدنيا وهكذا كانوا يبنون امرهم على خلاف الحق او مثل ذلك الافك كانوا
يؤفكون في الاغترار بما تبين لهم الآن انه ما كان الا ساعة **وقال الذين أوتوا العلم والإيمان
لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث** القائلون هم الملائكة والانبياء والمؤمنون في كتاب
الله في اللوح او في علم الله او قضائه او فيما كتبه اي اوجبه بحكمته ردوا ما قالوه وحلفوا عليه
واطلعوهم على الحقيقة ثم وصلوا ذلك بتقريعهم على انكار البعث **فهذا يوم البعث ولكنكم
كنتم لا تعلمون** انه حق لتفريطكم في طلب الحق واتباعه فان قلت ما هذه الفاء وما حقيقتها
قلت هي التي في قوله فقد جئنا خراسانا وحقيقتها انها جواب شرط يدل عليه الكلام كانه
قال ان صح ما قلتم من ان خراسان اقصى ما يراد بنا فقد جئنا خراسانا وآن لنا ان نخلص
وكذلك ان كنتم منكرين للبعث فهذا يوم البعث اي فقد تبين بطلان قولكم وقرأ الحسن يوم
البعث بالتحريك **فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم** لا ينفع وقرئ بالياء **ولا هم يستعتبون**
من قولك استعتبني فلان فاعتبته اي استرضاني فارضيته وذلك اذا كنت جانيا عليه وحقيقة
اعتبته ازلت عتبه الا ترى الى قوله
غضبت تميم ان تقتل عامر ۞ يوم النسار فاعتبوا بالصيلم ۞
كيف جعلهم غضابا ثم قال فاعتبوا اي ازيل غضبهم والغضب في معنى العتب والمعنى لا يقال
لهم ارضوا ربكم بتوبة وطاعة ومثله قوله تعالى لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون فان قلت
كيف جعلوا غير مستعتبين فهم من المعتبين قلت اما كونهم غير مستعتبين فهذا معناه واما
كونهم غير معتبين فمعناه غير راضين بما هم فيه فشبهت حالهم بحال قوم جني عليهم فهم عاتبون على الجاني
غير راضين عنه فان يستعتبوا الله اي يسألوه ازالة ما هم عليه من الجنايات الى الله **ولقد ضربنا
للناس في هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون**
ولقد وصفنا لهم كل صفة كانها مثل في غرابتها وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشان كصفة
المبعوثين يوم القيامة وقصتهم وما يقولون وما يقال لهم وما لا ينفع من اعتذارهم ولا يسمع من
استعتابهم ولكنهم لقسوة قلوبهم ومج اسماعهم حديث الآخرة اذا جئتهم بآية من آيات القرآن
قالوا جئتنا بزور وباطل ثم قال مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الجهلة ومعنى طبع الله منع
الالطاف التي تنشرح لها الصدور حتى تقبل الحق وانما يمنعها من علم انها لا تجدي عليه ولا تغني
عنه كما تمنع الواعظ الموعظة من يتبين له ان الموعظة تلغو ولا تنجع فيه فوقع ذلك كناية
عن قسوة قلوبهم وركوب الصداء والرين اياها فكانه قال كذلك تقسو وتصدأ قلوب الجهلة
حتى يسموا المحقين مبطلين وهم اعرق خلق الله في تلك الصفة **فاصبر** على عداوتهم **إن وعد الله**
بنصرتك واظهار دينك على الدين كله **حق** لا بد من انجازه والوفاء به **ولا يستخفنك الذين
لا يوقنون** ولا يحملنك على الخفة والقلق جزعا مما يقولون ويفعلون فانهم قوم شاكون ضالون
لا يستبدع منهم ذلك وقرئ بتخفيف النون وقرأ ابن ابي اسحق ويعقوب ولا يستحقنك
اي لا يفتننك فيملكوك ويكونوا احق بك من المؤمنين ۞ عن رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم من قرأ سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح بين السماء
والارض وادرك ما ضيع في يومه وليلته

سورة لقمن عليه السلام مكية وهي اربع وثلاثون اية وقيل ثلاث

بسم الله الرحمن الرحيم

الم تلك آيات الكتاب الحكيم ذي الحكمة او وصف بصفة الله عز وجل على الاسناد
المجازي ويجوز ان يكون الاصل الحكيم قائله فحذف واقيم المضاف اليه مقامه فبانقلابه مرفوعا
بعد الجر استكن في الصفة المشبهة **هدى ورحمة** بالنصب على الحال عن الآيات والعامل فيهما ما في تلك
من معنى الاشارة وبالرفع على انه خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف **للمحسنين الذين
يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم
وأولئك هم المفلحون** للذين يعملون الحسنات وهي التي ذكرها من اقامة الصلاة وايتاء الزكاة
والايقان بالآخرة ونظيره قول اوس ۞
الالمعي الذي يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا ۞
حكي عن الاصمعي انه سئل عن الالمعي فانشده ولم يزد او للذين يعملون جميع ما يحسن من الاعمال
ثم خص منهم القائمين بهذه الثلاث لفضل اعتداده بها **ومن الناس من يشتري لهو الحديث** اللهو كل باطل
الهى عن الخير وعما يعني ولهو الحديث نحو السمر بالاساطير والاحاديث التي لا اصل لها والتحدث
بالخرافات والمضاحيك وفضول الكلام وما لا ينبغي من كان وكان ونحو الغناء وتعلم الموسيقار
وما اشبه ذلك وقيل نزلت في النضر بن الحارث وكان يتجر الى فارس فيشتري كتب الاعاجم فيحدث
بها قريشا ويقول ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا احدثكم باحاديث رستم وبهرام
والاكاسرة وملوك الحيرة فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن وكان يشتري المغنيات
فلا يظفر باحد يريد الاسلام الا انطلق به الى قينته فيقول اطعميه واسقيه وغنيه ويقول هذا خير
مما يدعوك اليه محمد من الصلاة والصيام وان تقاتل بين يديه وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم
لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا التجارة فيهن ولا اثمانهن وعنه ما من رجل يرفع صوته بالغناء
الا بعث الله عليه شيطانين احدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربان بارجلهما حتى يكون هو الذي يسكت وقيل الغناء منفدة للمال مسخطة للرب مفسدة للقلب فان
قلت ما معنى اضافة اللهو الى الحديث قلت معناها التبيين وهي الاضافة بمعنى من وان يضاف
الشيء الى ما هو منه كقولك صفة خز وباب ساج والمعنى من يشتري اللهو من الحديث لان اللهو يكون من
الحديث ومن غيره فبين بالحديث والمراد بالحديث الحديث المنكر كما جاء الحديث في المسجد ياكل الحسنات كما
تاكل البهيمة الحشيش ويجوز ان تكون الاضافة بمعنى من التبعيضية كانه قيل ومن الناس من يشتري
بعض الحديث الذي هو اللهو منه وقوله يشتري اما من الشراء على ما روي عن النضر من شراء كتب
الاعاجم او من شراء القيان واما من قوله اشتروا الكفر بالايمان اي استبدلوه منه واختاروه
عليه وعن قتادة اشتراؤه استحبابه يختار حديث الباطل على حديث الحق **ليضل عن سبيل
الله** وقرئ ليضل بضم الياء وفتحها وسبيل الله دين الاسلام او القرآن فان قلت القراءة بالضم بينة
لان النضر كان غرضه باشتراء اللهو ان يصد الناس عن الدخول في الاسلام واستماع القرآن ويضلهم عنه
فما معنى القراءة بالفتح قلت فيه معنيان احدهما ليثبت على ضلاله الذي كان عليه ولا يصدف عنه
ويزيد فيه ويمده فان المخذول كان شديد الشكيمة في عداوة الدين وصد الناس عنه والثاني
ان يوضع ليضل موضع ليضل من قبل ان من اضل كان ضالا لا محالة فدل بالرديف على المردوف فان
قلت ما معنى قوله **بغير علم** قلت لما جعله مشتريا لهو الحديث بالقرآن قال يشتري بغير علم بالتجارة
وبغير بصيرة بها حيث يستبدل الضلال بالهدى والباطل بالحق ونحوه قوله تعالى فما ربحت تجارتهم
وما كانوا مهتدين اي وما كانوا مهتدين للتجارة بصراء بها **ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين**
وقرئ ويتخذها بالنصب والرفع عطفا على يشتري او ليضل والضمير للسبيل لانها مؤنثة كقوله تعالى
وتبغونها عوجا عن سبيل من آمن به ويبغونها عوجا **وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم
يسمعها كأن في أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم** ولى مستكبرا زاما لا يعبأ بها ولا يرفع
بها رأسا تشبه حاله في ذلك حال من لم يسمعها وهو سامع كان في اذنيه وقرا اي ثقلا ولا وقر
فيهما وقرئ بسكون الذال فان قلت ما محل الجملتين المصدرتين بكان قلت الاولى حال من مستكبرا
والثانية من لم يسمعها ويجوز ان يكونا استئنافين والاصل في كأن المخففة كانه والضمير ضمير الشان
**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا
وهو العزيز الحكيم** وعد الله حقا مصدران مؤكدان الاول مؤكد لنفسه والثاني
مؤكد لغيره لان قوله لهم جنات النعيم في معنى وعدهم الله جنات النعيم فاكد معنى الوعد

بالوعد واما حقا فدال على معنى الثبات اكد به معنى الوعد ومؤكدهما جميعا قوله تعالى
لهم جنات النعيم وهو العزيز الذي لا يغلبه شيء ولا يعجزه يقدر على الشيء وضده فيعطي النعيم
من شاء والبؤس من شاء وهو الحكيم لا يشاء الا ما توجبه الحكمة والعدل خلق السموات بغير
عمد ترونها والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وبث فيها من كل دابة وانزلنا من
السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم ترونها الضمير فيه للسموات وهو استشهاد
برؤيتهم لها غير معمودة على قوله بغير عمد كما تقول لصاحبك انا بلا سيف ولا رمح تراني قالوا ولا محل لها
من الاعراب قلت لا محل لها لانها مستانفة او هي في محل الجر صفة للعمد اي بغير عمد مرئية
يعني انه عمدها بعمد لا ترى وهي امساكها بقدرته هذا خلق الله فاروني ماذا خلق
الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين هذا اشارة الى ما ذكر من مخلوقاته والخلق
بمعنى المخلوق والذين من دونه آلهتهم بكتهم بان هذه الاشياء العظيمة مما خلقه الله وانشاه
فاروني ماذا خلقته آلهتكم حتى استوجبوا عندكم العبادة ثم اضرب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم
بالتورط في ضلال ليس بعده ضلال ولقد آتينا لقمان الحكمة هو لقمان بن باعوراء ابن اخت
اخت ايوب او ابن خالته وقيل كان من اولاد آزر وعاش الف سنة وادرك داود عليه الصلوة والسلام
واخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعث داود عليه فلما بعث قطع الفتوى فقيل له فقال الا اكتفي
اذا كفيت وقيل كان قاضيا في بني اسرائيل واكثر الاقاويل انه كان حكيما ولم يكن نبيا وعن
ابن عباس رضي الله عنهما لقمان لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان راعيا اسود فرزقه الله العتق ورضي
قوله ووصيته فقص امره في القرآن لتمسكوا بوصيته وقال عكرمة والشعبي كان نبيا وقيل
خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة وعن ابن المسيب كان اسود من سودان مصر خياطا
وعن مجاهد كان عبدا اسود غليظ الشفتين مشقق القدمين وقيل كان نجارا او قيل راعيا وقيل
كان يحتطب لمولاه كل يوم حزمة وعنه انه قال لرجل ينظر اليه ان كنت تراني غليظ الشفتين
فانه يخرج من بينهما كلام رقيق وان كنت تراني اسود فقلبي ابيض وروي ان رجلا وقف على
مجلسه فقال الست الذي ترعى معي في مكان كذا قال بلى قال فما بلغ بك ما ارى قال صدق الحديث
والصمت عما لا يعنيني وروي انه دخل على داود وهو يسرد الدرع وقد لين الله له الحديد كالطين
فاراد ان يساله فادركته الحكمة فسكت فقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكم وقليل
فاعله فقال له داود بحق ما سميت حكيما وروي ان مولاه امره بذبح شاة وبان يخرج منها اطيب مضغتين
فاخرج اللسان والقلب ثم امره بمثل ذلك بعد ايام وان يخرج اخبث مضغتين فاخرج اللسان والقلب
فساله عن ذلك فقال هما اطيب ما فيها اذا طابا واخبث ما فيها اذا خبثا وعن سعيد بن المسيب انه
قال لاسود لا تحزن فانه كان من خير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع ولقمان ان اشكر لله
ان هي المفسرة لان ايتاء الحكمة في معنى القول وقد نبه الله سبحانه على ان الحكمة الاصلية والعلم
الحقيقي هو العمل بهما وعبادة الله والشكر له حيث فسر ايتاء الحكمة بالبعث على الشكر ومن يشكر
فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غني غير محتاج الى الشكر حميد حقيق بان يحمد وان لم يحمد
احد واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله قيل كان اسم ابنه انعم وقال الكلبي
اشكم وقيل كان ابنه وامراته كافرين فما زال بهما حتى اسلما ان الشرك لظلم عظيم
لان التسوية بين من لا نعمة الا هي منه ومن لا نعمة منه البتة ولا يتصور ان تكون منه ظلم لا يكتنه عظمه ووصينا
الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن اي حملته تهن وهنا على وهن كقولك
رجع عودا على بدء وهو في موضع الحال والمعنى انها تضعف ضعفا فوق ضعف اي
يتزايد ضعفها ويتضاعف لان الحمل كلما ازداد وعظم ازدادت ثقلا وضعفا وقرئ
على وهن بالتحريك عن ابن عمرو يقال وهن يوهن ووهن يهن وفصاله في عامين
وفصاله ان اشكر لي ولوالديك الي المصير تفسير لوصينا وان جاهداك على ان تشرك
بي ما ليس لك به علم اراد بنفي العلم به نفيه اي لا تشرك بي ما ليس بشيء يريد الاصنام
وما يعبدون من دونه من شيء فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا صحابا او مصاحبا
حسنا بخلق جميل وحلم واحتمال وبر وصلة وما يقتضيه الكرم والمروءة واتبع سبيل من اناب الي

بربه واتبع سبيل المؤمنين في دينك ولا تتبع سبيلهما فيه وان كنت مامورا بحسن مصاحبتهما في الدنيا
الي مرجعكم مرجعك ومرجعهما فانبئكم بما كنتم تعملون فاجازيك على ايمانك واجازيهما
على كفرهما علم بذلك حكم الدنيا وما يجب على الانسان في صحبتهما ومعاشرتهما من مراعاة حق
الابوة وتعظيمه وما لهما من المواجب التي لا يسوغ الاخلال بها ثم بين حكمهما وحالهما في الآخرة وروي
انها نزلت في سعد بن ابي وقاص وامه وفي القصة انها مكثت ثلاثا لا تطعم ولا تشرب حتى
شجروا فاها بعود وروي انه قال لو كانت لها سبعون نفسا فخرجت لما ارتددت الى الكفر فان قلت
هذا الكلام كيف وقع في اثناء وصية لقمان قلت هو كلام اعترض به على سبيل الاستطراد تاكيدا
لما في وصية لقمان من النهي عن الشرك فان قلت فقوله حملته امه وهنا على وهن وفصاله في عامين كيف
اعترض به بين المفسر والمفسر قلت لما وصى بالوالدين ذكر ما تكابده الام وتعانيه من المشاق
والمتاعب في حمله وفصاله هذه المدة المتطاولة ايجابا للتوصية بالوالدة خصوصا وتذكيرا بحقها
العظيم مفردا ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن قال له من ابر امك ثم امك ثم امك
ثم قال بعد ذلك ثم اباك وعن بعض العرب انه حمل امه الى الحج على ظهره وهو يقول في حدائه
بنفسه هي احمل امي وهي الحماله ترضعني الدرة والعلاله ولا يجازى والد فعاله
فان قلت ما معنى توقيت الفصال بالعامين قلت المعنى في توقيته بهذه المدة انها الغاية التي
لا تتجاوز والامر فيما دون العامين موكول الى اجتهاد الام ان علمت انه يقوى
على الفطام فلها ان تفطمه ويدل عليه قوله عز وعلا والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين
لمن اراد ان يتم الرضاعة وبه استشهد الشافعي رحمه الله على ان مدة الرضاع سنتان لا تثبت حرمة
الرضاع بعد انقضائها وهو مذهب ابي يوسف ومحمد رحمهما الله واما عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى
فمدة الرضاع ثلاثون شهرا وعن ابي حنيفة رحمه الله ان فطمته قبل العامين فاستغنى بالطعام
ثم ارضعته لم يكن رضاعا وان اكل اكلا ضعيفا لم يستغن به عن الرضاع ثم ارضعته فهو
رضاع محرم يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة او في السموات او في
الارض وقرئ مثقال حبة بالنصب والرفع فمن نصب كان الضمير للهنة من الاساءة والاحسان
اي ان كانت مثلا في الصغر والقماءة كحبة الخردل فكانت مع صغرها في اخفى موضع واحرزه كجوف
الصخرة او حيث كانت في العالم العلوي او السفلي يات بها الله يوم القيامة فيحاسب بها عاملها
ان الله لطيف يتوصل علمه الى كل خفي خبير عالم بكنهه وعن قتادة لطيف باستخراجها خبير
بمستقرها ومن قرا بالرفع كان ضميرا للقصة وانما انث المثقال لاضافته الى الحبة وروي
ان ابن لقمان قال له ارايت الحبة تكون في مقل البحر
كما شرقت صدر القناة من الدم وروي ان ابن لقمان قال ارايت الحبة تكون في مقل
البحر اي في مغاصه يعلمها الله ان الله يعلم اصغر الاشياء في اخفى الامكنة لان الحبة في الصخرة اخفى
منها في الماء وقيل الصخرة هي التي تحت الارض وهي السجين يكتب فيها اعمال الكفار وقرئ
فتكن بكسر الكاف وكن الطائر يكن اذا استقر في وكنته وهي مقره ليلا يا بني اقم الصلوة
وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك يجوز ان يكون عاما في كل ما يصيبه
من المحن وان يكون خاصا بما يصيبه فيما امر به من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من اذى
من يبعثهم على الخير وينكر عليهم الشر ان ذلك من عزم الامور مما عزمه الله من الامور اي
قطعه قطع ايجاب والزام ومنه الحديث لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل اي لم يقطعه بالنية
الا ترى الى قوله لمن لم يبيت الصيام ومنه ان الله يحب ان يؤخذ برخصه كما يحب ان يؤخذ بعزائمه
وقولهم عزمة من عزمات ربنا ومنه عزمات الملوك وذلك ان يقول الملك لبعض من تحت يده
عزمت عليك الا فعلت كذا اذا قال ذلك لم يكن للمعزوم عليه بد من فعله ولا مندوحة في تركه
وحقيقته انه من تسمية المفعول بالمصدر واصله من معزومات الامور اي من مقطوعاتها
ومفروضاتها ويجوز ان يكون مصدرا في معنى الفاعل اصله من عازمات الامور من قوله تعالى
فاذا عزم الامر كقولك جد الامر وصدق القتال وناهيك بهذه الآية مؤذنة بقدم هذه الطاعات
وانها كانت مامورا بها في سائر الامم وان الصلوة لم تزل عظيمة الشان سابقة القدم على ما سواها
موصى بها في الاديان كلها ولا تصاعر خدك للناس تصاعر وتصعر بالتشديد والتخفيف

يقال اصعر خده وصعّره وصاعره كقولك اعلاه وعلّاه وعالاه بمعنى والصعر والصيد داء يصيب
البعير يلوي منه عنقه والمعنى اقبل على الناس بوجهك تواضعا ولا تولهم شق وجهك وصفحته
كما يفعله المتكبرون **ولا تمش في الارض مرحا** اراد ولا تمش تمرح مرحا او اوقع المصدر موقع
الحال بمعنى مرحا ويجوز ان يريد ولا تمش لاجل المرح والاشر اي لا يكن غرضك في المشي البطالة والاشر كما
يمشي كثير من الناس لذلك لا لكفاية مهم ديني او دنيوي ونحوه قوله ولا تكونوا كالذين
خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس **ان الله لا يحب كل مختال فخور** والمختال مقابل للماشي مرحا
وكذلك الفخور للمصعر خده كبرا **واقصد في مشيك** واعدل فيه حتى يكون مشيا بين مشيين
لا تدب دبيب المتماوتين ولا تثب وثب الشطار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سرعة المشي
تذهب بهاء المؤمن واما قول عائشة في عمر رضي الله عنهما كان اذا مشى اسرع فانما ارادت السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت
وقرئ واقصد بقطع الهمزة اي سدد في مشيك من اقصد الرامي اذا سدد سهمه نحو الرمية
واغضض من صوتك اي انقص منه واقصر من قولك فلان يغض من فلان اذا قصر به ووضع منه **ان
انكر الاصوات** اوحشها من قولك شيء نكر اذا انكرته النفوس واستوحشت منه ونفرت **لصوت
الحمير** والحمار مثل في الذم البليغ والشتيمة وكذلك نهاقه ومن استفحاشهم لذكره مجردا وتفاديهم
من اسمه انهم يكنون عنه ويرغبون عن التصريح فيقولون الطويل الاذنين كما يكنى عن الاشياء المستقذرة
وقد عد في مساوي الاداب ان يجري ذكر الحمار في مجلس قوم من ذوي المروءة ومن العرب من لا يركب الحمار
استنكافا وان بلغت منه الرجلة فتشبيه الرافعين اصواتهم بالحمير وتمثيل اصواتهم بالنهاق ثم اخلاء
الكلام من لفظ التشبيه واخراجه مخرج الاستعارة وان جعلوا حميرا وصوتهم نهاقا مبالغة شديدة
في الذم والتهجين وافراط في التثبيط عن رفع الصوت والترغيب عنه وتنبيه على انه من كراهة الله
بمكان فان قلت لم وحد صوت الحمير ولم يجمع قلت ليس المراد ان يذكر صوت كل واحد من
آحاد هذا الجنس حتى يجمع وانما المراد ان كل جنس من الحيوان الناطق له صوت وانكر اصوات هذه
الاجناس صوت هذا الجنس فوجب توحيده **الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في
الارض واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا
هدى ولا كتاب منير** ما في السموات الشمس والقمر والنجوم والسحاب وغير ذلك وما في الارض
البحار والانهار والمعادن والدواب وما لا يحصى واسبغ قرئ بالسين والصاد وهكذا كل سين
اجتمع معه الغين والخاء والقاف تقول في سلخ صلخ وفي سقر صقر وفي سالغ صالغ وقرئ نعمه ونعمة
ونعمته فان قلت ما النعمة قلت كل نفع قصد به الاحسان والله عز وعلا خلق العالم كله نعمة لانه
اما حيوان واما غير حيوان فما ليس بحيوان نعمة على الحيوان والحيوان نعمة من حيث ان ايجاده حيا
نعمة عليه لانه لولا ايجاده حيا لما صح منه الانتفاع وكل ما ادى الى الانتفاع وصححه فهو نعمة فان قلت لم
كان خلق العالم مقصودا به الاحسان قلت لانه لا يخلقه الا لغرض والا كان عبثا والعبث لا يجوز
عليه ولا يجوز ان يكون الغرض راجعا اليه من نفع لانه غني غير محتاج الى المنافع فلم يبق الا ان يكون
الغرض راجعا الى الحيوان وهو نفعه فان قلت فما معنى الظاهرة والباطنة قلت الظاهرة
كل ما يعلم بالمشاهدة والباطنة ما لا يعلم الا بدليل او لا يعلم اصلا فكم في بدن الانسان من نعمة لا يعلمها
ولا يهتدي الى العلم بها وقد اكثروا في ذلك فعن مجاهد ظهور الاسلام والنصرة على الاعداء والباطنة
الامداد من الملائكة وعن الحسن الظاهرة الاسلام والباطنة الستر وعن الضحاك حسن الصورة
وامتداد القامة وتسوية الاعضاء والباطنة المعرفة وقيل الظاهرة البصر والسمع واللسان وسائر
الجوارح الظاهرة والباطنة القلب والعقل والفهم وما اشبه ذلك ويروى في دعاء موسى عليه الصلوة
والسلام الهي دلني على اخفى نعمتك على عبادك فقال اخفى نعمتي عليهم النفس ويروى ان ايسر ما يعذب
به اهل النار الاخذ بالانفاس **واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا
اولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير** معناه ايتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم
اي في حال دعاء الشيطان اياهم الى العذاب **ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن** قرا علي بن
ابي طالب رضي الله عنه ومن يسلّم بالتشديد يقال اسلم امرك وسلم امرك الى الله فان قلت
ما له عدي بالى وقد عدي باللام في قوله تعالى بلى من اسلم وجهه لله قلت معناه مع اللام انه جعل

وجهه وهو ذاته

وجهه وهو ذاته ونفسه سالما لله اي خالصا له ومعناه مع الى انه سلم اليه نفسه كما يسلم المتاع الى
الرجل اذا دفع اليه والمراد التوكل عليه والتفويض اليه **فقد استمسك بالعروة الوثقى** من باب التمثيل
مثلت حال المتوكل بحال من اراد ان يتدلى من شاهق فاحتاط لنفسه بان استمسك باوثق عروة من حبل
متين مأمون انقطاعه **والى الله عاقبة الامور** اي هي صائرة اليه **ومن كفر فلا يحزنك كفره
الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور** وقرئ فلا يحزنك ويحزنك من حزن
واحزن والذي عليه الاستعمال المستفيض احزنه ويحزنه والمعنى لا يهمنك كفر من كفر وكيده
للاسلام فان الله عز وجل دافع كيده في نحره ومنتقم منه ومعاقبه على عمله ان الله يعلم ما في صدور عباده
فيفعل بهم على حسبه **نمتعهم** زمانا **قليلا** بدنياهم **ثم نضطرهم الى عذاب غليظ** شبه الزامهم
التعذيب وارهاقهم اياه باضطرار المضطر الى الشيء الذي لا يقدر على الانفكاك منه والغلظ مستعار
من الاجرام الغليظة والمراد الشدة والثقل على المعذب **ولئن سالتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله قل الحمد لله** الزام لهم على اقرارهم بان الذي خلق السموات والارض هو الله وحده وانه يجب
ان يكون له الحمد والشكر وان لا يعبد معه غيره ثم قال **بل اكثرهم لا يعلمون** ان ذلك يلزمهم واذا
نبهوا لم ينتبهوا **لله ما في السموات والارض ان الله هو الغني** عن حمد الحامدين **الحميد**
المستحق للحمد وان لم يحمدوه **ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت
كلمات الله** قرئ والبحر بالنصب عطفا على اسم ان وبالرفع عطفا على محل ان ومعمولها على ولو ثبت كون الاشجار
اقلاما وثبت البحر ممدودا بسبعة ابحر او على الابتداء والواو للحال على معنى ولو ان الاشجار اقلام
في حال كون البحر ممدودا وفي قراءة ابن مسعود وبحر يمده على التنكير ويجب ان يحمل على هذا الوجه
الاول وقرئ يمده وتمده بالتاء والياء فان قلت كان مقتضى الكلام ان يقال ولو ان الشجر اقلام
والبحر مداد قلت اغنى عن ذكر المداد قوله يمده لانه من قولك مد الدواة وامدها جعل البحر
الاعظم بمنزلة الدواة وجعل الابحر السبعة مملوءة مدادا فهي تصب فيه مدادها ابدا صبا لا ينقطع والمعنى
ولو ان اشجار الارض اقلام والبحر ممدود بسبعة ابحر وكتبت بتلك الاقلام وبذلك المداد كلمات
الله لما نفدت كلماته ونفدت الاقلام والمداد كقوله عز وجل قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد
البحر قبل ان تنفد كلمات ربي فان قلت زعمت ان قوله والبحر يمده حال في احد وجهي الرفع وليس
فيه ضمير راجع الى ذي الحال قلت هو كقوله

وقد اغتدي والطير في وكناتها ... بمنجرد قيد الاوابد هيكل

وجئت والجيش مصطف

وما اشبه ذلك من الاحوال التي حكمها حكم الظروف ويجوز ان يكون المعنى وبحرها والضمير للارض
فان قلت لم قيل من شجرة على التوحيد دون اسم الجنس الذي هو شجر قلت اريد تفصيل الشجر
وتقصيها شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر ولا واحدة الا قد بريت اقلاما فان قلت
الكلمات جمع قلة والموضع موضع التكثير لا التقليل فهلا قيل كلم الله قلت معناه ان كلماته
لا تفي بكتبتها البحار فكيف بكلمه وعن ابن عباس انها نزلت جوابا لليهود لما قالوا قد اوتينا التوراة
وفيها كل الحكمة وقيل ان المشركين قالوا ان هذا اي الوحي كلام سينفد فاعلم الله ان
كلامه لا ينفد وهذه الاية عند بعضهم مدنية وانها نزلت بعد الهجرة وقيل مكية وانما امر اليهود وفد
قريش ان يقولوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اليس تتلو فيما انزل عليك انا قد اوتينا التوراة فيها
علم كل شيء **ان الله عزيز** لا يعجزه شيء **حكيم** لا يخرج من علمه وحكمته شيء ومثله لا تنفد كلماته
وحكمه **ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة** الا كخلقها وبعثها اي سواء في قدرته
القليل والكثير والواحد والجمع لا يتفاوت وذلك انه انما كانت تتفاوت النفس الواحدة والنفوس
الكثيرة العدد ان لو شغله شان عن شان وفعل عن فعل وقد تعالى عن ذلك **ان الله سميع بصير**
يسمع كل صوت ويبصر كل مبصر في حالة واحدة لا يشغله ادراك بعضها عن ادراك بعض فكذلك
الخلق والبعث **الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس
والقمر كل يجري الى اجل مسمى وان الله بما تعملون خبير** كل واحد من الشمس والقمر يجري في
فلكه ويقطعه الى وقت معلوم الشمس الى اخر السنة والقمر الى اخر الشهر وعن الحسن الاجل المسمى
يوم القيامة لانه لا ينقطع جريهما الا حينئذ دل ايضا بالليل والنهار وتعاقبهما وزيادتهما ونقصهما

وجري النيرين في فلكيهما كل ذلك على تقدير وحساب وباحاطته بجميع اعمال الخلق على عظم قدرته وحكمته فان قلت يجري لاجل مسمى ويجري الى اجل مسمى اهو من تعاقب الحرفين قلت كلا ولا يسلك هذه الطريقة الا بليد الطبع ضيق العطن ولكن المعنيين اعني الانتهاء والاختصاص كل واحد منهما ملائم لصحة الغرض لان قولك يجري الى اجل مسمى معناه يبلغه وينتهي اليه وقولك يجري لاجل مسمى تريد يجري لادراك اجل مسمى تجعل الجري مختصا بادراك اجل مسمى الا ترى ان جري الشمس مختص باخر السنة وجري القمر باخر الشهر فكلا المعنيين غير ناب به موضعه ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه الباطل ذلك الذي وصف من عجائب قدرته وحكمته التي يعجز عنها الاحياء القادرون العالمون فكيف بالجماد الذي تدعونه من دون الله انما هو بسبب انه هو الحق الثابت الهيته وان من دونه باطل الالهية وان الله هو العلي الشان الكبير ۝ السلطان وذكر الذي اوحي اليك من هذه الايات بسبب بيان ان الله هو الحق وان الهاً غيره باطل وان الله هو العلي الكبير عن ان يشرك به الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله قرئ الفلك بضم اللام وكل فعل يجوز فيه فعُل كما يجوز في كل فعْل فعُل على مذهب التعويض وبنعمات الله بسكون العين وعين فعلات يجوز فيها الكسر والفتح والسكون بنعمة الله باحسانه ورحمته ليريكم من اياته ان في ذلك لايات لكل صبار على بلائه شكور ۝ لنعمائه وهما صفتا المؤمن فكانه قال ان في ذلك لايات لكل مؤمن واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين يرتفع الموج ويتراكب فيعود مثل الظلل والظلة كل ما اظلك من جبل او سحاب او غيرهما وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد متوسط في الكفر والظلم خفض من غلوائه وانزجر بعض الانزجار او مقتصد في الاخلاص الذي كان عليه في البحر يعني ان ذلك الاخلاص الحادث عند الخوف لا يبقى لاحد قط والمقتصد قليل نادر وقيل مؤمن قد ثبت على ما عاهد عليه الله في البحر وما يجحد باياتنا الا كل ختار كفور ۝ والختر اشد الغدر ومنه قولهم انك لا تمد لنا شبرا من غدر الا مددنا لك باعا من ختر قال

۝ وانك لو رأيت ابا عمير ۝ ملأت يديك من غدر وختر ۝

يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ۝ لا يجزي لا يقضي عنه شيئا ومنه قيل للمتقاضي المتجازي وفي الحديث في جذعة ابن نيار تجزي عنك ولا تجزي احد بعدك وقرئ لا يجزئ لا يغني يقال اجزأت عنك مجزأ فلان والمعنى لا يجزئ فيه والد والغرور الشيطان وقيل الدنيا وقيل تمنيكم في المعصية المغفرة وعن سعيد بن جبير الغرة بالله ان يتمادى الرجل في المعصية ويتمنى على الله المغفرة وقيل ذكرك لحسناتك ونسيانك لسيئاتك غرة وقرئ بضم الغين وهو مصدر غره غرورا وجعل الغرور غارة كما قيل جد جده او اريد زينة الدنيا لانها غرور فان قلت قوله ولا مولود هو جاز عن والده شيئا وارد على طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو معطوف عليه قلت الامر كذلك لان الجملة الاسمية اكد من الفعلية وقد انضم الى ذلك قوله هو وقوله مولود والسبب في مجيئه على هذا السنن ان الخطاب للمؤمنين وعليتهم قبض اباؤهم على الكفر وعلى الدين الجاهلي فاريد حسم اطماعهم واطماع الناس فيهم ان ينفعوا اباءهم في الاخرة وان يشفعوا لهم وان يغنوا عنهم من الله شيئا فلذلك جيء به على الطريق الاكد ومعنى التوكيد في لفظ المولود ان الواحد منهم لو شفع للاب الادنى الذي ولد منه لم تقبل شفاعته فضلا ان يشفع لمن فوقه من اجداده لان الولد يقع على الولد وولد الولد بخلاف المولود فانه لمن ولد منك ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي ارض تموت ان الله عليم خبير ۝ روي ان رجلا من محارب وهو الحارث بن عمرو بن حارثة اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اخبرني عن الساعة متى قيامها واني قد القيت حباتي في الارض وقد ابطأت عنا السماء فمتى تمطر واخبرني عن امرأتي فقد اشتملت على ما في بطنها اذكر ام انثى واني علمت ما عملت امس فما اعمل غدا وهذا مولدي قد عرفته فاين اموت فنزلت وعن النبي صلى الله عليه وسلم مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الاية

وعن ابن عباس من ادعى علم هذه الخمسة فقد كذب اياكم والكهانة فان الكهانة تدعو الى الشرك والشرك واهله في النار وعن المنصور انه اهمه معرفة مدة عمره فرأى في منامه كأن خيالا اخرج يده من البحر واشار اليه بالاصابع الخمس فاستفتى العلماء في ذلك فتأولوها خمس سنين وخمسة اشهر وغير ذلك حتى قال ابو حنيفة رحمه الله تعالى تأويلها ان مفاتح الغيب خمس لا يعلمها الا الله وان ما طلبت معرفته لا سبيل لك اليه عنده علم الساعة ايان مرساها وينزل الغيث في ابانه من غير تقديم ولا تاخير وفي بلد لا يجاوزه به ويعلم ما في الارحام اذكر ام انثى اتام ام ناقص وكذلك ما سوى ذلك من الاحوال وما تدري نفس برة او فاجرة ماذا تكسب غدا من خير او شر وربما كانت عازمة على خير فعملت شرا وعازمة على شر فعملت خيرا وما تدري نفس اين تموت وربما اقامت بارض وضربت اوتادها وقالت لا ابرحها واقبر فيها فترمي بها مرامي القدر حتى تموت في مكان لم يخطر ببالها ولا حدثتها به ظنونها وروي ان ملك الموت مر على سليمان عليه الصلوة والسلام فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كانه يريدني وسأل سليمان عليه الصلوة والسلام ان يحمله على الريح ويلقيه ببلاد الهند ففعل ثم قال ملك الموت لسليمان عليه الصلوة والسلام كان دوام نظري اليه تعجبا منه لاني امرت ان اقبض روحه في الهند وهو عندك وجعل العلم لله تعالى والدراية للعبد لما في الدراية من معنى الختل والحيلة والمعنى انها لا تعرف وان اعملت حيلها ما يلصق بها ويختص ولا يتخطاها ولا شيء اخص بالانسان من كسبه وعاقبته فاذا لم يكن له طريق الى معرفتهما كان من معرفة ما عداهما ابعد وقرئ باية ارض وشبه سيبويه تانيث اي بتانيث كل في قولهم كلتهن ۝ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيمة واعطي من الحسنات عشرا عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

سورة الم السجدة مكية وهي ثلاثون اية وقيل تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الم على انها اسم السورة مبتدأ خبره تنزيل الكتاب وان جعلتها تعديدا للحروف ارتفع تنزيل الكتاب بانه خبر مبتدأ محذوف او هو مبتدأ خبره لا ريب فيه والوجه ان يرتفع بالابتداء وخبره من رب العالمين ۝ ولا ريب فيه اعتراض لا محل له والضمير في فيه راجع الى مضمون الجملة كانه قيل لا ريب في ذلك اي في كونه منزلا من رب العالمين ويشهد لوجاهته قوله ام يقولون افتراه لان قولهم هذا مفترى انكار لان يكون من رب العالمين وكذلك قوله بل هو الحق من ربك وما فيه من تقرير انه من الله وهذا اسلوب صحيح محكم اثبت اولا ان تنزيله من رب العالمين وان ذلك مما لا ريب فيه ثم اضرب عن ذلك الى قوله ام يقولون افتراه لان ام هي المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة انكارا لقولهم وتعجيبا منه لظهور امره في عجز بلغائهم عن مثل ثلاث ايات منه ثم اضرب عن الانكار الى اثبات انه الحق من ربك ونظيره ان يعلل العالم في المسالة بعلة صحيحة جامعة قد احترز فيها انواع الاحتراز كقول المتكلمين النظر اول الافعال الواجبة على الاطلاق التي لا يعرى من وجوبها مكلف ثم يعترض عليه فيها ببعض ما وقع احترازه فيرده بتلخيص انه احترز من ذلك ثم يعود الى تقرير كلامه وتمشيته فان قلت كيف نفى ان يتراب في انه من الله وقد اثبت ما هو اطم من الريب وهو قولهم افتراه قلت معنى لا ريب ان لا مدخل للريب في انه تنزيل الله لان نافي الريب ومميطه معه لا ينفك عنه وهو كونه معجزا للبشر ومثله ابعد شيء من الريب واما قولهم افتراه فاما قول متعنت مع علمه انه من الله لظهور الاعجاز له او جاهل يقوله قبل التامل والنظر لانه سمع الناس يقولونه لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك كقوله لتنذر قوما ما انذر اباؤهم وذلك ان قريشا لم يبعث الله تعالى اليهم رسولا قبل محمد صلى الله عليه وسلم فان قلت فاذا لم يأتهم نذير لم تقم عليهم حجة قلت اما قيام الحجة بالشرائع التي لا يدرك علمها الا بالرسل فلا واما قيامها بمعرفة الله وتوحيده وحكمته فنعم لان ادلة العقل الموصلة الى ذلك معهم في كل زمان لعلهم يهتدون ۝ فيه وجهان ان يكون على الترجي من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان

لعله يتذكر على الترجي من موسى وهرون عليهما الصلوة والسلام وان يستعار لفظ الترجي للارادة اللّه الذي
خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا
شفيع افلا تتذكرون فان قلت ما معنى قوله ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع قلت هو على معنيين
احدهما انكم اذا جاوزتم رضاه لم تجدوا لانفسكم وليا اي ناصرا ينصركم ولا شفيعا يشفع لكم والثاني
ان الله وليكم الذي يتولى مصالحكم وشفيعكم اي ناصركم على سبيل المجاز لان الشفيع ينصر المشفوع له
فهو كقوله وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير فاذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا نصير يدبر الامر من
السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون ذلك عالم الغيب
والشهادة العزيز الرحيم الامر المامور به من الطاعات والاعمال الصالحة ينزله مدبرا من السماء الى
الارض ثم لا يعمل به ولا يصعد اليه ذلك المامور به خالصا كما يريده ويرتضيه الا في مدة متطاولة لقلة
عمال الله والخلص من عباده وقلة الاعمال الصاعدة لانه لا يوصف بالصعود الا الخالص ودل عليه قوله على
اثره قليلا ما تشكرون او يدبر امر الدنيا كلها من السماء الى الارض لكل يوم من ايام الله وهو الف سنة
كما قال وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون ثم يعرج اليه اي يصير اليه ويثبت
عنده ويكتب في صحف ملائكته كل وقت من اوقات هذه المدة ما يرتفع من ذلك الامر ويدخل تحت الوجود
الى ان تبلغ المدة آخرها ثم يدبر ايضا ليوم آخر وهلم جرا الى ان تقوم الساعة وقيل ينزل الوحي مع جبريل
من السماء الى الارض ثم يرجع اليه ما كان من قبول الوحي او رده مع جبريل وذلك في وقت هو في الحقيقة الف
سنة لان المسافة مسيرة الف سنة في الهبوط والصعود لان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة وهو يوم من
ايامكم لسرعة جبريل لانه يقطع مسيرة الف سنة في يوم واحد وقيل يدبر امر الدنيا من السماء الى الارض
الى ان تقوم الساعة ثم يعرج اليه ذلك الامر كله اي يصير اليه ليحكم فيه في يوم كان مقداره الف سنة وهو
يوم القيمة وقرا ابن ابي عبلة يعرج على البناء للمفعول وقرئ تعدون بالتاء والياء الذي احسن كل شيء خلقه
وبدا خلق الانسان من طين احسن كل شيء حسنه لانه ما من شيء خلقه الا وهو مرتب على ما اقتضته
الحكمة واوجبته المصلحة فجميع المخلوقات حسنة وان تفاوتت الى حسن واحسن كما قال لقد خلقنا الانسان
في احسن تقويم وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسن وحقيقته يحسن معرفته اي
يعرفه معرفة حسنة بتحقيق واتقان وقرئ خلقه على البدل اي احسن خلق كل شيء وخلقه على الوصف اي
كل شيء خلقه فقد احسنه ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل
لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون سميت الذرية نسلا لانها تنسل منه اي
تنفصل منه وتخرج من صلبه ونحوه قولهم للولد سليل ونجل وسواه قومه كقوله في احسن تقويم ودل
باضافة الروح الى ذاته على انه خلق عجيب لا يعلم كنهه الا هو كقوله ويسالونك عن الروح الآية
كانه قال ونفخ فيه من الشيء الذي اختص هو به وبمعرفته وقالوا قيل القائل ابي بن خلف
ولرضاهم بقوله اسند اليهم جميعا ائذا ضللنا في الارض انا لفي خلق جديد وقرئ اينا وانا على
الاستفهام وتركه وضللنا صرنا ترابا وذهبنا مختلطين بتراب الارض لا نتميز منه كما يضل الماء في اللبن
او غبنا في الارض بالدفن وفيها من قوله
واب مضلوه بغير جلية وقرا علي رضي الله عنه وابن عباس ضللنا بكسر اللام يقال ضل يضل
وقرا الحسن صللنا من صل اللحم واصل اذا انتن وقيل صرنا من جنس الصلة وهي الارض فان قلت
بم انتصب الظرف في اذا ضللنا قلت بما يدل عليه انا لفي خلق جديد وهو نبعث او يجدد خلقنا بل هم
بلقاء ربهم كافرون قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون
لقاء ربهم الوصول الى العاقبة من تلقي ملك الموت وما وراءه فلما ذكر كفرهم بالانشاء اضرب عنه الى ما هو
ابلغ في الكفر وهو انهم كافرون بجميع ما يكون في العاقبة لا بالانشاء وحده الا ترى كيف خوطبوا بتوفي ملك
الموت وبالرجوع الى ربهم بعد ذلك مبعوثين للحساب والجزاء وهذا معنى لقاء الله على ما ذكرنا والتوفي
استيفاء النفس وهي الروح قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها وقال اخرجوا انفسكم وهو
ان يقبض كلها لا يترك منها شيء من قولك توفيت حقي من فلان واستوفيته اذا اخذته وافيا كاملا من غير
نقصان والتفعل والاستفعال يلتقيان في مواضع منها تقضيته واستقضيته وتعجلته
واستعجلته وعن مجاهد حويت لملك الموت الارض وجعلت له مثل الطست يتناول منها حيث يشا

وعن قتادة يتوفاهم ومعه اعوان من الملائكة وقيل ملك الموت يدعو الارواح فتجيبه ثم يامر اعوانه
بقبضها ولو ترى اذ المجرمون ناكسو رءوسهم عند ربهم يجوز ان يكون خطابا لرسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم وفيه وجهان ان يراد به التمني كانه قال وليتك ترى كقوله عليه الصلوة والسلام لمغيث لو
نظرت اليها والتمني لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما كان الترجي له في لعلهم يهتدون لانه تجرع منهم
الغصص ومن عداوتهم وضرارهم فجعل الله تمنيه ان يراهم على تلك الصفة الفظيعة من الحياء والخزي
والغم ليشمت بهم وان تكون لو الامتناعية قد حذف جوابها وهو لرايت امرا فظيعا او لرايت اسوا
حال ترى ويجوز ان يخاطب به كل احد كما تقول فلان لئيم ان اكرمته اهانك وان احسنت اليه اساء
اليك فلا تريد به مخاطبا بعينه فكانك قلت ان اكرم وان احسن اليه ولو واذ كلاهما للمضي وانما
جاز ذلك لان المترقب من الله تعالى بمنزلة الموجود المقطوع به في تحققه ولا يقدر لترى ما يتناوله
كانه قيل ولو تكون منك الرؤية واذ ظرف له يستغيثون بقولهم ربنا ابصرنا وسمعنا فلا يغاثون
يعني ابصرنا صدق وعدك ووعيدك وسمعنا منك تصديق رسلك او كنا عميا وصما فابصرنا وسمعنا
فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون هي الرجعة الى الدنيا ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها
على طريق الالجاء والقسر ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين ولكنا
بنينا الامر على الاختيار دون الاضطرار فاستحبوا العمى على الهدى فحقت كلمة العذاب على اهل العمى
دون البصر الا ترى الى ما عقبه به من قوله فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا فجعل ذوق العذاب
نتيجة فعلهم من نسيان العاقبة وقلة الفكر فيها وترك الاستعداد لها والمراد بالنسيان خلاف
التذكر يعني ان الانهماك في الشهوات اذهلكم والهاكم عن تذكر العاقبة وسلط عليكم نسيانها
ثم قال انا نسيناكم على المقابلة اي جازيناكم جزاء نسيانكم وقيل هو بمعنى الترك اي تركتم
الفكر في العاقبة فتركناكم من الرحمة وفي استيناف قوله انا نسيناكم وبناء الفعل على ان واسمها تشديد
في الانتقام منهم والمعنى فذوقوا هذا اي ما انتم فيه من نكس الرؤوس والخزي والغم بسبب نسيان اللقاء
وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون وذوقوا العذاب المخلد في جهنم بسبب ما عملتم من المعاصي والكبائر
الموبقة انما يؤمن باياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا اي وعظوا بها خروا سجدا تواضعا لله وخشوعا
وشكروا على ما رزقهم من الاسلام وسبحوا بحمد ربهم ونزهوا الله تعالى من نسبة القبائح اليه واثنوا عليه
حامدين له وهم لا يستكبرون كما يفعل من يصر مستكبرا كان لم يسمعها ومثله قوله ان الذين اوتوا العلم
من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا تتجافى ترتفع وتتنحى جنوبهم
عن المضاجع عن الفرش ومواضع النوم يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون داعين
ربهم عابدين له لاجل خوفهم من سخطه وطمعهم في رحمته وهم المتهجدون وعن رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم في تفسيرها قيام العبد من الليل وعن الحسن انه التهجد وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
اذا جمع الله الاولين والآخرين يوم القيمة جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم
من اولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع
فينادي ليقم الذين كانوا يحمدون الله في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى
الجنة ثم يحاسب سائر الناس وعن انس بن مالك كان اناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلون
من صلوة المغرب الى صلوة العشاء الآخرة فنزلت فيهم وهم الذين يصلون صلوة العتمة لا ينامون عنها فلا
تعلم نفس ما اخفي لهم على البناء للمفعول ما اخفى لهم على البناء للفاعل وهو الله سبحانه وما اخفي لهم وما
نخفي وما اخفيت لهم الثلاثة للمتكلم وهو الله سبحانه وما بمعنى الذي او بمعنى اي وقرئ من قرة اعين
وقرات اعين والمعنى لا تعلم النفوس كلهن ولا نفس واحدة منهن لا ملك مقرب ولا نبي مرسل اي نوع
عظيم من الثواب ادخر الله لاولئك واخفاه من جميع خلائقه لا يعلمه الا هو مما تقر به عيونهم ولا مزيد على
هذه العدة ولا مطمح وراءها ثم قال جزاء بما كانوا يعملون فحسم اطماع المتمنين وعن النبي صلى الله عليه
وآله وسلم يقول الله تعالى اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله
ما اطلعتهم عليه اقرؤوا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وعن الحسن اخفى القوم اعمالا
في الدنيا فاخفى الله لهم ما لا عين رات ولا اذن سمعت افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا
يستوون اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون

أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما
أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون ۝
كان مؤمنا وكان فاسقا محمولان على لفظ من ولا يستوون محمول على المعنى بدليل قوله أما الذين آمنوا وأما الذين
فسقوا ونحو قوله ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك وجنات المأوى نوع من الجنات قال
عز وجل ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى سميت بذلك لما روي عن ابن عباس
قال تأوي إليها أرواح الشهداء وقيل هي عن يمين العرش وقرئ جنة المأوى على التوحيد نزلا عطاء
بأعمالهم والنزل عطاء النازل ثم صار عاما فمأواهم النار أي ملجؤهم ومنزلهم ويجوز أن يراد بجنته مأواهم
النار أي النار لهم مكان جنة المأوى للمؤمنين كقوله فبشرهم بعذاب أليم ولنذيقنهم من العذاب
الأدنى دون العذاب الأكبر العذاب الأدنى عذاب الدنيا من القتل والأسر وما محنوا به من السنة
سبع سنين وعن مجاهد عذاب القبر والعذاب الأكبر عذاب الآخرة أي نذيقهم عذاب الدنيا
قبل أن يصلوا إلى عذاب الآخرة لعلهم يرجعون ۝ أي يتوبون من الكفر ولعلهم يريدون الرجوع
ويطلبونه كقوله فارجعنا نعمل صالحا وسميت إرادة الرجوع رجوعا كما سميت إرادة القيام
قياما في قوله إذا قمتم إلى الصلاة ويدل عليه قراءة من قرأ يرجعون على البناء للمفعول فإن قلت من
أين صح تعليق الرجوع والتوبة بلعل من الله وإنه يريده وإذا أراد الله شيئا كان ولم يمتنع وتوبتهم مما لا يكون
ألا ترى أنها لو كانت مما يكون لم يكونوا ذائقين العذاب الأكبر قلت إرادة الله تعالى تتعلق بأفعاله
وأفعال عباده فإذا أراد شيئا من أفعاله كان ولم يمتنع للاقتدار وخلوص الداعي وأما أفعال عباده
فإما أن يريدها وهم مختارون لها أو مضطرون إليها بقسره وإلجائه فإن أرادها وقد قسرهم عليها فحكمها حكم
أفعاله وإن أرادها على أن يختاروها وهو عالم أنهم لا يختارونها لم يقدح ذلك في اقتداره كما لا يقدح في
اقتدارك إرادتك أن يعبدك طاعتك وهو لا يختارها لأن اختيارها لا يتعلق بقدرتك وإذا
لم يتعلق بقدرتك لم يكن فقده دالا على عجزك وروي في نزولها أنه شجر بين علي بن أبي طالب والوليد
بن عقبة بن أبي معيط يوم بدر كلام فقال له الوليد اسكت فإنك صبي أنا أشب منك شبابا وأجلد
منك جلدا وأذرب منك لسانا وأحد منك سنانا وأشجع منك جنانا وأملأ منك حشوا في
الكتيبة فقال له علي رضي الله عنه اسكت فإنك فاسق فنزلت عامة للمؤمنين والفاسقين متناولة لهما
ولكل من في مثل حالهما وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه قال للوليد كيف تشتم عليا وقد سماه الله
مؤمنا في عشر آيات وسماك فاسقا ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين
منتقمون ۝ ثم في قوله ثم أعرض عنها للاستبعاد والمعنى أن الإعراض عن مثل آيات الله في وضوحها
وإنارتها وإرشادها إلى سواء السبيل والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعد
في العقل والعدل كما تقول لصاحبك وجدت مثل تلك الفرصة ثم لم تنتهزها استبعادا لتركه
الانتهاز ومنه ثم في بيت الحماسة ۝
ولا يكشف الغماء إلا ابن حرة ۝ يرى غمرات الموت ثم يزورها ۝
استبعد أن يزور غمرات الموت بعد أن رآها واستيقنها واطلع على شدتها فإن قلت هلا قيل
إنا منه منتقمون قلت لما جعله أظلم كل ظالم ثم توعد المجرمين عامة بالانتقام منهم فقد دل على إصابة
الأظلم النصيب الأوفر من الانتقام ولو قاله بالضمير لم يفد هذه الفائدة ولقد آتينا موسى
الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه الكتاب للجنس والضمير في لقائه له ومعناه إنا آتينا موسى
مثل ما آتيناك من الكتاب ولقيناه مثل ما لقيناك من الوحي فلا تكن في شك من أنك لقيت مثله ولقيت
نظيره كقوله فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك ونحو قوله
من لقائه قوله وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم وقوله ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا
وجعلناه هدى لبني إسرائيل وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا
يوقنون ۝ وجعلنا الكتاب المنزل على موسى هدى لقومه وجعلنا منهم أئمة يهدون الناس ويدعونهم
إلى ما في التوراة من دين الله وشرائعه لصبرهم وإيقانهم بالآيات وكذلك لنجعلن الكتاب
المنزل إليك هدى ونورا ولنجعلن من أمتك أئمة يهدون مثل تلك الهداية لما صبروا عليه من
نصرة الدين وثبتوا عليه من اليقين وقيل من لقائك موسى ليلة الإسراء أو يوم القيامة وقيل من لقاء

موسى الكتاب

موسى الكتاب أي من تلقيه له بالرضا والقبول وقرئ لما صبروا أي لصبرهم وعن الحسن
صبروا عن الدنيا وقيل إنما جعل الله التوراة هدى لبني إسرائيل خاصة ولم يتعبد بما فيها ولد إسماعيل
إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ۝ يقضي فيميز المحق
في دينه من المبطل أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في
ذلك لآيات أفلا يسمعون ۝ الواو في أولم يهد للعطف على معطوف عليه منوي من جنس المعطوف
والضمير في لهم لأهل مكة وقرئ بالنون والياء والفاعل ما دل عليه كم أهلكنا لأن كم لا يقع فاعله
لا يقال جاءني كم رجل تقديره أولم يهد لهم كثرة إهلاكنا القرون أو هذا الكلام كما هو بمضمونه
ومعناه كقولك يعصم لا إله إلا الله الدماء والأموال ويجوز أن يكون فيه ضمير الله بدليل
القراءة بالنون والقرون عاد وثمود وقوم لوط يمشون يعني أهل مكة أي يمرون في متاجرهم
على ديارهم وقرئ يمشون بالتشديد أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز الأرض
التي جرز نباتها أي قطع إما لعدم الماء وإما لأنه رعي وأزيل ولا يقال للتي لا تنبت كالسباخ جرز
ويدل عليه قوله فنخرج به زرعا وعن ابن عباس أنها أرض اليمن وعن مجاهد أنها أبين
تأكل منه من الزرع أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون ۝ أنعامهم من عصفه وأنفسهم من حبه
وقرئ يأكل بالياء ويقولون متى هذا الفتح النصر أو الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا
وكان المسلمون يقولون إن الله سيفتح لنا على المشركين أو يفتح بيننا وبينهم فإذا سمع المشركون قالوا متى
هذا الفتح أي في أي وقت يكون إن كنتم صادقين ۝ في أنه كائن قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا
إيمانهم ولا هم ينظرون ۝ ويوم الفتح يوم القيامة وهو يوم الفصل بين المؤمنين وأعدائهم ويوم نصرهم
عليهم وقيل هو يوم بدر وعن مجاهد والحسن يوم فتح مكة فإن قلت قد سألوا عن وقت الفتح فكيف
ينطبق هذا الكلام جوابا على سؤالهم قلت كان غرضهم في السؤال عن وقت الفتح استعجالا منهم على وجه
التكذيب والاستهزاء فأجيبوا على حسب ما عرف من غرضهم في سؤالهم فقيل لهم لا تستعجلوا به
ولا تستهزئوا فكأني بكم وقد حصلتم في ذلك اليوم وآمنتم فلم ينفعكم الإيمان واستنظرتم في إدراك
العذاب فلم تنظروا فإن قلت فمن فسره بيوم الفتح أو بيوم بدر كيف يستقيم على تفسيره أن لا ينفعهم الإيمان
وقد نفع الطلقاء يوم فتح مكة وناسا يوم بدر قلت المراد أن المقتولين منهم لا ينفعهم إيمانهم في حال
القتل كما لم ينفع فرعون إيمانه عند إدراك الغرق فأعرض عنهم وانتظر النصرة عليهم وهلاكهم إنهم
منتظرون ۝ الغلبة عليكم وهلاككم كقوله فتربصوا إنا معكم متربصون وقرأ ابن السميفع
منتظرون بفتح الظاء ومعناه وانتظر هلاكهم فإنهم أحقاء بأن ينتظر هلاكهم يعني أنهم هالكون لا محالة
وانتظر ذلك فإن الملائكة في السماء ينتظرونه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ الم تنزيل
وتبارك الذي بيده الملك أعطي من الأجر كأنما أحيا ليلة القدر وقال من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان
بيته ثلاثة أيام

سورة الأحزاب مدنية وهي ثلاث وسبعون آية

عن زر قال قال لي أبي بن كعب كم تعدون سورة الأحزاب قلت ثلاثا وسبعين آية قال فوالذي
يحلف به أبي بن كعب إن كانت لتعدل سورة البقرة أو أطول ولقد قرأنا منها آية الرجم الشيخ والشيخة
إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم أراد أبي رضي الله عنه أن ذلك من جملة ما نسخ
من القرآن وأما ما يحكى أن تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عائشة فأكلتها الداجن فمن تأليفات الملاحدة
والروافض

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها النبي جعل نداءه بالنبي والرسول في قوله يا أيها النبي اتق الله يا أيها النبي لم تحرم يا أيها الرسول بلغ ما
أنزل إليك وترك نداءه باسمه كما قال يا آدم يا موسى يا عيسى يا داود كرامة له وتشريفا وربأ بمحله
وتنويها بفضله فإن قلت إن لم يوقع اسمه في النداء فقد أوقعه في الإخبار في قوله محمد رسول الله
وما محمد إلا رسول قلت ذاك لتعليم الناس بأنه رسول الله وتلقين لهم أن يسموه بذلك ويدعوه به فلا
تفاوت بين النداء والإخبار ألا ترى إلى ما لم يقصد به التعليم والتلقين من الإخبار كيف ذكره
بالنبي لقد جاءكم رسول من أنفسكم وقال الرسول يا رب لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة
والله ورسوله أحق أن يرضوه النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم إن الله وملائكته يصلون على النبي ولو كانوا

يومنون بالله والنبي اتق الله واثبت على ما انت عليه من التقوى واثبت عليه وازدد منه وذلك لان التقوى
باب لا يبلغ آخره ولا تطع الكافرين والمنافقين لا تساعدهم على شي منه ولا تقبل لهم رايا ولا مشورة
وجانبهم واحترس منهم فانهم اعدا واعدا المومنين لا يريدون الا المضارة والمضادة وروى ان
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما هاجر الى المدينة وكان يحب اسلام اليهود قريظة والنضير وبني
قينقاع وقد بايعه ناس منهم على النفاق وكان يلين لهم جانبه ويكرم صغيرهم وكبيرهم واذا اتا
منهم قبيح تجاوز عنه وكان يستمع منهم فنزلت وروى ان ابا سفيان بن حرب وعكرمة ابن ابي جهل
وابا الاعور السلمي قدموا عليه في الموادعة التي كانت بينه وبينهم وقام معهم عبد الله بن ابي ومعتب
بن قشير والجد بن قيس فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ارفض ذكر آلهتنا وقل انها تشفع
وتنفع وندعك وربك فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى المومنين وهموا بقتلهم فنزلت
اي اتق الله في نقض العهد ونبذ الموادعة ولا تطع الكافرين من اهل مكة والمنافقين من اهل المدينة فيما
طلبوا اليك وروى ان اهل مكة دعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يرجع عن دينه ويعطوه شطر
اموالهم وان يزوجه شيبة بن ربيعة بنته وخوفوه منافقوا اهل المدينة انهم يقتلونه ان لم يرجع
فنزلت ان الله كان عليما بالصواب من الخطا والمصلحة من المفسدة حكيما لا يفعل شيا ولا يامر
به الا بداعي الحكمة واتبع ما يوحى اليك من ربك في ترك طاعة الكافرين والمنافقين وغير ذلك
ان الله كان بما تعملون خبيرا ان الله الذي يوحي اليك خبير بعملون فموح اليك بما تصلح
به اعمالكم فلا حاجة الى الاستماع من الكفرة وقرى يعملون بالياء اي بما يعمل المنافقون من كيدهم
لكم ومكرهم بكم وتوكل على الله واسند امرك اليه وكله الى تدبيره وكفى بالله وكيلا
حافظا اليه كل امر ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل ازواجكم اللائي تظهرون منهن
امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم ما جمع الله قلبين في جوف ولا زوجية وامومة في
امراة ولا بنوة ودعوة في رجل والمعنى ان الله سبحانه كما لم ير في حكمته ان يجعل للانسان قلبين
لانه لا يخلو اما ان يفعل باحدهما مثل ما يفعل بالاخر من افعال القلوب فاحدهما فضلة غير محتاج اليها واما
ان يفعل بهذا غير ما يفعل بذاك فذلك يودي الى اتصاف الجملة بكونه مريدا كارها عالما ظانا شاكا
في حالة واحدة لم ير ايضا ان تكون المراة الواحدة اما لرجل وزوجا له لان الام محدومة مخفوض لها جناح الذل
والزوجة مستخدمة متصرف فيها بالاستفراش وغيره كالمملوكة وهما حالتان متنافيتان وان
يكون الرجل الواحد دعيا لرجل وابنا له لان البنوة اصالة في النسب وعراقة فيه والدعوة الصاق
عارض بالتسمية لا غير ولا يجتمع في الشي الواحد ان يكون اصيلا غير اصيل وهذا مثل ضربه الله تعالى
في زيد بن حارثة وهو رجل من كلب سبي صغيرا وكانت العرب في جاهليتها يتغاورون ويتساورون
فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهبته له وطلبه
ابوه وعمه فخير فاختار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاعتقه وكانوا يقولون زيد بن محمد فانزل
الله عز وجل هذه الاية وقوله ما كان محمد ابا احد من رجالكم وقيل كان ابو معمر رجلا من اخفظ
العرب وارواهم فقيل له ذو القلبين وقيل هو جميل بن اسد الفهري وكان يقول ان لي قلبين افهم
باحدهما اكثر مما يفهم محمد فروي انه انهزم يوم بدر فمر بابي سفيان وهو معلق احدى نعليه بيده
والاخرى في رجله فقال له ما فعل الناس فقال هم ما بين مقتول وهارب فقال له ما بال احدى نعليك
في رجلك والاخرى فقال ما ظننت الا انهما في رجلي فاكذب الله قوله وقوله لهم وضربه مثلا في
الظهار والتبني وعن ابن عباس كان المنافقون يقولون لمحمد قلبان فاكذبهم الله تعالى وقيل سهى
في صلاته فقالت اليهود له قلبان قلب مع اصحابه وقلب معكم وعن الحسن نزلت في ان الواحد يقول
نفس تامرني ونفس تنهاني والتنكير في رجل وادخال من الاستغراق فيه على قلبين تاكيد لما قصد من
المعنى كانه قال ما جعل الله لامة من الرجال ولا لواحد منهم قلبين البتة في جوفه فان قلت
اي فائدة في ذكر الجوف قلت الفائدة فيه كالفائدة في قوله القلوب التي في الصدور وذلك ما يحصل
للسامع من زيادة التصور والتجلي للمدلول عليه لانه اذا سمع صورة لنفسه جوفا يشتمل على قلبين
فكان اسرع الى الانكار وقرئ اللائي بياء وهمزة مكسورتين واللاي بياء ساكنة بعد الهمزة
وتظاهرون من ظاهر وتظاهرون من اظاهر بمعنى تظاهر وتظهرون من اطهر بمعنى تطهر وتظهرون

من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من ظهر بلفظ فعل من الظهور ومعنى ظاهر من
امراته قال لها انت علي كظهر امي وكنى في العبارة عن اللفظ لبي المحرم اذا قال لبيك وافف الرجل
اذا قال اف واخوات لهن فان قلت فما وجه تعديته واخواته بمن قلت كان الظهار طلاقا
عند اهل الجاهلية وكانوا يتجنبون المراة المظاهر كما يتجنبون المطلقة فكان قولهم تظاهر منها
تباعد منها بجهة الظهار وتظهر منها تحرز منها وظاهر منها حاذر منها وظهر منها وحش منها
خلص منها ونظيره آلى من امراته لما ضمن معنى التباعد منها عدي بمن والا فآلى في اصله الذي هو بمعنى
حلف واقسم ليس هذا بحكمه فان قلت فما معنى انت علي كظهر امي قلت ارادوا ان يقولوا انت
علي حرام كبطن امي فكنوا عن البطن بالظهر لانه عمود البطن ومنه حديث عمر يجي به احدهم
على عمود بطنه اراد على ظهره ووجه اخر وهو ان اتيان المراة وظهرها الى السماء كان محرما عندهم
محظورا وكان اهل المدينة يقولون اذا اتيت المراة ووجهها الى الارض جا الولد احول فلقصد
المطلق منهم الى التغليظ في تحريم امراته عليه شبهها بالظهر ثم لم يقنع بذلك حتى جعله ظهر امه فلم
يترك فان قلت الدعي فعيل بمعنى مفعول وهو الذي يدعى ولدا فما له جمع على افعلاء
وبابه ما كان منه بمعنى فاعل كتقي واتقيا وشقي واشقيا ولا يكون ذلك في نحو رمي وسمي قلت
ان شذوذه عن القياس كشذوذ قتلا واسرا والطريق في مثل ذلك التشبيه اللفظي ذلكم
قولكم بافواهكم ذلكم النسب قولكم بافواهكم هذا ابني لا غير من غير ان يواطيه اعتقاد
لصحته وكونه حقا والله يقول الحق والله عز وجل لا يقول الا ما هو حق ظاهره وباطنه وهو يهدي
السبيل ولا يهدي الا سبيل الحق ثم قال ما هو الحق وهدى الى ما هو سبيل الحق وهو قوله ادعوهم
لابائهم هو اقسط عند الله وبين ان دعاءهم لابائهم هو ادخل الامرين في القسط والعدل وفي فصل
هذه الجمل ووصلها من الحسن والفصاحة لا يغبى على عالم بطرق النظم دون افادة وهو الذي يهدي
السبيل وقيل كان الرجل في الجاهلية اذا اعجبه جلد الرجل وظرفه ضمه الى نفسه وجعل له مثل
نصيب الذكر من اولاده من ميراثه وكان ينسب اليه فيقال فلان بن فلان فان لم تعلموا اباءهم
فاخوانكم في الدين ومواليكم فان لم تعلموا لهم اباء تنسبونهم اليهم فهم اخوانكم في الدين
واولياوكم في الدين فقولوا هذا اخي وهذا مولاي ويا اخي ويا مولاي يريد الاخوة في الدين والولاية
فيه وليس عليكم جناح فيما اخطاتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم ما تعمدت في محل الجر عطفا
على ما اخطاتم ويجوز ان يكون مرتفعا على الابتداء والخبر محذوف تقديره ولكن ما تعمدت قلوبكم
فيه الجناح والمعنى لا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين جاهلين قبل ورود النهي ولكن الاثم
فيما تعمدتموه بعد النهي او لا اثم عليكم اذا قلتم لولد غيركم يا بني على سبيل الخطا وسبق اللسان ولكن
اذا قلتموه متعمدين ويجوز ان يراد العفو عن الخطا دون العمد على طريق العموم كقوله عليه الصلوة
والسلام ما اخشى عليكم الخطا ولكن اخشى عليكم العمد وقوله وضع عن امتي الخطا والنسيان وما
اكرهوا عليه ثم تناول لعمومه خطا التبني وعمده فان قلت فاذا وجد التبني فما حكمه قلت
اذا كان المتبنى مجهول النسب واصغر سنا من المتبني ثبت نسبه منه وان كان عبدا له عتق مع ثبوت
النسب وان كان لا يولد مثله لمثله لم يثبت النسب ولكنه يعتق عند ابي حنيفة رحمه الله وعند صاحبيه
لا يعتق واما المعروف النسب فلا يثبت نسبه بالتبني وان كان عبدا عتق وكان الله غفورا
رحيما لعفوه عن الخطا وعن العمد اذا تاب العامد النبي اولى بالمومنين في كل شي من امور الدين
والدنيا من انفسهم ولهذا اطلق ولم يقيد فيجب عليهم ان يكونوا احب اليه من انفسهم وحكمه
انفذ عليهم من حكمها وحقه آثر لديهم من حقوقها وشفقتهم عليه اقدم من شفقتهم عليها وان يبذلوا
دونه ويجعلوها فداءه اذا اعضل خطب ووقاءه اذا لقحت حرب والا يتبعوا ما تدعوهم اليه
نفوسهم ولا ما يصرفهم عنه ويتبعوا كل ما دعاهم اليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصرفهم
عنه لان كل ما دعا اليه فهو ارشاد لهم الى نيل النجاة والظفر بسعادة الدارين وما صرفهم
عنه فاخذ بحجزهم لئلا يتهافتوا فيما يرمي بهم الى الشقاوة وعذاب النار او هو اولى بهم على انه
ارأف بهم واعطف عليهم وانفع لهم كقوله تعالى بالمومنين رؤف رحيم وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما من
مومن الا انا اولى به في الدنيا والاخرة اقرؤا ان شئتم النبي اولى بالمومنين من انفسهم فايما مومن

هلك وترك مالا فليرثه عصبته من كانوا وان ترك دينا او ضياعا فالي وفي قراءة ابن مسعود النبي
اولى بالمومنين من انفسهم وهو اب لهم وقال مجاهد كل نبي فهو ابو امته ولذلك صار المومنون
اخوة لان النبي صلى الله عليه وسلم ابوهم في الدين وازواجه امهاتهم شبيه لهم بالامهات في بعض
الاحكام وهو وجوب تعظيمهن واحترامهن وتحريم نكاحهن قال الله تعالى ولا ان تنكحوا ازواجه
من بعده ابدا وهن فيما وراء ذلك بمنزلة الاجنبيات ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها لسنا امهات
النساء تعني انهن انما كن امهات الرجال لكونهن محرمات عليهم كتحريم امهاتهم واولوا الارحام بعضهم
اولى ببعض كان المسلمون في صدر الاسلام يتوارثون بالولاية في الدين وبالهجرة لا بالقرابة
كما كانت تتالف قلوب قوم باسهام لهم في الصدقات ثم نسخ ذلك لما دجى الاسلام وعز اهله
وجعل التوارث بحق القرابة في كتاب الله في اللوح او فيما اوحى الله الى نبيه وهو هذه الاية
او في اية المواريث او فيما فرض الله كقوله كتاب الله عليكم من المومنين والمهاجرين يجوز
ان يكون بيانا لاولي الارحام اي الاقرباء من هولاء بعضهم اولى بان يرث بعضا من الاجانب ويجوز
ان يكون لابتداء الغاية اي اولو الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من المومنين بحق الولاية في الدين
ومن المهاجرين بحق الهجرة الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا فان قلت مما استثنى ان
تفعلوا قلت من اعم العام في معنى النفع والاحسان كما تقول القريب اولى من الاجنبي الا في الوصية
تريد انه احق منه في كل نفع من ميراث وهبة وهدية وصدقة وغير ذلك الا في الوصية والمراد
بفعل المعروف التوصية لانه لا وصية لوارث وعدي تفعلوا بالى لانه في معنى تسدوا وتزلوا
والمراد بالاولياء المومنون والمهاجرون للولاية في الدين كان ذلك في الكتاب مسطورا
ذلك اشارة الى ما ذكر في الايتين جميعا وتفسير الكتاب ما مر انفا والجملة مستانفة كالخاتمة
لما ذكر من الاحكام واذ اخذنا من النبيين واذكر حين اخذنا من النبيين جميعا ميثاقهم بتبليغ الرسالة
والدعاء الى الدين القيم ومنك خصوصا ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم واخذنا
منهم ميثاقا غليظا وانما فعلنا ذلك ليسأل الصادقين ليسأل الله يوم القيمة عند
توافق الاشهاد المومنين الذين صدقوا عهدهم ووفوا به من جملة من اشهدهم على انفسهم الست بربكم
فالوا بلى عن صدقهم عهدهم فيشهد لهم الانبياء بانهم صدقوا عهدهم وشهادتهم وكانوا مومنين
او ليسأل المصدقين للانبياء عن تصديقهم لان من قال للصادق صدقت كان صادقا في قوله او ليسأل
الانبياء ما الذي اجابتهم به اممهم وتاويل مسألة الرسل تبكيت الكافرين بهم كقوله انت قلت
للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فان قلت لم قدم رسول الله على نوح فمن بعده هم
قلت هذا العطف لبيان فضيلة الانبياء الذين هم مشاهيرهم وذراريهم فلما كان محمد صلى
الله عليه وسلم افضل هولاء المفضلين قدم عليهم لبيان انه افضلهم ولولا ذلك لقدم من قدمه
زمانه فان قلت فقد قدم عليه نوح في الاية التي هي اخت هذه وهي قوله شرع لكم من الدين ما وصى به
نوحا والذي اوحينا اليك ثم قدم على غيره قلت مورد هذه الاية على طريقة خلاف طريقة تلك وذلك
ان الله عز وجل انما اورد هذا لوصف دين الاسلام بالاصالة والاستقامة فكانه قال شرع لكم الدين الاصيل
الذي بعث عليه نوح في العهد القديم وبعث عليه محمد خاتم الانبياء في العهد الحديث وبعث عليه من
توسط بينهما من الانبياء المشاهير فان قلت ماذا اراد بالميثاق الغليظ قلت اراد به ذلك الميثاق
بعينه معناه واخذنا منهم بذلك الميثاق ميثاقا غليظا والغلظ استعارة من وصف الاجرام
والمراد عظم الميثاق وجلالة شانه في بابه وقيل الميثاق الغليظ اليمين بالله على الوفاء بما حملوا فان
قلت علام عطف عليه قوله واعد للكافرين قلت على اخذنا من النبيين لان المعنى ان الله اكد
على الانبياء الدعوة الى دينه لاجل اثابة المومنين واعد للكافرين عذابا اليما او على ما دل عليه ليسأل
الصادقين كانه قال فاثاب المومنين واعد للكافرين يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم
اذكروا ما انعم الله به عليكم يوم الاحزاب وهو يوم الخندق اذ جاءتكم جنود وهم الاحزاب فارسلنا
عليهم ريحا قال ارسل الله عليهم ريح الصبا قال صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور
وجنودا لم تروها وهم الملائكة وكانوا الفا بعث الله عليهم صبا باردة في ليلة شاتية واحصرتهم
وسفت التراب في وجوههم وامر الملائكة فقلعت الاوتاد وقطعت الاطناب واطفات النيران

واكفات القدور وماجت الخيل بعضها في بعض وقذف في قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة في جوانب
عسكرهم فقال طليحة بن خويلد الاسدي اما محمد فقد بداكم بالسحر فالنجا النجا فانهزموا من غير
قتال وحين سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باقبالهم ضرب الخندق على المدينة اشار عليه بذلك سلمان
الفارسي رضي الله عنه ثم خرج في ثلاثة الاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق بينه وبين
القوم وامر بالذراري والنساء فرفعوا في الاطام واشتد الخوف وظن المومنون كل ظن ونجم
النفاق من المنافقين حتى قال معتب بن قشير كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر لا نقدر
ان نذهب الى الغائط وكانت قريش اقبلت في عشرة الاف من الاحابيش وبني كنانة واهل تهامة
وقائدهم ابو سفيان وخرج غطفان في الف ومن تابعهم من اهل نجد وقائدهم عيينة بن حصن
وعامر بن الطفيل في هوازن وضامتهم اليهود من بني قريظة والنضير ومضى على الفريقين قريب
من شهر لا حرب بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة حتى انزل الله النصر وكان الله بما تعملون
بصيرا قرئ بالتاء والياء اذ جاؤكم من فوقكم من اعلى الوادي من قبل المشرق بنو غطفان
ومن اسفل منكم من اسفل الوادي من قبل المغرب قريش تحزبوا وقالوا سنكون جملة واحدة حتى
نستاصل محمدا واذ زاغت الابصار مالت عن سننها ومستوى نظرها حيرة وشخوصا وقيل
عدلت عن كل شي فلم تلتفت الا الى عدوها لشدة الروع وبلغت القلوب الحناجر الحنجرة راس الغلصمة
وهي منتهى الحلقوم مدخل الطعام والشراب قالوا اذا انتفخت الرية من شدة الفزع او الغضب او الغم
الشديد ربت وارتفع القلب بارتفاعها الى راس الحنجرة وقيل للجبان انتفخ سحره ويجوز ان يكون
ذلك مثلا في اضطراب القلوب ووجيبها وان لم تبلغ الحناجر وتظنون بالله الظنونا خطاب للذين
امنوا منهم ليثبت القلوب والاقدام والضعاف القلوب الذين هم على حرف والمنافقون الذين لم
يوجد منهم الا الايمان بالسنتهم فظن الاولون بالله انه يبتليهم ويفتنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال
واما الاخرون فظنوا بالله ما حكي عنهم وعن الحسن ظنوا ظنونا مختلفة ظن المنافقون ان المسلمين
يستاصلون وظن المومنون انهم يبتلون وقرئ الظنون بغير الف في الوصل والوقف وهو القياس وبزيادة
الف في الوقف زادوها في الفاصلة كما زادها في القافية من قال اقلي اللوم عاذل والعتابا
وكذلك الرسولا والسبيلا وقرئ بزيادتها في الوصل ايضا اجراء له مجرى الوقف قال ابو عبيد
وهن كلهن في الامام بالف هنالك ابتلي المومنون وزلزلوا زلزالا شديدا وعن ابي عمرو
اشمام زاي زلزلوا وقرئ زلزالا بالفتح والمعنى ان الخوف ازعجهم اشد الازعاج واذ يقول
المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا قيل قائله معتب بن قشير
حين راى الاحزاب قال يعدنا محمد فتح فارس والروم واحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا ما هذا الا وعد
غرور واذ قالت طائفة منهم هم اوس بن قيظي ومن وافقه على رايه وعن السدي عبد الله بن
ابي واصحابه يا اهل يثرب ويثرب اسم المدينة وقيل ارض وقعت المدينة في ناحية منها لا مقام
لكم قرئ بضم الميم وفتحها اي لا قرار لكم ههنا ولا مكان تقومون فيه او تقيمون فارجعوا الى المدينة
امروهم بالهرب من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل قالوا لهم ارجعوا كفارا واسلموا محمدا
والا فليست لكم يثرب بمكان ويستاذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة
ان يريدون الا فرارا قرئ عورة بسكون الواو وكسرها فالعورة الخلل والعورة ذات العورة
يقال عور المكان عورا اذا بدا فيه خلل يخاف منه العدو والسارق ويجوز ان يكون عورة تخفيف
عورة اعتذروا ان بيوتهم معرضة للعدو وممكنة للسراق لانها غير محرزة ولا محصنة فاستاذنوه
ليحصنوها ثم يرجعوا اليه فاكذبهم الله بانهم لا يخافون ذلك وانما يريدون الفرار ولو دخلت عليهم
المدينة وقيل بيوتهم من قولك دخلت على فلان داره من اقطارها من جوانبها ولو دخلت هذه العساكر
المتحزبة التي يفرون خوفا منها مدينتهم وبيوتهم من جوانبها كلها وانثالت على اهاليهم واولادهم
ناهبين سابين ثم سئلوا عند ذلك الفزع وتلك الرجفة الفتنة اي الردة والرجعة الى الكفر
ومقاتلة المسلمين لاتوها لجاؤها وفعلوها وقرئ لاتوها لاعطوها وما تلبثوا بها وما لبثوا
باعطائها الا يسيرا ريثما يكون السوال والجواب من غير توقف او وما لبثوا بالمدينة بعد
ارتدادهم الا يسيرا فان الله يهلكهم والمعنى انهم يتعللون باعوار بيوتهم ويتمحلون ليفروا عن

نصح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين وعن مضايقة الاحزاب الذين ملاؤهم هولا ورعبا وهولا
والاحزاب كما هم لو كبسوا عليهم ارضهم وديارهم وعرض عليهم الكفر وقيل لهم كونوا على المسلمين لسارعوا اليه
وما تعللوا بشيء وما ذاك الا لمقتهم الاسلام وشدة بغضهم لاهله وحبهم الكفر وتهالكهم على حزبه
ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار عن ابن عباس رضي الله عنهما عاهدوا رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ليلة العقبة ان يمنعوه مما يمنعون منه انفسهم وقيل هم قوم غابوا عن بدر فقالوا لئن اشهدنا
الله قتالا لنقاتلن وعن محمد بن اسحق عاهدوا يوم احد الا يفروا بعد ما نزل فيهم ما نزل وكان عهد
الله مسؤولا مطلوبا مقتضى حتى يوفى به قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل
واذا لا تمتعون الا قليلا لن ينفعكم الفرار مما لا بد لكم من نزوله بكم من حتف انف او قتل وان نفعكم
الفرار مثلا فمتعتم بالتاخير لم يكن ذلك التمتيع الا زمانا قليلا وعن بعض المروانية انه مر بحائط
مائل فاسرع فتليت له هذه الآية فقال ذلك القليل نطلب قل من ذا الذي يعصمكم من الله
ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا فان قلت
كيف جعلت الرحمة قرينة السوء في العصمة ولا عصمة الا من السوء قلت معناه او يصيبكم بسوء
ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام واجري مجرى قوله متقلدا سيفا ورمحا او حمل الثاني على
الاول لما في العصمة من معنى المنع قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم
الينا المعوقون المثبطون عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم المنافقون كانوا يقولون لاخوانهم
من ساكني المدينة من انصار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما محمد واصحابه الا اكلة راس ولو كانوا
لحما لالتهمهم ابو سفيان واصحابه فخلوهم وهلموا الينا وهي لغة اهل الحجاز يسوون فيه بين الواحد
والجماعة واما تميم فيقولون هلم يا رجل وهلموا يا رجال وهو صوت سمي به فعل متعد
مثل احضر وقرب قل هلم شهداءكم ولا ياتون الباس الا قليلا الا اتيانا قليلا يخرجون مع
المؤمنين يوهمونهم انهم معهم ولا تراهم يبارزون ويقاتلون الا شيئا قليلا اذا اضطروا اليه كقوله
ما قاتلوا الا قليلا اشحة عليكم في وقت الحرب اضناء بكم يترفرفون عليكم كما يفعل الرجل بالذاب
عنه المناضل دونه عند الخوف فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون اليك في تلك الحالة
كالذي يغشى عليه من الموت كما ينظر المغشي عليه من معالجة سكرات الموت حذرا وخورا ولواذا بك
فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم ووقعت القسمة سلقوكم بالسنة حداد اشحة
على الخير نقلوا ذلك الشح وتلك الضنة والرفرفة عليكم الى الخير وهو المال والغنيمة ونسوا تلك
الحالة الاولى واجتروا عليكم وضربوكم بالسنتهم وقالوا وفروا قسمتنا فانا قد شاهدناكم وقاتلنا
معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم وبنا نصرتم عليه ونصب اشحة على الحال او على الذم وقرئ
اشحة بالرفع وصلقوكم بالصاد اولئك لم يؤمنوا فاحبط الله اعمالهم فان قلت هل يثبت للمنافق
عمل حتى يرد عليه الاحباط قلت لا ولكنه تعليم لمن عسى يظن ان الايمان باللسان ايمان وان لم يواطئه القلب
وان ما يعمل المنافق من الاعمال يجدي عليه فبين ان ايمانه ليس بايمان وان كل عمل يوجد منه باطل وفيه بعث على اتقان
المكلف اساس امره وهو الايمان الصحيح وتنبيه على ان الاعمال الكثيرة من غير تصحيح المعرفة كالبناء على غير اساس وانها
مما يذهب عند الله هباء منثورا فان قلت ما معنى قوله وكان ذلك على الله يسيرا وكل شيء
عليه يسير قلت معناه ان اعمالهم حقيقة بالاحباط تدعو اليه الدواعي ولا يصرف عنه صارف يحسبون
الاحزاب لم يذهبوا يحسبون ان الاحزاب لم ينهزموا وقد انهزموا فانصرفوا عن الخندق الى المدينة راجعين
لما نزل بهم من الخوف الشديد ودخلهم من الجبن المفرط وان يات الاحزاب كرة ثانية
يودوا لو انهم بادون في الاعراب تمنوا لخوفهم مما منوا به هذه الكرة انهم خارجون الى البدو
حاصلون بين الاعراب يسالون كل قادم منهم من جانب المدينة عن انبائكم عن اخباركم وعما
جرى عليكم ولو كانوا فيكم ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال ما قاتلوا الا قليلا لم يقاتلوا الا تعلة
رياء وسمعة وقرئ بدى على فعل جمع باد كغاز وغزى وفي رواية صاحب الاقليد بديا
يتساءلون اي يتساءلون ومعناه يقول بعضهم لبعض ماذا سمعت ماذا بلغك او
يتساءلون الاعراب كما تقول تراءينا الهلال وترائيناه لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة
كان عليكم ان تواسوا رسول الله بانفسكم فتوازروه وتثبتوا معه كما آساكم بنفسه في الصبر

على الجهاد

على الجهاد والثبات في مرحى الحرب حتى كسرت رباعيته يوم احد وشج وجهه فان قلت فما
حقيقة قوله لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة اي قدوة وهو المؤتسى به اي المقتدى به كما
تقول في البيضة عشرون منا حديد اي هي في نفسها هذا المبلغ من الحديد والثاني ان فيه
خصلة من حقها ان يؤتسى بها وتتبع وهي المواساة بنفسه لمن كان يرجو الله واليوم الآخر
بدل من لكم كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم يرجو الله واليوم الآخر من قولك رجوت زيدا
وفضله اي فضل زيد او يرجو ايام الله واليوم الآخر خصوصا والرجاء بمعنى الامل او الخوف وذكر
الله كثيرا وقرن الرجاء بالطاعات والتوفر على الاعمال الصالحة والمؤتسي برسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم من كان كذلك ولما راى المؤمنون الاحزاب وعدهم الله ان يزلزلوا حتى
يستغيثوه ويستنصروه في قوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم
فلما جاء الاحزاب وشخص بهم واضطربوا ورعبوا الرعب الشديد قالوا هذا ما وعدنا الله
ورسوله وصدق الله ورسوله وايقنوا بالجنة والنصر وعن ابن عباس قال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم ان الاحزاب سائرون اليكم تسعا او عشرا اي في آخر تسع ليال او عشر فلما راوهم قد
اقبلوا للميعاد قالوا ذلك وهذا اشارة الى الخطب او البلاء وما زادهم الا ايمانا بالله وبمواعيده
وتسليما لقضائه واقداره من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه نذر رجال
من الصحابة انهم اذا لقوا حربا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمن
بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وحمزة ومصعب بن عمير وغيرهم
فمنهم من قضى نحبه يعني حمزة ومصعبا ومنهم من ينتظر يعني عثمن وطلحة وفي الحديث من احب
ان ينظر الى شهيد يمشي على وجه الارض فلينظر الى طلحة فان قلت ما قضاء النحب قلت وقع عبارة
عن الموت لان كل حي لا بد له من ان يموت فكانه نذر لازم في رقبته فاذا مات فقد قضى نحبه اي
نذره وقوله فمنهم من قضى نحبه يحتمل موته شهيدا ويحتمل وفاءه بنذره من الثبات مع رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم فان قلت فما حقيقة قوله صدقوا ما عاهدوا الله عليه قلت يقال صدقني اخوك
وكذبني اذا قال لك الصدق والكذب واما المثل صدقني سن بكره فمعناه صدقني في سن بكره بطرح الجار وايصال
الفعل فلا يخلو ما عاهدوا الله عليه اما ان يكون بمنزلة السن في طرح الجار واما ان يجعل المعاهد
عليه مصدوقا على المجاز كانهم قالوا للمعاهد عليه سنفي بك وهم وافون به فقد صدقوه ولو كانوا
ناكثين لكذبوه ولكان مكذوبا وما بدلوا تبديلا وما بدلوا العهد ولا غيروه لا المستشهد ولا
من ينتظر الشهادة ولقد ثبت طلحة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم احد حتى اصيبت يده فقال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اوجب طلحة وفيه تعريض بمن بدلوا من اهل النفاق ومرض
القلوب ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم ان
الله كان غفورا رحيما جعل المنافقون كانهم قصدوا عاقبة السوء واراداها بتبديلهم كما
قصد الصادقون عاقبة الصدق بوفائهم لان كلا الفريقين مسوق الى عاقبته من الثواب
والعقاب فكانهما استويا في طلبها والسعي لتحصيلها ويعذبهم ان شاء اذا لم يتوبوا او يتوب عليهم
اذا تابوا ورد الله الذين كفروا الاحزاب بغيظهم مغيظين كقوله تنبت بالدهن لم ينالوا
خيرا غير ظافرين وهما حالان بتداخل او تعاقب ويجوز ان تكون الثانية بيانا للاولى او استئنافا
وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا وانزل الذين ظاهروهم من اهل
الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتاسرون فريقا واورثكم
ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم تطؤوها وكان الله على كل شيء قديرا وانزل
الذين ظاهروا الاحزاب من اهل الكتاب من صياصيهم من حصونهم والصيصية ما تحصن به
يقال لقرن الثور والظبي صيصية ولشوكة الديك وهي مخلبه التي في ساقه لانه يتحصن بها
روي ان جبريل عليه الصلوة والسلام اتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صبيحة الليلة التي انهزم
فيها الاحزاب ورجع المسلمون الى المدينة ووضعوا سلاحهم على فرسه الحيزوم والغبار على وجه
الفرس وعلى السرج فقال ما هذا يا جبريل قال من متابعة قريش فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
يمسح الغبار عن وجه الفرس وعن سرجه فقال يا رسول الله ان الملائكة لم تضع السلاح ان الله يامرك

السير الى بني قريظة وانا عامد اليهم وان الله دقهم دق البيض على الصفا وانهم لكم طعمة فاذن
في الناس ان من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا في بني قريظة فما صلى كثير من الناس العصر
الا بعد العشاء الاخرة لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم
الحصار فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تنزلون على حكمي فابوا فقال على حكم سعد بن
معاذ فرضوا به فقال سعد حكمت فيهم ان تقتل مقاتلهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم فكبر النبي صلى
الله عليه وآله وسلم وقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة ثم استنزلهم وخندق في سوق
المدينة خندقا وقدمهم فضرب اعناقهم وهم من ثمانمائة الى تسعمائة وروى ان رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم جعل عقارهم للمهاجرين دون الانصار فقالت الانصار في ذلك فقال انكم في
منازلكم وقال عمر اما تخمس كما خمست يوم بدر قال لا انما جعلت هذه لي طعمة دون الناس
قال رضينا بما صنع الله ورسوله وارضا لم تطؤها عن الحسن فارس والروم وعن قتادة
كنا نحدث انها مكة وعن مقاتل هي خيبر وعن عكرمة كل ارض تفتح الى يوم القيامة ومن بدع التفاسير
انه اراد نساءهم **يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين
امتعكن واسرحكن سراحا جميلا ● وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة
فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما ●** اردن شيئا من الدنيا من ثياب وزيادة نفقة
وتغايرن فغم ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت فبدأ بعائشة وكانت احبهن اليه
فخيرها وقرأ عليها القرآن فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة فرئي الفرح في وجه
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم اختارت جميعهن اختيارها فشكر الله لهن ذلك وانزل الله تعالى
لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج وروى انه قال لعائشة اني ذاكر لك امرا ولا
عليك الا تعجلي فيه حتى تستأمري ابويك ثم قرأ عليها القرآن فقالت افي هذا استأمر ابوي
فاني اريد الله ورسوله والدار الآخرة وروى انها قالت لا تخبر ازواجك اني اخترتك فقال انما بعثني الله
مبلغا ولم يبعثني متعنتا فان قلت ما حكم التخيير في الطلاق قلت اذا قال لها اختاري فقالت
اخترت نفسي او قال اختاري نفسك فقالت اخترت لا بد من ذكر النفس في قول المخير او المخيرة وقعت
طلقة بائنة عند ابي حنيفة واصحابه واعتبروا ان يكون ذلك في المجلس قبل القيام او الاشتغال بما
يدل على الاعراض واعتبر الشافعي اختيارها على الفور وهي عنده طلقة رجعية وهو مذهب عمر
وابن مسعود وعن الحسن وقتادة والزهري امرها بيدها في ذلك المجلس وفي غيره واذا اختارت
زوجها لم يقع شيء باجماع فقهاء الامصار وعن عائشة رضي الله عنها خيرنا رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم فاخترناه ولم يعده طلاقا وروي افكان طلاقا وعن علي رضي الله عنه اذا اختارت
زوجها فليس بشيء اصل تعال ان يقوله من في المكان المرتفع لمن في المكان المستوطى ثم كثر حتى استوى
استعماله في الامكنة ومعنى تعالين اقبلن بارادتكن واختياركن لاحد الامرين ولم يرد نهوضهن
اليه بانفسهن كما تقول اقبل يخاصمني وذهب يكلمني وقام يهددني امتعكن اعطكن متعة
الطلاق فان قلت المتعة في الطلاق واجبة ام لا قلت المطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها
متعتها واجبة عند ابي حنيفة واصحابه واما سائر المطلقات فمتعتهن مستحبة وعن الزهري
متعتان احدهما يقضي بها السلطان من طلق قبل ان يفرض ويدخل بها والثانية حق على المتقين
من طلق بعد ما يفرض ويدخل وخاصمت امرأة الى شريح في المتعة فقال متعها ان كنت من المتقين
ولم يجبره وعن سعيد بن جبير المتعة حق مفروض وعن الحسن لكل مطلقة متعة الا المختلعة
والملاعنة والمتعة درع وخمار وملحفة على حسب السعة والاقتار الا ان يكون نصف مهرها
اقل من ذلك فيجب لها الاقل منهما ولا تنقص من خمسة دراهم لان اقل المهر عشرة دراهم فلا تنقص
من نصفها فان قلت ما وجه قراءة من قرأ امتعكن واسرحكن بالرفع قلت وجهه الاستئناف
سراحا جميلا من غير ضرار طلاقا بالسنة **يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة** من
للبيان لا للتبعيض الفاحشة السيئة البليغة في القبح وهي الكبيرة والمبينة الظاهر فحشها والمراد
كل ما اقترفن من الكبائر وقيل هي عصيانهن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونشوزهن وطلبهن
ما يشق عليه او ما يضيق به ذرعه ويغتم لاجله وقيل الزنا والله عاصم رسوله من ذلك كما مر

في حديث الافك

في حديث الافك **يضاعف لها العذاب ضعفين** وانما ضوعف عذابهن لان ما قبح من سائر
النساء كان اقبح منهن واقبح لان زيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل والمرتبة وزيادة النعمة على العاصي
من المعصي وليس لاحد من النساء مثل فضل نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا على احد منهن
مثل ما لله عليهن من النعمة والجزاء يتبع الفعل وكون الجزاء عقابا يتبع كون الفعل قبيحا فمتى
ازداد قبحا ازداد عقابه شدة ولذلك كان ذم العقلاء للعاصي العالم اشد منه للعاصي الجاهل
لان المعصية من العالم اقبح ولذلك فضل حد الاحرار على حد العبيد حتى ان ابا حنيفة واصحابه
لا يرون الرجم على الكافر **وكان ذلك على الله يسيرا ●** ايذان بان كونهن نساء النبي ليس
بمغن عنهن شيئا وكيف يغني عنهن وهو سبب مضاعفة العذاب فكان داعيا الى تشديد الامر عليهن
غير صارف عنه وقرئ يأت بالتاء والياء مبينة بفتح الياء وكسرها من بين بمعنى تبين يضاعف
ويضعف على البناء للمفعول ونضاعف ونضعف بالياء والنون **ومن يقنت منكن لله ورسوله
وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين واعتدنا لها رزقا كريما ●** وقرئ تقنت وتعمل بالياء والتاء
والنون والقنوت الطاعة وانما ضوعف اجرهن لطلبهن رضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
بحسن الخلق وطيب المعاشرة والقناعة وتوفرهن على عبادة الله **يا نساء النبي لستن كاحد
من النساء** احد في الاصل بمعنى وحد وهو الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث
والواحد وما وراءه ومعنى قوله لستن كاحد من النساء لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء اي اذا تقصيت
امة النساء جماعة جماعة لم توجد منهن جماعة تساويكن في الفضل والسابقة ومثله قوله عز وجل
والذين امنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم يريد بين جماعة واحد منهم تسوية بين جميعهم
في انهم على الحق المبين **ان اتقيتن** ان اردتن التقوى وان كنتن متقيات **فلا تخضعن بالقول** فلا
تجبن بقولكن خاضعا لينا خنثا مثل كلام المريبات **فيطمع الذي في قلبه مرض** اي ريبة وفجور
وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهي على انهن نهين عن الخضوع بالقول ونهي المريض القلب عن الطمع
كانه قيل لا تخضعن فلا يطمع وعن ابن محيصن انه قرأ بكسر الميم وسبيله ضم الياء مع كسرها واسناد الفعل
الى ضمير القول اي فيطمع القول المريب **وقلن قولا معروفا ●** بعيدا من طمع المريب بجد وخشونة
من غير تخنيث او قولا حسنا **وقرن في بيوتكن** بكسر القاف من وقر يقر وقارا او من قر يقر
حذفت الاولى من رائي اقررن ونقلت كسرتها الى القاف كما تقول ظلن وقرن بفتحها واصله اقررن
فحذفت الراء والقيت فتحتها على ما قبلها كقولك ظلن وذكر ابو الفتح الهمداني في كتاب التبيان
وجها اخر قال قار يقار اذا اجتمع ومنه القارة لاجتماعها الا ترى الى قول عضل والديش اجتمعوا
فكونوا قارة **ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى** والجاهلية الاولى هي القديمة التي يقال لها الجاهلية
الجهلاء وهي الزمن الذي ولد فيه ابراهيم عليه الصلاة والسلام كانت المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ فتمشي
وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال وقيل ما بين ادم ونوح وقيل بين ادريس ونوح وقيل
زمن داود وسليمان والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم ويجوز ان تكون
الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق والفجور في
الاسلام فكان المعنى ولا تحدثن بالتبرج جاهلية في الاسلام تتشبهن بها باهل جاهلية الكفر
ويعضده ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لابي الدرداء ان فيك جاهلية قال
جاهلية كفر ام جاهلية اسلام فقال بل جاهلية كفر **واقمن الصلاة واتين الزكاة واطعن
الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا ●
واذكرن ما يتلى في بيوتكن من ايات الله والحكمة** امرهن امرا خاصا بالصلاة والزكاة
ثم جاء به عاما في جميع الطاعات لان هاتين الطاعتين البدنية والمالية هما اصل سائر الطاعات من
اعتنى بهما حق اعتنائه جرتاه الى ما وراءهما ثم بين انه انما نهاهن وامرهن ووعظهن لئلا يقارف
اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المآثم وليتصونوا عنها بالتقوى واستعار للذنوب
الرجس وللتقوى الطهر لان عرض المقترف للمقبحات يتلوث بها ويتدنس كما يتلوث بدنه
بالارجاس واما المحسنات فالعرض منها نقي مصون كالثوب الطاهر وفي هذه الاستعارة
ما ينفر اولي الالباب عما كرهه الله لعباده ونهاهم عنه ويرغبهم فيما رضيه لهم وامرهم به واهل

النسب على النساء وعلى المدح وفي هذا دليل بين على ان نساء النبي من اهل بيته ثم ذكرهن ان بيوتهن
مهابط الوحي وامرهن الا ينسين ما يتلى فيها من الكتاب الجامع بين امرين هو آيات بينات تدل على صدق
النبوة لانه معجزة بنظمه وهو حكمة وعلوم وشرائع إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ۝ حين علم ما ينفعكم
ويصلحكم في دينكم فانزله عليكم او علم من يصلح لنبوته ومن يصلح لان يكونوا اهل بيته او حيث جعل
الكلام الواحد جامعا بين الغرضين إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ
وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ
وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ
وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ۝ روي ان
ازواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم قلن يا رسول الله ذكر الله تعالى الرجال في القرآن بخير فما فينا
خير نذكر به انا نخاف الا يقبل منا طاعة وقيل السائلة ام سلمة وروي انه لما نزل في نساء النبي صلى
الله عليه وآله وسلم ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا شيء فنزلت والمسلم الداخل في السلم بعد الحرب المنقاد
الذي لا يعاند او المفوض امره الى الله تعالى المتوكل عليه من اسلم وجهه الى الله والمؤمن المصدق بالله
ورسوله وبما يجب ان يصدق به والقانت القائم بالطاعة وعن المعاصي والخاشع المتواضع لله بقلبه
وجوارحه وقيل الذي اذا صلى لم يعرف من عن يمينه وشماله والمتصدق الذي يزكي ماله ولا يخل بالنوافل
وقيل من تصدق في اسبوع بدرهم فهو من المتصدقين ومن صام البيض من كل شهر فهو من الصائمين
والذاكر الله كثيرا من لا يكاد يخلو من ذكر الله بقلبه او لسانه او بهما وقراءة القرآن والاشتغال بالعلم
من الذكر وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من استيقظ من نومه وايقظ امرأته فصليا جميعا
ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات والمعنى والحافظاتها والذاكراته فحذف
لان الظاهر يدل عليه فان قلت اي فرق بين العطفين اعني عطف الاناث على الذكور وعطف الزوجين
على الزوجين قلت العطف الاول نحو قوله ثيبات وابكارا في انهما جنسان مختلفان اذا اشتركا
في حكم لم يكن بد من توسيط العاطف بينهما واما العطف الثاني فمن عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع
فكان معناه ان الجامعين والجامعات لهذه الطاعات اعد الله لهم وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ
إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ
ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ۝ خطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زينب بنت جحش بنت عمته اميمة بنت
عبد المطلب على مولاه زيد بن حارثة فابت وابى اخوها عبد الله فنزلت فقال رضينا يا رسول الله
فانكحها اياه وساق اليها مهرها ستين درهما وخمارا وملحفة ودرعا وازارا وخمسين مدا من
طعام وثلاثين صاعا من تمر وقيل هي ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وهي اول من هاجر من
النساء ووهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فزوجها زيدا والمعنى وما صح لرجل ولا امرأة من
المؤمنين اذا قضى الله ورسوله اي رسول الله او لان قضاء رسول الله هو قضاء الله امرا من الامور ان يختاروا
من امرهم ما شاؤوا بل من حقهم ان يجعلوا رايهم تبعا لرايه واختيارهم تلوا لاختياره فان
قلت كان من حق الضمير ان يوحد كما تقول ما جاءني من رجل ولا امرأة الا كان من شانه كذا قلت
نعم ولكنهما وقعا تحت النفي فعما كل مؤمن ومؤمنة فرجع الضمير على المعنى لا على اللفظ وقرئ
يكون بالتاء والياء والخيرة ما يتخير وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بالاسلام الذي هو اجل النعم
وبتوفيقك لعتقه ومحبته واختصاصه وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ بما وفقك الله فيه فهو متقلب في نعمة الله ونعمة
رسوله وهو زيد بن حارثة أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ يعني زينب بنت جحش وذلك ان رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ابصرها بعد ما انكحها اياه فوقعت في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وذلك
ان نفسه كانت تجفو عنها قبل ذلك لا تريدها ولو ارادها لاختطبها وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها
لزيد ففطن والقى الله في نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال
لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اني اريد ان افارق صاحبتي فقال عليه الصلاة والسلام مالك
ارابك منها شيء قال لا والله ما رايت منها الا خيرا ولكنها تتعظم علي لشرفها وتؤذيني فقال
امسك عليك زوجك واتق الله ثم طلقها بعد فلما اعتدت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما
اجد احدا اوثق في نفسي منك اخطب علي زينب قال زيد فانطلقت فاذا هي تخمر عجينها فلما

الدائم عليها والصادق الذي يصدق في نيته وقوله وعمله والصابر الذي يصبر على الطاعات

رايتها عظمت

رايتها عظمت في صدري حتى ما استطيع ان انظر اليها حين علمت ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ذكرها فوليتها ظهري وقلت يا زينب ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخطبك ففرحت وقالت
ما انا بصانعة شيئا حتى اوامر ربي فقامت الى مسجدها ونزل القرآن زوجناكها فتزوجها
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودخل بها وما اولم على امرأة من نسائه ما اولم عليها ذبح شاة واطعم الخبز
واللحم حتى امتد النهار فان قلت ماذا اراد بقوله وَاتَّقِ اللَّهَ قلت اراد واتق الله فلا تذمها
بالنسبة الى الكبر واذى الزوج وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ
أَنْ تَخْشَاهُ فان قلت ما الذي اخفى في نفسه قلت تعلق قلبه بها وقيل مودة مفارقة زيد اياها
وقيل علمه بان زيدا سيطلقها وسينكحها لان الله تعالى قد اعلمه بذلك وعن عائشة رضي الله عنها
لو كتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئا مما اوحي اليه لكتم هذه الاية فان قلت فماذا اراد الله
منه ان يقوله حين قال له زيد اريد مفارقتها وكان من الهجنة ان يقول له افعل فاني اريد نكاحها
قلت كان الذي اراد منه عز وجل ان يصمت عند ذلك او يقول له انت اعلم بشانك حتى لا يخالف
سره علانيته لان الله يريد من الانبياء تساوي الظاهر والباطن والتصلب في الامور والتجاوب في
الاحوال والاستمرار على طريقة مستتبة كما جاء في حديث ارادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قتل
عبد الله بن ابي سرح واعتراض عثمان رضي الله عنه بشفاعته له ان عمر قال له لقد كان عيني الى عينك هل
تشير الي فاقتله فقال ان الانبياء لا تومض ظاهرهم وباطنهم واحد فان قلت كيف عاتبه الله في
ستر ما استهجن التصريح به ولا يستهجن النبي صلى الله عليه وآله وسلم التصريح بشيء الا والشيء في نفسه
مستهجن وقالة الناس لا تتعلق الا بما يستقبح في العقول والعادات وما له لم يعاتبه في نفس الامر
ولم يامره بقمع الشهوة وكف النفس عن ان تنازع الى زينب وتتبعها ولم يعصم نبيه عن تعلق
الهجنة به وما يعرضه للقالة قلت كم من شيء يتحفظ منه الانسان ويستحيي من اطلاع الناس
عليه وهو في نفسه مباح متسع وحلال مطلق لا مقال فيه ولا عيب عند الله وربما كان الدخول
في ذلك المباح سلما الى حصول واجبات يعظم اثرها في الدين ويجل ثوابها ولو لم يتحفظ منه لاطلق
كثير من الناس فيه السنتهم الا من اوتي فضلا وعلما ودينا ونظرا في حقائق الامور ولبوبها
دون قشورها الا ترى انهم كانوا اذا طعموا في بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوا مرتكزين
في مجالسهم لا يريمون مستانسين بالحديث وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يؤذيه قعودهم
ويضيق صدره حديثهم والحياء يصده ان يامرهم بالانتشار حتى نزلت ان ذلكم كان يؤذي
النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق ولو ابرز رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكنون ضميره
وامرهم ان ينتشروا لشق عليهم ولكان بعض القالة فهذا من ذاك القبيل لان طموح قلب الانسان
الى بعض مشتهياته من امرأة او غيرها غير موصوف بالقبح في العقل ولا في الشرع لانه ليس بفعل الا
نسان ولا وجوده باختياره وتناول المباح بالطريق الشرعي ليس بقبيح ايضا وهو خطبة زي
نب ونكاحها من غير استنزال زيد عنها ولا طلب اليه وهو اقرب اليه من زر قميصه ان يواسيه بمفارقتها
مع قوة العلم بان نفس زيد لم تكن تتعلق بها ونفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متعلقة بها
ولم يكن مستنكرا عندهم ان ينزل الرجل عن امرأته لصديقه ولا مستهجنا اذا نزل عنها ان ينكحها الآخر
فان المهاجرين حين دخلوا المدينة استهم الانصار بكل شيء حتى ان الرجل منهم اذا كانت له امرأتان
نزل عن احداهما وانكحها المهاجر واذا كان الامر مباحا من جميع جهاته ولم يكن فيه وجه من وجوه
القبح ولا مفسدة ولا مضرة بزيد ولا باحد بل كان مستجرا مصالح ناهيك بواحدة منها ان بنت عمة
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم امنت الايمة والضيعة ونالت الشرف وعادت اما من امهات
المسلمين الى ما ذكر الله من المصلحة العامة في قوله لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا
منهن وطرا فبالحري ان يعاتب الله رسوله حين كتمه وبالغ في كتمانه بقوله امسك عليك زوجك
واتق الله وان لا يرضى له الا اتحاد الضمير والظاهر والثبات في مواطن الحق حتى يقتدي به المؤمنون
فلا يستحيوا من المكافحة بالحق وان كان مرا فان قلت الواو في وتخفي في نفسك وتخشى الناس
والله احق ما هي قلت واو الحال اي تقول لزيد امسك عليك زوجك مخفيا في نفسك ارادة ان لا يمسكها
وتخفي خاشيا قالة الناس وتخشى الناس حقيقا في ذلك بان تخشى الله او واو العطف كانه قيل

واذ جمع بين قولك امسك واخفا خلافه وخشيت الناس والله احق ان تخشاه حتى لا تفعل مثل ذلك **فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا** اذا بلغ البالغ حاجته من شيء له فيه همة قيل قضى منه وطره والمعنى فلما لم يبق لزيد فيها حاجة وتقاصرت عنها همته وطابت عنها نفسه وطلقها وانقضت عدتها زوجناكها وقراءة اهل البيت زوجتكها وقيل لجعفر بن محمد الصادق اليس تقرأ على غير ذلك فقال لا والذي لا اله الا هو ما قراتها على ابي الا كذلك ولا قراها الحسن بن علي على ابيه الا كذلك ولا قراها علي بن ابي طالب على النبي صلى الله عليه وآله وسلم الا كذلك **وكان امر الله مفعولا** جملة اعتراضية يعني وكان امر الله الذي يريد ان يكونه مفعولا مكونا لا محالة وهو مثل لما اراد كونه من تزويج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زينب ومن نفي الحرج عن المؤمنين في اجراء ازواج المتبنين مجرى ازواج البنين في تحريمهن عليهم بعد انقطاع علائق الازواج بينهم وبينهن ويجوز ان يراد بامر الله المكون لانه مفعول بكن وهو امره **ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له** قسم له واوجب من قولهم فرض لفلان في الديوان كذا ومنه فروض العسكر لرزقاتهم **سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان امر الله قدرا مقدورا** سنة اسم موضوع موضع المصدر كقولهم تربا وجندلا مؤكد لقوله ما كان على النبي من حرج كانه قيل سن الله ذلك سنة في الانبياء الماضين وهو ان لا يحرج عليهم في الاقدام على ما اباح لهم ووسع عليهم في باب النكاح وغيره وقد كانت تحتهم المهائر والسراري وكانت لداود عليه الصلوة والسلام مائة امرأة وثلاثمائة سرية ولسليمان عليه الصلاة والسلام ثلاثمائة وسبعمائة في الذين خلوا الانبياء الذين مضوا **الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله** والذين يبلغون يحتمل وجوه الاعراب الجر على الوصف للانبياء والرفع والنصب على المدح على هم الذين يبلغون او على اعني الذين يبلغون وقرئ رسالة الله قدرا مقدورا قضاء مقضيا وحكما مبتوتا ووصف الانبياء بانهم لا يخشون الا الله تعريض بعد التصريح في قوله وتخشى الناس والله احق ان تخشاه **وكفى بالله حسيبا** كافيا للمخاوف او محاسبا على الصغيرة والكبيرة فيجب ان يكون حق الخشية من مثله **ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما** اي لم يكن ابا رجل منكم على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الاب وولده من حرمة الصهر والنكاح ولكن كان رسول الله وكل رسول ابو امته فيما يرجع الى وجوب التوقير والتعظيم له عليهم ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه لا في سائر الاحكام الثابتة بين الاباء والابناء وزيد واحد من رجالكم الذين ليسوا باولاده حقيقة فكان حكمه حكمكم والادعاء والتبني من باب الاختصاص والتقريب لا غير وكان خاتم النبيين يعني انه لو كان له ولد بالغ مبلغ الرجال لكان نبيا ولم يكن هو خاتم الانبياء كما يروى انه قال في ابرهيم حين توفي لو عاش لكان نبيا فان قلت اما كان ابا للطاهر والطيب والقاسم وابرهيم قلت قد اخرجوا من حكم النفي بقوله من رجالكم من وجهين احدهما ان هؤلاء لم يبلغوا مبلغ الرجال والثاني انه قد اضاف الرجال اليهم وهؤلاء رجاله لا رجالهم فان قلت اما كان ابا للحسن والحسين رضي الله عنهما قلت بلى ولكنهما لم يكونا رجلين حينئذ وهما ايضا من رجاله لا من رجالهم وشيء اخر وهو انه انما قصد ولده خاصة لا ولد ولده لقوله وخاتم النبيين الا ترى ان الحسن والحسين عليهما السلام قد عاشا الى ان نيف احدهما على الاربعين والاخر على الخمسين وقرئ ولكن رسول الله بالنصب عطفا على ابا احد وبالرفع على ولكن هو رسول الله ولكن بالتشديد على حذف الخبر تقديره ولكن رسول الله من عرفتموه اي لم يعش له ولد ذكر وخاتم بفتح التاء بمعنى الطابع وبكسرها بمعنى الطابع وفاعل الختم وتقويه قراءة ابن مسعود ولكن نبيا ختم النبيين فان قلت كيف كان اخر الانبياء وعيسى عليه الصلوة والسلام ينزل في اخر الزمان قلت معنى كونه اخر الانبياء انه لا ينبأ احد بعده وعيسى عليه الصلوة والسلام ممن نبئ قبله وحين ينزل ينزل عاملا على شريعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم مصليا الى قبلته كانه بعض امته **يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا** اثنوا عليه بضروب الثناء من التقديس والتحميد والتهليل والتكبير وما هو اهله واكثروا ذلك بكرة واصيلا اي في كافة الاوقات قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

الرزقة بالفتح المرة الواحدة والجمع الرزقات وهي ارزاق الجند

حكمكم

ذكر الله على فم

ذكر الله على فم كل مسلم وعن قتادة قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله وعن مجاهد هذه كلمات يقولها الطاهر والجنب والفعلان اعني اذكروا وسبحوه موجهان الى البكرة والاصيل كقولك صم وصل يوم الجمعة والتسبيح من جملة الذكر وانما اختصه من بين انواعه اختصاص جبريل وميكائيل من بين الملائكة ليبين فضله على سائر الاذكار لان معناه تنزيه ذاته عما لا يجوز عليه من الصفات والافعال وتبرئته من القبائح ومثال فضله على غيره من الاذكار فضل وصف العبد بالنزاهة من ادناس المعاصي والطهر من ارجاس المآثم على سائر اوصافه من كثرة الصلوة والصيام والتوفر على الطاعات كلها والاشتمال على العلوم والاشتهار بالفضائل ويجوز ان يريد بالذكر واكثاره تكثير الطاعات والاقبال على العبادات فان كل طاعة وكل خير من جملة الذكر ثم خص من ذلك التسبيح بكرة واصيلا وهي الصلوة في جميع اوقاتها لفضل الصلوة على غيرها او صلوة الفجر والعشاءين لان اداءها اشق ومراعاتها اشد **هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور** لما كان من شان المصلي ان ينعطف في ركوعه وسجوده استعير لمن ينعطف على غيره حنوا عليه وترؤفا كعائد المريض في انعطافه عليه والمرأة في حنوها على ولدها ثم كثر حتى استعمل في الرحمة والترؤف ومنه قولهم صلى الله عليك اي ترحم عليك وترأف فان قلت قوله هو الذي يصلي عليكم ان فسرته بيترحم عليكم ويترأف فما تصنع بقوله وملائكته وما معنى صلاتهم قلت هي قولهم اللهم صل على المؤمنين جعلوا لكونهم مستجابي الدعوة كانهم فاعلون الرحمة والرأفة ونظيره قولك حياك الله اي احياك وابقاك وحييتك اي دعوت لك بان يحييك الله لانك لاتكالك على اجابة دعوتك كانك تبقيه على الحقيقة وكذلك عمرك الله وعمرتك وسقاك الله وسقيتك وعليه قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه اي ادعوا الله بان يصلي عليه والمعنى هو الذي يترحم عليكم ويترأف حيث يدعوكم الى الخير ويامركم باكثار الذكر والتوفر على الصلوة والطاعة ليخرجكم من ظلمات المعصية الى نور الطاعة **وكان بالمؤمنين رحيما** دليل على ان المراد بالصلوة الرحمة ويروى انه لما نزل قوله ان الله وملائكته يصلون على النبي قال ابو بكر ما خصك الله يا رسول الله بشرف الا وقد اشركنا فيه فنزلت **تحيتهم يوم يلقونه سلام** من اضافة المصدر الى المفعول اي يحيون يوم لقائه بسلام فيجوز ان يعظمهم الله تعالى بسلامه عليهم كما يفعل بهم سائر انواع التعظيم وان يكون مثلا كاللقاء على ما فسرنا وقيل هو سلام ملك الموت والملائكة معه عليهم وبشارتهم بالجنة وقيل سلام الملائكة عند الخروج من القبور وقيل عند دخول الجنة كما قال والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم **واعد لهم اجرا كريما** والاجر الكريم الجنة **يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله** شاهدا على من بعثت اليهم وعلى تكذيبهم وتصديقهم اي مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل في الحكم فان قلت وكيف كان شاهدا وقت الارسال وانما يكون شاهدا عند تحمل الشهادة او عند ادائها قلت هي حال مقدرة كمسئلة الكتاب مررت برجل معه صقر صائدا به غدا اي مقدرا به الصيد غدا فان قلت قد فهم من قوله انا ارسلناك داعيا انه ماذون له في الدعاء فما فائدة قوله **باذنه** قلت لم يرد به حقيقة الاذن وانما جعل الاذن مستعارا للتسهيل والتيسير لان الدخول في حق المالك متعذر فاذا صودف الاذن تسهل وتيسر فلما كان الاذن تسهيلا لما تعذر من ذلك وضع موضعه وذلك ان دعاء اهل الشرك والجاهلية الى التوحيد والشرائع امر في غاية الصعوبة والتعذر فقيل باذنه للايذان بان الامر صعب لا يتاتى ولا يستطاع الا اذا سهله الله ويسره ومنه قولهم في الشحيح انه غير ماذون له في الانفاق اي غير مسهل له الانفاق لكونه شاقا عليه داخلا في حد التعذر **وسراجا منيرا** جلى به الله ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يجلى ظلام الليل بالسراج ويهتدى به او امد الله بنور نبوته نور البصائر كما يمد بنور السراج نور الابصار ووصفه بالانارة لان من السراج ما لا يضيء اذا قل سليطه ودقت فتيلته وفي كلام بعضهم ثلاثة تضني رسول بطيء وسراج لا يضيء ومائدة ينتظر لها من يجيء وسئل بعضهم عن الموحشين فقال ظلام ساتر وسراج فاتر وقيل وذا سراج منير او وتاليا سراجا منيرا

حال

المنير

ويجوز على هذا التفسير ان يعطف على كاف ارسلناك وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا
الفضل ما يتفضل به عليهم زيادة على الثواب واذا ذكر المتفضل به وكبره فما ظنك بالثواب ويجوز ان يريد
بالفضل الثواب من قولهم للعطايا فضول وفواضل وان يريد ان لهم فضلا كبيرا على ساير الامم وذلك
الفضل من جهة الله تعالى وانه اتاهم ما فضلوهم به ولا تطع الكافرين والمنافقين معناه الدوام والثبات
على ما كان عليه او التهييج ودع اذاهم يحتمل اضافته الى الفاعل والمفعول يعني ودع ان تؤذيهم بضرر
او قتل وخذ بظاهرهم وحسابهم على الله في باطنهم او ودع ما يؤذونك به ولا تجازهم عليه حتى
تؤمر وعن ابن عباس هي منسوخة باية السيف وتوكل على الله فانه يكفيكهم وكفى بالله
وكيلا ﴿﴾ وكفى به مفوضا اليه وقال الزجاج وصفه الله تعالى بخمسة اوصاف وقابل كل واحد
منها بخطاب مناسب له قابل الشاهد بقوله وبشر المؤمنين لانه يكون شاهدا على امته وهم
يكونون شهداء على ساير الامم وهو الفضل الكبير والمبشر بالاعراض عن الكافرين والمنافقين
لانه اذا اعرض عنهم اقبل جميع اقباله على المؤمنين وهو مناسب للبشارة والنذير بدع اذاهم
لانه اذا ترك اذاهم في الحاضر والاذى لا بد له من عقاب عاجل او اجل كانوا منذرين به في المستقبل
والداعي الى الله بتيسيره بقوله وتوكل على الله لان من توكل على الله يسر عليه كل عسير والسراج
المنير بالاكتفاء به وكيلا لان من اناره الله برهانا على جميع خلقه كان حريا بان يكتفى به عن
جميع خلقه يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المؤمنات النكاح الوطء وتسمية العقد نكاحا لملابسته
له من حيث انه طريق اليه ونظيره تسميتهم الخمر اثما لانها سبب في اقتراف الاثم ونحوه في علم البيان
قول الراجز اسنمة الآبال في سحابه ﴿﴾ اسنمة الآبال في سحابه ﴿﴾
سمي الماء بأسنمة الآبال لانه سبب سمن المال وارتفاع اسنمته ولم يرد في لفظ النكاح في كتاب الله
تعالى الا في معنى العقد لان الوطء من باب التصريح به ومن اداب القران الكناية عنه بلفظ الملامسة
والمماسة والقربان والتغشي والاتيان فان قلت لم خص المؤمنات والحكم الذي نطقت به
الاية تستوي فيه المؤمنات والكتابيات قلت في اختصاصهن تنبيه على ان اصل امر المؤمن
والاولى به ان يتخير لنطفته والا ينكح الا مؤمنة عفيفة ويتنزه عن مزاوجة الفواسق فما
بال الكوافر ويستنكف ان يدخل تحت لحاف واحد عدوة الله ووليه فالتي في سورة المائدة
تعليم ما هو جائز غير محرم من نكاح المحصنات من الذين اوتوا الكتاب وهذه فيها تعليم ما هو
الاولى بالمؤمنين من نكاح المؤمنات فان قلت فما فائدة ثم في قوله ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن
قلت فائدته نفي التوهم عمن عسى يتوهم تفاوت الحكم بين ان يطلقها وهي قريبة العهد من
النكاح وبين ان يبعد عهدها بالنكاح وتتراخى بها المدة في حباله الزوج ثم يطلقها فان قلت اذا خلا
بها خلوة صحيحة يمكنه معها المساس هل يقوم ذلك مقام المساس قلت نعم عند ابي حنيفة واصحابه
حكم الخلوة الصحيحة حكم المساس وقوله فما لكم عليهن من عدة تعتدونها دليل على ان العدة حق
واجب على النساء للرجال تعتد وبها تستوفون عددها من قولك عددت الدراهم فاعتدها كقولك
كلته فاكتاله ووزنته فاتزنته وقرئ تعتدونها مخففا اي تعتدون فيها كقوله ويوم شهدناه
والمراد بالاعتداء ما في قوله تعالى ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا فمتعوهن فان قلت ما هذا التمتيع
واجب ام مندوب اليه قلت ان كان غير مفروض لها كانت المتعة واجبة ولا يجب المتعة لها الا
وحدها دون ساير المطلقات وان كانت مفروضا لها فالمتعة مختلف فيها فبعض على الندب والاستحباب
ومنهم ابو حنيفة وبعض على الوجوب وسرحوهن سراحا جميلا ﴿﴾ من غير ضرار ولا منع واجب
يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك
وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامراة
مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان اراد النبي ان يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين ﴿﴾
اجورهن مهورهن لان المهر اجر على البضع وايتاؤها اما اعطاؤها عاجلا واما فرضها وتسميتها
في العقد فان قلت لم قال اللاتي اتيت اجورهن ومما افاء الله عليك واللاتي هاجرن معك وما
فائدة هذه التخصيصات قلت قد اختار الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم الافضل الاولى
واستحبه بالاطيب الازكى كما اختصه بغيرها من الخصايص وآثره بما سواها من الاثرة وذلك ان

تسمية المهر في العقد اولى وافضل من ترك التسمية وان وقع العقد جايزا وله ان يمسها وعليه مهر
المثل ان دخل بها والمتعة ان لم يدخل بها وسوق المهر اليها عاجلا افضل من ان يسميه ويؤجله وكان التعجيل
ديدن السلف وسنتهم وما لا يعرف بينهم غيره وكذلك الجارية اذا كانت سبية مالكها وخطبة
سيفه ورمحه ومما غنمه الله تعالى من دار الحرب احل واطيب مما يشترى من شق الجلب والسبي على ضربين
سبي طيبة وسبي خبثة فسبي الطيبة ما سبي من اهل الحرب واما من كان له عهد فالمسبي منهم سبي
خبثة ويدل عليه قوله تعالى مما افاء الله عليك لان فيء الله لا يطلق الا على الطيب دون الخبيث كما
ان رزق الله يجب اطلاقه على الحلال دون الحرام وكذلك اللاتي هاجرن مع رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم من قرابته غير المحارم افضل من غير المهاجرات معه وعن ام هانئ بنت ابي طالب خطبني
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله هذه الاية فلم احل له لاني لم
اهاجر معه كنت من الطلقاء واحللنا لك من وقع لها ان تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا من النساء
المؤمنات ان اتفق ذلك ولذلك نكرها واختلف في اتفاق ذلك فعن ابن عباس لم يكن عند
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم احد منهن بالهبة وقيل الموهوبات اربع ميمونة بنت الحارث وزينب
بنت خزيمة ام المساكين الانصارية وام شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم وقرئ ان وهبت
على الشرط وقرأ الحسن أن بالفتح على التعليل بتقدير حذف اللام ويجوز ان يكون مصدرا محذوفا معه
الزمان كقولك اجلس ما دام جالسا بمعنى وقت دوامه جالسا ووقت هبتها نفسها وقرأ ابن
مسعود بغير ان فان قلت ما معنى الشرط الثاني مع الاول قلت هو تقييد له شرط في
الاحلال هبتها نفسها وفي الهبة ارادة استنكاح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانه قال احللناها
لك ان وهبت لك نفسها وانت تريد ان تستنكحها لان ارادته هي قبول الهبة وما به تتم فان قلت
لم عدل عن الخطاب الى الغيبة في قوله نفسها للنبي ان اراد النبي ان يستنكحها ثم رجع الى الخطاب
قلت للايذان بانه مما خص به واوثر ومجيئه على لفظ النبي للدلالة على ان الاختصاص تكرمة
له لاجل النبوة وتكريره تفخيم له وتقرير لاستحقاقه الكرامة لنبوته واستنكاحها طلب نكاحها
والرغبة فيه وقد استشهد به ابو حنيفة رحمه الله على جواز عقد النكاح بلفظ الهبة لان رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم وامته سواء في الاحكام الا فيما خصه الدليل وقال الشافعي رحمه الله لا يصح
وقد خص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمعنى الهبة ولفظها جميعا لان اللفظ تابع للمعنى والمدعي
للاشتراك في اللفظ يحتاج الى دليل وقال ابو الحسن الكرخي ان عقد النكاح بلفظ الاجارة
جايز لقوله تعالى اللاتي اتيت اجورهن وقال ابو بكر الرازي لا يصح لان الاجارة عقد موقت وعقد
النكاح مؤبد فهما متنافيان خالصة مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله اي خلص لك احلال ما احللنا
لك خالصة بمعنى خلوصا والفاعل والفاعلة في المصادر غير عزيز كالخارج والقاعد والعافية
والكاذبة والدليل على انها وردت في اثر الاحلال الاربع مخصوصة برسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم على سبيل التوكيد لها قوله قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم وما ملكت ايمانهم بعد قوله من دون
المؤمنين وهي جملة اعتراضية وقوله لكيلا يكون عليك حرج متصل بخالصة لك من دون
المؤمنين ومعنى هذه الجملة الاعتراضية ان الله قد علم ما يجب فرضه على المؤمنين في الازواج والاماء وعلى اي حد وصفة يجب
ان يفرض عليهم ففرضه وعلم المصلحة في اختصاص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما اختصه به ففعل
ومعنى لكيلا يكون عليك حرج لكيلا يكون عليك ضيق في دينك حيث اختصصناك بالتنزيه واختيار ما هو اولى
وافضل وفي دنياك حيث احللنا لك اجناس المنكوحات وزدناك الواهبة نفسها وقرئ خالصة بالرفع
اي ذاك خلوص لك وخلوص من دون المؤمنين ومن جعل خالصة نعتا للمراة فعلى مذهبه خالصة لك
من دونهم وكان الله غفورا للواقع في الحرج اذا تاب رحيما ﴿﴾ بالتوسعة على عباده ترجي من تشاء منهن
وتؤوي اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك روي ان امهات المؤمنين حين
تغايرن وابتغين زيادة النفقة وغظن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هجرهن شهرا ونزل التخيير
فاشفقن ان يطلقهن فقلن يا رسول الله افرض لنا من نفسك ومالك ما شئت وروي ان عايشة قالت
يا رسول الله اني ارى ربك يسارع في هواك ترجي بهمز وبغير همز تؤخر وتؤوي تضم يعني تترك
مضاجعة من تشاء وتطلق من تشاء وتمسك من تشاء ولا تقسم لاينهن شئت وتقسم لمن شئت او تترك

سوقه
تجليلهم
عي
فع
عند ابي حنيفة
تسمية المهر

تزوج من شئت من نسائك امتك ويتزوج من شئت ومن الحسن كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا خطب
امرأة لم يكن لاحد ان يخطبها حتى يدعها وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لانه اما ان يطلق واما ان يمسك
فاذا امسك ضاجع او ترك وقسم او لم يقسم واذا طلق او عزل فاما ان يخلي المعزولة لا يبتغيها او
يبتغيها وروي انه ارجى منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة وام حبيبة فكان يقسم لهن
ما شاء وكانت ممن آوى اليه عائشة وحفصة وام سلمة وزينب ارجى خمسا وآوى اربعا وروي
انه كان يسوي مع ما اطلق له وخير فيه الا سودة فانها وهبت ليلتها لعائشة وقالت لا تطلقني حتى
احشر في زمرة نسائك ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن ذلك
التفويض الى مشيئتك ادنى الى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لانه اذا سوى بينهن في
الايواء والارجاء والعزل والابتغاء وارتفع التفاضل ولم يكن لاحداهن مما تريد ومما لا تريد الا مثل
ما للاخرى وعلمن ان هذا التفويض من عند الله وبوحيه اطمأنت نفوسهن وذهب التنافس
والتغاير وحصل الرضا وقرت العيون وسلت القلوب والله يعلم ما في قلوبكم وعيد لمن لم
ترض منهن بما دبر الله من ذلك وفوض الى مشيئة رسوله وبعث على تواطؤ قلوبهن والتصافي
بينهن والتوافق على طلب رضا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما فيه طيب نفسه وقرئ تقر اعينهن
بضم التاء ونصب الاعين وتقر اعينهن على البناء للمفعول وكان الله عليما بذات الصدور حليما
لا يعاجل بالعقاب فهو حقيق بان يتقى ويحذر كلهن تأكيد لنون يرضين وقرأ ابن مسعود ويرضين
كلهن بما آتيتهن على التقديم وقرئ كلهن تأكيدا لهن في آتيتهن لا يحل لك النساء وقرئ بالتذكير
لان تأنيث الجمع غير حقيقي واذا جاز بغير فصل فكان مع الفصل اجوز من بعد من بعد
التسع لان التسع نصاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الازواج كما ان الاربع نصاب امته منهن
فلا يحل له ان يتجاوز النصاب ولا ان تبدل بهن من ازواج ولا ان تستبدل بهؤلاء التسع ازواجا اخر
بكلهن او بعضهن اراد الله لهن كرامة وجزاء على ما اخترن ورضين فقصر رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم عليهن وهن التسع اللاتي مات عنهن عائشة بنت ابي بكر وحفصة بنت عمر ام حبيبة بنت ابي
سفيان سودة بنت زمعة ام سلمة بنت ابي امية صفية بنت حيي الخيبرية ميمونة بنت الحارث
الهلالية زينب بنت جحش الاسدية جويرية بنت الحارث المصطلقية من في من ازواج لتأكيد
النفي وفائدته استغراق جنس الازواج بالتحريم وقيل معناه لا تحل لك النساء من بعد النساء اللاتي
نص احلالهن لك من الاجناس الاربعة من الاعرابيات والغرائب او من الكتابيات او من الاماء بالنكاح
وقيل في تحريم التبدل هو من البدل الذي كان في الجاهلية كان يقول الرجل للرجل بادلني بامرأتك وابادلك بامرأتي
فينزل كل واحد منهما عن امرأته لصاحبه ويروى ان عيينة بن حصن دخل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم
وعنده عائشة من غير استئذان فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اين الاستئذان قال يا رسول
الله ما استأذنت على رجل قط من مضر منذ ادركت ثم قال من هذه الجميلة الى جنبك فقال عليه الصلاة
هذه عائشة ام المؤمنين قال افلا انزل لك عن احسن الخلق فقال صلى الله عليه وآله وسلم ان
الله قد حرم ذلك فلما خرج قالت عائشة من هذا يا رسول الله قال احمق مطاع وانه على ما ترين لسيد
قومه وعن عائشة رضي الله عنها ما مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى احل له النساء تعني
ان الآية قد نسخت ولا يخلو نسخها اما ان يكون بالسنة واما بقوله انا احللنا لك ازواجك وترتيب النزول
ليس على ترتيب المصحف ولو اعجبك حسنهن في موضع الحال من الفاعل وهو الضمير في تبدل
لا من المفعول الذي هو من ازواج لانه متوغل في التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن وقيل
هي اسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن ابي طالب والمراد انها ممن اعجبه حسنهن الا ما ملكت
يمينك واستثنى ممن حرم عليه الاماء وكان الله على كل شيء رقيبا حافظا مهيمنا وهو تحذير
عن مجاوزة حدوده وتخطي حلاله الى حرامه يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان
يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا
ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي
من الحق ان يؤذن في معنى الظرف تقديره وقت ان يؤذن لكم وغير ناظرين حال من لا تدخلوا وقع
الاستثناء على الوقت والحال معا كانه قيل لا تدخلوا بيوت النبي الا وقت الاذن ولا تدخلوها الا غير

ناظرين وهؤلاء قوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين
لادراكه ومعناه لا تدخلوا يا هؤلاء المتحينون للطعام الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه والا
فلو لم يكن لهؤلاء خصوصا لما جاز لاحد ان يدخل بيوت النبي الا ان يؤذن له اذنا خاصا وهو الاذن
الى الطعام فحسب وعن ابن ابي عبلة انه قرأ غير ناظرين مجرورا صفة لطعام وليس بالوجه
لانه جرى على غير ما هو له فمن حق ضمير ما هو له ان يبرز الى اللفظ فيقال غير ناظرين اناه انتم كقولك
هند زيد ضاربته هي واناه الطعام ادراكه يقال انى الطعام انى كقولك قلاه قلى ومنه
قوله من حميم آن بالغ اناه وقيل اناه وقته اي غير ناظرين وقت الطعام وساعة اكله وروي ان رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم اولم على زينب بتمر وسويق وشاة وامر انسا ان يدعو بالناس فترادفوا حا
افواجا يأكل فوج فيخرج ثم يدخل فوج الى ان قال يا رسول الله دعوت حتى ما اجد احدا ادعوه فقال
ارفعوا طعامكم وتفرق الناس وبقي ثلاثة نفر يتحدثون فاطالوا فقام رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم ليخرجوا فانطلق الى حجرة عائشة فقال السلام عليكم اهل البيت فقالوا وعليك السلام يا
رسول الله كيف وجدت اهلك وطاف بالحجرات فسلم عليهن ودعون له ورجع فاذا الثلاثة
جلوس يتحدثون وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شديد الحياء فتولى فلما راوه متوليا
خرجوا فرجع ونزلت ولا مستأنسين لحديث نهوا عن ان يطيلوا الجلوس يستأنس بعضهم ببعض
لاجل حديث يحدثه به او عن ان يستأنسوا حديث اهل البيت واستئناسه تسمعه وتوجسه
وهو مجرور معطوف على ناظرين وقيل منصوب على ولا تدخلوها مستأنسين ولا بد في قوله
فيستحيي منكم من تقدير المضاف اي من اخراجكم بدليل قوله والله لا يستحيي من الحق يعني
ان اخراجكم حق ما ينبغي ان يستحيى منه ولما كان الحياء مما يمنع الحق من بعض الافعال قيل لا
يستحيي من الحق بمعنى لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحيي منكم وهذا ادب ادب الله تعالى به
الثقلاء وعن عائشة رضي الله عنها حسبك في الثقلاء ان الله تعالى لم يحتملهم وقال فاذا طعمتم
فانتشروا وقرئ لا يستحي بياء واحدة الضمير في واذا سألتموهن لنساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم
يذكرن لان الحال ناطقة بذكرهن متاعا حاجة فاسألوهن المتاع من وراء حجاب ذلكم
اطهر لقلوبكم وقلوبهن قيل ان عمر رضي الله عنه كان يحب ضرب الحجاب عليهن محبة شديدة
وكان يذكره كثيرا ويود ان ينزل فيه وكان يقول لو اطاع فيكن ما رأتكن عين وقال يا رسول الله يدخل
عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب وروي انه مر عليهن وهن مع النساء في
المسجد فقال لئن احتجبتن فان لكن على النساء فضلا كما ان لزوجكن على الرجال الفضل فقالت زينب
يا ابن الخطاب انك لتغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا فلم يلبثوا الا يسيرا حتى نزلت وقيل ان رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يطعم ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل منهم يد عائشة رضي الله
عنها فكره النبي صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت آية الحجاب وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا
ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما وذكر ان بعضهم
قال انهى ان نكلم بنات عمنا الا من وراء حجاب لئن مات محمد لاتزوجن فلانة فاعلم الله ان ذلك
محرم وما كان لكم وما صح لكم ايذاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا نكاح ازواجه من بعده وسمى نكاحهن
بعده عظيما عنده وهو من اعلام تعظيم الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم وايجابه حرمته حيا وميتا
واعلامه بذلك مما طيب نفسه وسر قلبه واستغزر شكره فان نحو هذا مما يحدث الرجل نفسه ولا
يخلي منه فكره ومن الناس من تفرط غيرته على حرمته حتى يتمنى لها الموت لئلا تنكح من بعده وعن بعض
الفتيان انه كانت له جارية لا يرى الدنيا بها شغفا واستهتارا فنظر اليها ذات يوم فتنفس الصعداء
وانتحب فعلا نحيبه مما ذهب به فكره هذا المذهب فلم يزل به ذلك حتى قتلها تصورا لما عسى
يتفق من بقائها بعده وحصولها تحت يد غيره وعن بعض الفقهاء ان الزوج الثاني في هدم الثلاث
يجري مجرى العقوبة فصين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عما يلاحظ ذلك ان تبدوا شيئا من
نكاحهن على السنتكم او تخفوه في صدوركم فان الله كان بكل شيء عليما يعلم ذلك فيعاقبكم
وانما جاء به على اثر ذلك عاما لكل باد وخاف ليدخل تحته نكاحهن وغيره ولانه على هذه الطريقة اهول
واجزل لا جناح عليهن في آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن

وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ روى انها لما نزلت اية الحجاب قال الاباء والابناء والاقارب او نحن ايضا نكلمهن من وراء حجاب فنزلت لا جناح عليهن اي لا اثم عليهن في ان لا يحتجبن من هولاء ولم يذكر العم والخال لانهما يجريان مجرى الوالدين وقد جاءت تسمية العم ابا قال الله تعالى واله ابائك ابراهيم واسمعيل واسحق واسمعيل عم يعقوب وقيل كره ترك الاحتجاب عنهما لانهما يصفانها لابنائهما وابناهما غير محارم ثم نقل الكلام من الغيبة الى الخطاب وفي هذا النقل ما يدل على فضل تشديد فقيل وَاتَّقِينَ اللَّهَ فيما امرتن به من الاحتجاب وانزل فيه الوحي من الاستتار واحتطن فيه وفيما استثني منه ما قدرتن واحفظن حدودها واسلكن طريق التقوى وحفظهما وليكن عملكن في الحجب احسن مما كان وانتن عن محجبات ليفضل سركن علنكن إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ من السر والعلن وظاهر الحجاب وباطنه شَهِيدًا لا تتفاوت عليه الاحوال إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ قرئ وملائكته بالرفع عطفا على محل ان واسمها وهو ظاهر على مذهب الكوفيين ووجهه عند البصريين ان تحذف الخبر لدلالة يصلون عليه يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا اي قولوا الصلوة على رسول الله والسلام ومعناه الدعا بان يترحم عليه الله ويسلم فان قلت الصلوة على رسول الله صلى الله عليه واله وسلم واجبة ام مندوب اليها قلت بل واجبة وقد اختلفوا في حال وجوبها فمنهم من اوجبها كلما جرى ذكره وفي الحديث من ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار فابعده الله ويروى انه قيل يا رسول الله ارايت قول الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي فقال عليه الصلوة والسلام هذا من العلم المكنون ولولا انكم سالتموني عنه ما اخبرتكم به ان الله وكل بي ملكين فلا اذكر عند عبد مسلم فيصلي علي الا قال ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله وملائكته جوابا لذينك الملكين امين ولا يصلي علي احد الا قالا غفر الله لك وقال الله وملائكته جوابا لذينك الملكين امين ومنهم من قال يجب في كل مجلس مرة وان تكرر ذكره كما قيل في اية السجدة وتشميت العاطس وكذلك في كل دعاء في اوله واخره ومنهم من اوجبها في العمر مرة وكذا قال في اظهار الشهادتين والذي يقتضيه الاحتياط الصلوة عليه عند كل ذكر لما ورد من الاخبار فان قلت فالصلوة عليه في الصلوة اهي شرط في جوازها ام لا قلت ابو حنيفة واصحابه لا يرونها شرطا وعن ابرهيم النخعي كانوا يكتفون عن ذلك يعني الصحابة بالتشهد وهو السلام عليك ايها النبي واما الشافعي فقد جعلها شرطا فان قلت فما تقول في الصلوة على غيره قلت القياس جواز الصلوة على كل مومن لقوله هو الذي يصلي عليكم وقوله وصل عليهم ان صلواتك سكن لهم وقوله عليه الصلوة والسلام اللهم صل على ال ابي اوفى ولكن للعلماء تفصيلا في ذلك وهو انها ان كانت على سبيل التبع كقولك صلى الله على النبي واله فلا كلام فيها واما اذا افرد غيره من اهل البيت بالصلوة كما يفرد هو فمكروه لان ذلك صار شعارا لذكر رسول الله صلى الله عليه والد وسلم ولانه يؤدي الى الاتهام بالرفض وقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يقفن مواقف التهم إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا يؤذون الله ورسوله فيه وجهان احدهما ان يعبر بايذائهما عن فعل ما يكرهانه ولا يرضيانه من الكفر والمعاصي وانكار النبوة ومخالفة الشريعة وما كانوا يصيبون به رسول الله من انواع المكروه على سبيل المجاز وانما جعلته مجازا فيهما جميعا وحقيقة الايذاء صحيحة في رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لئلا اجعل العبارة الواحدة معطية معنى المجاز والحقيقة والثاني ان يراد يؤذون رسول الله وقيل في اذى الله قول اليهود والنصارى والمشركين يد الله مغلولة وثالث ثلاثة والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه وقيل قول الذين يلحدون في اسمائه وصفاته وعن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فيما حكى عن ربه شتمني ابن ادم ولم ينبغ له ان يشتمني واذاني ولم ينبغ له ان يؤذيني فاما شتمه اياي فقوله اني اتخذت ولدا واما اذاه فقوله ان الله لا يعيدني بعد ان بداني وعن عكرمة فعل اصحاب التصاوير الذين يرومون تكوين خلق مثل خلق الله وقيل في اذى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قولهم ساحر شاعر كاهن مجنون وقيل كسر رباعيته وشج وجهه يوم احد وقيل طعنهم عليه في نكاح صفية بنت حيي وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا واطلق ايذاء الله ورسوله وقيد ايذاء المؤمنين والمؤمنات لان

اذا الله ورسوله لا يكون الا غير حق ابدا واما اذا المؤمنات فمنه ومنه ومعنى بغير ما اكتسبوا بغير جناية واستحقاق للاذى وقيل نزلت في ناس من المنافقين يؤذون عليا رضي الله عنه ويسمعونه وقيل في الذين افكوا عائشة وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات وعن الفضيل لا يحل لك ان تؤذي كلبا او خنزيرا بغير حق فكيف وكان ابن عون لا يكري الحوانيت الا من اهل الذمة لما فيه من الروعة عند كر الحول يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ الجلباب ثوب واسع اوسع من الخمار ودون الرداء تلويه المراة على راسها وتبقي منه ما ترسله على صدرها وعن ابن عباس الرداء الذي يستر من فوق الى اسفل وقيل الملحفة وقيل ما تستتر به من كساء او غيره قال ابو زبيد مجلبب من سواد الليل جلبابا ومعنى يدنين من جلابيبهن يرخينها عليهن ويغطين بها وجوههن واعطافهن يقال اذا زل الثوب عن وجه المراة ادني ثوبك على وجهك وذلك ان النساء كن في اول الاسلام على هجيراهن في الجاهلية متبذلات تبرز المراة في درع وخمار لا فصل بين الحرة والامة وكان الفتيان واهل الشطارة يتعرضون اذا خرجن بالليل الى مقاضي حوائجهن في النخيل والغيطان للاماء وربما تعرضوا للحرة بعلة الامة يقولون حسبناها امة فامرن ان يخالفن بزيهن عن زي الاماء بلبس الاردية والملاحف وستر الرؤوس والوجوه ليحتشمن ويهبن فلا يطمع فيهن طامع وذلك قوله ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ اي اولى واجدر بان يعرفن فلا يتعرض لهن ولا يلقين ما يكرهن فان قلت ما معنى من في من جلابيبهن قلت هو للتبعيض الا ان معنى التبعيض محتمل وجهين احدهما ان يتجلببن ببعض ما لهن من الجلابيب والمراد ان لا تكون المراة متبذلة في درع وخمار كالامة والماهنة ولها جلبابان فصاعدا في بيتها والثاني ان ترخي المراة بعض جلبابها وفضله على وجهها حتى تتميز من الامة وعن ابن سيرين سالت عبيدة السلماني عن ذلك فقال ان تضع رداءها فوق الحاجب ثم تديره حتى تضعه على انفها وعن السدي ان تغطي احدى عينيها وجبهتها والشق الاخر الا العين وعن الكسائي يتقنعن بملاحفهن منضمة عليهن اراد بالانضمام معنى الادناء وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا لما سلف منهن من التفريط مع التوبة لان هذا مما يمكن معرفته بالعقل رَحِيمًا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا الذين في قلوبهم مرض قوم كان فيهم ضعف ايمان وقلة ثبات عليه وما هم عليه من الزناء واهل الفجور من قوله فيطمع الذي في قلبه مرض والمرجفون ناس كانوا يرجفون باخبار السوء عن سرايا رسول الله فيقولون هزموا وقتلوا وجرى عليهم كيت وكيت فيكسرون بذلك قلوب المؤمنين يقال ارجف بكذا اذا اخبر به على غير حقيقة لكونه خبرا متزلزلا غير ثابت من الرجفة وهي الزلزلة والمعنى لئن لم ينته المنافقون عن عداوتهم وكيدهم والفسقة عن فجورهم والمرجفون عما يؤلفون من اخبار السوء لنامرنك بان تفعل بهم الافاعيل التي تسوؤهم وتنوؤهم ثم بان تضطرهم الى طلب الجلاء عن المدينة والى ان لا يساكنوك فيها الا زمانا قليلا ريثما يرتحلون ويلتقطون انفسهم وعيالاتهم فسمي ذلك اغراء وهو التحريش على سبيل المجاز ملعونين نصب على الشتم او الحال اي لا يجاورونك الا ملعونين دخل حرف الاستثناء على الظرف والحال معا كما مر في قوله الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولا يصح ان ينتصب عن اخذوا لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها وقيل في قليلا هو منصوب على الحال ايضا ومعناه لا يجاورونك الا اقلاء اذلاء ملعونين فان قلت ما موقع لا يجاورونك قلت لا يجاورونك عطف على لنغرينك لانه يجوز ان يجاب به القسم الا ترى الى صحة قولك لئن لم ينتهوا لا يجاورونك فان قلت اما كان من حق لا يجاورونك ان يعطف بالفاء وان يقال لنغرينك بهم فلا يجاورونك قلت لو جعل الثاني مسببا عن الاول لكان الامر كما قلت ولكنه جعل جوابا اخر للقسم معطوفا على الاول وانما عطف بثم لان الجلاء عن الاوطان كان اعظم عليهم واعظم من جميع ما اصيبوا به فتراخت حاله عن حال المعطوف عليه سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا سنة في موضع مصدر موكد اي سن الله في الذين ينافقون الانبياء ان يقتلوا حيث ثقفوا وعن مقاتل يعني كما قتل اهل بدر واسروا يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا كان المشركون يسالون رسول الله صلى الله عليه واله وسلم عن وقت قيام الساعة استعجالا على سبيل الهزء واليهود يسالونه امتحانا لان الله تعالى عمى وقتها في التوراة وفي كل كتاب فامر رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ان يجيبهم بانه علم قد استاثر الله به

لم يطلع عليه ملكا ولا نبيا ثم بين لرسوله صلى الله عليه وسلم انها قريبة الوقوع تهديدا للمستعجلين واسكاتا
للمتعنتين فقال وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا اي شيئا قريبا او لان الساعة في معنى اليوم او في زمان قريب إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ
وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا السعير النار المسعورة الشديدة
الايقاد يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا وقرئ
تقلب على البناء للمفعول وتقلب بمعنى تتقلب ونقلب اي نقلب نحن ونقلب على ان الفعل للسعير
ومعنى تقليبها تصريفها في الجهات كما ترى البضعة تدور في القدر اذا غلت فترامى بها الغليان
من جهة الى جهة او تغييرها عن احوالها وتحويلها عن هيئاتها او طرحها في النار مقلوبين وتخصيص
الوجوه بالذكر لان الوجه اكرم موضع على الانسان من جسده ويجوز ان يكون الوجه عبارة
عن الجملة وناصب الظرف يقولون او محذوف وهو اذكر واذا نصب بالمحذوف كان يقولون حالا
وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا وقرئ ساداتنا وهو جمع الجمع يعنون قادتهم
الذين لقنوهم الكفر وزينوه لهم فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا بما زينوا لنا واضل السبيل واضله اياه
وزيادة الالف لاطلاق الصوت جعلت فواصل الاي كقوافي الشعر وفائدتها الوقف والدلالة
على ان الكلام قد انقطع وان ما بعده مستانف رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ
لَعْنًا كَثِيرًا وقرئ كبيرا اي كثير العدد والعظيم وكبيرا ليدل على اشد اللعن واعظمه
ضعفين ضعفا لضلاله وضعفا لاضلاله يعترفون ويستغيثون ويتمنون ولا ينفعهم شيء من ذلك يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا قيل نزلت
في شان زيد وزينب وما سمع فيه من قالة بعض الناس وقيل في اذى موسى عليه الصلاة والسلام هو حديث
المومسة التي اراد قارون على قذفه بنفسها وقيل اتهامهم اياه بقتل هرون وكان قد خرج معه الى
الجبل فمات هناك فحملته الملائكة ومروا به عليهم ميتا فابصروه حتى عرفوا انه غير مقتول وقيل احياه الله
فاخبرهم ببراءته وقيل قرفوه بعيب في جسده من برص او ادرة فاطلعهم الله
على انه بريء منه وجيها ذا جاه ومنزلة عنده فلذلك كان يميط عنه التهم ويدفع الاذى ويحافظ عليه لئلا
يلحقه وصم كما يوصف ببعضه كما يفعل الملك بمن هو عنده قربة ووجاهة وقرا ابن مسعود والاعمش
وابو حيوة وكان عبد الله وجيها قال ابن خالويه صليت خلف ابن شنبوذ في شهر رمضان فسمعته
يقراوها وقراءة العامة اوجه لانها مفصحة عن وجاهته عند الله كقوله عند ذي العرش مكين
وهذه ليست كذلك فان قلت قولهم مما قالوا معناه من قولهم او من مقولهم لان ما اما
مصدرية او موصولة وايهما كان فكيف تصح البراءة منه قلت المراد بالقول او المقول مؤداه
ومضمونه وهو الامر المعيب الا ترى انهم سموا السبة بالقول لقالوا لقاله يعني القول يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ
يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا قولا سديدا قاصدا الى الحق والسداد القصد
الى الحق والقول بالعدل يقال سدد السهم نحو الرمية اذا لم يعدل به عن سمتها كما قالوا سهم قاصد
والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب من غير قصد وعدل في القول والبعث على ان يسدد
قولهم في كل باب لان حفظ اللسان وسداد القول راس الخير كله والمعنى راقبوا الله في حفظ السنتكم
وتسديد قولكم فانكم ان فعلتم ذلك اعطاكم الله ما هو غاية الطلبة من تقبل حسناتكم
والاثابة عليها ومن مغفرة سيئاتكم وتكفيرها وقيل اصلاح الاعمال التوفيق في المجيء بها صالحة
مرضية وهذه الاية مقررة للتي قبلها بنيت تلك على النهي عما يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهذه على الامر باتقاء الله في حفظ اللسان ليترادف عليهم النهي والامر مع اتباع النهي ما تضمن
الوعيد من قصة موسى واتباع الامر الوعد البليغ فيقوى الصارف عن الاذى والداعي الى تركه ولما قال
ومن يطع الله ورسوله وعلق بالطاعة الفوز العظيم اتبعه قوله إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا
وهو يريد بالامانة الطاعة فعظم امرها وفخم شانها وفيه وجهان احدهما ان هذه الاجرام العظام
من السموات والارض والجبال قد انقادت لامر الله عز وعلا انقياد مثلها وهو ما يتاتى من الجمادات
واطاعت له الطاعة التي تصح منها وتليق بها حيث لم تمتنع على مشيئته وارادته ايجادا وتكوينا وتسوية

هيئات مختلفة واشكال متنوعة كما قال قالتا اتينا طائعين واما الانسان فلم تكن حاله فيما يصح
منه من الطاعة ويليق به من الانقياد لاوامر الله ونواهيه وهو حيوان عاقل صالح للتكليف مثل
حال تلك الجمادات فيما يصح منها ويليق بها من الانقياد وعدم الامتناع والمراد بالامانة الطاعة
لانها لازمة الوجود كما ان الامانة لازمة الاداء وعرضها على الجمادات وإباؤها واشفاقها مجاز
واما حمل الامانة فمن قولك فلان حامل للامانة ومحتمل لها تريد انه لا يؤديها الى صاحبها حتى تزول
عن ذمته ويخرج عن عهدتها لان الامانة كانها راكبة للمؤتمن عليها وهو حاملها الا تراهم يقولون
ركبته الديون ولي عليه حق فاذا اداها لم تبق راكبة له ولا هو حاملا لها ونحوه قولهم لا يملك مولى
لمولى نصرا يريدون انه يبذل له النصرة ويسامحه بها ولا يمسكها كما يمسكها الخاذل
ومنه قول القائل
اخوك الذي لا يملك الحس نفسه ... وترفض عند المحفظات الكتائف
اي لا يمسك الرقة والعطف امساك المالك الضنين ما في يده بل يبذل ذلك ويسمح به ومنه
قولهم ابغض حق اخيك لانه اذا احبه لم يخرجه الى اخيه ولم يؤده واذا ابغضه اخرجه واداه فمعنى
فابين ان يحملنها وحملها الانسان فابين الا ان يؤدينها وابى الانسان الا ان يكون محتملا لها لا يؤديها
ثم وصفه بالظلم لكونه تاركا لاداء الامانة وبالجهل لاخطائه ما يسعده مع تمكنه منه وهو
اداؤها والثاني ان ما كلفه الانسان بلغ من عظمه وثقل محمله انه عرض على اعظم ما خلق الله
من الاجرام واقواه واشده ان يتحمله ويستقل به فابى حمله والاستقلال به واشفق منه وحمله
الانسان على ضعفه ورخاوة قوته انه كان ظلوما جهولا حيث حمل الامانة ثم لم يف بها وضمنها ثم خاس
بضمانه فيها ونحو هذا من الكلام كثير في لسان العرب وما جاء القرآن الا على طرقهم واساليبهم
من ذلك قولهم لو قيل للشحم اين تذهب لقال اسوي العوج وكم لهم من امثال على السنة
البهائم والجمادات وتصور مقاولة الشحم محال ولكن الغرض ان السمن في الحيوان مما يحسن
قبيحه كما ان العجف مما يقبح حسنه فصور اثر السمن فيه تصويرا هو اوقع في نفس السامع وهي
به آنس وله اقبل وعلى حقيقته اوقف وكذلك تصوير عظم الامانة وصعوبة امرها وثقل
محملها والوفاء بها فان قلت قد علم وجه التمثيل في قولهم للذي لا يثبت على راي واحد اراك
تقدم رجلا وتؤخر اخرى لانه مثلت حاله في تميله وترجحه بين الرايين وتركه المضي
على احدهما بحال من يتردد في ذهابه فلا يجمع رجليه للمضي في وجهه وكل واحد من الممثل
والممثل به شيء مستقيم داخل تحت الصحة والمعرفة وليس كذلك ما في الاية فان عرض الامانة على
الجماد وإباءه واشفاقه محال في نفسه غير مستقيم فكيف صح بناء التمثيل على المحال وما مثال هذا الا ان تشبه
شيئا والمشبه به غير معقول قلت الممثل به في الاية وفي قولهم لو قيل للشحم اين تذهب وفي
نظائره مفروض والمفروضات تتخيل في الذهن كما المحققات مثلت حال التكليف في صعوبته
وثقل محمله بحاله المفروضة لو عرضت على السموات والارض والجبال لابين ان يحملنها واشفقن
منها لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا اللام في ليعذب لام التعليل على طريق المجاز
لان التعذيب نتيجة حمل الامانة كما ان التاديب في ضربته للتاديب نتيجة الضرب وقرا الاعمش
ويتوب ليجعل العلة قاصرة على فعل الحامل ويبتدئ ويتوب الله ومعنى قراءة العامة ليعذب
الله حامل الامانة ويتوب على غيره ممن لم يحملها لانه اذا تيب على الوافي كان ذلك نوعا من عذاب
الغادر والله اعلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي
الامان من عذاب القبر

سورة سبا مكية وهي اربع وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم الْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ما في السموات وما في الارض كله نعمة من الله وهو الحقيق بان يحمد
ويثنى عليه من اجله ولما قال الحمد لله ثم وصف ذاته بالانعام بجميع النعم الدنيوية كان معناه انه المحمود على نعم
الدنيا كما تقول احمد اخاك الذي كساك وحملك تريد احمده على كسوته وحملانه ولما قال وَلَهُ الْحَمْدُ
فِي الْآخِرَةِ علم انه المحمود على نعم الآخرة وهي الثواب فان قلت ما الفرق بين الحمدين قلت اما الحمد

في الدنيا فواجب لانه على نعمة متفضل بها وهو الطريق الى تحصيل نعمة الآخرة وهي الثواب واما الحمد في الآخرة فليس بواجب لانه على نعمة واجبة الايصال الى مستحقها انما هو تتمة سرور المؤمنين وتكملة اغتباطهم يلتذون به كما يلتذ من به العطاش بالماء البارد وهو الحكيم الذي احكم امور الدارين ودبرها بحكمته الخبير بكل كائن يكون يعلم ما يلج في الارض ثم ذكر مما يحيط به علما ما يلج في الارض من الغيث كقوله فسلكه ينابيع في الارض ومن الكنوز والدفائن والاموات وجميع ما هي له كفات وما يخرج منها من الشجر والنبات وماء العيون والغلة والدواب وغير ذلك وما ينزل من السماء من الامطار والثلوج والبرد والصواعق والارزاق والملائكة وانواع البركات والمقادير كما قال تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون وما يعرج فيها من الملائكة واعمال العباد وهو مع كثرة نعمه وسبوغ فضله الرحيم الغفور للمفرطين في اداء مواجب شكرها وقرأ علي بن ابي طالب ننزل بالنون والتشديد وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قولهم لا تأتينا الساعة نفي للبعث وانكار لمجيء الساعة واستبطاء لما قد وعدوه من قيامها على سبيل الهزء والسخرية كقولهم متى هذا الوعد قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة ورزق كريم اوجب ما بعد النفي ببلى على معنى ان ليس الامر الا اتيانها ثم اعيد ايجابه مؤكدا بما هو الغاية في التوكيد والتشديد وهو التوكيد باليمين بالله عز وجل ثم امد التوكيد القسمي امدادا بما اتبع المقسم به من الوصف بما وصف به الى قوله ليجزي لان عظمة حال المقسم به تؤذن بقوة حال المقسم عليه وبشدة ثباته واستقامته لانه بمنزلة الاستشهاد على الامر وكلما كان المستشهد به اعلى كعبا وابين فضلا وارفع منزلة كانت الشهادة اقوى وآكد والمستشهد عليه اثبت وارسخ فان قلت هل للوصف الذي وصف به المقسم به وجه اختصاص بهذا المعنى قلت نعم وذلك ان قيام الساعة من مشاهير الغيوب وادخلها في الخفية واولها مسارعة الى القلب اذا قيل عالم الغيب فحين اقسم باسمه على اثبات قيام الساعة وانه كائن لا محالة ثم وصف بما يرجع الى علم الغيب وانه لا يفوت علمه شيء من الخفيات اندرج تحته احاطته بوقت قيام الساعة فجاء ما تطلبه من وجه الاختصاص مجيئا واضحا فان قلت الناس قد انكروا اتيان الساعة وجحدوه فهب انه حلف لهم باغلظ الايمان واقسم عليه جهد القسم فيمين من هو في معتقدهم مفتر على الله كذبا كيف تكون مصححة لما انكروه قلت هذا لو اقتصر على اليمين ولم يتبعها الحجة القاطعة والبينة الساطعة وهو قوله ليجزي فقد وضع الله في العقول وركب في الغرائز وجوب الجزاء وان المحسن لا بد له من ثواب والمسيء لا بد له من عقاب وقوله ليجزي متصل بقوله لتأتينكم تعليلا له قرئ لتأتينكم بالتاء والياء ووجه من قرأ بالياء ان يكون ضميره للساعة بمعنى اليوم او يسند الى عالم الغيب اي ليأتينكم امره كما قال هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة او يأتي ربك وقال او يأتي امر ربك وقرئ عالم الغيب وعلام الغيب بالجر صفة لربي وعالم الغيب وعالم الغيوب بالرفع على المدح ولا يعزب بالضم والكسر من العزوب وهو البعد يقال روض عزيب بعيد من الناس مثقال ذرة مقدار اصغر نملة ذلك اشارة الى مثقال ذرة وقرئ ولا اصغر من ذلك ولا اكبر بالرفع على الابتداء وبالفتح على نفي الجنس كقولك لا حول ولا قوة الا بالله بالرفع والنصب وهو كلام منقطع عما قبله فان قلت هل يصح عطف المرفوع على مثقال ذرة كانه قيل لا يعزب عنه مثقال ذرة واصغر واكبر وزيادة لا لتأكيد النفي وعطف المفتوح على ذرة بانه فتح في موضع الجر لامتناع الصرف فكانه قيل لا يعزب عنه مثقال ذرة ولا مثقال اصغر من ذلك ولا اكبر قلت يأبى ذلك حرف الاستثناء الا اذا جعلت الضمير في عنه للغيب وجعلت الغيب اسما للخفيات قبل ان تكتب في اللوح لان اثباتها في اللوح نوع من البروز عن الحجاب على معنى انه لا ينفصل عن الغيب شيء ولا يزل عنه الا مسطورا في اللوح والذين سعوا في آياتنا معاجزين اولئك لهم عذاب من رجز اليم وقرئ معجزين واليم بالرفع والجر وعن قتادة الرجز سوء العذاب ويرى الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك من ربك هو الحق ويهدي الى صراط العزيز الحميد ويرى في موضع الرفع اي ويعلم اولو العلم

يعني اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يطأ اعقابهم من امته او علماء اهل الكتاب الذين اسلموا مثل كعب الاحبار وعبد الله بن سلام الذي انزل اليك الحق هما مفعولان ليرى وهو فصل ومن قرأ الحق بالرفع جعله مبتدأ والحق خبرا والجملة في موضع المفعول الثاني وقيل يرى في موضع النصب معطوف على ليجزي اي وليعلم اولو العلم عند مجيء الساعة انه الحق علما لا يزاد عليه في الايقان ويحتجوا به على الذين كذبوا وتولوا ويجوز ان يريد وليعلم من لم يؤمن من الاحبار انه هو الحق فيزدادوا حسرة وغما وقال الذين كفروا قريش قال بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد يحدثكم باعجوبة من الاعاجيب انكم تبعثون وتنشئون خلقا جديدا بعد ان تكونوا رفاتا وترابا ويمزق اجسادكم البلى كل ممزق اي يفرقكم ويبدد اجزاءكم كل تبديد افترى على الله كذبا أهو مفتر على الله كذبا فيما ينسب اليه من ذلك ام به جنة جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه ثم قال سبحانه ليس محمد من الافتراء والجنون في شيء وهو مبرأ منهما بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد بل هؤلاء الكافرون بالبعث واقعون في عذاب النار وفيما يؤديهم اليه من الضلال عن الحق وهم غافلون عن ذلك وذلك اجن الجنون واشده اطباقا على عقولهم جعل وقوعهم في العذاب رسيلا لوقوعهم في الضلال كانهما كائنان في وقت واحد لان الضلال لما كان العقاب من لوازمه وموجباته جعلا كانهما في الحقيقة مقترنان وقرأ زيد بن علي رضي الله عنهما ينبيكم فان قلت قد جعلت الممزق مصدرا كبيت الكتاب

ألم تعلم مسرحي القوافي ... فلا عيا بهن ولا اجتلابا

فهلا جوزت ان يكون مكانا قلت نعم ومعناه ما حصل من الاموات في بطون الطير والسباع وما مرت به السيول فذهبت به كل مذهب وما سفته الرياح فطرحته كل مطرح فان قلت ما العامل في اذا قلت ما دل عليه انكم لفي خلق جديد وقد سبق نظيره فان قلت الجديد فعيل بمعنى فاعل ام مفعول قلت هو عند البصريين بمعنى فاعل فهو قليل وعند الكوفيين بمعنى مفعول من جده اذا قطعه وقالوا هو الذي جده الناسج الساعة في الثوب ثم شاع ويقولون ولهذا قالوا ملحفة جديد وهي عند البصريين كقوله ان رحمة الله قريب ويجوز لك فان قلت لم اسقطت الهمزة في قوله افترى دون قوله السحر وكلتاهما همزة وصل قلت القياس الطرح ولكن امرا اضطرهم الى ترك اسقاطها في نحو السحر وهو خوف التباس الاستفهام بالخبر لكون همزة الوصل مفتوحة كهمزة الاستفهام فان قلت ما معنى وصف الضلال بالبعيد قلت هو من الاسناد المجازي لان البعيد صفة الضال اذا بعد عن الجادة وكلما ازداد عنها بعدا كان اضل فان قلت كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مشهورا علما في قريش وكان انباؤه بالبعث شائعا عندهم فما معنى قولهم هل ندلكم على رجل ينبئكم فنكروه لهم وعرضوا عليهم الدلالة عليه كما يدل على مجهول في امر مجهول قلت كانوا يقصدون بذلك الطنز والسخرية فاخرجوه مخرج التحكي ببعض الاحاجي التي يتحاجى بها للضحك والتلهي متجاهلين به وبامره افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء اعموا فلم ينظروا الى السماء والارض وانهما حيثما كانوا واينما ساروا امامهم وخلفهم محيطتان بهم لا يقدرون ان ينفذوا من اقطارهما وان يخرجوا عما هم فيه من ملكوت الله ولم يخافوا ان يخسف الله بهم او يسقط عليهم كسفا لتكذيبهم الآيات وكفرهم بالرسول وبما جاء به كما فعل بقارون واصحاب الايكة ان في ذلك النظر الى السماء والارض والفكر فيهما وما يدلان عليه من قدرة الله لآية ودلالة لكل عبد منيب وهو الراجع الى ربه المطيع له لان المنيب لا يخلو من النظر في آيات الله على انه قادر على كل شيء من البعث ومن عقاب من يكفر به وقرئ يشأ ويخسف ويسقط بالياء لقوله افترى على الله كذبا وبالنون لقوله ولقد آتينا وكسفا بفتح السين وسكونها وقرأ الكسائي نخسف بهم بالادغام وليست بقوية ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال اوبي معه والطير يا جبال اما ان يكون بدلا من فضلا واما من آتينا بتقدير قولنا يا جبال وقرئ اوبي واوبي من التأويب والاوب اي رجعي معه التسبيح او ارجعي معه في التسبيح كما رجع فيه لانه اذا رجعه فقد رجع فيه

ومعنى تسبيح الجبال ان الله يخلق فيها تسبيحا كما خلق الكلام في الشجرة فيسمع منها ما يسمع من المسبح معجزة لداود عليه الصلوة والسلام وقيل كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين وكانت الجبال تسعده على نوحه باصدائها والطير باصواتها وقرئ والطير رفعا عطفا على لفظ الجبال وجوزوا ان ينتصب مفعولا معه وان يعطف على فضلا وسخرنا له الطير فان قلت اي فرق بين هذا النظم وبين ان يقال وآتينا داود منا فضلا تأويب الجبال معه والطير قلت كم بينهما الا ترى الى ما فيه من الفخامة التي لا تخفى ومن الدلالة على عزة الربوبية وكبرياء الالهية حيث جعلت الجبال منزلة منزلة العقلاء الذين اذا امرهم اطاعوا واذعنوا واذا دعاهم سمعوا واجابوا اشعارا بانه ما من حيوان وجماد وناطق وصامت الا وهو منقاد لمشيته غير ممتنع على ارادته **وألنا له الحديد** وجعلناه في يده كالشمع والعجين يصرفه في يده كيف يشاء من غير نار ولا ضرب بمطرقة وقيل لان الحديد في يده لما اوتي من شدة القوة **ان اعمل سابغات** دروعا واسعات وقرئ صابغات وهو اول من اتخذها وكانت قبل صفائح وقيل كان يبيع الدرع باربعة الاف فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدق على الفقراء وقيل كان يخرج حين ملك بني اسرائيل متنكرا فيسأل الناس عن نفسه ويقول لهم ما تقولون في داود فيثنون عليه فقيض له ملكا في صورة ادمي فسأله على عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه فريع داود فسأله فقال لولا انه يطعم عياله من بيت المال فسأل عند ذلك ربه ان يسبب له ما يستغني به عن بيت المال فعلمه صنعة الدروع **وقدر في السرد** لا تجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتفصم الحلق والسرد نسج الدروع **واعملوا صالحا** الضمير فيه لداود واهله **انى بما تعملون بصير** **ولسليمان الريح** وسخرنا لسليمان الريح وفيمن نصب ولسليمان الريح مسخرة فيمن رفع وكذلك فيمن قرأ الرياح بالرفع **غدوها شهر ورواحها شهر** جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشي كذلك وقرئ غدوتها وروحتها وعن الحسن كان يغدو فيقيل باصطخر ثم يروح فيكون رواحه بكابل ويحكى ان بعضهم رأى مكتوبا في منزل بناحية دجلة كتبه بعض اصحاب سليمن نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه فبائتون بالشام ان شاء الله **واسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه** القطر النحاس المذاب من القطران فان قلت ماذا اراد بعين القطر قلت اراد بها معدن النحاس ولكنه اساله كما الان الحديد لداود عليه الصلوة والسلام فنبع كما ينبع الماء من العين فلذلك سماه عين القطر باسم ما آل اليه كما قال اني اراني اعصر خمرا وقيل كان يسيل في الشهر ثلثة ايام **باذن ربه** بامره **ومن يزغ منهم** ومن يعدل **عن امرنا** الذي امرناه به من طاعة سليمن وقرئ يزغ من ازاغه **نذقه من عذاب السعير** وعذاب السعير عذاب الاخرة عن ابن عباس وعن السدي كان معه ملك بيده سوط من نار كلما استعصى عليه ضربه من حيث لا يراه الجني **يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل** المحاريب المساكن والمجالس الشريفة المصونة عن الابتذال سميت محاريب لانه يحامى عليها ويذب عنها وقيل هي المساجد والتماثيل صور الملائكة والنبيين والصالحين كانت تعمل في المساجد من نحاس وصفر وزجاج ورخام ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم فان قلت كيف استجاز سليمان عليه الصلوة والسلام عمل التصاوير قلت هذا مما يجوز ان تختلف فيه الشرائع لانه ليس من مقبحات العقل كالظلم والكذب وعن ابي العالية لم يكن اتخاذ الصور اذ ذاك محرما ويجوز ان تكون غير صور الحيوان كصور الاشجار وغيرها لان التمثال كل ما صور على مثل صورة غيره من حيوان وغير حيوان او بصور محذوفة الرؤس وروي انهم عملوا له اسدين في اسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد اظله النسران باجنحتهما **وجفان كالجواب** والجوابي الحياض الكبار قال

● تروح على آل المحلق جفنة ● كجابية الشيخ العراقي تفهق ●

لان الماء يجبى فيها اي يجمع جعل الفعل لها مجازا وهي من الصفات الغالبة كالدابة قيل كان يقعد على الجفنة الف رجل وقرئ بحذف الياء اكتفاء بالكسرة كقوله يوم يدع الداع **وقدور راسيات** ثابتات على الاثافي لا تنزل عنها لعظمها **اعملوا آل داود** حكاية ما قيل لآل داود وانتصب **شكرا** على انه مفعول له اي اعملوا له واعبدوه على الشكر لنعمائه وفيه دليل على ان العبادة يجب ان

تؤدى على طريق الشكر او على الحال اي شاكرين او على تقدير اشكروا شكرا لان اعملوا فيه معنى اشكروا من حيث ان العمل للمنعم شكر له ويجوز ان ينتصب باعملوا مفعولا به ومعناه انا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم فاعملوا انتم شكرا على طريق المشاكلة **وقليل من عبادي الشكور** ● والشكور المتوفر على اداء الشكر الباذل وسعه فيه قد شغل به قلبه ولسانه وجوارحه اعتقادا واعترافا وكدحا واكثر اوقاته وعن ابن عباس من يشكر على احواله كلها وعن السدي من يشكر على الشكر وقيل من يرى عجزه عن الشكر وعن داود انه جزأ ساعات الليل والنهار على اهله فلم تكن تأتي ساعة من الساعات الا وانسان من آل داود قائم يصلي وعن عمر رضي الله عنه انه سمع رجلا يقول اللهم اجعلني من القليل فقال عمر ما هذا الدعاء فقال الرجل اني سمعت الله يقول وقليل من عبادي الشكور فانا ادعوه ان يجعلني من ذلك القليل فقال عمر كل الناس اعلم من عمر **فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين** ● قرئ فلما قضى عليه الموت ودابة الارض الارضة وهي الدويبة التي يقال لها السرفة والارض فعلها فاضيفت اليه يقال ارضت الخشبة ارضا اذا اكلتها الارضة وقرئ بفتح الراء من ارضت الخشبة ارضا وهو من باب فعلته ففعل كقولك اكلت القوادح الاسنان اكلا فأكلت أكلا والمنسأة العصا لانه ينسأ بها اي يطرد ويؤخر وقرئ بفتح الميم وبتخفيف الهمزة قلبا وحذفا وكلاهما ليس بقياس ولكن اخراج الهمزة بين بين هو التخفيف القياسي ومنسأته على مفعالة كما يقال في الميضأة ميضاءة ومن سأته اي من طرف عصاه سميت بسأة القوس على الاستعارة وفيها لغتان كما قالوا قحة وقحة وقرئ اكلت منسأته تبينت الجن من تبين الشيء اذا ظهر وتجلى وان مع صلتها بدل من الجن بدل الاشتمال كقولك تبين زيد جهله والظهور له في المعنى اي ظهر ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين او علم الجن كلهم علما بينا بعد التباس الامر على عامتهم وضعفتهم وتوهمهم ان كبارهم يصدقون في ادعائهم علم الغيب او علم المدعون علم الغيب منهم عجزهم وانهم لا يعلمون الغيب وان كانوا عالمين قبل ذلك بحالهم وانما اريد التهكم بهم كما يتهكم بمدعي الباطل اذا دحضت حجته وظهر ابطاله بقولك هل تبينت انك مبطل وانت تعلم انه لم يزل كذلك متبينا وقرئ تبينت الجن على البناء للمفعول على ان المتبين هو ان مع ما في صلتها لانه بدل وفي قراءة ابي تبينت الانس وعن الضحاك تباينت الانس بمعنى تعارفت وتعالمت والضمير في كانوا للجن في قوله ومن الجن من يعمل بين يديه اي علمت الانس ان لو كان الجن يصدقون فيما يوهمونهم من علمهم الغيب ما لبثوا وفي قراءة ابن مسعود تبينت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب وروي انه كان من عادة سليمن عليه الصلوة والسلام ان يعتكف في بيت المقدس المدد الطوال فلما دنا اجله لم يصبح الا رأى في محرابه شجرة نابتة قد انطقها الله فيسألها لاي شيء انت فتقول لكذا حتى اصبح ذات يوم فرأى الخروبة فسألها فقالت نبت لخراب هذا المسجد فقال ما كان الله ليخربه وانا حي انت التي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها في حائط له وقال اللهم عم على الجن موتي حتى يعلم الناس انهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا يسترقون السمع ويموهون على الانس انهم يعلمون وقال لملك الموت اذا امرت فاعلمني فقال امرت بك وقد بقيت من عمرك ساعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها وكان الشياطين تجتمع حول محرابه اينما صلى فلم يكن شيطان ينظر اليه في صلاته الا احترق فمر به شيطان فلم يسمع صوته فنظر فاذا سليمن قد خر ميتا ففتحوا عنه فاذا العصا قد اكلتها الارضة فارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فاكلت منها في يوم وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة وكانوا يعملون بين يديه ويحسبونه حيا فايقن الناس انهم لو علموا الغيب لما لبثوا في العذاب سنة وروي ان داود اسس بناء بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليه الصلوة والسلام فمات قبل ان يتمه فوصى به الى سليمن فامر الشياطين باتمامه فلما بقي من عمره سنة سأل ان تعمى عليهم موته حتى يفرغوا منه وليبطل دعواهم علم الغيب وروي ان افريدون جاء ليصعد كرسيه فلما دنى

ضرب الأرضة منسأته فكسرها فلم يجسر أحد أن يدنو منه وكان عمر سليمان ثلاثا وخمسين سنة
ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة فبقي في ملكه أربعين سنة وابتدأ بناء بيت المقدس لأربع مضين
من ملكه لقد كان لسبأ في مساكنهم آية جنتان عن يمين وشمال وقرئ لسبأ بالصرف
ومنعه وقلب الهمزة ألفا ومسكنهم بفتح الكاف وكسرها وهو موضع سكناهم وهو بلدهم وأرضهم
التي كانوا مقيمين فيها أو مسكن كل واحد منهم وقرئ مساكنهم وجنتان بدل من آية أو خبر
مبتدأ محذوف تقديره الآية جنتان وفي الرفع معنى المدح تدل عليه قراءة من قرأ جنتين بالنصب
على المدح فإن قلت ما معنى كونهما آية قلت لم يجعل الجنتين في أنفسهما آية وإنما جعل قصتهما
وأن أهلها أعرضوا عن شكر الله عليهما فخربهما وأبدلهم عنهما الخمط والأثل آية وعبرة لهم ليعتبروا
ويتعظوا فلا يعودوا إلى ما كانوا عليه من الكفر وغمط النعم ويجوز أن تجعلهما آية أي علامة دالة
على الله وعلى قدرته وإحسانه ووجوب شكره فإن قلت كيف عظم الله جنتي أهل سبأ وجعلهما
آية ورب قرية من قريات العراق يحتف بها من الجنات ما شئت قلت لم يرد بستانين اثنين
فحسب وإنما أراد جماعتين من البساتين جماعة عن يمين بلدهم وأخرى عن شمالها وكل واحدة
من الجماعتين في تقاربها وتضامها كأنها جنة واحدة كما تكون بلاد الريف العامرة وبساتينها
أو أراد بستاني كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله كما قال جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب
كلوا من رزق ربكم واشكروا له إما حكاية لما قال لهم أنبياء الله المبعوثون إليهم أو لما قال لهم
لسان الحال وهم أحقاء بأن يقال لهم ذلك ولما قال كلوا من رزق ربكم واشكروا له أتبعه
قوله ورب غفور يعني هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم
وطلب شكركم رب غفور لمن شكره وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانت أخصب البلاد وأطيبها
تخرج المرأة وعلى رأسها المكتل فتعمل بيديها وتسير بين تلك الشجر فيمتلئ المكتل بما يتساقط فيه من
الثمر طيبة لم تكن سبخة وقيل لم تكن فيها بعوضة ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية وقرئ
بلدة طيبة وربا غفورا بالنصب على المدح وعن ثعلب معناه اسكن واعبد فأعرضوا
فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء
من سدر قليل العرم الجرذ الذي نقب عليهم السكر ضرب لهم بلقيس الملكة بسد ما بين
الجبلين بالصخر والقار فحقنت به ماء العيون والأمطار وتركت فيه خروقا على مقدار
ما يحتاجون إليه في سقيهم فلما طغوا وقيل بعث الله إليهم ثلاثة عشر نبيا يدعونهم إلى الله ويذكرونهم
نعمته عليهم فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله نعمة سلط الله على سدهم الخلد فنقبه من أسفله فغرقهم
وقيل العرم جمع عرمة وهي الحجارة المركومة ويقال للكدس من الطعام عرمة والمراد
المسناة التي عقدوها سكرا وقيل العرم اسم الوادي وقيل العرم المطر الشديد وقرئ العرم
بسكون الراء وعن الضحاك كانوا في الفترة التي بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام وقرئ
أكل بالضم والسكون وبالتنوين والإضافة والأكل الثمر والخمط شجر الأراك وعن أبي عبيدة
كل شجر ذي شوك وقال الزجاج كل نبت أخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن أكله والأثل شجر يشبه
الطرفاء أعظم منه وأجود عودا ووجه من نون أن أصله ذواتي أكل أكل خمط فحذف المضاف وأقيم
المضاف إليه مقامه أو وصف الأكل بالخمط كأنه قيل ذواتي أكل بشع ومن أضاف وهو أبو عمرو
وحده فلأن أكل الخمط في معنى البرير كأنه قيل ذواتي برير والأثل والسدر معطوفان على أكل
لا على خمط لأن الأثل لا أكل له وقرئ وأثلا وشيئا بالنصب عطفا على جنتين وتسمية البدل جنتين لأجل
المشاكلة وفيه ضرب من التهكم وعن الحسن رحمه الله قلل السدر لأنه أكرم ما بدلوا ذلك
جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور وقرئ وهل يجازى وهل نجازي بالنون
وهل يجازي والفاعل الله وهل يجزى والمعنى أن مثل هذا الجزاء لا يستحقه إلا الكافر وهو العقاب
العاجل وقيل المؤمن تكفر سيئاته بحسناته والكافر يحبط عمله فيجازى بجميع ما يعمله من السوء وجه
آخر أن الجزاء عام لكل مكافأة يستعمل تارة في معنى المعاقبة وأخرى في معنى الإثابة فلما استعمل في معنى
المعاقبة في قوله جزيناهم بما كفروا بمعنى عاقبناهم بكفرهم قيل وهل يجازى إلا الكفور بمعنى
وهل يعاقب وهو الوجه الصحيح وليس لقائل أن يقول لم قيل وهل يجازى إلا الكفور على اختصاص

بلدة طيبة

الكفور بالجزاء والجزاء عام للكافر والمؤمن لأنه لم يرد الجزاء العام وإنما أراد الخاص وهو العقاب بل لا يجوز
أن يراد العموم وليس بموضعه ألا ترى أنك لو قلت جزيناهم بما كفروا وهل يجازى إلا الكافر والمؤمن
لم يصح ولم يسد كلاما فتبين أن ما يتخيل من السؤال مضمحل وأن الصحيح الذي لا يجوز غيره ما جاء عليه
كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا
فيها هي قرى الشام قرى ظاهرة متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها فهي ظاهرة لأعين الناظرين
أو راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة لم تبعد عن مسالكهم حتى تخفى عليهم وقدرنا فيها
السير قيل كان الغادي منهم يقيل في قرية والرائح يبيت في قرية إلى أن يبلغ الشام لا يخاف جوعا
ولا عطشا ولا عدوا ولا يحتاج إلى حمل زاد ولا ماء سيروا فيها ليالي وأياما آمنين وقلنا لهم سيروا
ولا قول ثم ولكنهم لما مكنوا من السير وسويت لهم أسبابه فكأنهم أمروا بذلك وأذن لهم فيه فإن
قلت ما معنى قوله ليالي وأياما قلت معناه سيروا فيها إن شئتم بالليل وإن شئتم بالنهار فإن
الأمن فيها لا يختلف باختلاف الأوقات أو سيروا فيها آمنين لا تخافون وإن تطاولت مدة سفركم
فيها وامتدت أياما وليالي أو سيروا فيها لياليكم وأيامكم مدة أعماركم فإنكم في كل حين وزمان
لا تلقون فيها إلا الأمن فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم وقرئ ربنا باعد بين وبعد
ويا ربنا على الدعاء بطروا النعمة وبشموا من طيب العيش وملوا العافية فطلبوا الكد والتعب
كما طلب بنو إسرائيل البصل والثوم مكان المن والسلوى وقالوا لو كان جنى جناننا أبعد كان أجدر
أن نشتهيه وتمنوا أن يجعل الله بينهم وبين الشام مفاوز ليركبوا الرواحل فيها ويتزودوا الأزواد
فعجل الله لهم الإجابة وقرئ ربنا بعد بين أسفارنا وبعد بين أسفارنا على النداء وإسناد الفعل إلى
بين ورفعه به كما تقول سير فرسخان وبوعد بين أسفارنا وقرئ بين سفرنا وبعد برفع ربنا على الابتداء
والمعنى خلاف الأول وهو استبعاد مسايرهم على قصرها ودنوها لفرط تنعمهم وترفههم كأنهم
يتشاكون على ربهم ويتحازنون عليه فجعلناهم أحاديث يتحدث الناس بهم ويتعجبون من أحوالهم
ومزقناهم كل ممزق وفرقناهم تفريقا اتخذه الناس مثلا مضروبا يقولون ذهبوا أيدي سبا وتفرقوا
أيادي سبا قال كثير

أيادي سبا يا عز ما كنت بعدكم ° فلم يحل بالعينين بعدك منظر

لحق غسان بالشام وأنمار بيثرب وجذام بتهامة والأزد بعمان إن في ذلك لآيات لكل صبار
عن المعاصي شكور للنعم ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين
وقرئ صدق بالتشديد والتخفيف ورفع إبليس ونصب الظن فمن شدد فعلى حقق عليهم ظنه أو وجده
صادقا ومن خفف فعلى صدق في ظنه أو صدق يظن ظنا نحو فعلته جهدك وبنصب إبليس
ورفع الظن فمن شدد فعلى وجده ظنه صادقا ومن خفف فعلى قال له ظنه الصدق حين خيله
إغواءهم يقولون صدقك ظنك وبالتخفيف ورفعهما على صدق عليهم ظن إبليس ولو قرئ بالتشديد
مع رفعهما لكان على المبالغة في صدق كقوله صدقت فيهم ظنوني ومعناه أنه حين وجد
آدم ضعيف العزم قد أصغى إلى وسوسته قال لأغوين ذريته لأضعف منه فظن بهم اتباعه وقال
لأضلنهم لأغوينهم وقيل ظن ذلك عند إخبار الله الملائكة أنه يجعل فيها من يفسد فيها والضمير في عليهم
واتبعوه إما لأهل سبا أو لبني آدم وقلل المؤمنين بقوله إلا فريقا لأنهم قليل بالإضافة إلى الكفار
كما قال لأحتنكن ذريته إلا قليلا ولا تجد أكثرهم شاكرين وما كان له عليهم من
سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك وما كان له عليهم من تسلط واستيلاء
بالوسوسة والاستغواء إلا لغرض صحيح وحكمة بينة وذلك أن يتميز المؤمن بالآخرة من الشاك فيها
وعلل التسلط بالعلم والمراد ما يتعلق به العلم وقرئ ليعلم على البناء للمفعول وربك على كل شيء
حفيظ محافظ عليه وفعيل ومفاعل متآخيان قل لمشركي قومك ادعوا الذين زعمتم عبدتم
من دون الله من الأصنام والملائكة وسميتموهم باسمه كما تدعون الله والتجئوا إليهم فيما يعروكم
كما تلتجئون إليه وانتظروا استجابتهم لدعائكم ورحمتهم كما تنتظرون أن يستجيب
لكم ويرحمكم ثم أجاب عنهم بقوله لا يملكون مثقال ذرة من خير أو شر أو نفع أو ضر في
السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما في هذين الجنسين من شرك من شركة في الخلق ولا في الملك

كقوله ما اشهدتهم خلق السموات والارض **وماله منهم من ظهير** من عوين يعينه على تدبير خلقه يريد انهم على هذه الصفة من العجز والبعد عن احوال الربوبية فكيف يصح ان يدعوا آلهة كما يدعى ويعبدوا كما يعبد ويرجى منهم الشفاعة فان قلت اين مفعولا زعم قلت احدهما الضمير المحذوف الراجع منه الى الموصوف واما الثاني فلا يخلو اما ان يكون من دون الله او لا يملكون او محذوفا فلا يصح الاول لان قولك هم من دون الله لا يلتئم كلاما ولا الثاني لانهم ما كانوا يزعمون ذلك وكيف يتكلمون بما هو حجة عليهم وبما قالوا هو حق بانه توحيد فبقي ان يكون محذوفا تقديره زعمتموهم آلهة من دون الله فحذف الراجع الى الموصوف كما حذف في قوله اهذا الذي بعث الله رسولا استخفافا لطول الموصول بصلته وحذف آلهة لانه موصوف صفته من دون الله والموصوف يجوز حذفه واقامة الصفة مقامه اذا كان مفهوما فاذن مفعولا زعم محذوفان جميعا بسببين مختلفين **ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له** تقول الشفاعة لزيد على معنى انه الشافع كما تقول الكرم لزيد وعلى معنى انه المشفوع له كما تقول القيام لزيد فاحتمل قوله ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له ان يكون على احد هذين الوجهين اي لا تنفع الشفاعة الا كائنة لمن اذن له من الشافعين ومطلقة له او لا تنفع الشفاعة الا كائنة لمن اذن له اي لشفيعه او هي اللام الثانية في قولك اذن لزيد لعمرو اي لاجله وكانه قيل الا لمن وقع الاذن للشفيع لاجله وهذا وجه لطيف وهو الوجه وهذا تكذيب لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله فان قلت بم اتصل قوله **حتى اذا فزع عن قلوبهم** ولاي شيء وقعت حتى غاية قلت بما فهم من هذا الكلام من ان ثم انتظارا للاذن وتوقفا وتمهلا وفزعا من الراجين للشفاعة والشفعاء هل يؤذن لهم او لا يؤذن وانه لا يطلق الاذن الا بعد ملي من الزمان وطول من التربص ومثل هذه الحال دل عليه قوله عز من قائل رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا كانه قيل يتربصون ويتوقفون مليا فزعين وهلين حتى اذا فزع عن قلوبهم اي كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة **قالوا** تباشروا بذلك وسأل بعضهم بعضا **ماذا قال ربكم قالوا الحق** اي القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاذا اذن لمن اذن ان يشفع فزعته الشفاعة وقرئ اذن له اي اذن له الله واذن له على البناء للمفعول وقرئ فزع مخففا بمعنى فزع وقرئ فزع على البناء للفاعل وهو الله وحده وفرغ اي نفي الوجل عنها وافني من قولهم فرغ الزاد اذا لم يبق منه شيء ثم ترك ذكر الوجل واسند الى الجار والمجرور كما تقول دفع الى زيد اذا علم ما المدفوع وقد تخفف واصله فرغ الوجل عنها اي انتفى عنها وفني ثم حذف الفاعل واسند الى الجار والمجرور وقرئ افرنقع عن قلوبهم بمعنى انكشف عنها وعن ابي علقمة انه هاج به المرار فالتف عليه الناس فلما افاق قال ما لكم تكأكأتم علي تكأكؤكم على ذي جنة افرنقعوا عني والكلمة مركبة من حروف المفارقة مع زيادة العين كما ركب اقمطر من حروف القمط مع زيادة الراء وقرئ الحق بالرفع اي مقوله الحق **وهو العلي الكبير** ذو العلو والكبرياء ليس لملك ولا نبي ان يتكلم ذلك اليوم الا باذنه وان يشفع الا لمن ارتضى **قل من يرزقكم من السموات والارض** امره بان يقررهم بقوله من يرزقكم ثم امره بان يتولى الاجابة والاقرار عنهم بقوله قل الله وذلك للاشعار بانهم مقرون به بقلوبهم الا انهم ربما ابوا ان يتكلموا به لان الذي تمكن في صدورهم من العناد وحب الشرك قد الجم افواههم عن النطق بالحق مع علمهم بصحته ولانهم ان تفوهوا بان الله رازقهم لزمهم ان يقال لهم فما لكم لا تعبدون من يرزقكم وتؤثرون عليه من لا يقدر على الرزق الا ترى الى قوله قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع والابصار حتى قال فسيقولون الله ثم قال فماذا بعد الحق الا الضلال فكانهم يتقون بالسنتهم مرة ومرة كانوا يتلعثمون عنادا وضرارا وحذارا من الزام الحجة ونحوه قوله عز وعلا قل من رب السموات والارض قل الله قل افاتخذتم من دونه اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا وامره ان يقول لهم بعد الالزام والالجام الذي ان لم يزد على اقرارهم بالسنتهم لم يتقاصر عنه **وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين** ومعناه وان احد الفريقين من الذين يتوحدون الرازق من السموات والارض بالعبادة ومن الذين يشركون به الجماد الذي لا يوصف بالقدرة لعلى احد

الامرين من الهدى والضلال وهذا من الكلام المنصف الذي كل من سمعه من موال او مناف قال لمن خوطب به قد انصفك صاحبك وفي درجه بعد تقدمة ما قدم من التقرير البليغ دلالة غير خفية على من هو من الفريقين على الهدى ومن هو في الضلال المبين ولكن التعريض والتورية افضى بالمجادل الى الغرض واهجم به على الغلبة مع قلة شغب الخصم وفل شوكته بالهوينا ونحوه قول الرجل لصاحبه قد علم الله الصادق مني ومنك وان احدنا لكاذب ومنه بيت حسان

أتهجوه ولست له بكفء ... فشركما لخيركما الفداء

فان قلت كيف خولف بين حرفي الجر الداخلين على الحق والضلال قلت لان صاحب الحق كانه مستعل على فرس جواد يركضه حيث شاء والضال كانه منغمس في ظلام مرتبك فيه لا يدري اين يتوجه وفي قراءة ابي وانا واياكم اما على هدى او في ضلال مبين **قل لا تسألون عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون** هذا ادخل في الانصاف وابلغ فيه من الاول حيث اسند الاجرام الى المخاطبين وان اراد بالاجرام الصغائر والزلات التي لا يخلو منها مؤمن وبالعمل الكفر والمعاصي العظام **قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم** وفتح الله بينهم وهو حكمه وفصله انه يدخل هؤلاء الجنة واولئك النار **قل اروني الذين الحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم** فان قلت ما معنى قوله اروني وكان يراهم ويعرفهم قلت اراد بذلك ان يريهم الخطأ العظيم في الحاق الشركاء بالله وان يقايس على اعينهم بينه وبين اصنامهم ليطلعهم على احالة القياس اليه والاشراك به وكلا ردع لهم عن مذهبهم بعد ما كسده بابطال المقايسة كما قال ابراهيم عليه الصلاة والسلام اف لكم ولما تعبدون من دون الله بعد ما حجهم وقد نبه على تفاحش غلطهم وان لم يقدروا الله حق قدره بقوله هو الله العزيز الحكيم كانه قال اين الذين الحقتم به شركاء من هذه الصفات وهو راجع الى الله وحده او هو ضمير الشأن كما في قوله قل هو الله احد **وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين** الا ارسالة عامة لهم محيطة بهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم وقال الزجاج المعنى ارسلناك جامعا للناس في الانذار والابلاغ فجعله حالا من الكاف وحق التاء على هذا ان تكون للمبالغة كتاء الراوية والعلامة ومن جعله حالا من المجرور متقدما عليه فقد اخطأ لان تقدم حال المجرور عليه في الاحالة بمنزلة تقدم المجرور على الجار وكم ترى ممن يرتكب هذا الخطأ ثم لا يقنع به حتى يضم اليه ان يجعل اللام بمعنى الى لانه لا يستوي له الخطأ الاول الا بالخطأ الثاني فلا بد له من ارتكاب الخطأين **قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون** قرئ ميعاد يوم وميعاد يوم وميعاد يوما والميعاد ظرف الوعد من مكان او زمان وهو هاهنا الزمان والدليل عليه قراءة من قرأ ميعاد يوم فابدل منه اليوم فاما الاضافة فاضافة تبيين كما تقول سحق ثوب وبعير سانية واما نصب اليوم فعلى التعظيم باضمار فعل تقديره لكم ميعاد اعني يوما او اريد يوما من صفته كيت وكيت ويجوز ان يكون الرفع على هذا اعني التعظيم فان قلت كيف انطبق هذا جوابا على سؤالهم قلت ما سألوا عن ذلك وهم منكرون له تعنتا لا استرشادا فجاء الجواب على طريق التهديد مطابقا لمجيء السؤال على سبيل الانكار والتعنت وانهم مرصدون ليوم يفاجئهم فلا يستطيعون تأخرا عنه ولا تقدما عليه **وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين** الذي بين يديه ما نزل قبل القرآن من كتب الله يروى ان كفار مكة سألوا اهل الكتاب فاخبروهم انهم يجدون صفته في كتبهم فاغضبهم ذلك وقرنوا الى القرآن جميع ما تقدمه من كتب الله في الكفر فكفروا بها جميعا وقيل الذي بين يديه يوم القيامة والمعنى انهم جحدوا ان يكون القرآن من الله وان يكون لما دل عليه من الاعادة للجزاء حقيقة ثم اخبر عن عاقبة امرهم ومآلهم في الآخرة فقال لرسوله عليه الصلاة والسلام او للمخاطب ولو ترى في الآخرة موقفهم وهم يتجاذبون

أطراف المحاورة ويتراجعونها بينهم لرأيت العجب فحذف الجواب والمستضعفون هم الأتباع والمستكبرون هم الرؤوس والمقدمون **قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى** أولي الاسم أعني نحن حرف الإنكار لأن الغرض إنكار أن يكونوا هم الصادين لهم عن الإيمان وإثبات أنهم هم الذين صدوا بأنفسهم عنه وأنهم أتوا من قبل اختيارهم كأنهم قالوا أنحن أجبرناكم وحلنا بينكم وبين كونكم ممكنين مختارين **بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ** بعد أن صممتم على الدخول في الإيمان وصحت نياتكم في اختياره **بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ** ۝ بل أنتم منعتم أنفسكم حظها وآثرتم الضلال على الهدى وأطعتم آمر الشهوة دون آمر النهى فكنتم مجرمين كافرين لاختياركم لا لقولنا وتسويلنا. فإن قلت إذ وإذا من الظروف اللازمة للظرفية فلم وقعت إذ مضافا إليها. قلت قد اتسع في الزمان ما لم يتسع في غيره فأضيف إليها الزمان كما أضيف إلى الجمل في قولك جئتك بعد إذ جاء زيد وحينئذ ويومئذ وكان ذلك أوان الحجاج أمير وحين خرج زيد **وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا** لما أنكر المستكبرون بقولهم أنحن صددناكم أن يكونوا هم السبب في كفر المستضعفين وأثبتوا بقولهم بل كنتم مجرمين أن ذلك بكسبهم واختيارهم كر عليهم المستضعفون بقولهم بل مكر الليل والنهار فأبطلوا إضرابهم بإضرابهم كأنهم قالوا ما كان الإجرام من جهتنا بل من جهة مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا وحملكم إيانا على الشرك واتخاذ الأنداد ومعنى مكر الليل والنهار مكركم في الليل والنهار فاتسع في الظرف بإجرائه مجرى المفعول به وإضافة المكر إليه أو جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الإسناد المجازي وقرئ بل مكرٌّ الليلَ والنهارَ بالتنوين ونصب الظرفين وبل مكرُّ الليل والنهار بالرفع والنصب أي تكرون الإغواء مكرا دائبا لا تفترون عنه. فإن قلت ما وجه الرفع والنصب. قلت هو مبتدأ أو خبر على معنى بل سبب ذلك مكركم أو مكركم أو مكركم سبب ذلك والنصب على بل تكرون الإغواء مكر الليل والنهار. فإن قلت لم قيل قال الذين استكبروا بغير عاطف وقيل وقال الذين استضعفوا. قلت لأن الذين استضعفوا مر أولا كلامهم فجيء بالجواب محذوف العاطف على طريقة الاستئناف ثم جيء بكلام آخر للمستضعفين فعطف على كلامهم الأول. فإن قلت من صاحب الضمير في **وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ**. قلت الجنس المشتمل على النوعين من المستكبرين والمستضعفين وهم الظالمون في قوله إذ الظالمون موقوفون يندم المستكبرون على ضلالهم وإضلالهم والمستضعفون على ضلالهم واتباعهم المضلين **وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا** أي في أعناقهم فجيء بالتصريح للتنويه بذمهم وللدلالة على ما استحقوا به الأغلال. وعن قتادة أسروا الكلام بذلك بينهم. وقيل أسروا الندامة أظهروها وهو من الأضداد **هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ۝ **وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ** ۝ **وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ** ۝ **قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ** هذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مما مني به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به والمنافسة بكثرة الأموال والأولاد والمفاخرة بالدنيا وزخارفها والتكبر بذلك على المؤمنين والاستهانة بهم من أجله وقولهم أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا وأنه لم يرسل قط إلى أهل قرية من نذير إلا قالوا له مثل ما قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أهل مكة وكادوه بنحو ما كادوه وقاسوا أمر الآخرة الموهومة أو المفروضة عندهم على أمر الدنيا واعتقدوا أنهم لو لم يكرموا على الله لما رزقهم ولولا أن المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم فعلى قياسهم ذلك قالوا وما نحن بمعذبين أرادوا أنهم أكرم على الله من أن يعذبهم نظرا إلى أحوالهم في الدنيا وقد أبطل الله تعالى حسبانهم بأن الرزق فضل من الله يقسمه كما يشاء على حسب ما يراه من المصالح فربما وسع على العاصي وضيق على المطيع وربما عكس وربما وسع عليهما وضيق عليهما فلا ينقاس عليه أمر الثواب الذي مبناه على الاستحقاق وقدر الرزق وتضييقه

فالله تعالى ومن قدر عليه رزقه وقرئ ويقدر بالتشديد والتخفيف **وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى** أراد وما جماعة أموالكم بالتي تقربكم وذلك أن الجمع المكسر عقلاؤه وغير عقلائه سواء في حكم التأنيث ويجوز أن تكون هي التقوى وهي المقربة عند الله زلفى وحدها أي ليست أموالكم بتلك الموصوفة بالتقريب. وعن الحسن باللاتي تقربكم لأنها جماعات. وقرئ بالذي يقربكم أي بالشيء الذي يقربكم والزلفى والزلفة كالقربى والقربة ومحلها النصب أي تقربكم قربة كقوله أنبتكم من الأرض نباتا **إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا** استثناء من كم في تقربكم والمعنى أن الأموال لا تقرب أحدا إلا المؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله والأولاد لا تقرب أحدا إلا من علمهم الخير وفقههم في الدين ورشحهم للصلاح والطاعة **فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا** جزاء الضعف من إضافة المصدر إلى المفعول أصله فأولئك لهم أن يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف ومعنى جزاء الضعف أن تضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرا. وقرئ جزاءً الضعفُ على فأولئك لهم الضعف جزاءً وجزاءُ الضعفِ على أن يجازوا الضعف وجزاءٌ الضعفُ مرفوعان الضعف بدل من جزاء **وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ** ۝ وقرئ في الغرفات بضم الراء وفتحها وسكونها وفي الغرفة **وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ** **قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ** فهو يعوضه لا معوض سواه إما عاجلا بالمال أو بالقناعة التي هي كنز لا ينفد وإما آجلا بالثواب الذي كل خلف دونه. وعن مجاهد من كان عنده من هذا المال ما يقيمه فليقتصد فإن الرزق مقسوم ولعل ما قسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه فينفق جميع ما في يده ثم يبقى طول عمره في فقر ولا يتأولن وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه فإن ذلك في الآخرة ومعنى الآية ما كان من خلف فهو منه **وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ** وأعلاهم رب العزة لأن كل ما رزق غيره من سلطان يرزق جنده أو سيد يرزق عبده أو رجل يرزق عياله فهو من رزق الله أجراه على أيدي هؤلاء وهو خالق الرزق وخالق الأسباب التي بها ينتفع المرزوق بالرزق. وعن بعضهم الحمد لله الذي أوجدني وجعلني ممن يشتهي فكم من مشته لا يجد وواجد لا يشتهي **وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ** ۝ هذا الكلام خطاب للملائكة وتقريع للكفار وارد على المثل السائر إياك أعني واسمعي يا جارة ۝ ونحوه قوله عز وعلا أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله وقد علم سبحانه كون الملائكة وعيسى منزهين برآء مما وجه عليهم من السؤال الوارد على طريق التقرير والغرض أن يقول ويقولوا ويسأل ويجيبوا فيكون تقريعهم أشد وتعييرهم أبلغ وخجلهم أعظم وهوانهم ألزم ويكون اقتصاص ذلك لطفا لمن سمعه وزاجرا لمن اقتص عليه **قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ** والموالاة خلاف المعاداة ومنها اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وهي مفاعلة من الولي وهو القرب كما أن المعاداة من العدواء وهي البعد والولي يقع على الموالي والموالى جميعا والمعنى أنت الذي نواليه من دونهم إذ لا موالاة بيننا وبينهم فبينوا بإثبات موالاة الله ومعاداة الكفار براءتهم من الرضا بعبادتهم لهم لأن من كان على هذه الصفة كانت حاله منافية لذلك **بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ** يريدون الشياطين حيث أطاعوهم في عبادة غير الله وقيل صورت لهم الشياطين صور قوم من الجن وقالوا هذه صور الملائكة فاعبدوها وقيل كانوا يدخلون في أجواف الأصنام إذا عبدت فيعبدون بعبادتها وقرئ يحشرهم ويقول بالنون والياء **فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا** الأمر في ذلك اليوم لله وحده لا يملك أحد فيه منفعة ولا مضرة لأحد لأن الدار دار ثواب وعقاب والمثيب والمعاقب هو الله فكانت حالها خلاف حال الدنيا التي هي دار تكليف والناس فيها مخلى بينهم يتضارون وينتفعون والمراد أنه لا ضار ولا نافع يومئذ إلا هو ثم ذكر معاقبة الظالمين بقوله **وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ** ۝ معطوفا على لا يملك **وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا**

إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ۝ الاشارة الاولى إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والثانية الى القرآن والثالثة الى الحق والحق امر النبوة كله
ودين الاسلام كما هو وفي قوله وقال الذين كفروا وفي ان لم يقل وقالوا وفي قوله للحق لما جاءهم وما في
اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه وما في لما من المبادهة بالكفر دليل على صدور
الكلام عن انكار عظيم وغضب شديد وتعجيب من امرهم بليغ كانه قال وقال اولئك الكفرة
المتمردون بجراءتهم على الله ومكابرتهم لمثل ذلك الحق النير قبل ان يذوقوه ان هذا الا سحر
مبين فبتوا القضاء على انه سحر ثم بتوه على انه ظاهر بين كل عاقل تامله سماه سحرا وَمَا
آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ۝ وما آتيناهم كتبا
يدرسونها فيها برهان على صحة الشرك ولا ارسلنا اليهم نذيرا ينذرهم بالعقاب ان لم
يشركوا كما قال عز وعلا ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون او وصفهم بانهم
قوم اميون اهل جاهلية لا ملة لهم وليس لهم عهد بانزال كتاب ولا بعثة رسول
كما قال ام آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون فليس لتكذيبهم وجه متشبث ولا
شبهة متعلق كما يقول اهل الكتاب وان كانوا مبطلين نحن اهل كتب وشرائع
ومستندون الى رسل من رسل الله ثم توعدهم على تكذيبهم بقوله وَكَذَّبَ الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۝
وكذب الذين تقدموا من الامم والقرون الخالية كما كذبوا وما بلغ هؤلاء بعض ما آتينا
اولئك من طول الاعمار وقوة الاجرام وكثرة الاموال فحين كذبوا رسلهم جاءهم انكاري بالتدمير
والاستئصال ولم يغن عنهم استظهارهم بما هم مستظهرون فما بال هؤلاء وقرئ يدرسونها
من التدريس وهو تكرير الدرس او من التدرس لكتاب ودرس الكتب ويدرسونها بتشديد
الدال يفتعلون من الدرس والمعشار كالمرباع وهما العشر والربع فان قلت ما معنى
فكذبوا رسلي وهو مستغنى عنه بقوله وكذب الذين من قبلهم قلت لما كان معنى قوله وكذب
الذين من قبلهم وفعل الذين من قبلهم التكذيب واقدموا عليه جعل تكذيب الرسل مسببا عنه
ونظيره ان يقول القائل اقدم فلان على الكفر فكفر بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ويجوز ان
ينعطف على قوله وما بلغوا كقولك ما بلغ زيد معشار فضل عمرو فيتفضل عليه وكيف كان
نكيري للمكذبين فليحذروا من مثله قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ بخصلة واحدة وقد فسرها
بقوله أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى على انه عطف بيان لها واراد بقيامهم اما القيام عن مجلس
رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرقهم عن مجتمعهم عنده واما القيام الذي لا يراد به المثول على
القدمين ولكن الانتصاب في الامر والنهوض فيه بالهمة والمعنى انما اعظكم بواحدة ان فعلتموها
اصبتم الحق وتخلصتم وهي ان تقوموا لوجه الله خالصا متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا
ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا في امر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به اما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما
محصول فكره على صاحبه وينظران فيه نظر متصادقين متناصفين لا يميل بهما اتباع هوى ولا
ينبض لهما عرق عصبية حتى يهجم بهما الفكر الصالح والنظر الصحيح على جادة الحق وسننه وكذلك
الفرد يفكر في نفسه بعدل ونصفة من غير ان يكابرها ويعرض فكره على عقله وذهنه
وما استقر عنده من عادات العقلاء ومجاري احوالهم والذي اوجب تفرقهم مثنى وفرادى
ان الاجتماع مما يشوش الخواطر ويعمي البصائر ويمنع من الروية ويخلط القول ومع ذلك يقل
الانصاف ويكثر الاعتساف ويثور عجاج التعصب ولا يسمع الا نصرة المذهب واراهم
بقوله مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ ان هذا الامر العظيم الذي تحته ملك
الدنيا والآخرة جميعا لا يتصدى لادعاء مثله الا رجلان اما مجنون لا يبالي بافتضاحه اذا
طولب بالبرهان فعجز بل لا يدري ما الافتضاح وما رقبة العواقب واما عاقل راجح العقل
مرشح للنبوة مختار من اهل الدنيا لا يدعي مثله الا بحجته والا فما يجدي على العاقل دعوى شيء
لا بينة له عليه وقد علمتم ان محمدا صلى الله عليه وسلم ما به من جنة بل علمتموه ارجح قريش عقلا
وارزنهم حلما واثقبهم ذهنا واصلهم رايا واصدقهم قولا وازكاهم نفسا واجمعهم لما

بمحمد عليه الرجال

يحمد عليه الرجال ويمدحون به فكان مظنة لان تظنوا به الخير وترجحوا فيه جانب الصدق على الكذب
واذا فعلتم ذلك كفاكم ان تطالبوه بان يأتيكم بآية فاذا اتى بها تبين انه نذير مبين فان
قلت ما بصاحبكم بم يتعلق قلت يجوز ان يكون كلاما مستانفا تنبيها من الله عز وجل على طريقة
النظر في امر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويجوز ان يكون المعنى ثم تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من
جنة وقد جوز بعضهم ان تكون ما استفهامية بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ كقوله عليه الصلاة
والسلام بعثت في نسم الساعة قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ فهو لكم
جزاء الشرط الذي هو قوله ما سالتكم من اجر تقديره اي شيء سالتكم من اجر كقوله ما يفتح
الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وفيه معنيان احدهما نفي مسالة الاجر راسا كما يقول الرجل
لصاحبه ان اعطيتني شيئا فخذه وهو يعلم انه لم يعطه شيئا ولكنه يريد البت لتعليقه الاخذ بما
لم يكن والثاني ان يريد بالاجر ما اراد في قوله قل ما اسالكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه
سبيلا وفي قوله لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى لان اتخاذ السبيل الى الله نصيبهم وما فيه
نفعهم وكذلك المودة في القربى لان القرابة قد انتظمته واياهم وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝
حفيظ مهيمن يعلم اني لا اطلب الاجر على نصيحتكم ودعائكم اليه الا منه ولا اطمع منكم في شيء قُلْ إِنَّ
رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ القذف والرمي تزجية السهم ونحوه بدفع واعتماد ويستعاران من حقيقتهما
لمعنى الالقاء ومنه قوله وقذف في قلوبهم الرعب ان اقذفيه في التابوت ومعنى يقذف
بالحق يلقيه وينزله الى انبيائه او يرمي به الباطل فيدمغه ويزهقه عَلَّامُ الْغُيُوبِ رفع محمول
على محل ان واسمها او على المستكن في يقذف او هو خبر مبتدا محذوف وقرئ بالنصب صفة
لربي او على المدح وقرئ الغيوب بالحركات الثلاث فالغيوب كالبيوت والغيوب كالصبور
وهو الامر الذي غاب وخفي جدا قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ۝ الحي اما ان يبدئ
فعلا او يعيده فاذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة فجعلوا قولهم لا يبدئ ولا يعيد مثلا في الهلاك
ومنه قول عبيد
أقفر من أهله عبيد ۝ فاليوم لا يبدي ولا يعيد ۝
والمعنى جاء الحق وهلك الباطل كقوله جاء الحق وزهق الباطل وعن ابن مسعود رضي الله عنه
دخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم مكة وحول البيت ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود معه ويقول
جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد والحق القرآن
وقيل الاسلام وقيل السيف وقيل الباطل ابليس اي ما ينشئ خلقا ولا يعيده المنشئ الباعث هو الله
وعن الحسن لا يبدئ لاهله خيرا ولا يعيده اي لا ينفعهم في الدنيا والآخرة وقال الزجاج
اي شيء ينشئ ابليس ويعيده فجعله للاستفهام وقيل للشيطان الباطل لانه صاحب الباطل او لانه
هالك كما قيل له الشيطان من شاط اذا هلك قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ
فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي وقرئ ضللت اضل بفتح العين مع كسرها وضللت اضل بكسرها
مع فتحها وهما لغتان نحو ضللت اضل وقرئ اضل بكسر الهمزة مع فتح العين فان قلت
اين التقابل بين قوله انما اضل على نفسي وقوله فبما يوحي الي ربي وانما كان يستقيم ان يقال فانما
اضل على نفسي وان اهتديت فانما اهتدي لها كقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها
من اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها او يقال فانما اضل بنفسي قلت هما متقابلان
من جهة المعنى لان النفس كل ما هو عليها فهو بها اعني ان كل ما هو وبال عليها وضار لها فهو بها
وبسببها لانها الامارة بالسوء وما لها مما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه وهذا حكم عام
لكل مكلف وانما امر رسوله ان يسنده الى نفسه لان الرسول اذا دخل تحته مع جلالة محله وسداد
طريقته كان غيره اولى به إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ۝ يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله لا يخفى عليه
شيء منهما وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ جوابه محذوف بمعنى لرايت امرا عظيما وحالا هائلة
ولو واذ والافعال التي هي فزعوا واخذوا وحيل بينهم كلها للمضي والمراد بها الاستقبال والمراد
بها الاستقبال لان ما الله فاعله في المستقبل بمنزلة ما قد كان ووجد لتحققه ووقت الفزع البعث

او قيام الساعة وقيل وقت الموت وقيل يوم بدر وعن ابن عباس نزلت في خسف البيداء وذلك ان ثمانين الفا يغزون الكعبة ليخربوها فاذا دخلوا البيداء خسف بهم **فلا فوت** فلا يفوتون الله ولا يسبقونه وقرئ فلا فوتٌ **وأُخذوا من مكان قريب** والاخذ من مكان قريب من الموقف الى النار اذا بعثوا ومن ظهر الارض الى بطنها اذا ماتوا او من صحراء بدر الى القليب او من تحت اقدامهم اذا خسف بهم فان قلت علام عطف واخذوا قلت فيه وجهان العطف على فزعوا اي فزعوا واخذوا فلا فوت لهم او على لا فوت على معنى اذ فزعوا فلم يفوتوا واخذوا وقرئ وأُخذٌ وهو معطوف على محل لا فوت ومعناه فلا فوت هناك وهناك اخذ **وقالوا آمنا به** بمحمد صلى الله عليه واله لمرور ذكره في قوله ما بصاحبكم من جنة **وأنى لهم التناوش من مكان بعيد** والتناول والتناوش اخوان الا ان التناوش تناول سهل لشيء قريب يقال ناشه ينوشه وتناوشه القوم ويقال تناوشوا في الحرب ناش بعضهم بعضا وهذا تمثيل لطلبهم ما لا يكون وهو ان ينفعهم ايمانهم في ذلك الوقت كما تنفع المؤمنين ايمانهم في الدنيا مثلت حالهم بحال من يريد ان يتناول الشيء من علوه كما يتناوله الآخر من قيس ذراع تناولا سهلا لا تعب فيه وقرئ التناؤش همزت الواو المضمومة كما همزت في أدؤر ومنه البيت ٥ تمنى نئيشا ان يكون اطاعني اي اخيرا **وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد** ٥ ويقذفون معطوف على قد كفروا على حكاية الحال الماضية يعني وكانوا يتكلمون بالغيب ويأتون به من مكان بعيد وهو قولهم في رسول الله صلى الله عليه واله وسلم شاعر ساحر كذاب وهذا تكلم بالغيب والامر الخفي لانهم لم يشاهدوا منه سحرا ولا شعرا ولا كذبا وقد اتوا بهذا الغيب من جهة بعيدة من حاله لان ابعد شيء مما جاء به السحر والشعر وابعد شيء من عادته التي عرفت بينهم وجربت الكذب والزور وقرئ ويُقذفون بالغيب على البناء للمفعول اي يأتيهم به شياطينهم ويلقنونهم اياه وان شئت فعلقه بقوله وقالوا آمنا به على انه مثلهم في طلبهم تحصيل ما عطلوه من الايمان في الدنيا بقولهم آمنا في الآخرة وذلك مطلب مستبعد ممن يقذف شيئا من مكان بعيد لا مجال للظن في لحوقه حيث يريد ان يقع فيه لكونه غائبا عنه شاحطا والغيب الشيء الغائب ويجوز ان يكون الضمير للعذاب الشديد في قوله بين يدي عذاب شديد وكانوا يقولون وما نحن بمعذبين ان كان الامر كما تصفون من قيام الساعة والعقاب والثواب ونحن اكرم على الله من ان يعذبنا قايسين امر الآخرة على امر الدنيا فهذا كان قذفا منهم بالغيب وهو غيب ومقذوف به من جهة بعيدة لان دار الجزاء لا تنقاس على دار التكليف **وحيل بينهم وبين ما يشتهون** من نفع الايمان يومئذ والنجاة به من النار والفوز بالجنة او من الرد الى الدنيا كما حكي عنهم ارجعنا نعمل صالحا **كما فعل بأشياعهم** باشباههم من كفرة الامم ومن كان مذهبه مذهبهم **انهم كانوا في شك مريب** اما من ارابه اذا اوقعه في الريبة والتهمة او من اراب الرجل اذا صار ذا ريبة ودخل فيها وكلاهما مجاز الا ان بينهما فريقا وهو ان المريب من الاول منقول ممن يصح ان يكون مريبا من الاعيان الى المعنى والمريب من الثاني منقول من صاحب الشك الى الشك كما تقول شعر شاعر ٥ عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبي الا كان له يوم القيامة رفيقا ومصافحا ٥٥٥

سورة الملائكة مكية وهي خمس واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم **الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة** فاطر السموات مبتدئها ومبتدعها وعن مجاهد عن ابن عباس ما كنت ادري ما فاطر السموات والارض حتى اختصم الي اعرابيان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها وقرئ الذي فطر السموات والارض وجعل الملائكة وقرئ جاعل الملائكة بالرفع على المدح **رسلا** بضم السين وسكونه **اولي اجنحة** اصحاب اجنحة واولو اسم جمع لذو كما ان اولاء اسم جمع لذا ونظيرهما المخاض والخلفة **مثنى وثلاث ورباع** صفات لاجنحة وانما لم تنصرف لتكرر العدل فيها وذلك انها عدلت عن الفاظ الاعداد عن صيغ الى صيغ اخر كما عدل عمر عن عامر وحذام عن حاذمة وعن تكرير الى غير تكرير واما الوصفية فلا

وأُخذٌ

المخاض النوق الحوامل والخلفة الحامل من النوق وهي جمع خلفة

تفترق الحال

تفترق الحال بين المعدول والمعدول عنها الا ترى انك تقول مررت بنسوة اربع وبرجال ثلاثة فلا يعرج عليها والمعنى ان من الملائكة خلقا اجنحتهم اثنان اثنان اي لكل واحد منهما جناحان وخلقا اجنحتهم ثلاثة ثلاثة وخلقا اجنحتهم اربعة اربعة **يزيد في الخلق ما يشاء ان الله على كل شيء قدير** اي يزيد في خلق الاجنحة وفي غيره ما تقتضيه مشيئته وحكمته والاصل الجناحان لانهما بمنزلة اليدين ثم الثالث والرابع زيادة على الاصل وذلك اقوى للطيران واعون عليه فان قلت قياس الشفع من الاجنحة ان تكون في كل شق نصفه فما صورة الثلاثة قلت لعل الثالث يكون في وسط الظهر بين الجناحين يمدهما بقوة او لعله لغير الطيران فقد مر بي في بعض الكتب ان صنفا من الملائكة لهم ستة اجنحة فجناحان يلفون بهما اجسادهم وجناحان يطيرون بهما في الامر من امور الله وجناحان مرخيان على وجوههم حياء من الله وعن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم انه رأى جبريل ليلة المعراج وله ستمائة جناح وروي انه سأل جبريل صلوات الله عليه ان يتراءى له في صورته فقال انك لن تطيق ذلك قال اني احب ان تفعل فخرج رسول الله صلى الله عليه واله وسلم في ليلة مقمرة فاتاه جبريل في صورته فغشي على رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ثم افاق وجبريل عليه الصلاة والسلام مسنده واحدى يديه على صدره والاخرى بين كتفيه فقال سبحان الله ما كنت ارى ان شيئا من الخلق هكذا فقال جبريل فكيف لو رأيت اسرافيل له اثنا عشر جناحا جناح منها بالمشرق وجناح بالمغرب وان العرش على كاهله وانه ليتضاءل الاحايين لعظمة الله حتى يعود مثل الوصع وهو العصفور الصغير وروي عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم في قوله يزيد في الخلق ما يشاء هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن وقيل الخط الحسن وعن قتادة الملاحة في العينين والآية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق من طول قامة واعتدال صورة وتمام في الاعضاء وقوة في البطش وحصافة في العقل وجزالة في الرأي وجرأة في القلب وسماحة في النفس وذلاقة في اللسان ولباقة في التكلم وحسن تأت في مزاولة الامور وما اشبه ذلك مما لا يحيط به الوصف **ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك** استعير الفتح للاطلاق والارسال الا ترى الى قوله **فلا مرسل له من بعده** مكان لا فاتح له بمعنى اي شيء يطلق الله من رحمة اي من نعمة رزق او مطر او صحة او امن او غير ذلك من صنوف نعمائه التي لا يحاط بعددها وتنكير الرحمة للاشاعة والابهام كانه قال من اية رحمة كانت سماوية او ارضية فلا احد يقدر على امساكها وحبسها واي شيء يمسك الله تعالى فلا احد يقدر على اطلاقه فان قلت لم انث الضمير اولا ثم ذكره وهو راجع في الحالين الى الاسم المتضمن معنى الشرط قلت هما لغتان الحمل على المعنى وعلى اللفظ والمتكلم على الخيرة فيهما فانث على معنى الرحمة وذكر على ان لفظ المرجوع اليه لا تأنيث فيه ولان الاول فسر بالرحمة فحسن اتباع الضمير التفسير ولم يفسر الثاني فترك على اصل التذكير وقرئ فلا مرسل لها فان قلت لا بد للثاني من تفسير فما تفسيره قلت يحتمل ان يكون تفسيره مثل تفسير الاول ولكنه ترك لدلالته عليه وان يكون مطلقا في كل ما يمسكه من غضبه ورحمته وانما فسر الاول دون الثاني للدلالة على ان رحمته سبقت غضبه فان قلت فما تقول فيمن فسر الرحمة بالتوبة وعزاه الى ابن عباس قلت ان اراد بالتوبة الهداية لها والتوفيق فيها وهو الذي اراده ابن عباس رضي الله عنهما فمقبول وان اراد انه ان شاء ان يتوب العاصي تاب وان لم يشأ لم يتب فمردود لان الله تعالى يشاء التوبة ابدا ولا يجوز عليه ان لا يشاءها **من بعده** من بعد امساكه كقوله فمن يهديه من بعد الله فباي حديث بعد الله اي من بعد هدايته وبعد آياته **وهو العزيز** الغالب القادر على الارسال والامساك **الحكيم** الذي يرسل ويمسك ما تقتضي الحكمة ارساله وامساكه **يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم** ليس المراد بذكر النعمة ذكرها باللسان ولكن به وبالقلب وحفظها من الكفران والغمط وشكرها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليها ومنه قول الرجل لمن انعم عليه اذكر ايادي عندك يريد حفظها وشكرها والعمل على موجبها والخطاب عام للجميع لان جميعهم مغمورون في نعمة الله وعن ابن عباس يريد يا اهل مكة اذكروا نعمة الله عليكم حيث اسكنكم حرمه ومنعكم من جميع العالم والناس يتخطفون من حولكم وعنه نعمة الله العافية **هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض** وقرئ

غير الله بالحركات الثلاث فالجر والرفع على الوصف لفظا ومحلا والنصب على الاستثناء فإن قلت ما محل يرزقكم قلت يحتمل أن يكون له محل إذا أوقعته صفة لخالق وأن لا يكون له محل إذا رفعت محل من خالق بإضمار يرزقكم وأوقعت يرزقكم تفسيرا له أو جعلته كلاما مبتدأ بعد قوله هل من خالق غير الله فإن قلت هل فيه دليل على أن الخالق لا يطلق على غير الله عز وجل قلت نعم إن جعلت يرزقكم كلاما مبتدأ وهو الوجه الثالث من الأوجه الثلاثة وأما على الوجهين الآخرين وهما الوصف والتفسير فقد تقيد فيهما بالرزق من السماء والأرض وخرج من الإطلاق فكيف يستشهد به على اختصاصه بالإطلاق والرزق من السماء المطر ومن الأرض النبات **لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ** جملة مفصولة لا محل لها من الإعراب مثل يرزقكم في الوجه الثالث ولو وصلتها كما وصلت يرزقكم لم يساعد عليه المعنى لأن قولك هل من خالق آخر سوى الله لا إله إلا ذلك الخالق غير مستقيم لأن قولك هل من خالق سوى الله إثبات لله فلو ذهبت تقول ذلك كنت مناقضا بالنفي بعد الإثبات **فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ** ۝ فمن أي وجه تصرفون عن التوحيد إلى الشرك **وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ** نعى به على قريش سوء تلقيهم لآيات الله وتكذيبهم بها وسلى رسوله بأن له في الأنبياء قبله أسوة ثم جاء بما يشتمل على الوعد والوعيد من رجوع الأمور إلى حكمه ومجازاة المكذب بما يستحقانه وقرئ ترجع بضم التاء وفتحها فإن قلت ما وجه صحة جزاء الشرط ومن حق الجزاء أن يتعقب الشرط وهذا سابق له قلت معناه وإن يكذبوك فتأس بتكذيب الرسل من قبلك فوضع فقد كذبت رسل من قبلك موضع فتأس استغناء بالسبب عن المسبب أعني بالتكذيب عن التأسي فإن قلت ما معنى التنكير في رسل قلت معناه فقد كذبت رسل أي رسل ذوو عدد كثير وأولو آيات ونذر وأهل أعمار طوال وأصحاب صبر وعزم وما أشبه ذلك وهذا أسلى له وأحث على المصابرة **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ** وعد الله الجزاء بالثواب والعقاب **فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا** فلا تخدعنكم الدنيا ولا يذهلنكم التمتع بها والتلذذ بمنافعها عن العمل للآخرة وطلب ما عند الله **وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ** ۝ لا يقولن لكم اعملوا ما شئتم فإن الله غفور يغفر كل كبيرة ويعفو عن كل خطيئة والغرور الشيطان لأن ذلك ديدنه وقرئ بالضم وهو مصدر غره كاللزوم والنهوك أو جمع غار كقاعد وقعود **إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ** أخبرنا الله عز وجل أن الشيطان لنا عدو مبين واقتص علينا قصته وما فعل بأبينا آدم عليه الصلاة والسلام وكيف انتدب لعداوة جنسنا من قبل وجوده وبعده ونحن على ذلك نتولاه ونطيعه فيما يريد منا مما فيه هلاكنا فوعظنا عز وجل بأنه كما علمتم عدو لكم الذي لا عدو أعرق في العداوة منه وأنتم تعاملونه معاملة من لا علم له بحاله **فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا** في عقائدكم وأفعالكم ولا يوجدن منكم إلا ما يدل على معاداته ومناصبته في سركم وجهركم **إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ** ۝ ثم لخص سر أمره وخطأ من اتبعه بأن غرضه الذي يؤمه في دعوة شيعته ومتبعي خطواته هو أن يوردهم مورد الشقوة والهلاك وأن يكونوا من أصحاب السعير **الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ** ۝ **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ** ۝ ثم كشف الغطاء وقشر اللحاء ليقطع الأطماع الفارغة والأماني الكاذبة فبنى الأمر كله على الإيمان والعمل وتركهما ولما ذكر الفريقين الذين كفروا والذين آمنوا قال لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم **أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا** يعني أفمن زين له سوء عمله من هذين الفريقين كمن لم يزين له فكأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لا فقال **فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ** ومعنى تزيين العمل والإضلال واحد وهو أن يكون العاصي على صفة لا تجدي عليه المصالح حتى يستوجب بذلك خذلان الله وتخليته وشأنه فعند ذلك يهيم في الضلال ويطلق أمره النهي آمره الهوى ويعتنق طاعة الهوى حتى يرى القبيح حسنا والحسن قبيحا كأنما غلب على عقله وسلب تمييزه ويقعد تحت قول أبي نواس ۝

اسقني حتى تراني ۝ حسنا عندي القبيح ۝

وإذا خذل الله المصممين على الكفر وخلاهم وشأنهم فإن على الرسول أن لا يهتم بأمرهم ولا يلقي بالا إلى ذكرهم ولا يحزن ولا يتحسر عليهم اقتداء بسنة الله في خذلانهم وتخليتهم وذكر الزجاج

أن المعنى أفمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف الجواب لدلالة فلا تذهب نفسك عليه أو أفمن زين له سوء عمله كمن هداه الله فحذف لدلالة فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء عليه **حَسَرَاتٍ** مفعول له يعني فلا تهلك نفسك للحسرات وعليهم صلة تذهب كما تقول هلك عليه حبا ومات عليه حزنا وهو بيان للمتحسر عليه ولا يجوز أن يتعلق بحسرات لأن المصدر لا يتقدم عليه صلته ويجوز أن يكون حالا كأن كلها صارت حسرات لفرط التحسر كما قال جرير ۝

مشق الهواجر لحمهن مع السرى ۝ حتى ذهبن كلاكلا وصدورا ۝

يريد رجعن كلاكلا وصدورا أي لم يبق إلا كلاكلها وصدورها ومنه قوله ۝

فعلى إثرهم تساقط نفسي ۝ حسرات وذكرهم لي سقام ۝

وقرئ فلا تذهب نفسك **إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ** ۝ وعيد لهم بالعقاب على سوء صنيعهم **وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا** وقرئ أرسل الريح فإن قلت لم جاء فتثير على المضارعة دون ما قبله وما بعده قلت ليحكي الحال التي تقع فيها إثارة الرياح السحاب وتستحضر تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الربانية وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية بحال تستغرب أو تهم المخاطب أو غير ذلك كما قال تأبط شرا ۝

بأني قد لقيت الغول تهوي ۝ بسهب كالصحيفة صحصحان ۝

فأضربها بلا دهش فخرت ۝ صريعا لليدين وللجران ۝

لأنه قصد أن يصور لقومه الحالة التي تشجع فيها بزعمه على ضرب الغول كأنه يبصرهم إياها ويطلعهم على كنهها مشاهدة للتعجب من جراءته على كل هول وثباته عند كل شدة وكذلك سوق السحاب إلى البلد الميت وإحياء الأرض بالمطر بعد موتها لما كانا من الدلائل على القدرة الباهرة قيل فسقنا وأحيينا معدولا بهما عن لفظ الغيبة إلى ما هو أدخل في الاختصاص وأدل عليه والكاف في **كَذَلِكَ النُّشُورُ** في محل الرفع أي مثل إحياء الموات نشور الأموات وروي أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كيف يحيي الله الموتى وما آية ذلك في خلقه فقال هل مررت بوادي أهلك محلا ثم مررت به يهتز خضرا فقالوا نعم فقال فكذلك يحيي الله الموتى وتلك آيته في خلقه وقيل يحيي الله الخلق بماء يرسله من تحت العرش كمني الرجال تنبت منه أجساد الخلق **مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا** كان الكافرون يتعززون بالأصنام كما قال عز وجل واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا والذين آمنوا بألسنتهم من غير مواطأة قلوبهم كانوا يتعززون بالمشركين كما قال تعالى الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا فبين أن لا عزة إلا لله ولأوليائه فقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين والمعنى فليطلبها عند الله فوضع قوله فلله العزة جميعا موضعه استغناء به عنه لدلالته عليه لأن الشيء لا يطلب إلا عند صاحبه ومالكه ونظيره قولك من أراد النصيحة فهي عند الأبرار تريد فليطلبها عندهم إلا أنك أقمت ما يدل عليه مقامه ومعنى فلله العزة جميعا أن العزة كلها مختصة بالله عزة الدنيا وعزة الآخرة ثم عرف أن ما تطلب به العزة هو الإيمان والعمل الصالح بقوله **إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ** والكلم الطيب لا إله إلا الله عن ابن عباس يعني أن هذه الكلمة لا تقبل ولا تصعد إلى السماء فتكتب حيث تكتب الأعمال المقبولة كما قال عز وجل إن كتاب الأبرار لفي عليين إلا إذا اقترن بها العمل الصالح الذي يحققها ويصدقها فرفعها وأصعدها وقيل الرافع الكلم والمرفوع العمل لأنه لا يقبل عمل إلا من موحد وقيل الرافع الله والمرفوع العمل وقيل الكلم الطيب كل ذكر من تكبير وتسبيح وتهليل وقراءة قرآن ودعاء واستغفار وغير ذلك وعنه صلى الله عليه وآله وسلم هو قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر إذا قالها العبد عرج بها الملك فحيى بها وجه الرحمن فإذا لم يكن عمل صالح لم يقبل منه وفي الحديث لا يقبل الله قولا إلا بعمل ولا يقبل قولا وعملا إلا بنية ولا يقبل قولا وعملا ونية إلا بإصابة السنة وعن ابن المقفع قول بلا عمل كثريد بلا دسم وسحاب بلا مطر وقوس بلا وتر وقرئ إليه يصعد الكلم الطيب على البناء للمفعول

واليه يصعد الى الله عز وجل الكلم الطيب واليه يصعد الكلام الطيب وقرئ والعمل الصالح يرفعه
بنصب العمل والرافع الكلم او الله عز وعلا والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد
فان قلت مكر غير متعد لا يقال مكر فلان عمله فبم نصب السيئات قلت هذه صفة للمصدر او لما في
حكمه كقوله ولا يحيق المكر السيئ الا باهله اصله والذين مكروا المكرات السيئات او اصناف
المكر السيئات وعنى بهن مكرات قريش حين اجتمعوا في دار الندوة وتداوروا الرأي في احدى
ثلاث مكرات يمكرونها برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اما اثباته او قتله او اخراجه كما حكى الله
سبحانه عنهم واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ومكر اولئك هو
يبور يعني ومكر اولئك الذين مكروا المكرات هو خاصة يبور عليهم دون مكر الله بهم جميعا
وحقق فيهم قوله ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وقوله ولا يحيق المكر السيئ الا
باهله والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم ازواجا اصنافا او ذكرانا
واناثا كقوله او يزوجهم ذكرانا واناثا وعن قتادة زوج بعضكم بعضا وما تحمل من
انثى ولا تضع الا بعلمه بعلمه في موضع الحال اي الا معلومة له فان قلت ما معنى قوله وما
يعمر من معمر قلت معناه وما يعمر من احد وانما سماه معمرا بما هو صائر اليه ولا ينقص
من عمره الا في كتاب ان ذلك على الله يسير فان قلت الانسان اما معمر اي طويل العمر
او منقوص العمر اي قصيره فاما ان يتعاقب عليه التعمير وخلافه فمحال فكيف صح قوله وما يعمر من
معمر ولا ينقص من عمره قلت هذا من الكلام المتسامح فيه ثقة في تأويله بافهام السامعين
واتكالا على تسديدهم معناه بعقولهم وانه لا يلتبس عليهم احالة الطول والقصر في عمر واحد وعليه
كلام الناس المستفيض لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بالحق وما تنعمت بلدا ولا اجتويته
الا قل فيه ثوائي وفيه تأويل آخر وهو انه لا يطول عمر انسان ولا يقصر الا في كتاب وصورته
ان يكتب في اللوح ان حج فلان او غزا فعمره اربعون سنة وان حج وغزا فعمره ستون سنة فاذا جمع
بينهما فبلغ الستين فقد عمر واذا افرد احدهما فلم يتجاوز به الاربعين فقد نقص من عمره الذي
هو الغاية وهو الستون واليه اشار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله ان الصدقة والصلة
يعمران الديار ويزيدان في الاعمار وعن كعب انه قال حين طعن عمر رضي الله عنه لو ان عمر
دعا الله لاخر في اجله فقيل لكعب اليس قد قال الله تعالى اذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا
يستقدمون قال فقد قال تعالى وما يعمر من معمر وقد استفاض على الالسنة اطال الله بقاءك
وفسح في مدتك وما اشبهه وعن سعيد بن جبير يكتب في الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم
يكتب في اسفل ذلك ذهب يوم ذهب يومان حتى يأتي على آخره وعن قتادة المعمر من بلغ
ستين سنة والمنقوص من عمره من يموت قبل ستين سنة والكتاب اللوح عن ابن عباس ويجوز
ان يراد بكتاب الله علم الله او صحيفة الانسان وقرئ ولا ينقص على تسمية الفاعل من عمره بالتخفيف
وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ضرب البحرين
العذب والملح مثلين للمؤمن والكافر ثم قال على سبيل الاستطراد في صفة البحرين وما علق
بهما من نعمته وعطائه ومن كل ومن كل واحد منهما تأكلون لحما طريا وهو السمك وتستخرجون
حلية تلبسونها وهي اللؤلؤ والمرجان وترى الفلك فيه في كل مواخر شواق للماء
بجريها يقال مخرت السفينة الماء ويقال للسحاب بنات مخر لانها تمخر الهواء والسفن الذي
اشتقت منه السفينة قريب من المخر لانها تسفن الماء كأنها تقشره كما تمخره لتبتغوا من
فضله من فضل الله ولم يجر له ذكر في الآية ولكن فيما قبلها ولو لم يجر لم يشكل لدلالة المعنى
عليه ولعلكم تشكرون وحرف الرجاء مستعار لمعنى الارادة الا ترى كيف سلك
به مسلك لام التعليل كأنه قيل لتبتغوا ولتشكروا والفرات الذي يكسر العطش والسائغ
المريء السهل الانحدار لعذوبته وقرئ سيغ بوزن سيد وسيغ بالتخفيف وملح على
فعل والاجاج الذي يحرق بملوحته ويحتمل غير طريقة الاستطراد وهو ان يشبه الجنسين
بالبحرين ثم يفضل البحر الاجاج على الكافر بانه قد شارك العذب في منافع من السمك
واللؤلؤ وجري الفلك فيه والكافر خلو من النفع فهو في طريقة قوله ثم قست قلوبكم

من بعد ذلك

من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة ثم قال وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها
لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله يولج الليل في النهار ويولج النهار
في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك ذلكم مبتدأ والله
ربكم له الملك اخبار مترادفة او الله ربكم خبران وله الملك جملة مبتدأة واقعة في قران قوله
والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ويجوز في حكم الاعراب ايقاع اسم الله صفة لاسم
الاشارة او عطف بيان وربكم خبرا لولا ان المعنى يأباه والقطمير لفافة النواة وهي القشرة
الرقيقة الملتفة عليها ان تدعوهم ان تدعوا الاوثان لا يسمعوا دعاءكم لانهم جماد ولو سمعوا
ما استجابوا لكم ولو سمعوا على سبيل الفرض والتمثيل لما استجابوا لكم لانهم لا يدعون ما تدعون لهم
من الالهية ويتبرؤن منها وقيل ما نفعوكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم اي باشراككم
لهم وعبادتكم اياهم يقولون ما كنتم ايانا تعبدون ولا ينبئك مثل خبير ولا يخبرك بالامر مخبر
هو مثل خبير عالم به يريد ان الخبير بالامر وحده هو الذي يخبرك بالحقيقة دون سائر المخبرين
به والمعنى ان هذا الذي اخبرتكم به من حال الاوثان هو الحق لاني خبير بما اخبرت به وقرئ
يدعون بالتاء والياء يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله فان قلت لم عرف الفقراء قلت قصد
بذلك ان يريهم انهم لشدة افتقارهم اليه هم جنس الفقراء وان كانت الخلائق كلهم مفتقرين اليه
من الناس وغيرهم لان الفقر مما يتبع الضعف وكلما كان الفقير اضعف كان افقر وقد شهد الله
سبحانه على الانسان بالضعف في قوله وخلق الانسان ضعيفا وقال تعالى الله الذي خلقكم من ضعف
ولو نكر لكان المعنى انتم بعض الفقراء والله هو الغني الحميد فان قلت قد قوبل الفقراء
بالغني فما فائدة الحميد قلت لما اثبت فقرهم اليه وغناه عنهم وليس كل غني نافعا بغناه الا اذا كان
الغني جوادا منعما واذا جاد وانعم حمده المنعم عليه واستحق عليه الحمد ذكر الحميد ليدل به على انه الغني
النافع بغناه خلقه الجواد المنعم عليهم المستحق بانعامه عليهم ان يحمدوه وعلى السنة مؤمنيهم ان يشأ
يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز بممتنع وهذا غضب عليهم لاتخاذهم
له اندادا وكفرهم باياته ومعاصيهم كما قال وان تتولوا يستبدل قوما غيركم وعن ابن عباس
يخلق بعدكم من يعبده ولا يشرك به شيئا ولا تزر وازرة وزر اخرى الوزر والوقر اخوان ووزر
الشيء اذا حمله والوازرة صفة للنفس والمعنى ان كل نفس يوم القيامة لا تحمل الا وزرها الذي اقترفته
لا تؤخذ نفس بذنب نفس كما تأخذ جبابرة الدنيا الولي بالولي والجار بالجار فان قلت هلا قيل
ولا تزر نفس وزر اخرى ولم قيل وازرة قلت لان المعنى ان النفوس الوازرات لا ترى منهن
واحدة الا حاملة وزرها لا وزر غيرها فان قلت كيف توفق بين هذا وبين قوله وليحملن اثقالهم
واثقالا مع اثقالهم قلت تلك الآية في الضالين المضلين وانهم يحملون اثقال اضلال الناس مع اثقال
ضلالهم وذلك كله اوزارهم ما فيها شيء من وزر غيرهم الا ترى كيف كذبهم الله تعالى في قولهم
اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم بقوله وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون فان قلت
ما الفرق بين معنى قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى ومعنى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل
منه شيء ولو كان ذا قربى قلت الاول في الدلالة على عدل الله تعالى في حكمه وانه لا يؤاخذ نفسا
بغير ذنبها والثاني في ان لا غياث يومئذ لمن استغاث حتى ان نفسا قد اثقلتها الاوزار وبهظتها
لو دعت الى ان يخفف بعض وقرها لم تجب ولم تغث وان كان المدعو بعض قرابتها من اب او ولد
او اخ فان قلت الام اسند كان في ولو كان ذا قربى قلت الى المدعو المفهوم من قوله وان تدع
مثقلة فان قلت لم ترك ذكر المدعو قلت ليعم ويشمل كل مدعو فان قلت كيف استقام
اضمار العام ذا قربى للمثقلة قلت هو من العموم الكائن على طريق البدل فان قلت ما تقول في
من قرأ ولو كان ذو قربى على كان التامة كقوله وان كان ذو عسرة قلت نظم الكلام احسن ملاءمة
للناقصة لان المعنى على ان المثقلة ان دعت احدا الى حملها لا يحمل منه شيء وان كان مدعوها ذا قربى
وهو معنى صحيح ملتئم ولو قلت ولو وجد ذو قربى لتفكك وخرج من اتساقه والتئامه على ان
ههنا ما ساغ ان يستتر له ضمير في الفعل بخلاف ما اوردته انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب
واقاموا الصلوة بالغيب حال من الفاعل او المفعول اي يخشون ربهم غائبين عن عذابه او غائبا عنهم

وقيل بالغيب في السر وهذه صفة الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت عادتهم
المستمرة ان يخشوا الله وهم الذين اقاموا الصلوة وتركوها منارا منصوبا وعلما مرفوعا يعني
انما تقدر على انذار هؤلاء من قومك وعلى تحصيل منفعة الانذار فيهم دون متمرديهم واهل عنادهم
ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه ومن تطهر بفعل الطاعات وترك المعاصي وقرئ ومن ازكى
فانما يزكى وهو اعتراض موكد لخشيتهم واقامتهم الصلوة لانهما من جملة التزكي وإلى الله المصير
وعد للمتزكين فان قلت كيف اتصل قوله انما تنذر بما قبله قلت لما غضب عليهم في قوله ان يشا
يذهبكم اتبعه الانذار بيوم القيامة وذكر اهوالها ثم قال انما تنذر كان رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم اسمعهم ذلك فلم ينفع فنزل انما تنذر او اخبره الله تعالى بعلمه فيهم وما يستوي الاعمى
والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات
الاعمى والبصير مثل للكافر والمومن كما ضرب البحرين مثلا لهما او للصنم ولله عز وجل
والظلمات والنور والظل والحرور مثلان للحق والباطل وما يوديان اليه من الثواب والعقاب
والاحياء والاموات مثال للذين دخلوا في الاسلام والذين لم يدخلوا فيه واصروا على الكفر والحرور
السموم الا ان السموم يكون بالنهار والحرور بالليل والنهار وقيل بالليل فان قلت لا المقرونة
بواو العطف ما هي قلت اذا وقعت الواو في النفي قرنت بها لتاكيد معنى النفي فان قلت هل
من فرق بين هذه الواوات قلت بعضها ضمت شفعا الى شفع وبعضها وترا الى وتر ان الله
يسمع من يشاء وما انت بمسمع من في القبور ۝ يعني انه قد علم من يدخل في الاسلام ممن لا يدخل فيه
فيهدي الذي قد علم ان الهداية تنفع فيه ويخذل من علم انها لا تنفع فيه واما انت فخفي عليك امرهم فلذلك
تحرص وتتهالك على اسلام قوم من المخذولين ومثلك في ذلك مثل من يريد ان يسمع المقبورين وذلك ما لا
سبيل اليه ثم قال ان انت الا نذير اي ما عليك الا ان تبلغ وتنذر فان كان المنذر ممن يسمع الانذار نفع
وان كان من المصرين فلا عليك ويحتمل ان الله يسمع من يشاء انه قادر على ان يهدي المطبوع على قلوبهم على
وجه القسر والالجاء وغيرهم على وجه الهداية والتوفيق واما انت فلا حيلة لك في المطبوع على
قلوبهم الذين هم بمنزلة الموتى انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ۝ بالحق حال من احد الضميرين
يعني محقا او محقين او صفة للمصدر اي ارسالا مصحوبا بالحق او صلة لبشير ونذير على بشيرا
بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق وان من امة الا خلا فيها نذير ۝ والامة الجماعة الكثيرة قال
الله تعالى وجد عليه امة من الناس يسقون ويقال لاهل كل عصر امة وفي حدود المتكلمين
الامة هم المصدقون بالرسول دون المبعوث اليهم وهم الذين يعتبر اجماعهم والمراد هاهنا اهل العصر
فان قلت كم من امة في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام ولم يخل فيها نذير قلت اذا كانت
آثار النذارة باقية لم تخل من نذير الى ان تندرس وحين اندرست آثار نذارة عيسى بعث الله محمدا
صلى الله عليه وآله وسلم فان قلت كيف اكتفى بذكر النذير عن البشير في آخر الآية بعد ذكرهما
قلت لما كانت النذارة مشفوعة بالبشارة لا محالة دل ذكرها على ذكرها لا سيما وقد اشتملت
الآية على ذكرهما وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات بالشواهد
على صحة النبوة وهي المعجزات وبالزبر وبالصحف وبالكتاب المنير ۝ نحو التوراة والانجيل والزبور لما
كانت هذه الاشياء في جنسهم اسند المجيء بها اليهم اسنادا مطلقا وان كانت بعضها في جميعهم وهي
البينات وبعضها في بعضهم وهي الزبر والكتاب وفيه مسلاة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير ۝ الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا
به ثمرات مختلفا الوانها اجناسها من الرمان والتفاح والتين والعنب وغيرها مما لا يحصر او هيآتها
من الحمرة والصفرة والخضرة ونحوها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب
سود ۝ والجدد الخطط والطرائق قال لبيد ۝ ومذهب جدد على الواحه ۝ ويقال جدة الحمار للخطة
السوداء على ظهره وقد يكون للظبي جدتان مسكيتان تفصلان بين لوني ظهره وبطنه وغرابيب
معطوف على بيض او على جدد كانه قيل ومن الجبال مخطط ذو جدد ومنها ما هو على لون واحد غرابيب
وعن عكرمة هي الجبال الطوال السود فان قلت الغرابيب تاكيد للاسود يقال اسود غربيب
واسود حلكوك وهو الذي ابعد في السواد واغرب فيه ومنه الغراب ومن حق التاكيد ان يتبع

الموكد كقولك اصفر فاقع وابيض يقق وما اشبه ذلك قلت وجهه ان يضمر المؤكد قبله
ويكون الذي بعده تفسيرا لما اضمر كقول النابغة ۝ والمومن العائذات الطير ۝ وانما يفعل ذلك
لزيادة التوكيد حيث يدل على المعنى الواحد من طريقي الاظهار والاضمار جميعا ولا بد من تقدير حذف
المضاف في قوله ومن الجبال جدد بمعنى ومن الجبال ذو جدد بيض وحمر وسود حتى يؤول الى قولك
ومن الجبال مختلف الوانه كما قال ثمرات مختلفا الوانها ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه
يعني ومنهم بعض مختلف الوانه وقرئ الوانها وقرأ الزهري جدد بالضم جمع جديدة وهي الجدة
يقال جديدة وجدد وجدائد كسفينة وسفن وسفائن وقد فسر بها قول ابي ذويب ۝
جون السراة له جدائد اربع ۝ وروي عنه جدد بفتحتين وهو الطريق الواضح المسفر
وضعه موضع الطرائق والخطوط الواضحة المنفصل بعضها من بعض وقرئ والدواب مخففا
ونظير هذا التخفيف قراءة من قرأ ولا الضالين لان كل واحد منهما فرار من التقاء الساكنين
فحرك ذاك اولهما وحذف هذا آخرهما وقوله كذلك اي كاختلاف الثمرات والجبال انما يخشى الله
من عباده العلماء المراد العلماء به الذين علموه بصفاته وعدله وتوحيده وما يجوز عليه وما لا يجوز فعظموه
وقدروه وخشوه حق خشيته ومن ازداد به علما ازداد منه خوفا ومن كان علمه به اقل كان
آمن وفي الحديث اعلمكم بالله اشدكم له خشية وعن مسروق كفى بالمرء علما ان يخشى الله وكفى
بالمرء جهلا ان يعجب بعلمه وقال رجل للشعبي افتني ايها العالم فقال العالم من خشي الله وقيل نزلت
في ابي بكر الصديق رضي الله عنه وقد ظهرت عليه الخشية حتى عرفت فيه فان قلت هل يختلف المعنى
اذا قدم المفعول في هذا الكلام او اخر قلت لا بد من ذلك فانك اذا قدمت عملت على العكس
انقلب المعنى الى انهم لا يخشون الا الله كقوله ولا يخشون احدا الا الله وهما معنيان مختلفان
فان قلت ما وجه اتصال هذا الكلام بما قبله قلت لما قال الم تر بمعنى الم تعلم ان الله انزل من السماء
ماء وعدد آيات الله واعلام قدرته وآثار صنعته وما خلق من الفطر المختلفة الاجناس وما يستدل
به عليه وعلى صفاته اتبع ذلك انما يخشى الله من عباده العلماء كانه قال انما يخشاه مثلك ومن على
صفتك ممن عرفه حق معرفته وعلمه كنه علمه وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انا ارجوا ان اكون
اتقاكم لله واعلمكم به فان قلت فما وجه قراءة من قرأ انما يخشى الله من عباده العلماء وهو عمر
بن عبد العزيز وتحكى عن ابي حنيفة قلت الخشية في هذه القراءة استعارة والمعنى انما يجلهم
ويعظمهم كما يجل المهيب المخشي من الرجال بين الناس من بين جميع عباده ان الله عزيز غفور ۝
تعليل لوجوب الخشية لدلالته على عقوبة العصاة وقهرهم واثابة اهل الطاعة والعفو عنهم والمعاقب
المثيب حقه ان يخشى ان الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم
سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله يتلون كتاب الله
يداومون على تلاوته وهي شانهم وديدنهم وعن مطرف رحمه الله هي آية القراء وعن الكلبي
ياخذون بما فيه وقيل يعلمون ما فيه ويعملون به وعن السدي هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم ورضي عنهم وعن عطاء هم المومنون يرجون خبر ان والتجارة طلب الثواب بالطاعة
وليوفيهم متعلق بلن تبور اي تجارة ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها عنده
اجورهم وهي ما يستحقون من الثواب ويزيدهم على ما يستحقون تفضلا وان شئت جعلت يرجون في
موضع الحال على وانفقوا راجين ليوفيهم اي فعلوا جميع ذلك من التلاوة واقامة الصلوة والانفاق
في سبيل الله لهذا الغرض وخبر ان قوله انه غفور شكور ۝ على معنى غفور لهم شكور لاعمالهم
والشكر مجاز عن الاثابة والذي اوحينا اليك من الكتاب هو الحق الكتاب القرآن ومن للتبيين او
الجنس ومن للتبعيض مصدقا حال موكدة لان الحق لا ينفك عن هذا التصديق لما بين يديه لما تقدمه من
الكتب ان الله بعباده لخبير بصير ۝ يعني خبرك وابصرك فراك اهلا لان يوحي اليك مثل
هذا الكتاب المعجز الذي هو عيار على سائر الكتب ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا
فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل
الكبير ۝ جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم
فيها حرير ۝ فان قلت ما معنى قوله ثم اورثنا الكتاب قلت فيه وجهان احدهما انا اوحينا اليك

القرآن ثم اورثناه من بعدك اي حكمنا بتوريثه او قال اورثناه وهو يريد نورثه لما عليه اخبار الله
الذين اصطفينا من عبادنا وهم امته من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم الى يوم القيمة لان الله
اصطفاهم على سائر الامم وجعلهم امة وسطا ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة الانتماء الى
افضل رسل الله صلى الله عليه وسلم وحمل الكتاب الذي هو افضل كتب الله تعالى فمنهم ظالم
لنفسه مجرم وهو المرجا لامر الله ومنهم مقتصد وهو الذي خلط عملا صالحا واخر سيئا ومنهم سابق من
السابقين والوجه الثاني انه تعالى لما ارسل في كل امة رسولا وانهم كذبوا رسلهم وقد جاؤهم
بالبينات والزبر والكتاب المنير ثم قال ان الذين يتلون كتاب الله فاثنى على التالين لكتبه العاملين
بشرائعه من بين المكذبين بها من سائر الامم واعترض بقوله والذي اوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقا
ثم قال ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا اي من بعد اولئك المذكورين يريد بالمصطفين
من عباده اهل الملة الحنيفية فان قلت كيف جعلت جنات عدن بدلا من الفضل الكبير الذي هو السبق
بالخيرات المشار اليه بذلك قلت لما كان السبب في نيل الثواب نزل منزلة المسبب كانه هو الثواب
فابدلت عنه جنات عدن وفي اختصاص السابقين بعد التقسيم بذكر ثوابهم والسكوت عن
الاخرين ما فيه من وجوب الحذر فليحذر المقتصد وليهلك الظالم نفسه حذرا وعليهما بالتوبة
النصوح المخلصة من عذاب الله ولا تغتر بما رواه عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له فان شرط ذلك صحة التوبة لقوله
تعالى عسى الله ان يتوب عليهم وقوله تعالى واما يعذبهم واما يتوب عليهم ولقد نطق القرآن بذلك في
مواضع من استقراها اطلع على حقيقة الامر ولم يعلل نفسه بالخدع وقرئ سباق ومعنى باذن الله
بتيسيره وتوفيقه فان قلت لم قدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق قلت للايذان بكثرة الفاسقين
منهم وغلبتهم وان المقتصدين قليل بالاضافة اليهم والسابقون اقل من القليل وقرئ جنة عدن على الافراد
كانها جنة مختصة بالسابقين وجنات عدن بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر اي يدخلون
جنات عدن يدخلونها ويدخلونها على البناء للمفعول ويحلون من حليت المراة فهي حال ولؤلؤا معطوفا
على محل من اساور ومن داخله للتبعيض اي يحلون بعض اساور من ذهب كانه بعض سابق لسائر
الابعاض كما سبق المسورون به غيرهم وقيل ان ذلك الذهب في صفاء اللؤلؤ ولولؤا بتخفيف الهمزة
الاولى وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور وقرئ
الحزن والمراد حزن المتقين وهو ما اهمهم من سوء خوف العاقبة كقوله انا كنا قبل في اهلنا
مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم وعن ابن عباس حزن الاعراض والآفات وعنه حزن
الموت وعن الضحاك حزن ابليس ووسوسته وقيل هم المعاش وقيل حزن زوال النعم وقد اكثروا
حتى قال بعضهم كراء الدار ومعناه انه يعم كل حزن من احزان الدين والدنيا حتى هذا وعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في محشرهم ولا في مسيرهم وكاني
باهل لا اله الا الله يخرجون من قبورهم وهم ينفضون التراب عن وجوههم ويقولون الحمد لله الذي
اذهب عنا الحزن وذكر الشكور دليل على ان القوم كثيرو الحسنات الذي احلنا دار
المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب المقامة بمعنى الاقامة يقال
اقمت اقامة ومقاما ومقامة من فضله من عطائه وافضاله من قولهم لفلان فضول على قومه وفواضل
وليس من الفضل الذي هو التفضل لان الثواب بمنزلة الاجر المستحق والتفضل كالتبرع وقرئ
لغوب بالفتح وهو اسم ما يلغب منه اي لا نتكلف عملا يلغبنا او مصدر كالقبول والولوع او صفة
للمصدر كانه لغوب لغوب كقولك موت مائت فان قلت ما الفرق بين النصب واللغوب
قلت النصب المشقة التي تصيب المنتصب للامر المزاول له واما اللغوب فما يلحقه من الفتور
بسبب النصب والنصب نفس المشقة والكلفة واللغوب نتيجته وما يحدث منه من الكلال والفترة
والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها فيموتوا جواب
النفي ونصبه باضمار ان وقرئ فيموتون عطفا على يقضى وادخالا له في حكم النفي اي لا يقضى عليهم الموت
فلا يموتون ولا يخفف عنهم كذلك مثل ذلك الجزاء نجزي كل كفور وقرئ يجازى كل كفور ونجزي
كل كفور وهم يصطرخون فيها يتصارخون يستغيثون من الصراخ وهو الصياح بجهد وشدة

قال الصراخ ثم قيلها واستعمل في الاستغاثة لجهد المستغيث صوته ربنا اخرجنا نعمل صالحا فان قلت
هلا اكتفى بصالحا كما اكتفى به في فارجعنا نعمل صالحا وما فائدة زيادة غير الذي كنا نعمل
على انه يوهم انهم يعملون صالحا اخر غير الصالح الذي عملوه قلت فائدة زيادة التحسر على ما عملوه من
غير الصالح مع الاعتراف به واما الوهم فزائل لظهور حالهم في الكفر وركوب المعاصي ولانهم
كانوا يحسبون انهم على سيرة صالحة كما قال الله تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا فقالوا اخرجنا
نعمل صالحا غير الذي كنا نحسبه صالحا فنعمله اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم
النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير اولم نعمركم توبيخ من الله تعالى فيقول لهم وقرئ
ما يذكر فيه من اذكر على الادغام وهو متناول لكل عمر تمكن فيه المكلف من اصلاح شانه وان قصر الا ان
التوبيخ في المتطاول اعظم وعن النبي صلى الله عليه وسلم العمر الذي اعذر الله فيه الى ابن ادم ستون
سنة وعن مجاهد ما بين العشرين الى الستين وقيل ثماني عشرة وسبع عشرة والنذير الرسول وقيل
الشيب وقرئ وجاءتكم النذر فان قلت علام عطف وجاءكم النذير قلت على معنى اولم نعمركم
لان لفظه لفظ استخبار ومعناه معنى اخبار كانه قيل قد عمرناكم وجاءكم النذير ان الله
عالم غيب السموات والارض انه عليم بذات الصدور تعليل له لانه اذا علم ما في الصدور
وهو اخفى ما يكون فقد علم كل غيب في العالم وذات الصدور مضمراتها وهو تانيث ذو في نحو قول
ابي بكر رضي الله عنه ذو بطن خارجة جارية وقوله لتغني عني ذا انائك اجمعا
المعنى ما في بطنها من الحبل وما في انائك من الشراب لان الحبل والشراب يصحبان البطن والاناء الا
ترى الى قولهم معها حبل وكذلك المضمرات تصحب الصدور وهي معها وذو موضوع لمعنى
الصحبة هو الذي جعلكم خلائف في الارض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين
كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا يقال للمستخلف خليفة
وخليف فالخليفة تجمع خلائف والخليف خلفاء والمعنى انه جعلكم خلفاء في ارضه قد ملككم
مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها واباح لكم منافعها لتشكروه بالتوحيد والطاعة
فمن كفر منكم وغمط مثل هذه النعمة السنية فوبال كفره راجع عليه وهو مقت الله الذي
ليس وراءه خزي وصغار وخسار الاخرة الذي ما بعده خسار والمقت اشد البغض ومنه
قيل لمن ينكح امراة ابيه مقتي لكونه ممقوتا في كل قلب وهو خطاب للناس وقيل هو خطاب
لمن بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اي جعلكم امة خلفت من قبلها ورات وشاهدت
فيمن سلف ما ينبغي ان تعتبر به فمن كفر منكم فعليه جزاء كفره من مقت الله وخسار الاخرة
كما ان ذلك حكم من قبلكم قل ارايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من
الارض ام لهم شرك في السموات ام اتيناهم كتابا فهم على بينة منه بل ان يعد الظالمون
بعضهم بعضا الا غرورا اروني بدل من ارايتم لان معنى ارايتم اخبروني كانه قال اخبروني عن هؤلاء
الشركاء وعما استحقوا به الالهية والشركة اروني اي جزء من اجزاء الارض استبدوا بخلقه دون
الله ام لهم مع الله شركة في خلق السموات ام معهم من عند الله كتاب ينطق بانهم شركاؤه فهم على حجة وبرهان
من ذلك الكتاب او يكون الضمير في اتيناهم للمشركين كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا ام اتيناهم
كتابا من قبله بل ان يعد الظالمون بعضهم وهم الرؤساء بعضا وهم الاتباع الا غرورا وهو قولهم
هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقرئ بينات ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا كراهة ان
تزولا او يمنعهما من ان تزولا لان الامساك منع ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده
انه كان حليما غفورا غير معاجل بالعقوبة حيث يمسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا
هدا لعظم الشرك كما قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وقرئ ولو زالتا وان الثانية
امسكهما جواب القسم ولئن الثانية مسدة الجوابين ومن الاولى مزيدة لتاكيد النفي والثانية للابتداء
من بعده من بعد امساكه وعن ابن عباس انه قال لرجل مقبل من الشام من لقيت به قال كعبا
قال وما سمعته يقول قال سمعته يقول ان السموات على منكب ملك قال كذب كعب اما ترك
يهوديته بعد ثم قرا هذه الاية واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى
من احدى الامم بلغ قريشا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم

فقالوا لعن الله اليهود والنصارى اتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن اتانا رسول لنكونن اهدى من
احدى الامم فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كذبوه وفي احدى الامم وجهان احدهما من
بعض الامم ومن واحدة من الامم من اليهود والنصارى وغيرهم والثاني من الامة التي يقال فيها
احدى الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة **فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا**
استكبارا في الارض ومكر السيء ما زادهم اسناد مجازي لانه هو السبب في ان زادوا انفسهم
نفورا عن الحق وابتعادا عنه كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم استكبارا بدل من نفورا او مفعول
له على معنى فما زادهم الا ان نفروا استكبارا وعلوا في الارض او حال بمعنى مستكبرين وماكرين
برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين ويجوز ان يكون ومكر السيء معطوفا على نفورا فان
قلت فما وجه قوله ومكر السيء قلت اصله وان مكروا السيء اي المكر السيء
ثم ومكرا السيء ثم ومكر السيء والدليل عليه **ولا يحيق المكر السيء الا باهله** ومعنى يحيق يحيط
وينزل وقرئ ولا يُحيق المكر السيء اي ولا يحيق الله ولقد حاق بهم يوم بدر وعن النبي
صلى الله عليه وآله وسلم لا تمكروا ولا تعينوا ماكرا فان الله يقول ولا يحيق المكر السيء الا باهله
ولا تبغوا ولا تعينوا باغيا يقول الله تعالى انما بغيكم على انفسكم وعن كعب انه قال لابن عباس
قرات في التوراة من حفر مغواة وقع فيها قال انا وجدت ذلك في كتاب الله فقرا الاية وفي
امثال العرب من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا وقرا حمزة ومكر السيء باسكان الهمزة وذلك
لاستثقاله الحركات مع الياء والهمزة ولعله اختلس فظن سكونا او وقف وقفة خفيفة ثم ابتدا
ولا يحيق وقرا ابن مسعود ومكرا سيئا **فهل ينظرون الا سنة الاولين فلن تجد لسنة الله تبديلا**
ولن تجد لسنة الله تحويلا ۝ سنة الاولين انزال العذاب على الذين كذبوا برسلهم من الامم قبلهم
وجعل استقبالهم لذلك انتظارا له وبين ان عادته التي هي الانتقام من مكذبي الرسل عادة لا يبدلها
ولا يحولها اي لا يغيرها وان ذلك مفعول لا محالة **اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة**
الذين من قبلهم وكانوا اشد منهم قوة واستشهد عليهم بما كانوا يشاهدونه في مسايرهم ومتاجرهم
في رحلهم الى الشام والعراق واليمن من آثار الماضين وعلامات هلاكهم ودمارهم **وما كان الله**
ليعجزه ليسبقه ويفوته **من شيء في السموات ولا في الارض انه كان عليما قديرا** ۝ **ولو يؤاخذ الله**
الناس بما كسبوا مما اقترفوا من معاصيهم **ما ترك على ظهرها** على ظهر الارض **من دابة** من نسمة تدب
عليها يريد بني آدم وقيل ما ترك بني ادم وغيرهم من سائر الدواب بشؤم ذنوبهم وعن ابن مسعود
رضي الله عنه كاد الجعل يعذب في جحره بذنب ابن ادم ثم تلا هذه الاية وعن انس ان الضب ليموت
هزلا بذنب ابن آدم وقيل يحبس المطر فيهلك كل شيء **ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى** الى يوم القيامة
فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا ۝ وعيد بالجزاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية ابواب الجنة ان ادخل من اي باب شئت

تحفر [illegible] التي [illegible] مغواة [illegible]

سورة يس مكية وهي ثلاث وثمانون اية

بسم الله الرحمن الرحيم ۝ **يس والقرآن الحكيم**
قرئ يس بالفتح كاين وكيف او بالنصب على اتل يس وبالكسر على الاصل كجير وبالرفع على هذه
يس وبالضم كحيث وفخمت الالف واميلت وعن ابن عباس معناه يا انسان في لغة طيئ والله اعلم
بصحته وان صح فوجهه ان يكون اصله يا انيسين فكثر النداء به على السنتهم حتى اقتصروا على
شطره كما قالوا في القسم م الله في ايمن الله الحكيم ذي الحكمة او لانه دليل ناطق بالحكمة
او لانه كلام حكيم فوصف بصفة المتكلم به **انك لمن المرسلين على صراط مستقيم** خبر بعد
خبر او صلة للمرسلين فان قلت اي حاجة اليه خبرا كان او صلة وقد علم ان المرسلين لا يكونون
الا على صراط مستقيم قلت ليس الغرض بذكره ما ذهبت اليه من تمييز من ارسل على صراط
مستقيم عن غيره ممن ليس على صفته وانما الغرض وصفه ووصف ما جاء به من الشريعة فجمع بين
الوصفين في نظام واحد كانه قال انك لمن المرسلين الثابتين على طريق ثابت وايضا فان التنكير فيه
دال على انه ارسل من بين الصرط المستقيمة على صراط مستقيم لا يكتنه وصفه وقرئ **تنزيل**

العزيز الرحيم

العزيز الرحيم ۝ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف وبالنصب على اعني وبالجر على البدل من القرآن **لتنذر**
قوما ما انذر آباؤهم اي قوما غير منذر آباؤهم على الوصف ونحوه قوله لتنذر قوما ما اتاهم من
نذير من قبلك وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير وقد فسر ما انذر اباؤهم على اثبات الانذار ووجه
ذلك ان تجعل ما مصدرية لتنذر قوما انذار اباءهم او موصولة منصوبة على المفعول الثاني لتنذر
قوما ما انذره اباؤهم من العذاب كقوله انا انذرناكم عذابا قريبا فان قلت اي فرق
بين تعلقي قوله **فهم غافلون** ۝ على التفسيرين قلت هو على الاول متعلق بالنفي اي لم ينذروا فهم
غافلون على ان عدم انذارهم هو سبب غفلتهم وعلى الثاني بقوله انك لمن المرسلين لتنذر كما
تقول ارسلتك الى فلان لتنذره فانه غافل او فهو غافل فان قلت كيف يكونون منذرين غير
منذرين لمناقضة هذا ما في الاي الاخر قلت لا مناقضة لان الاي في نفي انذارهم لا في نفي
انذار ابائهم وآباؤهم القدماء من ولد اسمعيل وكانت النذارة فيهم فان قلت ففي احد المعنيين	بين
ان اباءهم لم ينذروا وهو الظاهر فما تصنع به قلت اراد اباءهم الادنين دون الاباعد **لقد**
حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم
مقمحون ۝ **وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون** ۝
القول قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين يعني تعلق بهم هذا القول وثبت عليهم ووجب لانهم
ممن علم انهم يموتون على الكفر ثم مثل تصميمهم على الكفر وانه لا سبيل الى ارعوائهم بان جعلهم كالمغلولين	لي
المقمحين في انهم لا يلتفتون الى الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطاطئون رؤوسهم له وكالحاصلين
بين سدين لا يبصرون ما قدامهم ولا ما خلفهم في ان لا تامل لهم ولا تبصر وانهم متعامون عن
النظر في ايات الله فان قلت ما معنى قوله فهي الى الاذقان قلت معناه فالاغلال واصلة الى
الاذقان ملزوزة اليها وذلك ان طوق الغل الذي في عنق المغلول يكون في ملتقى طرفيه تحت
الذقن حلقة فيها راس العمود نادرا من الحلقة الى الذقن فلا تخليه يطاطئ راسه ويوطئ قذاله
فلا يزال مقمحا والمقمح الذي يرفع راسه ويغض بصره يقال قمح البعير فهو قامح اذا روي
فرفع راسه ومنه شهرا قماح لان الابل ترفع رؤوسها عن الماء لبرده فيهما وهما الكانونان ومنه
اقتمحت السويق فان قلت فما قولك فيمن جعل الضمير للايدي وزعم ان الغل لما كان جامعا لليد
والعنق وبذلك يسمى جامعة كان ذكر الاعناق دالا على ذكر الايدي قلت الوجه ما ذكرت
لك والدليل عليه فهم مقمحون الا ترى كيف جعل الاقماح نتيجة قوله فهي الى الاذقان ولو كان
الضمير للايدي لم يكن معنى التسبب في الاقماح ظاهرا على ان هذا الاضمار فيه ضرب من التعسف
وترك الظاهر الذي يدعوه المعنى الى نفسه الى الباطن الذي يجفو عنه ترك للحق الابلج الى
الباطل اللجلج فان قلت فقد قرا ابن عباس في ايديهم وابن مسعود في ايمانهم فهل تجوز
على هاتين القراءتين ان تجعل الضمير للايدي او للايمان قلت يابى ذلك وان ذهب الاضمار
المتعسف ظهور كون الضمير للاغلال وسداد المعنى عليه كما ذكرت وقرئ سدا بالفتح والضم
وقيل ما كان من عمل الناس فبالفتح وما كان من خلق الله فبالضم فاغشيناهم فاغشينا ابصارهم
اي غطيناها وجعلنا عليها غشاوة عن ان تطمح الى مرئي وعن مجاهد فاغشيناهم فالبسنا
ابصارهم غشاوة وقرئ بالعين من العشا وقيل نزلت في بني مخزوم وذلك ان ابا جهل حلف
لئن راى محمدا يصلي ليرضخن راسه فاتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده
انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم فقال مخزومي
آخر انا اقتله بهذا الحجر فذهب فاعمى الله بصره **وسواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا**
يؤمنون ۝ **انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة واجر كريم** ۝
فان قلت قد ذكر ما دل على انتفاء ايمانهم مع ثبوت الانذار ثم قفاه بقوله انما تنذر وانما كانت
تصح هذه التقفية لو كان الانذار منفيا قلت هو كما قلت ولكن لما كان ذلك نفيا للايمان مع
وجود الانذار وكان معناه ان البغية المرومة بالانذار غير حاصلة وهي الايمان قفى بقوله انما
تنذر على معنى انما تحصل البغية بانذارك من غير هؤلاء المنذرين وهم المتبعون للذكر وهو
القرآن او الوعظ الخاشون ربهم **انا نحن نحيي الموتى** نبعثهم بعد مماتهم وعن الحسن احياؤهم

ان يخرجهم من الشرك الى الايمان **ونكتب ما قدموا واثارهم وكل شيء احصيناه في امام مبين** ۝
ونكتب ما اسلفوا من الاعمال الصالحة وغيرها وما هلكوا عنه من اثر حسن كعلم علموه او كتاب صنفوه
او حبيس احبسوه او بناء بنوه من مسجد او رباط او قنطرة او نحو ذلك او سيء كوظيفة وظفها
بعض الظلام على المسلمين وسكة احدثها فيها تخسيرهم وشيء احدث فيه صد عن ذكر الله
من الحان وملاه وكذلك كل سنة حسنة او سيئة يستن بها ونحوه قوله ينبأ الانسان يومئذ
بما قدم واخر اي قدم من اعماله واخر من اثاره وقيل هي اثار المشائين الى المساجد وعن جابر
اردنا النقلة الى المسجد والبقاع حوله خالية فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتانا في
ديارنا وقال يا بني سلمة بلغني انكم تريدون النقلة الى المسجد فقلنا نعم بعد علينا المسجد والبقاع
حوله خالية فقال عليكم دياركم فانما تكتب اثاركم قال فما وددنا بحضرة المسجد لما قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عمر بن عبد العزيز لو كان الله مغفلا شيئا لاغفل هذه الاثار
التي تعفيها الرياح والامام اللوح وقرئ ويكتب ما قدموا واثارهم على البناء للمفعول وكل
شيء بالرفع **واضرب لهم مثلا اصحاب القرية اذ جاءها المرسلون** ۝ **اذ ارسلنا اليهم
اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون** ۝ ومثل لهم مثلا من قولهم
عندي من هذا الضرب كذا اي من هذا المثال وهذه الاشياء على ضرب واحد اي على مثال واحد والمعنى
واضرب لهم مثلا مثل اصحاب القرية اي اذكر لهم قصة عجيبة قصة اصحاب القرية والمثل
الثاني بيان للاول وانتصاب اذ بانه بدل من اصحاب القرية والقرية انطاكية والمرسلون رسل
عيسى عليه الصلوة والسلام الى اهلها بعثهم دعاة الى الحق وكانوا عبدة اوثان ارسل اليهم اثنين
فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسألهما
فاخبراه فقال امعكما اية فقالا نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ولد مريض
فمسحاه فقام فامن حبيب وفشى الخبر فشفي على ايديهما خلق كثير ورقي حديثهما الى
الملك وقال لهما النا اله سوى الهتنا قالا نعم من اوجدك والهتك فقال حتى انظر في امركما
فتبعهما الناس وضربوهما وقيل حبسا ثم بعث عيسى عليه الصلوة والسلام شمعون فدخل متنكرا
وعاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به ورفعوا خبره الى الملك فانس به فقال له ذات يوم
بلغني انك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه قال لا حال الغضب بيني وبين ذلك فدعا بهما
فقال شمعون من ارسلكما قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال صفاه واوجزا قالا
يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما ايتكما فقالا ما يتمنى الملك فدعى بغلام مطموس العينين
فدعوا الله حتى انشق له بصره واخذا بندقتين فوضعاهما في حدقتيه فكانتا مقلتين ينظر
بهما فقال له شمعون ارأيت لو سألت الهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف قال
ليس لي عنك سر ان الهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون يدخل معهم على الصنم
فيصلي ويتضرع ويحسبون انه منهم ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت امنا به فدعوا بغلام
مات من سبعة ايام فقام وقال اني ادخلت في سبعة اودية من النار وانا احذركم ما انتم فيه فامنوا
وقال فتحت ابواب السماء فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومنهم قال شمعون
وهذان فتعجب الملك فلما رأى شمعون ان قوله قد اثر فيه نصحه فامن وامن قوم ومن لم يؤمن
صاح عليهم جبريل عليه الصلوة والسلام فهلكوا فعززنا فقوينا يقال المطر يعزز الارض اذا
لبدها وشددها وتعزز لحم الناقة وقرئ بالتخفيف من عزه يعزه اذا غلبه اي فغلبنا وقهرنا
بثالث وهو شمعون قلت لم ترك ذكر المفعول قلت لان الغرض ذكر المعزز به وهو شمعون
وما لطف فيه من التدبير حتى عز الحق وذل الباطل واذا كان الكلام منصبا الى غرض من
الاغراض جعل سياقه له وتوجهه اليه كان ما سواه مرفوضا مطرحا ونظيره قولك حكم
السلطان اليوم بالحق الغرض المسوق اليه قولك بالحق فلذلك رفضت ذكر المحكوم له والمحكوم
عليه **قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شيء ان انتم الا تكذبون** ۝ **قالوا ربنا
يعلم انا اليكم لمرسلون وما علينا الا البلاغ المبين** ۝ انما رفع بشر ونصب في قوله ما هذا بشرا
لان الا نقض النفي فلا يبقى لما المشبهة بليس شبه فلا يبقى له عمل قلت لم قيل انا اليكم مرسلون

اولا وانا اليكم لمرسلون اخرا قلت لان الاول ابتداء اخبار والثاني جواب عن انكار وقوله ربنا
يعلم جار مجرى القسم في التوكيد وكذلك قولهم شهد الله وعلم الله وانما حسن منهم هذا
الجواب الوارد على طريق التوكيد والتحقيق مع قولهم وما علينا الا البلاغ المبين اي الظاهر
المكشوف بالايات الشاهدة لصحته والا فلو قال المدعي والله اني لصادق فيما ادعي ولم يحضر
البينة كان قبيحا **قالوا انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم** ۝
تطيرنا بكم تشأمنا بكم وذلك انهم كرهوا دينهم ونفرت عنه نفوسهم وعادة الجهال
ان يتيمنوا بكل شيء مالوا اليه واشتهوه واثروه وقبلته طباعهم ويتشأمون بما نفروا عنه وكرهوه
فان اصابهم نعمة او بلاء قالوا ببركة هذا وبشؤم هذا كما حكى الله عن القبط وان تصبهم
سيئة يطيروا بموسى ومن معه وعن مشركي مكة وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك
وقيل حبس عنهم القطر فقالوا ذلك وعن قتادة ان اصابنا شيء كان من اجلكم **قالوا طائركم
معكم اين ذكرتم** وقرئ طيركم اي سبب شؤمكم معكم وهو كفرهم ومعاصيهم
وقرأ الحسن اطيركم اي تطيركم وقرئ ائن ذكرتم بهمزة الاستفهام وحرف
الشرط وآئن ذكرتم بالف بينهما بمعنى اتطيرون ان ذكرتم وقرئ اان ذكرتم بهمزة
الاستفهام وان الناصبة بمعنى اتطيرتم لان ذكرتم وقرئ ان وان بغير استفهام بمعنى
الاخبار اي تطيرتم لان ذكرتم وقرئ اين ذكرتم على التخفيف اي شؤمكم معكم
حيث جرى ذكركم واذا شئم المكان بذكرهم كانوا بحلولهم فيه اشأم **بل انتم قوم مسرفون**
في العصيان فمن ثمة اتاكم الشؤم لا من قبل رسل الله وتذكيرهم او بل انتم مسرفون في ضلالكم
متمادون في غيكم حيث تتشأمون بمن يجب التبرك به من رسل الله **وجاء من اقصى المدينة
رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين** ۝ هو حبيب بن اسرائيل النجار كان ينحت الاصنام وهو
ممن امن برسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهما ستمائة سنة كما امن به تبع الاكبر وورقة بن
نوفل وغيرهما ولم يؤمن بنبي احد الا بعد ظهوره وقيل كان في غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل
اتاهم واظهر دينه وقاول قومهم فقالوا وانت تخالف ديننا فوثبوا عليه فقتلوه وقيل توطأوه حتى
خرج قصبه من دبره وقيل رجموه وهو يقول اللهم اهد قومي وقبره في سوق انطاكية فلما
قتل غضب الله عليهم فاهلكوا بصيحة جبريل وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم سباق
الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين علي بن ابي طالب وصاحب يس ومؤمن ال فرعون **اتبعوا
من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون** ۝ **ومالي لا اعبد الذي فطرني واليه ترجعون** ۝ **ءاتخذ
من دونه الهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون** ۝ **اني اذا لفي
ضلال مبين** ۝ **اني امنت بربكم فاسمعون** ۝ من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون كلمة جامعة
في الترغيب فيهم اي لا تخسرون معهم شيئا من دنياكم وتربحون صحة دينكم فينتظم لكم
خير الدنيا والاخرة ثم ابرز الكلام في معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم ليتلطف
لهم ويداريهم ولانه ادخل في امحاض النصح حيث لا يريد لهم الا ما يريد لروحه ولقد وضع قوله
ومالي لا اعبد الذي فطرني مكان قوله وما لكم لا تعبدون الذي فطركم الا ترى الى قوله واليه
ترجعون ولولا انه قصد ذلك لقال الذي فطرني واليه ارجع وقد ساقه ذلك المساق الى ان
قال اني امنت بربكم فاسمعون يريد فاسمعوا قولي واطيعوني فقد نبهتكم على الصحيح الذي لا
معدل عنه ان العبادة لا تصح الا لمن منه مبتداكم واليه مرجعكم وما ادفع العقول وانكرها
لان تستحبوا على عبادته عبادة اشياء ان اراد بكم هو ضرا وشفع لكم هؤلاء لم تنفع شفاعتهم
ولم يمكنوا من ان يكونوا شفعاء عنده على انقاذكم منه بوجه من الوجوه انكم في هذا الاستحباب
لواقعون في ضلال ظاهر بين لا يخفى على ذي عقل وتمييز وقيل لما نصح قومه اخذوا يرجمونه فاء
نحو الرسل قبل ان يقتل فقال لهم اني امنت بربكم فاسمعون اي فاسمعوا ايماني تشهدوا لي وقرئ
ان يردن الرحمن بضر بمعنى ان يوردني ضرا اي يجعلني موردا للضر **قيل ادخل الجنة**
اي لما قتل قيل له ادخل الجنة وعن قتادة ادخله الله الجنة وهو فيها حي يرزق اراد قوله تعالى
بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين وقيل معناه البشرى بدخول الجنة وانه من اهلها وانه قال

كيف مخرج هذا القول في علم البيان؟ قلت: مخرجه مخرج الاستئناف لأن هذا من مظان المسألة عن حاله عند لقاء ربه، كأن قائلا قال: كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب في نصرة دينه والتسخي لوجهه بروحه؟ فقيل: قيل ادخل الجنة، ولم يقل قيل له لانصباب الغرض إلى المقول وعظمه لا إلى المقول له مع كونه معلوما، وكذلك **قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ۝ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ** مرتب على تقدير سؤال سائل عما وجد من قوله عند ذلك الفوز العظيم، وإنما تمنى علم قومه بحاله ليكون علمهم بها سببا لاكتساب مثلها لأنفسهم بالتوبة عن الكفر والدخول في الإيمان والعمل الصالح المفضيين بأهلهما إلى الجنة. وفي حديث مرفوع: نصح قومه حيا وميتا. وفيه تنبيه عظيم على وجوب كظم الغيظ عن أهل الجهل، والترؤف على من أدخل نفسه في غمار الأشرار وأهل البغي، والتشمر في تخليصه، والتلطف في افتدائه، والاشتغال بذلك عن الشماتة به والدعاء عليه؛ ألا ترى كيف تمنى الخير لقتلته والباغين له الغوائل وهم كفرة عبدة أصنام. ويجوز أن يتمنى ذلك ليعلموا أنهم كانوا على خطأ عظيم في أمره، وأنه كان على صواب ونصيحة وشفقة، وأن عداوتهم لم تكسبه إلا فوزا ولم تعقبه إلا سعادة، لأن ذلك زيادة غبطة له وتضاعف لذة وسرور، والأول أوجه. وقرئ المكرمين. فإن قلت: ما في قوله بما غفر لي ربي أي الماآت هي؟ قلت: المصدرية أو الموصولة، أي بالذي غفره لي من الذنوب. ويحتمل أن تكون استفهامية، يعني بأي شيء غفر لي ربي، يريد به ما كان منه معهم من المصابرة لإعزاز الدين حتى قتل، إلا أن قولك بم غفر لي بطرح الألف أجود وإن كان إثباتها جائزا، يقال: قد علمت بما صنعت هذا، أي بأي شيء صنعت، وبم صنعت. **وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ** المعنى أن الله كفى أمرهم بصيحة ملك، ولم ينزل لإهلاكهم جندا من جنود السماء كما فعل يوم بدر والخندق. فإن قلت: ما معنى قوله **وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ**؟ قلت: معناه وما كان يصح في حكمتنا أن ننزل في إهلاك قوم حبيب جندا من السماء، وذلك لأن الله عز وجل أجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون بعض، وما ذاك إلا بناء على ما اقتضته الحكمة وأوجبته المصلحة، ألا ترى إلى قوله فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا. فإن قلت: فلم أنزل الجنود من السماء يوم بدر والخندق فقال: فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها، بألف من الملائكة مردفين، بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين، بخمسة آلاف من الملائكة مسومين؟ قلت: إنما كان يكفي ملك واحد، فقد أهلكت مدائن لوط بريشة من جناح جبريل عليه الصلاة والسلام، وبلاد ثمود وقوم صالح بصيحة منه، ولكن الله فضل محمدا صلى الله عليه وآله وسلم بكل شيء على كبار الأنبياء وأولي العزم من الرسل فضلا عن حبيب النجار، وأولاه من أسباب الكرامة والإعزاز ما لم يوله أحدا، فمن ذلك أنه أنزل له جنودا من السماء، وكأنه أشار بقوله وما أنزلنا وما كنا منزلين إلى أن إنزال الجنود من عظائم الأمور التي لا يؤهل لها إلا مثلك، وما كنا نفعله بغيرك. **إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً** إن كانت الأخذة أو العقوبة إلا صيحة واحدة. وقرأ أبو جعفر المدني بالرفع على كان التامة، أي ما وقعت إلا صيحة، والقياس والاستعمال على تذكير الفعل لأن المعنى ما وقع شيء إلا صيحة، ولكنه نظر إلى ظاهر اللفظ وأن الصيحة في حكم فاعل الفعل، ومثلها قراءة الحسن فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم، وبيت ذي الرمة:

وما بقيت إلا الضلوع الجراشع

وقرأ ابن مسعود إلا زقية واحدة، من زقا الطائر يزقو ويزقي إذا صاح، ومنه المثل: أثقل من الزواقي. **فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ** خمدوا كما تخمد النار فتعود رمادا، كما قال لبيد:

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه ۝ يحور رمادا بعد إذ هو ساطع

يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ نداء للحسرة عليهم، كأنما قيل لها: تعالي يا حسرة فهذه من أحوالك التي حقك أن تحضري فيها، وهي حال استهزائهم بالرسل، والمعنى أنهم أحقاء بأن يتحسر عليهم المتحسرون ويتلهف عليهم المتلهفون، أو هم متحسر عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين. ويجوز أن يكون من الله عز وعلا على سبيل الاستعارة في معنى تعظيم ما جنوه على أنفسهم ومحنوها وفرط إنكاره وتعجيبه منه. وقراءة من قرأ يا حسرتا تعضد هذا الوجه لأن المعنى يا حسرتي. وقرئ يا حسرة العباد على الإضافة إليهم

لاختصاصها بهم من حيث إنها موجهة إليهم، ويا حسرة على العباد على إجراء الوصل مجرى الوقف. **أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ** ألم يروا: ألم يعلموا، وهو معلق عن العمل في كم لأن كم لا يعمل فيها عامل قبلها كانت للاستفهام أو للخبر، لأن أصلها الاستفهام إلا أن معناه نافذ في الجملة كما نفذ في قولك ألم تروا إن زيدا لمنطلق وإن لم يعمل في لفظه، وأنهم إليهم لا يرجعون بدل من كم أهلكنا على المعنى لا على اللفظ، تقديره ألم يروا كثرة إهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين إليهم. وعن الحسن كسر إن على الاستئناف. وفي قراءة ابن مسعود ألم يروا من أهلكنا، والبدل على هذه القراءة بدل اشتمال، وهذا مما يرد قول أهل الرجعة. ويحكى عن ابن عباس أنه قيل له: إن قوما يزعمون أن عليا مبعوث قبل يوم القيامة، فقال: بئس القوم نحن إذن نكحنا نساءه واقتسمنا ميراثه. **وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ** قرئ لما بالتخفيف على أن ما صلة للتأكيد، وإن مخففة من الثقيلة وهي متلقاة باللام لا محالة، ولما بالتشديد بمعنى إلا كالتي في مسألة الكتاب: نشدتك بالله لما فعلت، وإن نافية، والتنوين في كل هو الذي يقع عوضا من المضاف إليه، كقولك مررت بكل قائما، والمعنى أن كلهم محشورون مجموعون للحساب يوم القيامة، وقيل محضرون معذبون. فإن قلت: كيف أخبر عن كل بجميع ومعناهما واحد؟ قلت: ليس بواحد، لأن كلا يفيد معنى الإحاطة وأن لا ينفلت منهم أحد، والجميع معناه الاجتماع وأن المحشر يجمعهم، والجميع فعيل بمعنى مفعول، يقال حي جميع وجاءوا جميعا. **وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ۝ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ۝ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ** القراءة الميتة على الخفة أشيع لسلسها على اللسان، وأحييناها استئناف بيان لكون الأرض الميتة آية، وكذلك نسلخ. ويجوز أن توصف الأرض والليل بالفعل لأنه أريد بهما الجنسان مطلقين لا أرض وليل بأعيانهما، فعوملا معاملة النكرات في وصفهما بالأفعال ونحوه:

ولقد أمر على اللئيم يسبني

وقوله فمنه يأكلون قدم الظرف للدلالة على أن الحب هو الشيء الذي يتعلق به معظم العيش ويقوم بالارتزاق ومنه صلاح الإنس، وإذا قل جاء القحط ووقع الضر، وإذا فقد حضر الهلاك ونزل البلاء. وقرئ وفجرنا بالتثقيل والتخفيف، والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى. وقرئ ثمره بفتحتين وضمتين وضمة وسكون، والضمير لله تعالى، والمعنى ليأكلوا مما خلقه الله تعالى من الثمر ومما عملته أيديهم من الغرس والسقي والآبار وغير ذلك من الأعمال إلى أن بلغ الثمر منتهاه وإبان أكله، يعني أن الثمر في نفسه فعل الله وخلقه، وفيه آثار من كد بني آدم. وأصله من ثمرنا كما قال وجعلنا وفجرنا، فنقل الكلام من التكلم إلى الغيبة على طريقة الالتفات. ويجوز أن يرجع إلى النخيل وتترك الأعناب غير مرجوع إليها لأنه علم أنها في حكم النخيل فيما علق به من أكل ثمره. ويجوز أن يراد من ثمر المذكور وهو الجنات، كما قال رؤبة:

فيها خطوط من سواد وبلق ۝ كأنه في الجلد توليع البهق

فقيل له، فقال: أردت كأن ذلك. ولك أن تجعل ما نافية على أن الثمر خلق الله ولم تعمله أيدي الناس ولا يقدرون عليه. وقرئ على الوجه الأول وما عملت من غير راجع، وهي في مصاحف أهل الكوفة كذلك، وفي مصاحف أهل الحرمين والبصرة والشام مع الضمير. **سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ** الأزواج الأجناس والأصناف، ومما لا يعلمون ومن أزواج لم يطلعهم الله عليها ولا توصلوا إلى معرفتها بطريق من طرق العلم، ولا يبعد أن يخلق الله من الخلائق الحيوان والجماد ما لم يجعل للبشر طريقا إلى العلم به لأنه لا حاجة في دينهم ودنياهم إلى ذلك العلم، ولو كانت بهم إليه حاجة لأعلمهم بما لا يعلمون كما أعلمهم بوجود ما لا يعلمون. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: لم يسمهم، وفي الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، بله ما أطلعتم عليه، فأعلمنا بوجوده وإعداده ولم يعلمنا به ما هو، فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين. وفي الإعلام بكثرة ما خلق مما علموه ومما جهلوه ما دل على عظم قدرته واتساع ملكه. **وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ** سلخ جلد الشاة إذا كشطه عنها وأزاله، ومنه سلخ الحية لخرشائها، فاستعير لإزالة الضوء وكشفه

عن مكان الليل ومُظلمون داخلون في الظلام يقال اظلمنا كما تقول اعتمنا وادجينا **والشمس تجري لمستقر لها** لحد لها مؤقت مقدر تنتهي اليه من فلكها في آخر السنة شبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره او لمنتهى لها من المشارق والمغارب لانها لا تعدوها ولا تجاوز لها من مسيرها كل يوم في مرأى عيوننا وهو المغرب وقيل مستقرها اجلها الذي اقر الله عليه امرها في جريها فاستقرت عليه وهو آخر السنة وقيل الوقت الذي تستقر فيه وينقطع جريها وهو يوم القيمة تجري الى مستقر لها الذي لا تزال تجري لا تستقر وقرئ لا مستقرّ لها على ان لا بمعنى ليس **ذلك تقدير العزيز العليم** ذلك الجري على ذلك التقدير والحساب الدقيق الذي تكلّ الفطن عن استخراجه وتتحير الافهام في استنباطه ما هو الا تقدير الغالب بقدرته على كل مقدور المحيط علما بكل معلوم **والقمرَ قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم** قرئ والقمرُ رفعا على الابتداء او عطفا على الليل يعني ومن آياته القمر ونصبا بفعل يفسره قدرناه ولا بد في قدرناه منازل من تقدير مضاف لانه لا معنى لتقدير نفس القمر منازل والمعنى قدرنا مسيره منازل وهي ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو لا يتفاوت يسير فيها من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلتين او ليلة اذا نقص الشهر وهذه المنازل هي مواقع النجوم التي نسبت العرب اليها الانواء المستمطرة وهي الشرطان البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العواء السماك الغفر الزباني الاكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية فرع الدلو المقدم فرع الدلو المؤخر الرشاء فاذا كان في آخر منازله دق واستقوس وعاد كالعرجون القديم وهو عود العذق ما بين شماريخه الى منبته من النخلة وقال الزجاج هو فُعلون من الانعراج وهو الانعطاف وقرئ العِرجون بوزن الفِرجون وهما لغتان كالبُزيون والبِزيون والقديم المحول واذا قدم دق فانحنى واصفر فشبه به من ثلاثة اوجه وقيل اقل مدة الموصوف بالقديم الحول فلو ان رجلا قال كل مملوك لي قديم فهو حر وكتب ذلك في وصيته عتق منهم من مضى له حول فاكثر **لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون** وقرئ سابقُ النهارَ على الاصل والمعنى ان الله تعالى قسم لكل واحد من الليل والنهار وآيتيهما قسما من الزمان وضرب له حدا معلوما ودبر امرهما على التعاقب فلا ينبغي للشمس اي لا يتسهل لها ولا يصح ولا يستقيم لوقوع التدبير على المعاقبة وان جعل لكل واحد من النيرين سلطان على حياله ان تدرك القمر فتجتمع معه في وقت واحد وتداخله في سلطانه فتطمس نوره ولا يسبق الليل النهار يعني آية الليل آية النهار وهما النيران ولا يزال الامر على هذا الترتيب الى ان يبطل الله ما دبر من ذلك وينقض ما الف فيجمع بين الشمس والقمر ويطلع الشمس من مغربها فان قلت لم جعلت الشمس غير مدركة والقمر غير سابق قلت لان الشمس لا تقطع فلكها الا في سنة والقمر يقطع فلكه في شهر فكانت الشمس جديرة بان توصف بالادراك لتباطؤ سيرها عن القمر والقمر خليقا بان يوصف بالسبق لسرعة سيره وكلّ التنوين فيه عوض من المضاف اليه والمعنى وكلهم والضمير للشموس والاقمار على ما سبق ذكره **وآية لهم انا حملنا ذرياتهم في الفلك المشحون** ذرياتهم اولادهم ومن يهمهم حمله وقيل اسم الذرية يقع على النساء لانهن مزارعها وفي الحديث انه نهى عن قتل الذراري يعني النساء **وخلقنا لهم من مثله** من مثل الفلك **ما يركبون** من الابل وهي سفائن البر وقيل الفلك المشحون سفينة نوح ومعنى حمل الله ذرياتهم فيها انه حمل فيها آباءهم الاقدمين وفي اصلابهم هم وذرياتهم وانما ذكر ذرياتهم دونهم لانه ابلغ في الامتنان عليهم وادخل في التعجب من قدرته في حمل اعقابهم الى يوم القيمة في سفينة نوح عليه الصلوة والسلام ومن مثله من مثل ذلك الفلك ما يركبون من السفن والزوارق **وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم** لا مغيث او لا اغاثة يقال اتاهم الصريخ **ولا هم ينقذون** لا ينجون من الموت بالغرق **الا رحمة** الا لرحمة **منا ومتاعا** ولتمتيع بالحيوة **الى حين** الى اجل يموتون فيه لا بد لهم منه بعد النجاة من موت الغرق ولقد احسن من قال

ولم أسلم لكي أبقى ولكن ... سلمت من الحِمام إلى الحِمام

وقرأ الحسن نُغرّقهم **واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون وما** **تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين** اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم كقوله افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض وعن مجاهد ما تقدم من ذنوبكم وما تأخر وعن قتادة ما بين ايديكم من الوقائع التي خلت يعني من مثل الوقائع التي ابتليت بها الامم المكذبة بانبيائها وما خلفكم من امر الساعة لعلكم ترحمون لتكونوا على رجاء رحمة الله وجواب اذا محذوف مدلول عليه بقوله تعالى الا كانوا عنها معرضين كانه قال واذا قيل لهم اتقوا اعرضوا ثم قال ودأبهم الاعراض عن كل آية وموعظة **واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه ان انتم الا في ضلال مبين ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين** كانت الزنادقة منهم يسمعون المؤمنين يعلقون افعال الله بمشيته فيقولون لو شاء الله لاغنى فلانا ولو شاء لاعزه ولو شاء لكان كذا فاخرجوا هذا الجواب مخرج الاستهزاء بالمؤمنين وبما كانوا يقولونه من تعليق الامور بمشية الله ومعناه انطعم المقول فيه هذا القول بينكم وذلك انهم كانوا دافعين ان يكون الغنى والفقر من الله لانهم معطلة لا يؤمنون بالصانع وعن ابن عباس كان بمكة زنادقة فاذا امروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله ايفقره الله ونطعمه نحن وقيل كانوا يوهمون ان الله تعالى كان قادرا على اطعامه ولم يشأ اطعامه فنحن احق بذلك نزلت في مشركي قريش حين قال فقراء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اعطونا مما زعمتم من اموالكم انها لله يعنون قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فحرموهم وقالوا لو شاء الله لاطعمكم ان انتم الا في ضلال مبين قول الله تعالى او حكاية قول المؤمنين لهم او هو من جملة جوابهم للمؤمنين **ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون** قرئ يخصّمون بادغام التاء في الصاد مع فتح الخاء وكسرها واتباع الياء الخاء في الكسر ويخصمون على الاصل ويخصمون من خصمه والمعنى انها تبغتهم وهم في امنهم وغفلتهم عنها لا يخطرونها ببالهم مشتغلين بخصوماتهم في متاجرهم ومعاملاتهم وسائر ما يتخاصمون فيه ويتشاجرون ومعنى يخصمون يخصم بعضهم بعضا وقيل تأخذهم وهم عند انفسهم يخصمون في الحجة في انهم لا يبعثون **فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون** لا يستطيعون ان يوصوا في شيء من امورهم ولا يقدرون على الرجوع الى منازلهم واهاليهم بل يموتون حيث تفجؤهم الصيحة **ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون** قرئ الصوَر بسكون الواو وهو القرن او جمع صورة وحركها بعضهم والاجداث القبور وقرئ بالفاء وينسلون يعدون بكسر السين وضمها وهي النفخة الثانية **قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون** قرئ يا ويلتنا وعن ابن مسعود من اهبّنا من هبّ من نومه اذا انتبه واهبه غيره وقرئ من هبّنا بمعنى اهبّنا وعن بعضهم اراد هب بنا فحذف الجار واوصل الفعل وقرئ من بعثَنا ومن هبّنا على من الجارة والمصدر وهذا مبتدأ وما بعده خبره وما مصدرية او موصولة ويجوز ان يكون هذا صفة للمرقد وما وعد خبر مبتدأ محذوف اي هذا وعد الرحمن او مبتدأ محذوف الخبر اي ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق عليكم وعن مجاهد للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم فاذا صيح باهل القبور قالوا من بعثنا واما هذا ما وعد الرحمن فكلام الملائكة عن ابن عباس وعن الحسن كلام المتقين وقيل كلام الكافرين يتذكرون ما سمعوه من الرسل فيجيبون به انفسهم او بعضهم بعضا فان قلت اذا جعلت ما مصدرية كان المعنى هذا وعد الرحمن وصدق المرسلين على تسمية الموعود والمصدوق فيه بالوعد والصدق فما وجه قوله وصدق المرسلون اذا جعلتها موصولة قلت تقديره هذا الذي وعده الرحمن والذي صدقه المرسلون بمعنى والذي صدق فيه المرسلون من قولهم صدقوهم الحديث والقتال ومنه صدقني سن بكره فان قلت من بعثنا من مرقدنا سؤال عن الباعث فكيف طابقه ذلك قلت معناه بعثكم الرحمن الذي وعدكم البعث وانبأكم به الرسل الا انه جيء به على طريقة سيئت بها قلوبهم ونعيت اليهم احوالهم وذكّر كفرهم وتكذيبهم واخبروا بوقوع ما انذروا به وكانه قيل لهم ليس بالبعث الذي عرفتموه وهو بعث النائم من مرقده حتى يهمكم السؤال عن الباعث ان هذا هو البعث الاكبر ذو الاهوال والافزاع وهو الذي وعده الله في كتبه المنزلة على السنة رسله الصادقين **ان كانت**

إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون الا صيحة واحدة قرئت منصوبة ومرفوعة فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون (٥) إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون (٥)

هذه حكاية ما يقال لهم ذلك اليوم وفي مثل هذه الحكاية زيادة تصوير للموعود وتمكين له في النفوس وترغيب في الحرص عليه وعلى ما يثمره في شغل أي شغل وفي شغل لا يوصف وما ظنك بشغل من سعد بدخول الجنة التي هي دار المتقين ووصل إلى نيل تلك الغبطة وذلك الملك الكبير والنعيم المقيم ووقع في تلك الملاذ التي أعدها الله للمرتضين من عباده ثوابا لهم على أعمالهم مع كرامة وتعظيم وذلك بعد الوله والصبابة والتفصي من مشاق التكليف ومضايق التقوى والخشية وتخطي الأهوال وتجاوز الأخطار وجواز الصراط ومعاينة ما لقي العصاة من العذاب وعن ابن عباس في افتضاض الأبكار وعنه في ضرب الأوتار وعن ابن كيسان في التزاور وقيل في ضيافة الله وعن الحسن شغلهم عما فيه أهل النار التنعم بما هم فيه وعن الكلبي هم في شغل عن أهاليهم من أهل النار لا يهمهم أمرهم ولا يذكرونهم لئلا يدخل عليهم تنغيص في نعيمهم وقرئ في شغل بضمتين وضمة وسكون وفتحتين وفتحة وسكون والفاكه والفكه المتنعم المتلذذ ومنه الفاكهة لأنها مما يتلذذ بها وكذلك الفكاهة وقرئ فاكهين وفكهين على أنه حال والظرف مستقر هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون (٥) هم يحتمل أن يكون مبتدأ وأن يكون تأكيدا للضمير في شغل وفي فاكهون على أن أزواجهم يشاركنهم في ذلك الشغل والتفكه والاتكاء على الأرائك تحت الظلال وقرئ في ظلل والأريكة السرير في الحجلة وقيل الفراش فيها وقرأ ابن مسعود متكين لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون سلام قولا من رب رحيم (٥) يدعون يفتعلون من الدعاء أي يدعون به لأنفسهم كقولك اشتوى واجتمل إذا شوى وحمل لنفسه قال لبيد فاشتوى ليلة ريح واجتمل (٥) ويجوز أن يكون بمعنى يتداعونه كقولك ارتموه وتراموه وقيل يتمنون من قولهم ادع علي ما شئت بمعنى تمنه علي وفلان في خير ما ادعى قال الزجاج وهو من الدعاء أي ما يدعو به أهل الجنة يأتيهم وسلام بدل مما يدعون كأنه قال لهم سلام يقال لهم قولا من جهة رب رحيم والمعنى أن الله تعالى يسلم عليهم بواسطة الملائكة أو بغير واسطة مبالغة في تعظيمهم وذلك متمناهم ولهم ذلك لا يمنعونه قال ابن عباس والملائكة يدخلون عليهم من كل باب بالتحية من رب العالمين وقيل ما يدعون مبتدأ وخبره سلام بمعنى ولهم ما يدعون سالم خالص لا شوب فيه وقولا مصدر مؤكد لقوله ولهم ما يدعون سلام أي عدة من رب رحيم والأوجه أن ينتصب على الاختصاص وهو من مجازه وقرئ سلم وهو بمعنى السلام في المعنيين وعن ابن مسعود سلاما نصب على الحال أي لهم مرادهم خالصا وامتازوا اليوم أيها المجرمون (٥) وانفردوا عن المؤمنين وكونوا على حدة وذلك حين يحشر المؤمنون ويسار بهم إلى الجنة ونحوه قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون وأما الذين كفروا الآية يقال مازه فانماز وامتاز وعن قتادة اعتزلوا عن كل خير وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى ومعناه أن بعضهم يمتاز من بعض ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين (٥) العهد الوصية وعهد إليه إذا وصاه وعهد الله إليهم ما ركز فيهم من أدلة العقل وأنزل عليهم من دلائل السمع وعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به ويزينه لهم وقرئ إعهد بكسر الهمزة وباب فعل كله يجوز في حروف مضارعته الكسر إلا في الياء وأعهد بكسر الهاء وقد جوز الزجاج أن يكون من باب نعم ينعم وضرب يضرب وأحهد بالحاء وأحد وهي لغة تميم ومنه قولهم دحا محا وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم هذا إشارة إلى ما عهد إليهم فيه من معصية الشيطان وطاعة الرحمن إذ لا صراط أقوم منه ونحو التنكير فيه ما في قول كثير (٥)

لئن كان يهدى برد أنيابها العلى ۝ لأفقر مني إنني لفقير ۝

أراد إنني لفقير بليغ الفقر حقيق بأن أوصف به لكمال شرائطه في وإلا لم يستقم معنى البيت وكذلك قوله هذا صراط مستقيم يريد صراط بليغ في استقامته جامع لكل شرط يجب أن يكون عليه ويجوز أن يراد هذا بعض الصراط المستقيم توبيخا لهم على العدول عنه والتفادي

الصراط المستقيم

عن سلوكه

عن سلوكه كما يتفادى الناس عن الطريق المعوج الذي يؤدي إلى الضلالة كأنه قيل أقل أحوال الطريق الذي هو أقوم الطرق أن يعتقد فيه كما يعتقد في الطريق الذي لا يضل السالك كما يقول الرجل لولده وقد نصحه النصح البالغ الذي ليس بعده هذا فيما أظن قول نافع غير ضار توبيخا على الإعراض عن نصائحه ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون (٥) هذه جهنم التي كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون (٥) قرئ جبلا بضمتين وضمة وسكون وضمتين وتشديدة وكسرتين وكسرة وسكون وكسرتين وتشديدة وهذه اللغات في معنى الخلق وقرئ جبلا جمع جبلة كفطر وخلق وفي قراءة علي رضي الله عنه جيلا واحد الأجيال اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون (٥) روي أنهم يجحدون ويخاصمون فيشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ يختم على أفواههم وتكلم أيديهم وأرجلهم وفي الحديث يقول العبد يوم القيامة إني لا أجيز علي شاهدا إلا من نفسي فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقي فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل وقرئ يختم على أفواههم وتتكلم أيديهم وقرئ ولتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بلام كي والنصب على معنى ولذلك نختم على أفواههم وقرئ ولتكلمنا أيديهم ولتشهد بلام الأمر والجزم على أن الله يأمر الأعضاء بالكلام والشهادة ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون (٥) الطمس تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة فاستبقوا الصراط لا يخلو من أن يكون على حذف الجار وإيصال الفعل والأصل فاستبقوا إلى الصراط أو يضمن معنى ابتدروا أو يجعل الصراط مسبوقا لا مسبوقا إليه وينتصب على الظرف والمعنى أنه لو شاء لمسح أعينهم فلو راموا أن يستبقوا إلى الطريق المهيع الذي اعتادوا سلوكه إلى مساكنهم وإلى مقاصدهم المألوفة التي ترددوا إليها كثيرا كما كانوا يستبقون ساعين في متصرفاتهم موضوعين في أمور دنياهم لم يقدروا وتعايا عليهم أن يبصروا ويعلموا جهة السلوك فضلا عن غيره أو لو شاء لأعماهم فلو أرادوا أن يمشوا مستبقين في الطريق المألوف كما كان ذلك هجيراهم لم يستطيعوا أو لو شاء لأعماهم فلو طلبوا أن يخلفوا الصراط الذي اعتادوا المشي فيه لعجزوا ولم يعرفوا طريقا يعني أنهم لا يقدرون إلا على سلوك الطريق المعتاد دون ما وراءه من سائر الطرق والمسالك كما ترى العميان يهتدون فيما ألفوا وضروا به من المقاصد دون غيرها ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون (٥) لمسخناهم مسخا يجمدهم مكانهم وقرئ مكاناتهم والمكانة والمكان واحد كالمقامة والمقام أي لمسخناهم مسخا يجمدهم مكانهم لا يقدرون أن يبرحوا بإقبال ولا إدبار ولا مضي ولا رجوع واختلف في المسخ فعن ابن عباس لمسخناهم قردة وخنازير وقيل حجارة وعن قتادة لأقعدناهم على أرجلهم وأزمناهم وقرئ مضيا بالحركات الثلاث فالمضي والمضي كالعتي والعتي والمضي كالصبي ومن نعمره ننكسه في الخلق نقلبه فيه فنخلقه على عكس ما خلقناه من قبل وذلك أنا خلقناه على ضعف في جسده وخلو من عقل وعلم ثم جعلناه يتزايد وينتقل من حال إلى حال ويرتقي من درجة إلى درجة إلى أن يبلغ أشده ويستكمل قوته ويعقل ويعلم ما له وما عليه فإذا انتهى نكسناه في الخلق فجعلناه يتناقص حتى يرجع في حال شبيهة بحال الصبي في ضعف جسده وقلة عقله وخلوه من العلم كما ينكس السهم فيجعل أعلاه أسفله قال عز وجل ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم بعد علم شيئا ثم رددناه أسفل سافلين وهذه دلالة على أن من ينقلهم من الشباب إلى الهرم ومن القوة إلى الضعف ومن رجاحة العقل إلى الخرف وقلة التمييز ومن العلم إلى الجهل بعدما نقلهم خلاف هذا النقل وعكسه قادر على أن يطمس على أعينهم ويمسخهم على مكانتهم ويفعل بهم ما شاء وأراد وقرئ بكسر الكاف وننكسه من التنكيس والإنكاس أفلا تعقلون (٥) بالتاء والياء كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شاعر وروي أن القائل عقبة بن أبي معيط فقيل وما علمناه الشعر أي وما علمناه بتعليم القرآن الشعر وما هو من الشعر في شيء وأين هو عن الشعر والشعر إنما هو كلام موزون مقفى

بل على معنى فان الوزن والتقفية وابن المعاني التي ينتحيها الشعراء عن معانيه وابن نظم كلامهم
من نظمه واساليبه فاذاً لا مناسبة بينه وبين الشعر اذا حققت اللهم الا ان لفظه عربي كما ان ذلك
كذلك **وما ينبغي له** وما يصح له ولا يتطلب لو طلبه اي جعلناه بحيث لو اراد قرض الشعر لم
يتأت له ولم يتسهل كما جعلناه امياً لا يهتدي للخط ولا يحسنه لتكون الحجة اثبت والشبهة
ادحض وعن الخليل كان الشعر احب الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كثير من الكلام ولكن كان
لا يتأتى له فان قلت فقوله انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وقوله هل انت الا اصبع دميت
وفي سبيل الله ما لقيت قلت ما هو الا كلام من جنس كلامه الذي يرمي به على السليقة
من غير صنعة ولا تكلف الا انه اتفق من غير قصد الى ذلك ولا التفات منه اليه ان جاء موزوناً
كما يتفق كثير من انشاءات الناس في خطبهم ورسائلهم ومحاوراتهم اشياء موزونة لا يسميها
احد شعراً ولا يخطر ببال المتكلم ولا السامع انه شعر واذا فتشت في كل كلام عن نحو
ذلك وجدت الواقع في اوزان البحور غير عزيز على ان الخليل ما كان يعد المشطور من
الرجز شعراً ولما نفى ان يكون القرآن من جنس الشعر قال **ان هو الا ذكر وقرآن مبين** ۝
يعني ما هو الا ذكر من الله يوعظ به الانس والجن كما قال ان هو الا ذكر للعالمين وما هو الا قرآن
كتاب سماوي يقرأ في المحاريب ويتلى في المتعبدات وينال بتلاوته والعمل بما فيه فوز الدارين
فكم بينه وبين الشعر الذي هو من همزات الشياطين **لتنذر** القرآن او الرسول وهو
وقرئ لتنذر بالتاء وليتذكر من ينذر به اذا علمه **من كان حيا** اي عاقلاً متأملاً لان الغافل
كالميت او معلوماً منه انه يؤمن فيحيى بالايمان **ويحق القول على الكافرين** ۝ الذين لا يتأملون
ولا يتوقع منهم الايمان **اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما** مما تولينا نحن احداثه
ولم يقدر على توليه غيرنا وانما قال ذلك لبدائع الفطرة والحكمة فيها التي لا يصح ان يقدر
عليها الا هو وعمل الايدي استعارة من عمل من يعملون بالايدي **فهم لها مالكون** اي خلقناها
لاجلهم فملكناها اياهم فهم متصرفون فيها تصرف الملاك مختصون بالانتفاع بها لا يزاحمون
او فهم لها ضابطون قاهرون من قوله ۝

۝ اصبحت لا احمل السلاح ولا ۝ املك راس البعير ان نفرا ۝

اي لا اضبطه وهو من جملة النعم الظاهرة والا فمن كان يقدر عليها لولا تذليله وتسخيره لها
كما قال القائل ۝ يصرفه الصبي بكل وجه ۝ ويحبسه على الخسف الجرير ۝
۝ وتضربه الوليدة بالهراوى ۝ فلا غير لديه ولا نكير ۝

ولهذا الزم الله سبحانه الراكب ان يشكر هذه النعمة ويسبح بقوله سبحان الذي سخر لنا هذا
وما كنا له مقرنين **وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون** ۝ وقرئ ركوبهم وركوبتهم
وهما ما يركب كالحلوب والحلوبة وقيل الركوبة جمع وقرئ ركوبهم اي ذو ركوبهم
او فمن منافعها ركوبهم **ولهم فيها منافع ومشارب افلا يشكرون** ۝ منافع من الجلود
والاوبار والاصواف وغير ذلك ومشارب من اللبن ذكرها مجملة وقد فصلها في قوله وجعل
لكم من جلود الانعام بيوتاً الاية والمشارب جمع مشرب وهو موضع الشرب او الشرب **واتخذوا
من دون الله آلهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون** ۝ اتخذوا
الالهة طمعاً في ان يتقووا بهم ويعتضدوا بمكانهم والامر على عكس ما قدروا حيث هم جند لالهتهم
معدون محضرون يخدمونهم ويذبون عنهم ويغضبون لهم والالهة لا استطاعة بهم ولا
قدرة على النصر او اتخذوهم لينصروهم عند الله ويشفعوا لهم والامر على خلاف ما توهموا حيث هم
يوم القيامة جند معدون لهم محضرون لعذابهم لانهم يجعلون وقوداً للنار **فلا يحزنك قولهم
انا نعلم ما يسرون وما يعلنون** ۝ وقرئ فلا يحزنك بفتح الياء وضمها من حزنه واحزنه والمعنى
فلا يهمنك تكذيبهم واذاهم وجفاهم فانا عالمون بما يسرون من عداوتهم وما يعلنون وانا مجازوهم
عليه فحق مثلك ان يتسلى بهذا الوعيد ويستحضر في نفسه صورة حاله وحالهم في الآخرة حتى
ينقشع عنه الهم ولا يرهقه الحزن فان قلت فما تقول فيمن يقول ان قرأ قارئ انا نعلم
بالفتح انتقضت صلوته وان اعتقد ما يعطيه من المعنى كفر قلت فيه وجهان احدهما ان يكون

على حذف

على حذف لام التعليل وهو كثير في القرآن والشعر وفي كل كلام وقياس مطرد وهذا
معناه ومعنى الكسر سواء وعليه تلبية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الحمد والنعمة لك
كسر ابو حنيفة وفتح الشافعي وكلاهما تعليل والثاني ان يكون بدلاً من قولهم كانه قيل
فلا يحزنك انا نعلم ما يسرون وما يعلنون وهذا المعنى قائم مع المكسورة اذا جعلتها مفعولة
للقول فقد تبين ان تعلق الحزن بكون الله عالما وعدم تعلقه لا يدوران على كسر ان وفتحها
وانما يدوران على تقديرك فتفصل ان فتحت بان تقدره معنى التعليل ولا تقدره بالبدل
كما انك تفصل بتقديره معنى التعليل اذا كسرت ولا تقدره معنى المفعولية ثم ان قدرته
كاسراً او فاتحاً على ما عظم فيه الخطب ذلك القائل فما فيه الا نهي رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم عن الحزن على كون الله عالما بسرهم وعلانيتهم وليس النهي عن ذلك مما يوجب
شيئاً الا ترى الى قوله فلا تكونن ظهيراً للكافرين ولا تكونن من المشركين فلا تدع مع الله
الهاً آخر **اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين** ۝ **وضرب لنا مثلاً
ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم** ۝ قبح الله عز وجل انكارهم البعث
تقبيحاً لا ترى اعجب منه وابلغ وادل على تمادي كفران الانسان وافراطه في جحود النعم وعقوق
الايادي وتوغله في الخسة وتغلغله في القحة حيث قرره بان عنصره الذي خلقه منه هو
اخس شيء وامهنه وهو النطفة المذرة الخارجة من الاحليل الذي هو قناة النجاسة ثم
عجب من حاله بان يتصدى مثله على مهانة اصله ودناءة اوله لمخاصمة الجبار وبروز صفحته
لمجادلته ويركب متن الباطل ويلج ويمحك ويقول ما يقدر على احياء الميت بعد ما
رمت عظامه ثم يكون خصامه في الزم وصف والصقه به وهو كونه منشأ من موات
وهو ينكر انشاءه من موات وهي المكابرة التي لا مطمح وراءها وروي ان جماعة من كفار
قريش منهم ابي بن خلف الجمحي وابو جهل والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة تكلموا في
ذلك فقال لهم ابي الا ترون ما يقول محمد ان الله يبعث الاموات ثم قال واللات والعزى لاصيرن
اليه ولاخصمنه واخذ عظما باليا فجعل يفتته بيده ويقول يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما
رم قال صلى الله عليه وآله وسلم نعم ويبعثك ويدخلك جهنم وقيل معنى قوله فاذا هو خصيم
مبين فاذا هو بعد ما كان ماء مهيناً رجل مميز منطيق قادر على الخصام مبين معرب عما
في نفسه فصيح كما قال او من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين فان قلت لم سمي قوله من
يحيي العظام وهي رميم مثلاً قلت لما دل عليه من قصة عجيبة شبيهة بالمثل وهي انكار قدرة الله
على احياء الموتى او لما فيه من التشبيه لان ما انكر من قبيل ما يوصف الله تعالى بالقدرة عليه بدليل النشأة
الاولى فاذا قيل من يحيي العظام على طريق الانكار لان يكون ذلك مما يوصف الله تعالى بكونه قادراً عليه
كان تعجيزاً لله وتشبيهاً له بخلقه في انهم غير موصوفين بالقدرة عليه والرميم اسم لما بلي من
العظام غير صفة كالرمة والرفات فلا يقال لم لم يؤنث وقد وقع خبراً لمؤنث ولا هو فعيل
بمعنى فاعل او مفعول ولقد استشهد بهذه الاية من يثبت الحيوة في العظام ويقول ان عظام الميتة
نجسة لان الموت يؤثر فيها من قبل ان الحيوة تحلها واصحاب ابي حنيفة هي عندهم طاهرة وكذلك
الشعر والعصب ويزعمون ان الحيوة لا تحلها فلا يؤثر فيها الموت ويقولون المراد باحياء العظام في
الاية ردها الى ما كانت عليه غضة رطبة في بدن حي حساس **قل يحييها الذي انشأها
اول مرة وهو بكل خلق عليم** ۝ يعلم كيف يخلق لا يتعاظمه شيء من خلق المنشآت والمعادات
ومن اجناسها وجلائلها ودقائقها **الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه
توقدون** ۝ ثم ذكر من بدائع خلقه انقداح النار من الشجر الاخضر مع مضادة النار الماء
وانطفائها به وهي الزناد التي توري بها الاعراب واكثرها من المرخ والعفار وفي امثالهم في
كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما
خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهي انثى فتنقدح
النار باذن الله وعن ابن عباس ليس من شجرة الا وفيها نار الا العناب قالوا ولذلك يتخذ
منه كذينقات القصارين والاخضر على اللفظ وقرئ الخضراء على المعنى ونحوه قوله تعالى من شجر من

زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم اوليس الذي خلق السموات والارض
بقادر على ان يخلق مثلهم من قدر على خلق السموات والارض مع عظم شانهما فهو على خلق الاناسي
اقدر ... معناه قوله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقرئ يقدر وقوله ان يخلق
مثلهم يحتمل معنيين ان يخلق مثلهم في الصغر والقماءة بالاضافة الى السموات والارض او ان يعيدهم
لان المعاد مثل المبتدا وليس به بلى وهو الخلاق الكثير المخلوقات العليم الكثير المعلومات
وقرئ الخالق انما امره انما شانه اذا اراد شيئا اذا دعاه داعي حكمته الى تكوينه ولا صارف
ان يقول له كن ان يكونه من غير توقف فيكون فيحدث اي فهو كائن موجود لا محالة
فان قلت ما حقيقة قوله ان يقول له كن قلت هو مجاز من الكلام وتمثيل لانه لا يمتنع عليه
شي من المكونات وانه بمنزلة المامور اذا ورد عليه امر الامر المطاع فان قلت فما وجه القراءتين
فيكون قلت اما الرفع فلانها جملة من مبتدا وخبر لان تقديرها فهو يكون معطوفة
على مثلها وهي امره ان يقول له كن واما النصب فللعطف على يقول والمعنى انه لا يجوز عليه شي
مما يجوز على الاجسام اذا فعلت شيئا مما تقدر عليه من المباشرة بمحال القدرة واستعمال الالات
وما يتبع ذلك من المشقة والتعب واللغوب انما امره وهو القادر العالم لذاته ان يخلص الى
الفعل فيكون [illegible] مثله كيف يعجز عن مقدور حتى يعجز عن الاعادة فسبحان الذي
بيده ملكوت كل شي واليه ترجعون فسبحان تنزيه له مما وصفه به المشركون وتعجيب
من ان يقولوا فيه ما قالوا بيده ملكوت كل شي هو مالك كل شي المتصرف فيه بمواجب مشيئته
وقضايا حكمته وقرئ ملكة كل شي ومملكة كل شي والمعنى واحد ترجعون بضم التاء وفتحها
وعن ابن عباس رضي الله عنهما كنت لا اعلم ما روي في فضايل يس وقراءتها كيف خصت بذلك
فاذا انه لهذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان لكل شي قلبا وان قلب القرآن يس من
قرا يس يريد بها وجه الله غفر الله له واعطي من الاجر كانما قرا القرآن اثنتين وعشرين مرة وايما
مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة املاك يقومون بين
يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون
عليه ويشهدون دفنه وايما مسلم قرا يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت
حتى يجيئه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت
روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة
وهو ريان وقال عليه الصلوة والسلام ان في القرآن سورة تشفع لقارئها ويغفر لمستمعها
الا وهي سورة يس

سورة الصافات مكية وهي مائة واحدى وثمانون آية وقيل اثنتان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا اقسم سبحانه بطوائف الملائكة
او بنفوسهم الصافات اقدامها في الصلوة من قوله عز وجل وانا لنحن الصافون او اجنحتها في الهواء
واقفة منتظرة لامر الله فالزاجرات السحاب سوقا فالتاليات لكلام الله من الكتب المنزلة
وغيرها وقيل الصافات الطير من قوله تعالى والطير صافات والزاجرات كل ما زجر عن معاصي
الله والتاليات كل من تلا كتاب الله ويجوز ان يقسم بنفوس العلماء العمال الصافات اقدامها في
التهجد وسائر الصلوات وصفوف الجماعات فالزاجرات بالمواعظ والنصائح فالتاليات آيات الله
والدارسات شرائعه او بنفوس قواد الغزاة في سبيل الله التي تصف الصفوف وتزجر الخيل
للجهاد وتتلو الذكر مع ذلك لا تشغلها عنه تلك الشواغل كما يحكى عن علي بن ابي طالب رضي الله
عنه فان قلت ما حكم الفاء اذا جاءت عاطفة في الصفات قلت اما ان تدل على ترتب معانيها
في الوجود كقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب
كانه قال الذي صبح فغنم فآب واما على ترتبها في التفاوت من بعض الوجوه كقولك خذ الافضل
فالاكمل واعمل الاحسن فالاجمل واما على ترتب موصوفاتها في ذلك كقولك رحم الله المحلقين فالمقصرين فعلى هذه

كقولك رحم

القوابي

القوانين الثلاثة يساق امر الفاء العاطفة في الصفات فان قلت فعلى اي هذه القوانين هي
فيما انت بصدده قلت ان وحدت الموصوف كانت للدلالة على ترتب الصفات في التفاضل
وان ثلثته فهي للدلالة على ترتب الموصوفات فيه بيان ذلك انك اذا اجريت هذه الاوصاف على
الملائكة وجعلتهم جامعين لها فعطفها بالفاء يفيد ترتبا لها في الفضل اما ان يكون الفضل للصف ثم للزجر
ثم للتلاوة واما على العكس وكذلك ان اردت العلماء وقواد الغزاة وان اجريت الصفة الاولى
على طوائف والثانية والثالثة على اخر فقد افادت ترتب الموصوفات في الفضل اعني ان الطوائف الصافات
ذوات فضل والزاجرات افضل والتاليات ابهر فضلا او على العكس وكذلك اذا اردت
بالصافات الطير وبالزاجرات كل ما يزجر عن معصية وبالتاليات كل نفس تتلو الذكر فان
الموصوفات مختلفة وقرئ بادغام التاء في الصاد والزاي والذال ان الهكم لواحد رب السموات
والارض وما بينهما ورب المشارق رب السموات خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف والمشارق
ثلثمائة وستون مشرقا وكذلك المغارب تشرق الشمس كل يوم في مشرق منها وتغرب في مغرب
ولا تطلع ولا تغرب في واحد يومين فان قلت فما اراد بقوله رب المشرقين قلت اراد
مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما انا زينا السماء الدنيا القربى منكم والزينة مصدر كالنسبة
واسم لما يزان به الشي كالليقة اسم لما تلاق به الدواة ويحتملهما قوله بزينة الكواكب فان اردت
المصدر فعلى اضافته الى الفاعل اي بان زانتها الكواكب واصله بزينة الكواكب او على اضافته الى
المفعول اي بان زان الله الكواكب وحسنها لانها انما زينت السماء لحسنها في انفسها واصله بزينة
الكواكب وهي قراءة ابي بكر والاعمش وابن وثاب وان اردت
الاسم فللاضافة وجهان ان يقع الكواكب بيانا للزينة لان الزينة مبهمة في الكواكب
وغيرها مما يزان به وان يراد ما زينت به الكواكب وجاء عن ابن عباس بزينة الكواكب بضوء الكواكب
ويجوز ان يراد اشكالها المختلفة كشكل الثريا وبنات نعش والجوزاء وغير ذلك ومطالعها
ومسايرها وقرئ على هذا المعنى بزينة الكواكب بتنوين زينة وجر الكواكب على الابدال ويجوز
نصب الكواكب ان تكون بدلا من محل بزينة وحفظا من كل شيطان مارد ما حمل على المعنى
لان المعنى انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من الشياطين كما قال ولقد زينا السماء
الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين ويجوز ان يقدر الفعل المعلل كانه قيل وحفظا
من كل شيطان زيناها بالكواكب وقيل وحفظناها حفظا والمارد الخارج من الطاعة المتملس
منها الضمير في لا يسمعون الى الملا الاعلى لكل شيطان لانه في معنى الشياطين وقرئ بالتخفيف
واصله يتسمعون والتسمع تطلب السماع يقال تسمع فسمع او فلم يسمع وعن ابن عباس هم يتسمعون
ولا يسمعون وبهذا انتصر التخفيف على التشديد فان قلت لا يسمعون كيف اتصل بما قبله
قلت لا يخلو من ان يتصل بما قبله على ان يكون صفة لكل شيطان او استئنافا فلا تصح الصفة
لان الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا يتسمعون لا معنى له وكذلك الاستئناف لان سائلا لو
سال لم تحفظ من الشياطين فاجيب بانهم لا يسمعون لم يستقم فبقي ان يكون كلاما منقطعا
مبتدا اقتصاصا لما عليه حال المسترقة للسمع وانهم لا يقدرون ان يسمعوا الى كلام الملائكة
او يتسمعوا وهم مقذوفون بالشهب مدحورون عن ذلك الا من امهل حتى خطف خطفة
واسترق استراقة فعندها تعاجله الهلكة باتباع الشهاب الثاقب فان قلت هل يصح قول
من زعم ان اصله لئلا يسمعوا فحذفت اللام كما حذفت في قولك جئتك ان تكرمني فبقي ان لا
يسمعوا فحذفت ان واهدر عملها كما في قول القائل الا ايهذا الزاجري احضر الوغى
قلت كل واحد من هذين الحذفين غير مردود على انفراده فاما اجتماعهما فمنكر من المنكرات
على ان صون القرآن عن مثل هذا التعسف واجب فان قلت اي فرق بين سمعت فلانا
يتحدث وسمعت اليه يتحدث وسمعت حديثه والى حديثه قلت المعدى [illegible] بنفسه
يفيد الادراك والمعدى بالى يفيد الاصغاء مع الادراك والملا الاعلى الملائكة لانهم يسكنون
السموات والجن والانس هم الملا الاسفل لانهم سكان الارض وعن ابن عباس هم الكتبة
من الملائكة وعنه اشراف الملائكة ويقذفون من كل جانب من جميع جوانب السماء من اي جهة

ضعف وللاشتراق دحورا مفعول له اي ويقذفون للدحور وهو الطرد او مدحورين على الحال
او لان القذف والطرد متقاربان في المعنى فكانه قيل يدحرون او قذفا وقرأ ابو عبد الرحمن
السلمي بفتح الدال على قذفا دحورا طردا او على انه قد جاء مجيء القبول والولوع ولهم
عذاب واصب والواصب الدائم وصب الامر وصوبا يعني انهم في الدنيا مرجومون بالشهب
وقد اعد لهم في الآخرة نوع من العذاب دائم غير منقطع الا من خطف الخطفة فاتبعه
شهاب ثاقب من في محل الرفع بدل من الواو في ولا يسمعون اي لا يسمع الشياطين الا
الشيطان الذي خطف الخطفة وقرئ خطف بكسر الخاء والطاء وتشديدها وخطف
بفتح الخاء وكسر الطاء وتشديدها واصلها اختطف وقرئ فاتبعه وفاتّبعه فاستفتهم
اهم اشد خلقا الهمزة وان خرجت الى معنى التقرير فهي بمعنى الاستفهام في اصلها فلذلك
قيل فاستفتهم اي استخبرهم اهم اشد خلقا ولم يقل فقررهم والضمير لمشركي مكة وقيل
نزلت في ابي الاشد بن كلدة وكني بذلك لشدة بطشه وقوته امن خلقنا يريد ما ذكر
من خلائقه من الملائكة والسموات والارض والمشارق والمغارب والكواكب والشهب
الثواقب والشياطين المردة وغلب اولي العقل على غيرهم فقال من خلقنا والدليل عليه قوله
بعد عد هذه الاشياء فاستفتهم اهم اشد خلقا امن خلقنا بالفاء المعقبة وقوله امن خلقنا
مطلقا من غير تقييد بالبيان اكتفاء ببيان ما تقدمه كانه قال خلقنا كذا وكذا من عجائب
الخلق وبدائعه فاستفتهم اهم اشد خلقا ام الذي خلقنا من ذلك ويقطع به قراءة من قرأ ام من
عددنا بالتخفيف والتشديد واشد خلقا يحتمل اقوى خلقا من قولهم شديد الخلق وفي خلقه شدة
واصعب خلقا واشق على معنى الرد لانكارهم البعث والنشأة الاخرى وان من هان عليه خلق
هذه الخلائق العظيمة ولم يصعب عليه اختراعها كان خلق البشر عليه اهون انا خلقناهم
من طين لازب وخلقهم من طين لازب اما شهادة عليهم بالضعف والرخاوة لان ما يصنع
من الطين غير موصوف بالصلابة والقوة او احتجاج عليهم بان الطين اللازب الذي خلقوا منه
تراب فمن اين استنكروا ان يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا ائذا كنا ترابا وهذا المعنى
يعضده ما يتلوه من ذكر انكارهم البعث وقيل من خلقنا من الامم الماضية وليس هذا القول بملائم
وقرئ لازم ولاتب والمعنى واحد واللاتب الشديد الالصاق بل عجبت ويسخرون
بل عجبت من قدرة الله على هذه الخلائق العظيمة وهم يسخرون منك ومن امر البعث وقرئ بضم التاء
اي من عظم آياتي وكثرة خلائقي عجبت منها فكيف بعبادي وهؤلاء بجهلهم وعنادهم
يسخرون من آياتي او عجبت من ان ينكروا البعث ممن هذه افعاله وهم يسخرون ممن يصف الله
بالقدرة عليه فان قلت كيف يجوز التعجب على الله تعالى وانما هو روعة تعتري الانسان
عند استعظام الشيء والله عز وجل لا تجوز عليه الروعة قلت فيه وجهان احدهما ان يجرد
العجب لمعنى الاستعظام والثاني ان يتخيل العجب ويفرض وقد جاء في الحديث عجب ربكم من
الكم وقنوطكم وسرعة اجابته اياكم وكان شريح يقرأ بالفتح ويقول ان الله لا يعجب
من شيء وانما يعجب من لا يعلم فقال ابراهيم النخعي ان شريحا كان يعجبه علمه وعبد الله
اعلم يريد عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وكان يقرأ بالضم وقيل معناه قل يا محمد بل عجبت
واذا ذكروا لا يذكرون ودأبهم انهم اذا وعظوا بشيء لا يتعظون واذا رأوا آية يستسخرون يبالغون
في السخرية او يستدعي بعضهم من بعض ان يسخر منها وقالوا ان هذا الا سحر مبين ائذا متنا
وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون أوآباؤنا الاولون او آباؤنا معطوف على محل ان واسمها
او على الضمير في مبعوثون والذي جوز العطف عليه الفصل بهمزة الاستفهام والمعنى ايبعث
ايضا آباؤنا على زيادة الاستبعاد يعنون انهم اقدم فبعثهم ابعد وابطل وقرئ او آباؤنا قل نعم
وقرئ نعم بكسر العين وهما لغتان وقرئ قال نعم اي الله او الرسول والمعنى نعم تبعثون
وانتم داخرون صاغرون فانما هي زجرة واحدة جواب شرط مقدر تقديره اذا كان
ذلك فما هي الا زجرة واحدة وهي لا ترجع الى شيء انما هي مبهمة موضحها خبرها ويجوز فانما البعثة
زجرة واحدة يعني وهي النفخة الثانية والزجرة الصيحة من قولك زجر الراعي الابل او الغنم اذا صاح

ابو عروة العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه

عليها فزعت لصوته ومنه
يزجر ابي عروة السباع اذا ... اشفق ان يختلط بالغنم
يريد تصوته
بها فاذا هم احياء بصراء ينظرون وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين هذا يوم الفصل
الذي كنتم به تكذبون يحتمل ان يكون هذا يوم الدين الى قوله احشروا من كلام الكفرة بعضهم
مع بعض وان يكون من كلام الملائكة لهم وان يكون يا ويلنا هذا يوم الدين كلام الكفرة وهذا يوم
الفصل من كلام الملائكة جوابا لهم ويوم الدين اليوم الذي يدان فيه اي يجازى باعمالنا ويوم
الفصل يوم القضاء والفرق بين فرق الهدى والضلالة احشروا الذين ظلموا خطاب الله للملائكة
او خطاب بعضهم مع بعض وازواجهم وضرباءهم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهم نظراؤهم
واشباههم من العصاة اهل الزنا مع اهل الزنا واهل السرقة مع اهل السرقة وقيل قرناؤهم من
الشياطين وقيل نساؤهم اللاتي على دينهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى
صراط الجحيم فعرفوهم طريق النار حتى يسلكوها وقفوهم انهم مسؤولون ما لكم
لا تناصرون هذا تهكم بهم وتوبيخ لهم بالعجز عن التناصر بعدما كانوا على خلاف ذلك في الدنيا
متعاضدين بل هم اليوم مستسلمون فقد اسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز وكلهم
مستسلم غير منتصر وقرئ لا تتناصرون ولا تناصرون بالادغام واقبل بعضهم على بعض
يتساءلون قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين اليمين لما كانت اشرف العضوين وامتنهما
وكانوا يتيمنون بها فبها يصافحون ويماسحون ويناولون ويتناولون ويزاولون اكثر الامور
ويتشاءمون بالشمال ولذلك سموها الشؤمى كما سموا اختها اليمنى وتيمنوا بالسانح وتطيروا
بالبارح وكان الاعسر معيبا عندهم وعضدت الشريعة ذلك فامرت بمباشرة افاضل الامور
باليمين وارذالها بالشمال وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحب التيامن في كل شيء وجعل
اليمين لكاتب الحسنات والشمال لكاتب السيئات ووعد المحسن ان يؤتى كتابه بيمينه
والمسيء ان يؤتاه بشماله استعيرت لجهة الخير وجانبه فقيل اتاه عن اليمين اي من قبل الخير
وناحيته فصده عنه واضله وجاء في بعض التفاسير من اتاه الشيطان من جهة اليمين اتاه من
قبل الدين فلبس عليه الحق ومن اتاه من جهة الشمال اتاه من قبل الشهوات ومن اتاه من بين يديه
اتاه من قبل التكذيب بالقيامة وبالثواب والعقاب ومن اتاه من خلفه خوفه الفقر على نفسه وعلى
من يخلف من بعده فلم يصل رحما ولم يؤد زكاة فان قلت قولهم اتاه من جهة الخير وناحيته مجاز في
نفسه فكيف جعلت اليمين مجازا عن المجاز قلت من المجاز ما غلب في الاستعمال حتى لحق بالحقائق
وهذا من ذاك ولك ان تجعلها مستعارة للقوة والقهر لان اليمين موصوفة بالقوة وبها يقع البطش
والمعنى انكم كنتم تأتوننا عن القوة والقهر وتقصدوننا عن السلطان والغلبة حتى تحملونا على الضلال
وتقسرونا عليه وهذا من خطاب الاتباع لرؤسائهم والغواة لشياطينهم قالوا بل لم تكونوا مؤمنين
بل ابيتم انتم الايمان واعرضتم عنه مع تمكنكم منه مختارين له على الكفر غير ملجئين وما كان
لنا عليكم من سلطان من تسلط نسلبكم به تمكنكم واختياركم بل كنتم قوما طاغين
مجاوزين الطغيان فحق علينا فلزمنا قول ربنا انا لذائقون يعني وعيد الله بانا ذائقون لعذابه
لا محالة لعلمه بحالنا واستحقاقنا بها العقوبة ولو حكى الوعيد كما هو لقال انكم لذائقون ولكنه
عدل به الى لفظ المتكلم لانهم متكلمون بذلك عن انفسهم ونحوه قول القائل لقد زعمت هوازن قل مالي
ولو حكى قولها لقال قل مالك ومنه قول المحلف للحالف احلف لأخرجن ولتخرجن الهمزة لحكاية لفظ الحالف
والتاء لاقبال المحلف على المحلف فاغويناكم فدعوناكم الى الغي دعوة محصلة للبغية لقبولكم لها
واستحبابكم الغي على الرشد انا كنا غاوين فاردنا اغواءكم لتكونوا امثالنا فانهم يومئذ
في العذاب مشتركون فان الاتباع والمتبوعين جميعا يومئذ يوم القيامة مشتركون في العذاب
كما كانوا مشتركين في الغواية انا كذلك نفعل بالمجرمين انا مثل ذلك الفعل نفعل بكل
مجرم يعني ان سبب العقوبة هو الاجرام فمن ارتكبه استوجبه انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا
الله يستكبرون انهم كانوا اذا سمعوا بكلمة التوحيد نفروا واستكبروا عنها وابوا الا الشرك
ويقولون ائنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون يعنون محمدا صلى الله عليه وآله وسلم بل جاء بالحق

رد على المشركين وضمير في المرسلين كقوله مصدق لما بين يديه إنكم لذائقو العذاب الأليم وقرئ إنكم لذائقوا العذاب بالنصب على تقدير النون كقوله ولا ذاكر الله إلا قليلا بتقدير التنوين وقرئ على الأصل لذائقون العذاب وما تجزون إلا ما كنتم تعملون إلا مثل ما عملتم جزاء سيئا بعمل سيئ إلا عباد الله المخلصين ولكن عباد الله على الاستثناء المنقطع أولئك لهم رزق معلوم فواكه وهم مكرمون في جنات النعيم فسر الرزق المعلوم بالفواكه وهي كل ما يتلذذ به ولا يتقوت لحفظ الصحة يعني أن رزقهم كله فواكه لأنهم مستغنون عن حفظ الصحة بالأقوات بأنهم أجسام محكمة مخلوقة للأبد فكلما يأكلونه يأكلونه على سبيل التلذذ ويجوز أن يراد رزق معلوم منعوت بخصائص خلق عليها من طيب طعم ورائحة ولذة وحسن منظر وقيل معلوم الوقت كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وعن قتادة الرزق المعلوم الجنة وقوله في جنات يأباه وقوله وهم مكرمون هو الذي يقوله العلماء في حد الثواب على سبيل المدح والتعظيم وهو من أعظم ما يجب أن تتوق إليه نفوس ذوي الهمم كما أن من أعظم ما يجب أن تنفر عنه نفوسهم هوان أهل النار وصغارهم على سرر متقابلين التقابل أتم للسرور وآنس وقيل لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض يطاف عليهم بكأس يقال للزجاجة فيها الخمر كأس وتسمى الخمر نفسها كأسا قال وكأس شربت على لذة وعن الأخفش كل كأس في القرآن فهو الخمر وكذا في تفسير ابن عباس من معين من شراب معين أو من نهر معين وهو الجاري على وجه الأرض الظاهر للعيون وصف بما يوصف به الماء لأنه يجري في الجنة في أنهار كما يجري الماء قال الله تعالى وأنهار من خمر بيضاء لذة للشاربين بيضاء صفة للكأس لذة إما أن توصف باللذة كأنها نفس اللذة وعينها أو هي تأنيث اللذ يقال لذ الشيء فهو لذ ولذيذ ووزنه فعل كقولك رجل طب وقد

ولذ كطعم الصرخدي تركته ... بأرض العدى من خشية الحدثان

يريد النوم لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون الغول من غاله يغوله غولا إذا أهلكه وأفسده ومنه الغول التي في تكاذيب العرب وفي أمثالهم الغضب غول الحلم وينزفون على البناء للمفعول من نزف الشارب إذا ذهب عقله ويقال للسكران نزيف ومنزوف ويقال للمطعون نزف فمات إذا خرج دمه ونزحت الركية حتى نزفتها إذا لم تترك فيها ماء وفي أمثالهم أجبن من المنزوف ضرطا وقرئ ينزفون من أنزف الشارب إذا ذهب عقله أو شرابه قال

لعمري لئن أنزفتم أو صحوتم ... لبئس الندامى كنتم آل أبجرا

ومعناه صار ذا نزف ونظيره أقشع السحاب وقشعته الريح وأكب الرجل وكببته وحقيقتهما دخلا في القشع والكب وفي قراءة طلحة بن مصرف ينزفون بضم الزاي من نزف ينزف كقرب يقرب إذا سكر والمعنى لا فيها فساد قط من أنواع الفساد التي تكون في شرب الخمر من مغص أو صداع أو خمار أو عربدة أو لغو أو تأثيم أو غير ذلك ولا هم يسكرون وهو أعظم مفاسدها فأفرزه وأفرده بالذكر وعندهم قاصرات الطرف قصرن أبصارهن على أزواجهن لا يمددن طرفا إلى غيرهم كقوله عربا عين العين النجل العيون كأنهن بيض مكنون شبههن ببيض النعام المكنون في الأداحي وبها تشبه العرب النساء وتسميهن بيضات الخدور فإن قلت علام عطف قوله فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قلت على يطاف عليهم والمعنى يشربون فيتحادثون على الشراب قال

وما بقيت من اللذات إلا ... أحاديث الكرام على المدام

فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عما جرى لهم وعليهم في الدنيا إلا أنه جيء به ماضيا على عادة الله في أخباره قال قائل منهم إني كان لي قرين يقول أئنك لمن المصدقين وقرئ من المصدقين من التصدق يروي المصدق فهو مشدد الصاد من التصدق وقيل نزلت في رجل تصدق بماله لوجه الله فاحتاج فاستجدى بعض إخوانه فقال وأين مالك قال تصدقت به ليعوضني الله في الآخرة خيرا منه فقال أئنك لمن المصدقين بيوم الدين أو من المتصدقين لطلب الثواب والله لا أعطيك شيئا أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمدينون لمجزيون من الدين وهو الجزاء أو لمسوسون

مربوبون يقال دانه ساسه ومنه الحديث العاقل من دان نفسه قال يعني ذلك القائل هل أنتم مطلعون إلى النار لأريكم ذلك القرين قيل إن في الجنة كوى ينظر أهلها منها إلى أهل النار وقيل القائل الله عز وجل وقيل بعض الملائكة يقول لهم هل تحبون أن تطلعوا فتعلموا أين منزلتكم من منزلة أهل النار وقرئ مطلعون فاطلع وفأطلع بالتشديد على لفظ الماضي والمضارع المنصوب ومطلعون فأطلع وفأطلع بالتخفيف على لفظ الماضي والمضارع المنصوب يقال طلع علينا فلان واطلع بمعنى واحد والمعنى هل أنتم مطلعون إلى القرين فأطلع أنا أيضا أو عرض عليهم الاطلاع فاعترضوه فاطلع هو بعد ذلك وإن جعلت الإطلاع من أطلعه غيره فالمعنى أنه لما شرط في اطلاعه اطلاعهم وهو من آداب المجالسة أن لا يستبد بشيء دون جلسائه فكأنهم مطلعوه وقيل الخطاب على هذا للملائكة وقرئ مطلعون بكسر النون أراد مطلعون إياي فوضع المتصل موضع المنفصل كقوله

هم الفاعلون الخير والآمرونه

أو شبه اسم الفاعل في ذلك بالمضارع لتآخ بينهما كأنه قال تطلعون وهو ضعيف لا يقع إلا في الشعر في سواء الجحيم في وسطها يقال تعبت حتى انقطع سوائي وعن أبي عبيدة قال لي عيسى بن عمر كنت أكتب يا أبا عبيدة حتى ينقطع سوائي قال تالله إن كدت لتردين إن مخففة من الثقيلة وهي تدخل على كاد كما تدخل على كان ونحوه إن كاد ليضلنا واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والإرداء الإهلاك وفي قراءة عبد الله لتغوين ولولا نعمة ربي هي العصمة والتوفيق في الاستمساك بعروة الإسلام والبراءة من قرين السوء وإنعام الله بالثواب وكونه من أهل الجنة لكنت من المحضرين من الذين أحضروا العذاب كما أحضرته أنت وأمثالك أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين الذي عطفت عليه الفاء محذوف معناه أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين ولا معذبين وقرئ بمائتين والمعنى أن هذه حال المؤمنين وصفتهم وما قضى الله به لهم للعلم أنهم لا يموتون إلا الموتة الأولى بخلاف الكفار فإنهم فيما يتمنون فيه الموت كل ساعة وقيل لبعض الحكماء ما شر من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت يقوله المؤمن تحدثا بنعمة الله واغتباطا بحاله وبمسمع من قرينه ليكون توبيخا له يزيد به تعذبا وليحكيه الله فيكون لنا لطفا وزاجرا ويجوز أن يكون قولهم جميعا وكذلك قوله إن هذا لهو الفوز العظيم أي إن هذا الأمر الذي نحن فيه وقيل هو من قول الله عز وعلا تقريرا لقولهم وتصديقا له لمثل هذا فليعمل العاملون وقرئ لهو الرزق العظيم وهو ما رزقوه من السعادة تمت قصة المؤمن وقرينه ثم رجع إلى ذكر الرزق المعلوم فقال أذلك الرزق خير نزلا أي خير حاصلا أم شجرة الزقوم وأصل النزل الفضل والريع في الطعام يقال طعام كثير النزل فاستعير للحاصل من الشيء وحاصل الرزق المعلوم اللذة والسرور وحاصل شجرة الزقوم الألم والغم وانتصاب نزلا على التمييز ولك أن تجعله حالا كما تقول أثمر النخلة خير بلحا أم رطبا يعني أن الرزق المعلوم نزل أهل الجنة وأهل النار نزلهم شجرة الزقوم فأيهما خير في كونه نزلا والنزل ما يقام للنازل بالمكان من الرزق ومنه أنزال الجند لأرزاقهم كما يقال لما يقام لساكن الدار السكن ومعنى الأول أن للرزق المعلوم نزلا ولشجرة الزقوم نزلا فأيهما خير نزلا ومعلوم أنه لا خير في شجرة الزقوم ولكن المؤمنين لما اختاروا ما أدى إلى الرزق المعلوم واختار الكافرون ما أدى إلى شجرة الزقوم قيل لهم ذلك توبيخا على سوء اختيارهم إنا جعلناها فتنة للظالمين محنة وعذابا لهم في الآخرة وابتلاء لهم في الدنيا وذلك أنهم قالوا كيف يكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر فكذبوا إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم قيل منبتها في قعر جهنم وأغصانها ترتفع إلى دركاتها وقرئ نابتة طلعها كأنه رءوس الشياطين الطلع للنخلة فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها إما استعارة لفظية أو معنوية وشبه برءوس الشياطين دلالة على تناهيه في الكراهة وقبح المنظر لأن الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس لاعتقادهم أنه شر محض لا يخلطه خير فيقولون في القبيح الصورة كأنه وجه شيطان كأنه رأس شيطان وإذا صوره المصورون جاءوا بصورته على أقبح ما يقدر وأهوله كما أنهم اعتقدوا في الملك أنه خير محض لا شر فيه فشبهوا

بالصورة الحسنة والعلي ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم وهذا تشبيه تخييلي وقيل
الشياطين حية عرفا قبيحة المنظر هائلة جدا وقيل ان شجرا يقال له الاستن خشنا منتنا
مرا منكر الصورة يسمى ثمره رؤوس الشياطين وما سمت العرب هذا الثمر برؤوس الشياطين الا
قصدا الى احد التشبيهين ولكنه بعد التسمية بذلك رجع اصلا ثانيا يشبه به **فانهم لآكلون**
منها من الشجرة اي من طلعها **فمالئون منها البطون** فمالئون بطونهم لما يغلبهم من الجوع الشديد
او يقسرون على اكلها وان كرهوها ليكون بابا من العذاب فاذا شبعوا غلبهم العطش فيسقون
شرابا من غساق او صديد **ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم ثم ان مرجعهم لالى الجحيم**
شوبه اي مزاجه من حميم يشوي وجوههم ويقطع امعاءهم كما قال في صفة شراب اهل الجنة
ومزاجه من تسنيم وقرئ لشوبا بالضم وهو اسم ما يشاب به والاول تسمية بالمصدر
فان قلت ما معنى حرف التراخي في قوله ثم ان لهم عليها لشوبا وفي قوله ثم ان مرجعهم قلت
في الاول وجهان احدهما انهم يملؤون البطون من شجرة الزقوم وهو حار يحرق بطونهم ويعطشهم
فلا يسقون الا بعد ملي تعذيبا بذلك العطش ثم يسقون ما هو احر وهو الشراب المشوب
بالحميم والثاني انه ذكر الطعام بتلك الكراهة والبشاعة ثم ذكر الشراب بما هو اكره
وابشع فجاء بثم للدلالة على تراخي الشراب عن حال الطعام ومباينة صفته لصفته في الزيادة
عليه ومعنى الثاني انهم يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم في الجحيم وهي الدركات التي
اسكنوها الى شجرة الزقوم فيأكلون الى ان يتملؤوا ويسقون بعد ذلك ثم يرجعون الى دركاتهم
ومعنى التراخي في ذلك بين وقرئ ثم ان منقلبهم ثم ان مصيرهم ثم ان منقذهم الى الجحيم
انهم الفوا آباءهم ضالين علل استحقاقهم للوقوع في تلك الشدائد كلها بتقليد الآباء في
الدين واتباعهم اياهم على الضلال وترك اتباع الدليل **فهم على آثارهم يهرعون** والاهراع
الاسراع الشديد كأنهم يحثون حثا وقيل اسراع فيه شبه بالرعدة **ولقد ضل قبلهم**
قبل قومك قريش **اكثر الاولين ولقد ارسلنا فيهم منذرين** انبياء انذروهم العواقب
فانظر كيف كان عاقبة المنذرين الذين انذروا وخوفوا اي اهلكوا جميعا **الا عباد الله**
المخلصين الذين آمنوا منهم واخلصوا لله دينهم او اخلصهم الله لدينه على القراءتين **ولقد نادانا**
نوح لما ذكر ارسال المنذرين في الامم الخالية وسوء عاقبة المنذرين اتبع ذلك ذكر نوح و
ودعائه اياه حين ايس من قومه **فلنعم المجيبون** واللام الداخلة على نعم جواب قسم محذوف
والمخصوص بالمدح محذوف وتقديره فوالله لنعم المجيبون نحن والجمع دليل العظمة والكبرياء
والمعنى انا اجبناه احسن الاجابة واوصلناها الى مراده وبغيته من نصرته على اعدائه والانتقام
منهم بابلغ ما يكون **ونجيناه واهله من الكرب العظيم وجعلنا ذريته هم الباقين**
هم الذين بقوا وحدهم وقد فني غيرهم فقد روي انه مات كل من كان معه في السفينة غير ولده
او هم الذين بقوا متناسلين الى يوم القيامة قال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح عليه الصلاة والسلام
وكان لنوح عليه الصلاة والسلام ثلاثة اولاد سام وحام ويافث فسام ابو العرب وفارس والروم
وحام ابو السودان من المشرق الى المغرب ويافث ابو الترك ويأجوج ومأجوج **وتركنا عليه**
في الآخرين من الامم هذه الكلمة وهي **سلام على نوح** يعني يسلمون عليه تسليما ويدعون له وهو
من الكلام المحكي كقولك قرأت سورة انزلناها فان قلت فما معنى قوله **في العالمين** قلت
معناه الدعاء بثبوت هذه التحية فيهم جميعا وان لا يخلو احد منهم منها كانه قيل ثبت الله
التسليم على نوح وادامه في الملائكة والثقلين يسلمون عليه عن آخرهم **انا كذلك نجزي المحسنين**
انه من عبادنا المؤمنين ثم اغرقنا الآخرين علل مجازاة نوح عليه الصلاة والسلام بتلك
التكرمة السنية من تبقية ذكره وتسليم العالمين عليه الى آخر الدهر بانه كان محسنا ثم علل
كونه محسنا بانه كان عبدا مؤمنا ليريك جلالة محل الايمان وانه القصارى من صفات
المدح ويرغبك في تحصيله والازدياد منه **وان من شيعته لابراهيم** اي ممن شايعه على
اصول الدين وان اختلفت شرائعهما او شايعه على التصلب في دين الله ومصابرة المكذبين
ويجوز ان يكون بين شريعتيهما اتفاق في اكثر الاشياء وعن ابن عباس من اهل دينه وعلى سنته

اي طويلة العرف

وما كان بين نوح وابراهيم الا نبيان هود وصالح وكان بين نوح وابراهيم الفان وستمائة
واربعون سنة **اذ جاء ربه بقلب سليم** فان قلت بم تعلق الظرف قلت بما في الشيعة
من معنى المشايعة يعني وان ممن شايعه على دينه وتقواه حين جاء ربه بقلب سليم لابرهيم
او بمحذوف وهو اذكر بقلب سليم من جميع آفات القلوب وقيل من الشرك ولا معنى
للتخصيص لانه مطلق فليس بعض الآفات اولى من بعض فيتناولها كلها فان قلت ما معنى
المجيء بقلبه ربه قلت معناه انه اخلص لله قلبه وعرف ذلك منه فضرب المجيء مثلا
لذلك **اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون أئفكا آلهة دون الله تريدون** أئفكا
مفعول له تقديره أتريدون آلهة من دون الله افكا وانما قدم المفعول على الفعل للعناية
وقدم المفعول له على المفعول به لانه كان الاهم عنده ان يكافحهم بانهم على افك وباطل في
شركهم ويجوز ان يكون افكا مفعولا به يعني أتريدون افكا ثم فسر الافك بقوله آلهة من
دون الله على انها افك في نفسها ويجوز ان يكون حالا بمعنى أتريدون آلهة من دون
الله آفكين **فما ظنكم برب العالمين** بمن هو الحقيق بالعبادة لان من كان ربا للعالمين
استحق عليهم ان يعبدوه حتى تركتم عبادته الى عبادة الاصنام والمعنى انه لا يقدر في وهم
ولا ظن ما يصد عن عبادته او فما ظنكم به اي شيء هو من الاشياء حتى جعلتم الاصنام
له اندادا او فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم وقد عبدتم غيره **فنظر**
نظرة في النجوم في علم النجوم او في كتابها او في احكامها وعن بعض الملوك انه سئل عن
مشتهاه فقال حبيبا انظر اليه ومحتاجا انظر له وكتابا انظر فيه **فقال اني سقيم**
فتولوا عنه مدبرين كان القوم نجامين فاوهمهم انه استدل بامارة في علم النجوم على انه
يسقم فقال اني سقيم اي مشارف للسقم وهو الطاعون وكان اغلب الاسقام عليهم وكانوا يخافون
العدوى ليتفرقوا عنه فهربوا عنه الى عيدهم وتركوه في بيت الاصنام ليس معه احد ففعل
بالاصنام ما فعل فان قلت كيف جاز له ان يكذب قلت قد جوزه بعض الناس في المكيدة
في الحرب والتقية وارضاء الزوج والصلح بين المتخاصمين والمتهاجرين والصحيح ان الكذب
حرام الا اذا عرض وورى والذي قاله ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه معراض من الكلام
ولقد نوى به ان من في عنقه الموت سقيم ومنه المثل كفى بالسلامة داء وقول لبيد

فدعوت ربي بالسلامة جاهدا ليصحني فاذا السلامة داء

وقد مات رجل فجأة فالتف عليه الناس وقالوا مات وهو صحيح فقال اعرابي أصحيح من
الموت في عنقه وقيل اراد اني سقيم النفس لكفركم **فراغ الى آلهتهم** فذهب اليها في خفية من
روغة الثعلب الى اصنامهم التي هي في زعمهم آلهة كقوله اين شركائي **فقال ألا تأكلون**
ما لكم لا تنطقون استهزاء بها وبانحطاطها عن حال عبدتها **فراغ عليهم ضربا باليمين**
فاقبل عليهم مستخفيا كانه قال فضربهم ضربا لان راغ عليهم في معنى ضربهم او فراغ عليهم يضربهم
ضربا او فراغ عليهم ضربا بمعنى ضاربا وقرئ صفقا وسفقا ومعناهما الضرب ومعنى ضربا باليمين
ضربا شديدا قويا لان اليمين اقوى الجارحتين واشدهما وقيل بالقوة والمتانة وقيل بسبب
الحلف وهو قوله تالله لاكيدن اصنامكم **فاقبلوا اليه يزفون** يسرعون من زفيف النعام
ويزفون من ازف اذا دخل في الزفيف او من ازفه اذا حمله على الزفيف اي يزف بعضهم بعضا ويزفون
على البناء للمفعول اي يحملون على الزفيف ويزفون من وزف يزف اذا اسرع ويزفون من زفاه اذا حداه
كان بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم اليه فان قلت بين هذا وبين قوله قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن
الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم كالتناقض حيث ذكر ههنا انهم ادبروا عنه
خيفة العدوى فلما ابصروه يكسرهم اقبلوا اليه متبادرين ليكفوه وذكر ثم انهم سألوا عن
الكاسر حتى قيل لهم سمعنا ابراهيم يذمهم فلعله هو الكاسر ففي احدهما انهم شاهدوه يكسرها وفي
الآخر انهم استدلوا بذمه على انه الكاسر قلت فيه وجهان احدهما ان يكون الذي ابصره
وزفوا اليه نفرا منهم دون جمهورهم وكبرائهم فلما رجع الجمهور والعلية من عيدهم الى بيت
الاصنام ليأكلوا الطعام الذي وضعوه لتبرك عليه وراوها مكسورة اشمأزوا من ذلك وسألوا

من فعل هذا بها لم ينم عليه أولئك النفر نميمة صريحة ولكن على سبيل التورية والتعريض بقولهم
سمعنا فتى يذكرهم لبعض الصوارف والأذان كثيرها وان هو ... لا يشعرون بذلك أحد ثم لما
أقبلوا إليه يزفون بعد رجوعهم من عيدهم وسؤالهم عن الكاسر وقولهم قالوا فأتوا به على أعين
الناس **قال أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون** أي خلقكم وخلق ما
تعملونه من الأصنام كقوله تعالى بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن أي فطر
الأصنام فإن قلت كيف يكون الشيء الواحد مخلوقًا لله معمولًا لهم حيث أوقع خلقه وعملهم عليها
جميعًا قلت هذا كما يقال عمل النجار الباب والكرسي وعمل الصائغ السوار والخلخال
والمراد عمل أشكال هذه الأشياء وصورها دون جواهرها والأصنام جواهر وأشكال
فخالق جواهرها الله تعالى وعاملو أشكالها الذين يشكلونها بنحتهم وحذفهم بعض أجزائها
حتى يستوي التشكيل الذي يريدونه وبه فإن قلت أفما يكون ما مصدرية لا
موصولة ويكون المعنى والله خلقكم وعملكم كما يقول المجبرة قلت أقرب ما يبطل به
هذا السؤال بعد بطلانه بحجج العقل والكتاب أن معنى الآية يأباه إباء جليًا وينبو عنه
نبوًا ظاهرًا وذلك أن الله عز وجل قد احتج عليهم بأن العابد والمعبود جميعًا خلق الله
فكيف يعبد المخلوق المخلوق على أن العابد منهما هو الذي عمل صورة المعبود وشكله ولولاه
لما قدر أن يصور نفسه ويشكلها ولو قلت والله خلقكم وخلق عملكم لم يكن محتجًا
عليهم ولا كان لكلامك طباق وشيء آخر وهو أن قوله وما تعملون ترجمة عن قوله ما تنحتون
وما في ما تنحتون موصولة لا مقال فيها فلا يعدل بها عن أختها إلا متعسف متعصب لمذهبه
من غير نظر في علم البيان ولا تبصر لنظم القرآن فإن قلت اجعلها موصولة حتى لا يلزمني
ما ألزمت وأريد وما تعملونه من أعمالكم قلت بل الإلزامات في عنقك لا يفكها إلا الإذعان
للحق وذلك أنك وإن جعلتها موصولة فإنك في إرادتك بها العمل غير محتج على المشركين
كحالك وقد جعلتها مصدرية وأيضًا فإنك قاطع بذلك الوصلة بين ما تعملون وبين ما تنحتون
حيث تخالف بين المرادين بهما فتريد بما تنحتون الأعيان التي هي الأصنام وبما تعملون المعاني التي هي
الأعمال وفي ذلك فك النظم وتبتيره كما إذا جعلتها مصدرية **قالوا ابنوا له بنيانًا فألقوه في
الجحيم ۝ فأرادوا به كيدًا فجعلناهم الأسفلين ۝** الجحيم النار الشديدة الوقود وقيل كل
نار على نار وجمر فوق جمر فهي جحيم والمعنى أن الله تعالى غلبه عليهم في المقامين جميعًا وأذلهم
بين يديه أرادوا أن يغلبوه بالحجة فلقنه الله وألهمه ما ألقمهم به الحجر وقهرهم فمالوا إلى المكر فأبطل الله
مكرهم وجعلهم الأذلين الأسفلين لم يقدروا عليه **وقال إني ذاهب إلى ربي** أراد بذهابه
إلى ربه مهاجرته إلى حيث أمره بالمهاجرة إليه من أرض الشام كما قال إني مهاجر إلى ربي **سيهدين**
سيرشدني إلى ما فيه صلاحي في ديني ويعصمني ويوفقني كما قال موسى عليه الصلاة والسلام كلا إن معي
ربي سيهدين كأن الله تعالى وعده وقال له سأهديك فأجرى كلامه على سنن موعد ربه
وبناه على عادة الله تعالى معه في هدايته وإرشاده وأظهر بذلك توكله وتفويضه أمره إلى الله ولو
قصد الرجاء والطمع لقال كما قال موسى عليه الصلاة والسلام عسى ربي أن يهديني سواء السبيل
رب هب لي من الصالحين ۝ هب لي بعض الصالحين يريد الولد لأن لفظ الهبة غلب في الولد
وإن كان قد جاء في الأخ في قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون قال عز وجل ووهبنا
له إسحق ويعقوب ووهبنا له يحيى وقال علي بن أبي طالب لابن عباس رضي الله عنهما حين هنأه
بولده علي أبي الأملاك شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب ولذلك وقعت التسمية
بهبة الله وبموهوب ووهب وموهب **فبشرناه بغلام حليم ۝** وقد انطوت البشارة على ثلاث
على أن الولد غلام ذكر وأنه يبلغ أوان الحلم وأنه يكون حليمًا وأي حلم أعظم من حلمه حين عرض
عليه أبوه الذبح فقال ستجدني إن شاء الله من الصابرين ثم استسلم لذلك وقيل ما نعت الله الأنبياء
عليهم الصلاة والسلام بأقل من الحلم وذلك لعزة وجوده ولقد نعت الله تعالى به إبراهيم في قوله إن إبراهيم
لأواه حليم إن إبراهيم لحليم أواه منيب لأن الحادثة شهدت بحلمهما جميعًا **فلما بلغ معه السعي**
فلما بلغ أن يسعى مع أبيه في أشغاله وحوائجه فإن قلت بم يتعلق قلت لا يخلو إما أن يتعلق ببلغ

أو بالسعي

أو بالسعي أو بمحذوف فلا يصح تعلقه ببلغ لاقتضائه بلوغهما معًا حد السعي ولا بالسعي لأن
صلة المصدر لا تتقدم عليه فبقي أن يكون بيانًا كأنه لما قال فلما بلغ السعي أي الحد الذي يقدر
فيه على السعي قيل مع من فقال مع أبيه والمعنى في اختصاص الأب أنه أرفق الناس وأعطفهم
عليه وغيره ربما عنف به في الاستسعاء فلا يحتمله لأنه لم تستحكم قوته ولم يصلب عوده وكان
إذ ذاك ابن ثلاث عشرة سنة والمراد أنه على غضاضة سنه وتقلبه في حد الطفولية كان فيه من
رصانة الحلم وفسحة الصدر ما جسره الله على احتمال تلك البلية العظيمة والإجابة بذلك
الجواب الحكيم **قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك** أتي في المنام فقيل له اذبح ابنك
ورؤيا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وحي كالوحي في اليقظة فلهذا قال إني أرى في المنام
أني أذبحك فذكر تأويل الرؤيا كما يقول الممتحن وقد رأى أنه راكب في سفينة رأيت في
المنام أني ناج من هذه المحنة وقيل رأى ليلة التروية كأن قائلًا يقول له إن الله يأمرك
بذبح ابنك هذا فلما أصبح روى في ذلك من الصباح إلى الرواح أمن الله هذا الحلم أم من
الشيطان فمن ثمة سمي يوم التروية فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله فمن ثمة سمي
يوم عرفة ثم رأى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمي اليوم يوم النحر وقيل إن الملائكة حين
بشرته بغلام حليم قال هو إذن ذبيح الله فلما ولد وبلغ حد السعي معه قيل له أوف بنذرك
فانظر ماذا ترى من الرأي على وجه المشاورة وقرئ ماذا تُري أي ماذا تبصر من رأيك
وتبديه وماذا تُرى على البناء للمفعول أي ما تريك نفسك من الرأي **قال يا أبت افعل ما تؤمر
ستجدني إن شاء الله من الصابرين ۝** أي ما تؤمر به فحذف الجار كما حذف في قوله أمرتك
الخير فافعل ما أمرت به أو أمرك على إضافة المصدر إلى المفعول وتسمية المأمور به أمرًا وقرئ
ما تؤمر به فإن قلت لم شاوره في أمر هو حتم من الله قلت لم يشاوره ليرجع إلى رأيه
ومشورته ولكن ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء الله فيثبت قدمه ويصبره إن جزع
ويأمن عليه الزلل إن صبر وسلم وليعلمه حتى يراجع نفسه فيوطنها ويهون عليها ويلقى
البلاء وهو كالمستأنس به ويكتسب المثوبة بالانقياد لأمر الله قبل نزوله ولأن المغافصة
بالذبح مما يستسمج وليكون سنة في المشاورة فقد قيل لو شاور آدم الملائكة في أكله من
الشجرة لما فرط منه ذلك فإن قلت لم كان بالمنام دون اليقظة قلت كما أري يوسف
عليه الصلاة والسلام سجود أبويه وإخوته له في المنام من غير وحي إلى أبيه وكما وعد رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم دخول المسجد الحرام في المنام وما سوى ذلك من منامات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
وذلك لتقوية الدلالة على كونهم صادقين مصدقين وفيها لأن الحال إما حال يقظة أو حال منام
فلما تظاهرت الحالتان على الصدق كان ذلك أقوى للدلالة من انفراد أحدهما **فلما أسلما
وتله للجبين ۝ وناديناه أن يا إبراهيم ۝ قد صدقت الرؤيا** يقال سلم لأمر الله وأسلم واستسلم
بمعنى واحد وقد قرئ بهن جميعًا إذا انقاد له وخضع وأصلها من قولك سلم هذا لفلان
إذا خلص له ومعناه سلم من أن ينازع فيه وقولهم سلم لأمر الله وأسلم له منقولان منه
بالهمزة وحقيقة معناهما أخلص نفسه لله وجعلها سالمة له خالصة وكذلك معنى استسلم
استخلص نفسه لله وعن قتادة في أسلما أسلم هذا ابنه وهذا نفسه وتله للجبين صرعه
على شقه فوقع أحد جبينيه على الأرض تواضعًا على مباشرة الأمر بصبر وجلد ليرضيا الرحمن
ويخزيا الشيطان وروي أن ذلك المكان عند الصخرة التي بمنى وعن الحسن في الموضع
المشرف في مسجد منى وعن الضحاك في المنحر الذي ينحر فيه اليوم فإن قلت أين جواب لما
قلت هو محذوف تقديره فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا كان ما
كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما واغتباطهما وحمدهما لله وشكرهما
على ما أنعم عليهما من دفع البلاء العظيم بعد حلوله وما اكتسبا في تضاعيفه بتوطين الأنفس
عليه من الثواب والأعواض ورضوان الله الذي ليس وراءه مطلوب وقوله **إنا كذلك نجزي
المحسنين ۝** تعليل لما خول لهما من الفرج بعد الشدة والظفر بالبغية بعد اليأس **إن هذا لهو
البلاء المبين ۝** والبلاء المبين الاختبار البين الذي يتميز فيه المخلصون من غيرهم أو المحنة البينة

الصعوبة التي لا محنة اصعب منها «وفديناه بذبح عظيم» الذبح اسم ما يذبح وعن ابن عباس هو
الكبش الذي قربه هابيل فقبل منه وكان يرعى في الجنة حتى فدي به اسمعيل وعن الحسن فدي
بوعل اهبط عليه من ثبير وعن ابن عباس لو تمت تلك الذبحة لصارت سنة ولذبح الناس
ابناءهم «عظيم» ضخم الجثة سمين وهي السنة في الاضاحي وقوله عليه الصلوة والسلام استشرفوا
ضحاياكم فانها على الصراط مطاياكم وقيل لانه وقع فداء عن ولد ابرهيم وروي انه هرب من
ابرهيم عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فصارت سنة في الرمي وروي انه رمى
الشيطان حين تعرض له بالوسوسة عند ذبح ولده وروي انه لما ذبحه قال جبريل الله اكبر الله اكبر
فقال الذبيح لا اله الا الله والله اكبر فقال ابرهيم الله اكبر ولله الحمد فبقي سنة وحكي في
قصة الذبيح انه حين اراد ذبحه قال يا بني خذ الحبل والمدية وانطلقا الى الشعب نحتطب
فلما توسطا شعب ثبير اخبره بما امر فقال له اشدد رباطي لا اضطرب واكفف عني ثيابك لا
ينتضح عليها شيء من دمي فينقص اجري وتراه امي فتحزن واشحذ شفرتك واسرع امرارها
على حلقي حتى تجهز علي ليكون اهون فان الموت شديد واقرأ على امي سلامي وان رايت
ان ترد قميصي على امي فافعل فانه عسى ان يكون اسلى لها فقال ابرهيم نعم العون انت يا بني على
امر الله ثم اقبل عليه يقبله وقد ربطه وهما يبكيان ثم وضع السكين على حلقه فلم يعمل لان الله
تعالى ضرب صفيحة نحاس على حلقه فقال له كبني على وجهي فانك اذا نظرت في وجهي رحمتني
وادركتك رقة تحول بينك وبين امر الله ففعل ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين
ونودي يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا فنظر فاذا جبريل معه كبش اقرن املح فكبر جبريل
والكبش وابرهيم وابنه واتى المنحر من منى فذبحه وقيل لما وصل موضع السجود الى الارض جاء
الفرج وقد استشهد ابو حنيفة رحمه الله تعالى بهذه الاية فيمن نذر ذبح ولده انه يلزمه ذبح
شاة فان قلت من كان الذبيح من ولديه قلت قد اختلف فيه فعن ابن عباس وابن عمر
ومحمد بن كعب القرظي وجماعة من التابعين انه اسمعيل والحجة فيه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال انا ابن الذبيحين وقال له اعرابي يا ابن الذبيحين فتبسم فسئل عن ذلك فقال ان عبد
المطلب لما حفر بئر زمزم نذر لله لئن سهل الله امرها ليذبحن احد ولده فخرج السهم على عبد الله
فمنعه اخواله وقالوا له افد ابنك بمائة من الابل والثاني اسمعيل وعن محمد بن كعب القرظي قال
كان مجتهد بني اسرائيل يقول اذا دعا اللهم اله ابرهيم واسمعيل واسرائيل وانا ابن اظهرهم فقد
اسمعتني كلامك واصطفيتني برسالتك فقال يا موسى لم يحبني احد حب ابرهيم قط ولا خير
بيني وبين شيء قط الا اختارني واما اسمعيل فانه جاد بدم نفسه واما اسرائيل فانه لم ييأس من
روحي في شدة نزلت به قط ويدل عليه ان الله تعالى لما اتم قصة الذبيح قال وبشرناه باسحق
وعن محمد بن كعب انه قال لعمر بن عبد العزيز هو اسمعيل فقال عمر ان هذا شيء ما كنت انظر فيه
واني لاراه كما قلت ثم ارسل الى يهودي قد اسلم فسأله فقال ان اليهود لتعلم انه اسمعيل ولكنهم
يحسدونكم معشر العرب ويدل عليه ان قرني الكبش كانا منوطين في الكعبة في ايدي
بني اسمعيل الى ان احترق البيت وعن الاصمعي قال سألت ابا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال يا اصمعي
اين عزب عنك عقلك ومتى كان اسحق بمكة وانما كان اسمعيل بمكة وهو الذي بنى البيت مع
ابيه والمنحر بمكة ومما يدل عليه ان الله وصفه بالصبر دون اسحق في قوله واسمعيل وادريس وذا الكفل كل
من الصابرين وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق الوعد في قوله انه كان صادق الوعد لانه وعد
اباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى به ولان الله تعالى بشره باسحق وولد ولده يعقوب بقوله فبشرناه
باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فلو كان الذبيح اسحق لكان خلفا للموعد في يعقوب وعن علي
بن ابي طالب وابن مسعود والعباس وعطاء وعكرمة وجماعة من التابعين انه اسحق والحجة فيه ان
الله تعالى اخبر عن خليله ابرهيم حين هاجر الى الشام بانه استوهبه ولدا ثم اتبع ذلك البشارة بغلام
حليم ثم ذكر رؤياه بذبح ذلك الغلام المبشر به ويدل عليه كتاب يعقوب الى يوسف من يعقوب
اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله فان قلت قد اوحى الى ابرهيم صلوات الله وسلامه
عليه في المنام بان يذبح ولده ولم يذبح وقيل له قد صدقت الرؤيا وانما كان يصدقها لو صح منه الذبح

ولم يصح قلت قد بذل وسعه وفعل ما يفعل الذابح من بطحه على شقه وامرار الشفرة على حلقه
ولكن الله سبحانه جاء بما منع الشفرة ان تمضي فيه وهذا لا يقدح في فعل ابرهيم الا ترى انه لا يسمى
عاصيا ولا مفرطا بل يسمى مطيعا ومجتهدا كما لو مضت فيه الشفرة وفرت الاوداج وانهرت
الدم وليس هذا من ورود النسخ على المأمور به قبل الفعل ولا قبل اوان الفعل في شيء كما سبق الى
بعض الاوهام حتى تشاغل بالكلام فيه فان قلت الله سبحانه هو المفتدي منه لانه الآمر
بالذبح فكيف يكون فاديا حتى قال وفديناه قلت الفادي هو ابرهيم عليه الصلوة والسلام
والله عز وجل وهب له الكبش ليفدي به وانما قال وفديناه اسنادا للفداء الى السبب الذي
هو الممكن من الفداء بهبته فان قلت فاذا كان ما اتى به ابرهيم من البطح وامرار الشفرة في حكم
الذبح لم يحصل من فري الاوداج وانهار الدم فوهب الله له الكبش ليقيم ذبحه مقام تلك الحقيقة
حتى لا تحصل تلك الحقيقة في نفس اسمعيل ولكن في نفس الكبش بدلا منه فان قلت فاي فائدة
في تحصيل تلك الحقيقة وقد استغني عنها بقيام ما وجد من ابرهيم مقام الذبح من غير نقصان قلت
الفائدة في ذلك ان يوجد ما منع منه في بدله حتى يكمل الوفاء بالمنذور وايجاد المأمور به من كل وجه
«وتركنا عليه في الآخرين سلام على ابرهيم كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا
المؤمنين» فان قلت لم قيل هاهنا كذلك نجزي المحسنين وفي غيرها من القصص انا كذلك
قلت قد سبقه في هذه القصة انا كذلك فكانما استخف بطرحه اكتفاء بذكره مرة عن
ذكره ثانية «وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين» نبيا حال مقدرة كقوله ادخلوها خالدين فان
قلت فرق بين هذا وبين قوله ادخلوها خالدين وذلك ان المدخول موجود مع وجود الدخول
والخلود غير موجود معهما فقدرت مقدرين الخلود فكان مستقيما وليس كذلك المبشر به
فانه معدوم وقت وجود البشارة وعدم المبشر به اوجب عدم حاله لا محالة لان الحال حلية
والحلية لا تقوم الا بالمتحلي وهذا المبشر به الذي هو اسحق حين وجد لم توجد النبوة ايضا بوجوده
بل تراخت عنه مدة متطاولة فكيف يجعل نبيا حالا مقدرة والحال صفة الفاعل او المفعول
عند وجود الفعل منه او به فالخلود وان لم تكن صفتهم عند دخول الجنة فتقديرها صفتهم
لان المعنى مقدرين الخلود وليس كذلك النبوة فانه لا سبيل الى ان تكون موجودة وقت
وجود البشارة باسحق لعدم اسحق قلت هذا سؤال دقيق السلك ضيق المسلك والذي
يحل الاشكال انه لا بد من تقدير مضاف محذوف وذلك قولك وبشرناه بوجود اسحق نبيا اي بان
يوجد مقدرة نبوته فالعامل في الحال الوجود لا فعل البشارة وبذلك يرجع نظير قوله
فادخلوها خالدين «من الصالحين» حال ثانية وورودها على سبيل الثناء والتقريظ لان كل نبي لا
بد ان يكون من الصالحين وعن قتادة بشره الله بنبوة اسحق بعد ما امتحنه بذبحه وهذا
جواب من يقول الذبيح اسحق لصاحبه عن تعلقه بقوله تعالى وبشرناه باسحق قالوا ولا يجوز ان
يبشره الله بمولده ونبوته معا لان الامتحان بذبحه لا يصح مع علمه بانه سيكون نبيا «وباركنا
عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين» وباركنا اي افضنا عليهما
بركات الدين والدنيا كقوله وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين وقيل وباركنا على
ابرهيم في اولاده وعلى اسحق بان اخرجنا انبياء بني اسرائيل من صلبه وقوله وظالم لنفسه نظيره
قوله ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين وفيه تنبيه على ان الخبث والطيب لا يجري امرهما
على العرق والعنصر فقد يلد البر الفاجر والفاجر البر وهذا مما يهدم امر الطبائع
والعناصر وعلى ان الظلم في اعقابهما لم يعد عليهما بعيب ولا نقيصة وان المرء انما يعاب
بسوء فعله ويعاتب على ما اجترحت يداه لا على ما وجد من اصله او فرعه «ولقد مننا على
موسى وهرون ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم» اي من الغرق او من سلطان فرعون
وقومه وغشمهم «ونصرناهم فكانوا هم الغالبين» الضمير لهما ولقومهما في قوله ونجيناهما
وقومهما «وآتيناهما الكتاب المستبين» البليغ في بيانه وهو التورية كما قال انا انزلنا التورية فيها
هدى ونور وقال من جوز ان تكون التورية عربية ان تشتق من ورى الزند فوعلة منه
على ان التاء مبدلة من واو «وهديناهما الصراط المستقيم» اي صراط اهل الاسلام وهي صراط

الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين **وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى**
وهرون إنا كذلك نجزي المحسنين إنهما من عبادنا المؤمنين وإن إلياس لمن المرسلين
قرئ إلياس بكسر الهمزة وإلياس على لفظ الوصل وقيل هو إدريس النبي عليه الصلوة والسلام وقرأ
ابن مسعود وإن إدريس في موضع إلياس وقرئ إدراس وقيل هو إلياس بن ياسين من ولد هرون
أخا موسى عليهما الصلوة والسلام **إذ قال لقومه ألا تتقون أتدعون بعلا وتذرون أحسن**
الخالقين بعلا وهو علم لصنم كان لهم كمناة وهبل وقيل كان من ذهب وكان طوله عشرين
ذراعا وله أربعة أوجه فتنوا به وعظموه حتى أخدموه أربعمائة سادن وجعلوهم أنبياءه وكان
الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس
وهم أهل بعلبك من بلاد الشام وبه سميت مدينتهم بعلبك وقيل البعل الرب بلغة اليمن يقال
من بعل هذه الدار أي من ربها والمعنى أتعبدون بعض البعول وتتركون عبادة الله **الله**
ربكم ورب آبائكم الأولين فكذبوه فإنهم لمحضرون إلا عباد الله المخلصين
الله ربكم ورب آبائكم قرئ بالرفع على الابتداء وبالنصب على البدل وكان حمزة إذا وصل
نصب وإذا وقف رفع **وتركنا عليه في الآخرين سلام على آل ياسين إنا كذلك نجزي**
المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين وقرئ إلياسين وإدريسين وإدراسين وإدرسين
على أنها لغات في إلياس وإدريس ولعل لزيادة الياء والنون في السريانية معنى وقرئ على آل ياسين
بالوصل على أنه جمع يراد به إلياس وقومه كقولهم الخبيبون والمهلبون فإن قلت فهلا حملت
هذا إلياسين على القطع وأخواته قلت لو كان جمعا لعرف بالألف واللام وأما من قرأ على
السكون فعلى أن ياسين اسم أبي إلياس أضيف إليه الآل **وإن لوطا لمن المرسلين إذ نجيناه**
وأهله أجمعين إلا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الآخرين وإنكم لتمرون عليهم مصبحين
وبالليل أفلا تعقلون مصبحين داخلين في الصباح يعني تمرون على منازلهم في متاجركم
إلى الشام ليلا ونهارا أفليس فيكم عقول تعتبرون بها **وإن يونس لمن المرسلين** وقرئ
يونس بضم النون وكسرها **إذ أبق إلى الفلك المشحون** وسمي هربه من قومه بغير إذن
ربه إباقا على طريقة المجاز **فساهم** والمساهمة المقارعة وقيل استهم القوم إذا اقترعوا **فكان**
من المدحضين والمدحض المغلوب المقروع وحقيقته المزلق عن مقام الظفر والغلبة روي
أنه حين ركب في السفينة وقفت فقالوا ههنا عبد أبق من سيده وفيما يزعم البحارون
أن السفينة إذا كان فيها آبق لم تجر فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس فقال أنا الآبق وزج
بنفسه في الماء **فالتقمه الحوت وهو مليم** داخل في الملامة يقال رب لائم مليم أي يلوم
غيره وهو أحق منه باللوم وقرئ مليم بفتح الميم من ليم فهو مليم كما جاء مشيب في مشوب مبنيا على
شيب ومدعو بناء على دعي **فلولا أنه كان من المسبحين** من الذاكرين الله كثيرا
بالتسبيح والتقديس وقيل هو قوله في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين
وقيل من المصلين وعن ابن عباس كل تسبيح في القرآن فهو صلوة وعن قتادة كان كثير
الصلوة في الرخاء وكان يقال إن العمل الصالح يرفع صاحبه إذا عثر وإذا صرع وجد متكأ
وهذا ترغيب من الله عز وجل في إكثار المؤمن من ذكره بما هو أهله وإقباله على عبادته وجمع
همه لتقييد نعمته بالشكر في وقت المهلة والفسحة لينفعه ذلك عنده في المضايق والشدائد
للبث في بطنه إلى يوم يبعثون الظاهر لبثه حيا إلى يوم البعث وعن قتادة لكان
بطن الحوت له قبرا إلى يوم القيمة وروي أنه حين ابتلعه أوحى الله إلى الحوت إني جعلت بطنك
له سجنا ولم أجعله لك طعاما واختلف في مقدار لبثه فعن الكلبي أربعون يوما وعن الضحاك
عشرون وعن عطاء سبعة وعن بعضهم ثلاثة وعن الحسن لم يلبث إلا قليلا ثم أخرج من بطنه
بعيد الوقت الذي التقم فيه وروي أن الحوت سار مع السفينة رافعا رأسه يتنفس فيه يونس
ويسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا إلى البر فلفظه سالما لم يتغير منه شيء وروي أن الحوت
قذفه بساحل قرية من الموصل **فنبذناه بالعراء** والعراء المكان الخالي لا شجر فيه ولا شيء
يغطيه **وهو سقيم** اعتل مما حل به وروي أنه عاد بدنه كبدن الصبي حين يولد **وأنبتنا عليه**

شجرة من يقطين واليقطين كل ما ينسدح على وجه الأرض ولا يقوم على ساق كشجرة
البطيخ والقثاء والحنظل وهو يفعيل من قطن بالمكان إذا قام به وقيل هو الدباء
وفائدة الدباء أن الذباب لا يجتمع عنده وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنك لتحب
القرع قال أجل هي شجرة أخي يونس وقيل هي التين وقيل شجرة الموز تغطى بورقها واستظل
بأغصانها وأفطر على ثمارها وقيل كان يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف إليه فيشرب
من لبنها وروي أنه مر زمان على الشجرة فيبست فبكى جزعا فأوحى الله إليه تبكي على
شجرة ولا تبكي على مائة ألف في يد الكافر فإن قلت ما معنى أنبتنا عليه شجرة قلت أنبتناها
فوقه مظلة له كما يطنب البيت على الإنسان **وأرسلناه إلى مائة ألف** المراد به ما سبق
من إرساله إلى قومه وهم أهل نينوى وقيل هو إرسال ثان بعد ما جرى عليه إلى الأولين أو إلى
غيرهم وقيل أسلموا فسألوه أن يرجع إليهم فأبى لأن النبي إذا هاجر عن قومه لم يرجع إليهم مقيما
فيهم وقال لهم إن الله باعث إليكم نبيا **أو يزيدون** في مرأى الناظر أي إذا رآها الرائي قال هي
مائة ألف أو أكثر والغرض الوصف بالكثرة **فآمنوا فمتعناهم إلى حين** إلى أجل مسمى وقرئ
ويزيدون بالواو **فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون أم خلقنا الملائكة إناثا وهم**
شاهدون ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله وإنهم لكاذبون أصطفى
البنات على البنين ما لكم كيف تحكمون أفلا تذكرون فاستفتهم معطوف على مثله
في أول السورة وإن تباعدت بينهما المسافة أمر رسوله صلى الله عليه وسلم باستفتاء قريش عن وجه
إنكار البعث أولا ثم ساق الكلام موصولا بعضه ببعض ثم أمره باستفتائهم عن وجه القسمة
الضيزى التي قسموها حيث جعلوا لله الإناث ولأنفسهم الذكور في قولهم الملائكة بنات الله مع كراهتهم
الشديدة لهن ووأدهم واستنكافهم من ذكرهن ولقد ارتكبوا في ذلك ثلاثة أنواع من الكفر أحدها
التجسيم لأن الولادة مختصة بالأجسام والثاني تفضيل أنفسهم على ربهم حين جعلوا أوضع الجنسين
له وأرفعهما لهم كما قال تعالى وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم
أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين والثالث أنهم استهانوا بأكرم خلق الله عليه
وأقربهم إليه حيث أنثوهم ولو قيل لأقلهم وأدناهم فيك أنوثة وشكلك شكل النساء للبس
لقائله جلدة النمر ولانقلبت حماليقه وذلك في أهاجيهم بين مكشوف فكرر الله سبحانه
وتعالى الأنواع كلها في كتابه مرات ودل على فظاعتها في آيات وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد
جئتم شيئا إدا تكاد السموات يتفطرن منه وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بديع السموات والأرض
أنى يكون له ولد ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله وجعلوا له من عباده جزءا ويجعلون لله
البنات سبحانه ولهم ما يشتهون أم له البنات ولكم البنون ويجعلون لله ما يكرهون أصطفى
البنات على البنين أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن
إناثا أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون فإن قلت لم قال وهم شاهدون فخص علم
المشاهدة قلت ما هو إلا استهزاء بهم وتجهيل لهم وكذلك قوله تعالى أشهدوا خلقهم ونحو
ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وذلك أنهم كما لم يعلموا ذلك بطريق المشاهدة
لم يعلموه بخلق الله تعالى علمه في قلوبهم ولا بإخبار صادق ولا بطريق استدلال ونظر ويجوز أن يكون
المعنى أنهم يقولون ذلك كالقائل قولا عن ثلج صدر وطمأنينة نفس لإفراط جهلهم كأنهم قد
شاهدوا خلقهم وقرئ ولد الله أي الملائكة ولده والولد فعل بمعنى مفعول يقع على الواحد
والجمع والمذكر والمؤنث تقول هذه ولدي وهؤلاء ولدي فإن قلت اصطفى البنات بفتح الهمزة
على طريق الإنكار والاستبعاد فكيف صحت قراءة أبي جعفر بكسر الهمزة على الإثبات قلت جعله
من كلام الكفرة بدلا عن قولهم ولد الله وقد قرأ بها حمزة والأعمش وهذه القراءة وإن كان هذا محملها
فهي ضعيفة والذي أضعفها أن الإنكار قد اكتنف هذه الجملة من جانبيها وذلك قوله وإنهم
لكاذبون ما لكم كيف تحكمون فمن جعلها للإثبات فقد أوقعها دخيلة بين نسيبين وقرئ
تذكرون من ذكر **أم لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين** أم لكم حجة
نزلت عليكم من السماء وخبر بأن الملائكة بنات الله فأتوا بكتابكم الذي أنزل عليكم في ذلك

كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وهذه الايات صادرة عن سخط عظيم وانكار
فظيع واستبعاد لاقاويلهم شديد واما الاساليب التي وردت عليها فناطقة بتسفيه احلام
قريش وتجهيل نفوسها واستركاك عقولها مع استهزاء وتهكم وتعجيب من ان يخطر مثل
ذلك على بال ويحدث به نفسا فضلا عن ان يجعله معتقدا ويتظاهر به مذهبا **وجعلوا بينه**
وبين الجنة واراد الملئكة **نسبا** وهو زعمهم انهم بناته والمعنى وجعلوا بما قالوا نسبة
بين الله وبينهم واثبتوا له بذلك جنسية جامعة له وللملئكة فان قلت لم سمى الملئكة جنة
قلت الجنس واحد ولكن من خبث من الجن ومرد وكان شرا كله فهو شيطان ومن طهر منهم
ونسك وكان خيرا كله فهو ملك فذكرهم في هذا الموضع باسم جنسهم وانما ذكرهم بهذا
الاسم وضعا منهم وتقصيرا بهم وان كانوا معظمين في انفسهم ان يبلغوا منزلة المناسبة التي
اضافوها اليهم اشارة الى ان من صفته الاجتنان والاستتار وهو من صفات الاجرام لا يصلح ان
يناسب من لا يجوز عليه ذلك ومثاله ان تسوي بين الملك وبين بعض خواصه ومقربيه فيقول
لك اتسوي بيني وبين عبدي واذا ذكره في غير هذا المقام وقره وكناه **ولقد علمت الجنة**
انهم لمحضرون سبحان الله عما يصفون والضمير في انهم لمحضرون للكفرة والمعنى
انهم يقولون ما يقولون في الملئكة وقد علم الملئكة انهم في ذلك كاذبون مفترون وانهم محضرون
النار معذبون بما يقولون والمراد المبالغة في التكذيب حيث اضيف الى علم الذين ادعوا لهم تلك
النسبة وقيل قالوا ان الله صاهر الجن فخرجت الملئكة وقيل قالوا ان الله تعالى والشيطان اخوان
وعن الحسن اشركوا الجن في طاعة الله تعالى ويجوز اذا فسر الجنة بالشياطين ان يكون الضمير
في انهم لمحضرون لهم والمعنى ان الشياطين عالمون بان الله يحضرهم النار ويعذبهم ولو كانوا مناسبين
له او شركاء في وجوب الطاعة لما عذبهم **الا عباد الله المخلصين** استثناء منقطع من المحضرين ولكن
المخلصين ناجون سبحان الله اعتراض بين الاستثناء وبين ما وقع منه ويجوز ان يقع الاستثناء من الواو في
يصفون اي يصفه هؤلاء بذلك ولكن المخلصين براء من ان يصفوه به **فانكم وما تعبدون ما انتم عليه**
بفاتنين الا من هو صال الجحيم الضمير في عليه لله عز وجل ومعناه فانكم ومعبوديكم
ما انتم وهم جميعا بفاتنين على الله الا اصحاب النار الذين سبق في علمه انهم بسوء اعمالهم يستوجبون ان
يصلوها فان قلت كيف يفتنونهم على الله قلت يفسدونهم عليه باغوائهم واستهوائهم من قولك
فتن فلان على فلان امراته كما تقول افسدها عليه وخببها عليه ويجوز ان يكون الواو في وما
تعبدون بمعنى مع مثلها في قولهم كل رجل وضيعته فكما جاز السكوت على كل رجل وضيعته
وان كل رجل وضيعته جاز ان يسكت على قوله فانكم وما تعبدون لان قوله وما تعبدون ساد مسد الخبر
لان معناه فانكم مع ما تعبدون والمعنى فانكم مع الهتكم اي فانكم قرناؤهم واصحابهم
لا تبرحون تعبدونها ثم قال ما انتم عليه اي على ما تعبدون بفاتنين بباعثين او حاملين على طريق الفتنة
والاضلال الا من هو ضال مثلكم ويكون في اسلوب قوله
فانك والكتاب الى علي * كدابغة وقد حلم الاديم *
وقرا الحسن صال الجحيم بضم اللام وفيه ثلاثة اوجه احدها ان يكون جمعا وسقوط واوه لالتقاء
الساكنين هي ولام التعريف فان قلت كيف استقام الجمع مع قوله من هو قلت من موحد
اللفظ مجموع المعنى فحمل هو على لفظه والصالون على معناه كما حمل في مواضع من التنزيل على لفظ من
ومعناه في اية واحدة والثاني ان يكون اصله صائل على القلب ثم يقال صال في صائل كقولهم شاك
في شائك والثالث ان يحذف لام صال تخفيفا ويجري الاعراب على عينه كما حذف من قولهم
ما باليت به بالة واصلها بالية من بالى كعافية من عافى ونظيره قراءة من قرا وجنى الجنتين دان
وله الجوار المنشات باجراء الاعراب على العين **وما منا الا له مقام معلوم** حذف
الموصوف واقيمت الصفة مقامه كقوله
انا ابن جلا وطلاع الثنايا * متى اضع العمامة تعرفوني *
بكفي كان من ارمى البشر * مقام معلوم في العبادة والانتهاء الى امر الله مقصور عليه لا يتجاوزه كما
روي فمنهم راكع لا يقيم صلبه وساجد لا يرفع راسه **وانا لنحن الصافون** نصف اقدامنا

في الصلوة

في الصلوة واجنحتنا في الهواء منتظرين ما نؤمر وقيل نصف اجنحتنا حول العرش داعين للمؤمنين
وقيل ان المسلمين انما اصطفوا في الصلوة منذ نزلت هذه الاية وليس يصطف احد من اهل الملل
في صلاتهم غير المسلمين **وانا لنحن المسبحون** اي المنزهون او المصلون والوجه ان يكون
وما قبله من قوله سبحان الله عما يصفون من كلام الملئكة حتى يتصل بذكرهم في قوله ولقد
علمت الجنة كانه قيل ولقد علم الملئكة وشهدوا ان المشركين مفترون عليهم في مناسبة
رب العزة وقالوا سبحان الله فنزهوه عن ذلك واستثنوا عباد الله المخلصين وبرؤوهم منه
وقالوا للكفرة فاذا صح ذلك فانكم والهتكم لا تقدرون ان تفتنوا على الله احدا من خلقه وتضلوه
الا من كان مثلكم ممن علم الله لكفرهم لا لتقديره وارادته تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا
انهم من اهل النار وكيف نكون مناسبين لرب العزة ويجمعنا واياه جنسية واحدة وما نحن الا عبيد
اذلاء بين يديه لكل منا مقام من الطاعة لا يستطيع ان يزل عنه ظفرا خشوعا لعظمته وتواضعا
لجلاله ونحن الصافون اقدامنا لعبادته واجنحتنا مذعنين خاضعين مسبحين ممجدين
وكما يجب على العباد لربهم وقيل هو من قول رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يعني وما من المسلمين
احد الا له مقام معلوم يوم القيمة على قدر عمله من قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما
محمودا ثم ذكر اعمالهم وانهم يصطفون في الصلوة ويسبحون الله وينزهونه عما يضيف اليه من لا
يعرفه مما لا يجوز عليه **وان كانوا ليقولون** هم مشركوا قريش كانوا يقولون **لو ان عندنا ذكرا**
من الاولين اي كتابا من كتب الاولين الذين نزل عليهم التوراة والانجيل **لكنا عباد الله**
المخلصين لاخلصنا العبادة لله وما كذبنا كما كذبوا ولا خالفنا كما خالفوا فجاءهم الذكر
الذي هو سيد الاذكار والكتاب الذي هو معجز من بين الكتب **فكفروا به** ونحوه فلما جاءهم نذير
ما زادهم الا نفورا **فسوف يعلمون** مغبة تكذيبهم وما يحل بهم من الانتقام وان هي المخففة
من الثقيلة واللام هي الفارقة وفي ذلك انهم كانوا يقولونه مؤكدين للقول جادين فيه فكم
بين اول امرهم واخره **ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين** الكلمة قوله **انهم لهم المنصورون**
وان جندنا لهم الغالبون وانما سماها كلمة وهي كلمات عدة لانها لما انتظمت في معنى
واحد كانت في حكم كلمة مفردة وقرئ كلماتنا والمراد الموعد بعلوهم في مقام الحجاج وملاحم
القتال في الدنيا وعلوهم عليهم في الاخرة كما قال تعالى والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة ولا يلزم انهزامهم
في بعض المشاهد وما جرى عليهم من القتل فان الغلبة كانت لهم ولمن بعدهم في العاقبة وكفى بمشاهد
رسول الله صلى الله عليه واله وسلم والخلفاء الراشدين مثلا يحتذى عليها ويعتبر بها وعن
الحسن رحمه الله تعالى ما غلب نبي في حرب ولا قتل فيها ولان قاعدة امرهم واساسه
والغالب منه الظفر والنصرة وان وقع في تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والحكم
للغالب وعن ابن عباس ان لم ينصروا في الدنيا نصروا في الاخرة وفي قراءة ابن مسعود على
عبادنا على تضمين سبقت معنى حقت **فتول** واعرض **عنهم** واغض على اذاهم **حتى حين**
الى مدة يسيرة وهي مدة الكف عن القتال وعن السدي الى يوم بدر وقيل الى الموت وقيل الى يوم
القيمة **وابصرهم** وما يقضى عليهم من الاسر والقتل والعذاب في الاخرة **فسوف يبصرون** ما قضينا
لك من التاييد والنصرة والثواب في العاقبة والمراد بالامر بابصارهم على الحال
المنتظرة الموعودة الدلالة على انها كائنة واقعة لا محالة وان كينونتها قريبة كانها قدام
ناظريك وفي ذلك تسلية له وتنفيس عنه وقوله فسوف يبصرون للوعيد كما سلف لا للتبعيد
افبعذابنا يستعجلون فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين مثل العذاب
النازل بهم بعد ما انذروه فانكروه بجيش انذر بهجومه قومه بعض نصاحهم فلم يلتفتوا
الى انذاره ولا اخذوا اهبتهم ولا دبروا امرهم تدبيرا ينجيهم حتى اناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم
الغارة وقطع دابرهم وكانت عادة مغاويرهم ان يغيروا صباحا فسميت الغارة صباحا وان
وقعت في وقت اخر وما فصحت هذه الاية ولا كانت لها الروعة التي تحس بها ويروقك موردها
على نفسك وطبعك الا لمجيئها على طريقة التمثيل وقرا ابن مسعود فبئس صباح وقرئ نزل بساحتهم
على اسناده الى الجار والمجرور كقولك ذهب بزيد ونزل على ونزل العذاب والمعنى فساء

صباح المنذرين صباحهم واللام في المنذرين مبهم في جنس من انذروا لان ساء وبئس يقتضيان ذلك وقيل هو نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بمكة وعن انس رضي الله عنه لما اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وكانوا خارجين الى مزارعهم ومعهم المساحي قالوا محمد والخميس ورجعوا الى حصنهم فقال عليه الصلوة والسلام الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وانما ثنى **وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ۝ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ۝** ليكون تسلية على تسلية وتاكيدا لوقوع الميعاد الى تاكيد وفيه فائدة زائدة وهي اطلاق الفعلين معا عن التقييد بالمفعول وانه يبصر وهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من صنوف المسرة وانواع المساءة وقيل اريد باحدهما عذاب الدنيا وبالاخرى عذاب الاخرة **سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ۝ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝** اضيف الرب الى العزة لاختصاصه بها كانه قيل ذو العزة كما تقول صاحب صدق لاختصاصه بالصدق ويجوز ان يراد انه ما من عزة لاحد من الملوك وغيرهم الا وهو ربها ومالكها كقوله تعز من تشاء اشتملت السورة على ذكر ما قاله المشركون في الله ونسبوا اليه مما هو منزه عنه وما عاناه المرسلون من جهتهم وما خولوه في العاقبة من النصرة عليهم فختمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون والتسليم على المرسلين والحمد لله رب العالمين على ما قيض لهم من حسن العواقب والغرض تعليم المومنين ان يقولوا ذلك ولا يخلوا به ولا يغفلوا عن مضمنات كتابه الكريم ومودعات قرانه المجيد وعن علي رضي الله عنه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيمة فليكن من اخر كلامه اذا قام من مجلسه الى اخر السورة ۝ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا والصافات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيمة انه كان مومنا بالمرسلين

الحمد لله رب العالمين

والصلوة والسلام

على رسوله محمد واله

اجمعين

سورة ص مكية وهي ست وثمانون وقيل

بسم الله الرحمن الرحيم

صٓ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ۝ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝ صاد على الوقف وهي اكثر القراءة وقرئ بالكسر والفتح لالتقاء الساكنين ويجوز ان ينتصب بحذف حرف القسم وايصال فعله كقولهم الله لافعلن بالنصب او باضمار حرف القسم والفتح في موضع الجر كقولهم الله لافعلن بالجر وامتناع الصرف للتعريف والتانيث لانها بمعنى السورة وقد صرفها من قرأ صاد بالجر والتنوين على تاويل الكتاب والتنزيل وقيل فيمن كسر هو من المصاداة وهي المعارضة والمعادلة ومنها الصدى وهو ما يعارض الصوت في الاماكن الخالية من الاجسام الصلبة ومعناه عارض القران بعملك فاعمل باوامره وانته عن نواهيه فان قلت قوله ص والقران ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق كلام ظاهره متنافر غير منتظم فما وجه انتظامه قلت فيه وجهان احدهما ان يكون قد ذكر اسم هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدي والتنبيه على الاعجاز كما مر في اول الكتاب ثم اتبعه القسم محذوف الجواب لدلالة التحدي عليه كانه قال والقران ذي الذكر انه لكلام معجز والثاني ان يكون صاد خبر مبتدا محذوف على انها اسم للسورة كانه قال هذه صاد يعني هذه السورة التي اعجزت العرب والقران ذي الذكر كما تقول هذا حاتم والله تريد هذا هو المشهور بالسخاء والله وكذلك اذا اقسم بها كانه قال اقسمت

بصاد والقران

بصاد والقران ذي الذكر انه لمعجز ثم قال بل الذين كفروا في عزة واستكبار عن الاذعان لذلك والاعتراف بالحق وشقاق لله ولرسوله واذا جعلتها مقسما بها وعطفت عليها والقران ذي الذكر جاز لك ان تريد بالقران التنزيل كله وان تريد السورة بعينها ومعناه اقسم بالسورة الشريفة والقران ذي الذكر كما تقول مررت بالرجل الكريم وبالنسمة المباركة ولا تريد بالنسمة غير الرجل والذكر الشرف والشهرة من قولك فلان مذكور وانه لذكر لك ولقومك او الذكرى والموعظة او ذكر ما يحتاج اليه في الدين من الشرائع وغيرها كاقاصيص الانبياء والوعد والوعيد والتنكير في عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وتفاقمهما وقرئ في غرة اي في غفلة عما يجب عليهم من النظر واتباع الحق **كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ** وعيد لذوي الشقاق **فَنَادَوْا** فدعوا واستغاثوا وعن الحسن رضي الله عنه فنادوا بالتوبة **وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝** هي لا المشبهة بليس زيدت عليها تاء التانيث كما زيدت على رب وثم للتوكيد وتغير بذلك حكمها حيث لم تدخل الا على الاحيان ولم يبرز الا احد مقتضيها اما الاسم واما الخبر وامتنع بروزهما جميعا وهذا مذهب الخليل وسيبويه وعند الاخفش انها لا النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفي الاحيان وحين مناص منصوب بها كانك قلت ولا حين مناص لهم وعنه ان ما ينتصب بعده بفعل مضمر اي ولا ارى حين مناص ويرتفع بالابتداء اي ولا حين مناص كائن لهم وعندهما ان النصب على ولات الحين حين مناص اي وليس الحين حين مناص والرفع على ولات حين مناص حاصلا لهم وقرئ حين مناص بالكسر ومثله قول ابي زبيد الطائي ۝

طلبوا صلحنا ولات اوان ۝ فأجبنا ألات حين بقاء ۝

فان قلت ما وجه الكسر في اوان قلت شبه باذ في قوله وانت اذ صحيح في انه زمان قطع عنه المضاف اليه وعوض التنوين لان الاصل ولات اوان صلح فان قلت فما تقول في حين مناص والمضاف اليه قلت نزل قطع المضاف اليه من مناص لان اصله حين مناصهم منزلة قطعه من حين لاتحاد المضاف والمضاف اليه وجعل تنوينه عوضا من الضمير المحذوف ثم بني الحين لكونه مضافا الى غير متمكن وقرئ ولات بكسر التاء على البناء كجير فان قلت كيف يوقف على لات قلت يوقف عليها بالتاء كما يوقف على الفعل الذي يتصل به تاء التانيث واما الكسائي فيقف عليها بالهاء كما يوقف على الاسماء المؤنثة واما قول ابي عبيد ان التاء داخلة على حين فلا وجه له واستشهاده بان التاء ملتزقة بحين في الامام فلا متشبث به فكم وقعت في المصحف اشياء خارجة عن قياس الخط والمناص المنجى والفوت يقال ناصه ينوصه اذا فاته واستناص طلب المناص قال حارثة بن بدر ۝

غمر الجراء اذا قصرت عنانه ۝ بيدي استناص ورام جري المسحل ۝

وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ رسول من انفسهم **وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ۝** ولم يقل وقالوا اظهارا للغضب عليهم ودلالة على ان هذا القول لا يجسر عليه الا الكافرون المتوغلون في الكفر المنهمكون في الغي الذين قال فيهم اولئك هم الكافرون حقا وهل ترى كفرا اعظم وجهلا ابلغ من ان يسموا من صدقه الله بوحيه كاذبا ويتعجبوا من التوحيد وهو الحق الذي لا يصح غيره ولا يتعجبوا من الشرك وهو الباطل الذي لا وجه لصحته روي ان اسلام عمر رضي الله عنه فرح به فرحا شديدا وشق على قريش وبلغ منهم فاجتمع خمسة وعشرون نفسا من صناديدهم ومشوا الى ابي طالب وقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء يريدون الذين دخلوا في الاسلام وجئناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر ابو طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا ابن اخي هؤلاء قومك يسالونك السؤال فلا تمل كل الميل فقال صلى الله عليه وسلم ماذا يسالونني قالوا ارفضنا وارفض ذكر الهتنا وندعك والهك فقال عليه السلام ارايتم ان اعطيتكم ما سالتم امعطي انتم كلمة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا اي نعطيكها وعشر كلمات معها فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا **أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝** اي بليغ في العجب وقرئ عجاب بالتشديد كقوله ومكروا مكرا كبارا وهو ابلغ من المخفف ونظيره كريم وكرام وكرام وقوله اجعل الالهة الها واحدا مثل قوله وجعلوا الملائكة الذين هم عند الرحمن اناثا في ان معنى الجعل التصيير في القول على سبيل

البغوي والزعم كأنه قال أجعل الجماعة واحداً في قوله إن ذلك في الفعل محال وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد ۝ الملأ أشراف قريش يريد وانطلقوا عن مجلس أبي طالب بعد ما بكّتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجواب العتيد قائلين بعضهم لبعض امشوا واصبروا ولا حيلة لكم في دفع أمر محمد إن هذا الأمر لشيء يراد أي يريده الله تعالى وتحكم بإمضائه وما أراد الله كونه فلا مرد له ولا ينفع فيه الصبر أو أن هذا الأمر لشيء من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه أو أن دينكم لشيء يراد أي يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه وأن بمعنى أي لأن المنطلقين عن مجلس التقاول لا بد لهم من أن يتكلموا ويتفاوضوا فيما جرى لهم فكان انطلاقهم متضمناً معنى القول ويجوز أن يراد بالانطلاق الاندفاع في القول وأنهم قالوا امشوا أي اكثروا واجتمعوا من مشت المرأة إذا كثرت ولادتها ومنه الماشية للتفاؤل كما قيل لها الفاشية والمراد اجتمعوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوموا في شأنكم ومعنى واصبروا على آلهتكم واصبروا على عبادتها والتمسك بها حتى لا تزالوا عنها وقرئ وانطلق الملأ منهم امشوا بغير أن على إضمار القول وعن ابن مسعود وانطلق الملأ منهم يمشون أن اصبروا ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة في ملة عيسى التي هي آخر الملل لأن النصارى يدعونها وهم مثلثة غير موحدة أو في ملة قريش التي أدركنا عليها آباءنا أو ما سمعنا بهذا كائناً في الملة الآخرة على أن يجعل في الملة الآخرة حالاً من هذا ولا يعلقه بما سمعنا كما في الوجهين والمعنى أنا لم نسمع من أهل الكتاب ولا الكهان أنه يحدث في الملة الآخرة توحيد الله إن هذا ما هذا إلا اختلاق ۝ أي افتعال وكذب أأنزل عليه الذكر من بيننا أنكروا أن يختص بالشرف من بين أشرافهم ورؤسائهم وينزل عليه الكتاب من بينهم كما قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وهذا الإنكار ترجمة عما كانت تغلي به صدورهم من الحسد على ما أوتي من شرف النبوة من بينهم بل هم في شك من ذكري من القرآن يقولون في أنفسهم إما وإما وقولهم إن هذا إلا اختلاق كلام مخالف لاعتقادهم فيه يقولونه على سبيل الحسد بل لما يذوقوا عذاب بعد فإذا ذاقوه زال عنهم ما بهم من الشك والحسد حينئذ يعني أنهم لا يصدقون به إلا أن يمسهم العذاب مضطرين إلى تصديقه أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب يعني ما هم بمالكي خزائن الرحمة فيصيبوا بها من شاؤوا ويتخيروا للنبوة بعض صناديدهم ويترفعوا بها عن محمد عليه الصلاة والسلام وإنما الذي يملك الرحمة وخزائنها العزيز القاهر على خلقه الوهاب الكثير المواهب المصيب بها مواقعها الذي يقسمها على ما تقتضيه حكمته وعدله كما قال أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ثم رشح هذا المعنى فقال أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما حتى يتكلموا في الأمور الربانية والتدابير الإلهية التي يختص بها رب العزة والكبرياء ثم تهكم بهم غاية التهكم فقال إن كانوا يصلحون لتدبير الخلائق والتصرف في قسمة الرحمة وكانت عندهم الحكمة التي يميزون بها من هو حقيق بإيتاء النبوة دون من لا تحق له فليرتقوا في الأسباب فليصعدوا في المعارج والطرق التي يتوصل بها إلى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا أمر العالم وملكوت الله وينزلوا الوحي إلى من يختارون ويستصوبون ثم خسأهم خساءة عن ذلك بقوله جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب ۝ يريد ما هم إلا جند من الكفار المتحزبين على رسل الله مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بما يقولون ولا تكترث لما به يهذون وما مزيدة وفيها معنى الاستعظام كما في قول امرئ القيس ۝ وحديث الركب يوم هنا ۝ وحديث ما على قصره ۝ إلا أنه على سبيل الهزء وهنالك إشارة إلى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم من قولهم لمن ينتدب لأمر ليس من أهله لست هنالك كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد ۝ أصله من ثبات البيت المطنب بأوتاده قال ۝

والبيت لا يبتنى إلا على عمد ۝ ولا عماد إذا لم ترس أوتاد ۝

فاستعير لثبات العز والملك واستقامة الأمر كما قال الأسود ۝ في ظل ملك ثابت الأوتاد ۝ وقيل كان يشبح المعذب بين أربع سوار كل طرف من أطرافه إلى سارية مضروب فيه وتد من حديد ويتركه حتى يموت وقيل كان يمده بين أربعة أوتاد في الأرض ويرسل عليه العقارب والحيات وقيل كانت له أوتاد وحبال يلعب بها بين يديه وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب ۝

وقصد به الإشارة والإعلام بأن الأحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم وأنهم الذين وجد منهم التكذيب إن كل إلا كذب الرسل ولقد ذكر تكذيبهم أولاً في الجملة الخبرية على وجه الإبهام ثم جاء بالجملة الاستثنائية فأوضحه فيها بأن كل واحد من الأحزاب كذب جميع الرسل لأنهم إذا كذبوا واحداً منهم فقد كذبوهم جميعاً وفي تكرير التكذيب وإيضاحه بعد إبهامه والتنويع في تكريره بالجملة الخبرية أولاً وبالاستثنائية ثانياً وما في الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد والتخصيص أنواع من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق أشد العذاب وأبلغه ثم قال فحق عقاب ۝ أي فوجب لذلك أن أعاقبهم حق عقابهم وما ينظر هؤلاء أهل مكة ويجوز أن يكون إشارة إلى جميع الأحزاب لاستحضارهم بالذكر أو لأنهم كالحضور عند الله إلا صيحة واحدة والصيحة النفخة ما لها من فواق ۝ وقرئ بالضم ما لها من توقف مقدار فواق وهو ما بين حلبتي الحالب ورضعتي الراضع يعني إذا جاء وقتها لم تستأخر هذا القدر من الزمان كقوله فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة وعن ابن عباس ما لها من رجوع وترداد من أفاق المريض إذا رجع إلى الصحة وفواق الناقة ساعة يرجع اللبن إلى الضرع يريد أنها نفخة واحدة فحسب لا تثنى ولا تردد وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب القط القسط من الشيء لأنه قطعة منه من قطه إذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لأنها قطعة من القرطاس وقد فسر بهما قوله تعالى عجل لنا قطنا أي نصيبنا من العذاب الذي وعدته كقوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب وقيل ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد الله المؤمنين في الجنة فقالوا على سبيل الهزء عجل لنا نصيبنا منها أو عجل لنا صحيفة أعمالنا ننظر فيها فإن قلت كيف تطابق قوله اصبر على ما يقولون وقوله واذكر عبدنا داود حتى أخذ هذا على صاحبه قلت كأنه قال لنبيه عليه الصلاة والسلام اصبر على ما يقولون وعظم أمر معصية الله في أعينهم بذكر قصة داود وهو أنه نبي من أنبياء الله قد أولاه ما أولاه من النبوة والملك لكرامته عليه وزلفته لديه ثم زل زلة فبعث الله إليه الملائكة ووبخه عليها على طريق التمثيل والتعريض حتى فطن لما وقع فيه فاستغفر وأناب ووجد منه ما يحكى من بكائه الدائم وغمه الواصب ونقش جنايته في بطن كفه حتى لا يزال يجدد الندم عليها فما الظن بكم مع كفركم ومعاصيكم وقال له صلى الله عليه وآله وسلم اصبر على ما يقولون وصن نفسك وحافظ عليها أن تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل أذاهم واذكر أخاك داود وكرامته على الله كيف لقي من توبيخ الله وتظليمه ونسبته إلى البغي ما لقي ذا الأيد ذا القوة في الدين المضطلع بمشاقه وتكاليفه كان على نهوضه بأعباء النبوة والملك يصوم يوماً ويفطر يوماً وهو أشد الصوم ويقوم نصف الليل يقال فلان أيد وذو أيد وذو آد وأياد كل شيء ما يتقوى به إنه أواب ۝ تواب رجاع إلى مرضاة الله فإن قلت ما دلك على أن الأيد القوة في الدين قلت قوله تعالى إنه أواب لأنه تعليل لذي الأيد إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق ۝ ووقت الإشراق وهو حين تشرق الشمس أي تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى وأما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق وعن أم هانئ دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى صلاة الضحى وقال يا أم هانئ هذه صلاة الإشراق وعن طاوس عن ابن عباس قال هل تجدون ذكر صلاة الضحى في القرآن قالوا لا فقرأ إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق وكان لا يصلي صلاة الضحى ثم صلاها بعد وعن كعب أنه قال لابن عباس إني لأجد في كتب الله صلاة بعد طلوع الشمس فقال أنا أوجدك ذلك في كتاب الله تعالى يعني هذه الآية ويحتمل أن يكون من أشرق القوم إذا دخلوا في الشروق ومنه قوله فأخذتهم الصيحة مشرقين وقول أهل الجاهلية أشرق ثبير كيما نغير ويراد وقت صلاة الفجر لانتهائه بالشروق ويسبحن في معنى مسبحات على الحال فإن قلت هل من فرق بين يسبحن ومسبحات قلت نعم وما اختير يسبحن على مسبحات إلا لذلك وهو الدلالة على حدوث التسبيح من الجبال شيئاً بعد شيء وحالاً بعد حال وكأن السامع محاضر تلك الحال يسمعها تسبح ومثله قول الأعشى ۝ إلى ضوء نار في يفاع تحرق ۝ ولو قال محرقة لم يكن شيئاً والطير محشورة وقوله محشورة في مقابلة يسبحن إلا أنه لما لم يكن في الحشر ما كان في التسبيح من إرادة الدلالة على الحدوث شيئاً بعد شيء

جيء به اسما لا فعلا وذلك انه لو قيل وسخرنا الطير يحشرن على الحشر يوجد من حاشرها شيئا بعد
شيء والحاشر هو الله عز وجل لكان خلفا لان حشرها جملة واحدة ادل على القدرة وعن ابن عباس رضي
الله عنه كان اذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسبحت فذلك حشرها وقرئ
والطير محشورة بالرفع ﴿كل له اواب﴾ كل واحد من الجبال والطير لاجل داود اي لاجل تسبيحه مسبح
لانها كانت تسبح بتسبيحه ووضع الاواب موضع المسبح اما لانها كانت ترجع التسبيح
والمرجع رجاع لانه يرجع الى فعله رجوعا بعد رجوع واما لان الاواب وهو التواب الكثير
الرجوع الى الله وطلب مرضاته من عادته ان يكثر ذكر الله ويديم تسبيحه وتقديسه وقيل
الضمير لله اي كل من داود والجبال والطير لله اواب اي مسبح مرجع للتسبيح ﴿وشددنا
ملكه﴾ قويناه قال الله تعالى سنشد عضدك وقرئ شددنا على المبالغة قيل كان يبيت حول
محرابه اربعون الف مستلئم يحرسونه وقيل الذي شد الله ملكه وقذف في قلوب قومه
الهيبة ان رجلا ادعى عنده على اخر بقرة وعجز عن اقامة البينة فاوحي اليه في المنام ان اقتل المدعى عليه
فقال هذا منام فاعيد الوحي في اليقظة فاعلم الرجل فقال ان الله لم ياخذني بهذا الذنب ولكن باني
قتلت ابا هذا غيلة فقتله فقال الناس ان اذنب احد ذنبا اظهره الله عليه فقتله فهابوه ﴿واتيناه الحكمة وفصل
الخطاب﴾ الحكمة الزبور وعلم الشرائع وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة الفصل التمييز بين الشيئين وقيل
الكلام البين فصل بمعنى المفصول كضرب الامير لانهم قالوا كلام ملتبس وفي كلامه لبس والملبس
المختلط فقيل في نقيضه فصل اي مفصول بعضه من بعض فمعنى فصل الخطاب البين من الكلام
الملخص الذي يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه ومن فصل الخطاب وملخصه ان لا يخطئ صاحبه
مظان الفصل والوصل فلا يقف في كلمة الشهادة على المستثنى منه ولا يتلو قوله فويل للمصلين
الا موصولا بما بعده ولا والله يعلم وانتم حتى يصله بقوله لا تعلمون ونحو ذلك وكذلك مظان العطف
وتركه والاضمار والاظهار والحذف والتكرار وان شئت كان الفصل بمعنى الفاصل كالصوم
والزور واردت بفصل الخطاب الفاصل من الخطاب الذي يفصل بين الصحيح والفاسد والحق والباطل
والصواب والخطا وهو كلامه في القضايا والحكومات وتدابير الملك والمشورات وعن
علي بن ابي طالب رضي الله عنه هو قوله البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه وهو من الفصل بين
الحق والباطل ويدخل فيه قول بعضهم هو قوله اما بعد لانه يفتتح اذا تكلم في الامر الذي له شان
بذكر الله وتحميده فاذا اراد ان يخرج الى الغرض المسوق اليه فصل بينه وبين ذكر الله بقوله اما بعد
ويجوز ان يراد الخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار مخل ولا اشباع ممل ومنه ما جاء في صفة كلام
رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فصل لا نزر ولا هذر ﴿وهل اتاك نبا الخصم اذ تسوروا
المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم
بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط﴾ كان اهل زمان داود عليه الصلوة والسلام
يسال بعضهم بعضا ان ينزل له عن امراته فيتزوجها اذا اعجبته وكانت لهم عادة في المواساة بذلك
قد اعتادوها وقد روينا ان الانصار كانوا يواسون المهاجرين بمثل ذلك فاتفق ان عين داود
وقعت على امراة رجل يقال له اوريا فاحبها فساله النزول له عنها فاستحيا ان يرده ففعل فتزوجها
وهي ام سليمن فقيل له انك مع عظم منزلتك وارتفاع مرتبتك وكبر شانك وكثرة نسائك
لم يكن ينبغي لك ان تسال رجلا ليس له الا امراة واحدة النزول عنها بل كان الواجب عليك مغالبة
هواك وقهر نفسك والصبر على ما امتحنت به وقيل خطبها اوريا ثم خطبها داود فاثره اهلها
فكان ذنبه ان خطب على خطبة اخيه المؤمن مع كثرة نسائه واما ما يذكر ان داود تمنى منزلة
ابائه ابرهيم واسحق ويعقوب فقال يا رب ان ابائي قد ذهبوا بالخير كله فاوحي اليه انهم ابتلوا ببلايا
فصبروا عليها قد ابتلي ابرهيم بنمرود وذبح ولده واسحق بذبحه وذهاب بصره ويعقوب بالحزن
على يوسف فسال الابتلاء فاوحي اليه انك لمبتلى في يوم كذا فاحترس فلما كان ذلك اليوم دخل
محرابه واغلق بابه وجعل يصلي ويقرا الزبور فجاءه الشيطان في صورة حمامة من ذهب فمد يده لياخذها
لابن له صغير فطارت فامتد اليها فطارت فوقعت في كوة فتبعها فابصر امراة جميلة قد نقضت شعرها

فغطى بدنها

فغطى بدنها وهي امراة اوريا وقدمه على التابوت وكان من يتقدم على التابوت لا يحل له ان يرجع
حتى يفتح الله على يده فتحا او يستشهد ففتح الله على يده وسلم فامر برده مرة اخرى وثالثة حتى
قتل فاتاه خبر قتله فلم يحزن كما يحزن على الشهدا وتزوج امراته فهذا ونحوه مما يقبح ان يحدث
به عن بعض المتسمين بالصلاح من افناء المسلمين فضلا عن بعض اعلام الانبيا وعن سعيد
بن المسيب والحارث الاعور ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال من حدثكم بحديث داود
على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الانبيا وروي انه حدث بذلك
عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من اهل الحق فكذب المحدث به وقال ان كانت القصة على ما في
كتاب الله فما ينبغي ان يلتمس خلافها واعظم بان يقال غير ذلك وان كانت على ما ذكرت وكف
الله عنها سترا على نبيه فما ينبغي اظهارها عليه فقال عمر لسماعي هذا الكلام احب الي مما طلعت عليه
الشمس والذي يدل عليه المثل الذي ضربه الله لقصته عليه السلام ليس طلبه الى زوج المراة ان
ينزل له عنها فحسب فان قلت لم جاءت على طريقة التمثيل والتعريض دون التصريح قلت
لكونها ابلغ في التوبيخ من قبل ان التامل اذا اداه الى الشعور بالمعرض به كان اوقع في نفسه واشد
تمكنا من قلبه واعظم اثرا فيه واجلب لاحتشامه وحيائه وادعى الى التنبه على الخطا فيه من
ان يبادره به صريحا مع مراعاة حسن الادب بترك المجاهرة الا ترى الى الحكما كيف اوصوا في
سياسة الولد اذا وجدت منه هنة منكرة بان يعرض له بانكارها ولا يصرح وان يحكى له حكاية
ملاحظة لحاله اذا تاملها استسمج حال صاحب الحكاية فاستسمج حال نفسه وذلك ازجر له لانه
ينصب ذلك مثالا لحاله ومقياسا لشانه فيتصور قبح ما وجد منه بصورة مكشوفة لانه اصون
لما بين الوالد والولد من حجاب الحشمة فان قلت فلم كان على وجه التحاكم اليه قلت ليحكم بما حكم
به من قوله لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه حتى يكون محجوجا بحكمه ومعترفا على نفسه
بظلمه وهل اتاك نبا الخصم ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على انه من الانباء العجيبة التي حقها
ان تشيع ولا تخفى والتشويق الى استماعه والخصم الخصما وهو يقع على الواحد والجمع كالضيف قال
الله حديث ضيف ابرهيم المكرمين لانه مصدر في اصله تقول خصمه خصما كما تقول ضافه ضيفا
فان قلت هذا جمع وقوله خصمان تثنية فكيف استقام ذلك قلت معنى خصمان فريقان والدليل
عليه قراءة من قرا خصمان بغى بعضهم على بعض ونحوه قوله تعالى هذان خصمان اختصموا فان قلت فما
تصنع بقوله ان هذا اخي وهو دليل على اثنين قلت هذا قول البعض المراد بقوله بعضنا على بعض
فان قلت فقد جاء في الرواية انه بعث اليه ملكان قلت معناه ان التحاكم كان بين ملكين
ولا يمنع ذلك ان يصحبهما اخرون فان قلت فاذا كان التحاكم بين اثنين كيف سماهم جميعا خصما
في قوله نبا الخصم وخصمان قلت لما كان صحب كل واحد من المتحاكمين في صورة الخصم صحت التسمية
به فان قلت بم انتصب اذ قلت لا يخلو اما ان ينتصب باتاك او بالنبا او بمحذوف فلا يسوغ
انتصابه باتاك لان اتيان النبا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لا يقع الا في عهده لا في عهد
داود ولا بالنبا لان النبا الواقع في عهد داود لا يصح اتيانه رسول الله صلى الله عليه وسلم وان
اردت بالنبا القصة في نفسها لم يكن ناصبا فبقي ان ينتصب بمحذوف تقديره وهل اتاك نبا
تحاكم الخصم ويجوز ان ينتصب بالخصم لما فيه من معنى الفعل واما اذ الثانية فبدل من الاولى تسوروا
المحراب تصعدوا سوره ونزلوا اليه والسور الحائط المرتفع ونظيره في الابنية تسنمه اذا علا
سنامه وتذراه اذا علا ذروته روي ان الله بعث اليه ملكين في صورة انسانين فطلبا ان يدخلا
عليه فوجداه في يوم عبادته فمنعهما الحرس فتسوروا عليه المحراب فلم يشعر الا وهما بين يديه
جالسان ففزع منهم وعن ابن عباس ان داود عليه الصلوة والسلام جزا زمانه اربعة اجزا يوما
لعبادته ويوما للقضا ويوما للاشتغال بخواص اموره ويوما يجمع بني اسرائيل فيعظهم ويبكيهم
فجاؤوه في غير يوم القضا ففزع منهم ولانهم نزلوا عليه من فوق وفي يوم الاحتجاب والحرس حوله لا
يتركون من يدخل عليه خصمان خبر مبتدا محذوف اي نحن خصمان ولا تشطط ولا تجر وقرئ
ولا تشطط ولا تبعد عن الحق وقرئ ولا تشطط ولا تشاطط وكلها في معنى الشطط وهو مجاوزة
الحد وتخطي الحق وسواء الصراط وسطه ومحجته ضربه مثلا لعين الحق ومحضه ﴿ان هذا اخي له﴾

إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ اخي بدل من هذا او خبر لان والمراد اخوة الدين واخوة الصداقة والالفة واخوة الشركة والخلطة كقوله تعالى وان كثيرا من الخلطاء وكل واحدة من هذه الاخوات تدلي بحق مانع من الاعتداء والظلم وقرئ تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون وهذا من اختلاف اللغات نحو نطع ونطع ولقوة ولقوة فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا ملكنيها وحقيقته اجعلني اكفلها كما اكفل ما تحت يدي وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ وغلبني يقال عزه يعزه قال

قطاة عزها شرك فباتت ● تجاذبه وقد علق الجناح

يريد جاءني بحجاج لم اقدر ان اورد عليه ما اردّه به واراد بالخطاب مخاطبة المحاج المجادل او اراد خطبت المراة وخطبها هو فخاطبني خطابا اي غالبني في الخطبة فغلبني حيث زوجها دوني وقرئ وعازني من المعازة وهي المغالبة وقرأ ابو حيوة وعزني بتخفيف الزاي طلبا للخفة وهو تخفيف غريب وكأنه قاسه على نحو ظلت ومست قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ فان قلت ما معنى ذكر النعاج قلت كان تحاكمهم في نفسه تمثيلا وكلامهم تمثيلا لان التمثيل ابلغ في التوبيخ لما ذكرنا وللتنبيه على انه امر يستحيى من كشفه فيكنى عنه كما يكنى عما يستسمج الافصاح به وللستر على داود عليه الصلوة والسلام والاحتفاظ بحرمته ووجه التمثيل فيه ان مثلت قصة اوريا مع داود بقصة رجل له نعجة واحدة ولخليطه تسع وتسعون فاراد صاحبه تتمة المائة فطمع في نعجة خليطه واراده على الخروج من ملكها اليه وحاجه في ذلك محاجة حريص على بلوغ مراده والدليل عليه قوله وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وانما خص هذه القصة لما فيها من الرمز الى الغرض بذكر النعجة فان قلت انما تستقيم طريقة التمثيل اذا فسرت الخطاب بالجدال وان فسرته بالمفاعلة من الخطبة لم يستقم قلت الوجه مع هذا التفسير ان اجعل النعجة استعارة عن المراة كما استعاروا لها الشاة في نحو قوله

يا شاة ما قنص لمن حلت له ● فرميت غفلة عينه عن شاته

وشبهها بالنعجة من قال ● كنعاج الملا تعسفن رملا ●

لولا ان الخلطاء باه ... ان يضرب داود والخلطاء ابتداء مثلا لهم ولقصتهم فان قلت الملائكة عليهم السلام كيف صح منهم ان يخبروا عن انفسهم ما لم يتلبسوا به قليل ولا كثير ولا هو من شانهم قلت هو تصوير للمسالة وفرض لها ... كما تقول في المسائل لزيد اربعون شاة ولعمرو اربعون وانت تشير اليهما خلطاها وحال عليها الحول كم يجب فيها وما لزيد وعمرو سبد ولا لبد وتقول ايضا في تصويرها لي اربعون شاة ولك اربعون فخلطناها وما لكما من الاربعين اربعة ولا ربعها فان قلت فما وجه قراءة ابن مسعود ولي نعجة انثى قلت يقال امراة انثى للحسناء الجميلة والمعنى وصفها بالعراقة في لين الانوثة وفتورها وذلك اطيب لها ... ونحوه وصفهم لها بالكسول والمكسال وقوله فتور القيام ... تكاد تغترف ● لقد ظلمك جواب قسم محذوف وفي ذلك استنكار لفعل خليطه وتهجين لطمعه والسؤال مصدر مضاف الى المفعول كقوله من دعاء الخير وقد ضمن معنى الاضافة فعدي تعديتها كانه قيل باضافة نعجتك الى نعاجه على وجه السؤال والطلب فان قلت كيف سارع الى تصديق احد الخصمين حتى ظلم الآخر قبل استماع كلامه قلت ما قال ذلك الا بعد اعتراف صاحبه ولكنه لم يحك في القرآن لانه معلوم وروي انه قال اريد ان آخذها منه واكمل نعاجي مائة فقال داود ان رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا واشار الى طرف الانف والجبهة فقال يا داود انت احق ان يضرب منك هذا وهذا وانت فعلت كيت وكيت ثم نظر داود فلم ير احدا فعرف ما وقع فيه والخلطاء الشركاء الذين خلطوا اموالهم الواحد خليط وهي الخلطة وقد غلبت في الماشية والشافعي يعتبرها فاذا كان الرجلان خليطين في ماشية بينهما غير مقسومة او لكل واحد منهما ماشية على حدة الا ان مراحهما ومسارحهما وموضع حلبهما والراعي والكلب واحد والفحولة مختلطة فهما يزكيان زكوة الواحد فان كانت لهما اربعون شاة فعليهما شاة وان كانت لثلاثة مائة وعشرون لكل واحد اربعون فعليهم شاة واحدة كما لو كانت لواحد وابو حنيفة لا يعتبر الخلطة والخليط والمنفرد عنده واحد ففي اربعين بين خليطين لا شيء عليهما وفي مائة وعشرين بين ثلاثة ثلاث شياه فان قلت هذه الخلطة ما تقول فيها قلت عليهما شاة واحدة وفي

علي ذي النعجة

اذن حر

على ذي النعجة جزء من مائة جزء من المائة عند الشافعي رحمه الله وعند ابي حنيفة لا شيء عليه فان قلت ماذا اراد بذكر حال الخلطاء في ذلك المقام قلت قصد به الموعظة الحسنة والترغيب في ايثار عادة الخلطاء الصلحاء الذين حكم لهم بالقلة وان يكره اليهم الظلم والاعتداء الذي عليه اكثرهم مع التاسف على حالهم وان يسلي المظلوم عما جرى عليه من خليطه وان له في اكثر الخلطاء اسوة وقرئ ليبغي بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها كقوله

اضرب عنك الهموم طارقها ● وهو جواب قسم محذوف وليبغ بحذف الياء اكتفاء منها بالكسرة وما في وَقَلِيلٌ مَا هُمْ للابهام وفيه تعجب من قلتهم وان اردت ان تتحقق فائدتها وموقعها فاطرحها من قول امرئ القيس

وحديث ما على قصره ● وانظر هل بقي له معنى قط

وَظَنَّ دَاوُدُ لما كان الظن الغالب يداني العلم استعير له ومعناه وعلم داود وايقن أَنَّمَا فَتَنَّاهُ انما ابتليناه لا محالة بامراة اوريا هل يثبت ام يزل وقرئ فتناه بالتشديد للمبالغة وافتناه من قوله

لئن فتنتني لهي بالامس افتنت ● وفتناه على ان الالف ضمير الملكين فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وعبر بالراكع عن الساجد لانه ينحني ويخضع كالساجد وبه استشهد ابو حنيفة واصحابه في سجدة التلاوة على ان الركوع يقوم مقام السجود وعن الحسن لانه لا يكون ساجدا حتى يركع ويجوز ان يكون قد استغفر الله لذنبه واحرم بركعتي الاستغفار والانابة فيكون المعنى وخر للسجود مصليا لان الركوع يجعل عبارة عن الصلوة وَأَنَابَ ورجع الى الله بالتوبة والتنصل وروي انه بقي اربعين يوما وليلة لا يرفع راسه الا لصلوة مكتوبة او ما لا بد له منه ولا يرقا دمعه حتى نبت العشب من دمعه الى راسه ولم يشرب ماء الا وثلثاه دمع وجهد نفسه راغبا الى الله في العفو عنه حتى كاد يهلك واشتغل بذلك عن الملك حتى وثب ابن له يقال له ايشا على ملكه ودعا الى نفسه واجتمع اليه اهل الزيغ من بني اسرائيل فلما غفر له حاربه فهزمه وروي انه نقش خطيئته في كفه حتى لا ينساها وقيل ان الخصمين كانا من الانس وكانت الخصومة على الحقيقة بينهما اما كانا خليطين في الغنم واما كان احدهما موسرا وله نسوان كثيرة من المهائر والسراري والثاني معسرا ما له الا امراة واحدة فاستنزله عنها وانما فزع لدخولهما عليه في غير وقت الحكومة ان يكونا مغتالين وما كان ذنب داود الا انه صدق احدهما على الآخر وظلمه قبل مسألته فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ اي استخلفناك على الملك في الارض كمن يستخلفه بعض السلاطين على بعض البلاد ويملكه عليها ومنه قولهم خلفاء الله في ارضه او جعلناك خليفة ممن كان قبلك من الانبياء القائمين بالحق وفيه دليل على ان حاله بعد التوبة بقيت على ما كانت عليه لم تتغير فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ اي بحكم الله اذ كنت خليفته وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى هوى النفس في قضائك وغيره مما تتصرف فيه من اسباب الدين والدنيا فَيُضِلَّكَ الهوى فيكون سببا لضلالك عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ عن دلائله التي نصبها في العقول وعن شرائعه التي شرعها واوحى بها إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ● يوم الحساب متعلق بنسوا اي بنسيانهم يوم الحساب او بقوله لهم اي لهم عذاب يوم القيمة بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن سبيل الله وعن بعض خلفاء بني مروان انه قال لعمر بن عبد العزيز او للزهري هل سمعت ما بلغنا ان الخليفة لا يجري عليه القلم ولا تكتب عليه معصية فقال يا امير المؤمنين الخلفاء افضل ام الانبياء ثم تلا هذه الآية وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا اي خلقا باطلا لا لغرض صحيح وحكمة بالغة او مبطلين عابثين كقوله تعالى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق وتقديره ذوي باطل او عبثا فوضع باطلا موضعه كما وضعوا هنيئا موضع المصدر وهو صفة اي ما خلقناهما وما بينهما للعبث واللعب ولكن للحق المبين وهو ان خلقنا نفوسا اودعناها العقل والتمييز ومنحناها التمكين وازحنا عللها ثم عرضناها للمنافع العظيمة بالتكليف واعددنا لها عاقبة وجزاء على حسب اعمالهم ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ وذلك اشارة الى خلقها باطلا والظن بمعنى المظنون اي خلقها للعبث لا للحكمة هو مظنون الذين كفروا فان قلت اذا كانوا مقرين بان الله خالق السموات والارض وما بينهما بدليل قوله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فبم جعلوا ظانين انه خلقها للعبث لا للحكمة

لما كان انكارهم للبعث والحساب والثواب والعقاب مؤديا الى ان خلقها عبث وباطل جعلوا كأنهم يظنون ذلك ويقولونه لان الجزاء هو الذي سبقت اليه الحكمة في خلق العالم من رأسها فمن جحده فقد جحد الحكمة من اصلها ومن جحد الحكمة في اصل خلق العالم فقد سفه الخالق وظهر بذلك انه لا يعرفه ولا يقدره حق قدره فكان اقراره بكونه خالقا كلا اقرار **ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار** ام منقطعة ومعنى الاستفهام فيها الانكار والمراد انه لو بطل الجزاء كما يقول الكافرون لاستوت عند الله احوال من اصلح وافسد واتقى وفجر ومن سوى بينهم كان سفيها ولم يكن حكيما **كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب** وقرئ مباركا ولتدبروا على الاصل ولتدبروا على الخطاب وتدبر الآيات التفكر فيها والتأمل الذي يؤدي الى معرفة ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعاني الحسنة لان من اقتنع بظاهر المتلو لم يحل منه بكثير طائل وكان مثله كمثل من له لقحة درور لا يحلبها ومهرة نثور لا يستولدها وعن الحسن قد قرأ هذا القرآن عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله حفظوا حروفه واضاعوا حدوده ما هؤلاء بالحكماء ولا الوزعة لا كثر الله في الناس مثل هؤلاء اللهم اجعلنا من العلماء المتدبرين واعذنا من القراء المتكبرين **ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه اواب** وقرئ نعم العبد على الاصل والمخصوص بالمدح محذوف وعلل كونه ممدوحا بكونه اوابا رجاعا اليه بالتوبة او مسبحا مؤوبا بالتسبيح مرجعا له لان كل مؤوب اواب **اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب** والصافن الذي في قوله

الف الصفون فما يزال كأنه ... مما يقوم على الثلاث كسيرا

وقيل الذي يقوم على طرف سنبك يد او رجل وهو المتخيم واما الصافن فهو الذي يجمع بين يديه وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من سره ان يقوم الناس له صفونا فليتبوأ مقعده من النار اي واقفين كما يخدم الجبابرة فان قلت ما معنى وصفها بالصفون قلت الصفون لا يكاد يكون في الهجن الا في العراب الخلص وقيل وصفها بالصفون والجودة ليجمع لها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية يعني اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها واذا جرت كانت سراعا خفافا في جريها وروي ان سليمن عليه السلام غزا اهل دمشق ونصيبين فاصاب الف فرس وقيل ورثها من ابيه واصابها ابوه من العمالقة وقيل خرجت من البحر لها اجنحة فقعد يوما بعد ما صلى الاولى على كرسيه واستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر او عن ورد من الذكر كان له وقت العشي وتهيبوه فلم يعلموه فاغتم لما فاته فاستردها وعقرها مقربا لله وبقي مائة فما في ايدي الناس من الجياد فمن نسلها وقيل لما عقرها ابدله الله خيرا منها وهي الريح تجري بامره فان قلت ما معنى احببت حب الخير عن ذكر ربي قلت احببت مضمن معنى فعل يتعدى بعن كأنه قيل انبت حب الخير عن ذكر ربي او جعلت حب الخير مجزيا او مغنيا عن ذكر ربي وذكر ابو الفتح الهمداني في كتاب التبيان ان احببت بمعنى لزمت من قوله مثل بعير السوء اذ احبا وليس بذاك والخير المال كقوله ان ترك خيرا وقوله وانه لحب الخير لشديد والمال الخيل التي شغلته او سمى الخيل خيرا كأنها نفس الخير لتعلق الخير بها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيمة وقال في زيد الخيل حين وفد عليه واسلم ما وصف لي رجل فرأيته الا كان دون ما بلغني الا زيد الخيل وسماه زيد الخير وسأل رجل بلالا رضي الله عنه عن قوم يستبقون من السابق فقال رسول الله فقال له الرجل اردت الخيل فقال وانا اردت الخير والتواري بالحجاب مجاز في غروب الشمس عن تواري الملك او المخبأة بحجابهما والذي دل على ان الضمير للشمس مرور ذكر العشي ولا بد للضمير من جري ذكر او دليل ذكر وقيل الضمير للصافنات اي حتى توارت بحجاب الليل يعني الظلام ومن بدع التفاسير ان الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه **ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والاعناق** فطفق يمسح مسحا اي يمسح السيف بسوقها واعناقها يعني يقطعها يقول مسح علاوته اذا ضرب عنقه ومسح المسفر الكتاب اذا قطع اطرافه بسيفه وعن الحسن كشف عراقيبها وضرب اعناقها اراد بالكشف القطع ومنه الكشف في القاب الزحاف في العروض ومن قاله بالشين المعجمة فمصحف وقيل مسحها بيده استحسانا لها واعجابا بها فان قلت

بم اتصل قوله ردوها علي قلت بمحذوف تقديره قال ردوها علي فأضمر واضمر ما هو جواب له كأنه قائل قال فماذا قال سليمن لانه موضع مقتض للسؤال اقتضاء ظاهرا وهو اشتغال نبي من انبياء الله بامر الدنيا حتى تفوته الصلوة عن وقتها وقرئ بالسؤوق بهمز الواو لضمتها كما في ادؤر ونظيره الغؤور في مصدر غارت الشمس واما من قرأ بالسؤق فقد جعل الضمة في السين كأنها في الواو للتلاصق كما قيل مؤسى ونظير ساق وسوق اسد واسد وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لامن الالباس **ولقد فتنا سليمن والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب** قيل فتن سليمن بعد ما ملك عشرين سنة وكان من فتنته انه ولد له ابن فقالت الشياطين ان عاش لم ننفك من السخرة فسبيلنا ان نقتله او نخبله فعلم ذلك فكان يغذوه في السحاب فما راعه الا ان القي على كرسيه ميتا فتنبه على خطئه في ان لم يتوكل فيه على ربه فاستغفر ربه وتاب اليه وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال سليمن لاطوفن الليلة على سبعين امرأة كل واحدة تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعون فذلك قوله ولقد فتنا سليمن وهذا ونحوه مما لا بأس به واما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيت سليمن فالله اعلم بصحته حكوا ان سليمن بلغه خبر صيدون وهي مدينة في بعض الجزائر وان بها ملكا عظيم الشان لا يقوى عليه لتحصنه بالبحر فخرج اليه تحمله الريح حتى اناخ بها بجنوده من الجن والانس فقتل ملكها واصاب بنتا له اسمها جرادة من احسن الناس وجها فاصطفاها لنفسه واسلمت واحبها وكانت لا يرقأ دمعها جزعا على ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورة ابيها فكستها مثل كسوته وكانت تغدو اليها وتروح مع ولائدها يسجدن له كعادتهن في ملكه فاخبر آصف سليمن بذلك فكسر الصورة وعاقب المرأة ثم خرج وحده الى فلاة وفرش له الرماد فجلس عليه تائبا الى الله متضرعا وكانت له ام ولد يقال لها امينة اذا دخل للطهارة او لاصابة امرأة وضع خاتمه عندها وكان ملكه في خاتمه فوضعه عندها يوما واتاها الشيطان صاحب البحر وهو الذي دل سليمن على الماس حين امر ببناء بيت المقدس واسمه صخر على صورة سليمن فقال يا امينة خاتمي فتختم به وجلس على كرسي سليمن وعكفت عليه الطير والجن والانس وغير سليمن عن هيئته فاتى امينة لطلب الخاتم فانكرته وطردته فعرف ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور على البيوت يتكفف واذا قال انا سليمن حثوا عليه التراب وسبوه ثم عمد الى السماكين ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين فمكث على ذلك اربعين صباحا عدد ما عبد الوثن في بيته فانكر آصف وعظماء بني اسرائيل حكم الشيطان وسأل آصف نساء سليمن فقلن ما يدع امرأة منا في دمها ولا يغتسل من جنابة وقيل بل نفذ حكمه في كل شيء الا فيهن ثم طار الشيطان وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة ووقعت السمكة في يد سليمن فبقر بطنها فاذا هو بالخاتم فتختم به ووقع ساجدا ورجع اليه ملكه وجاب صخرة لصخر فجعله فيها وسد عليه باخرى ثم اوثقها بالحديد والرصاص وقذفه في البحر وقيل لما افتتن كان يسقط الخاتم من يده لا يتماسك فيها فقال له آصف انك لمفتون بذنبك والخاتم لا يقر في يدك فتب الى الله من ذنبك ولقد ابى العلماء المتقنون قبوله وقالوا هذا من اباطيل اليهود والشياطين لا يتمكنون من هذه الافاعيل وتسليط الله اياهم على عباده حتى يقعوا في تغيير الاحكام وعلى نساء الانبياء حتى يفجروا بهن قبيح واما اتخاذ التماثيل فيجوز ان تختلف فيه الشرائع الا ترى الى قوله من محاريب وتماثيل واما السجود للصورة فلا يظن بنبي الله ان يأذن فيه واذا كان بغير اذنه فلا عليه وقوله والقينا **قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي انك انت الوهاب** قدم الاستغفار على استيهاب الملك جريا على عادة الانبياء والصالحين في تقديم امر دينهم على امور دنياهم لا ينبغي لا يتسهل ولا يكون من بعدي من دوني فان قلت اما يشبه الحسد والحرص على الاستبداد بالنعمة ان يستعطي الله ما لا يعطيه غيره قلت كان سليمن عليه الصلوة والسلام ناشئا في بيت الملك والنبوة ووارثا لهما فاراد ان يطلب من ربه معجزة فطلب على حسب الفه ملكا زائدا على الممالك زيادة خارقة للعادة بالغة حد الاعجاز ليكون دليلا على نبوته قاهرا للمبعوث اليهم ولن تكون معجزة حتى تخرق العادات فذلك لا ينبغي لاحد

من بعدي وقيل كان ملكا عظيما فخاف ان يعطى مثله فلا يحافظ على حدود الله فيه كما
قالت الملئكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك وقيل ملكا لا اسلبه
ولا يقوم غيري فيه مقامي كما سلبته مرة واقيم مقامي غيري ويجوز ان يقال علم الله فيما
اختصه به من ذلك الملك العظيم مصالح في الدين وعلم انه لا يضطلع باعبائه غيره واوجبت
الحكمة استيهابه فامره ان يستوهبه اياه فاستوهبه بامر من الله على الصفة التي علم الله انه لا يضبطه
عليها الا هو وحده دون سائر عباده او اراد ان يقول ملكا عظيما فقال لا ينبغي لاحد من بعدي
ولم يقصد بذلك الا عظم الملك وسعته كما تقول لفلان ما ليس لاحد من الفضل والمال وربما
كان للناس امثال ذلك ولكنك تريد تعظيم ما عنده وعن الحجاج انه قيل له انك حسود فقال
احسد مني من قال هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي وهذا من جراءته على الله وشيطنته كما حكي
عنه طاعتنا ~~واولي الامر منكم~~ اوجب من طاعة الله لانه شرط في طاعته فقال فاتقوا
الله ما استطعتم وقال واولي الامر منكم فسخرنا له الريح تجري بامره قرئ الريح والرياح
رخاء لينة طيبة لا تزعزع وقيل طيعة له لا تمتنع عليه حيث اصاب حيث قصد واراد
حكى الاصمعي عن العرب اصاب الصواب فاخطأ الجواب وعن رؤبة ان رجلين من اهل اللغة قصداه
ليسألاه عن هذه الكلمة فخرج اليهما فقال اين تصيبان فقالا هذه طلبتنا ورجعا ويقال
اصاب الله بك خيرا والشياطين عطف على الريح كل بناء وغواص بدل من الشياطين
وآخرين مقرنين في الاصفاد واخرين عطف على كل داخل في حكم البدل وهو بدل الكل من
الكل كانوا يبنون له ما يشاء من الابنية ويغوصون له فيستخرجون اللؤلؤ وهو اول من استخرج
الدر من البحر وكان يقرن مردة الشياطين بعضهم مع بعض في القيود والسلاسل للتأديب
والكف عن الفساد وعن السدي كان يجمع ايديهم الى اعناقهم مغللين في الجوامع والصفد
القيد وسمي به العطاء لانه ارتباط للمنعم عليه ومنه قول علي رضي الله عنه من برك فقد اسرك
ومن جفاك فقد اطلقك وقول القائل غل يدا مطلقها واسترق رقبة معتقها
وقال حبيب ان العطاء اسار وتبعه من قال ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا
وفرقوا بين الفعلين فقالوا صفده قيده واصفده اعطاه كوعده واوعده هذا عطاؤنا
فامنن او امسك بغير حساب وان له عندنا لزلفى وحسن مآب اي هذا الذي اعطيناك
من الملك والمال والبسطة عطاؤنا بغير حساب يعني جما كثيرا لا يكاد يقدر على حسبه
وحصره فامنن من المنة وهي العطاء اي فاعط منه ما شئت او امسك مفوضا اليك التصرف
فيه وفي قراءة ابن مسعود هذا فامنن او امسك عطاؤنا بغير حساب او هذا التسخير عطاؤنا
فامنن على من شئت من الشياطين بالاطلاق وامسك من شئت منهم في الوثاق بغير حساب اي
لا حساب عليك في ذلك واذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه ايوب عطف بيان واذ بدل
اشتمال منه اني مسني الشيطان باني مسني حكاية لكلامه الذي ناداه بسببه ولو لم يحكه
لقال بانه مسه لانه غائب بنصب بضم النون وفتحها مع سكون الصاد وبفتحهما وضمهما فالنصب
والنصب كالرشد والرشد والنصب على اصل المصدر والنصب تثقيل نصب والمعنى واحد
وهو التعب والمشقة وعذاب والعذاب الالم يريد مرضه وما كان يقاسي فيه من انواع
الوصب وقيل الضر في البدن والعذاب في ذهاب الاهل والمال فان قلت لم نسبه الى الشيطان
ولا يجوز ان يسلطه الله على انبيائه ليقضي من اتعابهم وتعذيبهم وطره ولو قدر على ذلك لم يدع صالحا
الا وقد نكبه واهلكه وقد تكرر في القرآن انه لا سلطان له الا الوسوسة فحسب قلت لما كانت
وسوسته اليهم وطاعته له فيما وسوس سببا فيما مسه الله به من النصب والعذاب نسبه اليه وقد
راعى الادب في ذلك حيث لم ينسبه الى الله في دعائه مع انه فاعله ولا يقدر عليه الا هو وقيل اراد ما
كان يوسوس به اليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء ويغريه على الكراهة والجزع فالتجأ الى الله
في ان يكفيه ذلك بكشف البلاء او بالتوفيق في دفعه ورده بالصبر الجميل وروي انه كان يعود
ثلاثة من المؤمنين فارتد احدهم فسأل عنه فقيل القى اليه الشيطان ان الله لا يبتلي الانبياء
والصالحين وذكر في سبب بلائه ان رجلا استغاثه على ظالم فلم يغثه وقيل كانت مواشيه في ناحية

ملك كافر

فامره — واطلق طاعتنا — بانه — مرضه — الله

ملك كافر فداهنه ولم يغزه وقيل اعجب بكثرة ماله اركض برجلك حكاية ما اجيب به ايوب
عليه الصلوة والسلام اي اضرب برجلك الارض وعن قتادة هي ارض الجابية فضربها
فنبعت عين فقيل هذا مغتسل بارد وشراب اي هذا ماء تغتسل به وتشرب منه فيبرأ باطنك
وظاهرك وتنقلب بك قلبة وقيل نبعت له عينان فاغتسل من احديهما وشرب من الاخرى
فذهب الداء من ظاهره وباطنه باذن الله وقيل ضرب برجله اليمنى فنبعت عين حارة فاغتسل
منها وباليسرى فنبعت باردة فشرب منها ووهبنا له اهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى
لاولي الالباب رحمة وذكرى مفعول لهما والمعنى ان الهبة كانت للرحمة له ولتذكير اولي الالباب
لانهم اذا سمعوا بما انعمنا به عليه لصبره رغبهم في الصبر على البلاء وعاقبة الصابرين وما يفعل الله
بهم وخذ بيدك معطوف على اركض ضغثا فاضرب به ولا تحنث والضغث الحزمة الصغيرة
من حشيش او ريحان او غير ذلك وعن ابن عباس قبضة من الشجر كان حلف في مرضه ليضربن
امرأته مائة اذا برئ فحلل الله يمينه باهون شيء عليه وعليها لحسن خدمتها اياه ورضاه عنها وهذه
الرخصة باقية وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه اتي بمخدج قد خبث بأمة فقال خذوا عثكالا فيه مائة شمراخ فاضربوه
بها ضربة ويجب ان يصيب المضروب كل واحد من المائة اما اطرافها قائمة واما اعراضها مبسوطة مع
وجود صورة الضرب وكان السبب في يمينه انها ابطأت عليه ذاهبة في حاجة فحرج صدره وقيل
باعت ذوائبها برغيفين وكانتا متعلق ايوب اذا قام وقيل قال لها الشيطان اسجدي لي سجدة فارد
عليكم مالكم واولادكم فهمت بذلك فادركتها العصمة فذكرت ذلك له فحلف وقيل اوهمها
الشيطان ان ايوب اذا شرب الخمر برئ فتعرضت له بذلك وقيل سألته ان يقرب للشيطان
بعناق انا وجدناه علمناه صابرا نعم العبد انه اواب فان قلت كيف وجده صابرا وقد
شكا اليه ما به واسترحمه قلت الشكوى الى الله عز وعلا لا تسمى جزعا ولقد قال يعقوب
عليه الصلوة والسلام انما اشكو بثي وحزني الى الله وكذلك شكوى العليل الى الطبيب
وذلك ان اصبر الناس على البلاء لا يخلو من تمني العافية وطلبها فاذا صح ان يسمى صابرا مع تمني
العافية وطلب الشفاء فليسم صابرا مع اللجاء الى الله والدعاء بكشف ما به ومع التعالج ومشاورة
الاطباء على ان ايوب عليه الصلوة والسلام كان يطلب الشفاء خيفة على قومه من الفتنة حيث كان
الشيطان يوسوس اليهم كما كان يوسوس اليه انه لو كان نبيا لما ابتلي بمثل ما ابتلي به وارادة القوة على
الطاعة فقد بلغ امره الى ان لم يبق منه الا القلب واللسان وروي انه قال في مناجاته الهي قد علمت
انه لم يخالف لساني قلبي ولم يتبع قلبي بصري ولم يهبني ما ملكت يميني ولم آكل الا ومعي يتيم ولم ابت شبعان
ولا كاسيا ومعي جائع او عريان فكشف الله عنه واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب ابراهيم
واسحق ويعقوب عطف بيان لعبادنا ومن قرأ عبدنا جعل ابراهيم وحده عطف بيان له ثم عطف ذريته
على عبدنا وهي اسحق ويعقوب كقراءة ابن عباس واله ابيك ابراهيم واسمعيل واسحق لما كانت
اكثر الاعمال تباشر بالايدي غلبت فقيل في كل عمل هذا مما عملت ايديهم وان كان عملا لا يتأتى فيه المباشرة
بالايدي او كان العمال جذما لا ايدي لهم وعلى ذلك ورد قوله عز وعلا اولي الايدي والابصار
يريد اولي الاعمال والفكر كان الذين لا يعملون اعمال الآخرة ولا يجاهدون في الله ولا يفكرون افكار ذوي الديانات
ولا يستبصرون في حكم الزمنى الذين لا يقدرون على اعمال جوارحهم والمسلوبي العقول الذين
لا استبصار لهم وفيه تعريض بكل من لم يكن من عمال الله ولا من المستبصرين في دين الله وتوبيخ
على تركهم المجاهدة والتأمل مع كونهم متمكنين منهما وقرئ اولي الايادي على جمع الجمع وفي
قراءة ابن مسعود اولي الايد على طرح الياء والاكتفاء بالكسرة وتفسيره بالايد من التأييد قلق
غير متمكن انا اخلصناهم جعلناهم لنا خالصين بخالصة ذكرى الدار بخصلة خالصة
لا شوب فيها ثم فسرها بذكرى الدار شهادة لذكرى الدار بالخلوص والصفاء وانتفاء الكدورة
عنها وقرئ على الاضافة والمعنى بما خلص من ذكرى الدار على انهم لا يشوبون ذكرى الدار بهم
آخر انما همهم ذكرى الدار لا غير ومعنى ذكرى الدار ذكراهم الآخرة دائبا ونسيانهم
اليها ذكر الدنيا او تذكيرهم الآخرة وترغيبهم فيها وتزهيدهم في الدنيا كما هو شأن الانبياء
وديدنهم وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل في الدنيا ولسان الصدق الذي ليس لغيرهم فان قلت

بلد في الشام — في سعلة ضيرا او برد — نوم — ناب — لصه

ما معنى أخلصناهم بخالصة قلت معناه أخلصناهم بسبب هذه الخصلة بأنهم من أهلها أو أخلصناهم بتوفيقهم لها واللطف بهم في اختيارها ويعضد الأول قراءة من قرأ بخالصتهم **وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار** أي المختارين من بين أبناء جنسهم والأخيار جمع خيّر أو خير على التخفيف كأموات جمع ميت **واذكر إسمعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار** واليسع كأن حرف التعريف دخل على يسع وقرئ والليسع كأن حرف التعريف دخل على ليسع فيعل من اللسع والتنوين في كل عوض من المضاف إليه معناه وكلهم من الأخيار **هذا ذكر** أي هذا نوع من الذكر وهو القرآن لما أجرى ذكر الأنبياء وأتمه وهو باب من أبواب التنزيل ونوع من أنواعه وأراد أن يذكر على عقبه بابا آخر وهو ذكر الجنة وأهلها قال **وإن للمتقين لحسن مآب** كما يقول الجاحظ في كتابه فهذا باب ثم يشرع في باب آخر ويقول الكاتب إذا فرغ من فصل من كتابه وأراد الشروع في آخر هذا وقد كان كيت وكيت والدليل عليه أنه لما أتم ذكر أهل الجنة وذكر أهل النار قال هذا وإن للطاغين وقيل معناه هذا شرف وذكر جميل يذكرون به أبدا وعن ابن عباس هذا ذكر من مضى من الأنبياء **جنات عدن مفتحة لهم الأبواب** جنات عدن معرفة لقوله جنات عدن التي وعد الرحمن وانتصابها على أنها عطف بيان لحسن مآب ومفتحة حال والعامل فيها ما في للمتقين من معنى الفعل وفي مفتحة ضمير الجنات والأبواب بدل من الضمير تقديره مفتحة هي الأبواب كقولهم ضرب زيد اليد والرجل وهو من بدل الاشتمال وقرئ جنات عدن مفتحة بالرفع على أن جنات عدن مبتدأ ومفتحة خبره أو كلاهما خبر مبتدأ محذوف أي هو جنات عدن هي مفتحة لهم **متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف أتراب** كأن اللدات سمين أترابا لأن التراب مسهن في وقت واحد وإنما جعلهن على سن واحدة لأن التحاب بين الأقران أثبت وقيل هن أتراب لأزواجهن أسنانهن كأسنانهم **هذا ما توعدون ليوم الحساب إن هذا لرزقنا ما له من نفاد** لأجل يوم الحساب كما تقول هذا ما تدخرونه ليوم الحساب أي ليوم تجزى كل نفس ما عملت **هذا** أي الأمر هذا أو هذا كما ذكر **وإن للطاغين لشر مآب جهنم يصلونها فبئس المهاد** كقوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش شبه ما تحتهم من النار بالمهاد الذي يفترشه النائم **هذا فليذوقوه حميم وغساق** أي هذا حميم فليذوقوه أو العذاب هذا فليذوقوه والغساق بالتخفيف والتشديد ما يغسق من صديد أهل النار يقال غسقت العين إذا سال دمعها وقيل الحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده وقيل لو قطرت قطرة في المشرق لنتنت أهل المغرب ولو قطرت منه قطرة في المغرب لنتنت أهل المشرق وعن الحسن الغساق عذاب لا يعلمه إلا الله إن الناس أخفوا لله طاعة فأخفى لهم ثوابا في قوله فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وأخفوا معصية فأخفى لهم عقوبة **وآخر من شكله** ومذوقات أخر من شكل هذا المذوق من مثله في الشدة والفظاعة **أزواج** أجناس وقرئ وأخر أي وعذابات أخر ومن قرأ وآخر فأزواج صفة لآخر لأنه يجوز أن يكون ضروبا أو صفة للثلاثة وهي حميم وغساق وآخر من شكله وقرئ من شكله بالكسر وهي لغة وأما الغنج فبالكسر لا غير **هذا فوج مقتحم معكم** هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار أي دخل النار في صحبتكم وقرانكم والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها والقحمة الشدة وهذه حكاية كلام الطاغين بعضهم مع بعض أي يقولون هذا والمراد بالفوج أتباعهم الذين اقتحموا معهم الضلالة فيقتحمون معهم العذاب **لا مرحبا بهم** دعاء منهم على أتباعهم تقول لمن تدعو له مرحبا أي أتيت رحبا من البلاد لا ضيقا أو رحبت بلادك رحبا ثم تدخل عليه لا في دعاء السوء وبهم بيان للمدعو عليهم **إنهم صالوا النار** تعليل لاستيجابهم الدعاء عليهم ونحوه قوله تعالى كلما دخلت أمة لعنت أختها وقيل هذا فوج مقتحم معكم كلام الخزنة لرؤساء الكفرة في أتباعهم ولا مرحبا بهم إنهم صالوا النار كلام الرؤساء وقيل هذا كله كلام الخزنة **قالوا** أي الأتباع **بل أنتم لا مرحبا بكم** يريدون الدعاء الذي دعوتم به علينا أنتم أحق به وعللوا ذلك بقولهم **أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار** والضمير للعذاب أو لصليهم فإن قلت ما معنى تقديمهم العذاب لهم قلت المقدم هو عمل السوء قال الله تعالى ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم ولكن الرؤساء لما كانوا السبب فيه بإغوائهم وكان العذاب جزاءهم عليه قيل أنتم قدمتموه لنا فجعل الرؤساء هم المقدمين وجعل الجزاء هو المقدم فجمع بين مجازين لأن العاملين هم

المقدمون في الحقيقة لا رؤساؤهم والعمل هو المقدم لا جزاؤه فإن قلت فالذي جعل قوله لا مرحبا بهم من كلام الخزنة ما يصنع بقوله بل أنتم لا مرحبا بكم والمخاطبون أعني رؤساءهم لم يتكلموا بما يكون هذا جوابا له قلت كأنه قيل هذا الذي دعا علينا الخزنة أنتم يا رؤساءنا أحق به منا لإغوائكم إيانا وتسببكم فيما نحن فيه من العذاب وهذا صحيح كما لو زين قوم لقوم بعض المساوي فارتكبوه فقيل للمزينين أخزى الله هؤلاء ما أسوأ فعلهم فقال المزين لهم للمزينين أنتم أولى بالخزي منا فلولا أنتم لم نرتكب ذلك **قالوا** هم الأتباع **ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار** أي مضاعفا ومعناه ذا ضعف ونحوه قوله تعالى ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار وهو أن يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين كقوله تعالى ربنا آتهم ضعفين من العذاب وجاء في التفسير عذابا ضعفا حيات وأفاعي **وقالوا** الضمير للطاغين **ما لنا لا نرى رجالا** يعنون فقراء المسلمين الذين لا يؤبه لهم **كنا نعدهم من الأشرار** من الأرذال الذين لا خير فيهم ولا جدوى ولأنهم كانوا على خلاف دينهم فكانوا عندهم أشرارا **أتخذناهم سخريا** قرئ بلفظ الإخبار على أنه صفة لرجالا مثل قوله كنا نعدهم من الأشرار وبهمزة الاستفهام على أنه إنكار على أنفسهم وتأنيب لها في الاستسخار منهم وقوله **أم زاغت عنهم الأبصار** له وجهان من الاتصال أحدهما أن يتصل بقوله ما لنا أي ما لنا لا نراهم في النار كأنهم ليسوا فيها بل أزاغت عنهم أبصارنا فلا نراهم وهم فيها قسموا أمرهم بين أن يكونوا من أهل الجنة وبين أن يكونوا من أهل النار إلا أنه خفي عليهم مكانهم والوجه الثاني أن يتصل باتخذناهم سخريا إما أن تكون أم متصلة على معنى أي الفعلين فعلنا بهم الاستسخار منهم أم الازدراء بهم والتحقير وأن أبصارنا كانت تعلو عنهم وتقتحمهم على معنى إنكار الأمرين جميعا على أنفسهم وعن الحسن كل ذلك قد فعلوا اتخذوهم سخريا وزاغت عنهم أبصارهم محقرة لهم وإما أن تكون منقطعة بعد مضي أتخذناهم سخريا على الخبر أو على الاستفهام كقولك إنها لإبل أم شاء وأزيد عندك أم عمرو ولك أن تقدر همزة الاستفهام محذوفة فيمن قرأ بغير همزة لأن أم تدل عليها فلا تفترق القراءتان إثبات همزة الاستفهام وحذفها وقيل الضمير في قالوا لصناديد قريش كأبي جهل والوليد وأضرابهما والرجال عمار وصهيب وبلال وأشباههم وقرئ سخريا بالضم والكسر **إن ذلك** الذي حكينا عنهم **لحق** لا بد أن يتكلموا به ثم بين ما هو فقال هو **تخاصم أهل النار** وقرئ بالنصب على أنه صفة لذلك لأن أسماء الإشارة توصف بأسماء الأجناس فإن قلت لم سمى ذلك تخاصما قلت شبه تقاولهم وما يجري بينهم من السؤال والجواب بما يجري بين المتخاصمين من نحو ذلك ولأن قول الرؤساء لا مرحبا بهم وقول الأتباع بل أنتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة فسمي التقاول كله تخاصما لأجل اشتماله على ذلك **قل إنما أنا منذر وما من إله إلا الله الواحد القهار رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار** قل يا محمد لمشركي مكة ما أنا إلا رسول منذر أنذركم عذاب الله للمشركين وأقول لكم إن دين الحق توحيد الله وأن تعتقدوا أن لا إله إلا الله الواحد بلا ند ولا شريك القهار لكل شيء وأن الملك والربوبية له في العالم كله وهو العزيز الذي لا يغلب إذا عاقب العصاة وهو مع ذلك الغفار لذنوب من التجأ إليه أو قل لهم ما أنا إلا منذر لكم ما أعلم وأنا أنذركم عقوبة من هذه صفته فإن مثله حقيق بأن يخاف عقابه كما هو حقيق بأن يرجى ثوابه **قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون ما كان لي من علم بالملإ الأعلى إذ يختصمون** أي هذا الذي أنبأتكم به من كوني رسولا منذرا وأن الله واحد لا شريك له نبأ عظيم لا يعرض عن مثله إلا غافل شديد الغفلة ثم احتج لصحة نبوته بأن ما ينبئ به عن الملإ الأعلى واختصامهم أمر ما كان له به من علم قط ثم علمه ولم يسلك الطريق الذي يسلكه الناس في علم ما لم يعلموا وهو الأخذ من أهل العلم وقراءة الكتب فعلم أن ذلك لم يحصل له إلا بالوحي من الله **إن يوحى إلي إلا أنما أنا نذير مبين** أي لأنما أنا نذير ومعناه ما يوحى إلي إلا هذا وهو أن أنذر وأبلغ ولا أفرط في ذلك أي ما أومر إلا بهذا الأمر وحده وليس إلي غير ذلك وقرئ إنما بالكسر على الحكاية أي إلا هذا القول وهو أن أقول لكم إنما أنا نذير مبين ولا أدعي شيئا آخر وقيل النبأ العظيم قصص آدم والإنباء به من غير سماع من أحد وعن ابن عباس القرآن وعن الحسن يوم القيامة فإن قلت بم يتعلق إذ يختصمون قلت بمحذوف لأن المعنى ما كان لي من علم بكلام الملإ الأعلى وقت اختصامهم **إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين** وإذ قال بدل من إذ يختصمون فإن قلت ما المراد بالملإ الأعلى قلت أصحاب القصة الملائكة وآدم وإبليس لأنهم كانوا في السماء وكان التقاول بينهم فإن قلت ما كان التقاول بينهم إنما

المقتحمون

كان بين الله وبينهم لان الله سبحانه الذي قال لهم وقالوا له فانت بين امرين اما ان تقول الملاء الاعلى هؤلاء
وكان التقاول بينهم ولم يكن التقاول بينهم واما ان تقول التقاول كان بين الله وبينهم فقد جعلته من الملاء الاعلى
قلت كانت مقاولة الله تعالى بواسطة ملك وكان المقاول في الحقيقة هو الملك المتوسط فصح ان
التقاول كان بين الملائكة وآدم وابليس وهم الملاء الاعلى والمراد بالاختصام التقاول على ما سبق فان قلت
كيف صح ان يقول لهم اني خالق بشرا وما عرفوا البشر ولا عهدوا به قبل قلت وجهه ان يكون
قد قال لهم اني خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكنه حين حكاه اقتصر على الاسم فاذا سويته فاذا
اتممت خلقته وعدلته ونفخت فيه من روحي واحييته وجعلته حساسا متنفسا فقعوا
له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر كل للاحاطة واجمعون
للاجتماع فافادا معا انهم سجدوا عن اخرهم ما بقي منهم ملك الا سجد وانهم سجدوا جميعا في وقت
واحد غير متفرقين في اوقات فان قلت كيف ساغ السجود لغير الله قلت الذي لا يسوغ هو السجود
لغير الله على وجه العبادة فاما على وجه التكرمة والتبجيل فلا يأباه العقل الا ان يعلم الله فيه مفسدة
فينهى عنه فان قلت كيف استثنى ابليس من الملائكة وهو من الجن قلت قد امر بالسجود معهم فغلبوا عليه
في قوله فسجد الملائكة ثم استثني كما يستثنى الواحد منهم استثناء متصلا وكان من الكافرين
اريد وجود كفره ذلك الوقت وان لم يكن قبله كافرا لان كان مطلق في جنس الاوقات الماضية فهو
صالح لايها شئت ويجوز ان يراد وكان من الكافرين في الازمنة الماضية في علم الله قال يا ابليس ما
منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين قال انا خير
منه خلقتني من نار وخلقته من طين فان قلت ما وجه قوله خلقت بيدي قلت قد
سبق لنا ان ذا اليدين يباشر اكثر اعماله بيديه فغلب العمل باليدين على سائر الاعمال التي تباشر
بغيرهما حتى قيل في عمل القلب هو مما عملت يداك وحتى قيل لمن لا يدين له يداك اوكتا وفوك
نفخ وحتى لم يبق فرق بين قولك هذا مما عملته وهذا مما عملته يداك ومنه قوله تعالى مما عملت ايدينا ولما خلقت بيدي
فان قلت فما معنى قوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي قلت الوجه الذي استكبر له
ابليس عن السجود لادم واستنكف منه انه سجود لمخلوق فذهب بنفسه وتكبر ان يكون سجوده لغير
الخالق وانضم الى ذلك ان آدم مخلوق من طين وهو مخلوق من نار ورأى للنار فضلا على الطين فاستعظم
ان يسجد لمخلوق مع فضله عليه في المنصب وزل عنه ان الله سبحانه حين امر به اعز عباده عليه واقربهم
منه زلفى وهم الملائكة وهم احق بان يذهبوا بانفسهم عن التواضع للبشر الضئيل ويستنكفوا من
السجود له من غيرهم ثم لم يفعلوا وتبعوا امر الله وجعلوه قدام اعينهم ولم يلتفتوا الى التفاوت بين الساجد والمسجود
له تعظيما لامر ربهم واجلالا لخطابه كان هو مع انحطاطه عن مراتبهم حرى بان يقتدي بهم ويقتفي
اثرهم ويعلم انهم في السجود لمن هو دونهم بامر الله اوغل في عبادته منهم في السجود له لما فيه من طرح
الكبرياء وخفض الجناح فقيل له ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي اي ما منعك من السجود لشيء
هو كما تقول مخلوق خلقته بيدي ولا شك في كونه مخلوقا امتثالا لامري واعظاما لخطابي كما
فعلت الملائكة فذكر له ما تركه من السجود مع ذكر العلة التي تشبث بها في تركه وقيل له لم
تركته مع وجود هذه العلة وقد امرك الله به يعني كان عليك ان تعتبر امر الله ولا تعتبر هذه العلة
ومثاله ان يأمر الملك وزيره ان يزور بعض سقاط الحشم فيمتنع اعتبارا لسقوطه فيقول له ما منعك
ان تتواضع لمن لا يخفى علي سقوطه يريد هلا اعتبرت امري وخطابي وتركت اعتبار سقوطه
وفيه اني خلقته بيدي فانا اعلم بحاله ومع ذلك امرت الملائكة بان يسجدوا له لداعي حكمة دعاني اليه
من انعام عليه بالتكرمة السنية وابتلاء للملائكة فمن انت حتى يصرفك عن السجود له ما لم يصرفني عن
تكريمه وقيل فما معنى لما خلقت بيدي لما خلقت بغير واسطة وقرئ بيدي على التوحيد
كما قرئ بمصرخي وقرئ على التوحيد من العالين ممن علوت وفقت فاجاب بانه من العالين حيث
قال انا خير منه وقيل استكبرت الان ام لم تزل مذ كنت من المستكبرين ومعنى الهمزة التقرير وقرئ
استكبرت بحذف حرف الاستفهام لان ام تدل عليه او بمعنى الاخبار هذا على سبيل الاولى اي لو كان
مخلوقا من نار لما سجدت له لانه مخلوق مثلي فكيف اسجد لمن هو دوني لانه من طين والنار تغلب
الطين وتأكله وقد جرت الجملة الثانية من الاولى وهي خلقتني من نار مجرى المعطوف عطف البيان من

من المعطوف عليه في البيان والايضاح قال فاخرج منها من الجنة وقيل من السماء وقيل من الخلقة التي
انت فيها لانه كان يفتخر بخلقته فغير الله خلقته فاسود بعد ما كان ابيض وقبح بعد ما كان
حسنا واظلم بعد ما كان نورانيا فانك رجيم والرجيم المرجوم ومعناه المطرود كما قيل له
المدحور والملعون لان من طرد رمي بالحجارة على اثره والرجم الرمي بالحجارة او لان الشياطين
يرجمون بالشهب فان قلت قوله وان عليك لعنتي الى يوم الدين كان لعنة ابليس غايتها يوم الدين
ثم تنقطع قلت كيف تنقطع وقد قال الله تعالى فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين
ولكن المعنى ان عليه اللعنة في الدنيا فاذا كان يوم الدين اقترن له باللعنة ما ينسى عنده اللعنة فكانها
انقطعت قال رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم
فان قلت ما الوقت المعلوم الذي اضيف اليه اليوم قلت الوقت الذي يقع فيه النفخة الاولى ويومه
اليوم وقت النفخة جزء من اجزائه ومعنى المعلوم انه معلوم عند الله تعالى معين لا يستقدم ولا
يستاخر قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين فبعزتك اقسام
بعزة الله وهي سلطانه وقهره قال فالحق والحق اقول لاملان جهنم قرئ فالحق والحق منصوبين على
ان الاول مقسم به كالله في ان عليك الله ان تفعل وجوابه لاملان جهنم والحق اقول اعتراض
بين المقسم به والمقسم عليه ومعناه ولا اقول الا الحق والمراد بالحق اما اسمه عز وعلا الذي في قوله ان
الله هو الحق المبين او الحق الذي هو نقيض الباطل عظمه الله تعالى باقسامه به ومرفوعين على ان الاول
مبتدأ محذوف الخبر كقوله لعمرك اي فالحق قسمي لاملان والحق اقول كقوله • كله لم اصنع •
ومجرورين على ان الاول مقسم به قد اضمر حرف قسمه كقولك الله لافعلن والحق اقول اي ولا
اقول الا الحق على حكاية لفظ المقسم به ومعناه التوكيد والتشديد وهذا الوجه جائز في المنصوب
والمرفوع ايضا وهو وجه دقيق حسن وقرئ برفع الاول وجره مع نصب الثاني وتخريجه على
ما ذكرنا منك من جنسك وهم الشياطين وممن تبعك منهم من ذرية آدم فان قلت
اجمعين تاكيد لماذا قلت لا يخلو اما ان يؤكد به الضمير في منهم او الكاف في منك مع من تبعك
ومعناه لاملان جهنم من المتبوعين والتابعين اجمعين لا اترك منهم احدا او لاملانها من الشياطين
وممن تبعهم اجمعين من جميع الناس لا تفاوت في ذلك بين ناس وناس بعد وجود الاتباع منهم من
اولاد الانبياء وغيرهم قل ما اسألكم عليه الضمير للقرآن او الوحي من اجر وما انا من المتكلفين
من الذين يتصنعون ويتحلون بما ليسوا من اهله وما عرفتموني قط متصنعا ولا مدعيا ما ليس عندي
حتى انتحل النبوة واتقول القرآن ان هو الا ذكر من الله للعالمين للثقلين اوحي الي فانا
ابلغه وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للمتكلف ثلاث علامات ينازع من فوقه ويتعاطى
ما لا ينال ويقول ما لا يعلم ولتعلمن نباه بعد حين اي ما ياتيكم عند الموت او يوم القيمة او عند
ظهور الاسلام وفشوه من صحة خبره وانه الحق والصدق وفيه تهديد عن رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله لداود عشر حسنات وعصمه
ان يصر على ذنب صغيرا او كبيرا

سورة الزمر مكية الا قوله قل يا عبادي الذين اسرفوا الاية وتسمى سورة الغرف وهي خمس وسبعون آية وقيل اثنان وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم تنزيل الكتاب بالرفع على انه مبتدأ اخبر عنه
بالظرف او خبر مبتدأ محذوف والجار صلة التنزيل كما تقول نزل من عند الله او غير صلة
كقولك هذا الكتاب من فلان الى فلان وهو على هذا خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف تقديره
هذا تنزيل الكتاب هذا من الله او حال من التنزيل عمل فيها معنى الاشارة وبالنصب على اضمار فعل

نحو قوله والروم ثان قلت ما المراد بالكتاب قلت الظاهر على الوجه الاول انه القرآن وعلى
الثاني انه السورة انا انزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ممحضا له الدين
من الشرك والرياء بالتوحيد وتصفية السر وقرئ الدين بالرفع وحق من رفعه ان يقرأ مخلصا بفتح اللام
كقوله تعالى واخلصوا دينهم لله حتى يطابق قوله الا لله الدين الخالص والخالص والمخلص واحد
الا ان يصف الدين بصفة صاحبه على الاسناد المجازي كقولهم شعر شاعر واما من جعل مخلصا حالا
من العابد ولله الدين مبتدأ وخبرا فقد جاء باعراب رجع به الكلام الى قولك لله الدين الخالص
اي هو الذي وجب اختصاصه بان تخلص له الطاعة من كل شائبة كدر لاطلاعه على الغيوب
والاسرار ولانه الحقيق بذلك لخلوص نعمته عن استجرار المنفعة بها وعن قتادة الدين الخالص
شهادة ان لا اله الا الله وعن الحسن الاسلام والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا
ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون والذين اتخذوا يحتمل
المتخذين وهم الكفرة والمتخذين وهم الملائكة وعيسى واللات والعزى وعن ابن عباس
فالضمير في اتخذوا على الاول راجع الى الذين وعلى الثاني الى المشركين ولم يجر ذكرهم لكونه مفهوما
والراجع الى الذين محذوف والمعنى والذين اتخذهم المشركون اولياء والذين اتخذوا في موضع الرفع على
الابتداء فان قلت فالخبر ما هو قلت هو على الاول اما ان الله يحكم بينهم او ما اضمر من القول
قبل قوله ما نعبدهم وعلى الثاني ان الله يحكم بينهم فان قلت فاذا كان ان الله يحكم بينهم الخبر فما موضع
القول المضمر قلت يجوز ان يكون في موضع الحال اي قائلين ذلك ويجوز ان يكون بدلا من الصلة فلا
يكون له محل كما ان المبدل منه كذلك وقرأ ابن مسعود باظهار القول قالوا ما نعبدهم وفي
قراءة ابي ما نعبدكم الا لتقربونا على الخطاب حكاية لما خاطبوا به الهتهم وقرئ نعبدهم بضم
النون اتباعا للعين كما تتبعها الهمزة في الامر والتنوين في عذاب اركض والضمير في بينهم لهم ولاوليائهم
والمعنى ان الله يحكم بينهم بان يدخل الملائكة وعيسى الجنة ويدخلهم النار مع الحجارة التي نحتوها
وعبدوها من دون الله يعذبهم بها حيث يجعلهم واياها حصب جهنم واختلافهم ان الذين يعبدون
موحدون وهم مشركون واولئك يعادونهم ويلعنونهم وهم يرجون شفاعتهم وتقريبهم الى الله زلفى
وقيل كان المسلمون اذا قالوا لهم من خلق السموات والارض قالوا الله فاذا قالوا لهم فما لكم تعبدون
الاصنام قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فالضمير في بينهم عائد اليهم والى المسلمين والمعنى
ان الله يحكم يوم القيمة بين المتنازعين من الفريقين ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار المراد بمنع
الهداية منع اللطف تسجيلا عليهم بان لا لطف لهم وانهم في علم الله من الهالكين وقرئ كذاب وكذوب
وكذبهم قولهم في بعض من اتخذوا من دون الله اولياء بنات الله ولذلك عقبه محتجا عليهم بقوله
لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء يعني لو اراد اتخاذ الولد لامتنع ولم يصح
لكونه محالا ولم يتأت الا ان يصطفي من خلقه بعضهم ويختصهم ويقربهم كما يختص الرجل ولده
ويقربه وقد فعل ذلك بالملائكة فافتتنتم به وغركم اختصاصه اياهم فزعمتم انهم اولاده جهلا
منكم به وبحقيقته المخالفة لحقائق الاجسام والاعراض كانه قال لو اراد اتخاذ الولد لم يزد على
ما فعل من اصطفاء ما يشاء من خلقه وهم الملائكة الا انكم لجهلكم به حسبتم اصطفاءهم اتخاذهم
اولادا ثم تماديتم في جهلكم وسفهكم فجعلتموهم بنات فكنتم كذابين كفارين متبالغين
في الافتراء على الله وملائكته غالين في الكفر ثم قال سبحانه هو الله الواحد القهار خلق
السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس
والقمر كل يجري لاجل مسمى الا هو العزيز الغفار خلقكم من نفس واحدة فنزه
ذاته عن ان يكون له احد ما نسبوا اليه من الاولاد والاولياء ودل على ذلك بما فيه وهو انه واحد
فلا يجوز ان يكون له صاحبة لانه لو كانت له صاحبة لكانت من جنسه ولا جنس له واذا لم يتأت ان
يكون له صاحبة لم يتأت ان يكون له ولد وهو معنى قوله انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة
وقهار غلاب لكل شيء ومن الاشياء الهتهم فهو يغلبهم فكيف يكونون له اولياء وشركاء ثم دل
بخلق السموات والارض وتكوير كل واحد من الملوين على الآخر وتسخير النيرين وجريهما
لاجل مسمى وبث الناس على كثرة عددهم من نفس واحدة وخلق الانعام على انه واحد لا يشارك قهار لا

يغالب والتكوير اللف واللي يقال كار العمامة على راسه وكورها وفيه اوجه منها ان الليل
والنهار خلفة يذهب هذا ويغشى مكانه هذا واذا غشي مكانه فكانما البسه ولف عليه
كما يلف اللباس على اللابس ومنه قول ذي الرمة في وصف السراب ۞
تلوي الثنايا باحقيها حواشيه ۞ لي الملاء بابواب التفاريج ۞
ومنها ان كل واحد منهما يغيب الآخر اذا طرأ عليه فشبه في تغييبه اياه بشيء ظاهر لف
عليه ما غيبه عن مطامح الابصار ومنها ان هذا يكر على هذا كرورا متتابعا فشبه ذلك
بتتابع اكوار العمامة بعضها على اثر بعض الا هو العزيز الغفار الغالب القادر على عقاب
المصرين الغفار لذنوب التائبين او الغالب الذي يقدر على ان يعاجلهم بالعقوبة وهو يحلم عنهم
ويؤخرهم الى اجل مسمى فسمى الحلم عنهم مغفرة فان قلت ما وجه قوله ثم جعل منها زوجها
وما يعطيه من معنى التراخي قلت هما ايتان من جملة الايات التي عددها دالا على وحدانيته
وقدرته تشعيب هذا الخلق الفائت للحصر من نفس آدم وخلق حواء من قصيراه الا ان احديهما
جعلها الله عادة مستمرة والاخرى لم تجر بها العادة ولم تخلق انثى غير حواء من قصيرى رجل
فكانت ادخل في كونها اية واجلب لعجب السامع فعطفها بثم على الاية الاولى للدلالة على مباينتها
لها فضلا ومزيته وتراخيها عنها فيما يرجع الى زيادة كونها اية فهو من التراخي في الحال والمنزلة
لا من التراخي في الوجود وقيل ثم متعلق بمعنى واحدة كانه قيل خلقكم من نفس وحدت ثم
شفعها الله بزوج وقيل اخرج ذريته من ظهره كالذر ثم خلق بعد ذلك حواء وانزل لكم
من الانعام وقضى لكم وقسم لان قضاياه وقسمه موصوفة بالنزول من السماء حيث كتب في
اللوح وقيل لا تعيش الا بالنبات والنبات لا يقوم الا بالماء وقد انزل الماء فكانه انزلها وقيل خلقها
في الجنة ثم انزلها ثمانية ازواج ذكرا وانثى من الابل والبقر والضأن والمعز والزوج اسم لواحد
معه آخر فاذا انفرد فهو فرد ووتر قال الله فجعل منه الزوجين الذكر والانثى يخلقكم في
بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام
عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف في ظلمات ثلاث الظلمات الثلاث البطن والرحم
والمشيمة وقيل الصلب والرحم والبطن ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فانى تصرفون
ذلكم الذي هذه افعاله هو الله ربكم فكيف يعدل بكم عن عبادته الى عبادة غيره ان تكفروا فان
الله غني عنكم وعن ايمانكم وانكم المحتاجون اليه لاستضراركم بالكفر واستنفاعكم
بالايمان ولا يرضى لعباده الكفر رحمة لهم لانه يوقعهم في الهلكة وان تشكروا يرضه لكم
اي يرض الشكر لكم لانه سبب فوزكم وفلاحكم فاذن ما كره كفركم ولا رضي شكركم الا لكم
ولصلاحكم لا لان منفعة ترجع اليه لانه الغني الذي لا يجوز عليه الحاجة ولقد تمحل بعض الغواة
ليثبت لله ما نفاه عن ذاته من الرضى لعباده الكفر فقال هذا من العام الذي اريد به الخاص وما
اراد الا عباده الذين عناهم في قوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان يريد المعصومين كقوله تعالى
عينا يشرب بها عباد الله تعالى الله عما يقول الظالمون وقرئ يرضه بضم الهاء بوصل وبغير وصل
وبسكونها ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم
تعملون انه عليم بذات الصدور واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا
خوله نعمة منه اعطاه قال ابو النجم ۞
اعطى فلم يبخل ولم يبخل ۞ كوم الذرى من خول المخول ۞
وفي حقيقته وجهان احدهما جعله خائل مال من قولهم هو خائل مال وخال مال اذا كان متعهدا له
حسن القيام به ومنه ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يتخول اصحابه بالموعظة
والثاني جعله يخول من خال يخول اذا اختال وافتخر وفي معناه قول العرب ان الغني طويل الذيل
مياس نسي ما كان يدعوا اليه من قبل اي نسي الضر الذي كان يدعو الله الى كشفه وقيل نسي
ربه الذي كان يتضرع اليه ويبتهل اليه وما بمعنى من كقوله وما خلق الذكر والانثى وجعل لله اندادا
ليضل عن سبيله وقرئ ليضل بفتح الياء وضمها بمعنى ان نتيجة جعله لله اندادا ضلاله عن سبيل الله
او اضلاله والنتيجة قد تكون غرضا وقد تكون غير غرض وقوله قل تمتع بكفرك قليلا انك من

أَصْحَابِ النَّارِ من باب الخذلان والتخلية كأنه قيل له إذ قد أبيت قبول ما أمرت به من الإيمان والطاعة
فمن حقك ألا تؤمر به بعد ذلك وتؤمر بتركه مبالغة في خذلانه وتخليته وشأنه لأنه لا مبالغة في
الخذلان أشد من أن يبعث على عكس ما أمر به ونظيره في المعنى كقوله متاع قليل ثم مأواهم أَمَّنْ هُوَ
قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ
لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ قرأ أمن هو قانت بالتخفيف على إدخال همزة الاستفهام على من
وبالتشديد على إدخال أم عليه ومن مبتدأ خبره محذوف تقديره أمن هو قانت كغيره وإنما حذف
لدلالة الكلام عليه وهو جري ذكر الكافر قبله وقوله بعده قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون
وقيل معناه أمن هو قانت أفضل أمن هو كافر أو هذا أفضل أمن هو قانت على الاستفهام المتصل والقانت
القائم بما يجب من الطاعة ومنه قوله عليه السلام أفضل الصلاة طول القنوت وهو القيام فيها ومنه القنوت في
الوتر لأنه دعاء المصلي قائمًا وساجدًا وقائمًا حالان وقرئ ساجد وقائم على أنه خبر بعد خبر والواو للجمع بين الصفتين
ويحذر عذاب الآخرة دارًا إذا الذين يعلمون العاملون من علماء الديانة كأنه جعل من لا يعمل
غير عالم وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقنتون ويفتنون ثم يفتنون بالدنيا فهم عند الله
جهلة حيث جعل القانتين هم العلماء ويجوز أن يراد على سبيل التشبيه أي كما لا يستوي العالمون والجاهلون
كذلك لا يستوي القانتون والعاصون وقيل نزلت في عمار بن ياسر وأبي حذيفة بن المغيرة المخزومي
وعن الحسن أنه سئل عن رجل يتمادى في المعاصي ويرجو فقال هذا تمن وإنما الرجاء قوله وتلا هذه الآية
وقرئ إنما يذكر بالإدغام قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ
في هذه الدنيا متعلق بأحسنوا لا بحسنة معناه الذين أحسنوا في هذه الدنيا فلهم حسنة في الآخرة وهي
دخول الجنة أي حسنة مطلقة بالوصف وقد علقه السدي بحسنة ففسر الحسنة بالصحة والعافية
فإن قلت إذا علق الظرف بأحسنوا فإعرابه ظاهر فما معنى تعلقه بحسنة ولا يصح أن يقع صفة لها لتقدمه
قلت هو صفة لها إذا تأخر فإذا تقدم كان بيانًا لمكانها فلم يخل التقدم بالتعلق وإن لم يكن التعلق وصفًا
ومعنى وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ أن لا عذر للمفرطين في الإحسان البتة حتى إن اعتلوا بأوطانهم
وبلادهم وأنهم لا يتمكنون فيها من التوفر على الإحسان وصرف الهمم إليه قيل لهم فإن أرض الله واسعة
وبلاده كثيرة فلا تجتمعوا مع العجز وتحولوا إلى بلاد أخر واقتدوا بالأنبياء والصالحين في مهاجرتهم
إلى غير بلادهم ليزدادوا إحسانًا إلى إحسانهم وطاعة إلى طاعتهم وقيل هو للذين كانوا في بلد المشركين
فأمروا بالمهاجرة عنه كقوله تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها وقيل هي أرض الجنة
إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ والصابرون الذين صبروا على مفارقة أوطانهم وعشائرهم وعلى غيرها
من تجرع الغصص واحتمال البلايا في طاعة الله وازدياد الخير بِغَيْرِ حِسَابٍ لا يحاسبون عليه
وقيل بغير مكيال وغير ميزان يغرف لهم غرفًا وهو تمثيل للتكثير وعن ابن عباس لا يهتدي إليه
حساب الحساب ولا يعرف وعن النبي صلى الله عليه وسلم ينصب الله الموازين يوم القيامة فيؤتى بأهل الصلاة
فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل الصدقة فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل الحج فيوفون
أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الأجر صبًّا
قال الله تعالى إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم تقرض
بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ
وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ قل إني أمرت بإخلاص الدين وأمرت بذلك لأجل أن
أكون أول المسلمين أي مقدمهم وسابقهم في الدنيا والآخرة والمعنى أن الإخلاص له السبقة في
الدين فمن أخلص كان سابقًا فإن قلت كيف عطف أمرت على أمرت وهما واحد قلت ليسا بواحد
لاختلاف جهتيهما وذلك أن الأمر بالإخلاص وتكليفه شيء والأمر به ليحرز القائم به قصب السبق في
الدين شيء وإذا اختلف وجها الشيء وصفتاه ينزل بذلك منزلة شيئين مختلفين ولك أن تجعل اللام مزيدة
مثلها في أردت لأن أفعل ولا تزاد إلا مع أن خاصة دون الاسم الصريح كأنها زيدت عوضًا من ترك
الأصل إلى ما يقوم مقامه كما عوض السين في اسطاع عوضًا من ترك الأصل الذي هو أطوع والدليل
على هذا الوجه مجيئه بغير لام في قوله وأمرت أن أكون من المسلمين وأمرت أن أكون من المؤمنين
وأمرت أن أكون أول من أسلم وفي معناه أوجه أن أكون أول من أسلم في زماني ومن قومي لأنه أول

من خالف دين آبائه وخلع الأصنام وحطمها وأن أكون أول الذين دعوتهم إلى الإسلام إسلامًا وأن
أكون أول من دعا نفسه إلى ما دعا إليه غيره لأن أكون مقتدى بي في قولي وفعلي جميعًا ولا
تكون صفتي صفة الملوك الذين يأمرون بما لا يفعلون وأن أفعل ما أستحق به الأولية من أعمال
السابقين دلالة على السبب بالمسبب قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ يعني أن
الله تعالى أمرني أن أخلص له الدين من الشرك والرياء وكل شوب بدليلي العقل والوحي فإن
عصيت ربي بمخالفة الدليلين استوجبت عذابه فلا أعصيه ولا أتابع أمركم وذلك حين دعوه
إلى دين آبائه فإن قلت ما معنى التكرير في قوله تعالى قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصًا له الدين
وقوله قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي قلت ليس بتكرير لأن الأول للإخبار بأنه مأمور من جهة
الله تعالى بإحداث العبادة والإخلاص والثاني إخبار بأنه يخص الله وحده دون غيره بعبادته
مخلصًا له دينه ولدلالته على ذلك قدم المعبود على فعل العبادة وأخره في الأول فالكلام أولًا واقع
في الفعل نفسه وإيجاده وثانيًا فيمن يفعل الفعل لأجله ولذلك رتب عليه قوله فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ
مِنْ دُونِهِ والمراد بهذا الأمر الوارد على وجه التخيير المبالغة في الخذلان والتخلية على ما حققت
فيه القول مرتين قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قل إن الكاملين
في الخسران الجامعين لوجوهه وأسبابه هم الذين خسروا أنفسهم لوقوعها في هلكة لا هلكة بعدها
وخسروا أهليهم لأنهم إن كانوا من أهل النار فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم وإن كانوا من أهل الجنة فقد ذهبوا
ذهابًا لا رجوع بعده إليهم وقيل وخسروهم لأنهم لم يدخلوا مدخل المؤمنين الذين لهم أهل في الجنة يعني
وخسروا أهليهم الذين كانوا يكونون لهم لو آمنوا ولقد وصف خسرانهم بغاية الفظاعة في قوله
أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ حيث استأنف الجملة وصدرها بحرف التنبيه ووسط الفصل بين
المبتدأ والخبر وعرف الخسران ونعته بالمبين لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ أطباق
من النار هي ظلل لآخرين ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ ذلك العذاب هو الذي يتوعد الله به عباده ويخوفهم
ليجتنبوا ما يوقعهم فيه يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ فلا تتعرضوا لما يوجب سخطي وهذه عظة من الله
ونصيحة بالغة وقرئ يا عبادي وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ
الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ
اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ الطاغوت فعلوت من الطغيان كالملكوت والرحموت
إلا أن فيها قلبًا بتقديم اللام على العين أطلقت على الشيطان والشياطين لكونها مصدرًا وفيها مبالغات
وهي التسمية بالمصدر كأن عين الشيطان طغيان وأن البناء بناء مبالغة فإن الرحموت الرحمة الواسعة
والملكوت الملك المبسوط والقلب وهو للاختصاص ولا يطلق على غير الشيطان والمراد بها هاهنا
الجمع وقرئ الطواغيت أن يعبدوها بدل من الطاغوت بدل الاشتمال لهم البشرى هي البشارة
بالثواب لقوله تعالى لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة الله عز وجل يبشرهم بذلك في وحيه على
ألسنة رسله وتتلقاهم الملائكة عند حضور الموت مبشرين وحين يحشرون قال الله تعالى
يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم بشراكم اليوم جنات وأراد بعباده الذين
يستمعون القول فيتبعون أحسنه الذين اجتنبوا وأنابوا لا غيرهم وإنما أراد بهم أن يكونوا
مع الاجتناب والإنابة على هذه الصفة فوضع الظاهر موضع الضمير أراد أن يكونوا نقادًا في الدين
يميزون بين الحسن والأحسن والفاضل والأفضل فإذا اعترضهم أمران واجب وندب اختاروا
الواجب وكذلك المباح والندب حرصًا على ما هو أقرب عند الله وأكثر ثوابًا ويدخل تحته المذاهب
واختيار أثبتها وأقواها عند السبر وأبينها دليلًا أو أمارة وأن لا تكون في مذهبك كما قال القائل
ولا تكن مثل عير قيد فانقادا وقيل يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن
وقيل يستمعون أوامر الله فيتبعون أحسنها نحو القصاص والعفو والانتصار والإغضاء والإبداء
والإخفاء لقوله وأن تعفوا أقرب للتقوى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم وعن ابن عباس
هو الرجل يجلس مع القوم فيستمع الحديث محاسن ومساوي فيحدث بأحسن ما سمع ويكف
عما سواه ومن الوقفة من يقف على قوله فبشر عبادي ويبتدئ الذين يستمعون ويوقفه على الألباب
أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ أصل الكلام أمن حق عليه كلمة العذاب
وخبره أولئك

أفأنت تنقذ من في النار جملة شرطية دخل عليها همزة الإنكار والفاء فاء الجزاء ثم دخلت الفاء التي في أولها للعطف على محذوف يدل عليه الخطاب تقديره أأنت مالك أمرهم فمن حق عليه العذاب فأنت تنقذه والهمزة الثانية هي الأولى كررت لتوكيد معنى الإنكار والاستبعاد ووضع من في النار موضع الضمير فالآية على هذا جملة واحدة للتوكيد ووجه آخر وهو أن تكون الآية جملتين أفمن حق عليه كلمة العذاب فأنت تخلصه أفأنت تنقذ من في النار وإنما جاز حذف فأنت تخلصه لأن أفأنت تنقذ يدل عليه نزل استحقاقهم للعذاب وهم في الدنيا منزلة دخولهم النار حتى نزل اجتهاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكده نفسه في دعائهم إلى الإيمان منزلة إنقاذهم من النار وقوله أفأنت تنقذ من في النار يفيد أن الله تعالى هو الذي يقدر على الإنقاذ من النار وحده لا يقدر على ذلك أحد غيره فكما لا تقدر أنت أن تنقذ الداخل في النار من النار لا تقدر أن تخلصه مما هو فيه من استحقاق العذاب بتحصيل الإيمان فيه لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف علالي بعضها فوق بعض فإن قلت ما معنى قوله مبنية قلت معناه والله أعلم أنها بنيت بناء المنازل التي على الأرض وسويت تسويتها تجري من تحتها الأنهار كما تجري من تحت المنازل من غير تفاوت بين العلو والسفل وعد الله مصدر مؤكد لأن قوله لهم غرف في معنى وعدهم الله ذلك لا يخلف الله الميعاد ۝ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء هو المطر وقيل كل ماء في الأرض فهو من السماء ينزل منها إلى الصخرة ثم يقسمه الله تعالى فسلكه فأدخله ونظمه ينابيع في الأرض عيونا ومسالك ومجاري كالعروق في الأجساد ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه هيئاته من خضرة وحمرة وصفرة وبياض وغير ذلك وأصنافه من بر وشعير وسمسم وغيرها ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما ويهيج يتم جفافه عن الأصمعي لأنه إذا تم جفافه حان له أن يثور عن منابته ويذهب حطاما فتاتا درينا إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب ۝ لتذكيرا وتنبيها على أنه لا بد من صانع حكيم وأن ذلك كائن عن تقدير وتدبير لا عن تعطيل وإهمال ويجوز أن يكون مثلا للدنيا كقوله إنما مثل الحياة الدنيا واضرب لهم مثل الحياة الدنيا وقرئ مصفارا أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه أفمن عرف الله أنه من أهل اللطف فلطف به حتى انشرح صدره للإسلام ورغب فيه وقبل كمن لا لطف له فهو حرج الصدر قاسي القلب ونور الله هو لطفه وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية فقيل يا رسول الله كيف انشراح الصدر قال إذا دخل القلب النور انشرح الصدر وانفسح فقيل يا رسول الله فما علامة ذلك قال الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزول الموت وهو نظير قوله أمن هو قانت في حذف الخبر فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين ۝ من أجل ذكره أي إذا ذكر الله عندهم أو آياته اشمأزوا وازدادت قلوبهم قساوة كقوله فزادتهم رجسا إلى رجسهم وقرئ عن ذكر الله فإن قلت ما الفرق بين من وعن في هذا قلت إذا قلت قسا قلبه من ذكر الله فالمعنى ما ذكرت من أن القسوة من أجل الذكر وبسببه وإذا قلت عن ذكر الله فالمعنى غلظ عن قبول الذكر وجفا عنه ونظيره سقاه من العيمة أي من أجل عطشه وسقاه عن العيمة إذا أرواه حتى أبعده عن العطش الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها عن ابن مسعود رضي الله عنه أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا له حدثنا فنزلت وإيقاع اسم الله مبتدأ وبناء نزل عليه فيه تفخيم لأحسن الحديث ورفع منه واستشهاد على حسنه وتأكيد لاستناده إلى الله وأنه من عنده وأن مثله لا يجوز أن يصدر إلا عنه وتنبيه على أنه وحي معجز مباين لسائر الأحاديث وكتابا بدل من أحسن الحديث ويحتمل أن يكون حالا منه ومتشابها مطلق في مشابهة بعضه بعضا فكان متناولا لتشابه معانيه في الصحة والإحكام والبناء على الحق والصدق ومنفعة الخلق وتناسب ألفاظه وتناصفها في التخير والإصابة وتجاوب نظمه وتأليفه في الإعجاز والتبكيت وقوله مثاني بيانا لكونه متشابها لأن القصص المكررة لا تكون إلا متشابهة والمثاني جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر لما ثني من قصصه وأنبائه وأحكامه وأوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه وقيل لأنه يثنى في التلاوة فلا يمل كما جاء في وصفه لا يتفه ولا يتشان ولا يخلق على كثرة الرد ويجوز أن يكون جمع مثنى مفعل من التثنية بمعنى التكرير والإعادة كما كان قوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين بمعنى كرة بعد كرة وكذلك لبيك وسعديك وحنانيك فإن قلت كيف وصف الواحد بالجمع قلت إنما صح ذلك لأن الكتاب جملة ذات تفاصيل وتفاصيل الشيء هي جملته لا غير ألا تراك

تقول القرآن أسباع وأخماس وسور وآيات وكذلك تقول أقاصيص وأحكام ومواعظ مكررات ونظيره قولك الإنسان عظام وعروق وأعصاب إلا أنك تركت الموصوف إلى الصفة وأصله كتابا متشابها فصولا مثاني ويجوز أن يكون كقولك برمة أعشار وثوب أخلاق ويجوز أن لا يكون مثاني صفة ويكون منتصبا على التمييز من متشابها كما تقول رأيت رجلا حسنا شمائل والمعنى متشابهة مثانيه فإن قلت ما فائدة التثنية والتكرير قلت النفوس أنفر شيء عن حديث الوعظ والنصيحة فما لم يكرر عليها عودا عن بدء لم يرسخ فيها ولم يعمل عمله ومن ثم كانت عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكرر عليهم ما كان يعظ به وينصح ثلاث مرات وسبعا ليركزه في قلوبهم ويغرسه في صدورهم

تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم إلى

ذكر الله اقشعر الجلد إذا تقبض تقبضا شديدا وتركيبه من حروف القشع وهو الأديم اليابس مضموما إليها حرف رابع وهو الراء ليكون رباعيا ودالا على معنى زائد يقال اقشعر جلده من الخوف وقف شعره وهو مثل في شدة الخوف فيجوز أن يريد به الله سبحانه التمثيل تصويرا لإفراط خشيتهم وأن يريد التحقيق والمعنى أنهم إذا سمعوا بالقرآن وبآيات وعيده أصابتهم خشية تقشعر منها جلودهم ثم إذا ذكروا الله ورحمته وجوده بالمغفرة لانت جلودهم وقلوبهم وزال عنها ما كان بها من الخشية والقشعريرة فإن قلت ما وجه تعديته بإلى قلت ضمن معنى فعل متعد بإلى كأنه قيل سكنت واطمأنت إلى ذكر الله لينة غير منقبضة راجية غير خاشية فإن قلت لم اقتصر على ذكر الله من غير ذكر الرحمة قلت لأن أصل أمره الرحمة والرأفة ورحمته هي سابقة غضبه فلأصالة رحمته إذا ذكر لم يخطر بالبال قبل كل شيء من صفاته إلا كونه رؤوفا رحيما فإن قلت لم ذكرت الجلود وحدها أولا ثم قرنت القلوب بها ثانيا قلت إذا ذكرت الخشية التي محلها القلوب فكأنه قيل تقشعر جلودهم من آيات الوعيد وتخشى قلوبهم في أول وهلة فإذا ذكروا الله ومبنى أمره على الرأفة والرحمة استبدلوا بالخشية رجاء في قلوبهم وبالقشعريرة لينا في جلودهم ذلك هدى الله ذلك إشارة إلى الكتاب وهو هدى الله يهدي به يوفق به من يشاء يعني عباده المتقين حتى يخشوا تلك الخشية ويرجوا ذلك الرجاء كما قال تعالى هدى للمتقين ومن يضلل الله ومن يخذله من الفساق والفجرة فما له من هاد ۝ أو ذلك الكائن من الخشية والرجاء هدى الله أي أثر هداه وهو لطفه فسماه هدى لأنه حاصل بالهدى يهدي به هذا الأثر من يشاء من عباده يعني من صحب أولئك ورآهم خاشعين راجين فكان ذلك مرغبا لهم في الاقتداء بسيرتهم وسلوك طريقتهم ومن يضلل الله ومن لم يؤثر فيه ألطافه لقسوة قلبه وإصراره على فجوره فما له من هاد من مؤثر فيه بشيء قط أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة يقال اتقاه بدرقته استقبله بها فوقى بها نفسه إياه واتقاه بيده وتقديره أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب كمن أمن العذاب فحذف الخبر كما حذف في نظائره وسوء العذاب شدته ومعناه أن الإنسان إذا لقي مخوفا من المخاوف استقبله بيده وطلب أن يقي بها وجهه لأنه أعز أعضائه عليه والذي يلقى في النار يلقى مغلولة يداه إلى عنقه فلا يتهيأ له أن يتقي النار إلا بوجهه الذي كان يتقي المخاوف بغيره وقاية له ومحاماة عليه وقيل المراد بالوجه الجملة وقيل نزلت في أبي جهل وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون ۝ وقال لهم خزنة النار ذوقوا وبال ما كنتم تكسبون كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ۝ من الجهة التي لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم أن الشر يأتيهم منها بيناهم آمنون رافهون إذ فوجئوا من مأمنهم فأذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ۝ والخزي الذل والصغار كالمسخ والخسف والقتل والجلاء وما أشبه ذلك من نكال الله ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون ۝ قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون ۝ قرآنا عربيا حال مؤكدة كما تقول جاءني زيد رجلا صالحا وإنسانا عاقلا ويجوز أن ينتصب على المدح غير ذي عوج مستقيما بريئا من التناقض والاختلاف فإن قلت فهلا قيل مستقيما أو غير معوج قلت فيه فائدتان إحداهما نفي أن يكون فيه عوج قط كما قال ولم يجعل له عوجا والثانية أن لفظ العوج مختص بالمعاني دون الأعيان وقيل المراد بالعوج الشك واللبس وأنشد

وقد أتاك يقين غير ذي عوج ۝ من الإله وقول غير مكذوب ۝

ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا
للمشرك والموحد مثلا وقل لهم ما تقولون في رجل من المماليك قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف
وتنازع كل واحد منهم يدعي أنه عبده فهم يتجاذبونه ويتعاورونه في مهن شتى ومشادة وإذا عنت له حاجة
تدافعوه فهو متحير في أمره سادر قد تشعبت الهموم قلبه وتوزعت أفكاره لا يدري أيهم يرضي
بخدمته وعلى أيهم يعتمد في حاجته وفي آخر قد سلم لمالك واحد وخلص له فهو معتنق لما لزمه من
خدمته معتمد عليه فيما يصلحه فهمه واحد وقلبه مجتمع أي هذين العبدين أحسن حالا وأحمد
شأنا والمراد تمثيل حال من يثبت آلهة شتى وما يلزمه على قضية مذهبه من أن يدعي كل
واحد منهم عبوديته ويتشاكسوا في ذلك ويتغالبوا كما قال ولعلا بعضهم على بعض ويبقى
هو متحيرا ضائعا لا يدري أيهم يعبد وعلى ربوبية أيهم يعتمد وممن يطلب رزقه وممن
يلتمس رفقه فهمه شعاع وقلبه أوزاع وحال من لم يثبت إلا إلها واحدا فهو قائم بما كلفه
عارف بما أرضاه وما أسخطه متفضل عليه في عاجله ومؤمل للثواب في آجله وفيه صلة شركاء
كأنما تقول اشتركوا فيه والتشاكس والتشاخس الاختلاف تقول تشاكست أحواله وتشاخست
أسنانه سالما لرجل خالصا لواحد وقرئ سلما بفتح العين وفتح اللام وكسرها مع سكون العين
وهي مصادر سلم والمعنى ذا سلامة لرجل أي ذا خلوص له من الشركة من قولهم سلمت له الضيعة
وقرئ بالرفع على الابتداء أي وهناك رجل سالم لرجل وإنما جعله رجلا ليكون أفطن لما شقي به
أو سعد فإن المرأة والصبي قد يغفلان عن ذلك هل يستويان مثلا هل يستويان صفة على
التمييز والمعنى هل يستوي صفتاهما وحالاهما وإنما اقتصر في التمييز على الواحد لبيان الجنس
وقرئ مثلين كقوله وأكثر أموالا وأولادا مع قوله أشد منكم قوة ويجوز فيمن قرأ مثلين أن
يكون الضمير في يستويان للمثلين يستويان فيما يرجع إلى الوصفية كما تقول كفى بهما رجلين الحمد لله
الواحد الذي لا شريك له دون كل معبود سواه أي يحق أن يكون الحمد متوجها إليه وحده والعبادة
فقد ثبت أنه لا إله إلا هو بل أكثرهم لا يعلمون ۝ فيشركون به غيره إنك ميت وإنهم ميتون ۝
كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم موته فأخبر أن الموت يعمهم فلا معنى للتربص وشماتة
الباقي بالفاني وعن قتادة نعى إلى نبيه نفسه ونعى إليكم أنفسكم وقرئ مائت ومائتون
والفرق بين الميت والمائت أن الميت صفة لازمة كالسيد وأما المائت فصفة حادثة تقول زيد
مائت غدا كما تقول سائد غدا أي سيموت وسيسود فإذا قلت زيد ميت فكما تقول حي في نقيضه فيما
يرجع إلى اللزوم والثبوت والمعنى في قوله إنك ميت وإنهم ميتون إنك وإياهم وإن كنتم أحياء فأنتم في عداد
الموتى لأن ما هو كائن فكأن قد كان ثم إنكم إنك وإياهم فغلب ضمير المخاطب على ضمير الغيب
يوم القيامة عند ربكم تختصمون ۝ فتحتج عليهم أنت بأنك بلغت فكذبوا واجتهدت في
الدعوة فلجوا في العناد ويعتذرون بما لا طائل تحته تقول الأتباع أطعنا سادتنا وكبراءنا وتقول
السادات أغوتنا الشياطين وآباؤنا الأقدمون وقد حمل على اختصام الجميع وأن الكفار تخاصم بعضهم
بعضا حتى يقال لهم لا تختصموا لدي والمؤمنون الكافرين يبكتونهم بالحجج وأهل القبلة يكون بينهم
الخصام قال عبد الله لقد عشنا برهة من دهرنا ونحن نرى أن هذه الآية أنزلت فينا وفي أهل الكتاب
قلنا كيف نختصم ونبينا واحد وديننا واحد وكتابنا واحد حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه
بعض بالسيف فعرفت أنها نزلت فينا وقال أبو سعيد الخدري كنا نقول ربنا واحد ونبينا واحد
وديننا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا
نعم هو هذا وعن إبراهيم النخعي قالت الصحابة ما خصومتنا ونحن إخوان فلما قتل عثمان رضي الله
عنه قالوا هذه خصومتنا وعن أبي العالية نزلت في أهل القبلة والوجه يدل عليه كلام الله هو ما
قدمت أولا ألا ترى إلى قوله فمن أظلم ممن كذب على الله وقوله والذي جاء بالصدق وصدق به وما هو
إلا بيان وتفسير للذين تكون بينهم الخصومة كذب على الله افترى عليه بإضافة الولد والشريك
إليه وكذب بالصدق بالأمر الذي هو الصدق بعينه وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم إذ جاءه
فاجأه بالتكذيب كما سمع به من غير وقفة لإعمال روية أو اهتمام بتمييز بين حق وباطل كما يفعل أهل
النصفة فيما يسمعون أليس في جهنم مثوى للكافرين ۝ أي لهؤلاء الذين كذبوا على الله وكذبوا

بالصدق

بالصدق واللام في الكافرين إشارة إليهم والذي جاء بالصدق وصدق به هو رسول الله صلى الله
عليه وسلم جاء بالحق وآمن به وأراد به إياه ومن تبعه كما أراد بموسى إياه وقومه في قوله ولقد آتينا
موسى الكتاب لعلهم يهتدون فلذلك قال أولئك هم المتقون ۝ إلا أن هذا في الصفة وذاك في الاسم
ويجوز أن يريد به الفوج أو الفريق الذي جاء بالصدق وصدق به وهم الرسول صلى الله عليه وسلم
الذي جاء بالصدق وصحابته الذين صدقوا به وفي قراءة ابن مسعود والذين جاءوا بالصدق
وصدقوا به وقرئ وصدق به بالتخفيف أي صدق به الناس ولم يكذبهم به يعني أداه إليهم كما نزل
عليه من غير تحريف وقيل وصار صادقا بسببه لأن القرآن معجزة والمعجزة تصديق من الحكيم
الذي لا يفعل القبيح لمن يجريها على يديه ولا يجوز أن يصدق إلا الصادق فيصير لذلك صادقا بالمعجزة
وقرئ وصدق به لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ۝ ليكفر الله عنهم أسوأ
الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون ۝ فإن قلت ما معنى إضافة الأسوأ
والأحسن إلى الذي عملوا وما معنى التفضيل فيهما قلت أما الإضافة فما هي من إضافة أفعل إلى
الجملة التي يفضل عليها ولكن من إضافة الشيء الذي يفرط منهم من الصغائر والزلات المكفرة
هو عندهم الأسوأ لاستعظامهم المعصية والحسن الذي يعملونه هو عند الله الأحسن لحسن
إخلاصهم فيه فلذلك ذكر سيئهم بالأسوأ وحسنهم بالأحسن وقرئ أسواء الذي عملوا جمع
سوء أليس الله بكاف عبده أدخلت همزة الإنكار على كلمة النفي فأفيد معنى إثبات الكفاية
وتقريرها وقرئ بكاف عبده وهو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويكاف عباده هم الأنبياء
وذلك أن قريشا قالت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنا نخاف أن تخبلك آلهتنا وإنا نخشى
عليك معرتها لعيبك إياها ويروى أنه بعث خالدا إلى العزى ليكسرها فقال له سادنها
أحذركها إن لها لشدة لا يقوم لها شيء فعمد خالد إليها فهشم أنفها فقال الله عز وعلا أليس الله
بكاف نبيه أن يعصمه من كل سوء ويدفع عنه كل بلاء في مواطن الخوف وفي هذا تهكم بهم لأنهم
خوفوه ما لا يقدر على نفع ولا ضر أو أليس الله بكاف أنبياءه ولقد قالت أممهم نحو ذلك فكفاهم
الله وذلك قول قوم هود إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ويجوز أن يريد العبد والعباد على
الإطلاق لأنه كافيهم في الشدائد وكافل مصالحهم وقرئ بكافي عباده على الإضافة ويكافي عباده
ويكافي يحتمل أن يكون غير مهموز مفاعلة من الكفاية كقولك يجازي في يجزي وهو أبلغ من
كفى لبنائه على لفظ المغالبة والمباراة وأن يكون مهموزا من المكافأة وهي المجازاة لما تقدم من قوله
ويجزيهم أجرهم ويخوفونك بالذين من دونه أراد الأوثان التي اتخذوها آلهة من دونه
ومن يضلل الله فما له من هاد ۝ ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزيز ذي
انتقام ۝ ينتقم من أعدائه وفيه وعيد لقريش ووعد للمؤمنين بأنه سينتقم لهم منهم وينصرهم
عليهم ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله
إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته
قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون ۝ وقرئ كاشفات ضره وممسكات رحمته بالتنوين
على الأصل وبالإضافة للتخفيف فإن قلت لم فرض المسألة في نفسه دونهم قلت لأنهم خوفوه معرة
الأوثان وتخبيلها فأمر بأن يقررهم أولا بأن خالق العالم هو الله وحده ثم يقول لهم بعد التقرير
فإن أرادني خالق العالم الذي أقررتم به بضر من مرض أو فقر أو غير ذلك من النوازل
أو برحمة من صحة أو غنى أو نحوهما هل هؤلاء اللاتي خوفتموني إياهن كاشفات عني ضره أو ممسكات
رحمته حتى إذا ألقمهم الحجر وقطعهم حتى لا يحيروا ببنت شفة قال حسبي الله كافيا لمعرة أوثانكم
عليه يتوكل المتوكلون وفيه تهكم ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم سألهم فسكتوا فنزل قل
حسبي الله فإن قلت لم قيل كاشفات وممسكات على التأنيث بعد قوله ويخوفونك بالذين
من دونه قلت أنثهن وكن إناثا وهن اللات والعزى ومناة قال الله تعالى أفرأيتم اللات
والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألكم الذكر وله الأنثى ليضعفها ويعجزها زيادة تضعيف وتعجيز عما
طالبهم به من كشف الضر وإمساك الرحمة لأن الأنوثة من باب اللين والرخاوة كما أن الذكورة
من باب الشدة والصلابة كأنه قال الإناث اللاتي هن اللات ومناة أضعف مما تدعون لهن وأعجز وفيه تهكم

ايضا قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على حالكم التي انتم عليه وجهتكم من العداوة التي تمكنتم منها
والمكانة بمعنى المكان فاستعيرت عن العين للمعنى كما استعيرت هنا وحيث للزمان وهما للمكان اني
عامل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم فان قلت حق الكلام
فاني عامل على مكانتي فلم حذف قلت للاختصار ولما فيه من زيادة الوعيد والايذان بان حاله لا تقف
وتزداد كل يوم قوة وشدة لان الله ناصره ومعينه ومظهره على الدين كله الا ترى الى قوله فسوف
تعلمون كيف توعدهم بكونه منصورا عليهم غالبا عليهم في الدنيا والاخرة لانهم اذا اتاهم الخزي
والعذاب فذاك عزه وغلبته من حيث ان الغلبة تتم له بعز عزيز من اوليائه وبذل ذليل من اعدائه
يخزيه مثل مقيم في وقوعه صفة للعذاب اي عذاب مخز له وهو يوم بدر وعذاب دائم وهو
عذاب النار وقرئ مكاناتكم انا انزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه
ومن ضل فانما يضل عليها وما انت عليهم بوكيل للناس لاجلهم ولاجل حاجتهم ليبشروا وينذروا
فتقوى دواعيهم الى اختيار الطاعة على المعصية ولا حاجة لي الى ذلك فانا الغني فمن اختار الهدى
فقد نفع نفسه ومن اختار الضلالة فقد ضرها وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى فان
التكليف مبني على الاختيار دون الاجبار الله يتوفى الانفس حين موتها الانفس الجمل كما هي وتوفيها
اماتتها وهو ان تسلب ما هي به حية حساسة دراكة من صحة اجزائها وسلامتها لانها عند
سلب الصحة كان ذاتها قد سلبت والتي لم تمت في منامها يريد ويتوفى الانفس التي لم تمت في منامها
اي يتوفاها حين تنام تشبيها للنائمين بالموتى ومنه قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل حيث لا يميزون
ولا يتصرفون كما ان الموتى كذلك فيمسك التي قضى عليها الموت فيمسك الانفس التي قضى عليها
الموت الحقيقي اي لا يردها في وقتها حية ويرسل الاخرى النائمة الى اجل مسمى الى وقت ضربه لموتها وقيل
يتوفى الانفس يستوفيها ويقبضها وهي الانفس التي تكون معها الحياة والحركة ويتوفى الانفس التي لم تمت
في منامها وهي انفس التمييز قالوا فالتي تتوفى في النوم هي نفس التمييز لا نفس الحيوة لان نفس الحيوة
اذا زالت زال معها النفس والنائم يتنفس ورووا عن ابن عباس رضي الله عنهما في ابن آدم نفس
وروح بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح التي بها النفس والتحرك
فاذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه والصحيح ما ذكرت اولا لان الله تعالى علق التوفي
والموت والمنام جميعا بالانفس وما عنوا بنفس الحيوة والحركة ونفس العقل والتمييز غير متصف
بالموت والنوم وانما الجملة هي التي تموت وهي التي تنام ان في ذلك ان في توفي الانفس مائتة ونائمة
وامساكها وارسالها الى اجل لآيات على قدرة الله وعلمه لقوم يتفكرون يجيلون فيه افكارهم
ويعتبرون وقرئ قضي عليها الموت على البناء للمفعول ام اتخذوا بل اتخذ قريش والهمزة للانكار
من دون الله من دون اذنه شفعاء قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون شفعاء حين
قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ولا يشفع عنده احد الا باذنه الا ترى الى قوله قل لله الشفاعة جميعا
اي هو مالكها فلا يستطيع احد شفاعة الا بشرطين ان يكون المشفوع له مرتضى وان يكون الشفيع
ماذونا له وهاهنا الشرطان مفقودان جميعا اولو كانوا معناه ايشفعون ولو كانوا لا يملكون شيئا
ولا يعقلون اي ولو كانوا على هذه الصفة لا يملكون شيئا قط حتى يملكوا الشفاعة ولا عقل لهم له ملك
السموات والارض تقرير لقوله لله الشفاعة جميعا لانه اذا كان له الملك كله والشفاعة من
الملك كان مالكها فان قلت بم اتصل قوله ثم اليه ترجعون قلت بما يليه معناه له ملك السموات
والارض اليوم ثم اليه ترجعون يوم القيمة فلا يكون الملك في ذلك اليوم الا له فله الملك في الدنيا
والاخرة واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة واذا ذكر الذين
من دونه اذا هم يستبشرون مدار المعنى على قوله وحده اي اذا افرد الله بالذكر ولم تذكر
معه آلهتهم اشمأزت اي نفروا وانقبضوا واذا ذكر الذين من دونه وهم آلهتهم ذكر الله
معهم او لم يذكر استبشروا لافتتانهم بها ونسيانهم حق الله الى هواهم فيها وقيل اذا قيل لا اله الا
الله وحده لا شريك له نفروا لان فيه نفيا لآلهتهم وقيل اراد استبشارهم بما سبق اليه لسان
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ذكر آلهتهم حين قرأ والنجم عند باب الكعبة فسجدوا معه لفرحهم
ولقد تقابل الاستبشار والاشمئزاز اذ كل واحد منهما غاية في بابه لان الاستبشار ان يمتلئ قلبه سرورا

حتى تنبسط له بشرة وجهه ويتهلل والاشمئزاز ان يمتلئ غما وغيظا حتى يظهر الانقباض في اديم
وجهه فان قلت ما العامل في اذا ذكر قلت العامل في اذا المفاجاة تقديره وقت ذكر الذين
من دونه فاجأوا وقت الاستبشار قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة
انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشدة
شكيمتهم في الكفر والعناد فقيل له ادع الله باسمائه العظمى وقل انت وحدك تقدر على الحكم
بيني وبينهم ولا حيلة لغيرك فيهم وفيه وصف لحالهم واعذار لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووعيد
لهم وعن الربيع بن خثيم وكان قليل الكلام انه اخبر بقتل الحسين رضي الله عنه وسخط على قاتله
وقالوا الان يتكلم فما زاد على ان قال آه او قد فعلوا وقرأ هذه الاية قل اللهم فاطر السموات وروي
انه قال على اثره قتل من كان صلى الله عليه وآله وسلم يجلسه في حجره ويضع فاه على فيه ولو ان للذين ظلموا
ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيمة وبدا لهم من الله
ما لم يكونوا يحتسبون وبدا لهم من الله وعيد لا كنه لفظاعته وشدته وهو نظير قوله
في الوعد فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين والمعنى وظهر لهم من سخط الله وعذابه ما لم يكن
قط في حسبانهم ولم يحدثوا به نفوسهم وقيل عملوا اعمالا حسبوها حسنات فاذا هي سيئات وعن
سفيان الثوري انه قرأها فقال ويل لاهل الرياء ويل لاهل الرياء وجزع محمد بن المنكدر عند
موته فقيل له فقال اخشى آية من كتاب الله وتلاها فانا اخشى ان يبدو لي من الله ما لم احتسبه وبدا لهم
سيئات ما كسبوا اي سيئات اعمالهم التي كسبوها او سيئات كسبهم حين تعرض صحائفهم
وكانت خافية عليهم كقوله احصاه الله ونسوه واراد بالسيئات انواع العذاب التي يجازون بها على ما كسبوا
فسماها سيئات كما قال وجزاء سيئة سيئة مثلها وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون ونزل بهم واحاط
بهم جزاء هزئهم فاذا مس الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه نعمة منا التخويل مختص بالتفضل
يقال خولني اذا اعطاك على غير جزاء قال انما اوتيته على علم اي على علم مني اني ساعطاه لما في
من فضل واستحقاق او على علم من الله بي وباستحقاقي او على علم مني بوجوه الكسب كما قال قارون
على علم عندي فان قلت لم ذكر الضمير في اوتيته وهو للنعمة قلت ذهابا به الى المعنى لان قوله
نعمة منا شيئا من النعمة وقسما منها ويحتمل ان يكون ما في انما موصولة لا كافة فيرجع اليها الضمير
على معنى ان الذي اوتيته على علم بل هي فتنة ولكن اكثرهم لا يعلمون انكار لقوله كانه قال
ما خولناك من النعمة لما تقول بل هي فتنة وامتحان لك اتشكر ام تكفر فان قلت كيف ذكر الضمير
ثم انثه قلت حملا على المعنى اولا وعلى اللفظ آخرا ولان الخبر لما كان مؤنثا اعني فتنة ساغ
تانيث المبتدا لاجله لانه في معناه كقولهم ما جاءت حاجتك وقرئ بل هو فتنة على وفق انما اوتيته
فان قلت ما السبب في عطف هذه الاية بالفاء وعطف مثلها في اول السورة بالواو قلت السبب
في ذلك ان هذه وقعت مسببة عن قوله واذا ذكر الله وحده اشمأزت على معنى انهم يشمئزون
عن ذكر الله ويستبشرون بذكر الالهة فاذا مس احدهم ضر دعا من اشمأز من ذكره دون من استبشر
بذكره وما بينهما من الاي اعتراض فان قلت حق الاعتراض ان يؤكد المعترض بينه وبينه قلت
ما في الاعتراض من دعاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ربه بامر منه وقوله انت تحكم بينهم ثم ما عقبه من
الوعيد العظيم تاكيد لانكار اشمئزازهم واستبشارهم ورجوعهم الى الله في الشدائد دون آلهتهم
كانه قيل يا رب لا يحكم بيني وبين هؤلاء الذين يجترءون عليك مثل هذه الجراءة ويرتكبون هذا
المنكر الا انت وقوله ولو ان للذين ظلموا متناول لهم ولكل ظالم ان جعل مطلقا او اياهم خاصة ان
عنيتهم به كانه قيل ولو ان لهؤلاء الظالمين ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به حين احكم عليهم
بسوء العذاب وهذه الاسرار والنكت لا يبرزها الا علم النظم والا بقيت محتجبة في اكمامها واما
الاية الاولى فلم تقع مسببة وما هي الا جملة ناسبت جملة قبلها فعطفت عليها بالواو كقولك قام
زيد وقعد عمرو فان قلت من اي وجه وقعت مسببة والاشمئزاز عن ذكر الله ليس بمقتض
لالتجائهم اليه بل هو مقتض لصدوفهم عنه قلت في هذا التسبيب لطف وبيانه انك تقول زيد مؤمن
بالله فاذا مسه ضر التجأ اليه فهذا تسبيب ظاهر لا لبس فيه ثم تقول زيد كافر بالله فاذا مسه
ضر التجأ اليه فتجيء بالفاء مجيئك به ثمة كان الكافر حين التجأ التجاء المؤمن اليه مقيم كفره مقام

الايمان ومجرى به مجراه في جعله سببا في الانجاء فانت تحكي ما عكس فيه الكافر الامر انك تقصد بهذا
الكلام الانكار للتعجب من فعله قد قالها الذين من قبلهم الضمير في قالها راجع الى قوله انما اوتيته على علم
لانها كلمة او جملة من القول وقرئ قد قاله على معنى القول والكلام وذلك والذين من قبلهم هم قارون
وقومه حيث قال انما اوتيته على علم عندي وقومه راضون بها فكانهم قالوها ويجوز ان يكون في الامم
الخالية اخرون قائلون مثلها فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا ويجمعون منه
فاصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم
بمعجزين سيصيبهم مثل ما اصاب اولئك فقتل صناديدهم ببدر وحبس عنهم الرزق فقحطوا سبع
سنين ثم بسط لهم فمطروا سبع سنين فقيل لهم اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر واولم
يعلموا انه لا قابض ولا باسط الا الله عز وجل ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون قل يا عبادي الذين
اسرفوا على انفسهم جنوا عليها بالاسراف والغلو فيها لا تقنطوا من رحمة الله قرئ بفتح النون وكسرها
وضمها ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم يعني بشرط التوبة وقد تكرر ذكر
هذا الشرط في القرآن فكان ذكره فيما ذكر فيه ذكرا له فيما لم يذكر فيه لان القرآن في حكم كلام
واحد ولا يجوز فيه التناقض وفي قراءة ابن عباس وابن مسعود يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء والمراد
بمن يشاء من تاب لان مشيئة الله تابعة لحكمته وعدله لا لملكه وجبروته وقيل في قراءة النبي صلى
الله عليه وسلم وفاطمة رضي الله عنها يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي ونظير نفي المبالاة نفي الخوف
في قوله تعالى ولا يخاف عقباها وقيل قال اهل مكة يزعم محمد ان من عبد الاوثان وقتل النفس التي
حرم الله لم يغفر له فكيف ولم نهاجر وقد عبدنا الاوثان وقتلنا النفس التي حرم الله فنزلت وروي
انه اسلم عياش بن ابي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر معهما ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا فكنا نقول لا
يقبل لهم صرفا ولا عدلا فكتب بها عمر رضي الله عنه اليهم فاسلموا وهاجروا وقيل نزلت في وحشي قاتل
حمزة رضي الله عنه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احب ان لي الدنيا وما فيها بهذه الاية
فقال رجل يا رسول الله ومن اشرك فسكت ساعة ثم قال الا ومن اشرك ثلاث مرات وانيبوا الى
ربكم وتوبوا اليه واسلموا له من قبل ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون واخلصوا له العمل وانما
ذكر الانابة على اثر المغفرة لئلا يطمع طامع في حصولها بغير توبة وللدلالة على انها شرط فيها لازم
لا تحصل بدونه واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة واتبعوا
احسن ما انزل اليكم مثل قوله الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وانتم لا تشعرون اي يفجؤكم وانتم غافلون
كانكم لا تخشون شيئا لفرط غفلتكم وسهوكم ان تقول نفس كراهة ان تقول فان قلت
لم نكرت قلت لان المراد بها بعض الانفس وهي نفس الكافر ويجوز ان يراد نفس متميزة من الانفس
اما بلجاج في الكفر شديد او بعذاب عظيم ويجوز ان يراد التكثير كما قال الاعشى

ورب بقيع لو هتفت بجوه ... اتاني كريم ينفض الراس مغضبا

وهو يريد افواجا من الكرام ينصرونه لا كريما واحدا ونظيره رب بلد قطعت ورب
بطل قارعت وقد اختلس الطعنة ولا يقصد الا التكثير يا حسرتا على الاصل يا حسرتاي
على الجمع بين العوض والمعوض منه على ما فرطت في جنب الله والجنب الجانب يقال انا في جنب فلان
وجانبه وناحيته وفلان لين الجانب والجنب ثم قالوا فرط في جنبه وفي جانبه يريدون في حقه
قال سابق البربري شعرا

اما تتقين الله في جنب وامق ... له كبد حرى عليك تقطع

وهذا من باب الكناية لانك اذا اثبت الامر في مكان الرجل وحيزه فقد اثبته فيه الا ترى الى قول الشاعر

ان السماحة والمروءة والندى ... في قبة ضربت على ابن الحشرج

ومنه قول الناس لمكانك فعلت كذا يريدون لاجلك وفي الحديث من الشرك الخفي ان يصلي الرجل
لمكان الرجل وكذلك فعلت هذا من جهتك فمن حيث لم يبق فرق فيما يرجع الى اداء الغرض من ذكر المكان
وتركه قيل فرطت في جنب الله على معنى في ذات الله فان قلت فمرجع كلامك الى ان ذكر
الجنب كلا ذكر سوى ما يعطي من حسن الكناية وبلاغتها فكانه قيل فرطت في الله قلت لا بد من
تقدير مضاف محذوف سوى ذكر الجنب او لم يذكر والمعنى فرطت في طاعة الله وعبادة الله وما

اشبه ذلك وفي حرف عبد الله وحفصة في ذكر الله وما في فرطت مصدرية مثلها في بما رحبت وان كنت
لمن الساخرين قال قتادة لم يكفه ان ضيع طاعة الله حتى سخر من اهلها ومحل وان كنت النصب
على الحال كانه قال فرطت وانا ساخر اي فرطت في حال سخريتي وروي انه كان له مال فانفقه في
الفجور فاتاه ملك الموت في اتم ما كان فقال يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله ذهب عمري
في طاعة الشيطان واسخطت ربي فندم حين لم ينفعه الندم فانزل الله خبره في القرآن او
تقول لو ان الله هداني لكنت من المتقين او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة
فاكون من المحسنين لو ان الله هداني لا يخلو اما ان يريد به الهداية بالالجاء او بالالطاف او بالوحي
فالالجاء خارج عن الحكمة ولم يكن من اهل الالطاف فيلطف به واما الوحي فقد كان ولكنه اعرض ولم
يتبعه حتى يهتدي وانما يقول هذا تحيرا في امره وتعللا بما لا يجدي عليه كما حكى عنهم التعلل باغواء الرؤساء
والشياطين ونحو ذلك ونحوه لو هدانا الله لهديناكم وقوله بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت
وكنت من الكافرين رد من الله عليه معناه بلى قد هديت بالوحي فكذبت به واستكبرت عن
قبوله وآثرت الكفر على الايمان والضلالة على الهدى وقرئ بكسر التاء على مخاطبة النفس فان قلت
هلا قرن الجواب بما هو جواب له وهو قوله لو ان الله هداني ولم يفصل بينهما باية قلت لانه لا يخلو اما ان يقدم
على اخرى القرائن الثلاث فيفرق بينهن واما ان يؤخر القرينة الوسطى فلم يحسن الاول لما فيه من
تبتير النظم بالجمع بين القرائن واما الثاني فلما فيه من نقض الترتيب وهو التحسر على التفريط في
الطاعة ثم التعلل بفقد الهداية ثم تمني الرجعة فكان الصواب ما جاء عليه وهو انه حكى اقوال النفس
على ترتيبها ونظمها ثم اجاب من بينها عما اقتضى الجواب فان قلت كيف صح ان يقع بلى جوابا لغير منفي قلت
لو ان الله هداني فيه معنى ما هديت ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله اي وصفوه
بما لا يجوز عليه وهو متعال عنه فاضافوا اليه الولد والشريك وقالوا هؤلاء شفعاؤنا وقالوا لو شاء
الرحمن ما عبدناهم وقالوا والله امرنا بها ولا يبعد عنهم قوم يسفهونه بفعل القبائح ويجوزون ان يخلق
خلقا لا لغرض ويظلمونه بتكليف ما لا يطاق ويجسمونه بكونه مرئيا معاينا مدركا بالحاسة ويثبتون
له يدا وقدما وجنبا متسترين بالبلكفة ويجعلون له اندادا باثباتهم معه قدماء وجوههم
مسودة في موضع الحال ان كان ترى من رؤية البصر ومفعول ثان ان كان من رؤية القلب
اليس في جهنم مثوى للمتكبرين وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم بفلاحهم يقال فاز بكذا
اذا افلح به وظفر بمراده منه وتفسير المفازة لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون كانه قيل وما
مفازتهم فقيل لا يمسهم السوء اي ينجيهم بنفي السوء والحزن عنهم او بسبب منجاتهم من قوله تعالى
فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب اي بمنجاة منه لان النجاة من اعظم الفلاح وسبب منجاتهم العمل الصالح
ولهذا فسر ابن عباس رضي الله عنه المفازة بالاعمال الحسنة ويجوز بسبب فلاحهم لان العمل الصالح
سبب الفلاح وهو دخول الجنة ويجوز ان يسمى العمل الصالح في نفسه مفازة لانه سببها وقرئ بمفازاتهم
على ان لكل متق مفازة فان قلت لا يمسهم ما محله من الاعراب على التفسيرين قلت اما على الاول
فلا محل له لانه كلام مستانف واما على الثاني فمحله النصب على الحال الله خالق كل شيء وهو
على كل شيء وكيل له مقاليد السموات والارض اي هو مالك امرها وحافظها وهي من باب
الكناية لان حافظ الخزائن ومدبر امرها هو الذي يملك مقاليدها ومنه قولهم فلان القيت اليه
مقاليد الملك وهي المفاتيح ولا واحد لها من لفظها وقيل مقليد ويقال اقليد واقاليد والكلمة
اصلها فارسية فان قلت ما للكتاب العربي المبين وللفارسية قلت التعريب احالها عربية كما اخرج
الاستعمال المهمل من كونه مهملا فان قلت بم اتصل قوله والذين كفروا بآيات الله اولئك هم
الخاسرون قلت بقوله وينجي الله الذين اتقوا اي ينجي الله المتقين بمفازتهم والذين كفروا هم
الخاسرون واعترض بينهما بانه خالق الاشياء كلها وهو مهيمن عليها فلا يخفى عليه شيء من اعمال المكلفين
فيها وما يستحقون عليها من الجزاء وقد جعل متصلا بما يليه على ان كل شيء في السموات والارض فالله
خالقه وفاتح بابه والذين كفروا وجحدوا ان يكون الامر كذلك اولئك هم الخاسرون وقيل سال عثمان
رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله له مقاليد السموات والارض فقال يا عثمان ما
سالني عنها احد قبلك تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا

والآخر

قوله الا الله هو الاول والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير وتأويله على هذا
ان لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها من المؤمنين اصابه
والذين كفروا بآيات الله وبكلمات توحيده اولئك هم الخاسرون قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها
الجاهلون أفغير الله منصوب باعبد وتأمروني اعتراض ومعناه افغير الله اعبد بامركم وذلك حين
قال له المشركون استلم بعض الهتنا ونؤمن بالهك او ينصب بما يدل عليه جملة قوله تأمروني اعبد لانه في
معنى تعبدونني وتقولون لي اعبد والاصل تأمرونني ان اعبد فحذف ان ورفع الفعل كما في قوله
الا أيهذا الزاجري احضر الوغى ألا تقول أفغير الله تقولون لي اعبده وافغير الله تقولون لي اعبد
فكذلك افغير الله تأمرونني ان اعبده وافغير الله تأمرونني ان اعبد والدليل على صحة هذا الوجه
قراءة من قرأ اعبد بالنصب وقرئ تأمرونني على الاصل وتأمروني على ادغام النون وحذفها ولقد أوحي
إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك قرئ ليحبطن عملك وليحبطن على البناء للمفعول
وليحبطن بالنون والياء اي ليحبطن الله او الشرك فان قلت الموحى اليهم جماعة فكيف قال لئن اشركت
على التوحيد قلت معناه اوحي اليك لئن اشركت ليحبطن عملك والى الذين من قبلك مثله او اوحي اليك
والى كل واحد منهم لئن اشركت كما تقول كسانا حلة اي كل واحد منا فان قلت ما الفرق بين
اللامين قلت الاولى موطئة للقسم المحذوف والثانية لام الجواب وهذا الجواب ساد مسد الجوابين
اعني جوابي القسم والشرط فان قلت كيف صح هذا الكلام مع علم الله تعالى ان رسله لا يشركون
ولا تحبط اعمالهم قلت هو على سبيل الفرض والمحالات يصح فرضها لاغراض فكيف بما ليس بمحال الا ترى
الى قوله ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا يعني على سبيل الالجاء ولن يكون ذلك لامتناع الداعي
اليه ووجود الصارف عنه فان قلت ما معنى قوله ولتكونن من الخاسرين قلت يحتمل ولتكونن
من الخاسرين بسبب حبوط العمل ويحتمل ولتكونن في الآخرة من جملة الخاسرين الذين خسروا انفسهم ان مت
على الردة ويجوز ان يكون غضب الله على الرسول اشد فلا يمهله بعد الردة الا ترى الى قوله اذا لاذقناك
ضعف الحيوة وضعف الممات بل الله فاعبد رد لما امروه به من استلام بعض الهتهم كانه قال لا
تعبد ما امروك بعبادته بل ان كنت عاقلا فاعبد الله فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضا عنه
وكن من الشاكرين على ما انعم به عليك من ان جعلك سيد ولد آدم وجوز الفراء نصبه بفعل مضمر
هذا معطوف عليه تقديره بل الله اعبد فاعبد لما كان العظيم من الاشياء اذا عرفه الانسان حق
معرفته وقدره في نفسه حق تقديره عظمه حق تعظيمه قيل وما قدروا الله حق قدره وقرئ
بالتشديد على معنى وما عظموه كنه تعظيمه ثم نبههم على عظمته وجلالة شانه على طريقة التخييل
فقال والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه والغرض من هذا الكلام
اذا اخذته كما هو بجملته ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله لا غير من غير ذهاب
بالقبضة ولا باليمين الى جهة حقيقة او جهة مجاز وكذلك حكم ما يروى ان جبريل عليه السلام جاء
الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا ابا القسم ان الله يمسك السموات يوم القيمة على اصبع
والارضين على اصبع والجبال على اصبع والشجر على اصبع والثرى على اصبع وسائر الخلق على اصبع ثم يهزهن
فيقول انا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعجبا مما قال ثم قرأ تصديقا له
وما قدروا الله حق قدره الآية وانما ضحك افصح العرب وتعجب لانه لم يفهم منه الا ما يفهمه علماء
البيان من غير تصور امساك ولا اصبع ولا هز ولا شيء من ذلك ولكن فهمه وقع اول شيء وآخره
على الزبدة والخلاصة التي هي الدلالة على القدرة الباهرة وان الافعال العظام التي تتحير فيها الافهام والاذهان
ولا تكتنهها الاوهام هينة عليه هوانا لا يوصل السامع الى الوقوف عليه الا اجراء العبارة في
مثل هذه الطريقة من التخييل ولا ترى بابا في علم البيان ادق ولا الطف من هذا الباب ولا انفع واعون على
تعاطي تأويل المشتبهات من كلام الله في القرآن وسائر الكتب السماوية وكلام الانبياء فان اكثره
وعليته تخييلات قد زلت فيها الاقدام قديما وما اتي الزالون الا من قلة عنايتهم بالبحث
والتنقير حتى يعلموا ان في عداد العلوم الدقيقة علما لو قدروه حق قدره لما خفي عليهم ان العلوم
كلها مفتقرة اليه وعيال عليه اذ لا يحل عقدها الموربة ولا يفك قيودها المكربة الا هو وكم آية
من آيات التنزيل وحديث من احاديث الرسول قد ضيم وسيم الخسف بالتأويلات الغثة والوجوه

الرثة ليس في هذا العلم من عبير ولا نفير ولا يعرف قبيلا من دبير والمراد بالارض الارضون السبع
يشهد لذلك شاهدان قوله جميعا وقوله والسموات ولان الموضع موضع تعظيم وتفخيم فهو مقتض
للمبالغة ومع القصد الى الجمع وتأكيده بالجميع اتبع الجميع مؤكده قبل مجيء الخبر ليعلم اول
الامر ان الخبر الذي يرد لا يقع عن ارض واحدة ولكن عن الارضين كلهن والقبضة المرة
من القبض فقبضت قبضة من اثر الرسول والقبضة بالضم المقدار المقبوض بالكف ويقال
اعطني قبضة من كذا تريد معنى القبضة تسمية بالمصدر كما روي انه نهى عن خطفة السبع
وكلا المعنيين محتمل والمعنى والارضون جميعا قبضته اي ذوات قبضته يقبضهن قبضة واحدة
يعني ان الارضين مع عظمهن وبسطتهن لا يبلغن الا قبضة واحدة من قبضاته كانه يقبضها قبضة بكف
واحدة كما تقول الجزور اكلة لقمان والقلة جرعته اي ذات اكلته وذات جرعته تريد انهما لا
يفيان الا باكلة فذة من اكلاته وجرعة فذة من جرعاته واذا اريد معنى القبضة فظاهر لان المعنى
ان الارضين بجملتها مقدار ما يقبضه بكف واحدة فان قلت ما وجه قراءة من قرأ قبضته بالنصب
قلت جعلها ظرفا مشبها للموقت بالمبهم مطويات من الطي الذي هو ضد النشر كما قال تعالى يوم نطوي
السماء كطي السجل للكتب وعادة طاوي السجل ان يطويه بيمينه وقيل قبضته ملكه بلا مدافع ولا منازع
وبيمينه بقدرته وقيل مطويات بيمينه مفنيات بقسمه لانه اقسم ان يفنيها ومن اشتم رائحة
من علم هذا فليعرض عليه التأويل ليتلهى بالتعجب منه ومن قائله ثم يبكي حمية لكلام الله المعجز
بفصاحته وما مني به من امثاله واثقل منه على الروح واصدع للكبد تدوين العلماء قوله واستحسانهم له
وحكايته على فروع المنابر واستجلاب الاهتزاز به من السامعين وقرئ مطويات على نظم السموات
في حكم الارض ودخولها تحت القبضة ونصب مطويات على الحال سبحانه وتعالى عما يشركون ما ابعد
من هذه قدرته وعظمته وما اعلاه عما يضاف اليه من الشركاء ونفخ في الصور فصعق من في السموات
ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فان قلت اخرى ما محلها من الاعراب قلت يحتمل الرفع
والنصب اما الرفع فعلى قراءة من قرأ نفخة واحدة والمعنى ونفخ في الصور نفخة واحدة ثم نفخ فيه اخرى
وانما حذفت لدلالة اخرى عليه ولكونها معلومة بذكرها في غير مكان فاذا هم قيام وقرئ قياما
ينظرون يقلبون ابصارهم في الجهات نظر المبهوت اذا فاجأه خطب وقيل ينظرون ماذا يفعل
بهم ويجوز ان يكون القيام بمعنى الوقوف والجمود في مكانه لتحيرهم واشرقت الارض بنور
ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون ووفيت
كل نفس ما عملت وهو اعلم بما يفعلون استعار الله عز وجل النور للحق والقرآن والبرهان
في مواضع من التنزيل وهذا من ذاك والمعنى واشرقت الارض بما يقيمه فيها من الحق والعدل
ويبسطه من القسط في الحساب ووزن الحسنات والسيئات وينادي عليه بانه مستعار اضافته
الى اسمه لانه هو الحق العدل واضافة اسمه الى الارض لانه يزينها حيث ينشر فيها عدله وينصب فيها
موازين قسطه ويحكم بالحق بين اهلها ولا ترى ازين للبقاع من العدل ولا اعمر لها منه وفي هذه
الاضافة ان ربها وخالقها هو الذي يعدل فيها وانما يجور فيها غير ربها ثم ما عطف على اشراق
الارض من وضع الكتاب والمجيء بالنبيين والشهداء والقضاء بالحق وهو النور المذكور وترى الناس
يقولون للملك العادل اشرقت الآفاق بعدلك واضاءت الدنيا بقسطك كما يقولون اظلمت البلاد
بجور فلان وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الظلم ظلمات يوم القيمة وكما فتح الآية باثبات العدل
ختمها بنفي الظلم وقرئ واشرقت على البناء للمفعول من شرقت بالضوء تشرق اذا امتلأت به واغتصت
واشرقها الله كما تقول ملأ الارض عدلا وطبقها عدلا والكتاب صحائف الاعمال ولكنه اكتفى باسم
الجنس وقيل اللوح المحفوظ والشهداء الذين يشهدون للامم وعليهم من الحفظة والاخيار وقيل
المستشهدون في سبيل الله وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤوها فتحت ابوابها
وقال لهم خزنتها الم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء
يومكم هذا الزمر الافواج المتفرقة بعضها في اثر بعض وقد تزمروا قال
حتى احزألت زمر بعد زمر وقيل في زمر الذين اتقوا هي الطبقات المختلفة الشهداء
والزهاد والعلماء والقراء وغيرهم وقرئ نذر منكم فان قلت لم اضيف اليهم اليوم قلت ارادوا

لقاء وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار لا يوم القيامة وقد جاء استعماله في اليوم والأيام في أوقات الشدة
قالوا بلى أتونا وتلوا علينا ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ولكن وجبت علينا كلمة الله
لأملأن لسوء أعمالنا كما قالوا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين فذكروا عملهم الموجب لكلمة العذاب
وهو الكفر والضلال قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين اللام في
المتكبرين للجنس ليكون مثوى المتكبرين فاعل بئس وبئس فاعلها اسم معرف بلام الجنس أو مضاف إلى مثله
والمخصوص بالذم محذوف تقديره فبئس مثوى المتكبرين جهنم وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا
حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها حتى هي التي تحكى بعدها الجمل والجملة المحكية بعدها هي الشرطية
إلا أن جزاءها محذوف وإنما حذف لأنه في صفة ثواب أهل الجنة فدل بحذفه على أنه شيء لا يحيط به الوصف
وحق موقعه ما بعد خالدين وقيل حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها أي مع فتح أبوابها وقيل أبواب
جهنم لا تفتح إلا عند دخول أهلها فيها وأما أبواب الجنة فمتقدم فتحها بدليل قوله تعالى جنات عدن
مفتحة لهم الأبواب فلذلك جيء بالواو كأنه قيل حتى إذا جاءوها وقد فتحت أبوابها فإن قلت كيف
عبر عن الذهاب بالفريقين جميعا بلفظ السوق قلت المراد بسوق أهل النار طردهم إليها بالهوان
والعنف كما يفعل بالأسارى والخارجين على السلطان إذا سيقوا إلى حبس أو قتل والمراد بسوق
أهل الجنة سوق مراكبهم لأنه لا يذهب بهم إلا راكبين وحثها إسراعا بهم إلى دار الكرامة
والرضوان كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على بعض الملوك فشتان ما بين السوقين وقال
لهم خزنتها سلام عليكم طبتم من دنس المعاصي وطهرتم من خبث الخطايا فادخلوها جعل
دخول الجنة مسببا عن الطيب والطهارة فما هي إلا دار الطيبين ومثوى الطاهرين لأنها دار طهرها
الله من كل دنس وطيبها من كل قذر فلا يدخلها إلا مناسب لها موصوف بصفتها فما أبعد أحوالنا
من تلك المناسبة وما أضعف سعينا في اكتساب تلك الصفة إلا أن يهب لنا الوهاب الكريم توبة
نصوحا تنقي أنفسنا من درن الذنوب وتميط وضر هذه القلوب خالدين مقدرين الخلود
وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر
العاملين الأرض عبارة عن المكان الذي أقاموا فيه واتخذوه مقرا ومتبوأ وقد أورثوها
أي ملكوها وجعلوا ملوكها وأطلق تصرفهم فيها كما يشاءون تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما
يرثه واتساعه فيه وذهابه في إنفاقه طولا وعرضا فإن قلت ما معنى قوله حيث نشاء وهل يتبوأ
أحدهم مكان غيره قلت يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة وزيادة على الحاجة فيتبوأ
من جنته حيث يشاء ولا يحتاج إلى جنة غيره وترى الملائكة حافين من حول العرش محدقين من حوله
يسبحون بحمد ربهم يقولون سبحان الله والحمد لله متلذذين لا متعبدين وقضي بينهم بالحق
فإن قلت إلام يرجع الضمير في قوله بينهم قلت يجوز أن يرجع إلى العباد كلهم وأن إدخال بعضهم النار
وبعضهم الجنة لا يكون إلا قضاء بينهم بالحق والعدل وأن يرجع إلى الملائكة على أن ثوابهم وإن كانوا معصومين
جميعا لا يكون على سنن واحد ولكن يفاضل بين مراتبهم على حسب تفاضلهم في أعمالهم فهو القضاء
بينهم بالحق فإن قلت قوله وقيل الحمد لله رب العالمين من القائل لذلك قلت المقضي بينهم
إما جميع العباد وإما الملائكة كأنه قيل وقضي بينهم بالحق وقالوا الحمد لله على قضائه بيننا بالحق
وإنزال كل منا منزلته التي هي حقه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة
الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيامة وأعطاه ثواب الخائفين الذين خافوا وعن عائشة رضي الله
عنها أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ كل ليلة بني إسرائيل والزمر

سورة المؤمن مكية قال الحسن إلا قوله وسبح بحمد ربك لأن الصلوات نزلت بالمدينة وقد قيل في الحواميم كلها إنها مكيات عن ابن عباس وابن الحنفية وهي خمس وثمانون وقيل ثنتان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم قرئ بإمالة ألف حا وتفخيمها ووجه الفتح التحريك لالتقاء
الساكنين وإيثار أخف الحركات نحو أين وكيف والنصب بإضمار اقرأ ومنع الصرف للتأنيث
والتعريف أو للتعريف وأنها على زنة أعجمي نحو قابيل وهابيل غافر الذنب وقابل التوب شديد

العقاب

العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير التوب والثوب والأوب أخوات في معنى الرجوع
والطول الفضل والزيادة يقال لفلان على فلان طول والإفضال يقال طال عليه وتطول إذا تفضل فإن قلت
كيف اختلفت هذه الصفات تعريفا وتنكيرا والموصوف معرفة يقتضي أن تكون مثله معارف
قلت أما غافر الذنب وقابل التوب فمعرفتان لأنه لم يرد بهما حدوث الفعلين وأنه يغفر الذنب
ويقبل التوب الآن أو غدا حتى يكونا في تقدير الانفصال فتكون إضافتهما غير حقيقية وإنما أريد
ثبوت ذلك ودوامه فكان حكمهما حكم إله الخلق ورب العرش وأما شديد العقاب فأمره
مشكل لأنه في تقدير شديد عقابه لا ينفك من هذا التقدير وقد جعله الزجاج بدلا وفي كونه
بدلا وحده بين الصفات نبو ظاهر والوجه أن يقال لما صودف بين هؤلاء المعارف هذه النكرة
الواحدة فقد آذنت بأن كلها أبدال غير أوصاف ومثال ذلك قصيدة جاءت تفاعيلها كلها على مستفعلن
فهي محكوم عليها بأنها من بحر الرجز فإن وقع فيها جزء واحد على متفاعلن كانت من الكامل
ولقائل أن يقول هي صفات وإنما حذف الألف واللام من شديد العقاب ليزاوج ما قبله وما بعده لفظا
فقد غيروا كثيرا من كلامهم عن قوانينه لأجل الازدواج حتى قالوا ما يعرف سحادليه من عنادليه فثنوا
ما هو وتر لأجل ما هو شفع على أن الخليل قال في قولهم ما يحسن بالرجل مثلك أن يفعل ذلك وما يحسن
بالرجل خير منك أن يفعل إنه على نية الألف واللام كما كان الجماء الغفير على نية طرح الألف واللام
ومما سهل ذلك الأمن من اللبس وجهالة الموصوف ويجوز أن يقال قد تعمد تنكيره وإبهامه للدلالة
على فرط الشدة وعلى ما لا شيء أدهى منه وأمر لزيادة الإنذار ويجوز أن يقال هذه النكتة هي الداعية
إلى اختيار البدل على الوصف إذا سلكت طريقة الإبدال فإن قلت ما بال الواو في قوله وقابل التوب
قلت فيها نكتة جليلة وهي إفادة الجمع للمذنب التائب بين رحمتين بين أن يقبل توبته فيكتبها له طاعة
من الطاعات وأن يجعلها محاءة للذنوب كأن لم يذنب كأنه قال جامع المغفرة والقبول وروي أن
عمر رضي الله عنه افتقد رجلا ذا بأس شديد من أهل الشام فقيل له تتابع في هذا الشراب
فقال عمر لكاتبه اكتب من عمر إلى فلان سلام عليك وأنا أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو بسم الله الرحمن الرحيم
حم إلى قوله إليه المصير وختم الكتاب وقال لرسوله لا تدفعه إليه حتى تجده صاحيا ثم أمر
من عنده بالدعاء له بالتوبة فلما أتته الصحيفة جعل يقرؤها ويقول قد وعدني الله أن يغفر لي وحذرني
عقابه فلم يبرح يرددها حتى بكى ثم نزع فأحسن النزوع وحسنت توبته فلما بلغ عمر أمره قال
هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أخاكم قد زل زلة فسددوه ووفقوه وادعوا له الله أن يتوب عليه ولا
تكونوا أعوانا للشيطان عليه ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد
كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا
بالباطل ليدحضوا به الحق سجل على المجادلين في آيات الله بالكفر والمراد الجدال بالباطل
من الطعن فيها والقصد إلى إدحاض الحق وإطفاء نور الله وقد دل على ذلك في قوله وجادلوا بالباطل
ليدحضوا به الحق فأما الجدال فيها لإيضاح ملتبسها وحل مشكلها ومقادحة أهل العلم في استنباط
معانيها ورد أهل الزيغ بها وعنها فأعظم جهاد في سبيل الله وقوله صلى الله عليه وآله وسلم إن جدالا في
القرآن كفر وإيراده منكرا وإن لم يقل إن الجدال تمييز منه بين جدال وجدال فإن قلت من
حيث إنهم كانوا مشهودا عليهم من قبل الله بالكفر والكافر لا أحد أشقى منه عند الله وجب على
من تحقق ذلك ألا يرجح أحوالهم في عينه ولا يغره إقبالهم في دنياهم وتقلبهم في البلاد بالتجارات
النافقة والمكاسب المربحة وكانت قريش كذلك يتقلبون في بلاد الشام واليمن ولهم الأموال
يتجرون فيها ويتربحون فإن مصير ذلك وعاقبته إلى الزوال ووراءه شقاوة الأبد ثم ضرب لتكذيبهم
وعداوتهم للرسل وجدالهم بالباطل وما ادخر لهم من سوء العاقبة مثلا ما كان من نحو ذلك من
الأمم وما أخذهم به من عقابه وأحله بساحتهم من انتقامه وقوي فلا يغررك الأحزاب الذين تحزبوا على
الرسل وناصبوهم وهم عاد وثمود وفرعون وغيرهم وهمت كل أمة من هذه الأمم التي هي قوم نوح
والأحزاب برسولهم وقرئ برسولها ليأخذوه ليتمكنوا منه ومن الإيقاع به وإصابته بما أرادوه من
تعذيب أو قتل ويقال للأسير أخيذ فأخذتهم يعني أنهم قصدوا أخذه فجعلت جزاءهم على إرادة
أخذه أن أخذتهم فكيف كان عقاب فإنكم تمرون على بلادهم ومساكنهم فتعاينون أثر ذلك

وهذا اشعار بانه معنى وكذلك حقت كلمات ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار ٥
انهم اصحاب النار في محل الرفع بدل من كلمة ربك اي مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم من
اصحاب النار ومعناه كما وجب اهلاكهم في الدنيا بالعذاب المستاصل كذلك وجب اهلاكهم بعذاب
النار في الاخرة او في محل النصب بحذف لام التعليل وايصال الفعل والذين كفروا قريش ومعناه
كما وجب اهلاك اولئك الامم كذلك وجب اهلاك هؤلاء لان علة واحدة تجمعهم انهم من اصحاب
النار وقرئ كلمات الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون
للذين آمنوا روي ان حملة العرش ارجلهم في الارض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع
لا يرفعون طرفهم وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا تتفكروا في عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق
الله من الملائكة فان خلقا من الملائكة يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في
الارض السفلى وقد مرق راسه من سبع سموات وانه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كانه الوصع
وفي الحديث ان الله تعالى امر جميع الملائكة ان يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم
على سائر الملائكة وقيل خلق الله العرش من جوهرة خضراء وبين القائمتين من قوائمه خفقان الطير
المسرع ثمانين الف عام وقيل حول العرش سبعون الف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين
ومن ورائهم سبعون الف صف قيام قد وضعوا ايديهم على عواتقهم رافعين اصواتهم بالتهليل والتكبير
ومن ورائهم مائة الف صف قد وضعوا الايمان على الشمائل ما منهم احد الا وهو يسبح بما لا يسبح به الآخر
وقرأ ابن عباس العرش بضم العين فان قلت ما فائدة قوله يؤمنون ولا يخفى على احد ان حملة العرش
ومن حوله من الملائكة الذين يسبحون بحمده مؤمنون قلت فائدته اظهار شرف الايمان وفضله
والترغيب فيه كما وصف الانبياء في غير موضع من كتابه بالصلاح لذلك وكما عقب اعمال الخير بقوله
ثم كان من الذين آمنوا فابان بذلك فضل الايمان وفائدة اخرى وهي التنبيه على ان الامر لو كان كما يقول
المجسمة لكان حملة العرش ومن حوله مشاهدين معاينين ولما وصفوا بالايمان لانه انما يوصف بالايمان
الغائب فلما وصفوا به على سبيل الثناء عليهم علم ان ايمانهم وايمان من في الارض وكل من غاب عن ذلك المقام
سواء في ان ايمان الجميع بطريق النظر والاستدلال لا غير وانه لا طريق الى معرفته الا هذا وانه منزه عن
صفات الاجرام وقد روعي التناسب في قوله ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا كانه قيل ويؤمنون
ويستغفرون لمن في مثل حالهم وصفتهم وفيه تنبيه على ان الاشتراك في الايمان يجب ان يكون
ادعى شيء الى النصيحة وابعثه على امحاض الشفقة وان تفاوتت الاجناس وتباعدت الاماكن فانه لا
تجانس بين ملك وانسان ولا بين سماوي وارضي قط ثم لما جاء جامع الايمان جاء معه التجانس الكلي
والتناسب الحقيقي حتى استغفر من حول العرش لمن فوق الارض قال الله تعالى ويستغفرون لمن في الارض
ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ٥
اي يقولون ربنا وهذا المضمر يحتمل ان يكون بيانا ليستغفرون مرفوع المحل مثله وان يكون حالا
فان قلت تعالى الله عن المكان فكيف صح ان يقال وسع كل شيء قلت الرحمة والعلم هما اللذان وسعا
كل شيء في المعنى والاصل وسع كل شيء رحمتك وعلمك ولكن ازيل الكلام عن اصله بان اسند الفعل
الى صاحب الرحمة والعلم واخرجا منصوبين على التمييز للاغراق في وصفه بالرحمة والعلم كان ذاته رحمة
وعلم واسعان كل شيء فان قلت قد ذكر الرحمة والعلم فوجب ان يكون ما بعد الفاء مشتملا على
حديثهما جميعا وما ذكر الا الغفران وحده قلت معناه فاغفر للذين علمت منهم التوبة واتباع
سبيلك وسبيل الله سبيل الحق التي نهجها لعباده ودعا اليها ربنا وادخلهم جنات عدن التي
وعدتهم ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم انك انت العزيز الحكيم ٥ اي الملك
الذي لا يغلب وانت مع ملكك وعزتك لا تفعل شيئا الا بداعي الحكمة وموجب حكمتك ان تفي بوعدك
وقهم السيئات اي العقوبات او جزاء السيئات فحذف المضاف على ان السيئات هي الصغائر او الكبائر
المتوب عنها والوقاية منها التكفير او قبول التوبة فان قلت ما الفائدة في استغفارهم لهم وهم
تائبون صالحون موعودون المغفرة والله لا يخلف الميعاد قلت هذه بمنزلة الشفاعة وفائدته زيادة
الكرامة والثواب وقرئ جنة عدن وصلح بضم اللام والفتح افصح يقال صلح فهو صالح وصلح فهو
صليح وذرياتهم ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم ٥ ان الذين

كفروا

كفروا ينادون اي ينادون يوم القيامة فيقال لهم لمقت الله اكبر والتقدير لمقت الله انفسكم
اكبر من مقتكم انفسكم فاستغنى بذكرها مرة اذ تدعون الى الايمان فتكفرون ٥
واذ تدعون منصوب بالمقت الاول والمعنى انه يقال لهم يوم القيامة كان الله يمقت انفسكم الامارة
بالسوء والكفر حين كان الانبياء يدعونكم الى الايمان فتابون قبوله وتختارون عليه الكفر اشد
مما تمقتونهن اليوم وانتم في النار اذ اوقعتكم فيها باتباعكم هواهن وعن الحسن لما راوا اعمالهم
الخبيثة مقتوا انفسهم فنودوا لمقت الله وقيل معناه لمقت الله اياكم الآن اكبر والمقت اشد
البغض فوضع في موضع ابلغ الانكار واشده قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين
اماتتين واحياءتين او موتتين وحياتين واراد بالاماتتين خلقهم امواتا واماتتهم عند انقضاء
آجالهم وبالاحياءتين الاحياءة الاولى واحياءة البعث وناهيك تفسيرا لذلك قوله وكنتم امواتا
فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وكذا عن ابن عباس فان قلت كيف صح ان يسمى خلقهم امواتا
اماتة قلت كما صح ان تقول سبحان من صغر جسم البعوضة وكبر جسم الفيل وقولك للحفار ضيق فم
الركية ووسع اسفلها وليس ثم نقل من كبر الى صغر ولا من صغر الى كبر ولا من ضيق الى سعة
ولا من سعة الى ضيق وانما اردت الانشاء على تلك الصفات والسبب في صحته ان الصغر والكبر
جائزان معا على المصنوع الواحد من غير ترجح لاحدهما وكذلك الضيق والسعة فاذا اختار
الصانع احد الجائزين وهو متمكن منهما على السواء فقد صرف المصنوع عن الجائز الآخر فجعل صرفه
عنه كنقله منه ومن جعل الاماتتين التي بعد حياة الدنيا والتي بعد حياة القبر لزمه اثبات ثلاث احياءات
وهو خلاف ما في القرآن الا ان يتمحل فيجعل احداها غير معتد بها او يزعم ان الله يحييهم في القبور
وتستمر بهم تلك الحياة فلا يموتون بعدها ويعدهم من المستثنين من الصعقة في قوله الا من شاء الله
فان قلت كيف تسبب هذا لقوله فاعترفنا بذنوبنا قلت قد انكروا البعث فكفروا واتبع
ذلك من الذنوب ما لا يحصى لان من لم يخش العاقبة تخرق في المعاصي فلما راوا الاماتة والاحياء قد
تكررا عليهم علموا بان الله قادر على الاعادة قدرته على الانشاء فاعترفوا بذنوبهم التي اقترفوها
من انكار البعث وما تبعه من معاصيهم فهل الى خروج اي نوع من الخروج سريع او بطيء من سبيل
قط ام الياس واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل اليه وهذا كلام من غلب عليه الياس والقنوط
وانما يقولون ذلك تعللا وتحيرا ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله ذلكم اي ذلكم الذي
انتم فيه وان لا سبيل لكم الى خروج قط بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا
بسبب كفركم بتوحيد الله وايمانكم بالاشراك به فالحكم لله حيث حكم عليكم بالعذاب
السرمد وقوله العلي الكبير ٥ دلالة على الكبرياء والعظمة وعلى ان عقاب مثله لا يكون الا كذلك
وهو الذي يطابق كبرياءه ويناسب جبروته وقيل كان الحرورية اخذوا قولهم لا حكم الا لله
من هذا هو الذي يريكم آياته من الريح والسحاب والرعد والبرق والصواعق ونحوها وينزل لكم
من السماء رزقا اي المطر لانه سببه وما يتذكر الا من ينيب ٥ وما يتعظ وما يعتبر بآيات الله
الا من يتوب من الشرك ويرجع الى الله فان المعاند لا سبيل الى تذكره واتعاظه ثم قال للمنيبين فادعوا
الله اي اعبدوه مخلصين له الدين من الشرك ولو كره الكافرون ٥ وان غاظ ذلك اعداءكم
ممن ليس على دينكم رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده
رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح ثلاثة اخبار لقوله هو مترتبة على قوله الذي يريكم
او اخبار مبتدا محذوف وهي مختلفة تعريفا وتنكيرا وقرئ رفيع الدرجات بالنصب على المدح
ورفيع الدرجات كقوله ذي المعارج وهي مصاعد الملائكة الى ان تبلغ العرش وهي دليل
على عزته وملكوته وعن ابن جبير سماء فوق سماء والعرش فوقهن ويجوز ان يكون عبارة عن
رفعة شانه وعلو سلطانه كما ان ذا العرش عبارة عن ملكه وقيل هي درجات ثوابه التي ينزلها
اولياءه في الجنة الروح من امره الذي هو سبب الحياة من امره يريد الوحي الذي هو امر بالخير وبعث
عليه فاستعار له الروح كما قال او من كان ميتا فاحييناه لينذر يوم التلاق لينذر الله او
الملقى عليه وهو الرسول او الروح وقرئ لتنذر اي الروح لانها تؤنث او على خطاب الرسول صلى الله
عليه وآله وسلم وقرئ لينذر يوم التلاق على البناء للمفعول ويوم التلاق يوم القيامة لان الخلائق تلتقي فيه

وقيل يلتقي فيه أهل السماء والأرض وقيل المعبود والعابد يوم هم بارزون ظاهرون لا يسترهم شيء من جبل أو أكمة أو بناء لأن الأرض بارزة قاع صفصف ولا عليهم ثياب إنما هم عراة مكشوفون كما جاء في الحديث تحشرون عراة حفاة غرلا لا يخفى على الله منهم شيء أي من أعمالهم وأحوالهم وعن ابن مسعود لا يخفى عليه منهم شيء برزوا أو لم يبرزوا فما معناه قلت معناه أنهم كانوا يتوهمون في الدنيا إذا استتروا بالحيطان والحجب أن الله تعالى لا يراهم وتخفى عليه أعمالهم فهم اليوم صائرون من البروز والانكشاف إلى حال لا يتوهمون فيها مثل ما كانوا يتوهمونه قال الله ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وقال تعالى يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وذلك لعلمهم أن الناس يبصرونهم وظنهم أن الله لا يبصرهم وهو معنى قوله وبرزوا لله الواحد القهار لمن الملك اليوم لله الواحد القهار حكاية لما يسأل عنه في ذلك اليوم ولما يجاب به ومعناه أنه ينادي مناد من السماء فيقول لمن الملك اليوم فيجيبه أهل المحشر لله الواحد القهار وقيل يجمع الله الخلائق يوم القيامة في صعيد واحد بأرض بيضاء كأنها سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط فأول ما يتكلم به أن ينادي مناد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار اليوم تجزى كل نفس الآية فهذا يقتضي أن يكون المنادي هو المجيب اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب لما قرر أن الملك لله وحده في ذلك اليوم عدد نتائج ذلك وهي أن كل نفس تجزى بما كسبت وأن الظلم مأمون لأن الله ليس بظلام للعبيد وأن الحساب لا يبطئ لأن الله لا يشغله حساب عن حساب فيحاسب الخلق كله في وقت واحد وهو أسرع الحاسبين وعن ابن عباس رضي الله عنهما إذا أخذ في حسابهم لم يقل أهل الجنة إلا فيها ولا أهل النار إلا فيها وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر الآزفة القيامة سميت بذلك لأزوفها أي لقربها ويجوز أن يريد يوم الآزفة وقت الخطة الآزفة وهي مشارفتهم دخول النار فعند ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارها فتلتصق بحناجرهم فلا هي تخرج فيموتوا ولا ترجع إلى مواضعها فيتنفسوا ويتروحوا ولكنها معترضة كالشجا كما قال فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا فإن قلت كاظمين بم انتصب قلت هو حال عن أصحاب القلوب على المعنى لأن المعنى إذ قلوبهم لدى حناجرهم كاظمين عليها ويجوز أن يكون حالا عن القلوب وأن القلوب كاظمة على غم وكرب فيها مع بلوغها الحناجر وإنما جمع الكاظم جمع السلامة لأنه وصفها بالكظم الذي هو من أفعال العقلاء كما قال رأيتهم لي ساجدين وقال فظلت أعناقهم لها خاضعين وتعضده قراءة من قرأ كاظمون ويجوز أن يكون حالا عن قوله وأنذرهم أي وأنذرهم مقدرين أو مشارفين الكظم كقوله فادخلوها خالدين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع الحميم المحب المشفق والمطاع مجاز في المشفع لأن حقيقة الطاعة نحو حقيقة الأمر في أنها لا تكون إلا لمن فوقك فإن قلت ما معنى قوله ولا شفيع يطاع قلت يحتمل أن يتناول النفي الشفاعة والطاعة معا وأن يتناول الطاعة دون الشفاعة كما تقول ما عندي كتاب يباع فهو يحتمل نفي البيع وحده وأن عندك كتابا إلا أنك لا تبيعه ونفيهما جميعا وأن لا كتاب عندك ولا كونه مبيعا ونحوه ولا ترى الضب بها ينجحر يريد نفي الضب وانجحاره فإن قلت فعلى أي الاحتمالين يجب حمله قلت على نفي الأمرين جميعا من قبل أن الشفعاء هم أولياء الله وأولياء الله لا يحبون ولا يرضون إلا من أحبه الله ورضيه وأن الله لا يحب الظالمين فلا يحبونهم وإذا لم يحبوهم لم ينصروهم ولم يشفعوا لهم قال الله وما للظالمين من أنصار وقال ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ولأن الشفاعة لا تكون إلا في زيادة التفضل وأهل التفضل وزيادته إنما هم أهل الثواب بدليل قوله ويزيدهم من فضله وعن الحسن والله ما يكون لهم شفيع البتة فإن قلت الغرض حاصل بذكر الشفيع ونفيه فما الفائدة في ذكر هذه الصفة ونفيها قلت في ذكرها فائدة جليلة وهي أنها ضمت إليه ليقام انتفاؤها الموصوف مقام الشاهد على انتفاء الصفة لأن الصفة لا تتأتى بدون موصوفها فيكون ذلك إزالة لتوهم وجود الموصوف بيانه أنك إذا عوتبت على القعود عن الغزو فقلت ما لي فرس أركبه ولا معي سلاح أحارب به فقد جعلت عدم الفرس وفقد السلاح علة مانعة من الركوب والمحاربة كأنك تقول كيف يتأتى مني الركوب والمحاربة ولا فرس لي ولا سلاح معي فكذلك قوله ولا شفيع يطاع معناه كيف يتأتى التشفيع ولا شفيع فكان ذكر التشفيع والاستشهاد على عدم تأتيه بعدم الشفيع

وضعا لانتفاء

وضعا لانتفاء الشفيع موضع الأمر المعروف غير المنكر الذي لا ينبغي أن يتوهم خلافه يعلم خائنة الأعين الخائنة صفة للنظرة أو مصدر بمعنى الخيانة كالعافية بمعنى المعافاة والمراد استراق النظر إلى ما لا يحل كما يفعل أهل الريب ولا يحسن أن يراد الخائنة من الأعين لأن قوله وما تخفي الصدور لا يساعد عليه فإن قلت بم اتصل قوله يعلم خائنة الأعين قلت هو خبر من أخبار هو في قوله هو الذي يريكم مثل يلقي الروح ولكن يلقي الروح قد علل بقوله لينذر يوم التلاق ثم استطرد ذكر أحوال يوم التلاق إلى قوله ولا شفيع يطاع فبعد لذلك عن أخواته والله يقضي بالحق يعني والذي هذه صفاته وأحواله لا يقضي إلا بالحق والعدل لاستغنائه عن الظلم والذين يدعون من دونه والحكم لا يقضون بشيء وهذا تهكم بهم لأن ما لا يوصف بالقدرة لا يقال فيه يقضي أو لا يقضي إن الله هو السميع البصير تقرير لقوله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ووعيد لهم بأنه يسمع ما يقولون ويبصر ما يعملون وأنه يعاقبهم عليه وتعريض بما يدعون من دون الله وأنها لا تسمع ولا تبصر وقرئ يدعون بالياء والتاء أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله إنه قوي شديد العقاب هم في كانوا هم أشد منهم فصل فإن قلت من حق الفصل أن لا يقع إلا بين معرفتين فما باله واقعا بين معرفة وغير معرفة وهو أشد منهم قلت قد ضارع المعرفة في أنه لا يدخله الألف واللام فأجري مجراه وقرئ منكم وهي في مصاحف أهل الشام وآثارا يريد حصونهم وقصورهم وعددهم وما يوصف بالشدة من آثارهم أو أرادوا وأكثر آثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين وحجة ظاهرة وهي المعجزات إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب فقالوا هو ساحر كذاب فسموا السلطان المبين سحرا وكذبا فلما جاءهم بالحق بالنبوة من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم فإن قلت أما كان قتل الأبناء واستحياء النساء من قبل خيفة أن يولد المولود الذي أنذرته الكهنة بظهوره على يده قلت قد كان ذلك القتل حينئذ وهذا قتل آخر وعن ابن عباس في قوله قالوا اقتلوا أعيدوا عليهم القتل كالذي كان أولا يريد أن هذا قتل غير القتل الأول وما كيد الكافرين إلا في ضلال في ضياع وذهاب باطلا لم يجد عليهم يعني أنهم باشروا قتلهم أولا فما أغنى عنهم ونفذ قضاء الله بإظهار من خافوه فما يغني عنهم هذا القتل الثاني وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما بعث موسى عليه الصلاة والسلام وأحس بأنه قد وقع أعاده عليهم غيظا وحنقا وظنا منه أنه يصدهم بذلك عن مظاهرة موسى عليه الصلاة والسلام وما علم أن كيده ضائع في الكرتين جميعا وقال فرعون ذروني أقتل موسى كانوا إذا هم بقتله كفوه بقولهم ليس بالذي تخافه وهو أقل من ذلك وأضعف وما هو إلا بعض السحرة ومثله لا يقاوم إلا ساحرا مثله ويقولون إذا قتلته أدخلت الشبهة على الناس واعتقدوا أنك عجزت عن معارضته بالحجة والظاهر أن فرعون لعنه الله كان قد استيقن أنه نبي وأن ما جاء به آيات وما هو بسحر ولكن الرجل كان فيه خب وجربزة وكان قتالا سفاكا للدماء في أهون شيء فكيف لا يقتل من أحس منه بأنه هو الذي يثل عرشه ويهدم ملكه ولكنه كان يخاف إن هم بقتله أن يعاجل بالهلاك وليدع ربه شاهد صدق على فرط خوفه منه ومن دعوته ربه وكان قوله ذروني أقتل موسى تمويها على قومه وإيهاما أنهم هم الذين يكفونه وما كان يكفه إلا ما في نفسه من هول الفزع إني أخاف أن يبدل دينكم أن يغير ما أنتم عليه وكانوا يعبدونه ويعبدون الأصنام بدليل قوله ويذرك وآلهتك وأن يظهر في الأرض الفساد والفساد في الأرض التقاتل والتهايج الذي يذهب معه الأمن وتتعطل المزارع والمكاسب والمعايش ويهلك الناس قتلا وضياعا كأنه قال إني أخاف أن يفسد عليكم دينكم بدعوتكم إلى دينه أو يفسد عليكم دنياكم بما يظهر من الفتن بسببه وفي مصاحف أهل الحجاز وأن يظهر بالواو ومعناه إني أخاف فساد دينكم ودنياكم معا وقرئ يظهر من أظهر والفساد منصوب أي يظهر موسى الفساد وقرئ يظهر بتشديد الظاء والهاء من تظهر بمعنى تظاهر أي تتابع وتعاون

وقال موسى إني عذت بربي وربكم لما سمع موسى عليه الصلاة والسلام بما أجراه فرعون من حديث قتله قال لقومه إني عذت بالله الذي هو ربي وربكم وفي قوله وربكم بعث لهم على أن يقتدوا به فيعوذوا بالله عياذه ويعتصموا بالتوكل عليه اعتصامه وقال من كل متكبر لتشمل استعاذته فرعون وغيره من الجبابرة وليكون على طريقة التعريض فيكون أبلغ وأراد بالتكبر الاستكبار عن الإذعان للحق وهو أقبح استكبار وأدله على دناءة صاحبه ومهانة نفسه وعلى فرط ظلمه وعسفه وقال لا يؤمن بيوم الحساب لأنه إذا اجتمع في الرجل التجبر والتكذيب بالجزاء وقلة المبالاة بالعاقبة فقد استكمل أسباب القسوة والجرأة على الله وعباده ولم يترك عظيمة إلا ارتكبها وعذت ولذت أخوان وقرئ عت بالإدغام وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم وقرئ رجل بسكون الجيم كما يقال عضد في عضد وكان قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى سرا وقيل كان إسرائيليا ومن آل فرعون صفة لرجل أو صلة ليكتم أي يكتم إيمانه عن آل فرعون واسمه سمعان أو حبيب وقيل خربيل أو حزبيل والظاهر أنه من آل فرعون فإن المؤمنين من بني إسرائيل لم يقلوا ولم يعزوا والدليل عليه قول فرعون أبناء الذين آمنوا معه وقول المؤمن من ينصرنا من بأس الله إن جاءنا دليل ظاهر على أنه يتنصح لقومه أن يقول لأن يقول وهذا إنكار منه عظيم وتبكيت شديد كأنه قال أترتكبون الفعلة الشنعاء التي هي قتل نفس محرمة وما لكم علة قط في ارتكابها إلا كلمة الحق التي نطق بها وهي قوله ربي الله مع أنه لم يحضر لتصحيح قوله بينة واحدة ولكن بينات عدة من عند من نسب إليه الربوبية وهو ربكم لا ربه وحده وهو استدراج لهم إلى الاعتراف به وليلين بذلك جماحهم ويكسر من سورتهم ولك أن تقدر مضافا محذوفا أي وقت أن يقول والمعنى أتقتلونه ساعة سمعتم منه هذا القول من غير روية ولا فكر في أمره وقوله بالبينات يريد البينات العظيمة التي عهدتموها وشهدتموها ثم أخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم فقال لا يخلو من أن يكون كاذبا أو صادقا فإن يك كاذبا فعليه كذبه أي يعود عليه كذبه ولا يتخطاه ضرره وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم إن تعرضتم له فإن قلت لم قال بعض الذي يعدكم وهو نبي صادق لا بد لما يعدهم أن يصيبهم كله لا بعضه قلت لأنه احتاج في مقاولة خصوم موسى ومناكريه إلى أن يلاوصهم ويداريهم ويسلك معهم طريق الإنصاف في القول ويأتيهم من جهة المناصحة فجاء بما علم أنه أقرب إلى تسليمهم لقوله وأدخل في تصديقهم له وقبولهم منه فقال وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم وهو كلام المنصف في مقاله غير المشتط فيه ليسمعوا منه ولا يردوا عليه وذلك أنه حين فرضه صادقا فقد أثبت أنه صادق في جميع ما يعد ولكنه أردفه يصبكم بعض الذي يعدكم ليهضمه بعض حقه في ظاهر الكلام فيريهم أنه ليس بكلام من أعطاه حقه وافيا فضلا أن يتعصب له أو يرمي بالحصى من ورائه وتقديم الكاذب على الصادق أيضا من هذا القبيل وكذلك قوله إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب فإن قلت فعن أبي عبيدة أنه فسر البعض بالكل وأنشد بيت لبيد ۝ تراك أمكنة إذا لم أرضها ۝ أو يرتبط بعض النفوس حمامها ۝ قلت إن صحت الرواية عنه فقد حق فيه قول المازني في مسألة العلقى كان أجفى من أن يفقه ما أقول له إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب يحتمل أنه إن كان مسرفا كذابا خذله الله وأهلكه ولم يستقم له أمر فيتخلصوا منه وأنه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله للنبوة ولما عضده بالبينات وقيل ما تولى أبو بكر من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان أشد من ذلك طاف بالبيت فلقيه حين فرغ فأخذ بمجامع ردائه فقال له أنت الذي تنهانا عما يعبد آباؤنا فقال أنا ذاك فقام أبو بكر رضي الله عنه فالتزمه من ورائه فقال أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم رافعا صوته بذلك وعيناه تسفحان حتى أرسلوه وعن جعفر الصادق أن مؤمن آل فرعون قال ذلك سرا وأبو بكر قاله ظاهرا يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا ظاهرين في الأرض في أرض مصر عالين فيها على بني إسرائيل يعني أن لكم ملك مصر وقد علوتم الناس وقهرتموهم فلا تفسدوا أمركم على

أنفسكم ولا تتعرضوا لبأس الله وعذابه فإنه لا قبل لكم به إن جاءكم وقال ينصرنا وجاءنا لأنه منهم في القرابة وليعلمهم بأن الذي ينصحهم به هو مساهم لهم فيه قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى أي ما أشير عليكم إلا بما أرى من قتله يعني لا أستصوب إلا قتله وهذا الذي تقولونه غير صواب وما أهديكم بهذا الرأي إلا سبيل الرشاد يريد سبيل الصواب والصلاح أو ما أعلمكم إلا ما أعلم من الصواب ولا أدخر منه شيئا ولا أسر عنكم خلاف ما أظهر يعني أن لسانه وقلبه متواطئان على ما يقول وقد كذب فقد كان مستشعرا للخوف الشديد من جهة موسى عليه الصلاة والسلام ولكنه كان يتجلد ولولا استشعاره لم يستشر أحدا ولم يقف الأمر على الإشارة وقرئ الرشاد فعال من رشد بالكسر كعلام أو من رشد بالفتح كعباد وقيل هو من أرشد كجبار من أجبر وليس بذاك لأن فعالا من أفعل لم يجئ إلا في عدة أحرف نحو دراك وسآر وقصار وجبار ولا يصح القياس على القليل ويجوز أن يكون نسبة إلى الرشد كعواج وبتات غير منظور فيه إلى فعل وقال الذي آمن يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم مثل يوم الأحزاب مثل أيامهم لأنه لما أضافه إلى الأحزاب وفسرهم بقوم نوح وعاد وثمود ولم يلبس أن كل حزب منهم كان له يوم دمار اقتصر على الواحد من الجمع لأن المضاف إليه أغنى عن ذلك كقوله ۝ كلوا في بعض بطنكم تعفوا ۝ وقال الزجاج مثل يوم حزب حزب ودأب هؤلاء دءوبهم في عملهم من الكفر والتكذيب وسائر المعاصي وكون ذلك دائبا دائما منهم لا يفترون عنه ولا بد من حذف مضاف يريد مثل جزاء دأبهم فإن قلت بم انتصب مثل الثاني قلت بأنه عطف بيان لمثل الأول لأن آخر ما تناولته الإضافة قوم نوح ولو قلت أهلك الله الأحزاب قوم نوح وعاد وثمود لم يكن إلا عطف بيان لإضافة قوم إلى أعلام فسرى ذلك الحكم إلى أول ما تناولته الإضافة وما الله يريد ظلما للعباد ۝ يعني أن تدميرهم كان عدلا وقسطا لأنهم استوجبوه بأعمالهم وهو أبلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد حيث جعل المنفي إرادة الظلم لأن من كان عن إرادة الظلم بعيدا كان عن الظلم أبعد وحيث نكر الظلم كأنه نفى أن يريد ظلما ما لعباده ويجوز أن يكون معناه كمعنى قوله ولا يرضى لعباده الكفر أي لا يريد لهم أن يظلموا يعني أنه دمرهم لأنهم كانوا ظالمين ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد ۝ التنادي ما حكى الله تعالى في سورة الأعراف من قوله ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة ويجوز أن يكون تصايحهم بالويل والثبور وقرئ بالتشديد وهو أن يند بعضهم من بعض كقوله يوم يفر المرء من أخيه وعن الضحاك إذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا يأتون قطرا من الأقطار إلا وجدوا ملائكة صفوفا فبينا هم يموج بعضهم في بعض إذ سمعوا مناديا أقبلوا إلى الحساب يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد عن قتادة منصرفين عن موقف الحساب إلى النار وعن مجاهد فارين عن النار غير معجزين ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به هو يوسف بن يعقوب عليه الصلاة والسلام وقيل هو يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب أقام فيهم نبيا عشرين سنة وقيل إن فرعون موسى هو فرعون يوسف عمر إلى زمنه وقيل هو فرعون آخر وبكتهم بأن يوسف عليه الصلاة والسلام أتاكم بالمعجزات فشككتم فيها ولم تزالوا شاكين كافرين حتى إذا هلك قبض قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا حكما من عند أنفسكم من غير برهان وتقدمة عزم منكم على تكذيب الرسل فإذا جاءكم رسول جحدتم وكذبتم بناء على حكمكم الباطل الذي أسستموه وليس قولهم لن يبعث الله من بعده رسولا بتصديق لرسالة يوسف وكيف وقد شكوا فيها وكفروا بها وإنما هو تكذيب لرسالة من بعده مضموم إلى تكذيب رسالته وقرئ ألن يبعث الله على إدخال همزة الاستفهام على حرف النفي كأن بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث ثم قال كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب أي مثل هذا الخذلان المبين يخذل الله كل مسرف في عصيانه مرتاب في دينه الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار ۝ الذين يجادلون بدل من من هو مسرف فإن قلت كيف جاز إبداله منه وهو جمع وذلك موحد قلت لأنه لا يريد مسرفا واحدا

وكأنه قال كل مسرف مرتاب فإن قلت ما فاعل كبر قلت ضمير من هو مسرف فإن قلت أما قلت هو جمع في المعنى وأما اللفظ فموحد فحمل البدل على معناه والضمير الراجع إليه على لفظه وليس ببدع أن يحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى وله نظائر ويجوز أن يرفع الذين يجادلون على الابتداء ولا بد في هذا الوجه من حذف مضاف يرجع إليه الضمير في كبر تقديره جدال الذين يجادلون كبر مقتا ويحتمل أن يكون الذين يجادلون مبتدأ وبغير سلطان أتاهم خبرا وفاعل كبر قوله كذلك أي كبر مقتا مثل ذلك الجدال ويطبع الله كلام مستأنف ومن قال كبر مقتا عند الله جدالهم فقد حذف الفاعل والفاعل لا يصح حذفه وفي كبر مقتا ضرب من التعجب والاستعظام لجدالهم والشهادة على خروجه من حد أشكاله من الكبائر وقرئ سلطان بضم اللام وقرئ قلب بالتنوين ووصف القلب بالتكبر والتجبر لأنه مركزهما ومنبعهما كما تقول رأت العين وسمعت الأذن ونحوه قوله عز وجل فإنه آثم قلبه وإن كان الآثم هو الجملة ويجوز أن يكون على حذف المضاف أي كل ذي قلب متكبر تجعل الصفة لصاحب القلب ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ قيل الصرح البناء الظاهر الذي لا يخفى على الناظر وإن بعد اشتقوه من صرح الشيء إذا ظهر وأسباب السموات طرقها وأبوابها وما يؤدي إليها وكل ما أداك إلى شيء فهو سبب إليه كالرشاء ونحوه فإن قلت ما فائدة هذا التكرير ولو قيل لعلي أبلغ أسباب السموات لأجزأ قلت إذا أبهم الشيء ثم أوضح كان تفخيما لشأنه فلما أراد تفخيم ما أمل بلوغه من أسباب السموات أبهمها ثم أوضحها ولأنه لما كان بلوغها أمرا عجيبا أراد أن يورده على نفس متشوقة إليه ليعطيه السامع حقه من التعجب فأبهمه ليشوق إليه نفس هامان ثم أوضحه وقرئ فأطلع بالنصب على جواب الترجي تشبيها للترجي بالتمني ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ومثل ذلك التزيين وذلك الصد ﴿زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾ والمزين إما الشيطان بوسوسته كقوله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وإما الله تعالى على وجه التسبيب لأنه مكن الشيطان وأمهله ومثله زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون وقرئ وزين له سوء عمله على البناء للفاعل والفعل لله عز وجل ودل عليه قوله وصد بفتح الصاد وضمها وكسرها على نقل حركة العين إلى الفاء كما قيل قيل ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ والتباب الخسران والهلاك وصد مصدر معطوف على سوء عمله وصدوا هو وقومه ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ۝ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ۝ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝ وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ۝ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ۝﴾ قال أهدكم سبيل الرشاد فأجمل لهم ثم فسر فافتتح بذم الدنيا وتصغير شأنها لأن الإخلاد إليها هو أصل الشر كله ومنه يتشعب جميع ما يؤدي إلى سخط الله ويجلب الشقاوة في العاقبة وثنى بتعظيم الآخرة والاطلاع على حقيقتها وأنها هي الوطن والمستقر وذكر الأعمال سيئها وحسنها وعاقبة كل منها ليثبط عما يتلف وينشط لما يزلف ثم وازن بين الدعوتين دعوته إلى دين الله الذي ثمرته النجاة ودعوتهم إلى اتخاذ الأنداد الذي عاقبته النار وحذر وأنذر واجتهد واحتشد لا جرم أن الله استثناه من آل فرعون وجعله حجة عليهم وعبرة للمعتبرين وهو قوله فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب وفي هذا أيضا دليل بين على أن الرجل كان من آل فرعون والرشاد نقيض الغي وفيه تعريض شبيه بالتصريح أن ما عليه فرعون وقومه هي سبيل الغي فلا يجزى إلا مثلها لأن الزيادة على مقدار جزاء السيئة قبيحة لأنها ظلم وأما الزيادة على مقدار جزاء الحسنة فحسنة لأنها فضل وقرئ يدخلون ويدخلون بغير حساب واقع في مقابلة إلا مثلها يعني أن جزاء السيئة له حساب وتقدير لئلا يزيد على الاستحقاق فأما جزاء العمل الصالح فبغير تقدير وحساب بل ما شئت من الزيادة على الحق والكثرة والسعة فإن قلت لم كرر نداء قومه ولم جاء بالواو في النداء الثالث دون الثاني قلت أما تكرير النداء ففيه زيادة تنبيه لهم وإيقاظ عن سنة الغفلة وفيه أنهم قومه وعشيرته وهم فيما يوبقهم وهو يعلم وجه خلاصهم ونصيحتهم

عليه واجبة فهو يتحزن لهم ويتلطف بهم ويستدعي بذلك أن لا يتهموه فإن سرورهم سروره وغمهم غمه وينزلوا على تنصيحه لهم كما كرر إبراهيم عليه الصلوة والسلام في نصيحة أبيه يا أبت وأما المجيء بالواو العاطفة فلأن الثاني داخل على كلام هو بيان للمجمل وتفسير له فأعطي الداخل عليه حكمه في امتناع دخول الواو وأما الثالث فداخل على كلام ليس بتلك المثابة يقال دعاه إلى كذا ودعاه له كما يقال هداه إلى الطريق وهداه له به علم بربوبيته والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كأنه قال وأشرك به ما ليس بإله وما ليس بإله كيف يصح أن يعلم إلها ﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ﴾ لا جرم ساقه على مذهب البصريين أن يجعل لا ردا لما دعاه إليه قومه وجرم فعل بمعنى حق وأن مع ما في حيزه فاعله أي حق ووجب بطلان دعوته أو بمعنى كسب من قوله ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا أي كسب ذلك الدعاء إليه بطلان دعوته على معنى أنه ما حصل من ذلك إلا ظهور بطلان دعوته ويجوز أن يقال إن لا جرم نظير لا بد فعل من الجرم وهو القطع كما أن بدا فعل من التبديد وهو التفريق فكما أن معنى لا بد أنك تفعل كذا بمعنى لا بعد لك من فعله فكذلك لا جرم أن لهم النار أي لا قطع لذلك بمعنى أنهم أبدا يستحقون النار لا انقطاع لاستحقاقهم ولا قطع لبطلان دعوة الأصنام أي لا تزال باطلة لا ينقطع ذلك فينقلب حقا وروي عن العرب لا جرم أنه يفعل بضم الجيم وسكون الراء بزنة بد وفعل وفعل أخوان كرشد ورشد وعدم وعدم ليس له دعوة معناه أن ما تدعونني إليه ليس له دعوة إلى نفسه قط أي من حق المعبود بالحق أن يدعو العباد إلى طاعته ثم يدعو العباد إليها إظهارا لدعوة ربهم وما تدعون إليه وإلى عبادته لا يدعو هو إلى ذلك ولا يدعي الربوبية ولو كان حيوانا ناطقا لضج من دعائكم وقوله ﴿فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ﴾ يعني أنه في الدنيا جماد لا يستطيع شيئا من دعاء وغيره وفي الآخرة إذا أنشأه الله حيوانا تبرأ من الدعاة إليه ومن عبدته وقيل معناه ليس له استجابة دعوة في الدنيا ولا في الآخرة أو دعوة مستجابة جعلت الدعوة التي لا استجابة لها ولا منفعة كلا دعوة أو سميت الاستجابة باسم الدعوة كما سمي الفعل المجازى عليه باسم الجزاء في قولهم كما تدين تدان قال الله تعالى له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء ﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ المسرفين عن قتادة المشركين وعن مجاهد السفاكين للدماء وقيل الذين غلب شرهم خيرهم هم المسرفون ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ﴾ وقرئ فستذكرون أي فسيذكر بعضكم بعضا ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾ لأنهم توعدوه ﴿إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾ شدائد مكرهم وما هموا به من إلحاق أنواع العذاب بمن خالفهم وقيل نجا مع موسى عليه الصلوة والسلام ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ ما هموا به من تعذيب المسلمين ورجع عليهم كيدهم ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ ۝ النار بدل من سوء العذاب أو خبر مبتدأ محذوف كأن قائلا قال ما سوء العذاب فقيل هو النار أو مبتدأ خبره يعرضون عليها وفي هذا الوجه تعظيم للنار وتهويل من عذابها وعرضهم عليها إحراقهم بها يقال عرض الإمام الأسارى على السيف إذا قتلهم وقرئ النار بالنصب وهي تعضد الوجه الأخير وتقديره يدخلون النار يعرضون عليها ويجوز أن ينتصب على الاختصاص غدوا وعشيا في هذين الوقتين يعذبون بالنار وفيما بين ذلك الله تعالى أعلم بحالهم فإما أن يعذبوا بجنس آخر من العذاب أو ينفس عنهم ويجوز أن يكون غدوا وعشيا عبارة عن الدوام هذا ما دامت الدنيا فإذا قامت الساعة قيل لهم ادخلوا يا آل فرعون أشد عذاب جهنم وقرئ أدخلوا آل فرعون أي يقال لخزنة جهنم أدخلوهم فإن قلت قوله وحاق بآل فرعون سوء العذاب معناه أنه رجع عليهم ما هموا به من المكر بالمسلمين كقول العرب من حفر لأخيه جبا وقع فيه منكبا فإذا فسر سوء العذاب بنار جهنم لم يكن مكرهم راجعا عليهم لأنهم لا يعذبون بجهنم قلت يجوز أن يهم الإنسان بأن يغرق قوما فيحرق بالنار ويسمى ذلك حيقا لأنهم هموا بسوء فأصابه ما يقع عليه اسم السوء ولا يشترط في الحيق أن يكون الحائق ذلك السوء بعينه ويجوز أن يهم فرعون لما سمع إنذار المسلم بالنار وقول المؤمن وأن المسرفين هم أصحاب النار فيفعل نحو ما فعل نمرود

ويغشيهم بالنار فحاق به مثل ما اضمره وهم بفعله ويستدل بهذه الآية على اثبات عذاب القبر
وإذ يتحاجون في النار واذكر وقت تخاصمهم فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم
تبعا تباعا كخدم في جمع خادم او ذوي تبع اي اتباع او وصفا بالمصدر فهل أنتم مغنون عنا
نصيبا من النار ۝ قال الذين استكبروا إنا كل فيها وقرئ كلا على التاكيد لاسم ان وهو
معرفة والتنوين عوض من المضاف اليه يريد انا كلنا او كلنا فيها فان قلت هل يجوز ان تكون
كلا حالا قد عمل فيها فيها قلت لا لان الظرف لا يعمل في الحال متقدمة كما يعمل في الظرف متقدما فتقول
كل يوم لك ثوب ولا تقول قائما في الدار زيد إن الله قد حكم بين العباد ۝ فقضى بينهم
وفصل بان ادخل الجنة اهل الجنة واهل النار النار وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف
عنا يوما من العذاب لخزنة جهنم للقوام بتعذيب اهلها فان قلت هلا قيل الذين في النار
لخزنتها قلت لان في ذكر جهنم تهويلا وتفظيعا ويحتمل ان جهنم هي ابعد النار قعرا من قولهم بئر
جهنام بعيدة القعر وقولهم في النابغة جهنام تسمية بها لزعمهم انه يلقي الشعر على لسان المنتسب
اليه فهو بعيد الغور في علمه بالشعر كما قال ابو نواس في خلف الاحمر قليذم من العيالم الخسف
وفيها اعتى الكفار واطغاهم فلعل الملائكة الموكلين بعذاب اولئك اجوب دعوة لزيادة قربهم
من الله فلهذا تعمدهم اهل النار بطلب الدعوة منهم قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى
قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال ۝ اولم تك تأتيكم الزام للحجة وتوبيخ وانهم خلفوا
وراءهم اوقات الدعاء وعطلوا الاسباب التي يستجيب الله لها الدعوات قالوا فادعوا انتم فانا لا
نجترئ على ذلك ولا نشفع الا بشرط كون المشفوع له غير ظالم والاذن في الشفاعة مع مراعاة
وقتها وذلك قبل الحكم الفاصل بين الفريقين وليس قولهم فادعوا لرجاء المنفعة ولكن
للدلالة على الخيبة فان الملك المقرب اذا لم يسمع دعاؤه كيف يسمع دعاء الكافر إنا لننصر
رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ۝ اي في الدنيا والآخرة يعني انه يغلبهم
في الدارين جميعا بالحجة والظفر على مخالفيهم وان غلبوا في الدنيا في بعض الاحايين امتحانا من الله
فالعاقبة لهم ويتيح الله من يقتص من اعدائهم ولو بعد حين والاشهاد جمع شاهد كصاحب واصحاب
يريد الحفظة من الملائكة والانبياء والمؤمنين من امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم لتكونوا شهداء
على الناس يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم واليوم الثاني بدل من الاول يحتمل انهم يعتذرون
معذرة ولكنها لا تنفع لانها باطلة وانهم لو جاؤا بمعذرة لم تكن مقبولة لقوله ولا يؤذن لهم
فيعتذرون ولهم اللعنة البعد من رحمة الله ولهم سوء الدار ۝ سوء دار الآخرة وهو عذابها
وقرئ تقوم ولا تنفع بالتاء والياء ولقد آتينا موسى الهدى يريد بالهدى جميع ما آتاه في باب
الدين من المعجزات والتوراة والشرائع وأورثنا بني إسرائيل وتركنا على بني اسرائيل من بعده الكتاب
اي التوراة هدى وذكرى لأولي الألباب ۝ ارشادا وتذكرة وانتصابهما على المفعول له او على
الحال واولو الالباب المؤمنون به العاملون بما فيه فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك
وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار ۝ يعني ان نصرة الرسل في ضمان الله لا تخلف واستشهد
بموسى وما آتاه من اسباب الهدى والنصرة على فرعون وجنوده وابقى آثار هداه في بني اسرائيل
والله ناصرك كما نصرهم ومظهرك على الدين كله ومبلغ ملك امتك مشارق الارض
ومغاربها فاصبر على ما يجرعك قومك من الغصص فان العاقبة لك وما سبق به وعدي من
نصرتك واعلاء كلمتك حق واقبل على التقوى واستدرك الفرطات بالاستغفار ودم على عبادة
ربك والثناء عليه بالعشي والإبكار وقيل هما صلاتا العصر والفجر إن الذين يجادلون في آيات
الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبر الا تكبر وتعظم وهو ارادة التقدم
والرياسة وان لا يكون احد فوقهم ولذلك عادوك ودفعوا آياتك خيفة ان تتقدمهم ويكونوا
تحت يدك وامرك ونهيك لان النبوة تحتها كل ملك ورياسة او ارادة ان تكون لهم النبوة دونك
حسدا وبغيا ويدل عليه قوله لو كان خيرا ما سبقونا اليه او ارادة دفع الآيات بالجدال ما
هم ببالغيه اي ببالغي موجب الكبر ومقتضيه وهو متعلق ارادتهم من الرياسة او النبوة
او دفع الآيات وقيل المجادلون هم اليهود وكانوا يقولون يخرج صاحبنا المسيح بن داود يريدون

الدجال ويبلغ

الدجال ويبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الانهار وهو آية من آيات الله فيرجع الينا الملك
فسمى الله تعالى تمنيهم ذلك كبرا ونفى ان يبلغوا متمناهم فاستعذ بالله فالتجئ اليه من
كيد من يحسدك ويبغي عليك إنه هو السميع لاقوالك واقوالهم البصير ۝ بما تعمل ويعملون
فهو ناصرك عليهم وعاصمك من شرهم فان قلت كيف اتصل قوله لخلق السماوات والأرض
أكبر من خلق الناس بما قبله قلت ان مجادلتهم في آيات الله كانت مشتملة على انكار البعث
وهو اصل المجادلة ومدارها فحجوا بخلق السموات والارض لانهم كانوا مقرين بان الله خالقها
وبانها خلق عظيم لا يقادر قدره وخلق الناس بالقياس اليه شيء قليل مهين فمن قدر على خلقها مع
عظمها كان على خلق الانسان مع مهانته اقدر وهو ابلغ من الاستشهاد بخلق مثله ولكن
أكثر الناس لا يعلمون ۝ لانهم لا ينظرون ولا يتاملون لغلبة الغفلة عليهم واتباعهم اهواءهم
وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ما تتذكرون
ضرب الاعمى والبصير مثلا للمحسن والمسيء وقرئ تتذكرون بالياء والتاء اعم إن الساعة لآتية
لا ريب فيها لا بد من مجيئها ولا محالة وليس بمرتاب فيها لانه لا بد من جزاء ولكن أكثر الناس
لا يؤمنون ۝ لا يصدقون بها وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ادعوني اعبدوني والدعاء
بمعنى العبادة كثير في القرآن ويدل عليه قوله إن الذين يستكبرون عن عبادتي والاستجابة
الاثابة وفي تفسير مجاهد اعبدوني اثبكم وعن الحسن وقد سئل عنها اعملوا وابشروا فانه حق
على الله ان يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله وعن الثوري انه قيل له ادع
الله فقال ان ترك الذنوب هو الدعاء وفي الحديث اذا شغل عبدي طاعتي عن الدعاء اعطيته افضل
ما اعطي السائلين وروى النعمان بن بشير عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الدعاء هو العبادة
وقرأ هذه الآية ويجوز ان يريد الدعاء والاستجابة على ظاهرهما ويريد بعبادتي دعائي لان الدعاء باب
من العبادة ومن افضل ابوابها يصدقه قول ابن عباس افضل العبادة الدعاء وعن كعب اعطى
الله هذه الامة ثلاثا لم يعطهن الا نبيا مرسلا كان يقول لكل نبي انت شاهدي
على خلقي وقال لهذه الامة لتكونوا شهداء على الناس وكان يقول ما عليك من حرج وقال لنا ما يريد
الله ليجعل عليكم من حرج وكان يقول ادعني استجب لك وقال لنا ادعوني استجب لكم وعن ابن عباس
وحدوني اغفر لكم وهذا تفسير للدعاء بالعبادة ثم للعبادة بالتوحيد سيدخلون جهنم داخرين ۝
صاغرين الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا إن الله لذو فضل
على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ۝ مبصرا من الاسناد المجازي لان الابصار في الحقيقة
لاهل النهار فان قلت لم قرن الليل بالمفعول له والنهار بالحال وهلا كانا حالين او مفعولا لهما
فيراعى حق المقابلة قلت هما متقابلان من حيث المعنى لان كل واحد منهما يؤدي مؤدى الآخر
ولانه لو قيل لتبصروا فيه فاتت الفصاحة التي في الاسناد المجازي ولو قيل ساكنا والليل
يجوز ان يوصف بالسكون على الحقيقة الا ترى الى قولهم ليل ساج وساكن لا ريح فيه لم تتميز الحقيقة
من المجاز فان قلت فهلا قيل لمفضل او لمتفضل قلت لان الغرض تنكير الفضل وان يجعل
فضلا لا يوازيه فضل وذلك انما يستوي بالاضافة فان قلت فلو قيل ولكن اكثرهم فلا يتكرر ذكر
الناس قلت في هذا التكرير تخصيص لكفران النعمة بهم وانهم هم الذين يكفرون فضل الله
ولا يشكرونه كقوله ان الانسان لكفور ان الانسان لربه لكنود ان الانسان لظلوم كفار ذلكم
الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو المعلوم المتميز بالافعال الخاصة التي لا يشاركه فيها احد
هو اخبار مترادفة لهذه الاوصاف من الالهية والربوبية وخلق كل شيء وانشائه لا يمتنع عليه
شيء والوحدانية لا ثاني له فأنى تؤفكون ۝ فكيف ومن اي وجه تصرفون عن عبادته الى عبادة
غيره كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون ۝ ثم ذكر ان كل من جحد بآيات الله ولم
يتاملها ولم يكن فيه همة طلب الحق وخشية العاقبة أفك كما أفكوا وقرئ خالق كل شيء نصبا
على الاختصاص يؤفكون بالياء والتاء الله الذي جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء
وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين
هذه دلالة اخرى على تميزه بافعال خاصة وهي جعل الارض مستقرا والسماء بناء اي قبة ومنه

اسنة الغرب لمضاربهم لان السماء في منظر العين كقبة مضروبة على وجه الارض فاحسن صوركم
وقرئ بكسر الصاد والمعنى واحد قيل لم يخلق حيوانا احسن صورة من الانسان وقيل لم يخلقهم منكوسين
كالبهائم كقوله تعالى في احسن تقويم هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين اي الطاعة من الشرك
والرياء قائلين الحمد لله رب العالمين ۝ وعن ابن عباس رضي الله عنهما من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها
الحمد لله رب العالمين قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي
وامرت ان اسلم لرب العالمين ۝ فان قلت اما نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبادة الاوثان
بادلة العقل حتى جاءته البينات من ربه قلت بلى ولكن البينات لما كانت مقوية لادلة العقل
ومؤكدة لها ومضمنة ذكرها نحو قوله تعالى اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون واشباه
ذلك من التنبيه على ادلة العقل كان ذكر البينات ذكرا لادلة العقل والسمع جميعا وانما ذكر ما
يدل على الامرين جميعا لان ذكر تناصر الادلة ادلة العقل وادلة السمع اقوى في ابطال مذهبهم
وان كانت ادلة العقل وحدها كافية هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم
يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا
اجلا مسمى ۝ ولتبلغوا اشدكم متعلق بفعل محذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذلك
لتكونوا واما ولتبلغوا اجلا مسمى فمعناه ونفعل ذلك لتبلغوا اجلا مسمى وهو وقت الموت وقيل
يوم القيمة وقرئ شيوخا بكسر الشين وشيخا على التوحيد كقوله طفلا والمعنى كل واحد
منكم او اقتصر على الواحد لان الغرض بيان الجنس من قبل الشيخوخة او من قبل هذه الاحوال اذا
خرج سقطا ولعلكم تعقلون ۝ ما في ذلك من العبر والحجج هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى
امرا فانما يقول له كن فيكون ۝ فاذا قضى امرا فانما يكونه من غير كلفة ولا معاناة جعل هذا
نتيجة من قدرته على الاحياء والاماتة وسائر ما ذكر من افعاله الدالة على ان مقدورا لا يمتنع عليه
فلذلك من الكناية اذا قضى امرا كان اهون شيء واسرعه الم تر الى الذين يجادلون في آيات الله انى يصرفون
الذين كذبوا بالكتاب بالقرآن وبما ارسلنا به رسلنا من الكتب فان قلت وهل قوله فسوف
يعلمون اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ۝ الا مثل قولك سوف
اصوم امس قلت المعنى على اذا لان الامور المستقبلة لما كانت في اخبار الله تعالى متيقنة
مقطوعا بها عبر عنها بلفظ ما كان ووجد والمعنى على الاستقبال وعن ابن عباس والسلاسل يسحبون
بالنصب وفتح الياء على عطف الجملة الفعلية على الاسمية وعنه والسلاسل يسحبون بجر السلاسل ووجهه
انه لو قيل اذ اعناقهم في الاغلال مكان قوله اذ الاغلال في اعناقهم لكان صحيحا مستقيما فلما كانتا
عبارتين معتقبتين حمل قوله والسلاسل على العبارة الاخرى ونظيره مشائيم ليسوا مصلحين
عشيرة ولا ناعب الا ببين غرابها كانه قيل بمصلحين وقرئ وبالسلاسل يسحبون ثم في النار يسجرون ۝ من
سجر التنور اذا ملأه بالوقود ومنه السجير كانه سجر بالحب اي ملئ ومعناه انهم في النار فهي
محيطة بهم فهم مسجورون بالنار مملوءة بها اجوافهم ومنه قوله تعالى نار الله الموقدة التي تطلع
على الافئدة اللهم اجرنا من نارك انا عائذون بجوارك ثم قيل لهم اينما كنتم تشركون من دون
الله قالوا ضلوا عنا اي غابوا عن عيوننا فلا نراهم ولا ننتفع بهم فان قلت اما ذكرت في تفسير قوله تعالى
انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انهم مقرونون بالهتهم فكيف يكونون معهم
وقد ضلوا عنهم قلت يجوز ان يضلوا عنهم اذا وبخوا وقيل لهم اينما كنتم تشركون من دون الله
فيغيثوكم ويشفعوا لكم وان يكونوا معهم في جميع اوقاتهم لانهم لما لم ينفعوهم فكانهم ضالون
عنهم بل لم نكن ندعو من قبل شيئا اي تبين لنا انهم لم يكونوا شيئا وما كنا نعبد بعبادتهم
شيئا كما تقول حسبت ان فلانا شيئا فاذا هو ليس بشيء اذا خبرته فلم تر عنده خيرا كذلك
يضل الله الكافرين ۝ مثل ضلال الهتهم عنهم حتى لو طلبوا الالهة لم يتصادفوا ذلكم بما كنتم تفرحون
في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون ۝ ذلكم الاضلال بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح
بغير الحق وهو الشرك وعبادة الاوثان ادخلوا ابواب جهنم السبعة المقسومة لكم قال الله
تعالى لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم خالدين فيها مقدرين الخلود فبئس مثوى المتكبرين
عن الحق المستخفين به مثواكم او جهنم فان قلت اليس قياس النظم ان يقال فبئس مدخل المتكبرين

كما تقول زرت بيت الله فنعم المزار وصل في المسجد الحرام فنعم المصلى قلت الدخول الموقت بالخلود في
معنى الثواء فاصبر ان وعد الله حق فاما نرينك بعض الذي نعدهم فاما نرينك
اصله فان نرك وما مزيدة لتاكيد معنى الشرط ولذلك الحقت النون بالفعل الا تراك لا تقول
ان تكرمني اكرمك ولكن اما تكرمني اكرمك فان قلت لا تخلو اما ان تعطف نتوفينك على نعدهم او
نتوفينك على نرينك وتشركهما في جزاء واحد وهو قوله فالينا يرجعون ۝ فقولك فاما نرينك
بعض الذي نعدهم فالينا يرجعون غير صحيح وان جعلت فالينا يرجعون مختصا بالمعطوف
الذي هو نتوفينك بقي المعطوف عليه بغير جزاء قلت فالينا يرجعون متعلق بنتوفينك وجزاء
نرينك محذوف تقديره فاما نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب وهو القتل يوم بدر فذاك
او ان نتوفينك قبل يوم بدر فالينا يرجعون يوم القيمة فننتقم منهم اشد الانتقام ونحوه قوله تعالى
فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون او نرينك الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون ولقد ارسلنا
رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول
ان ياتي باية الا باذن الله قيل بعث الله تعالى ثمانية الاف نبي اربعة الاف من بني اسرائيل واربعة الاف من
سائر الناس وعن علي رضي الله عنه ان الله بعث نبيا اسود فهو ممن لم يقصص عليه وهذا في اقتراحهم
الايات على رسول الله صلى الله عليه وسلم عنادا يعني انا ارسلنا كثيرا من الرسل وما كان لواحد
منهم ان ياتي باية الا باذن الله فمن لي بان اتي باية مما تقترحون الا ان يشاء الله ويأذن في الاتيان بها فاذا
جاء امر الله قضي بالحق وعيد ورد عقيب اقتراح الايات وامر الله القيمة وخسر هنالك
المبطلون ۝ المعاندون الذين اقترحوا الايات وقد اتتهم الايات فانكروها وسموها سحرا الله الذي جعل
لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تاكلون ۝ ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في
صدوركم الانعام الابل خاصة فان قلت لم قال لتركبوا منها ولتبلغوا ولم يقل لتاكلوا منها ولتصلوا
الى منافع او هلا قال منها تركبون ومنها تاكلون وتبلغون عليها حاجة في صدوركم قلت في الركوب
الركوب في الحج والغزو وفي بلوغ الحاجة الهجرة من بلد الى بلد لاقامة دين او طلب علم وهذه اغراض
دينية اما واجبة واما مندوب اليها مما يتعلق به ارادة الحكيم واما الاكل واصابة المنافع فمن جنس
المباح الذي لا يتعلق به ارادته ومعنى قوله وعليها وعلى الفلك تحملون ۝ وعلى الانعام وحدها لا تحملون
ولكن عليها وعلى الفلك في البر والبحر فان قلت هلا قيل في الفلك كما قال قلنا احمل فيها من كل زوجين
اثنين قلت معنى الايعاء ومعنى الاستعلاء كلاهما مستقيم لان الفلك وعاء لمن يكون فيها حمولة يستعليها
فلما صح المعنيان صحت العبارتان وايضا فليطابق قوله وعليها ويزاوجه ويريكم اياته فاي
ايات الله تنكرون ۝ فاي ايات الله جاءت على اللغة المستفيضة وقولك فاية ايات الله قليل لان
التفرقة بين المذكر والمؤنث في الاسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهي في اي اغرب لابهامه
افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد
قوة واثارا في الارض فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون ۝ واثارهم قصورهم ومصانعهم وقيل
مشيهم بارجلهم لعظم اجرامهم فما اغنى عنهم ما نافية او مضمنة معنى الاستفهام ومحلها النصب
والثانية موصولة او مصدرية ومحلها الرفع يعني اي شيء اغنى عنهم مكسوبهم او كسبهم فلما جاءتهم
رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم فيه وجوه منها انه اراد العلم الوارد على طريق
التهكم في قوله بل ادارك علمهم في الاخرة انهم كانوا يقولون لا نبعث ولا نعذب وما اظن الساعة قائمة
ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منهما
فكانوا يفرحون بذلك ويدفعون به البينات وعلم الانبياء كما قال عز وجل كل حزب بما لديهم فرحون
ومنها ان يريد علم الفلاسفة والدهريين من بني يونان وكانوا اذا سمعوا بوحي الله دفعوه وصغروا
علم الانبياء الى علمهم وعن سقراط انه سمع بموسى عليه السلام وقيل له لو هاجرت اليه فقال نحن قوم
مهديون فلا حاجة لنا الى من يهدينا ومنها ان يوضع قوله فرحوا بما عندهم من العلم ولا علم عندهم البتة موضع
قوله لم يفرحوا بما جاءهم من العلم مبالغة في نفي فرحهم بالوحي الموجب لاقصى الفرح والمسرة مع تهكم
بفرط جهلهم وخلوهم من العلم ومنها ان يريد فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح ضحك منه واستهزاء
به كانه قال استهزؤا بالبينات وبما جاءوا به من علم الوحي فرحين مرحين ويدل عليه قوله وحاق

بهم ما كانوا به يستهزءون ان يجعل الفرح للرسل ومعناه ان الرسل لما رأوا جهلهم المتمادي واستهزاءهم بالحق وعلموا سوء عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم واستهزائهم فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم ويجوز ان يريد بما فرحوا به من العلم علمهم بامور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها كما قال تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ذلك مبلغهم من العلم فلما جاءتهم الرسل بعلوم الديانات وهي ابعد شيء من علمهم لبعثها على رفض الدنيا والظلف عن الملاذ والشهوات لم يلتفتوا اليها وصغروها واستهزءوا بها واعتقدوا انه لا علم انفع واجلب للفوائد من علمهم ففرحوا به فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين البأس شدة العذاب ومنه قوله تعالى بعذاب بئيس فان قلت اي فرق بين قوله فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا وبينه لو قيل فلم ينفعهم ايمانهم قلت هو من كان في نحو قوله ما كان لله ان يتخذ من ولد والمعنى فلم يصح ولم يستقم ان ينفعهم ايمانهم فان قلت كيف ترادفت هذه الفاءات قلت اما قوله فما اغنى عنهم فهو نتيجة قوله كانوا اكثر منهم واما قوله فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فجار مجرى البيان والتفسير لقوله فما اغنى عنهم كقولك رزق زيد المال فمنع المعروف فلم يحسن الى الفقراء وقوله فلما رأوا بأسنا تابع لقوله فلما جاءتهم كانه قال فكفروا فلما رأوا بأسنا آمنوا وكذلك فلم يك ينفعهم ايمانهم تابع لايمانهم لما رأوا بأس الله سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون سنة الله بمنزلة وعد الله وما اشبهه من المصادر المؤكدة وهنالك مكان مستعار للزمان اي وخسروا وقت رؤية البأس وكذلك قوله وخسر هنالك المبطلون بعد قوله فاذا جاء امر الله قضي بالحق اي وخسروا وقت مجيء امر الله او وقت القضاء بالحق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له

سورة السجدة مكية وهي اربع وخمسون وقيل ثلاث وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب ان جعلت حم اسما للسورة كانت في موضع المبتدأ وتنزيل خبره وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل خبرا لمبتدأ محذوف وكتاب بدل من تنزيل او خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف وجوز الزجاج ان يكون تنزيل مبتدأ وكتاب خبره ووجهه ان تنزيلا تخصص بالصفة فساغ وقوعه مبتدأ فصلت آياته ميزت وجعلت تفاصيل في معان مختلفة من احكام وامثال ومواعظ ووعد ووعيد وغير ذلك وقرئ فصلت اي فرقت بين الحق والباطل او فصل بعضها من بعض باختلاف معانيها من قولك فصل من البلد قرآنا عربيا نصب على الاختصاص والمدح اي اريد بهذا الكتاب المفصل قرآنا من صفته كيت وكيت وقيل هو نصب على الحال [illegible] اي فصلت آياته في حال كونه قرآنا عربيا لقوم يعلمون اي لقوم عرب يعلمون ما نزل عليهم من الآيات المفصلة المبينة بلسانهم العربي المبين لا يلتبس عليهم شيء منه فان قلت بم يتعلق قوله لقوم يعلمون قلت يجوز ان يتعلق بتنزيل او بفصلت اي تنزيل من الله لاجلهم او فصلت آياته لهم والاجود ان يكون صفة مثل ما قبله وما بعده اي قرآنا عربيا كائنا لقوم عرب لئلا يفرق بين الصلات والصفات بشيرا ونذيرا وقرئ بشير ونذير صفة للكتاب او خبر مبتدأ محذوف فأعرض اكثرهم فهم لا يسمعون لا يقبلون ولا يطيعون من قولك تشفعت الى فلان فلم يسمع قولي ولقد سمعه ولكنه لما لم يقبله ولم يعمل بمقتضاه فكأنه لم يسمعه وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب الاكنة جمع كنان وهو الغطاء والوقر بالفتح الثقل وقرئ بالكسر وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن تقبل الحق واعتقاده كأنها في غلف واغطية تمنع من نفوذه فيها كقوله وقالوا قلوبنا غلف ومج اسماعهم له كأن بها صمما عنه ولتباعد المذهبين والدينين كأن بينهم وما هم عليه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هو عليه حجابا ساترا وحاجزا منيعا من جبل او نحوه فلا تلاقي ولا ترائي فاعمل اننا عاملون على دينك انا عاملون على ديننا او فاعمل في ابطال امرنا اننا عاملون في ابطال امرك وقرئ انا عاملون فان قلت هل لزيادة من في قوله ومن بيننا وبينك حجاب فائدة قلت نعم لانه لو قيل وبيننا وبينك حجاب لكان المعنى ان حجابا حاصل وسط الجهتين واما بزيادة من فالمعنى ان الحجاب ابتدأ منا وابتدأ منك فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب

لا فراغ فيها فان قلت هلا قيل على قلوبنا اكنة كما قيل وفي آذاننا وقر ليكون الكلام على نمط واحد قلت هو على نمط واحد لانه لا فرق في المعنى بين قولك قلوبنا في اكنة وعلى قلوبنا اكنة لم يختلف المعنى وترى المطابيع منهم لا يراعون الطباق والملاحظة الا في المعاني قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فان قلت من اين كان قوله انما انا بشر مثلكم يوحى الي جوابا لقولهم قلوبنا في اكنة قلت من حيث انه قال لهم اني لست بملك وانما انا بشر مثلكم وقد اوحي الي دونكم فصحت بالوحي الي وانا بشر نبوتي واذا صحت نبوتي وجب عليكم اتباعي فيما يوحى الي ان الهكم اله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه فاستووا اليه بالتوحيد واخلاص العبادة غير ذاهبين يمينا ولا شمالا ولا ملتفتين الى ما يسول لكم الشيطان من اتخاذ الاولياء والشفعاء وتوبوا اليه مما سبق لكم من الشرك واستغفروه وقرئ قال انما انا بشر وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون فان قلت لم خص من بين اوصاف المشركين منع الزكاة مقرونا بالكفر بالآخرة قلت لان احب شيء الى الانسان ماله وهو شقيق روحه فاذا بذله في سبيل الله فذلك اقوى دليل على ثباته واستقامته وصدق نيته ونصوع طويته الا ترى الى قوله عز وعلا ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم اي يثبتون انفسهم ويدلون على ثباتها بانفاق الاموال وما خدع المؤلفة قلوبهم الا بلمظة من الدنيا فقرت عصبيتهم ولانت شكيمتهم واهل الردة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تظاهروا الا بمنع الزكاة فنصبت لهم الحرب وجوهدوا وفيه بعث للمؤمنين على اداء الزكاة وتخويف شديد من منعها حيث جعل المنع من اوصاف المشركين وقرن بالكفر بالآخرة وقيل كانت قريش يطعمون الحاج ويحرمون من آمن منهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لا يفعلون ما يكونون به ازكياء وهو الايمان ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون الممنون المقطوع وقيل لا يمن عليهم لانه انما يمن التفضل فاما الاجر فحق اداؤه وقيل نزلت في المرضى والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين ائنكم بهمزتين الثانية بين بين وآئنكم بالف بين همزتين ذلك الذي قدر على خلق الارض في مدة يومين هو رب العالمين وجعل فيها رواسي جبالا ثوابت فان قلت ما معنى قوله من فوقها وهلا اقتصر على قوله وجعل فيها رواسي كقوله وجعلنا فيها رواسي شامخات وجعلنا في الارض رواسي وجعل لها رواسي قلت لو كانت تحتها كالاساطين لها تستقر عليها او مركوزة فيها كالمسامير لمنعت من الميدان وانما اختار ارساءها فوق الارض لتكون المنافع في الجبال معرضة لطالبيها حاضرة لمحصليها وليبصر ان الارض والجبال اثقال على اثقال كلها مفتقرة الى ممسك لا بد لها منه وهو ممسكها عز وعلا بقدرته وبارك فيها واكثر خيرها وانماه وقدر فيها اقواتها ارزاق اهلها ومعايشهم وما يصلحهم وفي قراءة ابن مسعود وقسم فيها اقواتها في اربعة ايام سواء فذلكة لمدة خلق الارض وما فيها كأنه قال كل ذلك في اربعة ايام كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان قيل خلق الارض في يوم الاحد ويوم الاثنين وما فيها يوم الثلاثاء ويوم الاربعاء وقال الزجاج في اربعة ايام في تتمة اربعة ايام يريد بالتتمة اليومين وقرئ سواء بالحركات الثلاث الجر على الوصف والنصب على استوت سواء اي استواء والرفع على هي سواء فان قلت بم تعلق قوله للسائلين قلت بمحذوف كأنه قيل هذا الحصر لاجل من سأل في كم خلقت الارض وما فيها او بقدر اي قدر فيها الاقوات لاجل الطالبين لها المحتاجين اليها من المقتاتين وهذا الوجه الاخير لا يستقيم الا على تفسير الزجاج فان قلت هلا قيل في يومين واي فائدة في هذه الفذلكة قلت اذا قال في اربعة ايام وقد ذكر ان الارض خلقت في يومين علم ان ما فيها خلق في يومين فبقيت المخايرة بين ان يقول في يومين وبين ان يقول في اربعة ايام سواء فكانت في اربعة ايام سواء فائدة ليست في يومين وهي الدلالة على انها كانت اياما كاملة بغير زيادة ولا نقصان ولو قال في يومين وقد يطلق اليومان على اكثرهما لكان يجوز ان يريد باليومين الاولين والآخرين اكثرهما ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين من قولك استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه توجها لا يلوي على شيء وهو من الاستواء الذي هو ضد الاعوجاج ونحوه قولهم استقام اليه وامتد اليه ومنه قوله تعالى فاستقيموا اليه والمعنى ثم دعاه داعي الحكمة الى خلق

المخلوق السما بعد خلق الارض وما فيها من غير صارف يصرفه عن ذلك وقيل كان عرشه قبل خلق السموات
والارض على الما فاخرج من الما دخانا فارتفع فوق الما وعلا عليه فايبس الما فجعله ارضا واحدة ثم
فتقها فجعلها ارضين ثم خلق السما من الدخان المرتفع ومعنى امر السماء والارض بالاتيان وامتثالهما
انه اراد تكوينهما فلم يمتنعا عليه ووجدتا كما ارادهما وكانتا في ذلك كالمامور المطيع اذا ورد عليه
فعل الامر المطاع وهو من المجاز الذي يسمى التمثيل ويجوز ان يكون تخييلا ويبنى الامر فيه
على ان الله تعالى كلم السما والارض وقال لهما ائتيا شئتما ذلك او ابيتماه فقالتا اتينا على الطوع
لا على الكره والغرض تصوير قدرته في المقدورات لا غير من غير ان يحقق شي من الخطاب
والجواب ونحوه قول القائل قال الجدار للوتد لم تشقني قال الوتد اسال من يدقني فلم
يتركني وراي الحجر الذي ورائي فان قلت لم ذكر الارض مع السما وانتظمها في الامر بالاتيان
والارض مخلوقة قبل السماء بيومين قلت قد خلق جرم الارض اولا غير مدحوة ثم دحاها
بعد خلق السما كما قال والارض بعد ذلك دحاها فالمعنى ائتيا على ما ينبغي ان تاتيا عليه من
الشكل والوصف ائتي يا ارض مدحوة قرارا ومهادا لاهلك وائتي يا سماء مقبية سقفا
لهم ومعنى الاتيان الحصول والوقوع كما تقول اتى عمله مرضيا وجاء مقبولا ويجوز ان يكون المعنى
لتات كل واحدة منكما صاحبتها الاتيان الذي اريده وتقتضيه الحكمة والتدبير من كون
الارض قرارا للسماء وكون السما سقفا للارض وتنصره قراءة من قرا اتيا واتينا من المواتاة
وهي الموافقة اي لتوات كل واحدة اختها ولتوافقها قالتا وافقنا وساعدنا ويحتمل وافقا
امري ومشيئتي ولا تمتنعا فان قلت ما معنى طوعا او كرها قلت هو مثل للزوم وتاثير
قدرته فيهما وان امتناعهما عن تاثير قدرته محال كما يقول الجبار لمن تحت يده لتفعلن هذا شئت او
ابيت ولتفعلنه طوعا او كرها وانتصابهما على الحال بمعنى طائعتين او مكرهتين فان قلت
هلا قيل طائعتين على اللفظ او طائعات على المعنى لانها سموات وارضون قلت لما جعلن مخاطبات
ومجيبات ووصفن بالطوع والكره قيل طائعين في موضع طائعات كقوله ساجدين
فقضاهن سبع سموات في يومين واوحى في كل سما امرها وزينا السما الدنيا بمصابيح
وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم ۝ فقضاهن يجوز ان يرجع الضمير فيه الى السماء على المعنى
كما قال طائعين ونحوه اعجاز نخل خاوية ويجوز ان يكون ضميرا مبهما مفسرا بسبع سموات
والفرق بين النصبين ان احدهما على الحال والثاني على التمييز وقيل خلق الله السموات وما فيها
في يومين في يوم الخميس ويوم الجمعة وفرغ في اخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها ادم وهي الساعة
التي تقوم فيها القيمة وفي هذا دليل على ما ذكرت انه لو قيل في يومين في موضع اربعة ايام
سواء لم يعلم انهما كاملان او ناقصان فان قلت فلو قيل خلق الارض في يومين كاملين وقدر فيها
اقواتها في يومين كاملين او قيل بعد ذكر اليومين تلك اربعة سواء قلت الذي اورده سبحانه
اخصر وافصح واحسن طباقا لما عليه التنزيل من مغاصات القرائح ومصاك الركب ليتميز الفاضل
من الناقص والمتقدم من الناكص وترتفع الدرجات ويتضاعف الثواب امرها ما امر به
فيها ودبره من خلق الملائكة والنيرات وغير ذلك او شانها وما يصلحها وحفظا وحفظناها حفظا
يعني من المسترقة بالثواقب ويجوز ان يكون مفعولا له على المعنى كانه قال وخلقنا المصابيح زينة وحفظا
فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ۝ فان اعرضوا بعد ما تتلو عليهم
من هذه الحجج على وحدانيته وقدرته فحذرهم ان تصيبهم صاعقة اي عذاب شديد الوقع كانه
صاعقة وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وثمود وهي المرة من الصعق او الصعق يقال صعقته الصاعقة
صعقا فصعق صعقا وهو من باب فعلته ففعل اذ جاءتهم الرسل من بين ايديهم ومن خلفهم
الا تعبدوا الا الله قالوا لو شا ربنا لانزل ملائكة فانا بما ارسلتم به كافرون ۝ من بين
ايديهم ومن خلفهم اي اتوهم من كل جانب واجتهدوا بهم واعملوا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم الا العتو
والاعراض كما حكى الله تعالى عن الشيطان لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم يعني لاتينهم من كل جهة
ولاعملن فيهم كل حيلة وتقول استدرت بفلان من كل جانب فلم يكن لي فيه حيلة وعن الحسن
انذروهم من وقائع الله فيمن قبلهم من الامم وعذاب الاخرة لانهم اذا حذروهم ذلك فقد جاؤهم بالوعظ

من جهة الزمن الماضي وما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل وما سيجري عليهم وقيل معناه اذ جاءتهم
الرسل من قبلهم ومن بعدهم فان قلت الرسل الذين من قبلهم ومن بعدهم كيف يوصفون
بانهم جاؤهم وكيف يخاطبونهم بقولهم انا بما ارسلتم به كافرون قلت قد جاءهم هود وصالح
داعيين الى الايمان بهما وبجميع الرسل ممن جاء من بين ايديهم اي من قبلهم وممن يجي من خلفهم اي من
بعدهم فكان الرسل جميعا قد جاؤهم وقولهم انا بما ارسلتم به كافرون خطاب منهم لهود وصالح
ولسائر الانبياء الذين دعوا الى الايمان بهم ان في ان لا تعبدوا بمعنى اي او مخففة من الثقيلة
اصله بانه لا تعبدوا اي بان الشان والحديث قولنا لكم لا تعبدوا ومفعول شا محذوف اي لو
شاء ربنا ارسال الرسل لانزل ملائكة فانا بما ارسلتم به كافرون فاذا انتم بشر ولستم بملائكة
فانا لا نؤمن بكم وبما جئتم به وقولهم ارسلتم به ليس باقرار بالارسال وانما هو على كلام الرسل
وفيه تهكم كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وروي ان ابا جهل قال في ملا
من قريش قد التبس علينا امر محمد فلو التمستم لنا رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر وكلمه ثم اتانا
ببيان من امره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من
ذلك علما وما يخفى علي فاتاه فقال انت يا محمد خير ام هاشم انت خير ام عبد المطلب انت خير ام عبد الله
فيم تشتم الهتنا وتضللنا فان كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللوا فكنت رئيسنا وان تكن بك
الباه زوجناك عشر نسوة تختارهن اي بنات قريش شئت وان كان بك المال جمعنا لك ما تستغني
به ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت فلما فرغ قال بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله مثل صاعقة
عاد وثمود فامسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ورجع الى اهله ولم يخرج الى قريش فلما احتبس
عنهم قالوا ما نرى عتبة الا قد صبا فانطلقوا اليه وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا الا انك قد صبوت فغضب واقسم
لا يكلم محمدا ابدا ثم قال والله لقد كلمته فاجابني بشي والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ولما
بلغ صاعقة عاد وثمود امسكت بفيه وناشدته بالرحم ان يكف وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا لم
يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير
الحق اي تعظموا فيها على اهلها بما لا يستحقون به التعظيم وهو القوة وعظم الاجرام واستعلوا في الارض
واستولوا على اهلها بغير استحقاق للولاية وقالوا من اشد منا قوة اولم يروا ان الله الذي
خلقهم هو اشد منهم قوة كانوا ذوي اجسام طوال وخلق عظيم وبلغ من قوتهم ان الرجل كان ينزع
الصخرة من الجبل فيقتلعها بيده فان قلت القوة هي الشدة والصلابة في البنية وهي
نقيضة الضعف واما القدرة فما لاجله يصح الفعل من الفاعل من تميز بذات او بصحة بنية وهي
نقيضة العجز والله سبحانه لا يوصف بالقوة الا على معنى القدرة فكيف صح قوله هو اشد منهم قوة
وانما يصح اذا اريد بالقوة في الموضعين شي واحد قلت القدرة في الانسان هي صحة البنية والاعتدال
والقوة الشدة والصلابة في البنية وحقيقتها زيادة القدرة فكما صح ان يقال الله اقدر منهم
جاز ان يقال اقوى منهم على معنى انه يقدر لذاته على ما لا يقدرون عليه بازدياد قدرهم وكانوا
باياتنا يجحدون كانوا يعرفون انها حق ولكنهم جحدوها كما يجحد المودع الوديعة وهو معطوف
على فاستكبروا اي كانوا كفرة فسقة فارسلنا عليهم ريحا صرصرا في ايام نحسات لنذيقهم
عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ولعذاب الاخرة اخزى
وهم لا ينصرون ۝ الصرصر العاصفة التي تصرصر اي تصوت في هبوبها وقيل الباردة
التي تحرق بشدة بردها تكرير لبناء الصر وهو البرد الذي يصر اي يجمع ويقبض نحسات قرئ
بكسر الحاء وسكونها ونحس نحسا نقيض سعد سعدا وهو نحس واما نحس فاما مخفف نحس او
صفة على فعل او وصف بمصدر وقرئ لنذيقهم على ان الاذاقة للريح او للايام النحسات واضاف
العذاب الى الخزي وهو الذل والاستكانة على انه وصف للعذاب كانه قال عذاب خزي كما تقول
فعل السو تريد الفعل السي والدليل عليه قوله ولعذاب الاخرة اخزى وهو من الاسناد المجازي ووصف
العذاب بالخزي ابلغ من وصفهم به الا ترى الى البون بين قوليك هو شاعر وله شعر شاعر واما
ثمود فهديناهم وقرئ ثمود بالرفع والنصب منونا وغير منون والرفع افصح لوقوعه بعد حرف الابتداء وقرئ
بضم الثاء فهديناهم فدللناهم على طريقي الضلالة والرشد كقوله تعالى وهديناه النجدين
فاستحبوا العمى على الهدى فاختاروا الدخول في الضلالة على الدخول في الرشد فان قلت

التي هديته حصلت فيه الهدى الدليل عليه قولك هديته فاهتدى بمعنى تحصيل البغية وحصولها
كما تقول ردعته فارتدع فكيف ساغ استعماله في الدلالة المجردة قلت للدلالة على انه مكنهم
وازاح عللهم ولم يبق لهم عذر ولا علة فكانه حصل البغية فيهم بتحصيل ما يوجبها ويقتضيها فاخذتهم
صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ۝ ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ۝ صاعقة
العذاب داهية العذاب وقارعة العذاب والهون الهوان وصف به العذاب مبالغة وابدله منه
ولو لم يكن في القرآن حجة على القدرية الذين هم مجوس هذه الامة بشهادة نبيها صلى الله عليه وآله وسلم وكفى
به شاهدا الا هذه لكفى به حجة ويوم يحشر وقرئ يحشر على البناء للمفعول ونحشر بالنون وضم الشين
وكسرها ويحشر على البناء للفاعل اي يحشر الله عز وجل اعداء الله الكفار من الاولين والآخرين
الى النار فهم يوزعون ۝ يحبس اولهم على آخرهم اي يستوقف سوابقهم حتى يلحق بهم تواليهم وهي
عبارة عن كثرة اهل النار نسأل الله ان يجيرنا منها بسعة رحمته فان قلت ما في قوله حتى اذا ما جاءوها
ما هي قلت مزيدة للتاكيد ومعنى التاكيد فيها ان وقت مجيئهم النار لا محالة ان يكون وقت الشهادة
عليهم ولا وجه لان يخلو منها ومثله قوله اثم اذا ما وقع آمنتم به اي لا بد لوقت وقوعه من ان يكون
وقت ايمانهم به شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون ۝ شهادة الجلود
بالملامسة للحرام وما اشبه ذلك مما تفضي اليها من المحرمات فان قلت كيف تشهد عليهم اعضاؤهم
وكيف تنطق قلت الله عز وجل ينطقها كما انطق الشجرة بان يخلق فيها كلاما وقيل المراد بالجلود
الجوارح وقيل هي كناية عن الفروج وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي
انطق كل شيء وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون ۝ اراد بكل شيء كل شيء من الحيوان كما اراد به
في قوله والله على كل شيء قدير كل شيء من المقدورات والمعنى ان نطقنا ليس بعجب من قدرة الله
الذي قدر على انطاق كل حيوان وعلى خلقكم وانشائكم اول مرة وعلى اعادتكم ورجعكم الى
جزائه وانما قالوا لم شهدتم علينا لما تعاظمهم من شهادتها وكبر عليهم من الافتضاح على السنة جوارحهم
وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم ولكن
ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون ۝ وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم
فاصبحتم من الخاسرين ۝ المعنى انكم كنتم تستترون بالحيطان والحجب عند ارتكاب الفواحش
وما كان استتاركم ذلك خيفة ان تشهد عليكم جوارحكم لانكم كنتم غير عالمين بشهادتها بل
كنتم جاحدين بالبعث والجزاء اصلا ولكنكم انما استترتم لظنكم ان الله لا يعلم كثيرا مما كنتم
تعملون وهو الخفيات من اعمالكم وذلكم الظن هو الذي اهلككم وفي هذا تنبيه على ان من حق
المؤمن الا يذهب عنه ولا يزل عن ذهنه ان عليه من الله عينا كالئة ورقيبا مهيمنا حتى يكون في
اوقات خلواته من ربه اهيب واحسن احتشاما واوقر تحفظا وتصونا منه مع الملأ ولا ينبسط
في سره مراقبة من التشبه بهؤلاء الظانين وقرئ ولكن زعمتم وقد قيل بالابتداء وظنكم وارداكم
خبران ويجوز ان يكون ظنكم بدلا من ذلكم وارداكم الخبر فان يصبروا فالنار مثوى لهم
فان لم يصبروا ولم ينفعهم الصبر ولم ينفكوا به من الثواء في النار وان يستعتبوا فما هم من المعتبين
وان يسالوا العتبى وهي الرجوع لهم الى ما يحبون جزعا مما هم فيه لم يعتبوا لم يعطوا العتبى ولم يجابوا
اليها ونحوه قوله عز وعلا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وان يستعتبوا فما هم من
المعتبين اي ان سألوا ان يرضوا ربهم فما هم فاعلون اي لا سبيل لهم الى ذلك وقيضنا لهم وقدرنا لهم
يعني لمشركي مكة يقال هذان ثوبان قيضان اذا كانا متكافئين والمقايضة المعاوضة قرناء اخدانا
من الشياطين جمع قرين كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين فان قلت
كيف جاز ان يقيض لهم القرناء من الشياطين وهو ينهاهم عن اتباع خطواتهم قلت معناه انه
خذلهم ومنعهم التوفيق لتصميمهم على الكفر فلم يبق لهم قرناء سوى الشياطين والدليل عليه ومن
يعش نقيض فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم ما تقدم من اعمالهم وما هم عازمون عليها او ما
بين ايديهم من امر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من امر العاقبة وان لا بعث ولا حساب
وحق عليهم القول يعني كلمة العذاب في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس في جملة امم
ومثل في هذه ما في قوله ۝ ان تك عن احسن الصنيعة مأ ۝ فوكا ففي آخرين قد افكوا

يريد فانت

يريد فانت في جملة اخرين فانت في عداد آخرين لست في ذلك باوحد فان قلت في امم ما محله قلت
محله النصب على الحال من الضمير في عليهم اي حق عليهم القول كائنين في جملة امم انهم كانوا خاسرين
تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللامم وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن
والغوا فيه لعلكم تغلبون ۝ وقرئ والغوا فيه بفتح الغين وضمها يقال لغي يلغى ولغا يلغو
واللغو الساقط من الكلام الذي لا طائل تحته قال ۝
من اللغا ورفث التكلم ۝ والمعنى لا تسمعوا له اذا قرئ وتشاغلوا عند قراءته برفع
الاصوات بالخرافات والهذيان وما اشبه ذلك حتى تخلطوا على القارئ وتشوشوا عليه وتغلبوه
على قراءته كانت قريش يوصي بذلك بعضهم بعضا فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم
اسوأ الذي كانوا يعملون ۝ يجوز ان يريد بالذين كفروا هؤلاء اللاغين والآمرين لهم باللغو
خاصة وان يذكر الذين كفروا عامة لينطووا تحت ذكرهم وقد ذكرنا اضافة اسوأ بما اغنى
عن اعادته وعن ابن عباس عذابا شديدا يوم بدر واسوأ الذي كانوا يعملون في الآخرة ذلك جزاء
اعداء الله النار ذلك اشارة الى الاسوأ ويجب ان يكون التقدير اسوأ جزاء الذي كانوا يعملون حتى
تستقيم هذه الاشارة والنار عطف بيان للجزاء او خبر مبتدا محذوف فان قلت ما معنى قوله لهم
فيها دار الخلد قلت معناه ان النار في نفسها دار الخلد كقوله لقد كان لكم في رسول الله
اسوة حسنة والمعنى ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اسوة حسنة وتقول لك في هذه الدار دار السرور
وانت تعني الدار بعينها جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون ۝ اي جزاء بما كانوا يلغون فيها فذكر
الجحود الذي هو سبب اللغو وقال الذين كفروا ربنا ارنا اللذين اضلانا من الجن والانس نجعلهما
تحت اقدامنا ليكونا من الاسفلين ۝ اي الشيطانين اللذين اضلانا من الجن والانس لان الشيطان
على ضربين جني وانسي قال الله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن وقال
تعالى الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس وقيل هما ابليس وقابيل لانهما سنا الكفر
والقتل بغير حق وقرئ ارنا بسكون الراء لثقل الكسرة كما قالوا في فخذ فخذ وقيل معناه اعطنا
اللذين اضلانا وحكوا عن الخليل انك اذا قلت ارني ثوبك بالكسر فالمعنى بصرنيه واذا قلته بالسكون
فهو استعطاء معناه اعطني ثوبك ونظيره اشتهار الايتاء في معنى الاعطاء واصله الاحضار
ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ثم لتراخي الاستقامة عن الاقرار في المرتبة وفضلها عليه
لان الاستقامة لها الشان كله ونحوه قوله انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا
والمعنى ثم ثبتوا على الاقرار ومقتضياته وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه استقاموا فعلا كما
استقاموا قولا وعنه انه تلاها ثم قال ما تقولون فيها قالوا لم يذنبوا قال حملتم الامر على اشده قالوا
فما تقول قال لم يرجعوا الى عبادة الاوثان وعن عمر رضي الله عنه استقاموا على الطريقة ولم يروغوا
روغان الثعالب وعن عثمان رضي الله عنه اخلصوا العمل وعن علي رضي الله عنه ادوا الفرائض
وقال سفيان بن عبد الله الثقفي قلت يا رسول الله اخبرني بامر اعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم
قال فقلت ما اخوف ما تخاف علي فاخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بلسان نفسه فقال هذا
تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون ۝ تتنزل عليهم
الملائكة عند الموت وفي القبر واذا قاموا من قبورهم الا تخافوا ان بمعنى اي او مخففة من الثقيلة
واصله بانه لا تخافوا والهاء ضمير الشان وفي قراءة ابن مسعود لا تخافوا اي يقولون لا تخافوا والخوف
غم يلحق لتوقع المكروه والحزن غم يلحق لوقوعه من فوات نافع او حصول ضار والمعنى ان الله كتب
لكم الامن من كل غم فلن تذوقوه ابدا وقيل لا تخافوا ما تقدمون عليه ولا تحزنوا على ما خلفتم نحن اولياؤكم
في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولكم فيها ما تدعون ۝ نزلا من
غفور رحيم ۝ كما ان الشياطين قرناء العصاة واخوانهم فكذلك الملائكة اولياء المتقين واحباؤهم
في الدارين تدعون تتمنون والنزل رزق النزيل وهو الضيف وانتصابه على الحال ومن احسن
قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين ۝ عن ابن عباس هو رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم دعا الى الاسلام وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه وجعل الاسلام نحلة له وعنه اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن عائشة رضي الله عنها ما كنا نشك ان هذه الآية نزلت في المؤذنين

دعا معه في كل من جمع بين هذه الثلاث ان يكون موحدا معتقدا لدين الاسلام عاملا بالخير
داعيا اليه وما هم الا طبقة العاملين من اهل العدل والتوحيد الدعاة الى دين الله وقوله وقال انني من المسلمين
ليس الغرض انه تكلم بهذا الكلام ولكن جعل دين الاسلام مذهبه ومعتقده كما تقول هذا قول
ابي حنيفة تريد مذهبه ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك
وبينه عداوة كانه ولي حميم ۝ الحسنة والسيئة متفاوتتان في انفسهما فخذ بالحسنة التي هي
احسن من اختها اذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة التي ترد عليك من بعض اعدائك
ومثال ذلك رجل اساء اليك اساءة فالحسنة ان تعفو عنه والتي هي احسن ان تحسن اليه مكان
اساءته اليك مثل ان يذمك فتمدحه ويقتل ولدك فتفتدي ولده من يد عدوه فانك اذا فعلت
ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولي الحميم مصافاة لك ثم قال وما يلقاها الا الذين صبروا
وما يلقاها الا ذو حظ عظيم ۝ وما يلقى هذه الخليقة او السجية التي هي مقابلة الاساءة بالاحسان
الا اهل الصبر والا رجل خير وفق لحظ عظيم من الخير فان قلت فهلا قيل فادفع بالتي هي احسن
قلت هو على تقدير قائل قال فكيف اصنع فقيل ادفع بالتي هي احسن وقيل لا مزيدة والمعنى ولا
تستوي الحسنة والسيئة فان قلت فكان القياس على هذا التفسير ان يقال ادفع بالتي هي حسنة
قلت اجل ولكن وضع التي هي احسن موضع الحسنة ليكون ابلغ في الدفع بالحسنة لان من دفع
بالحسنى هان عليه الدفع بما دونها وعن ابن عباس بالتي هي احسن الصبر عند الغضب والحلم
عند الجهل والعفو عن الاساءة وفسر الحظ بالثواب وعن الحسن ما عظم حظ دون الجنة وقيل
نزلت في ابي سفيان بن حرب وكان عدوا مؤذيا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فصار وليا مصافيا
وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع البصير ۝ النزغ والنسغ بمعنى
وهو شبه النخس والشيطان ينزغ الانسان كانه ينخسه يبعثه على ما لا ينبغي وجعل النزغ نازغا
كما قيل جد جده واريد وإما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر او لتسويله والمعنى وان صرفك
الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي احسن فاستعذ بالله من شره وامض على شانك ولا تطعه
ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي
خلقهن ان كنتم اياه تعبدون ۝ الضمير في خلقهن لليل والنهار والشمس والقمر لان حكم جماعة
ما لا يعقل حكم الانثى او الاناث يقال الاقلام بريتها وبريتهن او لما قال ومن آياته كن في معنى الآيات
فقيل خلقهن فان قلت اين موضع السجدة قلت عند الشافعي رحمه الله تعبدون وهي رواية
مسروق عن عبد الله لذكر لفظ السجدة قبلها وعند ابي حنيفة رحمه الله تعالى لا يسأمون لانها تمام المعنى
وهي عن ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب لعل ناسا منهم كانوا يسجدون للشمس والقمر كالصابئين
في عبادتهم الكواكب ويزعمون انهم يقصدون بالسجود لهما السجود لله فنهوا عن هذه الواسطة
وامروا ان يقصدوا بسجودهم وجه الله خالصا ان كانوا اياه يعبدون وكانوا موحدين غير مشركين
فان استكبروا ولم يمتثلوا ما امروا به وابوا الا الواسطة فالذين عند ربك يسبحون له فدعهم
وشانهم فان الله عز سلطانه لا يعدم عابدا او ساجدا بالاخلاص وله العباد المقربون الذين ينزهونه
بالليل والنهار عن الانداد وقوله عند ربك عبارة عن الزلفى والمكانة والكرامة وهم لا يسأمون ۝
وقرئ يسامون بكسر الياء ومن آياته انك ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت
ان الذي احياها لمحيي الموتى انه على كل شيء قدير ۝ الخشوع التذلل والتقاصر فاستعير لحال الارض
اذا كانت قحطة لا نبات فيها كما وصفها بالهمود في قوله تعالى وترى الارض هامدة وهو خلاف وصفها
بالاهتزاز والربو وهو الانتفاخ اذا اخصبت وتزخرفت بالنبات كانها بمنزلة المختال في زيه
وهي قبل ذلك كالذليل الكاسف البال في الاطمار وقرئ وربأت اي ارتفعت لان النبت اذا هم
ان يظهر ارتفعت له الارض ان الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا افمن يلقى في النار خير ام
من يأتي آمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير ۝ يقال الحد الحافر ولحد اذا مال
عن الاستقامة فحفر في شق فاستعير للانحراف في تأويل آيات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة
وقرئ يلحدون ويلحدون على اللغتين وقوله لا يخفون علينا وعيد لهم على التحريف فان قلت بم
اتصل قوله ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم قلت هو بدل من قوله ان الذين يلحدون في

العاملين م

يعادي م

الربيه م

آياتنا والذكر القرآن لانهم لكفرهم به طعنوا فيه وحرفوا تاويله وانه لكتاب عزيز اي منيع محمي
بحماية الله تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ۝ مثل كأن الباطل
لا يتطرق اليه ولا يجد اليه سبيلا من جهة من الجهات حتى يصل اليه ويتعلق به فان قلت اما
طعن فيه الطاعنون وتاوله المبطلون قلت بلى ولكن الله تعالى قد تقدم في حمايته عن تعلق الباطل به بان
قيض قوما عارضوهم بابطال تاويلهم وافساد اقاويلهم فلم يخلوا طعن طاعن الا ممحوقا ولا قول
مبطل الا مضمحلا ونحوه قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ما يقال لك الا ما قد قيل
للرسل من قبلك اي ما يقول لك كفار قومك الا مثل ما قال للرسل كفار قومهم من الكلمات المؤذية
والمطاعن في الكتب المنزلة ان ربك لذو مغفرة ورحمة لانبيائه وذو عقاب اليم ۝ ذو عقاب
لاعدائهم ويجوز ان يكون ما يقول لك الله الا مثل ما قال للرسل قبلك والمقول هو قوله ان ربك لذو
مغفرة وذو عقاب اليم فمن حقه ان يرجوه اهل طاعته ويخافه اهل معصيته والغرض تخويف العصاة
ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته كانوا لتعنتهم يقولون هلا نزل القرآن بلغة
العجم فقيل لو كان كما يقترحون لم يتركوا الاعتراض والتعنت وقالوا لولا فصلت آياته اي بينت
ولخصت بلسان نفقهه أأعجمي وعربي الهمزة همزة الانكار يعني لانكروا وقالوا اقرآن اعجمي
ورسول عربي او ومرسل اليه عربي وقرئ اعجمي والاعجمي الذي لا يفصح ولا يفهم كلامه
من اي جنس كان والعجمي منسوب الى امة العجم وفي قراءة الحسن اعجمي بغير همزة الاستفهام
على الاخبار بان القرآن اعجمي والمرسل والمرسل اليه عربي والمعنى ان آيات الله على اي طريقة
جاءتهم وجدوا فيها متعنتا لان القوم غير طالبين للحق وانما يتبعون اهواءهم ويجوز في قراءة الحسن
هلا فصلت آياته تفصيلا فجعل بعضها بيانا للعجم وبعضها بيانا للعرب فان قلت كيف يصح ان يراد
بالعربي المرسل اليهم وهم امة العرب قلت هو على ما يجب ان يقع في انكار المنكر لو راى كتابا
عجميا كتب الى قوم من العرب يقول اكتاب عجمي ومكتوب اليه عربي وذلك لان مبنى
الانكار على تنافي حالتي الكتاب والمكتوب اليه لا على ان المكتوب اليه واحد او جماعة فوجب ان يجرد
لما سيق له من الغرض ولا يوصل به ما يخيل غرضا آخر الا تراك تقول وقد رأيت لباسا طويلا على امراة
قصيرة اللباس طويل واللابس قصير ولو قلت اللابسة قصيرة جئت بما هو لكنة وفضول
قول لان الكلام لم يقع في ذكورة اللابس وانوثته وانما وقع في غرض وراءهما قل هو اي القرآن
للذين آمنوا هدى وشفاء ارشاد الى الحق وشفاء لما في الصدور من الظن والشك فان قلت والذين
لا يؤمنون في آذانهم وقر منقطع عن ذكر القرآن فما وجه اتصاله به قلت لا يخلو اما ان يكون الذين
لا يؤمنون في موضع الجر معطوفا على قوله للذين آمنوا على معنى قولك هو للذين آمنوا هدى وشفاء
وهو للذين لا يؤمنون في آذانهم وقر الا ان فيه عطفا على عاملين وان كان الاخفش يجيزه واما ان يكون
مرفوعا على تقدير والذين لا يؤمنون هو في آذانهم وقر على حذف المبتدا او في آذانهم منه وقر وهو
عليهم عمى وقرئ وهو عليهم عم وعمي كقوله فعميت عليهم اولئك ينادون من مكان بعيد ۝ يعني
انهم لا يقبلونه ولا يرعونه اسماعهم فمثلهم في ذلك مثل من يصيح به من مسافة شاطة لا يسمع من
مثلها الصوت فلا يسمع النداء ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه فقال بعضهم هو حق وقال بعضهم
هو باطل ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وانهم لفي شك منه مريب ۝ والكلمة السابقة
هي العدة بالقيامة وان الخصومات تفصل في ذلك اليوم ولولا ذلك لقضي بينهم في الدنيا قال الله تعالى
بل الساعة موعدهم ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى من عمل صالحا فلنفسه فنفسه نفع ومن اساء
فعليها فنفسه ضر وما ربك بظلام للعبيد ۝ فيعذب غير المسيء اليه يرد علم الساعة
اي اذا سئل عنها قيل الله يعلم او لا يعلمها الا الله وما تخرج من ثمرات من اكمامها وما تحمل من انثى ولا تضع
الا بعلمه وقرئ ثمرات من اكمامهن والكم بكسر الكاف وعاء الثمرة كجف الطلعة اي وما
يحدث شيء من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع الا وهو عالم به يعلم عدد ايام الحمل وساعاته
واحواله من الخداج والتمام والذكورة والانوثة والحسن والقبح وغير ذلك ويوم يناديهم اين شركائي
اضافهم اليه على زعمهم وبيانه في قوله تعالى اين شركائي الذين كنتم تزعمون وفيه تهكم وتقريع
قالوا آذناك اعلمناك ما منا من شهيد ۝ وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل اي ما منا احد اليوم

وقد بصرنا وسمعنا نشهد بأنهم شركاؤك أو ما منا إلا من هو موحد لك أو ما منا أحد يشاهدهم
لأنهم ضلوا عنهم وضلت عنهم آلهتهم لا يبصرونها في ساعة التوبيخ وقيل هو كلام الشركاء أي ما منا
من شهيد يشهد بما أضافوا إلينا من الشركة ومعنى ضلالهم عنهم على هذا التفسير أنهم لا ينفعونهم
فكأنهم ضلوا عنهم وَظَنُّوا وأيقنوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ والمحيص المهرب فإن قلت آذناك إخبار
بإيذان كان منهم فإذا قد آذنوا فلم سئلوا قلت يحتمل أن يعاد عليهم أين شركائي إعادة للتوبيخ
وإعادته في القرآن على سبيل الحكاية دليل على إعادة المحكي ويجوز أن يكون المعنى إنك علمت من قلوبنا
وعقائدنا الآن أنا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لأنه إذا علمه من نفوسهم فكأنهم أعلموه ويجوز
أن يكون إنشاء للإيذان ولا يكون إخبارا بإيذان قد كان كما تقول أعلم الملك أنه كان من الأمر
كيت وكيت لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ من طلب السعة في المال والنعمة وقرأ ابن مسعود
من دعاء بالخير وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ أي الضيقة والفقر فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ بولغ فيه من طريق بناء فعول
ومن طريق التكرير والقنوط أن يظهر عليه أثر اليأس فيتضاءل وينكسر أي يقطع الرجاء من
فضل الله وروحه وهذه صفة الكافر بدليل قوله تعالى إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون
وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وإذا فرجنا عنه بصحة بعد مرض
أو سعة بعد ضيق قال هذا لي أي هذا حقي وصل إلي لأني استوجبته بما عندي من خير وفضل وأعمال بر
أو هذا لي لا يزول عني ونحوه قوله تعالى فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ
إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى ونحوه قوله وما أظن الساعة قائمة إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين
يريد وما أظنها تكون فإن كانت على طريق التوهم أن لي عند الله الحالة الحسنى من الكرامة والنعمة
قايسا أمر الآخرة على أمر الدنيا وعن بعضهم للكافر أمنيتان يقول في الدنيا ولئن رجعت إلى ربي
إن لي عنده للحسنى ويقول في الآخرة يا ليتني كنت ترابا وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة فَلَنُنَبِّئَنَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ فلنخبرنهم بحقيقة ما عملوا من الأعمال الموجبة
للعذاب ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوه فيها أنهم يستوجبون عليها كرامة وقربة عند الله وقدمنا
إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وذلك أنهم كانوا ينفقون أموالهم رئاء الناس وطلبا للافتخار
والاستكبار لا غير وكانوا يحسبون أن ما هم عليه سبب الغنى والصحة وأنهم محقوقون بذلك وَإِذَا
أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ هذا أيضا ضرب آخر من طغيان الإنسان إذا أصابه الله تعالى بنعمة
أبطرته النعمة وكأنه لم يلق بؤسا قط فنسي المنعم وأعرض عن شكره وَنَأَى بِجَانِبِهِ أي ذهب بنفسه
وتكبر وتعظم وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ وإن مسه الضر والفقر أقبل على دوام
الدعاء وأخذ في الابتهال والتضرع وقد استعير العرض لكثرة الدعاء ودوامه وهو من صفة
الأجرام ويستعار له الطول أيضا كما استعير الغلظ لشدة العذاب وقرئ ونآء
بإمالة الألف وكسر النون للإتباع وناء على القلب كما قالوا راء في رأى فإن قلت حقق لي
معنى قوله ونأى بجانبه قلت فيه وجهان أن يوضع جانبه موضع نفسه كما في قوله تعالى على ما فرطت
في جنب الله أي في حق الله لأن مكان الشيء وجهته ينزل منزلة الشيء نفسه ومنه قوله ونفيت عنه مقام الذئب
يريد ونفيت عنه الذئب ومنه ولمن خاف مقام ربه ومنه قول الكتاب حضرة فلان ومجلسه
وكتبت إلى جهته وإلى جانبه العزيز يريدون نفسه وذاته فكأنه قال ونأى بنفسه كقولهم في المتكبر
ذهب بنفسه وذهبت به الخيلاء وأن يراد بجانبه عطفه ويكون عبارة عن الانحراف والازورار
كما قالوا ثنى عطفه وتولى بركنه قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ
فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ أخبروني إن كان القرآن من عند الله يعني أن ما أنتم عليه من إنكار القرآن وتكذيبه
ليس بأمر صادر عن حجة قاطعة حصلتم منها على اليقين وثلج الصدور وإنما هو قبل النظر واتباع الدليل
أمر محتمل يجوز أن يكون من عند الله وأن لا يكون من عنده وأنتم لم تنظروا ولم تفحصوا فما أنكرتم أن
يكون حقا وقد كفرتم به فأخبروني من أضل منكم وأنتم أبعدتم الشوط في مشاقته ومناصبته
ولعله حق فأهلكتم أنفسكم وقوله ممن هو في شقاق بعيد موضوع موضع منكم بيانا لحالهم وصفتهم
سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ يعني ما يسر الله عز وجل لرسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم وللخلفاء من بعده وأنصار دينه في آفاق الدنيا وبلاد المشرق والمغرب

عموما و

عموما وفي باحة العرب خصوصا من الفتوح التي لم يتيسر أمثالها لأحد من خلفاء الأرض قبلهم ومن
الإظهار على الجبابرة و[redacted] والأكاسرة وتغليب قليلهم على كثيرهم
وتسليط ضعافهم على أقويائهم وإجرائه على أيديهم أمورا خارجة من المعهود خارقة للعادات
ونشر دعوة الإسلام في أقطار المعمورة وبسط دولته في أقاصيها والاستقراء يطلعك في التواريخ
والكتب المدونة في مشاهد أهله وأيامهم على عجائب لا ترى وقعة من وقائعهم إلا علما من أعلام
الله وآية من آياته يقوى معها اليقين ويزداد بها الإيمان ويتبين أن دين الإسلام هو دين الحق الذي
لا يحيد عنه إلا مكابر حسه مغالط نفسه وما الثبات والاستقامة إلا صفة الحق والصدق كما أن الاضطراب
والتزلزل صفة الفرية والزور وأن للباطل ريحا تخفق ثم تسكن ودولة تظهر ثم تضمحل أَوَلَمْ يَكْفِ
بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ بربك في موضع الرفع على أنه فاعل كفى وأنه على كل شيء شهيد
بدل منه تقديره أولم يكفهم أن ربك على كل شيء شهيد ومعناه أن هذا الموعود من إظهار آيات الله في
الآفاق وفي أنفسهم سيرونه ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك أن القرآن تنزيل عالم الغيب الذي
هو على كل شيء شهيد أي مطلع مهيمن يستوي عنده غيبه وشهادته فيكفيهم ذلك دليلا على أنه
حق وأنه من عنده ولو لم يكن كذلك لما قوي هذه القوة ولما نصر حاملوه هذه النصرة أَلَا إِنَّهُمْ فِي
مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ وقرئ في مرية بالضم وهي الشك أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ عالم بجمل الأشياء
وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها فلا تخفى عليه خافية منهم وهو مجازيهم على كفرهم ومريتهم
في لقاء ربهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة السجدة أعطاه الله بكل حرف عشر حسنات

سورة الشورى مكية وتسمى سورة الشورى وهي ثلاث وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم عسق قرأ ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما حم سق كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ أي مثل
ذلك الوحي أو مثل ذلك الكتاب يوحي إليك وإلى الرسل من قبلك الله يعني أن ما تضمنته هذه السورة
من المعاني قد أوحى الله إليك مثله في غيرها من السور وأوحاه من قبلك إلى رسله يعني أن الله
تعالى كرر هذه المعاني في القرآن وفي جميع الكتب السماوية لما فيها من التنبيه البليغ واللطف العظيم
لعباده من الأولين والآخرين وقرئ يوحى إليك على البناء للمفعول فإن قلت فما رافع اسم الله على
هذه القراءة قلت ما دل عليه يوحى كأن قائلا قال من الموحي فقيل الله كقراءة السلمي وكذلك زين لكثير من
المشركين قتل أولادهم شركاؤهم على البناء للمفعول ورفع شركاؤهم على معنى زينه لهم شركاؤهم
فإن قلت فما رافعه فيمن قرأ نوحي بالنون قلت يرتفع بالابتداء والعزيز وما بعده أخبار أو العزيز
الحكيم صفتان والظرف خبر تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ
وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وقرئ يكاد بالتاء والياء وينفطرن
ويتفطرن وروى يونس عن أبي عمرو قراءة غريبة تتفطرن بتاءين مع النون ونظيرها حرف نادر روي
في نوادر ابن الأعرابي الإبل تتشممن ومعناه يكدن ينفطرن من علو شأن الله تعالى وعظمته يدل عليه مجيئه
بعد العلي العظيم وقيل من دعائهم له ولدا كقوله تكاد السماوات يتفطرن منه فإن قلت لم قال من فوقهن
قلت لأن أعظم الآيات وأدلها على الجلال والعظمة فوق السماوات وهي العرش والكرسي وصفوف
الملائكة المرتجة بالتسبيح والتقديس حول العرش وما لا يعلم كنهه إلا الله من آثار ملكوته العظمى
فلذلك قال يتفطرن من فوقهن أي يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية ولأن كلمة الكفر جاءت
من الذين تحت العرش وكان القياس أن يقال يتفطرن من تحتهن من الجهة التي جاءت منها الكلمة ولكنه
بولغ في ذلك فجعلت مؤثرة في جهة الفوق كأنه قيل يكدن يتفطرن من الجهة التي فوقهن دع الجهة
التي تحتهن ونظيره في المبالغة قوله عز وعلا يصب من فوق رءوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم
فجعل الحميم مؤثرا في أجزائهم الباطنة وقيل من فوقهن من فوق الأرضين فإن قلت كيف صح
أن يستغفروا لمن في الأرض وفيهم الكفار أعداء الله وقد قال تعالى أولئك عليهم لعنة الله
والملائكة فكيف يكونون لاعنين مستغفرين لهم قلت قوله لمن في الأرض يدل على جنس أهل الأرض

وهذه الجنسية قائمة في كلهم وفي بعضهم فيجوز أن يراد به هذا وهذا وقد دل الدليل على أن الملائكة لا يستغفرون إلا لأولياء الله وهم المؤمنون فما أراد الله إلا إياهم ألا ترى إلى قوله في سورة المؤمن للذين آمنوا وحكايته عنهم فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم كيف وصفوا المستغفر لهم بما يستوجب به الاستغفار فما تركوا للذين لم يتوبوا من المصدقين طمعا في استغفارهم فكيف للكفرة ويحتمل أن يقصد بالاستغفار طلب الحلم والغفران في قوله إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا إلى أن قال إنه كان حليما غفورا وقوله وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم والمراد الحلم عنهم وأن لا يعاجلهم بالانتقام فيكون عاما فإن قلت قد فسرت قوله يكاد السماوات يتفطرن بتفسيرين فما وجه طباق ما بعده لهما قلت أما على أحدهما فكأنه قيل تكاد السماوات يتفطرن هيبة من جلاله واحتشاما من كبريائه والملائكة الذين هم ملء السبع الطباق وحافون حول العرش صفوفا بعد صفوف يداومون خضوعا لعظمته على عبادته وتسبيحه وتحميده ويستغفرون لمن في الأرض خوفا عليهم من سطواته وأما على الثاني فكأنه قيل يكدن ينفطرن من إقدام أهل الشرك على تلك الكلمة الشنعاء والملائكة يوحدون الله وينزهونه عما لا يجوز عليه من الصفات التي يضيفها إليه الجاهلون به حامدون له على ما أولاهم من ألطافه التي علم أنهم عندها يستعصمون مختارين غير ملجئين ويستغفرون لمؤمني أهل الأرض الذين تبرؤوا من تلك الكلمة ومن أهلها أو يطلبون من ربهم أن يحلم عن أهل الأرض ولا يعاجلهم بالعقاب مع وجود ذلك فيهم لما عرفوا في ذلك من المصالح وحرصا على نجاة الخلق وطمعا في توبة الكفار والفساق منهم **والذين اتخذوا من دونه أولياء** جعلوا له شركاء وأندادا **الله حفيظ عليهم** رقيب على أحوالهم وأعمالهم لا يفوته منها شيء وهو محاسبهم عليها ومعاقبهم لا رقيب عليهم إلا هو وحده **وما أنت عليهم بوكيل** وما أنت يا محمد بموكل بهم ولا مفوض إليك أمرهم ولا قسرهم على الإيمان إنما أنت منذر فحسب **وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير** ومثل ذلك أوحينا إليك وذلك إشارة إلى معنى الآية قبلها من أن الله هو الرقيب عليهم وما أنت برقيب عليهم ولكن نذير لهم لأن هذا المعنى كرره الله تعالى في كتابه في مواضع جمة فالكاف مفعول به لأوحينا وقرآنا عربيا حال من المفعول به أي أوحينا إليك وهو قرآن عربي بين لا لبس فيه عليك لتفهم ما يقال لك ولا تتجاوز حد الإنذار ويجوز أن يكون ذلك إشارة إلى مصدر أوحينا أي ومثل ذلك الإيحاء البين المفهم أوحينا إليك قرآنا عربيا بلسانك لتنذر به يقال أنذرته كذا وأنذرته بكذا وقد عدي الأول أعني لتنذر أم القرى إلى المفعول الأول والثاني وهو قوله وتنذر يوم الجمع إلى المفعول الثاني أم القرى أهل أم القرى كقوله واسأل القرية ومن حولها من العرب وقرئ لينذر بالياء والفعل للقرآن يوم الجمع يوم القيامة لأن الخلائق تجمع فيه قال الله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل يجمع بين الأرواح والأجساد وقيل يجمع بين كل عامل وعمله ولا ريب فيه اعتراض لا محل له وقرئ فريق وفريق بالرفع والنصب فالرفع على منهم فريق ومنهم فريق والضمير للمجموعين لأن المعنى يوم جمع الخلائق والنصب على الحال منهم أي متفرقين كقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فإن قلت كيف يكونون مجموعين متفرقين في حالة واحدة قلت هم مجموعون في ذلك اليوم مع افتراقهم في داري البؤس والنعيم كما يجتمع الناس يوم الجمعة متفرقين في مسجدين وإن أريد بالجمع جمعهم في الموقف فالتفرق على معنى مشارفتهم للتفرق **ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير** لجعلهم أمة واحدة أي مؤمنين كلهم على القسر والإكراه كقوله ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها وقوله ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا والدليل على أن المعنى هو الإلجاء إلى الإيمان قوله تعالى أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين فقوله أفأنت تكره بإدخال همزة الإنكار على المكره دون فعله دليل على أن الله تعالى وحده هو القادر على هذا الإكراه دون غيره والمعنى ولو شاء ربك مشيئة قدرة لقسرهم جميعا على الإيمان ولكنه شاء مشيئة حكمة فكلفهم وبنى أمرهم على ما يختارون ليدخل المؤمنين في رحمته وهم المرادون بمن يشاء ألا ترى إلى وضعهم في مقابلة الظالمين وترك الظالمين بغير ولي ولا نصير في عذابه **أم اتخذوا من**

من دونه أولياء معنى الهمزة في أم الإنكار **فالله هو الولي** هو الذي يجب أن يتولى وحده ويعتقد أنه المولى والسيد والفاء في قوله فالله هو الولي جواب شرط مقدر كأنه قيل بعد إنكار كل ولي سواه إن أرادوا أولياء بحق فالله هو الولي بالحق لا ولي سواه **وهو يحيي** أي ومن شأن هذا الولي أنه يحيي **الموتى وهو على كل شيء قدير** فهو الحقيق بأن يتخذ وليا دون من لا يقدر على شيء **وما اختلفتم فيه من شيء** حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين أي ما خالفكم فيه الكفار من أهل الكتاب والمشركين فاختلفتم أنتم وهم فيه من أمر من أمور الدين **فحكمه** أي حكم ذلك المختلف فيه مفوض **إلى الله** وهو إثابة المحقين فيه من المؤمنين ومعاقبة المبطلين **ذلكم الله ربي** ذلكم الحاكم بينكم هو ربي **عليه توكلت** في رد كيد أعداء الدين **وإليه أنيب** أرجع في كفاية شرهم وقيل وما اختلفتم فيه وتنازعتم من شيء من الخصومات فتحاكموا فيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تؤثروا على حكومته حكومة غيره كقوله تعالى فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول وقيل وما اختلفتم فيه من تأويل آية واشتبه عليكم فارجعوا في بيانه إلى المحكم من كتاب الله والظاهر من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التي لا تتصل بتكليفكم ولا طريق لكم إلى علمه فقولوا الله أعلم كمعرفة الروح قال الله تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي فإن قلت هل يجوز حمله على اختلاف المجتهدين في أحكام الشريعة قلت لا لأن الاجتهاد لا يجوز بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم **فاطر السماوات والأرض** قرئ بالرفع والجر فالرفع على أنه أحد أخبار ذلكم أو خبر مبتدإ محذوف والجر على فحكمه إلى الله فاطر السماوات وذلكم إلى أنيب اعتراض بين الصفة والموصوف **جعل لكم** خلق لكم **من أنفسكم** من جنسكم من الناس **أزواجا ومن الأنعام أزواجا** أي وخلق من الأنعام أزواجا وخلق للأنعام أيضا من أنفسها أزواجا **يذرؤكم** يكثركم يقال ذرأ الله الخلق بثهم وكثرهم والذرء والذرو والذر أخوات **فيه** في هذا التدبير وهو أن جعل للناس والأنعام أزواجا حتى كان بين ذكورهم وإناثهم التوالد والتناسل والضمير في يذرؤكم يرجع إلى المخاطبين والأنعام مغلبا فيه المخاطبون العقلاء على الغيب مما لا يعقل وهي من الأحكام ذات العلتين فإن قلت ما معنى يذرؤكم في هذا التدبير وهلا قيل يذرؤكم به قلت جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبث والتكثير ألا تراك تقول للحيوان في خلق الأزواج تكثير كما قال تعالى ولكم في القصاص حياة **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** قالوا مثلك لا يبخل فنفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته قصدوا المبالغة في ذلك فسلكوا به طريق الكناية لأنهم إذا نفوه عمن يسد مسده وعمن هو على أخص أوصافه فقد نفوه عنه ونظيره قولك للعربي العرب لا تخفر الذمم كان أبلغ من قولك أنت لا تخفر ومنه قولهم قد أيفعت لداته وبلغت أترابه يريدون إيفاعه وبلوغه وفي حديث رقيقة بنت صيفي في سقيا عبد المطلب ألا وفيهم الطيب الطاهر لداته والقصد إلى طهارته وطيبه فإذا علم أنه من باب الكناية لم يقع فرق بين قوله ليس كالله شيء وبين قوله ليس كمثله شيء إلا ما تعطيه الكناية من فائدتها وكأنهما عبارتان متعقبتان على معنى واحد وهو نفي المماثلة عن ذاته ونحوه قوله عز وجل بل يداه مبسوطتان فإن معناه بل هو جواد من غير تصور يد ولا بسط لها لأنها وقعت عبارة عن الجود لا يقصدون شيئا آخر حتى إنهم استعملوها فيمن لا يد له فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل ومن لا مثل له ولك أن تزعم أن كلمة التشبيه كررت للتأكيد كما كررها من قال

وصاليات ككما يؤثفين

ومن قال

فأصبحت مثل كعصف مأكول

له مقاليد السماوات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بكل شيء عليم فإذا علم أن الغنى خير للعبد أغناه وإلا أفقره **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى** شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد ومن بينهما من الأنبياء ثم فسر المشروع الذي اشترك هؤلاء الأعلام من رسله فيه بقوله **أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** والمراد إقامة دين الإسلام الذي هو توحيد الله وطاعته والإيمان برسله وكتبه وبيوم الجزاء وسائر ما يكون الرجل بإقامته مسلما ولم يرد الشرائع التي هي مصالح للأمم على حسب أحوالها فإنها مختلفة متفاوتة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ومحل أن أقيموا إما نصب بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه

او رفع على الاستيناف كانه قيل وما ذلك المشروع فقيل هو اقامة الدين ونحوه قوله تعالى
ان هذه امتكم امة واحدة كبر على المشركين عظم عليهم وشق عليهم ما تدعوهم اليه من
اقامة دين الله والتوحيد الله يجتبي اليه يجتلب اليه والضمير للدين بالتوفيق والتسديد
من يشاء ويهدي اليه من ينيب من يقبل عليه بتوفيقه ويحدث عليهم لطفه وما تفرقوا يعني اهل
الكتاب بعد انبيائهم الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم الا من بعد ان علموا ان الفرقة ضلال
وفساد وامر متوعد عليه على السنة الانبياء ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى وهي
عدة التاخير الى يوم القيمة لقضي بينهم حين افترقوا لعظم ما اقترفوا وان الذين اورثوا الكتاب
من بعدهم وهم اهل الكتاب الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لفي شك منه مريب
لفي شك من كتابهم لا يؤمنون به حق الايمان وقيل كان الناس امة واحدة مؤمنين بعد ان اهلك الله
اهل الارض اجمعين بالطوفان فلما مات الاباء اختلف الابناء فيما بينهم وذلك حين بعث الله اليهم النبيين — في الارض
مبشرين ومنذرين وجاءهم العلم وانما اختلفوا للبغي بينهم وقيل وما تفرق اهل الكتاب الا من بعد ما
جاءهم العلم بمبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كقوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد
ما جاءتهم البينة بغيا بينهم وان الذين اوتوا الكتاب من بعدهم هم المشركون الذين اوتوا القران
من بعد ما اوتي اهل الكتاب التوراة والانجيل وقرئ ورثوا فلذلك فلاجل ذلك التفرق ولما حدث — وورثوا
بسببه من تشعب الكفر شعبا فادع الى الاتفاق والائتلاف على الملة الحنيفية القديمة واستقم
عليها وعلى الدعوة اليها كما امرت كما امرك الله ولا تتبع اهواءهم المختلفة الباطلة وقل آمنت بما انزل
الله من كتاب باي كتاب صح ان الله تعالى انزله يعني الايمان بجميع الكتب المنزلة لان المتفرقين
آمنوا ببعض وكفروا ببعض كقوله تعالى ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض الى قوله اولئك هم الكافرون
حقا وامرت لاعدل بينكم في الحكم اذا تخاصمتم فتحاكمتم الي الله ربنا وربكم لنا اعمالنا
ولكم اعمالكم لا حجة بيننا وبينكم اي لا حجاج بمعنى الخصومة لان الحق قد ظهر وصرتم محجوجين به فلا حاجة
الى المحاجة ومعناه لا ايراد حجة بيننا لان المتحاجين يورد هذا حجته وهذا حجته الله يجمع بيننا واليه
المصير يوم القيمة فيفصل بيننا وينتقم لنا منكم وهذه محاجزة ومتاركة بعد ظهور الحق وقيام — محاجزة ومتاركة
الحجة والالزام فان قلت كيف حوجزوا وقد فعل بهم بعد ذلك ما فعل من القتل وتخريب البيوت
وقطع النخيل والاجلاء قلت المراد محاجزتهم في مواقف المقاولة لا المقاتلة والذين يحاجون في
الله يخاصمون في دينه من بعد ما استجيب له من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا في الاسلام
ليردوهم الى دين الجاهلية كقوله ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا
كان اليهود والنصارى يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم
واولى بالحق وقيل من بعد ما استجاب الله لرسوله ونصره يوم بدر واظهر دين الاسلام حجتهم داحضة
باطلة زائلة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد الله الذي انزل الكتاب بالحق
اي جنس الكتاب والميزان والعدل والتسوية ومعنى انزال العدل انه انزله في كتبه المنزلة وقيل الذي
يوزن به بالحق ملتبسا بالحق مقترنا به بعيدا من الباطل او بالغرض الصحيح كما اقتضته الحكمة او بالواجب
من التحليل والتحريم وغير ذلك وما يدريك لعل الساعة قريب الساعة في تاويل البعث فلذلك
قال قريب او لعل مجيء الساعة قريب فان قلت كيف يوفق ذكر اقتراب الساعة مع انزال
الكتاب والميزان قلت لان الساعة يوم الحساب ووضع الموازين بالقسط فكانه قيل امركم الله
بالعدل والتسوية والعمل بالشرائع قبل ان يفاجئكم اليوم الذي يحاسبكم فيه ويزن اعمالكم
ويوفي لمن اوفى ويطفف لمن طفف يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون
منها ويعلمون انها الحق الا ان الذين يمارون في الساعة المماراة الملاجة لان كل واحد منهما يمري
ما عند صاحبه لفي ضلال بعيد من الحق فان قيام الساعة غير مستبعد من قدرة الله وقد دل الكتاب
المعجز على انها آتية لا ريب فيها وشهدت العقول على انه لا بد من دار الجزاء الله لطيف بعباده بر
بليغ البر بهم يتوصل بره الى جميعهم ويوصل من كل واحد منهم الى حيث لا يبلغه وهم احد من كلياته
وجزئياته فان قلت فما معنى قوله يرزق من يشاء بعد توصل بره الى جميعهم قلت كلهم مرزوقون
لا يخلو احد من بره الا ان البر اصناف وله اوصاف والقسمة بين العباد تتفاوت على حسب قضايا — من

الحكمة والتدبير

الحكمة والتدبير فيطيع بعض العباد بصنف من البر لم يعط مثله لآخر ويصيب هذا حظ له وصف
يبز ذلك الوصف لحظ صاحبه فمن قسم له منهم ما لم يقسم للآخر فقد رزقه وهو الذي اراد بقوله يرزق
من يشاء كما يرزق احد الاخوين ولدا دون الآخر على انه اصابه بنعمة اخرى لم يرزقها صاحب الولد وهو
القوي الباهر القدرة الغالب على كل شيء العزيز المنيع الذي لا يغلب من كان يريد حرث الآخرة
نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب سمى ما يعمله
العامل مما يبتغي به الفائدة والزكاء حرثا على المجاز وفرق بين عملي العاملين بان من عمل للآخرة وفق في عمله
وضوعفت حسناته ومن كان عمله للدنيا اعطي شيئا منها لا ما يريده ويبتغيه وهو رزقه الذي
قسم له وفرغ منه وما له نصيب قط في الآخرة ولم يذكر في معنى الآخرة وله في الدنيا نصيب على ان رزقه
المقسوم له واصل اليه لا محالة للاستهانة بذلك الى جنب ما هو بصدده من زكاء عمله وفوزه في المآب ام لهم
شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم ياذن به الله معنى الهمزة في ام التقرير والتقريع وشركاؤهم
شياطينهم الذين زينوا لهم الشرك وانكار البعث والعمل للدنيا لانهم لا يعلمون غيرها وهو الدين
الذي شرعت لهم الشياطين وتعالى الله عن الاذن فيه والامر به وقيل شركاؤهم اوثانهم وانما
اضيفت اليهم لانهم متخذوها شركاء لله فتارة تضاف اليهم لهذه الملابسة وتارة الى الله تعالى
ولما كانت سببا لضلالتهم وافتتانهم جعلت شارعة لدين الكفر كما قال ابراهيم صلوات الله
وسلامه عليه انهن اضللن كثيرا من الناس ولولا كلمة الفصل اي القضاء السابق بتاجيل الجزاء او ولولا
العدة بان الفصل يكون يوم القيمة لقضي بينهم اي بين الكافرين والمؤمنين او بين المشركين وشركائهم
وان الظالمين لهم عذاب اليم وقرأ مسلم بن جندب وان الظالمين بالفتح عطفا على كلمة الفصل يعني
ولولا كلمة الفصل وتقدير تعذيب الظالمين في الآخرة لقضي بينهم في الدنيا ترى الظالمين في
الآخرة مشفقين خائفين خوفا شديدا ارق قلوبهم مما كسبوا من السيئات وهو واقع بهم يريد
وباله واقع بهم واصل اليهم لا بد لهم منه اشفقوا او لم يشفقوا والذين آمنوا وعملوا الصالحات
في روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير كأن روضة المؤمن
اطيب بقعة فيها وانزهها عند ربهم منصوب بالظرف لا بيشاؤون ذلك الذي يبشر الله عباده الذين
آمنوا وعملوا الصالحات وقرئ يبشر من بشره ويبشر من ابشره ويبشر من بشره والاصل ذلك
الثواب الذي يبشر الله به عباده فحذف الجار كقوله واختار موسى قومه ثم الراجع الى الموصول
كقوله اهذا الذي بعث الله رسولا او ذلك التبشير الذي يبشره الله عباده قل لا اسالكم عليه
اجرا روي انه اجتمع المشركون في مجمع لهم فقال بعضهم لبعض اترون محمدا يسال على ما يتعاطاه
اجرا فنزلت الآية الا المودة في القربى يجوز ان يكون استثناء متصلا اي لا اسالكم اجرا الا هذا وهو
ان تودوا اهل قرابتي ولم يكن هذا اجرا في الحقيقة لان قرابته قرابتهم فكانت صلتهم لازمة لهم في المروة
ويجوز ان يكون منقطعا اي لا اسالكم اجرا قط ولكن اسالكم ان تودوا اقربائي الذين هم قرابتكم
ولا تؤذوهم فان قلت هلا قيل الا مودة القربى او الا المودة للقربى وما معنى قوله الا المودة في القربى قلت
جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها كقولك لي في آل فلان مودة ولي فيهم هوى وحب شديد تريد احبهم وهم
مكان حبي ومحله وليست في بصلة للمودة كاللام اذا قلت الا المودة للقربى وانما هي متعلقة بمحذوف تعلق
الظرف به في قولك المال في الكيس وتقديره الا المودة ثابتة في القربى متمكنة فيها والقربى مصدر
كالزلفى والبشرى بمعنى القرابة والمراد في اهل القربى وروي انها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك
الذين وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة وابناهما ويدل عليه ما روي عن علي رضي الله عنه شكوت
الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حسد الناس لي فقال اما ترضى ان تكون رابع اربعة اول من يدخل الجنة
انا وانت والحسن والحسين وازواجنا عن ايماننا وشمائلنا وذريتنا خلف ازواجنا وعن النبي صلى الله عليه
وآله وسلم حرمت الجنة على من ظلم اهل بيتي وآذاني في عترتي ومن اصطنع صنيعة الى احد من ولد عبد
المطلب ولم يجازه عليها فانا اجازيه عليها غدا اذا لقيني يوم القيمة وروي ان الانصار قالوا فعلنا وفعلنا
كانهم افتخروا فقال عباس او ابن عباس لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فاتاهم في مجالسهم فقال يا معشر الانصار الم تكونوا اذلة فاعزكم الله بي قالوا بلى يا رسول الله قال
الم تكونوا ضلالا فهداكم الله بي قالوا بلى يا رسول الله قال افلا تجيبونني قالوا ما نقول يا رسول الله

هم — هؤلاء

قال الا تقولون الم يخرجك قومك فآويناك او لم يكذبوك فصدقناك او لم يخذلوك فنصرناك قال فما زال يقول حتى جثوا على الركب وقالوا اموالنا وما في ايدينا لله ولرسوله فنزلت الاية قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من مات على حب آل محمد مات شهيدا الا ومن مات على حب آل محمد مات مغفورا له الا ومن مات على حب آل محمد مات تائبا الا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمنا مستكمل الايمان الا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير الا ومن مات على حب آل محمد يزف الى الجنة كما تزف العروس الى بيت زوجها الا ومن مات على حب آل محمد فتح الله له في قبره بابين الى الجنة الا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة الا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله الا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة وقيل لم يكن بطن من بطون قريش الا وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبينهم قرابة فلما كذبوه وابوا ان يبايعوه نزلت والمعنى الا ان تودوني في القربى اي في حق القربى ومن اجلها كما تقول الحب في الله والبغض في الله بمعنى في حقه ومن اجله يعني انكم قومي واحق من اجابني واطاعني فاذ قد ابيتم ذلك فاحفظوا حق القربى ولا تؤذوني ولا تهيجوا علي وقيل اتت الانصار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمال جمعوه وقالوا يا رسول الله قد هدانا الله بك وانت ابن اختنا وتعروك نوائب وحقوق ومالك سعة فاستعن بهذا على ما ينوبك فنزلت ورده وقيل القربى التقرب الى الله اي الا ان تحبوا الله ورسوله في تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ الا مودة في القربى **ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا** عن السدي انها المودة في آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه ومودته فيهم والظاهر العموم في اي حسنة كانت الا انها لما ذكرت عقيب ذكر المودة في القربى دل على انها تناولت المودة تناولا اوليا كأن سائر الحسنات لها توابع وقرئ يزد اي يزد الله وزيادة حسنها من جهة الله مضاعفتها كقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة وقرئ حسنى وهي مصدر كالبشرى **ان الله غفور شكور** الشكور في صفة الله مجاز للاعتداد بالطاعة وتوفية ثوابها والتفضل على المثاب **ام يقولون افترى على الله كذبا** ام منقطعة ومعنى الهمزة فيه التوبيخ كأنه قيل ايتمالكون ان ينسبوا مثله الى الافتراء ثم الى الافتراء على الله الذي هو اعظم الفرى وافحشها **فان يشا الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور** فان يشا الله يجعلك من المختوم على قلوبهم حتى تفتري عليه الكذب فانه لا يجترئ على افتراء الكذب على الله الا من كان في مثل حالهم وهذا الاسلوب مؤداه استبعاد الافتراء من مثله وانه في البعد مثل الشرك بالله والدخول في جملة المختوم على قلوبهم ومثال هذا ان يخون بعض الامناء فيقول لعل الله خذلني لعل الله اعمى قلبي وهو لا يريد اثبات الخذلان وعمى القلب وانما يريد استبعاد ان يخون مثله والتنبيه على انه ركب من تخوينه امر عظيم ثم قال ومن عادة الله ان يمحو الباطل ويثبت الحق بكلماته بوحيه او بقضائه كقوله بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه يعني لو كان مفتريا كما تزعمون لكشف الله افتراءه ومحقه وقذف بالحق على الباطل فدمغه ويجوز ان يكون عدة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بانه يمحو الباطل الذي هم عليه من البهت والتكذيب ويثبت الحق الذي انت عليه بالقرآن وبقضائه الذي لا مرد له من نصرتك عليهم ان الله عليم بما في صدرك وصدورهم فيجري الامر على حسب ذلك وعن قتادة يختم على قلبك ينسك القرآن ويقطع عنك الوحي يعني لو افترى على الله الكذب لفعل به ذلك وقيل يختم على قلبك يربط عليه بالصبر حتى لا يشق عليك اذاهم فان قلت ان كان قوله ويمح الله الباطل كلاما مبتدأ غير معطوف على يختم فما بال الواو ساقطة في الخط قلت كما سقطت في قوله تعالى ويدع الانسان بالشر وقوله سندع الزبانية على انها مثبتة في بعض المصاحف **وهو الذي يقبل التوبة عن عباده** يقال قبلت منه الشيء وقبلته عنه فمعنى قبلته منه اخذته منه وجعلته مبدأ قبولي ومنشأه ومعنى قبلته عنه عزلته عنه وابنته عنه والتوبة ان يرجع عن القبيح والاخلال بالواجب بالندم عليهما والعزم على ان لا يعاود لان المرجوع عنه قبيح واخلال بالواجب وان كان فيه لعبد حق لم يكن بد من التفصي على طريقه وروى جابر ان اعرابيا دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال اللهم اني استغفرك واتوب اليك وكبر فلما فرغ من صلاته قال له علي رضي الله عنه يا هذا ان سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك تحتاج الى التوبة فقال يا امير المؤمنين وما التوبة قال اسم يقع على ستة معان على الماضي من

الا ومن مات على بغض آل محمد مات كافرا

الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية واذاقة النفس مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته **ويعفو عن السيئات** عن الكبائر اذا تيب منها وعن الصغائر اذا اجتنب الكبائر **ويعلم ما تفعلون** قرئ بالياء والتاء اي يعلمه فيثيب على حسناته ويعاقب على سيئاته **ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات** اي يستجيب لهم فحذف اللام كما حذف في قوله واذا كالوهم او وزنوهم اي يثيبهم على طاعتهم **ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد** ويزيدهم على الثواب تفضلا واذا دعوه استجاب لهم دعاءهم واعطاهم ما طلبوا وزادهم على مطلوبهم وقيل الاستجابة فعلهم اي يستجيبون له بالطاعة اذا دعاهم اليها ويزيدهم من فضله على ثوابهم وعن سعيد بن جبير هذا من فعلهم يجيبونه اذا دعاهم وعن ابراهيم بن ادهم انه قيل له ما بالنا ندعو فلا نجاب قال لانه دعاكم فلم تجيبوه ثم قرأ والله يدعو الى دار السلام ويستجيب الذين آمنوا **ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض** من البغي وهو الظلم اي لبغى هذا على ذاك وذاك على هذا لان الغنى مبطرة مأشرة وكفى بحال قارون عبرة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام اخوف ما اخاف على امتي زهرة الدنيا وكثرتها ولبعض العرب:

وقد جعل الوسمي ينبت بيننا ... وبين بني رومان نبعا وشوحطا

يعني انهم احيوا فحدثوا انفسهم بالبغي والتغابن او من البغي وهو البذخ والكبر اي لتكبروا في الارض وفعلوا ما يتبع الكبر من العلو فيها والفساد وقيل نزلت في قوم من اهل الصفة تمنوا سعة الرزق والغنى قال خباب بن الارت فينا نزلت وذلك انا نظرنا الى اموال بني قريظة والنضير وبني قينقاع فتمنيناها **ولكن ينزل بقدر ما يشاء** بتقدير يقال قدره قدرا وقدرا **انه بعباده خبير بصير** يعرف ما يؤول اليه احوالهم فيقدر لهم ما هو اصلح لهم واقرب الى جمع شملهم فيفقر ويغني ويمنع ويعطي ويقبض ويبسط كما توجبه الحكمة الربانية ولو اغناهم جميعا لبغوا ولو افقرهم لهلكوا فان قلت قد نرى الناس يبغي بعضهم على بعض ومنهم مبسوط لهم ومنهم مقبوض عنهم فان كان المبسوط لهم يبغون فلم بسط لهم وان كان المقبوض عنهم يبغون فقد يكون البغي بدون البسط فلم شرطه قلت لا شبهة ان البغي مع الفقر اقل ومع البسط اكثر واغلب وكلاهما سبب ظاهر للاقدام على البغي والاحجام عنه فلو عم البسط لغلب البغي حتى ينقلب الامر الى عكس ما عليه الآن **وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا** وقرئ قنطوا بفتح النون **وينشر رحمته** اي بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب وعن عمر رضي الله عنه انه قيل له اشتد القحط وقنط الناس فقال مطروا اذن اراد هذه الآية ويجوز ان يريد رحمته في كل شيء كأنه قال ينزل الرحمة التي هي الغيث وينشر غيرها من رحمته الواسعة **وهو الولي** الذي يتولى عباده باحسانه **الحميد** المحمود على ذلك يحمده اهل طاعته **ومن آياته خلق السموات والارض وما بث** يجوز ان يكون مجرورا ومرفوعا حملا على المضاف اليه او المضاف فان قلت لم جاز **فيهما من دابة** والدواب في الارض وحدها قلت يجوز ان ينسب الشيء الى جميع المذكور وان كان ملتبسا ببعضه كما يقال بنو تميم فيهم شاعر مجيد وشجاع بطل وانما هو في فخذ من افخاذهم وفصيلة من فصائلهم وبنو فلان فعلوا كذا وانما فعله نويس منهم ومنه قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح ويجوز ان يكون للملائكة عليهم الصلاة والسلام مشي مع الطيران فيوصفوا بالدبيب كما يوصف به الاناسي ولا يبعد ان يخلق في السموات حيوانا يمشون فيها مشي الاناسي على الارض سبحان الذي خلق ما نعلم وما لا نعلم من اصناف الخلق **وهو على جمعهم اذا يشاء قدير** اذا تدخل على المضارع كما تدخل على الماضي قال الله تعالى والليل اذا يغشى ومنه اذا يشاء وقال الشاعر:

واذا ما اشاء ابعث منها ... آخر الليل ناشطا مذعورا

وما اصابكم من مصيبة بما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير في مصاحف اهل العراق فبما كسبت باثبات الفاء على تضمين ما معنى الشرط وفي مصاحف اهل المدينة بما كسبت بغير فاء على ان ما مبتدأ وبما كسبت خبرها من غير تضمين معنى الشرط والآية مخصوصة بالمجرمين ولا يمتنع ان يستوفي بعض عقاب المجرم ويعفو عن بعض فاما من لا جرم له كالانبياء والاطفال والمجانين فهؤلاء اذا اصابهم شيء من الم او غيره فللعوض الموفى والمصلحة وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما من اختلاج عرق ولا خدش عود ولا نكبة حجر الا بذنب ولما يعفو الله عنه اكثر وعن بعضهم من لم يعلم ان ما وصل اليه من الفتن

والمصايب باكتسابه وان ما عفا عنه مولاه اكثر كان قليل النظر في احسان ربه اليه وعن آخر الغيب
ملازم للجنايات وكلا وان وجناياته في طاعته اكثر من جناياته بانواع المصايب ليعفف عنه اثقالم
يوم القيمة ولولا عفوه ورحمته لهلك في اول خطوه وعن علي رضي الله عنه وقد رفعه من عفي عنه في
الدنيا عفي عنه في الاخرة ومن عوقب في الدنيا لم تثن عليه العقوبة في الاخرة وعنه رضي الله عنه هذه
ارجى اية للمومن في القران وما انتم بمعجزين في الارض فائتين ما قضي عليكم من المصائب وما لكم
من دون الله من ولي من متول بالرحمة ولا نصير ومن آياته الجوار في البحر الجواري السفن
وقرئ الجوار كالاعلام كالجبال قالت الخنساء كانه علم في راسه نار ان يشا يسكن الرياح
وقرئ الرياح فيظللن بفتح اللام وكسرها من ظل يظل وظل يظل نحو ضل يضل وضل يضل رواكد
ثوابت لا تجري على ظهره على ظهر البحر ان في ذلك لايات لكل صبار شكور على بلاء الله شكور
لنعمائه وهما صفتا المومن المخلص فجعلهما كناية عنه وهو الذي وكل همته بالنظر في آيات الله
فهو يستملي منها العبر او يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير ويعلم الذين يجادلون
في آياتنا ما لهم من محيص يوبقهن يهلكهن والمعنى انه ان يشا يبتلي المسافرين في البحر باحدى
بليتين اما ان يسكن الريح فيركد الجواري على متن البحر ويمنعهن من الجري واما ان يرسل
الريح عاصفة فيهلكهن اغراقا بسبب ما كسبوا من الذنوب ويعف عن كثير منها فان قلت
علام عطف يوبقهن قلت على يسكن لان المعنى ان يشا يسكن الريح فيركدن او يعصفها
فيغرقن بعصفها فان قلت فما معنى ادخال العفو في حكم الايباق حيث جزم جزمه قلت
معناه او ان يشا يهلك ناسا وينج ناسا على طريق العفو عنهم فان قلت فمن قرا ويعفو قلت
قد استانف الكلام فان قلت فما وجوه القراءات الثلاث في ويعلم قلت اما الجزم فعلى ظاهر
العطف واما الرفع فعلى الاستئناف واما النصب فللعطف على تعليل محذوف تقديره لينتقم
منهم ويعلم الذين يجادلون ونحوه في العطف على التعليل المحذوف غير عزيز في القران
منه قوله ولنجعله آية للناس وقوله وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما
كسبت واما قول الزجاج النصب على اضمار ان لان قبلها جزاء تقول ما تصنع اصنع مثله واكرمك
وان شئت واكرمك على وانا اكرمك وان شئت واكرمك جزما ففيه نظر لما اورده سيبويه
في كتابه قال واعلم ان النصب بالفاء والواو في قوله ان تاتني آتك واعطيك ضعيف وهو نحو من قوله
وبالجحا فاستريحا وهذا يجوز وليس بحد الكلام فيه ولا وجهه الا انه في
الجزاء صار اقوى قليلا لانه ليس بواجب انه يفعل الا ان يكون من الاول فعل فلما ضارع الذي لا يوجبه
كالاستفهام ونحوه اجازوا فيه هذا على ضعفه ولا يجوز ان تحمل القراءة المستفيضة على وجه ضعيف
ليس بحد الكلام ولا وجهه ولو كانت من هذا الباب لما اخلى سيبويه منها كتابه وقد ذكر نظائرها
من الآيات المشكلة فان قلت فكيف يصح المعنى على جزم ويعلم قلت كانه قال او ان يشا يجمع
بين ثلاثة امور هلاك قوم ونجاة قوم وتحذير آخرين من محيص من محيد عن عقابه فما اوتيتم من
شيء فمتاع الحيوة الدنيا وما عند الله خير وابقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون
ما الاولى ضمنت معنى الشرط فجاءت الفاء في جوابها بخلاف الثانية عن علي رضي الله عنه اجتمع لابي بكر
رضي الله عنه مال فتصدق به كله في سبيل الله والخير فلامه المسلمون وخطاه الكفرة فنزلت
والذين يجتنبون عطف على الذين آمنوا وكذلك ما بعده ومعنى كبائر الاثم الكبائر من هذا
الجنس وقرئ كبير الاثم وعن ابن عباس كبير الاثم هو الشرك والفواحش واذا ما غضبوا
هم يغفرون اي هم الاخصاء بالغفران في حال الغضب لا يغول الغضب احلامهم كما يغول حلوم
الناس والمجيء بهم وايقاعه مبتدا واسناد يغفرون اليه لهذه الفائدة ومثله هم ينتصرون والذين
استجابوا لربهم واقاموا الصلوة وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون نزلت
في الانصار دعاهم الله عز وجل للايمان به وطاعته فاستجابوا له بان آمنوا به واطاعوه واقاموا الصلوة
واتموا الصلوة الخمس وكانوا قبل الاسلام وقبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة اذا كان
بينهم امر اجتمعوا وتشاوروا فاثنى الله عليهم اي لا ينفردون برأي حتى يجتمعوا عليه وعن
الحسن ما تشاور قوم الا هدوا لارشد امرهم والشورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ومعنى
قوله وامرهم شورى بينهم اي ذو شورى وكذلك قولهم ترك رسول الله صلى الله عليه وآله وعمر بن الخطاب

الخلافة شورى والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون هو ان يقتصروا في الانتصار على
ما جعله الله لهم ولا يعتدوا وعن النخعي انه كان اذا قراها قال كانوا يكرهون ان يذلوا انفسهم
فيجترئ عليهم الفساق فان قلت اهم محمودون على الانتصار قلت نعم لان من اخذ حقه غير
متعد حد الله وما امر به فلم يسرف في القتل ان كان ولي دم او رد على سفيه محاماة على عرضه وردعا
له فهو مطيع وكل مطيع محمود وجزاء سيئة سيئة مثلها كلتا الفعلتين الاولى وجزاؤها سيئة لانها
تسوء من تنزل به قال الله تعالى وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك يريد ما يسوؤهم من المصائب
والبلايا والمعنى انه يجب اذا قوبلت الاساءة ان يقابل بمثلها من غير زيادة فاذا قال اخزاك الله قال اخزاك الله
فمن عفا واصلح بينه وبين خصمه بالعفو والاغضاء كما قال فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم
فاجره على الله عدة مبهمة لا يقاس امرها في العظم وقوله انه لا يحب الظالمين دلالة على
ان الانتصار لا يكاد يؤمن فيه تجاوز السيئة والاعتداء خصوصا في حال الحرد والتهاب الحمية فربما
كان المجازي من الظالمين وهو لا يشعر وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا كان يوم القيمة نادى
مناد من كان له على الله اجر فليقم قال فيقوم خلق فيقال لهم ما اجركم على الله فيقولون نحن الذين
عفونا عمن ظلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة باذن الله ولمن انتصر بعد ظلمه من اضافة المصدر الى المفعول
وتفسيره قراءة من قرا بعد ما ظلم فاولئك اشارة الى معنى من دون لفظه ما عليهم من سبيل للمعاقب
ولا للعائب والعائب انما السبيل على الذين يظلمون الناس يبتدؤنهم بالظلم ويبغون في الارض
بغير الحق يتكبرون فيها ويعلون ويفسدون اولئك لهم عذاب اليم ولمن صبر على الظلم والاذى
وغفر ولم ينتصر وفوض امره الى الله ان ذلك لمن عزم الامور وحذف الراجع لانه مفهوم كما حذف
من قولهم السمن منوان بدرهم ويحكى ان رجلا سب رجلا في مجلس الحسن رحمه الله تعالى فكان
المسبوب يكظم ويعرق فيمسح العرق ثم قام فتلا هذه الآية فقال الحسن عقلها والله وفهمها اذ
ضيعها الجاهلون وقالوا العفو مندوب اليه ثم قد ينعكس الامر في بعض الاحوال فيرجع ترك
العفو مندوبا اليه وذلك اذا احتيج الى كف زيادة البغي وقطع مادة الاذى وعن رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم ما يدل عليه وهو ان زينب اسمعت عائشة رضي الله عنها بحضرته وكان ينهاها فلا
تنتهي فقال لعائشة رضي الله عنها دونك فانتصري ومن يضلل الله فما له من
ولي من بعده فليس من ناصر يتولاه من بعد خذلانه وترى الظالمين لما راوا العذاب يقولون هل الى مرد من
سبيل وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل خاشعين متضائلين مما يلحقهم من الذل
وقد يتعلق من الذل بينظرون ويوقف على خاشعين ينظرون من طرف خفي اي يبتدي نظرهم
من تحريك لاجفانهم ضعيف خفي بمسارقة كما ترى المصبور ينظر الى السيف وهكذا نظر الناظر
الى المكاره لا يقدر ان يفتح اجفانه عليها ويملا عينيه منها كما يفعل في نظره الى المحاب وقيل يحشرون
عميا فلا ينظرون الا بقلوبهم وذلك نظر من طرف خفي وفيه تعسف وقال الذين آمنوا ان الخاسرين
الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة الا ان الظالمين في عذاب مقيم وما كان لهم من
اولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل يوم القيمة اما ان يتعلق بخسروا
ويكون قول المومنين واقعا في الدنيا واما ان يتعلق بقال اي يقولون يوم القيمة اذا راوهم على تلك
الصفة استجيبوا لربكم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجا يومئذ وما
لكم من نكير فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا ان عليك الا البلاغ من الله من صلة
لا مرد اي لا يرده الله بعد ما حكم به او من صلة ياتي اي من قبل ان ياتي من الله يوم لا يقدر احد
على رده والنكير الانكار اي ما لكم من مخلص من العذاب ولا تقدرون ان تنكروا شيئا مما اقترفتموه
ودون في صحائف اعمالكم وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها وان تصبهم سيئة بما قدمت
ايديهم فان الانسان كفور اراد بالانسان الجمع لا الواحد لقوله وان تصبهم سيئة ولم يرد الا المجرمين
لان اصابة السيئة بما قدمت ايديهم انما تستقيم فيهم والرحمة النعمة من الصحة والغنى والامن
والسيئة البلاء من المرض والفقر والمخاوف والكفور البليغ الكفران ولم يقل فانه كفور ليسجل
على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعم كما قال ان الانسان لظلوم كفار ان الانسان لربه لكنود والمعنى
انه يذكر البلاء وينسى النعم ويغمطها لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا

ويهب لمن يشاء الذكور ○ أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما لما ذكر إذاقة الإنسان الرحمة وإصابته بضدها أتبع ذلك أن له الملك وأنه يقسم النعمة والبلاء كيف أراد ويهب لعباده من الأولاد ما تقتضيه مشيئته فيخص بعضا بالإناث وبعضا بالذكور وبعضا بالصنفين جميعا ويعقم آخرين فلا يهب لهم ولدا قط فإن قلت لم قدم الإناث أولا على الذكور مع تقدمهم عليهن ثم رجع فقدمهم ولم عرف الذكور بعدما نكر الإناث قلت لأنه ذكر البلاء في آخر الآية الأولى وكفران الإنسان بنسيانه الرحمة السابقة عنده ثم عقبه بذكر ملكه ومشيئته وذكر قسمة الأولاد فقدم الإناث لأن سياق الكلام أنه فاعل ما يشاؤه لا ما يشاؤه الإنسان فكان ذكر الإناث اللاتي من جملة ما لا يشاؤه الإنسان أهم والأهم واجب التقديم وليلي الجنس الذي كانت العرب تعده بلاء ذكر البلاء وأخر الذكور فلما أخرهم لذلك تدارك تأخيرهم وهم أحقاء بالتقديم بتعريفهم لأن التعريف تنويه وتشهير كأنه قال ويهب لمن يشاء الفرسان الأعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم ثم أعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتأخير وعرف أن تقديمهن لم يكن لتقدمهن ولكن لمقتض آخر فقال ذكرانا وإناثا كما قال إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وقيل نزلت في الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم حيث وهب لشعيب ولوط إناثا ولإبراهيم ذكورا ولمحمد ذكورا وإناثا وجعل يحيى وعيسى عقيمين إنه عليم بمصالح العباد قدير على تكوين ما يصلحهم وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء وما صح لأحد من البشر أن يكلمه الله إلا على ثلاثة أوجه إما على طريق الوحي وهو الإلهام والقذف في القلب والمنام كما أوحى إلى أم موسى وإلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام في ذبح ولده وعن مجاهد أوحى الله الزبور إلى داود عليه السلام في صدره قال عبيد بن الأبرص ○

وأوحى إلي الله أن قد تأمروا ○ بإبل أبي أوفى فقمت على رجلي ○

أي ألهمني وقذف في قلبي وإما على أن يسمعه كلامه الذي يخلقه في بعض الأجرام من غير أن يبصر السامع من يكلمه لأنه في ذاته غير مرئي وقوله من وراء حجاب مثل أي كما يكلم الملك المحتجب بعض خواصه وهو من وراء الحجاب فيسمع صوته ولا يرى شخصه وذلك كما كلم موسى ويكلم الملائكة وإما على أن يرسل إليه رسولا من الملائكة فيكلم الأنبياء غير موسى فيوحي كما أوحى إلى الرسل بواسطة الملائكة أو يرسل رسولا أي نبيا كما كلم أمم الأنبياء على ألسنتهم ووحيا وأن يرسل مصدران واقعان موقع الحال لأن أن يرسل في معنى إرسالا ومن وراء حجاب ظرف واقع موقع الحال أيضا كقوله وعلى جنوبهم والتقدير وما صح أن يكلم أحدا إلا موحيا أو مسمعا من وراء حجاب أو مرسلا ويجوز أن يكون وحيا موضوعا موضع كلاما لأن الوحي كلام خفي في سرعة كما تقول لا أكلمه إلا جهرا وإلا خفاتا لأن الجهر والخفات ضربان من الكلام وكذلك إرسالا جعل الكلام على لسان الرسول بمنزلة الكلام بغير واسطة تقول قلت لفلان كذا وإنما قاله وكيلك أو رسولك وقوله أو من وراء حجاب معناه أو إسماعا من وراء حجاب ومن جعل وحيا في معنى أن يوحي وعطف يرسل عليه على معنى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا بأن يوحي أو بأن يرسل فعليه أن يقدر قوله أو من وراء حجاب تقديرا يطابقهما عليه نحو أو أن يسمع من وراء حجاب وقرئ أو يرسل رسولا فيوحي بالرفع على معنى أو هو يرسل أو بمعنى مرسلا عطفا على وحيا في معنى موحيا وروي أن اليهود قالت للنبي عليه السلام ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر إليه فإنا لن نؤمن لك حتى تفعل ذلك فقال لم ينظر موسى إلى الله فنزلت وعن عائشة رضي الله عنها من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ثم قالت أولم تسمعوا ربكم يقول فتلت هذه الآية إنه علي عن صفات المخلوقين حكيم يجري أفعاله على موجب الحكمة فيكلم تارة بواسطة وأخرى بغير واسطة إما إلهاما وإما خطابا وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا يريد ما أوحي إليه لأن الخلق يحيون به كما يحيى الجسد بالروح ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان فإن قلت قد علم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما كان يدري ما القرآن قبل نزوله عليه فما معنى قوله ولا الإيمان والأنبياء لا يجوز عليهم إذا عقلوا وتمكنوا من النظر والاستدلال أن يخطئهم الإيمان بالله وتوحيده ويجب أن يكونوا معصومين من ارتكاب الكبائر ومن الصغائر التي فيها تنفير قبل المبعث وبعده فكيف لا يعصمون من الكفر قلت

الايمان اسم

الإيمان اسم يتناول أشياء بعضها الطريق إليه العقل وبعضها الطريق إليه السمع فعنى به ما الطريق إليه السمع دون العقل وذلك ما كان له فيه علم حتى كسبه بالوحي ألا ترى أنه قد فسر الإيمان في قوله تعالى وما كان الله ليضيع إيمانكم بالصلاة لأنها بعض ما يتناوله الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا من له لطف ومن لا لطف له فلا هداية تجدي عليه وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ○ صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور ○ صراط الله بدل وقرئ لتهدى أي يهديك الله وقرئ لتدعو عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ حم عسق كان ممن تصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له

سورة الزخرف مكية وقال مقاتل إلا قوله واسأل من أرسلنا من قبلك

بسم الله الرحمن الرحيم

حم والكتاب المبين ○ أقسم بالكتاب المبين وهو القرآن وجعل قوله إنا جعلناه قرآنا عربيا جوابا للقسم وهو من الأيمان الحسنة البديعة لتناسب القسم والمقسم عليه وكونهما من واد واحد ونظيره قول أبي تمام وثناياك إنها إغريض المبين البين للذين أنزل عليهم لأنه بلغتهم وأساليبهم وقيل الواضح للمتدبرين وقيل المبين الذي أبان طرق الهدى من طرق الضلالة وأبان ما تحتاج إليه الأمة في أبواب الديانة وجعلناه بمعنى صيرناه معدى إلى مفعولين أو بمعنى خلقناه معدى إلى واحد كقوله وجعل الظلمات والنور وقرآنا عربيا حال لعلكم تعقلون ○ ولعل مستعار لمعنى الإرادة لتلاحظ معناها ومعنى الترجي أي خلقناه عربيا غير عجمي إرادة أن تعقله العرب ولئلا يقولوا لولا فصلت آياته وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي وقرئ إم الكتاب بالكسر وهو اللوح كقوله بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ سمي بأم الكتاب لأنه الأصل الذي أثبتت فيه الكتب منه تنقل وتستنسخ علي رفيع الشأن في الكتب لكونه معجزا من بينها حكيم ذو حكمة بالغة أي منزلته عندنا منزلة كتاب هما صفتاه وهو مثبت في أم الكتاب هكذا أفنضرب عنكم الذكر صفحا بمعنى أفننحي عنكم الذكر ونذوده عنكم على سبيل المجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض ومنه قول الحجاج ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل وقال طرفة

أضرب عنك الهموم طارقها ○ ضربك بالسيف قونس الفرس ○

والفاء للعطف على محذوف تقديره أنهملكم فنضرب عنكم الذكر إنكارا لأن يكون الأمر على خلاف ما قدم من إنزاله الكتاب وخلقه قرآنا عربيا ليعقلوه ويعملوا بمواجبه وصفحا على وجهين إما مصدر من صفح عنه إذا أعرض منتصب على أنه مفعول له على معنى أفنعزل عنكم إنزال القرآن وإلزام الحجة به إعراضا عنكم وإما بمعنى الجانب من قولهم نظر إليه بصفح وجهه على معنى أفننحيه عنكم جانبا فينتصب على الظرف كما تقول ضعه جانبا وامش جانبا وتعضده قراءة من قرأ صفحا بالضم وفي هذه القراءة وجه آخر وهو أن يكون تخفيف صفح جمع صفوح وينتصب على الحال أي صافحين معرضين أن كنتم قوما مسرفين ○ لأن كنتم وقرئ إن كنتم وإذ كنتم فإن قلت كيف استقام معنى إن الشرطية وقد كانوا مسرفين على البت قلت هو من الشرط الذي ذكرت أنه يصدر عن المدل بصحة الأمر المتحقق لثبوته كما يقول الأجير إن كنت عملت لك فوفني حقي وهو عالم بذلك ولكنه يخيل في كلامه أن تفريطك في الخروج عن الحق فعل من له شك في الاستحقاق مع وضوحه استجهالا له وكم أرسلنا من نبي في الأولين ○ وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزءون ○ وما يأتيهم حكاية حال ماضية مستمرة أي كانوا على ذلك وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن استهزاء قومه فأهلكنا أشد منهم بطشا الضمير في منهم للقوم المسرفين لأنه صرف الخطاب عنهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخبره عنهم ومضى مثل الأولين ○ أي سلف في القرآن في غير موضع منه ذكر قصتهم وحالهم العجيبة التي حقها أن تسير مسير المثل وهذا وعد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووعيد لهم ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم ○ الذي جعل لكم الأرض مهادا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون ○ والذي نزل من

السماء ماء بقدر فانشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون ❁ فان قلت قوله ليقولن خلقهن العزيز العليم وما سرد من الاوصاف عقيبه ان كان من قولهم فما تصنع بقوله فانشرنا به بلدة ميتا كذلك
تخرجون وان كان من قول الله تعالى فما وجهه قلت هو من قول الله لا من قولهم ومعنى قوله ليقولن
خلقهن العزيز العليم الذي من صفته كيت وكيت لينسبن خلقها الى الذي هذه اوصافه وليسندنه
اليه بقدر بقدر ان يسلم معه البلاد والعباد ولم يكن طوفانا والذي خلق الازواج كلها والازواج
الاصناف وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون ❁ اي تركبونه فان قلت يقال ركبوا
الانعام وركبوا في الفلك وقد ذكر الجنسين فكيف قال تركبونه قلت غلب المتعدي بغير
واسطة لقوته على المتعدي بواسطة ومما تركبونه لتستووا على ظهوره على ظهور ما تركبون
وهو الفلك والانعام ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر
لنا هذا ومعنى ذكر نعمة الله عليهم ان يذكروها في قلوبهم معترفين بها مستعظمين لها ثم يحمدوا عليها
بالسنتهم وهو ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله
فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا الى قوله لمنقلبون وكبر ثلاثا
وهلل ثلاثا وقالوا اذا ركب في السفينة قال بسم الله مجراها ومرسيها ان ربي لغفور رحيم وعن
الحسن بن علي رضي الله عنهما انه رأى رجلا يركب دابة فقال سبحان الذي سخر لنا هذا فقال بهذا
امرتم فقال بم امرنا قال ان تذكروا نعمة ربكم كان قد اغفل التحميد فنبهه عليه وهذا من حسن مراعاتهم
لآداب الله ومحافظتهم على دقيقها وجليلها جعلنا الله من المقتدين بهم والسائرين بسيرتهم فما احسن
بالعاقل النظر في لطائف الصناعات فكيف بالنظر في لطائف الديانات وما كنا له مقرنين مطيقين
يقال اقرن الشيء اذا اطاقه قال ابن هرمة ❁
وأقرنت ما حملتني ولقلما ❁ يطاق احتمال الصد يا دعد والهجر ❁
وحقيقة اقرنه وجده قرينته وما يقرن به لان الصعب لا يكون قرينة للضعيف الا ترى الى قولهم
في الضعيف لا يقرن به الصعبة وقرئ مقرنين والمعنى واحد فان قلت كيف اتصل بذلك قوله
وانا الى ربنا لمنقلبون ❁ قلت كم من راكب دابة عثرت به او شمست او تقحمت او طاح من ظهرها
فهلك وكم من راكبين في سفينة انكسرت بهم فغرقوا فلما كان الركوب مباشرة امر مخطر واتصالا
بسبب من اسباب التلف كان من حق الراكب وقد اتصل بسبب من اسباب التلف الا ينسى عند
اتصاله به يومه وانه هالك لا محالة فمنقلب الى الله غير منفلت من قضائه ولا يدع ذكر ذلك بقلبه ولسانه
حتى يكون مستعدا للقاء الله باصلاحه من نفسه والحذر من ان يكون ركوبه ذلك من اسباب موته
في علم الله وهو غافل عنه ونستعيذ بالله من مقام من يقول لقرنائه تعالوا نتنزه على الخيل او بعض
الزوارق فيركبون حاملين مع انفسهم اواني الخمر والمعازف فلا يزالون يسقون حتى تميل طلاهم وهم
على ظهور الدواب او في بطون السفن وهي تجري بهم لا يذكرون الا الشيطان ولا يمتثلون الا اوامره ولقد
بلغني ان بعض السلاطين ركب وهو يشرب من بلد الى بلد بينهما مسيرة شهر فلم يصح الا بعد ما اطمأنت به
الدار فلم يشعر بمسيره ولا احس به فكم بين فعل اولئك الراكبين وبين ما امر الله به في هذه الآية وقيل
يذكرون عند الركوب ركوب الجنازة وجعلوا له من عباده جزءا متصل بقوله ولئن سألتهم من
خلق السموات والارض ليقولن اي ولقد جعلوا مع ذلك الاعتراف من عباده جزءا فوصفوه بصفات
المخلوقين ومعنى من عباده جزءا ان قالوا الملائكة بنات الله فجعلوهم جزءا له وبعضا منه كما
يكون الولد بضعة من والده وجزءا منه ومن بدع التفاسير تفسير الجزء بالاناث وادعاء ان الجزء
في لغة العرب اسم للاناث وما هو الا كذب على العرب ووضع مستحدث منحول ولم يقنعهم ذلك
حتى اشتقوا منه اجزأت ثم صنعوا بيتا وبيتا ❁ ان اجزأت حرة يوما فلا عجب ❁ قد تجزئ الحرة المذكار احيانا ❁
زوجتها من بنات الاوس مجزئة ❁ للعوسج اللدن في ابياتها زجل ❁
وقرئ جزؤا بضمتين ان الانسان لكفور مبين لجحود للنعمة ظاهر جحوده لان نسبة الولد اليه
كفر والكفر اصل الكفران كله ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين ❁ بل اتخذ والهمزة
للانكار تجهيلا لهم وتعجيبا من شأنهم حيث لم يرضوا بان جعلوا لله من عباده جزءا حتى جعلوا ذلك
الجزء شر الجزئين وهو الاناث دون الذكور على انهم انفر خلق الله عن الاناث وامقتهم لهن ولقد بلغ

بهم المقت الى ان وأدوهن كانه قيل هبوا ان اضافة اتخاذ الولد جائزة فرضا وتمثيلا اما تستحيون من
الشطط في القسمة ومن ادعائكم انه آثركم على نفسه بخير الجزئين واعلاهما وترك له شرهما وادناهما
وتنكير بنات وتعريف البنين وتقديمهن في الذكر عليهم لما ذكرت في قوله تعالى يهب لمن يشاء اناثا ويهب
لمن يشاء الذكور واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا بالجنس الذي جعله مثلا اي شبها لانه اذا
جعل الملائكة جزءا لله وبعضا منه فقد جعله من جنسه ومماثلا له لان الولد لا يكون الا من جنس الوالد
يعني انهم نسبوا اليه هذا الجنس ومن حالهم ان احدهم اذا قيل له قد ولدت لك بنت اغتم واربد وجهه
غيظا وتأسفا وهو مملوء من الكرب وعن بعض العرب ان امرأته وضعت انثى فهجر البيت الذي
فيه المرأة فقالت ما لابي حمزة لا يأتينا ❁ يظل في البيت الذي يلينا ❁ غضبان ان لا نلد البنينا ❁ ليس لنا من
امرنا ما شينا ❁ ظل وجهه مسودا وهو كظيم ❁ والظلول بمعنى الصيرورة كما تستعمل اكثر
الافعال الناقصة بمعناها وقرئ مسود ومسواد على ان في ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة واقعة
موقع الخبر ثم قال او من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين ❁ او يجعل للرحمن من الولد من
هذه الصفة المذمومة صفته وهو انه ينشأ في الحلية اي يتربى في الزينة والنعمة وهو اذا احتاج
الى مجاثاة الخصوم ومجاراة الرجال كان غير مبين ليس عنده بيان ولا يأتي ببرهان يحتج به من يخاصمه وذلك
لضعف عقول النساء ونقصانهن عن فطرة الرجال يقال قلما تكلمت امرأة فاردت ان تتكلم بحجتها الا تكلمت
بالحجة عليها وفيه انه جعل النشء في الزينة والنعومة من المعايب والمذام وانه من صفة ربات الحجال فعلى
الرجل ان يجتنب ذلك ويأنف منه ويربأ بنفسه عنه ويعيش كما قال عمر رضي الله عنه اخشوشنوا
واخشوشبوا وتمعددوا وان اراد ان يزين نفسه زينها من باطن بلباس التقوى وقرئ ينشأ وينشأ
ويناشأ ونظير المناشاة بمعنى الانشاء المغالاة بمعنى الاغلاء وجعلوا الملائكة الذين هم عباد
الرحمن اناثا قد جمعوا في كفرة ثلاث كفرات وذلك انهم نسبوا الى الله تعالى الولد ونسبوا اليه اخس النوعين
وجعلوه من الملائكة الذين هم اكرم عباد الله على الله فاستخفوا بهم واحتقروهم وقرئ
عباد الرحمن وعبيد الرحمن وعند الرحمن وهو مثل لزلفاهم واختصاصهم واناثا وانثا جمع الجمع
ومعنى جعلوا سموا وقالوا انهم اناث وقرئ اشهدوا خلقهم واشهدوا بهمزتين مفتوحة ومضمومة
وآشهدوا بالف بينهما وهذا تهكم بهم بمعنى انهم يقولون ذلك من غير ان يستند قولهم الى علم فان
الله لم يضطرهم الى علم ذلك ولا تطرقوا اليه باستدلال ولا احاطوا به عن خبر يوجب العلم فلم يبق الا ان
يشاهدوا خلقهم فاخبروا عن المشاهدة ستكتب شهادتهم التي شهدوا بها على الملائكة من انوثتهم
ويسألون وهذا وعيد وقرئ سيكتب وسنكتب بالياء والنون وشهاداتهم ويساءلون على
يفاعلون وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون ❁ هما كفرتان
مضمومتان الى الكفرات الثلاث وهما عبادتهم الملائكة من دون الله وزعمهم ان عبادتهم بمشيئة الله كما
يقول اخوانهم المجبرة فان قلت ما انكرت على من يقول قالوا ذلك على وجه الاستهزاء ولو قالوه جادين
لكانوا مؤمنين قلت لا دليل على انهم قالوه مستهزئين وادعاء ما لا دليل عليه باطل على ان الله تعالى قد حكى عنهم
على سبيل الذم والشهادة بالكفر انهم جعلوا له من عباده جزءا وانه اتخذ بنات واصفاهم بالبنين وانهم
جعلوا الملائكة المكرمين اناثا وانهم عبدوهم وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم فلو كانوا ناطقين بها
على طريق الهزء لكان النطق بالمحكيات قبل هذا المحكي الذي هو ايمان عنده لو جد في النطق به مدحا
لهم من قبل انها كلمات كفر نطقوا بها على وجه الهزء دون ما قبله فما بهم الا
تعويج كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ليسوغ به مذهبهم الباطل ولو كانت هذه
كلمة حق نطقوا بها هزءا لم يكن لقوله تعالى ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون معنى لان من قال لا اله الا الله
على طريق الهزء كان الواجب ان ينكر عليه استهزاؤه ولا يكذب لانه لا يجوز تكذيب الناطق بالحق جادا كان
او هازئا فان قلت ما قولك فيمن يفسر ما لهم بقولهم ان الملائكة بنات الله من علم ان هم الا يخرصون
في ذلك القول لا في تعليق عبادتهم بمشيئة الله قلت تمحل مبطل وتحريف مكابر ونحوه قوله تعالى سيقول
الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم ام آتيناهم
كتابا من قبله فهم به مستمسكون ❁ الضمير في من قبله للقرآن او للرسول والمعنى انهم الصقوا
عبادة غير الله بمشيئة الله قولا قالوه غير مستند الى علم ثم قال ام آتيناهم كتابا قبل هذا الكتاب نسبنا فيه

الكفر والقبائح الينا فحصل لهم علم بذلك من جهة الوحي فاستمسكوا بذلك الكتاب واحتجوا به بَلْ قَالُوا بل لا
حجة لهم يستمسكون بها الا قولهم إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ على دين وقرئ إِمّة بالكسر وكلتاهما من الأمّ وهو
القصد فالامة الطريقة التي تؤم اي تقصد كالرحلة للمرحول اليه والامة الحالة التي يكون عليها
الآمّ وهو القاصد وقيل على نعمة وحالة حسنة وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ على اثارهم مهتدون خبر
ان او الظرف صلة لمهتدون وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا
إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ مترفوها الذين اترفتهم النعمة اي ابطرتهم
فلا يحبون الا الشهوات والملاهي ويعافون مشاق الدين وتكاليفه قُلْ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ
عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ
قرئ قل وقال وجئتكم وجئناكم يعني اتتبعون اباكم ولو جئتكم بدين اهدى من دين اباكم
قالوا انا ثابتون على دين ابائنا لا ننفك عنه وان جئتنا بما هو اهدى واهدى وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ
وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ قرئ براء بفتح الباء وضمها وبرئ فبرئ وبرآء ككرم وكرام
وبراء مصدر كظما ولذلك استوى فيه الواحد والاثنان والجماعة والمذكر والمؤنث يقال
نحن البراء منك والخلاء منك إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ الذي فطرني فيه غير وجه
ان يكون منصوبا على انه استثناء منقطع كانه قال لكن الذي فطرني فانه سيهدين وان يكون مجرورا بدلا
من المجرور بمن كانه قال انني براء مما تعبدون الا من الذي فطرني فان قلت كيف تجعله بدلا وليس
من جنس ما يعبدون من وجهين احدهما ان ذات الله مخالفة لجميع الذوات فكانت مخالفة لذوات ما تعبدون
والثاني ان الله تعالى غير معبود بينهم والاوثان معبودة قلت قالوا كانوا يعبدون الله مع اوثانهم وان
تكون الا صفة بمعنى غير على ان ما في مما تعبدون موصوفة تقديره انني براء من الهة تعبدونها غير
الذي فطرني فهو نظير قوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا فان قلت ما معنى قوله سيهدين على
التسويف قلت قال مرة فهو يهدين ومرة فانه سيهدين فاجمع بينهما وقدر كانه قال فهو يهدين وسيهدين
فيدلان على استمرار الهداية في الحال والاستقبال وَجَعَلَهَا وجعل ابرهيم صلوات الله عليه كلمة التوحيد
التي تكلم بها وهي قوله انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ في ذريته فلا يزال
فيهم من يوحد الله ويدعو الى توحيده لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ لعل من اشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم وكو
ووصى بها ابرهيم بنيه ويعقوب وقيل وجعلها الله وقرئ كلمة على التخفيف وفي عاقبه اي فيمن عقبه بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ
وَآبَاءَهُمْ يعني اهل مكة وهم من عقب ابرهيم بالمد في العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة وشغلوا بالتنعم
واتباع الشهوات وطاعة الشيطان عن كلمة التوحيد حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وهو القران وَرَسُولٌ مُبِينٌ
مبين الرسالة واضحها بما معه من الايات البينة فكذبوا به وسموه ساحرا وما جاء به سحرا ولم يوجد
منهم ما رجاه ابرهيم عليه الصلوة والسلام وقرئ بل متعنا فان قلت فما وجه من قرأ متعت بفتح
التاء قلت كان الله تعالى اعترض على ذاته في قوله وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون فقال
بل متعتهم بما متعتهم به من طول العمر والسعة في الرزق حتى شغلهم ذلك عن كلمة التوحيد واراد
بذلك الاطناب في تعييرهم لانه اذا متعهم بزيادة النعم وجب عليهم ان يجعلوا ذلك سببا في زيادة
الشكر والثبات على التوحيد والايمان لا ان يشركوا به ويجعلوا له اندادا فمثاله ان يشكو الرجل اساءة
من احسن اليه ثم يقبل على نفسه فيقول انت السبب في ذلك بمعروفك واحسانك وغرضه بهذا الكلام
توبيخ المسيء لا تقبيح فعله فان قلت فقد جعل مجيء الحق والرسول غاية التمتيع ثم اردفه قوله وَلَمَّا
جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ
عَظِيمٍ فما طريقة هذا النظم ومؤداه قلت المراد بالتمتيع ما هو سبب له وهو اشتغالهم بالاستمتاع
عن التوحيد ومقتضياته فقال عز وعلا بل اشتغلوا عن التوحيد حتى جاءهم الحق ورسول مبين فخيل بهذه
الغاية انهم تنبهوا عندها عن غفلتهم لاقتضائها التنبه ثم ابتدأ قصتهم عند مجيء الحق فقال ولما
جاءهم جاءوا بما هو شر من غفلتهم التي كانوا عليها وهو ان ضموا الى شركهم معاندة الحق ومكابرة الرسول
ومعاداته والاستخفاف بكتاب الله وشرائعه والاصرار على افعال الكفرة والاحتكام على حكمة الله في تخير
محمد من اهل زمانه بقولهم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وهي الغاية في تشويه صورة
امرهم وقرئ على رجل بسكون الجيم من القريتين من احدى القريتين كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان

وبرآء

وفي عقبه كذلك اي خلفه

اي من احدهما والقريتان مكة والطائف وقيل من رجلي القريتين وهما الوليد بن المغيرة المخزومي
وحبيب بن عمرو بن عمير الثقفي عن ابن عباس وعن مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة بن عبد ياليل وعن
قتادة الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي وابو مسعود كنيته عروة بن مسعود ما زالوا ينكرون
ان يبعث الله بشرا رسولا فلما علموا بتكرير الله الحجج ان الرسل لم يكونوا الا رجالا من اهل القرى جاءوا بالانكار
من وجه اخر وهو تحكمهم ان يكون احد هذين وقولهم هذا القران ذكر له على وجه الاستهانة به
وارادوا بعظم الرجل رياسته وتقدمه في الدنيا وعزب عن عقولهم ان العظيم من كان عند الله عظيما أَهُمْ
يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ
بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا هذه الهمزة للانكار المستقل بالتجهيل والتعجيب من
اعتراضهم وتحكمهم وان يكونوا هم المدبرين لامر النبوة والتخير لها من يصلح لها ويقوم بها والمتولين لقسمة
رحمة الله التي لا يتولاها الا هو بباهر قدرته وبالغ حكمته ثم ضرب لهم مثلا فاعلم انهم عاجزون عن تدبير
خويصة امرهم وما يصلحهم في دنياهم وان الله عز وعلا هو الذي قسم لهم معيشتهم وقدرها ودبر
احوالهم تدبير العالم بها فلم يسو بينهم ولكن فاوت بينهم في اسباب العيش وغاير بين منازلهم فجعل منهم
اقوياء وضعفاء واغنياء ومحاويج وموالي وخدما ليصرف بعضهم بعضا في حوائجهم ويستخدموهم
ويسخروهم في اشغالهم حتى يتعايشوا ويترافدوا ويصلوا الى منافعهم ويحصلوا على مرافقهم
ولو وكلهم الى انفسهم وولاهم تدبير امرهم لضاعوا وهلكوا واذا كانوا في تدبير امر المعيشة الدنية
في الحيوة الدنيا على هذه الصفة فما ظنك بهم في تدبير امر الدين الذي هو رحمة الله الكبرى ورأفته
العظمى وهو الطريق الى حيازة حظوظ الاخرة والسلم الى حلول دار السلام ثم قال وَرَحْمَتُ رَبِّكَ
خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ يريد وهذه الرحمة وهي دين الله وما يتبعه من الفوز في المآب خير مما يجمع هؤلاء
من حطام الدنيا فان قلت معيشتهم ما يعيشون به من المنافع ومنهم من يعيش بالحلال ومنهم من
يعيش بالحرام فاذن قد قسم الله الحرام كما قسم الحلال قلت الله تعالى قسم لكل عبد معيشته وهي
مطاعمه ومشاربه وما يصلحه من المنافع واذن له في تناولها ولكن شرط عليه وكلفه ان يسلك في
تناولها الطرق التي شرعها فاذا سلكها فقد تناول قسمته من المعيشة حلالا وسماها رزق الله واذا لم يسلكها
تناولها حراما وليس له ان يسميها رزق الله تعالى فالله تعالى قاسم المعايش والمنافع ولكن العباد هم الذين
يكسبونها صفة الحرمة بسوء تناولهم وهو عدولهم فيه عما شرعه الله الى ما لم يشرعه وَلَوْلَا أَنْ
يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ
وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ
عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ لبيوتهم بدل اشتمال من قوله لمن يكفر ويجوز ان يكونا بمنزلة اللامين في قولك وهبت
له ثوبا لقميصه وقرئ سقفا بفتح السين وسكون القاف وبضمها وسكون القاف وبضمها جمع
سَقف كرَهن ورُهُن وعن الفراء جمع سقيفة وسقفا بفتحتين كانه لغة في سَقف وسقوفا
ومعاريج والمعارج جمع معرج او اسم جمع لمعراج وهي المصاعد الى العلالي عليها يظهرون اي على
المعارج يظهرون السطوح يعلونها فما اسطاعوا ان يظهروه وسررا بفتح الراء لاستثقال الضمتين
مع حرفي التضعيف لما متاع الحيوة اللام هي الفارقة بين ان المخففة والنافية وقرئ بكسر اللام
اي للذي هو متاع الحيوة كقوله مثلا ما بعوضة ولما بالتشديد بمعنى الا وان نافية وقرئ الا ولو
وما كل ذلك الا لما قال خير مما يجمعون فقلل امر الدنيا وصغره ارادفه بما يقرره في قلة الدنيا عنده
من قوله ولولا ان يكون الناس امة واحدة ولولا كراهة ان يجتمعوا على الكفر ويطبقوا عليه لجعلنا
لحقارة زهرة الدنيا عندنا للكفار سقوفا ومصاعد وابوابا وسررا كلها من فضة وجعلنا لهم زخرفا
اي زينة من كل شيء والزخرف الذهب والزينة ويجوز ان يكون الاصل سقفا من فضة وزخرف
يعني بعضها من فضة وبعضها من ذهب فنصب عطفا على محل من فضة وفي معناه قول رسول الله صلى
الله عليه وسلم لو وزنت الدنيا عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء فان قلت
فحين لم يوسع على الكافرين للفتنة التي كان يؤدي اليها التوسعة من اطباق الناس على الكفر لحبهم الدنيا وتهالكهم
عليها فهلا وسع على المسلمين ليطبق الناس على الاسلام قلت التوسعة عليهم مفسدة ايضا لما تؤدي
اليه من الدخول في الاسلام لاجل الدنيا والدخول في الدين لاجل الدنيا من دين المنافقين فكانت الحكمة

تكاد

فيه

ومعارج

على الكفر

فيما دنوت حبت جعل في الفرس غنا اعتبا وفقرا او غلب الفقر على الغنى **وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ** قرئ ومن يعش بضم الشين وفتحها والفرق بينهما انه اذا حصلت الآفة في بصره قيل عشي واذا نظر نظر العشي ولا آفة به قيل عشا ونظيره عرج لمن به الآفة وعرج لمن مشى مشية العرجان من غير عرج قال الحطيئة

متى تأته تعشو الى ضوء ناره

اي تنظر اليها نظر العشي لما يضعف بصرك من عظم الوقود واتساع الضوء وهو بيت في قول حاتم

اعشو اذا ما جارتي برزت ... حتى يواري جارتي الخدر

وقرئ يعشو على ان من موصولة غير مضمنة معنى الشرط وحق هذا القارئ ان يرفع نقيض ومعنى القراءة بالفتح ومن يعم عن ذكر الرحمن وهو القرآن كقوله صم بكم عمي واما القراءة بالضم فمعناها ومن يتعام عن ذكره اي يعرف انه الحق وهو يتجاهل ويتعامى كقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم نقيض له شيطانا نخذله ونخل بينه وبين الشيطان كقوله وقيضنا لهم قرناء الم تر انا ارسلنا الشياطين وقرئ يقيض اي يقيض له الرحمن ويقيض له شيطان فان قلت لم جمع ضمير من وضمير الشيطان في قوله وانهم ليصدونهم قلت لان من مبهم في جنس العاشي وقد قيض له شيطان مبهم في جنسه فلما جاز ان يتناولا لابهامهما غير واحدين جاز ان يرجع الضمير اليهما مجموعا **حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا** وقرئ جاءانا على ان الفعل له ولشيطانه **قَالَ** لشيطانه **يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ** يريد المشرق والمغرب فغلب كما قيل العمران والقمران فان قلت فما بعد المشرقين قلت تباعدهما والاصل بعد المشرق من المغرب والمغرب من المشرق فلما غلب وجمع المفترقين بالتثنية اضاف البعد اليهما **وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ** انكم في محل الرفع على الفاعلية يعني ولن ينفعكم كونكم مشتركين في العذاب كما ينفع الواقعين في الامر الصعب اشتراكهم فيه لتعاونهم في تحمل اعبائه وذلك ان كل واحد منكم به من العذاب ما لا تبلغه طاقته ولك ان تجعل الفعل للتمني في قوله يا ليت بيني وبينك على معنى ولن ينفعكم اليوم ما انتم فيه من تمني مباعدة القرين وقوله انكم في العذاب مشتركون تعليل اي لن ينفعكم تمنيكم لان حقكم ان تشتركوا انتم وقرناؤكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه وهو الكفر وتقويه قراءة من قرا انكم بالكسر وقيل اذا رأى الممنو بشدة من مني بمثلها روح ذلك عنه ونفس بعض كربه وهو التأسي الذي ذكرته الخنساء

اعزي النفس عنه بالتأسي

فهؤلاء لا يؤسيهم اشتراكهم ولا يروحهم لعظم ما هم فيه فان قلت ما معنى قوله اذ ظلمتم قلت معناه اذ صح ظلمكم وتبين لم يبق لكم ولا لاحد شبهة في انكم كنتم ظالمين وذلك يوم القيامة واذ بدل من اليوم ونظيره

اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة

اي تبين اني ولد كريمة **أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجد عليه ويجتهد ويكد روحه في دعاء قومه وهم لا يزيدون في دعائه الا تصميما على الكفر وتماديا في الغي فانكر عليه بقوله افانت تسمع الصم انكار تعجب من ان يكون هو الذي يقدر على هدايتهم واراد انه لا يقدر على ذلك منهم الا هو وحده على سبيل الالجاء والقسر كقوله ان الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع من في القبور **فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ما في فاما نذهبن بك بمنزلة لام القسم في انها اذا دخلت دخلت معها النون المؤكدة والمعنى فان قبضناك قبل ان ننصرك عليهم ونشفي صدور المؤمنين منهم فانا منهم منتقمون اشد الانتقام في الآخرة كقوله او نتوفينك فالينا يرجعون وان اردنا ان نجز في حياتك ما وعدناهم من العذاب النازل بهم وهو يوم بدر فهم تحت ملكتنا وقدرتنا لا يفوتوننا وصفهم بشدة الشكيمة في الكفر والضلال ثم اتبعه شدة الوعيد بعذاب الدنيا والآخرة وقرئ نرينك بالنون الخفيفة وقرئ بالذي اوحي اليك على البناء للفاعل وهو الله عز وجل والمعنى سواء اعجلنا لك الظفر والغلبة او اخرنا الى اليوم الآخر فكن مستمسكا بما اوحينا اليك وبالعمل به فانه الصراط المستقيم الذي لا يحيد عنه الا ضال شقي وزد كل يوم صلابة

في المحاماة على دين الله ولا يخرجك الضجر بامرهم الى شيء من اللين والرخاوة في امرك ولكن كما يفعل الثابت الذي لا ينشطه تعجيل ظفره ولا يثبطه تاخيره **وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ** وان الذي اوحي اليك لشرف لك ولقومك وسوف تسألون عنه يوم القيامة وعن قيامكم بحقه وعن تعظيمكم له وشكركم على ان رزقتموه وخصصتم به من بين العالمين **وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ** ليس المراد بسؤال الرسل حقيقة السؤال لاحالته ولكنه مجاز عن النظر في اديانهم والفحص عن مللهم هل جاءت عبادة الاوثان قط في ملة من ملل الانبياء وكفاه نظرا وفحصا نظره في كتاب الله المعجز المصدق لما بين يديه واخبار الله فيه بانهم يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وهذه الآية في نفسها كافية لا حاجة الى غيرها والسؤال الواقع مجازا عن النظر حيث لا يصح السؤال على الحقيقة كثير منه مساءلة الشعراء الديار والرسوم والاطلال وقول من قال سل الارض من شق انهارك وغرس اشجارك وجنى ثمارك فانها ان لم تجبك حوارا اجابتك اعتبارا وقيل ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم جمع له الانبياء ليلة الاسراء في بيت المقدس فامهم وقيل له سلهم فلم يشكك ولم يسأل وقيل معناه سل امم من ارسلنا وهم اهل الكتابين التوراة والانجيل وعن الفراء انما هم يخبرونه عن كتب الرسل فاذا سألهم فكانه سأل الانبياء **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ما اجابوه عند قوله اني رسول الله رب العالمين محذوف دل عليه قوله **فَلَمَّا جَاءَهُم بِآيَاتِنَا** وهو مطالبتهم اياه باحضار البينة على دعواه وابراز الآية **إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ** اي يسخرون منها ويهزؤون ويسمونها سحرا واذا للمفاجاة فان قلت كيف جاز ان يجاب لما باذا المفاجاة قلت لان فعل المفاجاة معها مقدر وهو عامل النصب في محلها كانه قيل فلما جاءهم باياتنا فاجؤوا وقت ضحكهم **وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا** فان قلت اذا جاءتهم آية واحدة من جملة التسع فما اختها التي فضلت عليها في الكبر من بقية الآيات قلت اختها التي هي آية مثلها وهذه صفة كل واحدة منها فكان المعنى على انه يختار بتفضيله على امه الرجال الذين تراهم اذا قرنوا رجلا رجلا فان قلت هو كلام متناقض لان معناه ما من آية من التسع الا وهي اكبر من كل واحدة منها فتكون كل واحدة منها فاضلة ومفضولة في حالة واحدة قلت الغرض من هذا الكلام انهن موصوفات بالكبر لا يكدن يتفاوتن فيه وكذلك العادة في الاشياء التي تتلاقى في الفضل وتتفاوت منازلها فيه التفاوت اليسير ان تختلف آراء الناس في تفضيلها فيفضل بعضهم هذا وبعضهم ذاك فعلى ذلك بنى الناس كلامهم فقالوا رأيت رجالا بعضهم افضل من بعض وربما اختلفت آراء الرجل الواحد فيها فتارة يفضل هذا وتارة يفضل ذاك ومنه بيت الحماسة

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم ... مثل النجوم التي يسري بها الساري

وقد فاضلت الانمارية بين الكملة من بنيها ثم قالت لما ابصرت مراتبهم متدانية قليلة التفاوت ثكلتهم ان كنت اعلم ايهم افضل هم كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها **وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ارادة ان يرجعوا عن الكفر الى الايمان فان قلت لو اراد رجوعهم لكان قلت ارادته فعل غيره ليس الا ان يامره به ويطلب منه ايجاده فان كان ذلك على سبيل القسر وجد والا دار بين ان يوجد وان لا يوجد على حسب اختيار المكلف وانما لم يكن الرجوع لان الارادة لم تكن قسرا ولم يختاروه والمراد بالعذاب السنون والطوفان والجراد وغير ذلك **وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ** وقرئ يا ايه الساحر بضم الهاء وقد سبق وجهه فان قلت كيف سموه بالساحر مع قولهم **إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ** قلت قولهم انا لمهتدون وعد منوي اخلافه وعهد معزوم على نكثه معلق بشرط ان يدعو لهم ويكشف عنهم العذاب الا ترى الى قوله **فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ** فما كانت تسميتهم اياه بالساحر بمنافية لقولهم انا لمهتدون وقيل كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لاستعظامهم علم السحر بما عهد عندك من ان دعوتك مستجاب او بعهده عندك وهو النبوة او بما عهد عندك فوفيت به وهو الايمان والطاعة او بما عهد عندك من كشف العذاب عمن اهتدى **وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ** جعلهم محلا لندائه وموقعا له والمعنى انه امر بالنداء في مجامعهم واماكنهم من نادى فيها بذلك فاسند النداء اليه كقوله قطع اللامير اللص اذا امر بقطعه ويجوز ان يكون عنده عظماء القبط فرفع صوته بذلك فيما بينهم ثم ينشر في جموع القبط فكانه نودي به بينهم فقال **أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ** يعني انهار النيل

ومعظمها أربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس وقيل كانت تجري تحت سريره لارتفاعها
وقيل بين يدي في جناني وبساتيني ويجوز أن تكون الواو عاطفة للأنهار على ملك مصر وتجري نصب
على الحال منها وأن تكون الواو للحال واسم الإشارة مبتدأ والأنهار صفة لاسم الإشارة وتجري خبر المبتدأ
وليت شعري كيف ارتقت إلى دعوى الربوبية همة من تعظم بملك مصر وعجب الناس من مدى
عظمته وأمر فنودي بها في أسواق مصر وأزقتها لئلا تخفى تلك الأبهة والجلالة على صغير ولا كبير
حتى يتربع في صدور الدهماء مقدار عزته وملكوته وعن الرشيد لما قرأها قال لأولينها أخس عبيدي
فولاها الخصيب وكان على وضوئه وعن عبد الله بن طاهر أنه وليها فخرج إليها فلما شارفها ووقع
عليها بصره قال أهي القرية التي افتخر بها فرعون حتى قال أليس لي ملك مصر والله لهي أقل عندي
من أن أدخلها فثنى عنانه **أم أنا خير من هذا الذي هو مهين** أم هذه متصلة لأن المعنى أفلا تبصرون
أم تبصرون إلا أنه وضع قوله أم أنا خير موضع تبصرون لأنهم إذا قالوا أنت خير فهم عنده بصراء
وهذا من إنزال السبب منزلة المسبب ويجوز أن تكون منقطعة على بل أنا خير والهمزة وذلك
أنه قدم تعديد أسباب الفضل والتقدم عليهم من ملك مصر وجري الأنهار تحته ونادى بذلك وملأ به
مسامعهم ثم قال أنا خير كأنه يقول أثبت عندكم واستقر أني أنا خير وهذه حالي من هذا الذي
هو مهين أي ضعيف حقير وقرئ أما أنا خير **ولا يكاد يبين** الكلام لما به من الرتة يريد أنه ليس معه
من العدد وآلات الملك والسياسة ما يعتضد به وهو في نفسه مخل بما ينعت به الرجال من اللسن
والفصاحة وكانت الأنبياء كلهم أبيناء بلغاء **فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب** أراد بإلقاء الأسورة عليه
إلقاء مقاليد الملك إليه لأنهم كانوا إذا أرادوا تسويد الرجل سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب **أو جاء معه**
الملائكة مقترنين إما مقترنين به من قولك قرنته به فاقترن به وإما من اقترنوا بمعنى تقارنوا لما
وصف نفسه بالملك والعزة ووازن بينه وبين موسى صلوات الله وسلامه عليه ووصفه بالضعف
وقلة الأعضاد اعترض فقال هلا إن كان صادقا ملكه ربه وسوره وجعل الملائكة أعضاده وقرئ
أساورة جمع أسوار وأساور جمع أسورة وهو السوار وأساورة على تعويض التاء من ياء أساوير
وقرئ ألقى عليه أسورة وأساورة على البناء للفاعل وهو الله عز وجل **فاستخف قومه فأطاعوه إنهم**
كانوا قوما فاسقين فاستفزهم وحقيقته حملهم على أن يخفوا له ولما أراد منهم وكذلك
استفزه من قولهم للخفيف فز **فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين فجعلناهم سلفا ومثلا**
للآخرين آسفونا منقول من أسف أسفا إذا اشتد غضبه ومنه الحديث في موت الفجأة
رحمة للمؤمن وأخذة أسف للكافر ومعناه أنهم أفرطوا في المعاصي وعدوا طورهم فاستوجبوا أن
نعجل لهم عذابنا وانتقامنا وأن لا نحلم عنهم وقرئ سلفا جمع سالف كخادم وخدم وسلفا بضمتين
جمع سليف أي فريق قد سلف وسلفا جمع سلفة أي ثلة قد سلفت ومعناه فجعلناهم قدوة
للآخرين من الكفار يقتدون بهم في استحقاق مثل عقابهم ونزوله بهم لإتيانهم بمثل أفعالهم وحديثا
عجيب الشأن سائرا مسير المثل يحدثون به ويقال لهم مثلكم مثل قوم فرعون **ولما ضرب ابن مريم مثلا**
إذا قومك منه يصدون لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على قريش إنكم وما تعبدون من
دون الله حصب جهنم امتعضوا من ذلك امتعاضا شديدا فقال عبد الله بن الزبعرى يا محمد
أخاصة لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم فقال عليه الصلاة والسلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم فقال خصمتك
ورب الكعبة ألست تزعم أن عيسى بن مريم نبي وتثني عليه خيرا وعلى أمه وقد علمت أن النصارى
يعبدونهما وعزير يعبد والملائكة يعبدون فإن كان هؤلاء في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم
ففرحوا وضحكوا وسكت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأنزل الله تعالى إن الذين سبقت لهم ونزلت هذه
الآية والمعنى ولما ضرب عبد الله بن الزبعرى عيسى بن مريم مثلا وجادل رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم بعبادة النصارى إياه إذا قومك قريش منه من هذا المثل يصدون ترتفع لهم جلبة
وضجيج فرحا وجذلا وضحكا بما سمعوا منه من إسكات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بجدله
كما يرتفع لغط القوم ولجبهم إذا تعيوا بحجة ثم فتحت عليهم وأما من قرأ يصدون بالضم فمن الصدود
أي من أجل هذا المثل يصدون عن الحق ويعرضون عنه وقيل من الصديد وهو الجلبة وأنهما لغتان
نحو يعكف ويعكف ونظائر لهما **وقالوا أآلهتنا خير أم هو** يعنون أن آلهتنا عندك ليست بخير

من عيسى فإذا

من عيسى فإذا كان عيسى من حصب النار كان أمر آلهتنا هينا **ما ضربوه** أي ما ضربوا هذا المثل **لك إلا جدلا**
إلا لأجل الجدل والغلبة في القول لا لطلب الميز بين الحق والباطل **بل هم قوم خصمون** لد شداد الخصومة
دأبهم اللجاج كقوله قوما لدا وذلك أن قوله عليه الصلاة والسلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم إنما قصد
به الأصنام ومحال أن يقصد الأنبياء والملائكة إلا أن ابن الزبعرى بخبه وخداعه وخبث دخلته لما رأى
كلام الله ورسوله محتملا لفظه وجه العموم مع علمه بأن المراد به أصنامهم لا غير وجد للحيلة مساغا
فصرف معناه إلى الشمول والإحاطة بكل معبود غير الله على طريقة المحك والجدال وحب المغالبة والمكابرة
وتوقح في ذلك فتوقر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى أجاب عنه ربه إن الذين سبقت لهم منا
الحسنى فدل به على أن الآية خاصة في الأصنام على أن ظاهر قوله وما تعبدون لغير العقلاء وقيل لما سمعوا
قوله إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم قالوا نحن أهدى من النصارى لأنهم عبدوا آدميا ونحن نعبد الملائكة
فنزلت وقوله أآلهتنا خير أم هو على هذا القول تفضيل لآلهتهم على عيسى لأن المراد بهم الملائكة وما ضربوه
لك إلا جدلا معناه وما قالوا هذا القول يعني آلهتنا خير أم هو إلا للجدال وقرئ آلهتنا بإثبات همزة الاستفهام
وإسقاطها لدلالة أم العديلة عليها وفي حرف ابن مسعود خير أم هذا ويجوز أن يكون جدلا حالا أي جدلين
وقيل لما نزلت إن مثل عيسى عند الله قالوا ما يريد محمد بهذا إلا أن نعبده وأنه يستأهل أن يعبد وإن كان
بشرا كما عبدت النصارى المسيح وهو بشر ومعنى يصدون يضجون ويضجرون والضمير في أم هو
لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وغرضهم بالموازنة بينه وبين آلهتهم السخرية به والاستهزاء ويجوز أن يقولوا لما أنكر
عليهم قولهم الملائكة بنات الله وعبدوهم ما قلنا بدعا من القول ولا فعلنا نكرا من الفعل فإن النصارى
جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه ونحن أشف منهم قولا وفعلا فإنا نسبنا إليه الملائكة وهم نسبوا إليه الأناسي
فقيل لهم مذهب النصارى شرك بالله ومذهبكم شرك مثله وما تنصلكم مما أنتم عليه بما أوردتموه
إلا قياس باطل بباطل **إن هو** وما هو يعني عيسى **إلا عبد** كسائر العبيد **أنعمنا عليه** حيث جعلناه آية بأن
خلقناه من غير سبب كما خلقنا آدم وشرفناه بالنبوة **وجعلناه مثلا** وصيرناه عبرة عجيبة كالمثل السائر
لبني إسرائيل لقدرتنا على عجائب الأمور وبدائع الفطر **ولو نشاء لجعلنا منكم** لولدنا منكم يا رجال
ملائكة في الأرض يخلفون يخلفونكم في الأرض كما يخلفكم أولادكم كما ولدنا عيسى من أنثى
من غير فحل لتعرفوا تميزنا بالقدرة الباهرة ولتعلموا أن الملائكة أجسام لا تتولد إلا من أجسام وذات
القديم متعالية عن ذلك **وإنه** وإن عيسى عليه الصلاة والسلام **لعلم للساعة** أي شرط من أشراطها
تعلم به فسمي الشرط علما لحصول العلم به وقرأ ابن عباس لعلم وهو العلامة وقرئ للعلم وقرأ أبي
لذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا كما سمي ما يعلم به علما وفي الحديث أن عيسى عليه الصلاة والسلام ينزل
على ثنية بالأرض المقدسة يقال لها أفيق وعليه ممصرتان وشعر رأسه دهين وبيده حربة
وبها يقتل الدجال فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة الصبح والإمام يؤم بهم فيتأخر الإمام فيقدمه
عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب
البيع والكنائس ويقتل النصارى إلا من آمن به وعن الحسن أن الضمير للقرآن وأن القرآن به تعلم الساعة لأن
فيه الإعلام **فلا تمترن بها** من المرية وهي الشك **واتبعون** واتبعوا هداي وشرعي أو رسولي وقيل هذا أمر لرسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقوله **هذا صراط مستقيم** أي هذا الذي أدعوكم إليه أو هذا القرآن إن جعل
الضمير في وإنه للقرآن **ولا يصدنكم الشيطان إنه لكم عدو مبين** قد بانت عداوته لكم إذ أخرج
أباكم من الجنة ونزع عنه لباس النور **ولما جاء عيسى بالبينات** بالمعجزات أو بآيات الإنجيل والشرائع
البينات الواضحات **قال قد جئتكم بالحكمة** يعني الإنجيل والشرائع **ولأبين لكم بعض الذي**
تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم
فإن قلت هلا بين لهم كل الذي يختلفون فيه ولكن بعضه قلت كانوا يختلفون في الديانات وما
يتعلق بالتكليف وفيما سوى ذلك مما لم يتعبدوا بمعرفته والسؤال عنه وإنما بعث ليبين لهم ما اختلفوا
فيه مما يعنيهم من أمر دينهم **فاختلف الأحزاب من بينهم** الأحزاب الفرق المتحزبة بعد عيسى عليه
الصلاة والسلام وقيل اليهود والنصارى **فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم** وعيد للأحزاب
فإن قلت من بينهم إلى من يرجع الضمير فيه قلت إلى الذين خاطبهم عيسى عليه الصلاة والسلام
في قوله قد جئتكم بالحكمة وهم قومه المبعوث إليهم **هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة**

ان تاتيهم بدل من الساعة والمعنى هل ينظرون الا اتيان الساعة فان قلت اما ادى قوله بغتة مؤدى
وهم لا يشعرون فيستغنى عنه قلت لا لان معنى قوله وهم لا يشعرون وهم غافلون لاشتغالهم
بامور دنياهم كقوله تاخذهم وهم يخصمون ويجوز ان تاتيهم وهم فطنون الاخلاء يومئذ بعضهم
لبعض عدو الا المتقين يومئذ منصوب بعدو اي تنقطع في ذلك اليوم كل خلة بين المتخالين
في غير ذات الله وتنقلب عداوة ومقتا الا خلة المتصادقين في الله فانها الخلة الباقية المزدادة قوة
اذا راوا ثواب التحاب في الله والتباغض في الله وقيل الا المتقين الا المجتنبين اخلاء السوء وقيل
نزلت في ابي بن خلف وعقبة بن ابي معيط يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون يا عبادي
حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون في الله يومئذ والذين امنوا منصوب المحل صفة لعبادي
لانه منادى مضاف اي الذين صدقوا باياتنا وكانوا مسلمين مخلصين وجوههم لنا جاعلين
انفسهم سالمة لطاعتنا وقيل اذا بعث الله الناس فزع كل احد فينادي مناد يا عبادي فيرجوها
الناس كلهم ثم يتبعها الذين امنوا فييأس الناس منها غير المسلمين وقرئ يا عباد ادخلوا الجنة انتم
وازواجكم تحبرون تسرون سرورا يظهر حباره اي اثره على وجوههم كقوله تعالى
تعرف في وجوههم نضرة النعيم وقال الزجاج تكرمون اكراما يبالغ فيه والحبرة المبالغة فيما وصف
بجميل يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وانتم
فيها خالدون الكوب الكوز لا عروة له وفيها الضمير للجنة وقرئ تشتهي وتشتهيه وهذا
حصر لانواع النعم لانها اما مشتهاة في القلوب واما مستلذة في العيون وتلك الجنة التي اورثتموها
بما كنتم تعملون وتلك اشارة الى الجنة المذكورة وهي مبتدا والجنة خبر والتي اورثتموها
صفة وبما كنتم تعملون الخبر والباء تتعلق بمحذوف كما في الظروف التي تقع اخبارا وفي الوجه
الاول تتعلق باورثتموها وشبهت في بقائها على اهلها بالميراث الباقي على الورثة وقرئ ورثتموها
لكم فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون من للتبعيض اي لا تاكلون الا بعضها واعقابها باقية
في شجرها فهي مزينة بالثمار ابدا موقرة بها لا ترى شجرة عريانة من ثمرها كما في الدنيا وعن النبي
صلى الله عليه وآله وسلم لا ينزع رجل في الجنة من ثمرها الا نبت مكانها مثلاها ان المجرمين في عذاب
جهنم خالدون لا يفتر عنهم لا يخفف عنهم ولا ينقص من قولهم فترت عنه الحمى اذا سكنت عنه
قليلا ونقص حرها وهم فيه مبلسون والمبلس اليائس الساكت سكوت يائس من فرج وعن
الضحاك يجعل المجرم في تابوت من نار ثم يردم عليه فيبقى فيه خالدا لا يرى ولا يرى وما ظلمناهم ولكن
كانوا هم الظالمين هم فصل عند البصريين عماد عند الكوفيين وقرئ وهم فيها اي في النار ونادوا
يا مالك وقرأ علي وابن مسعود يا مال بحذف الكاف للترخيم كقول القائل والحق يا مال غير ما تصف
وقيل لابن عباس ان ابن مسعود قرأ ونادوا يا مال فقال ما اشغل اهل النار عن الترخيم وعن بعضهم حسن الترخيم
انهم يقتطعون بعض الاسم لضعفهم وعظم ما هم فيه وقرأ ابو السرار الغنوي يا مال بالرفع كما
يقال يا حار ليقض علينا ربك من قضى عليه اذا اماته فوكزه موسى فقضى عليه والمعنى سل
ربك ان يقضي علينا فان قلت كيف قال ونادوا يا مالك بعد ما وصفهم بالابلاس قلت تلك
ازمنة متطاولة واحقاب ممتدة فتختلف بهم الاحوال فيسكتون اوقاتا لغلبة الياس عليهم وعلمهم
انه لا فرج ويغوثون اوقاتا لشدة ما بهم قال انكم ماكثون لابثون وفيه استهزاء والمراد
خالدون عن ابن عباس انما يجيبهم بعد الف سنة وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يلقى على اهل النار الجوع
حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيقولون ادعوا مالكا فيقولون يا مالك ليقض علينا ربك لقد جئناكم
بالحق كلام الله عز وجل بدليل قراءة من قرأ لقد جئتكم ويجب ان تكون في قال ضمير الله لما سألوا مالكا
ان يسأل الله القضاء اجابهم تعالى بذلك ولكن اكثركم للحق كارهون لا تقبلونه وتنفرون
منه وتشمئزون لان مع الباطل الدعة ومع الحق التعب ام ابرموا امرا ام احكم مشركو مكة امرا من كيدهم
ومكرهم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فانا مبرمون كيدنا كما ابرموا كيدهم كقوله ام
يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم كانوا يتسارون
فيما بينهم ويتناجون في امر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فان قلت ما المراد بالسر والنجوى قلت السر ما
حدث به الرجل نفسه او غيره في مكان خال والنجوى ما تكلموا به فيما بينهم بلى نسمعها ونطلع عليهما ورسلنا

يريد الحفظة لديهم عندهم يكتبون ذلك وعن يحيى بن معاذ الرازي من ستر من الناس ذنوبه
وابداها للذي لا يخفى عليه شيء في السموات ولا في الارض فقد جعله اهون الناظرين اليه وهو من علامات
النفاق قل ان كان للرحمن ولد وصح ذلك وثبت ببرهان صحيح توردونه وحجة واضحة تدلون
بها فانا اول العابدين فانا اول من يعظم ذلك الولد واسبقكم الى طاعته والانقياد له كما يعظم
الرجل ولد الملك لتعظيم ابيه وهذا الكلام وارد على سبيل الفرض لغرض وهو المبالغة
في نفي الولد والاطناب فيه والا يترك الناطق به شبهة الا مضمحلة مع الترجمة عن نفسه بثبات القدم
في باب التوحيد وذلك انه علق العبادة بكينونة الولد وهي محال في نفسها فكان المعلق بها محالا
مثلها فهو في صورة اثبات الكينونة والعبادة وفي معنى نفيهما على ابلغ الوجوه واقواها ونظيره ان
يقول العدلي للمجبر ان كان الله خالقا للكفر في القلوب ومعذبا عليه عذابا سرمدا فانا اول من يقول
هو شيطان وليس باله فمعنى هذا الكلام وما وضع له اسلوبه ونظمه نفي ان يكون الله خالقا
للكفر وتنزيهه عن ذلك وتقديسه ولكن على طريق المبالغة فيه من الوجه الذي ذكرنا
مع الدلالة على سماجة المذهب وضلالة الذاهب اليه والشهادة القاطعة باحالته والافصاح
عن نفسه بالبراءة منه وغاية النفار والاشمئزاز من ارتكابه ونحو هذه الطريقة قول سعيد بن جبير
رحمه الله تعالى للحجاج حين قال له اما والله لابدلنك بالدنيا نارا تلظى لو عرفت ان ذلك اليك ما
عبدت الها غيرك وقد تمحل الناس بما اخرجوه به من هذا الاسلوب الشريف المليء بالنكت والفوائد
المستقل باثبات التوحيد على ابلغ وجوهه فقيل ان كان للرحمن ولد في زعمكم فانا اول العابدين
الموحدين لله المكذبين قولكم باضافة الولد اليه وقيل ان كان للرحمن ولد في زعمكم فانا اول
الانفين من ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه فهو عبد وعابد وقرأ بعضهم العبدين
وقيل هي ان النافية اي ما كان للرحمن ولد فانا اول من قال بذلك وعبد ووحد وروي ان النضر بن
عبد الدار بن قصي قال ان الملائكة بنات الله فنزلت فقال النضر الا ترون انه قد صدقني فقال له
الوليد بن المغيرة ما صدقك ولكن قال ما كان للرحمن ولد فانا اول الموحدين من اهل مكة ان لا ولد له
وقرئ ولد بضم الواو سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون ثم نزه ذاته موصوفا
بربوبية السموات والارض والعرش عن اتخاذ الولد ليدل على انه من صفة الاجسام ولو كان جسما لم يقدر على خلق هذا
العالم وتدبير امره فذرهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون
وهذا دليل على ان ما يقولونه من باب الجهل والخوض واللعب واعلام لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
انهم من المطبوع على قلوبهم الذين لا يرجعون البتة وان ركب في دعوتهم كل صعب وذلول وخذلان
لهم وتخلية بينهم كقوله تعالى اعملوا ما شئتم وايعاد بالشقاء في العاقبة وهو الذي في السماء اله وفي
الارض اله وهو الحكيم العليم ضمن اسمه تعالى معنى وصف فلذلك علق به الظرف في قوله في السماء
وفي الارض كما تقول هو حاتم في طي حاتم في تغلب على تضمين معنى الجواد الذي شهر به كانك قلت
هو جواد في طي جواد في تغلب وقرئ وهو الذي في السماء الله وفي الارض الله ومثله قوله تعالى
وهو الله في السموات وفي الارض كانه ضمن معنى المعبود او المالك او نحو ذلك ان المعطوف داخل
في حيز الصلة ويحتمل ان يكون في السماء صلة الذي واله خبر مبتدا محذوف على ان الجملة بيان للصلة وان
كونه في السماء على سبيل الالهية والربوبية لا على معنى الاستقرار وفيه نفي الالهة التي كانت تعبد
في الارض وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه
ترجعون وقرئ بضم التاء وفتحها ويرجعون بياء مضمومة وقرئ تحشرون بالتاء ولا يملك الذين
يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن
الله فانى يؤفكون ولا يملك الهتهم الذين يدعون من دون الله الشفاعة كما زعموا انهم
شفعاؤهم عند الله ولكن من شهد بالحق وهو توحيد الله وهو يعلم ما يشهد به عن بصيرة وايقان
واخلاص هو الذي يملك الشفاعة وهو استثناء منقطع ويجوز ان يكون متصلا لان في جملة الذين يدعون
من دون الله الملائكة وقرئ تدعون بالتاء وتدعون بالتاء مشددة وقيله يا رب ان
هؤلاء قوم لا يؤمنون وقيله قرئ بالحركات الثلاث وذكر في النصب عن الاخفش انه حمله
على ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم وقيله وعنه وقيله وعطفه الزجاج على محل الساعة كما تقول

عجبت من ضرب زيد عمرا وحمل الجر على اللفظ الساعة والرفع على الابتداء والخبر ما بعده وجوز عطفه على علم
الساعة على تقدير حذف المضاف معناه وعنده علم الساعة وعلم قيله والذي قالوه ليس بقوي في المعنى
مع وقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما لا يحسن اعتراضا ومع تنافر النظم واقوى من ذلك
واوجه ان يكون الجر والنصب على اضمار حرف القسم وحذفه والرفع على قولهم ايمن الله وامانة الله
ولعمرك ويكون قوله ان هؤلاء قوم لا يؤمنون **فاصفح عنهم** واعرض عن دعوتهم يائسا عن ايمانهم
وودعهم وتاركهم **وقل سلام** اي تسلم منكم ومتاركة **فسوف تعلمون** وعيد من الله لهم وتسلية
لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم والضمير في وقيله لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واقسام الله تعالى بقيله
رفع منه وتعظيم لدعائه والتجائه اليه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرا سورة الزخرف كان
ممن يقال له يوم القيمة يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب

سورة الدخان مكية الا قوله انا كاشفوا العذاب قليلا الآية وهي سبع او تسع وخمسون آية

سبع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم والكتاب المبين إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم
الواو في قوله والكتاب واو القسم ان جعلت حم تعديدا للحروف او اسما للسورة مرفوعا على خبر المبتدا
المحذوف او واو العطف ان كانت حم مقسما بها وقوله انا انزلناه جواب القسم والكتاب المبين القرآن
والليلة المباركة ليلة القدر وقيل ليلة النصف من شعبان ولها اربعة اسماء الليلة المباركة
وليلة البراءة وليلة الصك وليلة الرحمة وقيل بينها وبين ليلة القدر اربعون ليلة وقيل في
تسميتها ليلة البراءة والصك ان البندار اذا استوفى الخراج من اهله كتب لهم البراءة كذلك الله
عز وعلا يكتب لعباده البراءة في الليلة وقيل هي مختصة بخمس خصال تفصيل كل امر حكيم وفضيلة
العبادة فيها قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من صلى في هذه الليلة مائة ركعة ارسل الله اليه مائة
ملك ثلاثون يبشرونه بالجنة وثلاثون يؤمنونه من عذاب النار وثلاثون يدفعون عنه آفات الدنيا
وعشرة يدفعون عنه مكايد الشيطان ونزول الرحمة قال عليه السلام ان الله يرحم من امتي في هذه الليلة
بعدد شعر اغنام بني كلب وحصول المغفرة قال عليه السلام ان الله تعالى يغفر لجميع المسلمين في تلك
الليلة الا لكاهن او ساحر او مشاحن او مدمن خمر او عاق للوالدين او مصر على الزنا وما اعطي فيها رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم من تمام الشفاعة وذلك انه سال ليلة الثالث عشر من شعبان في امته
فاعطي الثلث منها ثم سال ليلة الرابع عشر فاعطي الثلثين ثم سال ليلة الخامس عشر فاعطي الجميع الا من شرد
على الله شراد البعير ومن عادة الله في هذه الليلة ان يزيد فيها ماء زمزم زيادة ظاهرة والقول الاكثر
ان المراد بالليلة المباركة ليلة القدر لقوله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر والمطابقة قوله فيها يفرق كل
امر حكيم لقوله تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر وقوله شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن
وليلة القدر في اكثر الاقاويل في شهر رمضان فان قلت ما معنى انزال القرآن في هذه الليلة قلت قالوا
انزل جملة واحدة من السماء السابعة الى السماء الدنيا وامر السفرة الكرام بانتساخه في ليلة القدر وكان جبريل
عليه الصلوة والسلام ينزله على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نجوما نجوما فان قلت انا كنا منذرين
فيها يفرق كل امر حكيم ما موقع هاتين الجملتين قلت هما جملتان مستانفتان ملفوفتان فسر بهما
جواب القسم الذي هو قوله انا انزلناه في ليلة مباركة كانه قيل انزلناه لان من شاننا الانذار والتحذير
من العقاب وكان انزالنا اياه في هذه الليلة خصوصا لان انزال القرآن من الامور الحكيمة وهذه الليلة
يفرق كل امر حكيم والمباركة الكثيرة الخير لما ينتج الله فيها من الامور التي يتعلق بها منافع العباد
في دينهم ودنياهم ولو لم يوجد فيها الا انزال القرآن وحده لكفى به بركة ومعنى يفرق يفصل ويكتب
كل امر حكيم من ارزاق العباد وآجالهم وجميع امرهم الى الاخرى القابلة وقيل يبدا في استنساخ ذلك
من اللوح المحفوظ في ليلة البراءة ويقع الفراغ في ليلة القدر فتدفع نسخة الارزاق الى ميكائيل ونسخة
الحروب الى جبريل وكذلك الزلازل والصواعق والخسف ونسخة الاعمال الى اسمعيل صاحب
سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب الى ملك الموت وعن بعضهم يعطى كل عامل بركات

اعماله فيلقي على السنة الخلق مدحه وعلى قلوبهم هيبته وقرئ يفرق بالتشديد ويفرق كل على
بنائه للفاعل ونصب كل والفارق الله عز وجل وقرا زيد بن علي رضي الله عنهما نفرق بالنون كل امر
حكيم كل شان ذي حكمة اي مفعول على ما تقتضيه الحكمة وهو من الاسناد المجازي لان الحكيم
صفة صاحب الامر على الحقيقة ووصف الامر به مجاز **أمرا من عندنا** نصب على الاختصاص جعل
كل امر جزلا فخما بان وصفه بالحكيم ثم زاده جزالة وكسبه فخامة بان قال اعني بهذا الامر
امرا حاصلا من عندنا كائنا من لدنا وكما اقتضاه علمنا وتدبيرنا ويجوز ان يراد به الامر الذي هو
ضد النهي ثم اما ان يوضع موضع فرقانا الذي هو مصدر يفرق لان معنى الامر والفرقان
واحد من حيث انه اذا حكم بالشيء وكتبه فقد امر به واوجبه او يكون حالا من احد الضميرين
في انزلناه اما من ضمير الفاعل اي انزلناه آمرين امرا او من ضمير المفعول اي انزلناه في حال كونه امرا من
عندنا [illegible] قلت **إنا كنا مرسلين رحمة من ربك** بم يتعلق قلت يجوز ان
يكون بدلا من قوله انا كنا منذرين ورحمة من ربك مفعولا له على معنى انا انزلنا القرآن لان من
شاننا ارسال الرسل بالكتب الى عبادنا لاجل الرحمة عليهم وان يكون تعليلا ليفرق او لقوله امرا
من عندنا ورحمة مفعولا به وقد وصف الرحمة بالارسال كما وصفها به في قوله وما يمسك فلا مرسل له
من بعده اي يفصل في هذه الليلة كل امر من قسمة الارزاق وغيرها من باب الرحمة وكذلك
الاوامر الصادرة من حضرته عز وعلا لان الغرض في تكليف العباد تعريضهم للمنافع والاصل انا كنا
مرسلين رحمة منا فوضع الظاهر موضع الضمير ايذانا بان الربوبية تقتضي الرحمة على المربوبين وفي
قراءة زيد بن علي رضي الله عنه امر من عندنا على هو امر وهي تنصر انتصابه على الاختصاص وقرا
الحسن رحمة من ربك وهي تنصر انتصابها بانها مفعول له **إنه هو السميع العليم** وما
بعده تحقيق لربوبيته وانها لا تحق الا لمن هذه اوصافه وقرئ **رب السموات والأرض** وربكم ورب
آبائكم بالجر بدلا من ربك فان قلت ما معنى الشرط الذي هو قوله **إن كنتم موقنين** قلت
كانوا يقرون بان للسموات والارض ربا وخالقا فقيل لهم ان ارسال الرسل وانزال الكتب رحمة
من الرب ثم قيل ان هذا الرب هو السميع العليم الذي انتم مقرون به ومعترفون بانه رب السموات
والارض وما بينهما ان كان اقراركم عن علم وايقان كما تقول ان هذا انعام زيد الذي تسامع الناس بكرمه
واشتهر سخاؤه ان بلغك حديثه وحدثت بقصته ثم رد ان يكونوا موقنين بقوله **بل هم في شك
يلعبون** وان اقرارهم غير صادر عن علم وتيقن ولا عن جد وحقيقة بل قول مخلوط بهزء ولعب
**فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم ربنا اكشف عنا
العذاب إنا مؤمنون** يوم تاتي السماء مفعول به يقال رقبته وارتقبته نحو نظرته وانتظرته
واختلف في الدخان فعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وبه اخذ الحسن انه دخان ياتي من السماء
قبل يوم القيمة ويدخل في اسماع الكفرة حتى يكون راس الواحد كالراس الحنيذ ويعتري المؤمن منه
كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت اوقد فيه ليس فيه خصاص وعن رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم اول الآيات الدخان والدجال ونزول عيسى بن مريم عليه السلام ونار تخرج من قعر
عدن ابين تسوق الناس الى المحشر قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم الآية وقال يملا ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المؤمن فيصيبه كهيئة
الزكمة واما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه واذنيه ودبره وعن ابن عباس رضي الله عنه
خمس قد مضت الروم والدخان والقمر والبطشة واللزام ويروى انه قيل لابن مسعود ان قاصا
عند ابواب كندة يقول انه دخان ياتي يوم القيمة فياخذ بانفاس الخلق فقال من علم علما فليقل به
ومن لم يعلم فليقل الله اعلم فان من علم الرجل ان يقول لشيء لا يعلمه الله اعلم ثم قال الا وساحدثكم ان
قريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطاتك على
مضر واجعلها عليهم كسني يوسف فاصابهم الجهد حتى اكلوا الجيف والعلهز وكان الرجل يرى
ما بين السماء والارض الدخان وكان يحدث الرجل فيسمع كلامه ولا يراه من الدخان فمشى اليه
ابو سفيان ونفر معه وناشدوه الله والرحم وواعدوه ان دعا لهم وكشف عنهم ان يؤمنوا فلما كشف
عنهم رجعوا الى شركهم بدخان مبين ظاهر حاله لا يشك احد في انه دخان يغشى الناس يشملهم

ويلبسهم وهو في محل الجر صفة للدخان وهذا عذاب الى قوله انا مؤمنون منصوب المحل بفعل مضمر
وهو يقولون ويقولون منصوب على الحال اي قائلين ذلك انا مؤمنون موعدة بالايمان ان كشف عنهم
العذاب انى لهم الذكرى كيف يتذكرون ويتعظون ويفون بما وعدوه من الايمان عند كشف
العذاب وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون وقد جاءهم ما هو اعظم وادخل
في وجوب الادكار من كشف الدخان وهو ما ظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات
والبينات من الكتاب المعجز وغيره من المعجزات فلم يذكروا وتولوا عنه وبهتوه بان عداسا غلاما
اعجميا لبعض ثقيف هو علمه ونسبوه الى الجنون ثم قال انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون
اي ريثما نكشف عنكم العذاب تعودون الى شرككم لا تلبثون غب الكشف على ما انتم
عليه من التعرض والابتهال فان قلت كيف يستقيم على قول من جعل الدخان قبل يوم القيمة
قوله انا كاشفوا العذاب قليلا قلت اذا اتت السماء بالدخان تضور المعذبون به من الكفار
والمنافقين وغوثوا وقالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون منيبون فيكشفه الله عنهم
بعد اربعين يوما فريثما يكشفه عنهم يرتدون لا يتمهلون ثم قال يوم نبطش البطشة
الكبرى يريد يوم القيمة كقوله تعالى فاذا جاءت الطامة الكبرى انا منتقمون اي ننتقم منهم
في ذلك اليوم فان قلت بم انتصب يوم نبطش قلت بما دل عليه منتقمون وهو ننتقم ولا يصح ان ينتصب
بمنتقمون لان ان يحجز عن ذلك وقرى نبطش بضم الطاء وقرأ الحسن نبطش بضم النون كانه يحمل
الملائكة على ان يبطشوا بهم البطشة الكبرى او يجعل البطشة الكبرى باطشة بهم وقيل البطشة
الكبرى يوم بدر ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وقرى ولقد فتنا بالتشديد للتأكيد او لوقوعه على القوم
ومعنى الفتنة انه امهلهم ووسع عليهم في الرزق فكان ذلك سببا في ارتكابهم المعاصي واقترافهم
الآثام او ابتلاهم بارسال موسى اليهم ليؤمنوا فاختاروا الكفر على الايمان او سلبهم ملكهم واغرقهم
وجاءهم رسول كريم على الله وعلى عباده المؤمنين او كريم في نفسه لان الله لم يبعث نبيا الا من
سراة قومه وكرامهم ان ادوا الي عباد الله اني لكم رسول امين هي ان المفسرة لان مجيء
الرسول من بعث اليهم يتضمن معنى القول لانه لا يجيئهم الا مبشرا او نذيرا او داعيا الى الله او المخففة
من الثقيلة ومعناه وجاءهم بان الشان والحديث ان ادوا الي وعباد الله مفعول به وهم بنو اسرائيل
يقول ادوهم الي وارسلوهم معي كقوله ان ارسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم ويجوز ان يكون نداء لهم على
ادوا الي يا عباد الله ما هو واجب لي عليكم من الايمان وقبول دعوتي واتباع سبيلي وعلل ذلك بانه
رسول امين غير ظنين قد ائتمنه الله على وحيه ورسالته وان لا تعلوا على الله ان هذه مثل الاولى
في وجهيها اي لا تستكبروا على الله بالاستهانة برسوله ووحيه او لا تستكبروا على نبي الله اني
آتيكم بسلطان مبين بحجة واضحة واني عذت بربي وربكم ان ترجمون ان تقتلوني وقرى
عت بالادغام ومعناه انه عائذ بربه متكل على ان يعصمه منهم ومن كيدهم فهو غير مبال بما كانوا
يتوعدونه من الرجم والقتل وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون يريد ان لم تؤمنوا لي فلا موالاة بيني
وبين من لا يؤمن فتنحوا عني واقطعوا اسباب الوصلة عني او فخلوني كفافا لا لي ولا علي ولا تتعرضوا لي
بشركم واذاكم فليس جزاء من دعاكم الى ما فيه فلاحكم ذلك فدعا ربه ان هؤلاء قوم مجرمون
بان هؤلاء اي دعا ربه بذلك قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه باجرامهم وقيل هو قوله ربنا
لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين وانما ذكر الله تعالى السبب الذي استوجبوا به الهلاك وهو كونهم
مجرمين وقرى ان هؤلاء بالكسر على اضمار القول اي فدعا ربه فقال ان هؤلاء فاسر بعبادي ليلا انكم
متبعون وقرى بقطع الهمزة من اسرى ووصلها من سرى وفيها وجهان اضمار القول بعد الفاء
فقال اسر بعبادي وان يكون جواب شرط محذوف كانه قيل قال ان كان الامر كما تقول فاسر بعبادي
يعني فاسر ببني اسرائيل فقد دبر الله ان تتقدموا ويتبعكم فرعون وجنوده فينجي المتقدمين
ويغرق التابعين واترك البحر رهوا انهم جند مغرقون الرهو فيه وجهان احدهما انه الساكن
قال الاعشى
يمشين رهوا فلا الاعجاز خاذلة ولا الصدور على الاعجاز تتكل
اي مشيا على هينة اراد موسى عليه الصلوة والسلام لما جاوز البحر ان يضربه بعصاه فينطبق
كما ضربه فانفلق فامر بان يتركه ساكنا على هيئته قارا على حاله من انتصاب الماء وكون

الطريق يبسا لا يضربه بعصاه ولا يغير منه شيئا ليدخله القبط فاذا حصلوا فيه اطبقه الله عليهم
والثاني ان الرهو الفجوة الواسعة وعن بعض العرب انه رأى جملا فالجا فقال سبحان الله رهو بين
سنامين اي اتركه مفتوحا على حاله منفرجا انهم جند وقرى بالفتح بمعنى لانهم كم تركوا من جنات
وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين والمقام الكريم ما كان
لهم من المجالس والمنازل الحسنة وقيل المنابر والنعمة بالفتح من التنعم وبالكسر من الانعام وقرى
فاكهين وفكهين كذلك الكاف منصوبة على مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها واورثناها او في موضع
الرفع على الامر كذلك قوما آخرين ليسوا منهم في شيء من قرابة ولا دين ولا ولاء وهم بنو اسرائيل
كانوا متسخرين مستعبدين في ايديهم فاهلكهم الله على ايديهم واورثهم ملكهم وديارهم فما
بكت عليهم السماء والارض اذا مات رجل خطير قالت العرب في تعظيم مهلكه بكت عليه السماء
والارض وبكته الريح واظلمت له الشمس وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مؤمن مات
في غربة غابت فيها بواكيه الا بكت عليه السماء والارض وقال جرير
تبكي عليك نجوم الليل والقمرا
وقالت الخارجية
ايا شجر الخابور مالك مورقا كانك لم تجزع على ابن طريف
وذلك على سبيل التمثيل والتخييل مبالغة في وجوب الجزع والبكاء عليه وكذلك ما يروى عن ابن عباس
رضي الله عنه من بكاء مصلى المؤمن وآثاره في الارض ومصاعد عمله ومهابط رزقه في السماء تمثيل
ونفي ذلك عنهم في قوله فما بكت عليهم السماء والارض وعن الحسن فما بكى عليهم الملائكة والمؤمنون بل كانوا
بهلاكهم مسرورين يعني فما بكى عليهم اهل السماء واهل الارض وما كانوا منظرين لما جاء وقت هلاكهم
لم ينظروا الى وقت آخر او لم يمهلوا الى الآخرة بل عجل لهم في الدنيا ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب
المهين من فرعون من فرعون بدل من العذاب المهين كانه في نفسه كان عذابا مهينا لافراطه
في تعذيبهم واهانتهم ويجوز ان يكون المعنى من العذاب المهين واقعا من جهة فرعون وقرى من عذاب
المهين ووجهه ان يكون تقدير قوله من فرعون حتى يكون المهين هو فرعون وفي قراءة ابن عباس
من فرعون لما وصف عذاب فرعون بالشدة والفظاعة قال من فرعون على معنى هل تعرفونه من هو في عتوه
وشيطنته ثم عرف حاله في ذلك بقوله انه كان عاليا من المسرفين اي كبيرا رفيع الطبقة
من بينهم فائقا لهم بليغا في اسرافه او عاليا متكبرا كقوله ان فرعون علا في الارض ومن المسرفين
خبر ثان كانه قيل انه كان متكبرا مسرفا ولقد اخترناهم على علم الضمير في اخترناهم لبني اسرائيل
وعلى علم في موضع الحال اي عالمين بمكان الخيرة وبانهم احقاء بان يختاروا ويجوز ان يكون المعنى مع علم منا بانهم
يزيغون ويفرط منهم الفرطات في بعض الاحوال على العالمين على عالمي زمانهم وقيل على الناس جميعا
لكثرة الانبياء منهم وآتيناهم من الآيات من نحو فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير
ذلك من الآيات العظام التي لم يظهر الله في غيرهم مثلها ما فيه بلاء مبين نعمة ظاهرة لان الله تعالى
يبلو بالنعمة كما يبلو بالمصيبة او اختبار ظاهر لينظر كيف يعملون كقوله تعالى وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم
ان هؤلاء ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى وما نحن بمنشرين هؤلاء اشارة الى كفار قريش فان قلت
كان الكلام واقعا في الحيوة الثانية لا في الموت فهلا قيل ان هي الا حيوتنا الاولى وما نحن بمنشرين كما قيل
ان هي الا حيوتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين وما معنى قوله ان هي الا موتتنا الاولى وما معنى ذكر الاولى
كانهم وعدوا موتة اخرى حتى نفوها وجحدوها واثبتوا الاولى قلت معناه والله الموفق للصواب
انه قيل لهم انكم تموتون موتة يتعقبها حيوة كما تقدمتكم موتة قد تعقبتها حيوة وذلك قوله عز وجل
وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم فقالوا ان هي الا موتتنا الاولى يريدون ما الموتة التي من
شانها ان يتعقبها حيوة الا الموتة الاولى دون الموتة الثانية وما هذه الصفة التي تصفون بها الموتة
من تعقب الحيوة لها الا للموتة الاولى خاصة فلا فرق اذن بين هذا وبين قوله ان هي الا حيوتنا الدنيا
في المعنى يقال انشر الله الموتى اذا بعثهم فاتوا بآبائنا ان كنتم صادقين هذا خطاب للذين كانوا
يعدونهم النشور من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين اي ان صدقتم فيما تقولون فعجلوا لنا
احياء من مات من آبائنا بسؤالكم ربكم ذلك حتى يكون دليلا على ان ما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى
حق وقيل كانوا يطلبون اليهم ان يدعوا الله فينشر لهم قصي بن كلاب ليشاوروه فانه كان كبيرهم

ومشاورتهم في النوازل ومعاظم الشؤون أهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم أهلكناهم إنهم كانوا مجرمين ۝ تبع الحميري كان مؤمناً وقومه كافرين ولذلك ذم الله تعالى قومه ولم يذمه وهو الذي سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان إذا كتب قال باسم الذي ملك براً وبحراً وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا تسبوا تبعاً فإنه كان قد أسلم وعنه عليه الصلاة والسلام ما أدري أكان تبع نبياً أو غير نبي وعن ابن عباس وقيل نظر إلى قبرين بناحية حمير قال هذا قبر رضوى وقبر حبى بنتي تبع لا تشركان بالله شيئاً وقيل هو الذي كسا البيت وقيل لملوك اليمن التبابعة لأنهم يتبعون كما قيل الأقيال لأنهم يتقيلون وسمي الظل تبعاً لأنه يتبع الشمس فإن قلت ما معنى قوله أهم خير ولا خير في الفريقين قلت معناه أهم خير في القوة والمنعة كقوله تعالى أكفاركم خير من أولئكم بعد ذكر آل فرعون وفي تفسير ابن عباس أهم أشد أم قوم تبع وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ۝ ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون ۝ إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين ۝ وما بينهما وما بين الجنسين وقرأ عبيد بن عمير وما بينهن ميقاتهم بالنصب على أنه اسم إن يوم الفصل أي ميعاد حسابهم وجزائهم في يوم الفصل يوم لا يغني مولى أي مولى كان من قرابة أو غيرها عن مولى عن أي مولى كان شيئاً أي من إغناء أي قليلاً ولا هم ينصرون الضمير للموالي لأنهم في المعنى كثير لتناول اللفظ على الإبهام والشياع كل مولى إلا من رحم الله من رحم الله في محل الرفع على البدل من الواو في ينصرون أي لا يمنع من العذاب إلا من رحمه الله ويجوز أن ينتصب على الاستثناء إنه هو العزيز لا ينصر منه من عصاه الرحيم لمن أطاعه إن شجرة الزقوم وقرئ إن شجرة الزقوم بكسر الشين وفيها ثلاث لغات شجرة بفتح الشين وكسرها وشيرة بفتح الياء وروي أنه لما نزل أذلك خير نزلاً أم شجرة الزقوم قال ابن الزبعرى إن أهل اليمن يدعون الزبد والتمر الزقوم فدعا أبو جهل بزبد وتمر وقال تزقموا فإن هذا هو الذي يخوفكم به محمد فنزلت إن شجرة الزقوم طعام الأثيم ۝ وهو الفاجر الكثير الآثام وعن أبي الدرداء أنه كان يقرئ رجلاً فكان يقول طعام اليتيم فقال قل طعام الفاجر يا هذا وبهذا استدل على أن إبدال كلمة مكان كلمة جائز إذا كانت مؤدية معناها ومنه أجاز أبو حنيفة القراءة بالفارسية على شريطة وهي أن يؤدي القارئ المعاني على كمالها من غير أن يخرم منها شيئاً قالوا وهذه الشريطة تشهد أنها إجازة كلا إجازة لأن في كلام العرب خصوصاً في القرآن الذي هو معجز بفصاحته وغرابة نظمه وأساليبه من لطائف المعاني والأغراض ما لا يستقل بأدائه لسان من فارسية وغيرها وما كان أبو حنيفة رضي الله عنه يحسن الفارسية فلم يكن منه عن تحقيق وتبصر وروى علي بن الجعد عن أبي يوسف عن أبي حنيفة مثل قول صاحبيه في إنكار القراءة بالفارسية كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم ۝ كالمهل قرئ بضم الميم وفتحها وهو دردي الزيت ويدل عليه قوله يوم تكون السماء كالمهل مع قوله فكانت وردة كالدهان وقيل هو ذائب الفضة والنحاس والكاف رفع خبر بعد خبر وكذلك تغلي وقرئ بالياء للطعام أو المهل والحميم الماء الحار الذي انتهى غليانه يقال للزبانية خذوه فاعتلوه فقودوه بعنف وغلظة وهو أن يؤخذ بتلبيب الرجل فيجر إلى حبس أو قتل ومنه العتل وهو الغليظ الجافي وقرئ بكسر التاء وضمها إلى سواء الجحيم ۝ إلى وسطها ومعظمها ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ۝ كان الأصل يصبوا فوق رأسه من الحميم كقوله يصب من فوق رؤوسهم الحميم لأن الحميم هو المصبوب لا عذابه قلت إذا صب عليه الحميم فقد صب عليه عذابه وشدته إلا أن صب العذاب طريقة الاستعارة كقوله صبت عليه صروف الدهر من صبب وكقوله تعالى أفرغ علينا صبراً فذكر العذاب معلقاً به الصب مستعاراً له ليكون أهول وأهيب يقال ذق إنك أنت العزيز الكريم على سبيل الهزء والتهكم بمن كان يتعزز ويتكرم على قومه وروي أن أبا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما بين جبليها أعز ولا أكرم مني فوالله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بي شيئاً وقرئ أنك بمعنى لأنك وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه قرأه على المنبر إن هذا ما كنتم به تمترون ۝ إن هذا العذاب أو إن هذا الأمر هو ما كنتم به تمترون أي تشكون وتتمارون وتتلاحون إن المتقين في مقام أمين ۝ قرئ في مقام بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان وهو من الخاص الذي وقع مستعملاً في معنى العموم وبالضم وهو موضع الإقامة والأمين من قولك أمن الرجل أمانة فإنه

فهو امين

قال الثعلبي واسمه أسعد أبو كرب آمن بالنبي صلعم قبل أن بعث بسبعمائة سنة

حير أي بنى الحيرة

يعني تتقيل الرجل أباه أي تتبعهم

فهو أمين وهو صفة الخائن فوصف المكان استعارة لأن المكان المخيف كأنما يخون صاحبه بما يلقى فيه من المكاره في جنات وعيون يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين ۝ قيل السندس ما رق من الديباج والإستبرق ما غلظ منه وهو تعريب استبره فإن قلت كيف ساغ أن يقع في القرآن العربي لفظ أعجمي قلت إذا عرب خرج من أن يكون أعجمياً لأن معنى التعريب أن يجعل عربياً بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه وإجرائه على أوجه الإعراب كذلك الكاف مرفوعة على الأمر كذلك أو منصوبة على مثل ذلك أثبناهم وزوجناهم بحور عين ۝ يدعون فيها بكل فاكهة آمنين ۝ وقرأ عكرمة بحور عين على الإضافة والمعنى بالحور من العين لأن العين إما أن تكون حوراً أو غير حور فهؤلاء من حور العين لا من شهلهن مثلاً وفي قراءة عبد الله بعيس عين والعيساء البيضاء تعلوها حمرة لا يذوقون فيها الموت وقرأ عبيد بن عمير لا يذاقون فيها الموت وقرأ عبد الله لا يذوقون طعم الموت إلا الموتة الأولى فإن قلت كيف استثنيت الموتة الأولى المذوقة قبل دخول الجنة من الموت المنفي ذوقه فيها قلت أريد أن يقال لا يذوقون فيها الموت البتة فوضع قوله إلا الموتة الأولى موضع ذلك لأن الموتة الماضية محال ذوقها في المستقبل فهو من باب التعليق بالمحال كأنه قيل إن كانت الموتة الأولى يستقيم ذوقها في المستقبل فإنهم يذوقونها ووقاهم عذاب الجحيم ۝ وقرئ ووقاهم بالتشديد فضلاً من ربك ذلك هو الفوز العظيم ۝ عطاء من ربك وثواباً يعني كل ما أعطي المتقين من نعيم الجنة والنجاة من النار وقرئ فضل أي ذلك فضل فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون ۝ فذلكة للسورة ومعناه ذكرهم بالكتاب المبين فإنما يسرناه أي سهلناه حيث أنزلناه عربياً بلسانك بلغتك إرادة أن يفهمه قومك فيتذكروا فارتقب فانتظر ما يحل بهم إنهم مرتقبون ۝ ما يحل بك متربصون بك الدوائر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك وعنه صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ التي يذكر فيها الدخان في ليلة جمعة أصبح مغفوراً له

سورة الجاثية مكية وهي سبع وثلاثون وقيل ست وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ۝ حم إن جعلتها اسماً مبتدأ مخبراً عنه بتنزيل الكتاب لم يكن بد من حذف مضاف تقديره تنزيل حم تنزيل الكتاب ومن الله صلة للتنزيل وإن جعلتها تعديداً للحروف كان تنزيل الكتاب مبتدأ والظرف خبراً إن في السموات والأرض لآيات للمؤمنين ۝ وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون ۝ واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون ۝ إن في السموات والأرض يجوز أن يكون على ظاهره وأن يكون المعنى إن في خلق السموات لقوله وفي خلقكم فإن قلت علام عطف وما يبث أعلى الخلق المضاف أم على الضمير المضاف إليه قلت بل على المضاف لأن المضاف إليه ضمير متصل مجرور يقبح العطف عليه استقبحوا أن يقال مررت بك وزيد وهذا أبوك وعمرو وكذلك إن أكدوه كرهوا أن يقولوا مررت بك أنت وزيد وقرئ آيات لقوم يوقنون بالنصب والرفع على قولك إن زيداً في الدار وعمراً في السوق أو عمرو في السوق وأما قوله آيات لقوم يعقلون فمن العطف على عاملين سواء نصبت أو رفعت فالعاملان إذا نصبت هما إن وفي أقيمت الواو مقامهما فعملت الجر في واختلاف الليل والنهار والنصب في آيات وإذا رفعت فالعاملان الابتداء وفي عملت الرفع في آيات والجر في واختلاف وقرأ ابن مسعود وفي اختلاف الليل والنهار فإن قلت العطف على عاملين على مذهب الأخفش سديد لا مقال فيه وقد أباه سيبويه فما وجه تخريج الآية عنده قلت فيه وجهان أحدهما أن يكون على إضمار في والذي حسنه تقدم ذكره في الآيتين قبلها ويعضده قراءة ابن مسعود والثاني أن ينتصب آيات على الاختصاص بعد انقضاء المجرور معطوفاً على ما قبله أو على التكرير ورفعها بإضمار هي وقرئ واختلاف الليل والنهار بالرفع وقرئ آية وكذلك وما يبث من دابة آية وقرئ وتصريف الريح والمعنى أن المنصفين من العباد إذا نظروا في السموات والأرض النظر الصحيح علموا أنها مصنوعة وأنه لا بد لها من صانع فآمنوا بالله وأقروا فإذا نظروا في خلق أنفسهم وتنقلها من حال إلى حال وهيئة إلى هيئة وفي خلق ما على ظهر الأرض

من صنوف الحيوان ازدادوا ايمانا وايقنوا وانتفى عنهم اللبس فاذا نظروا في سائر الحوادث التي تجدد في كل وقت كاختلاف الليل والنهار ونزول الامطار وحياة الارض بعد موتها وتصريف الرياح جنوبا وشمالا وقبولا ودبورا عقلوا واستحكم علمهم وخلص يقينهم وسمى المطر رزقا لانه سبب الرزق **تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق** تلك اشارة الى الايات المتقدمة اي تلك الايات ونتلوها في محل الحال اي متلوة عليك بالحق والعامل ما دل عليه تلك من معنى الاشارة ونحوه هذا بعلي شيخا وقرئ يتلوها عليك بالحق **فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون** اي بعد آيات الله كقولهم اعجبني زيد وكرمه يريدون اعجبني كرم زيد ويجوز ان يراد بعد حديث الله وهو كتابه وقرآنه كقوله الله نزل احسن الحديث وقرئ يؤمنون بالياء والتاء **ويل لكل افاك اثيم يسمع آيات الله تتلى عليه** الافاك الكذاب والاثيم المتبالغ في اقتراف الآثام **ثم يصر** يقبل على كفره ويقيم عليه واصله من اصرار الحمار على العانة وهو ان ينحي عليها صارا اذنيه **مستكبرا** عن الايمان بالآيات والاذعان لما تنطق به من الحق مزدريا لها معجبا بما عنده قيل نزلت في النضر بن الحارث وما كان يشتري من احاديث الاعاجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن والآية عامة في كل من كان مضارا لدين الله فان قلت ما معنى ثم في قوله ثم يصر مستكبرا قلت كمعناه في قول القائل: يرى غمرات الموت ثم يزورها: وذلك ان غمرات الموت حقيقة بان ينجو رائيها بنفسه ويطلب الفرار منها واما زيارتها والاقدام على مزاولتها فامر مستبعد فمعنى ثم الايذان بان فعل المقدم عليها بعدما رآها وعاينها شيء يستبعد في العادات والطباع وكذلك آيات الله الواضحة الناطقة بالحق من تليت عليه وسمعها كان مستبعدا في العقول اصراره على الضلالة عندها واستكباره عن الايمان بها **كأن لم يسمعها فبشره بعذاب اليم** كأن مخففة والاصل كأنه لم يسمعها والضمير ضمير الشان كما في قوله: كأن ظبية تعطو الى وارق السلم: ومحل الجملة النصب على الحال اي يصر مثل غير السامع **واذا علم من آياتنا شيئا** واذا بلغه شيء من آياتنا وعلم انه منها **اتخذها** اي اتخذ الآيات **هزوا** ولم يقل اتخذه للاشعار بانه اذا احس بشيء من الكلام انه من جملة الآيات التي انزلها الله تعالى على محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاض في الاستهزاء بجميع الآيات ولم يقتصر على الاستهزاء بما بلغه ويحتمل اذا علم من آياتنا شيئا يمكن ان يتشبث به المعاند ويجد له محملا يتسلق به على الطعن والغميزة افترصه واتخذ آيات الله هزوا وذلك نحو اعتراض ابن الزبعرى قوله عز وعلا انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ومغالطته رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقوله خصمتك ويجوز ان يرجع الى شيء لانه في معنى الآية كقول ابي العتاهية

نفسي بشيء من الدنيا معلقة ... الله والقائم المهدي يكفيها

حيث اراد عتبة وقرئ علم **اولئك لهم عذاب مهين** اشارة الى كل افاك اثيم لشموله الافاكين **من ورائهم جهنم** الوراء اسم للجهة التي يواريها الشخص من خلف او قدام قال

اليس ورائي ان تراخت منيتي ... ادب مع الولدان ازحف كالنسر

ومنه قوله عز وعلا من ورائهم اي من قدامهم **ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا** ما كسبوا من الاموال في رحلهم ومتاجرهم **ولا ما اتخذوا من دون الله** من الاوثان **اولياء ولهم عذاب عظيم هذا هدى** اشارة الى القرآن يدل عليه قوله **والذين كفروا بآيات ربهم** لان آيات ربهم هي القرآن اي هذا القرآن كامل في الهداية كما تقول زيد رجل تريد كامل في الرجولية وايما رجل **لهم عذاب من رجز اليم** والرجز اشد العذاب وقرئ بجر اليم ورفعه **الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بامره ولتبتغوا من فضله** بالتجارة او بالغوص على اللؤلؤ والمرجان واستخراج اللحم الطري وغير ذلك من منافع البحر **ولعلكم تشكرون وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون** فان قلت ما معنى منه في قوله جميعا منه وما موقعها من الاعراب قلت هي واقعة موقع الحال والمعنى انه سخر هذه الاشياء كائنة منه وحاصلة من عنده يعني انه مكونها وموجدها بقدرته وحكمته ثم مسخرها لخلقه ويجوز ان تكون خبر مبتدا محذوف تقديره هي جميعا منه وان يكون وسخر لكم تاكيدا لقوله وسخر لكم ثم ابتدئ قوله ما في السموات وما في الارض جميعا منه وان يكون ما في الارض مبتدا ومنه خبره وقرأ ابن عباس منة وعن مسلمة بن محارب منة على ان يكون منة فاعل سخر على الاسناد المجازي او على انه خبر مبتدا محذوف اي ذلك او هو منة **قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون** حذف المقول لان الجواب دال عليه والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا والذين لا يرجون

ايام الله لا يتوقعون وقائع الله باعدائه من قولهم لوقائع العرب ايام العرب وقيل لا يأملون الاوقات التي وقتها الله لثواب المؤمنين ووعدهم الفوز فيها قيل نزلت قبل آية القتال ثم نسخ حكمها وقيل نزلت في عمر رضي الله عنه وقد شتمه رجل من غفار فهم ان يبطش به وعن سعيد بن المسيب كنا بين يدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقرأ قارئ هذه الآية فقال عمر ليجزي عمر بما صنع **ليجزي** تعليل للامر بالمغفرة اي انما امروا بان يغفروا لما اراده الله من توفيتهم جزاء مغفرتهم يوم القيامة فان قلت قوله قوما ما وجه تنكيره وانما اراد الذين آمنوا وهم معارف قلت هو مدح لهم وثناء عليهم كانه قيل ليجزي ايما قوم وقوما مخصوصين لصبرهم واغضائهم على اذى اعدائهم من الكفار وعلى ما كانوا يجرعونهم من الغصص بما كانوا يكسبون من الثواب العظيم بكظم الغيظ واحتمال المكروه ومعنى قول عمر رضي الله عنه ليجزي عمر بما صنع ليجزي بصبره واحتماله وقوله لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند نزول الآية والذي بعثك بالحق لا يرى الغضب في وجهي وقرئ ليجزى قوما اي الله عز وجل وليجزى قوم وليجزى قوما على معنى وليجزى الجزاء قوما **ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب** التوراة **والحكم** والحكمة والفقه او فصل الحكومات بين الناس لان الملك كان فيهم **والنبوة ورزقناهم من الطيبات** مما احل الله لهم واطاب من الارزاق **وفضلناهم على العالمين** حيث لم نؤت غيرهم مثل ما آتيناهم **وآتيناهم بينات** آيات ومعجزات **من الامر** من امر الدين **فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم** فما وقع بينهم الخلاف في الدين الا من بعد ما جاءهم ما هو موجب لزوال الخلاف وهو العلم وانما اختلفوا لبغي حدث بينهم اي لعداوة وحسد **ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك على شريعة** على طريقة ومنهاج **من الامر** من امر الدين **فاتبعها** فاتبع شريعتك الثابتة بالدلائل والحجج **ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وان الظالمين بعضهم اولياء بعض والله ولي المتقين** ولا تتبع ما لا حجة عليه من اهواء الجهال ودينهم المبني على هوى وبدعة وهم رؤساء قريش حين قالوا ارجع الى دين آبائك ولا توالهم انما يوالي الظالمين من هو ظالم مثلهم واما المتقون فوليهم الله وهم موالوه وما ابين الفضل بين الولايتين **هذا** القرآن **بصائر للناس** جعل ما فيه من معالم الدين والشرائع بمنزلة البصائر في القلوب كما جعل روحا وحياة **وهدى** وهو هدى من الضلالة **ورحمة** من العذاب **لقوم يوقنون** لمن آمن وايقن وقرئ هذه بصائر اي هذه الآيات **ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون** ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان والاجتراح الاكتساب ومنه الجوارح وفلان جارحة اهله اي كاسبهم ان نجعلهم ان نصيرهم وهو من جعل المتعدي الى مفعولين فاولهما الضمير والثاني الكاف والجملة التي هي سواء محياهم ومماتهم بدل من الكاف لان الجملة تقع مفعولا ثانيا فكانت في حكم المفرد الا تراك لو قلت ان نجعلهم سواء محياهم ومماتهم كان سديدا كما تقول ظننت زيدا ابوه منطلق ومن قرأ سواء بالنصب اجرى سواء مجرى مستويا وارتفع محياهم ومماتهم على الفاعلية وكان مفردا غير جملة ومن قرأ ومماتهم بالنصب جعل محياهم ومماتهم ظرفين كمقدم الحاج وخفوق النجم اي سواء في محياهم وفي مماتهم والمعنى انكار ان يستوي المسيئون والمحسنون محيا وان يستووا مماتا لافتراق احوالهم احياء حيث عاش هؤلاء على القيام بالطاعات واولئك على ركوب المعاصي ومماتا حيث مات هؤلاء على البشرى بالرحمة والوصول الى ثواب الله ورضوانه واولئك على اليأس من رحمة الله والوصول الى هول ما اعد لهم وقيل معناه انكار ان يستووا في الممات كما استووا في الحياة لان المسيئين والمحسنين مستو محياهم في الرزق والصحة وانما يفترقون في الممات وقيل سواء محياهم ومماتهم كلام مستانف على معنى ان محيا المسيئين ومماتهم سواء وكذلك محيا المحسنين ومماتهم كل يموت على حسب ما عاش عليه وعن تميم الداري رضي الله عنه انه كان يصلي ذات ليلة عند المقام فبلغ هذه الآية فجعل يبكي ويردد الى الصباح ساء ما يحكمون وعن الفضيل انه بلغها فجعل يرددها ويبكي ويقول يا فضيل ليت شعري من اي الفريقين انت **وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون** ولتجزى معطوف على بالحق لان فيه معنى

التعليل او على معلل محذوف تقديره وخلق السموات والارض ليدل بها على قدرته ولتجزى كل نفس أفرأيت
من اتخذ إلهه هواه واضله الله على علم اي هو مطواع لهوى النفس يتبع ما تدعوه اليه فكانه يعبده كما يعبد الرجل
الهه وقرئ آلهة هواه لانه كان يستحسن الحجر فيعبده فاذا رأى ما هو احسن رفضه اليه فكانه
اتخذ هواه آلهة شتى يعبد كل وقت واحدا منها واضله الله وتركه من الهداية واللطف وخذله
على علم عالما بان ذلك لا يجدي عليه وانه ممن لا لطف له او مع علمه بوجوه الهداية واحاطته بانواع
الالطاف المحصلة والمقربة وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد
الله من بعد اضلال الله وقرئ غشوة بالحركات الثلاث وغشوة بالفتح والكسر أفلا تذكرون
وقرئ تتذكرون وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى نموت نحن ونحيى اولادنا او نموت
بعض ويحيى بعض او نكون مواتا نطفا في الاصلاب ونحيى بعد ذلك او يصيبنا الامران
الموت والحيوة يريدون الحيوة في الدنيا والموت بعدها وليس وراء ذلك حيوة وقرئ نحيى بضم
النون وما يهلكنا الا الدهر وقرئ الا دهر يمر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون وما يقولون
ذلك عن علم ولكن عن ظن وتخمين كانوا يزعمون ان مرور الايام والليالي هو المؤثر في هلاك الانفس
وينكرون ملك الموت وقبضه للارواح بامر الله وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث الى الدهر
والزمان وترى اشعارهم ناطقة بشكوى الزمان ومنه قوله عليه الصلوة والسلام لا تسبوا الدهر
فان الله هو الدهر اي فان الله هو الاتي بالحوادث لا الدهر واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان
حجتهم الا ان قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى
يوم القيمة لا ريب فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون وقرئ حجتهم بالنصب والرفع على تقديم خبر كان وتاخيره
فان قلت لم سمى قولهم حجة وليس بحجة قلت لانهم ادلوا به كما يدلي المحتج بحجته وساقوه مساقها
فسميت حجة على سبيل التهكم او لانه في حسبانهم وتقديرهم حجة او لانه في اسلوب قولهم
تحية بينهم ضرب وجيع كانه قيل ما كان حجتهم الا ما ليس بحجة والمراد نفي ان تكون لهم حجة البتة
فان قلت كيف وقع قوله قل الله يحييكم جوابا لقولهم ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين قلت لما انكروا
البعث وكذبوا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وحسبوا ان ما قالوه قول مبكت الزموا ما هم مقرون به
من ان الله عز وجل هو الذي يحييهم ويميتهم وضم الى الزام ذلك الزام ما هو واجب الاقرار به ان انصفوا
واصغوا الى داعي الحق وهو جمعهم الى يوم القيمة ومن كان قادرا على ذلك كان قادرا على الاتيان
بآبائهم وكان اهون شيء عليه ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون
عامل النصب في يوم تقوم يخسر ويومئذ بدل من يوم تقوم وترى كل امة جاثية باركة مستوفزة
على الركب وقرئ جاذية والجذو اشد استيفازا من الجثو لان الجاذي هو الذي يجلس على اطراف
اصابعه وعن ابن عباس جاثية مجتمعة وعن قتادة جماعات من الجثوة وهي الجماعة وجمعها جثى وفي
الحديث من جثى جهنم وقرئ كل امة على الابتداء وكل امة على الابدال من كل امة تدعى الى كتابها
الى صحائف اعمالها فاكتفى باسم الجنس كقوله ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه
اليوم تجزون ما كنتم تعملون هذا كتابنا فان قلت كيف اضيف الكتاب اليهم والى الله
عز وجل قلت الاضافة تكون للملابسة وقد لابسهم الكتاب لان اعمالهم مثبتة فيه ولابسه
ملابسة اياه لانه مالكه والامر ملائكته ان يكتبوا فيه اعمال عباده ينطق عليكم يشهد عليكم
بما عملتم بالحق من غير زيادة ولا نقصان انا كنا نستنسخ الملائكة ما كنتم تعملون اي نستكتبهم
فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته في جنته ذلك هو الفوز المبين
واما الذين كفروا وجواب اما محذوف تقديره واما الذين كفروا فيقال لهم أفلم تكن آياتي تتلى
عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين والمعنى الم تاتكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم
فحذف المعطوف عليه واذا قيل ان وعد الله حق والساعة لا ريب فيها وقرئ والساعة بالنصب
عطفا على الوعد وبالرفع على محل ان واسمها قلتم ما ندري ما الساعة اي شيء الساعة فان قلت
ما معنى ان نظن الا ظنا قلت اصله نظن ظنا ومعناه اثبات الظن توكيدا لقوله وما نحن بمستيقنين
وبدا لهم سيئات ما عملوا اي قبائح اعمالهم او عقوبات اعمالهم السيئات كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة

وخيل قد دلفت لها بخيل

مثلها وحاق

مثلها وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وقيل اليوم ننساكم نترككم في العذاب كما نسيتم
لقاء يومكم هذا كما تركتم عدته ولم تبالوا به وهي الطاعة او نجعلكم بمنزلة الشيء المنسي غير
المبالى به كما لم تبالوا انتم بلقاء يومكم ولم تخطروه ببال كالشيء الذي يطرح نسيا منسيا
فان قلت ما معنى اضافة اللقاء الى اليوم قلت كمعنى اضافة المكر في قوله تعالى بل مكر الليل
والنهار اي نسيتم لقاء الله في يومكم هذا او لقاء جزائه ومأواكم النار وما لكم من ناصرين ذلكم
بانكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحيوة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها وقرئ لا يخرجون
بفتح الياء ولا هم يستعتبون ولا يطلب منهم ان يعتبوا ربهم اي يرضوه فلله الحمد رب
السموات ورب الارض رب العالمين وله الكبرياء في السموات والارض وهو العزيز
الحكيم فاحمدوا الله الذي هو ربكم ورب كل شيء من السموات والارض والعالمين فان
مثل هذه الربوبية العامة توجب الحمد والثناء على كل مربوب وكبروه فقد ظهرت آثار
كبريائه وعظمته في السموات والارض وحق مثله ان يكبر ويعظم عن رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب

سورة الاحقاف مكية وهي اربع وثلاثون وقيل خمس

بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل
مسمى الا خلقا ملتبسا بالحكمة والغرض الصحيح وبتقدير اجل مسمى ينتهي اليه وهو يوم القيمة والذين
كفروا عما انذروا من هول ذلك اليوم الذي لا بد لكل خلق من انتهائه اليه معرضون لا
يؤمنون به ولا يهتمون بالاستعداد له ويجوز ان تكون ما مصدرية اي عن انذارهم ذلك اليوم
قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات ائتوني
بكتاب من قبل هذا اي من قبل هذا الكتاب وهو القرآن يعني ان هذا الكتاب ناطق بالتوحيد وابطال
الشرك وما من كتاب انزل من قبله من كتب الله الا وهو ناطق بمثل ذلك فأتوا بكتاب واحد منزل
من قبله شاهد بصحة ما انتم عليه من عبادة غير الله أو اثارة من علم ان كنتم صادقين او بقية من
علم بقيت عليكم من علوم الاولين من قولهم سمنت الناقة على اثارة من شحم اي على بقية شحم كانت بها من
شحم ذاهب وقرئ أثرة اي من شيء اوثرتم به وخصصتم من علم لا احاطة به لغيركم وقرئ اثرة بالحركات
الثلاث في الهمزة مع سكون الثاء فالاثرة بالكسر بمعنى الاثرة واما الاثرة فالمرة من مصدر
اثر الحديث اذا رواه واما الأثرة بالضم فاسم ما يؤثر كالخطبة اسم ما يخطب به ومن اضل
ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيمة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر
الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ومن اضل معنى الاستفهام فيه انكار ان يكون
في الضلال كلهم ابلغ ضلالا من عبدة الاصنام حيث يتركون دعاء السميع المجيب القادر على تحصيل
بغيته ومرامه ويدعون من دونه جمادا لا يستجيب لهم ولا قدرة به على استجابة احد منهم ما دامت
الدنيا والى ان يقوم القيمة واذا قامت القيمة وحشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا عليهم ضدا
فليسوا في الدارين الا على نكد ومضرة لا يتولاهم في الدنيا بالاستجابة وفي الآخرة تعاديهم وتجحد
عبادتهم وانما قيل من وهم لانه اسند اليهم ما يسند الى اولي العلم من الاستجابة والغفلة ولانهم كانوا
يصفونهم بالتمييز جهلا وغباوة ويجوز ان يريد كل معبود من دون الله من الجن والانس والاوثان فغلب
غير الاوثان عليها وقرئ ما لا يستجيب ويدعون غير الله من لا يستجيب ووصفهم بترك الاستجابة
والغفلة طريقه طريق التهكم بها وبعبدتها وكقوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم
ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيمة يكفرون بشرككم واذا تتلى عليهم آياتنا بينات
جمع بينة وهي الحجة والشاهد او واضحات مبينات قال الذين كفروا للحق واللام في للحق مثلها في
قوله للذين آمنوا لو كان خيرا اي لاجل الحق ولاجل الذين آمنوا والمراد بالحق الآيات وبالذين
كفروا المتلو عليهم ووضع الظاهران موضع الضميرين للتسجيل عليهم بالكفر وللمتلو بالحق

لما جاءهم هذا سحر مبين ۝ اي بادهوه بالجحود ساعة اتاهم واول ما سمعوه من غير اجالة فكر ولا اعادة
نظر ومن عنادهم وظلمهم انهم سموه سحرا مبينا ظاهرا امره في البطلان لا شبهة فيه ام يقولون افتراه
اضراب عن ذكر تسميتهم الآيات سحرا الى ذكر قولهم ان محمدا صلى الله عليه وآله وسلم كان لا يقدر عليه
حتى يقوله ويفتريه على الله ولو قدر عليه دون امة العرب لكانت قدرته عليه معجزة لخرقها العادة
واذا كانت معجزة كانت تصديقا من الله تعالى والحكيم لا يصدق الكاذب فلا يكون مفتريا والضمير
للحق والمراد به الآيات قل ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا قل ان افتريته على سبيل الفرض
عاجلني الله لا محالة بعقوبة الافتراء عليه فلا تقدرون على كفه عن معاجلتي ولا تطيقون دفع شيء
من عقابه عني فكيف افتريه واتعرض لعقابه يقال فلان لا يملك اذا غضب ولا يملك عنانه اذا صمم
ومثله فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا
ومنه قوله عليه الصلوة والسلام لا املك لكم من الله شيئا ثم قال هو اعلم بما تفيضون فيه اي تندفعون
فيه من القدح في وحي الله والطعن في اياته وتسميته سحرا تارة وفرية اخرى كفى به شهيدا بيني
وبينكم يشهد لي بالصدق والبلاغ ويشهد عليكم بالكذب والجحود ومعنى ذكر العلم والشهادة
وعيد بجزاء افاضتهم وهو الغفور الرحيم ۝ موعدة بالغفران والرحمة ان رجعوا عن الكفر
وتابوا وآمنوا واشعار بحلم الله عنهم مع عظم ما ارتكبوا فان قلت فما معنى اسناد الفعل اليهم
في قوله فلا تملكون قلت كان فيما اتاهم به النصيحة لهم والاشفاق عليهم من سوء العاقبة وارادة
الخير بهم فكانه قال لهم ان افتريته وانا اريد بذلك النصح لكم وصدكم عن عبادة الالهة الى عبادة
الله فما تغنون عني ايها المنصوحون ان اخذني الله بعقوبة الافتراء عليه قل ما كنت بدعا من
الرسل البدع بمعنى البديع كالخف بمعنى الخفيف وقرئ بدعا بفتح الدال اي ذا بدع ويجوز ان
يكون صفة على فعل كقولهم دين قيم ولحم زيم كانوا يقترحون عليه الآيات ويسالونه عما لم يوح
به اليه من الغيوب فقيل له قل ما كنت بدعا من الرسل فآتيكم بكل ما تقترحونه علي واخبركم بكل ما
تسالون عنه من المغيبات فان الرسل لم يكونوا ياتون الا بما آتاهم الله من آياته ولا يخبرون الا بما اوحي اليهم
ولقد اجاب موسى صلوات الله وسلامه عليه عن قول فرعون فما بال القرون الاولى قال علمها عند ربي وما
ادري ما يفعل بي ولا بكم وما ادري لانه لا علم لي بالغيب ما يفعل الله بي وبكم فيما يستقبل من
الزمان في افعاله ويقدر لي ولكم من قضاياه ان اتبع الا ما يوحى الي وما انا الا نذير مبين ۝ وعن
الحسن وما ادري ما يصير اليه امري وامركم في الدنيا ومن الغالب منا والمغلوب وعن الكلبي
قال له اصحابه وقد ضجروا من اذى المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما ادري ما يفعل بي ولا بكم
اأترك بمكة ام اومر بالخروج الى ارض قد رفعت لي ورايتها يعني في منامه ذات نخيل وشجر وعن
ابن عباس ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة وقال هي منسوخة بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما
تاخر ويجوز ان يكون نفيا للدراية المفصلة وقرئ ما يفعل بفتح الياء اي يفعل الله عز وجل فان قلت
ان يفعل مثبت غير منفي فكان وجه الكلام ما يفعل بي وبكم قلت اجل ولكن النفي في ما ادري
لما كان مشتملا عليه لتناوله ما وما في حيزه صح ذلك وحسن الا ترى الى قوله اولم يروا ان الله الذي
خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر كيف دخلت الباء في خبر ان وذلك لتناول النفي اياها مع ما في
حيزها وما في ما يفعل يجوز ان تكون موصولة منصوبة وان تكون استفهامية مرفوعة وقرئ
يوحي اي الله عز وجل قل ارايتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني
اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين ۝ جواب الشرط محذوف تقديره
ان كان القرآن من عند الله وكفرتم به الستم ظالمين ويدل على هذا المحذوف قوله ان الله لا يهدي القوم
الظالمين والشاهد من بني اسرائيل عبد الله بن سلام لما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة نظر
الى وجهه فعلم انه ليس بوجه كذاب وتامله فتحقق انه النبي المنتظر وقال له اني سائلك عن ثلاث
لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط الساعة وما اول طعام ياكله اهل الجنة وما بال الولد ينزع الى ابيه
او الى امه فقال عليه الصلوة والسلام اما اول اشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب واما
اول طعام ياكله اهل الجنة فزيادة كبد الحوت واما الولد فاذا سبق ماء الرجل نزعه وان سبق ماء
المراة نزعته فقال اشهد انك رسول الله حقا ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وان علموا

باسلامي قبل ان تسالهم عني بهتوني عندك فجاءت اليهود فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اي رجل
عبد الله فيكم قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا قال ارايتم ان
اسلم عبد الله قالوا اعاذه الله من ذلك فخرج اليهم عبد الله فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان
محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه فقال هذا ما كنت اخاف يا رسول الله واحذر
قال سعد بن ابي وقاص ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لاحد يمشي على الارض انه من
اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزل وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله الضمير للقرآن اي
على مثله في المعنى وهو ما في التوراة من المعاني المطابقة لمعاني القرآن من التوحيد والوعد والوعيد وغير ٥
ذلك ويدل عليه قوله تعالى وانه لفي زبر الاولين ان هذا لفي الصحف الاولى كذلك يوحي اليك والى
الذين من قبلك ويجوز ان يكون المعنى ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد على نحو ذلك يعني
كونه من عند الله فان قلت اخبرني عن نظم هذا الكلام لاقف على معناه من جهة النظم قلت
الواو الاولى عاطفة لكفرتم على فعل الشرط كما عطفته ثم في قوله قل ارايتم ان كان من عند
الله ثم كفرتم به وكذلك الواو الآخرة عاطفة لاستكبرتم على شهد شاهد واما الواو في
وشهد شاهد فقد عطفت جملة قوله شهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم على جملة قوله
كان من عند الله وكفرتم به ونظيره قولك ان احسنت اليك واسات واقبلت عليك واعرضت
لم تتفق انك اخذت ضميمين فعطفتهما على مثليهما والمعنى قل اخبروني ان اجتمع كون القرآن من
عند الله مع كفركم به واجتمع شهادة اعلم بني اسرائيل على نزول مثله وايمانه به مع استكباركم
عنه وعن الايمان به الستم اضل الناس واظلمهم وقد جعل الايمان في قوله فآمن مسببا عن الشهادة على
مثله لانه لما علم ان مثله انزل على موسى صلوات الله عليه وسلامه وانه من جنس الوحي وليس من كلام البشر
وانصف من نفسه فشهد عليه واعترف كان الايمان نتيجة ذلك وقال الذين كفروا للذين آمنوا
لو كان خيرا ما سبقونا اليه للذين آمنوا لاجلهم وهو كلام كفار مكة قالوا عامة من يتبع محمدا
السقاط يعنون الفقراء مثل عمار وصهيب وابن مسعود فلو كان ما جاء به خيرا ما سبقنا اليه هؤلاء وقيل
لما اسلمت جهينة ومزينة واسلم وغفار قالت بنو عامر وغطفان واسد واشجع لو كان خيرا ما
سبقنا اليه رعاء البهم وقيل ان امة لعمر اسلمت فكان عمر يضربها حتى يفتر ثم يقول لولا اني فترت
لزدتك ضربا فكان كفار قريش يقولون لو كان ما يدعو اليه محمد حقا ما سبقتنا اليه فلانة
وقيل كان اليهود يقولونه عند اسلام عبد الله بن سلام واصحابه واذ لم يهتدوا به فسيقولون
هذا افك قديم ۝ فان قلت لا بد من عامل في الظرف لتدافع دلالتي المضي والاستقبال فما وجه
هذا الكلام قلت العامل في اذ محذوف لدلالة الكلام عليه كما حذف من قوله فلما ذهبوا
به وقولهم حينئذ الآن وتقديره واذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم فسيقولون هذا افك قديم فهذا
المضمر صح به الكلام حيث انتصب به الظرف وكان قوله فسيقولون مسببا عنه كما صح باضمار
ان قوله حتى يقول الرسول لمضادة حتى مجرورها المضارع ماضيه وقولهم افك قديم كقولهم
اساطير الاولين ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا
لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين ۝ كتاب موسى مبتدا ومن قبله ظرف واقع خبرا مقدما
عليه وهو ناصب اماما على الحال كقولك في الدار زيد قائما وقرئ ومن قبله كتاب موسى على
وآتينا موسى الذي قبله التوراة ومعنى اماما قدوة يؤتم به في دين الله وشرائعه كما يؤتم بالامام
ورحمة لمن آمن به وعمل بما فيه وهذا القرآن كتاب مصدق لكتاب موسى او لما بين يديه وتقدمه من
جميع الكتب وقرئ مصدق لما بين يديه ولسانا عربيا حال من ضمير الكتاب في مصدق والعامل فيه مصدق
ويجوز ان ينتصب عن كتاب لتخصصه بالصفة ويعمل فيه معنى الاشارة وجوز ان يكون مفعولا
لمصدق اي يصدق ذا لسان عربي وهو الرسول وقرئ لتنذر بالتاء والياء ولينذر من نذر ينذر
اذا حذر وبشرى في محل النصب معطوف على محل لينذر لانه مفعول له ان الذين قالوا ربنا الله
ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ۝ اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا
يعملون ۝ ووصينا الانسان بوالديه حسنا حملته امه كرها ووضعته كرها وقرئ
حسنا بضم الحاء وسكون السين وبضمهما وبفتحهما واحسانا وكرها بالفتح والضم وهما لغتان في

معنى المشقة كالفقر والفقر وانتصابه على الحال اي ذات كره او على انه صفة المصدر اي حملا ذا كره
وحمله وفصاله ومدة حمله وفصاله ثلاثون شهرا وهذا دليل على ان اقل الحمل ستة اشهر لان مدة الرضاع
اذا كانت حولين لقوله عز وجل حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة بقيت للحمل ستة اشهر وقرئ وفصله
والفصل والفصال كالفطم والفطام بناء ومعنى فان قلت المراد بيان مدة الرضاع لا الفطام
فكيف عبر عنه بالفصال قلت لما كان الرضاع يليه الفصال ويلابسه لانه ينتهي به ويتم سمي
فصالا كما سمي المدة بالامد من قال كل حي مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى امده وفيه فائدة
وهي الدلالة على الرضاع التام المنتهي بالفصال ووقته حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة
وقرئ حتى اذا استوى وبلغ اشده وبلوغ الاشد ان يكتهل ويستوفي السن التي تستحكم فيها قوته
وعقله وتمييزه وذلك اذا اناف على الثلاثين وناطح الاربعين وعن قتادة ثلاث وثلاثون سنة ووجهه
ان يكون ذلك اول الاشد وغايته الاربعين وقيل لم يبعث نبي قط الا بعد اربعين سنة قال
رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي والمراد بالنعمة التي استوزع الشكر
عليها نعمة التوحيد والاسلام جمع بين شكري النعمة عليه وعلى والديه لان النعمة عليهما نعمة عليه وان
اعمل صالحا ترضاه وقيل في العمل المرضي هو الصلوات الخمس فان قلت ما معنى في في قوله واصلح
لي في ذريتي قلت معناه ان يجعل ذريته موقعا للصلاح ومظنة له كانه قال هب لي الصلاح في
ذريتي واوقعه فيهم ونحوه يجرح في عراقيبها نصلي اني تبت اليك واني من المسلمين من
المخلصين اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم في اصحاب الجنة وعد الصدق
الذي كانوا يوعدون وقرئ يتقبل ويتجاوز بفتح الياء والضمير فيهما لله عز وجل وقرئا بالنون فان قلت
ما معنى قوله في اصحاب الجنة قلت هو نحو قولك اكرمني الامير في ناس من اصحابه تريد اكرمني في جملة
من اكرم منهم ونظمني في عدادهم ومحله النصب على الحال على معنى كائنين في اصحاب الجنة ومعدودين
فيهم وعد الصدق مصدر مؤكد لان قوله يتقبل عنهم ويتجاوز وعد من الله تعالى بالتقبل والتجاوز
وقيل نزلت في ابي بكر رضي الله عنه وفي ابيه ابي قحافة وامه ام الخير وفي اولاده واستجابة دعائه فيهم
وقيل لم يكن احد من الصحابة من المهاجرين والانصار اسلم هو ووالداه وبنوه وبناته غير ابي بكر رضي
الله عنه والذي قال لوالديه اف لكما والذي قال مبتدا خبره اولئك الذين حق عليهم القول والمراد
بالذي قال الجنس القائل ذلك القول ولذلك وقع الخبر مجموعا وعن الحسن هو الكافر العاق لوالديه
المكذب بالبعث وعن قتادة هو نعت عبد سوء عاق لوالديه فاجر لربه وقيل نزلت في عبد الرحمن
بن ابي بكر قبل اسلامه وقد دعاه ابواه ابو بكر وامه ام رومان الى الاسلام فافف بهما وقال ابعثوا الي
جدعان بن عمرو وعثمان بن عمرو وهما من اجداده حتى اسالهما عما يقول محمد ويشهد لبطلانه ان المراد
بالذي قال جنس القائلين ذلك وان قوله الذين حق عليهم القول هم اصحاب النار وعبد الرحمن كان من افاضل
المسلمين وسرواتهم وعن عائشة رضي الله عنها انكار نزولها فيه وحين كتب معاوية الى مروان بان
يبايع الناس ليزيد قال عبد الرحمن لقد جئتم بها هرقلية اتبايعون لابنائكم فقال مروان يا ايها
الناس هو الذي قال الله فيه والذي قال لوالديه اف لكما فسمعت عائشة فغضبت وقالت والله ما هو
به ولو شئت ان اسميه لسميته ولكن الله لعن اباك وانت في صلبه فانت فضض من لعنة الله وقرئ
اف بالكسر والفتح من غير تنوين وبالحركات الثلاث مع التنوين وهو صوت اذا صوت به الانسان
علم انه متضجر كما اذا قال حس علم انه متوجع واللام للبيان معناه هذا التافيف لكما خاصة ولاجلكما دون
غيركما وقرئ اتعدانني بنونين واتعداني باحداهما واتعداني بالادغام وقد قرا بعضهم اتعدانني
بفتح النون كانه استثقل اجتماع النونين والكسرتين والياء ففتح الاولى تحريا للتخفيف كما تحراه من
ادغم ومن طرح احدهما ان اخرج اي ابعث واخرج من الارض وقرئ اخرج وقد خلت القرون
من قبلي يعني ولم يبعث منهم احد وهما يستغيثان الله يقولان الغياث بالله منك ومن قولك
وهو استعظام لقوله ويلك امن دعاء عليه بالثبور والمراد به الحث والتحريض على الايمان
لا حقيقة الهلاك ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا اساطير الاولين اولئك الذين حق عليهم
القول في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين في امم نحو قوله في اصحاب
الجنة وقرئ ان بالفتح على معنى امن بان وعد الله حق ولكل من الجنسين المذكورين درجات مما عملوا

اي مراتب ومنازل

اي مراتب ومنازل من جزاء ما عملوا من الخير والشر او من اجل ما عملوا منهما فان قلت كيف قيل درجات
وقد جاء الجنة درجات والنار دركات قلت يجوز ان يقال ذلك على وجه التغليب لاشتمال كل على
الفريقين وليوفيهم اعمالهم وهم لا يظلمون وقرئ بالنون تعليل معلله محذوف لدلالة الكلام
عليه كانه قيل وليوفيهم اعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم قدر جزاءهم على مقادير اعمالهم فجعل الثواب درجات
والعقاب دركات ويوم يعرض الذين كفروا على النار ناصب الظرف هو القول المضمر قبل اذهبتم
وعرضهم على النار تعذيبهم بها من قولهم عرض بنو فلان على السيف اذا قتلوا به ومنه قوله تعالى النار يعرضون
عليها ويجوز ان يراد عرض النار عليهم من قولهم عرضت الناقة على الحوض يريدون عرض الحوض
عليها فقلبوا ويدل عليه تفسير ابن عباس رضي الله عنهما يجاء بهم اليها فيكشف لهم عنها اذهبتم طيباتكم
في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها اي ما كتب لكم حظ من الطيبات الا ما قد اصبتموه في دنياكم
وقد ذهبتم به واخذتموه فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شيء منها وعن عمر رضي الله عنه لو شئت
لدعوت بصلائق وصناب وكراكر واسنمة ولكني رايت الله نعى على قوم طيباتهم فقال اذهبتم طيباتكم
في حياتكم الدنيا وعنه لو شئت لكنت اطيبكم طعاما واحسنكم لباسا ولكني استبقي طيباتي
وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه دخل على اهل الصفة وهم يرقعون ثيابهم بالادم ما
يجدون لها رقاعا فقال انتم اليوم خير ام يوم يغدو احدكم في حلة ويروح في اخرى ويغدى عليه بجفنة ويراح
عليه باخرى ويستر بيته كما تستر الكعبة قالوا نحن يومئذ خير قال بل انتم اليوم خير وقرئ اذهبتم
بهمزة الاستفهام وااذهبتم بالف بين همزتين فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم
تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون الهون الهوان وقرئ عذاب الهوان
وقرئ تفسقون بضم السين وكسرها واذكر اخا عاد اذ انذر قومه بالاحقاف الاحقاف
جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء اذا اعوج وكانت عاد اصحاب
عمد يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بارض يقال لها الشحر من بلاد اليمن وقيل بين عمان ومهرة
وقد خلت النذر والنذر جمع نذير بمعنى المنذر او الانذار من بين يديه من قبله ومن خلفه
ومن بعده وقرئ من بين يديه ومن بعده الا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم
عظيم والمعنى ان هودا عليه الصلاة والسلام قد انذرهم وقال لهم لا تعبدوا الا الله اني اخاف
عليكم العذاب واعلمهم ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون
نحو انذاره وعن ابن عباس رضي الله عنهما يعني الرسل الذين بعثوا في زمانه ومعنى ومن خلفه على
هذا التفسير ومن بعد انذاره هذا اذا علقت وقد خلت النذر بقوله انذر قومه ولك ان تجعل
قوله وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه اعتراضا بين انذر قومه وبين الا تعبدوا ويكون
المعنى واذكر انذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد انذر من تقدمه من الرسل
ومن تاخر عنه مثل ذلك فاذكرهم قالوا اجئتنا لتافكنا الافك الصرف يقال افكه عن رايه
عن الهتنا عن عبادتها فاتنا بما تعدنا من معاجلة العذاب على الشرك ان كنت من الصادقين
ان كنت صادقا في وعيدك قال انما العلم عند الله وابلغكم ما ارسلت به ولكني اراكم
قوما تجهلون فان قلت من اين طابق قوله انما العلم عند الله جوابا لقولهم فاتنا بما تعدنا قلت
من حيث ان قولهم هذا استعجال منهم بالعذاب الا ترى الى قوله بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب
اليم فقال لهم لا علم عندي بالوقت الذي يكون فيه تعذيبكم حكمة وصوابا انما علم ذلك عند الله
فكيف ادعوه بان ياتيكم بعذابه في وقت عاجل تقترحونه انتم ومعنى وابلغكم ما ارسلت به وقرئ
ابلغكم بالتخفيف اي الذي هو شاني وشرطي ان ابلغكم ما ارسلت به من الانذار والتخويف والصرف عما يعرضكم
لسخط الله بجهدي ولكنكم جاهلون لا تعلمون ان الرسل لم يبعثوا الا منذرين لا مقترحين ولا سائلين
غير ما اذن لهم فيه فلما راوه عارضا مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا في الضمير وجهان
ان يرجع الى ما تعدنا وان يكون مبهما قد وضح امره بقوله عارضا اما تمييزا واما حالا وهذا الوجه
اعرب وافصح والعارض السحاب الذي يعرض في افق السماء ومثله الحبي والعنان من حبا
وعن اذا عرض واضافة مستقبل وممطر مجازية غير معرفة فمن ثم وقعا وهما مضافان الى
معرفتين وصفا للنكرة بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم القول قبله مضمر والقائل

هود عليه السلام والدليل عليه قراءة من قرأ قال هود بل هو ما استعجلتم به هي ريح قال الله تعالى تدمر كل شيء بأمر ربها تهلك من نفوس عاد وأموالهم الجم الكثير فعبر عن الكثرة بالكلية وقرئ يدمر كل شيء من دمر دمارا إذا هلك فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين لا ترى الخطاب للرائي من كان وقرئ لا يرى على البناء للمفعول بالياء والتاء وتأويلها وهي عن الحسن لا ترى بقايا ولا أشياء منهم إلا مساكنهم ومنه بيت ذي الرمة • وما بقيت إلا الضلوع الجراشع • وليست بالقوية وقرئ لا ترى إلا مساكنهم ولا يرى إلا مسكنهم وروي أن الريح كانت تحمل الفسطاط والظعينة فترفعها في الجو حتى ترى كأنها جرادة وقيل أول من أبصر العذاب امرأة منهم قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار وروي أول ما عرفوا به أنه عذاب أنهم رأوا ما كان في الصحراء من رجالهم ومواشيهم تطير بهم الريح بين السماء والأرض فدخلوا بيوتهم وغلقوا أبوابهم فقلعت الريح الأبواب وصرعتهم وأمال الله عليهم الأحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين ثم كشفت الريح عنهم فاحتملتهم فطرحتهم في البحر وروي أن هودا عليه الصلاة والسلام لما أحس بالريح خط خطا على نفسه وعلى المؤمنين خطا إلى جنب عين تنبع وعن ابن عباس اعتزل هود ومن معه في حظيرة ما يصيبهم من الريح إلا ما يلين على الجلود وتلذه الأنفس وإنها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان إذا رأى الريح فزع وقال اللهم إني أسألك خيرها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما أرسلت به وإذا رأى مخيلة قام وقعد وجاء وذهب وتغير لونه فنقول له يا رسول الله ما تخاف فيقول إني أخاف أن يكون مثل قوم عاد حيث قالوا هذا عارض ممطرنا فإن قلت ما فائدة إضافة الرب إلى الريح قلت الدلالة على أن الريح وتصريف أعنتها مما يشهد لعظم قدرته لأنها من أعاجيب خلقه وأكابر جنوده وذكر الأمر وكونها مأمورة من جهته عز وعلا يعضد ذلك ويقويه ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه إن نافية أي فيما ما مكناكم فيه إلا أن إن أحسن في اللفظ لما في مجامعة ما مثلها من التكرير المستبشع ومثله مجتنب ألا ترى أن الأصل في مهما ماما فلبشاعة التكرير قلبوا الألف هاء ولقد أغث أبو الطيب في قوله • لعمرك ما ما بان منك لضارب • وما ضره لو اقتدى بعذوبة لفظ التنزيل فقال لعمرك إن ما بان منك لضارب وقد جعلت إن صلة مثلها فيما أنشده الأخفش •

يرجي المرء ما إن لا يراه • ويعرض دون أدناه الخطوب •

وتؤول بأنا مكناهم في مثل ما مكناكم فيه والوجه هو الأول ولقد جاء عليه غير آية في القرآن هم أحسن أثاثا ورئيا كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا وهو أبلغ في التوبيخ وأدخل في الحث على الاعتبار وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء أي من شيء من الإغناء وهو القليل منه فإن قلت بم انتصب إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون قلت بقوله فما أغنى فإن قلت لم جرى مجرى التعليل قلت لاستواء مؤدى التعليل والظرف في قولك ضربته لإساءته وضربته إذ أساء لأنك إذا ضربته في وقت إساءته فإنما ضربته فيه لوجود إساءته فيه إلا أن إذ وحيث غلبتا دون سائر الظروف في ذلك ولقد أهلكنا ما حولكم يا أهل مكة من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون من القرى من حجر ثمود وقرية عاد وسدوم وغيرها والمراد أهل القرى ولذلك قال لعلهم يرجعون فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة القربان ما تقرب به إلى الله أي اتخذوهم شفعاء متقربا بهم إلى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وأحد مفعولي اتخذ الراجع إلى الذين المحذوف والثاني آلهة وقربانا حال ولا يصح أن يكون مفعولا ثانيا وآلهة بدلا منه لفساد المعنى وقرئ قربانا بضم الراء والمعنى فهلا منعهم من الهلاك آلهتهم بل ضلوا عنهم أي غابوا عن نصرتهم وذلك إفكهم وما كانوا يفترون وذلك إشارة إلى امتناع نصرة آلهتهم لهم وضلالهم عنهم أي وذلك أثر إفكهم الذي هو اتخاذهم إياها آلهة وثمرة شركهم وافترائهم على الله الكذب من كونه ذا شركاء وقرئ أفكهم والأفك والإفك كالحذر والحذر وقرئ أفكهم أي وذلك الذي هذا أثره وثمرته صرفهم عن الحق وقرئ أفكهم على التشديد للمبالغة وآفكهم جعلهم آفكين وآفكهم أي قولهم الإفك ذو الإفك كما تقول قول كاذب وذلك إفك مما كانوا يفترون أي بعض ما كانوا يفترون من الإفك وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن أملناهم إليك وأقبلنا بهم نحوك وروي

صرفنا بالتشديد لأنهم جماعة والنفر دون العشرة ويجمع أنفارا وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه لو كان هاهنا أحد من أنفارنا فلما حضروه الضمير للقرآن أي فلما كان بمسمع منهم أو لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتعضده قراءة من قرأ فلما قضى أي أتم قراءته وفرغ منها قالوا قال بعضهم لبعض أنصتوا اسكتوا مستمعين يقال أنصت لكذا واستنصت له فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين روي أن الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا ما هذا إلا لنبأ حدث فنهض سبعة نفر أو تسعة من أشراف جن نصيبين أو نينوى منهم زوبعة فضربوا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا إلى وادي نخلة فوافوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو قائم في جوف الليل يصلي أو في صلاة الفجر فاستمعوا لقراءته وذلك عند منصرفه من الطائف حين خرج إليهم يستنصرهم فلم يجيبوه إلى طلبته وأغروا به سفهاء ثقيف وعن سعيد بن جبير رحمه الله ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الجن ولا رآهم وإنما كان يتلو في صلاته فمروا به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر فأنبأه الله باستماعهم وقيل بل أمر الله رسوله أن ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف إليه نفرا منهم جمعهم له فقال إني أمرت أن أقرأ على الجن الليلة فمن يتبعني قالها ثلاثا فأطرقوا إلا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال لم يحضره ليلة الجن أحد غيري فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة في شعب الحجون فخط لي خطا وقال لا تخرج منه حتى أعود إليك ثم افتتح القرآن وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وغشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما أسمع صوته ثم انقطعوا كقطع السحاب فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هل رأيت شيئا قلت نعم رجالا سودا مستثفري ثياب بيض فقال أولئك جن نصيبين وكانوا اثني عشر ألفا والسورة التي قرأها عليهم اقرأ باسم ربك قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم فإن قلت كيف قالوا من بعد موسى قلت عن عطاء أنهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس أن الجن لم تكن سمعت بأمر عيسى فلذلك قالت من بعد موسى فإن قلت لم بعض في قوله من ذنوبكم قلت لأن من الذنوب ما لا يغفر بالإيمان كذنوب المظالم ونحوها ونحوه قوله عز وعلا أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم فإن قلت هل للجن ثواب كالإنس قلت اختلفوا فيه فقيل لا ثواب لهم إلا النجاة من النار لقوله ويجركم من عذاب أليم وإليه كان يذهب أبو حنيفة رحمه الله والصحيح أنهم في حكم بني آدم لأنهم مكلفون مثلهم ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض أي لا ينجي منه مهرب ولا يسبق قضاءه سابق ونحوه قوله وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هربا وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى إنه على كل شيء قدير بقادر محله الرفع لأنه خبر أن يدل عليه قراءة عبد الله قادر وإنما دخلت الباء لاشتمال النفي في أول الآية على أن وما في حيزها وقال الزجاج لو قلت ما ظننت أن زيدا بقائم جاز كأنه قيل أليس الله بقادر ألا ترى إلى وقوع بلى مقررة للقدرة على كل شيء من البعث وغيره لا لرؤيتهم وقرئ يقدر ويقال عييت بالأمر إذا لم تعرف وجهه ومنه أفعيينا بالخلق الأول ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون أليس هذا بالحق محكي بعد قول مضمر وهذا المضمر هو ناصب الظرف وهذا إشارة إلى العذاب بدليل قوله تعالى فذوقوا العذاب والمعنى التهكم بهم والتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله ووعيده وقولهم وما نحن بمعذبين فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل أولوا الجد والثبات والصبر ومن يجوز أن تكون للتبعيض ويراد بأولي العزم بعض الأنبياء قيل هم نوح صبر على أذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وإبراهيم على النار وذبح ولده وإسحق على الذبح ويعقوب على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف على الجب والسجن وأيوب على الضر وموسى قال له قومه إنا لمدركون قال كلا إن معي ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته أربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة وقال إنها معبرة فاعبروها ولا تعمروها وقال الله تعالى في آدم ولم نجد له عزما وفي يونس ولا تكن كصاحب الحوت ويجوز أن تكون للبيان فيكون أولو العزم صفة للرسل كلهم ولا تستعجل لهم كأنهم يوم

يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار ط ولا تستعجل لكفار قريش بالعذاب اي لا تدع لهم بتعجيله فانه نازل بهم لا محالة وان تأخر وانهم مستقصرون حينئذ مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبوها ساعة من نهار بلاغ اي هذا بلاغ اي هذا الذي وعظتم به كفاية في الموعظة او هذا تبليغ من الرسول فهل يهلك الا القوم الفاسقون الا الخارجون عن الاتعاظ به والعمل بموجبه ويدل على معنى التبليغ قراءة من قرأ بلغ فهل يهلك وقرئ بلاغا اي بلغوا بلاغا وقرئ يهلك بفتح الياء وكسر اللام وفتحها من هلك وهلك ونهلك بالنون الا القوم الفاسقين عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة من الدنيا

سورة محمد صلى الله عليه وآله وسلم مدنية وعن مجاهد والضحاك وسعيد بن جبير مكية وهي سورة القتال وهي تسع وثلاثون وقيل ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

الذين كفروا وصدوا واعرضوا وامتنعوا عن سبيل الله عن الدخول في الاسلام او صدوا واعرضوا غيرهم عنه قال ابن عباس رضي الله عنهما هم المطعمون يوم بدر وعن مقاتل كانوا اثني عشر رجلا من اهل الشرك يصدون الناس عن الاسلام ويأمرونهم بالكفر وقيل هم اهل الكتاب الذين كفروا وصدوا من اراد منهم ومن غيرهم ان يدخل في الاسلام وقيل هو عام في كل من كفر وصد اضل اعمالهم ابطلها واحبطها وحقيقته جعلها ضالة له ضائعة ليس لها من يتقبلها ويثيب عليها كالضالة من الابل التي هي بمضيعة لا رب لها يحفظها ويعتني بامرها او جعلها ضالة في كفرهم ومعاصيهم مغلوبة بها كما يضل الماء في اللبن واعمالهم ما عملوا في كفرهم مما كانوا يسمونه مكارم من صلة الارحام وفك الاسارى وقرى الاضياف وحفظ الجوار وقيل ابطل ما عملوه من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والصد عن سبيل الله بان نصره عليهم واظهر دينه على الدين كله والذين امنوا وعملوا الصالحات قال مقاتل هم ناس من قريش وقيل من الانصار وقيل هم مؤمنو اهل الكتاب وقيل هو عام وقوله وامنوا بما نزل على محمد اختصاص للايمان بالمنزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من بين ما يجب الايمان به تعظيما لشأنه وتعليما لانه لا يصح الايمان ولا يتم الا به واكد ذلك بالجملة الاعتراضية التي هي قوله وهو الحق من ربهم وقيل معناها ان دين محمد هو الحق اذ لا يرد عليه النسخ وهو ناسخ لغيره وقرئ نزل وانزل على البناء للمفعول ونزل على البناء للفاعل ونزل بالتخفيف كفر عنهم سيئاتهم ستر بايمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصي لرجوعهم عنها وتوبتهم واصلح بالهم اي حالهم وشأنهم بالتوفيق في امور الدين وبالتسلط على الدنيا بما اعطاهم من النصرة والتأييد ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم ذلك مبتدأ وما بعده خبره اي ذلك الامر وهو اضلال اعمال احد الفريقين وتكفير سيئات الثاني كائن بسبب اتباع هؤلاء الباطل وهؤلاء الحق ويجوز ان يكون ذلك خبر مبتدأ محذوف اي الامر كما ذكر بهذا السبب فيكون محل الجار والمجرور منصوبا على هذا او مرفوعا على الاول والباطل ما لا ينتفع به وعن مجاهد الباطل الشيطان وهذا الكلام يسميه علماء البيان التفسير كذلك مثل ذلك الضرب يضرب الله للناس امثالهم والضمير راجع الى الناس او الى المذكورين من الفريقين على معنى انه يضرب امثالهم لاجل الناس ليعتبروا بهم فان قلت اين ضرب الامثال قلت في ان جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار واتباع الحق مثلا لعمل المؤمنين او في ان جعل الاضلال مثلا لخيبة الكفار وتكفير السيئات مثلا لفوز المؤمنين فاذا لقيتم الذين كفروا لقيتم من اللقاء وهو الحرب فضرب الرقاب اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر فانيب منابه مضافا الى المفعول وفيه اختصار مع اعطاء معنى التوكيد لانك تذكر المصدر وتدل على الفعل بالنصبة التي فيه دون غيرها من الاعضاء وذلك انهم يقولون ضرب الامير رقبة فلان وضرب عنقه وعلاوته وضرب ما فيه عيناه اذا قتله وذلك ان قتل الانسان اكثر

ما يكون بضرب رقبته فوقع عبارة عن القتل وان ضرب غير رقبته من المقاتل كما ذكرنا في قوله بما كسبت ايديكم على ان في هذه العبارة من الغلظة والشدة ما ليس في لفظ القتل لما فيه من تصوير القتل باشنع صورة وهو حز العنق واطارة العضو الذي هو رأس البدن وعلوه واوجه اعضائه ولقد زاد في هذه الغلظة في قوله فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان حتى اذا اثخنتموهم اكثرتم قتلهم واغلظتموه من الشيء الثخين وهو الغليظ او اثقلتموهم بالقتل والجراح حتى اذهبتم عنهم النهوض فشدوا الوثاق فاسروهم والوثاق بالفتح والكسر اسم ما يوثق به فاما منا بعد واما فداء منا وفداء منصوبان بفعليهما مضمرين اي فاما تمنون منا واما تفدون فداء والمعنى التخيير بعد الاسر بين ان يمنوا عليهم فيطلقوهم وبين ان يفادوهم فان قلت كيف حكم اسارى المشركين قلت اما عند ابي حنيفة واصحابه فاحد امرين اما قتلهم واما استرقاقهم ايهما رأى الامام ويقولون في المن والفداء المذكورين في الاية نزل ذلك يوم بدر ثم نسخ وعن مجاهد ليس اليوم من ولا فداء انما هو الاسلام او ضرب العنق ويجوز ان يكون المراد بالمن ان يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا او يمن عليهم فيخلوا لقبولهم الجزية وكونهم من اهل الذمة وبالفداء ان يفادى باساراهم اسارى المسلمين فقد رواه الطحاوي مذهبا عن ابي حنيفة والمشهور انه لا يرى فداءهم لا بمال ولا بغيره خيفة ان يعودوا حربا للمسلمين واما الشافعي فيقول للامام ان يختار احد اربعة على حسب ما اقتضاه نظره للمسلمين وهو القتل والاسترقاق والفداء باسارى المسلمين والمن ويحتج بان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من على ابي عزة الجمحي وعلى اثال الحنفي وفادى رجلا برجلين من المشركين وهذا كله منسوخ عند اصحاب الرأي وقرئ فدا بالقصر مع فتح الفاء حتى تضع الحرب اوزارها اوزار الحرب آلاتها واثقالها التي لا تقوم الا بها كالسلاح والكراع قال الاعشى

واعددت للحرب اوزارها ... رماحا طوالا وخيلا ذكورا

وسميت اوزارها لانه لما لم يكن لها بد من جرها فكانها تحملها وتستقل بها فاذا انقضت فكانها وضعتها وقيل اوزارها آثامها حتى يترك اهل الحرب وهم المشركون شركهم ومعاصيهم بان يسلموا فان قلت حتى بم تعلقت قلت لا تخلو من ان تتعلق بالضرب والشد او بالمن والفداء فالمعنى على كلا المتعلقين عند الشافعي رحمه الله انهم لا يزالون على ذلك ابدا الى ان لا يكون حرب مع المشركين وذلك اذا لم يبق لهم شوكة وقيل اذا نزل عيسى عليه السلام وعند ابي حنيفة رحمه الله اذا علق بالضرب والشد فالمعنى انهم يقتلون ويؤسرون حتى تضع جنس الحرب الاوزار وذلك حين لا تبقى شوكة للمشركين واذا علق بالمن والفداء فالمعنى انه يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر اوزارها الا ان يتأول المن والفداء بما ذكرنا من التأويل ذلك اي افعلوا ذلك او الامر ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم لانتقم منهم ببعض اسباب الهلكة من خسف او رجفة او غرق او موت جارف ولكن امركم بالقتال ليبلو بعضكم ببعض المؤمنين بالكافرين بان يجاهدوا ويصبروا حتى يستوجبوا الثواب العظيم والكافرين بالمؤمنين بان يعاجلهم على ايديهم ببعض ما وجب لهم من العذاب والذين قاتلوا في سبيل الله وقرئ قتلوا بالتخفيف والتشديد وقتلوا وقاتلوا فلن يضل اعمالهم وقرئ يضل اعمالهم على البناء للمفعول ويضل اعمالهم وعن قتادة انها نزلت في يوم احد سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم اعلمها لهم وبينها بما يعلم به كل احد منزلته ودرجته من الجنة قال مجاهد يهتدي اهل الجنة الى مساكنهم منها لا يخطئون كانهم كانوا سكانها منذ خلقوا لا يستدلون عليها وعن مقاتل ان الملك الذي وكل بحفظ عمله في الدنيا يمشي بين يديه ويعرفه كل شيء اعطاه الله او طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة وفي كلام بعضهم عزف كنوح القماري وعرف كفوح القماري او حددها لهم فجنة كل احد محدودة مفرزة عن غيرها من عرف الدار وارفها والعرف والارف الحدود يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله ان تنصروا دين الله ورسوله ينصركم على عدوكم ويفتح لكم ويثبت اقدامكم في مواطن الحرب او على محجة الاسلام والذين كفروا يحتمل الرفع على الابتداء والنصب بما يفسره فتعسا لهم كانه قال اتعس الذين كفروا فان قلت علام عطف قوله واضل اعمالهم قلت على الفعل الذي نصب تعسا لانه نقيض لعا له قال الاعشى فالتعس اولى لها من ان اقول لعا يريد فالعثور والانحطاط اقرب لها من الانتعاش والثبوت وعن ابن عباس في الدنيا القتل وفي الاخرة التردي في النار ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله فاحبط اعمالهم كرهوا القرآن وما انزل الله

فيه من التكاليف والاحكام لانهم قد ألفوا الانهماك في اطلاق العنان في الشهوات والملاذ فشق عليهم ذلك
وتغاظهم **أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم** دمره
اهلكه ودمر عليه اهلك عليه ما يختص به والمعنى دمر الله عليهم ما اختص بهم من انفسهم واولادهم
واموالهم وكل ما كان لهم **وللكافرين أمثالها** الضمير للعاقبة المذكورة او للهلكة لان التدمير يدل
عليها او للسنة لقوله عز وعلا سنة الله في الذين خلوا **ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين
لا مولى لهم** مولى الذين آمنوا وليهم وناصرهم وفي قراءة ابن مسعود ولي الذين آمنوا ويروى ان رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم كان في الشعب يوم احد وقد فشت فيهم الجراحات وفيه نزلت فنادى المشركون
اعل هبل فنادى المسلمون الله اعلى واجل فنادى المشركون يوم بيوم والحرب سجال ان لنا عزى ولا
عزى لكم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قولوا الله مولانا ولا مولى لكم ان القتلى مختلفة اما قتلانا فاحياء يرزقون واما
قتلاكم ففي النار يعذبون فان قلت قوله تعالى وردوا الى الله مولاهم الحق مناقض لهذه الآية قلت
لا تناقض بينهما لان الله مولى عباده جميعا على معنى انه ربهم ومالكهم واما على معنى الناصر فهو مولى المؤمنين
خاصة **إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار والذين كفروا يتمتعون**
يتمتعون بمتاع الدنيا اياما قلائل **ويأكلون** غافلين غير متفكرين في العاقبة **كما تأكل الأنعام**
في مسارحها ومعالفها غافلة عما هي بصدده من النحر والذبح **والنار مثوى لهم** منزل ومقام
وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك وقرئ وكاين بوزن كاعن واراد بالقرية اهلها
ولذلك قال **أهلكناهم** كانه قال وكم من قوم هم اشد قوة من قومك الذين اخرجوك اهلكناهم
ومعنى اخرجوك كانوا سبب خروجك فان قلت كيف قال **فلا ناصر لهم** وانما هو امر قد مضى قلت
مجراه مجرى الحال المحكية كقولك اهلكناهم فهم لا ينصرون **أفمن كان على بينة من ربه كمن زين
له سوء عمله واتبعوا أهواءهم** من زين له هم اهل مكة الذين زين لهم الشيطان شركهم وعداوتهم لله
ولرسوله ومن كان على بينة من ربه اي على حجة من عنده وبرهان وهو القرآن المعجز وسائر المعجزات
هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقرئ أمن كان على بينة وقال سوء عمله واتبعوا للحمل على لفظ من ومعناه
**مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر
لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو
خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم** فان قلت ما معنى قوله مثل الجنة التي وعد المتقون
فيها انهار كمن هو خالد في النار قلت هو كلام في صورة الاثبات ومعنى النفي والانكار لانطوائه
تحت كلام مصدر بحرف الانكار ودخوله في حيزه وانخراطه في سلكه وهو قوله أفمن كان على بينة من ربه
كمن زين له سوء عمله فكانه قيل أمثل الجنة كمن هو خالد في النار اي كمثل جزاء من هو خالد في النار فان قلت
فلم عري من حرف الانكار وما فائدة التعرية قلت تعريته من حرف الانكار فيها زيادة تصوير لمكابرة
من يسوي بين المتمسك بالبينة والتابع لهواه وانه بمنزلة من يثبت التسوية بين الجنة التي تجري فيها الانهار
وبين النار التي يسقى اهلها الحميم ونظيره قول القائل

أفرح أن أرزأ الكرام وأن ... أورث ذودا شصائصا نبلا

هو كلام منكر للفرح برزية الكرام ووراثة الذود مع تعريه عن حرف الانكار لانطوائه تحت حكم قول من قال
أتفرح بموت اخيك وبوراثة ابله والذي طرح لاجله حرف الانكار
ارادة ان يصور قبح ما أزن به فكانه قال نعم مثلي يفرح بمرزئة الكرام وبان يستبدل منهم ذودا يقل طائله وهو
من التسليم الذي تحته كل انكار ومثل الجنة صفة الجنة العجيبة الشأن وهو مبتدأ وخبره كمن هو خالد
وقوله فيها انهار داخل في حكم الصلة كالتكرير لها الا ترى الى صحة قولك التي فيها انهار ويجوز ان يكون
خبر مبتدأ محذوف هي فيها انهار وكان قائلا قال وما مثلها فقيل فيها انهار وان يكون في موضع الحال اي
مستقرة فيها انهار وفي قراءة علي رضي الله عنه امثال الجنة اي ما صفاتها كصفات النار وقرئ أسن
يقال أسن الماء وأجن اذا تغير طعمه وريحه وانشد ليزيد بن معاوية

لقد سقتني رضابا غير ذي أسن ... كالمسك فت على ماء العناقيد

من لبن لم يتغير طعمه كما تتغير البان الدنيا فلا يعود قارصا ولا حازرا ولا ما يكره من الطعوم
لذة تأنيث لذ وهو اللذيذ او وصف بمصدر وقرئ بالحركات الثلاث فالجر على صفة الخمر

والرفع على صفة الانهار والنصب على العلة اي لاجل لذة الشاربين والمعنى ما هو الا التلذذ الخالص
ليس معه ذهاب عقل ولا خمار ولا صداع ولا آفة من آفات الخمر مصفى لم يخرج من بطون النحل فيخالطه الشمع
وغيره وماء حميما حارا اذا دنا منهم شوى وجوههم وامازت فروة رؤوسهم واذا شربوه قطع امعاءهم
**ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا أولئك الذين
طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم** هم المنافقون كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يلقون له بالا تهاونا منهم فاذا خرجوا قالوا لاولي العلم من الصحابة
ماذا قال الساعة على جهة الاستهزاء وقيل كان يخطب فاذا عاب المنافقين خرجوا فقالوا ذلك للعلماء
وقيل قالوه لعبد الله بن مسعود وعن ابن عباس انا منهم وقد سميت فيمن قيل له وقيل آنفا على فعل
نصب على الظرف قال الزجاج هو من استأنفت الشيء اذا ابتدأته والمعنى ماذا قال في اول وقت يقرب منا
والذين اهتدوا زادهم هدى زادهم الله هدى بالتوفيق **وآتاهم تقواهم** اعانهم عليها او آتاهم
جزاء تقواهم وعن السدي بين لهم ما يتقون وقرئ واعطاهم وقيل الضمير في زادهم لقول الرسول
او لاستهزاء المنافقين **فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فأنى لهم إذا جاءتهم
ذكراهم** ان تأتيهم بدل اشتمال من الساعة نحو ان تطؤوهم من قوله رجال مؤمنون ونساء مؤمنات وقرئ
ان تأتهم بالوقف على الساعة واستئناف الشرط وهو في مصاحف اهل مكة كذلك فان قلت فما جزاء
الشرط قلت قوله فأنى لهم ومعناه ان تأتهم الساعة فكيف لهم ذكراهم اي تذكرهم واتعاظهم
اذا جاءتهم الساعة يعني لا تنفعهم الذكرى حينئذ كقوله يومئذ يتذكر الانسان وأنى له الذكرى
فان قلت بم اتصل قوله فقد جاء اشراطها على القراءتين قلت باتيان الساعة اتصال العلة بالمعلول
كقولك ان اكرمني زيد فانا حقيق بالاكرام اكرمه والاشراط العلامات قال ابو الاسود

فان كنت قد ازمعت بالصرم بيننا ... فقد جعلت اشراط اوله تبدو

وقيل مبعث محمد خاتم الانبياء صلوات الله عليه وعليهم ومنها انشقاق القمر والدخان وعن الكلبي كثرة
المال والتجارة وشهادة الزور وقطع الارحام وقلة الكرام وكثرة اللئام وقرئ بغتة بوزن
جربة وهي غريبة لم ترد في المصادر وهي مروية عن ابي عمرو وما اخوفني ان تكون غلطة من
الراوي على ابي عمرو وان يكون الصواب بغتة بفتح الغين من غير تشديد كقراءة الحسن فيما
تقدم **فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم**
لما ذكر احوال المؤمنين وحال الكافرين قال اذا علمت ان الامر كما ذكر من سعادة هؤلاء وشقاوة
هؤلاء فاثبت على ما انت عليه من العلم بوحدانية الله وعلى التواضع وهضم النفس باستغفار ذنبك
وذنوب من على دينك والله يعلم احوالكم ومتصرفاتكم ومتقلبكم في معايشكم ومتاجركم
ويعلم حيث تستقرون في منازلكم او متقلبكم في حياتكم ومثواكم في القبور او متقلبكم في
اعمالكم ومثواكم من الجنة والنار ومثله حقيق بان يتقى ويخشى وان يستغفر ويسترحم وعن
سفيان بن عيينة انه سئل عن فضل العلم فقال الم تسمع قوله فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك
فامر بالعمل بعد العلم وقال اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو الى قوله سابقوا وقال واعلموا انما اموالكم
واولادكم فتنة ثم قال بعد فاحذروهم وقال واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه ثم امر بالعمل بعد ذلك **ويقول الذين
آمنوا لولا نزلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال** كانوا يدعون الحرص على
الجهاد ويتمنونه بالسنتهم ويقولون لولا انزلت سورة في معنى الجهاد فاذا انزلت سورة وامروا فيها
بما تمنوا وحرصوا عليه كاعوا وشق عليهم وسقطوا في ايديهم كقوله فلما كتب عليهم القتال اذا فريق
منهم يخشون الناس محكمة مبينة غير متشابهة لا تحتمل وجها الا وجوب القتال وعن قتادة كل
سورة فيها ذكر القتال فهي محكمة وهي اشد القرآن على المنافقين وقيل لها محكمة لان النسخ لا يرد عليها
من قبل ان القتال قد نسخ ما كان من الصفح والمهادنة وهو غير منسوخ الى يوم القيامة وقيل هي المحدثة
لانها حين يحدث نزولها لا يتناولها النسخ ثم تنسخ بعد ذلك او تبقى غير منسوخة وفي قراءة عبد الله سورة
محدثة وقرئ فاذا انزلت سورة وذكر فيها القتال على البناء للفاعل ونصب القتال **رأيت الذين في
قلوبهم مرض** هم الذين كانوا على حرف غير ثابتي الاقدام **ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت**
اي تشخص ابصارهم جبنا وهلعا كما ينظر من اصابته الغشية عند الموت **فأولى لهم** وعيد بمعنى فويل

وهو افعل من الولي وهو القرب ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه طاعة وقول معروف كلام
مستأنف اي طاعة وقول معروف خير لهم وقيل هي حكاية قولهم اي قالوا طاعة وقول معروف بمعنى
أمرنا طاعة وقول معروف وتشهد له قراءة أبي يقولون طاعة وقول معروف فاذا عزم الامر اي جد وا
والعزم والجد لاصحاب الامر وانما يسندان الى الامر اسنادا مجازيا ومنه قوله تعالى ان ذلك من عزم
الامور فلو صدقوا الله فيما زعموا من الحرص على الجهاد او فلو صدقوا في ايمانهم وواطأت قلوبهم السنتهم
لكان خيرا لهم فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم عسيت وعسيتم
لغة اهل الحجاز واما بنو تميم فيقولون عسى ان تفعل وعسى ان تفعلوا ولا يلحقون الضمائر وقرأ نافع
بكسر السين وهو غريب وقد نقل الكلام من الغيبة الى الخطاب على طريقة الالتفات ليكون ابلغ
في التوبيخ فان قلت ما معنى فهل عسيتم ان تفسدوا في الارض قلت معناه هل يتوقع منكم الافساد فان
قلت فكيف يصح هذا في كلام الله عز وعلا وهو عالم بما كان وبما يكون قلت معناه انكم لما عهد منكم
احقاء بان يقول لكم كل من ذاقكم وعرف تمريضكم ورخاوة عقدكم في الايمان يا هؤلاء ما ترون
هل يتوقع منكم ان توليتم امور الناس وتأمرتم عليهم لما تبين منكم من الشواهد ولاح من المخايل ان
تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم تناحرا على الملك وتهالكا على الدنيا وقيل ان اعرضتم وتوليتم
عن امر رسول الله وسنته ان ترجعوا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من الافساد في الارض بالتغاور
والتناهب وقطع الارحام بمقاتلة بعض الاقارب بعضا ووأد البنات وقرئ وليتم وفي قراءة علي بن ابي طالب
رضي الله عنه توليتم اي تولاكم ولاة غشمة خرجتم معهم ومشيتم تحت لوائهم وافسدتم بافسادهم
وقرئ وتقطعوا وتقطعوا من التقطيع والتقطع اولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى ابصارهم
اولئك اشارة الى المذكورين لعنهم الله لافسادهم وقطعهم الارحام فمنعهم الطافه وخذلهم حتى
صموا عن استماع الموعظة وعموا عن ابصار طريق الهدى ويجوز ان يريد بالذين امنوا المؤمنين الخلص الثابتين
وانهم يتشوقون الى الوحي اذا ابطأ عليهم فاذا انزلت سورة في معنى الجهاد رأيت المنافقين فيما بينهم
يضجرون منها افلا يتدبرون القرآن ويتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر ووعيد العصاة حتى لا
يجسروا على المعاصي ثم قال ام على قلوب اقفالها وام بمعنى بل وهمزة التقرير للتسجيل عليهم بان قلوبهم
مقفلة لا يتوصل اليها ذكر وعن قتادة اذن والله يجدوا في القرآن زاجرا عن معصية الله لو تدبروه
ولكنهم اخذوا بالمتشابه فهلكوا فان قلت لم نكرت القلوب واضيفت الاقفال اليها قلت اما التنكير
ففيه وجهان ان يراد على قلوب قاسية مبهم امرها في ذلك او يراد على بعض القلوب وهي قلوب المنافقين
واما اضافة الاقفال فلانه يريد الاقفال المختصة بها وهي اقفال الكفر التي استغلقت فلا تنفتح وقرئ
اقفالها على المصدر ان الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم
الشيطان سول لهم جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبرا لان كقولك ان زيدا عمرو مر به سول لهم سهل لهم
ركوب العظائم من السول وهو الاسترخاء وقد اشتقه من السؤل من لا علم له بالتصريف والاشتقاق
جميعا واملى لهم ومد لهم في الآمال والاماني واملى لهم بتغرات الشيطان بغويهم وانما انظرهم كقوله انما نملي
لهم وقرئ واملي لهم على البناء للمفعول اي امهلوا ومد لهم في عمرهم وقرئ سول لهم ومعناه كيد
الشيطان زين لهم على تقدير حذف المضاف فان قلت من هؤلاء قلت اليهود كفروا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم
من بعد ما تبين لهم الهدى وهو نعته في التوراة وقيل هم المنافقون ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا
ما نزل الله سنطيعكم في بعض الامر الذين قالوا القائلون هم اليهود والذين كرهوا ما انزل
الله المنافقون وقيل عكسه وانه قول المنافقين لقريظة والنضير لئن اخرجتم لنخرجن معكم وقيل
بعض الامر التكذيب برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم او بلا اله الا الله او ترك القتال معه وقيل هو اخبار
القرشيين للمشركين سنطيعكم في التظافر على عداوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والقعود
عن الجهاد معه ومعنى في بعض الامر في بعض ما تأمرون به او في بعض الامر الذي يهمكم والله يعلم اسرارهم
وقرئ اسرارهم على المصدر قالوا ذلك سرا فيما بينهم فافشاه الله عليهم فكيف اذا توفتهم الملائكة
يضربون وجوههم وادبارهم فكيف يعملون وما حيلتهم حينئذ وقرئ توفاهم ويحتمل ان يكون ماضيا
ومضارعا قد حذفت احدى تاءيه كقوله تعالى ان الذين توفاهم الملائكة وعن ابن عباس رضي الله
عنهما لا يتوفى احد على معصية الله الا تضرب من الملائكة في وجهه ودبره ذلك بانهم اتبعوا ما

اسخط الله

اسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط اعمالهم ذلك اشارة الى التوفي الموصوف ما اسخط الله
من كتمان نعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورضوانه الايمان برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ام حسب
الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم احقادهم واخراجها ابرازها لرسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم وللمؤمنين واظهاره لهم على نفاقهم وعداوتهم لهم وكانت صدورهم تغلي حنقا عليهم
ولو نشاء لاريناكهم لعرفناكهم ودللناك عليهم حتى تعرفهم باعيانهم لا يخفون عليك فلعرفتهم
بسيماهم بعلامتهم وهو ان يسمهم الله بعلامة يعلمون بها وعن انس رضي الله عنه ما خفي على رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد هذه الآية شيء من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا في بعض
الغزوات وفيها تسعة من المنافقين يشكوهم الناس فناموا ذات ليلة واصبحوا وعلى جبهة كل واحد منهم
هذا منافق ولتعرفنهم فان قلت اي فرق بين اللامين في فلعرفتهم ولتعرفنهم قلت الاولى
هي الداخلة في جواب لو كالتي في لاريناكهم كررت في المعطوف واما اللام في ولتعرفنهم فواقعة
مع النون في جواب قسم محذوف في لحن القول والله يعلم اعمالكم في نحوه واسلوبه وعن ابن عباس رضي الله
عنهما هو قولهم ما لنا ان اطعنا من الثواب ولا يقولون ما علينا ان عصينا وقيل اللحن ان تلحن بكلامك
الى نحو من الانحاء ليفطن له صاحبك كالتعريض والتورية وقال

ولقد لحنت لكم لكيما تفقهوا ۝ واللحن يعرفه ذوو الالباب ۝

وقيل للمخطئ لاحن لانه يعدل بالكلام عن الصواب ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين
ونبلو اخباركم ما يحكى عنكم وما يخبر به عن اعمالكم ليعلم حسنها من قبيحها لان الخبر على حسب
المخبر عنه ان حسنا فحسن وان قبيحا فقبيح وقرأ يعقوب ونبلو بسكون الواو على معنى ونحن
نبلو اخباركم وقرئ وليبلونكم ويبلو بالياء وعن الفضيل انه كان اذا قرأها بكى وقال اللهم لا تبلنا
فانك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت استارنا وعذبتنا ان الذين كفروا وصدوا عن
سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئا وسيحبط اعمالهم
التي عملوها في دينهم يرجون بها الثواب لانها مع كفرهم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باطلة وهم
قريظة والنضير وسيحبط اعمالهم التي عملوها والمكائد التي نصبوها في مشاقة الرسول اي سيبطلها
فلا يصلون منها الى اغراضهم بل يستضرون بها ولا تثمر لهم الا القتل والجلاء عن اوطانهم وقيل هم رؤساء
قريش والمطعمون يوم بدر يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم
اي لا تحبطوا الطاعات بالكبائر كقوله تعالى لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الى ان قال ان تحبط
اعمالكم وعن ابي العالية كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرون انه لا يضر مع الايمان ذنب كما
لا ينفع مع الشرك عمل حتى نزلت ولا تبطلوا اعمالكم فكانوا يخافون الكبائر على اعمالهم وعن حذيفة
فخافوا ان تحبط اعمالهم وعن ابن عمر كنا نرى انه ليس شيء من حسناتنا الا مقبولا حتى نزلت ولا تبطلوا
اعمالكم فقلنا ما هذا الذي يبطل اعمالنا فقلنا الكبائر الموجبات والفواحش حتى نزلت ان الله لا
يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فكففنا عن القول في ذلك فكنا نخاف على من اصاب
الكبائر ونرجو لمن لم يصبها وعن قتادة رحم الله عبدا لم يحبط عمله الصالح بعمله السيئ وقيل لا تبطلوها
بمعصيتهما وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا تبطلوها بالرياء والسمعة وعنه بالشك والنفاق وقيل
بالعجب فان العجب يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقيل لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى
ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم قيل هم اصحاب
القليب والظاهر العموم فلا تهنوا وتدعوا الى السلم فلا تضعفوا ولا تذلوا للعدو ولا تدعوا الى السلم
وقرئ السلم وهما المسالمة وانتم الاعلون اي الاغلبون الاقهرون والله معكم اي ناصركم وعن
قتادة لا تكونوا اول الطائفتين ضرعت الى صاحبتها بالموادعة وقرئ ولا تدعوا من ادعى القوم وتداعوا
اذا دعوا نحو قولك ارتموا الصيد وتراموه وتدعوا مجزوم لدخوله في حكم النهي او منصوب لاضمار ان
نحو قوله وانتم الاعلون في قوله انك انت الاعلى ولن يتركم اعمالكم من وترت الرجل اذا قتلت له قتيلا من ولد
او اخ او حميم او حربته وحقيقته افردته من قريبه او ماله من الوتر وهو الفرد فشبه اضاعة عمل العامل
وتعطيل ثوابه بوتر الواتر وهو من فصيح الكلام ومنه قوله عليه الصلاة والسلام من فاتته صلاة العصر
فكانما وتر اهله وماله اي افرد عنهما قتلا ونهبا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وان تؤمنوا وتتقوا

يؤتكم أجوركم ثواب إيمانكم وتقواكم ولا يسألكم أموالكم أي ولا يسألكم جميعها إنما يقتصر منكم على ربع العشر ثم قال إن يسألكموها فيحفكم أي يجهدكم ويطلبه كله والإحفاء المبالغة وبلوغ الغاية في كل شيء يقال أحفاه في المسألة إذا لم يترك شيئا من الإلحاح وأحفى شاربه استأصله تبخلوا ويخرج أضغانكم أي يضطغنون على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتضيق صدوركم لذلك وأظهرتم كراهتكم ومقتكم لدين يذهب بأموالكم والضمير في يخرج لله عز وجل أي يضغنكم بطلب أموالكم أو للبخل لأنه سبب الأضغان وقرئ نخرج بالنون ويخرج بالياء والتاء مع فتحهما ورفع أضغانكم ها أنتم هؤلاء هؤلاء موصول بمعنى الذين صلته تدعون أي أنتم الذين تدعون أو أنتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون ثم استأنف وصفهم كأنهم قالوا وما وصفنا فقيل تدعون لتنفقوا في سبيل الله قيل هي النفقة في الغزو وقيل الزكاة كأنه قيل الدليل على أنه لو أحفاكم لبخلتم ثم قال ومن يبخل بالصدقة وأداء الفريضة فإنما يبخل عن نفسه فلا يتعداه ضرر بخله وإنما يبخل عن نفسه يقال بخلت عليه وعنه وكذلك ضننت عليه وعنه والله الغني وأنتم الفقراء ثم أخبر أنه لا يأمر بذلك ولا يدعوكم إليه لحاجته فهو الغني الذي تستحيل عليه الحاجات ولكن لحاجتكم وفقركم إلى الثواب وإن تتولوا معطوف على وإن تؤمنوا وتتقوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم يخلق قوما سواكم على خلاف صفتكم راغبين في الإيمان والتقوى غير متولين عنهما كقوله ويأت بخلق جديد وقيل هم الملائكة وقيل الأنصار وعن ابن عباس كندة والنخع وعن الحسن العجم وعن عكرمة فارس والروم وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن القوم وكان سلمان إلى جنبه فضرب على فخذه وقال هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الإيمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة محمد كان حقا على الله أن يسقيه من أنهار الجنة

سورة الفتح مدنية وهي تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا فتحنا لك فتحا مبينا هو فتح مكة وقد نزلت مرجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من مكة عام الحديبية عدة له بالفتح وجيء به على لفظ الماضي على عادة رب العزة سبحانه في أخباره لأنها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر ما لا يخفى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا فإن قلت كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة قلت لم يجعل علة للمغفرة ولكن لاجتماع ما عدد من الأمور الأربعة وهي المغفرة وإتمام النعمة وهداية الصراط والنصر العزيز كأنه قيل يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على عدوك لنجمع لك بين عز الدارين وأغراض العاجل والآجل ويجوز أن يكون فتح مكة من حيث إنه جهاد للعدو سببا للغفران والثواب والفتح والظفر بالبلد عنوة أو صلحا بحرب أو بغير حرب لأنه منغلق ما لم يظفر به فإذا ظفر به وحصل في اليد فقد فتح وقيل هو فتح الحديبية ولم يكن فيه قتال شديد ولكن ترام بين القوم بسهام وحجارة وعن ابن عباس رضي الله عنهما رموا المشركين حتى أدخلوهم ديارهم وعن الكلبي ظهروا عليهم حتى سألوا الصلح فإن قلت كيف يكون فتحا وقد أحصروا فنحروا وحلقوا بالحديبية قلت كان ذلك قبل الهدنة فلما طلبوها وتمت كان فتحا مبينا وعن موسى بن عقبة أقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الحديبية راجعا فقال رجل من أصحابه ما هذا بفتح لقد صددنا عن البيت وصد هدينا فبلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال بئس الكلام هذا بل هو أعظم الفتوح وقد رضي المشركون أن يدفعوكم عن بلادهم بالراح ويسألوكم القضية ويرغبوا إليكم في الأمان وقد رأوا منكم ما كرهوا وعن الشعبي نزلت بالحديبية وأصاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في تلك الغزوة ما لم يصب في غزوة أصاب أن بويع بيعة الرضوان وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وظهرت الروم على فارس وبلغ الهدي محله وأطعموا نخل خيبر وكان في فتح الحديبية آية عظيمة وذلك أنه نزح ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان

معه وقيل فجاش الماء حتى امتلأت ولم ينفد ماؤها بعد وقيل هو فتح خيبر وقيل فتح الروم وقيل فتح الله له بالإسلام والنبوة والدعوة بالحجة والسيف ولا فتح أبين منه وأعظم وهو رأس الفتوح كلها إذ لا فتح من فتوح الإسلام إلا وهو تحته ومتشعب منه وقيل معناه قضينا لك قضاء بينا على أهل مكة أن تدخلها أنت وأصحابك من قابل لتطوفوا بالبيت من الفتاحة وهي الحكومة وكذا عن قتادة ما تقدم من ذنبك وما تأخر يريد جميع ما فرط منك وعن مقاتل ما تقدم في الجاهلية وما بعدها وقيل ما تقدم من حديث مارية وما تأخر من امرأة زيد نصرا عزيزا فيه عز ومنعة أو وصف بصفة المنصور إسنادا مجازيا أو عزيزا صاحبه هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم السكينة للسكون كالبهيتة للبهتان أي أنزل الله في قلوبهم السكون والطمأنينة بسبب الصلح والأمن ليعرفوا فضل الله عليهم بتيسير الأمن بعد الخوف والهدنة غب القتال فيزدادوا يقينا إلى يقينهم أو أنزل فيها السكون إلى ما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الشرائع ليزدادوا إيمانا بالشرائع مقرونا إلى إيمانهم وهو التوحيد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أول ما أتاهم به النبي صلى الله عليه وآله وسلم التوحيد فلما آمنوا بالله وحده أنزل الصلاة والزكاة ثم الحج ثم الجهاد فازدادوا إيمانا إلى إيمانهم أو أنزل فيها الوقار والعظمة لله ولرسوله ليزدادوا باعتقاد ذلك إيمانا إلى إيمانهم وقيل أنزل فيها الرحمة ليتراحموا فيزداد إيمانهم ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عليما حكيما ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عزيزا حكيما ولله جنود السماوات والأرض يسلط بعضها على بعض كما يقتضيه علمه وحكمته ومن قضيته أن سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديبية ووعدهم أن يفتح لهم وإنما قضى ذلك ليعرف المؤمنون نعمة الله فيه ويشكروها فيستحقوا الثواب فيثيبهم ويعذب الكافرين والمنافقين لما غاظهم من ذلك وكرهوه وقع السوء عبارة عن رداءة الشيء وفساده والصدق عن جودته وصلاحه فقيل في المرضي الصالح من الأفعال فعل صدق وفي المسخوط الفاسد منها فعل سوء ومعنى ظن السوء ظنهم أن الله لا ينصر الرسول والمؤمنين ولا يرجعهم إلى مكة ظافرين فاتحيها عنوة وقهرا عليهم دائرة السوء أي ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم والسوء الهلاك والدمار وقرئ دائرة السوء بالفتح أي الدائرة التي يذمونها ويسخطونها فهي عندهم دائرة سوء وعند المؤمنين دائرة صدق فإن قلت هل من فرق بين السوء والسوء قلت هما كالكره والكره والضعف والضعف من ساء إلا أن المفتوح غلب في أن يضاف إليه ما يراد ذمه من كل شيء وأما السوء فجار مجرى الشر الذي هو نقيض الخير يقال أراد به السوء وأراد به الخير ولذلك أضيف الظن إلى المفتوح لكونه مذموما وكانت الدائرة محمودة فكان حقها أن لا تضاف إليه إلا على التأويل الذي ذكرنا وأما دائرة السوء بالضم فلأن الذي أصابهم مكروه وشدة فصح أن يقع عليه اسم السوء كقوله عز وعلا إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا تشهد على أمتك كقوله ويكون الرسول عليكم شهيدا لتؤمنوا الضمير للناس وتعزروه وتقووه بالنصرة وتوقروه وتعظموه وتسبحوه من التسبيح أو من السبحة والضمائر لله عز وجل والمراد بتعزير الله تعزير دينه ورسوله ومن فرق الضمائر فقد أبعد وقرئ ليؤمنوا وكذلك الأفعال الثلاثة وبالتاء والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولأمته وقرئ وتعزروه بضم الزاي وكسرها وتعزروه بضم التاء والتخفيف وتعززوه بالزايين وتوقروه من أوقره بمعنى وقره وتسبحوا الله بكرة وأصيلا عن ابن عباس رضي الله عنهما صلاة الفجر وصلاة الظهر والعصر إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما لما قال إنما يبايعون الله أكده تأكيدا على طريقة التخييل فقال يد الله فوق أيديهم يريد أن يد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التي تعلو أيدي المبايعين هي يد الله والله منزه من الجوارح وعن صفات الأجسام وإنما المعنى تقرير أن عقد الميثاق مع

الرسول كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله والمراد
بيعة الرضوان فانما ينكث على نفسه فلا يعود ضرر نكثه الا عليه قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه بايعنا رسول
الله صلى الله عليه واله وسلم تحت الشجرة على الموت وعلى ان لا نفر فما نكث احد منا البيعة الا جد بن قيس
وكان منافقا اختبا تحت ابط بعيره ولم يسر مع القوم وقرئ ينكث بضم الكاف وكسرها ومن اوفى بما عاهد عليه الله يقال وفيت
بالعهد واوفيت به وهي لغة تهامة ومنها اوفوا بالعقود والموفون بعهدهم سيقول لك المخلفون
من الاعراب شغلتنا اموالنا واهلونا فاستغفر لنا هم الذين خلفوا عن الحديبية وهم اعراب
غفار ومزينة وجهينة واشجع واسلم والديل وذلك انه صلى الله عليه واله وسلم حين اراد المسير الى مكة
عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل البوادي ليخرجوا معه حذرا من
قريش ان يعرضوا له بحرب او يصدوه عن البيت واحرم هو صلى الله عليه واله وسلم وساق معه الهدي
ليعلم انه لا يريد حربا فتثاقل كثير من الاعراب وقالوا نذهب الى قوم قد غزوه في عقر داره وقتلوا
اصحابه فنقاتلهم وظنوا انه يهلك فلا ينقلب الى المدينة واعتلوا بالشغل باهاليهم واموالهم وانه ليس
لهم من يقوم باشغالهم وقرئ شغلتنا بالتشديد يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم تكذيب لهم
في اعتذارهم وان الذي خلفهم ليس بما يقولون وانما هو الشك في الله والنفاق وطلبهم الاستغفار
ايضا ليس بصادر عن حقيقة قل فمن يملك لكم من الله شيئا فمن يمنعكم من مشيئة الله وقضائه ان اراد
بكم ضرا ما يضركم من قتل او هزيمة او اراد بكم نفعا من ظفر وغنيمة وقرئ ضرا بالفتح والضم بل كان الله بما
تعملون خبيرا بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا وزين ذلك في قلوبكم وظننتم
ظن السوء وكنتم قوما بورا الاهلون جمع اهل ويقال اهلات على تقدير تاء التانيث كارض
وارضات وقد جاء اهلة واما اهال فاسم جمع كليال وقرئ الى اهلهم وزين على البناء للفاعل وهو الشيطان
او الله عز وجل وكلاهما جاء في القران زين لهم الشيطان اعمالهم زينا لهم اعمالهم والبور من بار كالهلك من
هلك بناء ومعنى ولذلك وصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ويجوز ان يكون جمع بائر كعائذ
وعوذ والمعنى وكنتم قوما فاسدين في انفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم او هالكين
عند الله مستوجبين لسخطه وعقابه ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا مقام
للايذان بان من لم يجمع بين الايمانين الايمان بالله وبرسوله فهو كافر ونكر سعيرا لانها نار مخصوصة
كما نكر نارا تلظى ولله ملك السموات والارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء يدبره تدبير قادر
حكيم فيغفر ويعذب بمشيئته ومشيئته تابعة لحكمته وحكمته المغفرة للتائب وتعذيب المصر
وكان الله غفورا رحيما رحمته سابقة لغضبه حيث يكفر السيئات باجتناب الكبائر ويغفر
الكبائر بالتوبة سيقول المخلفون الذين تخلفوا عن الحديبية اذا انطلقتم الى مغانم الى مغانم خيبر
لتاخذوها ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله وقرئ كلم الله اي ان يغيروا موعد الله
لاهل الحديبية وذلك انه وعدهم ان يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر اذا قفلوا موادعين لا يصيبون منهم
شيئا وقيل هو قوله لن تخرجوا معي ابدا قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل
تحسدوننا ان نصيب معكم من الغنائم وقرئ بضم السين وكسرها بل كانوا لا يفقهون الا قليلا
لا يفهمون الا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا دون امور الدين كقوله تعالى يعلمون ظاهرا
من الحيوة الدنيا فان قلت ما الفرق بين حرفي الاضراب قلت الاول اضراب معناه رد ان يكون
حكم الله ان لا يتبعوهم واثبات الحسد والثاني اضراب عن وصفهم باضافة الحسد الى المؤمنين الى وصفهم
بما هو اطم منه وهو الجهل قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم اولي باس شديد تقاتلونهم او
يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم
عذابا اليما هم الذين تخلفوا عن الحديبية الى قوم اولي باس شديد يعني بني حنيفة قوم مسيلمة
واهل الردة الذين حاربهم ابو بكر الصديق رضي الله عنه لان مشركي العرب والمرتدين هم
الذين لا يقبل منهم الا الاسلام او السيف عند ابي حنيفة ومن عداهم من مشركي العجم واهل الكتاب
والمجوس تقبل منهم الجزية وعند الشافعي لا تقبل الجزية الا من اهل الكتاب والمجوس دون مشركي
العجم والعرب وهذا دليل على امامة ابي بكر الصديق رضي الله عنه فانهم لم يدعوا الى حرب في ايام رسول

الله صلى الله عليه واله وسلم ولكن بعد وفاته وكيف يدعوهم رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
مع قوله تعالى فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا وقيل هم فارس والروم ومعنى يسلمون
ينقادون لان الروم نصارى وفارس مجوس يقبل منهم اعطاء الجزية فان قلت عن قتادة انهم ثقيف
وهوازن وكان ذلك في ايام رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قلت ان صح ذلك فالمعنى لن تخرجوا
معي ابدا ما دمتم على ما انتم عليه من مرض القلوب والاضطراب في الدين او على قول مجاهد كان الموعد
انهم لا يتبعون رسول الله صلى الله عليه واله وسلم الا متطوعين لا نصيب لهم في المغنم كما توليتم من قبل
يريد في غزوة الحديبية او يسلمون معطوف على تقاتلونهم اي يكون احد الامرين اما المقاتلة او
الاسلام لا ثالث لهما وفي قراءة ابي او يسلموا بمعنى الى ان يسلموا ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج
حرج ولا على المريض حرج نفى الحرج عن هؤلاء من ذوي العاهات في التخلف عن الغزو ومن يطع الله
ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار ومن يتول يعذبه عذابا اليما وقرئ ندخله
ونعذبه بالنون لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة
هي بيعة الرضوان سميت بهذه الاية وقصتها ان النبي صلى الله عليه واله وسلم حين نزل الحديبية بعث
خراش بن امية الخزاعي رسولا الى اهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فلما رجع دعا بعمر رضي
الله عنه ليبعثه فقال اني اخافهم على نفسي لما عرف من عداوتي اياهم وما بمكة عدوي يمنعني ولكن
ادلك على رجل اعز بها مني واحب اليهم عثمان بن عفان فبعثه فخبرهم انه لم يات لحرب وانما جاء زائرا
لهذا البيت معظما لحرمته فوقروه وقالوا ان شئت ان تطوف بالبيت فافعل فقال ما كنت لاطوف قبل
ان يطوف رسول الله صلى الله عليه واله وسلم واحتبس عندهم فارجف بانهم قتلوه فقال رسول الله صلى الله
عليه واله وسلم لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فبايعوه تحت الشجرة وكانت سمرة
قال جابر لو كنت ابصر لاريتكم مكانها وقيل كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم جالسا
في اصل الشجرة وعلى ظهره غصن من اغصانها قال عبد الله بن المغفل وكنت قائما على راسه وبيدي غصن
من الشجرة اذب عنه فرفعت الغصن عن ظهره فبايعوه على الموت دونه وعلى ان لا يفروا فقال لهم
رسول الله صلى الله عليه واله وسلم انتم اليوم خير اهل الارض وكان عدد المبايعين الفا وخمسمائة وخمسة وعشرين
وقيل الفا واربعمائة وقيل الفا وثلاثمائة فعلم ما في قلوبهم من الاخلاص وصدق الضمائر فيما بايعوه
عليه فانزل السكينة اي الطمانينة والامن بسبب الصلح على قلوبهم عليهم واثابهم فتحا قريبا وقرئ
واتاهم وهو فتح خيبر غب انصرافهم من مكة وعن الحسن فتح هجر وهو اجل فتح اتسعوا بثمرها
ومغانم كثيرة ياخذونها وكان الله عزيزا حكيما هي مغانم خيبر وكانت ارضا ذات
عقار واموال فقسمها عليهم ثم اتاه عثمان بالصلح فصالحهم وانصرف بعد ان نحر بالحديبية وحلق
وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها وهو ما يفيء على المؤمنين الى يوم القيامة فعجل لكم هذه
هذه المغانم يعني مغانم خيبر وكف ايدي الناس عنكم يعني اهل خيبر وحلفاءهم من اسد وغطفان حين
جاؤا لنصرتهم فقذف في قلوبهم الرعب فنكصوا وقيل ايدي اهل مكة بالصلح ولتكون هذه الكفة
اية للمؤمنين وعبرة يعرفون بها انهم من الله بمكان وانه تعالى ضامن نصرهم والفتح عليهم وقيل راى
رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فتح مكة في منامه ورؤيا الانبياء عليهم السلام وحي فتاخر ذلك
الى السنة القابلة فجعل فتح خيبر علامة وعنوانا لفتح مكة ويهديكم صراطا مستقيما ويزيدكم
بصيرة ويقينا وثقة بفضل الله واخرى معطوفة على هذه اي فعجل لكم هذه المغانم ومغانم اخرى
لم تقدروا عليها وهي مغانم هوازن في غزوة حنين وقال لم تقدروا لما كان فيها من الجولة قد احاط
الله بها وكان الله على كل شيء قديرا اي قدر عليها واستولى واظهركم عليها وغنمكموها
ويجوز في اخرى النصب بفعل مضمر يفسره قد احاط الله بها تقديره وقضى الله اخرى قد احاط الله
بها واما لم تقدروا عليها فصفة لاخرى والرفع على الابتداء لكونها موصوفة بلم تقدروا
وقد احاط بها خبر المبتدا والجر باضمار رب فان قلت قوله ولتكون اية للمؤمنين كيف موقعه
قلت هو كلام معترض ومعناه ولتكون الكفة اية للمؤمنين فعل ذلك ويجوز ان يكون
المعنى وعدكم المغانم فعجل هذه الغنيمة وكف الاعداء لينفعكم بها ولتكون اية للمؤمنين
اذا وجدوا وعد الله بها صادقا لان صدق الاخبار عن الغيوب معجزة واية ويزيدكم بذلك هداية وايقانا

ولو قاتلكم الذين كفروا من اهل مكة ولم يصالحوا وقيل من حلفاء اهل خيبر لولوا الادبار لغلبوا وانهزموا
ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا ۝ سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ۝ سنة
الله في موضع المصدر المؤكد اي سن الله غلبة انبيائه سنة وهو قوله لاغلبن انا ورسلي وهو الذي
كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم وكان الله بما
تعملون بصيرا ۝ ايديهم اي ايدي اهل مكة اي قضى بينكم وبينهم المكافة والمحاجزة بعدما خولكم
الظفر عليهم والغلبة وذلك يوم الفتح وبه استشهد ابو حنيفة رحمه الله على ان مكة فتحت عنوة لا
صلحا وقيل كان ذلك في غزوة الحديبية لما روي ان عكرمة بن ابي جهل خرج في خمسمائة فبعث
رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من هزمه وادخله حيطان مكة وعن ابن عباس رضي الله عنهما
اظهر الله المسلمين عليهم بالحجارة حتى ادخلوهم البيوت وقرئ تعملون بالتاء والياء هم الذين كفروا
وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا ان يبلغ محله قرئ والهدي والهدي بتخفيف
الياء وتشديدها وهو ما يهدى الى الكعبة بالنصب عطفا على الضمير المنصوب في صدوكم اي
صدوكم وصدوا الهدي وبالجر عطفا على المسجد الحرام بمعنى وصدوكم عن نحر الهدي معكوفا
ان يبلغ محله محبوسا عن ان يبلغ وبالرفع على وصد الهدي ومحله مكانه الذي يحل فيه نحره اي
يجب وهذا دليل لابي حنيفة ان المحصر محل هديه الحرم فان قلت فكيف حل رسول الله صلى الله
عليه واله وسلم ومن معه وانما نحر هديهم بالحديبية قلت بعض الحديبية من الحرم وروي ان مضارب
رسول الله صلى الله عليه واله وسلم كانت في الحل ومصلاه في الحرم فان قلت فاذا قد نحر في الحرم فلم قيل
معكوفا ان يبلغ محله قلت المراد المعهود وهو منى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم
تعلموهم ان تطؤوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم لم تعلموهم صفة للرجال والنساء
جميعا وان تطؤوهم بدل اشتمال منهم او من الضمير المنصوب في تعلموهم والمعرة مفعلة من عره
اذا دهاه ما يكرهه ويشق عليه وبغير علم متعلق بان تطؤوهم يعني ان تطؤوهم غير عالمين بهم والوطء والدوس عبارة
عن الايقاع والابادة قال ۝ ووطئتنا وطأ على حنق ۝ وطء المقيد نابت الهرم ۝
وقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وان اخر وطأة وطئها الله بوج والمعنى انه كان بمكة
قوم من المسلمين مختلطون بالمشركين غير متميزين ولا معروفي الاماكن فقيل ولولا كراهة
ان تهلكوا اناسا مؤمنين بين ظهراني المشركين وانتم غير عارفين بهم فتصيبكم باهلاكهم
مكروه ومشقة لما كف ايديكم عنهم وحذف جواب لولا لدلالة الكلام عليه ويجوز ان يكون
لو تزيلوا كالتكرير للولا رجال مؤمنون لمرجعهما الى معنى واحد ويكون لعذبنا هو الجواب فان
قلت اي معرة تصيبهم اذا قتلوهم وهم لا يعلمون قلت يصيبهم وجوب الدية والكفارة
وسوء قالة المشركين انهم فعلوا باهل دينهم مثل ما فعلوا بنا من غير تمييز والماثم اذا جرى منهم
بعض التقصير فان قلت ليدخل الله في رحمته من يشاء تعليل لماذا قلت لما دل عليه الاية وسيقت
له من كف الايدي عن اهل مكة والمنع من قتلهم صونا لمن بين اظهرهم من المؤمنين كانه قال كان
الكف ومنع التعذيب ليدخل الله في رحمته اي في توفيقه لزيادة الخير والطاعة مؤمنيهم او ليدخل
في الاسلام من رغب فيه من مشركيهم لو تزيلوا لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض من زاله يزيله
وقرئ لو تزايلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما ۝ اذ جعل الذين كفروا في
قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين والزمهم
كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها وكان الله بكل شيء عليما ۝ اذ يجوز ان يعمل فيه ما قبله
اي لعذبنا او صدوهم عن المسجد الحرام في ذلك الوقت وان ينتصب باضمار اذكر والمراد بحمية
الذين كفروا وسكينة المؤمنين والحمية الانفة والسكينة الوقار ما روي ان رسول الله صلى
الله عليه واله وسلم لما نزل بالحديبية بعثت قريش سهيل بن عمرو القرشي وحويطب بن عبد العزى
ومكرز بن حفص بن الاخيف على ان يعرضوا على النبي صلى الله عليه واله وسلم ان يرجع من عامه ذلك
على ان تخلي له قريش مكة من العام القابل ثلاثة ايام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال لعلي عليه
السلام اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل واصحابه ما نعرف هذا ولكن اكتب باسمك
اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله اهل مكة فقالوا لو كنا نعلم انك رسول الله ما

صددناك عن البيت

صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله اهل مكة فقال عليه السلام
اكتب ما يريدون فانا اشهد اني رسول الله وانا محمد بن عبد الله فهم المسلمون ان يابوا ذلك ويشمئزوا
منه فانزل الله على رسوله السكينة فتوقروا وحلموا وكلمة التقوى بسم الله الرحمن الرحيم ومحمد
رسول الله قد اختارها الله لنبيه والذين معه هم اهل الخير ومستحقيه ومن هو اولى بالهداية من غيرهم
وقيل هي كلمة الشهادة وعن الحسن كلمة التقوى هي الوفاء بالعهد ومعنى اضافتها الى التقوى
انها سبب التقوى واساسها وقيل كلمة اهل التقوى وفي مصحف الحرث بن سويد صاحب عبد الله وكانوا
اهلها واحق بها وهو الذي دفن مصحفه ايام الحجاج لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق
لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون راى رسول
الله صلى الله عليه واله وسلم قبل خروجه الى الحديبية كانه واصحابه قد دخلوا مكة امنين وقد حلقوا
وقصروا فقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا انهم داخلوها في عامهم وقالوا ان
رؤيا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم حق فلما تاخر ذلك قال عبد الله بن ابي وعبد الله بن نفيل ورفاعة
بن الحارث والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا راينا المسجد الحرام فنزلت ومعنى صدق الله رسوله الرؤيا
صدقه في رؤياه ولم يكذبه تعالى الله عن الكذب وعن كل قبيح علوا كبيرا فحذف الجار واوصل
الفعل كقوله صدقوا ما عاهدوا الله عليه فان قلت بم تعلق بالحق قلت اما بصدق اي صدقه
فيما راى وفي كونه وحصوله صدقا ملتبسا بالحق اي بالغرض الصحيح والحكمة البالغة وذلك
ما فيه من الابتلاء والتمييز بين المؤمن الخالص وبين من في قلبه مرض ويجوز ان يتعلق بالرؤيا حالا منها اي
صدقه الرؤيا ملتبسة بالحق على معنى انها لم تكن من اضغاث الاحلام ويجوز ان يكون قسما اما بالحق الذي
هو نقيض الباطل او بالحق الذي هو من اسمائه ولتدخلن جوابه وعلى الاول هو جواب قسم محذوف اي
والله لتدخلن فان قلت ما وجه دخول ان شاء الله في اخبار الله عز وجل قلت فيه وجوه ان
يعلق عدته بالمشيئة تعليما لعباده لان يقولوا في عداتهم مثل ذلك متادبين بادب الله ومقتدين
بسنته وان يريد لتدخلن جميعا ان شاء الله ولم يمت منكم احد او كان ذلك على لسان ملك فادخل
الملك ان شاء او هي حكاية ما قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لاصحابه وقص عليهم وقيل متعلق
بامنين فعلم ما لم تعلموا من الحكمة والصواب في تاخير فتح مكة الى العام القابل فجعل من دون
ذلك اي من دون فتح مكة فتحا قريبا ۝ وهو فتح خيبر لتستروح اليه قلوب المؤمنين الى ان يتيسر
الفتح الموعود هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق بدين الاسلام ليظهره على الدين
كله ليعليه على الاديان المختلفة من اديان المشركين والجاحدين من اهل الكتاب ولقد حقق ذلك سبحانه فانك
لا ترى دينا قط الا وللاسلام دونه العز والغلبة وقيل هو عند نزول عيسى عليه السلام حين لا يبقى على
وجه الارض كافر وقيل هو اظهاره بالحجج والايات وفي هذه الاية تاكيد لما وعد من الفتح وتوطين
لنفوس المؤمنين على ان الله سيفتح لهم من البلاد ويقيض لهم من الغلبة على الاقاليم ما يستقلون اليه
فتح مكة وكفى بالله شهيدا ۝ على ما وعده كاين عن الحسن شهيد على نفسه انه سيظهر دينك محمد
رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله
ورضوانا سيماهم في وجوههم من اثر السجود محمد اما خبر مبتدا محذوف اي هو محمد لتقدم
قوله هو الذي ارسل رسوله واما مبتدا ورسول الله عطف بيان وعن ابن عامر انه قرا رسول الله
صلى الله عليه واله وسلم بالنصب على المدح والذين معه اصحابه اشداء على الكفار رحماء بينهم جمع شديد ورحيم
ونحوه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين واغلظ عليهم بالمؤمنين رحماء وعن الحسن بلغ من تشددهم على الكفار
انهم كانوا يتحرزون من ثيابهم ان تلزق بثيابهم ومن ابدانهم ان تمس ابدانهم وبلغ من ترحمهم فيما
بينهم انه كان لا يرى مؤمن مؤمنا الا صافحه وعانقه والمصافحة لم يختلف فيها الفقهاء واما المعانقة
فقد كرهها ابو حنيفة رحمه الله وكذلك التقبيل قال لا احب ان يقبل الرجل من الرجل وجهه ولا يده ولا
شيئا من جسده وقد رخص ابو يوسف في المعانقة ومن حق المسلمين في كل زمان ان يراعوا هذا
التشدد وهذا التعطف فيتشددوا على من ليس على ملتهم ودينهم ويتحاموه ويعاشروا اخوتهم
في الاسلام متعطفين بالبر والصلة وكف الاذى والمعونة والاحتمال والاخلاق السجيحة ووجه
من قرا اشداء ورحماء بالنصب ان ينصبهما على المدح او على الحال المقدرة في معه ويجعل تراهم الخبر

وسيماهم علامتهم وقرئ سيمياؤهم وفيها ثلاث لغات هاتان والسيماء والمراد بها السمة التي تحدث
في جبهة السجاد من كثرة السجود وقوله من أثر السجود يفسرها اي من التأثير الذي يؤثره السجود
وكان كل من العليين علي بن الحسين زين العابدين عليهم السلام وعلي بن عبد الله بن عباس أبي الأملاك
يقال له ذو الثفنات لأن كثرة سجودهما أحدثت في مواقعه منهما أشباه ثفنات البعير وقرئ
من إثر السجود وكذا عن سعيد بن جبير هي السمة في الوجه فإن قلت فقد جاء عن النبي صلى
الله عليه وآله وسلم لا تعلبوا صوركم وعن ابن عمر رضي الله عنه أنه رأى رجلا قد أثر في وجهه السجود
فقال إن صورة وجهك أنفك فلا تعلب وجهك ولا تشن صورتك قلت ذلك إذا اعتمد بجبهته
على الأرض لتحدث تلك السمة وذلك رياء ونفاق يستعاذ بالله منه ونحن فيما حدث في جبهة
السجاد الذي لا يسجد إلا خالصا لوجه الله وعن بعض المتقدمين كنا نصلي فلا يرى بين أعيننا
شيء ونرى الآن أحدنا يصلي فيرى بين عينيه ركبة البعير فلا ندري أثقلت الأرؤس أم خشنت
الأرض وإنما أراد بذلك من تعمد ذلك للنفاق وقيل هي صفرة الوجه من خشية الله تعالى وعن الضحاك
ليس بالندب في الوجوه ولكن صفرة وعن سعيد بن المسيب ندى الطهور وتراب الأرض وعن عطاء
استنارة وجوههم من طول ما صلوا بالليل كقوله من كثر صلاته بالليل حسن وجهه في النهار ذلك
مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل ذلك الوصف مثلهم أي وصفهم العجيب الشأن في الكتابين جميعا
ثم ابتدأ فقال كزرع أخرج شطأه أي هم كزرع وقيل تم الكلام عند قوله ذلك مثلهم في التوراة
ثم ابتدأ وقال ومثلهم في الإنجيل كزرع ويجوز أن يكون ذلك إشارة مبهمة أوضحت بقوله كزرع أخرج
شطأه كقوله وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وقرئ الأنجيل بفتح الهمزة
شطأه فراخه يقال أشطأ الزرع إذا فرخ وقرئ شطأه بفتح الطاء وشطاءه بتخفيف
الهمزة وشطاه بالمد وشطه بحذف الهمزة ونقل حركتها إلى ما قبلها وشطوه بقلبها واوا فآزره
من المؤازرة وهي المعاونة وعن الأخفش أنه أفعل وقرئ فأزره بالتخفيف أي شد أزره وقواه
ومن جعل آزر أفعل فهو في معنى القراءتين فاستغلظ فصار من الدقة إلى الغلظ فاستوى على
سوقه يعجب الزراع فاستقام على قصبه جمع ساق وقيل مكتوب في الإنجيل سيخرج قوم ينبتون نبات
الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وعن عكرمة أخرج شطأه بأبي بكر فآزره بعمر
فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه بعلي وهذا مثل ضربه الله لبدء أمر الإسلام وترقيه في الزيادة
إلى أن قوي واستحكم لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قام وحده ثم قواه الله تعالى بمن آمن معه كما يقوي
الطاقة الأولى من الزرع ما يحتف بها مما يتولد منها حتى يعجب الزراع فإن قلت ليغيظ بهم
الكفار تعليل لماذا قلت لما دل عليه تشبيههم بالزرع من نمائهم وترقيهم في الزيادة والقوة
ويجوز أن يعلل به وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما
لأن الكفار إذا سمعوا بما أعد لهم في الآخرة مع ما يعزهم به في الدنيا غاظهم ذلك ومعنى منهم
البيان كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الأوثان عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ
سورة الفتح فكأنما كان ممن شهد مع محمد صلى الله عليه وآله وسلم فتح مكة

سورة الحجرات مدنية وهي ثماني عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الذين
آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله قدمه وأقدمه منقولان بتثقيل الحشو والهمزة من
قدمه إذا تقدمه في قوله تعالى يقدم قومه يوم القيامة ونظائرها معنى ونقلا سلفه وأسلفه وفي
قوله لا تقدموا من غير ذكر مفعول وجهان أن يحذف ليتناول كل ما وقع في النفس مما يقدم وألا
يقصد قصد مفعول ولا حذفه ويتوجه بالنهي إلى نفس التقدم كأنه قيل لا تقدموا على التلبس بهذا
الفعل ولا تجعلوه منكم بسبيل كقوله هو الذي يحيي ويميت ويجوز أن يكون من قدم بمعنى تقدم كوجه
وبين ومنه مقدمة الجيش خلاف ساقته وهي الجماعة المتقدمة وتعضده قراءة من قرأ لا تقدموا بحذف
إحدى تاءي تتقدموا إلا أن الأول أملأ بالحسن وأوجه وأشد ملاءمة لبلاغة القرآن والعلماء له أقبل
وقرئ لا تقدموا من القدوم أي لا تقدموا إلى أمر من أمور الدين قبلهما ولا تعجلوا عليهما وحقيقة
قولهم جلست بين يدي فلان أن تجلس بين الجهتين المسامتتين ليمينه وشماله قريبا منه فسميت الجهتان

يدين لكونهما على سمت اليدين مع القرب منهما توسعا كما يسمى الشيء باسم غيره إذا جاوره وداناه في
غير موضع وقد جرت هذه العبارة ها هنا على سنن ضرب من المجاز وهو الذي يسميه أهل البيان
تمثيلا ولجريها هكذا فائدة جليلة ليست في الكلام العريان وهي تصوير الهجنة والشناعة فيما
نهوا عنه من الإقدام على أمر من الأمور دون الاحتذاء على أمثلة الكتاب والسنة والمعنى لا تقطعوا
أمرا إلا بعد ما يحكمان به ويأذنان فيه فتكونوا إما عاملين بالوحي المنزل وإما مقتدين برسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم وعليه يدور تفسير ابن عباس رضي الله عنهما وعن مجاهد لا تفتاتوا على الله حتى
يقصه على لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ويجوز أن يجري مجرى قولك سرني زيد وحسن حاله وأعجبني
عمرو وكرمه وفائدة هذا الأسلوب الدلالة على قوة الاختصاص ولما كان رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم بالمكان الذي لا يخفى سلك به ذلك المسلك وفي هذا تمهيد وتوطئة لما نقم منهم فيما يتلوها
من رفع أصواتهم فوق صوته لأن من أحظاه الله بهذه الأثرة واختصه هذا الاختصاص القوي
كان أدنى ما يجب له من التهيب والإجلال أن يخفض بين يديه الصوت ويخافت لديه بالكلام وقيل
بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى تهامة سرية سبعة وعشرين رجلا عليهم المنذر بن عمرو الساعدي
فقتلهم بنو عامر وعليهم عامر بن الطفيل إلا ثلاثة نفر ولقوا رجلين من بني سليم قرب المدينة فاعتزيا
لهم إلى بني عامر لأنهم أعز من بني سليم فقتلوهما وسلبوهما ثم أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال
بئس ما صنعتم كانا من سليم والسلب ما كسوتهما فوداهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونزلت
أي لا تعملوا شيئا من ذات أنفسكم حتى تستأمروا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن مسروق دخلت
على عائشة في اليوم الذي يشك فيه فقالت للجارية اسقيه عسلا فقلت إني صائم فقالت قد نهى الله
عن صوم هذا اليوم وفيه نزلت وعن الحسن أن أناسا ذبحوا يوم الأضحى قبل الصلاة فنزلت وأمرهم
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يعيدوا ذبحا آخر وهذا مذهب أبي حنيفة رحمه الله إلا أن
تزول الشمس وعند الشافعي رحمه الله يجوز الذبح إذا مضى من الوقت مقدار الصلاة وعن الحسن لما
استقر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة أتته الوفود من الآفاق فأكثروا عليه بالمسائل
فنهوا أن يبتدئوه بالمسألة حتى يكون هو المبتدي وعن قتادة ذكر لنا أن ناسا كانوا يقولون لو أنزل في
كذا لكان كذا فكره الله ذلك منهم وأنزلها وقيل هي عامة في كل قول وفعل ويدخل فيه أنها إذا
جرت مسألة في مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يسبقوه بالجواب وألا يمشي بين يديه إلا
لحاجة وأن يستأني في الافتتاح بالطعام واتقوا الله فإنكم إذا اتقيتموه عاقتكم التقوى
عن التقدمة المنهي عنها وعن جميع ما تقتضي مراقبة الله تجنبه فإن المتقي حذر لا يشافه أمرا إلا عن
ارتفاع الريب وانجلاء الشك في أن لا تبعة عليه فيه وهذا كما تقول لمن يقارف بعض الرذائل لا
تفعل هذا وتحفظ مما يلصق بك العار فتنهاه أولا عن عين ما قارفه ثم تعم وتشيع وتأمره بما
لو امتثل فيه أمرك لم يرتكب تلك الفعلة وكل ما يضرب في طريقها ويتعلق بسببها إن الله سميع
لما تقولون عليم بما تعملون وحق مثله أن يتقى ويراقب يا أيها الذين آمنوا إعادة النداء عليهم استدعاء
منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد وتطرية الإنصات لكل حكم نازل وتحريك
منهم لئلا يفتروا ويغفلوا عن تأملهم وما أخذوا به عند حضور مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
من الأدب الذي المحافظة عليه تعود عليهم بعظيم الجدوى في دينهم وذلك أن في إعظام صاحب
الشرع إعظام ما ورد به ومستعظم الحق لا يدعه استعظامه أن يألو عملا بما يحدوه عليه وارتداعا
عما يصده عنه وانتهاء إلى كل خير والمراد بقوله لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي أنه إذا
نطق ونطقتم فعليكم أن لا تبلغوا بأصواتكم وراء الحد الذي يبلغه بصوته وأن تغضوا منها بحيث يكون
كلامه غالبا لكلامكم وجهره باهرا لجهركم حتى تكون مزيته عليكم لائحة وسابقته واضحة وامتيازه
عن جمهوركم كشية الأبلق غير خاف لا أن تغمروا صوته بلغطكم وتبهروا منطقه بصخبكم
وبقوله ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أنكم إذا كلمتموه وهو صامت فإياكم
والعدول عما نهيتم عنه من رفع الصوت بل عليكم أن لا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم وأن تتعمدوا
في مخاطبته القول اللين المقرب من الهمس الذي يضاد الجهر كما تكون مخاطبة المهيب المعظم عاملين بقوله
تعالى وتعزروه وتوقروه وقيل معنى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم ولا تقولوا له يا محمد

باجيد وخاطبوه بالنبوة قال ابن عباس لما نزلت هذه الاية قال ابو بكر رضي الله عنه فقلت يا رسول الله
لا اكلمك الا السرار او اخي السرار حتى القى الله وعن عمر رضي الله عنه انه كان يكلم النبي صلى الله عليه واله وسلم كاخي
السرار لا يسمعه حتى يستفهمه وكان ابو بكر اذا قدم على رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وفد ارسل
اليهم من يعلمهم كيف يسلمون ويامرهم بالسكينة والوقار عند رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
وليس الغرض برفع الصوت ولا الجهر ما يقصد به الاستخفاف والاستهانة لان ذلك كفر
والمخاطبون مومنون وانما الغرض صوت هو في نفسه والمسموع من جرسه غير مناسب لما يهاب به
العظماء ويوقر الكبراء فيتكلف الغض منه ورده الى حد يميل به الى ما يستبين فيه المامور به من
التعزير والتوقير ولم يتناول النهي ايضا رفع الصوت الذي لا يتادى به رسول الله صلى الله عليه واله
وسلم وهو ما كان منهم في حرب او مجادلة معاند او ارهاب عدو او ما اشبه ذلك ففي الحديث
انه عليه السلام قال للعباس بن عبد المطلب لما انهزم الناس يوم حنين اصرخ بالناس وكان العباس اجهر
الناس صوتا يروى ان غارة اتتهم يوما فصاح العباس يا صباحاه فاسقطت الحوامل لشدة صوته
وفيه يقول نابغة بني جعدة

زجر ابي عروة السباع اذا ... اشفقن ان يختلطن بالغنم

زعمت الرواة انه كان يزجر السباع عن الغنم فيفتق مرارة السبع في جوفه وفي قراءة ابن مسعود لا
ترفعوا باصواتكم والباء مزيدة محذو بها حذو التشديد في قول الاعلم الهذلي

رفعت عيني بالحجاز الى ... اناس بالمناقب

وليس المعنى في هذه القراءة انهم نهوا عن الرفع الشديد تخيلا ان يكون ما دون الشديد مسوغا
لهم ولكن المعنى نهيهم عما كانوا عليه من الجلبة واستجفاؤهم فيما كانوا يفعلون وعن ابن عباس
نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وكان في اذنه وقر وكان جهوري الصوت فكان اذا كلم رفع صوته وربما كان
يكلم رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فيتاذى بصوته وعن انس ان هذه الاية لما نزلت فقد ثابت فتفقده
رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فاخبر بشانه فدعاه فساله فقال يا رسول الله لقد نزلت اليك هذه الاية
واني جهير الصوت فاخاف ان يكون عملي قد حبط فقال له رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لست هناك
انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة واما ما يروى عن الحسن انها نزلت فيمن كان يرفع
صوته من المنافقين فوق صوت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فمحمله والخطاب للمومنين على ان
ينبح المنافقون تحت النهي ليكون الامر اغلظ عليهم واشق وقيل كان المنافقون
يرفعون اصواتهم ليظهروا قلة مبالاتهم فيقتدي بهم ضعفة المسلمين وكاف التشبيه في محل النصب
اي جهرا مثل جهر بعضكم لبعض وفي هذا انهم لم ينهوا عن الجهر مطلقا حتى لا يسوغ
لهم الا ان يكلموه بالهمس والمخافتة وانما نهوا عن جهر مخصوص مقيد بصفة اعني الجهر المنعوت
بمماثلة ما قد اعتادوه منهم فيما بينهم وهو الخلو عن مراعاة ابهة النبوة وجلالة مقدارها
وانحطاط سائر الرتب وان جلت عن رتبتها **أَن تَحبَطَ أَعمَالُكُم وَأَنتُم لَا تَشعُرُونَ** ان تحبط
منصوب الموضع على انه مفعول له وفي متعلقه وجهان احدهما ان يتعلق بمعنى النهي فيكون
المعنى انتهوا عما نهيتم عنه لحبوط اعمالكم اي لخشية حبوطها على تقدير حذف المضاف كقوله
تعالى يبين الله لكم ان تضلوا والثاني ان يتعلق بنفس الفعل ويكون المعنى انهم نهوا عن الفعل
الذي فعلوه لاجل الحبوط لانه لما كان بصدد الاداء الى الحبوط جعل كانه فعل لاجله وكانه العلة
والسبب في ايجاده على سبيل التمثيل كقوله ليكون لهم عدوا وحزنا فان قلت لخص الفرق بين
الوجهين قلت تلخيصه ان يقدر الفعل في الثاني مضموما اليه المفعول له كانهما شيء واحد ثم يصب عليهما جميعا
النهي موجها على الجملة ثم يجعل له منهيا عنه فان قلت باي النهيين تعلق
المفعول له قلت بالثاني عند البصريين مقدرا اضماره عند الاول كقوله آتوني افرغ عليه قطرا
وبالعكس عند الكوفيين وايهما كان فمرجع المعنى الى ان الرفع والجهر كلاهما منصوص اداؤه
الى حبوط اعمالكم اظهر نصا بذلك لان ما بعد الفاء لا يكون الا مسببا عما قبلها
فيتنزل الحبوط من الجهر منزلة الحلول من الطغيان في قوله فيحل عليكم غضبي والحبوط من
حبطت الابل اذا اكلت الخضر فنفخ بطونها وربما هلكت ومنه قوله عليه الصلوة والسلام وان مما

ينبت الربيع

ينبت الربيع لما يقتل حبطا او يلم ومن اخواته حبجت الابل اذا اكلت العرفج فاصابها ذلك
واحبط عمله مثل احبطه وحبط الجرح وحبر اذا غفر وهو نكسه وترامية الى الفساد
جعل العمل السيئ في اضراره بالعمل الصالح كالداء والحرص لمن يصاب به اعاذنا الله من حبط الاعمال
وخيبة الامال وقد دلت الاية على امرين هائلين احدهما ان فيما يرتكب من يومن من
الاثام ما يحبط عمله والثاني ان في اثامه ما لا يدري انه محبط ولعله عند الله كذلك فعلى
المومن ان يكون في تقواه كالماشي في طريق شائك لا يزال يتحرز ويتوقى ويتحفظ **إِنَّ الَّذِينَ
يَغُضُّونَ أَصوَاتَهُم عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُم لِلتَّقوَى لَهُم مَغفِرَةٌ
وَأَجرٌ عَظِيمٌ** من قولك امتحن فلان لامر كذا وجرب له ودرب للنهوض به فهو مضطلع به غير
وان عنه والمعنى انهم صبر على التقوى اقويا على احتمال مشاقها او وضع الامتحان موضع
المعرفة لان تحقق الشيء باختباره كما يوضع الخبر موضعها فكانه قيل عرف الله قلوبهم للتقوى
وتكون اللام متعلقة بمحذوف واللام هي التي في قولك انت لهذا الامر اي كائن له ومختص به
قال ... انت لها احمد من بين البشر ... وقال ... اعداء من لليعملات على الوجى
وهي مع معمولها منصوبة على الحال او ضرب الله قلوبهم بانواع المحن والتكاليف الصعبة لاجل
التقوى اي لتثبت وتظهر تقواها ويعلم انهم متقون لان حقيقة التقوى لا يعلم الا عند المحن
والشدائد والاصطبار عليها وقيل اخلصها للتقوى من قولهم امتحن الذهب وفتنه اذا اذابه فخلص
ابريزه من خبثه ونقاه وعن عمر رضي الله عنه اذهب الشهوات عنها والامتحان افتعال من محنه
وهو اختبار بليغ او بلاء جهيد قال ابو عمرو كل شيء جهدته فقد محنته وانشد

اتت رذايا باديا كلالها ... قد محنت واضطربت اطلالها

قيل نزلت في الشيخين رضي الله عنهما لما كان منهما من غض الصوت والبلوغ به اخا السرار وهذه
الاية بنظمها الذي رتبت عليه من ايقاع الغاضين اصواتهم اسما لان المؤكدة وتصيير خبرها جملة من
مبتدا وخبر معرفين معا والمبتدا اسم الاشارة واستيناف الجملة المستودعة ما هو جزاؤهم على
عملهم وايراد الجزاء نكرة مبهما امره ناظرة في الدلالة على غاية الاعتداد والارتضاء لما فعل الذين وقروا رسول
الله من خفض اصواتهم وفي الاعلام بمبلغ عزة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وقدر شرف منزلته وفيها
تعريض بعظيم ما ارتكب الرافعون اصواتهم واستيجابهم ضد ما استوجب هؤلاء **إِنَّ الَّذِينَ
يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الحُجُرَاتِ أَكثَرُهُم لَا يَعقِلُونَ** والوراء الجهة التي يواريها عنك الشخص بظله
من خلف او قدام ومن لابتداء الغاية وان المناداة نشات من ذلك المكان فان قلت افرق بين الكلامين
بين ما تثبت فيه وبين ما تسقط عنه قلت الفرق بينهما ان المنادي في احدهما يجوز ان يجمعهما
الوراء وفي الثاني لا يجوز لان الوراء تصير بدخول من مبتدا الغاية ولا يجتمع على الجهة الواحدة ان تكون
مبتدا او منتهى لفعل واحد والذي يقول ناداني فلان من وراء الدار لا يريد وجه الدار ولا دبرها
ولكن اي قطر من اقطارها الظاهرة كان مطلقا بغير تعيين واختصاص والانكار لم يتوجه عليهم من
قبل ان النداء وقع منهم في ادبار الحجرات او في وجوهها وانما انكر عليهم انهم نادوه من البر والخارج
مناداة الاجلاف بعضهم لبعض من غير قصد الى جهة دون جهة والحجرة الرقعة من الارض
المحجورة بحائط يحوط عليها وحظيرة الابل تسمى الحجرة وهي فعلة بمعنى مفعولة كالغرفة والقبضة
وجمعها الحجرات بضمتين والحجرات بفتح الجيم والحجرات بتسكينها وقرئ بهن جميعا والمراد حجرات نساء رسول الله
صلى الله عليه واله وسلم وكانت لكل منهن حجرة ومناداتهم من ورائها يحتمل انهم قد تفرقوا على الحجرات
متطلبين له فناداه بعض من وراء هذه وبعض من وراء تلك وانهم قد اتوها حجرة حجرة فنادوه من
ورائها وانهم نادوه من وراء الحجرة التي كان فيها ولكنها جمعت اجلالا لرسول الله صلى الله عليه
واله وسلم ولمكان حرمته والفعل وان كان مسندا الى جميعهم فانه يجوز ان يتولاه بعضهم وكان
الباقون راضين فكانهم تولوه جميعا فقد ذكر الاصم ان الذي ناداه عيينة بن حصن والاقرع بن
حابس والاخبار عن اكثرهم بانهم لا يعقلون يحتمل ان يكون فيهم من قصد بالمحاشاة ويحتمل ان يكون الحكم
بقلة العقلاء فيهم قصدا الى نفي ان يكون فيهم من يعقل فان القلة تقع موقع النفي في كلامهم
وروي ان وفد بني تميم اتوا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وقت الظهيرة وهو راقد فجعلوا ينادونه

يا محمد اخرج الينا فاستيقظ فخرج فنزلت وسيل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنهم فقال هم جفاة بني
تميم لولا انهم من اشد الناس قتالا للاعور الدجال لدعوت الله عليهم ان يهلكهم وورود الاية على
النمط الذي وردت عليه فيه ما لا يخفى على الناظرين من بينات اكبار محل رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم واجلاله منها مجيئها على النظم المسجل على الصائحين به بالسفه والجهل لما اقدموا عليه ومنها
لفظ الحجرات وايقاعها كناية عن موضع خلوته ومقيله مع بعض نسائه ومنها المرور على لفظها
بالاقتصار على القدر الذي تبين فيه ما استنكر عليهم ومنها التعريف باللام دون الاضافة ومنها
ان شفع ذمهم واستركاك عقولهم وقلة ضبطهم لمواضع التمييز في المخاطبات تهوينا للخطب على
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتسلية واماطة لما تداخله من ايحاش تعجرفهم وسوء ادبهم وهلم جرا من
اول السورة الى آخر هذه الآية فتامل كيف ابتدئ بايجاب ان تكون الامور التي تنتمي الى الله ورسوله
متقدمة على الامور كلها من غير حصر ولا تقييد ثم اردف ذلك النهي عما هو من جنس التقديم من
رفع الصوت والجهر كأن الاول بساط للثاني ووطاء لذكره ثم ذكر ما هو ثناء على الذين تحاموا ذلك
فغضوا اصواتهم دلالة على عظم موقعه عند الله ثم جيء على عقب ذلك بما هو اطم وهجنته اتم من الصياح
برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حال خلواته ببعض حرماته من وراء الجدر كما يصاح باهون الناس
قدرا لينبه على فظاعة ما اجروا اليه لان من رفع الله قدره عن ان يجهر له بالقول حتى خاطبه جلة
المهاجرين والانصار باخي السرار كان صنيع هؤلاء من المنكر الذي بلغ في التفاحش مبلغا ومن هذا وامثاله
تقتطف ثمرات الالباب وتقتبس محاسن الآداب كما يحكى عن ابي عبيد ومكانه من العلم والزهد وثقة
الرواية ما لا يخفى انه قال ما دققت بابا على عالم قط حتى يخرج في وقت خروجه **ولو انهم صبروا حتى**
تخرج اليهم انهم صبروا في موضع الرفع على الفاعلية لان المعنى ولو ثبت صبرهم والصبر حبس النفس
عن ان تنازع الى هواها قال الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون وقولهم صبر عن كذا محذوف
منه المفعول وهو النفس وهو حبس فيه شدة ومشقة على المحبوس فلهذا قيل للحبس على اليمين او على
القتل صبر وفي كلام بعضهم الصبر مر لا يتجرعه الا حر فان قلت هل من فرق بين حتى تخرج
والى ان تخرج قلت ان حتى مختصة بالغاية المضروبة تقول اكلت السمكة حتى رأسها ولو قلت
حتى نصفها او صدرها لم يجز والى عامة في كل غاية فقد افادت حتى بوضعها ان خروج رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم غاية قد ضربت لصبرهم فما كان لهم ان يقطعوا امرا دون الانتهاء اليها فان
قلت فاي فائدة في قوله اليهم قلت فيه انه لو خرج ولم يكن خروجه اليهم ولاجلهم للزمهم ان
يصبروا الى ان يعلموا ان خروجه اليهم **لكان خيرا لهم** في كان اما ضمير فاعل الفعل المضمر واما ضمير
مصدر صبروا كقولهم من كذب كان شرا له **والله غفور رحيم** بليغ الغفران والرحمة واسعهما
فلن يضيق غفرانه ورحمته عن هؤلاء ان تابوا وانابوا **يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبا** بعث
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الوليد بن عقبة اخا عثمان لامه وهو الذي ولاه عثمان الكوفة بعد
سعد بن ابي وقاص فصلى بالناس وهو سكران صلوة الفجر اربعا ثم قال هل ازيدكم فعزله عثمان عنهم
مصدقا الى بني المصطلق وكانت بينه وبينهم احنة فلما شارف ديارهم ركبوا مستقبلين له فحسبهم
مقاتليه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكوة فغضب رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم ان يغزوهم فبلغ القوم فوردوا وقالوا نعوذ بالله من غضبه وغضب
رسوله فاتهمهم فقال لتنتهن او لابعثن اليكم رجلا هو عندي كنفسي يقاتل مقاتلتكم
ويسبي ذراريكم ثم ضرب بيده على كتف علي رضي الله عنه وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد فوجدهم
منادين بالصلوة متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع وفي تنكير الفاسق والنبا شياع في
الفساق والانباء كانه قال اي فاسق جاءكم باي نبا **فتبينوا** فتوقفوا فيه وتطلبوا بيان الامر
وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا قول الفاسق لان من لا يتحامى جنس الفسوق لا يتحامى الكذب الذي
هو نوع منه والفسوق الخروج من الشيء والانسلاخ منه يقال فسقت الرطبة عن قشرها ومن مقلوبه
فقست البيضة اذا كسرتها واخرجت ما فيها ومن مقلوبه ايضا فقست الشيء اذا اخرجته من
يد مالكه مغتصبا له ثم استعمل في الخروج عن القصد والانسلاخ عن الحق قال رؤبة
فواسقا عن قصدها جوائرا * وقرأ ابن مسعود فتثبتوا والتثبت والتبين متقاربان

يهوين في نجد وغورا غائرا صح

وهما طلب

وهما طلب الثبات والبيان والتعرف ولما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والذين معه بالمنزلة التي لا
يجسر احد ان يخبرهم بكذب وما كان يقع مثل ما فرط من الوليد الا في الندرة قيل ان جاءكم بحرف الشك
وفيه ان على المؤمنين ان يكونوا على هذه الصفة لئلا يطمع فاسق في مخاطبتهم بكلمة زور **ان تصيبوا**
مفعول له اي كراهة ان تصيبوا **قوما بجهالة** حال كقوله ورد الله الذين كفروا بغيظهم يعني جاهلين
بحقيقة الامر وكنه القصة **فتصبحوا على ما فعلتم نادمين** والاصباح بمعنى الصيرورة والندم
ضرب من الغم وهو ان تغتم على ما وقع منك تتمنى انه لم يقع وهو غم يصحب الانسان صحبة لها دوام ولزام
لانه كلما تذكر المتندم عليه راجعه من الندام وهو لزام الشريب في دوام صحبته ومن مقلوباته ادمن الامر
ادامه ومدن بالمكان اقام به ومنه المدينة وقد تراهم يجعلون الهم صاحبا ونجيا وسميرا وضجيعا وموصوفا
بانه لا يفارق صاحبه **واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم** الجملة المصدرة
بلو لا تكون كلاما مستانفا لادائه الى تنافر النظم ولكن متصلا بما قبله حالا من احد الضميرين في فيكم
المستتر المرفوع والبارز المجرور وكلاهما مذهب سديد والمعنى ان فيكم رسول الله على حالة يجب
عليكم تغييرها او انتم على حالة يجب عليكم تغييرها وهي انكم تحاولون منه ان يعمل في الحوادث
على مقتضى ما يعن لكم من رأي واستصواب فعل المطواع لغيره التابع له فيما يرتئيه المحتذي
على امثلته ولو فعل ذلك لعنتم اي لوقعتم في الجهد والهلاك من عنت اذا هيض بعد الجبر وهذا
يدل على ان بعض المؤمنين زينوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الايقاع ببني المصطلق وتصديق قول
الوليد وان نظائر ذلك من الهنات كانت تفرط منهم وان بعضهم كانوا يتصونون ويزعهم جدهم
في التقوى عن الجسارة على ذلك وهم الذين استثناهم بقوله **ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه**
في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان اي الى بعضكم ولكنه اغنت عن ذكر البعض
صفتهم المفارقة لصفة غيرهم وهو من ايجازات القرآن ولمحاته اللطيفة التي لا يفطن لها الا الخواص
وعن بعض المفسرين هم الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وقوله **اولئك هم الراشدون**
والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اي اولئك المستثنون هم الراشدون يصدق ما قلته فان قلت
ما فائدة تقديم خبر ان على اسمها قلت القصد الى توبيخ بعض المؤمنين على ما استهجن منهم من
استتباع رأي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لآرائهم فوجب تقديمه لانصباب الغرض اليه فان قيل فلم قيل
يطيعكم دون اطاعكم قلت للدلالة على انه كان في ارادتهم استمرار عمله على ما يستصوبونه وانه كلما
عن لهم رأي في امر كان معمولا عليه بدليل قوله في كثير من الامر كقولك فلان يقري الضيف ويحمي
الحريم تريد انه مما اعتاده ووجد منه مستمرا فان قلت كيف موقع لكن وشريطتها مفقودة من
مخالفة ما بعدها لما قبلها نفيا واثباتا قلت هي مفقودة من حيث اللفظ حاصلة من حيث المعنى لان
الذين حبب اليهم الايمان قد غايرت صفتهم صفة المتقدم ذكرهم فوقعت لكن في حاق موقعها
من الاستدراك ومعنى تحبيب الله وتكريهه اللطف والامداد بالتوفيق وسبيله الكناية
كما سبق وكل ذي لب وراجع الى بصيرته وذهن لا يغبى عليه ان الرجل لا يمدح بغير فعله وحمل الآية على ظاهرها
يؤدي الى ان يثني عليهم بفعل الله وقد نفى الله هذا على الذين انزل فيهم ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا
فان قلت فان العرب تمدح بالجمال وحسن الوجوه وذلك فعل الله وهو مدح مقبول عند الناس غير
مردود قلت الذي سوغ ذلك لهم انهم رأوا حسن الرواء ووسامة المنظر في الغالب يسفر عن
مخبر مرضي واخلاق محمودة ومن ثم قالوا احسن ما في الدميم وجهه فلم يجعلوه من صفات المدح لذاته
ولكن لدلالته على غيره على ان من محققة النقاد وعلماء المعاني من دفع صحة ذلك وخطأ المادح على
النعت بامهات الخير وهي الفصاحة والشجاعة والعدل والعفة وما يتشعب منها ويرجع اليها وجعل الوصف
بالجمال والثروة وكثرة الحفدة والاعضاد وغير ذلك مما ليس للانسان فيه عمل غلطا ومخالفة
عن المعقول الكفر تغطية نعم الله وغمطها بالجحود والفسوق الخروج عن قصد الايمان ومحجته
بركوب الكبائر والعصيان ترك الانقياد والمضي لما امر به الشارع والعرق العاصي العائد
واعتصت النواة اشتدت والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه من الرشادة وهي
الصخرة قال ابو الوازع كل صخرة رشادة وانشد

وغير مقلب وموشمات * صلبن الضوء من صم الرشاد

فضلا من الله ونعمة وفضلا مفعولا له او مصدر من غير فعله فان قلت من اين جاز وقوعه مفعولا له
والرشد فعل القوم والفضل فعل الله والشرط ان يتحد الفاعل قلت لما وقع الرشد عبارة عن التحبيب
والتزيين والتكريه مسندة الى اسمه تقدست اسماؤه صار الرشد كانه فعله فجاز ان ينتصب عنه او
لا ينتصب عن الراشدون ولكن عن الفعل المسند الى الله والجملة التي هي اولئك هم الراشدون اعتراض
او عن فعل مقدر كانه قيل جرى ذلك او كان ذلك فضلا واما كونه مصدرا من غير فعله فان يوضع
موضع رشدا لان رشدهم فضل من الله لكونهم موفقين فيه والفضل والنعمة بمعنى الافضال
والانعام **والله عليم** باحوال المؤمنين وما بينهم من التمايز والتفاضل **حكيم** حين يفضل وينعم بالتوفيق على
افاضلهم **وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى
فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين**
عن ابن عباس رضي الله عنه وقف رسول الله صلى الله عليه واله وسلم على مجلس بعض الانصار وهو على حمار
فبال الحمار فامسك عبد الله بن ابي بانفه وقال خل سبيل حمارك فقد اذانا نتنه فقال عبد الله بن
رواحة والله ان بول حماره لاطيب من مسكك وروي حماره افضل منك حتى استبا وتجالدا وجاء قوماهما
الاوس والخزرج فتجالدوا بالعصي وقيل بالايدي والنعال والسعف فرجع اليهم رسول الله صلى الله عليه
واله وسلم ونزلت وعن مقاتل قراها عليهم فاصطلحوا والبغي الاستطالة والظلم واباء الصلح والفيء الرجوع
وقد سمي به الظل والغنيمة لان الظل يرجع بعد نسخ الشمس والغنيمة ما يرجع من اموال الكفار
الى المسلمين وعن ابي عمرو حتى تفي بغير همز ووجهه ان ابا عمرو خفف الاولى من الهمزتين الملتقيين فلطفت
على الراوي تلك الخلسة فظنه قد طرحها فان قلت ما وجه قوله اقتتلوا والقياس اقتتلتا كما
قرا ابن ابي عبلة او اقتتلا كما قرا عبيد بن عمير على تاويل الرهطين او النفرين قلت هو مما حمل على
المعنى دون اللفظ لان الطائفتين في معنى القوم والناس وفي قراءة عبد الله حتى يفيئوا الى امر الله فان
فاءوا فخذوا بينهم بالقسط وحكم الفئة الباغية وجوب قتالها ما قاتلت وعن ابن عمر ما وجدت
في نفسي من شيء ما وجدت من امر هذه الاية ان لم اقاتل هذه الفئة الباغية كما امرني الله تعالى زاد بعد
ان اعتزل فاذا كفت وقبضت عن الحرب ايديها تركت واذا تولت عمل بما روي عن النبي صلى الله عليه
واله وسلم انه قال يا ابن ام عبد هل تدري كيف حكم الله فيمن بغى من هذه الامة قلت الله ورسوله
اعلم قال لا يجهز على جريحها ولا يقتل اسيرها ولا يطلب هاربها ولا يقسم فيئها ولا تخلو الفئتان من المسلمين اما
ان يقتتلا على سبيل البغي منهما جميعا فالواجب في ذلك ان يمشي بينهما بما يصلح ذات البين ويثمر
المكافة والموادعة فان لم تتحاجزا ولم تصطلحا واقامتا على البغي صير الى مقاتلتهما واما ان يلتحم بينهما
القتال لشبهة دخلت عليهما وكلتاهما عند انفسهما محقة فالواجب ازالة الشبهة بالحجج النيرة والبراهين
القاطعة واطلاعهما على مراشد الحق فان ركبتا متن اللجاج ولم تعملا على شاكلة ما هديتا اليه ونصحتا
به واما ان تكون احداهما الباغية على الاخرى فالواجب ان تقاتل فئة البغي الى ان تكف وتتوب فان
فعلت اصلح بينها وبين المبغي عليها بالقسط والعدل وفي ذلك تفاصيل ان كانت الباغية من قلة
العدد بحيث لا منعة لها ضمنت بعد الفيئة ما جنت وان كانت كثيرة ذات منعة وشوكة لم تضمن الا
عند محمد بن الحسن رحمه الله فانه يفتي بان الضمان يلزمها اذا فاءت واما قبل التجمع والتجند او حين
تتفرق عند وضع الحرب اوزارها فما جنته ضمنته عند الجميع فحمل الاصلاح بالعدل في قوله فاصلحوا
بينهما بالعدل على مذهب محمد واضح منطبق على لفظ التنزيل وعلى قول غيره وجهه ان يحمل على كون
الفئة قليلة العدد والذي ذكروا ان الغرض اماتة الضغائن وسل الاحقاد دون ضمان الجنايات
ليس بحسن الطباق للمامور به من اعمال العدل ومراعاة القسط فان قلت فلم قرن بالاصلاح الثاني
العدل دون الاول قلت لان المراد بالاقتتال في اول الاية ان يقتتلا باغيتين معا او راكبتين
شبهة وايتهما كانت فالذي يجب على المسلمين ان ياخذوا به في شانهما اصلاح ذات البين وتسكين
الدهماء باراءة الحق والمواعظ الشافية ونفي الشبهة الا اذا اصرتا فحينئذ تجب المقاتلة واما الضمان
فلا يتجه وليس كذلك اذا بغت احداهما فان الضمان متجه على الوجهين المذكورين **واقسطوا**
امر باستعمال القسط على طريق العموم بعد ما امر به على طريق الخصوص في اصلاح ذات البين
والقول فيه مثله في الامر باتقاء الله على عقب النهي عن التقدم بين يديه والقسط بالفتح الجور من

القسط وهو اعوجاج في الرجلين وعود قاسط يابس واقسطته الرياح واما القسط بمعنى العدل
فالفعل منه اقسط وهمزته للسلب اي ازال القسط وهو الجور **انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين
اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون** هذا تقرير لما الزمه من تولي الاصلاح بين من وقعت بينهم
المشاقة من المؤمنين وبيان ان الايمان قد عقد بين اهله من السبب القريب والنسب اللاصق ما
ان لم يفضل الاخوة ولم يبرز عليها لم ينقص عنها ولم يتقاصر عن غايتها ثم قد جرت عادة الناس على انه اذا
نشب مثل ذلك بين اثنين من اخوة الولاد لزم السائر ان يتناهضوا في رفعه وازاحته ويركبوا الصعب
والذلول مشيا بالصلح وبثا للسفراء بينهما الى ان يصادف ما وهي من الوفاق من يرقعه وما استشن
من الوصال من يبله فالاخوة في الدين احق بذلك وباشد منه وعن النبي صلى الله عليه واله وسلم المسلم
اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يعيبه ولا يتطاول عليه في البنيان فيستر عنه الريح الا باذنه ولا يؤذيه
بقتار قدره ثم قال احفظوا ولا يحفظ منكم الا قليل فان قلت فلم خص الاثنان بالذكر دون الجمع قلت
لان اقل من يقع بينهم الشقاق اثنان فاذا لزمت المصالحة بين الاقل كانت بين الاكثر الزم لان الفساد
في شقاق الجمع اكثر منه في شقاق الاثنين وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ بين اخوتكم
واخوانكم والمعنى ليس المؤمنون الا اخوة وانهم خلص لذلك متمحضون قد انزاحت عنهم شبهات
الاجنبية وابى لطف حالهم في التمازج والاتحاد ان يقدموا على ما يتولد منه التقاطع فبادروا قطع
ما يقع من ذلك ان وقع واحسموه واتقوا الله فانكم ان فعلتم لم تحملكم التقوى الا على التواصل والائتلاف
والمسارعة الى اماطة ما يفرط منه وكان فعلكم ذلك وصلة الى رحمة الله اياكم واشتمال رافته عليكم حقيقا
بان تعقدوا به رجاءكم **يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء
من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق
بعد الايمان ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون** القوم الرجال خاصة لانهم القوام بامور النساء قال
الله تعالى الرجال قوامون على النساء وقال عليه السلام النساء لحم على وضم الا ما ذب عنه والذابون هم الرجال
وهو في الاصل جمع قائم كصوم وزور في جمع صائم وزائر وتسميتهم بالمصدر عن بعض العرب اذا اكلت طعاما
احببت قوما وابغضت قوما اي قياما واختصاص القوم بالرجال صريح في الاية وفي قول زهير
اقوم ال حصن ام نساء واما قولهم في قوم فرعون وقوم عاد هم الذكور والاناث فليس لفظ القوم بمتعاط
للفريقين ولكن قصد ذكر الذكور وترك ذكر الاناث لانهن توابع لرجالهن وتنكير القوم والنساء
يحتمل معنيين ان يراد لا يسخر بعض المؤمنين من بعض وان تقصد افادة الشياع وان تصير كل جماعة
منهية عن السخرية وانما لم يقل رجل من رجل ولا امراة من امراة على التوحيد اعلاما باقدام غير
واحد من رجالهم وغير واحدة من نسائهم على السخرية واستفظاعا للشان الذي كانوا عليه ولان
مشهد الساخر لا يكاد يخلو ممن يتلهى ويستضحك على قوله ولا ياتي ما عليه من النهي والانكار
فيكون شريك الساخر وتلوه في تحمل الوزر وكذلك كل من يطرق سمعه فيستطيبه ويضحك
فيؤدي ذلك وان اوجده واحد الى تكثر السخرة وانقلاب الواحد جماعة وقوما وقوله عسى ان
يكونوا خيرا منهم كلام مستانف قد ورد مورد جواب المستخبر عن العلة الموجبة لما جاء النهي عنه
والا فقد كان حقه ان يوصل بما قبله بالفاء والمعنى وجوب ان يعتقد كل واحد ان المسخور منه ربما
يكون عند الله خيرا من الساخر لان الناس لا يطلعون الا على ظواهر الاحوال ولا علم لهم بالخفيات وانما
الذي يزن عند الله خلوص الضمائر وتقوى القلوب وعلمهم من ذلك بمعزل فينبغي ان لا يجترئ احد
على الاستهزاء بمن تقتحمه عينه اذا راه رث الحال او ذا عاهة في بدنه او غير لبيق في محادثته فلعله
اخلص ضميرا واتقى قلبا ممن هو على ضد صفته فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله والاستهانة بمن
عظمه الله ولقد بلغ بالسلف افراط توقيهم وتصونهم من ذلك ان قال عمرو بن شرحبيل لو رايت رجلا
يرضع عنزا فضحكت منه لخشيت ان اصنع مثل الذي صنعه وعن عبد الله بن مسعود البلاء موكل بالقول
لو سخرت من كلب لخشيت ان احول كلبا وفي قراءة عبد الله عسوا ان يكونوا وعسين ان يكن على هذه
اللغة وهي ذات الخبر كالتي في قوله فهل عسيتم او على الاولى التي لا خبر لها كقوله تعالى وعسى ان تكرهوا
شيئا واللمز الطعن والضرب باللسان وقرئ ولا تلمزوا بالضم والمعنى وخصوا ايها المؤمنون انفسكم
بالانتهاء عن عيبها والطعن فيها ولا عليكم ان تعيبوا غيركم ممن لا يدين بدينكم ولا يسير بسيرتكم

ففي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذره الناس وعن الحسن في ذكر الحجاج أخرج إليّ بنانا قصيرة قلّ ما عرقت فيها الأعنة في سبيل الله ثم جعل يطبطب شعيرات له ويقول يا أبا سعيد يا أبا سعيد وقال لما مات الحجاج اللهم أنت أمته فاقطع سنته فإنه أتانا أخيفش أعيمش يخطر في مشيته ويصعد المنبر حتى تفوته الصلاة لا من الله يتقي ولا من الناس يستحي فوقه الله وتحته مائة ألف أو يزيدون لا يقول له قائل الصلاة أيها الرجل هيهات دون ذلك السيف والسوط وقيل معناه لا تفعلوا ما تلمزون به لأن من فعل ما استحق به اللمز لمز نفسه حقيقة وقيل معناه لا يعب بعضكم بعضا لأن المؤمنين كنفس واحدة فمتى عاب المؤمن المؤمن فكأنما عاب نفسه والتنابز بالألقاب التداعي بها تفاعل من نبزه وبنو فلان يتنابزون ويتنابزون ويقال النبز والنزب لقب السوء والتلقيب المنهي عنه هو ما يتداخل المدعو به كراهة لكونه تقصيرا به وذما له وشينا فأما ما يحبه مما يزينه وينوه به فلا بأس به روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حق المؤمن على أخيه أن يسميه بأحب أسمائه إليه ولهذا كانت التكنية من السنة والأدب الحسن قال عمر رضي الله عنه أشيعوا الكنى فإنها منبهة ولقد لقب أبو بكر بالعتيق والصديق وعمر بالفاروق وحمزة بأسد الله وخالد بسيف الله وقلّ من المشاهير في الجاهلية والإسلام من ليس له لقب ولم تزل هذه الألقاب الحسنة في الأمم كلها من العرب والعجم تجري في مخاطباتهم ومكاتباتهم من غير نكير وروي عن الضحاك أن قوما من بني تميم استهزؤوا ببلال وخباب وعمار وصهيب وأبي ذر وسالم مولى حذيفة فنزلت وعن عائشة أنها كانت تسخر من زينب بنت خزيمة الهلالية وكانت قصيرة وعن ابن عباس أن أم سلمة ربطت حقويها بسبيبة وسدلت طرفها خلفها وكانت تجره فقالت عائشة لحفصة انظري ما تجر خلفها كأنه لسان كلب وعن أنس عيرت نساء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أم سلمة بالقصر وعن عكرمة عن ابن عباس أن صفية بنت حيي أتت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت إن النساء يعيرنني ويقلن يا يهودية بنت يهوديين فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هلا قلت إن أبي هارون وإن عمي موسى وإن زوجي محمد وروي أنها نزلت في ثابت بن قيس وكان به وقر وكانوا يوسعون له في مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليسمع وهو يقول تفسحوا حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لرجل تنح فلم يفعل فقال من هذا الرجل فقال الرجل أنا فلان فقال بل أنت ابن فلانة يريد أما كان يعير بها في الجاهلية فخجل الرجل فنزلت فقال ثابت لا أفخر على أحد في الحسب بعد هذا أبدا الاسم ههنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه في الناس بالكرم أو باللؤم كما يقال طار ثناؤه وصيته وحقيقته ما سما من ذكره وارتفع بين الناس ألا ترى إلى قولهم أشاد بذكره كأنه قيل بئس الذكر المرتفع للمؤمنين بسبب ارتكاب هذه الجرائم أن يذكروا بالفسوق وفي قوله بعد الإيمان ثلاثة أوجه أحدها استقباح الجمع بين الإيمان وبين الفسق الذي يأباه الإيمان ويحظره كما تقول بئس الشأن بعد الكبرة الصبوة والثاني أنه كان في شتائمهم لمن أسلم من اليهود يا يهودي يا فاسق فنهوا عنه وقيل لهم بئس الذكر أن تذكروا الرجل بالفسوق واليهودية بعد إيمانه والجملة على هذا التفسير متعلقة بالنهي عن التنابز والثالث أن يجعل من فسق غير مؤمن كما تقول للمتحول عن التجارة إلى الفلاحة بئست الحرفة الفلاحة بعد التجارة

يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم

يقال جنبه الشر إذا أبعده عنه وحقيقته جعله منه في جانب فيعدى إلى مفعولين قال الله عز وجل واجنبني وبني أن نعبد الأصنام ثم يقال في مطاوعه اجتنب الشر فتنقص المطاوعة مفعولا والمأمور باجتنابه هو بعض الظن وذلك البعض موصوف بالكثرة ألا ترى إلى قوله إن بعض الظن إثم فإن قلت بيّن الفصل بين كثيرا حيث جاء نكرة وبينه لو جاء معرفة قلت مجيئه نكرة يفيد معنى البعضية وأن في الظنون ما يجب أن يجتنب من غير تبيين لذلك ولا تعيين لئلا يجترئ أحد على ظن إلا بعد نظر وتأمل وتمييز بين حقه وباطله بأمارة بينة مع استشعار للتقوى والحذر ولو عرف لكان الأمر باجتناب الظن منوطا بما يكثر منه دون ما يقل ووجب أن يكون كل ظن متصف بالكثرة مجتنبا وما اتصف منه بالقلة مرخصا في تظنيه والذي يميز الظنون التي يجب اجتنابها عما سواها أن كل ما لم تعرف له أمارة صحيحة وسبب ظاهر كان حراما واجب الاجتناب وذلك إذا كان المظنون به ممن شوهد منه الستر والصلاح وأونست منه الأمانة في الظاهر فظن الفساد والخيانة به محرم

بخلاف

بخلاف من اشتهره الناس بتعاطي الريب والمجاهرة بالخبائث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إن الله حرم من المسلم دمه وعرضه وأن يظن به ظن السوء وعن الحسن كنا في زمن الظن بالناس حرام وأنت اليوم اعمل واسكت وظن بالناس ما شئت وعنه لا حرمة لفاجر وعنه إن الفاسق إذا أظهر فسقه وهتك ستره هتكه الله وإذا استتر لم يظهر الله عليه لعله أن يتوب وقد روي من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له والإثم الذنب الذي يستحق صاحبه العقاب ومنه قيل لعقوبته الأثام فعال منه كالنكال والعذاب والوبال قال

لقد فعلت هذي النوى بي فعلة ۞ أصاب النوى قبل الممات أثامها

والهمزة فيه عن الواو كأنه يثم الأعمال أي يكسرها بإحباطه وقرئ ولا تحسسوا بالحاء والمعنيان متقاربان يقال تجسس الأمر إذا تطلبه وبحث عنه تفعل من الجس كما أن التلمس بمعنى التطلب من اللمس لما في اللمس من الطلب وقد جاء بمعنى الطلب في قوله تعالى وأنا لمسنا السماء والتحسس التعرف من الحس ولتقاربهما قيل لمشاعر الإنسان الحواس بالحاء والجيم والمراد النهي عن تتبع عورات المسلمين ومعايبهم والاستكشاف عما ستروه وعن مجاهد خذوا ما ظهر ودعوا ما ستره الله وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه خطب فرفع صوته حتى أسمع العواتق في خدورهن وقال يا معشر من آمن بلسانه ولم يخلص الإيمان إلى قلبه لا تتبعوا عورات المسلمين فإنه من يتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته وعن زيد بن وهب قلنا لابن مسعود هل لك في الوليد بن عقبة بن أبي معيط تقطر لحيته خمرا فقال ابن مسعود إنا قد نهينا عن التجسس فإن ظهر لنا شيء أخذنا به غابه واغتابه كغاله واغتاله والغيبة من الاغتياب وهي ذكر السوء في الغيبة وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الغيبة فقال أن تذكر أخاك بما يكره فإن كان فيه فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته وعن ابن عباس الغيبة إدام كلاب الناس أيحب أحدكم تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفظع وجه وأفحشه وفيه مبالغات شتى منها الاستفهام الذي معناه التقرير ومنها جعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة ومنها إسناد الفعل إلى أحدكم والإشعار بأن أحدا من الأحدين لا يحب ذلك ومنها أن لم يقتصر على تمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان حتى جعل الإنسان أخا ومنها أن لم يقتصر على لحم الأخ حتى جعل ميتا وعن قتادة كما تكره إن وجدت جيفة مدودة أن تأكل منها كذلك فاكره لحم أخيك وهو حي وانتصب ميتا على الحال من اللحم ومن الأخ وقرئ ميتا ولما قررهم عز وجل بأن أحدا منهم لا يحب أكل جيفة أخيه عقب ذلك بقوله فكرهتموه واستقر ذلك وفيه معنى الشرط أي إن صح هذا فقد كرهتموه وهي الفاء الفصيحة أي فتحقق بوجوب الإقرار عليكم بأنكم لا تقدرون على دفعه وإنكاره لإباء البشرية عليكم أن تجحدوا كراهتكم له وتقذركم منه فليتحقق أيضا أن تكرهوا ما هو نظيره من الغيبة والطعن في أعراض المسلمين وقرئ فكرهتموه أي جبلتم على كراهته فإن قلت هلا عدي بإلى كما عدي في قوله وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان قلت الغياث تعديته بنفسه لأنه ذو مفعول واحد قبل تثقيل حشوه تقول كرهت الشيء فإذا ثقل استدعى زيادة مفعول وأما تعديته بإلى فتأول وإجراء لكره مجرى بغض لأن بغض منقول من بغض إليه الشيء فهو بغيض إليه كقولك حب إليه فهو حبيب إليه والمبالغة في التواب للدلالة على كثرة من يتوب عليه من عباده أو لأنه ما من ذنب يقترفه المقترف إلا كان معفوا عنه بالتوبة أو لأنه بليغ في قبول التوبة منزل صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه والمعنى واتقوا الله بترك ما أمرتم باجتنابه والندم على ما وجد منكم منه فإنكم إن اتقيتم تقبل الله توبتكم وأنعم عليكم بثواب المتقين التائبين وعن ابن عباس أن سلمان كان يخدم رجلين من الصحابة ويسوي لهما طعامهما فنام عن شأنه يوما فبعثاه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبغي لهما إداما وكان أسامة على طعام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال ما عندي شيء فأخبرهما سلمان فقالا عند ذلك لو بعثناه إلى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لهما ما لي أرى خضرة اللحم في أفواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال إنكما قد اغتبتما فنزلت يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى من آدم وحواء وقيل خلقنا كل واحد منكم من أب وأم فما منكم أحد إلا وهو يدلي بمثل ما يدلي به الآخر سواء بسواء فلا وجه للتفاخر والتفاضل في النسب وجعلناكم شعوبا وقبائل والشعب

الطبقة الاولى من الطبقات الست التي عليها العرب وهي الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة فالشعب يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الافخاذ والفخذ تجمع الفصائل خزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وسميت الشعوب لان القبائل تشعبت منها **لتعارفوا** وقرئ لتعارفوا ولتعارفوا بالادغام ولتعرفوا اي لتعلموا كيف تتناسبون ولتتعارفوا والمعنى ان الحكمة التي من اجلها رتبكم على شعوب وقبائل هي ان يعرف بعضكم نسب بعض فلا يعتزي الى غير آبائه لا ان تتفاخروا بالآباء والاجداد وتدعوا التفاوت والتفاضل في الانساب ثم بين الخصلة التي بها يفضل الانسان غيره ويكتسب الشرف والكرم عند الله **ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير** وقرئ أن بالفتح كانه قيل لم تتفاخروا بالانساب فقيل لان اكرمكم عند الله اتقاكم لا انسبكم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه طاف يوم فتح مكة فحمد الله واثنى عليه ثم قال الحمد لله الذي اذهب عنكم عيبة الجاهلية وتكبرها يا ايها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله ثم قرأ الآية وعنه عليه الصلاة والسلام من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله وعن ابن عباس كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى وعن يزيد بن شجرة مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في سوق المدينة فرأى غلاما اسود يقول من اشتراني فعلى شرط لا يمنعني عن الصلوات الخمس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتراه رجل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراه عند كل صلاة ففقده فسأل عنه صاحبه فقال محموم فعاده ثم سأل عنه بعد ايام فقيل هو لما به فجاءه وهو في ذمائه فتولى غسله ودفنه فدخل على المهاجرين والانصار امر عظيم **قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا** الايمان هو التصديق مع الثقة وطمأنينة النفس والاسلام الدخول في السلم والخروج من ان يكون حربا للمؤمنين باظهار الشهادتين الا ترى الى قوله **ولما يدخل الايمان في قلوبكم** فاعلم ان ما يكون من الاقرار باللسان من غير مواطأة القلب فهو اسلام وما واطأ فيه القلب اللسان فهو ايمان فان قلت ما وجه قوله قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا والذي يقتضيه نظم الكلام ان يقال قل لا تقولوا آمنا ولكن قولوا اسلمنا او قل لم تؤمنوا ولكن اسلمتم قلت افاد هذا النظم تكذيب دعواهم اولا ودفع ما انتحلوه فقيل لم تؤمنوا وروعي في هذا النوع من التكذيب ادب حسن حين لم يصرح بلفظه فلم يقل كذبتم ووضع لم تؤمنوا الذي هو نفي ما ادعوا اثباته موضعه ثم نبه على ما فعل من وضعه موضع كذبتم في قوله في صفة المخلصين اولئك هم الصادقون تعريضا بان هؤلاء هم الكاذبون ورب تعريض لا يقاومه التصريح واستغنى بالجملة التي هي لم تؤمنوا عن ان يقال لا تقولوا آمنا لاستهجان ان يخاطبوا بلفظ مؤداه النهي عن القول بالايمان ثم وصلت بها الجملة المصدرة بكلمة الاستدراك محمولة على المعنى ولم يقل ولكن اسلمتم ليكون خارجا مخرج الزعم والدعوى كما كان قولهم آمنا كذلك ولو قيل ولكن اسلمتم لكان خروجه في معرض التسليم لهم والاعتداد بقولهم وهو غير معتد به فان قلت قوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم بعد قوله قل لم تؤمنوا يشبه التكرير من غير استقلال بفائدة متجددة قلت ليس كذلك فان فائدة قوله لم تؤمنوا هو تكذيب دعواهم وقوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم توقيت لما امروا ان يقولوه كانه قيل لهم ولكن قولوا اسلمنا حين لم تثبت مواطأة قلوبكم لالسنتكم لانه كلام واقع موقع الحال من الضمير في قولوا وما في لما من معنى التوقع دال على ان هؤلاء قد آمنوا فيما بعد **وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيئا ان الله غفور رحيم** لا يلتكم لا ينقصكم ولا يظلمكم يقال لاته السلطان حقه اشد الليت وهي لغة غطفان ولغة اسد واهل الحجاز لاته ليتا وحكى الاصمعي عن ام هشام السلولية انها قالت الحمد لله الذي لا يفات ولا يلات ولا تصمه الاصوات وقرئ بالهمز لا يألتكم ونحوه في المعنى ولا تظلمون فتيلا ومعنى طاعة الله ورسوله ان يتوبوا عما كانوا عليه من النفاق ويعقدوا قلوبهم على الايمان ويعملوا بمقتضياته فان فعلوا ذلك تقبل الله توبتهم ووهب لهم مغفرته وانعم عليهم بجزيل ثوابه وعن ابن عباس ان نفرا من بني اسد قدموا المدينة في سنة جدبة فاظهروا الشهادة وافسدوا طرق المدينة بالعذرات واغلوا اسعارها وهم يغدون ويروحون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون اتتك العرب بانفسها على ظهور رواحلها وجئناك بالاثقال والذراري يريدون الصدقة ويمنون عليه فنزلت **انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا**

بأموالهم وانفسهم في سبيل الله ارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه في الشك مع التهمة والمعنى آمنوا ثم لم يقع في نفوسهم شك فيما آمنوا به ولا اتهام لمن صدقوه واعترفوا بان الحق معه فان قلت ما معنى ثم هاهنا وهي للتراخي وعدم الارتياب يجب ان يكون مقارنا للايمان لانه وصف فيه لما بينت من افادة الايمان معنى الثقة والطمأنينة التي حقيقتها التيقن وانتفاء الريب قلت الجواب على طريقين احدهما ان من وجد منه الايمان ربما اعترضه الشيطان او بعض المضلين بعد ثلج الصدر فشككه وقذف في قلبه ما يثلم يقينه او نظر هو نظرا غير سديد يسقط به على الشك ثم يستمر على ذلك راكبا رأسه لا يطلب له مخرجا فوصف المؤمنون حقا بالبعد عن هذه الموبقات ونظيره قوله ثم استقاموا والثاني ان الايقان وزوال الريب لما كان ملاك الايمان افرد بالذكر بعد تقدم الايمان تنبيها على مكانه وعطف على الايمان بكلمة التراخي اشعارا باستقراره في الازمنة المتراخية المتطاولة غضا جديدا وجاهدوا يجوز ان يكون المجاهد منويا وهو العدو المحارب او الشيطان او الهوى وان يكون جاهد مبالغة في جهد ويجوز ان يراد بالمجاهدة بالنفس الغزو وان يتناول العبادات بأجمعها وبالمجاهدة بالمال نحو ما صنع عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة وان يتناول الزكوات وكل ما يتعلق بالمال من اعمال البر التي يتحامل فيها الرجل على ماله لوجه الله **اولئك هم الصادقون** الذين صدقوا في قولهم آمنا ولم يكذبوا كما كذب اعراب بني اسد او هم الذين ايمانهم ايمان صدق وجد وثبات **قل اتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شيء عليم** يقال ما علمت بقدومه اي ما شعرت به ولا احطت به ومنه قوله اتعلمون الله بدينكم وهو تجهيل **يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون** يقال من عليه بيد اذا اسداها اليه كقولك انعم الله عليه وافضل عليه والمنة النعمة التي لا يستثيب مسديها من يزلها اليه واشتقاقها من المن الذي هو القطع لانه انما يسديها اليه ليقطع بها حاجته من غير ان يعمل لطلب مثوبة ثم يقال من عليه صنيعه اذا اعتده عليه منة وانعاما وسياق الآية فيه لطف ورشاقة وذلك ان الكائن من الاعراب قد سماه الله اسلاما ونفى ان يكون كما زعموا ايمانا فلما منوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان منهم قال الله سبحانه لرسوله ان هؤلاء يعتدون عليك بما ليس جديرا بالاعتداد من حدثهم الذي حق تسميته ان يقال له اسلام فقل لهم لا تعتدوا علي اسلامكم اي حدثكم المسمى اسلاما عندي لا ايمانا ثم قال بل الله يعتد عليكم ان امدكم بتوفيقه حيث هداكم للايمان على ما زعمتم انكم ارشدتم اليه ووفقتم له ان صح زعمكم وصدقت دعواكم الا انكم تزعمون وتدعون ما الله عليم بخلافه وفي اضافة الاسلام اليهم وايراد الايمان غير مضاف ما لا يخفى على المتأمل وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه تقديره ان كنتم صادقين في ادعائكم الايمان فلله المنة عليكم وقرئ ان هداكم بكسر الهمزة وفي قراءة ابن مسعود اذ هداكم وقرئ يعملون بالتاء والياء وهذا بيان لكونهم غير صادقين في دعواهم يعني انه عز وجل يعلم كل مستتر في العالم ويبصر كل عمل تعملونه في سركم وعلانيتكم لا يخفى عليه منه شيء فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم ولا يطلع على صدقكم وكذبكم وذلك ان حاله مع كل معلوم واحدة لا تختلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجرات اعطي من الاجر بعدد من اطاع الله ومن عصاه

سورة ق مكية وهي خمس واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

ق والقرآن المجيد الكلام في ق والقرآن المجيد بل عجبوا نحوه في ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق لانتظامهما في اسلوب واحد والمجيد ذو المجد والشرف على غيره من الكتب ومن احاط علما بمعانيه وعمل بما فيه مجد عند الله وعند الناس وهو بسبب من الله المجيد فجاز اتصافه بصفته قوله **بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم** انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو ان ينذرهم بالمخوف رجل منهم قد عرفوا وساطته فيهم وعدالته وامانته ومن كان على صفته لم يكن الا ناصحا لقومه مترفقا عليهم

خايفا ان ينالهم سوء ويحل بهم مكروه واذا علم ان مخوفا اطلهم لزمه ان ينذرهم ويحذرهم فكيف بما
هو غاية المخاوف ونهاية المحاذير وانكار لتعجبهم مما انذرهم به من البعث مع علمهم بقدرة الله على
خلق السموات والارض وعلى اختراع كل شي وابداعه واقرارهم بالنشاة الاولى ومع شهادة العقل
بانه لا بد من الجزاء ثم عول على احد الانكارين بقوله فقال الكافرون هذا شيء عجيب أإذا متنا وكنا
ترابا دلالة على ان تعجبهم من البعث ادخل في الاستبعاد واحق بالانكار ووضع الكافرون موضع
الضمير للشهادة على انهم في قولهم هذا مقدمون على الكفر العظيم وهذا اشارة الى الرجع واذا
منصوب بمضمر معناه احين نموت ونبلى نرجع ذلك رجع بعيد اي مستبعد مستنكر
كقولك هذا قول بعيد وقد ابعد فلان في قوله ومعناه بعيد من الوهم والعادة ويجوز ان يكون
الرجع بمعنى المرجوع وهو الجواب ويكون من كلام الله تعالى استبعادا لانكارهم ما انذروا
به من البعث والوقف قبله على هذا التفسير حسن وقرئ اذا متنا على لفظ الخبر ومعناه اذا متنا
بعد ان نرجع والدال عليه ذلك رجع بعيد فان قلت فما ناصب الظرف اذا كان الرجع بمعنى
المرجوع قلت ما دل عليه المنذر من المنذر به وهو البعث قد علمنا ما تنقص الارض منهم
رد لاستبعادهم الرجع لان من لطف علمه حتى تغلغل الى ما تنقص الارض من اجساد الموتى وتاكله
من لحومهم وعظامهم كان قادرا على رجعهم احياء كما كانوا عن النبي صلى الله عليه واله وسلم كل ابن آدم
ياكله التراب الا عجب الذنب وعن السدي ما تنقص الارض منهم ما يموت فيدفن في الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ محفوظ من الشياطين
ومن التغيير وهو اللوح المحفوظ او حافظ لما اودعه وكتب فيه بل كذبوا بالحق لما جاءهم اضراب
اتبع الاضراب الاول للدلالة على انهم جاءوا بما هو افظع من تعجبهم وهو التكذيب بالحق الذي هو النبوة
الثابتة بالمعجزات في اول وهلة من غير تفكر ولا تدبر فهم في امر مريج مضطرب يقال مرج الخاتم في
اصبعه وجرج فيقولون تارة شاعر وتارة ساحر وتارة كاهن لا يثبتون على شيء واحد وقرئ لما جاءهم بكسر اللام
وما المصدرية واللام هي التي في قولهم لخمس خلون عند مجيئه اياهم وقيل الحق القرآن وقيل الاخبار بالبعث
أفلم ينظروا حين كفروا بالبعث الى السماء فوقهم كيف بنيناها رفعناها بغير عمد وزيناها بالكواكب وما لها
من فروج من فتوق بان خلقها ملسا سليمة من العيوب لا فتق فيها ولا صدع ولا خلل كقوله تعالى هل
ترى من فطور والارض مددناها دحوناها والقينا فيها رواسي جبالا ثوابت لولا هي لتكفأت
وانبتنا فيها من كل زوج من كل صنف بهيج يبتهج به لحسنه تبصرة وذكرى لكل عبد منيب
تبصيرا به وتذكيرا لكل عبد منيب راجع الى ربه متفكر في بدائع خلقه وقرئ تبصرة
ونزلنا من السماء ماء مباركا كثير النفع فانبتنا به جنات وحب الحصيد وحب الزرع
الذي من شانه ان يحصد وهو ما يقتات به من نحو الحنطة والشعير وغيرهما والنخل باسقات
طوالا او حوامل من ابسقت الشاة اذا حملت وافعال بمعنى فاعل وقرئ باصقات لاجل القاف
لها طلع نضيد منضود بعضه فوق بعض اما ان يراد كثرة الطلع وتراكمه او كثرة ما فيه من الثمر
رزقا للعباد علة لانبتنا او مصدر فان الانبات في معنى الرزق او على انه مفعول له انبتناها لنرزقهم
واحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج كما حييت هذه البلدة الميتة كذلك تخرجون احياء
بعد موتكم والكاف في محل الرفع على الابتداء كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود
وعاد وفرعون واخوان لوط واصحاب الايكة وقوم تبع اراد بفرعون قومه كقوله من
فرعون وملائهم لان المعطوف عليه قوم نوح والمعطوفات جماعات كل كذب الرسل يجوز ان
يراد به كل واحد منهم وان يراد جميعهم الا انه وحد الضمير الراجع اليه على اللفظ دون المعنى فحق
وعيد فوجب وحل وعيدي وهو كلمة العذاب وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم وتهديد
لهم أفعيينا بالخلق الاول افعجزنا عن الابداء حتى نعجز عن الاعادة من عيي بالامر اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة للانكار والمعنى انا لم نعجز
كما علموا عن الخلق الاول حتى نعجز عن الثاني فالهم لا ينكرون قدرتنا على الخلق الاول واعترافهم
بذلك في طيه الاعتراف بالقدرة على الاعادة بل هم في لبس اي في خلط وشبهة قد لبس عليهم الشيطان
وحيرهم ومنه قول علي رضي الله عنه يا حار انه لملبوس عليك اعرف الحق تعرف اهله ولبس
الشيطان عليهم تسويله اليهم ان احياء الموتى امر خارج عن العادة فتركوا لذلك القياس الصحيح
ان من قدر على الانشاء كان على الاعادة اقدر من خلق جديد فان قلت لم نكر الخلق الجديد وهلا

غرف كما عرف الخلق الاول قلت قصد في تنكيره الى خلق جديد له شان عظيم وحال شديد من حق
من سمع به ان يهتم به ويخاف ويبحث عنه ولا يقعد على لبس في مثله ولقد خلقنا الانسان ونعلم
ما توسوس به نفسه الوسوسة الصوت الخفي ومنها وسواس الحلي ووسوسة النفس ما يخطر
ببال الانسان ويهجس في ضميره من حديث النفس والباء مثلها في قولك صوت بكذا او همس به ويجوز
ان تكون للتعدية والضمير للانسان اي ما تجعله موسوسا والمصدرية لانهم يقولون حدث
نفسه بكذا كما يقولون حدثته به نفسه قال واكذب النفس اذا حدثتها ونحن اقرب اليه
من حبل الوريد والمراد قرب علمه منه وانه يتعلق بمعلومه منه ومن احواله تعلقا لا يخفى عليه شيء من خفياته فكان
ذاته قريبة منه كما يقال الله في كل مكان وقد جل عن الامكنة من حبل الوريد وحبل الوريد مثل في
فرط القرب كقولهم هو مني مقعد القابلة ومعقد الازار قال ذو الرمة
والموت ادنى لي من الوريد والحبل العرق شبه بواحد الحبال الا ترى الحوله كان وريديه رشاء خلب
والوريدان عرقان مكتنفان لصفحتي العنق في مقدمها متصلان بالوتين يردان من الراس
اليه وقيل سمي وريدا لان الروح ترده فان قلت ما وجه اضافة الحبل الى الوريد والشيء لا يضاف الى
نفسه قلت فيه وجهان احدهما ان تكون الاضافة للبيان كقولهم بعير سانية والثاني ان يراد حبل
العاتق فيضاف الى الوريد كما يضاف الى العاتق لاجتماعهما في عضو واحد كما لو قيل حبل العلباء اذ يتلقى
المتلقيان اذ منصوب باقرب وساغ ذلك لان المعاني تعمل في الظرف متقدمة ومتاخرة والمعنى انه لطيف
يتوصل علمه الى خطرات النفس ولا شيء اخفى منه وهو اقرب من الانسان من كل قريب حين يتلقى الحفيظان
ما يتلفظ به ايذانا بان استحفاظ الملكين امر هو غني عنه وكيف لا يستغني عنه وهو مطلع على
اخفى الخفيات وانما ذلك لحكمة اقتضت ذلك وهي ما في كتبة الملكين وحفظهما وعرض صحائف
العمل يوم يقوم الاشهاد وعلم العبد بذلك مع علمه باحاطة الله بعلمه من زيادة لطف له في الانتهاء عن
السيئات والرغبة في الحسنات وعن النبي صلى الله عليه واله وسلم ان مقعد ملكيك على ثنيتيك ولسانك
قلمهما وريقك مدادهما وانت تجري فيما لا يعنيك لا تستحي من الله ولا منهما ويجوز ان يكون تلقي الملكين
بيانا للقرب يعني ونحن قريبون منه مطلعون على احواله مهيمنون عليه اذ حفظتنا وكتبتنا
موكلون به والتلقي التلقن بالحفظ والكتبة عن اليمين وعن الشمال قعيد اي عن اليمين قعيد والقعيد الفاعل
كالجليس بمعنى المجالس ونفذ به عن اليمين قعيد من المتلقيين فترك احدهما لدلالة الثاني عليه كقوله
كنت منه ووالدي بريا ما يلفظ من قول الا لديه رقيب ملك يرقب عمله عتيد حاضر
واختلف فيما يكتب الملكان فقيل يكتبان كل شيء حتى انينه في مرضه وقيل لا يكتبان الا ما فيه اجر
او وزر ويدل عليه قوله عليه السلام كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل
وكاتب الحسنات امين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال
لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر وقيل ان الملائكة يجتنبون الانسان عند
غائطه وعند جماعه وقرئ ما يلفظ على البناء للمفعول وجاءت سكرة الموت بالحق لما ذكر انكارهم
للبعث واحتج عليهم بوصف قدرته وعلمه اعلمهم انما انكروه وجحدوه هم لاقوه عن قريب عند موتهم وعند
قيام الساعة ونبه على اقتراب ذلك بان عبر عنه بلفظ الماضي وهو قوله وجاءت سكرة الموت بالحق ونفخ
في الصور وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء في بالحق للتعدية يعني واحضرت سكرة الموت
حقيقة الامر الذي انطق الله به كتبه وبعث به رسله او حقيقة الامر وجلية الحال من سعادة
الميت وشقاوته وقيل الحق الذي خلق له الانسان من ان كل نفس ذائقة الموت ويجوز ان تكون الباء مثلها
في قوله تنبت بالدهن اي وجاءت ملتبسة بالحق اي بحقيقة الامر او بالحكمة والغرض الصحيح كقوله
خلق السموات والارض بالحق وقرأ ابو بكر وابن مسعود رضي الله عنهما سكرة الحق بالموت على اضافة
السكرة الى الحق والدلالة على انها السكرة التي كتبت على الانسان واوجبت له وانها حكمة والباء للتعدية
لانها سبب زهوق الروح لشدتها او لان الموت يعقبها فكانها جاءت به ويجوز ان يكون المعنى جاءت ومعها الموت
وقيل سكرة الحق سكرة الله واضيفت اليه تفظيعا لشانها وتهويلا وقرئ سكرات الموت ذلك اشارة الى
الموت والخطاب للانسان في قوله ولقد خلقنا الانسان على طريق الالتفات او الى الحق والخطاب للفاجر
ما كنت منه تحيد تنفر وتهرب وعن بعضهم انه سال زيد بن اسلم عن ذلك فقال الخطاب لرسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم فحكاه لصالح بن كيسان فقال والله ما سنّ عليّ بهذا لسان فصيح ولا معرفة بكلام العرب هو للكافر ثم حكاه للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس فقال تخالفهما جميعا هو للبر والفاجر ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد على تقدير حذف المضاف اي وقت ذلك يوم الوعيد والاشارة الى مصدر نفخ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ملكان احدهما يسوقه الى المحشر والآخر يشهد عليه بعمله او ملك واحد جامع بين الامرين كانه قيل معها ملك يسوقه ويشهد عليه ومحل معها سائق النصب على الحال من كل لتعرفه بالاضافة الى ما هو في حكم المعرفة لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد وقرئ لقد كنت عنك بصرك بالكسر على خطاب النفس اي يقال لها لقد كنت جعلت الغفلة كانها غطاء غطى به جسدك او غشاوة غطى بها عينيك فهو لا يبصر شيئا فاذا كان يوم القيامة تيقظ وزالت عنه الغفلة وغطاؤها فيبصر ما لم يبصره من الحق ورجع بصره الكليل عن الابصار لغفلته حديدا لتيقظه وقال قرينه هو الشيطان الذي قيض له شيطانا فهو له قرين يشهد له قوله قال قرينه ربنا ما اطغيته هذا ما لدي عتيد هذا شيء لدي وفي ملكتي عتيد لجهنم والمعنى ان ملكا يسوقه وآخر يشهد عليه وشيطانا مقرونا به يقول قد اعتدته لجهنم وهيأته لها باغوائي واضلالي فان قلت كيف اعراب هذا الكلام قلت ان جعلت ما موصوفة فعتيد صفة لها وان جعلتها موصولة فهو بدل او خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف ألقيا خطاب من الله للملكين السائق والشهيد ويجوز ان يكون خطابا للواحد على وجهين احدهما قول المبرد ان تثنية الفاعل نزلت منزلة تثنية الفعل لاتحادهما كانه قيل ألق ألق للتأكيد والثاني ان العرب اكثر ما يرافق الرجل منهم اثنان فكثر على السنتهم ان يقولوا خليلي وصاحبي وقفا واسعدا حتى خاطبوا الواحد خطاب الاثنين عن الحجاج انه كان يقول يا حرسي اضربا عنقه وقرأ الحسن القيّن بالنون الخفيفة ويجوز ان تكون الالف في القيا بدلا من النون اجراء للوصل مجرى الوقف في جهنم كل كفار عنيد معاند مجانب للحق معاد لاهله مناع للخير كثير المنع للمال عن حقوقه جعل ذلك عادة له لا يبذل منه شيئا قط او مناع لجنس الخير ان يصل الى اهله يحول بينه وبينهم قيل نزلت في الوليد بن المغيرة كان يمنع بني اخيه من الاسلام وكان يقول من دخل منكم فيه لم انفعه بخير ما عشت معتد ظالم متخط للحق مريب شاك في الله وفي دينه الذي جعل مع الله الها آخر فألقياه في العذاب الشديد الذي جعل مبتدأ مضمن معنى الشرط ولذلك اجيب بالفاء ويجوز ان يكون الذي جعل منصوبا بدلا من كل كفار ويكون فالقياه تكريرا للتوكيد قال قرينه ربنا فان قلت لم اخليت هذه الجملة عن الواو قلت لانها استؤنفت كما تستأنف الجمل الواقعة في حكاية التقاول كما رأيت في حكاية المقاولة بين موسى وفرعون فان قلت فاين التقاول ههنا قلت لما قال قرينه هذا ما لدي عتيد وتبعه قوله قال قرينه ربنا ما اطغيته وتلاه لا تختصموا لدي علم ان ثم مقاولة من الكافر لكنها طرحت لما يدل عليها كانه قال رب هو اطغاني فقال قرينه ربنا ما اطغيته واما الجملة الاولى فواجب عطفها للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها في الحصول اعني مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه ما قال له ما اطغيته ما جعلته طاغيا وما اوقعته في الطغيان ولكن كان في ضلال بعيد ولكنه طغى واختار الضلالة على الهدى كقوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم قال لا تختصموا لدي استئناف مثل قوله قال قرينه كانه قيل فماذا قال الله فقيل قال لا تختصموا في دار الجزاء وموقف الحساب فلا فائدة في اختصامكم ولا طائل تحته وقد قدمت اليكم بالوعيد وقد اوعدتكم بعذابي على الطغيان في كتبي وعلى السنة رسلي فما تركت لكم حجة علي ثم قال ما يبدل القول لدي لا تطمعوا ان ابدل قولي ووعيدي فاعفيكم عما اوعدتكم به وما انا بظلام للعبيد فاعذب من ليس بمستوجب للعذاب والباء في بالوعيد مزيدة مثلها في قوله ولا تلقوا بايديكم او معدية على ان قدم مطاوع بمعنى تقدم ويجوز ان يقع الفعل على جملة قوله ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد ويكون بالوعيد حالا اي قدمت اليكم هذا ملتبسا بالوعيد مقترنا به او قدمته اليكم موعدا لكم به فان قلت ان قوله وقد قدمت واقع موقع الحال من لا تختصموا والتقديم بالوعيد في الدنيا والخصومة في الآخرة واجتماعهما في زمان واحد واجب قلت معناه لا تختصموا وقد صح عندكم اني قدمت اليكم بالوعيد وصحة ذلك عندكم في الآخرة فان قلت كيف قال بظلام

على لفظ المبالغة قلت فيه وجهان ان يكون من قولك هو ظالم لعبده وان يراد لو عذبت من لا يستحق العذاب لكنت ظلاما مفرط الظلم فنفى ذلك يوم يقول لجهنم وقرئ يقول بالنون والياء وعن ابن مسعود والحسن يقال وانتصاب اليوم بظلام او بمضمر نحو اذكر وانذر ويجوز ان ينتصب بنفخ كانه قيل ونفخ في الصور يوم نقول لجهنم وعلى هذا يشار بذلك الى اليوم يقول ولا يقدر حذف المضاف هل امتلأت وتقول هل من مزيد وسؤال جهنم وجوابها من باب التخييل الذي يقصد به تصوير المعنى في القلب وتثبيته وفيه وجهان احدهما انها تمتلئ مع اتساعها وتباعد اطرافها حتى لا يسعها شيء ولا يزاد على امتلائها لقوله لأملأن جهنم والثاني انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها موضع للمزيد ويجوز ان يكون هل من مزيد استكثارا للداخلين فيها واستبعادا للزيادة عليهم لفرط كثرتهم او طلبا للزيادة غيظا على العصاة والمزيد اما مصدر كالمحيد والمميد واما اسم مفعول كالمبيع وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد نصب على الظرف اي مكانا غير بعيد او على الحال وتذكيره لانه على زنة المصدر كالزئير والصليل والمصادر يستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث او على حذف الموصوف اي شيئا غير بعيد ومعناه التوكيد كما تقول هو قريب غير بعيد وعزيز غير ذليل هذا ما توعدون وقرئ يوعدون بالتاء والياء وهي جملة اعتراضية لكل اواب حفيظ من خشي الرحمن بالغيب لكل اواب بدل من قوله للمتقين بتكرير الجار كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم وهذا اشارة الى الثواب او الى مصدر ازلفت والاواب الرجاع الى ذكر الله والحفيظ الحافظ لحدوده ومن خشي بدل بعد بدل تابع لكل ويجوز ان يكون بدلا عن موصوف اواب وحفيظ ولا يجوز ان يكون في حكم اواب وحفيظ لان من لا يوصف به ولا يوصف من بين الموصولات الا بالذي وحده ويجوز ان يكون مبتدأ خبره يقال لهم ادخلوها بسلام لان من في معنى الجمع ويجوز ان يكون منادى كقولهم من لا يزال محسنا احسن الي وحذف حرف النداء للتقريب بالغيب حال من المفعول اي خشيه وهو غائب لم يعرفه وكونه معاقبا الا بطريق الاستدلال او صفة لمصدر خشي اي خشيه خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو غائب او خشيه بسبب الغيب الذي اوعده به من عذابه وقيل في الخلوة حيث لا يراه احد فان قلت كيف قرن بالخشية اسمه الدال على سعة الرحمة قلت للثناء البليغ على الخاشي وهو خشيته مع علمه انه الواسع الرحمة كما اثنى عليه بانه خاش مع ان المخشي منه غائب ونحوه والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة فوصفهم بالوجل مع كثرة الطاعات وجاء بقلب منيب ووصف القلب بالانابة وهي الرجوع الى الله لان الاعتبار بما ثبت منها في القلب يقال لهم ادخلوها بسلام اي سالمين من العذاب وزوال النعم او مسلما عليكم يسلم عليكم الله وملائكته ذلك يوم الخلود اي يوم تقدير الخلود كقوله ادخلوها خالدين اي مقدرين الخلود لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد هو ما لم يخطر ببالهم ولم تبلغه امانيهم حتى يشاؤوه وقيل ان السحاب يمر باهل الجنة فيمطرهم الحور فتقول نحن المزيد الذي قال الله عز وجل ولدينا مزيد وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم اشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد هل من محيص وقرئ فنقبوا بالتخفيف والتنقيب التنقير عن الامر والبحث والطلب قال الحارث بن حلزة

نقبوا في البلاد من حذر المو
ت وجالوا في الارض كل مجال

ودخلت الفاء للتسبيب عن قوله هم اشد منهم بطشا اي شدة بطشهم اقدرتهم على التنقيب وقوتهم عليه ويجوز ان يراد فنقب اهل مكة في اسفارهم ومسايرهم في بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يؤملوا مثله لانفسهم والدليل على صحته قراءة من قرأ فنقبوا على الامر كقوله فسيروا في الارض وقرئ بكسر القاف مخففة من النقب وهو ان ينتقب خف البعير قال

ما مسها من نقب ولا دبر

والمعنى فنقبت اخفاف ابلهم او حفيت اقدامهم ونقبت كما تنقب اخفاف الابل لكثرة طوفهم في البلاد هل من محيص من الله او من الموت ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب اي قلب واع لان من لا يعي قلبه فكانه لا قلب له او القى السمع والقاء السمع الاصغاء وهو شهيد اي حاضر بفطنته لان من لا يحضر ذهنه فكانه غائب وقد ملح الامام عبد القاهر في قوله لبعض من يأخذ عنه

ما شئت من زهزهة والفتى
بمصقلاباذ لسقي الزرع

او وهو مؤمن شاهد على صحته وانه وحي من الله او وهو بعض الشهداء في قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس وعن قتادة وهو شاهد على صحته من اهل الكتاب لوجود نعته عنده وقرأ السدي وجماعة

القى السمع على البناء للمفعول ومعناه لمن القى غيره السمع وفتح له اذنه فحسب ولم يحضر ذهنه وهو حاضر الذهن متفطن
وقيل القى سمعه او السمع منه ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا
من لغوب من اعياء وقرئ بالفتح بزنة القبول والولوع قيل نزلت في اليهود لعنت تكذيبا لقولهم خلق الله
السموات والارض في ستة ايام اولها الاحد وآخرها الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش وقالوا ان
الذي وقع من التشبيه في هذه الامة انما وقع من اليهود ومنهم اخذ فاصبر على ما يقولون على ما يقول اليهود
ويأتون به من الكفر والتشبيه وقيل فاصبر على ما يقول المشركون من انكارهم البعث فان من قدر على خلق العالم
قدر على بعثهم والانتقام منهم وقيل هي منسوخة بآية السيف وقيل الصبر مأمور به على كل حال وسبح بحمد ربك
قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وادبار السجود بحمد ربك حامدا ربك والتسبيح محمول
على ظاهره او على الصلوة فالصلوة قبل طلوع الشمس الفجر وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل العشاءان
وقيل التهجد وادبار السجود التسبيح في آثار الصلوات والسجود والركوع يعبر بهما عن الصلوة وقيل النوافل بعد المكتوبات
وعن علي رضي الله عنه الركعتان بعد المغرب وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من صلى بعد المغرب قبل ان يتكلم
كتبت صلاته في عليين وعن ابن عباس الوتر بعد العشاء والادبار جمع دبر وقرئ وإدبار من ادبرت
الصلوة اذا انقضت وتمت ومعناه وقت انقضاء السجود كقولهم آتيك خفوق النجم واستمع يعني
واستمع لما اخبرك به من حال يوم القيمة وفي ذلك تهويل وتعظيم لشأن المخبر به والمحدث عنه كما روي عن
النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال سبعة ايام لمعاذ بن جبل يا معاذ اسمع ما اقول لك ثم حدثه بعد ذلك
يوم ينادي المنادي من مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج انا نحن نحيي ونميت
والينا المصير فان قلت بما انتصب اليوم قلت بما دل عليه ذلك يوم الخروج اي يوم ينادي المنادي يخرجون من القبور
ويوم يسمعون بدل من يوم ينادي المنادي والمنادي اسرافيل ينفخ في الصور وينادي ايتها العظام البالية
والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن ان تجتمعن لفصل القضاء وقيل
اسرافيل ينفخ وجبريل ينادي بالحشر من مكان قريب من صخرة بيت المقدس وهي اقرب الارض من السماء باثني
عشر ميلا وهي وسط الارض وقيل من تحت اقدامهم وقيل من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة ايتها العظام
البالية والصيحة النفخة الثانية بالحق متعلق بالصيحة والمراد به البعث يوم تشقق الارض عنهم سراعا
وقرئ تشقق وتشقق بادغام التاء في الشين وتشقق على البناء للمفعول وتنشق سراعا حال من المجرور
ذلك حشر علينا يسير بتقديم الظرف يدل على الاختصاص يعني لا يتيسر ذلك الامر العظيم الا على
القادر الذات الذي لا يشغله شان عن شان كما قال ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة نحن اعلم بما
يقولون تهديد لهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما انت عليهم بجبار كقوله بمسيطر حتى تقسرهم على
الايمان انما انت داع وباعث وقيل اريد التحلم عنهم وترك الغلظة عليهم ويجوز ان يكون من جبره على الامر بمعنى اجبره
اي ما انت بوال عليهم تجبرهم على الايمان وعلى بمنزلته في قولك هو عليهم اذا كان واليهم ومالك امرهم فذكر بالقرآن
من يخاف وعيد كقوله انما انت منذر من يخشاها لانه لا ينفع الا فيه دون المصر على الكفر عن رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم من قرأ سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته

سورة الذاريات مكية وهي ستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والذاريات ذروا فالحاملات وقرا فالجاريات يسرا فالمقسمات امرا الذاريات الرياح لانها تذرو
التراب وغيره قال الله تعالى تذروه الرياح وقرئ بادغام التاء في الذال فالحاملات وقرا السحاب لانها تحمل المطر وقرئ
وقرا بفتح الواو على تسمية المحمول بالمصدر او على ايقاعه موقع حملا فالجاريات يسرا الفلك ومعنى يسرا جريا
ذا يسر اي ذا سهولة فالمقسمات امرا الملائكة لانها تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها او تفعل التقسيم
مامورة بذلك وعن مجاهد تتولى العذاب جبريل للغلظة وميكائيل للرحمة وملك الموت لقبض الارواح واسرافيل للنفخ
وعن علي رضي الله عنه انه قال وهو على المنبر سلوني قبل ان لا تسألوني ولن تسألوا بعدي مثلي فقام ابن الكواء فقال
ما الذاريات قال الرياح قال فالحاملات وقرا قال السحاب قال فالجاريات يسرا قال الفلك قال
فالمقسمات امرا قال الملائكة وكذا عن ابن عباس وعن الحسن المقسمات السحاب يقسم الله بها ارزاق العباد

وقد حملت على الكواكب السبعة ويجوز ان يراد الرياح لا غير لانها تنشئ السحاب وتقله وتصرفه وتجري في الجو
جريا سهلا وتقسم الامطار بتصريف الرياح السحاب فان قلت ما معنى الفاء على التفسيرين قلت اما
على الاول فمعنى التعقيب فيها على انه اقسم بالرياح فبالسحاب التي تسوقه فبالفلك التي تجريها بهبوبها فبالملائكة
التي تقسم الارزاق باذن الله من الامطار وتجارات البحر ومنافعها واما على الثاني فلانها تبتدئ في
الهبوب فتذرو التراب والحصا فتقل السحاب فتجري في الجو باسطة له فتقسم المطر انما توعدون جواب
القسم وما موصولة او مصدرية والموعود البعث لصادق وان الدين لواقع وعد صادق كعيشة راضية
والدين الجزاء والواقع الحاصل والسماء ذات الحبك انكم لفي قول مختلف الحبك الطرائق مثل حبك
الرمل والماء اذا ضربته الريح وكذلك حبك الشعر آثار تثنيه وتكسره قال زهير يصف غديرا
مكلل باصول النجم تنسجه ... ريح خريق لضاحي مائه حبك
والدرع محبوكة لان حلقها مطرق طرائق ويقال ان خلقة السماء كذلك وعن الحسن حبكها
نجومها والمعنى انها تزينها كما تزين الموشي طرائق الوشي وقيل حبكها صفاقتها واحكامها من قولهم
فرس محبوك المعاقم اي محكمها واذا اجاد الحائك الحياكة قالوا ما احسن حبكه وهي جمع حباك
كمثال ومثل وحبيكة كطريقة وطرق وقرئ الحبك بوزن القفل والحبك بوزن السلك
والحبك بوزن الجبل والحبك بوزن البرق والحبك بوزن النعم والحبك بوزن الابل انكم
لفي قول مختلف قولهم في الرسول ساحر وشاعر ومجنون وفي القرآن سحر وشعر واساطير الاولين
وعن الضحاك قول الكفرة لا يكون مستويا انما هو متناقض مختلف وعن قتادة منكم مصدق ومكذب
ومقر ومنكر يؤفك عنه من افك الضمير للقرآن او الرسول اي يصرف عنه من صرف الصرف الذي
لا صرف اشد منه واعظم كقوله لا يهلك على الله الا هالك وقيل يصرف عنه من صرف في سابق علم الله
اي علم فيما لم يزل انه مأفوك عن الحق لا يرعوي ويجوز ان يكون الضمير لما توعدون او للدين اقسم بالذاريات
على ان وقوع امر القيمة حق ثم اقسم بالسماء على انهم في قول مختلف في وقوعه فمنهم شاك ومنهم جاحد ثم قال
يؤفك عن الاقرار بامر القيمة من هو المأفوك ووجه آخر وهو ان يرجع الضمير الى قول مختلف وعن مثله في
قولهم ينهون عن اكل وعن شرب اي يتناهون في السمن بسبب الاكل والشرب وحقيقته يصدر تناهيهم
عنهما وكذلك يصدر افكهم عن القول المختلف وقرأ سعيد بن جبير يؤفك عنه من
افك على البناء للفاعل اي من افك الناس عنه وهم قريش وذلك ان الحي كانوا يبعثون الرجل ذا العقل والراي
ليسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيقولون له احذره فيرجع اليهم فيخبرهم وعن زيد بن علي رضي الله عنه
يأفك عنه من افك اي يصرف الناس عنه من هو مأفوك في نفسه وعنه ايضا من هو افاك كذاب وقرئ
يؤفن عنه من افن اي يحرمه من حرم من افن الضرع اذا نهكه حلبا قتل الخراصون دعاء عليهم كقوله قتل الانسان
ما اكفره واصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن وقبح والخراصون الكذابون المقدرون
ما لا يصح وهم اصحاب القول المختلف واللام اشارة اليهم كأنه قيل قتل هؤلاء الخراصون وقرئ قتل الخراصين
اي قتل الله الذين هم في غمرة في جهل يغمرهم ساهون غافلون عما امروا به يسألون فيقولون ايان
يوم الدين اي متى يوم الجزاء وقرئ بكسر الهمزة وهي لغة فان قلت كيف وقع ايان ظرفا لليوم
وانما تقع الاحيان ظروفا للحدثان قلت معناه ايان وقوع يوم الدين فان قلت فيم انتصب اليوم الواقع في
الجواب قلت بفعل مضمر دل عليه السؤال اي يقع يوم هم على النار يفتنون ويجوز ان يكون مفتوحا
لاضافته الى غير متمكن وهو الجملة فان قلت فما محله مفتوحا قلت يجوز ان يكون محله نصبا بالمضمر
الذي هو يقع ورفعا على هو يوم هم على النار يفتنون وقرأ ابن ابي عبلة يوم هم بالرفع يفتنون يحرقون ويعذبون
ومنه الفتين وهي الحرة لان حجارتها كأنها محرقة ذوقوا فتنتكم في محل الحال اي مقولا لهم هذا القول هذا
مبتدأ والذي خبره اي هذا العذاب هو الذي كنتم به تستعجلون ويجوز ان يكون هذا بدلا من
فتنتكم اي ذوقوا هذا العذاب ان المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم قابلين
لكل ما اعطاهم راضين به يعني انه ليس فيما آتاهم الا ما هو متلقى بالقبول مرضي غير مسخوط لان جميعه حسن
طيب ومنه قوله تعالى ويأخذ الصدقات اي يقبلها ويرضاها انهم كانوا قبل ذلك محسنين
قد احسنوا اعمالهم وتفسير احسانهم ما بعده كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم
يستغفرون وفي اموالهم حق للسائل والمحروم والمعنى كانوا يهجعون في طائفة قليلة من الليل ان

جعلت قليلا ظرفا ولك أن تجعله صفة للمصدر أي كانوا يهجعون هجوعا قليلا ويجوز أن تكون ما مصدرية أو موصولة على كانوا قليلا من الليل هجوعهم أو ما يهجعون فيه وارتفاعه بقليلا على الفاعلية وفيه مبالغات لفظ الهجوع وهو الغرار من النوم قال

قد حصت البيضة رأسي فما ◌ أطعم نوما غير تهجاع

وقوله قليلا ومن الليل لأن الليل وقت السبات والراحة وزيادة ما المؤكدة لذلك وصفهم بأنهم يحيون الليل متهجدين فإذا أسحروا أخذوا في الاستغفار كأنهم أسلفوا في ليلهم الجرائم وفي بناء يستغفرون فيه أنهم هم المستغفرون الأحقاء بالاستغفار دون المصرين وكأنهم المختصون به لاستدامتهم له وإطنابهم فيه وإن قلت هل يجوز أن تكون ما نافية كما قال بعضهم وأن يكون المعنى أنهم لا يهجعون من الليل قليلا ويحيونه كله قلت لا لأن ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها تقول زيدا لم أضرب ولا تقول زيدا ما ضربت **للسائل والمحروم** للسائل الذي يستجدي والمحروم الذي يحسب غنيا فيحرم الصدقة لتعففه وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليس المسكين الذي ترده الأكلة والأكلتان والتمرة والتمرتان قالوا فما هو قال الذي لا يجد ولا يتصدق عليه وقيل الذي لا ينمي له مال وقيل المحارف الذي لا يكاد يكسب **وفي الأرض آيات** تدل على الصانع وقدرته وحكمته وتدبيره حيث هي مدحوة كالبساط لما فوقها كما قال الذي جعل لكم الأرض مهادا وفيها المسالك والفجاج للمتقلبين فيها والماشين في مناكبها وهي مجزأة من سهل وجبل وبر وبحر وقطع متجاورة من صلبة ورخوة وعذاة وسبخة وهي كالطروقة تلقح بألوان النبات وأنواع الأشجار بالثمار المختلفة الألوان والطعوم والروائح تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل وكلها موافقة لحوائج ساكنيها ومنافعهم ومصالحهم في صحتهم واعتلالهم وما فيها من العيون المتفجرة والمعادن المفتنة والدواب المنبثة في برها وبحرها المختلفة الصور والأشكال والأفعال من الوحشي والإنسي والهوام وغير ذلك **للموقنين** للموحدين الذين سلكوا الطريق السوي البرهاني الموصل إلى المعرفة فهم نظارون بعيون باصرة وأفهام نافذة كلما رأوا آية عرفوا وجه تأملها فازدادوا إيمانا وإيقانا إلى إيقانهم **وفي أنفسكم أفلا تبصرون** في حال ابتدائها وتنقلها من حال إلى حال وفي بواطنها وظواهرها من عجائب الفطر وبدائع الخلق ما تتحير فيه الأذهان وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول وخصت به من أصناف المعاني وبالألسن والنطق ومخارج الحروف وما في تركيبها وترتيبها ولطائفها من الآيات الساطعة والبينات القاطعة على حكمة المدبر دع الأسماع والأبصار والأطراف وسائر الجوارح وتأتيها لما خلقت له وتسوية الأعضاء من المفاصل للانعطاف والتثني فإنه إذا جسا شيء منها جاء العجز وإذا استرخى أناخ الذل فتبارك الله أحسن الخالقين **وفي السماء رزقكم** هو المطر لأنه سبب الأقوات وعن سعيد بن جبير هو الثلج وكل عين دائمة منه وعن الحسن أنه كان إذا رأى السحاب قال لأصحابه فيه والله رزقكم ولكنكم تحرمونه بخطاياكم **وما توعدون** الجنة هي على ظهر السماء السابعة تحت العرش أو أراد أن ما ترزقونه في الدنيا وما توعدون به في العقبى كله مقدر مكتوب في السماء **فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون** وقرئ مثل بالرفع صفة للحق أي حق مثل نطقكم وبالنصب على أنه لحق حقا مثل نطقكم ويجوز أن يكون فتحه لإضافته إلى غير متمكن وما مزيدة بنص الخليل وهذا كقول الناس إن هذا لحق كما أنك ترى وتسمع ومثل ما أنك هاهنا وهذا الضمير إشارة إلى ما ذكر من أمر الآيات والرزق وأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو إلى ما توعدون وعن الأصمعي أقبلت من جامع البصرة فطلع أعرابي على قعود فقال ممن الرجل قلت من بني أصمع قال من أين أقبلت قلت من موضع يتلى فيه كلام الرحمن قال اتل علي فتلوت والذاريات ذروا فلما بلغت قوله وفي السماء رزقكم قال حسبك وقام إلى ناقته فنحرها ووزعها على من أقبل وأدبر وعمد إلى سيفه وقوسه فكسرهما وولى فلما حججت مع الرشيد طفقت أطوف فإذا أنا بمن يهتف بي بصوت دقيق فالتفت فإذا أنا بالأعرابي قد نحل واصفر فسلم علي واستقرأ السورة فلما بلغت الآية صاح وقال قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ثم قال وهل غير هذا فقرأت فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون فصاح وقال يا سبحان الله من ذا الذي أغضب الجليل حتى حلف لم يصدقوه بقوله حتى ألجأوه إلى اليمين قالها ثلاثا وخرجت معها نفسه **هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين**

هل أتاك

هل أتاك تفخيم للحديث وتنبيه على أنه ليس من علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإنما عرفه بالوحي والضيف للواحد والجماعة كالزور والصوم لأنه في الأصل مصدر ضافه وكانوا اثني عشر ملكا وقيل تسعة عاشرهم جبرئيل وقيل ثلاثة جبرئيل وميكائيل وملك معهما وجعلهم ضيفا لأنهم كانوا في صورة الضيف حيث أضافهم إبراهيم أو لأنهم وقيل كانوا في حسبانه كذلك وإكرامهم أن إبراهيم خدمهم بنفسه وأخدمهم امرأته وعجل القرى أو أنهم في أنفسهم مكرمون قال الله تعالى بل عباد مكرمون **إذ دخلوا عليه** ظرف للحديث أو الضيف أو المكرمين إن فسر بإكرام إبراهيم لهم وإلا فبما في ضيف من معنى الفعل أو بإضمار اذكر **فقالوا سلاما قال سلام** سلاما مصدر ساد مسد الفعل مستغنى به عنه وأصله نسلم عليكم سلاما عدل به إلى الرفع على الابتداء وخبره محذوف ومعناه عليكم سلام للدلالة على ثبات السلام كأنه قصد أن يحييهم بأحسن مما حيوه به أخذا بأدب الله وهذا أيضا من إكرامه لهم وقرئا مرفوعين وقرئ سلاما قال سلما والسلم السلام وقرئ سلاما قال سلم **قوم منكرون** أنكرهم للسلام الذي هو علم الإسلام أو لأنهم ليسوا من معارفه أو من جنس الناس الذين عهدهم كما لو أبصر العرب قوما من الخزر أو رأى لهم حالا وشكلا خلاف حال الناس وشكلهم أو كان هذا سؤالا لهم كأنه قال أنتم قوم منكرون فعرفوني من أنتم **فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين فقربه إليهم قال ألا تأكلون** فراغ إلى أهله فذهب إليهم في خفية من ضيوفه ومن أدب المضيف أن يخفي أمره وأن يبادره بالقرى من غير أن يشعر به الضيف حذرا من أن يكفه ويعذره قال قتادة كان عامة مال نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام البقر فجاء بعجل والهمزة في ألا تأكلون للإنكار أنكر عليهم ترك الأكل وحثهم عليه **فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف** فأوجس فأضمر وإنما خافهم لأنهم لم يتحرموا بطعامه فظن أنهم يريدون به سوءا وعن ابن عباس رضي الله عنهما وقع في نفسه أنهم ملائكة أرسلوا للعذاب وعن عون بن شداد مسح جبرئيل العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بأمه **وبشروه بغلام عليم** أي يبلغ ويعلم وعن الحسن عليم نبي والمبشر به إسحق وهو أكثر الأقاويل وأصحها لأن الصفة صفة سارة لا هاجر وهي امرأة إبراهيم وهو بعلها وعن مجاهد هو إسمعيل **فأقبلت امرأته في صرة** في صيحة من صر الجندب وصرة القلم وصرة الباب ومحله النصب على الحال أي فجاءت صارة قال الحسن أقبلت إلى بيتها وكانت في زاوية تنظر إليهم لأنها وجدت حرارة الدم فلطمت وجهها من الحياء وقيل فأخذت في صرة كما تقول أقبل يشتمني وقيل صرتها قولها أوه وعن عكرمة رنتها **فصكت وجهها** فلطمت بأطراف أصابعها وقيل فضربت بأطراف أصابعها جبهتها فعل المتعجب **وقالت عجوز عقيم** أنا عجوز عقيم فكيف ألد **قالوا كذلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم** مثل الذي قلنا وأخبرنا به قال ربك أي إنما نخبرك عن الله والله قادر على ما تستبعدين وروي أن جبرئيل قال لها انظري إلى سقف بيتك فنظرت فإذا جذوعه مورقة مثمرة ولما علم أنهم ملائكة وأنهم لا ينزلون إلا بإذن الله رسلا في بعض الأمور **قال فما خطبكم أيها المرسلون** أي فما شأنكم وما طلبتكم **قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين** يعني قوم لوط **لنرسل عليهم حجارة من طين** يريد السجيل وهو طين طبخ كما يطبخ الآجر حتى صار في صلابة الحجارة **مسومة عند ربك** معلمة من السومة وهي العلامة على كل واحد منها اسم من يهلك وقيل أعلمت بأنها من حجارة العذاب وقيل بعلامة تدل على أنها ليست من حجارة الدنيا **للمسرفين** سماهم مسرفين كما سماهم عادين لإسرافهم وعدوانهم في عملهم حيث لم يقتنعوا بما أبيح لهم **فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين** الضمير فيها للقرية ولم يجر لها ذكر لكونها معلومة وفيه دليل على أن الإيمان والإسلام واحد وأنهما صفتا مدح قيل هم لوط وابنتاه وقيل كان لوط وأهل بيته الذين نجوا ثلاثة عشر وعن قتادة لو كان فيها أكثر من ذلك لأنجاهم ليعلموا أن الإيمان محفوظ لا ضيعة على أهله عند الله **وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم** آية علامة يعتبر بها الخائفون دون القاسية قلوبهم قال ابن جريج هي صخر منضود فيها وقيل ماء أسود منتن **وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين** معطوف على وفي الأرض آيات أو على قوله وتركنا فيها آية على معنى وجعلنا في موسى آية كقوله علفتها تبنا وماء باردا **فتولى بركنه** فأعرض عن الإيمان كقوله ونأى بجانبه وقيل فتولى بما كان يتقوى به من جنوده وملكه وقرئ بركنه بضم الكاف **وقال ساحر أو مجنون** أي هو ساحر أو مجنون **فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم** آت بما يلام عليه من الكفر

وعناده والجملة مع الواو حال من الضمير في أخذناه فإن قلت كيف وصف نبي الله صلوات الله عليه بما وصف به فرعون في قوله فالتقمه الحوت وهو مليم قلت موجبات اللوم تختلف على حسب اختلاف مقادير اللوم فراكب الكبيرة ملوم على مقدارها وكذلك مقترف الصغيرة ألا ترى إلى قوله وعصوا رسله وعصى آدم ربه لأن الكبيرة والصغيرة يجمعهما اسم العصيان كما يجمعهما اسم القبيح والسيئة ﴿وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم﴾ التي لا خير فيها من إنشاء مطر أو إلقاح شجر وهي ريح الهلاك واختلف فيها فعن علي رضي الله عنه النكباء وعن ابن عباس رضي الله عنهما الدبور وعن ابن المسيب الجنوب ﴿ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم﴾ والرميم كل ما رمّ أي بلي وتفتت من عظم أو نبات أو غير ذلك ﴿وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين﴾ تفسيره قوله تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ﴿فعتوا عن أمر ربهم﴾ فاستكبروا عن امتثاله ﴿فأخذتهم الصاعقة﴾ وقرئ الصعقة وهي المرة من مصدر صعقتهم الصاعقة والصاعقة النازلة نفسها ﴿وهم ينظرون﴾ كانت نهاراً يعاينونها وروي أن العمالقة كانوا معهم في الوادي ينظرون إليهم وما ضرتهم ﴿فما استطاعوا من قيام﴾ كقوله فأصبحوا في دارهم جاثمين وقيل هو من قولهم ما يقوم به إذا عجز عن دفعه ﴿وما كانوا منتصرين﴾ ممتنعين من العذاب ﴿وقوم نوح من قبل إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾ وقوم قرئ بالجر على معنى وفي قوم نوح ويقويه قراءة عبد الله وفي قوم نوح وبالنصب على معنى وأهلكنا قوم نوح لأن ما قبله يدل عليه أو واذكر قوم نوح ﴿والسماء بنيناها بأيد﴾ بقوة والأيد والآد القوة وقد آد يئيد وهو أيد ﴿وإنا لموسعون﴾ لقادرون من الوسع وهو الطاقة والموسع القوي على الإنفاق وعن الحسن الموسعون الرزق بالمطر وقيل جعلنا بينها وبين الأرض سعة ﴿والأرض فرشناها فنعم الماهدون﴾ نحن ﴿ومن كل شيء﴾ من الحيوان ﴿خلقنا زوجين﴾ ذكراً وأنثى وعن الحسن السماء والأرض والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر والموت والحياة فعدد أشياء وقال كل اثنين منها زوج والله تعالى فرد لا مثل له ﴿لعلكم تذكرون﴾ أي فعلنا ذلك كله من بناء السماء وفرش الأرض وخلق الأزواج إرادة أن تتذكروا فتعرفوا الخالق وتعبدوه ﴿ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر إني لكم منه نذير مبين﴾ ففروا إلى طاعته والنهي عن الشرك ليعلم أن الإيمان لا ينفع إلا مع العمل كما أن العمل لا ينفع إلا مع الإيمان وأنه لا يفوز عند الله إلا الجامع بينهما ألا ترى إلى قوله لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً والمعنى قل يا محمد ففروا إلى الله ﴿كذلك﴾ الأمر مثل ذلك وذلك إشارة إلى تكذيبهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وتسميته ساحراً ومجنوناً ثم فسر ما أجمل بقوله ﴿ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون﴾ ولا يصح أن تكون الكاف منصوبة بأتى لأن ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها ولو قيل لم يأت لكان صحيحاً على معنى ذلك الإتيان لم يأت من قبلهم رسول إلا قالوا ﴿أتواصوا به﴾ الضمير للقول يعني أتواصى الأولون والآخرون بهذا القول حتى قالوه جميعاً متفقين عليه ﴿بل هم قوم طاغون﴾ أي لم يتواصوا به لأنهم لم يتلاقوا في زمان واحد بل جمعتهم العلة الواحدة وهي الطغيان والطغيان هو الحامل عليه ﴿فتول عنهم فما أنت بملوم وذكر﴾ فأعرض عن الذين كررت عليهم الدعوة فلم يجيبوا وعرفت منهم العناد واللجاج فلا لوم عليك في إعراضك بعد ما بلغت الرسالة وبذلت مجهودك في البلاغ والدعوة ولا تدع التذكير والموعظة بأيام الله ﴿فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾ أي تؤثر في الذين عرف الله منهم أنهم يدخلون في الإيمان أو تزيد الذين آمنوا منه إيماناً وروي أنه لما نزلت فتول عنهم حزن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واشتد ذلك على أصحابه ورأوا أن الوحي قد انقطع وأن العذاب قد حضر فأنزل الله وذكر ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾ أي وما خلقت الجن والإنس إلا لأجل العبادة ولم أرد من جميعهم إلا إياها فإن قلت لو كان مريداً للعبادة منهم لكانوا كلهم عباداً قلت إنما أراد منهم أن يعبدوه مختارين للعبادة لا مضطرين إليها لأنه خلقهم ممكنين فاختار بعضهم ترك العبادة مع كونه مريداً لها ولو أرادها على القسر والإلجاء لوجدت من جميعهم يريد أن شأني مع عبادي ليس كشأن السادة مع عبيدهم فإن ملاك العبيد إنما ملكوهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم وأرزاقهم فإما مجهز في

تجارة

تجارة ليفئ ربحاً أو مرتب في فلاحة ليغل أرضاً أو مسلم في حرفة لينتفع بأجرته أو محتطب أو محتش أو مستق أو طابخ أو خابز وما أشبه ذلك من الأعمال والمهن التي هي تصرف في أسباب المعيشة وأبواب الرزق فأما مالك ملاك العبيد فقال لهم اشتغلوا بما يسعدكم في أنفسكم ولا أريد أن أصرفكم في تحصيل رزقي ولا رزقكم وأنا غني عنكم وعن مرافقكم ومتفضل عليكم برزقكم وبما يصلحكم ويعيشكم من عندي فما هو إلا أنا وحدي المتين الشديد القوة وقرئ بالرفع صفة لذو وبالجر صفة للقوة على تأويل الاقتدار والمعنى في وصفه بالقوة والمتانة أنه القادر البليغ الاقتدار على كل شيء وقرئ الرازق وفي قراءة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إني أنا الرزاق ﴿فإن للذين ظلموا ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون﴾ الذنوب الدلو العظيمة وهذا تمثيل أصله في السقاة يقتسمون الماء فيكون لهذا ذنوب ولهذا ذنوب قال

لنا ذنوب ولكم ذنوب ۞ فإن أبيتم فلنا القليب

وقال عمرو بن شأس

وفي كل حي قد خبطت بنعمة ۞ فحق لشأس من نداك ذنوب

قال الملك نعم وأذنبه والمعنى فإن للذين ظلموا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالتكذيب من أهل مكة لهم نصيباً من عذاب الله مثل نصيب أصحابهم ونظرائهم من القرون وعن قتادة سجلاً من عذاب الله مثل سجل أصحابهم ﴿فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون﴾ من يوم القيامة وقيل من يوم بدر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة والذاريات أعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا

سورة والطور وهي تسع وأربعون وقيل ثمان وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿والطور وكتاب مسطور في رق منشور والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور إن عذاب ربك لواقع ما له من دافع﴾ الطور الجبل الذي كلم الله عليه موسى وهو بمدين والكتاب المسطور في الرق المنشور والرق الصحيفة وقيل الجلد الذي يكتب فيه وقيل الكتاب الذي تكتب فيه الأعمال قال الله تعالى ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً وقيل هو ما كتبه الله لموسى وهو يسمع صرير القلم وقيل اللوح المحفوظ وقيل القرآن ونكر لأنه كتاب مخصوص من بين جنس الكتب كقوله ونفس وما سواها والبيت المعمور الضراح في السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة وقيل الكعبة لكونها معمورة بالحجاج والعمار والمجاورين والسقف المرفوع السماء والبحر المسجور المملوء وقيل الموقد من قوله وإذا البحار سجرت وروي أن الله تعالى يجعل يوم القيامة البحار كلها ناراً تسجر بها نار جهنم وعن علي رضي الله عنه أنه سأل يهودياً أين موضع النار في كتابكم قال في البحر قال علي ما أراه إلا صادقاً لقوله والبحر المسجور لواقع لنازل قال جبير بن مطعم أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أكلمه في الأسارى فألفيته في صلاة الفجر يقرأ سورة الطور فلما بلغ إن عذاب ربك لواقع أسلمت خوفاً من أن ينزل العذاب ﴿يوم تمور السماء موراً وتسير الجبال سيراً﴾ تمور تضطرب وتجيء وتذهب وقيل المور تحرك في تموج وهو الشيء يتردد في عرض كالداغصة ﴿فويل يومئذ للمكذبين الذين هم في خوض يلعبون﴾ غلب الخوض في الاندفاع في الباطل والكذب ومنه قوله وكنا نخوض مع الخائضين وخضتم كالذي خاضوا ﴿يوم يدعون إلى نار جهنم دعاً﴾ الدع الدفع العنيف وذلك أن خزنة النار يغلون أيديهم إلى أعناقهم ويجمعون نواصيهم إلى أقدامهم ويدفعونهم إلى النار دفعاً على وجوههم وزخاً في أقفيتهم وقرأ زيد بن علي يدعون من الدعاء أي يقال لهم هلموا إلى النار وادخلوا النار مدعوعين يقال لهم ﴿هذه النار التي كنتم بها تكذبون أفسحر هذا﴾ يعني كنتم تقولون للوحي هذا سحر أفسحر هذا يريد أهذا المصداق أيضاً سحر ودخلت الفاء لهذا المعنى ﴿أم أنتم لا تبصرون﴾ أي كما كنتم لا تبصرون في الدنيا أم أنتم عمي عن المخبر عنه كما كنتم عمياً عن الخبر وهذا تقريع وتهكم ﴿اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم﴾ سواء خبره محذوف أي سواء عليكم الأمران الصبر وعدمه فإن قلت لم علل استواء

الصبر وعقب به بقوله إنما تجزون ما كنتم تعملون قلت لأن الصبر إنما يكون له مزية على الجزع لنفعه
في العاقبة بأن يجازى عليه الصابر جزاء الخير فأما الصبر على العذاب الذي هو الجزاء ولا عاقبة له ولا منفعة فلا
مزية له على الجزع إن المتقين في جنات ونعيم في أية جنات وأي نعيم بمعنى الكمال في هذه الصفة أو في جنات ونعيم
مخصوصة بالمتقين خلقت لهم خاصة وقرئ فاكهين وفكهين وفاكهون من نصبه حالا جعل الظرف
مستقرا ومن رفعه خبرا جعل الظرف لغوا أي متلذذين بما آتاهم ربهم فإن قلت علام عطف قوله
ووقاهم ربهم قلت على قوله في جنات أو على آتاهم ربهم على أن تجعل ما مصدرية والمعنى فاكهين بإيتائهم
ربهم ووقايتهم عذاب الجحيم ويجوز أن تكون الواو للحال وقد بعدها مضمرة يقال لهم كلوا واشربوا
أكلا وشربا هنيئا بما كنتم تعملون أو طعاما وشرابا هنيئا وهو الذي لا تنغيص فيه ويجوز أن يكون
مثله في قوله هنيئا مريئا غير داء مخامر لعزة من أعراضنا ما استحلت
أعني صفة استعملت استعمال المصدر القائم مقام الفعل مرتفعا به ما استحلت كما يرتفع بالفعل
كأنه قيل هنأ عزة المستحل من أعراضنا وكذلك معنى هنيئا ها هنا هنأكم الأكل والشرب أو
هنأكم ما كنتم تعملون أي جزاء ما كنتم تعملون والباء مزيدة كما في كفى بالله والباء متعلقة بكلوا
واشربوا إذا جعلت الفاعل الأكل والشرب متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين وقرئ
بعيس عين والذين آمنوا معطوف على حور عين أي قرناهم بالحور وبالذين آمنوا أي بالرفقاء
والجلساء منهم كقوله إخوانا على سرر متقابلين فيتمتعون تارة بملاعبة الحور وتارة بمؤانسة الإخوان
المؤمنين واتبعتهم ذريتهم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن الله يرفع ذرية المؤمن في درجته وإن
كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الآية فيجمع الله لهم أنواع السرور بسعادتهم في أنفسهم وبمزاوجة
الحور العين وبمؤانسة الإخوان وباجتماع أولادهم ونسلهم بهم ثم قال بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم
أي بسبب إيمان عظيم المحل وهو إيمان الآباء ألحقنا بدرجاتهم ذريتهم وإن كانوا لا يستأهلونها تفضلا
عليهم وعلى آبائهم ليتم سرورهم ويكمل نعيمهم فإن قلت ما معنى تنكير الإيمان قلت معناه
الدلالة على أنه إيمان خاص عظيم المنزلة ويجوز أن يراد إيمان الذرية الداني المحل كأنه قال بشيء من
الإيمان لا يؤهلهم لدرجة الآباء ألحقنا بهم وقرئ واتبعتهم ذرياتهم وأتبعناهم ذرياتهم وما بينهما اعتراض
وما ألتناهم من عملهم من شيء وما نقصناهم يعني وفرنا عليهم جميع ما ذكرنا من الثواب والتفضل
وما نقصناهم من ثواب عملهم من شيء وقيل معناه وما نقصناهم من ثوابهم شيئا نعطيه الأبناء حتى
يلحقوا بهم إنما ألحقناهم بهم على سبيل التفضل وقرئ ألتناهم وهو من بابين من ألت يألت ولات
يليت كأمات يميت وآلتناهم من آلت يؤلت كآمن يؤمن ولتناهم من لات يليت وولتناهم من
ولت يلت ومعناهن واحد كل امرئ بما كسب رهين أي مرهون كأن نفس العبد رهن عند
الله بالعمل الصالح الذي هو مطالب به كما يرهن الرجل عبده بدين عليه فإن عمل صالحا فكها وخلصها
وإلا أوبقها وأمددناهم وزدناهم في وقت بعد وقت بفاكهة ولحم مما يشتهون يتنازعون
يتعاطون ويتعاورون هم وجلساؤهم من أقربائهم وإخوانهم فيها كأسا خمرا لا لغو فيها في شربها
ولا تأثيم أي لا يتكلمون في أثناء الشرب بسقط الحديث وما لا طائل تحته كفعل المتنادمين في الدنيا
على الشراب في سفههم وعربدتهم ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله أي ينسب إلى الإثم لو فعله في دار التكليف
من الكذب والشتم والفواحش وإنما يتكلمون بالحكم والكلام الحسن متلذذين بذلك لأن عقولهم
ثابتة غير زائلة وهم حكماء وعلماء وقرئ لا لغو فيها ولا تأثيم ويطوف عليهم غلمان أي مملوكون لهم
مخصوصون بهم كأنهم لؤلؤ مكنون في الصدف لأنه رطبا أحسن وأصفى أو مخزون لأنه لا يخزن
إلا الثمين الغالي القيمة وقيل لقتادة هذا الخادم فكيف المخدوم فقال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
والذي نفسي بيده إن فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه
عليه الصلاة والسلام إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينادي الخادم من خدامه فيجيبه ألف ببابه لبيك
لبيك وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون يتحادثون ويسأل بعضهم بعضا عن أحواله وأعماله
وما استوجب به نيل ما عند الله قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين أرقاء القلوب من خشية
الله فمن الله علينا ووقانا وقرئ ووقانا عذاب السموم عذاب النار ووهجها ولفحها والسموم
الريح الحارة التي تدخل المسام فسميت بها نار جهنم لأنها بهذه الصفة إنا كنا من قبل من قبل لقاء الله

والمصير إليه

والمصير إليه يعنون في الدنيا ندعوه نعبده ونسأله الوقاية إنه هو البر المحسن الرحيم العظيم الرحمة
الذي إذا عبد أثاب وإذا سئل أجاب وقرئ أنه بالفتح بمعنى لأنه فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن
ولا مجنون فاثبت على تذكير الناس وموعظتهم ولا يثبطك قولهم كاهن أو مجنون ولا تبال به
فإنه قول باطل متناقض لأن الكاهن يحتاج في كهانته إلى فطنة ودقة نظر والمجنون مغطى
على عقله وما أنت بحمد الله وإنعامه عليك بصدق النبوة ورجاحة العقل أحد هذين أم يقولون
شاعر نتربص به ريب المنون قرئ على البناء للمفعول وريب المنون ما يقلق النفوس ويشخص بها
من حوادث الدهر قال أمن المنون وريبها تتوجع وقيل المنون الموت وهو في الأصل فعول
من منه إذا قطعه لأن الموت قطوع ولذلك سميت شعوب قالوا ننتظر به نوائب الزمان فيهلك
كما هلك من قبله من الشعراء زهير والنابغة قل تربصوا فإني معكم من المتربصين
أتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي أم تأمرهم أحلامهم بهذا أحلامهم عقولهم وألبابهم
ومنه قولهم أحلام عاد والمعنى أتأمرهم أحلامهم بهذا التناقض في القول وهو قولهم كاهن وشاعر مع قولهم
مجنون وكانت قريش يدعون أهل الأحلام والنهى أم هم قوم طاغون مجاوزون الحد في العناد
مع ظهور الحق لهم فإن قلت ما معنى كون الأحلام آمرة قلت هو مجاز لأدائها إلى ذلك كقوله
أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا وقرئ بل هم قوم طاغون أم يقولون تقوله اختلقه من
تلقاء نفسه بل لا يؤمنون فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه المطاعن مع علمهم ببطلان قولهم
وأنه ليس بمتقول لعجز العرب عنه وما محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلا واحد من العرب فليأتوا بحديث مثله إن
كانوا صادقين وقرئ بحديث مثله على الإضافة والضمير لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعناه
أن مثل محمد في فصاحته ليس بمعوز في العرب فإن قدر محمد على نظمه كان مثله قادرا عليه فليأتوا بحديث
ذلك المثل أم خلقوا أم أحدثوا وقدروا التقدير الذي عليه فطرتهم من غير شيء من غير مقدر أم هم الخالقون
الذين خلقوا أنفسهم حيث لا يعبدون الخالق أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون أي إذا سئلوا
من خلقكم وخلق السموات والأرض قالوا الله وهم شاكون فيما يقولون لا يوقنون وقيل أخلقوا
من أجل لا شيء من جزاء ولا حساب وقيل أخلقوا من غير أب وأم أم عندهم خزائن ربك خزائن الرزق
حتى يرزقوا النبوة من شاؤوا أو عندهم خزائن علمه حتى يختاروا لها من اختياره حكمة ومصلحة أم
هم المسيطرون الأرباب الغالبون حتى يدبروا أمر الربوبية ويبنوا الأمور على إرادتهم
ومشيئتهم وقرئ المصيطرون بالصاد أم لهم سلم منصوب إلى السماء يستمعون صاعدين فيه
إلى كلام الملائكة وما يوحى إليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن من تقدم هلاكه على هلاكهم
وظفرهم في العاقبة دونه كما يزعمون فليأت مستمعهم بسلطان مبين بحجة واضحة تصدق
استماع مستمعهم أم له البنات ولكم البنون أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون
المغرم أن يلتزم الإنسان ما ليس عليه أي لزمهم مغرم ثقيل فدحهم فزهدهم ذلك في اتباعك أم
عندهم الغيب أي اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه حتى يقولوا لا نبعث وإن بعثنا لم نعذب
أم يريدون كيدا وهو كيدهم في دار الندوة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبالمؤمنين فالذين كفروا
إشارة إليهم أو أريد بهم كل من كفر بالله هم المكيدون هم الذين يعود عليهم وبال كيدهم
ويحيق بهم مكرهم وذلك أنهم قتلوا يوم بدر أو المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته أم لهم
إله غير الله سبحان الله عما يشركون وإن يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم
الكسف القطعة وهو جواب قولهم أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا يريد أنهم لشدة طغيانهم
وعنادهم لو أسقطناه عليهم لقالوا هذا سحاب مركوم بعضه فوق بعض يمطرنا ولم يصدقوا أنه كسف
ساقط للعذاب فذرهم حتى يلاقوا وقرئ حتى يلقوا ويلقوا يومهم الذي فيه يصعقون يموتون وقرئ
يصعقون يقال صعقه فصعق وذلك عند النفخة الأولى نفخة الصعق يوم لا يغني عنهم كيدهم
شيئا ولا هم ينصرون وإن للذين ظلموا عذابا دون ذلك دون يوم القيامة
وهو القتل ببدر والقحط سبع سنين وعذاب القبر وفي مصحف عبد الله دون ذلك قريبا ولكن أكثرهم
لا يعلمون واصبر لحكم ربك بإمهالهم وما يلحقك فيه من المشقة والكلفة فإنك بأعيننا مثل أي
بحيث نراك ونكلؤك وجمع العين لأن الضمير بلفظ ضمير الجماعة ألا ترى إلى قوله ولتصنع على عيني وقرئ

فاعبنا وسبح بحمد ربك حين تقوم من اي مكان قمت وقيل من منامك ومن الليل فسبحه وإدبار
النجوم ۝ واذا ادبرت النجوم من اخر الليل وادبار بالفتح بمعنى في اعقاب النجوم واثارها اذا غربت
والمراد الامر بقول سبحان الله وبحمده في هذه الاوقات وقيل التسبيح الصلوة اذا قام من نومه ومن
الليل صلوة العشائين وادبار النجوم صلوة الفجر عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من قرا سورة
الطور كان حقا على الله ان يؤمنه من عذابه وان ينعمه في جنته

سورة النجم مكية وهي احدى وستون آية وقيل اثنتان وستون

بسم الله الرحمن الرحيم

والنجم اذا هوى ۝ النجم الثريا وهو اسم غالب لها قال ۝ اذا طلع النجم عشاء ۝ ابتغى الراعي كساء ۝
او جنس النجوم قال فباتت تعد النجم في مستحيره يريد بالنجوم اذا هوى اذا غرب او انتثر
يوم القيمة او النجم الذي يرجم به اذا هوى اذا انقض او النجم من نجوم القران وقد نزل منجما في عشرين
سنة اذا هوى اذا نزل والنبات اذا هوى اذا سقط على الارض وعن عروة بن الزبير ان عتبة بن ابي لهب
وكانت تحته بنت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اراد الخروج الى الشام فقال لاتين محمدا فلأوذينه
فقال يا محمد هو كافر بالنجم اذا هوى وبالذي دنى فتدلى ثم تفل في وجه رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
ورد عليه ابنته وطلقها فقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك
وكان ابو طالب حاضرا فوجم لها وقال ما كان اغناك يا ابن اخي عن هذه الدعوة فرجع عتبة الى ابيه
فاخبره ثم خرجوا الى الشام فنزلوا منزلا فاشرف عليهم راهب من الدير فقال لهم ان هذه ارض مسبعة
فقال ابو لهب لاصحابه اعينونا يا معشر قريش هذه الليلة فاني اخاف على ابني دعوة محمد فجمعوا جمالهم
واناخوها حولهم واحدقوا بعتبة فجاء الاسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتبة فقتله وقال حسان
۝ من يرجع العام الى اهله ۝ فما اكيل السبع بالراجع ۝
ما ضل صاحبكم وما غوى ۝ يعني محمدا صلى الله عليه واله وسلم والخطاب لقريش وهو جواب القسم
والضلال نقيض الهدى والغي نقيض الرشد اي هو مهتد راشد وليس كما تزعمون من نسبتكم
اياه الى الضلال والغي وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وما اتاكم به من القران
ليس بمنطق يصدر عن هواه ورأيه انما هو وحي من عند الله يوحى اليه ويحتج بهذه الاية من لا يرى
الاجتهاد للانبياء ويجاب بان الله تعالى اذا سوغ لهم الاجتهاد كان الاجتهاد وما يستند اليه كله
وحيا لا نطقا عن الهوى علمه شديد القوى ۝ ملك شديد قواه والاضافة غير حقيقية لانها
اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها وهو جبريل عليه الصلوة والسلام ومن قوته انه اقتلع قرى
قوم لوط من الماء الاسود وحملها على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا
جاثمين وكان هبوطه على الانبياء وصعوده في اوحى من رجعة الطرف ورأى ابليس يكلم عيسى عليه
السلام على بعض عقاب الارض المقدسة فنفحه بجناحه فالقاه في اقصى جبل بالهند ذو مرة ذو
حصافة في عقله ورأيه ومتانة في دينه فاستوى وهو بالافق الاعلى فاستقام على صورة نفسه
الحقيقية دون الصورة التي كان يتمثل بها كلما هبط بالوحي وكان ينزل في صورة دحية وذلك
ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم احب ان يراه في صورته التي جبل عليها فاستوى له في الافق الاعلى
وهو افق الشمس فملأ الافق وقيل ما راه احد من الانبياء في صورته الحقيقية غير محمد صلى الله عليه واله وسلم
مرتين مرة في الارض ومرة في السماء ثم دنا من رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فتدلى فتعلق عليه في
الهوى ومنه تدلت الثمرة ودلى رجليه من السرير والدوالي الثمر المعلق
فتدلى عليها بين شب وحطه ويقال هو مثل القرلي ان راى خيرا تدلى وان لم يره تولى فكان
قاب قوسين مقدار قوسين عربيتين والقاب والقيب والقاد والقيد والقيس المقدار
وقرأ زيد بن علي رضي الله عنهما قاد وقرئ قيد وقدر وقد جاء التقدير بالقوس والرمح والسوط
والذراع والباع والخطوة والشبر والفتر والاصبع ومنه لا صلوة الى ان ترتفع الشمس مقدار رمحين

وفي الحديث لقاب قوس احدكم وهو موضع قده خير من الدنيا وما فيها والقد السوط ويقال
بينهما خطوات يسيرة وقال وقد جعلتني من حزيمة اصبعا فان قلت كيف تقدير قوله
فكان قاب قوسين قلت تقديره فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين فحذفت هذه
المضافات كما قال ابو علي في قوله وقد جعلتني من حزيمة اصبعا اي ذا مقدار مسافة
اصبع او ادنى اي على تقديركم كقوله او يزيدون فاوحى الى عبده الى عبد الله وان لم يجر لاسمه
عز وجل ذكر لانه لا يلبس كقوله على ظهرها ما اوحى تفخيم للوحي الذي اوحى اليه قيل اوحى اليه ان
الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها امتك ما كذب الفؤاد ما رأى
ما كذب فؤاد محمد صلى الله عليه واله وسلم ما راه ببصره من صورة جبريل اي ما قال فؤاده لما راه لم
اعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لانه عرفه يعني انه راه بعينه وعرفه بقلبه ولم يشك
في ان ما راه حق وقرئ ما كذب اي صدقه ولم يشك انه جبريل بصورته افتمارونه على ما
يرى من المراء وهو الملاحاة والمجادلة واشتقاقه من مري الناقة كان كل واحد من المتجادلين
يمري ما عند صاحبه وقرئ افتمرونه افتغلبونه في المراء من ماريته فمريته ولما فيه من معنى
الغلبة عدي بعلى كما تقول غلبته على كذا وقيل افتمرونه افتجحدونه وانشد
۝ لئن هجرت اخا صدق ومكرمة ۝ لقد مريت اخا ما كان يمريكا ۝
وقالوا يقال مريته حقه اذا جحدته وتعديته بعلى لا تصح الا على مذهب التضمين ولقد
راه نزلة اخرى ۝ مرة اخرى من النزول نصبت النزلة نصب الظرف الذي هو مرة لان الفعلة
اسم للمرة من الفعل فكانت في حكمها اي نزل عليه جبريل نزلة اخرى في صورة نفسه فراه عليها
وذلك ليلة المعراج عند سدرة المنتهى ۝ هي شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش
ثمرها كقلال هجر وورقها كاذان الفيول تنبع من اصلها الانهار التي ذكرها الله في كتابه يسير
الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها والمنتهى موضع الانتهاء كانها في منتهى الجنة واخرها
وقيل لم يجاوزها احد واليها ينتهي علم الملائكة وغيرهم ولا يعلم احد ما وراءها وقيل ينتهي
اليها ارواح الشهداء عندها جنة المأوى الجنة التي يصير اليها المتقون وقيل تأوي اليها ارواح
الشهداء وقرأ علي وابن الزبير وجماعة جنه المأوى اي ستره بظلاله ودخل فيه وعن عائشة رضي
الله عنها انها انكرته وقالت من قرأه فاجنه الله اذ يغشى السدرة ما يغشى تعظيم وتكثير
لما يغشاها فقد علم بهذه العبارة ان ما يغشاها من الخلائق الدالة على عظمة الله وجلاله اشياء
لا يكتنهها النعت ولا يحيط بها الوصف وقد قيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله
عندها وعن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم رأيت على كل ورقة من ورقها ملكا قائما يسبح الله
وعنه عليه الصلوة والسلام يغشاها رفرف من طير خضر وعن ابن مسعود وغيره يغشاها فراش من ذهب
ما زاغ البصر وما طغى ما زاغ بصر رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اي اثبت ما رآه اثباتا مستيقنا
صحيحا من غير ان يزيغ عنه او يتجاوزه وما عدل عن رؤية العجائب التي امر برؤيتها ومكن
منها وما جاوز ما امر برؤيته لقد رأى والله لقد رأى من آيات ربه الكبرى الايات التي
هي كبراها وعظماها يعني حين رقي به الى السماء فأرى عجائب الملكوت افرأيتم اللات
والعزى ومناة الثالثة الاخرى اللات والعزى ومناة اصنام كانت لهم وهي مؤنثات فاللات
كانت لثقيف بالطائف وقيل كانت بنخلة تعبدها قريش وهي فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها
ويعكفون للعبادة او يلتوون عليها اي يطوفون وقرئ اللات بالتشديد وزعموا انه سمي
برجل كان يلت عنده السمن بالزيت ويطعمه الحاج وعن مجاهد كان رجل يلت السويق بالطائف
وكانوا يعكفون على قبره فجعلوه وثنا والعزى كانت لغطفان وهي سمرة واصلها تأنيث الاعز
وبعث اليها رسول الله صلى الله عليه واله وسلم خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة
شعرها داعية ويلها واضعة يدها على رأسها فجعل يضربها بالسيف حتى قتلها وهو يقول
۝ يا عز كفرانك لا سبحانك ۝ اني رأيت الله قد اهانك ۝
ورجع فاخبر رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فقال تلك العزى ولن تعبد ابدا ومناة
صخرة كانت لهذيل وخزاعة وعن ابن عباس لثقيف وعزى ومناة كانها سميت مناة لان دماء

السابك كانت ثقيف تعبدها اي تراف ومناة مفعلة من النوء كانهم كانوا يستمطرون عندها
الانواء تبركا بها والاخرى ذم وهي المتاخرة الوضيعة المقدار كقوله وقالت اخراهم لاولاهم
اي وضعاؤهم لرؤسائهم واشرافهم ويجوز ان تكون الاولية والتقدم عندهم للات والعزى
كانوا يقولون ان الملائكة وهذه الاصنام بنات الله وكانوا يعبدونهم ويزعمون انهم شفعاؤهم
عند الله مع وادهم البنات فقيل لهم **ألكم الذكر وله الأنثى** ويجوز ان يراد ان اللات والعزى
ومناة اناث وقد جعلتموهن لله شركاء ومن شانكم ان تحتقروا الاناث وتستنكفوا ان
يولدن لكم وينسبن اليكم فكيف تجعلون هؤلاء الاناث اندادا لله وتسمونهن آلهة **تلك اذا
قسمة ضيزى** جائرة من ضازه يضيزه اذا ضامه والاصل ضوزى ففعل بها ما فعل ببيض لتسلم
اليا وقرئ ضئزى من ضازه بالهمز وضيزى بفتح الضاد **إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم
وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان** هي ضمير الاصنام اي ما هي الا اسماء ليس تحتها في الحقيقة
مسميات لانكم تدعون الالهية لما هو ابعد شيء منها واشده منافاة لها ونحوه قوله ما تعبدون
من دونه الا اسماء سميتموها او ضمير الاسماء وهي قولهم اللات والعزى ومناة وهم يقصدون بها
اسماء الالهة يعني هذه الاسماء سميتموها بهواكم وشهوتكم ليس لكم من الله على صحة تسميتها
برهان تتعلقون به ومعنى سميتموها سميتم بها يقال سميته زيدا وسميته بزيد **إن يتبعون**
وقرئ بالتاء **إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى** الا توهم ان ما هم عليه حق
وان آلهتهم شفعاؤهم وما تشتهيه انفسهم ويتركون ما جاءهم من الهدى والدليل على ان دينهم باطل
أم للإنسان ما تمنى هي ام المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار اي ليس للانسان ما تمناه والمراد
طمعهم في شفاعة الالهة وهو تمن على الله وغاية البعد وقيل هو قولهم ولئن رجعت الى ربي ان لي
عنده للحسنى وقيل هو من قول الوليد بن المغيرة لاوتين مالا وولدا وقيل هو تمني بعضهم ان يكون
هو النبي **فلله الآخرة والأولى** اي هو مالكهما فهو يعطي منهما من يشاء وليس لاحد ان يتحكم عليه
في شيء منهما **وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء
ويرضى** يعني ان امر الشفاعة ضيق وذلك ان الملائكة مع قربتهم وزلفاهم وكثرتهم واغتصاص
السموات بجموعهم لو شفعوا باجمعهم لاحد لم تغن شفاعتهم عنه شيئا قط ولم تنفع الا اذا شفعوا
من بعد ان ياذن الله لهم في الشفاعة لمن يشاء الشفاعة ويراه اهلا لان يشفع له فكيف تشفع
الاصنام اليه لعبدتهم **إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة** اي يسمون كل واحد
تسمية الأنثى لانهم اذا قالوا الملائكة بنات الله فقد سموا كل واحد منهم بنتا وهي تسمية الانثى **وما
لهم به من علم** اي بذلك وبما يقولون وفي قراءة ابي بها اي بالملائكة او التسمية **إن يتبعون
إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئا** يعني انما يدرك حقيقة الشيء وما هو عليه بالعلم والتيقن
لا بالظن والتوهم **فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من
العلم** فاعرض عن دعوة من رايته معرضا عن ذكر الله وعن الاخرة ولم يرد الا الدنيا ولا تتهالك
على اسلامه ثم قال **إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى** اي انما يعلم الله
من يجيب ممن لا يجيب وانت لا تعلم فخفض على نفسك ولا تتعبها فانك لا تهدي من احببت ولكن
الله يهدي من يشاء وما عليك الا البلاغ وقوله ذلك مبلغهم من العلم اعتراض او فاعرض عنه ولا
تقابله ان ربك هو اعلم بالضال والمهتدي وهو مجازيهما بما يستحقان من الجزاء **ولله ما في
السماوات وما في الأرض ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى**
وقرئ لنجزي ونجزي بالنون فيهما ومعناه ان الله عز وجل انما خلق العالم وسوى هذه الملكوت
لهذا الغرض وهو ان يجازي المحسن من المكلفين والمسيء منهم ويجوز ان يتعلق بقوله هو اعلم
بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى لان نتيجة العلم بالضال والمهتدي جزاؤهما بما عملوا بعقاب ما
عملوا من السوء وبالحسنى بالمثوبة الحسنى وهي الجنة او بسبب ما عملوا من السوء وبسبب الاعمال
الحسنى **الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم** كبائر الاثم الكبائر من الاثم لان الاثم
جنس يشتمل على كبائر وصغائر والكبائر الذنوب التي لا يسقط عقابها الا بالتوبة وقيل التي يكبر
عقابها بالاضافة الى ثواب صاحبها والفواحش ما فحش من الكبائر كانه قال والفواحش منها

والنوبة أنقاسم لمس من الجنون وما سوى معنا

خاصة وقرئ كبير الاثم اي النوع الكبير منه وقيل هو الشرك بالله واللمم ما قل وصغر ومنه اللمم
المس من الجنون واللوثة منه والم بالمكان اذا قل فيه لبثه والم بالطعام قل منه اكله ومنه
لقاء اخلاء الصفاء لمام والمراد الصغائر من الذنوب ولا يخلو قوله الا اللمم ان يكون استثناء
منقطعا او صفة كقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا كانه قيل كبائر الاثم غير اللمم وآلهة غير الله وعن
ابي سعيد الخدري اللمم هي النظرة والغمزة والقبلة وعن السدي الخطرة من الذنب وعن الكلبي
كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا ولا عذابا وعن عطاء عادة النفس الحين بعد الحين **إن ربك واسع المغفرة**
حيث يكفر الصغائر باجتناب الكبائر والكبائر بالتوبة **هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض
وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم** فلا تنسبوها الى زكاء العمل وزيادة
الخير والطاعات او الى الزكاء والطهارة من المعاصي ولا تثنوا عليها واهضموها فقد علم الله الزكي
منكم والتقي اولا واخرا قبل ان يخرجكم من صلب آدم وقبل ان تخرجوا من بطون امهاتكم وقيل
كان ناس يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا اذا كان على سبيل
الاعجاب او الرياء فاما من اعتقد ان ما عمله من العمل الصالح من الله وبتوفيقه ولم يقصد به التمدح
لم يكن من المزكين انفسهم لان المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر **أفرأيت الذي تولى وأعطى قليلا
وأكدى أعنده علم الغيب** اكدى قطع عطيته وامسك واصله من اكدى الحافر وهو ان
تلقاه كدية وهي صلابة كالصخرة فيمسك عن الحفر ونحوه اجبل الحافر ثم استعير فقيل اجبل الشاعر
اذا افحم وروي ان عثمان كان يعطي ماله في الخير فقال له عبد الله بن سعد بن ابي سرح وهو اخوه
من الرضاعة يوشك ان لا يبقى لك شيء فقال عثمان ان لي ذنوبا وخطايا واني اطلب بما اصنع رضا
الله وارجو عفوه فقال عبد الله اعطني ناقتك برحلها وانا احمل عنك ذنوبك كلها فاعطاه واشهد
عليه وامسك من العطاء فنزلت ومعنى تولى ترك المركز يوم احد فعاد عثمان الى احسن من ذلك
واجمل **فهو يرى** فهو يعلم ان ما قال له اخوه من احتمال اوزاره حق **أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم
الذي وفى** قرئ مخففا ومشددا والتشديد مبالغة في الوفاء او بمعنى وفر واتم كقوله فاتمهن واطلاقه
ليتناول كل وفاء وتوفية من ذلك تبليغه الرسالة واستقلاله باعباء النبوة والصبر على ذبح
ولده وعلى نار نمرود وقيامه باضيافه وخدمته اياهم بنفسه وانه كان يخرج كل يوم فيمشي فرسخا
يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى الصوم وعن الحسن ما امره الله بشيء الا وفى به وعن الهذيل
بن شرحبيل كان بين نوح وبين ابراهيم يؤخذ الرجل بجريرة غيره ويقتل بابنه وابيه وعمه وخاله والزوج
بامراته والعبد بسيده فاول من خالفهم ابراهيم وعن عطاء بن السائب عهد ان لا يسال مخلوقا
فلما قذف في النار قال له جبريل وميكائيل الك حاجة فقال اما اليكم فلا وعن النبي صلى الله عليه وآله
وفى عمله كل يوم باربع ركعات في صدر النهار وهي صلوة الضحى وروي الا اخبركم لم سمى الله خليله
الذي وفى كان يقول اذا اصبح وامسى فسبحان الله حين تمسون الى حين تظهرون وقيل وفى سهام
الاسلام وهي ثلاثون عشرة في التوبة التائبون وعشرة في الاحزاب ان المسلمين وعشرة في
المؤمنين قد افلح المؤمنون وقرئ في صحف بالتخفيف **ألا تزر وازرة وزر أخرى** ان مخففة
من الثقيلة والمعنى انه لا تزر والضمير ضمير الشان ومحل ان وما بعدها الجر بدلا من ما في صحف موسى
او الرفع على هو ان لا تزر كان قائلا قال وما في صحف موسى وابراهيم فقيل ألا تزر **وأن ليس للإنسان
إلا ما سعى** الا سعيه فان قلت اما صح في الاخبار الصدقة عن الميت والحج عنه وله الاضعاف
قلت فيه جوابان احدهما ان سعي غيره لما لم ينفعه الا مبنيا على سعي نفسه وهو ان يكون مؤمنا
صالحا وكذلك الاضعاف كان سعي غيره كانه سعي نفسه لكونه تابعا له وقائما بقيامه والثاني
ان سعي غيره لا ينفعه اذا عمله لنفسه ولكن اذا نواه به فهو بحكم الشرع كالنائب عنه والوكيل القائم
مقامه **وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه** ثم يجزى العبد سعيه يقال جزاه الله عمله وجزاه على عمله بحذف
الجار وايصال الفعل ويجوز ان يكون الضمير للجزاء ثم فسره بقوله **الجزاء الأوفى** او ابدله عنه كقوله
واسروا النجوى الذين ظلموا **وأن إلى ربك المنتهى** وقرئ بالفتح على معنى ان هذا كله في الصحف
وبالكسر على الابتداء وكذلك ما بعده والمنتهى مصدر بمعنى الانتهاء اي ينتهي اليه الخلق ويرجعون
اليه كقوله والى الله المصير **وأنه هو أضحك وأبكى** خلق قوتي الضحك والبكاء **وأنه هو أمات**

وأحيى ﴿وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى﴾ إذا تدفق في الرحم يقال مني وأمنى
وعن الأخفش تخلق من مني أمنى أي قدر المقدر ﴿وأن عليه النشأة الأخرى﴾ وقرئ النشاءة
بالمد وقال عليه لأنها واجبة عليه في الحكمة ليجازي على الإحسان والإساءة ﴿وأنه هو أغنى وأقنى﴾
وأعطى القنية وهو المال الذي تأثلته وعزمت أن لا تخرجه من يدك ﴿وأنه هو رب الشعرى﴾
الشعرى مرزم الجوزاء وهي التي تطلع وراءها وتسمى كلب الجبار وهما شعريان الغميصاء
والعبور وأراد العبور وكانت خزاعة تعبدها سن لهم ذلك أبو كبشة رجل من أشرافهم
وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابن أبي كبشة تشبيها له به لمخالفته إياهم في دينهم يريد أنه
رب معبودهم هذا ﴿وأنه أهلك عادا الأولى﴾ عاد الأولى قوم هود وعاد الأخرى إرم
وقيل الأولى القدماء لأنهم أولى الأمم هلاكا بعد قوم نوح أو المتقدمون في الدنيا الأشراف
وقرئ عادا لولى وعاد لولى بإدغام التنوين في اللام وطرح همزة أولى ونقل ضمتها إلى لام التعريف
﴿وثمودا﴾ وقرئ وثمود ﴿فما أبقى وقوم نوح من قبل إنهم كانوا هم أظلم وأطغى﴾ لأنهم كانوا
يؤذونه ويضربونه حتى لا يكون به حراك وينفرون عنه حتى كانوا يحذرون صبيانهم أن
يسمعوا منه وما أثر فيهم دعاؤه قريبا من ألف سنة ﴿والمؤتفكة﴾ والقرى التي ائتفكت بأهلها أي
انقلبت وهم قوم لوط يقال أفكه فائتفك ﴿أهوى﴾ رفعها إلى السماء على جناح جبريل ثم أهواها
إلى الأرض أي أسقطها ﴿فغشاها ما غشى﴾ تهويل وتعظيم لما صب عليها من العذاب وأمطر
عليها من الصخر المنضود ﴿فبأي آلاء ربك تتمارى﴾ تتشكك والخطاب لرسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم أو للإنسان على الإطلاق وقد عدد نعما ونقما وسماها كلها آلاء من قبل ما في نقمه من المزاجر
والمواعظ للمعتبرين ﴿هذا﴾ القرآن ﴿نذير من النذر الأولى﴾ أي إنذار من جنس الإنذارات الأولى
التي أنذر بها من قبلكم أو هذا الرسول منذر من المنذرين الأولين وقال الأولى على تأويل الجماعة
﴿أزفت الآزفة﴾ قربت الموصوفة بالقرب في قوله اقتربت الساعة ﴿ليس لها من دون الله كاشفة﴾
نفس كاشفة مبينة متى تقوم كقوله لا يجليها لوقتها إلا هو أو ليس لها نفس كاشفة أي قادرة
على كشفها إذا وقعت إلا الله غير أنه لا يكشفها أو ليس لها الآن نفس كاشفة بالتأخير وقيل
الكاشفة مصدر بمعنى الكشف كالعافية وقرأ طلحة ليس لها مما يدعون من دون الله كاشفة
وهي على الظالمين ساءت الغاشية ﴿أفمن هذا الحديث﴾ وهو القرآن ﴿تعجبون﴾ إنكارا ﴿وتضحكون﴾
استهزاء ﴿ولا تبكون﴾ والبكاء والخشوع حق عليكم وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
أنه لم ير ضاحكا بعد نزولها وقرئ تعجبون تضحكون بغير واو ﴿وأنتم سامدون﴾ شامخون
مبرطمون وقيل لاهون لاعبون وقال بعضهم لجاريته اسمدي أي غني لنا ﴿فاسجدوا لله﴾
﴿واعبدوا﴾ واعبدوه ولا تعبدوا الآلهة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة والنجم أعطاه
الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وجحد به بمكة

سورة القمر مكية وهي خمس وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿اقتربت الساعة﴾
﴿وانشق القمر﴾ انشقاق القمر من آيات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعجزاته النيرة
عن أنس بن مالك أن الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آية فانشق القمر مرتين وكذا عن ابن
عباس وابن مسعود قال ابن عباس انفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت وقال ابن مسعود رأيت
حراء بين فلقتي القمر وعن بعض الناس أن معناه ينشق يوم القيامة وقوله وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر يرده
وكفى به رادا وفي قراءة حذيفة وقد انشق القمر أي اقتربت الساعة وقد حصل من آيات
اقترابها أن القمر قد انشق كما تقول أقبل الأمير وقد جاء المبشر بقدومه وعن حذيفة أنه خطب بالمدائن
ألا إن الساعة قد اقتربت وإن القمر قد انشق على عهد نبيكم ﴿وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا
سحر مستمر﴾ دائم مطرد وكل شيء قد انقادت طريقته ودامت حاله قيل فيه قد استمر لما رأوا تتابع
المعجزات وترادف الآيات قالوا هذا سحر مستمر وقيل مستمر قوي محكم من قولهم استمر مريره وقيل
هو من استمر الشيء إذا اشتدت مرارته أي مستبشع عندنا مر على لهواتنا لا نقدر أن نسيغه كما لا يساغ

المر المقر وقيل مستمر مار ذاهب يزول ولا يبقى تمنية لأنفسهم وتعليلا وقرئ وإن يروا
﴿وكذبوا واتبعوا أهواءهم﴾ وما زين لهم الشيطان من دفع الحق بعد ظهوره ﴿وكل أمر مستقر﴾
أي كل أمر لا بد أن يصير إلى غاية يستقر عليها وإن أمر محمد سيصير إلى غاية يتبين عندها أنه
حق أو باطل وسيظهر لهم عاقبته وكل أمر من أمرهم وأمره مستقر أي سيثبت ويستقر على
حالة خذلان أو نصرة في الدنيا وشقاوة أو سعادة في الآخرة وقرئ بفتح القاف يعني كل
أمر ذو مستقر أي ذو استقرار أو زمان استقرار وعن أبي جعفر مستقر بكسر القاف والجر
عطفا على الساعة أي اقتربت الساعة واقترب كل أمر مستقر يتبين حاله ﴿ولقد
جاءهم من الأنباء﴾ من القرآن المودع أنباء القرون الخالية أو أنباء الآخرة وما وصف من عذاب الكفار
﴿ما فيه مزدجر﴾ ازدجار أو موضع ازدجار والمعنى هو في نفسه موضع للازدجار ومظنة له
كقوله لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة وقرئ مزجر بقلب تاء الافتعال زايا وإدغام الزاي فيها ﴿حكمة
بالغة﴾ بدل من ما أو على هو حكمة وقرئ بالنصب حالا من ما فإن قلت إن كانت ما موصولة ساغ لك أن
تنصب حكمة حالا فكيف تعمل إن كانت موصوفة وهو الظاهر قلت تخصصها الصفة فيحسن نصب
الحال عنها ﴿فما تغن النذر﴾ نفي أو إنكار وما منصوبة أي فأي غناء تغني النذر ﴿فتول عنهم﴾ لعلمك
أن الإنذار لا يغني فيهم نصب ﴿يوم يدع الداع﴾ بيخرجون أو بإضمار اذكر وقرئ بإسقاط الياء
اكتفاء بالكسرة عنها والداعي إسرافيل أو جبريل كقوله يوم ينادي المنادي ﴿إلى شيء نكر﴾ منكر
فظيع تنكره النفوس لأنها لم تعهد بمثله وهو هول يوم القيامة وقرئ نكر بالتخفيف ونكر بمعنى أنكر
﴿خشعا أبصارهم﴾ حال من الخارجين فعل للأبصار وذكر كما تقول يخشع أبصارهم وقرئ
خاشعة على يخشع أبصارهم وخشعا على يخشعن أبصارهم وهي لغة من يقول أكلوني البراغيث
وهم طيء ويجوز أن يكون في خشعا ضميرهم وتقع أبصارهم بدلا عنه وقرئ خشع أبصارهم
على الابتداء والخبر ومحل الجملة النصب على الحال كقوله
وجدته حاضراه الجود والكرم وخشوع الأبصار كناية عن الذلة والانخزال لأن ذلة
الذليل وعزة العزيز تظهران في عيونهما ﴿يخرجون﴾ وقرئ يخرجون ﴿من الأجداث﴾ من القبور
﴿كأنهم جراد منتشر﴾ الجراد مثل في الكثرة والتموج يقال في الجيش الكثير المائج بعضه في
بعض جاءوا كالجراد وكالدبا منتشر في كل مكان لكثرته ﴿مهطعين إلى الداع﴾ مسرعين
مادي أعناقهم إليه وقيل ناظرين إليه لا يقلعون بأبصارهم قال
تعبدني نمر بن سعد وقد أرى ونمر بن سعد لي مطيع ومهطع
﴿يقول الكافرون هذا يوم عسر كذبت قبلهم﴾ قبل أهل مكة ﴿قوم نوح فكذبوا عبدنا﴾ يعني
نوحا فإن قلت فما معنى قوله فكذبوا بعد قوله كذبت قلت معناه كذبوا فكذبوا عبدنا
أي كذبوه تكذيبا على أثر تكذيب كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب أو كذبت
قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا أي لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين للنبوة رأسا كذبوا نوحا
لأنه من جملة الرسل ﴿وقالوا مجنون وازدجر﴾ وانتهروه بالشتم والضرب والوعيد بالرجم في قولهم
لتكونن من المرجومين وقيل هو من جملة قولهم أي قالوا هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته
وذهبت بلبه ﴿فدعا ربه أني مغلوب﴾ وقرئ إني بمعنى فدعا بأني مغلوب وإني على إرادة القول
فدعا فقال إني مغلوب غلبني قومي فلم يسمعوا مني واستحكم اليأس من إجابتهم لي ﴿فانتصر﴾
فانتقم منهم بعذاب تبعثه عليهم وإنما دعا بذلك بعد ما طم عليه الأمر وبلغ السيل الزبى فقد
روي أن الواحد من أمته كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه فيفيق وهو يقول اللهم اغفر
لقومي فإنهم لا يعلمون وقرئ ﴿ففتحنا﴾ مخففا ومشددا وكذلك وفجرنا ﴿أبواب السماء بماء
منهمر﴾ منصب في كثرة وتتابع لم ينقطع أربعين يوما ﴿وفجرنا الأرض عيونا﴾ وجعلنا الأرض
كلها كأنها عيون تتفجر وهو أبلغ من قولك وفجرنا عيون الأرض ونظيره في النظم واشتعل الرأس
شيبا ﴿فالتقى الماء﴾ يعني مياه السماء والأرض وقرئ الماءان أي النوعان من الماء السماوي والأرضي
ونحوه قولك عندي تمران تريد ضربان من التمر برني ومعقلي قال لنا إبلان فيهما ما علمتم وقرأ
الحسن الماوان بقلب الهمزة واوا كقولهم علباوان ﴿على أمر قد قدر﴾ على حال قدرها الله تعالى
كيف شاء وقيل على حال جاءت مقدرة مستوية وهي أن قدر ما أنزل من السماء كقدر ما أخرج من الأرض

سواء بسواء وقيل على أمر قد قدر في اللوح أنه يكون وهو هلاك قوم نوح بالطوفان وحملناه
على ذات ألواح ودسر أراد السفينة وهي من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات فتنوب منابها
وتؤدي مؤداها بحيث لا يفصل بينها وبينه وكونه ولكن قميص مسرود من حديد أراد ولكن
قميص درع وكذلك ولو في عيون النازيات بأكرع أراد ولو في عيون الجراد ألا ترى أنك
لو جمعت بين السفينة وبين هذه الصفة وبين الدرع والجراد وهاتين الصفتين لم يصح وهذا من
فصيح الكلام وبديعه والدسر جمع دسار وهو المسمار فعال من دسره إذا دفعه لأنه يدسر
به منفذه تجري بأعيننا جزاء مفعول له لما قدم من فتح أبواب السماء وما بعده أي فعلنا ذلك
جزاء لمن كان كفر وهو نوح عليه الصلاة والسلام وجعله مكفورا لأن النبي نعمة من الله ورحمة
قال الله تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين فكان نوح عليه الصلاة والسلام نعمة مكفورة ومن
هذا المعنى ما يحكى أن رجلا قال للرشيد الحمد لله عليك فقال ما معنى هذا الكلام قال أنت
نعمة حمدت الله عليها ويجوز أن يكون على تقدير حذف الجار وإيصال الفعل وقرأ قتادة كفر أي
جزاء للكافرين وقرأ الحسن جزاء أي مجازاة ولقد تركناها آية فهل من مدكر فكيف
كان عذابي ونذر الضمير في تركناها للسفينة أو للفعلة أي جعلناها آية يعتبر بها وعن قتادة
أبقاها الله بأرض الجزيرة وقيل على الجودي دهرا طويلا حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة والمدكر
المعتبر وقرئ مذتكر على الأصل ومدكر بقلب التاء دالا وإدغام الدال فيها وهذا نحو مزدجر
والنذر جمع نذير وهو الإنذار ولقد يسرنا القرآن للذكر سهلناه للادكار والاتعاظ
بأن شحناه بالمواعظ الشافية وصرفنا فيه من الوعد والوعيد فهل من مدكر متعظ وقيل ولقد
سهلناه للحفظ وأعنا عليه من أراد حفظه فهل من طالب لحفظه ليعان عليه ويجوز أن يكون المعنى
ولقد هيأناه للذكر من يسر ناقته للسفر إذا رحلها ويسر فرسه للغزو إذا أسرجه وألجمه
قال
وقمت إليه باللجام ميسرا ... هنالك يجزيني الذي كنت أصنع
ويروى أن كتب أهل الأديان كالتوراة والإنجيل لا يتلوها أهلها إلا نظرا ولا يحفظونها كالقرآن
كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر وإنذاراتي لهم بالعذاب قبل نزوله أو لإنذاراتي
في تعذيبهم لمن بعدهم إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس في يوم شؤم وقرئ في يوم نحس
كقوله في أيام نحسات مستمر قد استمر عليهم ودام حتى أهلكهم أو استمر عليهم جميعا على كبيرهم
وصغيرهم لم يبق منهم نسمة وكان في أربعاء في آخر الشهر لا تدور ويجوز أن يريد بالمستمر الشديد
المرارة والبشاعة تنزع الناس تقلعهم عن أماكنهم وكانوا يصطفون آخذين بأيدي بعض
ويحفرون الحفر فيندسون فيها فتنزعهم وتكبهم وتدق رقابهم كأنهم أعجاز نخل منقعر يعني
أنهم كانوا يتساقطون على الأرض أمواتا وهم جثث طوال عظام كأنهم أعجاز نخل وهي أصولها بلا فروع ومنقعر
منقطع عن مغارسه وقيل شبهوا بأعجاز النخل لأن الريح كانت تقطع رؤوسهم فتبقى أجسادا بلا رؤوس
وذكر صفة نخل على اللفظ ولو حملها على المعنى لأنث كما قال أعجاز نخل خاوية فكيف كان عذابي
ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر فقالوا أبشرا منا واحدا
نتبعه إنا إذا لفي ضلال وسعر أبشرا منا واحدا منصوب بفعل يفسره نتبعه وقرئ أبشر منا
واحد على الابتداء ونتبعه خبره والأول أوجه للاستفهام كان يقول إن لم تتبعوني كنتم في
ضلال عن الحق وسعر ونيران جمع سعير فعكسوا عليه فقالوا إن اتبعناك كنا إذن
كما تقول وقيل الضلال الخطأ والبعد عن الصواب والسعر الجنون يقال ناقة مسعورة
كأن بها سعرا إذا العيس هزها ... ذميل وإرخاء من السير متعب
فإن قلت كيف أنكروا أن يتبعوا بشرا منهم قلت قالوا أبشرا إنكارا لأن يتبعوا مثلهم
في الجنسية وطلبوا أن يكون من جنس أعلى من جنس البشر وهم الملائكة وقالوا منا لأنه إذا كان
منهم كانت المماثلة أقوى وقالوا واحدا إنكارا لأن تتبع الأمة رجلا واحدا أو أرادوا واحدا
من أفنائهم ليس بأشرفهم وأفضلهم ويدل عليه قولهم أألقي الذكر عليه من بيننا أي
أنزل عليه الوحي من بيننا وفينا من هو أحق منه بالاختيار للنبوة بل هو كذاب أشر بطر
متكبر حمله بطره وشطارته وطلبه التعظم علينا على ادعاء ذلك سيعلمون غدا عند

نزول العذاب بهم أو يوم القيامة من الكذاب الأشر أصالح أم من كذبه وقرئ ستعلمون
بالتاء على حكاية ما قال لهم صالح مجيبا لهم أو هو كلام الله على سبيل الالتفات وقرئ الأشر بضم
الشين كقولهم حذر وحذر وحدث وحدث وأخوات لها وقرئ الأشر وهو الأبلغ
في الشرارة والأخير والأشر أصل قولهم هو خير منه وشر منه وهو أصل مرفوض وقد
حكى ابن الأنباري قول العرب هو أخير وأشر وما أخيره وما أشره إنا مرسلو الناقة
باعثوها ومخرجوها من الهضبة كما سألوا فتنة لهم امتحانا لهم وابتلاء فارتقبهم
فانتظرهم وتبصر ما هم صانعون واصطبر على أذاهم ولا تعجل حتى يأتيك أمري ونبئهم أن
الماء قسمة بينهم مقسوم بينهم لها شرب يوم ولهم شرب يوم وإنما قال بينهم تغليبا للعقلاء
كل شرب محتضر محضور لهم أو للناقة وقيل يحضرون الماء في نوبتهم واللبن في نوبتها فنادوا
صاحبهم قدار بن سالف أحيمر ثمود فتعاطى فاجترأ على تعاطي الأمر العظيم غير
مكترث له فعقر فأحدث العقر بالناقة وقيل فتعاطى الناقة فعقرها أو فتعاطى السيف
فكيف كان عذابي ونذر إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر والهشيم
الشجر اليابس المتهشم المتكسر والمحتظر الذي يعمل الحظيرة وما يحتظر به ييبس بطول الزمان
وتتوطؤه البهائم فيتحطم ويتهشم وقرأ الحسن بفتح الظاء وهو موضع الاحتظار أي الحظيرة
ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر إنا أرسلنا عليهم حاصبا
ريحا تحصبهم بالحجارة أي ترميهم إلا آل لوط نجيناهم بسحر في سحر وهو السدس الأخير من الليل
وقيل هما سحران فالسحر الأعلى قبل انصداع الفجر والآخر عند انصداعه وأنشد
مرت بأعلى السحرين تدأل
وصرف لأنه نكرة ويقال لقيته بسحر إذا لقيته في سحر يومه
نعمة من عندنا إنعاما مفعول له كذلك نجزي من شكر نعمة الله وطاعته ولقد أنذرهم
لوط عليه السلام فطمسنا أعينهم مسحناها وجعلناها كسائر الوجه لا يرى لها شق روي أنهم
لما عالجوا باب لوط عليه السلام ليدخلوا قالت الملائكة خلهم يدخلوا إنا رسل ربك لن يصلوا
إليك فصفقهم جبريل بجناحه صفقة فتركهم يترددون لا يهتدون إلى الباب حتى أخرجهم
لوط فذوقوا عذابي ونذر فقلت لهم ذوقوا على ألسنة الملائكة ولقد صبحهم بكرة أول
النهار وباكره كقوله مشرقين ومصبحين وقرئ بكرة غير مصروفة ويقولون أتيته بكرة
وغدوة بالتنوين إذا أردت التنكير وبكرة وغدوة إذا عرفت وقصدت بكرة نهارك وغدوته
عذاب مستقر ثابت وقد استقر عليهم إلى أن يفضي بهم إلى عذاب الآخرة فإن قلت ما فائدة تكرير
قوله فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر قلت فائدته أن يجددوا
عند استماع كل نبأ من أنباء الأولين ادكارا واتعاظا وأن يستأنفوا تنبها واستيقاظا إذا سمعوا
الحث على ذلك والبعث عليه وأن يقرع لهم العصا مرات ويقعقع لهم الشنان تارات لئلا تغلبهم
السهو ولا تستولي عليهم الغفلة وهكذا حكم التكرير كقوله فبأي آلاء ربكما تكذبان عند كل
نعمة عدها في سورة الرحمن وقوله ويل يومئذ للمكذبين عند كل آية أوردها في سورة المرسلات
وكذلك تكرير الأنباء والقصص في أنفسها لتكون تلك العبر حاضرة للقلوب مصورة للأذهان
مذكورة غير منسية في كل أوان ولقد جاء آل فرعون النذر موسى وهارون وغيرهما من
الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لأنهما عرضا عليهم ما أنذر به المرسلون أو جمع نذير وهو الإنذارات
كذبوا بآياتنا كلها الآيات التسع فأخذناهم أخذ عزيز لا يغالب مقتدر لا يعجزه شيء أكفاركم
يا أهل مكة خير من أولئكم الكفار المعدودين قوم نوح وهود وصالح ولوط وآل فرعون أي أهم خير
قوة وآلة ومكانة في الدنيا أو أقل كفرا وعنادا يعني أن كفاركم مثل أولئك بل شر منهم
أم لكم براءة في الزبر أم أنزلت عليكم يا أهل مكة براءة في الكتب المتقدمة أن من كفر منكم
وكذب الرسل كان آمنا من عذاب الله فأمنتم بتلك البراءة أم يقولون نحن جميع جماعة أمرنا
مجتمع منتصر ممتنع لا نرام ولا نضام وعن أبي جهل أنه ضرب فرسه يوم بدر فتقدم في الصف
وقال نحن ننتصر اليوم من محمد وأصحابه فنزلت سيهزم الجمع سيهزم الجمع عرفنا ولها ويولون
الدبر أي الأدبار كما قال كلوا في بعض بطنكم وقرئ الأدبار بل الساعة موعدهم

والساعة أدهى اشد واوضع والداهية الامر المنكر الذي لا يهتدى لدوائه وأمر من الهزيمة والقتل
والاسر وقرئ سيهزم الجمع إن المجرمين في ضلال وسعر في هلاك ونيران او في ضلال عن الحق
في الدنيا ونيران في الآخرة يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر كقولك وجد مس
الحمى وذاق طعم الضرب لان النار اذا اصابتهم بحرها ولحقتهم بايلامها فكانها تمسهم مسا بذلك
كما يمس الحيوان ويباشر بما يؤذي ويؤلم وذوقوا على ارادة القول وسقر علم لجهنم من سقرته النار
وصقرته اذا لوحته قال ذو الرمة

اذا ذابت الشمس اتقى صقراتها ... بافنان مربوع الصريمة معبل

وعدم صرفها للتعريف والتانيث إنا كل شيء خلقناه بقدر كل شيء منصوب بفعل مضمر يفسره
الظاهر وقرئ كل شيء بالرفع والقدر والقدر التقدير وقرئ بهما اي خلقنا كل شيء مقدرا محكما
مرتبا على حسب ما اقتضته الحكمة او مقدرا مكتوبا في اللوح معلوما قبل كونه قد علمنا
حاله وزمانه وما أمرنا إلا واحدة الا كلمة واحدة سريعة التكوين كلمح بالبصر اي الا قوله
كن يعني انه اذا اراد تكوين شيء لم يلبث كونه ولقد أهلكنا أشياعكم اشباهكم في
الكفر من الامم فهل من مدكر وكل شيء فعلوه في الزبر في دواوين الحفظة وكل صغير وكبير
من الاعمال ومن كل ما هو كائن مستطر مسطور في اللوح إن المتقين في جنات ونهر وانهار
اكتفاء باسم الجنس وقيل هو السعة والضياء من النهار وقرئ بسكون الهاء ونهر جمع نهر كاسد
وأسد في مقعد صدق في مكان مرضي وقرئ في مقاعد صدق عند مليك مقتدر مقربين
عند مليك مبهم امره في الملك والاقتدار فلا شيء الا وهو تحت ملكه وقدرته فاي منزلة اكرم من
تلك المنزلة واجمع للغبطة كلها والسعادة باسرها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة
القمر في كل غب بعثه الله يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر

سورة الرحمن مكية وقيل مدنية وقيل فيها مكي ومدني وهي ست وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان عدد الله عز وعلا آلاءه فاراد ان يقدم اول شيء
ما هو اسبق قدما من ضروب آلائه واصناف نعمائه وهي نعمة الدين فقدم من نعمة الدين ما هو في اعلى
مراتبها واقصى مراقيها وهو انعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه لانه اعظم وحي الله رتبة واعلاه منزلة
واحسنه في ابواب الدين اثرا وهو سنام الكتب السماوية ومصداقها والعيار عليها واخر ذكر خلق
الانسان عن ذكره ثم اتبعه اياه ليعلم انه انما خلقه للدين وليحيط علما بوحيه وكتبه وما خلق
الانسان من اجله وكان الغرض في انشائه كان مقدما عليه وسابقا له ثم ذكر ما تميز به من سائر الحيوان
من البيان وهو المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير والرحمن مبتدأ وهذه الافعال مع ضمائرها اخبار
مترادفة واخلاؤها عن العاطف لمجيئها على نمط التعديد كما تقول زيد اغناك بعد فقر اعزك بعد ذل
اكثرك بعد قلة فعل بك ما لم يفعل احد باحد فما تنكر من احسانه الشمس والقمر بحسبان بحساب
معلوم وتقدير سوي يجريان في بروجهما ومنازلهما وفي ذلك منافع للناس عظيمة منها علم السنين
والحساب والنجم والنبات الذي ينجم من الارض لا ساق له كالبقول والشجر الذي له ساق يسجدان
وسجودهما انقيادهما لله فيما خلقا له وانهما لا يمتنعان تشبيها بالساجد من المكلفين في انقياده
فان قلت كيف اتصلت هاتان الجملتان بالرحمن قلت استغنى فيهما عن الوصل اللفظي بالوصل
المعنوي لما علم ان الحسبان حسبانه والسجود له لا لغيره كانه قيل الشمس والقمر بحسبانه والنجم
والشجر يسجدان له فان قلت كيف اخل بالعاطف في الجمل الاولى ثم جيء به بعد قلت بكت
بتلك الجمل الاول واردة على سنن التعديد الذي انكر الرحمن وآلاءه كما بكت منكرا ايادي
المنعم عليه من الناس بتعديدها عليه في المثال الذي قدمته ثم رد الكلام الى منهاجه بعد التبكيت
في وصل ما يجب وصله للتناسب والتقارب بالعاطف فان قلت اي تناسب بين هاتين الجملتين
حتى وسط بينهما العاطف قلت ان الشمس والقمر سماويان والنجم والشجر ارضيان فبين القبيلين

تناسب من حيث التقابل وان السماء والارض لا تزالان تذكران قرينتين وان جري الشمس والقمر بحسبان
من جنس الانقياد لامر الله فهو مناسب لسجود النجم والشجر وقيل علم القرآن جعله علامة وآية
وعن ابن عباس رضي الله عنه الانسان آدم عليه السلام وعنه ايضا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعن مجاهد
نجوم السماء والسماء رفعها خلقها مرفوعة مسموكة حيث جعلها منشأ احكامه ومصدر قضاياه
ومتنزل اوامره ونواهيه ومسكن ملائكته الذين يهبطون بالوحي على انبيائه ونبه بذلك على كبرياء
شانه وملكه وسلطانه ووضع الميزان وفي قراءة عبد الله وخفض الميزان واراد به كل ما يوزن
به الاشياء ويعرف مقاديرها من ميزان وقرسطون ومكيال ومقياس اي خلقه موضوعا مخفوضا
على الارض حيث علق به احكام عباده وقضاياهم وما تعبدهم به من التسوية والتعديل في اخذهم
واعطائهم ألا تطغوا في الميزان لئلا تطغوا وهي ان المفسرة وقرأ عبد الله لا تطغوا بغير أن
على ارادة القول وأقيموا الوزن بالقسط وقوموا وزنكم بالعدل ولا تخسروا الميزان ولا تنقصوه امر
بالتسوية ونهى عن الطغيان الذي هو اعتداء وزيادة وعن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان
وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتقوية للامر باستعماله والحث عليه وقرئ والسماء
بالرفع ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها وفتحها يقال خسر الميزان يخسره واما
الفتح فعلى ان الاصل ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار واوصل الفعل والأرض وضعها خفضها
مدحوة على الماء للأنام للخلق وهو كل ما على ظهر الارض من دابة وعن الحسن الانس والجن وهي
كالمهاد لهم يتصرفون فوقها فيها فاكهة ضروب مما يتفكه به والنخل ذات الأكمام والاكمام
كل ما يكم اي يغطي من ليفه وسعفه وكفراه وكله منتفع به كما ينتفع بالمكموم من ثمره وجماره
وجذوعه وقيل الاكمام اوعية التمر الواحد كم بكسر الكاف والحب ذو العصف والريحان
والعصف ورق الزرع وقيل التبن والريحان الرزق وهو اللب اراد فيها ما يتلذذ به من الفواكه
والجامع بين التلذذ والتغذي وهو ثمر النخل وما يتغذى به وهو الحب وقرئ والريحان بالكسر
ومعناه والحب ذو العصف الذي هو علف الانعام والريحان الذي هو مطعم الناس وبالضم على وذو
الريحان فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقيل معناه وفيها الريحان الذي
في مصاحف اهل الشام والحب ذا العصف والريحان اي وخلق الحب والريحان او واخص
والريحان ويجوز ان يراد وذا الريحان فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فبأي
آلاء ربكما تكذبان والخطاب في ربكما تكذبان للثقلين بدلالة الانام عليهما وقوله سنفرغ لكم
ايها الثقلان خلق الإنسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار فبأي آلاء ربكما
تكذبان رب المشرقين ورب المغربين فبأي آلاء ربكما تكذبان الصلصال الطين اليابس
له صلصلة والفخار الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف فان قلت قد اختلف التنزيل في هذا وذلك
قوله عز وجل من حمإ مسنون من طين لازب من تراب قلت هو متفق في المعنى ومفيد انه خلقه
من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا والجان ابو الجن وقيل هو ابليس والمارج اللهب
الصافي الذي لا دخان فيه وقيل المختلط بسواد النار من مرج الشيء اذا اضطرب واختلط فان قلت
فما معنى قوله من نار قلت هو بيان للمارج كانه قيل من صاف من نار او مختلط من نار مخصوصة كقوله
فانذرتكم نارا تلظى وقرئ رب المشرقين ورب المغربين بالجر بدلا من ربكما واراد مشرقي الصيف
والشتاء ومغربيهما مرج البحرين يلتقيان ارسل البحر الملح والبحر العذب متجاورين متلاقيين لا فصل
بين الماءين في مرأى العين بينهما برزخ حاجز من قدرة الله لا يبغيان لا يتجاوزان حديهما ولا يبغي احدهما
على الآخر بالممازجة فبأي آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان فبأي آلاء ربكما تكذبان
يخرج ويخرج من اخرج وخرج ويخرج اي الله عز وجل اللؤلؤ والمرجان بالنصب ونخرج بالنون واللؤلؤ
اللؤلؤ الدر والمرجان هذا الخرز الاحمر وهو البسذ وقيل اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره
فان قلت لم قال منهما وانما يخرجان من الملح قلت لما التقيا وصارا كالشيء الواحد جاز ان يقال يخرجان منهما
كما يقال يخرجان من البحر ولا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه وتقول خرجت من البلد وانما خرجت
من محلة من محاله من دار واحدة من دوره وقيل لا يخرجان الا من ملتقى الملح والعذب وله الجوار
المنشآت في البحر كالأعلام فبأي آلاء ربكما تكذبان الجواري السفن وقرئ الجوار بحذف

الباء ورفع الراء ونحوه ۝ لها ثبج بالارتماء خشات ۝ واربع فكلها ثمان ۝ والمنشآت المرفوعات الشرع
وقرئ بكسر الشين وهي الرافعات الشرع او اللاتي ينشئن الامواج بجريهن والاعلام جمع علم وهو
الجبل الطويل كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام فبأي آلاء ربكما تكذبان
وجه ربك ذاته والوجه يعبر به عن الجملة والذات ومساكين مكة يقولون اين وجه عربي كريم ينقذني
من الهوان ذو الجلال والاكرام صفة الوجه وقرأ عبد الله ذي الجلال على صفة ربك ومعناه الذي يجله
الموحدون عن التشبيه بخلقه وعن افعالهم او الذي يقال له ما اجلك واكرمك او من عنده الجلال والاكرام
للمخلصين من عباده وهذه الصفة من عظيم صفات الله ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الظوا بيا ذا
الجلال والاكرام وعنه عليه الصلوة والسلام انه مر برجل وهو يصلي ويقول يا ذا الجلال والاكرام فقال
قد استجيب لك وان قلت ما النعمة في ذلك قلت اعظم النعمة وهو مجيء وقت الجزاء يسئله من في السموات
والارض كل من اهل السموات والارض مفتقرون اليه فيسأله اهل السموات ما يتعلق بدينهم
واهل الارض ما يتعلق بدينهم ودنياهم كل يوم هو في شان فبأي آلاء ربكما تكذبان ۝ اي كل
وقت وحين يحدث امورا ويجدد احوالا كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه تلاها فقيل له
وما ذلك الشان فقال من شانه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وعن ابن عيينة
الدهر عند الله يومان احدهما اليوم الذي هو مدة الدنيا فشانه فيه الامر والنهي والاماتة والاحياء
والاعطاء والمنع والآخر يوم القيمة فشانه فيه الجزاء والحساب وقيل نزلت في اليهود حين قالوا ان الله لا
يقضي يوم السبت شيئا وسأل بعض الملوك وزيره عنها فاستمهله الى الغد وذهب كئيبا يفكر
فيها فقال غلام له اسود يا مولاي اخبرني ما اصابك لعل الله يسهل لك على يدي فاخبره فقال انا افسرها
للملك فاعلمه فقال ايها الملك شان الله انه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ويخرج الحي من الميت
ويخرج الميت من الحي ويشفي سقيما ويسقم سليما ويبتلي معافا ويعافي مبتلى ويعز ذليلا ويذل عزيزا ويفقر
غنيا ويغني فقيرا فقال الامير احسنت وامر الوزير ان يخلع عليه ثياب الوزارة فقال يا مولاي هذا من شان
الله وعن عبد الله بن طاهر انه دعا الحسين بن الفضل وقال له اشكلت علي ثلاث آيات دعوتك لتكشفها لي قوله فاصبح من
النادمين وقد صح ان الندم توبة وقوله كل يوم هو في شان وقد صح ان القلم جف بما هو كائن الى يوم القيمة وقوله
وان ليس للانسان الا ما سعى فما بال الاضعاف فقال الحسين يجوز ان لا يكون الندم توبة في تلك الامة ويكون
توبة في هذه الامة لان الله تعالى خص هذه الامة بخصائص لم تشاركهم فيها الامم وقيل ان ندم قابيل لم يكن
على قتل هابيل ولكن على حمله واما قوله وان ليس للانسان الا ما سعى فمعناه ليس له الا ما سعى عدلا ولي ان اجزيه بواحدة الفا فضلا واما
قوله كل يوم هو في شان فانها شؤون يبديها لا شؤون يبتديها فقام عبد الله وقبل راسه وسوغ خراجه
سنفرغ لكم ايه الثقلان فبأي آلاء ربكما تكذبان ۝ مستعار من قول الرجل لمن يتهدده سأفرغ
لك يريد سأتجرد للايقاع بك من كل ما يشغلني عنه حتى لا يكون لي شغل سواه والمراد التوفر على النكاية
فيه والانتقام منه ويجوز ان يراد ستنتهي الدنيا وتبلغ آخرها وتنتهي عند ذلك شؤون الخلق التي ارادها
بقوله كل يوم هو في شان فلا يبقى الا شان واحد وهو جزاؤكم فجعل ذلك فراغا لهم على طريق المثل وقرئ
سيفرغ لكم اي الله تعالى وسأفرغ وسنفرغ لكم بالنون مفتوحا ومكسورا وفتح الراء وسيفرغ لكم بالياء
مفتوحا ومضموما مع فتح الراء وفي قراءة ابي سنفرغ اليكم بمعنى سنقصد اليكم والثقلان
الانس والجن سميا بذلك لانهما ثقلا الارض يا معشر الجن والانس كالترجمة لقوله ايه الثقلان
ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا ان استطعتم ان تهربوا من قضائي وتخرجوا
من ملكوتي ومن سمائي وارضي فافعلوا ثم قال لا تنفذون الا بسلطان يعني بقوة وقهر وانى لكم
ذلك ونحوه وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء وروي ان الملائكة تنزل فتحيط بجميع الخلائق فاذا رآهم
الجن والانس هربوا فلا يأتون وجها الا وجدوا الملائكة احاطت به فبأي آلاء ربكما تكذبان يرسل
عليكما شواظ من نار ونحاس شواظ ونحاس كلاهما بالضم والكسر والشواظ اللهب الخالص والنحاس
الدخان وانشد ۝ يضيء كضوء سراج السليط ۝ لم يجعل الله فيه نحاسا ۝
وقيل الصفر المذاب يصب عليهم وعن ابن عباس اذا خرجوا من قبورهم ساقهم شواظ الى المحشر
وقرئ ونحاس مرفوعا عطفا على شواظ ومجرورا عطفا على نار وقرئ ونحس جمع نحاس وهو الدخان
نحو لحاف ولحف وقرئ ونحس اي ونقتل بالعذاب وقرئ نرسل عليكما شواظا من نار ونحاسا فلا

عليها اي على الارض

تنتصران

تنتصران فلا تمتنعان فبأي آلاء ربكما تكذبان فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان
كدهن الزيت كما قال كالمهل وهو دردي الزيت وهو جمع دهن او اسم ما يدهن به كالحزام والادام قال
۝ كأنهما مزادتا متعجل ۝ فريان لما تدهنا بدهان ۝
وقيل الدهان الاديم الاحمر وقرأ عبيد بن عمير وردة بالرفع بمعنى فحصلت سماء وردة وهو من الكلام
الذي يسمى التجريد كقوله ۝
۝ فلئن بقيت لارحلن بغزوة ۝ نحو الغنائم او يموت كريم ۝
فبأي آلاء ربكما تكذبان فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان فبأي
آلاء ربكما تكذبان ۝ ولا جان اريد به ولا جن فوضع الجان الذي هو ابو الجن
كما يقال هاشم ويراد ولده وانما وحد ضمير الانس في قوله عن ذنبه لكونه في معنى البعض والمعنى
لا يسألون لانهم يعرفون بسيما المجرمين وهي سواد الوجوه وزرقة العيون فان قلت هذا خلاف
قوله فوربك لنسألنهم اجمعين وقوله وقفوهم انهم مسؤلون قلت ذلك يوم طويل وفيه مواطن
فيسألون في موطن ولا يسألون في آخر قال قتادة قد كانت مسألة ثم ختم على افواه القوم وتكلمت ايديهم
وارجلهم بما كانوا يعملون وقيل لا يسأل عنه ليعلم من جهته ولكن يسأل سؤال توبيخ وقرأ الحسن
وعمرو بن عبيد ولا جأن فرارا من التقاء الساكنين وان كان على حده يعرف المجرمون بسيماهم
فيؤخذ بالنواصي والاقدام فبأي آلاء ربكما تكذبان ۝ عن الضحاك يجمع بين ناصيته وقدميه
في سلسلة من وراء ظهره وقيل تسحبهم الملائكة تارة تأخذ بالنواصي وتارة بالاقدام هذه
جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن فبأي آلاء ربكما تكذبان ۝
حميم آن ماء حار قد انتهى حره ونضجه اي يعاقب عليهم بين التصلية بالنار وبين شرب الحميم وقيل اذا
استغاثوا من النار جعل غياثهم الحميم وقيل آن واد من اودية جهنم يجتمع فيه صديد اهل النار
فينطلق بهم في الاغلال فيغمسون فيه حتى تنخلع اوصالهم ثم يخرجون منه وقد احدث الله لهم خلقا جديدا
وقرئ يطوفون من التطويف ويطوفون اي يتطوفون ويطافون وفي قراءة عبد الله هذه جهنم
التي كنتما بها تكذبان تصليان لا تموتان فيها ولا تحييان يطوفون بينها ونعمة الله فيما ذكره
من هول العذاب نجاة الناجي منه برحمة الله وفضله وما في الانذار به من اللطف ولمن خاف مقام
ربه جنتان موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب يوم القيمة يوم يقوم الناس لرب العالمين ونحوه لمن خاف
مقامي ويجوز ان يراد بمقام ربه ان الله قائم عليه اي حافظ مهيمن من قوله افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت
فهو يراقب ذلك فلا يجسر على معصيته وقيل هو مقحم كما تقول اخاف جانب فلان وفعلت هذا
لمكانك وانشد ۝ ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين ۝ يريد ونفيت عنه الذئب فان
قلت لم قال جنتان قلت الخطاب للثقلين فكأنه قيل لكل خائفين منكما جنتان جنة للخائف الانسي
وجنة للخائف الجني ويجوز ان يقال جنة لفعل الطاعات وجنة لترك المعاصي لان التكليف دائر عليهما
وان يقال جنة يثاب بها واخرى تضم اليها على وجه التفضل لقوله تعالى وزيادة فبأي آلاء ربكما تكذبان
ذواتا افنان فبأي آلاء ربكما تكذبان ۝ خص الافنان بالذكر وهي الغصنة التي تتشعب من
فروع الشجرة لانها هي التي تورق وتثمر فمنها تمتد الظلال ومنها تجتنى الثمار وقيل الافنان الوان النعم
ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين قال ۝
۝ ومن كل افنان اللذاذة والصبا ۝ لهوت به والعيش اخضر ناضر ۝
فيهما عينان تجريان ۝ حيث شاؤا في الاعالي والاسافل وقيل تجريان من جبل من مسك وعن الحسن تجريان
بالماء الزلال احداهما التسنيم والاخرى السلسبيل فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما من
كل فاكهة زوجان ۝ صنفان قيل صنف معروف وصنف غريب فبأي آلاء ربكما تكذبان ۝
متكئين نصب على المدح للخائفين او حال منهم لان من خاف في معنى الجمع على فرش بطائنها من استبرق
من ديباج ثخين واذا كانت البطائن من الاستبرق فما ظنك بالظهائر وقيل ظهائرها من سندس
وقيل من نور وجنى الجنتين دان قريب يناله القائم والقاعد والنائم وقرئ وجنى فبأي آلاء ربكما
تكذبان فيهن في هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش والجنى او في الجنتين
لاشتمالهما على اماكن وقصور ومجالس قاصرات الطرف نساء قصرن ابصارهن على ازواجهن لا ينظرن الى

اعيزهم لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان قيل هن في صفاء الياقوت
وبياض المرجان وصغار الدر أنصع بياضا قيل ان الحوراء تلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورائها
كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء هل جزاء الإحسان في العمل إلا الإحسان في الثواب وعن محمد بن
الحنفية رضي الله عنه هي مسجلة للبر والفاجر اي مرسلة يعني ان كل من احسن احسن اليه وكل من اساء
أسيء اليه فبأي آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للمقربين
جنتان لمن دونهم من اصحاب اليمين فبأي آلاء ربكما تكذبان مدهامتان قد ادهامتا من
شدة الخضرة فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان فوارتان بالماء والنضخ اكثر
من النضح لان النضح غير معجمة مثل الرش فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان فبأي
آلاء ربكما تكذبان فان قلت لم عطف النخل والرمان على الفاكهة وهما منها قلت اختصاصا لهما
وبيانا لفضلهما كأنهما لما لهما من المزية جنسان آخران كقوله وجبريل وميكال او لان النخل ثمرة فاكهة
وطعام والرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه ومنه قال ابو حنيفة رحمه الله تعالى اذا حلف لا يأكل
فاكهة فأكل رمانا او رطبا لم يحنث وخالفه صاحباه فيهن خيرات حسان فبأي آلاء ربكما
تكذبان خيرات خيرات فخففت كقوله عليه الصلاة والسلام هينون لينون واما خير الذي هو
بمعنى اخير فلا يقال فيه خيرون ولا خيرات وقرئ خيرات على الاصل والمعنى فاضلات الاخلاق
حسان الخلق حور مقصورات في الخيام فبأي آلاء ربكما تكذبان قصرن في خدورهن
يقال امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة مخدرة وقيل ان الخيمة من خيامهن درة مجوفة لم يطمثهن
إنس قبلهم قبل اصحاب الجنتين دل عليهم ذكر الجنتين ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين
على رفرف خضر وعبقري حسان فبأي آلاء ربكما تكذبان ومتكئين نصب على الاختصاص والرفرف
ضرب من البسط وقيل البسط وقيل الوسائد وقيل كل ثوب عريض رفرف ويقال لاطراف البسط وفضول
الفسطاط رفارف ورفرف السحاب هيدبه والعبقري منسوب الى عبقر تزعم العرب انه بلد الجن
فينسبون اليه كل شيء عجيب وقرئ رفارف خضر بضمتين وعباقري كمدايني نسبة الى عباقر اسم
البلد وروى ابو حاتم عباقري بفتح القاف ومنع الصرف وهذا الوجه لصحته فان قلت كيف تقاصرت
صفات هاتين الجنتين عن الاوليين حتى قيل ومن دونهما قلت مدهامتان دون ذواتا افنان ونضاختان دون
تجريان وفاكهة دون كل فاكهة وكذلك صفة الحور والمتكأ تبارك اسم ربك ذي الجلال
والاكرام وقرئ ذو الجلال صفة للاسم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الرحمن ادى
شكر ما انعم الله عليه

سورة الواقعة مكية وهي سبع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم إذا وقعت الواقعة كقولك كانت الكائنة وحدثت الحادثة والمراد القيامة وصفت بالوقوع لانها تقع لا محالة
فكأنه قيل اذا وقعت الواقعة التي لا بد من وقوعها ووقوع الامر نزوله يقال وقع ما كنت اتوقعه
اي نزل ما كنت اترقب نزوله فان قلت بم انتصب اذا قلت بليس كقولك يوم الجمعة ليس لي شغل او
بمحذوف يعني اذا وقعت كان كيت وكيت او باضمار اذكر ليس لوقعتها كاذبة نفس كاذبة
اي لا تكون حين تقع نفس تكذب على الله وتكذب في تكذيب الغيب لان كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة
مصدقة واكثر النفوس اليوم كواذب مكذبات كقوله فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده لا يؤمنون
به حتى يروا العذاب الاليم ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة واللام مثلها في قوله
تعالى يا ليتني قدمت لحياتي او ليس لها نفس تكذبها وتقول لها لم تكوني كما لها اليوم نفوس كثيرة يكذبنها
يقلن لها لم تكوني او هي من قولهم كذبت فلانا نفسه في الخطب العظيم اذا شجعته على مباشرته وقالت
له انك تطيقه وما فوقه فتعرض له ولا تبال به على معنى انها وقعة لا تطاق شدة وفظاعة وان لا نفس حينئذ تحدث
صاحبها بما تحدثه به عند عظائم الامور وتزين له احتمالها واطاقتها لانهم يومئذ اضعف من ذلك
واذل الا ترى الى قوله كالفراش المبثوث والفراش مثل في الضعف وقيل كاذبة مصدر كالعاقبة
بمعنى التكذيب من قولك حمل على قرنه فما كذب اي فما جبن وما تثبط وحقيقته فما كذب نفسه فيما

حدثته به من اطاقته له واقدامه عليه قال زهير اذا ما الليث كذب عن اقرانه صدقا اي اذا
وقعت لم تكن لها رجعة ولا ارتداد خافضة رافعة على هي خافضة رافعة ترفع اقواما وتضع آخرين
اما وصفا لها بالشدة لان الواقعات العظام كذلك يرتفع فيها ناس الى مراتب ويتضع ناس وإما
ان الاشقياء يحطون الى الدركات والسعداء يرفعون الى الدرجات واما انها تزلزل الاشياء وتزيلها
عن مقارها فتخفض بعضا وترفع بعضا حيث تسقط السماء كسفا وتنتثر الكواكب
وتنكدر وتسير الجبال فتمر في الجو مر السحاب وقرئ خافضة رافعة بالنصب على الحال إذا
رجت الارض رجا حركت تحريكا شديدا حتى ينهدم كل شيء فوقها من جبل وبناء وبست الجبال بسا
وفتت حتى تعود كالسويق او سيقت من بس الغنم اذا ساقها كقوله وسيرت الجبال فكانت هباء منبثا
متفرقا وقرئ بالتاء اي منقطعا وقرئ رجت وبست اي ارتجت وذهبت وفي كلام بنت الخس
عينها هاج وصلاها راج وهي تمشي وتفاج فان قلت بم انتصب اذا رجت قلت هو بدل من
اذا وقعت ويجوز ان ينتصب بخافضة رافعة اي تخفض وترفع وقت رج الارض وبس الجبال
لانه عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض وكنتم ازواجا ثلاثة اصنافا يقال للاصناف
التي بعضها مع بعض ازواج فأصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة
والسابقون السابقون اولئك المقربون في جنات النعيم فاصحاب الميمنة الذين يؤتون
صحائفهم بايمانهم واصحاب المشأمة الذين يؤتونها بشمائلهم واصحاب المنزلة السنية من قولك فلان مني
باليمين وفلان مني بالشمال اذا وصفتهما بالرفعة عندك والضعة وذلك لتيمنهم بالميامن وتشاؤمهم
بالشمائل ولتفاؤلهم بالسانح وتطيرهم من البارح وكذلك اشتقوا اليمن للاسم من اليمين وسموا
الشمال الشؤمى وقيل اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة اصحاب اليمن والشؤم لان السعداء ميامين على
انفسهم بطاعتهم والاشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم وقيل يؤخذ باهل الجنة ذات اليمين وباهل النار ذات
الشمال والسابقون المخلصون الذين سبقوا الى ما دعاهم الله اليه وشقوا الغبار في طلب مرضاة
الله وقيل الناس ثلاثة رجل ابتكر الخير في حداثة سنه ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهو السابق
المقرب ورجل ابتكر عمره بالذنوب وطول الغفلة ثم تراجع بتوبة فهذا صاحب اليمين ورجل ابتكر
الشر في حداثة سنه ثم لم يزل عليه حتى خرج من الدنيا فهذا صاحب الشمال ما اصحاب المشأمة تعجيب
من حال الفريقين في الشقاوة والسعادة والمعنى اي شيء هم والسابقون السابقون يريد والسابقون
من عرفت حالهم وبلغك وصفهم كقوله وعبد الله عبد الله وقول ابي النجم وشعري شعري
كأنه قال وشعري ما انتهى اليك وسمعت بفصاحته وبراعته وقد جعل السابقون تأكيدا
واولئك خبرا وليس بذلك ووقف بعضهم على السابقون وابتدأ السابقون اولئك المقربون
والصواب ان يوقف على الثاني لانه تمام الجملة وهو في مقابلة ما اصحاب الميمنة وما اصحاب المشأمة المقربون
في جنات النعيم الذين قربت درجاتهم في الجنة من العرش واعليت مراتبهم وقرئ في جنة النعيم ثلة
من الاولين والثلة الامة من الناس الكثيرة قال
وجاءت اليهم ثلة خندفية بجيش كتيار من السيل مزبد
وقوله وقليل من الآخرين كفى به دليلا على الكثرة وهي من الثل وهو الكسر كما ان الامة من الأم وهو
الشج كأنها جماعة كسرت من الناس وقطعت منهم والمعنى ان السابقين كثير من متاخريها وعن
النبي صلى الله عليه وآله وسلم الثلتان جميعا من امتي فان قلت كيف قال وقليل من الآخرين ثم قال وثلة من الآخرين
قلت هذا في السابقين وذاك في اصحاب اليمين وانهم يتكاثرون من الاولين والآخرين جميعا فان قلت
فقد روي انها لما نزلت شق ذلك على المسلمين فما زال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يراجع ربه حتى نزلت ثلة
من الاولين وثلة من الآخرين قلت هذا لا يصح لامرين احدهما ان هذه الآية واردة في السابقين
ورودا ظاهرا وكذلك الثانية في اصحاب اليمين الا ترى كيف عطف اصحاب اليمين ووعدهم على السابقين ووعدهم
والثاني ان النسخ في الاخبار غير جائز وعن الحسن سابقو الامم اكثر من سابقي امتنا وتابعو الامم
مثل تابعي هذه الامة وثلة خبر مبتدأ محذوف اي هم ثلة على سرر موضونة مرمولة بالذهب مشبكة بالدر
والياقوت قد دوخل بعضها في بعض كما توضن حلق الدرع قال الاعشى ومن نسج داود موضونة
وقيل متواصلة ادنى بعضها من بعض متكئين عليها متقابلين متكئين حال من الضمير في على وهو

الغافل فيها أي مستوين عليها متكئين لا ينظر بعضهم في أقفاء بعض وصفوا بحسن العشرة وتهذيب الأخلاق
والآداب **يطوف عليهم ولدان مخلدون** مبقون أبداً على شكل الولدان وحد الوصافة لا يتحولون عنه
وقيل مقرطون والخلدة القرط وقيل هم أولاد أهل الدنيا لم تكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا
عليها روي عن علي رضي الله عنه وعن الحسن وفي الحديث أولاد الكفار خدام أهل الجنة **بأكواب**
وأباريق وكأس من معين الأكواب أوان بلا عرى وخراطيم والأباريق ذوات الخراطيم **لا يصدعون**
عنها أي بسببها وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها أو لا يفرقون عنها وقال مجاهد لا يصدعون عنها
بمعنى لا يتصدعون لا يتفرقون كقوله يومئذ يصدعون ويصدعون أي لا يصدع بعضهم بعضاً
لا يفرقونهم **ولا ينزفون وفاكهة مما يتخيرون** يأخذون خيره وأفضله **ولحم طير مما**
يشتهون ويتمنون **وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون** وقرئ وحور عين بالرفع
على وفيها حور عين كبيت الكتاب الا رواكد جمرهن هباء ومشجج ، أو للعطف على ولدان وبالجر عطفاً
على جنات النعيم كأنه قال هم في جنات وفاكهة ولحم وحور أو على أكواب لأن معنى يطوف عليهم ولدان
مخلدون بأكواب ينعمون بأكواب وبالنصب على ويؤتون حوراً **جزاء** مفعول له أي يفعل بهم ذلك كله جزاء
بما كانوا يعملون لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً إلا قيلاً سلاماً سلاماً إلا قيلاً بدل من قيلاً بدليل قوله
لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً وأما مفعول به لقيلاً أي لا يسمعون فيها إلا أن يقولوا سلاماً سلاماً
والمعنى أنهم يفشون السلام بينهم فيسلمون سلاماً بعد سلام وقرئ سلام سلام على الحكاية **وأصحاب**
اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود السدر شجر النبق والمخضود الذي
لا شوك له كأنما خضد شوكه وعن مجاهد الموقر الذي تثني أغصانه كثرة حمله من خضد الغصن
إذا ثناه وهو رطب والطلح شجر الموز وقيل شجر أم غيلان وله نوار كثير طيب الرائحة وعن
السدي شجر يشبه شجر الدنيا ولكن له ثمر أحلى من العسل وعن علي رضي الله عنه أنه قرأ وطلع فقال
ما شأن الطلح وقرأ قوله لها طلع نضيد فقيل أو نحولها فقال آي القرآن لا تهاج اليوم ولا تحول وعن
ابن عباس نحوه والمنضود الذي نضد بالحمل من أسفله إلى أعلاه فليست له ساق بارزة **وظل ممدود**
ممتد منبسط لا يتقلص كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس **وماء مسكوب** يسكب لهم أين شاؤوا
وكيف شاؤوا لا يتعبون فيه وقيل دائم الجرية لا ينقطع وقيل مصبوب يجري على الأرض في غير أخدود
وفاكهة كثيرة لا مقطوعة هي دائمة لا تنقطع في بعض الأوقات كفواكه الدنيا **ولا ممنوعة**
لا تمنع عن متناولها بوجه ولا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا وقرئ وفاكهة كثيرة بالرفع
على وهناك فاكهة كقوله وحور عين **وفرش** جمع فراش وقرئ وفرش بالتخفيف **مرفوعة**
نضدت حتى ارتفعت أو مرفوعة على الأسرة وقيل هي النساء لأن المرأة يكنى عنها بالفراش
مرفوعة على الأرائك قال الله تعالى هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون ويدل عليه قوله تعالى
إنا أنشأناهن إنشاء وعلى التفسير الأول أضمر لهن لأن ذكر الفرش وهي المضاجع دل عليه **إنا أنشأناهن**
إنشاء فجعلناهن أبكاراً ابتدأنا خلقهن ابتداء جديداً من غير ولادة فأما أن يراد اللاتي
ابتدئ إنشاؤهن أو اللاتي أعيد إنشاؤهن وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أم سلمة سألته عن
قول الله تعالى إنا أنشأناهن فقال يا أم سلمة هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطاً رمصاً جعلهن
الله بعد الكبر أتراباً على ميلاد واحد في الاستواء كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكاراً فلما
سمعت عائشة من رسول الله قالت واوجعاه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس هناك وجع وقالت
عجوز لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله أن يدخلني الجنة فقال إن الجنة لا تدخلها العجائز فولت
وهي تبكي فقال أخبروها أنها ليست يومئذ بعجوز وقرأ الآية **عرباً** وقرئ عرباً بالتخفيف جمع عروب
وهي المتحببة إلى زوجها الحسنة التبعل **أتراباً** مستويات في السن بنات ثلاث وثلاثين وأزواجهن
أيضاً كذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً بيضاً جعاداً
مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين واللام في **لأصحاب اليمين** من صلة أنشأنا وجعلنا **ثلة من الأولين**
وثلة من الآخرين وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سموم في حر نار ينفذ في المسام **وحميم** وماء حار
متناه في الحرارة **وظل من يحموم** من دخان أسود بهيم **لا بارد ولا كريم** نفي لصفتي الظل عنه يريد أنه ظل
ولكن لا كسائر الظلال سماه ظلاً ثم نفى عنه برد الظل وروحه ونفعه من يأوي إليه من أذى الحر

وذلك كرمه

وذلك كرمه لينفي عنه ما في مدلول الظل من الاسترواح إليه والمعنى أنه ظل حار ضار إلا أن للنفي في نحو هذا شأناً
ليس للإثبات وفيه تهكم بأصحاب المشأمة وأنهم لا يستأهلون الظل البارد الكريم الذي هو لأضدادهم
في الجنة وقرئ لا بارد ولا كريم بالرفع أي لا هو كذلك **إنهم كانوا قبل ذلك مترفين وكانوا**
يصرون على الحنث العظيم والحنث الذنب العظيم ومنه قولهم بلغ الغلام الحنث أي الحلم ووقت المؤاخذة
بالمأثم ومنه حنث في يمينه خلاف بر فيها ويقال تحنث إذا تأثم وتحرج **وكانوا يقولون أئذا متنا**
وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون أوآباؤنا الأولون أوآباؤنا دخلت همزة الاستفهام على حرف
العطف فإن قلت كيف حسن العطف على المضمر في لمبعوثون من غير تأكيد بنحن قلت حسن للفاصل
الذي هو الهمزة كما حسن في قوله ما أشركنا ولا آباؤنا لفصل لا المؤكدة للنفي وقرئ أو آباؤنا **قل إن**
الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم إلى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم والإضافة
بمعنى من كخاتم فضة والميقات ما وقت به الشيء أي حد ومنه مواقيت الإحرام وهي الحدود التي لا يتجاوزها
من يريد دخول مكة إلا محرماً **ثم إنكم أيها الضالون** عن الهدى **المكذبون** بالبعث وهم أهل مكة ومن في
مثل حالهم **لآكلون من شجر من زقوم** من الأولى لابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر وتفسيره
فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم وأنث ضمير الشجر على المعنى وذكره على اللفظ في قوله منها
وعليه ومن قرأ من شجرة من زقوم فقد جعل الضميرين للشجرة وإنما ذكر الثاني على تأويل الزقوم لأنه تفسيرها
وهي في معناه **فشاربون شرب الهيم** قرئ بالحركات الثلاث فالفتح والضم مصدران وعن جعفر
الصادق أيام أكل وشرب بفتح الشين وأما المكسور فبمعنى المشروب أي ما يشربه الهيم وهي الإبل
التي بها الهيام وهو داء تشرب منه فلا تروى جمع أهيم وهيماء قال ذو الرمة
فأصبحت كالهيماء لا الماء مبرد ... صداها ولا يقضي عليها هيامها
وقيل الهيم الرمال ووجهه أن يكون جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل الذي لا يتماسك جمع على فعل
كسحاب وسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع أبيض والمعنى أنه يسلط عليهم من الجوع ما يضطرهم
إلى أكل الزقوم الذي هو كالمهل فإذا ملأوا منه البطون سلط الله عليهم من العطش ما يضطرهم إلى
شرب الحميم الذي يقطع أمعاءهم فيشربونه شرب الهيم فإن قلت كيف صح عطف الشاربين على الشاربين وهما
لذوات متفقة وصفتان متفقتان فكان عطفاً للشيء على نفسه قلت ليستا بمتفقتين من حيث
إن كونهم شاربين للحميم على ما هو عليه من تناهي الحرارة وقطع الأمعاء أمر عجيب وشربهم له على ذلك كما
يشرب الهيم الماء أمر عجيب أيضاً فكانتا صفتين مختلفتين **هذا نزلهم يوم الدين** النزل
الرزق الذي يعد للنازل تكرمة له وفيه تهكم كما في قوله تعالى فبشرهم بعذاب أليم وكقول أبي
الشعر الضبي ، وكنا إذا الجبار بالجيش ضافنا ، جعلنا القنا والمرهفات له نزلا ،
وقرئ نزلهم بالتخفيف **نحن خلقناكم فلولا تصدقون** تحضيض على التصديق إما بالخلق لأنهم وإن
كانوا مصدقين به إلا أنهم لما كان مذهبهم خلاف ما يقتضيه التصديق فكأنهم مكذبون به وإما
بالبعث لأن من خلق أولاً لم يمتنع عليه أن يخلق ثانياً **أفرأيتم ما تمنون** ما تمنونه أي تقذفونه في الأرحام
من النطف وقرأ أبو السمال بفتح التاء يقال أمنى النطفة ومناها قال الله تعالى من نطفة إذا تمنى **أأنتم**
تخلقونه تقدرونه وتصورونه **أم نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت** تقديراً وقسمناه
عليكم قسمة الرزق على اختلاف وتفاوت كما تقتضيه مشيئتنا فاختلفت أعماركم من قصير وطويل
ومتوسط وقرئ قدرنا بالتخفيف سبقته على الشيء إذا أعجزته عنه وغلبته عليه **وما نحن بمسبوقين**
على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون إنا قادرون على ذلك لا تغلبوننا عليه وأمثالكم
جمع مثل أي على أن نبدل منكم ومكانكم أشباهكم من الخلق وعلى أن ننشئكم في خلق لا تعلمونها وما عهدتم بمثلها
يعني أنا نقدر على الأمرين جميعاً على خلق ما يماثلكم فكيف نعجز عن إعادتكم ويجوز أن يكون أمثالكم
جمع مثل أي على أن نبدل ونغير صفاتكم التي أنتم عليها في خلقكم وأخلاقكم وننشئكم في صفات لا تعلمونها
ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون وقرئ النشاءة والنشأة وفي هذا دليل على صحة القياس
حيث جهلهم في ترك قياس النشأة الأخرى على الأولى **أفرأيتم ما تحرثون** ما تحرثونه من الطعام أي
تبذرون حبه وتعملون في أرضه **أأنتم تزرعونه** تنبتونه وتردونه نباتاً يرف وينمي إلى أن يبلغ
الغاية وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولن أحدكم زرعت وليقل حرثت قال أبو هريرة

ورضي الله عنه اذا قرأ ابتم الى قوله تعالى افرايتم الآية أم نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاما والحطام من
حطم كالفتات والجذاذ من فت وجذ وهو ما صار هشيما وتحطم على الاصل فظلتم تفكهون تعجبون
وعن الحسن تندمون على تعبكم فيه وانفاقكم عليه او على ما اقترفتم من المعاصي التي اصبتم بذلك
من اجلها وقرئ تفكنون ومنه الحديث مثل العالم كمثل الحمة يأتيها البعداء ويتركها القرباء فبيناهم
اذ غار ماؤها فانتفع بها قوم وبقي قوم يتفكنون اي يتندمون انا لمغرمون لملزمون غرامة ما
انفقنا او مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك بل نحن محرومون محارفون محدودون
لا حظ لنا ولا بخت ولو كنا مجدودين لما جرى علينا هذا وقرئ أئنا أفرأيتم الماء الذي تشربون يريد
الماء العذب الصالح للشرب أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون والمزن السحاب الواحدة
مزنة وقيل هو السحاب الابيض خاصة وهو اعذب ماء لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون
اجاجا ملحا زعاقا لا يقدر على شربه فان قلت لم ادخل اللام على جواب لو في قوله لجعلناه حطاما ونزعت
منه ها هنا قلت ان لو لما كانت داخلة على جملتين معلقة ثانيتهما بالاولى تعلق الجزاء بالشرط ولم تكن
مخلصة للشرط كان ولا عاملة مثلها وانما سرى فيها معنى الشرط اتفاقا من حيث افادتها في مضموني جملتيها
ان الثاني امتنع لامتناع الاول افتقرت في جوابها الى ما ينصب علما على هذا التعلق فزيدت هذه اللام
لتكون علما على ذلك فاذا حذفت بعد ما صارت علما مشهورا مكانه فلان الشيء اذا علم وشهر موقعه
وصار مألوفا ومأنوسا به لم يبال باسقاطه عن اللفظ استغناء بمعرفة السامع الا ترى الى ما يحكى عن
رؤبة انه كان يقول خير لمن قال له كيف اصبحت فيحذف الجار لعلم كل احد بمكانه وتساوي حالي
حذفه واثباته لشهرة امره وناهيك بقول اوس

حتى اذا الكلاب قال لها ۝ كاليوم مطلوبا ولا طلبا

وحذفه لم أر فاذن حذفها اختصار لفظي وهي ثابتة في المعنى فاستوى الموضعان بلا فرق بينهما
على ان تقدم ذكرها والمسافة قصيرة مغن عن ذكرها ثانية ونائب عنه ويجوز ان يقال ان هذه اللام مفيدة معنى التوكيد لا محالة
فادخلت في آية المطعوم دون آية المشروب للدلالة على ان امر المطعوم مقدم على امر المشروب وان الوعيد
بفقده اشد واصعب من قبل ان المشروب انما يحتاج اليه تبعا للمطعوم الا ترى انك انما تسقي
ضيفك بعد ان تطعمه ولو عكست قعدت تحت قول ابي العلا

اذا سقيت ضيوف الناس محضا ۝ سقوا اضيافهم شبما زلالا

وسقي بعض العرب فقال انا لا اشرب الا على ثميلة ولهذا قدمت آية المطعوم على آية المشروب أفرأيتم
النار التي تورون تقدحونها وتستخرجونها من الزناد والعرب تقدح بعودين تحك احدهما على الآخر
ويسمون الاعلى الزند والاسفل الزندة شبهوهما بالفحل والطروقة أأنتم أنشأتم شجرتها التي منها الزناد
أم نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة تذكيرا لنار جهنم حيث علقنا بها اسباب المعايش كلها وعممنا بالحاجة
اليها لتكون حاضرة للناس ينظرون اليها ويذكرون ما اوعدوا به او جعلناها تذكرة وانموذجا من جهنم
لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ناركم هذه التي يوقد بنو آدم جزء من سبعين جزءا من حر جهنم
ومتاعا ومنفعة للمقوين الذين ينزلون القواء وهي القفر او للذين خلت بطونهم او مزاودهم من
الطعام من اقوت من ايام اي لم آكل شيئا فسبح باسم ربك العظيم فاحدث التسبيح بذكر
اسم ربك او اراد بالاسم الذكر اي بذكر ربك والعظيم صفة للمضاف او للمضاف اليه والمعنى انه لما
ذكر ما يدل على قدرته وانعامه على عباده قال فاحدث التسبيح وهو ان تقول سبحان الله اما
تنزيها عما يقول الظالمون الذين يجحدون وحدانيته ويكفرون نعمته واما تعجبا من امرهم في غمط
آلاء الله واياديه الظاهرة واما شكرا لله تعالى على النعم التي عدها ونبه عليها فلا أقسم معناه فاقسم
ولا مزيدة مثلها في قوله لئلا يعلم اهل الكتاب وقرأ الحسن فلأقسم ومعناه فلانا اقسم اللام لام
الابتداء دخلت على جملة من مبتدأ وخبر وهي انا اقسم كقولك لزيد منطلق ثم حذف المبتدأ ولا
يصح ان تكون اللام لام القسم لامرين احدهما ان حقها ان تقرن بها النون المؤكدة والاخلال بها ضعيف
قبيح والثاني ان لأفعلن في جواب القسم للاستقبال وفعل القسم يجب ان يكون للحال بمواقع
النجوم بمساقطها ومغاربها ولعل لله تعالى في آخر الليل اذا انحطت النجوم الى المغرب افعالا مخصوصة
عظيمة او للملائكة عبادات موصوفة او لانه وقت قيام المتهجدين والمبتهلين اليه من عباده الصالحين

ونزول الرحمة والرضوان عليهم فلذلك اقسم بمواقعها واستعظم ذلك بقوله وانه لقسم لو تعلمون
عظيم او اراد بمواقعها منازلها ومجاريها وله في ذلك من الدليل على عظيم القدرة والحكمة ما
لا يحيط به الوصف وقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم اعتراض لانه اعترض به بين القسم والمقسم عليه
وهو قوله انه لقرآن كريم واعترض بلو تعلمون بين الموصوف وصفته وقيل مواقع النجوم
اوقات وقوع نجوم القرآن اي اوقات نزوله لقرآن كريم حسن مرضي في جنسه من الكتب او نفاع
جم المنافع او كريم على الله في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون في كتاب مكنون مصون
من غير المقربين من الملائكة لا يطلع عليه سواهم وهم المطهرون من جميع الادناس ادناس الذنوب
وما سواها ان جعلت الجملة صفة لكتاب مكنون وهو اللوح وان جعلتها صفة للقرآن فالمعنى
لا ينبغي ان يمسه الا من هو على الطهارة من الناس يعني مس المكتوب منه ومن الناس من حمله على
القراءة ايضا وعن ابن عمر احب الي ان لا يقرأ الا وهو طاهر وعن ابن عباس رضي الله عنهما في
رواية انه كان يبيح القراءة للجنب ونحوه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه اي لا
ينبغي له ان يظلمه او يسلمه وقرئ المطهرون بالادغام والمطهرون من اطهره بمعنى طهره
والمطهرون بمعنى يطهرون انفسهم او غيرهم بالاستغفار لهم والوحي تنزيل من
رب العالمين صفة ثالثة للقرآن اي منزل من رب العالمين او وصف بالمصدر لانه نزل
نجوما من بين سائر كتب الله تعالى فكانه في نفسه تنزيل ولذلك جرى مجرى بعض اسمائه وقيل جاء في
التنزيل كذا او نطق به التنزيل او هو تنزيل على حذف المبتدأ وقرئ تنزيلا على نزل تنزيلا أفبهذا
الحديث يعني القرآن أنتم مدهنون اي متهاونون به كمن يدهن في الامر اي يلين جانبه ولا يتصلب
فيه تهاونا به وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون على حذف المضاف يعني وتجعلون شكر
رزقكم التكذيب اي وضعتم التكذيب موضع الشكر وقرأ علي رضي الله عنه وتجعلون شكركم
انكم تكذبون وقيل هي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى وتجعلون شكركم لنعمة القرآن انكم
تكذبون به وقيل نزلت في الانواء ونسبتهم السقيا اليها والرزق المطر يعني وتجعلون شكر ما
يرزقكم الله تعالى من الغيث انكم تكذبون بكونه من الله حيث تنسبونه الى النجوم وقرئ تكذبون
وهو قولهم في القرآن سحر وشعر او في المطر هو من الانواء ولان كل مكذب بالحق كاذب
فلولا اذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون
فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين ترتيب الآية فلولا ترجعونها اذا
بلغت الحلقوم ان كنتم غير مدينين وفلولا الثانية مكررة للتوكيد والضمير في ترجعونها
للنفس وهي الروح وفي اقرب اليه للمحتضر غير مدينين غير مربوبين من دان السلطان
الرعية اذا ساسهم ونحن اقرب اليه منكم يا اهل الميت بقدرتنا وعلمنا او بملائكة الموت والمعنى
انكم في جحودكم افعال الله وآياته في كل شيء ان انزل عليكم كتابا معجزا قلتم سحر وافترى
وان ارسل اليكم رسولا صادقا قلتم ساحر كذاب وان رزقكم مطرا يحييكم به قلتم
صدق نوء كذا على مذهب يؤدي الى الاهمال والتعطيل فما لكم لا ترجعون الروح الى البدن
بعد بلوغه الحلقوم ان لم يكن ثم قابض وكنتم صادقين في تعطيلكم وكفركم بالمحيي المميت
المبدي المعيد فأما ان كان المتوفى من المقربين من السابقين من الازواج الثلاثة المذكورة
في اول السورة فروح وريحان وجنة نعيم فله استراحة وروت عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فروح وقرأ به الحسن وقال الروح الرحمة لانها كالحيوة للمرحوم وقيل البقاء اي فهذان له
معا وهو الخلود مع الرزق والنعيم والريحان الرزق وأما ان كان من اصحاب اليمين فسلام
لك من اصحاب اليمين فسلام لك يا صاحب اليمين من اخوانك اصحاب اليمين اي يسلمون عليك كقوله
الا قيلا سلاما سلاما وأما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم كقوله هذا
نزلهم يوم الدين وقرئ بالتخفيف وتصلية جحيم وقرئ بالرفع والجر عطفا على نزل وحميم ان هذا
الذي انزل في هذه السورة لهو حق اليقين اي الحق الثابت من اليقين فسبح باسم ربك
العظيم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الواقعة لم تصبه فاقة ابدا

سورة الحديد مكية وهي تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات والأرض
وهو العزيز الحكيم جاء في بعض الفواتح على لفظ الماضي وفي بعضها على لفظ المضارع
وكل واحد منهما معناه ان من شان ما أسند اليه التسبيح ان يسبحه وذلك هجيراه ودينه وقد
عدي هذا الفعل باللام تارة وبنفسه اخرى في قوله وتسبحوه واصله التعدي بنفسه لان
معنى سبحته بعدته عن السوء منقول من سبح اذا ذهب وبعد فاللام لا تخلو اما ان تكون
مثل اللام في نصحته ونصحت له واما ان يراد بسبح لله احدث التسبيح لاجل الله ولوجهه خالصا
ما في السموات والارض ما يتاتى منه التسبيح ويصح له ملك السموات والأرض يحيي ويميت وهو
على كل شيء قدير فان قلت ما محل يحيي قلت يجوز الا يكون له محل ويكون جملة برأسها كقوله
له ملك السموات والارض وان يكون مرفوعا على هو يحيي ومنصوبا حالا من المجرور في له والجار عاملا فيها
ومعناه يحيي النطف والبيض والموتى يوم القيمة ويميت الاحيا هو الأول هو القديم الذي كان قبل كل
شيء والآخر الذي يبقى بعد هلاك كل شيء والظاهر بالادلة الدالة عليه والباطن لكونه غير مدرك
بالحواس فان قلت فما معنى الواو قلت الواو الاولى معناها الدلالة على انه الجامع بين الصفتين الاولية
والاخرية والثالثة على انه الجامع بين الظهور والخفاء واما الوسطى فعلى انه الجامع بين مجموع
الصفتين الاوليين ومجموع الصفتين الاخريين فهو المستمر الوجود في جميع الاوقات الماضية والاتية
وهو في جميعها ظاهر وباطن جامع للظهور بالادلة والخفا فلا يدرك بالحواس وفي هذا حجة
على من جوز ادراكه في الآخرة بالحاسة وقيل الظاهر العالي على كل شيء الغالب له من ظهر عليه اذا علاه
وغلبه والباطن الذي بطن كل شيء اي علم باطنه وليس بذاك مع العدول عن الظاهر المفهوم وهو بكل
شيء عليم هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في
الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما
تعملون بصير له ملك السموات والأرض وإلى الله ترجع الأمور يولج الليل في النهار ويولج
النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين
فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير مستخلفين فيه يعني ان الاموال التي في ايديكم
انما هي اموال الله بخلقه وانشائه لها وانما مولكم اياها وخولكم الاستمتاع بها وجعلكم خلفاء
في التصرف فيها فليست هي باموالكم في الحقيقة وما انتم فيها الا بمنزلة الوكلاء والنواب فانفقوا
منها في حقوق الله وليهن عليكم الانفاق منها كما يهون على الرجل النفقة من مال غيره اذا اذن
له فيه او جعلكم مستخلفين ممن كان قبلكم فيما في ايديكم بتوريثه اياكم فاعتبروا بحالهم حيث
انتقل منهم اليكم وسينتقل منكم الى من بعدكم فلا تبخلوا به وانفعوا بالانفاق منها انفسكم وما لكم لا
تؤمنون بالله لا تؤمنون حال من معنى الفعل في ما لكم كما تقول ما لك قائما بمعنى ما تصنع قائما اي وما
لكم كافرين بالله والواو في والرسول يدعوكم واو الحال فهما حالان متداخلتان وقرئ وما لكم لا
تؤمنون بالله ورسوله والرسول يدعوكم والمعنى واي عذر لكم في ترك الايمان والرسول يدعوكم
اليه وينبهكم عليه ويتلو عليكم الكتاب الناطق بالبراهين والحجج وقد أخذ ميثاقكم وقبل
ذلك قد اخذ الله ميثاقكم بالايمان حيث ركب فيكم العقول ونصب لكم الادلة ومكنكم من النظر
وازاح عللكم فاذ لم تبق لكم علة بعد ادلة العقول وتنبيه الرسول فما لكم لا تؤمنون إن كنتم
مؤمنين لموجب ما فان هذا الموجب لا مزيد عليه وقرئ اخذ ميثاقكم على البناء للفاعل وهو الله
عز وجل هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور ليخرجكم الله
بآياته من ظلمات الكفر الى نور الايمان او ليخرجكم الرسول بدعوته وإن الله بكم
لرءوف رحيم وقرئ لرؤف وما لكم ألا تنفقوا في الا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات
والأرض يرث كل شيء فيهما لا يبقى باق لاحد من مال وغيره يعني واي غرض لكم في ترك
الانفاق في سبيل الله والجهاد مع رسوله والله مهلككم فوارث اموالكم وهو من ابلغ البعث
على الانفاق في سبيل الله ثم بين التفاوت بين المنفقين منهم فقال لا يستوي منكم من أنفق
من قبل الفتح وقاتل لا يستوي منكم من انفق قبل فتح مكة قبل عز الاسلام وقوة اهله ودخول الناس
في دين الله افواجا وقلة الحاجة الى القتال والنفقة فيه ومن انفق من بعد الفتح فحذف لوضوح الدلالة

اولئك اعظم

أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا اولئك الذين انفقوا قبل الفتح مكة وهم السابقون
الاولون من المهاجرين والانصار الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما
بلغ مد احدهم ولا نصيفه اعظم درجة وقرئ قبل الفتح وكلا وكل واحد من الفريقين وعد الله
الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة مع تفاوت الدرجات وقرئ بالرفع على وكل وعده
الله وقيل نزلت في ابي بكر رضي الله عنه لانه اول من اسلم واول من انفق في سبيل الله والله بما تعملون
خبير من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا القرض الحسن الانفاق في سبيله شبه ذلك بالقرض
على سبيل المجاز لانه اذا اعطى ماله لوجهه فكأنه اقرضه اياه فيضاعفه له اي يعطيه اجره على
انفاقه مضاعفا اضعافا من فضله وله أجر كريم يعني وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف
كريم في نفسه وقرئ فيضعفه وقرئا منصوبين على جواب الاستفهام والرفع عطف على يقرض
او على فيضاعفه يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم يوم ترى ظرف لقوله وله
اجر كريم او منصوب باضمار اذكر تعظيما لذلك اليوم وانما قال بين ايديهم وبأيمانهم لان
السعداء يؤتون صحايف اعمالهم من هاتين الجهتين كما ان الاشقياء يؤتونها من شمائلهم ومن وراء
ظهورهم فيجعل النور في الجهتين شعارا لهم وآية لانهم هم الذين بحسناتهم سعدوا وبصحائفهم البيض
افلحوا فاذا ذهب بهم الى الجنة ومروا على الصراط يسعون سعي بسعيهم ذلك النور جنيبا لهم
ومتقدما ويقول لهم الذين يتلقونهم من الملائكة بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار
خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم وقرئ الفوز يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين
آمنوا يوم يقول بدل من يوم ترى انظرونا انتظرونا لانهم يسرع بهم الى الجنة كالبروق الخاطفة
على ركاب تزف بهم وهؤلاء مشاة او انظروا الينا لانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم
والنور بين ايديهم فيستضيئون به وقرئ أنظرونا من النظرة وهي الامهال جعل اتئادهم في
المضي الى ان يلحقوا بهم انظارا لهم نقتبس من نوركم نصب منه وذلك ان يلحقوا بهم فيستنيروا به
قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا طردا لهم وتهكما بهم اي ارجعوا الى الموقف الى حيث اعطينا
هذا النور فالتمسوه هنالك فمن ثم يقتبس او ارجعوا الى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل سببه
وهو الايمان او ارجعوا خائبين وتنحوا عنا فالتمسوا نورا آخر فلا سبيل لكم الى هذا النور وقد علموا
ان لا نور وراءهم وانما هو تخييب واقناط لهم فضرب بينهم بسور بين المؤمنين والمنافقين بحائط
حائل بين شق الجنة وشق النار قيل هو الاعراف له لذلك السور باب لاهل الجنة يدخلون منه باطنه
فيه الرحمة باطن السور او الباب وهو الشق الذي يلي الجنة وظاهره ما ظهر لاهل النار من قبله من عنده ومن جهته
العذاب وهو الظلمة والنار وقرأ زيد بن علي رضي الله عنهما فضرب بينهم على البناء للفاعل ينادونهم
ألم نكن معكم يريدون موافقتهم في الظاهر قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم محنتموها
بالنفاق واهلكتموها وتربصتم بالمؤمنين الدوائر وارتبتم وغرتكم الأماني طول الامل والطمع
في امتداد الاعمار حتى جاء أمر الله وهو الموت وغركم بالله الغرور وغركم الشيطان بان
الله عفو كريم لا يعذبكم وقرئ الغرور بالضم فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ما يفتدى به ولا من الذين كفروا
مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير بل هي اولى بكم وانشد قول لبيد
فغدت كلا الفرجين تحسب انه مولى المخافة خلفها وامامها
وحقيقته مولاكم محراكم ومقمنكم اي مكانكم الذي يقال فيه هو اولى بكم كما قيل مئنة للكرم
اي مكان لقول القائل انه لكريم ويجوز ان يراد هي ناصركم اي لا ناصر لكم غيرها والمراد نفي الناصر
على البتات ونحوه قولهم اصيب فلان بكذا فاستنصر الجزع ومنه قوله تعالى يغاثوا بماء كالمهل وقيل
تتولاكم كما توليتم في الدنيا اعمال اهل النار ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله
وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم
الم يأن من انى الامر يأني اذا جاء اناه اي وقته وقرئ الم يئن من آن يئين بمعنى انى يأني اذا جاء اناه
او وقته وقرئ الم يئن من آن يئين بمعنى انى يأني ولما يأن قيل كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا
اصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت وعن ابن مسعود ما كان بين اسلامنا وبين ان
عوتبنا بهذه الآية الا اربع سنين وعن ابن عباس ان الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلث عشره

من نزول القرآن وعن الحسن اما والله لقد استبطأهم وهم يقرؤون من القرآن اقل مما تقرؤون فانظروا في
طول ما قرأتم منه وما ظهر فيكم من الفسق وعن ابي بكر رضي الله عنه ان هذه الآية قرئت بين يديه وعنده
قوم من اهل اليمامة فبكوا بكاء شديدا فنظر اليهم فقال هكذا كنا حتى قست القلوب وقرئ نزّل
وانزل وأُنزل ولا يكونوا عطف على تخشع وقرئ بالتاء على الالتفات ويجوز ان يكون نهيا لهم عن مماثلة
اهل الكتاب في قسوة القلوب بعد ان وبخوا وذلك ان بني اسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم
واذا سمعوا التوراة والانجيل خشعوا لله ورقت قلوبهم فلما طال عليهم الزمان غلبهم الجفاء والقسوة
واختلفوا واحدثوا من التحريف وغيره فان قلت ما معنى لذكر الله وما نزل من الحق قلت يجوز
ان يراد بالذكر وبما نزل من الحق القرآن لانه جامع للامرين للذكر والموعظة وانه حق نازل من السماء
وان يراد خشوعها اذا ذكر الله واذا تلي القرآن كقوله اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت
عليهم آياته زادتهم ايمانا والمراد بالامد الاجل كقوله اذا انتهى امده وقرئ الأمدّ اي الوقت الاطول وكثير
منهم فاسقون خارجون عن دينهم رافضون لما في الكتابين اعلموا ان الله يحيي الارض
بعد موتها مثل هذا تمثيل لاثر الذكر وانه يحييها كما يحيي الغيث الارض قد بينا لكم الآيات
لعلكم تعقلون ان المصدقين والمصدقات المتصدقين والمتصدقات وقرئ على الاصل
والمصدقين من صدّق وهم الذين صدقوا الله ورسوله يعني المؤمنين فان قلت علام عطف قوله
وأقرضوا قلت على معنى الفعل في المصدقين لان اللام بمعنى الذين واسم الفاعل بمعنى اصّدقوا
كانه قيل ان الذين اصّدقوا واقرضوا الله قرضا حسنا والقرض الحسن ان يتصدق من الطيب
عن طيبة النفس وصحة النية على المستحق للصدقة يضاعف لهم ولهم اجر كريم وقرئ يضعّف
ويضاعف بكسر العين اي يضاعف الله والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون
والشهداء عند ربهم يريد ان المؤمنين بالله ورسله هم عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء وهم
الذين سبقوا الى التصديق واستشهدوا في سبيل الله لهم اجرهم ونورهم والذين كفروا وكذبوا
بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم اي مثل اجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم فان قلت كيف
يسوى بينهم في الاجر ولا بد من التفاوت قلت المعنى ان الله يعطي المؤمنين اجرهم ويضاعفه
لهم حتى يساوي اجرهم مع اضعافه اجر اولئك ويجوز ان يكون والشهداء مبتدأ ولهم اجرهم خبره اعلموا
انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل
غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد
ومغفرة من الله ورضوان وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور اراد ان الدنيا ليست الا محقرات
من الامور وهي اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر واما الآخرة فما هي الا امور عظام وهي
العذاب الشديد والمغفرة ورضوان الله وشبه حال الدنيا وسرعة تقضيها مع قلة جدواها
بنبات انبته الغيث فاستوى واكتهل واعجب به الكفار الجاحدون لنعمة الله فيما رزقهم من
الغيث والنبات فبعث عليه العاهة فهاج واصفر وصار حطاما عقوبة لهم على جحودهم كما فعل باصحاب
الجنة وصاحب الجنتين وقيل الكفار الزراع وقرئ مصفارا سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة سارعوا مسارعة
المسابقين لاقرانهم في المضمار الى جنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت للذين آمنوا بالله
ورسله قال السدي عرضها كعرض سبع السموات وسبع الارضين وذكر العرض دون الطول لان
كل ما له عرض وطول فان عرضه اقل من طوله فاذا وصف عرضه بالبسطة عرف ان طوله ابسط
وامد ويجوز ان يراد بالعرض البسطة كقوله فذو دعاء عريض لما حقر الدنيا وصغر امرها وعظم امر
الآخرة بعث عباده على المسارعة الى نيل ما وعد من ذلك وهي المغفرة المنجية من العذاب الشديد
والفوز بدخول الجنة ذلك الموعود من المغفرة والجنة فضل الله عطاؤه يؤتيه من يشاء وهم المؤمنون
والله ذو الفضل العظيم ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم المصيبة في الارض
نحو الجدب وآفات الزروع والثمار وفي الانفس نحو الادواء والموت الا في كتاب في اللوح من قبل ان
نبرأها يعني الانفس والمصائب ان ذلك على الله يسير ان تقدير ذلك واثباته في كتاب على الله يسير وان كان
عسيرا على العباد ثم علل ذلك وبين الحكمة فيه فقال لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم
يعني انكم اذا علمتم ان كل شيء مقدر مكتوب عند الله قل اساكم على الفائت وفرحكم على الآتي لان

من علم ان ما

من علم ان ما عنده مفقود لا محالة لم يتفاقم جزعه عند فقده لانه وطن نفسه على ذلك وكذلك من علم ان بعض
الخير واصل اليه وان وصوله لا يفوته بحال لم يعظم فرحه عند نيله والله لا يحب كل مختال فخور لان
من فرح بحظ من الدنيا وعظم في نفسه اختال وافتخر به وتكبر على الناس وقرئ بما أتاكم وآتاكم من
الاتيان والايتاء وفي قراءة ابن مسعود بما أوتيتم فان قلت فلا احد يملك نفسه عند مضرة تنزل به ولا عند
منفعة ينالها ان لا يحزن ولا يفرح قلت المراد الحزن المخرج الى ما يذهل صاحبه عن الصبر
والتسليم لامر الله ورجاء ثواب الصابرين والفرح المطغي الملهي عن الشكر فاما الحزن الذي لا يكاد
الانسان يخلو منه مع الاستسلام والسرور بنعمة الله والاعتداد بها مع الشكر فلا بأس بهما
الذين يبخلون بدل من قوله كل مختال فخور كانه قال لا يحب الذين يبخلون يريد الذين يفرحون الفرح المطغي اذا رزقوا
مالا وحظا من الدنيا فلحبهم له وعزته عندهم وعظمه في عيونهم يزوونه عن حقوق الله ويبخلون
به ويأمرون الناس بالبخل ولا يكفيهم انهم بخلوا حتى يحملوا الناس على البخل ويرغبوهم في الامساك
ويزينوه لهم وذلك كله نتيجة فرحهم به وبطرهم عند اصابته ومن يتول عن اوامر الله
ونواهيه ولم ينته عما نهي عنه من الاسى على الفائت والفرح بالآتي فان الله هو الغني الحميد
فان الله غني عنه وقرئ بالبخل وقرأ نافع فان الله الغني وهو في مصاحف اهل المدينة والشام
كذلك لقد ارسلنا رسلنا يعني الملائكة الى الانبياء عليهم الصلوة والسلام بالبينات بالحجج
والمعجزات وانزلنا معهم الكتاب اي الوحي والميزان ليقوم الناس بالقسط روي ان جبريل عليه
الصلوة والسلام نزل بالميزان فدفعه الى نوح وقال مر قومك يزنوا به وانزلنا الحديد قيل نزل
آدم عليه الصلوة والسلام ومعه خمسة اشياء من الحديد السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة
والابرة وروي ومعه المر والمسحاة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله انزل اربع بركات من
السماء الى الارض انزل الحديد والماء والنار والملح وعن الحسن وانزلنا الحديد خلقناه كقوله وانزل لكم من
الانعام وذلك ان اوامره تنزل من السماء وقضاياه واحكامه فيه بأس شديد وهو القتال به ومنافع للناس
في مصالحهم ومعايشهم وما من صناعة الا والحديد آلة فيها او ما يعمل بالحديد وليعلم الله من ينصره ورسله
باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح في مجاهدة اعداء الدين بالغيب غائبا عنهم قال ابن عباس ينصرونه
ولا يبصرونه ان الله قوي عزيز غني بقدرته وعزته في اهلاك من يريد هلاكه عنهم وانما كلفهم
الجهاد لينتفعوا به ويصلوا بامتثال الامر الى الثواب لقد ارسلنا نوحا وابرهيم وجعلنا في ذريتهما
النبوة والكتاب والوحي وعن ابن عباس الخط بالقلم يقال كتب كتابا وكتابة فمنهم مهتد وكثير
منهم فاسقون فمن الذرية او من المرسل اليهم وقد دل عليهم ذكر الارسال والمرسلين وهذا تفصيل
لحالهم اي فمنهم مهتد ومنهم فاسق والغلبة للفساق ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن
مريم وآتيناه الانجيل وقرأ الحسن الأنجيل بفتح الهمزة وامره اهون من امر البرطيل والسكينة فيمن رواهما بفتح
الفاء لان الكلمة اعجمية لا يلزم فيها حفظ ابنية العرب وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة
وقرئ رآفة على فعالة اي وفقناهم للتراحم والتعاطف بينهم ونحوه في صفة اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم رحماء بينهم ورهبانية وهي ترهبهم في الجبال فارين من الفتنة في الدين مخلصين انفسهم
للعبادة وذلك ان الجبابرة ظهروا على المؤمنين بعد موت عيسى عليه الصلوة والسلام فقاتلوهم ثلاث مرات فقتلوا حتى لم يبق
منهم الا القليل فخافوا ان يفتنوا في دينهم فاختاروا الرهبانية ومعناها الفعلة المنسوبة الى الرهبان
وهو الخائف فعلان من رهب كخشيان من خشي وقرئ ورُهبانية بالضم كانها نسبة الى الرهبان وهو
جمع راهب كراكب وركبان وانتصابها بفعل مضمر يفسره الظاهر تقديره وابتدعوا رهبانية ابتدعوها يعني
واحدثوها من عند انفسهم ونذروها ما كتبناها عليهم لم نفرضها نحن عليهم الا ابتغاء رضوان الله استثناء
منقطع اي ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها كما يجب على الناذر رعاية نذره
لانه عهد مع الله لا يحل نكثه فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم يريد اهل الرحمة والرأفة والذين اتبعوا
عيسى عليه الصلوة والسلام وكثير منهم فاسقون الذين لم يحافظوا على نذرهم ويجوز ان تكون الرهبانية
معطوفة على ما قبلها وابتدعوها صفة لها في محل النصب اي وجعلنا في قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية مبتدعة
من عندهم بمعنى وفقناهم للتراحم بينهم ولابتداع الرهبانية واستحداثها ما كتبناها عليهم الا ليبتغوا
بها رضوان الله ويستحقوا بها الثواب على انه كتبها عليهم والزمها اياهم ليتخلصوا من الفتن ويبتغوا

فان كان حطابا لمؤمني اهل الكتاب فالمعنى يا ايها الذين امنوا بموسى وعيسى امنوا بمحمد

بذلك رضا الله تعالى وثوابه فما رعوها حق رعايتها ولكن بعضهم فاتينا المؤمنين المراعين منهم للرهبانية اجرهم وكثير منهم فاسقون وهم الذين لم يرعوها يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته يجوز ان يكون خطابا للذين امنوا من اهل الكتاب والذين امنوا من غيرهم يؤتكم كفلين نصيبين من رحمته لايمانكم بمحمد وايمانكم بمن قبله ويجعل لكم يوم القيمة نورا تمشون به وهو النور المذكور في قوله يسعى نورهم ويغفر لكم ما اسلفتم من الكفر والمعاصي والله غفور رحيم لئلا يعلم ليعلم اهل الكتاب الذين لم يسلموا ولا مزيده الا يقدرون ان مخففة من الثقيلة اصله انه لا يقدرون يعني ان الشان لا يقدرون على شيء من فضل الله اي لا ينالون شيئا مما ذكر من فضله من الكفلين والنور والمغفرة لانهم لم يؤمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينفعهم ايمانهم بمن قبله ولم يكسبهم فضلا قط وان كان خطابا لغيرهم فالمعنى اتقوا واثبتوا على ايمانكم برسول الله يؤتكم ما وعد من امن من اهل الكتاب من الكفلين في قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين ولا ينقصكم من مثل اجرهم لانكم مثلهم في الايمانين لا تفرقون بين احد من رسله روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث جعفرا رضي الله عنه في سبعين راكبا الى النجاشي يدعوه فقدم جعفر عليه فدعاه فاستجاب له فقال ناس ممن امن من اهل مملكته وهم اربعون رجلا ايذن لنا في الوفادة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذن لهم فقدموا مع جعفر وقد تهيا لوقعة احد فلما راوا ما بالمسلمين من خصاصة استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعوا وقدموا باموال لهم فاسوا بها المسلمين فانزل الله الذين اتيناهم الكتاب الى قوله ومما رزقناهم ينفقون فلما سمع من لم يؤمن من اهل الكتاب يؤتون اجرهم مرتين فخروا على المسلمين وقالوا اما من امن بكتابكم وكتابنا فله اجره مرتين واما من لم يؤمن بكتابكم فله اجر كاجركم فما فضلكم علينا فنزلت وروي ان مؤمني اهل الكتاب افتخروا على غيرهم من المؤمنين بانهم يؤتون اجرهم مرتين وادعوا الفضل عليهم فنزلت وقرئ لكي يعلم ولكيلا يعلم وليعلم ولان يعلم بادغام النون في الياء ولئلا يعلم بقلب الهمزة ياء وادغام النون في الياء وعن الحسن ليلا يعلم بفتح اللام وسكون الياء ورواه قطرب بكسر اللام وقيل في وجهها حذفت همزة ان وادغمت نونها في لام لا فصار للا ثم ابدلت من اللام المدغمة ياء كقولهم ديوان وقيراط ومن فتح اللام فعلى ان اصل لام الجر الفتح كما انشد

ارنت لا تسنى ذكرها وقرئ الا يقدروا وان الفضل بيد الله في ملكه وتصرفه واليد مثل يؤتيه من يشاء ولا يؤتيه الا من يستحقه والله ذو الفضل العظيم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحديد كتب من الذين امنوا بالله ورسله

سورة المجادلة مدنية وهي ثنتان وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما قالت عائشة رضي الله عنها الحمد لله الذي وسع سمعه الاصوات لقد كلمت المجادلة رسول الله في جانب البيت وانا عنده لا اسمع وقد سمع لها وعن عمر انه كان اذا دخلت عليه اكرمها وقال قد سمع الله لها وقرئ تحاورك اي تراجعك الكلام وتحاولك اي تسائلك وهي خولة بنت ثعلبة امراة اوس بن الصامت اخي عبادة راها وهي تصلي وكانت حسنة الجسم فلما سلمت راودها فابت فغضب وكانت به خفة ولمم فظاهر منها فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان اوسا تزوجني وانا شابة مرغوب في فلما خلا سني ونثرت بطني اي كثر ولدي جعلني عليه كامه وروي انها قالت ان لي صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا فقال ما عندي في امرك شيء وروي انه قال لها حرمت عليه فقالت يا رسول الله ما ذكر طلاقا وانما هو ابو ولدي واحب الناس الي فقال حرمت عليه فقالت اشكو الى الله فاقتي ووجدي كلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه هتفت وشكت الى الله فنزلت في زوجها وفي شانها ان الله سميع بصير يصح ان يسمع كل مسموع ويبصر كل مبصر فان قلت ما معنى قد في قوله قد سمع قلت معناه التوقع لان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمجادلة كانا يتوقعان ان يسمع الله مجادلتها وشكواها وينزل في ذلك ما يفرج عنها الذين يظهرون منكم

من نسائهم في منكم توبيخ للعرب وتهجين لعادتهم في الظهار لانه كان من ايمان اهل جاهليتهم خاصة دون سائر الامم ما هن امهاتهم وقرئ بالرفع على اللغتين الحجازية والتميمية وفي قراءة ابن مسعود بامهاتهم وزيادة الباء في لغة من ينصب والمعنى ان من يقول لامراته انت علي كظهر امي ملحق في كلامه هذا للزوج بالام وجاعلها مثلها وهذا تشبيه باطل لتباين الحالين ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا يريد ان الامهات على الحقيقة انما هن الوالدات وغيرهن ملحقات بهن لدخولهن في حكمهن فالمرضعات ادخلن بالرضاع في حكم الامهات وكذلك ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم امهات المؤمنين لان الله حرم نكاحهن على الامة فدخلن بذلك في حكم الامهات واما الزوجات فابعد شيء من الامومة لانهن لسن بامهات على الحقيقة ولا بداخلات في حكم الامهات فكان قول المظاهر منكرا من القول تنكره الحقيقة وتنكره الاحكام الشرعية وزورا وكذبا باطلا منحرفا عن الحق وان الله لعفو غفور لما سلف منه اذا لم يعد اليه ثم قال والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا يعني والذين كانت عادتهم ان يقولوا هذا القول المنكر فقطعوه بالاسلام ثم يعودون لمثله فكفارة من عاد ان يحرر رقبة ثم يماس المظاهر منها لا تحل له مماستها الا بعد تقديم الكفارة ووجه اخر ثم يعودون لما قالوا ثم يتداركون ما قالوا لان المتدارك للامر عائد اليه ومنه المثل عاد غيث على ما افسد اي تداركه بالاصلاح والمعنى ان تدارك هذا القول وتلافيه بان يكفر حتى ترجع حالهما كما كانت قبل الظهار ووجه ثالث وهو ان يراد بما قالوا ما حرموه على انفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه نحو ما ذكرنا في قوله تعالى ونرثه ما يقول ويكون المعنى ثم يريدون العود للتماس والمماسة الاستمتاع بها من جماع او لمس بشهوة او نظر الى فرجها بشهوة ذلكم الحكم توعظون به لان الحكم بالكفارة دليل على ارتكاب الجناية فيجب ان تتعظوا بهذا الحكم حتى لا تعودوا الى الظهار وتخافوا عقاب الله عليه فان قلت هل يصح الظهار بغير هذا اللفظ قلت نعم اذا وضع مكان انت عضوا منها يعبر به عن الجملة كالراس والوجه والرقبة والفرج او مكان الظهر عضوا اخر يحرم النظر اليه من الام كالبطن والفخذ او مكان الام ذات رحم محرم منه من نسب او رضاع او صهر او جماع نحو ان يقول انت علي كظهر اختي من الرضاع او عمتي من النسب او امراة ابني او ابي او ام امراتي او بنتها فهو مظاهر وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه وعن الحسن والنخعي والزهري والاوزاعي والثوري وغيرهم نحوه وقال الشافعي لا يكون الظهار الا بالام وحدها وهو قول قتادة والشعبي وعن الشعبي لم ينس الله ان يذكر البنات والاخوات والعمات والخالات اذ اخبر ان الظهار انما يكون بالامهات الوالدات دون المرضعات وعن بعضهم لا بد من ذكر الظهر حتى يكون ظهارا فان قلت فاذا امتنع المظاهر من الكفارة هل للمراة ان ترافعه قلت لها ذلك وعلى القاضي ان يجبره على ان يكفر وان يحبسه ولا شيء من الكفارات يجبر عليه ويحبس الا كفارة الظهار وحدها لانه يضر بها في ترك التكفير والامتناع من الاستمتاع فيلزم ايفاء حقها فان قلت فان مس قبل ان يكفر قلت عليه ان يستغفر ولا يعود حتى يكفر لما روي ان سلمة بن صخر البياضي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرت من امراتي ثم ابصرت خلخالها في ليلة قمراء فواقعتها فقال عليه السلام استغفر ربك ولا تعد حتى تكفر فان قلت اي رقبة تجزئ في كفارة الظهار قلت المسلمة والكافرة جميعا لانها في الاية مطلقة وعند الشافعي لا تجزئ الا المؤمنة لقوله تعالى في كفارة القتل فتحرير رقبة مؤمنة ولا تجزئ ام الولد والمدبر والمكاتب الذي ادى شيئا فان لم يؤد شيئا جاز وعند الشافعي لا يجوز فان قلت فان اعتق بعض الرقبة او صام بعض الصيام ثم مس قلت عليه ان يستانف نهارا ان اعتق اوليلا ناسيا او عامدا عند ابي حنيفة وعند ابي يوسف ومحمد عتق بعض الرقبة عتق كلها فيجزيه وان كان المس يفسد الصوم استقبل والا بنى فان قلت كيف يعطي المساكين في الاطعام قلت نصف صاع من بر او صاعا من غيره عند ابي حنيفة وعند الشافعي مدا من طعام بلده الذي يقتات فيه فان قلت ما بال التماس لم يذكر عند الكفارة بالاطعام كما ذكر عند الكفارتين قلت اختلف في ذلك فعند ابي حنيفة انه لا فرق بين الكفارات الثلاث في وجوب تقديمها على المساس وانما ترك ذكره عند الاطعام

دلالة على انه اذا وجد في خلال الاطعام لم تستانف كما تستانف الصوم اذا وقع في خلاله وعند غيره لم
يذكر للدلالة على ان التكفير قبله وبعده سواء فان قلت الضمير في ان يتماسا الام يرجع قلت
الى ما دل عليه الكلام من المظاهر والمظاهر منها ذلك البيان والتعليم للاحكام والتنبيه عليها لتؤمنوا
لتصدقوا بالله ورسوله في العمل بشرايعه التي شرعها من الظهار وغيره ورفض ما كنتم عليه في جاهليتكم
وتلك حدود الله التي لا يجوز تعديها وللكافرين الذين لا يقبلونها ولا يعملون عليها عذاب اليم ان الذين
يحادون الله يعادون ويشاقون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم اخزوا واهلكوا
كما كبت من قبلهم من اعداء الرسل قيل اريد كبتهم يوم الخندق وقد انزلنا ايات بينات تدل على صدق
الرسول وصحة ما جاء به وللكافرين بهذه الايات عذاب مهين يذهب بعزهم وكبرهم يوم يبعثهم الله
منصوب بلهم او بمهين او باضمار اذكر تعظيما لليوم جميعا كلهم لا يترك منهم احد غير مبعوث او مجمعين
في حال واحدة كما تقول حي جميع فينبئهم بما عملوا تخجيلا لهم وتوبيخا وتشهيرا لحالهم يتمنون عنده
المسارعة بهم الى النار لما يلحقهم من الخزي على رؤوس الاشهاد احصاه الله احاط به عددا لم يفته منه
شيء ونسوه لكثرتهم او تهاونهم به حين ارتكبوه لم يبالوا بالصغاير وتهاونهم بالمعاصي وانما تحفظ معظمات الامور
والله على كل شيء شهيد الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض ما يكون من نجوى ثلاثة
الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنا من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا
ما يكون ... بالياء والتاء على ان النجوى تانيثها غير حقيقي ومن فاصله او على ان المعنى
ما يكون شيء من النجوى والتناجي فلا يخلوا اما ان تكون مضافة الى ثلاثة او من نجوى ثلاثة نفر او موصوفة
بها اي ما من اهل نجوى ثلاثة فحذف الاهل او جعلوا نجوى في انفسهم مبالغة كقوله خلصوا نجيا وقرئ
ثلاثة وخمسة بالنصب على الحال باضمار يتناجون لان نجوى يدل عليه او على تاويل نجوى بمتناجين
فان قلت ما الداعي الى تخصيص الثلاثة والخمسة قلت فيه وجهان احدهما
ان قوما من المنافقين تحلقوا للتناجي مغايظة للمومنين على هذين العددين ثلاثة وخمسة فقيل ما
يتناجى منهم ثلاثة ولا خمسة كما تراهم يتناجون كذلك ولا ادنى من عددهم ولا اكثر الا والله معهم
يسمع ما يقولون وقد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في ربيعة وحبيب ابني عمرو وصفوان
بن امية كانوا يتحدثون فقال احدهم اترى ان الله يعلم ما نقول فقال الآخر يعلم بعضا ولا يعلم بعضا
وقال الثالث ان كان يعلم بعضا فهو يعلمه كله وصدق لان من يعلم علم بعض الاشياء بغير سبب فقد
علمها كلها لان كونه عالما بغير سبب ثابت له مع كل معلوم والثاني انه قصد ان يذكر ما جرت عليه
العادة من اعداد اهل النجوى والمتخالين للشورى والمندوبون لذلك ليسوا بكل احد وانما هم طائفة
مجتباة من اولي النهى والاحلام ورهط من اهل الراي والتجارب واول عددهم الاثنان فصاعدا الى خمسة
الى ستة الى ما اقتضته الحال وحكم به الاستصواب الا ترى الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه كيف ترك
الامر شورى بين ستة ولم يتجاوز بها الى سابع فذكر عز وعلا الثلاثة والخمسة وقال ولا ادنا من ذلك فدل
على الاثنين والاربعة وقال ولا اكثر فدل على ما يلي هذا العدد ويقاربه وفي مصحف عبد الله الا
الله رابعهم ولا اربعة الا الله خامسهم ولا خمسة الا الله سادسهم ولا اقل من ذلك ولا اكثر الا الله
معهم اذا تناجوا وقرئ ولا ادنا من ذلك ولا اكثر بالنصب على ان لا لنفي الجنس ويجوز ان يكون ولا اكثر
بالرفع معطوفا على محل لا مع ادنا كقولك لا حول ولا قوة الا بالله وان يكون ارتفاعهما عطفا على
محل من نجوى كانه قيل ما يكون ادنا ولا اكثر الا هو معهم ويجوز ان يكونا مجرورين عطفا على نجوى
كانه قيل ما يكون من ادنا ولا اكثر الا هو معهم وقرئ ولا اكبر بالباء ومعنى كونه معهم جميعا انه
يعلم ما يتناجون به ولا يخفى عليه ما هم فيه فكانه مشاهدهم ومحاضرهم وقد تعالى عن المكان والمشاهدة
ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة ان الله بكل شيء عليم وقرئ ينبئهم بالتخفيف الم تر الى الذين نهوا عن النجوى
ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول لما كانت اليهود
والمنافقون يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا راوا المومنين يريدون ان يغيظوهم فنهاهم
رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فعادوا لمثل فعلهم وكان تناجيهم بما هو اثم وعدوان للمومنين وتواص
بمعصية الرسول ومخالفته وقرئ وينتجون بالاثم والعدوان بكسر العين ومعصيات واذا
جاؤوك حيوك بما لم يحيك به الله يعني انهم يقولون في تحيتك السام عليك والسام الموت والله تعالى

ليس في الايه ما هم وانما يريد به ما يتعلق به اللام في قوله وللكافرين

نجوى

يقول سلام

يقول سلام على عباده الذين اصطفى ويا ايها النبي ويا ايها الرسول ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا
الله بما نقول كانوا يقولون ما هو له ان كان نبيا لا يدعو علينا حتى يعذبنا الله بما نقول قال الله تعالى
حسبهم جهنم عذابا يصلونها فبئس المصير يا ايها الذين امنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم
والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي اليه تحشرون
يا ايها الذين امنوا خطاب للمنافقين الذين امنوا بالسنتهم ويجوز ان يكون للمومنين اي اذا تناجيتم فلا
تتشبهوا باولئك في تناجيهم بالشر وتناجوا بالبر والتقوى وعن النبي صلى الله عليه واله وسلم اذا كنتم
ثلاثة فلا يتناج اثنان دون صاحبهما فان ذلك يحزنه وروى دون الثالث وقرئ فلا تنتجوا وعن
ابن مسعود اذا انتجيتم فلا تنتجوا انما النجوى من الشيطان اللام اشارة الى النجوى بالاثم
والعدوان بدليل قوله ليحزن الذين امنوا والمعنى ان الشيطان يزينها لهم فكانها منه ليغيظ الذين
امنوا ويحزنهم وليس الشيطان والحزن بضارهم شيئا الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المومنون
فان قلت كيف لا يضرهم الشيطان او الحزن الا باذن الله قلت كانوا يوهمون المومنين في نجواهم
وتغامزهم ان غزاتهم غلبوا وان اقاربهم قتلوا فقال لا يضرهم الشيطان او الحزن بذلك الموهم الا باذن
الله اي بمشيته وهو ان يقضي الموت على اقاربهم والغلبة على الغزاة وقرئ ليحزن وليحزن يا ايها
الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجلس فافسحوا تفسحوا في المجلس توسعوا فيه وليفسح
بعضكم عن بعض من قولهم افسح عني اي تنح ولا تتضاموا وقرئ تفاسحوا والمراد مجلس رسول الله
صلى الله عليه واله وسلم وكانوا يتضامون فيه تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع كلامه وقيل هو المجلس
من مجالس القتال وهي مراكز الغزاة كقوله مقاعد للقتال وقرئ في المجالس بفتح اللام وهو الجلوس
اي توسعوا في جلوسكم ولا تتضايقوا فيه يفسح الله لكم مطلق في كل ما يبتغي الناس الفسحة
فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغيرها واذا قيل انشزوا فانشزوا انهضوا للتوسعة على
المقبلين او انهضوا عن مجلس رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اذا امرتم بالنهوض عنه ولا تملوا رسول الله
صلى الله عليه واله وسلم بالارتكاز فيه او انهضوا الى الصلوة والجهاد واعمال الخير اذا استنهضتم ولا تثبطوا
ولا تفرطوا يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات يرفع الله المومنين
بامتثال اوامره واوامر رسوله والعالمين منهم خاصة درجات والله بما تعملون خبير وقرئ يعملون
بالتاء والياء وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه كان اذا قراها قال يا ايها الناس افهموا هذه
الاية ولترغبكم في العلم وعن النبي صلى الله عليه واله وسلم بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين
حضر الجواد المضمر سبعين سنة وعنه عليه الصلوة والسلام فضل العالم على العابد كفضل القمر
ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه عليه الصلوة والسلام يشفع يوم القيمة ثلاثة الانبياء ثم العلماء
ثم الشهداء فاعظم بمرتبة هي واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة رسول الله صلى الله عليه واله
وسلم وعن ابن عباس خير سليمن بين العلم والمال والملك فاختار العلم فاعطي المال والملك معه
وقال عليه الصلوة والسلام اوحى الله الى ابراهيم يا ابراهيم اني عليم احب كل عليم وعن بعض الحكماء ليت شعري
اي شيء ادرك من فاته العلم واي شيء فات من ادرك العلم وعن الاحنف كاد العلماء يكونوا اربابا
وكل عز لم يوطد بعلم فالى ذل ما يصير وعن الزهري العلم ذكر فلا يحبه الا ذكور الرجال يا ايها
الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم
واطهر فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم بين يدي نجواكم استعارة ممن له يدان والمعنى
قبل نجواكم كقول عمر من افضل ما اوتيت العرب الشعر يقدمه الرجل امام حاجته فيستمطر
به الكريم ويستنزل به اللئيم يريد قبل حاجته ذلكم التقديم خير لكم في دينكم واطهر لان الصدقة
طهرة وروي ان الناس اكثروا مناجاة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بما يريدون حتى املوه وابرموه
فاريد ان يكفوا عن ذلك فامروا بان من اراد ان يناجيه قدم قبل مناجاته صدقة قال علي رضي
الله عنه لما نزلت دعاني رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فقال ما تقول في دينار قلت لا يطيقونه قال
كم قلت حبة او شعيرة قال انك لزهيد فلما راوا ذلك اشتد عليهم فارتدعوا وكفوا اما الفقير
فلعسرته واما الغني فلشحه وقيل كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقيل ما كان الا ساعة من نهار
وعن علي رضي الله عنه ان في كتاب الله لاية ما عمل بها احد قبلي ولا يعمل بها احد بعدي كان لي دينار

فصدقة وكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم قال الكلبي تصدق به في عشر كلمات سألهن رسول الله وعن ابن عمر كانت لعلي ثلاث لو كانت لي واحدة منهن كانت احب الي من حمر النعم تزويجه فاطمة واعطاؤه الراية يوم خيبر وآية النجوى قال ابن عباس هي منسوخة بالزكوة ءأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات أخفتم تقديم الصدقات لما فيه من الانفاق الذي تكرهونه وان الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء فإذ لم تفعلوا ما امرتم به وشق عليكم وتاب الله عليكم وعذركم ورخص لكم في ان لا تفعلوا فأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وأطيعوا الله ورسوله فلا تفرطوا في الصلاة والزكوة وسائر الطاعات والله خبير بما تعملون وبنياتكم وآثاركم ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم كان المنافقون يتولون اليهود وهم الذين غضب الله عليهم في قوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه وينقلون اليهم اسرار المؤمنين ما هم منكم يا مسلمون ولا منهم ولا من اليهود كقوله مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ويحلفون على الكذب اي يقولون والله انا المسلمون فيحلفون على الكذب الذي هو ادعاء الاسلام وهم يعلمون ان المحلوف عليه كذب بحت فان قلت ما فائدة قوله وهم يعلمون قلت الكذب ان يكون الخبر لا على وفاق المخبر عنه سواء علم المخبر او لم يعلم فالمعنى انهم الذين يخبرون وخبرهم خلاف ما يخبرون عنه فهم عالمون بذلك متعمدون له كمن يحلف بالغموس وقيل كان عبد الله بن نبتل المنافق يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يرفع حديثه الى اليهود فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجرة من حجره اذ قال لاصحابه يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان فدخل ابن نبتل وكان ازرق فقال له النبي صلى الله عليه وسلم علام تشتمني انت واصحابك فحلف بالله ما فعل فقال عليه الصلوة والسلام فعلت فانطلق فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فنزلت أعد الله لهم عذابا شديدا نوعا من العذاب متفاقما إنهم ساء ما كانوا يعملون يعني انهم كانوا في الزمان الماضي متطاولين على سوء العمل مصرين عليه او هي حكاية ما يقال لهم في الآخرة اتخذوا أيمانهم وقرئ ايمانهم بالكسر اي اتخذوا ايمانهم التي حلفوا بها او ايمانهم الذي اظهروه جنة اي سترة يستترون بها من المؤمنين ومن قتلهم فصدوا الناس في خلال امنهم وسلامتهم عن سبيل الله وكانوا يثبطون من لقوا عن الدخول في الاسلام ويضعفون امر المسلمين عندهم فلهم عذاب مهين وانما وعدهم العذاب المهين المخزي لكفرهم وصدهم كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله من عذاب الله شيئا قليلا من الاغناء روي ان رجلا منهم قال لننصرن يوم القيمة بانفسنا واموالنا واولادنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له لله تعالى على انهم مسلمون في الآخرة كما يحلفون لكم في الدنيا على ذلك ويحسبون أنهم على شيء من النفع يعني ليس العجب من حلفهم لكم فانكم بشر تخفى عليكم السرائر وان لهم نفعا في ذلك دفعا عن ارواحهم واستجرار فوائد دنيوية وانهم يفعلونه في دار لا يضطرون فيها الى علم ما يوعدون ولكن العجب من حلفهم لله عالم الغيب والشهادة مع عدم النفع والاضطرار الى علم ما انذرتهم الرسل والمراد وصفهم بالتوغل في نفاقهم ومرونهم عليه وان ذلك بعد موتهم وبعثهم باق فيهم لا يضمحل كما قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقد اختلف العلماء في كذبهم في الآخرة والقرآن ناطق بثباته نطقا مكشوفا كما ترى في هذه الآية وفي قوله والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ويحسبون حسبانهم انهم على شيء من النفع اذا احلفوا استيطانا هم المؤمنين ليقتبسوا من نورهم لحسبان ان الايمان الظاهر مما ينفعهم وقيل عند ذلك يختم على افواههم ألا إنهم هم الكاذبون يعني انهم الغاية التي لا مطمح وراءها في قول الكذب حيث استوت حالهم في الدنيا والآخرة استحوذ عليهم الشيطان استولى عليهم من حاذ الحمار العانة اذا جمعها وساقها غالبا ومنه كان احوذيا نسيج وحده وهو احد ما جاء على الاصل نحو استصوب واستنوق اي ملكهم الشيطان لطاعتهم له في كل ما يريد منهم حتى جعلهم رعيته وحزبه فأنساهم ذكر الله ان يذكروا الله اصلا لا بقلوبهم ولا بالسنتهم أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون حزب الشيطان جنده قال ابو عبيدة إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين في جملة من هو اذل خلق الله لا ترى احدا اذل منهم كتب الله في اللوح لأغلبن أنا ورسلي بالحجة والسيف او باحدهما

إن الله قوي عزيز لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله لا تجد قوما من باب التخييل خيل ان من الممتنع المحال ان تجد قوما مؤمنين يوالون المشركين والغرض انه لا ينبغي ان يكون ذلك وحقه ان يمتنع ولا يوجد بحال مبالغة في النهي عنه والزجر عن ملابسته والتوصية بالتصلب في مجانبة اعداء الله ومباعدتهم والاحتراس عن مخالطتهم ومعاشرتهم وزاد ذلك تأكيدا وتشديدا بقوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم وبقوله أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه وبمقابلة قوله أولئك حزب الشيطان بقوله أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون فلا تجد شيئا ادخل في الاخلاص من موالاة اولياء الله ومعاداة اعدائه بل هو الاخلاص بعينه كتب في قلوبهم الايمان اثبته فيها بما وفقهم فيه وشرح له صدورهم وأيدهم بروح منه بلطف من عنده حييت به قلوبهم ويجوز ان يكون الضمير للايمان اي بروح من الايمان على انه روح لحياة القلوب به وعن الثوري انه قال كانوا يرون انها نزلت فيمن يصحب السلطان وعن عبد العزيز بن ابي رواد انه لقيه المنصور في الطواف فلما عرفه هرب منه وتلاها وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندي نعمة فاني وجدت فيما اوحيت لا تجد قوما الخ وروي انها نزلت في ابي بكر رضي الله عنه وذلك ان ابا قحافة سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فصكه صكة سقط منها فقال له رسول الله اوفعلته قال نعم قال لا تعد قال والله لو كان السيف قريبا مني لقتلته وقيل في ابي عبيدة بن الجراح قتل اباه عبد الله بن الجراح يوم احد وفي ابي بكر دعا ابنه يوم بدر الى البراز وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم دعني اكن في الرعلة الاولى قال متعنا بنفسك يا ابا بكر اما تعلم انك عندي بمنزلة سمعي وبصري وفي مصعب بن عمير قتل اخاه عبيد بن عمير يوم احد وفي عمر قتل خاله العاص بن هشام يوم بدر وفي علي وحمزة وعبيدة بن الحرث قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيمة

سورة الحشر مدنية وهي أربع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب صالح بنو النضير رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يكونوا عليه ولا له فلما ظهر يوم بدر قالوا هو النبي الذي نعته في التوراة لا ترد له راية فلما هزم المسلمون يوم احد ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف في اربعين راكبا الى مكة فحالفوا عليه قريشا عند الكعبة فامر عليه الصلوة والسلام محمد بن مسلمة الانصاري فقتل كعبا غيلة وكان اخاه من الرضاع ثم صبحهم بالكتائب وهو على حمار مخطوم بليف فقال لهم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت احب الينا من ذلك فتنادوا بالحرب وقيل استمهلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة ايام ليتجهزوا للخروج فدس عبد الله بن ابي المنافق واصحابه لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ولئن اخرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها فحاصرهم احدى وعشرين ليلة فلما قذف الله الرعب في قلوبهم وايسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فابى عليهم الا الجلاء على ان يحمل كل ثلاثة ابيات على بعير ما شاؤوا من متاعهم فجلوا الى الشام الى اريحا واذرعات الا اهل بيتين منهم آل ابي الحقيق وآل حيي بن اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة واللام في لأول الحشر تتعلق باخرج وهي اللام في قوله يا ليتني قدمت لحياتي وقولك جئته لوقت كذا والمعنى اخرج الذين كفروا عند اول الحشر ومعنى اول الحشر ان هذا اول حشرهم الى الشام وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط وهم اول من اخرج من اهل الكتاب من جزيرة العرب الى الشام وقيل آخر حشرهم يوم القيمة لان المحشر يكون بالشام وعن عكرمة من شك ان المحشر ههنا يعني الشام فليقرأ هذه الآية وقيل معناه اخرجهم من ديارهم لأول ما حشر لقتالهم لانه اول قتال

فاتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم **ما ظننتم أن يخرجوا** لشدة بأسهم ومنعتهم ووثاقة حصونهم
وكثرة عددهم **وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله** وظنوا ان حصونهم تمنعهم
من بأس الله فأتاهم أمر الله **من حيث لم يحتسبوا** من حيث لم يظنوا ولم يخطر ببالهم وقتل رئيسهم
كعب بن الأشرف غرة على يد أخيه وذلك مما أضعف قوتهم وفل من شوكتهم **وقذف في قلوبهم**
الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين وسلب قلوبهم الأمن والطمأنينة بما قذف فيها
من الرعب وألهمهم أن يوافقوا المؤمنين في تخريب بيوتهم ويعينوا على أنفسهم وثبط المنافقين الذين
كانوا يتولونهم عن مظاهرتهم وهذا كله لم يكن في حسبانهم ومنه أتاهم الهلاك فإن قلت أي فرق
بين قولك وظنوا أن حصونهم تمنعهم أو مانعتهم وبين النظم الذي جاء عليه قلت في تقديم الخبر على المبتدأ
دليل على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها إياهم وفي تصيير ضميرهم اسما لأن وإسناد الجملة إليه
دليل على اعتقادهم في أنفسهم أنهم في عزة ومنعة لا يبالى معها بأحد يتعرض لهم أو يطمع في
معازتهم وليس ذلك في قولك وظنوا أن حصونهم تمنعهم وقرئ فآتاهم الله أي فآتاهم الهلاك
والرعب الخوف الذي يرعب الصدر أي يملؤه وقذفه إثباته وركزه ومنه قالوا في صفة
الأسد مقذف كأنما قذف باللحم قذفا لاكتنازه وتداخل أجزائه وقرئ يخربون ويخربون
مثقلا ومخففا والتخريب والإخراب الإفساد بالنقض والهدم والخربة الفساد وكانوا يخربون
بواطنها والمسلمون ظواهرها لما أراد الله من استئصال شأفتهم وأن لا يبقى لهم بالمدينة دار ولا منهم
ديار والذي دعاهم إلى التخريب حاجتهم إلى الخشب والحجارة ليسدوا بها أفواه الأزقة
وأن لا يتحسروا بعد جلائهم على بقائها مساكن للمسلمين وأن ينقلوا معهم ما كان في أبنيتهم
من جيد الخشب والساج المليح وأما المؤمنون فداعيهم إزالة متحصنهم ومتمنعهم وأن يتسع لهم
مجال الحرب فإن قلت ما معنى تخريبهم لها بأيدي المؤمنين قلت لما عرضوهم لذلك وكانوا
السبب فيه فكأنهم أمروهم به وكلفوهم إياه **فاعتبروا يا أولي الأبصار** فاعتبروا بما دبر الله
ويسر من أمر إخراجهم وتسليط المسلمين عليهم من غير قتال وقيل وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
المسلمين أن يورثهم الله أرضهم وأموالهم بغير قتال فكان كما قال **ولولا أن كتب الله عليهم**
الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار ۝ ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله
ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب يعني أن الله قد عزم على تطهير أرض المدينة منهم وإراحة
المسلمين من جوارهم وتوريثهم أموالهم فلولا أنه كتب عليهم الجلاء واقتضته حكمته ودعاه إلى اختياره أنه
أشق عليهم من الموت لعذبهم في الدنيا بالقتل كما فعل بإخوانهم بني قريظة ولهم سواء أجلوا
أو قتلوا عذاب النار يعني إن نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الآخرة **ما قطعتم من لينة أو**
تركتموها قائمة على أصولها لما قطعتم ومحل ما نصب بقطعتم كأنه قال أي شيء قطعتم وأنث الضمير الراجع إلى ما في قوله أو تركتموها
لأنه في معنى اللينة واللينة والنخلة من الألوان وهي ضروب النخل ما خلا العجوة
والبرنية وهما أجود النخل وياؤها عن واو قلبت لكسرة ما قبلها كالديمة وقيل اللينة النخلة
الكريمة كأنهم اشتقوها من اللين وقال ذو الرمة ۝

كأن قتودي فوقها عش طائر ۝ على لينة سوقاء تهفو جنوبها ۝

وجمعها لين وقرئ قوما على أصلها وفيه وجهان أنه جمع أصل كرهن ورهن واكتفى
فيه بالضمة عن الواو وقرئ قائما على أصوله ذهابا إلى لفظ ما **فبإذن الله** فقطعها بإذن الله وأمره **وليخزي**
الفاسقين وليذل اليهود ويغيظهم أذن في قطعها وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
أمر أن تقطع نخلهم وتحرق قالوا يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد في الأرض فما بال قطع النخل وتحريقها
فكان في أنفس المؤمنين من ذلك شيء فنزلت يعني أن الله أذن لهم في قطعها ليزيدكم غيظا ويضاعف
لكم حسرة إذا رأيتموهم يتحكمون في أموالكم كيف أحبوا ويتصرفون فيها كيف شاءوا واتفق
العلماء على أن حصون الكفرة وديارهم لا بأس بأن تهدم وتحرق وتغرق وترمى بالمجانيق وكذلك
أشجارهم لا بأس بقلعها مثمرة كانت أو غير مثمرة وعن ابن مسعود قطعوا منها ما كان موضعا للقتال
فإن قلت لم خصت اللينة بالقطع قلت إن كانت من الألوان فليستبقوا لأنفسهم العجوة
والبرنية وإن كانت من كرام النخل فليكون غيظ اليهود أشق وأشد وروي أن رجلين كانا يقطعان

احدهما العجوة والآخر اللون فسألهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا تركتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال هذا قطعتها غيظا للكفار وقد استدل به على جواز الاجتهاد وعلى جوازه بحضرة الرسول صلى الله
عليه وسلم لأنهما بالاجتهاد فعلا ذلك واحتج به من يقول كل مجتهد مصيب **وما أفاء الله على رسوله**
منهم جعله فيئا له خاصة والإيجاف من الوجيف وهو السير السريع ومنه قوله عليه الصلاة والسلام
في الإفاضة من عرفات ليس البر بإيجاف الخيل ولا إيضاع الإبل على هينتكم ومعنى **فما أوجفتم عليه**
من خيل ولا ركاب فما أوجفتم على تحصيله وتغنمه خيلا ولا ركابا ولا تعبتم في القتال عليه وإنما
مشيتم إليه على أرجلكم والمعنى أن ما خول الله رسوله من أموال بني النضير شيء لم تحصلوه بالقتال
والغلبة **ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير** ولكن سلطه عليهم وعلى
ما في أيديهم كما كان يسلط رسله على أعدائهم فالأمر فيه مفوض إليه يضعه حيث يشاء يعني أنه لا يقسم
قسمة الغنائم التي قوتل عليها وأخذت عنوة وقهرا وذلك أنهم طلبوا القسمة فنزلت **ما أفاء الله على**
رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل لم يدخل
العاطف على هذه الجملة لأنها بيان للأولى فهي منها غير أجنبية عنها بين لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ما يصنع بما أفاء الله عليه وأمره أن يضعه حيث يضع الخمس من الغنائم مقسوما على الأقسام الخمسة
والدولة والدولة بالفتح والضم وقد قرئ بهما ما يدول للإنسان أي يدور من الجد يقال دالت له الدولة
وأديل لفلان ومعنى قوله **كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم** كي لا يكون الفيء الذي حقه أن
يعطى الفقراء ليكون لهم بلغة يعيشون بها جدا بين الأغنياء يتكاثرون به أو كي لا يكون دولة جاهلية
بينهم ومعنى الدولة الجاهلية أن الرؤساء منهم كانوا يستأثرون بالغنيمة لأنهم أهل الرياسة
والدولة والغلبة وكانوا يقولون من عز بز والمعنى كي لا يكون أخذه غلبة وأثرة جاهلية ومنه
قول الحسن اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا يريد من غلب منهم واستأثر به وقيل الدولة
ما يتداول كالغرفة اسم ما يغترف يعني كي لا يكون الفيء شيئا يتداوله الأغنياء بينهم ويتعاورونه
فلا يصيب الفقراء والدولة بالفتح بمعنى التداول أي كي لا يكون ذا تداول بينهم أو كي لا يكون
إمساكه تداولا بينهم لا يخرجونه إلى الفقراء وقرئ دولة بالرفع على كان التامة كقوله وإن كان
ذو عسرة يعني كي لا يقع دولة جاهلية ولينقطع أثرها أو كي لا يكون تداول له بينهم أو كي لا
يكون شيء متداول بينهم غير مخرج إلى الفقراء **وما آتاكم الرسول** من قسمة غنيمة أو فيء **فخذوه وما نهاكم**
عنه عن أخذه منها **فانتهوا** عنه ولا تتبعه أنفسكم **واتقوا الله** أن تخالفوه وتتهاونوا بأوامره
ونواهيه **إن الله شديد العقاب** لمن خالف رسوله صلى الله عليه وسلم والأجود أن يكون عاما في كل ما أتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى عنه وأمر الفيء داخل في عمومه وعن ابن مسعود رضي الله عنه
أنه لقي رجلا محرما وعليه ثيابه فقال انزع عنك هذا فقال الرجل اقرأ علي في هذا آية من كتاب الله
قال نعم فقرأها عليه **للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله**
ورضوانا للفقراء بدل من قوله لذي القربى والمعطوف عليه والذي منع الإبدال من لله وللرسول والمعطوف
عليهما وإن كان المعنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله عز وجل أخرج رسوله من الفقراء في قوله
وينصرون الله ورسوله وأنه يترفع برسول الله صلى الله عليه وسلم عن التسمية بالفقير وأن الإبدال
على ظاهر اللفظ من خلاف الواجب في تعظيم الله عز وعلا **أولئك هم الصادقون** في إيمانهم وجهادهم
والذين تبوءوا الدار والإيمان والذين تبوءوا معطوف على المهاجرين وهم الأنصار فإن قلت ما معنى
عطف الإيمان على الدار ولا يقال تبوءوا الإيمان قلت معناه تبوءوا الدار وأخلصوا الإيمان كقوله
علفتها تبنا وماء باردا أو وجعلوا الإيمان مستقرا ومتوطنا لهم لتمكنهم منه واستقامتهم عليه كما
جعلوا المدينة كذلك أو أراد دار الهجرة ودار الإيمان فأقام لام التعريف في الدار مقام المضاف
إليه وحذف المضاف من دار الإيمان ووضع المضاف إليه مقامه أو سمى المدينة لأنها دار الهجرة ومكان
ظهور الإيمان بالإيمان **من قبلهم** من قبل المهاجرين لأنهم سبقوهم في تبوء دار الهجرة والإيمان وقيل
من قبل هجرتهم **يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم** ولا يعلمون في أنفسهم **حاجة مما**
أوتوا أي طلب محتاج إليه مما أوتي المهاجرون من الفيء وغيره والمحتاج إليه يسمى حاجة يقال خذ منه
حاجتك وأعطاه من ماله حاجته يعني أن نفوسهم لم تتبع ما أعطوا ولم تطمح إلى شيء منه يحتاج إليه

وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ اي خلة واصلها خصاص البيت وهي فروجه والجملة في محل الحال
اي مفروضة خصاصتهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم اموال بني النضير على المهاجرين ولم يعط
الانصار الا ثلاثة نفر محتاجين ابا دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة وقال لهم
ان شئتم قسمتم للمهاجرين من اموالكم ودياركم وشاركتموهم في هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم واموالكم
ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم لهم من اموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فنزلت
وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ الشح بالضم والكسر وقد قرئ بهما اللؤم وان تكون نفس الرجل كزة حريصة على
المنع كما قال
يمارس نفسا بين جنبيه كزة ... اذا هم بالمعروف قالت له مهلا
وقد اضيف الى النفس لانه غريزة فيها واما البخل فهو المنع نفسه ومنه قوله تعالى واحضرت الانفس الشح
ومن يوق شح نفسه ومن غلب ما امرته به نفسه وخالف هواها بمعونة الله وتوفيقه فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ
الظافرون بما ارادوا وقرئ ومن يوقّ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ عطف ايضا على المهاجرين وهم الذين
هاجروا من بعد وقيل التابعون باحسان يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا
تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ للذين بينهم وبينهم اخوة الكفر ولانهم كانوا يوالونهم ويواخونهم وكانوا معهم على المؤمنين
في السر لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ ولا نطيع فيكم في قتالكم
احدا من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ان حملنا عليه او في خذلانكم واخلاف ما وعدناكم من
النصرة وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ اي في مواعيدهم لليهود وفيه دليل على صحة النبوة لانه اخبار بالغيب
لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ فان قلت كيف قيل ولئن
نصروهم بعد الاخبار بانهم لا ينصرونهم قلت معناه ولئن نصروهم على الفرض والتقدير كقوله لئن اشركت ليحبطن
عملك وكما يعلم ما لا يكون لو كان كيف يكون والمعنى ولئن نصر المنافقون اليهود ليهزمن المنافقون ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ
بعد ذلك اي يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم او ليهزمن اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين
لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً مصدر رهب المبني للمفعول كانه قيل اشد مرهوبية وقوله فِي صُدُورِهِمْ دلالة على نفاقهم
يعني انهم يظهرون لكم في العلانية خوف الله وانتم اهيب في صدورهم مِنَ اللَّهِ فان قلت كانهم كانوا يرهبون
من الله حتى تكون رهبتهم منهم اشد قلت معناه ان رهبتهم في السر منكم اشد من رهبتهم من الله التي
يظهرونها لكم وكانوا يظهرون رهبة شديدة من الله ويجوز ان يريد ان اليهود يخافونكم في صدورهم اشد من
خوفهم من الله لانهم كانوا قوما اولي باس ونجدة وكانوا يتشجعون لهم مع اضمار الخيفة في صدورهم
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ لا يعلمون الله وعظمته حتى يخشوه حق خشيته لَا يُقَاتِلُونَكُمْ لا يقدرون على
مقاتلتكم جَمِيعًا مجتمعين متساندين يعني اليهود والمنافقين إِلَّا كائنين فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ بالخنادق والدروب
أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ دون ان يصحروا لكم ويبارزوكم لقذف الله الرعب في قلوبهم وان تاييد الله ونصرته معكم
وقرئ جدر بالتخفيف وجدار وجدر وهما الجدار بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ يعني ان الباس الشديد
الذي يوصفون به انما هو بينهم اذا اقتتلوا ولو قاتلوكم لم يبق لهم ذلك الباس والشدة لان الشجاع والعزيز
يذل عند محاربة الله ورسوله تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا مجتمعين ذوي الفة واتحاد وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى متفرقة لا الفة
بينها يعني ان بينهم احنا وعداوات فلا يتعاضدون حق التعاضد ولا يرمون عن قوس واحدة وهذا تجسير
للمؤمنين وتشجيع لقلوبهم على قتالهم ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ان تشتت القلوب مما يوهن قواهم
ويعين على ارواحهم كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا اي مثلهم كمثل اهل بدر في زمان قريب فان قلت بم
انتصب قريبا قلت بمثل اذ التقدير كوجود مثل اهل بدر قريبا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ سوء عاقبة كفرهم
وعداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم من قولهم كلاء وبيل وخيم سيء العاقبة يعني ذاقوا عذاب القتل
في الدنيا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ولهم في الآخرة عذاب النار كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ
قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ مثل المنافقين في اغرائهم اليهود على القتال ووعدهم
اياهم النصر ثم متاركتهم لهم واخلافهم فهم كمثل الشيطان اذا استغوى الانسان بكيده ثم تبرأ منه في العاقبة
والمراد استغواؤه قريشا يوم بدر وقوله لهم لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم الى قوله اني بريء
منكم فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ وقرأ ابن مسعود خالدان فيها
على انه خبر ان وفي النار لغو وعلى القراءة المشهورة الظرف مستقر وخالدين فيها حال وقرئ انا بريء

وعاقبتهما

وعاقبتهما بالرفع يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ
بِمَا تَعْمَلُونَ كرر الامر بالتقوى تاكيدا او اتقوا الله في اداء الواجبات لانه قرن بما هو عمل واتقوا الله في
ترك المعاصي لانه قرن بما يجري مجرى الوعيد والغد يوم القيمة سماه باليوم الذي يلي يومك تقريبا له وعن
الحسن لم يزل يقربه حتى جعله كالغد ونحوه قوله كان لم تغن بالامس يريد تقريب الزمان الماضي
وقيل عبر عن الآخرة بالغد كان الدنيا والآخرة نهاران يوم وغد فان قلت ما معنى تنكير النفس والغد
قلت اما تنكير النفس فاستقلال للانفس النواظر فيما قدمن للآخرة كانه قال فلتنظر نفس واحدة
في ذلك واما تنكير الغد فلتعظيمه وابهام امره كانه قيل لغد لا يعرف كنهه لعظمه وعن مالك بن دينار
مكتوب على باب الجنة وجدنا ما عملنا ربحنا ما قدمنا خسرنا ما خلفنا وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ
أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ فجعلهم ناسين حقها بالخذلان حتى لم يسعوا لها بما ينفعهم عنده
او فاراهم يوم القيمة من الاهوال ما نسوا فيه انفسهم كقوله لا يرتد اليهم طرفهم لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ
وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ هذا تنبيه للناس وايذان بانهم لفرط غفلتهم وقلة فكرهم
في العاقبة وتهالكهم على ايثار العاجلة واتباع الشهوات كانهم لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار والبون
العظيم بين اصحابهما وان الفوز مع اصحاب الجنة فمن حقهم ان يعلموا ذلك وينبهوا عليه كما تقول لمن
يعق اباه هو ابوك تجعله بمنزلة من لا يعرفه فتنبهه بذلك على حق الابوة الذي يقتضي البر والتعطف وقد
استدل اصحاب الشافعي بهذه الآية على ان المسلم لا يقتل بالكافر وان الكفار لا يملكون اموال المسلمين بالقهر
لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ هذا تمثيل وتخييل كما في قوله
انا عرضنا الامانة وقد دل عليه وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ والغرض توبيخ الانسان
على قسوة قلبه وقلة تخشعه عند تلاوة القرآن وتدبر قوارعه وزواجره وقرئ مصدعا على الادغام
وتلك الامثال اشارة الى هذا المثل والى امثاله في مواضع من التنزيل هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ الغيب المعدوم والشهادة الموجود المدرك كانه يشاهد وقيل ما غاب عن
العباد وما شاهدوه وقيل السر والعلانية وقيل الدنيا والآخرة هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ
السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ
لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى القدوس بالفتح والضم وقد قرئ بهما البليغ في النزاهة ونظيره السبوح وفي تسبيح
الملائكة سبوح قدوس رب الملائكة والروح والسلام بمعنى السلامة ومنه دار السلام وسلام عليكم وصف
به مبالغة في كونه سليما من النقائص او في اعطائه السلامة والمؤمن واهب الامن وقرئ بفتح الميم
بمعنى المؤمن به على حذف الجار كما تقول في قوم موسى من قوله واختار موسى قومه المختارون بلفظ صفة
السبعين والمهيمن الرقيب على كل شيء الحافظ له مفيعل من الامن الا ان همزته قلبت هاء والجبار
القاهر الذي جبر خلقه على ما اراد او احرة والمتكبر البليغ الكبرياء والعظمة وقيل المتكبر عن ظلم
عباده والخالق المقدر لما يوجده والبارئ المميز بعضه من بعض بالاشكال المختلفة والمصور الممثل
وعن حاطب انه قرأ البارئ المصور بفتح الواو ونصب الراء اي الذي يبرأ المصور اي يميز ما يصوره
بتفاوت الهيئات يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وقرأ ابن مسعود وما في الارض
عن ابي هريرة رضي الله عنه سألت حبيبي صلى الله عليه وسلم عن اسم الله الاعظم فقال عليك باخر الحشر فاكثر
قراءته فاعدت عليه فاعاد علي فاعدت عليه فاعاد علي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحشر
غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

سورة الممتحنة مدنية وهي ثلاث عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

روي ان مولاة لابي عمرو بن صيفي بن هاشم يقال لها سارة اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالمدينة وهو يتجهز للفتح فقال لها امسلمة جئت قالت لا قال افمهاجرة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت
كنتم الاهل والموالي والعشيرة وقد ذهبت الموالي تعني قتلوا يوم بدر فاحتجت حاجة شديدة فحث
عليها بني عبد المطلب فكسوها وحملوها وزودوها فاتاها حاطب بن ابي بلتعة واعطاها عشرة
دنانير وكساها بردا واستحملها كتابا الى اهل مكة نسخته من حاطب بن ابي بلتعة الى اهل مكة اعلموا ان رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل بالخبر فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
عليا وعمارا وعمر وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد وكانوا فرسانا وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ
فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب الى اهل مكة فخذوه منها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها فجحدت
وحلفت فهموا بالرجوع فقال علي رضي الله عنه والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وسل سيفه وقال اخرجي الكتاب او تضعي راسك فاخرجته من عقاص شعرها وروي ان رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم امن جميع الناس يوم الفتح الا اربعة هي احدهم فاستحضر رسول الله حاطبا وقال ما حملك
عليه فقال يا رسول الله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا احببتهم منذ فارقتهم ولكني
كنت امرأ ملصقا في قريش وروي عزيزا فيهم اي غريبا ولم اكن من انفسها وكل من معك من المهاجرين لهم
قرابات بمكة يحمون اهاليهم واموالهم غيري فخشيت على اهلي واردت ان اتخذ عندهم يدا وقد علمت ان الله
ينزل عليهم باسه وان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه وقبل عذره فقال عمر دعني يا رسول الله اضرب عنق
هذا المنافق فقال وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ففاضت عينا
عمر وقال الله ورسوله اعلم فنزلت يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء عدى اتخذ
الى مفعوليه وهما عدوي واولياء والعدو فعول من عدا كعفو من عفا ولكونه على زنة المصدر اوقع على
الجمع ايقاعه على الواحد فان قلت تلقون إليهم بالمودة بم يتعلق قلت يجوز ان يتعلق بلا تتخذوا حالا
من ضميره وباولياء صفة له ويجوز ان يكون استئنافا فان قلت اذا جعلته صفة لاولياء وقد جرى على غير
من هو له فاين الضمير البارز وهو قولك تلقون اليهم انتم بالمودة قلت ذلك انما اشترطوه في الاسماء
دون الافعال لو قيل اولياء ملقين اليهم بالمودة على الوصف لما كان بد من الضمير البارز والالقاء عبارة عن ايصال
المودة والافضاء بها اليهم يقال القى اليه خراشي صدره اذا افضى اليه بشقوره والباء في المودة اما زائدة مؤكدة للتعدي
مثلها في ولا تلقوا بايديكم واما ثابتة على ان مفعول تلقون محذوف معناه تلقون اليهم اخبار رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم بسبب المودة التي بينكم وبينهم وكذلك قوله تسرون اليهم بالمودة اي تفضون اليهم بمودتكم سرا
وتسرون اليهم اسرار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسبب المودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون
الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون
إليهم بالمودة فان قلت وقد كفروا حال مماذا قلت اما من لا تتخذوا واما من تلقون اي لا تتولوهم ولا تودوهم
وهذه حالهم ويخرجون استئناف كالتفسير لكفرهم وعتوهم او حال من كفروا وان تؤمنوا تعليل ليخرجون
اي يخرجونكم لايمانكم ان كنتم خرجتم متعلق بلا تتخذوا يعني لا تتولوا اعدائي ان كنتم اوليائي وقول النحويين في مثله
هو شرط جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه وتسرون استئناف ومعناه اي طائل لكم في اسراركم وأنا أعلم
بما أخفيتم وما أعلنتم وقد علمتم ان الاخفاء والاعلان سيان في علمي لا تفاوت بينهما وانا مطلع رسولي
على ما تسرون ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل فقد اخطأ طريق الحق والصواب وقرأ الجحدري
لما جاءكم اي كفروا لاجل ما جاءكم بمعنى ان ما كان يجب ان يكون سبب ايمانهم جعلوه سببا لكفرهم إن يثقفوكم
ان يظفروا بكم ويتمكنوا منكم يكونوا لكم أعداء خالصي العداوة ولا يكونوا لكم اولياء كما انتم ويبسطوا
إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء بالقتال والشتم وودوا لو تكفرون وتمنوا لو ترتدون عن
دينكم فاذن موادة امثالهم ومناصحتهم خطأ عظيم منكم ومغالطة لانفسكم ونحوه قوله تعالى لا يألونكم
خبالا فان قلت كيف اورد جواب الشرط مضارعا مثله ثم قال وودوا بلفظ الماضي قلت الماضي وان كان
يجري في باب الشرط مجرى المضارع في علم الاعراب فان فيه نكتة كانه قيل وودوا قبل كل شيء كفركم
وارتدادكم يعني انهم يريدون ان يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين جميعا من قتل الانفس وتمزيق الاعراض
وردكم كفارا اسبق المضار عندهم واولها لعلمهم ان الدين اعز عليكم من ارواحكم لانكم بذالون
لها دونه والعدو اهم شيء عنده ان يقصد اعز شيء عند صاحبه لن تنفعكم أرحامكم اي قراباتكم
ولا أولادكم الذين توالون الكفار من اجلهم وتتقربون اليهم محاماة عليهم ثم قال يوم القيامة يفصل بينكم
وبين اقاربكم واولادكم يوم يفر المرء من اخيه الاية فما لكم ترفضون حق الله مراعاة لحق من يفر منكم غدا
خطأ رايهم في موالاة الكفار بما يرجع الى حال من والوه اولا ثم بما يرجع الى حال من اقتضى تلك الموالاة
ثانيا ليريهم ان ما اقدموا عليه من اي جهة نظرت فيه وجدته باطلا وقرئ يفصل ويفصل على البناء
للفاعل وهو الله عز وجل ونفصل ونفصل بالنون والله بما تعملون بصير قد كانت لكم أسوة حسنة

في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا
بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده قرئ إسوة وأسوة وهي اسم المؤتسى
به اي كان فيهم مذهب حسن مرضي بان يؤتسى به ويتبع اثره وهو قولهم لكفار قومهم ما قالوا حيث
كاشفوهم بالعداوة وقشروا لهم العصا واظهروا البغضاء والمقت وصرحوا بان سبب عداوتهم
وبغضائهم ليس الا كفرهم بالله وما دام هذا السبب قائما كانت العداوة قائمة حتى ازالوه وامنوا
بالله وحده انقلبت العداوة موالاة والبغضاء محبة والمقت مقة فافصحوا عن محض الاخلاص
ومعنى كفرنا بكم بما تعبدون من دون الله انا لا نعتد بشانكم ولا بشان آلهتكم وما انتم عندنا على
شيء فان قلت مم استثنى قوله إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك قلت من قوله اسوة حسنة
لانه اراد بالاسوة الحسنة قولهم الذي حق عليهم ان يأتسوا به ويتخذوه سنة يستنون بها فان قلت فان
كان قوله لاستغفرن لك مستثنى من القول الذي هو اسوة حسنة فما بال قوله وما أملك لك من الله من
شيء وهو غير حقيق بالاستثناء الا ترى الى قوله قل فمن يملك لكم من الله شيئا قلت اراد استثناء جملة قوله
لابيه والقصد الى موعد الاستغفار فان قلت بم اتصل قوله ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك
المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم قلت بما قبل
الاستثناء وهو من جملة الاسوة الحسنة ويجوز ان يكون المعنى قولوا ربنا امرا من الله تعالى للمؤمنين بان
يقولوه وتعليما منه لهم تتميما لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفار والايتساء بابراهيم
وقومه في البراءة منهم وتنبيها على الانابة الى الله والاستعاذة به من فتنة اهل الكفر والاستغفار مما
فرط منهم وقرئ برآء كشركاء وبراء كظراف وبراء على ابدال الضم من الكسر كرخال ورباب
وبراء على الوصف بالمصدر والبراء والبراءة كالظماء والظماءة لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة
ثم كرر الحث على الايتساء بابراهيم وقومه تقريرا وتأكيدا عليهم ولذلك جاء به مصدرا بالقسم
لانه الغاية في التأكيد وابدل عن قوله لكم قوله لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وعقبه بقوله
ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد فلم يترك نوعا من التأكيد الا جاء به ولما نزلت هذه الاية
شدد المؤمنون في عداوة آبائهم وابنائهم وجميع اقربائهم من المشركين ومقاطعتهم فلما راى الله عز وجل
منهم الجد والصبر على الوجه الشديد وطول التمني للسبب الذي يبيح لهم الموالاة والمواصلة رحمهم
فوعدهم تيسير ما تمنوه فلما يسر فتح مكة اظفرهم الله بامنيتهم فاسلم قومهم وتم بينهم من التحاب
والتصافي ما تم وقيل تزوج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ام حبيبة فلانت عند ذلك عريكة ابي سفيان
واسترخت شكيمته في العداوة وكانت ام حبيبة قد اسلمت وهاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش الى
الحبشة فتنصر وارادها على النصرانية فابت وصبرت على دينها فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
الى النجاشي فخطبها عليه وساق عنه اليها مهرها اربعمائة دينار فبلغ ذلك اباها فقال ذلك الفحل لا يقدع انفه عسى الله أن
يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة وعسى وعد من الله تعالى على عادات الملوك حيث
يقولون في بعض الحوائج عسى او لعل فلا تبقى شبهة للمحتاج في تمام ذلك او قصد به اطماع المؤمنين
والله قدير على تقليب القلوب وتغيير الاحوال وتسهيل اسباب المودة والله غفور رحيم لمن اسلم
من المشركين لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم
وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم
من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ان تبروهم
بدل من الذين لم يقاتلوكم وكذلك ان تولوهم من الذين قاتلوكم والمعنى لا ينهاكم عن مبرة هؤلاء انما ينهاكم عن تولي
هؤلاء وهذا ايضا رحمة لهم لتشددهم وجدهم في العداوة متقدمة لرحمته بتيسير اسلام قومهم حيث
رخص لهم في صلة من لم يجاهر منهم بقتال المؤمنين واخراجهم من ديارهم وقيل اراد بهم خزاعة وكانوا
صالحوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه وعن مجاهد هم الذين امنوا بمكة ولم يهاجروا
وقيل هم النساء والصبيان وقيل قدمت على اسماء بنت ابي بكر امها قتيلة بنت عبد العزى وهي مشركة
بهدايا فلم تقبلها ولم تاذن لها في الدخول فنزلت فامرها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان تدخلها وتقبل
منها وتكرمها وتحسن اليها وعن قتادة نسختها اية القتال وتقسطوا اليهم وتقضوا اليهم بالقسط

ولا تظلموهم وناهيك بتوصية الله للمؤمنين ان يستعملوا القسط مع المشركين به ويتحاموا ظلمهم مترجمة عن حال مسلم يجترئ على اخيه المسلم **يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات** سماهن مؤمنات لتصديقهن بألسنتهن ونطقهن بكلمة الشهادة ولم يظهر منهن ما ينافي ذلك او لانهن مشارفات لثبات ايمانهن بالامتحان **فامتحنوهن** فابتلوهن بالحلف والنظر في الامارات ليغلب على ظنونكم صدق ايمانهن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للممتحنة بالله الذي لا اله الا هو ما خرجت من بغض زوج بالله ما خرجت رغبة عن ارض الى ارض بالله ما خرجت التماس دنيا بالله ما خرجت الا حبا لله ولرسوله **الله اعلم بايمانهن** منكم لانكم لا تكسبون فيه علما تطمئن معه نفوسكم وان استحلفتموهن ورزتم احوالهن وعند الله حقيقة العلم به **فان علمتموهن مؤمنات** العلم الذي تبلغه طاقتكم وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الامارات **فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن** فلا تردوهن الى ازواجهن المشركين لانه لا حل بين المؤمنة والمشرك **وآتوهم ما انفقوا** واعطوا ازواجهن مثل ما دفعوا اليهن من المهور وذلك ان صلح الحديبية كان على ان من اتاكم من اهل مكة رد اليهم ومن اتى مكة منكم لم يرد اليكم وكتبوا بذلك كتابا وختموه فجاءت سبيعة بنت الحارث الاسلمية مسلمة والنبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية فاقبل زوجها مسافر المخزومي وقيل صيفي بن الراهب فقال يا محمد اردد علي امرأتي فانك قد شرطت لنا ان ترد علينا من اتاك منا وهذه طينة الكتاب لم تجف فنزلت بيانا لان الشرط انما كان في الرجال دون النساء وعن الضحاك كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين عهد ان لا يأتيك منا امرأة ليست على دينك الا رددتها الينا فان دخلت في دينك ولها زوج ان ترد على زوجها الذي انفق عليها وللنبي صلى الله عليه وسلم من الشرط مثل ذلك وعن قتادة ثم نسخ هذا الحكم وهذا العهد براءة فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفت فاعطى زوجها ما انفق وتزوجها عمر فان قلت كيف سمى الظن علما في قوله فان علمتموهن قلت ايذانا بان الظن الغالب وما يفضي اليه الاجتهاد والقياس جار مجرى العلم وان صاحبه غير داخل في قوله ولا تقف ما ليس لك به علم فان قلت فما فائدة قوله الله اعلم بايمانهن وذلك معلوم لا شبهة فيه قلت فائدته بيان ان لا سبيل لكم الى ما تطمئن به النفس ويثلج الصدر من الاحاطة بحقيقة ايمانهن فان ذلك مما استأثر به علام الغيوب وان ما يؤدي اليه الامتحان من العلم كاف في ذلك وان تكليفكم لا يعدوه **ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا آتيتموهن اجورهن** ثم نفى عنهم الجناح في تزوج هؤلاء المهاجرات اذا آتوهن اجورهن اي مهورهن لان المهر اجر البضع ولا يخلو اما ان يراد بها ما كان يدفع اليهن ليدفعنه الى ازواجهن فيشترط في اباحة تزوجهن تقديم ادائه واما ان يراد ان ذلك اذا دفع اليهن على سبيل القرض ثم تزوجهن على ذلك لم يكن به بأس واما ان يبين لهم ان ما اعطي ازواجهن لا يقوم مقام المهر وانه لا بد من اصداق وبه احتج ابو حنيفة على ان احد الزوجين اذا خرج من دار الحرب مسلما او بذمة وبقي الآخر حربيا وقعت الفرقة ولا يرى العدة على المهاجرة ويبيح نكاحها الا ان تكون حاملا **ولا تمسكوا بعصم الكوافر** والعصمة ما يعتصم به من عقد وسبب يعني اياكم واياهن ولا تكون بينكم وبينهن عصمة ولا علقة زوجية قال ابن عباس من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتدن بها من نسائه لان اختلاف الدارين قطع عصمتها منه وعن النخعي هي المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر وعن مجاهد امرهم بطلاق الباقيات مع الكفار ومفارقتهن **واسألوا ما انفقتم** من مهور ازواجكم اللاحقات بالكفار **وليسألوا ما انفقوا** من مهور نسائهم المهاجرات وقرئ ولا تمسكوا بالتثقيل ولا تمسكوا اي ولا تتمسكوا ولا تمسكوا بالتخفيف **ذلكم حكم الله** يعني جميع ما ذكر في هذه الآية **يحكم بينكم** كلام مستأنف او حال من حكم الله على حذف الضمير اي يحكمه الله او جعل الحكم حاكما على المبالغة **والله عليم حكيم** روي انه لما نزلت الآية ادى المؤمنون ما امروا به من اداء مهور المهاجرات الى ازواجهن المشركين وابى المشركون ان يردوا شيئا من مهور الكوافر الى ازواجهن المسلمين فنزل **وان فاتكم** وان سبقكم وانفلت منكم **شيء من ازواجكم** احد منهن **الى الكفار** وهو في قراءة ابن مسعود احد فان قلت هل لايقاع شيء في هذا الموضع فائدة قلت نعم الفائدة فيه ان لا يغادر شيء من هذا الجنس وان قل وحقر غير معوض منه تغليظا في هذا الحكم وتشديدا فيه **فعاقبتم** من العقبة وهي النوبة شبه ما حكم به على المسلمين والكافرين من اداء هؤلاء مهور نساء اولئك تارة واولئك مهور نساء هؤلاء اخرى بامر

يتعاقبون به كما يتعاقب في الركوب وغيره ومعناه فجاءت عقبتكم من اداء المهر **فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون** فآتوا من فاتته امرأته الى الكفار مثل مهرها من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر وهكذا عن الزهري يعطى من صداق من لحق بهم وقرئ فاعقبتم وعقبتم بالتشديد وعقبتم بالتخفيف بفتح القاف وكسرها فمعنى اعقبتم دخلتم في العقبة وعقبتم من عقبه اذا قفاه لان كل واحد من المتعاقبين يقفي صاحبه وكذلك عقبتم بالتخفيف يقال عقبه يعقبه وقال الزجاج فعاقبتم فاصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنمتم والذي ذهبت زوجته كان يعطى من الغنيمة المهر وفسر غيرها من القراءات فكانت العقبى لكم اي كانت الغلبة لكم حتى غنمتم وقيل جميع من لحق من المشركين من نساء المؤمنين المهاجرين راجعة عن الاسلام ست نسوة ام الحكم بنت ابي سفيان كانت تحت عياض بن شداد الفهري وفاطمة بنت امية كانت تحت عمر بن الخطاب وهي اخت ام سلمة وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان وعبدة بنت عبد العزى بن نضلة وزوجها عمرو بن عبدود وهند بنت ابي جهل كانت تحت هشام بن العاص وكلثوم بنت جرول كانت تحت عمر واعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مهور نسائهم من الغنيمة **يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن** وقرئ يقتلن بالتشديد يريد وأد البنات **ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن** كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدي منك كنى بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها عن الولد الذي تلصقه بزوجها كذبا لان بطنها الذي تحمله فيه بين اليدين وفرجها الذي تلده به بين الرجلين **ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم** ولا يعصينك في معروف فيما تأمرهن به من المحسنات وتنهاهن عنه من المقبحات وقيل كل ما وافق طاعة الله فهو معروف فان قلت لو اقتصر على قوله ولا يعصينك فقد علم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأمر الا بمعروف قلت نبه بذلك على ان طاعة المخلوق في معصية الخالق جديرة بغاية التوقي والاجتناب وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ يوم فتح مكة من بيعة الرجال اخذ في بيعة النساء وهو على الصفا وعمر بن الخطاب رضي الله عنه اسفل منه يبايعهن بامره ويبلغهن عنه وهند بنت عتبة امرأة ابي سفيان متقنعة متنكرة خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعرفها فقال عليه السلام ابايعكن على ان لا تشركن بالله شيئا فرفعت هند رأسها وقالت والله لقد عبدنا الاصنام وانك لتأخذ علينا امرا ما رأيناك اخذته على الرجال تبايع الرجال على الاسلام والجهاد فقال عليه السلام ولا تسرقن فقالت ان ابا سفيان رجل شحيح واني اصبت من ماله هنات فما ادري اتحل لي ام لا فقال ابو سفيان ما اصبت من شيء فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها وانك لهند بنت عتبة فقالت نعم فاعف عما سلف يا نبي الله عفا الله عنك فقال ولا يزنين فقالت او تزني الحرة وفي رواية ما زنت منا امرأة قط فقال ولا يقتلن اولادهن فقالت ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا فانتم وهم اعلم وكان ابنها حنظلة بن ابي سفيان قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولا يأتين ببهتان فقالت والله ان البهتان لامر قبيح وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق فقال ولا يعصينك في معروف فقالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي انفسنا ان نعصيك في شيء وقيل في كيفية المبايعة دعا بقدح من ماء فغمس فيه يده ثم غمسن ايديهن وقيل صافحهن وكان على يده ثوب قطري وقيل كان عمر يصافحهن عنه **يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم** روي ان بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم فقيل لهم لا تتولوا قوما مغضوبا عليهم **قد يئسوا من الآخرة** من ان يكون لهم حظ في الآخرة لعنادهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون انه الرسول المنعوت في التوراة **كما يئس الكفار من اصحاب القبور** من موتاهم ان يبعثوا ويرجعوا احياء وقيل من اصحاب القبور بيان للكفار اي كما يئس الكفار الذين قبروا من خير الآخرة لانهم تبينوا قبح حالهم وسوء منقلبهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيمة

سورة الصف مكية وهي اربع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم ۞ يا ايها الذين امنوا لم تقولون
ما لا تفعلون ۞ لم لام الاضافة دخلت على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر في قولك بم وفيم ومم
وعم والى م وعلام وانما حذفت الالف لان ما والحرف كشيء واحد ووقع استعمالهما كثيرا في كلام المستفهم
وقد جاء استعمال الاصل قليلا والوقف على زيادة هاء السكت او الاسكان ومن اسكن في الاصل فلاجرائه مجرى
الوقف كما سمع ثلثه اربعه بالهاء والقاء حركة الهمزة عليها محذوفة وهذا الكلام يتناول الكذب
واخلاف الموعد وروي ان المؤمنين قالوا قبل ان يؤمروا بالقتال لو نعلم احب الاعمال الى الله تعالى لعملنا ولبذلنا
فيه اموالنا وانفسنا فدلهم الله على الجهاد في سبيله فولوا يوم احد فعيرهم وقيل لما اخبر الله بثواب شهداء
بدر قالوا لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم احد ولم يفوا وقيل كان الرجل يقول قتلت ولم يقتل
وطعنت ولم يطعن وضربت ولم يضرب وصبرت ولم يصبر وقيل كان قد اذى المسلمين رجل ونكى
فيهم فقتله صهيب وانتحل قتله اخر فقال عمر لصهيب اخبر النبي صلى الله عليه وسلم انك قتلته فقال
انما قتلته لله ورسوله فقال عمر قتله يا رسول الله صهيب قال كذلك يا ابا يحيى قال نعم فنزلت في المنتحل
وعن الحسن نزلت في المنافقين ونداؤهم بالايمان تهكم بهم وبايمانهم كبر مقتا عند الله ان تقولوا
ما لا تفعلون ۞ هذا من افصح الكلام وابلغه في معناه قصد في كبر التعجب من غير لفظه كقوله كبرت كلمة تخرج من افواههم
ومعنى التعجب تعظيم الامر في قلوب السامعين لان التعجب لا يكون الا من شيء خارج
عن نظائره واشكاله واسند الى ان تقولوا ونصب مقتا على تفسيره دلالة على ان قولهم ما لا يفعلون مقت
خالص لا شوب فيه لفرط تمكن المقت منه واختير لفظ المقت لانه اشد البغض وابلغه ومنه قيل
نكاح المقت للعقد على امراة الاب ولم يقتصر على ان جعل البغض كبيرا حتى جعل اشده وافحشه وعند
الله ابلغ من ذلك لانه اذا ثبت كبر مقته عند الله فقد تم كبره وشدته وانزاحت عنه الشكوك
وعن بعض السلف انه قيل له حدثنا فسكت ثم قيل له حدثنا فقال تامرونني ان اقول ما لا افعل فاستعجل
مقت الله وقوله ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله عقيب ذكر المخلف دليل على ان المقت قد تعلق
بقول الذين وعدوا الثبات في قتال الكفار فلم يفوا وقرا زيد بن علي يقاتلون بفتح التاء وقري يقتلون
صفا صافين انفسهم او مصفوفين كانهم في تراصهم من غير فرجة وخلل حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان
المرصوص وعن بعضهم دليل على فضل القتال راجلا لان الفرسان لا يصطفون على هذه الصفة وقوله صفا كانهم
بنيان حالان متداخلان واذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني اذ منصوب باضمار اذكر او حين
قال لهم ما كان كذا وكذا تؤذونني وكانوا يؤذونه بانواع الاذى من انتقاصه وعيبه وجحود اياته
وعصيانه فيما تعود اليهم منافعه وعبادتهم البقر وطلبهم رؤية الله جهرة والتكذيب الذي هو
تضييع حق الله تعالى وحقه وقد تعلمون في موضع الحال اي تؤذونني عالمين علما يقينا اني رسول الله
اليكم وقضيته علمكم بذلك وموجبه تعظيمي وتوقيري لا ان تؤذونني وتستهينوا بي لان من
عرف الله وعظمته عظم رسوله ولان من اذاه كان وعيد الله لاحقا به فلما زاغوا عن الحق ازاغ الله
قلوبهم بان منع الطاقه والله لا يهدي القوم الفاسقين ۞ لا يلطف بهم لانهم ليسوا من اهل اللطف
فان قلت ما معنى قد في قوله وقد تعلمون قلت معناه التوكيد كانه قال وتعلمون علما يقينا لا شبهة
لكم فيه وإذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة
ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ۞ قيل انما قال
يا بني اسرائيل ولم يقل يا قوم كما قال موسى لانه لا نسب له فيهم فيكونوا قومه والمعنى ارسلت اليكم في حال
تصديقي ما تقدمني من التوراة وفي حال تبشيري برسول ياتي من بعدي يعني ان ديني التصديق بكتب الله
وانبيائه جميعا ممن تقدم وتاخر وقري من بعدي بسكون الياء وفتحها والخليل وسيبويه يختاران
الفتح وعن كعب ان الحواريين قالوا لعيسى عليه الصلوة والسلام يا روح الله هل بعدنا من امة قال
نعم امة احمد حكماء علماء ابرار اتقياء كانهم من الفقه انبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله
منهم باليسير من العمل فان قلت بم انتصب مصدقا ومبشرا ابما في الرسول من معنى الارسال ام بالكم
قلت بمعنى الارسال لان اليكم صلة للرسول فلا يجوز ان تعمل شيئا لان حروف الجر لا تعمل بانفسها
ولكن بما فيها من معنى الفعل فاذا وقعت صلات لم تتضمن معنى فعل فمن اين تعمل وقرى هذا ساحر
ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله لا يهدي القوم الظالمين ۞

واي الناس اشد ظلما ممن يدعوه ربه على لسان نبيه الى الاسلام الذي له فيه سعادة الدارين فيجعل
مكان اجابته اليه افتراء الكذب على الله بقوله لكلامه الذي هو دعاء عباده الى الحق هذا سحر لان السحر
كذب وتمويه وفي قراءة طلحة بن مصرف وهو يدعى بمعنى يدعي دعاه وادعاه كلمسه والتمسه وعنه
يدعى بمعنى يدعو وهو الله عز وجل يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم اصله يريدون ان يطفئوا
كما جاء في سورة براءة وكان هذه اللام زيدت مع فعل الارادة تاكيدا له لما فيها من معنى الارادة في قولك
جئتك لاكرامك كما زيدت اللام في لا اباك تاكيدا لمعنى الاضافة في لا اباك واطفاء نور الله بافواههم
تهكم بهم في ارادتهم ابطال الاسلام بقولهم في القران هذا سحر مثلت حالهم بحال من ينفخ في نور
الشمس بفيه ليطفئه والله متم نوره ولو كره الكافرون ۞ اي متم الحق ومبلغه غايته وقري
بالاضافة هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق الملة الحنيفية ليظهره ليعليه على الدين كله
ولو كره المشركون ۞ على جميع الاديان المخالفة له ولعمري لقد فعل فما بقي دين من الاديان الا وهو
مغلوب مقهور بدين الاسلام وعن مجاهد اذا نزل عيسى لم يكن في الارض الا دين الاسلام وقري ارسل نبيه
يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ۞ تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون
في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ۞ يغفر لكم ذنوبكم
ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم ۞
تنجيكم وقري مخففا ومثقلا وتؤمنون استيناف كانهم قالوا كيف نعمل فقال تؤمنون وهو خبر في معنى
الامر ولهذا اجيب بقوله يغفر لكم ويدل عليه قراءة ابن مسعود امنوا بالله ورسوله وجاهدوا
فان قلت لم جيء به على لفظ الخبر قلت للايذان بوجوب الامتثال وكانه امتثل فهو يخبر عن ايمان
وجهاد موجودين ونظيره قول الداعي غفر الله لك ويغفر الله لك جعلت المغفرة لقوة الرجاء كانها
كانت ووجدت فان قلت هل لقول الفراء انه جواب هل ادلكم وجه قلت وجهه ان متعلق الدلالة
هو التجارة والتجارة مفسرة بالايمان والجهاد وكانه قيل هل تتجرون بالايمان والجهاد يغفر لكم فان قلت فما وجه
قراءة زيد بن علي رضي الله عنه تؤمنوا وتجاهدوا قلت وجهها ان تكون على اضمار لام الامر كقوله
محمد تفد نفسك كل نفس ۞ اذا ما خفت من امر تبالا ۞
وعن ابن عباس انهم قالوا لو نعلم احب الاعمال الى الله لعملناها فنزلت هذه الاية فمكثوا ما شاء الله يقولون
ليتنا نعلم ما هي فدلهم الله عليها بقوله تؤمنون وهذا دليل على ان تؤمنون كلام مستانف وعلى ان الامر الوارد
على النفوس بعد تشوق وتطلع منها اليه اوقع فيها واقرب من قبولها له مما فوجئت به ذلكم يعني ما ذكر
من الايمان والجهاد خير لكم من اموالكم وانفسكم فان قلت ما معنى قوله ان كنتم تعلمون قلت
معناه ان كنتم تعلمون انه خير لكم كان خيرا لكم حينئذ لانكم اذا علمتم ذلك واعتقدتموه احببتم
الايمان والجهاد فوق ما تحبون انفسكم واموالكم فتخلصون وتفلحون واخرى تحبونها ولكم الى هذه
النعمة المذكورة من المغفرة والثواب في الاجلة نعمة اخرى عاجلة محبوبة اليكم ثم فسرها بقوله نصر من
الله وفتح قريب اي عاجل وهو فتح مكة وقال الحسن فارس والروم وفي تحبونها شيء من التوبيخ
على محبة العاجل فان قلت علام عطف قوله وبشر المؤمنين ۞ قلت على تؤمنون لانه في معنى الامر كانه
قيل امنوا وجاهدوا يثبكم الله وينصركم وبشر يا رسول الله المؤمنين بذلك فان قلت لم نصب من
قرا نصرا من الله وفتحا قريبا قلت يجوز ان ينتصب على الاختصاص او على تنصرون نصرا ويفتح لكم فتحا
او على يغفر لكم ويدخلكم جنات ويؤتكم اخرى نصرا وفتحا يا ايها الذين امنوا كونوا
انصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار
الله وقري كونوا انصارا لله وانصار الله وقرا ابن مسعود كونوا انتم انصار الله وفيه زيادة
حث على النصرة عليهم فان قلت ما وجه صحة التشبيه وظاهره تشبيه كونهم انصارا بقول عيسى
صلى الله عليه من انصاري الى الله قلت التشبيه محمول على المعنى وعليه يصح والمراد كونوا انصار
الله كما كان الحواريون انصار عيسى حين قال لهم من انصاري الى الله فان قلت ما معنى قوله من
انصاري الى الله قلت يجب ان يكون معناه مطابقا لجواب الحواريين نحن انصار الله والذي
يطابقه ان يكون المعنى من جندي متوجها الى نصرة الله واضافة انصاري خلاف اضافة انصار
الله فان معنى نحن انصار الله نحن الذين ينصرون الله ومعنى من انصاري من الانصار الذين

تاكيدا

والتجارة

٢٧

تحبونها

يختصون

حاجة جنس ولا ... بنيانها بعضها على بعض

نبيان مرصوص

علماء
بعظمه
تعظيم رسوله

ي ويكونون معي في نصرة الله ولا يصح ان يكون معناه من ينصرني مع الله لانه لا يطابق الجواب والدليل عليه
قراءة من قرأ من انصار الله والحواريون اصفياؤه وهم اول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلا وحواري الرجل
صفيه وخلصانه من الحور وهو البياض الخالص والحواري الدرمك ومنه قوله عليه السلام الزبير
ابن عمتي وحواريي من امتي وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب اي يبيضونها وبطن الحواري في زمانه
الحواري الكثير الخير فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم
فأصبحوا ظاهرين ۝ فآمنت طائفة منهم بعيسى وكفرت طائفة فايدنا مؤمنيهم على كفارهم فظهروا
عليهم وعن زيد بن علي كان ظهورهم بالحجة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الصف كان
عيسى مصليا عليه مستغفرا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيمة رفيقه

سورة الجمعة مدنية وهي احدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في
السموات وما في الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم ۝ قرئت صفات الله عز وجل
بالرفع على المدح كانه قيل هو الملك القدوس ولو قرئت منصوبة لكان وجها كقول العرب الحمد لله
اهل الحمد هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم الامي منسوب الى امة العرب لانهم كانوا لا يكتبون ولا
يقرؤون من بين الامم وقيل بدأت الكتابة بالطائف اخذوها من اهل الحيرة واهل الحيرة من اهل الانبار ومعنى
بعث في الاميين رسولا منهم بعث رجلا اميا في قوم اميين كما جاء في حديث شعيا اني ابعث اعمى في
عميان واميا في اميين وقيل منهم كقوله من انفسكم يعلمون نسبه واحواله وقرئ في الأمين بحذف
ياء النسبة يتلو عليهم آياته يقرؤها عليهم مع كونه اميا مثلهم لم يعهد منه قراءة ولم يعرف بتعلم وقراءة امي بالآية
بينة ويزكيهم ويطهرهم من الشرك وخبائث الجاهلية ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والسنة وان
وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ۝ هي المخففة من الثقيلة واللام دليل عليها اي كانوا في ضلال لا ترى
ضلالا اعظم منه وآخرين منهم لما يلحقوا بهم واخرين مجرور عطف على الاميين يعني انه بعثه في الاميين الذين
على عهده وفي آخرين من الاميين لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون بهم وهم الذين بعد الصحابة رضي الله عنهم
وقيل لما نزلت قيل من هم يا رسول الله فوضع يده على سلمان ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لتناوله رجال
من هؤلاء وقيل هم الذين يأتون من بعدهم الى يوم القيمة ويجوز ان ينتصب عطفا على المنصوب في ويعلمهم
اي يعلمهم ويعلم آخرين لان التعليم اذا تناسق الى آخر الزمان كان كله مستندا الى اوله فكانه هو الذي
تولى كل ما وجد منه وهو العزيز الحكيم ۝ في تمكينه رجلا اميا من ذلك الامر العظيم وتاييده
عليه واختياره اياه من بين كافة البشر ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ۝
ذلك الفضل الذي اعطاه محمدا وهو ان يكون نبي ابناء عصره ونبي ابناء العصور الغوابر هو فضل الله
يؤتيه من يشاء اعطاءه وتقتضيه حكمته مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل
أسفارا شبه اليهود في انهم حملة التوراة وقراؤها وحفاظ ما فيها ثم انهم غير عاملين بها ولا منتفعين
بآياتها وذلك ان فيها نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم والبشارة به ولم يؤمنوا به بالحمار حمل اسفارا
اي كتبا كبارا من كتب العلم فهو يمشي بها ولا يدري منها الا ما يمر بجنبه وظهره من الكد والتعب
وكل من علم ولم يعمل به فهذا مثله وبئس المثل بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي
القوم الظالمين ۝ وهم اليهود الذين كذبوا بآيات الله الدالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
ومعنى حملوا التوراة كلفوا علمها والعمل بها ثم لم يحملوها ثم لم يعملوا بها فكانهم لم يحملوها وقرئ حملوا التوراة
اي حملوها ثم لم يحملوها في الحقيقة لفقد العمل وقرئ يحمل الاسفار فان قلت يحمل ما محله قلت النصب
على الحال او الجر على الوصف لان الحمار كاللئيم في قوله ولقد امر على اللئيم يسبني قل يا أيها الذين هادوا هاد
يهود اذا تهود إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ۝ كانوا
يقولون نحن ابناء الله واحباؤه اي ان كان قولكم حقا وكنتم على ثقة فتمنوا على الله ان يميتكم وينقلكم
سريعا الى دار كرامته التي اعدها لاوليائه ثم قال ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم
بالظالمين ۝ بسبب ما قدموا من الكفر وقد قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يقولها

احد منكم الا غص بريقه فلولا انهم كانوا موقنين بصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم لتمنوا ولكنهم
علموا انهم لو تمنوا لماتوا من ساعتهم ولحقهم الوعيد فما تمالك احد منهم ان يتمنى وهي احدى المعجزات وقرئ
فتمنوا الموت بكسر الواو تشبيها بلو استطعنا لخرجنا معكم ولا فرق بين لا ولن في ان كل واحدة
منهما نفي للمستقبل الا ان في لن تاكيدا وتشديدا ليس في لا فاتى مرة بلفظ التاكيد ولن يتمنوه
ومرة بغير لفظه ولا يتمنونه قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون
إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ۝ ثم قيل لهم ان الموت الذي تفرون منه ولا
تجسرون ان تتمنوه خيفة ان تؤخذوا بوبال كفركم لا تفوتونه وهو ملاقيكم لا محالة ثم تردون
الى الله فيجازيكم بما انتم اهله من العقاب وقرأ زيد بن علي انه ملاقيكم وفي قراءة ابن مسعود تفرون
منه ملاقيكم وهي ظاهرة فاما التي بالفاء فلتضمن الذي معنى الشرط وقد جعل ان الموت الذي
تفرون منه كلاما برأسه وفي قراءة زيد ان الموت هو الشيء الذي تفرون منه ثم استونف انه
ملاقيكم يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلوة من يوم الجمعة يوم الجمعة يوم الفوج المجموع
كقولهم ضحكة للمضحوك منه ويوم الجمعة بفتح الميم يوم الوقت الجامع كقولهم ضحكة ولعنة ويوم
الجمعة تثقيل للجمعة كما قيل عسرة في عسرة وقرئ بهن جميعا فان قلت من في قوله من يوم الجمعة ما هي
قلت هي بيان لاذا وتفسير له والنداء الاذان وقالوا المراد به الاذان عند قعود الامام على المنبر وقد
كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذن واحد فكان اذا جلس على المنبر اذن على باب المسجد فاذا نزل اقام
الصلوة ثم كان ابو بكر وعمر على ذلك حتى اذا كان عثمان وكثر الناس وتباعدت المنازل زاد مؤذنا آخر فامر
بالتاذين الاول على داره التي تسمى زوراء فاذا جلس على المنبر اذن المؤذن الثاني فاذا نزل اقام للصلوة
فلم يعب عليه وقيل اول من سماها جمعة كعب بن لؤي وكان يقال لها العروبة وقيل ان الانصار قالوا
لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة ايام وللنصارى مثل ذلك فهلموا نجعل لنا يوما نجتمع فيه فنذكر
الله فيه ونصلي فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الى
سعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فانزل الله آية الجمعة
فهي اول جمعة كانت في الاسلام واما اول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي انه لما قدم المدينة مهاجرا
نزل قباء على بني عمرو بن عوف واقام بها يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس واسس مسجدهم ثم خرج
يوم الجمعة عامدا المدينة فادركته صلوة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم فخطب وصلى
الجمعة وعن بعضهم قد ابطل الله قول اليهود في ثلاث افتخروا بانهم اولياء الله واحباؤه فكذبهم
في قوله فتمنوا الموت ان كنتم صادقين وبانهم اهل الكتاب والعرب لا كتاب لهم فشبههم بالحمار يحمل
اسفارا وبالسبت وانه ليس للمسلمين مثله فشرع الله لهم الجمعة وعن النبي صلى الله عليه وسلم خير
يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه ادخل الجنة وفيه اهبط الى الارض وفيه تقوم الساعة
وهو عند الله يوم المزيد وعنه عليه السلام اتاني جبريل وفي كفه مرآة بيضاء وقال هذه الجمعة
يعرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولامتك من بعدك وهو سيد الايام عندنا ونحن ندعوه الى الآخرة
يوم المزيد وعنه ان لله في كل جمعة ستمائة الف عتيق من النار وعن كعب ان الله فضل من البلدان مكة
ومن الشهور رمضان ومن الايام الجمعة وقال عليه السلام من مات يوم الجمعة كتب الله له اجر شهيد ووقي
فتنة القبر وفي الحديث اذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على ابواب المسجد بايديهم صحف من فضة
واقلام من ذهب يكتبون الاول فالاول على مراتبهم وكانت الطرقات في ايام السلف وقت السحر وبعد
الفجر مغتصة بالمبكرين الى الجمعة يمشون بالسرج وقيل اول بدعة احدثت في الاسلام ترك البكور
الى الجمعة وعن ابن مسعود انه بكر فرأى ثلاثة نفر سبقوه فاغتم واخذ يعاتب نفسه ويقول اراك رابع
اربعة وما رابع اربعة ببعيد ولا تقام الجمعة عند ابي حنيفة رحمه الله الا في مصر جامع والمصر الجامع
ما اقيمت فيه الحدود ونفذت فيه الاحكام ومن شروطها الامام او من يقوم مقامه لقوله عليه السلام فمن
تركها وله امام عادل او جائر الحديث وقوله اربع الى الولاة الفيء والصدقات والحدود والجمعات فان
ام رجل بغير اذن الامام او من ولاه من قاض او صاحب شرطة لم يجز فان لم يمكن الاستيذان فاجتمعوا
على واحد وصلى بهم جاز وهي تنعقد بثلاثة سوى الامام وعند الشافعي باربعين ولا جمعة على المسافرين
والعبيد والنساء والمرضى والزمنى ولا على الاعمى عند ابي حنيفة ولا على الشيخ الذي لا يمشي الا بقائد

فاسعوا وقرأ ابن عباس وابن مسعود وغيرهم فامضوا وعن عمر رضي الله عنه أنه سمع رجلا يقرأ فاسعوا فقال من
أقرأك هذا فقال أبي فقال لا يزال يقرأ بالمنسوخ لو كانت فاسعوا لسعيت حتى يسقط ردائي وقيل المراد بالسعي القصد
دون العدو والسعي التصرف في كل عمل ومنه قوله تعالى فلما بلغ معه السعي وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وعن
الحسن ليس السعي على الأقدام ولكنه على النيات والقلوب وذكر محمد بن الحسن رحمه الله في موطئه أن عمر
سمع الإقامة وهو بالبقيع فأسرع المشي قال محمد وهذا لا بأس به إذا لم يجهد نفسه **إلى ذكر الله** إلى الخطبة
والصلاة ولتسمية الله الخطبة ذكرا له قال أبو حنيفة رحمه الله إن اقتصر الخطيب على مقدار يسمى
ذكر الله كقوله الحمد لله سبحان الله جاز وعن عثمان رضي الله عنه أنه صعد المنبر فقال الحمد لله وارتج عليه
فقال إن أبا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا وإنكم إلى إمام فعال أحوج منكم إلى إمام قوال وستأتيكم الخطب
ثم نزل وكان ذلك بحضرة الصحابة ولم ينكر عليه أحد وعند صاحبيه والشافعي لا بد من كلام يسمى خطبة
فإن قلت كيف يفسر ذكر الله بالخطبة وفيها ذكر غير الله قلت ما كان من ذكر رسول الله والثناء
عليه وعلى خلفائه الراشدين وأتقياء المؤمنين والموعظة والتذكير فهو في حكم ذكر الله فأما ما عدا
ذلك من ذكر الظلمة وألقابهم والثناء عليهم والدعاء لهم وهم أحقاء بعكس ذلك فمن ذكر الشيطان وهو من
ذكر الله على مراحل وإذا قال المنصت للخطبة لصاحبه صه فقد لغا أفلا يكون الخطيب الغالي في ذلك لاغيا
نعوذ بالله من غربة الإسلام ونكد الأيام **وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون** ⑨
أراد الأمر بترك ما يذهل عن ذكر الله من شواغل الدنيا وإنما خص البيع من بينها لأن يوم الجمعة يوم يهبط
الناس فيه من قراهم وبواديهم وينصبون إلى المصر من كل أوب ووقت هبوطهم واجتماعهم واغتصاص
الأسواق بهم إذا انتفخ النهار وتعالى الضحى ودنا وقت الظهيرة وحينئذ تحر التجارة ويتكاثر البيع والشراء
فلما كان الوقت مظنة الذهول بالبيع عن ذكر الله والمضي إلى المسجد قيل لهم بادروا تجارة الآخرة واتركوا
تجارة الدنيا واسعوا إلى ذكر الله الذي لا شيء أنفع منه وأربح وذروا البيع الذي نفعه يسير
وربحه متقارب فإن قلت فإذا كان البيع في هذا الوقت مأمورا بتركه فهل هو فاسد قلت
عامة العلماء على أن ذلك لا يوجب فساد البيع قالوا لأن البيع لم يحرم لعينه ولكن لما فيه من
الذهول عن الواجب فهو كالصلاة في الأرض المغصوبة والثوب المغصوب والوضوء بماء مغصوب وعن
بعض الناس أنه فاسد **فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا
لعلكم تفلحون** ⑩ ثم أطلق لهم ما حظر عليهم بعد قضاء الصلاة من الانتشار وابتغاء الربح مع التوصية
بإكثار الذكر وأن لا يلهيهم شيء من تجارة ولا غيرها عنه وأن تكون هممهم في جميع أحوالهم وأوقاتهم موكلة به
لا ينفضون عنه لأن فلاحهم فيه وفوزهم منوط به وعن ابن عباس لم يؤمروا بطلب شيء من الدنيا إنما هو عيادة
المرضى وحضور الجنائز وزيارة أخ في الله وعن الحسن وسعيد بن المسيب طلب العلم وقيل صلاة التطوع
وعن بعض السلف أنه كان يشغل نفسه بعد الجمعة بشيء من أمور الدنيا نظرا في هذه الآية **وإذا رأوا
تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين** ⑪
روي أن أهل المدينة أصابهم جوع وغلاء شديد فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام والنبي صلى الله
عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقاموا إليه وخشوا أن يسبقوا إليه فما بقي معه إلا يسير قيل ثمانية
وأحد عشر واثنا عشر وأربعون فقال عليه الصلاة والسلام والذي نفس محمد بيده لو خرجوا جميعا لأضرم الله
عليهم الوادي نارا وكانوا إذا أقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق فهو المراد باللهو وعن قتادة فعلوا
ذلك ثلاث مرات في كل مقدم عير فإن قلت فإن اتفق تفرق الناس عن الإمام في صلاة الجمعة كيف يصنع
قلت إن بقي وحده أو مع أقل من ثلاثة فعند أبي حنيفة يستأنف الظهر إذا نفروا عنه قبل الركوع وعند
صاحبيه إذا كبروا هم معه مضى فيها وعند زفر إذا نفروا قبل التشهد بطلت فإن قلت كيف قال إليها وقد ذكر
شيئين قلت تقديره إذا رأوا تجارة انفضوا إليها أو لهوا انفضوا إليه فحذف أحدهما لدلالة المذكور
عليه وكذلك قراءة من قرأ انفضوا إليه وقراءة من قرأ لهوا أو تجارة انفضوا إليها وقرئ إليهما عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجمعة أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من أتى الجمعة وبعدد من لم يأتها في أمصار
المسلمين

سورة المنافقون مدنية وهي احدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا جاءك

**إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد
إن المنافقين لكاذبون** ① أرادوا بقولهم نشهد إنك لرسول الله شهادة واطأت فيها قلوبهم ألسنتهم فقال الله عز وجل
قالوا ذلك والله يعلم أن الأمر كما يدل عليه قولهم إنك لرسول الله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون في قولهم
نشهد وادعائهم فيه المواطأة وإنهم لكاذبون فيه لأنه إذا خلا عن المواطأة لم يكن شهادة في الحقيقة فهم
كاذبون في تسميته شهادة أو أراد والله يشهد إنهم لكاذبون عند أنفسهم لأنهم كانوا يعتقدون أن قولهم
إنك لرسول الله كذب وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه أي فائدة في قوله والله يعلم إنك لرسوله
قلت لو قال قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يشهد إنهم لكاذبون لكان يوهم أن (كذب فوسط بينهما قوله والله يعلم إنك لرسوله ليميط هذا الإيهام **اتخذوا أيمانهم جنة** يجوز أن يراد أن) قولهم نشهد إنك
لرسول الله يمين من أيمانهم الكاذبة لأن الشهادة تجري مجرى الحلف فيما يراد به من التوكيد يقول الرجل أشهد
وأشهد بالله وأعزم وأعزم بالله في موضع أقسم وأولي وبه استشهد أبو حنيفة رحمه الله تعالى على أن أشهد يمين
ويجوز أن يكون وصفا للمنافقين في استجنانهم بالأيمان وقرأ الحسن إيمانهم أي ما أظهروه من الإيمان بالشهادة
ويعضده قوله ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا **فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون** ② من نفاقهم
وصدهم الناس عن سبيل الله وفي ساء معنى التعجب الذي هو تعظيم أمرهم عند السامعين **ذلك بأنهم
آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون** ③ ذلك إشارة إلى قوله ساء ما كانوا يعملون أي ذلك
القول الشاهد عليهم بأنهم أسوأ الناس أعمالا بسبب أنهم آمنوا ثم كفروا أو إلى ما وصف من حالهم في النفاق
والكذب والاستجنان بالأيمان أي ذلك كله بسبب أنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فجسروا على كل
عظيمة فإن قلت المنافقون لم يكونوا إلا على الكفر الثابت الدائم فما معنى قوله آمنوا ثم كفروا قلت
فيه ثلاثة أوجه أحدها آمنوا أي نطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا كما يفعل من يدخل في الإسلام ثم كفروا ثم
ظهر كفرهم وتبين بما اطلع عليه من قولهم إن كان ما يقوله محمد حقا فنحن حمير وقولهم في غزوة تبوك
أيطمع هذا الرجل أن تفتح له قصور كسرى وقيصر هيهات ونحوه قوله يحلفون بالله ما قالوا
ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم أي ظهر كفرهم بعد أن أسلموا ونحوه قوله لا تعتذروا
قد كفرتم بعد إيمانكم والثاني آمنوا أي نطقوا بالإيمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم
استهزاء بالإسلام كقوله وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا إلى قوله إنما نحن مستهزئون والثالث أن يراد أهل
الردة منهم وقرئ فطبع على قلوبهم وقرأ زيد بن علي فطبع الله **وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن
يقولوا تسمع لقولهم** كان عبد الله بن أبي رجلا جسيما صبيحا فصيحا ذلق اللسان وقوم من المنافقين
في مثل صفته وهم رؤساء المدينة وكانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستندون فيه
ولهم جهارة المناظر وفصاحة الألسن وكان النبي صلى الله عليه وسلم ومن حضر يعجبون بهياكلهم ويسمعون
إلى كلامهم فإن قلت ما معنى قوله **كأنهم خشب مسندة** قلت شبهوا في استنادهم وما هم إلا
أجرام خالية عن الإيمان والخير بالخشب المسندة إلى الحائط ولأن الخشب إذا انتفع به كان في سقف أو جدار
أو غيرهما من مظان الانتفاع وما دام متروكا فارغا غير منتفع به أسند إلى الحائط فشبهوا به في عدم
الانتفاع ويجوز أن يراد بالخشب المسندة الأصنام المنحوتة من الخشب المسندة إلى الحيطان شبهوا
بها في حسن صورهم وقلة جدواهم والخطاب في رأيتهم وتعجبك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل
من يخاطب وقرئ يسمع على البناء للمفعول وموضع كأنهم خشب رفع على هم كأنهم خشب أو هو كلام
مستأنف لا محل له وقرئ خشب جمع خشبة كبدنة وبدن وخشب كثمرة وثمر وخشب كمدرة
ومدر وهي في رواية عن ابن عباس وعن اليزيدي أنه قال في خشب جمع خشباء والخشباء الخشبة التي دعر
جوفها شبهوا بها في نفاقهم وفساد بواطنهم **يحسبون كل صيحة عليهم** عليهم ثاني مفعولي يحسبون
أي يحسبون كل صيحة واقعة عليهم وضارة لهم لجبنهم وهلعهم وما في قلوبهم من الرعب إذا نادى مناد
في العسكر أو انفلتت دابة أو أنشدت ضالة ظنوه إيقاعا بهم وقيل كانوا على وجل من أن ينزل الله فيهم
ما يهتك أستارهم ويبيح دماءهم وأموالهم ومنه أخذ الأخطل

ما زلت تحسب كل شيء بعدهم ⁂ خيلا تكر عليهم ورجالا

يوقف على عليهم ويبتدأ **هم العدو** أي هم الكاملون في العداوة لأن أعدى الأعداء العدو المداجي
الذي يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوي **فاحذرهم** ولا تغترر بظاهرهم ويجوز أن يكون هم
العدو المفعول الثاني كما لو طرحت الضمير فإن قلت فحقه أن يقال هي العدو قلت منظور فيه إلى

كما ذكره هداني وان يقدر مضاف محذوف على يحسبون اهل كل صيحة **قاتلهم الله** دعا عليهم وطلب من ذاته ان يلعنهم ويخزيهم او تعليم للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك **أنى يؤفكون** كيف يعدلون عن الحق تعجبا من جهلهم وضلالتهم **وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رءوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون** عطفوها وأمالوها إعراضا عن ذلك واستكبارا وقرئ بالتخفيف والتشديد للتكثير وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين لقي بني المصطلق على المريسيع وهو ماء لهم وهزمهم وقتل منهم ازدحم على الماء جهجاه بن سعيد أجير لعمر يقود فرسه وسنان الجهني حليف لعبد الله بن أبي واقتتلا فصرخ جهجاه بالمهاجرين وسنان بالأنصار فأعان جهجاها جعال من فقراء المهاجرين ولطم سنانا فقال عبد الله لجعال وأنت هناك وقال ما صحبنا محمدا الا لنلطم والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قال سمن كلبك يأكلك اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل عنى بالأعز نفسه وبالأذل رسول الله ثم قال لقومه ماذا فعلتم بأنفسكم احللتموهم بلادكم وقاسمتموهم اموالكم اما والله لو امسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولأوشكوا ان يتحولوا عنكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فسمع بذلك زيد بن أرقم وهو حدث فقال انت والله الذليل القليل المبغض في قومك ومحمد في عز من الرحمن وقوة من المسلمين فقال عبد الله اسكت فانما كنت ألعب فاخبر زيد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال عمر دعني اضرب عنق هذا المنافق يا رسول الله قال اذن ترعد انف كثيرة بيثرب قال فان كرهت ان يقتله مهاجري فأمر به انصاريا فقال فكيف اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وقال عليه السلام انت صاحب الكلام الذي بلغني قال والله الذي انزل عليك الكتاب ما قلت شيئا من ذلك وان زيدا لكاذب فهو قوله اتخذوا أيمانهم جنة فقال الحاضرون يا رسول الله شيخنا وكبيرنا لا تصدق عليه كلام غلام عسى ان يكون قد وهم وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال له لعلك غضبت عليه قال لا قال فلعله اخطأ سمعك قال لا قال فلعله شبه عليك قال لا فلما نزلت لحق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زيدا من خلفه فعرك اذنه وقال وفت اذنك يا غلام ان الله قد صدقك وكذب المنافقين ولما اراد عبد الله ان يدخل المدينة اعترضه ابنه حباب وهو عبد الله بن عبد الله غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اسمه وقال ان حبابا اسم شيطان وكان مخلصا وقال وراءك والله لا تدخلها حتى تقول رسول الله الأعز وانا الأذل فلم يزل حبيسا في يده حتى امره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بتخليته وروي انه قال له لئن لم تقر لله ولرسوله بالعز لأضربن عنقك فقال ويحك أفاعل انت قال نعم فلما رأى منه الجد قال اشهد ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا فلما بان كذب عبد الله قيل له قد نزلت فيك آي شداد فاذهب الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستغفر لك فلوى رأسه ثم قال امرتموني ان اؤمن فآمنت وامرتموني ان ازكي مالي فزكيت فما بقي الا ان اسجد لمحمد فنزلت وإذا قيل لهم تعالوا ولم يلبث الا اياما قلائل حتى اشتكى ومات **سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين** سواء عليهم الاستغفار وعدمه لأنهم لا يلتفتون اليه ولا يعتدون به لكفرهم ولأن الله لا يغفر لهم وقرئ استغفرت على حذف حرف الاستفهام لأن أم المعادلة تدل عليه وقرأ ابو جعفر آستغفرت اشباعا لهمزة الاستفهام للاظهار والبيان لا قلبا لهمزة الوصل ألفا كما في آلسحر وآلله **هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا** يتفرقوا من انفض القوم اذا فنيت ازوادهم وحقيقته حان لهم ان ينفضوا مزاودهم **ولله خزائن السموات والأرض** وبيده الأرزاق والقسم فهو رازقهم منها وإن أبى أهل المدينة ان ينفقوا عليهم **ولكن المنافقين لا يفقهون** ولكن عبد الله وإضرابه جاهلون لا يفقهون ذلك فيهذون بما يزين لهم الشيطان **يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل** وقرئ ليخرجن بفتح الياء وليخرجن على البناء للمفعول وقرأ الحسن وابن أبي عبلة لنخرجن بالنون ونصب الأعز والأذل ومعناه خروج الأذل او اخراج الأذل او مثل الأذل **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون** ولله الغلبة والقوة ولمن أعزه الله وأيده من رسوله ومن المؤمنين وهم الأخصاء بذلك كما أن المذلة والهوان للشيطان وذويه من الكافرين والمنافقين وعن بعض الصالحات وكانت في هيئة رثة ألست على الاسلام وهو العز الذي لا ذل معه وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما ان رجلا قال له ان الناس يزعمون ان فيك

تيها قال

تيها قال ليس بتيه ولكنه عزة وتلا هذه الآية **يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم** لا تشغلكم **أموالكم** والتصرف فيها والسعي في تدبير امرها والتهالك على طلب النماء فيها والاغتلال وابتغاء النتاج والتلذذ بها والاستمتاع بمنافعها **ولا أولادكم** وسروركم بهم وشفقتكم عليهم والقيام بمؤنهم وتسوية ما يصلحهم من معايشهم في حياتكم وبعد مماتكم وقد عرفتم قدر منفعة الأموال والأولاد وانه أهون شيء وأدونه في جنب ما عند الله **عن ذكر الله** وإيثاره عليها **ومن يفعل ذلك** يريد الشغل بالدنيا عن الدين **فأولئك هم الخاسرون** في تجارتهم حيث باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني وقيل ذكر الله الصلوات الخمس وعن الحسن جميع الفرائض كأنه قال عن طاعة الله وقيل القرآن وعن الكلبي الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم **وأنفقوا مما رزقناكم** من بعض ما رزقناكم للتبعيض والمراد الإنفاق الواجب **من قبل أن يأتي أحدكم الموت** من قبل أن يرى دلائل الموت ويعاين ما ييأس معه من الإمهال ويضيق معه الخناق ويتعذر عليه الإنفاق ويفوت وقت القبول فيتحسر على المنع ويعض أنامله على فقد ما كان متمكنا منه وعن ابن عباس تصدقوا قبل أن ينزل عليكم سلطان الموت فلا تقبل توبة ولا ينفع عمل وعنه ما يمنع أحدكم اذا كان له مال ان يزكي واذا اطاق الحج ان يحج من قبل ان يأتيه الموت فيسأل ربه الكرة فلا يعطاها وعنه انها نزلت في مانعي الزكاة ووالله لو رأى خيرا لما سأل الرجعة فقيل له اما تتقي الله يسأل المؤمنون الكرة قال نعم انا اقرأ عليكم به قرآنا يعني انها نزلت في المؤمنين وهم المخاطبون بها وعن الحسن ما من أحد لم يزك ولم يصم ولم يحج الا سأل الرجعة وعن عكرمة نزلت في أهل القبلة **فيقول رب لولا أخرتني** وقرئ لولا أخرتن يريد هلا أخرت موتي **إلى أجل قريب** إلى زمان قليل **فأصدق** وقرأ أبي فأتصدق على الأصل وقرئ **وأكن من الصالحين** عطفا على محل فأصدق كأنه قال إن أخرتني أصدق وأكن وقرأ أبو عمرو وأكون على النصب عطفا على اللفظ وقرأ عبيد بن عمير وأكون على وأنا أكون عدة منه بالصلاح **ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون** نفي للتأخير على وجه التأكيد الذي معناه منافاة المنفي للحكمة والمعنى انكم اذا علمتم ان تأخير الموت عن وقته مما لا سبيل اليه وانه هاجم لا محالة وأن الله عليم بأعمالكم مجاز عليها من منع واجب وغيره لم يبق الا المسارعة الى الخروج عن عهدة الواجبات والاستعداد للقاء الله وقرئ يعملون بالياء وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المنافقين بريء من النفاق

سورة التغابن مختلف فيها وهي ثمانية عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما في السموات وما في الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير قدم الظرفان ليدل بتقديمهما على معنى اختصاص الملك والحمد بالله عز وجل وذلك لأن الملك على الحقيقة له لأنه مبدئ كل شيء ومبدعه والقائم به والمهيمن عليه وكذلك الحمد لأن أصول النعم وفروعها منه وأما ملك غيره فتسليط منه واسترعاء وحمده اعتداد بأن نعمة الله جرت على يده **هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن** يعني فمنكم آت بالكفر وفاعل له كقوله وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون والدليل عليه قوله **والله بما تعملون بصير** أي عالم بكفركم وإيمانكم الذين هما من عملكم والمعنى الذي تفضل عليكم بأصل النعم الذي هو الخلق والإيجاد من العدم فكان يجب أن تنظروا النظر الصحيح وتكونوا بأجمعكم عبادا شاكرين فما فعلتم مع تمكنكم بل تشعبتم شعبا وتفرقتم أمما فمنكم كافر ومنكم مؤمن وقدم الكفر لأنه الأغلب عليهم والأكثر فيهم وقيل هو الذي خلقكم فمنكم كافر بالخلق وهم الدهرية ومنكم مؤمن به فإن قلت نعم إن العباد هم الفاعلون للكفر ولكن قد سبق في علم الحكيم انه اذا خلقهم لم يفعلوا الا الكفر ولم يختاروا غيره فما دعاه الى خلقهم مع علمه بما يكون منهم وهل خلق القبيح وخلق فاعل القبيح الا واحد وهل مثله الا مثل من وهب سيفا باترا لمن شهر بقطع السبيل وقتل النفس المحرمة فقتل به مؤمنا اما تطبق العقلاء على ذم الواهب وتعنيفه والدق في فروته كما يذمون القاتل بل انحاؤهم باللوائم على الواهب اشد قلت قد علمنا ان الله حكيم عالم بقبح القبيح عالم بغناه عنه فقد علمنا ان افعاله كلها حسنة وخلق فاعل القبيح فعله فوجب ان يكون حسنا وان يكون له وجه حسن وخفاء وجه الحسن علينا لا يقدح في حسنه كما لا يقدح في حسن اكثر مخلوقاته جهلنا بداعي الحكمة الى خلقها

خلق السموات والأرض بالحق بالغرض الصحيح والحكمة البالغة وهو أن جعلها مقار المكلفين ليعملوا
فيجازيهم وصوركم فأحسن صوركم وقرئ صِوركم بالكسر لتشكروا وإليه المصير ۝ مصيركم
فجزاؤكم على الشكر والتفريط فإن قلت كيف أحسن صورهم قلت جعلهم أحسن الحيوان كله
وأبهاه بدليل أن الإنسان لا يتمنى أن تكون صورته على خلاف ما يرى من سائر الصور ومن حسن صورته
أنه خلق منتصبا غير منكب كما قال تعالى في أحسن تقويم فإن قلت فكم من دميم مشوه الصورة
سمج الخلقة تقتحمه العيون قلت لا سماجة ثم ولكن الحسن كغيره من المعاني على طبقات ومراتب
فلانحطاط بعض الصور عن مراتب ما فوقها انحطاطا بينا وإضافتها إلى الموفي عليها لا تستملح وإلا
فهي داخلة في حيز الحسن غير خارجة عن حده ألا ترى أنك قد تعجب بصورة وتستملحها ولا ترى
الدنيا بها ثم ترى أملح وأعلى في مراتب الحسن فينبو عن الأولى طرفك وتستثقل النظر إليها بعد افتتانك بها
وتهالكك عليها وقالت الحكماء شيئان لا غاية لهما الجمال والبيان يعلم ما في السموات والأرض
ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور ۝ نبه بعلمه ما في السموات والأرض
ثم بعلمه ما يسره العباد ويعلنونه ثم بعلمه ذوات الصدور أن شيئا من الكليات والجزئيات غير
خاف عليه ولا عازب عنه فحقه أن يتقى ويحذر ولا يجترأ على شيء مما يخالف رضاه وتكرير العلم في معنى تكرير
الوعيد وكل ما ذكره بعد قوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن كما ترى في معنى الوعيد على الكفر وإنكار
أن يعصى الخالق ولا تشكر نعمته فما أجهل العباد لربهم ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل فذاقوا
وبال أمرهم ولهم عذاب أليم الخطاب لكفار مكة ذلك وذلك إشارة إلى ما ذكر من الوبال الذي ذاقوه
في الدنيا وما أعد لهم من العذاب في الآخرة بأنه بأن الشأن والحديث كانت تأتيهم رسلهم بالبينات
فقالوا أبشر يهدوننا فكفروا وتولوا أنكروا أن تكون الرسل بشرا ولم ينكروا أن يكون حجرا واستغنى
الله والله غني حميد ۝ أطلق ليتناول كل شيء ومن جملة إيمانهم وطاعتهم فإن قلت قوله وتولوا واستغنى
الله يوهم وجود التولي والاستغناء معا والله تعالى لم يزل غنيا قلت معناه وظهر استغناء الله حيث لم يلجئهم إلى الإيمان
ولم يضطرهم إليه مع قدرته على ذلك زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا الزعم ادعاء العلم ومنه قوله
عليه الصلاة والسلام زعموا مطية الكذب وعن شريح لكل شيء كنية وكنية الكذب زعموا ويتعدى
إلى مفعولين تعدي العلم قال ولم أزعمك عن ذاك معزلا وأن مع ما في حيزه قام مقامهما والذين كفروا
أهل مكة قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وبلى إثبات لما بعد لن وهو البعث وذلك على الله
يسير أي لا يصرفه عنه صارف فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا والله بما تعملون خبير ۝
وعني برسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبالنور القرآن يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا
يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم
وقرئ نجمعكم ونكفر وندخله بالنون فإن قلت بم انتصب الظرف قلت بقوله لتنبؤن أو بخبير
لما فيه من معنى الوعيد كأنه قيل والله معاقبكم يوم يجمعكم أو بإضمار اذكر ليوم الجمع ليوم يجمع فيه
الأولون والآخرون التغابن مستعار من تغابن القوم في التجارة وهو أن يغبن بعضهم بعضا لنزول
السعداء منازل الأشقياء التي كانوا ينزلونها لو كانوا سعداء ونزول الأشقياء منازل السعداء التي كانوا
ينزلونها لو كانوا أشقياء وفيه تهكم بالأشقياء لأن نزولهم ليس بغبن وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم ما من عبد يدخل الجنة إلا أري مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار إلا أري
مقعده من الجنة لو أحسن ليزداد حسرة ومعنى ذلك يوم التغابن وقد يتغابن الناس في غير ذلك اليوم استعظاما له
وأن تغابنه هو التغابن في الحقيقة لا التغابن في أمور الدنيا وإن جلت وعظمت صالحا صفة للمصدر أي
عملا صالحا ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله إلا بتقديره ومشيئته كأنه أذن للمصيبة أن تصيبه ومن
يؤمن بالله يهد قلبه يلطف به ويشرحه للازدياد من الطاعة والخير وقيل هو الاسترجاع عند المصيبة
وعن الضحاك يهد قلبه حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه وعن مجاهد إن ابتلي صبر
وإن أعطي شكر وإن ظلم غفر وقرئ يهد قلبه على البناء للمفعول والقلب مرفوع أو منصوب ووجه
النصب أن يكون مثل سفه نفسه أي يهد في قلبه ويجوز أن يكون المعنى أن الكافر ضال عن قلبه بعيد منه
والمؤمن واجد له مهتد إليه كقوله لمن كان له قلب وقرئ نهد قلبه بالنون ويهدأ قلبه بمعنى يهدأ ويهدا أي قلبه
ويهد ويهدا على التخفيف والله بكل شيء عليم ۝ يعلم ما يؤثر فيه اللطف من القلوب مما لا يؤثر فيه فيمنحه

ويمنعه

ويمنعه وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين ۝ الله لا إله إلا
هو فإن توليتم فلا عليه إذا توليتم لأنه لم يكتب عليه طاعتكم إنما كتب عليه أن يبلغ ويبين فحسب وعلى الله فليتوكل المؤمنون بعث
للرسول صلى الله عليه وآله وسلم على التوكل عليه والتقوي به في أمره حتى ينصره على من كذبه وتولى عنه يا أيها
الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم إن من الأزواج أزواجا يعادين بعولتهن ويخاصمنهم
ويجلبن عليهم ومن الأولاد أولادا يعادون آباءهم ويعقونهم ويجرعونهم الغصص والأذى فاحذروهم
الضمير للعدو أو للأزواج والأولاد جميعا أي لما علمتم أن هؤلاء لا يخلون من عدو فكونوا منهم على حذر
ولا تأمنوا غوائلهم وشرهم وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم ۝ وإن تعفوا عنهم
إذا اطلعتم منهم على عداوة ولم تقابلوهم بمثلها فإن الله يغفر لكم ذنوبكم ويكفر عنكم وقيل إن ناسا
أرادوا الهجرة عن مكة فثبطهم أزواجهم وأولادهم وقالوا تنطلقون وتضيعوننا فرقوا لهم ووقفوا
فلما هاجروا بعد ذلك ورأوا الذين سبقوهم قد فقهوا في الدين أرادوا أن يعاقبوا أزواجهم وأولادهم
فزين لهم العفو وقيل قالوا لهم أين تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم وأموالكم فغضبوا عليهم
وقالوا لئن جمعنا الله في دار الهجرة لم نصبكم بخير فلما هاجروا منعوهم الخير فحثوا على أن يعفوا عنهم
ويردوا إليهم البر والصلة وقيل كان عوف بن مالك الأشجعي ذا أهل وولد فإذا أراد أن يغزو تعلقوا
به وبكوا إليه ورققوه فكأنه هم بأذاهم فنزلت إنما أموالكم وأولادكم فتنة بلاء ومحنة لأنهم يوقعون في الإثم
والعقوبة ولا بلاء أعظم منهما ألا ترى إلى قوله والله عنده أجر عظيم وفي الحديث يؤتى برجل يوم القيامة
فيقال أكل عياله حسناته وعن بعض السلف العيال سوس الطاعات وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان
يخطب فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران يعثران ويقومان فنزل إليهما فأخذهما ووضعهما
في حجره على المنبر فقال صدق الله إنما أموالكم وأولادكم فتنة رأيت هذين الصبيين فلم أصبر عنهما ثم
أخذ في خطبته وقيل إذا أمكنكم الجهاد والهجرة فلا يفتننكم الميل إلى الأموال والأولاد عنهما فاتقوا
الله ما استطعتم جهدكم ووسعكم أي ابذلوا فيها استطاعتكم واسمعوا ما توعظون به وأطيعوا فيما
تؤمرون به وتنهون عنه وأنفقوا في الوجوه التي وجبت عليكم النفقة فيها خيرا لأنفسكم نصب
بمحذوف تقديره ائتوا خيرا لأنفسكم وافعلوا ما هو خير لها وأنفع وهذا تأكيد للحث على امتثال
هذه الأوامر وبيان لأن هذه الأمور خير لأنفسكم من الأموال والأولاد وما أنتم عاكفون عليه من حب
الشهوات وزخارف الدنيا ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ۝ إن تقرضوا الله قرضا حسنا
وذكر القرض تلطف في الاستدعاء يضاعفه لكم يكتب لكم بالواحدة عشرا وسبعمائة إلى ما شاء من
الزيادة وقرئ يضعفه ويغفر لكم والله شكور حليم ۝ عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم ۝
شكور مجاز أي يفعل بكم ما يفعل المبالغ في الشكر من عظيم الثواب وكذلك حليم يفعل بكم ما يفعل من يحلم عن المسيء
فلا يعاجلكم بالعقاب مع كثرة ذنوبكم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجأة

سورة الطلاق إحدى عشرة آية أو ثنتا عشرة آية وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها النبي خص النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالنداء وعم بالخطاب لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إمام
أمته وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم يا فلان افعلوا كيت وكيت إظهارا لتقدمه
واعتبارا لترؤسه وأنه مدره قومه ولسانهم والذي يصدرون عن رأيه ولا يستبدون بأمر دونه
فكان هو وحده في حكم كلهم وسادا مسد جميعهم ومعنى إذا طلقتم النساء إذا أردتم تطليقهن وهممتم
به على تنزيل المقبل على الأمر المشارف له منزلة الشارع فيه كقوله عليه الصلاة والسلام من قتل قتيلا
فله سلبه ومنه كان الماشي إلى الصلاة والمنتظر لها في حكم المصلي فطلقوهن لعدتهن فطلقوهن
مستقبلات لعدتهن كقولك أتيته لليلة بقيت من المحرم أي مستقبلا لها وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم في قبل عدتهن وإذا طلقت المرأة في الطهر المتقدم للقرء الأول من أقرائها فقد طلقت مستقبلة
لعدتها والمراد أن يطلقن في طهر لم يجامعن فيه ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن وهذا أحسن الطلاق
وأدخله في السنة وأبعده من الندم ويدل عليه ما روي عن إبراهيم النخعي أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

كانوا يستحبون ان لا يطلقوا للسنة الا واحدة ثم لا يطلقوا غير ذلك حتى تنقضي العدة وكان احسن عندهم
من ان يطلق الرجل ثلاثا في ثلاثة اطهار وقال مالك بن انس لا اعرف طلاق السنة الا واحدة وكان
يكره الثلاث مجموعة كانت او متفرقة واما ابو حنيفة واصحابه فانما كرهوا ما زاد على الواحدة في طهر
واحد فاما متفرقا في الاطهار فلا لما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لابن عمر حين طلق امرأته
وهي حائض ما هكذا امرك الله انما السنة ان تستقبل الطهر استقبالا وتطلقها لكل قرء تطليقة
وروي انه قال لعمر مر ابنك فليراجعها ثم ليدعها حتى تحيض ثم تطهر ثم ليطلقها ان شاء فتلك العدة
التي امر الله ان تطلق لها النساء وعند الشافعي لا بأس بارسال الثلاث وقال لا اعرف في عدد الطلاق
سنة ولا بدعة وهو مباح فمالك يراعي في طلاق السنة الواحدة والوقت وابو حنيفة يراعي التفريق والوقت
والشافعي يراعي الوقت وحده فان قلت هل يقع الطلاق المخالف للسنة قلت نعم وهو آثم لما روي عن
النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان رجلا طلق امرأته ثلاثا بين يديه فقال له أتلعبون بكتاب الله وانا بين اظهركم
وفي حديث ابن عمر انه قال يا رسول الله أرأيت لو طلقتها ثلاثا فقال له اذن عصيت وبانت منك امرأتك
وعن عمر رضي الله عنه انه كان لا يؤتى برجل طلق امرأته ثلاثا الا اوجعه ضربا واجاز ذلك عليه وعن
سعيد بن المسيب وجماعة من التابعين ان من خالف السنة في الطلاق فاوقعه في حيض او ثلاث لم يقع
وشبهوه بمن وكل غيره بطلاق السنة فخالف فان قلت كيف تطلق للسنة التي لا تحيض لصغر
او كبر او حمل وغير المدخول بها قلت الصغيرة والآيسة والحامل كلهن عند ابي يوسف وابي حنيفة
تفرق عليهن الثلاث في الاشهر وخالفهما محمد وزفر في الحامل فقالا لا تطلق للسنة الا واحدة
واما غير المدخول بها فلا تطلق للسنة الا واحدة ولا يراعى الوقت فان قلت هل يكره ان تطلق المدخول
بها واحدة بائنة قلت اختلفت الرواية عن اصحابنا والظاهر الكراهة فان قلت قوله اذا طلقتم
النساء عام يتناول المدخول بهن من ذوات الاقراء والآيسات والصغائر والحوامل فكيف صح تخصيصه
بذوات الاقراء المدخول بهن قلت لا عموم ثم ولا خصوص ولكن النساء اسم جنس للاناث من الانس
وهذه الجنسية معنى قائم في كلهن وفي بعضهن فجاز ان يراد بالنساء هذا وذاك فلما قيل فطلقوهن
لعدتهن علم انه اطلق على بعضهن وهن المدخول بهن من المعتدات بالحيض ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ واضبطوها
بالحفظ واكملوها ثلاثة اقراء مستقبلات كوامل لا نقصان فيهن ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ﴾
ولا تخرجوهن حتى تنقضي عدتهن ﴿مِن بُيُوتِهِنَّ﴾ من مساكنهن التي يسكنها قبل العدة وهي بيوت الازواج
واضيفت اليهن لاختصاصها بهن من حيث السكنى ﴿وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ فان قلت ما معنى الجمع بين اخراجهم
وخروجهن قلت معنى الاخراج ان لا يخرجهن البعولة غضبا عليهن وكراهة لمساكنتهن او
لحاجة لهم الى المساكن وان لا يأذنوا لهن في الخروج اذا طلبن ذلك ايذانا بان اذنهم لا اثر له في رفع الحظر
ولا يخرجن بانفسهن ان اردن ذلك ﴿إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ قرئ بفتح الياء وكسرها قيل هي
الزنا يعني الا ان يزنين فيخرجن لاقامة الحد عليهن وقيل الا ان يطلقن على النشوز والنشوز يسقط حقها
في السكنى وقيل الا ان يبذون فيحل اخراجهن لبذائهن وتؤيده قراءة ابي الا ان يفحشن عليكم وقيل خروجها قبل انقضاء
العدة فاحشة في نفسه ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ
اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ الامر الذي يحدثه الله ان يقلب قلبه من بغضها الى محبتها ومن الرغبة عنها
الى الرغبة فيها ومن عزيمة الطلاق الى الندم عليه فيراجعها والمعنى فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة
لعلكم ترغبون وتندمون فتراجعون ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ وهو آخر العدة وشارفنه ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ
بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ فانتم بالخيار ان شئتم فالرجعة والامساك بالمعروف والاحسان وان شئتم فترك
الرجعة والمفارقة واتقاء الضرار وهو ان يراجعها في آخر عدتها ثم يطلقها تطويلا للعدة عليها وتعذيبا
لها ﴿وَأَشْهِدُوا﴾ يعني عند الرجعة والفرقة جميعا وهذا الاشهاد مندوب اليه عند ابي حنيفة كقوله
واشهدوا اذا تبايعتم وعند الشافعي هو واجب في الرجعة مندوب اليه في الفرقة وقيل فائدة الاشهاد ان لا يقع
بينهما التجاحد والا يتهم في امساكها ولئلا يموت احدهما فيدعي الباقي ثبوت الزوجية ليرث ﴿ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾
قال الحسن من المسلمين وعن قتادة من احراركم ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ لوجهه خالصا وذلك ان تقيموها لا
للمشهود له ولا للمشهود عليه ولا لغرض من الاغراض سوى اقامة الحق ودفع الظلم كقوله كونوا قوامين
بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ اي ذلكم الحث على اقامة الشهادة لوجه الله ولاجل القيام

بالقسط ﴿يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾
ومن يتق الله عز وجل يجوز ان تكون جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من اجراء امر الطلاق على السنة وطريقه الاحسن
والابعد من الندم ويكون المعنى ومن يتق الله فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط
فاشهد جعل الله له مخرجا مما في شأن الازواج من الغموم والوقوع في المضايق ويفرج عنه وينفس ويعطيه
الخلاص ويرزقه من وجه لا يخطر بباله ولا يحتسبه ان اوفى المهر وادى الحقوق والنفقات وقل ماله وعن
النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه سئل عمن طلق ثلاثا او الفا هل له من مخرج وعن ابن عباس رضي الله عنه انه سئل
عن ذلك فقال لم يتق الله فلم يجعل لك مخرجا بانت منك بثلاث والزيادة اثم في عنقك ويجوز ان
يجاء بها على سبيل الاستطراد عند ذكر قوله ذلكم يوعظ به يعني ومن يتق الله يجعل له مخرجا ومخلصا من غموم الدنيا
والآخرة وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قرأها فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت
ومن شدائد يوم القيامة وقال عليه السلام اني لاعلم آية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها
ويعيدها وروي ان عوف بن مالك الاشجعي اسر المشركون ابنا له يسمى سالما فاتى رسول الله فقال
أسر ابني وشكا اليه الفاقة فقال ما امسى عند آل محمد الا مد فاتق الله واصبر واكثر من قول لا حول ولا قوة
الا بالله ففعل فبينا هو في بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل تغفل عنها العدو فاستاقها فنزلت
هذه الآية ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ اي يبلغ ما
يريد لا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب وقرئ بالغ امره بالاضافة وبالغ امره اي نافذ امره وقرأ المفضل
بالغا امره على ان قوله قد جعل الله خبر ان وبالغا حال ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ تقديرا وتوقيتا وهذا
بيان لوجوب التوكل على الله وتفويض الامر اليه لانه اذا علم ان كل شيء من الرزق ونحوه لا يكون الا بتقديره
وتوقيته لم يبق الا التسليم للقدر والتوكل ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ﴾ روي ان ناسا قالوا
قد عرفنا عدة ذوات الاقراء فما عدة اللائي لا يحضن فنزلت ومعنى ﴿إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾ ان اشكل عليكم حكمهن
وجهلتم كيف يعتددن فهذا حكمهن وقيل ان ارتبتم في دم البالغات مبلغ اليأس وقد قدروه بستين
سنة وبخمس وخمسين اهو دم حيض او استحاضة ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾ واذا كانت هذه عدة
المرتاب بها فغير المرتاب بها اولى بذلك ﴿وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ﴾ هن الصغائر ومعناه فعدتهن ثلاثة اشهر
فحذف لدلالة المذكور عليه ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ اللفظ مطلق في اولات الاحمال
فاشتمل على المطلقات والمتوفى عنهن وكان ابن مسعود وابو هريرة وغيرهم لا يفرقون وعن علي وابن
عباس عليهما السلام عدة الحامل المتوفى عنها ابعد الاجلين وعن عبد الله من شاء لاعنته ان سورة
النساء القصرى نزلت بعد التي في البقرة يعني ان هذا اللفظ مطلق في الحوامل وروت ام سلمة ان سبيعة
الاسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال قد حللت
فانكحي ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ ييسر له من امره ويحلله من عقده بسبب التقوى ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ
أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ﴾ يريد ما علم من حكم هؤلاء المعتدات ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾
والمعنى ومن يتق الله في العمل بما انزل الله والنفقة على الحوامل وايتاء اجر المرضعات وغير ذلك استوجب
تكفير السيئات والاجر العظيم ﴿أَسْكِنُوهُنَّ﴾ وما بعده بيان لما شرط من التقوى في قوله ومن يتق الله
كأنه قيل كيف نعمل بالتقوى في شأن المعتدات فقيل اسكنوهن فان قلت من في قوله ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾ ما هي
قلت هي التبعيضية مبعضها محذوف معناه اسكنوهن مكانا من حيث سكنتم اي بعض مكان سكناكم
كقوله تعالى يغضوا من ابصارهم اي بعض ابصارهم قال قتادة ان لم يكن الا بيت واحد فاسكنها
في بعض جوانبه فان قلت فقوله ﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾ قلت هو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم وتفسير له
كأنه قيل اسكنوهن مكانا من مسكنكم مما تطيقونه والوجد الوسع والطاقة وقرئ بالحركات الثلاث
والسكنى والنفقة واجبتان لكل مطلقة وعند مالك والشافعي ليس للمبتوتة الا السكنى ولا نفقة
لها وعن الحسن وحماد لا نفقة ولا سكنى لها لحديث فاطمة بنت قيس ان زوجها ابت طلاقها فقال لها
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا سكنى لك ولا نفقة وعن عمر رضي الله عنه لا ندع كتاب ربنا وسنة
نبينا لقول امرأة لعلها نسيت او شبه لها سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لها السكنى والنفقة
﴿وَلَا تُضَارُّوهُنَّ﴾ ولا تستعملوا معهن الضرار ﴿لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ في المسكن ببعض الاسباب من انزال من لا
يوافقهن او يشغل مكانهن او غير ذلك حتى تضطروهن الى الخروج وقيل هو ان يراجعها اذا بقي

من عدتها يومان لتصدق عليها امرها وقيل هو ان يلجيها الى ان تفتدى منه فان قلت فاذا كانت كل
مطلقة عندكم يجب لها النفقة فما فائدة الشرط في قوله وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن
حملهن قلت فائدته ان مدة الحمل ربما طالت فظن ظان ان النفقة تسقط اذا مضى مقدار عدة الحائل فنفى
ذلك الوهم فان قلت فما تقول في الحامل المتوفى عنها قلت مختلف فيها فاكثرهم على انه لا نفقة لوقوع
الاجماع على ان من اجبر على النفقة عليه من امراة او ولد صغير لا يجب ان ينفق عليه من ماله بعد موته فكذلك
الحامل وعن علي رضي الله عنه وعبد الله وجماعة انهم اوجبوا نفقتها فان ارضعن لكم يعني هؤلاء المطلقات
ان ارضعن لكم ولدا من غيرهن او منهن بعد انقطاع عصمة الزوجية فاتوهن اجورهن حكمهن
في ذلك حكم الاظآر ولا يجوز عند ابي حنيفة واصحابه الاستئجار اذا كان الولد منهن ما لم يبن ويجوز
عند الشافعي وأتمروا بينكم الايتمار بمعنى التأمر كالاشتوار بمعنى التشاور يقال ائتمر القوم وتأمروا
اذا امر بعضهم بعضا والمعنى وليأمر بعضكم بعضا والخطاب للآباء والامهات بمعروف بجميل وهو
المسامحة وان لا يماكس الاب ولا تعاسر الام لانه ولدهما معا وهما شريكان فيه وفي وجوب الاشفاق عليه
وان تعاسرتم فسترضع له اخرى فستوجد ولا تعوز له مرضعة غير الام ترضعه وفيه طرف من
معاتبة الام على المعاسرة كما تقول لمن تستقضيه حاجة فيتوانى سيقضيها غيرك تريد لن تبقى غير مقضية
وانت ملوم وقوله له اى للاب اي سيجد الاب غير معاسرة ترضع له ولده ان عاسرته امه لينفق
ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها
سيجعل الله بعد عسر يسرا لينفق كل واحد من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه يريد ما امر به من
الانفاق على المطلقات والمرضعات كما قال ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره وقرى لينفق بالنصب
اي شرعنا ذلك لينفق وقرا ابن ابي عبلة قدر سيجعل الله موعد لفقراء ذلك الوقت بفتح ابواب الرزق
عليهم او لفقراء الازواج ان انفقوا ما قدروا عليه ولم يقصروا وكاين من قرية عتت عن امر ربها ورسله
اعرضت عنه على وجه العتو والعناد فحاسبناها حسابا شديدا بالاستقصاء والمناقشة وعذبناها
عذابا نكرا منكرا فذاقت وبال امرها وكان عاقبة امرها خسرا وقرى نكرا امكنا عظيما والمراد حساب الآخرة
وعذابها وما يذوقون فيها من الوبال ويلقون من الخسر وجيء به على لفظ الماضي كقوله ونادى اصحاب الجنة
ونادى اصحاب النار ونحو ذلك لان المنتظر من وعد الله ووعيده ملقى في الحقيقة وما هو كائن فكان قد
كان وقوله اعد الله لهم عذابا شديدا تكرير للوعيد وبيان لكونه مترقبا كانه قال اعد الله لهم هذا
العذاب فاتقوا الله يا اولي الالباب فليكن لكم ذلك يا اولي الالباب من المؤمنين لطفا في تقوى الله
وحذر عقابه ويجوز ان يراد احصاء السيئات واستقصاؤها عليهم في الدنيا واثباتها في صحايف الحفظة وما
اصيبوا به من العذاب في العاجل وان يكون عتت وما عطف عليه صفة للقرية واعد الله لهم جوابا لكأين
الذين آمنوا قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا فاتقوا الله يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج
الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور رسولا هو جبريل صلوات الله عليه ابدل من ذكرا
لانه وصف بتلاوة آيات الله وكان انزاله في معنى انزال الذكر فصح ابداله منه وان يراد بالذكر الشرف
من قوله وانه لذكر لك ولقومك فابدل منه كانه في نفسه شرف اما لانه شرف للمنزل عليه واما لانه
ذو مجد وشرف عند الله كقوله عند ذي العرش مكين او جعل لكثرة ذكره الله وعبادته كانه ذكر او اريد
ذا ذكر اي ملكا مذكورا في السموات وفي الامم كلها او دل قوله انزل الله اليكم ذكرا على ارسل فكانه قيل
ارسل رسولا او اعمل ذكرا في رسولا اعمال المصدر في المفاعيل اي انزل الله ان ذكر رسولا او ذكره رسولا وقرى
رسول على هو رسول انزله ليخرج الذين امنوا بعد انزاله اي ليحصل لهم ما هم عليه الساعة من الايمان
والعمل الصالح لانهم كانوا وقت انزاله غير مؤمنين وانما آمنوا بعد الانزال والتبليغ او ليخرج الذين عرف
منهم انهم يؤمنون ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
ابدا وقرى ندخله بالنون قد احسن الله له رزقا فيه معنى التعجب والتعظيم لما رزق المؤمن من الثواب
الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن الله الذي خلق مبتدا وخبر وقرى مثلهن بالنصب
عطفا على سبع سموات وبالرفع على الابتداء وخبره من الارض قيل ما في القرآن آية تدل على ان الارضين
سبع الا هذه وقيل بين كل سماءين خمسمائة عام وغلظ كل سماء كذلك والارضون مثل السموات
يتنزل الامر بينهن اى يجري امر الله وحكمه بينهن وملكه ينفذ فيهن وعن قتادة في كل سماء وفي كل ارض

خلق من خلقه وامر من امره وقضاء من قضائه وقيل هو ما يدبر فيهن من عجائب تدبيره وقرى ينزل الامر
وعن ابن عباس ان نافع بن الازرق سأله هل تحت الارضين خلق قال نعم قال فما الخلق قال اما ملائكة
او جن لتعلموا وقرى بالتاء والياء ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما عن
رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من قرا سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم

سورة التحريم مدنية وهي ثنتا عشرة وتسمى سورة

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك روي ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
خلا بمارية في يوم عائشة وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكتمي علي وقد حرمت مارية على نفسي
وابشرك ان ابا بكر وعمر يملكان بعدي امر امتي فاخبرت به عائشة وكانتا متصادقتين وقيل خلا بها
في يوم حفصة فارضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه ومكث تسعا وعشرين
ليلة في بيت مارية وروي ان عمر قال لها لو كان في آل الخطاب خير لما طلقك فنزل جبريل عليه السلام
وقال راجعها فانها صوامة قوامة وانها لمن نسائك في الجنة وروي انه شرب عسلا في بيت زينب بنت
جحش فتواطأت عائشة وحفصة فقالتا له انا نشم منك ريح المغافير وكان رسول الله صلى الله عليه
واله وسلم يكره التفل فحرم العسل فمعناه لم تحرم ما احل الله لك من ملك اليمين او من العسل وتبتغي اما
تفسير لتحرم او حال او استئناف وكان هذا زلة منه لانه ليس لاحد ان يحرم ما احل الله لان الله عز وعلا
انما احل ما احل لحكمة ومصلحة عرفها في احلاله فاذا حرم كان ذلك قلب المصلحة مفسدة والله غفور
قد غفر لك ما زللت فيه رحيم قد رحمك فلم يؤاخذك به قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم فيه معنيان احدهما قد
شرع لكم الاستثناء في ايمانكم من قولك حلل فلان في يمينه اذا استثنى فيها ومنه حلا ابيت اللعن
بمعنى استثن في يمينك اذا اطلقها وذلك ان تقول ان شاء الله عقيبها حتى لا تحنث والثاني قد شرع لكم
تحليلها بالكفارة ومنه قوله عليه السلام لا يموت لرجل ثلاثة اولاد فتمسه النار الا تحلة القسم
وقول ذي الرمة قليلا كتحليل الالي فان قلت ما حكم تحريم الحلال قلت قد اختلف فيه فابو حنيفة
يراه يمينا في كل شيء ويعتبر الانتفاع المقصود فيما يحرمه فاذا حرم طعاما فقد حلف على اكله
او امة فعلى وطئها او زوجة فعلى الايلاء منها اذا لم تكن له نية فان نوى الظهار فظهار وان نوى
الطلاق فطلاق بائن وكذلك ان نوى ثنتين وان نوى ثلاثا فكما نوى وان قال نويت الكذب دين
فيما بينه وبين الله ولا يدين في القضاء بابطال الايلاء وان قال كل حلال علي حرام فعلى الطعام والشراب اذا
لم ينو والا فعلى ما نواه ولا يراه الشافعي يمينا ولكن سببا في الكفارة في النساء وحدهن وان نوى
الطلاق فهو رجعي عنده وعن ابي بكر وعمر وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم ان الحرام يمين وعن عمر
اذا نوى الطلاق فرجعي وعن علي رضي الله عنه ثلاث وعن زيد واحدة بائنة وعن عثمان ظهار وكان مسروق لا
يراه شيئا ويقول ما ابالي احرمتها ام قصعة من ثريد وكذلك عن الشعبي قال ليس بشيء محتجا بقوله تعالى
ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام وقوله لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم وما لم يحرمه
الله فليس لاحد ان يحرمه ولا ان يصير بتحريمه حراما ولم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم انه قال لما
احله الله هو حرام علي وانما امتنع من مارية ليمين تقدمت منه وهو قوله والله لا اقربها بعد اليوم فقيل له لم
تحرم ما احل الله لك اي لم تمتنع بسبب اليمين يعني اقدم على ما حلفت عليه وكفر ونحوه قوله تعالى وحرمنا عليه المراضع
اي منعناه منها وظاهر قوله تعالى قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم انه كانت منه يمين فان قلت هل كفر رسول الله
صلى الله عليه واله وسلم قلت عن الحسن لم يكفر لانه كان مغفورا له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وانما هو تعليم
للمؤمنين وعن مقاتل ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اعتق رقبة في تحريم مارية والله مولاكم سيدكم
ومتولي اموركم وهو العليم بما يصلحكم فيشرعه لكم الحكيم فلا يامركم ولا ينهاكم الا بما توجبه
الحكمة وقيل مولاكم اولى بكم من انفسكم فكانت نصيحته انفع لكم من نصائحكم لانفسكم
واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا يعني حفصة والحديث الذي اسر اليها حديث مارية
وامامة الشيخين فلما نبأت به افشته الى عائشة وقرئ انبأت به واظهره الله واطلع الله النبي

عليه على الحديث اي على افشائه على لسان جبريل عليه الصلوة والسلام وقيل اظهر الله الحديث على النبي صلى الله عليه
وآله وسلم من الظهور عرف بعضه وأعرض عن بعض اعلم ببعض الحديث تكرما قال سفيان ما زال التغافل
من فعل الكرام وقرئ عرف بعضه اي جازى عليه كقولك للمسيء لاعرفن لك ذلك وقد عرفت ما
صنعت اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم وهو كثير في القرآن وكان جزاؤه تطليقه اياها وقيل المعرف
حديث الامامة والمعرض عنه حديث مارية وروي انه قال لها ألم اقل لك اكتمي علي قالت والذي بعثك بالحق
ما ملكت نفسي فرحا بالكرامة التي خص الله بها اباها فان قلت ● هلا قيل فلما نبأت به بعضهن
وعرفها بعضه قلت ليس الغرض بيان من المذاع اليه ومن المعرف وانما هو ذكر جناية حفصة
في وجود الانباء وافشائه من قبلها وان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكرمه وحلمه لم يوجد منه الا
الاعلام ببعضه وهو حديث الامامة الا ترى انه لما كان المقصود في قوله فلما نبأها به قالت من
أنبأك هذا ذكر المنبأ كيف اتى بضميره قال نبأني العليم الخبير ● إن تتوبا إلى الله خطاب لحفصة وعائشة
على طريقة الالتفات ليكون ابلغ في معاتبتهما وعن ابن عباس لم ازل حريصا على ان اسأل عمر عنهما حتى حج
وحججت معه فلما كان ببعض الطريق عدل وعدلت معه بالاداوة فسكبت الماء على يده فتوضأ فقلت
من هما فقال عجبا يا ابن عباس كأنه كره ما سألته عنه ثم قال هما حفصة وعائشة فقد صغت قلوبكما
فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب في مخالصة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
من حب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وقرأ ابن مسعود فقد زاغت وإن تظاهرا عليه وإن تعاونا
عليه بما يسوؤه من الافراط في الغيرة وافشاء سره فإن الله هو مولاه فلن يعدم هو من يظاهره وكيف
يعدم المظاهر من الله مولاه اي وليه وناصره وزيادة هو ايذان بان نصرته عزيمة من عزائمه وانه
يتولى ذلك بذاته وجبريل رأس الكروبيين وقرن ذكره بذكره مفردا له من الملائكة تعظيما له واظهارا
لمكانته عنده وصالح المؤمنين ومن صلح من المؤمنين يعني كل من آمن وعمل صالحا وعن سعيد بن جبير من برئ
منهم من النفاق وقيل الانبياء عليهم الصلوة والسلام وقيل الصحابة وقيل الخلفاء منهم فان قلت صالح
المؤمنين واحد او جمع قلت هو واحد اريد به الجمع كقولك لا يفعل هذا الصالح من الناس تريد به
الجنس كقولك لا يفعله من صلح منهم ومثله قولك كنت في السامر والحاضر ويجوز ان يكون اصله
صالحوا المؤمنين بالواو فكتب بغير واو ولان لفظ الواحد والجمع واحد فيه كما جاء في المصحف متبوع فيها
حكم اللفظ دون وضع الخط والملائكة على تكاثر عددهم وامتلاء السموات من جموعهم بعد ذلك
بعد نصرة الله وناموسه وصالحي المؤمنين ظهير فوج مظاهر له كأنهم يد واحدة على من يعاديه فما يبلغ
تظاهر امرأتين من هؤلاء ظهراؤه فان قلت قوله بعد ذلك تعظيم للملائكة ومظاهرتهم وقد تقدمت
نصرة الله وجبريل وصالح المؤمنين ونصرة الله اعظم قلت مظاهرة الملائكة من جملة نصرة الله
فكأنه فضل نصرته بهم وبمظاهرتهم على غيرها من وجوه نصرته لفضلهم على جميع خلقه وقرئ تظاهرا
وتتظاهرا وتظهرا عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن وقرئ يبدله بالتخفيف
والتشديد للكثرة مسلمات مؤمنات مقرات مخلصات قانتات تائبات عابدات سائحات
صائمات وقرئ سيحات وهي ابلغ وقيل للصائم سائح لان السائح لا زاد معه فلا يزال ممسكا الى ان يجد
ما يطعمه فشبه به الصائم في امساكه الى ان يجيء وقت افطاره وقيل سائحات مهاجرات وعن زيد
بن اسلم لم تكن في هذه الامة سياحة الا الهجرة فان قلت كيف تكون المبدلات خيرا منهن ولم يكن على
وجه الارض نساء خير من امهات المؤمنين قلت اذا طلقهن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعصيانهن
له وايذائهن اياه لم يبقين على تلك الصفة وكان غيرهن من الموصوفات بهذه الاوصاف مع الطاعة لرسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم والنزول على هواه ورضاه خيرا منهن وقد عرض بذلك في قوله قانتات لان
القنوت هو القيام بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله ثيبات وأبكارا فان قلت لم اخليت الصفات
كلها عن العاطف ووسط بين الثيبات والابكار قلت لانهما صفتان متنافيتان لا يجتمعن فيهما اجتماعهن
في سائر الصفات فلم يكن بد من الواو يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم بترك المعاصي وفعل الطاعات
وأهليكم بان تأخذوهم بما تأخذون به انفسكم وفي الحديث رحم الله رجلا قال يا اهلاه صلاتكم
صيامكم زكاتكم مسكينكم يتيمكم جيرانكم لعل الله يجمعهم معه في الجنة وقيل ان اشد الناس
عذابا يوم القيمة من جهل اهله وقرئ واهلوكم انفسهم قلت لا ولكن المعطوف مقارن في التقدير

عطفا على واو قوا وحسن العطف للفاصل فان قلت اليس التقدير قوا انفسكم وليق اهلوكم انفسهم

ناموس الرجل صاحب سره واهل الكتاب يسمون جبريل الناموس

للواو وانفسكم واقع بعده فكأنه قيل قوا انتم واهلوكم انفسكم لما جمعت مع المخاطب الغائب
غلبته عليه فجعلت ضميرهما معا على لفظ المخاطب نارا وقودها الناس والحجارة نوعا من النار
لا تتقد الا بالناس والحجارة كما يتقد غيرها من النيران بالحطب وعن ابن عباس هي حجارة الكبريت
وهي اشد الاشياء حرا اذا اوقد عليها وقرئ وقودها بالضم اي ذو وقودها عليها يلي امرها وتعذيب اهلها
ملائكة يعني الزبانية التسعة عشر واعوانهم غلاظ شداد في اجرامهم غلظة وشدة اي جفاء وقوة
او في افعالهم جفاء وخشونة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ● لا تأخذهم رأفة
في تنفيذ اوامر الله والغضب له والانتقام من اعدائه ما امرهم في محل النصب على البدل اي لا يعصون
ما امرهم الله اي امره كقوله تعالى أفعصيت امري او لا يعصونه فيما امرهم فان قلت أليست
الجملتان في معنى واحد قلت لا فان معنى الاولى انهم يتقبلون اوامره ويلتزمونها ولا يأبونها
ولا ينكرونها ومعنى الثانية انهم يؤدون ما يؤمرون به ولا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه
فان قلت قد خاطب الله المشركين المكذبين بالوحي بهذا بعينه في قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا
فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة وقال اعدت للكافرين فجعلها معدة للكافرين فما معنى
مخاطبته به المؤمنين قلت الفساق وان كانت دركاتهم فوق دركات الكفار فانهم مساكنون
الكفار في دار واحدة فقيل للذين آمنوا قوا انفسكم باجتناب الفسوق مساكنة الذين اعدت
لهم هذه النار الموصوفة ويجوز ان يأمرهم بالتوقي من الارتداد والندم على الدخول في الاسلام وان يكون
خطابا للذين آمنوا بالسنتهم وهم المنافقون ويعضد ذلك قوله يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم
إنما تجزون ما كنتم اي يقال لهم ذلك عند دخولهم النار لا تعتذروا لانه لا عذر لكم او لانه لا ينفعكم الاعتذار يا أيها
الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا وصفت التوبة بالنصح على الاسناد المجازي والنصح صفة التائبين
وهو ان ينصحوا بالتوبة انفسهم فيأتوا بها على طريقتها متداركة للفرطات ماحية للسيئات وذلك
ان يتوبوا عن القبائح لقبحها نادمين عليها مغتمين اشد الاغتمام لارتكابها عازمين على انهم لا يعودون
في قبيح من القبائح الى ان يعود اللبن في الضرع موطنين انفسهم عليه وعن علي رضي الله عنه انه سمع اعرابيا
يقول اللهم اني استغفرك واتوب اليك فقال يا هذا ان سرعة اللسان بالتوبة توبة الكذابين قال وما
التوبة قال يجمعها ستة اشياء على الماضي من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال
الخصوم وان تعزم على ان لا تعود وان تذيب نفسك في طاعة الله كما ربيتها في المعصية وان تذيقها
مرارة الطاعات كما اذقتها حلاوة المعاصي وعن حذيفة بحسب الرجل من الشر ان يتوب عن الذنب ثم
يعود فيه وعن شهر بن حوشب ان لا يعود ولو حز بالسيف واحرق بالنار وعن ابن السماك ان تنصب الذنب
الذي اقللت فيه الحياء من الله امام عينك وتستعد لمنتظرك وقيل توبة لا يتاب منها وعن السدي
لا تصح التوبة الا بنصيحة النفس والمؤمنين لان من صحت توبته احب ان يكون الناس مثله وقيل نصوحا
من نصاحة الثوب اي توبة ترفو خروقك في دينك وترم خللك وقيل خالصة من قولهم عسل
ناصح اذا خلص من الشمع ويجوز ان يراد توبة تنصح الناس اي تدعوهم الى مثلها لظهور اثرها
في صاحبها واستعماله الجد والعزيمة في العمل على مقتضياتها وقرأ زيد بن علي رضي الله عنه توبا
نصوحا وقرئ نصوحا بالضم وهو مصدر نصح والنصح والنصوح كالشكر والشكور والكفر والكفور
اي ذات نصوح او تنصح نصوحا او توبوا النصح لانفسكم على انه مفعول له عسى ربكم أن
يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار اطماع من الله لعباده وفيه وجهان
احدهما ان يكون على ما جرت به عادة الجبابرة من الاجابة بعسى ولعل ووقوع ذلك منهم موقع القطع
والبت والثاني ان يجيء تعليما للعباد ووجوب الترجح بين الخوف والرجاء والذي يدل على المعنى الاول
وانه في معنى البت قراءة ابن ابي عبلة ويدخلكم بالجزم عطفا على محل عسى ان يكفر كأنه قيل توبوا يوجب
تكفير سيئاتكم ويدخلكم يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم
نصب بيدخلكم ولا يخزي تعريض بمن اخزاهم الله من اهل الكفر والفسوق واستحماد الى المؤمنين على
انه عصمهم من مثل حالهم يسعى نورهم على الصراط يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير
قال ابن عباس يقولون ذلك اذا طفئ نور المنافقين اشفاقا وعن الحسن الله متممه لهم ولكنهم يدعون
تقربا الى الله كقوله واستغفر لذنبك وهو مغفور له وقيل يقوله ادناهم منزلة لانهم يعطون

من الموت ندرت ما يبصرون به من الطمأنينة لهم لمن الموت على قدر الاعمال فيتفاوتون انما هم متصلا وقيل
السابقون الى الجنة يمرون مثل البرق على الصراط وبعضهم كالريح وبعضهم حبوا وزحفا اولئك
الذين يقولون ربنا اتمم لنا نورنا فان قلت كيف يشفقون والمؤمنون آمنون اما يأتي آمنا يوم
القيمة لا خوف عليهم ولا هم يحزنون لا يحزنهم الفزع الاكبر وكيف يتقربون وليست الدار دار تقرب
قلت اما الاشفاق فيجوز ان يكون على عادة البشرية وان كانوا معتقدين للامن واما التقرب فلما كانت
حالهم كحال المتقربين حيث يطلبون ما هو حاصل لهم من الرحمة سماه تقربا يا ايها النبي جاهد الكفار
بالسيف والمنافقين بالاحتجاج واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير واستعمل الغلظة والخشونة
على الفريقين فيما تجاهدهما به من القتال والمحاجة وعن قتادة مجاهدة المنافقين باقامة الحدود
عليهم وقيل بافشاء اسرارهم ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح
وامرأت لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل
ادخلا النار مع الداخلين وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون اذ قالت
رب ابن لي عندك بيتا في الجنة مثل الله عز وجل حال الكفار في انهم لا ينفعهم ما
كان بينهم من لحمة نسب او وصلة صهر لان عداوتهم لهم وكفرهم بالله ورسوله قطع العلائق
وبت الوصل وجعلهم ابعد من الاجانب وابعد وان كان المؤمن الذي يتصل به الكافر نبيا من انبياء الله
بحال امرأة نوح وامرأة لوط لما نافقتا وخانتا الرسولين لم يغن الرسولان عنهما بحق ما بينهما وبينهما من
وصلة الزواج اغناء ما من عذاب الله وقيل لهما عند موتهما او يوم القيمة ادخلا النار مع الداخلين
الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء او مع داخليها من اخوانكما من قوم نوح وقوم لوط ومثل حال المؤمنين
وان وصلة الكافرين لا تضرهم ولا تنقص شيئا من ثوابهم وزلفاهم عند الله بحال امرأة فرعون
ومنزلتها عند الله مع كونها زوجة اعدى اعداء الله الناطق بالكلمة العظمى ومريم ابنة عمران
وما اوتيت من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع ان قومها كانوا كفارا وفي طي
هذين التمثيلين تعريض بامي المؤمنين المذكورتين في اول السورة وما فرط منهما من التظاهر على رسول
الله صلى الله عليه وسلم بما كرهه وتحذير لهما على اغلظ وجه واشده لما في التمثيل من ذكر الكفر ونحوه
في التغليظ قوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين واشارة الى ان من حقهما ان تكونا في الاخلاص والكمال فيه
كمثل هاتين المؤمنتين وان لا تتكلا على انهما زوجا رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ذلك الفضل
لا ينفعهما الا مع كونهما مخلصتين والتعريض بحفصة ارجح لان امرأة لوط افشت عليه كما افشت حفصة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم واسرار التنزيل ورموزه في كل باب بالغة من اللطف والخفاء حدا يدق عن تفطن
العالم ويزل عن تبصره فان قلت ما فائدة قوله من عبادنا قلت لما كان مبنى التمثيل على وجود
الصلاح في الانسان كائنا من كان وانه وحده هو الذي يبلغ الفوز وينال ما عند الله قال عبدين من عبادنا
صالحين فذكر النبيين المشهورين العلمين بانهما عبدان لم يكونا الا كسائر عبادنا من غير تفاوت
بينهما وبينهم الا بالصلاح وحده اظهارا وابانة لان عبدا من العباد لا يرجح عنده الا بالصلاح لا غير وان ما
سواه مما يرجح به الناس عند الناس ليس بسبب للرجحان عنده فان قلت ما كانت خيانتهما قلت
نفاقهما وابطانهما الكفر وتظاهرهما على الرسولين فامرأة نوح قالت لقومه انه مجنون وامرأة لوط
دلت على ضيفانه ولا يجوز ان يراد بالخيانة الفجور لانه سمج في الطباع نقيصة عند كل احد بخلاف
الكفر فان الكفار لا يستسمجونه ويسمونه حقا وعن ابن عباس ما بغت امرأة نبي قط وامرأة فرعون
آسية بنت مزاحم وقيل هي عمة موسى عليه الصلوة والسلام آمنت حين سمعت بتلقف عصا موسى
الافك فعذبها فرعون عن ابي هريرة ان فرعون وتد امرأته باربعة اوتاد واستقبل بها الشمس
واضجعها على ظهرها ووضع رحا على صدرها وقيل امر بان تلقى عليها صخرة عظيمة فدعت الله
فرقى بروحها فالقيت الصخرة على جسد لا روح فيه وعن الحسن فنجاها الله اكرم نجاة ورفعها
الى الجنة فهي تأكل وتشرب وتنعم فيها وقيل لما قالت رب ابن لي اريت بيتها في الجنة يبنى وقيل
انه من درة وقيل كانت تعذب في الشمس فتظلها الملئكة فان قلت ما معنى الجمع بين عندك
وفي الجنة قلت طلبت القرب من رحمة الله والبعد من عذاب اعدائه ثم بينت مكان القرب
بقولها في الجنة او ارادت ارتفاع الدرجة في الجنة وان تكون جنتها من الجنات التي هي اقرب الى العرش

وهي جنات المأوى فعبرت عن القرب الى العرش بقولها عندك ونجني من فرعون وعمله من عمل فرعون
او من نفس فرعون الخبيثة وسلطانه الغشوم وخصوصا من عمله وهو الكفر وعبادة الاصنام والظلم
والتعذيب بغير جرم ونجني من القوم الظالمين من القبط كلهم وفيه دليل على ان الاستعاذة بالله والالتجاء
اليه ومسألة الخلاص منه عند المحن والنوازل من سير الصالحين وسنن الانبياء فنجني ونجني ومن
معي من المؤمنين ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ومريم ابنت عمران التي احصنت فرجها
فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتابه وكتبه وكانت من القانتين فيه في الفرج
وقرأ ابن مسعود فيها كما قرئ في سورة الانبياء والضمير للجملة وقد مر لي في هذا الطرف كلام
ومن بدع التفاسير ان الفرج هو جيب الدرع ومعنى احصنته منعته جبريل وانه جمع في التمثيل بين
التي لها زوج والتي لا زوج لها تسلية للارامل وتطييبا لانفسهن وصدقت وصدقت بالتشديد والتخفيف
على انها جعلت الكلمات والكتب صادقة يعني وصفتها بالصدق وهو معنى التصديق بعينه فان قلت
فما كلمات الله وكتبه قلت يجوز ان يراد بكلماته صحفه التي انزلها على ادريس وغيره سماها كلمات
لقصرها وبكتبه الكتب الاربعة وان يراد بها جميع ما كلم الله به ملائكته وغيرهم وجميع ما في اللوح
وغيره وقرئ بكلمة الله وكتابه اي بعيسى وبالكتاب المنزل عليه وهو الانجيل فان قلت لم قيل
من القانتين على التذكير قلت لان القنوت صفة تشمل من قنت من القبيلين فغلب ذكوره على
اناثه ومن للتبعيض ويجوز ان يكون لابتداء الغاية على انها ولدت من القانتين لانها من اعقاب هرون
اخي موسى عليهما السلام وعن النبي صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع
آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة
على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام واما ما روي ان عائشة سألت رسول الله صلى الله عليه
وسلم كيف سمى الله المسلمة ولم يسم الكافرة فقال بغضا لها قالت فما اسمها قال اسم امرأة
نوح واعلة واسم امرأة لوط واهلة فحديث اثر الصنعة ظاهر عليه ولقد سمى الله جماعة من الكفار
باسمائهم وكناهم ولو كانت التسمية للحب وتركها للبغض لسمى آسية وقد قرن بينها وبين مريم
في التمثيل للمؤمنين وابى الله الا ان يجعل للمصنوع امارة تنم عليه وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم
احكم واسلم من ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحا

سورة الملك مكية وهي ثلاثون آية وتسمى الواقية والمنجية لانها تقي

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك تعالى وتعاظم عن صفات المخلوقين الذي بيده الملك على كل موجود وهو على كل شيء مما لم يوجد
مما يدخل تحت القدرة قدير وذكر اليد مجاز عن الاحاطة بالملك والاستيلاء عليه الذي خلق الموت
والحيوة وقيل ما يوجب كون الشيء حيا وهو الذي يصح منه ان يعلم ويقدر
والموت عدم ذلك فيه ومعنى خلق الموت والحيوة ايجاد ذلك المصحح واعدامه والمعنى خلق موتكم
وحيوتكم ايها المكلفون ليبلوكم وسمى علم الواقع منهم باختيارهم بلوى وهي الخبرة استعارة من فعل
المختبر فان قلت من اين تعلق قوله ايكم احسن عملا بفعل البلوى قلت من حيث انه تضمن معنى
العلم فكانه قيل ليعلمكم ايكم احسن عملا واذا قلت علمته ازيد احسن عملا ام هو كانت هذه الجملة
واقعة موقع الثاني من مفعوليه كما تقول علمته هو احسن فان قلت اتسمي هذا تعليقا
قلت لا انما التعليق ان توقع بعده ما يسد مسد المفعولين جميعا كقولك علمت ايهما عمرو وعلمت
ازيد منطلق الا ترى انه لا فصل بعد سبق احد المفعولين بين ان يقع ما بعده مصدرا بحرف الاستفهام
وغير مصدر به ولو كان تعليقا لافترقت الحالتان كما افترقتا في قولك علمت ازيد منطلق وعلمت
زيدا منطلقا احسن عملا اخلصه واصوبه لانه اذا كان خالصا غير صواب لم يقبل وكذلك اذا كان
صوابا غير خالص فالخالص ان يكون لوجه الله والصواب ان يكون على السنة وعن النبي صلى الله عليه
وسلم انه تلاها فلما بلغ قوله ايكم احسن عملا قال ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله يعني ايكم اتم

عقلا عن الله وفهما لاغراضه والمراد انه اعطاكم الحيوة التي تقدرون بها على العمل وستمكنون منه
وسلط عليكم الموت الذى هو داعيكم الى اختيار العمل الحسن على القبيح لان وراءه البعث والجزاء الذي
لا بد منه وقدم الموت على الحيوة لان اقوى الناس داعيا الى العمل من نصب موته بين عينيه فقدم لانه
فيما يرجع الى الغرض المسوق له الاية اهم العزيز الغالب الذي لا يعجزه من اسا العمل الغفور لمن تاب
من اهل الاساءة الذي خلق سبع سموات طباقا مطابقة بعضها فوق بعض من طابق النعل اذا خصفها
طبقا على طبق وهذا وصف بالمصدر او على ذات طباق او على طوبقت طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت
وقرئ من تفوت ومعنى البنائين واحد كقولهم تظاهروا من نسائهم وتظهروا وتعاهدته وتعهدته
اي من اختلاف واضطراب في الخلقة ولا تناقض انما هي مستوية مستقيمة وحقيقة التفاوت عدم التناسب
كان بعض الشي يفوت بعضا ولا يلايمه ومنه قولهم خلق متفاوت وفي نقيضه متناصف فان قلت
كيف موقع هذه الجملة مما قبلها قلت هي صفة مشايعة لقوله طباقا واصلها ما ترى فيهن من تفاوت
فوضع مكان الضمير قوله خلق الرحمن تعظيما لخلقهن وتنبيها على سبب سلامتهن من التفاوت وهو انه
خلق الرحمن وانه بباهر قدرته هو الذي يخلق مثل ذلك الخلق المتناسب والخطاب فيما ترى للرسول
او لكل مخاطب وقوله فارجع البصر متعلق به على معنى التسبيب اخبره بانه لا تفاوت في خلقهن ثم
قال فارجع البصر حتى يصح عندك ما اخبرت به من المعاينة ولا تبقى معك شبهة فيه هل ترى من فطور
من صدوع وشقوق جمع فطر وهو الشق يقال فطره فانفطر ومنه فطر ناب البعير كما يقال شق
وبزل ومعناه شق اللحم فطلع ثم ارجع البصر كرتين وامره بتكرير البصر فيهن متصفحا ومتتبعا
يلتمس عيبا وخللا ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير اي ان رجعت البصر وكررت النظر لم يرجع
اليك بما التمسته من رؤية الخلل وادراك العيب بل يرجع اليك بالخسوء والحسور اي بالبعد عن
اصابة الملتمس كانه يطرد عن ذلك طردا بالصغار والقماءة وبالاعياء والكلال لطول الاجالة والترديد
فان قلت كيف ينقلب البصر خاسئا حسيرا برجعه كرتين اثنتين قلت معنى التثنية التكرير
بكثرة كقولهم لبيك وسعديك تريد اجابات كثيرة بعضها في اثر بعض وقولهم في المثل دهدرين
سعد القين من ذلك اي باطلا بعد باطل فان قلت فما معنى ثم ارجع قلت امره برجع البصر
ثم امره بان لا يقتنع بالرجعة الاولى وبالنظرة الحمقاء وان يتوقف بعدها ويجم بصره ثم يعاود
ويعاود الى ان يحسر بصره من طول المعاودة فانه لا يعثر على شي من فطور ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح
وجعلناها رجوما للشياطين الدنيا القربى لانها اقرب السموات الى الناس ومعناها السماء
الدنيا منكم والمصابيح السرج سميت بها الكواكب والناس يزينون مساجدهم ودورهم باثقاب
المصابيح فقيل ولقد زينا سقف الدار التي اجتمعتم فيها بمصابيح اي باي مصابيح لا توازيها مصابيحكم
اضاءة وضممنا الى ذلك منافع اخر انا جعلناها رجوما لاعدائكم الشياطين الذين يخرجونكم من النور
الى الظلمات وتهتدون بها في ظلمات البر والبحر قال قتادة خلق الله النجوم لثلاث زينة للسماء ورجوما
للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تاول فيها غير ذلك فقد تكلف ما لا علم له به وعن محمد بن كعب والله
ما لاحد من اهل الارض في السماء نجم ولكنهم يتخذون الكهانة ويتخذون النجوم علة والرجوم جمع رجم
وهو مصدر سمي به ما يرجم به ومعنى كونها مراجم للشياطين ان الشهب التي تنقض لرمي المسترقة
منهم منفصلة من نار الكواكب لا انهم يرجمون بالكواكب انفسها لانها قارة في الفلك على حالها
وما ذاك الا كقبس يوخذ من نار والنار ثابتة كاملة لا تنقص وقيل من الشياطين المرجومة من يقتله
الشهاب ومنهم من يخبله وقيل معناه وجعلناها ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين الانس وهم
النجامون واعتدنا لهم عذاب السعير في الاخرة بعد الاحراق بالشهب في الدنيا وللذين كفروا
بربهم عذاب جهنم وبئس المصير اي ولكل من كفر بالله من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم ليس الشياطين
المرجومين مخصوصين بذلك وقرئ عذاب جهنم بالنصب عطفا على عذاب السعير اذا القوا فيها اي
طرحوا كما يطرح الحطب في النار العظيمة ويرمى بها ومثله حصب جهنم سمعوا لها شهيقا اما لاهلها
ممن تقدم طرحهم فيها او من انفسهم كقوله لهم فيها زفير وشهيق واما للنار تشبيها لحسيسها المنكر
الفظيع بالشهيق وهي تفور تكاد تميز من الغيظ تفور تغلي بهم غليان المرجل بما فيه وجعلت كالمغتاظة
عليهم لشدة غليانها بهم ويقولون فلان يتميز غيظا ويتقصف غضبا وغضب فطارت منه شقة في الارض

وشقه في السما

وشقه في السماء اذا وصفوه بالافراط وكونها تزداد غيظا الزبانية كلما القي فيها فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير
توبيخ يزدادون به عذابا الى عذابهم وحسرة الى حسرتهم وخزنتها مالك واعوانه من الزبانية قالوا بلى قد
جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شي اعتراف منهم بعدل الله واقرار بان الله عز وعلا ازاح عللهم
ببعثه الرسل وانذارهم ما وقعوا فيه وانهم لم يؤتوا من قدرته كما تزعم المجبرة وانما اتوا من قبل
انفسهم واختيارهم خلاف ما اختار الله وامر به واوعد على ضده فان قلت ان انتم الا في ضلال كبير
من المخاطبون به قلت هو من جملة قول الكفار وخطابهم للمنذرين على ان النذير بمعنى الانذار والمعنى
الم ياتكم اهل نذير او وصف منذروهم لغلوهم في الانذار كانهم ليسوا الا انذارا وكذلك
قد جاءنا نذير ونظيره قوله انا رسول رب العالمين اي حاملا رسالته ويجوز ان يكون من كلام الخزنة
للكفار على ارادة القول ارادوا حكاية ما كانوا عليه من ضلالهم في الدنيا او ارادوا بالضلال الهلاك
او سموا عقاب الضلال باسمه او من كلام الرسل لهم حكوه للخزنة اي قالوا لنا هذا فلم نقبله وقالوا لو
كنا نسمع الانذار سماع طالبين للحق او نعقل ما كنا في اصحاب السعير او نعقله
عقل متاملين وقيل انما جمع بين السمع والعقل لان مدار التكليف على ادلة السمع والعقل ومن
بدع التفاسير ان المراد لو كنا على مذهب اصحاب الحديث او على مذهب اصحاب الراي كان هذه
الاية نزلت بعد ظهور هذين المذهبين وكان سائر اصحاب المذاهب والمجتهدين قد انزل الله
وعيدهم وكان من كان من هؤلاء فهو من الناجين لا محالة وعدة المبشرين من الصحابة عشرة لم
يضم اليهم حادي عشر وكان من يجوز على الصراط اكثرهم لم يسمعوا باسم هذين الفريقين فاعترفوا
بذنبهم بكفرهم في تكذيبهم الرسل فسحقا لاصحاب السعير فسحقا قرئ بالتخفيف والتثقيل
اي فبعدا لهم اعترفوا او جحدوا فان ذلك لا ينفعهم ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة واجر كبير
واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور الا يعلم من خلق
وهو اللطيف الخبير ظاهره الامر باحد الامرين الاسرار والاجهار ومعناه ليستوي عندكم
اسراركم واجهاركم في علم الله بهما ثم انه علله بانه عليم بذات الصدور وهي ضمائرها قبل ان تترجم
الالسنة عنها فكيف لا يعلم ما تكلم به ثم انكر ان لا يحيط علما بالمضمر والمسر والمجهر من خلق الاشياء وحاله
بانه اللطيف الخبير المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن ويجوز ان يكون من خلق منصوبا بمعنى الا
يعلم مخلوقه وهذه حاله وروي ان المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم باشياء فيظهر الله رسوله
عليها فيقولون اسروا قولكم لئلا يسمعه اله محمد فنبه الله على جهلهم فان قلت قدرت في الا يعلم
مفعولا على معنى الا يعلم ذلك المذكور مما اضمر في القلب واظهر باللسان من خلق فهلا جعلته مثل
قولهم يعطي ويمنع وهلا كان المعنى الا يكون عالما من هو خالق لان الخلق لا يصح الا مع العلم قلت ابت ذلك
الحال التي هي قوله وهو اللطيف الخبير لانك لو قلت الا يكون عالما من هو خالق وهو اللطيف الخبير لم
يكن معنى صحيحا لان الا يعلم معتمد على الحال والشي لا يوقت بنفسه فلا يقال الا يعلم وهو عالم ولكن
الا يعلم كذا وهو عالم بكل شي هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها المشي
في مناكبها مثل لفرط التذليل ومجاوزته الغاية لان المنكبين وملتقاهما من الغارب ارق شي من
البعير وانباه عن ان يطاه الراكب بقدمه ويعتمد عليه فاذا جعلها في الذل بحيث يمشي في مناكبها
لم يترك وقيل مناكبها جبالها قال الزجاج معناه سهل لكم السلوك فيها فاذا امكنكم السلوك
في جبالها فهو ابلغ التذليل وقيل جوانبها وكلوا من رزقه واليه النشور والمعنى واليه نشوركم
فهو مسائلكم عن شكر ما انعم به عليكم أأمنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض فاذا هي
تمور ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا من في السماء فيه وجهان احدهما من ملكوته
في السماء لانها مسكن ملائكته وثم عرشه وكرسيه واللوح المحفوظ ومنها تنزل قضاياه وكتبه
واوامره ونواهيه والثاني انهم كانوا يعتقدون التشبيه وانه في السماء وان الرحمة والعذاب
ينزلان منه وكانوا يدعونه من جهتها فقيل لهم على حسب اعتقادهم أأمنتم من تزعمون انه في السماء وهو
متعال عن المكان ان يعذبكم بخسف او بحاصب كما تقول لبعض المشبهة اما تخاف من فوق العرش
ان يعاقبك بما تفعل اذا رايته يركب بعض المعاصي فستعلمون وقرئ بالتاء والياء كيف نذير
اي اذا رايتم المنذر به علمتم كيف انذاري حين لا ينفعكم العلم ولقد كذب الذين

من قبلهم فكيف كان نكير ۝ أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات باسطات أجنحتهن في الجو عند
طيرانها لأنهن إذا بسطنها صففن قوادمها صفا ويقبضن ويضممنها إذا ضربن بها جنوبهن فإن قلت
لم قيل ويقبضن ولم يقل وقابضات قلت لأن أصل الطيران هو صف الأجنحة لأن الطيران في الهواء هو
كالسباحة في الماء والأصل في السباحة مد الأطراف وبسطها وأما القبض فطارئ على البسط
للاستظهار به على التحرك فجيء بما هو طارئ غير أصل بلفظ الفعل على معنى أنهن صافات ويكون
منهن القبض تارة كما يكون من السابح ما يمسكهن إلا الرحمن بقدرته وبما دبر لهن من القوادم
والخوافي وبنى الأجسام على شكل وخصائص قد تأتى منها الجري في الجو ۝ إنه بكل شيء بصير
يعلم كيف يخلق وكيف يدبر العجائب أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن
إن الكافرون إلا في غرور ۝ أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه أمن يشار إليه من
الجموع ويقال من هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الله إن أرسل عليكم عذابه أمن يشار
إليه ويقال هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه وهذا على التقدير ويجوز أن يكون إشارة جميع
الأوثان لاعتقادهم أنهم يحفظون من النوائب ويرزقون ببركة آلهتهم فكأنهم الجند الناصر
والرازق ونحوه قوله أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا بل لجوا في عتو ونفور بل تمادوا في عناد وشراد
عن الحق لثقله عليهم فلم يتبعوه أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أمن يمشي سويا على صراط
مستقيم ۝ يجعل أكب مطاوع كبه يقال كببته فأكب من الغرائب والشواذ ونحوه
قشعت الريح السحاب فأقشع وما هو كذلك ولا شيء من بناء أفعل مطاوعا ولا يتقن نحو هذا إلا حملة
كتاب سيبويه وإنما أكب من باب أنفض وألام ومعناه دخل في الكب وصار ذا كب وكذلك أقشع السحاب
إذا دخل في القشع ومطاوع كب وقشع انكب وانقشع فإن قلت ما معنى يمشي مكبا على وجهه
وكيف قابل يمشي سويا على صراط مستقيم قلت معناه يمشي معتسفا في مكان متعاد غير
مستو فيه انخفاض وارتفاع فيعثر كل ساعة فيخر على وجهه مكبا فحاله نقيض من يمشي سويا
أي قائما سالما من العثور والخرور أو مستوي الجهة قليل الانحراف خلاف المتعسف الذي ينحرف هكذا
وهكذا على طريق مستو ويجوز أن يراد الأعمى الذي لا يهتدي إلى الطريق فيتعسف فلا يزال ينكب على وجهه
وأنه ليس كالرجل السوي الصحيح البصر الماشي في الطريق المهتدي له وهو مثل للمؤمن والكافر وعن
قتادة الكافر أكب على معاصي الله فحشره الله يوم القيامة على وجهه وعن الكلبي عنى به أبو جهل بن هشام
وبالسوي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقيل حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه قل هو الذي أنشأكم
وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون ۝ قل هو الذي ذرأكم في الأرض وإليه
تحشرون ۝ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ۝ قل إنما العلم عند الله وإنما أنا نذير
مبين ۝ فلما رأوه الضمير للوعد زلفة والزلفة القرب وانتصابها على الحال أو الظرف أي رأوه
ذا زلفة أو مكانا ذا زلفة سيئت وجوه الذين كفروا أي ساءت رؤية الوعد وجوههم بأن علتها الكآبة
وغشيها الكسوف والقترة وكلحوا وكما يكون وجه من يقاد إلى القتل أو يعرض على بعض
العذاب وقيل القائلون الزبانية هذا الذي كنتم به تدعون ۝ تفتعلون من الدعاء أي تطلبون
وتستعجلون به وقيل هو من الدعوى أي كنتم بسببه تدعون أنكم لا تبعثون وقرئ تدعون وعن بعض الزهاد أنه
تلاها في أول الليل في صلاته فبقي يكررها وهو يبكي إلى أن نودي لصلاة الفجر ولعمري إنها لوقادة لمن
تصور تلك الحالة وتأملها قل أرأيتم إن أهلكني الله ومن معي أو رحمنا فمن يجير الكافرين
من عذاب أليم ۝ قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا فستعلمون من هو في ضلال مبين كان كفار
مكة يدعون على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى المؤمنين بالهلاك فأمر أن يقول نحن مؤمنون متربصون
لإحدى الحسنيين إما أن نهلك كما تتوقعون فننقلب إلى الجنة أو نرحم بالنصرة والإدالة للإسلام كما نرجوا
وأنتم ما تصنعون من يجيركم وأنتم كافرون من عذاب النار لا بد لكم منه يعني أنكم تطلبون لنا الهلاك
الذي هو استعجال للفوز والسعادة وأنتم في أمر هو الهلاك الذي لا هلاك بعده وأنتم غافلون لا
تطلبون الخلاص منه أو إن أهلكنا الله بالموت فمن يجيركم بعد موت هداتكم والآخذين بحجزكم
من النار وإن رحمنا بالإمهال والغلبة عليكم وقتلكم فمن يجيركم فإن المقتول على أيدينا هالك وإن
أهلكنا الله في الآخرة بذنوبنا ونحن مسلمون فمن يجير الكافرين وهم أولى بالهلاك لكفرهم وإن

وإن رحمنا بالإيمان فمن يجير من لا إيمان له فإن قلت لم أخر مفعول آمنا وقدم مفعول توكلنا قلت
لوقوع آمنا تعريضا بالكافرين حين ورد عقيب ذكرهم كأنه قيل آمنا ولم نكفر كما كفرتم ثم قال وعليه توكلنا
خصوصا لم نتكل على ما أنتم عليه من رجالكم وأموالكم قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم
بماء معين ۝ غورا غائرا ذاهبا في الأرض وعن الكلبي لا تناله الدلاء وهو وصف بالمصدر كعدل
ورضى وعن بعض الشطار أنها تليت عنده فقال تجيء به الفؤوس والمعاول فذهب ماء عينيه نعوذ
بالله من الجراءة على الله وعلى آياته عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الملك فكأنما أحيى

سورة ن مكية وهي ثنتان وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

ن والقلم قرئ ن والقلم بالبيان والإدغام وبسكون النون وفتحها وكسرها كما في ص والمراد هذا الحرف
من حروف المعجم وأما قولهم هو الدواة فما أدري أهو وضع لغوي أم شرعي ولا يخلو إذا كان اسما
للدواة من أن يكون جنسا أو علما فإن كان جنسا فأين الإعراب والتنوين وإن كان علما فأين الإعراب وأيهما كان فلا
بد له من موقع في تأليف الكلام فإن قلت هو مقسم به وجب إن كان جنسا أن تجره وتنونه
ويكون القسم بدواة منكرة مجهولة كأنه قيل ودواة والقلم وإن كان علما أن تصرفه وتجره أو لا تصرفه
وتفتحه للعلمية والتأنيث وكذلك التفسير بالحوت إما أن يراد نون من النينان أو يجعل علما
للبهموت الذي يزعمون والتفسير باللوح من نور أو ذهب والنهر في الجنة نحو ذلك وأقسم بالقلم
تعظيما له لما في خلقه وتسويته من الدلالة على الحكمة العظيمة ولما فيه من المنافع والفوائد التي لا
يحيط بها الوصف وما يسطرون ۝ وما يكتب من كتب وقيل وما يسطره الحفظة وما موصولة
أو مصدرية ويجوز أن يراد بالقلم أصحابه فيكون الضمير في يسطرون لهم كأنه قيل وأصحاب القلم
ومسطوراتهم أو وسطرهم ويراد بهم كل من يسطر أو الحفظة ما أنت بنعمة ربك بمجنون
فإن قلت بم يتعلق الباء في بنعمة ربك وما محله قلت يتعلق بمجنون منفيا كما يتعلق بعاقل مثبتا
في قولك أنت بنعمة ربك عاقل مستويا في ذلك الإثبات والنفي استواءهما في قولك ضرب زيد عمرا
وما ضرب زيد عمرا تعمل الفعل مثبتا ومنفيا إعمالا واحدا ومحله النصب على الحال كأنه قال ما
أنت مجنون منعما عليك بذلك ولم تمنع الباء أن يعمل مجنون فيما قبله لأنها زائدة لتأكيد النفي المعنى
استبعاد ما كان ينسبه إليه كفار مكة عداوة وحسدا وأنه من إنعام الله عليه بحصافة العقل
والشهامة التي يقتضيها التأهيل للنبوة وإن لك على احتمال ذلك وإساغة الغصة والصبر عليه لأجرا
لثوابا غير ممنون غير مقطوع كقوله عطاء غير مجذوذ أو غير ممنون عليك لأنه ثواب تستوجبه
على عملك وليس بتفضل ابتداء وإنما تمن الفواضل لا الأجور على الأعمال وإنك لعلى خلق عظيم
استعظم خلقه لفرط احتماله الممضات من قومه وحسن مخالقته ومداراته لهم وقيل هو
الخلق الذي أمره الله به في قوله خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وعن عائشة
أن سعيد بن هشام سألها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت كان خلقه القرآن
ألست تقرأ القرآن قد أفلح المؤمنون فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون المفتون المجنون
لأنه فتن أي محن بالجنون أو لأن العرب يزعمون أنه من تخبيل الجن وهم الفتان للفتاك منهم
والباء مزيدة أو المفتون مصدر كالمعقول والمجلود أي بأيكم الجنون أو بأي الفريقين منكم
المجنون أبفريق المؤمنين أم بفريق الكافرين أي في أيهما يوجد من يستحق هذا الاسم وهو تعريض
بأبي جهل بن هشام والوليد بن المغيرة وأضرابهما وهذا كقوله سيعلمون غدا من الكذاب الأشر
إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله بالمجانين على الحقيقة وهم الذين ضلوا عن سبيله فلا تطع
المكذبين ۝ تهييج وإلهاب للتصميم على معاصاتهم وكانوا قد أرادوه على أن يعبد الله مدة ويكفوا
عنه ويكفوا عنه غوائلهم ودوا لو تدهن فيدهنون فإن قلت لم رفع فيدهنون
ولم ينصب بإضمار أن وهو جواب التمني قلت قد عدل به إلى طريق آخر وهو أن جعل خبر مبتدأ
محذوف أي فهم يدهنون كقوله فمن يؤمن بربه فلا يخاف على معنى ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ

او ودوا ادهانك لو تلين الان يدهنون لطمعهم في ادهانك قال سيبويه وزعم هارون انها في بعض المصاحف
ودوا لو تدهن فيدهنوا ولا تطع كل حلاف كثير الحلف في الحق والباطل وكفى به مزجرة
لمن اعتاد الحلف ومثله قوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم مهين من المهانة وهي القلة والحقارة
يريد القلة في الراي والتمييز او اراد الكذاب لانه حقير عند الناس هماز عياب طعان وعن الحسن
يلوي شدقيه في اقفية الناس مشاء بنميم مضرب نقال للحديث من قوم الى قوم على وجه السعاية
والافساد بينهم والنميم والنميمة السعاية وانشد لبعض العرب

تشبي تشبب النميمة تمشي بها زهرا الى تميمة

مناع للخير بخيل والخير المال او مناع اهله الخير وهو الاسلام فذكر الممنوع منه دون الممنوع
كانه قال مناع من الخير قيل هو الوليد بن المغيرة المخزومي كان موسرا وكان له عشرة من البنين
فكان يقول لهم ولحمته من اسلم منكم منعته رفدي وعن ابن عباس وعنه انه ابو جهل
وعن مجاهد الاسود بن عبد يغوث وعن السدي الاخنس بن شريق اصله في ثقيف وعداده في
زهرة ولذلك قيل زنيم معتد مجاوز في الظلم حده اثيم كثير الاثام عتل غليظ جاف من عتله اذا
قاده بعنف وغلظة بعد ذلك بعد ما عد له من المثالب والنقائص زنيم دعي قال حسان

وانت زنيم نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

وكان الوليد دعيا في قريش ليس من سنخهم ادعاه ابوه بعد ثماني عشرة من مولده وقيل بغت امه
ولم يعرف حتى نزلت هذه الآية جعل جفاءه ودعوته اشد معايبه لانه اذا جفا وغلظ طبعه قسا
قلبه واجترا على كل معصية ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يدخل الجنة ولد الزنا
ولا ولده ولا ولد ولده وبعد ذلك نظير ثم في قوله ثم كان من الذين آمنوا وعن الحسن عتل زنيم
على الذم وهذه القراءة تقوية لما يدل عليه بعد ذلك والزنيم من الزنمة وهي الهنة من جلد الماعز تقطع
فتخلى معلقة في حلقها لانه زيادة معلقة بغير اهله ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه آياتنا
قال اساطير الاولين ان كان ذا مال متعلق بقوله ولا تطع يعني ولا تطعه مع هذه المثالب لان كان
ذا مال اي ليساره وحظه من الدنيا ويجوز ان يتعلق بما بعده على معنى لكونه متمولا مستظهرا
بالبنين كذب آياتنا ولا يعمل فيه قال الذي هو جواب اذا لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ولكن
ما دلت عليه الجملة من معنى التكذيب وقرئ أأن كان على الاستفهام على ألأن كان ذا مال كذب او
تطيعه لان كان ذا مال وروى الزهري عن نافع إن كان بالكسر والشرط للمخاطب اي لا تطع
كل حلاف شارطا يساره لانه اذا اطاع الكافر لغناه فكانه اشترط في الطاعة الغنى ونحو
صرف الشرط الى المخاطب صرف الترجي اليه في قوله لعله يتذكر سنسمه على الخرطوم الوجه
اكرم موضع في الجسد والانف اكرم موضع من الوجه لتقدمه له ولذلك جعلوه مكان العز
والحمية واشتقوا منه الانفة وقالوا الانف في الانف وحمي انفه وفلان شامخ العرنين وقالوا
في الذليل جدع انفه ورغم انفه فعبر بالوسم على الخرطوم عن غاية الاذلال والاهانة لان السمة على الوجه
شين واذالة فكيف بها على اكرم موضع منه ولقد وسم العباس اباعره في وجوهها فقال
له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اكرموا الوجوه فوسمها في جواعرها وفي لفظ الخرطوم استخفاف
به واستهانة وقيل معناه سنعلمه يوم القيامة بعلامة مشوهة يبين بها عن سائر الكفرة كما
عادى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عداوة بان بها عنهم وقيل خطم يوم بدر بالسيف فبقيت
سمة على خرطومه وقيل سنشهره بهذه الشتيمة في الدارين جميعا فلا تخفى كما لا تخفى السمة على
الخرطوم وعن النضر بن شميل ان الخرطوم الخمر وان معناه سنحده على شربها وهو تعسف وقيل
للخمر الخرطوم كما قيل لها السلافة وهي ما سلف من عصير العنب او لانها تطير في الخياشيم انا بلوناهم
كما بلونا اصحاب الجنة اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون انا بلونا اهل مكة
بالقحط والجوع بدعوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليهم كما بلونا اصحاب الجنة وهم قوم من اهل
الصلاة كانت لابيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين فكان ياخذ منها قوت سنته ويتصدق بالباقي
وكان يترك للمساكين ما اخطاه المنجل وما في اسفل الاكداس وما اخطاه القطاف من العنب وما بقي على
البساط الذي يبسط تحت النخلة اذا صرمت وكان يجتمع لهم شيء كثير فلما مات قال بنوه ان فعلنا

ما كان يفعل

ما كان يفعل ابونا ضاق علينا الامر ونحن اولو عيال فحلفوا ليصرمنها مصبحين في السدف خفية
عن المساكين ولم يستثنوا في يمينهم وقيل كانوا من بني اسرائيل فاحرق الله جنتهم وقيل كانوا من
ثقيف مصبحين داخلين في الصبح ولا يستثنون ولا يقولون ان شاء الله فان قلت لم سمي
استثناء وانما هو شرط قلت لانه يؤدي مؤدى الاستثناء من حيث ان معنى قولك لاخرجن
ان شاء الله ولا اخرج الا ان يشاء الله واحد فطاف عليها طائف بلاء او هلاك طائف كقوله
واحيط بثمره وقرئ طيف من ربك وهم نائمون فاصبحت كالصريم كالمصرومة لهلاك ثمرها
وقيل الصريم الليل اي احترقت فاسودت وقيل النهار اي يبست وذهبت خضرتها ولم يبق
فيها شيء من قولهم بيض الاناء اذا فرغه وقيل الصريم الرمال فتنادوا مصبحين ان اغدوا على
حرثكم ان كنتم صارمين حاصدين فان قلت هلا قيل اغدوا الى حرثكم وما معنى على
قلت لما كان الغدو اليه معنى الاقبال كقولهم يغدى عليه بالجفنة ويراح اي فاقبلوا
على حرثكم باكرين فانطلقوا وهم يتخافتون يتسارون فيما بينهم وخفي وخفت وخفد ثلاثتها
في معنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين ان مفسرة وقرأ
ابن مسعود بطرحها باضمار القول اي يتخافتون يقولون لا يدخلنها والنهي عن الدخول للمسكين نهي لهم
عن تمكينه منه اي لا تمكنوه من الدخول حتى يدخل كقولك لا ارينك ههنا وغدوا على حرد قادرين
الحرد من حاردت السنة اذا منعت خيرها وحاردت الابل اذا منعت درها والمعنى وغدوا قادرين
على نكد لا غير عاجزين عن النفع يعني انهم عزموا ان يتنكدوا على المساكين ويحرموهم وهم
قادرون على نفعهم فغدوا بحال فقر وذهاب مال لا يقدرون فيها الا على النكد والحرمان وذلك
انهم طلبوا حرمان المساكين فتعجلوا الحرمان والمسكنة او وغدوا على محاردة جنتهم وذهاب
خيرها قادرين بدل كونهم قادرين على اصابة خيرها ومنافعها اي غدوا حاصلين على الحرمان مكان
الانتفاع او لما قالوا اغدوا على حرثكم وقد خبثت نيتهم عاقبهم الله بان حاردت جنتهم
وحرموا خيرها فلم يغدوا على حرث وانما غدوا على حرد ليس بصلة قادرين وقيل الحرد بمعنى
الحرد وقرئ على حرد اي لم يقدروا الا على حنق وغضب بعضهم على بعض كقوله يتلاومون وقيل
الحرد القصد والسرعة يقال حردت حردك وقال

اقبل سيل جاء من امر الله يحرد حرد الجنة المغلة

وقطا حراد سراع يعني وغدوا قاصدين الى جنتهم بسرعة ونشاط قادرين عند انفسهم يقولون
نحن نقدر على صرامها وزي منفعتها على المساكين وقيل حرد علم للجنة اي غدوا على تلك
الجنة قادرين على صرامها عند انفسهم او مقدرين ان يتم لهم مرادهم من الصرام والحرمان
فلما راوها قالوا في بديهة وصولهم انا لضالون اي ضللنا جنتنا وما هي بها لما راوا من هلاكها
فلما تاملوا وعرفوا انها هي قالوا بل نحن محرومون حرمنا خيرها لجنايتنا على انفسنا قال اوسطهم
اعدلهم وخيرهم من قولهم هو من سطة قومه واعطني من سطات مالك ومنه قوله تعالى امة
وسطا قال الم اقل لكم لولا تسبحون قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين لولا تسبحون لولا تذكرون
الله وتتوبون اليه من خبث نيتكم كان اوسطهم قال لهم حين عزموا ذلك اذكروا الله وانتقامه
من المجرمين وتوبوا عن هذه العزيمة الخبيثة من فوركم وسارعوا الى حسم شرها قبل حلول النقمة
فعصوه فعيرهم والدليل عليه قولهم سبحان ربنا انا كنا ظالمين فتكلموا بما كان يدعوهم الى التكلم
به على اثر مقارفة الخطيئة ولكن بعد خراب البصرة وقيل المراد بالتسبيح الاستثناء لالتقائهما
في معنى التعظيم لله لان الاستثناء تفويض اليه والتسبيح تنزيه له وكل واحد من التفويض
والتنزيه تعظيم وعن الحسن هو الصلاة كانهم كانوا يتوانون في الصلاة والا لنهتهم عن الفحشاء
والمنكر ولكانت لهم لطفا في ان يستثنوا ولا يحرموا سبحان ربنا سبحوا الله ونزهوه عن الظلم وعن كل
قبيح ثم اعترفوا بظلمهم في منع المعروف وترك الاستثناء فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون
قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين يتلاومون يلوم بعضهم بعضا لان منهم من زين ومنهم من قبل
ومنهم من امر بالكف وعذر ومنهم من عصى الامر ومنهم من سكت وهو راض عسى ربنا ان
يبدلنا خيرا منها اي يبدل لنا وقرئ بالتخفيف والتشديد انا الى ربنا راغبون طالبون منه الخير راجون

لعقوبة كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ● مثل ذلك العذاب الذي بلونا
به اهل مكة واصحاب الجنة عذاب الدنيا ولعذاب الآخرة اشد منه واعظم منه وسئل قتادة عن
اهل الجنة اهم من اهل الجنة ام من اهل النار فقال لقد كلفتني تعبا وعن مجاهد تابوا فابدلوا خيرا
منها وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه بلغني انهم اخلصوا وعرف الله منهم الصدق فابدلهم بها جنة
يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا إن للمتقين عند ربهم اي في الآخرة جنات
النعيم ● جنات ليس فيها الا التنعم الخالص لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنان الدنيا أفنجعل
المسلمين كالمجرمين ● كان صناديد قريش يرون وفور حظهم من الدنيا وقلة حظوظ المسلمين
منها فاذا سمعوا بحديث الآخرة وما وعد الله المسلمون قالوا ان صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه
لم تكن حالهم وحالنا الا مثل ما هي في الدنيا والا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا واقصى امرهم ان يساوونا
فقيل أنحيف في الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين ثم قيل لهم على طريقة الالتفات ما لكم كيف
تحكمون ● هذا الحكم الاعوج كان امر الجزاء مفوض اليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم أم لكم
كتاب فيه تدرسون إن لكم فيه لما تخيرون ● ام لكم كتاب من السماء تدرسون في ذلك
الكتاب ان ما تختارونه وتشتهونه لكم كقوله ام لكم سلطان مبين فاتوا بكتابكم
والاصل تدرسون أن لكم ما تخيرون بفتح ان لانه مدروس فلما جاءت اللام كسرت ويجوز
ان يكون حكاية للمدروس كما هو كقوله وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح وتخير الشيء واختاره
اخذ خيره ونحوه تنخله وانتخله اذا اخذ منخوله أم لكم أيمان علينا بالغة لفلان علي يمين بكذا
اذا ضمنته منه وحلفت له على الوفاء به ام ضمنا منكم واقسمنا لكم بايمان مغلظة متناهية في التوكيد
فان قلت بم يتعلق إلى يوم القيمة قلت بالمقدر بالظرف اي هي ثابتة لكم علينا الى يوم القيمة
لا نخرج عن عهدتها الا اليه وافرة لم تبطل منها يمين الى ان تحصل المقسم عليه من التحكيم وقرأ
الحسن بالغة بالنصب على الحال من الضمير في الظرف إن لكم لما تحكمون ● جواب القسم لان
معنى ام لكم ايمان علينا ام اقسمنا لكم سلهم أيهم بذلك زعيم اي قائم به بالاحتجاج لصحته كما
يقوم الزعيم المتكلم عن القوم المتكلف بامورهم أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم ام لهم شركاء اي
ناس يشاركونهم في هذا القول ويوافقونهم عليه ويذهبون مذهبهم فيه فليأتوا بهم إن كانوا
صادقين ● في دعواهم يعني ان احدا لا يسلم لهم هذا ولا يساعدهم عليه كما انه لا كتاب لهم ينطقون به
ولا عهد لهم به عند الله ولا زعيم لهم يقوم به يوم يكشف عن ساق الكشف عن الساق
عن الخدام مثل في شدة الامر وصعوبة الخطب واصله في الروع والهزيمة وتشمير المخدرات عن سوقهن
في الهرب وابداء خدامهن عند ذلك قال حاتم ●

أخو الحرب ان عضت به الحرب عضها ● وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وقال ابن الرقيات:

تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي ● عن خدام العقيلة العذراء ●

فمعنى يوم يكشف عن ساق في معنى يوم يشتد الامر ويتفاقم ولا كشف ثم ولا ساق كما تقول للاقطع
الشحيح يده مغلولة ولا يد ثم ولا غل وانما هو مثل في البخل واما من شبه فلضيق عطنه وقلة نظره في علم
البيان والذي غره حديث ابن مسعود رضي الله عنه يكشف الرحمن عن ساقه فاما المؤمنون فيخرون
سجدا واما المنافقون فتكون ظهورهم طبقا طبقا كان فيها السفافيد ومعناه يشتد امر الرحمن
ويتفاقم هوله وهو الفزع الاكبر يوم القيمة ثم كان من حق الساق ان تعرف على ما ذهب اليه المشبه
لانها ساق مخصوصة معهودة عنده وهي ساق الرحمن فان قلت لم جاءت منكرة في التمثيل قلت
للدلالة على انه امر مبهم في الشدة منكر خارج عن المألوف كقوله يوم يدع الداع الى شيء نكر كانه
قيل يوم يقع امر فظيع هائل ويحكى هذا التشبيه عن مقاتل وعن ابي عبيدة خرج من خراسان رجلان
احدهما شبه حتى مثل وهو مقاتل بن سليمان والاخر نفى حتى عطل وهو جهم بن صفوان ومن احس
بعظم مضار فقد هذا العلم علم مقدار عظم منافعه وقرئ يوم نكشف بالنون وتكشف بالتاء على
البناء للفاعل والمفعول جميعا والفعل للساعة او للحال اي يوم تشتد الحال او الساعة كما تقول كشفت الحرب
عن ساقها على المجاز وقرئ تكشف بالتاء المضمومة وكسر الشين من اكشف اذا دخل في الكشف
ومنه اكشف الرجل فهو مكشف اذا انقلبت شفته العليا وناصب الظرف فليأتوا او مضمر اذكر او يوم

يكشف عن ساق كان كيت وكيت فحذف للتهويل البليغ وان ثم من الكوائن ما لا يوصف لعظمه ويدعون
إلى السجود فلا يستطيعون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم
سالمون ● عن ابن مسعود رضي الله عنه تعقم اصلابهم اي ترد عظاما بلا مفاصل لا تنثني عند الرفع
والخفض وفي الحديث وتبقى اصلابهم طبقا واحدا اي فقارة واحدة فان قلت لم يدعون الى السجود
ولا تكليف قلت لا يدعون اليه تعبدا او تكليفا ولكن توبيخا وتعنيفا على تركهم السجود في
الدنيا مع اعقام اصلابهم والحيلولة بينهم وبين الاستطاعة تحسيرا لهم وتنديما على ما فرطوا فيه حين
دعوا الى السجود وهم سالموا الاصلاب والمفاصل ممكنون مزاحوا العلل فيما تعبدوا به فذرني
ومن يكذب بهذا الحديث يقال ذرني واياه يريدون كله الي فاني اكفيكه كانه يقول حسبك
ايقاعا به ان تكل امره الي وتخلي بيني وبينه فاني عالم بما يجب ان يفعل به مطيق له والمراد حسبي مجازيا
لمن يكذب بالقرآن فلا تشغل قلبك بشانه وتوكل علي في الانتقام منه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وتهديدا للمكذبين سنستدرجهم استدرجه الى كذا اذا استنزله اليه درجة فدرجة حتى يورطه
فيه واستدراج الله العصاة ان يرزقهم الصحة والنعمة فيجعلوا رزق الله ذريعة ومتسلقا الى
ازدياد الكفر والمعاصي من حيث لا يعلمون ● اي من الجهة التي لا يشعرون انه استدراج وهو الانعام
عليهم لانهم يحسبونه ايثارا لهم وتفضيلا على المؤمنين وهو سبب لهلاكهم وأملي لهم وامهلهم
كقوله تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما والصحة والرزق والمد في العمر احسان من الله وافضال يوجب
عليهم الشكر والطاعة ولكنهم يجعلونه سببا في الكفر باختيارهم فلما تدرجوا به الى الهلاك وصف المنعم
بالاستدراج وقيل كم من مستدرج بالاحسان اليه وكم من مفتون بالثناء عليه وكم من مغرور بالستر
إن كيدي متين ● وسمى احسانه وتمكينه كيدا كما سماه استدراجا لكونه في صورة الكيد حيث
كان سببا للتورط في الهلكة ووصفه بالمتانة لقوة اثر احسانه في التسبب للهلاك أم تسألهم أجرا
فهم من مغرم مثقلون ● المغرم الغرامة اي لم تطلب منهم على الهداية والتعليم اجرا فيثقل عليهم
حمل الغرامات في اموالهم فيثبطهم ذلك عن الايمان أم عندهم الغيب اي اللوح فهم يكتبون منه ما
يحكمون به فاصبر لحكم ربك وهو امهالهم وتأخير نصرتك عليهم ولا تكن كصاحب الحوت
يعني يونس عليه الصلوة والسلام إذ نادى في بطن الحوت وهو مكظوم مملوء غيظا من كظم السقاء
اذا ملاه والمعنى لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر والمغاضبة فتبتلى ببلائه لولا أن تداركه
نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم ● حسن تذكير الفعل لفصل الضمير في تداركه
وقرا ابن عباس وابن مسعود تداركته وقرا الحسن تداركه اي تتداركه على حكاية الحال الماضية
بمعنى لولا ان كان يقال فيه تتداركه كما يقال كان زيد سيقوم فمنعه فلان اي كان يقال فيه
سيقوم والمعنى كان متوقعا فيه القيام ونعمة ربه ان انعم عليه بالتوفيق للتوبة وتاب عليه وقد
اعتمد في جواب لولا على الحال اعني قوله وهو مذموم يعني ان حاله كانت على خلاف الذم حين نبذ بالعراء
ولولا توبته لكانت حاله على الذم وروي انها نزلت باحد حين حل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما
حل به فاراد ان يدعو على الذين انهزموا وقيل حين اراد ان يدعو على ثقيف وقرئ رحمة من ربه
فاجتباه ربه فجمعه اليه وقربه بالتوبة عليه كما قال ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فجعله من الصالحين
اي من الانبياء وعن ابن عباس رضي الله عنهما رد الله اليه الوحي وشفعه في نفسه وقومه وإن يكاد الذين
كفروا ليزلقونك بأبصارهم إن مخففة من الثقيلة واللام علمها وقرئ ليزلقونك بضم الياء وفتحها
وزلقه وازلقه بمعنى ويقال زلق الراس وازلقه حلقه وقرئ ليزهقونك من زهقت نفسه من
زهقت نفسه وازهقها يعني من شدة تحديقهم ونظرهم اليك شزرا بعيون العداوة والبغضاء
يكادون يزلقون قدمك او يهلكونك من قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني ويكاد ياكلني اي
لو امكنه بنظره الصرع او الاكل لفعله قال ●

يتقارضون اذا التقوا في موطن ● نظرا يزل مواطئ الاقدام ●

وقيل كانت العين في بني اسد فكان الرجل منهم يتجوع ثلاثة ايام فلا يمر به شيء فيقول فيه لم ار كاليوم مثله
الا عانه فاريد بعض العيانين على ان يقول في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل ذلك فقال لم ار كاليوم
رجلا فعصمه الله تعالى وعن الحسن دواء الاصابة بالعين ان يقرا هذه الآية لما سمعوا الذكر اي

القرآن لم يملكوا انفسهم حسداً على ما اوتيت من النبوة ﴿ويقولون انه لمجنون﴾ حيرة في امره وتنفيراً عنه
والا فقد علموا انه اعقلهم والمعنى انهم جننوه لاجل القرآن ﴿وما هو الا ذكر﴾ وموعظة ﴿للعالمين﴾
فكيف يجنن من جاء بمثله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القلم اعطاه الله ثواب الذين حسن الله اخلاقهم

سورة الحاقة احدى وخمسون آية وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الحاقة﴾ الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجيء التي هي آتية لا ريب فيها والتي هي حواق
الامور من الحساب والعقاب والثواب والتي تحق فيها الامور اي تعرف على الحقيقة من قولك
لا احق هذا اي لا اعرف حقيقته جعل الفعل لها وهو لاهلها وارتفاعها على الابتداء وخبرها
﴿ما الحاقة﴾ والاصل الحاقة ما هي اي اي شيء هي تفخيماً لشانها وتعظيماً لهولها فوضع الظاهر
موضع المضمر لانه اهول لها ﴿وما ادراك﴾ واي شيء اعلمك ﴿ما الحاقة﴾ يعني انك لا علم لك بكنهها ومدى
عظمها على انه من العظم والشدة بحيث لا تبلغه دراية احد ولا وهمه وكيف ما قدرت حالها فهي
اعظم من ذلك وما في موضع الرفع على الابتداء وادراك معلق عنه لتضمنه معنى الاستفهام ﴿كذبت
ثمود وعاد بالقارعة فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية﴾ القارعة التي تقرع الناس بالافزاع والاهوال
والسماء بالانشقاق والانفطار والارض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار
ووضعت موضع الضمير لتدل على معنى القرع في الحاقة زيادة في وصف شدتها ولما ذكرها وفخمها
اتبع ذكر ذلك ذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب تذكيراً لاهل مكة وتخويفاً لهم
من عاقبة تكذيبهم بالطاغية بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة واختلف فيها فقيل الرجفة وعن
ابن عباس رضي الله عنهما الصاعقة وعن قتادة بعث الله عليهم صيحة فاهمدتهم وقيل الطاغية مصدر
كالعافية اي بطغيانهم وليس بذاك لعدم الطباق بينها وبين قوله بريح صرصر ﴿واما عاد فاهلكوا
بريح صرصر﴾ الصرصر الشديدة الصوت لها صرصرة وقيل الباردة من الصر كانها التي كرر فيها
البرد وكثر فهي تحرق لشدة بردها ﴿عاتية﴾ شديدة العصف والعتو استعارة او عتت على عاد فما
قدروا على ردها بحيلة من استتار ببناء او لياذ بجبل او اختفاء في حفرة فكانها كانت تنزعهم من
مكانهم وتهلكهم وقيل عتت على خزانها فخرجت بلا كيل ولا وزن وروي عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما ارسل الله سفينة من ريح الا بمكيال ولا قطرة من مطر الا بمكيال الا يوم عاد ويوم نوح
فان الماء يوم نوح طغى على الخزان فلم يكن لهم عليه سبيل ثم قرأ انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية وان الريح
يوم عاد عتت على الخزان فلم يكن لهم عليها سبيل ثم قرأ بريح صرصر عاتية ولعلها عبارة عن الشدة والافراط
﴿سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوماً فترى القوم فيها صرعى﴾ الحسوم لا يخلو من ان
يكون جمع حاسم كشهود وقعود او مصدراً كالشكور والكفور فان كان جمعاً فمعنى
قوله حسوماً نحسات حسمت كل خير واستأصلت كل بركة او متتابعة هبوب الرياح
ما خفتت ساعة حتى اتت عليهم تمثيلاً لتتابعها بتتابع فعل الحاسم في اعادة الكي على الداء كرة بعد
اخرى حتى ينحسم وان كان مصدراً فاما ان ينتصب بفعله مضمراً اي تحسم حسوماً بمعنى تستأصل
استئصالاً او يكون صفة كقولك ذات حسوم او يكون مفعولاً له اي سخرها عليهم للاستئصال
وقال عبد العزيز بن زرارة الكلابي • ففرق بينهم زمان تتابع فيه اعوام حسوم • وقرأ السدي
حسوماً بالفتح حالاً من الريح اي سخرها عليهم مستأصلة وقيل هي ايام العجوز وذلك ان عجوزاً من
عاد توارت في سرب فانتزعتها الريح في الثامن فاهلكتها وقيل هي ايام العجز وهي آخر الشتاء
واسماؤها الصن والصنبر والوبر والآمر والمؤتمر والمعلل ومطفئ الجمر وقيل مكفئ الظعن
ومعنى سخرها عليهم سلطها عليهم كما شاء فيها في مهابها او في الليالي والايام ﴿كانهم اعجاز نخل خاوية﴾
وهي ... ﴿فهل ترى لهم من باقية﴾ من نفس باقية او من بقاء كالطاغية بمعنى
الطغيان ﴿وجاء فرعون ومن قبله﴾ يريد ومن عنده من تباعه وقرئ ومن قبله ومن تقدمه من
ويعضد الاول قراءة عبد الله وابي ومن معه وقراءة ابي موسى ومن تلقاه ﴿فعصوا رسول ربهم﴾

فاخذهم

﴿فاخذهم اخذة رابية﴾ شديدة زائدة في الشدة كما زادت قبائحهم في القبح يقال ربا الشيء يربو
اذا زاد ليربوا في اموال الناس ﴿انا لما طغى الماء حملناكم﴾ حملنا اباءكم ﴿في الجارية﴾ في سفينة
نوح عليه الصلاة والسلام لانهم اذا كانوا من نسل المحمولين الناجين كان حمل آبائهم
منة عليهم وكانهم هم المحمولون لان نجاتهم سبب ولادتهم ﴿لنجعلها لكم﴾ الضمير للفعلة وهي نجاة
المؤمنين واغراق الكافرين ﴿تذكرة﴾ عظة وعبرة ﴿وتعيها اذن واعية﴾ من شانها ان تعي
وتحفظ ما سمعت ولا تضيعه بترك العمل وكلما حفظته في نفسك فقد وعيته وما حفظته في
غير نفسك فقد اوعيته كالشيء في الظرف وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لعلي عليه السلام عند
نزول هذه الآية سالت الله ان يجعلها اذنك يا علي قال علي فما نسيت شيئاً بعد وما كان لي ان
انسى فان قلت لم قال اذن واعية على التوحيد والتنكير قلت للايذان بان الوعاة فيهم قلة
ولتوبيخ الناس بقلة من يعي منهم وللدلالة على ان الاذن الواحدة اذا وعت وعقلت عن الله فهي
السواد الاعظم عند الله وان ما سواها لا يبالي بهم بالة وان ملأوا ما بين الخافقين وقرئ وتعيها بسكون
العين للتخفيف شبه تعي بكبد ﴿فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة﴾ اسند الفعل الى المصدر وحسن
تذكيره للفصل وقرأ ابو السمال نفخة واحدة بالنصب مسنداً الفعل الى الجار والمجرور فان قلت
هما نفختان فلم قيل نفخة واحدة قلت معناه انها لا تثنى في وقتها فان قلت فاي النفختين هي
قلت الاولى لان عندها فساد العالم وهكذا الرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما وقد
روي عنه انها الثانية فان قلت اما قال بعد يومئذ تعرضون والعرض انما هو عند النفخة الثانية
قلت جعل اليوم اسماً للحين الواسع الذي يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والوقوف والحساب
فلذلك قيل يومئذ تعرضون كما تقول جئته عام كذا وانما كان مجيئك في وقت واحد من اوقاته
﴿وحملت الارض والجبال﴾ ورفعت من جهاتها بريح بلغت من قوة عصفها انها تحمل الارض والجبال
او بخلق من الملائكة او بقدرة الله تعالى من غير سبب وقرئ وحملت بحذف المحمل وهو احد الثلاثة
﴿فدكتا دكة واحدة﴾ فدكت الجملتان جملة الارضين وجملة الجبال فضرب بعضها ببعض حتى
تندق وترجع كثيباً مهيلاً وهباءً منبثاً والدك ابلغ من الدق وقيل فبسطتا بسطة واحدة
فصارتا ارضاً لا ترى فيها عوجاً ولا امتاً من قولك اندك السنام اذا انفرش وبعير ادك وناقة دكاء ومنه
الدكان ﴿فيومئذ وقعت الواقعة﴾ فحينئذ نزلت النازلة وهي القيامة ﴿وانشقت السماء فهي يومئذ
واهية﴾ مسترخية ساقطة القوة جداً بعد ما كانت محكمة مستمسكة ﴿والملك على ارجائها﴾
﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾ يريد والخلق الذي يقال له الملك ورد اليه الضمير
مجموعاً في قوله فوقهم على المعنى فان قلت ما الفرق بين قوله والملك وبين ان يقال والملائكة
قلت الملك اعم من الملائكة الا ترى ان قولك ما من ملك الا وهو شاهد اعم من قولك ما من ملائكة على
ارجائها على جوانبها الواحد رجا مقصور يعني انها تنشق وهي مسكن الملائكة فينضوون الى اطرافها
وما حولها من حافاتها ثمانية اي ثمانية منهم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم هم اليوم اربعة فاذا
كان يوم القيامة ايدهم الله باربعة اخرين فيكونون ثمانية وروي ثمانية املاك ارجلهم في
تخوم الارض السابعة والعرش فوق رؤوسهم وهم مطرقون يسبحون وقيل بعضهم على صورة
الانسان وبعضهم على صورة الاسد وبعضهم على صورة الثور وروي ثمانية املاك في خلق
الاوعال ما بين اظلافها الى ركبها مسيرة سبعين عاماً وعن شهر بن حوشب اربعة منهم يقولون
سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك واربعة يقولون سبحانك اللهم
وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وعن الحسن الله اعلم كم هم ثمانية ام ثمانية الاف وعن
الضحاك ثمانية صفوف لا يعلم عددهم الا الله ويجوز ان يكون الثمانية من الروح او من خلق آخر
فهو القادر على كل خلق سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما
لا يعلمون ﴿يومئذ تعرضون﴾ العرض عبارة عن المحاسبة والمساءلة شبه ذلك بعرض السلطان
العسكر ليعرف احواله وروي ان في يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فاعتذار واحتجاج
واما الثالثة ففيها تنشر الكتب فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك كتابه بشماله ﴿لا تخفى منكم
خافية﴾ سريرة وحال كانت تخفى في الدنيا بستر الله عليكم ﴿فاما من اوتي كتابه بيمينه﴾ تفصيل

توبيخ

للعرض فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه هاؤم صوت يصوت به فيفهم منه خذ كأف وحس وما
اشبه ذلك وكتابيه منصوب بهاؤم عند الكوفيين وعند البصريين باقرؤا لانه اقرب العاملين
واصله هاؤم كتابي اقرؤا كتابي فحذف الاول لدلالة الثاني عليه ونظيره آتوني افرغ عليه قطرا قالوا
ولو كان العامل الاول لقيل اقرؤه وافرغه والهاء في كتابيه للسكت وكذلك في حسابيه وماليه وسلطانيه
وحق هذه الهاءات ان تثبت في الوقف وتسقط في الوصل وقد استحب ايثار الوقف ايثارا لثباتها
في المصحف وقيل لا بأس بالوصل والاسقاط وقرأ ابن محيصن باسكان الياء بغير هاء وقرأ جماعة
باثبات الهاء في الوصل والوقف جميعا لاتباع المصحف اني ظننت اني ملاق حسابيه اي علمت
وانما اجري الظن مجرى العلم لان الظن الغالب يقام مقام العلم في العادات والاحكام ويقال اظن
ظنا كاليقين ان الامر كيت وكيت فهو في عيشة راضية منسوبة الى الرضا كالدارع والنابل
والنسبة نسبتان نسبة بالحرف ونسبة بالصيغة او جعل الفعل لها مجازا وهو لصاحبها في جنة
عالية مرتفعة المكان في السماء او رفيعة الدرجات او رفيعة المباني والقصور والاشجار
قطوفها دانية ثمارها قريبة ينالها القاعد والنائم يقال لهم كلوا واشربوا هنيئا اكلا وشربا هنيئا او هنئتم
هنيئا على المصدر بما اسلفتم بما قدمتم من الاعمال الصالحة في الايام الخالية الماضية من ايام الدنيا
وعن مجاهد ايام الصيام اي كلوا واشربوا بدل ما امسكتم عن الاكل والشرب لوجه الله تعالى
وروي يقول الله تعالى يا اوليائي طالما نظرت اليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الاشربة
وغارت اعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم في نعيمكم وكلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم
في الايام الخالية وأما من اوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه
يا ليتها كانت القاضية الضمير في يا ليتها للموتة يقول يا ليت الموتة التي متها كانت القاضية اي
القاطعة لامري فلم ابعث بعدها ولم الق ما القى او للحالة اي ليت هذه الحالة كانت الموتة التي
قضت علي لانه رأى تلك الحالة ابشع وامر مما ذاقه من مرارة الموت وشدته فتمناه عندها
ما اغنى عني ماليه نفي او استفهام على وجه الانكار اي اي شيء اغنى عني ما كان لي من اليسار هلك
عني سلطانيه ملكي وتسلطي على الناس وبقيت فقيرا ذليلا وعن ابن عباس رضي الله عنهما
انها نزلت في الاسود بن عبد الاسد وعن فناخسرة الملقب بالعضد انه لما قال
عضد الدولة وابن ركنها ۞ ملك الاملاك غلاب القدر ۞
لم يفلح بعده وجن فكان لا ينطلق لسانه الا بهذه الاية وقال ابن عباس ضلت عني حجتي ومعناه بطلت
حجتي التي كنت احتج بها في الدنيا خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم لا تصلوه الا الجحيم وهي
النار العظمى لانه كان سلطانا يتعظم على الناس يقال صلي النار وصلاه النار ثم في سلسلة ذرعها
سبعون ذراعا فاسلكوه فادخلوه في السلسلة بأن تلوى على جسده حتى تلتف عليه اثناؤها
وهو فيما بينها مرهق مضيق عليه لا يقدر على حركة وجعلها سبعين ذراعا ارادة الوصف
بالطول كما قال ان تستغفر لهم سبعين مرة يريد مرات كثيرة لانها اذا طالت كان الارهاق
اشد والمعنى في تقديم السلسلة على السلك مثله في تقديم الجحيم على التصلية اي لا تسلكوه الا في
هذه السلسلة كأنها افظع من سائر مواضع الارهاق في الجحيم ومعنى ثم الدلالة على تفاوت ما
بين الغل والتصلية بالجحيم وما بينهما وبين السلك في السلسلة لا على تراخي المدة انه كان لا يؤمن
بالله العظيم تعليل على طريق الاستئناف وهو ابلغ كأنه قيل ما له يعذب هذا العذاب الشديد
فاجيب بذلك وفي قوله ولا يحض على طعام المسكين دليلان قويان على عظم الجرم في حرمان
المساكين احدهما عطفه على الكفر وجعله قرينة له والثاني ذكر الحض دون الفعل ليعلم ان تارك
الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل وما احسن قول القائل
اذا نزل الاضياف كان عذورا ۞ على الحي حتى تستقل مراجله ۞
يريد حضهم على القرى واستعجلهم وتشاكس عليهم وعن ابي الدرداء انه كان يحض امرأته على
تكثير المرق لاجل المساكين وكان يقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان افلا نخلع نصفها
وقيل هو منع الكفار وقولهم انطعم من لو يشاء الله اطعمه والمعنى على بذل طعام المسكين فليس له
اليوم هاهنا حميم قريب يدفع عنه ويحترق له قلبه لانهم يتحامونه ويفرون منه كقوله

ولا يسأل حميم حميما ولا طعام الا من غسلين والغسلين غسالة اهل النار وما يسيل من ابدانهم من الصديد
والدم فعلين من الغسل لا يأكله الا الخاطئون الآثمون اصحاب الخطايا وخطئ الرجل اذا تعمد الذنب
وهم المشركون عن ابن عباس رضي الله عنهما وقرئ الخاطيون بابدال الهمزة ياء والخاطون بطرحها وعن
ابن عباس ما الخاطون كلنا نخطو وروى عنه ابو الاسود الدؤلي ما الخاطون انما هو الخاطئون
ما الصابون انما هو الصابئون ويجوز ان يراد الذين يتخطون الحق الى الباطل ويتعدون حدود الله
فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون هو اقسام بالاشياء كلها على الشمول والاحاطة لانها لا
تخرج من قسمين مبصر وغير مبصر وقيل الدنيا والآخرة والاجسام والارواح والانس والجن
والخلق والخالق والنعم الظاهرة والباطنة انه ان هذا القرآن لقول رسول كريم اي يقوله
ويتكلم به على وجه الرسالة من عند الله وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن
قليلا ما تذكرون وما هو بقول شاعر ولا كاهن كما تدعون والقلة في معنى العدم اي لا تؤمنون
ولا تذكرون البتة والمعنى ما اكفركم وما اغفلكم تنزيل اي هو تنزيل بيانا لانه قول رسول نزل عليه
من رب العالمين وقرأ ابو السمال تنزيلا اي نزل تنزيلا وقيل الرسول الكريم جبريل وقوله وما
هو بقول شاعر دليل على انه محمد صلى الله عليه وآله وسلم لان المعنى على اثبات انه رسول لا شاعر ولا كاهن
ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين التقول افتعال القول
لان فيه تكلفا من المفتعل وسمي الاقوال المتقولة اقاويل تصغيرا لها وتحقيرا كقولك الاعاجيب والاضاحيك
كأنها جمع افعولة من القول والمعنى ولو ادعى علينا شيئا لم نقله لقتلناه صبرا كما تفعل الملوك بمن يتكذب
عليهم معاجلة بالسخط والانتقام فصور قتل الصبر بصورته ليكون اهول وهو ان يؤخذ بيده وتضرب
رقبته وخص اليمين عن اليسار لان القتال اذا اراد ان يوقع الضرب في قفاه اخذ بيساره واذا
اراد ان يوقعه في جيده وان يكفحه بالسيف وهو اشد على المصبور لنظره الى السيف اخذ
بيمينه ومعنى لاخذنا منه باليمين لاخذنا بيمينه كما ان قوله لقطعنا منه الوتين لقطعنا وتينه
وهذا بين والوتين نياط القلب وهو حبل الوريد اذا قطع مات صاحبه وقرئ ولو تقول على البناء
للمفعول فما منكم من احد عنه حاجزين وانه لتذكرة للمتقين قيل حاجزين في وصف
احد لانه في معنى الجماعة وهو اسم يقع في النفي العام مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ومنه
قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله لستن كاحد من النساء والضمير في عنه للقتل اي لا يقدر
احد منكم ان يحجزه عن ذلك ويدفعه عنه او لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اي لا تقدرون ان
تحجزوا عنه القاتل وتحولوا بينه وبينه والخطاب للناس وكذلك في قوله وانا لنعلم ان منكم مكذبين
وهو ايعاد على التكذيب وقيل الخطاب للمسلمين والمعنى ان منهم ناسا سيكفرون بالقرآن وانه
لحق اليقين وان القرآن لليقين حق اليقين كقولك هو العالم حق العالم وجد العالم والمعنى
لعين اليقين ومحض اليقين فسبح باسم ربك العظيم فسبح الله بذكر اسمه العظيم وهو
قوله سبحان الله واعبده شكرا على ما اهلك له من ايحائه اليك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من
قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة المعارج مكية وهي اربع واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم سأل سائل بعذاب واقع للكافرين
ضمن سأل معنى دعا فعدي تعديته كأنه قيل دعا داع بعذاب واقع من قولك دعا بكذا اذا استدعاه
وطلبه ومنه قوله تعالى يدعون فيها بكل فاكهة آمنين وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو النضر بن
الحارث قال ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وقيل
هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استعجل بعذاب للكافرين وقرئ سال سايل على تخفيف الهمزة وهو ان
يكون من السؤال وهو لغة قريش يقولون سلت تسال وهما يتسايلان وان يكون من السيلان ويؤيده قراءة
ابن عباس سال سيل والسيل مصدر في معنى السائل كالغور بمعنى الغائر والمعنى اندفع عليهم

وادي عذاب فذهب بهم واهلكهم وعن قتادة سأل سائل عن عذاب الله على من ينزل وبمن يقع فنزلت وسأل
على هذا الوجه مضمن معنى عني واهتم فان قلت ثم اتصل قوله للكافرين قلت هو على متصل
بعذاب واقع كائن للكافرين او بالفعل اي دعا للكافرين بعذاب واقع او بواقع اي بعذاب نازل
لاجلهم وعلى الثاني هو كلام مبتدأ جواب للسائل اي هو للكافرين فان قلت فقوله من الله قلت
يتصل بواقع اي واقع من عنده او بدافع بمعنى ليس له دافع من جهته اذا جاء وقته واوجبت الحكمة
وقوعه ذي المعارج ذي المصاعد جمع معرج ثم وصف المصاعد وبعد مداها في العلو والارتفاع
فقال تعرج الملائكة والروح اليه الى عرشه وحيث تهبط منه اوامره في يوم كان مقداره
كمقدار مدة خمسين الف سنة مما يعد الناس والروح جبريل عليه الصلوة والسلام افرده لتميزه
بفضله وقيل الروح خلق هم حفظة على الملائكة كما ان الملائكة حفظة على الناس فان قلت
بم تعلق قوله فاصبر صبرا جميلا قلت بسأل سائل لانه استعجال النضر بالعذاب انما كان
على وجه الاستهزاء برسول الله صلى الله عليه واله وسلم فامر بان يصبر عليه وكذلك من سأل عن
العذاب لمن هو فانما سأل على طريق التعنت وكان من كفار مكة ومن قرأ سال سائل او سيل
فمعناه جاء العذاب لقرب وقوعه فاصبر فقد شارفت الانتقام وقد جعل في يوم من صلة واقع اي
يقع في يوم طويل مقداره خمسون الف سنة من سنيكم وهو يوم القيمة اما ان تكون استطالة
له على الكفار واما لانه على الحقيقة كذلك قيل فيه خمسون موطنا كل موطن الف سنة وما قدر
ذلك على المومن الا كما بين الظهر والعصر انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا الضمير في يرونه للعذاب
الواقع او ليوم القيمة فيمن علق في يوم بواقع اي يستبعدونه على جهة الاحالة ونحن نراه قريبا هينا
في قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر فالمراد بالبعيد البعيد من الامكان وبالقريب القريب منه
يوم تكون السماء كالمهل نصب بيوم تكون بقريبا اي يمكن ولا يتعذر في ذلك اليوم او باضمار
يقع لدلالة واقع عليه او يوم تكون السماء كالمهل كدردي الزيت وعن ابن مسعود رضي الله عنه
كالفضة المذابة في تلونها وتكون الجبال كالعهن كالصوف المصبوغ الوانا لان الجبال جدد
بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود فاذا بست وطيرت في الجو اشبهت العهن المنفوش
اذا طيرته الريح ولا يسأل حميم حميما اي لا يسأله بكيف حالك ولا يكلمه لان بكل احد ما يشغله
عن المسألة يبصرونهم اي يبصر الاحماء الاحماء فلا يخفون عليهم فما يمنعهم من المسألة ان
بعضهم لا يبصر بعضا وانما يمنعهم التشاغل وقرئ يبصرونهم وقرئ ولا يسأل على البناء للمفعول اي
لا يقال لحميم اين حميمك ولا يطلب منه لانهم يبصرونهم فلا يحتاجون الى السؤال والطلب فان قلت
ما موقع يبصرونهم قلت هو كلام مستانف كانه لما قال ولا يسأل حميم حميما قيل لعله لا يبصره
فقيل يبصرونهم ولكنهم لتشاغلهم لم يتمكنوا من تساؤلهم فان قلت لم جمع الضمير في يبصرونهم
وهما للحميمين قلت المعنى على العموم لكل حميمين لا لحميمين اثنين ويجوز ان يكون يبصرونهم صفة اي حميما
مبصرين معرفين اياهم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه وفصيلته
التي تؤويه ومن في الارض جميعا ثم ينجيه كلا انها لظى نزاعة للشوى تدعو من ادبر وتولى
وجمع فاوعى وقرئ يومئذ بالجر والفتح على البناء للاضافة الى غير متمكن ومن عذاب يومئذ بتنوين
عذاب ونصب يومئذ وانتصابه بعذاب لانه في معنى تعذيب وفصيلته عشيرته الادنون الذين
فصل عنهم تؤويه تضمه انتماء اليها او لياذا بها في النوائب ينجيه عطف على يفتدي اي يود لو يفتدي
ثم لو ينجيه الافتداء او من في الارض وثم لاستبعاد الانجاء يعني يتمنى لو كان هؤلاء جميعا تحت يده وبذلهم في
افتداء نفسه ثم ينجيه ذلك وهيهات ان ينجيه كلا ردع للمجرم عن الودادة وتنبيه على انه لا
ينفعه الافتداء ولا ينجيه من العذاب ثم قال انها والضمير للنار ولم يجر لها ذكر لان ذكر العذاب دل
عليها ويجوز ان يكون ضميرا مبهما ترجم عنه الخبر او ضمير القصة ولظى علم للنار منقول من اللظى
بمعنى اللهب ويجوز ان يراد اللهب ونزاعة خبر بعد خبر لان او خبر للظى ان كانت الهاء ضمير القصة
او صفة له ان اردت اللهب والتانيث لانه في معنى النار او رفع على التهويل اي هي نزاعة وقرئ
نزاعة بالنصب على الحال المؤكدة او على انها متلظية نزاعة او على الاختصاص للتهويل والشوى
الاطراف او جمع شواة وهي جلدة الراس تنزعها نزعا فتبتكها ثم تعاد وتدعو مجاز عن احضارهم

كأنها تدعوهم

كأنها تدعوهم فتحضرهم ونحوه قول ذي الرمة: تدعو انفه الرباب. وقوله:
ليالي اللهو يطبيني فاتبعه. وقول ابي النجم: يقول للرائد اعشبت انزل. وقيل تقول
لهم الي الي يا كافر يا منافق وقيل تدعو الكافرين والمنافقين بلسان فصيح ثم تلتقطهم التقاط
الحب فيجوز ان يخلق الله فيها كلاما كما يخلقه في جلودهم وايديهم وارجلهم وكما خلقه في الشجرة
ويجوز ان يكون دعاء الزبانية وقيل تدعو تهلك من قول العرب دعاك الله اي اهلكك قال
دعاك الله من رجل بافعى. تدعو من ادبر عن الحق وتولى عنه وجمع المال فجعله في وعاء وكنزه
ولم يؤد الزكوة والحقوق الواجبة فيه وتشاغل به عن الدين وزهي باقتنائه وتكبر
ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين الذين
هم على صلاتهم دائمون اريد بالانسان الناس فلذلك استثنى منه الا المصلين والهلع سرعة
الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير من قولهم ناقة هلواع سريعة السير وعن
احمد بن يحيى قال لي محمد بن عبد الله بن طاهر ما الهلع فقلت قد فسره الله ولا يكون تفسير
ابين من تفسيره وهو الذي اذا ناله شر اظهر شدة الجزع واذا ناله خير بخل به ومنعه الناس والخير
المال والغنى والشر الفقر والصحة والمرض اذا صح الغني منع المعروف وشح بماله واذا مرض
جزع واخذ يوصي والمعنى ان الانسان لايثاره الجزع والمنع وتمكنهما منه ورسوخهما فيه كانه
مجبول عليهما مطبوع وكانه امر خلقي وضروري غير اختياري كقوله خلق الانسان من عجل
والدليل عليه انه حين كان في البطن والمهد لم يكن به هلع ولانه ذم والله لا يذم فعله والدليل عليه
استثناء المومنين الذين جاهدوا انفسهم وحملوها على المكاره وظلفوها عن الشهوات حتى لم يكونوا
جازعين ولا مانعين وعن النبي صلى الله عليه واله وسلم شر ما اعطي ابن ادم شح هالع وجبن خالع
فان قلت كيف قال على صلاتهم دائمون ثم قال على صلاتهم يحافظون قلت معنى دوامهم عليها ان
يواظبوا على ادائها ولا يخلوا بها ولا يشتغلوا عنها بشيء من الشواغل كما روي عن النبي صلى الله عليه
واله وسلم افضل العمل ادومه وان قل وعن عائشة كان عمله ديمة ومحافظتهم عليها ان يراعوا اسباغ
الوضوء لها ومواقيتها ويقيموا اركانها ويكملوها بسننها وادابها ويحفظوها من الاحباط باقتراف
المآثم فالدوام يرجع الى انفس الصلوات والمحافظة الى احوالها والذين في اموالهم حق معلوم
للسائل والمحروم حق معلوم هو الزكاة لانها واجبة مقدرة معلومة او صدقة يوظفها الرجل على
نفسه يؤديها في اوقات معلومة للسائل الذي يسأل والمحروم الذي يتعفف عن السؤال فيحسب
غنيا فيحرم والذين يصدقون بيوم الدين تصديقا باعمالهم واستعدادهم والذين هم
من عذاب ربهم مشفقون ويشفقون من عذاب ربهم واعترض بقوله ان عذاب ربهم غير
مأمون اي لا ينبغي لاحد وان بالغ في الطاعة والاجتهاد ان يأمنه وينبغي ان يكون مترجحا بين الخوف
والرجا والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم
غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون
والذين هم بشهاداتهم قائمون والذين هم على صلاتهم يحافظون اولئك في جنات مكرمون
وقرئ بشهادتهم والشهادة من جملة الامانات وخصها من بينها ابانة لفضلها لان في اقامتها
احياء الحقوق وتصحيحها وفي تركها تضييعها وابطالها فمال الذين كفروا قبلك مهطعين عن
اليمين وعن الشمال عزين ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم كان المشركون يحتفون حول
رسول الله صلى الله عليه واله وسلم حلقا حلقا وفرقا فرقا يستمعون ويستهزئون بكلامه ويقولون ان دخل
هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت مهطعين مسرعين نحوك مادين اعناقهم اليك
مقبلين بابصارهم عليك عزين فرقا شتى جمع عزة واصلها عزوة وكأن كل فرقة تعتزي الى غير من
تعتزي اليه الاخرى فهم مفترقون قال الكميت

ونحن وجندل باغ تركنا ۝ كتائب جندل شتى عزينا

وقيل كان المستهزئون خمسة رهط كلا انا خلقناهم مما يعلمون فلا اقسم برب المشارق والمغارب
انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا
يومهم الذي يوعدون يوم يخرجون من الاجداث سراعا كأنهم الى نصب يوفضون خاشعة

أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون ● كلا ردع لهم من طمعهم في دخول الجنة
فإن قلت من أي وجه دل هذا الكلام على إنكار البعث قلت من حيث إنه احتجاج عليهم بالنشأة
الأولى كالاحتجاج بها عليهم في مواضع من التنزيل وذلك قوله إنا خلقناهم مما يعلمون أي من النطف
وبالقدرة على أن يهلكهم ويبدل ناسا خيرا منهم وأنه ليس بمسبوق على ما يريد تكوينه والغرض أن من قدر
على ذلك لم تعجزه الإعادة ويجوز أن يراد إنا خلقناهم مما يعلمون أي من النطفة المذرة وهي منصبهم
الذي لا منصب أوضع منه ولذلك أبهم وأخفى إشعارا بأنه منصب يستحيى من ذكره فمن
أين يتشرفون ويدعون التقدم ويقولون لندخلن الجنة قبلهم وقيل معناه إنا خلقناهم من نطفة كما خلقنا
بني آدم كلهم ومن حكمنا أن لا يدخل أحد منهم الجنة إلا بالإيمان والعمل الصالح فلم يطمع أن يدخلها من
ليس له إيمان وعمل وقرئ برب المشرق والمغرب ويخرجون ويخرجون ومن الأجداث سراعا بالإظهار
والإدغام ونصب ونصب وهو كل ما نصب فعبد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة سأل سائل
أعطاه الله ثواب الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون

سورة نوح عليه السلام مكية وهي تسع أو ثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك
من قبل أن يأتيهم عذاب أليم قال يا قوم إني لكم نذير مبين أن اعبدوا الله واتقوه
وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم
تعلمون ● أن أنذر أصله بأن أنذر فحذف الجار وأوصل الفعل وهي أن الناصبة للفعل والمعنى إنا
أرسلناه بأن قلنا له أنذر أي أرسلناه بالأمر بالإنذار ويجوز أن تكون مفسرة لأن في الإرسال معنى
القول وقرأ ابن مسعود أنذر بغير أن على إرادة القول وأن اعبدوا نحو أن أنذر في الوجهين
فإن قلت كيف قال ويؤخركم مع إخباره بامتناع تأخير الأجل وهل هذا إلا تناقض قلت قضى
الله مثلا أن قوم نوح إن آمنوا عمرهم ألف سنة وإن بقوا على كفرهم أهلكهم على رأس تسعمائة
فقيل لهم آمنوا يؤخركم إلى أجل مسمى أي إلى وقت سماه الله وضربه أمدا تنتهون إليه لا تتجاوزونه
وهو الوقت الأطول تمام الألف ثم أخبر أنه إذا جاء ذلك الأجل الأمد لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت ولم تكن لهم
حيلة فبادروا في أوقات الإمهال والتأخير قال رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا ● دائبا من غير فتور
مستغرقا به الأوقات كلها فلم يزدهم دعائي إلا فرارا ● جعل الدعاء فاعل زيادة الفرار والمعنى على
أنهم ازدادوا عنده فرارا لأنه سبب الزيادة ونحوه فزادتهم رجسا إلى رجسهم فزادتهم إيمانا وإني كلما
دعوتهم لتغفر لهم ليتوبوا عن كفرهم فتغفر لهم فذكر المسبب الذي هو حظهم خالصا ليكون
أقبح لإعراضهم عنه جعلوا أصابعهم في آذانهم سدوا مسامعهم عن استماع الدعوة واستغشوا
ثيابهم وتغطوا بها كأنهم طلبوا أن تغشاهم ثيابهم أو تغشيهم لئلا يبصروه كراهة النظر إلى وجه من
ينصحهم في دين الله وقيل لئلا يعرفهم ويعضده قوله ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين
يستغشون ثيابهم وأصروا الإصرار من أصر الحمار على العانة إذا صر أذنيه وأقبل عليها يكدمها ويطردها
استعير للإقبال على المعاصي والإكباب عليها واستكبروا استكبارا وأخذتهم العزة من
اتباع نوح عليه الصلاة والسلام وطاعته وذكر المصدر تأكيد ودلالة على فرط استكبارهم وعتوهم
ثم إني دعوتهم جهارا ● ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا ● فإن قلت ذكر أنه دعاهم
ليلا ونهارا ثم دعاهم جهارا ثم دعاهم في السر والعلن فيجب أن تكون ثلاث دعوات مختلفات حتى
يصح العطف قلت قد فعل عليه السلام كما يفعل الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر في الابتداء
بالأهون والترقي في الأشد فالأشد فافتتح في المناصحة بالسر فلما لم يقبلوا ثنى بالمجاهرة فلما لم تؤثر ثلث
بالجمع بين الإسرار والإعلان ومعنى ثم الدلالة على تباعد الأحوال لأن الجهار أغلظ من الإسرار
والجمع بين الأمرين أغلظ من إفراد أحدهما وجهارا منصوب بدعوتهم نصب المصدر لأن الدعاء أحد
نوعيه الجهار فنصب به نصب القرفصاء بقعد لكونها أحد أنواع القعود أو لأنه أراد بدعوتهم جاهرتهم

ويجوز أن

ويجوز أن يكون صفة لمصدر دعا بمعنى دعاء جهارا أي مجاهرا به أو مصدرا في موضع الحال أي مجاهرا فقلت
استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم
جنات ويجعل لكم أنهارا أمرهم بالاستغفار الذي هو التوبة عن الكفر والمعاصي وقدم إليهم الموعد
بما هو أوقع في نفوسهم وأحب إليهم من المنافع الحاضرة والفوائد العاجلة ترغيبا في الإيمان وبركاته
والطاعة ونتائجها من خير الدارين كما قال وأخرى تحبونها نصر من الله ولو أن أهل القرى آمنوا لفتحنا
عليهم بركات ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم وأن لو
استقاموا على الطريقة لأسقيناهم وقيل لما كذبوه بعد طول تكرير الدعوة حبس الله عنهم
القطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة وروي سبعين فوعدهم أنهم إن آمنوا رزقهم الله الخصب
ودفع عنهم ما كانوا فيه وعن عمر رضي الله عنه أنه خرج يستسقي فما زاد على الاستغفار فقيل له ما رأيناك
استسقيت فقال لقد استسقيت بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر شبه الاستغفار بالأنواء الصادقة التي لا تخطئ
ريع أرضه فأمرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح أتاك رجال يشكون أبوابا
ويسألون أنواعا فأمرتهم كلهم بالاستغفار فتلا الآية والسماء المظلة لأن المطر منها ينزل إلى
السحاب ويجوز أن يراد السحاب أو المطر من قوله إذا نزل السماء بأرض قوم والمدرار الكثير الدر
ومفعال مما يستوي فيه المذكر والمؤنث كقولهم رجل أو امرأة معطار ومتفال جنات بساتين
ما لكم لا ترجون لله وقارا لا تأملون له توقيرا أي تعظيما والمعنى ما لكم لا تكونون على حال تأملون فيها تعظيم
الله إياكم في دار الثواب ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار وقوله وقد خلقكم أطوارا ●
في موضع الحال كأنه قال ما لكم لا تؤمنون بالله والحال هذه وهي حال موجبة للإيمان به لأنه خلقكم أطوارا أي
تارات خلقكم أولا ترابا ثم خلقكم نطفا ثم خلقكم علقا ثم خلقكم مضغا ثم خلقكم عظاما ولحما
ثم أنشأكم خلقا آخر أو لا تخافون لله حلما وترك معاجلة بالعقاب فتؤمنوا وقيل ما لكم لا تخافون لله
عظمة وعن ابن عباس لا تخافون لله عاقبة لأن العاقبة حال استقرار الأمور وثبات الثواب والعقاب
من وقر إذا ثبت واستقر ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا نبههم الله على النظر في أنفسهم
أولا لأنها أقرب منظور فيه ثم على النظر في العالم وما سوى فيه من العجائب الشاهدة على الصانع الباهر
قدرته وعلمه من السموات والأرض والشمس والقمر وجعل القمر فيهن نورا فيهن في السموات وهو
في السماء الدنيا لأن بينها وبين السموات ملابسة من حيث إنها طباق فجاز أن يقال فيهن كذا وإن لم يكن
في جميعهن كما يقال في المدينة كذا وهو في بعض نواحيها وعن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم أن
الشمس والقمر وجوههما مما يلي السماء وظهورهما مما يلي الأرض وجعل الشمس سراجا يبصر أهل
الدنيا في ضوئها كما يبصر أهل البيت في ضوء السراج ما يحتاجون إلى إبصاره والقمر ليس كذلك
إنما هو نور لم يبلغ قوة ضياء الشمس ومثله قوله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا والضياء
أقوى من النور والله أنبتكم من الأرض نباتا استعير الإنبات للإنشاء كما يقال زرعك الله
للخير وكانت هذه الاستعارة أدل على الحدوث لأنهم إذا كانوا نباتا كانوا محدثين لا محالة حدوث
النبات ومنه قيل للحشوية النابتة والنوابت لحدوث مذهبهم في الإسلام من غير أولية لهم فيه ومنه
قولهم نجم فلان لبعض المارقة والمعنى أنبتكم فنبتم نباتا أو نصب بأنبتكم لتضمنه معنى نبتم
ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا ● ثم يخرجكم يوم القيامة وأكده بالمصدر كأنه قال يخرجكم
حقا لا محالة والله جعل لكم الأرض بساطا ● جعلها مبسوطة تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على
بساطه لتسلكوا منها سبلا فجاجا واسعة منفجة قال نوح رب إنهم عصوني واتبعوا من لم يزده
ماله وولده إلا خسارا واتبعوا رؤساءهم المقدمين أصحاب الأموال والأولاد وارتسموا ما رسموا لهم
من التمسك بعبادة الأصنام وجعل أموالهم وأولادهم التي لم يزدهم إلا وجاهة ومنفعة في الدنيا زائدة
خسارا في الآخرة وأجرى ذلك مجرى صفة لازمة لهم وسمة يعرفون بها تحقيقا له وتثبيتا وإبطالا لما
سواه وقرئ وولده وولده بضم الواو وكسرها ومكروا معطوف على لم يزده وجمع الضمير وهو راجع
إلى من لأنه في معنى الجمع والماكرون هم الرؤساء ومكرهم احتيالهم في الدين وكيدهم لنوح عليه
الصلاة والسلام وتحريش الناس على أذاه وصدهم عن الميل إليه والاستماع منه وقولهم لهم لا تذرن
آلهتكم إلى عبادة رب نوح مكرا كبارا ● وقرئ بالتخفيف والتثقيل والكبار أكبر من الكبير والكبار

أكبر من الكبار، وكوه طوال وطوال. وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا كانت هذه المسماة أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم فخصوها بعد قولهم لا تذرن آلهتكم. وقد انتقلت هذه الأصنام عن قوم نوح إلى العرب، فكان ود لكلب، وسواع لهمدان، ويغوث لمذحج، ويعوق لمراد، ونسر لحمير، ولذلك سمت العرب بعبد ود وعبد يغوث. وقيل هي أسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح، فلما ماتوا قال إبليس لمن بعدهم لو صورتم صورهم فكنتم تنظرون إليهم ففعلوا، فلما مات أولئك قال لمن بعدهم إنهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم. وقيل كان ود على صورة رجل، وسواع على صورة امرأة، ويغوث على صورة أسد، ويعوق على صورة فرس، ونسر على صورة نسر. وقرئ ودا بضم الواو. وقرأ الأعمش ولا يغوثا ويعوقا بالصرف، وهذه قراءة مشكلة لأنهما إن كانا عربيين أو أعجميين ففيهما سببا منع الصرف: إما التعريف ووزن الفعل، وإما التعريف والعجمة. ولعله قصد الازدواج فصرفهما لمصادفته أخواتهما منصرفات ودا وسواعا ونسرا، كما قرئ وضحاها بالإمالة لوقوعه مع الممالات للازدواج. وقد أضلوا كثيرا الرؤساء، ومعناه قد أضلوا كثيرا قبل هؤلاء الموصين بأن يتمسكوا بعبادة الأصنام، ليسوا بأول من أضلوهم. أو وقد أضلوا بإضلالهم كثيرا، يعني أن هؤلاء المضلين فيهم كثرة. ويجوز أن يكون للأصنام كقوله إنهن أضللن كثيرا من الناس. فإن قلت علام عطف قوله ولا تزد الظالمين إلا ضلالا؟ قلت على قوله رب إنهم عصوني على حكاية كلام نوح عليه السلام بعد قال وبعد الواو النائبة عنه، ومعناه قال رب إنهم عصوني وقال ولا تزد الظالمين إلا ضلالا، أي قال هذين القولين وهما في محل النصب لأنهما مفعولا قال، كقولك قال زيد نودي للصلوة وصل في المسجد، تحكي قوليه معطوفا أحدهما على صاحبه. فإن قلت كيف جاز أن يريد لهم الضلال ويدعو الله بزيادته؟ قلت المراد بالضلال أن يخذلوا ويمنعوا الألطاف لتصميمهم على الكفر ووقوع اليأس من إيمانهم، وذلك حسن جميل يجوز الدعاء به، بل لا يحسن الدعاء بخلافه. ويجوز أن يريد بالضلال الضياع والهلاك كقوله ولا تزد الظالمين إلا تبارا. مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا تقديم مما خطيئاتهم لبيان أن لم يكن إغراقهم بالطوفان وإدخالهم النار إلا من أجل خطيئاتهم، وأكد هذا المعنى بزيادة ما. وفي قراءة ابن مسعود من خطيئاتهم ما أغرقوا بتأخير الصلة، وكفى بها مزجرة لمرتكب الخطايا، فإن كفر قوم نوح كان واحدة من خطيئاتهم وإن كانت كبراهن، وقد نعيت عليهم سائر خطيئاتهم كما نعي عليهم كفرهم، ولم يفرق بينه وبينهن في استيجاب العذاب، لئلا يتكل المسلم الخاطئ على إسلامه، ويعلم أن معه ما يستوجب به العذاب وإن خلا من الخطيئة الكبرى. وقرئ خطيئاتهم بالهمزة، وخطياتهم بقلبها ياء وإدغامها، وخطاياهم، وخطيئتهم بالتوحيد على إرادة الجنس، ويجوز أن يراد الكفر. فأدخلوا نارا جعل دخولهم النار في الآخرة كأنه متعقب لإغراقهم لاقترابه، ولأنه كائن لا محالة فكأنه قد كان، أو أريد عذاب القبر، ومن مات في ماء أو في نار أو أكلته السباع والطير أصابه ما يصيب المقبور من العذاب. وعن الضحاك كانوا يغرقون من جانب ويحرقون من جانب. وتنكير النار إما لتعظيمها أو لأن الله أعد لهم على حسب خطيئاتهم نوعا من النار. فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا تعريض باتخاذهم آلهة من دون الله وأنها غير قادرة على نصرهم وتهكم بهم، كأنه قال فلم يجدوا لهم من دون الله آلهة ينصرونهم ويمنعونهم من عذاب الله، كقوله تعالى أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا. وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ديار من الأسماء المستعملة في النفي العام، يقال ما بالدار ديار وديور كقيام وقيوم، وهو فيعال من الدور أو من الدار، وأصله ديوار ففعل به ما فعل بأصل سيد وميت، ولو كان فعالا لكان دوارا. إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا فإن قلت بم علم أن أولادهم يكفرون، وكيف وصفهم بالكفر عند الولادة؟ قلت لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فذاقهم وأكلهم وعرف طباعهم وأحوالهم، وكان الرجل منهم ينطلق بابنه إليه ويقول احذر هذا فإنه كذاب، وإن أبي حذرنيه، فيموت الكبير وينشأ الصغير على ذلك، وقد أخبره عز وجل أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن. ومعنى ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا إلا من إذا بلغ فجر وكفر، فوصفهم بما يصيرون إليه، كقوله عليه الصلوة والسلام من قتل قتيلا فله سلبه. رب اغفر لي ولوالدي أبوه لمك بن متوشلخ وأمه شمخاء بنت أنوش، كانا مؤمنين، وقيل هما آدم وحواء. وقرأ الحسين بن علي ولولدي يريد ساما وحاما. ولمن دخل بيتي منزلي، وقيل مسجدي، وقيل سفينتي. مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات خص أولا من يتصل به لأنهم أولى وأحق بدعائه، ثم عم المؤمنين والمؤمنات. ولا تزد الظالمين إلا تبارا هلاكا. فإن قلت ما فعل صبيانهم حين أغرقوا؟ قلت غرقوا معهم لا على وجه العقاب، ولكن كما يموتون

بأنواع من أسباب الموت، وكم منهم من يموت بالغرق والحرق، وكان ذلك زيادة في عذاب الآباء والأمهات إذا أبصروا أطفالهم يغرقون. ومنه قوله عليه السلام يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى. وعن الحسن أنه سئل عن ذلك فقال علم الله براءتهم فأهلكهم بغير عذاب. وقيل أعقم الله أرحام نسائهم وأيبس أصلاب آبائهم قبل الطوفان بأربعين أو سبعين سنة، فلم يكن معهم صبي حين أغرقوا. عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه أفضل الصلوة والسلام.

سورة الجن مكية وهي ثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قل أوحي إلي قرئ أحي، وأصله وحي، يقال أوحى إليه ووحى إليه، فقلبت الواو همزة كما يقال أعد وأزن، وإذا الرسل أقتت، وهو من القلب المطلق جوازه في كل واو مضمومة، وقد أطلقه المازني في المكسورة أيضا كإشاح وإسادة وإعاء. وقرأ ابن أبي عبلة وحي على الأصل. أنه استمع بالفتح لأنه فاعل أوحي، وإنا سمعنا بالكسر لأنه مبتدأ محكي بعد القول، ثم تحمل عليهما البواقي، فما كان من الوحي فتح، وما كان من قول الجن كسر، وكلهن من قولهم إلا الثنتين الأخريين: وأن المساجد، وأنه لما قام عبد الله. ومن فتح كلهن فعطفا على محل الجار والمجرور في آمنا به، كأنه قيل صدقناه وصدقنا أنه تعالى جد ربنا، وأنه كان يقول سفيهنا، وكذلك البواقي. نفر من الجن جماعة منهم ما بين الثلاثة إلى العشرة. وقيل كانوا من الشيصبان، وهم أكثر الجن عددا، وعامة جنود إبليس منهم. فقالوا إنا سمعنا قرآنا أي قالوا لقومهم حين رجعوا إليهم كقوله فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين قالوا إنا سمعنا قرآنا كتابا عجبا بديعا مباينا لسائر الكتب في حسن نظمه وصحة معانيه، قائمة فيه دلائل الإعجاز. وعجب مصدر يوصف به للمبالغة. يهدي إلى الرشد يدعو إلى الصواب، وقيل إلى التوحيد والإيمان. فآمنا به الضمير في به للقرآن، ولما كان الإيمان به إيمانا بالله وبوحدانيته وبراءة من الشرك قالوا ولن نشرك بربنا أحدا أي ولن نعود إلى ما كنا عليه من الإشراك به في طاعة الشيطان. ويجوز أن يكون الضمير لله عز وجل لأن قوله بربنا يفسره. وأنه تعالى جد ربنا عظمته، من قولك جد فلان في عيني أي عظم. وفي حديث عمر رضي الله عنه أنه كان الرجل منا إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا أي عظم، وتروى في أعيننا. أو ملكه وسلطانه أو غناه، استعارة من الجد الذي هو الدولة والبخت، لأن الملوك والأغنياء هم المجدودون. والمعنى وصفه بالتعالي عن الصاحبة والولد لعظمته أو لسلطانه وملكوته أو لغناه. ما اتخذ صاحبة ولا ولدا بيان لذلك. وقرئ جدا ربنا على التمييز، وجد ربنا بالكسر أي صدق ربوبيته وحق إلهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد. وذلك أنهم لما سمعوا القرآن ووفقوا للتوحيد والإيمان تنبهوا على الخطأ فيما اعتقده كفرة الجن من تشبيه الله تعالى بخلقه واتخاذه صاحبة وولدا، فاستعظموه ونزهوه عنه. وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا سفيههم إبليس لعنه الله أو غيره من مردة الجن. والشطط مجاوزة الحد في الظلم وغيره، ومنه أشط في السوم إذا أبعد فيه، أي يقول قولا هو في نفسه شطط لفرط ما أشط فيه، وهو نسبة الصاحبة والولد إلى الله تعالى. وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا وكان في ظننا أن أحدا من الثقلين لن يكذب على الله ولن يفتري عليه ما ليس بحق، فكنا نصدقهم فيما أضافوا إليه من ذلك حتى تبين لنا بالقرآن كذبهم وافتراؤهم. كذبا أي قولا كذبا أو فيه، ونصب نصب المصدر لأن الكذب نوع من القول. ومن قرأ أن لن تقول وضع كذبا موضع تقولا ولم يجعله صفة لأن التقول لا يكون إلا كذبا. وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا الرهق غشيان المحارم، والمعنى أن الإنس باستعاذتهم بهم زادوهم كبرا وكفرا، وذلك أن الرجل من العرب كان إذا أمسى في واد قفر في بعض مسايره وخاف على نفسه قال أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه، يريد الجن وكبيرهم، فإذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سدنا الجن والإنس، فذلك رهقهم. أو فزاد الجن الإنس رهقا بإغوائهم وإضلالهم لاستعاذتهم بهم. وأنهم وأن الإنس ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا وهو من كلام الجن يقوله بعضهم لبعض، وقيل الآيتان من جملة الوحي، والضمير في وأنهم ظنوا للجن، والخطاب في ظننتم لكفار قريش. وأنا لمسنا السماء اللمس المس فاستعير للطلب

الماس طالب متعرف وقال

منسنا من الآباء شيا وكلنا ⁂ الى نسب في قومه غير واضع

فالمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه ونحوه الجس في قولهم جسوه باعينهم وتجسسوه والمعنى طلبنا بلوغ السما واستماع كلام اهلها ﴿فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا﴾ والحرس اسم مفرد في معنى الحراس في معنى الخدام ولذلك وصف بشديد ولو ذهب الى معناه لقيل شدادا ونحوه اخشى رجيلا او ركيبا غاديا لان الرجل والركب مفردان في معنى الرجال والركاب ﴿وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا﴾ والرصد مثل الحرس اسم جمع للراصد على معنى ذوي شهاب راصدين بالرجم وهم الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب ويمنعونهم من الاستماع ويجوز ان يكون صفة للشهاب بمعنى الراصد او كقوله ومعا جياعا يعني يجد شهابا راصدا له ولاجله فان قلت كان الرجم لم يكن في الجاهلية وقد قال الله ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فذكر فايدتين في خلق الكواكب التزيين ورجم الشياطين قلت قال بعضهم حدث بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وهو احدى اياته والصحيح انه قبل المبعث وقد جا ذكره في شعر اهل الجاهلية قال بشر بن ابي خازم

والعير يرهقها الغبار وجحشها ⁂ ينقض خلفهما انقضاض الكوكب

وقال اوس بن حجر

وانقض كالدري يتبعه ⁂ نقع يثور تخاله طنبا

وقال عوف بن الخرع يصف الفرس

يرد علينا العير من دون الفه ⁂ او الثور كالدري يتبعه الدم

ولكن الشياطين كانت تسترق في بعض الاحوال فلما بعث رسول الله صلى الله عليه واله وسلم كثر الرجم وزاد زيادة ظاهرة حتى تنبه لها الجن والانس ومنع الاستراق اصلا وعن معمر قلت للزهري اكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت ارايت قوله وانا كنا نقعد فقال غلظت وشدد امرها حين بعث النبي صلى الله عليه واله وسلم وروى الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس بينا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم جالس في نفر من الانصار اذ رمي بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية قالوا كنا نقول يموت عظيم او يولد عظيم وفي قوله ملئت دليل على ان الحادث هو الملء والكثرة وكذلك قوله نقعد منها مقاعد اي كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس والشهب والآن ملئت المقاعد كلها وهذا ذكر ما حملهم على الضرب في البلاد حتى عثروا على رسول الله صلى الله عليه واله وسلم واستمعوا قراءته يقولون لما حدث هذا الحادث من كثرة الرجم ومنع الاستراق قلنا ما هذا الا لامر اراده الله باهل الارض ولا يخلو من ان يكون شرا او رشدا اي خيرا من عذاب او رحمة او من خذلان او توفيق ﴿وانا منا الصالحون﴾ الابرار المتقون ﴿ومنا دون ذلك﴾ ومنا قوم دون ذلك فحذف الموصوف كقوله وما منا الا له مقام معلوم وهم المقتصدون في الصلاح غير الكاملين فيه او اراد الطالحين ﴿كنا طرائق قددا﴾ بيان للقسمة المذكورة اي كنا ذوي مذاهب مفترقة او كنا في اختلاف احوالنا مثل الطرائق المختلفة او كنا في طرائق مختلفة كقوله كما عسل الطريق الثعلب او كانت طرائقنا طرائق قددا على حذف المضاف الذي هو الطرائق واقامة الضمير المضاف اليه مقامه والقدة من قد كالقطعة من قطع ووصف الطرائق بالقدد لدلالتها على معنى التقطع والتفرق ﴿وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا﴾ في الارض وهربا حالان اي لن نعجزه كائنين في الارض اينما كنا فيها ولن نعجزه هاربين منها الى السماء وقيل لن نعجزه في الارض ان اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا اي طلبا والظن بمعنى اليقين وهذه صفة احوال الجن وما هم عليه من احوالهم وعقايدهم منهم اخيار واشرار ومقتصدون وانهم يعتقدون ان الله عز وجل عزيز غالب لا يفوته مطلب ولا ينجي عنه مهرب ﴿وانا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا﴾ لما سمعنا الهدى هو سماعهم القرآن وايمانهم به فلا يخاف فهو لا يخاف اي فهو غير خائف ولان الكلام في تقدير مبتدا وخبر دخلت الفاء ولولا ذلك لقيل لا يخف فان قلت اي فائدة في رفع الفعل وتقدير مبتدا قبله حتى يقع خبرا له ووجوب ادخال الفا وكان ذلك كله مستغنا عنه بان يقال لا يخف قلت الفائدة فيه انه اذا فعل ذلك فكانه قيل فهو لا يخاف فكان دالا على تحقيق ان المؤمن

لا محالة ناج وانه هو المختص بذلك دون غيره وقرأ الاعمش فلا يخف على النهي بخسا ولا رهقا اي جزاء بخس ولا رهق لانه لم يبخس احدا حقا ولا رهق ظلم احد فلا يخاف جزاءهما وفيه دلالة على ان من حق من آمن بالله ان يجتنب المظالم ومنه قوله عليه السلام المؤمن من امنه الناس على انفسهم واموالهم ويجوز ان يراد فلا يخاف ان يبخس بل يجزى الجزاء الاوفى وان لا ترهقه ذلة من قوله عز وجل ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة ﴿وانا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا﴾ القاسطون الكافرون الجائرون عن طريق الحق وعن سعيد بن جبير ان الحجاج قال له حين اراد قتله ما تقول في قال قاسط عادل فقال القوم ما احسن ما قال حسبوا انه يصفه بالقسط والعدل فقال الحجاج يا جهلة انه سماني ظالما مشركا وتلا لهم قوله وأما القاسطون وقوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وقد زعم من لا يرى للجن ثوابا ان الله عز وعلا اوعد قاسطيهم وما وعد مسلميهم وكفى به وعيدا ان قال فاولئك تحروا رشدا فذكر سبب الثواب وموجبه والله اعدل من ان يعاقب القاسط ولا يثيب الراشد ﴿وان لو استقاموا﴾ ان مخففة من الثقيلة وهو من جملة الموحى والمعنى واوحي الي ان الشان والحديث لو استقام الجن ﴿على الطريقة﴾ المثلى اي لو ثبت ابوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله والطاعة ولم يستكبر عن السجود لادم ولم يكفر وتبعه ولده على الاسلام ﴿لاسقيناهم ماء غدقا﴾ لانعمنا عليهم ولوسعنا رزقهم وذكر الماء الغدق وهو الكثير بفتح الدال وكسرها وقرئ بهما لانه اصل المعاش وسعة الرزق ﴿لنفتنهم فيه﴾ لنختبرهم فيه كيف يشكرون ما خولوا فيه ويجوز ان يكون معناه ولو استقام الجن الذين استمعوا على طريقتهم التي كانوا عليها قبل الاستماع ولم ينتقلوا عنها الى الاسلام لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم لنفتنهم فيه لتكون النعمة سببا في اتباعهم شهواتهم ووقوعهم في الفتنة وازديادهم اثما او ليعذبهم في كفران النعمة ﴿ومن يعرض عن ذكر ربه﴾ عن عبادته او عن موعظته او عن وحيه ﴿يسلكه﴾ وقرئ بالنون مفتوحة ومضمومة اي ندخله ﴿عذابا صعدا﴾ والاصل نسلكه في عذاب كقوله ما سلككم في سقر فعدى الى مفعولين اما بحذف الجار وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه واما بتضمينه معنى ندخله يقال سلكه واسلكه قال

حتى اذا اسلكوهم في قتائدة

والصعد مصدر صعد صعدا وصعودا فوصف به العذاب لانه يتصعد المعذب اي يعلوه ويغلبه فلا يطيقه ومنه قول عمر رضي الله عنه ما تصعدني شيء ما تصعدتني خطبة النكاح يريد ما شق علي ولا غلبني ﴿وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا﴾ من جملة الموحى وقيل معناه ولان المساجد لله فلا تدعوا على ان اللام متعلقة بلا تدعوا اي فلا تدعوا مع الله احدا في المساجد لانها لله خاصة ولعبادته وعن الحسن يعني الارض كلها لانها جعلت للنبي صلى الله عليه واله وسلم مسجدا وقيل المراد المسجد الحرام لانه قبلة المساجد ومنه قوله ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وعن قتادة كان اليهود والنصارى اذا دخلوا بيعهم وكنائسهم اشركوا بالله فامرنا ان نخلص لله الدعوة اذا دخلنا المساجد وقيل المساجد اعضاء السجود السبعة قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم امرت ان اسجد على سبعة آراب وهي الجبهة والانف واليدان والركبتان والقدمان وقيل هي جمع مسجد وهو السجود ﴿وانه لما قام عبد الله يدعوه﴾ عبد الله النبي صلى الله عليه واله وسلم فان قلت هلا قيل رسول الله او النبي قلت لان تقديره واوحي الي انه لما قام عبد الله فلما كان واقعا في كلام رسول الله صلى الله عليه واله وسلم عن نفسه جيء به على ما يقتضيه التواضع والتذلل او لان المعنى ان عبادة عبد الله لله تعالى ليست بامر مستبعد عن العقل ولا مستنكر حتى يكونوا عليه لبدا ومعنى قام يدعوه قام يعبده يريد قيامه لصلاة الفجر بنخلة حين اتاه الجن فاستمعوا لقراءته ﴿كادوا يكونون عليه لبدا﴾ اي يزدحمون عليه متراكمين تعجبا مما راوا من عبادته واقتداء اصحابه به قائما وراكعا وساجدا واعجابا بما تلا من القرآن لانهم راوا ما لم يروا مثله وسمعوا ما لم يسمعوا بنظيره وقيل معناه لما قام رسولا يعبد الله وحده مخالفا للمشركين في عبادتهم الالهة من دونه كاد المشركون لتظاهرهم عليه وتعاونهم على عداوته يزدحمون عليه متراكمين لبدا جمع لبدة وهي ما تلبد بعضه على بعض ومنها لبدة الاسد وقرئ لبدا واللبدة في معنى اللبدة ولبدا جمع لابد كساجد وسجد ولبدا بضمتين جمع لبود كصبور وصبر وعن قتادة تلبدت الانس والجن على هذا الامر ليطفئوه فابى الله الا ان ينصره ويظهره على من ناواه ومن قرا وانه بالكسر جعله من كلام الجن قالوه لقومهم حين رجعوا اليهم حاكين ما راوا من صلاته وازدحام اصحابه عليه في ائتمامهم به ﴿قال﴾ للمتظاهرين

علم **إنما أدعوا ربي** يريد ما اتيتكم بامر منكر انما اعبد ربي وحده **ولا أشرك به أحدا** وليس ذلك مما يوجب اطباقكم على مقتي وعداوتي او قال للجن عند ازدحامهم متعجبين ليس ما ترون من عبادتي الله تعالى ورفضي الاشراك بامر يتعجب منه انما يتعجب ممن يدعو غير الله ويجعل له شريكا او قال الجن لقومهم ذلك حكاية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم **قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا** ولا رشدا ولا نفعا او اراد بالضر الغي ويدل عليه قراءة ابي غيا ولا رشدا والمعنى لا استطيع ان اضركم وانما الضار والنافع الله تعالى او لا استطيع ان اقسركم على الغي والرشد وانما القادر على ذلك الله عز وجل **قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا إلا بلاغا من الله** استثناء منه اي لا املك الا بلاغا من الله وقل اني لن يجيرني من الله جملة معترضة اعترض بها لتأكيد نفي الاستطاعة عن نفسه وبيان عجزه على معنى ان الله ان اراد بكم سوءا من مرض او موت او غيرهما لم يصح ان يجيرني منه احد او اجد من دونه ملاذا يأوي اليه والملتحد الملتجأ واصله المدخل من اللحد وقيل محيصا ومعدلا وقرئ قال لا املك اي قال عبد الله للمشركين او للجن ويجوز ان يكون من حكاية الجن لقومهم وقيل بلاغا بدل من ملتحدا اي لن اجد من دونه منجى الا ان ابلغ عنه ما ارسلني به وقيل الا هي ان لا ومعناه ان لا ابلغ بلاغا كقولك ان لا قياما فقعودا **ورسالاته** عطف على بلاغا كأنه قيل لا املك لكم الا التبليغ والرسالات والمعنى الا ان ابلغ عن الله فاقول قال الله كذا ناسبا لقوله تعالى اليه وان ابلغ رسالاته التي ارسلني بها من غير زيادة ولا نقصان فان قلت لا يقال بلغ عنه ومنه قوله عليه الصلوة والسلام بلغوا عني قلت من ليست بصلة للتبليغ انما هي بمنزلة من في قوله براءة من الله بمعنى بلاغا كائنا من الله **ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم** وقرئ فأن له نار جهنم على فجزاؤه ان له نار جهنم كقوله فأن لله خمسه اي فحكمه ان لله خمسه وقال **خالدين فيها أبدا** حملا على معنى الجمع في من **حتى إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا قل إن أدري أقريب ما توعدون** فان قلت بم تعلق حتى وجعل ما بعده غاية له قلت بقوله يكونون عليه لبدا على انهم يتظاهرون عليه بالعداوة ويستضعفون انصاره ويستقلون عددهم حتى اذا رأوا ما يوعدون من يوم بدر واظهار الله له عليهم او من يوم القيمة فسيعلمون انهم حينئذ اضعف ناصرا واقل عددا ويجوز ان يتعلق بمحذوف دلت عليه الحال من استضعاف الكفار له واستقلالهم لعدده كأنه قال لا يزالون على ما هم عليه حتى اذا رأوا او اما يوعدون قال المشركون متى يكون هذا الموعد انكارا له فقيل قل انه كائن لا ريب فيه فلا تنكروه فان الله قد وعد ذلك وهو لا يخلف الميعاد واما وقته فما ادري متى يكون لان الله لم يبينه لما رأى في اخفاء وقته من المصلحة فان قلت ما معنى قوله **أم يجعل له ربي أمدا** والامد يكون قريبا وبعيدا الا ترى الى قوله تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا قلت كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستقرب الموعد فكأنه قال ما ادري اهو حال متوقع في كل ساعة ام مؤجل **عالم الغيب** اي هو عالم الغيب **فلا يظهر** فلا يطلع **على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول** ومن رسول تبيين لمن ارتضى يعني انه لا يطلع على الغيب الا المرتضى الذي هو مصطفى للنبوة خاصة لا كل مرتضى وفي هذا ابطال للكرامات لان الذين يضاف اليهم وان كانوا اولياء مرتضين فليسوا برسل وقد خص الله الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب وابطال الكهانة والتنجيم لانهما ابعد شي من الارتضاء وادخله في السخط **فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا** حفظة من الملائكة يحفظونه من الشياطين يطردونهم عنه ويعصمونه من وساوسهم وتخاليطهم حتى يبلغ ما اوحي به اليه وعن الضحاك ما بعث نبي الا ومعه ملائكة يحرسونه من الشياطين ان يتشبهوا بصورة الملك **ليعلم** ليعلم الله **أن قد أبلغوا رسالات ربهم** يعني الانبياء وحد اولا على اللفظ في قوله من بين يديه ومن خلفه ثم جمع على المعنى كقوله فان له نار جهنم خالدين والمعنى ليبلغوا رسالات ربهم كما هي محروسة من الزيادة والنقصان وذكر العلم كذكره في قوله تعالى حتى نعلم المجاهدين وقرئ ليعلم على البناء للمفعول **وأحاط بما لديهم** بما عند الرسل من الحكم والشرائع لا يفوته منها شي ولا ينسى منها حرفا فهو مهيمن عليها حافظ لها **وأحصى كل شيء عددا** من القطر والرمل وورق الاشجار وزبد البحار فكيف لا يحيط بما عند الرسل من وحيه وكلامه وعددا حال اي وضبط كل شي معدودا محصورا

او مصدر

او مصدر في معنى احصاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق محمدا او كذب به عتق رقبة

سورة المزمل مكية وهي تسع عشرة او عشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها المزمل قم الليل المزمل المتزمل وهو الذي تزمل في ثيابه اي تلفف بها بادغام التاء في الزاي ونحوه المدثر وقرئ المتزمل على الاصل والمزمل بتخفيف الزاي وكسر الميم وفتحها على انه اسم فاعل او مفعول من زمله وهو الذي زمله غيره او زمل نفسه وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نائما بالليل متزملا في قطيفة فنبه ونودي بما يهجن اليه الحالة التي كان عليها من التزمل في قطيفته واستعداده للاستثقال في النوم كما يفعل من لا يهمه امر ولا يعنيه شان الا ترى الى قول ذي الرمة

وكائن تخطت ناقتي من مفازة ... ومن نائم عن ليلها متزمل

يريد الكسلان المتقاعس الذي لا ينهض في معاظم الامور وكفايات الخطوب ولا يحمل نفسه المشاق والمتاعب ونحوه

... سهدا اذا ما نام ليل الهوجل

وفي امثالهم اوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا تورد يا سعد الابل فذمه بالاشتمال بكسائه وجعل ذلك خلاف الجلد والكيس وامر بان يختار على الهجود التهجد وعلى التزمل التشمر والتخفف للعبادة والمجاهدة في الله لا جرم ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد تشمر لذلك مع اصحابه حق التشمر واقبلوا على احياء لياليهم ورفضوا له الرقاد والدعة وتجاهدوا فيه حتى انتفخت اقدامهم واصفرت الوانهم وظهرت السيما في وجوههم وترامى امرهم الى حد رحمهم له ربهم فخفف عنهم وقيل كان متزملا في مرط لعائشة يصلي فهو على هذا ليس بتهجين بل ثناء عليه وتحسين لحاله التي كان عليها وامر بان يدوم على ذلك ويواظب عليه وعن عائشة رضي الله عنها انها سئلت ما كان تزميله قالت كان مرطا طوله اربع عشرة ذراعا نصفه علي وانا نائمة ونصفه عليه وهو يصلي فسئلت ما كان قالت والله ما كان خزا ولا قزا ولا مرعزى ولا ابريسما ولا صوفا كان سداه شعرا ولحمته وبرا وقيل دخل على خديجة وقد جئث فرقا اول ما اتاه جبريل وبوادره ترتعد فقال زملوني زملوني وحسب انه عرض له فبينا هو على ذلك اذ ناداه جبريل يا ايها المزمل وعن عكرمة ان المعنى يا ايها الذي زمل امرا عظيما اي حمله والزمل الحمل وازدمله احتمله وقرئ قم الليل بضم الميم وفتحها قال عثمان بن جني الغرض بهذه الحركة التبلغ بها هربا من التقاء الساكنين فباي الحركات تحرك فقد وقع الغرض **إلا قليلا نصفه** نصفه بدل من الليل والا قليلا استثناء من النصف كانه قال قم اقل من نصف الليل **أو انقص منه قليلا أو زد عليه** والضمير في منه وعليه للنصف والمعنى التخيير بين امرين بين ان تقوم اقل من نصف الليل على البت وبين ان تختار احد الامرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه وان شئت جعلت نصفه بدلا من قليلا وكان تخييرا بين ثلاث بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص منه وبين قيام الزائد عليه وانما وصف النصف بالقلة بالنسبة الى الكل وان شئت قلت لما كان معنى قم الليل الا قليلا نصفه اذا ابدلت النصف من الليل قم اقل من نصف الليل وقم انقص من ذلك الاقل او ازيد منه قليلا فيكون التخيير فيما وراء النصف بينه وبين الثلث ويجوز اذا ابدلت نصفه من قليلا وفسرته به ان تجعل قليلا الثاني بمعنى نصف النصف وهو الربع كانه قيل او انقص منه قليلا نصفه وتجعل المزيد على هذا القليل اعني الربع كانه قيل او زد عليه قليلا نصفه ويجوز ان تجعل الزيادة لكونها مطلقة تتمة الثلث فيكون تخييرا بين النصف والثلث والربع فان قلت اكان القيام فرضا ام نفلا قلت عن عائشة رضي الله عنها ان الله جعله تطوعا بعد ان كان فريضة وقيل كان فرضا قبل ان تفرض الصلوات الخمس ثم نسخ بهن الا ما تطوعوا به وعن الحسن كان قيام ثلث الليل فريضة وكانوا على ذلك سنة وقيل كان واجبا وانما وقع التخيير في المقدار ثم نسخ بعد عشر سنين وعن الكلبي كان يقوم الرجل حتى يصبح مخافة ان لا يحفظ ما بين النصف والثلث والثلثين ومنهم من قال كان نفلا بدليل التخيير في المقدار ولقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك **ورتل القرآن ترتيلا** ترتيل القرآن قراءته على ترسل وتؤدة بتبيين الحروف واشباع الحركات حتى يجي المتلو منه شبيها بالثغر المرتل وهو المفلج المشبه بنور الاقحوان وان لا يهذه هذا ولا يسرده سردا كما قال عمر رضي الله عنه شر السير الحقحقة وشر القراءة الهذرمة حتى يشبه المتلو في تتابعه

التعو لا لقص وسئلت عائشة رضي الله عنها عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا كسردكم هذا لو اراد السامع ان يعد حروفه لعدها وترتيلا تاكيد في ايجاب الامر به وانه لا بد منه للقارئ **انا سنلقي عليك قولا ثقيلا** هذه الاية اعتراض ويعني بالقول الثقيل القران وما فيه من الاوامر والنواهي التي هي تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين خاصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه متحملها بنفسه ومحملها امته فهي اثقل عليه وابهظ له واراد بهذا الاعتراض ان ما كلفه من قيام الليل من جملة التكاليف الثقيلة الصعبة التي ورد بها القران لان الليل وقت السبات والراحة والهدو فلا بد لمن احياه من مضادة لطبعه ومجاهدة لنفسه وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان اذا نزل عليه الوحي ثقل عليه وتربد جلده وعن عائشة رضي الله عنها رايته ينزل عليه في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا وعن الحسن ثقيل في الميزان وقيل ثقيل على المنافقين وقيل كلام له وزن ورجحان ليس بالسفساف **ان ناشئة الليل** اي النفس الناشئة بالليل التي تنشأ من مضجعها الى العبادة اي تنهض وترتفع من نشأت السحابة اذا ارتفعت ونشأ من مكانه ونشز اذا نهض قال

نشأنا الى خوص برى نيها السرى ۞ والصق منها مشرفات القماحد ۞

او قيام الليل على ان الناشئة مصدر من نشأ اذا قام ونهض على فاعلة كالعافية ويدل عليه ما روي عن عبيد بن عمير قلت لعائشة رجل قام من اول الليل اتقولين له قام ناشئة قالت لا انما الناشئة القيام بعد النوم ففسرت الناشئة بالقيام عن المضجع او العبادة التي تنشأ بالليل اي تحدث وترتفع وقيل هي ساعات الليل كلها لانها تحدث واحدة بعد اخرى وقيل الساعات الاول منه وعن علي بن الحسين انه كان يصلي بين المغرب والعشاء ويقول اما سمعتم قول الله تعالى ان ناشئة الليل هي ناشئة الليل **هي اشد وطئا** هي خاصة دون ناشئة النهار اشد مواطاة يواطي قلبها لسانها ان اردت النفس او يواطي فيها قلب القائم لسانه ان اردت القيام او العبادة او الساعات او اشد موافقة لما يراد من الخشوع والاخلاص وعن الحسن اشد موافقة بين السر والعلانية لانقطاع رؤية الخلائق وقرئ اشد وطأ بالفتح والكسر والمعنى اشد ثبات قدم وابعد من الزلل او اثقل واغلظ على المصلي من صلوة النهار من قوله عليه الصلوة والسلام اللهم اشدد وطأتك على مضر **واقوم قيلا** واشد مقالا واثبت قراءة لهدو الاصوات وعن انس رضي الله عنه انه قرأ واصوب قيلا فقيل له يا ابا حمزة انما هي واقوم فقال ان اقوم واصوب واهيا واحد وروى ابو زيد الانصاري عن ابي سرار الغنوي انه كان يقرأ فحاسوا بالحاء غير معجمة فقيل له انما هو جاسوا بالجيم فقال حاسوا وجاسوا واحد **ان لك في النهار سبحا طويلا** تصرفا وتقلبا في مهماتك وشواغلك ولا تفرغ الا بالليل فعليك بمناجاة الله التي تقتضي فراغ البال وانتفاء الشواغل واما القراءة بالخاء فاستعارة من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر اجزائه لانتشار الهم وتفرق القلب بالشواغل كلفه قيام الليل ثم ذكر الحكمة فيما كلفه منه وهو ان الليل اعون على المواطاة واشد للقراءة لهدو الرجل وخفوت الصوت وانه اجمع للقلب واضم لنشر الهم من النهار لانه وقت تفرق الهموم وتوزع الخواطر والتقلب في حوائج المعاش والمعاد وقيل فراغا وسعة لنومك وتصرفك في حوائجك وقيل ان فاتك من الليل شيء فلك في النهار فراغ تقدر على تداركه فيه **واذكر اسم ربك** ودم على ذكره في ليلك ونهارك واحرص عليه وذكر الله يتناول كل ما كان من ذكر طيب تسبيح وتهليل وتكبير وتمجيد وتوحيد وصلوة وتلاوة قران ودراسة علم وغير ذلك مما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغرق به ساعات ليله ونهاره **وتبتل اليه** وانقطع اليه فان قلت كيف قيل **تبتيلا** مكان تبتلا قلت لان معنى تبتل بتل نفسه فجيء به على معناه مراعاة لحق الفواصل **رب المشرق والمغرب** قرئ مرفوعا على المدح ومجرورا على البدل من ربك وعن ابن عباس على القسم باضمار حرف القسم كقولك الله لافعلن وجوابه **لا اله الا هو** كما تقول والله لا احد في الدار الا زيد وقرأ ابن عباس رب المشارق والمغارب **فاتخذه وكيلا** مسبب عن التهليلة لانه هو وحده هو الذي يجب لتوحده بالربوبية ان توكل اليه الامور وقيل وكيلا كفيلا بما وعدك من النصر والاظهار **واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا** الهجر الجميل ان يجانبهم بقلبه وهواه ويخالفهم مع حسن المخالقة والمداراة والاغضاء وترك المكافاة وعن ابي الدرداء رضي الله عنه انا لنكشر في وجوه قوم ونضحك اليهم وان قلوبنا لتقليهم وقيل هو منسوخ باية السيف **وذرني والمكذبين** اذا عرف الرجل من

صاحبه انه

صاحبه انه مستهم بخطب يريد ان يكفاه او بغرض يشتهي ان ينتقم له وهو مضطلع بذلك مقتدر عليه قال ذرني واياه اي لا تحتاج الى الظفر بمرادك ومشتهاك الا ان تخلي بيني وبينه بان تكل امره الي وتستكفينيه فان في ما يفرغ بالك ويجلي همك وليس ثم مانع حتى يطلب اليه ان يذره واياه الا ترك الاستكفاء والتفويض كانه اذا لم يكل اليه امره فكانه منعه منه فاذا وكله اليه فقد ازال المنع وتركه واياه وفيه دليل على الوثوق بانه يتمكن من الوفاء باقصى ما تدور امنية المخاطب فيه وبما يترتب عليه **اولي النعمة** النعمة بالفتح التنعم وبالكسر الانعام وبالضم المسرة يقال نعم ونعمة عين وهم صناديد قريش وكانوا اهل تنعم وترفه **ومهلهم قليلا ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا اليما** ان لدينا ما يضاد تنعمهم من انكال وهي القيود الثقال عن الشعبي اذا ارتفعوا استفلت بهم الواحد نكل ومن جحيم وهي النار الشديدة الحر والاتقاد ومن طعام ذي غصة وهو الذي ينشب في الحلوق فلا يساغ يعني الضريع وشجر الزقوم ومن عذاب اليم من سائر العذاب فلا ترى موكولا اليه امرهم موذونا بينه وبينهم ينتقم منهم بمثل ذلك الانتقام وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الاية فصعق وعن الحسن انه امسى صائما فاتي بطعام فعرضت له هذه الاية فقال ارفعه ووضع عنده الليلة الثانية فعرضت له فقال ارفعه وكذلك الليلة الثالثة فاخبر ثابت البناني ويزيد الضبي ويحيى البكا فجاؤا فلم يزالوا به حتى شرب شربة من سويق **يوم ترجف الارض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا** يوم ترجف منصوب بما في لدينا والرجفة الزلزلة والزعزعة الشديدة والكثيب الرمل المجتمع من كثب الشيء اذا جمعه كانه فعيل بمعنى مفعول في اصله ومنه الكثبة من اللبن قالت الضائنة اجز جفالا واحلب كثبا عجالا اي كانت مثل رمل مجتمع هيل هيلا اي نثر واسيل **انا ارسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم** يشهد عليكم يوم القيمة بكفركم وتكذيبكم **كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول** فان قلت لم نكر الرسول ثم عرفه قلت لانه اراد ارسلنا الى فرعون بعض الرسل فلما اعاده وهو معهود بالذكر ادخل لام التعريف اشارة الى المذكور بعينه **فاخذناه اخذا وبيلا** ثقيلا من قولهم كلا وبيل وخيم لا يستمرأ لثقله والوبيل العصا الضخمة ومنه الوابل للمطر العظيم **فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا** يوما مفعول به اي فكيف تقون انفسكم يوم القيمة وهوله ان بقيتم على الكفر ولم تؤمنوا وتعملوا صالحا ويجوز ان يكون ظرفا اي فكيف لكم بالتقوى يوم القيمة ان كفرتم في الدنيا ويجوز ان ينتصب بكفرتم على تاويل جحدتم اي فكيف تتقون الله وتخشونه ان جحدتم يوم القيمة والجزاء لان تقوى الله خوف عقابه ويجعل الولدان شيبا مثل في الشدة يقال في اليوم الشديد يوم يشيب نواصي الاطفال والاصل فيه ان الهموم والاحزان اذا تفاقمت على الانسان اسرع فيه الشيب قال ابو الطيب

۞ والهم يخترم الجسيم نحافة ۞ ويشيب ناصية الصبي ويهرم ۞

وقد مر بي في بعض الكتب ان رجلا امسى فاحم الشعر كحنك الغراب واصبح وهو ابيض الراس واللحية كالثغامة فقال اريت القيمة والجنة والنار في المنام ورايت الناس يقادون في السلاسل الى النار فمن هول ذلك اصبحت كما ترون ويجوز ان يوصف اليوم بالطول وان الاطفال يبلغون فيه اوان الشيخوخة والشيب **السماء منفطر به** وصف لليوم بالشدة ايضا وان السماء على عظمها واحكامها تنفطر فيه فما ظنك بغيرها من الخلائق وقرئ منفطر ومتفطر والمعنى ذات انفطار او على تاويل السماء بالسقف او السماء شيء منفطر والباء في به مثلها في قولك فطرت العود بالقدوم فانفطر به يعني انها تنفطر بشدة ذلك اليوم وهوله كما ينفطر الشيء بما يفطر به ويجوز ان يراد السماء مثقلة به اثقالا يؤدي الى انفطارها لعظمه عليها وخشيتها من وقوعه كقوله ثقلت في السموات والارض **كان وعده مفعولا** وعده من اضافة المصدر الى المفعول والضمير لليوم ويجوز ان يكون مضافا الى الفاعل وهو الله عز وجل ولم يجر له ذكر لكونه معلوما **ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا** ان هذه الايات الناطقة بالوعيد الشديد تذكرة وموعظة فمن شاء اتعظ بها واتخذ سبيلا الى الله بالتقوى والخشية ومعنى اتخاذ السبيل اليه التقرب والتوسل بالطاعة **ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه** ادنى من ثلثي الليل اقل منهما وانما استعير الادنى وهو الاقرب للاقل لان المسافة بين الشيئين اذا دنت قل ما بينهما من الاحياز واذا بعدت

كثر ذلك وقرئ ونصفه وثلثه بالنصب على انك تقوم اقل من الثلثين وتقوم النصف والثلث وهو مطابق لما مر في اول السورة من التخيير بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص منه وهو الثلث وبين قيام الزائد عليه وهو الادنى من الثلثين وقرئ ونصفه وثلثه بالجر اي تقوم اقل من الثلثين واقل من النصف والثلث وهو مطابق للتخيير بين النصف وهو ادنى من الثلثين والثلث وهو ادنى من النصف والربع وهو ادنى من الثلث وهو الوجه الاخير **وطائفة من الذين معك** ويقوم ذلك جماعة من اصحابك **والله يقدر الليل والنهار** ولا يقدر على تقدير الليل والنهار ومعرفة مقادير ساعاتهما الا الله وحده وتقديم اسمه عز وجل مبتدا مبنيا عليه يقدر هو الدال على معنى الاختصاص بالتقدير والمعنى انكم لا تقدرون عليه **علم ان لن تحصوه** الضمير في لن تحصوه لمصدر يقدر اي علم انه لا يصح منكم ضبط الاوقات ولا يتاتا حسابها بالتعديل والتسوية الا ان تاخذوا بالاوسع للاحتياط وذلك شاق عليكم بالغ منكم **فتاب عليكم** عبارة عن الترخيص في ترك القيام المقدر كقوله فتاب عليكم وعفا عنكم فالان باشروهن والمعنى انه رفع التبعة في تركه عنكم كما رفع التبعة عن التائب **فاقرؤوا ما تيسر من القران علم ان سيكون منكم مرضى واخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله واخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرؤوا ما تيسر منه واقيموا الصلوة واتوا الزكوة** وعبر عن الصلوة بالقراءة لانها بعض اركانها كما عبر عنها بالقيام والركوع والسجود يريد فصلوا ما تيسر عليكم ولم يتعذر من صلوة الليل وهو ناسخ للاول ثم نسخا جميعا بالصلوات الخمس وقيل هي قراءة القران بعينها قيل يقرأ مائة اية في ليلة ومن قرا مائة اية في ليلة لم يحاجه القران وقيل من قرا مائة اية كتب من القانتين وقيل خمسين اية وقد بين الحكمة في النسخ وهي تعذر القيام على المرضى والضاربين في الارض للتجارة والمجاهدين في سبيل الله وقيل سوى الله بين المجاهدين والمسافرين لكسب الحلال وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ايما رجل جلب شيئا الى مدينة من مداين المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله من الشهداء وعن عبد الله بن عمر ما خلق الله موتة اموتها بعد القتل في سبيل الله احب الي من ان اموت بين شعبتي رحلي اضرب في الارض ابتغي من فضل الله وعلم استيناف على تقدير السوال عن وجه النسخ واقيموا الصلوة يعني المفروضة والزكوة الواجبة وقيل زكوة الفطر لانه لم يكن بمكة زكوة وانما وجبت بعد ذلك ومن فسرها بالزكوة الواجبة جعل اخر السورة مدنيا **واقرضوا الله قرضا حسنا** يجوز ان يريد به سائر الصدقات وان يريد اداء الزكوة على احسن وجه من اخراج اطيب المال واعوده على الفقراء ومراعاة النية وابتغاء وجه الله والصرف الى المستحق وان يريد كل شي يفعل من الخير مما يتعلق بالنفس والمال **وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا واستغفروا الله ان الله غفور رحيم** خيرا ثاني مفعولي وجد وهو فصل وجاز وان لم يقع بين معرفتين لان افعل ما اشبه في امتناعه من حرف التعريف المعرفة وقرا ابو السمال هو خير واعظم اجرا بالرفع على الابتداء والخبر عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من قرا سورة المزمل دفع الله عنه العسر في الدنيا والاخرة

سورة المدثر مكية وهي ست وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها المدثر المدثر لابس الدثار وهو ما فوق الشعار وهو الثوب الذي يلي الجسد ومنه قوله عليه الصلوة والسلام الانصار شعار والناس دثار وقيل هي اول سورة نزلت روي عن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم كنت في حراء فنوديت يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يميني ويساري فلم ار شيئا فنظرت فوقي فرايت شيئا وفي رواية عائشة رضي الله عنها فنظرت فوقي فاذا به قاعد على عرش بين السماء والارض يعني الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثروني دثروني فنزل جبريل عليه السلام وقال يا ايها المدثر وعن الزهري ان اول ما نزل سورة اقرا باسم ربك الى قوله ما لم يعلم فحزن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وجعل يعلو شواهق الجبال فاتاه جبريل فقال انك نبي الله فرجع الى خديجة وقال دثروني وصبوا علي ماء باردا فنزل يا ايها المدثر وقيل سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه مفكرا

كما يفعل المغموم فامر ان لا يدع انذارهم وان اسمعوه واذوه وعن عكرمة انه قرا على لفظ المفعول من دثره وقال دثرت هذا الامر وعصب بكما والمزمل **قم** من مضجعك او قم قيام عزم وتصميم **فانذر** فحذر قومك من عذاب الله ان لم يؤمنوا والمعنى فافعل الانذار من غير تخصيص له باحد **وربك فكبر** واخصص ربك بالتكبير وهو الوصف بالكبرياء وان يقال الله اكبر وروي انه لما نزل قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم الله اكبر فكبرت خديجة وفرحت وايقنت انه الوحي وقد يحمل على تكبير الصلوة ودخلت الفاء لمعنى الشرط كانه قيل وما كان فلا تدع تكبيره **وثيابك فطهر** امر بان تكون ثيابه طاهرة من النجاسات لان طهارة الثياب شرط في الصلوة لا تصح الا بها وهي الاولى والاحب في غير الصلوة وقبيح بالمومن الطيب ان يحمل خبثا وقيل هو امر بتقصيرها ومخالفة العرب في تطويلهم الثياب وجرهم الذيول وذلك مما لا يؤمن معه اصابة النجاسة وقيل هو امر بتطهير النفس مما يستقذر من الافعال ويستهجن من العادات يقال فلان طاهر الثياب وطاهر الجيب والذيل والاردان اذا وصفوه بالنقاء من المعايب ومداني الاخلاق وفلان دنس الثياب للغادر وذلك لان الثوب يلابس الانسان ويشتمل عليه فكني به عنه الا ترى الى قولهم اعجبني زيد ثوبه كما يقولون اعجبني زيد عقله وخلقه ويقولون المجد في ثوبه والكرم تحت حلته ولان الغالب ان من طهر باطنه ونقاه عني بتطهير الظاهر وتنقيته وابى الا اجتناب الخبث وايثار الطهر في كل شي **والرجز فاهجر** والرجز قرئ بالكسر والضم وهو العذاب ومعناه اهجر ما يؤدي اليه من عبادة الاوثان وغيرها من المآثم والمعنى الثبات على هجره لانه كان بريا منه **ولا تمنن تستكثر** وقرا الحسن ولا تمن وتستكثر مرفوع منصوب المحل على الحال اي ولا تعط مستكثرا راييا لما تعطيه كثيرا او طالبا للكثير نهي عن الاستغزار وهو ان يهب شيا وهو يطمع ان يتعوض من الموهوب له اكثر من الموهوب وهذا جائز ومنه الحديث المستغزر يثاب من هبته وفيه وجهان ان يكون نهيا خاصا برسول الله صلى الله عليه واله وسلم لان الله تعالى اختار له اشرف الاداب واحسن الاخلاق والثاني ان يكون نهي تنزيه للكل وقرا الحسن تستكثر بالسكون وفيه ثلاثة اوجه الابدال من تمنن كانه قيل ولا تمنن ولا تستكثر على انه من المن في قوله عز وجل ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لان من شان المنان بما يعطي ان يستكثره اي يراه كثيرا ويعتد به وان يشبه ثرو بعضد فيسكن تخفيفا وان يعتبر حال الوقف وقرا الاعمش بالنصب باضمار ان كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى ويؤيده قراءة ابن مسعود ولا تمنن ان تستكثر ويكون في الرفع ان تحذف ان ويبطل عملها كما روي احضر الوغى بالرفع **ولربك فاصبر** ولوجه الله فاستعمل الصبر وقيل على اذى المشركين وقيل على اداء الفرائض وعن النخعي على عطيتك كانه وصله بما قبله وجعله صبرا على العطاء والوجه ان يكون امرا بنفس الفعل وان يتناول العموم كل مصبور عليه ومصبور عنه ويراد الصبر على اذى الكفار لانه احد ما يتناوله العام **فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير** والفاء في قوله فاذا نقر في الناقور للتسبيب كانه قال اصبر على اذاهم فبين ايديهم يوم عسير يلقون فيه عاقبة اذاهم وتلقى عاقبة صبرك والفاء في فذلك للجزاء فان قلت بم انتصب اذا وكيف صح ان يقع يومئذ ظرفا ليوم عسير قلت انتصب اذا بما دل عليه الجزاء لان المعنى فاذا نقر في الناقور عسر الامر على الكافرين والذي اجاز وقوع يومئذ ظرفا ليوم عسير ان المعنى فذلك وقت النقر وقوع يوم عسير لان يوم القيمة ياتي ويقع حين ينقر في الناقور واختلف في انها النفخة الاولى ام الثانية ويجوز ان يكون يومئذ مبنيا مرفوع المحل بدلا من ذلك ويوم عسير خبر كانه قيل فيوم النقر يوم عسير فان قلت فما فائدة قوله غير يسير وعسير مغن عنه قلت لما قال على الكافرين فقصره عليهم قال غير يسير ليؤذن بانه لا يكون عليهم كما يكون على المؤمنين يسيرا هينا ليجمع وعيد الكافرين وزيادة غيظهم وبشارة المؤمنين وتسليتهم ويجوز ان يراد انه عسير لا يرجى ان يرجع يسيرا كما يرجى تيسر العسير من امور الدنيا **ذرني ومن خلقت وحيدا** حال من الله عز وجل على معنيين احدهما ذرني وحدي معه فانا اجزيك في الانتقام عن كل منتقم والثاني خلقته وحدي لم يشركني في خلقه احد او حال من المخلوق على معنى خلقته وهو وحيد فريد لا مال له ولا ولد كقوله ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي وكان ملقبا في قومه بالوحيد ولعله لقب بذلك بعد نزول الاية فان كان ملقبا به قبل فهو تهكم به وبلقبه وتغيير له عن الغرض الذي كانوا يؤمونه من مدحه والثناء عليه بانه وحيد قومه لرياسته وتقدمه

في الدنيا الى وجه الذم والعيب وهو انه خلق وحيدا لا مال له ولا ولد فآتاه الله ذلك فكفر بنعمة الله واشرك به
واستهزأ بدينه **وجعلت له مالا ممدودا** مبسوطا كثيرا او ممدودا بالنماء من مد النهر ومده نهر
آخر قيل كان له الزرع والضرع والتجارة وعن ابن عباس هو ما كان له بين مكة والطائف من صنوف الاموال
وقيل كان له بستان بالطائف لا ينقطع ثماره صيفا ولا شتاء وقيل كان له الف مثقال وقيل اربعة آلاف
وقيل تسعة آلاف وقيل الف الف وعن ابن جريج غلة شهر بشهر **وبنين شهودا** حضورا معه بمكة لا
يفارقونه للتصرف في عمل وتجارة لانهم مكفيون لوفور نعمة ابيهم واستغنائهم عن التكسب
وطلب المعاش بانفسهم فهو مستأنس بهم لا يشتغل قلبه بغيبتهم وخوف معاطب السفر عليهم ولا يحزن
لفراقهم والاشتياق اليهم ويجوز ان يكون معناه انهم رجال يشهدون معه المجامع والمحافل او تسمع
شهاداتهم فيما يتحاكم فيه وعن مجاهد كان له عشرة بنين وقيل ثلاثة عشر وقيل سبعة كلهم
رجال الوليد بن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس اسلم منهم ثلاثة خالد وهشام
وعمارة **ومهدت له تمهيدا** وبسطت له الجاه العريض والرياسة في قومه فاتممت عليه نعمتي الجاه والمال
واجتماعهما هو الكمال عند اهل الدنيا ومنه قول الناس ادام الله تأييدك وتمهيدك يريدون زيادة الجاه
والحشمة وكان الوليد من وجهاء قريش وصناديدهم ولذلك لقب الوحيد وريحانة قريش **ثم يطمع
ان ازيد** استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه يعني انه لا مزيد على ما اوتي سعة وكثرة وقيل انه كان
يقول ان كان محمد صادقا فما خلقت الجنة الا لي **كلا** ردع له وقطع لرجائه وطمعه **انه كان لآياتنا عنيدا** تعليل
للردع على وجه الاستئناف كأن قائلا قال لم لا يزاد فقيل انه كان عاندا لآيات المنعم وكفر بذلك نعمته
والكافر لا يستحق المزيد ويروى انه ما زال بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله حتى هلك **سارهقه
صعودا** سأغشيه عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من العذاب الشاق الصعب الذي لا يطاق وعن
النبي صلى الله عليه وآله وسلم يكلف ان يصعد عقبة في النار كلما وضع عليها يده ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع
رجله ذابت فاذا رفعها عادت وعنه عليه الصلاة والسلام الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين
خريفا ثم يهوي فيه كذلك ابدا **انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس
وبسر ثم ادبر واستكبر فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر** انه تعليل للوعيد كأن الله تعالى
عاجله بالفقر بعد الغنى والذل بعد العز في الدنيا لعناده ويعاقبه في الآخرة باشد العذاب وافظعه
لبلوغه بالعناد غايته واقصاه في تفكره وتسميته القرآن سحرا ويجوز ان يكون كلمة الردع متبوعة بقوله
سارهقه صعودا ردا لزعمه ان الجنة لم تخلق الا له واخبارا بانه من اشد اهل النار عذابا ويعلل ذلك بعناده
ويكون قوله انه فكر بدلا من قوله انه كان لآياتنا عنيدا بيانا لكنه عناده ومعناه انه فكر ماذا يقول في القرآن
وقدر في نفسه ما يقوله وهيأه فقتل كيف قدر تعجيب من تقديره واصابته فيه المحز ورميه الغرض الذي كان ينتحيه
قريش او ثناء عليه على طريقة الاستهزاء او هي حكاية لما كرروه من قولهم قتل كيف قدر تهكما بهم وباعجابهم
بتقديره واستعظامهم لقوله ومعنى قول القائل قتله الله ما اشجعه واخزاه الله ما اشعره
الاشعار بانه قد بلغ المبلغ الذي هو حقيق بان يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك وروي ان الوليد قال
لبني مخزوم والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان
عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى فقالت قريش صبا والله الوليد والله
ليصبأن قريش كلهم فقال ابو جهل انا اكفيكموه فقعد اليه حزينا وكلمه بما احماه فقام فاتاهم
فقال تزعمون ان محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه قط يتكهن وتزعمون انه
شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قط وتزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب فقالوا في كل
ذلك اللهم ثم قالوا فما هو ففكر فقال ما هو الا ساحر اما رأيتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه وما
الذي يقوله الا سحر يأثره عن مسيلمة وعن اهل بابل فارتج النادي فرحا وتفرقوا معجبين بقوله متعجبين منه
ثم نظر في وجوه الناس ثم قطب وجهه ثم زحف مدبرا وتشاوس مستكبرا لما خطرت بباله الكلمة
الشنعاء وهم بان يرمي بها وصف اشكاله التي تشكل بها حتى استنبط ما استنبط استهزاء وقيل قدر ما يقوله
ثم نظر فيه ثم عبس لما ضاقت عليه الحيل ولم يدر ما يقول وقيل قطب في وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم
ادبر عن الحق واستكبر عنه فقال ما قال وثم نظر عطف على فكر وقدر والدعاء اعتراض بينهما فان قلت ما معنى
ثم الداخلة في تكرير الدعاء قلت الدلالة على ان الكرة الثانية ابلغ من الاولى ونحوه قوله

الا يا اسلمي ثم اسلمي ثمت اسلمي ● ثلاث تحيات وان لم تكلم
فان قلت فما معنى المتوسطة بين الافعال التي بعدها قلت الدلالة على انه قد تأنى في التأمل
وتمهل وكان بين الافعال المتناسقة تراخ وتباعد فان قلت فلم قال فقال ان هذا بالفاء بعد عطف
ما قبله بثم قلت لان الكلمة لما خطرت بباله بعد التطلب لم يتمالك ان نطق بها من غير تلبث
فان قلت فلم يوسط حرف العطف بين الجملتين قلت لان الاخرى جرت من الاولى مجرى التوكيد
من المؤكد **سأصليه سقر** بدل من سارهقه صعودا **وما ادراك ما سقر لا تبقي ولا تذر** لا
تبقي شيئا يلقى فيها الا اهلكته واذا هلك لم تذره هالكا حتى يعاد او لا تبقي على شيء ولا تدعه من
الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة **لواحة للبشر** من لوح الهجير قال
تقول ما لاحك يا مسافر ● يا ابنة عمي لاحني الهواجر
قيل تلفح الجلد لفحة فتدعه اشد سوادا من الليل والبشر اعالي الجلود وقيل تلوح للناس كقوله لترونها ثم لترونها
عين اليقين وقرئ لواحة نصبا على الاختصاص للتهويل **عليها تسعة عشر** اي يلي امرها ويتسلط
على اهلها تسعة عشر ملكا وقيل صنفا من الملائكة وقيل صفا وقيل نقيبا وقرئ تسعة عشر بسكون
العين لتوالي الحركات فيما هو في حكم اسم واحد وقرئ تسعة اعشر جمع عشير مثل يمين وايمن جعلهم
ملائكة لانهم خلاف جنس المعذبين من الجن والانس فلا يأخذهم ما يأخذ المجانس من الرأفة والرقة
ولا يستروحون اليهم ولانهم اقوم خلق الله بحق الله وبالغضب له فتؤمن هوادتهم ولانهم اشد الخلق
بأسا واقوى بطشا عن عمرو بن دينار واحد منهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم اكثر من ربيعة و مضر
وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كأن اعينهم البرق وكأن افواههم الصياصي يجرون اشعارهم لاحدهم
مثل قوة الثقلين يسوق احدهم الامة وعلى رقبته جبل فيرمي بهم في النار ويرمي بالجبل عليهم وروي
انه لما نزل عليها تسعة عشر قال ابو جهل ثكلتكم امهاتكم اسمع ابن ابي كبشة يخبركم ان خزنة النار تسعة عشر وانتم الدهم
ايعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فقال ابو الاشد بن اسيد بن كلدة الجمحي وكان شديد
البطش انا اكفيكم سبعة عشر فاكفوني انتم اثنين فانزل الله **وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة**
اي ما جعلناهم رجالا من جنسكم يطاقون **وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن
الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون
وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا** فان قلت قد جعل افتتان الكافرين
بعدة الزبانية سببا لاستيقان اهل الكتاب وزيادة ايمان المؤمنين واستهزاء الكافرين والمنافقين فما وجه
صحة ذلك قلت ما جعل افتتانهم بالعدة سببا لذلك وانما العدة نفسها هي التي جعلت سببا وذلك
ان المراد بقوله وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا وما جعلنا عدتهم الا تسعة عشر فوضع فتنة للذين كفروا موضع
تسعة عشر لان حال هذه العدة الناقصة واحدا من عقد العشرين ان يفتتن بها من لا يؤمن بالله وبحكمته ويعترض
ويستهزئ ولا يذعن اذعان المؤمن وان خفي عليه وجه الحكمة كأنه قيل لقد جعلنا عدتهم عدة من شأنها
ان يفتتن بها لاجل استيقان المؤمنين وحيرة الكافرين واستيقان اهل الكتاب لان عدتهم تسعة عشر
في الكتابين فاذا سمعوا بمثلها في القرآن ايقنوا انه منزل من الله تعالى وازدياد المؤمنين ايمانا لتصديقهم بذلك
كما صدقوا سائر ما انزل ولما رأوا من تسليم اهل الكتاب وتصديقهم انه كذلك فان قلت لم قال ولا يرتاب الذين
اوتوا الكتاب والمؤمنون والاستيقان وازدياد الايمان دالا على انتفاء الارتياب قلت لانه اذا جمع لهم اثبات
اليقين ونفي الشك كان ابلغ وآكد لوصفهم بسكون النفس وثلج الصدر ولان فيه تعريضا بحال من
عداهم كأنه قال ولتخالف حالهم حال الشاكين المرتابين من اهل النفاق والكفر فان قلت كيف ذكر الذين
في قلوبهم مرض وهم المنافقون والسورة مكية ولم يكن بمكة نفاق وانما نجم بالمدينة قلت معناه وليقول
المنافقون الذين يحدثون في مستقبل الزمان بالمدينة بعد الهجرة والكافرون بمكة ماذا اراد الله بهذا مثلا
وليس في ذلك الا اخبار بما سيكون كسائر الاخبارات بالغيوب وذلك لا يخالف كون السورة مكية ويجوز ان
يراد بالمرض الشك والارتياب لان اهل مكة كان اكثرهم شاكين وبعضهم قاطعين بالكذب
فان قلت قد علل جعلهم تسعة عشر بالاستيقان وانتفاء الارتياب وقول المنافقين والكافرين ما
قالوا فهب ان الاستيقان وانتفاء الارتياب يصح ان يكونا غرضين فكيف صح ان يكون قول المنافقين والكافرين
غرضا قلت افادة اللام معنى العلة ولا يجب في العلة ان تكون غرضا الا ترى الى قولك خرجت من البلد مخافة

البشر فقد جعلت المخافة علة لخروجك وما هي بغرضك مثلاً نهيتك لهذا او خالفته كقولك هذه ناقة الله لكم آية فان قلت لم سموه مثلاً قلت هو استعارة من المثل المضروب لانه مما غرب من الكلام وبدع استغراباً منهم لهذا العدد واستبداعاً والمعنى اي شيء اراد الله بهذا العدد العجيب واي غرض قصد في ان جعل الملئكة تسعة عشر لا عشرين سواء ومرادهم انكاره من اصله وانه ليس من عند الله وانه لو كان من عند الله لما جاء بهذا العدد الناقص **كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء** الكاف في كذلك نصب وذلك اشارة الى ما قبله من معنى الاضلال والهدى اي مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى يضل الكافرين ويهدي المؤمنين يعني يفعل فعلاً حسناً مبنياً على الحكمة والصواب فيراه المؤمنون حكمة ويذعنون له لاعتقادهم ان افعال الله تعالى كلها حسنة وحكمة فيزيدهم ايماناً وينكره الكافرون ويشكون فيه فيزيدهم كفراً وضلالاً **وما يعلم جنود ربك** وما عليه كل جند من العدد الخاص من كون بعضها على عقد كامل وبعضها على عدد ناقص وما في اختصاص كل جند بعدده من الحكمة **الا هو** ولا سبيل لاحد الى معرفة ذلك كما لا يعرف الحكمة في اعداد السموات والارضين وايام السنة والشهور والبروج والكواكب واعداد النصب والحدود والكفارات والصلوات في الشريعة او وما يعلم جنود ربك لفرط كثرتها الا هو فلا يعز عليه تتميم الخزنة عشرين ولكن له في هذا العدد الخاص حكمة لا تعلمونها وهو يعلمها وقيل هو جواب لقول ابي جهل اما لرب محمد اعوان الا تسعة عشر وما جعلنا اصحاب النار الى قوله الا هو اعتراض وقوله **وما هي الا ذكرى** متصل بوصف سقر وهي ضميرها اي وما سقر وصفتها الا تذكرة **للبشر** او ضمير الآيات التي ذكرت فيها **كلا والقمر والليل اذ ادبر والصبح اذا اسفر انها لاحدى الكبر نذيراً للبشر** كلا انكار بعد ان جعلها ذكرى ان تكون لهم ذكرى لانهم لا يتذكرون او ردع لمن ينكر ان تكون احدى الكبر نذيراً ودبر بمعنى ادبر كقبل بمعنى اقبل ومنه صاروا كامس الدابر وقيل هو من دبر الليل النهار اذا خلفه وقرئ اذا ادبر انها لاحدى الكبر جواب القسم او تعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد والكبر جمع الكبرى جعلت الف التانيث كتائها فلما جمعت فعلة على فعل جمعت فعلى عليها ونظير ذلك السوافي في جمع السافياء والقواصع في جمع القاصعاء كانها جمع فاعلة اي لاحدى البلايا والدواهي الكبر ومعنى كونها احداهن انها من بينهن واحدة في العظم لا نظيرة لها كما تقول هو احد الرجال وهي احدى النساء نذيراً تمييز وقيل هي حال وقيل هو متصل باول السورة يعني قم نذيراً وهو من بدع التفاسير وفي قراءة ابي نذير بالرفع خبر بعد خبر لان او بحذف المبتدا **لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر** ان يتقدم في موضع الرفع بالابتداء ولمن شاء خبر مقدم عليه كقولك لمن توضأ ان يصلي ومعناه مطلق لمن شاء التقدم او التاخر ان يتقدم او يتاخر والمراد بالتقدم والتاخر السبق الى الخير والتخلف عنه وهو كقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ويجوز ان يكون لمن شاء بدلاً من للبشر على انها منذرة للمكلفين الذين ان شاؤا تقدموا ففازوا وان شاؤا تاخروا فهلكوا **كل نفس بما كسبت رهينة** ليست بتانيث رهين في قوله كل امرئ بما كسب رهين لتانيث النفس لانه لو قصدت الصفة لقيل رهين لان فعيلاً بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث وانما هي اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم كانه قيل كل نفس بما كسبت رهن ومنه بيت الحماسة

ابعد الذي بالنعف نعف كويكب … رهينة رمس ذي تراب وجندل

كانه قال رهن رمس يعني كل نفس رهن بكسبها عند الله غير مفكوك **الا اصحاب اليمين** فانهم فكوا عنه رقابهم بما اطابوه من كسبهم كما يخلص الراهن رهنه باداء الحق وعن علي رضي الله عنه انه فسر اصحاب اليمين بالاطفال لانه لا اعمال لهم يرتهنون بها وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم الملئكة **في جنات** اي هم في جنات لا يكتنه وصفها **يتساءلون عن المجرمين** يسأل بعضهم بعضاً او يتساءلون غيرهم عنهم كقولك تداعوه وتداعيناه **ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى اتانا اليقين** فان قلت كيف طابق قوله ما سلككم وهو سؤال للمجرمين قوله يتساءلون عن المجرمين وهو سؤال عنهم وانما كان يتطابق ذلك لو قيل يتساءلون المجرمين ما سلككم قلت ما سلككم ليس ببيان للتساؤل عنهم وانما هو حكاية قول المسؤولين عنهم لان المسؤولين يلقون الى السائلين ما جرى بينهم وبين المجرمين فيقولون قلنا لهم ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين الا ان الكلام جيء به على الحذف والاختصار كما هو نهج التنزيل في غرابة نظمه الخوض الشروع في الباطل وما لا ينبغي فان قلت لم يسألونهم وهم عالمون بذلك قلت توبيخاً لهم وتحسيراً وقد عضد بعضهم تفسير اصحاب اليمين بالاطفال انهم انما سألوهم

لانهم ولدان لا يعرفون موجب دخول النار فان قلت ايريدون ان كل واحد منهم مجموع هذه الاربع دخل النار ام دخلها بعضهم بهذه وبعضهم بهذه قلت يحتمل الامرين جميعاً فان قلت لم اخر التكذيب وهو اعظمها قلت ارادوا انهم بعد ذلك كله كانوا مكذبين بيوم الدين تعظيماً للتكذيب كقوله ثم كان من الذين آمنوا واليقين الموت ومقدماته **فما لهم عن التذكرة معرضين كانهم حمر مستنفرة** عن التذكرة عن التذكير وهو العظة يريد القرآن او غيره من المواعظ ومعرضين نصب على الحال كقولك ما لك قائماً والمستنفرة الشديدة النفار كانها تطلب النفار من نفوسها في جمعها له وحملها عليه وقرئ بالفتح وهي المنفرة المحمولة على النفار **فرت من قسورة** والقسورة جماعة الرماة الذين يتصيدونها وقيل الاسد يقال ليوث قساورة وهي فعولة من القسر وهو القهر والغلبة وفي وزنه الحيدرة من اسماء الاسد وعن ابن عباس ركز الناس واصواتهم وعن عكرمة ظلمة الليل شبههم في اعراضهم عن القرآن واستماع الذكر والموعظة وشرادهم عنه بحمر جدت في نفارها مما افزعها وفي تشبيههم بالحمر مذمة ظاهرة وتهجين لحالهم بين كما في قوله كمثل الحمار يحمل اسفاراً وشهادة عليهم بالبله وقلة العقل ولا ترى مثل نفار حمير الوحش واطرادها في العدو اذا رابها رائب ولذلك كان اكثر تشبيهات العرب في وصف الابل وشدة سيرها بالحمر وعدوها اذا وردت ماء فاحست عليه بقانص **بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفاً منشرة** قراطيس تنشر وتقرأ كالكتب التي يتكاتب بها او كتباً كتبت في السماء ونزلت بها الملئكة ساعة كتبت منشرة على ايديها غضة رطبة لم تطو بعد وذلك انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تأتي كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين الى فلان بن فلان نؤمر فيها باتباعك ونحوه قوله لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه وقال تعالى ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بايديهم الآية وقيل قالوا ان كان محمد صادقاً فليصبح عند راس كل رجل منا صحيفة فيها براءته وامنه من النار وقيل كانوا يقولون بلغنا ان الرجل من بني اسرائيل كان يصبح مكتوباً على راسه ذنبه وكفارته فأتنا بمثل ذلك وهذا من الصحف المنشرة بمعزل الا ان يراد بالصحف المنشرة الكتابات الظاهرة المكشوفة وقرأ سعيد بن جبير صحفاً منشرة بتخفيفهما على ان انشر الصحف ونشرها واحد كانزله ونزله ردعهم بقوله **كلا** عن تلك الارادة وزجرهم عن اقتراح الآيات ثم قال **بل لا يخافون الآخرة** فلذلك اعرضوا عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف **كلا** ثم ردعهم عن اعراضهم عن التذكرة وقال **انه تذكرة** يعني تذكرة بليغة كافية مبهم امرها في الكفاية **فمن شاء ذكره** فمن شاء ان يذكره ولا ينساه ويجعله نصب عينيه فعل فان نفع ذلك راجع اليه والضمير في انه وذكره للتذكرة في قوله فما لهم عن التذكرة معرضين وانما ذكر لانها في معنى الذكر او القرآن **وما تذكرون الا ان يشاء الله** يعني الا ان يقسرهم على الذكر ويلجئهم اليه لانهم مطبوع على قلوبهم معلوم انهم لا يؤمنون اختياراً **هو اهل التقوى واهل المغفرة** هو حقيق بان يتقيه عباده ويخافوا عقابه فيؤمنوا ويطيعوا وحقيق بان يغفر لهم اذا آمنوا واطاعوا وروى انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو اهل ان يتقى واهل ان يغفر لمن اتقاه وقرئ يذكرون بالتاء والياء مخففاً ومشدداً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المدثر اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وكذب به بمكة

سورة القيمة مكية وهي تسع وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اقسم بيوم القيمة ادخال لا النافية على فعل القسم مستفيض في كلامهم واشعارهم قال امرؤ القيس

لا وابيك ابنة العامري … لا يدعي القوم اني افر

وقال غوية بن سلمى

الا نادت امامة باحتمال … لتحزنني فلا بك ما ابالي

وفائدتها توكيد القسم وقالوا انها صلة مثلها في لئلا يعلم اهل الكتاب وفي قوله في بئر لا حور سرى وما شعر واعترضوا عليه بانها انما تزاد في وسط الكلام لا في اوله واجابوا بان القرآن في حكم سورة واحدة متصل بعضه ببعض والاعتراض صحيح لانها لم تقع مزيدة الا في وسط الكلام ولكن الجواب غير سديد الا ترى الى امرئ القيس كيف زادها في مستهل قصيدته والوجه ان يقال هي للنفي والمعنى في ذلك انه لا يقسم بالشيء

الا اعظاما له بدليل قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم وكانه بادخال حرف النفي
يقول ان اعظامي له باقسامي به كلا اعظام يعني انه يستاهل فوق ذلك وقيل ان لا نفي لكلام ورد له قبل القسم
كانهم انكروا البعث فقيل لا اي ليس الامر على ما ذكرتم ثم قيل اقسم بيوم القيمة فان قلت قوله فلا وربك
لا يومنون والابيات التي انشدتها المقسم عليه فيها منفي فهلا زعمت ان لا التي قبل القسم زيدت موطئة
للنفي بعده ومؤكدة وقدرت المقسم عليه المحذوف ها هنا منفيا كقولك لا اقسم بيوم القيمة لا تتركون
سدى قلت لو اقتصر الامر على النفي دون الاثبات لكان لهذا القول مساغ ولكنه لم يقتصر الا ترى
كيف تلقى لا اقسم بهذا البلد بقوله لقد خلقنا الانسان في كبد وكذلك فلا اقسم بمواقع النجوم
بقوله انه لقران كريم وقرئ لاقسم على ان اللام للابتداء واقسم خبر مبتدا محذوف معناه لانا اقسم
قالوا ويعضده انه في الامام بغير الف **ولا اقسم بالنفس اللوامة** بالنفس المتقية التي تلوم النفوس
فيه اي في يوم القيمة على تقصيرهن في التقوى او بالتي لا تزال تلوم نفسها وان اجتهدت في الاحسان وعن
الحسن ان المومن لا تراه الا لائما نفسه وان الكافر قدما لا يعاتب نفسه وقيل هي التي تتلوم يومئذ على ترك
الازدياد ان كانت محسنة وعلى التفريط ان كانت مسيئة وقيل هي نفس ادم لم تزل تتلوم على فعلها الذي خرجت
به من الجنة وجواب القسم ما دل عليه قوله **ايحسب الانسان الن نجمع عظامه** وهو لتبعثن وقرئ
قتادة ان لن يجمع عظامه على البناء للمفعول والمعنى نجمعها بعد تفرقها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا
بالتراب وبعد ما سفتها الرياح وطيرتها في اباعد الارض وقيل ان عدي بن ربيعة وقيل عمرو بن ابي ربيعة
ختن الاخنس بن شريق وهما اللذان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيهما اللهم اكفني جاري السوء
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد حدثني عن يوم القيمة متى يكون وكيف امره فاخبره رسول الله صلى الله
عليه واله وسلم فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك ولم او من به او يجمع الله العظام فنزلت **بلى
قادرين على ان نسوي بنانه** بلى اوجبت ما بعد النفي وهو الجمع فكانه قيل بلى نجمعها وقادرين حال من
الضمير في نجمع اي نجمع العظام قادرين على تاليف جميعها واعادتها الى التركيب الاول الى ان نسوي
بنانه اي اصابعه التي هي اطرافه واخر ما يتم به خلقه او على ان نسوي بنانه ونضم سلامياته على صغرها
ولطافتها بعضها الى بعض كما كانت اولا من غير نقصان ولا تفاوت فكيف بكبار العظام وقيل معناه
بلى نجمعها ونحن قادرون على ان نسوي اصابع يديه ورجليه مستوية شيئا واحدا كخف البعير وحافر
الحمار لا تفرق بينها فلا يمكنه ان يعمل بها شيئا مما يعمل باصابعه المفرقة ذات المفاصل والانامل من فنون الاعمال
والبسط والقبض والتاتي لما يريد من الحوائج وقرئ قادرون اي نحن قادرون **بل يريد الانسان** عطف على
ايحسب فيجوز ان يكون مثله استفهاما وان يكون ايجابا على ان يضرب عن مستفهم عنه الى اخر او يضرب عن
مستفهم عنه الى موجب **ليفجر امامه** ليدوم على فجوره فيما بين يديه من الاوقات وفيما يستقبله من الزمان
لا ينزع عنه وعن سعيد بن جبير يقدم الذنب ويؤخر التوبة يقول سوف اتوب سوف اتوب حتى ياتيه الموت
على شر احواله واسوا اعماله **يسئل** سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة في قوله **ايان يوم القيمة** ونحوه
ويقولون متى هذا الوعد **فاذا برق البصر** تحير فزعا واصله من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش
بصره وقرئ برق من البريق اي لمع من شدة شخوصه وقرأ ابو السمال بلق اذا انفتح وانفرج يقال بلق الباب وابلقته
وبلقته فتحته **وخسف القمر** وذهب ضوءه او ذهب بنفسه وقرئ وخسف على البناء للمفعول **وجمع الشمس
والقمر** حيث يطلعهما الله من المغرب وقيل وجمعا في ذهاب الضوء وقيل يجمعان اسودين مكورين كانهما
ثوران عقيران في النار وقيل يجمعان ثم يقذفان في البحر فيكون نار الله الكبرى **يقول الانسان يومئذ
اين المفر** الفرار بفتح المصدر وبالكسر المكان ويجوز ان يكون مصدرا كالمرجع وقرئ بهما **كلا** ردع عن طلب
المفر **لا وزر** لا ملجا وكل ما التجات اليه من جبل او غيره وتخلصت به فهو وزرك **الى ربك** خاصة **يومئذ
المستقر** مستقر العباد او استقرارهم يعني انهم لا يقدرون ان يستقروا الى غيره وينصبوا اليه او الى حكمه
ترجع امور العباد لا يحكم فيها غيره كقوله لمن الملك اليوم او الى ربك مستقرهم اي موضع قرارهم من
جنة او نار اي مفوض ذلك الى مشيته من شاء ادخله الجنة ومن شاء ادخله النار **ينبؤا الانسان يومئذ بما
قدم واخر** بما قدم من عمل عمله وبما اخر منه لم يعمله او بما قدم من ماله فتصدق به وبما اخره فخلفه او بما قدم من عمل الخير والشر
وبما اخر من سنة حسنة او سيئة فعمل بها بعده وعن مجاهد باول عمله وباخره ونحوه فينبئهم بما عملوا احصاه الله
ونسوه **بل الانسان على نفسه بصيرة** حجة بينة وصفت بالبصارة على المجاز كما وصفت الايات بالابصار

في قوله

في قوله تعالى فلما جاءتهم اياتنا مبصرة او عين بصيرة والمعنى انه ينبئ باعماله وان لم ينبا ففيه ما يجزي عن الانباء لانه
شاهد عليها بما عملت لان جوارحه تنطق بذلك يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا
يعملون **ولو القى معاذيره** ولو جاء بكل معذرة يعتذر بها عن نفسه ويجادل عنها وعن الضحاك ولو ارخى ستوره
وقال المعاذير الستور واحدها معذار فان صح فلانه يمنع رؤية المحتجب كما تمنع المعذرة عقوبة
المذنب فان قلت اليس قياس المعذرة ان تجمع معاذر لا معاذير قلت المعاذير ليس بجمع معذرة انما هو اسم جمع لها
ونحوه المناكير في المنكر **لا تحرك به لسانك** الضمير في به للقران وكان رسول الله صلى الله عليه واله
وسلم اذا لقن الوحي نازع جبريل القراءة ولم يصبر الى ان يتمها مسارعة الى الحفظ وخوفا من ان يتفلت منه
فامر بان يستنصت له ملقيا اليه بقلبه وسمعه حتى يقضى اليه وحيه ثم يقفيه بالدراسة الى ان يرسخ فيه
والمعنى لا تحرك لسانك بقراءة الوحي ما دام جبريل صلوات الله عليه يقرأ **لتعجل به** لتاخذه على عجلة ولئلا
يتفلت منك ثم علل النهي عن العجلة بقوله **ان علينا جمعه** في صدرك **وقرانه** واثبات قراءته في لسانك **فاذا
قراناه فاتبع قرانه** جعل قراءة جبريل قراءته والقران القراءة فاتبع قراءته ولا تكن مقفيا له فيه ولا تراسله
وطامن نفسك انه لا يبقى غير محفوظ فنحن في ضمان تحفيظه **ثم ان علينا بيانه** اذا اشكل عليك شيء من
معانيه كانه كان يعجل في الحفظ والسؤال عن المعنى جميعا كما ترى بعض الحراص على العلم ونحوه ولا تعجل
بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه **كلا** ردع لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم عن عادة العجلة وانكار
لها عليه وحث على الاناة والتؤدة وقد بالغ في ذلك باتباعه قوله **بل تحبون العاجلة وتذرون الاخرة**
كانه قال بل انتم يا بني ادم لانكم خلقتم من عجل وطبعتم عليه تعجلون في كل شيء ومن ثم تحبون العاجلة وتذرون
الاخرة وقرئ بالياء وهو ابلغ فان قلت كيف اتصل قوله لا تحرك به لسانك الى اخره بذكر القيمة قلت
اتصاله به من جهة هذا التخلص منه الى التوبيخ بحب العاجلة وترك الاهتمام بالاخرة **وجوه يومئذ ناضرة**
الوجه عبارة عن الجملة والناضرة من نضرة النعيم **الى ربها ناظرة** تنظر الى ربها خاصة لا تنظر الى غيره وهذا
معنى تقديم المفعول الا ترى الى قوله الى ربك يومئذ المستقر الى ربك يومئذ المساق الى الله تصير الامور واليه
ترجعون والى الله المصير عليه توكلت واليه انيب كيف دل فيها التقديم على معنى الاختصاص ومعلوم
انهم ينظرون الى اشياء لا يحيط بها الحصر ولا تدخل تحت العدد في محشر يجتمع فيه الخلائق كلهم فان المومنين
نظارة ذلك اليوم لانهم الامنون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فاختصاصه بنظرهم اليه لو كان
منظورا اليه محال فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص والذي يصح معه ان يكون من قول الناس
انا الى فلان ناظر ما يصنع بي تريد معنى التوقع والرجاء ومنه قول القائل

وإذا نظرت اليك من ملك ۔ والبحر دونك زدتني نعما

وسمعت سروية مستجدية بمكة وقت الظهر حين يغلق الناس ابوابهم ويأوون الى مقائلهم تقول
عيينتي نويظرة الى الله واليكم والمعنى انهم لا يتوقعون النعمة والكرامة الا من ربهم كما كانوا في الدنيا
لا يخشون ولا يرجون الا اياه **ووجوه يومئذ باسرة** والباسرة الشديدة العبوس والباسل اشد منه
ولكنه غلب في الشجاع اذا اشتد كلوحه **تظن** تتوقع **ان يفعل بها فاقرة** فعل هو في شدته وفظاعته
فاقرة داهية تقصم فقار الظهر كما توقعت الوجوه الناظرة ان يفعل بها كل خير **كلا** ردع عن ايثار الدنيا
على الاخرة كانه قيل ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا على ما بين ايديكم من الموت الذي عنده تنقطع العاجلة عنكم
وتنتقلون الى الاجلة التي تبقون فيها مخلدون **اذا بلغت التراقي** والضمير في بلغت للنفس وان لم يجر لها
ذكر لان الكلام الذي وقعت فيه يدل عليها كما قال حاتم

اماوي ما يغني الثراء عن الفتى ۔ اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

وتقول العرب ارسلت يريدون جاء المطر ولا تكاد تسمعهم يذكرون السماء التراقي العظام المكتنفة لثغرة
النحر عن يمين وشمال ذكرهم صعوبة الموت الذي هو اول مراحل الاخرة حين تبلغ الروح التراقي ودنا زهوقها
وقيل حاضروا صاحبها وهو المحتضر بعضهم لبعض **من راق** ايكم يرقيه مما به وقيل هو من كلام ملائكة الموت
ايكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة ام ملائكة العذاب **وظن** المحتضر **انه الفراق** ان هذا الذي نزل به
هو فراق الدنيا المحبوبة **والتفت الساق بالساق** والتفت ساقه بساقه والتوت عليها عند علز الموت وعن
قتادة ماتت رجلاه فلا تحملانه وقد كان عليهما جوالا وقيل شدة فراق الدنيا بشدة اقبال الاخرة على ان الساق
مثل في الشدة وعن سعيد بن المسيب هما ساقاه حين تلفان في اكفانه **الى ربك يومئذ المساق** اي يساق الى

الله والى حكمه فلا صدق ولا صلى يعني الانسان في قوله ايحسب الانسان الن نجمع عظامه الا ترى الى قوله ايحسب الانسان ان
يترك سدى وهو معطوف على قوله يسأل ايان يوم القيمة اي لا يؤمن بالبعث فلا صدق بالرسول والقرآن ولا صلى
ويجوز ان يراد فلا صدق ماله بمعنى فلا زكاه وقيل نزلت في ابي جهل ولكن كذب وتولى ثم ذهب الى اهله
يتمطى يتبختر واصله يتمطط اي يتمدد لان المتبختر يمد خطاه وقيل هو من المطا وهو الظهر لانه يلويه
وفي الحديث اذا مشت امتي المطيطاء وخدمتهم فارس والروم فقد جعل بأسهم بينهم كذب برسول
الله صلى الله عليه واله وسلم وتولى عنه واعرض ثم ذهب الى قومه يتبختر افتخارا بذلك اولى لك فاولى
ثم اولى لك فاولى بمعنى ويل لك وهو دعاء عليه بان يليه ما يكره ايحسب الانسان ان يترك سدى
الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فعدله فجعل منه من الانسان الزوجين الصنفين
الذكر والانثى اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى اليس الذي انشأ هذا الانشاء بقادر على
الاعادة وروي ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قال سبحانك بلى وعن رسول الله صلى الله عليه واله
من قرأ سورة القيمة شهدت له انا وجبريل يوم القيمة انه كان مؤمنا بيوم القيمة

سورة الانسان مكية وهي احدى وثلاثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة والاصل
أهل بدليل قوله ... اهل رأونا بسفح القاع ذي الاكم ... فالمعنى أقد اتى على التقرير والتقريب جميعا
اي اتى على الانسان قبل زمان قريب حين من الدهر لم يكن فيه شيئا مذكورا اي كان شيئا منسيا غير مذكور
نطفة في الاصلاب والمراد بالانسان جنس بني ادم بدليل قوله انا خلقنا الانسان من نطفة حين من الدهر
طائفة من الزمن الطويل الممتد فان قلت ما محل لم يكن شيئا مذكورا قلت محله النصب على الحال من الانسان
كانه قيل هل اتى عليه حين من الدهر غير مذكور او الرفع على الوصف لحين كقوله يوما لا يجزي والد عن ولده
وعن بعضهم انها تليت عنده فقال ليتها تمت اراد ليتها تمت وهي كونه شيئا غير مذكور ولم يخلق ولم يكلف انا خلقنا
الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا نطفة امشاج كبرمة اعشار وبرد
اكياش وهي الفاظ مفردة غير جموع ولذلك وقعت صفات للافراد ويقال ايضا نطفة مشج قال
الشماخ ... طوت احشاء مرتجة لوقت ... على مشج سلالته مهين ...
ولا يصح امشاج ان يكون تكسيرا له بل هما مثلان في الافراد لوصف المفرد بهما ومشجه ومزجه بمعنى
والمعنى من نطفة قد امتزج فيها الماءان وعن ابن مسعود هي عروق النطفة وعن قتادة امشاج الوان
واطوار يريد انها تكون نطفة ثم علقة ثم مضغة نبتليه في موضع الحال اي خلقناه مبتلين له بمعنى
مريدين ابتلاءه كقولك مررت برجل معه صقر صائدا به غدا تريد قاصدا به الصيد غدا ويجوز ان
يراد ناقلين له من حال الى حال فسمى ذلك ابتلاء على طريق الاستعارة وعن ابن عباس نصرفه في بطن امه
نطفة ثم علقة وقيل هو في تقدير التاخير يعني فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه وهو من التعسف انا
هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا شاكرا وكفورا حالان من الهاء في هديناه اي مكناه
واقدرناه في حالتيه جميعا او دعوناه الى الاسلام بادلة العقل والسمع كان معلوما منه انه يؤمن او
يكفر لالزام الحجة ويجوز ان يكونا حالين من السبيل اي عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا واما سبيلا كفورا
كقوله وهديناه النجدين فوصف السبيل بالشكر والكفر مجاز وقرا ابو السمال بفتح الهمزة في اما وهي
قراءة حسنة والمعنى اما شاكرا فبتوفيقنا واما كفورا فبسوء اختياره انا اعتدنا للكافرين سلاسلا
واغلالا وسعيرا ان الابرار يشربون من كاس كان مزاجها كافورا عينا يشرب بها عباد
الله ولما ذكر الفريقين اتبعهما الوعيد والوعد وقرئ سلاسل غير منون وسلاسلا بالتنوين وفيه وجهان
احدهما ان تكون هذه النون بدلا من حرف الاطلاق ويجري الوصل مجرى الوقف والثاني ان يكون
صاحب القراءة ممن ضري برواية الشعر ومرن لسانه على صرف غير المنصرف والابرار جمع بر او بار كرب
وارباب وشاهد واشهاد وعن الحسن هم الذين لا يؤذون الذر والكاس الزجاجة اذا كان فيها خمر وتسمى
الخمر نفسها كاسا مزاجها ما تمزج به كافورا ماء كافور وهو اسم عين في الجنة ماؤها في بياض الكافور

ورائحته وبرده وعينا بدل منه وعن قتادة تمزج لهم بالكافور وتختم لهم بالمسك وقيل تخلق فيها رائحة
الكافور وبياضه وبرده فكانها مزجت بالكافور وعينا على هذين القولين بدل من محل كاس على تقدير
حذف مضاف كانه قيل يشربون خمرا خمر عين او نصب على الاختصاص فان قلت لم وصل فعل الشرب
بحرف الابتداء اولا وبحرف الالصاق اخرا قلت لان الكاس مبدأ شربهم واول غايته واما العين فبها
يمزجون شرابهم فكان المعنى يشرب عباد الله بها الخمر كما تقول شربت الماء بالعسل يفجرونها يجرونها حيث
شاؤوا من منازلهم تفجيرا سهلا لا يمتنع عليهم يوفون بالنذر جواب من عسى يقول ما لهم يرزقون ذلك
والوفاء بالنذر مبالغة في وصفهم بالتوفر على اداء الواجبات لان من وفى بما اوجبه هو على نفسه لوجه
الله كان بما اوجبه الله عليه اوفى ويخافون يوما كان شره مستطيرا فاشيا منتشرا بالغا اقصى المبالغ
من استطار الحريق واستطار الفجر وهو من طار بمنزلة استنفر من نفر ويطعمون الطعام على حبه
مسكينا ويتيما واسيرا على حبه الضمير للطعام اي مع اشتهائه والحاجة اليه ونحوه واتى المال على
حبه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وعن الفضيل بن عياض على حب الله واسيرا عن الحسن كان رسول
الله صلى الله عليه واله وسلم يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول احسن اليه فيكون عنده اليومين
والثلاثة فيؤثره على نفسه وعند عامة العلماء يجوز الاحسان الى الكفار في دار الاسلام ولا تصرف اليهم
الواجبات وعن قتادة كان اسيرهم يومئذ المشرك واخوك المسلم احق ان تطعمه وعن سعيد بن جبير وعطا
هو الاسير من اهل القبلة وعن ابي سعيد الخدري
هو المملوك والمسجون وسمى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم الغريم اسيرا فقال غريمك اسيرك فاحسن الى
اسيرك انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا على ارادة القول ويجوز ان
يكون قولا باللسان منعا لهم عن المجازاة بمثله او بالشكر لان احسانهم مفعول لوجه الله فلا معنى لمكافاة
الخلق وان يكون قولهم لطفا وتفقيها وتنبيها على ما ينبغي ان يكون عليه من اخلص لله تعالى وعن عائشة رضي
الله عنها انها كانت تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسأل الرسول ما قالوا فاذا ذكر دعاء دعت لهم
بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله تعالى ويجوز ان يكون ذلك بيانا وكشفا عن اعتقادهم وصحة نيتهم
وان لم يقولوا شيئا وعن مجاهد اما انهم ما تكلموا به ولكن علمه الله منهم فاثنى عليهم والشكور مصدر كالشكر
والكفور انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا فوقاهم الله شر ذلك اليوم يحتمل ان احساننا
اليكم للخوف من شدة ذلك اليوم لا لارادة مكافاتكم وانا لا نريد منكم المكافاة لخوف عقاب الله على طلب المكافاة
بالصدقة ووصف اليوم بالعبوس مجاز على طريقين ان يوصف بصفة اهله من الاشقياء كقولهم نهارك
صائم روي ان الكافر يعبس يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران وان يشبه في شدته وضرره
بالاسد العبوس او بالشجاع الباسل والقمطرير الشديد العبوس الذي يجمع ما بين عينيه قال الزجاج
اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها وزمت بانفها فاشتقه من القطر وجعل الميم
مزيدة قال اسد بن ناعصة ...
واصطلت الحروب في كل يوم ... باسل الشر قمطرير الصباح ...
ولقاهم نضرة وسرورا اي اعطاهم بدل عبوس الفجار وحزنهم نضرة في الوجوه وسرورا في القلوب
وهذا يدل على ان اليوم موصوف بعبوس اهله وجزاهم بما صبروا بصبرهم على الايثار وعن ابن عباس رضي
الله عنهما ان الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه واله وسلم في ناس معه فقالوا يا ابا الحسن لو نذرت
على ولدك فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما ان برئا مما بهما ان يصوموا ثلاثة ايام فشفيا وما معهم شيء فاستقرض
علي من شمعون الخيبري اليهودي ثلاث اصوع من شعير فطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة اقراص على
عددهم فوضعوها بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم اهل بيت محمد مسكين من مساكين
المسلمين اطعموني اطعمكم الله من موائد الجنة فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا
ووضعوا الطعام بين ايديهم وقف عليهم يتيم فآثروه ووقف عليهم اسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك فلما اصبحوا
اخذ علي رضي الله عنه بيد الحسن والحسين فاقبلوا الى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فلما ابصرهم وهم يرتعشون
كالفراخ من شدة الجوع قال ما اشد ما يسوءني ما ارى بكم وقام فانطلق معهم فراى فاطمة في محرابها قد التصق
ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل وقال خذها يا محمد هناك الله في اهل بيتك فاقرأه السورة
جنة وحريرا فان قلت ما معنى ذكر الحرير مع الجنة قلت المعنى وجزاهم بصبرهم على الايثار وما يؤدي اليه

من الجوع والعري بستانا فيه مأكل هني وحريرا فيه ملبس بهي **متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا** يعني أن هواءها معتدل لا حر شمس يحمي ولا شدة برد يؤذي وفي الحديث هواء الجنة سجسج لا حر ولا قر وقيل الزمهرير القمر وعن ثعلب أنه في لغة طي وأنشد

وليلة ظلامها قد اعتكر ● قطعتها والزمهرير ما زهر ●

والمعنى أن الجنة ضياء فلا يحتاج فيها إلى شمس وقمر فإن قلت **ودانية عليهم ظلالها** علام عطفت قلت على الجملة التي قبلها لأنها في موضع الحال من المجزيين وهذه حال مثلها عنهم لرجوع الضمير منها إليهم في عليهم إلا أنها اسم مفرد وتلك جملة في حكم مفرد تقديره غير رائين فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية عليهم ظلالها ودخلت الواو للدلالة على أن الأمرين مجتمعان لهم كأنه قيل وجزاهم جنة جامعين فيها بين البعد عن الحر والقر ودنو الظلال عليهم وقرئ ودانية بالرفع على أن ظلالها مبتدأ ودانية خبر والجملة في موضع الحال والمعنى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا والحال أن ظلالها دانية عليهم ويجوز أن تجعل متكئين ولا يرون ودانية كلها صفات لجنة ودانية معطوفة على جنة أي وجنة أخرى دانية عليهم ظلالها على أنهم وعدوا جنتين كقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان لأنهم وصفوا بالخوف إنا نخاف من ربنا فإن قلت فعلام عطف **وذللت قطوفها تذليلا** قلت هي إذا رفعت ودانية جملة فعلية معطوفة على جملة ابتدائية وإذا نصبتها على الحال فهي حال من دانية أي تدنو ظلالها عليهم في حال تذليل قطوفها لهم أو معطوفة عليها على ودانية عليهم ظلالها ومذللة قطوفها وإذا نصبت ودانية على الوصف فهي صفة مثلها ألا ترى أنك لو قلت جنة ذللت قطوفها كان صحيحا وتذليل القطوف أن تجعل ذللا لا تمتنع على قطافها كيف شاؤوا أو تجعل ذليلة خاضعة متقاصرة من قولهم حائط ذليل إذا كان قصيرا **ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا قواريرا من فضة قدروها تقديرا** قوارير قرئ بغير تنوين وبتنوين الأول وبتنوينهما وهذا التنوين بدل من ألف الإطلاق لأنه فاصلة وفي الثاني لاتباعه ومعنى قوارير من فضة وهي مع بياض الفضة وحسنها في صفاء القوارير وشفيفها فإن قلت ما معنى كانت قلت هو من يكون في قوله كن فيكون أي تكونت قوارير بتكوين الله تعالى تفخيما لتلك الخلقة العجيبة الشأن الجامعة بين صفتي الجوهرين المتباينين ومنه كان في قوله كان مزاجها كافورا وقرئ قوارير من فضة بالرفع على هي قوارير قدروها صفة لقوارير من فضة ومعنى تقديرهم لها أنهم قدروها في أنفسهم أن تكون على مقادير وأشكال على حسب شهواتهم فجاءت كما قدروا وقيل الضمير للطائفين بها دل عليهم قوله ويطاف عليهم على أنهم قدروا شرابها على قدر الري وهو ألذ للشارب لكونه على مقدار حاجته لا يفضل عنها ولا يعجز وعن مجاهد لا يفيض ولا يغيض وقرئ قدروها على البناء للمفعول ووجهه أن يكون من قدر منقولا من قدرت الشيء وقدرنيه فلان إذا جعلك قادرا له ومعناه جعلوا قادرين لها كما شاؤوا وأطلق لهم أن يقدروا على حسب ما اشتهوا **ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا ● عينا فيها تسمى سلسبيلا** سميت العين زنجبيلا لطعم الزنجبيل فيها والعرب تستلذه وتستطيبه قال الأعشى

كأن القرنفل والزنجبيل ● باتا بفيها وأريا مشورا ●

وقال المسيب بن علس

وكأن طعم الزنجبيل به ● إذ ذقته وسلافة الخمر ●

وسلسبيلا لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها يعني أنها في طعم الزنجبيل وليس فيها لذعه ولكن نقيض اللذع وهو السلاسة يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل وقد زيدت الباء في التركيب حتى صارت الكلمة خماسية ودلت على غاية السلاسة قال الزجاج السلسبيل في اللغة صفة لما كان في غاية السلاسة وقرئ سلسبيل على منع الصرف لاجتماع العلمية والتأنيث وقد عزوا إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن معناه سل سبيلا إليها وهذا غير مستقيم على ظاهره إلا أن يراد أن جملة قول القائل سل سبيلا جعلت علما للعين كما قيل تأبط شرا وذري حبا وسميت بذلك لأنه لا يشرب منها إلا من سأل إليها سبيلا بالعمل الصالح وهو مع استقامته في العربية تكلف وابتداع وعزوه إلى مثل علي رضي الله عنه أبدع وفي شعر بعض المحدثين

سل سبيلا فيها إلى راحة النفس ● براح كأنها سلسبيل ●

وعينا بدل من زنجبيلا وقيل تمزج كأسهم بالزنجبيل بعينه أو يخلق الله طعمه فيها وعينا على هذا القول مبدلة من كأسا كأنه قيل ويسقون فيها كأسا كأس عين أو منصوبة على الاختصاص **ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا** شبهوا في حسنهم وصفاء ألوانهم وانبثاثهم في مجالسهم

ومنازلهم

ومنازلهم باللؤلؤ المنثور وعن المأمون أنه ليلة زفت إليه بوران بنت الحسن بن سهل وهو على بساط منسوج من ذهب وقد نثرت عليه نساء دار الخلافة اللؤلؤ فنظر إليه منثورا على ذلك البساط فاستحسن المنظر وقال لله در أبي نواس كأنه أبصر هذا حيث يقول

كأن صغرى وكبرى من فواقعها ● حصباء در على أرض من الذهب ●

وقيل شبهوا باللؤلؤ الرطب إذا نثر من صدفه لأنه أحسن وأكثر ماء **وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا** ● رأيت ليس له مفعول ظاهر ولا مقدر ليشيع ويعم كأنه قيل وإذا أوجدت الرؤية ثم ومعناه أن بصر الرائي أينما وقع لم يتعلق إدراكه إلا بنعيم كثير وملك كبير وثم في موضع النصب على الظرف يعني في الجنة ومن قال معناه ما ثم فقد أخطأ لأن ثم صلة لما ولا يجوز إسقاط الموصول وترك الصلة كبيرا واسعا وهنيئا يروى أن أدنى أهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه وقيل لا زوال له وقيل إذا أرادوا شيئا كان وقيل تسلم عليهم الملائكة ويستأذنون عليهم **عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق** قرئ عاليهم بالسكون على أنه مبتدأ خبره ثياب سندس أي ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس وعاليهم بالنصب على أنه حال من الضمير في يطوف عليهم أو حسبتهم أي يطوف عليهم ولدان عاليا للمطوف عليهم ثياب أو حسبتهم لؤلؤا عاليا لهم ثياب ويجوز أن يراد رأيت أهل نعيم وملك عاليهم ثياب وعاليهم بالرفع والنصب على ذلك وعليهم وخضر وإستبرق بالرفع حملا على الثياب وبالجر على السندس وقرئ وإستبرق نصبا في موضع الجر على منع الصرف لأنه أعجمي وهو غلط لأنه نكرة يدخله حرف التعريف تقول الإستبرق إلا أن يزعم ابن محيصن أنه قد يجعل علما لهذا الضرب من الثياب وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على أنه مسمى باستفعل من البريق وليس بصحيح أيضا لأنه معرب مشهور تعريبه وأن أصله استبره **وحلوا أساور من فضة** عطف على ويطوف عليهم فإن قلت ذكر ههنا أن أساورهم من فضة وفي موضع آخر أنها من ذهب قلت هب أنه قيل وحلوا أساور من ذهب ومن فضة وهذا صحيح لا إشكال فيه على أنهم يسورون بالجنسين إما على المعاقبة وإما على الجمع كما تزاوج نساء الدنيا بين أنواع الحلي وتجمع بينهما وما أحسن بالمعصم أن يكون فيه سواران سوار من ذهب وسوار من فضة **وسقاهم ربهم شرابا طهورا** ليس بنجس كخمر الدنيا لأن كونها نجسا بالشرع لا بالعقل وليست الدار دار تكليف أو لأنه لم تعصر فتمسه الأيدي الوضرة وتدوسه الأقدام الدنسة ولم يجعل في الدنان والأباريق التي لم يعن بتنظيفها أو لأنه لا يؤول إلى النجاسة لأنه يرشح عرقا من أبدانهم له ريح كريح المسك **إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا** ● أي يقال لأهل الجنة إن هذا وهذا إشارة إلى ما تقدم من عطاء الله تعالى لهم ما جوزيتم به على أعمالكم وشكر سعيكم والشكر مجاز **إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا** ● تكرير الضمير بعد إيقاعه اسما لأن تأكيد على معنى اختصاص الله تعالى بالتنزيل ليتقرر في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه إذا كان هو المنزل لم يكن تنزيله على أي وجه نزل إلا حكمة وصوابا كأنه قيل ما نزل عليك القرآن تنزيلا مفرقا منجما إلا أنا لا غيري وقد عرفتني حكيما فاعلا لكل ما أفعله بدواعي الحكمة ولقد دعتني حكمة بالغة إلى أن أنزل عليك الأمر بالمكافة والمصابرة وسأنزل عليك الأمر بالقتال والانتقام بعد حين **فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما أو كفورا** فاصبر لحكم ربك الصادر عن الحكمة وتعليقه الأمور بالمصالح وتأخيره نصرتك على أعدائك من أهل مكة ولا تطع منهم أحدا قلة صبر منك على أذاهم وضجرا من تأخير الظفر وكانوا مع إفراطهم في العداوة والإيذاء له ولمن معه يدعونه إلى أن يرجع عن أمره ويبذلون له أموالهم وتزويج أكرم بناتهم فإن قلت كانوا كلهم كفرة فما معنى القسمة في قوله آثما أو كفورا قلت معناه ولا تطع منهم راكبا لما هو إثم داعيا لك إليه أو فاعلا لما هو كفر داعيا لك إليه لأنهم إما أن يدعوه إلى مساعدتهم على فعل هو إثم أو كفر أو غير إثم ولا كفر فنهي أن يساعدهم على الاثنين دون الثالث وقيل الآثم عتبة والكفور الوليد لأن عتبة كان ركابا للمآثم متعاطيا لأنواع الفسوق وكان الوليد غاليا في الكفر شديد الشكيمة في العتو فإن قلت معنى أو ولا تطع أحدهما فهلا جيء بالواو ليكون نهيا عن طاعتهما جميعا قلت لو قيل ولا تطعهما لجاز أن يطيع أحدهما وإذا قيل لا تطع أحدهما علم أن الناهي عن طاعة أحدهما عن طاعتهما جميعا أنهى كما إذا نهي أن يقول لأبويه أف علم أنه منهي عن ضربهما على طريق الأولى **واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا** ● ودم على صلاة الفجر والعصر **ومن الليل فاسجد له** وبعض الليل فصل له يعني صلاة المغرب والعشاء وأدخل من

على الظرف للتبعيض كما دخل على المفعول في قوله يغفر لكم من ذنوبكم وسبحه ليلا طويلا وتهجد له هزيعا طويلا من الليل ليلة او نصفه او ثلثه ان هؤلاء ان هؤلاء الكفرة يحبون العاجلة يؤثرونها على الآخرة كقوله بل تؤثرون الحيوة الدنيا ويذرون وراءهم قدامهم او خلف ظهورهم لا يعبأون به يوما ثقيلا استعير الثقل لشدته وهوله من الشيء الثقيل الباهض لحامله ونحوه ثقلت في السموات والارض نحن خلقناهم وشددنا أسرهم الاسر الربط الوثيق ومنه اسر الرجل اذا اوثق بالقد وهو الاسار وفرس مأسور الخلق وترس مأسور بالعقب والمعنى شددنا توصيل عظامهم بعضها ببعض وتوثيق مفاصلهم بالاعصاب ومثله قولهم جارية معصوبة الخلق ومجدولة وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا واذا شئنا اهلكناهم وبدلنا امثالهم في شدة الاسر يعني النشأة الاخرى وقيل معناه بدلنا غيرهم ممن يطيع وحقه ان يجيء بان لا باذا كقوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ان يشأ يذهبكم ان هذه تذكرة هذه اشارة الى السورة او الى الآيات القريبة فمن شاء ممن اختار الخير لنفسه وحسن العاقبة اتخذ الى ربه سبيلا واتخاذ السبيل الى الله تعالى عبارة عن التقرب اليه والتوسل بالطاعة وما تشاؤون الا ان يشاء الله وما تشاؤون الطاعة الا ان يشاء الله يقسرهم عليها ان الله كان عليما باحوالهم وما يكون منهم حكيما حيث خلقهم مع علمه بهم وقرئ يشاؤون بالياء فان قلت ما محل ان يشاء الله قلت النصب على الظرف واصله الا وقت مشيئة الله وكذلك قراءة ابن مسعود الا ما يشاء الله لان ما مع الفعل كأن معه يدخل من يشاء في رحمته هم المؤمنون والظالمين ونصب الظالمين بفعل يفسره أعد لهم عذابا أليما نحو اوعد وكافأ وما اشبه ذلك وقرأ ابن مسعود وللظالمين على واعد للظالمين وقرأ ابن الزبير والظالمون على الابتداء وغيرها اولى لذهاب الطباق بين الجملة المعطوفة والمعطوف عليها مع مخالفتها للمصحف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ هل اتى كان جزاؤه على الله جنة وحريرا

سورة المرسلات مكية وهي خمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذرا او نذرا اقسم سبحانه وتعالى بطوائف الملائكة ارسلهن باوامره فعصفن في مضيهن كما تعصف الرياح تخففا في امتثال امره وبطوائف منهم نشرن اجنحتهن في الجو عند انحطاطهن بالوحي او نشرن الشرائع في الارض او نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما اوحين ففرقن بين الحق والباطل فالقين ذكرا الى الانبياء عذرا للمحقين او نذرا للمبطلين او اقسم برياح عذاب ارسلهن فعصفن وبرياح رحمة ارسلهن فنشرن السحاب في الجو ففرقن بينه كقوله ويجعله كسفا او بسحائب نشرن الموات ففرقن بين من يشكر لله وبين من يكفر كقوله لاسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه فالقين ذكرا اما عذرا للذين يعتذرون الى الله تعالى بتوبتهم واستغفارهم اذا رأوا نعمة الله في الغيث ويشكرونها واما انذارا للذين يغفلون الشكر وينسبون ذلك الى الانواء وجعلن ملقيات للذكر لكونهن سببا في حصوله اذا شكرت النعمة فيهن او كفرت فان قلت ما معنى عرفا قلت متتابعة كشعر العرف يقال جاؤوا عرفا واحدا وهم عليه كعرف الضبع اذا تألبوا عليه ويكون بمعنى العرف الذي هو نقيض النكر وانتصابه على انه مفعول له اي ارسلن للاحسان والمعروف والاول على الحال وقرئ عرفا على التثقيل نحو نكر في نكر فان قلت قد فسرت المرسلات بملائكة فكيف يكون ارسالهم معروفا قلت ان لم يكن معروفا للكفار فهو معروف للانبياء والمؤمنين الذين انتقم الله لهم منهم فان قلت ما العذر والنذر وبم انتصبا قلت هما مصدران من اعذر اذا محى الاساءة ومن انذر اذا خوف على فعل كالكفر والشكر ويجوز ان يكون جمع عذير بمعنى المعذرة وجمع نذير بمعنى الانذار وبمعنى العاذر والمنذر واما انتصابهما فعلى البدل من ذكرا على الوجهين الاولين او على المفعول له واما على الوجه الثالث فعلى الحال بمعنى عاذرين او منذرين وقرئا مخففين ومثقلين إنما توعدون لواقع ان الذي توعدونه من مجيء يوم القيامة لكائن نازل لا ريب فيه وهو جواب القسم وعن بعضهم ان المعنى ورب المرسلات فإذا النجوم طمست محيت ومحقت وقيل ذهب بنورها ومحق ذواتها موافق لقوله انتثرت وانكدرت ويجوز ان يمحق نورها ثم تنتثر ممحوقة النور وإذا السماء فرجت فتحت فكانت ابوابا الفارج باب الامير المبهم وإذا الجبال نسفت كالحب

اذا نسف

اذا نسف بالمنسف ونحوه وبست الجبال بسا وكانت الجبال كثيبا مهيلا وقيل اخذت بسرعة من اماكنها من انتسفت الشيء اذا اختطفته وقرئت طمست وفرجت ونسفت مشددة وإذا الرسل أقتت قرئ اقتت ووقتت بالتشديد والتخفيف فيهما والاصل الواو ومعنى توقيت الرسل تبيين وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على اممهم لأي يوم أجلت والتأجيل من الاجل كالتوقيت من الوقت لاي يوم اجلت تعظيم لليوم وتعجيب من هوله ليوم الفصل بيان ليوم التأجيل وهو اليوم الذي يفصل فيه بين الخلائق والوجه ان يكون معنى وقتت بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره وهو يوم القيامة واجلت اخرت وما أدراك ما يوم الفصل ويل يومئذ للمكذبين فان قلت كيف وقع النكرة مبتدأ في قوله ويل يومئذ للمكذبين قلت هو في اصله مصدر منصوب ساد مسد فعله ولكنه عدل به الى الرفع للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ونحوه سلام عليك ويجوز ويلا بالنصب ولكن لم يقرأ به يقال ويلا له وويلا كيلا ألم نهلك الأولين قرأ قتادة نهلك بفتح النون من هلكه بمعنى اهلكه قال العجاج ومهمه هالك من تعرجا ثم نتبعهم الآخرين بالرفع على الاستئناف وهو وعيد لاهل مكة يريد ثم نفعل بامثالهم من الآخرين مثل ما فعلنا بالاولين ونسلك بهم سبيلهم لانهم كذبوا مثل تكذيبهم ويقويها قراءة ابن مسعود ثم سنتبعهم وقرئ بالجزم للعطف على نهلك ومعناه انه اهلك الاولين من قوم نوح وعاد وثمود ثم اتبعهم الآخرين من قوم شعيب ولوط وموسى كذلك مثل ذلك الفعل الشنيع نفعل بالمجرمين بكل من اجرم انذارا وتحذيرا من عاقبة الجرم وسوء اثره ويل يومئذ للمكذبين ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين إلى قدر معلوم الى مقدار من الوقت معلوم قد علمه الله تعالى وحكم به وهو تسعة اشهر او ما دونها او ما فوقها فقدرنا فقدرنا ذلك تقديرا فنعم القادرون فنعم المقدرون له نحن او فقدرنا على ذلك فنعم القادرون عليه نحن والاول اولى لقراءة من قرأ بالتشديد ولقوله تعالى من نطفة خلقه فقدره ويل يومئذ للمكذبين ألم نجعل الأرض كفاتا الكفات من كفت الشيء اذا ضمه وجمعه وهو اسم ما يكفت كقولهم الضمام والجماع لما يضم ويجمع يقال هذا الباب جماع الابواب وبه انتصب أحياء وأمواتا كأنه قيل كافتة احياء وامواتا او بفعل مضمر يدل عليه وهو تكفت والمعنى تكفت احياء على ظهرها وامواتا في بطنها وقد استدل بعض اصحاب الشافعي رحمه الله تعالى على قطع النباش بان الله تعالى جعل الارض كفاتا للاموات فكان بطنها حرزا لهم فالنباش سارق من الحرز فان قلت لم قيل احياء وامواتا على التنكير وهي كفات الاحياء والاموات جميعا قلت هو من تنكير التفخيم كأنه قيل تكفت احياء لا يعدون وامواتا لا يحصرون على ان احياء الانس وامواتهم ليسوا بجميع الاحياء والاموات ويجوز ان يكون المعنى تكفتكم احياء وامواتا فينتصبا على الحال من الضمير لانه قد علم انها كفات الانس وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم ماء فراتا ويل يومئذ للمكذبين فان قلت في التنكير في رواسي شامخات وماء فراتا قلت يحتمل افادة التبعيض لان في السماء اجبالا قال الله تعالى من جبال فيها من برد وفيها ماء ايضا بل هي معدنه ومصبه وان يكون للتفخيم انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون انطلقوا اي يقال لهم انطلقوا الى ما كذبتم به من العذاب وانطلقوا الثاني تكرير وقرئ انطلقوا على لفظ الماضي اخبارا بعد الامر عن عملهم بموجبه لانهم مضطرون اليه لا يستطيعون امتناعا منه إلى ظل يعني دخان جهنم كقوله تعالى وظل من يحموم ذي ثلاث شعب يتشعب لعظمه ثلاث شعب وهكذا الدخان العظيم تراه يتفرق ذوائب وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق ويتشعب من دخانها ثلاث شعب فتظلهم حتى يفرغ من حسابهم والمؤمنون في ظل العرش لا ظليل تهكم بهم وتعريض بان ظلهم غير ظل المؤمنين ولا يغني في محل الجر اي وغير مغن عنهم من اللهب من حر اللهب شيئا إنها ترمي بشرر كالقصر اي كل شررة كالقصر من القصور في عظمها وقيل هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة نحو جمرة وجمر وقرئ كالقصر بفتحتين وهي اعناق الابل واعناق النخل نحو شجرة وشجر وقرأ ابن مسعود كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وقرأ سعيد بن جبير كالقصر في جمع قصرة كحاجة وحوج كأنه جمالات جمع جمال او جمالة جمع جمل شبهت بالقصور ثم بالجمال لبيان التشبيه ألا تراهم يشبهون الابل بالافدان والمجادل وقرئ جمالات بالضم وهي قلوس الجسور وقيل قلوس سفن البحر الواحدة جمالة وقرئ جمالة بالكسر بمعنى جمال وجمالة بالضم وهي القلس

وقيل صُفْرٌ ويل يومئذ للمكذبين لارادة الجنس وقيل صفر سود تضرب الى الصفرة وفي شعر عمران بن حطان الخارجي

دعتهم باعلى صوتها ورمتهم ❁ بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوى ❁ وقال ابو العلا

حمراء ساطعة الذوائب في الدجى ❁ ترمي بكل شرارة كطراف ❁

فشبهها بالطراف وهو بيت الادم في العظم والحمرة وكانه قصد بخبثه ان يزيد على تشبيه القران ولتبجحه بما سول له من توهم الزيادة جاء في صدر بيته بقوله حمراء توطئة لها ومناداة عليها وتنبيها للسامعين على مكانها ولقد عمي جمع الله له عمى الدارين عن قوله عز وعلا كانه جمالات صفر فانه بمنزلة قوله كبيت احمر وعلى ان في التشبيه بالقصر وهو الحصن تشبيها من جهتين من جهة العظم ومن جهة الطول في الهواء وفي التشبيه بالجمالات وهي القلوص تشبيه من ثلاث جهات من جهة العظم والطول والصفرة فابعد الله اغرابه في طرافه وما نفخ شدقيه من استطرافه هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم وقرئ بنصب اليوم ونصبه الاعمش اي هذا الذي قص عليكم واقع يومئذ ويوم القيمة طويل ذو مواطن ومواقيت ينطقون في وقت ولا ينطقون في وقت ولذلك ورد الامران في القران او جعل نطقهم كلا نطق لانه لا ينفع ولا يسمع فيعتذرون عطف على يؤذن منخرط في سلك النفي والمعنى ولا يكون لهم اذن واعتذار متعقب له من غير ان يجعل الاعتذار مسببا عن الاذن ولو نصب لكان مسببا عنه لا محالة ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين جمعناكم والاولين كلام موضح لقوله هذا يوم الفصل لانه اذا كان يوم الفصل بين السعداء والاشقياء وبين الانبيا واممهم فلا بد من جمع الاولين والاخرين حتى يقع ذلك الفصل بينهم فان كان لكم كيد فكيدون تقريع لهم على كيدهم لدين الله وذويه وتسجيل عليهم بالعجز والاستكانة ويل يومئذ للمكذبين ان المتقين في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون انا كذلك نجزي المحسنين ويل يومئذ للمكذبين كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون ويل يومئذ للمكذبين كلوا واشربوا في موضع الحال من ضمير المتقين في الظرف الذي هو في ظلال اي هم مستقرون في ظلال مقولا لهم ذلك وكلوا وتمتعوا حال من المكذبين اي الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم كلوا وتمتعوا فان قلت كيف يصح ان يقال لهم ذلك في الاخرة قلت يقال ذلك في الاخرة ايذانا بانهم كانوا في الدنيا احقاء بان يقال لهم وكانوا من اهله تذكيرا بحالهم السمجة وبما جنوا على انفسهم من ايثار المتاع القليل على النعيم والملك المخلد في طريقته كقوله

اخوتي لا تبعدوا ابدا ❁ وبلى والله قد بعدوا ❁

يريد كنتم احقاء في حياتكم بان يدعى لكم بذلك وعلل ذلك بكونهم مجرمين دلالة على ان كل مجرم ماله الا الاكل والتمتع اياما قلائل ثم البقاء في الهلاك ابدا ويجوز ان يكون كلوا وتمتعوا كلاما مستانفا خطابا للمكذبين في الدنيا واذا قيل لهم اركعوا اخشعوا لله وتواضعوا بقبول وحيه واتباع دينه واطرحوا هذا الاستكبار والنخوة لا يركعون لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على استكبارهم وقيل ما كان على العرب اشد من الركوع والسجود وقيل نزلت في ثقيف حين امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلوة فقالوا لا نجبي فانها مسبة فقال عليه الصلوة والسلام لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود ويل يومئذ للمكذبين فباي حديث بعده يؤمنون بعد القران يعني ان القران من بين الكتب المنزلة اية مبصرة ومعجزة باهرة فحين لم يؤمنوا به فباي كتاب بعده يؤمنون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المرسلات كتب له انه ليس من المشركين

سورة النبا مكية وهي اربعون او احدى واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

عم يتساءلون عن النبا العظيم الذي هم فيه مختلفون كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون عم اصله عما على انه حرف جر دخل على ما الاستفهامية وهو في قراءة عكرمة وعيسى بن عمر وقال حسان

على ما قام يشتمني لئيم ❁ كخنزير تمرغ في رماد ❁

والاستعمال الكثير على الحذف والاصل قليل ومعنى هذا الاستفهام تفخيم الشان كانه قال عن اي شان يتساءلون ونحوه ما في قولك زيد ما زيد جعلته لانقطاع قرينه وعدم نظيره كانه شي خفي عليك جنسه فانت تسال عن جنسه وتفحص عن جوهره كما تقول ما الغول وما العنقاء تريد اي شي هو من الاشياء هذا اصله ثم جرد للعبارة عن التفخيم حتى وقع في كلام من لا تخفى عليه خافية يتساءلون يسال بعضهم بعضا او يتساءلون غيرهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين نحو يتداعونهم ويتراءونهم والضمير لاهل مكة كانوا يتساءلون فيما بينهم عن البعث ويتساءلون غيرهم عنه على طريق الاستهزاء عن النبا العظيم بيان للشان المفخم وعن ابن كثير انه قرا عمه بهاء السكت ولا يخلو اما ان يجري الوصل مجرى الوقف واما ان يقف ويبتدئ يتساءلون عن النبا العظيم على ان يضمر يتساءلون لان ما بعده يفسره كشي يبهم ثم يفسر فان قلت قد زعمت ان الضمير في يتساءلون للكفار فما تصنع بقوله هم فيه مختلفون قلت كان فيهم من يقطع القول بانكار البعث ومنهم من يشك وقيل الضمير للمسلمين وللكافرين جميعا وكانوا جميعا يتساءلون عنه اما المسلم فليزداد خشية واستعدادا واما الكافر فليزداد استهزاء وقيل المتساءل عنه القران وقيل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقرئ يساءلون بالادغام وستعلمون بالتاء كلا ردع للمتسائلين هزؤا وسيعلمون وعيد لهم بانهم سوف يعلمون ان ما يتساءلون عنه ويضحكون منه حق لانه واقع لا ريب فيه وتكرير الردع مع الوعيد تشديد في ذلك ومعنى ثم الاشعار بان الوعيد الثاني ابلغ من الاول واشد فان قلت كيف اتصل به قوله الم نجعل الارض مهادا قلت لما انكروا البعث قيل لهم الم يخلق من يضاف اليه البعث هذه الخلائق العجيبة الدالة على كمال القدرة فما وجه انكار قدرته على البعث وما هو الا اختراع كهذه الاختراعات او قيل لهم الم يفعل هذه الافعال المتكاثرة والحكيم لا يفعل فعلا عبثا وما تنكرونه من البعث والجزاء مؤد الى انه عابث في كل ما فعل مهادا فراشا وقرئ مهدا ومعناه انها لهم كالمهد للصبي وهو ما يمهد له فينوم عليه تسمية للممهود بالمصدر كضرب الامير او وصفت بالمصدر او بمعنى ذات مهد والجبال اوتادا اي ارسيناها بالجبال كما يرسى البيت بالاوتاد وخلقناكم ازواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا سباتا موتا والمسبوت الميت من السبت وهو القطع لانه مقطوع عن الحركة والنوم احد التوفيين وهو على بناء الادواء ولما جعل النوم موتا جعل اليقظة معاشا اي حيوة في قوله وجعلنا النهار معاشا اي وقت معاش تستيقظون فيه وتتقلبون في حوائجكم ومكاسبكم وقيل السبات الراحة لباسا يستركم عن العيون اذا اردتم هربا من عدو او بياتا له او اخفاء ما لا تحبون الاطلاع عليه من كثير من الامور قال ابو الطيب

وكم لظلام الليل عندك من يد ❁ تخبر ان المانوية تكذب ❁

وجعلنا سراجا وهاجا متلالئا وقادا يعني الشمس وتوهجت النار اذا تلظت فتوهجت بضوئها وحرها وانزلنا من المعصرات المعصرات السحائب اذا اعصرت اي شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر كقولك اجز الزرع اذا حان له ان يجز ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض وقرا عكرمة بالمعصرات وفيه وجهان ان يراد الرياح التي حان لها ان تعصر السحاب وان يراد السحاب لانه اذا كان الانزال منها فهو بها كما تقول اعطى من يده درهما واعطى بيده وعن مجاهد المعصرات الرياح ذوات الاعاصير وعن الحسن وقتادة هي السموات وتاويله ان الماء ينزل من السماء الى السحاب فكان السموات يعصرن اي يحملن على العصر ويمكن منه فان قلت فما وجه من قرا من المعصرات وفسرها بالرياح ذوات الاعاصير والمطر لا ينزل من الرياح قلت الرياح هي التي تنشئ السحاب وتدر اخلافه فصح ان تجعل مبدا للانزال وقد جاء ان الله يبعث الرياح فتحمل الماء من السماء الى السحاب فان صح ذلك فالانزال منها ظاهر فان قلت ذكر ابن كيسان انه جعل المعصرات بمعنى المغيثات والعاصر هو المغيث لا المعصر يقال عصره فاعتصر قلت وجهه ان يريد اللاتي اعصرن اي حان لها ان تعصر اي تغيث ماء ثجاجا منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفي الحديث افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي وكان ابن عباس مثجا يسيل غربا يعني انه يثج الكلام في خطبته وقرا الاعرج ثجاجا ومثاجج الماء مصابه والماء ينثجج في الوادي لنخرج به حبا ونباتا يريد ما يتقوت من نحو الحنطة والشعير وما يعتلف من التبن والحشيش كما قال كلوا وارعوا انعامكم والحب ذو العصف والريحان وجنات الفافا ملتفة ولا

واحد له كالاوزاع والاخياف وقيل الواحد لف وقال صاحب الاقليد انشدني الحسن بن علي الطوسي
جنة لف وعيش مغدق ۝ وندامى كلهم بيض زهر ۝
وزعم ابن قتيبة انه لفاء ولف ثم الفاف وما اظنه واجدا له نظيرا من نحو خضر واخضار وحمر
واحمار ولو قيل هو جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد كان وجها حسنا **ان يوم الفصل كان ميقاتا**
كان في تقدير الله تعالى وحكمه حدا توقت به الدنيا وتنتهي عنده او حدا للخلائق ينتهون اليه
يوم ينفخ في الصور بدل من يوم الفصل او عطف بيان **فتاتون افواجا** من القبور الى الموقف امما كل
امة مع امامهم وقيل جماعات مختلفة وعن معاذ انه سال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معاذ
سالت عن امر عظيم من الامور ثم ارسل عينيه وقال تحشر عشرة اصناف من امتي بعضهم على صورة
القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون ارجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها
وبعضهم عميا وبعضهم صما بكما وبعضهم يمضغون السنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل
القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلوبون
على جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم ملبسون جبابا سابغة من قطران لازقة
بجلودهم فاما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس واما الذين على صورة الخنازير فاهل السحت
واما المنكسون على وجوههم فاكلة الربا واما العمي فالذين يجورون في الحكم واما الصم والبكم
فالمعجبون باعمالهم والذين يمضغون السنتهم فالعلماء والقصاص الذين خالف قولهم اعمالهم واما الذين
قطعت ايديهم وارجلهم فالذين يؤذون الجيران واما المصلوبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس الى السلطان
واما الذين هم اشد نتنا من الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات ومنعوا حق الله في اموالهم
واما الذين يلبسون الجباب فاهل الكبر والفخر والخيلاء **وفتحت السماء فكانت ابوابا وسيرت الجبال**
وقرئ وفتحت بالتشديد والتخفيف والمعنى كثرت ابوابها المفتحة لنزول الملائكة كانها الا ابوابا
مفتحة كقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا كان كلها عيون تتفجر وقيل الابواب الطرق والمسالك اي
تكشط فينفتح مكانها وتصير طرقا لا يسدها شيء **فكانت سرابا** كقوله تعالى فكانت هباء
منبثا يعني انها تصير شيئا كلا شيء لتفرق اجزائها وانبثاث جواهرها **ان جهنم كانت مرصادا** ۝
للطاغين مآبا المرصاد الذي يكون فيه الرصد والمعنى ان جهنم هي حد الطاغين الذين يرصدون
فيه للعذاب وهي مآب للطاغين وعن الحسن وقتادة تكون طريقا وممرا لاهل الجنة وقرا ابن يعمر
ان جهنم بفتح الهمزة على تعليل قيام الساعة بان جهنم كانت مرصادا للطاغين كانه قيل كان ذلك
لاقامة الجزاء **لابثين فيها احقابا لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا جزاء**
وفاقا ۝ قرئ لابثين فيها ولبثين واللبث اقوى لان اللابث من وجد منه اللبث ولا يقال لبث الا لمن
شانه اللبث كالذي يجثم بالمكان لا يكاد ينفك منه احقابا حقبا بعد حقب كلما مضى حقب تبعه اخر
الى غير نهاية ولا يكاد يستعمل الحقب والحقبة الا حيث يراد تتابع الازمنة وتواليها والاشتقاق يشهد لذلك
الا ترى الى حقيبة الراكب والحقب الذي وراء التصدير وقيل الحقب ثمانون سنة ويجوز ان يراد لابثين فيها احقابا
غير ذائقين بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا ثم يبدلون بعد الاحقاب غير الحميم والغساق من جنس
اخر من العذاب وفيه وجه اخر وهو ان يكون من حقب عامنا اذا قل مطره وخيره وحقب فلان
اذا اخطاه الرزق فهو حقب وجمعه احقاب فينتصب حالا عنهم يعني لابثين فيها حقبين جحدين وقوله
لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا تفسير له والاستثناء منقطع يعني لا يذوقون فيها بردا وروحا
ينفس عنهم حر النار ولا شرابا يسكن من عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما وغساقا وقيل البرد النوم
وانشد ۝ فان شئت حرمت النساء سواكم ۝ وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا ۝
وعن بعض العرب منع البرد البرد وقرئ غساقا بالتخفيف والتشديد وهو ما يغسق اي يسيل
من صديدهم وفاقا وصف بالمصدر او ذا وفاق وقرا ابو حيوة وفاقا فعال من وفقه كذا **انهم**
كانوا لا يرجون حسابا وكذبوا باياتنا كذابا تكذيبا وفعال في باب فعل كله فاش في كلام
فصحاء من العرب لا يقولون غيره وسمعني بعضهم افسر اية فقال لقد فسرتها فسارا ما سمع
بمثله وقرئ بالتخفيف وهو مصدر كذب بدليل قوله ۝
فصدقتها وكذبتها ۝ والمرء ينفعه كذابه ۝

وهو مثل قوله

وهو مثل قوله انبتكم من الارض نباتا يعني وكذبوا باياتنا فكذبوا كذابا او تنصبه بكذبوا لانه يتضمن معنى كذبوا
لان كل مكذب بالحق كاذب وان جعلته بمعنى المكاذبة فمعناه وكذبوا باياتنا فكاذبوا مكاذبة او كذبوا بها مكاذبين
لانهم اذا كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون عندهم كاذبين فبينهم مكاذبة او لانهم يتكلمون بما هو افراط
في الكذب فعل من يغالب في امر فيبلغ فيه اقصى جهده وقرئ كذابا وهو جمع كاذب كقولك حسان وحسن فيجعل
صفة لمصدر اي تكذيبا كذابا مفرطا كذبه **وكل شيء احصيناه كتابا فذوقوا فلن**
نزيدكم الا عذابا ۝ وقرا ابو السمال وكل شيء احصيناه بالرفع على الابتداء وكتابا في موضع احصاء او
احصينا بمعنى كتبنا لالتقاء الاحصاء والكتبة في معنى الضبط والتحصيل او يكون حالا في معنى
مكتوبا في اللوح وفي صحف الحفظة والمعنى احصينا معاصيهم كقوله احصاه الله ونسوه وهو اعتراض
وقوله فذوقوا مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالايات وهي انه في غاية الشدة وناهيك بلن
نزيدكم وبدلالته على ان ترك الزيادة كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة وبمجيئها على طريقة الالتفات
شاهدا على الغضب قد تبالغ وعن النبي صلى الله عليه وسلم هذه الاية اشد ما في القران **ان للمتقين**
مفازا حدائق واعنابا وكواعب اترابا وكاسا دهاقا ۝ مفازا فوزا وظفرا بالبغية او موضع فوز
وقيل نجاة مما فيه اولئك او موضع نجاة وفسر المفاز بما بعده والحدائق البساتين فيها انواع الشجر المثمر
والاعناب الكروم والكواعب اللاتي فلكت ثديهن وهن النواهد والاتراب اللدات والدهاق المترعة
وادهق الحوض ملأه حتى قال قطني **لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا** ۝ وقرئ ولا كذابا بالتشديد
والتخفيف اي لا يكذب بعضهم بعضا ولا يكذب به اولا يكاذبه وعن علي رضي الله عنه انه قرا بتخفيف
الاثنين **جزاء من ربك عطاء حسابا** ۝ جزاء مصدر مؤكد منصوب بمعنى قوله ان للمتقين مفازا كانه
قال جازى المتقين بمفاز وعطاء نصب بجزاء نصب المفعول به اي جزاهم عطاء وحسابا صفة بمعنى
كافيا من احسبه الشيء اذا كفاه حتى قال حسبي وقيل على حسب اعمالهم وقرا ابن قطيب حسابا بالتشديد
على ان الحساب بمعنى المحسب كالدراك بمعنى المدرك **رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون**
منه خطابا ۝ قرئ رب السموات والارض والرحمن بالرفع على هو رب السموات الرحمن او رب السموات
مبتدا والرحمن صفة ولا يملكون خبر او هما خبران وبالجر على البدل من ربك وبجر الاول ورفع الثاني على
انه مبتدا خبره لا يملكون او هو الرحمن لا يملكون والضمير في لا يملكون لاهل السموات والارض اي
ليس في ايديهم مما يخاطب به الله ويامر به في امر الثواب والعقاب خطاب واحد يتصرفون فيه تصرف الملاك
فيزيدون فيه او ينقصون منه او لا يملكون ان يخاطبوه بشيء من نقص العذاب او زيادة في الثواب الا ان
يهب لهم ذلك ويأذن لهم فيه **يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن**
وقال صوابا ۝ **ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا** ۝ **انا انذرناكم عذابا قريبا** ويوم يقوم
متعلق بلا يملكون او بلا يتكلمون والمعنى ان الذين هم افضل الخلائق واشرفهم واكثرهم طاعة واقربهم
منه وهم الروح والملائكة لا يملكون التكلم بين يديه فما ظنك بمن عداهم من اهل السموات والارض
والروح اعظم خلقا من الملائكة واشرف منهم واقرب من رب العالمين وقيل هو ملك عظيم ما خلق
الله بعد العرش اعظم منه وقيل ليسوا بالملائكة وهم يأكلون وقيل جبريل وهما شرطان ان يكون المتكلم
منهم ماذونا له في الكلام وان يتكلم بالصواب فلا يشفع لغير مرتضى لقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى **يوم**
ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر المرء هو الكافر لقوله تعالى انا انذرناكم عذابا قريبا والكافر
ظاهر وضع موضع الضمير لزيادة الذم ومعنى ما قدمت يداه من الشر كقوله وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما
قدمت ايديكم ذلك بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين وما يجوز ان تكون استفهامية منصوبة بقدمت اي ينظر
اي شيء قدمت يداه وموصولة منصوبة بينظر يقال نظرته بمعنى نظرت اليه والراجع من الصلة محذوف
وقيل المرء عام وخصص منه الكافر وعن قتادة هو المؤمن **يا ليتني كنت ترابا** في الدنيا فلم اخلق ولم اكلف
او ليتني كنت ترابا في هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر الله الحيوان غير المكلف حتى يقتص للجماء من
القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله وقيل الكافر ابليس يرى ادم وولده وثوابهم فيتمنى ان يكون الشيء الذي
احتقره حين قال خلقتني من نار وخلقته من طين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ عم يتساءلون
سقاه الله برد الشراب يوم القيامة **سورة النازعات مكية وهي خمس او ست واربعون اية** ۝
بسم الله الرحمن الرحيم

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ اقسم سبحانه بطوائف الملائكة التي تنزع الارواح من الاجساد وبالطوائف التي تنشطها اي تخرجها من نشط الدلو من البئر اذا اخرجها وبالطوائف التي تسبح في مضيها اي تسرع فتسبق الى ما امروا به فتدبر امرا من امور العباد مما يصلحهم في دينهم او دنياهم كما رسم لهم غرقا اغراقا في النزع اي تنزعها من اقاصي الاجساد من اناملها واظفارها او اقسم بخيل الغزاة التي تنزع في اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها لانها عراب والتي تخرج من دار الاسلام الى دار الحرب من قولك ثور ناشط اذا خرج من بلد الى بلد والتي تسبح في جريها فتسبق الى الغاية فتدبر امر الغلبة والظفر واسناد التدبير اليها لانها من اسبابه او اقسم بالنجوم التي تنزع من المشرق الى المغرب واغراقها في النزع ان تقطع الفلك كله حتى تنحط في اقصى الغرب والتي تخرج من برج الى برج والتي تسبح في الفلك من السيارة فتسبق فتدبر امرا من علم الحساب وقيل النازعات ايدي الغزاة او انفسهم تنزع القسي باغراق السهام والتي تنشط الاوهاق والمقسم عليه محذوف وهو لتبعثن لدلالة ما بعده من ذكر القيامة ويوم ترجف منصوب بهذا المضمر والراجفة الواقعة التي ترجف عندها الارض والجبال وهي النفخة الاولى وصفت بما يحدث بحدوثها تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ اي الواقعة التي تردف الاولى وهي النفخة الثانية ويجوز ان تكون الرادفة من قوله تعالى عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون اي القيامة التي يستعجلها الكفرة استبعادا لها وهي رادفة لهم لاقترابها وقيل الراجفة الارض والجبال من قوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال والرادفة السماء والكواكب لانها تنشق وتنتثر كواكبها على اثر ذلك فان قلت ما محل تتبعها قلت الحال اي ترجف تابعتها الرادفة فان قلت كيف جعلت يوم ترجف ظرفا للمضمر الذي هو لتبعثن ولا يبعثون عند النفخة الاولى قلت المعنى لتبعثن في الوقت الواسع الذي يقع فيه النفختان وهم يبعثون في بعض ذلك الوقت الواسع وهو وقت النفخة الاخرى ودل على ذلك ان قوله تتبعها الرادفة جعل حالا عن الراجفة ويجوز ان ينتصب يوم ترجف بما دل عليه قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ اي يوم ترجف وجفت القلوب وواجفة شديدة الاضطراب والوجيب والوجيف اخوان أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ذليلة فان قلت كيف جاز الابتداء بالنكرة قلت قلوب مرفوعة بالابتداء وواجفة صفتها وابصارها خاشعة خبرها فهو كقوله ولعبد مؤمن خير من مشرك فان قلت كيف صح اضافة الابصار الى القلوب قلت معناه ابصار اصحابها بدليل قوله يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ في الحالة الاولى يعنون الحيوة بعد الموت فان قلت ما حقيقة هذه الكلمة قلت يقال رجع فلان في حافرته اي في طريقته التي جاء فيها فحفرها اي اثر فيها بمشيه فيها جعل اثر قدميه حفرا كما قيل حفرت اسنانه حفرا اذا اثر الاكال في اسناخها والخط المحفور في الصخر وقيل حافرة كما قيل عيشة راضية اي منسوبة الى الحفر والرضى او كقولهم نهارك صائم ثم قيل لمن كان في امر فخرج منه ثم عاد اليه رجع الى حافرته اي الى طريقته وحالته الاولى قال

أحافرة على صلع وشيب ❊ معاذ الله من سفه وعار

يريد ارجوعا الى حافرة وقيل النقد عند الحافرة يريدون عند الحالة الاولى وهي الصفقة وقرا ابو حيوة في الحفرة بمعنى المحفورة يقال حفرت اسنانه فحفرت حفرا وهي حفرة وهذه القراءة دليل على ان الحافرة في اصل الكلمة بمعنى المحفورة أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً يقال نخر العظم فهو نخر وناخر كقولك طمع فهو طمع وطامع وفعل ابلغ من فاعل وقد قرئ بهما وهو البالي الاجوف الذي تمر فيه الريح فيسمع له نخير واذا منصوب بمحذوف تقديره اذا كنا عظاما نرد ونبعث قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ منسوبة الى الخسران او خاسر اصحابها والمعنى انها ان صحت فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها وهذا استهزاء منهم فان قلت بم تعلق قوله فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ قلت بمحذوف معناه لا تستصعبوها فانما هي زجرة واحدة يعني لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله عز وجل فانها سهلة هينة في قدرته ما هي الا صيحة واحدة يريد النفخة الثانية فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ فاذا هم احياء على وجه الارض بعد ما كانوا امواتا في جوفها من قولهم زجر البعير اذا صاح عليه والساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة جارية الماء وفي ضدها نائمة قال الاشعث بن قيس

وساهرة يضحي السراب مجللا ❊ لاقطارها قد جبتها متلثما

او لان سالكها لا ينام خوف الهلكة وعن قتادة فاذا هم في جهنم هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ نَادَاهُ

رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى اذهب على ارادة القول وفي قراءة عبد الله ان اذهب لان في النداء معنى القول فَقُلْ هَلْ لَكَ في كذا وهل لك الى كذا كما تقول هل ترغب فيه وهل ترغب اليه إِلَى أَنْ تَزَكَّى الى ان تتطهر من الشرك وقرا اهل المدينة تزكى بالادغام وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ وارشدك الى معرفة الله وانبهك عليه فتعرفه فَتَخْشَى لان الخشية لا تكون الا بالمعرفة قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء اي العلماء به وذكر الخشية لانها ملاك الامر من خشي الله اتى منه كل خير ومن امن اجترى على كل شر ومنه قوله عليه الصلوة والسلام من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل بدا مخاطبته بالاستفهام الذي معناه العرض كما يقول الرجل لضيفه هل لك ان تنزل بنا واردفه الكلام الرقيق ليستدعيه بالتلطف في القول ويستنزله بالمداراة من عتوه كما امر بذلك في قوله فقولا له قولا لينا فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى قلب العصا حية لانها كانت المقدمة والاصل والاخرى كالتبع لانه كان يتقيها بيده فقيل له ادخل يدك في جيبك او اراد هما جميعا الا انه جعلهما واحدة لان الثانية كانها من جملة الاولى لكونها تابعة لها فَكَذَّبَ بموسى والاية الكبرى وسماهما ساحرا وسحرا وَعَصَى وعصى الله تعالى بعد ما علم صحة الامر وان الطاعة قد وجبت عليه ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى اي لما راى الثعبان ادبر مرعوبا يسعى يسرع في مشيته قال الحسن كان رجلا طياشا خفيفا او تولى عن موسى يسعى ويجتهد في مكايدته او اريد ثم اقبل يسعى كما تقول اقبل فلان يفعل كذا بمعنى انشا يفعل فوضع ادبر موضع اقبل لئلا يوصف بالاقبال فَحَشَرَ فجمع السحرة كقوله تعالى فارسل فرعون في المدائن حاشرين فَنَادَى فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى فنادى في المقام الذي اجتمعوا فيه معه او امر مناديا فنادى في الناس بذلك وقيل قام فيهم خطيبا فقال تلك العظيمة وعن ابن عباس رضي الله عنهما كلمته الاولى ما علمت لكم من اله غيري والاخرة انا ربكم الاعلى وهو مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله كانه قيل نكل الله به نكال الاخرة والاولى والنكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم يعني الاغراق في الدنيا والاحراق في الاخرة وعن ابن عباس نكال كلمتيه الاخرة وهي قوله انا ربكم الاعلى والاولى وهي قوله ما علمت لكم من اله غيري وقيل كان بين الكلمتين اربعون سنة وقيل عشرون أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا الخطاب لمنكري البعث يعني انتم اصعب خلقا وانشاء أَمِ السَّمَاءُ ثم بين كيف خلقها فقال بَنَاهَا ثم بين البناء فقال رَفَعَ سَمْكَهَا اي جعل مقدار ذهابها في سمت العلو مديدا رفيعا مسيرة خمسمائة عام فَسَوَّاهَا فعدلها مستوية ملساء ليس فيها تفاوت ولا فطور او فتممها بما علم انها تتم به واصلحها من قولك سوى فلان امر فلان وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا اغطش الليل واغطشه الله كقولك ظلم واظلمه ويقال ايضا اغطش الليل كما يقال اظلم وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا وابرز ضوء شمسها يدل عليه قوله تعالى والشمس وضحاها يريد وضوءها وقولهم وقت الضحى للوقت الذي تشرق فيه الشمس ويقوم سلطانها واضيف الليل والشمس الى السماء لان الليل ظلها والشمس هي السراج المثقب في جوها وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا عيونها المتفجرة بالماء وَمَرْعَاهَا ورعيها وهو في الاصل موضع الرعي ونصب الارض والجبال باضمار دحى وارسى وهو الاضمار على شريطة التفسير وقرأهما الحسن مرفوعين على الابتداء فان قلت هلا ادخل حرف العطف على اخرج قلت فيه وجهان احدهما ان يكون معنى دحاها بسطها ومهدها للسكنى ثم فسر التمهيد بما لا بد منه في تاتي سكناها من تسوية امر المأكل والمشرب وامكان القرار عليها والسكون باخراج الماء والمرعى واثبات الجبال اوتادا لها حتى تستقر ويستقر عليها والثاني ان يكون اخرج حالا باضمار قد كقوله او جاؤكم حصرت صدورهم واراد بمرعاها ما ياكل الناس والانعام واستعير الرعي للانسان كما استعير الرتع في قوله نرتع ونلعب وقرئ نرتع من الرعي ولهذا قيل دل الله سبحانه بذكر الماء والمرعى مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ فعل ذلك تمتيعا لكم ولانعامكم لان منفعة ذلك التمهيد واصلة اليهم والى انعامهم فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى الطامة الداهية التي تطم على الدواهي اي تعلو وتغلب في امثالهم جرى الوادي فطم على القرى وهي القيامة لطمومها على كل هائلة وقيل هي النفخة الثانية وقيل الساعة التي يساق فيها اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ بدل من اذا جاءت الطامة يعني فاذا رأى اعماله مدونة في كتابه تذكرها وكان قد نسيها كقوله تعالى احصاه الله ونسوه مَا سَعَى موصولة او مصدرية وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ واظهرت وقرا ابو نهيك وبرزت لِمَنْ يَرَى للرائين جميعا اي لكل احد يعني انها تظهر

اظهارًا بيّنًا مكشوفًا يراها اهل الساهرة كلهم كقوله قد تبين الصبح لذي عينين يريدون لكل من
ابصر وهو مثل في الامر المنكشف الذي لا يخفى على احد وقرأ ابن مسعود لمن رأى وقرئ وبرزت الجحيم لمن ترى
والضمير للجحيم كقوله اذا رأتهم من مكان بعيد وقيل لمن ترى يا محمد **فاما من طغى وآثر الحيوة الدنيا**
فان الجحيم هي المأوى واما جواب فاذا اي فاذا جاءت الطامة فان الامر كذلك والمعنى فان الجحيم
مأواه كما تقول للرجل غض الطرف تريد طرفك وليس الالف واللام بدلا من الاضافة ولكن لما علم
ان الطاغي هو صاحب المأوى وانه لا يغض الرجل طرف غيره تركت الاضافة ودخول حرف التعريف في
المأوى والطرف للتعريف لانهما معروفان وهي فصل او مبتدأ **واما من خاف مقام ربه ونهى**
النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى ونهى النفس الامارة بالسوء عن الهوى المردي وهو اتباع الشهوات
وزجرها وضبطها بالصبر والتوطين على ايثار الخير وقيل الآيتان نزلتا في ابي عزيز بن عمير ومصعب بن عمير
وقد قتل مصعب اخاه ابا عزيز يوم احد ووقى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه حتى نفذت
المشاقص في جوفه **يسألونك عن الساعة ايان مرساها** متى ارساها اي
اقامها الله تعالى واثبتها ويكونها وقيل ايان منتهاها ومستقرها كما ان مرسى السفينة مستقرها حيث تنتهي
اليه **فيم انت من ذكراها** في اي شيء انت من ان تذكر وقتها لهم وتعلمهم به يعني ما انت من ذكرها
لهم وتبيين وقتها في شيء وعن عائشة رضي الله عنها لم يزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يذكر الساعة
ويسأل عنها حتى نزلت فهو على هذا تعجب من كثرة ذكره لها كأنه قيل في اي شغل واهتمام انت من ذكرها
والسؤال عنها والمعنى انهم يسألونك عنها فلحرصك على جوابهم لا تزال تذكرها وتسأل عنها ثم قال
الى ربك منتهاها اي منتهى علمها لم يؤته احدًا من خلقه وقيل فيم انكار لسؤالهم وما بعده
قيل انت من ذكراها اي ارسالك وانت خاتم الانبياء وآخر الرسل المبعوث في نسم الساعة ذكر من
ذكراها وعلامة من علاماتها فكفاهم بذلك دليلا على دنوها ومشارفتها ووجوب الاستعداد لها
ولا معنى لسؤالهم عنها **انما انت منذر من يخشاها** اي لم تبعث لتعلمهم بوقت الساعة الذي لا
فائدة لهم في علمه وانما بعثت لتنذر من اهوالها من يكون من اهل الخشية منها وقرئ منذر
بالتنوين وهو الاصل والاضافة تخفيف وكلاهما يصلح للحال والاستقبال فاذا اريد الماضي فليس الا الاضافة
كقولك هو منذر زيد امس **كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا** اي كأنهم لم يلبثوا في الدنيا وقيل في القبور
الا عشية او ضحاها فان قلت كيف صحت اضافة الضحى الى العشية قلت لما بينهما من الملابسة لاجتماعهما
في نهار واحد فان قلت فهلا قيل الا عشية او ضحى وما فائدة الاضافة قلت الدلالة على ان مدة لبثهم كأنها
لم تبلغ يومًا كاملا ولكن ساعة منه عشيته او ضحاه فلما ترك اليوم اضافه الى عشيته فهو كقوله لم يلبثوا الا ساعة من
نهار عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة النازعات كان ممن حبسه الله في القبر والقيامة حتى
يدخل الجنة قدر صلاة المكتوبة

سورة عبس احدى واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

عبس وتولى ان جاءه الاعمى اي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابن ام مكتوم وام مكتوم ام ابيه واسمه عبد الله بن شريح
بن مالك بن ربيعة الفهري من بني عامر بن لؤي وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل
بن هشام والعباس بن عبد المطلب وامية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء ان يسلم باسلامهم
غيرهم فقال يا رسول الله اقرئني وعلمني مما علمك الله وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم قطعه لكلامه واعرض عنه وعبس فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكرمه ويقول
اذا رآه مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين وقال انس
رأيته يوم القادسية وعليه درع وله راية سوداء وقرئ عبّس بالتشديد للمبالغة وعبس كلح و
ان جاءه منصوب بتولى او بعبس على اختلاف المذهبين ومعناه عبس لان جاءه الاعمى واعرض لذلك
وقرئ آن جاءه بهمزتين وبالف بينهما ووقف على عبس وتولى ثم ابتدئ على معنى ألأن جاءه الاعمى
فعل ذلك انكارًا عليه وروي انه ما عبس بعدها في وجه فقير قط ولا تصدى لغني وفي الاخبار
عما فرط منه ثم الاقبال عليه بالخطاب دليل على زيادة الانكار كمن يشكو الى الناس جانيًا جنى عليه ثم يقبل
على الجاني اذا حمي في الشكاية مواجهًا بالتوبيخ والزام الحجة وفي ذكر الاعمى نحو من ذلك كأنه يقول قد

استحق عنده العبوس والاعراض لانه اعمى وكان يجب ان يزيده لعماه تعطفًا وترؤفًا وتقريبًا وترحيبًا
ولقد تأدب الناس بادب الله تعالى وهذا تأديبًا حسنًا فقد روي عن سفيان الثوري رحمه الله تعالى ان الفقراء
كانوا في مجلسه امراء **وما يدريك** واي شيء يجعلك داريًا بحال هذا الاعمى **لعله يزكى** اي يتطهر
بما يتلقف من الشرايع من بعض اوضار الاثم **او يذكر فتنفعه الذكرى** او يتعظ فتنفعه ذكراك اي
موعظتك وتكون له لطفًا في بعض الطاعات والمعنى انك لا تدري ما هو مترقب منه من تزك او تذكر
فتقربه الذكرى الى قبول الحق وما يدريك ان ما طمعت فيه كائن وقرئ فتنفعه بالرفع عطفًا على
يذكر وبالنصب جوابًا للعل كقوله فاطلع الى اله موسى **اما من استغنى فانت له تصدى** تتعرض بالاقبال
عليه والمصاداة المعارضة وقرئ تصّدّى بالتشديد بادغام التاء في الصاد وقرأ ابو جعفر تُصدى بضم التاء
اي تعرض ومعناه يدعوك داع الى التصدي له من الحرص والتهالك على اسلامه **وما عليك ان لا يزكى** وليس عليك بأس
في ان لا يتزكى بالاسلام **واما من جاءك يسعى** يسرع في طلب الخير **وهو يخشى** الله او يخشى الكفار
واذاهم في اتيانك وقيل جاء وليس معه قائد فهو يخشى الكبوة **فانت عنه تلهى** تتشاغل من لهى
عنه والتهى وتلهى وقرأ طلحة بن مصرف تتلهى وقرأ ابو جعفر تُلهى اي يلهيك شأن الصناديد فان
قلت قوله فانت له تصدى وانت عنه تلهى كأن فيه اختصاصًا قلت نعم ومعناه انكار التصدي
والتلهي عليه اي مثلك خصوصًا لا ينبغي ان يتصدى للغني ويتلهى عن الفقير **كلا** ردع عن المعاتب
عليه وعن معاودة مثله **انها تذكرة** اي موعظة يجب الاتعاظ بها والعمل بموجبها **فمن شاء ذكره**
اي كان حافظًا له غير ناسيه وذكر الضمير لان التذكرة في معنى الذكر والوعظ **في صحف** مثبتة فيها لتذكره
يعني انها مثبتة في صحف منتسخة من اللوح **مكرمة** عند الله تعالى **مرفوعة** في السماء او مرفوعة المقدار
مطهرة منزهة عن ايدي الشياطين لا يمسها الا ايدي ملائكة مطهرين **بايدي سفرة** كتبة ينتسخون
الكتب من اللوح **كرام بررة** اتقياء وقيل هي في صحف الانبياء كقوله ان هذا لفي الصحف الاولى وقيل السفرة
القراء وقيل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم **قتل الانسان ما اكفره** قتل الانسان دعاء عليه وهي من
اشنع دعواتهم لان القتل قصارى شدايد الدنيا وفظايعها وما اكفره تعجب من افراطه في كفران نعمة الله
ولا ترى اسلوبًا اغلظ منه ولا اخشن مسًّا ولا ادل على سخط ولا ابعد شوطًا في المذمة مع تقارب طرفيه
ولا اجمع للائمة على قصر متنه ثم اخذ في وصف حاله من ابتداء حدوثه الى ان انتهى وهو مغمور فيه من اصول
النعم وفروعها وهو غارق فيه رأسه من الكفران والغمط وقلة الالتفات الى ما يتقلب فيه والى ما يجب
عليه من القيام بالشكر **من اي شيء خلقه** من اي شيء حقير مهين ثم بين ذلك الشيء بقوله **من نطفة خلقه**
فقدره فهيأه لما يصلح له ويختص به وكقوله وخلق كل شيء فقدره تقديرا **ثم السبيل يسره** نصب السبيل
باضمار يسر وفسره بيسره والمعنى ثم سهل سبيله وهو مخرجه من بطن امه او السبيل الذي يختار سلوكه
من طريق الخير والشر باقداره وتمكينه كقوله انا هديناه السبيل وعن ابن عباس رضي الله عنهما بين
له سبيل الخير والشر **ثم اماته فاقبره** فجعله ذا قبر يواري فيه تكرمة له ولم يجعله مطروحًا على وجه
الارض جزرًا للسباع والطير كسائر الحيوان يقال قبر الميت اذا دفنه واقبره الميت اذا امره ان يقبره
ومكنه منه ومنه قول من قال للحجاج اقبرنا صالحًا **ثم اذا شاء انشره** انشأه النشأة الاخرى وقرئ
نشره **كلا** ردع للانسان عما هو عليه **لما يقض ما امره** لم يقض بعد مع تطاول الزمان وامتداده من
لدن ادم الى هذه الغاية ما امره الله حتى يخرج عن جميع اوامره يعني ان انسانًا لم يخل من تقصير قط ولما
عدد النعم في نفسه اتبعه ذكر النعم فيما يحتاج اليه فقال **فلينظر الانسان الى طعامه** مطعمه الذي
يعيش به كيف دبرنا امره **انا صببنا الماء صبا** يعني الغيث وقرئ بالكسر على الاستئناف وبالفتح على البدل
من الطعام وقرأ الحسين بن علي رضي الله عنهما انّى صببنا بالامالة على معنى فلينظر الانسان كيف صببنا الماء
ثم شققنا الارض شقا اي بالنبات او بالكراب على البقر واسند الشق الى
نفسه اسناد الفعل الى السبب **فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا** والحب كل ما حصد من نحو الحنطة
والشعير وغيرهما والقضب الرطبة والمقضاب ارضه سمي بمصدر قضبه اذا قطعه لانه يقضب مرة
بعد مرة **وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا** عظامًا وصف به الحدائق لتكاثفها وكثرة
اشجارها او لانه اريد بها الاشجار وعظمها كما تقول حديقة ضخمة وان تجعل شجرها غلبا اي عظامًا غلاظًا والاصل في الوصف
بالغلب الرقاب فاستعير قال عمرو بن معدي كرب يمشي بها غلب الرقاب كأنهم بزل كسين من

وفاكهة وأبا متاعا لكم ولأنعامكم والأب المرعى لأنه يؤب أي يؤم وينتجع والأب والأم أخوان قال
جذمنا قيس ونجد دارنا ۞ ولنا الأب به والمكرع ۞ أي المنهل
وعن أبي بكر رضي الله عنه أنه سئل عن الأب فقال أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا
علم لي به وعن عمر رضي الله عنه أنه قرأ هذه الآية فقال كل هذا قد عرفنا فما الأب ثم رفض عصا كانت
بيده فقال هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن أم عمر أن لا تدري ما الأب ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا
الكتاب وما لا فدعوه فإن قلت فهذا يشبه النهي عن تتبع معاني القرآن والبحث عن مشكلاته
قلت لم يذهب إلى ذلك ولكن القوم كانت أكبر همتهم عاكفة على العمل وكان التشاغل بشيء من العلم لا يعمل به
تكلفا عندهم فأراد أن الآية مسوقة في الامتنان على الإنسان بمطعمه واستدعاء شكره وقد علم من فحوى
الآية أن الأب بعض ما أنبته الله تعالى للإنسان متاعا له ولأنعامه فعليك بما هو أهم من النهوض
بالشكر لله على ما تبين لك ولم يشكل مما عدد من نعمه ولا تتشاغل عنه بطلب معنى الأب ومعرفة النبات
الخاص الذي هو اسم له واكتف بالمعرفة الجملية إلى أن يتبين لك في غير هذا الوقت ثم وصى الناس
بأن يجروا على هذا السنن فيما أشبه ذلك من مشكلات القرآن فإذا جاءت الصاخة يوم يفر
المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه يقال صخ لحديثه مثل أصاخ فوصفت النفخة
بالصاخة مجازا لأن الناس يصخون لها يفر منهم لاشتغاله بما هو مدفوع إليه ولعلمه أنهم لا يغنون
عنه شيئا وبدأ بالأخ ثم بالأبوين لأنهما أقرب إليه ثم بالصاحبة والبنين لأنهم أقرب وأحب كأنه قيل يفر
من أخيه بل من أبويه بل من صاحبته وبنيه وقيل يفر منهم حذرا من مطالبتهم بالتبعات يقول الأخ
لم تواسني بمالك والأبوان قصرت في برنا والصاحبة أطعمتني الحرام وفعلت وصنعت والبنون لم تعلمنا
ولم ترشدنا وقيل أول من يفر من أخيه هابيل ومن أبويه إبراهيم ومن صاحبته نوح ولوط ومن ابنه نوح
لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه يكفيه في الاهتمام به وقرئ يعنيه أي يهمه وجوه يومئذ
مسفرة مضيئة متهللة من أسفر الصبح إذا أضاء وعن ابن عباس من قيام الليل لما روي في الحديث من كثر
صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وعن الضحاك من آثار الوضوء وقيل من طول ما اغبرت في سبيل الله
ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة غبار يعلوها ترهقها قترة أولئك هم الكفرة
الفجرة قترة سواد كالدخان ولا ترى أوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه كما ترى من وجوه
الزنوج إذا اغبرت وكأن الله عز وعلا يجمع إلى سواد وجوههم الغبرة كما جمعوا الفجور إلى الكفر ۞
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عبس وتولى جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر

سورة التكوير مكية وهي تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ۞

إذا الشمس كورت في التكوير وجهان أن يكون من كورت العمامة إذا لففتها أي يلف ضوءها لفا فيذهب
انبساطه وانتشاره في الآفاق وهو عبارة عن إزالتها والذهاب بها لأنها ما دامت باقية كان ضياؤها
منبسطا غير ملفوف أو يكون لفها عبارة عن رفعها وسترها لأن الثوب إذا أريد رفعه لف وطوي
ونحوه قوله يوم نطوي السماء وأن يكون من طعنه فجوره وكوره إذا ألقاه أي تلقى وتطرح عن فلكها
كما وصفت النجوم بالانكدار فإن قلت ارتفاع الشمس على الابتداء أو الفاعلية قلت بل على الفاعلية رافعها
فعل مضمر يفسره كورت لأن إذا يطلب الفعل لما فيه من معنى الشرط وإذا النجوم انكدرت انقضت
قال أبصر خربان فضاء فانكدر ويروى في الشمس والنجوم أنها تطرح في جهنم ليراها من عبدها كما قال
تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وإذا الجبال سيرت أي عن وجه الأرض وأبعدت
أو سيرت في الجو تسيير السحاب كقوله تعالى وهي تمر مر السحاب وإذا العشار عطلت والعشار
جمع عشراء كالنفاس في جمع نفساء وهي التي أتى على حملها عشرة أشهر ثم هو اسمها إلى أن تضع لتمام السنة وهي
أنفس ما تكون عند أهلها وأعزها عليهم عطلت تركت مسيبة مهملة وقيل عطلها أهلها عن الحلب والصر
لاشتغالهم بأنفسهم وقرئ عطلت بالتخفيف وإذا الوحوش حشرت جمعت من كل ناحية قال
قتادة يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص وقيل إذا قضى بينها ردت ترابا فلا يبقى منها إلا ما فيه سرور

لبني آدم وإعجاب بصورته كالطاووس ونحوه وعن ابن عباس رضي الله عنهما حشرها موتها يقال إذا أجحفت
السنة بالناس وأموالهم حشرتهم السنة وقرئ حشرت بالتشديد وإذا البحار سجرت قرئ بالتخفيف
والتشديد من سجر التنور إذا ملأه بالحطب أي ملئت وفجر بعضها إلى بعض حتى تعود بحرا واحدا وقيل ملئت
نيرانا لتضطرم لتعذيب أهل النار وعن الحسن يذهب ماؤها فلا يبقى فيها قطرة وإذا النفوس
زوجت قرنت كل نفس بشكلها وقيل قرنت الأرواح بالأجساد وقيل بكتبها وأعمالها وعن الحسن هو كقوله
وكنتم أزواجا ثلاثة وقيل نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين وإذا الموءودة
سئلت بأي ذنب قتلت وأد يئد مقلوب من آد يؤود إذا أثقل قال الله تعالى ولا يؤوده حفظهما لأنه
إثقال بالتراب كان الرجل إذا ولدت له بنت فأراد أن يستحييها ألبسها جبة من صوف أو شعر ترعى له الإبل
والغنم في البادية وإن أراد قتلها تركها حتى إذا كانت سداسية فيقول لأمها طيبيها وزينيها حتى أذهب
بها إلى أحمائها وقد حفر لها بئرا في الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها انظري فيها ثم يدفعها من خلفها
ويهيل عليها التراب حتى تستوي البئر بالأرض وقيل كانت الحامل إذا أقربت حفرت حفرة فتمخضت
على رأس الحفرة فإذا ولدت بنتا رمت بها في الحفرة وإن ولدت ابنا حبسته فإن قلت ما حملهم على وأد البنات
قلت الخوف من لحوق العار بهم من أجلهن أو الخوف من الإملاق كما قال الله تعالى ولا تقتلوا أولادكم خشية
إملاق وكانوا يقولون إن الملائكة بنات الله فألحقوا البنات به فهو أحق بهن وصعصعة بن ناجية ممن
منع الوأد فبه افتخر الفرزدق في قوله ۞

ومنا الذي منع الوائدات ۞ فأحيا الوئيد فلم يوأد ۞

فإن قلت فما معنى سؤال الموءودة عن ذنبها الذي قتلت به وهلا سئل الوائد عن موجب قتله لها
قلت سؤالها وجوابها تبكيت لقاتلها نحو التبكيت في قوله تعالى لعيسى عليه الصلاة والسلام أأنت قلت للناس
إلى قوله سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق وقرئ سألت أي خاصمت عن نفسها وسألت الله
أو قاتلها وإنما قيل قتلت بناء على أن الكلام إخبار عنها ولو حكي ما خوطبت به حين سئلت لقيل قتلت
أو كلامها حين سئلت لقيل قتلت وقرأ ابن عباس قتلت على الحكاية وقرئ قتلت بالتشديد وفيه دليل
بين على أن أطفال المشركين لا يعذبون وعلى أن التعذيب لا يستحق إلا بالذنب وإذا بكت الله الكافر
ببراءة الموءودة من الذنب فما أقبح به وهو الذي لا يظلم مثقال ذرة أن يكر عليها بعد هذا التبكيت فيفعل
بها ما تنثني عنه فعل المكيت من العذاب السرمد وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه سئل عن ذلك فاحتج
بهذه الآية وإذا الصحف نشرت قرئ بالتخفيف والتشديد يريد صحف الأعمال تطوى صحيفة الإنسان
عند موته ثم تنشر إذا حوسب عن قتادة صحيفتك يا ابن آدم تطوى على عملك ثم تنشر يوم القيامة فلينظر رجل
ما يملي في صحيفته وعن عمر رضي الله عنه أنه كان إذا قرأها قال إليك يساق الأمر يا ابن آدم وعن النبي صلى
الله عليه وآله وسلم أنه قال يحشر الناس عراة حفاة فقالت أم سلمة كيف بالنساء فقال شغل الناس يا أم
سلمة قالت وما شغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل ويجوز أن يراد نشرت بين
أصحابها أي فرقت بينهم وعن مرثد بن وداعة إذا كان يوم القيامة تطايرت الصحف من تحت العرش
فتقع صحيفة المؤمن في يده في جنة عالية وتقع صحيفة الكافر في يده في سموم وحميم أي مكتوب فيها ذلك
وهي صحف غير صحف الأعمال وإذا السماء كشطت كشفت وأزيلت كما يكشط الإهاب عن الذبيحة
والغطاء عن الشيء وقرأ ابن مسعود قشطت واعتقاب القاف والكاف كثير لبقته والقا
والكافور وإذا الجحيم سعرت أوقدت إيقادا شديدا وقرئ سعرت بالتشديد للمبالغة قيل
سعرها غضب الله وخطايا بني آدم وإذا الجنة أزلفت أدنيت من المتقين كقوله تعالى وأزلفت الجنة
للمتقين غير بعيد قيل هذه اثنتا عشرة خصلة ست منها في الدنيا وست في الآخرة علمت نفس ما أحضرت
وعلمت هو عامل النصب في إذا الشمس كورت وفيما عطف عليه فإن قلت كل نفس تعلم ما أحضرت كقوله
تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا لا نفس واحدة فما معنى قوله علمت نفس قلت هو من عكس
كلامهم الذي يقصدون به الإفراط فيما يعكس عنه ومنه قوله عز وعلا ربما يود الذين كفروا لو كانوا
مسلمين ومعناه معنى كم وأبلغ منه وقول القائل ۞ قد أترك القرن مصفرا أنامله ۞
وتقول لبعض قواد العساكر كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندي أو لا تعدم عندي فارسا
وعنده المقانب وقصده بذلك التمادي في تكثير فرسانه ولكنه أراد إظهار براءته من التزيد وأنه ممن

يقلل كثيرا ما عنت وضلالا ان تريد تحملها بلفظ التقليل فيفهم منه معنى التكثير على الصحة والتقت وعن ابن مسعود
رضي الله عنه ان قارئا قرأها عنده فلما بلغ علمت نفس ما احضرت قال وا انقطاع ظهرياه فلا أقسم
بالخنس الجوار الكنس الخنس الرواجع بينا ترى النجم في آخر البرج اذ كر راجعا الى اوله
والجوار السيارة والكنس الغيب من كنس الوحشي اذا دخل كناسه قيل هي الدراري
الخمسة بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشتري تجري مع الشمس والقمر وترجع حتى تخفى
تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس وقيل هي جميع الكواكب
تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل اي تطلع في اماكنها كالوحش في كنسها والليل
إذا عسعس عسعس الليل وسعسع اذا ادبر قال العجاج

حتى اذا الصبح لها تنفسا ◌ وانجاب عنها ليلها وعسعسا

وقيل عسعس اذا اقبل ظلامه والصبح إذا تنفس فان قلت ما معنى تنفس الصبح قلت اذا اقبل
الصبح اقبل باقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفسا له على المجاز إنه القرآن لقول رسول كريم
هو جبريل صلوات الله وسلامه عليه ذي قوة كقوله شديد القوى ذو مرة لما كانت حال المكانة
على حسب حال الممكن قال عند ذي العرش مكين ليدل على عظم منزلته ومكانته مطاع ثم أمين
اشارة الى الظرف المذكور اعني عند ذي العرش على انه عند الله مطاع في ملائكته المقربين يصدرون عن امره
ويرجعون الى رأيه وقرئ ثم تعظيما للامانة وبيانا لانها افضل صفاته المعدودة وما صاحبكم يعني محمدا
صلى الله عليه وآله وسلم بمجنون كما تبهته الكفرة وناهيك بهذا دليلا على جلالة مكان جبريل وفضله على
الملائكة ومباينة منزلته لمنزلة افضل الانس محمد عليه الصلوة والسلام اذا وازنت بين مكين مطاع ثم امين
وبين قوله وما صاحبكم بمجنون ولقد رآه ولقد رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جبريل عليه الصلوة والسلام
بالأفق المبين بمطلع الشمس الاعلى وما هو وما محمد صلى الله عليه وآله على الغيب على ما يخبره من الغيب
من رؤية جبريل عليه الصلوة والسلام والوحي اليه وغير ذلك بضنين بمتهم من الظنة وهي التهمة وقرئ
بضنين من الضن وهو البخل اي لا يبخل بالوحي فيزوي بعضه غير مبلغه او يسأل تعليمه فلا يعلمه
وهو في مصحف عبد الله بالظاء وفي مصحف ابي بالضاد وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ بهما واتقان
الفصل بين الظاء والضاد واجب ومعرفة مخرجيهما مما لابد منه للقارئ فان اكثر العجم لا يفرقون بين الحرفين
وان فرقوا ففرقا غير صواب وبينهما بون بعيد فان مخرج الضاد من اصل حافة اللسان وما يليها من الاضراس
من يمين اللسان او يساره وكان عمر بن الخطاب اضبط يعمل بكلتا يديه وكان يخرج الضاد من جانبي لسانه وهو
احد الاحرف الشجرية اخت الجيم والشين واما الظاء فمخرجها من طرف اللسان واصول الثنايا العليا
وهي احد الاحرف الذولقية اخت الذال والثاء ولو استوى الحرفان لما ثبت في هذه الكلمة قراءتان
اثنتان واختلاف بين جبلين من جبال العلم والقراءة ولما اختلف المعنى والاشتقاق والتركيب فان قلت
فان وضع المصلي احد الحرفين مكان صاحبه قلت هو كواضع الذال مكان الجيم والثاء مكان الشين لان
التفاوت بين الضاد والظاء كالتفاوت بين اخواتهما وما هو وما القرآن بقول شيطان رجيم اي بقول
بعض المسترقة للسمع وبوحيهم الى اوليائهم من الكهنة فأين تذهبون إن هو إلا ذكر للعالمين
استضلال لهم كما يقال لتارك الجادة اعتسافا او ذهابا في بنيات الطريق اين تذهب مثلت حالهم
بحاله في تركهم الحق وعدولهم عنه الى الباطل لمن شاء منكم أن يستقيم لمن شاء منكم بدل من للعالمين
وانما ابدلوا منهم لان الذين شاؤا الاستقامة بالدخول في الاسلام هم المنتفعون بالذكر فكانه لم يوعظ به
غيرهم وان كانوا موعوظين جميعا وما تشاؤن إلا أن يشاء الله رب العالمين وما تشاؤن الاستقامة
يا من يشاؤها الا بتوفيق الله ولطفه او وما تشاؤنها انتم يا من لا يشاؤها الا بقسر الله والجائه عن رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة اذا الشمس كورت اعاذه الله ان يفضحه حين تنشر صحيفته

سورة الانفطار مكية وهي تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا السماء انفطرت انشقت وإذا الكواكب انتثرت وإذا البحار فجرت فتح بعضها الى
بعض فاختلط العذب بالمالح وزال البرزخ الذي بينهما وصارت البحار بحرا واحدا وروي ان الارض
تنشف الماء بعد امتلاء البحار فتصير مستوية وهو معنى التسجير عند الحسن وقرئ فجرت بالتخفيف
وقرأ مجاهد فجرت على البناء للفاعل والتخفيف بمعنى بغت لزوال البرزخ نظرا الى قوله تعالى لا يبغيان لان

البغي والفجور اخوان وإذا القبور بعثرت علمت نفس ما قدمت وأخرت بعثر وبحثر بمعنى وهما
مركبان من البعث والبحث مع راء مضموما اليهما والمعنى بعثت واخرج موتاها وقيل لبراءة
المبعثرة لانها بعثرت اسرار المنافقين يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم فان قلت ما
معنى قوله ما غرك بربك الكريم وكيف طابق الوصف بالكريم انكار الاغترار به وانما يغتر بالكريم
كما يروى عن علي عليه السلام انه صاح بغلام له كرات فلم يلبه فنظر فاذا هو بالباب فقال له ما لك لم
تجبني قال لثقتي بحلمك وأمني من عقوبتك فاستحسن جوابه واعتقه وقالوا من
كرم الرجل سوء ادب غلمانه قلت معناه ان حق الانسان الا يغتر بتكرم الله حيث خلقه حيا لينفعه
وبتفضله عليه بذلك حتى يطمع بعد ما مكنه وكلفه وكفر النعمة المتفضل بها ان يتفضل عليه بالثواب
وطرح العقاب اغترارا بالتفضل الاول فانه منكر خارج من حد الحكمة ولهذا قال رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم لما تلاها غره جهله وقال عمر رضي الله عنه غره حمقه وجهله وقال الحسن غره والله
شيطانه الخبيث اي زين له المعاصي وقال افعل ما شئت فربك الكريم الذي تفضل عليك بما تفضل به
اولا وهو متفضل عليك آخرا حتى ورطه وقيل للفضيل بن عياض ان اقامك الله يوم القيامة وقال لك
ما غرك بربك الكريم ماذا تقول قال اقول غرتني ستورك المرخاة وهذا على سبيل الاعتراف بالخطأ والاعتراف بالستر
وليس باعتذار كما يظنه الطماع ويظن به قصاص الحشوية ويروون عن ائمتهم انما قال بربك الكريم دون
سائر صفاته ليلقن عبده الجواب حتى يقول غرني كرم الكريم وقرأ سعيد بن جبير ما اغرك اما على التعجب واما على الاستفهام
من قولك غر الرجل فهو غار اذا غفل من قولك بيتهم العدو وهم غارون واغره غيره جعله غارا الذي خلقك
فسواك فجعلك سويا سالم الاعضاء فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك فصيرك معتدلا متناسب
الخلق من غير تفاوت فيه فلم يجعل احدى اليدين اطول ولا احدى العينين اوسع ولا بعض الاعضاء ابيض وبعضها
اسود ولا بعض الشعر فاحما وبعضه اشقر او جعلك معتدل الخلق تمشي قائما لا كالبهائم وقرئ فعدلك
بالتخفيف وفيه وجهان احدهما ان يكون بمعنى المشدد اي عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت
والثاني فعدلك فصرفك يقال عدله عن الطريق يعني فعدلك عن خلقة غيرك وخلقك خلقة حسنة
مفارقة لسائر الخلق او فعدلك الى بعض الاشكال والهيئات ما في ما شاء مزيدة اي ركبك في اي صورة
اقتضتها مشيئته وحكمته من الصور المختلفة في الحسن والقبح والطول والقصر والذكورة والانوثة والشبه
ببعض الاقارب وخلاف الشبه فان قلت هلا عطفت هذه الجملة كما عطفت ما قبلها قلت لانها بيان
لعدلك فان قلت بم يتعلق الجار قلت يجوز ان يتعلق بركبك على معنى وضعك في بعض الصور
ومكنك فيه وبمحذوف اي ركبك حاصلا في بعض الصور ومحله النصب على الحال ان علق بمحذوف
ويجوز ان يتعلق بعدلك ويكون في اي معنى التعجب اي فعدلك في صورة عجيبة ثم قال ما شاء ركبك اي
ركبك ما شاء من التراكيب يعني تركيبا حسنا كلا ارتدعوا عن الاغترار بكرم الله والتسلق به
وهو موجب الشكر والطاعة الى عكسها الذي هو الكفر والمعصية ثم قال بل تكذبون بالدين اصلا وهو
الجزاء او دين الاسلام فلا تصدقون ثوابا ولا عقابا وهو شر من الطمع المنكر وإن عليكم لحافظين
كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون تحقيق لما يكذبون به من الجزاء يعني انكم تكذبون بالجزاء
والكاتبون يكتبون عليكم اعمالكم لتجازوا بها وفي تعظيم الكتبة بالثناء عليهم تعظيم لامر الجزاء
وانه عند الله من جلائل الامور ولولا ذلك لما وكل بضبط ما يحاسب عليه ويجازى به الملائكة الكرام
الحفظة الكتبة وفيه انذار وتهويل وتشوير للعصاة ولطف للمؤمنين وعن الفضيل انه كان اذا قرأها
قال ما اشدها على الغافلين إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم يصلونها يوم الدين وما هم
عنها بغائبين كقوله وما هم بخارجين منها ويجوز ان يراد يصلون النار يوم الدين وما يغيبون عنها
قبل ذلك يعني في قبورهم وقيل اخبر الله في هذه السورة ان لابن آدم ثلاث حالات حال الحياة التي يحفظ فيها عمله
وحال الآخرة التي يجازى فيها وحال البرزخ وهو قوله وما هم عنها بغائبين وما أدراك ما يوم الدين
ثم ما أدراك ما يوم الدين يعني ان امر يوم الدين بحيث لا تدرك دراية دار كنهه في الهول والشدة
وكيف ما تصورته فهو فوق ذلك وعلى اضعافه والتكرير لزيادة التهويل ثم اجمل القول في وصفه فقال
يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله اي لا تستطيع دفعا عنها ولا نفعا بوجه ولا امر الا لله
وحده من رفع فعلى البدل من يوم الدين او على هو يوم لا تملك ومن نصب فبإضمار يدانون لان الدين يدل عليه

او باضمار اذكر ويجوز ان يفتح لاضافته الى غير متمكن وهو في محل الرفع عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرا
اذا السماء انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة

سورة المطففين مختلف فيها وهي ست وثلاثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون
التطفيف البخس في الكيل والوزن لان ما يبخس شي طفيف حقير وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
قدم المدينة وكانوا من اخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوا الكيل وقيل قدمها وبها رجل يعرف بابي جهينة
ومعه صاعان يكيل باحدهما ويكتال بالاخر وقيل كان اهل المدينة تجارا يطففون وكانت بياعاتهم المنابذة
والملامسة والمخاطرة فنزلت فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله فقراها عليهم وقال خمس بخمس قيل يا رسول
الله وما خمس بخمس قال ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا
فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات
واخذوا بالسنين وما منعوا الزكوة الا حبس عنهم القطر وعن علي رضي الله عنه مر برجل يزن الزعفران
وقد ارجح فقال اقم الوزن بالقسط ثم ارجح بعد ذلك ما شئت كانه امره بالتسوية اولا ليعتادها
ويفصل الواجب من النفل وعن ابن عباس انكم معشر الاعاجم وليتم امرين بهما هلك من كان
قبلكم المكيال والميزان وخص الاعاجم لانهم يجمعون الكيل والوزن جميعا وكانا مفرقين في الحرمين
كان اهل مكة يزنون واهل المدينة يكيلون وعن ابن عمر انه كان يمر بالبائع فيقول اتق الله واوف الكيل فان المطففين
يوقفون يوم القيمة لعظمة الرحمن حتى ان العرق ليلجمهم وعن عكرمة اشهد ان كل كيال ووزان في النار
فقيل له ان ابنك كيال او وزان فقال اشهد انه في النار وعن ابي رضي الله عنه لا تلتمس الحوائج ممن
رزقه في رؤس المكاييل والسن الموازين لما كان اكتيالهم من الناس اكتيالا يضرهم ويتحامل
فيه عليهم ابدل على مكان من للدلالة على ذلك ويجوز ان يتعلق على بيستوفون ويقدم المفعول على الفعل لافادة
الخصوصية اي يستوفون على الناس خاصة فاما انفسهم فيستوفون لها وقال الفراء من وعلى يعتقبان
في هذا الموضع لانه حق عليه فاذا قال اكتلت عليك فكانه قال اخذت ما عليك واذا قال اكتلت منك
فكقولك استوفيت منك والضمير في كالوهم او وزنوهم ضمير منصوب راجع الى الناس وفيه وجهان
ان يراد كالوا لهم او وزنوا لهم فحذف الجار واوصل الفعل كما قال

ولقد جنيتك اكموا وعساقلا ● ولقد نهيتك عن بنات الاوبر ●

والحريص يصيدك لا الجواد بمعنى جنيت لك ويصيد لك وان يكون على حذف المضاف واقامة المضاف
اليه مقامه والمضاف هو المكيل او الموزون ولا يصح ان يكون ضميرا مرفوعا للمطففين لان الكلام
يخرج به الى نظم فاسد وذلك ان المعنى اذا اخذوا من الناس استوفوا واذا اعطوهم اخسروا وان
جعلت الضمير للمطففين انقلب الى قولك اذا اخذوا من الناس استوفوا واذا تولوا الكيل او الوزن
هم على الخصوص اخسروا وهو كلام متنافر لان الحديث واقع في الفعل لا في المباشر والتعلق في ابطاله
بخط المصحف وان الالف التي تكتب بعد واو الجمع غير ثابتة فيه ركيك لان خط
المصحف لم يراع في كثير منه حد المصطلح عليه في علم الخط على اني رايت في الكتب المخطوطة
بايدي الائمة المتقنين هذه الالف مرفوضة لكونها غير ثابتة في اللفظ والمعنى جميعا لان الواو وحدها معطية
معنى الجمع وانما كتبت هذه الالف تفرقة بين واو الجمع وغيرها في نحو قولك هم لم يدعوا وهو يدعو فمن
لم يثبتها قال المعنى كاف في التفرقة بينهما وعن عيسى بن عمر وحمزة انهما كانا يرتكبان ذلك اي يجعلان
الضميرين للمطففين ويقفان عند الواوين وقيفة يبينان بها ما ارادا فان قلت هلا قيل او اتزنوا كما قيل
او وزنوهم قلت كان المطففين كانوا لا ياخذون ما يكال ويوزن الا بالمكاييل دون الموازين لتمكنهم
بالاكتيال من الاستيفاء والسرقة لانهم يدعدعون ويحتالون في الملء واذا اعطوا كالوا او وزنوا لتمكنهم
من البخس في النوعين جميعا يخسرون ينقصون يقال خسر الميزان واخسره الا يظن اولئك انهم
مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين ● الا يظن انكار وتعجيب عظيم من حالهم

في الاجتراء على التطفيف كانهم لا يخطرون ببالهم ولا يخمنون تخمينا انهم مبعوثون ومحاسبون على مقدار
الذرة والخردلة وعن قتادة اوف يا ابن ادم كما تحب ان يوفى لك واعدل كما تحب ان يعدل لك وعن الفضيل
بخس الميزان سواد الوجه يوم القيمة وعن عبد الملك بن مروان ان اعرابيا قال له قد سمعت ما قال الله
تعالى في المطففين اراد بذلك ان المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم الذي سمعت به فما ظنك
بنفسك وانت تاخذ اموال المسلمين بلا كيل ولا وزن وفي هذا الانكار والتعجيب وكلمة الظن ووصف
اليوم بالعظم وقيام الناس فيه لله خاضعين ووصفه ذاته برب العالمين بيان بليغ لعظم الذنب
وتفاقم الاثم في التطفيف وفيما كان في مثل حاله من الحيف وترك القيام بالقسط والعمل على التسوية والعدل
في كل اخذ واعطاء بل في كل قول وعمل والوجه ما ذكر ونصب يوم بمبعوثون وقرئ بالجر بدلا من يوم عظيم
وعن ابن عمر انه قرا هذه السورة فلما بلغ قوله يوم يقوم الناس لرب العالمين بكى نحيبا وامتنع من قراءة ما
بعده كلا ان كتاب الفجار لفي سجين وما ادريك ما سجين كتاب مرقوم ردعهم عما كانوا عليه
من التطفيف والغفلة عن ذكر البعث والحساب ونبههم على انه مما يجب ان يتاب عنه ويندم ثم اتبعه وعيد
الفجار على العموم وكتاب الفجار ما يكتب من اعمالهم فان قلت قد اخبر الله عن كتاب الفجار بانه في سجين
وفسر سجينا بكتاب مرقوم فكانه قيل ان كتابهم في كتاب مرقوم فما معناه قلت سجين كتاب جامع هو
ديوان الشر دون الله فيه اعمال الشياطين واعمال الكفرة والفسقة من الجن والانس وهو كتاب مرقوم
مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من راه انه لا خير فيه فالمعنى ان ما كتب من اعمال الفجار مثبت في ذلك الديوان
وسمي سجينا فعيلا من السجن وهو الحبس والتضييق لانه سبب الحبس والتضييق في جهنم او لانه مطروح كما
روي تحت الارض السابعة في مكان وحش مظلم وهو مسكن ابليس وذريته استهانة به واذالة وليشهده
الشياطين المدحورون كما يشهد ديوان الخير الملائكة المقربون فان قلت فما سجين اصفة هو ام اسم قلت
هو اسم علم منقول من وصف كحاتم وهو منصرف لانه ليس فيه الا سبب واحد وهو التعريف ويل
يومئذ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين وما يكذب به الا كل معتد اثيم اذا تتلى عليه
اياتنا قال اساطير الاولين ● الذين يكذبون مما وصف به للذم لا للبيان كقولك فعل ذلك فلان
الفاسق الخبيث كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ● كلا ردع للمعتدي الاثيم عن قوله ران
على قلوبهم ركبها كما يركب الصدا او غلب عليها وهو ان يصر على الكبائر ويسوف التوبة حتى يطبع على
قلبه فلا يقبل الخير ولا يميل اليه وعن الحسن الذنب بعد الذنب حتى يسود القلب يقال ران عليه الذنب
وغان عليه رينا وغينا والغين الغيم ويقال ران فيه النوم رسخ فيه ورانت به الخمر ذهبت به وقرئ
بادغام اللام في الراء وبالاظهار والادغام اجود وامليت الالف وفخمت كلا انهم عن ربهم يومئذ
لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم ● ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون ● كلا ردع عن الكسب
الراين على قلوبهم وكونهم محجوبين عنه تمثيل للاستخفاف بهم واهانتهم لانه لا يوذن على الملوك الا للوجهاء
المكرمين لديهم ولا يحجب عنهم الا الادنياء المهانون عندهم قال ●

اذا اعتروا باب ذي عبية رجبوا ● والناس من بين مرجوب ومحجوب ●

وعن ابن عباس وقتادة وابن ابي مليكة رضي الله عنهم محجوبين عن رحمته وعن ابن كيسان عن كرامته
كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وما ادريك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون ● كلا
ردع عن التكذيب وكتاب الابرار ما كتب من اعمالهم وعليون علم لديوان الخير الذي دون فيه كل
ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع فعيل من العلو كسجين سمي بذلك اما لانه سبب الارتفاع
الى اعالي الدرجات واما لانه مرفوع في السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريما له وتعظيما وروي
ان الملائكة لتصعد بعمل العبد فيستقبلونه فاذا انتهوا به الى ما شاء الله من سلطانه اوحى اليهم انكم
الحفظة على عبدي وانا الرقيب على ما في قلبه وانه اخلص عمله فاجعلوه في عليين فقد غفرت له وانها لتصعد
بعمل العبد فيزكونه فاذا انتهوا به الى ما شاء الله اوحى اليهم انتم الحفظة على عبدي وانا الرقيب على قلبه وانه لم
يخلص لي عمله فاجعلوه في سجين ان الابرار لفي نعيم على الارائك ينظرون ● الارائك الاسرة في الحجال
ينظرون الى ما شاؤا مد اعينهم اليه من مناظر الجنة والى ما اولاهم الله تعالى من النعمة والكرامة والى
اعدائهم يعذبون في النار وما تحجب الحجال ابصارهم عن الادراك تعرف في وجوههم نضرة النعيم بهجة
التنعم ورونقه كما ترى في وجوه الاغنياء واهل الترفه وقرئ تعرف على البناء للمفعول ونضرة النعيم

بالرفع **يُسقَوْنَ مِن رَحِيقٍ** الرحيق الشراب الخالص الذي لا غش فيه **مَخْتُومٍ خِتَامُهُ مِسْكٌ** تختم أوانيه من
الأكواب والأباريق بمسك مكان الطينة وقيل ختامه مسك مقطعه رائحة مسك إذا شرب وقيل يمزج
بالكافور ويختم مزاجه بالمسك وقرئ خاتمه بفتح التاء وكسرها أي ما يختم به ويقطع **وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ
الْمُتَنَافِسُونَ** فليرتقب المرتقبون **وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ** تسنيم علم لعين بعينها سميت
بالتسنيم الذي هو مصدر سنمه إذا رفعه إما لأنها أرفع شراب في الجنة وإما لأنها تأتيهم من فوق على ما
روي أنها تجري في الهواء متسنمة فتنصب في أوانيهم وعينًا نصب على المدح وقال الزجاج نصب على الحال
وقيل هي للمقربين يشربونها صرفًا وتمزج لسائر أهل الجنة **إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ
وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ** هم مشركو مكة أبو جهل والوليد بن
المغيرة والعاص بن وائل وأشياعهم كانوا يضحكون من عمار وصهيب وخباب وبلال وغيرهم من فقراء المؤمنين
ويستهزئون بهم وقيل جاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه في نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا
ثم رجعوا إلى أصحابهم فقالوا رأينا اليوم الأصلع فضحكوا منه فنزلت قبل أن يصل علي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتغامزون يغمز بعضهم بعضًا ويشيرون بأعينهم فكهين ملتذين بذكرهم والسخرية منهم **وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا
إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ** أي ينسبون المسلمين إلى الضلال **وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ** على المسلمين **حَافِظِينَ** موكلين بهم
يحفظون عليهم أحوالهم ويهيمنون على أعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم وهذا تهكم بهم أو من جملة
قول الكفار وأنهم إذا رأوا المسلمين قالوا إن هؤلاء لضالون وإنهم لم يرسلوا عليهم حافظين إنكارًا لصدهم
إياهم عن الشرك ودعائهم إلى الإسلام وجدهم في ذلك **فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ عَلَى
الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ** على الأرائك ينظرون حال من يضحكون أي يضحكون منهم ناظرين إليهم وإلى ما هم
فيه من الهوان والصغار بعد العزة والكبر ومن ألوان العذاب بعد النعيم والترفه وهم على الأرائك
آمنون وقيل يفتح للكفار باب إلى الجنة فيقال اخرجوا إليها فإذا وصلوا إليها أغلق دونهم يفعل بهم ذلك
مرارًا فيضحك المؤمنون منهم **هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ** ثوبه وأثابه بمعنى إذا جازاه
قال أوس ● سأجزيك أو يجزيك عني مثوب ● وحسبك أن يثنى عليك وتحمدي ●
وقرئ بإدغام اللام في الثاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المطففين سقاه الله من الرحيق
المختوم يوم القيامة

سورة انشقت مكية وهي خمس وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ●

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ حذف جواب إذا ليذهب المقدر كل مذهب أو اكتفاء بما علم في سورتي التكوير والانفطار
وقيل جوابها ما دل عليه فملاقيه أي إذا السماء انشقت لاقى الإنسان كدحه ومعناه إذا انشقت بالغمام كقوله
تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وعن علي رضي الله عنه تنشق من المجرة **وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا** أذنت له استمعت له ومنه
قوله عليه الصلاة والسلام ما أذن الله لشيء كأذنه لنبي يتغنى بالقرآن وقول جحاف بن حكيم
● أذن لكم لما سمعت هريركم ● والمعنى أنها فعلت في انقيادها لله حين أراد انشقاقها فعل المطواع الذي
إذا ورد عليه الأمر من جهة المطاع أنصت له وأذعن ولم يأب ولم يمتنع كقوله أتينا طائعين **وَحُقَّتْ** من
قولك هو محقوق بكذا وحقيق به يعني وهي حقيقة بأن تنقاد ولا تمتنع ومعناه الإيذان بأن القادر بالذات يجب
أن يتأتى له كل مقدور ويحق به ذلك **وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ** من مد الشيء فامتد وهو أن تزال جبالها وآكامها
وكل أمت فيها حتى تمتد وتنبسط ويستوي ظهرها كما قال قاعًا صفصفًا لا ترى فيها عوجًا ولا أمتًا وعن
ابن عباس مدت مد الأديم العكاظي لأن الأديم إذا مد زال كل انثناء فيه وامتد واستوى أو من مده
بمعنى أمده أي زيدت سعة وبسطة **وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا** ورمت بما في جوفها مما دفن فيها من الموتى والكنوز
وَتَخَلَّتْ وخلت غاية الخلو حتى لم يبق شيء في باطنها كأنها تكلفت أقصى جهدها في الخلو كما يقال تكرم الكريم
وترحم الرحيم إذا بلغا جهدهما في الكرم والرحمة وتكلفا فوق ما في طبعهما **وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا** في إلقاء ما في
بطنها وتخليها **وَحُقَّتْ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا** الكدح جهد النفس في العمل والكد
فيه من كدح جلده إذا خدشه ومعناه كادح إلى ربك جاهد إلى لقاء ربك وهو الموت وما بعده من

الحال الممثلة باللقاء **فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا** سهلًا هينًا لا يناقش
فيه ولا يعترض بما يسوؤه ويشق عليه كما يناقش أصحاب الشمال وعن عائشة رضي الله عنها هو أن يعرف ذنوبه
ثم يتجاوز عنه وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من حوسب عذب فقيل يا رسول الله فسوف يحاسب حسابًا
يسيرًا قال ذلكم العرض من نوقش في الحساب عذب **وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ** عشيرته إن كانوا مؤمنين
أو إلى فريق المؤمنين أو إلى أهله في الجنة من الحور العين **مَسْرُورًا وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ**
قيل تغل يمناه إلى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره وقيل تخلع يده اليسرى
من وراء ظهره **فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا** يقول يا ثبوراه والثبور الهلاك **وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا** وقرئ ويصلى
سعيرًا كقوله ونصليه جهنم ويصلى بضم الياء والتخفيف كقوله ونصله جهنم **إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا**
فيما بين ظهرانيهم أو معهم على أنهم كانوا جميعًا مسرورين يعني أنه كان في الدنيا مترفًا بطرًا مستبشرًا كعادة
الفجار الذين لا يهمهم أمر الآخرة ولا يفكرون في العواقب ولم يكن كئيبًا حزينًا متفكرًا كعادة
الصلحاء والمتقين وحكاية الله تعالى عنهم إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين **إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ** لن يرجع
إلى الله تعالى تكذيبًا بالمعاد يقال لا يحور ولا يحول أي لا يرجع ولا يتغير قال لبيد ● يحور رمادًا بعد إذ هو ساطع ●
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما كنت أدري ما معنى يحور حتى سمعت أعرابية تقول لبنية لها حوري أي ارجعي
بَلَىٰ إيجاب لما بعد النفي في لن يحور أي بلى ليحورن **إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا** ● وبأعماله لا ينساها ولا تخفى عليه فلا بد
أن يرجعه ويجازيه عليها وقيل نزلت الآيتان في أبي سلمة بن عبد الأشهد وأخيه الأسود بن عبد الأشهد
فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ الشفق الحمرة التي ترى في المغرب بعد سقوط الشمس وبسقوطه يخرج وقت
المغرب ويدخل وقت العتمة عند عامة العلماء إلا ما روي عن أبي حنيفة رضي الله عنه في إحدى
الروايتين أنه البياض وروى أسد بن عمرو أنه رجع عنه سمي به لرقته ومنه الشفقة على الإنسان رقة
القلب عليه **وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ** وما جمع وضم يقال وسقه فاتسق واستوسق قال ● مستوسقات لو يجدن سائقًا ●
ونظيره في وقوع افتعل واستفعل مطاوعين اتسع واستوسع
ومعناه وما جمعه وستره وآوى إليه من الدواب وغيرها **وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ** إذا اجتمع واستوى ليلة أربع عشرة
لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ● وقرئ لتركبن على خطاب الإنسان في يا أيها الإنسان إنك كادح
ولتركبن بالضم على خطاب الجنس لأن النداء للجنس ولتركبن بالكسر على خطاب النفس وليركبن بالياء
على ليركبن الإنسان والطبق ما طابق غيره يقال ما هذا بطبق لذا أي لا يطابقه ومنه قيل للغطاء الطبق
وأطباق الثرى ما تطابق منه ثم قيل للحال المطابقة لغيرها طبق ومنه قوله عز وعلا طبقًا عن طبق أي حالًا
بعد حال كل واحدة مطابقة لأختها في الشدة والهول ويجوز أن يكون جمع طبقة وهي المرتبة من قولهم
هو على طبقات ومنه طبق الظهر لفقاره الواحدة طبقة على معنى لتركبن أحوالًا بعد أحوال هي طبقات
في الشدة بعضها أرفع من بعض وهي الموت وما بعده من مواطن القيامة وأهوالها أو هي وما قبله من الدواهي على أنه جمع طبقة وعن
طبق صفة لطبقًا أي طبقًا مجاوزًا لطبق وحال من الضمير في لتركبن طبقًا مجاوزًا
لطبق أو مجاوزين له على حسب القراءة وعن مكحول كل عشرين عامًا تجدون أمرًا لم تكونوا عليه **وَإِذَا
قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ** ● لا يستكينون ولا يخضعون وقيل قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذات يوم واسجد واقترب فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤوسهم وتصفر فنزلت وبه
احتج أبو حنيفة على وجوب السجدة وعن ابن عباس ليس في المفصل سجدة وعن أبي هريرة رضي الله عنه
أنه سجد فيها وقال والله ما سجدت فيها إلا بعد أن رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها وعن
أنس رضي الله عنه صليت خلف أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فسجدوا وعن الحسن هي غير واجبة **بَلِ الَّذِينَ
كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ** ● الذين كفروا إشارة إلى المذكورين **وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ** ● بما يجمعون في صدورهم
ويضمرون من الكفر والحسد والبغي والبغضاء أو بما يجمعون في صحفهم من أعمال السوء ويدخرون لأنفسهم
من أنواع العذاب **فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ** ● إلا
الذين آمنوا استثناء منقطع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة انشقت أعاذه الله أن يعطيه كتابه
وراء ظهره

سورة البروج مكية وهي ثنتان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود
إذ هم عليها قعود هي البروج الاثنا عشر شبهت بالقصور لأنها تنزلها السيارات وتكون فيها الثوابت او منازل
القمر وقيل عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها وقيل ابواب السماء الموعود يوم القيمة وشاهد
ومشهود ومن يشهد في ذلك اليوم ومشهود فيه والمراد بالشاهد من يشهد فيه من الخلائق كلهم وبالمشهود
ما في ذلك اليوم من عجائبه وطريق تنكيرهما اما ما ذكر في قوله تعالى علمت نفس ما احضرت كانه قيل وما
افرطت كثرته من شاهد ومشهود واما الابهام في الوصف كانه قيل وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما
وقد اضطرب اقاويل المفسرين فيهما فقيل الشاهد والمشهود محمد ويوم القيمة وقيل عيسى وامته لقوله
تعالى وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وقيل امة محمد وسائر الامم وقيل يوم التروية ويوم عرفة وقيل عرفة
ويوم الجمعة وقيل الحجر الاسود والحجيج وقيل الايام والليالي وبنوا ادم وعن الحسن ما من يوم الا وينادي اني
يوم جديد واني على ما تعمل في شهيد فاغتنمني فلو غابت شمسي لم تدركني الى يوم القيمة وقيل الحفظة
وبنوا ادم وقيل الانبياء ومحمد عليهم الصلوة والسلام قتل اصحاب الاخدود قيل انه جواب القسم على حذف اللام
للطول والاظهر انه دليل جواب محذوف كانه قيل اقسم بهذه الاشياء انهم ملعونون يعني كفار قريش كما لعن اصحاب الاخدود
وذلك ان السورة وردت في تثبيت المؤمنين وتصبيرهم على اذى اهل مكة وتذكيرهم بما جرى على من
تقدمهم من التعذيب على الايمان وتصبيرهم على الاذى والحاق انواع الاذى وصبرهم وثباتهم حتى يأتسوا
بهم ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم ويعلموا ان كفارهم عند الله بمنزلة اولئك المعذبين المحرقين
بالنار ملعونون احقاء بان يقال فيهم قتلت قريش كما قتل اصحاب الاخدود وقيل دعاء عليهم كقوله قتل
الانسان ما اكفره وقرئ قتل بالتشديد والاخدود الخد وهو الشق في الارض ونحوهما بناء ومعنى الخق والاخقوق
ومنه ساخت قوائمه في اخاقيق جرذان روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان لبعض الملوك ساحر
فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان في طريق الغلام راهب فسمع منه فرأى في طريقه ذات يوم
دابة قد حبست الناس فاخذ حجرا فقال اللهم ان كان هذا الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها
فكان الغلام بعد ذلك يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الادواء وعمي جليس للملك فابرأه فابصر الملك
فسأله من رد عليك بصرك فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع
الراهب عن دينه فقد بالمنشار واتي الغلام فذهب به الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم
فطاحوا ونجا فذهب به الى قرقور فلججوا به ليغرقوه فدعا فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجا فقال
للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد وتصلبني وتأخذ سهما من كنانتي وتقول بسم الله رب الغلام
ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فوضع يده عليه ومات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل للملك نزل بك
ما كنت تحذر فامر باخاديد في افواه السكك واوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة
معها صبي فتقاعست ان تقع فيها فقال الصبي يا اماه اصبري فانك على الحق فاقتحمت وقيل قال لها قعي ولا
تنافقي وقيل ما هي الا غميضة فصبرت وعن علي رضي الله عنه انه حين اختلفوا في احكام المجوس قال هم اهل كتاب
وكانوا متمسكين بكتابهم وكانت الخمر قد احلت لهم فتناولها بعض ملوكهم فسكر فوقع على اخته فلما اصحى ندم
وطلب المخرج فقالت له ان تخطب الناس فتقول يا ايها الناس ان الله قد احل نكاح الاخوات ثم تخطبهم بعد ذلك
ان الله حرمه فخطب فلم يقبلوا منه فقالت له ابسط فيهم السوط فلم يقبلوا فقالت ابسط فيهم السيف فلم يقبلوا
فامرته بالاخاديد وايقاد النيران فيها وطرح من ابى فيها فهم الذين ارادهم الله بقوله قتل اصحاب الاخدود
وقيل وقع الى نجران رجل ممن كان على دين عيسى عليه الصلوة والسلام فدعاهم فاجابوه فسار اليهم ذو نواس اليهودي بجنود
من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فابوا فاحرق منهم اثني عشر الفا في الاخاديد وقيل سبعين الفا وذكر
ان طول الاخدود اربعون ذراعا وعرضه اثنا عشر ذراعا وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا ذكر الاخدود
تعوذ من جهد البلاء النار بدل من الاخدود بدل اشتمال ذات الوقود صفة لها بانها نار عظيمة لها ما يرتفع به
لهبها من الحطب الكثير وابدان الناس وقرئ الوقود بالضم اذ ظرف لقتل اي لعنوا حين احدقوا بالنار قاعدين حولها ومعنى
عليها على ما يدنو منها من حافات الاخدود كقوله وبات على النار الندى والمحلق وكما تقول مررت
عليه تريد مستعليا بمكان يدنو منه وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود ومعنى شهادتهم على
احراق المؤمنين انهم وكلوا بذلك وجعلوا شهودا يشهد بعضهم لبعض عند الملك ان احدا منهم لم يفرط
فيما امر به وفوض اليه من التعذيب ويجوز ان يراد انهم شهود على ما يفعلون بالمؤمنين يؤدون شهادتهم

يوم القيمة يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز
الحميد الذي له ملك السموات والارض وما انكروا منهم وما عابوا الا الايمان كقوله
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب وقوله ما نقموا من بني امية الا انهم يحلمون ان غضبوا وقرئ
نقموا بالكسر والفصيح هو الفتح وذكر الاوصاف التي يستحق بها ان يؤمن به ويعبد وهو كونه
عزيزا غالبا قادرا يخشى عقابه حميدا منعما يجب له الحمد على نعمته ويرجى ثوابه له ملك السموات والارض فكل من فيهما تحق
عليه عبادته والخشوع له تقريرا لان ما نقموا منهم هو الحق الذي لا ينقمه الا المبطل المنهمك في الغي وان الناقمين
اهل لانتقام الله منهم بعذاب لا يعدله عذاب والله على كل شيء شهيد وعيد لهم يعني انه علم ما فعلوا وهو مجازيهم
عليه ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق ان الذين
آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير يحتمل ان يريد بالذين
فتنوا اصحاب الاخدود خاصة وبالذين آمنوا المطروحين في الاخدود ومعنى فتنوهم عذبوهم بالنار واحرقوهم
فلهم في الآخرة عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق وهي نار اخرى عظيمة تتسع كما يتسع الحريق باحراقهم
المؤمنين او لهم عذاب جهنم في الآخرة ولهم عذاب الحريق في الدنيا لما روي ان النار انقلبت عليهم فاحرقتهم
ويحتمل ان يريد الذين فتنوا المؤمنين اي بلوهم بالاذى على العموم والمؤمنين المفتونين وان للفاتنين عذابين في
الآخرة لكفرهم ولفتنتهم ان بطش ربك لشديد البطش الاخذ بالعنف فاذا وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم
وهو بطشه بالجبابرة والظلمة واخذهم بالعذاب والانتقام انه هو يبدئ ويعيد اي يبدئ البطش ويعيده
يعني يبطش بهم في الدنيا وفي الآخرة او دل باقتداره على الابداء والاعادة على شدة بطشه او اوعد الكفرة بانه يعيدهم
كما بدأهم ليبطش بهم اذ لم يشكروا نعمة الابداء وكذبوا بالاعادة وقرئ يبدأ وهو الغفور الودود ذو
العرش المجيد الودود الفاعل باهل طاعته ما يفعله الودود من اعطائهم ما ارادوا وقرئ ذي العرش صفة
لربك وقرئ المجيد صفة للعرش ومجد الله عظمته ومجد العرش علوه وعظمه فعال لما يريد خبر مبتدا محذوف
وانما قيل فعال لانه ما يريد ويفعل في غاية الكثرة هل اتاك حديث الجنود فرعون وثمود
بدل من الجنود واراد بفرعون اياه وآله كما في قوله من فرعون وملائهم والمعنى قد عرفت تكذيب تلك الجنود للرسل
وما نزل بهم لتكذيبهم بل الذين كفروا من قومك في تكذيب اي تكذيب واستيجاب للعذاب والله من ورائهم
محيط والله عالم باحوالهم وقادر عليهم وهم لا يعجزونه والاحاطة بهم من ورائهم مثل لانهم لا يفوتونه كما لا
يفوت فائت الشيء المحيط به ومعنى الاضراب ان امرهم اعجب من امر اولئك لانهم سمعوا بقصتهم وبما
جرى عليهم ورأوا آثار هلاكهم ولم يعتبروا وكذبوا اشد من تكذيبهم بل هو قرآن مجيد شريف عالي
الطبقة في الكتب في نظمه واعجازه وقرئ قرآن مجيد بالاضافة اي قرآن رب مجيد في لوح وقرئ يحيى بن يعمر في
لوح واللوح الهواء يعني اللوح فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح محفوظ من وصول الشياطين اليه
وقرئ محفوظ بالرفع صفة للقرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة البروج اعطاه الله بعدد
كل يوم جمعة وكل يوم عرفة يكون في الدنيا عشر حسنات

سورة الطارق مكية وهي سبع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم والسماء والطارق
وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب المضيء كانه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه كما قيل درئ لانه
يدرأه اي يدفعه ووصف بالطارق لانه يبدو بالليل كما يقال للآتي ليلا طارق او لانه يطرق الجني اي
يصكه والمراد جنس النجوم او جنس الشهب التي يرجم بها قال فلما ما نبه قوله وما ادراك ما الطارق النجم
الثاقب الا ترجمة كلمة باخرى فبين لي فاني تحيرت فيه قلت اراد الله عز من قائل ان يقسم بالنجم الثاقب تعظيما له
لما عرف فيه من عجيب القدرة ولطيف الحكمة وان ينبه على ذلك فجاء بما هو صفة مشتركة بينه وبين
غيره وهو الطارق ثم قال وما ادراك ما الطارق ثم فسره بقوله النجم الثاقب كل هذا اظهار لفخامة شأنه كما قال
فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم وروي ان ابا طالب كان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانحط نجم فامتلأ ما ثم نورا ففزع ابو طالب وقال اي شيء هذا فقال عليه الصلوة والسلام هذا نجم رمي به وهو آية
من آيات الله فعجب ابو طالب ونزلت قال قلت اين جواب القسم قلت ان كل نفس لما عليها حافظ
لان ان لا تخلو فيمن قرأ لما مشددة بمعنى الا ان تكون نافية وفيمن قرأها مخففة على ان ما صلة ان تكون مخففة من
الثقيلة وايتهما كانت فهي مما يتلقى به القسم حافظ مهيمن عليها رقيب وهو الله عز وجل وكان الله على كل شيء رقيبا

وكان الله على كل شيء مقيتا وقيل ملك يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير وشر وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد الى نفسه
طرفة عين لاختطفته الشياطين فان قلت ما وجه اتصال قوله فلينظر الانسان مم خلق بما قبله
قلت وجه اتصاله انه لما ذكر ان على كل نفس حافظا اتبعه توصية الانسان بالنظر في اول امره ونشأته
الاولى حتى يعلم ان من انشاه قادر على اعادته وجزائه فيعمل ليوم الاعادة والجزاء ولا يملي على حافظه الا ما
يسره في عاقبته ومم خلق استفهام جوابه خلق من ماء دافق والدفق صب فيه دفع ومعنى دافق النسبة
الى الدفق الذي هو مصدر دفق كاللابن والتامر او الاسناد المجازي والدفق في الحقيقة لصاحبه ولم يقل
ماءين لامتزاجهما في الرحم واتحادهما حين ابتدئ في خلقه يخرج من بين الصلب والترائب من صلب
الرجل وترائب المرأة وهي عظام الصدر حيث تكون القلادة وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين
وفيه اربع لغات صلب وصلب وصلب وصالب قال العجاج في صلب مثل العنان المؤدم وقيل
العظم والعصب من الرجل واللحم والدم من المرأة انه الضمير للخالق لدلالة خلق عليه ومعناه ان ذلك الذي
خلق الانسان ابتداء من نطفة على رجعه على اعادته خصوصا لقادر لبين القدرة لا يلتاث عليه ولا يعجز عنه
كقوله انني لفقير يوم تبلى منصوب برجعه ومن جعل الضمير في رجعه للماء وفسره برجعه الى الصلب
والترائب او الاحليل او الى الحالة الاولى نصب الظرف بمضمر السرائر ما اسر في القلوب من العقائد
والنيات وغيرها وما اخفي من الاعمال وبلاؤها تعرفها وتصفحها والتمييز بين ما طاب منها وما خبث وعن
الحسن انه سمع رجلا ينشد ● سيبقى لها في مضمر القلب والحشا ● سريرة ود يوم تبلى السرائر ●
فقال ما اغفله عما في والسماء والطارق فما له فما للانسان من قوة ولا ناصر ولا مانع يمنعه والسماء ذات
الرجع والارض ذات الصدع سمي المطر رجعا كما سمي اوبا قال ●
● ربا شماء لا ياوي لقلتها ● الا السحاب والا الاوب والسبل ● تسميه بمصدري
رجع وآب وذلك ان العرب كانوا يزعمون ان السحاب يحمل الماء من بحار الارض ثم يرجعه الى الارض
او ارادوا التفاؤل فسموه رجعا واوبا ليرجع ويؤوب وقيل لان الله يرجعه وقتا فوقتا قالت الخنساء
كالرجع في المدجنة السارية ● والصدع ما يتصدع عنه الارض من النبات انه لقول فصل فاصل بين
الحق والباطل كما قيل له فرقان وما هو بالهزل يعني انه جد كله لا هوادة فيه ومن حقه وقد وصفه الله تعالى
بذلك ان يكون مهيبا في الصدور معظما في القلوب يترفع به قارئه وسامعه ان يلم بهزل او يتفكه
بمزاح وان يلقي ذهنه الى ان جبار السموات والارض يخاطبه فيامره وينهاه ويعده ويوعده حتى ان لم
يستفزه الخوف ولم تتبالغ فيه الخشية فادنى امره ان يكون جادا غير هازل فقد نعى الله تعالى على المشركين
ذلك في قوله وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون والغوا فيه انهم يكيدون كيدا واكيد
كيدا يعني اهل مكة يعملون المكايد في ابطال امر الله واطفاء نور الحق وانا اقابلهم بكيدي من
استدراجي لهم وانتظاري بهم الميقات الذي وقته للانتصار منهم فمهل الكافرين يعني لا تدع
بهلاكهم ولا تستعجل به امهلهم رويدا ● اي امهالا يسيرا وكرر وخالف بين اللفظين لزيادة التسكين
منه والتصبير عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الطارق اعطاه الله بعدد كل نجم في السماء
عشر حسنات

سورة سبح مكية وهي تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم ●

سبح اسم ربك الاعلى تسبيح اسمه عز وعلا تنزيهه عما لا يصح فيه من المعاني التي هي الحاد في اسمائه كالجبر
والتشبيه ونحو ذلك مثل ان يفسر الاعلى بمعنى العلو الذي هو القهر والاقتدار لا بمعنى العلو في المكان
والاستواء على العرش حقيقة وان يصان عن الابتذال والذكر لا على وجه الخشوع والتعظيم ويجوز ان
يكون الاعلى صفة للرب والاسم وقرأ علي رضي الله عنه سبحان ربي الاعلى وفي الحديث لما نزلت فسبح باسم
ربك العظيم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اجعلوها في ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال
اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت الذي خلق فسوى
اي خلق كل شيء فسوى خلقه تسوية ولم يأت به متفاوتا غير ملتئم ولكن على احكام واتساق ودلالة

على انه صادر عن عالم وانه صنعة حكيم والذي قدر فهدى قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه اليه وعرفه
وجه الانتفاع به ويحكى ان الافعى اذا اتت عليها الف سنة عميت وقد الهمها الله ان مسح العين بورق
الرازيانج الغض يرد اليها بصرها فربما كانت في برية بينها وبين الريف مسيرة ايام فتطوي تلك المسافة
على طولها وعلى عماها حتى تهجم في بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطئها فتحك بها عينها وترجع
باصرة باذن الله تعالى وهدايات الله تعالى للانسان الى ما لا يحصر من مصالحه وما لا يحصر من حوائجه في اغذيته
وادويته وفي ابواب دنياه ودينه والهامات البهائم والطيور وهوام الارض باب واسع وشوط بطين لا
يحيط به وصف واصف فسبحان ربي الاعلى وقرئ قدر بالتخفيف والذي اخرج المرعى فجعله غثاء
احوى احوى صفة لغثاء اي اخرج المرعى انبته فجعله بعد خضرته ورفيفه غثاء احوى درينا اسود
ويجوز ان يكون احوى حالا من المرعى اي اخرجه احوى اسود من شدة الخضرة والري فجعله غثاء بعد
حويه سنقرئك فلا تنسى بشره باعطاء آية بينة وهي ان يقرأ عليه جبريل ما يقرأ عليه من الوحي وهو
امي لا يكتب ولا يقرأ فيحفظه ولا ينساه الا ما شاء الله فذهب به عن حفظه برفع حكمه وتلاوته كقوله او ننسها
وقيل كان يعجل بالقراءة اذا لقنه جبريل فقيل له لا تعجل فان جبريل مامور بان يقرأه عليك قراءة مكررة الى ان تحفظه
ثم لا تنساه الا ما شاء الله ثم تذكره بعد النسيان او قال الا ما شاء الله يعني القلة والندرة كما روي انه اسقط
آية في قراءته في الصلاة فحسب ابي انها نسخت فسأله فقال نسيتها او قال الا ما شاء الله والغرض نفي
النسيان راسا كما يقول الرجل لصاحبه انت سهيمي فيما املك الا فيما شاء الله ولا يقصد استثناء شيء
وهو من استعمال القلة في معنى النفي وقيل قوله فلا تنسى على النهي والالف مزيدة للفاصلة كقوله السبيلا
يعني فلا تغفل قراءته وتكريره فتنساه الا ما شاء الله ان ينسيكه برفع تلاوته للمصلحة انه يعلم الجهر
وما يخفى يعني انك تجهر بالقراءة مع قراءة جبريل مخافة التفلت والله يعلم جهرك معه وما في نفسك
مما يدعوك الى الجهر فلا تفعل فانا اكفيك ما تخافه او يعلم ما اسررتم وما اعلنتم من اقوالكم وافعالكم
وما ظهر وما بطن من احوالكم وما هو مصلحة لكم في دينكم ومفسدة فيه فينسي من الوحي ما
يشاء ويترك محفوظا ما يشاء ونيسرك لليسرى معطوف على سنقرئك وقوله انه يعلم الجهر وما
يخفى اعتراض ومعناه ونوفقك للطريقة التي هي ايسر واسهل يعني حفظ الوحي وقيل لليسرى للشريعة
السمحة التي هي ايسر الشرائع واسهلها ماخذا وقيل نوفقك لعمل الجنة فذكر ان نفعت الذكرى
فان قلت كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مامورا بالذكرى نفعت او لم تنفع فما معنى اشتراط النفع
قلت فيه وجهان احدهما ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد استفرغ مجهوده في تذكيرهم وما كانوا
يزيدون على زيادة الذكرى الا عتوا وطغيانا وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتلظى حسرة وتلهفا
ويزداد جدا في تذكيرهم وحرصا عليه فقيل له وما انت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد واعرض
عنهم وقل سلام فذكر ان نفعت الذكرى وذلك بعد الزام الحجة بتكرير التذكير والثاني ان يكون ظاهره
شرطا ومعناه ذما للمذكرين واخبارا عن حالهم واستبعادا لتاثير الذكرى فيهم وتسجيلا عليهم بالطبع
على قلوبهم كما تقول للواعظ عظ المكاسين ان سمعوا منك قاصدا بهذا الشرط استبعاد ذلك وانه لن يكون
سيذكر من يخشى سيقبل التذكرة وينتفع بها من يخشى الله وسوء العاقبة فينظر ويتفكر حتى يقوده النظر
الى اتباع الحق فاما هؤلاء فغير خاشين ولا ناظرين فلا تامل ان يقبلوا منك ويتجنبها ويتجنب الذكرى
ويتحاماها الاشقى الكافر لانه اشقى من الفاسق او الذي هو اشقى الكفرة لتوغله في عداوة رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم قيل نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة الذي يصلى النار الكبرى السفلى من
اطباق النار وقيل الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا ثم لا يموت فيها ولا يحيى وقيل لان الترجح بين
الحياة والموت افظع من الصلي فهو متراخ عنه في مراتب الشدة والمعنى لا يموت فيستريح ولا يحيى حياة
تنفعه قد افلح من تزكى تطهر من الشرك والمعاصي او تطهر للصلاة او تكثر من التقوى من الزكاء وهو
النماء او تفعل من الزكاة كتصدق من الصدقة وذكر اسم ربه فصلى الصلوات الخمس نحو قوله تعالى واقام
الصلاة وآتى الزكاة وعن ابن مسعود رضي الله عنه رحم الله امرأ تصدق وصلى وعن علي رضي الله عنه
انه التصدق بصدقة الفطر وقال لا ابالي ان لا اجد في كتابي غيرها لقوله تعالى قد افلح من تزكى اعطى زكاة الفطر
فتوجه الى المصلى فصلى صلاة العيد وذكر اسم ربه فكبر تكبيرة الافتتاح وبه يحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح
وعلى انها ليست من الصلاة لان الصلاة معطوفة عليها وعلى ان الافتتاح جائز بكل اسم من اسمائه عز وجل وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ذكر معاده وموقفه بين يدي ربه فصلى له وعن الضحاك وذكر اسم ربه في طريق المصلى

وصلاح العبد بل تؤثرون الحيوة الدنيا فلا تفعلون ما تفلحون به وقرى يؤثرون على الغيبة ويعضد الاولى قراءة ابن مسعود بل انتم تؤثرون والآخرة خير وأبقى افضل في نفسها وانعم وادوم وعن عمر رضي الله عنه ما الدنيا في الآخرة الا كنفجة ارنب إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبرهيم وموسى هذا اشارة الى قوله قد افلح الى ابقى يعني ان معنى هذا الكلام وارد في تلك الصحف وقيل الى ما في السورة كلها وروي عن ابي ذر رضي الله عنه انه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كم انزل الله من كتاب فقال مائة واربعة كتب منها على آدم عشر صحف وعلى شيث خمسون صحيفة وعلى اخنوخ وهو ادريس ثلاثون صحيفة وعلى ابرهيم عشر صحائف والتورية والانجيل والزبور والفرقان وقيل ان في صحف ابرهيم ينبغي للعاقل ان يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شأنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الاعلى اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف انزله الله على ابرهيم وموسى ومحمد وكان اذا قرأها قال سبحان ربي الاعلى وكان علي وابن عباس رضي الله عنهما يقولان ذلك وكان يحبها وقال اول من قال سبحان ربي الاعلى ميكائيل

سورة الغاشية مكية وهي ست وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

هل أتاك حديث الغاشية الغاشية الداهية التي تغشى الناس بشدائدها وتلبسهم اهوالها يعني القيمة من قوله يوم يغشاهم العذاب وقيل النار من قوله تعالى وتغشى وجوههم النار وجوه يومئذ يومئذ اذ غشيت خاشعة ذليلة عاملة ناصبة تعمل في النار عملا تتعب فيه وهو جرها السلاسل والاغلال وخوضها في النار كما تخوض الابل في الوحل وارتقاؤها دائبة في صعود من نار وهبوطها في حدور منها وقيل عملت في الدنيا اعمال السوء والتذت وتنعمت فهي في نصب منها في الآخرة وقيل عملت ونصبت في اعمال لا تجدي عليها في الآخرة من قوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا اولئك الذين حبطت اعمالهم وقيل هم اصحاب الصوامع ومعناه انها خشعت لله وعملت ونصبت في اعمالها من الصوم الدائب والتهجد الواصب وقرى عاملة ناصبة على الشتم وقرى تصلى نارا حامية تصلى النار وتصلى بالتشديد وقيل المصلى عند العرب ان يحفروا اخدودا فيجمعوا فيه جمرا كثيرا ثم يعمدوا الى شاة فيدسوها وسطه فاما ما يشوى فوق الجمر او على المقلى او في التنور فلا يسمى مصليا تسقى من عين آنية متناهية في الحر كقوله وبين حميم آن ليس لهم طعام الا من ضريع ولا يغني من جوع الضريع يبيس الشبرق وهو جنس من الشوك ترعاه الابل ما دام رطبا فاذا يبس تحامته وهو سم قاتل قال ابو ذؤيب

رعى الشبرق الريان حتى اذا ذوى ۝ وعاد ضريعا بان عنه النحائص
وحبسن في هزم الضريع فكلها ۝ حدباء دامية اليدين حرود

فان قلت كيف قيل ليس لهم طعام الا من ضريع وفي الحاقة ولا طعام الا من غسلين قلت العذاب الوان والمعذبون طبقات فمنهم اكلة الزقوم ومنهم اكلة الغسلين ومنهم اكلة الضريع لكل باب منهم جزء مقسوم لا يسمن مرفوع المحل او مجرور على وصف طعام او ضريع يعني ان طعامهم ليس من مطاعم الانس وانما هو شوك والشوك مما ترعاه الابل وتتولع به وهذا نوع منه تنفر عنه ولا تقربه ومنفعتا الغذاء منتفيتان عنه وهما اماطة الجوع وافادة القوة والسمن في البدن او اريد ان لا طعام لهم اصلا لان الضريع ليس بطعام للبهائم فضلا عن الانس لان الطعام ما اشبع واسمن وهو منهما بمعزل كما تقول ليس لفلان ظل الا الشمس تريد نفي الظل على التوكيد وقيل قالت كفار قريش ان الضريع لتسمن عليه ابلنا فنزلت لا يسمن فلا يخلو اما ان يتكذبوا ويتعنتوا بذلك وهو الظاهر فيرد قولهم بنفي السمن والشبع واما ان يصدقوا فيكون المعنى ان طعامهم من ضريع ليس من جنس ضريعكم انما هو من ضريع غير مسمن ولا مغن من جوع وجوه يومئذ ناعمة ذات بهجة وحسن كقوله تعرف في وجوههم نضرة النعيم او متنعمة لسعيها راضية رضيت بعملها لما رأت ما اداهم اليه من الكرامة والثواب في جنة عالية من علو المكان او المقدار لا تسمع يا مخاطب او الوجوه فيها لاغية اي لغوا او كلمة ذات لغو او نفسا تلغو فان اهل الجنة لا يتكلمون الا بالحكمة وحمد الله تعالى على ما رزقهم من النعيم الدائم وقرى لا يسمع على البناء للمفعول ولا تسمع بالتاء فيها عين جارية يريد عيونا في غاية الكثرة كقوله علمت نفس فيها سرر مرفوعة

من رفعة المقدار او السمك ليرى المؤمن بجلوسه عليه جميع ما خوله ربه من الملك والنعيم وقيل مخبوءة لهم من رفع الشيء اذا خبأه وأكواب موضوعة كلما ارادوها وجدوها موضوعة بين ايديهم عتيدة حاضرة لا يحتاجون الى ان يدعوا بها او موضوعة على حافات العيون معدة للشرب ويجوز ان يراد موضوعة عن حد الكبار اوساط بين الصغر والكبر كقوله قدروها تقديرا ونمارق مصفوفة وسائد مصفوفة بعضها الى جنب بعض مساند ومطارح ايما اراد ان يجلس جلس على مسورة واستند الى الاخرى وزرابي وبسط عراض فاخرة وقيل هي الطنافس التي لها خمل رقيق جمع زربية مبثوثة مبسوطة ومفرقة في المجالس أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت فذكر انما انت مذكر لست عليهم بمصيطر افلا ينظرون الى الابل نظر اعتبار كيف خلقت خلقا عجيبا دالا على تقدير مقدر شاهدا بتدبير مدبر حيث خلقها للنهوض بالاثقال وجرها الى البلاد الشاحطة فجعلها تبرك حتى تحمل عن قرب وتنهض بما حملت وسخرها منقادة لكل من اقتادها بازمتها لا تعاز ضعيفا ولا تمانع صغيرا وبرأها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار وعن بعض الحكماء انه حدث عن البعير وبديع خلقه وقد نشأ في بلاد لا ابل بها ففكر ثم قال يوشك ان تكون طوال الاعناق وحين ارادها ان تكون سفائن البر صبرها على احتمال العطش حتى ان اظماءها لترتفع الى العشر فصاعدا وجعلها ترعى كل شيء نابت في البراري والمفاوز مما لا يرعاه سائر البهائم وعن سعيد بن جبير قال لقيت شريحا القاضي فقلت اين تريد قال اريد الكناسة قلت وما تصنع بها قال انظر الى الابل كيف خلقت فان قلت كيف حسن ذكر الابل مع السماء والجبال والارض ولا مناسبة قلت قد انتظم هذه الاشياء نظر العرب في اوديتهم وبواديهم فانتظمها الذكر على حسب ما انتظمها نظرهم ولم يدع من زعم ان الابل السحاب الى قوله الا طلب المناسبة ولعله لم يرد ان الابل من اسماء السحاب كالغمام والمزن والرباب والغيم والغين وغير ذلك وانما رأى السحاب مشبها بالابل كثيرا في اشعارهم فجوز ان يراد بها السحاب على طريق التشبيه والمجاز وكيف رفعت رفعا بعيد المدى بلا امساك وبغير عمد وكيف نصبت نصبا ثابتا فهي راسخة لا تميل ولا تزول وكيف سطحت سطحا بتمهيد وتوطئة فهي مهاد للمتقلب عليها وقرأ علي رضي الله عنه خلقت ورفعت ونصبت وسطحت على البناء للفاعل وتاء الضمير والمقدر فعلتها فحذف المفعول وعن هارون الرشيد انه قرأ سطحت بالتشديد والمعنى افلا ينظرون الى هذه المخلوقات الشاهدة على قدرة الخالق حتى لا ينكروا اقتداره على البعث فيسمعوا انذار الرسول صلى الله عليه وسلم ويؤمنوا به ويستعدوا للقائه اي لا ينظرون فذكرهم ولا تلح عليهم ولا يهمنك انهم لا ينظرون ولا يتذكرون انما انت مذكر كقوله ان عليك الا البلاغ لست عليهم بمصيطر بمسلط كقوله وما انت عليهم بجبار وقيل هو في لغة بني تميم مفتوح الطاء على ان سيطر متعد عندهم وقولهم تسيطر يدل عليه الا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الأكبر إن الينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم الا من تولى استثناء منقطع اي لكن من تولى عليهم وكفر منهم فان لله الولاية والقهر فهو يعذبه العذاب الاكبر الذي هو عذاب جهنم وقيل هو استثناء من قوله فذكر اي فذكر الا من انقطع طمعك من ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض وقرى الا من تولى على التنبيه وفي قراءة ابن مسعود فانه يعذبه وقرأ ابو جعفر المدني ايابهم بالتشديد ووجهه ان يكون فيعالا مصدر ايب فيعل من الاياب او ان يكون اصله اوابا فعالا من اوب ثم قيل ايوابا كديوان في دوان ثم فعل به ما فعل باصل سيد فان قلت ما معنى تقديم الظرف قلت معناه التشديد في الوعيد وان ايابهم ليس الا الى الجبار المقتدر على الانتقام وان حسابهم ليس بواجب الا عليه وهو الذي يحاسب على النقير والقطمير ومعنى الوجوب الوجوب في الحكمة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة الفجر مكية وهي تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل إذا يسر هل في ذلك قسم لذي حجر ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد اقسم بالفجر كما اقسم بالصبح في قوله والصبح اذا اسفر

والضحى اذا اسفر وقيل بصلاة الفجر وان اريد بالليالي العشر عشر ذي الحجة فان قلت فما بالها منكرة من بين ما
اقسم به قلت لانها ليال مخصوصة من بين جنس الليالي العشر بعض منها او مخصوصة بفضيلة ليست
لغيرها فان قلت فهلا عرفت بلام العهد لانها ليال معلومة معهودة قلت لو فعل ذلك لم تستقل بمعنى
الفضيلة الذي في التنكير ولان الاحسن ان تكون اللامات متجانسة ليكون الكلام ابعد من الالغاز
والتعمية وبالشفع والوتر اما الاشياء كلها شفعها ووترها واما شفع هذه الليالي ووترها ويجوز
ان يكون شفعها يوم النحر ووترها يوم عرفة لانه تاسع ايامها وذلك عاشرها وقد روي عن النبي صلى الله
عليه واله وسلم انه فسرهما بذلك وقد اكثروا في الشفع والوتر حتى كادوا يستوعبون اجناس ما يقعان
فيه وذلك قليل الطائل جدير بالتلهي عنه وبعد ما اقسم بالليالي المخصوصة اقسم بالليل على العموم
اذا يسري اذا يمضي كقوله والليل اذ ادبر والليل اذا عسعس وقرئ بفتح الواو وهما لغتان كالحبر
والحبر في العدد وفي الترة الكسر وحده وقرئ بفتح الواو وكسر التاء رواها يونس عن ابي عمرو
وقرئ والفجر والوتر ويسر بالتنوين وهو التنوين الذي يقع بدلا من حرف الاطلاق وعن ابن عباس
وليال عشر بالاضافة يريد وليال ايام عشر وياء يسري تحذف في الدرج اكتفاء عنها بالكسرة
واما في الوقف فتحذف مع الكسرة وقيل معنى يسري يسرى فيه هل في ذلك اي فيما اقسمت به من هذه
الاشياء قسم اي مقسم به لذي حجر يريد هل يحق عنده ان تعظم بالاقسام بها او هل في اقسامي بها
اقسام لذي حجر اي هو قسم عظيم يؤكد بمثله المقسم عليه والحجر العقل لانه يحجر عن التهافت فيما لا
ينبغي كما سمي عقلا ونهية لانه يعقل وينهى وحصاة من الاحصاء وهو الضبط وقال الفراء يقال انه
لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن يدل عليه قوله الم تر الى قوله
فصب عليهم ربك سوط عذاب قيل لعقب عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عاد كما يقال لبني هاشم
هاشم ثم قيل للاولين منهم عاد الاولى وارم تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عاد الاخيرة قال ابن
الرقيات

مجدا تليدا بناه اوله ... ادرك عادا وقبلها ارما

فارم في قوله بعاد ارم عطف بيان لعاد وايذان بانهم عاد الاولى القديمة وقيل ارم بلدتهم
وارضهم التي كانوا فيها ويدل عليه قراءة ابن الزبير بعاد ارم على الاضافة وتقديره بعاد اهل
ارم كقوله واسأل القرية ولم تنصرف قبيلة كانت او ارضا للتعريف والتأنيث وقرأ الحسن بعاد
ارم مفتوحتين وقرئ بعاد ارم بسكون الراء على التخفيف كما قرئ بورقكم وقرئ بعاد
ارم ذات العماد اي جعل الله ذات العماد رميما بدلا من فعل ربك وذات العماد اذا كانت
صفة للقبيلة فالمعنى انهم كانوا بدويين اهل عمد او طوال الاجسام على تشبيه قدودهم بالاعمدة
ومنه قولهم رجل معمد وعمدان اذا كان طويلا وقيل ذات البناء الرفيع وان كانت صفة للبلدة فالمعنى
انها ذات اساطين وروي انه كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص
الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال ابني مثلها فبنى ارم في بعض صحاري
عدن في ثلثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وهي مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة واساطينها
من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها باهل
مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة
انه خرج في طلب ابل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما ثم وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى
كعب فسأله فقال هي ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال
يخرج في طلب ابل له ثم التفت فابصر ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل لم يخلق مثلها مثل عاد في البلاد عظم اجرام
وقوة كان طول الرجل منهم اربعمائة ذراع وكان يأتي الصخرة العظيمة فيحملها فيلقيها على الحي فيهلكهم
او لم يخلق مثل مدينة شداد في جميع بلاد الدنيا وقرأ ابن الزبير لم يخلق مثلها اي لم يخلق الله مثلها **وثمود
الذين جابوا الصخر بالواد** قطعوا صخر الجبال واتخذوا فيها بيوتا كقوله وتنحتون من الجبال بيوتا قيل اول من
نحت الجبال والصخور والرخام ثمود وبنوا الفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة **وفرعون ذي الاوتاد** قيل له ذو
الاوتاد لكثرة جنوده ومضاربهم التي كانوا يضربونها اذا نزلوا او لتعذيبه بالاوتاد كما فعل بماشطة بنته
وآسية **الذين طغوا في البلاد** احسن الوجوه فيه ان يكون في محل النصب على الذم ويجوز
ان يكون مرفوعا على هم الذين طغوا او مجرورا على وصف المذكورين عاد وثمود وفرعون **فاكثروا**

فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب يقال صب عليه السوط وغشاه وقنعه وذكر السوط
اشارة الى ان ما احله بهم في الدنيا من العذاب العظيم بالقياس الى ما اعد لهم في الاخرة كالسوط اذا قيس
الى سائر ما يعذب به وعن عمرو بن عبيد كان الحسن اذا اتى على هذه الاية قال ان عند الله اسواطا كثيرة
فاخذهم بسوط منها **ان ربك لبالمرصاد** المرصاد المكان الذي يترتب فيه الرصد مفعال من
رصده كالميقات من وقته وهذا مثل لارصاده العصاة بالعقاب وانهم لا يفوتونه وعن بعض العرب
انه قيل له اين ربك فقال بالمرصاد وعن عمرو بن عبيد رحمة الله عليه انه قرأ هذه السورة عند بعض الظلمة
حتى بلغ هذه الاية فقال ان ربك لبالمرصاد يا فلان عرض له بانه بعض من توعد بذلك من الجبابرة
فلله دره اي اسد فراس كان بين ثوبيه يدق الظلمة بانكاره ويقصع اهل الاهواء والبدع باحتجاجه
**فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن واما اذا ما ابتلاه فقدر
عليه رزقه فيقول ربي اهانن** فان قلت بم اتصل قوله فاما الانسان قلت بقوله ان ربك لبالمرصاد
كانه قيل ان الله لا يريد من الانسان الا الطاعة والسعي للعاقبة وهو مرصد بالعقوبة للعاصي
فاما الانسان فلا يريد ذلك ولا يهمه الا العاجلة وما يلذه وينعمه فيها فان قلت كيف توازن قوله
فاما الانسان اذا ما ابتلاه وقوله واما اذا ما ابتلاه وحق التوازن ان يتقابل الواقعتان بعد اما واما تقول اما الانسان
فكفور واما الملك فشكور اما اذا احسنت الى زيد فهو محسن اليك واما اذا اسأت اليه فهو مسيء اليك
قلت هما متوازنان من حيث ان التقدير واما هو اذا ما ابتلاه ربه وذلك ان قوله فيقول ربي اكرمن خبر
المبتدأ الذي هو الانسان ودخول الفاء لما في اما من معنى الشرط والظرف المتوسط بين المبتدأ والخبر
في نية التأخير كانه قيل فاما الانسان فقائل ربي اكرمن وقت الابتلاء فوجب ان يكون فيقول الثاني خبرا
لمبتدأ واجب تقديره فان قلت كيف سمى كلا الامرين من بسط الرزق وتقديره ابتلاء قلت لان
كل واحد منهما اختبار للعبد فاذا بسط له فقد اختبر حاله ابشكر ام يكفر واذا قدر عليه فقد اختبر حاله
ايصبر ام يجزع فالحكمة فيهما واحدة ونحوه قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة فان قلت هلا قال فاهانه
وقدر عليه رزقه كما قال فاكرمه ونعمه قلت لان البسط اكرام من الله لعبده بانعامه عليه متفضلا
من غير سابقة واما التقدير فليس باهانة له لان الاخلال بالتفضل لا يكون اهانة ولكن تركا للكرامة وقد
يكون المولى مكرما لعبده ومهينا له وغير مكرم ولا مهين واذا اهدى لك زيد هدية قلت اكرمني بالهدية
ولا تقول اهانني ولا اكرمني اذا لم يهد لك فان قلت فقد قال فاكرمه فصحح اكرامه واثبته ثم انكر قوله
ربي اكرمن وذمه عليه كما انكر قوله اهانن قلت فيه جوابان احدهما انه انما انكر قوله
ربي اكرمن وذمه عليه لانه قال على قصد خلاف ما صححه الله عليه واثبته وهو قصده الى ان الله اعطاه ما
اعطاه اكراما له مستحقا مستوجبا على عادة افتخارهم وجلالة اقدارهم عندهم كقوله انما اوتيته على
علم عندي وانما اعطاه الله على وجه التفضل من غير استيجاب منه له ولا سابقة مما لا يعتد الله الا به وهو
التقوى دون الانساب والاحساب التي كانوا يفتخرون بها ويرون استحقاق الكرامة من اجلها والثاني ان
ينساق الانكار والذم الى قوله ربي اهانن يعني انه اذا تفضل عليه بالخير واكرم به اعترف بتفضل الله واكرامه
واذا لم يتفضل عليه سمى ترك التفضل هوانا وليس بهوان ويعضد هذا الوجه ذكر الاكرام في قوله فاكرمه
وقرئ فقدر بالتخفيف والتشديد واكرمن واهانن بسكون النون في الوقف فيمن ترك الياء في الدرج
مكتفيا بالكسرة **كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين وتأكلون التراث اكلا لما
وتحبون المال حبا جما** كلا ردع للانسان عن قوله ثم قال بل هناك شر من هذا القول وهو ان الله يكرمهم
بكثرة المال فلا يؤدون ما يلزمهم فيه من اكرام اليتيم بالتفقد والمبرة وحض اهله على طعام المسكين
ويأكلونه اكل الانعام ويحبونه فيشحون به وقرئ يكرمون وما بعده بالياء والتاء وقرئ تحاضون
اي يحض بعضكم بعضا وفي قراءة ابن مسعود ولا تحاضون بضم التاء من المحاضة اكلا لما ذا لم وهو الجمع
بين الحلال والحرام قال الحطيئة

اذا كان لما يتبع الذم ربه ... فلا قدس الرحمن تلك الطواحنا

يعني انهم يجمعون في اكلهم بين نصيبهم من الميراث ونصيب غيرهم وقيل كانوا لا يورثون النساء ولا الصبيان
ويأكلون تراثهم مع تراثهم وقيل يأكلون ما جمعه الميت من الظلمة وهو عالم بذلك فيلم في الاكل
بين حلاله وحرامه ويجوز ان يذم الوارث الذي ظفر بالمال سهلا مهلا من غير ان يعرق فيه جبينه فيسرف

في انفاقه ويأكله أكلا واسعا جامعا بين ألوان المشتهيات من الأطعمة والأشربة والفواكه كما
يفعل الوراث البطالون حبا جما كثيرا شديدا مع الحرص والشره ومنع الحقوق كلا إذا دكت
الأرض دكا دكا ۝ وجاء ربك والملك صفا صفا ۝ وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسان
كلا ردع لهم عن ذلك وإنكار لفعلهم ثم أتى بالوعيد وذكر تحسرهم على ما فرطوا فيه حين لا تنفع الحسرة
ويومئذ بدل من إذا دكت الأرض وعامل النصب فيهما يتذكر دكا دكا دكا بعد دك كقوله
حسبته بابا بابا أي كرر عليها الدك حتى عادت هباء منبثا فإن قلت ما معنى إسناد المجيء إلى
الله والحركة والانتقال إنما يجوزان على من كان في جهة قلت هو تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبيين
آثار قهره وسلطانه مثلت حاله في ذلك بحال الملك إذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة
والسياسة ما لا يظهر بحضور عساكره كلها ووزرائه وخواصه عن بكرة أبيهم صفا صفا ينزل ملائكة
كل سماء فيصطفون صفا بعد صف محدقين بالجن والإنس وجيء يومئذ بجهنم كقوله وبرزت الجحيم وروي
أنها لما نزلت تغير وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعرف في وجهه حتى اشتد على أصحابه فأخبروا
عليا رضي الله عنه فجاء فاحتضنه من خلفه وقبل بين عاتقيه ثم قال يا نبي الله بأبي أنت وأمي ما الذي
حدث اليوم وما الذي غيرك فتلا عليه الآية فقال له علي كيف يجاء بها قال يجيء بها سبعون ألف ملك
يقودونها بسبعين ألف زمام فتشرد شردة لو تركت لأحرقت أهل الجمع أي يتذكر ما فرط فيه أو يتعظ وأنى
له الذكرى ومن أين له منفعة الذكرى لا بد من تقدير حذف مضاف وإلا فبين يوم يتذكر وبين وأنى له
الذكرى تناف وتناقض يقول يا ليتني قدمت لحياتي هذه وهي حياة الآخرة أو وقت حياتي في الدنيا
كقولك جئته لعشر ليال خلون من رجب وهذا أبين دليل على أن الاختيار كان في أيديهم ومعلقا بقصدهم
وإرادتهم وأنهم لم يكونوا محجوبين عن الطاعات مجبرين على المعاصي كمذهب أهل الأهواء والبدع
وإلا فما معنى التحسر فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ۝ ولا يوثق وثاقه أحد ۝ قرئ بالفتح يعذب ويوثق
وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن أبي عمرو أنه رجع إليها في آخر عمره والضمير للإنسان
الموصوف وقيل هو أبي بن خلف أي لا يعذب أحد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل والأغلال مثل وثاقه
لتناهيه في كفره وعناده أو لا يحمل عذاب الإنسان أحد كقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى وقرئ بالكسر
والضمير لله تعالى أي لا يتولى عذاب الله أحد لأن الأمر لله وحده في ذلك اليوم أو للإنسان أي لا يعذب
أحد من الزبانية مثل ما يعذبونه يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك على إرادة القول أي يقول
الله للمؤمن يا أيتها النفس إما أن يكلمه إكراما له كما كلم موسى صلوات الله عليه أو على لسان ملك والمطمئنة
الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن وهي النفس المؤمنة أو المطمئنة إلى الحق التي سكنها ثلج اليقين
فلا يخالجها شك ويشهد للتفسير الأول قراءة أبي بن كعب يا أيتها النفس الآمنة المطمئنة فإن قلت متى يقال
لها ذلك قلت إما عند الموت وإما عند البعث وإما عند دخول الجنة على معنى ارجعي إلى موعد ربك راضية
بما أوتيت مرضية عند الله تعالى فادخلي في عبادي في جملة عبادي الصالحين وانتظمي في سلكهم
وادخلي جنتي معهم وقيل النفس الروح ومعناه فادخلي في أجساد عبادي وقرأ ابن عباس فادخلي
في عبدي وقرأ ابن مسعود في جسد عبدي وقرأ أبي ائتي ربك راضية مرضية ادخلي في عبدي وقيل
نزلت في حمزة بن عبد المطلب وقيل في خبيب بن عدي الذي صلبه أهل مكة وجعلوا وجهه إلى المدينة فقال
اللهم إن كان لي عندك خير فحول وجهي نحو قبلتك فحول الله وجهه نحوها فلم يستطع أحد أن يحولها
والظاهر العموم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الفجر في الليالي العشر غفر له ومن قرأها
في سائر الأيام كانت له نورا يوم القيامة

سورة البلد مكية وهي عشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ۝ لا أقسم بهذا البلد
وأنت حل بهذا البلد ووالد وما ولد لقد خلقنا الإنسان في كبد ۝ أقسم الله سبحانه بالبلد الحرام
وما بعده على أن الإنسان خلق مغمورا في مكابدة المشاق والشدائد واعترض بين القسم والمقسم عليه
بقوله وأنت حل بهذا البلد يعني ومن المكابدة أن مثلك على عظم حرمتك يستحل بهذا البلد الحرام
كما يستحل الصيد في غير الحرم عن شرحبيل يحرمون أن يقتلوا بها صيدا ويعضدوا بها شجرة ويستحلون
إخراجك وقتلك وفيه تثبيت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبعث على احتمال ما كان يكابد من

أهل مكة وتعجيب من حالهم في عداوته أو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالقسم ببلده على أن الإنسان
لا يخلو من مقاساة الشدائد واعترض بأن وعده فتح مكة تتميما للتسلية والتنفيس عنه فقال وأنت
حل بهذا البلد يعني وأنت حل به في المستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل والأسر وذلك أن الله فتح عليه
مكة وأحلها له وما فتحت على أحد قبله ولا أحلت له فأحل ما شاء وحرم ما شاء قتل ابن خطل وهو متعلق
بأستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرم دار أبي سفيان ثم قال إن الله حرم مكة يوم خلق
السموات والأرض فهي حرام إلى أن تقوم الساعة لم تحل لأحد قبلي ولن تحل لأحد بعدي ولم تحل لي إلا
ساعة من نهار فلا يعضد شجرها ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها إلا لمنشد
فقال العباس يا رسول الله إلا الإذخر فإنه لقيوننا وقبورنا وبيوتنا فقال صلى الله عليه وآله وسلم
إلا الإذخر فإن قلت أين نظير قوله وأنت حل في معنى الاستقبال قلت قوله تعالى إنك ميت وإنهم ميتون
ومثله واسع في كلام العباد تقول لمن تعده الإكرام والحباء أنت مكرم محبو وهو في كلام الله أوسع
لأن الأحوال المستقبلة عنده كالحاضرة المشاهدة وكفاك دليلا قاطعا على أنه للاستقبال وأن
تفسيره بالحال محال أن السورة بالاتفاق مكية وأين الهجرة عن وقت نزولها فما بال الفتح فإن قلت
ما المراد بوالد وما ولد قلت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن ولده أقسم ببلده الذي هو مسقط رأسه
وحرم أبيه إبراهيم ومنشأ أبيه إسماعيل وبمن ولده وبه فإن قلت لم نكر قلت للإبهام المستقل بالمدح
والتعجب فإن قلت هلا قيل ومن ولد قلت فيه ما في قوله تعالى والله أعلم بما وضعت أي بأي شيء وضعت يعني
موضوعا عجيب الشأن وقيل هما آدم وولده وقيل كل والد وولد والكبد أصله من قولك كبد الرجل كبدا فهو أكبد
إذا وجعت كبده وانتفخت فاتسع فيه حتى استعمل في كل تعب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة كما قيل
كبته بمعنى أهلكه وأصله كبده إذا أصاب كبده قال لبيد

۝ يا عين هلا بكيت أربد ۝ إذ قمنا وقام الخصوم في كبد ۝

أي في شدة الأمر وصعوبة الخطب أيحسب أن لن يقدر عليه أحد يقول أهلكت مالا لبدا الضمير
في أيحسب لبعض صناديد قريش الذي كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكابد منهم ما يكابد والمعنى
أيظن هذا الصنديد القوي في قومه المتضعف للمؤمنين أن لن تقوم قيامة ولن يقدر على الانتقام
منه وعلى مكافأته بما هو عليه ثم ذكر ما يقول في ذلك اليوم وأنه يقول أهلكت مالا لبدا يريد كثرة ما أنفقه
فيما كان أهل الجاهلية يسمونها مكارم ويدعونها معالي ومفاخر أيحسب أن لم يره أحد حين كان
ينفق ما ينفق رئاء الناس وافتخارا بينهم يعني أن الله تعالى كان يراه وكان عليه رقيبا ويجوز أن يكون الضمير
للإنسان على أن يكون المعنى أقسم بهذا البلد الشريف ومن شرفه أنك حل به مما يقترفه أهله من المآثم
متحرج بري فهو حقيق بأن أعظمه بقسمي به لقد خلقنا الإنسان في كبد أي في مرض وهو مرض
القلب وفساد الباطن يريد الذين علم الله منهم حين خلقهم أنهم لا يؤمنون ولا يعملون الصالحات وقيل الذي
يحسب أن لن يقدر عليه أحد هو أبو الأشد وكان قويا يبسط له الأديم العكاظي فيقوم عليه ويقول من أزالني
عنه فله كذا فلا ينزع إلا قطعا ويبقى موضع قدميه وقيل الوليد بن المغيرة لبدا قرئ بالكسر والضم
جمع لبدة ولبدة وهو ما تلبد يريد الكثرة وقرئ لبدا بضمتين جمع لبود ولبدا بالتشديد جمع
لابد ألم نجعل له عينين يبصر بهما المرئيات ولسانا يترجم به عن ضمائره وشفتين يطبقهما على فيه ويستعين بهما
على النطق والأكل والشرب والنفخ وغير ذلك وهديناه النجدين أي طريقي الخير والشر وقيل الثديين
فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة
أو مسكينا ذا متربة ۝ ثم كان من الذين آمنوا يعني فلم يشكر تلك الأيادي والنعم بالأعمال الصالحة من
فك الرقاب وإطعام اليتامى والمساكين ثم بالإيمان الذي هو أصل كل طاعة وأساس كل خير بل غمط
النعم وكفر بالمنعم والمعنى أن الإنفاق على هذا الوجه هو الإنفاق المرضي النافع عند الله لا أن يهلك مالا
لبدا في الرياء والفخار فيكون مثله كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم الآية فإن قلت قلما تقع لا الداخلة
على الماضي إلا مكررة ونحو قوله فأي أمر سيئ لا فعله لا تكاد تقع فما لها لم تكرر في الكلام الأفصح
قلت هي متكررة في المعنى لأن معنى فلا اقتحم العقبة فلا فك رقبة ولا أطعم مسكينا ألا ترى أنه
فسر اقتحام العقبة بذلك وقال الزجاج قوله ثم كان من الذين آمنوا يدل على معنى فلا اقتحم ولا آمن والاقتحام
الدخول والمجاوزة بشدة ومشقة والقحمة الشدة وجعل الصالحة عقبة وعملها اقتحاما لها لما في ذلك

من مغاناة المشقة ومجاهدة النفس وعن الحسن عقبة والله شديدة مجاهدة الإنسان نفسه وهواه وعدو
الشيطان وفك الرقبة تخليصها من رق أو غيره وفي الحديث أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
دلني على عمل يدخلني الجنة فقال تعتق النسمة وتفك الرقبة قال أوليسا سواء قال لا إعتاقها أن تنفرد
بعتقها وفكها أن تعين في تخليصها من قود أو غرم والعتق والصدقة من أفاضل الأعمال وعن أبي حنيفة
ليقدم العتق على الصدقة وعن الشعبي في رجل عنده فضل نفقة أيضعه في ذي قرابة أو يعتق رقبة
قال الرقبة أفضل لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من فك رقبة فك الله بكل عضو منها عضوا منه من
النار فك رقبة أو إطعام على هي فك رقبة أو إطعام وقرئ فك رقبة أو أطعم على الإبدال من اقتحم العقبة
وقوله وما أدراك ما العقبة اعتراض ومعناه أنك لم تدر كنه صعوبتها على النفس وكنه ثوابها عند الله
والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب إذا جاع وقرب في النسب يقال فلان ذو قرابتي وذو
مقربتي وترب إذا افتقر ومعناه التصق بالتراب وأما أترب فاستغنى أي صار ذا مال كالتراب في
الكثرة كما قيل أثرى وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله ذا متربة الذي مأواه المزابل ووصف اليوم بذي
مسغبة نحو ما يقول النحويون في قولهم هم ناصب ذو نصب وقرأ الحسن ذا مسغبة نصبه بإطعام
ومعناه أو إطعام في يوم من الأيام ذا مسغبة ثم كان من الذين آمنوا جاء بثم لتراخي الإيمان وتباعده في الرتبة
والفضيلة عن العتق والصدقة لا في الوقت لأن الإيمان هو السابق المقدم على غيره ولا يثبت عمل صالح
إلا به **وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة** والمرحمة أي الرحمة أي أوصى بعضهم بعضا بالصبر
على الإيمان والثبات عليه أو بالصبر عن المعاصي وعلى الطاعة والمحن التي يبتلى بها المؤمن وبأن يكونوا متراحمين
متعاطفين أو بما يؤدي إلى رحمة الله تعالى **أولئك أصحاب الميمنة والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب
المشأمة** الميمنة والمشأمة اليمين والشمال أو اليمن والشؤم أي الميامين والمشائيم على أنفسهم **عليهم نار مؤصدة**
وقرئ مؤصدة بالواو والهمز من أوصدت الباب وآصدته إذا أطبقته وأغلقته وعن أبي بكر بن عياش
لنا إمام يهمز مؤصدة فأشتهي أن أسد أذني إذا سمعته عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ
لا أقسم بهذا البلد أعطاه الله الأمان من غضبه يوم القيمة

سورة الشمس مكية وهي خمس عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والشمس وضحاها ضوؤها إذا أشرقت وقام سلطانها ولذلك قيل وقت الضحى وكأن وجهه شمس الضحى
وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد إذا امتد النهار وكرب أن ينتصف
والقمر إذا تلاها طالعا عند غروبها آخذا من نورها وذلك في النصف الأول من الشهر وقيل إذا
استدار فتلاها في الضياء والنور **والنهار إذا جلاها** عند انتفاخ النهار وانبساطه لأن الشمس تنجلي
في ذلك الوقت تمام الانجلاء وقيل الضمير للظلمة أو للدنيا أو للأرض وإن لم يجر لها ذكر كقولهم أصبحت باردة يريدون
الغداة وأرسلت يريدون السماء **والليل إذا يغشاها** فتغيب وتظلم الآفاق فإن قلت الأمر في نصب
إذا معضل لأنك لا تخلو إما أن تجعل الواوات عاطفة فتنصب بها وتجر فيقع في العطف على عاملين ونحو
قولك مررت أمس بزيد واليوم عمرو وإما أن تجعلهن للقسم فيقع فيما اتفق الخليل وسيبويه على استكراهه
قلت الجواب فيه أن واو القسم مطرح معها إبراز الفعل اطراحا كليا فكان لها شأن خلاف شأن الباء حيث أبرز
معها الفعل وأضمر فكانت الواو قائمة مقام الفعل والباء سادة مسدهما معا والواوات العواطف نوائب
عن هذه الواو فحققن أن يكن عوامل على الفعل والجار جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا وبكر خالدا فترفع
بالواو وتنصب لقيامها مقام ضرب الذي هو عاملهما **والسماء وما بناها والأرض وما طحاها ونفس وما
سواها** جعلت ما مصدرية في قوله وما بناها وما طحاها وما سواها وليس بالوجه لقوله فألهمها وما يؤدي
إليه من فساد النظم والوجه أن تكون موصولة وإنما أوثرت على من لإرادة معنى الوصفية كأنه قيل
والسماء والقادر العظيم الذي بناها ونفس والحكيم الباهر الحكمة الذي سواها وفي كلامهم
سبحان ما سخركن لنا فإن قلت لم نكرت النفس قلت فيه وجهان أحدهما أن يريد نفسا خاصة
من بين النفوس وهي نفس آدم كأنه قال وواحدة من النفوس والثاني أن يريد كل نفس وينكر للتكثير على الطريقة

المذكورة

المذكورة في قوله علمت نفس **فألهمها فجورها وتقواها** وهو إلهام الفجور والتقوى إفهامهما وإعقالهما وأن
أحدهما حسن والآخر قبيح وتمكينه من اختيار ما شاء منهما بدليل قوله **قد أفلح من زكاها وقد خاب
من دساها** فجعله فاعل التزكية والتدسية ومتوليهما والتزكية الإنماء والإعلاء بالتقوى والتدسية
النقص والإخفاء بالفجور وأصل دسى دسس كما قيل تقضى البازي في تقضض وسئل ابن عباس عنه فقال أتقرأ
قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها وأما قول من زعم أن الضمير في زكى ودسى لله تعالى وأن
تأنيث الراجع إلى من لأنه في معنى النفس فمن تعكيس القدرية الذين يوركون على الله قدرا هو
بريء منه ومتعال عنه ويحيون لياليهم في تمحل فاحشة ينسبونها إليه فإن قلت فأين جواب القسم
قلت هو محذوف تقديره ليدمدمن الله عليهم أي على أهل مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم كما دمدم على ثمود لأنهم كذبوا صالحا وأما قد أفلح من زكاها فكلام تابع لقوله فألهمها فجورها
وتقواها على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم في شيء **كذبت ثمود بطغواها** الباء في بطغواها
مثلها في كتبت بالقلم والطغوى من الطغيان فصلوا بين الاسم والصفة في فعلى من بنات الياء بأن
قلبوا الياء واوا في الاسم وتركوا القلب في الصفة فقالوا امرأة خزيا وصديا يعني فعلت التكذيب بطغيانها
كما تقول ظلمني بجراءته على الله وقيل كذبت بما أوعدت به من عذابها ذي الطغوى كقوله فأهلكوا
بالطاغية وقرأ الحسن بطغواها بضم الطاء كالحسنى والرجعى في المصادر **إذ انبعث أشقاها**
منصوب بكذبت أو بالطغوى وأشقاها قدار بن سالف ويجوز أن يكونوا جماعة والتوحيد لتسويتك
في أفعل التفضيل إذا أضفته بين الواحد والجمع والمذكر والمؤنث وكان يجوز أن يقال أشقوها كما تقول
أفاضلهم **فقال لهم رسول الله ناقة الله** والضمير في لهم يجوز أن يكون للأشقين والتفضيل في الشقاء
لأن من تولى العقر وباشره كانت شقاوته أظهر وأبلغ وناقة الله نصب على التحذير كقولك الأسد
الأسد والصبي الصبي بإضمار ذروا أو احذروا عقرها **وسقياها** فلا تزووها عنها ولا
تستأثروا بها عليها **فكذبوه** فيما حذرهم منه من نزول العذاب إن فعلوا **فعقروها فدمدم عليهم
ربهم** فأطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة إذا ألبسها الشحم **بذنبهم** بسبب ذنبهم
وفيه إنذار عظيم بعاقبة الذنب فعلى كل مذنب أن يعتبر ويحذر **فسواها** الضمير للدمدمة أي
فسواها بينهم لم يفلت منها صغيرهم ولا كبيرهم **ولا يخاف عقباها** أي عاقبتها وتبعتها كما يخاف
كل معاقب من الملوك فيبقي بعض الإبقاء ويجوز أن يكون الضمير لثمود على معنى فسواها بالأرض أو في
الهلاك ولا يخاف عقبى هلاكها وفي مصاحف أهل المدينة والشام فلا يخاف وفي قراءة النبي صلى الله عليه وآله وسلم
ولم يخف عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الشمس فكأنما تصدق بكل شيء طلعت عليه

سورة الليل مكية وهي إحدى وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم **والليل إذا يغشى**

المغشي إما الشمس من قوله والليل إذا يغشاها وإما النهار من قوله يغشي الليل النهار وإما كل شيء
يواريه بظلامه من قوله إذا وقب **والنهار إذا تجلى** ظهر بزوال ظلمة الليل أو تبين وتكشف بطلوع الشمس
وما خلق الذكر والأنثى والقادر العظيم القدرة الذي قدر على خلق الذكر والأنثى من ماء واحد وقيل هما آدم وحواء
وفي قراءة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والذكر والأنثى وقرأ ابن مسعود والذي خلق الذكر والأنثى وعن
الكسائي وما خلق الذكر والأنثى بالجر على أنه بدل من محل ما خلق بمعنى وما خلقه الله أي ومخلوق الله الذكر
والأنثى وجاز إضمار اسم الله لأنه معلوم لانفراده بالخلق إذ لا خالق سواه وقيل إن الله لم يخلق خلقا من ذوي
الأرواح ليس بذكر ولا أنثى والخنثى وإن أشكل أمره عندنا فهو عند الله غير مشكل معلوم بالذكورة أو الأنوثة
فلو حلف بالطلاق أنه لم يلق يومه ذكرا ولا أنثى وقد لقي خنثى مشكلا كان حانثا في الحقيقة لأنه ذكر أو
أنثى وإن كان مشكلا عندنا **إن سعيكم لشتى** جمع شتيت أي إن مساعيكم أشتات مختلفة وبيان
اختلافها فيما فصل على إثره **فأما من أعطى** حقوق ماله **واتقى** الله فلم يعصه **وصدق بالحسنى** بالخصلة
الحسنى وهي الإيمان أو بالملة الحسنى وهي ملة الإسلام أو بالمثوبة الحسنى وهي الجنة **فسنيسره**
فسنهيئه لها من يسر الفرس للركوب إذا أسرجها وألجمها ومنه قوله عليه الصلاة والسلام كل ميسر لما خلق له

والمعنى فسنلطف به ونوفقه حتى تكون الطاعة أيسر الأمور عليه وأهونها من قوله فمن يرد الله أن
يهديه يشرح صدره للاسلام وأما من بخل واستغنى وزهد فيما عند الله كأنه مستغن عنه فلم يتقه
واستغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة لأنه في مقابلة واتقى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى
فسنخذله ونمنعه الالطاف حتى تكون الطاعة أعسر شيء وأشده من قوله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما
يصعد في السماء أو سمى طريقة الخير باليسرى لأن عاقبتها اليسر وطريقة الشر بالعسرى لأن عاقبتها العسر
أو أراد بهما طريقي الجنة والنار فسنهديهما في الآخرة للطريقين وقيل نزلتا في أبي بكر رضي الله عنه وفي
أبي سفيان بن حرب وما يغني عنه ماله استفهام في معنى الانكار أو نفي إذا تردى تفعل من الردى وهو الهلاك يريد
الموت أو تردى في الحفرة إذا قبر أو تردى في قعر جهنم إن علينا للهدى إن الارشاد إلى الحق واجب
علينا بنصب الدلائل وبيان الشرائع وإن لنا للآخرة والأولى أي ثواب الدارين للمهتدي كقوله وآتيناه
أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين فأنذرتكم نارا تلظى وقرأ ابن الزبير تتلظى لا يصلاها
إلا الأشقى الذي كذب وتولى وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله فإن قلت كيف قال لا يصلاها
إلا الأشقى وسيجنبها الأتقى وقد علم أن كل شقي يصلاها وكل تقي يجنبها لا يختص بالصلي أشقى الأشقياء
ولا بالنجاة أتقى الأتقياء وإن زعمت أنه نكر النار فأراد نارا بعينها مخصوصة بالأشقياء فما تصنع بقوله وسيجنبها
الأتقى فقد علم أن أفسق المسلمين يجنب تلك النار المخصوصة لا الأتقى منهم خاصة قلت الآية واردة
في الموازنة بين حالتي عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين فأريد أن يبالغ في صفتيهما المتناقضتين
فقيل الأشقى وجعل مختصا بالصلي كأن النار لم تخلق إلا له وقيل الأتقى وجعل مختصا بالنجاة كأن الجنة لم
تخلق إلا له وقيل هما أبو جهل وأمية بن خلف وأبو بكر رضي الله عنه يتزكى من الزكاء أي يطلب أن يكون عند الله
زاكيا لا يريد به رياء ولا سمعة أو يتفعل من الزكاة فإن قلت ما محل يتزكى قلت هو على وجهين إن جعلته
بدلا من يؤتي فلا محل له لأنه داخل في حكم الصلة والصلات لا محل لها وإن جعلته حالا من الضمير في يؤتي
فمحله النصب وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ابتغاء وجه ربه مستثنى من
غير جنسه وهو النعمة أي ما لأحد عنده نعمة إلا ابتغاء وجه ربه كقولك ما في الدار أحد إلا حمارا وقرأ يحيى
بن وثاب إلا ابتغاء وجه ربه بالرفع على لغة من يقول ما في الدار أحد إلا حمار وأنشد في اللغتين قول
بشر بن أبي خازم
أضحت خلاء قفارا لا أنيس بها ... إلا الجآذر والظلمان تختلف
وقول القائل
وبلدة ليس بها أنيس ... إلا اليعافير وإلا العيس
ويجوز أن يكون ابتغاء وجه ربه مفعولا له على المعنى لأن معنى الكلام لا يؤتي ماله إلا ابتغاء وجه ربه
لا لمكافأة نعمة ولسوف يرضى موعد بالثواب الذي يرضيه ويقر عينه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قرأ سورة والليل أعطاه الله حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

سورة الضحى مكية وهي احدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والضحى المراد بالضحى وقت الضحى وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس وتلقي شعاعها وقيل إنما خص
وقت الضحى لأنها الساعة التي كلم فيها موسى وألقي السحرة سجدا لقوله وأن يحشر الناس ضحى وقيل
أريد بالضحى النهار بيانه قوله أن يأتيهم بأسنا ضحى في مقابلة بياتا والليل إذا سجى سكن وركد ظلامه
وقيل ليلة ساجية ساكنة الريح وقيل معناه سكون الناس والأصوات فيه وسجا البحر سكنت
أمواجه وطرف ساج ساكن فاتر ما ودعك ربك وما قلى جواب القسم ومعناه ما قطعك قطع
المودع وقرئ بالتخفيف يعني ما تركك قال
وثم ودعنا آل عمرو وعامر ... فرائس أطراف المثقفة السمر
والتوديع مبالغة في الودع لأن من ودعك مفارقا فقد بالغ في تركك روي أن الوحي قد تأخر عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أياما فقال المشركون إن محمدا ودعه ربه وقلاه وقيل إن أم جميل امرأة أبي
لهب قالت له يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك فنزلت حذف الضمير من قلى كحذفه من
الذاكرات في قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات يريد والذاكراته ونحوه فآوى فهدى فأغنى وهو

اختصار

اختصار لفظي لظهور المحذوف فإن قلت كيف اتصل قوله وللآخرة خير لك من الأولى
بما قبله قلت لما كان في ضمن نفي التوديع والقلى أن الله مواصلك بالوحي إليك وأنك حبيب الله ولا ترى كرامة
أعظم من ذلك ولا نعمة أجل منه أخبره أن حاله في الآخرة أعظم من ذلك وأجل وهو السبق والتقدم على جميع أنبياء
الله ورسله وشهادة أمته على سائر الأمم ورفع درجات المؤمنين وإعلاء مراتبهم بشفاعته وغير ذلك
من الكرامات السنية ولسوف يعطيك ربك فترضى موعد شامل لما أعطاه الله في الدنيا من
الفلج والظفر بأعدائه يوم بدر ويوم فتح مكة ودخول الناس في الدين أفواجا والغلبة على قريظة والنضير
وإجلائهم وبث عساكره وسراياه في بلاد العرب وما فتح على خلفائه الراشدين في أقطار الأرض من
المدائن وهدم بأيديهم من ممالك الجبابرة وأنهبهم من كنوز الأكاسرة وما قذف في قلوب أهل الشرق
والغرب من الرعب وتهيب الإسلام وفشو الدعوة واستيلاء المسلمين ولما ادخر له من الثواب الذي لا يعلم كنهه
إلا الله قال ابن عباس له في الجنة ألف قصر من لؤلؤ أبيض ترابه المسك فإن قلت ما هذه اللام الداخلة
على سوف قلت هي لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة والمبتدأ محذوف تقديره ولأنت سوف يعطيك
كما ذكرنا في لا أقسم أن المعنى لأنا أقسم وذلك أنها لا تخلو من أن تكون لام قسم أو ابتداء فلام القسم لا تدخل
على المضارع إلا مع نون التأكيد فبقي أن تكون لام ابتداء ولام الابتداء لا تدخل إلا على الجملة من المبتدأ والخبر
فلا بد من تقدير مبتدأ وخبر وأن يكون أصله ولأنت سوف يعطيك فإن قلت ما معنى الجمع بين حرفي
التوكيد والتأخير قلت معناه أن العطاء كائن لا محالة وإن تأخر لما في التأخير من المصلحة ألم يجدك
يتيما فآوى عدد عليه نعمه وأياديه وأنه لم يخله منها من أول تربيته وابتداء نشئه ترشيحا لما أراد به
ليقيس المترقب من فضل الله تعالى على ما سلف منه لئلا يتوقع إلا الحسنى وزيادة الخير والكرامة ولا يضيق
صدره ولا يقل صبره وألم يجدك من الوجود بمعنى العلم والمنصوبان مفعولا وجد والمعنى ألم تك يتيما
وذلك أن أباه مات وهو جنين قد أتت عليه ستة أشهر وماتت أمه وهو ابن ثمان سنين فكفله
عمه أبو طالب وعطفه الله عليه فأحسن تربيته ومن بدع التفاسير أنه من قولهم درة يتيمة وأن المعنى
ألم يجدك واحدا في قريش عديم النظير فآواك وقرئ فأوى وهو على معنيين إما من أواه بمعنى آواه سمع
بعض الرعاة يقول أين آوي هذه الموقسة وإما من أوى له إذا رحمه ووجدك ضالا معناه الضلال
عن علم الشرائع وما طريقه السمع كقوله ما كنت تدري ما الكتاب وقيل ضل في صباه في بعض شعاب
مكة فرده أبو جهل إلى عبد المطلب وقيل أضلته حليمة عند باب مكة حين فطمته وجاءت به لترده على عبد
المطلب وقيل ضل في طريق الشام حين خرج به أبو طالب فهدى فهداك فعرفك القرآن والشرائع أو فأزال
ضلالك عن جدك وعمك ومن قال كان على أمر قومه أربعين سنة فإن أراد أنه كان على خلوهم عن العلوم
السمعية فنعم وإن أراد أنه كان على دينهم وكفرهم فمعاذ الله والأنبياء يجب أن يكونوا معصومين قبل النبوة
وبعدها من الكبائر والصغائر الشائنة فما بال الجهل والكفر بالصانع ما كان لنا أن نشرك بالله من
شيء وكفى بالنبي نقيصة عند الكفار أن يسبق له كفر ووجدك عائلا فقيرا وقرئ عيلا كما قرئ
سيحات وعديما فأغنى فأغناك بمال خديجة أو بما أفاء عليك من الغنائم قال عليه الصلاة والسلام جعل
رزقي تحت ظل رمحي وقيل قنعك وأغنى قلبك فأما اليتيم فلا تقهر فلا تغلبه على ماله وحقه
لضعفه وفي قراءة ابن مسعود فلا تكهر وهو أن يعبس في وجهه وفلان ذو كهرورة عابس الوجه ومنه الحديث
فبأبي وأمي ما كهرني وأما السائل فلا تنهر النهر والنهم الزجر وعن النبي صلى الله عليه وسلم
إذا رددت السائل ثلاثا فلم يرجع فلا عليك أن تزبره وقيل أما إنه ليس بالسائل المستجدي ولكن
طالب العلم إذا جاءك فلا تنهره وأما بنعمة ربك فحدث التحدث بنعمة الله تعالى شكرها وإشاعتها يريد
ما ذكره من نعمة الإيواء والهداية والإغناء وما عدا ذلك وعن مجاهد بالقرآن فحدث أقرئه وبلغ ما
أرسلت به وعن عبد الله بن غالب أنه كان إذا أصبح يقول رزقني الله البارحة خيرا قرأت كذا وصليت
كذا فقيل له يا أبا فراس أمثلك يقول مثل هذا فقال يقول الله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث وأنتم تقولون لا تحدث
بنعمة الله وإنما يجوز مثل هذا إذا قصد به اللطف وأن يقتدي به غيره وأمن على نفسه الفتنة والستر أفضل
ولو لم يكن فيه إلا التشبه بأهل الرياء والسمعة لكفى به وعن علي رضي الله عنه فحدث والمعنى أنك كنت يتيما وضالا
وعائلا فآواك الله وهداك وأغناك فمهما يكن من شيء وعلى ما خيلت فلا تنس نعمة الله عليك في هذه الثلاث
فتعطف على اليتيم وآوه فقد ذقت اليتم وهوانه ورأيت كيف فعل الله بك وترحم على السائل وتفقده بمعروف

ولا توحشني عن بابك كما رحمك ربك فأغناك بعد الفقر وحدّث بنعمة الله كلها ويدخل تحته هدايته الضلال وتعليمه الشرائع والقرآن مقتديا بالله في أن هداه من الضلال عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الضحى جعله الله فيمن يرضى لمحمد أن يشفع له وعشر حسنات يكتبها له بعدد كل يتيم وسائل

سورة الم نشرح مكية وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الإنكار فأفاد إثبات الشرح وإيجابه فكأنه قيل شرحنا لك صدرك فلذلك عطف عليه ووضعنا اعتبارا للمعنى ومعنى شرحنا لك فسحناه حتى وسع هموم النبوة ودعوة الثقلين جميعا أو حتى احتمل المكاره التي يتعرض لك بها كفار قومك وغيرهم أو فسحناه بما أودعناه من العلوم والحكم وأزلنا عنه الضيق والحرج الذي يكون مع العمى والجهل وعن الحسن ملئ حكمة وعلما وعن أبي جعفر المنصور أنه قرأ ألم نشرح بفتح الحاء وأشبعها في مخرجها فظن السامع أنه فتحها والوزر الذي أنقض ظهرك أي حمله على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك لثقله مثل لما كان يثقل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويغمه من فرطاته قبل النبوة أو من جهله بالأحكام والشرائع أو من تهالكه على إسلام أولي العناد من قومه وتلهفه ووضعه عنه أن غفر له أو علم الشرائع أو مهد عذره بعد ما بلّغ وبالغ وقرأ أنس وحللنا وحططنا وقرأ ابن مسعود وحللنا عنك وقرك ورفعنا لك ذكرك ورفع ذكره أن قرن بذكر الله في كلمة الشهادة والأذان والإقامة والتشهد والخطب وفي غير موضع من القرآن والله ورسوله أحق أن يرضوه ومن يطع الله ورسوله وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وفي تسميته رسول الله ونبي الله ومنه ذكره في كتب الأولين والأخذ على الأنبياء وأممهم أن يؤمنوا به فإن قلت أي فائدة في زيادة لك والمعنى مستقل بدونه قلت في زيادة لك ما في طريقة الإبهام والإيضاح كأنه قيل ألم نشرح لك ففهم أن ثم مشروحا ثم قيل صدرك فأوضح ما علم مبهما وكذلك لك ذكرك وعنك وزرك فإن قلت كيف تعلق قوله فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا بما قبله قلت كان المشركون يعيّرون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين بالفقر والضيقة حتى سبق إلى وهمه أنهم رغبوا عن الإسلام لافتقار أهله واحتقارهم فذكّره ما أنعم به عليه من جلائل النعم ثم قال فإن مع العسر يسرا كأنه قال خوّلناك ما خوّلناك فلا تيأس من فضل الله فإن مع العسر الذي أنتم فيه يسرا فإن قلت إن مع للصحبة فما معنى اصطحاب اليسر والعسر قلت أراد الله أن يصيبهم بيسر بعد العسر الذي كانوا فيه بزمان قريب فقرب اليسر المترقب حتى جعله كالمقارن للعسر زيادة في التسلية وتقوية القلوب فإن قلت ما معنى قول ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما لن يغلب عسر يسرين وقد روي مرفوعا أنه خرج صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم وهو يضحك ويقول لن يغلب عسر يسرين قلت هذا عمل على الظاهر وبناء على قوة الرجاء وأن موعد الله لا يحمل إلا على أوفى ما يحتمله اللفظ وأبلغه والقول فيه أنه يحتمل أن تكون الجملة الثانية تكريرا للأولى كما كرر قوله ويل يومئذ للمكذبين لتقرير معناها في النفوس وتمكينها في القلوب وكما يكرر المفرد في قولك جاءني زيد زيد وأن تكون الأولى عدة بأن العسر مردوف بيسر لا محالة والثانية عدة مستأنفة بأن العسر متبوع بيسر فهما يسران على تقدير الاستئناف وإنما كان العسر واحدا لأنه لا يخلو إما أن يكون تعريفه للعهد وهو العسر الذي كانوا فيه فهو هو لأن حكمه حكم زيد في قولك إن مع زيد مالا إن مع زيد مالا وإما أن يكون للجنس الذي يعلمه كل أحد فهو هو أيضا وأما اليسر فمنكر متناول لبعض الجنس فإذا كان الكلام الثاني مستأنفا غير مكرر فقد تناول بعضا غير البعض الأول بغير إشكال فإن قلت ما المراد باليسرين قلت يجوز أن يراد بهما ما تيسر لهم من الفتوح في أيام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما تيسر لهم في أيام الخلفاء وأن يراد يسر الدنيا ويسر الآخرة كقوله تعالى قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين وهما حسنى الظفر وحسنى الثواب فإن قلت فما معنى هذا التنكير قلت التفخيم كأنه قيل إن مع العسر يسرا عظيما وأي يسر والذي يعني سبك لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه أنه لن يغلب عسر يسرين قلت كأنه قصد باليسرين ما في قوله يسرا من معنى التفخيم فتأوله بيسر الدارين وذلك يسران في الحقيقة

فإن قلت فكيف تعلق قوله فإذا فرغت فانصب بما قبله قلت لما عدد عليه نعمه السالفة ووعده الآنفة بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة والنصب فيها وأن يواصل بين بعضها وبعض ويتابع ويحرص على أن لا يخلي وقتا من أوقاته منها فإذا فرغ من عبادة ذنّبها بأخرى وعن ابن عباس رضي الله عنهما فإذا فرغت من صلاتك فاجتهد في الدعاء وعن الحسن فإذا فرغت من الغزو فاجتهد في العبادة وعن مجاهد فإذا فرغت من دنياك فانصب في صلاتك وعن الشعبي أنه رأى رجلا يشيل حجرا فقال ليس بهذا أمر الفارغ وقعود الرجل فارغا من غير شغل أو اشتغاله بما لا يعنيه في دينه أو دنياه من سفه الرأي وسخافة العقل واستيلاء الغفلة ولقد قال عمر رضي الله عنه إني لأكره أن أرى أحدكم فارغا سبهللا لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة وقرأ أبو السمّاك فرِغت بكسر الراء وليست بفصيحة ومن البدع ما روي عن بعض الرافضة أنه قرأ فانصِب بكسر الصاد أي فانصب عليا للإمامة ولو صح هذا للرافضي لصح للناصبي أن يقرأ هكذا ويجعله أمرا بالنصب الذي هو بغض علي وعداوته وإلى ربك فارغب واجعل رغبتك إليه خصوصا ولا تسأل إلا فضله متوكلا عليه وقرئ فرغّب أي رغّب الناس إلى طلب ما عنده عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ ألم نشرح فكأنما جاءني وأنا مغتمّ ففرج عني

سورة التين مكية وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

والتين والزيتون أقسم بهما لأنهما عجيبان من أصناف الأشجار المثمرة روي أنه أهدي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طبق من تين فأكل منه وقال لأصحابه كلوا فلو قلت إن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لأن فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فإنها تقطع البواسير وتنفع من النقرس ومرّ معاذ بن جبل بشجرة الزيتون فأخذ منها قضيبا واستاك به وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفر وسمعته يقول هي سواكي وسواك الأنبياء قبلي وعن ابن عباس رضي الله عنه هو تينكم هذا وزيتونكم وقيل جبلان من الأرض المقدسة يقال لهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا لأنهما منبتا التين والزيتون وقيل التين جبال ما بين حلوان وهمذان والزيتون جبال الشام لأنهما منابتهما كأنه قيل ومنابت التين والزيتون وطور سينين وأضيف الطور وهو الجبل إلى سينين وهي البقعة ونحو سينون يبرون في جواز الإعراب بالواو والياء والإقرار على الياء وتحريك النون بحركات الإعراب وهذا البلد الأمين والبلد مكة حماها الله تعالى والأمين من أمن الرجل أمانة فهو أمين وقيل أمان كما قيل كرام في كريم وأمانته أنه يحفظ من دخله كما يحفظ الأمين ما يؤتمن عليه ويجوز أن يكون فعيلا بمعنى مفعول من أمنه لأنه مأمون الغوائل كما وصف بالأمن في قوله حرما آمنا بمعنى ذي أمن ومعنى القسم بهذه الأشياء الإبانة عن شرف البقاع المباركة وما ظهر فيها من الخير والبركة بسكنى الأنبياء والصالحين فمنبت التين والزيتون مهاجر إبراهيم ومولد عيسى ومنشؤه والطور المكان الذي نودي فيه موسى ومكة مكان البيت الذي هو هدى للعالمين ومولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومبعثه لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم في أحسن تعديل لشكله وصورته وتسوية لأعضائه ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون ثم كان عاقبة أمره حين لم يشكر نعمة تلك الخلقة الحسنة القويمة السوية أن رددناه أسفل من سفل خلقا وتركيبا يعني أقبح من قبح صورة وأشوهه خلقة وهم أصحاب النار أو أسفل من سفل من أهل الدركات أو ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين أسفل من سفل في حسن الصورة والشكل حيث نكسناه في خلقه فقوّس ظهره بعد اعتداله وابيض شعره بعد سواده وتشنن جلده وكان بضا وكلّ سمعه وبصره وكانا حديدين وتغير كل شيء منه فمشيه دليف وصوته خفات وقوته ضعف وشهامته خرف وقرأ عبد الله أسفل السافلين فإن قلت فكيف الاستثناء على المذهبين قلت هو على الأول متصل ظاهر الاتصال وعلى الثاني منقطع يعني ولكن الذين كانوا صالحين من الهرمى فلهم ثواب دائم غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على تخاذل نهوضهم فإن قلت فما يكذبك بعد بالدين من المخاطب به قلت هو خطاب للإنسان على طريقة الالتفات أي فما يجعلك كاذبا بسبب الدين وإنكاره بعد

هذا الدليل يعني انك تكذب اذ كذبت بالجزاء لان كل مكذب بالحق فهو كاذب فاي شيء يضطرك الى ان تكون كاذبا بسبب تكذيب الجزاء والباء مثلها في قوله تعالى الذين يتولونه والذين هم به مشركون والمعنى ان خلق الانسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتدريجه في مراتب الزيادة الى ان يكمل ويستوي ثم تنكيسه الى ان يبلغ ارذل العمر لا ترى دليلا اوضح منه على قدرة الخالق وان من قدر من الانسان على هذا كله لم يعجز عن اعادته فما سبب تكذيبك ايها الانسان بالجزاء بعد هذا الدليل القاطع والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم **أليس الله بأحكم الحاكمين** وعيد للكفار وانه يحكم عليهم بما هم اهله وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه كان اذا قرأها قال بلى وانا على ذلك من الشاهدين وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة والتين اعطاه الله خصلتين العافية واليقين ما دام في دار الدنيا واذا مات اعطاه الله من الاجر بعدد من قرأ هذه السورة

سورة العلق مكية وهي تسع عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم **اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق** عن ابن عباس ومجاهد هي اول سورة نزلت واكثر المفسرين على ان الفاتحة اول ما نزل ثم سورة القلم محل باسم ربك النصب على الحال اي اقرأ مفتتحا باسم ربك قل بسم الله ثم اقرأ فان قلت كيف قال خلق فلم يذكر له مفعولا ثم قال خلق الانسان قلت على وجهين اما ان لا يقدر له مفعول وان يراد انه الذي حصل منه الخلق واستأثر به لا خالق سواه واما ان يقدر ويراد خلق كل شيء فيتناول كل مخلوق لانه مطلق فليس بعض المخلوقات اولى بتقديره من بعض وقوله خلق الانسان تخصيص للانسان بالذكر بالذكر من بين ما يتناوله الخلق لان التنزيل اليه وهو اشرف ما على الارض ويجوز ان يراد الذي خلق الانسان كما قال الرحمن علم القران خلق الانسان فقيل الذي خلق مبهما ثم فسره بقوله خلق الانسان تفخيما لخلق الانسان ودلالة على عجيب فطرته فان قلت لم قال من علق على الجمع وانما خلق من علقة قلت من نطفة ثم من علقة قلت لان الانسان في معنى الجمع كقوله ان الانسان لفي خسر **اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم** الاكرم الذي له الكمال في زيادة كرمه على كل كريم ينعم على عباده النعم التي لا تحصى ويحلم عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجحودهم لنعمه وركوبهم المناهي واطراحهم الاوامر ويقبل توبتهم ويتجاوز عنهم بعد اقتراف العظائم فما لكرمه غاية ولا امد وكانه ليس وراء التكرم بافادة الفوائد العلمية تكرم حيث قال الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فدل على كمال كرمه بانه علم عباده ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل الى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها الا هو وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت اخبار الاولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة الا بالكتابة ولولا هي لما استقامت امور الدين والدنيا ولو لم يكن على دقيق حكمة الله ولطيف تدبيره دليل الا امر القلم والخط لكفى به ولبعضهم في صفة القلم

> ورواقم رقش كمثل اراقم ۝ قطف الخطا نيالة اقصى المدى ۝
> سود القوائم ما يجد مسيرها ۝ الا اذا لعبت بها بيض المدى ۝

وقرأ ابن الزبير علم الخط بالقلم **كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى ان الى ربك الرجعى ارأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى ارأيت ان كان على الهدى او امر بالتقوى ارأيت ان كذب وتولى الم يعلم بان الله يرى** كلا ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه ان رآه اي نفسه يقال في افعال القلوب رأيتني وعلمتني وذلك بعض خصائصها ومعنى الرؤية العلم ولو كانت بمعنى الابصار لامتنع في فعلها الجمع بين الضميرين واستغنى هو المفعول الثاني ان الى ربك الرجعى واقع على طريقة الالتفات الى الانسان تهديدا له وتحذيرا من عاقبة الطغيان والرجعى مصدر كالبشرى بمعنى الرجوع وقيل نزلت في ابي جهل وكذلك ارأيت الذي ينهى وروي انه قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اتزعم ان من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة فضة وذهبا لعلنا نأخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك فنزل جبريل فقال ان شئت فعلنا ذلك ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا باصحاب المائدة فكف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الدعاء ابقاء عليهم وروي عنه لعنه الله انه قال هل يعفر محمد وجهه بين اظهركم قالوا نعم قال فوالذي يحلف به لئن رأيته لاطأن عنقه فجاءه ثم نكص على عقبيه فقيل له ما لك يا ابا الحكم قال ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة فنزلت ارأيت الذي ينهى ومعناه اخبرني عمن ينهى بعض عباد الله عن صلاته ان كان ذلك الناهي على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله او كان آمرا بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان كما يعتقد وكذلك ان كان على التكذيب للحق والتولي عن الدين الصحيح كما نقول نحن الم يعلم بان الله يرى ويطلع على احواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك وهذا وعيد فان قلت ما متعلق ارأيت قلت الذي ينهى مع الجملة الشرطية وهما في موضع المفعولين فان قلت فاين جواب الشرط قلت هو محذوف تقديره ان كان على الهدى او امر بالتقوى الم يعلم بان الله يرى وانما حذف لدلالة ذكره في جواب الشرط الثاني فان قلت فكيف صح ان يكون الم يعلم جوابا للشرط قلت كما صح في قولك ان اكرمتك اتكرمني وان احسن اليك زيد هل تحسن اليه فان قلت فما ارأيت الثانية وتوسطها بين مفعولي ارأيت قلت هي زائدة مكررة للتوكيد وعن الحسن انه امية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلوة **كلا** ردع لابي جهل وخسوء له عن نهيه عن عبادة الله وامره بعبادة اللات ثم قال **لئن لم ينته** عما هو فيه **لنسفعا بالناصية** لناخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بشدة قال عمرو بن معدي كرب

> قوم اذا يقع الصريخ رأيتهم ۝ من بين ملجم مهره او سافع ۝

وقرئ لنسفعن بالنون المشددة وقرأ ابن مسعود لاسفعن وكتبها في المصحف بالالف على حكم الوقف ولما علم انها ناصية المذكور اكتفى بلام العهد عن الاضافة **ناصية كاذبة خاطئة** ناصية بدل من الناصية وجاز بدلها من المعرفة وهي نكرة لانها وصفت فاستقلت بفائدة وقرئ ناصية على هي ناصية وناصية بالنصب وكلاهما على الشتم ووصفها بالكذب والخطاء على الاسناد المجازي وهما في الحقيقة لصاحبها وفيه من الحسن والجزالة ما ليس في قولك ناصية كاذب خاطئ **فليدع ناديه** والنادي المجلس الذي ينتدي فيه القوم اي يجتمعون والمراد اهل النادي كما قال جرير

> لهم مجلس صهب السبال اذلة ۝

وقال زهير

> وفيهم مقامات حسان وجوههم ۝ والمقامة المجلس

وروي ان ابا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يصلي فقال الم انهك فاغلظ له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال اتهددني وانا اكثر اهل الوادي ناديا فنزلت **سندع الزبانية** وقرأ ابن ابي عبلة سيدعى الزبانية على البناء للمفعول والزبانية في كلام العرب الشرط الواحد زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع وقيل زبني وكانه نسب الى الزبن ثم غير للنسب كقولهم امسي واصله زباني فقيل زبانية على التعويض والمراد ملائكة العذاب وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لو دعا ناديه لاخذته الزبانية عيانا **كلا** ردع لابي جهل **لا تطعه** اي اثبت على ما انت عليه من عصيانه كقوله فلا تطع المكذبين **واسجد** ودم على سجودك يريد الصلوة **واقترب** وتقرب الى ربك وفي الحديث اقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة العلق اعطي من الاجر كانما قرأ المفصل كله

سورة القدر مختلف فيها وهي خمس ايات

بسم الله الرحمن الرحيم **انا انزلناه في ليلة القدر** عظم القرآن من ثلاثة اوجه احدها ان اسند انزاله اليه وجعله مختصا به دون غيره والثاني انه جاء بضميره دون اسمه الظاهر شهادة له بالنباهة والاستغناء عن التنبيه عليه والثالث الرفع من مقدار الوقت الذي انزل فيه وروي انه انزل جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا واملاه جبريل على السفرة ثم كان ينزله على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نجوما في ثلاث وعشرين سنة وعن الشعبي المعنى انا ابتدأنا انزاله في ليلة القدر واختلفوا في وقتها فاكثرهم على انها في شهر رمضان في العشر الاواخر في اوتارها واكثر القول انها السابعة منها ولعل الداعي الى اخفائها ان يحيي من يريدها الليالي الكثيرة

طلبًا لموافقتها فتكثر عبادتهم ويضاعف ثوابهم ولا يتكل الناس عند ظهورها على إصابة الفضل فيها فيفرطوا في غيرها ومعنى ليلة القدر ليلة تقدير الأمور وقضائها من قوله تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم وقيل سميت بذلك لخطرها وشرفها على سائر الليالي وما أدراك ما ليلة القدر يعني ولم تبلغ درايتك غاية فضلها ومنتهى علو قدرها ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم ثم بين له ذلك بأنها خير من ألف شهر وسبب ارتقاء فضلها إلى هذه الغاية ما يوجد فيها من المصالح الدينية التي ذكرها من تنزل الملائكة والروح وفصل كل أمر حكيم وذكر في تخصيص هذه المدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر فعجب المؤمنون من ذلك وتقاصرت إليهم أعمالهم فأعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي وقيل إن الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله ألف شهر فأعطوا ليلة إن أحيوها كانوا أحق بأن يسموا عابدين من أولئك العباد تنزل إلى السماء الدنيا وقيل إلى الأرض والروح جبريل وقيل خلق من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا تلك الليلة من كل أمر تنزل من أجل كل أمر قضاه الله تعالى لتلك السنة إلى قابل وقرئ من كل امرئ أي من أجل كل إنسان قيل لا يلقون مؤمنا ولا مؤمنة إلا سلموا عليه في تلك الليلة سلام هي ما هي إلا سلام لكثرة ما يسلمون على المؤمنين حتى مطلع الفجر وقرئ مطلع بفتح اللام وكسرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر أعطي من الأجر كمن صام رمضان وأحيى ليلة القدر

سورة البينة مكية وقيل مدنية وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة كان الكفار من الفريقين أهل الكتاب وعبدة الأصنام يقولون قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم لا ننفك مما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود الذي هو مكتوب في التوراة والإنجيل وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحكى الله تعالى ما كانوا يقولونه ثم قال وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة يعني أنهم كانوا يعدون اجتماع الكلمة والاتفاق على الحق إذا جاءهم الرسول ثم ما فرقهم عن الحق ولا أقرهم على الكفر إلا مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم ونظيره في الكلام أن يقول الفقير الفاسق لمن يعظه لست بمنفك مما أنا فيه حتى يرزقني الله الغنى فيرزقه الله الغنى فيزداد فسقا فيقول واعظه لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وما غمست رأسك في الفسق إلا بعد اليسار يذكره ما كان يقوله توبيخا وإلزاما وانفكاك الشيء من الشيء أن يزايله بعد التحامه به كالعظم إذا انفك من مفصله والمعنى أنهم متشبثون بدينهم لا يتركونه إلا عند مجيء البينة والبينة الحجة الواضحة ورسول بدل من البينة وفي قراءة عبد الله رسولا حالا من البينة صحفا مطهرة من الباطل قراطيس كتب مكتوبات فيها مستقيمة ناطقة بالحق والعدل والمراد بتفرقهم تفرقهم عن الحق وانقشاعهم عنه أو تفرقهم فرقا فمنهم من آمن ومنهم من أنكر وقال ليس به ومنهم من عرف وعاند فإن قلت لم جمع بين أهل الكتاب والمشركين أولا ثم أفرد أهل الكتاب في قوله وما تفرق الذين أوتوا الكتاب قلت لأنهم كانوا على علم به لوجوده في كتبهم فإذا وصفوا بالتفرق عنه كان من لا كتاب له أدخل في هذا الوصف وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وما أمروا يعني في التوراة والإنجيل إلا بالدين الحنيفي ولكنهم حرفوا وبدلوا وذلك دين القيمة دين الملة القيمة وقرئ وذلك الدين القيمة على تأويل الدين بالملة فإن قلت ما وجه قوله وما أمروا إلا ليعبدوا الله قلت معناه وما أمروا بما في الكتابين إلا لأجل أن يعبدوا الله على هذه الصفة وقرأ ابن مسعود إلا أن يعبدوا بمعنى بأن يعبدوا إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه قرأ نافع البريئة بالهمز والقراء على التخفيف والنبي والبرية مما استمر الاستعمال على تخفيفه ورفض الأصل

وقرئ خيار البرية جمع خير كجياد وطياب في جمع جيد وطيب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ لم يكن كان يوم القيامة مع خير البرية مساء ومقيلا

سورة الزلزلة مختلف فيها وهي تسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا زلزلت الأرض زلزالها زلزالها وقرئ بكسر الزاي وفتحها فالمكسور مصدر والمفتوح اسم وليس في الأبنية فعلال بالفتح إلا في المضاعف فإن قلت ما معنى زلزالها بالإضافة قلت معناه زلزالها الذي تستوجبه في الحكمة ومشيئة الله وهو الزلزال الشديد الذي ليس بعده ونحوه قولك أكرم التقي إكرامه وأهن الفاسق إهانته تريد ما يستوجبانه من الإكرام والإهانة أو زلزالها كله جميع ما هو ممكن منه وأخرجت الأرض أثقالها الأثقال جمع ثقل وهو متاع البيت وتحمل أثقالكم جعل ما في جوفها من الدفائن أثقالا لها وقال الإنسان ما لها زلزلت هذه الزلزلة الشديدة ولفظت ما في بطنها وذلك عند النفخة الثانية حين تزلزل وتلفظ أمواتها أحياء فيقولون ذلك لما يبهرهم من الأمر الفظيع كما يقولون من بعثنا من مرقدنا وقيل هذا قول الكافر لأنه كان لا يؤمن بالبعث فأما المؤمن فيقول هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها فإن قلت ما معنى تحديث الأرض والإيحاء لها قلت هو مجاز عن إحداث الله تعالى فيها من الأحوال ما يقوم مقام التحديث باللسان حتى ينظر من يقول ما لها إلى تلك الأحوال فيعلم لم زلزلت ولم لفظت الأموات وأن هذا ما كانت الأنبياء ينذرونه ويحذرون منه وقيل ينطقها الله على الحقيقة وتخبر بما عمل عليها من خير وشر وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تشهد على كل أحد بما عمل على ظهرها فإن قلت إذا ويومئذ ما ناصبهما قلت يومئذ بدل من إذا وناصبهما تحدث ويجوز أن ينتصب إذا بمضمر ويومئذ بتحدث فإن قلت أين مفعولا تحدث قلت قد حذف أولهما والثاني أخبارها وأصله تحدث الخلق أخبارها إلا أن المقصود ذكر تحديثها الأخبار لا ذكر الخلق تعظيما لليوم فإن قلت بم تعلقت الباء في قوله بأن ربك قلت بتحدث معناه تحدث أخبارها بسبب إيحاء ربك لها وأمره إياها بالتحديث ويجوز أن يكون المعنى يومئذ تحدث بتحديث أن ربك أوحى لها أخبارها على أن تحديثها بأن ربك أوحى لها تحديث بأخبارها كما تقول نصحتني كل نصيحة أن نصحتني في الدين ويجوز أن يكون بأن ربك بدلا من أخبارها كأنه قيل يومئذ تحدث بأخبارها بأن ربك أوحى لها لأنك تقول حدثته كذا وحدثته بكذا وأوحى لها بمعنى أوحى إليها وهو مجاز كقوله أن نقول له كن قال أوحى لها القرار فاستقرت وقرأ ابن مسعود تنبئ أخبارها وسعيد بن جبير تنبئ بالتخفيف يومئذ يصدر الناس يصدرون عن مخارجهم من القبور إلى الموقف أشتاتا بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين أو يصدرون عن الموقف أشتاتا يتفرق بهم طريقا الجنة والنار ليروا أعمالهم جزاء أعمالهم وفي قراءة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليروا فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقرأ ابن عباس وزيد بن علي يره بالضم ويحكى أن أعرابيا أخر خيرا يره فقيل له قدمت وأخرت فقال

خذا بطن هرشى أو قفاها فإنه ... كلا جانبي هرشى لهن طريق

وقيل الذرة ما يرى في شعاع الشمس من الهباء فإن قلت حسنات الكافر محبطة بالكفر وسيئات المؤمن معفوة باجتناب الكبائر فما معنى الجزاء بمثاقيل الذر من الخير والشر قلت المعنى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا من فريق الأشقياء ومن يعمل مثقال ذرة شرا من فريق السعداء لأنه جاء بعد قوله يصدر الناس أشتاتا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة إذا زلزلت أربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله

سورة العاديات مختلف فيها وهي إحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والعاديات ضبحا أقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح والضبح صوت أنفاسها إذا عدت وعن ابن عباس أنه حكاه فقال أح أح قال عنترة:

والخيل تكدح حين تضبح في حياض الموت ضبحا

واستضاب ضبحا على يصبحن صبحا او بالعاديات كانه قيل والضابحات لان الضبح يكون مع العدو او على الحال اي ضابحات **فالموريات** توري نار الحباحب وهي ما ينقدح من حوافرها **قدحا** قادحات صاكات بحوافرها الحجارة والقدح الصك والايراء اخراج النار تقول قدح فاورى وقدح فاصلد وانتصب قدحا بما انتصب به ضبحا **فالمغيرات** تغير على العدو **صبحا** في وقت الصبح **فأثرن به نقعا** فهيجن بذلك الوقت غبارا **فوسطن به** بذلك الوقت او بالنقع **جمعا** اي وسطن النقع الجمع او فوسطن ملتبسات به جمعا من جموع الاعداء ووسطه بمعنى توسطه وقيل الضمير لمكان الغارة وقيل للعدو الذي دل عليه والعاديات ويجوز ان يراد بالنقع الصياح من قوله عليه الصلوة والسلام ما لم يكن نقع ولا لقلقة وقول لبيد

فمتى ينقع صراخ صادق ... يحلبوها ذات جرس وزجل

اي فهيجن في المغار عليهم صياحا وجلبة وقرأ ابو حيوة فأثرن بالتشديد بمعنى فاظهرن به غبارا لان التأثير فيه معنى الاظهار او قلب ثورن الى وثرن وقلب الواو همزة وقرئ فوسطن بالتشديد للتعدية والباء مزيدة للتوكيد كقوله واتوا به او هي مبالغة في وسطن وعن ابن عباس كنت جالسا في الحجر فجاء رجل فسألني عن العاديات ضبحا ففسرتها بالخيل فذهب الى علي وهو تحت سقاية زمزم فسأله وذكر له ما قلت فقال ادعه لي فلما وقفت على رأسه قال تفتي الناس بما لا علم لك به والله ان كانت لاول غزوة في الاسلام بدر وما كان معنا الا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد العاديات ضبحا الابل من عرفة الى المزدلفة ومن المزدلفة الى منى فان صحت الرواية فقد استعير الضبح كما استعير المشافر والحافر للانسان والشفتان للمهر والثفر للثور وما اشبه ذلك وقيل الضبح لا يكون الا للفرس والكلب والثعلب وقيل الضبح بمعنى الضبع يقال ضبحت الابل وضبعت اذا مدت اضباعها في السير وليس بثبت وجمع هو المزدلفة فان قلت علام عطف فأثرن قلت على الفعل الذي وضع اسم الفاعل موضعه لان المعنى واللاتي عدون فاورين فاغرن فأثرن **ان الانسان لربه لكنود** الكنود الكفور وكند النعمة كنودا ومنه سمي كندة لانه كند اباه ففارقه وعن الكلبي الكنود بلسان كندة العاصي وبلسان بني مالك البخيل وبلسان مضر وربيعة الكفور يعني انه لنعمة ربه خصوصا لشديد الكفران لان تفريطه في شكر نعمة غير الله تفريط قريب لمقاربة النعمة لان اجل ما انعم به على الانسان من مثله نعمة ابويه ثم ان عظماها في جنب اذنى نعمة الله عليه قليلة **وانه** وان الانسان **على ذلك** على كنوده **لشهيد** يشهد على نفسه ولا يقدر ان يجحده لظهور امره وقيل وان الله على كنوده لشاهد على سبيل الوعيد **وانه لحب الخير لشديد** والخير المال من قوله تعالى ان ترك خيرا والشديد البخيل الممسك يقال فلان شديد ومتشدد قال طرفة

ارى الموت يعتام الكرام ويصطفي ... عقيلة مال الفاحش المتشدد

يعني وانه لاجل حب المال وان انفاقه يثقل عليه لبخيل ممسك او اراد بالشديد القوي وانه لحب المال وايثار الدنيا وطلبها قوي مطيق وهو لحب عبادة الله وشكر نعمته ضعيف متقاعس تقول هو شديد لهذا الامر وقوي له اذا كان مطيقا له ضابطا او اراد انه لحب الخيرات غير هش منبسط ولكنه شديد منقبض **أفلا يعلم اذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور** بعثر بعث وقرئ بحثر وبحث وبحثر وحصل ميزبينهما للفاعل وحصل للمفعول وحصل بالتخفيف ومعنى حصل جمع في الصحف اي اظهر محصلا مجموعا وقيل ميز بين خيره وشره ومنه قيل للمنخل المحصل **ان ربهم بهم يومئذ لخبير** ومعنى علمه بهم يوم القيمة مجازاته على مقادير اعمالهم لان ذلك اثر خبرته بهم وقرأ ابو السمال ان ربهم بهم يومئذ خبير عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة والعاديات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا

سورة القارعة مكية وهي عشر ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

القارعة ما القارعة وما ادراك ما القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش الظرف نصب بمضمر دلت عليه القارعة اي تقرع يوم يكون الناس

كالفراش المبثوث شبههم بالفراش في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطاير الى الداعي من كل جانب كما يتطاير الفراش الى النار قال جرير

ان الفرزدق ما علمت وقومه ... مثل الفراش غشين نار المصطلي

وفي امثالهم اضعف من فراشة واذل واجهل وسمي فراشا لتفرشه وانتشاره وشبه الجبال بالعهن وهو الصوف **فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية واما من خفت موازينه فامه هاوية وما ادراك ما هيه نار حامية** الموازين جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله او جمع ميزان وثقلها رجحانها ومنه حديث ابي بكر لعمر في وصيته له وانما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيمة باتباعهم الحق وثقله في الدنيا وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحسنات ان يثقل وانما خفت موازين من خفت موازينه باتباعهم الباطل وخفته في الدنيا وحق لميزان لا يوضع فيه الا السيئات ان يخف فامه هاوية من قولهم اذا دعوا على الرجل بالهلكة هوت امه لانه اذا هوى اي سقط وهلك فقد هوت امه ثكلا وحزنا قال

هوت امه ما يبعث الصبح غاديا ... وماذا يؤدي الليل حين يؤوب

فكانه قيل واما من خفت موازينه فقد هلك وقيل هاوية من اسماء النار وكانها النار العميقة لهوي اهل النار فيها مهوى بعيدا كما روي يهوي فيها سبعين خريفا اي فماواه النار وقيل للماوى ام على التشبيه لان الام ماوى الولد ومفزعه وعن قتادة فامه هاوية فام راسه هاوية في قعر جهنم لانه يطرح فيها منكوسا هيه ضمير الداهية التي دل عليها قوله فامه هاوية في التفسير الاول او ضمير هاوية والهاء للسكت واذا وصل القارئ حذفها وقيل حقه الا يدرج لئلا يسقطها الادراج لانها ثابتة في المصحف وقد اجيز اثباتها مع الوصل عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيمة

سورة التكاثر مكية وهي ثمان ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر الهاه عن كذا واقهاه اذا شغله والتكاثر التباري في الكثرة والتباهي بها وان يقول هؤلاء نحن اكثر وهؤلاء نحن اكثر روي ان بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا ايهم اكثر عددا فكثرهم بنو عبد مناف فقالت بنو سهم ان البغي اهلكنا في الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات فكثرتهم بنو سهم والمعنى انكم تكاثرتم بالاحياء حتى اذا استوعبتم عددهم صرتم الى المقابر فتكاثرتم بالاموات عبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة المقابر تهكما بهم وقيل كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا قبر فلان هذا قبر فلان عند تفاخرهم والمعنى الهاكم ذلك وهو مما لا يعنيكم ولا يجدي عليكم في دنياكم واخرتكم عما يعنيكم من امر الدين الذي هو اهم واعنى من كل مهم او اراد الهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى ان متم وقبرتم منفقين اعماركم في طلب الدنيا والاشتياق اليها والتهالك عليها الى ان اتاكم الموت لا همّ لكم غيرها عما هو اولى بكم من السعي لعاقبتكم والعمل لاخرتكم وزيارة القبر عبارة عن الموت قال

لن يخلص العام خليل عشرا ... ذاق الضماد او يزور القبرا

وقرأ ابن عباس أألهاكم على الاستفهام الذي معناه التقرير **كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها** كلا ردع وتنبيه على انه لا ينبغي للناظر لنفسه ان تكون الدنيا جميع همه ولا يهتم بدينه سوف تعلمون انذار ليخافوا فينتبهوا عن غفلتهم والتكرير تأكيد للردع والانذار عليهم وثم دلالة على ان الانذار الثاني ابلغ واشد كما تقول للمنصوح اقول لك ثم اقول لك لا تفعل والمعنى سوف تعلمون الخطأ فيما انتم عليه اذا عاينتم ما قدامكم من هول لقاء الله وان هذا التنبيه نصيحة لكم ورحمة عليكم ثم كرر التنبيه ايضا وقال لو تعلمون محذوف الجواب يعني لو تعلمون ما بين ايديكم علم الامر اليقين اي كعلمكم ما تستيقنونه من الامور التي وكلتم بعلمها هممكم لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه ولكنكم ضلال جهلة ثم قال لترون الجحيم فبين لهم ما انذرهم منه واوعدهم به وقد مر ما في ايضاح الشيء بعد ابهامه من تفخيمه وتعظيمه وهو جواب قسم محذوف والقسم لتوكيد الوعيد

وان ما اوعدوا به ما لا مدخل فيه للريب وكرره معطوفا بثم تغليظا في التهديد وزيادة في التهويل وقرى
لترؤنها بالهمز وهي مستكرهة فان قلت لم استكرهت والواو المضمومة قبلها همزة قياس مطرد قلت
ذاك في الواو التي ضمتها لازمة وهي عارضة لالتقاء الساكنين وقرى لترون ولترونها على البناء للمفعول
عين اليقين ۝ اي التي هي نفس اليقين وخالصته ويجوز ان يراد بالرؤية العلم والابصار ثم لتسألن
يومئذ عن النعيم ۝ عن اللهو والتنعم الذي شغلكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه فان قلت
ما النعيم الذي يسال عنه الانسان ويعاتب عليه فما من احد الا وله نعيم قلت هو نعيم من عكف
همته على استيفاء اللذات ولم يعش الا لياكل الطيب ويلبس اللين ويقطع اوقاته باللهو والطرب
لا يعبأ بالعلم والعمل ولا يحمل نفسه مشاقهما فاما من تمتع بنعمة الله وارزاقه التي لم يخلقها الا لعباده
وتقوى بها على دراسة العلم والقيام بالعمل وكان ناهضا بالشكر فهو من ذاك بمعزل واليه اشار رسول
الله صلى الله عليه واله وسلم فيما روي انه اكل هو واصحابه تمرا وشربوا عليه ماء فقال الحمد لله الذي
اطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من قرا الهاكم التكاثر لم يحاسبه
الله بالنعيم الذي انعم به عليه في دار الدنيا واعطي من الاجر كانما قرا الف اية ۝

سورة العصر مكية وهي ثلاث ايات

بسم الله الرحمن الرحيم ۝ والعصر ۝ اقسم بصلوة العصر لفضلها
بدليل قوله تعالى والصلوة الوسطى صلوة العصر في مصحف حفصة وقوله عليه الصلوة والسلام من فاتته
صلوة العصر فكانما وتر اهله وماله ولان التكليف في ادائها اشق لتهافت الناس في تجاراتهم ومكاسبهم
اخر النهار واشتغالهم بمعايشهم او اقسم بالعشي كما اقسم بالضحى لما فيهما جميعا من دلائل القدرة
او اقسم بالزمان لما في مروره من اصناف العجائب ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا
الصالحات والانسان للجنس والخسر الخسران كما قيل الكفر في الكفران والمعنى ان الانسان لفي
خسران من تجاراتهم الا الصالحين وحدهم لانهم اشتروا الاخرة بالدنيا فربحوا وسعدوا ومن عداهم
تجروا خلاف تجاراتهم فوقعوا في الخسارة والشقاوة وتواصوا بالحق بالامر الثابت الذي لا يسوغ
انكاره وهو الخير كله من توحيد الله وطاعته واتباع كتبه ورسله والزهد في الدنيا والرغبة
في الاخرة وتواصوا بالصبر ۝ عن المعاصي وعلى الطاعات وعلى ما يبلو الله به عباده عن رسول الله
صلى الله عليه واله من قرا سورة العصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر

سورة الهمزة مكية وهي تسع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم
ويل لكل همزة لمزة ۝ الهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن ولمزه والمراد الكسر من اعراض الناس والغض منهم
واغتيابهم والطعن فيهم وبناء فعلة يدل على ان ذلك عادة منه قد ضري بها ونحوهما اللعنة والضحكة
قال وان اغيب فانت الهامز اللمزه وقرى ويل للهمزة اللمزة وقرى ويل لكل همزة لمزة
بسكون الميم وهو المسخرة الذي ياتي بالاوابد والاضاحيك فيضحك منه ويشتم
وقيل نزلت في الاخنس بن شريق وكانت عادته الغيبة والوقيعة وقيل في امية بن خلف وقيل في الوليد بن المغيرة
واغتيابه لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم وغضه منه ويجوز ان يكون السبب خاصا والوعيد عاما ليتناول
كل من باشر ذلك القبيح وليكون جاريا مجرى التعريض بالوارد فيه فان ذلك ازجر له وانكى فيه الذي جمع
مالا وعدده ۝ الذي بدل من كل او نصب على الذم وقرى جمع بالتشديد وهو مطابق لعدده وقيل عدده
جعله عدة لحوادث الدهر وقرى وعدده اي جمع المال وضبط عدده واحصاه او جمع ماله وقومه
الذين ينصرونه من قولك فلان ذو عدة وذو عدد اذا كان له عدد وافر من الانصار وما يصلحهم وقيل عدده
معناه وعدده على فك الادغام نحو ضننوا يحسب ان ماله اخلده ۝ وخلده بمعنى اي طول المال امله
ومناه الاماني البعيدة حتى اصبح لفرط غفلته وطول امله يحسب ان المال تركه خالدا في الدنيا لا يموت

او يعمل من تشييد البنيان الموثق بالصخر والاجر وغرس الاشجار وعمارة الارض عمل من يظن ان ماله ابقاه حيا
او تعريض بالعمل الصالح وانه هو الذي اخلد صاحبه في النعيم فاما المال فما اخلد احدا فيه وروي انه كان
للاخنس اربعة الاف دينار وقيل عشرة الاف وعن الحسن انه عاد موسرا فقال ما تقول في الوف لم
افتد بها من لئيم ولا تفضلت بها على كريم قال ولكن لماذا قال لنبوة الزمان وجفوة السلطان
ونوائب الدهر ومخافة الفقر قال اذن تدعه لمن لا يحمدك وترد على من لا يعذرك كلا ردع له عن
حسبانه لينبذن وقرى لينبذان اي هو وماله ولينبذن بضم الذال اي هو وانصاره لينبذنه
في الحطمة وما ادراك ما الحطمة نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة في الحطمة في النار
التي من شانها ان تحطم كل ما يلقى فيها ويقال للرجل الاكول انه الحطمة وقرى الحاطمة يعني انها
تدخل في اجوافهم حتى تصل الى صدورهم وتطلع على افئدتهم وهي اوساط القلوب ولا شي في بدن
الانسان الطف من الفؤاد ولا اشد تالما منه بادنى اذى يمسه فكيف اذا اطلعت عليه نار جهنم
واستولت عليه ويجوز ان تخص الافئدة لانها مواطن الكفر والعقائد الفاسدة والنيات الخبيثة
ومعنى اطلاع النار عليها انها تعلوها وتغلبها وتشتمل عليها او تطالع على سبيل المجاز معادن موجبها
انها عليهم مؤصدة ۝ مطبقة قال ۝
تحن الى اجبال مكة ناقتي ۝ ومن دونها ابواب صنعاء مؤصدة ۝
في عمد ممددة ۝ وقرى في عمد بضمتين وعمد بسكون الميم وعمد بفتحتين والمعنى انه يؤكد يأسهم من الخروج
وتيقنهم بحبس الابد فتؤصد عليهم الابواب وتمدد على الابواب العمد استيثاقا في الاستيثاق
ويجوز ان يكون المعنى انها عليهم مؤصدة موثقين في عمد ممددة مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص
اللهم اجرنا من النار يا خير مستجار عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من قرا سورة الهمزة
اعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزا بمحمد واصحابه

سورة الفيل وهي خمس ايات مكية بسم الله الرحمن الرحيم ۝ الم تر كيف فعل

ربك باصحاب الفيل ۝ روي ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسماها
القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك وقيل اججت رفقة
من العرب نارا فحملتها الريح فاحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بالحبشة ومعه فيل له اسمه محمود
وكان قويا عظيما واثنا عشر فيلا غيره وقيل ثمانية وقيل كان معه الف فيل وقيل كان وحده فلما بلغ
المغمس خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث اموال تهامة فابى وعبا جيشه وقدم الفيل وكانوا كلما وجهوه
الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن او الى غيره من الجهات هرول فارسل الله طيرا سودا وقيل
خضرا وقيل بيضا مع كل طائر حجر في منقاره وحجران في رجليه اكبر من العدسة واصغر من الحمصة
وعن ابن عباس انه راى منها عند ام هاني نحو قفيز مخططة بحمرة كالجزع الظفاري فكان الحجر
يقع على راس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا وهلكوا في كل طريق ومنهل ودوي
ابرهة فتساقطت انامله واراده وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره ابو يكسوم
وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما اتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه
وقيل كان ابرهة جد النجاشي الذي كان في زمن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم باربعين سنة وقيل
بثلاث وعشرين سنة وعن عائشة رايت قائد الفيل وسائسه اعميين مقعدين يستطعمان وفيه
ان ابرهة اخذ لعبد المطلب مائتي بعير فخرج اليه فيها فجهره وكان رجلا جسيما وسيما وقيل هذا سيد قريش
وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤس الجبال فلما ذكر حاجته قال سقطت
من عيني جئت لاهدم البيت الذي هو دينك ودين ابائك وعصمتكم وشرفكم في قديم الدهر فالهاك عنه ذود
اخذ لك فقال انا رب الابل وللبيت رب سيمنعه ثم رجع واتى باب البيت فاخذ بحلقته وهو يقول
لاهم ان المرء يمنع رحله فامنع حلالك ۝ لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدوا محالك ۝
ان كنت تاركهم وكعبتنا فامر ما بدا لك ۝ يا رب لا ارجو لهم سواكا ۝ يا رب فامنع منهم حماكا ۝
فالتفت وهو يدعو فاذا بطير من نحو اليمن فقال والله انها لطير غريبة وما هي بنجدية ولا تهامية وفيه

وفيه ان اهل مكة احتووا على اموالهم وجمع عبد المطلب من جواهرهم وذهبهم الجوة وكان سبب يساره وعن
ابى سعيد الخدري انه سئل عن الطير فقال حمام مكة منها وقيل جاءت عشية ثم صبحتهم وعن عكرمة
من اصابته جدرته وهو اول جدري ظهر وفي الم تر تنبيه للتعجب في اظهار اثر الجازم والمعنى انك
رايت اثار فعل الله بالحبشة وسمعت الاخبار متواترة فقامت لك مقام المشاهدة وكيف في موضع
نصب بفعل ربك لا بالم تر لما في كيف من معنى الاستفهام «الم يجعل كيدهم في تضليل»
في تضييع وابطال يقال ضلل كيده اذا جعله ضالا ضائعا ونحوه قوله تعالى وما كيد الكافرين الا في ضلال
وقيل لامرئ القيس الملك الضليل لانه ضلل ملك ابيه «وارسل عليهم طيرا» يعني انهم كادوا البيت اولا ببناء
القليس واراد ان ينسخوا امره بصرف وجوه الحاج اليه فضلل كيدهم بايقاع الحريق فيه وكادوه
ثانيا بارادة هدمه فضلل بارسال الطير عليهم «ابابيل» حزائق الواحدة ابالة وفي امثالهم ضغث
على ابالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت الحزقة من الطير في تضامها بالابالة وقيل ابابيل مثل عباديد
وشماطيط لا واحد لها «ترميهم» وقرأ ابو حنيفة رحمه الله تعالى يرميهم اي الله عز وجل او الطير لانه
اسم جمع مذكر وانما يؤنث على المعنى «بحجارة من سجيل» وسجيل كانه علم للديوان الذي كتب فيه عذاب
الكفار كما ان سجينا علم لديوان اعمالهم كانه قيل بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون واشتقاقه
من الاسجال وهو الارسال لان العذاب موصوف بذلك وارسل عليهم طيرا وارسل عليهم الطوفان
وعن ابن عباس رضي الله عنهما من طين مطبوخ كما يطبخ الآجر وقيل هو معرب من سنك كل وقيل من
سجين اي من جهنم فابدلت وروى ابن مقبل ◦ ضربا تواصت به الابطال سجيلا ◦ وانما هو سجينا والقصيدة
نونية مشهورة في ديوانه «فجعلهم كعصف مأكول» وشبهوا بورق الزرع اذا اكل اي وقع
فيه الاكال وهو ان ياكله الدود او بتبن اكلته الدواب وراثته ولكنه جاء على ما عليه اداب القرآن
كقوله كانا ياكلان الطعام او اريد اكل حبه فبقي صفرا منه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الفيل اعفاه الله ايام حياته من الخسف والمسخ

سورة قريش مكية وهي اربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

«لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف» لايلاف قريش متعلق بقوله فليعبدوا وامرهم ان يعبدوا لاجل ايلافهم فان
قلت فلم دخلت الفاء قلت لما في الكلام من معنى الشرط لان المعنى اما لا فليعبدوه لايلافهم على معنى
ان نعم الله عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه الواحدة التي هي نعمة ظاهرة وقيل المعنى اعجبوا لايلاف قريش
وقيل هو متعلق بما قبله اي فجعلهم كعصف ماكول لايلاف قريش وهذا بمنزلة التضمين في معنى الشعر
وهو ان يتعلق معنى البيت بالذي قبله تعلقا لا يصح الا به وهما في مصحف ابي سورة واحدة بلا فصل وعن عمر
انه قرأهما في الثانية من صلاة المغرب وقرأ في الاولى والتين والمعنى انه اهلك الحبشة الذين قصدوهم
ليتسامع الناس بذلك فيتهيبوهم زيادة تهيب ويحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الامن في رحلتيهم
فلا يجترئ عليهم احد وكانت لقريش رحلتان يرحلون في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون
ويتجرون وكانوا في رحلتيهم آمنين لانهم اهل حرم الله وولاة بيته فلا يتعرض لهم والناس غيرهم
يتخطفون ويغار عليهم والايلاف من قولك الفت المكان أولفه ايلافا اذا الفته فانا مولف قال
من المولفات الرهو غير الاوارك وقرئ لالاف قريش اي لمؤالفة قريش وقيل يقال الفته
الفا والافا وقرأ ابو جعفر لالف قريش وقد جمعهما من قال
زعمتم ان اخوتكم قريش ◦ لهم إلف وليس لكم الاف ◦
وقرأ عكرمة ليألف قريش الفهم رحلة الشتاء والصيف وقريش ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير
القرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار وعن معاوية انه سأل ابن عباس
رضي الله عنهما بم سميت قريش قال بدابة في البحر تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى وانشد
◦ وقريش هي التي تسكن البحر ◦ بها سميت قريش قريشا ◦

والتصغير للتعظيم وقيل من القرش وهو الكسب لانهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم في البلاد
أطلق الايلاف ثم ابدل عنه المقيد بالرحلتين تفخيما لامر الايلاف وتذكيرا لعظيم النعمة فيه ونصب
الرحلة بايلافهم مفعولا به كما نصب يتيما باطعام واراد رحلتي الشتاء والصيف فافرد
لامن الالباس كقوله كلوا في بعض بطنكم وقرئ رحلة وهي الجهة التي يرحل اليها والتنكير
في جوع وخوف لشدتهما يعني اطعمهم بالرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبلهما وآمنهم من خوف
عظيم وهو خوف اصحاب الفيل او خوف التخطف في بلدهم ومسايرهم وقيل كانوا قد اصابتهم شدة
حتى اكلوا الجيف والعظام المحرقة وآمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم وقيل ذلك
كله بدعاء ابراهيم صلوات الله عليه ومن بدع التفاسير وآمنهم من خوف من ان تكون الخلافة في
غيرهم وقرئ من خوف باخفاء النون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لايلاف قريش
اعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها

سورة أرأيت مكية وقيل مدنية وهي سبع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

«أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم» وقرئ أريت بحذف الهمزة وليس بالاختيار لان
حذفها مختص بالمضارع ولم يصح عن العرب ريت ولكن الذي سهلها ان همزة حرف الاستفهام في اول
الكلام ونحوه ◦ صاح هل ريت او سمعت براع ◦ رد في الضرع ما قرى في العلاب ◦
وقرأ ابن مسعود ارايتك بزيادة حرف الخطاب كقوله تعالى ارايتك هذا الذي كرمت علي
والمعنى هل عرفت الذي يكذب بالجزاء من هو ان لم تعرفه فذلك الذي يكذب بالجزاء هو الذي يدع
اليتيم اي يدفعه دفعا عنيفا بجفوة واذى ويرده ردا قبيحا بزجر وخشونة وقرئ يدع
اي يترك ويجفو «ولا يحض على طعام المسكين» ولا يبعث اهله على بذل طعام المسكين جعل
علم التكذيب بالجزاء منع المعروف والاقدام على ايذاء الضعيف يعني انه لو آمن بالجزاء وايقن بالوعيد
لخشي الله تعالى وعقابه ولم يقدم على ذلك فحين اقدم عليه علم انه مكذب فما اشده من كلام وما اخوفه
من مقام وما ابلغه في التحذير من المعصية وانها جديرة بان يستدل بها على ضعف الايمان ورخاوة
اليقين ثم وصل به قوله «فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون
ويمنعون الماعون» كانه قال فاذا كان الامر كذلك فويل للمصلين الذين يسهون عن الصلاة قلة
مبالاة بها حتى تفوتهم او يخرج وقتها او لا يصلونها كما صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف
ولكن ينقرونها نقرا من غير خشوع واخبات ولا اجتناب لما يكره فيها من العبث باللحية والثياب
وكثرة التثاؤب والالتفات لا يدري الواحد منهم عن كم انصرف ولا ما قرأ من السور وكما ترى صلاة اكثر
من ترى الذين عادتهم الرياء باعمالهم ومنع حقوق اموالهم والمعنى ان هؤلاء احق بان يكون سهوهم
عن الصلاة التي هي عماد الدين والفارق بين الايمان والكفر والرياء الذي هو شعبة من الشرك ومنع
الزكاة التي هي شقيقة الصلاة وقنطرة الاسلام علما على انهم مكذبون بالدين وكم ترى من المتسمين بالاسلام
بل من العلماء منهم من هو على هذه الصفة فيا مصيبتاه وطريقة اخرى ان يكون فذلك عطفا على الذي
يكذب اما عطف ذات على ذات او صفة على صفة ويكون جواب ارايت محذوفا لدلالة ما بعده عليه
كانه قال اخبرني وما تقول فيمن يكذب بالجزاء وفيمن يؤذي اليتيم ولا يطعم المسكين انعم ما يصنع ثم
قال فويل للمصلين اي اذا علم انه مسيء فويل للمصلين على معنى فويل لهم الا انه وضع صفتهم موضع ضميرهم لانهم
كانوا مع التكذيب وما اضيف اليهم ساهين عن الصلاة مرائين غير مزكين اموالهم فان قلت كيف
جعلت المصلين قائما مقام ضمير الذي يكذب وهو واحد قلت معناه الجمع لان المراد به الجنس فان قلت
اي فرق بين قوله عن صلاتهم وبين قولك في صلاتهم قلت معنى عن انهم ساهون عنها سهو ترك لها
وقلة التفات اليها وذلك فعل المنافقين او الفسقة لا يكاد يخلو منهم مسلم وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقع له السهو في صلاته فضلا عن غيره ومن ثم اثبت الفقهاء باب سجود السهو في كتبهم وعن
انس رضي الله عنه الحمد لله على ان لم يقل في صلاتهم وقرأ ابن مسعود لاهون فان قلت

ما معنى المراءاة قلت هي مفاعلة من الاراءة لان المرائي يُري الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه والاعجاب به ولا
يكون الرجل مرائيا باظهار العمل الصالح ان كان فريضة فمن حق الفرائض الاعلان بها وتشهيرها لقوله
عليه السلام ولا غمة في فرائض الله لانها اعلام الاسلام وشعائر الدين ولان تاركها يستحق الذم والمقت فوجب
اماطة التهمة بالاظهار وان كان تطوعا فحقه ان يخفى لانه مما لا يلام على تركه ولا تهمة فيه فان اظهره
قاصدا للاقتداء به كان جميلا وانما الرياء ان يقصد بالاظهار ان تراه الاعين فيثنى عليه بالصلاح وعن
بعضهم انه رأى رجلا في المسجد قد سجد سجدة الشكر فأطالها فقال ما احسن هذا لو كان في بيتك
وانما قال هذا لانه توسم فيه الرياء والسمعة على ان اجتناب الرياء صعب الا على المرتاضين بالاخلاص
ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الرياء اخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة المظلمة على المسح الاسود
الماعون الزكاة قال الراعي • قوم على الاسلام لما يمنعوا • ماعونهم ويضيعوا التهليلا • وعن ابن مسعود
ما يتعاور في العادة من الفاس والقدر والدلو والمقدحة ونحوها وعن عائشة الماء والنار والملح
وقد يكون منع هذه الاشياء محظورا في الشريعة اذا استعيرت عن اضطرار وقبيحا في المروءة
في غير حال الضرورة

سورة الكوثر ثلاث آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ في قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله انا انطيناك الكوثر وفي حديثه صلى الله عليه وآله
وسلم وانطوا الثبجة والكوثر فوعل من الكثرة وهو المفرط الكثرة وقيل لاعرابية رجع ابنها من
السفر بم آب ابنك قالت آب بكوثر وقال • البيت للكميت •
• وانت كثير يا ابن مروان طيب • وكان ابوك ابن العقائل كوثرا •
وقيل الكوثر نهر في الجنة وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قرأها حين انزلت عليه فقال اتدرون ما
الكوثر انه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير وروي في صفته احلى من العسل واشد بياضا
من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد حافتاه الزبرجد واوانيه من فضة عدد نجوم السماء وروي
لا يظمأ من شرب منه ابدا اول وارديه فقراء المهاجرين الدنسو الثياب الشعث الرؤوس الذين
لا يزوجون المنعمات ولا تفتح لهم ابواب السدد يموت احدهم وحاجته في صدره لو اقسم على الله لابره
وعن ابن عباس انه فسر الكوثر بالخير الكثير فقال له سعيد بن جبير فان ناسا يقولون هو نهر في الجنة
فقال هو من الخير الكثير فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ والنحر البدن وعن عطية هي صلاة الفجر بجمع
والنحر بمنى وقيل صلاة العيد والتضحية وقيل هي جنس الصلاة والنحر وضع اليمين على الشمال والمعنى
اعطيت ما لا غاية لكثرته من خير الدارين الذي لم يعطه احد غيرك ومعطي ذلك كله انا اله العالمين
فاجتمعت لك الغبطتان السنيتان اصابة اشرف عطاء واوفره من اكرم معط واعظم منعم
فاعبد ربك الذي اعزك باعطائه وشرفك وصانك من منن الخلق مراغما لقومك الذين يعبدون غير الله
وانحر لوجهه وباسمه اذا نحرت مخالفا لهم في النحر للاوثان إِنَّ شَانِئَكَ ان من ابغضك من قومك
لمخالفتك لهم هُوَ الْأَبْتَرُ لا انت لان كل من يولد الى يوم القيامة من المؤمنين فهم اولادك واعقابك
وذكرك مرفوع على المنابر والمنائر وعلى لسان كل عالم وذاكر الى آخر الدهر يبدأ بذكر الله تعالى
ويثنى بذكرك ولك في الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف فمثلك لا يقال له ابتر انما الابتر هو شانئك
المنسي في الدنيا والآخرة وان ذكر ذكر باللعن وكانوا يقولون ان محمدا صنبور اذا مات مات ذكره وقيل نزلت
في العاص بن وائل وقد سماه الابتر والابتر الذي لا عقب له ومنه الحمار الابتر الذي لا ذنب له عن رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد
في يوم النحر او يقربونه

سورة الكافرون مكية وهي ست آيات ويقال لها سورة
الاخلاص والمقشقشتان اي المبرئتان من النفاق

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ المخاطبون كفرة مخصوصون قد علم الله منهم انهم لا يؤمنون
روي ان رهطا من قريش قالوا يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة
فقال معاذ الله ان اشرك بالله غيره فقالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد الهك فنزلت فغدا الى

المسجد الحرام

المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤوسهم فقرأها عليهم فأيسوا لا اعبد اريدت به العبادة
فيما يستقبل لان لا لا تدخل الا على مضارع في معنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع في معنى
الحال الا ترى ان لن تأكيد فيما تنفيه لا وقال الخليل في لن ان اصله لا ان والمعنى لا افعل في المستقبل ما تطلبونه
من عبادة آلهتكم ولا انتم فاعلون فيه ما اطلب منكم من عبادة الهي وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ اي وما كنت قط
عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه يعني لم تعهد مني عبادة صنم في الجاهلية فكيف ترجى مني في الاسلام وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ
مَا أَعْبُدُ اي وما عبدتم في وقت ما انا على عبادته فان قلت فهلا قيل ما عبدت كما قيل ما عبدتم قلت لانهم
كانوا يعبدون الاصنام قبل المبعث وهو لم يكن يعبد الله في ذلك الوقت فان قلت فلم جاء على ما دون من قلت لان
المراد الصفة كانه قال لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق وقيل ان ما مصدرية اي لا اعبد عبادتكم ولا تعبدون
عبادتي لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ لكم شرككم ولي توحيدي والمعنى اني نبي مبعوث اليكم لادعوكم
الى الحق والنجاة فاذا لم تقبلوا مني ولم تتبعوني فدعوني كفافا ولا تدعوني الى الشرك عن رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الكافرون فكأنما قرأ ربع القرآن وتباعدت منه مردة الشياطين وبرئ من

سورة النصر مدنية وهي ثلاث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ اذا منصوب بسبح وهو لما يستقبل والاعلام بذلك قبل كونه من اعلام النبوة
وروي انها نزلت في ايام التشريق بمنى في حجة الوداع فان قلت ما الفرق بين النصر والفتح حتى عطف
عليه قلت النصر الاغاثة والاظهار على العدو ومنه نصر الله الارض اغاثها والفتح فتح البلاد والمعنى
نصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على العرب او على قريش وقيل جنس نصر الله للمؤمنين وفتح بلاد الشرك عليهم
وكان فتح مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان ومع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عشرة آلاف من المهاجرين
والانصار وطوائف العرب واقام بها خمس عشرة ليلة ثم خرج الى هوازن وحين دخلها وقف على باب الكعبة
ثم قال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا اهل مكة ما ترون اني
فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم قال اذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وقد كان الله تعالى امكنه من رقابهم عنوة وكانوا له فيئا فلذلك سمي اهل مكة الطلقاء ثم بايعوه على الاسلام
وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ وهو ملة الاسلام التي لا دين له يضاف اليه غيرها ومن يبتغ غير الاسلام
دينا فلن يقبل منه أَفْوَاجًا جماعات كثيفة كانت تدخل فيه القبيلة باسرها بعد ما كانوا يدخلون فيه واحدا
واحدا واثنين اثنين وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه انه بكى ذات يوم فقيل له ما يبكيك فقال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول دخل الناس في دين الله افواجا وسيخرجون منه افواجا وقيل اراد بالناس
اهل اليمن قال ابو هريرة لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الله اكبر جاء نصر الله والفتح وجاء
اهل اليمن قوم رقيقة قلوبهم الايمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية وقال اجد نفس ربكم من قبل
اليمن وعن الحسن لما فتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة اقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا اما اذا
ظفر باهل الحرم فليس به يدان وقد كان الله اجارهم من اصحاب الفيل وعن كل من ارادهم فكانوا يدخلون في
الاسلام افواجا من غير قتال وقرأ ابن عباس فتح الله والنصر وقرئ يدخلون على البناء للمفعول فان
قلت ما محل يدخلون قلت النصب اما على الحال على ان رأيت بمعنى ابصرت او عرفت او هو مفعول ثان على
انه بمعنى علمت فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ فقل سبحان الله حامدا له اي فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببالك وبال
احد من ان يغلب احد على اهل الحرم واحمده على صنيعه او فاذكره مسبحا حامدا زيادة في عبادته والثناء
عليه لزيادة انعامه او فصل له روت ام هانئ انه لما فتح باب الكعبة صلى صلاة الضحى ثماني ركعات وعن
عائشة رضي الله عنها كان يكثر قبل موته ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك واتوب اليك وَاسْتَغْفِرْهُ
والامر بالاستغفار مع التسبيح تكميل للامر بما هو قوام امر الدين من الجمع بين الطاعة والاحتراس
من المعصية وليكون امره بذلك مع عصمته لطفا لامته ولان الاستغفار من التواضع لله وهضم
النفس فهو عبادة في نفسه وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم اني لاستغفر في اليوم والليلة مائة مرة
وروي انه لما قرأها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على اصحابه استبشروا وبكى العباس فقال صلى الله عليه وآله وسلم

ما يبكيك يا عم قال نعيت اليّ نفسك قال انها لكما تقول فعاش بعدها سنتين لم ير فيهما ضاحكا مستبشرا وقيل ان ابن عباس هو الذي قال ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقد اوتي هذا الغلام علما كثيرا وروى انها لما نزلت خطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال ان عبدا خيّره الله بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله فعلم ابو بكر رضي الله عنه فقال فديناك بأموالنا وانفسنا وآبائنا واولادنا وعن ابن عباس ان عمر رضي الله عنه كان يدنيه ويأذن له مع اهل بدر فقال له عبد الرحمن اتأذن لهذا الفتى معنا وفي ابنائنا من هو مثله فقال انه ممن قد علمتم قال ابن عباس فأذن لهم ذات يوم واذن لي معهم فسألهم عن قول الله تعالى اذا جاء نصر الله ولا اراه سألهم الا من اجلي فقال بعضهم امر الله نبيه اذا فتح عليه ان يستغفره ويتوب عليه فقلت ليس كذلك ولكن نعيت اليه نفسه فقال عمر ما اعلم منها الا مثل ما تعلم ثم قال كيف تلومونني عليه بعد ما ترون وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه دعا فاطمة رضي الله عنها فقال يا بنتاه انه نعيت الي نفسي فبكت فقال لا تبكي فانك اول اهلي لحوقا بي وعن ابن عباس ان هذه السورة تسمى سورة التوديع ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ اي كان في الازمنة الماضية منذ خلق المكلفين توابا عليهم اذا استغفروا فعلى كل مستغفر ان يتوقع مثل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة اذا جاء نصر الله اعطي من الاجر كمن شهد مع محمد يوم فتح مكة

سورة تبت مكية وهي خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ التباب الهلاك ومنه قولهم اشابة ام تابة اي هالكة من الهرم والتعجيز والمعنى هلكت يداه لانه فيما يروى اخذ حجرا ليرمي به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَتَبَّ﴾ وهلك كله او جعلت يداه هالكتين والمراد هلاك جملته كقوله بما قدمت يداك ومعنى وتب وكان ذلك وحصل كقوله جزاني جزاه الله شر جزائه ❁ جزاء الكلاب العاويات وقد فعل ❁ ويدل عليه قراءة ابن مسعود وقد تب وروى انه لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين رقي الصفا وقال يا صباحاه فاجتمع اليه الناس من كل اوب فقال يا بني عبد المطلب يا بني فهر ان اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي الساعة فقال ابو لهب تبا لك ألهذا دعوتنا فنزلت فان قلت لم كناه والتكنية تكرمة قلت فيه ثلاثة اوجه احدها ان يكون مشتهرا بالكنية دون الاسم فقد يكون الرجل معروفا باحدهما ولذلك تجرى الكنية على الاسم والاسم على الكنية عطف بيان فلما اريد تشهيره بدعوة السوء وان تبقى سمة له ذكر الاشهر من علميه ويؤيد ذلك قراءة من قرأ يدا ابو لهب كما قيل علي بن ابو طالب ومعاوية بن ابو سفيان لئلا يغير منه شيء فيشكل على السامع ولفليته بن قاسم امير مكة ابنان احدهما عبد الله بالجر والاخر عبد الله بالنصب والثاني انه كان اسمه عبد العزى فعدل عنه الى كنيته والثالث انه لما كان من اهل النار ومآله الى نار ذات لهب وافقت حاله كنيته فكان جديرا بان يذكر بها ويقال ابو لهب كما يقال ابو الشر للشرير وابو الخير للخير وكما كنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابا المهلب ابا صفرة بصفرة في وجهه وقيل كني بذلك لتلهب وجنتيه واشراقهما ويجوز ان يذكر بذلك تهكما به وبافتخاره بذلك وقرئ ابي لهب بالسكون وهو من تغيير الاعلام كقولهم شمس بن مالك بالضم ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ﴾ استفهام في معنى الانكار ومحله النصب او نفي ﴿وَمَا كَسَبَ﴾ مرفوع وما موصولة او مصدرية بمعنى ومكسوبه او كسبه والمعنى لم ينفعه ماله وما كسب بماله يعني رأس المال والارباح او ماشيته وما كسب من نسلها ومنافعها وكان ذا سابيا او ماله الذي ورثه من ابيه والذي كسبه بنفسه او ماله التالد والطارف وعن ابن عباس ما كسب ولده وحكي ان بني ابي لهب احتكموا اليه فاقتتلوا فقام يحجز بينهم فدفعه بعضهم فوقع فغضب فقال اخرجوا عني الكسب الخبيث ومنه قوله عليه الصلاة والسلام اطيب ما يأكل الرجل من كسبه وعن الضحاك ما ينفعه ماله وعمله الخبيث يعني كيده في عداوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن قتادة عمله الذي ظن انه منه على شيء كقوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل وروى انه كان يقول ان كان ما يقول ابن اخي حقا فانا افتدي منه نفسي بمالي وولدي ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ وقرئ بفتح الياء وضمها مخففا ومشددا والسين للوعيد اي هو كائن لا محالة وان تراخى وقته ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾

وامرأته هي ام جميل بنت حرب اخت ابي سفيان وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان فتنثرها بالليل في طريق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقيل كانت تمشي بالنميمة ويقال للمشاء بالنمائم المفسد بين الناس يحمل الحطب بينهم اي يوقد بينهم النائرة ويورث الشر قال

❁ من البيض لم تصطد على ظهر لأمة ❁ ولم تمش بين الحي بالحطب الرطب ❁

جعله رطبا ليدل على التدخين الذي هو زيادة في الشر ورفعت على العطف على الضمير في سيصلى هو وامرأته وفي جيدها في موضع الحال او على الابتداء وفي جيدها الخبر وقرئ حمالة الحطب بالنصب على الشتم وانا استحب هذه القراءة وقد توسل الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بجميل من احب شتم ام جميل وقرئ حمالة وحمالة للحطب بالتنوين والرفع والنصب وقرئ ومريئته بالتصغير المسد الذي فتل من الحبال فتلا شديدا من ليف كان او جلد او غيرهما قال ومسد امر من ايانق ورجل مسمود الخلق مجدول والمعنى في جيدها حبل مما مسد من الحبال وانها تحمل الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون تخسيسا لحالها وتحقيرا لها وتصويرا لها بصورة بعض الحطابات من المواهن لتمتعض من ذلك ويمتعض بعلها وهما في بيت العز والشرف وفي منصب الثروة والجدة ولقد عير بعض الناس الفضل بن العباس بن عتبة بن ابي لهب بحمالة الحطب فقال

❁ ماذا اردت الى شتمي ومنقصتي ❁ أم ما تعير من حمالة الحطب ❁
❁ غراء شادخة في المجد غرتها ❁ كانت سليلة شيخ ثاقب الحسب ❁

ويحتمل ان يكون المعنى ان حالها تكون في نار جهنم على الصورة التي كانت عليها حين كانت تحمل حزمة الشوك فلا تزال على ظهرها حزمة من حطب النار من شجر الزقوم او من الضريع وفي جيدها حبل مما مسد من سلاسل النار كما يعذب كل مجرم بما يجانس حاله في جرمه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة تبت رجوت ان لا يجمع الله بينه وبين ابي لهب في دار واحدة ❁

سورة الاخلاص مكية وقيل مدنية وهي اربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ هو ضمير الشأن والله احد هو الشأن كقولك هو زيد منطلق كأنه قيل الشأن هذا وهو ان الله واحد لا ثاني له فان قلت ما محل هو قلت الرفع على الابتداء والخبر الجملة فان قلت فالجملة الواقعة خبرا لا بد فيها من راجع الى المبتدأ فاين الراجع قلت حكم هذه الجملة حكم المفرد في قولك زيد غلامك في انه هو المبتدأ في المعنى وذلك ان قوله الله احد هو الشأن الذي هو عبارة عنه وليس كذلك زيد ابوه منطلق فان زيدا والجملة يدلان على معنيين مختلفين فلا بد مما يصل بينهما وعن ابن عباس قالت قريش يا محمد صف لنا ربك الذي تدعونا اليه فنزلت يعني الذي سألتموني وصفه هو الله واحد بدل من قوله الله او على هو احد بمعنى واحد واصله وحد وقرأ عبد الله هو الله احد بغير قل هو وقال من قرأ الله احد بغير قل هو كان يعدل القرآن وفي قراءة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الله احد بغير قل هو وقرأ الاعمش هو الله الواحد وقرئ احد الله بغير تنوين اسقط لملاقاة لام التعريف ونحوه ❁ ولا ذاكر الله الا قليلا ❁ والجيد هو التنوين وكسره لالتقاء الساكنين ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ والصمد فعل بمعنى مفعول من صمد اليه اذا قصده وهو السيد المصمود اليه في الحوائج والمعنى هو الله الذي تعرفونه وتقرون بانه خالق السموات والارض وخالقكم وهو واحد متوحد بالالهية لا يشارك فيها وهو الذي يصمد اليه كل مخلوق لا يستغنون عنه وهو الغني عنهم ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ لانه لا يجانس حتى تكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا وقد دل على هذا المعنى بقوله تعالى انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ لان كل مولود محدث وجسم وهو قديم لا اول لوجوده وليس بجسم ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ولم يكافئه احد اي لم يماثله ولم يشاكله ويجوز ان يكون من الكفاءة في النكاح نفيا للصاحبة سألوه ان يصفه لهم فاوحي اليه ما يحتوي على صفاته فقوله هو الله اشارة لهم الى من هو خالق الاشياء وفاطرها وفي طي ذلك وصفه بانه قادر عالم لان الخلق يستدعي القدرة والعلم لكونه واقعا على غاية احكام واتساق وانتظام وفي ذلك وصفه بانه حي سميع بصير وقوله احد

وصف بالوحدانية ونفي الشركاء وقوله الصمد وصف بانه ليس الا محتاجا اليه واذا لم يكن الا محتاجا اليه فهو
غني وفي كونه غنيا مع كونه عالما انه عدل غير فاعل للقبائح لعلمه بقبح القبيح وعلمه بغناه عنه
وقوله لم يلد وصف بالقدم والاولية وقوله لم يولد نفي للشبه والمجانسة وقوله ولم يكن له كفوا احد تقرير لذلك
وبت للحكم به فان قلت الكلام العربي الفصيح ان يؤخر الظرف الذي هو لغو غير مستقر ولا يقدم وقد
نص سيبويه على ذلك في كتابه فما باله مقدما في افصح كلام واعربه قلت هذا الكلام انما سيق لنفي
المكافاة عن ذات الباري سبحانه وهذا المعنى مصبه ومركزه هو هذا الظرف فكان لذلك اهم شيء واعناه
واحقه بالتقديم واحراه وقرئ كفؤا بضم الكاف والفاء وكسرها مع سكون الفاء فان قلت لم كانت هذه
السورة عدل القرآن كله على قصر متنها وتقارب طرفيها قلت لامر ما يسود من يسود وما
ذاك الا لاحتوائها على صفات الله وعدله وتوحيده وكفى دليلا من اعترف بفضلها وصدق بقول رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم ان علم التوحيد من الله بمكان وكيف لا يكون كذلك والعلم تابع للمعلوم
يشرف بشرفه ويتضع بضعته ومعلوم هذا العلم هو الله وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز فما ظنك بشرف
منزلته وجلالة محله وانافته على كل علم واستيلائه على قصب السبق دونه ومن ازدراه فلضعف
علمه بمعلومه وقلة تعظيمه له وخلوه من خشيته وبعده من النظر لعاقبته اللهم احشرنا في زمرة
العالمين بك العاملين لك القائلين بعدلك وتوحيدك الخائفين من وعيدك وتسمى سورة الاساس
لاشتمالها على اصول الدين وروى ابي وانس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم اسست السموات السبع والارضون السبع على
قل هو الله احد يعني ما خلقت الا لتكون دلائل على توحيد الله ومعرفة صفاته التي نطقت بها هذه السورة
وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه سمع رجلا يقرأ قل هو الله احد فقال وجبت له الجنة فقيل يا رسول
الله وما وجبت قال وجبت له الجنة

سورة الفلق مختلف فيها وهي خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم **قل اعوذ برب الفلق** الفلق والفرق الصبح لان الليل يفلق عنه ويفرق فعل بمعنى مفعول يقال في المثل هو ابين
من فلق الصبح ومن فرق الصبح ومنه قولهم سطع الفرقان اذا طلع الفجر وقيل هو كل ما يفلقه الله
كالارض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن المطر والارحام عن الاولاد والحب عن النوى
وغير ذلك وقيل هو واد في جهنم او جب فيها من قولهم لما اطمان من الارض الفلق والجمع فلقان
وعن بعض الصحابة انه قدم الشام فرأى دور اهل الذمة وما هم فيه من خفض العيش وما وسع عليهم
من دنياهم فقال لا ابالي اليس من ورائهم الفلق قيل وما الفلق قال بيت في جهنم اذا فتح صاح جميع اهل
النار من شدة حره **من شر ما خلق** من شر خلقه وشرهم ما يفعله المكلفون من الحيوان من المعاصي
والمآثم ومضارة بعضهم بعضا من ظلم وبغي وقتل وضرب وشتم وغير ذلك وما يفعله غير المكلفين
منه من الاكل والنهش واللدغ والعض كالسباع والحشرات وما وضعه الله في الموات من انواع الضرر
كالاحراق في النار والقتل في السم **ومن شر غاسق اذا وقب** الغاسق الليل اذا اعتكر ظلامه من قوله
تعالى الى غسق الليل ومنه غسقت العين امتلأت دمعا وغسقت الجراحة امتلأت دما ووقوبه
دخول ظلامه في كل شيء ويقال وقبت الشمس اذا غابت وفي الحديث لما رأى الشمس قد وقبت قال هذا
حين حلها يعني صلاة المغرب وقيل هو القمر اذا امتلأ وعن عائشة اخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
بيدي فاشار الى القمر فقال تعوذي بالله من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب ووقوبه دخوله في الكسوف
واسوداده ويجوز ان يراد بالغاسق الاسود من الحيات ووقبه ضربه ونقبه والوقب النقب ومنه
وقبة الثريد والتعوذ من شر الليل لان انبثاثه فيه اكثر والتحرز منه اصعب ومنه قولهم
الليل اخفى للويل وقولهم اغدر الليل لانه اذا اظلم كثر فيه الغدر واسند الشر اليه لملابسته له
من حدوثه فيه **ومن شر النفاثات في العقد** النفاثات النساء او النفوس او الجماعات السواحر
اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها ويرقين والنفث النفخ مع ريق ولا تأثير لذلك اللهم اذا كان
ثم اطعام شيء ضار او سقيه او اشمامه او مباشرة المسحور به على بعض الوجوه ولكن الله عز وجل قد

يفعل ذلك فعلا على سبيل الامتحان الذي يتميز به الثبت على الحق من الحشوية والجهلة من العوام
فينسبه الحشو والرعاع اليهن والى نفثهن والثابتون بالقول الثابت لا يلتفتون الى ذلك ولا
يعبأون به فان قلت فما معنى الاستعاذة من شرهن قلت فيه ثلاثة اوجه احدها ان يستعاذ
من عملهن الذي هو صنعة السحر ومن اثمهن في ذلك والثاني ان يستعاذ من فتنتهن الناس بسحرهن
وما يخدعنهم به من باطلهن والثالث ان يستعاذ مما يصيب الله به من الشر عند نفثهن ويجوز ان
يراد بهن النساء الكيادات من قوله ان كيدكن عظيم تشبيها لكيدهن بالسحر والنفث في
العقد او اللاتي يفتن الرجال بتعرضهن لهم وعرضهن محاسنهن كأنهن يسحرنهم بذلك **ومن
شر حاسد اذا حسد** اي اذا اظهر حسده وعمل بمقتضاه من بغي الغوائل للمحسود لانه اذا لم يظهر
اثر ما اضمره فلا ضرر يعود منه على من حسده بل هو الضار لنفسه لاغتمامه بسرور غيره وعن عمر
بن عبد العزيز لم ار ظالما اشبه بالمظلوم من حاسد ويجوز ان يراد بشر الحاسد اثمه وسماجة حاله
في وقت حسده واظهاره اثره فان قلت قوله من شر ما خلق يعم كل ما يستعاذ منه فما معنى الاستعاذة
بعده من الغاسق والنفاثات والحاسد قلت قد خص شر هؤلاء من كل شر لخفاء امره وانه
يلحق الانسان من حيث لا يعلم كأنما يغتال به وقالوا شر العداة المداجي الذي يكيدك من حيث
لا تشعر فان قلت فلم عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه قلت عرفت النفاثات لان كل
نفاثة شريرة ونكر غاسق لان كل غاسق لا يكون فيه الشر انما يكون في بعض دون بعض وكذلك كل
حاسد لا يضر ورب حسد محمود وهو الحسد في الخيرات ومنه قوله عليه الصلوة والسلام لا حسد الا
في اثنتين وقال ابو تمام ۞ وما حاسد في المكرمات بحاسد ۞ وقال ۞
۞ واعذر حسودك فيما قد خصصت به ۞ ان العلى حسن في مثلها الحسد ۞
عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة المعوذتين فكأنما قرأ الكتب التي انزلها الله تعالى كلها

سورة الناس مختلف فيها وهي ست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اعوذ وقرئ قل عوذ بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام ونحوه فخذ اربعة من الطير فان
قلت لم قيل **برب الناس** مضافا اليهم خاصة قلت لان الاستعاذة وقعت من شر الموسوس
في صدور الناس فكأنه قيل اعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذي يملك عليهم امورهم وهو الههم
ومعبودهم كما يستغيث بعض الموالي اذا اعتراهم خطب بسيدهم ومخدومهم ووالي امرهم
فان قلت **ملك الناس اله الناس** ما هما من رب الناس قلت هما عطف بيان كقولك سيرة
ابي حفص عمر الفاروق بين بملك الناس ثم زيد بيانا باله الناس لانه قد يقال لغيره رب الناس
كقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وقد يقال ملك الناس واما اله
الناس فخاص لا شركة فيه فجعل غاية للبيان فان قلت فهلا اكتفى باظهار المضاف اليه
الذي هو الناس مرة واحدة قلت لان عطف البيان للبيان فكان مظنة للاظهار دون
الاضمار **من شر الوسواس الخناس** الوسواس اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة
واما المصدر فوسواس بالكسر كزلزال والمراد به الشيطان سمي بالمصدر كأنه وسوسة في
نفسه لانها صنعته وشغله الذي هو عاكف عليه او اريد ذو الوسواس والوسوسة الصوت
الخفي ومنه وسواس الحلي والخناس الذي عادته ان يخنس منسوب الى الخنوس وهو التأخر
كالعواج والبتات لما روي عن سعيد بن جبير اذا ذكر الانسان ربه خنس الشيطان وولى
واذا غفل وسوس اليه **الذي يوسوس في صدور الناس** يجوز في محله الحركات الثلاث فالجر
على الصفة والرفع والنصب على الشتم ويحسن ان يقف القارئ على الخناس ويبتدئ الذي
يوسوس على احد هذين الوجهين **من الجنة والناس** بيان للذي يوسوس على ان الشيطان
ضربان جني وانسي كما قال شياطين الانس والجن وعن ابي ذر رضي الله عنه انه قال لرجل

هل تعوذت بالله من شيطان الانس وكونه ان تكون من متعلقا بيوسوس ومعناه ابتدا الغايه اي يوسوس
في صدورهم من جهة الجن ومن جهة الناس وقيل من الجنة والناس بيان للناس وان اسم الناس ينطلق
على الجنة واستشهد لو ابقر ورجال في سورة الجن وما احقه لان الجن سموا جنا لاجتنانهم والناس ناسا
لظهورهم من الايناس وهو الابصار كما سموا بشرا ولو كان يقع الناس على القبيلين وصح ذلك ثبت
لم يكن مناسبا لفصاحة القران وبعده من التصنع واجود منه ان يراد بالناس الناسي كقوله يوم يدع
الداع وكما قرى من حيث افاض الناس ثم بين بالجنة والناس لان الثقلين هما النوعان الموصوفان
بنسيان حق الله عز وجل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد انزلت علي سورتان ما انزل مثلهما وانك لن
تقرا سورتين احب ولا ارضى عند الله منهما ويقال للمعوذتين المقشقشتان **قال عبد الله**
الفقير جار الله العلامة فخر خوارزم وانا اعوذ بهما وبجميع كلمات الله الكاملة التامة والوذ
بكنف رحمته الشاملة العامة من كل ما يكلم الدين ويثلم اليقين او يعود في العاقبة بالندم
او يقدح في الايمان المسوط باللحم والدم واساله بخضوع العنق وخشوع البصر ووضع الخد
لجلالة الاعظم الاكبر مستشفعا اليه بنوره الذي هو الشيبة في الاسلام ومتوسلا اليه بالتوبة
الممحصة للاثام وبما عنيت به من مهاجرتي اليه ومجاورتي ومرابطتي بمكة ومصابرتي
على التواكل من القوا وتخاذل من الخطي ثم اساله بحق صراطه المستقيم وقرانه المجيد الكريم
وبما لقيت من كدح اليمين وعرق الجبين في عمل الكشاف عن حقائقه المخلص عن مضايقه المطلع
على غوامضه المثبت في مداحضه الملخص لنكته ولطايف نظمه المنقر عن فقره وجواهر
علمه المكثر لفوائده المفتنة التي لا توجد الا فيه المحيط بما لا يكتنه من بدع الفاظه ومعانيه
مع ايجاز الحاذف للفضول وتجنب المستكره المملول ولو لم يكن في مضمونه الا ايراد كل
شي على قانونه لكفى به ضالة ينشدها محققة الاخبات وجوهرة يتمنى الغتوق عليها
غاصة البحار وبما شرف في محدثي واقتصي بكرامته وتوحدت من ابتداعه على يدي في
مهبط بيناته وتنزيله ومتنزل اياته وسوره من البلد الامين بين ظهراني الحرم وبين يدي
البيت المحرم حتى وقع التاريخ [illegible] وجد التنزيل ان يهب لي خاتمة الخير ويقيني مصارع
السوء ويتجاوز عن فرطاتي يوم التناد ولا يفضحني على رؤوس الاشهاد ويحلني دار المقامة من
فضله بما اسبغ طوله وتابع نواله انه هو الجواد الكريم الرؤوف الرحيم
قال المصنف في اخر نسخته وهذه النسخه هي نسخة الاصل الاولى
التي نقلت من السواد وهي ام الكشاف الحرمية المباركة المتمسح بها المحفوفة بان يستنزل بها
بركات السماء ويستمطر بها في السنة الشهباء **فرغ** منها يد المصنف تجاه الكعبة
في جناح الشكمانية التي على باب اجياد الموسومة بمدرسة العلامة ضحوة الثالث والعشرين
من ربيع الاخر عام ثمان وعشرين وخمسمائة وهو حامد لله تعالى على ما هو كرمه ومفضل
على محمد عبده ورسوله وعلى اله واصحابه اجمعين

الحمد لله الذي وفقنا لاتمام كتابة هذا الكتاب الشريف واساله
العافيه في الدنيا والاخره والصلوه والسلام على رسوله محمد واله اجمعين وانا الفقير الى الله ع
السيد قاسم بن عبد الله الكبسي لطف الله بلطفه الخفي وجعله من جميع خلقه مكتفيا وتاب عليه
وغفر له ولجميع المومنين امين اللهم امين وهذا السفر الكريم حصل بعناية الصنو الاخ المحب الصفي
الود محب ال البيت المطهرين ضيا الدين المهدي بن حسن بن ابي النجم الصعدي وفقنا الله واياه
لصالح الاعمال وفهمنا واياه معانيه والعمل بما فيه امين اللهم امين عشية الخميس ليلة [illegible] يوم
خلون من شهر شوال الكريم سنة سبعة وستين والف سنة وذلك باجرة مستوفيه وقدرها خمسة
وثلاثين قرشا ولم يبق عندي لي شيا من ذلك الاجرة والاجارة الحاصلة اجارة صحيحة شرعية جامعة
لشروط الصحة يعلم ذلك الواقف على خطي واسفل هذا الجزء والذي قبله من الكشاف الكريم وهو كتاب
الكشاف جميعه [illegible] من ملك الصنو المهدي بن حسن بن ابي النجم الى ملك العقيه الافضل جمال الدين
حفظ الله بن عبد الله القاضي بالشرا الصحيح والعقد النافذ الصريح بثمن مقبوض جميعه مستوفا